من الآداب الرهبانية
في القرون الأولى للرهبنة
****

فردوس الآبـــاء

(بستان الرهبان الموسع)

أي

قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين

محققة من مصادرها الأصلية

❏❀☀❀❐

الجزء الأول

إعداد رهبان برية شيهيت

الطبعة الثانية

منقحة ومزيدة

٢٠٠٦

صورة البابا شنودة

المحتويـات

المقدمــــة	**١**
المراجع واختصاراتها	**٢٢**
الباب الأول: قصص وأقوال أنبا أنطونيوس وتلاميذه مع سيرة أنبا بولا أول السواح	**٢٥**
الفصل الأول: سيرة القديس أنبا بولا أول السواح	**٢٧**
الفصل الثاني: قصص وأقوال القديس أنبا أنطونيوس الكبير	**٣٣**
أولوجيوس والمقعد الرذيل	**٩١**
القديسة تاييس التائبة	**٩٤**
أقوال أنبا أنطونيوس الأخيرة	**٩٦**
رسالة ق سيرابيون إلى تلاميذ أنبا أنطونيوس بعد انتقال معلمهم	**١٠٠**
الفصل الثالث: عظات وتعاليم للقديس أنبا أنطونيوس	**١٠٣**
الرسائل العشرون للأنبا أنطونيوس	**١٢٧**
الفصل الرابع: قصص وأقوال تلاميذ أنبا أنطونيوس	**١٩٥**
أولاً: قصص وأقوال أنبا آمون مؤسس رهبنة نتريا	**١٩٥**
قصص وأقوال أنبا أور تلميذ أنبا آمون	**٢٠٠**
ثانيا: قصص وأقوال القديس أثناسيوس الرسولي	**٢٠٣**
ثالثًا: قصص وأقوال القديس هيلاريون الغزاوي	**٢٠٨**
رابعا: قصص وأقوال القديس بولس (بولا) البسيط	**٢١٦**
خامسا: قصص وأقوال القديس سيرابيون أسقف تمي	**٢٢٣**
رسالة القديس سيرابيون إلى الرهبان	**٢٢٣**
سادسا: رسالة للقديس أموناس تلميذ أنبا أنطونيوس	**٢٣٢**
سابعا: قصص وأقوال القديس كرونيوس	**٢٣٤**
ثامنا: قصص وأقوال القديس إسحق قس القلالي	**٢٣٦**
تاسعا: قصص وأقوال القديس أمونيوس الأسقف	**٢٣٩**
عاشرا: قصص وأقوال القديس هيراكس	**٢٤٢**
حادي عشر: قصص وأقوال القديس بيتيريون	**٢٤٣**
الباب الثاني: قصص وأقوال القديس أنبا مكاريوس الكبير (أنبا مقار) وأقوال تلاميذه	**٢٤٥**
الفصل الأول: قصص وأقوال وعظات ورسائل القديس أنبا مقار الكبير	**٢٤٦**
من كتاب فضائل القديس أنبا مقار	**٣٠١**
عظات أنبا مقار الكبير	**٣٣٠**
الرسائل السبع للقديس أنبا مقار	**٣٤٠**
رسائل أنبا مقار المكتشفة حديثًا	**٣٦٣**
الفصل الثاني: قصص وأقوال تلاميذ أنبا مقار الكبير	**٣٧٣**
(١) قصص وأقوال القديس أنبا مقار الإسكندراني	**٣٧٣**
(٢) قصص وأقوال القديس مرقس المصري الناسك	**٣٩٣**
(٣) سيرة وأقوال القديسين مكسيموس ودوماديوس	**٣٩٦**
(٤) قصص وأقوال القديس إيسوذورس قس الأسقيط	**٤٠٧**
(٥) « « « أنبا بفنوتيوس	**٤١٢**
(٦) قصص وأقوال القديس أنبا بامو	**٤٢١**

(٧) « « تلاميذ أنبا بامو: أولاً: القديس أمونيوس ٤٣١
ثانيا: القديس ديوسقورس ٤٣٣
ثالثًا: القديس أوريجين ٤٣٥
(٨) « « القديس أنبا بيئور ٤٣٥
(٩) « « القديس أنبا شيشوي الكبير ٤٣٨
(١٠) « « القديس أنبا سلوانس ٤٥٥
(١١) « « تلاميذ أنبا سلوانس: أولاً: القديس أنبا زينون ٤٦٣
ثانيا: القديس أبا مرقس ٤٧٠
ثالثًا: القديس أبا نتراس ٤٧٢
(١٢) « « الأب ثيئودور البرامي ٤٧٢
(١٣) « « الأب يوسف الكبير ٤٨٠
(١٤) « « القديسين أنبا زكريا ووالده أنبا قاريون ٤٨٥
(١٥) « « القديس أنبا موسى الأسود ٤٨٨
(١٦) « « القديس أنبا أموي ٥١٠
(١٧) « « القديس أنبا يؤنس القصير ٥١٢
توبة القديسة بائيسة ٥٣٣
عظتان للقديس يونس القصير ٥٤٦
(١٨) « « القديس أنبا بيشوي ٥٥٠
(١٩) « « القديس أنبا بيمين ٥٥٩
(٢٠) « « القديس أنبا إنوب ٦٢٤
(٢١) « « القديس أنبا ارسانيوس ٦٢٦
(٢٢) « « تلاميذ أنبا أرسانيوس: أولاً: أبا دانيال ٦٦١
ثانيا: أبا ألكسندروس ٦٦٥
(٢٣) « « القديس أنبا أغاثون ٦٦٥
(٢٤) « « القديس أنبا إشعياء ٦٧٦
(٢٥) « « القديس أبا إبراهام ٧٠٤
(٢٦) « « القديس أبا إخيللاس ٧٠٤
(٢٧) « « القديس أبا الونيوس ٧٠٧
(٢٨) « « القديس أنبا بيصاريون ٧٠٨
(٢٩) « « القديس أبا دولاس ٧١١
(٣٠) « « القديس الأب إيليا ٧١٢
(٣١) « « القديس أنبا بنيامين ٧١٤
(٣٢) « « القديس أنبا أبوللو ٧١٥
(٣٣) « « القديس أبا إسحق تلميذ الأب أبوللو ٧١٦
(٣٤) « « القديس أنبا لوط ٧١٦
(٣٥) « « أبا بطرس البيونيتي تلميذ الأب لوط ٧١٨
(٣٦) « « أبا يوسف تلميذ الأب لوط ٧١٨
(٣٧) « « القديس أنبا بائيسيوس ٧١٩
(٣٨) « « القديس أنبا ماطويس ٧٢٠

(٣٩)	«	« القديس أبا شيريمون الأسقيطي	٧٢٣
(٤٠)	«	« القديس أبا كوبرس	٧٢٤
(٤١)	«	« القديس يوحنا كاسيان	٧٢٤
(٤٢)	«	« القديس أبا هللاديوس	٧٢٧
(٤٣)	«	« إلقديس يعقوب القلالي	٧٢٨
(٤٤)	«	« أبا إسحق تلميذ الأب بيس	٧٢٩
(٤٥)	«	« القديس أبا إسحق قس شيهيت	٧٢٩
(٤٦)	«	« إلقديس يعقوب الأسقيطي	٧٣٠
(٤٧)	«	« أبا يوحنا تلميذ الأب يعقوب	٧٣٠
(٤٨)	«	« القديس الأب يوسف القلالي	٧٣٠
(٤٩)	«	« الأب مارسل الأسقيطي	٧٣٠
(٥٠)	«	« القديس أبا ميوس	٧٣١
(٥١)	«	« الأب موسى المنحني	٧٣٢
(٥٢)	«	« الأب إلبيديوس	٧٣٢
(٥٣)	«	« القديس هيراقليوس	٧٣٣
(٥٤)	«	« القديس الأب نثائيل	٧٣٤
(٥٥)	«	« القديس نستروس الكينوبيون	٧٣٥
(٥٦)	«	« القديس أوليمبيوس القلالي	٧٣٥
(٥٧)	«	« القديس أبا باخون	٧٣٦
(٥٨)	«	« القديس باالليديوس	٧٣٧
(٥٩)	«	« القديس أنبا سيرابيون السباني	٧٤١
(٦٠)	«	« القديس بولس البربري	٧٤٦
(٦١)	«	« القديس أبا تيموثاوس الأسقيطي	٧٤٦
(٦٢)	«	« القديس سيرينوس	٧٤٦
(٦٣)	«	« القديس أبا كسانتياس	٧٤٧
(٦٤)	«	« القديس أبا أولوجيوس	٧٤٧
(٦٥)	«	« القديس أبا ثيئوناس	٧٤٨
(٦٦)	«	« القديس أبا نستروس	٧٤٩
(٦٧)	«	« القديس أبا سوباتروس	٧٥٠
(٦٨)	«	« القديس بولس الكبادوكي	٧٥١
(٦٩)	«	« القديس أبا أبوللونيوس	٧٥٢
(٧٠)	«	« القديس أبا باترميوثيس	٧٥٢
(٧١)	«	« القديس أبا سارماتا	٧٥٢
(٧٢)	«	« القديس أبا موئين	٧٥٤
(٧٣)	«	« القديس أبا ميجيثيوس	٧٥٤
(٧٤)	«	« القديس يوحنا القلالي	٧٥٥
(٧٥)	«	« رهبـان بريـة نتريـا	٧٥٥
(٧٦)	«	« القديس أنبا يؤنس قمص شيهيت	٧٥٧
ملحق: سيرة القديس مار أوكيـن			**٧٦٩**

مقدمــة

فضلنا أن نسـمي كتاب أقوال آباء البراري
(أي بستان الرهبان الموسـع) باسم "فردوس
الآباء"، لأنه يكشف لنا عن ملكـوت آبائنا
الرهبان القدماء هذا الذي نريد أن ندخله في
هذا الكتاب؛ فأقوالهم توحي لنا بأنهم يعتبرون
حياة الراهب في **البرية أفضل من حياة**
آدم في **الفردوس قبل الخطية ..**
حياة في **المسـيح.**

أولاً: مـا هـي أقـوال الآبـاء؟

كلمة الله هي ينبوع الحياة الأول والأصلي الذي يحمل لنا الروح، فإذا شربنا من هذا الينبوع، في نور الروح، يقودنا إلى الله، لأنه ينطلق من الله ليقودنا إلى الله. هكذا أيضـا أقوال الآباء: *The Apophthegmata Patrum* أو بستان الرهبان، إذا طالعناها علـى نفس المنوال نبلغ أيضا إلى الله، ذلك لأنّ آباءنا كانوا أناسا مثلنا وقد جسدوا في حياتهم كلمة الله. لقد امتزج الإنجيل بسـيرة حياة كل منهم حتى صاروا هم أنفسهم كلامـا ناريا يفسر لنا بنماذج عملية حية مدى عمق الإنجيل المكتوب، كما أثبتوا للعالم إمكانية تحويل الطبيعة البشرية وتغييرها بنعمة المسيح.

ولذلك فإنّ قراءة أقوالهم تعتبر ليست مطالعة روحية محببة وفحصا لأعمـاق الـنفس فحسب؛ بل أيضا طعاما روحيا ليس مضافًا إلى كلمة الله، بل إنه مبني على كلمة الله - أو شخص المسيح نفسه – الذي كان متجسدا في الذين تكرست قلوبهم بالحق لله.

لقد شق آباؤنا هؤلاء لنا الطريق ومهدوها أمامنا بأن عاشوا الإنجيل حتى النفس الأخير، وقد دبر الله لنا ذلك ضمن خطّته لخلاصنا لكي نسير على دربهم بأكثر سهولة. وبرجوعنـا إلى أقوالهم وسِيرهم نوسع أفقنا الروحي ونعمق مفاهيمنا الإنجيلية، فنغتني بغنى الـروح، لأنّ الروح يهب حيث يشاء، ونحن يجب أن نكون حيث يشاء الروح لا حيث نشاء نحن!

"قُلْ لي **كلمة لكي أخلص":**

ينبغي أن تكون شركتنا مع آبائنا هؤلاء - في سِيرهم واختباراتهم - شـركةً حيـة:

نسألهم ونتلقّى إجاباتهم لا بذهنية الحرف الضيقة، بل بمسئوليةٍ وحريةٍ روحانيةٍ لكي ننمو مثلهم إلى ملء قامة المسيح.

لقد كان كل أبٍ منهم يأتي إليه الآخرون طالبين "كلمةً للمنفعة"، لا لحشو عقولهم بالمعلومات، بل لتنفيذها بروح الطاعة بحسب قصد الروح الأزلي الملائم لأيامنا هذه. وبذلك يصير سؤالنا لهم عملاً حيا ومحييا: فمن جهتنا يصير شهادة قبولٍ إيماني وحياة، ومن جهتهم يصير امتدادا لحضور الروح إلينا.

فعندما نسألهم ففي الواقع نحن نسأل الله الساكن فيهم. الله يحب الذين يسألونه ويستجيبون لكلامه. إنّ الله يخاطبنا في سفر أيوب قائلاً: «اِسمع الآن وأنا أتكلم. أسألك فتعلمني» ... «اِسمع واسألني فأجيبك»، فأجاب أيوب الله قائلاً: «أسألك فتعلمني ... بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن رأتك عيني» (أي٣٨: ١-٣، ٤٢: ٥). والسؤال التقليدي الذي كثيرا ما كان يسأله الراهب، ولا سيما المبتدئ، لمعلمه وأبيه الروحي هو: "قُلْ لي، يا أبي، كلمةً لكي أخلص" أو "قُلْ لي كيف أخلص". والكثير من أقوال الآباء جاءت ردا على مثل هذا السؤال.

ولا يمكن إخفاء العلاقة القوية بين أقوال الآباء وكلام الكتب المقدسة، لأنّ جوهر معاني هذه الأقوال مبني على كلام الله. وهذا التعبير: "قُلْ لي كلمة لأخلص" مبني على كلام بولس الرسول الذي يسمي الإنجيل كله: «كلمة الحق إنجيل خلاصكم» (أف١: ١٣)، «إليكم أرسِلَت كلمة هذا الخلاص» (أع١٣: ٢٦).

ولعل أول سؤال من هذا النوع سأله أبو الرهبنة في العالم كله، أنبا أنطونيوس، لله نفسه قائلاً: "أريد أن أخلص فماذا أفعل"؟ فجاءه الرد من الله مباشرةً بواسطة ملاكه. ولعل أبا الرهبنة في العالم كله كان يضع الأساس للرهبان في كل الأجيال لكي يتعلّموا كيف يسألون، ولكي يستلموا الإجابة - عن طريق المرشد - من الرب نفسه. وكان المفروض أنّ السائل يعلم ذلك في قلبه، ولذلك فقد كان عليه أن يقبل كلام معلمه كما من فم الله. ولذلك فكثيرا ما رأينا أخا يقطع مسافات طويلة لكي يحصل من أحد الشيوخ على قولٍ بخصوص أمور صغيرة وربما تبدو تافهة، ثم إذا استحق هذا القول أن يسلم للأجيال التالية فإنه بلا شك يعتبر بالنسبة لأول من استلمه نبعا غزيرا للاستنارة والنعمة لأنه كان يعتبر إجابةً له من الله نفسه على أمانته فيه وطاعته له.

وهكذا ظلّت أقوالهم حيةً في قلوب سامعيهم، ثم انتقلت شفاها من جيلٍ إلى جيل. وبتدبير من الله فإن تجميع أقوالهم لم يتأخر كثيرا عن عصرهم (القرن الرابع والنصف

الأول من القرن الخامس)، ثم كمل بعدهم بقرنٍ واحدٍ. ومن أهم الذين حثّهم الروح على تسجيل هذه الاختبارات الحية هم: بالليديوس وكاسيان وروفينوس.

معظم آباء البرية الكبار علموا ولم يكتبوا إلاّ القليل، علّموا بأعمالهم وبأقوالهم، وتقبل كثير من السامعين أقوالهم بتعطشٍ واشتياقٍ. فلنكتشف ولنتعمق، كل يوم، كنوز أقوالهم التي عبروا بها عن اختباراتهم الروحية لكي نحيا بالروح الذي عاشوا به، لأننا مثلهم تعمدنا «بالروح القدس ونار» هذا الذي قال عنه رب المجد: «جئت لألقي نارا على الأرض ولا أريد إلاّ اضطرامها» (لو١٢: ٤٩).

قرويون غير مثقّفين صاروا عمالقة في الروح:

معظم أقوال الآباء التي تحويها المجموعة الأبجدية اليونانية مصدرها آباء برية الأسقيط، ورغم أنّ الكثير منهم كانوا قرويين من ريف مصر النيل وغير مثقّفين لم يتلامسوا مع المبادئ أو الفلسفات المعاصرة؛ إلاّ أنّ روح الله الذي جدد خلقتهم وطبيعتهم عمل فيهم بقوةٍ غير مدركة، فملأهم بالروحانية والنسك حتى استطاعوا أن يؤثروا ليس على معاصريهم فحسب؛ بل وعلى كل الأجيال اللاحقة ليتعلّموا منهم: "النسك الذي تعلّموه من الكتب المقدسة" حسب تعبير كتاب "حياة أنطونيوس بقلم أثناسيوس" (فصل ٤٦). وفي هذا يقول الأب متى المسكين: [إنّ اتصال إنسان واحد بالله اتصالاً صحيحا كفيلٌ بإنارة الكنيسة كلها والعالم!](١)

ولقد ابتدأ العديد من المتوحدين وآباء المجامع الرهبانية في الظهور منذ القرن الرابع كمختبرين ناجحين تركوا لنا خبراتهم العميقة، وخلقوا طابعا أدبيا للرهبنة وقوانين رهبانية ومقالات نسكية وعظات ورسائل على أعلى درجةٍ من الكفاءة الروحية، حتى فاقت كل الفلسفات الدنيوية بقدر ما تفوقت المسيحية والحياة حسب الروح على الحياة حسب الجسد!

لقد وضعوا مقالات ذات قيمة لاهوتية روحانية وتاريخية عالية، بل إنّ الأديرة نفسها صارت مراكز بارزة للعلم الديني مثل أديرة أنبا شنودة رئيس المتوحدين، ودير أنبا مقار الذي صار لعدة قرون مركزا للكلية اللاهوتية.

لقد كانت البرية مدرسة نموذجية للروح القدس، فالرهبان الجدد الذين التصقوا بالشيوخ القدامى كانوا يدعون تلاميذ. وكان الشيوخ مستعدين للرد على جميع الأسئلة الموجهة إليهم أو لأخذ زمام المبادرة في الأحاديث الروحانية، إلاّ إذا رأوا أنّ كلامهم لن

(١) كتاب "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، الباب الأول، الفصل الخامس.

يؤدي إلى نتيجة، فكانوا يصمتون أو يكون ردهم كما في القول الآتي: [سأل مرةً أنبـا بيمين أنبا مقار: "قُلْ لي كلمةً لأخلص ا"، ولكن الشيخ أجابه: "إنّ ما تبحث عنه قد اختفى الآن من بين الرهبان" (أي أ م صاروا لا يعملون بما يسمعون)][2].

وكان يأتي لسؤال آباء البرية ليس المبتدئون والبسطاء فحسب، بل وأيضا الأسـاقفة ورؤساء الأساقفة والحكّام، وكانت خبرا م الروحية التي نقلوها لآخرين مؤيدةً بوضوح من كلام الكتاب المقدس بعهديه. وإن كان بعض هؤلاء الآباء قد صاروا أساقفة، إلاّ أنّ هذا كان يعتبر استثناءً في حياة آباء البراري الذين كان عمـق التصاقهم بالرب يجعلـهم يفضلون حياة الخلوة الهادئة عن حمل مسئولية خدمة النفوس التي لا يضمنون فيها خلاص نفوسهم، حتى ولو كان فيها خلاص لنفوس الرعية «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لـو ربـح العالم كله وخسر نفسه» (مت١٦: ٢٦)!

ومن أمثلة تلمذة الأساقفة ورؤسائهم على آباء البرية: تلمذة البابا أثناسيوس الرسـولي لأنبـا أنطونيوس، والبابا كيرلس عمود الدين لأنبا سيرابيون، وزيارات البابا ثيئوفيلس الـ ٢٣ المتكررة للقديسين بامو وأرسانيوس وغيرهما لسؤالهم أسئلةً روحيةً ... والأمثلة على ذلك كثيرة.

ثانيًا: القيم الروحية لأقوال الآباء:

تشهد العديد من مؤلفات أقوال الآباء المنشورة حديثًا لجدة التشوق للمعرفة الروحية في أيامنا هذه حتى من خارج الأديرة، ويمكننا أن نتشرب هذه المعرفة من الرهبان الشيوخ الذين نسميهم "آباء البرية"، فأقوالهم تساعد من يطّلِع عليها ليكون في حالٍ أفضل لتلقي صـوت الروح في قلبه، ولكي ينصِت لا إلى كلامهم فحسب بل أيضا إلى صمتهم!

أقوالهم تعتبر ثمرةً للسكون وطول الروح اللذين ينبتان في هدوء البرية. وإن كان آبـاء البراري قد اجتهدوا بكل قو م في إخفاء ممارسا م الخارجية، فكـم كـانوا بـالأكثر يحتفظون بكل غيرةٍ بأسرار حيا م الروحية الداخلية وعلاقتهم الشخصية بالله! فـنحن لا نستطيع أن نستشف من هذه الأقوال حقائق ذلك العالم غير المنظور الذي كانوا يعيشون فيه، ولكننا نجد فيها مجرد وميضٍ عابر يكشف أحيانا عن موجات النور التي فيهم.

إنّ كلّ من يسلك، ولو قليلاً، حسب أقوال الآباء **فلن يخدع** بل سـيعثر على كل المعنى الحقيقي والعميق لأقوال وأعمال شيوخ البراري. ففي **فردوس الآباء** هذا لا توجد إطلاقًا ثمار ضارة. وإن كانت بعضها تبدو بدون جاذبيةٍ من الناحية الظاهرية بالنسبة لنا،

(2) Apoph., Macaire, 25. (أنظر قائمة المراجع واختصارا ا في اية هذه المقدمة)

عديمة الطعم بالنسبة لذوقنا، فظّة بالنسبة لرقّتنا، أو جافة وقاسية بالنسبة لرخاوتنا؛ إلاّ أنها مليئة بالثمار الصحية الروحانية والخلاص للإنسان المتعطش للحياة الحقيقية.

إلى مسيحيي اليوم الذين يحكمون بكل سهولةٍ أنّ أقوال الآباء قد فقدت الآن طعمها وقوتها المحيية، ها أمامنا شهادة لراعٍ لوثري اسمه "ريتشارد ورمبراند Richard Wurmbrand" المعروف بروايته المؤثرة عن أسره في السجون الشيوعية برومانيا. لقد كان محبوسا وحده في زنزانةٍ مظلمةٍ بدون أي كتابٍ أو ورقٍ، ولكنه استرد شجاعته بتذكره لكتابٍ كان قد تلذّذ به في الماضي، والذي لم يكن سوى "أقوال الآباء"، وقال: "إنني أذكر نفسي بأحد كتبي المفضلة واسمه (بلغتهم) "*The Pateric*" الذي ينسب الخبرة لبعض قديسي القرن الرابع الذين أسسوا الأديرة الأولى في براري مصر. هذا الكتاب ذو الأربعمائة صفحة لما فتحته للمرة الأولى لم آكل ولم أشرب ولم أنم قبل أن أنتهي منه! إنّ مثل هذه الكتب لَهي مثل الخمر الجيدة، والأكثر قِدما فيها هو الأفضل"!

وفي وحدته وسكونه في زنزانته تذكّر وشعر بأهمية وفائدة القول الآتي: [سأل أخ أحد الآباء قائلاً: "يا أبي، ما هو الصمت"؟ فأجابه قائلاً: "الصمت، يا بني، هو جلوسك منفردا في قلايتك بحكمةٍ ومخافة الله، وتحصين روحك ضد سهام الأفكار المحرقة"]. ثم علّق ريتشارد على ذلك بقوله: "مثل هذا الصمت يلد الصلاح. إيه أيها الصمت الخالي من اضطراب الفكر، السلم الذي يصل إلى السماء! إيه أيها الصمت الذي لا يبحث فيه إلاّ عما هو جوهري، والذي فيه لا يتكلم المرء إلاّ مع يسوع المسيح! إنّ الذي يحفظ الصمت هو الذي يرتل: «قلبي مستعد لتمجيدك يا رب» (أنظر مز٥٦: ٧ سبعينية)"[٣]!

لها دور تربوي رهباني إنجيلي:

أقوال الآباء ليست للتعليم والتثقيف بل للمنفعة الروحية العملية، كما أنّ لها دورا تربويا أساسيا للروح الرهبانية الإنجيلية ولا سيما للمبتدئين في الرهبنة، وبالأخص الذين يطيعون مرشديهم بروح التلمذة الحقيقية. والهدف من أقوال الآباء ليس هو وصف ثمار الروح القدس في النفس المتحررة من الأهواء، بل قيادة الراهب إلى الطريق الذي ينبغي أن يجوزه إذا أراد أن يتحرر من عبودية الأهواء وأن يتقبل في داخله ثمار الروح.

ولما كانت أقوال الآباء تتضمن خبرات روحية متعددة، فهي تلقن الراهب ما يحتاجه من بصيرةٍ وإفراز روحي. إنها تلهب وتهذب الذين يريدون أن يتشبهوا بحياة القديسين السمائية، وأن يتقدموا في الطريق المؤدي إلى ملكوت السموات. كما ينبغي معرفة أنّ

(3) Més Prisons avec Dieu, p. 50.

هؤلاء الآباء قد اشتعلوا بالكامل بالحب الإلهي، وأ م كانوا يجتهدون كثيرا جدا حـتى لا يصابوا با د الباطل، وأن يمتلئوا بالاتضاع.

حياة الراهب هي جهاد مستمر، حرب فيها ربح وخسارةٌ، سقوطٌ وقيام بلا توقـف، ولذلك فمن العبارات المألوفة في أقوال الآباء: "أخ حورِب بالوقيعة"، "أخ حورب بالزنى" ... إلخ. ومع أنّ المبتدئين يحاربون باستمرار من الشياطين ومن الجسد ومن أوجاع النفس وكثيرا ما يسقطون، إلاّ أنّ الكاملين من الآباء تصورهم الأقوال بأ م في حالة نصرة دائمـة على هذه الحروب حتى ضجرت منهم الشياطين. والثمرة المباركة التي يجنيها النساك باستمرار من هذه الحروب المتواترة هي أ ا تكسِبهم حنكةً وخبرةً ينقلو ا بسـهولةٍ إلى تلاميـذهم والأجيال اللاحقة من الرهبان بل وحتى العلمانيين، كما أ م شعروا بأنّ هذه الحروب تجعل لجهادهم - بالصوم والصلاة والتوبة - أكاليل عظيمة خالدة في الأبدية!

وكم كان هؤلاء الآباء يترفّقون بالخطاة حتى يقتادوهم إلى التوبة ثم إلى القداسة! وكانوا يتظاهرون بأ م لا يرون المخطئ وهو ساقطٌ في خطيته، بل إ م كانوا لا يحزنون مرشدهم أثناء سيرهم في القفر حتى ولو انحرف م عن الطريق للدرجة التي فيها يصيرون في خطـر الموت! وفي الواقع تعتبر أقوال الآباء بمثابة صورة فوتوغرافية عن حيا م في البراري.

كثيرةٌ هي أتعاب الناسك، إلاّ أنّ هدفه واحد: وهو إرضاء الرب بتنقية قلبه واقتنـاء الفضائل ليس لذا ا بل لتزيين العروس لعريسها، ويفضل القديس يوحنا القصير أن تحوز النفس ولو القليل من كل فضيلة.

العمل اليدوي هو لأجل ضروريات الحياة:

إن كان الناسك يعمل بيديه لأجل احتياجات جسده، إلاّ أنه يشعر أنّ عمله اليدوي هو من أجل الرب الذي كرس له روحه وجسده، كما أنه يملأ وقت عملـه اليـدوي بالصلاة والتأمل وأحيانا بالقراءة والبكاء بسبب خطاياه أو بسبب شعوره بعدم استحقاقه لحب الله ورحمته، وهو في كل هذا لا يفسِح أي مجالٍ للأفكار الخاطئة لتسود عليه!

ولا يحتاج الراهب إلى أكثر من ضروريات الحياة، فعليه أن يلبس ثوبا من النوع الذي إذا ألقاه خارجا لمدة ثلاثة أيام لا يأخذه أحد (أنظر أقوال أنبا بامو)، والطعام كان غالبا مرةً واحـدةً في اليوم وشرب الماء بالمقدار، وكثير من الآباء عاشوا على الخبز والملح والماء معظم حيا م باسـتثناء أيام المرض والأعياد والمناسبات التي كانوا يأكلون فيها معا على مائدة المحبة (الأغابي).

أهم الفضائل التي تبرزها الأقوال:

أهم الفضائل التي جاهد لأجل اكتسابها آباء البراري بلا حدودٍ وحتى نهاية حياتهم هي: الطاعة، والاتضاع، والصلاة الدائمة، والصمت، والدموع ... كل هذه وغيرها زرعوها القفار فأثمرت لهم قداسة ومتعتهم بالتطهير من خطاياهم، كما أنّ معظم الفضائل كانوا يقتنوها بالدموع والعرق والجهاد في الصلاة.

وبتراكم الخبرات الشخصية في الحياة الروحانية صارت تنبثق منها الإرشادات التي سجلت في أقوال الآباء، وبالتدريج صارت أكثر وضوحا وفهما لمن جاءوا بعدهم. بل إنّ الأقوال تعتبر عطية نافعة لكل المسيحيين بصفةٍ عامة. وهي عندما تفهم جيدا تلهب الغيرة على اقتفاء إثر خطوات الذين نطقوا بها، وهي تدعو الإنسان إلى أن يتحرك نحو حياةٍ أفضل مما يحياها الآن.

واختبارات الآباء هذه التي تركوها لنا تعتبر ميراثًا ثمينا يجنب كلا منا مخاطر الطريق الروحي الذي يحاول السير فيه بطرقه الخاصة. ولم يوجد في الحياة النسكية مجالٌ للانشغال بالأمور العقائدية، ولا مناقشة مواضيع أو مشاكل الكتاب المقدس، لأنّ كل هذه تفقد الراهب سلامه الداخلي كما توجِد الانقسام في الرأي والتحزبات والأحقاد. أليس هذا هو سبب انقسام وتفتت المسيحيين الغربيين في القرون الأخيرة الذي أنشأ طوائف لا حصر لها؟!

مثالٌ على ذلك: [دعي الأب "كوبرس" ذات مرةٍ إلى اجتماعٍ للبحث في شخصية ملكيصادق، هل هو شخصية إنسانية أم إلهية، فلما وصل سألوه عن هذا الموضوع، فضرب على فمه ثلاث مراتٍ قائلاً: "الويل لك يا كوبرس لأنك أهملت كل ما طلبه الله منك وشرعت تفتش عما لم يطلبه منك"! فلما سمع الإخوة ذلك رجعوا إلى قلاليهم]!

أهمية دراسة أقوال الآباء:

إنّ النقص الشديد في القادة الروحيين في أيامنا هذه لَيحتم الدراسة والتمعن المستمرين في هذه الأقوال المباركة لكي يمكن - بدون ضرر - اتباع هذا الطريق العجيب الذي لـ "فن الفنون" و"علم العلوم" (حسب تعبير كتاب الفيلوكاليا). أما الأساس الذي يبنى عليه الرجاء في نجاح الإنسان في هذا الطريق فهو: اتضاع حقيقي، وإخلاص، واحتمالٌ، وطهارةٌ ... إلخ. من الفضائل الرئيسية.

وتحدد هذه الأقوال الملهمة بالروح معظم الصعوبات، وتفهمنا كيف نتغلّب ونسود عليها، حيث أعطانا الآباء تعاليم وإرشادات ونصائح نافعة لتسهيل جهادنا، حتى إننا إذا

اتبعنا هذا الطريق الروحي بروح الحب الحقيقي وإنكار الذات ائيا؛ فستكون لنا فرصـة واضحة وعظيمة وناجحة للوصول إلى اشتياقاتنا الروحية.

وتحتوي الأقوال على شرح لسر الحياة في ربنا يسوع المسيح، التي هي الحياة المسيحية الحقيقية التي تبدأ وتنمو وتتطور وتصل إلى الكمال لكل واحدٍ حسب قامته خلال المشيئة الصالحة التي لله الآب وبعمل نعمة الروح القدس الساكن في كل بني المعمودية، ومعونـة الرب يسوع نفسه الذي وعد أن يمكث معنا إلى دهر الدهور.

أقوال الآباء تدعو كل إنسانٍ إلى العمق:

تدعو نعمة الله كل إنسانٍ إلى الحياة الروحية العميقة، وهي ليست ممكنـة للجميـع فحسب بل إ ا إلزامية، لأ ا هي جوهر المسيحية، وإن كان الجميع لا يتشاركون فيهـا بنفس القياس. أما المختارون أكثر من غيرهم فيدخلون فيها بعمقٍ أكثر مـن غيرهـم، وبالتدريج يتسلّقون ليصلوا إلى أعلى درجا ا.

ومظاهر هذه الحياة الروحانية، وكذلك غِنى العالم الروحاني الذي تستعلن فيه هذه الحياة، لا تقلّ غزارةً وتنوعا عن مظاهر الحياة العادية. ولو أمكن بوضوح فهم ووصف كـل مـا يحدث في هذا العالم الروحاني: من هجمات معادية وتجارب، من صراعات وانتصارات، من سقوط وقيام من السقطات، من نشأة ونمو المظاهر المختلفة للحياة الروحية، من درجـات النمو وحالة الذهن والقلب المتصلة بكل من هذه الدرجات، والتفاعل في كل شيء بالنعمـة والحرية الروحية، والأحاسيس المختلفة بوجود الله، والإدراك الحسي لقوة معونة الله فـوق الكل، والتسليم النهائي لحياة الإنسان بين يدي الله، وهجران كل الأمور الدنيوية مع النشاط والجهاد المستمرين ... كل هذه وأمور أخرى كثيرة، تلك التي تمثل جزءًا مكملاً للحيـاة الحقيقية في الرب؛ لو أمكن أن توصف بوضوح لأعطت صورةً جذّابةً ومنيرةً وكأ ا رحلة في هذا العالم الروحاني.

ثالثًا: أنـواع أقـوال الآبـاء:

مع أننا نجد بعض الأقوال تتعلّق بحياة الشركة، إلاّ أنّ معظمها يتركّز ثقله علـى الحيـاة التوحدية، ولذلك فهي تقدم الحياة الجماعية باعتبارها في وضعٍ أقل سموا وإن كان يعتبر شرطًا أساسيا للمبتدئين. وأهم أنواع أقوال الآباء هي:

١ - حدثٌ غير مهم ولكنه ذو مغزى هام: مثالٌ لذلك: [ضفر أنبا يؤنس القصير مرةً ضفيرتين لسلّتين إلاّ أنه خاطهما سلّةً واحدةً، ولم ينتبه إلاّ حينما وصل إلى اية الضـفيرة،

وذلك لأنّ فكره كان مشغولاً بالرؤية الإلهية (التاورية)]. **ومثالٌ آخر:** [دعا تلميـذ أنبـا شيشوي معلمه للأكل، فسأله الأب: "ألم نأكل يا ابني"؟ أجابه: "كلاّ يا أبي". فقال له: "إن لم نكن قد أكلنا فهاتِ لنأكل"]! ـذا المقدار كانت لامبالا ـم بطعام الجسد.

٢ - إجابة سؤال أو طلب "قُل لي **كلمة":** حيث كانوا كثيرا ما يذكرون آيات مـن الكتاب المقدس بدلاً من أقوالهم، كما كانت أقوالهم هنا قصيرة قدر المستطاع، ولكنها مليئة بالمعاني والخبرات العميقة.

٣ - المبادرة بالكلام دون سؤال: وكان هذا الكلام غالبا ينبع من شعور الأب بمسئوليته عن نفوس تلاميذه، وعن شعوره باحتياجا ـم الروحية الحقيقية والواقعية.

٤ - الأمثلة والرموز: مثال ذلك: عندما طلب أحد الآباء من سائله أن يملأ الكوز ماءً، ثم طلب منه أن يحركه، ثم سأله متى يمكنه أن يرى وجهه في الماء جيدا؟ فقال: "عندما يهدأ الماء تماما". وذلك لكي يعبر له عن أفضلية حياة الهدوء لكي يرى الإنسان نفسه على حقيقتها.

٥ - سرد المعجزات: يظهر فيها كيف أنّ الآباء بصلوا ـم وجهادهم مـع الله أخـذوا مواهب رسولية بما في ذلك إقامة الأموات. وكان سرد هذه المعجزات موجزا لـئلاّ يظـن السامع أو القارئ أنّ الآباء كانوا يفتخرون بعمل المعجزات، أو أنّ هذا كان أحد أهـدافهم من حيا ـم النسكية. وفي الواقع كانت معظم المعجزات مجرد عمل رحمـة في الآخـرين أو لإظهار صحة عقيد ـم بالمقارنة مع عقائد الهراطقة.

٦ - الرؤى: تصف بعض الأقوال رؤى الآباء الذين وصلوا إلى الانخطاف العقلـي أو الدهش ἐκστασις أو رؤية الله ἀποκάλυψις.

رابعًا: المصادر الأولى (الأصلية) لأقوال الآباء:

أهم الوثائق التي نشكر الله من أعماقنا لأنه دبر وصولها إلينا واستقينا منها هذه التعاليم الآبائية هي:

١ - حياة القديس أنطونيوس بقلم القديس أثناسيوس الرسولي.

٢ - التاريخ اللوزياكي لبالليديوس أسقف هلينوبوليس، وتنسب إليه أيضا عدة أقـوال جمعها الراهب العراقي "حنا عيسى" (أو حنان عيشو) في القرن السابع.

٣ - تاريخ الرهبـان المصـريين منسـوب إلى روفينـوس واسمـه: *The Historia*

Monachorum in Aegypto، والذي كُتِب أصلاً باللغتين اليونانية واللاتينية[٤].

٤ - بعض ما سجله سقراط وسوزومين في تاريخهما الكنسي.

٥ - مجموعات أقوال الآباء المسماة *Apophthegmatua Patm*، وسنتكلم عنـها بالتفصيل.

٦ - كتابات القديس يوحنا كاسيان وهي: ا ـامع أو المؤسسـات الرهبانيـة *The Institutes*، والمحادثات *The Conferences*.

وكان تأثير كتاب "حياة أنطونيوس بقلم أثناسيوس" على الحياة الرهبانية وعلى سـير حياة آبائنا القديسين تأثيرا هائلاً ممتازا، وأهم شاهد على ذلك في الغرب هـو القـديس أوغسطينوس، وسيرته وكتاباته معروفة، هذا الذي اقتفى إثر خطوات أنبا أنطونيوس رغم أنه لم يره! ويقول العلاّمة المؤرخ "هارناك": [لو سمِح لي أن أستخدم لهجةً قويةً، فلـن أتردد عن القول إنه لا يوجد كتاب كان له أعمق تأثير خرافي في مصر وفي غرب آسـيا وفي أوروبا من كتاب "حياة أنطونيوس بقلم أثناسيوس"][٥].

ويقول عنه القديس غريغوريوس الـ ي ي اللاهوتي: [إنّ القديس أثناسـيوس في هـذا الكتاب ينشر دستور أو قوانين الحياة الرهبانية المثالية في شكل قصة][٦].

أما ناشر الترجمة الإنجليزية لكتاب بالليديوس، وهو Robert T Meyer. فيقـول في المقدمة: [أهم وثيقتين أصيلتين لتاريخ الرهبنة المبكرة في مصر، حيث نبعت الرهبنة، هما: (١) "حياة أنطونيوس بقلم أثناسيوس" الذي كُتِب حوالي عـام ٣٥٧م، (٢) "التـاريخ اللوزياكي لبالليديوس" الذي كُتِب بعده بحوالي ٦٠ سنة، وقد اشتق اسمه *The Lausiac History* من اسم الشخص الذي كُتِب من أجله وهو "لوزاس Lausus" الياور الملكي في بلاط الإمبراطور ثيئودوسيوس الثاني.

وترجع القيمة التاريخية على نطاقٍ واسعٍ لكل من هذين الكتابين إلى أنّ مؤلف كل منهما كان قد عاش بنفسه فترةً في البراري المصرية، وكان يعرف جيدا الأمور التي كتب عنـها، كما أنّ كلا منهما يكمل الآخر.

وتعتمد روايات بالليديوس على ما كان قد رآه شخصيا أو اختبره، وعلى ما وصله مـن

---

(٤) كُتِب حوالي عام ٤٠٠م. وهو يشبه تاريخ بالليديوس، ويوجد أصله اللاتيني في L 21, 387 - 462، ونشِر الأصل اليوناني بواسطة E. Preuchen باسم Palladius und Rufinus (Giessen 1897: 1 - 131).

(5) The Desert Fathers, p. 4: II.

(6) Greg. Naz., Orat., 21, 5.

آخرين من القصص المشابهة لرواياته. وإن كانت "حياة أنطونيوس" تتركّز في مصر إلاّ أنّ التاريخ اللوزياكي يصف الحياة الرهبانية ليس في مصر وحدها بل أيضا في فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى. والهدف من كلا الكتابين هو إنارة القارئ.

وكان القديس أثناسيوس قد أرسل كتابه "إلى الإخوة الذين في الأرجاء الأجنبية"، إلى الأتقياء الذين كانوا يحاولون أن ينافسوا الرهبان المصريين في نسكهم وتقشفهم، وهكذا يقول: [وأنا أشعر أنكم أنتم أيضا مجرد أن تسمعوا القصة فلن تعجبوا بالرجل فحسب، بل أيضا سترغبون في الاقتداء به، إذ ترون في حياته نموذجا كافيا للنسك الرهباني ... لقد رأيت أنطونيوس مرارا، وهذا ما استطعت أن أتعلّمه منه، لأنني لازمته طويلاً وسكبت ماءً على يديه ...][7].

وقد اقتطع بالليديوس وقتا من حياته المليئة بالمشاغل كتب فيه صورا حية عن حوالي ستين قديسا وقديسة ... وكان هذا في وقتٍ تحررت فيه الكنيسة حديثًا من الكهوف والسراديب التي أجبرتها الاضطهادات المتوالية على الصلاة بل والمعيشة فيها، وهو عصر "ليثومانيا"[8] كما سماه بالليديوس، أي عصر جنون المباني الكنسية الشاهقة. ولكن بالليديوس أراد أن يعلم "لوزاس" دروس البناء الحقيقي، أي التأسيس النموذجي للشخصية في القلب - هيكل أو كنيسة الله الحي - على أساس سير قديسي البراري.

خامسًا: الرحالة الأجانب الذين جاءوا إلى مصر
وجمعوا أقوال الآباء ونقلوا الرهبنة إلى بلادهم:

زار مصر واستنار بنور قديسي براريها الكثيرون من الرحالة الأجانب الأتقياء، ونقل معظمهم أنظمتها الرهبانية إلى بلادهم مسترشدين بتعاليم آباء النسك فيها، لأنّ مصر هي مهد الرهبنة في العالم كله، وأهم هؤلاء الزوار الرحالة حسب ترتيب تواريخ زيارتهم هم:

١ - القديس هيلاريون الغزاوي: رئيس ومؤسس رهبنة فلسطين. زار القديس أنطونيوس نحو عام ٣٠٧م، وتتلمذ له أسابيع قليلة بدأ على إثرها حياته النسكية التوحدية في براري غزة، ثم تتلمذ له مئات الرهبان حيث أسس لهم ديرا.

٢ - القديس باسيليوس الكبير: أسقف قيصرية الكبادوك. جاء إلى بلادنا نحو عام ٣٥٨م، وحمل معه نظام حياة الشركة الباخومية وجعله أساسا لنظامه الرهباني في آسيا الصغرى.

---

(٧) كتاب "حياة": المقدمة. (٨) كلمة يونانية: λιθομανια، وهي من شقّين: λιθος = حجر، μανια = جنون.

٣ - روفينوس وميلانية الكبيرة: ظهر "تيرانيوس روفينوس" في أواخر القرن الرابع (عام ٣٧٣ أو ٣٨٥م) في بلادنا طبقًا لحلم القديس أنبا مقار الذي رأى فيه سفينةً تجاريةً آتيةً إليه من الغرب بشخصٍ إيطالي. وبفضل روفينوس عبر جزءٌ كبير من أعمال (أي سير وكتابات) هذا القديس المصري العظيم أنبا مقار محيط العصور المظلمة، وفي حين فُقِد هذا الجزء من اللغة اليونانية فقد بقي في اللاتينية لكي يغني الغرب والشرق على السواء.

تقابل روفينوس مع النبيلة الأسبانية الأصل والرومانية الموطن التقية السيدة ميلانية الكبيرة (جدة ميلانية الصغيرة) في روما، واصطحبها مع آخرين في رحلتها السياحية إلى الشرق[٩]، وقيل إنّ ذلك كان عام ٣٧٣م، وقد زاروا الأديرة المصرية. ورافق القديسة ميلانية إلى نتريا القديس إيسوذورس الذي من نتريا وأنبا ديوسقورس أسقف دمنهور، ثم رجعت إلى فلسطين بعد أن قضت ستة أشهر في زيارة آباء البراري المصرية. وقد رغب هؤلاء الرحالة في الإقامة الدائمة في مصر لولا الاضطهاد الأريوسي[١٠].

ويقرر روفينوس في دفاعه (تحت رقم ٤٦٦) أنه مكث ست سنوات في مصر حيث قابل العديد من قديسي البراري الذين كتب عنهم، وأنه رجع مع زملائه إلى مصر مرةً ثانيةً لمدة عامين، ويرجح أن رحلتهم الأخيرة هذه بدأت عام ٣٩٤م، لأنّ القديس يوحنا الأسيوطي الذي قابلهم تنبأ لهم عن خلع الإمبراطور أوجينيوس بواسطة ثيئودوسيوس، هذا الذي تمّ في سبتمبر من هذا العام[١١].

وكان الرهبان المصريون يشعرون بعدم استحقاقهم لهذه الزيارات، فقد قال مثلاً القديس يوحنا الأسيوطي لجماعة روفينوس: [ما هي الأمور ذات الأهمية التي تتوقعون أن تجدوها - يا أولادي الأعزاء - حتى إنكم وضعتم على عاتقكم مثل هذه الرحلة الطويلة المليئة بالأتعاب لتزوروا فقراء بسطاء لا يملكون شيئًا جديرا بالرؤية أو التعجب منه؟ ... إنني متعجب من غيرتكم! كيف لا تبالون بهذه الأخطار الكثيرة في مجيئكم إلينا لكي تتعلّموا منا]؟! وكان ردهم بأن ما يرونه ويسمعونه في أماكن القديسين ينطبع في أذهانهم كالصور ولا يمكن أن يمحى من ذاكرتهم.

ولما وصلوا إلى نتريا كان أنبا مقار الإسكندراني قد توفي منذ قليل . وقد وصف روفينوس كل ما رآه وسمعه بدقّةٍ، وينسب إليه كتاب *The Historia Monachorum in Aegypto* الذي يعتبر أحد المصادر الرئيسية لأقوال الآباء، ولكن البعض يرجح أنّ كاتبه هو

(٩) أنظر رسائل جيروم ٤ : ٢.
(10) Sozomen, VI, 19; Socr., IV, 21 - 3; Rufin., Eccl. Hist., II:3.
(١١) أنظر تاريخ سقراط ٥ : ٢٥.

تيموثاوس أحد شمامسة الإسكندرية عام ٤١٢م.

ومن أقوال هذا الكتاب: [مبارك هو الله ... لأنه جاء بنا إلى مصر ... لقد وهب لنا - نحن الذين نريد أن نخلص - الأساس والمعرفة للخلاص. لقد زودنا الرب، لـيس بنمـاذج للحياة الصالحة فحسب، بل أيضا كشف لنا كل ما يؤدي إلى تكريس النفس الحقيقـي لله. هذه الأمور لا يستحق من هم مثلنا أن يتكلّموا عنها، ولكنني في تسجيلي هنا عـن آبـاء البراري المصريين اعتمدت على صلوا م لكي آخذ أنا أيضا منفعةً لنفسي من حياة هـؤلاء الرهبان باقتدائي بطرق حيا م، لأنني بالحق رأيت كنـز الله مخفى في أوانٍ خزفية (٢كو٤: ٧)، لذلك فلم أُرد أن أحتفظ ـذا الكنـز لنفسي في حين أنه ينفع الكثيرين].

ثم أكّد روفينوس أنّ الفضل الأول في قداسة هؤلاء الآباء يرجع إلى تعاليم الرب يسوع المسيح، مما يثبت أنّ أصل الحياة الرهبانية هو إنجيلي صرف. ثم يقول: [لأنني رأيـت في مصر آباء كثيرين يعيشون حياة ملائكية إذ تقدموا بثباتٍ في التشبه بمخلصنا الصالح. لقد رأيت أنبياء بلغوا إلى حالةٍ شبه إلهية بفضائل حيا م المُلهمة والعجيبـة، فهـم خـدام حقيقيون لله. إ م لا يشغلون أنفسهم بأي أمر أرضي ولا يهتمون بشيءٍ يتعلّق ـذا العالم الزائل، بل إ م يعيشون على الأرض كمواطنين سمائيين، بل إنّ الكثير منهم لا يعلـم أنّ الشر لا زال موجودا في العالم ... إ م موزعون في البراري منتظرون للمسـيح كأبنـاء مخلصين ينتظرون والدهم ...

حقًا إنه لواضح للجميع أنّ العالم محفوظٌ م وأنّ الحياة البشرية تكرم بصـلوا م ... لا توجد مدينة أو قرية في مصر لم تكن محاطة بأماكن للنسك والعبادة وكأ ا أسوار، كما أنّ الناس يعتمدون على صلوات الرهبان كاعتمادهم على الله نفسه]!

وما أجمل وصف هذا الكتاب لترحيب الرهبان، إذ قال: [لقد غسلوا أرجلنا كمـا لـو كانوا يزيلون عنا تعب رحلتنا، ولكنهم في الحقيقة كانوا يزيلون عنا متاعب الحياة الدنيويـة ـذا العمل التقليدي، ولما رأينا اهتمامهم بالتأمل في الكتاب المقدس والتعمق فيه شـعرنا أنّ كلا منهم كان خبيرا في كلمة الله وحكمته].

أما القديسة ميلانية الكبيرة فقد قابلت العديد من الآباء في أماكن نسكهم في أعماق البراري، حيث تتلمذت على تعاليمهم وأخذت من اختبارا م زادا مكّنها من أن تصـير أما لراهبات ديرها الذي أسسته في جبل الزيتون في فلسطين نحـو عـام ٣٧٧م. وقـد أُضيفَت ثروة روفينوس إلى ثروة ميلانية، وبنيا ا مساكن لرهبان جبل الزيتـون. كمـا

سجل روفينوس أنه قام برحلةٍ إلى "إديسا" (الرها) و"تشارو Charrhoe" حيـث رأى مساكن للرهبان كالتي رآها في مصر.

٤ - الحاجة إيثيريا (إيجيريا): زارت مصر في طريقها إلى أورشليم عام ٣٨١م، ولا سيما منطقة جبل الله (جبل موسى) في سيناء، وبراري شيهيت والصعيد.

٥ - جيروم وباولا وابنتها استوخيوم: جيروم (إيرونيموس) أصله من "أكويليا" بإيطاليا، وقد قابل باولا وابنتها هناك ثم تقابلا في أنطاكية وسافرا إلى أورشليم ومنها إلى مصـر إلى براري نتريا والقلالي وشيهيت نحو عام ٣٨٥م(١٢).

ثم زار جيروم الأديرة الباخومية في الصعيد وكتب عن نظام وقوانين الرهبنة الباخومية، ثم أسس في فلسطين ديرا للرهبان قرب بيت لحم، واشترك مع باولا في تأسيس دير للراهبـات هناك صارت هي رئيسةً عليه، ثم خلفتها ابنتها استوخيوم بعد وفا ا.

٦ - القديس يوحنا كاسيان وزميله جرمانوس: وهما راهبان يرجح أ ما أصلاً من بلاد الغال (فرنسا) كما قيل إنّ كاسيان من رومانيا، وقد تركا بلادهما وترهبا في دير ببيت لحم نحو عام ٣٨٥م، ومن هناك زارا مصر مرتين، ويقال إ ما تركا مصر نحو عام ٣٩٩م عائدين إلى بلادهما الأصلية، ولكن جرمانوس بقي في القسطنطينية حيث رسِم كاهنـا، وذهـب كاسيان إلى فرنسا حيث أسس بجوار مرسيليا ديرين نقل إليهما كل تراث تعـاليم الآبـاء الأقباط وصلوا م بل حتى زيهم الرهباني، ثم سلّم هذا التراث للقديـس الغربي "بنـدكتوس St. Benedict" من بعده، وهو الذي نسِبت إليه الرهبنة البندكتية الغربية المشهورة.

وقد وضع كاسيان كتابيه المشهورين: الأول هـو "المؤسسـات *The Institutes*" أو "ا امع الرهبانية"، الذي وصف فيه حياة الرهبان المصريين بالتفصيل: أهـدافهم الرهبانيـة وأنظمة صلوا م وأصوامهم ونسكيا م وأعمالهم اليدوية وملابسهم ... إلخ. والثاني هـو "المحادثات *The Conferences*" سجل فيه جميع الأحاديث الروحانية التي سمعها مع صديقه جرمانوس من كل أبٍ على حدةٍ بلغت ٢٤ حديثًا مطولاً.

٧ - بالليديوس: وهو أكثر من جمع أقوالاً لآباء البراري القديسين، ووصف حيا م في ذلك الزمان. كان مسقط رأسه في غلاطية بآسيا الصغرى نحو عام ٣٦٣م، ولما بلغ عمره ٢٣ سـنة ترهب وتتلمذ على القديس إينوسنتيوس في جبل الزيتون بفلسطين، ثم جاء إلى مصر حوالي عام

(١٢) يصف جيروم في رسالته إلى "استوخيوم" (رقم ١٤) مقابلات باولا لآباء نتريا وصفًا جميلاً روحيا، وقد اقتبس هذا الوصف كتاب: E. White, II: p. 87

٣٨٨م حيث قضى نحو ثلاث سنوات في الإسكندرية والبراري المجاورة لها وقال عنها: [إنّ هذه الأديرة كانت تضم بين جوانبها من النساك الراسخين في الإيمان ألفي نسمة][١٣].

ثم في عام ٣٩٠م زار نتريا والقلالي وشيهيت وكتب عن كل من قابلهم فيها وجمع أقوال عدد كبير منهم حتى إنّ الرهبنة القبطية وتاريخ الأديرة المصرية تعتبر مدينةً لهذا الإنسان المبارك.

ثم اتجه إلى إتريب ومنها إلى أعالي الصعيد حيث زار أديرة الرهبان والراهبات في أنصنا (ملوي) وأديرة أنبا باخوم في طبنيسي حيث وصف الرهبنة الباخومية بالتفصيل، كما زار حبيس ليكوبوليس (أسيوط) المشهور القديس يوحنا التبايسي (أو الأسيوطي).

ثم رجع إلى الإسكندرية للعلاج، ومن هناك سافر إلى فلسطين حيث سكن في مغارة بيت لحم، وهناك تقابل مع العلاّمة جيروم، وفي سنة ٤٠٠م رسِم أسقفًا على هلينوبوليس في آسيا الصغرى. وفي عام ٤٠٥م نفاه الإمبراطور أركاديوس إلى أسوان في مصر، ومن هناك ذهب إلى أنتينيوي (الشيخ عبادة الآن بجوار ملوي) حيث رأى ١٢٠٠ راهب متوحد "يعيشون من عمل أيديهم ويمارسون النسك إلى أقصى درجة".

أما كتاب "التاريخ اللوزياكي" الذي اشتهر به بالليديوس - والذي ذكرناه سابقًا - فقد كتبه حوالي عام ٤١٩ أو ٤٢٠م، وهو ينطق بما كان يكنه لهؤلاء النساك من حب وإعجابٍ، ولأنه سافر كثيرا وسمع منهم الكثير فهو يستحق أن يدعى "هيرودوت" آباء الصحاري. ويهمنا جدا أن نعرف أنّ "أميلينو" العلاّمة في القبطيات درس هذا الكتاب وتحقق من دقّة ما كتبه بالليديوس على أساس دراسته للآثار المسيحية في مصر، هذا بالرغم من أنّ بعض القصص التي ذكرها بالليديوس كان قد سمعها من آخرين بطريقةٍ مبالَغ فيها بعض الشيء.

وقد أرسل بالليديوس كتابه، الذي ضمنه - كما قلنا - صورا حية لحوالي ستين قديسا وقديسة في مصر وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى، مع رسالةٍ إلى لوزاس "Lausus" يـاور الإمبراطور ثيئودوسيوس الثاني. وبين سير هؤلاء القديسين والقديسات ذكر بالليديوس الذين سقطوا من الفضيلة بسبب الكبرياء المفرطة، ورجوع بعضهم إلى السيرة المقدسة بواسطة نعمة الله. وبذلك يظهر بالليديوس أنّ المسوح وحدها لا تصنع الراهب ... ! ويخبرنا أنه شعر بأنه مضطر أن يسجل ذلك لكي نعرف مدى خطورة الكبرياء ومدى قوة الصلاة والاتضاع[١٤].

وكان مما قاله في رسالته إلى "لوزاس": [لقد شعرت في نفسي أنني لست على مستوى

(١٣) "بستان الآباء القديسين" - واليس بدج، المقدمة ص ١٦.
(١٤) من مقدمة كتاب بالليديوس بالإنجليزية لكاتبها: R. T. Meyer

وضع مجموعة سير للآباء القديسين ... لقد أرهبني عظم المشروع ... ثم تفكّرت في المنفعـة التي سيسببها هذا العمل لمن يقرأونه، لذلك اعتمدت على المعونة الإلهية وشرعت في هذا العمل بجديةٍ كبيرةٍ، فدخلت هذا الميدان محمولاً على أجنحة شفاعات هؤلاء القديسين[(١٥)] ... وقد حسِبت أهلاً أن أتحقّق بنفسي من ملامح الوقار والخشوع لأولئك الذين نضجوا فعلاً في ميدان التقوى ... لقد سافرت على قدمي وتطلّعت في كل مغارةٍ وحجرةٍ لرهبان الصحراء بكل دقّةٍ ودافعٍ خشوعي ... وسجلت في هذا الكتاب مناقشاتي مع هؤلاء القديسـين وهـم علـى سجيتهم كبشر إلهيين ...].

٨ - ميلانية الصغيرة: هي حفيدة ميلانية الكبيرة. كرست حيا ا للمسـيح وعمرهـا حوالي ٢٠ سنة، وكانت غنية جدا، فوزعت كل أموالها على الكنائس والأديرة بمـا فيهـا الأديرة المصرية، ثم عاشت بعض الوقت في جزيرة صقلية.

وفي عام ٤١٧م زارت شمال أفريقيا ثم ذهبت إلى أورشليم والتجأت إلى منـزل للغرباء بجوار القبر المقدس. ثم زارت رهبان براري مصر، ثم رجعت متحصنةً بمثـالهم وقـدوة قداسـتهم، واستقرت في أورشليم في حياة وحدة وتأمل، وقابلت هناك قريبتها باولا وابنتها استوخيوم[(١٦)].

سادسًا: المصادر الحديثة لأقوال الآباء:

يقول العلاّمة "كواستن Quasten": [لا يوجد أي عمل آخر يعطي فكرةً أفضل عـن روح الرهبنة المصرية مثل ا موعة ا هولة المؤلف (أو المصنف) للحِكَم الروحانية المسماة:
Apophthegmata Patrum = Les Apophthegmes des Peres du desert = The Sayings of the desert Fathers.

وقد جمِعت هذه ا موعة ربما في حوالي اية القرن الخامس، وتحوي أقـوالاً (Λογοι) لأكثر الآباء ومتوحدي براري مصر شهرةً، كما تحوي أخبار فضائلهم ومعجزا م. وقبل أن تكتب باليونانية كان يوجد غالبا تقليد شفاهي عنها باللغة القبطية. وقـد نظمـت هـذه المقتطفات الأدبية المختارة ربما في القرن السادس بطريقة الأبجدية لأسماء الآباء ثم ترجِمت إلى لغاتٍ عديدة. وهي تعطي صورةً حيةً للحياة الرهبانية في وادي النطرون بصفةٍ خاصة، فهي تمثل مصدرا ذا قيمة فائقة يصعب تقديرها لمعطيات التاريخ الديني والمدني].

وقد وجِدت أقوال الآباء التي يتكون منها فردوس الآباء (بستان الرهبان) أصلاً باللغـات

---

(١٥) كلمة "قديسين" في ذلك العصر يصعب أن تؤخذ بالمعنى الكامل الذي يعطى لهذه الكلمة اليوم، فكلمة ἅγιος (هاجيوس) اليونانية وكلمة Sanctus (سانكتوس) اللاتينية كانتا تستخدمان كثيرا في الكتابات المسيحية المبكرة للأعضاء في الكنيسة الحية على الأرض لا ما تعنيان: المخصص لعبادة الإله (أي كل مسيحي). أنظر: H. Delehaye: Le mot **Sanctus** dans la langue Chrétienne, A B 28 (1909), 161 - 86

(16) Butler's Lives of the Saints, 31st of December.

اللاتينية واليونانية والسريانية والقبطية. وتوجد ترجمتان مستقلّتان باللغة السريانية متساويتا القيمة الأثرية، فقد جمع أحد رهبان العراق Mesopotamia في القرن السابع المدعو "حنان عيشو" أو "حنا عيسى Ânân -Îshô" ما وجِد بالسريانية حتى ذلك الزمان من أقوال الآباء رواد الرهبنة المصريين، وقد صنفها في كتابٍ كبير سماه: "فردوس الآباء *The Paradise of the Fathers*" موضحا فيه "سير الآباء القديسين تأليف بالليديوس وجيروم".

وقد صنفت المجموعة اليونانية لأقوال الآباء بطريقتين: الأبجدية والموضوعية:

١ - المجموعة الأبجدية: وقد أُلحِقت بها المجموعة المجهولة أسماء أصحابها les Anonymes، هذه المجموعة الأبجدية تحتوي على أقوال كل أبٍ على حدة مرتبةً أبجديا حسب أسماء الآباء أصحاب هذه الأقوال، وقد ترجِمت من اليونانية إلى اللاتينية ثم إلى اللغات الحديثة: الفرنسية والإنجليزية والألمانية والعربية وغيرها.

وقد أُخِذت الترجمة الفرنسية من الطبعة الأولى التي تمّت على يد J. B. Cotelier باسم:
Ecclesiae graecae monumenta, t - I, 1677, pp. 338 - 713, reprise dans Migne, P. G., LXV, 71 - 440.

أما المجموعة المجهولة الأسماء فهي تضم الأقوال غير المعروف أسماء أصحابها، وهي التي نجدها في البستان العربي مبتدئةً هكذا: "قال شيخ" أو "قيل إنّ" ... إلخ. وقد طبِع F. Nau الأربعمائة قول الأولى منها في عدة ملازم عن "استعراض للمسيحية الشرقية *Le Revue de l'orient Chrétien*" (١٩٠٧ - ١٩١٣) حسب مخطوطة "Coislin 126". ثم نشر J. C. Guy جميع هذه الأقوال (الأبجدية والمجهولة الأسماء) عام ١٩٦٦م تحت عنوان: *Les Apophthegmes des Pères du Desert, Bellefontaine.*

٢ - المجموعة الموضوعية: حيث صنفت أقوال الآباء بطريقةٍ منهجيةٍ موضوعية systematic في حوالي عشرين فصلاً، وقد نشرها أصلاً باللغة اللاتينية "بيلاجيوس ويوحنا" وطبِعها H. Rosweyde في الجزأين ٥ و ٦ من Vitae Patrum أو Verba Seniorum (Anvers,1615) وأُعيد نشرها في مجموعة: Migne, P. L., LXXIII, 851, 1022، ثم نشِرت باللغة الفرنسية عام ١٩٦٦ بواسطة Dion في ثلاثة أجزاء بعنوان: *Les Sentences des Pères du Desert*, Solesmes، هذه الطبعة التي ضمت أيضا الإضافات التي نشرها Wilmart إلى الأقوال اللاتينية في:(198 - 85) (1922) Revue Benedictine 34.

ويقول مؤلف كتاب *"The Desert Fathes"* : [إنّ المؤلف لأقوال الآباء الأصلية باللغة

اليونانية، والتي ترجمها بيلاجيوس في القرن السادس إلى اللاتينية، لم يكن يحتمل ولا حتى ظلّه أن يقع على إحدى صفحا ا! بل ولا حتى في عناوين الفصول ... إنّ طريقة كتابة الأقوال تعتبر **قريبة جدا من الطريقة الحية التي خرجت ا من أفواه الآباء كما هي!**

لقد جلس هؤلاء المباركون تحت قدمي كل أبٍ في قلايته على الحصير بكل غيرةٍ وشغفٍ وقابليةٍ للتعلم، ورغم تعدد الترجمات فالمصدر واحد وهو برية الأسقيط التي كان لا يصل إليها الإنسان إلاّ بمعرفته لنظام النجوم في السماء]!

ويقول "ليبريتون Père Lebreton": [إنّ كلمات الآباء في الأسقيط كانت **تندفع بقوةٍ وحرارةٍ لدرجة أ ا كان يسهل أن تستقر** في **القلب،** كما أنّ تقليدها الشفاهي أخذ وضعه تدريجيا في مجموعاتٍ مكتوبة، وبعضها جمِع قبل عام ٤٠٠م][١٧].

أما ما جمعه حنان عيشو (حنا عيسى) من اللغة السريانية في كتاب "فردوس الآباء"، فيسترعي انتباهنا في كتابه هذا أنه يعتبر مكتبة للكتابات النسكية أكثر من كونه عملاً فرديا باعتباره يحتوي أيضا على ترجمةٍ سريانية لحياة القديس أنطونيوس بقلم القديس أثناسيوس. كما توجد ترجمة سريانية أخرى في مخطوطات مختلفة في مكتبتي الفاتيكان والمتحف البريطاني قد تكون في درجة القيمة الأثرية لترجمة حنان عيشو التي جمعها في القرن السابع.

وقد نشر هذه الأقوال "واليس بدج Wallis Budge" عام ١٩٠٤م باللغتين السريانية والإنجليزية معا، ثم أعاد طبع الترجمة الإنجليزية وحدها عام ١٩٠٧م، ثم نشر الجزء الخاص بأقوال الآباء فقط عام ١٩٣٤م تحت اسم:

The Wit and Wisdom of the Christian Fathers of Egypt, the Syrian Version of the Apophthegmata Patrum, by "ANAN ISHO" of BETH ABHE.

وقد قيل إنّ حنا عيسى هذا جاء إلى برية شيهيت حوالي عام ٦٦٠م بعد الفتح العربي مباشرةً كما يخبرنا "توما المرجاوي" في "كتاب الحكام"، وزار الأديرة ونقل أقوال الآباء من المخطوطات السريانية والقبطية[١٨]، كما يقول حنا عيسى نفسه إنه نقلها من كتابات المغبوط بالليديوس[١٩]، أي أنّ بالليديوس جمع أقوالاً كثيرة بالإضافة إلى تاريخه اللوزياكي.

وفي مقدمة هذه الطبعة الإنجليزية عام ١٩٣٤م يقول Budge:

(17) Bulletin d' histoire des origines chrétiennes en Recherches de Science religieuse, 1924, p. 358 - 363.

(١٨) أنظر كتاب "أديرة وادي النطرون" للدكتور منير شكري، طبعة ١٩٦٢ ص ٢٢٥.
(١٩) أنظر الطبعة الإنجليزية المذكورة أعلاه من كتاب: *The Wit and Wisdom* ص ٣٧٢.

[أثناء السنوات التي انقضت منذ طبعة عام ١٩٠٧م للترجمة من الأصل السرياني لـ "فردوس بالليديوس" والمجموعة الكاملة الكبيرة لـ *The Apophthegmata Patrum* التي صنفها حنا عيسى، تلقّيت عدة رسائل من مؤلفي الكتب الأدبية والتقوية طالبين الإذن بإعادة الطبع ليقتبسوا في كتبهم من الأقوال والقصص التي جمعها حنا عيسى. وقد أقنعتني هذه الطلبات الكثيرة أنّ أقوال الآباء المصريين والأقطار المجاورة، لها تقدير سامٍ عند المسيحيين من جميع الطوائف، وقررت إذ ذاك إعادة الطبع ...

[وهذه الطبعة مأخوذة من القسمين الكبيرين اللذين ألّفهما حنا عيسى: المجموعة الأولى، وتحتوي على ٦٣٥ قولاً قيل إنها من تأليف بالليديوس نفسه. والثانية، وتحتوي على ٧٠٦ قولاً منها عدد كبير بطريقة السؤال والجواب. والأقوال منظّمة في الأصل بالطريقة الأبجدية أو طبقًا لمحتوياتها الموضوعية، وكانت توجد منها ترجمات باليونانية واللاتينية والقبطية والسريانية والأرمنية ... كما كانت في مجموعات صغيرة محفوظة في الأديرة المختلفة التي زارها، أو نسخٍ استمدها من أصدقائه الروحيين. وأقدم الأقوال كان منبعها بدون شك في مصر مهد الرهبنة المسيحية، وكثير منها له صيغة النصائح التي اتصف بها معظم كُتاب قدماء المصريين!

[أما عن الانتقادات التي وجهت إلى هذه الأقوال مثل كونها ليست حقيقية وأنها تألّفت في القرن السادس أو ما بعده، فيكشف عدم صحتها ما قام به "بتلر" و "روبنسون" من عملية تحقيق صحة الأقوال. وأنا أعتقد (أي Budge) أنها تسجيلٌ حقيقي للرهبنة المصرية وأنها أصيلة في مادتها وتمثل بالحق تعاليم من نسِبت إليهم، وهي تكشف بالضبط أفكار نساك مصر من برية الأسقيط حتى أسوان. إنها تصور آراء الرهبان في كل نقطةٍ يمكن تصورها تقريبا فيما يتعلّق بالحياة المسيحية الإيمانية والعملية كما فهموها. في هذه القوال اتضحت أمامنا قوة وضعف القديسيين، فنفراً عن معيشتهم الشاقة وإقماعهم لذواتهم بمعاناتهم للآلام التي تبدو غير ضروريةٍ وبلا جدوى، إلاّ أنّ ثبات وقوة إيمانهم واشتياقهم الحار لامتلاك **أذهانٍ نقية** في **أجسادٍ نقية** جعلتهم أنوارا مضيئةً لامعةً ومرشدين إلى السمو الروحي، وبرهنت على أنهم طالبون شغوفون لله].

النسخة القبطية: لم يصل إلى أيدي العلماء سوى مخطوطة واحدة باللغة القبطية باللهجة الصعيدية أجزاؤها مبعثرة في كثير من المكتبات الأوروبية. والجزء الأكثر أهمية من هذه المخطوطة هو التابع لمجموعة Borgia القديمة المحفوظة في المكتبة الأهلية في نابولي بإيطاليا تحت رقم I. B. 17/ 484، وهي تشتمل على مجموعةٍ من ٤٤ ورقة تمثل أجزاء مختلفة من مجموعة Zoega التي نشِرت عام ١٩١٠م.

وقد قام العلاّمة M. Chaine بتجميع كل ما تبقّى من مكتبات العالم من ورقات هذه المخطوطة ونشره مع ترجمته الفرنسية في كتابه: *Le Manuscrit de la version copte en dialecte Sahidique des Apophthegmata Patrum,* 1960. وقد حقّقها على المجموعات المعروفة الأخرى فوجدها مطابقةً للمجموعة اليونانية المنهجية التي نقلها إلى اللاتينية Pelage & Jean.

النسخة الأرمنية: توجد نسختان باللغة الأرمنية: إحداهما من القرن الثاني عشر، ونشِرت في فينيسيا بإيطاليا عام ١٨٥٥م باسم "كتاب الآباء القديسين وسيرهم"، والثانية من القرن الخامس عشر، ونشِرت أولاً في القسطنطينية عام ١٧٢١م، ثم ضمنت في نشرة فينيسيا عام ١٨٥٥م.

النسخة الإثيوبية: نشِرت الأقوال الموجودة في المخطوطات الإثيوبية مع ترجمةٍ لاتينية بواسطة V. Arras تحت اسم *Collectio Monastica* عام ١٩٦٣م، وتحت اسم *Patericon* عام ١٩٦٧م في مجموعة CSCO بمدينة "لوفان" ببلجيكا. وهي تتضمن مائتي قول جديد لم ترد في المجموعات اليونانية التي نشِرت قبلها، ويقرر العلماء أنّ معظمها أصيل، وقد تضمنتها المجموعة الفرنسية التي نشِرت أخيرا والتي ذكرناها سابقًا.

النسخة العربية: توجد بالأديرة والمكتبات القبطية مخطوطات باللغة العربية لكتاب بستان الرهبان تتضمن الكثير من الأقوال الموجودة في الترجمات السابقة بالإضافة إلى أقوالٍ أخرى لم تنشر بعد باللغات الأجنبية.

كما توجد مخطوطات أخرى باللغة العربية، مثل مخطوطة "تعاليم لأنطونيوس وآخرين" (م ٢٣ بمكتبة دير أنبا مقار)، و"تعاليم لكثيرين" (م ٤١ بنفس المكتبة)، تشمل أقوالاً للآباء الأوائل لم تذكر في بستان الرهبان في الطبعات العربية السابقة ولا في الترجمات الأجنبية المعروفة، غير أنه يرجح أنّ لها أصولاً قبطية إذ قد وجدنا بعضها فيما نشره Amelineau في كتابه: *Histoire de Monastères de la Basse - Egypte,* ADMG, Paris, 1894.

الفيلوكاليا *Philokalia*: كلمة يونانية من مقطعين معناهما "محبة الصلاح". وهي، كما جاء في مقدمتها، مجموعة من كتابات الآباء من العصور المبكرة بعد إعلان الملك قسطنطين اعترافه بالمسيحية دينا رسميا للإمبراطورية. وهي تنير الطريق لإيقاظ الانتباه والوعي الروحيين وتعلم "فن الفنون" و "علم العلوم" - كما دعاه الآباء الذين وصلوا إلى أعلى المستويات - قائدةً الإنسان إلى أعلى درجات الكمال المفتوحة أمامه. إنها الخيط الذي يوصل إلى الطريق خلال الضيقات والصعوبات والتقلبات والفقر الروحي للحياة في العصر الحديث ...

ولقد جمِعت وصنفَت الفيلوكاليا في القرن الثامن عشر بواسـطة الأبوين مكـاريوس الكورنثي (١٧٣١- ١٨٠٥م) ونيقوديموس الذي من جبل "أثـوس" باليونـان (١٧٤٨ - ١٨٠٩م)، وهي عبارة عن منتخبات من كتابات القديسين الذين بلغـوا إلى ذروة القمـم الروحانية. وقد أُخِذت ترجمتها الإنجليزية من الترجمة الروسية التي تمّـت عـام ١٨٩٤م، ثم ترجِمت إلى العربية.

هذه الطبعة الجديدة:

لقد بذلنا مجهودا شاقا - أيها القارئ العزيز - استغرق عدة سنوات في تجميع أقـوال هذا الكتاب "**فردوس الآباء**" حتى لا يتكرر أي قول من الأقوال التي اسـتقيناها مـن المراجع الكثيرة التي رجعنا إليها، كما قارنا الأقوال كلا بما يقابله في المراجـع الأخـرى واخترنا أفضلها.

وقد أضفنا إلى كتابنا هذا أقوالاً وعظات وجدناها مناسبةً لهذا الفردوس، وذلك مثل: بعض عظات أنبا مقار القصيرة، وسيرة وتعاليم القديس برصنوفيوس، وميامر أنبا إشعياء والشيخ الروحاني وأنبا مرقس الناسك والقديسين دوروثيئـوس الغـزاوي وهيلاريـون الغزاوي ... وغيرهم. كما رأينا من المناسب إضافة بعض سير رهبانية مثل: سيرة أنبـا بولا أول السواح، وسيرة القديسين مكسيموس ودوماديوس **...** إلخ.

وبتوجيه أبينا الروحي وضعنا أقوال كل أبٍ معا على حدة مع مراعاة أن تكون أقـوال الأب الكبير أولاً ثم أقوال تلاميذه، فوضعنا أقوال أبينا القديس أنطونيوس قبل غيره حيث إنه "أب جميع الرهبان" وأبو الرهبنة في العالم كله، ثم أقوال تلاميذه، وبعدها أقوال القديس أنبا مقار الذي تتلمذ على يد أبي الرهبنة ثم أقوال تلاميذه، ثم أقوال أنبا باخوميوس وتلاميـذه، وعظات لأنبا شنودة رئيس المتوحدين، وبعد ذلك تليها أقوال بقية القديسين.

نطلب من الرب إلهنا أن يغذي أرواحنا بفيض روحه القدوس الذي فاض بلا كيلٍ في أقوالهم، وأن ينفعنا بقدو م وبركة صلوا م، آمين.

رهبان ببرية شيهيت



المراجع واختصاراتــها

أولاً: المراجــــع العربيــــة:

+ **"حياة":** حياة القديس أنطونيوس بقلم القديس أثناسيوس الرسولي.
+ **"رهبنة":** الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار - للأب متى المسكين.
+ **"ناسك":** القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي - للأب متى المسكين.
+ **م ٢٣:** مخطوطة رسائل القديس أنطونيوس رقم م ٢٣ بمكتبة دير أنبا مقار.
+ **س ٤:** نسخة مخطوطة من بستان الرهبان رقم س ٤ بنفس المكتبة.
+ **س ٥:** « « « « « « « ٥ « « .
+ **س ٧:** « « « « « « « ٧ « « .
+ **س ٩**(✪): مخطوطة "تفسير البراديسوس" رقم س ٩ بنفس المكتبة.
+ **م ٤١:** مخطوطة "تعاليم لكثيرين" رقم م ٤١ بنفس المكتبة.
+ **س ٥٠:** مخطوطة تحوي ميامر القديس برصنوفيوس رقم س ٥٠ بنفس المكتبة.
+ **م ٣٣:** مخطوطة ميامر الشيخ الروحاني رقم م ٣٣ بنفس المكتبة.

ثانيًا: المراجـــع الأجنبيــــة:

+ **Apoph.:** The Apophthegmata Patrum.

وهي المجموعة الأبجدية لأقوال الآباء باللغات اللاتينية واليونانية والإنجليزية والفرنسية، وقد رجعنا إليها باللغتين الأخيرتين.

+ **Laus.:** The Lausiac History of Palladius.

+ **W. & W.:** The Wit and Wisdom of the Christian Fathers of Egypt, ÂNÂN ÎSHÔ.

+ **Ch.:** M. Chaine, Le Manuscrit de la Version Copte en dialecte Sahidique des Apoph.

+ **CSP:** Commonitiones Sanctorum Patrum, ed. Freire, Coimbra 1974.

+ **D. F.:** The Desert Fathers, translations from the latin with an introduction by Helen Waddel.

+ **Am.:** Apophthegmes traduits du Copte par Amélineau dans ADMG 25, 1894.

(✪) تبدأ هذه المخطوطة هكذا: [كتاب تفسير البراديسوس (بستان الرهبان) مما ورد على سبيل المسائل (الأسئلة) على لسان الإخوة الذين في جبل الزيتون (في القدس)، والجواب على لسان الشيخ منقول من اللغة السريانية، وذُكِر فيه أنه هو القديس فيلوكسينوس المنبجي].

+ **Eth. Coll.:** Collectio monastica, texte éthiopien et traduction latine de V. Arras CSCO 238 - 239 Louvain 1963.

+ **Eth. P.:** Patericon éthiopien, texte éthiopien et traduction Latine de V. Arras CSCO 277 - 278 Louvain 1967.

+ **Nau.:** Apophthegmes du Coisilin 126 dont la numérotation modifiée par Guy diffère de celle de Nau dans ROC. 18, 1913.

+ **P E.:** Paul Evergetinos, Recueil de paroles et d'enseignements des Pères, Athénes 1957 - 1966.

+ **J. Cass. Conf.:** The Conferences of John Cassian.

+ **Monach.:** The Historia Monachorum in Aegypto = The Lives of the Desert Fathers by Rufinus.

+ **J.:** Manuscrits Sinaî 448.

+ **K.:** Manuscrits Coislin 283.

+ **N.:** Manuscrits Coislin 126.

+ **PA.:** Paschase de Dumio: نشرة علمية دقيقة موعة لاتينية تجميع

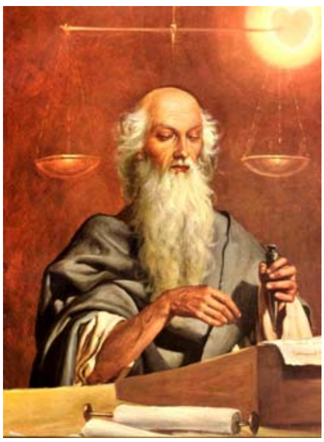
+ **Pa.:** » » » :نشرة غير دقيقة موعة لاتينية تجميع

+ **Arm.:** Apophthegmes des Pères, collection arménienne systématique, Vies des Saints Pères, Venis 1855, t, 1, p. 413 - 772.

+ **P.O.:** Patrologia Orientalis, tome XXX, Fas. 5; Tome XXXIX, Fas.3.

+ **P.K.** Pachomian Koinonia, The life & sayings & letters & rules of St. Pachomius, Vols. 1 - 3.

+ **Asc.** The Ascetical Homilies of St. Isaac the syrian, Holy Transfiguration Monastery, Boston, U S A.



البــاب الأول

قصص وأقوال القديس أنبا أنطونيوس
وقصص وأقوال تلاميذه
مع
سيرة أنبا بولا أول السواح



نبتدئ بمعونــــة الـــرب - لــه المجد والسجود - بذكر بعض من ســـــير آبائنا القديسين وأقوالهم المنيرة للعقول من بســتان الرهبـــان "فــردوس الآباء"، بركاتــهم تشملنا، آميــــن.

فواجب علينا، أيها الأحباء والإخوة، أن نطلب من ربنا يسوع المســيح الإلــه المتحنن أن ينظر إلينا برأفته ويعطينا قلوبا مســـتقيمة كحســــب إرادتــــه، ويؤيدنا للســــلوك في آثار آبائنــــا الصالحـــــة، ويؤهلنــا للخلــود معهم في ملكوته السماوي، آمــــين(✪).

(✪) عن مقدمة مخطوطات البستان باللغة العربية.

الفصل الأول

القديس أنبا بولا أول السواح

كان لهذا القديس أخ أكبر اسمه بطرس، وقد ورثا عن أبيهما ثروةً طائلة. وأراد بطرس أن يأخذ ثلثي الميراث ويعطي لأخيه الثلث، فرفض أخوه هذا الظلم وطلب أن يذهبا إلى القاضي. وكان عمره حينئذ خمسة عشر عاما.

وفي الطريق إلى القاضي وجدا جنازةً كبيرةً، فسأل بولس (أنبا بولا) عن هذا الميت الذي يودعه وينوح عليه الكثيرون هكذا، فعلم أنه كان رجلاً غنيا جدا، وها هم يخرجونه اليوم من العالم تاركًا كل ممتلكاته، كما أنه مات غارقًا في خطاياه!

فلما سمع بولس ذلك انتبه إلى نفسه وانكشفت له حقيقة العالم فصار أمامه كلا شيء. فقال لأخيه: "ارجع بنا يا أخي". فتعجب أخوه، وبينما هما في طريق رجوعهما إلى البيت توارى بولس عن أخيه ولم يعلم كيف اختفى. فأرسل بطرس مناديا ينادي عليه ثلاثة أيام في المدينة[1] ولم يجده، فمزق ثيابه وحزن عليه زمانا طويلاً.

أما بولس فقد وجد مقبرةً في غربي المدينة فأقام فيها ثلاثة أيام يصلي بتضرعٍ إلى الله، وفي اليوم الرابع أرسل الله إليه ملاكًا مضى معه إلى موضعٍ فيه عين ماء وبقربها نخلة. وهناك وجد مغارةً عاش فيها، وصنع لنفسه ثوبا من الليف، وانفرد هناك حتى اليوم الذي سلم فيه روحه بيد الرب، إذ إنه طلب من الرب أن يخلصه من يد العدو في هذا المكان المقفر ويقويه حتى يكمل سعيه مرضيا أمامه إلى اليوم الذي يقف فيه بين يديه. وقيل إنّ أنبا بولا عاش حياة سماوية على الأرض لمدة ثمانين سنة.

ولما اقتربت نهاية حياته على الأرض، كان في ذلك الوقت القديس أنبا أنطونيوس في سن التسعين يعيش في نفس البرية[2]. وخطر له يوما أنه أول من سكن البرية، فأتاه صوت من السماء قائلاً: "هوذا واحد يسكن في البرية وهو مختار بالأكثر، وهذا العالم كله لا يستحق موطئ إحدى قدميه، ولأجله يبارك الله الأرض فتعطي ثمرها". فلما سمع أنبا أنطونيوس ذلك قال: "حي هو إلهي ومبارك إنني لا أرجع حتى أنظر هذا القديس".

اعتمد الأب الوقور على الرب، وقام في شيخوخته هذه وسار متوكئًا على عكّازه

---

(١) يقال إنها طيبة (الأقصر) في الصعيد.

(٢) الصحراء الشرقية بالقرب من البحر الأحمر.

دون أن يعلم إلى أين يذهب، ولكنه توغّل في الجبل نحو المشرق حتى وصل إلى وادٍ عميق (كان يدعى "بحيرة مريم")، وهناك حاولت الشياطين أن ترعبه بمناظر وحوش أو شعلات نار صاعدةً إلى السحاب، ولكنه تمسك بعلامة الخلاص التي عندما كان يرشم ا ذاته كانت تختفي هذه المناظر من أمامه.

وعند غروب الشمس رأى على الأرض أثر إنسان (جرة القدمين) مع آثار وحوش كثيرة، فقال: "الآن علمت أن الرب لم يترك عبده"، وسار على أثر القديس حتى وصل إلى مغارة الشيخ الطوباوي، وعند با ا سمع القديس بولا يصلي، ثم لما سمع حركة إنسان دحرج حجرا كبيرا على باب المغارة، ولكن أنبا أنطونيوس ارتمى على الأرض عند الباب قائلاً: "أنت تعرف من أنا ومِن أين ولماذا أتيت! وأنا لست مستحقًا أن أتطلع إليك، إلاّ أنني إن لم أرك فلن أرجع أبدا. ها أنت تستضيف الوحوش، فلماذا لا تستضيف إنسانا؟! لقد سألت فأُعطِي لي، طلبت فوجدت، وها أنا أقرع لعله يفتح لي. ولكنني إن لم أُفلح فسأموت هنا على عتبة مسكنك، وحينئذ لا أشك أنك ستدفنني".

فأجاب القديس من الداخل: "لا يجب على السائل أن يلح في طلب الأمور التي يسعى إليها، ولا يضيق صدره". ثم فتح له، وقبلا بعضهما بعضا، وصليا وجلسا، فسأله أنبا أنطونيوس عن اسمه، فأجابه الطوباوي: "إن كنت لا تعرف اسمي فلماذا تتعب نفسك بالسير في هذه البرية"؟ فاغتبط أنبا أنطونيوس وقال: "طوبى لي إذ استحققت أن أُبصر بولس الثاني". فسأله الطوباوي: "هل الأمور في العالم تجري على ما يرام"؟ فقال له: "نعم". ثم قال أنبا بولا: "ها هو الرجل الذي بحثت عنه بتعبٍ كثير، قد تداعت قدماه من الشيخوخة، وشعيراته البيضاء قد تساقطت. ها أنت ترى أمامك إنسانا سيصير بعد قليل ترابا، ولكن المحبة تحتمل كل شيء...".

ثم سأله أنبا أنطونيوس: "عرفني يا أبي، هل سيكثر هذا الإسكيم على الأرض أم لا"؟ فابتسم الطوباوي ثم تنهد وقال: "إن هذه الجبال ستعمر مثل أبراج الحمام، ويجمع الله مختاريه من كل موضع ويفرحون كما هو مكتوب، وينقلهم الله قبل الغضب، ثم يقوم بعدهم جيلٌ لا يطيع لمن يسهرون على نفوسهم. حينئذ يغضب الله بسبب العصيان وتصبح الجبال خرابا لمدةٍ من الزمن، لكن تذكار القديسين لا ينقضي، وقد يتخلون عنه ويقولون ليس في هذا خير، وقد يتركون الإسكيم عنهم والتعبد ويرجعون إلى الوراء لأ م لم يذوقوا حلاوة محبة الله ولم يصبروا لها لأنه مكتوب إنه «بصبركم تقتنون أنفسكم» (لو٢١: ١٩)، وهكذا يجولون في المدن ويخرجون من وسط حظيرة الخراف،

ويدفعون ذوا م للذئاب، ويتركون مواضع تسبيح الله، ويقيمون في المواضع التي لا ينبغي ذكرها ويحبو ا ويسكنو ا، لأ م لا يقبلون تعاليم آبائهم ... فقوم يكرمو م وقوم يعثرون لضعف حكمتهم ومعرفتهم ... لكن الله يضع في قلوب قوم آخرين أن يسكنوا في الجبال دفعةً أخرى ويدوسون الشيطان تحت أقدامهم، ويشنون الحرب الروحية ضده، ويجاهدون فيأخذون أكاليل الغلبة والانتصار".

وبينما كان القديسان يتحدثان إذ بغرابٍ قد جاء وفي فمه خبزة وضعها عند باب المغارة. فقال أنبا بولا: "الآن علمت أنك من جنود المسيح، لأنّ لي هنا اليوم ثمانين سنة وفي كل يوم يأتيني غراب بنصف خبزةٍ، وها هو اليوم يأتينا بخبزةٍ كاملةٍ لكلينا لسد حاجة الجسد الذي هو كالفرس، إذا أشبعته لا يمكنك أن تكبح جماحه، وإذا تركته بلا طعام لا يقدر أن يعمل ما يجب أن يعمله".

ثم قاما وصليا وسبحا الله، ثم جلسا ليأكلا، ولكن طال النقاش بينهما في من منهما هو الذي يكسر الخبزة، فأنبا بولا كان يتمسك من وجهة نظره بأصول الضيافة، وأنبا أنطونيوس تمسك بكبر سن مضيفه، وأخيرا اتفقا على أن يمسك كل منهما الخبزة ويقسما ا في نفس الوقت، ثم شربا من ماء الينبوع، وقاما يسبحان الله حتى مطلع الفجر.

ثم قال أنبا أنطونيوس لأنبا بولا: "مباركةٌ هي الساعة التي فيها استحققت أن أرى وجهك يا أبي القديس". فقال له أنبا بولا: "لقد عرفت منذ مدة - أيها الأخ - أنك تقيم في تلك المنطقة، وقد وعدني الله منذ مدة طويلة أن تصير لي زميلاً في الخدمة، ولكن زمان رقادي الآن قد صار وشيكًا. لقد اشتقت منذ زمانٍ أن أنحلّ وأكون مع المسيح، وقد انتهى سعيي، وهناك قد أُعِد لي إكليل البر، لذلك فقد أرسلك الرب لكي تثوي جسدي المسكين في الأرض، نعم ليعود التراب إلى التراب".

فلما سمع أنبا أنطونيوس ذلك بكى وقال: "يا أبي إنني لم أشبع من الوجود في حضرتك! أتوسل إليك ألاّ تتركني بل خذني معك". فأجابه أنبا بولا: "لا تبحث عن ما هو صالحٌ لك بل عن صالح غيرك. إنه صالحٌ لك أن تطرح ثقل هذا الجسد وتتبع حمل الله، ولكن من الصالح لبقية الإخوة أن يقتدوا بك. والآن اذهب إلى مسكنك وأحضر الحُلّة التي أعطاها لك الأسقف أثناسيوس لتكفن ا جسدي".

فتعجب أنبا أنطونيوس من كلامه عن حلّة البطريرك وكيف علم ا، وآمن أنه تكلّم بروح النبوة! ثم حثّه أنبا بولا قائلاً: "أسرع ولا تقف بل امضِ سريعا لأنّ زمان انحلالي

قد قرب، وهكذا الأمر هو محتوم على كل الناس".

سار أنبا أنطونيوس في الجبل يومين حتى بلغ مسكنه منهكًا بسبب شيخوخته، ولما رآه أبرآم أحد تلاميذه قال له: "يا أبي أين كنت، فلي ستة أيام لم أبصرك"؟ وكان أنبا أنطونيوس قلقًا جدا، فقال: "للكلام وقت وللسكوت وقت"(جا٣: ٧). ثم أخذ حلّة البطريرك وخرج ومعه كسرة خبز، فسأله الأخ عما إذا كان يريد أن يمضي هو معه، فقال: "لا".

عاد أنبا أنطونيوس من نفس الطريق التي جاء منها مشتاقًا إلى رؤية أنبا بولا قبل أن يسلم روحه للمسيح، ولكنه في طريقه رأى جماعة ملائكة وفي وسطهم القديس بولا وهم يصعدون به ويسبحون قائلين:

"السلام للقائك بالقديسين يا بولس رجل الله.
تتهلل الملائكة معك. إنك ستفرح في السموات.
تركت عنك الظلمة وانطلقت إلى فردوس النعيم.
تركت عنك الحزن إلى الفرح الذي ليس له انقضاء.
تركت عنك البكاء وستمضي إلى الفرح الأبدي.
لأنك صرت مطوبا في جيلك، وذكرك على ممر الأجيال.
أنت رجل الله، طوباك ثم طوباك".

وفي الحال سقط أنبا أنطونيوس على وجهه وألقى بالرمال على رأسه باكيا نائحا. ولما وصل إلى مغارة القديس وجده ساجدا ويداه مبسوطتان كالصليب، فسجد مثله بجانبه ظانا أنه حي، فلما مضى وقت ولم يسمع له صوتا ولا تنهدات علم أن هذا هو الجسد فقط، فارتمى عليه باكيا، وبسط الجسد قائلاً: "يا أبي أُذكرني في المساكن العلوية التي ذهبت إليها".

ثم كفن الجسد ولفّه بحلّة البابا أثناسيوس كما طلب القديس، وأثناء ذلك كان يرتل التسابيح والمزامير حسب التقليد. ثم جلس يفكر كيف يدفنه لأنه لم يتذكر أن يحضر معه ما يحفر به الأرض، وقال في نفسه: "ماذا أفعل؟ لا أقدر أن أمضي وأتركه". وبينما هو يفكر إذ بأسدين قد دخلا المغارة وسجدا عند جسد القديس، فقلق أنبا أنطونيوس من منظرهما، ولكنه لما رفع أفكاره إلى الله زال منه الخوف، ثم ظلا يلعقان قدميه كأ نما يسألان أين يحفران، فعلم الشيخ إشار نما وهما يومئان إليه بأرجلهما، فقام وقاس طول الجسد وحدد لهما الأرض داخل المغارة، فحفر الأسدان أحدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين حتى أتمّا حفر

المقبرة التي تسع جسد القديس تماما، فأشار إليهما الشيخ بأن يكُفّا، فطلع كل منهما من الحفرة وسجدا برأسيهما أمام أنبا أنطونيوس كأ ما يستأذنان، ثم خرجا.

ثم حمل أنبا أنطونيوس جسد القديس بولا وأودعه في القبر وغطّاه بالرمال، وقبل أن يرحل أخذ معه فراش القديس والثوب الليف الذي كان عليه، ووضع علامةً على موضع دفن الجسد. ولما عاد قص كل شيءٍ على تلاميذه.

ثم سافر أنبا أنطونيوس إلى الإسكندرية وقابل البابا القديس أثناسيوس الرسولي وعرفه بجميع هذه الأمور. ثم أعطى للبطريرك الثوب الليف الذي تركه الطوباوي بولا، وظلّ البابا يلبسه ثلاث مرات في السنة هي: أعياد الغطاس[٣] والقيامة والعنصرة.

ثم أرسل البابا أنبا أنطونيوس ومعه كهنة ليحملوا إليه جسد أنبا بولا لكي يضعه بجوار القديس أنيانوس الذي خلّف مار مرقس على كرسي الإسكندرية، فلما ذهبوا إلى الموضع الذي دفن فيه أنبا بولا ظلوا يبحثون عنه في الجبل لمدة يومين فلم يجدوه. وظهرت للبابا أثناسيوس رؤيا يقول له فيها القديس أنبا بولا: "أرجِع الرجال الذين أرسلتهم، فليست إرادة الله أن يرى جسدي أحد من الناس"، فأرسل البابا ناسكًا اسمه "أولوجيوس" الذي اقتفى أثرهم في الجبل وأخبرهم بكلام البطريرك، فرجعوا إلى المدينة متعجبين مما كان.

وكتب البابا أثناسيوس سيرة القديس بولا ووضعها في كنيسة الإسكندرية، فكانت تقرأ لكل من يريد الرهبنة لكي يمتلئ غيرةً.

وقال القديس أثناسيوس: "كان بمدينة الإسكندرية صبي يدعى "ألادنس"، مرض ومات، وصدقوني أيها الشعب المحب لله إني أنا أثناسيوس أخذت الثوب الليف الذي للقديس أنبا بولا ووضعته عليه فقام في الحال. وإنّ شهادة اثنين أو ثلاثة هي حق:

أنا أثناسيوس أشهد أني أبصرت هذا برؤيا العين.
أنا ألكسندروس الأسقف أشهد بصحة هذا القول.
أنا أنطوني أول القسوس أشهد أيضاً ذه المعجزة".

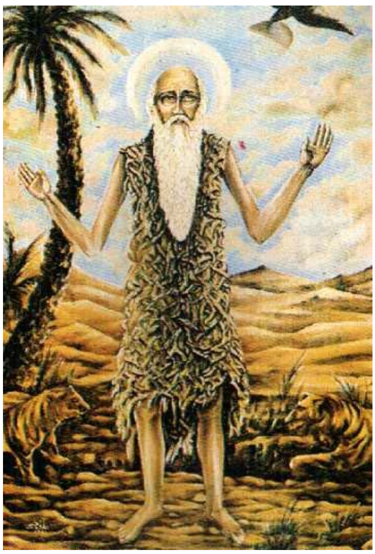
وقد روى القديس إيرونيموس (جيروم) سيرة أنبا بولا، وفي ايتها قال: [وفي ايـة هذه السيرة أستأذن أن أسأل أولئك الذين لا يعرفون حدودا لممتلكا م، الذين يزينـون بيو م بالرخام، الذين يقرنون بيتا ببيتٍ وحقلاً بحقلٍ (إش٥: ٨)، ماذا أعوز هذا الشـيخ

(٣) كان عيد الإبيفانيا (الغطاس) يضم تذكاري ميلاد وعماد السيد المسيح.

في تجرده؟ أواني شربكم من حجارةٍ كريمة، وهو كان يـروي عطشـه بقبضـة يـده! ملابسكم مطرزةٌ بالذهب، وهو لم يكن لديه رداء أقل واحدٍ في عبيدكم! ورغم أنه كان فقيرا فالفردوس مفتوح له، وأنتم مع ذهبكم سوف تستقبلكم جهنم. إنه رغـم عريـه احتفظ برداء المسيح، وأنتم اللابسين الحرير فقدتم ثوب المسيح. جسد القديس بولا يرقد الآن مغطّى بترابٍ عديم القيمة ولكنه سيقوم ثانيةً في مجدٍ، وأنتم تبنى عليكم قبور غاليـة التكاليف، ولكن أنتم وثروتكم سيحكم عليكم بالنار!

فاحذروا - أتوسل إليكم - اِحذروا من الثروة التي تحبو ا ... ولماذا حتى أكفان أمواتكم تصنع من الذهب؟ لماذا لا تنتهي جسارتكم حتى وسط الحزن والدموع؟ ألا يمكن لجثث الأغنياء أن تبلى إلاّ في الحرير؟!

أتوسل إليك أيها القارئ أيا كنت أن تذكر إيرونيموس الخاطئ الذي لو أعطاه الرب أن يختار فهو يختار سترة أنبا بولا (الحقيرة) ببركا ا أفضل من أرجوان الملوك مع عقا م الأخير[(٤)].



(٤) **المراجع:** مخطوطة بدير البراموس لناسخها المتنيح القمص متياس البراموسي، وأخرى بالمتحف القبطي نسخت سنة ١٠٦١ش (١٣٤٥م)، والسيرة التي كتبها القديس جيروم والتي نشرت في: N.& P. N. F., 2nd Series, vol. VI, p. 299

الفصل الثاني

قصص وأقوال القديس أنبا أنطونيوس الكبير

(١) بـدء رهبنتـه

١- قيل عن القديس أنطونيوس: إنه كان من أهل صعيد مصر من جنس الأقباط، وسيرته عجيبة طويلة، فلنذكر اليسير من فضائله:

إنه لما توفي والده دخل عليه وتأمله، وتفكر كثيرا وقال: "تبارك اسم الله، أليست هذه الجثة كاملة ولم يتغير منها شيء البتة إلاّ توقف هذا النفَس الضعيف؟! فأين هي همتك وعزيمتك وأمرك وسطوتك العظيمة وجمعك للمال؟ أرى أن الجميع قد بطُل وتركته، فيا لهذه الحسرة العظيمة والخسارة الجسيمة"! ثم نظر إلى والده وقال: "إن كنت أنت قد خرجت من العالم بغير اختيارك فلا أعجبن من ذلك، بل أعجب أنا من نفسي إن عملت كعملك"... ثم إنه ذه الفكرة الواحدة الصغيرة ترك والده بغير دفنٍ وترك كل ما خلّفه من مال ونعيم وخدم وحشم وخرج تائها (هائما) على وجهه قائلاً: "أخرج أنا من الدنيا طائعا ولا يخرجونني مثل أبي كارها"...

وظل سائرا حتى وصل إلى شاطئ النهر[5]، فوجد هناك جميزة كبيرة وعندها بربا[6]، فسكن هناك ولازم النسك العظيم والصوم الطويل وكان بالقرب من ذلك الموضع عربان[7]، فاتفق في يوم من الأيام أن امرأةً جميلة الصورة من العرب نزلت مع جواريها إلى النهر لتغسل رجليها، ورفعت ثيا ا وكذلك جواريها، فلما رآهن أنطونيوس حول نظره عنهن وقتا ما ظنا منه أ ن يمضين، لكنهن بدأن في الاستحمام، فقال لها القديس: "يا امرأة أما تستحين مني وأنا رجل راهب"؟ أما هي فقالت له: "اصمت يا إنسان، من أين أنت راهب؟ لو كنت راهبا لسكنت في البرية الداخلية، لأنه ليس ههنا مسكن رهبان"!

فلما سمع أنطونيوس هذه الكلمة لم يرد عليها جوابا، وكثر تعجبه لأنه لم يكن في ذلك الوقت قد شوهد راهب ولا عرف اسمه، فقال لنفسه: "هذه الكلمة ليست من هذه المرأة، بل هذا هو صوت ملاك الرب يوبخني". ولوقته ترك ذلك الموضع وهرب إلى البرية الداخلية وأقام ا متوحدا، لأنه لم يكن في ذلك الموضع أحد غيره في ذلك الوقت،

---

(٥) يقصد ر النيل بجوار مسقط رأسه: "قرية قمن العروس" بمحافظة بني سويف.
(٦) كلمة أصلها قبطية: Πιερφει وتعني "هيكل"، والمقصود هنا معبد وثني قديم.
(٧) أي جماعة من العرب، وربما يقصد "بدو" أي سكان البادية.

وكانت سكناه في قريةٍ عتيقةٍ مندثرةٍ في جبل العربة[٨]، صلاته تكون معنا آمين[٩].

٢- ذكر القديس أثناسيوس في كتابه "حياة القديس أنطونيوس" قصة ترك أنطونيوس للعالم هكذا:

بعد وفاة أبيه وأمه ترك وحيدا مع أختٍ واحدة صغيرة، وكان عمره ١٨ أو ٢٠ عاما، فألقيت عليه مسئولية العناية بالبيت والأخت، ولم يمض على وفاة والديه ستة أشهر حتى ذهب ذات يومٍ كعادته إلى بيت الرب، وفي ذلك اليوم ناجى نفسه وتأمل وهو سائر كيف أن الرسل تركوا كل شيء وتبعوا المخلص (مت٤: ٢٠)، وكيف ذُكر عنهم في أعمال الرسل أ م باعوا ممتلكا م وأتوا بأثما ا ووضعوها عند أرجل الرسل لتوزيعها على المحتاجين (أع٤: ٣٤و٣٥)، وكيف وضع لهم رجاءٌ عظيم في السماء.

وإذ كان يتأمل في هذه الأمور دخل الكنيسة، وأثناء قراءة الإنجيل سمع الرب يقول للغني: «إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبِع أملاكك وأعطِ الفقراء وتعالَ اتبعني فيكون لك كنــز في السماء» (مت١٩: ٢١). وكأن الله قد ذكر أنطونيوس بالقديسين، وكأن تلك الفقرة قُرِئت له خصيصا، وللحال بعد خروجه من الكنيسة أعطى القرويين ممتلكات آبائه، وكانت ثلاثمائة فدان من أجود الأراضي، لكي لا تكون عثرةً في سبيله هو وأخته، وباقي المنقولات باعها، وإذ توفرت لديه أموال كثيرة أعطاها للفقراء محتفظًا بالقليل لأخته.

دخل الكنيسة ثانيةً، وسمع الرب يقول في الإنجيل: «لا تموا للغد» (مت٦: ٣٤)، فلم يستطع البقاء أكثر من ذلك، بل أعطى ذلك القليل أيضا للفقراء، وإذ أودع أخته لبعض العذارى المعروفات الأمينات لتنشأ في بيت العذارى، تفرغ للنسك خارج بيته محترسا لنفسه ومدربا ذاته بالصبر، إذ لم تكن هنالك حتى ذلك الوقت أديرة في مصر، ولم يعرف أي راهب على الإطلاق أي شيء عن البراري البعيدة، بل كان على كل من أراد أن يحترس لنفسه أن يتدرب على النسك في عزلةٍ بجوار قريته.

في ذلك الوقت كان في القرية ا اورة شيخ عاش عيشة النسك منذ شبابه، وبعد أن رأى أنطونيوس ذلك الرجل اقتدى به في التقوى. وفي أول الأمر ابتدأ يقيم في أماكن خارج القرية، وبعد ذلك كان كلما سمع عن رجل صالح في أي مكان خرج يطلبه مسرعا كالنحلة النشيطة، ولا يرجع إلى مكانه إلاّ بعد أن يراه، فيعود بعد أن يتزود من

---

(٨) كانت هي منطقة "بسبير" (مكان دير الميمون الآن في منتصف المسافة بين إطفيح وبني سويف) (ناسك).
(٩) مخطوطة س ٤ ص ٦.

صلاح الرجل بالزاد الكافي لارتحاله في طريق الفضيلة.

وإذ أقام هناك في بداية الأمر صمم على عدم العودة إلى أماكن إقامة آبائه، أو العودة إلى ذكر أقربائه، بل عقد النية على إكمال النسك. وعلى أي حال فقد كان يعمل بيديه إذ كان قد سمع أن الكسول لا يأكل (٢ تس٣: ١٠)، وكان ينفق جزءًا لأجل القوت ويعطي الجزء الآخر للفقراء، وكان مثابرا على الصلاة، عالمًا أن المرء ينبغي أن يصلي في السر بلا انقطاع (مت٦: ٧؛ ١تس٥: ١٧)، لأنه كان يتمسك بما يقرأ بحيث لم يسقط منه إلى الأرض شيء مما كُتب، بل تذكر الكل، وبعد ذلك أغنته ذاكرته عن الكتب.

وإذ سلك أنطونيوس هكذا أصبح محبوبا من الجميع، وكان يخضع بإخلاص لكل من زارهم من الصالحين، وعرف تماما أين كان يفوقه كل منهم في الغيرة والنسك: لاحظ لطف هذا وصلاة ذاك بلا انقطاع، وعرف تحرر هذا من الغضب ورقة ذاك. لاحظ هذا وهو يسهر وذاك وهو يدرس. أُعجِب من هذا من أجل قوة احتماله، وبذاك من أجل صومه ونومه على الأرض. راقب باهتمامٍ وداعة هذا وطول أناة ذاك، كما لاحظ تقوى الجميع نحو المسيح ومحبتهم المتبادلة ... وهكذا إذ امتلأ كان يعود إلى مكان نسكه ويجاهد لاكتساب صفات الجميع، وتاق إلى إبراز فضائل الجميع في حياته. ولم يحاول منافسة نظرائه في السن سوى في أمرٍ واحدٍ، هو أن لا يكون أقل منهم في الأمور الأسمى. وهذا فعله بحيث لا يجرح شعور أي واحدٍ، بل جعلهم يفرحون به.

وهكذا عندما رآه بهذه الحال كل أهل تلك القرية والأشخاص الصالحون الذين تودد إليهم، صاروا يدعونه حبيب الله، ورحب به البعض كابن وغيرهم كأخ[(١٠)].

(٢) استلامه للحياة الرهبانية بيد ملاك

٣- قيل عن القديس أنطونيوس: إنه ذات يوم وهو جالس في قلايته أتى عليه بغتةً صغر نفس وملل وحيرة عظيمة وضاق صدره، فبدأ يشكو إلى الله ويقول: "يا رب، إنني أحب أن أخلص والأفكار لا تتركني، فماذا أفعل"؟ وقام من موضعه إلى موضعٍ آخر وجلس، وإذ برجلٍ جالسٍ مقابله وعليه اسطوانة (أي هالة) ومتوشح بزنار صليب مثال الإسكيم، وعلى رأسه كوكلسة[(١١)] شبه الخوذة، وكان جالسا يضفر الخوص، ثم قام ذلك الرجل عن عمله

(١٠) "حياة": أرقام ٢- ٤.

(١١) غطاء الرأس ويدعى "كوكولا" أو "كوكوليون Κογκογλειον" أو بالقبطية "كلفت"، وهو يغطي الرأس والقفا معا (الرقبة)، لذلك فهو يشبه غطاء رأس الأطفال تماما، لذلك فهو محسوب أنه يشير إلى روح بساطة الطفل. وكل الإشارات التي جاءت عنه في أقوال الآباء تفيد أنه قطعة منفصلة بذاتها لا تتصل بأية ملابس أخرى، ويمكن خلعها في الحال فتسقط إما إلى الأمام أو إلى الخلف لأنها تكون مربوطة حول الرقبة، وقد رسمت على رأس أنبا أنطونيوس في صورته بحصن دير أنبا مقار. ويقرر "إيفيلين هوايت" أنه رأى بعض الرهبان الشيوخ يلبسونها في وادي النطرون وبالأخص في رحلاتهم خارج الدير. (عن "رهبنة" ص ٣٥٥؛ Apoph., Zacharias, 3; Theodore of Pherme, 28; Ev. White, II, p. 195.

ووقف يصلي، ثم جلس يعمل أيضا، ثم قام أيضا وصلى، وأيضا جلس يعمل، وكان ذلك الرجل هو ملاك الله أُرسِل لعزاء القديس وتقويته. فقال له: "يا أنطونيوس، افعل هكذا وأنت تستريح". فلما سمع كلام الملاك امتلأ فرحا وتعزيةً، ومن ذلك الوقت اتخذ أنطونيوس ذلك الزي الذي هو شكل الرهبنة، وصار يصلي ويعمل أيضا الضفيرة، ولم يعد الملل يضايقه بشدة، واستراح بقوة الرب يسوع المسيح له المجد[١٢].

وقيل إنّ أنبا أنطونيوس هو الذي سلم الزي الرهباني للرهبنة بعد أن رأى الملاك مرتديا إياه[١٣].

(٣) مخافة الله

٤- قال القديس أنطونيوس: "رأس الحكمة مخافة الله. كما أن الضوء إذا دخل في بيتٍ مظلمٍ طرد ظلمته وأناره، هكذا خوف الله إذا دخل قلب الإنسان طرد عنه الجهل وعلمه كل الفضائل والحِكَم"[١٤].

٥- سأل أخ أنبا أنطونيوس قائلاً: "ماذا أعمل لكي أجد رحمة الله"؟ فقال له الشيخ: "احفظ هذا الذي أوصيك به: أينما ذهبت اجعل الله أمام عينيك دائما، وكل ما تفعله فلتكن لك عنه شهادة من الكتب المقدسة، وأي مكان تسكن فيه لا تنتقل منه سريعا. احفظ هذه الأمور الثلاثة وأنت تخلص"[١٥].

٦- قال القديس أنطونيوس: "ليكن خوف الله بين أعينكم دائما، واذكروا من يميت ويحيي، وابغضوا العالم وكل ما فيه من نياح (أي راحة) الجسد، وموتوا عن هذه الحياة الفانية لتحيوا بالله. أُذكروا ما وعدتم به الله فإنه يطلبه منكم في يوم الدينونة. جوعوا، اعطشوا، اسهروا، تعروا، نوحوا، ابكوا، تنهدوا، إنحوا في قلوبكم. اختبروا أنفسكم هل أنتم مستحقون لله؟ تهاونوا بالجسد لتحيا نفوسكم"[١٦].

٧- قال أنبا أنطونيوس: "أنطوني لا يخاف الله". فقال له تلميذه: "ما هذه الكلمة الصعبة يا أبتاه"؟ قال: "نعم يا ابني لأني أحبه، والحب يطرد الخوف من الله" (١يو٤: ١٨)[١٧].

٨- اعتاد أنبا أنطونيوس أن يقول: "يأتي وقت على بني البشر يصيرون فيه مجانين، وسيتركون عنهم مخافة الله، وعندما يرون إنسانا ليس مجنونا مثلهم يهاجمونه قائلين: 'أنت

(١٢) س٤ ورقة٦؛ Apoph., Ant., 1; W. & W., 1: 131 (١٣) Am., p. XXIII (١٤) س ٤ ورقة ٦.
(١٥) س ٤ ورقة ٩؛ Apoph., Ant., 3 ; W. & W., II: 35
(١٦) س ٤ ورقة ٨، ورقة ١٥١ ؛ Apoph., Ant., 33 ; W. & W., II: 207
(١٧) س ٤ ورقة ٩؛ Apoph., Ant., 32 ; W. & W., II: 402

مجنون أبله، لأنه ليس مثلهم"[18].

❑ ❖ ✪ ❖ ❑

(٤) قوانين ووصايا من أقوال القديس أنبا أنطونيوس لأولاده الرهبان بدير النقلون[19] لما سألوه عن ذلك، بسلام من الرب، آمين.

٩- قال: أنا أقول قوانين بما يقوله الرب على فمي للذين يحبون أن يلقوا بذواتهم تحت هذا الحمل الثقيل الذي هو الرهبنة. يجب أن يسمعوا هذه الوصايا، والذي يحل واحدةً منها يدعى حقيرا في ملكوت السموات:

أول كل شيء صل بلا ملل، واشكر الله في كل ما يأتي عليك، ومتى قمت باكرا في كل يوم فاسأل عن المرضى الذين عندك، وصم إلى التاسعة في كل يوم ما خلا السبت والأحد، ومتى جاءت الساعة التاسعة فلا تمضِ إلى مسكن أحدٍ من الإخوة، ومتى جلست لتأكل فصل أولاً قبل الأكل وكذلك بعده، واجعل صلاتك وقراءتك دائمة.

لا تتحدث مع صبي ولا طفل ولا تعاشره بالجملة ولا تجعله راهبا، ولا تقبل إليك شابا صغيرا قبل لباس الإسكيم لئلاّ يصالح العدو الشيطان، ولا ترقد على حصيرةٍ واحدة مع الأصغر منك، واحفظ ساعات الصلوات ولا تبطل واحدةً منها لئلاّ تعطي الجواب عنها، ولا تشد على المريض في مأكولٍ ولا تؤخره عنه فتعكر نفسه المذلولة. إذا جاء إليك أخ بعد زمان فافرح به لكي يشكر الله ويشكرك.

لا تخالط علمانيا بالجملة ولا تظهر نفسك مثل الفريسي الذي صنع أموره بالرياء. لا تقرب إليك امرأة ولا تدعها تدخل مسكنك فالغضب يسير خلفها، ولا تعد تنظر أهلك الجسدانيين ولا تعطي لهم وجهك ليبصروه، ولا تذهب عندهم، ولا تبقي لك أكثر من حاجتك، ولا تدفع أكثر من قوتك، بل ادفع الصدقة لضعفاء الدير. صل صلاتك في الليل قبل أن تذهب إلى الكنيسة، ولا تأكل مع أحدٍ يجسر عليك[20]، وإذا حدث شك من أجل شاب لم يلبس الإسكيم بعد فلا تلبسه وأخرجه من الدير[21].

(٥) حروب الشياطين

١٠- قيل عن القديس أنطونيوس: إنه لما دخل البرية الداخلية نظر إليه الشياطين

---

(18) Apoph., Ant., 25 ; W. & W., II: 178.

(١٩) بالقرب من الفيوم حيث كانت هناك مجموعة رهبان تحت رعايته. ("ناسك").

(٢٠) أي يفتري عليك أو يحاول أن يستعبدك.

(٢١) م ٢٣ ورقة ١٦٠.

وانزعجوا واجتمعوا عليه وقالوا له: "يا صبي العمر والعقل، كيف جسرت ودخلت إلى بلادنا، لأننا ما رأينا ههنا آدميا سواك"؟! وابتدأوا يحاربونه كلهم، فقال لهم: "يا أقوياء، ماذا تريدون مني أنا الضعيف المسكين؟ وما هو قدري حتى تجتمعوا كلكم علي وأنا تراب ووسخ ولا شيء، وضعيف عن قتال أحد أصاغركم"؟ وكان يلقي بذاته على الأرض ويصرخ ويقول: "يا ربي أعني وقو ضعفي، ارحمني يا رب فإني التجأت إليك، يا رب لا تتخل عني، ولا يقو علي هؤلاء الذين يحسبون أني شيء، يا رب أنت تعلم أنني ضعيف عن مقاومة أحد أصاغر هؤلاء". وكان الشياطين متى سمعوا هذه الصلاة المملوءة حياةً واتضاعا يهربون منه ولا يقدرون على الدنو إليه.

ومرةً جمع الأركون (= "أرخون" أي رئيس الشياطين) كل آلات اللهو والطرب واللذات والتنعم والنساء وسائر أنواع الزنى ولذّاته، أما هو فكان يغمض عينيه ويقول: "عجبا منكم! كيف تجعلون لي مقدارا وتحتالون على سقوطي وأنا أضعف من مقاومة أحد أصاغركم؟ ابعدوا عن ضعفي أنا المسكين التراب والرماد". وكانت الأفكار تسقط عنه بمعونة الرب، والشياطين تحترق من كثرة اتضاعه.

وفي عدة مرات كانوا يحضرون له جميع أنواع التخويف والانزعاج والتهويل والعذاب، فكان يصرخ إلى الله باتضاع ويقول: "أنقذني يا رب بمعونتك ولا تبعد عن ضعفي". ففي الحال كانت الشياطين ـرب منه.

وفي مرات كثيرة كانوا يهجمون عليه ويضربونه ضربا مؤلماً. وأقام هكذا ثلاثين سنة حتى نظر الرب يسوع المسيح إلى كثرة صبره واحتماله وكسر عنه شدة الأعداء. صلاته تكون معنا آمين[(٢٢)].

١١- ويصف القديس أثناسيوس حروب الشيطان على أنبا أنطونيوس هكذا:

لم يطِق الشيطان أن يرى مثل هذا الثبات في شاب، ففي البداية حاول أن يبعده عن النسك، هامسا في أذنيه بذكريات ثروته والعناية بأخته، ومطالب الأقارب ومحبة المال وا ـد، وملذات الطعام وسائر تنعمات الحياة، وأخيرا صعوبة الفضيلة وما تتطلّبه من عناء، ثم صور أمامه أيضا ضعف الجسد وطول الوقت، وبالاختصار أثار ذهنه كثيرا محاولاً أن يثنيه عن عزمه الثابت.

ولكن العدو عندما رأى نفسه ضعيفًا أمام عزم أنطونيوس، وغُلِب على أمره بسبب

---

(٢٢) س ٤ ص ٧.

إيمانه العظيم وتجندل بسبب صلواته المستمرة، اعتمد أخيرا على أسلحته التي في "عضل بطنه"[٢٣] والتي يفتخر ا لأ ا هي شراكه الأولى للشبان. وهاجم الشاب وأزعجه ليلاً وضايقه ارا، فعندما يعرض عليه الأفكار الشريرة كان يصدها بالصلوات، وعندما يصوب إليه سهام الشهوة يحمر خجلاً ويحصن جسده بالإيمان والصلاة والصوم.

وفي إحدى الليالي اتخذ الشيطان شكل امرأةٍ وقلد كل حركا ا لإغواء أنطونيوس، أما هو فإذ امتلأ عقله بالمسيح، وإذ فكر في روحانية النفس أطفأ جمر خداع العدو. وحاول العدو أن يجذبه بنشوة الملذات، أما هو فإذ امتلأ غضبا وحزنا حول تفكيره إلى ديد الله (للإنسان) بالنار والدود الذي لا يموت، فجاز التجربة دون أن يمس بأذى.

كل هذا أخزى عدوه، لأنه إذ كان يعتبر نفسه كإله هزأ به شاب، وذاك الذي افتخر على اللحم والدم اضطر أن يهرب أمام إنسان في الجسد، لأن الرب كان يعمل مع أنطونيوس، الرب الذي من أجلنا أخذ جسدا ووهب الجسد نصرةً على إبليس حتى يستطيع كل من يحارب بإخلاصٍ أن يقول: «لست أنا بل نعمة الله التي معي» (١كو ١٥: ١٠).

وأخيرا لما عجز التنين عن غلبة أنطونيوس، ووجد نفسه أنه قد طُرد تماما من قلبه، صر على أسنانه، كما هو مكتوب، وخرج عن شكله وظهر لأنطونيوس كولدٍ أسود متخذًا شكلاً منظورا يتفق مع لون عقله. وإذ تظاهر بالتذلل أمامه لم يشأ أن يلـ ـح عليه بأفكار فيما بعد، لأنه لما تنكر هزم أمامه.

وأخيرا تكلم بصوتٍ بشري وقال: "لقد خدعت كثيرين، وطرحت كثيرين، ولكنني برهنت على ضعفي إذ هاجمتك وهاجمت كل جهودك وأتعابك كما هاجمت كثيرين غيرك". فسأله أنطونيوس: "من أنت يا من تتكلم هكذا معي"؟ أجاب بصوتٍ أسيفٍ: "أنا صديق الزنى، وقد التحفت بالإغراءات التي تدفع الشبان إلى الزنى، وأنا أُدعى روح الشهوة. كم خدعت كثيرين ممن أرادوا أن يعيشوا بالاحتشام! وما أكثر العفيفين الذين أقنعتهم بإغراءتي!؟ أنا الذي من أجلي يوبخ النبي أولئك الذين سقطوا قائلاً: «روح الزنى قد أضلكم» (هو٤: ١٢)، لأ م بي قد أُعثِروا. أنا الذي ضايقتك كثيرا وغُلِبت منك كثيرا"!

أما أنطونيوس فإذ قدم الشكر للرب قال له بكل شجاعةٍ: "إذًا فأنت حقير جدا، لأنك أسود القلب، وضعيف كطفلٍ، ومن الآن لن أجزع منك لأنّ «الرب معيني وأنا سأرى بأعدائي» (مز١١٨: ٧)". وإذ سمع هذا ذاك الأسود هرب في الحال مرتجفًا من

(٢٣) أنظر أقوال أنبا مقار: قصة ظهور الشيطان له بأسلحته المحيطة بكل جسمه ليحارب ا ا اهد في طريق الرب.

الكلام، ولم يجسر حتى على الاقتراب إلى الرجل[٢٤].

١٢- عندما تقدم أنبا أنطونيوس في السن كان وحده في الجبل الداخلي يصرف وقته في الصلاة والنسك. وحينئذٍ احتمل مصارعةً عنيفةً «ليس مع لحم ودم» (أف٦: ١٢) كما هو مكتوب، بل مع الشياطين المقاومين كما علمنا ممن زاروه، لأ م سمعوا هناك شغبا وأصواتا كثيرة وقرقعة كأ ا قرقعة أسلحة، وفي الليل رأوا الجبل مليئًا بالوحوش البرية، كما رأوا أنطونيوس أيضا مجاهدا كأنه يجاهد ضد كائناتٍ منظورةٍ، ومصليا ضدها جاثيا ومجاهدا في الصلاة، وكل الذين زاروه شجعهم.

إنه لأمر عجيب أنّ شخصا وحيدا في بريةٍ كهذه لم يخش الشياطين التي هاجمته، ولا وحشية الوحوش والزحافات، لأ ا كانت كثيرة جدا، ولكنه حقًا كما هو مكتوب: «توكل على الرب مثل جبل صهيون» (مز١٢٥: ١)، بإيمانٍ لا يتزعزع ولا يضطرب، حتى إنّ الشياطين هربت منه، ووحوش البرية سالمته كما هو مكتوب (أي٥: ٢٣).

كان إبليس، كما يقول داود النبي في المزامير (مز٣٥: ١٦)، يراقب أنطونيوس ويحرق عليه أسنانه. أما أنطونيوس فكان متعزيا بالمخلص، وبقي سالمًا من حيله ومكائده المختلفة. كان يسهر بالليل فيرسل عليه إبليس وحوشا برية، وكأنّ كل ضباع تلك البرية تقريبا قد خرجت من جحورها وأحاطت به، وكان وهو في وسطها يهدده كل واحدٍ بالعض. وإذ رأى حيلة العدو قال لها كلها: "إن كان لكم سلطان علي فأنا مستعد أن تلتهموني، أما إن كنتم قد أُرسِلتم علي من قِبل الشياطين فلا تمكثوا بل انصرفوا لأنني عبد للمسيح". فهربت كلها أمام تلك الكلمة وكأ ا قد ضربت بالسياط[٢٥].

١٣- روى كثير من الرهبان - باتحاد الرأي - أنّ أمورا كثيرة تمّت على يدي أنبـا أنطونيوس. فقد كان مرةً مزمعا أن يأكل، وقام ليصلي نحو الساعة التاسعة فـأدرك أنـه اختطف بالروح، والعجيب أنه وقف ورأى نفسه كأنه خارج جسده، وأنه اقتيد في الهواء بواسطة أشخاص معينين. وبعد ذلك وقَفَت في الهواء كائنات أخرى مرعبـة وأرادت أن تعرقل مسيره، ولكن لما قاومها مرشدوه سألت عما إذا كان هو ليس مدينا لها، وعندما أرادت أن تلخص ديونه منذ ولادته أوقفهم مرشدو أنطونيوس قائلين: "لقد مسح الرب خطاياه منذ ولادته، ولكن يمكنكم أن تحاسبوه منذ أن صار راهبا وكرس نفسه لله". ولما لم تستطع أن تثبِت عليه أية تهمةٍ أصبح طريقه خاليا وأُزيلت عنه كل العراقيل، وللحال

(٢٤) "حياة" رقم ٥ و ٦.

(٢٥) "حياة" رقم ٥١ و ٥٢.

رأى نفسه كأنه قد أتى إلى جسده، وأصبح أنطونيوس كما كان من قبل.

وإذ نسي الأكل صار يئن ويصلي بقية النهار وطول الليل، لأنه دهش إذ رأى كيف أنّ مصارعتنا هي مع خصومٍ أشداء، وكيف أننا يجب أن نجتاز الهواء بجهودٍ شاقة، ثم تذكّر أن هذا هو ما قاله الرسول: «حسب رئيس سلطان الهواء» (أف٢: ٢). لأن العدو له فيه سلطان ليحارب ويحاول تعطيل الذين يجوزون فيه. ولذلك قدم النصيحة بكل قوةٍ: «احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير» (أف٦: ١٣). وذلك لكي يخزى المضاد إذ ليس له شيء رديء يقوله عنا (تي٢: ٨).

لقد اختطِف بولس الرسول إلى السماء الثالثة، وإذ سمع أمورا لا ينطَق بها نزل؛ أما أنبا أنطونيوس فقد رأى أنه صار في الهواء، وصار يجاهد حتى تحرر[٢٦].

١٤- وقال أيضا: ”أيها الأبناء، لا نملّ من الطلب إلى صلاح الله لكي تدركنا معونته وتعلمنا أن نصنع ما ينبغي. وبحقٍ أقول لكم إنّ هذا الإناء الذي نحن حالون فيه، أعني الجسد، لَهو لنا هلاك وموت ومملوءٌ من كل الحروب“.

”وحقًا أقول لكم، يا أولادي، إنّ كل إنسانٍ يتلذّذ بالشهوة ويتنازل معها فإنّ أفكاره تفرغه وتحطّه إلى أسفل. إذا كان يقبل ما يلقَى في قلبه ويفرح ويتلذذ به ويقبله إليه كأنه سر عظيم، ولا سيما إذا كان ممتدحا بأعماله؛ فالذين هم هكذا تصير نفوسهم آلةً للأرواح الشريرة ومجمعا للشرور، وأجسادهم خزائن لأسرار الظلمة مخزونةً فيها خفيةً، لأنّ الأرواح الشريرة تتسلّط على الذين هم هكذا“.

”ألا تعلمون أنه ليس للشياطين فخ واحد لكي ندركه و نهرب منه؟ لأنهم ليسوا متجسدين حتى نراهم عيانا، بل افهموا أننا نهلك الأجساد إذا قبلناهم، ونفوسنا أيضا عندما تميل إلى أن تقبل شرورهم“.

”فالآن، أيها الأولاد الأحباء، لا نجعل لهم فينا موضعا وإلاّ فنحن نثير على أنفسنا غضب الله وهم لا يذهبون عنا بل يسخرون بنا. وبحقٍ إنهم يمكرون بنا في كل وقت بمشورتهم الرديئة واضطهادهم الخفي لنا، وبرذائلهم الدنسة مع قلة الأمانة التي يلقونها في قلوبنا كل يوم، وقساوة القلب والأوجاع التي يجلبونها علينا في كل حين، والقلق حتى نقلق كل يوم بما يجلبونه علينا، وربما يجعلوننا نضحك في وقت يجب فيه البكاء ثم نبكي في وقت الفرح“.

”لذلك لا نملّ من الطلب إلى صلاح الله لتدركنا رحمته ومعونته لنتعلّم أن نصنع ما

---

(٢٦) "حياة" رقم ٦٥.

ينبغي لكي ننال العون والنجاة"[٢٧].

١٥- وقال أيضا للإخوة: "بينما كنت سائرا يوما ما في الجبل، وجدت نعامةً مع صغارها، فلما رأتني لاذت بالفرار، وكأني سمعت الأم تقول لصغارها: 'انزلوا تحت الحجارة حتى لا يصطادوكم'. وهكذا نحن أيضا، إذا قذَفَنا الشياطين بالأفكار الرديئة فلنرمهم بالحجارة المأخوذة من الحجر الذي أُخِذ من الرحم غير الدنس الذي للقديسة العذراء مريم «حجر الزاوية» (أع٤: ١١؛ مز١١٨: ٢٢) الذي يقاتل عنا بمهارةٍ وينقذنا من فخاخهم الرديئة"[٢٨].

١٦- قال القديس أنطونيوس: "السيرة المستقيمة والإيمان بالله هما سلاح عظيم مقاوم للشياطين الذين يخافون من الصيام والنسك وسهر الليل والصلاة والهدوء والوداعة وبغضة الفضة والافتخار، والتواضع ومحبة المسكنة والرحمة وعدم الغضب وفعل البر في المسيح، لأنّ الشياطين يجاهدون جدا أن لا يقهروا، فلنذكر نحن في قلوبنا أن الرب كائن معنا في كل حين فلا تقدر الشياطين أن تصنع بنا شيئًا، وإن رأوا أننا خفنا وضعفنا يجعلون الخوف يزداد بالأكثر في قلوبنا بأفكارهم. فإذا وجدونا فرحين بالرب في كل حين وأننا نفكر في قلوبنا في الخيرات العتيدة ونتكلم فيما للرب ونفكر قائلين: إنّ كل شيء هو بيد الرب؛ فإن الشياطين لا تقدر أن تصنع شيئًا ولا لهم سلطان في شيء من الأشياء البتة. فإذا وجدوا النفس محصنةً ذه الأفكار هكذا يخزون للوقت ويرجعون إلى ورائهم، لأنه هكذا وجد العدو أيوب محصنا ثابتا فتباعد عنه عندما لم يقدر أن يميل فكره عن الله، ولأجل هذا افتضِح".

"فكمال كل الفضائل أن يكون الإنسان ثابتا متقويا بكل قلبه وكل نفسه بالرب ولا يحيد عنه بالجملة بأي حال ولا في أي وقت، بل يكون متحدا بأفكاره مع الله لأنّ الله هو متحد معنا بإيماننا به"[٢٩].

١٧- ذهب أخ اسمه سمعان إلى الأب أنطونيوس وقال له: "أيها الأب، رأيت في حلمٍ من يقول لي: 'أُسكن مع إنسان يكون له ضِعف جهادك'". فقال له القديس: "هذا الذي ظهر لك هو الشيطان لأنه مدحك ووصفك بأنك عمالٌ". فقال له الأخ: "لقد كان مكتسيا بالنور". فقال له أنبا أنطونيوس: "إنّ الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور (٢كو١١: ١٤)". فقال الأخ في نفسه: "إنّ الأب أنطونيوس يجهل الأمور المخفية". ولكن الأب أنطونيوس علم بذلك وقال له: "ياعديم الشعور، لقد

---

(٢٧) المرجع السابق.

(٢٨) Am., 24, 7.

(٢٩) م ٤١.

علمت أنه لما جاء إليك الشرير لم يقُل لك "سلام"، وأنت لم تتعرف عليه على الأقل بكون السلام لم يكن في فمه"[٣٠]!

(٦) نصائـح رهبانيـة

١٨- قال القديس أنطونيوس: "أدب بخوف الله ولا تشفق، لا تأخذ بوجه صغير ولا كبير، بل اقطع بكلام الحق باستقامةٍ. احرس ثيابك لئلاّ تمشي عريانا (رؤ٣: ١٨) في يوم الحكم وتفتضح. آباء الدير الذين ولدوك بالروح يتعجبون من مجدك وسط القديسين. كُلْ خبزك بسكينةٍ وهدوءٍ وإمساكٍ (أي بعدم شراهةٍ). جلوسك يكون بأدب، ولا تتبع جميع أفكارك. قف قدام الرب وقوفًا مستقيما. إذا ضرب الناقوس لا تتوانَ عن الحضور إلى الكنيسة"[٣١].

١٩- قال القديس أنطونيوس: "لا تفطر بالجملة إلا في مرضٍ شديدٍ. لا تتذمر في أي عمل. لا تعير أحدا لأي سببٍ. إذا ذهبت عند أخ فلا تبطئ في مسكنه. لا تتحدث في الكنيسة. لا تجلس في أزقة الدير. لا تحلف بالجملة لا بالحق ولا إذا كنت متشككًا. لا تذهب إلى كنيسة يجتمع فيها الناس (أي العلمانيون). تصدق بقدر قوتك. لا تدفن ميتا في البيعة. لا تصنع وليمةً ولا تذهب إلى دعوة وليمة".

"تعلم كل يومٍ الأدب من الكبار، ولا تعمل أي شغلٍ حتى تشاور أب الدير. إذا ذهبت لتملأ الماء فاقرأ وأنت سائر بقدر قوتك. إذا دفعت صدقةً فلا تتظاهر بها. وإذا حضرت في موضعٍ قد صنِعت فيه صدقة فكُلْ واشرب واشكر الله. اِحزن في الليل والنهار من أجل خطيتك. كُن مربوطًا بقلسوتك ومئزرتك وإسكيمك في الليل والنهار. أضئ سراجك بزيت عينيك أي الدموع. إذا تعبدت فلا تفتخر. لا ترد أحدا جاء يطلب المسيح. لا تتحدث بأفكارك لجميع الناس ما خلا الذين لهم قوة على أن يخلصوا نفسك. وإذا ذهبت إلى الحصاد فلا تبطئ بل أسرع بالعودة إلى الدير. لا تلبس ثيابا تفتخر بها. لا تظهر صوتك إلاّ في صلاة الفرائض. صل في مسكنك قبل أن تأتي إلى البيعة. أمِت نفسك في كل يوم".

"لا تغتب أحدا بسبب ما يقال فيه من الأوجاع. لا تفتخر، ولا تضحك بالجملة. اِلزم الحزن بسبب خطيتك كمثل من عنده ميت. اِعمل بقوتك لتمجد أباك الذي في السموات. أدب ابنك بلا شفقةٍ فدينونته عليك. لا تأكل حتى تشبع. لا تنم إلاّ يسيرا بقدر فتأتي عندك الملائكة. إذا صليت وذكرت الله تصير ثيابك التي تلبسها أجنحةً تطير

(٣٠) Arm., II: 430.

(٣١) م ٢٣ ورقة ١٦٤.

على بحر النار. اذهب إلى المرضى والضعفاء واملأ مكاييلهم. لا تكن مقاتلاً باللسان. اجعل كل واحدٍ يبارك عليك، والرب يسوع المسيح يعيننا على العمل بمرضاته، فله ا د مع أبيه وروح قدسه إلى الأبد آمـين"[٣٢].

٢٠- سأل أنبا بامو القديس أنطونيوس عما يصنعه لأجل خلاصه، فقال له الشيخ: "لا تتكل على برك، ولا تصنع أمرا تندم عليه، وامسك لسانك وبطنك وقلبك"[٣٣].

٢١- كان أنبا أنطونيوس ينصح الرهبان قائلاً: "آمنوا بالرب وأحبوه، احفظوا أنفسكم من الأفكار الدنيئة والملذات الجسدية، وكما هو مكتوب في سفر الأمثال: «لا تخدعوا بامتلاء البطن» (أم٢٤: ١٥ حسب السبعينية). واظبوا على الصلاة، تجنبوا الغرور والعجرفة، رتلوا المزامير عند النوم وعند الاستيقاظ، احفظوا في قلوبكم وصايا الكتاب المقدس، اذكروا أعمال القديسين حتى إذا ما تذكرت نفوسكم الوصايا ظلّت متوافقة مع غيرة القديسين".

وكان القديس ينصحهم بصفةٍ خاصةٍ دائما أن يتأملوا في كلمة الرسول: «لا تغرب الشمس على غيظكم» (أف٤: ٢٦). وكان يعتقد أن هذه تشمل كل الخطايا بصفةٍ عامة. فليس المقصود منها الغيظ فقط، بل إنه يجب ألاّ تغرب الشمس على أية خطيةٍ من خطايانا، لأنه حسن، بل ضروري، أن لا تغيب الشمس على أي شر صنعناه ارا، ولا القمر على أية خطية بدرت منا ليلاً، ولا حتى على أي فكرٍ شرير. ولكي تستمر هذه الحالة فينا يحسن أن نسمع الرسول ونحفظ كلماته لأنه يقول: «جربوا أنفسكم، امتحنوا أنفسكم.» (٢كو١٣: ٥)

إذًا يجب على كل واحدٍ أن يستخلص من نفسه كل يوم قصة أعماله في الليل والنهار، وإن كان قد أخطأ فليكُف عن الخطية، وإن لم يكن قد أخطأ وجب ألاّ يفتخر، بل ليتمسك بالصالح دون إهمال، وأن لا يدين إخوته أو يبرر نفسه «حتى يأتي الرب الذي يكشف الخفيات» (١كو٤: ٥؛ رو٢: ١٦) كما يقول المغبوط بولس الرسول. لأننا كثيرا ما فعلنا بغير قصدٍ الأشياء التي لا نعرفها، ولكن الرب يرى كل شيء؛ لذلك إذ نسلم الدينونة له فلنعطف بعضنا على بعض، لنحمل أثقال بعضنا بعضا (غل٦: ٢)، ولكن لنمتحن أنفسنا ونسرع لملء ما نقص فينا.

وتجنبا للخطية لنراع الآتي: لينتبه كلٌ منا، ولنسجل أعمالنا والدوافع المحركة لنفوسنا

---

(٣٢) من قوانين ووصايا القديس لأولاده الرهبان بدير النقلون: م ٢٣ ورقة ١٦٢، ١٦٣.
(٣٣) س ٤ ورقة ٩؛ Apoph., Ant., 6; W. & W., II: 196

كأننا سوف نقصها بعضنا على بعض، واثقين من أننا إن كنا سنخجل تماما من أن تعرف الخطية فوجب أن نكف عنها وأن لا نبقي على أية أفكار شريرةٍ في عقولنا، لأنه من ذا الذي يحب أن يرى وهو يخطئ؟ أو بالحري من ذا الذي لا يكذب بعد ارتكاب الخطية بسبب الرغبة في تجنب معرفة الآخرين لها؟ وكما أننا إذا روقبنا من بعضنا بعضا فإننا لا نرتكب الخطية المادية، هكذا إذا سجلنا أفكارنا كأننا سنخبر ا بعضنا بعضا نحفظ أنفسنا بسهولةٍ من الأفكار الرديئة بسبب الخجل لئلاّ تعرف.

لذلك فليكن ما نسجله على أنفسنا بمثابة أعين زملائنا النساك حتى إذا ما خجلنا من أن نسجل خطايانا كأننا قد أمسكنا ا فلن نفكر قط فيما لا يليق. فإن رتبنا أنفسنا ذه الكيفية أمكننا إخضاع الجسد لإرضاء الرب، كما أمكننا أن ندوس على حيل العدو[٣٤].

٢٢- كما قال أيضا: "لا تأكل مع امرأةٍ، ولا تصادق صبيا بالجملة، ولا ترقدا اثنان على حصيرةٍ واحدةٍ إلاّ إذا كان ذلك بسبب ضرورةٍ ملحة، وحينئذٍ يكون الذي معك هو أبوك أو أخوك وتفعل ذلك بخوفٍ شديدٍ. وإذا نمت فلا تدخل يدك إلى داخلك لئلاّ تخطئ بغير هواك. لا تحلّ منطقتك وأنت قوي. لا تمسك يد قريبك ولا خده صغيرا كان أو كبيرا. وإذا تعريت من ثيابك فلا تنظر جسدك. لا تشرب ثلاثة أقداح خمر إلاّ في مرضٍ شديد. لا تفسد وصية الله من أجل صداقة أحدٍ. لا تعد إلى المدينة التي أخطأت لله فيها مرةً أخرى. لا تتخل عن العبادة لئلاّ يصير ذلك لك فخا وعثرة"[٣٥].

٢٣- وقال أيضا: "أتعِب نفسك في قراءة كتب الله، فهي تخلّصك من النجاسة. إن جلست في خزانتك (أي قلايتك) فاعمل في شغل يديك، ولا تتخل عن اسم الرب يسوع بل امسكه بعقلك ورتل به بلسانك وفي قلبك، وقُلْ: [يا ربي يسوع المسيح ارحمني ، يا ربي يسوع المسيح أعني]، وقُلْ أيضا: [أنا أسبحك يا ربي يسوع المسيح]".

"اِختر التعب فهو يخلصك من جميع الفواحش مع الصوم والصلاة والسهر، لأنّ تعب الجسد يجلب الطهارة للقلب، وطهارة القلب تجعل النفس تثمر. لا تجعل نفسك معدودا بالجملة حتى تتفرغ للبكاء من أجل خطيتك. إياك والكذب فهو يطرد خوف الله من الإنسان. لا تتحدث بأفكارك لكل أحدٍ لئلاّ تكون عثرةً. كُن متعبا في شغل يديك فيأتيك خوف الله. حِب الاتضاع فهو يغطي جميع الخطايا. اِحذر من أن تحقد على أحدٍ بالجملة بل اغفر لأخيك. اصرف الأفكار الرديئة عنك وسلم نفسك إلى الله فيظللك

(٣٤) "حياة" رقم ٥٥.
(٣٥) م ٢٣ ورقة ١٦٥.

بيمينه. لا تكن قليل السمع لئلاّ تكون وعاءً لجميع الشرور، اجعل في قلبك أن تسمع لأبيك فتحلّ بركة الله عليك"[٣٦].

٢٤- قال أنبا أنطونيوس: "لا تفتر على أخيك ولو رأيته عاجزا عن جميع الفرائض لئلاّ تقع في أيدي أعدائك. الخطايا القديمة التي فعلتها لا تتفكّر فيها لئلاّ تتجدد عليك، وتأكّد أنك بعد أن أعطيت نفسك لله قد سقطَت عنك ولا تتشكّك في ذلك".

"لا تتوهم أنك عالمٌ وحكيم لئلاّ يضيع تعبك وتمر سفينتك فارغة. عود لسانك أن يقول في كل شيء وفي كل وقت ولكل أخ ولله تعالى: 'اغفر لي'، والاتضاع يأتيك".

"لا تدِنْ أحدا لئلاّ يفارقك خوف الله وتسقط في أيدي أعدائك. لذّاتك وألعابك في زمان كسلك لا تذكرها، ولا تتحدث ا ولا تقُل: صنعت كذا وتركته، فتصير عثرةً لك".

"متى جلست في خزانتك (أي قلايتك) فلا تفارقك هذه الأشياء: القراءة في الكتب، التضرع إلى الله، شغل اليد. ولا تفكر في شيء من أوجاعك التي كانت لك في الدنيا لئلاّ تنشغل في شهوا ا فتكون عثرةً في قلبك".

"أُطلب التوبة في كل لحظةٍ ولا تكسل نفسك لحظةً واحدةً. لا تستحِ أن تسأل أباك ببكاءٍ واتضاع أن يعرفك ما أنت عاجز عنه. تفكر في كل يوم أنه آخر ما بقي لك في العالم لكي تحفظ من الخطية، واعلم أنّ الاتضاع هو أن تعِد جميع البشر أفضل منك، وتتحقّق بقلبك أنك أكثر منهم خطية، ولتكن رأسك منكّسة، ولسانك يسرع بأن يقول لكل أحدٍ: 'اغفر لي' حتى ولو افترى عليك. ونظرك يكون للموت في كل حين".

"أُحرس نفسك ولا تتكلم موم أو أعمال الدنيا بشيء بالجملة. اِحذر من أن تحب أن تبلغ شهواتك وأغراضك. اِبغض الجسد وابغض جميع لذّاته فإ ا ممتلئة شرورا".

"اِجعل شهوتك ألاّ تتعِب أحدا وألاّ تقاتل أحدا، وإن ضايقك المحتال (الشيطان) فلا تغضب. أُرفض الكبرياء وقل عن قريبك وعن كل الناس إ م أخير منك".

"لا تغط على خطيتك التي صنعتها، أُرفض ا اوبة، ولا تفكر في قلبك بشر على من يغضبك أو يبغضك. لا تسرع إلى الغضب. اِحذر من أن تتكلم بكلامٍ فارغ، ولا تسمعه من غيرك لكي تعيه، وليكن كلامك في ذكر الله تعالى واستغفاره"[٣٧].

(٣٦) س ٤ ورقة ٩ ؛ م ٢٣ ورقة ١٦٥ و ١٦٦.
(٣٧) س ٤ ص ١٠ ؛ م ٢٣ ورقة ١٦٦ و ١٦٧.

٢٥- قال أنبا أنطونيوس: ”إياك والشره، ولا ترتبط بشهوتك فإ ما يطردان مخافة الله من القلب والحياء من الوجه، ويجعلان الإنسان مأسورا من الشهوات الفانية الدنيئة، ويضلاّن العقل عن الله. لا تفتخر وتقول بفمك ولا تفكر في قلبك أنك فعلت وصنعت وأنك لم تتعِب أحدا، فإنّ هذا يسبب لك ا د الباطل، فمن كانت عنده هذه صارت نفسه مسكنا للشياطين ومنـزلاً للأرواح النجسة“.

”اجعل أكلك مرةً واحدةً في النهار لقيام الجسد لا للشهوة، واجعله عاجزا (ضعيفًا) قليلاً، وأتعبه كثيرا في المطانيات. لا تكن كسلانا فتموت بأشر حال. أضعِف جسدك كمثل من هو ملقى على الفراش فتهرب الأوجاع عنك. اجعل فكرك في الوصايا كلّ حينٍ وداوم على فعلها ولا تتخل عن شيءٍ منها لئلاّ تصير نفسك مسكنا لجميع الفواحش“.

”لا تغتب أحدا من الناس لئلاّ يبغض الله صلاتك. إياك واللعب والاستهزاء فإنه يطرد خوف الله من القلب. أتعِب نفسك في قراءة الكتب واتباع الوصايا فتأتي رحمة الله عليك سريعا، فمن كان في خزانته مغلق الفم وغير ذاكرٍ لله تعالى ولا قارئًا في الكتب فهو يكون كالبيت الخرب خارج المدينة الذي لا تفارقه جميع الجيف (أي القمامة)، وكلّ من احتاج إلى تنظيف بيته من الجيف رماها فيه“.

”صل دائما صلاةً في خزانتك (أي قلايتك) قبل صلاتك مع الإخوة وبعدها، ولا تملّ من ذلك. أكثِر البكاء دائما فإنّ الله يترحم عليك ويعزيك من جميع أحزانك. أبغض كل أعمال الدنيا وارفضها عنك، واعلم أ ا هي التي تبعدك من الله بحقٍ. احذر من أن تكون صغير القلب لأن صغر القلب يجلب الأحزان، أحِب التعب واظلم نفسك لكل أحدٍ، واغلق فمك، فبذلك تملك الاتضاع، والاتضاع يغفر جميع خطايا الإنسان. من لا يحفظ هذه فهو يغضِب الله“.

”أنا أنطونيوس أقول لك الحق، فاسمع الآن كلامي وأوعِه في نفسك، واعلم أنني ذا الكلام أُسلمك للخالق فتفرح مع جميع الملائكة وتحزن الأرواح الشريرة جميعها. إذا لازمت هذه ومشيت فيها فإنّ الله يكون معك وملائكته تمشي معك ونفسك تمتلئ من طيب الأطهار، ويستنير وجهك بنور الحسنات، وتصير قربانا لله مثل جميع القديسين، ويكون لقاؤك للرب بتهليلٍ وفرح، وتسمع الصوت القائل: «جيدا عملت أيها العبد الصالح الأمين، وجدتك أمينا في القليل فأُقيمك أمينا على الكثير، أُدخل إلى فرح سيدك» (مت٢٥: ٢١)، الذي له ا د إلى الأبد آمين“[٣٨].

(٣٨) س ٤ ورقة ١٠؛ م ٢٣ ورقة ١٦٧ و ١٦٨.

٢٦- كان أخ محاربا من أفكاره أن يترك ديره، فأخبر أنبا أنطونيوس بذلك، فقال له الشيخ: "اذهب، اجلس في قلايتك وارهن جسدك لحوائط قلايتك ولا تغادرها، ودع الفكر يذهب حيثما يشاء، فقط لا تسمح لجسدك أن يخرج من القلاية. إنه سيعاني، ولن يمكنه أن يعمل أي عمل، ثم إنه سيجوع، وفي وقت الأكل يحتال عليك لكي يأكل، فإذا قال لك نحو الوقت: 'كُلْ قليلاً من الخبز لأجل حاجتك'، فقُل له أنت أيضا بتيقظٍ: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمةٍ تخرج من فم الله» (تث٨: ٣؛ مت٤:٤). وسيقول لك: 'اشرب قليلاً من الخمر مثل الطوباوي تيموثاوس' (١تي٥: ٢٣)، فأجبه أنت أيضا: 'اذكر أبناء يوناداب الذين حافظوا على وصايا أبيهم' (إر٣٥: ٦). وإذا جاءك النوم فلا تستسلم له لأنه مكتوب في الإنجيل المقدس: «اسهروا وصلوا» (مت٢٦: ٤١)، ومكتوب أيضا: «كانوا نائمين ولم يكسبوا شيئًا» (مز٧٥: ٥ حسب السبعينية)".

"غذ نفسك بأقوال الله، بالأسهار والصلوات، وأيضا بالذكر المستمر لاسم ربنا يسوع المسيح، وبذلك ستجد الإرشاد الذي به تعرف كيف تغلب الأفكار الرديئة. وإذا صنع لك الجسد فخاخا لكي تخرج من قلايتك فهو سيحطمك ويبتلعك بعد أن تخرج بدون إفراز بين ما ينفعك وما يضرك. إنه في الحقيقة يقاتلك بطرق كثيرة سواء في رجليك أو في يديك، سواء في قلبك أو في نظرك أو في سمعك أو في الأعمال أو في اللسان والفم أو في المشي. فإذا مكثت في قلايتك ستكون في مأمنٍ من كل ما قلته لك"[٣٩].

٢٧- وقال أيضا: "لا شيء يجدد النفس التي شاخت مثل مخافة الله والصلاة النقية والتأمل المتواصل في كلام الرب مع إمداد النفس بزاد الصلاة والمداومة على الأسهار وعدم الإفراط في شرب الماء، ففي الحقيقة يجب على الراهب أن يزهد في شرب الماء كما يزهد تماما في الخمر، لأنه كما أنّ الشجرة التي تروى بالماء هي فقط التي تحمل بالثمار هكذا أيضا الجسد الذي يمتلئ بالماء فهو يصاب بالرخاوة والخمول، ومن الرخاوة يأتي التواني والكسل، والتواني يلد النعاس، ومن النعاس يتولد الترف، وهكذا شيئًا فشيئًا تزداد أوجاع النفس وتطرحنا في عمق جهنم، وتصير أجسادنا مسكنا للأرواح النجسة وأفكارنا مستعبدةً للأوجاع المخزية".

"إنّ هذه في الحقيقة شبكة تخفي في ثناياها الكثيرة خداعات العدو. فالذي يشتبك ولو جزئيا بهذه الأوجاع إذا لم يأخذ حذره بكل اهتمام فهي تتسلّط عليه تماما. وهذا مثل الملك الذي إذا حاصر مدينةً حصينةً وهاجم سكانها فلا يمكنه أن ينهبها إن لم يمنع الغذاء والماء عن سكانها، هكذا حال الجسد مع أوجاعه (أي شهواته)، فإن كنا لا نشقيه

(39) Am., 22, 14.

بالحد من الأطعمة والمشروبات لا نستطيع أن ننجو في حروبنا الروحية وثورة أعضائنا الجسدية. فلندع اللسان ييبس من العطش ولنضيق البطن التي اتسعت من الامتلاء بالأطعمة الشهية لأنّ هذا مرضي عند الله"[٤٠].

٢٨- قال أبا أنطونيوس: "لا ينبغي على الراهب أن يذهب إلى مكانٍ توجد فيه نساء، ولا أن تكون له دالّة معهن إذا كُن لسن من اللواتي عندهن تقوى الله، لأنّ التطلع إليهن لا يجعل للإنسان راحةً حينما يجلس في قلايته". فقال له واحد: "ألا يوافق أن نذهب إليهن لأجل وعظهن"؟ فقال له الشيخ: "إذا نلت الروح القدس فاذهب إليهن وإلاّ فلا أريد لك أن تذهب، لأنّ في ذلك فرصة لك للسقوط أنت الذي تعظهن، وهن أيضا معرضات للسقوط لأن لهن نفس الطبيعة التي فينا، فقلب الإنسان دائما ميالٌ إلى الشر".

فقال الأخ: "ماذا أفعل في أمر التدبير الذي أنا مكلف به"؟ لأنه كان مدبرا (إيكونوموس). فقال له الشيخ: "إذا نلت الروح القدس فاذهب إليهن وإلاّ فأنا لا أود لك أن تذهب، وإنّ ذاك الذي يخدعك حتى يسقِطك ألا يدفعهن هن أيضا حتى يسقطن؟ لكن الإنسان إذا سلم قواه (إمكانياته) لله فسيصير نارا على الأرض". فقال له الأخ: "إنني أقول، يا أبي، إنّ الإنسان الأمين يراقب نفسه في كل موضع يذهب إليه". فقال له الشيخ: "لا، ولكن انتبه إلى أنه إذا وجِد قطيع من الخنازير الصاعد من النهر مغمورا بالوحل ثم مشيت أنت في وسطها ولم يسقِطك الوحل إلاّ أنك ستبلى كلك بقذار ا"[٤١].

٢٩- وقال أيضا: "لا تمش مع متكبر ولا مع غضوبٍ، بل سِر مع الذين هم متضعون في كل وقت، ولتكن كلماتك موزونة حتى يكون لها منفعة للذين يسمعو ا. كن غيورا، واقبل الآلام لأجل أخيك، وكن شفوقًا عليه. ليكن كلامك حلوا في كل وقت. أحب الفقر جدا، أحب الألم واسع إليه، اقبل الألم في جسدك لكي تغلب شهوات الجسد. قاتل لكي تغلب في الحروب التي تأتي عليك، لأن الحكيم يعرف طريقه الذي يجعله يحظى بملاقاة النور العلوي في السموات"[٤٢].

(٧) عدم الإبطاء خارج القلاية

٣٠- وقال أيضا: "كما أن السمك يختنق إذا بقي طويلاً خارج الماء، هكذا الرهبان الذين يتعوقون طويلاً خارج قلاليهم أو يقضون أوقا م مع أهل العالم، فإ م يفقدون عمق سلامهم الداخلي، فينبغي علينا إذًا أن نسرع إلى قلالينا كالسمك نحو البحر، خوفًا

(40) K., 295. (41) Am., 41, 11. (42) Am., 39, 1.

من أننا إذا تأخرنا خارجا ننسى حرصنا الداخلي"[٤٣].

٣١- سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، **فقال الشيخ:** "لأنّ تـذكار الله بربنـا يسوع المسيح هو حياة النفس الذي يسميه الآباء "مستودع الحياة" وأيضا "نسمة حياة النفس والذهن"؛ فعندما يبطئ الراهب في المدن وينظر ويتكلم مع العلمانيين يموت بالنسبة لنسمة الحياة التي في الله، أي ينسى تذكار الله وتبرد محبة المسيح في قلبه، المحبة التي تحصل عليهـا بأتعـابٍ كثيرةٍ، وينسى فضائله وترتخي محبته للتجارب، ويحب الملذات ويميل إلى الشهوات وتضـطرب زكاوة قلبه بما يدخل حواسه من سجسٍ، أي من النظر والحديث والسمع، التي هي بالحقيقـة قوة النفس. بل يحدث أيضا أن يسقط في أوجاعٍ عظيمةٍ، الله يحفظنا منها، آمين"[٤٤].

٣٢- مرةً جاء إليه بعض ممن كانت لهم حاجات مِلحة، وبعد توسلاتٍ كثيرةٍ من قائد جندٍ، جاء وكلّمهم بإيجاز عما يؤول إلى خلاصهم وعما كانوا محتاجون إليه، ثم أسرع بالانصراف، وعندما توسل إليه القائد أن ينتظر أجاب بأنه لا يستطيع البقاء بينهم، وأقنعهم بابتسامةٍ حلوةٍ قائلاً: "إن السمك إذا بقي طويلاً على الأرض الجافة يموت، هكذا الرهبان يفقدون قو م إذا توانوا بينكم وصرفوا وقتهم معكم، لذلك كما يجب أن يسرع السمك إلى البحر ينبغي أن نسرع نحن إلى الجبل لئلاّ إذا تأخرنا ننسى ما بداخلنا".

ولما سمع القائد ذلك وأمورا كثيرة غيرها منه ذُهِل وقال: "يقينا إنّ هذا الرجل هو خادم الله، لأنه لو لم يكن محبوبا من الله فمن أين يكون مثل هذا الفهم العظيم لإنسانٍ جاهلٍ"[٤٥]؟

٣٣- قال القديس أنطونيوس: "إذا خرجت من قلايتي لكي أذهب إلى الناس أخلع عباءتي (الرهبانية) وأذهب بدو ا، ولمّا أرجع أرتديها مرةً أخرى، وهذا معناه: عندما أخرج إلى الناس أصير جسدا وعندما أرجع إلى مسكني أصبح روحا، فأصير إنسانا مع الناس وأصير روحا مع الله".

"فالجسد هو مسكن القلب (أي الروح) وله باب ونوافذٌ، فعندما أخرج إلى الناس تنفتح جميعها فتدخل العواصف والأمواج، أي أنّ الحواس تسمع وترى وتتكلم وتشعر. وعندما أمكث في قلايتي تكون كلها مغلقة وأكون بدون عواصف، وهذا لا يكون إلاّ مع قلبي الذي أُقاتل به، وأكون حرا من أربعة (حواس) أخرى، لأن الذي يتكلم بفهمٍ يبني نفسه وينفع رفيقه، والذي يصمت لا يتعرض للخطر، لأن القديسة مريم العذراء مارست الفضيلة أولاً قبل وصولها إلى المعرفة

---

(43) Apoph., Ant., 10. (٤٤) س ٩ جزء ٤ رقم ٢٣ ص ١٠٣؛ W. & W., II: 662 (٤٥) "حياة" رقم ٨٥.

الحقيقية لله (لو١: ٣٠)"[٤٦].

(٨) ضبـط اللسـان

٣٤- قيل إن بعض الإخوة من الأسقيط اتفقوا على زيارة القديس أنطونيوس، ولما ركبوا المركب وجدوا فيه شيخا من الآباء يريد الذهاب إليه ولم يكن الإخوة يعرفونه، وإ م اندفعوا يتحدثون بحديث الآباء وبما في الكتب ويتذاكرون أيضا صنائع أيديهم والشيخ جالس يسمع وهو صامت، فلما غادروا القارب علموا أن الشيخ ذاهب معهم إلى أنبا أنطونيوس. ولما وصلوا نظر إليهم القديس وقال للإخوة: "نِعم الرفيق وجدتموه"، يقصد الشيخ. ثم قال للشيخ: "نِعم الرفقة وجد م أيها الأب". فقال له الشيخ: "أما هم فجياد، ولكن دارهم ليس عليها باب، فمن أراد أن يدخل الإسطبل ويحلّ الحمار ويأخذه لا يجد مانعا". يقصد أ م كانوا يتكلمون بكل ما يجري على ألسنتهم[٤٧].

(٩) طاعـة وصـايا الـلـه

٣٥- قيل: ذهب بعض الإخوة إلى أنبا أنطونيوس وقالوا له: "يا أبانا، قل لنا كيف نخلص". فقال لهم: "أسمعتم ما يقول الكتاب"؟ فقالوا: "من فمك أيها الأب". فقـال لهم: "إن السيد يقول: «من لطمك على خدك الأيمن حول له الأيسر»". فقـالوا: "لا نطيق ذلك". قال لهم: "إن لم تطيقوا ذلك فاصبروا على اللطمة الواحدة". فقالوا لـه: "ولا هذا نستطيعه". فقال لهم: "إن لم تستطيعوا ولا هذا أيضا فـلا تكـافئوا مـن يظلمكم". فقالوا له: "ولا هذا نستطيع". فدعا الشيخ تلميذه وقال له: "أصلح مائدةً للإخوة واصرفهم لأ م مرضى، هذا لا يطيقون وذاك لا يستطيعون ووصـايا الـرب لا يريدون، فماذا نصنع لهم"[٤٨]؟!

٣٦- سأل إخوةٌ شيخا: "ما معنى هذا القول (السابق)" ؟ **فقال الشيخ:** "الطبيخ يعني به صلوات الشيوخ وأعمالهم، أي إن كنتم لا تقدرون أن تحفظوا جزءًا واحداً مـن وصية ربنا بالفكرة الإرادية فتفكيركم ضعيف، وأنتم محتاجون إلى صلاة عليكم من الآباء لشفاء نفوسكم كما يحتاج المرضى إلى طبيخ لضعف أجسادهم"[٤٩].

٣٧- وقال أيضا: "إنه بالطاعة والتمسكن تخضع لنا الوحوش"[٥٠].

٣٨- وقالوا له: "ما معنى قول الرسول: «افرحوا بالرب»"؟ فقال: "إذا فرحنا بعمل الوصايا فهذا هو الفرح بالرب، فلنفرح بتكميل وصايا الرب وبنجاح إخوتنـا، ولـنحفظ

---

(٤٧) س ٤ ص ٨؛ W. & W. 1: 10; Apoph., Ant., 18
(٤٨) س ٤ ص ٨؛ W. & W., 1: 202; Apoph. 19
(٥٠) س ٤ ورقة ٨؛ Apoph., Ant., 36
(46) Am., 36, 16.
(٤٩) س ٩ جزء ٤ رقم ٦٤.

أنفسنا من فرح العالم والضحك إن أردنا أن نكون من خواص ربنا، لأنه قال إنّ العالم يفرح وأنتم تبكون (يو١٦: ٢٠)، وقال إنّ الويل للضاحكين وطوبى للباكين (لـو٦: ٢١و٢٥). ولم يكتب أنه ضحك قط، وكُتب أنه حزِنَ ودمعت عيناه (يو١١: ٣٥)"[٥١].

٣٩- وقال أيضا: "إن أُمِرت بشيءٍ يوافق مشيئة الله فاحفظه، وإن أُمِرت بما يخالف الوصايا فقُل إنّ الطاعة لله أولى من الطاعة للناس (أع٥: ٢٩)، واذكر قـول الـرب إنّ «غنمي تعرف صوتي وتتبعني ولا تتبع الغريب» (يو١٠: ٤و٥)"[٥٢].

٤٠- وقال أيضا: "إذا أعطيت نفسك لله فاحذر من جميع الخطايا واعمل بوصية الله ولا ترفضها، فإنك إذا رفضتها فلن تغفر لك خطيتك الأولى، وإن تمسكت ا فتحقّق أنه قد تِركت لك جميع خطاياك الأولى"[٥٣].

٤١- وقال أيضا: "إنّ الجمل لا يعطَى إلاّ قليلاً من الغذاء فيحفظه داخلـه إلى أن يدخل حظيرته فيسترجعه ويجتره حتى يتغلغل في عظامه ولحمه، أما الحصان فيعطَى غذاءً كثيرا فيأكله لساعته ثم يفقد ما أكله سريعا. فالآن إذًا، نحن لا ينبغي أن نكون كالحصان، بمعنى أننا نتلو أقوال الله في كل وقت ولا نعمل بأي منها، ولكننا ينبغي أن نتشبه بالجمل مرددين كل كلمةٍ من الأسفار المقدسة مراعين إياها حتى نتممها، لأنّ الذين أكملوا هذه الأقوال كانوا بشرا تحت الآلام مثلنا"[٥٤].

(١٠) المغفرة للمسيئين واحتمال الإساءة

٤٢- قال أنبا أنطونيوس: "لا تحزن ولا يوجعك قلبك على شيء لهذه الـدنيا، ولا تقلق إذا شتمك جميع الناس، فهم يشبهون الغبار الذي تحمله الريح، بل احزن إذا عملت ما يستوجب الشتيمة".

وقال أيضا: "ما منفعة كلام الكرامة؟ إنه يطير في الهواء، وأما الخسارة الناتجة من الشتيمة الصائرة مجانا فهي عارضة، لأنّ الناس يموتون وتموت كرامتهم، وشتيمتهم أيضا تذهب معهم"[٥٥].

(١١) التفكير في الفضيلة قبل الدخول فيها

٤٣- وقال أيضا: "الذي يطرق سبيكة من الحديد يضع أولاً في فكره ما هو عتيـد

(٥١) س ٤ ص ٩. (٥٢) المرجع السابق. (٥٣) م ٢٣ ورقة ١٦٤. (54) Am., 39, 10.
(٥٥) س ٤ ورقة ١٣٤.

أن يعمله إما منجلاً أو سكينا أو فأسا ... هكذا نحن ينبغي أن نفكر في كل ما نبتدئ في الدخول فيه من الفضائل لئلاّ يكون عملنا وتعبنا باطلاً "[٥٦].

(١٢) التشبه بالآباء في العمل الجيد

٤٤- سئل القديس أنطونيوس: "ما هو العمل الجيد"؟ فقال: "الأعمـال الجيـدة كثيرة، لأن الكتاب يقول إنّ إبراهيم كان مضيفًا للغرباء وكان الله معه، وإيليا كان يؤثر سكنى البرية والوحدة وكان الله معه، وداود كان متضعا وديعا وكان الله معه، ويوسف كان حليما عفيفًا وكان الله معه، فما يحبه قلبك من كل هذه افعله من أجل الله، واحفظ قلبك، وإذا قاتلتك أفكار كثيرة فقاتل رأسها، فإن هزمته هزِم باقيها"[٥٧].

(١٣) ملامــة الـذات

٤٥- وقال أيضا: "ينبغي على من يشتم أن يعتقد أنه هو الذي تسبب في أن يشتم بسوء فعله، حتى يكون الشاتم مذللاً له من الخارج وهو مذللٌ لنفسه من الداخل، مثـل داود الذي منع أصحابه من قتل شاتمه وقال: «أتركوه فإنّ الرب جعله يشتمني، دعـوه حتى ينظر الرب إلى ذُلي ويرحمني» (٢صم١٦: ٥-١٢)؛ وأن يتشبه بالمسيح لأنه لمّا شتِم لم يشتم، وأن تفكر في أنّ شاتمك قد أعتقك من السبح الباطل إن احتملته بمعرفةٍ، وأنه قد أرسل لك على لسانه الدواء النافع".

"اقهر ذاتك وتعود على قطع مشيئاتك حتى بنعمة المسيح تصل إلى أن تمارس كـل أمورك بدون تغصبٍ ولا حزن".

"أحسن إلى كل أحدٍ، وإن لم تقدر فأحب كل أحد، وإن لم تقدر فلا أقل من أن لا تبغض أحدا، ولن يتيسر لك شيء من ذلك ما دمت تحب العالميات"[٥٨].

٤٦- قال القديس أنطونيوس: "إنّ أفضل ما يقتنيه الإنسان هو أن يقر بخطاياه قدام الله ويلوم نفسه، وأن يكون متأنيا على كل بليةٍ تأتيه، ويتوقع التجربة حتى آخر نسمة من حياته"[٥٩].

(١٤) التعامل مع الآخرين

٤٧- وقال أيضا: "إن حدثك أخ بأفكاره فاحذر من أن تظهرها لأحدٍ، بل صل

---

(56) Apoph., Ant., 35; س ٤ ورقة ٨ (٥٧) س ٤ ورقة ٨؛ W. & W., II: 21 (٥٨) س ٤ ص ٩.

(٥٩) س ٤ ص ١٠٥ و١٤٦؛ Apoph., Ant., 4 ; W. & W., II: 367

عنه وعن نفسك لتخلُصا معا"[٦٠].

٤٨- وسئل أنبا أنطونيوس: "هل جيد أن يكتفي الراهب بنفسه فلا يأخذ من الإخوة ولا يعطيهم"؟ فقال: "إذا تمسك الراهب بذلك فهو يعيش بلا اتضاع ولا رحمة، فيبتعد من الخيرات المعدة للمتضعين والرحماء"[٦١].

٤٩- وسألوه أيضا إن كان جيدا أن يكتفي الراهب بنفسه فلا يخدم أحدا ولا يدع أحدا يخدمه؟ فقال: "إنّ الرب علّمنا أن نخدم إخوتنا كما يخدم العبيد مواليهم (أي سادتهم)، وذلك عندما شد وسطه وغسل أرجل تلاميذه، فلا نمتنع من أن نخدم لأنّ بطرس لما امتنع عن غسل رجليه قال له: «إن لم أغسلك فلن يكون لك معي نصيب». (يو١٣: ٤-٨)"[٦٢].

(١٥) البعد عن الأهل والأصدقاء

٥٠- وقال أيضا: "إن شئت أن تخلص فلا تدخل بيتك الذي خرجت منه، ولا تسكن في القرية التي أخطأت فيها، ولا تبصر آباءك ولا أقرباءك الجسدانيين، وإلاّ فأنت تظل كل زمانك بغير ثمرة"[٦٣].

٥١- كان القديس الجزيل الطوبى أنبا أنطونيوس الأب الحقيقي للرهبان في المسيح يجتمع مع تلاميذه، وكثيرا ما كان يوصيهم أن يقطعوا من قلوبهم ذكر والديهم حسب الجسد وأقربائهم، ولا يكون لهم أي انشغالٍ أو اهتمامٍ باطلٍ بأعمالهم حتى تكون الروح حرة طليقة بلا أي هم جسداني، وحتى تتمكّن النفس من الالتصاق بالله بقوةٍ أكثر وبلا معوقات. ففي الحقيقة إنّ ثبات النفس يتحطّم كليةً ويتقوض بانشغالها بأقاربها، وهكذا ينطفئ فيها نور القلب حتى لا يعود الإنسان يرى نفسه بعد لدرجة أنّ النفس تنقسم وتتمزق تحت ضغط الأفكار المتقلبة الخارجة عن الصواب.

ومن الواجب والنافع جدا أنه لأجل خلاص النفس من الأهل والأقارب أن يلتجئ الرهبان دائما إلى التوسل بلا انقطاع إلى الرب أن ينتزعهم ويخلصهم من عذاب النار الأبدي الذي سيصيب هذا العالم، ولكي يستحقوا أن يكون لهم نصيب في النور الحقيقي الأبدي الذي للأبرار عندما يأتي المسيح ابن الله الملك الأبدي في مجد جلاله مع الملائكة القديسين والقوات السماوية ليدين الأحياء والأموات في يوم دينونة الله ذلك اليوم العظيم المرهوب.

ففي الحقيقة يجب على الرهبان أن يتشفعوا أيضا لأجل ذويهم ويتوسلوا للرب لكي

---

(٦٠) م ٢٣ ورقة ١٦٣. (٦١) س ٤ ص ٩. (٦٢) المرجع السابق. (٦٣) س ٤ ورقة ٩.

يستحقوا نوال الخلاص الأبدي في الحياة الدائمة، ولكي يكون لهم نصيب في ملكوت يسوع المسيح ربنا، آمين[٦٤].

٥٢- قال أنبا أبرآم: "جاء أحد الرهبان إلى أنبا أنطونيوس وأخبره بأن هناك حياة أعظم من حياة التوحد، إذ أنّ الفضيلة الأعظم هي أن يمارس الراهب حياة الكمال وهو يعيش بين الناس أكثر منه في البرية. فسأله أنبا أنطونيوس عن المكان الذي يعيش فيه هو، فأجابه بأنه يعيش بالقرب من أهله، وتباهى بأنه بسبب أ م يمدونه بكل احتياجاته فهو يعيش حرا من كل اهتمامٍ أو انشغالٍ بالعمل اليومي، وبذلك فهو متفرغٌ تماما وبلا انقطاع للقراءة والصلاة خلوا مما يربك الروح. فقال له القديس: "أخبرني يا عزيزي، هل أنت تحزن لأحزا م وبلاياهم وتشاركهم أفراحهم في مسرا م"؟ فاعترف بأنه يفعل ذلك. فقال له الطوباوي: "ينبغي أن تعلم أنك ستدان في اليوم الأخير بنفس الدينونة مع الذين أنت الآن ميالٌ إلى مشاركتهم في مكسبهم أو خسار م وفي فرحهم أو حز م".

ولما لم يقتنع الأخ، تكلّم أنبا أنطونيوس في هذا الأمر بتوسعٍ قائلاً: "رغـم أنـك لا تشعر الآن بالضرر من هذه المعيشة إذ تذكر كلام الكتاب القائل: «ضربوني ولم أتوجع، لقد لكأوني (أو سخروا مني) ولم أعرف» (أم٢٣: ٣٥)، وأيضا: «أكل الغرباء ثروته (أو قوته) وهو لا يعرف» (هو٧: ٩)؛ إلاّ أنّ هذه الطريقة من الحياة وهذه الحالة الأكثر فتورا تصيبك ليس بالضرر الذي كلّمتك عنه فحسب، بل إ ا تجر قلبك يوما فيوما بلا توقف إلى الأمور الأرضية وتجعله يتغير وفقًا لمتطلّبات الظروف، بل إ ا أيضا تسلبك مما تجنيـه يداك من ثمار ومن الجعالة التي تستحقها عن جهاداتك حيث إ ا لا تسمح لك بأن تقتني خبزك من عمل يديك حسب تدبير ق. بولس الرسول الذي عندما كان يعطي توجيهاته الأخيرة لمدبري كنيسة أفسس أكّد لهم أنه رغم أنه كان مشغولاً بواجباتـه المقدسـة في التبشير بالإنجيل؛ فقد كان يقتني الاحتياجات المادية بعمل يديه ليس لنفسه فقط بل أيضا للذين كانوا معه في نفس الخدمة قائلاً: «أنتم تعلمون أنّ حاجاتي وحاجات الذين معـي خدمتها هاتان اليدان» (أع٢٠: ٣٤). كما أنه لكي يظهر لنا أنه فعل ذلك كقدوة نافعة لنا يقول: «أنتم تعرفون كيف يجب أن يتمثّل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيـبٍ بيـنكم ولا أكلنا خبزا مجانا من أحدٍ بل كنا نشتغل بتعبٍ وكد ليلاً و ارا لكي لا نثقل على أحـدٍ منكم، ليس أنّ لا سلطان لنا بل لكي نعطيكم أنفسنا قدوةً حتى تتمثّلوا بنا، فإننا أيضـا حين كنا عندكم أوصيناكم ذا أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضـا.»

(64) C S P, V, 1.

(٢تس٣: ٧ - ١٠)"[٦٥].

(١٦) محبـــة الخاطــئ

٥٣- اتهم أخ في **كينوبيون**[٦٦] مةً باطلةً بأنه ارتكب خطية الزنى، فقام وجاء إلى أنبا أنطونيوس. فتبعه الإخوة الذين معه في الكينوبيون ليصالحوه ويردوه، وهناك تصدوا له محاولين أن يثبتوا عليه التهمة، ولكنه أصر على أنه لم يرتكب قط هذا الفعل. واتفق أنّ أبا بفنوتيوس الكيفالاسي (أي ذو الرأس الكبيرة) كان هناك، فقال لهم هذا المثل: "رأيت على شاطئ النهر إنسانا مغمورا في الوحل حتى ركبتيه، فجاء إليه قوم ليساعدوه فأغرقوه إلى الرقبة". فلما سمع أنبا أنطونيوس ذلك قال لهم عن أنبا بفنوتيوس: "هذا إنسانٌ قادر حقا أن يشفي ويخلص النفوس". حينئذٍ امتلأوا ندما من كلام الشيخين وصنعوا مطانية للأخ ورجعوا به إلى الكينوبيون[٦٧].

٥٤- حدث أنّ أخا في **كينوبيون** سقط في تجربةٍ فطردوه من هناك، فذهب إلى الجبـل حيث أنبا أنطونيوس، ومكث الأخ عنده مدةً، ثم أعاده أبا أنطونيوس إلى الكينوبيون الـذي طُرِد منه، فلما رآه الإخوة طردوه ثانيةً، فرجع الأخ إلى أبا أنطونيوس قائلاً: "رفضـوا أن يقبلوني يا أبي". فأرسل الشيخ إليهم قائلاً: "سفينة كادت تغرق في البحر وتلفـت كـل شحنتها، وبتعبٍ كثير رجعت سالمة إلى البر، فالذي سلِم تريدون أنتم أن تغرقوه"؟! فلمـا علم الإخوة أنّ أبا أنطونيوس هو الذي أعاد إليهم الأخ قبلوه في الحال[٦٨].

٥٥- قيل عن أنبا أنطونيوس: ظهرت له مرةً رؤية بخصوص عـذراء كانـت قـد سقطت في خطية، فنهض وأخذ عصاته الجريد في يده واتخذ طريقه نحو الدير (الذي فيـه العذراء)[٦٩] لكي يوجه إلى العذارى توبيخات شديدة جدا، وذلك بسبب طهارة سيرته. ولما تقدم في سيره واقترب من الدير ظهر له المسيح ملك ا د الرحوم وحده، ذاك الذي عنده كنوز عديدة من الرحمة، ذاك الذي يغفر ويمحو خطايا وتعديات البشر، وقال لـه المخلص بوجهٍ باش وبابتسامةٍ مملوءة نعمة: "يا أنطونيوس، هل يوجد سبب لتكبدك هذا

---

(65) J. Cass., Conf. XXIV, ch.,11.

(٦٦) كلمة "كينوبيون" تتكون من مقطعين: κοινος = مشترك، وβιος = حياة، أي حياة مشتركة. ويمكن أن تنطق "كينوبيوس" وتعني مؤسسة أو مكان به قلالي كثيرة أصحا ا متحدون في نظام الحياة، وترادف في المعنى الوصفي تماما كلمة "موناستيريون μοναστηριον" وأصلها μοναζειν أي يعيش منفردا. فكلمة "موناستيريون" تعني مكان يحيا فيه الناس حياة منفردة، وقد انحرف معنى هذه الكلمة وتطورت لتشمل معنى الدير بوصفه الحالي حيث يعيش فيه جماعة حياة غير توحدية على الإطلاق. ومن يعيش في كينوبيون هو عكس المتوحد: αναχωρητης الذي يعيش منفردا بعيدا عن الناس. ("رهبنة" الطبعة الثانية، ص ٤٨).

(٦٧) س ٤ ص ١٠؛ W. & W., I: 406 ; Apoph., Ant., 29

(٦٨) س ٤ ورقة ١٠؛ Apoph., Ant., 21; W. & W., I: 606

(٦٩) أي أحد بيوت العذارى حيث لم تكن قد وجدت أديرة للراهبات بعد.

التعب"؟ فلما سمع الشيخ هذا الكلام من الرب انطرح على الأرض على وجهه وقال: "يا رب، طالما أنك جعلتني أهلاً أن أعاين حضرتك، فأنت أول من يعرف ما هي حماقة تعبي". فقال له محب البشر: "لقد احتملت هذا التعب وا هود بسبب خطية هذه العذراء الصغيرة". فانطرح أنبا أنطونيوس على الأرض على وجهه وقال له: "يا رب، أنت تعلم كل الأمور قبل أن تحدث". فقال له الرب: "قُم، اتبعني".

ولما دخل معه إلى المكان الذي كانت فيه العذراء أغلِقت الأبواب، وسمع العذراء تبكي وتقول: يا "ربي يسوع المسيح، إن كنت للآثام راصدا فمن يستطيع أن يقف أمامك؟ لأنّ من عندك المغفرة (مز١٢٩: ٣و٤ حسب السبعينية)، يا سيدي يسوع المسيح، انتقم لي من الذي يبغضني والذي يسبب لي الهلاك، يا سيدي يسوع المسيح، إنني أصلي إليك، لا تحجب وجهك عني (مز٢٧: ٩)، لأنني آنية ضعيفة (١بط٣: ٧)". وكانت تقول ذلك بدموع غزيرة.

وإنّ ربنا يسوع المسيح إلهنا الرحوم الشفوق قال: "يا أنطونيوس، ألم تتحرك أحشاؤك الآن؟ ألا تبكي عيناك عندما تسمع بضعف طبيعتها القابلة للانكسار، وكيف هي تصرخ إلي بدموعٍ مؤلمةٍ؟ ألم تجتذب هي مراحمي إليها بالحق مثل الخاطئة التي غسلت قدمي بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها، ولأجل توبتها نالت مني غفران خطاياها بسبب إيما ا (لو٧: ٣٦-٥٠)؟ ومع ذلك فلن أترك تعبك يذهب سدى، أعطها قليلاً من التعليم ثم ارحل". ولما قال المخلص ذلك اختفى.

ورجع أنبا أنطونيوس ممجدا الله، وكانت دموعه تسيل بغزارةٍ على الأرض، وكان مندهشا جدا من صلاح الله وفيض مراحمه العديدة على كل صنعة يديه، والطريقة التي ا يقبل إليه فورا كل إنسانٍ يخطئ ويرجع إليه تائبا بقلب مستقيم[٧٠].

(١٧) الإفـراز

٥٦- قال القديس أبا موسى في **حديثه مع أبا يوحنا كاسيان** في **شيهيت:** "أذكر أنه في حداثتي لما كنت في الصعيد حيث يسكن الطوباوي أنطونيوس، أن جاء إليه الشيوخ يسألونه عن الكمال، ورغم أن الحديث امتد من المساء حتى الصباح التالي؛ إلاّ أنّ الجزء الأكبر من الليل انقضى في هذا السؤال وحده، لأ م تباحثوا فيه بإسهابٍ، وهو: 'أية فضيلة أو نظام رهباني يحفظ الراهب بلا مضرةٍ من فخاخ وضلالات الشيطان وتصعد به هذه الفضيلة في طريقٍ مأمونٍ صحيح بخطى ثابتة إلى قمم الكمال'"؟

(70) Am., 33, 4.

”وقال كل واحدٍ منهم رأيه حسبما يعتقد. فالبعض اعتبر أنّ الكمال كائن في الصـوم والسهر بغيرةٍ، فالنفس التي تكون قد انسحقت ـما واكتسبت نقاوة القلب والجسد يسهل عليها الاتحاد بالله. وآخرون اعتبروا الكمال متوقفًا على احتقار أمور هذا العالم حتى إذا تجرد الذهن تماما يقترب بغير عوائق من الله، إذ لن تربكه فيما بعد أية فخاخ شيطانية“.

”وآخرون رأوا أنّ الحاجة الضرورية هي إلى البعد عن العالم أي التوحد وحياة النسك الخفية، إذ أنها هي الحياة التي يتهيأ فيها الإنسان أكثر للشركة مع الله والالتصاق به على وجهٍ خصوصي. بينما أكّد البعض أنّ الكمال هو في إتمام واجبات المحبـة أي ممارسـة أعمال الرحمة، لأنّ الرب وعد في الإنجيل أن يهب الملكوت لهؤلاء بالذات عندما قـال: «تعالوا إلي يا مباركي أبي رثوا المُلك المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني كنت جوعانـا فأطعمتموني، كنت عطشانا فسقيتموني ...» (مت٢٥: ٣٤-٣٦). وعلى هذا المنـوال ظهر أنه بواسطة فضائل مختلفة يمكن للإنسان إلى حد ما أن يتقرب إلى الله“.

”فلما عبر الجانب الأكبر من الليل في هذه المناقشة، تكلّم أخيرا الطوباوي أنطونيوس وقال: ’كل ما ذكرتموه نحتاج إليه حقا وهو معين للمتعطّشين إلى الله والمشتاقين للاقتراب إليه، إلاّ أنّ حوادث كثيرة وخبرة الكثيرين علّمتنا أنّ أهم المواهب ليست كائنة في هذه الفضائل. فقد يكون البعض جادين في الصوم أو السهر بحرارةٍ ومنقطعين بشجاعةٍ للتوحد وقد اتجهوا إلى التجرد مما لهم إلى أقصى درجةٍ حتى إ م لا يحملون هم طعام يومٍ واحدٍ أو بقاء فلسٍ واحدٍ معهم، ويتممون كل واجبات المحبة بمنتهى الإخلاص، وإذ بنا نجدهم يخدعون فجأةً حتى إ م لا يكملون العمل الذي بدأوه إلى غايته الصحيحة، بل بغير م الشديدة وحيا م التي تستحق المديح يبلغون إلى ايةٍ مرعبة‘“.

”’لذلك يمكننا أن نتعرف بوضوح على الطريق المؤدية بنا إلى الله مباشرةً إذا تتبعنا بعنايةٍ علّة سقوطهم وانخداعهم. فعندما تتوافر فيهم الفضائل التي ذكرتموها بغزارةٍ يعوزهم شـيءٌ واحد فقط وهو **الإفراز**، لذلك لا يتمكّنون من المثابرة إلى النهاية، كما لا يمكنهم اكتشاف علّة سقوطهم لأ م لم يتعلّموا من شيوخهم كما يجب، فلم يكتسبوا صحة الحكـم علـى الأمور ولا الإفراز الذي يعلم الراهب ألاّ يتطرف في سيرهٍ بل يتخذ الطريق الملـوكي، فـلا ينتفخ ويتكبر بالانحراف في طريق الفضيلة يمينا، وذلك بالاندفاع الأعمى في جسارةٍ غبيةٍ إلى درجة تخطي حدود الاعتدال المطلوب، ولا الانحراف يسارا بأن يرتاح إلى التواني متظـاهرا بضبط الجسد فيزداد بالعكس تراخيا إلى أن يبلغ إلى روح الفتور‘“.

”’لأنّ هذا هو الإفراز الذي عبر عنه الإنجيل بـ "العين" و"سراج الجسد" حسـب

قول المخلّص: «سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكـون نيرا، ولكن إن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلمـا» (مـت٦: ٢٢و٢٣). فالعين إذ تميز أعمال الناس وأفكارهم فهي ترى وتفحص كل الأمور التي ينبغي عملـها، ولكن أي إنسان إن كانت عينه شريرة أي غير محصنة بالمعرفة والحكم السليم أو مخدوعةً بأي خطأ أو ور، فإنّ جسده يصير كله **مظلما**، أي أنّ رؤيته العقلية وكل أعماله تصير مظلمة لأ ا تكون غارقةً في ظلمة الرذائل وضباب الاضطرابات، لأنه يقول: «إن كـان النور الذي فيك ظلاما فالظلام كم يكون» (مت٦: ٢٣)"؟

""فلا يشك أحد أنه عندما يكون حكم القلب خاطئًا وغارقًا في ليل الجهالة، فـإنّ أفكارنا وأعمالنا الناتجة عن عدم التأني وتشاور الفكر والإفراز تكون حتمـا غارقـةً في ظلمة خطايا أعظم""[٧١].

٥٧- قال أحد الشيوخ[٧٢]**:** "إنّ الإفراز الحقيقي لا يكون إلاّ من الاتضاع، والاتضاع هو أن نكشف لآبائنا أفكارنا وأعمالنا، ولا نثق برأينا بل نستشير الشيوخ ا ربين الذين نالوا نعمة الإفراز ونفعل كل ما يشيرون به علينا، فالذي يكشف أفكاره الرديئة لآبائه تخف عنه، وكما أنّ الحية إذا خرجت من موضع مظلم إلى ضوء رب بسرعة، كذلك الأفكار الرديئة إذا كُشِفت تبطل من أجل فضيلة الاتضاع".

"وإذا كانت الصناعات التي نبصرها بعيوننا ونسمعها بآذاننا ونعملها بأيدينا لا نقدر أن نعملها من ذواتنا إن لم نتعلمها من معلميها، أفليست هي جهالة وحماقة لمن يريـد أن يعمل الصناعة الروحانية غير المرئية التي هي أكثر خفيةً (أي سريةً) من جميع الصـنائع، والخطأ فيها أعظم خسارةً من كل ما عداها، بغير معلم"[٧٣]؟!

٥٨- جاء مرةً شيخ كبير زائرا للقديس أنطونيوس في البرية وهو راكب حمار وحش، فلما رآه أنبا أنطونيوس قال: "هذا سفَر عظيم، ولكنني لا أعلم إن كان يصل إلى النهاية أم لا"[٧٤]!

٥٩- قيل إنّ شيوخا كانوا ذاهبين إلى الأب أنطونيوس فضلوا وانقطـع الرجـاء منهم، وجلسوا في الطريق من التعب، فخرج إليهم شاب من صدر البرية، وكانت هناك حمير وحش ترعى، فأشار (الشاب) إليها بيده فحضرت إليه، فأمرها قـائلاً: "احملـوا هؤلاء إلى حيث يوجد أنطونيوس"، ففعلت حمير الوحش ذلك. وجاءوا وأخبروا أنبـا

(٧١) س ٤ ص ١١ ؛ J. Cass., Conf., II, ch. 2

(٧٢) هو أنبا أنطونيوس في بعض المراجع.

(٧٣) س ٤ ص ١٠٤ ؛ س ٥ ورقة ٢٢.

(٧٤) س ٤ ورقة ٨٧ ؛ Apoph., Ant.,14;

أنطونيوس بما حدث. أما هو فقال لهم: "هذا الراهب يشبه مركبا مملوءًا من كل خـير، ولكنني لا أعلم إن كان يصل إلى الميناء أم لا"!

وبعد زمانٍ دخل الشيخ في غيبوبةٍ، ثم بدأ يبكي وينتف شعره، فقال له تلميذه: "مـاذا حدث أيها الأب"؟ فقال له الشيخ: "عمود عظيم في الكنيسة سقط في هذه الساعة، أعني ذلك الشاب الذي أطاعته حمير الوحش". وأرسل الشيخ تلاميذه إليه فوجدوه جالسا على حصير وهو يبكي. فلما رأى تلاميذ أنبا أنطونيوس قال لهم: "قولوا للشيخ أن يطلب إلى الله لكي يمهلني في الحياة عشرة أيام لعلّي أتوب". ولكنه قبل أن تكمل خمسة أيام توفى[٧٥].

٦٠- سأل إخوةٌ القديس فيلوكسينوس قائلين: "ذاك القديس الذي كان سـاكنا في البرية الداخلية بالقرب من أنبا أنطونيوس، الذي قال عنه إنّ عمودا سقط اليوم مـن الكنيسة، لماذا لما سقط وطلب مهلةً لمدة عشرة أيام لم تعطَ له سوى خمسة أيام؟ ولماذا لم يذكر الكاتب سقطته"؟

أجاب الشيخ: "كان هذا الرجل عظيما في درجة أنبا أنطونيوس، بدليل ما فعله القديس أنطونيوس إذ نتف شعر لحيته وبكى وناح من أجله، لأنه كان قد ذاق النعمة السماوية ولذلك تكبر كثيرا، ولأنّ سقوطه كان ممتلئًا إثمًا لذلك لم يعطَ له زمانٌ للتوبة كما طلب رغم أن أنبا أنطونيوس صلى من أجله كثيرا، وذلك لسببين: **الأول:** أنه لو أعطي زمانا كما طلب ما كان سيتوب، **والثاني:** لكي يحترس أنبا أنطونيوس والكاملون مثله في ذلك الزمان. ورغم صلاة أنبا أنطونيوس لم تعطَ له مهلة خمسة أيام أخرى لأنّ خطيته كانت مضاعفة: كبرياؤه وسقوطه".

"ولم يوضح الكاتب سبب سقوطه بل ذكره بالرمز للفاهمين لئلاّ يكون سبب شك (أي عثرة) لمن يعرفه ويسمعه، لأنه مع العطايا العظيمة والمواهب الكثيرة التي نالها قال الكاتب إنّ الوحوش كانت تطيعه عندما يركبها. أما سقوطه فواضح مما قاله داود النبي: «الإنسان الذي لا يعرف كرامته يشبه البهائم التي لا عقل لها» (مز٤٩: ٢٠) . يا ربنا يسوع المسيح استرنا واحفظنا في كنفك لئلاّ نتكبر ونسقط"[٧٦].

٦١- وقال أيضا: "إنّ قوما عذّبوا أجسادهم في النسك ولم يجدوا الإفراز فظلوا بعيدين عن طريق الله"[٧٧].

٦٢- قيل إنّ الآباء مدحوا أخاً أمام أبا أنطونيوس، فلما زاره ذلك الأخ أراد القديس أن

---

(٧٥) س ٤ ورقة ٨٧؛ Apoph., Ant., 14 ; W. & W., II: 415

(٧٦) س ٩ رقم ٢٨٣ ص ٣٩٢.

(٧٧) س ٤ ورقة ١٠؛ Apoph., Ant., 8; W. & W.,I :296

يجربه ليعرف إن كان يحتمل الإهانة، فلما وجد أنه لا يحتمل قال له: "إنك تشبه قرية (أو قصر) مزينةً من الخارج بأفخم الزينات ومن الداخل خاويةً منهوبةً من اللصوص"[٧٨].

(١٨) الأحلام التي من الشياطين

٦٣- جاء مرةً بعض الإخوة إلى الأب أنطونيوس ليخبروه عن أحلامٍ كانوا يرو ا ليعلموا هل هي حقيقية أم من الشياطين. وكان معهم أتانٌ مات في الطريق، فلما سلموا على الأب ابتدرهم قائلاً: "كيف كان طريقكم؟ وكيف مات الأتان الصغير"؟ فأجابوه: "ومن أين علمت يا أبانا"؟ قال لهم: "الشياطين أروني ذلك في الحلم". فقالوا له: "ونحن لهذا الأمر جئنا لنسألك، لأننا نرى أحلاما وتصدق مرارا كثيرة لئلاّ نكون قد ضللنا".

فحقّق لهم الشيخ من أمر الأتان الذي أخبرهم به أنّ هذه التخيلات هي من الشياطين، وقال أيضا: "وإن تظاهر الشياطين بالمعرفة المسبقة فلا نميل إليهم، لأ م يخبرون بأشياء كثيرة قبل كو ا بأيامٍ ليقنعوا الذين يصغون إليهم، فإذا صدقوهم يضلّو م بعد ذلك ويهلكو م بغشهم واحتيالهم. أما الشياطين فليست لهم معرفة مسبقة، لأنّ علم الغيب عند الله وحده، وإنما هم سعاة خفيفون مسرعون في الهواء، والذي يرونه يسبقون وينذرون به. فاطلبوا من الله أن يؤازركم على دحضهم، ومتى طرقوكم ليلاً قائلين إ م ملائكة فلا تصدقوهم لأ م كذبة".

ثم قال أيضا: "إذا بدأ إنسان يسافر من بلدةٍ بعيدةٍ تراه الشياطين فتسبق وتنذر بمجيئه قبـل أن يجيء، وقد يحدث مرارا كثيرة أنّ ذلك الإنسان يتعوق أو يرجع بسبب عارضٍ ما فيظهـر كذب الشياطين. وهكذا يخبرون عن ماء النيل، لأ م متى عاينوا أنّ الأمطار كثيرة في بـلاد الحبشة يعرفون أنّ النهر سيفيض كثيرا، فيسبقون ويخبرون بذلك. وكما كان ديـدبان (أي رقيب) داود الملك يقف على أعلى موضع فينظر ما لم ينظره من هو تحته فيخبر بـه، هكـذا هؤلاء الأرجاس أيضا يفعلون ليضلوا الناس"[٧٩].

(١٩) مشـورة الآبـاء وطاعتهم

٦٤- تصدق رجل غني بماله واحتفظ ببعضه لقلّة إيمانه، وأتى إلى الأب أنطونيوس وسجد له قائلاً: "أعلمني كيف أخلص". فقال له الشيخ: "إن آثرت الخلاص بحقٍ فافعل ما أقوله لك: اذهب إلى القرية واشترِ لحما، وانزع ثوبك وعلق اللحم في رقبتك وتعال". فأطاع الأخ واشترى اللحم وخلع ثوبه وحمل اللحم على رقبته، فلم يبق طير

(٧٨) س ٤ ورقة ٩٠؛ Apoph., Ant., 15; W. & W., I: 229
(٧٩) س ٤ ص ١١٦؛ Apoph., Ant., 12 ; W. & W., II: 56

ولا كلب في تلك القرية إلاّ وهجم عليه و شه الطير وجرح جسمه. فلما وصل إلى القديس على هذا الحال قال له: "مرحبا بابن الطاعة! أعلمت يا بني لماذا قلت لك أن تفعل ذلك؟ لكي أعطيك مثالاً، فكثير من الناس إذا سمعوا الوصايا لا يحفظو ا، وآخرون ينسو ا لقلّة الحس، فلذلك أمرتك ذا ليكون لكلامي أثر بسبب ألم الجراح، لأنّ قليلي الحس لا تنفع معهم الوصية شيئًا، فلهذا يا بني أسست فيك موضعا ثابتا لوصيتي، فإذ قد تنقّى حقلك من شوك الغفلة فلنبذر فيك الزرع المقدس".

"أرأيت يا بني؟ كما شت الطيور والكلاب جسمك وجرحته، كذلك تنهش الشياطين وتجرح نفوس أصحاب القنية. فأوعِ الآن هذا الكلام في عقلك وتفكّر به كل أيام حياتك، وإياك يا ابني أن تتكل على المال بل اتكل على المسيح، فاذهب الآن يا بني وفرق ما أبقيت لنفسك من المال حتى تكون رهبانيتك يا حبيبي نقية من الغش، لأنه سيان عند الراهب إذا أبقى في قلايته دينارا أو شيطانا".

وبعد أن دعمه بالكلام أخذ زيتا وصلى عليه ودهنه، ولوقته شفي وكأنه لم يصب بجراح ولا ألم قط، وذهب وهو مسرور يسبح الله[٨٠].

٦٥- قيل إنّ اثنين من الإخوة كانا يعيشان في دير، وكان كلٌ منهما قد وصل إلى درجةٍ عاليةٍ في الحياة النسكية، فقد كرس أحدهما نفسه لحياةٍ صارمةٍ من إنكار الذات والفقر، وكان الآخر مطيعا ومتضعا. وإذ حدث نقاش بينهما أرادا أن يعرفا أي نوع من حيا ما هو الأعظم، فنـزلا في ر كانت فيه تماسيح كثيرة، فدخل الأخ الذي كانت له ملَكة الطاعة ووقف بين التماسيح فانحنت كلها له. ثم صاح مناديا زميله الذي كان إنسانا نائحا، فقال الأخير له: "اغفر لي يا أخي، فلم أبلغ بعد إلى درجة إيمانك هذه".

ولما رجعا إلى الدير سمع أنبا أنطونيوس (أب الدير) صوتا يقول لـه: "إنّ الإنسـان المطيع أفضل من ذاك الذي يعيش حياة فقر اختياري"[٨١].

٦٦- وقال أيضا: "ينبغي على الراهب الشاب أنه في كل خطوةٍ يخطوها في قلايته وكل نقطة ماء يشر ا يشاور الشيوخ، لأنني رأيت رهبانا كثيرين بعد تعبٍ كثير سقطوا في دهشة العقل والكبرياء والعجب بالنفس لأ م اتكلوا على معرفتهم وحدهم، إذ لم يصغوا إلى الوصية القائلة: «اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك» (تث٣٢: ٧)"[٨٢].

---

(٨٠) س ٤ ص ١٢٤ ؛ Apoph., Ant., 20 ; W. & W., I: 178

(81) Am., 22, 5; Anonyme, 161.

(٨٢) س ٤ ص ١١ ؛ س ٧ ورقة ٦٨؛ Apoph., Ant., 37 , 38

(٢٠) الاتضـ ـاع

٦٧- أبصر أنبا أنطونيوس فخاخ الشياطين مبسوطةً على الأرض كلها، فتنهد وقال: "يا رب من يفلت من هذه كلها"؟ فجاءه صوت من السماء قائلاً: "المتضعون يفلتون منها"[(٨٣)].

٦٨- سأل الإخوة شيخا بخصوص القول السابق قائلين: "كيف رأى هذا القديس فخاخ الشيطان، هل بطريقة محسوسة أم معقولة؟ ومن هم الذين قالوا له إنّ الاتضاع يخلص منها"؟

فأجاب الشيخ: "لقد رأى القديس أنبا مقار ما يشبه ذلك في البرية الداخلية من الأسقيط، فقد رأى شبه رجلين، الواحد عليه ثوب مثقّب وفيه أشياء ملونة والآخر يلبس ثوبا باليا مشبوكة به قوارير كثيرة، وكل واحدٍ منهما له أجنحةٌ كشبه غطاءٍ ملفوفٍ فيها، إلاّ أنه رأى ذلك بعين الجسد. أما القديس أنطونيوس فرأى بعين العقل جميع فخاخ الشيطان التي ينصبها للمتوحدين في كل حين ويكبلهم ويعوقهم عن السعي في طريق الفضيلة كما هو مكتوب: «في طريقي نصبوا لي فخاخا وحبالاً شبكوها في مسالكي» (مز١٤٠: ٥). فلما رآها منصوبةً كشبه الفخاخ التي ينصبها الصيادون للوحوش تعجب واحتار من كثر ا ومن أنّ الذين يسقطون فيها لا يخلصون، وهي مثل فخ الشره وامتلاء البطن، وفخ محبة الفضة، ومحبة الزنى، وا د الباطل والكبرياء ... وبقية الأوجاع التي أظهر ا له الملائكة. كما أظهروا له جميع الحيل والخداعات التي يخفون ا فخاخهم ويقيدون الإخوة ا".

"فلما تعجب واحتار من كل ذلك بكى وتنهد وقال: 'الويل لنا نحـ ـن المتوحـ ـدين، كيف نقدر أن نخلص من كل هذه ولا نكبل ا'؟! فقالت له الملائكة: 'الاتضاع يخلص منها كلها ولا يسقط فيها الذين اقتنوا الاتضاع'. وهم لا يقصدون الاتضاع وحده بـ ـل ومعه الجهاد والعمل، لأنّ العمل يشبه اللحم والاتضاع يشبه الملح، فإذا عدم اللحم الملح ينتن ويفسد، وإذا اجتمع العمل الجسدي والجهاد المخفى في الذهن الـ ـذي في الهـ ـدوء والصلاة بغير فتور والاتضاع الكامل، فهي معا تغلب جميع الأوجاع، وجميع الشياطين لا تصل إلى هؤلاء العمالين، كما قالت الملائكة للقديس أنطونيوس"[(٨٤)].

٦٩- في أحد الأيام جاء بعض الشيوخ لرؤية أنبا أنطونيوس وكان بينهم أنبا يوسف، وأراد الشيخ أن يمتحنهم فعرض عليهم نصا من الأسفار المقدسة، وسألهم مبتدئًا

(٨٣) س ٤ ص ١٣٨؛ Apoph., Ant., 7 ; W. & W., I: 453

(٨٤) س ٩ رقم ١٣٣ ص ٢١٨.

من الأصغر عن معنى هذا النص، فقال كل منهم رأيه حسب مقدرته، ولكنه قال لكل واحدٍ منهم: "أنت لم تفهمه". وأخيرا قال لأبا يوسف: "كيف تفسر هذا القول"؟ فأجاب: "لا أعرف". حينئذٍ قال أنبا أنطونيوس: "بالحقيقة إنّ أبا يوسف قد وجد الطريق (أي طريق الاتضاع وإنكار الذات) لأنه قال: 'لا أعرف'"[٨٥].

٧٠- كُشِف لأنبا أنطونيوس في البرية أنه كان هناك واحد مساويا له في المدينة، وكان هذا طبيبا ويعطي ما يكتسبه للفقراء والمعوزين ويقدس الله كل يوم، حيث يقضي النهار كله يرتل مع الملائكة الثلاثة تقديسات[٨٦].

٧١- قيل عن أنبا أنطونيوس إنه بينما كان يصلي في قلايته ذات مرةٍ سمع صوتا يقول له: "يا أنطونيوس، إنك لم تصل بعد إلى درجة رجلٍ يعمل خياطًا، وهو ساكن في الإسكندرية". فنهض أنطونيوس في الصباح وأخذ معه جريدة نخل وسافر إليه، فلما رآه الرجل اضطرب. فقال له الشيخ: "أخبرني ماذا تفعل وكيف تعيش"؟ فقال له الخياط: "أنا لا أعرف أنني أفعل أي صلاح، أعرف فقط أنني عندما أقوم في الصباح، قبل أن أجلس إلى عمل يدي أشكر الله وأسبحه، وأنا أضع أعمالي الشريرة نصب عيني قائلاً: 'كل الناس الذين في هذه المدينة سيدخلون ملكوت الله بسبب صدقا م وأعمالهم الصالحة ما عدا أنا فسأرث العقاب على خطاياي'. وأيضا في المساء قبل أن أنام أفعل نفس هذه الأمور".

فلما سمع أنبا أنطونيوس ذلك قال: "مثل الرجل الذي يعمل في الذهب ويعمل أشياء جميلة نظيفة وهو في سلام، هكذا أنت بأفكارك الجميلة سترث ملكوت الله، في حين أنني أنا الذي قضيت كل حياتي في البرية منعزلاً عن الناس لم يحدث أنني فُقت عليك إطلاقًا"[٨٧].

٧٢- سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا وجه الله أبانا أنطونيوس وآباء آخرين في هذا العالم إلى علمانيين من الرجال والنساء فرأوا فضيلتهم ومدحوهم"؟ **فأجاب الشيخ:** "من أجل اتضاع الآباء (أي لكي يتضعوا) وتعزية العلمانيين. فالآباء كانوا أغنياء بالأعمال والجهاد، وكانوا محتاجين إلى اتضاعٍ أكثر، والأفاضل الذين في العالم كانوا أغنياء بالاتضاع ومحتاجين إلى الشجاعة والتعزية، فأرسل الله عظماء قديسين إلى الأفاضل الذين في العالم حتى ينتفع كلا الطرفين ويكمل عو م: هؤلاء بالأعمال والاتضاع وأولئك بالرجاء والعزاء"[٨٨].

٧٣- سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا لما طلب بعض الآباء من الله أن يعرفهم بمن يشبههم من القديسين كان يقودهم إلى قوم محتقَرين في العالم كما قاد أنبا أنطونيوس إلى ذلك

(85) Apoph., Ant., 17 ; W. & W., I: 551. (86) Apoph., Ant., 24; W. & W., II: 3; Ch., 172.
(87) W. & W., II: 2. (٨٨) س ٩ جزء ٤ رقم ١٩٩ ص ٣٠٤.

الإسكافي وأنبا مقاريوس إلى تينك المرأتين وأنبا ببنودة (بفنوتيوس الصعيدي) إلى ذاك اللص صاحب المزمار ... وغيرهم"؟

فأجاب الشيخ: "إذا وصل الصديقون الكاملون إلى علو التدبير الممجد يمتلئ قلبهم نورا وفرحا بالله، وإذ تكون لهم دالّة عنده - كدالّة يوحنا الرسول التي جعلته يسأل الرب على مائدة العشاء الرباني عمن سيسلمه - كانوا يطلبون أن يكشف لهم إلى أية درجةٍ وصلوا ومن مِن القديسين تشبهوا ليكون لهم بذلك عزاء ويزدادون حرارةً في حب الله. والرب بحكمته وصلاحه لا يعطيهم طلبتهم إذ ليس لهم فيها ربح، بل كان يقودهم إلى قوم محتقَرين في العالم ذوي صلاح واتضاع، ولم يكن بقاؤهم في العالم ...واهم بل بحكم العادة أو مغصوبين أو عن ضرورةٍ، وذلك لثلاثة أسباب: **الأول:** لكي يتضعوا ولا يتكبروا، **والثاني:** لخلاص الذين قادهم إليهم، **والثالث:** لكي يعرف حينئذٍ أ ...م كاملون إذا اتفق مع برهم محقرة واتضاع وندم مثل الخطاة"[٨٩].

٧٤- وقال أنبا أنطونيوس أيضا: "اعتبر نفسك لا شيء، لأنّ عدم اعتبارك لنفسك هو دليل الاتضاع، والاتضاع يلد المعرفة، والمعرفة تلد الإيمان، والإيمان يلد الطاعة لله، والطاعة لله تلد المحبة الأخوية"[٩٠].

٧٥- سأل إخوة شيخا: "قال أنبا أنطونيوس إنّ الاتضاع هو أن لا يجازي الإنسان الشر بالشر، وإن كان لم يصل إلى هذه الدرجة فليحفظ السكوت والهدوء، فكيف من الهدوء يصل الإنسان إلى هذه الدرجة"؟

فقال الشيخ: "عندما ينظر الإنسان في الهدوء إلى المسيح مصلوبا ممن قد أحسن إليهم ويرى نفسه مصلوبا معه ممن أحسن هو إليهم فهو يسأل الصفح عنهم، فقد تشبه به الشهيد إسطفانوس في ذلك، فصار المسيح مثالاً لنا في الصبر. وكما علّمنا القديس بولس الرسول فلننظر يا إخوة إلى صليب ربنا لنرى كم صبر من أجل الخطاة. ولا تملوا ولا تنحلّ نفوسكم من الصبر والضيق والشتيمة والموت من أجل حبه، واطلبوا بالصلاة الغفران لمن يضايقكم كما طلب ربنا عن صالبيه، وكما طلب إسطفانوس عن راجميه، فما دام الأخ يقتدي به في ذلك مع العمل بجميع الوصايا فهو يتضع ويقوى على كل الأوجاع، ليس بالصبر على الشتم بغير مجازاة فحسب، بل يفرح بذلك كثيرا ويكمل كل الفضائل"[٩١].

٧٦- قال شيخ[٩٢]: "إذا لم يأتِ علينا قتالٌ فعلينا أن نتضع جدا عالمين أنّ الله لمعرفتـه

(٨٩) س ٩ جزء ٣ رقم ٢٧ ص ٦٩.
(90) Am., 32,9.
(٩١) س ٩ رقم ٣٠ ص ١٠٨.
(٩٢) ذكرت مخطوطة س ٩ في القول التالي أنه أنبا أنطونيوس.

بضعفنا رفع عنا القتال، ولكن إن افتخرنا يرفع عنا ستره (أي معونته) فنهلك"[٩٣].

٧٧- سأل إخوةٌ شيخا: "قال أنبا أنطونيوس: 'إذا كنا بغير قتالٍ ينبغي أن نخاف كثيرا ونتضع قدام الله، وهو يعرف ضعفنا ويظلل علينا بيمينه ويحرسنا، وإن تكبرنا فهو يرفع عنا ظلّه فنهلك'. فسر لنا ذلك". **فأجاب الشيخ:** "يوجد وقت علينا أن نتضع فيه، في زمان الشدة والضيق والقتال وفي زمان الهدوء والسلامة، لأننا نحن في كل حين محتاجون إلى الله، ففي زمان القتال يعطينا العون ويقوينا على العمل بالصبر، وفي زمان السلامة والراحة يحفظنا من الكبرياء ويثبتنا بغير سقوط لئلاّ نتحلّ وننساه، فهو لا يشاء أن نكون كل حين في الضيق. أما إن كنا في زمان الضيق والقتال نتضع من أجل الخوف والصعوبة، وفي زمان الراحة والأمن ننساه ونتكبر فإنه يرفع عنا عونه و نهلك في السقوط وقطع الرجاء، فإذًا لا يوجد وقت إلاّ ونحن محتاجون فيه إلى الاتضاع في كل حين وفي كل مكان وكل فعل"[٩٤].

٧٨ - وقال أنبا أنطونيوس: "إنّ جميع القديسين من بعد الله يأتون إلى المسكنة التي هي اتضاعهم ويرتفعون بالمجد والكرامة وينسون سيرتهم الأولى، لكن علامة اتضاعهم هي مسكنتهم أمامهم في كل حين، ونحن أيضا فلنكن هكذا ونميز الكتب ونذكر كل ما يقرأ فيها".

"بالحقيقة، يا أولادي، إننا إذا أعطينا كل قوتنا أن نطلب الله ونسأله فليس لنا في ذلك فضلٌ، لأنّ كل إنسان يطلب الله ويسأله فهذه هي طبيعة جوهره أن يسأله، وكل خطية يفكر فيها الإنسان هي غريبة عنه وليست هي في طبيعة جوهرنا".

"بالحقيقة، يا أحبائي في الرب، أيها الذين أعدوا ذواتهم أن يرفعوها قرابين لله بكل طهارة، بالحق إنني لم أخفِ عنكم ما ينفعكم، لكن الأمور التي رأيتها أشهد لكم بها: أنّ المضاد للفضيلة يظل بعيدا عن الحق في كل حين، وكل الذين يحبون أن يحيوا بالعبادة ليسوع المسيح يضطهدون، ولكن روح الله لا يدخل في الضعيف النفس ولا في جسدٍ مملوءٍ من الخطية".

"اصنع لك صبرا كما علمت من الشهداء وجهادهم، ونحن لا نرضى أن نشهد سريرتنا علينا. فلتكن نفسك عندك أفضل من كل شيء وأنت تدرك رتب الفضيلة بلا تعبٍ، لأن كل ما في العالم يفنى، أما النفس فهي غير بالية"[٩٥].

٧٩ - قال بالليديوس: "سألني مرةً القديس ديديموس (الضرير) أن أقدم صلاةً في

---

(٩٣) س ٤ ص ١١٤؛ W. & W., I: 519 (٩٤) س ٩ جزء ٤ رقم ١٣٥ ص ٢٢٢. (٩٥) م ٤١.

حجرته ولم أُذعن، فروى لي هذه القصة: 'دخل المغبوط أنطونيوس هذه الحجرة عندما زارني للمرة الثالثة[٩٦]، ولما طلبت منه أن يصلي ركع في الحال ليصلي ولم يضطرني أن أعيد دعوتي له، معطيا لي بذلك مثالاً للطاعة بخضوعه'. ثم أكمل ديديموس قائلاً: 'فإذا كنت تسير على نفس خطوات حياته فألْقِ عنك روح الجدل'"[٩٧].

٨٠ - **قيل إنّ أخا كان مقهورا من الغضب** ذهب مرةً لزيارة أنبا أنطونيوس، ولما انتهوا من الخدمة (أي الصلاة العامة) أراد أنبا أنطونيوس أن يمتحنه ليرى ما إذا كان قد غلب وجع الغضب، فقال له: "ا ض واتلُ شيئًا مما حفظته". فلما وقف الأخ قال للشيخ: "في أيهما تريد أن أتأمل، في العهد القديم أم في الجديد"؟ فلما سمع أنبا أنطونيوس هذا الكلام قال له: "اجلس، فالمتكبر لا يمكن شفاؤه"، فلما جلس الأخ قال له الشيخ: "أنا أقصد أن أقول: ا ض، تأمل قليلاً فيما حفظته". ولما ض الأخ قال للشيخ: "أتريد أن أفعل ذلك في العهد القديم أم الجديد"؟ فقال له الشيخ: "اجلس أيها المتكبر للغاية". وجلس الأخ مرةً أخرى. فقال له الشيخ: "ا ض وتأمل قليلاً فيما حفظته". فقال له الأخ مرةً أخرى: "أفعل ذلك في العهد القديم أم في العهد الجديد"؟ فقال له الشيخ: "في الحقيقة يا ابني إنك كاملٌ في كلا العهدين القديم والجديد، فقُل ما تريد"[٩٨]!

(٢١) المعونة التي تحيط بالرهبان

٨١- **قال أنبا أنطونيوس:** "توسلت إلى الله مرةً أن يدلّني على المعونة التي تحيط بالرهبان، ثم توسلت مرةً ثانيةً فرأيت مصابيح من نار محيطة بالرهبان وجموع من الملائكة بأيديهم سيوف ملتهبة يحرسو م مثل إنسان العين، وسمعت صوت الله القدوس يقول: 'لا تتركوهم ما داموا مستقيمي الطريق'".

"فلما رأيت مثل هذه المعونة تنهدت قائلاً: 'الويل لك يا أنطونيوس! لقد منحك الله هذه المعونة العظيمة وأنت متوانٍ في كل وقت! كل هذا العون محيط بالرهبان والشياطين تقوى عليهم'؟! فجاءني صوت الرب قائلاً: 'لا تقوى الشياطين على أحدٍ، لأني منذ أن تجسدت سحقت قو م عن البشر، ولكن كل إنسان يميل إلى الشهوات ويتوانى عن خلاصه فإنّ شهوته هي التي تصرعه وتجعله يسقط'. فصحت وقلت: طوبى لجنس البشر ولا سيما الرهبان لأنّ لنا سيدا هكذا رحوما ومحبا للبشر"[٩٩].

---

(٩٦) أغلب الظن أن زيارة أنبا أنطونيوس هذه للإسكندرية كانت لكي يثبت المؤمنين ضد البدعة الأريوسية، وذلك استجابةً لدعوة البابا القديس أثناسيوس له.

(97) Laus.,4, 3.

(98) Am., 21, 3.

(٩٩) س ٤ ص ١٣٨؛ Am., 44: 3, 10.

(٢٢) السكنى في البريـــة

٨٢ - قال أنبا أنطونيوس: "الذي يسكن في البرية قد أراح نفسه من ثلاث حروب: السمع، والوقيعة، والنظر إلى ما يجرح القلب"[١٠٠].

٨٣ - وقال أيضا: "كنت أريد مرةً أن أذهب لأمكث قرب الريف الجنوبي، فأعاقني شيءٌ ما قائلاً لي: 'لا تذهب بل توجه إلى الجبل (أي داخل البرية)، ففي العالم توجد ثلاثة أمور تحارب الإنسان غير موجودة في البرية هي: العين واللسان والأذن، أما في البرية فلا يوجد سوى القلب وحده الذي يحارب نفس الإنسان'، وهذا الواحد أليس هو أفضل من أربعة (أي الثلاثة المذكورة بالإضافة إلى القلب)"[١٠١]؟!

٨٤ - من تفسير البراديسوس: سأل الإخوة شيخا قائلين: "ما معنى قول العظيم أنطونيوس إنّ الذي يجلس في البرية يخلص من ثلاث حروب: النظر والسمع والكلام، وتبقى معه حرب القلب فقط"؟

قال الشيخ: "إنّ القتال الذي يكون في الهدوء ليس هو بأقل من الذي يكون مع الإخوة الطائشين من النظر والسمع والكلام، بل إنّ الذين في الهدوء يكون قتال القلب لهم أكثر من القتال عند غيرهم من النظر وبقية الحواس. وكان الآباء يهربون إلى الهدوء لئلاّ تزاد عليهم حروب الحواس مع حروب القلب، وكما أنّ الإخوة الذين يدخلون ويخرجون إذا ازداد عليهم قتال القلب مع القتال الذي من الحواس يسقطون بسرعة، لذلك فالمتوحدون الذين في الهدوء ومعهم قتال القلب إن كان يضاف إليه قتال الحواس فسقوطهم سهل كما حدث لبعض الإخوة الذين في الهدوء، ولما دخلت عندهم نساء وازدادوا من نظر الجسد والوجوه غُلِبوا بسرعةٍ مع صعوبة حرب القلب فسقطوا".

"إذن، فالقتال الذي يكون مع الذين في الهدوء في القلب من جهة حواس الجسد صعب هو وقوي، لأن الذين في الهدوء يقاتلهم الشيطان بلا واسطة والذين في ا مع يكملون الفضيلة ويحاربون بواسطة الإخوة الذين يثيرهم الشيطان عليهم. لذلك فليس أمر ولا أصعب ولا أكثر مكرا من قتال القلب الذي مع المتوحد، وهو أقل كثيرا من القتال الذي من الحواس"[١٠٢].

٨٥ - ذهب أحد الحكماء إلى القديس أنطونيوس وقال له: "كيف أنت ثابت في هذه البرية وليس عندك كتب تتعزى ا"؟ فأجابه قائلاً: "أيها الحكيم، إنّ كتبي هي شكل الذين كانوا قبلي وطبيعة الأشياء المخلوقة، أما إذا أردت أن أقرأ ففي كلام الله قرأت"[١٠٣].

---

(١٠٠) س ٤ ورقة ١٤٦; Apoph. Ant., 11; W. & W., I: 46.

(101) Am., 36, 10.

(١٠٢) س ٩ رقم ٢٨ ص ١٠٧.

(103) س ٤ ورقة ٦٤; D. F., p. 128: XVI.

(٢٣) الصـ ـ ـ ـلاة

٨٦ - قال أخ لأنبا أنطونيوس: "صل من أجلي". فقال له الشيخ: "أنا لن أرحمك ولا حتى الله سيرحمك إن لم تجاهد أنت نفسك وتصلّي إلى الله"[١٠٤].

٨٧ - سأل أخ أنبا بيمين قائلاً: "هل توجد منفعة (للآخرين) من الصلاة"؟ فقال له الشيخ: "إنّ أنبا أنطونيوس قال: 'هذه الكلمة خرجت من فم الرب الذي قال: «عزوا عزوا شعبي»' (إش٤٠: ١)"[١٠٥].

٨٨ - قال القديس سيرينوس: "اثنان من الفلاسفة كانا يستعملان السحر، فاحتقرا القديس أنطونيوس إذ اعتبراه ريفيا ساذجا فقيرا، وفكّرا في أ ما إن لم يستطيعا أن يؤذياه بسحرهما فعلى الأقل أن يدفعاه بخداع ومشورة الشياطين إلى ترك قلايته، وذلك بسبب حسدهما له لأجل الجماهير التي كانت تذهب إليه لتتعلم منه كخادمٍ لله ولكي يشفي أمراضهم ويفك ضيقا م.

فسلطا عليه أرواحا شريرة لتهاجمه، ولما لم تجرؤ تلك الأرواح الشرسة أن تقترب منه لأنه كان يرشم نفسه بعلامة الصليب تارةً ويعطي نفسه للصلاة والتوسل تارةً أخرى، فقد رجعت إلى اللذين أرسلاها بلا نتيجة. فأرسل الفيلسوفان أرواحا أخرى أشر، ولما استنفدت هذه أيضا قو ا بلا طائل ورجعت دون أن تفعل شيئًا، أرسلا مرةً ثالثةً أرواحا أقوى من السابقة على جندي المسيح المنتصر ولم تستطع أي شيء ضده، بل إنّ كل هذه الشراك مع كل فنون السحر أظهرت القيمة العظيمة لإيمان المسيحيين، إذ إنّ كل قوات الظلمة الشرسة هذه التي ظن الفلاسفة أ ا يمكنها أن تحجب نور الشمس والقمر إذا وجهت نحوهما لم تستطع أن تضر القديس بل ولا حتى أن تجره لحظةً واحدةً خارج قلايته.

ولما اندهش الفيلسوفان جدا من ذلك ذهبا في الحال إلى القديس وكشفا له عن هجما ما ومؤامرا ما عليه وسببها، ثم تظاهرا بغير ما وطلبا أن يصيرا مسيحيين. ولما سألهما القديس عن اليوم الذي فعلا فيه ذلك صرح لهما بأنه قاسى في ذلك اليوم من أمر اضطرابات الفكر في حياته.

و ذه الخبرة أثبت أنبا أنطونيوس ووضع أساس هذا المبدأ: [إنّ الشياطين لا يمكنها أن تجد مدخلاً إلى فكر أو جسد إنسان ولا هي لها مقدرة على أن تغمر نفس إنسان إلاّ إذا جرد ا من جميع الأفكار المقدسة وجعلتها فارغةً وخاليةً من التأمل الروحاني**]**[١٠٦]**.**

---

(104) Apoph., Ant., 16; W. & W., II: 114.
(105) Apoph., Poemen, 87.
(106) J. Cass., Conf., VIII. Ch. 18, 19.

٨٩ - قال الأب إسحق في **حديثه مع كاسيان:** "لكي يمكنك أن تعرف ميزات الصلاة الحقيقية فأنا أخبرك عن المغبوط أنطونيوس: لقد عرفناه رجلاً مثابرا على الصلاة حتى إنه كثيرا عندما كان عقله يختطف في الصلاة وتشرق عليه الشمس، كنا نسمعه في حدة وحرارة روحه يقول: 'لماذا تعوقينني أيتها الشمس التي أشرقتِ لكي تحرميني من بريق النور الحقيقي'؟

كما أنه نطق بقولٍ سماوي وليس بشري عن هدف الصلاة قائلاً: 'هذه ليست صلاة كاملة: أنّ الراهب يدرك نفسه أثناء الصلاة ويفهم معاني كلماته التي يصلي بها'"[١٠٧].

التجـارب والأحـزان

٩٠ - وقال أنبا أنطونيوس: "من لم يختبر بالتجارب لا يستطيع أن يدخل ملكوت السموات". وأضاف قائلاً: "بدون تجارب لا يمكن أن يخلص أحد"[١٠٨].

٩١ - قال أنبا أنطونيوس: "إنّ الله لا يسمح بنفس الحروب والتجارب لهذا الجيل كما فعل مع السابقين، لأن الناس الآن أضعف ولا يمكنهم أن يحتملوا كثيرا"[١٠٩].

٩٢ - سأل الإخوة القديس فيلوكسينوس قائلين: "سئل أحد القديسين: 'أترى كانت الشياطين تحارب مع الأولين كما تفعل الآن'؟ فقال الشيخ: 'إنّ الشيطان يقاتل الآن أكثر لأن زمانه قد قرب وهو قلق'. إلاّ أنّ أنبا أنطونيوس قال: 'إنّ الله لا يدع الشيطان يأتي بـالحروب الصعبة على هذا الجيل لأنه ضعيف'. وقال أيضا أحد الآباء: 'إنّ الجيل الأخير لا يفعل شـيئًا وهو مزمع أن تأتي عليه تجارب كثيرة، ولكن المختبرين منهم سيكونون أعظم منا ومن آبائنا'. فسر لنا ذلك".

فأجاب الشيخ: "الأولون هم الأنبياء والصديقون في العهد القديم والرسل والآبـاء الذين بعدهم، ولما جاء المسيح ربنا انكشفت فضيحة الشيطان وانقطع رجاؤه، فلكثـرة غيظه وحزنه يقلق ويقاتل كثيرا ويضيق على القديسين. أما قول أنبا أنطونيوس فمعناه أنّ الله يشفق على هذا الجيل فلا يدع الشياطين يضيقون عليهم كثيرا من أجل ضعفهم، وهو يقصد جيلنا لأنه تنبأ بذلك علينا لأننا ناقصون في حرارة الحب ومحبة الأعمال، ولأجـل انحلالنا وضعفنا فهم يقاتلوننا قليلاً.

أما الجيل الأخير الذي قال إنه ليست له أعمال البتة من أجل كثرة التجارب التي تأتي عليهم، فهو الجيل الذي يكون في زمان «ابن الهلاك» (٢تس٢: ٣)، يقصد أنّ المـجربين فيه - كما قال الآباء - سيكونون أعظم منا ومن آبائنا، وهم المجاهدون الذين سيكونون

---

(107) Ibid., IX, ch. 31. (108) Apoph., Ant., 5. (109) Apoph., Ant., 23; W. & W., II: 245.

ثابتين في ذلك الجيل، والكتاب الإلهي يدعوهم "مختارين""[١١٠].

٩٣- قال شيخ[١١١]: "قلاية الراهب هي أتون بابل حيث يبصر مع الثلاثة فتية ابن الله، وهي أيضا عامود النار والسحابة التي منها كلم الله موسى"[١١٢].

٩٤- سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فأجاب الشيخ: "كما أنّ النار لها خاصيتان: إحداهما الحرارة والإحراق والأخرى النور والبهجة؛ هكذا المكوث في القلاية فيه أمران: الأول يشعل نارا والآخر يعطي نورا وفرحا. للمبتدئين القلاية ثقيلة الوطأة ومضجرة بسبب الحروب الكثيرة والاكتئاب الذي فيها، ولكنها تبهج الكاملين الذين اجتازوا الأوجاع (أي شهوات النفس)، وتجعلهم فرحين بنقاوة القلب ورؤى النور.

المبتدئون في حياة التأمل الهادئ، رغم أنهم في البداية يعانون لوقتٍ ما من حروب الأوجاع ومن الشياطين، فهم لا يرفَضون إطلاقًا من العناية الإلهية. وإذا جاهدوا وثابروا حتى يغلبوا الأوجاع والشياطين بتدبيرٍ محكمٍ تدركهم معونة النعمة كما أدركت الثلاثة فتية، لأنّ ربنا نفسه ابن الله يسوع المسيح يأتي إليهم سرا ويصير لهم معينا وشريكًا حتى يغلبوا الأوجاع وينصرف عنهم القتال، فيجعلهم مستحقين للسعادة التي في حبه الكامل ورؤية نور مجده"[١١٣].

المحبة

٩٥- سئل القديس أنطونيوس عن معنى القول: «تحب قريبك كنفسك»، فأجاب: "إنّ حياة الإنسان وموته هي متعلّقة بقريبه، فإذا أحسنا إلى أخينا فنحن ننتفع ونربح أنفسنا، وإذا أغضبناه فنحن إنما نسيء إلى الله"[١١٤].

(٢٦) الإرشاد السماوي للقديسين

٩٦- جاء الإخوة إلى أنبا أنطونيوس وسألوه عن مقطع في سفر اللاويين، فخرج الشيخ إلى البرية وتبعه أنبا أمونياس[١١٥] سرا لأنه علم أنّ هذه كانت عادته. وابتعد أنبا أنطونيوس كثيرا ووقف هناك مصليا وصرخ بصوتٍ عالٍ: "يا إلهِ أرسل موسى لكي يفهمني هذا القول". فجاء حينئذ صوت وتكلم معه. وقال أنبا أمونياس إنه رغم أنه سمع الصوت يتكلم معه ولكنه لم يستطع أن يفهم ما قيل[١١٦].

---

(١١٠) س ٩ جزء ٤ رقم ٢٣٩ ص ٣٥٠. (١١١) هو أنبا أنطونيوس في بعض المراجع.

(112) W. & W., I: 54; س ٤ ورقة ١٤٩ (113) W.& W.,II:667; س٩ رقم ٢٩ ص ١٠٨

(114) Apoph., Ant., 9; W. & W., II: 33; "ناسك"، ص ٢٩

(١١٥) في الفرنسي "أموناس"، وفي الإنجليزي "Abba Ammon"، وهو غالباً أنبا أمون الذي من نتريا لأنه اعتاد أن يزور أنبا أنطونيوس.

(116) Apoph., Ant., 26; W. & W., II: 39.

٩٧- سأل الإخوة القديس فيلوكسينوس بخصوص هذا القول السابق قائلين: "هل جاء موسى من الفردوس وعرف أنبا أنطونيوس معنى الآية أم أنّ ملاكًا شرحها له"؟ فأجاب الشيخ: "إنّ كل ما قيل في كتب القديسين صحيح وليس فيه كذب معاذ الله، لأنه قيل من آباء صديقين ويجب أن يصدق. إنه لا يشبه الكتب الخرافية، ولكن ليس للإنسان أن يعرفه أو يفهمه ما خلا الروحانيين، أما الذي لا يزال نفسانيا فلا يقبله بعقله".

"وكل المناظر الروحانية هي من عمل الروح القدس، والكنيسة تقبل ذلك، والأنبياء والرسل والقديسون الكاملون يرسلون أحيانا من الفردوس إلى القديسين على الأرض لكرامتهم، ويظهرون لهم في الرؤى ويتكلمون معهم عند نياحتهم لأجل كرامتهم. كما أنّ الملائكة يرسلون إلى الأبرار الذين يستحقون إرث الحياة، كذلك الأنبياء والرسل والقديسون يرسلون إلى القديسين (الذين على الأرض) من أجل برهم".

"وكما قال الطوباوي يوحنا ذهبي الفم في تفسيره لإنجيل لوقا: [ليس القديسون الذين في هذه الدنيا هم فقط الذين يرسلون للخدمة من أجل خلاص الخطاة بإرادة الله مخلص الكل، بل أيضا بعد انتقالهم من هنا يكملون هذه الخدمة علانيةً، وكما أن القديسين الكاملين يخطَفون إلى الفردوس بعقولهم وهم بعد في الجسد؛ هكذا يأتون في أوقاتٍ كثيرةٍ من الفردوس بأنفسهم إلى القديسين الذين هنا لكرامتهم]".

"ولذلك أُرسِل النبي موسى العظيم إلى أنبا أنطونيوس ليشرح له ذلك القول من سفر اللاويين"(١١٧).

٩٨- قال البعض عن القديس أنطونيوس إنه كان مولود الروح، أي أنه محمولٌ بالروح القدس، ولكنه لم يتكلم عن ذلك إطلاقًا مع الناس. وكان يرى ما يحدث في العالم تماما كما يعرف أيضا ما هو مزمع أن يحدث(١١٨). وفي مرةٍ رأى نفس الطوباوي آمون مأخوذةً إلى السماء بيد ملائكة رغم أنه كان يبعد عنه بمسافة عشر مراحل (سفر ثلاثة عشر يوما حسب كتاب "حياة أنطونيوس بقلم أثناسيوس")(١١٩).

٩٩- قال أنبا أنطونيوس: "لقد رأيت روح الله حالا على هؤلاء الثلاثة في هذا العالم: على أنبا أثناسيوس وأعطاه الرئاسة الأسقفية، وعلى أنبا مقار وأعطاه نعمة شفاء المرضى، وعلى أنبا بامو وأعطاه خدمة التدبير (الإيكونومية: أي التدبير الرهباني)"(١٢٠).

---

(١١٧) س ٩ جزء ٤ رقم ٢٠٩ ص ٣١٥.
(118) Apoph., Ant., 30.
(119) W. & W.,II: 472; "حياة" رقم ٦٠
(120) Am., 27, 14.

١٠٠- أخبروا عن القديس أنطونيوس أنّ ملك الإفرنج كان له ولد كان وارثًا للمُلك بعده، فأصابه جنونٌ وصرع، فجمع كل علماء بلاده ولم يقدر واحد منهم أن يعينه أو يشفيه.

ثم سمع عن القديس أنطونيوس الصعيدي، فأرسل إليه رسله ـدايا جليلة، ولما وصلوا إليه لم يشأ أن يقبل شيئًا من الهدايا أو يفرح بالسمعة، وكان يكلّمهم بواسطة ترجمان. ثم قال لتلميذه أبا بولس[١٢١]: "بماذا تشير علي يا ابني هل أذهب أم أبقى"؟ فقال له: "يا أبي، إن بقيت فأنت أنطونيوس، وإن ذهبت فأنت أنطونه"[١٢٢]. وكان التلميذ يحبه ولا يشاء أن يفارقه. فقال له القديس: "وأنا أريد أن أكون أنطونه".

وفي تلك الليلة أقاموا صلاةً في الدير، وذهب القديس إلى بلاد الإفرنج[١٢٣]، وحملته سحابةٌ بقوة الرب يسوع المسيح. ودخل مدينة الملك وجلس على باب دار الوزير كمثل راهب غريب. ولما عبر وزير الملك - وكان الليل قد حل - أمره الوزير بالدخول إلى م له. وبينما هم على المائدة إذ بخ يرة في بيت الوزير كان لها صغار عمياء وأحدها أعرج، فأحضر ا وألقتها بين يدي القديس الذي خاطب الوزير قائلاً: "لئلاّ تظن أن الملك وحده هو الذي يريد شفاء ابنه"! ثم صلب على صغار الخ يرة وبصق على عيون العمياء منها وأبرأها، فدهِش القوم جدا وصاروا كأ م أموات.

وصل الخبر إلى الملك فأحضره للوقت وأبرأ ابنه وقال: "أيها الملك، بلغني أنك أرسلت إلى أنطونه المصري وأنفقت مالك وأتعبت رسلك، ولأجل هذا أرسلني الله إليك". ثم ودعه وانصرف إلى ديره .. وفي اليوم التالي تقابل معه رسل الملك وطلبوا منه الذهاب معهم لشفاء ابن الملك، فقال لهم: "اسبقوني وأنا حاضر خلفكم". فرجعوا واثقين من كلامه، وقاسوا في عود م شدائد كثيرة من متاعب البحر وأهوال السفر، وعند وصولهم سمعوا بشفاء ابن الملك وأنّ قديسا آخر قد أبرأه.

وهكذا قصد القديس أنطونيوس أن ينفي عن نفسه الفخر والعظمة، ولكن السيد المسيح لم يشأ أن يخفي فضائله، وتحققت أخباره في بلاد الإفرنج. وقد تعجب الرسل جدا كيف حضر القديس من بلاده إلى بلادهم في ليلةٍ واحدةٍ وتكلم بلسا م، وفي اليوم التالي كان عندهم، فمجدوا الله كثيرا[١٢٤].

---

(١٢١) ربما يكون هو القديس بولس البسيط. (١٢٢) أي أنه لن يتغير فيك شيء سوى نطق الناس لاسمك، لأنّ "أنطونه" هو الاسم القبطي. (١٢٣) جاءت هذه الكلمة في المخطوطات "الأنكبرد".

(124) Apoph., Ant., 31; بستان الرهبان طبعة بني سويف، عن المخطوطات

(٢٧) بدء الجهاد من جديد كل يوم

١٠١- قال أنبا أنطونيوس: "إنه لا يوافقنا أن نتذكر الزمن الذي مضى، بل ليكن الإنسان كأنه يبدأ جهاده كل يوم حتى يتحول الضجر المفرط لفائدتنا. وليقل كما قال بولس الرسول: «أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام» (في٣: ١٣). وليذكر أيضا كلمة إيليا النبي الذي قال: «حي هو الرب الذي وقفت أمامه اليوم» (١مل١٧: ١)"[(١٢٥)].

(٢٨) إنكار الذات

١٠٢- كان المغبوط أنطونيوس لا يعتبر صنعه لما يوافقه أمرا سليما بنفس الدرجة التي فيها يصنع ما هو نافع لقريبه[(١٢٦)].

(٢٩) التوبة

١٠٣- اعتاد أنبا أنطونيوس أن يقول: "كثيرون يسقطون وينهضون ويصلون إلى درجةٍ من الاستقامة. ولكن البعض يسقطون من أعمالٍ صالحةٍ إلى أمور دنسة، فالذي يسقط ثم ينهض أفضل من الذي ينهض ثم يسقط"[(١٢٧)].

(٣٠) حب الله

١٠٤- ذهب أنبا آمون الذي من نتريا إلى أنبا أنطونيوس وقال له: "أنا أرى أنّ أعمالي أعظم من أعمالك، فكيف يكون إذًا اسمك معروفًا بين الناس أكثر من اسمي"؟ فقال له أنبا أنطونيوس: "لأنني أحب الله أكثر منك" [(١٢٨)].

١٠٥- سأل إخوة شيخا عن معنى القول السابق، فأجاب الشيخ: "هذان الأبوان قد سبقا كثيرين في تدبير الوحدة والسكنى في البرية، فأرادا الحديث مع بعضهما بخصوص ذلك وأن يكشفا لجميع المتوحدين أن تدبير الذهن يصعد بعقل المتوحد إلى علو حب الله، لأن الأعمال الجسدية تعتق المتوحد من أوجاع الجسد وتثبته في الفضيلة وتقويه على رفض الشهوات وتكسِبه طهارة الجسد، وجهاد الفكر يقوي العقل على الشياطين وعلى أفكارهم ويكسِب طهارة القلب التي تقوي الحب وتجعل الإنسان مستحقًا للتدبير الروحاني، وإلاّ لمَا افتخر أنبا آمون بأعماله وأنبا أنطونيوس بحبه".

"وليس كل من هو فاضلٌ بحب ربنا لا بد أن يشيع خبره بين الناس، فأنبا بولا أول

(125) W. & W., I: 384 , 385.
(126) W. & W., I: 404; Apoph., John the eunuch, 2.
(127) W. & W., I: 607.
(128)Apoph., Amoun, 1 ;W. & W., II: 179.

السواح وبكر المتوحدين الذي سماه أنبا أنطونيوس مرةً: ’إيليا النبي‘، ومرةً أخرى: ’يوحنا المعمدان‘، ومرةً ثالثة: ’بولس الرسول‘؛ لم يكن معروفًا بين الناس كل أيام حياته. وإنمـا أراد القديسان أنطونيوس وآمون أن يعلمانا أيما تدبير هو الأعلى من الآخر: الجسداني أم النفساني الذي هو جهاد الذهن الخفي الذي هو الصلاة بغير فتور وذكر الله الذي بعد أن يكتمل يرتفع عقل المتوحد إلى التدبير الروحاني الذي هو الصلاة الروحانيـة وتاوريـة عجائب الله له ا د"[١٢٩].

١٠٦- قال أنبا أنطونيوس: "إذا أحب أحد المسيح من كل قلبه وكل قدرته فإنه يثمـر مخافةً لله، والمخافة تلد الدموع، والدموع تلد الفرح الروحاني، والفرح الروحاني يلـد الحيـاة الملائكية، والحياة الملائكية تلد قوة العزاء. إنّ النفس تنال التبرير لكي تعطي ثمارا لذيـذة. وإذا رأى المسيح - الذي يحصن النفس - شجاعة الإنسان وصبره في كل شيء، فهو يقبلـه بفرح، وهكذا تكون النفس في غبطةٍ سماويةٍ في مواضع الراحة التي لا تنتهي أبدا"[١٣٠].

(٣١) ا ـد الباطـل

١٠٧- وكان الشيخ أنطونيوس يقول أيضا: "إن لم يضع بائع الخبز غطاءً علـى عيني دابته فهي تدور برأسها وتلتهم الخبز، وهكذا نحن أيضا قد استلمنا غطاءً من صـنع الله وذلك لكي نعمل قبل كل شيء أعمالاً صالحةً دون أن نراها حتى لا ننسب الفضـل لأنفسنا ونخسر بذلك الأجر عن أعمالنا. لذلك فنحن نترك من وقتٍ لآخر لأفكار نجسة فنراها هي فقط لكي ندين أنفسنا، وتصير تلك الأفكار البذيئة غطاءً على الأمور الصالحة القليلة التي نتممها، لأنه عندما يلوم الإنسان نفسه فلن يخسر أجره"[١٣١].

١٠٨- سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، **فأجاب الشيخ:** "جميع القديسين لا يرون أ م يستحقون موهبة الرؤى ولا يرون الخير الذي يفعلونه والمواعيد المعدة لهم روحانيا حتى ولو كانت لهم أعمال وفضائل كثيرة، ليس لأن الله لا يفرح بفضائلهم ونشاط أعمالهم، حاشاه أن ينقِص شيئًا من النصيب الصالح المحفوظ لهم، بل لئلاّ يتكبروا و لك فضائلهم كلها ويحرموا من الخير المعد المحفوظ لهم ويتغربوا من نعيم الله. لذلك فالشياطين تتـردد علـيهم أحيانا لكي يؤدبوا إما بأفكار رديئة أو بالخوف أو بغير ذلك حتى يعرفوا ضعفهم ويصـيروا دائما في خوفٍ ما داموا في هذا العالم الذي فيه تتقلّب حيا م بين الميول الرديئة والهذيـذ في الخير، وعندما يرون نقصهم وعجزهم يتضعون ولا تفسد فضائلهم فينالون الفرح المضاعف مع ربنا يسوع المسيح في ملكوت السماء بغير انقضاء".

---

(١٢٩) س ٩ جزء ٤ رقم ٢٣٢ ص ٣٤٢.

(130) Am., 25, 7.

(131) W. & W., II: 238.

"هكذا فسر لنا الآباء ما قيل في إنجيل القديس لوقا عن الفريسي والعشار أنّ الاتضاع خير عظيم، وأنّ الافتخار يفسِد النفس ويهلِك الفضيلة. أما الساقطون في الخطايا فتأتيهم معونةٌ عظيمةٌ ليشعروا بضعفهم عندما خدِعوا فيتضعوا. لأنّ الفضائل الكثيرة يمكنـها أن تولد الكبرياء في النفس بالتدريج حتى يتخلى الله عن الإنسان فيهلك".

"إذن، فالأفضل لنا أن نعرف ضعفنا من حركة الجسد الطبيعية والأفكـار القبيحـة للنفس التي تقودنا إلى النجاسة، فنهتم دائما بتنقية نفوسنا. ولكـن بغـير معونـة الله لا يستطيع الإنسان أن يكون طاهرا من الخطايا ولا أن يكمل الفضائل كما ينبغي. والذين يشعرون بذلك يطلبون من الله كل حين باتضاع ضميرهم، وهم ينتظـرون أن يأخـذوا عوض الخير الذي اقتنوه غفران خطاياهم ومعونةً ليكملوا ا الفضيلة ليحصلوا على نعيم الخيرات المزمعة"(١٣٢).

١٠٩- وصلت شهرة أنبا أنطونيوس إلى الملوك، فلما سمع عنه الإمبراطور قسطنطين وولداه قسطنطيوس وقسطنس كتبوا إليه خطابات كما إلى أبٍ وترجوه أن يرسل الرد إليهم، ولكنه لم يتفاخر بالخطابات، بل لبث كما كان قبل أن يكتب إليه الأباطرة، وعندما أحضر الرهبان الخطابات إليه قال لهم: "لا تتعجبوا إن كتب إلينا إمبراطور فهو إنسان، ولكن بالأحرى تعجبوا أنّ الله كتب الشريعة للبشر وكلمنا في ابنه (عب١: ٢)".

إنه بالحق لم يرغب في قبول الخطابات وقال إنه لا يعرف كيف يرد على رسائل كهـذه، ولكن لما حثّه الرهبان، لأنّ الأباطرة كانوا مسيحيين ولئلاّ يعثروا على أساس أنّ عدم الرد فيـه امتهانٌ لكرامتهم، قَبِل القديس أن تقرأ عليه الخطابات، وكتب الرد مادحا إيـاهم لعبـاد م المسيح، وناصحا لهم فيما يتعلق بالخلاص، طالبا منهم ألاّ يفكروا كثيرا في أمور هذا العالم، بل ليذكروا بالحري الدينونة العتيدة، ويعرفوا أن المسيح وحده هو الملك الحقيقي الأبدي. وترجاهم أن يكونوا رحومين، وأن يهتموا بالعدل وبالفقراء ... أما هم ففرحوا لاستلامهم الرد(١٣٣).

(٣٢) التعليم هو للكاملين

١١٠- اعتاد أنبا أنطونيوس أن يقول: "إنّ الآباء القدماء خرجوا إلى البرية، ولما شفيت نفوسهم صاروا أطباء، ولما عادوا مرةً ثانية شفوا آخرين، ولكن إذا حدث أنّ واحدا منا ذهب إلى البرية فإننا نقدم الشفاء لآخرين قبل أن نشفى نحن أنفسنا، فينقلب سقمنا علينا وتصير خطايانا الأخيرة أسوأ من الأولى، ولهذا السبب قد أُوصينا: «أيها

(١٣٢) س ٩ جزء ٤ رقم ٢٤٧ ص ٣٥٧.
(١٣٣) "حياة" رقم ٨١.

الطبيب، أُنظر أولاً إلى نفسك» (أُنظر لو٤: ٢٣)"[١٣٤].

(٣٣) انتظار الموت دائمـًا

١١١- واعتاد أيضا أن يقول: "عندما نستيقظ في الصباح كل يوم فلنفتكر أننا لن نبقى حتى المساء، وعندما نضطجع أيضا فلنفتكر أننا لن نبقى حتى الصباح، لأننا لا نعرف أيام حياتنا ولكنها معروفة عند الله، فإذا فعلنا ذلك كل يوم فلن نخطئ، ولن نفعل شرا أمام الله، ولن تلهبنا شهوة نحو أي شيء يختص بهذا العالم، ولن نغضب مع أي أحد، ولكننا في كل شيء سنلتفت إلى أنفسنا تماما مثل أناسٍ ينتظرون الموت"[١٣٥].

١١٢- قال أنبا أنطونيوس: "إن عشت مع المسيح وصارت قلايتك سجنا لك فتذكّر في كل وقت خروجك من الجسد. لا تنس أبدا الدينونة الأبدية المزمعة أن تكون، وأية خطيةٍ لا ينبغي أن تبقى طويلاً في نفسك. كُن شريكًا للروح القدس لكي تحيا مع الرب على الدوام. إن كنت تثابر بالقرب من الله فستنال الحياة الأبدية، وسيمحو الله خطاياك لكي يثبتك مجددا في ملكوته"[١٣٦].

١١٣- وقال أيضا: "إنه لجيد لنا جدا أن نحتمي في قلالينا ونتمعن كثيرا في أنفسنا أثناء حياتنا حتى نعرف على أي حال نحن. فإذا ثابرت على البقاء في قلايتك حينئذ تكون مستعدا لموتك. وإذا واظبت على الصلاة في الليل والظهر فحينئذٍ تكون مستعدا لموتك، وإذا سكنت في البرية بدون أي رفيقٍ من أهلك فحينئذٍ تكون قد استطعت أن تموت عن العالم. لأنني أقول لكم إنني قضيت كل زماني آكل بمقدار رغيفًا من الشعير وأشرب ماءً عكرا بقدر، وإذا أردت أن أذهب إلى مكانٍ ما كنت أحترس من أن أطأ بقدمي مكانا توجد فيه امرأة"[١٣٧].

(٣٤) الحياة داخل القلاية

١١٤- سأل أخ أنبا أنطونيوس: "كيف أمكث في القلاية يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "حسب الظاهر للناس هو هذا: أن يسهر الشاب حتى المساء كل يوم ويتأمل، أما ما هو مخفى عن الناس فهو عدم اعتبارك لنفسك، والصراع ضد الأفكار الرديئة، والوداعـة، والتفكر في الموت، واتضاع القلب، وهذه هي أساس كل الصالحات"[١٣٨].

(134) D. F., p. 149: XXXV. (135) W. & W., II: 470. (136)Am.,17, 4. (137) Am., 35, 13. (138) Am., 37, 12.

(٣٥) حروب الأفكار

١١٥- سأله أحد الإخوة مرةً عن الأفكار، فأجابه الشيخ: "لا تجعل لها تأثيرا عليك، بل اجعلها ترسب أسفل فأسفل حتى تلد دودا و لك"[١٣٩].

١١٦- وقال أيضا: "إذا انقضت عليك الأفكار التي تضيق عليك ولم تكن كُفئًا لأن تطردها فاخرج في الهواء الطلق وهي ستبعد عنك"[١٤٠].

(٣٦) رعب الشياطين من تنفيذ الوصية

١١٧- قيل عن أنبا أنطونيوس إنّ إنسانا فيه روح نجس كان يحاول أن يلقيه في الماء، فجاء الرهبان الذين كانوا مع أنبا أنطونيوس وتوسلوا إليه أن يصلي على الرجل الذي كان في تلك الحالة من الاضطراب، فاستعفى من ذلك. ولما مكث الروح الشرير معه مدة طويلة لطم القديس على خده فأدار له الخد الآخر، وبمجرد أن فعل ذلك هرب الروح الشرير[١٤١].

(٣٧) تشجيع القديس للمضطهدين

١١٨- قيل إنه في أيام اضطهاد الإمبراطور مكسيميانوس إنّ أنبا أنطونيوس قال في نفسه: "فلأذهبن إلى الإسكندرية حيث نيران العذاب، فإذا سمحت النعمة الإلهية باستشهادي تجدني مستعدا، وإن لم تسمح بذلك أكون على الأقل قد وقفت إلى جانب المضطهدين من أبناء القديس مرقس الإنجيلي الشهيد".

فزار القديس المسجونين في الإسكندرية مشجعا ومعزيا لهم، وكان يصحبهم إلى مكان الإعدام ليشجعهم بالتراتيل وكلام الإنجيل، فاغتاظ الحكّام من عمله وأمروا بمنع رجال الدين من مرافقة المحكوم عليهم، ومع هذا فقد كان القديس يرتدي ثوبه الأبيض[١٤٢] ويحضر المحاكمات ثم يرافق المسيحيين إلى مكان الاستشهاد، ومن العجيب أنّ الله لم يسمح بأن يستشهد معهم رغم مجازفاته الكثيرة، إذ حفظه لأجل تثبيت قواعد الرهبنة[١٤٣].

(٣٨) نسكه واستشهاده اليومي

١١٩- وقيل عنه أيضا: إنّ الرب حفظه أيام الاضطهاد لأجل فائدتنا وفائدة

(139) W. & W., II: 473. (140) Am.,35, 10. (141) W. & W., II: 510; Ch. 127.

(١٤٢) هذا هو أحد الأدلّة على أنّ ثوب الرهبان والإكليروس عموما كان أبيض اللون.

(١٤٣) "قصة الكنيسة القبطية" - إيريس المصري - جزء ١ ص ١٠٨.

الآخرين[١٤٤]، لكي يصير معلما للكثيرين عن النسك الذي تعلمه من الكتب المقدسة، لأنّ الكثيرين رغبوا أن يقتدوا به بمجرد رؤيتهم لطريقة حياته ... فقد كان كل يوم شهيدا أمام ضميره، مناضلاً في جهاد الإيمان. وصار نسكه أشد صرامةً لأنه كان دائم الصوم، يلبس لباسا داخليا من الشعر، أما اللباس الخارجي فكان من الجلد ... ولم يره أحد غير لابس ثيابه، ولا رئي جسده عريانا إلاّ بعد موته عند دفنه[١٤٥].

(٣٩) البصيرة الداخلية

١٢٠- نزل أنبا أنطونيوس ضيفًا على ديديموس الضرير (في الإسكندرية) الذي كان قد فقد بصره وهو في الرابعة من عمره، فلم يتلق من العلم إلاّ النذر اليسير، ولكنه طلب من الله أن ينير بصيرته فاستجاب له. وظلّ أنبا أنطونيوس يتحدث معه أوقاتا طويلة في عجائب الله. وذات يومٍ قال له: "لا تكتئب يا عزيزي ديديموس لأنك محروم من العينين اللتين تملك الحشرات مثلهما، بل تهلل لأن الله منحك العين الباطنية التي تشارك بها الملائكة في رؤية الله القدوس". فتعزى ديديموس بهذا الكلام[١٤٦].

(٤٠) بلوغ الكمال بالخضوع للإرادة الإلهية

١٢١- قال أنبا أنطونيوس: "لا يتوهمن إنسان أنّ بلوغ الكمال بعيد المنال أو غريب عن الطبيعة البشرية، فالناس يركبون البحار ليتمكّنوا من دراسة الفلسفة اليونانية، أما مدينة الله فهي داخل القلب، والصلاح الذي يتطلّبه الله كائن في داخل كل فردٍ منا، ولا يتطلّب منا إلاّ أن نخضِع إرادتنا للإرادة الإلهية"[١٤٧].

١٢٢- قال بالليديوس[١٤٨] عن أنبا أنطونيوس إنه كان حكيما ذا عقلية وقّادة يدرك حقيقة الناس ببصيرةٍ نفّاذةٍ، فكان الذين يأتون إليه يمتلئون دهشةً إذ يجدون أنه قد أدركهم على حقيقتهم رغم عزلته وابتعاده عن الناس. وكان حديثه مطعما بملحٍ سماوي حتى إنّ سامعيه كانوا يشعرون بغبطةٍ قلبيةٍ على ما وصل إليه من كمالٍ روحي حبب فيه النفوس وجذب إليه القلوب.

كذلك كان أنبا أنطوني يمتاز بالصبر والجلَد في المناقشة فيصغي لكل ما يقال له ويجيب عنه بكل اتزان، فلا عجب إذا قيل إنّ الله قد أقامه طبيبا روحانيا لأبناء وطنه

---

(١٤٤) لأن سيرته وتعاليمه ظلّت تنير الطريق لكل الأجيال.
(145) Laus., 46, 47.
(١٤٦) "قصة الكنيسة القبطية" - إيريس المصري - جزء ١ ص ١٠٨.
(١٤٧) المرجع السابق، ص ١١١.
(١٤٨) أسقف "هيلينوبوليس" في "بيثينية" أواخر القرن الرابع.

ولجميع الملتفين حوله(١٤٩).

(٤١) بالتعب تقتنى الفضائل

١٢٣- قال القديس أنطونيوس: "لأننا لا نعرف قدر أنفسنا لذلك لسنا نفلح، وليس لنا صبر في عملٍ نبدأ به، ولكننا نريد أن نقتني الفضائل بلا تعب"(١٥٠).

١٢٤- سأل إخوةٌ شيخا: "قال أنبا أنطونيوس: 'لأننا لا نعرف درجتنا لذلك لا نتقدم، وليس لنا صبر في الأعمال التي نبتدئ فيها، بل نريد الفضيلة بدون تعب، ونتنقل من موضعٍ إلى آخر ونظن أن ثمة موضعا ليس فيه شيطان. فالعارف بالقتال (أي المحنك بالاختبارات) إذا رأى تجربةً وحربا فالموضع الذي دعي إليه يثبت فيه بالله، لأن ربنا قال: «ها ملكوت الله داخلكم»'. فما معنى هذا الكلام"؟

أجاب الشيخ: "قبل كل شيء هذا الكلام تنقصه كلمة، لأنه يقول: 'إذا رأى تجربةً وحربا يريد أن يقفز إلى موضعٍ آخر'. ومعنى ذلك أننا نحن الذين خرجنا من العالم وحملنا الصليب كوصية الرب وتبعناه يجب أن نصبر في موضعٍ واحدٍ و نتم بخلاص نفوسنا، ونصبر على كل قتالٍ وتجربةٍ سواء كانت من الشياطين أو من الناس، ولا نكون كالجهال الذين كلما جاء عليهم القتال يقفزون مثل الجحوش (جمع "جحش") التي لم تتعود على الأحمال الثقيلة، فلا يصح أن نبحث عن الراحة بالتنقل في المواضع والبلدان، بل فلنثبت في مواضعنا، ولنصم ونصل ونسجد ونقرع صدورنا أمام صليب ربنا، وبدموعٍ وبألم قلبٍ نطلب منه عونا وخلاصا، لأنه قريب إلينا كل حين، بل إنه ساكن فينا كما هو مكتوب: «قريب هو الرب من المنكسري القلوب» (مز٣٤: ١٨)، وكقول ربنا: «ها ملكوت الله داخلكم» (لو١٧: ٢١)، أي إني ساكن فيكم، لأن ملكوت الله هو المسيح كما قال الطوباوي بولس: «أما تعلمون أن المسيح ساكن فيكم» (قارن ١كو٣: ١٦ ؛ رو٨: ١٠و١١)"؟

"وليس ذلك فحسب، بل ونحن أيضا ثابتون فيه كما قال: «اثبتوا في وأنا فيكم» (يو١٥: ٤)، وكما قال داود النبي: «كُن لي صخرة ملجأٍ (مسكنا) أدخله دائما» (مز٧١: ٣)، وإن كنا ساكنين في الله فعلينا ألاّ نتخلّى عن مسكننا - الذي هو ربنا - في وقت التجربة والضيقة ونذهب إلى بلادٍ وأماكن أخرى، بل نطلب من ربنا الساكن فينا أن يعيننا

---

(١٤٩) "قصة الكنيسة القبطية"، إيريس المصري، جزء ١ ص ١١٢. (١٥٠) س ٤ ص ١٠٥ و ١٤٦؛ W. & W. I: 195 تحت عنوان "قال شيخ"، ولكن القول التالي من س ٩ هو الذي كشف أنه لهذا القديس.

ويخلصنا، ونكشف أفكارنا لآبائنا، ونطلب معونة صلا م فنغلب في جميع حروبنا"[١٥١].

١٢٥- قال المغبوط أنطونيوس: "عندما يسعى الراهب في طريق الحياة الرهبانية لكي يصل إلى قمم الكمال، ويكون قد تعلم أهمية التعقل والإفراز حتى يصير قادرا أن يحكم نفسه وأن يصل إلى ذروة حياة التوحد، فينبغي عليه بالضرورة أن يجري وراء كل أنواع الفضائل التي يجدها في أي إنسان: فواحد يجده مزينا بزهور المعرفة، وآخر يكون محصنا بقوةٍ بفضيلة الإفراز، وآخر مؤسسا على رزانة الصبر، وآخر متفوقًا في فضيلة الاتضاع، وآخر في العفة، وآخر متحليا بنعمة البساطة؛ هذا يفوق الجميع في الشهامة، وذاك في الشفقة، وآخر في الأسهار، وآخر في السكون، وآخر في جدية العمل ... وهكذا. فإنّ الراهب الشغوف إلى جمع عسلٍ روحي ينبغي أن يكون مثل النحلة الدؤوب يمتص الفضيلة من الذين يمتلكو ا، ثم يجب أن يستودعها في آنية قلبه دون أن يفحص عما ينقص أي واحد منهم، بل يلاحظ فقط ويجمع لنفسه ما عند الآخر من فضيلة".

"لأنه إن أراد أحد أن يكتسب كل الفضائل من شخصٍ واحدٍ، فإننا بكل صعوبةٍ، بل ربما يستحيل، أن نجد أمثلة مناسبة لنا لكي نقتدي ا (فأي إنسان يمكننا أن نجده قد حاز على كل الفضائل؟). لأنه بالرغم من أننا نرى أن المسيح قد صار «الكل في الكل» كما يقول الرسول (١كو١٥: ٢٨)، فلا زلنا نستطيع أن نجده قليلاً قليلاً في الكل، لأنه قيل عنه: «الذي صار لنا حكمةً من الله وبرا وقداسةً وفداءً» (١كو١: ٣٠)".

"فبينما توجد الحكمة في واحدٍ يوجد البر في آخر، والقداسة في آخر، واللطف في آخر، والعفة في آخر، والاتضاع في آخر، والصبر في آخر ... فالمسيح مقسم في الدهر الحاضر عضوا عضوا بين جميع القديسين، ولكنه عندما يتجمع الكل في وحدانية الإيمان والفضيلة يتشكّل المسيح إلى «إنسانٍ كامل» (أف٤: ١٣)، مكملاً ملء جسده في مفاصل (أو ربط) وصفات كل أعضائه، وذلك حتى يأتي الوقت الذي يصير فيه الله «الكل في الكل»"[١٥٢].

(٤٢) رؤية أماكن الأبرار والأشرار

١٢٦- قيل إنه عندما كان أنبا أنطونيوس يجلس على الجبل وحيدا وتحصل له دهشة في تأملاته كانت تعلَن له بعض الرؤى بواسطة العناية الإلهية، فكان يتعلم هذا المغبوط من الله كما هو مكتوب (إش٥٤: ١٣؛ يو٦: ٤٥).

(١٥١) س ٩ جزء ٤ رقم ٧٣ ص ١٤٤.

(152) J. Cass., Inst., Book V, ch. IV.

وقال عنه القديس كرونيوس إنه قال: "كنت أصلي لمدة سنة كاملة لكـي أعـرف أماكن الأبرار وأماكن الخطاة". وذات ليلة ناداه واحد من فوق قائلاً: "قم يا أنطونيوس وافرح وانظر". ولما خرج تطلع إلى فوق فرأى ماردا واقفًا يصل طوله إلى السـحاب، طويلاً ومرعبا ومزعجا، أسود اللون ويداه مبسوطتان إلى السماء، وتوجد تحتـه بحـيرة كبيرة في حجم البحر، ورأى نفوسا طائرة كأنّ لها أجنحة مثل الطيور. وبسط المارد يديه فسقط بعض الصاعدين بينما طار الباقون إلى فوق متفادين رأس المارد ويديه فخلصـوا، وإذ خلا لهم طريق الجو إلى السماء حمِلوا بلا عناء إلى فوق. أما الذين طوقتـهم يـداه فسقطوا في البحيرة. عند ذلك صر المارد على أسنانه، ولكنه شمت بأولئك الذين سقطوا.

وللحال جاء الصوت إلى أنبا أنطونيوس: "أتفهم ما ترى"؟ فانفتح ذهنه وسمع صـوتا عظيما قائلاً له: "هذه هي نفوس الأبرار التي رأيتها طائرة، فعبرت إلى الفردوس وخلصت، وأن ذلك الكائن الطويل هو العدو الذي يحسد المؤمنين، وأن الذين أمسكهم وصدهم عـن العبور هم أتباعه الذين تبعوا شهوات الجسد، فغرقوا في جهنم وهذه هي دينونتهم. أما الذين عجز عن أن يمسكهم وهم يجتازون إلى فوق فهم الذين لم يخضعوا له". فلما رأى ذلـك، وكلّما كان يتذكره، كان يزداد جهادا كل يوم للتقدم إلى ما هو قدام.

ولم يكن القديس يريد أن يتحدث عن هذه الرؤى، ولكنه عندما كان يصرف وقتـا طويلاً في الصلاة متعجبا ومتحيرا، ويضغط عليه الذين معه بالأسئلة، كـان يضـطر إلى الكلام كأبٍ لا يستطيع أن يخفي شيئًا عن أبنائه، وكان يعتقد أنه طالما كـان ضـميره خالصا فإنّ شرح هذه الأمور ينفعهم لكي يعرفوا أن النسك أتى بثمارٍ جيدة، وأن الرؤى كثيرا ما تكون عزاءً عن أتعا م[١٥٣].

(٤٣) الطهارة والاستشهاد

١٢٧- ذكر بالليديوس القصة الآتية:

قابل المغبوط إيسوذورس أنبا أنطونيوس المطوب الذكر وأخبرني (أي أخبر بالليديوس) عن قصة جديرة بالتسجيل كان قد سمعها منه، وهي عن أَمةٍ (أي عبدة) مملوءة نعمة اسمها **"بوتامينا"** كانت عبدة لرجل في عصر مكسيميانوس المضطهد، ولم يستطع سـيدها أن يغويها بمحاولاتٍ كثيرة. وأخيرا امتلأ سخطًا وسلمها لوالي الإسكندرية وأبلغـه أ ـا مسيحية وأ ا لعنت الأحوال الحاضرة والأباطرة بسبب اضطهادا م. ثم قدم لهـا مـالاً

(١٥٣) "حياة" رقم ٦٦؛ Am. 31, 11; Laus, 21: 16, 17

كرشوةٍ على أساس أ ا إذا وافقت على رغبته لا يعاقبها، ولكنـها إذا أصـرت علـى التمسك بفضيلتها تخضع لكل العذابات حتى لا تعيش وتسخر من فسقه.

استدعيت بوتامينا أمام الوالي وهددت بآلات العذاب المختلفة، وكان من بينها مرجل (أو خلقين، أي آنية كبيرة تسع إنسانا)، وأمر القاضي أن يملأ بالزفت ويغلى، ولما صار يغلي ووصل إلى درجة اجتذاب الزيت للنار خيرها بين أمرين: إما أن تخضع لرغبات سيدها وإما أن يأمر بتغطيسها في المرجل، ولكنها أجابته: "لا يوجد إطلاقًا قاضٍ يأمر بالخضوع للفسق"! ففي غيظه أمر بأن تعرى وتلقى في المرجل، فرفعت صو ا صارخةً: "بحق الملك الذي تخافه أتوسل إليك أن تأمر بتغطيسي في المرجل ببطءٍ إن كنت حقًا قررت أن تعاقبني حتى تعرف مقدار الاحتمال الذي وهبني إياه المسيح الذي لا تعرفه". وإذ غُطست قليلاً قليلاً لمدة ساعة كاملة حتى وصل الزفت المغلي إلى رقبتها ماتت[١٥٤].

(٤٤) الاهتمام بالروح أكثر من الجسد

١٢٨- قيل عن أنبا أنطونيوس إنه كان يتنهد يوميا كلما فكر في مساكن السـماء، إذ ركّز فيها كل اشتياقه، متأملاً قصر حياة الإنسان (على الأرض). وكان يأكل وينام ويـتمم سائر المطالب الجسدية الضرورية بخجلٍ عندما كان يفكر في مواهب النفس الروحية. وعندما كان يشرع في الأكل مع نساكٍ آخرين ويتذكر الطعام الروحي، كثيرا ما كان يعتذر ويتنحى عنهم معتبرا أنّ رؤية الآخرين له وهو يأكل أمرا يدعو إلى الخجل. وعلى أي حال فقد اعتاد أن يأكل الكفاف عندما يكون منفردا أو مع الإخوة، ومع هذا فقد كان يغطيه الخجـل في هذه المناسبات، إلاّ أنه كان ينطق بكلمات التشجيع بكل ثقة.

وقد اعتاد أن يقول إنه جدير بالإنسان أن يعطي كل وقته لروحه لا لجسده، ومع ذلك فليعطِ وقتا قصيرا للجسد لقضاء حاجياته الضرورية، ولكنه يجب عليه تكريس كل الباقي للنفس وطلب منفعتها، لكي لا تنجذب بملذات الجسد، بل بالعكس يخضِع الجسد للنفس، لأنّ هذا ما قاله المخلص: «لا تموا لحياتكم بما تأكلون، ولا لأجسادكم بما تلبسون، ولا تطلبوا ما تأكلون أو ما تشربون ولا تتشككوا، لأنّ هذه كلها تطلبها أمم العالم، ولكن أباكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها، لكن اطلبوا أولاً ملكوته، وهذه كلها تزاد لكم» (مت٦: ٢٥و٣١ - ٣٣ ؛ لو١٢: ٢٩)[١٥٥].

١٢٩- سأل أخ الشيخ أنبا أنطونيوس عن القول المكتوب في الإنجيل: «لا تموا

(154) Laus., 3.

(155) Laus., 45.

للغد لأنّ الغد يهتم بما لنفسه، يكفي اليوم شره» (مت٦: ٣٤). فقال له الشيخ: "أرى أنّ هذا القول يعني أنك تكف عن الاهتمام باحتياجات الجسد طوال مدة سنة حتى لا تنعى هم حياتك أكثر من الحد المعين، وذلك لكي تخلص"(١٥٦).

١٣٠- وقال أيضا: "الذي اعتاد أن ينبع منه الموت، إذا فعل ما هو نافع لنفسه فستنبع منه الحياة"(١٥٧).

(٤٥) التيـقـظ

١٣١- وقال أيضا: "ليس الناسك هو من ينتصر في شيءٍ واحدٍ، وليس المختار هو من يضبط نفسه في شيءٍ واحدٍ فقط من الأمور المتعارضة مع الفضيلة، لأنه لو كان النسك هو قمة الفضيلة فتوجد كثير من الشرور تقاوم الفضيلة، ولكن يجب على من يريد أن يخلص أن يسهر على نفسه في كل شيء بسبب أعدائه، ويتضرع إلى صلاح الله لكي يخلصه"(١٥٨).

(٤٦) العبودية للأوجاع

١٣٢- وقال أيضا: "الذي يريد أن يصل إلى كمال الزهد سريعا لا ينبغي أن يكون عبدا لأي وجعٍ (أي شهوة رديئة)، لأن الذي يكون عبدا لوجعٍ واحدٍ هو بعيد عن طريق الله"(١٥٩).

١٣٣- قيل لأنبا أنطونيوس بخصوص أحد الإخوة إنه لا يشرب الخمر، فقال لهم القديس: "الخمر ليست موافقة للراهب"(١٦٠).

١٣٤- أعطى المغبوط أنطونيوس هذه المشورة لتلميذه: "أبغض بطنك وحاجات هذا العالم والرغبات الرديئة والكرامات وكأنك لم توجد بعد في هذا العالم وأنت تقتني السلام"(١٦١).

(٤٧) نقـاوة القلـب

١٣٥- قال أنبا أنطونيوس: "لا يوجد مكتوبا في حروف الناموس (أي الكتـاب المقدس) ما هو البر، ولكن القلب النقي هو بر الإنسان"(١٦٢).

١٣٦- وقال أيضا: "على كل واحدٍ أن يجعل نفسه كنيسة في هذا الزمان، وبمعنى آخر أن يعمل الإنسان كل جهده لتنقية نفسه التي هي كنيسة الله، لكيما بصوتٍ هادئٍ نصعد تسبيحا مثلثًا لله ربنا بالاعتراف الثابت بالإيمان الأرثوذكسي"(١٦٣).

---

(156) Am., 32, 13. (157) Am., 15, 7. (158) Am., 30, 3. (159) Am., 30, 9.
(160) Am., 27, 8. (161) Pa., 26, 4. (162) Am., 36, 8. (163) Am., 147, 6.

١٣٧- وقال أيضا: "تجرد من الشر وارتدِ البساطة، اخلع عنك العين الشريرة والبس البساطة والقلب الرحيم. لا تبغض أي إنسان، لا تمشِ إطلاقًا مع ذي السيرة الرديئة، بل مع من له سيرة أكمل منك ومع الذي يكمل تدبيره. لا تخش مذمة الناس، ابغض كل شيء فيه ضرر لنفسك، لا تترك إرادة الله لتعمل مشيئة الناس لكي يكون الله معك"[(١٦٤)].

١٣٨- وقال أيضا: "لا يستطيع إنسان أن يكون صالحًا ولو كانت لديه الإرادة، ولو بذل في ذلك كل ما في وسعه، ما لم يسكن الله فيه، لأنه «ليس أحد صالحًا إلاّ واحد وهو الله» (مر١٠: ١٨)"[(١٦٥)].

(٤٨) البكاء بسبب الخطايا

١٣٩- سأل أخ القديس أنطونيوس: "ماذا يجب علي أن أفعله بخصوص خطاياي"؟ فأجابه: "الذي يريد أن يكون حرا من الخطايا يمكنه ذلك بواسطة التأوهات والدموع، والذي يريد أن ينمو في بناء نفسه بالفضائل يمكنه ذلك بواسطة النحيب والدموع، كما أن التسبيح بالمزامير هو نفسه أنين. تذكّر مثال حزقيا ملك يهوذا كما هو مكتوب في إشعياء النبي أنه لما بكى لم يسترد صحته فحسب، بل استحق أيضا أن يزيد عمره مدة ١٥ سنة، وبواسطة سيل دموعه سلمت قوة الرب العدو المسلح الذي جاء عليه بمائة وخمسة وثمانين ألف رجل إلى الموت. والرسول القديس بطرس ببكائه استعاد ما فقده بإنكاره للمسيح. ومريم بعد أن بلت بدموعها قدمي الرب استحقت أن تسمع قول الرب إنها اختارت النصيب الصالح. هذه هي مخافة الرب المقدسة التي تدوم إلى أجيال الأجيال"[(١٦٦)].

١٤٠- وقال أيضا: "يا أولادي، يجب على كل واحدٍ منا أن يشق قلبه لا ثيابه ويبكي قائلاً: 'ما الذي أصنعه لله عوضا عن الخيرات التي صنعها معنا'؟! إنني لخائف أيها الأبناء لئلاّ يكمل علينا القول المكتوب: «ما المنفعة من صومي إذا هبطت إلى الجحيم»؟! بحق، يا أبنائي، إني أتكلم معكم كمثل من يكلم الحكماء، فاسمعوا وافهموا الذي أقوله لكم: ليرفض كل واحدٍ منكم ويبغض ما قد صار معه كطبيعةٍ ناطقةٍ، أعني الهيولي (أي الجسداني) وكل أعماله من كل قلبه، ويبسط يديه ويرفع عقله إلى الله، فإنه عند ذلك يتحنن على تعبه ويهب له النار غير المنظورة، ويحرق كل الأدناس التي فيه ويطهر عقله، وحينئذ يسكنه الروح القدس ويصير يسوع حالا فيه حتى يستطيع أن يسجد للآب كما ينبغي. فإن كنا لا زلنا متفقين مع أنواع الهيوليات (الجسدانيات) فنحن أعداء لله وملائكته وكل قديسيه".

(164) Am., 24, 14. (165) J., 759. (166) Pa., 38, 1.

"وأنا أسألكم باسم ربنا يسوع المسيح أن تتركوا عنكم كل أمور التهاون في حياتكم الزمنية هذه، ولا تدعوا هذا الزمان القليل ينـزع منكم تلك الدهور التي لا تحد، ولا تدعوا الظلمة تنـزع منكم نور الملكوت الذي لا ينطق به، ولا تدعوا هذا الكرسي - أعني الرتبة المضادة للحق - يهلك كرسي موضع حكم الله وملائكته".

"بحق أيها الأبناء، إنّ نفسي لمضطربة وعقلي مبلبل، إذ نحن غارقون كلنا في اللذّات كمثل واحدٍ سكران من الخمر، وكل واحدٍ منا يسلك حسب هواه الذي قد تسلط عليه، ولا نشاء أن نرفع أعيننا إلى السماء ونطلب مجد الله وفعل الأطهار ونتبع إثر خطواتهم لكي نستحق الملكوت"(١٦٧).

(٤٩) التواني والتهـاون

١٤١- وقال أيضا: "إذا بدأ الراهب بالجهاد بكل قوته لفترةٍ من الوقت ثم تراخى فهو يسبب لنفسه ضيقًا ويسقط ثانيةً في التهاون، ومثل هذا الراهب لن يبلغ إطلاقًا إلى الثبات"(١٦٨).

(٥٠) الغضـب

١٤٢- قال أنبا أنطونيوس: "كل جهادٍ يقوم به الغضوب هو ضائع بالنسبة له كل يوم"(١٦٩).

(٥١) أقـوال متنوعـة

١٤٣- بينما كان أنبا أنطونيوس يتأمل في أعماق أحكام الله صلى قائلاً: "يا رب، لماذا يموت قوم بأعمار قصيرة وآخرون يموتون بعد شيخوخةٍ طويلة؟ وبينما البعض في فاقةٍ يوجـد أغنياء عندهم وسائل ثراء متعددة؟ وكيف أنّ الأشرار أغنياء والأبرار مذلولون من الفقر؟ ولماذا البعض عميان وآخرون لهم نظر؟ ولماذا يعاني الأبرار من المرض بينما الأشرار أصحاء"؟ فجاءه صوت قائلاً: "أنطوني، تأمل في نفسك، فهذه هي أحكام الله، والمعرفة بها لا توافقك"(١٧٠).

١٤٤- رأى صياد في **البرية أنبا أنطونيوس** يتسلّى مع الإخوة، ففوجئ بذلك. فأراد الشيخ أن يعلمه أنه من الضروري أحيانا أن يوفي احتياجات الإخوة، فقال لـه: "ضـع سهما في قوسك وأطلقه". ففعل. ثم قال له الشيخ: "أطلق آخر". ففعل. ثم قال الشيخ: "أطلق آخر". فأجاب الصياد: "إذا ثنيت قوسي كثيرا فإني أكسره". فحينئذ قال لـه الشيخ: "هذا هو نفس الشيء مع عمل الله، فإذا كنا نتشدد مع الإخوة فـوق الطاقـة

---

(١٦٧) م. ٤١.
(168) Nau., 444.
(169) Am., 30, 12.
(170) Apoph. Ant., 2; W.& W., II: 217;١١٨ س ٣ ورقة

(الذهنية) فإ م ينكسرون سريعا، فمن الضروري أحيانا النـزول إلى احتياجا م".

فلما سمع الصياد هذه الكلمات نخِس بتوبيخ الضمير وذهب وقد استنار كثيرا من الشيخ. أما الإخوة فقد رجعوا متشددين إلى أماكنهم(١٧١).

١٤٥- حدث مرةً أنّ أنبا أنطونيوس جاء إلى جبل نتريا ليفتقد أنبا آمون، فبعد أن تلاقيا معا سأله أنبا آمون: "إذ قد تكاثر عدد الإخوة بصلواتك، وبعضهم يشتاق أن يبني قلالي بعيدة حتى يكونوا في هدوءٍ، فماذا تنصح بأن تكون المسافة التي تفصل بين هذه القلالي وبين الإخوة الساكنين هنا"؟ فأجاب أنبا أنطونيوس: "حينما نتناول طعامنا في الساعة التاسعة نتمشى في الصحراء لنرى المكان المناسب".

ولما بدأوا المسير ظلوا سائرين حتى غروب الشمس (حوالي ثلاث ساعات)، حينئذٍ التفت القديس أنطونيوس إلى أنبا آمون وقال له: "هيا نصلي ونرفع الصليب هنا حتى يفعل مثلنا كل من أراد أن يعيش ويبني هنا (أي يصلي ويرفع الصليب). فإذا أراد الإخوة أن يزوروهم فيما بعد يمكنهم ذلك بعد أن يأكلوا لقمتهم في الساعة التاسعة، والذين من هنا كذلك إذا رغبوا في زيارة إخو م (وقاموا من هنا الساعة التاسعة) يصلون إليهم في الغروب، فلا يحدث لأحدٍ ضيق أو تشتت إذا زار أي واحدٍ منهم الآخر". وكانت المسافة هي اثني عشر ميلاً(١٧٢).

١٤٦- جاء أبا هيلاريون الذي من غزة(١٧٣) إلى جبل أنبا أنطونيوس، فقال له أنبا أنطونيوس: "هل أتيت أيها النجم المضيء الذي يشع في الصباح"؟! فقال له القديس هيلاريون: "السلام لك يا عمود النور الذي يعضد الخليقة"(١٧٤).

١٤٧- سأل إخوةٌ شيخا: "جاء أبا أللونيوس من الشام إلى أنبا أنطونيوس الذي لما رآه قال له: 'حسنا جئت يا كوكب الصبح الذي يظهر باكرا'. فقال له أنبا "أللونيوس": 'السلام لك أنت أيضا يا عمود النور الذي حمل المسكونة'. فمن هو أبا "أللونيوس" هذا؟ ولماذا دعاه القديس هكذا"؟

أجاب الشيخ: "أللونيوس هذا كان في زمان أنبا أنطونيوس، وكان في مثل درجته وأعماله. وقد مدحه الملك قسطنطين قائلاً: 'أشكر المسيح أنّ في أيامي توجد ثلاثة أنوار: أنبا

---

(171) Apoph. Ant., 13.

(172) Ibid., 34.

(١٧٣) تذكر بعض المراجع - ومنها "تفسير البراديسوس" كما سنرى في القول التالي - أنه أبا "أللونيوس" الذي من سوريا (ألاريون وألونيوس متشا ان في أولهما فربما حدث خلط بينهما)، وهذا هو الأرجح حيث إنّ الأب هيلاريون معروف من سيرته أنه جاء إلى أنبا أنطونيوس وهو لا يزال شابا صغيرا قبل رهبنته، فمن المشكوك فيه أن يدعوه أنبا أنطونيوس ذا الوصف وهو لم يكن قد ترهب بعد.

(174) W. & W., II: 112.

أنطونيوس، ومار "أللونيوس"، ومار "أوكين"[١٧٥]؛ لأنّ هؤلاء قد فـاقوا بقيـة المتوحـدين المعروفين في ذلك الزمان. فمن أجل عظم تدبيره دعاه أنبا أنطونيوس "كوكب الصـبح" لأنّ نوره زاد عن الكواكب كلها. كما دعا أللونيوس أنطونيوس "عمود النور" ليعرفه أنه عـارف بتدبيره العظيم ومجد نوره"[١٧٦].

١٤٨- ويقول الأب جيروم: "إنّ الشاب هيلاريون بعد أن رأى القديس غير منهج حياته[١٧٧]، ومكث معه حوالي شهرين يدرس طريقة حياته وسلوكه الوقور واجتهاده في الصلاة واتضاعه في تعامله مع الإخوة وشدته في الانتهار وشغفه بالنصح. وقـد لاحـظ أيضا أنّ القديس لم يكن يكسر نظامه في النسك أو ينحرف عن بساطة طعامه بسبب أي ضعفٍ جسدي".

"ولكنه لما رأى الجمهور الذي كان يزور القديس بسبب ضيقات مختلفة أو هجمات الأرواح الشريرة لم يحتمل ذلك، واعتبر ذلك أمرا عجيبا أن يحتمل هـذا الجمهـور في البرية. فرأى أنه من الأفضل له أن يبدأ كما بدأ أنطونيوس قائلاً: 'إنّ أنطونيوس يجني الآن مكافأة نصرته مثل بطل برهن على شجاعته، بينما أنا لم أصر جنديا بعد'"[١٧٨].

١٤٩- ثلاثة من الإخوة كانت لهم عادة في كل سنة أن يذهبوا إلى أنبا أنطونيوس، وكان اثنان منهم يسألانه عن أفكارهما وعن خلاص نفسيهما، أما الثالث فلم يسأله كل زمانه عن شيء البتة. وبعد زمن طويل سأله أنبا أنطونيوس: "أنت أيها الأخ تأتي إلى هنا كل عام ولا تسأل عن شيء"! أما هو فقال له: "يكفيني نظري إليك يا أبي"[١٧٩].

١٥٠- قيل إنّ أنبا مقار الكبير عندما كان في زيارة أنبا أنطونيوس رأى عنده بعض السعف الجيد مما كان يستخدمه القديس في عمل يديه، فطلب أن يأخذ حزمةً منه، فقال له أنبا أنطونيوس: "إنه مكتوب: «لا تشتهِ شيئًا مما لقريبك» (خـر٢٠: ١٧؛ تـث٥: ٢١)". وللوقت بعد أن قال ذلك ذبل السعف كله في الحال وكأنه تحمص على النـار. ولما رأى أنبا أنطونيوس ذلك قال لأنبا مقار: "أُنظر، ها إنّ روحي قد بدأت ترتاح (أو تستقر) عليك، وستكون أنت هو الوارث لفضائلي"[١٨٠].

١٥١- قيل إنّ شيخا كان فلاحا، وذهب يوما لزيارة أنبا أنطونيوس الذي أُخبِر بأمره

---

(١٧٥) مار "أوكين" قديس مصري عاش في "القلزم" (السويس). (انظر الملحق في آخر الكتاب).
(١٧٦) س ٩ جزء ٤ رقم ٢٥٦ ص ٣٦٥.
(١٧٧) أنظر الأقوال الخاصة بالقديس هيلاريون في الفصل الخاص بـ "تلاميذ أنبا أنطونيوس".
(178) N. & P. N. F., Snd Series, Vol. VI, p. 303.
(179) Apoph., Ant., 27; W. & W., II: 160;١٠ س ٤ ورقة
(180) Monach., XXI, 2.

فخرج للقائه. ولما دخلا القلاية صليا ثم جلسا. وقال له أنبا أنطونيوس: "قل لي كلمة يـا أخي"، فقال له الشيخ الأمين الذي كان فلاّحا: "توجد ثلاث فئات تنتسـب إلى هـذا الشعب (الطغمة) الذي هو الرهبان: فالأولى ستكون نارا، والثانية ستكون شبيهة بالأسود، والثالثة ستكون شبيهة بالثعالب". فقال له أنبا أنطونيوس: "بأي طريقةٍ ترى نفسك يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "إنني أرى نفسي مثل آدم قبل أن يخطئ". فقال له القديس: "إنك تعتـبر أنت أيضا وعدا لنا يا أبي (أي موعودا لنا بوجودك معنا)". فقال له الشيخ: "لا، ولكن بري العظيم هو في الله"(١٨١).

١٥٢- قال أنبا أنطونيوس عندما كان الإخوة جالسين حوله: "فلنجاهد لأنه حتى زي الرهبان يعتبر في الحقيقة مكروها من الشياطين، فقد أردت مرةً أن أختبرهم بخصوص هذا الأمر، فأخذت عباءتي التي بلا أكمام والثوب والكوكلوسة وألبستها لعارضـة (أي خشبتان متعارضتان مثل خيال المآتة)، ثم رأيت الشياطين آتيةً من بعيد فصوبت عليهـا سهاما. وقلت لها: 'أيتها الأرواح الشريرة ماذا تفعلين؟ هذا ليس إنسانا بل إنه تمثـال'! فقالت لي: 'نحن نعلم أيضا، ولكننا لا نضربه هو بل إننا نضرب الـزي الـذي يحملـه والثوب'. فقلت لها: 'وماذا تضيركم هذه الملابس'؟ فقالت لي: 'إنها أسلحة الحرب للذين نعاني منهم ويقارعوننا في كل ساعةٍ، ولأجل هذا حتى ملابسهم أيضا تضايقنا'".

"ولما سمعت ذلك مجدت الله الذي يخلص الذين يترجونه من يد الأرواح الشريرة التي يحاربها القديسون نهارا وليلاً لتبديد مشورتهم"(١٨٢).

١٥٣- قال أنبا أنطونيوس: "كنت يوما ما جالسا بجانب الأب "أرفـات Arphat" فجاءت عذراء وقالت: 'يا أبي، ظللت صائمةً لمدة مائتي أسبوع لم آكل فيها إلاّ كل سـتة أيام، وحفظت العهدين القديم والجديد، فماذا يتبقى لي أن أفعله'؟ فقال لها الشيخ (أرفات): 'هل يعتبر الازدراء عندكِ مثل الكرامة'؟ فقالت: 'لا'. ثم أكمل قائلاً: 'وهل تعتبرين الخسارة مثل المكسب والغرباء مثل الأهل والعوز مثل الوفرة'؟ فقالت: 'لا'. فقال الشيخ: 'إذن فأنتِ لم تصومي من أسبوع لأسبوع ولا حفظتِ العهدين القديم والجديـد، ولكنـكِ تخـدعين نفسكِ، فاذهبي وجاهدي لأنكِ لم تبلغي إلى شيءٍ بعد'"(١٨٣).

١٥٤- قال أنبا أنطونيوس بخصوص ما جاء في الإنجيل عن الإنسان الـذي ذهـب يبحث عن رفيقه في نصف الليل قائلاً: «أقرضني ثلاثة أرغفة لأن صديقًا لي جاءني مـن

(181)Am.,28, 3. (182) Am., 40, 6. (183) N., 518.

سفرٍ» (لو١١: ٥و٦): "إنّ الأرغفة الثلاثة يقصد ا ثلاثة أعمال: إضافة الغرباء والفقر والتعفف، وذلك عندما يقرع التائب الباب طالبا الرحمة كما لو كان يعلم أن هذه الأمور هي التي تقود من يريد أن يرضي الله"[(١٨٤)].

١٥٥- وقال أيضا: "إنّ ما نستطيع أن نأخذه معنا فلنقتنِهِ لأنفسنا، وهو: الفهم والقوة والبر والشجاعة والمعرفة والمحبة ومحبة المساكين والأمانة (أو الإيمان) بالمسيح، ومحبة الغرباء وترك الغضب. فهذه إذا اقتنيناها نجدها أمامنا في ذلك الموضع تِعد لنا مسكنا في الملكوت موضع الودعاء والقديسين"[(١٨٥)].

١٥٦- قال أبونا القديس أنطونيوس: "حدث أنني ذهبت إلى الإسكندرية لكي أحصل على بركة العمود المضيء، الحصن والقاعدة الراسخة للإيمان الرسولي، مسكن الروح القدس الباركليت، الذي صار قلبه عرشا مقدسا للضابط الكل، هذا الذي كان ثابتا في الإيمان بالثالوث الواحد المتساوي في الجوهر، والمحبوب من ربنا يسوع المسيح، أثناسيوس العظيم ابن الرسل، الذي صار شهيدا عدة مرات بأمر الملوك بسبب الإيمان المستقيم الأرثوذكسي. ومكثت يومين بجواره، وتكلم معي في أمور الكتاب المقدس، ولأجل حلاوة كلامه العذب المحيي كنت أنام قليلاً، ولما كان يوقظني كان يقول لي: 'يا أبا أنطونيوس، اترك النوم الذي من هذا النوع، لأن الروح القدس قال: «إ م يرقدون في نعاسهم ولا ينتفعون شيئًا» (مز٧٦: ٥ حسب السبعينية)، فالذي يسهر باعتدالٍ هو الذي يفرح ويمتلئ ببهجة الحياة الأبدية، لأنّ فرح هذه الحياة ليس هو يقينا الفرح الحقيقي، وحلاوة هذا العالم ليست هي الحلاوة الحقيقية'".

"ولما قال لي هذا الكلام جثوت وسجدت أمامه، ورجعت إلى مكاني مسبحا الله"[(١٨٦)].

١٥٧- سأل أخ أنبا أنطونيوس: "وعد الله بالسعادة للنفس التي ذ على الدوام في الأسفار المقدسة، فلماذا لا تريد النفس أن تبقى في السعادة بل تنهمك في المسرات الوقتية السريعة الزوال والنجسة"؟ **فأجابه الشيخ:** "هذا هو الذي يفسر كلام المرتل: «إن راعيت إثمًا في قلبي لا يستمع لي الرب» (مز٦٦: ١٨). ألا تعلم أن الخطايا الكثيرة تثور عندما تكون البطن مليئة بالطعام؟ هذه الخطايا التي أشار إليها الرب في مستهل إنجيله قائلاً: «ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من القلب هو الذي يهلك الإنسان» (مت١٥: ١١ حسب النص). لاحظ جيدا أنه يقصد هنا في المقام الأول الأفكار النجسة والقتلة والمخادعين والغشاشين والزناة والسارقين وشهود الزور وا دفين. فالذي ليس له تذوق كافٍ لعذوبة الأمور السماوية لكي يطلب الله من كل قلبه فهو يعود إلى حالته في نجاساته. من يستطيع أن

(١٨٤) Am., 41, 5.

(١٨٥) م ٤١.

(١٨٦) Am., 42, 14.

يقول حقًا: «صرت كبهيمٍ عندك، ولكني دائما معك»؟! (مز٧٣: ٢٢و٢٣)"[١٨٧].

أولوجيوس والمُقْعـد الرذيل[(📖)]

قال بالليديوس: قص علي المغبوط كرونيوس قسيس نتريا هذه القصة:

١ - حدث ذات يوم عندما كنت بعد شابا أنني هربت من الدير دون أن يعلم أبي المتوحد، وذلك بسبب اشتداد الضجر علي، وساقتني قدماي في تجوالي بعيدا حتى أتيت إلى جبل القديس أنطونيوس - في المكان الواقع بين "بابليون" (فسطاط مصر) و"هرقليا" (شرق أبو صير بمحافظة بني سويف) - وهو الجبل الذي يطل على الصحراء الكبرى الممتدة حتى البحر الأحمر حوالي ثلاثين ميلاً من نهر النيل.

وعندما وصلت إلى دير القديس أنطونيوس - وكان بالقرب من النيل في "بسبير" ("بشبير" الآن) - وجدت تلميذَي القديس أنطونيوس: مكاريوس وأماثاس، وهما اللذان بقيا مع القديس حتى استودعا جسده للتراب، وقد مكثت في الدير خمسة أيام في انتظار مقابلة القديس أنطونيوس.

وقيل لي إنه يأتي إلى الدير ليلقي حديثًا على الإخوة كل عشرة أيام، وأحيانا كل عشرين يوما وأحيانا أخرى ربما يكون كل خمسة أيام، وذلك بحسب ما يرشده الله. وكان ضمنا يصنع خيرا للإخوة الذين ينـزلون ضيوفًا على الدير، إذ كان يجتمع هناك إخوة من أماكن متعددة ذوو حاجات مختلفة.

٢ - وذات مرةٍ كان موجودا بين هؤلاء الإخوة متوحد إسكندراني يدعى "أولوجيوس" ومعه رجلٌ مقعد. أما سبب مجيئهما فكان كالآتي:

كان أولوجيوس هذا رجلاً مثقفًا بعلوم الدنيا وملهما بمحبة الخلود. وإذ أحس بغرور الدنيا باع كل شيء وأبقى لنفسه قليلاً من المال لمعيشته، لأنه كان لا يتقن صنعةً، وإذ كان لا يرغب في معيشة الجماعات فضل أن يعيش بمفرده. وبينما كان مارا بسوق المدينة رأى رجلاً مقعدا ليس له يدان ولا رجلان، لا يملك إلاّ لسانه يستعطف به المارة ... وعندما رآه أولوجيوس وقف يتأمله وصلى متعهدا أمام الله: "سيدي الرب، إكراما لاسمك سآخذ هذا المقعد وأخدمه وأعتني به حتى الموت، عساي أن أخلُص بسببه، فاسمح وامنحني أن أحتمل هذا العبء"!

---

(187) Pa., 40, 1.

(📖) Laus., ch. 21.

ثم اقترب من المقعد وقال له: "أتحب يا سيدي أن آخذك إلى بيتي وأعتني بك"؟ فأجابه المقعد: "نعم بكل تأكيد". فقال أولوجيوس: "إذن فانتظر حتى آتيك بدابتي". ثم جاء ببغلته وأركبه وأخذه وأسكنه غرفة ضيافته الخاصة وبدأ يعتني به ... وهكذا عاش المقعد خمس عشرة سنة وأولوجيوس يعتني به، يغسله ويهندمه ويخدمه بيديه ويقوم بكل احتياجاته ...!

٣ - ولكن بعد هذه السنين الخمس عشرة طغى الشيطان على المقعد فانقلب ضد أولوجيوس يقارعه ويهينه ويشتمه بأقبح الألفاظ، وزاد أيضا با امات كاذبة وإثارات جارحة، فكان يقول لأولوجيوس: "أيها القاتل الهارب من ضميرك، أنت تسرق الآخرين لتعولني وتود أن تخلص باعتنائك بي؟! ارجع بي إلى السوق من حيث أخذتني، أنا أشتهي أن آكل لحما ...".

فحاول أولوجيوس أن يطيب خاطره واشترى له لحما حسب شهوته ... فعاد يقول: "أنا هنا زهقان وأريد أن أعيش وسط زحام الناس، أنا أشتهي أن أرجع إلى السوق، أتريد أن تبقيني هنا بالقوة؟ خذني إلى الموضع الذي وجدتني فيه"!!

ولو كان يملك يدين لكان قد خنق أولوجيوس ... إلى هذه الدرجة حنق الشيطان عليه! أما أولوجيوس فذهب إلى النساك والمتوحدين الذين بجواره يسألهم: "ماذا أفعل مع هذا المقعد الذي جعلني في يأسٍ من أمري؟ هل أطرده وأنا قد أخذت عهدا على نفسي وأخاف الله، أم أبقيه وهو يزعجني ذا الحال"؟ فأجابه الشيوخ جميعا: "كما يقول لك "كبيرنا" افعل فهو لا يزال يعيش (وهم يقصدون القديس أنطونيوس، أي أ م لا يستطيعون أن يعطوه مشورةً وأنبا أنطونيوس حي). خذ المقعد معك في مركب واذهب إلى الدير وانتظر حتى يأتي "الكبير" من مغارته إلى الدير واطرح الأمر أمامه، ومهما قال لك فاتبع مشورته لأنّ الله سيتكلم لك على لسانه".

٤ - فخضع أولوجيوس لمشور م ووضع المقعد في مركبٍ ري وأبحر جنوبا إلى الدير الذي يسكنه تلاميذ أنبا أنطونيوس ... وحدث أن جاء الأب الكبير في مساء اليوم التالي في وقتٍ متأخر جدا من الليل ملتفا برداءٍ من الجلد كما أخبرني أبا كرونيوس. وكان من عادة الأب أنطونيوس عند دخوله الدير أن يسأل تلميذه مكاريوس: "هل جاء أحد من الإخوة"؟ فإذا كان قد حضر أحد يعود فيسأله: "من مصر أم من أورشليم"؟ لأنّ الأب كان قد أعطاه هذه القاعدة للتمييز: "إذا كانوا إخوة من الدوارين المتهاونين تقول إ م من مصر، أما إذا كانوا قديسين ونشطاء ذوي إفراز تقول إ م من أورشليم (أي سماويين)"!

فلما دخل الأب الدير سمعناه يسأل تلميذه: "هل الإخوة من مصر أم من أورشليم"؟

فأجابه تلميذه: "خليط"! وكان الأب الكبير قد اعتاد إذا كان الإخوة "من مصر" أن يبادر بقوله: "أعد لهم العدس ليأكلوا"، ويصلي عليهم صلاة ويودعهم، أما إذا كان الإخوة "من أورشليم" فإنه يجلس معهم طوال الليل يتكلم معهم من أجل خلاص النفس!

٥ - أما في تلك الليلة بالذات - كما يقول أبا كرونيوس - فقد دعانا وجلس معنا دون أن يخبره أي واحدٍ منا باسمه. وبعد مدةٍ سمعناه ينادي بيننا: "أولوجيوس، أولوجيوس، أولوجيوس"... فلم يرد أولوجيوس لأنه ظن أنه ينادي أولوجيوس آخر! وإذ بالقديس يشير إليه ويقول له: "أنا أقصدك أنت يا إسكندراني"! ... ثم سأله: "ما الذي دعاك للمجيء إلينا"؟ فأجاب أولوجيوس: "الذي أعلمك باسمي هو الذي يخبرك بمسألتي"! فرد عليه القديس: "أنا أعلم لماذا أتيت، ولكن أخبر الإخوة حتى يسمعوا كلهم".

فابتدأ أولوجيوس يتكلم: "لقد وجدت يا أبي هذا المقعد في السوق، وتحننت أحشائي فأقسمت بعهدٍ أمام الله أن آخذه عندي وأعتني به حتى أخلُص بسببه، ولعله هو أيضا يخلُص بسببي! ... ولكن بعد هذه السنين الطويلة بدأ يزعجني حتى فكّرت في نفسي أن أخلي سبيله، لهذا جئت إلى قداستك حتى تنصحني بماذا أتصرف وتصلي علي لأني حزين وفي مرارة نفس".

٦ - فابتدأ أنبا أنطونيوس يخاطبه بحدةٍ وعبوسةٍ: "أتريد أن ترميه؟ ولكن الذي خلقه لن يرميه! ... وإن رميته فالله سيقيم إنسانا آخر أكثر حنانا منك فيقبله ويضمه إليه"! أما أولوجيوس فظلّ ساكتا خائفًا من الكلام ...

ثم التفت القديس إلى المقعد وابتدأ يعنفه بكلامٍ لاذعٍ أشد من السياط: "أيها المقعد ا دع (أي المبتور اليدين)، ألا تبدو بأعمالك هذه أنك غير مستحق للسماء ولا حتى للأرض؟ لماذا لا تكف عن مقاومة الله؟ ألا تعلم أن المسيح هو نفسه الذي يخدمك الآن؟ أليس أنّ أولوجيوس قد جعل نفسه خادما لك من أجل المسيح؟ أتجرؤ أن تنطق ذا الكلام الصعب ضد المسيح"؟ ... وكان القديس جافيا جدا من نحوه.

ثم سكت الأب وأدار الحديث مع باقي الإخوة متكلما فيما يهمهم ومجيبا لحاجا م، ثم عاد يوجه الحديث لأولوجيوس والمقعد معا: "لا تتأخرا كثيرا هنا، رتبا سفركما، ولا تنفصلا عن بعضكما، بل عيشا معا باتفاقٍ في القلاية التي عشتما فيها هذه السنين الطويلة، فالله أرسل يطلبكما، وهذه التجربة أصابتكما لتعويق خلاصكما وأنتما في اية الطريق والموت على الأبواب وإكليلكما مهيأٌ، وقد قُضي لكما بأخذه عن استحقاق، فلا تتعوقا، قوما وامضيا حتى لا يجدكما الملاك هنا عند مجيئه فهو على الأبواب ..."!

٧ - فقاما مسرعين ورتبا سفرهما عائدين إلى قلايتهما، وفي غضون أربعين يوما مات أولوجيوس ولحقه المقعد بعد ثلاثة أيام!

ثم قال الأب كرونيوس عن نفسه إنه تعوق قليلاً في الصعيد في المناطق العليا ثم ارتد راجعا إلى ديره بالإسكندرية، فوجد الإخوة هناك يعملون تذكار الأربعين لأولوجيوس الطاهر، وبعد ثلاثة أيام عملوا الأربعين للمقعد. فلما علم كرونيوس ذلك تعجب جدا وأخذ الإنجيل المقدس ووضعه في وسط الإخوة وأخبرهم بكل ما حدث قائلاً: "لقد كنت أنا المترجِم في الحديث الذي دار بين القديس أنطونيوس وأولوجيوس، لأن القديس لا يعرف اليونانية وأنا أعرف اللغتين، فكنت أفسر الكلام لهذين الاثنين إلى اللغة اليونانية، وللقديس كنت أُترجم إلى اللغة المصرية (أي القبطية)"، وقص عليهم كل ما حدث!

❁✪❖✪❁

القديسة تاييـس التائبة(✪)

عاشت في **مصر** في القرن الرابع عاهرة شهيرة تسمى "تاييس"، وكانت قد ترعرعت في أسرةٍ مسيحيةٍ، ثم سمع بحيا ا الخليعة القديس سيرابيون في وحدته في الصعيد، وعزم على أن يحاول تغيير حيا ا. فخلع رداءه الرهباني وتنكّر في زي عادي وذهب إلى بيتها (يبدو أ ا كانت في الإسكندرية)، ثم وصل إلى غرفتها.

أخبرها بأنه يريد أن يتكلم معها، ولكنه أراد أن يكون ذلك في مكانٍ خاص. "فسألته: ما الذي تخاف منه؟ إن كنت تخاف من الناس فلا أحد يمكنه أن يرانا هنا، أما إذا كنت خائفًا من الله فلا يمكن لأي مكان أن يخفينا عن عينيه". فقال القديس: "ماذا؟ أتعرفين أنه يوجد إله"؟! فأجابته: "نعم، بل إنني أعرف أنّ السماء ستكون من نصيب الصالحين، وجهنم الأبدية من نصيب الأشرار". فبهت القديس وقال بصوتٍ عالٍ: "أيمكن أنكِ تعرفين هذه الحقائق ومع ذلك تجرئين على أن تخطئي وتجذبي الكثيرين وراءكِ أمام ذاك الذي يرى وسيدين الجميع"؟

فشعرت تاييس بأ ا قُهرت ذا التوبيخ الذي نطق به الشيخ الطوباوي، وفي نفس الوقت فإنّ الروح القدس الذي حرك أنبا سيرابيون أن يتكلم أنار فهمها لكي ترى دناءة خطاياها، ولين قلبها بلمسة نعمته، فامتلأت اضطرابا بسبب جرائمها، وبحزنٍ مر مقتت جحودها لله، فانفجرت باكيةً وألقت بنفسها تحت قدمي أنبا سيرابيون صارخةً: "أخبرني

(✪) Butler's Lives of the Saints, 8th of October.

يا أبي ماذا أفعل ... صل لأجلي لكي يرحمني الله ... أريد ٣ ساعات فقط لكي أصفي أموري، وحينئذٍ سأكون مستعدةً أن أفعل كل ما تشير به علي". وعين لها القديس مكانا تقابله فيه وخرج.

فجمعت تاييس كل جواهرها وملابسها وكل بقية ثرو ا التي اقتنتها من الخطية وجعلتها كلها في كومةٍ كبيرةٍ في الشارع وأحرقتها أمام الجميع، ودعت جميع الذين شاركوها في الخطية وأعطوها هذه الهدايا أن يشاركوها في توبتها، ثم أسرعت إلى أبا سيرابيون الذي سلمها لديرٍ للنساء، وهناك أغلق عليها في قلايةٍ ووضع ختما من الرصاص على با ا وكأنّ القلاية قد صارت قبرا لها فلا تفتح بعد ذلك، وطلب من الأخوات أن يعطينها كل يوم خبزا وماءً فقط من طاقة.

ثم سألته تاييس: "علمني يا أبي كيف أصلي". فقال لها القديس: "أنتِ غير مستحقة أن تطلبي الله بذكر اسمه لأن شفتيكِ قد امتلأتا بالإثم، ولا أن ترفعي يديكِ نحو السماء لأ ما اتسختا بالنجاسات، ولكن قفي تجاه الشرق ورددي دائما: 'يا من خلقتني ارحمني'".

فاستمرت على هذه الصلاة بدموعٍ متواصلة، وبعد أن واظبت على ذلك بحرارةٍ لمدة ثلاث سنوات، انطلق أنبا سيرابيون إلى القديس أنطونيوس ليسأله إن كانت توبتها هذه تكفي لمصالحتها مع الله وللاشتراك في الذبيحة المقدسة. فقضى أنبا أنطونيوس ورهبانه الليل كله في الصلاة، وفي الصباح قال أنبا بولا البسيط - أكبر تلاميذ أنبا أنطونيوس سنا - إنّ الله قد أعد مكانا في السماء للتائبة تاييس.

فذهب أبا سيرابيون إلى التائبة ليخرجها من حبس توبتها، فقالت له تاييس إ ا من وقت مجيئها لم تكُف عن النوح بسبب خطاياها التي كانت باستمرار تشعر ا كحملٍ ثقيل، فقال لها القديس: "ولأجل هذا السبب قد محاها الله عنكِ".

ثم تركت حبسها لتعيش مع بقية الأخوات، ولكن الله أطلقها من هذا العالم بعد أسبوعين فقط من خروجها من حبسها(١٨٨).

(١٨٨) وقد انتشرت سير ا على نطاقٍ واسعٍ في الغرب، وظلت المراجع تختلف مع بعضها في اسم القديس الذي تسبب في توبتها، هل هو بفنوتيوس أم سيرابيون أم بيصاريون، إلاّ أنه في أوائل القرن العشرين اكتشفت رفات كل من أنبا سيرابيون وتاييس متجاورين في أنتينيوي (وهي "الشيخ عباده" بجوار ملوي)، ثم عرضت في متحفGuimet في باريس، ومن ذلك الحين أصبح من المرجح أنّ التصاق رفات هذين القديسين يعني أنّ أنبا سيرابيون هو الذي كان سببا في توبتها.

من قول لأبينا القديس أنطونيوس
عندما أتى إليه أولاد القديس باخوميوس يسألون عنه

١٥٨- قيل عن أبينا القديس أنطونيوس عندما أتى إليه أولاد القديس باخوميوس يسألون عنه إن أبانا القديس أنطونيوس كان قد مرض في الجبل الخارجي، وكان أولاد أبينا باخوميوس قد جاءوا من ديرهم طالبين مدينة الإسكندرية، فلما سمعوا أن القديس أنطونيوس مريض رسوا بمركبهم على البر وذهبوا لكي يجتمعوا به ويسألوا عنه ويتباركوا منه. فأخبر تلاميذ أنبا أنطونيوس أباهم بأنّ إخوة دوناسة[١٨٩] قد جاءوا لكي يسألوا عنه ويأخذوا بركته لأ م ذاهبون إلى الإسكندرية. ولما عرفوه بأسمائهم ترك قوما من الإخوة كانوا عنده (يزورونه)، وأمسكوا يده وأقاموه بسبب أن رقاده أبطأ زمنا طويلاً. فتعجب الإخوة ا تمعون حوله جدا. ولما أخرجوه وهم ممسكون بيده إلى الباب الخارجي قبلهم بقبلةٍ روحانيةٍ مقدسةٍ، ثم أمسك أنبا تادرس (تلميذ أنبا باخوميوس) بيده اليمنى وأنبا "زكّاوس" بيده اليسرى وساروا معه والإخوة جميعا يتبعونه إلى موضع مرقده، ثم صلوا وجلسوا. ورأى الإخوة المحيطون به وجهه ممتلئًا فرحا وهو ينير مثل وجه ملاك الله، وابتدأ يتكلم معهم قائلاً:

"لا تتوجع قلوبكم، يا أولادي، من أجل رجل الله الصديق المزين بكل الفضائل أبينا باخوميوس لأنه رقد[١٩٠]، لأنكم قد صرتم معه جسدا واحدا وشركاء في الأعضاء (أي العضوية)، وقد امتلأتم من نعمة روح الله القدوس التي كانت تنير داخله. وفي الحقيقة إنني كنت أشتهي أن أنظره في الجسد، وبحقٍ إنني لم أستحقه، ولا سيما أن النفوس التي جمعها حوله هي مقدسةٌ لرب الصباؤوت، وأولئك سوف يظهرون الأمر أ م مرتفعون أكثر منا إذ يسيرون في طريق الرسل التي للمسيح التي هي الشركة المقدسة".

فقال أنبا تادرس لأبينا أنطونيوس: "اغفر لنا يا أبانا القديس لأنك أنت أكرم منا وأنت هو الباقي من أنبياء الله".

أما أنبا زكّاوس فلم يحتمله بل أجابه بسذاجةٍ قائلاً: "إن كان هذا هو الطريق السامي الذي للرسل، أعني الشركة التي أسسها أبونا، فلماذا لم تكن أنت في شركةٍ مثلها وتربي نفوسا كثيرة أيضا كما قلت حتى يعلم الجميع أنك صديق للمسيح يسوع وكاملٌ في

---

(١٨٩) أحد الأديرة الباخومية، ويقع حالياً فى محافظة قنا.
(١٩٠) تنيح أنبا باخوميوس فى ١٤ بشنس عام ٦٢ ش (٣٤٦ م) عن ٦٠ عاماً، بينما تنيح أنبا أنطونيوس في ٢٢ طوبه سنة ٧٣ ش (٣٥٧ م) عن ١٠٥ عاماً.

فضائل الروح القدس الحسنة؟ الرب يعلم أنّ أبانا باخوم لم يفتر عن الكلام معنا في كل حين ليملأنا بالغيرة من سيرتك"!

فأجاب أنبا أنطونيوس وقال له: "اسمع مني لكي أُطيب قلبك يا أيها الصغير زكّاوس من جهة ما استقصيت عنه مني – وقد سماه "صغيرا" لأنه كان قصير القامة مثل زكا - لأنك مستحق أن أُطيب قلبك: إنه في الزمان الذي صرت أنا فيه راهبا لم تكن على وجه الأرض حياة شركة لكي أصير أنا أيضا فيها، بل إنّ كل واحدٍ كان يسكن خارج بلده ويتوحد، ولذلك صرت أنا أيضا في الوحدة، ثم ظهر طريق الرسل على الأرض في هذا الزمان، وهو الأمر الذي ابتدأ به أبونا القديس باخوميوس وكان خلاصا لكل من هو مضيق عليه من قِبل الشيطان الشرير. والآن لو أردت أن أجمع حياة شركة لا أستطيع لأنني لم آتِ من الأول بأمر كهذا لكي أصنع ما يجب أن أصنعه مع كل واحدٍ في الشركة. كما أنني إذا أردت أن أعيش مع إخوةٍ مجتمعين في سيرةٍ كهذه وأخضع لهم مثل واحدٍ من الصغار لا أقدر لأنني قد كبرت في هذه الشيخوخة، ولذلك فقد اخترت أن أبقى وحدي هكذا كما أنا الآن".

"لقد كان تدبيري هو أن أخرج من الجبل لكي أفتقد الإخوة، وكنت أتكلم مع كل واحدٍ من الإخوة وأُثبته في كلام الرب لكي يكون لي أجر من الرب يسوع المسيح. وأقول لكم إنّ هذا الأمر هو موضع اهتمامي أمام الرب في كل حين: أن تخلص نفس واحدةٌ بواسطتي في الرب لكي يخلص الرب نفسي، ولكنهم لا يتركونني أصنع إرادتي، بل عندما يسمعون أنني خرجت من الجبل الخارجي فإن كثيرين من المتخاصمين والذين بينهم مشاكل يسرعون إلي ويكلفونني أن أكتب للسلاطين والرؤساء من أجل ظلمهم (أي شكاواهم). ولكنني لما كنت أرى أن هذا ليس فيه ربح لمن هو في شكلنا كنت أمضي بسرعةٍ إلى الجبل وأنفرد في الوحدة".

ولما قال الطوباوي أنبا أنطونيوس ذلك من أجل الإخوة والسيرة المقدسة التي للشركة وكثرة فضائلها، وكانت عنده جموع كثيرةٌ في ذلك الوقت وكهنة وعظماء كانوا قد جاءوا إليه لكي يسألوه ويتباركوا منه؛ علم أ م تقمقموا (أي تذمروا) في قلو م بسبب تمجيده للإخوة الذين هم تحت الخضوع في حياة الشركة. فقال لهم: "هل غضبتم بالحق في قلوبكم لأنني أكرمت صبر الإخوة وعباد م لله"؟ فقالوا: "لم يكن ضيقنا باطلاً، ولكننا حردنا (أي غضبنا) في قلوبنا لأنه منذ زمانٍ طويل منذ أن ضعفت بالجسد، فإنّ كل من يأتي إليك ويسأل عنك من أسقف أو كاهن أو جندي أو مقدم أو أي رئيس لا

تقف وتقبل أحدا منهم بسبب ثقل مرضك، بل إ م هم ينبسطون عليك ويقبلون رأسك وفمك وصدرك بشكر. ولما أخبروك عن الإخوة الذين من دوناسة في تلك الساعة قمت وتركتنا جالسين ومشيت أمامهم بفرحٍ عظيمٍ وقبلتهم بفرحٍ و لّل قلبك من أجلهم"!

فقال لهم الطوباوي أنبا أنطونيوس: "أنا أطيب قلوبكم بخصوص هذا الأمر وأخبركم بكل ما صار إلي من الله بالحق. فالرب يعلم أنني لست من أجل الإخوة قمت وخرجت أمامهم وقبلتهم لأ م مكرمون عندي أكثر منكم، كلاّ الرب يعلم، بل إنّ ملاك الرب سبق أن دخل إلي قدامكم وقال لي: 'هوذا أولاد أنبا باخوم الذين من دوناسة قد جاءوا إليك، فقُم الآن واخرج أمامهم'. وفيما كان الملاك يتكلم معي جاء إلي خبر مجيئهم، وحينئذٍ حلت علي قوة الرب، فقمت وخرجت وقبلتهم إلي بفرحٍ كما أمرني ملاك الرب. نعم طوباهم إذا ما صنعوا وأكملوا كل الوصايا والقوانين التي وضعها رجل الله الصديق أنبا باخوم".

فأجابه الإخوة الجالسون عنده قائلين: "إن كان هؤلاء الإخوة الذين لتلك الشـركة مستحقين للكرامة وا د الذي مجدتهم به فكيف أنه عندما نجتاز بـأديرة م يتعبوننـا إذ يستقصون منا إن كنا من أتباع "ماني" (الهرطوقي) في إيماننا[191]، ونتعـب في كلامنـا معهم بأننا من أصحاب الأب أنطونيوس ولا يصدقوننا بل يقولون: 'إنّ كثيرين يجيئـون إلى هنا ويقولون ذلك فنقبلهم إلينا كوصية الإنجيل، وبعد أن يرحلـوا نتقصـى عنـهم فنجدهم مانيين (أي من أتباع ماني)'"؟

فأجاب أنبا أنطونيـوس قائلاً: "أيها الساذجون الذين ليس عندهم تمييز الكتب وتقبلون إليكم كل واحدٍ بدون اختبار، هل تريدون أنّ إخوة الشركة المقدسة يكونون بلا فحصٍ للذين لا يعرفون إيما م؟ أما هم فلأ م متحفظون في كل شيء لأ م يذكرون الكلمة المكتوبة في الإنجيل المقدس التي قالها لنا الرب: «اِحذروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفو م» (مت٧: ١٥و١٦)، وأيضا: «امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن» (١تس٥: ٢١). قد توجد محبة ترون أ ا جيدةٌ ولكن آخر ا تبلغ إلى عمق الجحيم".

---

(١٩١) كان "مانى" أحد المبتدعين في القرن الثالث الميلادي، من أصل فارسي، من المذهب الغنوسى الذي ظل يناوئ الكنيسة فى الخمسة قرون الأولى. لكن تلاميذه كونوا بعثات تبشيرية نشِطة امتدت من الهند شرقاً حتى قرطاجنة غرباً، حتى أن ق. أغسطينوس كان من أتباعهم فى شبابه. ويعتقد أن المخطوطات القبطية المُكتشفة قرب نجع حمادى عام ١٩٤٦ كانت لإحدى مستوطنا م التي لم تبعد عن شينوبسكِيون - أشهر الأديرة الباخومية - سوى كيلومترات معدودة. وجاء هذا الاكتشاف تأكيداً لمخاوف الرهبان الباخوميين، كما تظهر في سياق حديث ق. أنطونيوس.

فطابت قلوب الإخوة والكهنة جميعا من التعليم الذي قاله لهم القديس أنطونيوس عن إخوة الشركة التي لأبينا القديس أنبا باخوم. ثم قام وصلى عليهم وخرجوا من عنده إلى مركبهم بسلام، وأرسل معهم رسالةً إلى أبينا أثناسيوس البطريرك. صلاتهم تكون معنا جميعا آمين[١٩٢].

(٥٢) نبوة القديس وأقواله الأخيرة

١٥٩- سأل الإخوة أنبا أنطونيوس - قبل أن ينتقل من العالم بقليل - عما سيحدث في نهاية العالم. فقال لهم القديس: "لقد سبق أن تنبأ الأنبياء، والمسيح قال بفمه، ثم تكلم الرسل عن نهاية الأيام، وأنا من أكون حتى أتكلم"؟ فقال له الإخوة: "وأنت أيضا نبي ورسولٌ وأب لهذا الزمان، فاصنع معنا محبةً وأرشدنا". فقال لهم: "أنتم تدرون أن الله أباد العالم الأول بسبب الزنى والقساوة التي كانوا عليها، هكذا أيضا حدث لسدوم وعمورة أنهما بسبب الزنى والوحشية أبادهما الله في ذلك الوقت (تك١٩: ٢٤)، هكذا فإنّ نهاية العالم ستتم بناءً على هذه الأمور الثلاثة: إذا تضاعفت القساوة بين البشر، وإذا تضاعف الزنى بين الرهبان (وهذه هي نهاية النهاية)، وإذا رأيتم الرهبان الشيوخ يتركون البرية والأديرة منتحلين أي عذر للذهاب إلى المدن والقرى، منزيفين النسك وساكنين في منازل العلمانيين مع نسائهم، وإذا رأيتم الرهبان الأحداث في أديرة العذارى وقلاليهم متلاصقة ونوافذهم من السهل الوصول إليها، وأيضا أهل البرية يحبون الأكل والشرب أكثر من تعب الزهد وضبط النفس، وإذا رأيتم الرهبان يتاجرون فيشترون ويبيعون مثل العلمانيين، فهذه هي تمام النهاية، وعندئذٍ فلن يكون للعالم موضع للراحة، بل فقط حزن وبؤس إلى انقضاء هذا الجيل"[١٩٣].

عندما حلّ بالقديس أنطونيوس المرض وعلم بقرب انتقاله دعا الراهبين اللذين كانا قد بقيا في الجبل خمسة عشر عاما يمارسان النسك ويخدمان أبا أنطونيوس بسبب تقدمه في السن[١٩٤]، وقال لهما: "إنني كما هو مكتوب ذاهب في طريق الآباء، لأنني أرى أنني دعيت من الرب؛ فكونوا ساهرين، ولا تفسِدوا نسككم الطويل، بل كأنكم مبتدئون الآن حافظوا على عزمكم بغيرةٍ، لأنكم تعلمون خداع الشياطين وكيف أنها متوحشة ولكنها قليلة القوة، ولذلك لا تخافوها، بل بالحري تنسموا المسيح دواما، وثقوا فيه، وعيشوا كأنكم تموتون كل يوم، التفتوا إلى أنفسكم، تذكّروا النصائح التي سمعتموها مني، لا تكن لكم شركة مع المنشقّين ... وكونوا

---

(١٩٢) م ٢٣ ورقة ١٧٠أ.
(193)Am., 28, 13.
(١٩٤) يبدو أنهما هما "أماثاس" و "مكاريوس" اللذان دفناه. وقد قال هو عن نفسه: "إنني أشرفت على المائة وخمسة أعوام" (أنظر "حياة" رقم ٨٩).

أكثر غيرةً على الدوام لاتباع الله أولاً، ثم التمثل بالقديسين حتى يقبلوكم أيضا بعد الموت كأصدقاء معروفين في المظال الأبدية. تأملوا في هذه الأمور وفكروا فيها"[١٩٥].

رسالة من القديس سيرابيون أسقف تمي[🕯]
إلى تلاميذ أنبا أنطونيوس
بعد انتقال معلمهم إلى السماء[❖]

١ - إلى تلميذَي القديس أنطونيوس: مكاريوس وأماثاس:

لقد فَقَد العالم شفيعا عظيما، واستقبلت السموات رجلاً جليلاً. فالذين في الأعالي قد استقبلوا من كانوا ينتظرونه، وفَقَد السفليون من كان بين أيديهم.

لقد سبب رحيله اليوم عيدا للذين في الأعالي، ولكن وفاته سببت خسارة جسيمة وضيقًا لنا نحن الساكنين على الأرض. فانظروا أيها الإخوة، لقد تألّم الجميع معا واغتمت الطبيعة كلها وأتلف غضب الله المفاجئ مصر أولاً[١٩٦] حالما رحل من وسطنا هذا الأب الكبير المغبوط أنطونيوس الذي كان يتشفع من أجل المسكونة!

٢ - هوذا رحيله عنا قد صار خسارةً لنا، فكم بالأكثر سيسبب انتقاله فرحا للذين في السماء! وطالما أن هذا القديس عندما كان على الأرض كان يتحدث ويبسط للرب يديه الطاهرتين دائما ويتكلّم معه ووجهه يشرق من الفرح في الرب، فقد كان يحول دون حلول غضب الله علينا. أما بعد أن صارت هاتان اليدان مضمومتين ولم يوجد أحد آخر يحول دون حلول الغضب علينا، فقد باغتنا هذا الغضب بشدة وهدد بإهلاك كل كورة مصر.

٣ - ففي الحقيقة إنّ هارون، لما بدأت العقوبات (أي الوبأ) تظهر أعراضها بين الشعب، أخذ ا مرة وقاوم الغضب إذ توسط بين الأموات والأحياء (عد١٦: ٤٦-

---

(١٩٥) "حياة" رقم ٩١.

(🕯) هذا هو اسم المدينة القبطي، أما اليوناني فهو "تمويس"، أضيفت إليها حديثًا كلمة "أمديد" وهي اسم بلدة أخرى بجوارها كانت تعرف باسم "منديس"، فالاسم "تمي الأمديد" يطلَق الآن على إحدى نواحي مركز السنبلاوين بالدقهلية، وكانت سابقًا مركزا لأسقفيةٍ كبرى.

(❖) عن كتاب: *Lettres des Pères du désert*, Spiritualité Orientale, no. 42; Abbaye de Bellefontaine; p. 151.

وتقول مقدمة هذه الرسالة: "فُقِد النص الأصلي لهذه الرسالة الذي لا بد أنه كان باللغة اليونانية، وقد توصلنا إليها بفضل ترجمتين: إحداهما سريانية منقولة من مخطوطتين من القرن السادس هما:

(1) Sinaï syr. 46, de l'an 534 ; (2) Londres, B. M. Add. 17177.

والثانية أرمنية ويتبين من أسلو ا كا ا كلمة القيت في ذكرى انتقال القديس أنطونيوس".

(١٩٦) يقصد هجوم الأريوسيين على المؤمنين كما سيأتي الكلام.

٤٨)، فلم يدع الباقين يموتون وحال دون أن يجتاحهم الغضب. لقد حفظ الباقين أحياء، أما الموت فقد رده على أعقابه وتوقّف غضب الله من أجل البار.

والأب الكبير المغبوط أنطونيوس لما كان لا يزال معنا على الأرض كان يرفع باستمرار ا مرة المقدسة (التي لبخور صلواته العطرة) مطفِئًا نار الغضب، ولم يكن يسمح له بأن يحل علينا. فطالما كان هو معنا لم يكن حلول الغضب يزداد بل كان يجعله بعيدا منا، ولما توفّي وجد الغضب فرصةً جديدةً لكي يحلّ علينا ولم يجد بيننا من يمنعه.

٤ - كم من الدموع سنسكبها إذن؟! أية مراثي سننشدها نحن الذين حرِمنا من هذا القديس العجيب والعجائبي (أي صانع العجائب)، والذين صرنا محاطين بالغضب ولا نستطيع أن نجد له علاجا؟! .. أما الآن فلنتشبه نحن بمثاله أيها التلاميذ القديسون الذين لهذا المغبوط، الذين يجب عليكم أن تطبعوا تعاليمه في نفوسكم.

وحيث إنّ التلميذ لا يجب عليه إطلاقًا أن يبعِد نفسه عن إرشاد آبائه ولا عن الذين يقودونه، فيجب عليه ألاّ يكف عن أن يتشبه بمثال معلمه بنسكٍ جاد. ولكنني لا يمكنني أن أتجاهلكم أنتم الذين عاشرتم القديس مدةً طويلةً ساكنين مع ذاك الذي شهد لله بحياته، متقبلين أقواله ومقتدين بحياته النسكية.

٥ - هذا وإن كنا قد فقدنا واحدا فعندنا كثيرون، وعلينا أن نجد القوة الروحية لهذه النفس الواحدة في هؤلاء الكثيرين. وعلى ذلك فأنا أتوسل إليكم أنتم الكثيرون أن تقتنوا قوةً عظيمةً حيث إنّ كل واحدٍ منكم قد صار أنطونيوس آخر، وإذ قد صار عددكم كبيرا فعندما تنشأ فيكم قدرات أكثر تنتج عنها أيضا فوائد أكثر!

ولكن لأنه من الصعب عليكم أن تتشبهوا بالقديس في اكتساب هذه القوة رغم أنكم كثيرون، فأظهروا (في حياتكم) قوة روحه، وما كانت تفعله هذه النفس الواحدة فلنفعله نحن الكثيرون، وما كان يتممه فلنتممه نحن، لأنه بصلواته المقدسة كان الطريق مفتوحا بينه وبين الله. فلنحقق نحن الكثيرون نفس الشيء، فبواسطة الأعمال الصالحة ونقاوة قلوبنا نعطي لله الفرصة لعلّ - حتى وإن كان الغضب كله سيبتعد عنا – فإن الكنيسة تجد في المستقبل قليلاً من الراحة.

٦ - والآن يا أحبائي، أنا أكتب لكم لأنّ الكنائس قد أُتلِفَت والتجاديف تملأ أماكننا العامة، وكل إثمٍ وشرٍ قد انتشر في المدن، واستولت عدم المخافة على نفوسنا وزاغ الكثير منا وراء انحرافات الأريوسيين، ولا يمكننا أن رب هنا أو هناك وأن نتجنب الدموع بأية

حال!! لأنّ بيت الله لا يوجد فيه خدام، وكنائس الله خاوية من شعبها الكثير، والآن قد صارت المواضع المقدسة مهجورة من الشعب الذي كان يرتادها، وقد جعل الناس من البراري كنيسة مقدسة إذ إ م عالجوا حزن الكنيسة بتغييرهم لموضعها، لقد مكثوا في البرية ومن هناك قدموا لله الصلوات الكنسية.

ولكن الكنائس في حالة أنين وأسوارها تستغيث، والأماكن المقدسة لا زالت مهجورة وكأ ا تبكي على نفسها. ونحن نقاسي من القول المكتوب: «طرق صهيون نائحة لعدم الآتين إلى العيد» (مرا ١: ٤) ... ولذلك أنا أكتب لكم هذا لكي عندما تسمعون بذلك تلتجئون إلى الله بالصلاة. ونحن نعتقد أنّ الله سيرضى عنا وسيضع سريعا حدا لهذا الأمر الذي تفشى بسبب خطايانا والتهديدات الموجهة ضدنا نحن الخطاة، ويقبل شفاعة صلوات القديسين. ❒

بعض الإخوة زاروا أنبا شيشوي الكبير عندما كان ساكنا في مغارة أنبا أنطونيـوس بعد نياحته، ثم قالوا: "لقد أرانا أنبا شيشوي مغارة أنبا أنطونيوس وقـال: 'هكـذا في كهف أسد يسكن ثعلب'"[١٩٧].

سأل إنسانٌ أنبا شيشوي قائلاً: "ألم تصل بعد إلى درجة أنبا أنطونيوس يا أبانـا"؟ فأجاب الشيخ: "لو كان عندي حتى ولو فكر واحد مثل أنبا أنطونيوس لكنـت قـد أصبحت كلي مثل النار، ولكنني أعرف إنسانا قادرا أن يحوي أفكاره بالرغم من عملـه الكبير"[١٩٨] (ربما كان يقصد أنبا مقار الكبير).



(197) W. & W., II: 103.

(198) Ibid., II: 306.

الفصل الثالث

عظات وتعاليم لأنبا أنطونيوس

تعاليم روحانية ووصايا مقدسة

للقديس العظيم أب جميع الرهبان الطوباني أنبا أنطونيوس، بركاته تحفظنا جميعاً آمين.

من أجل الفضيلة الحسنة والهدوء والتحفظ والاستماع والطاعة في كل شيء، وفيما يختص بالرهبنة

١ - يا بني، قبل كل شيء لا تحسب نفسك شيئاً، فهذا هو والد الاتضاع. والاتضاع يلد التعليم، والتعليم يلد الإيمان، والإيمان يلد الرجاء، والرجاء يلد المحبة، والمحبة تلد الطاعة، والطاعة تلد الثبات بلا تزعزع.

٢ - يا بني، تعر من الشر والبس الوداعة. اطرح عنك العين الخبيثة واتخذ لك عيناً بسيطة. لا تتشبه بمن هو أضعف منك، بل بمن هو مختار أكثر منك. لا تخف من شتائم الناس. لا ترغب في أن تعرف في شيء من أعمالك. ابغض كل شيء يكون فيه خسرانٌ لنفسك. لا تترك مشيئة الله وتصنع إرادة الناس. لا تنم ولا تشتم أحداً. لا تحسد من يتقدم بالظلم، بل اجعل جميع الناس أعلى منك لكي يكون الله معك.

٣ - يا بنى، لا ترجع إلى ورائك فيما ابتدأت به من الأعمال الصالحة. لا تَمَلّ من محبة الله. اصبر في كل ما تريد أن تصنعه، فإذا صبرت يعضدك الله في كل ما تريد أن تصنعه الآن وفيما يأتي. لا ترجع إلى ورائك في طريق وحدتك. ابغض الحديث الباطل في كل شيء لهذا العالم. اجعل لك اهتماماً عظيماً بالفضيلة وهو الذي يصيرك غير غافل. فإذا عملت بذلك، يا ابني، فإنك ترث ما لم تره عين ولم تسمع به أُذن ولم يخطر على قلب بشر.

٤ - احتسب من هو دونك في الفضيلة أنه مختار ومساوٍ لك في الفضيلة، والذي هو مساوٍ لك في الفضيلة أنه مختار وأفضل منك في النمو.

٥ - يا بني، لا تضجر من الأفكار التي تأتى عليك في قلايتك، واعلم أن الرب لا ينسى شيئًا من أتعابك، وأن منها يكون لك النمو، ونعمة الله تعضدك.

٦ - يا بني، ليكن القوم الذين أحبوا الرب بكل قلو م وداموا في العمل صورةً لك

ومثالاً، ولا تستحِ أن تطلب منهم (كلمة منفعة) لحياتك لأ م قد تكملوا في الفضيلة. لا تتشبه بالذين يداومون على نياح هذا العالم، لأ م لا يتقدمون أبداً، بل تشبه بالذين عاشوا تائهين في الجبال والبراري من أجل الله، لكي تأتى إليك القوة من العلا ويطيب قلبك في كل شيء تصنعه بحسب مشيئة الله. لا ترجع إلى ورائك في شيء من هذه الوصايا الإلهية، والرب يسوع المسيح يعطيك نياحاً فتكمل كل ما ابتدأت به من الأعمال الصالحة بسلامة، لأن آباءنا الكاملين ومن ماثلهم ذه قد كملوا.

٧ - يا بني، لا تكثِر الكلام فتبعِد روح الله منك. ولا تتمسك بشيء من الشر، ولا تدِنْ أحداً.

٨ - يا بني، لا تمشِ مع المستكبرين، بل امشِ مع المتواضعين.

٩ - يا بني، لا تكن مرائياً ولا كذاباً.

١٠ - يا بني، لا تتكلم بغضب بل ليكن كلامك بحكمة ومعرفة، وكذلك سكوتك أيضاً، لأن آباءنا الحكماء كان كلامهم مملوءًا من الحكمة والتمييز، وكذلك سكو م.

١١ - يا بني، لا تزك نفسك عند الناس، بل كن في ذاتك حكيماً وديعاً طويل الروح كثير الأناة مجتهداً محبا للبشر. احزن مع أخيك وكن له شريكاً صالحاً.

١٢ - يا بنى، كن متواضعاً جميع أيام حياتك. وتمسك بكل شيء حسن. ولا تسأل عن الأشياء الرديئة، بل ا ِجعل طريقك بعيداً عنها. وليكن كلامك بحلاوةٍ بلا خسارة، لأن ا د والهوان هما من قِبل الكلام. أحِب الرحمة وتذرع بالإيمان.

١٣ - يا بني، لا تجعل قلبك رديئاً حتى يفكّر في الشر، بل اجعله صالحاً، واطلب الصلاح واقتنِ غيرةً في جميع الأعمال الحسنة. لا ترفع صوتك، وإذا مضيت إلى أحد فليكن خوف الله في قلبك، واحفظ فمك لترجع إلى موضعك بسلام. لا تكثِر الكلام عند من هو أكبر منك.

١٤ - يا بنى، أحِب آباءك الروحانيين الذين يهتمون بك من أجل الله أكثر من محبتك لآبائك الجسدانيين.

١٥ - يا بني، إذا جلست في وسط الإخوة لا تكثِر الكلام، وإذا سئلت منهم عن أمر فقُلْه باتضاع.

١٦ - يا بني، إذا شتمت فلا تبغِض شاتمك، بل قُلْ: إني مستحق أن أُشتم من جميع

الإخوة. وإذا أتى إليك أحد من الإخوة في أمر فواضِع ذاتك في كل شيء، واسع له من أجل الله ولا تتكبر. وإذا رتبك أبوك لخدمة المرضى فاخدم بكل قلبك لتنال الأجر مضاعفاً من الله: لسماعك (أي لطاعتك) ولخدمتك. وإن وبخك أحد بسبب خطية وأنت بريءٌ منها فتواضع لتنال الإكليل.

١٧ - لا تنصِت لكلام الشر، بل كن محبا للناس فتحيا. لا تجازِ شراً بشر ولا الشتيمة بشتيمةٍ، لأنه مكتوب: "إذا أنت لم تنتصر لنفسك فأنا أنتصر لك، قال الرب".

١٨ - يا بني، لا تكن مستكبراً ولا تفتخر ولا تصرخ بصوتك ولا تتكلم بسرعة لأنه مكتوب: من كَثُر كلامه لا يخلص من خطية (انظر أم١٠: ١٩).

١٩ - يا بني، لا تبغض أحداً من الناس، بل أحِبهم جميعاً كنفسك لأنه مكتوب: «أحِب قريبك كنفسك».

٢٠ - يا بني، أُذكر من يكلمك بالتعليم الصالح واحفظ وصاياه فتحيا ويطول عمرك في إرادة الرب كما هو مكتوب في رسائل الرسول بولس: «اِدرس في هذه الأمور وتشاغل ا لكي يكون تقدمك ظاهراً لكل أحد» (انظر ١تى٤:١٣-١٥).

٢١ - يا بني، المسـكنة هي القناعة، والغربة هي أن تجمع ذاتك من الكثيرين، والسياحة هي الثبات في القلاية.

٢٢ - يا بني، اجعل لك تعباً قليلاً بجسدك في قلايتك. وليكن قلبك متضعاً، وفمك ينطق دائماً بالحق.

٢٣ - يا بني، أحِب الشتيمة أكثر من الكرامة، وأحِب التعب الجسداني أكثر من الراحة، وأحِب خسارة الدنيويات أكثر من الربح.

٢٤ - أيها الأمين المختار، ما دمت كائناً في الطاعة فاعرف ما يقال لك وتمسك به واعمل بمقتضاه. وإذا اجتمعت بالأمناء أمثالك فاِختر لنفسك السماع واعرف ما يقال، وذلك أفضل من الكلام.

٢٥ - الرجل المحب للذات هو غير صالح في الأعمال. إذا كنت بغير خطية فتكلّم باسم الرب، وعلم الذين يفترى على اسم الرب بسببهم لأ م موتى عن الرب، لكي يرجعوا عن أعمالهم وينالوا الكرامة من الرب.

٢٦ - يا بني، كرامةٌ عظيمةٌ هي أن تتمسك بالسكوت وتتشبه بسيدنا المسيح، لأن

بيلاطس تعجب منه (مر١٥:٥).

٢٧ - يا بني، كل ما تريد أن تفعله ولا يمكنك أن تعرف الله به فلا تفعله.

٢٨ - يا بني، لتكن نفسك كائنة مع الله في كل وقت، وجسدك على الأرض كائناً كالصورة والمثال.

٢٩ - يا بني، نفاق عظيم هو أن تحزن إنساناً وتترفع عليه.

٣٠ - يا بني، ليكن لسانك تابعاً لعقلك، لأن الكلام بدون تعقل هو شوك وحسك.

٣١ - يا بني، لا ينبغي أن تعلم أحداً شيئاً قبل أن تعمل به أولاً. فكر في أعمال الله ولا تكسل، لأنّ صلاة الكسلان كلام باطل. اجتهد أن تبتعد من الناس العادمي الرأي. إذا صنعت أعمالاً فاضلةً، فلا تفتخر وتقول إني صنعتها، لأنك إن ظننت أنك صنعتها فلست بحكيم. عار عليك أن تأمر غيرك بأوامر لم تتممها في ذاتك، لأنك لا تنتفع بعمل غيرك. الرجل الحكيم يعرف طريق سلوكه فلا يبادر بالكلام، بل يتأمل فيما يقول وما يفعل. أما الرجل القليل الأدب فلا يحفظ ما يقال له من الأسرار.

٣٢ - يا بني، لا تظهر كلمتك لمن لا يعرفها. واجعل سائر الناس أحباءً، لكن لا تجعلهم كلهم مشيرين، بل اتخذ لك قبل كل شيء تجربةً (أي اختبار). لا تجعل كل الناس أصدقاء، وإن صاروا لك أصدقاء فلا تأمن لهم كلهم، لأن العالم قد ثبت في المكر. لكن اجعل لك أخا واحدا يخاف الرب والتصق أنت بالله وحده مثل ابن مع أبيه، لأن الناس بأجمعهم يسلكون بالغش ما خلا النذر اليسير منهم، والأرض قد امتلأت من الباطل والأتعاب والأحزان. فإن كنت، يا بني، تحب المعيشة في الهدوء فلا تختلط مع المهتمين بالباطل. وإن صرت في وسطٍ فيه اختلاط بكثيرين فكن كمن هو ليس مختلطاً م إن كنت تحب أن ترضى الله.

٣٣ - يا بني، تعبد للمسيح وهو يخلصك ويعتقك. والعمل الجيد الذي تشتهى أن تعمله لا تتكلم به فقط بل كمله بالفعل. لا تحب اللذات لأن كل من يحب اللذات لا يسمع له الرب. اذكر أن مناقصك قد كثرت جداً وشبابك قد عبر، وقد جاء الأوان الذي تفارق فيه (الجسد) وتعطى جواباً عن أعمالك. واعلم أن أخاً لن يفدى أخاه وأباً لا يخلص ولده.

٣٤ - يا بني، اجعل قلايتك سجناً لك، لأنه قد فني الظاهر منك والباطن، وقد قرب وقت انحلالك من هذه الحياة. ليكن لك تواضع في كل شيء: في إسكيمك ولباسك

وجلوسك وقيامك ومشيك وموضع مرقدك وقلايتك وأوانيها، وفى كل سيرتك اتخذ زِى المسكنة. لا تفتخر في كلامك ولا في تسبيحك وترتيلك واجتماعك بقريبك، ولا يكن كلامك بتصنع.

٣٥ - يا بني، إن مدحت من أجل أعمالك فلا تفرح وتتلذّذ بذلك، بل ِاخفِ أعمالك ولا تدع أحداً يذكرها، واجتهد أن لا تمجد من الناس.

٣٦ - يا بني، لا تبكت أحداً بسرعة لأن هذه سقطةٌ لك، بل اذكر خروجك من هذا الجسد في كل وقت، ولا تنس الدينونة الأبدية، فإنك إن فعلت هكذا فلن تعود تخطئ. لأن آباءنا الروحانيين قالوا: إن الوحدة هي الدرس (أي الهذيذ) في ذكر الموت والهروب من كل أمور الجسد.

٣٧ - يا بني، استعمل المأكولات الحقيرة. وإذا انتابك غضب، فاطرحه عنك بسرعة ليدوم فرحك إلى الانقضاء. أتضرع إلى الشباب والشيوخ ألاّ يتركوا الغضب يقوى عليهم.

٣٨ - يا بني، الشجاعة هي الدوام على الحق ومضادة الأعداء، لأن عدم طاعتك لهم تجعلهم يذهبون عنك ولا يوجدون بعد البتة.

٣٩ - يا بني، الرجل الحكيم تظهر الحكمة على وجهه، فكن حكيماً وسِد أفواه الذين يقولون عليك الشر بصمتك عنهم. ولا تستعجب ممن يقولون عليك الشر فإن هذا من فعل الأعداء الخبثاء لكي يجعلوا الإنسان لا يدرك المعرفة.

٤٠ - يا بني، كن معتوقاً من البغضة، وحرر ذاتك من الشهوة والأفكار الرديئة، لأن يوحنا الرسول، الذي صار مسكناً للروح القدس، شبه كل اللذات البشرية العالمية بثلاثة أشياء بقوله المملوء حكمة: «إن كل ما في العالم إنما هو شهوة الجسد وشهوة العين وفخر العالم» (١يو٢: ١٦). أما شهوة الجسد فهي إشباع البطن بكثرة المأكولات المختلفة التي لا يتبعها غير النجاسة. وأما شهوة العين فهي أعمال الإنسان الهيولية (أي الجسدانية) التي تتباهى العين بإتمامها. وأما فخر العالم فهو ا ـد العظيم الحاصل في العقول بالرتب الباطلة الزائلة.

٤١ - يا بني، ازرع البر لتحصد ثمار الحياة. واستضئ بنور المعرفة لتنال (أو لتدرك) أجيال الأبرار، لأن هذا هو وقت تحصيل معرفة الرب.

٤٢ - يا بني، لا يضلك فكر الافتخار إذ يقول لك إنك تستطيع أن تقتنى لك هدوءًا في الوحدة قبل تمام جهادك في الطاعة. لأن هذا هو الجيد للإنسان: أن يحمل نير الرب

منذ صباه، ويخدم ويطيع، ويميل خده لمن يلطمه، ويفرح بالتعيير ويتلذذ بالقماه (أي بالذل والمحقرة). إن ربنا يسوع المسيح لن يتخلى عنه أبداً. لأنه صالحٌ ومعين للنفس الصابرة لأجله الطالبة إياه، فهو يقويها حتى تثبت في الهدوء. فهكذا، يا بني، اصنع حتى تقدر أن تجلس في الهدوء وحدك وتصمت بسكون.

٤٣ - يا بني، افرح في الشدائد الآتية عليك لأن ثمر ا تابعة لها. لا تستلذّ بملذات العالم لئلا تموت موتاً رديئاً.

٤٤ - يا بني، أسرع وانتبه لئلاّ تضل وتكسل وتتوانى فتكون حقيراً في الدهر الآتي. لأنه مكتوب: "الويل للمتوانين، فإن آخر م قد اقتربت وليس لهم معين ولا رجاء خلاص".

٤٥ - يا بني، مت كل يوم لكي تحيا، لأن كل من يخاف الرب يحيا.

٤٦ - يا بني، لا تنس الأتعاب التي احتملتها لأجل الفضيلة فتكسل وتتوانى وتضل في الساعة الأخيرة، بل أحِب الرب إلى المنتهى وأنت تنال الرحمة.

٤٧ - يا بني، لا تبتعد من الله لأجل الزائلات، بل اذكر ما قررته في وقت قوة حرارتك. ولا تنس الختم الذي تطهرت به أولاً، أعني إسكيمك، بل اذكر دموع التوبة وتلك الطلبات التي طُلبت عنك، واسرع وابتعد من الأفكار الخبيثة لئلاّ تضل علانية.

٤٨ - يا بني، حم سريرك كل ليلة وبلّ فراشك بدموعك، واتضع أمام المسيح لكي يمحو خطاياك ويجددك ويعينك في الأعمال الصالحة ويورثك ملكوته السرمدي. هذا الذي ينبغي له التسبيح والإكرام والتمجيد والتقديس والسجود مع أبيه الصالح وروحه القدوس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور، آمين.

كمل بمعونة الرب نسخ هذه الرسائل والتعاليم التي للقديس العظيم أنبا أنطونيوس. وذلك نقلا عن المخطوطة (م٢٣) بدير القديـس أنبا مقار، وهى منقولة عن النسخة الأصلية القديمة التي نص كاتبها على أنه نقلها من اللسـان القبطي الصعيـدي إلى اللسان العربي في آخر سنة ٩٨٦ للشهداء الأبرار (الموافقة لسنة ١٢٧٠م) بدير القديس أنبا أنطونيوس بجبل العربة.

عظة لأبينا القديس أنبا أنطونيوس(۞)

❑✪❖✪❑

١ - ابن البركة ينبغي عليه أن يصنع سيرةً تصلح للبركة، كمثل واحدٍ يريد أن يقتني الغِنى لذاته، فيجب عليه أن يجعل لنفسه طقس التجار وجهادهم، لأنّ كلا منهم يجعل لنفسه قريحةً في معرفة الكتابة، لكي يكون بارعا في معرفة لغة الألسن، ويدرب فـاه لجواب الكلام بعقلٍ، ويتعلّم الحكمة ويصير في صفات تليق بالغنى.

هكذا كل ابنٍ مؤمنٍ يريد أن يتعلم شكل الطهارة: يجب عليه بالحقيقة أن لا يكون فيه شيءٌ من كلام الكذب، ويعلم نفسه أن تكون له قريحة غير منحلّة، وكلام ممتلئ نعمةً وحلاوةً واتضاعا، ويكون باشا أمام كل أحدٍ ويدرس كلام الحكمة في الكتب المقدسة لكي يكون ضميره مجربا منها، وأن يستقصي ويفحص الليل والنهار في اقتناء مخافة الله الخالق، ويجعلها في قلبه ولسانه هذه التي يضيء كل نور من قِبلها؛ لكي ينظر ويبارك ضابط الكل على عجائبه التي خلقها في نفسه؛ لكي يزرع القوة في قلبه ليزيد ا د والكرامة التي للقديسين، هذه التي قد اقترب دخوله فيها.

فإن كانت إرادتك يا ابني أن تعد من الجزء الكريم، فتدرج قليلاً قليلاً وتمسك بالوصايا تلك التي تحيا ا. وكُن كلّك في الصفة المقدسة وليكن النور مشرقًا في كل أعمالك. ألْقِ عنك نوم الظلمة هذا الذي يصنع الغفلة في نفسك لكي تتأمل الطريق المقدسة وتعرف من الذي يسرقك ويريد أن يضلّك ويخسرك حياتك ويبعدك من ا د الكريم.

٢ - اسمع الآن واصغِ بقلبك إلى كلامي، وتمسك به بنفسك وافهم. من أجل هذا أنا أُسلمك إلى خالقك، وأجعل الملائكة المقدسين يلتصقون بك ولا تتألم، وتبعد عنك جميع الأرواح الماكرة الشريرة. تأمل أشكال المضلّ وأعوانه هذه التي أقولها لك لكي تتحفّظ منها، لأ م مرارا يمسكون قلبك ولا يتركونك تتأمل شيئًا من الأفكار، ويطيبون قلبك كأنك قد صرت في هدوءٍ، وأنت لا تعلم أ م يصنعون هذا الفعل حتى ينـزعوا الظن الحسن منك. ودفعات أخرى يجلبون عليك بسرعةٍ ضيق الصدر والتهاب القلب، وبالأكثر يطيبون قلبك كأ م يصنعون معك شفقةً، فانظر لا تأمنهم فهم إنما يصنعون هذا لكي ي عوا منك حلاوة طول الروح. ودفعات أخرى يمسكونك في طول الروح قائلين إنّ هذه حكمة قد وصلت إليها. فلا تسلم روحك إليهم، واعلم أنّ مِن قِبل هؤلاء

(۞) عن كتاب: "روضة النفوس في رسائل القديس أنطونيوس"، طبعة عام ١٨٩٩م، ص ١٨٠.

يزرع فيك المكر وتنـزع منك الوداعة.

ودفعات أخرى يحلون لك الضحك والانبساط قاصدين بذلك أن يطيبوا قلبك بأن تصنع هذه كأ ا وداعة، فلا تسمع منهم في هذه الأحوال، واعلم أنّ قصدهم في هذا الذي يصنعونه إنما هو لكي يثيروا عليك أوجاع الشهوة الرديئة من مصاحبتهم الشريرة، ويجعلوا محبتك تظهر فتبعد خارجا عنك وأنت لا تعلم.

ودفعات أخرى يأتون إليك جهارا، ويلقون في قلبك حزن عمل اليدين، لكي تتفرغ لسماع الأفكار الشريرة والخواطر الباطلة، فيصنعون هذا لكي يجعلوك غريبا من حلاوة العلم المقدس. ودفعات أخرى يلقون في قلبك سهام ا د الفارغ، لكي تنظر إلى أشياء كثيرة بأشكالٍ مختلفة لكي يبرروك في قلبك، حتى إنك تقول في نفسك إني كريم أكثر من كل أحدٍ، فلا تسمع منهم فإ م يصنعون هذا لكي يبعِد الإله الحقيقي الاتضاع خارجا عنك.

٣ - كما أ م يجلبون فكرا آخر بمكرٍ على الإنسان ليقاتلوه في الهدوء بكلامٍ خفي رطب وانفرادٍ عن الناس ليس فيه حق، فلا تتبعهم في هذا الشكل الآخر، فإ م يصنعون هذا لكي يكثِروا الباطل بالتبرر.

ولهم شكلٌ آخر يجلبونه عليك حيث لا تعلم من هم الذين يأتونك فتتبعهم، فيلقون في قلبك أن لا تتوانى ولا تضجر عليهم، فلا يطيب قلبك مع أفكارهم ذا الشكل لأ م يصنعون هذا لكي يجدوا السبيل عليك ويشككوك بأنه في يوم الحكم لا يغفر لك. وأيضا ا اوبة لمَن هم أكبر منك عندما يبكتونك، فيطيبون قلبك أن تضمر بأنّ "هؤلاء أشرار واللوم عليهم وأنا بريء"، فلا تتوانَ وتتركهم يلقون عليك هذه الأفكار، فإ م يصنعو ا لكي ينتقموا منك لأ م بلا رحمةٍ ولا شفقة.

وشكل آخر يضايقونك به: أن تتفرس في الأشخاص الذين صور م حسنة لكي رب منك طهارة البر. ثم يحضرون إليك ويلقون اهتماما في وقت الصلاة بأفكار دنيويةٍ في قلبك، وفرحا بغير فزعٍ لهذه السيرة الباطلة، لكي يتركوك عادما من الأعمال المصطفية، ويجعلوك غريبا من الأجر الحقيقي عندما تكمل الإرادة.

٤ - ومتى وقفت في الصلاة فقبل كل شيءٍ يجتهدون أن يغطّوا قلبك بالظلمة ولا يتركونك تجد كلمةً تقولها. وبعد هذا إذا عرفوا أ م لا يقدرون أن يقاوموك في هذا الشكل الآخر، فإ م يلقون فكر تفسير الكتب في قلبك، لكي تفكر فيها أ ا ليست صحيحة ولا واضحة، ثم يرخون مفاصلك ويرعِدون جسدك قليلاً، فلا تسلم ذاتك إليهم يا ابني، فإ م

يصنعون بك هذا لكي يجعلوك غريبا عن الطريق التي اشتهيتها التي هي ملكوت الله، وتشتهي أوجاع نار جهنم.

الآن يا بني، تحفّظ من هذه كلها، وكُن مستقيما في الصلاح بصلوات تفوح منها روائح الطيب، وبركات ممتلئة ثمارا، وطلباتٍ كاملةٍ بكل بشاشةٍ، لكي تفرح الملائكة المقدسون معك، والجنود السماوية يتهللون بك ويساعدونك حتى تحسب مع جماعة القديسين، وتكون ابنا للمبارك وتتمجد مع الخالق، هذا الذي له المجد والكرامة إلى آباد الدهور كلها آمين.

عظة أخرى للقديس أنطونيوس(*)

في **أحد الأيام** لما خرج القديس حيث اجتمع إليه جميع الرهبان وطلبوا أن يسمعوا منه كلمةً، خاطبهم باللغة المصرية (أي القبطية) هكذا:

١ - إنّ الأسفار المقدسة كافيةٌ للتعليم، ولكنه جيد أن يشجع الواحد الآخر في الإيمان ويحثّه بالكلام. لذلك فانقلوا أنتم كأولاد ما تعرفونه إلى أبيكم، وباعتباري أنا الشيخ (أي الأكبر فيكم) أُشارككم معرفتي وما علّمتني إياه الخبرة. فليكن هذا بصفةٍ خاصة هو الهدف المشترك للجميع، ولا تتراجعوا بعد أن بدأتم ولا تخوروا في الطريق، ولا تقولوا: لقد عشنا في النسك طويلاً، بل بالحري فلنزد من اشتياقنا كأننا مبتدئون كل يومٍ، لأنّ كل حياة الإنسان قصيرة جدا إذا قيست بالدهور الآتية، فزماننا جميعه هو لا شيء إذا قورن بالحياة الأبدية.

كل شيء في العالم يباع بثمنه والإنسان يبادل الشيء بآخر يساويه، أما وعد الحياة الأبدية فيقتنى بشيءٍ تافه، لأنه مكتوب: «أيام حياتنا فيها سبعون سنة، وإن كانت فيها قوة فثمانون سنة، وما هو أكثر من هذا عناءٌ وحزن» (مز٩٠: ١٠)، لذلك فإذا عشنا ثمانين سنة كاملة أو حتى مائة في النسك فسوف نملُك لا مائة سنة فقط بل إلى أبد الأبد. وبالرغم من أننا جاهدنا على الأرض فلن ننال ميراثنا هنا على الأرض بل إنّ لنا المواعيد هناك في السماء، وعندما نخلع الجسد الفاسد فسنأخذه غير فاسد.

ما نتركه من أجل المسيح لا يقاس بملكوت السموات:

٢ - كذلك، يا أبنائي، لا نضعف أو نحسب أن الزمن طويــل، أو أننا نفعل أمرا عظيما «لأن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلَن فينا» (رو٨: ١٨)،

(*) "حياة"، فقرة ١٦ - ٤٤، وآيات العهد القديم هي من الترجمة السبعينية.

ولا نظن - إذا نظرنا إلى العالم - أننا هجرنا شيئًا ذا أهميةٍ كبيرةٍ، لأنّ الأرض كلها تافهة جدا بالنسبة للسماء كلها، وعلى ذلك فحتى إذا صادف أن كنا أسيادا على الأرض كلها وتركناها كلها فهي أتفه من أن تقارن بملكوت السماء. لأنه كما أنّ الإنسان يزدري بدرهمٍ من النحاس ليكسب مائة درهمٍ من الذهب، هكذا إذا كان الإنسان سيدا على الأرض كلها وتركها فإنّ ما يتركه زهيد ولكنه يأخذ مائة ضعفٍ. ولكن إن كانت حتى الأرض كلها لا تساوي السموات في قيمتها، إذًا فمن يترك قليلاً من الأفدنة فكأنه لم يترك شيئًا، وحتى لو ترك بيتا أو ذهبا وفيرا فلا ينبغي أن يتفاخر أو يكون حزينا.

وينبغي أكثر من ذلك أن ندرك أننا حتى إن لم جرها لأجل الفضيلة فإننا فيما بعد عندما نموت سنتركها غالبا لأولئك الذين لا نريدهم كما يقول الحكيم (جا٢: ١٨و١٩)، فلماذا إذن لا نتخلّى عنها من أجل الفضيلة حتى نرث ملكوتا؟ لذلك لا تدعوا شهوة الملكية تتملّك على أحدٍ منكم، لأننا ماذا نربح من طلب تلك الأشياء التي لا يمكننا أن نأخذها معنا؟ لماذا لا نحصل بالحري على تلك الأمور التي نستطيع أن نأخذها معنا: أي الفطنة، والبر، وضبط النفس، والشجاعة، والفهم، والمحبة، والشفقة على المساكين، والإيمان بالمسيح، والتحرر من الغضب، وكرم الضيافة؟ فلو امتلكنا هذه سنجدها تِعد لنا من تلقاء ذا ا ترحيبا هناك في أرض ودعاء القلب.

يجب ألاّ نتغافل يوما واحدا عن الجهاد:

٣ - فليقنع المرء نفسه من مثل هذه الأمور أن لا يستخف ا، لا سيما إذا اعتبر نفسه خادما للرب وعليه أن يخدم سيده، فكما أنّ الخادم لا يجرؤ أن يقول: لأنني عملت بالأمس فلن أعمل اليوم، ونظرا لما عملته في الماضي فلن أعمل في المستقبل؛ بل - كما هو مكتوب - فليظهر كل يوم نفس الاستعداد لإرضاء سيده وأن يتجنب المخاطرة. إذن، فلنظلّ ثابتين كل يوم في نسكنا عالمين أننا لو تغافلنا يوما واحدا فلن يغفر لنا الرب من أجل الماضي، بل إنه سيغضب علينا لأجل إهمالنا كما سمعنا أيضا في سفر حزقيال النبي (حز١٨: ٢٤و٢٦)، وكما أضاع يهوذا كل تعبه الماضي في ليلةٍ واحدة.

لذلك، يا أبنائي، فلنتمسك بنسكنا ولا نكن متهاونين، لأن الرب مشارك لنا في العمل النسكي كما هو مكتوب: «الله يعمل للخير مع جميع الذين يختارون الخير» (رو٨: ٢٨)[١٩٩]. ولكن لكي نتجنب أن نكون متغافلين فجيد أن نذكر كلمة الرسول:

(١٩٩) وترجمتها البيروتية: «كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله».

«أموت كل يوم» (١كو١٥: ٣١)، لأننا إن كنا نحن أيضا نعيش كأننا نموت كل يوم فلن نخطئ، ومعنى ذلك أننا عندما نستيقظ كل يومٍ يجب أن نذكر أننا لن نبقى حتى المساء، وأيضا عندما نرقد لننام ينبغي أن نذكر أننا لن نستيقظ، لأنّ حياتنا بالطبع غير مؤكدة، والعناية الإلهية تمنحها لنا كل يوم. ولكننا إذ نرتب حياتنا اليومية على هذا المنوال فلن نسقط في خطيةٍ أو تكون لنا شهوة لأي شيءٍ أو نبقي في نفوسنا غضبا على أي أحدٍ، أو نك لنا كًا على الأرض، بل بتوقعنا الموت كل يوم فلنكن بلا ثروةٍ ولنغفر لكل الناس على كل شيء، ولا نبقي لنا أية شهوةٍ إطلاقًا للنساء أو لأيةٍ مسرةٍ حقيرة أخرى، بل فلنتحول عنها كأ ا عبرت وولت، ولنداوم على الجهاد والتطلع إلى يوم الدينونة، لأن الرعب الشديد والخوف من العذاب يبيد دائما لذّة المسرات ويقيم النفس إن كانت على وشك السقوط!

لنحفظ النفس للرب الذي أعطاها لنا وديعة:

٤ - فإذ قد بدأنا فعلاً وتقدمنا في طريق الفضيلة فلنجاهد أكثر حتى نصل إلى الأمور التي أمامنا، ولا يلتفت أحد إلى الوراء كامرأة لوط، وبالأكثر لأن الرب قال: «ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله» (لو٩: ٦٢)[٢٠٠]. وهذا الالتفات إلى الوراء ليس هو إلاّ الشعور بالندم والتفكير في العالم مرةً أخرى. ولكن لا تخافوا من أن تسمعوا عن الفضيلة ولا تندهشوا من اسمها لأ ا ليست بعيدة عنا ولا هي خارجة عن نفوسنا، لكنها في داخلنا وهي سهلة لو كانت لنا الإرادة فقط.

لكي يحصل اليونانيون على المعرفة فهم يعيشون خارج بلادهم ويعبرون البحار، أما نحن فلا نحتاج أن نرحل من وطننا من أجل ملكوت السموات، ولا أن نجوب البحار من أجل الفضيلة، لأن الرب سبق فقال: «ها ملكوت الله داخلكم» (لو١٧: ٢١). فطالما أن الفضيلة فينا وتنشأ منا فهي لا تتطلّب منا سوى الإرادة، لأن الفضيلة تتكون عندما تكون النفس في حالةٍ طبيعيةٍ من جهة استعدادها الروحي، وهي تكون في حالةٍ طبيعيةٍ عندما تظل كما جاءت إلى الوجود (أي كما خِلقَت)، وعندما جاءت إلى الوجود كانت خاليةً من العيوب ومتزايدةً في الأمانة، لأجل هذا السبب قال يشوع بن نون في نصحه للشعب: «اجعلوا قلوبكم مستقيمةً نحو الرب إله إسرائيل» (يش٢٤: ٢٣)، ويوحنا المعمدان قال: «اصنعوا سبله مستقيمة» (مت٣: ٣)، لأنّ استقامة النفس تنطوي على الحفاظ على حالتها الروحية في وضعها الطبيعي كما خِلقت، ولكنها من الناحية الأخرى

(٢٠٠) أنظر أيضا: في٣: ١٣ «أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام».

عندما تنحرف وترجع عن حالتها الطبيعية فهذا هو ما يسمى برذيلة النفس.

وهكذا نرى أنّ المسألة ليست عسيرة، فإننا لو لبثنا كما خلِقنا فنحن نكون في حالة الفضيلة، أما إذا فكّرنا في الأمور الدنيئة فنحسب أشرارا. فلو كان علينا أن نتطلّب هذا الأمر من خارجنا فهو في الحقيقة سيكون عسيرا، ولكنه إن كان فينا فلنحفظ أنفسنا من الأفكار الخاطئة، وكما استلمنا النفس كوديعة فلنحفظها للرب حتى يتعرف على صنعة يديه بعينها كما خلقها.

لنحذر من أعدائنا الماكرين:

٥ - لنجاهد حتى لا يتسلّط علينا الغضب أو تغلبنا الشهوة لأنه مكتوب: «إنّ غضب الإنسان لا يصنع بر الله» (يع١: ٢٠)، و«الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتا» (يع١: ١٥). فلنتيقّظ في حياتنا بحرص، وكما هو مكتوب: «احفظ قلبك بكل حرص» (أم٤: ٢٣)[٢٠١]، لأنّ لنا خصوما مرعبين ومخادعين، أي الأرواح الشريرة، ونحن نصارع ضدهم كما قال الرسول: «إنّ مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف٦: ١٢). إنّ عددهم لكبير في الهواء المحيط بنا وهم ليسوا بعيدين عنا. كما أنه توجد فوارق كبيرة بينهم، ويمكن أن يقال الكثير عن طبيعتهم والفوارق بينهم، ولكن وصفًا كهذا يمكن أن يقدمه آخرون لهم إمكانيات أكبر من التي لنا، أما الآن فمن المُلِح والضروري لنا أن نعرف فقط خداعا م لنفوسنا.

كيف نحصل على موهبة تمييز الأرواح:

٦ - لذلك يجب أولاً أن نعلم هذا: إنّ الشياطين لم تخلَق في الحالة التي نعنيها عندما ندعوها ـذا الاسم، لأنّ الله لم يخلق شيئًا شريرا، بل حتى هي قد خلِقَت صالحة، وإذ سقطت من الحكمة السماوية فإ ا منذ ذلك الوقت تعيث في الأرض فسادا. فهي من ناحيةٍ قد أضلّت اليونانيين (أي الأمم وفلاسفتهم) بحبائلها، في حين أنه حسدا منها لنا نحن المسيحيين تحرك كل الأمور حسب رغبتها لتعوقنا من دخول السماء حتى لا نصعد إلى المكان الذي سقطت هي منه. لذلك فالحاجة ماسةً إلى صلاةٍ كثيرةٍ ونسكٍ حتى يحصل الإنسان بالروح على موهبة تمييز الأرواح وتكون له القدرة على معرفة مميزات كل منها: أي منها أقل وأيها أكثر شرا، وطبيعة اختصاص كل منها في ملاحقتنا، وكيف

---

(٢٠١) وترجمتها البيروتية: «فوق كل تحفظ احفظ قلبك».

يقهر ويطرد كل منها، لأنّ نذالتهم وتقلبا م في مؤامرا م كثيرة. وقد علم الرسول المبارك وأتباعه مثل هذه الأمور عندما قال: «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو٢: ١١). ونحن فمما قاسيناه منهم من التجارب ينبغي أن يصحح كل منا الآخر في ظلّ هذه التجارب، لهذا فإنني أتحدث كما إلى أبناءٍ عن ما اكتسبته من براهين على ذلك.

لا مبرر للخوف من إغراءات الشيطان:

٧ - فالشياطين إذا رأت كل المسيحيين، ولا سيما الرهبان، مجاهدين بابتهاجٍ ومتقدمين، يهاجموننا أولاً بالتجربة ويضعون الأفكار الشريرة أمامنا كمعوقات ليعرقلوا طريقنا. ولكن لا مبرر لنا للخوف من إغراءا م لأنه بالصلاة والصوم والإيمان بالرب تفشل هجما م في الحال. وحتى عندما تفشل فهم لا يكفون بل يكررون هجما م بمكرٍ وخبثٍ، لأ م إذا عجزوا عن أن يخدعوا القلب بطريقةٍ مكشوفةٍ بالملذات الدنيئة فهم يقتربون منا بصورةٍ مختلفةٍ، ثم من ذلك الحين فصاعدا يشكلون استعراضات يحاولون ا أن يثيروا الفزع، مغيرين أشكالهم، متخذين هيئة نساء أو وحوش أو زحافات أو أجساد ضخمة أو فرق من الجنود. ولكن حتى هذه لا مبرر لكم أن تخافوا من مظاهرها الخداعة لأ ا كلها لا شيء وتختفي بسرعةٍ ولا سيما إذا سبق الإنسان أن حصن نفسه بالإيمان وعلامة الصليب.

ومع ذلك فهم جسورون ولا يستحون قط، لأ م إذا غُلِبوا على أمرهم ينقضون علينا بطريقةٍ أخرى ويتظاهرون بالتنبؤ ويخبرون بالمستقبل، وهم يستعرضون أنفسهم بطولٍ يصل إلى السقف وبعرضٍ ممتلئ (أي سمين) لكي بمثل هذه المظاهر يستولون خلسةً على الذين لم يتمكّنوا من أن يخدعوهم بالمناقشة، وفي هذه الحالة أيضا إذا وجدوا أنّ النفس متقويةً بالإيمان وثبات العزيمة يأتون بزعيمهم لمساعد م.

٨ - ثم **قال القديس:** إ ا كثيرا ما ظهرت كما كشف الرب إبليس لأيوب قائلاً: «عيناه مثل كوكب الصبح، من فمه تخرج مصابيح مشتعلة، شرار نار يتطاير منه، من منخريه ينبثق دخان أتونٍ ملتهبٍ مع جمر نار، نفَسه جمر ولهيب يخرج من فمه» (أي٤١: ١٨-٢١). وعندما يظهر رئيس الشياطين على هذا المثال، فإنّ هذا المُخادع - كما قلت سابقًا - ينفثُ رعبا بالتكلم بعظائم كما أدانه الرب أيضا قائلاً لأيوب: «لأنه يعتبر الحديد كالتبن، والنحاس كخشبٍ متعفنٍ ... ويجعل البحر كقِدر عطارةٍ وعمق الهاوية كأسيرٍ، والهاوية كطريقٍ مغطى ...» (أي٤١: ٢٧ إلخ.)، كذلك بالنبي القائل: «قال العدو إني أتبع وأغلب» (خر١٥: ٩)، وأيضا بواسطة نبي آخر: «سأقبض على المسكونة كلها في يدي كعش وأجمعها كما يجمع بيض مهجور» (إش١٠: ١٤).

وبالإيجاز، هكذا يكون افتخارهم ووظائفهم حتى يخدعوا الأتقياء، ومع ذلك فيجب علينا نحن المؤمنين أن لا نخاف من ظهورهم أو نبالي بكلامهم، لأنّ الشيطان كذاب ولا يتكلم عن الحق كلمةً واحدةً، ورغم أنه يتكلم كثيرا متعظما في جسارته فالمخلص بلا شك قد أغرقه بخطّافٍ كالتنين (أنظر أي٤١: ١)، وكبله من منخاريه كحيوانٍ ثقيلٍ وأوثقه من خياشيمه بخزامةٍ كهاربٍ وثقب شفتيه بسوار (أي بأسلة) (أنظر أي٤١: ٢و٤٠: ٢٤). لقد أوثقه الرب كعصفور لكي نسخر منه، وقد وضِع معه الشياطين رفقاؤه مثل حياتٍ وعقارب لكي نطأها نحن المسيحيون بأقدامنا، والدليل على ذلك أننا نحيا الآن رغما عنه. لأنّ هذا الذي هدد بأن يجفف البحر ويقبض على المسكونة ها هو الآن لا يستطيع أن يحتمل نسكنا ولا حتى أن يحتملني الآن وأنا أتكلم ضده!

فدعونا، إذن، أن لا نعبأ بكلامه لأنه كذاب، ولا نخاف الرؤى التي يظهرها لنا حيث إ ا مضللةٌ، لأنّ ما يظهر فيها ليس هو نورا حقيقيا، بل إ ا بالحري مقدمات وأشباه للنار المعدة للشياطين الذين يحاولون إرعاب البشر ذا اللهب الذي سيحرقون فيه هم أنفسهم. بلا شك إ م يظهرون ولكنهم في لحظةٍ يختفون مرةً ثانيةً دون أن يؤذوا أي واحدٍ من المؤمنين، ولكنهم يحملون معهم شبه تلك النار التي سوف تستقبلهم هم أنفسهم. وعلى ذلك فلا يليق بنا أن نخافهم بسبب هذه الأمور، لأنّ كل أعمالهم بنعمة المسيح باطلة.

وهي أيضا مخادعة:

٩ - ثم إ ا أيضا مخادعةٌ، وهي مستعدة أن تغير نفسها إلى كل الأشكال وأن تتخذ كل المظاهر. وهي أيضا كثيرا ما تقلد نغمات القيثارة والأصوات الأخرى وتردد كلمات الكتاب المقدس دون أن تظهر. وأحيانا عندما نقرأ أيضا تردد في الحال ما قرأناه مرارا كثيرةً كأنه صدى الصوت. وهي توقظنا من نومنا للصلاة، وقد تستمر على ذلك حتى لا تدعنا ننام على الإطلاق. وهي أحيانا تتخذ شكل الرهبان وتتظاهر بكلام القديسين لعلها بذلك تخدع ضحاياها وتجرها إلى حيث تريد.

ولكننا يجب ألاّ نبالي ا حتى ولو أيقظتنا للصلاة، وحتى لو أوعزت إلينا أن لا نأكل على الإطلاق، ولا حتى إذا تظاهرت بتوبيخنا وأخجلتنا من الأمور التي تبيحها لنا في أوقاتٍ أخرى، لأ ا تفعل ذلك ليس من أجل التقوى أو الحق بل لكي تقود البسطاء إلى اليأس، ولكي تقول إنّ النسك لا فائدة منه، وتجعل الناس يكرهون حياة الوحدة كأ ا أمر شاق وحِملٌ ثقيلٌ، وتعوق الذين يسلكون فيها رغما عن إراد ا.

لهذا أعلن النبي المرسل من الله أ ا تعسة قائلاً: «ويلٌ لمن يسقي صاحبه ثفلاً فاسداً» (حب٢: ١٥)، لأنّ مثل هذه التصرفات والحيل تدمر الطريق المؤدي إلى الفضيلة. ورغم أنّ الشياطين تكلمت بالحق عندما قالت للرب نفسه: «أنت ابن الله» (لو٤: ٤١)، فقد كمم الرب أفواهها ولم يدعها تتكلم لئلاّ تزرع شرها مع الحق، ولكي يعودنا أن لا نبالي ا حتى ولو بدا أ ا تتكلم بالحق، لأنه لا يليق بنا، بعد أن أخذنا من المخلص الأسفار المقدسة والحرية، أن نتعلّم من إبليس الذي لم يحفظ مرتبته بل انتقل من فكرٍ إلى آخر.

ولذلك فحتى عندما يستخدم لغة الكتاب المقدس يمنعه الرب قائلاً: «وللشرير قال الله: مالك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي في فمك» (مز٥٠: ١٦)! لأنّ الشياطين يفعلون كل شيء، فهم يهذرون ويربكون ويتنكرون ويحيرون لكي يخدعوا البسطاء، وهم يطِنون ويضحكون بجنونٍ ويصفرون، ولكنهم إذا لم يبالِ أحد م يبكون وينوحون كأ م قد قُهروا.

خليق بنا أن نقتدي بشجاعة القديسين:

١٠ - لذلك أبكم الرب يسوع، كإلهٍ، أفواه الشياطين. وخليق بنا إذ قد تعلمنا من القديسين أن نفعل مثلهم ونقتدي بشجاعتهم، لأ م كانوا عندما يرون هذه الأمور يقولون: «عندما قام علي الخاطئ صمت صمتا وتواضعت وسكت عن الصالحات» (مز٣٩: ١و٢)، وأيضا: «ولكني كنت كأصم لا أسمع وكأبكم لا يفتح فمه، وصرت كإنسانٍ لا يسمع» (مز٣٨: ١٣و١٤). لذلك فعلينا ألاّ نصغي للشياطين لأ ا غريبةٌ عنا، ولا نبالي ا حتى ولو أيقظتنا للصلاة وتكلمت عن الصوم، بل فلنتمسك بالحري بتصميمنا على النسك، ولا ننخدع م لأ م يفعلون كل شيء بمكرٍ حتى ولو هددونا بالموت، فهم ضعفاء ولا يقدرون أن يفعلوا شيئًا سوى التهديد.

ضعف قوة الشياطين أمامنا:

١١ - لقد سبق أن تحدثت عن هذه الأمور بالإيجاز، أما الآن فيجب ألاّ أتراجع عن التحدث عنها بتوسعٍ أكثر، لأنّ تذكيركم ا إنما هو مصدر أمانٍ لكم:

منذ أن افتقد الرب الأرض سقط العدو وضعفت قوته، وإذ عجز أن يفعل شيئًا فإنه كطاغيةٍ لم يحتمل سقوطه دوءٍ، بل هدد رغم أنّ ديده لم يكن إلاّ مجرد كلام، فليضع كل واحدٍ منكم ذلك في اعتباره حتى يمكنه أن يحتقر الشياطين.

وإن كنا نحن ذوي الأجساد نكبح جماحهم فيمكنهم أن يقولوا: "عندما يختبئ الناس

فإننا لا نقدر أن نجدهم، ولكننا عندما نجدهم نقدر أن نؤذيهم". ونحن أيضا عندما نختبئ نقدر أن ننجو منهم ونغلق أبوابنا في وجوههم. ولكنهم إن لم تكن هذه هي طبيعتهم بل في استطاعتهم أن يدخلوا إلينا ولو كانت الأبواب مغلّقةً، ويملأوا الجو كله حولنا هم وقائدهم إبليس تملأهم الرغبة في الشر وهم مستعدون لإيذائنا، وكما قال المخلص: «ذاك (إبليس) كان قتالاً للناس منذ البدء ... ليس فيه حق ... لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يو٨: ٤٤)، في حين أننا - رغم هذا - لا نزال أحياء ونقضي حياتنا في مقاومته بقوةٍ أشد؛ فواضح من هذا أ م عديمو القوة، لأنّ المكان لا يعرقل مؤامرا م ولا هم يعتبروننا أصدقاء لهم حتى يرحمونا، ولا هم محبون للصلاح حتى يصلِحوا أنفسهم، بل بالعكس فهم أشرار ولا يسعون وراء شيءٍ سوى الأذى لمن يحبون الفضيلة ويخافون الله. ولكن طالما أ م بلا قوةٍ مؤثرةٍ على أي شيء فهم لا يفعلون سوى التهديد، ولكنهم لو كانوا قادرين لَما ترددوا عن فعل الشر لأنّ كل رغبا م مركّزة في ذلك ولا سيما ضدنا.

ها نحن الآن مجتمعون معا ونتكلم ضدهم، وهم يعلمون أننا كلما تقدمنا يزدادون هم ضعفًا، فلو كانت لديهم قوةٌ لما سمحوا لأي واحدٍ منا نحن المسيحيين أن يعيش لأنّ: «التقوى هي رِجس عند الخاطئ» (بن سيراخ١: ٢٤)، فطالما أ م لا يقدرون أن يفعلوا شيئًا فهم يؤذون أنفسهم أكثر فأكثر لأ م لا يستطيعون أن ينفذوا شيئًا من ديدا م ... ولو كانت لهم القدرة لما كانوا يأتون إلينا بأعدادٍ كبيرةٍ ولا كانوا يشكلون الاستعراضات أمامنا ولا كانوا يحاولون خداعنا بتغيير مظهرهم، بل كان يكفي واحد منهم فقط ليتمم ما يريد وما يقدر أن يفعله، ولا سيما أنّ كل من لديه قوةٌ منهم لا يستطيع أن يقتل باستعراضاته ولا أن يخيف أحدا بالجلبة والضوضاء، ولكنه يستخدم أقصى ما عنده من سلطان كما يريد. ولكن لأنّ الشياطين لا قدرة لهم فهم يغيرون أشكالهم كالممثلين على المسرح ويخيفون الأطفال بأشباحهم المرعبة وأشكالهم المختلفة، الأمر الذي يبعث بالأحرى على احتقارهم لأ م يظهرون ضعفهم.

١٢ - إنّ ملاك الرب الحقيقي الذي أُرسِل ضد الأشوريين على الأقل لم يكن في حاجةٍ أن يحدِث جلبةً أوضوضاء ولا إلى استعراضات خارجية أو أصوات قعقعة، بل استخدم قوته في هدوءٍ فقتل في الحال مائة وخمسة وثمانين ألفًا (٢مل١٩: ٣٥). أما أمثال تلك الشياطين عديمة القوة فهي تحاول أن ترعِب على الأقل بأشكالها المصطنعة.

ولكن إن كان المرء يحتفظ في ذهنه بقصة أيوب الصديق ويقول: "لماذا إذن خرج إبليس وفعل كل ذلك ضده: جرده من ممتلكاته وقتل أبناءه وضربه بقروحٍ رديئة"؟ فليذكر مثل هذا أن إبليس من الناحية الأخرى لم يكن هو صاحب القوة بل الله الذي

سلم إليه أيوب لكي يمتحنه. يقينا إنه لم تكن لديه قوة لعمل شيء، ولكنه طلب وإذ نال قوةً فعل ما فعل، ومن هنا أيضا يكون العدو مدانا بالأكثر لأنه رغم أنه أراد فلم يقدر أن يسود على إنسانٍ بار واحدٍ، لأنه لو كانت له قوة لما طلب أن يسمح له بذلك، أما وقد طلب ليس مرةً واحدة بل مرةً أخرى أيضا فقد أظهر ضعفه وافتقاره إلى القوة.

وليس عجيبا أنه عجز أن يفعل شيئًا ضد أيوب لأنه واضح أنه حتى مواشيه لم يكن ممكنا أن لك لو لم يكن الله قد سمح بذلك. كما أنه ليس له سلطانٌ حتى على الخنازير، لأنه مكتوب أن الشياطين توسلت إلى الرب قائلةً: «ائذن لنا أن ندخل في قطيع الخنازير» (مت٨: ٣١) ، فإن لم يكن لها سلطانٌ حتى على الخنازير فبالأولى جدا ليس لها سلطانٌ على البشر المخلوقين على صورة الله!

فلنخف الله وحده ونحتقر الشياطين ولا نرهبها، بل إ ا كلما ازدادت في هذه الأعمال كلما وجب أن نضاعف نحن من نسكنا ضدها، لأنَّ الحياة الصالحة والإيمان بالله هما سلاح قوي. وهي على أي حال تخشى الصوم والسهر والصلوات، والوداعة والهدوء، واحتقار المال وا د الباطل، والاتضاع، ومحبة المساكين والصدقة، وتحرر النساك من الغضب، وفوق الكل تقواهم بالمسيح. لذلك فهي تفعل كل شيء لكي لا يكون هناك من يطؤها بقدميه إذ تعرف جيدا النعمة المعطاة من المخلص للمؤمنين ضدها حينما قال: «ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو» (لو١٠: ١٩).

عجز الشياطين عن التنبؤ بالمستقبل:

١٣ - وإذا ادعت الشياطين التنبؤ بالمستقبل فلا ينبغي أن يلتفت إليها أحد، لأ ا كثيرا ما تعلن مسبقًا أن الإخوة قادمون بعد بضعة أيام ويأتون بالفعل. فالشياطين لا تفعل ذلك لاهتمامها بالسامعين بل لكي تنال ثقتهم، ولكيما بعد أن تستحوذ عليهم تحت سيطر ا تهلكهم، لهذا يجب ألاّ نصغي إليها بل بالحري نخرسها عندما تتكلم، فنحن لسنا في حاجةٍ إليها، لأنه أي عجبٍ إن كانت - بأجسادها (أي هيئة أشكالها) الأكثر دهاءً من أجساد البشر - عندما ترى الإخوة يبدأون في سفرهم تسبقهم بسرعةٍ وتعلن مجيئهم؟ وكما أن راكب الحصان عندما يسبق السائر على قدميه يعلن مقدما عن قدوم هذا الأخير، هكذا هنا ليس ما يدعو إلى التعجب منها في هذا الأمر لأ ا لا تعرف شيئًا عن الأمور التي لم توجد بعد، ولكن الله وحده هو «العالِم بكل شيءٍ قبل أن يكون» (سوسنة: ٤٢).

أما الشياطين فهم كالجواسيس يسرعون ليعلنوا عما يرونه، فكم من الناس أخبروهم

فعلاً عن اهتماماتنا، فقد أخبروهم أننا مجتمعون معا وأننا نتناقش في بعض التدابير ضدهم، وذلك قبل أن يستطيع أي واحدٍ منا أن يذهب ويخبر ذه الأمور؟! والواقع أن هذا ما يستطيع أن يفعله أي فتى سريع الحركة عندما يسبق من هو أبطأ منه. ولكن ما أقصده هو هذا: أنه إذا بدأ إنسانٌ سيره من طيبة أو من أية منطقةٍ أخرى فإنّ الشياطين لا يمكنهم معرفة اتجاه سيره قبل أن يبدأ المسير، ولكنها عندما تراه سائرا تسرع وتعلن عن اقتراب وصوله قبل أن يصل، وهكذا يحدث أن يصل المسافرون بعد ذلك ببضعة أيام، ولكن كثيرا ما يحدث أن المسافرين يرجعون فيثبت كذب الشياطين. هكذا أيضا فيما يختص بمياه النهر ... (كما ذكر القديس في أحد أقواله السابقة). أما إذا رتبت العناية الإلهية شيئًا مخالفًا... فإنّ الشياطين ينخدعون وينخدع الذين أصغوا إليهم!

١٤ - هكذا انتشرت في العصور السابقة أقوال اليونانيين (الوثنيين)، وبذلك أضلّتهم الشياطين. إلاّ أنّ ضلالا م قد وضِعت بعد ذلك عند حدها بمجيء الرب الذي أباد الشياطين ومكائدها، لأ ا لا تعرف شيئًا من تلقاء ذا ا بل إ ا كاللصوص تنقل ما يتصادف أن تعرفه من الآخرين، كما أ ا لا تتنبأ بالحوادث بل بالحري تتكهن ا. ولذلك فإذا هي تكلّمت بالصدق أحيانا فلا يتعجبن أحد منها، فالأطباء المحنكون أيضا إن وجدوا مرضا واحدا في أشخاصٍ مختلفين فهم كثيرا ما ينبئون به ويكشفون عنه بخبر م به، وربابنة السفن والفلاحون أيضا يستطيعون بنظرةٍ واحدةٍ أن يخبروا عن حالة الجو بسبب اعتيادهم على الأحوال الجوية، فيتنبأون إن كان الجو سيصير عاصفًا أم لطيفًا، ولن يستطيع أحد أن يقول إ م يفعلون هذا بوحيٍ أو إلهامٍ بل من الاختبار والتمرين.

وهكذا إذا فعلت الشياطين في بعض الأحيان نفس الأمر بالتخمين فلا يتعجبن أحد من الأمر أو يصغي إليها، لأنه أية منفعةٍ للسامعين أن يعرفوا منها ما سوف يحدث قبل الوقت؟ أو أية أهميةٍ أن نعرف مثل هذه الأمور حتى ولو كانت معرفةً صحيحة؟ إ ا ليست ثمرة للفضيلة ولا هي أية علامةٍ على الصلاح، لأنه لن يدان أحد منا عما لا يعرفه، ولن يطوب أحد على ما لديه من علمٍ ومعرفةٍ، بل إنّ كل واحدٍ سيدعى للدينونة على ما إذا كان قد حفظ الإيمان واتبع الوصايا بالحق!

لا نطمعن في **معرفة المستقبل:**

١٥ - لذلك فنحن لا نحتاج أن نعطي هذه الأمور أهميةً كبيرةً، أو نمارس حياة النسك والتعب من أجلها، بل إننا نحتاج أن نرضي الله بحياتنا الصالحة. كما يجب ألاّ نصلي لكي نعرف المستقبل، أو أن نطلب هذه المعرفة كأجرٍ لنسكنا، بل يجب أن تكون صلاتنا لكي يكون

الرب معينا لنا على النصرة على إبليس. وإن حدث أننا رغبنا مرةً في معرفة المستقبل فليكن ذهننا طاهرا، لأنني أعتقد أنه إن كانت النفس نقية تماما وفي حالتها الطبيعية لاستطاعت - بوضوح الرؤية أمامها - أن ترى أكثر وأبعد من الشياطين لأنّ الرب معها وهو الذي يكشف لها، وذلك مثل نفس إليشع النبي التي رأت ما فعله جيحزي، وأبصرت جيوش الملائكة واقفةً بجوارها (٢مل٥: ٢٦و٦: ١٧).

لذلك فإن جاءتكم الشياطين ليلاً وأرادت أن تخبركم عن المستقبل، أو قالت: نحن ملائكة، فلا تصغوا إليها لأ ا كاذبة. وحتى إن مدحت نسككم وطوبتكم فلا تصغوا إليها، ولا تكن لكم معاملات معها، بل بالحري ارشموا ذواتكم ومساكنكم وصلوا تجدوها قد انقشعت، لأ ا في غاية الجبن وتخشى جدا علامة صليب الرب طالما أنّ الرب قد جردها حقًا وأشهرها جهارا في الصليب (كو٢: ١٥). أما إذا ثبتت بلا خجل طافرةً بحماقةٍ ومغيرةً هيئتها وشكلها فلا تخشو ا ولا ت عجوا ولا تستمعوا إليها كأ ا أرواح صالحة، لأنه بمعونة الله يسهل تمييز وجود الخير من الشر.

رؤيـة القديسـين:

١٦ - أما رؤية القديسـين فهي لا تقترن بالاضطراب أو الارتباك لأ م «لا يخاصمون ولا يصيحون ولا يسمع أحد في الشوارع صو م» (أنظر مت١٢: ١٩)، فرؤيتهم تأتي دوءٍ ورقّةٍ حتى إنه في الحال يحل في النفس الفرح والبهجة والشجاعة، لأنّ الرب الذي هو فرحنا هو الموجود معهم مع قوة الله الآب، فتظلّ أفكار النفس غير مشوشةٍ أو م عجةٍ، حتى إ ا تعاين بنفسها الذين يظهرون لها وكأ ا قد استنارت بأشعةٍ نورانيةٍ، لأنّ محبة الإلهيات والأمور العتيدة تتملّكها، فتشتهي بإراد ا أن تنضم إليهم بكليتها إن استطاعت أن ترحل معهم.

ولكن إن كان البعض كبشرٍ يخافون من رؤية الصالحين فإ م بظهورهم ي عون الخوف في الحال، كما فعل الملاك جبرائيل مع زكريا (لو١: ١٣)، وكما فعل الملاك الذي ظهر للنسوة عند القبر المقدس (مت٢٨: ٥)، وكما فعل ذاك الذي قال للرعاة في الإنجيل: «لا تخافوا» (لو٢: ١٠)، ذلك لأنّ خوفهم لم يتأت (أي لم ينتج) عن جبنٍ بل عن إحساسٍ بحضور كائناتٍ عليا. إذن، فهذه هي طبيعة الرؤى التي يظهر فيها القديسون.

١٧ - أما إغارات الأرواح الشريرة واستعراضا ا فهي تكون مقترنةً بالاضطراب والطنين وأصوات وصرخات مثل الشغب الذي يحدث من الصبية الأردياء أو اللصوص.

ومن ذلك ينشأ الخوف في القلب والاضطراب وتشويش الفكر والكآبة والكراهية للذين يعيشون حياة النسك، وعدم المبالاة والحزن وتذكر الأهل والخوف من الموت، وأخيرا الرغبة في الشرور وعدم احترام الفضيلة والعادات غير المستقرة.

لذلك فكلما رأيتم أي شيءٍ وخفتم، فإن انتزع خوفكم في الحال وحلّ مكانه فرح لا يعبر عنه وابتهاج وشجاعةٌ وقوةٌ متجددةٌ وهدوءٌ للفكر وكل ما ذكرته سابقًا، والجرأة والمحبة نحو الله، فتشجعوا وصلوا، لأنّ الفرح واستقرار النفس وطمأنينتها تدل على قداسة ذاك الذي هو حاضر في الرؤية، هكذا كان فرح إبراهيم عندما رأى الرب (يو٨: ٥٦)، ويوحنا المعمدان أيضا فرح وارتكض بابتهاجٍ عندما سمع صوت مريم حاملة الإله (لو١: ٤١و٤٤).

أما إذا حدث عند ظهور أي شخصيةٍ اضطراب وصخب ومظاهر دنيوية و ديد بالموت والأمور الأخرى التي سبق أن ذكر ا، فاعلموا أن هذا هو هجوم من الأرواح الشريرة. ولتكن هذه أيضا علامة لكم: إذا ظلّت النفس م عجة كان هذا معناه وجود الأعداء، لأنّ الشياطين لا ت ع الخوف المنبعث من حولها كما فعل رئيس الملائكة العظيم جبرائيل مع العذراء مريم وزكريا، وكما فعل ذاك الذي ظهر للنسوة عند القبر. ولكنها كلما رأت الناس خائفين ازدادت بالحري في خداعا ا لكي يزدادوا رعبا، وفي اية الهجوم يزأ م قائلةً: "خروا واسجدوا"... هكذا أضلّت اليونانيين (الوثنيين)، وهكذا اعتبروها آلهةً زورا و تانا. أما الرب فلم يسمح بأن يضللنا إبليس، لأنه كلما صوب نحوه ضلالات كهذه كان ينتهره قائلاً: «اذهب عني يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (مت٤: ١٠). إذن، فلنحتقر المضِلّ أكثر فأكثر، لأن ما قاله الرب تمّمه من أجلنا، حتى إذا ما سمعت الشياطين منا كلمات مماثلة هربت من قِبل الرب الذي انتهرها بتلك الكلمات.

المعجزات ليست من اختصاصنا بل من عمل المخلص:

١٨ - ثم إنه لا يليق بنا أن نفتخر بإخراج الشياطين، ولا أن نستعلي بشفائنا للأمراض، كذلك لا يليق بمن يخرج الشياطين أن يمجد نفسه أو يحقر من شأن من لا يخرِجها، بل ليعرف المرء مقدار نسك كل واحدٍ، فإما أن يقتدي به أو ينافسه أو يقومه، لأنّ عمل المعجزات ليس منا نحن بل هو عمل المخلص، لذلك قال لتلاميذه: «لا تفرحوا بأن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتِبت في السموات» (لو١٠: ٢٠)، لأن كتابة أسمائنا في السماء دليلٌ على حياتنا الفاضلة، أما إخراج الشياطين فهو هبةٌ من المخلص الذي يمنحها. أما الذين يفتخرون بالآيات لا بالفضيلة ويقولون: «يا رب باسمك أخرجنا شياطين

وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فيجيبهم: أصرح لكم إني لم أعرفكم قط» (مت٧: ٢٢و٢٣)، لأن الرب لا يعرف طريق الأثمة. لكننا يجب علينا أن نصلي دواما - كما قلت آنفًا - لكي نحصل على موهبة تمييز الأرواح حتى كما هو مكتوب: لا نصدق كل روح (١يو٤: ١).

الثبات أمام هجمات الشياطين المتكررة:

١٩ - كنت أود ألاّ أتكلم أكثر من ذلك ولا أقول شيئًا من عندي اكتفاءً بما ذكرت، ولكن لئلاّ تظنوا أنني أتكلم عشوائيا وتتوهموا أنني أسرد هذه التفاصيل بدون خبرة أو بعيدا عن الصواب، لأجل هذا، ولو صرت كغبي، فإن الرب الذي يسمع يعرف نقاوة ضميري، وأنّ هذا الكلام ليس لأجل نفسي، بل من أجل شعوركم نحوي وإشفاقي عليكم، أخبركم مرةً أخرى بما رأيته من تصرفات الأرواح الشريرة.

فكثيرا ما طوبتني فانتهرتها باسم الرب! كثيرا ما تنبأت عن ارتفاع النهر فأجبتها: "وما شأنكم أنتم به"؟ جاءتني مرةً مهددةً وأحاطت بي كجنودٍ بكامل أسلحتهم، ومرةً أخرى ملأت مسكني فرسانا ووحوشا وزحافات فترنمت قائلاً: «هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أما نحن فباسم الرب إلهنا نفتخر» (مز٢٠: ٧)، ولما صليت هربت بقوة الرب. ومرةً أتت في الظلام حاملةً ما يشبه النور وقالت: "أتينا لنقدم لك نورا يا أنطونيوس"، أما أنا فأغمضت عيني وصلّيت وللحال انطفأ نور الأشرار.

وبعد ذلك ببضعة شهور جاءت كأ ا ترتل بالمزامير و ذي بكلمات الكتاب المقدس، «أما أنا فكأصم لا أسمع» (مز٣٨: ١٤). ومرةً هزت القلاية بزلزالٍ ولكنني واصلت صلاتي بقلبٍ غير متزعزع. وبعد هذا جاءت مرةً أخرى بضجيجٍ وهي تصفر وترقص، ولكنني إذ صليت واضطجعت مرنمًا المزامير لنفسي بدأت في الحال تنوح وتبكي كأن قو ا قد خانتها، على أنني أعطيت ا د للرب الذي أذلّها ودحر جسار ا وجنو ا.

ومرةً جاءني شيطانٌ طويل القامة جدا وظهر في عظمةٍ وفخامةٍ، وتجاسر أن يقول: "أنا هو قوة الله، أنا هو العناية الإلهية، كل ما تريده أعطيك إياه". أما أنا فنفخت فيه ونطقت باسم المسيح وشرعت أن أضربه، وبدا كأنني ضربته، وللحال اختفى بحجمه الضخم هو وكل شياطينه أمام اسم المسيح. ومرةً أخرى إذ كنت صائما جاء مليئًا بالمكر في شكل راهب ومعه ما يبدو أنه أرغفة خبز ونصحني قائلاً: "كُلْ وكُف عن أتعابك الكثيرة، أنت أيضا إنسان وقد تعرض نفسك للمرض"، أما أنا فإذ أدركت حيلته قمت للصلاة، ولكنه لم يحتمل ذلك فانصرف وخرج من الباب مثل الدخان.

وكم من مرةٍ أظهر لي في البرية ما يشبه الذهب حتى ألمسه مجرد لمس وأتطلّع إليه، ولكنني كنت أُرتل المزامير ضده فيختفي. وكثيرا ما أرادت الشياطين أن تجلدني، فكنت أكرر مرارا وتكرارا: «لا شيء يفصلني عن محبة المسـيح ...» (رو٨: ٣٥-٣٩)، وللحال بدأت تضرب بعضها بعضا، ولم أكن أنا الذي صددتها وحطّمت قو ا بل الرب الذي قال: «رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء» (لو١٠: ١٨). أما أنا، يا أبنائي، فإذ تذكرت كلمات الرسول حولت هذه «تشبيها إلى نفسي» (١كو٤: ٦)، لكي تتعلّموا أن لا تخوروا في النسك أو تخشوا إبليس أو أضاليل الشياطين.

مجيء المسيح جعل الشيطان ضعيفًا:

٢٠ - وإن كنت قد صرت غبيا بسردي لهذه الأمور، فاقبلوا مني القصة الآتية أيضا كمعين لكم لأجل سلامتكم وعدم خوفكم، وصدقوني لأني لست أكذب: مرةً قرع واحد باب صومعتي، ولما خرجت وجدت شخصا طويلاً كبير الحجم. ولما سألته: "من أنت"؟ قال: "أنا الشيطان". ولما قلت: "لماذا جئت هنا"؟ أجاب: "لماذا يلومني الرهبان وسائر المسـيحيين بغير حقٍ؟ لماذا يلعنونني كل سـاعةٍ"؟ فأجبته: "ولماذا تضايقهم"؟ فقال: "لست أنا الذي أضايقهم، بل هم الذين يضايقون أنفسهم، لأنني قد أصبحت ضعيفًا. ألم يقرأوا: «قد تلاشت سيوف العدو بالكلية، وأنت قد أهلكت مدنا» (مز٩: ٦)؟ ليس لي فيما بعد مكانٌ أو سلاح أو مدينةٌ، وها المسيحيون قد انتشروا في كل مكانٍ، وأخيرا حتى البرية قد امتلأت بالرهبان، فليحترسوا لأنفسهم ولا يلعنوني بغير حقٍ"! فتعجبت حينئذٍ من نعمة الرب وقلت له: "أنت كذاب على الدوام ولا تقول الصدق قط، ولكنك قلت هذا أخيرا بالصدق رغم إرادتك، لأنّ مجيء المسيح قد جعلك ضعيفًا إذ طرحك إلى أسفل وجردك". أما هو فلما سمع اسم المخلص ولم يستطع أن يحتمل لهيب ناره اختفى!

وإن كان إبليس قد اعترف بنفسـه أنّ قوته قد تلاشت، فوجب أن نحتقره هو وشياطينه احتقارا تاما. وطالما كان العدو وكلابه ليست لهم إلاّ مثل هذه الحيل فإننا إذ عرفنا ضعفها يمكننا أن نزدري ا. إذن، فلا يجب أن تخور عزائمنا أو يتسرب الشعور بالجبن إلى قلوبنا، أو تتهيأ لنا المخاوف فيقول أحد منا: "أنا خائف لئلاّ يأتي شيطانٌ ويغلبني، لئلاّ يرفعني إلى أعلا ثم يطرحني إلى أسفل، أو لئلاّ يثور علي بغتةً فيزعجني".

مثل هذه الأفكار يجب ألاّ تخطر على بالنا قط، كما يجب ألاّ نحزن كأننا قد هلكنا، بل بالأحرى لنتشجع ونفرح دائما واثقين أننا آمنون. لنذكر في نفوسنا أنّ الرب الذي طارد

الأرواح الشريرة وحطّم قو ا هو معنا. لنذكر ولنضع في قلوبنا أنه طالما كان الرب معنا فإن أعداءنا لن يستطيعوا إيذاءنا، لأ م عندما يأتون يقتربون إلينا في صورةٍ تتفق مع الحالة التي يجدوننا فيها، ويجعلون خداعا م لنا موافقةً لحالتنا الذهنية الراهنة، فإن وجدونا في حالة خوفٍ واضطرابٍ يقتحمون المكان في الحال كاللصوص إذ يجدونه بغير حراسةٍ، ويفعلون ما يجدوننا مفكرين فيه في نفوسنا بل وأكثر أيضا. فإن وجدونا خائري القلوب وجبناء يكثرون من الأمور التي ترعبنا بعنفٍ بتضليلا ا و ديدا ا، و ذه تتعذّب النفس التعسة من ذلك الوقت فصاعدا.

أما إن وجدونا فرحين في الرب متأملين في نعيم الحياة المقبلة، مفكرين في الرب ومسلمين كل شيء في يده، وواثقين أنه لا قوة لأي روح شرير ضد الإنسان المسيحي، ولا سلطان لهم على أي واحدٍ إطلاقًا؛ إذا رأوا النفس متحصنةً ذه الأفكار فهم يندحرون ويتقهقرون. هكذا عندما رأى العدو أيوب مسيجا حوله ذه الأفكار تنحى عنه، ولكنه عندما رأى يهوذا غير متيقظٍ أخذه أسيرا.

٢١ - وهكذا إن أردنا احتقار العدو فلنتفكّر دواما في الإلهيات، ولنجعل نفوسنا فرحةً دائما في الرجاء، وعندئذٍ نرى فخاخ الشيطان كأ ا دخان، والأرواح الشريرة نفسها رب بدلاً من أن تتبعنا لأ ا - كما قلت - شديدة الخوف جدا، تتوقع دائما النار المعدة لها.

ولكي لا تخافوا منها تمسكوا ذه العلامة الأكيدة: كلما ظهر لكم شبح فلا يستول عليكم الخوف، بل مهما كانت شخصيته اسأله أولاً بجسارةٍ: من أنت؟ ومن أين أتيت؟ فإن كانت الرؤية للقديسين فإ م سيطمئنونك ويبدلون خوفك إلى فرحٍ، أما إن كانت الرؤية من إبليس فإنه يضعف في الحال عندما يرى ذهنك ثابتا في هدفه، لأنّ مجرد سؤالك: من أنت؟ ومن أين أتيت؟ برهانٌ على عدم اكتراثك. إنّ يشوع بن نون عرف بسؤالٍ مثل هذا من هو معينه (يش٥: ١٣و١٤)، كما أنّ العدو لم يفلت من سؤال دانيال (سوسنة: ٥١-٥٩).

* * *

وقيل عن هذا الخطاب الطويل: إنه بينما كان أنبا أنطونيوس يتحدث ذا الكلام كان الجميع مغتبطين، فقد ازدادت محبة الفضيلة في بعضهم، وآخرون طرحوا عنهم الإهمال والتراخي، وتلاشى الغرور من غيرهم، واقتنع الجميع بأن يزدروا جمات الشرير، وتعجبوا من النعمة التي أعطيت للقديس من قِبل الرب لتمييز الأرواح. وهكذا صارت صوامعهم في الجبال كهياكل مقدسة مكتظّةً بجماعة الأتقياء الذين كانوا يرتلون المزامير ويحبون القراءة، ويصومون ويصلون، ويفرحون برجاء الأمور العتيدة، ويكدون

لأجل إعطاء الصدقة، ويحتفظون بالمحبة والوفاق بينهم.

ولقد كان ممكنا هناك حقًا رؤية أرض منعزلة مليئة بالتقوى والبر، لأنه لم يكن فيها حينئذٍ فاعل شر أو مصاب بأذى، أو تعيير جابي الضرائب، بل بدلاً من ذلك جماهير من النساك، وكان الهدف الوحيد للجميع هو الفضيلة، وهكذا كان كل من يرى هذه الصوامع مرةً أخرى ويرى مثل هذا النظام الجميل بين الرهبان كان يرفع صوته ويقول: «ما أحسن مساكنك يا يعقوب، خيامك يا إسرائيل، كأودية ظليلةٍ، كجناتٍ على نهر، كخيامٍ أقامها الرب، كأرزاتٍ (أشجار الأرز) على مياه» (عد٢٤: ٥و٦).

خـاتمـة

قال الإخوة:

إننا عندما جئنا إلى حيث يسكن القديس أنطونيوس، كان إيلاريون الطوباوي مع تلاميذ القديس. فأخذونا وطافوا بنا ذلك الموضع جميعه بشاشة وبشاشة. وكان تلميذاه إسحق وسيرابيون يروننا المكان ويقولون لنا: في هذا الموضع كان القديس يصلّي، وفى هذا كان يتلو، وفى هذا كان يجلس صامتاً، وههنا كان يجلس يعمل الزنابيل، وفى هذا الموضع كان يريح جسده من التعب، وهنا كان يرقد، وهذه الكرمة وهذه الغروس هو الذي غرسها، وهذه المسكبة عملها بيده، وهو بنى هذا الحوض بتعبٍ وكد ليسقى الغروس، وهذه المحفرة (الفأس) كانت له زماناً طويلاً يحفر بها.

ولما طافوا بنا جميع هذه المواضع، قالوا لنا: جاء الشيخ وسكن في هذا الموضع، وكان الموضع مربعاً يسع إنساناً واحداً نائماً. وفى رأس الجبل كانت هناك قلال منحوتةً من صخرة، سعة كل قلاية بهذا المقدار، ولها باب مفرد، يصعدون إليها بتعب لصعوبة الجبل وارتفاعه. وكان القديس يفر هناك إذا أراد الهدوء وأن لا يزعجه مزعج.

ولما دخلنا البستان، أشاروا لنا إلى أشجار فاكهة كثيرة، وقالوا لنا إن الطوباني نصبها منذ ثلاث سنوات ...!



الرسائل العشرون
للقديس أنبا أنطونيوس(🔔)

الرسالة الأولى

★✪❖✪★

في الخروج من العالم إلى الرهبنة
وهو على ثلاث رتب

{رسالة أنطونيوس المتوحد ورئيس المتوحدين إلى الإخوة بكل موضع}

قبل كل شيء أهدي محبتكم السلام بالرب طالبا خلاصكم بالرب.

١ - على ما أرى، إنّ النفوس التي بلغت إليها بشارة روح الله، من رجال ونساء، هي على ثلاث رتب (أو دعوات):

الرتبة الأولى: هم الذين قبلوا - بناموس الطبيعة والحرية المخلوق فيهم أولاً - ما بلغ إليهم من البشرى شفاها، ولم يتوانوا بل أسرعوا باستعداد الطاعة، كما كان أبونا إبراهيم مستعدا بناموس الطبيعة، فكلمه الله قائلاً: «اُخرج من أرضك ومن بنى جنسك وادخل إلى الأرض التي أُريك إياها» (تك١٢:١حسب النص)، ولا تكن ذا قلبين. فاستعد إبراهيم لهذه الدعوة وصار مثالاً للذين يبتدئون. وإلى الآن هذه الدعوة ثابتة لمَن يريد الدخول في هذا الشكل (أي السيرة الرهبانية)، وإذا هم صنعوا هكذا حتى تكون قلوبهم مستعدة أن تتبع روح الله؛ فهم بارتياحٍ يقبلون المواعيد. هذه هي صفة الرتبة الأولى.

الرتبة الثانية: هم الذين يسمعون الناموس المكتوب، وهو يشهد لهم بالدينونة العتيدة أن تكون للخطاة والمواعيد الصالحة العتيدة أن تكون لمن يسعى صالحًا. وبهذه الشهادات المكتوبة في الناموس تتيقّظ نياتهم ويطلبون الدخول في هذه الدعوة، كما قال داود النبي إنّ «ناموس الرب يحيى النفوس»، وقال أيضا: «كلامك يضيء لي وناموسك يعلّم الأطفال» (مز١٩: ٧؛ ١١٩: ١٣٠ حسب النص). والمكتوب مثل هذا كثير.

الرتبة الثالثة: هم الذين كانت قلوبهم قاسية ومدمنون على فعل الخطايا، فيجلب الله الرحوم عليهم مصاعب وشدائد حتى تتنبه سرائرهم (أي حواسهم الداخلية) ونياتهم لكثرة ما يأتي عليهم، فيندمون ويرجعون ويستعدون ويدخلون إلى هذه الدعوة، ويتوبون

(🔔) **المراجع:** مخطوطة م ٢٣ بمكتبة دير أنبا مقار، وكتاب: "روضة النفوس في رسائل القديس أنطونيوس"، وكتاب: "رسائل القديس أنطونيوس" طبعة دير أنبا مقار عام ١٩٧٩م.

من كل القلب، ويقبلون المواعيد كالرتبتين الأولى والثانية.

هذه هي الرتب الثلاث (أو الدعوات) التي تدعى ا النفوس لكي ترجع إلى الرب حتى تنال نعمة دعوة ابن الله.

٢ - وأنا أقول إنّ كل الذين دخلوا بكل قلو م (بإحدى هذه الدعوات) يتعلّمون الصبر إلى أن يقدروا على مقاومة العدو. هؤلاء قبل كل شيء يدعوهم الروح القدس ويسهل عليهم كل الأمور حتى يحلى لهم الدخول في التوبة، ويظهر لهم طرقها الحقيقية لكي يتوبوا بأرواحهم وأجسادهم ويرجعوا إلى الله الخالق فيعضدهم بالقوة حتى يقمِعوا الجسد والروح لكي يطهرا كلاهما ويصيرا وارثين للحياة الأبدية.

أما الجسد فنتعبه بالصوم الكثير والسهر والجهاد وبقية الخدمات التي ا يقمع الإنسان جسده. و ذا (تؤازر) روح التوبة الإنسان وتعزيه وتعرفه أن لا يرجع إلى ورائه ولا يتعلّق بشيءٍ من أمور العالم. أما الروح فتنفتح عيناها أيضا (لمعرفة) التوبة الحقيقية لكي تطهر مع الجسد، ويكون كلاهما واحداً في الطهارة، لأن هذا هو تعليم الروح القدس. لأنه يسعى أمامهما (أي يقودهما) ويطهرهما ويمحو منهما الطبائع (الغريبة) الممتزجة بالجسد، وينقلهما كليهما إلى الخلقة (أي الحالة) الأولى التي كانت لهما قبل المخالفة. ولا يبقى في الإنسان شيءٌ من أمور العدو. وعند ذلك يصير الجسد تابعاً لإرادة العقل الذي يطهره في أكله وشربه ورقاده وسائر تصرفاته، ويتعلّم دائماً من الروح القدس، كما يقول الرسول: «إني أُقمِع جسدي وأستعبده» (١كو٩:٢٧).

٣ - وأنا أعلم أنّ في الجسد ثلاث حركات:

الحركة الأولى: دائمة في الجسد وليس لها سلطانٌ أن تفعل شيئاً بغير إرادة النفس، ولكنها تشير إلى وجودها في الجسد بحركة (عادية) غير آثمة.

الحركة الثانية: تدفع الجسد إلى المآكل والمشارب الشهية، وحرارة الدم المتولدة من كثـرة الأغذية تثير الحرب في الجسد وتستميله إلى الشهوات الرديئة. ولذلك فقد حذّر سيدنا المسيح له ا د تلاميذه بقوله: «احترزوا لأنفسكم لئلاّ تثقل قلوبكم بالشبع والسكْر» (لـو٢١:٣٤). وبولس الرسول يقول: «لا تسكروا بالخمر الذي يكون منه ا ون (أي الخلاعة)» (أف٥:٨). فيجب، إذن، على كل من لبسوا زى الرهبنة (أو الذين يطلبون أن يدركوا حد الطهـارة) أن يقولوا مع القديس بولس: «إنني أخضع جسدي وأستعبده» (١كو٩:٢٧).

الحركة الثالثة: تأتي من الأرواح الشريرة لكي ترجع الذين يطلبون الدخول في بـاب

الطهارة إلى الوراء.

ولكن النفس إذا تسلّحت بالصبر الدائم وبالشهادات التي من أنفاس الله (أي كلمة الله)؛ فإن الروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما من هذه الحركات الثلاث. فإن غَفَل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي سمعها، فحينئذ تقوى عليه الأرواح الرديئة وتنجس جسده، وتجعله يفكر في كيف تأتيه المعونة! فإن رجِعت النفس والتصقت بروح الخلاص؛ فهي عند ذلك تعلَم أنّ الصبر من أجل الله هو راحتها وسلامها.

٤ - هذه الأقوال قلتها لكم، يا أحبائي، لأجل اتفاق الجسد والنفس في التوبة. فإذا نال العقل هذه النعمة؛ حينئذ يصلى بالروح القدس، ويبتدئ أن يطرد عن النفس كل المصاعب التي تأتي عليها من شهوات القلب. والروح القدس إن كانت له شركة مع العقل ليساعده على حفظ الوصايا التي تعلمها؛ فهو يرشده كيف ينـزع من النفس تلك الأوجاع التي امتزجت بالجسد واحدةً بعد الأخرى. وكذلك أوجاع النفس الخاصة ا والكائنة فيها، ينـزعها الروح تماماً من قمة الرأس إلى أسفل القدمين: فيضع قانونا للعينين لتنظرا باستقامة وبطهارة، ولا يكون فيهما أي غش، وللأذنين لتسمعا بسلامة ولا تشتاقان لسماع النميمة أو سقطات وضعفات الناس، بل تسران أن تسمعا الأمور الحسنة والرحمة على الخليقة كلها. وأيضاً اللسان يعلمه الروح أن يتكلم بالطهارة وينطق دائما بالخير، لأن المرض الذي أصاب النفس تعبر عنه بواسطة اللسان، لذلك أصابه مرض عظيم بواسطته ضربت النفس أيضا كما قال يعقوب الرسول: «إنّ من يقول إنني أخدم الله وهو لا يلجم لسانه، فهو يضل قلبه وتكون خدمته باطلة» (يع ١:٢٦). وهو يقول في موضع آخر: «اللسان عضو صغير، لكنه ينطق بالعظائم وينجس الجسد» (يع٣: ٥و٦). ومثل هذا كثير في الكتب المقدسة.

فإذا تقوى العقل بقوة الروح فإنه يتطهر ويتعلّم أن يميز الكلام الذي ينطق به اللسان حتى لا تكون فيه إرادة جسدانية، و ذا يكمل عليه قول سليمان (الحكيم): «الكلمات التي أُعطيتها من الله ليس فيها ميل ولا اعوجاج» (أم٨:٨). ويقول أيضا: «لسان البار يشفى الأمراض» (أم ١٢:١٨).

وللأيدي أيضا حركات أخري تعمل أحيانا وى النفس، وهذا ليس من الواجب، لأنّ الروح أعدها لتتحرك بطهارة وترتفع للصلاة وتمتد لفعل الرحمة والعطاء، ولأجل ما تقدمه من الصلوات الطاهرة يتم فيها المكتوب: «ليكن رفْع يدي كقربان المساء» (مز ١٤١:٢). وبخصوص امتدادها للرحمة والعطاء يقول: «إنّ يدي الأقوياء تعطي بسعة» (أم١٠:٤).

والبطن أيضاً يطهرها الروح فتحترس في أكلها وشر ا كما يقول الروح على لسان داود النبي: «إني لم أُواكل الرغيب العين والشره القلب» (مز ١٠٠:٥). فإن تسلطت على البطن كثرة المأكولات والمشروبات وعدم الشبع، واجتذبتها النفس الشهوانية إلى ذلك، فإن قوة العدو تختلط ذه النفس الشهوانية. فالذين يطلبون الطهارة في ذلك يهديهم روح الله إلى طرقه المستقيمة وتعضدهم الطهارة واستقامة الجسد، ويكْمل عليهم قول بولس الرسول: «إن أكلتم أو شربتم فكل ما تفعلونه يكون د الله» (١كو١٠:٣١).

٥ - وإذا قويت الحركات الثلاث التي ذكرتها على الجسد لتجعله يحيد عن الاستقامة، فإنّ الذي يكون طالباً للخلاص بالحقيقة ينـزعها عنه براحةٍ (أي بسهولة حسب الآية عب١٢: ١) ويتمسك بالطهارة، لأنّ الروح صار له ملجأً فيزيده قوةً ويطفئ عنه كل الشرور والنجاسات المتحركة عليه كما يعلمنا الرسول قائلا: «أميتوا أعضاءكم التي على الأرض، أي الزنى والنجاسة والأوجاع والشهوات الرديئة» (كو ٣:٥)، وما يتبع ذلك.

والرِجلان أيضا إن كانتا غير مستقيمتين ولم تسعيا باحتراس كإرادة الله، فإن القلب الذي امتلأ بالنعمة يضبطهما ويسيرهما بإرادة الروح القدس لكي تخدما في الأمور الحسنة، لكي يتكمل الجسد بجميع الحسنات ويصير تحت سلطان الروح القدس. أقول إنه إذا تطهر الجسد كله فإنه يكون قد اتخذ شيئاً من الجسد الروحاني المزمع أن يقوم في قيامة الصديقين.

هذا كله قلناه عن أوجاع النفس التي امتزجت بالجسد وهى تحركه إلى الميل نحو الأوجاع الشريرة لأ ا صارت فاعلةً في جميع أعضاء الجسد. وكما قلت، فإنّ للنفس أيضاً حركات أخرى نريد أن نعرفكم ا وهي: الكبرياء، وأوجاع مختلفة غير أوجاع الجسد، وتعيير الناس، والغضب، وضعف القلب، وعدم ضبط النفس، وبقية الأوجاع. فإن سلمت النفس ذا ا للرب بكل قو ا فإن الله الصالح يعطيها التوبة الحقيقية، ويظهر لها هذه الأوجاع واحدةً فواحدة لكي تحيد عنها، ولا تقوى عليها حركات العدو بالتجارب التي يقصد منها ألاّ تتخلّص النفس من هذه الحركات. فإن داومت النفس على الاحتمال بصبر والإصغاء الحسن للروح القدس الذي يجتذ ا إلى التوبة؛ فإنّ الخالق الرؤوف يتحنن على تعبها وعلى أتعاب الجسد التي هي: كثرة الصوم، والسهر الكثير، والهذيذ في كتاب الله، والصلاة بغير فتور، والخدمة لجميع الناس بطهارة القلب ومسكنة الروح. فإذا داومت على هذه كلها؛ فإنّ الرب الصالح ينظر إليها وينجيها من جميع التجارب، ويخلصها برحمته ويرحمها لأنه محب البشر الذي يحق له التسبيح والتمجيد مع أبيه الصالح والروح القدس إلى أبد الآبدين، آمين.

الرسالة الثانية

✸⌘❖⌘✸

لأولاده الرهبان
في اشتراع الناموس وتجسد الإله
الكلمة، وفيها يحثهم على العمل بالوصايا

١ - أنطونيوس يكتب لأولاده الأحباء بالرب، ويهديهم السلام.

أيها الأحباء في الرب، لقد افتقد الله خليقته ليس مرةً واحدةً فحسب؛ بل في كل وقت منذ بداية العالم إلى نهايته. فكل من يطلب الرب باجتهاد ومحبة ويسمع تعاليمه يكون معه ويعطيه نعمة الروح القدس.

وحيث إنّ الطبائع الناطقة المشتركة مع الأجساد قد ضعفت وتغيرت بسبب حركات النفس وماتت، ولم تستطع أن تدرك خلقتها الأولى، بل "صارت كالبهيمة" (يه١٠)، «وخدمت (أي عبدت) المخلوقات دون الخالق» (رو١:٢٥)؛ فقد افتقد خالق الكل، بقوة صلاحه، خليقته بنواميسه المحيية. والذين استحقوا هذه النعمة، وساروا بحسب النواميس المغروسة فيهم بكل قوتهم ونيتهم وقبلوا روح البنوة وتعلموا من الروح القدس؛ استطاعوا أن يسجدوا للخالق كما يجب. كقول الرسول بولس: «هؤلاء كلهم المشهود لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد، إذ سبق الله فنظر لنا نحن شيئًا أفضل لكي لا يكملوا بدوننا» (عب١١: ٣٩و٤٠).

٢ - وبسبب محبته العظيمة - إذ هو إله الكل - أراد أن يفتقد ضعفنا، فأقام لنا موسى النبي الذي أعطانا الناموس على يديه ووضع لنا أساس البيت الحقيقي الذي هو الكنيسة الناطقة الواحدة، لأنّ مشيئته هي أن يرد الخليقة إلى خلقتها الأولى. فبنى موسى البيت ولم يكمله بل مضى وتركه. فأقام الله بعده جماعة الأنبياء بهذا الروح الواحد، فبنوا هم أيضا على الأساس الذي وضعه موسى ولم يكملوا بل مضوا وتركوه.

ولما رأى آباؤنا الروحانيون أنّ هذا المرض ليس له شفاءٌ، علموا أنه لا أحد من هذه الخليقة يقدر أن يشفيه ما خلا وحيد الآب وحده، الذي هو صورة أزليته، الذي به كانت كل الخليقة التي هي مثاله، وتحقّقوا أنه هو المخلص والطبيب. فطلبوا باجتهاد من أجلنا نحن لأننا شركاؤهم في العضوية قائلين: «أليس بلسان في جلعاد أم ليس هناك طبيب؟ فلماذا لم يتم شفاء ابنة شعبي»؟ (إر٨:٢٢)، «داويناها فلم تشف، دعوها ولنذهب عنها» (إر٥١:٩).

لكن الله الكلمة - بمحبته غير المدركة - أتى إلينا كقول أنبيائه الأطهار: «يا ابن الإنسان، اتخذ لنفسك مظهر الذاهب إلى السبي» (حز١٢:٣ سبعينية). وهو الكامل «إذ

كان في صورة الله لم يحسب اختطافاً (أو خلسةً) أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرا في شبه الناس [ما خلا الخطية (عب٤: ١٥)]، وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفّعه الله أيضا وأعطاه الاسم الذي هو فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب د الله الآب» (في ٢:٦-١١).

فمِنذ الآن، أيها الأحباء، ليكن هذا الكلام واضحاً لكم: أن الله الآب بصلاحه لم يشفق على ابنه الوحيد بل سلمه (رو٨:٣٢) من أجل خلاصنا من خطايانا وآثامنا، واتضع لأجلنا وشفانا بأوجاعه (١بط٢:٢٤)، وبكلمة قوته جمعنا من أقطار الأرض وكل المسكونة، وصار لنا قيامةً وخلاصاً من خطايانا، وأعلمنا أننا أعضاء بعضنا لبعض.

٣ - فأطلب إليكم، أيها الإخوة الأحباء، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تعلموا جيداً هذا التدبير العظيم: أن الإله الكلمة تشبه بنا في كل شيء ما خلا الخطية. فالواجب على جميع الناطقين أن يعلموا هذا متحققين منه بأفكارهم، ويفرقوا بين الخير والشر ليستطيعوا أن يصيروا أحراراً بمجيئه إلينا. فالذين تحرروا وتدبروا بتدبيره دعوا عبيداً له. وهذه الدعوة ليست هي الكمال، بل البر في وقته هو الكمال، وهو الذي يرشد إلى البنوة.

ولما علم ربنا يسوع المسيح أن تلاميذه على وشك أن يقبلوا روح البنوة، وأ م قد عرفوه وتعلموا بالروح القدس؛ قال لهم: «لا أعود أسميكم عبيداً .. لكنني سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو١٥:١٥). فالذين علموا ذلك بحقيقة جوهرهم العقلي نطقوا بأصوا م قائلين: «إننا لم نقبل روح العبودية فنخاف، بل روح البنوة الذي به ندعو الآب أبانا» (رو٨:١٥). فالآن، يا رب، قد علمنا بما أنعمت به علينا. فإن كنا بنين فنحن وارثون لله وأحباء وشركاء ميراث المسيح (رو٨:١٧).

فليكن هذا الكلام واضحاً لكم، والذي لم يستعد أن يقوم (أي يقوم نفسه) بكل قوته فليعلم أن مجيء الرب المخلص سيكون له دينونة: فنحن لقوم رائحة موت (تقود) للموت، ولقوم رائحة حياة (تقود) للحياة (٢كو٢:١٦)، وأيضاً إنّ هذا المخلص: «قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ولعلامةٍ تقاوم» (لو٢:٣٤).

فأطلب إليكم، أيها الإخوة الأحباء، باسم ربنا يسوع المسيح، أن لا تتوانوا عن خلاصكم، بل فليشق كل واحد فواحد قلبه لا ثيابه (يوء٢:١٣)، لئلاّ نكون قد توشحنا بالزي الرهباني باطلاً فنعد لأنفسنا دينونةً، فإنه قد قرب الزمان وسيدان كل واحد وواحد

كنحو أعماله.

ولأجل غموض الكلام أردت أن أكتب لكم أكثر، ولكنني توقفت لأجل القائل: «أعطِ الحكيم فرصةً فيزداد حكمةً» (أم٩:٩).

أُهديكم السلام في الرب صغيركم وكبيركم، ونعمة الرب فلتكن معكم، أيها الإخوة الأحباء، إلى الأبد آمين.

الرسالة الثالثة

لأولاده الرهبان

يحثهم على العمل بأقوال من الإنجيل والرسول

١ - يا أولادي، إن الإنسان الناطق إذا استعد أن يعتق في يوم مجيء ربنا يسوع المسيح، فهو يعرف ذاته بجوهر العقل. لأن من يعرف ذاته يعرف أيضاً تدابير الخالق في خلائقه الأحياء بالرب، واشتراكهم في الميراث الأبدي بشركة عضوية القديسين. ولهذا أنا أطلب إليكم باسم ربنا يسوع المسيح أن تسعوا بما يجب عليكم للرب، لكي يعطيكم جميعا روح الإفراز لتميزوا وتعرفوا المحبة التي لي فيكم أ ا ليست محبة جسدانية بل محبة روحانية. ولذلك لم نسمكم بأسمائكم الجسدانية لأ ا تزول بل بالاسم الثابت، لأن كل من يعلم اسمه الحقيقي ينظر اسم الحق، كما كان اسم يعقوب أولاً عندما كان مع الملاك في الليل، فلما كان الصباح دعي اسمه إسرائيل (تك٣٢ :٢٨-٢٩). وترجمة "إسرائيل" هي "العقل الناظر إلى الله".

وأنا أعلم أنه لا يخفى عنكم أن أعداء الفضيلة يقصدون إبطال الحقيقة في كل وقت. ولكن الله في كل وقت يتعهد خليقته منذ بدء العالم وإلى الأبد. والذين يريدون أن يأتوا إلى الخالق بكل قلو م، فإنه يعلمهم أن يسجدوا له كما يجب (يو٤:٢٤).

ومن كثرة الضعف وثقل الجسد وحرب الأعداء الخبثاء، ذبلت حواس الجسد الظاهرة، وظلت حواس النفس بلا قوة، فهي لا تنحلّ مع الجسد لأن جوهرها (أي النفس) غير قابل للموت، ولا تستطيع أن تنعتق بيرها. ولهذا لم يستطع البشر أن يطلبوا ما يخصهم لكي يرجعوا إلى خلقتهم الأولى. ولذلك عمل الله معهم حسب صلاحه وعلمهم أن يسجدوا للآب كما يجب، لأن الله واحد هو، والجوهر العقلي أيضاً كائن في الوحدانية. فليكن هذا الكلام، يا أحبائي، واضحا لكم: إن كل ا تمعين (في حياة الشركة) إذا لم يكونوا قلباً واحداً يجلبون على أنفسهم الحروب والقضايا فيما بينهم ثم الدينونة.

٢ - فلما نظر الخالق إلى الخليقة، ورأى أن ضربة الناس قد اتسعت، وأ م محتاجون إلى أطباء ليشفوهم، أرسل سيدنا يسوع المسيح - الذي هو خالقهم وشافيهم - أمامه منذرين. ولا نخاف أن نقول إنّ موسى كبير الأنبياء وواضع الناموس هو أحدهم. والروح الذي عمل في موسى هو ذاته الذي عمل في جميع الأطهار بعده. فجميعهم تكلموا (أي تنبأوا) عن ابن الله الوحيد. ويوحنا المعمدان كان هو أيضاً أحد المنذرين، «لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا، ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت الله يغصب والغاصبون يختطفونه» (مت١١: ١٣و١٢).

وجميع هؤلاء اللابسي الروح عِلموا أنه لا يستطيع أحد من الخليقة أن يشفي جرحاً عظيماً ذا المقدار إلاّ صلاح الابن الذي هو وحيد الآب الذي أرسله خلاصاً لجميع المسكونة، لأنه هو الطبيب العظيم الذي يمكنه أن يشفي هذا الجرح المتزايد. والآب بصلاحه لم يشفق على وحيده بل سلّمه عن خطايانا (رو٨:٣٢). ولأجل خلاصنا جميعا من آثامنا، واضع الوحيد ذاته عنا (أي اتضع) وبذلك شفانا جميعا. وبقوة كلمته جمعنا من كل العالم من أقصى الأرض إلى أقصاها، وجعل لقلوبنا قيامةً من الأرض، وعلمنا أننا أعضاء بعضنا لبعض.

٣ - فأنا أطلب إليكم، أيها الأحباء بالرب، أن تتأملوا المكتوب وتعلّموا أنه وصايا الرب. وإنه لأمر عظيم لنا أن نفهم صورة ربنا يسوع المسيح التي اتخذها من أجلنا، فقد صار شبيها لنا في كل شيء ما خلا الخطية (عب٤:١٥). ولذلك ينبغي أن نصير أحراراً لكي نتلذّذ عند مجيئه، لأننا بالذي اتخذ شكل جهالتنا صرنا حكماء، وبفقره صرنا أغنياء، وبضعفه صرنا أقوياء (١كو١:٢٤و٢٥و٣١)، وصار هو لنا جميعاً قيامةً وأبطل عنا سلطان الموت. فمنذ الآن استرحنا ولا نحتاج إلى يسوع آخر بالجسد، لأن مجيء ربنا يسوع جعل لنا عبوديةً (أي عبادةً) صالحةً حتى أبطل جميع الشرور، وعند ذلك قال لتلاميذه: «إنني من الآن لست أسميكم عبيداً بل إخوتي» (يو١٥:١٥). وعندما قاربوا أن يأخذوا روح البنوة علمهم الروح القدس أن يسجدوا للآب كما ينبغي.

أما أنا الشقي أسير يسوع المسيح، فأقول إنّ هذا الوقت الذي نحن فيه جلب لنا سـروراً وأيضا نوحا وبكاءً، لأن كثيرين من جنسنا لبسوا شكل العبادة. فبعضهم عملوا بكل قلو م بعد عتقهم بمجيء المسيح وهؤلاء أُسر م. والبعض الآخر أنكروا قوة التقوى وعملوا بإرادة قلو م وأجسادهم فصار مجيء الرب لهم عقوبة، وهؤلاء أنا أنوح عليهم. وبعضـهم أيضـاً فكّروا في طول الزمان وبعده فأضعفوا قلو م وطرحوا عنـهم شـكل العبـادة وصـاروا كالوحوش، وهؤلاء أنا أيضا أبكى عليهم لأن مجيء سيدنا المسيح صار لهم أيضا عقوبة.

٤ - أما أنتم، أيها الأحباء بالرب، فاعرفوا هذا الوقت (أي افهموا طبيعة هذا الزمـان)، وكونوا بكل القلب قرباناً لله. إنني بالحقيقة، يا أحبائي بالرب، قد كتبت لكم كمن يكتب لأناس ناطقين (أي عقلاء) يمكنهم أن يعرفوا المكتوب (في الأسفار)، لأنني أعلـم أن مـن يعرف المكتوب فإنه يعرف الله، ومن يعرف الله يعرف تدابيره التي يصنعها في خلائقه.

وليكن هذا الكلام واضحاً عندكم، وكما قلت سابقًا فإنني ما كتبت لكم بمحبةٍ جسدانية، بل بمحبة الإله الروحانية، الذي هو ممجد في مشورة القديسين. واعلموا في قلوبكم بالذي يطلب من الله لأجلكم (يشير إلى نفسه) لكي يلقي الرب يسوع في قلوبكم النار التي ألقاها على الأرض (لو١٢: ٤٩) لتستطيعوا أن تتدربوا في عزائمكم وحواسكم، وتميزوا بين الخير والشر، وبين أهل اليمين والشمال، والتائبين من غير التائبين. ولأن ربنا يعلم بطغيان الشيطان أمر تلاميذه قائلاً لهم: «لا تكنـزوا لكم كنوزاً في الأرض» (مت ٦:١٩)، وقال أيضا: «لا تهتموا بالغد، فالغد يهتم بشأنه» (مت٦:٣٤).

أقول بالحقيقة، يا إخوتي، إنه في وقت اعتدال الرياح يفتخر كل الملاحين، ولكن إذا حدث تغيير في (اتجاه) الرياح تظهر حينئذ معرفة الملاحين المهرة. هكذا تأملوا هذا الوقت الذي نحن فيه كيف هو. وبسبب غموض هذا الكلام، لي كلام كثير أقوله لكم، لكن القائل يقول: «أعطِ الحكيم فرصةً فيزداد حكمةً» (أم٩:٩).

أهديكم السلام جميعا من الصغير إلى الكبير في الرب، الذي له المجد إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة الرابعة

لأولاده الرهبان

يعلمهم فيها أن العبوديــة لنامــوس الفضيلة ليست عبودية بل بنوة الحرية

١ - أنطونيوس يكتب لأحبائه في الرب، السلام.

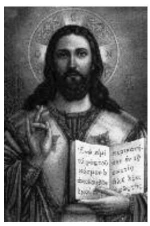
لست أمل من أن أذْكُركم، يا نصيب الكنيسة، وأريد أن تعلموا أن محبتي لكم ليست جسدانية، بل هي محبةٌ روحانيةٌ، لأن شركة الجسد ليست ثابتة ولا باقية بل متحركة مع الرياح الغريبة. فكل من يخاف الله ويحفظ وصاياه يكون عبداً لله. وهذه العبودية التي نحن فيها ليست عبودية بل هي بر، وتؤدى إلى طريق البنوة. ولذلك اختار ربنا الأنبياء والرسل وائتمنهم على الكرازة الرسولية، فصاروا مأسورين بيسوع المسيح، لأن بولس الرسول يقول:

«إنني أسير يسوع المسيح، المدعو ليكون رسولا» (أف ٣:١). وكتاب الناموس جعل لنا عبوديةً صالحةً لكي نستطيع أن نتسلّط على جميع الآلام ونكمل الخدمة الصالحة التي للفضيلة التي تكلم عنها الرسول. فإذا اقتربنا من النعمة، عند ذلك يقول لنا ربنا يسوع المسيح كما قال لتلاميذه: «لست أدعوكم من الآن عبيداً، بل أحبائي وإخوتي، لأن كل ما سمعته من أبى أعلمتكم به» (يو١٥:١٥).

والذين اقتربوا من النعمة علموا بالروح القدس جوهرهم العقلي. فلما عرفوا ذوا م صرخوا قائلين: «إننا لم نقبل روح العبودية فنخاف، بل روح البنوة الذي به نصرخ: أيها الآب أبانا» (رو٨:١٥). فلنعرف ما أنعم الله به علينا إذ جعلنا بنين له: «وإذ صرنا بنين فنحن ورثة الله وشركاء ميراث القديسين» (رو٨:١٧؛ كو١:١٢).

٢ - فيا أيها الإخوة الأحباء الوارثون مع القديسين، ليست الفضائل بأجمعها بعيدة عنكم، بل هي لكم وفيكم. وأنتم لستم مختفين في هذا العالم الوقتي، بل ظاهرين لله. وروح الله لا يسكن في نفس أو جسد خاطئ (حك١:٤)، لأنه قدوس وبعيد عن كل غش. وأنا بالحقيقة، يا أحبائي، أكتب لكم كأناس ناطقين (أي عاقلين) استطاعوا أن يعرفوا ذوا م. لأن الذي عرف ذاته فقد عرف الله. فلأجل هذا ينبغي أن نسجد له كما يجب.

فالآن إذًا، يا أحبائي بالرب، اعرفوا ذواتكم. لأن الذين عرفوا ذوا م عرفوا الزمان (رو١٣:١١)، والذين عرفوا زما م استطاعوا أن يثبتوا بغير اضطراب من كلام الناس المتغير. لأن آريوس قام في الإسكندرية وذكر كلاماً غريباً عن الابن الوحيد، لأن الذي ليست له بداية جعل آريوس له بداية، والذي ليس بمضطرب جعله مضطربا. ونحن نعلم أنه إذا أخطأ إنسان إلى إنسان يطلب من أجله إلى الله، ولكن الذي يخطئ إلى الله فإلى من يتوجهون بالطلبة من أجله؟ (١صم٢:٢٥). أما ذلك الإنسان، الذي هو آريوس، فقد جلب على نفسه قضيةً عظيمةً وضرب ضربةً لا شفاء منها. فلو كان قد عرف ذاته حقاً لَما نطق لسانه بما لم يعلم. فمن الواضح أنه لم يعرف ذاته، ولذلك تجاسر على سر الابن الوحيد، الذي له مع أبيه والروح القدس ا د والعز والإكرام والسجود، الآن وإلى الأبد آمين.



الرسالة الخامسة

لأولاده الرهبان

يحثهم على التشبه بالقديسين والتمثل بأعمالهم

١ - أنطونيوس يكتب لأولاده الأحباء بالرب، ويهديهم السلام.

يا أولادي الأطهار، الإسرائيليون بجوهرهم العقلي، لست بحاجة لأن أذكر أسماءكم الجسدانية التي تعبر مع الجسد، بل أسميكم بنى الإسرائيليين الحقيقيين. اعلموا أنّ محبتي لكم إنما هي روحانية وليست جسدانية، ولذلك فلست أمل من الطلبة إلى الرب عنكم، لكي تعرفوا النعمة التي صارت لكم. لأن الله برحمته ينبه الجميع بأسباب (أي بوسائل) نعمته. فلا تملوا ولا تتكاسلوا، يا أولادي، عن الصراخ للرب اراً وليلاً، لتستعطفوا صلاح الله الآب أن ينعم عليكم بمعونةٍ من العلاء وتعلموا ما هو صالحٌ لكم.

لأننا نحن بالحقيقة، يا أولادي، ساكنون في بيت اللصوص، ومربوطون برباطات الموت الذي هو حاملنا جميعاً (أي مقيدون بسلطانه). فلا تعطوا من الآن نوماً لعيونكم ولا نعاساً لأجفانكم (مز١٣١:٤) لكي ترفعوا ذواتكم ذبائح للرب بكل طهارة وتعاينوه. لأنه بغير الطهارة لا يمكن لأحدٍ أن يعاين الرب كما يقول الرسول (عب١٢:١٤).

واعلموا، يا أحبائي، أنكم إذا صنعتم الخير فأنتم تريحون جميع القديسين الأطهار، لأ م لم ينالوا بعد النياح الحقيقي حتى نكمل نحن. كما أنكم بصنعكم للخير تعطون سروراً للملائكة في خدمتهم وفي مجيء السيد المسيح. أما أنا الشقي الكائن في هذا البيت الترابي فإنكم تعطون سروراً لروحي. إنني أعلم أن جميع القديسين الأطهار إذا رأونا نتوانى يحزنون ويقدمون دموعاً وتنهداً أمام الخالق، ولأجل تنهد الأطهار يغضب ربنا على أرواح الشر ويكسر عنا أعمالها الشريرة. أما إذا رأى القديسون فينا تقويما ونموا، فإ م يسرون كثيراً ويداومون على تقديم الصلوات بكثرة عنا أمام الخالق بالسرور والفرح، فيفرح ربنا بأعمالنا الحسنة وبشهادات قديسيه وطلبا م، ويهب لنا مواهب كثيرة. لأن ربنا يكون دائماً مع خليقته العاملين بوصاياه، كما تقدم القول في رسائلنا.

٢ - فلنبكِ الآن، يا أولادي، أمام صلاحه ونقول كما قال المزمور: «ماذا نعطي عوضاً عن الخيرات التي صنعها معنا» (مز١١٥:١٢)؟ ولنقُل أيضا قول داود المزمر: «أية منفعةٍ من دمى إذا هبطت إلى الهلاك» (مز٢٩:١٠)؟ وأُريد أن تعرفوا حينئذ ما أقوله لكم وأشهد به.

بالحقيقة، يا أولادي، إنّ كل من لم يبغض ما يختص بالطبيعة الهيولانية الأرضية وكل أعمالها

من كل قلبه ولا يبسط عقله نحو العلا لأب الكل، لا يستطيع أن يخلص. أما من يفعل هكذا فإن ربنا يتراءف على أتعابه وينعم عليه بالنار غير المرئية وغير الهيولانية لتحرق كل الأوجاع التي فيه وتطهر عقله، وعند ذلك يسكن فيه الروح الذي لربنا يسوع المسيح ويكون معه ليستطيع أن يسجد للآب كما يجب. فإن دمنا مصطلحين مع هذه الطبيعة الهيولانية فنحن أعداء لله وملائكته وجميع قديسيه.

٣ - وأنا أطلب منكم باسم ربنا يسوع المسيح ألاّ تتوانوا عن حياتكم وخلاصكم، وألاّ تدعوا هذا الزمان الوقتي اليسير يسرق منكم الزمان الأبدي الذي لا نهاية له، ولا هذا الجسد اللحمي أن يبعدكم عن المملكة النورانية التي لا تحد ولا توصف، ولا هذا الكرسي الفاني الهالك أن ينـزلكم عن كراسي محفل الملائكة.

بالحقيقة، يا أولادي، إنّ نفسي لَمبهوتة وروحي ساهية لكوننا جميعا قد أُعطِينا حرية الاختيار لنعمل أعمال القديسين، ولكننا سكرنا بالأوجاع (أي شهوات النفس) مثل قوم سكروا بلذّة الخمر، ولم نرد أن نرفع عقولنا لنطلب المجد السمائي، ولم نماثل أعمال جميع القديسين، ولم نتبع آثارهم لنرث معهم المجد الأبدي.

٤ - واعلموا، يا أحبائي، أن القوات المقدسة العلوية العقلية والنورانية والطبائع الحسية، هم جميعا مخلوقون من البدء لشيءٍ واحد هو تمجيد الله: الملائكة ورؤساء الملائكة والكراسي والأرباب والشيروبيم والسيرافيم والشمس والقمر والنجوم، ورؤساء الآباء والأنبياء والرسل، والشياطين والأبالسة وأرواح الخبث وأراخنة الهواء؛ هؤلاء جميعا هم من إبداع الثالوث الأقدس: الآب والابن والروح القدس. فبعضهم، لأجل حركتهم الحسية، سماهم الله بحسب أعمالهم، والذين زاد نموهم تمجدوا أكثر من قِبل الله، الذي له المجد والعز والإكرام مع أبيه وروح قدسه منا جميعا إلى أبد الآبدين آمين.

❁❀✳❀❁

الرسالة السادسة

لأولاده الرهبان المقيمين بالفيوم يعرفهم فيها بقتالات الشياطين ومعونات القوات المقدسة، ويحثهم على الصبر وتكميل ما خرجوا لأجله

١ - أنطونيوس يهدى السلام إلى أولاده الأحباء المقيمين بالفيوم وأعمالها، وجميع من معهم، وكل الذين يتقدمون للرب بكل قلوبهم. سلامي لكم جميعا من صغيركم إلى

كبيركم، رجلاً كان أو امرأة[٢٠٢]، الذين أنتم بالحقيقة إسرائيليون.

إنكم قد نلتم الطوبى المغبوطة بحلول النعمة فيكم. لكن ينبغي عليكم ألاّ تتوانـوا في الحرب من أجل الذي افتقدكم مشرقاً من العلاء، حتى تصيروا له ذبيحةً طاهرةً مقدسةً، لأننا نعلم كيف سقطت هذه الطبيعة الجوهرية من علوها إلى قعر الفضـيحة والمذلـة، وكيف افتقدها الإله الرحوم بناموسه على أيدي موسى والأنبياء، وأخيرا كان ذلك بابنه الوحيد الذي هو رئيس أحبارنا العظيم وطبيبنا الحقيقي الذي يمكنه شفاؤنا من أوجاعنا، فاتخذ جسدنا وسلم ذاته عنا وعن خطايانا. فهو بسبب جهلنا اتخذ شكل الجهل، وبسبب ضعفنا أخذ شكل الضعف، وبسبب مسكنتنا أخذ شكل المسكنة، وبسبب موتنـا ذاق الموت. هذه كلها صبر عليها من أجلنا، وبموته خلّصنا.

٢ - لذلك يجب علينا أن نجاهد بمقتضى الجهاد، لكي يسر بنا جميع القديسين الذين يطلبون عنا في وقت توانينا فيفرح الزارع والحاصد معاً. ويجب عليكم، يـا أولادي، أن تعلموا ما أنا فيه من الألم العظيم بسببكم، لأنني أنظر إلى أتعـاب القديسـين عـنكم وتنهدا م وطلبا م التي يقدمو ا لأجلكم كل حين أمام الله. فاحرصوا أن تماثلوهم لأ م تأملوا في تدابير خالقهم بتجسده العجيب وأتعابه لخلاصنا، وتأملوا أيضا في غباوة العدو الذي يطلب كل حين هلاكنا في الجحيم الذي هو نصيبه مع جنوده لأ م دائما يطلبون أن يهلكونا هذا الهلاك العظيم.

فأطلب إليكم، يا أولادي الأحباء، أن تفهموا هذا وتنظروا في تدابير خالقنا وافتقاده لنا بالبشارة الظاهرة والخفية. ولكن رغم أننا نحن المدعوين كنا ناطقين (أي عاقلين)؛ فقد صرنا كغير الناطقين لميلنا مع هوى العدو وصانع الشر وأبي الكذب. وأريدكم أن تعلموا كم هي ربوات الملائكة وكم هي ربوات صنائع الشياطين وأنواعها التي لا تحصى، وأ م لما علموا أننا قد علمنا بأوجاعنا وفضيحتنا واجتهدنا في الهروب من أعمالهم الرديئة العاملة فينا، وليس هذا فقط، بل وأننا لا نسمع لمشور م الشريرة التي يلقو ا فينا؛ أخذوا يعملون أعمالهم رغم استهزاء الكثيرين منا م. وهم يعلمون أن موهبة خالقهم صارت لهم ههنا موتاً، وقد تمت يئتهم ليكونوا ميراثاً للجحيم بسبب غفلتهم وكثرة خبثهم.

٣ - ولأجل هذا، يا أولادي الأحباء، لست أمل من الطلبة عنكم في الليل والنهار، لكي يفتح الرب أعين قلوبكم لتنظروا عظم كثرة مكر الشياطين وشرهم الذي يجلبونه

(٢٠٢) هذا معناه أنه كانت توجد راهبات (أي عذارى) تحت تدبير أنبا أنطونيوس.

علينا كل يوم، وأن يعطيكم قلبا مستيقظًا وروح إفراز لكي تستطيعوا أن ترفعوا ذواتكم لله ذبيحةً حيةً طاهرةً، وأن تحترسوا من حسد الشياطين لكم في كل وقت، ومن كل مشورا م الرديئة وحرو م المضادة لنا خفيةً وشرهم المستور وأرواحهم المضلة وأفكارهم التجديفية، وما يلقونه فينا في كل وقت من قلّة الأمانة وسهو القلب، واضطرابا م الدقيقة التي يأتون ا كل يوم مع حزن القلب، وغضبهم ونميمتهم التي يلقو ا فينا لكي ينم بعضنا على بعض ونزكى ذواتنا وحدنا وندين غيرنا ونشتم بعضنا بعضا ونتكلم بلسان حلو والمرارة في قلوبنا، وندين غيرنا على الأعمال الظاهرة فيهم بينما اللص داخل ذواتنا، ونحارب ونقاوم بعضنا بعضا لنقيم كلمتنا ونظهر مكرمين. كما أ م يدفعوننا إلى أعمال أخرى لا نقوى عليها، ويجعلوننا نضعف في الأمور التي هي لفائدتنا، فيضحِكوننا في وقت البكاء ويبكوننا في وقت الفرح، وهم في كل حين يقصدون أن يحيدونا عن الطريق المستقيم لكي يستعبدونا بطغيا م.

وليس لي وقت الآن لكي أتكلم عن بقية شرورهم واحدةً فواحدة، غير أنني أقول إنه إذا امتلأت قلوبنا من مثل هذه الشرور تصير لنا كالطعام، حينئذ يعظم الشر فينا ويتأصل، وتكون لنا عقوبة رديئة. فلهذا يجب علينا ألاّ نمل من الطلبة إلى صلاح الآب لتأتى معونته وتعضدنا في جميع أعمالنا، لأن هذه الشرور المتعددة تقود إلى هلاكنا، لأنّ هذا الإناء (الجسد) الذي نسكنه إنما هو بيت مملوءٌ حربا.

٤ - وأنا أقول لكم، يا أولادي، إن كل إنسان يتلذّذ بأفكاره فهو يسقط بإرادته، لأنه يفرح بما يلقَى فيه من تلك الأشياء ويظنها أسراراً عظيمةً، ويزكى ذاته وحده بما يصنعه، ويكون مسكناً للروح الشرير الذي يشير عليه بالشر، ويمتلئ جسده من أسراره المرذولة الخفية. فالذي يكون هكذا تتملّك عليه أوجاع الشياطين لأنه لم يطرحها عنه.

فيجب علينا أن نعرف فخاخ الشيطان وحيله ونحيد عنها و رب منها، لأن الآثام والخطايا التي من الشياطين ليست ظاهرة ولا جسدانية، لأ م ليست لهم أجساد يمكن رؤيتها، لكننا نحن نصير لهم أجسادا حين تقبل نفوسنا منهم أفكار الظلمة. وعند قبولها منهم يصيرو ا ظاهرةً في الجسد.

فاحرصوا، يا أولادي، على ألاّ تجعلوا لهم فيكم موضعا، لئلاّ يأتي غضب الرب علينا فيفرحوا ويستهزئوا بنا ثم ينصرفوا. فلا تطرحوا عنكم كلامي، فإ م يعلمون أن حياتنا هي من بعضنا بعض. لأنه من هو الذي رأى الله منذ الدهر فأمسكه لئلاّ يبعد عنه ويفرح به ويخلصه من مضادة هذا الجسد الثقيل؟ أو من رأى الشيطان جسدياً واقفاً قبالته فيهرب

منه؟ بل إن الشياطين كائنة في الخفاء، ونحن نظهرها بأعمالنا. وهي جميعها جوهر واحد عقلي، لكنها لما ابتعدت من الله صارت لها هذه الأسماء المختلفة بسبب أعمالها المتباينة، وثبتت عليها كثر ا لكثرة شرورها. وهذه الأسماء هي: شياطين، أبالسة، جن، أرواح شريرة، أنجاس، كفرة، أراخنة هذا العالم المظلم، وأسماء أخرى كثيرة مثل هذه.

٥ - أما القوات السمائية فأسماؤها هي: رؤساء (ملائكة)، ملائكة، كراسي، أرباب، سلاطين، شيروبيم، سيرافيم ... وهكذا. وقد تثبتت لها هذه الأسماء لأ ا حفظت إرادة خالقها. أما الذين أبغضوا ثقل هذا الجسد الذي نحن لابسوه وطرحوه عنهم، فمنهم قوم دعوا رؤساء آباء، وبعض أنبياء، وملوكًا وكهنةً وحكاما ورسلاً. وهذه الأسماء صارت لهم، رجالاً كانوا أم نساءً بسبب أعمالهم المختلفة وميلهم إلى الخير، وأسباب أخرى كثيرة مثل هذه. إلاّ أ م جميعا من مبدأ واحد وجوهر واحد. ولذلك فإنّ من يخطئ إلى قريبه فإنما يخطئ إلى ذاته، وكل من يصنع شرا بقريبه فإنما يصنعه بذات نفسه.

فمن هو الذي استطاع أن يسبب للرب تعباً أو راحةً أو يخدمه كما ينبغي، أو يسبحه كما يجب له أو يكرمه حق كرامته، أو يرفعه كاستحقاقه؟ فهذا ليس بمقدورنا بسبب ثقل أوجاع هذا الجسد علينا. فينبغي، إذ قد علمنا ذلك، أن ننبه الله الساكن فينا بأعمالنا وسرورنا وشفقتنا على بعضنا البعض، ولا نحب ذواتنا وحدها حتى لا نصير من نصيب الشرير. بل لنعرف ذواتنا، لأن من عرف ذاته فقد عرف كل المخلوقات التي أبدعها الخالق من العدم إلى الوجود. وعرف أيضا أن الطبيعة العقلية الباقية مخفية في هذا الجسد الذي ينحل لترى أفعالها فيه وبه. والذي عرف ذلك استطاع أن يحب الله وحده، والذي يحب الرب يحب الكل.

٦ - فيا أولادي الأحباء، لاتكلوا ولا تملوا من المحبة بعضكم لبعض، بل اجعلوا هذا الجسد الذي أنتم لابسوه مجمرةً ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة وتضعو ا أمام الرب برفع قلوبكم إليه، أي إلى العقل الخالق، وتطلبون منه بكل قوة العقل أن ينعم عليكم بأن تأتي ناره غير الهيولية من العلا إليكم لتحرق كل ما في تلك ا مرة وتطهرها. فيخاف كهنة البعل المضادون ويهربون من أمامكم كهرو م أمام إيليا النبي (١مل ١٨: ٣٨-٤٠)، وحينئذ تنظرون أثر إنسان طالعاً بالماء من الينبوع الإلهي، ويمطر لكم المطر الروحاني الذي لروح البارقليط. فإذا نلتم، يا أولادي، هذه المواهب الفاضلة، فلا تظنوا أ ا من أعمالكم، بل هي قوة مقدسة مشتركة معكم في جميع أعمالكم.

وأنا أطلب منكم أن تجتهدوا وتداوموا على أعمالكم الحسنة لكي يسر بكم كافة القديسين وروحي أنا المسكين، لأننا جميعا مخلوقون من مبدأ واحد وجوهر واحد عقلي غير مرئي. فمن عرف ذاته علم أنه جوهر لا يموت، وأنّ ربنا يسوع المسيح هو العقل الحقيقي

الذي للآب، الذي منه تحقيق جميع الطبيعة الناطقة التي خلقَت كشبه صورته. لأنه هو رأس الجسد ورأس الكنيسة كما يقول الرسول بولس (كو ١:١٨)، ولهذا فنحن جميعا أعضاءٌ بعضنا لبعض وجسد واحد للمسيح (١كو١٢:٢٧) «فلا تستطيع الرأس أن تقول للرجلين: لا حاجة لي إليكما، بل إذا تألم عضو واحد فجميع الأعضاء تتألم معه» كما قال الرسول أيضاً (١كو١٢: ٢١و ٢٦).

أما إذا تباعد أي عضو عن الجسد وفَقَد صلته بالرأس لكونه يتلذّذ بأوجاع جسده؛ فهذا يعني أن جرحه عديم الشفاء وأنه لم يعد يذكر بدايته ولا ايته. ولهذا فإن أبا الخليقة يتحرك متعطفًا على جرحنا هذا الذي لا يمكن شفاؤه بواسطة أي من الخلائق إلاّ بصلاح الآب وحده، فأرسل إلينا ابنه الوحيد الذي بسبب عبوديتنا أخذ شكل العبد وسلّم ذاته لأجل خطايانا.

٧ – فيا أولادي الأحباء بالرب، الأبناء الإسرائيليين الأطهار، كونوا مستعدين أن تذهبوا إلى الرب، وأن تقدموا نفوسكم لله ذبائح طاهرةً هذه التي لا يقتنيها أحد بغير تمحيص. أما تعلمون، يا أحبائي، أنّ أعداء الفضيلة يدبرون الشر مقابل الحق؟ لذلك أيضا، احترسوا ولا تعطوا نوما لعيونكم ولا نعاسا لأجفانكم (مز١٣٢: ٤)، واصرخوا لخالقكم ارا وليلاً لكي تأتيكم معونةً من العلاء وتحفَظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح. وأخبركم بالحق، يا أحبائي، أنّ اوننا ومذلّتنا وانحرافنا عن الطريق ليست هي خسارة لنا وحدنا؛ ولكنها مشقّة للملائكة ولجميع القديسين في المسيح يسوع.

بالحقيقة يا أولادي، إنّ مذلّتنا تسبب لهم جميعا حزنا، أما خلاصنا ومجدنا فيسبب لهم فرحا وابتهاجا. واعلموا أن لطف الآب لم يتوقف لحظةً منذ حركته الأولى حتى اليوم أن يعمل لنا الصلاح حتى لا نجتذب موتنا إلينا بإساءة استعمال حرية إرادتنا التي خلقها لنا. لذلك يجب علينا بالأكثر أن نحفظ محبة بعضنا لبعض، لأن من يحب أخاه يحب الله (١يو٤: ٢١)، ومن يحب الله يحب نفسه كما يقول الرسول يوحنا.

٨ - وإنني أطلب لكم، يا أولادي الأحباء، أن تعلموا أيضا أننا قد خلقْنا ذوى سلطان على ذواتنا، ولذلك تقف قبالتنا أرواح الخبث المحيطة بنا. لكن اعلموا ما هو مكتوب في المزمور: «ملاك الرب يعسكر حول أتقيائه، ومن جميع أحزا م يخلصهم» (مز٣٣:٨).

وأريد أيضاً أن تعلموا أن كل الذين ابتعدوا عن الفضيلة قد كمل فيهم غش الشياطين، وتم عليهم المكتوب أ م بنون لإبليس. لأن الشيطان سقط من رتبته السماوية بسبب كبريائه، وصار يريد دائما أن يسقِط جميع الذين يتقدمون للرب بكل قلو م ذه الصفة التي سقط هو ا التي هي العظمة ومحبة ا د الباطل. و ما وبغيرهما صارت

الشياطين تحاربنا وتظن أ ا تفرقنا من الله. ولأ ا تعلم أيضا أن كل من يحب أخاه فهو يحب الله، فبسبب عداو ا للفضيلة وجنو ا تلقي في قلوبنا أن نبغض بعضنا بعضا حتى يصير الواحد منا لا يشتهي أن ينظر أخاه أو يكلمه كلمة واحدة.

لذلك، يا أولادي، أنا أُعلِمكم أن كثيرين بالحقيقة قد تعبوا في الفضيلة غاية التعب، ولكنهم بقلّة إفرازهم قتلوا أنفسهم. وأنا عارف أنه ليس في ذلك عجب، لأنكم إذا تكاسلتم عن العمل بسبب إحكامكم للفضائل في ذواتكم تسقطون في هذا المرض الشيطاني الذي هو عدم الإفراز، وتظنون أنكم قد اقتربتم من الله وصارت حياتكم في النور، بينما أنتم في الحقيقة في الظلمة كائنون.

٩ - فيا أولادي، ما الذي أحوج ربنا يسوع المسيح حتى شد وسطه بمنديل وتعـ ـرى وصب ماءً في مغسلة وغسل أرجل الذين هم دونه (يـ ـو١٣: ٤و٥) إلاّ لكـ ـي يعلمنـ ـا الاتضاع، فأظهره لنا ـذا المثال الذي صنعه؟ إنّ كل الذين يريدون الرجوع إلى رتبتـ ـهم الأولى لا يمكنهم ذلك إلاّ بالاتضاع، لأنه من البدء كانت حركة الكبريـ ـاء هـ ـي الـ ـتي أسقطت صاحبها من السماء. فإذا لم يكن في الإنسان الاتضاع الكثير بكل القلب وبكل النية وبكل الروح وبكل النفس وبكل الجسد؛ فلن يرث ملكوت الله كما هو مكتـ ـوب (١كو٦: ١٠، غل٥: ٢١، أف٥: ٥).

بالحقيقة، يا أولادي الأحباء بالرب، إنني أطلب ليلاً و اراً من خالقي الذي روحي بيده، أن ينير عيون قلوبكم لتعلموا أولاً محبتي لكم، وبعد ذلك ترون خزيكم وتعرفونه. لأنّ من يعرف خزيه فهذا هو الذي يطلب ا ـد المختار الحقيقي، لأن الذي عرف موته هو الذي عرف حياته الأبدية.

١٠ - وإني لَخائف عليكم، يا أولادي، أن يدرككم الغلاء والفقر (الروحيين) في الطريق المؤدية إلى الموضع الذي يمكنكم أن تنالوا فيه الغنى. وأشتهي أن أنظركم ههنا بالجسد، لكنني أنتظر بالأحرى ذلك الدهر الذي ليس فيه حزنٌ ولا كآبةٌ ولا تنهد، بل سرور وفرح لمستحقيه جميعاً، وأن نجتمع هناك عن قريبٍ وأراكم.

وبعد، فإنّ لي كلاماً كثيراً أقوله لكم، ولكن ليس هذا وقته، بل إنه وقت أُهديكم فيه كل واحد باسمه، يا أولادي الأحباء، السلام بالرب الذي له التسبيح الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة السابعة

⌘✪❖✪⌘

لأولاده الرهبان

يعرفهم فيها أنّ خلاصنا ليس بملاكٍ ولا بإنسان بل بالإله الكلمة المتجسد. ويحثهم أن يجاهدوا بمقتضى الجهاد لينالوا الخلاص

١ - إنني أعرف «نعمة ربنا يسوع المسيح الذي تمسكن من أجلنا، وهو الغنى، لكي نستغني نحن بمسكنته» (٢كو٨:٩)، ونتحرر بخضوعه، ونتقوى بضعفه، ونتحكم بالمستجهل من أمره (لأن جهالة الله أحكم من الناس)، ونقوم بموته، ونصرخ مع الرسول قائلين: «إن كنا قد عرفنا المسيح بالجسد لكننا الآن لانعرفه بعد هكذا» (٢كو٥:١٦).

بالحقيقة، يا أحبائي، أقول لكم إنّ هذا الكلام دقيق في معناه، وعندي أقوالٌ كثيرةٌ فيه، ولكن ليس هذا وقت شرحها. بل أبتدئ فأُهديكم السلام بالرب، يا أولادي المباركين، وأُعرفكم أننا نحن الذين نريد التقرب من خالقنا يجب علينا أن نجاهد لأجل خلاص نفوسنا من الأوجاع (بموجب) الناموس العقلي. لأنه بسبب تفاقم الغش ولذة الأوجاع وكثرة التجارب الشيطانية، ضعف إحساسنا وماتت حركات نفوسنا. ولهذا لم نستطع أن نعرف قدر جوهرنا العقلي[٢٠٣] بسبب ما سقطنا فيه من الآلام، وليس لنا خلاص إلاّ بربنا يسوع المسيح (أع٤:١٢)، لأن الرسول بولس كتب يقول إنه بآدم الأول كان الموت، وبالمسيح كانت الحياة (١كو١٥: ٢٢). إذن، فالسيد المسيح ربنا هو حياة كل الناطقين المخلوقين كشبه صورته التي هي عقل الآب الحقيقي. أما صورة الآب فهي غير منتقلة ولا متغيرة، ولكن الصورة الظاهرة في خلائقه منتقلة (ومتغيرة)، ولذلك صار ا موتنا، وهى بخلاف الطبيعة العقلية، ومنها ولدنا بجسدٍ وصرنا بيتاً مملوءاً حرباً.

وأنا أشهد لكم وأقول إن جميع الفضائل كانت قد أُبيدت منا، ولما نظر الله الآب إلى ضعفنا وأننا لا نقدر على ظهوره فينا كهيئته بالحق، أرسل ابنه الوحيد فاتخذ جسدنا وتعهد خلائقه وخدامه وقديسيه بمواهبه.

٢ - فيا أولادي المحبوبين عندي، أنا أطلب منكم بمحبتي فيكم أن تتقدموا إلى الرب بكل قلوبكم ونفوسكم، وأن تعلموا أنّ كل أعمالنا التي نقدمها للرب بالنعمة التي أعطاها لنا لا يمكن أن تتناسب مع تواضعه لأجلنا. لأنه ليس بمحتاج إلينا، ولا هو أتى

---

(٢٠٣) قارن رسالة ٢:٤.

إلينا لأجل تواضعنا، بل لعظم صلاحه ورأفته علينا ولمحبته غير المدركة لم يعاملنا كخطايانا، بل جعل القمر والنجوم لخدمة هذا البيت المظلم، الذي هو العالم، لأجل قيام الجسد. وجعل أيضاً أشياء كثيرة خفية تخدمنا، أشياء لا ننظرها بأعيننا الجسدية. أما نحن، فبسبب كثرة خطايانا جعلنا خدمتها لنا باطلة.

فما الذي نقوله يوم الدينونة لربنا؟ لأنه ما هو الخير الذي لم يعمله لنا هو بنفسه؟ لأن رؤساء الآباء لم يتعبوا لأجلنا، ولا الكهنة علّمونا، ولا الحكام والملوك حاربوا عنا، ولا الرسل طُردوا لأجلنا، ولكن الابن الحبيب الكلمة مات عنا جميعا. لذلك يجب علينا أن نستعد بكل طهارةٍ، وندرب ا حواسنا المتنقلة (أو المتقلبة) بين الخير والشر. إذ إننا جميعا لابد أن ننتقل ونلتقي بربنا يسوع الذي أتى إلينا وخلّصنا بكل تدابيره وتشبه بنا في كل شيء ما خلا الخطية. وكل هذا كان عند قوم جهالة بسبب ما فيهم من كثرة شر الشياطين الخبثاء، وعند قوم شكا (١كو١:٢٣)، وأما عند آخرين فمنفعة، وعند غيرهم حكمة وقوة، وعند آخرين قيامة وحياة.

٣ - فيا أولادي، ليكن هذا واضحا لكم: أن مجيء ربنا صار دينونةً لأولئك وحياةً لهؤلاء. وأما عن هؤلاء فيقول إرميا النبي: «ستأتي أيام، قال الرب، حين أجعل ناموسي في صدورهم وأكتبه على قلو م، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يعلم أحد حينئذ من كان من أهل مدينته ولا أخاه قائلاً له: اعرف الرب، لأ م جميعا سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، وأمحصهم من ذنو م، ولا أعود أيضا أذكر لهم خطاياهم» (إر٣١:٣١-٣٤). وأما عن أولئك فيقول الرسول: «لكي يستد كل فم ويخضع العالم كله لله» (رو٣:١٩). «لأ م لما عرفوا الله لم يمجدوه كالإله» (رو١: ٢١)، لقلّة معرفتهم التي لم يمكنها أن تقبل حكمة الله، لذلك يحل عليهم الغضب.

والآن، يا أولادي، أنا أرى أن كل واحد فواحد منا قد سلّم ذاته بإرادته للشرور. وهذه قد تكملت فينا وتملكت علينا بسبب جهلنا. ولذلك أخذ ربنا شكل جهلنا ليخلصنا به، وأكمل كل تدابيره إلى موت الصليب، لكي بموته وقيامته تكون لنا قيامة فاضلة، وتبطُل عنا قوة الموت التي هي قوة الشيطان، وإذا حررنا ذواتنا وتشبهنا بتواضعه نصير له تلاميذ.

٤ - بالحقيقة، يا أولادي الأحباء بالرب، أقول لكم إنني مضطرب جداً بجسدي وروحي، لأننا تسمينا بأسماء القديسين ولبسنا لباسهم ونفتخر بذلك أمام غير المؤمنين، في حين أننا ليست لنا قوة العمل كالقديسين، وأخاف أن يتم علينا قول الرسول: «لهم صورة

التقوى وهم لقو ا جاحدون» (٢تي٣:٥). فلأجل محبتي لكم لست أفتر من الطلبة إلى الله عنكم لكي تفهموا حياتكم المخفية فيكم، وتعملوا ما تستحقون أن ترثوا به ما لا يرى. وأن تعلموا، يا أحبائي، أننا إذا أكملنا أعمالنا بكل قوتنا كإرادته فهذا هو الواجب علينا، لأنه طبيعي في جوهرنا وليس لنا فيه فضلٌ، لأن كل من يخدم الله ويطلبه بكل قلبه فهو إنما يفعل ذلك بجوهره الطبيعي، فإن أتت منه خطية يلام عليها تكون غريبة عن جوهره الطبيعي.

فاعرفوا ذلك، واعلموا أنني لم أُخفِ عنكم شيئاً لم أُعلِمكم به مما هو لخلاصكم. وأعرفكم أيضاً أن الجسد مضاد للروح دائماً كما يقول الرسول بولس (غل٥:١٧). فالذين يريدون أن يتدبروا بسيرة النسك بيسوع المسيح يجب عليهم أن يطردوا عنهم الشهوات الجسدية بالطلبة للرب يسوع المسيح، وهو برحمته وتحننه يبطِل عنهم كل الضيقات والتجارب التي تأتي عليهم من جهة الجسد كما جاءت على آبائنا الرسل. وهؤلاء بصبرهم أبطلوا قوة العدو التي هي عبادة الأوثان، وأعطاهم ربنا عزاءً وقوةً بقوله لهم: «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن تقووا فإني قد غلبــت العالم» (يو١٦:٣٣). وقال لهم أيضاً: «إن كانوا قد طردوا الأنبيــاء وطردوني فسيطردونكم أنتم أيضا، وإن كانوا قد أبغضوني فسيبغضونكم أنتم أيضا» (يو١٥: ٢٠و١٨)، لكن تقووا واعلموا أنه بصبركم تبطلون قوة العدو.

وأنا أيضاً، يا أولادي المباركين، أريدكم أن تحفظوا هذا القول وما قاله أيضاً بولس الرسول: «إن أوجاع هذا الدهر لا توازى ا د المزمع أن يظهر فينا» (رو٨:١٨). واعلموا أنني لمحبتي فيكم كلّمتكم ذه الكلمات القليلة الروحانية لكي أُطيب قلوبكم، لأنني أعلم أن العقل إذا كان منتبهاً فلا يحتاج إلى كثرة الكلام. وأنا فرِح بالرب لأجلكم، يا أولادي المحبوبين الأطهار بجوهرهم العقلي، وأريدكم أن تعرفوا مقدار المواهب الصائرة إلينا من عند الرب لحفظنا ونمونا، وأن تتمسكوا بالأعمال الطبيعية الجوهرية لا بتلك الأعمال غير الجوهرية.

٥ - إنني، أنا الشقي، أُعلِمكم أيضا أن ربنا قد نبه عقلي من نوم الموت بنعمته، وقد صار لي نوح وبكاءٌ مدة ما بقي لي من هذا الزمان اليسير على الأرض، لأني أفكر فيما نعطيه للرب عوضا عما صنعه معنا (مز١١٦:١٢)! لأنه جعل ملائكته تخدمنا، وأنبياءه يتنبأون لنا، ورسله يبشروننا، وما هو أعظم من كل هذا: إرساله لابنه الوحيد لخلاصنا.

ولذلك أطلب إليكم أن توقظوا قلوبكم بخوف الرب، وتعلموا أن يوحنا السابق عمد بالماء للتوبة ليجتذبنا إلى معمودية ربنا يسوع الذي عمدنا بالروح القدس والنار، التي هي نار الأعمال الصالحة. فلنستعد الآن بأن ننقى ذواتنا جسداً وروحاً لنقبل معمودية ربنا

يسوع المسيح ونعمل (الأعمال الصالحة)، ونرفع ذواتنا قرباناً مقبولاً له، لأن الروح المعزى الذي أخذناه في المعمودية يعطينا العمل بالتوبة ليردنا إلى رئاستنا الأولى فنرث الميراث الذي لا يزول.

واعلموا أيضا أن كل الذين يعتمدون بالمسيح فللمسيح يلبسون كما قال الرسول بولس (غل٣: ٢٧)، وينالون نعمة الروح القدس. فإنه لا عبد ولا حر، ولا ذكر ولا أنثى، ينال هذه النعمة إلاّ وتبطُل منه هذه اللغات (أي الأسماء) الجسدانية، ويقبل تعليم الروح القدس الذي ينال فيه ميراث ملكوت السماء الأبدي، والسجود للآب كما ينبغي بالروح والحق.

٦ - ولا يقولن أحد منكم، يا أولادي، إنه ليست لنا دينونة في يوم مجيء ربنا الأخير، بل فليعلم أن مجيء سيدنا المسيح الأول قد صار لنا بالفعل دينونة في ذلك اليوم إذا لم نكمل فرائضه. واعلموا أن كل لابسي الروح يطلبون في كل وقت عنا أن نتحد بربنا ونرث ما هو معد لنا منذ البدء، ونلبس ثانيةً صورتنا الأولى الجوهرية التي تعرينا منها بالمخالفة. لأن صورة الآب الدائمة في اللابسي الروح تظهر لهم صلاحه وتذكرهم بالمكتوب القائل: «عزوا شعبي يا كهنة (الرب)، وتكلموا في قلب أورشليم» (إش٤٠: ١-٢ سبعينية).

وأنا أسأل إله السلام في كل حين - الذي برحمته يتعاهد خلائقه ويظهر صلاحه فيهم - أن يعطيكم حكمةً ومعرفةً ونعمةً وروح إفراز لتفهموا ما كتبته لكم من وصايا الرب، وتعملوا ا لتحفظكم أطهارا إلى النفس الأخير، وهو يقبل منى تضرعي الذي أقدمه إليه عن خلاصكم جميعاً، يا أبنائي الأحباء بالرب، الذي ا د والعز والإكرام إلى أبد الآبدين آمين.



الرسالة الثامنة(✪)

⌘✪❖✪⌘

لأولاده الرهبان

يحثهم فيها على الجهاد لكي يقبلوا الروح القدس الناري هنا (على الأرض)، فيجتمعون هنـاك (في السماء). ويذكرهم بجهاداتـه، ويعرفهم بما حدث له لكي ينشطهم. وتقرأ هذه الرسالة في عيد نياحته.

١ - أيها الأحباء في الرب، أكتب لكم كأبناء أحباء عند آبائهم، لأن الأبناء حسب الجسد، إذا تأملوا آباءهم ووافقوهم فإنّ الآباء يحبو م من كل قلو م ويكرمو م غاية الإكرام أكثر من أبنائهم غير المطيعين لهم. وإذا حصلوا على شيء حسن ادخروه للأولاد الموافقين لهم والمتشبهين م. فإذا كان الآباء الجسدانيون يصنعون هكذا، فكم بالحري آباؤنا الروحانيون يريدون أن يعطوا الكرامات لأولادهم الموافقين لهم المتشبهين م!

أما أنتم، يا أحبائي في الرب، الذين أحبهم من كل قلبي، فإنني أشتهى أن أكون عندكم كل حين وأنظركم وأبارك عليكم، لأن تعاهدكم لي وتشبهكم بي ورجوعكم إلى الله؛ كل ذلك أرى أنه مستقيم وقد حللتم في قلبي بكل سبب. والآن أطلب من إلهي لأجلكم ليلاً و اراً لكي يعطيكم مواهبه التي أعطانيها بنعمته فقط لا باستحقاق في. لأن هذا هو الغِنى العظيم الذي أعطانيه ربنا، وأنا أسأله أن يعطيه لكم أيضاً. وهذا هو غاية شهوتي وطلبتي دائماً الليل والنهار أن تكونوا معي في الموضع الذي سأكون فيه عند انتقالي من هذا الجسد، لأن ربنا دائماً - من صغرى إلى هذا اليوم - يسمع لي، وأنا عالمٌ أنه برحمته يسمع لي في هذه أيضاً.

(✪) الرسائل التالية، ابتداءً من هذه الرسالة، يرجح العلماء أ ا ليست للقديس أنطونيوس، بل لتلميذه القديس أموناس، وعددها ١٣ رسالة. ولكن الأب متى المسكين يقول في كتابه "ناسك": [بدراستنا الشخصية للرسائل كلها المنسوبة للقديس أنطونيوس، وتدقيقنا في مبادئها الروحية، وبالمقارنة مع ما جاء في كتاب "حياة"، نستطيع أن نقول إنّ الروح التي أنتجت هذه المبادئ والأقوال واحدة في جميعها، وإن الانسجام في الأسلوب والعبارة يكاد يكون هو هو لا يتغير ولا يتزحزح. أما أصالة المبادئ وقو ا وعمقها فيشير إلى شخصية القديس أنطونيوس بكل وضوح.

ولكن، وإن سلّمنا بأقوال العلماء أ ا من وضع القديس أموناس، فمعروف أنه كان شخصية فذّة وله أقوال راجحة في مجموعة .Apoph، وقد استقى من معلمه كل ما في جعبته بلا شك. وهذه الرسائل، بما فيها ما هو منسوب لأموناس، تحوي من المبادئ النسكية والتصوفية قدرا كبيرا، يقول العلماء إ ا منبع للنسك والتصوف الشرقي بكل انطباعاته، كما يقرر العلماء أن المبادئ النسكية التي وردت فيها ذات قوة ورجاحة عالية، أو على حد تعبيرهم: "They preach a solid and healthy asceticism". أما المبادئ التصوفية (التأملية) التي وردت فيها فهي، حسب تحقيق العلماء، تخلو تماما من الصبغة الأوريجانية مما يثبت أصالة الروح التصوفية في أيام أنبا أنطونيوس قبل أن يطورها إيفاجريوس (أوغريس) البنطي وينشرها في الشرق على شكل نسكيات].

٢ - لقد كتبت لكم هذا، يا أولادي، لأجل عظم محبة قلبي لكم، لأنكم بجهادكم في الرب قد تشبهتم بي في كل شيء. واعلموا أن سيدنا المسيح لأجل محبته العظيمة هكذا صنع مع تلاميـذه إذ قال لهم: «إنني لست أدعوكم الآن عبيداً بل إخوة وأحباء وأبناء» (يو١٥:١٥). ولما صاروا له بنين طلب إلى الآب من أجلهم قائلاً: «يا أبتِ، أريد أن يكون هؤلاء حيث أكون أنا، لأني أنا فيك وهم فيَّ، لكي نكون بأجمعنا كاملين في الوحدانية» (يو١٧: ٢١-٢٤). فانظروا وافهموا كيف طلب ربنا يسوع من أبيه لأجل تلاميذه، إذ صاروا له بنين، أن يكونوا معه حيث يكون هو. وهكذا الآن أيضا هي طلبتي، يا أحبائي، أن نكون جميعا في المكان الذي ليس فيه حزن ولا مرض ولا ظلمة ولا أرواح خبيثة، بل مملوء من كل سرور ومن النور والحياة الأبدية والأكاليل التي لا تضمحل وأشياء أخرى كائنة هناك لا يستطيع لسانٌ بشري أن يصفها لأ ا دائمة إلى أبد الأبد.

٣ - يا أولادي، صلوا للرب أن يسهل طريقي إليكم دفعةً أخرى وأُقيم عندكم بعـض الوقت[٢٠٤]، لأنني أعلم أنّ هذا لبنيانكم وفرحكم في الإيمان. وأنا أيضا أفرح إذا أتيت إليكم لتفرحوا وتزدادوا نموا في الإيمان، ولأعرفكم بأسرار أخرى كثيرة لا يمكنني أن أكتبها لكم في هذه الرسالة. وأمكم سارة، التي هي الروح، تفرح بكم، هذه التي أكملت حبلها وولدت روحاً إلهياً فيكم، وتشتهى أن تكملكم - كما طلبت منها عنكم - بذلك الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا لتقبلوه أنتم أيضا. وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم فقـدموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار، واطلبـوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يعطَى لكم، لأنه هكذا حصـل عليـه إيليـا التسبيتي (أو التشبي) وإليشع وجميع الأنبياء.

ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوى قلبين، ولا تقولوا: من يقدر أن يقبل هذا؟ لا يا أولادي، لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تنالونه. وأنا أيضاً أبوكم أجتهد معكم وأطلب لأجلكم لكي تقبلوه، لأني أعلم أنكم كاملون وقادرون على قبوله، لأن كل من يفلح ذاته ذه الفلاحة فإن الروح يعطَى له في كل جيل وإلى الأبد. لكنني أعلم أن أُناساً قبلوه ولما لم يكملوا هذه الفلاحة لم يثبت فيهم.

٤ - أما أنتم، يا أحبائي، الذين أشتهى أن أنظركم لسبب استقامة أذهانكم، فأديموا الطلبة باجتهاد من كل قلوبكم فيعطَى لكم، لأن هذا الروح يسكن في القلوب المستقيمة.

(٢٠٤) هذا دليلٌ على أن القديس كان يقيم وحده في مغارته، وأنه كان أحيانا يفتقد أولاده الرهبان في الفيوم كأبٍ يهتم بأولاده.

وإذا قبلتموه يكشف لكم الأسرار العلوية وأشياء أخرى لا أستطيع أن أعبر عنها على ورق بقلم ومداد (أي حبر). كما أنه يبعِد عنكم خوف البشر والوحوش والفلاوات (أي الأماكن المقفرة) وكل ما يشبه ذلك. ويكون لكم فرح سماوي ليلاً و اراً، وتكونون وأنتم في هذا الجسد كمن هو في الملكوت.

وحينئذ لا تطلبوا عن أنفسكم وحدكم بل وعن الآخرين أيضاً، لأن كل من نِال هذا الروح لا ينبغي أن يطلب عن نفسه فقط بل أيضاً عن الغير كما فعل موسى النبي لما نال هذا الروح، فقد طلب من أجل الشعب قائلا لله: «إن أهلكت هؤلاء فامح اسمي من سفر الحياة» (خر٣٢:٣٢). وهكذا تكون طلبة كل من يبلغ إلى هذا الحد من القديسين وغيرهم، فأنا لا أقدر أن أصفهم بأسمائهم واحداً واحداً، أما أنتم فحكماء وتعرفو م. أما أنا فطلبتي الآن ليلاً و اراً أن تكون فيكم عظمة لذة هذا الروح الذي قبله جميع الأطهار.

٥ - إنني، يا أولادي الأحباء، بعد أن كتبت هذه الرسالة حركني روح الله أن أكتب لكم عن هذا الروح الناري في آخرها، وعن المحبة الإلهية. وإذا أتيت إليكم بمعونة الرب فسأعرفكم بأشياء أخرى كثيرة عن هذا الروح لكي تقتنوها كلها.

وكما أهديتكم السلام في أول هذه الرسالة، كذلك أيضا أهديكم السلام بمحبة الرب في آخرها ذا الروح الناري الذي قِبلته أنا وإياكم بنعمة الرب. وأطلب منكم أن تتركوا مشيئتكم الحسية وتلزموا الهدوء بكل نوع لكي تسكن عندكم القوات العلوية بمؤازرة هذا الروح القدس، وتعينكم على العمل بإرادة الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس، له السبح دائماً سرمدياً إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة التاسعة

لأولاده الرهبان

يعرفهم فيها بمقدار فعل قوة الله في القديسين، ويحثهم على اقتنائها لينالوا الملكوت الأبدي

١ - أيها الأحباء بالرب، إن الإنسان إذا كان يحب الله بكل القلب وبكل الفكر وبكل النية وبكل القوة، فإنه يقتنى خوف الله، والخوف يولد البكاء، والبكاء يولد القوة، وبكمال هذه في النفس تثمر في كل الأمور. وإذا رأى الرب هذه الثمرات الحسنة في النفس يقبلها إليه كرائحة بخور مختار، ويفرح ا مع ملائكته الأطهار في كل حين،

ويعطيها سروراً ويحفظها في جميع طرقها لتصل إلى موضع راحتها. والشيطان لا يقوى عليها لأنه يرى الحارس العلوي محيطاً ا فيخاف أن يقترب من ذلك الإنسان بجملته بسبب تلك القوة العظيمة.

فالآن، يا أحبائي بالرب، يا من تحبهم نفسي وتعلم أ م يحبون الإله، اقتنوا لكم هذه القوة لكي تخاف منكم الشياطين وتخف عليكم الأتعاب التي تمارسو ا، وتحلو لكم الإلهيات لأن حلاوة حب الله أحلى من الشهد، ولأن كثيرين من الرهبان والعذارى الذين في ا امع لما لم يذوقوا حلاوة حب الله ولم يقتنوا القوة الإلهية، كانوا يظنون أ م اقتنوها، ولكنهم لم ينالوها لأ م لم يتجروا فيها، ولهذا لم يعطها الله لهم. فكل من تاجر فيها ينالها بعطية الله له، لأن الله ليس عنده محاباة ولا يأخذ بالوجوه، بل هو في كل الأجيال، جيلاً بعد جيل، يعطيها لمن يعمل بأعمالها.

٢ - والآن، يا أحبائي في المسيح، أنا أعلم أنكم تحبون الله، فاحرصوا أن يكون ذلك من كل قلوبكم، و ذا يفرح قلبي لكي تستطيعوا أن تقتنوا قوة الله، وتجيزوا بقية حياتكم في سرور وفرح، وتخف عليكم أعمال الرب. لأن القوة التي تعطَى للإنسان هي التي تهديه إلى مواضع الراحة وتحفظه حتى يجوز (أي يعبر) كل قوات الهواء كما قال المزمور: «مغبوطٌ هو الرجل الذي يكمل شهوته منهم، حينئذ لا يخزون إذا كلموا أعداءهم في الأبواب» (مز١٢٧:٥).

فاعلموا، يا أولادي، أنه ما دام مع الإنسان نور الله وقوته، فهو يرفض (أو يحتقر) شتائم أهل العالم وكراما م أيضاً، كما أنه يبغض جميع ما في هذا العالم ونياحات الجسد، ويطهر قلبه من الأفكار الشريرة، وعند ذلك يقدم صوماً ودموعاً الليل والنهار مع طلبات نقية، فيعطيه ربنا تلك القوة عينها.

فيا أولادي المباركين، اجتهدوا في اقتناء تلك القوة التي ا تتممون جميع أعمالكم براحة وخفة، وتجدون دالةً عظيمةً أمام الرب، ويكمل لكم جميع طلباتكم. واعلموا أنني كنت أريد أن أكتب لكم كلاماً كثيراً لأجل محبتي لكم. لكنني اقتصرت على هذا اليسير، وأطلب أن يجعله ربنا يسوع المسيح لكم خلاصاً وفرحاً. الذي ينبغي له السبح والإكرام من كل الناطقين مع أبيه الصالح وروحه القدوس إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة العاشرة

❁☆✞☆❁

لأولاده الرهبان
عن ا د الباطل وقتالاته، ويعرفهم
كيف يجاهدون ليخلصوا منه

١ - يا أولادي المباركين، أكتب لكم هذه الرسالة لكي تعرفوا أن محبي الله وطالبيه بكل قلو م يسمع لهم ويعطيهم كل ما يطلبونه. أما الذين لا يأتون إليه بكل قلو م، بل يكونون ذوى قلبين، وجميع ما يفعلونه إنما هو لكي ينالوا ا د من الناس؛ فهؤلاء لا يستمع الله لهم في شيء ما من طلبا م، بل إنه يغضب عليهم بالأكثر لأن أعمالهم هي بالرياء. ولهذا يتم عليهم قول المزمور: «إن الله يبدد عظام المرائين» (مز٥٢:٦). لأن الله، جل ذكره، يغضب على أفعالهم ولا يسر بطلبا م، بل يضادهم أكثر لأ م يتممون أعمالهم بدون أمانة، إذ يعملو ا مراءاةً للناس. ولذلك فإنّ قوة الله لن تكون فاعلة فيهم لأ م ضعفاء القلوب في كل ما يبتدئون به من الأعمال. لذلك لم يعرفوا الحلاوة الإلهية ولا خفتها ولا فرحها، بل ثقلت أعمالهم على نفوسهم كالحِمل الثقيل. وكثيرون من جنسهم هم هكذا. فلأ م لم يقتنوا هذه القوة التي تعطي للنفس لذةً وتملأها فرحاً وسروراً يوماً فيوماً وتشعل فيها حرارةً إلهيةً، خدعهم هذا الروح الخبيث وجعلهم يتممون أعمالهم مراءاةً للناس.

٢ - أما أنتم، يا أحبائي المحبوبين لقلبي، الذين قدمتم ثمار أتعابكم أمام الرب، فاجتهدوا أن تبتعدوا من روح ا د الباطل، وأن تقْووا عليه دائماً لكي يقبل ربنا ثماركم التي قدمتموها أمامه وتنالوا منه القوة التي تعطَى لمختاريه. إن قلبي لَمتعز بسببكم، يا أحبائي، لأني أعلم أنكم لا توافقون روح ا د الباطل بل تضادونه كل حين، ولذلك فثمرتكم طاهرة وحية. فداوموا على مضادة ذلك الروح الرديء، لأنه عندما يبتدئ الإنسان بالأعمال البارة والاجتهاد الصالح، يأتي إليه هذا الروح (ا د الباطل) ويشاركه ويجعله يتأخر عن ذلك حتى لا يدعه يفعل شيئاً من البر، لأنه روح شرير يضاد كل من يريد أن يكون مؤمناً (أو أميناً).

كثيرون يفتخر الناس م لأ م أمناء مسرعون في تقديم الرحمة للمحتاجين، وهؤلاء أيضاً يضادهم ذلك الروح. وآخرون يشاركهم الروح في أعمالهم ويتلِف ثمارهم ويعطل تقدمهم، وذلك لأ م يمارسون فضائلهم ويقدمون رحمتهم ممتزجةً بمجد الناس. ويخطئ الناس إذ

يظنون أن هؤلاء لهم ثمرة، ولكنهم كالجميزة الرديئة التي يظن من يراها من بعيد أ ا مملوءة من الثمر الحلو، وعندما يقترب إليها لا يجد فيها إلاّ ثمرا فاسدا ليس فيه من الحلاوة شيء. وهكذا كل الذين يقبلون ا د من الناس، فإنّ الناس يظنون أن لهم ثماراً كثيرةً صالحةً أمام الرب، في حين أنه ليس فيهم شيءٌ من الثمر بالجملة. بل إنّ الله قد تركهم في جفافهم، ولأنه لم يجد فيهم ثمرة صالحة منعهم من حلاوة لاهوته العظيمة.

٣ - أما أنتم، يا أولادي ا اهدين، فاجتهدوا أن تقفوا في مواجهة روح ا د الباطل وتضادوه وتقْووا عليه، فتأتى قوة الله وتعينكم وتثبت عندكم وتعطيكم نشاطاً وحرارةً كل حين. وأنا أطلب عنكم أيضا أن تدوم هذه الحرارة فيكم سرمداً، لأ ا حقًا لا يوجد شيء أفضل منها. فإذا رأى أحد منكم أن هذه الحرارة ليست فيه فليطلبها باجتهاد وهى تأتى إليه. لأ ا تشبه النار التي إذا قصد الناس أن يسلقوا شيئًا من الخضر ينفخون فيها حتى تشتعل. فإذا اشتعلت فإن الماء يكتسب بحرار ا طبع النار ويغلي فائراً إلى أعلى ومحرِقاً.

فهكذا، يا إخوتي، إذا رأيتم نفوسكم قد بردت بالغفلة والتواني فاجتهدوا في إقامتها ونوحوا عليها، وحينئذ لا بد أن تلك الحرارة تأتى وتتحد ا (أي بالنفس) وتكسِبها طبعها فتغلي وتفور بالأعمال الصالحة. لأن داود لما رأى نفسه قد ثقلت وبردت قال: «طرحت نفسي أمامك وذكرت الأيام السالفة وتلوت في أعمال يديك» (مز١٤٢:٥)، وأيضا: «بسـطت إليك يدي وصارت نفسي كالأرض العطشـانة أمامك» (مز١٤٣: ٦). فافهموا، يا أحبائي، ما فعله داود، أنه لما ثقل قلبه اجتهد إلى أن ألهبت الحرارة قلبه حتى قال: «قلبي مستعد يا الله، قلبي مستعد» (مز١٠٧:٢)، وصار خفيفًا في خدمته الليلية والنهارية. فافعلوا أنتم أيضا هكذا لكي تكونوا مجتمعين باستعداد قلب بضياء اللاهوتية وحرار ا، ولكي يكشف الله لكم الأسرار العظيمة التي لا توصف.

وأنا أسأله أن يحفظ أجسادكم وأنفسكم وأرواحكم صحيحةً إلى أن ينقلكم إلى مقر رحمته، الموضع الذي وصل إليه آباؤنا القديسون. كونوا فرحين في الرب الذي له ا د إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة الحادية عشرة

لأولاده الرهبان
يحثهم على اقتناء الإفراز لأنه هو الكمال

١ - اعلموا، يا أولادي المباركين، أنني أكتب لكم كأولاد أحباء مستحقين للبركة

وميراث الملكوت. فيجب عليكم، إذ قد صرتم هكذا، أن تذكروا (في صلواتكم) ليلاً و اراً الذين يريدون أن يصيروا أولادا للملكوت لكي يحفظهم الله من كل الشرور، ولكي ينظروا (بإفراز) إلى كل الأشياء، ويتأملوا الصالحات وينالوا الخيرات المعدة للأبرار.

ولأنكم، يا أولادي، قد صرتم لي أحباء وأبناء للملكوت، فأنا أطلب عنكم بلا فتور لكيما يعطيكم الله أن تنظروا وتفرزوا جميع الأشياء حتى تميزوا بين الخير والشر. لأن بولس الرسول يقول: «الطعام القوى هو للكاملين الذين دربوا حواسهم وعزائمهم بكثرة الفحص عن الخير والشر» (عب٥:١٤)، وصاروا بنين للملكوت، وأُحصوا في البنوة الإلهية. ولذلك يعطيهم الله هذا النظر والإفراز في سائر أعمالهم حتى لا يضلّهم البشر ولا الشياطين. واعلموا أن العدو يضاد المؤمنين بحجة الخير، ويضل كثيرين لكو م لم يعطَوا هذا النظر وهذا الإفراز.

٢ - والطوباوي بولس، لما عرف هذا الغنى الذي يصير للمؤمنين والذي ليس لعظم قدره حد، كتب لأهل أفسس، الذين صاروا له أولادا وأبناءً للملكوت لأجل عظم محبته لهم قائلاً: «أيها المؤمنون الأطهار الذين بأفسس ... إنني منذ سمعت بإيمانكم بربنا يسوع المسيح ومودتكم لجميع القديسين، لا أفتر عن الشكر لأجلكم وذكركم في صلواتي لكي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو ا د، روح الحكمة والبنيان لتستنير عيون قلوبكم فتعلمون ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين» (أف١: ١٥،١-١٨). وقال أيضاً: «إنني أجثو على ركبتي للآب الذي منه تسمى كل أُبوة في السماء وعلى الأرض، أن يعطيكم كغنى مجده حتى يصح يقينكم (أي إيمانكم) ويقوى بما يؤيدكم فيه بروحه، ليحلّ المسيح في إنسانكم الباطن بالإيمان، وفى قلوبكم بالمودة، إذ يكون أصلكم وأساسكم وثيقًا، لكي تستطيعوا أن تدركوا مع جميع الأطهار ما هو العرض والطول والارتفاع والعمق» (أف٣:١٤-١٨).

فانظروا، يا أولادي، إلى هذا الرسول العظيم كيف أنه لما عرف عِظم هذا الغنى الذي لم يعرفه بعد أولئك الذين أُحصوا له أولاداً بدخولهم في الإيمان، طلب من أجلهم أن ينالوا معرفة عِظم هذا الغنى الذي عرفه، الذي هو الإفراز، الذي ليس شيء أعظم منه في الإيمان المسيحي. وقد طلب ذلك بسبب عظم محبته لهم، وعِلمِه أ م إذا نالوه لا يكون لهم بعد تعب في أي شيء، ولا يجزعون بعد من أي خوف، بل يكون فرح ربنا معزياً لهم ليلاً و اراً، وتصير أعماله حلوة عندهم على الدوام في سائر الأوقات، ويعطيهم الله لأجل ذلك إعلانات الأسرار العظيمة التي للدهر الآتي، هذه التي لا نستطيع أن نصفها باللسان اللحمي.

٣ - فيا أيها الأحباء بالرب، الذين صرتم لي أولاداً، اطلبوا ليلاً و اراً، بدموع غزيرة،

هذا النظر والإفراز لكي يكون لكم الخير الدائم من عند إلهنا، ويزداد اؤكم في كل شيء ويعطيكم الله أشياء أخرى كثيرة ما عرفتموها قط. وأنا، أباكم، أطلب أيضا لأجلكم أن تبلغوا هذا المقدار الذي لنا. لأن كثيرين من الرهبان والعذارى الذين في ا امع لم يبلغوا إلى هذا المقدار. وإذا أردتم، يا أولادي، أن تبلغوا إلى هذا المقدار، الذي هو الكمال، فابتعدوا من كل الذين يحملون هذا الاسم الذي للرهبنة والبتولية دون أن يوجد فيهم هذا النظر والإفراز. لأنكم إن خالطتموهم لا يدعونكم تتقدمون، بل يطفئون الحرارة منكم، لأ م ليست فيهم حرارة بل برودة، وهم يسيرون بحسب إراد م. فإذا جاءوا إليكم وتكلموا معكم بكلام هذا الدهر وبما يوافق إراد م فلا توافقوهم، لأنه مكتوب في الرسول بولس: «لا تطفئوا الروح ولا تحتقروا النبوات» (١تس٥:١٩-٢٠). واعلموا، يا أولادي، أن الروح لا ينطفئ منا إلاّ بالكلام الباطل والمزاح وأعمال أخرى كثيرة لا يمكنني أن أكتبها واحدةً فواحدة. فإذا رأيتم هؤلاء الناس لا تحتقروهم، بل اصنعوا معهم الخير ولا تخالطوهم لئلا يجذبوكم إلى خلف.

وسلام ربنا يحلّ على أرواحكم الوديعة، يا أولادي الأحباء. هذا الذي له التسبيح والإكرام من الخليقة كلها إلى أبد الآبدين آمين.

۞❖☀❖۞

الرسالة الثانية عشرة

❐⌘❖⌘❑

لأولاده الرهبان

عن المحبة، وأنه يشتهي أن يراهم ويتعزوا جميعا بما يعرفه لهم شفاها

١ - اعلموا، يا أحبائي بالرب، أن محبة الله على الدوام تتعهد ضمائرنا وتساعد كل الذين أعدوا أفكار قلو م لتذكار كنيسة الأطهار ليلاً و اراً دون أن تتحرك نحو ما يخالف ذلك. وكما أن هؤلاء روح الله هو تذكارهم دائما وهو يكثر من طلبته لأجلهم لأ م صاروا له أولادا إذ إنه ولدهم بالله؛ هكذا أنتم الذين اعتبرتكم لي بنين وجعلتكم أبناء لله، لا أفتر عن تذكاري لكم في صلواتي ليلاً و اراً لكي يكون إيمانكم ثابتا وتزدادوا في عمل الفضائل، ويثبت ربنا نظركم وإفرازكم، ويعطيكم قوةً عظيمةً أكثر مما هو لكم. وهذه هي طلبتي دائما لأجلكم، إذ قد ولدتكم في المسيح وصرتم لي بنين. وهكذا تيموثاوس، لما ولده بولس الرسول بالله وصار له ابناً، كتب له هكذا قائلاً: «إني أذكرك في صلواتي ليلاً و اراً، وأشتاق إلى رؤيتك، وأذكر دموعك لكي أمتلئ سرورا بما أتذكره من إيمانك الصحيح» (٢تى١:٣-٥).

٢ - فانظروا، يا أولادي، إلى هذا الرسول كيف صار له تيموثاوس ابنا لما ولده بالله، فكان يعمل من أجله هذه الأمور الثلاثة: أن يذكره ليلاً و اراً، ويصلى من أجله، ويشتهى أن يراه. هكذا أنا أيضا، يا أحبائي، الذين من أجل استقامة قلوبكم يحبكم قلبي، فإنني أفعل كما فعل بولس لتيموثاوس هذه الثلاثة بعينها: أن أذكركم، وأصلى من أجلكم، وأشتهى أن أراكم. وأنا أفعل ذلك بسبب تذكري لأتعابكم وتنهدكم وحزن قلوبكم وكثرة صبركم وهدوئكم، لأنكم تفعلون ذلك كله بقلب قوى وبحكمة، لأن كل من يعمل أعمال الله فبروح الحكمة عليه أن يعملها. فهكذا قال بولس الرسول: «إن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح الحكمة وقوة المحبة» (١تى١:٧). وربنا يطالب كلاً منا أن تكون أعماله ذه الحكمة.

والآن، يا أولادي، أنا أطلب من الرب أن يسهل طريقي إليكم مرةً أخرى، لأنني أعلم أنكم تشتهون أن تروني كما أنا بالأكثر أشتهى أن أراكم. واعلموا هذا: أنه لا يوجد على الأرض شيءٌ يعادل محبة الآباء للأولاد والأولاد للآباء، فهم في كل وقت يشتهون أن ينظروا بعضهم بعضاً. فإذا كان الآباء والأبناء الجسدانيون لهم هذه المحبة؛ فكم بالأحرى الآباء الروحانيون وأولادهم في الله؟! إ م يشتهون بخوف الله ومحبته أن ينظروا بعضهم بعضا معا لأن الآباء في الله أعظم من الآباء بالجسد، كما أن حب الآباء للأبناء أعظم من حب الأبناء للآباء. لذلك قال الرسول الإلهي بولس: «إن كانت لكم محبةٌ يسيرةٌ لي فإن محبتي لكم عظيمة» (٢كو١٢:١٥).

هكذا، يا أولادي، أنا أبوكم ومحبتي لكم أكثر من محبتكم لي. وبما أنكم قد صرتم لي بنين، فلنصل جميعا معا لكي يعطينا ربنا أن يرى بعضنا بعضا مرةً أخرى. فأنا أعلم أنه باجتماعي معكم يحصل لكم سرور وفرح كما قال بولس الرسول: «إني تائق جداً أن أراكم وأمنحكم عطية الروح ليصح ا يقينكم ونتعزى جميعا بإيماني وإيمانكم» (رو١: ١١و١٢). لأننا إذا اجتمعنا أعلمتكم بأشياء أخرى لا يمكنني أن أكتبها لكم في الرسائل ليكون ذلك لكم خلاصاً بالرب يسوع المسيح الذي له ا د والوقار والتسبيح مع أبيه وروح قدسه إلى أبد الآبدين آمين.





الرسالة الثالثة عشرة

لأولاده الرهبان

يحثهم فيها على اقتناء الفرح الذي يناله المجاهدون،

وكيف أنهم سيدينون أهل جيلهم المتوانين يوم الدينونة

١- تعلمون، يا أحبائي بالرب، أن كل الخليقة الناطقة، رجلاً كان أو امرأة، كائن فيها ميل (أو غريزة) المحبة لقبول كل من الإلهيات والجسدانيات (انظر رو٨:٥). فالإلهيون يحبون اللاهوتية والجسدانيون يحبون الجسدانية، ولأن اللاهوتية هي فيكم فأنا أحبكم بكل قلبي وروحي لاقتنائكم الله فيكم وقد صرتم عندي في مكانةٍ عظيمة.

وأنا دائماً أطلب من إلهي لأجلكم أن تنمو في قلوبكم الإلهيات بمحبته، وأن يكشف لكم عِظم أسراره التي لا يمكنني أن أعبر عنها بلساني لأنها في غاية الرفعة والعظمة، وهي ليست مثل التي لهذا الدهر، ولا تكشف للنفوس غير الطاهرة، بل للذين طهروا قلوبهم من كل النجاسات ومن أعمال هذا الدهر الزائل. هؤلاء هم الذين أبغضوا العالم حتى نفوسهم، وحملوا الصليب وتبعوا الرب في كل شيء وعملوا بإرادته، فحلت فيهم اللاهوتية وأعطتهم حلاوةً وفرحا بالله. وهذا الفرح يغذّي النفوس ويجعلها تزداد في النمو. وكما أن الأشجار إن لم تشرب من طبيعة الماء لا يمكنها أن تنمو؛ هكذا النفس إذا لم تقبل الفرح السماوي لا يمكنها أن تنمو وتصعد إلى العلاء. أما النفوس التي قبلت الفرح السماوي فهي التي تستطيع أن تنمو إلى العلا لأنها حفظت ما قلناه سابقًا، وانكشفت لها أسرار ملكوت السموات وهى في هذا الجسد، ووجدت الدالة أمام الله في كل شيء، وكمل لها جميع طلباتها.

٢ - والآن، يا أحبائي المكرمين، هذه هي طلبتي دائما: أن تبلغوا إلى هذا الحد، وتعرفوا وتعلموا غنى ملكوت الله الذي ليس له مقدار ولا نهاية. وأنا أعلم أن هذا الغِنى لا تستحقه إلاّ نفوس القليل من الرهبان والعذارى الذين في المجامع، لكونهم بلغوا إلى حد الكمال، وأُعدت لهم كراسٍ ليجلسوا عليها يوم الدينونة للحكم.

وأنا أعرف قوما في جيلنا هذا قد بلغوا إلى هذا الحد من بنوة الله. ولم يخْلُ جيلٌ من الأجيال قط ممن بلغوا إلى هذا الحد، ولا الأجيال الآتية أيضا تخلو من ذلك، ليس من الرجال فقط بل ومن النساء أيضاً. فإذا جلسوا على الكراسي، كما تقدم القول، فكل منهم سيدين أهل جيله لكونهم جاهدوا حتى كملوا، والذين كملوا هم الذين يدينون

المسكونة. وهذا هو ما أطلبه لأجلكم ليلاً و اراً: أن تبلغوا إلى هذا المقدار لتدينوا أهل جيلكم. والذي يدفعني إلى ذلك هو كثرة محبتي العظيمة لكم التي لا أقدر أن أشرحها بوصفٍ ولا أنتم أيضا، لأن الرسول بولس يقول للذين اعتبروا له بنين: «إنني لست أريد أن أعطيكم الإنجيل فقط بل أنفسنا أيضا، لأنكم صرتم لنا أحباء في الرب» (١تس٢:٨). فهذا هو ما أحمله في قلبي لكم يا أحبائي بالرب.

هذا وقد أرسلت لكم عوضاً عني ابني الحبيب إلى أن يسهل الله حضوري عندكم بالجسد، وأُضيف لكم فرحاً أكثر من فرحكم، لأن الرب إذا رأى الأب يحب بنيه فإنه يكون هو بذاته فَرحاً لجميعهم ويعطيهم قوةً عظيمةً وسلاماً في موضع الوحدانية الذي هو الملكوت الأبدي، الذي لكم أن ترثوه بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له السبح وا د والعز إلى الأبد آمين.

الرسالة الرابعة عشرة

لأولاده الرهبان
يحثهم فيها على تكميل الطاعة
لتحل عليهم بركـات آبائهم

١ - يا أحبائي في الرب، الذين أعددتم ذواتكم لملكوت السموات وطلبتم الله لكي يكون لكم كما هو لأبيكم[٢٠٥]. ولكي تمضوا إلى الموضع الذي يمضى إليه أبوكم، والبركة التي تحلّ عليه تحلّ عليكم وا د الذي يقبله تقبلونه، لأنكم قد صرتم له بنين ببنوة الحق والبركة والطاعة. لأن الأولاد الطائعين هم الذين يرثون غنى آبائهم وبرهم وبركتهم. ولأن الطلبات التي يقدمها الأبناء أمام الله تشبه طلبات آبائهم، فبها يرثون فضائلهم وبرهم وبركا م.

هكذا كانت طلبات يعقوب شبيهة بصلوات آبائه في كل شيء، ولذلك حلت عليه كل بركات آبائه وأُهل لنظر السلم الروحاني والملائكة صاعدة ونازلة عليه. فهو قبل أن ينال البركة من آبائه لم ينظر ولا ملاكاً واحداً. ولما نال بركتهم رأى الملائكة وبورك منهم. هكذا علم الأبناء الحقيقيون أ م لا يستطيعون أن يروا شيئاً من القوات إن لم ينالوا البركة من آبائهم. ولذلك بذلوا جهدهم في الطاعة وطلب البركة من آبائهم لكي يستحقوا أن ينظروا الجنود الملائكية، وبنظرهم يثبتون بلا اضطراب في جميع الأمور.

---

(٢٠٥) القديس أنطونيوس يقصد ذاته.

وهكذا الطوباني بولس لما رآهم ثبت وتقوى وصرخ قائلاً: «ماذا سيفصلني عن حب المسيح؟ أشدة أم ضيق أم حبس أم طرد أم جوع أم عري أم مقاومة أم سيف؟ ... إنه لا الموت ولا الحياة ولا الملائكة ولا الرؤساء ولا السلاطين ولا الأمور الحاضرة ولا المزمعة ولا القوات ولا العلو ولا العمق ولا الخليقة الأخرى السفلية تقدر أن تفصلني عن حب الله بربنا يسوع المسيح» (رو٨: ٣٥-٣٩). فانظروا، يا أحبائي، إن كل الذين اجتهدوا حتى صاروا بغير اضطراب لا يهمهم شيء البتة، وهكذا أريد أن تكونوا.

٢ – وأنا أشتهي أن أراكم بسبب كثرة محبتكم لله، وأطلب إليه الليل والنهار أن يحل ببركات آبائنا عليكم، وبركتي أنا المسكين أيضا، لكي تسكن فيكم القوات العقلية وتجوزوا بقية أيام حياتكم بكل سرور، لأن كل من لم يبلغ إلى هذا المقدار فهو لم يصل بعد إلى سرور السموات.

واعلموا، يا أولادي، أن كل الوصايا ليست ثقيلة ولا متعبة، بل نور حقيقي وسرور أبدي لمن كمل الطاعة. وأنا أقول لكم إنني لم أفتر عن الطلب لأجلكم لكي تكونوا معي حيث أكون أنا، لأنكم صرتم لي أبناء وسمعتم لي في كل شيء. وربنا يسوع المسيح عندما رأى أنّ تلاميذه يسمعون له طلب من أبيه قائلاً: «يا أبتاه، أريد أن يكون هؤلاء معي في الموضع الذي أكون أنا فيه لأ م سمعوا كلامي وأنا أسلم ذاتي لأجلهم. أيها الآب أنت في وأنا فيك وهم فينا ليكونوا في الوحدانية كما نحن» (يو١٧: ٢١-٢٤).

فانظروا، يا أولادي، إلى طلبة ربنا لأجل تلاميذه أن يكونوا حيث يكون هو، وطلبته أيضاً من الآب أن يحفظهم من الشرير إلى أن يبلغوا إلى مواضع الراحة لأ م صاروا له أحباء. واعلموا أن هذه هي أيضا طلبتي إلى الله من أجلكم أن يحرسكم من الشرير إلى أن تبلغوا إلى مواضع الراحة، وأن يعطيكم بركة آبائنا، لأن هذه البركات إذا حلت عليكم تزيدكم نعمةً عظيمةً، لأن يعقوب لما مضى إلى ما بين النهرين، بعد قبوله البركة، نظر الملائكة وباركه الله لأجل طاعته لآبائه ونوال البركة منهم. فلما نظر الملائكة وجهاً لوجه تمسك بأحدهم حتى قِبل منه البركة بزيادة، و ا بارك بنيه. هكذا، أنا المسكين، أطلب من إلهي، الذي أخدمه من صغري إلى الآن، أن يبارككم ويزيدكم من البركة لكي تصيروا بأرواحكم وأجسادكم مثل أبينا يعقوب الممتلئ بركة.

٣ - واعلموا أن أبانا يعقوب، لما كان فيما بين النهرين، ذكر أبويه وشرع في العودة إلى أرضه، وفزع من أخيه فقدم له قبل أن يلقاه أربع تقدمات. ولم يكن أخوه محتاجاً

لذلك لأنه كان غنياً جداً؛ لكنه فعل ذلك لكي يحل العداوة التي بينهما وتحل عليه بركة آبائه، لأنه كان يعلم بقوة بركة آبائه كما هو مكتوب: «إن بركة الآباء تحل على بيت الأولاد» (بن سيراخ٣:٩).

فمن الآن، يا أحبائي بالرب، إنه لَفرح لي أن تذكروا مسكنتي، وتذكروا أيضاً آباءكم الجسدانيين لكي تحل عليكم بركا م في كل حين. اعلموا هذا، وسلام الرب يحفظ قلوبكم ونعمته تعضدكم. له السبح من جميع الناطقين إلى الأبد آمين.

الرسالة الخامسة عشرة

لأولاده الرهبان
يعرفهم أن الصـوم وبقية الفضائل هي ثمار حية ناطقة، وأن ا د الباطل وراحة الجسد تفسدها وتجعلها ثمارا مائتة رديئة. ويحثهم على الهـروب من هذه واسـتعمال تلك

١ - قبل كل شيء، يا أولادي المباركين، أنا أسأل الله أن يعطيكم غير المنظورات، لا هذه المنظورات: «لأن هذه المنظورات وقتية فانية، وتلك غير المنظورة أبدية باقية» (١كو٤:١٨). وطلبتي هذه عنكم هي لأني رأيت ثماركم حية ناطقة، وقد صرتم ميراثاً ونصيباً لله الكلمة، ولذلك فرح قلبي جداً، لأني أعلم أن الله يفرح بمن تكون ثمارهم هكذا حية ناطقة ويجعلهم ميراثاً له ونصيباً.

إن جميع الذين ثمارهم ميتة لا يعدون نصيباً لله، بل هو يلومهم بالأكثر كما قال للنبي أن يعرفهم ذلك بقوله له: «اصرخ بقوة ولا تشفق، وارفع صوتك مثل البوق، وعرف شعبي بخطاياهم وبيت يعقوب بآثامهم، لأ م ليسوا بعيدين وسيطلبونني في الأيام الأخيرة». فقالوا بغضبٍ: «لماذا صمنا ولم تنظر؟ وواضعنا أنفسنا (أي اتضعنا) ولم تلاحظ»؟ فأجاب وقال للذين قالوا ذلك: «لأنكم في أيام صومكم توجدون صانعي إرادة قلوبكم الشريرة، والذين هم تحت سلطانكم تتقسون عليهم وتقرعون (أي تضربون على) رؤوسهم، وصومكم هو للقضاء والحروب. وإذ أنتم هكذا فأنا لا أقبل صومكم. لأن هذا الصوم ليس هو الذي اخترته، يقول الرب». وقال أيضا: «لو لويت عنقك مثل الحلقة ولبست مِسحا وبسطت (أي افترشت) رماداً فليس هذا صوماً مقبولاً» (إش٥٨: ٣-٥).

فاعلموا، يا أولادي، أن هذه هي الثمار المائتة، وأن كل الذين يصنعو ا لا يسمع الله

لهم عند تضرعهم بل يلومهم بالأكثر. والإنجيل المقدس بين لنا ذلك بقوله: «إن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون» (مت٦:٢٣)؟! والنبي أيضا في موضع آخر يقول: «إن جميع بركم عندي كخرقة الحائض» (إش٦٤:٥).

٢ - فإذ قد عرفتم، يا أولادي الأحباء، هذه الثمار المائتة فلا تموا بشيء منها لئلاّ تفسد ثماركم الحية الناطقة. وأنا أتضرع إلى الله من أجلكم أن يحفظ ثماركم من الفساد، ويجعلها تنمو وتزيد نعمتكم وفرحكم ومحبتكم للإخوة وللمساكين، وأن يكمل فضائلكم الحسنة وثماركم الحقيقية إلى أن تخرجوا من هذا المسكن وتجتمعوا بعضكم ببعض في ذلك الموضع الذي ليس فيه مرض ولا ضيق ولا شر، بل فرح وسرور ومجد وأكاليل وتيجان وثمار طاهرة وكنيسة أطهار والميراث الذي لا يزول وسائر الخيرات «التي لم ترها عين ولم تسمع ا أذن ولم تخطر على قلب بشر» (١كو٢:٩).

٣ - وأريدكم، يا أولادي المباركين، أن تعضدوا طلبتي هذه ومحبتي العظيمة لكم، وذلك بمداومتكم على أعمال الرب بقلوب ثابتة. وأنا أطلب منه أيضا أن يحفظكم في هذا الزمن من السوء، وأن تكونوا معافين بالجسد والنفس والروح، وأن يعطيكم معرفةً في كل الأمور لكي تخلصوا من طغيان هذا الدهر، وأن يكون لكم سلام وفرح وخلاص بالرب من هذه الثمار المائتة الرديئة التي أصلها جميعا هو ا د الباطل وراحة الجسد.

وسلام ربنا يسوع المسيح يحلّ على جميعكم، هذا الذي ينبغي له ا د والإكرام والتسبيح والوقار مع أبيه وروح قدسه الآن وكل أوان وإلى الأبد آمين.

الرسالة السادسة عشرة

لأولاده الرهبان
عن المسكنة والاتضاع بشهادات من العتيقة والحديثة، ويؤكد عليهم أن يقتنــوا ذلك ليفوزوا بالملكــوت

١ - لنتكلم، يا أولادي الأحباء، عن اليسير من أخبار الآباء القديسين الأطهار، الذين رفعهم الله لأجل تواضعهم ومسكنتهم الأولى، وأعطاهم ا د والغنى ههنا لكو م تواضعوا من كل قلو م قبل تعظيم الله لهم.

فنخبركم أولاً عن أب الآباء إبراهيم، أن الله رفعه من المسكنة إلى الغنى ومن الهوان إلى ا د، وكل هذا كان جسدانياً. ولم ينس إبراهيم مسكنته الأولى، بل عاش ساكناً في

مظال، وكذلك إسحق ويعقوب. وكان يمكن لإبراهيم أن يبنى لنفسه القصور في كل مكان، إذ كان قد صار له من الغنى الكثير من الذهب والفضة والعبيد والإماء والمواشي. ولكنه إذ كان يعلم أن قلبه إذا داوم تذكار المسكنة فلن ينسى كثرة الخيرات التي صنعها الله معه، ولذلك فهو لم يفعل ذلك (أي لم يسكن القصور) بل سكن المظالّ. ولذلك ظهر الله له ومعه ملاكان وهو جالس عند بلّوطات ممرا.

ولما أراد أن يهتم بربنا وملاكيه لم يأمر أحداً من عبيده أن يصنع ما أراده لئلاّ ينسى النعمة التي أعطاها له بعد تواضعه ومسكنته. بل هو بنفسه بشيخوخته الحسنة التي كانت تناهز المائة سنة، مضى إلى قطعانه وأتى بعجل جيد وذبحه. وأمر سارة زوجته نفسها أن تعجن ثلاثة أكيال سميذاً، وكان كل عبيدهما وإمائهما قياماً حولهما. ولما قدم لهم إبراهيم ليأكلوا كان واقفاً بين أياديهم كالمسكين الذي ليس له عبيد. ولأجل هذه المسكنة التي أظهرها أمام الرب أظهر الرب له نفسه وكمل له كل إرادته، وقال له في ذلك اليوم: «إنه في مثل هذا اليوم من العام المقبل سيكون لسارة ولد» (تك ١٨: ١٠). وكان كذلك ورزقا إسحق.

٢ - وإسحق هذا كان غنياً جداً، ولكنه تمسكن بقلبه حتى إن الفلسطينيين كانوا يظلمونه كواحد مسكين. أما هو فلم ينتقم منهم (تك٢٦: ١٩-٢١) فكان غناه يزداد أكثر منهم. وهكذا يعقوب، لما أراد أن يذهب إلى ما بين النهرين، قبل نياحة أبيه إسحق وبعد أن أخذ بركته، ترك عنه كثرة الغنى وسافر بمسكنة ولم يكن معه سوى عصاته وزاد لكفافه في الطريق. وكان إذا رقد يضع تحت رأسه حجراً. ولذلك استغنى بالأكثر في بيت خاله لابان. ولما أراد أن يرجع إلى بيت أبيه لم ينس المسكنة بسبب ما صار له من كثرة الغنى، لأنه كان دائماً يسير بالمسكنة، بل إنه أظهرها أمام الرب قائلاً: «إنني عبرت الأردن بعصاتي والآن صرت جيشين» (تك٣٢: ١٠). وانظروا أيضاً كيف أنه لم ينس المسكنة حتى وقت نياحته.

ولما سجد على طرف عصاته، وكان أولاده حوله، أوصاهم قائلاً: «لا تنسوا مسكنتكم الأولى، يا أولادي، بسبب ما صار لكم من هذا الغنى» (حسب النص). وكانت عصاته بيده في كل وقت حتى لا يتكبر قلبه بكثرة غناه عندما ينظر إليها، ويذكر العبودية التي عاشها في بيت خاله لابان، لأن العصا كانت بيده عندما كان يرعى قطعان غنمه.

وهكذا يوسف لما ملك على مصر، لم ينس مذلته ولم يستح أن يظهر ذلك لفرعون، بقوله لإخوته: «إذا تقصى منكم فرعون فقولوا له: إن عبيدك رعاة غنم» (تك٤٦: ٣٣-٣٤)، وقد فعل ذلك حتى لا يكون له فخر عند فرعون. فانظروا كيف أن ملكه وغناه لم ينسياه مذلته ومسكنته.

٣ - وهكذا موسى، كبير الأنبياء، لما صار ابناً لابنة فرعون وملك على خزائن مصر جميعها (عب١١:٢٦)، ذكر إخوته المولودين من إبراهيم الذي رفعه الله من تواضعه ومسكنته، فطلب حيا م وهرب من مصر وصار غريباً في أرض مديان أربعين سنة، وكان خبزه وماؤه على كتفه وهو يرعى الغنم، فلما نظر الله إلى كثرة تواضعه خاطبه قائلا: «ارجع إلى مصر وكن رئيساً على شعب الله» (خر٣:١٠). فقال موسى للرب: «انظر لك آخر غيري يصلح لهذا الأمر لأني لا أصلح له» (خر٤:١٠). فأغضب الرب ذا القول، وكان قوله هذا بالطبع احتقاراً لذاته لأنه لم يتكبر قط. وبسبب كثرة تواضعه عظمه الله وأعطاه علامةً في عصاته لكي لا ينسى المسكنة بل يعترف بفضل نعمتها. وأمره أن يصنع الآيات والعجائب بالعصا التي بيده، وكل الآيات والعجائب التي أجراها الرب معه كانت بواسطة عصاته، ليكون تذكار مسكنته معه ولا ينساه بسبب تلك العصا التي كانت دائماً بيده والتي ا شق البحر و ا صنع العجائب في مصر.

أما البحر، فلما كان يرى عمود النور يتقدم أمام الشعب كان ينبغي أن ينشق ويولي هارباً، ولكن ذلك لم يحدث، بل إن الله جعل موسى يشق البحر بعصاته التي بيده لكي إذا تعظم قلبه لكون البحر خاف منه، ينظر إلى عصاته التي بيده ويتذكر أ ا هي التي كان يرعى ا الغنم في البرية وهو غريب ومسكين فيتضع. فهذه العصا كانت لموسى لسببين، **الأول:** تعظيماً له لأجل كثرة العجائب التي كان يصنعها ا، **والآخر:** تذكاراً لمسكنته حتى لا يتعظم بقلبه، بل يقول إن هذه القوة ليست لي بل هي للرب.

٤ - وقد قيل أيضا عن دبورة إ ا لما نالت من الله تلك الرفعة العظيمة، التي هي تدبير الشعب كله، لم يرتفع قلبها بل كانت تذكر طقس النساء وتعتبر أن الرجل هو رأسـها (١كو١١:٣). فعندما أرادت أن تحارب سيسرا الملك أرسلت إلى باراق وأعطته السلطان لكي يحارب سيسرا. أما باراق الصديق، فلم تضله هذه الكرامة العظيمة ولا نسى تدابير الله، بل قال لها: «إن كنتِ تنطلقين معي فأنا أنطلق» (قض٤:٨) لأنه كان يعلـم أن الله معها وقد ولاها التدبير حتى إن دبورة قالت له: «إنني إذا خرجت معك لا تكون لـك الكرامة بل يقال إن سيسرا سلم بيد امرأة» (قض٤:٩).

فانظروا، يا أولادي، إلى كرامة كل منهما، فقد كان لدبورة أن تقول إن الرب أعطـاني هذه الكرامة ولا أعطيها لآخر، ولكنها ذكرت طقس النساء بسبب اتضاع قلبها. وكـان أيضا لباراق، لما تولى الأمر من دبورة، أن يذهب إلى الحرب وحده لكي يفتخر ويقول: إني أنا غلبت سيسرا، ولكنه بالأحرى اتضع حتى تأتيه المعونة من الرب.

وهكذا جدعون أيضا، لما قال له ملاك الرب: «إنني مرسلك لمحاربة ملك مديان» (انظر قض٦:١٤)، لم يتكبر قلبه، بل ذكر مسكنته ولام نفسه بأنواع كثيرة ليتخلّص من الكبرياء، فقال أولاً: «يا رب، كن معي بقوتك حتى يخلص إسرائيل، لأني أنا وهذه الربوات مذلولين. وأنا أصغر من في بيت أبي (وعشيرتي هي الذُلى) في سبط منسى» (قض٦:١٥)، فقال لـه الملاك: «اذهب وأنا أكون معك» (قض٦:١٦). ولكن تواضع قلبه لم يتركه بغير اهتمـام، فطلب من الملاك علامات، لأنه كان عند نفسه غير مستحق لهذا المقدار العظيم، ولهذا قوي على مديان بمعونة الرب. وكان دائماً يذكر مسكنته الأولى هارباً من العظمة. ولما طلب منه الشعب أن يكون رئيساً عليهم أجا م باتضاع قلب: «إنني لا أكون رئيساً عليكم، ولا ابني أيضا، بل الرب هو الرئيس عليكم» (قض٨:٢٣). وهكذا هرب من الرئاسـة ولم تضـلّه الكرامة في شيء.

٥ - وهكذا حنة أُم صموئيل النبي، كانت تصنع له ثوبا في كل سنة مما يخصها (أي على حسا ا) (١صم٢:٩)، ومعلوم أن هيكل الرب لم يكن محتاجاً حتى تـأتي أم الـنبي بملابسه من عندها (١صم٢:٩) لكن أُمه فعلت ذلك لأنه دخل الهيكل صغيراً، لئلاّ يقول: إني ملاك أو أحد القوات وقد رأيت إعلانات في الهيكل. وكانت تفعل ذلك كل سـنة حتى يعرف ويتحقق ابن من هو ويتذكر تواضعه وجنسه. ولذلك كان ينمو بزيادة مرضيا لله. وحنة أُمه أيضاً كانت متضعة وديعة.

كما أن داود النبي كان متضعـاً وديعاً. فلنتخذ نحن أيضاً، يا أولادي، الوداعة والاتضاع مثل هؤلاء، لأن داود قال: «اذكر يا رب داود وكل دعته» (مز١٣٢:١). وعندما كان يرعى غنم أبيه اختـاره الله ملكاً مكرماً أكثر من جميع بيت أبيه (١صم١٦:٦-١٣). ولما مضى ليحارب جليات اتخذ ثلاثة حجارة من الوادي وخبأها في جرابه، وأخذ أيضا عصاته التي كان يرعى ا الغنم، وتقدم نحو جليات الجبار وحاربه وغلبه بقوة الرب. وأُحضر أمام الملك شاول وصار مكرماً منه. لكنه لم يترك عنه - لأجل كرامة قصر الملك - عصاته ولا جرابه، بل احتفظ ما معه ليكون قلبه دائما متضعا، ويكون أيضا مثالاً لنا لنتعلّم نحن.

ولما دهن بزيت المسحة وصار ملكاً قال: "إنني لم أنس مسكنتي وتواضعي ولم أرتفع بقلبي"، وقال عن ذلك صراحةً: «يا رب لم يتعظم قلبي ولم تستعل عيناي، ولم أسلك في عظائم ولا عجائب أكثر مني، وإن كنت لم أتضع لكن رفعت صوتي مثل الفطيم من لبن أُمه مثل ا ازاة على نفسي» (مز١٣١: ١و٢). وهذه المزامير لم يقلها داود إلاّ وهو ملك، ولم

ينس مسكنته الأولى بل قال: «صغيراً كنت في إخوتي وشابا في بيت أبى، كنت أرعى غنم أبى» (مز١٥١:١). وهذه الأقوال قالها لكي يعرفها جميع العالم ويتعلّموا الاتضاع والمسكنة.

وهكذا أيضا إيليا النبي، لما صنع العجائب الكثيرة لم يترك عنـه مئزرتـه، ولا عنـد صعوده إلى الفردوس، لئلا يتعظّم قلبه لكثرة ما كان يصنع من الآيات، بـل إنـه بعـد صعوده طرحها على تلميذه إليشع. وكان أيضا متمنطقًا بمنطقة من جلد لتـذكره بأنـه إنسانٌ مسكين، وبتذكره لتلك المنطقة لم ينس مسكنته الأولى.

٦ - وهكذا الآباء الرسل، لما ابتدأوا يتبعون ربنا يسوع المسيح كانوا يتذكرون مسكنتهم الأولى دائماً، حتى إن ربنا قال لبطرس في كفرناحوم، عندما طولب بدفع الجزية: «امضِ إلى البحر وألْقِ صنارتك، وأول سمكة تطلع افتح فاها فتجد إستارا، فخذْها وأعطِ عنى وعنك» (مت١٧:٢٧). فانظروا، يا أولادي، كيف أن بطرس لم يترك عنه صنارته لئلاّ ينسى تواضعه ومسكنته. واعلموا أن ربنا أظهر لنا هذه الأمور لكي نتضع نحن في ذواتنا، ولكي يفتضـح الشيطان ويخزى وتنطفئ سهامه النارية المتوقدة (أف٦:١٦).

وليس هؤلاء المذكورون ومن شا بهم وحدهم هم الذين ذكروا مسكنتهم؛ بل وربنا يسوع المسيح نفسه دعي ابن داود وقال عن نفسه: «إن ابن الإنسان لم يأتِ ليخدم بل ليخدِم» (مت٢٠:٢٨). وكان إذا قيل له: «أنت ابن الله» (مر٨:٣٠، لو٤:٤١) كان ينتهر من يقول ذلك. وإذا صنع العجائب والأشفية كان يأمرهم قائلا: «لا تعلِموا أحداً» (مر١:٤٤)، وكان ذلك تواضعاً منه لأجلنا. ولم يكن تركه للافتخار خوفًا منه، كلاّ لأنه قادر أن يظهر قوة لاهوته في أي وقت أراد؛ بل إنّ ذلك كان منه ليعلمنا أن نحفظ مسكنتنا وضعفنا لكي ننظر نحن الرب فنتواضع، لأنه ظاهر أن لا أحد يمكنه أن يتضع بحقيقة قلبه إلاّ من قد نظرت نفسه الرب.

٧ - واعلموا، يا أولادي، أن كثيرين يسعون بالاتضاع وهم ليسوا كذلك بحقيقة قلو م. فهم في ظاهرهم متضعون أمام الناس، وهم لم ينظروا كرامـة الله. فهذا الأمر (الاتضاع الداخلي) لا يناله أحد بكثرة الذهب والفضة والنحاس، ولا بالتقرب من الملك الأرضي ولا من جنوده، بل إنه مذكور عن الآباء الأطهار القديسين أ م إذا جاهدوا ونظروا الرب فإ م يتواضعون بالأكثر، لأننا سمعنا المكتوب عن أيوب أنه قال للرب: «أنت تعلم، يا رب، أنني لست مذنبا، ومن هو الذي يخلص من يديك» (أى١٠:٧)؟ «ليت بيننا واسطة للحكم ... » وبقية القول (أي٩: ٣٣). ثم إن أيوب لما رأى الرب في سحابة وتكلم معه وانفتحت عينا قلبه ونظره اعتبر نفسه تراباً ورماداً، وندم لكونه تكلّم مع الرب (انظر أي٤٢: ٦) وقال: «إني أضع

يدي على فمي لأني تكلّمت مرةً ولا أرجع إلى مثلها» (أى٤٠:٤-٥).

وهكذا أيضا إشعياء النبي بكت الشعب أولاً على خطاياهم، ولكنه بعد أن رأى رب الصباؤوت والسيرافيم قياما حوله أظهر تواضعه بالأكثر قائلاً: «الويل لي لأني إنسانٌ خاطئ نجس الشفتين» (إش٦:٥).

وتلاميذ ربنا يسوع المسيح كانوا يأكلون ويشربون معه، ولم يخافوا عند مفاوضته لهم. لكنه لما تجلى على طور (أي جبل) طابور وتغير شكله أمامهم سقطوا على وجوههم، وعرفوا مسكنتهم وتواضعوا وعلموا أ م لاشيء أمام مجد السيد المسيح. وتوجد عندنا شهادات كثيرة كهذه، لأنّ سبب كثرة تواضع القديسين هو ما رأوه من مجد الله.

وما عمله ربنا مع تلاميذه يقنعنا بالأكثر لكيما نعرف أن الاتضاع الحقيقي يكون للنفس في هذا العالم برؤيتها من بعد للمجد المُزمع أن تناله، لأن الإنجيل المقدس يقول: «إن ربنا يسوع لما علم أن الآب قد سلم في يديه كل شيء، قام عن العشاء وخلع ثيابه واشتد بمنديل وصب ماءً في لقان وبدأ يغسل أرجل تلاميذه ويمسحها بالمنديل الذي اشتد به» (يو١٣:٣-٥)، لأن تلاميذه صاروا متضعين.

٨ - وهكذا، يا أحبائي في الرب، إذ قد نظرتم مجد الرب وعرفتم ميراثه الذي ستنالونه، اتركوا عنكم مجد البشر وداوموا في هذا الاتضاع العظيم. ولا تنتقلوا من موضع إلى موضع لأجل مجد الناس فتنسوا مسكنتكم الأولى، لأني أرى قوماً هكذا هي صور م ويطلبون مجد الناس، فإذا حصلوا على ذلك في مجامعهم ينتقلون إلى مجامع أخرى لكي يحصلوا على مزيد من مجد الناس. فإذ قد عرفتم الآن هذا، يا أولادي، فلا تنتقلوا من مجمع إلى مجمع لأجل مجد الناس، بل كونوا عند ذواتكم كالأطفال، وتشبهوا بتلميذي يوحنا المعمدان لأ ما لم يتركاه بقصد الافتخار بغيره، بل لما علما أن الرب يسوع أعظم من يوحنا، بشهادة يوحنا نفسه عنه، تبعاه لكي يصيرا من الأطفال الجدد[٢٠٦]. فاصنعوا أنتم هكذا في كل حين عندما تذهبون إلى من هو أكبر منكم ليتم فيكم المكتوب: «ليتجدد شبابك مثل النسر» (مز١٠٢:٥).

٩ - وقولوا إننا خطاة وابكوا على أرواحكم بسبب ما فعلتموه بقلة المعرفة، و ذا تكون بالحقيقة إرادة الرب كائنة معكم وعاملة فيكم، لأنه صالحٌ ويغفر خطايا كل من يرجع إليه من البشر ولا يذكرها بعد، بل إنه يريدهم أن يذكروا هم خطاياهم السابقة لئلاّ ينسوها فيصيروا مطالّبين بما قد غُفر لهم من الخطايا. هكذا جرى لذلك العبد الذي ترك له سيده ما

(٢٠٦) المقصود هو ما جاء في يو١:٣٥ إلخ؛ ٣: ٣.

كان عليه من الوزنات، فلما نسي ذلك وتصرف بجهل مع رفيقه في العبودية طلب منه سيده كل ما كان له عليه، أي ما كان قد تركه له، لأنه لم يرحم رفيقه في العبودية فيترك له المائة دينار التي هي مقدار يسير بالنسبة ِلما ترك له (مت١٨:٢٤-٣٤).

وموسى أيضاً أوصى شعبه في البرية أن لا ينسوا خطاياهم الأولى بقوله لهم: «إذا دخلتم الأرض التي ترثو ا فاحترسوا إذا استغنيتم من أن تأكلوا وتشربوا وتبطروا، لكن اذكروا العبودية التي كانت لكم في مصر (انظر تث٨: ١١-١٤)، وما أغضبتم الرب به أيضا في البرية» (تث٩:٧)، «ويكون هذا التذكار لكم طول أيام حياتكم» (تث٤:٩).

وهذا تعليم لنا، يا أولادي، إذا ما صرنا عبيداً زماناً طويلاً بمصر، التي هي الخطيئة التي استعِبدنا لها بإرادتنا. فلنجاهد، إذاً، أن ندخل أرض الميعاد، وإذا دخلنا فلا ننسى عبوديتنا بل نذكرها دائماً، لئلاّ نأكل ونشبع ونبطر. وليس موسى وحده هو الذي يعلمنا ذلك؛ بل وسائر الأنبياء أيضا هكذا يعلموننا ألاّ ننسى خطايانا التي غفرها الله لنا ونسيها هو، بل نكون نحن لها ذاكرين كل حين لكي نكون على الدوام متضعين أمام الرب، مثل قوم ماثلين أمام من له عليهم دين.

وانظروا إلى داود النبي أيضاً، إذ إنه لما أخطأ مع امرأة أوريا وبكته ناثان النبي لأجلها ولأجل ما صنعه بزوجها أيضاً، فعندما سمع التبكيت ندم وتواضع لوقته، ولهذا قال له ناثان: «إن الله قد غفر لك خطاياك» (٢صم١٢:١٣). لكن داود لما حظي بالصفح عن خطاياه لم ينسها ولا ترك تذكارها عنه، بل كتبها في المزمور الخمسين (سبعينية)، وصار ذلك تذكاراً في جميع الأجيال من جيل إلى جيل. ولما حظي بالصفح قال: «إني أُعلم المخالفين طرقك وإليك يرجع المنافقون» (مز٥٠:١٥). وهذا كله قاله داود ليتعلّم منه كافة الخطاة ويتوبوا مثله، ولا ينسوا خطاياهم التي تترك لهم، بل يكونوا لها ذاكرين في كل وقت.

وهكذا قال الرب في سفر إشعياء النبي: «إني أمحو خطاياك ولا أذكرها» (إش٤٣: ٢٥)، أما أنت فاذكرها لكي تتزكى. ولهذا يجب على الخاطئ، إذا ترك له الله خطاياه، ألاّ ينساها هو بل يذكرها لكي يتزكى. وقال الرب أيضا في إرميا النبي: «ارجعوا إلى يا جميع بيت إسرائيل فلا آتى بتبكيتي عليكم، لأني رحوم يقول الرب، ولا أغضب عليكم إلى الأبد، ولكن اعرف أنت إثمك» (إر٣:١٢-١٣)، وأنك قد صرت جاهلاً بذاتك ومنافقاً على إلهك. هكذا نحن، يا أولادي، يجب علينا إذا ما غفر لنا ربنا خطايانا ألاّ نغفرها نحن لذواتنا، بل نذكرها دائماً بتجديد التوبة. ولهذا فإن يوحنا المعمدان لما كان يعمد الشعب للغفران أمرهم قائلاً: «لا تكونوا بغير اهتمام بسبب غفران خطاياكم، بل اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة، لأن ها هوذا الفأس موضوع

على أصول الشجر، فكل شجرة لا تثمر ثمرةً صالحةً تقطَع وتلقَى في النار» (لو٣:٨-٩). فهذه كلها ذكرتكم بها، يا أحبائي، لأنني أذكر عظم فضيلتكم، ولئلاّ تتغافلوا فيخفى نوركم، بل أن تزدادوا ثماراً تليق بإسكيمكم الملائكي الذي أنتم لابسوه.

١٠ - واعلموا هذا أيضاً، كيف أنه لما وجد ذلك الإنسان الكنز المخفى في الحقل، باع كل مقتنياته واشترى ذلك الحقل (مت١٣:٤٤). فأنتم الآن، يا أحبائي بالرب، قد ظهر مجدكم في مجامع الشركة جميعها، لكن لا تتفكّروا في هذا لئلاّ تتعظموا، بل باتضاعكم ووداعتكم اذكروا مسكنتكم الأولى، فتصيروا كمن لا يعلم ذلك. لأن موسى النبي لما تمجد لم يعلم ببهاء وجهه لسبب تواضعه ووداعته، ولما علم الشعب ذلك وصار في خوف عظيم من نظره إياه ستر موسى وجهه (خر٣٤:٢٩-٣٣).

هكذا أنتم، يا أحبائي، إذا تركتم عنكم خيرات هذا العالم الزائل الذي هو أرض الأموات، كما تركه من تقدم ذكرهم، فليكن رجاؤكم قوياً لكي تنالوا الخيرات من الرب في أرض الأحياء. ولا تطلبوا، يا أولادي المباركين، أن ترضوا الناس الذين في كورة الأموات، وإلاّ فلن تستطيعوا أن ترضوا الرب في كورة الأحياء.

وإذا نلتم الخلاص من خطاياكم، فلا تغفروا أنتم وحدكم لأنفسكم لئلا تكون ثمار توبتكم عاجزةً. بل تشبهوا بمعلم المسكونة بولس الرسول الذي بعد أن غفر له الرب بظهوره له وكلامه معه لم يغفر هو لذاته وحده ولم ينس جهالته الأولى التي نسيها الرب برحمته، بل قال: «إني كنت مضطهداً لكنيسة الله» (١كو١٥:٩، غل١:١٣)، وأمثال ذلك.

وربنا يسوع المسيح يحفظكم في طاعته إلى الأبد. هذا الذي ينبغي له التقديس والتسبيح مع أبيه وروح قدسه الآن وكل أوان آمين.

الرسالة السابعة عشرة

لأولاده الرهبان

يعرفهم أن الاتضاع الحقيقي لا يتحقق إلا بعد نظر التاوريا التي هي رؤية الله. ويبين رتبها الثلاث: الأولى والوسطى والكمال، وذلك بشهادات من العتيقة والحديثة. ويحثّهم على تكميل ذلك بمعونة الرب

١ - اِعلموا، يا أحبائي، أنه ليس الثابت في شيء واحد (من البر) هو الناسك، ولا

المتمسك بشيء واحد (من الشر) هو المضاد للفضيلة. وإن كان النسك هو فخر الفضيلة فالكثير من الشرور يضاده. فالذي يريد أن يصير كاملا في النسك لا ينبغي أن يتعبد لشيء من الشر، لأن الذي يتعبد لشيءٍ واحد من الشر هو بعيد عن حد الكمال، فالكمال هو كما قيل: «إنني تحررت من الكل لكي أربح الكثيرين» (١كو٩:١٩). وهذا القول قاله بولس الرسول لأنه لم يجعل ذاته عبداً للشر، ولأنه لم يعد إلى ما كان قد تركه عنه. ولما انعتق من الشر وتحرر منه ائيا طلب من أجل فائدة الكثيرين الذين كانوا يريدون أن يتعبدوا للشر، لأ م لم تكن لهم استطاعة أن يتخلّصوا من خطيئة شرورهم لكو م عاجزين عن قوة قول المزمور: «لنقطع أغلالهم ولنلقِ عنا نيرهم» (مز٢:٣).

لما نظر الرسول بولس إلى الرب يسوع حصل على الكمال، وعندئذ صار معاضداً للذين ليست لهم قوة حتى يبلغوا الكمال ويمضوا إلى العلو، وذلك بكثرة التواضع الذي صار له على مثال ربنا يسوع المسيح الذي جعل لاهوته مستتراً بناسوته بكثرة تواضعه، فكان ينظَر إليه كإنسان بينما هو لم يكن إنساناً فقط بل إلهاً متأنساً كالمكتوب: «والكلمة صار جسداً وحل فينا» (يو١:١٤). كما أن الرسول بولس لما كان سائراً بالتواضع كما أمره الرب قال: «إنني صرت مع من لا ناموس له كمن لا ناموس له، مع أنى لم أكن بلا ناموس، لأربح الذين لا ناموس لهم» (١كو٩:٢١). ولم يصِر الرسول بذلك خارجاً عن كماله، كما لم يصِر ربنا خارجاً عن لاهوته بتجسده الذي كان لا بد منه (من أجلنا)، كما قيل في الناموس وكما كُتب في الإنجيل أن «الكلمة صار جسداً وحل فينا» (يو١:١٤).

وقد كان الرسول كائناً في كماله لأنه **أولاً:** قد انعتق من كل شر، **وثانياً:** لم يتعبـد لشيء من الشهوات لكونه صار ناسكاً، **وأخيراً:** لأنه تحرر بنظره للرب يسوع المسـيح. وعندما رآه فللوقت تبع أقواله بلا تأخير، وصار في غاية الكمال والاتضاع. وهكذا كل الذين يتمسكون بأقوال الرب يعرفون الحق والحق يصيرهم أحراراً ويعتق نفوسهم من كل شر كما صار هكذا بولس الرسول، لأن مخلّصنا صيره حرا. ولذلك قال هو عن نفسـه: «أفَلَست أنا حرا؟ أولم أنظر الرب كما نظره أولئك (الرسل) الأولون» (١كو٩:١)؟

٢ - وكثيرون يقولون بجهالتهم: إننا رأينا الرب يسوع مثل الرسل. فهؤلاء، يا أولادي، مخدوعون وضالون وليس لهم عيون ينظرون ا كما نظر الرسولُ الرب، لأن الرسول رأى الرب كما كان يراه الرسل الذين كانوا معه ومن آمن به في ذلك الوقت حين كان يمشى والجموع حوله حيث كانوا يرونه كإنسان. ونازفة الدم، إذ نظرته بعيني قلبها آمنت أنه إله ولمست طرف ثوبه فخلصت، فقال الرب: «من لمسني»؟ ليس لأنه كان غير عارف، بل

لكي يشهر إيما ا. «فقال له بطرس: إن الجمع يزحمك وتقول من لمسني»؟ ولما أظهرت المرأة أ ا شفيت قال لها الرب: «اذهبي بسلام، إيمانكِ خلصكِ» (لو٨:٤٣-٤٨).

أما عن بيلاطس وحنان وقيافا، فقد رأوا الرب كسائر الجموع الذين كانوا ينظرونه بعيني الجسد فقط، ولأ م لم ينظروه بإيمان كما نظره الرسول لذلك لم يستفيدوا شيئًا من رؤيتهم له. أما الرسول فقد نظره بعيني قلبه وبإيمانه القوى كما نظرته نازفة الدم التي لمسته بإيمان فشفيت. وكما ظهر ربنا يسوع المسيح لرسوله بولس بعد غلبته للأوجاع وصيره حرا؛ هكذا كل من انعتق من الأوجاع، فإنه ينظر الرب بعيني قلبه ويتحرر. لكنه لا يستطيع أن ينظر بعيني جسده ذلك النور البهي جداً الذي نظره بولس الرسول.

أما أولئك المخدوعون المتعظمون بنفوسهم، فشرهم عظيم. وهم لا يستطيعون أن يقبلوا خبز الحياة لأن عيو م ليست نيرة، وهم غير مرضين لله الذي يسجد له جميع الأطهار ويرونه بقلو م، لأن ربنا يظهر لمثل هؤلاء الذين هم ليسوا عبيداً للأوجاع، لأنه مكتوب هكذا عن إشعياء النبي أن الرب لم يعد يظهر للنبي لكونه لم يبكت الملك عزيا ومنع من النبوة. وبعد وفاة عزيا ظهر له ملاك الرب وطهره بالجمرة وبالكلابتين الناريتين (إش٦:٦).

٣ - فاعلموا إذن، يا أحبائي، أن الإنسان إذا مات منه سلطان الخطية فإن الله يظهر للنفس ويطهرها هي والجسد معاً. فإن كان سلطان الخطية حيا في الجسد فلا يمكن للإنسان أن ينظر الله لأن نفسه كائنة في الظلمة ولا يمكن أن يظهر فيها النور الذي هو رؤية الله. لأن داود النبي يقول: «بنورك يا رب نعاين النور» (مز٣٥:١٠). فما هو هذا النور الذي يعاين الإنسان به الله؟ إنه النور الذي ذكره ربنا يسوع المسيح في الإنجيل، أن يكون الإنسان كله نيراً وليس فيه جزءٌ مظلم (لو١١:٣٦). كما قال أيضاً: «ليس أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له» (مت١١:٢٧). والابن، يا أولادي، لا يظهر أباه لبنى الظلمة، بل للثابتين في النور الذين هم أبناء النور، وقد أضاء عيون قلو م بمعرفة الوصايا.

فيجب علينا أن نتشبه أولاً بموسى العظيم في الأنبياء لنجد مجد إيمانه بالله الذي لا يرى. لأن موسى صار ابناً لابنة فرعون، ولما اختار أن يتعب مع شعب الله ترك عنه العبودية المملوءة إهانة. وهو لم يكن قد نظر الله بعد إذ كان (ما زال) في العبودية، لكنه لما خلص من عبودية فرعون تحرر واستحق أن ينظر العوسجة (أي العلّيقة) مشتعلةً بالنار وهى لا تحترق. وقيل إ ا كانت رؤية عظيمة، وكانت هذه له بداية، ثم نظر السر الأوسط وبعده كان الكمال.

وموسى هذا، لما ترك مصر وهرب من فرعون، كان له يومئذ أربعون سنة. وقد عمل عملاً مضادا لفرعون، ثم تفرد في برية مديان التي تأويلها "موضع الله"، لأن العقل إذا انفرد عن الكثيرين وصار في الوحدة، فإن الله يقويه ويثبته لكي يمكنه أن يسأل ويبحث فيما للرب، وعند ذلك ينظر عظمة قوته ولاهوته و ائه في خلائقه.

فيا أولادي، إن بداية الرؤيا العظيمة هي النظر الأول الذي نظره موسى وهو متعجب من كون العوسجة مشتعلةً ولم تحترق، وهذا النظر بعيد من حد الكمال. أما نظر السر الأوسط، فهو أنه تقدم بزيادة أكثر من الأول وقال: «أذهب الآن لأنظر ما هذا المنظر العظيم» (خر٣:٣)، ولما تقدم ناداه الرب. أما الكمال فهو تواضعه بعد مخاطبة الله له ورؤيته وإجرائه للآيات.

٤ - واعلموا، يا أولادي، أن هذه المناظر التي لله هي بالنسبة لغير الكاملين مثل الناظرين في المرآة. أما الذين وصلوا إلى الكمال، فإن عيون قلو م تنكشف ويظهر لهم نـور عظـيم براحة لا بتعب. لأن أعين الكاملين لا يبقى فيها شيءٌ من تبكيت الخطية ولا الظلمـة. لأن هاتين إذا كانتا موجودتين في القلب لا تدعا النفس تنظر نظر الكمال الذي للكاملين، وهو النظر الذي كان لبولس الرسول ومن يشبهه، الذي قال عنه هذا الرسول: «إننـا بوجـوه مسفِرةٍ ننظر إلى مجد الله كمن ينظر في مرآة وتتغير ذواتنا من مجد إلى مجد» (٢كو٣:١٨).

هكذا موسى النبي، لم ينتقل من موضع إلى موضع ولا من كورة إلى كورة أخرى، بل كان انتقاله ظاهراً عجيباً، لأنه نظر هذه الرؤية العظيمة التي هي اشتعال النار في العوسجة بدون احتراق، ثم مخاطبة الله له. فهذا هو الانتقال العجيب الذي هو مثال السر العجيب غير المدرك. وهذا الانتقال هو الذي ذكره بولس الرسول على أنه انتقالٌ «من مجد إلى مجد» ومن إيمان إلى إيمان (أعظم)، ومن فضيلة ناقصة إلى فضيلة كاملة. فهذا الانتقال والتقدم هو الذي يقربنا للرب فنأخذ نظر معرفة قوته. لأن الله يقول على لسان نبيه: «إن المقتربين مني يعرفون قوتي» (إش١٣:٣٣ سبعينية). فإن كان الذي يقترب إلى الله يعرف قوته، فالذي لا يقترب إليه لا يعرف قوته.

أما العقل الذي لم يقترب بعد من الله، فإن المنافق، أي الشيطان، يرتفع فيه مثل أرز لبنان. فإذا اقترب العقل من الله واتحد به وصار معه واحداً، فإن المنافق لا يعود يظهر للذي كان يرتفع فيه أولاً. وعن هذا يعلمنا داود النبي قائلاً: «رأيت المنافق قد زاد علواً وارتفع متطاولاً مثل أرز لبنان، ثم عبرت فإذا هو كأنه لم يكن، طلبته فلم أجد مكانه» (مز٣٦:٣٥-٣٦). إن داود النبي لم يطلب المنافق ولا موضعه إلاّ لبحثه عن معرفة الله، ولهذا لم يجد المنافق إطلاقًا. وقوله

"عبرت" هو كقوله في مزمور آخر: «إني سأجوز في موضع مظلة عجيبة إلى بيت الله» (مز٤٢:٥). فهذا الجواز - الذي هو العبور - يظهر لنا نمو النفس، لأن النبي أعطاها علامة الكمال لكون طريقها من قبل كان بعيدا من الله.

٥ - ولا تتعجبوا، يا أولادي، من أن طريقنا لا زالت بعيدة عن الله، ذلك لأننا ما زلنا في الطفولة الروحانية، لأننا نرى أنه قد قيل للنبي العظيم إيليا: «قُم كُل واشرب وتقو لأن طريقك بعيدة» (١مل١٩:٧). وعن هذا البعد قال داود النبي: «من يعطيني أجنحة حمامة لكي أطير وأستريح» (مز٥٤:٧)؟ و لهذا يجب علينا أن نعلم أن حياة كل منا معوزة والطريق شاقة. ولذلك ينبغي علينا ألاّ نسعى بضعف وانحلال وتوانٍ، بل بتحفظ وثبات، لأن معلم المسكونة بولس الرسول يشير علينا أن «نجرى لندرك» (فى٣:١٢)، ويقول أيضاً: «إني أُقمع جسدي وأصيره عبداً» (١كو٩:٢٧).

فلنركض الآن، يا أولادي، مادام لنا وقت في هذا الجسد لكي ندرك الكمال كما أدركه القديس بولس الذي قال: «جاهدت الجهاد الحسن وأتممت سعيي وحفظت إيماني وحفظ لي منذ الآن إكليل فخري» (٢تي٤:٨). ولما أدرك هذا الرسول الكمال وهو في الجسد اشتهى الخروج منه وقال: «وأنا أيضاً إن كانت لي في حياة جسدي هذا ثمار في أعمالي فلست أدري ما أختاره لنفسي، إن الأمرين كليهما ليضطرانى أن أهواهما، فإني أشتهى أن أنطلق وأفارق الدنيا لأكون مع المسيح، وهذا هو الأصلح لي كثيرا والأنفع، ولكن أن أبقى حيا بجسدي فأنا مضطر إلى ذلك من أجلكم لسروركم وتربية إيمانكم. فلتكن سيرتكم ملائمة للبشرى (أي الإنجيل)» (فى١:٢٢-٢٧).

فهكذا، يا أولادي، افعلوا أنتم أيضاً، لأن كل من يسعى بالتواني والكسل فإن آخرته تدركه قبل كماله بالمسيح، كما قال سليمان في الأمثال: «إن أنفُس مخالفي الناموس تنـزع قبل أن تصل إلى خوف الله» (قارن أم١٠:٢٧). وهكذا حدث لحزقيا الملك (٢مل٢٠:١-١١؛ إش٣٨:١-٨)، عندما أدركه فناء أيامه وهو بغير اهتمام، فلما رجع عما كان عليه وطلب من الرب استحق زيادة سنين أخرى ونما بزيادة. ولما تمت تلك السنون فارقت نفسه جسده وهو في غاية الكمال من خدمة الله.

٦ - واعلموا هذا أيضا، كما أن للجسد ثلاثة مقادير في مدة دوام النفس فيه وهى: الصبا، والرجولة، والشيخوخة؛ هكذا النفس لها ثلاثة مقادير أيضا مخفية في الجسد وهي: بداية الإيمان، والعمل، والكمال. فأولاً: إذا ابتدأت النفس تؤمن فإ ا تولد في المسيح كما قيل في الإنجيل (يو٣:٣). ويوحنا الرسول أعطانا أيضا علامةً لهذا الميلاد ووسطه وكماله

بقوله: «كتبت إليكم أيها الشبان ... كتبت إليكم أيها الأبناء ... كتبت إليكم أيها الآباء...» (١يو٢:١٢-١٤). وهذه الكتابة ليست لأحبائـه الجسدانيين (أي ليست بحسب قامات الجسد)؛ بل للمؤمنين بمقاديرهم الثلاثة: الذين يشتهون اللبن العقلي (١بط٢:٢)، والذين يتقدمون نحو الكمال، والذين يستحقون النعمة الحقيقية. ولهذا فإن داود النبي لما علم مقدار أيام كمال النفس ههنا، وأنه قد طعن في أيامه بالجسد وقد قارب أن ينحل منه، ولم تكن له تلك الأيام النفسانية (أي التي للنفس)، طلب من الله قائلاً: «لا تأخذني يا رب في منتصف أيامي» (مز١٠١:٢٥). وهذا الاهتمام كان منه بالنسبة للأيام الروحانية لا الجسدانية، لأن معنى قوله "في منتصف أيامي" هو فزعه من أن تؤخذ منه نفسه قبل كمال أيامها ويكون غريبا عن الكمال.

وهكذا أيضا إبراهيم، شهد عنه أنه شاخ وطعن في أيامه. كذلك جميع الأطهار بعد إيمانهم كانوا يتعِبون أجسادهم ليذلوها، لأن إذلالهم لأجسادهم هيأ لهم شيخوخةً في نمو العبادة وخدمة الله.

٧ - وافهموا كذلك، يا أولادي، أمر دانيال وكيف صار صبياً بجسده وشيخاً بعقله، لا كمثل الشـيخين اللذَين طعنا في أيامهما بالجسد بينما كانت أفعالهما مثل الصبيان وشهوة الصبا معهما، هذين اللذين بكتهما الكلام الطاهـر من الصبي دانيال على شيخوختهما الجسدانية الصبيانية وحكمهما على القديسة البارة سوسنه، إذ قال لهما: «أيها اللذان طعنا في أيامهما الرديئة ...» (دا١٣:٥٢)، وبقية القول.

٨ - هكذا يوسف أيضا، يجب على كل من يحب النسك أن يتشبه بطهارته وعفته، ويبتدئ أن يدرب ذاته على التلاوة (أى الهذيذ)، ويتقوى على جميع الشهوات الجسدانية لأنها حقيرة، وحينئذ يستطيع أن يدوس الشهوات الأخرى القوية التي للعدو المحتال، ويقول كما قال أيوب الصديق: «إنّ القوة قد فرغت من صلبه وصرة بطنه» (أى٤٠:١٦).

وبالحقيقة، يا أولادي، إن كل من يجاهد ويتقوى على الشهوات الجسدانية التي تتولّد من كثرة المأكولات والمشروبات، يستطيع أن يشد حقويه بالطهارة، ويطيب قلبه بما قيل فى المزمور: «تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار» (مز٤٤:٤). وهذا القول يعنى به أن كلمة الله، التي تقتنى بها الطهارة، هي «سيف قاطع ذو حدين» (عب٤:١٢) كما يقول الرسول. وهذا السيف له الاستطاعة أن يقطع ويقتل جميع الشهوات الرديئة.

وهكذا يعقوب أيضاً، لما صارعه الملاك استل عِرقاً من فخذه، ولذلك خذلَ وضعف جسده وسمي "إسرائيل" ومعناها "صارع الله" (تك٣٢:٢٥). وهكذا يجب علينا نحن

أيضا أن نضعِف الجسد بحكمة وتدبير لكي تضعف الشهوات وتنطفئ. وهذا الضعف يكمل فينا قوة الطهارة، وعن هذا الضعف يقول الرسول: «إنني إذا كنت ضعيفاً فحينئذ أصير قوياً» (٢كو١٢: ١٠).

كما أن النبي داود افتخر أيضاً بهذا الضعف بقوله: «إنه ليس لجسدي شفاءٌ» (مز٣٧: ٤). وهو قال ذلك لأنه كان قد أضعف جسده الضعف الكريم لأنه كان يطلب الخلاص العظيم. فليس هذا عدم شفاء بل شفاءٌ وخلاص، لأنه إذا ضعف الجسد حينئذ تقوى النفس. فلنضعِف، إذن، أجسادنا بحكمة وتدبير لكي نستطيع أن نضبط ذواتنا، لأننا إذا أقمعنا الجسد واستعبدناه للنفس فإن الأفكار الجسدانية التي «محبتها هي عداوةٌ لله» (يع٤: ٤) تموت بذلك الضعف، حينئذ تضيء النفس وتصير هيكلاً للروح القدس.

٩ - فالذي يجاهد لكي يصير طاهراً في جميع أعضائه، فهذا هو الناسك بالحقيقة وليس بزانٍ. وهو الذي يمكنه أن يقول مع داود النبي: «عظامي كلها تقول: من يشبهك يا رب» (مز٣٤: ١٠)؟ وهذا هو الذي علم جميع حواسه ولم يدعها تتسلط عليه، وثبتها ووضع عليها نير الرب بعظم طهارة. فهو لن يدع عينيه تنظران إلى شيء غير صالح ولا تشتهيان امرأةً، ولن يترك أذنيه تسمعان نميمةً ولا مشورة الشيطان وأفكاره، ولذلك يتم عليه المكتوب: «إنَّ أذنيك لم تمِلْ إلى كلام الباطل» (مز١٤٠: ٤). وهذا الكلام جعله بالأكثر متعبداً للمسيح كالطيب العطر والبخور الزكي، وفمه أيضا جعل عليه حافظاً (مز١٤٠: ٣) ولم يتركه يتفرغ لكلام الجهل، ويديه جعلهما تعملان بغير ظلم (أو غش) أعمالاً حسنة بالرحمة والحق، ورجلاه لا تسعيان لسفك الدماء بل تسرعان بنشاط نحو قول الرب: «من سخرك ميلاً فامض معه اثنين» (مت٥: ٤١)، وبطنه وصدره يحفظهما حتى لا يسقط بهما على الأرض مثل الثعبان الذي يدب على بطنه وصدره.

١٠ - هذه، يا إخوتي، هي صفة الناسك. أما الذين ليسوا بنساك بل يبكرون إلى شرب المُسكر، فإننا نسمع بخصوصهم قول النبي: «إنهم يحترقون بسكرهم من الخمر، وعيونهم يعطونها لتداول الكؤوس، ويأكلون الجياد من قطعان الغنم والعجول والرضعان من فدان البقر[٢٠٧]، ويتنعمون باللين من الفراش، ويتلذّذون بكل ما يليق بالهيولي (أي الجسداني)» (عا٦: ٤ -٦ حسب النص). وهم يفكرون في ذواتهم أنهم حكماء بينما هم أعداء وتنانين، لأن التنين يعمل فيهم، وقد ألقوا بطونهم وصدورهم على الأرض، ويظنون في نفوسهم أنهم عقلاء وعارفون بالكتب، وهم يعلمونها رديئاً لأنهم صدور للتنين.

(٢٠٧) "فدان البقر" عبارة عن بقرتين عليهما نير ويجران محراثًا.

فاعلموا هذا، يا أولادي، أن هؤلاء الذين يقصدهم النبي هم الذين يدخِلون الاعتقادات الغريبة على التعاليم الصحيحة والإيمان المستقيم، ويضادون الإيمان القوي الثابت بإيما م الكاذب غير الثابت قائلين عن الذي خلق كل الأشياء إنه مخلوق، ولم يعلموا أن الله خلق كل شيء بكلمته كما شهد القديس يوحنا الإنجيلي قائلا: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وإله هو الكلمة. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو١:١-٣). فإذ قد ثبت أن الأشياء كلها به كانت: السمائيون والأرضيون، ما يرى وما لا يرى، كما شهدت بذلك الأمانة الصادقة (أي قانون الإيمان)، فكيف يجسر هؤلاء أن يقولوا عنه بعد اتحاده (بالجسد) أنه كأحد المخلوقات بقولهم إنّ المسيح مخلوق؟ فهؤلاء هم الذين جعلوا صدر قلبهم محصوراً تحت صدر التنين كما تقدم قول النبي عنهم إنّ التنين يسعى في صدورهم وبطو م.

أما الذين أ ضوا عقولهم، يا أولادي، من الأرض ناظرين إلى السماء حيث المسيح جالس عن يمين الله، فقد صاروا خارجاً عن البطن وشهوا ا. وربنا يسوع المسيح الجوهر الواحد، الأقنوم الواحد، الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة، يقبلهم ويقدمهم إلى أبيه كالأشياء الفاخرة الحسنة.

١١ - فإذ قد عرفنا هذا، يا أحبائي، فيجب على كل من يريد منا أن يكون ناسكاً أن يجتهد في البعد عن الجموع ولا يقترب منهم لكي يبقى بجسمه وقلبه وعقله خارجاً عن اضطرابات الجموع والخلطة، لأنّ الاضطراب العظيم يوجد بين الناس. ومخلصنا يسوع المسيح قد صار لنا مثالاً للبعد والانفراد بطلوعه الجبل وحده منفرداً ليصلى، وأيضا غلبته لإبليس في البرية لما حاربه، وهذا ليس لأنه كان عاجزاً أن يغلبه في وسط الكثيرين، لكن حتى يعلمنا أننا بالانفراد والهدوء نقدر أن نغلب أعداءنا وندرك الكمال. كما أن مخلصنا لم يظهر مجده لتلاميذه أمام الناس، بل أخذهم وصعد إلى الجبل وأراهم مجده. وأيضا يوحنا المعمدان كان في البرية إلى يوم ظهوره لإسرائيل.

واعلموا أيضا، يا أولادي، أن عدونا مشتد علينا بأسلحته الظاهرة والخفية، وأنه قد جعل له أناساً آلةً وسلاحاً لطاعتهم إياه، و ؤلاء يضاد المؤمنين، وجعلهم مثل المرأة غير العفيفة التي يتخذها سلاحاً قوياً له لأ ا تفرش جناحيها بجسارة قلب. وأيضا بطرس الرسول يعلمنا منفعة الانفراد، لأنه لما كان وحده (يصلى) نظر السماء مفتوحةً والإزار هابطاً عليه وناجاه الله بخصوصه، وبعد ذلك ارتفع عنه الإزار إلى السماء (أع١٠:٩-١٦).

١٢ - هكذا حزقيال النبي لما نظر الأربعة الكائنات الحية ذات الوجوه الأربعة مع البكرات، هذه التي تدل على مجد الله، لم يكن ذلك في مدينة ولا في قرية بل خارجاً في

حقل، لأن الله قال له: «أخرج إلى الحقل وهناك تنظر مجدي» (حز٣:٢٢). وبالإجمال، فإن هذه المناظر والإعلانات لم تصِر للقديسين إلاّ في الجبال والبراري.

والرسول بولس أيضاً تكلم عن هؤلاء القديسين وسيرتهم المكرمة في رسالته إلى العبرانيين، إذ يقول هكذا: «إنّ هؤلاء كانوا تائهين في الجبال والبراري والأودية والمغاير وشقوق الأرض» (عب١١:٣٨). وأيضاً النبي، لما عَلِم أن الانفراد يرضى الله قال: «إنه جيد للإنسان أن يحمل نير الرب من صغره ويجلس وحده» (مرا ٣:٢٧-٢٨). وقال أيضا داود النبي: «إني أكون وحدي حتى يجوز الإثم» (مز٥٦:٢). وإرميا النبي أيضا لمعرفته بالاضطراب الذي يكون في الجموع وأنه يقلِق الذين يريدون أن يرضوا الله، لم يستعفِ أن يقول: «من يعطيني مسكناً في القفر لأترك عنى هذا الشعب وأمضى وأبتعد عنهم» (إر٩:١-٢)؟

فاعلموا، يا أولادي، فضيلة الانفراد، لأن ربنا يسوع المسيح بانفراده دفعات كثيرة جعل لنا رجاءً ثابتاً في محبة الانفراد كما قال داود النبي: «لأنك أنت يا رب على الرجاء أسكنتني مطمئناً» (مز٤:٩). وإيليا النبي أيضاً، الذي استحق الطعام الروحاني والاغتذاء من ملاك الرب، لم يكن له ذلك في وسط الجموع ولا في مدينة ولا في قرية، بل في البرية فقط.

فكل ما صار للقديسين من هذه وأمثالها «كُتِبت لتعليمنا نحن» (١كو١٠:١١) لكي نغير منهم، هؤلاء الذين أحبوا الانفراد الذي له استطاعة أن يوصل إلى الرب، لأنه عـزاء عظيم، ويجعل الإنسان كاملاً. والذين أحبوا الانفراد بكل قلوبهم وبكل ذواتهم، صار لهم شرف ونور أكثر من سكان المدن والقرى. فاجتهدوا إذاً، يا أولادي الأحباء بالرب، أن تثبتوا فيه كما ينبغي ليوصلكم إلى نظر الله الذي هو الثاؤريا الروحانية، بنعمة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد من جميع الناطقين مع أبيه الصالح وروح قدسه الآن وإلى الأبد آمين.

✸❖✪❖✸

الرسالة الثامنة عشرة

لأولاده الرهبان

يعرفهـم أنهم إذا بلغوا إلى المناظر الإلهية والإعلانات أن يحترسوا من المناظر الشيطانية لئلا يضلوا بخداعاتها الكاذبة وتتعظم قلوبهم؛ ويحثهم على الدوام في الطاعة

١ - اعلموا، يا أولادي الأحباء، أنه من البدء لما حادت النفس عن الوصية حصلت المخالفة، وبتلك المخالفة صارت جميع النفوس يمضى بها إلى الجحيم كما قال الرسول:

«إنه بآدم الأول كان الموت» (١كو١٥:٢١-٢٢). ثم تحنن الإله الكلمة وتجسد منا بالسر الذي لا يدرك، وأكمل كل التدبير لخلاصنا. فنـزل إلى الجحيم وسباه سبياً، واجتذب منه كل النفوس المحبوسة فيه وخلّصها من تسلط الشيطان عليها، وحفظ بأمره - لا بسلطان الشيطان - غير المطيعين في الظلمة إلى يوم الحكم الرهيب، وأصعد الذين بإرادتهم أطاعوا وسمعوا وعملوا بالأوامر الإلهية، إلى السماء حيث الفردوس. وكان سبب إصعادهم إلى السماء هو تلك النار غير المرئية، التي هي حرارة الأعمال الصالحة، التي اشتعلت في قلوبهم.

٢ - وأنا أُعرفكم ليس هذا فحسب؛ بل وبماذا تشبه هذه النفس التي سكنتها نار الله: إنها تشبه طيراً ذا جناحين يطير بهما ويعلو مرتفعاً في جو السماء، لأنّ الطيور من دون جميع المخلوقات هي التي خصت بالأجنحة، وأجنحة نفس المتعبد للرب هي قوة نار الله التي يمكنها أن تطير بها إلى علو السماء، فإذا عدمت النفس تلك الأجنحة لا تبقى لها استطاعة أن ترتفع إلى الجو لأنها فقدت قوة تلك النار، فتبقى مثل طير قد نزع عنه جناحاه فلم يستطع الطيران.

وأيضا تشبه نفس الإنسان بالطير لكون الحرارة هي سبب وجـوده في العـالم، لأن البيض إن لم يحتضنه الطائر في كل وقت لا يمكن أن تخرج منه فراخ حية، لأن حياتهـا لا يمكن أن توجد إلاّ بواسطة الحرارة، ولهذا قال الرب في الإنجيل المقدس: «يا أورشليم يـا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم من مرةٍ أردت أن أجمع بنيكِ كمـا يجمع الطائر فراخه تحت جناحيه» (مت٢٣:٣٧)؟

فإذ قد فهمتم، يا أولادي، تشبيه نفس من يعبد الله بالطير، الذي أصل وجوده هـي الحرارة، فلا تدعوا قوة هذه النار تنـزع منكم، لأن حروباً كثيرةً كائنـة لكـم مـن الشيطان بسبب هذه النار المُعطاة لكم من الرب لكي ينـزعها منكم، لأنه يعلم أنـه لا قوة له عليكم ما دامت هذه النار معكم وفيكم.

٣ - فجاهدوا إذن قبالته، واعرفوا خداعاته وحيله لأنه يخفى مرارته في الحلاوة حتى لا تظهر، ويصور لكم أشياء كثيرة أنها حسنة وهى ليست كذلك لكي يميل قلوبكم إليه بحِيله المتشبهة بالحق. فهذه هي صناعته دائماً: أن يقاوم بكل قوته كل النفوس المتعبدة لله تعبداً حسناً. وهو يلقي بأوجاع كثيرة مختلفة في النفس ليطفئ تلك النار التي تقيم الفضيلة فيها. وأول ذلك راحة الجسد وما يختص به، فإذا رأى الشيطان أنه لا يطاع ولا يقبل أمره في شيء منها فإنه يأتي بحِيلٍ أخرى في صورة البر، فيظهر «كشبه ملاك نور»

(٢كو١١:١٤) كما قال بولس الرسول، ثم بأشياء أخرى أعظم من هذه ليميل قلو م إليه. فإذا رآهم أيضاً متحفظين من هذه الأخرى ولا يقبلو ا منه ولا يسمعون له مطلقًا، فإنه حينئذ ينصرف عنهم مخزيا، وعند ذلك يسكنهم روح الله. فإذا سكن روح الله فيهم يريحهم في جميع أعمالهم ويحلى لهم حمل نير الله، كما كُتب في الإنجيل: «احملوا نيري عليكم» (مت١١:٢٩). وهكذا يصبرون ولا يتعبون قط لا في ممارسة الفضائل ولا في الخدمة ولا في سهر الليالي، ولا يغضبون من شتيمة الناس، ولا يخافون البتة من إنسان ولا من وحش ولا من غلاء ولا من جان (أي أرواح شريرة)، لأن فرح الله معهم ليلاً و اراً ويربى عقولهم ويغذيها، لأن النفس تترقى دائماً ذا الفرح وتستعد به، وبه تصعد إلى السماء.

٤ – وذلك كما أن الجسد قوامه وثباته بالخبز والماء وبما شابه ذلك من بداية حياته إلى ايتها، لأننا نرى الطفل يتربى بلبن أمه، ثم بالطعام الرطب، وبعد ذلك بما اتفق له يوماً فيوماً، وهكذا يتقوى ويجسر قلبه على أعدائه المقاومين له، فإن لحقه مرض يمنعه من الاغتذاء فإن أعداءه يقوون عليه من كل جهة ويغلبونه، ولا يمكنه أن يشفَى من مرضه ويغلب أعداءه إلاّ بملازمة الطبيب إياه ومعالجته له. وهكذا نفس الإنسان، إذا لم يكن فرح الله فيها، فإ ا توجد مريضةً ومطروحةً بجراحات خبيثة. فإذا هي اجتهدت في طلب إنسانٍ خادم لله وعارف بالطب الروحاني، وتمسكت به؛ فإنه يشفيها أولاً من أوجاعها ثم تقوم مرةً أخرى فيعلمها أمور الله. وهكذا تستعيد ذلك الفرح الذي هو طعامها، وحينئذ تقدر أن تضاد أعداءها الذين هم الأرواح الشريرة وتغلبهم وتدوس كل مشورا م وتتكمل بالفرح.

٥ - فالآن، يا أحبائي، إذ قد عِلمتم ذلك تحفظوا من مشورات الشيطان الرديئة، لأنه يأتي بصورة من يقول الحق ليخدع ويطغى على من يقبله. فإذا أتاكم بشبه ملاك نور فلا تصدقوه ولا تسمعوا منه، لأنه يصطاد المؤمنين بأساليب تبدو حسنة وهى ليست كذلك. والذين لم يدركوا الكمال بعد لا يعرفون حِيل الشيطان هذه ولا ما يلقيه فيهم كل وقت. أما الكاملون فهم يعرفو ا كما قال الرسول: «إن الطعام القوي هو للكاملين الذين دربوا حواسهم وعزائمهم وعرفوا تمييز الخير من الشر» (عب٥:١٤)، فهؤلاء لا يقدر العدو أن يطغيهم.

أما المؤمنون الذين لم يكملوا بعد، فإذا لم يحترسوا لذوا م فإنه يخدعهم بطعامه الطيب في مظهره وهو ليس بطيب، ويجتذ م كما يجتذب الصياد السمكة بعدما يغطّي رأس الصِنارة بالطُعم. فالسمك لكونه لا يعلم بالصنارة المستورة بالطُعم يتقدم ويبلع الطُعم فيؤخذ عاجلاً وبسهولة. فافهموا هذا: أن السمك لو علم أنه يؤخذ بذلك الطُعم لكان ينفر منه ولا يقربه أصلاً. هكذا، كما قلنا عن المؤمنين غير الكاملين، فالعدو يصيدهم بالأسباب التي تشبه الحق، كما يقول سليمان الحكيم إنه: «قد توجد طريق يظن ا أ ا مستقيمة وآخر ا تؤدى إلى

أسافل الجحيم» (أم١٦:٢٥).

ومكتوب أيضا في عاموص النبي: «يا عاموص، ماذا تصنع هنا؟ فقال: إني أرى شبكةً لصيد الطير» (عا٨:٢). ومعلوم أن الطير، لفزعه من أن يؤخذ في الأرض، فهو يتعالى في الجو ويصنع له مكاناً في المواضع العالية لراحته ورقاده. فإذا رقد يكون بلا هم كونه لا يصل إليه أحد فيمسكه، وقد نرى أن الصياد يتحايل ويأتي تحت مكانه وينصب له شبكته ويخدعه بالطُعم، وبذلك ينـزل به من ذلك العلو ويقتنصه.

والشيطان يفعل هكذا ويصيد المؤمنين غير الكاملين بحيله التي هي شبيهة بالحق وهى ليست كذلك، وينـزلهم من علوهم. لأنه هكذا فعل الشيطان لما اختفى في الحية وقال لحواء: «إنكما إذا أكلتما من الشجرة تصيران آلهة وتنفتح أعينكما» (تك٣:٥)، فلما سمعت حواء هذا الكلام مال قلبها إليه وظنت أنه حق لأ ا لم تفحصه. فلما أكلت وأطعمت آدم أصا ما الذلّ العظيم وسقطا كلاهما من علوهما.

٦ - هكذا يفعل الشيطان بالمؤمنين الذين لم يدركوا الكمال بعد عندما لا يفرقون بين الخير والشر، بل يتبعون أهويتهم ويقنعون برأيهم، ولا يرجعون ليتعلّموا من آبائهم الذين كملوا وميزوا بين الخير والشر، ويظنون أ م صاروا كاملين ومباركين من آبائهم. فهؤلاء، يا أولادي، يشبهون تلك الطيور التي صنعت أوكارها في الجو وهبطت إلى الأرض فاقتنصها الصيادون بالحيل المخادعة. وهذا يكون لهؤلاء بسبب اتكالهم على ذوا م وعملهم حسب مشيئات قلو م وتكميل إراد م وعدم طاعتهم واستماعهم لآبائهم. فإن الشيطان حينئذ يأتي عليهم ذه المناظر الخادعة ويملأ قلو م بالكبرياء إذ يريهم في الليل أحلاماً ويحققها لهم اراً ليضلهم. وليس هذا فقط؛ بل ويأتي لهم بأنوار في الليل حتى إن مواضعهم تضيء، ويصنع مثل هذه أشياء كثيرة وعلامات لا نستطيع أن نحصرها أو نكتبها واحدةً فواحدة. وكل ما يصنعه لهم فهو لكي يطمئن قلو م بأنه ملاك الله فيقبلونه إليهم. وعندما يقبلونه ذه الصفة يهبط م عاجلاً من علوهم - مثلما ذكرنا عن تلك الطيور - بسبب روح الكبرياء التي تملكت عليهم، ويجعلهم يظنون أ م صاروا عظماء وأجلاّء في الروحانية أكثر من كثيرين، فلا يعودون يسمعون من آبائهم. وهكذا يتم عليهم المكتوب: «إ م عناقيد زاهرة قاسية (أي مرة)» (تث٣٢:٣٢)، وهم في الحقيقة كذلك، لأن التعلم من الآباء صار صعباً عليهم لظنهم أ م عرفوا كل الأشياء.

٧ - فيا أولادي المباركين، افهموا ما قلته لكم، فإنكم لا تقدرون أن تزدادوا في التقدم والنمو، ولا أن تكملوا ولا أن تعرفوا أن تميزوا بين الخير والشر إذا لم تسمعوا

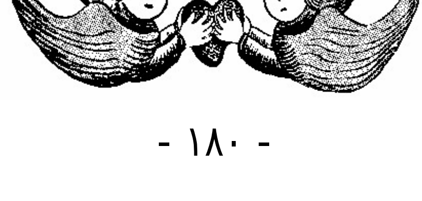
تعليم آبائكم الكاملين، لأن آباءنا هكذا صنعوا باستماعهم لآبائهم وتعلمِهم منهم، فتقدموا ونموا وصاروا معلمين كما هو مكتوب في حكمة يشوع بن سيراخ: «تعلموا من آبائكم لأ م قد تعلّموا من آبائهم» (ابن سيراخ٨:٩).

فيجب عليكم، يا أولادي، أن تتمثلوا ؤلاء الذين أطاعوا آباءهم وسمعوا لهم في كل شيء، وقد علمهم آباؤهم جميع أعمال الله التي تعلموها من آبائهم، وهم أيضاً صاروا معلمين لبنيهم المؤمنين الطائعين. لأن إسحق أطاع إبراهيم، ويعقوب أطاع إسحق، ويوسف أطاع يعقوب، وإليشع أطاع إيليا، وبولس أطاع حنانيا، وتيموثاوس أطاع بولس. فهؤلاء وأمثالهم من القديسين أطاعوا آباءهم وأكملوا إراد م بتكميلهم الطاعة لهم في كل شيء، وعرفوا الحق وتعلّموا البر، واستحقوا أخيراً روح الله. عند ذلك صاروا ينطقون بالحق في كل شيء كما هو مكتوب: «إني جعلتك مدبراً لبيت إسرائيل» (حز٣:١٧).
فالآن، يا أحبائي بالرب، المستقيمين بقلو م، إن أردتم أن تأتوا إلى قدام وتنموا بزيادة وتصيروا غير مضطربين بقلوبكم ولا تقدر الشياطين أن زأ بكم في شيء؛ فاسمعوا من آبائكم وأطيعوهم وأنتم لا تسقطون.

٨ - وأنا أعلمكم عملاً آخر يثبت الإنسان من البداية إلى النهاية: وهو أن يحب الله من كل نفسه ومن كل قلبه ومن كل نيته ويتعبد له، وعند ذلك يعطيه الله قوةً عظيمةً وفرحاً، وتحلو له جميع أعمال الله مثل الشهد، وأيضاً كل أتعاب الجسد والهذيذ والسهر وحمل نير الرب يصير عليه خفيفاً حلواً.

ولأجل محبة ربنا للبشر، يطلِق على الإنسان أشياء مضادة لتلك حتى لا يتعظم بل يثبت في الجهاد ويزداد في النمو لئلاّ ينال عوضاً عن القوة ثقلاً وضعفاً، وعوضاً عن الفرح حزناً، وعوضاً عن الراحة والهدوء قلقًا، وعوضا عن الحلاوة مرارةً، وأشياء كثيرة مثل هذه يصاب ا محب الله، ولكنه يتقوى كثيراً في الجهاد ضدها ويغلبها. وإذا غلبها فإن روح الله يكون معه في كل شيء ويقويه حتى لا يخاف البتة من أي شيء رديء.

وإني أسأل سيدي أن يعطيكم هذه النعمة لأجل طاعتكم ويحفظها لكم. هذا الذي له مع أبيه وروح قدسه التسبيح والتقديس من جميع الناطقين إلى الأبد آمين.



الرسالة التاسعة عشرة

لأولاده الرهبان
يعرفهم أن الذين وصلوا إلى الكمال وقبلوا الروح القدس لابد أن تطلق عليهم قتالات أصعب من الأولى لكي تثبت لهم النعمة ويزدادوا في كمالهم وينالوا البركة الأخيرة

١ - اعلموا، يا أولادي الأحباء بالرب، أن الروح القدس أزلي سرمدي يفوح رائحة زكية حلوة لا توصف بلسان كما قيل: "من هم الذين عرفوا لذة الروح وحلاوته إلاّ الذين استحقوا أن يحلّ فيهم"؟ وهذا معلوم، أن كثيرين لا يستحقونه لأن روح التوبة لا يسكن في نفوس التائبين إلاّ بعد أتعاب كثيرة جداً، فإذا سكن فيها يسلمها للروح القدس والروح القدس يحلّ فيها.

وقد نرى، يا أولادي، أن في هذا العالم أشياء تشابه هذه، وهو أن حجر الجوهر لا يقتنى إلاّ بتعب كثير، ولا يجده أحد في المدن ولا في القرى بل في بيوت الملوك فقط. هكذا أيضا الروح القدس لا يسكن في نفس متكبرة، بل في نفوس المتواضعين الذين أفكارهم جميعها في الكمال. فإذا سكن هذا الروح في هؤلاء فإنهم يقدمون للرب شكراً عظيماً وتمجيدا كثيرا لأنهم استحقوا حلول الروح القدس فيهم كما استحق لاوي وقدم للرب شكراً عظيماً قائلاً: "أباركك يا رب، يا من علمتني بالروح الذي أعطيته لعبيدك"، كما قال أيضاً: "مبارك أنت يا رب، لأنك أعطيت لقديسيك كرامةً أفضل من كل الغِنى، وإني لا أستطيع أن أدرك عظم غِنى الروح الذي أنعمت به على قديسيك".

٢ - وهذا الروح، يا أولادي، لما طلبه القديسون وجدوه، وهو الحجر الحقيقي الذي ذُكر في الإنجيل المقدس: «إن إنساناً تاجراً كان يطلب الجواهر الحسنة، فوجد درةً كثيرة الثمن، فمضى وباع كل ما له واشتراها» (مت١٣:٤٥-٤٦). ومكتوب أيضاً أن: «كنزاً مخفياً في حقل، وجده إنسانٌ فخبأه ومن فرحه مضى وباع كل شيء له واشترى ذلك الحقل» (مت١٣:٤٤). هكذا القديسون، يا أحبائي، في كل الأجيال، عندما وجدوا هذا الروح وسكن فيهم قدموا للرب شكراً عظيماً. لأنه لا يسكن إلاّ في نفوس مثل هؤلاء الطوباويين، وهو يكشف لهم أسراراً عظيمةً، ويعطيهم فرحاً وراحةً لقلوبهم في هذا العالم، ويجعل ليلهم مثل النهار.

وإذ قد أعلمتكم، يا أولادي، بعض أفعال هذا الروح القدس، أُحب أن أُعرفكم أيضاً بقتالات الروح الخبيث. فاعلموا أنني منذ أن فارقتكم سهل الرب طريقي إلى أن وصلت إلى مسكني، وثبت في وحدتي خارجاً عن الجماعة بمعاضدة الروح القدس في الخفاء والظاهر. وأنا أود دائماً أن تكونوا بالقرب منى، لكي أعرفكم بما يكشفه لي الروح القدس في كل وقت، لأنه مكتوب أن: "غِنى الرب يساعد الحكيم"، وما هي التجارب التي حصلت بعد ذلك لمسكنتي. لأن التجارب، في الحقيقة، لا تأتى بقوة إلاّ على الذين قبلوا الروح القدس، لأ م عند قبولهم الروح تأتى عليهم التجارب من الشيطان لكون الروح يطلقه عليهم. فالشيطان ليس له سلطانٌ أن يغصب أحدا من المؤمنين (على طاعته) إلاّ إذا أُعطى ذلك من جهة الروح القدس.

٣ - وربنا يسوع المسيح، لما أخذ ما يختص بنا صار مثالاً لنا لكي يعلمنا كل حين أن نعرف الحق. فهو لما اعتمد، حل الروح القدس عليه مثل حمامة، ثم أخرجه الروح القدس إلى البرية ليجرب من إبليس. ولما جربه بكل التجارب لم يقْو عليه كما جاء في إنجيل القديس لوقا: «فلما أكمل إبليس كل التجارب مضى عنه إلى حين، ورجع يسوع إلى الجليل بقوة الروح» (لو٤:١٣). وهكذا كل الذين ينالون الروح ويجاهدون ويغلبون التجارب، فإن الروح القدس يقويهم ويعطيهم قوةً عظيمةً بزيادة، ويرفعهم ويحفظهم من كل الأشياء.

فيا أولادي الأحباء، كنت أشتهى أن تكونوا بقربى لتعرفوا تجربتي الأخيرة التي تشبه تجربة ربنا يسوع المسيح الأخيرة. لأنه لما أكمل تدبيره وعرف بانتقاله قال: «يا أبتاه، إن كان ممكناً، أن تعبر عنى هذه الكأس، ولكن ليس كإرادتي بل كإرادتك» (مت٢٦:٣٩). وكان ذلك بصلوات وطلبات، وليس هو خوراً (أي يأساً) أو خوفاً أو عجزاً؛ بل لتعليمنا أيضاً كما كانت تجاربه الأولى تعليماً لنا. لأنه بإرادته أتى من السماء بحيث لا يفارقنا، وحل على الأرض وأخذ شكلنا ليخلصنا به بما صنعه فيه من هذه التدابير والتعاليم. ومات عنا وقُبر وقام وخلص المأسورين في الجحيم وصعد إلى السموات حيث كان أولاً.

٤ - فانظروا، يا أولادي، إلى محبة الله الكلمة، أنه أصعدنا من هوة الجحيم إلى أعلى السموات. لأن السماء العليا غير السماء المرئية، والسماء المرئية غير الجو الذي هو الهواء الذي يهب بخفته، وجو الهواء غير هذه الأرض الكثيفة التي نحن كائنون الآن فيها وعما قليل ننتقل منها. واعلموا أن أعمال السماء هي غير أعمال الأرض، وأنّ ثمة صقعا آخر أثقل من هذه الأرض الكثيفة، صعبا جداً ومظلما وليس فيه شيءٌ من النور ولا راحة، وهو الذي يدعى الجحيم.

فالتجربة التي أتت على أخيرا، يا أولادي، كادت توصلني إلى الجحيم بعينه، لأن أعـداء

الخير أرادوا أن يلقوني فيه بكثرة تحيلهم، وعن هذا كان تعبي وجهادي وضيقتي واضطرابي. لكنني، أنا المسكين، أشكر إلهي وأمجده، هذا الذي أنا أخدمه بكل قلبي من صِغرى إلى الآن وأسمع له، لأنه لم يتخل عنى بل عضدني وخلصني من ظلمة الأعداء، وردني إلى رفعتي الأولى مرةً أخرى، كما خلص آدم وأولاده الصالحين وردهم إلى رتبتهم الأولى، لأنـه مكتـوب: «صعد إلى العلا وسبى سبياً وأعطى الناس مواهب» (مز٦٧:١٩؛ أف٤:٨).

٥ - وأُعلِمكم أيضاً أن تجربتي الأخيرة تشبه تجربة يوسف الأخيرة، لأن يوسف الطوباني البار لما جرب بتجارب كثيرة لم يضطرب، وفى الآخر لما أُلقى في السجن، الذي هو شبه الجحيم، اضطرب لهذه التجربة، لكن ربنا بتحننه لما رأى حسن جهاده وصبره أعطاه كرامةً جزيلةً وصيره ملكًا، ولم يعد من ذلك الوقت يجرب أصلاً.

فحقاً، يا أولادي المحبوبين، إني لم أُخفِ عنكم مقدار ما كنت فيه من التجربة التي خلّصني سيدي منها. وأنا متحقق أن ذلك بصلواتكم وطلباتكم وتذكاركم لمسكنتي. لأنكم تعبتم معي كثيراً، وسيعطيكم الرب نعمة الروح والخلاص كما أعطى لمسكنتي. لأنه قال لتلاميذه: «أنتم الذين صبرتم معي في تجاربي، أنا أُعد لكم الملكوت كما وعد أبى، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي» (لو٢٢:٢٨-٣٠). وافهموا، يا أولادي، فحوى هذا الكلام: أنّ الذي يشترك مع السيد المسيح بطاعته له، فإنه يشترك معه في مواضع الراحة، والذي يشترك معه في الهوان يشترك معه في ا د. لأنّ كل من يقبل الأتعاب والشتائم والتعيير والهوان هو الذي يتمجد، لأنه مكتوب أن الابن الصالح هو الذي يرث أتعاب آبائه وبركتهم، أما الابن الرديء فإنه يرث اللعنة.

٦ - واعلموا، يا أولادي المحبوبين، أنني بعد كتابة هذه الرسالة حركني الروح أن أكتب لكم عن السيرافيم (أو الشيروبيم) الذي رآه حزقيال النبي (حز١:٤)، الذي هو مثالٌ لنفوس المؤمنين الذين يجاهدون وينالون الكمال: هذا كان له ستة أجنحة وهى مملوءة عيوناً، وله أيضاً أربعة وجوه ناظرةً إلى الأربع جهات. أحد الوجوه يشبه وجه إنسان، والآخر وجه ثور، والآخر وجه أسد، والآخر وجه نسر. أما بقية ما ذكره النبي، فليس هذا وقته أن أكتب لكم عنه. لكنني أشرح لكم شيئاً يسيراً من تفسير ذلك، وإذا أتيت إليكم بمعونة الرب شرحت لكم ما تبقى منه مشافهةً، لأنني لا أستطيع أن أكتب لكم عنه.

فاعلموا أن الوجه الأول للسيرافيم - وهو وجه الإنسان – إنما هو رمـز للمـؤمنين الذين في العالم العاملين بما يختص م من الوصايا. فإذا خرج أحد أولئـك إلى شـكل الرهبنة فقد تشبه بوجه الثور، لأنه يعمل ويجتهد في الوصايا التي للرهبنة والقتال المحسوس.

فإذا أكمل (واجبات) ا مع بحسب ترتيبه وخرج وسكن البرية وتفرد في الوحدة لقتـال الشياطين غير المنظورين، فقد تشبه بوجه الأسد الذي هو سلطان الوحوش البرية. فـإذا غلب الأعداء غير المنظورين وتسلط على الأوجاع وملَكها، فإنه يرتفع بالروح القـدس وينظر المناظر الإلهية ويتشبه بوجه النسر، ويتم عليه المكتوب: «يجدد مثل النسر شبابك» (مز١٠٢:٥). حينئذ يميز عقله ما يأتيه من جهاته الست، فيتشبه بتلك الستة الأجنحـة المملوءة عيوناً، ويصير سيرافيم روحانياً، ويرث الميراث الأبدي بطاعته لآبائه الروحانيين.

٧ - وأنا أعلم، يا أولادي، أننا نحن جميعا قد قبلنا قوةً من الرب بسبب طاعتنا لآبائنـا وبركتهم لنا. وأنتم أيضاً، لطاعتكم وخدمتكم تقبلون قوةً من الرب وترثون بركة آبـائكم. وحقاً أقول لكم إنني ذاكر إياكم على الدوام وناظر إليكم بالروح مثل الوالدة الحنون الشفوق على أولادها الأطفال. وفى مرات عديدة أراد سيدي أن يريحني من أتعاب هذا الجسد ويأخذ نفسي إليه، ولكن لأجل استراحة روح الرب عليكم قد ترك روحي المسكينة في جسـدها لتربيتكم، وقال لي: "إنك والدة حسنة ومربية صالحة، وقد تركتك لتربى أولادك حسناً". والآن، يا أولادي المباركين، اقبلوا بركتي الأخيرة.

٨ - ها هوذا كتاب أبيكم وبركته إليكم، فاحفظوه لأنه الميراث الحقيقي وتوريث الآباء الروحانيين (لأبنائهم)، لأ م لا يورثون أبناءهم ذهباً ولا فضةً ولا ما شاكلهما؛ بل الميراث الحقيقي. أما الآباء الجسدانيون فهم الذين يورثون أبناءهم الذهب والفضة وما شابه ذلك. فانظروا إلى رؤساء الآباء، كيف كانوا أغنياء جداً بالذهب والفضة وما إلى ذلك من الغنى الجسداني، ولم يذكَر عنهم أ م ادخروا لأبنائهم شيئاً من هذه لأ ا زمنيات زائلات. لكنهم ورثوهم تلك البركة الحقيقية الدائمة سرمداً التي تورث الراحة السمائية، وهى التي تبقى مع الإنسان إلى الأبد.

واعلموا أن هذه البركة التي أعطاها أبوكم لكم إنما هي مثل البركات الأبوية خلاصا بالرب. وليعطكم ربنا روح الحق إلى أن تنتقلوا من هذا العالم الزائل وترثوا ذلك الدائم، بشفاعة آبائنا القديسين أجمعين، آمين.



الرسالة العشرون

★🔔❖🔔★

وهي آخر رسائله، كتبها لتلميذه الحبيب ببنودة الذي كان رئيساً على أولاده الرهبان، ولكل من هو تحت طاعته، ولكل الذين يطلبون طريق الرب. ويؤكد عليهم أن يثبتوا في أماكنهم ولا ينتقلوا منها لكي ينالوا البركة الأخيرة. ويعرفهم فيها بأنواع قتالات الشياطين وأنواع معونة الرب لمن يصبر

١ - حبيبي في الرب المكرم ببنودة، السلام لك.

قبل كل شيء، أنا أطلب من أجل خلاصك، وأيضا من أجل خلاص كل النفوس الطائعة لك الطالبة معك باسم الرب، وكل الذين يسيرون معك بالسلام، من أجل ربنا يسوع المسيح.

إن الذين ينيحون أنفس آبائهم، الرب يسوع المسيح يريحهم في ملكوت السماء. واعلموا جميعكم أن كل من ينيح إنساناً واحداً من عبيد الرب، ولو بكأس ماء بارد، فأجره لا يضيع كما قال ربنا بفمه الطاهر إن: «من سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ الحق أقول لكم إنّ أجره لا يضيع» (مت١٠:٤٢). وقال أيضاً عن الذين يحزنون أنفس التلاميذ ويعثرو م برداء م إنّ «من شكك أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له لو علق في عنقه حجر الرحى ويغرق في البحر» (مت١٨:٦). وقال أيضاً: «بالكيل الذي به تكيلون يكالُ لكم» (مت٧:٢).

وافهموا هذا، يا أحبائي، أن الرب لا يحب شيئاً مما على الأرض أكثر من تلاميذه وصانعي إرادته ويبغض كل من يهينهم، لأن كل ما يصنعه الإنسان بعبيد الله فبه يصنع خيراً كان أم شراً، لأنه قال: «من قبلكم فقد قبلني» (مت١٠:٤٠)، وقال أيضاً: «إذا لم تفعلوا ذلك بأحد هؤلاء الصغار فبي لم تفعلوا» (مت٢٥:٤٥).

٢ - فيا أحبائي، احترسوا من أن تستهينوا بأحد من الناس، لأنّ أصل (الاستهانة) هو الكبرياء التي أوجبت على أهل العالم غضب الله. لذلك قال إشعياء النبي: «هوذا يوم رب الصباؤوت يأتي على كل المتعظّمين بقلو م والمستهزئين» (إش٢:١٢). فانظروا، يا أحبائي، عِظَم هذا الحزن الذي يصيب المتعظمين. فيجب علينا نحن أيضاً أن نبكى على ذواتنا بحرقة قلب وكآبة، لأنني رأيت رهباناً كثيرين وعذارى قد سقطوا في هذا الوجع الصعب بسبب ظنهم الفاسد، إذ قالوا عن ذوا م: إننا نحن شيءٌ عظيم وليس أحد يشبهنا. وحقاً، يا

أحبائي، أقول لكم إنه ليس فيهم سوى الكبرياء والاستهانة بالناس والبغضة والغيرة الرديئة والمخاصمة، ولا يشتهون أن يندموا ويرجعوا بقلو م. وهذه وأمثالها لم تجعلهم يميزون بين الخير والشر وبين الحلاوة والمرارة، لأن الأرواح الخبيثة التي في الجو جعلتهم يبكون وقت الضحك ويضحكون وقت البكاء، وتم عليهم قول الكتاب: «ملعونٌ كل من يجعل الجيد رديئاً والرديء جيداً ومن يجعل المر حلواً والحلو مراً» (إش٥: ٢٠).

فهؤلاء كان يجب عليهم أن يسمعوا قول القديس يوحنا: «لا تثقوا في كل روح، بل جربوا الأرواح هل هي من الله» (١يو٤: ١). بل يجب علينا نحن أن نبكى على هؤلاء الثابتين في هذه الشرور المذكورة كل زمان حيا م، تلك التي يحبو ا أكثر من محبتهم للطعام الضروري، ولا يسمعون تعليم الله الحق بل يتمسكون بتلك التعاليم الشريرة التي لأرواح الخبث.

٣ - وهذه هي تعاليم الله: الطهارة، والسلام الدائم الذي بلا تغيير المملوء من الرحمة، وبقية الثمار الحسنة الحقيقية التي كمالها البركة. فاحرصوا أنتم، يا أحبائي، على اقتناء هذه التعاليم التي للروح التي ا تحيا نفوسنا، و ا نقبل الرب في ذواتنا، لأ ا هي الطريق الآمنة التي لا يوجد فيها لص ولا شيءٌ رديء.

واعلموا أنه بغير طهارة الجسد والقلب لا يستطيع أحد أن يكون كاملاً أمام الله، وذلك كالمكتوب في الإنجيل المقدس: «طوبى للطاهرة قلو م فإ م يعاينون الله» (مت٥: ٨). فالكمال إذاً يتولد من طهارة القلب، لأن القلب فيه النوعان: أعنى الخير الطبيعي، والشر غير الطبيعي الذي يولد أوجاع النفس التي هي النميمة والحسد والهزء وبقية الشرور. أما الخير فهو يولد معرفة الله وخلاص النفس من تلك الأوجاع، ولذلك قال النبي داود: «يا نفسي، باركي الرب ... الشافي جميع أوجاعكِ» (مز١٠٢: ١-٣).

فإذا سعى الإنسان، يا أحبائي، بعدم شر وتوكل على الرب باستقامة، وهرب من الأشياء الرديئة ببكاء وكآبة وتنهد وصوم وسهر ووداعة وطلبات كثيرة إلى الله، فإن الرب بصلاحه يعضده ويخلصه من جميع أوجاع النفس كما قال داود النبي: «احكم لي يا الله فإني بالتواضع مشيت وعلى الرب توكلت فلا أجزع» (مز٢٥: ١).

٤ - وكما أعلمتكم، يا أحبائي، أنه ذه الأعمال يكون شفاء النفوس من الأوجاع، أنا أيضاً أُعلمكم أن كثيرين أقاموا كل زما م في الرهبنة والبتولية ولم يتعلّموا التعليم الطاهر، لأ م تركوا تعليم آبائهم وتمسكوا بشهوات قلو م. ولذلك قويت عليهم الجان

الخبثاء واللصوص المردة الذين في الجو، وصارت ترشقهم بالسهام في الخفاء ليلاً و اراً، حتى تجعلهم لا يثبتون في مجامعهم، وتشعل قلو م بالكبرياء وا د الباطل والغيرة الرديئة والنميمة والغضب والحنق والمحارنة (أي العناد) وأوجاع أخرى كثيرة. وهذه وأمثالها تصنعها الشياطين لأ ا تقصد موتنا لا حياتنا.

وهذا الكلام الذي أعلمتكم به، يا أحبائي، ليس من عندي بل يذكره يعقوب الرسول قائلا: «إن كانت فيكم غيرة مرة وكان في قلوبكم شقاق فلا تفتخروا ولا تكذبوا على الحق، لأن هذه حكمة ليست نازلة من فوق لكنها أرضية نفسانية شيطانية» (يع٣:١٤-١٥). وأيضاً مكتوب في رسالة يوحنا الرسول أن «من يصنع الخطيئة هو من الشيطان» (١يو٣:٨).

وإذ قد علمتم، يا أحبائي، أن الثابتين في هذه الأفعال ليس للرب عملٌ فيهم، بل هم مشاركون للتعاليم الشيطانية ويعدون مع الشياطين، لهذا فلنبكِ على ذواتنا في وقت الحزن هذا الذي نحن فيه، ولنعرف أيضاً مقدار (عظمة) موهبة الروح القدس ونصرخ مع القائل: «هلموا فلنسجد ونخر ونبكِ أمام الرب الذي صنعنا» (مز٩٤:٦)، ونتلو أيضاً قوله: «خلصني يا رب، فقد فني الطاهر وقل الحق من بني البشر، وتكلّم كل واحد مع قريبه بشفاه غاشة وقلب ملتو» (مز١١: ٢و٣). وبسبب هذا الكلام وما يأتي بعده يحق لنا أن نبكى لأنه قال: «الرب يبيد الشفاه الغاشة والألسنة المتعظمة» (مز١١:٤).

٥ - واعلموا، يا أحبائي، أن هؤلاء هم الذين يعدون مع العذارى الخمس الجاهلات، لأ م أجازوا كل زما م بالجهل، ولم يلجموا ألسنتهم، ولم يطهروا عيو م وأجسادهم من الشهوات ولا قلو م من النجاسات، ومن أشياء أخرى تستحق أن نبكى بسببها لأ ا ليست ظاهرة. وكانوا يقنعون بلبس الصوف فقط الذي هو زي البتولية لا غير. ولذلك لم تكن لهم لذة سمائية، ولم ينوحوا على ذوا م ولم يوقدوا مصابيحهم. ولذلك لا يفتح لهم العريس بل يقول لهم كما قال للعذارى الجاهلات: «الحق أقول لكم إنني لا أعرفكم» (مت٢٥:١٢). ويقول لهم أيضاً: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار المؤبدة حيث البكاء وصرير الأسنان» (مت٢٥:٤١).

٦ - والآن، يا أحبائي، إنني لم أكتب لكم هذه الرسالة إلاّ لأنني أطلب خلاص نفوسكم، لكي تكونوا أحراراً وأمناء وعروساً طاهرة للمسيح، لأنه عريس كل النفوس الطاهرة كما يقول الرسول بولس: «إني خطبتكم لرجل واحد، بكراً نقيةً، لأقربكم للمسيح» (٢كو١١:٢). وأنا أعلم أنه قد أصابتكم حروب كثيرةٌ، يا أحبائي، وبمعونة ربنا الذي دبركم قد جزتموها واحدةً فواحدة، لأن الله صادق وهو الذي يقويكم ويقوى كل الذين

يخدمونه «حتى لا يدعكم تبتلون بأكثر مما تطيقون» (١كو١٠:١٣).

فاعلموا إذاً، يا أولادي، قوة التجارب التي أصابتكم وعِظم الكرامات التي أعطاها الله لكم بسببها، واثبتوا فيما يأتي عليكم أيضاً، لأن الذهب يجرب بالنار عدة مرات لكي يظهر مختاراً بزيادة التجربة. هكذا ربنا بصلاحه يجرب الإنسان بتجارب كثيرة ويسبكه ا مثل الذهب المصفى، ويعلمه حرب القلب حتى إنه لا يعود يفكر أو يذكر ما جرى عليه من كثرة الشتائم والإهانات من الناس، ويكون أيضاً بغير خوف من أفعال الشيطان، بل يتواضع أمام الله ويتوكل عليه، ويكون دائماً مستعداً بالخير أمام الله كما قال داود النبي: «قلبي مستعد يا الله قلبي مستعد، أُسبح وأُرتل في تمجيدي» (مز١٠٧:٢).

٧ - واعلموا أنه لا بد أن يكون لكم هذا: أن بعض إخوتكم يحزنونكم بالشتائم والتعيير، بل إنّ شركاءكم في مساكنكم يهينونكم. فإذا أتت هذه عليكم فاثبتوا ولا تخافوا ولا تحزنوا، بل اشكروا الرب على جميع ذلك. لأنه بغيره لما كان لكم شيءٌ من ذلك، لأنه لا بد أن تأتى الحروب على خدام الله، وكل من لم يمتحن من صلاح الله بالتجارب والأحزان والأتعاب والشدائد حتى يتعلّم كيف يقتنى الصبر والخير؛ فلا ينال من الله الكرامة.

فالآن، يا أحبائي، اصبروا على الأتعاب والأحزان التي تأتى عليكم، واشكروا الرب باتضاع عظيم لتروا سرور أتعابكم وتفرحوا مثل المغبوطة سوسنه القوية في الحرب التي قويت على شهوة الشيخين مخالفَي الناموس اللذين شهدا عليها زوراً وأوجبا عليها أتعاباً كثيرةً، وبصبرها وثبا ا رفعها الله في اية جهادها وأذل أعداءها. وتفرحون أيضاً مثل "تِكلة" القوية بالروح، فإ ا لم تخَف من إهانة والديها لها ولا من النار أيضاً ولا من المتولي عذا ا ولا من الوحوش الضارية، وأخيراً أعطاها الرب سرور القلب وجوائز أتعا ا. فقوة إيما ا بالله أطفأت النيران وسدت أفواه الأسود الضواري وأذلت جميع أعدائها.

ومثل يوسف أيضاً المتضع أمام الله والناس، فإنه لما حسده إخوته وأبغضوه وأرادوا أن يسفكوا دمه من كثرة الحسد لما رأوه مكرماً عند أبيهم، حرسته العناية الإلهية من القتل، لكنهم تسلطوا بالغيرة ورفعوا أيديهم عليه، وأخيراً باعوه عبداً. ثم إن امرأة سيده الذي صار له خادماً سببت له أتعاباً كثيرةً حتى إنه طُرح في السجن. وقد كان عفيفاً وديعاً طاهراً جداً بغير دنس نفساً وجسداً. وهو بمعونة الرب له لم يخَف من تلك الضوائق جميعها بل صبر وتوكّل على الرب، وأخيراً رفعه الله وجعله رئيساً على مصر وجميع أعمالها. أما إخوته الذين حسدوه، فقد أذلهم الرب بأجمعهم تحت رجليه!

٨ - فهؤلاء الذين ذكرتهم ومن جرى مجراهم، يا أحبائي، لم ينالوا الكرامة من الله في

أول جهادهم وتجار م، بل بعد أن امتحنهم وسبكهم بالشدائد والأتعاب وجعلهم يعرفون كيف يواجهون القتالات. حينئذ لما رآهم قد صبروا في الشدائد والأتعاب وجعلوا الرب رجاءهم، أعطاهم كرامة لاهوته وأذل مبغضيهم تحت أقدامهم. وأنا، يا أحبائي، عندما أذكر جهاد هؤلاء ومكافآ م تتهلّل روحي بالفرح والسرور، وأطلب لأجلكم بابتهال. فاثبتوا أنتم بالصبر ولا تضعف قلوبكم في شدائدكم، بل اشكروا الله عليها لتنالوا ا ازاة منه عنها.

٩ - وقد كتبت لكم هذه الخطابات، يا إخوتي، ولكل من يدعون باسم الرب لكيما تكون لجميعكم السلامة والحق ومحبة الله، ومحبتكم بعضكم لبعض، ولكي لا تكون بينكم مشاجرةٌ أو نميمةٌ أو أفكار سوء أو قلق أو مقاومة أو مضادة أو غيرة رديئة أو قلة طاعة أو كبرياء أو شتيمة للناس أو الهزء م أو فجور أو محبة مجد باطل أو بغضة أو شهوة ثياب حسنة للجسد أو عداوة بعضكم لبعض. وها مسكنتي تتضرع إليكم أن لا تدعوا شيئاً من هذه الأعمال (أو الخصال) في ذواتكم ولا بينكم في موضع سكناكم، لأن ا مع الذي تكون فيه هذه الأعمال يكون غضب الرب حالا فيه.

١٠ - واعلموا، يا إخوتي، أن أعمارنا في هذا العالم قليلة جداً. فاحرصوا فيه واجتهدوا ولا تفرطوا لئلا يتفق انتقالكم منه وأنتم حاقدون بعضكم على بعض فتحسبون مع القاتلين كالمكتوب: «إنّ كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس» (١يو٣:١٥). وهذه الأقوال والوصايا ليست هي للرهبان والعذارى وحدهم؛ بل ولجميع المؤمنين الذين يشتركون معكم في بيعة السيد المسيح الجامعة الرسولية.

والآن، يا إخوتي، فليغفر الواحد منكم لرفيقه حتى يغفر الرب لكم، لأن الإنجيل المقدس يحث على ذلك بقوله: «اغفروا يغفر لكم» (لو٦:٣٧). وأي من ظُلِم منكم فليقبل ذلك بفرح ويسلم الأمر للرب لأنه هو الحاكم العادل والمُجازى. ومن حصل منه ظلم لرفيقه فليسرع ويتضع قدام الرب ويتضرع لرفيقه لكي يغفر الرب له. ولا تدعوا، يا أحبائي، الشمس تغرب على غضبكم كما يعلمنا الكتاب (أف٤:٢٦)، بل انزعوا من قلوبكم كل الأفكار الرديئة التي تمون ا أو تفكرون فيها بعضكم على بعض لكي تنحل العداوة التي أصلها البغضة والحسد، لأنّ هذين الوجعين رديئان جداً ومرذولان عند الله والناس، ولا يجب أن يوجدا في أحد من المؤمنين أو خدام الله. فيا أحبائي، إن كانت هذه الأمور قد وجدت بينكم فيما مضى، فمن الآن احترسوا أن لا توجد عندكم ولا تدعوها تتسلّط عليكم.

١١ - واعلموا أن أيام حياتنا يسيرةٌ جداً، ولكن يمكننا فيها الرجوع إلى الرب عن

خطايانا، لئلا يدركنا انتقالنا من هنا إلى هناك ونحن في غفلتنا، ولا يمكننا حينئذ الرجوع إلى ههنا، لأننا نرى أن المنتقلين لا يرجعون إلينا، ونحن أيضاً لا ننتظر رجوعهم بل ننتظر اللحاق م، وهذا هو المحتوم على جميع أهل العالم من الابتداء إلى النهاية.

ولهذا، يا أحبائي، يجب علينا ألاّ يفتخر أحد بكثرة جهله ويقول: إنني قد قويت على رفيقي ولا أُشفق عليه. فليعلم قائل هذا القول أو المُفكر فيه أنه إنما قد جعل للموت قوةً على نفسه فقط، فيكون نصيبه في موضع البكاء وصرير الأسنان والدود الذي لا ينام والنار التي لا تطفأ. وإذ قد علمنا هذا، يا أحبائي، فلنجاهد ما دمنا في هذا الجسد ونداوي جراحات نفوسنا قبل فراغ الزمان منا. ولتكن هذه الأقوال ثابتة في عقولنا لنعمل ا قبل مفارقة نفوسنا لأجسادنا، لأن ربنا الحاكم العادل يرسل خدامه ويقبضون على النفس ويفصلو ا من هذا البيت الطيني. فكل الذين يوجدون في ذلك الوقت غافلين عن خلاصهم يحفَظون في الظلمة القصوى إلى ذلك اليوم المرهوب، وتخرج عليهم القضية المُرة، ويسلمون إلى المعذبين القليلي الرحمة والسجانين الذين ليس عندهم رأفة، المرتبين على حراسة تلك النار الممتلئة من الدود الذي لا ينام، وعلى الظلمة الخارجية والخزائن المملوءة من البرد والزمهرير، والذين يسلمون لهؤلاء القساة يطرحو م في هذه المواضع البعيدة من الله لكي ينتقموا منهم.

عند ذلك يعجون بالبكاء والصراخ والعويل والولولة، فلا يسمعون لهم ولا يرحمو م لأن الرحمة قد بعدت عنهم إلى الأبد، لأ م كانوا قليلي الرحمة في حيا م، فلم يطعِموا جوعاناً ولا سقوا عطشاناً ولا آووا غريباً، عرياناً لم يكسوا ومريضاً لم يعودوا ومحبوساً لم يزوروا، ولهذا صارت لهم مجازاة بلا رحمة. وكانوا أيضا مملوءين من الخطأ والغش وعدم الطاعة للمعلمين والآباء المؤدبين، ولم يتوبوا ولا يوماً واحداً، ولم يتخذوا لهم معلماً يطلب من أجلهم، ولم يشكروا على ما أُعطوا من كثرة الغِنى، وتركوا عنهم معرفة الرب هنا، وهو أيضاً لن يعرفهم هناك، بل سيسلمهم إلى القليلي الرحمة لينتقموا منهم في مواضع العذاب الذي لا انقضاء له، مثل العبد الذي لم يرحم رفيقه في العبودية ولم يترك له المائة دينار القليلة بالقياس إلى الربوات التي تركت له (مت١٨:٢٣-٣٤)، ومثل العبد العاجز الكسلان الذي دفن فضة سيده (مت١٨:٢٥)، ومثل الذي لم يوجد عليه لباس العرس (مت١٢:٢٢-١٣)، ومثل العبد الذي يرفض وصية سيده ويأكل ويشرب مع السكيرين ولا يشفق على أصحابه العبيد (مت٤٩:٢٤). فهؤلاء جميعا إنما يسلمون للعذاب وللقوم القليلي الرحمة لأ م كانوا عديمي الرحمة كما هو مكتوب: «إن دينونة من لم يستعمل الرحمة تكون بغير رحمة» (يع١٣:٢).

١٢ - فيا أحبائي، لكثرة إشفاقي عليكم، أكرر التضرع إليكم، أنا المسكين، أن نستفيق ما دمنا في هذا الجسد، ونبكى على ذواتنا ونتنهد من كل قلوبنا الليل والنهار لكي ننجو من العذاب المر والبكاء والتنهد والكآبة التي لا زوال لها. فلا نضطجع ولا نسلك في الباب الواسع والطريق الرحبة التي تؤدى إلى الهلاك والسالكون فيها كثيرون. بل ندخل من الباب الضيق والطريق الكربة المحزنة المؤدية إلى الحياة والداخلون فيها قليلون، والذين يدخلو ا هم الفعلة المحقون الآخذون جوائز أتعا م بفرح، الوارثون للملكوت.

فالذي استعد، يا أحبائي، لا يكسل عن الحصاد لئلاّ ينتهي الموسم فلا يوجد من يبيع لمن يريد أن يبتاع، لأن هذا ما أصاب العذارى الخمس الجاهلات لما لم يجدن من يشترين منه، وعند ذلك صرخن وبكين قائلات: «يا رب افتح لنا، فأجاب وقال لهن: الحق أقول لكن إني لا أعرفكن» (مت٢٥:١١-١٢)، وما أصا ن هذا إلاّ لكسلهن لأن رب البيت إذا قام وأغلق الباب فلا يعود شيء ينفع كما كُتب.

وأعطيكم مثالاً لذلك: لما دخل نوح السفينة هو وبنوه ونساء بنيه وسائر من معه، أغلق الرب باب السفينة بسبب ماء الطوفان الذي حلّ على صانعي الشرور. ولم يفتح نوح باب السفينة ولم يدع أولاده ينظرون إلى ذلك المنظر الرهيب الذي كان دينونةً لأولئك الأشرار، ولا جاء أولئك الأشرار بعد غلق الباب ليركبوا مع الأبرار، فصاروا من الجداء التي هي عن اليسار حيث لا يمكنهم الدنو من الذين هم عن اليمين. وهكذا هلكوا بماء الطوفان بسبب كسلهم وعدم طاعتهم. لأن نوح، في تلك المائة سنة التي بنى فيها السفينة، كان ينذرهم فلم يطيعوه ولم يسمعوا منه فهلكوا.

١٣ - فالآن، يا أولادي المحبوبين، المهتمين بالسلام مع كل أحد، أطلب منكم بنعمة الله أن تسمعوا منى، وحينئذ أنا أيضاً أسمع منكم. ولنسمع جميعنا من الرب القائل على لسان النبي: «من هو الرجل الذي يهوى الحياة ويحب أن يرى أياماً صالحة؟ فليكْفُف لسانه عن الشر وشفتيه أن تتكلما بالغدر، ليعرض عن الشر ويصنع الخير، ليطلب السلامة ويتبعها» (مز٣٣: ١٢-١٤؛ ١بط٣: ١٠و١١) ... وبقية القول. هذا هو سروري أنا والإخوة الذين عندي، أن نسمع بمسيحيتكم، وأن تكون سلامة الرب عندكم وبينكم، وأنتم تبنون عليها في كل يوم وليلة، لتصيروا روحاً واحداً بمشيئة واحدة وإيمان واحد وشركة واحدة ومائدة واحدة، لتدوم لكم السلامة.

ومنذ أن وصلت إلى رسالتكم، وإلى الآن، أنا حزين القلب بسبب ما حدث بينكم

من التعب بسبب قلة الإفراز ممن يريد أن ينفرد بذاته وحده ويصنع إرادته وهو في وسطكم. فمن الآن، يا أحبائي، لا يكون هذا بينكم، بل كملوا (أي اشترِكوا في) خبز بيت السلامة بالاتفاق، لأنه من غير الواجب أن يعطَى خبزه لموضع آخر، بل اجتمعوا معاً بروح واحد وكملوه بالسلامة والاتفاق والتواضع وخوف الله والطلبات. وحينئذ يكمل خبز بيت السلامة وتنالونه بفرح وسرور. وبعد ذلك تعطون للضعفاء والمساكين لكي تستحقوا الفرح الثاني المختار الذي هو الإيمان والرجاء والمحبة والتواضع والمخافة والإفراز والنسك والسلام والهذيذ ومحبة الإخوة. لأن كل من كانت هذه عنده فهو لابس لباس العرس (مت٢٢:١٢) وسائر في أوامر الروح.

١٤ - وحقاً أقول لكم، يا أحبائي، إنني إلى الآن لم يعطِني الرب أن أفعل هذا الأمر، الذي هو انفصالي عن الإخوة، وأخاف أن أفعله من ذاتي وحدي من غير إرادة الرب. وأطلب منكم أن تثبتوا في مواضعكم، وأيضا صبركم لتعبر عنكم الأوجاع لأن هذا ليس هو وقت طلبتكم لهذا الأمر. وأي من تقدم وبلغ أن يكون له ذلك فأنا أعلم أن ربنا يعرفني به وتتم فيه مشيئته الصالحة. فإذا ثبتم على ذلك فإن السلامة تكون لكم ولمواضعكم ولكل من يأتي إليها ولكل من يصلى فيها باسم الرب.

وهذا اعلموه يقيناً: أن كل من يسعى حسب مشيئة الله التي لا تخـتلط ـا مشـيئة الإنسان، فإن قوة الله - التي هي أحلى من الشهد ومملوءة من كل سـرور - تعضـده وتقويه وتعطى لنفسه أعمالاً عجيبةً وتهيء أمامه كل المسالك المحبوبة للرب. حينئـذ لا يقدر أحد من الأعداء أن يضاده لكو م يرونه سائراً في إرادة الرب. أما من يسعى ـواه ويظن أن هذا هو هوى الرب فإن الله لا يعضده في شيء، بل يتركه للشياطين لتسكن في قلبه الليل والنهار ولا يتركونه يجد شيئاً من الراحة، لأن قلبه يصير مظلماً لا يرى شيئاً مـن النـور البتة، ويجعلونه بغير قوة في كل أموره الظاهرة والباطنة بسبب انعدام النعمة، ويجلبون عليه أشياء أخرى كثيرة صعبة ومتعبة لا أستطيع أن أنطق ا. وكثيرون ضلوا بسبب ذلك لقلّة فهمهـم وتمييزهم، وصاروا يهزأون بالمؤمنين السائرين حسناً في وسط ا مع.

١٥ - وهكذا جرى لأبينا الأول بسبب قلة تمييزه واستماعه لحواء، لأن حواء ضلّت بقلة تمييزها وطمعت في عدم الموت والتأله عندما أخفى الشيطان شكله في الحية وتكلّم معها كمن هو محب لها قائلا: «إنكما إذا أكلتما من هذه الشجرة تصيران آلهة ولن تموتا» (تك٣:٤-٥). وهى بقلة إفرازها وعدم تمييزها، لما سمعت باللاهوتية وعدم الموت لم تمتحن المتكلم معها لتعرف أنه الشيطان، بل تركت عنها إرادة الرب وخالفت وصيته، وهكذا

طَغت وأطغت آدم وسقط كلاهما - بعد الرفعة السامية - في هذا الذل المتفاقم لكو ما خالفا إرادة الرب.

هكذا، يا أحبائي، بالحقيقة يصاب كل من يترك عنه إرادة الرب ويصنع إرادة قلبه. وهكذا يتم عليه قول سليمان الحكيم في الأمثال أنه «يظن بطريق أ ا مستقيمة بينما آخر ا تؤدى إلى أسفل الجحيم» (أم١٤:١٢). وأعرفكم أيضاً أن الشيطان يعطى لمثل هؤلاء فرحاً وسروراً وهو ليس كذلك بالحقيقة، بل عبوسة وكآبة وبكاء لأنه ليس من الله. لأن الفرح والسرور اللذين من الله إنما يعطَيان لمن يتعب بكل قوته ويغصب ذاته ويقهرها على الثبوت في الأعمال الصالحة، ويقطع إرادته ويتمسك بإرادة الرب.

وإذ قد تكلمت عن إرادة الرب وإرادة البشر، أريد أن أعرفكم شيئاً آخر، وهو أن المشيئة التي تعمل في قلب الإنسان هي على ثلاثة أنواع. وكثيرون من الرهبان والعذارى لا يتأملون ذلك، بل القليل منهم جداً الذين تعبوا في الجهادات العظيمة وكملوا بالإفراز، هم الذين يراعون ذلك، لأنه مكتوب أن «الطعام القوى هو للأقوياء» (عب٥:١٤). فالنوع الأول (من أنواع المشيئة) هو من الشيطان، والثاني من الإنسان والأخير هو من الرب. فالاثنان اللذان من الشيطان والإنسان لا يسر الله ما بل يسر بالذي منه فقط.

١٦ - والآن، يا إخوتي الأحباء المحبوبين لقلبي، افحصوا ذواتكم وتمسكوا بمشيئة الله واسمعوا لأبيكم، فإنني أطلب كثيراً إلى الله لأجلكم. ولا تتركوا مسكنكم بحجة الخير، الذي ليس هو بخير، وتنتقلوا إلى غيره. بل اثبتوا إلى أن أصل إليكم بمعونة الرب وأعرفكم بما ينفعكم، لأنكم إن فعلتم ذلك الأمر تحزِنون قلبي وتحزنون أنتم أيضاً. وأنا المسكين، يا أحبائي، أظن أنّ في معرفة إرادة الله أكثر منكم وأعرف ما هو لتقويمكم. فاثبتوا إذاً في محبة الإخوة وفى ا د الذي لكم، وتأملوا إرادة الرب. وهذا ليس بالأمر الحقير أن يتأمل (أي يراعى) الإنسان دائماً إرادة الله في كل شيء. وحقاً أقول لكم إنه إن لم يترك الإنسان كل مشيئات قلبه ويتضع في كل شيء، ويطرح عنه جميع غناه ومقتنياته، ويسمع للرب بسماعه (أي بطاعته) لآبائه الروحانيين؛ فهو لا يستطيع أن يتأمل إرادة الله ولا يصنعها، ويعدم البركة الأخيرة.

١٧ - فإبراهيم لما بارك إسحق قال له: «إلهي يقويك لكي تصنع إرادته». وهكذا كل من يطيع آباءه الروحانيين في كل شيء فإنه يصنع إرادة الله. وكذلك أبونا الصالح يعقوب الذي بورك من أبيه إسحق لكثرة طاعته لأبويه سكنته القوات (أي الفضائل) لأنه كان يسمع لهما ويصنع إراد ما. فقد ذُكر عنه في التوراة أنه قبل وفاة أبيه، وبعد نوال البركة منه، قالت له أُمه

أن يمضى إلى ما بين النهرين ويبقى عند خاله لابان لأن أخاه عيسو كان يريد قتله. ولم يكن يعقوب يشتهى أن يمضى إلى هناك ويترك بيت أبيه، لأنه كان يحبهم وهم أيضاً كانوا يحبونه، لكنه سمع وأطاع ومضى إلى ذلك الموضع البعيد وإلى الأرض التي لم يكن يعرفها، ولم يخالف إرادة والدته، بل ترك شهوته وإرادته ليطيب قلبها واجتهد هذا الاجتهاد جميعه حتى كملت عليه بركة أبويه، لأنه مكتوب أن «بركة الآباء تثبت بيوت الأبناء» (ابن سيراخ٣:٩).

وقد بلغني أن بعضكم يقول إن يعقوب لم يهرب من أخيه عيسو، والبعض الآخر يقول إنه هرب منه، وهذان القولان يصدقان عليه، لأنه لم يهرب بمشيئته بل هرب بطاعته. ولذلك عضده الرب في كل شيء خفياً وظاهراً. فالآن، يا أحبائي، ليكن تذكار يعقوب ومن سلك مسلكه، عندكم وفى ذواتكم بلا انقطاع.

١٨ - وأزيلوا من خواطركم ما سمعته عنكم، إذ تقولون إن الله ينسى أتعابكم ولا يكافئكم عنها، حاشا، لأن ربنا له ا ـد لم يقُل إن المكافأة تكون ههنا بل التجارب والضيقات والأتعاب والأحزان، وهناك تكون المكافأة. لأن هذه الحياة هي طريق الأتعاب والتجارب. فإذا صبرتم وسمعتم وأطعتم آباءكم فإن الرب يحسن مجازاتكم، لأن هذا هو التعب الذي يذكَر أمام الرب.

وأنا المسكين أباكم أعرفكم، يا أحبائي، أنني قد تعبت في الجبال والبراري وطلبت في الليل والنهار أن يكشف لي الرب إرادته، فلم يظهر لي شيئاً حتى سمعت لآبائي في كل شيء وقبلت معرفتها (أي معرفة إرادة الله) منهم. لأن كل من يسمع من آبائه فللرب يسمع، ومن يسمع مِن الرب فهو يسمع لآبائه، ومن لا يسمع لآبائه فهو لا يسمع من الرب. فيا أحبائي بالرب، اسمعوا لأبيكم في ما كتبته لكم لكي تحلّ عليكم بركته، وتجدوا راحةً ونعمةً وقوةً ومجداً ويسهل الرب جميع طرقكم. وهأنذا قد أعلمتكم في هذه الرسالة بطريقتي العمل الجسداني والروحاني، والمقاومات الجسدانية والشيطانية، لكي تعملوا وتجتهدوا وتنالوا البركة الأخيرة، وتسكن فيكم نعمة عظيمة.

والسلام لجميعكم، والخلاص من الرب يسوع المسيح يكون لأرواحكم المتواضعة، ولأفكاركم وقلوبكم المتطهرة. ولتحل بركته في كل موضع يكون فيه الاتضاع. له السبح وا ـد والإكرام من جميع الناطقين، ولأبيه ولروحه القدوس، الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

الفصل الرابع

قصص وأقوال تلاميذ أنبا أنطونيوس

أولاً: قصص وأقوال

القديس أنبا آمـون

مؤسس رهبنة نتريا

قال بالليديوس إنّ أبا أرسيزيوس[1] ذكر عن أنبا آمون أنه عندما كان شابا عمره ٢٢ سنة أجبرته أسرته على الزواج، فأقنع عروسه بحفظ بتوليتهما، وبذلك عاشا منفصلين في منـزلهما لمدة ١٨ سنة، ثم طلبت منه زوجته العذراء أن يعيش كل منهما في أماكن البتوليين، ففرح وهكذا ذهب إلى جبل نتريا الداخلي حيث لم تكن قد بنيت أديرة، فبنى هناك لنفسه قلايتين عاش فيهما ٢٢ سنة أخرى ثم رقد، أما زوجته فعاشت في بيتٍ للعذارى[2].

سأل إخوةٌ شيخا: ”قيل إنّ القديس آمون البتول لما غُصِب من والديه، ففي ليلة العرس أخرج كتاب الرسول بولس ووعظ الفتاة، فما هو الكلام الذي وعظها به ومن أي رسالة“؟ **فأجاب الشيخ:** ”من رسالة كورنثوس الأولى، والكلام هو: «أما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ... أريد أن يكون جميع الناس كما أنا (أي مثلي في الطهارة) ... أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ...» إلى آخر هذا الكلام (١كو٧: ١-٨). بهذا وعظ مملوكته (أي التي صارت له) في الخدر، وهكذا جعلا جسديهما هيكلاً للروح القدس، وسبحا الله بجسديهما وروحيهما كوصية الرسول (١كو٦: ٢٠)“[3].

جاء أخ إلى الأسقيط ليرى أنبا آمون وقال له: ”إنّ أبي يرسلني في مهمةٍ، ولكنني خائف من الزنى“. فأجاب الشيخ: ”أي وقت تأتي عليك فيه تجربة فقُلْ: يا إله كل فضيلة بصلوات أبي أنقذني من هذه التجربة“.

ثم حدث يوما ما أنّ شابةً أغلقت عليه الباب، فصرخ بكل قوته: ”يا إله أبي

---

(١) أحد آباء نتريا الذين قابلتهم القديسة ميلانية (أنظر بالليديوس فصل ٤٦)، وهو غير أورسيزيوس تلميذ وخليفة أنبا باخوميوس.
(2) Laus., ch., 8 ; Monach., XXII, 1.
(٣) س ٩ جزء ٤ رقم ٢٧٨ ص ٣٨٨.

أنقذني"، وللحال وجد نفسه في طريق الأسقيط[٤]!

قال أَبَّا آمون إنه رأى شابا يضحك (بصوتٍ عالٍ)، فقال له: "لا تضحك هكذا أيها الأخ لأنك بذلك تبعد خوف الله من روحك"[٥].

روى أحد تلاميذ أَبّا آمون القصة الآتية: "بينما كنا مرةً نسبح في خدمتنا حدث اضطراب في ذهني ونسيت جملةً من المزمور، فلما انتهى أبا آمون من الخدمة قال لي: 'عندما كنت واقفًا أثناء الخدمة بدا لي كأنني واقف على نارٍ واحترقت، ولم يستطع ذهني أن يجعلني أتقلّب على الجانب اليمين أو اليسار، أما أنت فأين كان ذهنك عندما كنا نسبح في الخدمة لأنك حذفت آيةً من المزمور؟ أما كنت تعلم أنك واقف في حضرة الله وأنك كنت تتكلم معه'"[٦]؟

روى تلميذ أنبا آمون القصـة الآتية: "في إحدى الليالي خرج الشيخ ووجدني مضطجعا في فناء القلاية، فوقف بجانبي وقال بحزنٍ ودموعٍ: 'أين عقل هذا الأخ الذي جعله يضطجع هكذا بدون اعتناء'"[٧]؟

سأل أخ أَبّا آمون قائلاً: "رجلان، كان أحدهما راهبا والآخر كان علمانيا. عـزم الراهب في المساء أن يخلع عنه ثوب الرهبنة في الصباح، ووضع العلماني في قلبه أن يلبس ثوب الرهبنة في الصباح. وحدث أنّ كلا الرجلين توفيا في نفس الليلة، فكيف يعاملان؟ وأية عزيمةٍ تنسب إليهما"؟ فقال له الشيخ: "الذي كان راهبا مات راهبا، والذي كـان علمانيا مات هكذا، لأنه في الحالة التي وجِدا فيها أُخِذا"[٨].

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القول السابق الذي سأل عنه أبا بـيمين (كمـا تقـول مخطوطة س ٩): "إذا كانت الأعمال على قدر النية، فلماذا لم يجاز الرجلان بحسب ما اشتهيا"؟ **فقال الشيخ:** "أحكام الله لا تدرك ولا تفحص، فالظاهر لنـا هـو الـذي نفحصه، أما الخفايا فهي للرب. وكان أنبا بيمين يعلم أنّ كثيرين من المتوحدين بسـبب صعوبة قتال الشياطين لهم، وبالأكثر حرب شيطان الزنى الصعب، كثيرا ما يفكر الواحد منهم أن يرجع إلى العالم، وبعد ذلك تزوره النعمة ويغلب ويتقوى ويكلل؛ وأنّ علمانيين كثيرين تعهدوا أن يعتزلوا من العالم إلى الرهبنة ثم عوقتهم خلطة العالم ونكثوا بعهـدهم. لذلك قال الأب آمون إنّ الراهب مات راهبا والعلماني مات علمانيا"[٩].

---

(4) Apoph., Amoun of Nitria, 3. (5) W. & W., I: 143. (6) Ibid., 251. (7) Ibid., 373.
(8) Ibid., 604; Apoph., Poemen, 182. (٩) س ٩ رقم ١٨٠ ص ٢٧٥.
(10) Apoph., Amoun of Nitria, 2.

قيل عن أنبا آمون إنّ كمية قليلة من القمح كانت تكفيه لمدة شهرين[١٠].

علمت أنّ أبّا آمون الذي من القلالي قال: "لقد أكملت جميع الإماتات التي سمعت ا أذني، ولكنني لم أجد بينها إطلاقًا شيئًا مزكّيًا بالخبرة مثل هذين الأمرين: النهوض من مائدة الطعام حينما يكون الإنسان لا يزال جائعا، وأن يغصب الإنسان نفسه على ألاّ يقول كلاما لا يناسب أخاه"[١١].

قال أحد الآباء وهو يخبر عن منطقة القلالي: "إنه كان هناك شيخ عمالٌ، أي له أعمال نسكية كثيرة، وكان يلبس ثوبا مضفورا من الخوص. ذهب هذا الشيخ إلى أبا آمون الذي لما رآه مرتديا هذا الثوب من سعف النخل فقط قال له: 'هذا الثوب لن يفيدك شيئًا'. فسأله الشيخ قائلاً: 'ثلاثة أفكار تشغلني: هل أجول تائها في البراري، أم أذهب إلى أرضٍ غريبةٍ حيث لا يعرفني أحد، أم أُغلق على نفسي في قلايةٍ ولا أفتح لأي أحدٍ وآكل مرة كل يومين'؟ فقال له أبا آمون: 'لا يوافقك أي من هذه الثلاثة، ولكن امكث في قلايتك، وكُلْ قليلاً كل يوم، واجعل في قلبك دائما كلمات العشار: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو١٨: ١٣) وأنت تخلص'"[١٢].

سأل إخوةٌ شيخا عن سبب مشورة الأب آمون في القول السابق لذلك الشيخ، **فأجاب الشيخ:** "كان الآباء الطوباويون يجيبون على الإخوة الذين يأتون إليهم على قدر اختلاف أفكارهم بما فيه ربح لحيا م وشفاء لأوجاعهم؛ فهذا الأخ كان يفتخر بأعماله وكان يعوزه الاتضاع، فكانت إجابة الأب آمون هذه لكي يقتني ا الاتضاع ويخلص من الضلالة"[١٣].

قال أبّا بيمين إنّ أنبا آمون قال: "قد يقضي الإنسان كل وقته حاملاً فأسا دون أن ينجح في اقتلاع شجرةٍ، في حين أنّ آخر بخبرته في اقتلاع الشجر يقتلع الشجرة بضرباتٍ قليلة". ثم قال: "إنّ الفأس هي الإفراز"[١٤].

قال أنبا آمون: "قد يمكث الراهب مائة عام في قلايته ولا يعرف كيف ينبغي أن يعيش بطريقةٍ صحيحةٍ في قلايته، أو حتى أن يعيش متوحدا ليومٍ واحدٍ". كما كان يقول: "إنّ الطريقة الصحيحة في حياة الراهب هي أن يدين نفسه باستمرار"[١٥].

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فأجاب الشيخ: "تدبير الهدوء هو أعمال الجسد وقتال الذهن مع الصلاة والاتضاع، وتدبير الذهن مسلكه صعب جدا، فالكثيرون في

---

(11) Eth. Col., 14, 17. (12) Apoph., Ammonas, 4; W. & W., I: 447; س ٤ ص ١٢٥

(١٣) س ٩ جزء ٤ رقم ١٣٠ ص ٢١٤. (14) Apoph., Poemen, 52 ; W. & W., II: 133.

(15)Apoph.,Poemen,96; W.& W.,I:503.

الهدوء يحرك فيهم الشيطان أفكار الأوجاع في ملامة الإخوة والتذمر ولا يشعرون أن هذا قتالٌ من الشيطان ليعوقهم عن أعظم وصيتين يتعلق بهما الناموس كله وهما: حب الله وحب القريب، بل يظنون أنها حركة ساذجة تتحرك من ذاتها وأنه طبع النفس تفيض به بغير فتورٍ في القلب، فيهذون فيها طول النهار فيفتتنون من ذلك البغضة والحسد والكبرياء ويعدمون نقاوة القلب".

"فعلى المتوحد الذي في الهدوء أن يتعلّم الحرب الخفية التي في خداعات الشيطان بأفكار الأوجاع التي تشبه ما جاء في الإنجيل عن الأعمى الذي كان على الطريق: فالأعمى هو المتوحد الذي لم يصل بعد إلى طهارة القلب، وصراخه هو الصلاة بغير فتور التي فيها يصرخ في كل حين ويقول: يا ابن داود ارحمني. والجموع الذين كانوا ينتهرونه ليسكت هم الشياطين الذين يحركون فيه الأفكار الشريرة بغير فتور ليعوقوه عن صلاته وطلبته، واستدعاء المخلص له هو العون الإلهي الذي يناله المتوحد في زمان الحرب، والذين بشروه قائلين: افرح فهو يدعوك، هو عزاء الملائكة الخفي في زمان القتال، وفتح عينيه وتمجيد الله هما استنارة قلب المتوحد بعد انتهاء القتال والنصرة ورؤيته القلبية للمسيح وتمجيده للثالوث الأقدس كل حين. إنّ المتوحد يصنع حربا عظيمةً مع جميع الأفكار الرديئة بأتعاب الجسد، وبالأكثر مع الذين يعوقونه عن نقاوة القلب، وبذلك تدوم فيه الصلاة الروحانية والنور الإلهي"(١٦).

حدث أنّ بائيسيوس أخا أنبا بيمين صنع صداقةً مع شخصٍ خارج قلايته، ولم يكن أبا بيمين يريد ذلك، فقام وهرب إلى أنبا آمون وقال له: "إنّ أخي بائيسيوس يجري أحاديث مع شخصٍ آخر، لذلك لا أجد سلاما". فقال له أنبا آمون: "ألا زلت حيا يا بيمين؟ اذهب امكث في قلايتك وانقش هذا على قلبك: إنك ميت يا بيمين ولك في القبر سنة"(١٧).

سأل أخ أنبا آمون: "لماذا يجاهد الإنسان في الصلاة مقدما توسلات ولا يعطَى له ما يسأل عنه"؟ فقال له الشيخ: "ألم تسمع كيف أنّ يعقوب أتعب نفسه لأجل تلك التي أراد أن يتزوجها، وأنه لم يحصل على التي سعى إليها بل على التي لم يسع إليها؟ وكيف أنه بعد ذلك عمل وتعب أكثر وأخيرا حصل على تلك التي أحبها؟ هكذا الحال أيضا مع

(١٦) س ٩ جزء ٤ رقم ١٣٤ ص ٢٢٠.

(17) Apoph., Poemen, 2 ; W. & W., I: 236.
(18) W. & W., II: 68.

الراهب، لأنه ينبغي أن يصوم ويسهر ومع ذلك قد لا يحصل على ما يسأل عنه، ولكنه بعد أن يعمل ويصوم ويسهر أكثر يحصل على هبة النعمة التي يسأل عنها"[١٨].

قال أبّا بيمين: "ذهبت يوما ما إلى أنبا آمون وطلبت منه قولاً لمنفعتي، فقال لي: 'عمل الخير وحده هو الذي ينجي من جهنم، فالخير يمنع ذهاب الإنسان إلى الهلاك. أُنظر إلى طابيثا، كيف أنّ فضيلتها أقامتها بعد الموت (أع٩: ٣٦-٤٢). وها هي امرأة عملت عملاً صالحًا مع إليشع النبي فأقام ابنها حيا من الموت (٢مل٤). أُنظر إلى الملك حزقيا كيف أنه بسبب بره وحسن أعماله منحه الرب ١٥ سنة إضافية على عمره (٢مل٢٠: ١-١١)'"[١٩].

قال روفينوس: "لما كان أبا آمون يعيش متوحدا في نتريا أحضروا له صبيا مصابا بداء الكَلِب وهو مربوطٌ بسلسلةٍ، لأنّ كلبا كان قد عقره فأصابه بالمرض، وكان ألمه غير محتمل حتى إنّ جسمه كله كان ينتفض ويتشنج. ولما رأى أبا آمون والدي الصبي وهما يتوسلان إليه قال: 'لماذا تزعجانني، يا عزيزي، وتطلبا مني أمرا يفوق استحقاقاتي في حين أنّ العلاج هو في أيديكما؟ أعيدا للأرملة ثورا بدلاً من الذي ذبحتماه خلسةً وحينئذٍ ستعود الصحة لابنكما'!

فلما رأى الوالدان أنّ خطيتهما قد كُشِفت للقديس نفّذا ما قاله لهما بسرورٍ، ولما صلّى الوالد شفي الولد في الحال"[٢٠].

وقال روفينوس أيضا: "في مرةٍ أخرى جاء بعض الناس لزيارة أنبا آمون، ولكي يختبر القديس ميولهم الداخلية قال لهم: 'أحضِروا لي خزان مياه لكي تكون عندي كمية وافرة من المياه لأجل احتياجات الزائرين'، فوعدوه بذلك، ولكنهم لما رجعوا إلى القرية غير أحدهم رأيه وقال للآخر: 'أنا لا أريد أن أقتل جملي، لأنني لو حملته بخزان الماء سيموت'. أما الآخر فلما سمع ذلك أسرج جحشيه وحملهما بخزان الماء، وبعد جهدٍ أوصله للقديس الذي بادره بقوله: 'ماذا حدث حتى أنّ جمل الأخ رفيقك قد نفِق أثناء مجيئك إلى هنا'؟ ولما رجع الرجل وجد أنّ الجمل قد افترسته الذئاب"[٢١]!

أراد أنبا آمون مرةً أن يعبر ـر "ليكوس"[٢٢]، وكان وقتئذٍ في فيضانه، فطلب من تلميذه ثيئودورس أن يبقى بعيدا لكي لا يرى أحدهما الآخر عاريا عند اجتياز الماء

---

(19) Eth. Coll., 14, 39. (20) Monach., XXII, 3, 4. (21) Ibid., 5, 6.

(٢٢) يقول "سوزومين" في تاريخه الكنسي (١: ١٤) إنه كان أحد فروع ـر النيل، وربما جاء اسمه من المنطقة التي كان فيها وهي "ليكوبوليس" (أسيوط الآن).

(٢٣) "حياة" رقم ٦٠.

عائمين، ولما انصرف ثيئودورس خجل آمون حتى من أن يرى نفسه عاريا، وبينما هو متفكر وهو ممتلئٌ بالخجل حمِل إلى الشاطئ الآخر بغتةً. أما ثيئودورس، فإذ كان رجلاً صالحًا، فقد اقترب ورأى أنّ أنبا آمون عبر أولاً دون أن تسقط منه نقطة ماء. فسأله كيف عبر، ولما رأى أنّ أنبا آمون لا يريد أن يخبره أمسك بقدميه وأعلن أنه لن يطلقه قبل أن يعرف منه الحقيقة. ولما رأى أنبا آمون تصميم ثيئودورس في إلحاحه طلب منه أن لا يخبر أحدا قبل موته، وأخبره بأنه قد حمِل إلى الشاطئ الآخر وأنه لم يضع حتى قدمه على الماء. فلم يخبر ثيئودورس أحدا بذلك إلاّ بعد انتقال أنبا آمون(٢٣).

قال روفينوس: "لقد صنع أبا آمون معجزات كثيرة أمام كثيرين. وفي مرةٍ أرسل أنبا أنطونيوس بعض الرهبـان إليه طالبا منه أن يحضر لأنّ أنبا أنطونيوس كان في البرية الداخلية. وأثناء رجوعهم وصلوا إلى أحد فروع نهر النيل، وهناك فجأةً رأى الإخوة أبا آمون قد انتقل إلى الضفة الأخرى، أما هم فقد عدوا النهر عائمين.

ولما وصلوا إلى أنبا أنطونيوس قال لأنبا آمون: 'لقد كشف لي الله أمورا كثيرة بخصوصك، وأعلن لي قرب رحيلك من هذه الحيـاة، لذلك فقد شعرت بدافعٍ أن أستدعيك لكي نتمتع برفقة بعضنا بعضا ويتشفّع كل منا من أجل الآخر'. ثم حدد له مكانا بعيدا يسكن فيه دون أن يبارحه حتى انتقاله من هذا العالم (لعل هذا المكان كان في أعماق برية نتريا). ولما انتقل رأى أنبا أنطونيوس نفسه ترفعها الملائكة إلى السماء"(٢٤).

كان أنبا أنطونيوس جالسا على الجبل، وتطلّع إلى فوق فرأى في الهواء شخصا محمولاً إلى أعلى، وكان هناك فرح عظيم بين الذين رافقوه. ولما تعجب صلّى لكي يعرف حقيقة الأمر، وللحال جاءه الصوت: "هذه هي نفس آمون راهب نتريا".

أما أنبا آمون هذا فكان قد لبث في النسك إلى سن الشيخوخة، وكانت المسافة من نتريا إلى الجبل الذي كان فيه القديس أنطونيوس نحو سفر ثلاثة عشر يوما. ولما رأى رفقاء أنبا أنطونيوس أنه منذهلٌ سألوه ليعرفوا السبب، فعلموا أنّ أنبا آمون قد رقد توا، وكان اسمه مشهورا لأنه طالما مكث هناك وجرت على يديه آيات كثيرة.

سجل الرهبان يوم وفاة أنبا آمون، ولما وصل إخوةٌ من نتريا بعد ذلك بثلاثين يوما سألوهم فعلموا أنّ القديس آمون رقد في اليوم والساعة التي رأى فيها الشيخ نفسه محمولةً إلى فوق(٢٥).

---

(٢٥) "حياة" رقم٦٠.   (٢٦)كان تلميذًا لأنبا آمون مؤسس رهبنة نتريا.   (24) Monach., XXII, 7 - 9.

قصص وأقوال
القديس أنبا أور تلميذ أنبا آمون

قال أنبا أور[٢٦]: "إنني أبصرت إنسانا في البرية خيلت له الشياطين طغمات من الملائكة ومركبات حافلة وملكًا في وسطهم. وقال له الشيطان: 'لقد أتقنت كل شيءٍ، إذًا فخر لي ساجدا وأنا أرفعك كما رفعت إيليا'. فقال الراهب في نفسه: 'إنني أسجد كل يومٍ لملكي المسيح، فلو كان هو هذا لما التمس مني السجود الآن'. ولما خطر عليه هذا الفكر قال له: 'ملكي أنا هو المسيح وأنا دائما أسجد له، وأما أنت فلست بملكي'. ولما قال هذا تلاشى ذلك الخيال في الحال" ... هذا ما قاله الأب أور كأنه عن غيره، أما الآباء الذين كانوا معه فقالوا: "إنه هو نفسه الذي حدث له ذلك"[٢٧].

قيل عن أنبا أور وأنبا ثيئودور (تادرس البرامي) إنهما بينما كانا يطليان قلايةً بالطين قال أحدهما للآخر: "إذا افتقدنا الرب في هذه الساعة ماذا نفعل"؟ فبكيا وتركا الطين ورجع كل منهما إلى قلايته[٢٨].

وقيل عنهما أيضا إنهما وضعا أساسا صالحًا وإنهما كانا يشكران الله في كل الأوقات[٢٩].

وقيل عن أنبا أور إنه لم يكذب قط ولم يحلف ولم يلعن ولم يضر أحدا ولم يكن يتكلم إلاّ للضرورة[٣٠].

قال أبا أور لتلميذه بولس (وكان دائما يوصيه بذلك): "اِحذر من أن تجعل أية كلمةٍ غريبةٍ ليس لها علاقة بنا أن تدخل إلى هذه القلاية"[٣١].

ذهب بولس تلميذ أنبا أور يوما ليشتري سعفًا، وأكّد أنّ آخرين ذهبوا قبله ودفعوا عربونا، ولكن أنبا أور كان لا يدفع عربونا لأي شيءٍ إطلاقًا، بل كان يدفع الثمن كاملاً في الوقت المناسب.

فذهب تلميذه ليبحث عن سعفٍ في أي مكانٍ آخر، فقال له أحد الفلاحين: "إنّ إنسانا أعطاني عربونا ولكنه لم يحضر فلماذا لا تأخذ هذا السعف"؟ فأخذه ورجع إلى الشيخ وأخبره بكل ذلك، فصفّق الشيخ بيديه وقال: "أور لن يعمل هذه السنة"، ولم

---

(٢٧) س ٤ ص ١١٥.
(28) Apoph., Or, 1 ; W. & W., I: 145; س ٤ ص ١٢٩
(29)Apoph., Or, 8.
(30) Ibid.,2 ; W. & W., I: 351; Laus., 9; س ٤ ص ١٢٩
(31) Apoph., Or, 3; W. & W., I: 353;س ٤ ص ١٢٩
(32) Ibid., 4 ; Ibid., I; 320; س ٤ ص ١٢٩
(33) Apoph., Or,14;An.,188.
(34) W.&W., I:420.

يسمح بدخول السعف إلى قلايته، ولكنه انتظر حتى أُعيد إلى صاحبه[٣٢].

قال أنبا أور: "إن كنت ـرب فاهرب من الناس، وإلاّ فإنّ العالم والناس الذين فيه يجعلونك تفعل أمورا كثيرة باطلة"[٣٣].

جاء أحد الإخوة إلى أّبا أور وقال له: "تعالَ معي إلى القرية واشترِ لي قليلاً من القمح الذي أحتاجه". فاضطرب الشيخ كثيرا لأنه لم يكن معتادا أن يذهب إلى القرية، ومع ذلك فخوفًا من أن يتعدى الوصية قام وذهب معه، ولما وصلوا إلى القرية رأى الشيخ إنسانا عابرا فدعاه وقال له: "اصنع خيرا وخذ هذا الأخ وسد حاجته". و ـذه الطريقة استطاع أن يهرب إلى الجبل[٣٤].

قال القديس أّبا أور: "إذا حدث بينك وبين أخ أمر محزنٌ وأنكر ما قاله عنك فلا تلاجه وإلاّ فمصيره أن يتوقح ويقول: نعم أنا قلت"[٣٥].

قال أّبا إشعياء: "إنّ أبا أور وأبا أثرة لم يكونا من أصلٍ واحدٍ، لكن كانت بينهما أُلفة عظيمة حتى نياحتهما، وكانت طاعة أبا أثرة عظيمة، وكان لأبا أور اتضاع شديد.

وقد أمضيت عندهم بضعة أيام وتابعتهم خطوة خطوة، وشاهدت الأعجوبة العظيمة التي حدثت على يدي أبا أثرة. فقد حدث أنّ أبا أثرة كان يريد أن يطبخ سمكة صغيرة للأب أور، فأخذ السكين ليقطع ـا السمكة وإذ بالأب أور يستدعيه: يا أثرة، يا أثرة! فترك أبا أثرة السكين وسط السمكة دون أن يكمل تقطيعها! فانذهلت أنا من هذه الطاعة إذ أنه لم يعترض قائلاً: اصبر حتى أقطع السمكة. فقلت لأبا أثرة: 'أين وجدت هذه الطاعة العظيمة'؟ فقال لي: 'إ ـا ليست من عندي ولكنها من الشيخ'. وتناول يدي قائلاً: 'تعالَ وانظر طاعته'!

وطبخ جزءًا من السمك وأفسده باختياره، ثم قدمه للشيخ الذي أكل منه ولم يتفوه بكلمة. فقال له: 'هل هو جيد أيها الأب'؟ فقال: 'جيد جدا'! وبعد ذلك قدم إليه جزءًا من السمك مطبوخا جيدا قائلاً: 'لقد تلف مني أيها الأب'. فأجابه أبا أور: 'نعم فقد أفسدته بعض الشيء'! فقال لي أبا أثرة: 'أرأيت طاعة الشيخ'؟ فخرجت من عندهما وحاولت جهدي أن أحفظ ما رأيته"[٣٦].

---

(٣٥) س ٤ ص ١٢٩، وهو نفس معنى القول: An. 1232 ميمر رقم ٣٠ لأنبا إشعياء; (36) Apoph., Pistos, 1;
(37) Apoph., Or, 6. (38) Ibid., 7; W. & W.,I: 526. (39)Apoph., Or, 9.

كان بالقرب من أنّبا أور قروي اسمه "لنجينوس" كان يعطي صدقات كثيرة. هذا سأل أحد الآباء الذي ذهب ليراه أن يأخذه إلى أنبا أور، فذهب الراهب إلى الشيخ ومدح الرجل القروي قائلاً إنه صالحٌ ويتصدق كثيرا، ففكّر الشيخ في ذلك ثم قال: "نعم إنه صالحٌ". ثم بدأ الراهب يتوسل إليه قائلاً: "دعه أيها الأب يأتي ليراك". ولكن الشيخ أجابه: "في الحقيقة إنه ليست له حاجة أن يعبر هذا الوادي لكي يراني"(٣٧).

طلب أنبا شيشوي من أنّبا أور قائلاً: "قل لي كلمة". فقال له: "هل تثق في"؟ فأجاب: "نعم". فقال له: "اذهب وما تراه في افعله أنت أيضا". فقال له أنبا شيشوي: "ماذا رأيتك تفعله يا أبي"؟ فقال الشيخ: "إنني في ذهني أضع نفسي تحت كل الناس"(٣٨).

قال أنبا أور: "إنّ تاج الراهب هو الاتضاع"(٣٩).

وقال أيضا: "إنّ من يكرم ويمدح أكثر مما يستحق سيلاقي دينونةً أعظم، ولكن الذي يعتبر نفسه غير محسوب بين الناس سينال مجدا في السماء"(٤٠).

وهو أيضا أعطى هذه المشورة: "عندما تريد أن تخضِع أفكارك العالية المتكبرة افحص ضميرك بعنايةٍ، هل حفظت كل الوصايا؟ هل أحببت أعداءك وكنت مترفقًا بهم في بلاياهم؟ هل اعتبرت نفسك عبدا بطّالاً وأردأ من كل الخطاة؟ وهل أكملت بالحق جميع متطلّبات الفضائل النسكية؟ فإذا وجدت أنك فعلت كل هذا فلا تفكر في نفسك كأنك صنعت كل شيءٍ حسنا، بل تأكّد أنه حتى التفكير في ذلك محطم للنفس تماما ويجعل جميع الفضائل بلا فائدة"(٤١).

وهذا ما كان يعلم به هذا القديس: "في كل التجارب لا تشك من أحدٍ آخر، بل قُل في نفسك إنّ هذه الأمور حدثت لي بسبب خطاياي"(٤٢).

قال أنّبا أور: "إذا رأيت أنني أفكر بطريقةٍ معاديةٍ لأي إنسانٍ فأعلم أنه يفكر في بنفس الطريقة"(٤٣).

وقال أيضا: "إذا تكلّمت بشر على أخيك وشعرت بندامةٍ فاذهب واركع أمامه وقُل: 'لقد تكلّمت عنك رديئًا، فكُن على يقين أنني لن أُذيع هذا الافتراء بعد ذلك'. لأنّ الانتقاص من سمعة الآخرين هو موت للنفس"(٤٤).

---

(40) Ibid.,10; W.& W., I: 516; Ch., 130. (41) Ibid., 11; Ibid., I: 506; II: 90; Ch., 135.
(42) Apoph., Or, 12. (43) Ibid., 5 ; Nau 592 /19. (44) Apoph., Or, 15 ; W. & W., I: 345.
(45) Apoph., Or, 13. (46) W. & W., I: 254.

وكان يقول أيضا: ”لا تتكلّم في قلبك على أخيك قائلاً: ’إنني أكثر رزانةً وحياةً صارمةً منه أو أبر منه‘، بل أخضِع نفسك لنعمة المسيح بروح المسكنة والاتضاع والمحبة الحقيقية، وإلاّ فسيغلبك روح ا ـد الباطل وتفقد ما اكتسبته، لأنه مكتوب في الإنجيل: «من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١كو١٠: ١٢)، فاجعل خلاصك مؤسسا على الرب“(٤٥).

قيل إنّ أبا أور الذي من القلالي سكن لمدة عشرين سنة في الكنيسة ولم يرفع عينيه إطلاقًا ليرى سقفها(٤٦).

ثانيا: قصص وأقوال
القديس البابا أثناسيوس الرسولي

١ - قال البابا أثناسيوس الرسولي: ”قد يقول أحد: أين زمان الاضطهاد الآن لكي أصير شهيدا؟ فأقول له: إن أردت أن تكون شهيدا فمت عن الخطية: «أمت أعضاءك التي على الأرض» (كو ٥:٣) فتصير شهيدا بنيتك. لقد كان الشهداء يقاتلون ملوكًا وولاةً جسديين، أما أنت فتقاتل الشيطان ملك الخطية، والشياطين هم ولاة الظلمة. كان أولئك ينصبون للشهداء مذابح لتقديم الضحايا لعبادة الأصنام ونجاسة الزنى، والآن إن أدركت ببصيرتك الروحانية فها هي مائدة للذبائح ومذبح وصنم روحي مرذول في النفس، وقد تدفعك كل هذه إلى السجود أمامها“.

”فالمائدة هي شره البطن، والمذبح هو شهوة الملذات، والصنم هو شهوة الزنى المرذولة. فالذي يستعبد للترف ويسلم نفسه للملذّات فقد جحد يسوع وسجد للصنم لأنّ له في ذاته صنم آلهة الجمال عند اليونان (أفروديت)، أي مسرة الشهوة الجسدية المخجلة. ومن كان مغلوبا من الغضب والغيظ ولم يقطع من نفسه جنون هذا الوجع فقد أنكر يسوع وله في نفسه إله الحرب (أريز) صنما، لأنه صار خاضعا للغضب الذي هو صنم الجنون. والذي غلبه حب الفضة والرفاهية وأغلق أحشاءه عن إخوته ولا يرحم قريبه فقد كفر بيسوع وعبد الأصنام لأنه أقام في نفسه صنم الإله "هرمس" وقد عبد الخليقة بدلاً من الخالق، «لأن محبة المال أصلٌ لكل الشرور» (١تي ٦: ١٠)“.

"إذن، فالذي يضبط نفسه ويتحفظ من هذه الأوجاع الطائشة ويطأ هذه الأصنام بقدميه ويجحد هذه الأباطيل يكون هو الشهيد الذي «يعترف الاعتراف الحسن» (١تي ٦:١٢و١٣)"[٤٧].

٢ - قال أنبا أثناسيوس: "من يعاتبك ويوبخك على زلاّتك أحبه مثل نفسك واتخذه لك صديقًا"[٤٨].

٣ - وقال أيضا: "من يشتم الذي يعلمه عن خلاصه فهو يشتم رجاء الله مخلصه"[٤٩].

٤ - وقال أيضا: "اهتم أن تعمل الخير كقدر طاقتك من أجل الله حتى مع مبغضيك والمسيئين إليك لكي تغلب الشر الذي فيهم نحوك"[٥٠].

٥ - من أقوال أنبا أثناسيوس: سؤال: "كيف أن الهراطقة كثيرا ما يصنعون آيات"؟
الجواب: "لا ينبغي أن نتعجب من ذلك لأنّ الرب قال: «كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم» (مت٧: ٢٢و٢٣). كما أنّ إيمان المتقدم هو الذي يسبب له الشفاء وليس سيرة صانع المعجزة لأنه مكتوب: «إن إيمانك قد خلصك» (لو٧: ٥٠)".

"إن قوما، ليسوا من الأرثوذكسيين فحسب بل أيضا من ذوي الاعتقادات الخاطئة، كثيرا ما تقشفوا وقدموا لله أتعابا فأخذوا أجرهم في هذا العالم بأن منحهم الله موهبة شفاء الأمراض، وذلك لكيما يسمعوا في ذلك العالم العتيد: «إنك استوفيت خيراتك في حياتك» (لو ١٦:٢٥)"[٥١].

٦ - للقديس أثناسيوس: سؤال: "لماذا ينازع قوم أبرار عند مو م لعدة أيام في حين أنّ قوما خطاة ينتهي أجلهم بسكونٍ وهدوء"؟

الجواب: "إن كنا نعرف جميع أحكام الله فنحن إذًا آلهة، ولكن جيد لنا ألاّ نبحث كثيرا عن مثل هذه الأحكام، لأنه قد يعاقَب بعض الأبرار في وقت تسليم الروح لكي نرى نحن ونمتلئ بالمخافة والعفة، وربما كان لهؤلاء القديسين زلة صغيرة كبشر، فينقيهم هذا العقاب وقت نزاعهم ليذهبوا أنقياء بلا عيب"[٥٢].

---

(47) N., 600; س ٤ ورقة ١١٣. (٤٨) س ٤ ورقة ١٣٤. (٤٩) المرجع السابق. (٥٠) س ٤ ورقة ١٣٥.
(٥١) س ٤ ورقة ١٣٤. (٥٢) س ٤ ورقة ١١٩. (53) N., 1.
(★) The Monastic Letters of St. Athanasius The Great, L. W. Barnard.

٧ - سئِل أبينا القديس أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندرية: "كيف أنّ الابن (ابن الله) مساو للآب"؟ فأجاب: "مثل البصر في كلا العينين"[٥٣].

رسالة القديس أثناسيوس
إلى
القديس آمون وأولاده الرهبان[*]

١ - كل شيءٍ خلقه الله حسن وطاهر، لأنّ كلمة الله لم يخلق شيئًا عـديم الفائـدة أو نجسا. لأنه بحسب الرسول (بولس): «نحن رائحة المسيح الذكيـة في الـذين يخلصـون» (٢كو٢: ١٥)، ولكن سهام الشيطان متغيرة وخبيثة، وهو مستعد دائمـا أن يـزعج ذوي العقول البسيطة، ويعوق النسك العادي للإخوة، إذ ينثر بينهم أفكار النجاسـة والـدنس. فتعالوا إذن، لنمح بكلماتٍ قليلةٍ خطأ الشرير بنعمة مخلّصنا، ولنجعل أفكـار البسـطاء في راحةٍ، لأنّ: «كل شيء طاهر للطاهرين» (تي١: ١٥)، ولكن ضمير النجسين وكـل مـا يختص م فاسد.

إني أعجب من احتيال الشيطان، لأنه وإن كان هو الفساد والأذى بعينه، فهو يقترح أفكارا تبدو طاهرة، ولكن النتيجة تكون فخا أكثر منه تجربة. فكما قلت سابقًا، لكي يشتت النساك عن جو تأملا م النافعة، ويظهر أنه قد تغلب عليهم، فإنه يثير أفكارا مشتتة من النوع غير النافع في الحياة، وبعض مسائل باطلة وثرثرة ينبغي أن تطرح خارجا.

٢ - قُل لي، أيها الصديق المحبوب والمبجل، أية خطيةٍ أو نجاسةٍ توجد في أي إفراز طبيعي (من جسم الإنسان)، وكأنّ إفرازات الأنف أو اللعاب من الفم أمور تستحق اللوم؟! ويمكن أن نضيف أيضا إفرازات البطن التي هي ضرورة طبيعية في حياة أي كائن حي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن كنا نعتقد حسب الكتاب المقدس أن الإنسان هو من عمل يدي الله، فكيف يخرج أي دنسٍ من قدرةٍ إلهية طاهرة؟ وإن كنا نحن ذرية الله، حسب قول سفر أعمال الرسل (أع١٧: ٢٩)؛ فليس فينا شيءٌ نجس. لأننا نصير نجسين فقط حينما نرتكب خطيةً حمقاء. ولكن حين تخرج إفرازات جسدية - بدون تدخل من الإرادة - حينئذٍ نعتبرها، مثل سائر الأشياء، ضرورات طبيعية.

ولكن حيث إن الذين رغبتهم الوحيدة هي مناقضة كل ما هو مقرر عن يقين، أو

بالحري ما خلقه الله، حيث إ م يفسدون قول الإنجيل: «ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان، بل ما يخرج من الفم» (مت١٥: ١١)؛ لذلك فنحن مضطرون أن نوضح أنّ هذا غير معقول لأنه ليس قابلاً للبحث. إ م قبل كل شيء، إذ ينقصهم الرسوخ والثبات، يفسرون الكتاب المقدس حسب جهلهم.

٣ - أما معنى الكلمة الإلهية فهو هذا: كان بعض الناس، مثل الذين في أيامنا هذه، يتشككون بخصوص أكل اللحم. والرب نفسه، لكي يبدد جهلهم، أو ربما لكي يكشف خداعهم، أعلن أنه ليس ما يدخل الإنسان ينجسه، بل ما يخرج منه. ثم أضاف مبينا الموضع الذي يخرج منه وهو القلب، لأنّ فيه - كما يعلم هو - توجد الكنوز الشريرة من الأفكار النجسة والخطايا الأخرى. ولكن الرسول (بولس) يعلم نفس الشيء بإيجاز قائلاً: «ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله» (١كو٨: ٨). بل ويمكن القول بالصواب إنه لن يؤدي أي إفراز طبيعي في كياننا أمام الله إلى أي عقابٍ لنا.

ولكن لكي نفحِم مثل هؤلاء الناس بواسطة الغرباء، فإنّ الأطباء يوافقون معنا بخصوص هذه المسألة: أنّ هناك مسالك ضرورية موجودة في الكائن الحي تهيئ له أن يخرج الإفرازات الزائدة عن الحاجة من أجزاء الجسم المختلفة، فمثلاً العرق الفائض من الرأس والشعر، وما ينظف البطن (أي البراز)، كل هذا مثل الفائض الذي يخرج من مجرى السائل المنوي.

والآن، أيها الشيخ المحبوب جدا من الله، أية خطيةٍ إذن توجد أمام الله إن كان السيد الذي خلق الجسد شاء أن يخلق هذه الأعضاء ولها مثل هذه المسالك؟ ولكن حيث إنه ينبغي أن نصارع مع اعتراضات الأشرار الذين ربما يقولون: ’إن كان الخالق قد شكل الأعضاء ذه الطريقة فلا توجد خطية في استعمالها الطبيعي‘. فلندحض حجتهم بإلقاء هذا السؤال: ”ماذا تقصدون بكلمة "استعمال"؟ هل هو الاستعمال المشروع الذي سمح به الله حين قال: «انموا واكثروا واملأوا الأرض» (تك١: ٢٨)، والذي يوافق عليه الرسول حين يقول: «ليكن الزواج مكرما عند كل واحدٍ والمضجع غير نجسٍ» (عب١٣: ٤)؟ أم أنه هو الاستعمال الشائع الذي يمارس خلسةً بطريقةٍ فاسدةٍ؟ لأننا نجد أنّ نواحي أخرى من الحياة تختلف حسب الظروف؟ فمثلاً، ليس من الصواب أن تقتل، ولكن في الحرب تكون إبادة العدو مشروعة وممدوحة. حقًا إنّ الذين يتميزون في ذلك يعتبرون مستحقين ليس لكرامةٍ عظيمةٍ فحسب، بل إنّ نصبا تذكاريةً تقام للإعلان عن مهار م“.

وهكذا فإنّ نفس العمل يكون في نفس الوقت وفي ظروفٍ واحدةٍ غير مشروع في حين أنه في وقتٍ آخر وظروفٍ أخرى يكون مشروعا ومسموحا به. وينطبق نفس المنطق على العلاقات الجنسية. فمغبوطٌ هو الذي ينجب أولادا بحرية إرادته وبحسب الطبيعة في شبابه. ولكنه إذا استعمل الطبيعة بطريقةٍ فاسدةٍ، فإنّ العقوبة التي كتب عنها الرسول ستحلّ على العاهرين والزناة.

٤ - هناك طريقتان للحياة في هذه الأمور: الأول هو الزواج، وهو طريق العالم المعتاد والأكثر اعتدالاً، والآخر هو البتولية، وهو طريق ملائكي وأكثر كمالاً. فإن اختار إنسانٌ طريق العالم المعتاد، أي الزواج، فإنه يكون حقًا بلا لوم، ولكنه لن ينال مثل تلك النعم التي للطريق الآخر؛ وكما أنه أيضا يعطي ثمرا فسيأخذ ثلاثين ضعفًا (مر٤: ٢٠)، أما من يعتنق الطريق المقدس غير الأرضي فتبقى له النعم الأكثر سموا رغم أن تحقيقه صعب ومضنٍ بالمقارنة بالطريق الآخر، لأنه يعطي الثمر الأكثر كمالاً، أي مائة ضعف. وهكذا فإنّ هذه الاعتراضات النجسة الشريرة قد نالت الرد اللائق عليها منذ زمن بعيد في الأسفار المقدسة.

والآن، أيها الأب، شدد رعاياك الخاضعين لك، ناصحا إياهم من الكتابات الرسولية، ومرشدا لهم من الكتابات الإنجيلية، معلما إياهم من المزامير قائلاً: «أحيني حسب كلمتك» (مز١١٩: ١٠٧)، ولكن قوله: «حسب كلمتك» تعني أننا ينبغي أن نخدمه بقلبٍ طاهر. فالنبي - إذ علم بذلك - يقول كأنه يعبر عن لسان حاله: «قلبا نقيا اخلق في يا الله» (مز٥١: ١٠)، لئلاّ تجربني الأفكار النجسة. ويقول داود النبي مرةً أخرى: «وبروح رئاسي عضدني» (مز٥١: ١٢)، لكي حتى لو أزعجتني الأفكار، فإنّ قوةً معينةً من لدنك أعظم منها تعضدني وتؤازرني. وهكذا عندما تعطيهم هذه النصائح وأمثالها، فقُل للمتباطئين في الطاعة للحق: «أعلم الأثمة طرقك»، وإذ تثق بالرب أ م سيقلعون عن مثل هذا الإثم رنم قائلاً: «والخطاة إليك يرجعون» (مز٥١: ١٣). واجتهد أن يكف الذين يثيرون الأسئلة الرديئة عن مثل هذه الأعمال الباطلة، كما أنّ الذين يتشكّكون في أذها م البسيطة يتشددون بروحك الرئاسي، بينما يعرف الكثيرون منكم الحق بكل يقين، ويتمسكون به غير منقوصٍ في المسيح يسوع إلهنا، الذي له مع الآب ا د والقوة مع الروح القدس إلى أبد الأبد، آمين.

❁❖★❖❁

ثالثًا: قصص وأقوال
القديس هيلاريون الغزاوي (❖)

قال جيروم:

[إذا كان أنبا بولا أول السواح هو أول مسيحي في العالم كله اقتحم البرية الداخلية، فالقديس هيلاريون كان أول من اقتحم البرية الداخلية في بلاد الشام].

١ - قيل إنّ الأب هيلاريون ذهب إلى القديس أنطونيوس وكان عمره حوالي ١٥ سنة، ولمدة شهرين فقط تأمل طريقة حياته وسلوكه الوقور واجتهاده في الصلاة، واتضاعه في تعامله مع تلاميذه، وشدته في الانتهار، ونصائحه.

٢ - في **هذه السن المبكرة** - حوالي ١٥ سنة - دخل هيلاريون القفر شمال "ماجوما" - ميناء مدينة غزة بفلسطين - على امتداد الساحل الواصل إلى مصر. لقد دخل مجردا عاريا ولكن مسلحا بأسلحة المسيح، ورغم أنّ الموضع كان مليئًا باللصوص، وأن أقرباءه وأصدقاءه حذروه من الخطر الذي كان يعرض نفسه له، فقد ازدرى بالموت الجسدي حتى يتفادى الموت الأبدي.

لقد كانت شجاعته وشبابه الغض موضع دهشة الكل، إذ إنّ قلبه كان ملتهبا وعيناه تلمعان ببريق الإيمان.

٣ - وقيل إنّ جسده كان نحيلاً رقيقًا غير ملائم لتحمل البرد والحر في البرية، ولكنه وجد مسرته في هذا القفر البعيد المرعب الذي كان يقع بين البحر الأبيض المتوسط وإحدى المستنقعات.

خرج بدون أي غطاء لجسده إلا قميصا من الخيش وعباءة من الجلد أهداها له الطوباوي أنطونيوس، وبطانية من أردأ الأنواع. أما طعامه فكان لا يزيد عن ١٥ تينة جافة بعد الغروب.

ذا كله ظهر الشيطان مقهورا ومسحوقًا تحت أقدام غلام لم يعرف الخطية بعد، لذلك أثار حواسه وأشعل نار الشهوة في جسده الحديث البلوغ، وصوب سهام الميول النجسة نحو قلب القديس الشاب، فكان يغضب مع نفسه ويقرع صدره ليطرد عنه الأفكار قائلاً: "يا حمار! أنا سأبطل رفسك، ولن أطعمك شعيرا بل تبنا، سأضعفك بالجوع والعطش،

(❖) اسم يوناني Ἱλαρειον ومعناه: "مبتهج" أو "متهلل"، وهو نفس معنى اسم القديسة إيلارية Ἱλαρεία. والمرجع الرئيسي لأقواله هو سيرته التي كتبها الأب جيروم: N.& P. N.F., 2nd series, Vol. VI.

سأرهقك بأحمالٍ ثقيلة في الحر والبرد حتى تشغل فكرك بالطعام أكثر من الشهوة“.

٤ - **وقيل** إنه كان يهرب من أفكار الشهوة بالصلاة والترتيل المستمرين، كما أنه كان يعزق الأرض حتى يخمد شهوات جسده، وفي نفس الوقت كان يضفر سلالاً بالأسل[٥٤]، وبذلك قلد عمل الرهبان المصريين وطبق وصية الرسول: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا» (٢تس ٣:١٠). وبذلك صار جسده ضعيفًا لدرجة أنّ عظامه كانت بالكاد متماسكة مع بعضها.

٥ - **وقيل** إن عدو الخير حاربه بلا رحمة. ففي إحدى الليالي بدأ يسمع نحيب أطفال وثُغاء خراف وخوار ثيران[٥٥] وعويل نساء وزئير أسود وضجة جيش وطنين صرخات مختلفة، فارتعب من هذه الأصوات قبل أن يرى شيئًا. ففهم أ ا أرواح شريرة، فركع ورشم إشارة الصليب على جبهته فاطمأن، ولكنه تطلع لرؤيتها فرأى في ضوء القمر مركبةً بفرسان مندفعةً فوقه، فدعا باسم يسوع فانفتحت الأرض فجأةً أمام عينيه وابتلعت المنظر كله. فقال هيلاريون: «الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (خر ١٥:١)، وأيضا: «هؤلاء بمركباتٍ وهؤلاء بخيلٍ ونحن باسم الرب إلهنا نغلب» (مز ٢٠:٧).

٦ - **رأى أنبا هيلاريون** أن أنبا أنطونيوس لم يكن يكسر نظامه في التقشف أو ينحرف عن بساطة طعامه بسبب أي ضعفٍ جسدي. ولما رأى أن كثيرين يزورونه ليعينهم في ضيقا م أو على هجمات الأرواح الشريرة، لم يستطع أن يحتمل ذلك، وشعر أن احتمال القديس لهذا الجمهور هو فوق الطاقة وبنعمةٍ خاصةٍ له من الله. لذلك رأى أنبا هيلاريون أن يبدأ كما بدأ أنطونيوس قائلاً: ”إنّ القديس أنطونيوس يجني الآن ثمرة نصرته مثل بطلٍ برهن على شجاعته، في حين أنني لم أصر جنديا بعد“.

٧ - **وقيل** إنه لمّا توفي والداه أعطى جزءًا من ممتلكاته لإخوته والباقي للفقراء، ولم يحتفظ بأي شيءٍ لنفسه حيث إنه تذكر المكتوب في سفر الأعمال، وفزع من مثال وعقوبة حنانيا وسفيرة، وكان واعيا لكلمات الرب: «من منكم لا يترك كل ما له فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا» (لو ١٤:٣٣).

٨ - **وقيل** إنه كم مرة عندما يرقد تظهر له نساءٌ عرايا! وكم مرة عندما يكون جوعانا تظهر أمامه ولائم شهية! وأحيانا بينما يصلي كان يطلع عليه ذئب يعوي مارا به

---

(٥٤) نبات تستعمل أوراقه الأسطوانية في صنع مقاعد الكراسي والسلال وغيرها.
(٥٥) صوت الخروف يسمى "ثغاء"، وصوت الثور يسمى "خوار".

أو ثعلب يصرخ، وعندما يرتل كان يظهر أمامه عرض للمصارعة.

سجد مرةً برأسه إلى الأرض، ولما تشتت ذهنه قليلاً إذ بأحد المزعجين ركب على ظهره وكأنه حمار، وهو يضربه حول رقبته بسوطٍ وصرخ: "تعالَ، لماذا أنت نائم"؟ ثم بضحكةٍ عاليةٍ سأله إن كان متعبا ويحب بعضا من الشعير!

٩ - وقيل عنه: إنه كان يسكن في كوخٍ صغير بناه لنفسه من القصب والبردي، وكان يحلق رأسه مرةً في السنة في عيد الفصح، وحتى يوم انتقاله كان يرقد على الأرض العارية أو على فراش من الأسل. كما أنه كان يلبس مسوحا من الخيش، أما قميصه فلم يكن يغيره إلا إذا صار قطعا من الخِرق تقريبا. وقد حفظ الكتب المقدسة عن ظهر قلب، وبعد الصلاة والترتيل كان يتلو الكثير منها وهو شاعر أنه في حضرة الله.

١٠ - كما قيل عن تقشفه إنه كان أحيانا يكتفي بحوالي ١٦/١ من الجالون من العدس المبلول في اليوم، وأحيانا أخرى يستعمل خبزا جافًا مع ملح وماء، أو يكتفي بأعشابٍ بريةٍ مع جذور نيئة لبعض الشجيرات، ولمّا بدأ جسمه يذبل ابتدأ يأكل ستة أوقيات من الخبز الشعير مع خضروات مسلوقة، وقد اتبع هذا النظام المعتدل حتى بلغ ٦٣ سنة من عمره دون أن يذوق فاكهةً أو بقولاً أو أي شيءٍ آخر.

وحتى بعد هذه السن المتأخرة ظلّت روحه ملتهبةً حتى إنه لم يترك جسده للارتخاء، بل كان يبدو كأنه لا يزال مبتدئًا في الخدمة الرهبانية للرب، ولم يكن يكسر صومه قط قبل الغروب ولا حتى في الأعياد أو في الأمراض الشديدة.

١١ - وقيل إنه عندما كان عمره ١٨ سنة جاءه في كوخه لصوص ظنوا أن عنده شيئًا، وقبل أن يصلوا إليه بحثوا عنه في كل مكانٍ بين البحر والمستنقع من المساء حتى طلوع الفجر ولم يعثروا عليه إلا عند الفجر، فسألوه شبه مازحين: "ماذا تفعل إذا جاء إليك لصوص"؟ فأجا م: "الذي لا يملك شيئًا لا يخاف من اللصوص". فقالوا: "لكنك على أي الأحوال ربما تقتل"! فقال: "ربما، ولكن لأنني مستعد أن أموت فأنا لا أخاف اللصوص". فتعجبوا من ثباته وإيمانه واعترفوا كيف أ م جالوا هناك طوال الليل وكيف أن عيو م عميت عنه، ثم وعدوه أن يعيشوا بعد ذلك حياةً أفضل!

وبعد ٢٢ سنة في البرية شاع ذكره في كل مدن فلسطين. وأول من تجاسر واقتحم خلوته كانت امرأة من مدينة "إليوثيروبوليس" عندما شعرت أن زوجها قد كرهها لأ ا

كانت عاقرا لمدة ١٥ سنة. فقد فوجئ هو بمجيئها، ولكنها ألقت نفسها تحت قدميه قائلةً: "اغفر لي جسارتي، واشفق علي في ضيقي. لماذا تشيح بوجهك عني؟ لماذا تنأى عن توسلاتي؟ لا تذكر أنني امرأة بل اعتبرني موضوعا للرحمة. لا تنس أنّ جنسي هو الذي ولد المخلص، وأنه لا يحتاج الأصحاء إلى طبيبٍ بل المرضى (لو ٥:٣١)"!

وبعد مدةٍ طويلةٍ سألها عن موضوعها ودموعها، ولمّا علم السبب رفع عينيه إلى السماء وتنهد، ثم نصحها أن تتمسك بالإيمان، ولمّا رحلت بكى من أجلها. وبعد عامٍ واحدٍ رآها مع ولديها!

١٢ - وقيل: إن "أريستانيتي" زوجة "إلبيديوس" الوالي الروماني، عند عود ا من زيارة القديس أنطونيوس في مصر، تأخرت في غزة بسبب مرض أولادها الثلاثة، لأ م أصيبوا جميعا أثناء سفرهم بمرضٍ واحدٍ يسمى semi-tertian ague، وهو شبه ملاريا ثلثية (أي تظهر أو تشتد كل ٤٨ ساعة)، وقد يئس الأطباء من شفائهم، وظلت أمهم تنتحب. ثم سمعت بوجود راهب في البرية ا اورة، فنسيت شرف مكانتها ودفعتها أمومتها أن تسرع إليه راكبةً على جحشٍ ومعها وصيفا ا. وقالت للقديس: "أتضرع إليك بالمسيح إلهنا، أتوسل إليك بصليبه ودمه أن تنقذ لي أولادي الثلاثة حتى يتمجد اسم ربنا ومخلصنا بين الوثنيين".

رفض القديس أولاً وقال إنه لم يترك قلايته قط، ولم يعتد أن يدخل بيتا ولا حتى المدينة. ولكن المرأة ألقت بنفسها على الأرض وصرخت عدة مرات: "يا خادم الله هيلاريون أرجع لي أولادي، لقد حفظهم القديس أنطونيوس في مصر سالمين، فأنقذهم أنت هنا في الشام". بكى كل الحاضرين، والقديس نفسه بكى بعدما رفض طلبها. ولم تتركه المرأة حتى وعد أنه سيدخل مدينة غزة بعد الغروب.

ولما وصل رشم علامة الصليب على السرير وعلى الأولاد المرضى ودعا باسم يسوع الاسم ذي الفعالية العجيبة، فامتلأت أجسامهم عرقًا في وقتٍ واحدٍ، ثم لما تعافوا تعرفوا على أمهم، وقبل الجميع يد القديس بحرارة.

١٣ - وقيل إنّ هذه المعجزات جعلته مشهورا، فتجمع الناس إليه من الشام ومصر حتى آمن الكثيرون بالمسيح وترهب عنده الكثيرون، لأنه قبل القديس هيلاريون لم تكن توجد أديرة في فلسطين ولا عرف الناس راهبا في الشام. وكما يقول جيروم: "إنه كما

كان للرب يسوع في مصر الشيخ أنطونيوس، كان له في فلسطين الشاب هيلاريون"[٥٦].

١٤ - وقيل إنه شفى كثيرين بالموهبة التي أعطاها له الرب، ولا يمكننا أن نقص جميع معجزاته. لقد رفعه الرب إلى درجةٍ من المجد حتى إن الطوباوي أنطونيوس لما سمع عن سيرته تبادل معه الرسائل بسرور. وكان أنبا أنطونيوس إذا جاء إليه مرضى من الشام كان يقول لهم: "لماذا أرهقتم أنفسكم بالمجيء هذه المسافة الطويلة في حين أن عندكم هناك ابني هيلاريون"؟!

١٥ - وقيل إنه لم يكن يقبل أجرا عن معجزاته حتى إنه لما أخرج الشياطين من الثري "أوريون" وأحضر إليه هدايا كثيرة، قال له القديس: "ألم تقرأ عن ما حدث لجيحزي (خادم إليشع النبي) وسيمون الساحر؟ لقد أخذ الأول هديةً والثاني قدم هديةً، الأول لكي يبيع النعمة والثاني لكي يشتريها"!

فقال "أوريون" بدموعٍ: "خذها يا أبي وأعطها للفقراء". فأجابه: "يمكنك أنت أن توزعها لأنك تطأ شوارع المدن وتعرف الفقراء، لماذا أبحث أنا - الذي تركت مالي - عما لإنسانٍ آخر؟ إن كلمة "فقير" بالنسبة لكثيرين هي ذريعة لبخلهم، ولكن الرحمة لا تعرف الحيل، إنّ ذاك الذي يتدبر حسنا هو الذي - لأجل المسيح - لا يحتفظ لنفسه بشيء".

ولما حزن الرجل قال له: "لا تحزن يا ابني، إنّ هذا الذي أفعله لخيري أفعله لخيرك أنت أيضا، لأنني لو أخذت هذه الهدايا لأذنبت إلى الله، وأنت أيضا سترجع إليك الشياطين التي خرجت منك"!

١٦ - وقيل إنّ كثيرين اقتدوا بمثال القديس، لذلك أنشأوا أديرةً كثيرةً في فلسطين كانت كلها تخضع لتوجيهاته، فمجد القديس الرب لأجل نعمته، وكان يوجه كلا منهم لأجل خلاصه موضحا لهم أن هيئة هذا العالم تزول، وأنّ الحياة الحقيقية هي التي تقتنى باحتمال الآلام في الزمان الحاضر. وكان يزور كل واحدٍ في قلايته مرةً في السنة، ومرةً ذهب إلى برية "قادش" ليزور أحد تلاميذه لأنه كان مهتما بألا يتجاوز أخا واحدا مهما كان حقيرا أو فقيرا.

١٧ - قيل إن أنبا هيلاريون ذهب مرة بصحبة رهبان كثيرين من تلاميذه إلى مدينة

---

(٥٦) يقصد اعتبارهما أول آباء الرهبنة في العالم، وذلك قبل أن يعرف العالم القديس أنبا بولا أول السواح.

"إلوسا"، وكان أهلها كلهم قد اجتمعوا في هيكل آلهتهم "فينوس"، وكانت هذه المدينة قريبة من بلاد العرب الذين شفى القديس كثيرين منهم من الأرواح الشريرة، فلما سمعوا أنه عابر من هناك ذهب جمهور منهم لمقابلته مع عائلا م وهم يحنون رؤوسهم ويصرخون بلهجةٍ سريانيةٍ: "باركنا"، فاستقبلهم بلطفٍ واتضاعٍ، وتوسل إليهم أن يعبدوا الله بدلاً من الحجارة، وفي نفس الوقت كان يرفع نظره إلى السماء باكيا بغزارةٍ، ووعدهم بأ م إذا آمنوا بالمسيح فسيزورهم كثيرا. وبنعمة الله المذهلة لم يدعوه يرحل إلا بعد أن وضع لهم رسما لكنيسةٍ في مدينتهم، وحتى كاهنهم بتاجه الذي على رأسه رسم بعلامة صليب المسيح!

١٨ - وقيل إنّ القديس هيلاريون قد تمكن بالنعمة من أن يخبر أي واحدٍ من رائحة الأجسام والملابس والأشياء التي يلمسها عن ما هو مبتلى به من شيطان أو رذيلة.

١٩ - وقيل إنّ أنبا هيلاريون في الثالثة والستين من عمره كان يرأس ديرا كبيرا، وقد امتلأت البرية في ذلك المكان بالعلمانيين الذين يحضرون معهم مرضاهم كل يوم. ولما رأى القديس ذلك كان يبكي يوميا وهو يستعيد إلى ذاكرته هدوء حياته الأولى. ولما سأله أحد الإخوة عن اكتئابه أجاب: "ها أنا قد رجعت مرةً أخرى إلى العالم وقد نلت أجري في حياتي، إنّ شعب فلسطين والمقاطعات ا اورة يظنون أنني ذو أهميةٍ، في حين أنّ حياتي تافهة". لذلك كان الإخوة يراقبونه، ولا سيما "هيزيخيوس" تلميذه الخاص، لئلا يهرب من هناك.

٢٠ - أرادت مرّةً السيدة "أريستانيتي" - التي ذكرناها سابقًا - أن تزور أنبا أنطونيوس، فمرت على أنبا هيلاريون، فقال لها: "كنت أحب أنا نفسي أن أذهب أيضا، ولكنه قد مر الآن يومان منذ أن حرمت البشرية من هذا القديس الذي كان بالحق أبا للجميع"! فصدقت المرأة كلامه ولم تذهب، وبعد أيامٍ قليلةٍ جاءت الأخبار بأن أنبا أنطونيوس قد رقد!

٢١ - قال جيروم: "قد يتعجب البعض من المعجزات التي صنعها القديس هيلاريون أو صومه الذي لا يصدق أو معرفته واتضاعه. مثل هذه لا تدهشني كقدرته على أن يسحق تحت قدميه ا د والكرامة. فقد كان يتجمع حوله جماهير من الإكليروس وبينهم أساقفة ورهبان، وأمهات كثيرات وحتى القضاة وذوو المناصب الرفيعة لكي يأخذوا الخبز والزيت الذي يباركه، ومع هذا فلم يكن يشغل فكره إلا الوحدة حتى عزم على الرحيل".

"سمع الناس فجاء آلاف منهم ليمنعوا رحيله، ولكنه كان يضرب الرمل بعصاته قائلاً:

’لن أجعل من ربي مخادعا، لا أستطيع أن أرى بعيني كنائس تخرب ومذابح المسيح تداس ودم أولادي يسـفَك‘! فلم يفهم الناس، ولكنه يبدو أنه كان يتكلم عن اضطهاد الأريوسيين للأرثوذكسيين، وأنه يريد أن يعتكف ليصلي أكثر بسبب ذلك“.

”امتنع القديس عن الأكل والشرب حتى تركوه يرحل، فجاء إلى مصر حيث علم أنّ تذكار مرور سنة على نياحة الطوباوي أنطونيوس قد اقترب، فذهب مع القافلة إلى جبل القديس أنطونيوس وسكن في البرية المجاورة، وعاش في تقشفٍ كثير وسكونٍ حتى شعر أنه ابتدأ يخدم المسيح بعد حرمانه من ذلك لمدةٍ طويلةٍ بسبب كثرة زائريه“.

”ثم حدث جفاف في مصر ومجاعة، وسمع الناس بوجود القديس هيلاريون، فذهبوا يتوسلون إليه - باعتباره خليفة أنبا أنطونيوس - أن يصلي من أجل ضيقتهم، فظل يصلي حتى استجاب الرب له. ثم لما وجد أنهم بدأوا يعطون له كرامةً كبيرةً هرب من هناك إلى جزيرة صقلية، حيث كان هو وأحد تلاميذه المدعو "جازانوس" يجمعان الحطب ويبيعانه ليحصلا على قوتهما“.

٢٢ - وقيل عن أنبا هيلاريون إنه قد تم فيه المكتوب: «لا يمكن أن تخفى مدينة كائنة على جبل» (مت ١٤:٥)، لأنه حتى وهو في تلك الجزيرة صار معروفًا في روما، إذ إنّ جنديا هناك كان فيه روح شرير صرخ فيه قائلاً: ”منذ أيامٍ قليلةٍ دخل خادم المسيح هيلاريون جزيرة صقلية ولم يعرفه أحد، وهو يظن أنه مختفي، ولكنني سأذهب وأخونه“. ثم اقتاد الروح الشرير الجندي، فركب سفينةً حتى وصل إلى قلاية الشيخ، وهناك ألقى بنفسه أمامه وشفي في الحال. وبذلك صار معروفًا، فذهب إليه المرضى بأعدادٍ لا تحصى، وقد حاول بعضهم أن يعطوه هدايا فأجابهم: «مجانا أخذتم، مجانا أعطوا» (مت ٨:١٠).

٢٣ - ذهب هيزيخيوس تلميذه المخلص من غزة ليبحث عنه في كل مكان في العالم، ولما وجده خر عند قدميه بدموعٍ، ثم أحضره إلى مدينة "أبيدوراس" في دلماطية، وكان أهلها يعبدون الإله "إسكولابيوس"، وهناك أيضا اضطر أن يصنع معجزتين عظيمتين تحننا منه على الناس، فقد أهلك ثعبانا هائلاً كان يؤذي الناس والبهائم. والمعجزة الثانية هي أنه أوقف هياج أمواج البحر التي كانت على وشك أن تدمر المدينة؛ ولما اشتهر القديس هناك بسبب ذلك هرب سـرا بالليل إلى جزيرة قبرص، حيث سكن بجوار مدينة "بافوس"(المذكورة في سفر الأعمال ١٣: ٦)، وهناك سر لأنه وجد مكانا للوحدة

والخلوة.

وبعد أيامٍ قليلة بدأ يأتي إليه الذين فيهم أرواح نجسة، فاضطر أن يخرجها منهم بقوة المسيح، ولكنه حزن لأ م لن يسمحوا له أن يكون في هدوءٍ. ثم بحث كثيرا حتى وجد مكانا نائيا في نفس الجزيرة يبعد ١٢ ميلاً من البحر ويقع بين تجاويف الجبال الوعرة التي لا يمكن الصعود عليها إلا بصعوبة.

ورغم أن هذا المكان كان كالجنة المليئة بالأشجار والفواكه وينابيع المياه، إلا أنّ صدى أصوات شياطين بلا عدد كان يسمع هناك ليلاً و ارا من حطام معبدٍ وثني قديم. كل هذه العوائق منعت معظم الناس من الذهاب إليه، وهناك عاش مبتهجا لمدة خمس سنوات في أيامه الأخيرة.

وحدث يوما أنه رأى إنسانا مشلولاً راقدا على الأرض، فأشفق عليه وأقامه باسم المسيح. ولما انتشر خبر ذلك بدأ كثيرون يأتون إليه، ومن أجل احتياجا م الملحة تغلبوا على صعوبة الذهاب إليه ومخاطر ذلك المكان، ولكن حياة القديس كانت قد قاربت على النهاية.

٢٤ - بلغ عمر القديس هيلاريون ثمانين عاما وشعر بقرب انتقاله، فترك رسالةً قصيرةً لتلميذه هيزيخيوس - الذي لم يكن موجودا - موصيا له بكل ثروته التي هي نسخة من الأناجيل الأربعة وجلبابه الخيش وقلنسوة وعباءة، ولما سمع الناس بقرب انطلاقه إلى الرب جاء أتقياء كثيرون منهم، فتوسل إليهم أن يدفنوه بعد موته في الحال في نفس الحديقة وبنفس حاله كما هو بجلبابه المصنوع من شعر الماعز.

ولما حان وقت انطلاقه كان يكرر قائلاً: "اخرجي، لماذا تخافين؟ اخرجي يا نفسي لماذا تترددين؟ لقد خدمتِ المسيح ما يقرب من سبعين عاما وتخافين الموت"؟ وهكذا لفظ نفسه الأخير، وظلت تفوح من جسده روائح عطرية حلوة لمدة طويلة[٥٧].

بركة صلواته تكون معنا آمين.

(٥٧) أخذه تلميذه هيزيخيوس إلى "ماجوما" في فلسطين حيث بدأت رهبنته ودفنوه هناك باحتفالٍ عظيم، وظلّت المعجزات تجرى بكثرة بشفاعته في فلسطين وقبرص لمدة طويلة. ويذكر "شينو Cheneau" في كتابه أن جسد القديس محفوظ بحالةٍ جيدةٍ ضمن كنوز كنيسة "دورافيل" الشهيرة بفرنسا مع جسدي القديسين بيمين وأغاثون، وفي الاحتفال الذي يتم مرة كل خمس سنوات تذهب أفواج لا تحصى من الحجاج حتى يومنا هذا للزيارة.

من أقوال القديس هيلاريون

١ - قال القديس أنبا هيلاريون: "ليكن ملعونا ذلك الإنسان الذي يبحث عن الغذاء الجسداني قبل الروحاني؛ أما ما يستحسن عمله فهو أنه ينبغي التأمل باستمرار في الأمور الصالحة داخل النفس"[٥٨].

٢ - أتى جماعةٌ من الإخوة إلى أنبا هيلاريون وقالوا له: "ما هي علامة فضل الراهب"؟ فقال لهم: "كثرة الحب والاتضاع يزينان الراهب ويشرفانه في الدنيا والآخرة، كما يجب أن تكون له الخصال الآتية: أن يكون عاقلاً، عالمًا، محتملاً، صبورا، طاهرا، عفيفًا، سخيا، جوادا، متريثًا، رحوما، موقّرا، كتوما، شكورا، مطيعا، مداوما على الصمت، ملازما للصلاة". فقالوا له: "هل إذا اجتمعت هذه الخصال في إنسانٍ سمي راهبا"؟ قال: "نعم، إذا هو ترهب وتعب وشقي بقدر طاقته"[٥٩].

٣ - سئل أنبا هيلاريون: "كيف يمكن لأخٍ حار بالروح أن لا ينـزعج عندما يرى رهبانا آخرين يرجعون إلى العالم"؟ فقال الشيخ: "إنه من المناسب أن يأخذ في اعتباره مثَل كلاب الصيد التي تطارد الأرانب الوحشية (أي فرائسها)، لأنه كما يتعقب أحد الكلاب أرنبا في حين أن بقية الكلاب تنظر إليه وهو يجري وتظل تجري معه لمدة معينة ثم تجهد وترجع، في حين يستمر هو في جريه ولا يتعوق في طريقه، ويصارع لكي يتقدم، ولا يستريح أو يتوقف عن الجري بسبب الذين تخلفوا، ولكنه يجري حتى يلحق بالهدف الذي يراه، ولا يخاف من الحجارة التي تعترض طريقه ولا أشجار العليق أو الأغصان الشائكة، ويمر بين الأشواك ورغم أنها تمزق جسمه وتجرحه فهو لا يستريح أو يتوقف في طريقه؛ هكذا أيضا الأخ الذي يرغب أن يتبع حب المسيح، فمن الصواب أن يظل شاخصا نحو الصليب لكي يلحق بذاك المصلوب حتى ولو رأى آخرين يرجعون إلى خلف"[٦٠].

رابعا: قصص وأقوال
القديس بولس (بولا) البسيط

قال بالليديوس: روى لنا القديسان كرونيوس و هيراكس وآخرون أيضا القصة الآتية:

كان يوجد رجل فلاح بسيط وقلبه خالٍ من أي نفاقٍ أو غشٍ اسمه بولا، وكانت له زوجة جميلة ولكن شخصيتها تتصف بالدناءة، وكانت قد زاغت من ورائه مدة طويلة.

(٥٩) س ٤ صفحة ١٤٥.

(58) PA, App., 6; Vie d' Hilarion, 27. (PL 23, 42).
(60) W. & W., II: 211.

وذات يومٍ عاد بولا من الحقل فجأةً فوجدها مع إنسانٍ في ذات الفعل، وكان هذا بمثابة تحريك من النعمة ألهب قلب بولا لكي يسلك طريقًا أفضل. فابتسم ساخرا وقال للمرأة: "حسنا، إنّ هذا لن يهمني، يا يسوع أعني، فسأقطع علاقتي بكِ"، ثم قال للرجل: "خذها هي وأولادها أيضا، أما أنا فسأصير راهبا".

ودون أن يخبر أحدا انطلق مسافرا حيث قطع ثمانية فراسخ حتى وصل إلى القديس أنطونيوس وقرع بابه، فخرج أنبا أنطونيوس إليه وسأله: "ماذا تريد"؟ فقال إنه يريد أن يصير راهبا. فقال له القديس: "رجلٌ في الستين من عمره! لا يمكنك أن تصير راهبا هنا، فارجع إلى بلدك واعمل على قدر قوتك واشكر الله، فأنت يستحيل عليك أن تحتمل تجارب ومشقة البرية".

فأجاب الرجل العجوز: "سأعمل بكل ما تأمرني به". فقال له القديس: "قلت لك إنك رجلٌ عجوز ولا يمكنك احتمال هذه المعيشة، ومع ذلك فإن أردت أن تصير راهبا فاذهب وانضم إلى مجمع شـركة حيث يمكن للإخوة أن يتحملوا ضعف وأمراض شيخوختك، فأنا أعيش هنا وحدي وآكل مرة كل خمسة أيام". ذه المحاولات أراد القديس أن يخيف بولا ويبعده، ولما رأى أنه لم يقتنع أغلق الباب ولم يخرج من مغارته لمدة ثلاثة أيام ولا حتى لقضاء حاجة الطبيعة، ومع ذلك لم ينصرف بولا!

وفي اليوم الرابع اضطر أنبا أنطونيوس إلى الخروج، ولما فتح الباب ورآه قال له: "أيها الشيخ عليك أن تترك هذا المكان، لماذا تزعجني؟ لا تستطيع البقاء هنا". فقال بولا: "ولكنني لن أموت إلاّ هنا"! ثم لاحظ القديس أنّ الرجل لم يكن معه طعام ولا شراب، وهذا هو اليوم الرابع له وهو صائم، فاضطر أن يدخِله على الأقل خوفًا من أن يموت ويحمل هو هذا الذنب.

وفي هذا الوقت كان أنبا أنطونيوس قد ألزم نفسه بحياةٍ أشد صرامةً مما كان عليه في شبابه. فبلّ بعضا من الخوص وقال لبولا: "خذ هذا واصنع ضفيرةً كما أعمل أنا تماما"، وظلّ الشيخ بولا يضفر حتى الساعة التاسعة من النهار مجاهدا حتى أكمل ضفيرةً طولها ١٥ ذراعا. وكان القديس يراقبه، ثم أظهر عدم رضاه قائلاً: "عملك رديء، فُكّه كلّه واضفره من جديد"! كل هذا العمل المضني فرضه القديس على الشيخ حتى يقرف ويرحل عنه، ولكنه فك الخوص وضفره مرةً أخرى رغم أنّ ذلك كان أكثر صعوبةً لأنّ الخوص كان قد تلف من الربط والفك، وكان القديس قد امتلأ بالشفقة عليه لما لاحظ أنه لم يتذمر أو يغضب أو حتى يتململ!

ولما بدأت الشمس تغرب سأله القديس: "هل تريد أن نأكل لقمة خبز"؟ فأجابه بولا: "حسب مسرتك يا أبي"! وهذا أخجل أنبا أنطونيوس أيضا لأنّ بولا لم يستجب بشغفٍ لدعوة الطعام بل ترك الأمر لإرادة الأب. ولما أمره أعد المائدة، فبل القديس واحدةً من الخبزات - التي كانت تزن ست أوقيات - لنفسه، وبل ثلاث خبزات لبولا لأنّ الخبز كان جافا. ثم ترك الخبز في الماء وبدأ يرتل اثني عشر مزمورا مع اثنتي عشرة صلاة، وكل ذلك لكي يختبر بولا، فشاركه بولا في الصلاة بفرحٍ لأنه فضل حياة البرية على كل ما عداها.

وبعد الاثنتي عشرة صلاة جلسا ليأكلا بعد أن صار الوقت متأخرا. فأكل أنبا أنطونيوس خبزته ولم يأكل غيرها بينما كان بولا يأكل خبزته ببطء، فانتظره حتى انتهى منها وقال له: "كُل خبزةً أخرى أيها الشيخ"، فأجابه بولا: "إن أكلت أنت خبزةً أخرى آكل أنا، وإن لم تفعل فلن أفعل أنا أيضا". فقال أنبا أنطونيوس: "لقد أكلت ما يكفيني لأني راهب". فقال بولا: "وأنا أيضا أكلت ما يكفيني لأنني أريد أن أكون راهبا"!

فقام القديس وصلّى اثنتي عشرة صلاة ورتل ١٢ مزمورا، ثم نام قليلاً، ثم قام في نصف الليل ورتل مزامير حتى الصباح. ولما رأى أن الشيخ يتبعه في طريقة حياته بسرور قال له: "إن كنت تستطيع أن تفعل ذلك كل يوم فامكث معي". فأجابه بولا: "إن كان يوجد أمر آخر لا أعرفه فأنا مستعد أن أصنع كما ترى تماما"!

وفي اليوم التالي قال له أنبا أنطونيوس: "ها أنت قد صرت راهبا". وبعد عدة شهور لما اقتنع تماما أن نفس بولا قد صارت كاملةً وأنه كان في منتهى البساطة وعملت فيه نعمة الله، بنى قلايةً على بعد ٣ أو ٤ أميال وقال له: "ها أنت قد صرت راهبا، فامكث هنا وحدك حتى تتحنك بعد أن تجرب من الشياطين". فمكث بولا هناك لمدة سنة، وصار مستحقًا أن يأخذ قوةً ضد الشياطين وأوجاع النفس.

ويمكننا أن نذكر مثالاً واحدا على ذلك: فقد جاءوا، ذات يوم، لأنبا أنطونيوس بإنسانٍ به أحد رؤساء الشياطين غايةً في الشراسة حتى إنه كان يجدف ويلعن السماء نفسها، فنظر القديس وقال للذين أحضروه: "هذا ليس واجبي لأنني لم أصر بعد أهلاً أن آخذ قوةً على مثل هؤلاء الرؤساء الشرسين، ولكن هذا صار من عمل بولا". ثم حولهم القديس إلي أنبا بولا قائلاً له: "يا أبا بولا أخرج هذا الروح الشرير من الرجل ليرجع معافى إلى أهله". فأجاب أبا بولا: "كيف ذلك وأنت موجود"؟ فقال له: "إنّ لي عملاً

آخر غير هذا". ثم تركه أنبا أنطونيوس ورجع إلى قلايته.

فقام الشيخ وقدم صلاةً قويةً، ثم قال للروح الشرير: "أبي أنطونيوس قال إنه عليك أن تخرج من هذا الرجل". فلعنه الشيطان قائلاً: "لن أخرج يا فاعل الشر". فخلع بولا رداءه الجلد وضربه به على ظهـره وقال: "أبي أنطونيوس يقول لك أخرج". فلعن الشيطان كلا من أنطونيوس وبولا، وأخيرا قال أبا بولا: "أخرج وإلاّ قلت للمسيح: 'يا يسوع أعني'، فإن لم تخرج فويلٌ لك مما سيفعله المسيح بك"! فشتمه الروح الشرير أكثر وقال: "لن اخرج".

فغضب أبا بولا على الشيطان وخرج من قلايته وكان الوقت ظهرا وحرارة الصيف كانت حينئذ كأتون بابل، ثم وقف على صخرةٍ بأعلى الجبل وصلى قائلاً: "أُنظر يا يسوع المسيح يا من صلبت على يدي بيلاطس البنطي، إنني لن أنزل من على الصخرة ولن آكل أو أشرب حتى الموت إن لم تخرج هذا الروح الرديء من الرجل وتخلصه منه". وقبل أن ينتهي من هذه الكلمات صرخ الشيطان قائلاً: "يا للقوة! لقد هزِمت! إنّ بساطة بولا ترغمني وتطردني فأين أذهب"؟ وخرج الشيطان في الحال وصارت هيئته كتنين ضخم طوله حوالي سبعين ذراعا وأخذ يتلوى حتى غطس في البحر الأحمر، فتم القول: «إنّ البار يظهر الإيمان جهارا» (قارن أم ١٢: ١٧ حسب السبعينية).

هذا هو العجب في أبا بولا الذي دعاه الجميع بلقب "البسيط"[(٦١)].

١ - سئل القديس فيلوكسينوس: "لماذا قال القديس أنطونيوس لأنبا بولا البسيط عندما أراد أن يترهب: اذهب إلى دير فيه إخوة كثيرون يحملون ضعفك وأمراض شيخوختك"؟ فأجاب الشيخ: "لكي يعلم الجميع أنه يجب احتمال الضعفاء في الأديرة مهما كان ضعفهم"[(٦٢)].

٢ - سئل شيخ: "لماذا قال أنبا أنطونيوس لأنبا بولس تلميذه: اِذهب واسكن في صمت حتى تتلقى تجارب الشياطين"؟ فقال الشيخ: "لأنّ الكمال يأتي للراهب من السلوك الروحاني، والسلوك الروحاني ينشأ من ميول القلب، ونقاوة القلب تتأتى من ميول الفكر، وطريقة التفكير تبنى على الصلاة غير المنقطعة ومن الصراع مع الشياطين. ولكن الصلاة غير المنقطعة والصراع مع الشياطين، سواء في الأفكار أو في الرؤى، ليست لهما فرصة لأن توجدا بدون السكون والوحدة"[(٦٣)].

(٦٢) س ٩ ص ١٩.

(63) W. & W., II: 612.

(61) Laus., ch. 22.

٣ - قيل إنّ القديس الطوباوي بولس البسيط تلميذ أنبا أنطونيوس أخبر الآباء بالقصة الآتية:

إنه ذهب يوما ما إلى الأسقيط لافتقاد الإخوة كعادته، وبعد اجتماعهم العادي دخلوا إلى الكنيسة ليقيموا الصلاة كالمعتاد. فنظر أبا بولس إلى كل الداخلين إلى الكنيسة بتمعنٍ ليرى حالة كل منهم الروحية التي يدخل ا الكنيسة، لأنه كان قد أخذ من الله نعمة رؤية حالة كل نفس على حقيقتها تماما كما ترى وجوههم. ولما دخل الجميع بوجوههم المشرقة وكل واحدٍ معه ملاكه فرحا من أجله، قال: "إنني أرى واحدا أسود اللون وكل جسده مظلم والشياطين يصحبونه على جانبيه مسيطرين عليه وجاذبينه إليهم وهم يقودونه من أنفه، أما ملاكه فقد كان يتبعه من بعيدٍ وهو ممتلئ حزنا ورأسه مطرقًا إلى أسفل"، ثم قرع أبا بولا على صدره بدموعٍ وجلس أمام الكنيسة باكيا بمرارةٍ على ما رآه.

فلما رأى الإخوة هذا التصرف الغريب والتغيير المفاجئ مما جعله يسـكب الدموع ويقرع صدره، سألوه بإلحاحٍ أن يخبرهم لماذا كان يبكي، لأ م كانوا خائفين لئلاّ يكون ذلك علامةً على إدانتهم كلهم، ثم سألوه أن يدخل ليحضر الصلاة معهم فأصر على البقاء خارجا وهو ينوح على الأخ الذي رآه في تلك الحالة.

وبعد اية الصلاة، وأثناء خروج الجميع كان أبا بولس يدقّق النظر في كل واحدٍ ليعرف أية حالةٍ كانوا عليها وهم خارجون، فرأى ذلك الراهب الذي كانت هيئته مظلمةً خارجا من الكنيسة بوجهٍ مشرقٍ وجسمٍ أبيض، والشياطين يتبعونه من بعيدٍ، في حين أنّ ملاكه المقدس كان ملاصقًا له، ففرح القديس بسببه، ثم طفر من الفرح وصرخ مباركًا الله قائلاً: "يا لصلاح الله ومحبته للبشر التي تفوق الوصف"! ثم صعد مسرعا على مكانٍ عالٍ وقال بصوتٍ مرتفع: "تعالوا انظروا أعمال الرب كيف أ ا مذهلة وتستحق أن نتعجب منها، تعالوا انظروا ذاك الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، تعالوا لنسجد ونخر تحت قدميه قائلين: أنت وحدك الذي تستطيع أن تنـزع الخطايا"!

فجاء الجميع مسرعين ليسمعوا ماذا يقول، فلما اجتمعوا كلهم روى لهم أبا بولا ما كان قد رآه عند دخولهم الكنيسة وما حدث بعد ذلك، ثم طلب من هذا الراهب أن يذكر كيف أنّ الله منحه هذا التغيير المفاجئ. فأخبرهم الراهب بما حدث معه قائلاً: "أنا إنسان خاطئ وعشت في النجاسة لمدة طويلة حتى الآن، ولكنني لما رأيت الأب باكيا شعرت بإحساسٍ جديدٍ في قلبي، ولما دخلت الكنيسة أنصت جيدا فسمعت كلام إشعياء النبي، أو بالأحرى سمعت الله يتكلم بواسطته قائلاً: «اغتسلوا، تنقّوا، اعزلوا شر أفعالكم

من أمام عيني، كفوا عن فعل الشر، تعلّموا فعل الخير ... هلم نتحاجج يقول الرب، إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف، إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأنّ فم الرب تكلم» (إش١: ١٦ - ٢٠)"[٦٤].

"فلما سمعت ذلك، أنا الخاطئ، شعرت بوخز الضمير يملأ قلبي بسبب كلام النبي هذا وتأوهت في نفسي قائلاً لله: 'يا الله الذي أتى إلى العالم ليخلص الخطاة وقلت إنه «يكون فرح في السماء بخاطئٍ واحدٍ يتوب» (لو١٥: ٧و١٠)، تمم الآن في أنا الخاطئ غير المستحق ما أعلنته على فم نبيك، إنني منذ الآن أتعهد في قلبي أن لا أخطئ مرةً أخرى بل أنبذ كل إثمٍ وسأخدمك بضميرٍ نقي. اليوم اقبلني يا سيدي إذ أتوب إليك وأُلقي بنفسي تحت قدميك مشتاقًا أن أبتعد في المستقبل عن كل خطية'. ثم قال: ' ذه الوعود خرجت من الكنيسة شاعرا باليقين في نفسي أنني لن أصنع أي شر مرةً أخرى أمام الله'"!

فلما سمع الإخوة ذلك صرخوا بصوتٍ واحدٍ إلى الله: "ما أعظم أعمالك يا رب، كلها بحكمةٍ صنعت"(مز١٠٤: ٢٤). ومنذ ذلك الوقت عاش هذا الأخ بكل نقاوةٍ وأرضى الله بسيرةٍ فاضلة.

وهكذا نحن كمسيحيين، وقد تعلّمنا من الأسفار المقدسة، فلنعلم عظم صلاح الله على الذين يلتجئــون إليه بكل قلو م ويصلحون أخطاءهم الماضية بالتوبة ولا نيأس من خلاصنا. ففي الحقيقة إنّ الله - كما أعلن النبي إشعياء - يغسل الخطاة من خطاياهم ويبيضهم مثل الصوف والثلج، ويهبهم خيرات أورشليم السمائية تماما كما في سفر حزقيال، فقد تعهد الله بقسمٍ أن يقبلنا ولا يدعنا لك حيث قال: «لأني لا أسر بموت من يموت، يقول السيد الرب، فارجعوا واحيوا» (حز١٨: ٣٢)[٦٥].

٤ - قال أنبا بولا البسيط: "من هرب من الضيقةِ فقد هرب من الله"[٦٦].

٥ - روى الطوباوي أنبا بولس البسيط القصة الآتية:

كان لي تلميذٌ سقط في كل أنواع الخطايا وأهمل في الصلاة، ونصحته كثيرا وفي أثناء ذلك توفى. فصلّيت لله بلجاجةٍ وتوسلت إلى القديسة والدة الإله لكي تظهر لي أحواله بعد موته الجسدي، وبينما كنت مواظبا على الصلاة أياما كثيرةً دخلت في دهشٍ ورأيت تلميذي

(٦٤) ربما كان الوقت هو الصوم الكبير لأن هذا الفصل هو ضمن قراءات النبوات فيه.
(65) Apoph. , Paul the Simple, 1;١٦٨ س ٥ ص
(٦٦) س ٤ ص ١٣٧.

يحمله شخصان وكل جسمه عبارة عن عظام من رأسه إلى رجليه وليست فيه أية قوةٍ روحيةٍ أو جسدية، ولا يستطيع أن يتكلم إطلاقًا، ولكنه كان كأنه متحجر، فانتابني رعب شديد، وصرت كأنني مقيد بالله وتذكرت قول الرب: «من لا يكون مرتديا لباس العرس قيدوا يديه ورجليه وألقوه في الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (أنظر مت٢٢: ١١ - ١٣)، وتقييد يديه ورجليه، في هذا المثل، لا يعني بالنسبة لنا سوى الإماتة الدائمة والقضاء على كل فكر وقصدٍ رديء لا يتفق مع مشيئة الله في هذا الدهر.

وحالما أفقت من حالة الدهش التي دخلت فيها حل علي حزنٌ عميق مليء بالقلق، فعزمت أن أقدم من أجله صدقات وقرابين بقدر استطاعتي، وتوسلت إلى القديسة مريم والدة الإله أن تصنع معه رحمةً وأن تتشفع عند الله محب البشر من أجله. ثم مارست إماتات كثيرة في الأسقيط ولم آكل سوى النيئ (أي الخضروات غير المطبوخة) رغم أنني كنت قد شخت.

وبعد بضعة أيام وأنا على هذه الحال رأيت سيدتي العذراء مريم التي قالت لي: "لماذا تكدر نفسك وتزعجها أيها الشيخ"؟ فقلت: "بسبب أخي يا سيدتي، الذي رأيته في هذه الحالة التعيسة"! فأجابتني قائلةً: "ألست أنت الذي طلبت بنفسك أن تراه؟ وها قد أُعطيت لك رغبتك". ولكنني قلت: "نعم، أنا الذي توسلت وطلبت، ولكنني لم أرد أن أراه في هذه الحالة، لأنه ما الذي ربحته برؤيتي له مليئًا بالبكاء والآلام"؟ فقالت لي والدة الإله: "اذهب، فلأجل إماتاتك واتضاعك وحبك سأظهره لك حتى لا يغمرك الحزن بعد ذلك".

وفي اليوم التالي رأيت الأخ مرةً أخرى آتيا نحوي بفرحٍ، وكان يمشي بنفسه وهو يضحك، وقال لي: "لقد تعطفت القديسة والدة الإله على صلواتك يا أبي لأ ا تحبك جدا، وتوسلت للمخلص وهو فكني من قيودي لأني كنت مقيدا في مسكني بقيود خطاياي". فامتلأت فرحا بكلمات الأخ، ثم رأيت القديسة العذراء وقالت لي: "هل ارتحت الآن أيها الشيخ"؟ فقلت لها: "نعم يا سيدتي ونفسي فرحة جدا لما رأيت الأخ في راحةٍ". فقالت لي: "اذهب واذكر دائما هذا الأخ في صلواتك وصدقاتك وقرابينك، لأنّ الصدقة والقربان في حد ذا ما يجلبان الرحمة بقوةٍ على الذين رقدوا"[٦٧]!

(67) Les sentences des pères du désert - nouveau recueil, N 599, p. 134.

٧ - قيل عن أنبا بولس البسيط إنه أراد مرةً أن يشفي إنسانا مريضا، فظلّ مستمرا في الصلاة وهو صائم، ثم قال: "إنني في الحقيقة لن آكل اليوم خبزا إن لم تشفِ يا رب هذا الإنسان". وفي الحال تعافى المريض وزالت منه الحمى(٦٨).

خامسا: قصص وأقوال

القديس أنبا سيرابيون أسقف تميّ(✪)

١ - قيل عن أنبا سيرابيون الأسقف إنه كلما أتى إليه إنسان لكي يرتدي الملابس الرهبانية كان يقول له هذه الكلمات: "عندما تصلي قل: يا رب علمني أن أصنع مشيئتك"(٦٩).

٢ - قيل إنّ أنبا سيرابيون ذهب مرةً إلى أحد الإخوة ووجد في قلايته طاقةً في الحائط مملوءة بالكتب. وقال له الأخ: "قل لي كلمةً أحيا ا". فقال له الأب: "ماذا أقول لك؟ لأنك أخذت ما يخص الأيتام والأرامل ووضعته في طاقةٍ في الحائط"(٧٠)!

٣ - قال أنبا سيرابيون ملاك كنيسة تميّ: "يتطهر العقل (أو الذهن) بالمعرفة الروحية (أو بواسطة التأمل المقدس والصلاة)، وتتطهر النفس من الأوجاع الروحية بالمحبة، وتتطهر من الشهوات غير المضبوطة بالزهد والتوبة"(٧١).

رسالة القديس إلى الرهبان(❖)

حياة الرهبان المغبوطة: هدفهم الوحيد هو إرضاء الله:

١ - يا أحبائي، إنني أمتدح غيرتكم وحياتكم وأُقر بأ ا مغبوطة. مغبوطون في عيني الله أنتم الرهبان، وإن كنتم مشاركين لجميع الناس في نفس طبيعتهم إلاّ أنكم لا تسعون إلى نفس هدفهم، بل إنكم ترنون إلى هدفٍ أبعد منهم، وأرواحكم مليئة بأفكار سامية، وقلوبكم لها أجنحة لكي تطير نحو المظال الأبدية ذا ا. وذلك لكيما بمثابرتكم الفعلية على الممارسات الإلهية المثمرة هنا على الأرض تصيرون مشا ين للملائكة المغبوطين الذين يستقبلكم مجدهم وتنتظركم سعاد م. إنكم لستم سوى بشر ونسل بشر ولكنكم لا تتنازلون إلى مستوى الأفكار البشرية

---

(68) Les sentences des pères du désert - troisième recueil & tables, PA App., 7, p. 127.

(✪) تتلمذ أولاً لأنبا أنطونيوس ثم لأنبا مقار؛ و "تمي" هي الآن "تمي الأمديد" بمركز السنبلاوين بمحافظة الدقهلية.

(69) W. & W., II: 385.

(70) Ibid., I: 160; Apoph., Serapion, 2; س ٥ ورقة ١٧٣

(71) Socrates' Eccl. Hist., IV, ch. 23. ويلاحظ أن هذا القول في الأبجدي يخص أنبا سيرابيون السباني.

(❖) Lettres des Pères du Dèsert, p. 133, traduit de P. G. 40, 925 D - 941 B.

ومشاغل الحياة العادية التي لا يمكن لمشتهيا ا أن تتغلب على اشتياقكم نحو الله. وأنتم قد تركتم كل شيء دفعةً واحدة دونما استثناء لتحقيق هدفكم الواحد الذي هو إرضاء الله.

الجميع يتكلمون عن الجهاد الذي تقومون به لكي تجتازوا التجربة. إنه ليس كثرة الخيرات ولا الوعد بالعطايا هو الذي أنشأ فيكم هذه الرغبة الصالحة بل إيمانكم التقوي وفكر مملوء حبا أضرمه فيكم توسط وعطف مخلصنا الله.

الرب يسوع المسيح يحث ويعضد العزم على السير في الحياة الرهبانية:

٢ - الرب يسوع المسيح هو الذي ألهمكم هذا القرار الصالح الجدير بالثناء، وهو يقودكم إلى ملء كماله. إنه يعطيكم أنتم أيضا الرهبان صبرا و ايةً رائعة، وهو يفتح طريقًا عمليا لكل الذين يريدون أن يخلصوا. وهو بتعجيله إياكم لاجتياز هذا الطريق منذ البداية فإنّ ربنا ومخلصنا يكون لكم كرفيق الطريق كما قال: «الرب إلهك سائر معك لا يهملك ولا يتركك» (تث٣١: ٦).

في الحقيقة إنه بنعمة الرب لا يمكن لأية عقبةٍ أن تطيح دفكم السماوي: لا شهوة للغِنى، ولا تذكركم لأهلكم، ولا ميراث من أقربائكم، ولا الألفة مع إخوتكم، ولا محبة أسركم، ولا المسرات أو التنعمات الجسدانية، ولا ولائم، ولا علاقات الصداقة، ولا مجد هذا الدهر؛ ولكنكم قد ازدريتم بكل ذلك، وأعمالكم نفسها تقتفي إثر كلام الرسول القائل: «من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفايةً لكي أربح المسيح» (في٣: ٨).

من أجل ذلك أنتم تسكنون البرية وترضون قلب الله بأصوامكم وعفتكم وصلواتكم النقية. إنكم لا تخشون أبدا من ملكٍ أرضي ولا من ولاةٍ ولا من قاضٍ ولا من رئيس جيشٍ ولا من أي سلطانٍ آخر لأنّ «الناموس لم يوضع للبار بل للأثمة والمتمردين، للفجار والخطاة، للدنسين والمستبيحين ... لقاتلي الناس، للزناة ... لسارقي الناس، للكذابين، للحانثين، وإن كان شيء آخر يقاوم التعليم الصحيح» (١تي١: ٩و١٠)، «فإنّ الحكّام لا يخافهم من يفعل الصلاح بل من يفعل الشر (ترجمة منقحة)، أفتريد أن لا تخاف السلطان؟ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه» (رو١٣: ٣). فيليق بكم، إذن، أن تكافَأوا بالثناء تماما كما أنّ القصاصات المرة محفوظةً للمقاومين والمخالفين.

٣ - لقد اختاركم الله لنفسه كشعبٍ خاصٍ به غيور على الصلاح، «أنتم نور العالم» (مت٥: ١٤) يقول الرب. والذين هم متساوون في الغيرة وفي العمل ينالون نفس المديح ونفس المكافأة. مغبوطون أنتم على ذلك غبطةً مثلّثة أيها الرهبان الأعزاء جدا عند

الله. من يستطيع أن يمتدح أسلوب حياتكم بما يستحقه؟ إنّ أعمالكم التي تتممو ا ارا وليلاً: أي المزامير والتسابيح والأناشيد الروحانية وممارساتكم، هي بالحقيقة تكرم الله. والمحبة هي في الحقيقة فضيلة ملائكية، وهي قائمة في وسطكم، والسلام السماوي راسخ بينكم. كما أنّ طريقة حياتكم تتجاهل البخل، أنتم الذين تكتفون دائما بالضروريات، حارين في الأصوام وأكثر حرارةً في الصلوات، وتقضون أوقاتكم في الأسهار، «فليضئ نوركم هكذا» (مت٥: ١٦) كما قال الرب، وأنتم تكونون مثلاً يحتذى. إنكم لا تحبون العالم ولا تمون بأي شيءٍ مما في العالم. نعم، مغبوطون أنتم في عيني الله.

أهم دور للرهبان يقومون به هو شفاعتهم من أجل العالم:

٤ - سعيد هو العالم أيضا بفضلكم، إنكم تقدسون البراري وصلواتكم تنقذ العالم كله، وبفضل توسلاتكم ينـزل المطر على الأرض فتخضر ثانيةً، والأشجار تنوء تحت ثقل الثمار دون أن تضعف، والنيل يفيض كل سنةٍ ويروي مصر كلها، وهو مع ماء الينابيع يصب في البحر بلجج أمواجه مظهرا بذلك قوة تضرعاتكم.

الشفعاء العظام: إيليا وأيوب وموسى وإبراهيم:

إن كانت صلاة إيليا النبي الذي كان - حسب الكتاب - إنسانا تحت الآلام كالآخرين، هي في الحقيقة التي منعت نزول المطر، وإن كان لمّا صلى مرةً ثانية أعطت السماء مطرا وأخرجت الأرض ثمرها (يع٥: ١٧و١٨)؛ أفلا تعطينا شفاعتكم بالأحرى هذه الخيرات التي نرجوها؟

وسعيدةٌ هي أيضا مدينة الإسكندرية[٧٢] التي أنتم شفعاؤها! وما كانت مدن سدوم ستهلك وتتحول إلى رمادٍ لو كان يعيش فيها عشرة أبرار، والمدن الأخرى أيضا ما كانت ستنقلب لو احتفظت بمثل قداستكم فيها. والكتاب المقدس يروي كيف أنّ أصدقاء الجزيل التقوى أيوب الذين كانوا مغضوبا عليهم (من الله) قد خلصوا بفضله: «عبدي أيوب يصلي من أجلكم لأني أرفع وجهه، لئلاّ أصنع معكم حسب حماقتكم» (أي٤٢: ٨).

ومثالٌ آخر: أخطأ الشعب اليهودي بينما كان خادم الله موسى يتلقّى الشريعة، فهذا الشعب دائما أحمق وعاصٍ وجاهل لمكانته، فقد ألح على هارون قائلاً: «اِصنع لنا آلهةً تسير أمامنا» (خر٣٢: ١)، فاشتعل غضب الله عليهم بسبب خطيتهم: «فقال الرب لموسى: اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك» (خر٣٢: ٧)، فنـزل ورأى الإثم وأجاب الرب قائلاً:

(٧٢) يقصد مصر كلها التي كانت عاصمتها الإسكندرية.

«إن غفرت خطيتهم وإلاّ فامحني من كتابك الذي كتبت» (خر٣٢: ٣٢). يا لشفقة القديسين! أية مشتهياتٍ صالحة تمدنا ا صلواتكم بأن تجتذب إلينا عطف الله! أية راحةٍ ستكون معدة لكم أنتم الذين أسرعتم إلى الاتحاد بالله! أي نعيمٍ ستغمرون به أنتم الذين تركتم الأب والأم والإخوة!

وفي مرةٍ أخرى قال الله لإبراهيم: «أُخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أُريك» (تك١٢: ١)، فأطاع إبراهيم وذهب. إنني أُؤكّد لكم أنكم قد اتخذتم لأنفسكم نفس القول الإلهي الذي به دعي إبراهيم وأنكم تشاركونه في بركته: «جيد للرجل أن يحمل النير في صباه، يجلس وحده ويسكت» (مرا ٣: ٢٧و٢٨). هذا هو المعنى من خروجكم من العالم. إنّ الغِنى لا يغويكم، ولا محاسن المرأة تجعلكم تنحرفون، ولكن كأنه لم يكن لكم جسد وبمخافة الله قد وطئتم بأقدامكم الميول الرديئة. لقد فصلتم أنفسكم عن أفكار العالم بل قد هربتم من أباطيله.

هموم الحياة تتعارض مع الحياة الرهبانية:

٥ - أولاً: الحياة العائلية: إنكم تفضلون خبزا يابسا يؤكل في البرية والملح والماء للشرب أفضل من الترف ومسرات الحياة في المدن المقترنة بمشاغلها وهمومها: «لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام» (أم١٧: ١). وكاتب سفر الأمثال - بقوله هذا منذ زمانٍ طويلٍ - كان ينبئ عنكم، أيها الرهبان المحبوبون جدا عند الله، أنكم أحرار من كل شيء. لا توجد عندكم امرأة لتغريكم بحليها، ولا بنون ولا بنات يثقلون عليكم بمطالبهـم المتعددة، ولا عبد يسرق نقودكم ويهرب ا، ولا اهتمامات لأجل الثراء لتحرمكم من نومكم، وكما يقول الجامعة: «أما الذي هو متخم بالثروة فلن يتيسر له النوم» (جا٥: ١١).

تلك هي متع الحياة، وهذا هو الحال في هذه الحياة: أن الناس يكدون بكل جشعٍ، ففي المدينة إن كان أحد متزوجا فهذا هو بداية القلاقل التي هي الانشغال بضرورات الحياة: هل المرأة حامل؟ هل وضعت؟ هل ولد الطفل؟ فالزوج يكون قلقًا على معرفة كيف سيدفع ثمن الهدايا التي تسر زوجته. وهل ولدت بنتا؟ إذن فسيكون مهموما بموضوع تكاليف زواجها. أم أنه ولد؟ فتنفرج أسارير الأب إلى حين، ثم يرقد الطفل الصغير مريضا، وحينئذ يكون ما أبأس الأب الذي لا يكف عن استشارة الأطباء، ويدفع الكثير لكي يشفى الطفل. ويذهب وهو كئيب إلى أصدقائه قائلاً لهم: "صلوا فإنّ طفلي الصغير مريض، وإذا مات فسيجعلني أموت من الحزن". فيشفق عليه الأصدقاء، ولكن

الله برأفته يمنح الطفل الحياة وتعود إليه صحته.

ثم يكبر الولد ويصل إلى سن الإدراك، ويتولى أمره معلمون عديدون، وكلما تقدم في العمر يتلقّى التعليم الدنيوي. وأخيرا يصير شابا مهيأً للزواج، فينشغل أبوه بأمر تزويجه. وإذ تتم جميع الاستعدادات ويصير الزواج وشيكًا قد يداهم الشاب الموت فجأة. فما أبأس هذه المباغتة التي تفاجئ الأب والتي ليس لها علاج. إ م يدفنون الشاب في التراب بالدموع والحسرات، وإذ يصل الأب إلى القبر وهو في مقدمة الجنازة يلطم نفسه بيديه وهو منهار تماما ومطرق الوجه ولا يكف عن أن يصيح متحســرا: "وا أسفاه! يا حسرتاه"! وإذ يصاب بالحزن المفرط يرقد بمرضٍ خطير، وبعد وقتٍ قصير يصير على آخر رمقٍ وأخيرا يقضي عليه الموت!

٦ - **ثانيا: الحياة المدنية:** أيها الرهبان المحبوبون جدا من الله، انظروا أية محنٍ لهذا الدهر قد أعتقكم منها المسيح! أنظروا أية مصائب وفّرتموها على أنفسكم! تحقّقوا من قيمة حياتكم التي تعيشو ا الآن! إنّ نوع حياتكم هذا لَيضارع حياة الملائكة! وكما هو الحال في قيامة الأموات، ففي الحقيقة إنّ الأبرار: «لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء» (مت٢٢: ٣٠)، هكذا أنتم أيضا الذين تعيشون معا، إنكم تسبقون المستقبل برغبتكم. إذن، فمن لا يعتبركم مغبوطين على اختياركم لحياةٍ خاليةٍ من الهم؟ من لا يستحسن الحياة التي تعيشو ا في البرية؟ من لا يشتهي هدوءكم؟

مجالس كثيرة تجتمع في المدن للإشراف على إدارة الأعمال العامة: من سيملأ بطن المهرجين والممثلين والمغنين؟ من الذي يضيع مصيره في مشاهد خليعة وباطلة؟ إنكم بنعمة الرب لستم متورطين في هذه الأمور، إنكم لستم ملزمين بالإنفاق على مثل هذه الخدمات العامة، كما أنّ يد جابي الضرائب لا تقدِم على قرع بابكم لتدفعوا الضريبة، ولا أحد يجركم إلى المحكمة مهما حدث، إنكم لا تلقون في السجن لأجل إ اماتٍ باطلةٍ، ولا أحد يقيد أرجلكم بالأغلال بتهمة الاختلاس الخطير للأموال العامة. وأيديكم لا توثق بالحديد في أي ظرفٍ آخر، إنكم تجهلون المطالبات الظالمة والإهانات غير الإنسانية التي لمندوبي الضرائب والجنود المرافقين لهم.

إنكم لا تمون بالتجارة وليست لكم ثروة تريدون أن تزيدوها بالباطل، عالمين أنّ: «القليل الذي للصــديق خير من ثروة أشرار كثيرين» (مز٣٧: ١٦). ليس لكم غريم يجذبكم من فراشكم لتسددوا دينكم له أو يقاضيكم أمام الوالي لتجاوبوا عن تهمٍ موجهةٍ

ضدكم. إنكم لا تئنون تحت كثرة المطالب العامة. إنكم لا تخشون ولا حتى البحر أثناء العاصفة التي تسبب خسارةً شاملةً لحمولة سفينتكم مما يجعل الغني يبتلى بالفقر فجأةً!

هذه هي هموم ومشاغل الحياة، هذه هي الأمور التي يعانيها المثقلون برباطات الزوجية!

أفضلية الحياة الرهبانيـة:

٧ - إنكم في البرية على العكس، تقضون حياتكم بدون تشتت للذهن في اهتمامكم الوحيد بأن تعيشوا حياة سامية. ما أعظم وما أفضل نوع حياتكم الطاهرة المقدسة! أية رائحةٍ زكيةٍ روحانيةٍ تفوح منها! كم هو عظيم نذر الحياة الرهبانية الذي اخترتموه! وأي كلامٍ يمكنه أن يمجد هذا النذر! يا له من نذر سماوي! يا له من نذر يوحد الإنسان مع الله! يا له من نذر يجعل الإنسان شبيها بالملائكة! يا للنذر الذي يحفظ فينا مثال صورة الله! يا له من نذر يقود إلى الله! يا له من نذر ثمين جدا في عيني الله! يا له من نذر يشفع في العالم!

وإذ ينطبق عليكم التطويب القائل: «طوباهم الذين هم بلا عيبٍ في الطريق السالكون في ناموس الرب» (مز١١٩: ١)، وإذ ذون في هذا الناموس ارا وليلاً فإنكم تكونون: «كالشجرة المغروسة على مجاري المياه التي تعطي ثمرها في حينه وورقها لا ينتثر، وكل ما يصنع ينجح فيه» (مز١: ٢و٣). أنتم الذين تحملون أيضا الثمار قولاً وعملاً يمكنكم أن تقولوا لله بملء اليقين: «لينـزل حبيبي إلى جنته وليأكل ثمر أشجاره» (نش٤: ١٦ حسب النص). لأنّ كلا منكم، أيها الرهبان المستحقون جدا لمحبة الله، هو فردوس للمسيح تنمو فيه كل أنواع الأشجار المثمرة بواسطة حفظ الناموس والوصايا.

إنكم لستم غابـة كثيفة كتلك التي للوحوش التي هي رهطٌ من قوات الأعداء متعطشون إلى الدم يمكنهم أن يسكنوا بينكم، ولكنكم روضة مسيجة بحجارةٍ ثمينةٍ التي هي حفظ الوصايا والإيمان. لذلك فأنتم لستم فريسة للشيطان، بل إنكم مأسورون بشبكة حب المسيح ومشدودون بعيدا عن تقلبات العالم المرة.

إنّ المرتبط بالزيجة هو - حسب قول الرسول بولس - منقسم بين اهتماماتٍ كثيرة: «أما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته» (١كو٧: ٣٣)، أما أنتم المحبين العاشقين لله فتعيشون دون انفصالٍ عنه قط، مرددين بلا انقطاعٍ ما قاله داود النبي مدفوعا باشتياقه: «التصقت نفسي بك ويمينك عضدتني» (مز٦٣: ٨).

إنكم لا تجرون وراء حقولٍ أو بيوتٍ أو ما شابه ذلك لكي تقتنوها وتمتلكوها، ولكنكم بعيدون إلى حد ما عن الشهوات المخزية والنميمة والبخل وأية خدعةٍ أخرى. بل على العكس،

فكما هو مكتوب: «الرب إلهك تتقي، إياه تعبد وبه تلتصق» (تث١٠: ٢٠)، وهذا هو في الحقيقة ما تحققونه في حياتكم: «اِذهب وبِع أملاكك وأعطِ الفقراء فيكون لك كنـز في السماء وتعال اتبعني» (مت١٩: ٢١). إنّ قوة هذا القول لَتتجلى فيكم عندما تبتعدون عن العالم بكل حزمٍ وتنبذونه مع كل اهتماماته. إنكم تعتمدون بكلّيتكم على الله الذي قال: «أُطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد (أو "تتضاعف" حسب اليوناني) لكم» (مت٦ : ٣٣).

النسـك والتطهيـر:

٨ - لأجل ذلك فأنتم جديرون بالثناء وبالبركات لأنكم هكذا تخضِعون للمسيح أذنا رديئة التهذيب حتى لا تخضِعوها لاغتياب الآخرين. إنكم أيضا قد عودتم عيونكم على الرؤية الصائبة لكي لا تشتهوا إطلاقًا ما هو غريب عنكم، كما أنكم منشغلون بالاتجاه نحو الله متأملين مع داود المرتل: «إليك رفعت عيني يا ساكن السماء، فها هما مثل عيون العبيد إلى أيدي مواليهم ومثل عيني الأمة إلى يدي سيد ا، كذلك أعيننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا» (مز١٢٣: ١و٢).

لقد اعتدتم على رفع أيادٍ طاهرة بلا ارتخاء تظلّ مبسوطة نحو الله في صلوات نقية حتى لا تصير هذه الأيادي مذنبة بسرقةٍ أو بنهبٍ أو بمشاجرات. أما عن أرجلكم فأنتم تعودو ا على السير سواء إلى بيت الله أو إلى مساكن الآباء القديسين بلا انحرافٍ خوفًا من دفعها إلى عمل الشر أو سقوطها في مهاوي الرذيلة. واعترافًا برهافة حاسة الشم عندكم تقولون عادةً لله: إننا نشتاق إلى «رائحة أدهانك الطيبة» (نش١: ٣). وحاسة الذوق أيضا قد عودتموها على الغذاء البسيط والماء كمشروب حتى لا تقودكم شهوة البطن إلى كلام الهزل ولا سيما لأنّ عصيان آدم كان قد اقترِف بواسطة حاسة الذوق. وفضلاً عن كل ذلك فأنتم ترتدون ملابس فقيرة خشنة مظهرين في نفس الوقت أصالة نسككم. إنكم تفضلون حصيرا وغطاءً عفيفًا ساذجا على الفراش الوثير مع الخطية، إنكم تفضلون سماع كلامٍ عن القيامة الأبدية والدينونة الرهيبة على سماع صوت المزمار والقيثارة والأغاني الفارغة، ويبدو أنكم تفضلون موتا يليق بكم على حياةٍ طويلةٍ في الملذات والنجاسة.

الحـرب ضـدّ الشـياطين:

٩ - لأجل هذه الأسباب كلها مغبوطون أنتم أيها الرهبان المستحقون جدا للكرامة، هذه مزية تقال عنكم باستمرار بلا انقطاع. مغبوطون أنتم في جهادكم تحت ظل الثالوث الواحد في الجوهـر. إنّ الإنسان المدني لا يمكنه أن يضلل العسكري، كذلك لا يمكن

للشياطين الجبناء أن تضلل تقواكم، لأن الله قال عن منحكم مواهبه: «ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء» (لو١٠: ١٩).

إنكم لا تصارعون لأجل ملكٍ بشري حتى تشاهدوا الذبح في الحرب لبشرٍ من جنسكم، ولكنكم تجاهدون لأجل المسيح حتى تعاينوا سقوط الشياطين. إنكم لا تمتلكون أسلحةً من برونز أو حديد لتقتلوا رفقاء العبودية، ولكنكم قد اكتسبتم قوة الإيمان لطرح الشيطان إلى أسفل، إنكم لا تصارعون صراعا زائدا لتسفكوا الدم البشري، ولكنكم تصارعون لأجل الله لتسكبوا صلاتكم بلا انقطاعٍ في حضرته.

فصلـوا، إذن، لأجل العالم لأنّ: «عينا الربِ نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم» (مز٣٤: ١٥). فأنتم تعلمون جيدا أنّ الله يسمع صلاة الأبرار وأنّ توسل الإنسان الصالح له فاعلية عظيمة، فاذكرونا بلا انقطاع.

معاينة الفردوس وأعاظم الآباء:

١٠ - إنكم ستذهبون لتقيموا في فردوس النعيم، وحبكم لله سيفتح لكم الأبواب التي أغلقها عصيان آدم، لأنكم ستقيمون في السـماء حيث تلتقون بالرسل وترون الأنبياء وتتأملون في الشهداء وتعانقون جموع الأبرار وتعيشون مع الملائكة. هنا (في هذا الدهر) أنتم مغبوطون، وستكونون أكثر غبطةً أيضا بعد هذه الحياة.

سترون هناك يوحنا المعمدان الذي افتتح طريقة حياتكم النسكية والذي نشأ في البرية وتألّق في النسك. كما أنكم سترون أيوب الجبار البأس الذي صرتم شركاءه في الآلام ورفقاءه في الصبر محاطًا بمجدٍ باهر. وسترون أب طريقكم الأول إبراهيم الذي تشبهتم به في حسن إضافتكم للغرباء. كما أنكم ستتلاقون مع داود النبي الشديد التواضع والجزيل التقوى، الذي صار لكم مثالاً في الشجاعة كل يوم. ولكي لا نطنب في الحديث بذكر كل بار، فأنتم سترون المسيح نفسه المثال الأعلى لجميع الأتقياء هذا الذي قال: «طوبى للأنقياء القلب لأ م يعاينون الله» (مت٥: ٨).

ملء الثقة عند الرهبان في **يوم الدينونة:**

١١ - من إذن يمتلك الغبطة والسعادة أكثر منكم أنتم الذين ستعاينون الله بعيونكم؟ إنكم ستكونون مغبوطين في يوم الدينونة - أيها الأحباء جدا - حينما يدين الله أسرار القلوب، لأنّ «كل شيءٍ عريان ومكشوف لعيني ذاك الذي معه أمرنا» (عب٤: ١٣)،

كما أنه «لا بد أننا جميعا نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحدٍ ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا» (٢كو٥: ١٠). إنه لن يستولي عليكم الرعب في تلك اللحظة، بل إنكم ستنالون سعادةً وفرحا وإكليل البهجة في الروح القدس، لأنه ليست لكم دينونة رهيبة ولا نار أبدية ولا دود يعذب بلا انقطاع، هذه كلها المحفوظة لأعداء الله المخالفين لوصاياه.

إنكم ستسمعون: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» (مت٢٥: ٣٤)، لأنكم قد حفظتم فكر المسيح بلا لوم. أما لعدو الكل ولجميع الذين تبعوه فسيقول هذا القول المرعب: «فليضمحل المنافق حتى لا يرى مجد الرب» (إش٢٦: ١٠ حسب السبعينية). إنكم ستنطلقون في السعادة والفرح إلى المكان الذي هرب منه الألم والكآبة والنوح، وحيث لا يمكن أن تنـزع الكرامة وا د والنعمة.

الرهبان يتبعون مثال آبائهم الكبار:

١٢ - وفوق ذلك فإنّ سيرتكم الحسنة تنتشر في كل مكان على الأرض كلها. أية مدينة مطّلعة على طريقة حياتكم الفاضلة الرسولية ولا تشتهي أن تراكم؟ أي ملك في الماضي أو في عصرنا الحاضر عندما يسمع عن نوع حياتكم اللائقة بالله والمليئة بالفضيلة لا يشتهي أن يستشيركم ويضمكم بين ذراعيه بحب عميق؟!

لقد صرتم أبناءً لأنبا أنطونيوس في طريقة حياته الفائقة والتي حفِظت لكم مكتوبةً[٧٣]، وأيضا أبا آمون وأبا يوحنا[٧٤] وأنبا مقار (الكبير) الذين تجلت فيهم الفضيلة فوق كل تعبير، والذين اشتهروا بين الناس بمعجزا م وأعمالهم القديرة الأخرى. لقد أخرجوا الشياطين بحسب قصد الله وأنقذوا المرضى من آلامهم المريعة وشفوا كل نوعٍ من البلايا وأظهروا القدرة الإلهية على شفاء الأمراض المستعصية، لأنّ الأمراض التي لم يستطع الأطباء أن يشفوا منها تركت لصلوا م الطاهرة وإيما م الراسخ، وتحقق الأطباء من وجود قوة فائقة على قدر م المحدودة.

فإذا سمع الملوك بذلك أفلا يكونون من المعجبين م ويمجدون أعمال النعمة فيهم؟! كل هذا أنتم تعرفونه أكثر منا لأنكم قد عايشتم بأنفسكم الذين اقتنوه وها قد صار لكم أنتم أيضا. فمن، إذن، سيكون أكثر منكم جدارةً بالثناء بسبب ذلك؟ من لا يحيي أو لا يمدح في هؤلاء الرهبان دالتهم مع الله وصبرهم وأحاسيسهم الروحانية وبساطتهم المقترنة

(٧٣) لعله يقصد "حياة أنطونيوس بقلم أثناسيوس". (٧٤) يبدو أنه يقصد القديس يوحنا الأسيوطي.

بحكمتهم، وأيضا اتضاعهـم وهدوءهم ودماثة أخلاقهم، وأيضا سلامهم وإخلاصهم وأصالتهم، وأيضا خلوهم من الاشتهاء ومحبة القنية، وكذلك ما فيهم من رحمة وشفقة وسخاء وحنو وكل محبة للإخوة والغرباء والمساكين، واللطف والعبادة بالروح وتوافق الأفكار المتجهة نحو الله، والكلام العذب والحديث الهادئ والمشي اللائق والانعزال عن العالم والصيت الحسن والاستقامة والإيمان بالله.

يا للفضائل التي تزين حياتكم العزيزة جدا عند الله! أي إكليل ي تنشئه هذه الفضائل! كم هي عظيمةٌ عندكم المثابرة على الأعمال الصالحة! إنّ السلام الذي يملك عليكم لهو بفضل بعدكم عن الرذائل والاتضاع الذي هو العلامة التي تدلّ على تملك المسيح عليكم هذا الذي فقده الشيطان منذ البدء.

لقد تحتم على كواجبٍ ملزمٍ أن أكتب إليكم وأقول لكم ذلك حيث إنه مكتوب: «ذِكر الصديق للبركة» (أم١٠: ٧)، وأنّ مدح الأبرار يفرح الشعب (أنظر أم٢٩: ٢). فعندما يتذكركم البعض فمن الطبيعي أن يميل إلى الثناء عليكم.

حـثٌ على السـهر والمثابرة:

١٣ - هكذا أنتم النشطين، فلأنكم تعرفون جيدا مقدار كرامتكم وسمعتكم، اجتهدوا أن تكملوا واجبكم في سهرٍ متزايد على رجاء الخيرات العتيدة، مرتلين مع داود النبي: «تقو وليتشدد قلبك وانتظر الرب» (مز٢٧: ١٤)، خوفًا من أن يتسرب إليكم أي فكرٍ رديء مهما كان خلسةً وسط بقية الأفكار، أو أنه - أثناء كل هذا الوقت - لا يطفئ نور كوكبكم اللامع الذي تظهرونه للعالم هبوب ريح مضادة من التهاون الطفيف فيما هو صالحٌ لنفوسكم حتى تسمعوا مع الرسل: «أنتم نور العالم» (مت٥: ١١) حيث أضاف الرسول: «إنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد» (عب١٠: ٣٦).

إذن، فلا تخمد عزيمتكم أيها الأعزاء جدا، بل أوصلوا النهاية بالبداية والبداية بالنهاية لأنّ «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت٢٤: ١٣).

لعل الله الذي يقرب بينكم وبيننا نحن الذين قد تغذينا من التعاليم الإلهية من الله - كرئيس وراعي خلاصنا - أن يجعل لنا ـاية سعيدةً مقدسةً، وأن نجرؤ على القول بيقين الإيمان مع الرسول: «قد جاهدت الجهاد الحسـن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيرا قد وضِع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل» (٢تي٤:

٧و٨). ا د والقوة للآب والابن والروح القدس إلى دهر الدهور، آمـين. ❑

سادسا: رسالة للقديس أموناس
تلميذ أنبا أنطونيوس(✪)

إلى أحبائي في الرب:

١ - إنّ الذي ليس له ثوب الحياة الجديدة السماوي الذي قوامه هو روح الحق والقوة التي تأتيه منه، فليتوسل إلى الرب بدموعٍ حتى يكسو هذا الروح روحه بتلك القوة التي من الأعالي عوضا عن الخزي وعري جسده. لأنه تماما كما أنّ عري الجسد هو خزي وخجلٌ أمام الناس؛ هكذا فإنّ الله وقديسيه يحولون أبصارهم عن غير المرتدِين لثوب الروح القدس. فإذا كان آدم قد شعر بالخزي حالما رأى أنه عريان، فكم يكون خزي النفس ا ردة من سيدها!

إنّ الذي ليس له ثوب الروح عليه أن يخجل من ذاته ويعرف خزيه ويستحي من عريه، وليت روحه تصرخ بقوةٍ إلى الله ويصارع في قلبه حتى اللحظة التي يتجلى فيها ا د السماوي عليه لكي يستره. فا د لرأفته غير المحدودة! وكما انقطع الدم من المرأة النازفة بمجرد أن آمنت إيمانا حقيقيا ولمست هدب ثوب الرب يسوع، هكذا أيضا النفس ا روحة بالخطايا والمعذّبة ب يفٍ من الأفكار النجسة، إذا اقتربت من الرب بإيمان تنجو ويتوقّف ينبوع أفكارها النجسة بقوة يسوع المسيح رب الكون.

فمهما كانت الجراحات الآتية من العدو أثناء القتال والعمى الناشئ من ظلمات الخطايا، فإذا كانت الرغبة الصالحة للنفس تدوم باستمرار وإذا كانت عطشانة للرب يسوع وتصرخ نحوه لكي يأتي ليخلصها فهي تشفى بمراحم الرب، وبمجرد أن تتأمل في النور الحقيقي مرةً واحدة لن ترجع إلى العمى إطلاقًا، وحينما تشفى من جروحها فلن تصاب بعد بمرض الشهوات الرديئة.

٢ - فاطلبوا إذن - يا أحبائي - ليلاً و ارا أن تمنـح لكم القوة الإلهية، وهي ستنـزع وترفع عن عين إنسانكم الباطن جميع الأفكار الخبيثة والميول المخجلة، إ ا ستنقّي نفوسكم من كل اهتمامات هذا العالم. فالآن إذن - يا أحبائي - اطلبوا من الله أن يرسل لكم الباركليت من الأعالي، لأن الرب نفسه وعد أن يعطي الروح القدس لكل

(✪) Lettres des Pères du Dèsert, Spiritualité Orientale, no. 42, p. 59.

الذين يسألونه وأن يوجد للذين يجدون في طلبه، وأن يفتح لكل الذين يقرعون بابه، وهو لا يمكن أن يحنث في وعده.

إنّ الصراع ضد الأفكار ضروري للإنسان لأجل إزالة الأحجبة التي تنشأ منها والتي تغشى الروح، وذلك لكي يمكنه أن يمتد بتطلعه نحو الله بلا انحرافٍ، ولكي لا ينفّذ رغبات أفكاره الطائشة. فعندما تظل هذه الأفكار تجول هنا وهناك فليجمعها ويميز بين الميل الصالح الذي في النفس وبين الأفكار التي تأتي من الشرير. فالذين يسهرون على أفكارهم ينجحون في المعركة الحاسمة التي في داخلهم، والذي يلزم نفسه (بتنفيذ) مشيئة الله من كل قلبه لا ينفّذ مشيئته الخاصة ولا مشيئة الشيطان بل مشيئة الله وحدها كما هو مكتوب: «لا تمشِ وراء هوى نفسك وارفض موضوع شهوتك» (ابن سيراخ٥: ٢)، لأنّ الشهوة دائما تلد خطية (يع١: ١٥)، والذي يتمم هواه يتمم هوى عدوه: «فإنك إن أبحت لنفسك الرضى بالشهوة جعلتك شماتةً لأعدائك» (ابن سيراخ١٨: ٣١).

إن الذين يرغبون في إرضاء الله يأتي عليهم أولاً روح التوبة ليعزيهم في بداية تغييرهم، وحالما يطهرهم ويغسلهم من جميع أوساخ خطاياهم يقودهم إلى الروح القدس بكل طهارةٍ وكل فرحٍ، ومن ثمّ لا يكف عن أن يسكب عليهم رائحةً لذيذة جميع أيام حياتهم. ويكون فرحهم بعد ذلك مع الله نفسه بسبب الحب الذي يكنه لهم. مجداً للرحمة غير المحدودة إلى دهر الدهور، آمين. ❒

سابعا: قصص وأقوال
القديس الأب كرونيوس

١ - قال روفينوس: "رأينا أحد الآباء الرهبان - ويدعى "كرونيوس" - بعد أن تقدم في الأيام وشاخ جدا، إذ كان عمره ١١٠ سنة، وكان أحد رفقاء أنبا أنطونيوس الأوائل. وقد سمعنا منه عدة نصائح وأحاديث روحانية، وقد بلغ اتضاعه - الذي احتفظ به حتى شيخوخته - لدرجة أنه كان يعتبر نفسه شيئًا تافها"(٧٥)!

٢ - وقال بالليديوس: "علمنا من الأب كرونيوس أنه كان من قريةٍ تدعى "فينيس"، وكانت قريبة من الصحراء. هذا خرج إلى البرية وصلى ثم حفر بئرا فوجد فيها ماءً حيا. ثم بنى لنفسه هناك كوخا صغيرا وتعاهد مع الله أنه لن يرجع مرةً أخرى إلى مكانٍ آهل بالسكان".

(75) Hist. Monachorum,XX,13. (76) Laus.,47:1,2. (77) Apoph., Cronios, 1; W. & W., II: 514.

"وبعد سنواتٍ قليلة التف حوله حوالي مائتي أخ، ثم صار أهلاً للكهنوت، وقيل إنه خدم المذبح لمدة ستين سنة، ولم يترك البرية، ولم يأكل إلاّ من تعب يديه. وكان يسكن بجواره أب اسمه يعقوب، وكان كلاهما معروفين عند القديس أنطونيوس"[٧٦].

٣ - قال أخ لأنبا كرونيوس: "قُل لي كلمة". فقال له: "عندما ذهب إليشع النبي إلى المرأة الشونمية وجد أ ا ليس لها تعهد بشري مع إنسان، وأ ا أكرمته جدا كنبي. وهكذا حبلت وولدت طفلاً في أيام ذهاب إليشع إليها (٢مل ٤)". فقال له الأخ: "ماذا يعني ذلك"؟ فقال له الشيخ: "تشبه المرأة بالنفس وإليشع النبي بروح الله، فإذا كانت النفس متيقظة وبعيدة عن كل تشتت وتنبذ مشيئتها، حينئذٍ يسود عليها روح الله ويمكنها أن تثمر حتى ولو كانت عاقرا، لأ ا حرة أن تفعل ذلك"[٧٧].

٤ - سأل أخ أنبا كرونيوس: "ماذا أفعل لكي أعالج النسيان (أو الإهمال) الذي يستعبد روحي، إذ أنني قبل أن أدرك أي شيء أنقاد إلى الخطية"؟ فقال له الشيخ: "عندما استولى الغرباء على تابوت العهد بسبب شرور بني إسرائيل، أخذوه إلى بيت إلههم "داجون"، وحينئذٍ سقط داجون على الأرض (١صم ٥)". فقال الأخ: "ما معنى هذا"؟ فقال له الأب: "إذا حاول الشياطين أن يأسِروا روح إنسان بوسائلهم الخاصة، يدفعونه هكذا حتى يقتادوه إلى وجعٍ (أي ميلٍ نفسي) مجهولٍ خفي، وهنا إذا عادت روحه تطلب الله وتذكّرت الدينونة الأبدية، فإنّ الوجع يطرد في الحال ويختفي. إنه مكتوب: «بالرجوع والسكون تخلصون، بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم» (إش٣٠: ١٥)"[٧٨].

٥ - قال الأب كرونيوس: "لو لم يقُد موسى النبي غنمه إلى جبل سيناء لما رأى النار في العليقة". فسأله أخ: "ما الذي تشير إليه العليقة"؟ فقال له: "العليقة تشير إلى تعب الجسد، لأنه مكتوب: «يشبه ملكوت السموات ك ًا مخفى في حقل» (مت١٣: ٤٤)". فقال الأخ للشيخ: "إذًا، فالإنسان لا يصل إلى أي مكافأة بدون ضيق الجسد"! فقال له الشيخ: "حقًا إنه مكتوب: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب» (عب١٢: ٢)، وداود النبي أيضا قال: «إني لا أدخل إلى مسكن بيتي ولا أصعد على سرير فراشي ... إلى أن أجد موضعا للرب» (مز١٣٢: ٤)"[٧٩].

٦ - سأل أخ أنبا كرونيوس: "كيف يصير الإنسان متواضعا"؟ فقال له الشيخ:

---

(78) Apoph., Cronios, 2 ; W. & W., II: 176. (79) Apoph., Cronios, 4.
(80) Apoph., Cronios,3; W. & W.,II: 177. (81) Apoph., Isaac of the cells, 2; W. & W., I: 444.

"بمخافة الله". فقال الأخ: "وبأي عملٍ يصل إلى مخافة الله"؟ فقال الشيخ: "في رأيي أنه ينبغي أن يبتعد عن كل مشغولية ويعطي نفسه لتعب الجسد، ويذكر بكل ما في وسعه رحيله من الجسد ودينونة الله الرهيبة"[٨٠].

٧ - قال أنبا إسحق قسيس القلالي: "عندما كنت شابا عشت مع أبا كرونيوس، ولم يكن يطلب مني أن أقوم بأي عمل رغم أنه كان شيخا وجسمه يرتعش، ولكنه كان يقوم بنفسه ويقدم لي الطعام ولكل واحدٍ يأتي إليه. وذلك لأنه لم يكن يعتبر نفسه أبا أو رئيس مجمع حتى يأمر أي واحدٍ"[٨١].

٨ - قال أنبا كرونيوس: "إنّ أبا يوسف الذي من البيلوزيوم (بجوار بورسعيد الآن)، أخبره بالقصة الآتية: عندما كنت أعيش في سيناء كان هناك أخ صالحٌ ناسك وجميل الصورة، وكان يأتي إلى الكنيسة مرتديا جلبابا قصيرا قديما ومهرأً ومرقّعا من جميع النواحي. فلما رأيته مرةً قلت له: 'أيها الأخ، ألا ترى الإخوة وهم كالملائكة في الكنيسة؟ فكيف تأتي أنت دائما ذا الجلباب'؟ فقال لي: 'اغفر لي يا أبي، ولكنني ليس عندي غيره'! فأدخلته قلايتي وأعطيته جلابية وكل ما يحتاجه، وبعد ذلك صار يرتديها مثل بقية الإخوة، وكان في منظره مثل الملاك".

"وحدث مرةً أن دعت الضرورة أن يرسل الآباء عشرة إخوة إلى الإمبراطور بخصوص أمرٍ ما، واختاروه هو كواحدٍ من العشرة، فلما سمع ذلك سجد أمام أبيه قائلاً: 'اعفِني باسم الرب، لأنني كنت عبدا لرجلٍ عظيمٍ هناك، وإذا تعرف علي فسيخلع عني زي الرهبنة ويجبرني على أن أخدمه مرةً أخرى'. فاقتنع الإخوة وتركوه. ولكنهم علموا بعد ذلك من إنسانٍ كان يعرفه جيدا عندما كان في العالم أنه كان رئيسا لإدارة إحدى المقاطعات، ولكنه قال ذلك الكلام كحيلةٍ منه حتى لا يزعجه أحد بخصوص ذلك".

ثم قال أبا كرونيوس: " ذا المقدار كان اهتمام الآباء أن يهربوا من ا د وكرامة وأبهة هذا العالم"[٨٢].

٩ - كان أنبا كرونيوس يقول: "الذي يسكن مع شابٍ صغير، إن لم يكن قويا فهو سيتقهقر (روحيا)، وإن كان قويا فحتى إن لم يتقهقر فهو لن ينمو روحيا"[٨٣].

(82) Apoph., Cronios, 5. (83) W. & W., I: 295. (84) Eth. Asc., 47 (cf. 16).

(✿) كان تلميذًا للأب كرونيوس، لذلك وضعناه بعده. وذكر بالليديوس في حواره عن حياة القديس ذهبي الفم أنه كان يوجد راهب باسم إسحق القس تلميذ وخليفة الأب كرونيوس، وكان في نفس الوقت تلميذًا لأنبا أنطونيوس: Sources Chrétiennes, Vol. 341, ch. 17.

١٠ - يحكى عن الأب كرونيوس الذي من جبل "باناهون" أنّ تجربة الزنى حلّت فجأة على تلميذه "إيفانجيليستي"، وأنه في أول يوم للتجربة اضطر معلمه أن يسافر إلى الإسكندرية مع الأب (الروحي) للجبل. وفي وقت رحيل الشيخ، وبينما كان يحمل الزاد للسفر، قال له تلميذه: "هل ستفارقني، يا أبي، وأنا في هذه التجربة الشديدة"؟ فاتجه الأب كرونيوس نحوه وأعطاه السلام، وللحال ابتعدت عنه التجربة.

ولما رجع الأب كرونيوس من الإسكندرية ذهب إيفانجيليستي للقائه بكل فرح، وبعد أن سلّما على بعضهما حلّت التجربة على تلميذه مرةً أخرى، فقال للشيخ: "يا أبي، عندما رحلت فارقت التجربة قلبي، وعندما استقبلتك وسلّمت عليك رجعت بأشد مما كانت عليه سابقًا"! فقال له الأب كرونيوس: "عندما رحلت طلبت من الرب أن تفارقك التجربة حتى أرجع، وعندما رجعت تصرفت بحيث ترجع إليك لكي عندما تتحمل هذا التعب تنال الإكليل"[٨٤]!

❖🔔🕯📖🕯🔔❖

ثامنا: قصص وأقوال
القديس إسحق قس القلالي[*]

١ - قال أنبا إسحق: "رأيت إخوةً يحصدون في حقلٍ، وكنت أعرف أخا منهم، وأراد هذا الأخ أن يأكل سنبلة قمح عندما كان يحصد، فقال لصاحب الحقل: 'أتسمح لي أن آكل سنبلة قمح'؟ فتعجب الرجل من ذلك وقال له: 'أيها الأب، إنّ الحقل كله بين يديك فلماذا تستأذنني في ذلك'؟ إلى هذا الحد كان هذا الأخ مدققًا"[٨٥]!

٢ - قال أبا إسحق عن نفسه إنه قد ظهر له الشيطان مرةً مطِلا من الطاقة قائلاً له: "أنت صرت من أتباعنا". فلما فحص الأمر مع نفسه تذكّر أنه تجرأ على الاشتراك في جسد الرب ودمه ثلاث مرات وهو غير صافح عن أحد الإخوة. فللحال قام مسرعا إلى هذا الأخ وطلب منه الصفح ببكاءٍ وتوسل[٨٦].

٣ - قال الأب إسحق: "لم أسمح إطلاقًا لأي فكر ضد أخي الذي أحزنني أن يدخل قلايتي، كما أنني أُراعي دائما ألاّ يرجع أي أخ إلى قلايته بفكرٍ مضاد لي"[٨٧].

---

(85) Apoph., Isaac of the cells, 4; W. & W., I: 301; س ٤ ص ٨٦

(٨٦) "رهبنة" الطبعة الثانية، ص ٢٧٦.

(87)Apoph., Isaac of the cells, 9.

(88)Apoph., Isaac the Theban, 1; س ٤ ص ٨٧

(89)Apoph., Isaac of the cells, 5.

(90) W.&W., I: 572.

(91) Apoph., Isaac of the cells, 7; W. & W., I: 176.

٤ - ذهب أبّا إسحق يوما إلى دير، فرأى أخا يخطئ فدانه. ولما رجع إلى البرية جاء ملاك من الرب ووقف أمام باب قلايته وقال: "لن أدعك تدخل". فسأله: "ماذا في الأمر"؟ فأجاب الملاك: "لقد أرسلني الله لكي أسألك: أين تريد أن يلقى الأخ المخطئ الذي أدنته أنت"؟ ففي الحال ندم وقال: "إنني أخطأت، فاغفر لي". فقال له الملاك: "ا ض، لقد غفر الله لك، ولكن منذ الآن احذر من أن تدين أحدا قبل أن يفعل الله ذلك"(٨٨)!

٥ - وقال أيضا للإخوة: "لا تأتوا بشبان صغار إلى هنا، لأنّ الكنائس في الأسقيط صارت مهجورةً بسبب هؤلاء الصغار"(٨٩).

٦ - قيل إنّ أبّا إسحق خرج مرةً ووجد أثر قدمي امرأة على الطريق (يبدو أنه عرف أنه أثر حذاء نسائي)، وبعد أن فكّر في ذلك قليلاً حطّم الأثر قائلاً: "ربما لو رآها أخ يخطئ"(٩٠).

٧ - قال أبّا إيساك للإخوة: "كان آباؤنا وأبا بامو يرتدون ملابس قديمةً مرقّعةً كلها ومصلّحةً بسعف النخل، أما أنتم فتتأنقون في ملابسكم، اذهبوا من هنا، اتركوا هذا المكان"! ولما استعدوا للذهاب إلى الحصاد قال لهم: "لن أعطيكم وصايا مرةً أخرى لأنكم لا تحفظو ا"(٩١)!

٨ - دخل أخ في **القلالي إلى الكنيسة** لابسا كوكلوسة (غطاء الرأس النازل على الظهر) قصيرةً عن المعتاد، فطرده أبا إسحق قائلاً: "هذا الرداء الذي تلبسه رداء رهبان وقد حولته أنت إلى رداء علمانيين، فلا ينبغي أن تبقى في وسطنا"(٩٢).

٩ - كان أبّا إيساك يسكن مع أبّا أبرآم (الذي يبدو أنه كان تلميذه). وذات يومٍ جاء أبا أبرآم إلى الأب إسحق ووجده يبكي، فسأله: "لماذا تبكي"؟ فأجابه الشيخ: "لماذا لا نبكي؟ لأنه أين علينا أن نذهب؟ لقد رقد آباؤنا، وعملنا اليدوي لا يكفي لندفع أجرة السفر بالقارب لنذهب لزيارة الشيوخ، ولذلك فها نحن يتامى، لذلك أنا أبكي"(٩٣)!

١٠ - قال الأب أولوجيوس الذي من الهناطون: "كان أحد الإخوة يسكن في منطقة القلالي، وبعد أن أمضى عشرين سنة عاكفًا على القراءة ليلاً و ارا قام ذات يوم

---

(92) Dic.Of Chr. Biog., Isaacus, p. 294 (عن "رهبنة" ص ٢٧٦)

(93) Apoph., Isaac of the cells, 3. (94) N 541. (95) Dic. Of Chr. Biog., Isaacus, p. 294 (عن "رهبنة" ص ٢٧٥); W. & W., I: 66; Apoph., Isaac of the cells, 10.

وباع كل الكتب التي كان يملكها وأخذ رداءه وسار نحو البرية الداخلية، فقابله الأب إسحق وقال له: 'إلى أين أنت ذاهب يا بني'؟ فأجابه الأخ: 'منذ عشرين سنة، يا أبي، وأنا أسمع فقط أقوال الأسفار المقدسة، والآن أريد أن أنفذ عمليا ما سمعته من هذه الأسفار'. فصلى الشيخ من أجله وتركه يذهب"[٩٤].

١١ - إنتاب الأب إسحق مرض شديد (قيل إنه نزيف من المعدة أو من البواسير)، وقد أقعده هذا المرض زمنا طويلاً عن القيام بالخدمة. وعمل له أحد الإخوة نوعا من العصيدة بالقراصيا (نوع من البرقوق الشامي ا فف)، وتوسل إليه قائلاً: "اصنع محبةً، يا أبي، وكُلْ قليلاً من هذه العصيدة لأ ا ربما تقويك في مرضك". فرفع الأب عينيه إليه قائلاً: "في أي سِفْرٍ وجدت هذا الشيء؟ حقًا إنني سأكون راضيا شاكرا لو أنّ الله تركني في هذا المرض لمدة ثلاثين سنة، «لأني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي» (٢كو١٢: ١٠)"! فلما سمع الأخ ذلك أخذ الطعام ورجع إلى قلايته[٩٥].

١٢ - قيل عن الأب إسحق قسيس القلالي إنه كان يأكل رماد الشورية - (المتخلف عن الفحم والبخور) التي يبخر ا على المذبح - مع الخبز. ويبدو أنه كان يعتبره كدواءٍ لمرضه[٩٦]!

١٣ - وقيل عنه إنه لما جاء وقت وفاته اجتمع حوله الشيوخ والإخوة قائلين: "ماذا سنفعل بعدك يا أبانا"؟ فقال لهم: "كما كنت أسلك أمامكم هكذا اسلكوا، وإذا شئتم أن تقتفوا إثر خطواتي وتحفظوا وصايا الله فسيهبكم الله نعمته ويحفظ هذا المكان، ولكن إن لم تحفظوا وصاياه فلن يمكنكم أن تثبتوا في هذا المكان. إننا لما رقد آباؤنا امتلأنا حزنا، ولكننا لما حفظنا وصايا إلهنا وتوجيها م ثبتنا مثل الوقت الذي كانوا فيه معنا تماما، وأنتم أيضا افعلوا هكذا وأنتم تخلصون"[٩٧]!

تاسعا: قصص وأقوال القديس أنبا أمونيوس الأسقف

١ - كان أنبا أموناس الأسقف يقول: "قضيت أربع عشرة سنة في الأسقيط سائلاً

(96) W. & W., I: 73 ; Apoph., Isaac of the cells, 6 ; س ٤ ص ٨٦
(97) Apoph., Isaac of the cells, 11 ; س ٤ ص ٨٦

الله ارا وليلاً أن يهب لي النصرة على الغضب"(٩٨).

٢ - سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا لم يتمكن أبا أموناس من التغلب على وجع الغضب لمدة أربع عشرة سنة رغم أنه قال لنا إنه توسل إلى الله بمعاناةٍ ودموعٍ ارا وليلاً بلا توقف لكي يعطيه النصرة عليه"؟ **فأجاب الشيخ:** "هذا الوجع ربما ساد عليه بدرجةٍ زائدةٍ بسبب تكوينه الطبيعي (أو النفسي)، ولكن من المؤكد أنّ الأوجاع والشياطين قد شنت حربا عليه كرجلٍ قوي ومحاربٍ، لأن الشياطين حاربوا الآباء بقسوةٍ وعنفٍ شديدين، كل إنسان حسب طاقته، وذلك بقدر إمكانيات الآباء على الانتصار، وبآلام كثيرة، أي بصبرٍ واحتمالٍ بإصرارٍ، يطول أمد المعركة ضدهم، حتى إذا انتصروا يتذكّرون القتال والتعب مع ضعفهم فيتضعون ولا يتكبرون"(٩٩).

٣ - قيل عن أنبا أموناس الأسقف إنه قتل عظاية(١٠٠) "Basilisk"، فإذ كان ذاهبا يوما ما إلى البرية ليستقي ماءً من البحيرة رأى العظاية، فألقى بنفسه على وجهه على الأرض قائلاً: "يا رب، إما أن أموت أنا أو هي"، وللحال انشقّت العظاية منفجرةً بقوة الله(١٠١)!

٤ - كان أنبا أموناس ذاهبا يوما ما لزيارة أنبا أنطونيوس فضل طريقه، ولما جلس حل عليه النعاس قليلاً، ولما ض صلى لله قائلاً: "أتوسل إليك يا رب إلهي ألاّ تترك خليقتك لك". فظهرت له كما لو كانت يد إنسان في السماء تشير له إلى الطريق حتى وصل إلى مغارة أنبا أنطونيوس(١٠٢)!

٥ - سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا لما ذهب أنبا آمون (أمونيوس) إلى أنبـا أنطونيـوس وضل في الطريق وبسط يديه إلى السماء وقال: 'يا رب لا تهلك جبلتك'، ظهرت له يد تشير له إلى الطريق ووصل إلى القديس بغير تعبٍ؛ في حين ذهب إليه أخـوان وضـلاّ الطريق ويبس جسداهما من العطش ومات أحدهما، أما الآخر فكُشِف للطوبـاوي عنـه فأرسل إليه الإخوة ولم يمت"؟ **فأجاب الشيخ:** "هذه أحكام الله، ولم يعطِ لإنسـان أن يدركها في هذا العالم، ولا عِلم لنا بما يريده الله لكل إنسان، بل ينبغي أن نعلم أنّ تـدبير الله على نوعين: أحدهما هو التدبير الكلي والآخر هو التدبير الجزئي. فالكلي هو للجميع، والجزئي هو للصديقين الكاملين وحدهم. لقد قال الرب: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منـزلاً» (يو١٤: ٢٣). إذن، فهناك حرص وحفـظٌ

---

(98) Apoph., Ammonas, 3 ; W. & W., II: 256; D. F., VII: iii.

(99) W.& W., II: 651; س ٩ جزء ٤ رقم ٢٥١ ص ٣٦١

(١٠٠) تشبه الحرباء ولكن حجمها أكبر جدا.

(101)Apoph.,Ammonas,2.

(102) Ibid., 7; W. & W., I: 449.

عظيمان من الله لتدبير الوحدة، ولكن بعض القديسين الكـاملين هـم فقـط الـذين يستحقونه، أما بقية الناس فهم محاطون بالتدبير الكلي".

"أما أنبا آمون، فقد كان تلميذًا لأنبا أنطونيوس وكان رئيسا لدير، ثم صار أسقفًا، وكان رجلاً كاملاً، فلذلك استحق الحرص الذي لتدبير الوحدة في وقت تجربته، فخلص من الشدة والموت وشكر الله، أما الأخوان المذكوران فكانا في درجةٍ صغيرةٍ في تدبير ا مع الكلي، وسمح الله لهما ذه التجربة"(١٠٣).

٦ - تنّبأ أنبا أنطونيوس أنّ أبا أمونيوس سينمو في مخافة الله، فقد قاده إلى خارج القلاية وأراه حجرا وقال له: "اِضرب هذا الحجر"، ففعل ذلك. فسأله أنبا أنطونيوس: "هل قال الحجر شيئًا"؟ فأجاب: "لا". فقال له أنبا أنطونيوس: "وأنت أيضا ستقدر أن تفعل هكذا". وهذا هو ما حدث، فقد نما أبا أمونيوس إلى درجة أنّ صلاحه صار عظيما، ولم يكن يعي أي شر.

ولما صار أسقفًا أحضروا له بنتا حبلى وقالوا له: "أُنظر ماذا فعلَت هذه التعيسة الشقية وأعطِها قانون توبة". ولكنه رسم علامة الصليب على رحم البنت وأمر أن تعطَى لها (من مخصصات الفقراء) ستة أزواج من قطع كتان ناعمة قائلاً: "هذا خوفًا من أ ا عندما تلد ربما تموت هي أو الطفـل ولا يوجد حينئذٍ شيء للكفن". ولكن الذين أدانوها تعجبوا قائلين: "لماذا فعلت ذلك؟ وقع عليها عقابا"! ولكنه قال لهم: "أُنظروا يا إخوة، إ ا قاربت على الموت فماذا أفعل أنا"؟ وحينئذٍ أطلقها، ولم يجرؤ أحد أن يتهم أو يدين أحدا أمامه بعد ذلك، لأنه كان ممتلئًا حبا وصلاحا لا ائيا نحو كل بني البشر(١٠٤)!

٧ - جاء إلى أنبا أمونيوس مرةً بعض الناس ليتقاضوا عنده، وكان القديس دائما يعتبر نفسه جاهلاً. فلاحظته امرأة وقالت عنه: "هذا الشيخ موسوس". فلما سمعها قال: "هل تعلمين كم عانيت أنا من التعب في البرية حتى اقتنيت هذا الوسواس"؟ قالت: "لا". فقال لها: "خمسين سنة تعبت لأجله، فهل لأجلكِ أفقده هذه الساعة"؟ ثم تركها في القلاية وترك الأسقفية ومضى(١٠٥)!

٨ - وقيل عنه إنّ أحد الإخوة سأله أن يقول له كلمة، فقال له الشيخ: "اذهب واجعل فكرك مثل فكر فاعلي الشر الذين في السجون (أو المعتقلات)، لأ م يسألون دائما: 'أين هو الوالي؟ ومتى يجيء؟ ومتى يجلس للحكم'؟ ومن فزعهم يبكون. هكذا ينبغي على الراهب أن

(١٠٣) س ٩ جزء ٤ رقم ١٣١ ص ٢١٤.

(104) Apoph., Ammonas, 8; W. & W., I: 449.

(105)Apoph. Ammonas, 9; W. & W., II: 281; س ٤ ص ٦١

ينظر دائما إلى نفسه ويبكتها قائلاً: 'ويحي أنا الشقي، كيف سأقف أمام منبر المسيح؟ وكيف أستطيع أن أجاوبه'؟ فإن كان يهذ بذلك دائما يستطيع أن يخلص"[١٠٦].

٩ - سئل أبّا أموناس: "ما هو الطريق الضيق الكرب (مت٧: ١٤)"؟ فأجاب: "الطريق الضيق الكرب هو هذا: أن تضيق على نفسك فتضبط أفكارك وتجرد نفسك من مشـيئتك لأجل الله، وهذا هو أيضا معنى الآية: «ها نحن قد تركنا كل شيءٍ وتبعناك» (مت١٩: ٢٧)، لأ م لم يكن لهم غِنى ليتركوه، بل تركوا مشيئتهم"[١٠٧].

١٠ - وجد بعض الإخوة أنّ الحياة في المكان الذي يعيشون فيه صعبة، ولما أرادوا أن يتركوا المكان جاءوا إلى أبا أموناس، وكان هو في النهر، ولما رآهم سائرين على شاطئ النهر طلب من النوتية أن يأتوا به إلى الشاطئ، ثم دعا الإخوة قائلاً لهم: "أنا هو أموناس الذي تريدون أن تذهبوا إلى مسكنه" (لأنه عرف ذلك بالروح). ولما أراح قلو م أرجعهم من حيث أتوا قائلاً لهم أن يحتملوا الحياة الصعبة في المكان الذي يعيشون فيه بصبرٍ، لأنّ ذلك ليس فيه خسارة للنفس بل ضيق للجسد فحسب[١٠٨].

١١ - في أحد الأيام ذهب أبا أموناس ليعبر النهر، فوجد مركب المعدية جاهزةً فدخل فيها وجلس. ثم جاءت مركب أخرى ونقلت الناس الذين في المركب الأولى إليها، فقالوا له: "تعالَ أيها الأب واعبر النهر معنا". ولكنه أجاب: "لن أعبر إلاّ في المركب العمومية". وإذ كان معه ملء قبضة يده من الخوص جلس يضفره ثم يفكّه حتى جاءت المركب إلى جانب الأخرى وحينئذٍ عبر. فانحنى له الإخوة قائلين: "لماذا فعلت ذلك"؟ فقال لهم الشيخ: "حتى أسير بدون اضطرابٍ في روحي".

هذه القصة مثالٌ وقدوةٌ لنا، فنحن ينبغي أن تكون مسيرتنا في طريق الله في سلامٍ وهدوء (أي بدون استعجال)[١٠٩].

١٢ - جاء أبّا أموناس مرةً إلى الإخوة، فاستسمحوه قائلين: "قُل لنا كلمة". فقال لهم الشيخ: "إنه يجب علينا أن نسير في طريق الله دوء"[١١٠].

١٣ - سأل أخ أبّا أمونيس[١١١]: "كيف ينبغي أن يسلك الإنسان عندما يريد أن يبدأ

(106) Apoph., Ammonas,1; W. & W., I: 136 ; س ٤ ورقة ٦٠
(107) Apoph., Ammonas, 11 ; W. & W., II: 208 ; س ٤ ص ٢١ و ١٤٥
(108) Apoph., Ammonas, 5 ; W. & W., II: 392.
(109) Apoph., Ammonas, 6; W.& W., II: 404.
(110) W. & W., I: 324; II: 469.
(١١١) هذا القول وما يليه لم نجد لهما سوى مرجعين: **الأول:** هو W. & W., II: 371, 372، **والثاني:** هو Patr. Orient., Tome XI, Fasc. 4 - N 55, p. 423. وكلا القولين في المرجع الأول هما لأبا Amônîs، وفي المرجع الثاني هما لأبا Ammônios ، لذلك وضعناهما ضمن أقوال أنبا أمونيوس.

عملاً أو عندما يريد أن يذهب أو يأتي، أو يذهب من مكانٍ إلى آخر، حتى يكون سلوكه حسب مشيئة الله ويكون بمنأى من خداع الشياطين"؟ فقال له الشيخ: "ينبغي عليه أولاً أن ينظر بعقله ويرى هدف ما يريد أن يعمله، وما الدافع إليه، وهل هذا من الله أم من الشيطان أم من الإنسان نفسه، ثم يفعل ما يراه. ولكن فليهرب من الذهاب وا يء، ومن الذهاب من موضعٍ لآخر، وإذا لم يفعل ذلك سيصير في النهاية أضحوكةً للشياطين. ولكنه بعد ذلك فليصل متوسلاً إلى الله أن يجعل عمله هو عمل الله، ثم فليبدأ العمل وبعد ذلك فليفتخر بالرب".

وقال أيضا: "تعامل مع كل إنسان بنفس الطريقة التي يتعامل ا الله أيضا معك".

❖ ❖

عاشرا: قصص وأقوال
القديس أبا هيراكس

١ - كان في **الصعيد شيخ يدعى "هيراكس"،** وكان في حوالي التسعين من عمره. وأراد الشياطين أن يقودوه إلى التهاون بإقناعه أنه سيعيش طويلاً، فذهبوا إليه مرةً وقالوا له: "أيها الشيخ، ماذا تفعل؟ إنك ستعيش خمسين سنة أخرى". فأجا م: "لقد ضايقتموني جدا، لأنني كنت أعِد نفسي لكي أعيش مائتي سنة". فتركه الشياطين وهم يصرخون(١١٢).

٢ - قال أبا هيراكس: "لم أنطق إطلاقًا ولا أردت أن أسمع أي كلمة دنيوية"(١١٣).

٣ - سأل أخ أبا هيراكس قائلاً: "قُلْ لي كلمة، كيف يمكنني أن أخلص"؟ فقال له الشيخ: "اِجلس في قلايتك، وإن جعت كُلْ وإن عطشت اِشرب، فقط لا تتكلّم بالشر على أحدٍ وأنت تخلص"(١١٤).

٤ - روى أبا إيليا الأسقيطي قائلاً: "منذ أن أتيت إلى الأسقيط طلبت من أبا هيراكس قائلاً: 'اِجعلني ابنا لك لكي أتعلّم على يديك'. فقال لي لكي يجربني: 'هل ستسمع مني كل ما سأقوله لك'؟ فقلت له: 'نعم، تماما'. ثم أشعل نارا وقال لي لكي يمتحنني: 'بما أنك تريد أن أجعلك بالقرب مني، وبما أنك ستطيعني ضع يدك في هذه النار'. فوضعت يدي في النار وتركتها هكذا حتى صارت سوداء. ولولا أنه أخذها

---

(112) N 33 (فرنسي). (113) Apoph., Hierax, 2. (114) Apoph., Hierax, 1.

وسحبها لكنت قد فقدتها". وهكذا أظهر لنا أبا إيليا المعجزة التي تمّت في يده[١١٥].

حادي عشر: قصص وأقوال
القديس أنبا بيتيريون[🕭]

قال أنبا بيتيريون تلميذ أنبا أنطونيوس: "إن أراد أحد أن يطرد الشياطين، فعليه أولاً أن يخضِع الأوجاع (شهوات النفس)، لأنه سيتخلّص من شيطان الوجع الذي ساد عليه. فمثلاً: يرافق الشيطان الغضب، فإذا سيطرت على غضبك تتخلّص من شيطان الغضب، وهكذا يكون الحال مع جميع الأوجاع"[١١٦].



(115) Ch., 270.

(🕭) يذكر الجزء الخاص بالقديس أموناس في مجموعة Patrologia Orientalis ، ص ٤٢٤ قول رقم (١) أنّ أبا بيتيريون كان تلميذاً لأنبا أنطونيوس.

(116) Apoph., Pityrion, 1.

الباب الثـاني

قصص وأقوال القديس
أنبا مكاريوس الكبير
[أنبـا مقـار]
وأقوال تلاميذه



الفصـل الأول

قصص وأقوال وعظات ورسائل
القديس مكاريوس المصري الكبير
(أنبـا مقـار)

القديـس في شـبابه

١ - قيل عن القديس مقاريوس[١] إنّ اسمه ظهر في سماء مصر كمصباح مضـيء[٢]. وقد بلغ مقاريوس درجةً من الحكمة الروحانية (الإفراز) حتى كان يدعى وهو بعد شاب بـ "الصغير صاحب حكمة الشيوخ = بيداريوجيرون Παιδαριογερων" وترجمتها الوصفية: إنسان له جسم شاب ورأس شيخ. وما إنْ أكمل الأربعين سنة حـتى وهـب مصارعة الأرواح، كما وهب النبوة[٣].

ولما تقدم في حياة الفضيلة نال قوةً معزية ⲟⲩϫⲟⲙ ⲙ̀ⲡⲁⲣⲁⲕⲗⲏⲧⲟⲛ من ربنا يسوع حتى إنّ القوات المضادة كانت تضطرب وترتعد أمامه بسبب القوة المعزية التي كانت فيه[٤].

٢ - ويقول عنه أنبا صرابامون تلميذه[٥]: "في كل مرة قابلنا أنبا مقاره ما كنا نقول كلمة واحدة إلاّ وكان يعرفها لأنه "كان لابسا الروح Πνευματοφορος" (إبنفماتوفوروس)، وكان يسكن فيه روح نبوي كالذي كان في إيليا وسائر الأنبياء، لأنه كان متسربلاً بالتواضع مثل الثوب بقوة الباركليت الساكن فيه. وفي الحقيقة إنّ مجرد رؤيتنا له مملوءًا من نعمة الله المضيئة ومجد الرب على وجهه فإن تعزية الروح القدس المعزي الذي كان فيه كانت تحلّ على كل الذين كانوا يجلسون حوله. وعندما كنا نمتلئ بالبهجة والفرح وجاذبية أحاديثه المحيية والمملوءة نعمةً كنا نذهب إلى مساكننا ممجدين الله وخادمه أنبا مقار لأجل مجد الآب والابن والروح القدس"[٦].

٣ - وقيل عنه وعن سميه الإسكندراني إنّ اسميهما يناسبهما (مكاريوس أي المطوب) من جهة الفضائل الروحانية والمواهب الإلهية، وإ مما برعا بالحقيقة في حياة التوبة حتى إلى

---

(١) عن "رهبنة" الطبعة الثانية ص ٥٥. (2) Monach., V. P., p. 28. (3) Laus., 17: 2.
وقد زار روفينوس براري شيهيت ونتريا عام ٣٧٢م، حيث يقول في كتابه **"آباء الصحراء"** إنه رأى هناك في أيامه خمسين ديرا. (٤) نقلاً عن كتاب **"فضائل أنبا مقار"** الموضوع باللغة القبطية الذي حققه ونشره المؤرخ أميلينو، والذي ننشر معظم أقواله في هذا الجزء. (٥) أنبا صرابامون (أو سرابيون أحيانا) كاتب سيرته، قيل إنه رئيس تلاميذ أنبا أنطونيوس الذي انتقل بعد نياحة معلمه وسكن في الأسقيط وصاحب أنبا مقار مدة من الزمن ("رهبنة" ص ٥٦)، ويذكر كتاب **"فضائل أنبا مقار"** هذا القول لأنبا بيمين. (٦) س ١٨ ص ١٧.

الكمال، وبلغا إلى معرفة أسرار الله، وتسلطا على الشياطين والأمراض وصنعا المعجزات[٧].

٤ - كما جاء عنهما أيضا: أخبرنا أحد الآباء ممن كان هناك في تلك المناطق أن المقارين قد تألقا مثل النورين في السماء: أحدهما كان مصري الجنس وتلميذًا للمغبوط أنطونيوس، والآخر من الإسكندرية، وكما هو واضح من معنى اسميهما هكذا كانا في قدرا ما الروحية وسمو المواهب السماوية. كل منهما كان "مكاريوس"، وكانا متساويين في صرامة التقشف والقوى الروحية، وكل منهما يفوق الآخر في هذا فقط الذي اكتسبه وكأنه بالوراثة: أي النعمة والصلاح اللذين للمغبوط أنطونيوس[٨].

٥ - وكان القديس مقاريوس الكبير كاملاً معلما لجميع سكان الأديرة (بعد العظيم أنطونيوس)، وهو المكني عنه في الإنجيل: «أقامه الله على عشر مدن»، وذلك في المعرفة الإلهية[٩].

٦ - وقيل عنه قبل رهبنته: إنه في إحدى الأسفار وهو نازلٌ مع الجمالين إلى وادي النطرون وقد صار بالقرب من الجبل المطل على البحيرات (أسفل الجبل الذي فوق البحيرة)، وكان الكل نياما من التعب ومقارة أيضا نائم، إذ رأى في نومه أمرا مخوفًا: إنسانا نورانيا متشحا بأسطوانةٍ (أي هالةٍ) كالبرق الساطع، وهذه الأسطوانة مكللة بالجواهر (عيون الشيروبيم)، وكلمه قائلاً: "انظر حولك وتأمل أعماق الجبل"، فأجابه مقارة: "إنني يا سيدي لا أرى شيئًا سوى رأس البهلس ⲡⲓϩⲉⲗⲟⲥ (بحيرات النطرون) والغابة (أعشاب البردي والنخيل المتكاثف بالقرب من الماء)، وعن يمينه البقعة (المستنقعات) والجبل المحيط". فقال له الرجل النوراني: "إن الله يقول لك إني أعطيك هذا الجبل ميراثًا لك ولأولادك يتفرغون فيه للصلاة، ويخرج منك رؤوس ومقدمون من هذه البرية. والآن ا ض من نومك وتذكر جيداً جميع ما قلته لك، وإذا ما صرت كاملاً أعود فأظهر لك وأكلمك بما يجب من فم الله".

وكان هذا هو أول ظهور للشيروبيم للقديس مقارة، والذي صار رفيقًا ومرشدا له طول أيام حياته حتى يوم نياحته[١٠].

٧ - وحدث (قبل ذهابه إلى شيهيت) أن خرج من قلايته، ولما رجع وجد شخصا يسرق حاجاته ويضعها على جمل، فاقترب إليه متظاهرا أنه غريب وعاونه في ترتيب وتحميل الحاجات على الجمل. وبعد هذا ضرب السارق الجمل لينهض ويسير فلم يقُم الجمل. فدخل القديس قلايته فوجد فيها مخلاة تركها السارق، فحملها للسارق قائلاً:

(7) Monach., V. P., p.28. (8) D. F., p. 55, XXVIII. (٩) س ٩. (١٠) س ١٨؛ "رهبنة" ص ٦٢.

”يبدو أن الجمل يرفض القيام قبلما يأخذ هذه المخلاة أيضاً“. ووضع المخلاة على الجمل ونخسه فقام الجمل طاعةً للقديس، وسار الجمل وخلفه السارق مع القديس أنبا مقارة الذي أخذ يناجي نفسه قائلاً: ”إننا دخلنا العالم بلا شيء وواضح أننا لن نأخذ منه شيئًا“ (أنظر١تي ٦:٧)، «الرب أعطى والرب أخذ» (أي١:٢١)، وما حدث فهو بحسب مشيئته ومسرته والحمد لله.

وبعدما سار الجمل مدةً من الزمن برك على الأرض ورفض القيام مطلقًا إلاّ بعد أن فكوا الحِمل وأنزلوه عن الجمل، وعندئذ قام ومشى بسهولة، وهكذا استرد القديس أمتعته[١١].

٨ - كان القديس أنبا مقار من المنوفية من ضيعة تدعى"جحوير" (أو ششوير) وكان والده قسا، أما هو فكان يعمل في تجارة ملح النطـرون من الجبل على الجمال. وقال هو عن نفسه: ”إنني في أيام شبابي كنت مقيما في قلايةٍ بمصر (بجوار منف أي القاهرة الآن)، فأمسكوني وجعلوني قسا على ضيعةٍ، وإذ لم أؤثر أن أتقلد هذه الرتبة هربت إلى مكانٍ آخر، فجاءني رجلٌ تقي علمانيّ وكان يخدمني ويبيع عمل يدي“.

”وحدث أن عذراء في ذلك المكان سقطت في زنى وحبلت، فلما أُشهرت سئلت عمن فعل ذلك، فقالت: ’المتوحد‘! فجاءوا وأمسكوا بي واقتادوني إلى الضيعة وعلقوا في عنقي قدورا (أي أواني) مسخمة (أي مهببة بالرماد الأسود) وآذان جرار مكسورة، وشهروا بي في كل شارع في الضيعة وهم يضربونني ويقولون: ’هذا الراهب اغتصب ابنتنا العذراء فاخزوه‘. وضربوني حتى اقتربت من الموت، فسألتهم: ’ما هي خطيتي وما هو ذنبي حتى تضربونني هكذا بلا شفقة‘؟ .. وكان خادمي يتبعني وهو مملوء خزيا وخجلاً بسبب ادعائهم علي، مغموما من شدة ضر م لي وهم يهزأون بي“.

”وبغتةً ظهر لجموع الناس ملائكة يشبهون أناسا مؤمنين معروفين، وكأ م جاءوا من بعيد، ولما رأوني قد اقتربت من الموت بسبب الضرب والهُزء سألوهم: ’ما شأن هذا الراهب‘؟ فلما أخبروهم بما يدعون به علي قالت لهم الملائكة: ’هذا ليس حقًا، نحن نعرف هذا الإنسان منذ نشأته أنه مؤمن صالح‘. ثم تقدموا وحلوني من وثاقي وكسروا القدور والجرار المسودة المعلّقة في عنقي، ثم قال لهم والدا الفتاة: ’لن نطلقه حتى يعطينا ضامنا أنه يقوم بإطعامها ونفقة ولاد ا إلى أن تكمل تربية الطفل‘. فقلت لهم: ’يا آبائي إنّ هذا الأمر الذي تتهمونني بأنني سقطت فيه لا أعرفه‘. ثم قلت لخادمي: ’اِصنع محبة واضمني،

(11) W. & W., I : 188, 189; Apoph., Mac., 18, 40.

فضمنني‘“.

”ثم أطلقوني، فذهبت إلى قلايتي وقد كدت أن أموت، وقلت لنفسي: ’الآن كِد يـا مقارة فقد صارت لك امرأة وبنون، وعليك أن تعمل نهارا وليلاً لأجل قوتك وقوتهم‘. وهكذا كنت أعمل المقاطف التي كان خادمي يبيعها ويعطي للمرأة“.

وهنا يقول القديس سيرابيون (كاتب سيرة القديس): ”وإنّ الله خالق البرايا الـذي يمجد الذين يمجدونه والعالِم بكل الأمور قبل كونها ولا تخفى عليه خافيـةً، لم يشـأ أن يكتم طهارة هذا القديس وحياة عبده أنبا مقار الخفية، لكنه شاء أن يعرف كل الناس أنه هو رجاء خائفيه المتوكلين عليه“. إذ يكمل القديس قائلاً: ”ولما حان وقت ولادة هذه الشقية مكثَت أربعة أيام في شدةٍ معذبةً وهي تستغيث ليلاً ونهارا ولم تقدر أن تلد حـتى أشرفت على الموت، فقالت لها أُمها: ’ما هو ذنبكِ يا ابنتي، الآن بعد قليـل تمـوتين‘؟! فقالت لأُمها: ’أنا مستحقة الموت، أما كفاني خطيتي بالزنى بل جلبت أيضا التجربة على عبد الله القس الراهب ذاك الذي لم يصنع بي شرا البتة؟ ولكنه الشاب فلان‘ ...! فلمـا سمع والداها ذلك ندما كثيرا على كثرة الشرور التي صنعوها بي حتى قاربت الموت، أمـا الشاب المذكور فقد هرب“.

”ولما سمع خادمي بذلك، وأن الناس عزموا أن يأتوا إلي ليستغفروا مني، جاء إلي مسـرورا وأخبرني بكل ذلك وهو مبتهج لأن الله رفع الخجل عن وجهه لأنهم كانوا يعيرونـه بسـببي، وأعلَمني أنّ كل أهل القرية يريدون المجيء إلي ليتوبوا إلي ويطلبوا مني الغفران، فلما سمعت أنـا هذا الكلام هربت وجئت إلى الأسقيط، وهذا هو السبب الذي لأجلـه جئـت إلى جبـل النطرون“(١٢)!

وهنا يكمل القديس سيرابيون شارحا كيفية مجيء أنبا مقار إلى الأسقيط، فيقول: ”لمـا سمع القديس بذلك فكر أن يرحل من ذلك الموضع ويسكن في قلايةٍ أخرى، وبينما هو مزمع أن يفعل ذلك صلى كعادته وهو قائم أمام مائدة الحياة (مذبح الكنيسة) فشاهد عـن يمينـه كاروبيما ناريا ذا ستة أجنحة مملوءًا كله عيونا، ولما أراد القديس أن يتفرس فيه امتلأ خوفًـا وسقط على وجهه وصار كالميت ملقى على الأرض، فتقدم إليه الكاروبيم المقدس وأمسكه وأقامه وقواه وقطع عنه الخوف، فلما تأيد (أي أفاق) قال له: ’لماذا ثقُل قلبك ونسيت ما قلته لك؟ لقد فعلت حسنا إذ احتملت هذه التجربة التي جاءت عليك حتى تنال الكمال. بـادر

(12) Am., p. 203; Apoph., Mac., 1.

غدا وارحل من هنا وامضِ واسكن في الموضع الذي أُريه لك بأمر ربنا الذي يريد أن يعمل بك، وأنا سأجيء إليك وآخذك ليلاً ونسير دون أن يشعر بنا أحد، فلا تخف لأن هكذا هي مشيئة الرب لا أن تكون أبا لأولادٍ جسدانيين بل أن تلد بنين روحـانيين هـؤلاء الـذين يوصيك الرب أن تجذ م بالأسرار الخفية والاستعلانات إلى النهاية إن هم حفظـوا وصـايا الرب'".

"فنسي أنبا مقار الضرب والتعذيب الذي حل به من الناس والشياطين معا ولما قام للصلاة في الليل كعادته أبصر نورا عظيما في ذلك الموضع، فعلم القديس أنه الشيروبيم الذي ظل ساعةً لا يكلمه لئلا يخاف، وبعد ذلك قواه وخاطبه قائلاً: 'قُم بقوة الله الذي يقويك وسِر ورائـي كما أُريك'. فترك القديس كل شيءٍ في قلايته وخرج مسرورا والكاروبيم يسير أمامه، وبعد يومين دخل الجبل ودار به حوله كله، وأراه المواضع المزمعة أن تكـون مسـكنا (للرهبـان) هناك".

"فقال الأب مقاريوس للشيروبيم: 'أطلب إليك يا سيدي، عرفني أين أسكن في هذا الجبل'. فقال له الشيروبيم: 'هذه الإرادة هي لك، ها كل البرية أمامك، لأني أخشى أن أعطيك وصيةً أن تسكن هنا أو هناك فيقاتلك الضجر أو الاضطهاد وتخرج مـن ذلـك الموضع وتتجاوز الوصية فتخطئ! فلتكن سكناك بسلطانك على نفسك، فأينمـا أردت اسكن وجرب وكُن صامتا واحترس من مقاومة الشرير وحيله، فإذا ابتليت منه تكون قد عرفت مسبقًا بذلك. أما أنا فسأكون كل وقت معك كأمر الله'".

"فسار الأب مقاريوس في الجبل حتى وصل إلى الموضـع الـذي يـدعي " ا ـس Anaballos"، ولم يكن بعيدا من الماء العذب، وحفر لنفسه في ذلـك الجبـل مغـارةً وسكنها أياما قليلة، ثم خرج يطوف البرية، وجاء إلى يمين ذلك الموضع وحفر سـردابا وسكن فيه، لأنّ الناس (رفاق مهنته الأولى من الجمالين تجار ملـح النطـرون) كـانوا يطرقونه وهم في طريقهم إلى البهلس، وبعد زمان طويل وهو في ذلك الموضع حدث أن جنودا من الروم قام عليهم البربر وقتلوهم، مما جعله يصلح موضعا آخر لا يعرفه أحـد ليصلي ويقرأ فيه، ومكانا آخر يعمل فيه الضفيرة يعرفه الجمالون الذين كانوا يبيعون لـه شغل يديه ويأتون له بالخبز اليابس"[(١٣)].

٩ - قيل إن القديس أنبا مقار لما تقدم في الأعمال الصالحة ونال النعمة بشكر وبصـبر عظيم، أرسل إليه رب ا د كروبيما وأرشده إلى هذا الجبل، ومر بيده علي صدره كمـن

---

(١٣) س ١٨ ورقات ٦ - ٩ ؛ س ٤ ورقة ١١؛ Apoph., Mac. 1.

يقيسه. فقال له أنبا مقار: "ما هذا"؟ فقال له الشيروبيم: "إنـني وزنـت قلبـك ⲁⲓϣⲓ ⲙ̀ⲡⲉⲕϩⲏⲧ". فقال له: "ما تفسير هذا الكلام"؟ فقال له الشيروبيم: "إنّ هذا الجبل الذي أعطاه لك المسيح سيسمى "ميزانا"(١٤)، ولكن الله سيطلب منك الثمار". فقال له أنبا مقار: "وما هي الثمار"؟ فقال له الشيروبيم: "إ ا ثمار روحانية، وهي الوصايا والفضـائل، لأن المسيح ربنا جعلك إلهًا على هذه الأرض لشعبٍ كثير، كل الـذين يسـمعون ويحفظـون وصاياك سيكونون أكاليل ملوكية على رأسك في يوم ظهور ملك الحق المسيح".

ولما قال الشيروبيم ذلك رفع أنبا مقـار عن الأرض وقال له: "إنك ستصلب مع المسيح، وسترتبط به على الصليب بزينة الفضائل ورائحتها لكي تبلغ أعمالك الحسنة وصيت أفعالك ونسكياتك إلى جميع أقطار الأرض، وتخلص كثيرين كانوا غارقين في طين الخطية فيصيرون جنودا ومقاتلين في خدمة المسيح".

فصار القديس أنبا مقار يضعف جسده بالجهاد، وهكذا صلب جسده وأكمل بغيرةٍ كل ما قاله له الشيروبيم بسلامٍ من الرب آمين(١٥).

١٠ - وقيل إنه لما كانت شهرة أنبا مقار تجذب نحوه زيارات كثيرة، فلم يجد أية وسيلة للخلاص منها سوى أن يحفر بنفسه سردابا تحت الأرض - استغرق منه زمنا طويلاً - يصل بين مغارته ومغارة أخرى بعيدة على مسافة نصف غلوة (١٦٥ - ٢١٠مترا)، فإذا حدث أن جاءه كثير من الناس يضيقون عليه كان يترك مغارته (عن طريق السرداب) إلى المغارة الأخرى حيث لا يمكن أن يجده إنسان. وقد أخبرنا أحد تلاميذه المقربين بأنه كان يصلي أربعا وعشرين صلوة في ذهابه إلى المغارة وأربعا وعشرين أخرى في عودته منها، لأن أنبا مقار كان يمارس الصلوات القصيرة الحارة التي أوصى ا تلاميذه والتي ندعوها نحن: "الصلوات السهمية Orationis ejaculatoris"(١٦).

الصمت والبكاء بسبب الخطايا

١١ - كان الأب مكاريوس يقول للإخوة: "إذا سرحت الكنيسة فروا يا إخوة فروا".

---

(١٤) وهذا هو السبب الأصلي في التسمية "شيهيت" أي "ميزان القلوب"، وهكذا أُعطي هذا الاسم المبارك لأسقيط مقاريوس من الله بواسطة أقرب خدامه وهو الشيروبيم.

(١٥) م٢٣ ورقة ١٨٥؛ Virtues de St. Macaire, ed Am. XXV, p. 118

(16) Am., p. 76; Laus., 17: 10.

ومعروف أن القديس انتقل بعد ذلك جنوباً نحو صخرة شيهيت (الأولى المعروفة الآن بقارة أولاد الملوك)، وحفر مغارتين بينهما سرداب. وقد اكتشفت هذه المغارة الأخيرة عام ١٩٧٣ بجوار دير أنبا مقار الحالي.

ويوجد مكانان باسم "باتارا Patârâ": الأول هو صخرة شيهيت القريبة من دير البرموس، والثاني هو صخرة شيهيت المدعوة صخرة مقاريوس وهي موضع دير أنبا مقار الحالي ("رهبنة" هامش ص ٨٩ الطبعة الثانية).

فقال له أحد الآباء: "أيها الأب، إلى أين نفر أكثر من هذه البرية"؟ فضرب بيده على فمه وقال: "من هذا فروا". وكان إذا دخل القلاية أغلق الباب على نفسه وجلس[١٧].

١٢ - سأل إخوةٌ شيخا: "قيل إنه عندما كانت تنتهي الخدمة في الكنيسة اعتاد أبا مكاريوس أن يهرب إلى قلايته، وإن الإخوة كانوا يقولون إنّ به شيطانا، ولكنه كان يعمل عمل الله[١٨]. فمن هم الذين كانوا يقولون إنّ به شيطانا؟ وما هو عمل الله الذي كان يعمله"؟ **فقال لهم الشيخ:** "الذين قالوا إنّ به شيطانا هم الإخوة الكسالى، فالشيطان عندما يرى رهبانا يعيشون في الدير حياة روحية سامية يحرض الإخوة الكسالى أن يشنوا حربا ضدهم، وذلك بإهانتهم وسبهم واغتيا م وتشويه سمعتهم والتجارب التي يسببو ا لهم".

"أما عن عمل الله الذي كان يعمله عندما يهرب إلى قلايته فهو هذا: صلاة مصحوبة ببكاءٍ ودموع، وهذا أيضا يطابق نصيحة أبا إشعياء الذي كان يقول: عندما تنصرف الكنيسة أو عندما تقوم بعد الأكل فلا تجلس لتتكلم مع أي إنسان سواء بخصوص أمـ ور العالم أو بخصوص فضائل روحية، ولكن اذهب إلى قلايتك وابكِ من أجل خطاياك"[١٩].

١٣ - طلب أنبا إشعياء من أنبا مكاريوس أن يقول له كلمة تعليم، فلم يقل له سوى هذا: "اُهرب من الناس". فسأله: "ما هو يا أبي الهروب من الناس"؟ فأجابه: "هو مكوث الإنسان في قلايته وبكاؤه من أجل خطاياه، وكراهية الميل البشري للحديث، وأول الفضائل هو ضبط اللسان والبطن على السواء"[٢٠]. (يلاحظ أن هذه النصيحة أُعطيت لأب كبير أكمل خدمة ا مع).

١٤ - ذهب الأب مكاريوس مرةً من الأسقيط إلى نيرس[٢١]، فقال له الشيوخ: "قل كلمة للإخوة أيها الأب". فأجا م: "أنا لم أصر بعد راهبا لكنني رأيت رهبانا، فقد ألحت على الأفكار مرةً في قلايتي أن أذهب إلى البرية الداخلية لأرى ما يحدث هناك. فمكثت مقاتِلاً لهذا الفكر خمس سنوات قائلاً: لعله من الشيطان. فلما ظل الفكر ثابتا ذهبت إلى البرية الداخلية فصادفت هناك بحيرة ماء وفي وسطها جزيرة، وقد جاءت وحوش البرية لتشرب منها، وشاهدت بينها رجلين عاريين، فجزعت منهما لأنني ظننت

---

(17) Apoph.,Mac., 16; W.&W., I: 30;١٤ س ٤ ورقة

(١٨) يلاحظ أن نفس هذا الكلام قيل أيضا عن أنبا شيشوي.

(19) W. &W., II: 661.

(20) Boll.,15 Jan.& Vit. Pat., 3: 189; Apoph., Mac.,27, 41. ويذكر هذا القول الأخير رقم ٤١ أنّ أبا "أيو Aïo" سأل نفس السؤال للقديس وتلقى نفس الإجابة؛ س ٤ ورقة ١٢٩؛"رهبنة" الطبعة الثانية ص ٨٨.

(٢١) أو "نيري"،وهي منطقة القلالي شمال الأسقيط.

أ ما روحان. فلما رأياني خائفًا جزعا قالا لي: 'لا تجزع فإننا بشريان مثلك'. فسألتهما: 'من أنتما؟ ومن أين أنتما؟ وكيف جئتما إلى هذه البرية'؟ فقالا لي: 'كنا في كينوبيون، فصارت بيننا موافقة وخرجنا إلى هنا، ولنا منذ أن جئنا إلى هنا أربعون سنة'. وكان أحدهما قبطيا والآخر نوبيا (أو ليبيا حسب بعض المراجع)".

"ثم سألاني: 'كيف حال العالم؟ هل مازال النيل يصعد في وقته؟ وهل الدنيا بخير كما كانت سابقًا'؟ فقلت: 'نعم'. ثم سألتهما: 'كيف أستطيع أن أصير راهبا'؟ فقالا لي: 'إن لم يزهد الإنسان في كل أمور العالم فلا يتمكن من أن يصير راهبا'. فقلت لهما: 'إنني ضعيف لا أقدر أن أكون مثلكما'. فقالا لي: 'إن لم تقدر أن تكون مثلنا فامكث في قلايتك وابكِ من أجل خطاياك'. فسألتهما: 'أما تبردان إذا صار شتاءٌ وإذا صار حر أما يحترق جسداكما'؟ فأجاباني: 'إنّ الله قد جعل لنا هذا التدبير: أن لا نجد في الشتاء بردا ولا يضرنا في زمن الحصاد حر'. ثم قال القديس: "لذلك قلت لكم إنني لم أصر بعد راهبا بل قد رأيت رهبانا، فاغفروا لي"[(٢٢)].

١٥ - سأل الإخوةُ شيخا: "ما الذي كان يقصده الراهبان اللذان قالا لأنبا مقار: 'إذا لم تستطع أن تصير راهبا مثلنا فامكث في قلايتك وابكِ من أجل خطاياك وهكذا تصير مثلنا'"؟
فأجاب الشيخ: "لأ ما عرفا أنه إذا استطاع إنسان أن يكون متوحدا بالجسـد ويعـيش في سكون التأمل وعمالاً بروحه وبجسده، ويتواضع ويبكي بسبب خطاياه كل يوم، ويقطع مـن نفسه كل ذكرٍ للأوجاع (أهواء النفس) وأفكار السجس، ويجعل لهجه في الله فحسـب وفي سلوكه باستقامةٍ؛ فمثل هذا الإنسان هو بالحقيقة راهب، كما قال الأب إيفاجريوس: 'الراهب الذي ابتعد عن العالم هو الذي قطع من نفسه كل حركات الأوجاع وثبت فكـره كلـه في الله'"[(٢٣)].

التوبـة والدمـوع

١٦ - كان أبا بفنوتيوس تلميذ الأب مكاريوس يردد ما قاله الشيخ إنه: "عندما كنت صغيرا كنت مع أولادٍ آخرين نأكل عنبية (عنب الدب) وهم كانوا معتادين أن يسرقوا التين، وحدث مرةً أثناء هروبهم أن سقطت منهم تينة فالتقطتها وأكلتها، وفي كل مرةٍ أذكر ذلك أجلس وأبكي"[(٢٤)].

---

(22) Apoph., Mac., 2 ; Ch., 242 ; Am., 218: 5; س٤ ورقة ١٢
(23) W., & W., II: 617; س٩ رقم ١٠ ص ٣٣
(24) Apoph., Mac., 37 ; Am., 205: 13.
(٢٥) س٤ ورقة ٤٤.
(٢٦) س ٤ ورقة ٤٥.

١٧ - قال أنبا مقار: "كما أن المطر إذا سقط على الأرض يجعلها تنبت وتأتي بثمار نياحا لكل أحد، هكذا أيضا الدموع إذا سقطت على القلب تثمر ثمارا روحانية ونياحا للنفس والجسد معا"[٢٥].

١٨ - وقال أيضا: "كما أن الماء المسلط على النار يطفئها ويغسل كل ما أكلته، هكذا أيضا التوبة التي أعطاها لنا الرب يسوع المسيح تغسل جميع الخطايا والأوجاع (أهواء النفس) والشهوات التي للنفس والجسد معا"[٢٦].

١٩ - قال أنبا شيشوي بخ**صوص أنبا مقار:** "ذهب مرةً أخ لزيارته فرأى القديس نعمة الله التي كانت تصاحبه وقال في نفسه: 'يا إلهي! كم أن دموع الإنسان التي يسكبها بسبب خطاياه تتفوق على جميع فضائله'! وقال للأخ: 'صدقني إذا علمت بالذي معك فلن تخاف من مواجهة أي شيء في العالم'"[٢٧].

٢٠ - قيل عن القديس مكاريوس إنه كان يوصي تلاميذه قائلاً: "اهربوا من كلام النساء المؤدي إلى الهلاك". وكان يقول:"لا يكون بينكم وبين صبي دالة أبدا، لأن الصبي (أو الشاب الصغير) إذا رأيته طالعا إلى السماء فهو سريع السقوط، فاطلبوا من المسيح أن يعينه"[٢٨].

معاملة الإنسان نفسه بشدة

٢١ - وقيل عنه إنه كان يلبس الاتضاع كالثوب بواسطة روح الله، فقد سأل مرةً الراهب الشاب زكريا قائلاً: "قل لي ما هو عمل الراهب"؟ فقال له أنبا زكريا: "أتسألني أنا يا أبي" ؟! قال له الشيخ: "نعم يا ابني زكريا، إن نفسي متيقنة أن الروح القدس فيك، لأنّ شيئًا يحثني أن أسألك"! فقال له الشاب زكريا: "أن يعامل الإنسان نفسه بشدة ويكرِه نفسه في كل شيء"[٢٩].

٢٢ - قال الأب مقاريوس: "ضجرت مرةً وأنا في القلاية، فخرجت إلى البرية قائلاً: إنني سأسأل أي من أُلاقيه من أجل المنفعة. فلقيت صبيا يرعى بقرا، فقلت له: 'ماذا أفعل أيها الولد فإني جائع'؟ فقال لي: 'كُلْ'. قلت له: 'قد أكلت ولا زلت جائعا'. فقال لي: 'كُلْ مرةً ثانية'. فقلت له: 'إنني أكلت مرات كثيرة ولا زلت جائعا'. فقال لي: 'لست أشك أنك حمار يا راهب لأنك تحب أن تأكل دائما'! فانصرفت منتفعا ولم أرد له جوابا"[٣٠].

---

(٢٨) س ٤ ورقة ١٦.
(٣٠) س ٤ ورقة ١٢.
(29) W., & W., II: 82; س٤ ورقة ٤٣
(27) Am., 221: 3.
(٣١) س٤ ورقه ١٢، ٩٤.

٢٣ - سئِل أنبا مقار: "أيما أعظم الفضائل"؟ فأجاب: "إن كانت الكبرياء هي أشر الرذائل كلها حتى إ ا طرحت طائفةً من الملائكة من علو السماء، فبلا شك يكون الاتضاع هو أعظم الفضائل كلها لأنه قادر أن يرفع المتمسك به من الأعماق إلى السماء ولو كان خاطئًا. ولذلك أعطى الرب الطوبى للمساكين بالروح"[٣١].

٢٤ - سأل تلاميذ أنبا مقار يوما ما الشيخ قائلين: "من هو العظيم ومن هو الصغير"؟ فقال لهم: "الذي يرى نفسه صغيرا في أفكاره هو العظيم، والذي يفكر بعظمة (أي في الأمور العالية): «غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين» (رو١٢: ١٦) هو الصغير". فقالوا له: "اشرح لنا هذا القول يا أبانا". فقال لهم: "نقوا قلوبكم وأنتم تفهمون معنى هذا القول"[٣٢].

٢٥ - قيل إنه بينما كان أنبا مقار ذات يومٍ عائدا إلى قلايته حاملاً سعف النخيل الذي جمعه عند بركة الأسقيط، ظهر له الشيطان وفي يده منجل حاد جدا محاولاً أن يضربه به، ولما لم يستطع صرخ قائلاً: "يا مقارة، إنك تعذبنا بشدة عظيمة، كلما أحاول أن أسيء إليك لا أجد قوةً لذلك: أنت تصوم وأنا لا آكل أبدا، أنت تسهر وأنا لا أنام أبدا. لا يوجد إلاّ أمر واحد غلبتني فيه". فسأله القديس: "وما هو"؟ أجابه: "تواضعك هو الذي يجعلني عاجزا عن أن أفعل شيئًا ضدك، لأني لا أستطيع قط أن أكون متواضعا، ولذلك أصبحت عديم القوة قبالتك". فرفع القديس يديه للصلاة فاختفى الشيطان[٣٣].

٢٦ - قيل عن أنبا مقار إنه كان يعمل طول النهار في قطع الخوص، ويظهر بالأكثر تقشفه واتضاعه في أنه كان يحمل بنفسه القفف التي كان يصنعها من الأسقيط ليبيعها في ترنوت على ضفة النيل. ومرةً وجد نفسه متعبا تحت هذا الثقل حتى أنه اضطر أن يجلس على الأرض، وإذ كان لا يزال بعيدا عن النهر خاطب الله قائلاً: "يا رب أنت تعلم أنه ما عادت في قوة"، وللوقت وجد نفسه على شاطئ النهر[٣٤].

٢٧ - قيل عن الأب مكاريوس إنه ذهب مرةً إلى البهلس ليقطع خوصا، فأتاه الشيطان وأخذ منه المنجل وهم ليضربه به، أما هو فلم يفزع بل قال له: "إن كان السيد

---

(32) Arm., II: 83. (33) W. & W., I: 451 ; Apoph., Mac., 11 ; Am., 206: 13.
(34) Apoph., Mac., 14 ; W. & W., II: 48 ; Vit. Pat., 3: 212, 6: 2.
(35) W. & W., I: 452, II: 24; Apoph., Mac., 35; س٤ ورقة ١٦
(36) W.& W., I: 558; Apoph. Mac., 31.

المسيح قد أعطاك سلطانا علي فهأنذا اقتلني". فخزي وانصرف عنه هاربا. ولما أخبر القديس الإخوة بذلك مجدوا الله[٣٥].

٢٨ - قيل عن أنبا مقار إنه إذا اقترب منه الإخوة بخوفٍ كأنه شيخ عظيم وقديس لم يكن يجيبهم بكلمة، ولكن إذا تعامل معه أحد الإخوة بطريقةٍ مألوفةٍ، أو إذا قال له: "يا أبي، عندما كنت جمالاً أما كنت تسرق النطرون وتبيعه، وأما كان رئيسك يضربك"؟ كان يجيبه. وإذا كلمه أي إنسان بغضبٍ أو بكلام مثل هذا فكان يجيب على أي سؤال يقدم له[٣٦].

٢٩ - قال الأب بطرس: "بينما كان الأب مقاريوس يتباسط مع الإخوة ويتحدث معهم ببساطة قلب وعدم كلفة ودون أن يسيء الظن بأحد، بادره أحد الإخوة قائلاً: 'لماذا تفعل في نفسك هكذا'؟ فقال له: 'لي اثنتا عشرة سنة وأنا أتضرع إلى الرب أن يهبني هذه النعمة وأنتم تريدون مني أن أتخلى عنها الآن'"[٣٧]؟!

٣٠ - قال أنبا مقار: "الإنسان الذي لا يكن في قلبه سوءًا، إذا حدث أن رأى بعينيه أخا يقترف إثمًا حتى ولو تيقن من ذلك، فليس من الصواب أن يحمل نفسه بسوء ظنه قصاص ذاك الذي سقط"[٣٨].

٣١ - سأل إخوةٌ شيخا: "كان الطوباوي أنبا مقار بغير شر في تدبيره مع جميع الإخوة، وكان البعض يقولون له: 'لماذا تصنع بنفسك هكذا'؟ فأجا م: 'لي اثنتا عشرة سنة وأنا أسأل الرب أن يهبني هذه العطية وأنتم تشيرون على أن أتركها الآن'؟ كما قال إنه إن كان يحدث لأخ شيء أو يخطئ أمام عين من ليس فيه شر ويعلم أن هذا شر فلا يجب أن يحمل نفسه بسوء ظنه قصاص ذاك الذي سقط'. فما معنى هذا"؟

أجاب الشيخ: "إذا دخل المتوحد إلى الهدوء فهو أولاً وبحسب نظام الحروب الروحية يُخدع قليلاً قليلاً من الشياطين بجميع الأفكار وأوجاع الخطية (أهواء النفس)، ومعظمها كلها هو فكر الشر الذي ينتصر في جميع الناس. لأن المتوحد إذا بلغ إلى نقاوة القلب - كما يقول الآباء - تتسلط عليه الحروب الصعبة والضيق المر حيث إن هذا الوجع الذي يأتي عليه من الشياطين هو فوق قدرته، لأنه بالأعمال والجهاد يبتعد الشر الساكن فينا، وإذا خرج الشر من النفس حينئذ يقف ضدها دائما حتى الدم في حروب صعبة متنوعة

(37) W. & W.,I:455 ; Apoph. Mac., 9.

(38) W. & W., I: 455B.

حتى تضعف النفس وتصل إلى قطع الرجاء، فإذا لم تتكاسل ولم تغلب من الشرور التي تحيط ا حتى يوقفها الله عنها فهي تظل تمتحن ذه التجارب وحينئذ يصدق الشيطان أن لها حبا مع الله، فطوبى للنفس التي تستحق ذلك وتجاهد من أجل المسيح وتستحق نقاوة القلب ورؤية النور الإلهي فتتعالى في الفضائل العالية مثل الرحمة والخير الخالي من الشر شبه الله. ويظل الإنسان يطلب بطهارة قلب زمانا طويلاً حتى ينال الموهبة التي يطلبها".

وقال الشيخ في موضع آخر: "إن القديس أنبا مقار صار ملاكًا أرضيا، فكما أن الله يظلل ويرفرف على المخلوقات هكذا صار القديس يبصر كمن لا يبصر ويسمع وكأنه لا يسمع. وقد أُعطيت هذه الموهبة للقديس أمونيوس الأسقف تلميذ أنبا أنطونيوس. فإذا بلغ الإنسان هذه الدرجة يتم فيه قول الرسول الطوباوي بولس: «كل شيء طاهر للطاهرين» (تي١: ١٥) وما قاله داود النبي: «لم يلصق بي قلب معوج» (مز١٠١: ٤ حسب الترجمة القبطية). وهكذا لا يعلم هذا الإنسان عن أحد أنه خاطئ أو حقير، بل إنه يحوي الصلاح في داخله مثل الله الذي جعله في البشر منذ البدء وأمرهم أن يقتنوه بأعمال كثيرة إرادية؛ لأن كل ما هو لذيذ إنما بالتعب يقتنى".

"لقد خلق في الآباء هذا الطبع: أن لا يعرفوا عن أولادهم أ م خطاة حتى ولو كانوا فاسدين، وإذا صنع الأولاد شرورا لوالديهم فلا يذكرون عنهم أ م أشرار ولا يجازو م بالشر، فكم من أولاد يعملون الجهالات ضد آبائهم ولكنهم لا يحقدون عليهم في قلو م بل يغضبون من الخارج فحسب لأجل تحذيرهم، ثم يقبلو م على عيو م ولو كانوا عميانا. فالصلاح والرحمة جعلهما الله في طبع البشر لأ م ما يتشبهون بالله كما يرسم المصور من أصل الصورة، وكما هو مكتوب: «إنه من الخليقة يعرف صانعها» (أنظر رو١: ٢٠)، فبالعمل والاتضاع الزائد يصل الآباء الفضلاء إلى هذه الدرجة، وبموهبة المسيح يرتفعون أعلى من جودة الخير (أو الصلاح) الطبيعي إلى الجودة الإلهية (أو الصلاح الإلهي) كالصورة التي يستمد منها المصور صورته".

"فحسنا قال الآباء عن أنبا مقار إنه صار إلهًا أرضيا، والقديس نفسه قال في إحدى رسائله: 'الذي يعرف الحق لا يدين إنسانا البتة مهما كان خاطئًا أو يهوديا أو هرطوقيا، بل إنه يحذر فقط من التشبه بأعمالهم، فلأن عينيه نقيتان فهو يرى الإنسان بمعزلٍ عن الشر'"[٣٩].

(٣٩) س٩ رقم ١٣٧ ص٢٣٣.

تلمذة القديس للأنبا أنطونيوس

٣٢ - قيل عن أنبا مقار: لما لم يكن هناك إنسانٌ آخر ساكنا في ذلك الجبل يتعزى بمعاينته ويكشف له أفكاره التي يسوقها عليه العدو، حدث أنه بعد ثلاث سنين فكّر في نفسه وقال: "ها إني جئت إلى هذا الموضع وليس لي أحد يرشدني إلى سيرة سكان البرية، أقوم الآن وأمضي إلى الأب أنطونيوس"، لأنه كان قد سمع به وهو بعد في مصر، وسار حتى وصل إلى القديس أنطونيوس في الجبل الشرقي (وهذه هي زيارته الأولى له).

ولما اجتمع بالشيخ القديس قَبِله بفرح وكشف له أفكاره كابنٍ لأبيه. ثم قبل أنبا أنطونيوس رأس أنبا مقاريوس وقال له: "يا ابني مقارة، إنك عتيد أن تصير مغبوطًا كاسمك"!! وإن الشيخ العظيم وعظه وأيده بكلام كثير بما يليق بزي الرهبنة المقدس، وعرفه بقتالات العدو. ولما طلب منه الأب مقارة بتواضع وتخشع أن يسمح له بالسكن عنده لم يسمح له الأب أنطونيوس بذلك لكنه قال: "كل واحدٍ منا يلزم الموضع الذي دعاه الرب إليه".

ومكث عند الشيخ أياما قليلةً قَبِلَ فيها وصايا ورسوم خدمته، ثم قام ورجع إلى جبله، ومكث في قلايته صامتا يخدم الله متكلاً عليه وحده. وكان الكروب يفتقده دائما. وهكذا أصبح أنبا مقار تلميذًا للأب الكبير أنبا أنطونيوس بما استلمه منه من "وصايا ورسوم خدمته"[٤٠].

٣٣ - كما قيل عن هذه الزيارة: ذهب مرة الأب مكاريوس إلى الأب أنطونيوس في الجبل وقرع بابه، فخرج إليه وهو يقول: "من الذي يقرع الباب"؟ فأجابه: "أنا مكاريوس أيها الأب". فتركه ودخل ولم يفتح له. ولما رأى صبره فتح له وفرح معه، وقال له: "منذ زمان كنت أريد أن أراك". وأراحه لأنه كان في إثر تعبٍ كثير. ولما حان المساء بل أنبا أنطونيوس قليلاً من السعف لنفسه. فقال له أبا مكاريوس: "أتأمر أن أبل لنفسي أنا أيضا قليلاً من السعف"؟ فقال له: "بلّ". فأصلح حزمةً كبيرة وبلها، وجلسا يتكلمان طوال الليل عن خلاص النفس، وكانت الضفيرة تنحدر من الطاقة. فرأى أنبا أنطونيوس في الصباح أنّ أبا مكاريوس قد ضفر كثيرا، فأمسك بيديه وقال: "قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين"[٤١]!

---

(40) Am., p. 77; Butler (L. H., II, p. 193)؛ "رهبنة" الطبعة الثانية: ص ٦٩
(41) Apoph., Mac., 4 ; W. & W., II:220; س٤ ورقة ١٣
(42) Am., 221: 9.
(43)Monach.,XXI:2.

٣٤ - **وقيل أيضا** إن أنبا مقار وأنبا بامو كانا سائرين مرةً في الجبل فأخذ أنبا بامو يدي أنبا مقار وقبلهما قائلاً: "إن قوةً عظيمة ستخرج من هاتين اليدين الصغيرتين". فقال له أنبا مقار: "اصمت يا ابني بامو لئلا تصير كلمتك هذه في يدي السلاطين المعادية (أي الشياطين)"[٤٢].

٣٥ - **قيل** إن أنبا مقار رأى مرةً بعضا من السعف الجيد بجوار الأب أنطونيوس الذي كان يستخدمه في عمل يديه، فطلب منه حزمةً منه. فقال له أنبا أنطونيوس: "إنه مكتوب: «لا تشتهِ... شيئًا مما لقريبك»" (خر٢٠: ١٧). وحالما قال هذا تجعد السعف وتغير لونه وكأنه شوي على النار، ولما رأى الأب أنطونيوس ذلك قال لأنبا مقار: "ها إنّ روحي قد ارتاحت عليك وستصير أنت الوارث لفضائلي"[٤٣].

٣٦ - **أما عن الزيارة الثانية فقد قيل:** ذهب أنبا مقاريوس يوما ما ليرى أنبا أنطونيوس، ولما تحدث معه رجع إلى الأسقيط، فجاء الآباء لمقابلته، وأثناء حديثهم قال لهم الشيخ: "لقد قلت لأنبا أنطونيوس إننا ليست عندنا تقدمة (أي مكان لتقديم الذبيحة) في بريتنا" (وذلك قبل بناء أي كنيسة في الأسقيط)...، ولكن الآباء بدأوا يتكلمون في أمور أخرى دون أن يسألوه ليخبرهم عن رد أنبا أنطونيوس، كما أنه هو نفسه لم يخبرهم.

وقال أحد الآباء عن ذلك: "إنه عندما يرى الآباء أن الإخوة لا يسألو م عن شيء نافع لهم، فقد اعتادوا أن يتكلموا هم أنفسهم عنه، ولكنهم إذا لم يستحثوا من الإخوة فلا يتكلمون مرةً أخرى عن هذا الأمر حتى لا يوجدوا متكلمين دون أن يسألوا ويكون كلامهم كأنه غير ضروري"[٤٤].

المحبة والكلام الطيب

٣٧ - **قيل:** إنّ أنبا مقار ذهب مرةً من الأسقيط إلى جبل نتريا، ولما اقترب من مكانٍ معين قال لتلميذه: "تقدمني قليلاً". ولما فعل التلميذ ذلك قابله كاهن وثني يجري حاملاً بعض الخشب، وكان الوقت حوالي الظهر. فصرخ فيه الأخ: "يا خادم الشيطان، إلى أين تجري"؟ فاستدار الكاهن وا ال عليه بضرباتٍ شديدةٍ، وتركه ولم يبقِ فيه سوى قليل نفَس[٤٥].

(٤٥) لعله هو يوحنا تلميذ أنبا مقار الذي تجذم بسبب مخالفته لأبيه.

(44)Apoph.,Mac.,26.

(46) Am., P .211; W & W. I: 186; Apoph., Mac., 39.

ثم حمل الكاهن الوثني ما معه من خشب وسار في طريقه، ولما ابتعد قليلاً قابله الطوباوي مقاريوس في الطريق وقال له: "فلتصحبك المعونة يا رجل النشاط". فاندهش الكاهن وأقبل نحوه وقال: "أي شيء جميل رأيته في حتى حييتني هكذا"؟ فقال له الشيخ: "إنني أرى أنك تكد وتتعب وإن كنت لا تدري لماذا". فأجاب الكاهن: "وأنا إذ تأثرت بتحيتك عرفت أنك تنتمي إلى الإله العظيم، ولكن هناك راهب شرير صادفني قبلك ولعنني، فضربته ضرب الموت". فعرف الشيخ أنه تلميذه. أما الكاهن فأمسك بقدمي مقاريوس الطوباوي وقال له: "لن أدعك تمضي حتى تجعلني راهبا ..."!

وإذ سارا معا وصلا إلى المكان الذي كان فيه الأخ مطروحا، فحملاه وأتيا به إلى كنيسة الجبل. أما الإخوة فعندما رأوا الكاهن الوثني مع المغبوط مقاريوس تعجبوا كيف تحول عن الشر الذي كان فيه. وأخذه أبا مقاريوس وجعله راهبا، وعن طريقه صار الكثير من الوثنيين مسيحيين.

وكان أبا مقاريوس يقول: "إنّ الكلمات الشريرة والمتكبرة تحول الناس الأخيار إلى أشرار، ولكن الكلام الطيب المتواضع يحول الأشرار إلى أخيار"[٤٦].

الجهاد ضد الزنى يجذب غير المؤمنين

٣٨ - قيل: جاء إلى القديس مكاريوس كاهن للأصنام كان يعرفه، فسجد بين يديه وقال له: "من أجل محبة المسيح عمدني ورهبني". فتعجب الأب من ذلك وقال له: "أخبرني كيف جئت إلى المسيح بدون وعظ"؟ فأجابه: "كان عندنا عيد عظيم فعملنا كل ما يلزمنا ومكثنا نصلي إلى نصف الليل، ولما نام الناس رأيت داخل الهيكل في موضع الصنم ملكًا عظيما جالسا وعلى رأسه تاج عظيم وحوله أعوانٌ كثيرون، وإذ أقبل إليه واحد من غلمانه قال له: 'من أين جئت'؟ فقال: 'من المدينة الفلانية'. فقال له: 'وماذا فعلت'؟ فقال: 'ألقيت في امرأةٍ كلمة صغيرة تكلمت ا، فقالت الأخرى: لا، وهكذا قام الرجال يتحاربون وقُتل منهم عدد كبير في يومٍ واحدٍ وجئت لأخبرك'. فقال: 'أبعدوه عني فما فعل شيئًا'. ثم قدموا واحدا آخر فسأله: 'من أين أقبلت'؟ فقال: 'من بلاد الهند'. فقال له: 'وماذا فعلت'؟ فقال: 'دخلت إلى دار فوجدت نارا سقطت من يد صبي وأحرقت بيتا، فدخلت في قلب بعض الناس فشهدوا على شخصٍ آخر بأنه هو الذي أحرق البيت'. فقال له: 'في أي وقتٍ حدث ذلك'؟ فقال: 'في نصف النهار'. فقال: 'أبعدوه خارجا'. ثم قدموا واحدا ثالثًا، فقال له:'من أين جئت'؟ قال: 'كنت في البحر وأقمت حربا بين جماعاتٍ وأغرقت سفنا حتى

اتسع نطاق الحرب، وجئت لأخبرك'. فقال: 'أبعدوه عني'. وقُدم إليه رابع وخامس وكثيرون، وكل واحد يصف شروره، فكان يبعدهم".

"ثم أقبل إليه واحد آخر، فسأله: 'من أين أتيت'؟ قال: 'من الأسقيط'. فسأله: 'وماذا كنت تفعل'؟ فأجاب: 'لي اليوم أربعون سنة أقاتل أحد الرهبان وها قد صرعته الآن وأسقطته في الزنى، وجئت لأخبرك'. فلما سمع منه ذلك وقف وقبله ونزع التاج من على رأسه وألبسه إياه، وأجلسه موضعه قائلاً: 'بالحق إنك قد فعلت أمرا عظيما'"!

"فلما رأيت أنا هذا، وكنت مختفيا في الهيكل، قلت إنّ لا شيء مثل الرهبنة. وخرجت لوقتي وجئت إلى بين يديك". ولما سمع الأب منه ذلك عمده ورهبنه، وكان دائما يروي ذلك للإخوة الرهبان فيتعجبون، وقد صار راهبا جليلاً(٤٧).

تذكر الموت

٣٩ - كان الشيخ أنبا مقاريوس يقول: "جيد أن يضع الإنسان نصب عينيه في كل وقتٍ هذه الأمور الرئيسية الثلاثة: تذكر موته أمام عينيه في كل ساعة، وأن يموت عن كل إنسان، وأن يكون دائما مخلصا للرب في قلبه. لأنه إن لم يكن للإنسان ذكر لموته أمام عينيه في كل الأوقات فلن يمكنه أن يموت عن كل إنسان، وإن لم يمت عن كل إنسان فلن يمكنه أن يكون مخلصا أمام الله"(٤٨).

الزهـــد

٤٠ - يحكى عن أبا مقاريوس المصري أنه إذا حدث وأكل مع الإخوة كان يسبق فيقرر مع نفسه أنه إذا قُدم له نبيذ وشرب كأسا منه لأجل الإخوة فإنه يمتنع عن شرب الماء يوما كاملاً. وإذا اعتاد الإخوة أن يقدموا له نبيذًا رغبةً منهم في أن ينيحوه كان يتقبله منهم بسرور، لأنه كان يعذب جسده في مقابله، ولما رأى تلميذه ذلك قال للإخوة: "أرجوكم من أجل الرب أن لا تقدموا له نبيذًا لأنه إذا شربه يعذب ذاته بسببه عندما يرجع إلى قلايته". فلما علم الإخوة بذلك امتنعوا من أن يعطوه نبيذًا من ذلك الوقت(٤٩).

٤١ - قال الأب إيفاجريوس (أوغريس): "كنت ذات يوم في صحبة القديس أنبا مقار الكبير في ساعة الظهيرة، وبينما كنت أحترق من شدة العطش استأذنت منه لأشرب

---

(٤٧) س٤ ورقة ١٤، W.& W. I: 632
(48) W. & W., II: 171. (49) W.& W., I: 67; Apoph., Mac., 10; Am., p. 206; س٤ ورقة ١٣
(٥٠) "رهبنة" الطبعة الثانية ص ٨٢ عن: Socrates,Ecc. Hist.,IV: xxiii; Boll., 15 Jan.

ماءً، فأجابني: 'اكتفِ بالبقاء في الظل، لأنه يوجد الآن كثير من الناس مسافرين بالبر أو البحر ومحرومين حتى من هذا الظل المتوفر أمامك'".

"وبينما كنت أحدثه عن الإماتة قال لي: 'قو قلبك يا بني فقد أمضيت عشرين عاما كاملةً لم أشبع من الأكل والشرب والنوم، فما كنت أتناول الخبز إلاّ بقدر، والماء كنت أشربه بالكيل، أما النوم فكنت أسترق القليل منه باستنادي على الحائط على قدر حاجة الجسد'. وكان تدبيره العادي أنه لا يأكل سوى مرةً واحدةً في الأسبوع"[٥٠].

٤٢ - قيل عن أنبا مقار: إنّ وجهه وجسمه النحيل كانا يكفيان لإظهار شدة تعففه ونسكه، مع أن الأصوام لم تكن هي السبب الوحيد لنحافة جسده، بل هذا كان أيضا نتيجةً لمخافة الله التي امتلأت ا نفسه، فأضمرت بل وأحرقت - بنوعٍ ما - كل جسده[٥١].

٤٣ - قال بعض الآباء للقديس مقاريوس: "هوذا جسدك قد يبس من قلة الأكل والصمت". فأجا م: "حسنا، فإنه مكتوب: «بليت عظامي من زفيري اليوم كله» (مز٣٢: ٣)، فإن الشجرة إذا قبلت قوة النار في طبيعتها فإ ا تجف ثم تشتعل، وهكذا إذا قبل الإنسان خوف الله فإنه يتنقى إذ تجف الشهوات من طبيعة الجسد وحينئذ يشتعل بحب الله"[٥٢].

مخافــة اللــه

٤٤ - قال القديس مقاريوس: "كما أن النار تنشف رطوبة الخشب وتحرقه هكذا مخافة الله إذا سكنت في الإنسان تنشف لحمه وتجفف عظامه"[٥٣].

٤٥ - وقال أيضا: "ليس شيء يعلو على مخافة الله لأ ا تسود على كل شيء، وبخوف الله يحيد كل واحدٍ عن كل الشرور، فلنقتن لنا هذا الخوف ولنحِد عن كل ما لا يريده الله، ونجرب كل ما يرضيه ونحفظه ولا نفعل شيئًا يحزنه، ونعلم أن كل ما نفعله ينظر هو إليه ولا تخفى عليه خافيةً"[٥٤].

الصــوم والعــوز

٤٦ - حدثنا يوحنا كاسيان قائلاً: "قال أنبا مقاريوس: 'يجب على الناسك أن يجتهد في أصوامه كما لو كان متأكدا أنه سيعيش مائة عام، وأن يضبط شهوات نفسه

---

(٥١) "رهبنة" الطبعة الثانية ص ٨٣ عن: Vit. Pat., 5: 3
(52) W.& W., II: 352; Apoph., Mac. 12; Am., p. 205.
(٥٣) س٩ ص٢٥. (٥٤) س ٤ ورقة ٤٤. (55) Institutes v, 12.
(56) Cass., Canf. V,12. (57) Eth. Pat., 208. (58) Am., p. 225.

ويتناسى الإهانات ويقاوم الكآبة ويحتمل الأتعاب والأحزان كما لو كان سيموت في اليوم نفسه، فالفكرة الأولى تجعل الناسك حكيما حاذقًا وتجعله يحرص على الانتظام الصارم في النسك بدون أن يسمح لنفسه بالتهاون بحجة ضعف الجسد، بينما أن الفكرة الثانية - أي توقع الموت القريب - تلهمه السمو الروحي بالإيمان الذي لا يقتصر على احتقار راحة الدنيا فقط، بل ويجعله راسخا في احتمال المشقات طالما أنه يثبت قلبه ونظره دائما إلى السماء نحو المكان الذي يترقبه كل حين مؤمنا أنه قد دعي إليه'"(٥٥).

٤٧ - قال أنبا سيرابيون: "سأل أخ القديس مكاريوس: 'لماذا يهاجمني الجوع منذ الساعة الثالثة من النهار (٩ صباحا) في الوحدة في البرية في حين أنني في الدير أعف عن الطعام لمدة أسبوع كامل دون أن أشعر بالجوع'؟ فأجابه القديس: 'لأنك هنا في الوحدة لا يرى أحد صومك فيغذّيك ويسندك بمديحه لك، أما في الدير فعندما يرى الآخرون صومك فأنت تتغذّى وتسمن عظامك بطعام المجد الباطل'"(٥٦)!

٤٨ - قال لنا أنبا مقار: "تألمت يوما ما من الجوع، فقلت لنفسي: اصبر، اغضب ولتمت ذاتك ما دمت تريد الغذاء في غير وقته وقبل أن أعطيه أنا لك"(٥٧).

٤٩ - وقال أيضا: "الذي يملأ جوفه بالخبز والماء يسلم مفاتيح منـزله للصوص في تلك اللحظة عينها"(٥٨).

٥٠ - قيل عن أنبا مقار إنه حدث مرةً في الملاحات (حيث يوجد ملح النطرون) أنه كان يقطع سعفًا، ولما انتهى من قطعه وجمعه لكي يحزمه جاء إليه شيطان في شكل راهب متظاهرا بأنه غاضب وقال له: "يا مقارة، لا تحزم هذا السعف حتى تعطيني نصيبي منه". فقال له الشيخ: "خذ منه ما شئت". فقال له الشيطان: "قسمه وأعطني جزءًا وخذ لك الجزء الآخر". فقسمه الشيخ وجعل جزءًا أكبر من الآخر، وقال للشيطان: "خذ ما تريده". فقال له الشيطان: "لا، فأنت الذي أجهدت نفسك، خذ أنت أولاً الجزء الذي تريده". فأخذ الشيخ الجزء الأصغر. وفي الحال صرخ الشيطان: "أواه منك يا مكاريوس! لقد غلبتني مرات كثيرة، ولكنني لم أغلبك أبدا". فقال له الشيخ: "فمن أنت إذًا"؟ فقال له الشيطان: "أنا شيطان النصيب الأكبر"! وحالما صنع الشيخ صلاة اختفى الشيطان(٥٩).

٥١ - جاء الإخوة يوما ما إلى أنبا مكاريوس في الأسقيط، ولم يجدوا في قلايته شيئًا سوى ماء راكد، فقالوا له: "أيها الأب، انهض واذهب معنا إلى الريف وهناك نحصل

(59) Am., 227: 15. (60) Apoph., Mac., 30. (61) N.,214 ; س ٥ ورقة ١١٦

على ماءٍ نظيفٍ لك" (ولكي يزودوه بالأمور الضرورية). فقال لهم الشيخ: "أيها الإخوة، أتعرفون مخبز فلان في القرية"؟ فقالوا: "نعم". فقال لهم: "وأنا أيضا أعرفه ... وهل تعرفون حقل فلان الذي يجري النهر في وسطه"؟ فقالوا: "نعم". فقال لهم الشيخ: "وأنا أيضا أعرفه". ثم أفهمهم بأنه يحب هذا العوز، وأنه لو كان يريد تلك الضروريات فإنه يعلم جيدا من أين يطلبها بدون الالتجاء لطلب معونتهم[٦٠].

٥٢ - قال أنبا مقار: "كان ساكنا بالقرب من قلايتى راهب فقير جدا من متاع الدنيا، وحدث في إحدى الليالي أن سقط ثلج وبرد شديد، فذهبت إليه وسمعته من خارج القلاية وهو يعزي نفسه قائلاً: 'أشكرك يا ربي يسوع المسيح، فكم من الأغنياء الآن في السجون، وبعضهم مقيد وبعضهم مخشب، ولا يمكنهم الخروج حتي لتبديد الماء (أى للتبول)، ولا يقدرون أن يمدوا أرجلهم، وأنا مثل ملك لي سلطان على ذاتي وأذهب حيث أريد'. فتعجبت وسبحت الله"[٦١].

٥٣ - وقال أيضا: "الراهب الذي يقتني أكثر من جبة لا يساوي عند المسيح جبة، لأن محبي المسيح الذين تركوا نعيم الدنيا ولذا ا تصبح منـزلة العالم عندهم كمنـزلة العويد الصغير، فلا يتألمون على فقد شيء منه، لأن الإنسان الذي يأسف علي فقدان شيء منه ليس هو بكاملٍ بعد. فإن كُنا قد أُمرنا أن نرفض أنفسنا وأجسادنا فكم بالحري المقتنيات؟ إن الشياطين تحترق ذه الفضيلة وأمثالها عندما يرون إنسانا غير ملتفت إلى الأشياء وليس بمتأسفٍ عليها إذا فقدها، لاسيما إذا علموا أنه يمشي على الأرض بغير هوى أرضي". وكان القديس يوصي تلاميذه أن لا تكون لهم قنية البتة[٦٢].

إماتة الذات واقتناء الفضيلة

٥٤ - قال الشيخ أنبا مقاريوس: "اسع لكل نوع من الإماتة، فإذا لم تكن لك الإماتة التي بالروح فاسع إلى إماتة الجسد حينئذٍ تعطى لك التي بالروح فتموت عن كل إنسان، وحينئذٍ تستطيع أن تصل إلى موهبة الوجود الدائم مع الله في السكون"[٦٣].

٥٥ - وقال أيضا: "إن لم تكن لك الصلاة التي بالروح فجاهد لإجل الصلاة التي بالجسد وحينئذٍ ستوهب لك الصلاة التي بالروح، وإذا لم يكن لك اتضاع الروح فجاهد لأجل الاتضاع بالجسد فستوهب الاتضاع الذي بالروح، لأنه مكتوب: «أُطلبوا تجدوا»

(٦٢) س ٤ ورقة ١٦؛ "رهبنة" الطبعة الثانية، ص ٨٣.
(٦٥) س ٩ رقم ٢٢٧ ص ٣٣٤.
(63) W. & W., II: 172.
(64) W. & W., II: 173.

(مت٧: ٧، ٢١: ٢٢)"'(٦٤).

٥٦ - سأل إخوةٌ شيخا: "قال أنبا مقار: 'إن لم تكن لك فضيلة الروح فاحرص من أجل فضيلة الجسد وحينئذٍ تنال فضيلة الروح'، كما نصح من أجل الصلاة والاتضاع. فسرلنا ذلك". **فقال الشيخ:** "هذه الأقوال تشبه قوله: 'إن كنت لم تصل إلى الاهتمام بالله وخيراته بعقلك فاحرص أولاً أن تبتعد من الناس بجسدك وتكون في هدوءٍ بغير كلام مع الأفكار الشريرة التي تتحرك فيك'. وهذا يشبه قول أنبا إشعياء إن الهدوء يلد الهدوء، يقصد أن هدوء الجسد يلد هدوء الذهن. وإن كنت لم تستطع بعد أن تصلي لله بالروح صلاة روحانية وإلى رؤية أعاجيب الله، فاحرص أن تكون لك صلاة نقية بغير طياشة تلك التي تنتج عن نقاوة القلب، وإن كنت لم تصل حتى إلى ذلك فاحرص في خدمة المزامير وكمال السبع صلوات مع المطانيات الكثيرة والتذلل والتضرع والطلبة من أجل شيءٍ ثم شيءٍ آخر كلما تحتاج. وإذا عييت من ضرب المطانيات قبل الصليب واضرب رأسك قدام الصليب على الأرض، وذلك براحة يديك فقط".

"وإذا كنت لم تصل بعد إلى اتضاع الذهن الذي للآباء الكاملين فاحرص أن تقتني اتضاعا جسدانيا مثل المبتدئين هذا الذي ذكره أنبا إشعياء في الميمر الرابع على الاتضاع في الوصية الـ ١٥ قائلاً: 'المبتدئ ذه الوصايا التي منها يتقوم الاتضاع فهو عاجلاً يأتي إلى قدام (أي ينمو) في زمان شيخوخته، ويستحق اتضاع الذهن بموهبة ربنا يسوع المسيح القائل: «تعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم» (مت١١: ٢٩)'"(٦٥).

٥٧ - جاء شيخٌ(٦٦) إلي راهبين كانا يعيشان معا في موضعٍ واحدٍ، وإذ أراد أن يختبرهما بدأ يقطع بعصاه نباتات حديقة أحدهما. فلما لاحظه الراهبان أخفي أحدهما نفسه. وبعد أن قطع الشيخ كل النباتات ولم تبق إلاّ نبتةً واحدة قال له الأخ الآخر: "إذا حسن في عينيك يا أبي فأعطني هذه النبتة لأطبخها ونأكل معا". عندئذٍ اعتذر له الشيخ قائلاً: "إنّ روح الله قد استراح فيك يا أخي"(٦٧).

٥٨ - قيل: كان لأنبا مكاريوس تلميذان في الأسقيط، أحدهما كان يعيش متوحدا في قلايته الخاصة، والآخر اسمه يوحنا يعيش بجواره لخدمة المرضي وعمل واجبات الضيافة للذين يقصدون القديس. وبعد فترة من معيشتهما معا، إذ كان القديس يرى بالاستنارة

---

(67)W.&W.,I:237. (68) Laus. Hist., ch. 17.

(٦٩) "رهبنه" الطبعة الثانية، ص ٩٢. (٧٠) ذكرت مقدمة س ٩ أنه القديس فيلوكسينوس. (٧١) س ٩ ص ١٨.

الداخلية ما كان مخفي عن الآخرين، خاطب القديس تلميذه يوحنا قائلاً: "اسمع مني يا أخي واحتمل مني رأيا قد ينفعك: إنك مجرب بشيطان الطمع وحب المال، لأني رأيته فيك، ولكن إن قبلت نصيحتي وأخرجته من قلبك فإنك تكمل عمل الله بالكمال في هذا المكان، وتصير في النهاية مجداً، فلا تقترب إليك تأديبات الله. أما إذا كنت لا تسمع لي فإنك ستسقط فيما سقط فيه جيحزى لأن مرضه فيك"[٦٨]!

وقد تم ذلك فعلاً، فبعد انتقال القديس رسم يوحنا كاهنا في مكانه، ونسي قول القديس له، وعوضا عن وصاياه تبع إيحاءات ذاك الذي دفع يهوذا أن يشنق نفسه بسبب حبه للمال، فأخذ ما هو مخصص للفقراء. وأخيرا بعد خمس عشرة سنة (بعد نياحة القديس) وجِد هذا التلميذ مملوءًا برصا بدرجة أنه لم يكن في جسده قدر أصبع غير مريض، فصار عبرةً لرؤساء الأديرة ونظّارها[٦٩]!

٥٩ - سأل إخوةٌ شيخا[٧٠]: "من هم المساكين الذين كان يوحنا خادم أنبا مقار الكبير يسرق منهم وصار كل جسمه أبرص"؟ **فأجاب الشيخ:** "هم الإخوة الذين كانوا في ديره، لأنه بعد نياحة أنبا مقار الإسكندراني صار رئيسا عوضا عنه ومدبرا لهم، وكان الطوباوي أنبا مقار الكبير سبق أن حذره وقال له: 'لا بد أنك ستجرب من شيطان محبة الفضة فاحترس من نفسك'، فحفظ وصيته خمس عشرة سنة ثم صار يسرق مما للإخوة، ولذلك صار جسمه كله أبرص مثل جيحزي تلميذ إليشع النبي، وصار بذلك خوف عند رؤساء الأديرة والمعينين على الدياكونية والمرسلين لأجل احتياجات الدير"[٧١].

٦٠ - قيل عن الأب مكاريوس[٧٢] إن إنسانا "دوقس" (أي ذا مركز كبير) جاء من القسطنطينية ومعه صدقة للأديرة ومر على قلالي الإخوة لكي يأخذوا منه هذه الصدقة فلم يجد من يأخذ منه شيئًا، وقال له كلٌ منهم إنّ عنده ما يكفيه وإنه سيصلي من أجله كأنه أخذ منه، فبهت ذلك الدوقس.

ثم أحضر المال إلى القديس مكاريوس وانطرح أمامه قائلاً: "لأجل محبة المسيح اقبل مني هذا القليل من المال لأجل الرهبان"، فقال له القديس: "لدينا ما يكفينا من نعمة الله وليس لنا احتياج إلى هذا لأنّ الإخوة يعملون أكثر من مؤونتهم". فحزن الرجل جدا

---

(٧٢) ذكرت مخطوطة س ٤ أنه "الصعيدي"، ولكن كتاب D.F. ذكر أن هذه القصة حدثت في الأسقيط، لذلك رجحنا أن القول هو لأنبا مقار الكبير.

وقال: "يا أبي من أجل الله لا تخيبوا تعبي واقبل مني هذا القليل". فقال له الشيخ: "اذهب يا ابني وأعطه للإخوة"، فقال له: "لقد مررت به عليهم جميعا ولم يأخذوا منه شيئًا، بل إنّ بعضهم لم يشأ أن ينظر إليه البتة". فلما سمع الشيخ فرح وقال له: "ارجع يا ابني بمالك إلى العالم وأهله لأننا نحن أناس أموات"، فلم يقبل.

ثم قال له القديس: "اصبر قليلاً". ووضع المال على باب الدير، وأمر بضرب الناقوس، فحضر جميع الإخوة وكان عددهم ألفان وأربعمائة. ثم وقف الأب وقال: "يا إخوة، من أجل محبة السيد المسيح، إن كان أحد منكم محتاجا إلى شيء فليأخذ بمحبة من هذا المال"، فعبروا جميعا ولم يأخذ أحد منه شيئًا، فتعجب الدوقس جدا وتفكّر في ذلك، ثم انطرح أمام الأب قائلاً: "من أجل الله رهبني". فأجابه القديس: "أنت إنسان كبير ذو نعمةٍ وجاه ومملكة، وشقاء الرهبنة كثير وتعبها مر، فجرب نفسك وأخبرني". فقال: "وماذا تأمر بخصوص هذا المال"؟ فقال له: "عمر به أحد الأديرة". ففعل، وبعد قليل ترهب[(٧٣)].

الاحتراس من الكبرياء

٦١ - قال أنبا مكاريوس: "لا ترتفع في قلبك وفكرك بمعرفة الكتب المقدسة لئلاّ تسقط في روح التجديف في ذهنك"[(٧٤)].

ســتر عيــوب الآخريــن

٦٢ - قيل عن القديس مكاريوس: إنه صار - كما هو مكتوب - إلهًا أرضيا، فكما أن الله يستر على العالم، هكذا كان أنبا مكاريوس يستر على عيوب إخوته التي كان يراها كما لو كان لم يرها، والأشياء التي كان يسمعها وكأنه لم يكن قد سمع شيئًا[(٧٥)].

٦٣ - يحكى أنه كان في **إحدى القلالي** أخ صدر منه أمر شنيع، وسمع به الأب مكاريوس ولم يرد أن يبكته، فلما علم الإخوة بذلك لم يستطيعوا صبرا، وظلوا يراقبون الأخ إلى أن دخلت المرأة عنده، فأوقفوا بعض الإخوة لمراقبته، وجاءوا إلى القديس مكاريوس، فلما أعلموه قال: "يا إخوة، لا تصدقوا هذا الأمر، وحاشا لأخينا المبارك من ذلك". فقالوا: "يا أبانا، اسمح وتعالَ لتبصر بعينيك حتى يمكنك أن تصدق كلامنا". فقام القديس وجاء معهم إلى قلاية ذلك الأخ كما لو كان قادما ليسلم عليه، وأمر

---

(٧٣) س٤ ورقة ٧١؛ D. F., p. 85, XIX

(٧٤) W. & W., II: 613.

(75) W. & W., II:234; Apoph. Mac., 32; Am., 220: 8; س ٤ ورقة ١٣٠

الإخوة أن يبتعدوا عنه قليلاً. فما أن علم الأخ بقدوم الأب حتى تحير في نفسه وأخذته الرعدة، فأخذ المرأة ووضعها تحت ماجورٍ كبير عنده (لتخزين القمح)، فلما دخل الأب جلس على الماجور وأمر الإخوة بالدخول، فلما دخلوا وفتشوا القلاية لم يجدوا أحدا، ولم يمكنهم أن يوقفوا القديس من على الماجور، ثم أمرهم بالانصراف.

فلما خرجوا، أمسك القديس بيد الأخ وقال: "يا أخي، على نفسك أحكم قبل أن يحكموا عليك لأن الحكم لله". ثم ودعه وتركه. وبينما هو خارج إذ بصوتٍ أتاه قائلاً: "طوباك يا مكاريوس الروحاني، يا من تشبهت بخالقك، تستر العيوب مثله"! ثم إنّ الأخ رجع إلى نفسه وصار راهبا حكيما مجاهدا وبطلاً شجاعا[٧٦].

٦٤ - قيل إن فتاة جاءت للأب مكاريوس لتشفى من شيطان كان فيها، وتصادف أن جاء أيضا أخ من أحد الأديرة التي في مصر. وفي الليل خرج الشيخ فوجد الأخ يخطئ مع تلك الفتاة، إلاّ أنه لم يوبخه، وقال: "إذا كان الله الذي خلقه يطيل أناته عليه وهو يراه، لأنه إذا أراد يستطيع أن يهلكه، فمن أنا حتى أوبخه"[٧٧]؟!

البتوليـة وضبط النفـس

٦٥ - قال القديس مكاريوس: "إذا عثرت البتولية وأصابها جرح فإنّ هذا الجرح لا يبرأ لزمنٍ طويل. فاحفظوا - إذن - طهارتكم مثل نور عيونكم. واعلموا هذا: كما أن العين إذا انخسفت يستحيل الرؤية بـها ولا يصير لها نور مرةً أخرى، هكذا أيضا البتولية الطاهرة إذا جرحتها أنت بنجاسةٍ أو تعاظم قلبٍ أو حسدٍ أو بغضةٍ أو غضبٍ دائم أو ملل أو تقمقم (تذمر) أو أي وجع بقلب متعظم أو محبة رئاسة أو محبة فضة أو كلام هزؤ أو مزاح، فأي وجع من هذه إذا قوي على الطهارة فهي تموت منه وفيه وبه"[٧٨].

٦٦ - قال أخٌ: "سمعت أيضا أنّ أنبا مقار يقول: 'في أيام القحط هذه إذا ضبط الراهب جسده من الزنى ويديه من السرقة، وإذا زهد قليلاً بإرادته فلن يسقط في الهلاك الأبدي'"[٧٩].

٦٧ - ذهب أحد تلاميذ أنبا مقار إلى مريوط وهو حاملٌ عمل يديه، وظلّ يطوف على أبواب الناس فيشترون منه، فنظرته امرأة، فوضع الشيطان في قلبها شهوةً رديئةً في ذلك الشاب، ونادته كأنها تريد أن تشتري منه شيئًا، ولما فتحت الباب ودخل أغلقته وأوصدته جيدا وابتدأت تساومه على ابتياع عمله، ثم ابتدأت تخاطبه بكلامٍ آخر وقطعت

(76) Apoph., Ammon, 10; W. & W., I: 400;٧٨ "رهبنة" ص ٢٠٠؛ س ٢ ورقة

(77) W. & W., II: 244.

(79) Eth. Coll., 14, 30.

(٧٨) م ٢٣ ورقة ١٧٦.

(٨٠) م ٢٣ ورقة ١٨٣.

حديث البيع والشراء، وأرادت أن تصنع مائدةً لكي يأكل خبزا، فقال لها: "إنّ الرهبان لا يأكلون في هذا الوقت المبكر". ثم ألهبها الشيطان بشهوة الزنى، فقالت له بلا حياء: "لا أبالي إن أكلت أو لم تأكل، قم لتضطجع معي". فصاح تلميذ الأب مكاريوس بصوتٍ عالٍ قائلاً: "يا إله أبي القديس مكاريوس بصلواته أغثني وأعني"! ولساعته اختطِف مع مقاطفه ووضِع قدام قلاية القديس مقاريوس في البرية!

وكان القديس قد كُشِف له عن التجربة التي دهمت تلميذه فوقف يصلي، ودخل التلميذ فوجد معلمه باسطًا يديه وهو يطلب من أجله أن يخلصه الله. فلما رآه الشيخ قال له: "يا ابني، اقبل نعمة الله. فالذي اختطف فيلبس من أمام الخصي الحبشي هو حملك وجاء بك إلي، وهو يسمح لنا بالتجارب"[(٨٠)].

٦٨ - إنّ ملك السموات، إذ يمنح نعمته بسخاء للذين يستحقو ا لأجل مدح ومجد اسمه ولأجل خلاص الذين يترجونه، فهو على حقٍ في ذكره لأعمال المغبوط أنبا مقار الصالحة لأجل البنيان، لأنّ هذا القديس قيل إنه بلغ كمال الفضيلة بحسب مشيئة الله، وإذ غلب جميع الأهواء وصار مساويا للملائكة فقد وهِبت له رؤية الكائنات غير الجسدانية والأسرار السماوية كما يروي بعض تلاميذه الذين سمعوا منه عن جميع الرؤى التي شاء الله أن يكشفها له. ورغم أن حروب الشيطان له كانت عديدة، فإنّ ذلك المخادع إذ لم يعد بأية فائدة من مصارعته له بل صار مهزوما، فقد ظهر مرةً للقديس إذ كان الله قد أجبره على أن يكشف له فنونه المختلفة التي يستخدمها ليخدع ا النفوس، وذلك ضدا لمشيئته.

فبينما كان جندي المسيح الشجاع أنبا مقار سائرا مرةً في البرية الداخلية، رأى شخصا هرِما (أي طاعنا في السن) آتيا للقائه ومرتديا رداءً ثقيلاً محيطًا بكل جسمه وفيه أوعية كثيرة في كل منها ريشة، وكان يلبس هذه كلها بدلاً من الثياب. ثم غرس عصاته في الأرض ووقف مقابل القديس وجها لوجه وعيناه مثبتتان عليه، وتظاهر بالخجل مثل اللصوص المحتالين، وقال للقديس: "ماذا تفعل في هذه البرية وأنت تائه هائم على وجهك"؟ فأجابه الأب: "أنا تائه طالبا رحمة السيد المسيح وهاربا من الخطية، ولكنني أيها الشيخ أسألك باسم الرب أن تعرفني من أنت لأني أرى شكلك غريبا عن أهل العالم وملبسك غير معتاد عند الناس! وأن تعرفني أيضا ما هي هذه الأوعية المحيطة بك! وما هو هذا الريش"؟ وكان ثوبه مثقوبا كله وفي كل ثقبٍ قارورة.

فاعترف العدو بغير اختياره قائلاً: "يا مكاريوس، أنا هو الذي تسمونه شيطانا محتالاً،

وهذه الأشياء التي تحيط بجسمي هي الوسائل المختلفة التي أجذب بـها الناس إلى الخطية، فأقدم لكل عضو في أجسادهم ما يوافقه من أنواع الخديعة، وبريش الشهوات أدهن من يطيعني ويتبعني، وأسر بسقوط الذين أغلبهم".

فلما سمع أنبا مقار ذلك قال له بجراءة: "المسيح قد جعلك كألعوبة لدى ملائكته. قُلْ لي بالترتيب معنى عقاقيرك هذه، لأنك إذا انكشفت نفهم نحن فنونك السحرية المختلفة وندرك سهامك المخادعة العديدة فلا نرضخ لأغراضك".

فأجابه الشيطان: "ها أنا أوضح لك ضدا لمشيئتي فني هذا لأنني لا أستطيع أن أُخفي ما تراه. فاعلم إذن وظيفة كل وعاءٍ أو قارورةٍ: إذا أردت أن أعوق من يتأمل في شريعة الله أدهنه من الوعاء الذي على رأسي فأجلب عليه صداعا. وإذا أراد واحد آخر أن يسهر ليسبح ويصلي آخذ من الوعاء الذي على حاجبي وألطخ عينيه بالريشة فأجلب عليه نعاسا كثيرا وأجذبه إلى النوم. والقوارير التي تراها حول أذني تهدف إلى جعل السمع معوجا فيعصى الإنسان أوامر معلمه ولا يذعن لمن يشير عليه، وبذلك أعوق من يريد أن يخلص بسماع كلمة الحق. وتلك التي حول أنفي أجعلها تنشر روائح عطرية تدفع الشبان إلى الزنى. والأوعية الموضوعة حول فمي بها أجتذب النساك إلى الأطعمة، وبذلك أوحي للرهبان بأن يفعلوا ما أريده من أفكار الدينونة والكلام القبيح، وهكذا أوزع بذور أعمالي كلها على من يرغب أن يعطي ثمارا تناسبني فيصير صديقًا لي".

"أما المعدات التي حول رقبتي فأنا أدهن بها من لديه أفكار العظمة لكي أملأه بالكبرياء، كما أنني في الحقيقة أغري الذين يحبون أعمالي بمجد وغِنى هذا العالم والكثير من الثمار الأخرى التي تبدو جيدة للذين ابتعدوا عن الله، وأقيد من كان متكلاً على ذاته بالأسلحة التي في عنقي. والقوارير التي تراها حول صدري هي مخازن أفكاري التي منها أُسكر القلوب من خمر الطياشة حاجبا عنهم رأي وتمييز الأتقياء، وأشتت أذهانهم طامسا بالنسيان ذاكرتهم مبعِدا الأفكار الصالحة من الذين يريدون أن يفكروا في حياتهم الأبدية".

"والأوعية التي حول بطني مليئة بالمخدرات التي بها أجعل الجهال عديمي الحس وأعد الحمقى للسلوك بدون ترو أو بصيرةٍ وأجعلهم يعيشون كالبهائم. وتلك التي تحت بطني هدفها بالطبع هو إثارة الزنى والعشق واللذات القبيحة، والتي على يدي مخصصةً لتدفع الإنسان إلى الحسد والقتل، وبفضلها تنجح إغراءاتي. أما تلك المعلّقة على ظهري وكتفي فهي مملوءة من أنواع البلايا التي بها أقاوم بعنفٍ الذين يجرؤون على مهاجمتي وأنصب

خلفهم فخاخا، وأكسر من كان على قوته متكلاً. والقوارير التي تراها محتشدةً حول فخذي وساقي حتى القدمين مملوءة بالعثرات، وهي متعددة ومعقّدة جدا، أعرقل ا طرق المستقيمين، فعندما أسكبها أجعل طرقهم تضطرب معوقًا إياهم عن الركض في طريق التقوى، وأدفعهم إلى السير في طريقي حتى يصلوا إلي، وأمكث في مفترق طرق الحياة والموت، وأتعقّب العابرين لكي أرغمهم على اتخاذ طريق الموت مشجعا إياهم لكي أجذ م إلى مسلكي. كما أنني أخلط بذار فلاحتي بأنواعٍ من الحسك والشوك والعقبات، والذين يقبلو ا ويحصدون منها ينكرون طريق الحق".

"أما أنت يا مكاريوس فليست عندك أية إرادة أن تسمعني على الإطلاق ولا حتى مرةً واحدةً لأجل أية مشورةٍ صغيرةٍ، ولكنك دائما تحرقني بالسلاح العظيم الذي تملكه، وأنا أيضا أسرع إلى الهرب نحو خدامي. إنك في الحقيقة معلم صالح تتحادث بمحبةٍ مع الآخرين وتسهر على نفسك كما على ابنك الخصوصي".

ولما سمع ذلك أنبا مقار ا اهد في كل تجربةٍ رسم إشارة الصليب قائلاً: "مبارك هو الله الذي سلّمك للذين يتكلون عليه لكي يفضحك، إنه قادر أن يحميني تماما من مكائدك حتى عندما أغلبك أنال مكافأتي من سيدي، فاذهب إذن بعيدا يا إبليس، المسيح يشلّ يدك، ولا تلمس بعد الآن هذا القطيع الصغير الذي يسير في طريق الخلاص الضيق والكرب، اقنع بالذين هم من أتباعك وابعد عن الذين هم في البرية".

وحالما نطق القديس ذه الكلمات اختفى الشيطان تاركًا دخانا كما من نار. ثم ألقى القديس بنفسه على الأرض وابتهل إلى الله بدموع لكي يحامي بقوته عن الرهبان الضعفاء سكان البرية، وختم صلاته بقوله: "ا د لك أيها المسيح يا ملجأ الذين تحار م عواصف التجارب، إنك أنت سلام الذين يلتجئون إليك، آمـين"[٨١].

٦٩ - كان الأب مقارة يرقب الطريق في **أحد الأيام،** فرأى الشيطان سائرا فيه على هيئة رجل مسافر وقد أقبل إليه، وكان مرتديا جلبابا كله ثقوب، وكانت أنواع مختلفة من الفاكهة معلّقة فيه. فقال له القديس مقارة: "إلى أين أنت ذاهب"؟ فأجاب: "أنا ماضٍ لأزور الإخوة لأذكرهم بعملهم". فقال له الشيخ: "وهذه الفاكهة المعلّقة عليك ما الغرض منها"؟ فأجاب: "إنني أحملها للإخوة كطعام". فسأله الشيخ: "كل هذه"؟ فأجاب الشيطان: "نعم، حتى إذا لم ترق لأحد الإخوة واحدةً أعطيه غيرها، وإن لم تعجبه هذه أعطيه تلك، ولا بد أنّ واحدةً أو

(٨١) س ٤ ورقة ١٥؛ N., 488

أخرى من هذه ستروق له بالتأكيد". وإذ قال الشيطان ذلك سار في طريقه.

فظلّ الشيخ يراقب الطريـق حتى أقبل الشيطان راجعا. فلما رآه قال له: "هل وفقت"؟ فأجابه: "من أين لي أن أحصل على معونةٍ"؟ فسأله الشيخ: "لأي غرض"؟ أجابه الشيطان: "الكل قد تركوني وثاروا علي وليس واحد منهم يسمح لنفسه أن يخضع لإغراءاتي". فسأله الشيخ: "ألم يبق لك ولا صديق هناك"؟ فقال له الشيطان: "نعم، لي أخ واحد، ولكنه واحد فقط هذا الذي يخضع لي، على الرغم من أنه حينما يراني يحول وجهه عني كما لو كنت خصما له". فسأله الشيخ: "وما هو اسم هذا الأخ"؟ فقال له الشيطان: "ثيئوبمبتس". وإذ قال هذا رحل وسار في طريقه.

حينئذٍ قام الشيخ ونزل إلى البرية السفلى، فلما سمع الإخوة بمجيئه أقبلوا للقائه بسعف النخل، وجهز كل راهبٍ مسكنه ظانا أنه قد يأتي إليه، ولكن الشيخ سأل فقط عن الأخ ثيئوبمبتس وزاره فاستقبله بفرحٍ. وبينما كان الإخوة يتحدثون مع بعضهم البعض قال له الشيخ: "هل عندك شيء تقوله يا أخي؟ وكيف هي أحوالك"؟ فقال له ثيئوبمبتس: "في الوقت الحاضر الأمور حسنة معي"، وذلك لأنه خجل أن يتكلم.

فقال له الشيخ: "هوذا أنا قد عشت في نسكٍ شديدٍ مدى سنين طويلة، وصرت مكرما من كل أحدٍ، وعلى الرغم من ذلك، ومع أنني رجلٌ شيخ إلاّ أنّ شيطان الزنى يتعبني". فأجابه الأخ: "صدقني يا أبي إنه يتعبني أنا أيضا". واستمر الشيخ يوجِد سببا للكلام كما لو كان متعبا من أفكار كثيرة، إلى أن قاد الأخ أخيرا إلى أن يعترف بالأمر، وبعد ذلك قال له الشيخ: "إلى متى تصوم"؟ فأجاب الأخ: "إلى الساعة التاسعة". فقال له الشيخ: "صم حتى العشاء واستمر على ذلك. أُتلُ فصولاً من الأناجيل ومن الأسفار الأخرى، وإذا صعدت فكرةٌ على ذهنك لا تجعل عقلك ينظر إلى أسفل، بل فليكن فوق دائما والرب يأتي لمعونتك في الحال".

وهكذا إذ جعل الأخ يكشف أفكاره وإذ شجعه عاد ثانيةً إلى بريته وسار في سبيله، وظلّ يراقب الطريق كعادته. ثم رأى الشيطان ثانيةً، فقال له: "إلى أين أنت ذاهب"؟ فأجاب وقال له: "أنا ذاهب لأذكر الإخوة بعملهم". ولما رحل ورجع ثانيةً سأله القديس: "كيف حال الإخوة"؟ فأجاب الشيطان: "كلهم مثل حيوانات متوحشة، كلهم متمردون، وأسوأ ما في الأمر أنه حتى الأخ الواحد الذي كان مطيعا لي قد انقلب هو الآخر، لأي سببٍ لست أعلم! ولم يعد يخضع لإغرائي بأي حالٍ، وصار أكثرهم نفورا مني، ولذلك فقد أقسمت أني

لن أذهب إلى ذلك المكان إلاّ بعد مدة طويلة على الأقل"[82].

٧٠ - سأل إخوةٌ شيخا: "الشيطانان اللذان ظهرا لأنبا مقار في البرية الداخلية: أحدهما هو صاحب الأوعية والآخر صاحب الفواكه، هل ظهرا بإراد ما وأظهرا حيلهما أم بغير إراد ما"؟ **فأجاب الشيخ:** "بغير إراد ما، لأنّ القديس كان كاملاً ومعلما لجميع سكان الأديرة بعد العظيم أنطونيوس، فأراد الله أن يعرفه بجميع الحروب وأ ا ليست في الأفكار فحسب بل وفي المناظر أيضا ليخلص الكثيرين من حيل الشياطين الخفية والظاهرة، ولذلك قال له صاحب الأوعية: أنا أكشف لك حيلي بغير إرادتي ولا أستطيع أن أُخفي عنك شيئًا"[83].

الإفراز والانتصار على خداعات الشياطين

٧١ - للقديس مكاريوس الكبير: سؤال: "ماذا يفعل الإنسان المخدوع من إبليس بطرقٍ معينة وبإعلانات شيطانية شبه الحق"؟

الجواب: "يحتاج الإنسان لأجل ذلك إلى إفراز كثير ليميز بين الخير والشر، ولا يسلم نفسه لمثل تلك الأمور، فإنّ أفعال النعمة ظاهرة التي وإن تشكّلت ا الخطية فلا تقدر على ذلك، لأنّ الشيطان يعرف أن يتشكّل يئة ملاك نور ليخدع الإنسان، ولكنه لو تشكّل بأشكالٍ يةٍ فلا يمكنه أن يفعل أفعالاً جيدة صالحة إلاّ إذا أصاب الإنسان - بواسطتها - بالكبرياء".

" أما فعل النعمة فإنما هو فرح، سلام، وداعة، اشتياق إلى الخيرات السماوية، نياح روحاني في الله؛ وأما فعل المضاد فهو يخالف كل ذلك، وهو يسبب تذللاً لا مسرة فيه ولا ثبات ولا بغض للعالم ولا يسكن شهوة الملذات ولا يهدئ أوجاع النفس. فإذن يمكنك أن تعرف من الفعل وما يسطع منه في نفسك هل هو من الله أم من الشيطان".

"والنفس لها إفراز من إحساسها العقلي تعرف به الفرق بين الصدق والكذب، كما يميز الفم بين الخمر والخلّ وإن كانا متشا ين في اللون، هكذا النفس من الإحساس العقلي تعرف الفرق بين المنح الروحية والتخيلات الشيطانية"[84].

٧٢ - وقال أيضا: "لا تطِع مشورة الشياطين الأنجاس إذا قالوا لك بغش إنّ الله لا يؤاخذ ذا الأمر اليسير وهذه الوصية الواحدة الصغيرة إن توانيت فيها، بل اذكر أنّ كل

---

(82)Am.,230,14; Ch., 181; Apoph. Mac., 3.

(٨٣) س ٩ جزء ٢ رقم ٢٨ ص ٤٦.
(٨٤) س ٤ ورقة ٢١٨.

معصية كبيرة كانت أم صغيرة تغضِب الله"[٨٥].

٧٣ - بلغ الأب مكاريوس أنّ راهبا متوحدا داخل البرية له خمسون سنة لم يأكل خبزا. وكان يقول عن نفسه إنه قتل ثلاثة أعداء: الزنى، وحب الفضة، والسبح الباطل. فذهب إليه الشيخ، ولما رآه المتوحد فرح كثيرا وكان رجلاً ساذجا. فسأله الشيخ عن عزائه وعن أحواله وعن قتالاته، فقال له: "إنه لم يتبق علي قتال زنى ولا حب فضة ولا مجد باطل".

فقال له الأب: "ماذا تقول يا أبي؟ هل إذا وجدت ذهبا ملقى مع حجارةٍ أفلا تميز بعضها من بعض"؟ فقال: "نعم، ولكني أغصب فكري ولا آخذ منه شيئًا". قال: "حسنا، وإذا رأيت امرأةً جميلةً أيمكنك ألاّ تفتكر أ ا امرأة"؟ قال: "لا، لكنني أمسك فكري عن أن يشتهيها". قال: "مبارك، وإن سمعت أنّ أخا يحبك ويمجدك وآخر يبغضك ويشتمك، ثم حضرا كلاهما عندك أيكونان أمامك في منـزلةٍ واحدة"؟ قال: "لا، ولكنني أمسك فكري أن لا أكافئ الذي يبغضني عما قاله عني بل أظهر له محبةً". فقال له الشيخ: "اغفر لي يا أبي، فإنك حسنا جاهدت وقاتلت وصبرت لأجل المسيح، ولكن أوجاعك لم تمُت بعد بل لا زالت حية ولكنها مربوطة، فتب واستغفر الله ولا تعد تقول عن نفسك ذلك لئلاّ تحيا فيك الأوجاع أكثر".

فلما سمع الراهب هذا الكلام انتبه من غفلته، وسجد بين يدي الشيخ قائلاً: "اغفر لي يا أبي، لقد داويت جراح جهلي بمراهم وعظك الصالح"[٨٦].

٧٤ - قال أنبا مقار: "الذي يعمل ويفكر أنه يعمل شيئًا ينال أجره هنا على الأرض"[٨٧].

٧٥ - قيل إنه في حين جاءت سيرة القديس أنطونيوس حافلةً بالصراع الشخصـي ضد الشياطين على مستوى المقاومة المستمرة والمعاناة الواعية، فإنّ سيرة القديس أنبا مقار يظهر فيها الشيطان مقهورا باستمرار ومنهزما دائما بصورةٍ ساحقة، والسبب في تفـوق أنبا مقار على الشيطان كان هو القوة الروحية المرافقة له التي دعيت بالشيروبيم أو الملاك. ومن هنا كانت حياة أنبا مقار وأعماله ومعجزاته الكثيرة جدا صورة للنصـرة الفائقـة القائمة على مؤازرة الله الشخصية لقديسه، وبالتالي جاءت أقواله وتعاليمه مختصرةً أشـد الاختصار، ولكنها قوية أشد ما تكون القوة، تنجح دائما عند أول تطبيق لهـا بسـبب

(٨٥) س ٤ ورقة ١٣٥. (٨٦) س ٤ ورقة ١٦. (٨٧) المرجع السابق. (٨٨) "رهبنة" الطبعة الثانية ص ١٣١.

الإلهام الفائق الذي يرادفها[٨٨].

٧٦ - قيل عن أنبا مقار إن الشياطين كانت تلقي في قلبه أفكارا رديئة، وهو نفسه قال عنها: كمثل مائدة مملوءة بكل نوعٍ من الأطعمة الجيدة للأكل، هكذا قامت أمامي الأفكار: الزنى، والشره، والضجر والكآبة، والكبرياء، وا ـد الباطل، والخوف، والحزن، ومحبة المديح والكرامة، وعدم الإيمان، والتجديف، وقطع الرجاء في الله الذي يبعِد الإنسان ـائيا عن طريق التقـوى. وبالإجمال كافة أنواع **أعمال الشياطين داخل الفكر** قد حاربوني ـا كما كان أنبا أنطونيوس قد أنبأ بذلك"[٨٩].

٧٧ - بينما كان أنبا مكاريوس نازلاً يوما ما إلى مصر (أي القاهرة الآن) مع بعض الإخوة سمع ولدا يقول لأمه: "يا أمي، يوجد إنسان غني يحبني ولكنني أبغضه، وأيضا يوجد إنسان فقير يبغضني وأنا أحبه". فلما سمع أنبا مقار هذا الكلام تعجب. فسأله الإخوة: "ما هذا القول - يا أبانا - الذي جعلك تتعجب"؟ فقال لهم الشيخ: "حقًا إنّ ربنا غني وهو يحبنا، ونحن لا نريد أن نسمع له، في حين أن الشيطان عدونا فقير وهو يبغضنا، ولكننا نحب نجاساته"[٩٠].

٧٨ - قيل عن أنبا مكاريوس إنه جاء مرةً من الأسقيط إلى "ترينوت" (الطرانة)، ودخل في معبدٍ وثني لكي يقضي الليل وينام. وكان في المعبد عدة أجساد ميتة للوثنيين، فأخذ جمجمة ووضعها تحت رأسه واضطجع عليها كما لو كانت الجمجمة قبضة من القش. فغضبت الشياطين إذ رأته في مثل هذا الاطمئنان وأرادوا إزعاجه، فتظاهروا بالنداء على ذلك الميت قائلين: "يا فلانة قومي معنا إلى الحمام". فنطق شيطان آخر من تحت القديس، كما لو كان الميت بشخصه يتكلم: "لا أقدر أن أذهب لأنه يوجد شخص غريب متوسدني". فلم ينـزعج القديس بل قام وضرب الجمجمة بشدة قائلاً: "قومي إن استطعتِ وانطلقي إلى الظلمة". فصرخت الشياطين بشدة قائلةً: "قد غلبتنا"، وهربت في خزي وعار[٩١].

٧٩ - قال أنبا مكاريوس: "بينما كنت سائرا في البرية يوما ما وجدت جمجمةً لإنسان ميتٍ ملقاة على الأرض، فحركتها بعصاتي وقلت لها: 'من أنت'؟ فأجابت الجمجمة: 'أنا كنت رئيس كهنة لأصنام الوثنيين الذين سكنوا في هذا المكان، ولكن أنت مكاريوس حامل الروح، وعندما تشفق على الذين في العذابات وتصلي من أجلهم يشعرون بفترة راحة قصيرة'. فقال له الشيخ: 'ما هي هذه الراحة؟ وما هي هذه العذابات'؟ فقال له: 'كما تبعد السماء عن

---

(٨٩) المرجع السابق ص ١٤٨ عن Am., p. 82

(90) Apoph. Mac., 24 ; W. & W., II: 261.

(91) Boll.,15 jan; Vit. Patr., III,124; V,15, 26; VII, 13, 6; W.& W., II: 206; Apoph. Mac., 13.

الأرض هكذا عظيمةٌ هي النار التي تحتنا، ونحن أنفسنا واقفون في وسط النار من الرجلين إلى الرأس، ولا يمكن أن يرى أحدنا وجه الآخر، ولكن وجه كل واحد مثبت أمام ظهر الآخر، ومع ذلك فعندما تصلي أنت من أجلنا يمكن لكل منا أن يرى الآخر قليلاً، وهذه هي فترة الراحة".

فقال الشيخ بدموع: "بئس اليوم الذي ولد فيه الإنسان"! ثم قال للجمجمة: "هل توجد عقوبات أكثر ألمًا من هذه"؟ فقالت له الجمجمة: "يوجد عقاب أكثر حزنا تحتنا". فقال الشيخ: "من هم الناس الذين تحت ذلك المكان"؟ فقالت الجمجمة: "لقد نلنا رحمةً قليلةً لأننا لم نكن نعرف الله، ولكن الذين عرفوا الله وأنكروه هم تحتنا"! ثم أخذ الشيخ الجمجمة ودفنها[٩٢].

٨٠ - قال أبا شيشوي: "لما كنت في الأسقيط مع الأب مكاريوس[٩٣]، صعد سبعة منا إلى الحصاد، وإذ بامرأةٍ كانت تبكي خلفنا ولم تكُف عن البكاء، فدعا أنبا مقار صاحب الحقل وسأله: 'ما هو أمر هذه المرأة التي تبكي باستمرار'؟ فقال له: 'لأنّ زوجها كانت عنده وديعة لإنسان ثم مات فجأة دون أن يقول أين خبأها، ويريد صاحب الوديعة أن يأخذها هي وأولادها عبيدا'. فقال له الشيخ: 'قُلْ لها أن تأتي إلينا عندما نستريح في نصف النهار'. فجاءت المرأة وسألها الشيخ: 'لماذا تبكين كل الوقت هكذا'؟ فأجابت: 'كان زوجي قد أخذ وديعةً من إنسان، ثم مات ولم يقُل عندما مات أين وضعها'. فقال لها الشيخ: 'تعالي وأريني أين دفنتيه'. وأخذ الإخوة معه وذهبوا معها، ولما جاءوا إلى الموضع قال لها الشيخ: 'ارجعي إلى بيتك'".

"وبعد أن صلى مع الإخوة سأل الشيخ الرجل الميت: 'يا فلان، أين وضعت الوديعة'؟ فأجابت الجثة: 'إ ا مخبأة في البيت تحت رجل السرير'. فقال الشيخ: 'استرح أيضا حتى يوم القيامة'. فلما رأى الإخوة ذلك امتلأوا خوفًا وألقوا بأنفسهم تحت قدميه، ولكن الشيخ قال لهم: 'إنّ هذا حدث ليس من أجلي لأني لست شيئًا، بل لأجل الأرملة والأيتام صنع الله هذه المعجزة. المهم أن الله يريد النفس أن تكون بلا خطية وهو يعطيها كل ما تسأل'".

ثم ذهب وأخبر الأرملة بمكان الوديعـة، فأخذ ا وأرجعتها إلى صاحبها وحررت أولادها. وكل من سمع ذه القصة مجد الله"[٩٤].

٨١ - قُتل شخصٌ في **مكانٍ قريبٍ من القديس مكاريوس،** واتهم شخص بريء

(92) Apoph. Mac., 38 ; Am., 225, 9.

(٩٣) أي أنه قال ذلك عندما كان ساكنا في جبل أنبا أنطونيوس بعد نياحة هذا الأخير، أو عندما كان في كليسما (السويس الآن).

(94) W. & W., I: 614 ; Apoph. Mac., 7.

ذه الجريمة، فهرب تجاه قلاية القديس، فلحق به الذين كانوا يطلبونه وقالوا إ م هم أنفسهم في خطر إن لم يأتوا ذا المتهم لمحاكمته. أما هذا المتهم المسكين فكان يؤكد بقسمٍ أنه بريءٌ من دم هذا القتيل. ولما طال النـزاع سأل القديس عن موضع دفن القتيل، وذهب معهم إلى هناك وجثا على الأرض ودعا باسم الرب وقال لهم: "إنّ الرب سيرينا إن كان هذا المتهم هو الذي اقترف الجريمة أم لا".

وخاطب القديس الميت باسمه، فأجابه من قبره، فقال له القديس: "أستحلفك باسم الرب يسوع أن تخبرنا إن كان هذا الرجل قد قتلك". فأجاب الميت بصوتٍ مفهوم إنه ليس هو الذي قتله. فخاف الحاضرون أمام هذه المعجزة، وسجدوا متوسلين إلى القديس أن يسألوه هم عمن قتله، فرفض القديس قائلاً: "لا داعي لذلك، إذ يكفيني أن أطلِق سراح البريء دون التعريف بالقاتل، فربما يندم القاتل ويتوب وهكذا تخلص نفسه"[(٩٥)].

٨٢ - كان يوجد في **مصر بعض الهراطقة** يعرفون باسم "الهيراسيت Hieracites" نسبةً إلى المبتدع "هيراكس Hierax"، وذلك في أيام دقلديانوس، وكانت من بين هرطقا م عدم الإيمان بقيامة الأموات. وذهب واحد منهم اسمه "أونوميوس" - وهو من نواحي أرسينيوي (الفيوم) - إلى برية القديس مكاريوس وكان يسبب القلق والبلبلة بين الرهبان والمتوحدين بكلامٍ ملقٍ، بل وتجاسر على أن يتكلم ذه البدعة أمام القديس شخصيا. وكان القديس يجادله، أما هو فكان يرد على كلام القديس البسيط بكلامٍ مخادع.

ولما وجد القديس أن الرهبان وبقية المصريين في خطر تزعزع الإيمان، قال: "ما الداعي لهذا الكلام الباطل الذي يسيء إلى من يسمعنا؟ الأحرى بنا أن نتوجه إلى مقابر الإخوة الذين سبقونا إلى السماء، وليعلم كلٌ منا أنّ الذي يعطيه الله نعمة إقامة أحد هؤلاء فهو الذي يكون معتقَده سليما". فوافق الجميع على ذلك، ولكنهم أجلوا ذلك إلى اليوم التالي (يبدو أنّ ذلك كان بناءً على طلب أونوميوس الهرطوقي). وفي اليوم التالي هرب أونوميوس وترك مصر ائيا، وانتظره القديس مع الشعب حتى الساعة الثالثة بعد الظهر.

ولما رأى أنّ الهرطوقي لم يأتِ، ذهب إلى أحد المدافن، ثم انسكب على ركبتيه وظلّ يصلي لمدة ساعة، ثم كشف غطاء أحد القبور حيث وجد ميت منذ زمانٍ طويل، فأقامه أمام الجميع وقال له: "أيها الرجل، قُلْ لنا لو كان هذا الهرطوقي موجوداً بيننا ودعوتك باسم المسيح، ألا كنت قد قمت حيا أمام هذا الشعب الذي كاد أن يضله هذا المبتدع"؟ فقام الميت في الحال وأشار إلى أنه كان سيفعل ذلك. ثم سأله القديس عن شخصيته، وفي

(٩٥) "رهبنة" الطبعة الثانية ص ١٠٠ عن Monach., 21 Latin Version; Vit. Patr., L, II: 28, L., III, 41

أي زمانٍ عاش، وهل كان يعلم شيئًا عن المسيح. فأجابه أنه عاش في زمن أقدم ملوك الفراعنة، وأنه لم يسمع قط في أيامه على الأرض عن المسيح. فقال له القديس: "أُرقد بسلام، وانتظر إلى أن يقيمك يسوع المسيح في ايه الزمان حسب رتبتك"[٩٦].

وقيل إنّ أسقف الفيوم هو الذي شجع أنبا مقار على إقامة الميت حفاظًا على شعبه من ضلال هذه البدعة، وأنه سأله بعد ذلك إن كان قد جرب من ا د الباطل في قلبه حينما مجده الجميع بسبب هذه المعجزة، فأجابه القديس: "الذي في قلبه مكان للتطلع إلى مجد الناس، فهو في الواقع لم يعرف الله، لأنّ ما يعمله إنما يعمله لأجل الناس. أما الذي أُعطي له أن يقتني روح الله فهو يكون في صراعٍ عظيم وكأنه في موقفٍ حرج لأنه يخاف من السقوط، وهو لا يشعر إلاّ برغبةٍ واحدةٍ هي الخروج من الجسد. أما من جهة ا د الباطل فلا تكون لديه أية فكرة بخصوصه".

ثم أعطى القديس للأسقف هذا المثل: "لنفرض أنّ إنسانا كان سائرا في البحر وهو يتأمل في الشمس حتى صار محمولاً على أشعتها، ثم قال له واحد آخر: 'إذا نظرت إلى ما أنت سائر عليه فستغرق'! فهل يكون مستعدا أن يعصى هذه النصيحة؟ هكذا أيضا من له عينان شاخصتان في مجد الله فهو يطأ بقدميه مجد الناس، ولكنه إذا حاد عن مجد الله فسينحطّ إلى مجد الناس وهكذا يهتز بأمواج جميع الأوجاع (أي أهواء النفس)".

أما من جهة فضائل هذا القديس الأخرى فهي أكثر من أن تحصى.

ويقول كاسيان عن هذه القصة: "إنّ القديسين ما كانوا يسعون إلى عمل المعجزات، بل حتى عندما يمنحهم الروح القدس هذه النعمة كانوا يستعملو ا للضرورة القصوى. والقديس مكاريوس باتضاعه كان يخفي هذه العطية التي أنعم بـها الروح القدس عليه، ولولا حاجة المنطقة بأسرها، إذ كانت في خطر الهلاك، ولولا محبته للرب يسوع المسيح، لما قام بإجراء هذه المعجزة، ولم يكن ا د الباطل ولا الرغبة في الظهور هي التي دفعته إلى ذلك، بل محبته لمخلصه وتحننه على هذا الشعب، وذلك كما فعل إيليا النبي عندما طلب أن تنـزل نار من السماء على الذبائح، وذلك لكي يطلِق حرية الإيمان لكل الناس الذين تعرضوا للخطر من خداعات الأنبياء الكذبة"[٩٧].

٨٣ - سأل إخوةٌ شيخا: "أقام أنبا مكاريوس وقديسون آخرون موتى ولم يتركوهم

---

(٩٦) ذكر المرجع الفرنسي (Série des anonymes, 490 B: K 300) أنّ هذا الميت الذي قام مكث مع أنبا مقار ثلاث سنوات بشره فيها بالمسيح وعمده ثم مات مسيحيا.
(97) Conf., XV, ch. 3; Série des anonymes, K 300.

باقين في هذه الحياة، بل أمروهم أن يضطجعوا إلى يوم القيامة، فلماذا"؟ **قال الشيخ:** "بسبب أنه ليس لهم ولا للآخرين ربح لو ظلوا أحياء، وهذا كان يظهر للآباء في رؤيةٍ، فكانوا بعد أن يقيموهم لضرورةٍ ما يأمرو م مرةً ثانيةً أن يضطجعوا. وذلك كما فعل أحد القديسين لما أقام رأس جماعة يهودية وعمده ثم تركه يموت حتى يعلَم أن الموت ليس أمرا شريرا، وأن الله لم يخلق شرا كما يظن الهراطقة، كما أنه لا يمكن أن يموت إنسان بغير تدبير الله وإرادته، ولا يسقط طير صغير في فخ إلاّ بمشيئته، وأنه حتى شعور رؤوسكم محصاة كما هو مكتوب".

"فموت الناس له خمسة أنواع: موت طبيعي، وبالإرادة، وبحدث طارئ، وبالغضب، وبالأدب. فالموت الطبيعي هو كما قال داود النبي إنّ يومه يدركه فيموت، وبالإرادة كما قتل شاول نفسه في الحرب، وبحدثٍ طارئ كالذي يسقط من مكانٍ عالٍ أو في حادثٍ دون قصد، وبالغضب أي بواسطة الشياطين والناس الأشرار والوحوش وغيرها، وبالأدب كما حدث في الطوفان ونار سدوم وعمورة ونحو ذلك. ورغم أنّ جميع هذه الأسباب هي بأمر الله فهو أحيانا يمنع موتا في وقته ويسمح بموتٍ قبل أوانه، وهذا هو تدبير الله الخفي الذي لا تدركه خليقته، بل إ م سيعرفونه في العالم العتيد ويشكرون الله. وهذا التدبير لا يجري بين الناس في مو م فحسب بل وأثناء حيا م أيضا وحتى بعد مو م وقيامتهم الأبدية، وفي الفردوس وفي الجحيم وفي ملكوت السماء وفي جهنم".

"فإذا وجد الله أنّ بقاء إنسان في الحياة بعد إقامته من الموت فيه ربح فهو يسمح بذلك، وذلك كما فعل مع لعازر وابن أرملة نايين وابنة يايرس والذين قاموا عندما قام الرب (مت٢٧: ٥٢و٥٣)، ومثل طابيثا التي أقامها بطرس الرسول. فبقاء مثل هؤلاء في الحياة لمدة معروفة يجعل الناس يتحققون من قيامة الموتى، وآخرون يعيشون لغرض آخر ثم يموتون مثل الذين أقامهم أنبا مقار، وقد أجابه واحد منهم بالفعل بأنّ راحة الموت خير من هذه الحياة"[٩٨]!

٨٤ - قيل عن أنبا مقار الكبير إنه أمضى ثلاث سنوات في قبرٍ كان فيه ميت، ثم أراد أن يغادر هذا المكان، فانتصب الميت قائما عند الباب قائلاً: "لن أسمح لك بالذهاب يا أبي". فسأله الشـيخ: "لماذا"؟ فقال له الميت: "قبل مجيئك إلى هذا القبر كنت في عذاباتٍ وآلامٍ شديدة، وحالما جئت وسكنت هنا صرت بسببك في راحةٍ، لذلك أخاف من أنني إذا سمحت لك بالذهاب يرجعونني إلى العذاب مرةً أخرى". وبينما كان الميت لا يزال عند باب القبر سمِع صوت يقول: "اترك رجل الله يذهب لأنه لو لم توجد لك

(٩٨) س ٩ ص ٢٨١ رقم ١٨٤.

(99) Am., 227: 3.

بعض أعمال البر التي بسببها تستحق الشفقة لما جعل الله في قلب خادمه أن يقضي تلك السنوات الثلاث في هذا القبر حتى يشفق الله عليك بسببه"[٩٩].

احتماله للاضطهاد ونتائجه الإيجابية

٨٥ - قيل بخصوص نفي المقارين القديسين: إنّ تقشف آبائنا قديسي البراري وشدة نسكهم كان إعدادا مباركًا لتحمل الآلام من أجل المسيح، وكان لا بد للهراطقة - أمثال الأريوسيين أعداء الإيمان الصحيح - أن ينضموا في النهاية للشياطين لتكميل آلام القديسين وتطهيرهم.

فقد أراد "لوكيوس" (أو "لوس" = لوقا) البطريرك الإسكندري الدخيل أن يضطهد أتباع مجمع نيقية حتى قديسي البراري، وذلك لكي يجذب إلى جحوده العلمانيين إن استطاع أن ينهي على هؤلاء القديسين الذين كانوا يساندون الشعب في الإيمان، ولأنه كان واثقًا من استحالة إقناعهم أراد تحقيق غرضه بالسلاح. لذلك أرسل إليهم جيشا كما لو كان سيحارب البربر، وأمرهم بقتل خدام الله الحي. ومن ترتيبات الله العجيبة أنّ روفينوس المؤرخ حضر كل ذلك وقال: [ولما وصلوا إلى تلك البراري وجدوا فيها رهبانا منشغلين بعباد م وأصوامهم وخدمتهم، عزلاً بلا سلاح، بل وغير مستعدين حتى للدفاع عن أنفسهم، بل ومصممين على سفك دمائهم صونا للإيمان المستقيم الذي سلم لهم مرةً من القديسين. كما وجدوا في تلك البراري نساكًا عراةً لا يرفعون حتى أيديهم لصد الضربات الموجهة نحوهم، بل يقدمون الرقاب لقبول الموت دون أن يقولوا شيئًا سوى: "مبارك الله في كل شيء"][١٠٠]!

ولكن لا الوداعة ولا المعجزات استطاعت أن تستميل القائمين على تنفيذ "الأمر الأسقفي"! وهكذا منعوهم أولاً من مواصلة الصلاة في كنائسهم التي حرموا عليهم دخولها، ثم تقدموا أكثر مستخدمين السلاح، وصنعوا في هذه البراري (نتريا والقلالي وشيهيت) شرورا وقسوةً وفظائع تفوق كل تصور. ولكن العناية الإلهية سمحت بكل هذه العذابات لتزكية إيما م وحبهم وصبرهم، ولخير باقي المؤمنين الذين كانوا ينتفعون بمثال تقواهم[١٠١].

وقيل إنه عندما كان الجنود مزمعين أن يهاجموا القديسين، قُدم إليهم رجلٌ مشلولٌ، ولما

(100) Rufinus, H.E., II, 3 f.; Socrates H. E., IV, 24.

(١٠١) الفقرات السابقة مقتبسة من "رهبنة" ص١٠٧ و١٠٨.

(102) Sozomen, 6: 20.

(103) Chronicon, anno 379 ((Migne, P. L. XXVII, col. 697; Historia adversus pagenos, VII, 33, p. 551.

دهنوه بزيتٍ وأمروه باسم المسيح - الذي اضطهده لوكيوس - أن يقوم ويذهب إلى بيته شفي في الحال. هذا الشفاء المعجزي أظهر علانيةً ضرورة تبني آراء الذين شهد الله نفسه أ م يمتلكون الحق، في حين أنّ لوكيوس صار مدانا في أنّ الله سمع لصلوا م وشفى المريض[١٠٢]!

ويؤكد جيروم و"أوروس"[١٠٣] أنّ جماعات كاملة من الرهبان (وكانوا آلافًا) سفِكت دماؤهم في نتريا على يدي الوالي "لوس" مدعي الأسقفية، لكن الله لم يسمح بأن تعرف أسماؤهم، فصاروا شهادةً صامتة للجندي السماوي ا هول[١٠٤]!

ثم يقول المؤرخ سقراط: لما سئم لوكيوس، أسقف الإسكندرية الأريوسي، من إزعاج القديسين واضطهاد وقتل العديد من الرهبان الأرثوذكسيين، أمر بنفي آباء الرهبنة الكبار مثل إيسوذورس وهيراكليد وبامو وبيسيمينوس وأدلفيوس وبفنوتيوس وأمونيوس ذي الأذن الواحدة إلى فلسطين، ثم أمر بالقبض على المقارين سرا أثناء الليل ومعهما شخصان لخدمتهما، وكان ذلك في ١٣ برمهات اليوم الذي لا زالت الكنيسة تقرأ فيه قصة نفيهما وأعمال الله معهما[١٠٥]، وهنا يقول المؤرخ ثيئودوريت: إنّ لوكيوس الذي اضطهد الرهبان من أولاد أنبا أنطونيوس في الصعيد ورهبان برية أنبا مكاريوس في نتريا والقلالي وشيهيت، هو الذي نفى قاد م الروحيين: أنبا مقار الكبير وسميه الإسكندراني وأنبا إيسوذورس والباقين، فأجبِروا على الخروج من مغائرهم، ونفِي المقاران إلى جزيرة محاطة بالمستنقعات[١٠٦]، كان سكا ا من الوثنيين ولهم معبد كبير وكاهن كانوا يعبدونه كإله، وذلك - كما يقول سقراط - كان بترتيبٍ من الله لكي بضيقات هذين القديسين يحصل الكثيرون على الخلاص!

ولما وصل القديسان إلى الجزيرة امتلأ الشياطين من الخوف والذعر، فدخلوا في ابنة الكاهن الوثني الذي تقول المخطوطة إنه كان هو نفسه ملك الجزيرة وكان أهلها يعبدونه لأنه كان ساحرا، وقيل إنّ الرب نفسه هو الذي أمر أحد الشياطين الذين يخدمون الملك أن يصرع ابنته ويتعِبها، وهكذا بدأت تسلك بغيظٍ شديد وتقلب كل شيء في طريقها، ولم يكن لأية قوةٍ أن تهدئها ولا لأحدٍ أن يقترب منها، وكانت الجزيرة واسعة ومع ذلك كان

---

(١٠٤)"رهبنة" ص ١٠٨. (١٠٥) راجع سنكسار "رينيه باسيه" والسنكسارات الأخرى في هذا التاريخ.

(١٠٦) لم يتفق المؤرخون على مكا ا ولا على اسمها: فبعضهم من يقول إ ا كانت في وسط الدلتا، وآخرون يقولون إ ا عند أسوان، وآخرون إ ا في ليبيا، وتقول مخطوطة س ١٧ إ ا في بلاد المغرب وتعرف باسم "الكويرطومن"، ولكن لا بد أنّ المقارين قد مرا على الصعيد لأنه توجد كنيسة أثرية في "أبو تيج" بالصعيد باسم أنبا مقار حيث يقال إنّ أنبا مقار الكبير عند رجوعه من المنفى مكث لبعض الوقت هناك.

جميع الناس يسمعون صراخ الشياطين في هذه الفتاة الذين كانوا يقولون بحرقةٍ: "آه يا مكاريوس الكبير الذي طردوه من بلاده مع الآخر الذي معك، أهلكتمانا وأحرقتمانا بصلواتكما، لا تستطيعان أن تقيما عندنا البتة"! وكان الشياطين قد أمرهم الرب أن يقولوا الحق بغير إراد م، فقالوا: "إن لم يأتِ مكاريوس المصري ويخرجني من ابنتك أيها الملك فلا يقدر أحد أن يخرِجني"، لأنّ أباها حاول إظهار قوة سحره ليطردهم من ابنته فلم يستطع.

ثم ساقها الشياطين إلى الشاطئ الذي رست فيه سفينة المقارين، وحالما رأوا المقارين القديسين نطقوا في الفتاة بمثل كلمات العرافة في مدينة فيلبي (أع١٦: ١٦) وسمعهم الجميع يقولون: "آه من قوتكم يا خدام المسيح، لقد طردتمونا من كل مكان وفشلنا في تجنب سهامكم القوية، وها قد نفاكم مضطهدوكم، وبدلاً من أن يؤذيكم اضطهادهم ستطردوننا من مسكننا القديم هنا. ها نحن نترك الجزيرة لأننا قد جرِحنا من طعنات أشعة نور قوتكم"! ولما اقترب أنبا مقار الكبير من الفتاة صرخ الشيطان وصرعها قائلاً أمام كل عظماء الجزيرة: "الويل لي لأنك أحرقتني بصلاتك قدام الله، ولولا ذلك لقتلتها بسبب أبيها لأنه يجعل نفسه إلهًا".

ولما رأى ملك الجزيرة - الذي هو نفسه كاهنها - أنبا مقار والنعمة الإلهية الحالّة عليه، وكانت لحيته نازلةً على صدره وهي بيضاء كالثلج ووجهه مضيء تعجب جدا وسلّم عليه بلغة القديس حتى تعجب الجميع، وللحال خرج الروح النجس الذي في الملك، ثم قال لأنبا مقار: "أشهد أيها الشيخ أنك إذا طردت هذا الشيطان من ابنتي فأنا أومن بقوة إلهك وأترك جميع الشياطين الكذبة الذين تحت سلطاني".

ثم قربوا الفتاة من القديس فصرخ الشيطان فيها قائلاً: "يا مقارة مالنا ولك، لقد ضيقت على جنسنا في كل مكان، والآن حضرت لتطردنا من بيوتنا"! فقال له أنبا مقار: "باسم الرب يسوع المسيح إلهي ومخلصي ابن الله الآب، اُخرج من هذه الصبية ولا تضرها". ففي الحال انحلّت آلهة الملك وسقطت وتكسرت أمام اسم المسيح، فارتعب الملك وعظماؤه من ذلك، وأعلنوا جميعا أنه إذا شفيت الصبية يؤمنون بالمسيح.

ألقى الشيطان بالفتاة مصروعةً على الأرض كالميتة وهربوا كلهم، فصلى المقاران على زيت وصلبا به على الصبية فقامت وسلّماها عاقلةً لوالدها الذي لما رأى ذلك اعترف أمام الجميع قائلاً: "أنا أعترف بخطيتي أمام الجميع أنني لست إلهًا بل إنني رجلٌ رديء، وقد ضلّلت أهل الجزيرة بسحري وجعلتهم يسجدون لي، وأعترف لكم أنه ليس إله في

السماء وعلى الأرض إلاّ إله هذين الشيخين البارين". واعترف الجميع علنا بإله المقارين القديسين، وطلبوا منهما أن يشرحا لهم إيما ما بالمسيح، فطلب أنبا مقار الكبير أن يجتمع كل أهل الجزيرة، فشرح لهم إيمانه فآمنوا جميعا. ثم صلى القديسان على جميع مرضاهم ومن م أرواح نجسة ودهنوهم بزيتٍ فشفوا جميعا.

ثم أقاما أياما كثيرة يعلما م من العهدين القديم والجديد حتى أنارا عقولهم، ثم هدموا تماثيل أصنامهم وحولوا معبدهم الكبير إلى كنيسة، وأرسل الرب لهم زيت الميرون بواسطة إيغومينوس من الإسكندرية، وهكذا تعمد الجميع على يدي هذين القديسين. وهكذا لما احتملا الاضطهاد من أجل الإيمان بمساواة الابن للآب في الجوهر زكّاهما ذلك بالأكثر، وصارا وسيلة خلاص لآخرين، وثبتا الحق الذي كان يرجى هدمه بنفيهم.

ولما بلغت هذه الأخبار إلى الإسكندرية صار لوكيوس مقهورا بحزنٍ شديد، وخوفًا من أن يستثير حقد مشايعيه ومن أن يتهم بمحاربة الله نفسه، أرسل سرا لأنبا مكاريوس ورفقائه ليرجعوا إلى بريتهم. ولكنهم قبل رجوعهم كرسوا الكنيسة الجديدة وأوانيها، ولما طلب المقاران بدموع معونة الرب يسوع المسيح ظهر لهما مع قوات سماوية وقديسين كثيرين، وقال لهما : "أقسم بذاتي أنّ كل إنسان يهتم بتعبكما الذي احتملتماه من أجل اسمي في هذا المنفى فإني أعظمه بكل الخيرات وأكون معه في شدائده وأخلصه. وسأجعل أمر نفيكما معروفًا في جبل شيهيت وفي كل أقطار الأرض إلى انقضاء العالم، وكما اعترفتما بي قدام الناس سأعترف بكما قدام أبي الذي في السموات وملائكته".

وقيل إنّ أنبا مقار الكبير طلب من الرب يسوع أن يكرس الكنيسة ومحتويا ا فاستجاب له وكرسها كلها بيديه الطاهرتين، ثم أمرهما برفع القرابين، فخدم أنبا مقار الكبير القداس وكان أنبا مقار الإسكندراني يخدم كشماس، وأثناء الصلاة عاينا الرب يسوع المسيح والشيروبيم والسيرافيم مع تلاميذ الرب. ثم اختار الرب واحدا من شعب الجزيرة أسقفًا لهم وسمي "يوحنا".

ويقال إنّ الكروب حمل المقارين القديسين بعد ذلك إلى الإسكندرية وتركهما عند باب الكنيسة التي فيها البابا، وكان ذلك في باكر يوم الأحد. وأخبر الأب الإيغومانوس البابا عما احتمله القديسان من لوكيوس غير الرحيم من أجل المسيح. ولما علم الشعب بكل ذلك طردوا لوكيوس من الإسكندرية وأعادوا البابا إلى كرسيه. ثم حمل الكروب المقارين أيضا إلى موضعهما في برية شيهيت، وهناك بشر أحد الملائكة الرهبان بوصول المقارين، فخرجوا من

مغايرهم وجاءوا من أركان الجبل مثل الحمام[١٠٧] لاستقبالهما وكانوا بالآلاف.

وكان أول من استقبل أنبا مقار الكبير هما القديسان أنبا يؤنس القصير وأنبا بيشوي أخوه الروحي - وهما ابنا القديس أنبا أموي ابن أنبا مقار الكبير - فباركهما قائلاً: "الرب يبارككما لتكونا شجرتين مثمرتين حتى تشبعا نفوسا كثيرة، وكما سبقتما وأخذتما البركة من مسكنتي كذلك يجعلكما الرب مقدمين ورئيسين في هذه البرية، ويدعى اسمكما مع اسمي مكسيموس ودوماديوس على هذه البرية من بعدي، ولا تبرح بركتي وروحي منكما ومن أولادكما لأنكما ثالث جيل من غرسي الروحاني". ثم أخبر الجميع بكل ما حدث معهما.

وظلّ أنبا بفنوتيوس تلميذ أنبا مقار الكبير يخدمه لأنه كان قد ضعف من كثرة النسك والتعب حتى رقد في الرب[١٠٨].

الحـرارة الروحيـة

٨٦ - قال أنبا مقار: "إنّ نيات الناس مختلفة، حتى إنه يمكن لنية إذا كانت نشيطة حارة أن تقدم في ساعةٍ واحدة ما لا يمكن لغيرها - إذا كانت متوانية - أن تقدمه ولا في خمسين سنة. والشياطين متى رأوا إنسانا شِتم وأهين أو خسر شيئًا دون أن يغتم بل احتمل بجلادةٍ يرتاعون، لأنهم يعلمون أنه قد وجد طريق الله"[١٠٩].

٨٧ - وقال أيضا: "كمثل الحديد إذا طرحته في النار يصير أبيض وينقى من الأوساخ، هكذا النفس إذا ما حل فيها الروح القدس المعزي وسكن فيها تصير نقية كالثلج وتلمع ببياض الفضيلة حتى تنسى الأرضيات وتشتاق إلى السمائيات، وتوجد في كل وقت سكرانة بالإلهيات وتشتاق إلى العلويات من أجل نقاوتها وطهارتها، حتى يظن الإنسان أنّ صاحب هذه النفس قد انتقل من هذا العالم إلى الحياة الأبدية بربنا يسوع المسيح، وينتظر الجزاء الكامل الكائن في الدهر الآتي الذي لا يفنى للأبرار"[١١٠].

ارتياح الرب داخل الإنسان

٨٨ - وقال أيضا لإحدى الأخوات: "يجب عليكِ أنه كما حملَت سيدتنا مريم ربنا

---

(١٠٧) ونستنتج من ذلك أن لون زيهم الرهباني كان أبيض.
(١٠٨) س ١٧ ورقة ٣٧؛ سنكسار "رينيه باسيه" ١٣ برمهات؛ "رهبنة" الطبعة الثانية ص ١٠٧ Socrates, E. H.,4: 24; Sozomen, E. H., 6: 20; Theodoret, E. H., 4: 18
(١٠٩) س ٤ ورقة ١٦.
(١١٠) س ٤ ورقة ٤٤. (١١١) س ٩ رقم ٦٨ ص ١٤٢. (١١٢) س ٤ ورقة ٤٤.

في بطنها، هكذا ينبغي أن يجد له راحةً في داخلكِ"[١١١].

٨٩ - وقال أيضا: "إنّ النفس لها استطاعة أن تنظر إلى الله في كل حين وتترك لها دالةً عند سيدها، لأنّ لها سلطانا على ذلك، ونحن أيضا فلنصنع لنا إرادة أن لا نحيد عن خدمة الله ولا نتعبد للأوجاع"[١١٢].

٩٠ - وقال أيضا: "من يريد أن يأتي إلى الله ليستحق الحياة الدائمة ويكون مسكنا للمسيح ويمتلئ من الروح القدس ينبغي عليه أولاً أن يكون له إيمان ثابت بالله، وأن يسلم نفسه لعمل وصاياه ويرفض العالم بالكلية لكي لا يكون عقله منشغلاً بشيءٍ مما يرى، وحينئذٍ يلازم الصلاة ويكلف نفسه في كل عملٍ صالح، وإن كان القلب لا يريد - إما بسبب قتال العدو، أو لتسلط عادة رديئة، أو لعجز وقلة صبر - فبتكلفٍ نخطف ملكوت السموات لأنّ الغاصبين يختطفونه. وليحرص على أن يدخل من الباب الضيق ويسير في الطريق الكرب الموصل إلى الحياة، ويجعل الله بين عينيه دائما وإياه وحده يحرص أن يرضي".

"فإذا كلف الإنسان نفسه حتى يعتاد على ذلك، ويذكر الرب ويترجاه بشوقٍ كثير، فحينئذٍ يخلصه الرب من الأعداء ومن الخطية الساكنة فيه، ويملأه من نعمة الروح القدس، وحينئذٍ يعمل الفضائل بالحقيقة بلا تعب ولا تكلف لأنّ الرب يعينه"[١١٣].

الصلاة الدائمــة الحــارة

٩١ - قيل إنّ أنبا مقار الكبير كان يمر بجوار أخٍ في الأسقيط كل يوم لمدة أربعة شهور ولم يجده بطّالاً ولا مرةً واحدةً، ثم ذهب إلى هناك مرةً أخرى ومن خارج الباب سمع الأخ يبكي قائلاً: "يا سيدي، يا يسوع، وإن كانت أذناك لا تصغيان إلي عندما أصرخ إليك عاليا ارا وليلاً لكي تشفق علي وتصنع معي رحمةً من أجل خطاياي؛ إلاّ أنني أنا أيضا لن أتعب من الصلاة إليك ولن أملّ من أن أدعوك إلى معونتي"[١١٤]!

٩٢ - سئل أنبا مكاري: "كيف يجب على الإنسان أن يصلي"؟ فقال الشيخ: "ليست هناك حاجة إلى أحاديث طويلة، بل يكفي أن يبسط الإنسان يديه ويقول: 'يا رب، كما تريد وكما تعرف ارحمني'. وإذا ازدادت الضيقة عنفًا قُلْ: 'معونتك يا رب'، وهو يعرف جيدا ما نحتاجه ويظهر لنا رحمته"[١١٥].

٩٣ - وقال أيضا: "كما أنّ الذي يلازم الصلاة قد اقتنى أفضل الأعمال؛ فهو محتاج إلى

---

(١١٣) س ٤ ورقة ١٨.
(١١٦) س ٤ ورقة ١٨.
(114) N.,16 ; Am.,225: 3.
(115) Am.,220: 4;Apoph. Mac.,19 ;س ٤ ورقة ١٨

جهاد أكثر من سائر الأعمال، كما ينبغي عليه الحرص الكثير والصبر والتعب دائما، لأنّ الشرير يناصبه العداء ويجلب عليه نعاسا وكسلاً وثقل جسدٍ واسترخاءً وضجرا وأفكارا مختلفة وطياشة عقل وحيلاً كثيرةً ليبطلها، فهو يحتاج أن يجاهد حتى الدم تجاه الذين يطلبون أن يبعِدوا النفس من الله، فيتيقّظ وينتبه بعقله، ويطرد الأفكار المعوقة بإصرار، ويطلب من الله عونا وفهما"[١١٦].

٩٤ - قال أنبا مكاري الكبير: "في التسبيح بالمزامير (صلاة الأجبية والتسبحة)، على النفس أن تستجمع كل أفكارها مع شعور بالندامة، ولا يكون في الروح أي شيءٍ آخر يجذب انتباهها بعيدا عن الله، والتصميم على الشخوص بثباتٍ في حبه المتأصل فينا، الحب له وحده. ومثل أم تجمع صغارها في بيتها لكي تربيهم و ـذ ـم، هكذا النفس عليها أن تستجمع من كل جهةٍ أفكارها الشاردة وكأ ـا أطفالها هي، وكل مرةٍ تتشتت فيها بتأثير الخطية يجب عليها أن تجمعها مرةً أخرى ولا تكُف عن ذلك بقدر إمكا ـا، وتنتظر الرب بإيمانٍ يقيني حتى بمجيئه إليها يعلمها الصلاة الحقيقية الخالية من التشتت حسب رغبته هو لها"[١١٧].

الصراع الروحي والعمل بالوصايا

٩٥ - نصح القديس أنبا مكاري تلاميذه كثيرا وعلمهم قائلاً: "تذكّروا دائما أنكم تعيشون في حضرة الله العلي القدير الذي يرقب أفكار جميع البشر ويفحص قلب كل واحد، والأسفار المقدسة تشهد والرسول يعلم بذلك أيضا في قوله: «لأنّ كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيفٍ ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته، وليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيءٍ عريان ومكشوف لعيني ذاك الذي معه أمرنا»" (عب٤: ١٢و١٣).

"ولذلك، يا إخوة، عندما تزعزعنا المسرة الجسدية وشهوة الزنى فلنسارع إلى طرد الفكر النجس الممقوت من قلوبنا متضرعين بلجاجةٍ من أجل معونة ربنا يسوع المسيح بصلوات وأصوام، وذلك لكيما يجتذبنا بقوة مقدرته ويحمينا ويطأ الشيطان تحت أقدامنا. ويجب علينا أن نوبخ أنفسنا قائلين لها: 'إنّ مسرة الجسد التي تبهركِ بمكرٍ ليست إلاّ لوقتٍ قصير، في حين أنّ آلام وتعاذيب النفس والجسد في نار جهنم ستبقى دائمة أبدية'".

"ولنخاطب أنفسنا أيضا ـذا التوبيخ: 'إذا كنت تخجل أمام الناس الخطاة إذ تخاف لئلاّ

---

(117) P E., IV: 8, 6, 5.

(118) C S P., III: 1.

يبصروك في فعل الخطية، فلماذا لا تخاف بالأكثر وتوقر مهابة الله العلي القدير الذي يرى أسرار قلوب الجميع حسب قول الرسول: «كل شيء عريان ومكشوف لعينيه»‘؟ فعندما نبكت أنفسنا بمثل هذه الأفكار تدخل في قلوبنا في الحال مخافة الرب وتثبت محبة العفة في نفوسنا وننطلق في إتمام جميع وصايا الرب بمعونة نعمة ربنا يسوع المسيح الذي وعد الذين يخدمونه بالقداسة والعفّة أن يعطيهم الخيرات السماوية الأبدية في حياة الدهر الآتي ا يدة، ويمنحهم أن يفرحوا على الدوام مع الملائكة القديسين في بـ ـهاء النور اللا ائي"[١١٨].

٩٦ - وقال أيضا: "إذا أردت أن يقبل الله دعاءك فاقبل أنت وصاياه. إنك عبد الله فلا تعمل لغيره، ولا تتكل على غيره ولا تدعو غيره. وإن كنت قد علمت أنك ستأتي إلى الدينونة فارغب فيما يخلصك منها. أُذكر الموت وتأهب لملاقاته".

"الوحدة (أي التوحد) هي حفظ العينين والأذنين واللسان، والاشتغال بالقراءة والصلاة. الوحدة مرآة تبين للإنسان عيوبه. وكما أنّ عصا هارون في ليلةٍ واحدةٍ أزهرت وأثمرت؛ كذلك نفس الراهب إذا حل فيها الرب تزهر وتثمر بخالقها المسيح ثمار الروح القدس"[١١٩].

علاقتنا بالله وخوف الشيطان من أماكن القديسين

٩٧ - وقال أنبا مقار أيضا: "كثيرا ما يؤخر الله أن يعطينا ما نطلبه وذلك لمنفعتنا، وهو يعطينا أحيانا أشياء أخرى ويشجعنا ا على أن نستمر في الطلب"[١٢٠].

٩٨ - قيل إنّ كل تقشفات الجسد كانت شيئًا قليلاً بالنسبة لهذا الرجل السماوي الذي ما كان يرى إلاّ منجذبا بلا توقف خارجا عن نفسه (حالة دهش إلهي)، وكان يتحدث مع الله أكثر مما كان يفكر في كل ما هو تحت السماء[١٢١]!

٩٩ - أراد أنبا مقار أن يعزي الإخوة فقال لهم: "جاءت امرأة إلى هنا ومعها ابنها الصغير وكان فيه شيطان، فقال لأمه: ’قومي يا امرأة لنرحل من هنا‘. فأجابته: ’لا أستطيع أن أمشي أكثر من ذلك‘. فقال لها الولد الصغير: ’أنا نفسي سأحملكِ‘! فتعجبت من حيل الشيطان ومن مقدار شغفه بأن يجعل الناس يهربون من هنا"[١٢٢].

مواهب الشفاء للقديس لعمل الرحمة

---

(١١٩) س ٤ ورقة ١٩.
(120) PA.,58,2.
(121)Laus.,17:5.
(122) Apoph. Mac.,6; W. & W., II: 50.
(123) Laus., 17: 11 - 13.

١٠٠ - قيل إنّ شابا صغيرا كان به شيطان، أحضرته أمه وهي باكية إلى القديس مكاريوس، وكان مقيدا بواسطة رجلين، وهذا ما فعله الشيطان معه: بعد أن ابتلع حوالي ٢٤ جالونا من الخبز وشرب جرة ماء، كان يتقيأ الطعام ثم يبخره (بأن ينفخ فيه)، و بهذه الطريقة صار الطعام والماء كأنّ نارا التهمتهما. لأنه يوجد نوع من الشياطين تعتبر محمومة، لأنّ الشياطين تختلف عن بعضها مثل البشر.

ولم يكن هذا الشاب يحصل على غذاءٍ كافٍ من أمه، لذلك كان يأكل أيضا النفايات. وإذ كانت أمه تبكي وتتوسل إلى القديس؛ أخذه رجل الله وصلى عليه داعيا الرب، وبعد يومٍ أو اثنين لما خفّت عنه الحمى سأل القديس المرأة: "أية كميةٍ من الطعام تعطيه ليأكل"؟ فأجابته: "عشرة أرطال من الخبز". فلامها على هذه الكمية الكبيرة، ثم صام سبعة أيام مصليا من أجل الشاب، ثم رسم للشاب أن يأكل ثلاثة أرطال، وطلب منه أن يعمل عملاً معينا، وهكذا تعافى الشاب وأحضره القديس إلى أمه[١٢٣].

١٠١ - قيل إنّ رجلاً كان له ابن مشلولٌ، فأحضره إلى أبا مكاريوس ووضعه على الباب وهو يبكي، وابتعد إلى مسافةٍ كبيرة. فخرج الشيخ ورأى الولد وقال له: "من الذي أحضرك إلى هنا"؟ فقال له: "إنّ أبي ألقاني هنا وذهب بعيدا". فقال له الشيخ: "قم والحق به". فللحال شفي الولد وقام ولحق بأبيه ورجعا فرحين إلى بيتهما[١٢٤].

١٠٢ - قيل إنّ إنسانا كان يحب امرأة متزوجة، ولكنه لم يستطع أن يغويها، فطلب من أحد السحرة أن يجعلها تحبه أو أن يجعل زوجها يطردها. فأخذ الساحر منه نقودا كثيرةً وبسحره جعلها تصير على شكل فرس. فصعِق زوجها من منظرها وصرخ وبكى. كلمها فلم يكن من مجيب، وأحضر لها كهنة القرية فلم يستطع أحد أن يفعل شيئًا. ولمدة ثلاثة أيام لم تأكل علفًا كحيوان ولا أكلت خبزا كإنسان.

وأخيرا، لكي يتمجد الله ويظهر عمله في القديس مكاريوس، فكر زوجها أن يحضرها إلى القديس في البرية، وهناك سأله الإخوة: "لماذا أحضرت هذا الفرس إلى هنا"؟ فأجاب: "إنني طالب الرحمة". فلما سألوه عما أصابها أخبرهم بكل شيء. فأخبروا القديس بذلك، وكان يصلي في الداخل، وكان الله قد كشف له هذا الأمر، فكان يصلي من أجلها، ثم قال لهم: "إنكم أنتم الفرسان لأنّ لكم عيون فرسان، وهي الآن امرأة ولم تتغير قط إلاّ في عيون الناس الذين يخدعون أنفسهم". ثم بارك بعضا من الماء ورشه عليها من رأسها إلى قدميها،

(124) Apoph., Mac., 15. وهنا يقول بالليديوس إنه وصل إلى الأسقيط بعد رقاد القديس بسنة واحدة.
(125) Laus., 17: 6 - 9 ; Monach., XXI, 17.

فرجعت إلى أصلها كامرأة، ثم أعطاها لتأكل وصرفها بسلامٍ مع زوجها شاكرين الرب. وقد حثّها القديس على ألاّ تنسى الكنيسة أو تتأخر عن التناول قائلاً: "لأنّ هذا حـدث لـكِ بسبب أنكِ لم تأخذي الأسرار المقدسة لمدة خمسة أسابيع"(١٢٥)!

١٠٣ - ذهب مرةً أنبا مكاريوس لزيارة أحد الرهبان فوجده مريضا، فسأله إن كان يريد شيئًا يأكله لأنه لم يكن عنده شيء في قلايته، فقال له الراهب: "أريد رقاقًا بعسل". فلما سمع الشيخ العجيب ذلك ذهب فورا إلى الإسكندرية، ولم يعتبر هذه الرحلة مرهقة له رغم أنّ هذه المدينة كانت تبعد حوالي ستين ميلاً(١٢٦). ثم أحضر الرقاق وأعطاه للراهب المريض. لقد فعل الأب ذلك بنفسه ولم يطلب ذلك من أي أحد، وهكذا أظهر ما كان يشعر به من عناية تامة بالرهبان(١٢٧).

❀ ❖☯❖ ❀

الخدمة في **المدن ليست من عمل الراهب**

١٠٤ - قال كاسيان إنّ أنبا مقار ذكر القصة التالية لراهبٍ كانت تلهبه الرغبة في الرجوع إلى المدينة ليربح الكثيرين للرب بوعظه، فقال: "كان في إحدى المدن حلاّق يتقاضى أجرا قليلاً عن عمله، ينفق منه في احتياجاته الجسدية اليومية ثم يقتصد الباقي. ولكنه سمع أنّ هناك مدينة أخرى يتقاضى فيها الحلاّق أجرا كبيرا، فهاجر إلى هذه المدينة، وربح في اليوم الأول كثيرا، فذهب في آخر اليوم فرحا ليشتري طعامه، ففوجِئ بأنّ عليه أن يدفع كل ما ربحه في يومه ليشتري القليل من الطعام الذي لا يكاد يسد رمقه، وبالإضافة إلى ذلك وجد أنه لا يستطيع أن يقتصد شيئًا. ولما أفاق إلى نفسه رجع إلى مدينته مفضلاً الربح القليل مع الفائض الذي يقتصده ليعوله في شيخوخته".

"ولذلك فمن الأفضل لنا أن نسعى بمثابرةٍ إلى الربح البسيط في البرية التي ليس فيها اهتمامات علمانية أو ملاهٍ دنيوية أو كبرياء من ا د الباطل والأمور الباطلة التي تنقِص من هذا الربح، لأنّ «القليل الذي للصديق خير من ثروة أشرارٍ كثيرين» (مز٣٧: ١٦)، ذلك هو أفضل من البحث عن مكاسب أعظم في ربح النفوس التي حتى ولو ربحنا الكثير منها فسيصاحب ذلك استغراقنا في اهتمامات الحياة العلمانية، وتسرب أوقاتنا في الارتباكات اليومية. لأنه كما يقول سليمان الحكيم: «حفنة راحة خير من حفنتي اضطراب وقبض الريح» (جا٤: ٦)".

---

(١٢٦) يحتمل أنّ هذا القول يخص أنبا مقار الإسكندراني لأنّ هذه المسافة تتفق مع منطقة القلالي - حيث كان يسكن أنبا مقار الإسكندراني - وليس شيهيت، ولكن معظم المراجع لا تفرق إلاّ نادرا بين الكبير والإسكندراني.

(127) W. & W., I: 402; Apoph. Mac., 8.

"وفي هذه الإشارات الضمنية والعوائق نجد أنّ كل الضعفاء هم بالتأكيد متورطون، إذ بينما هم متشككون في خلاصهم، ويظلون في حاجةٍ إلى تعليم وتوجيه غيرهم، فهم مدفوعون بحيل الشيطان إلى أن يرشِدوا ويغيروا آخرين، وإذا نجحوا في ذلك فهم يضيعون ما ربحوه بنفاد صبرهم وتصرفا م الخشنة وعدم ضبط نفوسهم وارتباكات الفكر اليومية، لأنّ هذا هو ما وصفه حجي النبي قائلاً: «والذي يجمع ثروة يضعها في كيسٍ مليء بالثقوب» (حج١: ٦ حسب السبعينية). كما يقول سليمان الحكيم: «يوجد من يتغانى (يظهر نفسه غنيا) ولا شيء عنده، ومن يتفاقر وعنده غِنى جزيل» (أم١٣: ٧)، وأيضا: «الإنسان الذي يخدم نفسه في هوانٍ خير من الذي يمجد نفسه بينما يعوزه الخبز» (أم١٢: ٩ حسب السبعينية)"[١٢٨].

السكوت أفضل من الكلام

١٠٥ - قال أنبا مقار: "يجب على الراهب أن يكون ساكتا في كل حين، ولا يقبل الأفكار التي تشير عليه بكثرة الكلام التي تحلّ النفس (أي تجعلها منحلّة)، بل إنه فليزهـد في الكلام ولو رأى أناسا يضحكون أو يقولون كلاما ليس فيـه منفعـة بجهلـهم، لأنّ الراهب الحقيقي يتحفّظ من لسانه كما هو مكتوب في المزمور: «اللهم اجعـل لفمـي حافظًا وعلى شفتي سترا حصينا» (مز١٤١: ٣). فالراهب الذي يفعل هكذا لا يعثر أبدا بلسانه، لكنه يصير إلهًا على الأرض"[١٢٩].

إماتـــة الـذات

١٠٦ - جاء أخٌ إلى القديس مكاريوس راغبا في خدمة المسيح في الحياة الرهبانية، وتوسل إلى الشيخ أن يرشده ويوجهه ويحصنه من نبع المبادئ النسكية التي كانت تفيض منه بغزارة بنعمة الروح القدس، وأن يوضح له كيف يمكنه بمعونة الرب أن يتجنب فخاخ العدو وهجماته الشريرة. فأجابه المغبوط مكاريوس: "إذا رغبت حقًا من كل قلبك أن جر العالم، يا ابني، وأن تلتصق بالمخلص الرب كما يقول النبي: «التصقَت نفسي بك، يمينك تعضدني» (مز٦٣: ٨)، ويمين الرب مهيأة في الحقيقة لقبول الذين يلتجئون إليها؛ فينبغي أن تنبذ العالم وترفض كل أعماله كقول الرسول: «لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذٍ تظهرون أنتم أيضا معه في ا د» (كو٣: ٣)".

فلما سمع الشاب ذلك قال: "صدقني يا أبي الطوباوي، إنني قد فككت نفسي من هذا

---

(128) Conf., XXIV, 13.

(١٢٩) س ٤ ورقة ٤٤.

العالم ومن كل ما في العالم حتى أقضي زمن هذه الحياة كأنني ميت، لأنني أعلم أنّ كل الخيرات الواضح أ ا موجودة في العالم هي وقتية زائلة فاسدة". حينئذٍ قال له الشيخ: "اسمعني، يا ابني، واذهب إلى قبور الموتى ووجه إليهم الشتائم واللعنات الممكنة، وألْقِ عليهم حجارة بغرض أن تثير غضبهم عليك". ففعل الشاب ذلك وعاد مخبرا القديس بما فعله، فسأله إن كان الموتى قد أجابوه بشيء، فأجاب: "كلاّ، إطلاقًا يا سيدي". ثم أمره الشيخ أيضا قائلاً: "اذهب إلى هناك في الغد وامدحهم واثنِ عليهم كثيرا". فذهب ومدحهم كثيرا قائلاً: "إنكم عظماء قديسون مشا ون للرسل، وعظيم هو بركم". ثم رجع وقال للشيخ: "فعلت حسب أمرك يا سيدي الأب وهم لم يجيبوا علي بشيء".

حينئذٍ قال له أنبا مقار: "أُنظر يا ابني، كما أنّ هؤلاء الموتى لم يردوا لما شتمتهم، هكذا أنت أيضا إذا أردت أن تخلص وأن ترضي الرب في هذا الزي المقدس (الرهبنة)، فتشبه بسيدنا ومخلصنا كما قال الإنجيل: «من قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضا» (١يو٢: ٦). ونحن نقرأ في الإنجيل أن اليهود بتحريضٍ من الشيطان أهانوا ربنا ومخلصنا قائلين عليه إنه سامري وبه شيطان (يو٨: ٤٨)، وإنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرِج الشياطين (مت١٢: ٢٤)، كما تجاسر الصدوقيون أيضا على معاملته كذلك (يو٧: ١٢)، وقد احتمل الرب خالق السماء والأرض كل ذلك بصبرٍ لكيما يعطينا أمثلة على الصبر والاتضاع، ولو كان يريد أن يظهر قوته وجلاله وأن ينتقم ممن أساءوا إليه لكان بضربةٍ واحدةٍ قد أباد الكون كله في لحظةٍ ولا يبقى جنس بشري ولا أي شيء في هذا العالم، ومع ذلك فإنّ شفقة المسيح الرب التي لا يعبر عنها لم تسمح له بذلك حيث إنه جاء لا ليهلِك بل ليخلص العالم (يو٣: ١٧)".

"لقد احتمل الرب كل هذا بصبرٍ ليعطي لنا مثالاً قائلاً لتلاميذه الذين تبعوه: «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم» (مت١١: ٢٩)، وأيضا جميع القديسين والأنبياء والرسل عندما كانوا يتعرضون للإهانات والعذابات كانوا دائما يراعون فضيلتي الصبر والاتضاع، ولم يكونوا يستسلمون لأي مديحٍ بشري. لقد كانوا يبعِدون عنهم تشويش ا د الباطل المتقلب الذي للحياة الحاضرة، فالذين يريدون إرضاء المسيح لا يتطلعون إلاّ إلى ا د السماوي الأبدي وحده الذي يأتي من قِبل الله ويبقى على الدوام، ولا توجد لغة بشرية يمكنها أن تعبر عن ائه".

"فأنت، يا ابني، إذا راعيت هذه الأمثلة من الصبر والاتضاع فعندما تلحقك شتائم

تشبه بالنبي القائل: «أما أنا فكأصم لا يسمع، وكأبكم لا يفتح فاه، وأكون مثل إنسان لا يسمع وليس في فمه حجة (أو إجابة)» (مز٣٨: ١٣و١٤)، فإذا رتلوا ـذا الكلام كل يوم في ا ـمع[١٣٠] فهذا للتأكيد على أرواحنا حتى تندم".

"وتيقّظ أيضا لكي لا تسر با ـد الباطل ومديح الناس وأن لا تبدد ما اكتسبته بالألم بالأعمال الصالحة، ولكي لا تصير محروما من ثمار شبابك وزهدك وأجر الأسهار والصلوات التي لا بد أن تنالها من الرب في الحياة الأبدية، لأنه قال عن الذين يطلبون مجد الناس: «الحق أقول لكم إ ـم قد استوفوا أجرهم» (مت٦: ٢). والأسفار المقدسة لا تكف في عدة مقاطع منها عن أن تعلمنا الحذر من ا ـد الباطل. فانتبه، يا ابني، ولا تدع روحك تشتعل بالغضب أمام الإهانات التي تصيبك، فإذا تحرك الغيظ في قلبك فأقمع طبعك وميلك الغضبي بواسطة مخافة الله حتى تحقق فضيلتي الاتضاع والصبر، وهكذا تنفذ ما تعهدت به قائلاً: 'أعيش في هذا العالم كما لو كنت ميتا'. فإذا لم تجِب بسخطٍ على الذين يهينونك تكون مثل الأموات الذين في القبور الذين شتمتهم كثيرا وأهنتهم ولم يجيبوا عليك بشيء قط. لهذا ينبغي أن نراعـي بكل حرصٍ فضيلتي الاتضاع والصبر حتى يمكننا أن نبلغ إلى مكافآتنا الأبدية وإلى مجد الحياة الأبدية كما قال الرب: «تمسك بما عندك لئلاّ يأخذ أحد إكليلك» (رؤ٣: ١١)"[١٣١].

١٠٧ - قال أنبا مقار: "إذا صار الافتراء عندك مثل المديح، والفقر مثل الغنى، والحرمان مثل الوفرة؛ فلن ـلك. بالحقيقة إنه يستحيل على إنسان يؤمن إيمانا ثابتا ويعمل جاهدا بإخلاص؛ أن يسقط في نجاسة الأوجاع ويهلك بواسطة الشياطين"[١٣٢].

١٠٨ - وقال أيضا: "إذا ذكرنا السيئات التي تحلّ بنا من الناس فإننا نقطع قوة ذكر الله من قلوبنا، وإذا ذكرنا شرور الشياطين نظلّ محصنين فلا يستطيعون أن يؤذونا"[١٣٣].

١٠٩ - وقال أيضا: "هذا خطأ من الراهب إذا عامله أخ رديئًا أو شتمه ولا يذهب هو أولاً ليتلاقى معه ويصفي قلبه بالمحبة"[١٣٤].

١١٠ - وقال أيضا: "كمثل من دخل الحمام، إن لم يتعر من جميع ملابسه فلا يمكنه أن يستحم جيدا؛ هكذا إذا أعطى إنسان ذاته للرهبنة ولم يتعر من كل اهتمام العالم

---

(١٣٠) هذا يدل على أ ـم كانوا في أيام أنبا مقار يرتلون مزامير كثيرة في مجمع الرهبان كل يوم.
(131) C S P.,IV,19; Apoph. Mac., 23; W. & W., I: 446;س ٤ ورقة ١٣
(132) Apoph., Mac., 20. (133) Ibid., 36 ; W. & W., II: 205 ; س ٤ ورقة ١٣٠
(134) M., 16 a ; W. & W., I: 423. (١٣٥) س ٤ ورقة ٤٤.
(136)W.& W.,II: 110; Apoph. Mac., 28;س ٤ ورقة ١٢٩ (١٣٧) س ٤ ورقة ١٣٥.

وجميع شهواته ولذّاته لا يقدر أن يصير راهبا ولا يبلغ إلى حد الفضيلة، ولا يقدر أن يبلغ قبالة جميع ما يزرعه العدو التي هي شهوات النفس"(١٣٥).

حفظ القلـب واللسـان

١١١ - سأله أخٌ مرةً أن يقول له كلمة، فقال له: "لا تصنع بأحدٍ شرا ولا تدِنْ أحدا، احفظ هاتين الوصيتين وأنت تخلص"(١٣٦).

١١٢ - قال القديس مكاريوس: "احفظوا ألسنتكم من أن تقول على إخوتكم شرا، لأنّ الذي يقول على أخيه شرا يغضِب الله الساكن فيه. إنّ ما يعمله كل واحدٍ برفيقه فهو بالله يعمله"(١٣٧).

١١٣ - روى لنا الأب مينا ما يأتي: "كنت ملازما قلايتي يوما ما، فجاءني أخ من الخارج وطلب مني قائلاً: 'رافقني إلى الأب مقارة'. فقمت واصطحبته إلى الشيخ، وبعد أن صلينا جلسنا. فقال الأخ للشيخ: 'يا أبي، إنني لم آكل لحما لمدة ثلاثين سنة، وها أنا مجرب مرةً أخرى في هذا الأمر'. فقال له الشيخ: 'لا تقُل لي - يا ابني - إنك قضيت ثلاثين سنة دون أن تأكل لحما، ولكنني أرجوك - يا ابني - أن تقول لي الحقيقة: كم من الأيام قضيت دون أن تقول شرا على أخيك، ودون أن تدين قريبك، ودون أن تخرج من شفتيك كلمة بطّالة'؟ فضرب الأخ ميطانية وقال: 'صل من أجلي، يا أبي، لكي أبدأ من جديد'"(١٣٨).

١١٤ - قال أنبا مقار: "لماذا تدين القتلة والزناة ونابشي القبور وكل نوع آخر من الخارجين على القانون؟ إنّ لهم سيدهم وقاضيهم. أما كان أحرى بك أن لا ترضى بأن تمتحن سلوكهم ولو جزئيا بل تتقصى بحرصٍ عن أخطائك التي فيك، وفي أحيان كثيرة ستجد نفسك أردأ منهم؟! وغالبا في الحقيقة ما تنظر بعينين شهوانيتين وأنت نفسك تعلم أنّ هذا هو تتميم الزنى! وغالبا ما تهين أخاك، ألا تعلم أنه بخصوص هذا الأمر قد علّمنا الرب أنّ «من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجبا نار جهنم» (مت٥: ٢٢)"؟

"ولكن الأمر الأكثر رعبا هو هذا: ربما تقترب بدون استحقاق من الأسرار المقدسة وها أنت مجرم في جسد الرب ودمه (١كو١١: ٢٧)، وهكذا فالذي تدينه بأنه قتل إنسانا بسيطًا توجد أنت نفسك سافكًا لدم المسيح ومسئولاً عن قتله، ثم تشترك بدون استحقاق في الجسد والدم الطاهرين، «لأنّ الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونةً لنفسه غير

---

(١٣٥) س ٤ ورقة ١٦٠. (١٣٦) س ٤ ورقة ١٣٥. (139) N., 601. (138) J., 746.

مميز جسد الرب» (١كو١١: ٢٩). وهذا معناه أنه كما أنّ اليهود صلبوا الرب هكذا الذين يتناولون جسده ودمه بدون استحقاق يفعلون مثلهم، وهذا أمر طبيعي تماما، إذ أنّ من يمزق أرجوان الملك أو من يلوثه يحكم عليه بالموت، وهكذا أيضا الذين مزقوا جسد الرب قديما والذين ينجسونه الآن بتناولهم بنفس مدنسة ينالون نفس عقوبة الذين صلبوه، وذلك طبقًا لقول الرسول"(١٣٩).

١١٥ - وقال أيضا: "احفظوا آذانكم من سماع كلام النميمة والوقيعة لكي تكون قلوبكم طاهرة، لأنّ الآذان إذا سمعت الحديث النجس فلا يمكن حفظ طهارة القلب بدون دنس"(١٤٠).

١١٦ - وقال أيضا: "نفس الإنسان غير الكامل في الفضائل تجدها نقية كالشمس قبل أن تلحقه كلمة رديئة، فإذا سمع كلمة رديئة أو نميمة فللوقت تطغى الشياطين على عقله ويحجبون عنه النور، ويصيرونه شقيا بسبب أنّ نفسه متزعزعة وفضائله ناقصة"(١٤١).

الكمـــــال

١١٧ - سأل أخٌ أنبا مقار بخصوص الكمال، فأجابه الشيخ: "إن لم يقتنِ الإنسان اتضاعا عظيما في قلبه وتعبا في جسده، وإذا لم يتطبع (أي يصير من طبعه) بعدم اعتباره لنفسه أنه شيء في أي أمر، بل بالأحرى يضع نفسه باتضاع تحت الخليقة كلها، ويعتاد على عدم إدانة أي إنسان إطلاقًا سوى ذاته وحدها، وعلى تحمل العار (أو معيرة الآخرين)، وعلى طرح كل شر من قلبه، وأن يغصب نفسه على أن يكون صبورا، تقيا، عطوفًا، عفيفًا وقنوعا، لأنه مكتوب: «ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه» (مت١١: ١٢)، وأن لا ينظر بعينيه سوى الأمور المستقيمة، وأن يضع حراسةً على لسانه، وأن يمنع أذنيه من سماع كل كلام بطّال ومضِر، وأن يضبط يديه في الحق ويحفظ قلبه طاهرا أمام الله وجسده غير مدنس، وأن يجعل ذكر الموت أمام عينيه كل يوم، وينبذ روح الغضب وأيضا الماديات وأقرباء الجسد والملذّات والشيطان وكل أعماله، وأن يخضع باستمرار لله العلي ولكل وصاياه، وأن يصلي بلا انقطاع وفي كل وقت وكل موضع وكل أمر، وفي كل شيء يلتصق بالله؛ إذا لم يراعِ الإنسان كل هذا لا يمكنه أن يكون كاملاً"(١٤٢).

١١٨ - اعتاد أنبا مقار أن يقول: "احفظ نفسك من حرية الكلام والعمل، لأنه

---

(142) P. G., 34, 232. (143) W. & W., II: 523. (144) Apoph. Mac., 29.

يليق بالراهب أن لا يسمح لفكره أن يدينه في أي شيء مهما كان"[١٤٣].

١١٩ - قال أنبا مكاريوس: "لا تنم في قلاية أخ له سمعة رديئة"[١٤٤].

نبواته عن مستقبل الرهبنة

١٢٠ - وتنبأ القديس للإخوة قائلاً: "حينما ترون أبنية (للعلمانيين) تشيد بجوار البركة فاعلموا أنّ خراب الأسقيط قريب، وحينما تبصرون أشجارا تزرع فاعلموا أنّ الخراب على الأبواب، لكن إن رأيتم في الأسقيط أطفالاً فخذوا إسكيمكم واهربوا"[١٤٥].

وقد خربت هذه البرية بالفعل ثلاث مرات، كانت الأولى منها بعد نياحة القديس بقليل (بعد ١٧ سنة)، واضطر الرهبان أن يهربوا أمام هجوم البربر في هذه المنطقة[١٤٦].

١٢١ - قال أنبا مكاريوس في **نبواته:** "إنّ الطُغمات الأولى (من الرهبان) الذين يسكنون في هذا الجبل يكونون أقوياء بالله في الأعمال مثل سباع الجبل، وترتفع طلبا م وصلوا م وطيب دموعهم ومسكنتهم وأصوامهم دائما أمام عرش الله، ويقيمون هكذا أزمنة كثيرة، وبعدها يطلِق الله أن تخرب الأربعة أديرة وتصير مقفرة. ولكن بعد ذلك يذكر سيدي يسوع المسيح الرحوم أعمالهم وتدبيرهم وفضائلهم، ويستدعي من تبقى من الرهبان ويوعز إليهم الملك المسيح قائلاً: ارجعوا إلى بلد آبائكم واعملوا بمقدار قوتكم"[١٤٧].

الغضـــــب

١٢٢ - قال الأب مكاريوس: "إذا كنت وأنت في حال ردعك لغيرك تنجرف أنت نفسك في الغضب فتكون قد أشبعت وجعك هذا (أي الغضب)، فلا يليق أن تهلك نفسك لتخلص غيرك"[١٤٨].

١٢٣ - قيل إنّ أخوين في **الأسـقيط سقطا** في **خطية،** فحرمهما أنبا مقار الإسكندراني، فذهب بعض الإخوة وأخبروا أنبا مقار الكبير بذلك، فقال: "ليس الأخوان هما المحرومان بل الذي حرمهما" (لأنه كان يحبه).

(145) Apoph. Mac., 5 ; W. & W., II: 246.

وهي حسب النص القبطي: "خذوا جلدكم واهربوا" (أي جلد الغنم المدبوغ الذي كان يلبسه الآباء على ظهورهم في الشتاء لاتقاء البرد). ومن هذا نرى أن المثل المعروف: "فلان هرب بجلده" هو أصلاً مثل رهباني ومعناه أنّ الراهب إذا رأى خطرا على خلاصه وطهارته فإنه يهرب بجلده ولا يأخذ معه شيئًا آخر (عن "رهبنة" الطبعة الثانية ص ٩٣).

(١٤٦) "رهبنة": المرجع السابق.

(١٤٧) س ١٨ ص ٢٢.

(148) Apoph. Mac., 17 ; Am., 217, 8; س ٤ ورقة ٧٥

(149) Apoph. Mac., 21. (150) Arm., II: 279. (151) Am., 217, 11.

فلما سمع أنبا مقار الإسكندراني أنّ الشيخ قد حرمه ذهب إلى مستنقع ماء. فذهب أنبا مقار الكبير إلى هناك فوجد أنّ البعوض قد ش جسمه، فقال له: "هكذا أنت قد حرمت بعض الإخوة، وها هما يعيشان في القرية. وأنا نفسي قد حرمتك وأنت أتيت إلى هنا مثل شابة جميلة تدخل إلى أعمق مكان خصوصي في خدرها. لقد استدعيت الأخوين وعلمت منهما ما حدث، وقلت لهما إنه لم يحدث شيء. فامتحن ذاتك، إذن يا أخي، وانظر إن كنت لم تصر أُلعوبةً من الشيطان، لأنه قد أعوزتك البصيرة في هذا الأمر، ولكن تب عن خطئك".

فطلب منه أنبا مقار الإسكندراني قائلاً: "أرجوك أن تعطيني قانون توبة". فلما تواجه الشيخ مع اتضاعه قال له: "اذهب وصم ثلاثة أسابيع تأكل فيها كل أسبوع مرةً". وكانت هذه هي عادته أن يصوم الأسبوع كله[١٤٩].

مجـد النـاس الباطـل

١٢٤ - قال أنبا مكاري الكبير: "بالدرجة التي تطلب ا النفس مجد الناس تكون بعيدة عن مجد الله، لأنه لا يكون فيها اتضاع، وإلاّ فهي لن تبحث عن مديح زائل، وحيث لا يوجد الاتضاع لا يوجد الله كذلك"[١٥٠].

١٢٥ - قال أنبا مقار: "في الحقيقة إنّ الذي يراعي إرضاء الناس فإنه يحرم من رضى الله، لأنه مكتوب: «ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنا» (لو٦: ٢٦)"[١٥١].

١٢٦ - وقال أيضا: "إنني أرى أنكم إذا فعلتم حسب مسرات الناس، فهم أنفسهم سيحكمون على نقص مخافتكم، ولكن إذا كانت لكم غيرة على البر فحتى لو تضايق الناس قليلاً، إلاّ أنّ ضميرهم لن يدعهم يغفلون عن ما هو مرضي لله"[١٥٢].

التمسك باسم الرب يســوع

١٢٧ - وقال أيضا: "داوم على الاسم القدوس، اسم ربنا يسوع المسيح، هذه هي الجوهرة التي باع التاجر الحكيم كل أهوية قلبه واشتراها وأدخلها بيته فوجدها أحلى من العسل والشهد في فمه. فطوبى للإنسان الذي يحفظ هذه الجوهرة في قلبه، فإ ا تعطيه مكافأةً كثيرةً في مجد ربنا يسوع المسيح"[١٥٣].

---

(152) Am., 217, 14. (١٥٣) س ٤ ورقة ١٩. (١٥٤) المرجع السابق. (١٥٥) المرجع السابق.
(١٥٦) س ٤ ورقة ٤٣.

١٢٨ - وأيضا قال له أخٌ: "يا أبي، أنا خائف من أجل خطاياي". فقال له الشيخ: "تقو وتمسك برجاء الحياة والرحمة التي لا نهاية لها التي هي اسم ربنا يسوع المسيح"[(١٥٤)].

١٢٩ - قال أنبا بيمين: "إنني زرت الأب مكاريوس مرةً وقلت له: 'يا أبي، ماذا يعمل الإنسان ليقتني الحياة'؟ فقال لي: 'إن أنت اجتررت كل حين طعام الحياة الذي هو الاسم القدوس اسم ربنا يسوع المسيح بغير فتور؛ فهو يكون حلوا في فمك وحلقك، وبرودته تدسم نفسك'"[(١٥٥)].

الوحـدة في البريـــة

١٣٠ - قال القديس مكاريوس: "اجعل همّك كله في أن تطلب الله وأن تنجو من أيدي أعدائك، فالآن يا رجل الله إن وضعت في قلبك أن تقتني الوحدة فهيئ ذاتك لها، واصبر على المسكنة، فإنّ الوحدة والمسكنة عظيمتان، وليس شيء من المواهب يساويهما في القدر والكرامة، لأنهما تقربان إلى الله، كما لا تحصى المواهب الموجودة داخلهما، لأنهما تسودان على جميع الفضائل، وهما في وسط جميع المواهب تتلألآن، لأنهما صنعتا القديسين، وجميع القديسين وجدوا الله فيهما، وكُشِفَت لهم أفكارهم، فوهبهم الله قلوبا نقية وهم في المسكنة والوحدة جياع عطاش، هؤلاء هم الذين لم يستحقهم العالم، تائهين في البراري والقفار والمغائر وشقوق الأرض. هؤلاء الذين لهم هذه الشهادة الجليلة قد وجدوا الله في الوحدة وبالمسكنة والصبر، لأنّ مجد الوحدة غير محدود، ورجاؤها وفرحها وعزاؤها هو الله، وهي العزاء في الفقر والمسكنة. غذاؤها الصبر، وخدمتها الكاملة هي الطهارة، وفخرها في الاتضاع. هي التي لا يفسدها سوس ولا يتدنس لها ثوب لأنها ساكنةً في الطهارة"[(١٥٦)].

الصبـر والثبـات في الصـلاة

١٣١ - وقال أيضا: "طول الروح هو الصبر، والصبر هو الغلبة، والغلبة هي الحياة، والحياة هي الملكوت، والملكوت هو الله سبحانه. البئر عميقة بالنسبة لنا ولكن ماءها عذب طيب. الباب ضيق والطريق حرجة، ولكن المدينة ممتلئة فرحا وسرورا. البرج شامخ حصين ولكن داخله كنوز جليلة. الصوم ثقيلٌ صعب، لكنه يوصل الإنسان إلى ملكوت السماء. فِعل الصلاح عسر شاق، ولكنه يخلص من النار برحمة ربنا الذي له المجد"[(١٥٧)].

١٣٢ - سأل أخٌ أنبا مقار: "يا أبي، ما هو الثبات أو دوام الرسوخ والصلاة"؟ فقال له الشيخ: "الثبات والصلاة هما احتمال كل تجربة تفاجئنا سواء كانت من الناس أو

(١٥٧) المرجع السابق.

من الشياطين كما هو مكتوب: «لقد تحملت مثل التي تتمخض (لتلد)» (إش٤٢: ١٤ حسب السبعينية)، بمعنى: قاسيت وتجلّدت. إذن، فجيد هو الاحتمال وجيدة هي الصلاة باستمرار. ولذلك يجب علينا أن نتوسل إلى الله أن يعيننا ويعضدنا على تقويم سلوكنا، لأنه غريب على الرهبان أن يحقد الواحد على أخيه، وغريب أيضا على الراهب أن يحزِن قريبه، ولكن يجب علينا بالحق أن يتزامن عملنا مع كلامنا (أي نتكلم بما نعمل به)" (قارن أع١: ١: «جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به»).

"يقول الرسول: «صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيء إلى الآن» (١كو٤: ١٣)، وأيضا: «نحن جهالٌ من أجل المسيح» (١كو٤: ١٠)، وأيضا: «نحن عبيد لكم من أجل يسوع» (٢كو٤: ٥). فينبغي علينا أن نفرح كلما نكون مضطهدين وأن نعتبر الشدائد والمظالم التي تواجهنا مقبولةً من أجل الرب. والرسول بطرس يقول: «إن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم، لأنّ روح ا د والله يحل عليكم» (١بط٤: ١٤)، وعلى ذلك فإذا تحملتم اضطهادا لأجل الله فافرحوا وقولوا: 'طوبى لنا لأننا حسِبنا أهلاً أن نضطهد لأجل اسم المسيح' (أنظر أع٥: ٤١). ألا تعلمون أنّ الأبناء ينبغي أن يتشبهوا بوالديهم؟ فعلينا أن نفهم أننا أبناء الرسل القديسين، إذ أنّ بولس الرسول أعلن ذلك قائلاً: «لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل» (١كو٤: ١٥)، لذلك فعلينا أن نتشبه بسلوكهم وأعمالهم لأ م كانوا يفرحون بأن يتكدروا ويفترى عليهم، ولم يضطربوا حتى عندما سمعوا اليونانيين واليهود يقولون عنهم في أع١٧: ٦: «هؤلاء الذين فتنوا المسكونة» بسحرهم وسمومهم. وهم في كل ذلك ليس فقط لم يحزنوا بل إ م افتخروا قائلين: «نشتم فنبارِك، نضطهد فنحتمل، يفترى علينا فنعظ ...» (١كو٤: ١٢و١٣)".

"وقد كُتِب هذا في الحقيقة لكي نتشبه م نحن أيضا، لذلك فعندما تهانون ويفترى عليكم أو تضربون فعليكم أن تضعوا في قلوبكم أنكم قد اكتسبتم فوائد عظيمة، وأنكم صرتم شركاء ورفقاء للرسل والشهداء القديسين وأنه عليكم أن تنتظروا ما هو أردأ لكي تربحوا أكثر. وهذا هو الذي لأجله ينبغي على المسيحيين أن يثابروا لكي يعترف م كتلاميذ لأولئك الذين اشتهروا بذلك ولا سيما الرهبان المتضعين الذين نبذوا العالم وكل الأشياء التي في العالم"[158].

الله يطلب إرادة الإنسان في كل أحواله

١٣٣ - بينما كان أبا مكاري يصـلي في قلايته مرةً سمع صوتا يقول: "يا

(158) J.,728.

(١٥٩) الجملة: "ونحن حافظتان...إلخ." مقتبسة من المخطوطة س ١٧ ورقة ٢١.

مكاريوس، إنك لم تصل بعد إلى درجـة امرأتين في المدينـة الفلانية" (يقال إ ا الإسكندرية). فقام الشيخ في الغد وأخذ في يده عصا من جريد وسار في طريقه إلى تلك المدينة. وهناك لما علم بمكان المرأتين قرع با ما فأدخلته إحداهما، وبعد أن جلس قليلاً دخلت المرأة الأخرى. ثم قال لهما: "لقد تحملت هذه الرحلة الطويلة من أجلكما وبصعوبةٍ أتيت من البرية، فأخبراني إذًا ماذا تفعلان"؟ فقالتا له: "صدقنا، أيها الأب، أنه لم تترك أية واحدةٍ منا خدر زوجها حتى هذا اليوم، فما هو العمل إذن الذي تريد أن تراه فينا"؟ فاعتذر الشيخ لهما، وتوسل إليهما أن تكشفا له عملهما.

فحينئذٍ قالتا له: "حسب الاعتبارات الدنيوية فكلتانا غريبةٌ عن الأخرى لأننا لسنا قريبتين، ولكن حدث أننا تزوجنا برجلين هما أخوان بالجسد، وها قد عشنا اثنتي عشرة سنة في هذا البيت، ولم يحدث أي شجار بيننا، ولم تتكلم إحدانا أية كلمة خارجة أو جارحة لرفيقتها، ونحن حافظتان أنفسنا بصومٍ دائم إلى المساء وصلاة لا تنقطع، وقد ولدت كل منا ولدا، فمتى رأت كل واحدة منا ابن أختها يبكي تأخذه وترضِعه كأنه ابنها[١٥٩]. وكنا قد عزمنا في قلبينا أن نترك زوجينا وننضم إلى طغمة العذارى (أي البتولات)، ورغم أننا توسلنا إليهما باشتياقٍ أن يسمحا لنا بذلك إلاّ أ ما لم يوافقا. وإذ لم نستطع أن نفعل ما أردنا، فقد تواعدنا بيننا وبين الله حتى الموت ألاّ تخرج من أفواهنا كلمة دنيوية".

فلما سمع أبا مكاريوس ذلك قال: "حقًا إنه لا بالبتولية ولا بالزواج، ولا بالرهبنة ولا بالحياة في العالم، لأنّ الله يطلب **إرادة الإنسان**، وهو **يعطي روحه لكل إنسان**"[١٦٠]!

سماع توجيهات الآباء والعمل ا

١٣٤ - قال أخٌ كبير السن للأب بيمين: "عندما أمكث عندك هنا، يا أبي، اجمني الأفكار لكي لا أجيء إليك مرةً أخرى". فسأله أنبا بيمين: "لماذا"؟ فقال له الأخ: "لأنني آتي عندك وأسمع كلامك ولكنني لا أُنفذه، أيمكن ألاّ يكون قولك دينونة لي في اليوم الأخير"؟! فقال له الأب بيمين: "لقد تحدثت يوما عن هذه المشكلة مع الأب مكاري في الأسقيط فقال لي: 'اثبت ولا تكف عن زيارة الشيوخ، ففي الحقيقة ستأتي أيام إذا أردت فيها أن تخدم الله فستنتصر بكلام الشيوخ، وإذا هاجمتك الأفكار مرةً

(160) W.& W., II: 4 ; Am., 228, 13 ;٢١ س ١٧ ورقة

أخرى فستتذكّر أقوال الشيوخ وتجد فيها معونةً وتخلص‘“[١٦١].

١٣٥ - توسل مرةً أنبا بيمين لأنبا مقار قائلاً: ”قل لي كلمة لأخلص ا“. ولكن الشيخ أجابه: ”إنّ ما تبحث عنه قد اختفى الآن من بين الرهبان“[١٦٢]. (أي أ م صاروا لا يعملون بما يسمعون).

١٣٦ - سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: ”لأنه كان قد سأل بخشوعٍ ونشاطٍ وحرصٍ عظيم، ففرح به وقال له ذلك، ومعناه أنّ كثيرين اعتادوا أن يسألوا عن الفضائل والحروب ولا يعملوا بنصائح الشيوخ. وقال أنبا بيمين: ’الذي يعرف ما يضره يسأل عن أفكاره الخفية ويعمل بما يسمعه، فهذا أخ عمال من أجل الله يطلب خلاص نفسه‘. وقد حارب قتال التجديف أحد الإخوة، ولما كشفه لأنبا بيمين انصرف عنه فوجد راحةً“[١٦٣].

١٣٧ - زار بعض الإخوة ومعهم علمانيون الأب "فيليكس"[١٦٤] وتوسلوا إليه أن يقول لهم كلمة، ولكن الشيخ ظلّ صامتا. ولما ألحّوا عليه لمدة طويلة قال لهم: ”أتريدون أن تسمعوا كلمة“؟ فقالوا: ”نعم أيها الأب“. فقال لهم: ”لا يوجد كلام بعد في هذه الأيام، لأنه عندما كان الإخوة يسألون مشورة الشيوخ ويعملون بما يقال لهم كان الله يلهم الآباء بما يقولون، أما الآن فلأ م يسألون ولا يفعلون بما يسمعونه فقد سحب الله نعمة الكلام من الشيوخ ولا يجدون شيئًا يقولونه لأنّ ليس من يعمل، لأنّ المرتل يقول: «الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل مِن فاهمٍ طالب الله»! (مز١٤: ٢)“.

فلما سمع الإخوة ذلك تنهدوا وقالوا: ”صل من أجلنا يا أبانا“[١٦٥].

❑☯☼☯❑

صراع القديس مع الشياطين حتى وصل إلى السماء

١٣٨ - قال أنبا سيرابيون (الذي كتب سيرة أنبا مقار) عن أنبا مقار في شيخوخته: ”كان يحمله أولاده ويجلسونه في حوش قلايته، وما كف عن صراع الشياطين وما كفت الشياطين عن الصراع معه حتى في هذه السن، إذ كانوا يحاولون اقتحام قلايته عليه. وكان أولاده يجاهدون لأجل ترفيهه في شيخوخته، ولكنه لم يتخل قط عن نسكه مع إظهار شكره

---

(161) Eth. Coll., 13, 72. (162) Apoph. Nac., 25 ; W. & W., I: 329 ; Am., 206, 2.

(١٦٣) س ٩ جزء ٤ رقم ٩٦ ص ١٧٣. (١٦٤) قيل في أحد المراجع إنه هو أنبا مقار الكبير باسم لاتيني "فيليكس".

(١٦٥) س ٤ ورقة ١٢٨؛ Apoph., Felix, 1

ولطفه لكل من كان يخدمه. ولم تكن الأحزان تقلقه، وكان متيقظًا في قلبه بالنعمة التي منحها له الرب منذ صباه وإلى شيخوخته ولم تفارقه. وكانت نفسه قوية بالله وهو ضعيف أكثر من أيام صحته. وقد ضعف جسده من طول السنين، وانحلّ لحمه من الأتعاب والأعمال المتعبة التي كان يقوم ا طول حياته غير أعماله التي كانت في الخفاء، لأنّ تجاربه كانت روحانية، وما كان يشعر أحد بما يفعله. وكان حتى وفاته متحفظًا جدا من ا د الباطل كما أمره الشيروبيم. وقد ضعف أيضا بصره من كثرة السهر والتعب وطول السنين حيث بلغ سبعة وتسعين سنة، حتى بدأ يرقد على الأرض من كثرة ضعفه".

"وكان تلاميذه يحيطون به، وكان هو يعزي كل واحدٍ على قدر رتبته. وقال لهم: [الله يعلم أنني ما كتمت عنكم شيئًا، بل خاطبتكم دائما بما أعلم أنه ينفع نفوسكم، وعملت بينكم على قدر قوتي، وكلّفت نفسي دائما حتى لا أصير سببا لاسترخاء أحدٍ منكم لا كبير ولا صغير، ولا نمت قط ليلةً واحدة وفي قلبي غضب على أحدٍ منكم، ولا تعديت أعمال الله ولا تجاوزتها ولا نقضت محبتي لله ولا لإخوتي المعروفين لله ولكل الخليقة، الرب يعلم ويشهد علي، لأنه قال لي مرةً: 'إنك يا مقارة لم تصل بعد إلى درجة أعمال المرأتين'، لذلك كان تفكيري فيهما باستمرار، أما الظفر والغلبة التي نلتها على العدو فكانت بالقوة والنعمة اللتين نلتهما من الله، فلا أذكر قط أنني عملت شيئًا بقوتي بل كل ما عملت من أشفية أو رحمة كان بيد قوة الله المقدسة. فاهتموا يا إخوتي بخلاص نفوسكم وتيقّظوا لأني بعد قليل سأؤخذ منكم]"[(١٦٦)].

١٣٩ - وقال أنبا سيرابيون أيضا: "إنّ الوقت الذي سلّم فيه القديس روحه إلى الله كنا مجتمعين عنده، وكان قوم من الشيوخ القديسين حاضرين، فأبصروا نفس القديس وهي خارجة من جسده وهي أ ى من الشمس وقد سلمت في يد الشيروبيم الذي نزل من السماء ومعه القوات العلوية التي لا يستطيع أحد أن يصف مجدها و اءها، ولما رأى الشياطين نفسه هكذا صاحوا قائلين: 'خلُصت وانفلت من أيدينا يا مقاره'! فأجا م: 'لم أخلص بعد'. ولما وصل إلى الجو صاح الشيطان: 'خلُصت يا مقاره'. فقال: 'ما خلُصت بعد'. ولما جعل إحدى رجليه داخل باب السماء صاحت الشياطين بأصواتٍ عالية: 'قد دخلت يا مقاره'. فأجا م: 'ليس بعد'! ولما جعل رجليه الاثنتين داخل الباب صاحوا أيضا قائلين وهم باكون: 'وصلت يا مقاره'. فصاح القديس بصوتٍ عالٍ حتى إنّ السماء والأرض ارتعدتا من صوته قائلاً: 'قد قبلت نعمة ربنا يسوع المسيح، وأنا شاكر لإلهي الحقيقي الذي خلّصني من أيديكم ومن فخاخكم التي لا عدد لها وأهلني برحمته لنعمته

---

(١٦٦) س ١٨ الصفحات الأخيرة؛ "رهبنة" الطبعة الثانية، ص ١١٩؛ Am., 96

السمائية بكثرة محبته للبشر‘‘“!

”ثم أحاط به الشيروبيم وحجبه عنهم، وهكذا دخل إلى المنازل ا يدة التي لربنا يسوع المسيح الذي أحبه من كل قلبه“[١٦٧]!



مـن كتـاب
فضائل القديس أنبا مقار(✪)

❑❑❑

(١٦٧) س ١٧ ورقة ٣٦.

(✪) Am., p. 118 ff.

١ - قيل عن أنبا مقار إنّ أغاثونيكوس والي أنطاكية سمع أنه صنع معجزات عظيمة وأنه كانت له مواهب شفاء بنعمة ربنا يسوع المسيح، فأرسل إليه ابنته التي كان فيها روح نجس لكي يصلي عليها، وبنعمة الله التي كانت عنده بمجرد أن صلى عليها شفيت لساعتها ورجعت بسلام إلى والديها. ولما رأى أبوها وأمها معجزة الشفاء التي صنعها الرب لابنتهما بتوسلات وصلوات القديس أنبا مقار شكروا الله ممجدين ربنا يسوع المسيح.

٢ - قال أنبا مقار: "بينما كنت أسير يوما ما في البرية اقترب مني الشيطان بهيئةٍ بائسة وهو خائف جدا وقال لي: 'يا للقوة! أنت يا مكاريوس قد بلغت شهرتك إلى المشارق والمغارب مثل أنبا أنطونيوس الكبير أب طغمات الرهبان، وأنت قد شابهته كما تشبه إليشع بإيليا، لأنه بالحقيقة قد صار أنطونيوس لك أيضا معلما، فهو الذي أعطاك زي الرهبنة، وأنت قد غلبتني باتضاعك وذلك بخضوعك الدائم لمشورة أنبا أنطونيوس، ولأنك اعتبرته كما لو كان إلهًا بمحبة اتضاعك الحقيقي، وعندما أصوب نحوك سهام أهوائي فهكذا أنت تقول من أعماق قلبك بإيمانٍ ثابت: هذا هو طبيبي ومعلمي سواء في الريف أو في البرية'".

"فأجبته أنا أيضا: 'إنني سعيد لأنّ الرب يسوع جعلك كثير النسيان، مقويا قلبي وثقتي في معلمي، لأنّ أدوية سيدي الأب أنبا أنطونيوس ليست جسدية ولكنها هي قوة الباركليت التي تعمل في صلواته الأشفية الروحية المقبولة عند الرب كرائحة زكية'. ولما سمع الشيطان ذلك صار كالدخان وتلاشى، واستأنفت أنا سيري ممجدا ربنا يسوع المسيح".

٣ - سأل أخٌ أنبا مقار: "أخبرني كيف يحيا الإنسان في الطاعة". فقال له أنبا مقار: "كما أنّ الطاحونة إذا دارت فوق القمح تزيل قشرته تماما حتى يصير القمح خبزا نقيا، هكذا أنت يا ابني، فالطاحونة هي أبوك وأنت هو القمح، فإذا استمعت إليه يصلي إلى الرب من أجلك فيرفع عنك كل خبث الشيطان، وكالخبز النقي تصير ابنا لله".

٤ - قال أنبا بيمين: "لما زرت أنبا مقار قلت له: 'يا أبي، ماذا ترى أن أفعل مع الإخوة، لأنني في الحقيقة أكلمهم ولكنهم لا يسمعون'؟ فقال لي: 'ربما يكون لجامهم في يد شخصٍ آخر ولهذا السبب لا يسمعون منك'. فسألته: 'ما هو اللجام'؟ فقال لي: 'ربما تأتيهم المشورة من شخصٍ آخر لأنه مكتوب: «الخيط المثلوث لا ينقطع سريعا» (جا٤: ١٢)، وهذا معناه: إذا وجدت الإخوة كاملين في الإيمان والمحبة والطاعة ممتلئين بالاتضاع نحو آبائهم فهم لا ينثنون لأنّ قلوبهم ثابتة. واعلم هذا أنه إذا تلاقى رجلٌ مخلص مع امرأةٍ

مخلصة وحافظ كلاهما على طهارة الزيجة؛ فإ ما يقضيان حيا ما في سلامٍ بينهما ويكونان في راحةٍ حتى إنّ أقار ما وجيرا ما يحسدو ما على حكمتهما، ولكن إذا أبغضهما العدو الماكر وألقى الرجل أو المرأة بنظرا ما من نوافذ بيتهما، فالزوج يلتفت إلى جمال فتاة صغيرة أو تلتفت الزوجة إلى حسن شاب صغير، أي إذا قِبلَ الزوج أو الزوجة خميرةً غريبة، فلن يوجد أي سلامٍ بينهما حتى ينفصلا عن بعضهما. هكذا الإخوة إذا تركوا مشورة آبائهم وقبلوا مشورة آخرين فإنّ آباءهم لن يوافقوا على ذلك بل يوبخو م أيضا ويظلّ الإخوة يتذمرون في داخلهم وخارجهم حتى ينفصلوا عن آبائهم''.

ولما سمع أنبا بيمين ذلك من أنبا مقار تعجب من بصيرة روحه وفهمه وقال له: "في الحقيقة إنّ الأمر هكذا يا أبي". بعد ذلك صلى وذهب منتفعا ومعطيا ا د لربنا يسوع المسيح ولخادمه أنبا مقار.

٥ - قال أنبا مقار: "مثل مرآة إذا نظرت إليها تعرفك جمالك أو قبحك، لأنك لا تستطيع أن تخفي عنها شـيئًا وهي لا يمكنها أن تكذب عليك إطلاقًا، ولكنها تمثل وتعكس وتصور كل ملامحك وهيئتك وترى حتى ابتسامتك من أي نوع هي، كما تخبرك ما إذا كان شعرك أسود أم أبيض، وهي تعرفك نفسك من أي نوع هو شبهك؛ هكذا ستكون أيضا المحكمة التي لا يمكن لأحد أن يهرب منها، لأنه ليس المقصود هو مرآة من عمل أيادي الناس بل الأعمال التي تظهر والصور التي توضح آثار الخطايا، وأنت لا يمكنك أن رب منها لأ ا تقوم ضدك وتوبخك دون أية حاجةٍ إلى شاهدٍ. إنك تكون مثل شيءٍ هامدٍ بينها، إنك تكون فقيرا ولا يمكنك أن تتكلم، إنّ مرآة الخطايا تعرفك كل شيء مطبوعا في قلبك كما بريشة رسامٍ، توبخك وتظهر لك كل الأعمال التي أتممتها في أي وقت وأية لحظةٍ فعلتها وفي أي ساعةٍ تمّ ذلك. وفي كلمةٍ واحدة إ ا تكون فضيحة وخزي في حضرة عالمين: سكان السماء وسكان الأرض عند الدينونة العامة الرهيبة. لأن كل القديسين والطغمات السـماوية سيكونون في حزن وأنين بسببك عندما يرون سقوطك العظيم بسبب الأعمال المخجلة التي ارتكبتها".

"غير أنّ ربنا يسوع المسيح ستكون لديه الشفقة والرحمة نحونا لأنه في الحقيقة لا توجد لك توبة ولا رحمة ولا لُطف إلاّ عند الشفوق وحده الذي عنده كنوز عديدة من الرحمة والشفقة، الذي عنده المقدرة أن يميت ويحيي وأن يهبط إلى الهاوية ويصعِد (١صم٢: ٦)، وهذا معناه أنّ ربنا يسوع المسيح مخلص نفوسنا وأجسادنا هو الذي لا يشاء موت الخاطئ مثل أن يرجع ويحيا (حز١٨: ٢٣). فلنفتش عن ذلك أيها الإخوة ولنكن حكماء منذ الآن إذ نرى محبته

للبشر، كما حدث مرةً أن بكى على لعازر متوسلاً إلى صلاح أبيه الصالح بينما مريم ومرثا أختا الميت تذرفان الدموع، وبعد أربعة أيام أقامه من بين الأموات (يو١١: ٣٤-٤٤)“.

”فلنقترب إليه بالصلوات والدموع النقية لكي ننال شفقته علينا ولكي يقيم نفوسنا من موت الخطية ولكي نحيا برحمته“.

٦ - طلب أخٌ من أنبا مقار قائلاً: ”أخبرني، يا أبي، كيف أنطرح أمام الله“؟ فقال له أنبا مقار: ”مكتوب أنه لم يكن يكلمهم إلاّ بمثلٍ (مت١٣: ١٤)، ففي الحقيقة عندما يلقي حيوانٌ وحشي بنفسه على حيوانٍ أليفٍ بدون تمييز، فهو يمدده تحت أقدامه بشراسةٍ بالغةٍ حتى إنّ ذاك الذي تحته يكون في ضعفٍ بالغٍ بالمقارنة به، فكل قوته وكل رجائه يضعهما في سيده، ويصرخ بصوتٍ عظيمٍ ليعطي إشارةً لسيده، فلما يسمعه سيده يشفق عليه في الحال ويسرع إلى نجدته وينقذه من الحيوان الوحشي، فكم بالأكثر نحن الخراف الروحية في قطيع المسيح إذا وضعنا رجاءنا فيه، فهو لن يسمح للعدو أن يقسو علينا بل يرسل ملاكه لينقذنا من الشيطان. هكذا يكون، يا ابني، الانطراح أمام الله، فلا يضع الإنسان ثقته في قوته، ولكن يترجى معونة الله لأنه هو في الحقيقة الذي يخلصنا“.

٧ - وسأله أيضا: ”يا أبي، كيف يصير الإنسان حرا من الأوجاع ويتجدد بالروح“؟ فقال له الشيخ: ”أقول لك مثلاً: مثل جلبابٍ إذا تمزق توضع له رقعةٌ حتى يعود جديدا. لأننا نمثل الجسد بالجلباب، والتمزق بالخطية واللذّة الجسدية، والرقعة هي التوبة التي يعطينا إياها ربنا يسوع المسيح“.

٨ - وسأله الأخ نفسه أيضا: ”أرشدني، يا أبي، عما هو العذب وما هو المر المذكور في الآية: «ألعل ينبوعا ينبع من نفس عينٍ واحدةٍ العذب والمر؟» (يع٣: ١١)“. فقال له أنبا مقار: ”يقال إنّ الطفل الصغير إذا وضعته أمه على الأرض تعطيه شيئًا عذبا في يده لكي يمتصه حتى لا يأخذ من القمامة شيئًا قد يودي بحياته. فالقمامة هي الخطية والمسرات الجسدية، والشيء الحلو هو ربنا يسوع المسيح الاسم المبارك واللؤلؤة الحقيقية، لأنه مكتوب في الإنجيل المقدس أنّ ملكوت السموات يشبه إنسانا تاجرا يطلب لآلئ حسنة، فلما وجد لؤلؤةً واحدةً كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها (مت١٣: ٤٥و٤٦)، واللؤلؤة الكثيرة الثمن هي ربنا يسوع المسيح ملك الملوك ورب الأرباب“.

٩ - قال أبا بيمين: ”كنت جالسا مرةً مع الإخوة بجوار أنبا مقار، فقلت له: ’يا أبي، أي عمل يعمله الإنسان لكي ينال الحياة‘؟ فقال لي الشيخ: ’في أيام طفولتي لما كنت

عند أبي لاحظت أنّ النساء العجائز والشابات يضعن شيئًا في أفواههن مثل اللبان كُن يمضغنه لكي يحلي ريقهن في حلقهن ويزيل الرائحة الكريهة من أفواههن ويزهر وينعِش كبدهن وكل أحشائهن. فإذا كان هذا الشيء المادي يجلب حلاوةً للذين يمضغونه، فكم بالأكثر غذاء الحياة وينبوع الخلاص وماء الحياة وحلاوة كل حلاوة ربنا يسوع المسيح، كم يعطي اسمه الثمين المبارك الذي إذا سمعته الشياطين خارجا من أفواهنا تتلاشى كالدخان! فهذا الاسم المبارك إذا ما اجتررناه ومضغناه باستمرار ينقي الذهن ويقود النفس والجسد، ويطرد من النفس الخالدة كل الأفكار الرديئة ويعلِن لها الأمور السماوية وبالأخص الملك السماوي ربنا يسوع المسيح ملك الملوك ورب الأرباب الذي هو المكافأة السماوية للذين يطلبونه بكل قلو م'".

فلما سمع أنبا بيمين هذا الكلام من فم أنبا مقار - ذاك الذي شهد له المسيح قائلاً: "مكاريوس البـ ـار قد وقف اليوم أمام منبري" - انطرح هو والإخوة الحاضرون على قدمي أنبا مقار بدموعٍ، ولما صلى عليهم صرفهم وهم يمجدون ربنا يسوع المسيح.

١٠ - بينما كان أنبا مقار يتسامر مع الإخوة بألفةٍ قال: "حدث لي مرةً بينما كنت في الوادي أقطع سـ ـعفًا أن جاءتني سمورة[١٦٨] مجردة من الشعر[١٦٩] وهي تثغو كالحمل الصغير، ودموعها تسيل على الأرض، وارتمت على قدمي وبلّلتهما بدموعها. ولما جلست وابتسمت لها ولمست عليها بيدي وبدأت أشاركها دموعها، كانت هي تتفرس في وجهي باندهاشٍ، ثم بعد ذلك أمسكت جلبابي بأسنا ا وشدتني، وهكذا تبعتها بقدرة ربي يسوع المسيح، فصحبتني إلى حيث تسكن وهناك وجدت صغارها الثلاثة التي كانت نائمة، وحالما جلست أحضرتها إلي واحدةً فواحدة بأسنا ا ووضعتها في حجري بعد أن لعقتها بفمها، فوجد ا مشوهةً إذ كانت وجوهها إلى جهة ظهورها، فأُخِذْت بالشفقة عليها وعلى دموع أمها وقلت بأنينٍ: 'أنت يا ربنا يسوع المسيح المعتني بالكل، أنت الذي عندك خزائن الرحمة المتعددة، أشفق على الخليقة التي جبلتها'. فحالما قلت هذه الكلمات عليها بدموعٍ في حضرة ربي يسوع المسيح ومددت يدي ورشمت عليها علامة الصليب المحيية تعافـ ـت! وحالما وضعتها على الأرض انتبهت أمها إليها، وذهبت تحت بطنها ورضعت، وقد ابتهجت هي وسرت ا ونظرت إلى وجهي بفرحٍ عظيم. وأنا كنت متعجبا من صلاح وتحنن ربنا يسوع المسيح وبخصوص مراحمه لأنه يعتني حتى

---

(١٦٨) ربما تكون هي حيوان "الفنكة".
(١٦٩) دليل على أ ا ولدت منذ وقت قريب كأنثى الأرنب التي تنحل شعرها لتعمل منه فراشا ناعما لصغارها.

بالحيوانات. ثم مضت وذهبت ممجدا اللطف الجزيل الذي لربنا يسوع المسيح وكثرة مراحمه على كل الخليقة التي صنعتها يداه"!

١١ - سأل بعض الشيوخ أنبا مقار: "ما هو عمل الأسقيط"؟ فقال لهم: "إنه يشبه أربع مدن الملجأ(١٧٠) التي أفرزها الرب على حدة لأجل بني إسرائيل حتى إذا التجأ إلى واحدةٍ منها واحد زانٍ أو قاتل، فإنه ينجو إذا ظلّ هناك طيلة حياته (عد٣٥: ١١)".

وقال لهم أنبا مقار أيضا: "هذه المدن قد أسسها ملك الملوك ورب الأرباب (رؤ١٧: ١٤)، ووضع المسيح ربنا لها الأساسات وحصنها، ومن أربع رياح الأرض احتشد جنود روحانيون وأسكنهم فيها، وأعطاهم قوانين ووصايا، وقال لهم: [اعملوا هذه، وسأجعل ملوك الأرض يخضعون لكم]. ولما استمعوا إليه فعلوا كما رتب لهم. وسيبقى هؤلاء حتى يتم الخراب الأول للأسقيط بعد أربعين سنة، لأنهم ينبغي أن يكملوا آلامهم. ثم يشفق عليهم الملك المسيح من جديد، وسيجعلهم يرجعون للمرة الثانية، وسيعطيهم أيضا تلك القوانين والوصايا قائلاً: [اصنعوا هذه، وكما فعلت مع آبائكم سأفعل معكم أيضا]. فأطاعوا ونفّذوا نصف الوصايا، وهذا سيكون حتى الخراب الثاني للأسقيط بسبب كثرة تراخيهم".

"ومرةً أخرى فإنّ الملك المسيح، هذا الذي تقدم له العبادة، سيذكر آباءهم وجماعة خدام الكنيسة، وسيرجعهم مــرةً ثالثةً، وسيعطيهم أيضا تلك القوانين وتلك الوصايا، فيقولون له: 'ليست لدينا القوة لحفظ هذه الوصايا'. وإذ لا يريد الملك المسيح أن يخرب المدن سيقول لهم: [ابقوا فقط في المدن، وسأعمل لكم كما عملت مع آبائكم: سأفتقدكم، وإذا أتيت ووجدتكم مستقيمين وجعلت سكناي وسطكم وثبتم أنتم أيضا فيّ؛ حينئذٍ آتي أنا مع أبي المملوء صلاحا والروح القدس الباركليت، وسنجعل مسكننا فيكم لأجل مجدنا حتى الدهور التي لا نهاية لها]".

١٢- سأل الأب إيفاجريوس أنبا مقار - بينما كان أبا بيمين جالسا بالقرب منه مع أبا بفنوتيوس التلميذ البار والمخلص - عن طهارة النية. فقال له أنبا مقار: "إنّ طهارة النية تظهر في حالة إنسان يعطي باختياره ألف قطعة من الفضة حسب نيته وتكون كلها مثل فلسٍ واحدٍ في عينيه، ثم إذا أكرهوا نيته بمقدار فلسٍ واحدٍ يصير ذلك أمامه كخسارة ألف قطعة من الذهب بسبب إكراههم لنيته". فقالوا له: "ما معنى هذا الكلام"؟ فقال لهم: "ابحثوا وانظروا وافحصوا القول"، وحالما تفكروا وجدوا أنّ القول كان حقيقيا، وللحال ضربوا

(١٧٠) يقصد الأديرة الأربعة التي أنشئت في حياته، وهي أديرة: البرموس، وأنبا مقار، وأنبا بيشوي، وأنبا يؤنس القصير.

مطانية، وصلى الأب لأجلهم وصرفهم وهم يعطون ا د لربنا يسوع المسيح.

١٣- وقال له أيضا أبونا أنبا مقار: "إنه مكتوب: «لقد حبلنا بسبب مخافتك يا رب وتمخضنا وقد ولدنا روح الخلاص» (إش٢٦: ١٨ حسب السبعينية). فاحذر من أن يفلت منك القول وأن لا تلد، ففي الحقيقة هذا هو لباس العرس (مت٢٢: ١١)، هذه هي وزنات الذين ربحوا (مت٢٥: ٢٠-٢٢)، هؤلاء هم الذين بنوا بيتهم على الصخر (مت٧: ٢٤)، أي الرحمة والإيمان اللذان يجعلان فيك المخافة وغضب النفس والاتضاع والحزن، فتمسك ما. كونوا معافين في الرب أيها الذين تريدون أن تعيشوا في سلامٍ، آمين".

١٤- كان إخوةٌ جالسين حول أنبا مقار، وإذ كان الحديث بألفةٍ سألوه عن حبة الخردل (مت١٣: ٣١) قائلين: "ما معناها"؟ فقال لهم: "حبة الخردل هي الروح، لأنه إذا كانت معرفة ربنا يسوع المسيح في الإنسان يقال عنه إنّ روحه لطيفة، فكما أنّ حبة الخردل صغيرة وطيبة المذاق، هكذا يقال عن المعلم الذي هو طيب المذاق وبصيرته حادة".

١٥- سأله الإخوة: "ما هو النمو؟ وما هي البقول (في مثل حبة الخردل)"؟ فقال لهم أنبا مقار: "النمو هو الفضائل الروحية، والبقول هي الطهارة في الأنقياء والبسطاء (الذين هم بلا عيب). والبذرة تصير شجرة حتى إنّ طيور السماء تأتي وتأوي في أغصا ا، حتى نصل أيضا إلى أن نكون بشرا سمائيين، والشجرة هكذا تكون هي المعلم الذي يرشد، والتعاليم والأقوال المعزية التي يعطيها هي الأغصان، لأن حبة الخردل ينمو فيها قلب موحد. ونحن أيضا يا إخوتي، ليكن فينا قلب موحد تجاه ربنا يسوع المسيح بالفضيلة حتى نأخذ الخميرة التي هي نعمة ربنا يسوع المسيح التي نخفيها في ثلاثة أكيال (مت١٣: ٣٣) التي هي النفس والجسد والروح. والأكيال الثلاثة هي إنسانٌ واحد كاملٌ، مكملاً قياس ملء قامة ربنا يسوع المسيح (أف٤: ١٣). كل هذا قاله ربنا يسوع المسيح بأمثالٍ، ولم يكن يكلمهم بدون مثل (مت١٣: ٣٤)".

فلما سمع الإخوة ذلك تعجبوا من رقّة روحه وحدة ذكائه، وتجددت قلو م في داخلهم، حتى تمّ لأجلهم ما هو مكتوب: «عند لهجي (أي تأملي) اشتعلت النار» (مز٣٩: ٣).

١٦- قال أنبا مقار: "ينبغي ألاّ تخور عزيمتنا وألاّ نكون بلا رجاء، لأنه في الحقيقة في كل حركة تنفس لأنوفنا يعطينا ربنا يسوع المسيح فرصةً للتوبة". وقال أيضا: "كما أنّ سندان الحداد إذا قرع عليه كل يوم يبقى نظيفًا (أي مجليا بلا صدأ)، هكذا إذا كان الإنسان يخضع للأمور التي تذلّه متعلما كل يوم، ويقهر نفسه ويضبطها فيصير بمنجاةٍ من فخاخ العدو المخفاة". وقال أيضا: "لا ينبغي أن يتفجر من الينبوع مرارة من عين واحدة التي هي مخزن

القلب، ولكن ليت الحلاوة تتفجر في كل وقت، أي ربنا يسوع المسيح بدون توقف".

١٧- قال أحد الإخوة لأنبا مقار: "يا أبي، لقد سقطت في خطية". فقال له: "إنه مكتوب يا ابني: «إني لا أسر بموت الخاطئ بل بأن يرجع ويحيا» (حز٣٣: ١١). فارجع إذًا يا ابني وسترى شخص ربنا يســوع المسيح المملوء حلاوة ووجهه المملوء فرحا بخصوصك، مثل مرضعةٍ يفيض الفرح من وجهها بالنسبة لطفلها إذا رفع يديه ووجهه نحوها، وهكذا تماما إذا امتلأ من كل قذارةٍ فهي لا تقرف من الرائحة ولا من البراز، ولكنها تشفق عليه وتضمه إلى صدرها ووجهها مملوء فرحا، وكل شيء يحدث منه يكون حلوا لها. فإذا كانت - وهي المخلوقة - مملوءةً شفقة نحو ابنها، فكم بالأكثر تكون قوة محبة الخالق ربنا يسوع المسيح نحونا"؟!

١٨- طلب أخٌ من أنبا مقار قائلاً: "علمني ما هو معنى التوبة". فقال له: "إنّ التوبة لا تتكون فقط من الركوع أو ضرب المطانية مثل خشبة الشادوف التي تعطي الماء في صعودها ونزولها، بل مثل صائغٍ حاذقٍ يريد أن يعمل سلسلة من ذهب أو من فضة أو حتى من حديد أو رصاص، فهو يجمع السلسلة حتى يشكلها. هكذا أيضا شكل التوبة، فكل الفضائل تعتمد عليها".

١٩- سأل الإخوة أنبا مكاري الكبير قائلين: "هل أعمال الرحمة هي أهم جميع الأعمال"؟ فقال لهم: "نعم". فقالوا له: "اِشرح لنا ذلك". فلما رآهم أنبا مقار خجلين ومرتخين أراد أن يثير انتباههم، فقال لهم: "أُنظروا البائع عندما يبيع ويقول لمن يشتري منه: 'عندي منفعةٌ لك'. ثم إذا رآه حزينا جدا يرد له بعضا من النقود فيذهب المشتري فرحا، هكذا في الأعمال، فإذا مُثل المرء وهو حزين أمام الله معطي الخيرات، فإنّ الحاكم العادل ربنا يسوع المسيح تتحرك أحشاؤه بمراحم كثيرة، وتصدر الأعمال بفرحٍ وابتهاجٍ وحرارة".

فلما سمع الإخوة ذلك تشددوا، ولما رآهم أنبا مقار ممتلئين بالغيرة أعا م وقال لهم بفرحٍ: "أصبع من الدهن يعطي لوجه الإنسان فرحا في حضرة ملك هذا العالم، هكذا القليل من الفضيلة يعطي النفس فرحا في حضرة ملك سكان السموات وسكان الأرض، هذا الذي عنده كنوز عديدة من المراحم ربنا يسوع المسيح، لأنه مكتوب: «من أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه» (مت١١: ١٢)، إذًا، فلنغصب نحن أيضا أنفسنا قليلاً من أجل ملكوت السموات، لنتشبث بالملك الأبدي ربنا يسوع المسيح".

فلما سمع الإخوة ذلك انطرحوا على الأرض وقبلوا رجليه وانصرفوا فرحين ومجدين ربنا يسوع المسيح.

٢٠- طلب أخٌ من أنبا مقار قائلاً: "أرشدني بخصوص عمل الرحمة، كم هو قوي". فقال له: "كما أنّ رجال الملك الذين قد ينفيهم إلى بلدٍ غريبةٍ ونائيةٍ، ويقبل واحد منهم مشورةً حكيمةً من ذوي السلطان ويغصب نفسه ويرسل هدايا لهذا الملك ولا يفعل الآخرون مثله، فبعد زمنٍ طويل يرسل الملك باحثًا عن هؤلاء الرجال لكي يرجعهم إلى مدينتهم ووطنهم، ألا يفرح هذا الذي أرسل هدايا من قبل أكثر لأ ا تشفّعت له؟ وألا يجد دالةً أكثر من هؤلاء الذين لم يرسلوا شيئًا؟ أو مثل قائدٍ له نعمة لدى ملك هذا العالم، هكذا أيضا الرحمة عند المسيح الملك العظيم، فهي تجد دالةً عظيمة عنده، وتبرر من كل تهمة".

٢١- وسأله الأخ نفسه عن هذه الآية: «يتجدد مثل النسر شبابك» (مز١٠٢: ٥). فقال له أنبا مكاري: "مثل الذهب إذا حمي في النار يتجدد، هكذا أيضا النفس إذا كان لها من الفضيلة ما ينقيهـا من أدناسها ومن كل دناياها فهي ستتجدد وستطير إلى الأعالي". فسأله الأخ أيضا: "ما هو الطيران إلى الأعالي يا أبي"؟ فقال له: "مثل النسر إذا طار في أعالي الجو فهو ينجو من فخاخ الصياد، ولكنه إذا هبط إلى الأرض يسقط في فخاخ الصياد، هكذا النفس فهي أيضا إذا كانت غير مباليةٍ وإذا هبطت من أعالي الفضيلة فهي تسقط في فخاخ صياد الأرواح".

٢٢- وطلب الأخ منه أيضا قائلاً: "علمني، يا أبي، المثابرة مع الله". فقال له أنبا مقار: "مثل النحل عندما يتواجد وسط النباتات الخضراء وبين زهور الحقول، فهو يمتص العسل حتى يملأ به خليته، أما إذا امتلأت خليته بالدخان فلا يستطيع أحد أن يفوز بحلاوة العسل". فسأله الأخ: "ما هو الدخان، وما هي الحلاوة يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "أعمال الزنى، الأدناس، النجاسات، الأقذار، الميول الذاتية، الأحقاد، العجرفة، والملذات الأخرى، هذه هي الدخان. والزهور هي الفضائل، والنحل هو الإنسان التقي، والخلية هي القلب، والحلاوة هي ربنا يسوع المسيح، والذي يثابر لديه يملأ نفسه بكل الفضائل وكل طهارة، هكذا تكون المثابرة لدى الله. هيا يا ابني (أي انصرف بسلام)".

٢٣- قال أخٌ لأنبا مقار: "إنّ أفكاري تحثني قائلةً: كُن الأول في الكنيسة". فقال له: "إنك تتكلّم عن باب السماء (تك٢٨: ١٧) وعن أم جميع الأحياء (تك٣: ٢٠). أقول لك يا ابني: هذا هو الوقت المقبول، هذا هو يوم الخلاص (٢كو٦: ٢) أن نترك

وراءنا الأعمال الشيطانية، لأنه يأتي الوقت الذي فيه يمنع كثير من الناس عن الذهاب إلى الكنيسة، ويشعرون أ م غرباء عن الأسرار خوفًا من سلطان هذا الزمان الذي سيكون طاغيا، هؤلاء الذين فمهم مفتوح مثل السردين الذي في البحر، الذين يجمعون فضةً كثيرةً مثل النملة التي تجمع في أيام الصيف. إنني أقول لك، يا ابني، إنّ كل عملٍ رديء هو في هذين الأمرين: الزنى ومحبة المال، مع أنّ الزنى رديءٌ جدا، وبعد وقت قليل يشيح الإنسان بوجهه عنه ويشمئز منه بسبب رائحته الكريهة. أما محبة المال فتأتي من التكديس، وعندما تأتي تكون حلوةٌ لك لأ ا شرهة لا تشبع، لأجل هذا يجب أن يختم الإنسان أبواب كنيسة البرية وأبواب الأموات بالخوف من قوات هذا الزمان، لأنه في الحقيقة سـ يقوم أناس معينون يبحثون ويستقصون عن ميراث الذين يرقدون ناسين هذا المكتوب: «إذا أتى الغِنى فلا تضعوا عليه قلوبكم» (مز٦٢: ١٠ حسب السبعينية)، وهذا ما يقول عنه الرسول: «محبة المال أصلٌ لكل الشرور» (١تي٦: ١٠)".

"فالآن، إذن يا ابني، حارِب هذا الأمر، لأنّ أنبا أنطونيوس يقول: 'ينبغي على كل واحدٍ أن يجعل ذاته كنيسةً في هذا الزمان'، وبمعنى آخر أن الإنسان يعمل كل جهده لتنقية نفسه التي هي كنيسة الله، لكيما بصوتٍ هادئٍ نصعِد تسبيحا مثلّثًا لله ربنا بالاعتراف الثابت بالإيمان الأرثوذكسي".

٢٤- قيل عن أبينا القديس أنبا مكاري الكبير إنه بعد أن تقدم في الفضيلة أخذ قوة الشفاعة من ربنا يسوع المسيح لدرجة أنّ القوات المعاندة كانت تجزع وترتعد أمامه بسبب قوة الشفاعة التي كانت له.

٢٥- حدث مرةً أنّ الحكيم البابا كيرلس (عمود الدين) دعا القديس أنبا شنودة (رئيس المتوحدين) إلى ا مـ ع المقدس الذي التأم في أفسس بخصوص الكافر عابد الإنسان، نسطوريوس، حيث ساعدهم ربنا يسوع المسيح لأ م وافقوا على خلعه. ثم حدث بعد هذا الجهاد للقديس كيرلس ومجمع الأساقفة المقدس أ م أرادوا أن يرجعوا إلى كراسيهم حسب أمر الملك التقي ثيئودوسيوس. وبعد ذلك رفِع القديس أنبا شنودة على سحابةٍ، ثم جعلته السحابة يمر على الدير المقدس الذي لأبينا البار أنبا مكاري الأسقيطي، وذلك بسبب صوت الرب الذي سمعه أنبا مقار قائلاً: "لقد أصبحت إلهًا على الأرض"، ولأنه رأى في رؤيةٍ الصلوات المقدسة لأولاده تصعد كرائحة بخور نحو عرش الكلي القدرة. فتعجب الشيخ رئيس المتوحدين أنبا شنودة في نفسه قائلاً: "عندما ينـ زلني سيدي يسوع المسيح في ديري سآتي إلى هذا المكان لكي أرى عمله والذين فيه لكي أعلم في أي حالٍ هم".

ووصل إلى هناك، وبعد أن عانق الإخوة الذين في ديره، أخذ معه بعض شيوخ آخرين وذهب إلى الأسقيط إلى دير القديس أنبا مقار، واستقبله قمص (مدبر) ذلك الزمان (لأنّ أنبا مقار كان قد رقد) بفرحٍ ومعاملةٍ مليئة بالمحبة واللطف، وتأمل القديس أنبا شنودة في نفسه قائلاً: "حسب الرؤية التي رأيتها حينما كنت مرفوعا على السحابة فإنّ الأعمال من هذا النوع ليست كاملةً بعد".

ولما جعل هذه التصورات في قلبه، كشف الله للمدبر القديس أفكار القديس أنبا شنودة، وأراد المدبر أن يجعله يجني بعض المنفعة في الدير ما دام قد أتى إليه. فلما مر معه مرةً أخرى وأخذ الشيوخ بركته، اصطحبه إلى مطبخ الإخوة، وحدث أنّ هذا اليوم كان فيه عيد صغير اعترافًا بفضل أحد القديسين. وقال المدبر للأخ الذي أشعل النار تحت القدر الذي كانت فيه قطعةٌ من اللحم تغلي في درجةٍ عاليةٍ من الحرارة: "أُغمر ذراعك، يا ابني، وقلب اللحم"، وهكذا تّم كما سمع، وغمر ذراعه في القدر وقلب الطعام! ولما رأى القديس أنبا شنودة هذه الأعجوبة الكبيرة أنّ الأخ لم يلحقه أي ضرر، قال بصراحةٍ: "حقًا، إنّ أي اسمٍ بدون عملٍ لا يخرج منه نسلٌ، لأنّ الأعمال بعثت طابيثا حية (أع٩: ٣٦-٤٢)، هكذا أيضا الإيمان، فبسبب الأعمال النقية التي لأنبا مقار أقام الأموات. وماذا أقول عن أولادي؟ إنّ عيو م تذرف الدموع وأحشاءهم ليست فيها قوة بسبب احتياجها إلى الغذاء، لأ م حتى الآن هم غير قادرين أن يجروا أية معجزةٍ من هذا النوع"!

وبعد ذلك ذهب إلى ديره وهو منتفع من هذا الدير، ومجدا ربنا يسوع المسيح وخادمه البار أنبا مقار.

٢٦- سأل أخٌ أنبا مكاري: "ما هذا القول الذي قاله أنبا شيشوي: واحد يأخذ عشرة مقابل أن يعطي واحدا"؟ فأجابه: "كما أنّ الشيطان لا يهدأ ارا ولا ليلاً من إزعاج المحارب والناسك الزاهد، فإذا قاوم هو أيضا في كل حال ضد الشيطان فبالدموع يلقي بنفسه على صلاح ورحمة ربنا يسوع المسيح هذا الذي هو صالحٌ ويحب البشر، إلهنا الحقيقي، فإنه يفرح في الحال بالإنسان من أجل أنّ صدةً واحدةً تلغى ا أثر ضربات الشيطان العشرة، لأن الإنسان لحم ودم، وضربته الوحيدة هذه تفوق تلك الضربات غير الحسية. هذه في الحقيقة عادة الشيطان أن يسقط تحت الاتضاع. والنجدة تأتي من ربنا يسوع المسيح وهو يحامي عنا بنعمته المقدسة".

٢٧- وسأله الأخ أيضا: "ما هو أفضل عمل في النسك والزهد"؟ فأجابه: "أيها

الطوباوي، إنه ذاك الذي سيوجد مرددا الاسم المبارك الذي لربنا يسوع المسيح بلا انقطاع وبندامة قلبٍ، لأنه في الحقيقة لا يوجد أبدا في كل الحياة العملية أفضل من هذا الطعام المبارك، فإذا اجتررته فليكن ذلك بدون توقفٍ كما تفعل النعجة حينما ترفع الغذاء من جوفها وتذوق حلاوة ما اجترته حتى يدخل الشيء ا تر في أحشاء قلبها، وحتى تسيل الحلاوة والدهن الذي منه الفائدة في أحشائها وكل ما في داخلها، وأنت لا ترى جمال فرحها المملوء حلاوةً مما تجتره في فمها! ليت ربنا يسوع المسيح يعطينا نعمةً في اسمه الحلو العذب".

٢٨- طلب أخٌ من أنبا مقار قائلاً: "أفهمني شرح القول: «إنّ تأمل (هذيذ) قلبي ليكن دائما في حضرتك» (مز١٩: ١٥ حسب النص)". فأجابه الشيخ: "لا توجد درجة من تأمل (أو هذيذ) ممتاز آخر إلاّ هذا الاسم المخلص والصالح الذي لربنا يسوع المسيح يمكث معك بلا انقطاع، كما هو مكتوب: «مثل سنونوة أصيح ومثل يمامةٍ أهدهد (أهذ)» (إش٣٨: ١٤ حسب النص)، وهكذا يكون الإنسان التقي الذي يمسِك باستمرار بالاسم النافع الذي لربنا يسوع المسيح".

٢٩- قيل عن أنبا مقار الكبير إنه حدث له مرةً، بينما كان في الحصاد مع الإخوة، أنّ ذئبا ظلّ يعوي وأطلق صرخةً عاليةً وعيناه مثبتتان نحو الرب في السماء، وظلّ القديس منتصبا، وابتسم بينما كانت دموعه تسيل. ولما تحول إليه الإخوة اندهشوا وألقوا بأنفسهم على قدميه وتوسلوا إليه قائلين: "نتوسل إليك يا أبانا أن تفهمنا لماذا تبدو الدموع في عينيك"؟ لأنه عندما تظهر عليه الدموع كان وجهه يتقد بنار كأشعة الشمس بسبب نعمة ربنا يسوع المسيح التي كانت عليه! فقال لهم: "وأنتم بدوركم ألم تسمعوا أبدا أنّ الذئب يصرخ"؟ فأجابوه: "وماذا يكون هذا يا أبانا"؟ فأجا م: "إنه يصرخ إلى محب البشر، إلى الرحيم وحده الذي عنده كنوز عديدة من الرحمة، ربنا يسوع المسيح قائلاً: 'إلى هذا الحد لا تتولاني بعنايتك، بما أنك خلقتنا نحن أيضا، ولا تزودني بغذائي بينما أنا أتألم'؟ ففي الحقيقة إذا كانت الحيوانات آكلة اللحوم لها حاسة، فإذا صرخت نحو صلاح ربنا يسوع المسيح الذي يطعِمها كلها، فكم بالأولى نحن البشر الناطقين يتولانا بعنايته بأحشاء رحمةٍ كثيرة"؟

ولما قال الكوكب المضيء ذلك للإخوة ظلّ الذئب مندهشا، ثم ذهب إلى حيث أعد الله له غذاءه، وجميع الإخوة جثوا مقبلين القدمين المباركتين اللتين لأبينا البار أنبا مقار الكبير حامل الروح، ومجدوا ربنا يسوع المسيح.

٣٠ - قيل عن أنبا مكاري الكبير إنّ شيخا ذهب لزيارته مع أحد الإخوة وقالا له: "إننا نريد أن نسكن معا يا أبانا". فقال القديس للشيخ: "خذ لنفسك أولاً شبه الراعي، فإذا نقلَت واحدةٌ من الذباب مرضا إلى نعجةٍ، فالراعي يهتم ا حتى يقتل الدود، فإذا صار المرض قُراعا يدلكها حتى يزول هذا القراع". فقال له الشيخ: "أفهمني شرح هذا القول". فقال له أنبا مكاري: "الذبابة تشبه بالشيطان، والنعجة بالأخ الذي معك، والدود هو الأوجاع وملذّات الشياطين التي تسكن في النفس، والتي تكثر في القلب، مثل السوس الذي يوجد في آفات المحصول، والعلاج الذي ينـزع القراع هو النمو والزهد والتعاليم الإلهية الخلاصية. هذه هي الأمور التي تنقي النفس وتجعلها طاهرةً من كل وجع وتنقذها من كل شر الأعداء الأشرار الذين هم الشياطين".

وقال أيضا للأخ: "أما أنت، يا ابني، فتشبه بإسحق الذي أطاع أباه لدرجة أنه قدمه ذبيحةً كضحيةٍ مقبولةٍ أمام الله، وصِر أيضا قدوةً في الكنيسة حتى اية حياتك ممجدا ربنا يسوع المسيح".

٣١- وقال أيضا أنبا مقار: "كما أنّ الخزاف (الفخاري) يجلس ويعمل أولاً الطين (الصلصال)، ثم يهتم بتشكيل الأواني مزينةً برسومات ملونة، وذلك لكي تشرف ولائم العشاء والغذاء للملوك، أو لأجل النظام الطقسـي في الكنيسة، ثم يشكل أواني أخرى وضيعة دنيئة (قارن رو٩: ٢١؛ ٢تي٢: ٢٠)، وحتى أواني للبول ومقاعد للولادات الجديدة البريئة، ثم يجهز الفرن ويضعها في النار؛ ففي الحقيقة أقول لكم إنه هكذا تماما الذي يصلي لأجل الأواني الثمينة والمزينة، فهو يصلي أيضا لأجل الأواني الوضيعة والدنيئة لأ ا من عمل يديه. هكذا أيضا ربنا يسوع المسيح، الذي عنده كنوز عديدة من الرحمة، الرحوم وحده مع أبيه المملوء صلاحا والروح القدس، كما أنه يسر من ذاك الذي يكون نقيا ومزينا بالطهارة والنمو في الفضيلة والزهد، فهو أيضا يسر بتغيير الدنيء، أي الخاطئ، كما هو مكتوب: «يكون فرح في السماء قدام ملائكة الله بخاطئ واحدٍ يتوب» (لو١٥: ١٠)، كما كُتِب أيضا: «إني لا أسر بموت الشرير بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا» (حز٣٣: ١١)، لأنّ ربنا يسوع المسيح عندما أخذ الجسد (أي تجسد) وحمل آلامه طواعيةً قال أيضا: «لم آتِ لأدعو أبرارا بل خطاةً إلى التوبة» (لو٥: ٣٢)".

٣٢- قال أبا إيفاجريوس: "ذهبت لمقابلة أنبا مقار وقلت له: 'قُلْ لي كلاما لكي أحيا'. فقال لي: 'إذا قلت لك هل تسمعه وتعمل به'؟ فقلت له: 'إنّ إيماني ومحبتي لا

تخفيان عليك'. فقال لي أنبا مقار: 'في الحقيقة إننا حتى لو كنا صالحين فنحن معوزون إلى ذاك الذي هو زينة الفضيلة. والآن إذا لفظت فلسفة هذا العالم الباطلة بعيدا عنك ولبست اتضاع العشار (لو١٨: ١٣) فستحيا'".

"ولما قال لي هذا تلاشت كل أفكاري، ولما صنعت مطانية أمامه صلى علي وصرفني، فذهبت وأنا أدين نفسي في قلبي قائلاً: 'إنّ أفكاري لم تخف على أنبا مقار رجل الله. وكل مرةٍ كنت أتلاقى فيها معه كنت أرتعب من قدرته التي جعلتني مكشوفًا لديه (أي أنه كان يقرأ أفكاره)، وهذا كان سببا يجعلني متضعا'".

٣٣ - قيل عن أنبا مقار إنه بينما كان مرةً ذاهبا إلى مصر مع الإخوة، سمع واحدا ينوح قائلاً: "إذا سقط علي مبنى من حجارة لا أموت، ولكن إذا سقط علي كوخ من بوص فإني أموت". فتعجب الشيخ من هذا الحديث، ولما رآه الإخوة متعجبا ألقوا بأنفسهم على قدميه متوسلين إليه قائلين: "قُلْ لنا، يا أبانا، معنى هذا القول". فقال لهم: "يوجد سر عظيم في هذا القول يا أولادي، هنا الحجر يشبه بربنا يسوع المسيح كما هو مكتوب بخصوصه: «الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قِبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا» (مز١١٨: ٢٢و٢٣؛ مت٢١: ٤٢). وهذا هو أيضا الحجر الحقيقي الكثير الثمن الذي لأجله باع التاجر كل مشتهيات قلبه واشتراه (مت١٣: ٤٥و٤٦) ووضعه في خفايا قلبه، وقد وجده أحلى من العسل والشهد (مز١٩: ١٠): هذا هو ربنا يسوع المسيح، لأنّ الإنسان الذي يحفظ هذا الحجر في قلبه سيأخذ أجرا في مجد ربنا يسوع المسيح في ملكوت السموات الأبدي. وفي الحقيقة فإنّ ربنا يسوع المسيح قد جعل وجهه مثل حجر صلب حسب قول الرسول: «الصخرة كانت هي المسيح» (١كو١٠: ٤). وقد «بذل ظهره للضاربين، وخديه للناتفين، ووجهه لم يستر عن العار والبصق» (إش٥٠: ٦) لأجل خلاصنا نحن البشر. وإذ ضغط ربنا يسوع المسيح علينا بواسطة الأمراض بسبب عظم محبته لنا تبقى النفس في عدم الموت بسبب نقاوة القلب من الأوجاع".

"والشيطان من ناحيته عاجز مثل البوص، فإذا سقط على إنسان وسيطر عليه بطغيانه ولم ينتبه إليه الإنسان ولم يصرخ إلى صلاح الله، فعندما يسقط في أوجاع إبليس ينسحب روح الله من هذا الإنسان، وهكذا تموت النفس رغم أ ا تكون أيضا في الجسد بسبب السكْر بالأوجاع ونتانتها".

٣٤ - قال أنبا مقار الكبير: "كُن منتبها لاسم ربنا يسوع المسيح بقلبٍ نادمٍ، واجعله

يتدفّق من شفتيك، واجعله ينعكس إليك، ولا تحفره حسب الظاهر في ذهنك فقط، بل كُن متيقظًا عندما تطلبه قائلاً: 'يا ربي يسوع المسيح ارحمني'. وفي السكون سترى لاهوته يستريح فيك، وسيبدد ظلمات الأوجاع التي فيك، وسينقي الإنسان الباطن مثل نقاوة آدم لما كان في الفردوس، هذا الاسم المبارك الذي سماه القديس يوحنا الإنجيلي: «نور العالم» (يو٨: ١٢)، الحلاوة التي لا يشبع منها أحد و«خبز الحياة» الحقيقي (يو٦: ٣٥)".

٣٥- قال أنبا إيفاجريوس: "ذهبت لمقابلة أنبا مقار بينما كانت تعصف بي الأفكار وأوجاع الجسد، وقلت له: 'يا أبي، قُلْ لي كلمةً أحيا بها'. فقال لي: 'اربط حبل الشراع في الوتد، وبواسطة نعمة ربنا يسوع المسيح ستعبر السفينة على الأمواج الشيطانية، فأمواج هذا البحر مخيبةً للآمال والظلمة المدلهمة التي لهذا العالم الباطل'".

"فقلت له: 'ما هي السفينة؟ وما هو الحبل؟ وما هو الوتد'؟ فقال لي: 'القارب هو قلبك فاسهر عليه، والحبل هو ذهنك فاربطه بربنا يسوع المسيح الذي هو الوتد الذي له السلطان على كل الأمواج الشيطانية التي تحارب القديسين. أليس من السهل أن نقول في كل نفَسٍ نتنفّسه: [يا ربي يسوع المسيح ارحمني، أنا أباركك يا ربي يسوع المسيح أعني]؟ وبينما تقاوم السمكة أيضا الموجة فستمسك دون أن تدري، ونحن أيضا إذا كنا مثابرين على هذا الاسم المخلص الذي لربنا يسوع المسيح فإنه سيمسك الشيطان من منخاريه «يثقَب أنفه بخزامةٍ» (أي٤٠: ٢٤) بسبب ما فعله بنا، ونحن الضعفاء سنعرف أنّ المعونة تأتينا من ربنا يسوع المسيح'".

٣٦- مرةً سرد أنبا مقار القصة التالية عندما كان الإخوة يسألونه عن الصدقة، إذ قال لهم الشيخ: "كان هناك قاضٍ قاسي القلب في إحدى المدن، وفي سنةٍ ما حدثت مجاعة في تلك المدينة حتى إنّ الناس كانوا يستسلمون للموت، فذهب إنسانٌ لمقابلة القاضي ليطلب منه خبزا لأنّ الجوع قد أضناه. وبسبب لجاجته - فضلاً عن متاعبه الكثيرة وتعنيفاته بطرقٍ عديدة - أعطاه هذا القاضي القاسي الخبز بضيقٍ شديد. وكان هذا هو يوم تذكار نياحة القديسة مريم والدة الإله التي ولدت لنا ربنا يسوع المسيح، ففي نفس هذه الليلة رقد أيضا القاضي القاسي واختطِفَت نفسه من جسده فجأةً واقتيدت لكي تهوي في العذابات القاسية وتعاقَب، وبينما كانوا يقتادونها جاء صوت من ذاك الذي عنده كنوز عديدة من الرحمة الشفوق الوحيد ربنا يسوع المسيح إلهنا الحقيقي، ذاك الذي يغفر الخطايا ويصفح عن الآثام قائلاً: 'أرجِعوا هذه النفس إلى جسدها بسبب الخبز الذي أعطاه لذاك الذي كان يضنيه

الجوع وخصوصا بسبب يوم ذكرى رقاد والدتي العذراء مريم‘“!

”وحدث أنه لما أقيم من الموت تذكّر الصوت الذي سمعه عندما كان يقتاد إلى العذابات، وقال: ’إذا كان لأجل الرغيف الواحد الذي أعطيته بغضبٍ وبضيقٍ شديدٍ أرجعني ربي يسوع المسيح من العذابات القاسية، فكم بالأكثر لو كنت فرقت كلّ ما لي من غِنى كنت سأنتفع‘؟ وهكذا فرق بسعةٍ، وحتى جسده باعه في عبوديةٍ (أي باع نفسه عبدا)، وذلك لكي يعطي ثمنه للفقراء والعاجزين. ولما رأى البطريرك التحول الذي طرأ عليه استدعاه إلى رتبةٍ كنسيةٍ مقدسةٍ حتى إنه صار مستحقًا للأسقفية، وقام بالخدمة ممجدا ربنا يسوع المسيح“.

٣٧ - قال أنبا مكاريوس: ”ذهبت لزيارة شيخ كان راقدا في مرضـه، وكانـت للشيخ معزة خاصة للاسم المخلص والمبارك الذي لربنا يسوع المسيح. ولما سـألته عـن سلامته قال لي بفرحٍ: ’كلّما أستمر على غذاء الحياة الحلو هذا، أي الاسم المقدس الذي لربنا يسوع المسيح، فإنني أُختطَف بحلاوة الرقاد، فقد رأيت في رؤيا الملك المسيح علـى غرار إنسانٍ ناصري وقال لي ثلاث مرات: [اُنظر اُنظر إنني أنا هو وليس آخر سواي]، ثم استيقظت بانتفاضةٍ في فرحٍ عظيمٍ حتى إنني نسيت الألم‘“.

٣٨ - قيل إنّ أخا كان في **دير،** وإنّ أخا آخر كان ساكنا معه في الدير، فسرق بعض أشياء من عند مدبر الدير، وبعد أن وضعها في كيسٍ عهد ا للأخ الآخر الذي لم يكن يعرف أ ا أشياء مسروقة، ولكن الأخ صدق أ ا تخصه. وبعد وقتٍ قصير وجدوا أنّ هذه الأشياء مفقودة، فبحثوا في كل قلالي الإخوة، ولما دخلوا قلاية الأخ الذي اؤتمِن على هذه الأشياء بحثوا فيها، ولما وجدوها ألقى الأخ بنفسه في الحال على الأرض وصنع ميطانية قائلاً: ”إ م ضحكوا علي، لقد أخطأت فاغفروا لي“. ثم إنّ الأخ الذي كان قد سرق الأشياء صب شتائم كثيرة على الأخ الذي في القلاية التي وجِدت فيها الأشياء، وضربه على وجهه راغبا في طرده من الدير، وفي كل هذا لم ينفِ الأخ عن نفسه شيئًا، ولكنه اتضع أيضا أمامه قائلاً: ”أخطأت، اغفر لي“.

وصار هذا الأخ مكروها من أب الدير ومن كل الإخوة الساكنين في الدير، وأبغضه بصفةٍ خاصة الأخ الذي سرق الأشياء وجعله مخزيا كل الوقت وسماه سارقًا أمام الإخوة.

وبعد أن أمضى سنتين في هذا الدير محتملاً هذا الخزي العظيم كشف الله الأمر لأنبا مقار الأسقيطي، فذهب أنبا مقار إلى مصر لكي يرى الأخ، ولما اقترب من الدير تجمع جميع

الإخوة ومعهم أغصان الشجر لكي يستقبلوا ا أنبا مقار ويسيروا ا أمامه. فقال الأخ: "ليس لي وجه أن أمسك غصنا وأذهب لملاقاة الشيخ لأنني مملوءٌ خزيا كما ترونني"!

ولما خرج الإخوة لملاقاة أنبا مقار عانقهم واحدا واحدا، وإذ لم ير الأخ سأل أين يوجد، فأخبره الإخوة عن سبب خزيه الذي من أجله لم يأتِ لاستقباله، ولما سمع أنبا مقار ذلك ابتسم ودخل الدير. وذهب الأخ لاستقباله باتضاعٍ وصنع ميطانية للشيخ، كما صنع أنبا مقار ميطانية أيضا للأخ، ومد كل واحدٍ يده للآخر. وقال أنبا مقار للإخوة: "لا أنا ولا أنتم نستحق كرامة مثل هذا، لأنه لم يحتمل الخزي العظيم فحسب، بل إنه أيضا حتى خطية أخيه حملها فوق رأسه"! ثم أرجع أنبا مقار الأخ إلى مكانه، أما الأخ السارق الحقيقي فقد هرب بجلده وبارح الدير ولم يرجع إليه!

٣٩ - قال أنبا مقار: "إذا كان الخزي عندك مثل الكرامة، والفقر مثل الغِنى، والخسارة مثل المكسب، والضيق مثل الفرح، وأمور الجسد كمثل الأمور الغريبة، فبالتأكيد إنك لن تموت بل ستحيا. راقب ضميرك مع قريبك وتمسك بالابتعاد عن المتكبر".

٤٠ - وقال أيضا: "أتوسل إليكم يا إخوتي الذين ترغبون في خلاصكم ونجاة نفوسكم أن لا تؤجلوا يوما فيوما، ولا تجعلوا هذه المماطلات تبعِدكم عن نِعم الله".

٤١ - كما قال أيضا: "إنّ الطريق الذي يؤدي إلى جهنم أحيانا يؤدي إليه الصوم، وتارةً يؤدي إليه التأمل، وأحيانا تؤدي إليه الرحمة، وتارةً يؤدي إليه النسك". فقال له الإخوة: "والاتضاع أيضا يؤدي إليه يا أبانا"؟ ولكنه قال: "إنّ الاتضاع الحقيقي ليس هو أن يقال بالفم فقط: 'اغفر لي'، فطريق الله هو قلب يطرح عنه إرادته في كل شيء يجتذبه إليه، بل هو ذاك الذي يفكر في إعداد نفسه، والذي لا يرتد إلى الوراء بالتهاون قبل أن تغلَق أبواب الساحة العامة عندما لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع، فلا يقولون: 'افتحوا للعذارى الجاهلات اللواتي يصرخن باكياتٍ وقارعاتٍ على الباب'، إنهن جعلنهم يغلقون الباب بسبب توانيهن (مت٢٥: ١٠و١١). وعلى ذلك، فاسهروا بكل تيقظٍ سواء كنتم جالسين في القلاية أو كنتم في وسط الناس".

٤٢ - وقال أيضا: "ليكن نصف الليل كافيا لخدمتك (أي خدمة الصلاة والتسبيح)، وفي النصف الآخر اعطِ لجسدك راحة".

٤٣ - وقال أيضا: "الصوم الطبيعي هو الصوم حتى الساعة التاسعة (أي الثالثة بعد الظهر)، ومن يفعل أكثر من ذلك سيأخذ أجرا أكثر".

٤٤ - وقال أيضا أبونا البار أنبا مقار الكبير: "إنّ أعمال كل منا كلها مكتوبة سواء كانت خدمة أو صلاة زائدة يقدمها أي واحدٍ أو ميطانيات زائدة، بل حتى الدمعة الزائدة أو صوما زائدا أو كلمة طيبة يقولها الإنسان لأخيه، أو أي عملٍ صغير جدا يعمله الواحد لأجل الله، وحتى العمل اليدوي فكله مكتوب لنا كل يوم".

"يا أولادي، إنّ مخلصنا لن ينسى لكم شيئًا، فكل هذه الأتعاب التي يلزم كل واحدٍ ا نفسه ستصير معروفةً لكم في لحظة مفارقتكم للجسد. فجاهدوا، يا أولادي، ولا تتطلّعوا إلى عامة الناس الذين يأكلون ويشـربون وينامون دون أن تبكتهم ضمائرهم، ولا تقولوا: لعل الذين يقاسون الألم كالذين لا يقاسون. كلاّ، يا أولادي، حصنوا أنفسكم في إيمانكم الموروث، لأنه حتى أي عملٍ صغير في الفضيلة يعمله أي واحدٍ، أو إذا غصب نفسه في أكله، كل الأعمال المتعِبة التي تعملو ا بزيادةٍ فستجدو ا كلها مسجلةً لكم في الدهر الآتي. أسرعوا، إذن يا أولادي، نحو التعب وأحبوه لأنه سيكون حلوا جدا لكم بالاتضاع الكثير للقلب".

٤٥ - قال أنبا مقار الكبير: "يجب على من يهجر العالم ويدخل في الحياة الرهبانية أن يتذكّر أقوال الرسول القديس الذي أحصى فروع الشر، متكلما هكذا كمن يؤنب الساقطين قائلاً: «وإذ تحولوا عن طريق الفضيلة، وإذ تعروا من نعمة الروح القدس، فقد نزلوا إلى الحضيض، مملوئين من كل شـر وخبثٍ وقساوة، مملوئين حقدا وقتلاً، محبين للخصام» (رو١: ٢٨و٢٩ حسب النص)، وبقية المكتوب في هذا الفصـل. وينهي الرسول كلامه هذا قائلاً: «الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت» (رو١: ٣٢)".

"لذلك أتوسل إليكم، يا أولادي الأحباء في الرب، أن تراقبوا ألسنتكم لتتجنب الافتراء وكل فكر نعتبره غريبا عن الملك المسيح حتى لا تجعلوا الشيطان والأرواح النجسة مرافقةً لكم، لأنّ الشيطان يفرح أيضا، يا أولادي، بالذين يقعون في يديه، ولكن لي ثقةٌ أنّ حماية الله ستحفظكم من هذه الفخاخ".

٤٦ - قال أنبا مكاري الكبير: "هذا ما يجب أن يعمله الراهب الذي يمكث في قلاية: يجمع عقله بعيدا عن كل اهتمامات العالم، ولا يدعه يجول في أباطيل هذا الدهر، ويجب أن يركزه نحو هدفٍ وحيدٍ مجتهدا باستمرار أن يجعله في الله وحده ماكثًا فيه في كل ساعةٍ بدون تشتتٍ، ودون أن يسمح إطلاقًا لأي شيءٍ أرضي أن يزعج قلبه، ولا التفكير في أشياء جسدية، ولا الاهتمام بوالديه أو أي عزاء من أهله، بل يكون في نفسه وكل حواسه كأنه في حضرة الله لكي يتمم بذلك قول الرسول: «لتكن العذراء (أو غير

المتزوجة) ملتصقة بالرب ... دون أدنى تشتت» (أنظر ١كو٧: ٣٤و٣٥)".

٤٧ - وقال أيضا: "طقس الرهبان يشبه طقس الملائكة، فكما أنّ الملائكة يمكثون في حضرة الرب في كل وقت ولا يعوقهم أي شيءٍ أرضي عن المكوث في حضرته؛ هكذا أيضا الراهب ينبغي أن يكون طوال حياته. فهو في سعيه يتمم قول مخلصنا الذي أوصى أنّ كل واحدٍ يجحد ذاته ويحمل صليبه ويتبعه (مت١٦: ٢٤). هكذا أنتم أيضا اغصبوا أنفسكم قليلاً، يا إخوتي الأحباء، حتى تقتنوا الفضيلة وحدها، لأنه مكتوب: «ملكوت السموات هو للذين يغتصبونه» (مت١١: ١٢ حسب النص)".

٤٨ - وقال أيضا: "هذا ما يجب على الراهب: أن يكون نقيا من كل هوى للطبيعة البشرية ومن كل النجاسات، ولا يسمح لكل أفكاره أن تنـزل إلى مستوى الأفكار الرديئة، بل يكون حارا كل حينٍ في الروح (رو١٢: ١١)".

٤٩ - وقال أيضا: "غريب عن الراهب أن يعمل شيئًا بغضبٍ، وغريب عنه أيضا أن يحزن أخاه مهما كان".

٥٠- قال أنبا مكاري الكبير: "يأتي وقت يحدث فيه أنّ آلاما كثيرة تنتظر الذين يعيشون في النسك حتى إنهم ينسون الزهد والنسـك ويسود عليهم سلطان ذلك الزمان". فسأله الإخوة: "ماذا تعني بالسلطان"؟ فقال لهم: "إنه ذرية الإسماعيليين الذين هم منحدرون من صلب عيسو، أما ملكنا وسلطاننا نحن فهو ربنا يسوع المسيح منبع الفضيلة مع نقاوة النفس والجسد، وملك الأرض يستمد قوته من الملك السماوي: المسيح الإله الحقيقي".

"والملك الأرضي من ناحيته يحب الذهب والفضة ويحب المسرات كما تشتهي الفرسان إناثها. إنه يحب الترف، ويحيط نفسه بالنساء والفرسان مثل الآلهة. إنه في كل شئونه يحب أن يحقق رغبته. إنه يطمح ويأمل في الأشياء الأرضية، لأنه يظن أنها ستكون في حوزته حتى في الدهر الآتي بسبب المسـرات العديدة التي يجدها لنفسه، وأنه سيبسط سلطانه على الأرض بأكملها بتشامخٍ. إنه يسلك بالظلم كطاغيةٍ في وسط الأرض. إنه سيثقل الأرض بقيودٍ من حديدٍ في عذابات عديدة وفي سجونٍ، وهذا ليس بإرادة الملك المسيح".

فسأله الإخوة: "ماذا سيفعل هذا الملك بالآباء في ذلك الزمان"؟ فأجابهم: "إنهم سيكونون مثقّلين جدا لدرجة أنهم سيضعفون حتى ينسوا الحياة الملائكية بمحبتهم للفضة. وربنا يسوع المسيح سيصبر عليهم مقدرا لعزيمتهم. إنهم سيصيرون مفلحين متعاونين

مشتركين معا في أعمالٍ يدوية متعددة، وستزداد التجارة عندهم كما هي عند الدنيويين، وبحجة الضريبة سيبحثون عن الأمور الجسدانية وينسون الهدوء. إنّ هؤلاء الذين سيوجدون - من بين آباء ذلك الزمان - أنقياء من جهة التطرف في الأكل والشرب الذي يزداد بسبب كثرة التراخي، الذين سيحافظون على أجسادهم من زنى العالم ومحبة الفضة ولا يدينون من يسقط بينهم، هؤلاء سيكونون مطوبين بالقرب من المسيح ملك ا ـد، هؤلاء هم أبناء الموعد والوارثون للحياة الأبدية، إ ـم يظهرون أمام الملك المسيح بثقةٍ عظيمةٍ".

٥١ - وقال أيضا أنبا مقار: "ويلٌ للنفس التي ليست لها عادة أن تصلي وتتوسل إلى الرب أن يرتاح فيها وينقيها من كل خطأ ومن كل نجاسة، ويحفظها حرة من الحيوانات والزحافات التي هي أرواح الخبث التي على هيئة حيوانات صغيرة، ومن الذباب الذي يطير أثناء الليل وإذا رأى من بعيدٍ نورا أو مصباحا مضيئًا يذهب إليه بنفسه، وإذا اقترب من اللهـب يحترق به. هكذا يكون الراهب الذي يجذب إليه كل هذه الأمور بإرادته واختياره، فهو سيوجد معرضا للنار الأبدية".

٥٢ - وقال أنبا مقار أيضا: "مثل عصا هارون التي أنبتت براعم في ليلةٍ واحدةٍ وأعطت ثمرة (عد١٧: ٢٣)؛ هكذا تكون نفس الراهب بمجيء الرب إليها، فهي تنبت براعم روحية لحساب المسيح، وتنتج ثمار الروح لكي تعطيها لذاك الذي خلقها، للمسيح ملكها الصالح، الإله الحقيقي المبارك".

٥٣ - وقال أيضا أنبا مكاريوس: "إذا شرع الإنسان في معرفة نفسه والبحث عـن الله، وإذا تاب عما فعله في زمن توانيه، فإنّ الله يعطيه حزن القلب على ما فعله. ثم برحمته يمنحه أن يتألّم بجسده من الأصوام والصلوات والأسهار العديدة، واحتقار الماديات، واحتمال المحقـرة، وبغضة الراحة الجسدية، ومحبة الدموع أكثر من الضحك، والتخلي عن الأقارب الجسدانيين".

٥٤ - قيل عن أنبا مقار إنه بينما كان يقضي يوما في مصر (نواحي القاهرة الآن)، وصل إلى بيدر ورأى كومةً من القمح المنقى الذي كان صاحب الأرض يعطيه أجرا للعمال. وأراد الشيخ أن يمتحن المزارع وأن يخرج من فمه قولاً عن التدريب في هذا العمل، فقال له: "يا أبي، اصنع معي أنا أيضا صدقةً بقليلٍ من القمح". فقال له المزارع: "إذا عملت فسأعطيك أجرا، لأنّ من يعمل يعطَى له أجره". فقال الشيخ: "إذًا فالذي يعمل يأخذ أجرا"! فقال المزارع: "نعم، إنّ الأمر هكذا، من يعمل يأخذ أجرا". فقال الشيخ: "لقد أردت أن أسمع هذا القول من فمك".

ولما ابتعد عنه لطم على وجهه بكلتا يديه قائلاً: "الويل لك يا مقاره لأ م رفضوا أن يعطوك أجرا لأنك لم تعمل العمل الجسدي الذي لهذا العالم، ففي الحقيقة إنه مكتوب: «اِجتهد أن تقيم نفسك كعاملٍ لا يخزى، عاملٍ مزكى في عمل سيده» (٢تي٢: ١٥ حسب النص). ولكن الويل لك يا مقارة إذا لم تحصل على هذا الصلاح من رب الكرم الذي يقول: «أُدع الفعلة وأعطهم أجرهم، للآخِرين وللأولين، لكل منهم دينارا» (مت٢٠: ٨-١١ حسب النص)، وأيضا: «أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمةٍ بل على سبيل دينٍ» (رو٤: ٤)".

وهكذا سار الشيخ الطوباوي مغموما باكيا متأوها!

٥٥ - وقال أنبا مكاري: "كما أنّ النجار يجعل المنحني مستقيما والمستقيم منحنيا (حسب الحاجة)؛ هكذا التوبة التي يلزمنا ا ربنا يسوع المسيح، فهي تجعل ما كان معوجا أو ممرغًا في طين الخطية مستقيما من جديد وترجعه نقيا مثل العذارى في حضرة ربنا يسوع المسيح. فإذا تغير الإنسان وصنع توبةً فهو بطهارته يأخذ الرداء الملائكي الذي في السموات".

٥٦ - قال أنبا مقار الكبير: "إذا لم توجد آثار أصابع يد المعلم والمدبر محفورةً على خد ذاك الذي هو تحت طاعته مع صبر عظيمٍ وبدون تذمر؛ فلا يمكن للتلميذ أن ينال إكليل وأجر الابن الكامل ولا كرامة تلاميذ ربنا يسوع المسيح، لأنّ المعلم قد أخذ صورة وشبه الراعي الحقيقي، المعلم الحقيقي، ذاك الذي جعل علامات اللطمات والمسامير والحربة تحفَر في جسده كشهادة ولعنة على اليهود، وهذا كان يحتمله بإرادته بوداعةٍ عظيمةٍ. وهكذا أيضا الذين سلمت إليهم رعاية من هم تحت طاعتهم إن لم تكن لهم هذه الوداعة وهذه العذوبة فلا يمكن لهم أن يلدوا أولادا روحيين على مثال إيليا الذي ولد إليشع (١مل١٩: ١٩-٢١)، وعلى مثال بولس الذي ولد تيموثاوس (١تي١: ٢) وأنسيموس (فل١٠)".

٥٧ - قال أبا بفنوتيوس التلميذ الحقيقي لأنبا مقار: "ظهرت للشيخ مرةً رؤية بخصوص أحد النوتية الذي كان فاضلاً، ولكن بسبب حجاب الظلمات الذي كان مخيما على قلب هذا النوتي، وبسبب الحِمل الذي كان عليه النهار كله، لم يتعرف عليه عندما رآه. ولما ذهب الشيخ إلى النهر ورأى النوتي شـعر أنه لم يكن عنده شعور بالله. ولما اندهش من نظراته ومن قساوة مظهره أخذ يتفكّر في فقره الروحي. ولما انتهى اليوم ذهب النوتي إلى بيته".

"وقال أنبا مقار: 'وأنا أيضا تبعته، وعندما اقتربنا من بيته جلسنا، ولكنني لم ألاحظ إطلاقًا ما كان قد كشفه لي الله، إلاّ أنّ سبعة أولاد دخلوا. ثم سألته عن الفضيلة وعن عمله، فقال لي: 'الفضيلة هي الشكر'، لأنّ الله كان قد أخفى الأمر عني لأجل منفعته، ولما رأيت عدم فهمه طلبت إلى الله أن يفتح قلبه، فاستجاب لي الرب بسرعةٍ وفتح حواس الرجل وفهمه وجعل فيه مخافةً، فتنهد وسالت دموعه على الأرض، ثم تعجبت من حالة التعزية التي وجِد فيها بعد ذلك إذ قال لي: 'الآن فتح الله قلبي وفهمي لكي أعرف ما وجدت نفسي فيه كل هذا الزمان وما أخفاه الله عني لأجل منفعة نفسي وجسدي. لقد حدث لنا أنا وزوجتي عندما زوجني الله ا كعادة أهل العالم، ودون أن نقترب من بعضنا البعض، أن تعهد كل منا أمام الله أن نحفظ طهارتنا حتى رحيلنا من هذا العالم. وحتى هذا اليوم لم أعرف مرقد زوجتي ولا هي تعرفني، وأنا لم أعرف هؤلاء الأولاد لمَن هم ولا من أين أتت م، وبنعمة الله لم أقُلْ لها إطلاقًا أي كلمةٍ مخجِلة، وها أنا أحتمل الثلج والحرارة المحرقة لكي أعول هؤلاء السبعة أولاد وأمهم غير مدركٍ للنعمة التي صنعها معي ربي يسوع المسيح'.

'ولما قال ذلك ارتميت على عنقه وقبلته، ثم تركته ممجدا ربنا يسوع المسيح لأجل النعم الكثيرة التي صنعها معهم ومع البشر لأجل خلاص نفوسهم لكي ننال على كل حالٍ الحياة الأبدية التي لملكوت السموات بمراحمه الكثيرة'".

٥٨ - قال أنبا مكاري الكبير: "إذا اقتربت من الصلاة فانتبه لنفسك بحزمٍ لكي لا تسلم أوانيك لأيدي الأعداء، لأ م يشتهون أن ينتزعوا أوانيك التي هي أفكار النفس، إ ا هي الأواني ا يدة التي ا تخدم الله، لأنّ الله لا يطلب منك أن تمجده بشفتيك فقط بينما أفكارك شاردة ومتجولة في العالم كله، ولكنه يريد أنّ النفس وكل أفكارها تظلّ شاخصةً في الرب بدون انقطاع بما أنه هو الطبيـب العظيم الذي يشفي النفوس والأجساد ربنا يسوع المسيح، فلنطلب إليه أن يشفي أمراض نفوسنا وينير أذهاننا وحواس قلوبنا لكي ندرك حبه العظيم للبشر ونزوله إلى العالم لأجلنا والخيرات التي يصنعها لنا يوما فيوما والتي لا نستحقها، لأنه هو سيدنا ومخلصنا ربنا يسوع المسيح".

٥٩ - سأل أخٌ أنبا مقار عن الحياة النسكية، فأجابه الشيخ: "إذا أردت أن توجد في الحياة التوحدية فاصبر لها في كل شيءٍ موافقٍ، لا تقض يوما في الداخل ويوما في الخارج، بل اصبر لها، والله ونعمته سيسكنان فيك. ولا تحتفظ بالأفكار البشرية المخجِلة. لا تدع أي

عذر يجعلك تضيع يوما واحدا إلاّ من أجل أخٍ لك مسكين أو من أجل واحدٍ يوجد في ضرورةٍ أو في شدةٍ، ولكن إذا أعفاك الله من الاهتمام بذاك المحتاج بواسطة أحد أولاده فاذهب أنت إلى مسكنك واحتمل مسكنتك، وذلك لكي تستقر فيك حلاوة الوحدة".

"لا تتأخر في الخارج حتى لا ب عليك الريح اللافحة، ولكي لا تتجدد عليك أوجاعك، وحتى لا تجد نفسك في كل مرةٍ تقاسي حتى يصير ماءك صافيا (أي قلبك نقيا)، بل امكث في قلايتك، واحتمل مسكنتك، وهكذا تأتيك التعزية مع فرح الرب و جته".

"لا ترتبط بصداقةٍ مع أي إنسانٍ إلاّ مع إخوتك الفقراء، لا تسرع نحو أي إنسان لكي يعمل لك خيرا، بل أسـ رع إلى الله وحده واهتم بخدمته، إنه هو الذي يضمك في أحشاء أبوته. أما أنت فاحترس من الدالّة مع الناس ولا تكن دالّتك كلها إلاّ بينك وبين الله. لا تسرع نحو أي إنسانٍ لكي تستمتع بالراحة في دالّتك معه، لا تكن لك دالّة على مسكنه، ولا تمكث عنده دون أن تتلقّى أمرا بذلك حتى لا تكون ثقيلاً عليه. يا أخي، إذا أردت أن تكون في راحةٍ كل حياتك، وأن تكون أفكارك متحدةً بالله كل ساعةٍ، احترس من الدالّة مع الناس. إذا أتى إليك أخوك حسب الجسد ولم ترد أنت أن تصده، فخذه وسلمه ليدي أخٍ آخر حيث يجد في قلوب الإخوة راحةً له لأ ا قلوب مخلصةٌ، أما أنت فامكث في مسكنك حتى لا تفقد كنوز غناك".

"يوجد في العهد القديم أربعة رجال كان يمتاز كل منهم بخصلةٍ أساسيةٍ:

الأول: إبراهيم الذي كان بابه مفتوحا للكل، وكان خادما لكل صورة الله: كان يخدم الغرباء، وهكذا غسل أرجل سيده وملائكته (تك١٨: ١-٥)، فخصه بمواعيده في الساعة التي ظهر له فيها. لقد أقام عهده معه، وصار بسلوكه مثالاً واضحا في الكنيسة للسير نحو الله.

والثاني: موسى الذي قاد الشعب في البرية (خر١٥: ٢٢)، فقد كلّمه الله فما لفم (خر٣٣: ١١)، وكان أيضا مثالاً في قيادته.

والثالث: لعازر الذي كان وهو مريض شاكرا الله في مرضه، متحملاً بصبر في ألمه وضيقه، وكان يرى الأصحاء في هذه الحياة يأكلون ويشربون أمامه، وأغنياء هذا الدهر الذين لم يشفقوا عليه يوما واحدا. وكان شاكرا في بساطة قلبه وبراءته وخضوعه، لأنّ ربنا شهد له أنه كان كاملاً في حياته وأنه كان مثالاً (لو١٦: ٢٠-٢٢).

والرابع: إيليا الذي كان في فقره يوجد في البرية بلا هم وكان الله يخدمه (١مل١٧:

٣-٦)، إنه كان قدوةً في حياته“.

”والآن إذن، يا أخي، إذا أردت أنت أيضا أن تكون في أفضل حالٍ من الزهد والمسكنة، فكُن مسكينا متضعا ملقيا همّك على الله، معتكفًا في قلايتك، محتملاً لمسكنتك، منقيا أفكارك من جهة كل صورة الله. إنني لا أستطيع أن أقول لك عما سيكون من مجد هذه الوحدة، فالرب وحده يعرف مجد هذه الفضيلة، ومع ذلك فالرحمة تخص ربنا يسوع المسيح الذي يستخدمها نحونا بسبب كثرة حلمـه“.

٦٠ - قيل عن أنبا مقار إنّ أخا ذهب لمقابلته يوما ما وقال له: ”يا أبي، إنّ أفكاري تقول لي: قم افتقد المرضى لأنّ هذه وصية عظيمة“. فقال له أنبا مقار: ”إنّ كلمة النبوة لا تتغير، لأنه يقول: «جيد للرجل أن يحمل النير منذ صباه ويجلس وحده صامتا» (مرا ٣: ٢٧و٢٨). أما قول الفم غير الكاذب الذي لربنا يسوع المسيح: «كنت مريضا فزرتموني» (مت٢٥: ٣٦)، فقد قاله لعامة الناس. ولكنني أقول لك، يا ابني، إنّ المكوث في القلاية أفضل لك جدا من افتقاد المرضى، لأنه سيأتي وقت فيما بعد يستهزئون فيه بالذين يظلّون في قلاليهم، ويتممون قول أنبا أنطونيوس: [إذا رأوا أحدا ليس مجنونا يقفون ضده قائلين: إنك مجنونٌ، لأنه لا يشبههم]“.

”أقول لك، يا ابني، لو لم يبتعد موسى من مخالطة الناس ومحادثتهم ويدخل في السحاب وحده؛ لما كان قد أُعطي لوحي الشريعة المكتوبين بأصبع الله لأجل ا ـد (خر٢٤: ١٢-١٨)“.

٦١ - قال أنبا بامو: ”عزمت في قلبي مرةً أن أذهب وأقبل يدي أنبا مكاري اللابس الروح وأنا لا زلت في الجسد، ولما وصلت نحو الجنوب عند مغارة أنبا موسى الأسود وجدت أنبا بيمين وأنبا إيفاجريوس وأنبا كرونيوس وأخوين آخرين معهم في مسكن أنبا موسى، ووجدت أنّ عندهم نفس الفكر الذي كان عندي والذي لأجله حضرت. وبينما نحن في طريقنا غربت الشمس، ثم حدثت بروق ورعود وزوبعةٌ وعواصف عنيفة جدا كانت على وشك أن تمنعنا من التمتع بالحصول على بركة هذا القديس اللابس الروح أنبا مكاري الكبير. ثم قال واحد منا: ’أيها الروح القدس المعزي الساكن في أنبا مكاري، اِصنع لأجلنا معجزة وأوصلنا بسلامٍ إلى مسكنه“.

”ثم توقّفنا نحن السبعة وصلّينا، وكانت هناك علامةٌ أمام صخرة أنبا مكاري، ورأينا مثل عمودٍ من نار منصوبا عليها وهو مضيءٌ لامع جدا ومرفوع حتى السماء، وبقدر ما

سِرنا كان العمود يهبط لأجلنا قليلاً قليلاً، وحالما وصلنا إلى صخرة القديس أنبا مكاري أظلم العمود ورأينا في مسكن القديس مثل نار ملتهبة. وحالما قرعنا الباب خرج القديس، ولما رأينا بريق وجهه انطرحنا على الأرض وقبلنا قدميه المباركتين، ولما نهضنا احتضننا".

"ولما صلّينا جلسنا وتكلمنا عن مجد النمو الروحي نحو الله وأيضا عن حياة الفضيلة، وعن استقامة الحياة العملية التي كانت في الأسقيط، ثم قال أنبا مكاري: 'يا إخوتي، إنّ واحدا منكم أنتم السبعة سيموت في معركة الاستشهاد وسيموت معه أيضا سبعة إخوة آخرين'. فقال أنبا موسى: 'إنك تقصدني أنا يا أبي لكي يتم في قول المخلص: «كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت٢٦: ٥٢)، هذا هو الرجاء الذي أنتظره'"!

"ثم انطرحنا على الأرض وطلبنا بركـة القديس، فصلى الشيخ علينا، ثم أطلقنا فانصرفنا ونحن نمجد الله لأجل الكلام الذي قيل لنا ولأجل المنظر الذي رأيناه، وقد امتلأنا غيرةً لأجل النعم الفائقة التي أعطاها الله لقديسيه".

٦٢ - سقط أخٌ في **خطيةٍ،** وذهب باكيا بدموعٍ كثيرةٍ إلى أنبا مكاري قائلاً: "صل لأجلي، يا أبي، لأنني سقطت في خطيةٍ، لقد سقطت في ما أخبرتني عنه من قبل". فقال له القديس: "تشجع، يا ابني، اِمسك بذاك الأزلي الأبدي السرمدي، إنه هو معونة الذين ليس لهم رجاءٌ إلاّ فيه فقط، الاسم الحلو في فم كل واحدٍ، الحلاوة الوحيدة، الحياة الكاملة، هذا الذي عنده كنوز عديدة من المراحم، ربنا يسوع المسيح إلهنا الحقيقي، الذي هو قوتك ومعونتك، الذي يغفر لك".

"يا ابني، إنني أقول لك: إذا سقطَت عذراء في خطيةٍ وتحفّظَت من السلوك الخارجي المشين، أقول لك، إنه بسبب حيائها والشتائم التي يوجهو ا إليها والتي تقبلها بفرحٍ، فإنّ المسيح يسر بسببها كما يسر بعذراءٍ طاهرة. هكذا أنت أيضا يا ابني، إذ قد عرفت خزيك كما يقول الكتاب المقدس: «اِعترفوا بعضكم لبعض بالزلاّت وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا» (يع٥: ١٦)، لأنّ بطرس الرسول قال للرب: «كم مرة يخطئ إلي أخي وأنا أغفر له، هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات» (مت١٨: ٢١و٢٢)".

٦٣ - قال أنبا مكاري الكبير: "كما أنّ الربان هو الذي يوجه الدفّة ويظلّ مضطربا من أجل السفينة وحمولتها حتى يوصلها إلى الميناء؛ هكذا الأب الروحي الذي له أبناء ويحمل هم خلاصهم، لأنّ الربان لا يكون أبدا بدون هم لأجل السفينة، ولكنه يختبر

جوانبها لكي يرى أيها يسمح بمرور الماء فيه، أو الشقوق التي فيها حتى يسدها كلها خوفًا من أن تبتلَع السفينة من المياه و لمك".

"هكذا أيضا ذاك الذي هو أب لإخوةٍ يجب عليه أن يختبر كل الأوجاع وأفكار الشياطين الخاطئة التي تكون بينهم لكي يرى أي وجعٍ منها كلها يسمح بمرور ماءٍ رديءٍ في نفوسهم حتى يكونَ بلا هم (أو ملامةٍ) في ساعة الانطلاق من الجسد، ولئلاّ يوجد خطر ودينونةٌ عليه في حضرة الله إذا كان قد نسي امتحان الإخوة الذين معه حتى إ م غرقوا في البحر وفي الأمواج الطاغية المخادعة التي للشيطان عدو الزهد والتقشف".

٦٤ - قيل عن القديس مكاريوس إنّ شيروبيم كان يلازمه منذ اليوم الذي بدأ فيه حياته النسكية في البرية، وكان يشدده ويعطيه قوةً على احتمال النسك، وكان ينمو في ذلك كل يوم متقدما في التزين بالفضيلة حتى إنّ شهرته الحسنة عمت في ربوع الإمبراطورية الرومانية بأكملها ومناطق الشرق، لأنه في الحقيقة اجتذب إليه كل أحدٍ لأجل الحياة الإنجيلية العملية بسبب الرائحة العطرة لنسكياته السامية، حتى أنه انتزع جمهورا من الناس من الهلاك فنالوا الحياة الأبدية. وقد منحه ربنا يسوع المسيح موهبة رؤية خطايا الناس مثل زيتٍ موضوعٍ في إناءٍ من زجاجٍ، وكان يستر عليها كلها متشبها بالله.

٦٥ - قال أنبا بفنوتيوس التلميذ الحقيقي لأنبا مقار: "كُشِف مرةً للشيخ بخصوص أحد العمال أنه كان يعمل دون أن يتذمر، وأنه كان له صبر كثير مترجيا أجر الحياة الأبدية. فنهض بسرعةٍ وقال لي: 'قم اتبعني'. وحالما سرنا وصلنا إلى مكانٍ خالٍ من الناس عند النهر، ولما مكثنا جالسين دوءٍ اختطِف الشيخ في رؤيا، وكما لو كنت متأكدا أنه بنعمة ربنا يسوع المسيح ليس لدى أنبا مقار شيءٌ مستحيلٌ، قلت له بيقينٍ: 'يا أبي، أتسمح لي أن أقول لك شيئًا'؟ فقال لي: 'ما هو يا ابني'؟ فأجبته قائلاً: 'ارفع صلاة لكي نتمكّن من عبور النهر'. فأجابني بوجهٍ ممتلئ بالسرور وبفمٍ ممتلئ بالنعمة: 'هل نتشبه بربنا يسوع المسيح؟ هل نحصل على قوة بطرس أول الرسل (مت١٤: ٢٩)؟ أيمكننا أن نفلت من مجد الناس الباطل؟ إلى متى يمدحنا الناس'"؟

"ولما قال ذلك ظهر حيوانٌ مائي، فقال له القديس أنبا مقار: 'هل هذه هي إرادة ربنا يسوع المسيح أن تجعلنا نعبر النهر'؟ وحالما قال ذلك رسا الحيوان على الشاطئ، وحالما ركبنا عليه نقلنا إلى الشاطئ الآخر، ولما نزلنا على الشاطئ قال له أبي أنبا مقار: 'اِغطس نفسك واغمر رأسك (في الماء) وسيعطيك ربنا يسوع المسيح أجرك'. وحالما غطس ظهر

في الحال مرةً أخرى ومعه سمكة كبيرة، ولما رأيت هذه المعجزة العظيمة انطرحت تحت قدميه بخوفٍ عظيمٍ، ولكنه أقامني، ثم مشينا ممجدين ربنا يسوع المسيح".

"ولما اقتربنا من القرية جلسنا، وكان أبونا البار أنبا مقار يراقب المارة، وها قد رأى العامل الذي كان آتيا وهو لابس نعمة الاحتمال. فقال: 'هذا إناءٌ مختار ومكرم'. و ض أمامه واحتضنه وقال له: 'السلام معك يا أجير الساعة الحادية عشرة (مت٢٠: ٦)'. فأجاب الآخر: 'حسب إرادة ربي يسوع المسيح'. فقال له أنبا مكاري: 'كيف تعمل؟ ومن يعطيك أجرك'؟ فقال له العامل: 'إنني أعمل لأجل رئيس أرضي، والملك الذي في السموات يعطيني أجري'. فقال له أنبا مقار: 'هل أنت متأكد أنّ الأمر هو هكذا'؟ فقال العامل: 'إنني متأكد من قول رب الكرم'. فقال له القديس: 'كيف تقول ذلك'؟ فقال له العامل: 'إنه قال: «أُدع الفعلة وأعطهم أجرهم» (مت٢٠: ٨)'".

"وبعد أن تكلّمنا هكذا ركعنا وصلّينا، ثم ضنا ومشينا. وكان أبونا أنبا مقار حزينا وقال: 'الويل لك يا مقارة، لأنّ هذا هو ما أنا غير متأكد منه مثل هذا الفاعل الدنيوي، إن كان عملي هو حسب مشيئة ربي يسوع المسيح، أم أنني أنال أجرا أرضيا بدلاً من الذي من السموات'"!

"بعد ذلك رجعنا مرةً أخرى إلى النهر، فقال لي أبي القديس: 'لنفعل نحن أيضا يا ابني كما يفعل الناس'. ولما ركبنا في الزورق نقلنا إلى الغرب، وبعد أن مشينا قليلاً إلى الأمام قال لي: 'لنجلس يا ابني قليلاً'. وبعد أن جلسنا اختطِفنا وأنا لم أنتبه لنفسي إطلاقًا حتى وجدنا أنفسنا أمام المغارة. فقلت له: 'لقد وصلنا بسرعةٍ يا أبي'! فقال لي: 'فلنشكر ربنا يسوع المسيح لأنّ ذاك الذي اختطف حبقوق (دا ٤: ٣٥ في الأسفار المحذوفة) وفيلبس (أع٨: ٣٨ - ٤٠) هو الذي أوصلنا'"!

٦٦ - قال أنبا مكاري: "كنت جالسا مرةً في المغارة، فسمعت صوتا يصرخ مثل صوت باشق (طائر يشبه الصقر)، ولما خرجت رأيت تنينا كبيرا، فلما رآني طأطأ عنقه وسجد لي، ثم انتصب وأدار وجهه نحوي، ولما انتبهت إليه رأيت قشةً كانت في عينه اليمنى، ولما شعرت في نفسي بمراحم ربنا يسوع المسيح وقوة الصليب التي لا تقهر، أمسكته وربت على وجهه قائلاً: 'إنّ ربنا يسوع المسيح الذي فتح عيني المولود أعمى (يو٩) يشفق على ضيقة هذا الحيوان ويشفيه'. وحالما قلت ذلك سقطت القشة من عينه، ثم بعد أن أحنى رقبتـه ثلاث مرات قبل قدمي، وبعد ذلك أطلقته فانصرف. أما أنا فمجدت ربنا يسوع المسيح لأجل مراحمه الكثيرة لأنه يعتني حتى بالوحوش"!

٦٧ - **سأل الأب إيفاجريوس أنبا مكاري** - إذ كان جالسا بجواره مع الإخوة الآخرين - قائلاً: "من أين يأتي الشيطان بكل أفكاره الرديئة ليلقيها إلى الإخوة"؟ فقال له القديس: "إنّ الذي يحمي الفرن يجمع لنفسه حطبا ويلقيه داخل الفرن دون أن يبقي منه شيئًا، هكذا أيضا الشيطان فهو فران، وهو يلقي في قلب كل واحدٍ جميع أشواكه الضارة، التي هي النجاسات، دون أن يبقي منها شيئًا. ونحن نرى أيضا أنّ الماء يطفئ ويغلب قوة النار، وأيضا المعونة التي لحامينا ومعيننا ربنا يسوع المسيح وقوة الصليب التي لا تقهر، فإذا ألقينا ضعفنا تحت قدميه فإنه يبيد عنا تماما كل أشواك الخبث التي للشيطان، ويعطي قلوبنا غيرةً وحرارةً بالروح القدس بواسطة النار السماوية المملوءة بهجةً".

٦٨ - **قال أنبا مكاري الكبير:** "إذا كانت قلوبكم تفرح بصوت الرب فانصتوا لصوته ليس بمجرد سماع الأذن ولكن لأجل تنفيذ كلامه، لأنّ من يسمع كلمة الله بكل قوته فإنها تعلمه كيف يتممها. وفي الحقيقة كثيرون يسمعون كلمة الله ولكنهم لا يسمعونها بقوة الله وبغيرةٍ، ولذلك فهم لا ينمون. ويقول ربنا يسوع المسيح عن هؤلاء: «من له أذنان للسمع فليسمع» (مت١١: ١٥)، فلو لم يكونوا كلهم قد توقّفوا عن الاستماع ما كان قد قال لهم هذه الكلمة: «من له أذنان ...». إنه يعرف طبيعة الشيطان وأنه يقاتل النفوس لكي يجعلها لا تسمع كلمة الله وتخلص، ولهذا قال: «من له أذنان ...»، لأنهم إذا سمعوا يتقدمون بسرعةٍ وينتصرون على كل أوجاع النفس والجسد".

"وفي الحقيقة إذا جعل الشيطان النفس لا تسمع كلام الله بقوةٍ، فهي لا تنمو ولا تجد وسيلةً لمقاتلة أوجاع الجسد، لأنّ كلام الله ليس معها، فإذا ساد عليها العدو فلن تجد وسيلةً إطلاقًا لكي تلقي عنها أيا من الأوجاع الرديئة. أما النفس التي توجد فيها الكلمة فتكون أمينة على طرد الأوجاع بعيدا عنها، وهي تطرد عنها الشيطان الذي يهرب في خزي، لأنّ الرسول أيضا كتب يقول: «إنّ كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيفٍ ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ» (عب٤: ١٢)".

"فأنتم ترون، إذن، أنه إذا تيسر للإنسان أن يسمع كلمة الله فإنه يطرد الأوجاع، ولكنه إذا مُنِع عن سماعها تبقى النفس ثقيلة ولا تطرد أيا من الأوجاع الرديئة. ولذلك يحتقر الشيطان الذين من هذا النوع، لأنّ مثل هؤلاء حتى ولو قضوا كل حياتهم في الرهبنة والبتولية فلن يتقدموا في شيءٍ، ولا يعرفون حلاوة الله الذي هو أحلى من العسل والشهد (مز١٩: ١٠). إنهم لا يعرفون قوة الله الذي هو أقوى من كل شيءٍ، الذي يقوي النفس يوما فيوما والذي يملأها بالشجاعة، لأنه مكتوب إنّ قلوب الأبرار أكثر

شجاعةً من الأسود (قارن ٢صم١٧: ١٠). اُنظروا، يا أولادي، كيف أنّ قلوب الأبرار شجاعة؟ ولماذا هي شجاعة؟ لأ ا تواظب على الغذاء الروحي الذي هو كلمة الله. لذلك فإنّ نفوسهم شجاعة مثل رجلٍ يتيسر له تغذية الجسد لكي يجد القوة يوما فيوما، وإذا لم يتيسر له أن يتغذّى يصير جسده بلا قوة، وإذا حاربه أعداؤه يغلبونه بسرعة".

"فالآن، يا أحبائي، واظبوا على الغذاء الروحي لكي يعطيكم شجاعةً وتغلبوا أعداءكم. لماذا لا يتيسر لهم أن يأكلوا هذا الطعام؟ لأنّ قلو م ليست مستقيمة، لأ م لا يقاتلون ضد ميول قلو م، لأنّ قلو م ملوثة وليست لها أقل معرفة بالله، ولذلك لا تسمح لهم الشياطين أن يأكلوا من الطعام المقدس حتى لا تتقوى نفوسهم، ولذلك يقضون كل أوقات حيا م في الخوف ويأس القلب والغم. فاحذروا، إذن، يا أحبائي من هذه الثمرة الرديئة لكي تحيوا ولكي تحسبوا في عِداد أولاد الله في المسيح يسوع مخلصنا".

٦٩ - قال أنبا مكاري الكبير: "حدث لي مرةً وأنا مجتاز بمصر (بجوار القاهرة الآن) أنني وصلت إلى حظيرة نعاج، ورأيت خارج الحظيرة نعجةً كانت تلد وجاء الذئب وخطف وليدها، فرأيت (بالمنظر المعقول) وكأ ا تبكي قائلةً: 'الويل لي، لو لم أكن خارج الحظيرة لما وجدني الذئب ولما أخذ وليدي'"!

فلما اندهش الإخوة الذين كانوا سائرين معه سألوه عن معنى هذا الكلام، فأجا م قائلاً: "سيأتي وقت يهجر فيه الرهبان البراري لكي يتجمعوا في جماعاتٍ متعددة، وإذا انفصل أحد منهم فإنّ الذئب الروحي يأخذ ابنه، أي عقله، ويصير عديم الحس أكثر من الحجر وأيضا عديم الفهم أكثر من الحيوانات العجمى (أي غير العاقلة)، لأنه لو كان في وسط الإخوة لما كان من السهل على العدو أن ينال غرضه منه".

٧٠ - قال الأب إيفاجريوس: "كنا جالسين مرةً مع الإخوة عند أنبا مقـار، وكـان يتكلم معنا في معاني الكتب المقدسة، فسألت الشيخ: 'ما هذا القـول الـذي في الإنجيـل: «التجديف على الروح القدس لن يغفَر للناس لا في هذا العـالم ولا في الآتي» (مـت١٢: ٣١و٣٢)'؟ فقال لي الشيخ: 'إنه من الواضح أنّ كل ضعفٍ أو ميلٍ للخطية يمكن أن يسقِط الإنسان إذا كان ليس ثابتا في الرجاء والإيمان الوطيد كما قال ربنا في الإنجيل: «لو كـان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل، ولا يكون شيءٌ غير ممكنٍ لديكم» (مت١٧: ٢٠). ولكن إذا كان إنسانٌ يعيش في الخطية منذ بـدء حياته حتى ايتها ويقول واحد من هذا النوع في قلبه: إذا رجعت إلى الله فلن يغفر لي ولـن

يقبلني بالحقيقة، فإنّ هذا هو التجديف ضد قوة الثالوث الأقدس الذي يعطي للشيطان فيـه مكانا وتكون خطيته غير قابلة للغفران إن لم يتغير ويتوب من كل قلبه‘“.

”‘وهكذا أيضا إذا كان أحد مريضا بالجسد، فإذا لم يترج المعونة من الأعالي مثل أيوب ومثل المفلوج، ففي الحقيقة إنه يجدف على قوة الثالوث الأقدس، ويعطي للشيطان فيه مكانا وتكون خطيته غير قابلة للغفران، ودينونته تلقيه في الجحيم الأبدي في الظلمة الخارجية حيث يكون البكاء وصرير الأسنان (مت٨: ١٢). إلاّ أنّ توبة مثل هؤلاء كلهم هي بمثابة "بلْـع ريق" للأحشاء المملوءة بالرحمة التي لذاك صاحب كنوز الرأفات ربنا يسوع المسيح‘“.

”ولما قال القديس أنبا مقار الصادق هذا الكلام صارت لنا شجاعة عظيمة وفرح روحي، والتهبنا كما لو كنا نرى الملك المسيح موجودا في وسطنا، وتشجعنا. وبعد كل هذه الكلمات المملوءة حياةً وشفاءً لنفوسنا التي قالها لنا أنبا مكاري الكبير بفم الباركليت الذي كان فيه، انطرحنا على وجوهنا وقبلنا قدميه المباركتين، وصلى علينا وانصرفنا من عنده ممجدين ومباركين ربنا يسوع المسيح“!

٧١ - قال أنبا بيمين: ”إننا كل مرةٍ كنا نلاقي فيها أنبا مكاري لم يكن ممكنا لنا أن نقول أية كلمةٍ دون أن يعرفها بفكره لأنه كان حامل الروح، وكان يسكن فيه روح نبوي كالذي كان في إيليا وكل الأنبياء الآخرين. ففي الحقيقة إنه كان لابسا للاتضاع مثل معطفٍ مزدوجٍ، لأنّ نعمة الباركليت كانت فيه، وفي الحقيقة إنّ مجرد رؤيتنا له مملوءًا من نعمة الله ومجد الرب على وجهه فإنّ تعزية الروح القدس الباركليت الذي كان فيه كانت تحلّ على كل الذين كانوا يجلسون حوله. وعندما كنا نمتلئ بالبهجة والفرح وجاذبية أحاديثه المحيية والمملوءة نعمة كنا نذهب إلى مساكننا ممجدين الله وخادمه أنبا مقار لأجل مجد الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين“.



عظات أنبا مقـار الكبـير

عظة لأبينا أنبا مقار:

حدث مرةً أن أرسل شيوخ جبل البرنوج "نتريا" إلى أنبا مقار يقولون له: "سِر إلينا لنشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب ولا تضطر الشعب كله - أي الرهبان - إلى ا يء إليك". فلما سار إلى الجبل اجتمع إليه الشعب كله (أي الرهبان)، وطلب إليه الشيوخ قائلين: "قُلْ للشعب كلمة أيها الأب". فقال:

١ - يا أولادي الأحباء(*)، كثيرةٌ هي أمجاد القديسين، وينبغي أن نغير منها ونطلب معرفة تدبيرهم وعملهم، ونفتش لنعرف كيف استحقوا الملكوت ونالوا النعيم في تلك الرتبة، لأ م لم يشتروها بمالٍ بل إ م - كما تحققنا منهم - اقتفوا فقط آثار القديسين الذين قبلهم. وقد اقتنوا المسكنة وتواضع النفس وانسحاق القلب وا اهدة في الصلاة والمحبة لكل الناس وخوف الله الذي لم يفارق قلو م والذي لا يبدده الغضب، هذه هي فضائل النفس!

أما الجسد فقد رفضوا جميع شهواته، وكانوا جياعا عطاشا لا ينعمون ذوا م بشيءٍ من شهوات الدنيا. ذا التدبير نالوا هذه الذكصا (أي ا د) وأخذوا إكليل ملكوت السموات. فالآن أي شيءٍ كان لهم وليس لنا سوى أ م تركوا كل أهوية قلو م من أجل الرب، وحملوا الصليب وتبعوه ولم يفصلهم عن محبته شيءٌ آخر؟

٢ - أما نحن فليس فينا حب الله تاما كاملاً مثل آبائنا القديسين الذين أحبوا الله حبا خالصا ليس فيه غش ولا رياء، ولم يبعِدهم عن محبته شيءٌ من أمور العالم البتة: لا مال ولا أولاد ولا أهل ولا امرأة ولا أخ ولا سلطانٌ، مثل إبراهيم الذي أحب الله حبا تاما

(*) س ٤ ورقة ١٦؛ "رهبنة" ص ١٠٧.

ولم يشفق على ابنه إسحق لما أمره أن يذبحه فأطاعه وعمل مرضاته، ومثل الشهداء القديسين الذين اختاروا حب الله على حيا م وصبروا على صعوبة التعذيب وتقطيع أجسادهم وسفك دمائهم لأجل محبة الله التي انغرست فيهم وأكملوا قول بولس الرسول: «ما الذي يفرقني عن حب المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف، لأنّ هذه كلها وما هو أعظم منها لا يمكن أن يفرقني عن محبة الله في المسيح» (رو٨: ٣٥-٣٩ حسب النص).

فالآن، يا أولادي، وجب علينا إذ قد تركنا محبة العالم ولبسنا زي العبادة واتبعنا الرب يسوع، أن نحبه أكثر من الأهل والوالدين والإخوة والأولاد وكل الممتلكات الفانية التي في العالم حتى نكمل الوصية ونفوز بتتميم أوامره المقدسة، فننال الطوبى مثل القديسين.

٣ - يا أولادي، ـِفروا من الخطية واصبروا إلى الموت في حفظ وصايا الرب، ولا تقبلوا مشورة العدو من جهة كسر أي وصية مهما كانت صغيرة، لأنّ كسر أي وصية صغيرة كانت أم كبيرة يغضِب الله. إنني أريد أن تكون نفوسكم، يا أولادي، مسكنا دائما لله حتى تتفكّروا على قريبكم بالخير دائما ولا يكون فيكم من يذكر الشر لأخيه أو يتحرك بالبغضة عليه، فإنّ القلب الذي يتفكّر بالشر والبغضة لا يمكن أن يكون مسكنا لله.

لقد علمتم المكتوب: «إن أحببتم بعضكم بعضا فإنّ الله يكون ساكنا فيكم» (حسب النص)، فاقتنوا الحب بعضكم لبعض لكي تقتنوا لأنفسكم كل تدبير الفضائل الأخرى في رهبنتكم كل أيام حياتكم. ـِاكشفوا عن وجوهكم برقع الظلمة الذي يمنعكم عن أن تبصروا حلاوة محبة الإخوة وتعرفوا مقدار كرامة هذه الفضيلة. ـِاسمعوا بولس الرسول كيف يقول: «أنا مسكن الله الحي» (أنظر ١كو٣: ١٦و١٧)، فامسكوا هذا في قلوبكم ولا تقولوا الشر على قريبكم أو تحزنوه لئلاّ تغضِبوا الله الساكن فيه! لأنّ كل كرامةٍ يكرم ا الإنسان أخاه هي واصلة بالمسيح سبحانه، وكذلك كل ما يكرم به المسكين والغريب، لأنه هو القائل: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت٢٥: ٤٠).

أطلب إليكم، إذن، أن تفروا من كل وقيعةٍ ودينونةٍ لأ ا تهلك نفوسكم، أما النفس التي لا تقبل الوقيعة ولا تفكر في السوء على أحدٍ ولا تميل إلى حب الدرهم ولا تميل إلى شهوات العالم، فإ ا تستضيء مثل الشمس إذ تصبح نقية سالمة من العيوب. فإن تغلبت عليها الشهوة وسعت إلى النميمة والوقيعة والحسد وحب الفضة، فإنّ بقية الخصال الرديئة تكمل فيها فتنتزع منها نعمة النقاوة والاستضاءة.

٤ - اِعلموا أنّ الحكيم إذا وقع في حفرةٍ مرةً، فإنه يحترس منها حتى لا يقع فيها مرةً أخرى، واعلمـوا أنه كما كانت الحية إناءً للعدو وبواسطتها هلك آدم ووجب عليه الموت؛ هكذا أفعال السوء فهي مدخلٌ للعدو الذي ا يهلك نفس فاعلها. فالواجب، إذًا، أن نحفظ أنفسنا جدا لئلاّ نصير آنيةً للشيطان.

يا أولادي، اِحفظوا أسماعكم لكي تبقى قلوبكم نقية، واهربوا من كل نجاسةٍ لأنّ الذئاب في هذا الزمان كثيرة، وهي تسعى لتخطف الخراف الساذجة. وإن اتفق لأحدٍ منكم أن زلّ وأوجع قلب أخيه بكلامٍ أو وقيعةٍ، فعليه أن يندم في الحال ولا يعود إلى ذلك حتى لا يزيد النار حطبا. وإن هو سمع كلاما رديئًا عن أحد إخوته، فعليه أن يرد الكلام إلى الصلاح حتى يملك الحب والسلام بينكم، فيثمر فيكم قول المخلص: «طوبى لصانعي السلام لأ م أبناء الله يدعون» (مت٥: ٩). وهكذا يحرص كل واحدٍ منكم أن يمدح أخاه في غيبته حتى إذا سمع أخوه ذلك عنه يزداد في محبته.

واعلموا، يا أولادي، هذه الحقيقة: أنّ في قلب الإنسان سرا إلهيا، فمتى كان قلب الإنسان غير نقي ونيته غير صافية نحو أخيه أو صاحبه؛ فلا بد وبكل ضرورةٍ أنّ قلب أخيه يشعر بذلك مهما حاول هو أن يتجمل بلسانه نحوه. وكذلك أيضا من جهة المحبة: إذا كان قلب أخيك يحبك فلا بد أنّ قلبك يشعر بذلك وتحبه. لذلك احرصوا بكل جهدٍ أن لا يتغير قلب أحدٍ منكم على صاحبه. فإن حدث أن سمع أحد كلاما صدر من أخيه عنه ولم يتحقّق أنه صحيح أو كذب، فلا يخبئه في قلبه ويحقد عليه ويبدأ أن يتجمل بلسانه نحوه وقلبه غير نقي، فهذه الحال تولد البغضة المرة والحقد، وهي تغضِب الله.

فالإنسان إذا سمع من أخيه شيئًا يوجع قلبه، عليه في الحال أن يأخذه فيما بينه ويعاتبه عليه، فإن كان صحيحا ينبهه ألاّ يعود إلى ذلك، وإن كان كذبا فسيزول ما في قلبه في الحال. ولكن إذا أهمل الإنسان ذلك وتركه جانبا، فإنّ الحقد يتولّد فيه شيئًا فشيئًا، وهذا هو هلاك النفس هنا وفي الآخرة!

٥ - يا أولادي، كل من يسمع التأديب ولا يقبله ولا يعمل به فهو خاسر نفسه ويصبح معذب النفس دائما لا يهدأ له سر أبدا، ويصير غضوبا حزينا كئيبا مهموما مغموما كثير الأفكار، تطالبه نفسه بعمل الشر وبالكلام الرديء، لأنّ الأدب هو مثل طريق الملك التي عليها الحراس يحرسو ا ارا وليلاً، فكل من يسلكها بالنهار أو بالليل يكون آمنا على نفسه! أما الجهالة وقلة السمع والإعجاب بالنفس فهي طريق وعرة غير

مسلوكة، وكل من مشى فيها ضلّ وتعب وربما هلك، لأنّ اللصوص والدعرة موطنهم هناك! وكل من مشى في الطريق المسلوكة واتفق أن عثر في أمر أو عارضٍ كان عذره مبسوطًا وعلاجه حاضرا، أما من ترك عنه طريق الملك واختار أن يسير في الطريق الوعرة فلا عذر له ولا علاج.

وأنا أطلب منكم بكل قلبي أن لا تغيب الشمس على غضبكم، ولا يبيت أحد منكم وفي قلبه دغلٌ أو حقد على أخيه، فهل يعلم إن كان يدركه المحتوم في تلك الليلة فيمضي إلى الرب وهو ملوث القلب نجس الفكر، فيضيع تعبه ويذهب خاسرا الدنيا والآخرة!

٦ - أنا أوصيكم، يا أولادي، أن تبالغوا في خدمة القديسين (أي إخوتكم الرهبان) والمرضى، وادفعوا لهم على قدر قوتكم من عمل أيديكم. واعلموا أنّ عمل كل واحدٍ منكم محسوب له إن كانت خدمة أو صلاة أو مطانيات أو دموعا أو صوما، حتى الكلمة الواحدة التي يقولها الإنسان بالمحبة لأجل الله (للتعزية) أو عمل اليدين هذا كله محسوب لكم. فلا تخافوا، يا أولادي، لأنّ مخلصنا لا يظلمنا بشيءٍ وكل تعبٍ يتعبه أي واحدٍ منا سوف يستعلَن له وقت خروج النفس من الجسد.

فاستيقظوا، يا أحبائي، ولا يظن الذين يأكلون ويشربون ويرقدون بلا مقدار والذين لا يلومون أنفسهم أ م يتساوون بالذين يتعبون ويسهرون ويحرصون في كل شيءٍ من أجل الله. فاجتهدوا، إذن، وأحبوا التعب. ليكن عندكم تعب الجسد حلوا شهيا بلا ملل، ولكن ليس بتكلفٍ، لأنّ متكلف الشيء ضعيف القدرة عليه ... أما المشتهي التعب فيسعى إليه بنشاطٍ وفرح قلبٍ بغير ضجر. وطوبى لمَن يبقى في تعبه فرِح القلب ويدوم فيه غير متكلفٍ عليه، لأنه باب الفردوس المفتوح.

أما الذي يطيع ضعف الجسـد فإنه يصبح في النهاية غريبا من تلك الخيرات المعدة للمجاهدين، ويستولي عليه الندم في القيامة حينما تستعلَن الأكاليل والمواهب السماوية للذين تعبوا، ويبقى هو بعيدا لا يملك إلاّ الحزن والكآبة التي لا تنفع! ماذا ينتفع الإنسان إذا تنيح في هذه الدنيا بالطعام والشراب والنعيم الزائل زمانا يسيرا ثم يقع هناك في العذاب الدائم؟!

٧ - وأعرفكم أيضا أنّ الذي يلازم فضيلة واحدة من الصلاح ويفرط في فضيلةٍ أخرى يشبه إنسانا أخذ إناءً وملأه زيتا وأهمل فيه ثُقبا ثم سافر، فلما وصل إلى ﻬ اية سعيه فرغ الإناء مما فيه! هكذا كل من يتوقّف عند الاهتمـام بوصيةٍ واحدةٍ ولا يسلك بالصواب في بقية الفضائل، فإنّ عمله لا يقبل وتعبه يضيع. فاحرصوا على حالكم وميزوا

أعمالكم حتى لا يلحقكم تفريطٌ ولا يغلب عليكم هوى، لئلاّ تصيروا مثل من يتصدق بكل ما عنده ويعتقد أنه بتلك الصدقة ينجو من (عقاب) تفريطه في باقي الوصايا.

أو مثل من يعتقد أنه يخلص بإطعام (الآخرين) بالخبز أو إضافة الغرباء أو زيارة المحبوسين والمرضى وهو مهملٌ في بقية الوصايا. أو مثل من يجتهد في الصلاة ليلاً و ارا وهو خالٍ من المحبة أو الرحمة وبقية الوصايا. أو مثل من يصوم كل زمانه ويحرم نفسه من كل خيرات الدنيا وهو مفرطٌ في الوصـايا الأخرى. أو مثل من يتمسك بالتعفف والمسكنة، ثم يقتني الاسترخاء والكسل مقتنعا أنه بتعففه ومسكنته يخلص. أو مثل من يلزم الطهارة الجسدية، ثم لا يبتعد من أفكار الشر والوقيعة والحسد، معتقدا أنه بطهارة جسده ينال الملكوت السماوي. هكذا، فإنّ كل من يتمسك ذه الوصايا المفردة لا يكاد أبدا أن يخلص ا، لأنّ الوصايا مثل السلسلة متى انفكّت منها عروة تلفت بأكملها، فمن توانى عن وصيةٍ من الوصايا ضاع تعبه!

٨ - يا أولادي، اِفهموا كلامي، خذوه وأدخلوه في خزائن قلوبكم، لأنه سيأتي وقت تسألون فيه عن ثمر كلامي وتعطون جوابا عما سمعتموه مني، فلا تجعلوا كلامي لكم سبب دينونةٍ لأني إنما كلّمتكم لأجل خلاصكم وصحة أنفسكم.

اِهتموا، يا أولادي، بخلاص نفوسكم وارجعوا إلى الرب بتوبةٍ نقيةٍ من الغش، وببكاءٍ وتضرعٍ اِعترفوا بنقائصكم، ولا تكونوا كالبهيمة التي لا حِس لها ولا حكمة عقلٍ، تقع في حفرةٍ وتعود إليها. واعلموا أنّ التوبة قائمة الآن ومستعدة وكل الفضائل تلحقها لكل من يجاهد فيها، لأنّ شأن التوبة جليلٌ، وعظيم هو حسن عاقبتها إلى الأبد ... والذين يثبتون على مرار ا ويتمسكون بمسلكها ولا تتغير قلو م عنها يأخذون أجرا عظيما عنها وينالون الملكوت بسببها، لأنّ التوبة النقية هي مفتاح كل الفضائل وبدء كل صلاح وسلم الخيرات الأبدية، والذي يقتنيها تسهل عليه باقي الوصايا شيئًا فشيئًا.

ولكن التوبة ليست هي عن خطايا الجسد فقط، وإنما عن كل الخطايا سواء كانت للجسد أو للنفس ... وكل من اجتهد فيها فهو الرجل الكامل الذي بدأ يبني على الصخر!

٩ - يا أولادي، أنا أفزع إلى الله مرتعدا من أجلكم حتى لا تصادوا بفخ الغفلة ولا تميل قلوبكم إلى اعتياد التهاون، لأنّ ذلك يبعِدكم عن حرارة التوبة ويورثكم الندامة في النهاية حيث لا ينفع حينئذٍ ندم، فما دمتم في الجسد فامسكوا التوبة ولا تدعوها تفلت منكم، لأنّ كل من فارقها فقد فارقته الرحمة وملكوت السموات. اِضرعوا دائما وابكوا

بكاءً قدام مخلصنا حتى تستحقوا سماع الصوت: «مغفورةٌ لك خطاياك»! صالحٌ هو مخلصنا، وهو محب البشـر يفرح بتوبتكم ويطلب من الآب لأجلكم، ولكن لا تتهاونوا أنتم بطيبة قلبه وترجعوا إلى خطاياكم فتصبح الطلبة من أجلكم بلا نتيجة ...

فمن هو الجاهل إلاّ الذي ترك عنه التوبة واستكان للاسترخاء والغفلة فينهدم كل ما بناه بالتعب والدموع! أحبوا، إذًا، حلاوة الجهاد لأنّ التعب والحرص يأتيان بالإنسان إلى النياح ويشفيان جميع أوجاع قلبه، ويجلبان له خيرات السماء، وفي النهاية يصير مسكنا للروح القدس.

فلنتب ما دام لنا زمانٌ قبل أن يأزف الوقت وندعى للخروج من الجسد، لأنّ التوبة هي لزمانٍ قليلٍ بعد، لأنّ الذي يموت في خطاياه يقول الله إنه لا يذكر له شيئًا من صلاحه. إذن، فلنحرص من الآن حتى نجد عزاءً في زمان الشدة كالفلاّح الذي إذا لم يتعب ويحرث ويزرع في زمان الشتاء لا يجد في زمان الجفاف ما يجمعه إلى مخازنه ولا ما يقتات به.

هكذا نحن، فليحرص كل واحدٍ منا على قدر قوته، فإذا لم نقدر كلّنا أن نكَلل مع الكاملين، فلا بأس أن نكون دو م، ولكن لا نكِلّ يا أحبائي في الجهاد لنشارك أحباء المسيح، ولا نكون مع ذلك العبد الذي دفن فضة سيده ولم يعمل شيئًا. نحن نجاهد على قدر قوتنا مهما كان قليلاً، لأنّ إلهنا صالحٌ وهو يكافئ عوض القليل بالكثير.

ولنجتهد لنتشبه دائما بالصالحين لئلاّ نندم عندما نجدهم في النهاية في مجدٍ عظيم، فنبدأ نلوم أنفسنا قائلين: يا ليتنا كنا سلّمنا أنفسنا للموت في الجهاد حتى نرث هذه النعمة مثلهم! طوبى، يا أولادي، للذين يعملون الآن بكل قو م، فإنّ ساعةً واحدةً في ذلك ا د والراحة تجعلهم ينسون كل تعبهم. ِاحرصوا، إذن، لئلاّ تعدموا تلك النعمة! مكتوب في رسائل القديس بولس الرسول أنّ اهتمام الجسد موت واهتمام الروح حياةٌ وسلام. فليكن اهتمامنا الآن هو في الروح لكي نحيا إلى الأبد ونرث النعيم الدائم.

١٠ - يا أولادي، أنا أعطي وصيتي لكل واحد منكم أن لا يدنو من الأسرار المقدسة إلاّ وهو مستبرئ نفسه (أي يحاكمها فيجدها بريئة)، أما إن كان بينه وبين أخيه وجد (أي حقد) فليمضِ إليه ويصالح قلبه ويضرب له مطانية (توبةً واستغفارا)، وبعد ذلك يتناول من الأسرار الطاهرة، عالمين أنّ محبة الإخوة ومصالحة قلو م بعضهم نحو بعض هي النعمة كل النعمة وهي العبادة وهي الملكوت ...

أما الغضب والحقد والتعيير (أي الشماتة) والحسد والبغضة والغش والرياء، فهذه هي

صناعة العدو الملعون، ومن يتبع شيئًا منها فهو يتشبه بالشيطان ويشتغل بصناعته، والذي يطلب خلاص نفسه يهرب من هذه جميعها. واعلموا أنّ مخلصنا لم يقاتل الشيطان بارتفاع (أو بعظمة) لاهوته، لكنه وضع نفسه وتنازل حتى غلب كبرياءه وتجبره، وعلمنا أن نقاتله بهذا التدبير حتى نغلبه. فلنلحق باتضاع معلمنا حتى يعطينا الغلبة في قتال عدونا.

١١ - يا أحبائي، اِجعلوا أنفسكم غرباء عن هذا العالم لكي تصيروا أهلاً للخيرات الأبدية. أول معصية كانت بسبب الطعام في الفردوس، وأول الجهاد الذي جاهد به مخلصنا حتى غلب العدو هو بالصوم. فلنجاهد إذن كما علمنا ونتقدم الآن إلى جهاد الصوم بحيث يكون تعبه حلوا عندكم، واطلبوا الزيادة حتى تأخذوا المكافأة مضاعفة. واعلموا أنّ صوم الأربعين المفروض علينا ليس الجهاد به وحده هو الذي يدخل بنا إلى الملكوت، وإنما صوم الأربعين هو الخميرة للسنة كلها، فيجب أن نوفيه باحتراس لأنّ الخميرة إذا فسدت أفسدت العجين كله.

والصوم مربوطٌ بعدة فضائل لا يثمر إلاّ معها وبها، وجميعها أنتم تعرفونها، فاحترسوا في صومكم من الغفلة، لأنّ أعداءنا الذين يحسدوننا إن هم ظفروا بنا فلن يرثوا لهلاكنا، وكلّما غفلنا نحن ازدادوا هم حرصا على هلاكنا، فلا تفرحوا أعداءنا ولا تكملوا مشيئة مبغضينا لأنهم يريدون تبديد أتعابنا.

وفي أيام الخماسين، إذا لم تقدروا أن تصوموا أو تضربوا مطانيات فالزموا السهر وقراءة الكتب الإلهية بنشاطٍ، وتمموا خدمتكم بحرصٍ ولا تتوانوا عن الذهاب إلى الكنيسة بمخافةٍ. واعلموا أنّ الملاك الموكل بالسرائر المقدسة يعرف من هو المستحق ويفرح به ويطوبه، أما غير المستحق فيحزن عليه ويعطيه الويل لأنه إنما يأخذ نارا في جسده. فاحترسوا، يا أولادي، وتحفّظوا حتى لا يتقدم أحد إلى الأسرار المقدسة وهو في شك لسببٍ من الأسباب لئلاّ يهلك وهو لا يدري.

١٢ - واجعلوا دخولكم إلى الكنيسة مبكرا لتسمعوا المزامير والتسبحة ثم قراءة الكتب - كما علمنا الرسل في قوانينهم - قبل أن تأخذوا جسد المسيح ودمه المحيين، لأنه يطرد من نفوسكم كل قوات الظلمة ويطهر قلوبكم من كل دنسٍ، لأنه شفاءٌ للنفس وبه تحفَظ من كل قوات العدو كما قال سيدنا: «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه» (يو٦: ٥٦). أما الذي يتهاون ويظل بلا قربان فإنّ قوات الظلمة تقوى عليه وتدنس قلبه ويكون غريبا من النعمة التي أعطاها له مخلصنا.

فيجب علينا ألاّ نترك في أنفسنا علّةً تمنعنا من التناول، بل نكون ملازمين لنقاوة الضمير وطهارة النفس متحدين دائما بالمسيح، لأننا بذلك ننعتق من سلطان العدو، ولا يبقى له فينا مطمع، ولا يجد إلينا سبيلاً لهلاك أنفسنا وخسارة تعبنا وإبعادنا من خالقنا.

فتيقّظوا بالروح وامتلئوا بالإيمان حتى تمضوا إلى الرب بدالّةٍ، ووجوهكم مكشوفة وأعمالكم نيرة لتستحقوا الدخول إلى أورشليم السماوية، وتنالوا الإكليل الذي لا يبلى، وطوبى لمَن وجد ذلك عند ظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي له ا د مع أبيه وروح قدسه إلى أبد الدهور آمين.

ثم إنه في اية حديثه قال لهم: "أيها الإخوة، لنبكِ ولتسِل دموعنا من أعيننا الآن قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع". ثم بكى أنبا مقار، فبكى الكل معه وخروا على وجوههم قائلين: "أيها الأب، صل لأجلنا"[(١٧١)].

لأجل الابتعـاد من العـالم:

قال البار أنبا إشعياء: كنت جالسا في أحد الأوقات بقرب القديس مكاريوس الكبير، فحضر جماعة رهبان من الإسكندرية ليسألوه قائلين: "قُلْ لنا كيف نخلُص". وأخذت أنا دفترا وجلست بمعزلٍ لأكتب حديثهم. أما الشيخ فتنهد وقال: "كل واحدٍ منا يعرف كيف يخلص، ولكننا لا نريد الخلاص". فأجابوه: "كثيرا ما نريد الخلاص، إلاّ أنّ الأفكار الخبيثة لا تتركنا، فماذا نفعل"؟ فأجا م الشيخ:

١ - إن كنتم رهبانا فلماذا تطوفون مع العلمانيين؟ الذي هجر العالم ولبس الزي الرهباني وهو في وسط العالم فهو لنفسه يخادِع. من كانت هذه صورته فتعبه باطلٌ هو، لأ م ماذا يربحون من العلمانيين إلاّ نياح أجسادهم، وحيث نياح الجسد فلا يمكن أن يسكن خوف الله في الإنسان ولا سيما إذا كان راهبا، ولماذا دعي متوحدا إلاّ لأنه ينفرد اره وليله لمناجاة الله؟!

الراهب المتصرف بين العلمانيين يربح ما سأقوله قبل كل شيء: إذا دخل عنده علماني هكذا تكون فاتحة أمره: يضبط لسانه، يصوم ويذلل نفسه إلى أن يعرف ويخرج خبره ويقال عنه إنّ الراهب الفلاني عبد الله هو، وللوقت يقنِع إبليس جميع العلمانيين أن يأتوا له بحاجاته من خمرٍ وزيتٍ وثيابٍ ودراهم وكل صنف، ويمدحونه قائلين: القديس

(١٧١) الفقرتان الأولى والأخيرة (قبل العظة وبعدها) مأخوذتان عن:
Apoph. Mac., 34; Am., 218: 3; W. & W., I: 150; س ٤ ورقة ١٨

القديس. وما من شأن السبح الباطل أن يفعله؟ يجعله يتعاجب إذا سمعهم قائلين عنه: القديس، ويتعجرف الراهب المسكين، ويبدأ في أن يجالسهم، يأكل ويشرب معهم، ويستريح براحتهم، ثم يقوم في الصلاة ويعلِن صوته حتى يقول العلمانيون إنّ الراهب يصلي ساهرا، وكلّما زادوه مديحا زاد هو انتفاخا وعجرفةً، فإن كلّمه أحد بكلمةٍ حسنةٍ جاوبه بنعما. ثم يكثر نظره إلى العلمانيين نهارا وليلاً، ويرشقه إبليس بسهام النساء ونشاب الصبيان، ويلقيه في اهتماماتٍ عالمية فيقلق وينـزعج، وذلك كما قال الرب: «كل من نظر إلى امرأةٍ ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه» (مت٥: ٢٨). وإن كان يظن أنّ هذا القول خرافة فليسمع الرب قائلاً: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (مت٢٤: ٣٥).

٢ - وبعد ذلك يبدأ في تخزين حاجته لسنته الحاضرة أو يجمعها مضاعفة، ويبدأ يجمع الذهب والفضة، ويلقيه الشيطان في هوى حب المال، فإن أحضر له إنسانٌ شيئًا يسيرا يشيح بوجهه عنه ولا يقبله كأنه لا يأخذ شيئًا، وإن أحضر له إنسانٌ ذهبا أو فضةً أو ملابس أو غير ذلك مما يرضاه فللوقت يقبله بفرحٍ، وينصب المائدة الحسنة ويبدأ يأكل، بينما يكون البائس - لا بل المسيح - يتلوى جوعا، ولا أحد يفهمه (أي يتفهم احتياجه). لهؤلاء قال السيد المسيح: «مرور جمل من ثقب إبرةٍ أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله» (مر١٠: ٢٥).

قولوا لي، يا أبهاتي، هل الملائكة في السماء تجمع ذهبا وفضةً أم مجد الله؟ ونحن، يا إخوتي، لماذا لبسنا هذا الزي؟ أترى لنجمع قنيةً وحطاما أم حتى نصير ملائكة؟ فإذًا، يا إخوتي، لماذا هجرنا العالم ورفضناه؟ ولماذا نتراخى أيضا ويردنا إبليس عن طريق المسكنة؟ ألم تفهموا أنّ الخمر ونظر النساء والذهب والفضة والنياح الجسدي وقربنا من العلمانيين، هذه كلها تبعِدنا عن الله؟ لأنّ أصل الشرور كلها محبة الفضة، وبمقدار البعد بين السماء والأرض هكذا يكون بين الراهب المحب للفضة وبين مجد الله. نعم، وليس ثمة رذيلة أسوأ من رذيلة محبة الراهب للفضة!

٣ - الراهب الذي يجالس العلمانيين ويفاوضهم يحتاج إلى صلوات قديسين كثيرين. أترى لم يسمع الرسول يوحنا قائلاً: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب» (١يو٢: ١٥)؟ كذلك أيضا يقول الرسول يعقوب: «من أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله» (يع٤: ٤). فلنفر نحن أيها الإخوة من

العالم كما نفر من الحية، لأنّ الحية إذا ُشت فبالكد تبرأ عضتها، وكذلك نحن إن شئنا أن نكون رهبانا فلنهرب من العالم. هل الأوفق لنا أيها الإخوة أن تكون لنا حرب واحدة أم قتالات كثيرة؟ قولوا لي، يا إخوتي وأحبائي، آباؤنا في أي موضعٍ اقتنوا الفضائل، في العالم أم في البراري؟ إذًا، فكيف نقتني نحن فضائل وسط العالم إن لم نجع ونعطش ونساكن الوحوش ونموت بالجسد؟! كيف نريد أن نرث ملكوت الله ونحن بين أهل العالم؟ لننظر إلى ممالك الأرض، فإن لم يحارب الجندي ويغلب لا ينال الرتبة (أي المكافأة)، فكم وكم أحرى بنا أن نفعل ذلك؟! ولا نظن أننا نرث ملكوت السموات ونحن بين أهل العالم.

٤ - لا يوسوس لنا الشيطان بأفكار رديئةٍ قائلاً: اِجمع حتى تعطي صدقةً، لأنّ من لم يشأ أن يعمل رحمةً من فلسٍ واحدٍ لا يعمل رحمة ولا حتى من ألف دينار. فلا نفعل ذلك، يا إخوتي، لا نفعله، لأنّ هذه الأمور هي عمل العلمانيين. الله لا يريدنا نحن الرهبان أن نقتني ذهبا ولا فضةً ولا ملابس ولا أمورا جسدانية. الرب أوصى قائلاً: «أُنظروا إلى طيور السماء، إ ا لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقو ا» (مت٦: ٢٦). الراهب المقتني ذهبا أو فضةً لا يثق أنّ الله قادر أن يعوله، وإن كان لا يعوله فلن يعطيه ملكه!

الراهب الذي عنده حاجته وينتظر من يحضِر له هو شريك يهوذا الذي ترك النعمة وسعى طالبا محبة الفضة، وإذ عرف هذا الرسول بولس لم يدع محبة الفضة أصل كل الشرور فحسب، بل وسماها أيضا عبادة أوثان. الراهب المحب للفضة عابد أوثان هو. الراهب المحب للفضة بعيد عن محبة المسيح. الراهب الذي له في قلايته فضة هو يعبد ويسجد لأصنامٍ منقوشة، أعني الدنانير، وكل يوم يذبح لها ليس عجولاً وكباشا بل نيته وإرادته. يا لمحبة الفضة الرديئة التي تفصل الراهب عن طغمات الملائكة! يا لمحبة الفضة المرة أصل كل الشرور، التي تفصل الراهب عن ملك السموات وتدفعه إلى التعلق بسلاطين الأرض! يا لمحبة الفضة سبب كل رذيلة، التي تسحب لسان الراهب إلى شتيمةٍ وخصومةٍ، والتي تجره إلى المحاكمات بشبه العلمانيين! ويح لذلك الراهب المحب للفضة، لأنه قد تخلّى عن الوصية القائلة: «لا تكنـزوا لكم كنوزا على الأرض» (مت٦: ١٩)! بل وقد يزعم قائلاً: ماذا يضرني من الاقتناء؟ غير عالمٍ أنه حيث الذهب والفضة والجسدانيات فهناك دالة الشياطين وهلاك النفوس، هناك الويل المؤبد.

٥ - كيف يدخل التخشع في نفس مقتني الفضة؟ لقد حاد عن خالقه ورازقه الذي دعاه إلى الحياة الدهرية، وصار يتعبد ويسجد لمنحوتات غير متحركة، أعني الدنانير.

كيف يقتني من هذه صفته الخشوع؟ يا إخوتي وأحبائي، كيف يكون لنا نحن الرهبان ذهب وفضةٌ وملابس ولا نكف عن الجمع، بينما البائس - بل المسيح - جائع عطشانٌ عريانٌ ولا نفكر فيه؟ ماذا يكون جوابنا أمام السيد المسيح؟

لقد هجرنا العالم ونحن نعاود الطواف فيه! طقسنا ملائكي ونحن جعلناه علمانيا! فلا نفعل ذلك، يا إخوتي، لا نفعله، بل لنهربن من العالم. إن كنا بالكد نخلص في البرية، فكيف يكون حالنا وسط العلمانيين؟ ليس لنا خلاص ولا سيما أنّ الرب يقول: «من لا يهجر العالم وكل ما فيه ولا يجحد نفسه ويأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني» (أنظر مت١٠: ٣٨)، وأيضا يقول: «أُخرجوا من وسطهم واعتزلوا، يقول الرب، ولا تمسوا نجسا فأقبلكم، وأكون لكم أبا وأنتم تكونون لي بنين وبنات» (٢كو٦: ١٧و١٨).

٦ - أرأيتم أية منفعةٍ في الهرب من العالم؟ لأنه نافع لنا وموافق جدا. فـإذا كانـت مجالسهم ليست في شيءٍ غير البيع والشراء وما يتعلّق بالنساء والأولاد والزرع والدواب - وهذه المخالطة تفصل الراهب من الله - فمؤاكلتهم ومشاربتهم لكثير مـن الضـرر تجلب. ونحن لا نقول إنّ العلمانيين أنجاس، معاذ الله، بل إنهم يسيرون نحو الخـلاص في طريقٍ غير طريقنا. فلنهربن من مخالطتهم، ولنطلبن سبهم لنا أكثر من مديحهم، لأن سبهم لا يخسرنا شيئًا ومديحهم سبب عقوبتنا هو. ما هي منفعتي إن أرضيت الناس وأغضبت الله ربي وإلهي؟ لأنه يقول: «لو كنت بعد أرضي الناس لما كنت عبد للمسيح» (غل١: ١٠). إذن، فلنبتهل أمام ربنا قائلين: "يا يسوع إلهنا نجنا وأنقذنا من مخالطتهم"[١٧٢].

---

(١٧٢) س ٤ ورقة ٦٥ - ٦٧.

الرسائل السبع للقديس أنبا مقار الكبير(★)

****

الرســالة الأولى

الســلام الإلــهي

الرسالة الثانية عشرة للقديس أنبا مقار
إلى أبا سمعان الناسك في العراق،
وإلى إخوة آخرين مقيمين معه

١ - مكاري إلى الإخوة المحبوبين والذين هم وأنا معهم لسنا سوى روح واحدة في الرب.

ليفِض فيكم السلام الآتي من الرب فوق كل قياس، ذلك السلام السماوي الذي رفع النور فوق العالم. هذا الذي أعلنه الأنبياء والذي تكلم عنه الأبرار والذي بشرت به الملائكة بالأخبار السارة. إنه هو السلام الذي تلقّته السيدة العذراء مريم وولدت مخلص العالم، هذا الذي حل على الأموات، الذي شق الصخور وفتح القبور وأعاد الحياة للموتى، وحرر الأسرى وفك المقيدين والمستعبدين ومزق صك دينونة آدم، ونقش في النفوس شريعةً سماويةً، وقرن اللاهوت بالناسوت محررا الخليقة، وقتل الخطية رافعا اللعنة من على الأرض، محطما حاجز العداوة، باعثًا من التراب جسد آدم ذاك الذي كان قد أدانه ثم أدخله إلى فردوس الموعد، وجعله يسلك في حياةٍ جديدةٍ، وهو الذي لا يعرف أكثر من الموت. ولكي نصير له إخوة جعلنا أيضا نولد من أبيه.

عندما سمعت العاقر (إليصابات) كلام السيدة العذراء ارتكض الجنين بابتهاجٍ في بطنها. إنّ جنين العذراء قد فتح آذان الصم وأطلق ألسنة البكم وجعل العرج يمشون والشل يصحون ويحملون أسر م.

عند رؤيته انسكبت الخاطئة وسددت له ديو ا بقبلا ا على قدميه.

برؤيته ربح زكّا الحياة لأهل بيته.

عند رؤيته تحول الماء إلى خمر والخبزات القليلة زادت أضعافًا.

(★) هذه الرسائل السبع مترجمة عما نشِر لأول مرةٍ مع العظات الخمسين المنسوبة لأنبا مقار في كتاب:
Les Homélies Spirituelles de St. Macaire, Spiritualité Orientale, no. 40, Abbaye de Bellefontaine.

لقد جعل الشفاء يخرج من هدب ثوبه لأجل النازفة الدم وأنقذها من نزف دمها.
لقد تمشى على أمواج البحر وانتهر الزوبعة فهدأت.
حبس السمك في الشبكة ثم جعل قطعة نقود تخرج من فم سمكةٍ أخرى.

عند رؤيته تبرر الخطاة والعاهرات صرن حكيمات، والعذارى تخلين عن مطامعهن، والأزواج (الذين آمنوا به) هجـروا أقرا م (الذين رفضوه) (أنظر ١كو٧: ١٥و١٦)، والخاطبون والمخطوبات ألغوا عرسهم، والملوك تنازلوا عن عروشهم وبادروا إلى عبادته، والقضاة تركوا محاكمهم (كراسي قضائهم)، والحكماء ازدروا بحكمتهم، والأطباء طرحوا عنهم العلاج بالعقاقير، والأغنياء تخلوا عن ثرو م، والتجار هجروا حوانيتهم.

عند رؤيتـه صار الأغبياء ذوي فطنة والأميون علماء، والخطاة تحولوا إلى مبشرين، والذين كانوا لا يعرفون شيئًا عبروا عن إيما م بكل اللغات!

إنه هو هذا السلام (أي الرب سلامنا) الذي قَبِل ذبيحة هابيل، الذي نقل أخنوخ دون أن يذوق الموت، الذي خبأ نوح في الفُلك. إنه هو الذي غمر إبراهيم بالبركات وثبت له وريثًا في ابن الموعد إسحق الذي جاء من نسله مخلص الأجيال، الذي اختار يعقوب من بطن أمه لأجل نوال بركـات الآباء الأوائل للأجيال. الذي كان مع يوسف في أرض الغربة ورفع من على عنقه نير العبودية وأطلقه حرا من السجن وأقامه سيدا على مصر. الذي ظهر لموسى في العلّيقة المشتعلة بالنار حيث أعطاه سلطانا أن يسود على كل خليقةٍ ويجعل البحر يتقهقر أمامه، الذي حصن يشوع بن نون وأعطاه نصرةً في كل حروبه مع أعدائه، الذي اختار صموئيل للكهنوت، الذي منح المسحة لداود من وراء غنمه، الذي جعل القليل من الدقيق في الكوار والقليل من الزيت في الكوز في بيت الأرملة ينبوعا لا ينضب قط لمدة ثلاث سنوات وستة أشهر، الذي أرسل مركبةً وفرسانا من نار إلى إيليا النبي ليرفعه إلى السماء، الذي وهب لإليشع النبي حسبما طلب نصيب اثنين من روح إيليا، الذي أمر العصا (الخاصة بموسى) أن تصنع عجائب في مصر وأن يعطي غصن هارون الجاف ثمارا.

إنه هو السلام الذي حصن أيوب في تجاربه وجعل لوط يخرج من وابل النار، وهو الذي كان مع جميع آبائنا الذين آمنوا به وأحبوه وانعزلوا في الوحدة لأجل اتباعه محتملين الإهانات والضيقات بصبر، وصاروا متغربين وفقراء وكأ م ضيوف عابرون مضطهدون ولم يقيموا وزنا للعالم، مستهينين بالموت ومنكرين لذوا م، مجربين بكل أنواع التجارب،

وأُسلِموا للوحوش، وصاروا مستهدفين لفرجة العالم عليهم، وعبروا وسط النار والماء، لقد بلغوا إلى إصلاح حيا م.

٢ - هذا كله أكتبه إليكم - أيها الإخوة المحبوبون - لكي أعرفكم أنه منذ اليوم الذي خلِق فيه آدم على الأرض حتى ابة الدهر يثير الشيطان الحرب على القديسين ولا يعطيهم راحةً. ففي الحقيقة إنّ المخلوق الأول بسبب تعديه سكن في هذا الجسد الذي نحن لابسيه وماكث معنا، وها هو يستسلم بخبثٍ ومكر لخداعات الشيطان وحركات الجسد.

أما الذين هم أطفالٌ صغار وقليلو الخبرات في القتال، فهم يتأذّون منه أكثر جدا بسبب سذاجتهم الطفولية. ومع ذلك فهم بقدر ما يطلبون الرب بإخلاصٍ لا يخسرون معاركهم مع الشيطان ولا يرزحون تحت نيره لأنه مكتوب: «حافظ الأطفـال هو الرب» (مز١١٤: ٦ سبعينية). ففي الحقيقة إنّ الدرع السماوي الذي يرتديه المسيحيون هو الذي يحاربون به سرا في داخل نفوسهم كشخص مقابل آخر. إلاّ أنّ الذين يحاربو م يعتادون على القتال في أوقاتٍ معينة، وبعد هذه الصراعات يخلد الإنسان إلى الطمأنينة ويستقر مرةً ثانيةً في وطنه الذي يذوق فيه طعم الهدوء والسلام.

الذين يحاربون الشيطان عليهم أن يقاوموه ليلاً و ارا، لأنه في كل بيتٍ - أي الجسد - تسكن روح الإنسان ويجاورها الشيطان الذي تقاتل الروح ضده. شيطان الجسد يمكث بالقرب من الروح في كل لحظةٍ، ولهذا فإنّ الناس لا يعرفون الهدوء ولا الراحة ما داموا غير مرتدين للدرع والقوة التي من الأعالي. إ م في الحقيقة يعتقدون ويعرفون جيدا - بإرشاد الله - أنّ هذا القاتل للجنس البشري يسكن دائما معهم، ولكنهم حتى في هذه الصراعات يسرون لأ م يعلمون من ذلك أ م يحبون الله وأ م يقاومون الشيطان بقوة الله ذا ا.

ومع ذلك فقليلون هم الذين يدركون أنّ من يسكن معهم هو المفسِد للنفوس، وبسبب هذه السكنى يعيشون في محنةٍ ولا يوجد على الأرض من يشدد عزائمهم، ولكنهم يتطلّعون إلى السماء حيث يضعون رجاءهم لكي ينالوا في داخل نفوسهم قوةً ا وبفضل سلاح الروح هذا ينتصرون، إ م ينالون من السماء قوةً تظلّ مخفاة عن العيون الجسدية. ففي الحقيقة طالما أ م يطلبون الله بكل قلو م فإنّ قوة الله تأتي سرا لمعونتهم في كل لحظة.

إ م بالتأكيد يجربون من الشيطان بسبب ضعفهم، ولكن الرب لا يتركهم ولا يسمح أن يظلوا باستمرار متعوقين ولا أن يجربوا فوق الطاقة. وإنّ أعداءهم أنفسهم يلقنو م معرفة من يكون هذا الشيطان وكيف يفسِـد الناس، وأنّ الأوجاع (أهواء النفس) التي تثير عليهم

أعداءهم تجعلهم يتعلّمون الاقتراب من الله مخلـص العالم، وذلك لأنهم يلمسون ضعفهم بأصابعهم، ولأنهم وإن كانوا غير قادرين على الانتصار إلاّ أنهم يتوسلون بحرارةٍ لينالوا سلاح الله، وإذ يلبسون سلاح الروح يصيرون غالبين ويسقط عدو نفوسهم تحت أقدامهم.

بهذه الأسلحة تنهار أسوار الخطية المحيطة بالنفس، وتأتي تلك النفوس المقيدة في الظلمات إلى النور، وتقترب من أبيها السماوي وترتدي الجمال الإلهي في بهائه، وتتوشح بالمجد والمقدرة وتنال معرفة مكائد الروح الشرير حسب كلام الرسول: «إننا لا نجهل أفكاره» (٢كو٢: ١١). وهكذا تتحد هذه النفوس في داخلها بالروح القدس وتصنع مشيئة الآب الذي في السموات.

٣ - فاعلموا إذن - أيها الإخوة المحبوبون - أنّ جميع أولئك الذين هم مستعدون بقلوبهم أن يصيروا تربةً صالحةً للبذرة السماوية يسرع العدو إلى زرع زوانه فيهم، ولهذا السبب كنتم أنتم تجربون من العدو، ولما علمنا نحن بذلك كان حزننا عظيما.

واعلموا هذا أيضا: أنّ الذين لا يطلبون الرب بكل قلوبهم لا يجربون من الشيطان بطريقةٍ مكشوفةٍ، بل خفيةً ومكر لكيما بحيله يهلك نفوس البشر بإفسادها وعزلها بعيدا عن الله.

والآن أيها الإخوة، تشجعوا ولا تخافوا إطلاقًا ولا تستسلموا للفزع من الأوهام التي يوجدها العدو. وفي الصلاة لا تستسلموا لمثيراتٍ مشوشةٍ بالإكثار من الصرخات غير اللائقة، بل تلاقوا مع نعمة الرب عند معاناة النفس وحزن الفكر، لأنّ مثل هذه الأمور لا تصادفكم أنتم وحدكم، فالآخرون يشعرون بأمور مشابهةٍ، وهذا كله يحدث منذ العصور الأولى. وعندما كان أسـلافكم يبدأون في المثابرة على الصلاة كانت تهزهم أمواج التجارب لأنهم لم يكونوا قد تدربوا بعد، فكانوا يضطربون بسبب حالتهم الطفولية.

وهذا هو ما تبقّى أن تفعلوه يا إخوة: تشجعوا وتشددوا، جاهدوا واهتموا بنفوسكم، ثابروا بغيرةٍ على الصلاة. لا تدعوا عزائمكم ترتخي لأنه مكتوب أنكم «تحتـاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد» (عب١٠: ٣٦)، والرب قال: «إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما مـن قِبـل أبي الـذي في السموات» (مت١٨: ١٩)، لأنّ جميع الذين يطلبون الله بالحق ينالون قـوةً إلهيـةً في نفوسهم، وهؤلاء كلهم إذ يقتربون من الدهن السماوي يشعرون في أنفسـهم بطعـم وحلاوة الدهر الآتي الذي يختطفه مثل هؤلاء دون كل الساكنين على الأرض.

وســلام من الرب - الذي كان هو نفسه مع الآباء القديسين وحفظهم من كل التجارب - فليدم معكم أنتم أيضا في اسم الآب والابن والروح القدس، آميــن.

۞✪❖✪۞

الرسالة الثانية(*)

تدبير الخلاص والشركة في الطبيعة الإلهية

١ - كلمة الله تتطلّب الأعمال الحقيقية. هكذا الإنسان أيضا عليه أن يتكلّم ويسمع ويعمل، لأنه إذا استمع لمن يتكلم فذلك لكي يعمل بما يسمعه.

في هذا اليوم وِلد الرب الذي هو حياة وخلاص البشر.

اليوم تمّ الصلح بين الله والإنسان، وبين البشرية واللاهوت.

اليوم اهتزت الخليقة كلها: فالعلويون تقدموا نحو السفليين والسفليون نحو العلويين.

اليوم أُبيدت الظلمة وبدأت حياة الإنسان (الحقيقية).

اليوم انفتح الطريق للإنسان نحو الله، وطريق الله نحو النفس البشرية.

في القديم قال النبي: «طرق صهيون نائحة لعدم الآتين إلى العيد» (مرا١: ٤)، مشيرا بذلك إلى هجران النفس وسقمها، لأنه لم يكن هناك أي طريق يوصل الله إلى نفس الإنسان وفكره، والنفس أيضا لم تستطع أن تتقدم أكثر نحو الله.

٢ - اليوم تتهلّل بالفرح الوديان وكل ما فيها لأنّ تربة النفس شربت مــن نــدى السماء. لقد ملك الرب ولبس الجلال (مز٩٣: ١)، فآدم قديما إذ كان سيدا وملكًا صار بسبب التعدي عبدا للخطية. أما اليوم فها هو آدم الثاني يملك على أعدائه: «لأنه يجــب أن يملك» (١كو١٥: ٢٥) كما هو مكتوب.

اليوم ثبت الرب المسكونة (مز٩٣: ١)، أي النفس التي كانت في الماضي مهجورةً بسبب الخطيئــة ومرعوبةً ومرتعدةً وقد استولى عليها الخوف والفزع، لأنه مكتوب: «تحت اللعنة تصير خائر القوى ومرعوبا في الأرض» (أنظر تك٤: ١١و١٢). ففي الحقيقة منذ أن صار هيكل النفس مبنيا على الرمل (أنظر مت٧: ٢٦)، صار متذبذبا مهزوزا، أما اليوم فقد صار مشيدا على صخر اللاهوت الذي لا يتزعزع.

(*) ألقى القديس هذه العظة في عيد الميلاد غالبا في إحدى سنوات القرن الرابع. وهي توضح كيف أنّ ميلاد الرب يعتبر بالحقيقة أساسا لاشتراك الإنسان المسيحي في الطبيعة الإلهية، وبالتالي أساسا لكل الحياة السرية المسيحية والرهبانية. وتعتبر من روائع اللاهوت الآبائي (عن مقدمة الإفتتاحية لمجلة مرقس عدد يناير سنة ١٩٧١م).

اليوم تتهلّل الملائكة والسموات والكواكب مع الشمس والقمر، والأرض وكل ما تحتويه، والجبال والتلال تطفر فرحا. لأنه إذا كان عند خروج بني إسرائيل من مصر ابتهجت معهم الخلائق كلها: السماء ظلّت ترعاهم بسحابةٍ مضيئةٍ في النهار وعمودٍ من النار بالليل، والجبال قفزت أمامهم مثل الكباش والتلال كحملان الغنم (مز١١٤: ٤)؛ فماذا يا ترى يكون هذا اليوم الذي وِلد فيه المسيح؟ لأنه منذ عهدٍ قريب كانت الخليقة كلها تئن من انجرافها نحو الفساد بسقطة آدم ملكها، ولكن الرب جاء ليجدد هذه التي هي صورة الله الأصلية ويعيد خلقتها إلى ما ينبغي أن تكون عليه.

٣ - منذ الآن انقضى زمن دينونة الإنسان، وها قد جاءت الأيام التي تنبأ عنها الأنبياء. لقد انتهت الآن أزمنة السبي والنفي لأنه «قد اقترب ملكوت السموات» (مت٣: ٢). لقد انتهت أزمنة القيود والسجون والحكم على آدم بالظلمات.

اليوم آن أوان الفداء وحرية المصالحة (مع الله) والشركة مع الروح والاتحاد بالله.

اليوم نِزع من الإنسان خزي وجهه ومِنحت له الثقة الضرورية في أن ينظر الله بوجهٍ مكشوف (٢كو٣: ١٨) ويتحد بروحه. اليوم تستلم العروس عريسها. اليوم تمّ الاتحاد والشركة والمصالحة بين السماويين والأرضيين، بين الله والإنسان.

٤ - نعم، كان يليق بالرب أن يأتي لابسا بشريتنا ليغير البشر ويصالحهم مع أبيه. لقد جاء بلا سلاح وأخذ درع الإنسان الذي هو الجسد، وبه انطلق وصارع الموت وغلبة الموت، وهكذا بواسطة جسدٍ مائتٍ قتل عدونا، وبالجسد الذي كان سلاحا للخطية دان الرب الخطية بالجسد (رو٨: ٣)!

في الحقيقة إنّ الأعداء عندما يهجمون فجأةً يجهدون أنفسهم في هدم الأسوار بكل الأسلحة والمعدات اللائقة بالحرب ضد المكان الذي يهاجمونه، أي القاذفات وبقية آلات الحرب. وهكذا قبض العدو على آدم الذي سقط تحت سلطانه مستخدما جسده كسلاحٍ ضده! و ذه الطريقة أسر وسبى جميع البشر.

ولكن المسيح جاء بالوسيلة عينها واتخذ الناسوت كسلاحٍ سحق وأباد به أسوار وحصون الشيطان وكل آلاته ومعداته الرهيبة التي نصبها ضد الإنسان كما هو مكتوب: «الليل (لديك) مثل النهار يضيء، كالظلمة هكذا النور» (مز١٣٩: ١٢)، أي أنّ الله يستخدم الظلمة كالنور، لأنه «كما في آدم هلك الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع» (١كو١٥: ٢٢).

٥ - فالطبيعة البشرية كانت قد ماتت تماما في الحقيقة حينما كانت بعيدة عن الله، لقد كانت نفوسنا محرومةً من الثمر ويابسةً ومقفرةً، ولكنها نالت الآن البذرة الآتية من السماء حتى يمكنها أن تعطي ثمار الروح.

آدم كان وحده، ولو لم يتحد بالمرأة التي جبِلَت لأجله لما أنتج نسلاً، هكذا النفس أيضا إن لم تتحد بالمسيح وتدخل في شركةٍ معه لا تستطيع أن تعطي ثمار الروح. فالبذرة الإلهية هي الكلمة الذي حل في بطن والدة الإله مريم، وهو يحل في كل النفوس المؤمنة فتولد الميلاد الروحاني الذي للخـلاص حسب المكتوب: «بخوفك يا رب حبلنا في أحشائنا وتمخضنا وولدنا روح خلاصك» (إش٢٦: ١٨ حسب السبعينية)، وهكذا تثمر النفس لله.

مكتوب أنّ «المرأة وهي تلد تحزن لأنّ ساعتها قد جاءت، ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد وِلد إنسانٌ في العالم» (يو١٦: ٢١)، وهكذا النفس التي قَبِلَت الزرع السماوي تكون في شدةٍ وتتألّم بتجارب شتى حتى تلد، ولكنها متى ولدت - بمعنى أ ا متى بلغت إلى الكمال - تفرح على الدوام بفرحٍ لا يوصف لأنّ إنسانا سماويا جديدا قد وِلد للعالم العلوي.

٦ - وكما أنّ المخلص اتخذ لنفسه جسدا ورفعه وأجلسه هناك في الأعالي عن يمين العظمة في السماويات؛ هكذا الآن أيضا هو يغير وينقل إلى ملكوته النفوس المؤمنة والمستحقة له، فهو يلدها من فوق بروحـه كما يقول هو نفسه: «من يسمع كلامي ويؤمن ... قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو٥: ٢٤)، لأنّ المؤمنين الحقيقيين في حين أ م يوجدون على الأرض فهم يخدمون الرب في أعلى السموات، والرب الذي يجلس في الأعالي على عرش مجده يستريح في نفس الوقت بوداعةٍ هنا (على الأرض) في أرواح القديسين التي تكون بمثابة عروشٍ (روحية) له، فهم في الحقيقة أعضاؤه وجسده إذ هم يكونون ملء كنيسة القديسين وهو رأس الكنيسة.

وكما أنّ الجسد كله ليست له إلاّ نفس واحدة وأنّ كل عضوٍ في الجسد يعيش وينقاد ذه النفس الواحدة، هكذا جميع القديسين أيضا يحيون بفاعلية الروح الإلهي وبه يعيشون وينقادون، وكل عضوٍ منهم يحيا في شخص المسيح.

٧ - وكما أنّ الجسد المحروم من يدٍ أو رجلٍ أو عينٍ يجعل الإنسان مشوها مذلولاً؛ هكذا النفس المنفصلة والمحرومة من الروح الإلهي تكون مشوهةً ذليلة هي أيضا وتجد

نفسها مطروحةً خارج ملكوت السموات. فإنه مكتوب: «إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» (يو٣: ٣).

لكي يكون جسد الإنسان كاملاً لا بد أن تكون له يدان وقدمان وأذنان، والطائر لكي يستطيع أن يطير يحتاج إلى جناحين وبواحدٍ فقط لا يستطيع أن يحلق؛ هكذا أيضا قد أُعطي للبشر عهدان وبدون العهد الجديد لا يمكن تحقيق العهد الأول. وكل نير يجب أن يكون مزدوجا ولا يتكون إلاّ من مقرن واحد لكي يكون كاملاً؛ هكذا أيضا ينبغي أن تكون للمسيحي الحقيقي نفسان بحسب تدبير الرب: الواحدة مخلوقة والأخرى جديدة سماوية منبعثة من الروح الإلهي. وهكذا يكون الإنسان كاملاً ولائقًا بملكوت السموات ويحلق مرفوعا على جناحي الروح!

٨ - اسم السماء باللغة اليونانية مذكّر: ὁ ουρανος واسم الأرض مؤنث: ἡ γη، هكذا أيضا بالنسبة للعريس السماوي المسيح وعروسه النفس المتوشحة بالجمال والخالية من الأهواء، فالمطر ينــزل من فوق من عند الله والنفس التي تقبله كأرضٍ جيدة تعطي ثمار الروح. وكما أنّ حواء لو لم تكن قد اتحدت بآدم لبقيت عاقرا وغير مثمرة؛ هكذا النفس أيضا بدون اتحادها بالروح واجتماعها بالسماوي: المسيح، تبقى كأرملةٍ عاقر وغير مثمرة لملكوت السموات.

ومن الناحية الأخرى فإنّ العريس السماوي بدون جهاد الإنسان وإرادته لا يستطيع أن يسكن فيه أو يتحد به، ولكن كما أنّ الخمر الممزوجة بالماء تشكل شرابا مقبولاً، هكذا أيضا اللاهوت الآتي ليتحد بالبشرية لكيما تصير جميع النفوس الطيعة والمؤمنة متحدةً بروحه ذاته وتتحول مشيئتها وتصير مقبولةً حلوة المذاق. فكما أنّ الصوف المغموس في صبغة الأرجوان يتحد بهذه الصبغة، هكذا أيضا النفوس التي تنغمس بكاملها في الروح تصير أرجوانا روحيا بحسب قول الكتاب: «المولود من الروح هو روح» (يو٣: ٦)؛ هكذا أيضا هو الرب الذي اتحد جسده باللاهوت.

والحديد أيضا الموضوع في النار يصير ناريا ولا يمكن لأحدٍ أن يلمسه أو يقترب إليه دون أن يحترق ويهلك. إنّ النار وحدها هي التي يمكنها أن تجاور النار، والجمر المشتعل وحده هو الذي يستطيع أن يلامس الجمر بدون أن يتضرر؛ هكذا كل نفس تطهرت بنار الروح وصارت هي نفسها نارا وروحا تستطيع أن تلامس جسد المسيح الطاهر، وأما النفس التي لم تتعرف بعد على الروح فإنه يستحيل عليها أن تقترب إليه ولا أن تشخص في ضيائه الإلهي أو تعيش في نوره البراق.

إنّ كل كائنٍ يعيش في الحقيقة في البيئة التي وِلد فيها: فالكائنات المائية تعيش حيث وِلدت، وطيور السماء تعيش في الهواء حيث ترتاح وتكون حرة؛ هكذا أيضا بالنسبة لحياة النفوس، والجو الملائم للنفوس التي نالت أجنحة الروح يوجد في المواضع العالية التي للاّهوت لأ ا هناك قد وِلدت.

٩ - وكما أنّ سائق العربة يمسك بيديه اللجام ليقود الدواب ويوجهها إلى حيث يشاء؛ هكذا الرب في الأعالي يقود المخلوقات ويوجهها في السماء وعلى الأرض كما يشاء. إنه ساكن في السماء جالس عن يمين العظمة ولكنه أيضا على الأرض متحد بجميع القديسين اتحادا وثيقًا وساكن فيهم.

هو في العلا، ولكنه أيضا مع السفليين.

هو الله، ولكنه صار إنسانا.

هو الحي، ولكنه هو ذاك الذي ذاق الموت.

هو رب كل شيء، ولكنه أيضا خادم الجميع.

هو الحمل والذبيحة أيضا.

هو العجل المسمن المذبوح، وهو هو رئيس الكهنة!

المتألم والذي لا يتأثر بالآلام.

العريس، وفي نفس الوقت هو العروس.

هو الختن وخدر العرس، الفردوس وشجرة الحياة!

مدينة أورشليم الجديدة، وهو أيضا الهيكل وقدس الأقداس!

هو الغمر (محيط المياه) والمسكونة.

هو غذاء النفوس، وهو الذي يقتات بخلاصها!

هو خبز الحياة وماء الحياة، الكرمة الحقيقية والخمر المفرحة!

هو اللؤلؤة والكنـز. هو العتاد الحربي وهو المحارب! الدرع والجندي الغالب!

هو الختان والسبت والناموس! هو رأس كنيسة القديسين وحبة الخردل!

هو الكرمة والمحراث، النعمة والإيمان، العرس ولباس العرس، الطريق والباب، شمس البر ونور النفوس، الحياة والملكوت، البداية والنهاية!

هو الحياة الثانية (أو الأبدية) للكل وصار الكل في الكل!

هو الغصن المقدس الإلهي مولودا اليوم خلاصا وحياةً لنفوسنا، ا ـد لعظمته! ا ـد لمحبته للبشر! ا ـد لعنايته بجنسنا التي لا مثيل لها!

فلنتعز، إذن، ولنؤمن إيمانا راسخا أننا قبلناه لأننا نشعر به ونفرح به طالما أنه قد صارت لنا خيرات هذا مقدارها بمشيئة الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين.

الرسالة الثالثة

طلب الله والحرب غير المنظورة

١ - من يريد أن يرضي الله وفوق كل شيء أن يكون مستحقًا أن يصير ابنا لله، يجب أن يتحلّى بالصبر ويكون شاكرا في المحن والضرورات وجميع الضيقات المتنوعة، وأقصد بذلك في المرض والآلام سواء التي تنتج عنها المصائب الروحية التي تصيبه ا الأرواح الشريرة أو المؤذيات الجسدية والمخزيات والإهانات التي يقاسيها من الناس؛ تلك الأمور التي تبدو كأ ا معوقات تجعل النفس متغربةً عن الملكوت وتنأى ا عن الاقتراب من الله.

فينبغي على الإنسان الذي يريد أن يكون مرضيا عند المسيح أن يفرح ويبتهج ويتهلّل في جميع هذه الضيقات التي تحلّ عليه، ملتهبا بغيرة اشتياقه إلى الله مسرعا نحوه بكل عزيمته. وحتى إذا اعترضته هذه الأمور فعليه بحبه للمسيح أن يتخطّى كل الضيقات ويجعل سلامه وطيدا ثابتا. أما إذا لم يهيئ الإنسان نفسه ويعدها لذلك ويتحمل الآلام والمحن برجولةٍ، فهو ليس ابنا للحياة لأنه لا يتشبه بالقديسين ولا يتبع طريقهم ولا هو يقتفي إثر خطوات المسيح.

٢ - لاحظ بفطنتك وانظر منذ البدء كيف أنّ الآباء والأنبياء والرسل والشهداء وجميع بني الحياة كانوا يفرحون في الضيقات ووجدوا مسرةً في التجارب والضرورات، وكانت راحتهم في المعاملة السيئة من الآخرين والآلام. لأنه قيل إ م كانوا يفضلون بالأحرى أن يذلوا مع شعب الله على أن يكون لهم تمتع وقتي بالخطية (عب١١: ٢٥)، كما قيل أيضا: «يا بني، إن أقبلت على خدمة الرب الإله فاثبت على البر والتقوى وأعدد نفسك للتجربة، اِجعل قلبك مستقيما واحتمل بصبرٍ ولا تتسرع في وقت المحنة، التصق بالرب ولا ترتد عنه حتى تنمو في أواخر حياتك. كل ما يأتي عليك اقبله بفرح وكن صابرا إذا وضِعت في حالـةٍ أدنى، فإنّ الذهب يمحص في النار والمقبولين من

الناس يمحصون في أتون الاتضاع، آمن به وهو يعينك» (ابن سيراخ٢: ١-٦).

وقيل في مكانٍ آخر: "كل ما يأتي عليك اقبله كأنه خير عالمًا أنّ لا شيء يعمل بدون الله" (راجع رو٨: ٢٨)، والرسول المبارك يحثنا قائلاً: «في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام الله في صبرٍ كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات ...» (٢كو٦: ٤و٥)، والرب يقول: «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم ...إلخ» (مت٥: ١١). فإذا أردتم أن تصيروا أبناء ووارثين مثل هؤلاء القديسين فعليكم أن تتشبهوا بسلوكهم وطريقة حيا م وتكونوا تابعين للرب وعاملين بكلامه لأنه «ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه» (مت٧: ١٤).

فعندما تمتحن - سواء في ضيقات أو آلام أو مرض أو تعنيف أو لعنات - فعليك أن تفرح أكثر وتكون سعيدا في هذه كلها لأنه قيل: «ويلٌ لكم أيها الشباعى ... ويلٌ لكم أيها الضاحكون ... ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنا» (لو٦: ٢٥و٢٦)، لأنّ الطوبى معدة من الرب للحزانى وا ربين، ومن يريد أن يحيا حياة أبدية يجب أن يكون شاكرا في جميع الأمور ويقبل الضيقات والأحزان ويحب الاتضاع.

٣ - الإنسان في حضرة الله لا يحتاج إلى الركوع فحسب لكي يقضي اليوم كله في الصلاة - فبلا شك إنّ هذا عملٌ ممتاز - ولكن في الحقيقة إنه لجيد أن يصلي الإنسان وأن يواظب على الصلاة بلا توقف، فهذا عملٌ رئيسي فوق كل عمل، ولكن بدون فضيلة بقية الأعضاء فإنّ الصلاة تعتبر ميتة، ففي الحقيقة إن الصلوات تجد قبولاً عند الله بواسطة الأعمال الصالحة: فلا يبغض المرء أخاه، ولا يتكلّم ضد أحدٍ، ويكون متضعا ولا يفكر في الأمور العالية، ولا يظن في نفسه أنه شيء، ويتمم كل أعمال البر الأخرى.

إذا طلب الإنسان الرب هكذا بكل جديةٍ وقداسةٍ يأتي في الحال ليعيننا، أما إذا لم نطلبه ذه الطريقة فإنّ ما نفعله يعتبر مثل الذي يحدث في المنام، ولا تكون الصلاة سوى أمرٍ سطحي وتعتبر كلا شيء قدام الله.

٤ - لماذا حقًا لا يكشف لنا الله عن نفسه سريعا عندما نطلبه؟ هل لأنه لا يريد ذلك؟ حاشا. إنه في الحقيقة «يريد أنّ جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١تي٢: ٤)، وكل جهاد وكفاح الآباء بل والرب نفسه كان يهدف إلى هذا: أن يصير الله معروفًا للناس، وهذا هو فعل النعمة التي هي الحياة الأبدية. ولكن هذا ناجم فقط عن أنّ ثمة خطأ شخصيا في

النفس يقف حائلاً، ولهذا السبب لا يعرف الرب نفسه ويتوارى عنا، لأنّ إلهنا في الحقيقة لا يتحيز لأشخاص بل إنه يراعي الميول الداخلية وأفكار الذين يطلبونه (أنظر أع١٠: ٣٤و٣٥).

إذًا، فبسبب تراخينا الحالي وتقصيرنا أو نقص إيماننا أو نقائصنا الأخرى التي لا ندري ا - لأننا لا نفحص أنفسنا بتدقيق - لا يجعل الرب نفسه معروفًا لنا، فهو الذي قال إنه يكشف ذاته للذين يطلبونه بقداسةٍ ويحفظون وصاياه، لأنه هكذا مكتوب: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني .. وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي .. وعنده نصنع منـزلاً» (يو١٤: ٢١و٢٣).

دعونا، إذن، نسعى بغيرةٍ إلى فحص أنفسنا كل حين ونتعمق قلوبنا لنعرف سقطاتنا مع وضع ثقتنا في المسيح محرر نفوسنا لكي يجعلنا متحررين من نقائصنا الظاهرة والخفية. وعندما نطلبه حقًا ببر وقداسةٍ فهو حسب وعده يكشف لنا ذاته سريعا مطهرا قلوبنا النجسة من كل شر ووصمةٍ.

٥ - وعلى ذلك، فقبل كل شيء علينا نحن الذين نريد أن نرضي الرب أن نحتضن الضيقات والمصاعب والإهانات حتى نحسب مستحقين أن نحيا معه الدهور كلها. من هو كفءٌ أن يقاسي من الجوع وأن يكون مجربا لأجل الرب ويفرح بذلك؟ مبارك هذا الإنسان، نعم حقًا هو مبارك لأنه سيكتسب ثقةً عظيمةً أمام الله. لأجل هذا كله يريدنا الرب أن نتزكّى إن كنا لا ننساه في الشدائد، لأنه مكتوب: «متقوين ... لكل صبر وطول أناةٍ بفرحٍ» (كو١: ١١)، وأيضا: «ضيق وشدةٌ أدركاني ووصاياك هي درسي» (مز١١٩: ١٤٣ حسب الأجبية). هذا هو الصراع الذي به يسر الله.

٦ - على أنّ معظم الناس الذين يريدون إرضاء الله لا يجهدون إلاّ أجسادهم بسبب نقص المعرفة الحقيقية، ولكن رجل الله عليه أن يصارع بالذهن والأفكار والمشيئات الداخلية الخفية، هذا هو الصراع الحقيقي للنفس بحسب الله ضد الأفكار العديدة التي للقوات الشريرة غير المنظورة، لأنه مكتوب: «إنّ مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ بل مع الرؤساء مع السلاطين» (أف٦: ١٢). فتلك الأرواح الشريرة حيث إ ا غير مرئية وغير جسدانية؛ هكذا أيضا النفس إذا قورنت بالجسد الكثيف فهي غير مرئية وغير جسدانية، لذلك فمن الضروري للمعركة والصراع أن يكونا غير مرئيين وغير جسدانيين في أعماق الإنسان الباطن. لقد صارع الآباء في هذه المعركة منذ القديم رغم أ م كانوا في مظهرهم كبقية الناس، هؤلاء الذين حاربوا ذه الكيفية استطاعوا أن يرضوا الله.

٧ - هذه النفوس الشجاعة والمليئة بالشهامة والتي استهانت بكل شيء هي التي تخرج إلى الحرب، وذلك كما تكلّم موسى النبي بطريقةٍ رمزيةٍ عن تلك الحرب الخفية التي تثيرها الأرواح الشريرة ضد النفس وعن النفوس الملائمة لذلك قائلاً: «الرجل الذي خطب امرأةً ... يرجع إلى بيته (من الحرب) والذي غرس كرما ... يرجع إلى بيته لئلاّ يموت في الحرب» (تث٢٠: ٧و٦). إنه يتكلم هنا عن الارتباط بالماديات، فالذي يصارع ضد أرواح الشر ينبغي ألاّ يعوقه أي انشغالٍ، ومن له ميلٌ شديد إلى المسرات والممتلكات يعوقه عن الخروج للحرب سيقصى من النعيم السماوي، وهذا هو ما قاله الرب في الإنجيل بما يتفق مع كلام موسى النبي بخصوص المدعوين إلى العرس واعتذروا عنه: «قال له الأول: إني اشتريت حقلاً وأنا مضطر أن أخرج وأنظره أسألك أن تعفيني، وقال آخر: إني تزوجت بامرأةٍ فلذلك لا أقدر أن أجيء» (لو١٤: ١٨-٢٠).

٨ - أولئك البواسل والمستعدون لطاعة مشيئة الله هم الذين يتقدمون إلى الحرب الروحية، والإعداد الجيد والكفاءة لهذه الحرب ضد الأعداء الخفيين يكونان في ترك الإنسان لأبيه وأمه وكل اهتمامات الحياة وإعطاء نفسه لله بالإضافة إلى إنكاره لذاته، متخليا عن كل ما اكتسبه من ثروةٍ وما أخذه من والديه الجسدانيين وكل ما يخصه وحتى نفسه، ويعهد ا كلها - بعد الله - إلى الأب الروحي الناسك لكيما يتصرف فيها بالطريقة التي يريدها، وحتى لا يقلق فيما بعد من احتياجه إلى أي شيء، وحتى لا يدين ولا يمتحن ذاك الذي اختاره كقاضٍ وكمدبرٍ لنفسه التي استودعها بين يديه كرجلٍ ذي خبرةٍ ليحضرها إلى الله، وحتى لا يتركه كمن هو غير كفءٍ بسبب ماديات تافهة، لأنّ الأب حينئذٍ ينظَر إليه أنه هو الأكثر نسكًا في هذه الأمور ممن هو خاضع له لأجل الله.

٩ - أخبرني يا من تفعل ذلك: إنك تضع نفسك بين يدي الأب الناسك قائلاً: "ها أنا أُخضِع نفسي لك"، وتنطرح عند قدميه متوسلاً إليه: "خذْ نفسي وأحضرها إلى الله"، وأنت تعلم أنك تفعل ذلك ليس لإنسان بل لله الذي قال: «من يسمع منكم يسمع مني» (لو١٠: ١٦)، وهل تظن أنك غير مخطئ عندما تحنث بوعدك الذي قدمته لله؟ وأتعتقد أنّ استردادك لما أعطيته لله ليس خطية؟ إنّ كيفية سرقته هي هكذا: لقد وثقت بالأب الناسك واستودعت له نفسك لكي يحضرها إلى الله، وها أنت بسبب أمور مادية تافهة دنيئة دنيوية تدينه وتحاسبه، فكيف إذن لا تعتقد أنك أخطأت؟ وهي ليست أية خطية، بل إ ا خطية سرقة المقدسات! هذه الخطية التي كشفها القديس بطرس الرسول عندما انتهر حنانيا وسفيرة عندما استردا جزءًا من

ثمن حقلهما الذي باعاه من أجل خدمة الله، إذ كان قد خصص لخدمة الإخوة، ثم حكم الرسول عليهما بموتٍ شنيع فحل خوف عظيم على الكنيسة كلها (أع٥: ١-١١).

ولكنك تقول: "إنني لم أسترد أي شيءٍ إطلاقًا مما تركته، إنني فقط أتدبر فيه بطريقةٍ ملائمةٍ وبحكمةٍ وبصيرة". ولكن المنطق، بصفةٍ خاصة، لا يسمح لك أن تراقب أو تحكم على شيء لم يعد يخصك، لأنك في الحقيقة لا تعرف ما هو ملائم أن تفعله وما هو غير ملائم، كما أنّ استردادك لما تركته يستوجب اللوم والتعنيف، فضلاً عن اقتناعك بأنك تكذب عندما تقول إنك لم تسترده.

١٠ - أخبرني بالحق، ألم تعطِ نفسك ثم ممتلكاتك لله على يدي الأب الناسك؟ إذن، فهي لم تعد تحت سلطانك. فالترك الحقيقي والأكيد للنفس هو عندما لا يتمم الإنسان مشيئته قط بل أن يكون مثل مجرد مادة خام في يد الصانع (الأُسطى) مخضِعا كل حواسه لذاك الذي أخضع نفسه له بعد الله متطلعا بعينيه بجديةٍ إلى توجيهاته. وكما أنّ المادة الخام لا تقاوم صانعها الذي يرغب أن يصنع منها آنيةً للكرامة أو للهوان، لأنّ المادة ليست لها حياة ولا حواس؛ هكذا المنطق يتطلّب منك أن تكون.

لأنك عندما سلّمت نفسك لناسكٍ ذي خبرةٍ ولم تعد بعد لذاتك؛ فعليك أن تتركه يقودك إلى حيث يشاء وكيفما شاء. وإذا كان هذا هو ما ينبغي بخصوص النفس فكم بالأكثر يكون عليك أن تكون فاقد الإحساس بالممتلكات الأرضية الفانية التي تقول إنك تخليت عنها؟!

١١ - فإذا كنت تتعالى بإدانتك للأب الناسك وتريد أن تفرض مشيئتك، فانظر كم خطية ترتكبها: فأنت أولاً تسـقط في خطية سرقة المقدسات، وبعد أن تخلّيت عن مشيئاتك تسترجعها مرةً أخرى. وثانيا: أنت تدين من اخترته ليكون قاضيا (أو مدبرا) لك. وثالثًا: هذا يؤدي بك إلى مرض العجرفة وحب الذات وروح السيطرة. ورابعا: ستحتقر الإخوة (الرهبان) القدامى الذين ينبغي أن توقرهم، وذلك لأ م كانوا فقراء صعاليك لم يكن لهم أي شيءٍ أمكنهم أن يتركوه، وستريد أن تجعلهم تحت سلطانك لأنك أنت الذي زود م بالملابس واحتياجا م الأخرى. وهكذا عندما تجول في الدير يبدو لك أنّ كل ما فيه هو ملك لك، وهكذا يكون تفكيرك: "إنني قبل حضوري كان الأب فقيرا يرثى له، وبفضلي أنا وممتلكاتي رفع رأسه، وباستخدامه لممتلكاتي بدا منيرا لأصدقائه العابرين به وذا سمعة حسنة لديهم. إنه قبل ذلك كانت ملابسه رثّة، أما الآن

فهي براقة وتعطيه كرامات، وها هو هذا الرجل ا ـرد من المشاعر يريد أن يجعلني مساويا لبقية الإخوة ويجعلني كلا شيء".

هكذا يريد هذا الإنسان أن يجبر الأب الناسك على تغيير حكمه العادل ويجبره بالضغط عليه على أن يقيمه رئيسا على مجمع الإخوة، وإذا كانت له ثقافة عالية يكافح لكي يجلس على كرسي المعلم ويعتقد أنه جدير بأن يبارك آباءه الذين لم يذق - ولا حتى بطرف شفتيه - حيا ـم النسكية، هؤلاء الذين جاهدوا في كل نوع من الفضائل النسكية، ثم إنه ربما يرغب في إبعاد الأب كليةً عن عمله القيادي. وهو في كل هذا يظن أنه لم ينحرف ولم يختلس أو يعوج شيئًا طالما أنه لم يسترجع ماله، في حين أنه بطريقةٍ شريرةٍ وغير لائقةٍ يسعى إلى انتزاع نفسه من بين يدي الأب الناسك.

كم كان من الأفضل أن يأخذ ماله ويرحل في الحال! لأنّ التخلص السريع من الضرر أكثر نفعا من أي مكسبٍ مادي، فيرحم نفسه من أقسى العقوبات التي تستحقها كل شروره غير المحصاة والتي نتجت عن تركٍ (للعالم) مثل هذا، كما أنه يجنب الأب ومجمع الإخوة كله المزيد من الآلام والاضطرابات!

١٢ - أما عنك أيها الناسك بطل التقوى، فإذا أردت أن تعبر هذا البحر العظيم الواسع، هذا المحيط الرهيب، فما دمت قد تقدمت بعيدا عن الأرض وفصلت سفينتك من المادة (أي الدنيويات) فلا ترجع ثانيةً نحو الشاطئ وتطلب الرجوع إلى الوراء، بل ثبت نظرك بجديةٍ نحو السماء، لأنّ تلك السماء التي أدعوك أن تثبت نظرك إليها ستجد فيها كواكب يعرف الربان السماوي وحده عددها وأسماءها، وستجد فيها كل الأنوار: الآباء والبطاركة والأنبياء والرسل والشهداء، أي الكواكب الحقيقية الثابتة التي تضيء ليل الحياة المظلم. وإذ تركز بصرك عليها توجه سفينة التقوى بأمان حتى ميناء الراحة: أورشليم السماوية، إذ تركت كل شيء متشبها بأولئك القديسين، فلا ترجع إلى شيءٍ مما تركته إطلاقًا.

١٣ - كثيرون في الحقيقة هم الذين يتفرغون للسيئات، أما الذين يعيشون بالتقوى فهم نادرون. أما أنت فعزمك على الترك الصعب لا يدخل ضمن عمل الكثيرين الذين يسلكون الطريق الواسع، بل بين الذين يغصبون أنفسهم بواسطة الطريق المستقيم الضيق للدخول إلى الحياة الأبدية. فعليك، إذن، أن تحتفظ بنذرك في ذهنك على الدوام ولا تنساه إطلاقًا لأنك بذلك يمكنك أن تتحمل بشجاعةٍ جميع الضيقات. لأن المستعدين

لتنفيذ مشيئة الله ليسوا هم أي أناس بل الشجعان الذين يسيرون في الطريق المستقيم ويصارعون بلا توقف ضد أرواح الشر، فيرثون الملكوت بحق كجنودٍ مختارين لله.

١٤ - هذا هو ما أُوحي بطريقةٍ أخرى لموسى خادم الله عندما قال إنّ ذوات الأربع التي لها حوافر مشقوقة والتي تجتر هي طاهرة وأنّ الباقية غير طاهرة (أنظر لا١١: ٣ وما بعدها)، وهذا يتفق مع أنّ رجل الله لا يجب أن يهتم باتباع فكرٍ واحدٍ بلا تمييز في حين أنه يرتاح دائما إلى الفكر الشرير الذي يسكن فيه ويسر به، ولكنه يجب - على كل حال - أن يمتحن نفسه في كل وقتٍ بعنايةٍ وإفراز جاعلاً أفكاره الطبيعية نفسها كأعداءٍ محرضين أردياء على فعل الشر. فيجب أن يكون مشقوق الظلف (أو الحافر) ويجتر (أي يتأمل) كلمات وصايا الله ويمتحن فكره بإزائها. كل هذا لكي يتغلّب الفكر الصالح المضاد للشر الذي يسكن فينا على الشر الذي فينا حتى نلبس قوةً من الأعالي (لو٢٤: ٤٩)، فنحطم هذا الشر الذي يسكن فينا بسلطانٍ، وهكذا يتجلى الفكر النقي من طبيعة الإنسان النقية.

هكذا يعتبر الذين يصارعون ويمارسون هذا الإفراز في نفوسهم أ م أنقياء أمام الله، حيث إ م يبتعدون عن الأخطاء الإرادية ويخضِعون مشيئتهم الخاصة لله بقدر استطاعتهم.

١٥ - الذي يريد أن يكون مسيحيا حقيقيا عليه أن يهب نفسه لتعبٍ وصراعٍ ليسا جسدانيين، بل صراعٍ في الذهن ضد الأفكار، ولذلك فعليه أن يعتاد على الهذيذ بقدر استطاعته والتأمل في الصالحات والأمور الطاهرة، وأن يوجه ذهنه إلى الاتجاه الصحيح مصغيا في كل لحظةٍ إلى افتقاد الروح له حتى يمكنه في مثل هذا الصراع أن ينال نقاوة القلب لدرجة أنه يأخذ من كل ما يراه في العالم تعليما لنفسه متفهما كل شيءٍ بأفكارٍ طاهرة. وهكذا فإنّ ثروات العالم ومسراته تجعلانه يفكر في الثروة والمسرات السماوية الحقيقية والنعيم وا د الذي لا يبلى، الذي ليست المسرات الأولى سوى ظل له.

هذا العالم هو في الحقيقة صورة للعالم السماوي الأبدي، وعلى ذلك فكل ما يراه الإنسان في داخل نفسه يحوله إلى منفعته حتى إنه لا يكُف عن التأمل في الصالحات لعله يفوز بالبلوغ إلى تحقيقها بصراعٍ كثيرٍ ودموعٍ وأتعابٍ للنفس، فإنّ الله في الحقيقة يعتبر كل الأشياء طاهرة.

١٦ - الذي يريد أن يهرب دائما من أفكار الشر ويكون حرا عليه أن يؤمن لنفسه ملاذًا وملجأً في الرب ولا يكف عن ذكر الله والثقة فيه، وهكذا يمكنه أن يحارب ضد الآثام

التي تحاصره أو تثقل عليه سواء تلك الآتية عليه من العالم الخارجي أو من القوات الشريرة في الداخل، ويتخلص من كل عاداته وميوله الشخصية. وهكذا فإنّ الآباء بمثابر م على الدوام في هذا الصراع والاتجاه صوب هذا الهدف: رجائهم في الله؛ استطاعوا أن يرضوا الله، وبينما كانوا يمتلكون - بالنسبة للأمور المرئية - نساءً وأطفالاً وممتلكات، إلاّ أنّ أذها م كانت أسمى من العالم. لذلك عندما حلّت م التجارب والضيقات تصرفوا فيها بشجاعةٍ، ولم تحز م خسارة جميع الأشياء المرئية لأ م امتلكوا الغِنى اليقيني الحقيقي: الثقة في الله.

هكذا أيوب الصديق، لما تجرد من كل رجاءٍ منظور وغطّت القروح جسده؛ فقد ظلّ غالبا منتصرا بحبه لله وحده، لأنه لما سما بتأملاته إلى العلا صار أسمى من كل شيء. هكذا نحن أيضا، فلنتحمل بشجاعةٍ وبصبرٍ كل ما يأتي علينا إذ قد صرنا مجروحين بحب الله!

١٧ - وكما أنّ الزوجة التي يصير زوجها في قيودٍ وضيقاتٍ بينما تتلهى هي في المسرات والطياشة، وتظهر هكذا أ ا عديمة الشعور حيث إ ا لا تصون الرباط أو الصلة التي يجب أن تحتفظ ا نحو زوجها، لأنه كان من المناسب أن ترأف به وتشاركه آلامه؛ هكذا النفوس التي ترغب في الاتحاد بالعريس السماوي وتملك معه، عليها أن تسير في الطريق المستقيم الضيق التي سار هو نفسه فيها معطيا نفسه مثالاً لنا. وإذا تحولت هذه النفوس إلى طريقٍ آخر ولم تحتمل جروح الرب ولا آلامه، فهي تعتبر كالعاهرات وتطرد من الملكوت.

١٨ - إذن، فلندع الله بإيمانٍ مليءٍ بالثقة متكلين على رحمته حيث إنّ عندنا مواعيده المكتوبة قائلةً: «من يقرع يفتح له» (مت٧: ٨)، وأيضا: «سأسكن فيهم وأسير بينهم» (٢كو٦: ١٦). إنّ البشر تشدهم ربوات من الاهتمامات وتظلم التجارب حيا م وتجبرهم على الكذب بكثرةٍ حتى حينما يرتبطون بعقودٍ مكتوبةٍ، فهم يكونون أحيانا غير قادرين على ألاّ يظهروا مخادعين حتى لو أرادوا، ولكن الله الذي - على العكس تماما - لا يكذب، يتمم وعده لنا بأن يرسل لنا نعمة وموهبة الروح القدس (أنظر لو١١: ١٣).

ولكننا نحن الكذّابون الحقيقيون لأننا لا نطلبه بإيمانٍ خالٍ من الشك كما علمنا. غير أنه يمكننا أن نطلبه بثقةٍ عظيمةٍ بقدر ما يمكننا أن نسلم أنفسنا بالكلية للرب، متخلين عن مشيئتنا الخاصة وغير عائشين لأنفسنا بل باعتبار أننا قد اشترينا بدمه الثمين ونتمم مشيئة سيدنا، وهكذا ننكر ذواتنا ونستعبد أنفسنا بإرادتنا لذاك الذي اشترانا وحده كعبيدٍ أمناء مخلصين، وحينئذٍ ننال روح الموعد القدوس ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



الرسالة الرابعة

هي إجابة للقديس بفنوتيوس تلميذ أنبا مكاري على سـؤال عن المتوحدين الذين ضلوا وتخلى الله عنهم، وقد أضيفت إلى أقوال أنبا بفنوتيوس

الرسالة الخامسة

المجـد الباطـل

١ - ينبغي أن نعلم أنه يوجد بعض الحكماء وذوي البصيرة من صغار السن الأتقياء الذين تسكن فيهم النعمة. وهؤلاء هم الذين يمسكون بناصية الحديث وكلامهم جيد، والذين يسمعو م - وهم من ذوي البصيرة - يظلّون يمدحو م ويعجبون م ويمجدو م لأ م ينشرون كلمة الله. ولكن يضاف إلى ذلك أيضا أنّ الشرير يحيط م ويحرضهم على محبة ا د وأن يسروا بالمديح، وبذلك يسقطهم في ا د الباطل.

٢ - بنفس الطريقة التي ا يحيد الإنسان عن شهوة الجسد ويطرد عنه الأفكار؛ هكذا ينبغي عليه أن يقاوم ا د الباطل في قلبه وفي أفكاره. كذلك فإنّ الذي (من الرهبان) يطلب منه أن يتكلم ويجبر على التبشير بالكلمة عليه أن يغتم من ذلك ويهرب كما من النار ويطرد الفكر لكي يتخلّص من ذلك ولكي لا يسقط في ا د الباطل بسبب كلامه.

لما أُجبِر موسى النبي خادم الله على الكلام وإعلان كلمة الله لإسرائيل اعتذر قائلاً: «أنا لست كُفئًا للكلام» (خر٤: ١٠ حسب السبعينية). كذلك عندما أُجبِر إرميا النبي على الكلام التهب قلبه كالنار واعتذر قائلاً: «آه يا سيد الرب إني لا أستطيع أن أتكلم لأني طفـل» (إر١: ٦)، وذلك لكي لا يغتصب لنفسه مجد وكرامة العمل النبوي. والقديس بولس هو أيضا قال: «إن كنت أفعل هذا طوعا فلي أجر، ولكن إن كان كُرها فقد استؤمِنت على وكالةٍ (أي مسئولية خدمة)» (١كو٩: ١٧).

في مجال الأمور المرئية: ينفذ المهندس مشروعا، والحداد أو الصائغ بوضعه آنيةً في النار ينتج عملاً؛ هكذا أيضا رجال الله، كانوا قد أُعِدوا ائيا لهذه الخدمة ليس لأنّ حديثهم يجلب لهم ا د البشري ولكن لأنّ كلامهم ينشئ عملاً إلهيا بتعليمهم لنفوس الناس، فيجب عليهم أن يوجهوا إلى السماء أذها م الغبية المغمورة في الشر والخاضعة للغرور والباطل. فبإنارة النفوس التي من هذا النوع وإرشادها وتغييرها إلى الأخلاق الجيدة والسلوك الفاضل يِعدو ا للدخول في الحياة الحقيقية.

٣ - يستولي الشر على حصون عديدة، **الحصن الأول:** هو شهوة الجسد ومحبة الفضة. فقد يبدو على إنسان أنه فقير خارجيا وبلا موارد، ولكنه يجعل مسرته في داخله في الغِنى ومحبة الفضة، وإذا ورث شيئًا يتغير بالكلية. ولكن الله يطلب منهج حياة المسكنة، وإذا التقى مصادفةً بشخصٍ غني فإنه ينفر منه في الحال ويهرب منه كما من النار.

والحصن الثاني: هو ا د الباطل. **والثالث:** هو الكبرياء.

ولكن من ذا الذي سيتمكّن، إذن، من أن يفتح ثغرةً في هذه الحصون والمعاقل ويكون له في داخله كفاح مستمر (أي عمال) بالدموع والجوع والعطش؟

٤ - إذا حدث لك أنك تعرضت لهذه الشرور فاسأل نفسك: ماذا نفعل في هذا العالم؟ إنّ زماننا لقصير، إنّ مصيرك لَهو إلى الفساد وأنت في الطريق إلى القبر. ثم قُل لنفسك: ماذا تفعلين هناك؟ انطرحي أمام الرب لئلاّ يحكّم عليكِ بالنار الأبدية. قـاوم بدون مهادنة العدو الذي يلكمك ويبيد فهمك.

طوبى للذين يعبرون هذه المناطق المظلمة والمرعبة، هذا الليل الرهيب والأماكن المقفرة وهذا الجو الفاسد الذي للخطية ويصلون إلى الراحة والابتهاج في فرح الروح القدس، له ا د إلى الأبد آمين.

الرسالة السادسة

الحيـاة الرهبانيـة

١ - ينبغي أن نعرف ذاك الذي يدعى راهبا، والذي بسبب مثل هذا المنهج من الحياة يستحق بالحقيقة هذا الاسم. وعلى ذلك فسنتكلم بحسب ما يلقننا إياه المسيح:

ففي المقام الأول: هو يدعى كذلك لأنه وحيد بابتعاده عن المرأة، وبكونه تاركًا للعالم من الداخل والخارج: فمن الخارج أي من كل الأشياء الخارجة عنه والدنيوية، ومن الداخل أي من كل ما يصور له هذه الأشياء، بمعنى أنه لم يعد يقبل أفكار اهتمامات هذا العالم.

وفي المقام الثاني: يدعى راهبا ما دام يدعو الله في صلاةٍ لا تنقطع لكي ينقي قلبه من أفكار عديدةٍ مزعجةٍ ويصير قلبه راهبا في داخله، وحيدا أمام الإله الحقيقي، وبكونه لم يعد يقبل الأفكار الناتجة عن الشر، بل بالعكس ينقي نفسه بلا انقطاع كما يليق ويظل نقيا أمام الله.

٢ - وهذا يتوقف على حرية اختيار الإنسان، فإذا أراد أن يوجه إرادته الحرة نحو الرب وحده وأن يستأصل من نفسه الأوجاع والأفكار الشريرة وبذلك يكون نقيا؛ فهو يؤصل في نفسه ثمار الروح القدس التي هي: محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف، هذه التي قال عنها الرسول: «ضد أمثال هذه لا يوجد ناموس» (غل٥: ٢٢و٢٣).

ففي الحقيقة إنه بالدرجة التي يرى فيها الله أنّ عزيمة الإنسان هي في التخلي عن ذاته والاقتراب منه دون أن يستسلم لأي شيءٍ يعوقه وبدون توقف، بهذه الدرجة نفسها يجعل نعمته تفيض عليه وتغنيه. وبالعكس، بالدرجة التي يرى فيها أننا اخترنا ألاّ نشغِل أنفسنا به وألاّ نقترب إليه، بل نستسلم للماديات المعوقة لنا، بهذه الدرجة نفسها يبتعد ولا يعود يهتم بنا. ففي الحقيقة إنه لا توجد حاجة إلاّ إلى إرادتنا الحرة، لأنّ الله دائما مستعد أن يشفق علينا وأن يضيء أذهاننا بشرطٍ واحدٍ فقط هو رغبتنا في تسليم ذواتنا له.

٣ - جبل الله طبيعة روح الراهب لتكون ملائمةً لحبه له وتسليم حياته له. ولكن الجسد المأخوذ من تراب الأرض يفكر في ما هو على الأرض، وبالإضافة إلى ذلك فهو بفعل الشيطان يشد النفس والفكر نحو الأفكار الأرضية. فعلى الراهب إذن أن يكون موهوبا بالإفراز وأن يتخصص في مراقبة هذه الناحية حتى لا يكون مهزوما في الخفاء دون أن يدري.

٤ - يجب أن نعرف أيضا معنى قول المسـيح: «احمل صليبك واتبعني» (أنظر مت١٦: ٢٤). نحن لانفهم أنه ينبغي علينا أن نعلق على خشبةٍ ونتبع الرب هكذا، ولكن الراهب عليه أن يصلب نفسه فيما يتعلّق بأمور العالم (أنظر غل٦: ١٤)، فلا يرتبط بها، كما أنّ عليه أن يصلب فكره بالكامل في الصلاة حتى لا يتهاون في خلاصه. ويجب عليه ألاّ يقبل إطلاقًا الأفكار الرديئة، بل يستخدم الإفراز عارفًا أنها تأتي من الشرير. كما يجب تخليص الفكر من كل تشتتٍ حتى لا يكون مضطربا، لأنه في الحقيقة إن لم يتخلّص منه

فباطلاً يصلي، لأنّ الفكر يشرد هنا وهناك، وإن لم تكن صلاته جيدة فهي لن تصعد إلى الله، وإن لم تكن صلاته نقيةً ومصحوبةً بملء ثقة الإيمان فلن يقبلها الله.

٥ - الراهب ليست لديه في ذاته قوة ولا مقدرة على مقاومة الشيطان ولا أن يستأصل بنفسه أفكار الخطية ولا أن يتمم مشيئة الله ويراعي وصاياه ولا أن يحارب الأوجاع، ولكن تسليم مشيئته لله هو الشيء الوحيد الذي يجعل له قوة، وذلك بأن يدعوه ويتوسل إليه لكي يطهر نفسه من الشيطان وأعماله، ولكي يتنازل ويحلّ في نفسه بنعمته ويملك عليها، ولكي يتمم وصاياه ومشيئته فيه بنفسه، ولكي يستودعه الفضائل التي تصنع البار: أولاً الإيمان الحقيقي، ثم الصلاة الفعالة، والمحبة المسخرة لكل نفسه وكل قواه، والرجاء، والصوم، وضبط النفس، والاتضاع، واللطف، وطول الأناة، والصبر ... إلخ. وبعد ذلك فإنّ المنتفع من كل هذه الهبات لا يستطيع أن يمجد نفسه ويقول: "لقد بلغت إلى ذلك"، بل إنه يرجع الفضل للرب كل حين، لأنه هو الذي دعاه في كل عمل.

ففي الحقيقة إنّ الصبر في الصلاة هو الذي يؤدي إلى نتائج عظيمة، والتهاون - الذي هو هبة من الشيطان للناس - هو الذي يؤدي إلى خمول النفس وظلمتها وضلال الإنسان وابتعاده عن الله وأسر (أو سبي) عقله.

٦ - فعلينا، إذن، أن نكون ساهرين متيقظين، نختار الصالح، وبذلك يمكننا أن نخلص ونحب الله وأنفسنا أيضا بالتبادل (أي أنّ حبنا لله ينبع منه حبنا في خلاص نفوسنا) ليس بالكلام وحده بل بالحق. فإنه بفضل الصـلاة يكتسب الإنسان هذه المحبة في نفسه ويكملها بالأعمال، لأنّ كل وصيةٍ تجتذب من يتممها إلى فوق!

والشريعة المكتوبة تكشف في الحقيقة أسرارا كثيرة بطريقةٍ خفيةٍ، ولكن الراهب إذا تفرغ للصلاة بدون معوقات وللحديث مع الله فسيكتشفها وستشير له النعمة إلى أمور مرعيةٍ أكثر من التي يحتويها الكتاب المقدس. ولن يمكن قط بقراءة المكتوب الوصول إلى نتائج يمكن مقارنتها بتلك التي نحصل عليها بالتوسل إلى الله، لأنّ كل شيءٍ يستمد تكميله من الصلاة. إذن، فالذي يختار هذا الجانب (أي الصلاة) فلن يحتاج بعد إلى قراءة الكتاب، لأنه يعلم أنّ تنفيذه لكل ما فيه يوجد في الصلاة.

٧ - أما فيما يتعلّق بأوجاع الخطية، فهي تقود إلى صراعٍ عنيفٍ لأجل النصرة دون البلوغ إليها، ولكن إذا ثابر الإنسان على الصلاة والتضرع وفوض جميع أموره إلى الله،

فهو يستأصل هذه الأوجاع من نفسه حيث إنه ألقى بكل همومه على الرب. ثم إنّ نعمة الله تتمم فيه أعمالاً عديدة: فهو غالبا يستفيد بفعل التعزية، كما يستولي عليه الاشتياق إلى الله ويغمره فرح لا يوصف حتى إنه يذرف الدموع، وحتى إنّ النفس لو استطاعت لخرجت من الجسد وذهبت إلى الرب.

وأحيانا تفرح نفسه داخليا تحت تأثير نعمة الرب، لأنّ الرب متشدد على الكل وهو في نفس الوقت سخي، ولكن التعزية كثيرا ما تذهب أيضا وتسمح نعمة الرب للشيطان أن يحارب، وهذا يثير الأوجاع الرديئة ويجلب عليه النعاس والاكتئاب والفتور وأمورا أخرى كثيرة لا يمكن شرحها. لذلك، ففي الضيق والألم في كل ما ذكرناه يدعو الإنسان الرب بإيمانٍ راسخ ويجهد نفسه في التضرع إليه، ثم إنّ النعمة تبعِد عنه مرةً أخرى مكائد العدو إذا رأته مثابرا ويطلب رحمة الله بالحق. ثم تفرح قلبه عندما تسمع له وتطهره من كل ما عمله فيه عدو الخير. إ ا في الحقيقة تريد أنّ الإنسـان يمتلكها كأجر لجهاداته وصراعاته في تلك الحروب، كما أ ا لا تريد أنّ الإنسان يختبر حلاو ا باستمرار حتى لا يصير ذهنه بليدا بل ساهرا مصارعا ضد الشيطان. وا د لله، آمين.

❒★❖★❑

الرسالة السابعة

الحرارة الروحية والتخلية

١ - «الروح يهب حيث يشاء» (يو٣: ٨). فهو يهب على النفوس المضيئة المتلألئة الإلهية التي تشتاق أن تخدمه بكل اجتهادٍ. فإن كانت مطيعة للروح المستحق لكل سجودٍ، فهو يعطيها مخافة الله وحرارة المبتدئين. ومتى صار ذلك فيها يعطيها أن تبغِض العالم بالكلية وكل ما يمكن اشتهاؤه فيه للهلاك: الذهب والفضة وحلي الجسد المضلّة، وكذلك أيضا الأب والأم والزوجة والأولاد.

ثم يجعل عمل الله عند الإنسان أحلى من العسل ومن شهد العسل، سواء كان ما يتعلّق بتعب الأصوام أو سهر الليالي أو السكون ησυχια أو خدمة الآخرين أو الصدقة ... كل أمور الله تصير له حلوةً.

٢ - ولكن متى لقّنه كل ذلك فإنه يسلمه إلى التجربة، وحينئذٍ كل ما كان له حلوا يصير ثقيلاً عليه وصعبا. وكثيرون من الذين ليست لهم اختبارات سابقة، عندما تأتيهم التجربة يسقطون تحت ثقلها ويصيرون جسدانيين. ومثل هؤلاء هم الذين يقصدهم بولس

الرسول حينما يقول: «أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟ أهذا المقدار احتملتم عبثًا» (غل٣: ٣و٤)؟ فما كانوا قد احتملوه عبثًا إنما هو الأتعاب التي احتملوها من أجل الله، أما الآن فكون الإنسان قد تلاشى عزمه تماما وترك نصيبه فإنه لم يفقد أجر أتعابه فحسب بل أيضا صار معرضا لعقابٍ أقسى، لأنه احتقر وبدد القوة التي من الأعالي.

٣ - أما إذا قاوم الإنسان الشيطان في هذه التجربة الأولى وغلبه، فإنّ الله يعطيه حينئذٍ حرارةً متصلةً رزينةً خاليةً من الاضطراب، فالحرارة الأولى كانت في الحقيقة مندفعةً ومشوشةً وغير منتظمة، أما الثانية فهي أفضل وتنشأ منها الرؤية، إذ أ ا تثمر صبرا وليس فيها اضطراب، بل هي صادقة وغير مشوشة. فمثل سفينةٍ راسيةٍ في ميناءٍ هادئ هكذا تكون الحرارة الثانية رزينةً وممتلئةً سلاما في كل الأحوال.

٤ - والآن، إذن، يا أبنائي الأحباء، اقتنوا هذه الحرارة الثانية لكي يصير كل شيءٍ خفيفًا عليكم. ففي الحقيقة إنّ هذه الحرارة التي بحسب الله تطرح إلى خارج كل وجعٍ (أي هوى النفس)، وتطرد من الإنسان كل ثقلٍ (أي هم أو ضجر)، وتجعل اللاهوتية تساكنه بحيث يصير هيكلاً لله، كما هو مكتوب: «سأسكن فيهم وأسير بينهم» (٢كو٦: ١٦).

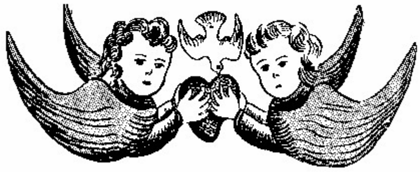
٥ - فإذا شئتم أن تعود إليكم الحرارة التي فارقتكم، فهذا هو ما ينبغي أن تفعلوه: ليقطع الإنسان عهدا بينه وبين الله، وليقُل في حضرته: "اغفر لي ما صنعته في اوني"، وأيضا: "لن أعود أعصاك بعد". ولكي يحفظ نفسه في المستقبل من كل اون يجب عليه ألاّ يتعلّق أبدا بأدنى راحةٍ جسديةٍ أو نفسيةٍ، بل فليكشف أفكاره أمام الرب ارا وليلاً، وليبكِ بلا انقطاعٍ أمام الرب، وليبكت نفسه بكل حزنٍ قائلاً: "كيف صرتِ متهاونةً حتى الآن؟ كيف بقيتِ مقفِرةً كل هذه الأيام"؟

ولكي يتذكر دائما الدينونة والملكوت الأبدي، فعليه أن يبكت نفسه باستمرار قائلاً لها: "كيف؟! لقد أجزل الله لكِ كل هذه الكرامات وأنتِ تعيشين في التهاون؟ لقد أخضع لكِ الخليقة كلها وأنتِ لا تكونين مطيعة"؟! فمتى قال لنفسه ذلك مبكتا إياها ارا وليلاً وفي كل ساعةٍ، فإنّ الحرارة الإلهية تعود إليه سريعا، ولكنها حرارة أفضل من كل وجهٍ من الأولى.

٦ - لما شعر الطوباوي داود بالضجر ينهال عليه قال: «تفكّرت في أيام القدم في السنين الدهرية وكنت أتأمل» (مز٧٧: ٥و٦ حسب النص)، وأيضا: «تذكّرت الأيام

الأولى ولهجت في كل أعمالك، وفي صنائع يديك كنت أتأمل، بسطت إليك يدي، صارت نفسي لك مثل أرضٍ بلا ماءٍ» (مز١٤٣: ٥و٦).

فمتى استعدت الحرارة داخلك تفرغ للهذيذ بعظائم الله، وحينئذٍ ستخلص بنعمة الآب والابن والروح القدس إلى أبد الدهور آمين.



رسائله المكتَشَفة حديثًا(★)

الرسالة الأولى

كيف ينبغي أن يتدبر الراهب

❑★❖★❑

١ - إلى أولادي الأحباء جدا. إنني أرفع الشكر لله إذ قد أُتيحت لي الفرصة أن أكتب إليكم لأذكركم كيف ينبغي أن يتدبر الراهب.

فحسبما أرى، يا أولادي، فإنه ينبغي أن يكون تدبير الراهب هكذا: أن يجلس في قلايته ويجمع عقله بعيدا عن كل اهتمامٍ وكل تشتتٍ ويركز اهتمامه في هدفٍ واحدٍ، وهو أن يداوم تذكار الله كل حين دون أن يعيق قلبه أي شيءٍ أرضي: لا تذكار الأشياء الجسدية، ولا الاهتمام بالوالدين، ولا أحاديث الأصدقاء، بل يكون عقله كما لو أنه (واقف) في حضرة الله، حتى نتمم بذلك قول الرسول: «لكي تكون العذراء مثابرةً للرب من دون ارتباك» (أنظر ١كو٧: ٣٥).

٢ - طقس الراهب شبيه بالملائكة، فكما أنّ الملائكة يمْثُلون أمام الله كل حين، ولا يعطلهم أي شيءٍ أرضي عن الوقوف في حضرته؛ هكذا ينبغي أن يكون الراهب والعذراء. والمخلص إذ يدعوه إلى مثل هذه الرتبة يوصيه أن ينكر ذاته ويحمل صليبه ويتبعه.

٣ - هكذا أنا أناشدكم أن تغصبوا ذواتكم (قليلاً يا أولادي الأحباء لكيما تقتنوا الفضيلة وحدها)، لأنه مكتوب أنّ «ملكوت السموات هو للذين يغتصبونه» (أنظر

(★) عن مجلة: Recherches Augustiniennes, 1999 - 31, p. 104 - 135 مأخوذةً عن الأصل اليوناني.

مت١١: ١٢)، «تشددوا، إذًا، وتشجعوا» (يش١٠: ٢٥) لكي تغتصبوا ملكوت السموات. اِغصبوا أنفسكم أنتم أيضا أن تحفظوا أجسادكم وأنفسكم نقيةً من الأفكار النجسة. اِغصبوا أنفسكم أن تثبتوا مقابل الأفكار التي توحي إليكم بأقوالٍ كثيرة.

٤ - إذا رأيت أشخاصا يضحكون بأمور رديئة، فاحذر أن تضحك معهم حتى لا تشاركهم في خطيتهم. وإذا سمعت من يتكلمون بالسخافات فاغصب نفسك ألاّ تنصت إليهم. كذلك اِغصب عينيك أيضا لكي لا تسعى لرؤية الأشياء التي لا ترضي الله حتى تتمم أنت أيضا ما كُتِب: «وأما أنا فكأصم لا أسمع» (مز٣٨: ١٣)، و«عين طاهرة لا تنظر الشرور» (حب١: ١٣). هكذا تصبح مجاهدا صالحًا قادرا أن تغتصب ملكوت السموات. فإذا غصبت نفسك وبالأخص إذا اتخذت الله مؤازرا لك - كما وعدك حين قال: «كل من يختار أن يعمل الخير، أنا أيضا أشترك في العمل معه» (أنظر رو٨: ٢٨) - ينبغي أن تضاعف ا ـد له، حتى إذا ما رأى ذلك يقبلك في صحبة جميع القديسين، أنت يا من تصلي من أجلي.

٥ - وبخصوص سؤالين كتبتم إلي عنهما: هل يجب على من يوبخ أحدا أن يقول له سبب توبيخه له؟ إن كنت لا تقول له فكيف يمكن أن يصلِح حاله؟ إن كنت لا تظهر للجريح جرحه فكيف يتم علاجه؟ لذلك فمن الأفضل أن تقول له، أما إذا كانت النفوس ضعيفة ولا تقدر أن تسمع فنحن نحاول أن نقول لها بطريقةٍ مستترةٍ ونراعي ضعفها، وذلك مثلما يعطَى الخمر للمريض مخففًا بالماء وأما للسليم فخمرا نقيا، فإذا وجدته قادرا أن يسمع فمن الأفضل أن تعرفه بغلطته.

٦ - وعن السؤال: ٍ"ما الذي تعنيه الصلاة بمواظبة"؟ (رو١٢: ١٢؛ كو٤: ٢). المواظبة تقوم على الثبات سواء كان ذلك في المدة أو في الصبر، حسب المكتوب: «قد تجلّدت كالوالدة» (إش٤٢: ١٤)، أي ثبت أمام التجارب. إذا كانت الصلاة يصاحبها تعب فهي تكون صلاة بمواظبةٍ، سواء كانت بعددٍ كبير من الصلوات أو بعددٍ قليل، فمنذ اللحظة التي يرافقها فيها التعب تعتبر صلاة بمواظبةٍ. وإذا قدم شخص ما طلبةً بمثابرةٍ نقول عنه: إنه قد برهن على مواظبته في طلبه، أي أنه ثبت في الطلبة ولم تبرد همّته. إذًا فالصبر جيد. واعلم أنه حسن أن تصلي بمواظبةٍ من أجل الإخوة.

❑❁❖❁❑

الرسالة الثانية

على الشجاعة

١- «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين» (مت٦: ٢٤). إنكم لا تقدرون أن تعملوا أعمال الله وأعمال العالم بآنٍ واحدٍ: «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال»، فإما أن تكون لله وحده أو للعالم وحده. فإذا كنتم خائفين فلا تتقدموا إلى القتال، لأنه ليس في إمكانكم أن تكونوا خائفين ومحاربين في وقتٍ واحدٍ. لقد كُتِب حقا: «الخائف والضعيف القلب لا يخرج إلى الحرب» (أنظر تث٢٠: ٨). ليس بمقدوركم أن تكونوا ضعفاء وشجعان بآنٍ واحدٍ، أو أشداء ومتراخين في وقتٍ واحدٍ. أُطلبوا أن تقتنوا صداقة الله أو صداقة الناس. لأنّ من يطلب اقتناء صداقة الناس يبتعد بالضرورة عن صداقة الله. فقد كُتِب: «جاهد من أجل الحق حتى إلى الموت» (أنظر سيراخ٤: ٢٨). فالذي يهتم بالحق بالضرورة يطيع ناموس الله، والذي يطيع ناموس الله يناهض الذين يطأون الناموس تحت أقدامهم.

٢ - اسمع ما يقوله إيليا النبي: «قد غرت غيرةً للرب» (١مل١٩: ١٠).

٣ - ليس حسنا أن نطلب مرضاة الكل، لأنه مكتوب: «الويل لكم إن قال فيكم جميع الناس حسنا» (لو٦: ٢٦). لقد مات الأنبياء من أجل الحق، أما الأنبياء الكذبة فقد كانوا يقولون للناس ما يرضيهم، لذلك كانوا محبوبين عندهم. اختر لنفسك ما تريد: إما أن تهتم بالحق وتموت، أو تعمل ما يرضي الناس وتصير محبوبا لديهم. ها أنا أكتب لكم ما هو عندي حسب النور الذي نلته، فاعملوا أنتم - من ناحيتكم - ما يجلب لكم الراحة. ومن جهتي، فإنني أعتقد أنكم إذا عملتم ما يرضي الناس فهم أنفسهم سيشجبون عدم تقواكم.

٤ - أما إذا كنت مملوءًا غيرةً من أجل الحق، فإنه على الرغم من أنّ هؤلاء سيغتمون بعض الشيء، إلاّ أنّ ضميرهم ليس من العمى لدرجة أنهم لا يعترفون أنك تسلك بحسب (مشيئة) الله.

٥ - من يقتني غيرةً إلهيةً يشبه سبط لاوي الذي أطاع الكلام الذي كلمهم به موسى النبي: «مروا وارجعوا من بابٍ إلى بابٍ واقتلوا كل واحدٍ قريبه» (خر٣٢: ٢٧). ولما فعلوا ذلك سمعوا هذه الكلمات: «لقد ملأتم أيديكم للرب» (آية ٢٩). هوذا قد كلّمتكم بالنسبة للذين يلامون والذين يمدحون، وعليكم أن تتشبهوا بمن تريدون: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب، لأنه قدوس» (يش٢٤: ١٥).

الرسالة الثالثة(١٧٣)

١ - أُطلبوا من الرب أن يقوم طرقكم، لأنه غريب على الرهبان أن يغضبوا، وغريب أيضا عليهم أن يحزِن الواحد أخاه، بل ينبغي أن يتكلّموا ويسلكوا كوصية الكتاب المقدس: «صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيءٍ إلى الآن» (١كو٤: ١٣)، وأيضا: «نحن جهالٌ من أجل المسيح» (١كو٤: ١٠)، و«نحن عبيد لكم من أجل يسوع» (٢كو٤: ٥). اِفرحوا عندما تحتقرون، «اِفرحوا و تهلّلوا» عندما تشتمون، حتى تحسبوا كل فرحٍ ما يصيبكم من ظلمٍ من أجل الرب. ألم تسمعوا ما قيل: «إن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأنّ روح مجد الله يحلّ عليكم» (١بط٤: ١٤)؟! اِفرحوا، إذن، عندما تهانون من أجل الله، وقولوا: «إننا حسِبنا مستأهلين أن نهانَ من أجل اسمه» (أع٥: ٤١).

٢ - ينبغي على الأبناء أن يتشبهوا بآبائهم. أطلب منكم، إذن، أن تعلموا أنه بالإضافة إلى كونكم مسيحيين، أنتم أيضا أبناء الرسل. هذا هو في الحقيقة ما يعلِنه لنا الكتاب المقدس: «لأني أنا ولدتكم» (١كو٤: ١٥). فبما أنكم أبناؤهم تمثّلوا، إذن، بسيرتهم وأعمالهم. فهم حين كانوا يجلَدون كانوا يفرحون، وحين كانوا يفترى عليهم لم يضطربوا، وسمعوا الناس يقولون: «إنّ هؤلاء فتنوا المسكونة» (أع١٧: ٦). وقد دعوا سحرةً ومزعجين، وفي كل ذلك ليس أنهم لم يحزنوا فحسب بل كانوا يفتخرون بذلك وهم يقولون: «نشتم فنبارك، نضطهد فنحتمل، يفترى علينا فنعظ، صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيءٍ إلى الآن» (١كو٤: ١٢و١٣). لقد كُتِبت هذه الأقوال لكي نصير نحن متمثلين بهم. فأنتم أيضا إذا ما شتِمتم أو أُهنتم أو افتري عليكم وتقبلتم اللطمات، يجب أن تفرحوا يقينيا في قلوبكم، لأنكم قد اقتنيتم أرباحا كبيرةً وضاعفتم مكاسبكم، إذ إنكم توقعتم (تجارب) أعظم لكي تربحـوا أعظم أيضا. هذا هو ما ينبغي أن يتفكّر فيه المسيحيون، حتى بذلك يعرف أنهم تلاميذ أولئك الذين أعلنوا لنا هذه الأمور.

الرسالة الرابعة

على مخافـة الله

(١٧٣) مأخوذة عن النص السرياني.

١ - ليس شيءٌ أعلى من مخافة الله، لأنّ «مخافـة الرب أعلى من كل شيء» (سيراخ٢٥: ١٤)، وبمخافة الرب يبتعد كل واحدٍ عن الشر. أطلب إليكم أن نقتنيها ونتحول عن كل ما هو غير مرضي لله. أي شيءٍ لا يرضيه فلنحذر من أن نفعله بأي حالٍ، وكل ما نعمله فلنعمله متفكرين أنه يرى الكل، فليس شيء في الخليقة يخفى عن عينيه. إذًا «كل ما عملتم بقول أو فعل» (كو٣: ١٧) أو بالفكر، اِفحص إن كان هذا الأمر مرضيا لله، عالمًا أنه يراه، وبعدئذٍ افعله. ونحن نعلم أننا نكون مرضيين عنده حين نحفظ الاستقامة التي خلقنا عليها، وأننا نحزنه عندما نفسِد ما خلقه هو نفسه. فمع أنّ النفس قد خلِقت على صورة الله، إلاّ أننا أفسدناها، وفي حين أ ا تستطيع أن ترى الله وتتكلم بحريةٍ مع سيدها؛ فقد جعلناها تضلّ (بعيدا عنه)، حتى أ ا لم تثبت بعد في خدمة الله بل في خدمة شهواتنا. إنه حقًا لأمر مرعب أن نكون في خدمة الشهوات. وقد قال أحد الحكماء: "بقدر ما توجد شهوات للنفس بقدر ما يكون لها (أي للنفس) من أسياد"، وأبا نستريون عندما مضى إلى ا مع الكبير قال: "إذا تعوق أحد في الأوجاع فهو عبد للوجع وليس لله".

٢ - أطلب إليكم أن تجاهدوا لكي تقتنوا عدم الأوجاع. الله يتوخى منكم غيرة الرهبان، ويقول لكم بصوت الرسول: «ليكن حلمكم معروفًا عند جميع الناس» (في٤: ٥). اِغصبوا أنفسكم حتى يفرح الله بكم، لأنكم لا تعملون شيئًا غير لائقٍ به. اثبتوا راسخين في مخافة الله واحفظوا نفوسكم بلا لوم. اِحرصوا ألاّ تؤخذ أرجلكم في إحدى فخاخ العدو المنصوبة (قدامكم)، فإنّ العدو يطرح شباكه لكي يصطاد النفوس البريئة إذا وجدها مستسلمةً للنعاس. أما أنتم «فاصحوا واسهروا» (١بط٥: ٨) بأعين النفس النقية، وأنتم ترتلون قول المزمور: «يسقط الخطاة في شبكته وأكون أنا وحدي حتى يجوز الإثم» (مز١٤٠: ١٠)، وأضـف أيضا هذا القول: «بمخافتك، يا رب، حبلنا وتمخضنا وولدنا روح خلاصك على الأرض» (إش٢٦: ١٧).

٣ - وأذكركم أيضا بما كتبه أنبا إبيفانيوس الأسقف: يجب على المتبتلين والرهبان ألاّ يتكلّموا مع النساء. وبالمثل كذلك، ينبغي على العذراء ألاّ تتكلم مع رجل ولا أن تراه.

٤ - تفهموا جيدا ما أقوله، و«ليعطكم الرب فهما في كل شيء» (٢تي٢: ٧). اِفحصوا ما تفعلونه، هل هو مرضي لله؟ هل يبني السامع أو المشاهد؟

الرسالة الخامسة
على التواضـع

١ - حيث إنكم سألتموني عن التواضع، فلن أتأخر عن أن أُشرككم معي فيما تعلّمته من الآباء. وأتكلم بإيجاز فأقول: إنّ التواضع هو أن يعتبر الإنسان نفسه كآخر الكل وأقل من الكل، ويكون ذلك بكل اقتناع قلبي، ليس بالكلام ولكن من كل القلب. فتعلّموا ذلك من المخلص الذي قال: «تعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت١١: ٢٩). وتستعمل كلمة "اتضاع الفكر" بسبب الفكر، لأنّ الاتضاع داخلي هو.

٢ - قال أحد القديسين: "المتواضع هو الذي يمتنع عن كل افتخار". إنه جيد إذًا أن يزهد الإنسان في كل ما يقود إلى الفخر، أي أن لا يطلب مجدا، ولا يشتهي الكرامات الظاهرة، بل يرغب بالأكثر في كل ما هو وضيع.

٣ - أتريد أن تعرف مقدار قوة التواضع؟ تعلّم ذلك من مثل الفريسي والعشار. ذاك الفريسي المرائي كان يصلي قائلاً: «اللهم أنا أشكرك إني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشار، أصوم مرتين في الأسبوع، وأعشر كل ما أقتنيه» (لو١٨: ١١و١٢). فقد ذكر أعماله الحسنة، ولكن فلننظر ماذا قيل عن العشار. لقد قيل إنه وقف من بعيدٍ لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء. أترى القلب المتواضع الذي لا يقدر أن يرفع العينين نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ... هذا نزل إلى بيته مبررا دون ذاك» (عدد ١٣و١٤)!

ها أنت ترى قوة التواضع التي تقدر أيضا أن تطهر من الخطايا. جيد، إذن، أن تكون متواضع القلب، أي أن تكون متواضعا بالحقيقة، وأن ترتب أيضا الأمور الخارجية، وأن تكون متواضعا في كلامك وفي ثيابك وفي حركاتك (لأنه توجد أيضا حركة مملوءة عجرفة)، وأن تكون العينان متجهتين إلى الأرض (لأنه توجد أيضا نظرة مملوءةً تشامخًا)، والحذاء زهيدا والمشي دون عجبٍ (لأنه توجد أيضا مشية مملوءة عجبا).

٤ - هذا، إذًا، ما تسلّمناه من الأسفار الإلهية. وأريد أيضا أن أذكر من سِير الآباء القديسين: قيل عن أنبا بامو إنه ظلّ يتضرع إلى الله لمدة ثلاث سنوات قائلاً: "لا تمجدني

على الأرض". فأعطاه الله مجدا لدرجة أنه لم يكن أحد يقدر أن يثبت نظره فيه بسبب ا د الذي كان على وجهه.

٥ - وأب آخر كان حبيسا، وكان محبوبا جدا في المدينة، وذا كرامةٍ عظيمة. هذا قد أُخبِر أنّ أحد القديسين سينتقل وينبغي أن يذهب لكي يودعه قبل نياحته. لكنه قال لنفسه: "إذا أنا خرجت في النهار فإ م سيتبعونني ويقدمون لي تكريما كثيرا ولن أجد راحتي، فلأخرج، إذن، في المساء عند حلول الظلام دون أن يراني أحد". وهكذا خرج من قلايته وقت حلول الظلام متخفيا، وإذ بملاكين مرسلين من الله يحملان مشاعل ليظهراه. فخرجت المدينة كلها وأسرعوا لرؤية منظر مجده. وهكذا حظي بمجدٍ أعظم بكثير من ا د الذي فكّر أن يهرب منه. وفي ذلك يكمل المكتوب: «كل من يضع نفسه يرتفع» (مت٢٣: ١٢).

الرسالة السادسة

١ - إ ا لَنعمةٌ عظيمةٌ من الله أن يندم الإنسان على خطاياه، لأنه يحدث للنفوس المختلفة أنّ بعض الخطاة يتبكّتون بسرعةٍ بالندم بينما أنّ آخرين لا يتقدمون إلى التوبة، ويظهرون أ م أموات لا يستحقون الحياة (أُنظر عب١٢: ١٧)، لأنّ الله «قد سيج حولهم» (أي٣: ٢٣). «فماذا نقول؟ ألعلّ عند الله ظلما؟ حاشا!» (رو٩: ١٤). فإن كان الله يلقي الندم في قلوب البعض ويقسي آخرين، فلا يعتبر ذلك ظلما من جانبه، لأنّ الله لا ينظر كما ينظر الإنسان، بل ينظر إلى القلوب (١صم١٦: ٧)، ويمتحنها. إنه يعرف من هم المهيأون لعمله، ولمثل هؤلاء يعطي نعمة الندم.

٢ - تأمل ما قيل عن عيسو: «لم يجد للتوبة مكانا مع أنه طلبها بدموع» (عب١٢: ١٧). اِعلم أنّ ما طلبه بدموع لم تكن هي التوبة، بل بركات أبيه، وهذا هو ما نفهمه من قوله لأبيه: «ألك بركة واحدة فقط يا أبي» (تك٢٧: ٣٨)؟ ثم ألم يكن الاثنان اللذان صلِبا (مع يسوع) لصين؟ فلماذا استنار الواحد لدرجة أنه تاب، بينما عمِي الآخر؟

وألم تكن هناك زانيات كثيرات أيام يشوع؟ فلماذا لم تخلص سوى زانية واحدة وهي راحاب؟

٣ - تفكّر في ذاك الذي يمتحن القلوب. انتبه، إذًا، أن لا تستعلي عندما ترى سقطة أي أحد، بل بالأحرى أن تحترس لئلاّ تسقط أنت بدورك. هل الذي يسقط لا يقوم (إر٨: ٤)؟ أقول لك إنه يجب علينا أن نراعي النفوس بالرغم من كل شيء ونظهر لها برهان الشفقة. نحن نقرأ عن بطرس أنه «إذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً: يا رب نجني» (مت١٤: ٣٠). هكذا أيضا إن كنا نصرخ بمداومةٍ إلى الله فلن يدركنا أي خطر. إنه حقا جهاد عظيم وأمر رهيب أن تسهر على النفس، وبالأخص بالنسبة لنا نحن الذين نحفظ السكون ينبغي أن نحرس الأفكار. حقا إنّ «مصارعتنا هي مع الرؤساء والسلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، وضد أرواح الشر» (أف٦: ١٢). حربنا هي ضد الجسد والملذّات التي تضطرم فيه، وضد الشهوات التي تتولّد في النفس، وضد الأباطيل التي تثور فينا، وضد الغضب والغش وضد كل الأفكار التي تأتي من علل مختلفة.

٤ - اثنان كانا يسكنان معا، فقال أحدهما للآخر: "لنفترق". وفي الوحدة حاربته أفكار ضد أخيه بشدة لدرجة أنه كان يصرخ بصوتٍ مرتفع: "إنني لا أكره أخي"!

٥ - لذلك ينبغي أن نحترس من أفكارنا ونقاومها أولاً بأول. أما إذا صرنا ضحيةً للوهم فلا نستسلم لليأس، بل بالعكس، لأنّ هذا الأمر يأتي من الشرير. ولنعلم أنّ مثل هذه الأمور يسمح ا لنا حتى نتعرف على ضعفنا وأننا بشر، كما أنّ هذه الأوهام تقابلنا لكي تجعلنا أكثر خبرة. وهكذا ينبغي أن ننوح لكوننا قد انخدعنا، وأن لا نيأس لأنّ «الرب حنانٌ ورحيم» (مز١٤٤: ٨)، ويعرف ضعفنا ويتراءف علينا.

٦ - إذا كنت حين توبخ أحدا تستسلم للغضب، فأنت بذلك تشبع وجعك الخاص بك، فلا ينبغي أن تهلك نفسك لكي تخلص آخرين.

٧ - أتريد أمرا ما؟ إن كنا لا ننجح فلا ينبغي أن نحزن، لأنّ ليس كل ما نريده يكون بالضرورة نافعا لنا. أقول: إنّ المشيئة هكذا تكمل. كم مرةً تريد أن تعيش عمرا طويلاً ولا تبلغ إلى ذلك؟ لأنه ليس نافعا لك. فلا تقل، إذًا: إنني إذا فعلت هذا الأمر سيكون بمقدوري أن أخلص. ولكن اشكر الرب الذي يدبر النفوس بمعرفته. أتريد أن تعرف ما هي المشيئة التي بلا عيب والتي بدو ا لا يمكن أن نخلص؟ حسنا! اِعزم أن تكمل كل فضيلة: العفة والاعتدال

والمحبة والتواضع والسلام والوفاق في مخافة الله. وبعد أن تكون قد بحثت عنها اِجعلها تترسخ فيك واحفظها جيدا حتى تحققها، حينئذٍ ستنال الجزاء من الرب.

❑❖✪❖❒

الرسالة السابعة

على المحبـــة

١ - «أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة» (١كو١٣: ١٣). حقا إنه ليس شيءٌ عظيم وهام كالمحبة، والقديس يوحنا اللاهوتي يؤكد أ ا فائقة الإدراك فيقول: «الله محبة» (١يو٤: ٨). إ ا تجعل عاشقيها أحباء لله، وتبلغ حتى إلى عرش الله. إ ا تعلو فوق السـموات والملائكة ورؤساء الملائكة والقوات والرئاسات والسلاطين والكراسي والأرباب، وتبلغ إلى الله ذاته.

٢ - لقد قيل: «صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارا أمام الله» (أع١٠: ٤). كذلك فإنّ الذين جرحوا بمحبة الله «يرفعون أجنحةً كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون» (إش٤٠: ٣١). فالذين يسلكون في محبة الله يجرون، ولا يكون شيء مما يحدث لهم صعبا أو محزنا، بل بالعكس تماما، فإ م يعتبرون كل شيءٍ بلا أهمية، ولا شيء على الإطلاق يغمهم أو يحز م سوى الخطية وحدها. والمحبة لا تغضب إذا تلقّى الإنسان اللّطمة من قريبه، لأنّ «المحبة لا تحتد ولا تظن السوء، وتحتمل كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء» (١كو١٣: ٥و٧).

٣ - الذين يحتملون التجارب بألمٍ وحزنٍ لا يسيرون على طريق المحبة، وهم أبعد من أن يبلغوها، ولكنهم يتكبدون الضيقات والهموم بسبب عدم إفرازهم وينهكون «لأنه قد اضطرب كل عديمي الفهم في قلو م» (مز٧٥: ٦). أما الذين يتقدمون على درب المحبة فيصيرون أحباء الله، يطلبون بدالّةٍ فيعطَون. فكما أنّ الجنود المتميزين يخاطبون قاد م بدالّةٍ، هكذا أيضا أولئك الذين يطيعون الله، لأ م أحباء مختِيرون، يطلبون بدالّةٍ ويأخذون. فالغضوب، إذًا، لا يستطيع أن يكون محبا لله، ومثله البخيل ومحب اللّذّات والمعجب بنفسه والمبغض لأخيه والنهم ومحب المديح والمستهتر. فأحباء الله من يكونون، ومن أي نوع هم؟ لقد قال الرب نفسه: «أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به» (يو١٥: ١٤).

٤ - المحبون المخلصون من عاد م أن يدافعوا عن أحبائهم. فإذا أساء أحد إلى صديق لهم أو أحزنه أو افترى عليه، فإن كانوا أحباء مخلصين فحالما يسمعون عن ذلك لا

يطيقون، بل يطالبون بالإنصاف وحتى في غياب أحبائهم. هكذا يحامي الله عن أحبائه، فهو يحارب عنهم الشيطان ولا يسمح له أن يسيء إليهم بأي حال من الأحوال. والمحبون بدورهم يغيرون غيرةً من أجل الله مقابل الذين يجحدونه أو يحزنونه ويفترون عليه، وكمحبين مخلصين يغيرون لله، كما فعل البار فينحاس (عد٢٥: ٧) حين غار لله، كمحب مخِلصٍ، وانتقم له. هذا بعكس عالي الذي لم يدافع (عن الله)، لكنه تساهل مع بنيه ولم يقِم حق الله، فأُدين.

٥ - ينبغي عليك، إذًا، أن تصفح عن الإساءات التي تلحقك ولا تطالِب أبدا بالحق لنفسك. فقد سأل القديس بطرس الرب: «كم مرة يخطئ إلي أخي وأغفر له» (مت١٨: ٢١)؟ تفطّن جيدا معنى قوله: "إلي"، فهو لم يقُل: "إلى الله". إذًا، فالأخطاء التي توجه إليك، اضبط نفسك وتجاوز عنها واتركها، وذلك مثل الشتيمة والإهانة والافتراء والوشاية والاحتقار والازدراء وما أشبه ذلك، هذه كلها اغفرها ولا تطالب بحقك.

٦ - أما إذا أخطأ شخص ضد الله، فاحترس ألاّ تظهر عدم الاكتراث، أو تترك الأمر يمر دون اهتمام أو تبدي صبرك مقابله، لكن ينبغي أن توبخ وتنتهر وتعظ (٢تي٤: ٢) وتداوي.

الفصل الثاني

تلاميذ أنبا مقار

****

(١) قصص وأقوال

القديس أنبا مقار الإسكندراني(✪)

قيل عن أنبا مقار الإسكندراني إنه قبل رهبنته كان في الإسكندرية يعمل بائعا للحلوى اللذيذة التي كان خبيرا فيها حتى اجتذبت أهل بلده الشهوانيين، ولكنه لما هجر

(✪) يسمى أحيانا بـ "المدني" نسبةً إلى أنه من المدينة العظمى الإسكندرية، وقد تتلمذ في بدء حياته الرهبانية لأنبا بامو.

(174) Les Saints d' Egypte, P. Cheneau, 2 Janvier.

العالم كان ذلك بفرح شديد لدرجة أنه استبدل الحلاوة التافهة التي لوظيفته الأولى بالعذوبة التي لا توصف التي لخدمة الله(١٧٤).

وقيل عنه إنه لما علم بطريقة حياة أنبا أنطونيوس عزم على الاقتداء به، فذهب إلى برية القلالي (شمالي برية شيهيت) التي كانت حينئذٍ موضعا منعزلاً رهيبا، ليست لها طرق من أي نوع ولا أي أثر للحياة، ولا يوجد فيها ماء، وحتى إن وجِد فيها أي منخفَض في الأرض يحتفظ بقليل من الماء فإنه يكون مالحًا وغير صالح للشرب.

هذا المكان كان يحتاج الإنسان للوصول إليه إلى يوم وليلة ويهتدي بنظام وضع النجوم في السماء بالليل، ومع ذلك فقد ظل عدد النساك يتزايد فيه حتى وصل إلى أكثر من خمسة آلاف ناسك في اية القرن الرابع(١٧٥).

وقيل عنه أيضا إنه في تلك البرية كانت اجمه أحيانا تجارب قاسية، ففي أحد الأيام ظهر له الشيطان، وكان قد أضناه الجوع والعطش والتعب، وقال له بنغمةٍ عذبةٍ ماكرة: "لماذا لا تستخدم ما بقي فيك من قوة لتحصل على الطعام بثمن زهيد لكي تواصل طريقك هذا بارتياح"؟ فأجابه القديس: "إنّ قوتي هي في الرب الذي له كل تمجيدي، أما أنت فاذهب من هنا ولا تأتي إطلاقًا لتجرب خادم الله". فصور له الشيطان جملاً كبيرا عليه حمولة هائلة من الأطعمة، ويوحي منظره بأنه ضالٌ وينوء بحمولته. ولكن أنبا مقار كان يتوقع ظهور مثل هذه الأشباح من الروح الشرير، لذلك انتصب للصلاة وللحال انشقّت الأرض وابتلعت الدابة مع الأطعمة(١٧٦).

وقيل عنه أيضا إنه في أيام شبابه (بعد رهبنته) قضى سنةً كاملةً لا يرتدي سوى قطعة من القماش على حقويه وأعضائه. كما قيل إنه كانت له عدة قلالي أو مغاير: واحدة في البرية الداخلية، وأخرى في جبل منطقة القلالي، وثالثة في جبل "برنوجي"، ورابعة في جبل الريان(١٧٧). وكان القديس يستخدم القلالي البعيدة الضيقة للاعتكاف في الصوم الكبير، أما قلايته التي كانت قريبة من الإخوة فكانت واسعة وكان يستقبل فيها الإخوة أي

---

(١٧٥) معظمهم تتلمذ لأنبا مقار الكبير ونزحوا تدريجيا معه إلى برية شيهيت . أما تلاميذ أنبا مقار الإسكندراني فقيل إنـهم كانوا حوالي ستمائة راهب: المرجع السابق.

(١٧٦) المرجع السابق؛ Monach., XXI, 3

(١٧٧) على بعد نحو ٥٠ كم جنوبي الفيوم وغربي دير أنبا صموئيل، وهو الجبل الذي عاش فيه الأب متى المسكين مع أولاده الرهبان العشرة في الأعوام ١٩٦١ - ١٩٦٩، وهناك اكتشفوا هذه المغارة وبنوا فيها مذبحا صلوا عليه قداسا م، وتحقّقوا من هذا الاكتشاف من وجود اسم القديس مقار الإسكندراني باللغة القبطية، ويبدو أنه عاش هناك فترةً من الزمن.

تلاميذه الذين يريدون أن ينتفعوا منه[١٧٨].

ذهب مرةً أنبا مقار الإسكندراني مع بعض الإخوة ليقطعوا بوصا، وفي اليوم الأول قال له الإخوة: "تعالَ كُلْ معنا يا أبانا"، فذهب وأكل معهم. وفي اليوم التالي دعوه مرةً أخرى ليأكل فلم يوافقهـم بل قال: "يا أولادي، إنكم تحتاجون الآن إلى طعام لأجسادكم، ولكنني لا أريد أن آكل الآن"[١٧٩].

حدثت مجاعة في **كل الأرض** وعند الليبيين الذين كانوا يسكنون في ذلك الجبل، وجاء لصوص ليبيون يبحثون عن أي شيء في الصحراء ووصلوا إلى قلاية أنبا مقار ومعهم ناقة محملة بأوانيهم، ولم يكن القديس في قلايته، فأخذوا كل احتياجاته الجسدية ومنها شغل يديه وسـعف النخل، ووضعوها على الناقة، ولكن الناقة لم تستطع أن تقف وظلّت تصرخ. ولما أتى الصباح خرج الشيخ من مكانه ورآهم فسكت ولم يتكلم. ولما رأوا الشيخ سجدوا له نادمين، أما هو فلم يغضب ولم يوبخهم بل دخل قلايته ووجد أ م أخذوا كل شيء ماعدا آنية صغيرة ا بعض الزيتون كانت وراء الباب ولم يروها، فأخرجها القديس لهم قائلاً: "أتريدون أن تعلموا لماذا لم تستطع الناقة أن تنهض"؟ فقالوا: "نعم". فقال لهم: "لأنكم نسيتم هذا الزيتون". وحالما وضع الآنية فوق الناقة وضر ا برجله قامت، فتركهم يذهبون بسلام وهو يشيعهم!

وفي الغد حضر بعض الإخوة من سفر إلى الشيخ لسماع أقواله النافعة، ولما حان وقت الأكل وأراد الإخوة أن يأكلوا قليلاً علم أفكارهم وقال لهم: "إن كانت عندكم أرغفة في حقيبتكم فأحضروها لنأكل قليلاً لأن حاجات الجسد التي كانت عندي أعطاها الله لبعض العلمانيين الذين لهم نساء وهم فقراء معتازون في ا اعة القائمة الآن"[١٨٠]!

قال بالليديوس: "قابلت أيضا الأب مكاريوس الآخر[١٨١] الذي كان من الإسكندرية وصار كاهنا لمنطقة القلالي، وذلك لكي آخذ مشورته. وقد سكنت في ذلك الجبل تسع سنوات، وكان هذا القديس حيا لمدة ثلاث سنوات منها. وقد رأيت الكثير من أفعاله بعيني أما الأخرى فقد سمعت عنها".

---

(178) Am., p. 251 ; س ١٩ ورقة ٧٢

(179) Apoph., Mac. Alex., 1.

(180) Am., 249.

(١٨١) يقصد الإسكندراني بعد أن قابل قبله أنبا مقار الكبير، ومعروف أنّ بالليديوس ذهب إلى برية القلالي حوالي عام ٣٩٠م.

(١٨٢) كما ذكر كتاب "شينو".

(١٨٣) س ١٩ ورقة ٧٢ ؛ "شينو": ٢ يناير ؛ Laus., 18: 1

(١٨٤) س ١٩ ورقة ٧٢ ؛ "شينو": ٢ يناير ؛ Laus., 18: 1, 2

”وكانت له غيرة عظيمة حتى صار من طبعه أنّ أية فضيلة أو طريقة نسكية يسمع أنّ إنسانا يمارسها كان لا يتوانى عن ممارستها حتى يصل إلى كمالها، وقيل عنه[١٨٢] إنه كان يعمل على أن تفوق أعمال توبته على المتوحدين الآخرين بسبب شعوره أنه أحقرهم وأنه خاطئ أكثر منهم جميعا. وعندما كنا نجلس معه نحن الشبان كان يذكر لنا طريقته هذه قاصدا بذلك أن يجذبنا إلى نفس جهاده ويقوي قلوبنا ويجرئنا على هذا الطريق ويحررنا من الكسل“[١٨٣].

سمع القديس مرةً أن بعض الرهبان الباخوميين في دير "طابنيسي" بالصعيد لا يأكلون شيئًا مطبوخا بالنار في الأربعين المقدسة (الصوم الكبير)، فظلّ هو أيضا سبع سنين لا يأكل شيئًا مطبوخا بالنار ولا فواكه إلاّ البقول التي تؤكل نيئة والحبوب التي تبلّل بالماء.

وفي مرةٍ سمع أن أخا يأكل رطلاً واحدا من الخبز كل يوم عند غروب الشمس، فكسر هو أيضا الخبز الذي كان عنده وألقى بكِسرِهِ في جرةٍ، ووضع في قلبه أن لا يأكل من هذه الكسر إلاّ ما تستطيع يده أن تخرِجه من الجرة ذات الفوهة الضيقة، وكان يكتفي بذلك عند غروب الشمس.

ويقول بالليديوس: ”إنّ القديس كان يمزح ويتباسط معنا قائلاً: ’إذا جاء وقت أكلي أضع يدي في الجرة وأملأها بقوة، ولكن فم الجرة يمنع يدي من الخروج لأنه ضيق فكنت أغتاظ! وظللت على ذلك ثلاث سنوات آكل كل يوم عند غروب الشمس الخبز بمقدار والماء بمقدار، وكنت أستعمل في السنة كلها قسطًا واحدا من الزيت. ولما أتقنت ذلك أقمت سنة كاملة آكل كل يومين، ثم أقمت زمانا لا آكل إلاّ يومي السبت والأحد. ولما شعرت أنني لا أستطيع أن أدوم على ذلك لأنه كان يعطلني عن شغل اليد وعبادتي غيرت نظامي قليلاً‘“[١٨٤].

وقال أنبا مقار الإسكندراني: ”غلبني النوم مرةً حتى نمت كثيرا جدا، فانتبهت برجفةٍ ووضعت في قلبي أن أغلب النوم، فأقمت عشرين يوما لا أدخل تحت سقف قلاية، وكانت تحرقني حرارة الشمس في النهار وأرتعش من البرد في الليل، وذلك حتى طاب قلبي أنني قويت على السهر، ثم بعد ذلك لأجل ضعف الطبيعة (البشرية) جعلت النوم بمقدارٍ ... ولما دخلت إلى الظلّ ووجد الجسد راحته ثار علي فكر الزنى وشهوة الجسد النتنة، فأخذت وعاءً يسع خمسة أقساط من الماء ومقطفًا وعشر خبزات وذهبت إلى البرية الداخلية، وركعت في البرية في الحر والندى أضفر الخوص وأنا عريان في برد الليل وحر النهار لمدة عشرين يوما لم أنم

فيها البتة بل ظللت راكعا على ركبتي حتى فارقني شيطان الشهوة"[١٨٥]!

سمع مرةً **أنبا مقار الطوباوي هذا** عن رهبان دير "طابنيسي" بالصعيد أن لهم نسكيات عديدة وعظيمة، فاستبدل ملابسه بملابس عامل، وسافر ماشيا لمدة خمسة عشر يوما حتى وصل إلى ذلك الدير، وطلب مقابلة أب الدير القديس باخوميوس الذي كان مختارا ومعروفًا. ورغم أنه كانت له موهبة النبوة، إلاّ أنّ الله لم يعلِمه بأي شيء بخصوص أنبا مقار، لأنه كان قد سمع عنه وأراد أن يراه. ولما تقابلا قال الضيف للأب: "أتوسل إليك يا أبي أن تقبلني في ديرك لعلي أستطيع أن أكون راهبا". فقال له الأب: "إنني أرى يا أخي أنك قد شخت جسديا ولا يمكنك أن تتنسك[١٨٦]، والإخوة هنا جميعهم نساك، إنك لا تستطيع أن تتحمل الاستمرار في الأعمال النسكية وبذلك تعثُر، فأقم في موضع الغرباء (المضيفة)، وسنطعمك حتى تمضي من هنا بإرادتك".

ولم يدع الأب ضيفه يدخل الدير إلى سبعة أيام. ولكن أنبا مقار ظلّ بدون طعام، ثم ألحّ عليه مرةً أخرى قائلاً: "اقبلني يا أبي، وإذا لم أصبر وأتنسك ولا أعمل في شغل اليد مثل الرهبان فاطردني من ديرك". فأمر الأب الإخوة أن يدخِلوه، وكان عددهم حينئذٍ ١٤٠٠ راهب.

وبعد قليل بدأ صوم الأربعين المقدسة (الصوم الكبير)، ورأى أنبا مقار أنّ كل واحدٍ من الإخوة يمارس نسكيات مختلفة عن الآخر، فالبعض يصوم إلى الغروب وآخرون يأكلون مرةً كل يومين وغيرهم يأكلون كل خمسة أيام وآخرون يقفون الليل كله ثم يجلسون في النهار ... فبل أنبا مقار سعفه بالماء ووضعه على مصطبةٍ عاليةٍ يمكنه أن يصل بيده إليها، ووقف في أحد الأركان يضفر الخوص طوال الأربعين يوما، ولم يجلس البتة ولا أكل خبزا ولا شرب ماءً ولم يثنِ ركبتيه ولم يضطجع، وكان كل يوم أحد فقط يأكل بعضا من ورق الكرنب حتى يبدو آكلاً أمام الآخرين. وإذا خرج لقضاء حاجته أو ليبلّ الخوص كان يرجع سريعا دون أن يكلم أحدا أو يفتح فاه، بل كان يقف صامتا يصلي بقلبه وهو يضفر الخوص.

ولما رأى الإخوة كل ذلك قالوا لأبيهم: "من أين أحضرت إلينا هذا الرجل الذي كأنه بدون جسد ليدينا؟ إذا لم تخرِجه من هنا نخرج نحن جميعا من هنا"! فلما علم أنبا

(١٨٥) س ١٩ ورقة ٧٢ و ٧٤؛ Laus., 18: 3

(١٨٦) يرجح "بتلر" أنّ أنبا مقار الإسكندراني كان عمره حينئذٍ بين ٤٠ و ٥٠ سنة، ولكن أنبا باخوم يقصد أنه صار من الصعب في عمره هذا أن يتعلّم الحياة الرهبانية.

باخوم بكثرة عبادته ونسكياته صلى طالبا من الرب أن يكشف له أمره، فأظهر الله له شخصيته، فأخذه بيده إلى الكنيسة أثناء التسبحة، وبعد انتهاء الصلاة قال له: "تعال أيها الشيخ الفاضل، أنت الأب مقار القس الإسكندراني وأخفيت عنا ذلك! كم سمعت عنك واشتهيت أن أراك منذ عدة سنوات، لكنني أشكرك لأننا كلنا انتفعنا منك، فقد علمت الإخوة النساك حتى لا يتعظّموا في نفوسهم بسبب نسكيا م، ولكي يعلموا أ م مهما بذلوا ما في وسعهم فلن يبلغوا إلى درجة صوم الأربعين يوما كما صامها سيدنا يسوع المسيح تماما، ولا حتى إلى درجة نسكياتك أنت أيها الإنسان مثلنا مع أنك قد صرت شيخا. فاذهب إلى قلايتك بسلام لأنك علّمتنا بما فيه الكفاية، وصل من أجلنا".

ثم فارقهم وهم يقبلونه طالبين صلواته لأجلهم[١٨٧].

سأل أنبا باخوميوس هذا القديس قائلاً: "عندما لا يخضع الإخوة للنظام الرهباني فهل من الصواب أن نصححهم"؟ فقال له أنبا مقار: "صحح واحكم بالعدل على الذين هم خاضعون لك، ولكن لا تحكم على غيرهم، لأنه مكتوب بالحق: «ألستم أنتم تدينون الذين من داخل؟ أما الذين من خارج فالله يدينهم» (١كو٥: ١٢و١٣)"[١٨٨].

قال بالليديوس: "قال لنا أنبا مقار الإسكندراني إنه في وقت فيضان النيل كان جالسا في قلايته فلدغته ناموسة، ثم قال: 'ولما آلمتني قتلتها، وبعد قليل بكّتني ضميري قائلاً: لماذا قتلت وأفسدت خليقة الله لأجل هذا الجسد المنافق الذي يقاتلك في راحته بشهوة الزنى؟ هب أنّ إنسانا نخسك بأصبعه أما أكنت تحتمل ألم الجسد؟ أم كنت تقوم وتقتله'؟

'وبسبب توبيخ ضميري حكمت على نفسي ودنتها وذهبت إلى البهلس الذي في شيهيت، ومكثت عريانا لمدة ستة شهور معرضا جسمي للناموس الذي في حجم الجراد الذي يمزق حتى جلود الخنازير البرية تماما مثل الزنبور (الدبور)، وظللت محتملاً لألمه. وصنعت لنفسي هناك خصا من قصب البهلس حتى صار جسمي كله متورما وكأنه أصيب بداء الفيل، وظن الجميع أنني تجذمت لأنه لم يبق في جسمي موضع سليم عدا حدقة عيني. ولما رجعت إلى قلايتي بعد ستة شهور لم يعرفني أحد إلاّ من صوتي'"[١٨٩].

وقال بالليديوس أيضا: "انتهزت فرصةً في أحد الأيام وجلست عند باب الشيخ الذي كان حينئذٍ قد تقدم جدا في أيامه إذ بلغ المائة عام. وكنت أتصور أنه أكبر سنا من جميع

---

(187) Am., p. 241 ; Laus., 18: 12 - 16 ; س ١٩ ورقة ٧٦
(188) Apoph., Mac. Alex., 2.
(189) Laus., 18: 4 ; س ١٩ ورقة ٧٥
(190) Laus., 18: 26 ; Am., p. 253 ; س ١٩ ورقة ٨٢

الناس وأكثرهم قداسةً، وكان قد فقد أسنانه كلها. كان بمفرده إلاّ أنني ظللت أُنصت فسمعته يتكلم ويتحرك إذ كان يصارع مع نفسه ومع الشيطان. فكان يقول لنفسه: 'ماذا تريد أيها العجوز الشرير؟ لقد صار لك زيت وخمر فماذا تريد أيضا أيها العجوز الأشيب الشرِه'؟ هكذا كان ينتهر ذاته. ثم يقول للشيطان أيضا: 'هل أنا لا زلت مدينا لك بشيء؟ إنك لن تجد في شيئًا يخصك! ابعد عني'. وكما لو كان يهمهم ما انفك يقول لنفسه: 'تعال أيها الأشيب العجوز الشهواني أيها الفرس الخائن، إلى متى أبقى معك'"[١٩٠]؟

قيل إنّ أحد الإخوة ظلّ يتردد على أنبا مقارة يوما بعد يوم لمدة أربعة شهور لكي يسأله عن شيء فلم يجده متفرغًا من الصلاة ولا مرة واحدة. فتعجب الأخ من ذلك وقال: "هذا ملاك وليس إنسانا". وانتفع من ذلك جدا[١٩١].

وروى بالليديوس عنه أنه قال: "لقد أكملت كل عمل تقوي، ولكنني أيضا وضعت في قلبي هذه الرغبة: اشتهيت أن أقضي خمسة أيام متفكرا في الله بلا انقطاع دون أن أنتبه لأي شيءٍ آخر في هذا الدهر. ولما تعهدت بذلك في قلبي دخلت قلايتي التي في البرية الداخلية التي ليس لها باب أو نافذة ولا أي ضوء حتى لا يجدني أي إنسان، ووقفت فيها على الحصيرة، وصارعت مع فكري قائلاً: احفظ نفسك، لا تسقط من السماء، عندك هناك الآباء الأوائل (أي البطاركة) والأنبياء والرسـل، وعندك هناك الملائكة ورؤساء الملائكة والقوات العليا والشـيروبيم والسيرافيم. كُن متحدا بالله الآب وابنه الوحيد والروح القدس الثالوث الإلهي الواحد في الجوهر ملك جميع القلوب. اصعد على صليب الابن الذي في السموات، لا تهبط من الموضع المحصن".

"ولما قضيت يومين وليلتين على هذه الحال امتلأ الشياطين غيظًا حتى إنهم غيروا أنفسهم إلى أشكال مختلفة، فأحيانا مثل أُسود يمزقون قدمي بمخالبهم، وأحيانا أخرى كالأفاعي يلتفون حول رجلي، وأخيرا صاروا كلهيب نار لكي يحرقوا كل شيءٍ في قلايتي حتى الحصيرة التي كنت واقفًا عليها، لقد أحرقوا كل شيء ما عدا موضع قدمي حتى إنني ظننت أنني أنا أيضا سأحترق. وأخيرا اختفت النار وتلك الخيالات كلها. وفي اليوم الرابع لم أستطع أن أجعل فكري يثبـت بدون انشغال، فهبطت به إلى مناظر وانشغالات هذا الدهر مثل البشر ... لأنني أدركت أنني لو كنت قد حصلت على إتمام هذا الأمر لكنت فقدت فطنتي وتكبرت في قلبي بلا حدود، لذلك أرحت نفسي وعدت

(191) Apoph., Mac. Alex., 3; س ٤ ورقة ٩٠

إلى هموم هذا العالم في قلبي حتى لا أسقط في الكبرياء".

ثم **قال لنا أيضا:** "لقد قضيت خمسين عاما في النسكيات ولم أُقاسِ مثلما قاسيت في ذلك اليوم"(١٩٢)!

قال بالليديوس: "يوجد في مصر جبل اسمه "جبل فرمي Pherme"(١٩٣) على حدود برية الأسقيط حيث يعيش حوالي خمسمائة راهب ناسك. وكان أحدهم اسمه بولس كانت حياته هكذا: لم يكن يشغل نفسه في أي عمل ولا يأخذ شيئًا سوى ما كان يأكله. وقد وصل في نسكه إلى الصلاة المستمرة، لأنه كان يحفظ ثلاثمائة صلاة عن ظهر قلب، وكان يضع ثلاثمائة حصاة (زلطة) في حجره، وبعد كل صلاة يلقي واحدة منها".

ثم ذهب ليقابل أبا مكاريوس المدني وقال له: "يا أبي، إنني مكتئب". فحثّه القديس أن يخبره عن سبب ذلك، فقال: "في إحدى القرى تسكن عذراء مارست النسك لمدة ثلاثين سنة، ويقولون إ ا لا تأكل شيئًا سوى يومي السبت والأحد، وقد أخبر أبا بيئور عنها أ ا تتلو سبعمائة صلاة في اليوم. فحزنت على نفسي لما سمعت بذلك لأنني غير قادر أن أتلو سوى ثلاثمائة صلاة في اليوم".

فأجابه أنبا مقارة: "إنّ لي الآن ستين سنة وأتلو مائة صلاة في اليوم بالإضافة إلى أنني أهتم بمؤونتي، وأعطي وقتا للإجابة على مشورات الإخوة، ومع ذلك فإنّ فكري لا يدينني كمن يعامل الله باستخفاف، أما أنت الذي تقدم لله ثلاثمائة صلاة في اليوم فقد جعلت أفكارك تدينك!! فإما أنك لا تصليها بنقاوة قلبٍ أو أنك قادر أن تصلي أكثر ولا تفعل"(١٩٤)!

قيل عن أنبا مقار الإسكندراني إنه كان محبا أكثر من جميع سكان البراري، وصار رائدا لأقصى حدود المحبة التي يصعب البلوغ إليها. وكان في براري نتريا والقلالي رجال صاروا كاملين في القداسة، لأن مثل تلك الأماكن النائية الصعبة المعيشة لا يمكن أن يحتملها إلاّ ذوو العزيمة الصارمة والمثابرة الثابتة. ولكن كان جلّ اهتمامهم هو المحبة التي كانوا يظهرو ا نحو بعضهم ونحو كل من يمكنه أن يأتي إليهم.

فقد قيل إنّ إنسانا جاء لهذا القديس بعنقود عنب قبل أوانه، فلما رآه سبح الله، ولكنه لم يكن يفكر في نفسه بل في الآخرين (١كو١٣: ٥)، لذلك أرسله إلى أخ كان عليلاً،

(192) Am., p. 244; Laus., 18; 17,18; ٧٩ ورقة ١٩ س

(١٩٣) ربما يكون قد أخذ اسمه من أهرام الجيزة "Pyramids"، أي أنه بجوار الأهرام (أنظر "رهبنة").

(194) Laus., 20 ; W. & W., II: 355.

فلما رأى العنب فرح وشكر الله على عطيته ومحبة الأب، ولكنه هو أيضا كان يفكر في الآخرين أكثر من نفسه، لذلك أقمع شهوته ولم يأخذ من العنقود شيئًا وقال: "أعطوه للأخ فلان لأنه مريض أكثر مني". ولما أعطوه لهذا الأخير فرح أيضا ولكنه أقمع شهوته ولم يأخذ منه شيئًا ... وهكذا داروا بالعنقود على جميع القلالي الكثيرة المتناثرة في البرية والبعيدة عن بعضها، ولم يأخذ أحد منهم شيئًا من العنقود. ثم أرسله آخِر من وصل إليه كهدية إكرامٍ خصوصي للأب مقارة الإسكندراني، فلما رآه القديس تعجب أنه لم تفقَد منه حبة واحدة، ومجد الله على ضبط الإخوة لشهو م وزهدهم وعلى محبتهم الشديدة لبعضهم، ولم يأكل منه شيئًا بل استمر في نسكه الشديد.

وكان القديس يقول: "كما أن للبستان الواحد ينبوع واحد يسقيه ويعطي أثمارا مختلفة متعددة الطعم واللون، هكذا أيضا الرهبان، فهم من عين واحدة يشربون وروح واحد يسكن فيهم ولكن ثمارهم مختلفة، فكل واحد يعطي ثمره بقدر ما يفيض الله عليه"(١٩٥).

ونطق أيضا بالقول الآتي لإخوةٍ شبان لكي يملأهم بالغيرة: "منذ اليوم الذي ترهبت فيه لم آكل خبزا حتى الشبع، ولم أنم حتى الشبع، ولم أشرب حتى أرتوي، وإلى يومي هذا لم أمرض. وكل الآباء الشجعان الذين عاشوا ذه الطريقة لم يمرضوا لأ م كانوا يضبطون أجسادهم بالقدر المحدد لهم"(١٩٦).

قيل إنه بعد بضع سنوات من الحياة الرهبانية رسِم أنبا مقار الإسكندراني كاهنا، ثم زار سميه أنبا مقار الكبير في الأسقيط (شيهيت) الذي كان استقباله له مليئًا بالعِبر، فقد رحب به بكل فرح، وامتلأ لقاؤهما بالأحاديث التقوية والصلوات المتواصلة مع ذكر اختبارات روحانية متبادلة مستنيرة. فقد كانت لهذين ا اهدين صراعات طويلة من أجل الإماتة والاتضاع(١٩٧).

هذا الأب مكاريوس الذي كان أحد مواطني المدينة العظمى (أي العاصمة الإسكندرية) قابل يوما ما الأب مكاريوس الكبير، ولما أرادا أن يعبرا ر النيل ركبا قاربا كبيرا كان قد صعد إليه محاميان (أو ضابطان) عظيمان(١٩٨) مصحوبان بضجةٍ كبيرة، وكانت لهما مركبة مطلية كلها بالبرونز وخيولها لها لُجم (جمع لجام) ذهبية، يصحبهما جنود للحراسة والتكريم

(195) W. & W., I: 86 ; D. F., p. 56: XXIX ; Monach., additions of ch. XXIII ; ٧٢ س ٤ ص
وهكذا كشفت هذه المراجع أن قصة عنقود العنب هي لأنبا مقار الإسكندراني وليست للكبير كما كان يظن.
(196) Am., 251, 6.
(197) P. Cheneau, 2 Janvier.
(١٩٨) وظيفة المحامي tribune أيام الإمبراطورية الرومانية كانت سامية لأنه كان يدافع عن حقوق الشعب بطريقة خطابية بليغة رنانة، لذلك كان مركزه كبيرا.
(199) Monach., ch. XXIII.

مع خدام مكتسين بياقات وزنارات ذهبية.

ولما رأى المحاميان الراهبين جالسين في أحد الأركان وهما مرتديان أسمالاً باليةً ولكنهما يشعان فرحا وسكينةً طوبا بساطة حيا ما، فقال أحدهما: "مطوبان Μακαριοι أنتما يامن سخرتما من العالم". فقال له أنبا مقار الإسكندراني: "نحن سخرنا من العالم ولكن العالم يسخر منكما. وينبغي أن تعلم أنك لم تقُل هذا الكلام من نفسك بل بإلهامٍ نبوي، لأنّ كلا منا يدعى "مكاريوس" (أي مطوب أو مغبوط)"!

بسبب هذا الكلام توبخ ضمير المحامي، ولما رجع إلى بيته خلع زي المحاماة الغالي الثمن، وبعد أن وزع أمواله وممتلكاته على الفقراء اختار الحياة الرهبانية[١٩٩].

قرع الشيطان في **إحدى الليا**لي على باب القديس وقال له: "قم يا مكاري واذهب إلى اجتماع التسبيح الليلي مع الإخوة". ولكنه إذ كان ممتلئًا من روح الله لم يخدع بل شعر بمكر الشيطان وقال له: "يا كذاب يا عدو الحق، ماذا تعرف عن الاجتماع الذي نوجد فيه مع القديسين"؟ فأجاب الشرير: "ألا تعلم يا مكاري أنه لا يوجد اجتماع للرهبان بدوننا"؟ فأجابه: "الرب يلجمك أيها الشيطان النجس".

ثم صلى القديس وطلب من الله أن يظهر له إن كان افتخار الشيطان هذا حقيقيا، ثم ذهب إلى اجتماع الإخوة وهناك أعاد طلبه إلى الرب مرةً أخرى، ثم رأى الكنيسة كلها وكأ ا مليئةً بصبيةٍ لو م أسود يمرحون هنا وهناك، فبعضهم يملأ أفكار بعض الرهبان بالضيق والضجر، والبعض الآخر يضع أصابعه على عيون رهبان آخرين فيجعلها تثقل بالنعاس، وإذا أمكنهم فقد كانوا يضعون أصابعهم على أفواههم لكي يجعلوهم يتثاءبون. وعندما يسجد الإخوة في آخر كل مزمور منسكبين للصلاة يجري هؤلاء الصبية إلى كل منهم لكي يشتتوا أذها م بمناظر نساء أو بعض الأطعمة والمشروبات. ولكن بعض الرهبان كانوا يصدون هذه المحاربات بأن ينسكبوا أمام الله بخشوع وحرارة تجعل الصبية يهربون منهم في حين أ م كانوا يلعبون على رؤوس أو أكتاف الإخوة الضعفاء غير الحارين في صلوا م.

فلما رأى أبا مكاري ذلك تنهد بعمقٍ وبكى وقال للرب: "أُنظر يا رب، «اللهم لا تصمت، لا تسكت ولا دأ يا الله» (مز٨٣: ١)، «قم يا رب، وليتبدد جميع أعدائك وليهرب مبغضوك من أمام وجهك» (مز٦٨: ١)، لأن نفوسنا قد امتلأت بالأباطيل"!

ثم بعد انتهاء الصلاة في الكنيسة استدعى الأب مقارة الإخوة الذين رأى الشياطين تلعب

أمامهم بطرق مختلفة، وسأل كل أخ على انفراد إن كان فكره أثناء الصلاة قد تبع أي شيءٍ مما كانت الشياطين تصوره له، فاعترف كل منهم بذلك، فأيقن القديس أن الشياطين هم الذين يشتتون أذهان المصلين في الكنيسة بما يصورونه لهم من تلك الأباطيل. أما الذي يربط قلبه بالرب ويثابر على الصلاة الحارة فلا يمكن للشياطين أن يلقوا في داخله بأي شيءٍ غريب(٢٠٠).

ذكر أنبا مقار الإسكندراني أنه رأى شيئًا هاما عندما كان الإخوة يتقربون من الأسرار المقدسة، إذ إنه كان يرى أنّ المقدسات عندما يقدمها الكاهن لبعض الإخوة كانت ترجع إلى المذبح، وأن كائنات إثيوبية (أي سوداء اللون) كانت تضع لهؤلاء الإخوة بدلاً من المقدسات قطعا من الفحم. في حين أن الآخرين كانوا يتقدمون بفرح، وبمجرد اقترابهم من المذبح كانت الشياطين تتقهقر وتهرب بعيدا. ثم كان يرى ملاك الرب آتيا لمعونتهم وهو يضع يديه على يد الكاهن عندما يقدم لهم الأسرار المقدسة.

ومنذ ذلك الوقت سمِح للقديس بنعمة الله أن يعرف الأخ الذي يقبل في قلبه خداعات الشياطين أثناء الصلوات والمزامير الجماعية الليلية، كما أنّ الإخوة عندما يأتون إلى المذبح لم يكن استحقاقهم أو عدم استحقاقهم يخفى عليه(٢٠١).

روى القس مقاره تلميذ القديس أنبا مقارة الإسكندراني عن معلمه قائلاً: "كنا في البرية أنا ومعلمي نسير، وكان معلّمي يسير أمامي وأنا تابع له، فأبصرت ملاكين محيطين به أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره. ثم مر أبي على حيوان ميت وقد تعفّن جدا، فلما استنشق معلّمي رائحة جيفة الحيوان غطّى أنفه بعباءته من رائحة نتانة الحيوان، ففعل الملاكان مثله. فقال لهما المعلم: 'وأنتما أيضا تشمان نتانة هذا العالم'؟ فقالا له: 'لا، ولكن حينما رأيناك فعلت ذلك صنعنا مثلك حتى لا ندينك'".

فقال لهما: 'ألا تشموا رائحة شيء البتة'؟ فقالا له: 'لا نشم شيئًا من رائحة هذا العالم، ولكننا نشم رائحة نتانة نفوس الخطاة كما شممت أنت الآن رائحة نتانة هذا الحيوان الميت'. فتعجب الشيخ وقال لهما: 'أطلب إليكما أن تخبراني إن كنت قد وجدت نعمةً عندكما: كيف تنـزعون النفوس من أجساد المؤمنين وغير المؤمنين بالرب'؟ فقال له الملاكان: 'اسمع يا مقارة مختار الله: النفس الخاطئة تظهر رائحة نتانة أعمالها وهي بعد في الجسد، أما بعد الموت فتظهر أضعاف ذلك، لأن أعمالها تظهر منها وتعلوها ظلمة وسواد، وهذا يبين أن تلك النفس غير صالحة، والرسل الذين يأخذونـها

(200) Monach., Latin v., 29.

(201) Ibid., additions of Rufinus, XXIII.

غير رحومين. أما النفس الصالحة فيظهر صلاحها وهي بعد في الجسد حيث يعلوها ضياء ونور عظيم، والرسل الذين يأخذو ا أخيار رحومون'.

فقال لهما أنبا مقارة: 'أطلب إليكما أن تخبراني ذا أيضا: لقد وضع معلمو الكنيسة للمؤمنين أن يقدموا لله قرابين في البيعة عن الراقدين في أيام الثالث والسابع والأربعين، فلماذا يفعلون ذلك؟ وأية منفعةٍ للنفس التي انتقلت من هذا العالم ذه القرابين'؟

فقال الملاكان: 'اسمع يا مقارة الكريم عند الله: إنّ الله لم يجعل شيئًا باطلاً أو بغير منفعة، بل برحمته وتحننه وضع للبشر وصايا في الكتب تعينهم على القُرب منه. ففي اليوم الثالث إذا قُدم قربان عن النفس التي انتقلت فهي تجد راحةً وعزاءً، لأ ا تكون متعبة بالحزن والأسى على الخطايا التي صنعتها وهي في الجسد، فيعِلمها الملاك الذي أخذها أنه قد قُدم عنها قربان وصلاة وصدقة في كنيسة الله، فتتعزى النفس ويصير لها رجاء برحمة الله، لأن النفس تكون مع الملائكة في هذين اليومين ويذهبون ا حيث تريد على الأرض. فإن كانت محِبة للجسد فهي تذهب مرةً أخرى إلى الموضع الذي فيه افترقت عن جسدها، ومرةً تمضي إلى القبر الذي دِفن فيه الجسد، ففي هذين اليومين تطلب المكان الذي كان فيه عشها ومستقرها كمثل الطير الذي يطلب وكره'.

'أما النفس الصالحة التي كانت محبة للفضيلة فتذهب إلى المواضع التي كانت لها عادة أن تعمل الخير والبر فيها. وفي اليوم الثالث يأمر الرب المسيح الإله الذي قام من بين الأموات في اليوم الثالث أن ترفع تلك النفس إلى السماء، فيقدمو ا فتسجد أمام الله. لذلك فجيد أن يقدم عنها قربان وصلاة وصدقة في اليوم الثالث الذي فيه تقف أمام الله. وبعد أن تسجد النفس لله يأمر أن يذهبوا ا ويظهروا لها سائر المواضع المفرحة التي للقديسين الذين في الفردوس. وهذا جميعه تشاهده النفس في ستة أيام من حين خروجها من الجسد فتتعجب من كل ما تراه وتسبح الرب الإله الذي أنعم عليها وأراها هذه المواضع الحسنة وتنسى الحزن الذي كان لها من مفارقة الجسد ويتجدد لها حزنٌ آخر وندامة في ذا ا التي كانت منشغلة بأمور الدنيا حتى فاتتها مثل هذه المنازل الحسنة، وتخاف لئلاّ تنالها عقوبة بسبب خطاياها، لأن النفس إذا شاهدت أبرار الله وقديسيه وراحتهم التي نالوها عنده حينئذٍ تبدأ تكتئب وتلوم ذا ا على خطاياها'.

'وبعد أن تبصر النفس أفراح القديسين وحسن منازل الفردوس خلال ستة أيام يقدمو ا أيضا لتسجد لله في اليوم السابع. لذلك جيد أيضا أن يقدم عنها في الكنيسة قربان وصلاة وصدقة لأجل قيامها أمام الرب في ذلك اليوم. وبعد هذه السجدة الثانية يخرج الأمر من الرب الإله سيد الكل أن تنحدر النفس إلى الجحيم وتشاهد أصناف

العذاب والظلمة التي فيها أنفس الخطاة المسجونة هناك، وما هم فيه من الحزن والنوح والتنهد والبكاء الشديد في موضع الندامة. وفي هذا المكان تدور النفس ثلاثين يوما في فزع ورعدةٍ خائفة من أن يقضى عليها بحكم القاضي العادل إلى مثل هذا الموضع الرهيب. وفي تمام الأربعين يوما يصعِدو ا لتسجد لله أيضا، وحينئذٍ يخرج الأمر بأن يذهب ا إلى الموضع الذي تستحقه. ولذلك جيد أن يصنع في البيعة ترحيم وصدقة وتذكار عن الميت في اليوم الأربعين لأجل قيام نفسه في ذلك اليوم أمام الرب الإله حيث تثبت في الموضع الذي تستحقه كأعمالها إلى يوم البعث وقيامة الأجساد فتتحد في ذلك اليوم بجسدها وتدوم فيه إلى أبد الدهور بغير زوال'.

'هذا كله يتم مع النفوس التي نالت المعمودية، أما من ليس فيه رشم المعمودية فالملائكة تأخذه إلى السماء وتقول له: أيتها النفس المخالفة، اعرفي الآن من هو سيدك الرب مالك كل شيء الذي لم تريدي أن تعرفيه في الحياة الدنيا، فاعرفيه الآن. وهناك يشيرون لها من بعيد ويسمِعو ا تسبيح الملائكة ورؤساء الملائكة ويقولون لها: اسجدي لمن أغضيتِه بأعمالك الرديئة، واعلمي الآن أن يسوع المسيح هو ابن الله الحي، وهو الذي يأمر بأن يذهب بك إلى حيث منازل المخالفين مثلك لتلقي في النار مع الشياطين الذين كنتِ تسجدين لهم في حياتك وظننتِ أنـهم آلهة'.

هذا ما قاله الملاكان الطاهران لمعلمي أنبا مقاره وأعطياه السلام وانصرفا صاعدين إلى السماء، ومضينا نحن إلى حال سبيلنا نسبح الله الذي له ا د والإكرام والتسبيح إلى الأبد آمين"[٢٠٢].

وقيل عن القديس أيضا إنه لما كان شابا في الإسكندرية كان قد احترف التمثيل الهزلي حتى اشتهر في ذلك، ولكنه لما صار راهبا وارتفع في الفضيلة في البراري سمع عنه زملاؤه القدامى أنه قد ارتفـع في عمل الله، فذهب سبعة منهم إليه في البرية. ولما قبلهم جلسوا بجواره وهم متعجبون منه. ولما حان ميعاد الأكل وضع القديس الماء في القدر ووضعه على النار ليطبخ لهم عصيدة، وبينما كان يغذي النار لكي يغلي الماء قبل أن يضع فيه الدقيق كان يقضي وقته معهم كما كان يفعل وهو في العالم، فلما رأوه هكذا قال بعضهم لبعض: "ألم يقولوا لنا عنه إنه صار رجل الله؟ ها هو على حاله كما كان معنا في العالم، إننا لا نرى أي تغيير في حياته عما كان عليه معنا في الإسكندرية".

(٢٠٢) مخطوطة رقم ٢٩٣ بمكتبة البطريركية بالقاهرة، فقرة ٨ ، ١٢٠ ص ١٥٢.

فلما رآهم أنبا مكاري يتكلمون بخصوص الطريقة الواضحة التي كان يعاملهم ا، أخذ طبقًا فارغًا وأعطاه لأكبر واحد منهم وقال له: "املأ هذه الآنية بالرمل وألقهِ في القدر لكي نطبخ العصيدة ونأكل". فلما سمعوا ذلك ضحكوا قائلين: "حقًا لقد تقدم مكاري في التمثيل الهزلي أكثر أيضا مما كان معنا في العالم". فقال لهم مرةً أخرى: "ما قلته لكم افعلوه". أما هم فأطاعوه وملأوا الإناء بالرمل وألقوه في القدر فصار عصيدةً حلوةً كعصيدة الدقيق. فلما رأى الممثلون السبعة هذه الأعجوبة التي صنعها الشيخ القديس لم يرجعوا إلى بلدهم بل هجروا العالم وصاروا رهبانا ومارسوا حياة القديس[٢٠٣].

كان هذا القديس رحوما حتى على الوحوش، فيقول بالليديوس: "إنّ أبا بفنوتيوس تلميذ أنبا مقار الكبير أخبرنا أن ضبعة جاءت إلى أنبا مقار الإسكندراني مرةً ومعها وليدها في فمها وقرعت الباب برأسها، فلما فتح الباب ورآها ذُهِل، وألقت الضبعة بوليدها عند قدميه، فأخذه الشيخ وفحصه حتى اكتشف أنه أعمى العينين، فتنهد وبصق على عينيه ورشمهما بالصليب، فأبصر في الحال وارتمى على صدر أُمه ورضع منها ثم انصرفا".

"وكان الرعاة الليبيون والذين من منطقة برنوجي يأتون بقطيعهم من النعاج والبقر ليرعى في العشب الأخضر في وادي شيهيت. ففي اليوم التالي لشفاء وليد الضبعة خطفت واحدة من النعاج وافترستها، وأخذت جلد النعجة المغطى كله بالصوف (الفروة) وذهبت إلى الشيخ وقرعت بابه برأسها، فلما فتح لها قال: 'أين ذهبتِ؟ وأين وجدتِ هذه إلاّ إذا كنتِ قد أكلتِ نعجة؟ وحيث أنكِ أحضرتِ لي نتاج شراستك فلن آخذها'. فضربت الضبعة الأرض برأسها وبركبتيها مثنيةً رجليها كأ ا تتوسل إليه ليأخذ الجزة. فقال لها: 'أنا أقصد أن أقول لكِ إنني لن آخذها إلاّ إذا وعدِتني أن لا تؤذي الفقراء بافتراس نعاجهم مرةً أخرى'. فهزت رأسها كثيرا إلى أسفل وإلى أعلا وكأ ا تعده بذلك"!

"ثم كرر كلامه لها قائلاً: 'لن آخذها إلاّ إذا وعدِتني بأنكِ لن تهلكي حيوانا حيا، بل تأكلين منذ اليوم الفريسة الميتة، أما إذا لم تجدي طعاما فتعالي إلى هنا وأنا أعطيكِ خبزا. كما تعديني أنكِ لا تؤذين أي إنسانٍ منذ الآن'. فأخفضت الضبعة رأسها وألقتها على ركبتيها وهي تحني قدميها وتحرك رأسها إلى أسفل وإلى أعلا وتنظر إلى وجه الشيخ كأ ا تِعده بذلك".

"ثم أدرك الشيخ أنّ هذا كان تدبيرا من الله الذي يعطي فهما للحيوانات أيضا لكي يوبخنا، ومجد الله وسبحه على ذلك، لأن نفس الإنسان هكذا مكرمة عنده، فقال: 'أُمجدك

(203) Am., 256: 7.

يا رب يا من كنت مع دانيال في جب الأسود، يا من تعطي فهما للحيوانات، والآن أيضا أعطيت فهما لهذه الضبعة ولم تنسني بل أفهمتني أن هذه هي خطّتك'. ثم أخذ الشيخ الجزة من الضبعة فانصرفت".

"ومن وقتٍ إلى آخر إذا كانت لا تجد لنفسها غذاءً تذهب إلى الشيخ فيعطيها خبزا، وفعلت ذلك مرات كثيرة. وكان الشيخ ينام على الجزة حتى وقت نياحته، وأنا (بالليديوس) رأيتها بعيني وأنا متأكد أنه عند انتقاله تصادف أن القديسة ميلانية الأميرة الرومانية كانت تزوره فأعطاها تلك الجزة التي كان يرقد عليها، فظلت تكرمها تذكارا له"(٢٠٤).

كان هذا القديس مرةً يحفر بئرا في وسط الحلفاء، وكان يرقد في هذا المكان ثعبان من النوع القاتل (السام) الرديء جدا، وكان مختبئًا في الحلفاء دون أن يعلم به أحد، ولا يقدر أن يخرج بسبب البرد (في البيات الشتوي)، ولما طلعت الشمس فوقه وسخنت الأرض ووطئ الشيخ بقدميه على الثعبان دون أن يدري، تألم الثعبان ولدغ الشيخ في قدمه وهرب، فلحقه الشيخ وقبض عليه بين يديه وقال له: "ما هو الظلم الذي فعلته بك حتى تجاسرت و شتني دون أن يعطيك الله سلطانا علي؟ إذن فأنت رديء وطبيعتك رديئة شريرة وسأعاملك حسب استحقاقك". ثم أمسك الشيخ بشدقي (أي فكي) الثعبان وشدهما بيديه وشقّه من نصفه إلى شطرين حتى ذيله. وهكذا فإنّ الشيخ لم يصبه مكروه البتة، لكنه كان كمن نخسته شوكة من الحلفاء(٢٠٥).

قال بالليديوس: "كنا مرةً أنا والقديس ألبينوس عند القديس أنبا مقارة، فجاء إليه قسيس من إحدى القرى، وكان وجهه كله مهرأً بسبب مرض سرطان الجلد الذي أكل حتى لحمه حتى ظهرت عظام وجهه، وكان منظره مرعبا جدا، وكان قد أنفق كل ماله على الأطباء ولم يشف، ولما يئس ذهب إلى الشيخ لكي يشفيه الله بواسطته من مرضه. وانطرح على الأرض عند قدمي الشيخ متوسلاً إليه، ولكن الشيخ لم يقبل توسله بل أدار وجهه عنه بالكلية. أما نحن فترجيناه قائلين: 'يا أبانا، كن رحيما على هذا الرجل وانظر إليه واستجب إلى حاجته'. فقال: 'اتركوه إنه لا يستحق الشفاء لأنه بعد أن يتدنس بالزنى يرفع الذبيحة على المذبح'"!

ولكن القسيس قضى ثلاثة أيام متوسلاً إليه دون أن ينظر إليه، وأخيرا أشفق على دموعه وتوسلاته، فناداه وقال له: 'أتعلم لماذا جلب الله عليك هذا العقاب'؟ فأجابه:

---

(204) Am.,235; Laus., 18: 27, 28; Monach.,XXI: 15, 16; W. & W., II: 375, 376;٧٥ س ١٩ورقة
(205) Am., p. 238 ; Laus., 18: 10.

’نعم يا سيدي‘. فقال له: ’أتجرؤ أن زأ بي‘؟ قال: ’كلاّ يا سيدي‘. فقال الشيخ: ’طالما أنك تعرف خطاياك فإذا تحولت عنها تخلص‘. حينئذٍ اعترف بخطاياه، فقال له الشيخ: ’كيف لم تترك الكهنوت حتى لا تلقى في العذاب الأبدي وتخلص‘؟

ثم قلنا نحن له: ’أيها البائس، أعطِ وعدا للشيخ قائلاً إنك لن تذهب بعد إلى موضع الذبيحة، وذلك حتى يخلصك الله بصلوات هذا القديس‘. فلما وعد القسيس الشيخ بذلك أخذ زيتا وصلى عليه ودهن به رأسه كلها ووجهه فوهبه الله الشفاء، ونبت الجلد والشعر على رأسه مرةً أخرى وأطلقه، فمضى وهو يمجد الله ويقول: ’سأبقى علمانيا إلى أن أموت‘. وهكذا صارت له دالة أمام الله“[٢٠٦].

شفى أنبا مقار الإسكندراني الكثير من الذين كانت فيهم أرواح شريرة. فقد أحضروا إليه فتاة صغيرة مشلولة ومريضة جدا، فصلى على زيتٍ ودهن جسدها بأصابعه المباركة عدة مرات خلال عشرين يوما، فشفاها الله بصلواته وأطلقها إلى بيتها وهي تمجد الله. وعند وفا ا أوصت بإرسال ٣٠٠ دينار ذهبي إلى القديس. وبسبب ذلك شاعت سمعة أنبا مكاري[٢٠٧].

وسمعت عنه أيضا شابة صغيرة في تسالونيكي اسمها "ليديا"، وكانت كاتبة وقد نسخت وألّفت كتبا كثيرة، كما أ ا كانت ناسكة مثل الرجال، إذ قضت سنة بأكملها في مغارة. ولما جاءت إلى أنبا مكاري كانت تقابله كل يوم، وسألته عن أفكار كانت خفية في داخلها، فنالت راحة من الله بصلوات الشيخ، ثم رجعت إلى بلادها ممجدةً الله[٢٠٨].

قُدم للقديس مرةً صبيٌ به روح نجس، فوضع يده على رأسه ويده الأخرى على قلبه وصلى بحرقة قلب وانسكابٍ وتنهدٍ لمدة ساعة، ثم انتفخ جسد الصبي حتى صار مثل الزق (القربة) وصرخ بصوتٍ عظيم: "ارحمني يا رجل الله". وللحال سال الماء من عينيه وأنفه وفمه ومخارج جسمه السفلي حتى رجع جسمه كما كان وشفي.

فصلى الشيخ شاكرا قائلاً: "ا د لك يا سيدي يسوع المسيح مخلص الذين يرجونه"، ثم صب جرة ماء على الولد ودهنه بزيتٍ مقدس، وأوصاه أن لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا لمدة أربعين يوما، ولما برئ سلّمه إلى أبيه معافى[٢٠٩].

اشتهى القديس مرةً أن يرى بستان "ينيس ويمبريس"[٢١٠] الذي فيه مقبر ما التي

(206) Am., 246: 13 ; Laus., 18: 19 - 21 ; س ١٩ ورقة ٧٩ (207) Am., p. 240.

(208) Am., p. 241;Laus.,18:11; س ١٩ ورقة ٧٦ (209) Am., p. 248;Laus.,18: 22; س ١٩ ورقة ٨٠

(٢١٠) وهما اللذان ذكر بولس الرسول أ ما قاوما موسى (٢تي٣: ٨) ضمن السحرة الذين قاوموه أمام فرعون (خر٧: ١١- ٢٢)، انظر أيضا: The Interpreter's Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 800

بنياها بمساعدة فرعون بحجارةٍ مكعبة طول ضلع كل منها أربعة أقدام، كما زرعوا أشجارا وحفروا آبارا كبيرة ليصير هذا البستان صورة من الفردوس (لأ م كانوا يعتقدون أن الروح ترجع إلى حيث يوجد الجسد لتأكل وتشرب، وبالتالي تتمتع ـذا الفردوس)، كما خبأوا هناك ذهبا كثيرا.

صام القديس وصلى كثيرا لكي يرشده الرب إلى هذا المكان، ولأن القديس لم يكن يعرف الطريق فقد ظلّ يستطلع النجوم وكأنه يسافر في البحر. وكان قد حمل معه حزمة قصب (بوص) وغرس عند كل مسافة ميل واحدة منها كعلامات لطريق عودته. وبعد مسيرة تسعة أيام اقترب من المكان، ومن شدة التعب نام تحت شجرة، ولما استيقظ وجد أن الشيطان - الذي يحارب دائما أتباع المسيح - قد جمع كل أعواد القصب وربطها حزمةً واحدةً ووضعها عند رأس الشيخ وهو نائم، وقد سمح الرب بذلك لكي يعلمه، إذ سمع صوتا يقول له: "يا مقارة، إن كان لك إيمان فلا تتكل على القصب بل آمن بأنّ عمود الغمام الذي قاد بني اسرائيل أربعين سنة في البرية هو الذي يهديك"! وكان قد تبقّى له مسافة ميل واحد.

ولما وصل القديس إلى ذلك الفردوس خرج إليه منه سبعون شيطانا وهم يطيرون مثل الغربان السوداء، وظلّوا يضربونه بأجنحتهم في وجهه صارخين: "ماذا تريد هنا عندنا يا مقارة؟ لماذا جئت إلى موضعنا؟ لا يمكنك أن تحتمل ثقلنا لأننا نحن كثيرون هنا، إنّ سكان هذا المكان قد أعطونا ملكيته ولا يحق لك أن تبقى فيه". فقال لهم: "لا يمكن أن أرجع إلاّ بعد أن أدخل هذا المكان وأراه". ولما هم بالدخول خرج إليه شيطان بيده سيف مسلول لكي يخيفه، فقال له أنبا مقار: "لست أخاف من سيفك ولكنني أُلاقيك باسم الرب ضابط الكل معين شعبه". فاختفى الشيطان.

ولما دخل وجد آنيةً كبيرةً من نحاس (مثل الزير) معلّقة على البئر وقد صدِئت، ولما لمسها بيده انحلّت وصارت مثل التراب. وكانت الآنية معلّقةً بسلسلةٍ من الحديد وقد ـرات هي الأخرى وتفتتت من الصدأ من طول الزمان. كما وجد برتقالاً ورمانا يابسا معلّقًا على الشجر قد أتلفه حر الشمس، كما وجد ذهبا كثيرا في مخزن معلّق، فابتعد عنه قائلاً: «أُردد عيني لئلاّ تعاينا الأباطيل» (مز١١٩: ٣٧).

ثم رأى القديس قبر ينيس ويمبريس وعليه قرابين كثيرة، كما وجد هناك بئرا قد جف ماؤها، وكان الماء الذي معه قد نفد وكذلك الخبز، فقال في نفسه: "إن تخلى عني الرب فإنني

أموت قبل أن أصل إلى قلايتي". ولم يكن في ذلك الجبل عشب ولا خضرة ليأكل منها.

ثم بدأ رحلة عودته الأليمة، وفي الطريق لما أوشك أن ينحل جسمه من العطش ظهرت له امرأة على بعدٍ منه حوالي نصف ميل مرتديةً ثيابا فاخرةً ومعها جرة ماء، وظلّ يراها لمدة ثلاثة أيام دون أن يدركها لأ ا كانت خيالاً، وكان ينتعش ـرد رؤيته للماء يقطر من الجرة مؤملاً أن يدركه ويشرب منه. ولما انقضت خمسة أيام لا يأكل ولا يشرب اختفت عنه المرأة ولم يعد يراها، ثم فقد قوته وسقط على الأرض فاقدا كل قوةٍ على الحركة.

وبينما هو منطرح إذ بقطيع بقر وحشي يمشي في البرية، وكانت واحدة منها مرضعة ومعها وليدها، هذه جاءت ووقفت بجواره فاندهش وتساءل: "ماذا تريد هذه البقرة مني"؟ ثم رقدت وأظهرت ضرعها وهو يقطر لبنا، فعلم القديس أن الله شاء أن يحييه، وسمع صوتا يقول: "يا مقار، اشرب من لبنها لتتقوى وترجع إلى قلايتك". فرضع من اللبن ونام قليلاً وذهبت البقرة، وتعجب من أ ا فضلته هو على وليدها.

وكانت كل يوم تأتي إليه بقرة لم يعلم هل هي نفسها أم غيرها فيشرب من لبنها. ولما اقترب من قلايته مسافة يوم واحد امتنع البقر عن ا يء إليه، وهكذا وصل إلى قلايته بعد أن قضى عشرين يوما في رحلة عودته.

وقد حركت هذه الرواية الشيقة الكثير من شباب الرهبان في برية القلالي أن يقلدوا الأب مقاره، ولكن الشيوخ خشوا عليهم من التجارب العديدة وأقنعوهم بعدم الذهاب(٢١١).

وفي **مرةٍ أخرى** حاربت القديس مكاريوس أفكار ا ـد الباطل وكبرياء القلب وأتعبته جدا لكي تطرده من قلايته، وكان الفكر يقول له: 'هوذا اسمك قد صار عظيما في العالم كله، فقم الآن واذهب إلى رومية مدينة الملوك لكي تشفي المرضى حتى لا تضطرهم إلى تحمل مشقّات ا يء إليك عبر تلك المسافات الطويلة، لأنّ الرومانيين متفقون مع المصريين في عباد م وإيما م المستقيم'. ولا سيما لأنه كانت له موهبة تعمل فيه بقوةٍ ضد الأرواح النجسة. و ذا الإغراء كانت الشياطين تريد أن تخرجه من قلايته(٢١٢) قائلةً له: 'لقد أعطاك الله بصيرةً وموهبة شفاء عظيمة، فقم واذهب لأنّ هذا الأمر هو من الله إذ سينتفع منك الكثيرون'.

---

(211) Laus., 18:5-9; Les Saints d'Egypte, P. Cheneau, 2 Janvier; س ١٩ورقة٧٤

(٢١٢) وهذا دليل على أن الشياطين تتفق وتتعاهد مع الذات والإنسان العتيق والميول الجسدانية في محاربة الإنسان الروحاني.

لم يهتم القديس أولاً ذا الفكر، ولكنه لم يلبث أن أتعبه وثقُل عليه جدا، فألقى بنفسه على عتبة قلايته وأخرج رجليه خارجها وقال لأفكاره (أو بالحري للشياطين): "إن كانت لكم قدرة كافية أن تجروني وتبعدوني عن قلايتي ولو لشبر واحدٍ سأعرف أنكم تستطيعون أن تذهبوا بي إلى تلك البلاد البعيدة، وحينئذٍ سأذهب". ثم ثقلت عليه الشياطين مرةً أخرى، فصرخ فيها بغضبٍ قائلاً: "ليس لي رجلان أمشي ما، وقد قلت لكم إن كنتم تقدرون أن تحملوني إلى رومية فافعلوا لأنني عارف بضعفكم، وسأظل ههنا حتى غروب الشمس فإن لم تقدروا أن تحركوني فلن أسمع لكم".

ولما مكث هكذا طويلاً ومل من ذلك قام، ولما حل الظلام جاءته الأفكار أيضا وأتعبته جدا، فقام وأخذ مقطفًا وملأه رملاً وحمله وطاف به في البرية الليل كله. فقابله الأخ "ثيئوسيبيوس" الأنطاكي وقال له: "ماذا تحمل يا أبي؟ دعني أحمله أنا ولا تتعب نفسك". فأجابه: "إنني أُشقي الذي يشقيني لأني إذا أرحته لا أستطيع أن أضبطه، فهو يجلب علي أفكارا ليلقيني ا خارج قلايتي".

وبعد أن طاف هكذا مدةً طويلة دخل قلايته بعد أن ا د حيله من التعب وكفّت عنه الأفكار، وهكذا رشق سهم العدو بسهمه وغلب وشكر الله(٢١٣).

قال بالليديوس: "ذهبت مرةً إلى الأب مكاري وأنا متضايق من الضجر وقلت له: 'ماذا أفعل يا أبي؟ إن أفكاري تحثني أن أترك هذا المكان بحجة أنني لم أُحرز أي نموٍ هنا، وليست لي أعمال صالحة تخلصني'. فقال لي: 'قل لها إنني من أجل المسيح أحرس حوائط القلاية حتى ولو كان ليس لي أعمال السمو الروحي، وسيكون اسم المسيح كافيا لفداء نفسي'"(٢١٤).

وقال بالليديوس أيضا: "قال لنا هذا القديس إنه منذ أن تعمد لم يبصق على الأرض، وكانت له حينئذٍ ستون سنة منذ أن تعمد"(٢١٥).

سأل إخوة شيخا: "لماذا لم يبصق أنبا مقار الإسكندراني قط"؟ فأجاب الشيخ: "توقيرا لجسد ودم المسيح اللذين كان يتناولهما"(٢١٦).

وصف بالليديوس هيئة القديس قائلاً: "بخصوص مظهره، كان نحيفًا قصير القامة

(213) Am., 251: 15 ; Laus., 18: 23, 24 ; س ٤ ورقة ١١٤ ؛ س ١٩ ورقة ٨١.

(٢١٤) في مرجع هذا القول: Laus., 18: 29 يذكر الهامش أنّ الرهبان يشكلون الحرس الأمامي في جيش الكنيسة بصلوا م ونسكهم، ويؤيد ذلك ما يذكره كتاب .Monach عن الأديرة وصوامع الرهبان والراهبات التي كانت تحيط بالمدن والقرى ويعضدون سكا ا بصلوا م!! أنظر أيضا: W. & W., II: 626.

(٢١٥) س ٩ ص ١٩. ونحن نرى أيضا أن ذلك بسبب توقيره لبرية القديسين.

(216) Laus., 18: 28 ; س ١٩ ورقة ٨٣

بدون لحية عدا قليل من الشعر فوق شفتيه (أي شاربه) وفي نهاية ذقنه، لأن نسكه الكثير كان يقلل ويضعف من شعر جسمه، ولكنه كان مملوءًا نعمةً في كل صفاته"[٢١٧].

قيل عن هذا القديس إنه سكن مرةً في دير، وبينما كان الإخوة كل منهم يقدم حصيرةً كل يوم كان هو يقدم حصيرةً كل ثلاثة أيام. فانقلب الإخوة عليه وقالوا لأب الدير: "إذا كان هذا الأخ الغريب لا يقدم حصيرته كل يوم فلا نسمح له بأن يسكن معنا".

ولما ذهب الأب إلى قلاية أنبا مقار سمعه أثناء عمله يقف منتصبا للصلاة ويعمل ثلاث ميطانيات، وفي الحال رجع الأب قائلاً: "أحضروا لي حصيرةً لأبا مقار"، ولما أحضروها له أخذها وألقاها في فرن الخبيز، ثم بعد مدة طويلة لما أحموا الفرن بقيت الحصيرة حتى انطفأ الفرن، فنظر إلى الحصيرة ووجد أنه لم يحترق منها شيء رغم أنها مكثت داخل النار، وقال الأب للإخوة: "إن عمل اليدين بدون أعمال الفضيلة ليس شيئًا"[٢١٨].

قال تلميذ أنبا مقار الإسكندراني: "إنّ الشيخ قال لي: 'لا يمر يوم سبت أو يوم أحد دون أن أرى الكنيسة مليئة بالملائكة وهم قيام داخل الهيكل في الموضع المقابل لي أثناء وقوفي على المذبح أُقدس جسد الله الكلمة'"[٢١٩].

كما قال تلميذه أيضا: "سمعت منه أيضا أمرا في غاية الغرابة، وهو قوله: 'حدث لي في أحد أيام الأعياد لما كان الشماس في موضع الذبيحة (الهيكل) بعد القداس، أنّ الكأس سقط من يديه[٢٢٠] وتهشم إلى قطع كثيرة لأنه كان من الزجاج حيث لا يمكن في البرية اقتناء كأس من الفضة. وسمعت أنا صوت الكأس الذي انكسر من يد الشماس ودخلت إلى الهيكل، وكان الشعب كله (أي الرهبان) يرتل المزامير[٢٢١]. وقلت للشماس: لا تضطرب ولا تصغر نفسك، ولكن اجمع كل الكسر ولا تترك منها شيئًا وضعها على موضع الذبيحة واتركها واخرج'".

"ولما خرج أنبا مقار مع الشماس جلسا قليلاً، ثم قال القديس للشماس: 'اذهب إلى موضع الذبيحة وما تراه لا تقُل لأحدٍ عنه'، فدخل الشماس ووجد الكأس سليما إذ تجمعت كل أجزائه المكسورة حيث كان يمكن رؤية آثار مواضع الكسر ولكنها كانت ملتصقة ببعضها تماما

(٢١٧) س ١٩ ورقة ٨٣؛ Laus., 18: 29

(٢١٨) يرجح أن هذا القول: Am., 221 يخص أنبا مقار الإسكندراني حيث إن سميه الكبير غير معروف عنه أنه سكن في دير كمبتدئ.

(219) Am., 254: 13; س ١٩ ورقة ٨٤ وسنرى أيضا في أقوال تلميذه أنبا مرقس الناسك أن أنبا مقار كان يرى ملاكًا يناول أنبا مرقس.

(٢٢٠) يتضح من ذلك أن الشماس الدياكون يمكنه أن يحمل الكأس ويناول الدم.

(٢٢١) مما يدل على أن هذا كان تقليدا قديما.

ولا تسمح بمرور شيء منها، كما رجع الدم المقدس كما كان وكأنه لم يسقط منه شيء، وهذه الكأس موجودة حتى اليوم (وقت رواية هذه القصة)، ولما علمت (أي الراوي) بهذه الأعجوبة ذهبت إلى الشماس فأعطاني هذه الكأس ورأيتها بعيني وقبلتها ومجدت الله".

"ولما جاء أب دير "تاشنتوش"[٢٢٢] من تانيس المدينة[٢٢٣] حاملاً معه عطايا كثيرة لشيوخ البرية، طلب من القس أن يعطيه الكأس تذكارا منه، فأعطاها له وهي لا زالت في ذلك الدير إلى الآن"[٢٢٤].

وقيل أيضا إنه حدث مرةً أن امتنع المطر وامتلأت الحقول من الجراد والحشرات، فأرسل البابا تيموثاوس (البطريرك الـ ٢٢) رسلاً إلى أنبا مقار طالبا منه أن يأتي إلى الإسكندرية ويصلي معه لينـزل المطر ويهلك الجراد، ولما ألحوا عليه ذهب معهم، ولما اقترب من المدينة استقبله شعب كثير بالألحان وسعف النخل، ولما وصل إلى الباب الأوسط للمدينة بدأ يصلي في قلبه سرا فابتدأ المطر يسقط، ولما دخل الكنيسة نزل المطر بغزارةٍ واستمر لمدة يومين وليلتين حتى ظن الناس أنه سيفسِد الأرض.

ثم قال القديس للبطريرك: "لماذا استدعيتموني وجعلتموني أترك مغارتي"؟ فأجابه الشعب: "أحضرناك لكي تصلي من أجل نزول المطر، وها قد رحمنا الله، والآن تكفينا هذه الأمطار الغزيرة، فصل مرةً أخرى لكي يتوقف المطر لئلاّ تهلك جميعا". فصلى القديس وللحال توقف المطر وهدأت السماء بقوة الله. حينئذٍ صاح الصابئة (أي عباد الكواكب) قائلين: "إنّ ساحرا دخل المدينة من باب الشمس". ولكن أنبا مقار قضى هناك ثلاثة أيام شفى فيها مرضى كثيرين باسم المسيح، ثم رجع إلى مغارته بينما كان الجميع يمجدون الله.

ولما رجع اجتمع معه الإخوة (أي الرهبان) وبدأوا يمزحون معه قائلين: "ها قد ذهبت يا أبانا إلى الإسكندرية وتنـزهت"، أما هو فقال لهم: "صدقوني يا إخوتي، إنني أقول لكم الحق: لم أنظر إلى عمود أو سوق أو ميدان ولا إلى وجه إنسان سوى وجه البطريرك وحده، لقد كانت الجموع تزحمني من كل ناحية ولكنني وضعت في قلبي ألاّ أرفع بصري لأنظر في أحد حتى لا أفتح لنفسي بابا للتجربة بواسطة عيني"[٢٢٥].

وهكذا قضى هذا القديس ستين سنة في البرية، وقد اندهش من كل أعمال توبته

---

(٢٢٢) ذُكِر هذا الدير في سيرة أنبا مقار الإسكندراني في مخطوطة باللغة القبطية البحيرية في مكتبة الفاتيكان رقم ٦٤ ورقة ٨١ ج من القرن الرابع، ويقال إنّ هذا الدير كان بجوار "صان الحجر" بمركز كفر الزيات. (٢٢٣) بجوار دمياط الحالية.
(224) Am., 255: 1 ; ٨٤ ورقة ١٩ س (225) Am., 258: 1.

المذهلة كل رهبان نتريا وسيليا (القلالي) والأسقيط، وهكذا تقدست بوجوده القلالي التي سكن فيها حيث رآه خواصه المخلصون يقضي الصوم الكبير كله سنويا في قلاية مظلمة أو في مغارة ضيقة جدا[٢٢٦].

وتختم المخطوطات سيرته بقولها: نتوقف هنا عن ذكر أعمال هذا القديس، فقد كان كاملاً محبوبا وديعا مثل موسى، وغيورا لدرجة أنه كان يلهب قلوب الشبان لكي يثبتوا في الفضيلة إذ يقول لهم: "أنا لم أتوقف أبدا ولم أتعب ولم أملّ أبدا من النسك"، فقد كان يمارس كل الفضائل وأتعاب النسك التي يراها أو يسمع عنها.

كنت أرغب - يا أحبائي - أن أخبركم بأمورٍ كثيرة عن أنبا مقار الإسكندراني مما استطعت أن أجمعه عنه، ولكن هذا القليل من أعماله التقوية والنسكية فيه الكفاية كما قال الرسول: «خميرة صغيرة تخمر العجين كله» (١كو٥: ٦؛ غل٥: ٩). إنّ ما ذكرناه عن هذا القديس الذي كان محبوبا من الكل ورحيما جدا لَيكفي لمنفعة الذين يصغون إليه ويعملون به لكي ينالوا نصيبا في الميراث السماوي مع هذا البطل الإسكندراني رجل أورشليم السماوية مدينة جميع الفرحين، بالنعمة والرأفة ومحبة البشر اللواتي لإلهنا وسيدنا يسوع المسيح، له المجد إلى الأبد آمين[٢٢٧].

❑☯✞☯❒

(٢) قصص وأقوال
القديس مرقس المصري الناسك[🕭]

✞❁🕮❁✞

قال باللّيديوس: "أخبرني القديس مكاريوس القس الإسكندراني أنه عند توزيع الأسرار المقدسة لم يناول هو بنفسه القديس مرقس الناسك ولا مرةً واحدةً، ولكنه كان يرى ملاكًا يناوله بيديه، وأنه كان يرى يد الملاك فقط. والأب مرقس هذا كان منذ شبابه قد حفظ العهدين القديم والجديد عن ظهر قلب، وكان لطيفًا جدا وحكيما ووديعا

(226) P. Cheneau, 2 Janvier.

(227) Am., 260: 5 ; س ١٩ ورقة ٨٤

(🕭) وضعنا أقوال هذا القديس بعد أقوال أنبا مقار الإسكندراني لأنه تلميذه حسب قول باللّيديوس وحسب ما جاء في القول الثاني المأخوذ عن مخطوطة "تفسير البراديسوس" (س ٩).

وقد ذكر عنه "شينو P. Cheneau, 5 Mars" أنه ترك العالم وعمره ٤١ سنة وتوحد بالأسقيط، وكان يشع نورا من وجهه وعينيه، وأنه كان نشيطًا وغزير العلم جدا، ويعرف الكتب المقدسة معرفةً عميقة، ووصل إلى درجة البطولة في الفضيلة، وتشهد مؤلفاته بمعرفته ووجهات نظره السامية وحياته الداخلية الملتهبة، وكان لطفه واعتداله مضرب الأمثال في تلك البرية عند النساك الذين كان عددهم لا يحصى في ذلك الوقت. كما يقول عنه "أميلينو" إنه خدم معلمه في شيخوخته وأحضر إليه ابن الأمير الذي آمن وترك العالم وسكن مع الشيوخ في ذلك الجبل المقدس يأكل من تعب يديه ويحب الغرباء ويكرمهم حتى وفاته.

وقد عاش القديس مرقس أكثر من مائة عام وتنيح في أوائل القرن الخامس. ويلاحظ أنه غير مرقس تلميذ أنبا سلوانس.

ومحبا للإخوة جدا"[٢٢٨].

سأل إخوةٌ شيخا: "قال القديس مقاريوس القس عن أنبا مرقس الناسك: 'إنني ما قربته قط بيدي (أي لم أناوله قط)، بل كنت أرى ملاكًا يناوله القربان'، فكيف كان ذلك"؟ أجاب الشيخ: "كان القديس أنبا مقار (الإسكندراني) عندما يأخذ الجوهرة من الصينية يرى الملاك يمسك يده ويجعلها في فم مرقس، فكان الملاك واسطة بين الأب وابنه كما فعل أحد السيرافيم بالكلابتين (أي الملقط) في فم إشعياء النبي (إش٦: ٦و٧)، لأن الملائكة ليس لهم سلطان أن يقيموا الأسرار الإلهية للبشر. وكان يحدث ذلك للقديس بسبب عظم طهارته واتضاعه".

"وكان أنبا مرقس قد حفظ العتيقة والحديثة (أي العهدين) في قلبه ويعرف تفسيرها، وهو الذي كتب كتاب "الرؤوس" الذي لحكماء الكنيسة، ووضع مقالة ضد الهراطقة الذين يدعون "الملكيصادقيون"[٢٢٩]، ولم يؤلف أحد من المتوحدين مثل كتبه بل كانوا دائما يكتبون في تدبير الفضيلة والحروب الروحية. وكان الراهب "أوغريس" يدعوه "المصطفى رأس عساكر الحكماء"، ولذلك نال هذه النعمة حتى يتشبه به آخرون. وكان يسكن بجانب البحيرة التي تدعى "ماريا" بحري الإسكندرية (بحيرة مريوط)"[٢٣٠].

قيل عن أنبا مرقس المصري إنه مكث ثلاثين سنة دون أن يخرج من قلايته، وكان أحد الكهنة قد اعتاد أن يأتي إليه ليناوله، فاحتال الشيطان لكي يسقطه في خطية الدينونة، فحرض البعض أن يأتوا إليه بإنسان فيه شيطان بحجة أن يصلي عليه، فقبل كل شيء قال للقديس: "إنّ قسيسك له رائحة الخطية فلا تدعه يأتي إليك مرةً أخرى". ولكن الأب مرقس امتلأ من روح الله وقال له: "أيها الولد، إنّ كل الناس يطرحون النتانة إلى خارج وأنت تدخِلها إلي؟ أليس مكتوبا: «لا تدينوا لكي لا تدانوا» (مت٧: ١)؟ وإن كان هو خاطئ فالرب يخلصه لأنه مكتوب: «إن هو سقط فالرب يقيمه» (قارن يع٥: ١٥)، وأيضا: «صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا» (يع٥: ١٦)". ولما قال ذلك صلى فهرب الشيطان من ذلك الإنسان وصرفه معافى.

ولما جاء الكاهن كعادته استقبله القديس بفرح، فلما رأى الإله الصالح سلامة ضميره أظهر له علامةً عجيبةً، إذ إنّ الكاهن لما أعد نفسه ليقف أمام المائدة المقدسة رأى القديس ملاكًا نزل من السماء ووضع يده على رأس الكاهن فصار كعمودٍ من نار، فتعجب من

---

(228) Laus., 18: 25 ; س ١٩ ورقة ٨٣

(٢٢٩) أنظر كتاب الفيلوكاليا الذي يحتوي على تلك المؤلّفات: الطبعة الإنجليزية عام ١٩٥٣م، ص ٥٧، والطبعة الجديدة، الجزء الأول ص ١٠٩، وهو يؤيد أن هذا القديس هو تلميذ أنبا مقار الإسكندراني. (٢٣٠) س ٩ ص ٢٧.

المنظر وسمع صوتا يقول له: "لماذا تتعجب من هذا؟ إذا كان الملك الأرضي لا يسمح لأحد خدامه أن يوجد في حضرته بملابس قذرة بل يكون متسربلاً با د؛ فكم بالحري ملك السموات ينقي خدام أسراره المقدسة الذين يقفون أمام مجده السماوي"؟!

وهكذا صار بطل المسيح القديس مرقس المصري عظيما وحسِب أهلاً لهذه النعمة لأنه لم يدِن الكاهن[٢٣١].

قال أنبا مرقس: "كل ما تقوله عن أخيك من ورائه ولا تستطيع أن تقوله أمامه هو نميمة ومذمة، وكل اهتمامٍ لا يؤدي إلى صلاح العبادة هو اهتمام دنيوي"[٢٣٢].

وقال أيضا: "لا تكن من القوم البطّالين الذين يحبون أن يغذوا نفوسهم من وجوه البشر ولا سيما وجوه النساء. إن كانت لك يدان فاعمل ما لأنه من الأوفق لك أن تشغل نفسك بعمل اليدين من أن تغلبك الخطية، لأن الإنسان العمال لا يتشامخ إلى درجة السقوط، وذلك مثل الذي يظن أنه منشغل بعمل روحاني مع أنه لا يسير فيه كما ينبغي"[٢٣٣].

وقال أيضا: "هذا هو السبب في أنّ السكون جيد: أنّ الإنسان لا يرى فيه ما هو مضر لنفسه، والشيء الذي لا يرى لا يصل إلى النفس، وما لا يوجد في النفس لا يحرك فيها ذكر المناظر ولا يجعل الأوجاع (أي ميول النفس) تثور فيها، ويتمتع الإنسان في داخله دوءٍ عميقٍ وسلامٍ متضاعف (أو «يتلذذ في كثرة السلام» مز٣٧: ١١)"[٢٣٤].

وقال الأب مرقس: "ناموس الحرية يرشد إلى جميع الحق وكثيرون هم الذين يقرأونه بمعرفةٍ ساذجة، ولكن قليلين هم الذين يفهمونه بالنسبة إلى تنفيذ وصاياه. لا تبحث عن كمال الناموس في الفضائل البشرية لأنه لا يوجد أحد كامل بتلك الفضائل، فكمال الناموس في الحقيقة كامن في صليب المسيح"[٢٣٥].

وقال أيضا: "إنّ الذي يريد أن يعبر إلى البر الروحاني فليكن صبورا ومتضعا ومتيقظًا ومعتدلاً. فإذا سعى أحد إلى الدخول (أي أقحم نفسه) في هذا الطريق بدون هذه الفضائل الأربع فهو يزعج نفسه ولا يمكنه أن يعبر"[٢٣٦].

قال الأب مركيان (مرقس في بعض المراجع): "إذا تمسكنا بالاتضاع لا نحتاج إلى التصحيح. ففي الحقيقة إنّ كل الأمور الرديئة تصيبنا بسبب كبريائنا، لأنه إذا كان ملاك الشيطان قد أُعطي للرسول بولس حتى لا يتكبر (أي يرتفع بفرط الإعلانات: ٢كو١٢:

---

(231) Apoph., Mark the Egyptian,1; (٢٣٢) س ٤ ورقة ٧٥ و٩٧. (٢٣٣) س ٤ ورقة ٦٢. س ٤ ص ٩٠
(234) Arm., 2, 25b (II: 22). (235) PG, 65, 909A (I: 17). (236) PG, 65, 935A (II: 21).

٧)؛ فكم بالأكثر ينبغي أن يعطَى لنا شيطان يطأنا بقدميه حتى نتضع"[٢٣٧]!؟

(٣) سـيرة وأقوال
القديسـين مكسيموس ودوماديوس(*)

هذان القديسان هما ابنا فالنتينوس ملك الروم، وقد أكملا حيا ما المملوءة بكل فضيلة بعد أن أتمّا كل وصايا الأناجيل المقدسة.

وقد كتب هذه السيرة رئيس الشمامسة الأب بيشوي الذي من القسطنطينية، والذي سكن برية شيهيت بجوار رجل الله أنبا مقار، ثم وضع هذه السيرة في الكنيسة التي بنيت على جسدي القديسين لمنفعة كل من أراد أن يحيا مع الله.

وقد تمت أحداث هذه السيرة المباركة في زمن القديس أنبا مقار اللابس الروح، رجل الله، الذي بواسطته أُسست برية شيهيت التي كان هو فيها أول غرس لكرمة رب الصباؤوت هذه، أي شيهيت، حتى يضع فيها ثمرة التوبة الحقيقية التي بحسب الله.

ربى الملك فالنتينوس أولاده مكسيموس ودوماديوس وأختهما الصغيرة تربيةً حسنةً في مخافة الله وفي تسابيح وأصوام وصلوات وتأملات كثيرة، حتى إنّ القصر كان يشبه ديرا للرهبان، كما أنّ هذين القديسين كان يدعوهما كل أحد "شيخين" منذ صغرهما بسبب تقواهما.

ولما كبر هذان المغبوطان وتقدما في الأعمال الصالحة بحسب الله طلبا حياة الملائكة أي حياة الرهبان، فاستأذنا من أبيهما أن يذهبا ليأخذا بركة موضع الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا الذين كانوا قد اجتمعوا في نيقية. وهناك وجدا أبا راهبا وكاهنا اسمه يوحنا، فأخبراه برغبتهما في الرهبنة. امتحن هذا الأب بنعمة الله أفكارهما حتى يعلم بالتدقيق نيتهما، ولما رأى استقامة اختيارهما في الله فرح جدا وشجعهما، ولكنه - خشيةً من أبيهما الملك - لم يوافق على بقائهما معه بل نصحهما أن يذهبا إلى سوريا إلى أبٍ متوحد قديس يسكن في صخرةٍ على البحر اسمه "أغابيوس".

فرح القديسان بذلك وذهبا، فاستقبلهما القديس أغابيوس بفرح عظيم، ولما رأى

(237) PG, 65, 1116B (XV: 115).

(*) عن عدة مراجع أهمها: مخطوطات دير أنبا مقار، وكتابين أحدهما للمرحوم يوسف حبيب والآخر للمتنيح القمص بيشوي كامل.

محبتهما لله ألبسهما رداء الرهبان السرياني الأسود. ولما اقتربت نياحة الشيخ القديس أغابيوس قال له القديسان: "قُلْ لنا كلمة يا أبانا حتى نحيا بها بعدك". فقال لهما: "رأيت نفسي في هذه الليلة واقفًا على صخرةٍ وسط مسكننا، ورأيت راهبا واقفًا أمامي ذا قامةٍ عاليةٍ وهو مرتدٍ ثيابا ذات خطوطٍ سوداء وعلى رأسه غطاء (كوكلوسة) عليه صلبان، وكان في يده عصا من جريد وصليب. ولما رأيته خفت، ولكنه اقترب مني وسلم علي وقال لي: 'هل تعرفني'؟ فقلت له: 'لا يا أبي القديس'. فقال لي: 'أنا مكاريوس المصري أتيت لأدعو ولديك لآخذهما معي إلى مصر'. فقلت له: 'ألا تأخذني معهما أنا أيضا يا أبي'؟ فقال لي: 'لا، ولكنني أُخبرك أنك بعد ثلاثة أيام سترقد وتذهب إلى الرب، وسيرسل الملك رسلاً وراء ولديه ليأخذهما إلى القسطنطينية، فاحذر من ذلك وأمرهما أن ينـزلا إلى مصر حتى يسكنا بالقرب مني، لأن الرب قد عينهما لي ولدين'! ولما قال هذا اختفى عني ... لذلك فبعد نهاية حياتي انزلا إلى مصر وابقيا بقرب القديس أنبا مقار حتى يفتقدكما الرب" ... ثم رقد القديس أغابيوس بعد أن سكن معه القديسان ستة أعوام، وقد تضاعفت عليهما روحه كما تضاعفت روح إيليا على أليشع.

وقد صنع الله على يدي هذين القديسين عجائب وأشفية كثيرة حتى إنّ الكثير ممن كانت بهم أرواح نجسة إذا سمعت فقط اسميهما كانت تخرج منهم، وكان المرضى يشفون في الحال بنعمة مخلصنا. وفي كل هذه العجائب لم يتكبرا ولم يفتخرا قط، ولم يقولا كلمةً لإنسان بسلطان ولكنهما كانا يتضعان تحت يد كل أحد كمحتقرين، وجعلا نفسيهما غير مستحقين قائلين في كل وقت: "إنّ النعمة هي من الله وحده، أما نحن فضعفاء وخطاة". وأهم أمثلة لذلك هي:

(١) سلطانهما على التنين:

كانت في الطريق المؤدي إلى إيقونية مغارة جبلية بها تنين عظيم كان يهلك كثيرين ممن يسلكون هذا الطريق، فأخبروا هذين القديسين بما يفعله هذا الوحش، فكتب الطوباوي مكسيموس خطابا قال فيه: "باسم رب الصباؤوت إله أنبا مكاريوس وأنبا أغابيوس أبوينا الرجلين اللابسين المسيح، إذا حمِل هذا الخطاب إلى مدخل وكرِك أيها التنين فاخرج وأنت مغلق الفم وارقد وسط الطريق ولا تتحرك من هناك حتى تأكل لحمك طيور السماء".

فركب أحد الرجال جوادا وأخذ الخطاب ووضعه عند مدخل مغارة الوحش وفر هاربا. وللحال خرج التنين من مغارته ورقد تحت السماء في وسط الطريق على مرأى من الجميع، ولم يستطع أن يتحرك البتة من مكانه!

(٢) إيمان فلاسـفة أثينـا:

سمع اثنان من فلاسفة أثينا الوثنيين بمعجزات هذين القديسين فاستهزآ. ثم أرادا أن يجربا القديسين بمكرٍ وخبثٍ، فضما أيديهما وربطاها بأشرطة كأنهما أبرصان وأقطعان، وأغمضا عينيهما مثل العميان، وأخذا معهما رجلاً ثالثًا كما لو كان يقودهما. ولما وصلوا إلى مسكن القديسين قرعوا الباب، فأجاب القديس دوماديوس قائلاً: "ماذا تريدان في هذا المكان"؟ فقالا: "جئنا إليكما يا قديسي الله لنتوسل إليكما أن تصليا علينا لكي نشفى لأننا أبرصان أقطعان أعميان، وقد قادنا هذا الرجل إلى هنا". فقال لهما القديس دوماديوس ببساطةٍ: "فليشفِكما الرب يسوع المسيح وليعمل معكما كما طلبتما". ففي الحال أصبحا أبرصين وأعميين وانكمشت يدا كل منهما وأصبحا أقطعين. فصرخا بصوتٍ عظيمٍ قائلين: "يا رجل الله ارحمنا لأننا جئنا إلى هنا لنجربكما".

وانطرح كلاهما عند أقدام القديسين بإيمانٍ عظيم قائلين: "نرجوكما أن تشفقا علينا وتعينانا، فمن اليوم سنصير مسيحيين، وسنكون خادمين للمسيح". فقال لهما القديس مكسيموس: "هل تؤمنا الآن أن يسوع هو ابن الله"؟ فقالا: "نعم نؤمن من كل قلبينا ياسيدينا القديسين أن يسوع هو ابن الله وليس غيره". فلما سمع خادما المسيح هذه الكلمات منهما صليا على قليل من الزيت وأعطياه لهما قائلين: "اذهبا إلى مكان القديس لونديوس واغتسلا في بئره وارشما ذاتيكما بهذا الزيت، وإننا نؤمن أن الخلاص سوف يدرككما". ففعلا هكذا وشفيا بقوة المسيح، وفي الحال اعتمدا وصارا مسيحيين وبشرا بهذه الأعجوبة.

ومنذ ذلك اليوم صار كثيرون من الأثينيين مسيحيين يمجدون الله.

كان هذان القديسان يصنعان الحبال لأجل قوتهما، وكان يأخذها تاجر من أنطاكية ليبيعها لهما. وبسبب حبه للقديسين كتب اسميهما على الحبال وجعلهما على هيئة صليب وسط شراع السفينة. وبينما كانت السفينة في القسطنطينية لبيع البضاعة التي فيها رأى أحد قواد الملك اسمي القديسين مكتوبين على الحبال، ولما سأل البحارة عنهما قالا: "لقد كتبنا اسميهما على شراعنا بسبب صلواتهما المقدسة حتى نجد معونةً نحن وسفينتنا في ملاحتنا". ثم علم منهم بمكان القديسين وأخبر الملك التقي ثيئودوسيوس - لأنّ والدهما فالنتينوس كان قد توفي - ثم أخبر الملك الملكة أخت القديسين، ففرح الجميع، وأرسل الملك أم القديسين وأختهما إلى سوريا لترياهما، فتشددتا وتشجعتا بكلام القديسين.

ومنذ ذلك اليوم كان أهالي القسطنطينية يذهبون إلى هذين القديسين، ويحضِرون

إليهما المرضى والذين بهم أرواح نجسة، وكانوا جميعا يبرأون بصلوات هذين الطوباويين. كما أن الملك ثيئودوسيوس نفسه ذهب إليهما ليأخذ بركتهما ونصائحهما بخصوص المملكة والكنيسة، فثبته القديسان على إيمان مجمع نيقية، ثم تردد عليهما كثيرا طالبا مشورتهما ليتمتع بتعليمهما وبركتهما كما لو كان يعلم أن الملكوت عندهما.

ثم **رتب الله بتدبيره** لهذين القديسين أن يذهبا إلى برية شيهيت في مصر كما فعل مع يعقوب الذي نزل قديما إلى مصر بسبب المجاعة حتى أصبح شعبا كثيرا ملأ أرض مصر، هكذا أيضا القديسان مكسيموس ودوماديوس ابنا الملك، ولن أكُف عن تسميتهما ابني الملك حتى يعرف كل واحدٍ كرامتهما وسيرتهما الملائكية لأنهما أحبا المسيح أكثر من مجد هذا العالم كله وتبعاه بكل قلبيهما، لهذا أعطاهما المسيح مجدا حقيقيا بذهابهما إلى شيهيت لكي عندما يموتا في هذا الجبل المقدس تبنى هناك كنيسة باسميهما لأنهما ثبتا أساسهما على الصخرة غير المتزعزعة: المسيح.

وكان تدبير الله لهما هكذا: أنه لما رقد بطريرك القسطنطينية طلب الشعب من الإمبراطور ثيئودوسيوس أن يجعل القديس مكسيموس بطريركًا، ففرح وأرسل أحد قواده مع جنوده لاستدعاء القديس. ولما وصلوا إلى والي سوريا ومعهم خطاب من الملك بذلك كانوا قد تعبوا من الطريق فأمهلهم إلى الغد. ووفقًا لترتيب الله علمت زوجة الوالي فحزنت على أخذ هذين القديسين من سوريا لأنها كانت لها ثقة كبيرة فيهما. وفي تلك الليلة أرسلت أحد خصيانها وأخبرت القديسـين قائلةً: "هوذا الملك قد أرسل لاستدعائكما إلى القسطنطينية فاهربا إذا شئتما".

فأسرع القديسان بالهرب قائلَين: "إنها الساعة التي يريد الله فيها أن يأخذنا إلى مكان أبينا أنبا مقار رجل الله". وبينما كانا سائرين وجدا راعيا عجوزا يسكن كوخا في مكان قفر، فاختبآ عنده. أما رسل الملك فلم يجدوا القديسين وبحثوا عنهما في كل سوريا وفلسطين، ولذلك ظلّ القديسان مختبئين أياما كثيرة.

ثم إنّ الطوباويين خلعا ثياب الرهبان ووضعاها في أكياس ولبسا ثيابا علمانية وربطا رأسيهما بلفائف حتى لا يعرفهما أحد، وظلاّ يصليان وهما سائران قائلَين: "يا إله أبينا أنبا مكاريوس أنت تسير قدامنا وتقودنا إليه بسلام".

وبعد مسيرة يومين على شاطئ البحر قال الصغير للكبير: "بصلوات القديس أنبا مكاريوس الذي رآه أبونا الطوباوي أنبا أغابيوس في الرؤية قائلاً له: 'مر ولديك أن ينـزلا إلى مصر بعد

موتك ليسكنا بالقرب مني'؛ إننا نؤمن بأنّ صلواته ستقودنا حتى نصل إلى موضعه". وكانا يشجعان بعضهما. وإنّ الله الذي قاد إسرائيل قديما في البرية وفي البحر قاد أيضا هذين القديسين. وكانا إذا عطشا يشربان من البحر (الأبيض المتوسط) فيجداه ماءً عذبا!

وصل القديسان إلى منطقةٍ صخريةٍ وعرةٍ حتى إ ـما كثيرا ما كانا يمشيان على أيديهما وأرجلهما، فالآلام التي تحملها هذان الطوباويان على هذه الصخور المرتفعة كانت كثيرة، ولكن فرح قلبيهما بالمسيح والرجاء الذي ملأهما جعل الآلام خفيفةً عليهما.

سار الطوباويان تسعة أيام تألّما فيها كثيرا لأنّ جسديهما كانا رقيقين ولم يتعودا على هذه الآلام، ثم وجدا نفسيهما على صخرةٍ مرتفعةٍ جدا، فلم يستطيعا المشي ولكنهما رقدا على الصخرة متوجعين كثيرا، ولذلك فقد اعتبرهما أنبا مقار بعد ذلك شهيدين بدون سفك دم. ولقد ظلاّ راقدين على الصخرة خمسة أيام بدون طعام ولا شراب مثل الأموات.

ولكن الله الذي يخلص في كل زمان الذين يترجونه وينقذهم من تجار ـم، خلص خادميه الروميين من أفواه وحوش هذا المكان الضارية ومن الطيور المفترسة. وإله القوات الذي أرسل ملاكه ليحمل حبقوق في الهواء إلى أرض بابل ووضعه فوق جب الأسود ليعطي طعامه لدانيال ثم أعاده إلى اليهودية بسرعة مع أنّ بابل كانت تبعد عن اليهودية مسيرة ثلاثة أشهر(٢٣٨)؛ هو أيضا أرسل ملاكه ليحمل هذين القديسين إلى شيهيت وتركهما هناك على الصخرة الكبيرة.

ثم **رأى القديسان رجلاً يقود** جمالاً في الوادي، ولما أرادا أن يسألاه لم يفهم لغتهما ولا هما فهما لغته، ولكنه أراد أن يقودهما إلى موضع أنبا مكاريوس وذكر لهما اسمه ففرحا وتشجعا جدا، فتبعاه وهما يمجدان الله. وهنا قال القديسان: "ولما وصلنا إلى قديس الله قبّلنا برفقٍ وسألنا قائلاً: 'لماذا جئتما إلى هنا'؟ فأجبناه قائلَين: 'لقد سمعنا عن فضائلك وعن شيهيت وجئنا لنسكن في ظلّك لتجعلنا راهبين'. ولكنه استمر ينظر إلينا جيدا، ثم قال لنا: 'لا تستطيعان أن تسكنا هنا لأنه مكان قفر متعب'. فقلنا له: 'إن لم نستطع البقاء هنا فسنذهب إلى مكانٍ آخر، ولكن لأجل الله لا ترفضنا بعيدا عنك يا أبانا الصالح'". ثم نترك الكلام هنا للقديس مكاريوس:

قال أنبا مكاريوس لتلميذه أنبا بفنوتيوس: "حدث يوما وأنا جالس بالأسقيط أن أتاني شابان غريبان، أحدهما متكامل اللحية والآخر قد بدأت لحيته. فقالا لي: 'أين قلاية

(٢٣٨) أنظر تتمة سفر دانيال في الأسفار المحذوفة.

الأب مقارة‘؟ فقلت لهما: ’وماذا تريدان منه‘؟ أجاباني: ’نريد مشاهدته‘. فقلت لهما: ’أنا هو‘. فصنعا ميطانية وقالا: ’يا معلم، نشاء أن نقيم عندك‘. فلما وجدت أ ما في حالة ترفٍ ومن أبناء نعمةٍ وغِنى أجبتهما: ’لكنكما لا تحتملان السكنى ههنا‘. فأجابني الأكبر قائلاً: ’إن لم نحتمل السكنى ههنا فإننا نمضي إلى موضعٍ آخر‘. فقلت في نفسي: ’لماذا أطردهما؟ أنا أتركهما لعل شيطان التعب يشككهما في ما عزما عليه‘“.

”فقلت لهما: ’هلما اصنعا لكما قلايةً إن قدرتما‘. فقالا: ’أرِنا موضعا يصلح‘. فأعطيتهما فأسا ومقطفًا وقليلاً من الخبز والملح، وأريتهما صخرةً صلبة(٢٣٩) وقلت لهما: ’انحتا هنا لكما مغارةً، وأحضرا لكما خصا من الغابة وسقفًا وامكثا هنا ...‘. وتوهمت أ ما سوف ينصرفان من شدة التعب، فسألاني: ’وماذا تصنعون ههنا‘؟ فقلت لهما: ’إننا نشتغل بضفر الخوص‘. وأخذت سعفًا وأريتهما بدء الضفيرة وكيف تخاط، وقلت لهما: ’اعملا زنابيل وادفعاها إلى الخفراء ليأتوكما بخبزٍ‘. وعرفتهما ما يحتاجان إليه من معرفةٍ ثم انصرفت عنهما“.

”أما هما فأقاما ثلاث سنوات ولم يأتياني، فبقيت مقاتل الأفكار من أجلهما إذ لم يأتيا إلي ولا سألاني في شيء، ولم يحاولا الكلام مع أحدٍ قط، ولم يبارحا مكا ما إلاّ كل يوم أحد فقط حيث كانا يذهبان إلى الكنيسة لتناول القربان وهما صامتان“.

”فصليت صائما أسبوعا كاملاً إلى الله ليعلن لي أمرهما، وبعد الأسبوع ذهبت إليهما لأفتقدهما وأعرف كيف حالهما، فلما قرعت الباب عرفاني وفتحا لي وقبلاني صامتين، فصلّيت وجلست. وأومأ الأكبر إلى الأصغر بأن يخرج، أما الأكبر فجلس يضفر في الضفيرة ولم يتكلم قط“.

”ولما حانت الساعة التاسعة أومأ إلى الشاب فأتاه، وأصلحا مائدةً وجعلا عليها ثلاث خبزات بقسماطات(٢٤٠)، وبقيا صامتين. فقلت لهما: ’هيا بنا نأكل‘. فنهضنا وأكلنا، وأحضرا كوز ماءٍ فشربنا. ولما حان المساء قالا لي: ’أتنصرف‘؟ فقلت لهما: ’لن أنصرف، لكنني سأبيت هنا الليلة‘. فبسطا لي حصيرةً في ناحيةٍ وبسطا أخرى لهما في ناحيةٍ أخرى، وحلاّ إسكيميهما ومنطقتيهما ورقدا أمامي على الحصيرة. فصليت إلى الله أن يعلِن لي ماذا يفعلان“.

”وإذ كنت راقدا ظهر فجأةً في القلاية ضوءٌ كنور النهار قدامي، وكأن سقف القلاية قد انفتح وهما لم يشاهدانه. فلما ظنا أني نائم نخس الأكبر الأصغر وأقامه، وتمنطقا وبسطا أيديهما نحو السماء، وكنت أراهما وهما لا يبصرانني، وإذ بي أرى الشياطين مقبلين نحو

---

(٢٣٩) صخرة شيهيت المشهورة الآن بـ "قارة أولاد الملوك". (٢٤٠) كانت هي الخبز المعتاد لرهبان مصر.

الأصغر كالذباب، فمنهم من كان يريد أن يستقر على فمه، ومنهم من كان يريد أن يستقر على عينيه، ثم رأيت ملاك الرب حاملاً سيفًا ناريا وهو يحيط ما ويطرد الشياطين عنهما. أما الأكبر فلم يقدروا على الاقتراب منه".

"وما إن حان الفجر حتى وجد ما قد انطرحا على الأرض وناما، فتظاهرت كأني استيقظت، وهما كذلك. فقال لي الأكبر هذه الكلمة فقط: 'أتشاء أن نقول الإثني عشر مزمورا'؟ فقلت: 'نعم'. فقرأ الصغير خمسة مزامير، وبعد كل ستة أستيخونات (أي جمل أو آيات) "ألليلويا" واحدة. ومع كل كلمة كان يقولها كان يبرز من فمه شهاب نار يصعد إلى السماء، كذلك الكبير إذ كان يفتح فمه ويقرأ كان مثل حبل نار خارجا من فمه وصاعدا إلى السماء ... ولما انقضت الصلاة انصرفت قائلاً: 'صليا من أجلي'، فصنعا لي ميطانية وهما صامتان. وبعد أيامٍ قليلة تنيح الأكبر، وفي ثالث يوم تنيح الأصغر كذلك".

ولما كان الآباء يجتمعون بالأب مقارة كان يأخذهم إلى قلايتهما قائلاً: "هلموا نعاين مكان شهادة الغريبين الصغيرين"[(٢٤١)].

سئل القديس فيلوكسينوس عن مسلك هذين الأخوين، ولماذا لم يمضيا إلى القديس مكاريوس ثلاث سنوات، فقال: "لأنّ الكبير كان عمالاً كاملاً متضعا، ولوكان قد مضى إليه لظهر كماله فكان يمجده، وأما الصغير فكان يتعلم من الكبير"[(٢٤٢)].

وقد اهتم الأب بيشوي كاتب هذه السيرة بذكر النقطة الآتية:

"كل هذه الأمور قالها لي هذان الطوباويان أ ا حدثت لهما لأنني مثلهما من نفس مدينة القسطنطينية أصلاً، وفيما يختص بكل هذا فقد استحلفاني مرارا كثيرة آمِرين إياي هكذا: 'لا تقُل شيئًا مما أخبرناك به طالما نحن أحياء'. لأنني لو لم أكن أعرفهما من قبل لما قالا لي شيئًا من هذا، ولكنني كنت أعرفهما وهما أيضا يعرفانني".

ثم يكمل الأب بيشوي سيرة القديسين هكذا:

"لما ابتدأ القديسان في حفر مغار ما خلعا ثيا ما السورية العلمانية ولبسا لباس رهبان هذا المكان، وكانا يقولان لبعضهما: 'لنحذر من أن يعرف أحد اسمينا وأننا كنا رهبانا فيما قبل، لأن هذا المكان قريب بالتأكيد من الملك أكثر من سورية'. وقد اجتهدا كثيرا أن لا

---

(٢٤١) هذه التسمية تعني هيكلاً صغيرا مقاما فوق أجساد مقدسة وتسمى μαρτυρια ("مارتيريا" أي مكان شهادة لسيرة مقدسة)، ولا يستلزم ذلك أن تكون أجساد شهداء. ومراجع هذا القول هي: Apoph., Mac., 33; W. & W., II: 621؛ س ٤ ورقة ١٣.

(٢٤٢) س ٩ رقم ١٤ ص ٣٤.

يكلما أحدا ولا يزورا أحدا خارج مسكنهما والكنيسة، وكان طعامهما في كل وقت هو الخبز والملح، ومنذ رهبنتهما لم يذوقا لحما أو نبيذًا أو سمكًا. وكانا يصومان دائما يومين متتاليين، وكانا يؤديان صلوات كثيرة ويتلوان مزاميرهما مع "هلليلويا" بعد كل ستة آيات كما هي العادة عند السريان. وكانا في شيهيت لا ينظران وجه إنسان إلاّ رجلاً عجوزا كان يأخذ عمل أيديهما ويأتيهما بقليلٍ من الخبز، وهو الذي كان يخدم أنبا مقار".

"ومتى كان هذان القديسان يذهبانِ إلى الكنيسة لم يكونا يرفعان بصرهما لينظرا وجه أحد. بل كان وجهاهما مطرقين إلى أسفل على الدوام حتى يعودا إلى مغار ما بسرعةٍ وانتباه. ولو رأيتهما بهذا المنظر لقلت إنّ الله بالحقيقة يسكن في هذين الرجلين، وفي الحقيقة كانا مثل إيليا ويوحنا المعمدان تسكن فيهما نار الروح القدس التي تحرق النشاط الفاسد الذي للأرواح الشريرة التي تحارب جنسنا كل وقتٍ دون خجل كما قال أنبا مقار اللابس الروح".

"وكان قد رأى هذان الطوباويان أباهما اللابس الروح لابسا حزاما وتونية (جلبابا) بأكمام، فأرادا أن يلبسا مثله، ولما زارهما أنبا مقار أحضرا له حزامين لكي يصلي عليهما ويجندهما ويلبسهما إياهما، فعرف القديس ذلك بروح النبوة الساكن فيه وصلى عليهما وألبسهما الإسكيم".

شـفاء خادمهـا:

"كان الشيخ الذي يخدمهما تقيا للغاية وكانت له ثقة عظيمة فيهما. وذات مرةٍ أخذ أحد الجند جمال هذا الرجل، كما صفعه على خده فحول له العجوز الخد الآخر متمما وصية الإنجيل، فأعاد الجندي الظالم ضربه ثم فقأ عينه اليسرى بآلةٍ كانت معه، ولكن الشيخ شكر الله لأنه استحق أن تفقأ عينه بسبب وصية إنجيل المسيح".

"وحدث مرةً بينما كان هذا الشيخ آتيا بجمل محمل باحتياجات القديسين ووصل إلى الموضع الهابط إلى الوادي في شيهيت، جاء إلى مكانٍ مليءٍ بالقاذورات، وبفعل عدو الخير انزلق الجمل ووقع فانكسرت رجلاه، فبكى الشيخ بمرارةٍ ومزق ثيابه وغطّى رأسه بالتراب لأن الجمل لم يكن ملكه، ولكنه رغم حزنه شكر الله. وترك الجمل وذهب إلى الطوباويين وأخبرهما بما حدث، فاصطحباه إلى هناك، وصلى القديسان، ثم لما اقتربا من الجمل خاف وصرخ ولمس الأرض بفمه كما لو كان يسجد للقديسين، فقالا للجمل: 'لا تخف بل قُم وقف على رجليك بفضل من قام من الأموات ربنا يسوع المسيح'.

وفجأةً وثب الجمل ووقف على رجليه صحيحا، فسجد الشيخ للقديسين قائلاً: ’مبارك هو يسوع المسيح الساكن فيكما‘“.

”ولما كانوا سائرين معا رأى القديس دوماديوس وجه الشيخ مملوءًا قذارةً بسبب التراب الذي وضعه عليه، فمسح وجهه بطرف ثوبه، ولكن الشيخ بسبب إيمانه بالقديسين أمسك بيد القديس ووضعها على عينه المفقودة فأبصر في الحال، حتى تعجب الشيخ الجمال جدا، ومجد الله كثيرا“!

”ثم أمره القديسان ألاّ يقول شيئًا لأحدٍ عن ذلك، وأن لا يفكر أنّ الصحة عادت إليه وإلى الجمل بفضلهما لأ ما خاطئان، ولكن بقوة المسيح ... ولما رأى زملاء الجمال أنّ عينه مفتوحة تعجبوا جدا وسألوه عن ذلك فأخبرهم أن تلاميذ أنبا مقار هم الذين شفوه، وكان كل من يسمع هذا يمجد الله“.

”ولما تنيح القديسان أردت أن أتأكد من هذه المعجزة، فسألت أنبا مقار فقال: ’نعم‘. فقلت له: ’حقًا إنه عملٌ عظيم‘. فأجاب: ’ليس هذا عملاً أعظم من النعمة التي نالاها من الله لأ ما كانا أهلاً للقوة التي كانت في إيليا ويوحنا المعمدان، وقد أعطاهما السيد سلطانا مماثلاً لما أعطاه لتلاميذه لأ ما لم يطلبا قط مجد هذا العالم الزائل بل مجد المسيح. لقد كانا كلهيب نار، لأنه حتى النفَس الذي كان يخرج من فمهما كان نارا مضيئة تظهر عندما كانا يصليان مثل البرق حتى إلى السماء‘“.

انتقـال القديسين:

”سر الله محب البشر أن ينقل خادميه من هذا العالم الزائل إلى موضع الراحة الأبدية الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهد، ففي يوم عيد الغطاس ا يد رقد الطوباوي مكسيموس مريضا بحمى شديدة، وطلب أباه أنبا مقار، ثم إنه بعد غروب الشمس قال: ’بعد قليل سأذهب إلى موضع راحتي‘“.

”ولما اقترب الليل وأضأنا المصباح اختطِفت روح الطوباوي مكسيموس إلى السماء وهو يقول: ’أرسل نورك وحقك يا إلهي لكي يهدياني إلى الطريق، لأنك بالتأكيد ستقوم طريقي وتنقذني من أيدي سلاطين الظلمة في الهواء، حتى أذهب إليك دون عائق‘. ثم سكت قليلاً وقال: ’قوموا نخرج من ههنا لأنه هوذا الرسل والأنبياء قد جاءوا ليأخذوني من هنا‘“.

”وبعد قليل رأى أنبا مقار صفوف القديسين الذين جاءوا ليأخذوه، ففي الحال ض وظلّ واقفًا بسكوت. وسأل أنبا مكسيموس أحد القديسين عن أسماء القديسين الذين

حوله، وسمع ذلك اللابس الروح أنبا مقار وقال لنا: 'إ م يخبرونه بأسماء القديسين الذين حوله'. ولما كّللت روحه بحضور القديسين انطلق بفرحٍ خارجا من الجسد، وهكذا استراح مع كل القديسين في الرابع عشر من طوبة".

وفي الغد رقد أخوه الطوباوي دوماديوس مريضا بحمى عظيمة، فقال لي أنبا مقار: 'ابق هنا يا بني لكي تخدم الأخ فتأخذ بركته'. وفي الليلة الثالثة رأيته متألما فدعوت أبانا أنبا مقار، وبينما كنت سائرا معه في الطريق وقف مدةً طويلةً ينظر نحو المغارة، ثم التفت ناحية الشرق ليرى خورس القديسين الذين كانوا يتقدمون نفس الطوباوي أنبا دوماديوس، ثم نظر نحو السماء وتنهد وبكى قارعا صدره قائلاً: 'الويل لي لأني لم أصر راهبا إطلاقًا، ولكن هذين هما راهبان بالحقيقة، لأ ما بضيقاتٍ قليلةٍ قد وجدا الطريق سريعا'".

"ولما تعجبت أنا من كل ذلك، قال لي القديس: 'هيا بنا يا ابني لأن أنبا دوماديوس قد رقد'. ولما دخلنا المغارة وجدناه مستندا إلى الحائط ويداه مبسوطتان نحو السماء. وهكذا انتقل في السابع عشر من طوبة".

"وقد شهد أنبا مقار لأنبا إيسوذورس أن الطغمات التي جاءت لتأخذ نفس الكبير هم أنفسهم الذين جاءوا لأخذ روح أخيه ... وهكذا انتهت الحياة الملائكيـة لهذين الطوباويين اللذين أحبا أتعاب الفضائل والضيقات الوقتية، وجاهدا الجهاد الحسن ناظرين إلى ما هو قدام كقول الرسول حتى نالا إكليل دعو ما من فوق".

"قال الأب بيشوي الشماس: قلت لأبوينا الروميين مرةً: 'لو كنتما الآن في القسطنطينية فبالتأكيد كنا نجدكما ملكين الآن'. فأدارا وجهيهما نحوي وقالا لي بوداعةٍ: 'أين هي روحك أيها الأخ حتى قلت هذه الكلمة؟ لقد قلنا لك عدة مرات يا أخ بيشوي إنه سواء كنت جالسا معنا أو كنت في مسكنك يجب أن تتمسك دائما باسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح بلا انقطاع، لأنه بالحقيقة لو كان هذا الاسم الأقدس في قلبك لما قلت هذه الكلمة التي نطقتها الآن. لأننا لو أهملنا هذا الاسم الأقدس نموت بالتأكيد في خطايانا. فلنبغض الحرية (في الكلام) والمزاح والكلمات الباطلة التي تبدد كل ثمار الراهب. عندما كنا في سوريا كان الناس يحاولون إسعادنا دون أن يتركونا نفكر في خطايانا، ولكن الغربة والسكوت بفهم واحتمال الشدائد هذه هي خصائص جنسنا. فالشدة تلد الصلاة في طهارة، والصلاة تلد مخافة الله والمحبة، وهذا ما ينشئ الرجل، لأنه بالتأكيد لا جاه ولا غِنى ولا شجاعة مكرمة عند الله، ولكن النفس القديسة التي تبحث

عنه وعن ذبيحته وتضحيته، هذا هو خلاصنا‘“.

”أما أنا فقبلت كلامهما بفرحٍ، وتأسفت لهما قائلاً: ’اغفرا لي يا أبوي وصليا من أجلي‘“.

”وبعد سنة من انتقالهما بنيت على جسديهما كنيسة كبيرة، وعين أنبا إيسوذورس كاهنا لها وأنا أيضا غير المستحق جعلوني شماسا لها. ودعا أنبا مقار اسم الكنيسة "قلاية الروميين"[(٢٤٣)]، ولما سأله أنبا بامو وأنبا بيئور وأنبا أثره: ’ألا تعلم اسميهما يا أبانا‘؟ أجاب: ’نعم، ولكن لا يجب أن ندعو المكان باسم الواحد ونترك الآخر، لأنه كان لهما ذات الصبر في هذا المكان، وكانا أخوين‘“.

”**وشهد أنبا بفنوتيوس** تلميذ أنبا مقار الذي صار أبا لشيهيت من بعده قائلاً: ’لما بنينا الكنيسة أمر الرب أبانا أنبا مقار بواسطة الشيروبيم المنير قائلاً: أُدع هذا المكان قلاية الروميين، وأنت أيضا اتبعني لكي أُريك المكان الذي سيدعى اسمك عليه. وقاده الشيروبيم إلى المنحنى الجنوبي للوادي في مكان البئر، ووقف على الصخرة الغربية وقال: هذا هو المكان الذي سيدعى باسمك، والموضع الذي بنيته سيعطَى للروميين إلى الأبد، لأ ما أول الذين وضِعت أجسادهم في هذا الجبل المقدس، وصارا باكورة أتعابك في هذه الكرمة التي لرب الجنود حيث صرت رئيسا للكرامين أي جنس الرهبان المكرم الذين يصنعون إرادة الله الذي يجلب مراحمه على جنس البشر بسبب فضائلهم وصلوا م ودموعهم التي يسكبو ا ليلاً و ارا من أجل الخطاة حتى يرجعوا إلى الله بكل قلو م فيغفر لهم حسب مراحمه نحو خليقته‘.

”**وكان إذا حضر شيوخ** لزيارة أنبا مقار كان يقودهم إلى قلاية القديسين قائلاً: ’تعالوا انظروا مكان شهادة martyrium الغريبين الصغيرين حتى تتقدموا أنتم أيضا في الفضيلة التي لهذين المباركين وتصيروا أهلاً للنصيب والميراث الذي أخذاه في الملكوت‘. أي أنّ أنبا مقار كان يعتبرهما شهيدين باختيارهما بغير سفك دم لاحتقارهما مملكة أبيهما الزائلة لأجل ملكوت الله، ولاحتمالهما الشدائد في طريقهما إلى شيهيت“.

”**فإذا احتفظنا بذكرى** سيرة آبائنا القديسين فسنتغير نحن أيضا عن عادات العلمانيين، ونأخذ سيفًا من نور في طرقهم، تاركين وراءنا ما قد مضى، مقتفين آثارهم التي لا يمكن أن نضلّ، متممين أحكام المسيح ووصايا الرهبنة الملائكية التي تؤدي بنا إلى الله“.

---

(٢٤٣) وهو موضع دير البراموس الآن: Παρομεως أي الروميين.

”**وكان الكثير من المرضى** والمتضايقين يشفون في كنيسة هذين القديسين بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد الدائم مع أبيه الصالح والروح القدس إلى الأبد آمين“. ❐

(٤) قصص وأقوال

القديس إيسوذورس قس الأسقيط

قيل عن أنبا إيسوذورس[*] إنه اجتهد منذ أول رهبنته أن يبقى داخل قلايته، وأن يعود نفسه على حفظ ذهنه متصلاً بالله بالصلاة. وقال هو عن نفسه: ”لما كنت شابا كنت في قلايتي لا أجعل لنفسي حدودا في الصلاة، وكان الليل يعتبر بالنسبة لي وقتا للصلاة مثل النهار“[٢٤٤].

وقال أيضا: ”لقد وقفت أربعين ليلةً لم أضطجع فيها“[٢٤٥].

قال أنبا يعقوب: ”إنني ذهبت مرةً إلى البهلُس عند أنبا إيسوذورس فوجدته ينسخ، فجلست عنده ولاحظت أنه بين حينٍ وآخر يرفع عينيه إلى السماء وشفتاه تتحركان دون أن أسمع منه أي صوت، فقلت له: ’ماذا تفعل يا أبي‘؟ فقال لي: ’أما تفعل أنت هكذا‘؟ فقلت له: ’لا يا أبي‘. فقال لي: ’إن كنت لا تفعل ذلك يا أبا يعقوب فما صرت بعد راهبا ولا ليومٍ واحدٍ‘. وهذا هو ما كان يقوله: ’يا ربي يسوع المسيح أعني، يا ربي يسوع المسيح ارحمني، أنا أسبحك يا ربي يسوع المسيح‘“[٢٤٦].

قال أنبا بيمين: ”كان أنبا إيسوذورس في كل ليلةٍ يضفر حزمةً كاملة من السعف، فترجاه الإخوة قائلين: ’أيها الأب أرح نفسك قليلاً لأنك قد شِخت‘! فأجابهم: ’حتى لو أحرقوا إيسوذورس بالنار وذروا رماده في الريح فليس لي فضل، ولن أعطي لنفسي راحةً لأنّ ابن الله من أجلي نزل إلى الأرض‘“[٢٤٧].

وقال أيضا: ”إنّ أنبا إيسوذورس قس الأسقيط قال مرةً للرهبان: ’أيها الإخوة، ألم نأتِ إلى هذا المكان لكي نتحمل الضيقات؟ ولكن لا توجد لنا الآن هنا أي ضيقة،

(*) من أوائل تلاميذ أنبا مقار الكبير، وقد جعله أنبا مقار قسا على شيهيت، وهو أول من اشترك مع أبيه الروحي في تأسيس موضع دير أنبا مقار الحالي.

(244) Apoph. Isidore,4;W. & W.,II: 315. (245) W.&W.,II: 317.

(246) Eth.,13,43; س٤ ورقة ٢٠ (247) Apoph. Isidore, 5; W. &W., II:250; س٤ ورقة ٣٨

(٢٤٨) أي جلد الخروف أو فروته التي للتدفئة في الشتاء. (249) Apoph., Poemen, 44; W. & W., I: 235.

ولذلك فسآخذ جلدي[٢٤٨] وأذهب إلى مكان فيه ضيقة وهناك أجد سلاما‘“[٢٤٩].

قيل إنه لما بدأ أنبا موسى الأسود يواظب على الصلاة والصوم والتأمل حاربه الشيطان بشدة في شهواته الجسدانية حتى أوشك على اليأس والرجوع إلى حياته الشريرة. فأخبر أنبا إيسوذورس بذلك فقال له: ”لا تحزن هكذا وأنت لا زلت في بدء الصعوبات، إنّ رياح التجارب ستقلق روحك لمدة طويلة، فلا تجزع“. وضرب له مثلاً في خطورة اتباع هوى الجسد قائلاً: ”إن الكلب الذي تعود أن يحوم حول ملحمة الجزار لا تضيع منه هذه العادة في يومٍ واحد، ولكنه إذا وجد المحل مغلقًا زمانا طويلاً أو أنه لا يلقي له أحد بالعظام فإنّ الجوع يجعله يبحث عن مكانٍ آخر. فإذا ثابرت على الصوم والسهر واحتقار أباطيل هذا الدهر ستنتصر على شهوات الجسد، وسترى كيف أنّ هذا الجسد الثائر عليك سيهدأ ولا يعود يطلب شهواته القديمة“[٢٥٠].

لما جرب أنبا موسى الأسود بشهوة الزنى وذهب إلى معلمه أنبا إيسوذورس، شجعه الشيخ قائلاً: ”لا تستسلم للشيطان، ولا تعطِ لذهنك راحةً (أو "لا تترك العنان لأفكارك")، بل بالحري مهما أزعجك الشيطان تعالَ إلي وهو سيهرب مقهورا، لأنه لا شيء يثبط همّة شيطان الشهوة مثل كشف وفضح هجماته، ولا شيء يشجعه مثل إخفاء التصورات الشريرة التي يحاربنا ا“.

فأطاع أنبا موسى وذهب لمعلمه إحدى عشرة مرةً في ليلةٍ واحدة، وأخيرا قال له: ”من أجل المحبة يا أبي قُلْ لي كلمة“، فقال له الشيخ: ”صدقني يا ابني، لو سمح الله للأفكار التي اجمني أن تأتي عليك فلن تحتملها بل ستدفع نفسك لها بطياشةٍ“. و ذا الكلام من الشيخ هدأ باتضاعه العظيم هذا لهيب الشهوة عند أنبا موسى[٢٥١].

كان أنبا موسى الأسود - الذي كان يسكن في "بترا" (أي الصخرة) - يصارع مرةً مع تجربة الزنى ولم يستطع أن يحتمل البقاء في قلايته، فذهب وأخبر أنبا إيسوذورس بذلك فعزاه بكلام الكتب المقدسة ثم حثّه على الرجوع إلى قلايته، ولكنه لم يقتنع وقال: ”لا يمكنني يا أبي أن أحتمل ذلك“. فأخذه الأب إيسوذورس إلى سطح قلايته وقال له: ”أنظر إلى الغرب“، ولما نظر رأى جموعا من الشياطين يئةٍ مرعبةٍ وهم مهيأون للحرب. ثم قال له: ”أنظر إلى الشرق“، فنظر ورأى جموعا لا تحصى من الملائكة في مجدٍ ونورٍ

---

(250) Laus., 19: 5, 6.

(251) D. F., p. 77; XIII. مع ملاحظة أن هذا المرجع لم يذكر أنّ ذلك حدث بين أنبا موسى وأنبا إيسوذورس.

ببهاءٍ عظيم. ثم قال له أنبا إيسوذورس: "هؤلاء الذين من ناحية الغرب هم الذين يحاربون القديسين، والذين رأيتهم ناحية الشرق هم الذين يرسلهم الله لمعونة القديسين، فاعلم إذن أنّ الذين معنا أكثر من الذين علينا كما قال إليشع النبي (٢مل٦: ١٦)".

فتعزى أنبا موسى بالرب وعاد إلى قلايته متشجعا بلا خوفٍ وممجدا لله[٢٥٢].

قيل عن أنبا إيسوذورس قس الأسقيط إنّ كل من كان عنده أخ صغير النفس أو مشاغب أو جبانٌ أو كسولٌ أو عاص أو شتام أو عليلٌ وأراد أن يخرِجه من عنده، كان القديس يأخذه عنده ويطيل روحه عليه ويشفيه لكي يخلص[٢٥٣].

قيل إنه كان مع أنبا إيسوذورس قس الأسقيط أخ ضعيف في عقله ويتكلم بطريقةٍ رديئةٍ وقليل الذكاء جدا، فانتهره القديس قائلاً: "يا أخ اصمت لئلا بضعف ذكائك وضيق صدرك تغضِب الرب". وهكذا احتمل الأب هذا الأخ طويلاً حتى هدأ من نفسه[٢٥٤].

وأيضا قيل عنه إنه عندما كانت أفكاره تقول له: أنت إنسان عظيم، كان يقول لها: "أيمكن مقارنتي بأبا أنطونيوس؟ وهل صرت مثل أبا بامو أو مثل بقية الآباء الذين أرضوا الله"؟ وكان بذلك يستريح بفكره. وعندما كانت الشياطين التي تقاتل البشر تحاول أن تخيفه وتوهمه أنه بعد كل ذلك سيذهب إلى الجحيم كان يجيبهم: "حتى وإن ذهبت إلى العذاب فأنتم ستكونون تحتي لأنه بكلمةٍ واحدةٍ ورث لص الملكوت، ويهوذا الذي أجرى معجزات مع الرسل فَقَد في ليلةٍ واحدةٍ كل تعبه وسقط من السماء إلى الجحيم".

"لذلك لا يفتخرنّ الذي يسلك باستقامةٍ، لأنّ كل الذين وثقوا بأنفسهم سقطوا بين شياطين الجشع. إذن فاضبط فكرك، وليكن أكلك باعتدالٍ وببطءٍ لأنّ الذي يسرِع في أكله فهو مثل الذي يطلب أن يأكل كثيرا"[٢٥٥].

وقال كاسيان عن القديس إيسوذورس إنه قد وهِب نعمةً بسبب اهتمامه بقمع الغضب منذ أن صار راهبا، فقد جعله الله مرهوبا جدا من الأرواح الشريرة، إذ كانت تخشاه جدا لدرجة أنه حينما كانوا يحضِرون إليه أناسا م أرواح نجسة لكي يخرِجها بصلواته كانوا يشفون قبل أن يتخطّوا عتبة بابه[٢٥٦]!

قال شيخ: "رأيت كيف أنّ أبا إيسوذورس الأسقيطي لمس عين إنسان أعمى وأرجع إليه

---

(252) Apoph. Moses,1; W.& W., I: 562. (253) Apoph., Isidore, 1; س٤ ورقة ٣٧
(254) W.&W.,I:221. (255) Apoph. Isidore, 6; W. & W., II: 347; س٤ ورقة ٣٧
(256) Conf., XVIII, ch. XV. (257) Eth. Coll., 14, 38.

بصره". كما قال أيضا: "لقد أمسكت بأبا إيسوذورس وقلت له: 'لن أتركك إن لم تخبرني كيف لمست عيني الأعمى وكيف استرد بصره'. فقال لي القديس: 'ما دمت لا تتركني فأقول لك: منذ اليوم الذي ارتديت فيه هذا الزي الرهباني لم أدع الغضب يصل إلى فمي قط''"[٢٥٧].

سأل الإخوة أنبا إيسوذورس: "لماذا تفزع منك الشياطين"؟ فقال لهم: "لأني مارست النسك منذ أن صرت راهبا إلى الآن، ولم أدع الغضب يجتاز إلى حلقي (أو إلى شفتي)"[٢٥٨].

وقال أيضا: "إنّ لي أربعين سنة كلما جربت بالخطية في أفكاري لم أكن أستسلم قط للشهوة ولا للغضب"[٢٥٩].

قال أنبا إيسوذورس: "ذهبت مرةً إلى السوق لأبيع بعض أشياء صغيرة، ولما رأيت أنّ الغضب يقترب مني تركت هذه الأشياء وهربت"[٢٦٠].

وقال أيضا: "إذا رغبت في الخلاص فافعل كل شيء يقودك إليه"[٢٦١].

وقيل عنه إنّ أخا أتاه يوما ليدعوه إلى الطعام، فلم يؤثر الشيخ أن يمضي معه قائلاً: "إنّ آدم بالطعام خدِع وأصبح عليه أن يعيش خارج الفردوس". فقال له الأخ: "أهكذا أنت خائف أن تخرج من قلايتك"؟ فقال الشيخ: "كيف لا أخاف يا ابني والشيطان يزأر كالأسد يلتمس من يبتلعه (١بط٥: ٨)"[٢٦٢]؟!

وكان يقول مرارا كثيرة: "من يفسح لنفسه أن يشرب خمرا لا يمكنه أن يتخلّص من هجوم الأفكار وقبح الأعمال، لأنّ لوط لما أكرهته ابنتاه وسكر من الخمر صار من السهل على الشيطان أن يسقِطه في فعل الزنى القبيح"[٢٦٣].

ذهب الأب إيسوذورس مرةً إلى البابا ثيئوفيلس بطريرك الإسكندرية ثم رجع إلى الأسقيط، فسأله الإخوة: "كيف حال مدينة الإسكندرية"؟ فقال: "الحق أقول لكم إنني ما أبصرت إنسانا إلاّ البطريرك وحده". فلما سمعوا اندهشوا وقالوا له: "أترى يا أبانا مدينة الإسكندرية خالية من الناس"؟ فقال: "كلاّ، ولكن أفكاري لم ترغمني على النظر إلى إنسان". فلما سمعوا ذلك تعجبوا، و ذه الكلمات ثبتوا عزمهم على عدم التطلع إلى

---

(258) Apoph. Isidore, 2; W. & W., I: 493; س ٤ ورقة ٣
(259) Apoph., Isidore the Priest, 3; W. & W.,II: 316; س ٤ ورقة ٣٧ (260) Apoph., Isidore, 7.
(261) Apoph. Isidore the Priest,6. (262) Ibid.,1 A; س ٤ ورقة ٣٧ (263) Ibid.,1 B; س ٤ ورقة ٣٧
(264) Apoph. Isidore, 8; W. & W., II: 7; س ٤ ورقة ٣٧ (265) V P; VI, 4, 21.

أباطيل هذا العالم[٢٦٤].

قال أنبا إيسوذورس بخصوص الأفكار النجسة: "لو لم تكن لنا أفكار لكنا مثل الوحوش، ولكن كما أن العدو يطلب ما هو له فيجب علينا نحن أن نتمم ما هو لنا. فلنواظب على الصلاة فيهرب العدو. تفرغ للتأمل الإلهي وأنت تغلب. إنّ المثابرة على الصلاح هي نفسها نصرة، جاهد وأنت ستكَلل"[٢٦٥].

وقال أيضا: "لا يمكنك أن تعيش حسب الله إن كنت تحب المال والمسرات الأرضية"[٢٦٦].

وقال أيضا: "إن كنت تشتاق إلى ملكوت السموات فاحتقر غِنى العالم، وإن آثرت الراحة هناك فالزم التعب هنا، وإن أردت الفرح هناك فلا تكف عن البكاء هنا"[٢٦٧].

قال أنبا إيسوذورس: "إذا صمت بانتظام فلا تنتفخ بالكبرياء، ولكن إذا ارتفعت بفكرك بسبب ذلك فمن الأفضل لك أن تأكل لحما، لأنه خير للإنسان أن يأكل لحما من أن ينتفخ بالكبرياء ويمجد نفسه"[٢٦٨].

وكان يقول أيضا: "هذه هي حكمة القديسين أن يعرف الإنسان مشيئة الله، وأن يكون بكليته مطيعا للحق فيسمو على كل شيء لأنه صورة الله ومثاله. وأما أردأ الأشياء كلها فهي أن يطيع الإنسان هوى قلبه، أي أفكاره، ويخالف هوى الله. هذا الإنسان لا بد أن يجرب لأنه لم يتعرف بعد على سر حياة القديسين ليقتدي ا، لأننا الآن في وقت التعب من أجل الرب، والخلاص يوجد في يوم الضيق لأنه مكتوب: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو٢١: ١٩)"[٢٦٩].

وقيل عنه إنه إذا ذهب إليه إنسان يدخل إلى القلاية الداخلية (المحبسة) ويكلمه من الداخل. فسأله الإخوة: "لماذا تفعل هكذا يا أبانا"؟ فقال: "حتى الوحوش إذا أبصرت من يخيفها رب إلى جحورها وتنجو". قال هذا لأجل تعليم الإخوة[٢٧٠].

قال أنبا إيسوذورس: "يجب على التلاميذ أن يحبوا معلميهم بالحق كآبائهم ويخافوهم كقادة لهم. فهم لا ينبغي أن يفقدوا خوفهم بسبب المحبة ولا بسبب خوفهم تختفي المحبة"[٢٧١].

وقال أيضا: "لقد حاربت لمدة عشرين سنة فكرا واحدا: وهو أن أرى جميع الناس

(266) Apoph. Isidore the Priest, 3; س ٤ ورقة ٣٨ (267) Ibid., 2; س ٤ ورقة ٣٧ (268) Ibid.,4.
(269) Apoph. Isidore, 9; س ٤ ورقة ٣٧ (270) Apoph. Isidore the Priest, 7; س ٤ ورقة ٣٨
(271) Ibid., 5. (272) W. & W., II: 318. (273) Apoph. Isidore, 10 ; W. & W., I: 430.

بقلبٍ واحدٍ" (أي أن يراهم متساوين جميعا في عينيه)[٢٧٢].

قال أنبا بيمين عن أنبا إيسوذورس إنه عندما كان يعظ الإخوة في الكنيسة كان يقول شيئًا واحدا: "اغفر لأخيك لكي تحسب مستحقًا أن يغفَر لك أنت أيضا كما هو مكتوب" (أنظر مت٦: ١٤؛ لو٦: ٣٧)[٢٧٣].

(٥) قصص وأقوال
القديس أنبا بفنوتيوس

قال بالليديوس: "رافَق أنبا بفنوتيوس - الذي دعي أيضا "كيفالاس" (أبو دماغ)[٢٧٤] - بعض تلاميذ أنبا أنطونيوس مثل كرونيوس ويعقوب الأعرج"[٢٧٥].

يحكى عن أبا بفنوتيوس تلميذ أنبا مكاريوس أنه لما كان شابا كان يعمل راعيا للثيران مع بعض رفقائه، وبينما كانوا يحملون بعضا من الخيار لبهائمهم سقطت خيارة في الطريق فالتقطها بفنوتيوس وأكلها. وكلما كان يتذكر ذلك فيما بعد كان يجلس وحده ويبكي بسببها بحرقةٍ شديدة[٢٧٦].

قال أنبا بفنوتيوس: "أثناء حياة آبائنا الشيوخ كنت أزورهم مرتين في كل شهر رغم أنّ قلايتي كانت تبعد عنهم اثني عشر ميلاً، وكلما كنت أكشف أفكاري لهم كانوا لا يقولون لي شيئًا سوى: 'أينما ذهبت لا تدِنْ نفسك واعتبر نفسك لا شيء وأنت تجد راحة'"[٢٧٧].

قال كاسيان: "روى لنا أبا بيامون القصة التالية عن الصبر والاحتمال:

كان أبا بفنوتيوس يمكث دائما بكل غيرةٍ في أعماق برية الأسقيط الشهيرة، وقد صار الآن كاهنا، وكان هائلاً في حجم جسمه حتى إنّ بقية المتوحدين أطلقوا عليه الاسم الذي اختاره هو لنفسه: "بوباليس" أي الجاموسة، ولا سيما لأنه كان دائما يسر بأن يقطن البرية وكأنّ ذلك بنوعٍ من الميل الفطري فيه. ومنذ صباه كان صالحًا وممتلئًا نعمةً حتى إنّ مشاهير الرجال في زمانه أُعجِبوا بوقاره ورزانته وثباته، ورغم أنه كان أصغر منهم سنا ولكنه كان على مستوى الشيوخ لأجل فضائله، حتى إنّ قلب أحد الأشخاص

---

(٢٧٤) يقول كتاب "رهبنة" (طبعة ١٩٨٤) ص ٢٤٠ هامش ١٢: "نحن نشك في هذا النطق، ونعتقد أنّ أصل الكلمة هو "سمبلاس" أي "البسيط" حسب شهرته".

(275) Laus., 47: 3. (276) W. & W., I: 256. (277) Apoph. Paphn., 3 ; W. & W., II: 465.

امتلأ بحسده كما حدث تماما في القديم مع إخوة يوسف الصديق".

"أراد هذا الإنسان أن يشوه جمال أبا بفنوتيوس بشيءٍ يسبب لـه الملامـة أو العـار، فتمخض ذهنه عن نوعٍ من السلوك الطائش، فانتهز فرصة ترك الأب بفنوتيـوس لقلايتـه للذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد، فدخل سرا إلى قلايته وخبأ كتابه المقـدس بـين ضـفائر الخوص، وإذ ضمن هذا الفخ الذي خطط له جيدا ذهب إلى الكنيسة بضميرٍ كأنـه نقـي طاهر. ولما انتهت خدمة القداس كالمعتاد جاء بشكواه، في حضـرة الإخـوة كلـهم، إلى القديس إيسوذورس الذي كان كاهنا لبرية الأسقيط قبل أبا بفنوتيوس، واشتكى بأنّ كتابـه سرق من قلايته. فانزعج الإخوة كلهم من هذه الشكوى ولا سيما أبا إيسوذورس القـس، لأ م لم يخطر على بالهم أنّ أحدا منهم يمكن أن يفعل ذلك، حيث إ م لم يسمعوا قبل ذلك عن مثل هذه الجريمة بينهم، ولا يتذكر أحد أنّ مثل هذا الفعل قد ارتكِب في تلك البرية".

"وحثهم المشتكي أن يبقى جميع الإخوة في الكنيسة حتى يرسلوا بعض المختارين منهم لكي يفتشوا قلاليهم، وانتخب الأب إيسوذورس ثلاثة من الشيوخ الذين بحثوا في محبسة كل راهب، وأخيرا وجدوا الكتاب مخبأً في قلاية أبا بفنوتيوس بين الضفائر حيث خبـأه الأخ المشتكي. ولما أحضروا الكتاب إلى الكنيسة أمام الجميع، فرغم أنّ أبـا بفنوتيـوس كان عنده اليقين الكامل بنقاوة ضميره، إلاّ أنه سلم نفسه بالكلية كأنه تعرف على جريمة سرقته، سائلاً بكل اتضاع عما يصنعه ليكمل توبته وينصلح حاله، وفي الواقع أنه كـان خجلاً من أن يحاول إبعاد شبهة السرقة عنه بالكلام لئلاّ يحسب كاذبا، إذ لن يصـدق أحد منهم شيئًا إلاّ ما وجدوه أمامهم بالفعل".

"ترك الكنيسة في الحال غير يائسٍ في قلبه بل كان واثقًا في عدالة حكم الله، وظـلّ يسكب الدموع في صلواته باستمرار، ويصوم ثلاثة أضعاف عما كان يفعل قبل ذلـك، وأخذ يخضِع نفسه أمام الجميع بكل اتضاع قلبه".

"ولما مكث على هذه الحال لمدة حوالي أسبوعين، كان يقوم باكرا في يـومي السـبت والأحد ليس لكي يتناول من الأسرار المقدسة بل لكي يسكب نفسه على عتبـة الكنيسـة ويسأل بمسكنةٍ أن يغفَر له. وإنّ الله الذي يعاين الخفيات ويعرفها لم يدعه يجرب أكثر مـن ذلك أو يفترى عليه من أحد، لأنّ ما فعله الإنسان المشتكي سرا دون أن يراه أحد كشفه الله بواسطة الشيطان الذي كان هو المحرض على هذه الخطية. لقد كان روح شرير قاسٍ متملكًا عليه، فاعترف الروح الشرير على لسان الأخ بكل الخداع الذي نصب به مكيدته السـرية، وهكذا فإنّ نفس الإنسان الذي أعد الاتهام والاحتيال هو الذي أفشاه".

"ولكن هذا الروح النجس ظلّ طويلاً يهيجه بشدةٍ لدرجة أنه لم يمكن شـفاؤه ولا حتى بصلوات القديسين الذين كانوا يعيشون معه والذين كانوا بمواهبهم الإلهية ينتهرون الشياطين، ولا حتى النعمة الخصوصية التي وهِبت للقس إيسوذورس نفسه تمكّنت من أن تطرد عنه معذبه القاسي، رغم أنه قد وهِبت له هذه القوة بسخاءٍ من الرب، حتى إنه لم يؤت إلى بابه بأحدٍ به روح نجس إلاّ وشفي في الحال، وذلك لأن المسيح كان محتفظًا ذا ا د للشاب بفنوتيوس، أي أن يتعافى الرجل بصلوات بفنوتيوس نفسه الذي احتال عليه الرجل، وينال هذا العدو الحسود المغفرة من إساءته و ايةً لعقابه الحاضر (بتملك الـروح الشرير عليه) بمجرد ذكر اسم بفنوتيوس الذي ظن أنه يمكنه أن يشوه سمعته".

"وبذلك أعطى أبا بفنوتيوس في شبابه المبكر هذه المميزات لشخصيته في المستقبل، بـل وحتى منذ صباه كان قد رسم خطوط هذا الكمال الذي نما معه حتى سـن البلوغ. ونحـن إذا أردنا أن نبلغ إلى علوه في الفضيلة فعلينا أن نضع نفس الأساس لكي نبدأ به"(٢٧٨).

قال القديس بفنوتيوس: "الراهب عليه أن يحفظ ليس جسده فقط طاهرا، بل نفسه أيضا حرةً من الأفكار النجسة. فعندما يجد أنّ الجسد متسليا بالأفكار ولم يطردها فهي لا بد أن تغرِق الجسد. والطريقة التي تعمل ا الأفكار هي: أ ا تغذي جميع شهوات الجسد التي تتحكّم فيه، وإذا رحب الإنسان بالشهوات فهي تثير الجسد حتى يتمرد عليه، ثم تلقيه صريعا مثل قائد المركب الذي تقهره العاصفة، وهكذا تغرق المركب. أليس من المعروف جيدا أنّ الذي يحب إنسانا لا يتكلم عنه بشر وإلاّ فهو لا يكون صديقًا له؟ هكذا أيضـا من يحب إحدى شهواته فلن يتكلّم عنها بشر. أما إذا تكلّم بالشر عن الشـهوات الـتي جربه ا العدو وسببت له ضيقات وازدرى ا فهو ليس صديقًا لها"(٢٧٩).

قال شيخ: "إنّ أبا بفنوتيوس قال لي: 'إنّ جميع آبائنا الذين كانوا قبلنا حفظوا قلو م، فإن كان واحدا من جيلنا الآن يحفظ لسانه من النميمة وجسده من الزنى ويديه من السرقة وبطنـه من الشره فهو مغبوطٌ، لأنّ الشره هو الذي يلد الزنى والسرقة وشرورا كثيرة جدا'"(٢٨٠).

أرسلت الأم سارة إلى أنبا بفنوتيوس تقول له: "هل تظن أنك تعمل عمل الله عندما تترك أخاك يحتقَر ويشتم"؟ فأجاب القديس: "بفنوتيوس هنا يعمل عمل الله وليس لـه شأنٌ بإنسان"(٢٨١).

---

(278)Conf.,18: 15. (279) W. & W., I: 386. (280) Eth. Coll.,13, 38;١٢٠ س ٤ ورقة
(281) Apoph. Paphn., 6; W. &W., I: 276. (282) Apoph. Matoes, 10 ; ٨٩ س ٤ ورقة

قال الأب ماطويس: "ذهب ثلاثة شيوخ إلى أبا بفنوتيوس الذي دعـي "كيفـالاس" طالبين منه كلمة، فقال لهم الشيخ: 'ماذا تريدون مني أن أقول لكـم، كلمـة روحيـة أم جسدية'؟ فقالوا: 'كلمة روحية'. فقال لهم الشيخ: 'اذهبوا واختاروا التجارب بـدلاً مـن الهدوء، والتعب أفضل من الراحة، والإهانة أفضل من الكرامة، وأن تعطوا أفضـل مـن أن تأخذوا'"[(٢٨٢)].

قال أنبا بفنوتيوس: "كثيرون يسمحون لأنفسهم بطنين اللسان دون العمل، وبالكلام يقيمون لأنفسهم وزنا وليس لهم شيء من الأعمال البتة، ويفتخرون باطلاً بما لم يصلوا إليه"[(٢٨٣)].

قال بالليديوس: "انضم الأب بفنوتيوس الذي دعي أيضا "كيفالاس" إلى جماعة القديس كرونيوس، وكانت للقديس بفنوتيوس موهبة المعرفة الإلهية بالأسفار المقدسة من العهدين، فكان يشرحها دون أن يقرأ أي تفاسير لها، ولكنه كان متضعا لدرجة أنّ هذه الموهبة النبوية كانت مخفاة. وقد ذُكِر عنه أنه حتى سـن الثمانين لم يلبس رداءين في وقتٍ واحد".

"ولما قابلناه أنا وأوغريس وألبانيوس أردنا أن نعرف منه لماذا يضلّ بعض الإخوة أو يتركوا الرهبنة أو يخيبوا أو يفشلوا في هذا الطريق المبارك؟ لأنه حدث في تلك الأيام أنّ أخا كان يحفر بئرا فهوى عليه وقتله، وأخا ثالثًا كان آتيا من الأسقيط مات من العطش، ثم علمنا عن إسطفانوس الذي سقط في زنى قبيح، وكذلك عن ما حدث لكل من "أوكاربيوس" و"هيرون" الذي من الإسكندرية و"فالنس" الذي من فلسطين و"بطليموس" المصري في الأسقيط ... لماذا يخدع هؤلاء وأمثالهم وهم يعيشون في البرية"؟!

"فأجابنا القديس بفنوتيوس الممتلئ بالمعرفة قائلاً: 'كل ما يحدث في هذا الكون ينقسم إلى قسمين: قسم بمشيئة الله والآخر بسماحٍ منه. فكل ما يحدث مما يوافق الفضيلة ومجد الله يتم بمشيئته، أما الأمور الضارة والخطيرة فيتم حدوثها بسماحٍ وموافقةٍ من الله. وتعتبر موافقة الله هنا معقولة، لأنه يستحيل على من يفكر ويتصرف بالصواب أن يسقط في أمورٍ مخزية أو في شباك الشياطين. إذن، فالذين يبدو أنهم يمارسون الفضيلة بينما أنّ لهم غرضا غاشا غير مستقيم، أو أنّ سلوكهم انحرف وصار هدفهم هو أن يرضوا زملاءهم أو صارت تصوراتهم شريرة متصلبة، فهؤلاء يسقطون في الخطايا حيث يتخلّى الله عنهم لصالحهم، وذلك حتى إنهم بهذه الأعراض قد يدركون ما حدث من تغييرٍ في حياتهم ومن ثَم يصححون أنفسهم في مقاصدهم وأفعالهم'".

---

(٢٨٣) س ٤ ورقة ١٣٥.

(284) Laus., 47: 3 - 7.

"لأنه أحيانا قد يخطئ الناس بإراد م ويتصرفون بقصدٍ شريرٍ، وفي أوقاتٍ أخرى يخطئون في التصرف أيضا عندما يسلكون بحيا م الفاسدة أو بطريقةٍ شريرة. فمثلاً قد يحدث أنّ رجلاً شريرا يعطي صدقةً لامرأةٍ شابة لهدفٍ شرير، ومن الناحية الأخرى إنه لأمر جدير بالثناء أن يعطي الإنسان مساعدةً ليتيم أو لمتوحد أو ناسك، كما أنه يمكن إعطاء صدقات بقصدٍ صالحٍ للمرضى والعجزة أو للذين ضاعت أموالهم ولكن ببخلٍ أو بتذمرٍ، فالقصد صالحٌ إلاّ أنَّ تنفيذه غير لائق ذا القصد الصالح، لأنّ الإنسان الرحوم ينبغي أن يعطي بسرور (رو١٢: ٨) وبسخاء"[٢٨٤].

وقال أيضا: "بعض النفوس لها قدرات فائقة، فبعضها لها قدرات طبيعية على التأمل، وأخرى لها استعداد للممارسات النسكية، ولكن أي عمل صالح بطبيعته عندما لا يعمل لأجل الهدف الصالح ذاته، أو عندما لا ينسب ذوو القدرات الفائقة هذه القدرات إلى الله موزع جميع الخيرات بل لمشيئتهم الخاصة وصلاحهم وغرورهم؛ فهؤلاء يرفَضون بالكلية ويسلمون إما لسلوكٍ شائنٍ أو لتجارب مخزية. إ م لأجل المذلّة والخزي الناتجين عن ذلك يتخلّصون ببطءٍ من كبريائهم الذي تنطوي عليه فضيلتهم التي يتظاهرون ا".

"لأنه عندما يغمر الكبرياء إنسانا ويتباهى بجمال أحاديثه وينسب هذا الجمال أو فيض معرفته ليس لله بل لنسكياته أو معرفته الخاصة به؛ حينئذٍ يبعِد الله عنه ملاك العناية الإلهية. وعندما يبعد هذا الملاك يبتلى الإنسان من العدو ويتباهى بقدرته الطبيعية ثم يسقط في النجاسة بسبب إعجابه بنفسه الممتلئة بالكبرياء. وهكذا تنزع منه حكمته، وحينئذٍ فإنّ كلامه لا يؤهله للثقة فيه. ففي الحقيقة إنّ الأتقياء يهربون من التعاليم الخارجة من فم مثل هذا الإنسان وكأنه ينبوع للطفيليات. وهكذا يتحقق كلام الكتاب: «ما لك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك» (مز٥٠: ١٦و ١٧)"؟!

"لأنه من المؤكد أنّ نفوس الخطاة تشبه ينابيع مختلفة: فالشرهون والولعون بالخمر يشبهون ينابيع قد تلطخت، والجشعون والمحتالون هم مثل ينابيع مليئة بالضفادع، والحاسدون والمتعجرفون الذين مع أنّ لهم بعض طرق المعرفة؛ فهم يشبهون ينابيع تسكنها الحيات يتبلّد فيها الذهن لأنه لا ينتفع أحد منها بسبب مرار ا، لذلك عندما صلى داود النبي طلب ثلاثة أمور: «صلاحا وأدبا ومعرفةً» (مز١١٩: ٦٦ حسب السبعينية)، لأنّ المعرفة بدون الصلاح ليست صالحة".

"ولكن إن صحح الإنسان نفسه واستبعد السبب في التخلية الإلهية عنـه، وبالـذات كبرياءه، واسترد الاتضاع والتحقـق من قيمته الحقيقية، وكف عن الشعور بأنه أفضـل من قريبه وكان شاكرا لله؛ حينئذٍ ترجع إليه المعرفة الحقيقية بكل براهينـها، لأنّ الكلام الروحي غير المقترن بحياة القداسة والتعقل يعتبر مثل حبة حنطة تعصف ا الريح، فهـو يحمل المظهر فقط، إلاّ أنه مفرغٌ مما فيه من غذاء".

"فكل سقطةٍ سواء باللسان أو بالشعور أو بالعمل أو بالجسد كله، تقود إلى التخلية، وهذه أبشع مثلما أن الكبرياء هي أعظم الرذائل، ولكن الله له تقدير لمن يتخلى عنـهم، لأنه إذا شهد لوزنة حديثهم البليغ، فإنّ كبرياءهم تجعلهم شياطين مغمورين بنجاستهم".

"عندما ترى إنسانا يعيش حياة شظفة ولكن كلامه مقنِع، فاذكر الشيطان الذي بينما كان يتكلم مع المسيح اقتبس من الأسفار المقدسة، واذكر المكتوب: «كانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية» (تك٣: ١). مكر الحية أمكنه أن يؤدى إلى الأذى فحسب حيث لم يكن لها سوى هذه الحيلة، أما المؤمن الصالح فعليه أن يتأمل في الأفكار التي يرسلها له الله، كما أنّ عليه أن يتكلّم عما يعتقد ويعمل طبقًا لما يقول. لأنه إن كان الطريق الذي يسلكه الإنسان لا يتفق مع الحق الذي يتكلم عنه؛ فهو كما يقول أيوب الصديق: مثـل خبزٍ بدون ملح، فهو إما لا يؤكل إطلاقًا أو إذا أُكِل فسيؤدي إلى مرضٍ جسدي، فهـو يقول: «هل يؤكل خبز بدون ملح» (أي٦: ٦)؟ وهل من طعمٍ للكلام الفارغ الذي لا يشهد له العمل؟ فهذا هو السبب في رفض هؤلاء الناس، وذلك حتى تعرف الفضيلة التي كانت مخفية فيهم (أي التي طمسوها) مثلما كانت فضيلة أيوب الصديق عندما قال لـه الله: «أتريد أن تتفادى حكمي؟ أتستذنبني لكي تتبرر أنت» (أي٤٠: ٨)"؟

"لأنك كنت معروفًا عندي أنا الذي أرى الخفيات، ولكنك لم تكن معروفًا للنـاس الذين ظنوا أنك تخدمني لأجل الثروة. لقد سمحت لك ذه النكبة ونزعت عنك الغِـنى لكي أُظهر لهم أنّ فلسفتك الروحية مرضية عندي! هذا حدث لإزالة الكبرياء كما حدث مع بولس الرسول، لأنه حدثت له تخلية (من الله) وتقاذفته البلايا والصدمات والشـدائد المختلفة وقال: «أُعطيت شوكةً في الجسد ملاك الشـيطان لـيلطمني لـئلاّ أرتفـع» (٢كو١٢: ٧). أي حتى لا تقوده الطمأنينة والازدهار والكرامة التي عُمِر ـا بسـبب معجزاته إلى الزهو مثل الشيطان وتنفخه بالكبرياء. والمخلّع بسبب خطيته قد تخلي عنه، حيث قال له الرب يسوع: «ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضا» (يو٥: ١٤)، ويهـوذا

أيضا تخلي عنه لأنه فضل المال على كلمة الله، ولذلك شنق نفسه. وعيسو تخلي عنـه وسقط في الشر لأنه فضل شهوة البطن على بركة أبيه (تك٢٥: ٢٩ - ٣٤)".

"فكل ذلك كان في ذهن بولس الرسول عندما قال: «وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهنٍ مرفوض ليفعلوا ما لا يليق» (رو١: ٢٨)، كما قال لآخرين يبدو عليهم أنّ لهم معرفة الله مع ذهن دنيء: «لأ م لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله ... لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان» (رو١: ٢١و٢٦)".

"من ذلك، إذن، فلنعلم أنه يستحيل على أحد أن يسقط في خطية إن لم يكـن قـد تخلت عنه عناية الله"[(٢٨٥)].

قال الأب بفنوتيوس: "كنت مرةً سائرا في الطريق فضللت طريقي ووجدت نفسي بالقرب من قرية، وهناك رأيت بعضا من الناس يتكلمون في أمـور شـريرة. فوقفـت وصلّيت عن خطاياي، فجاء ملاك يحمل سيفًا وقال لي: 'يا بفنوتيوس، إنّ كل هـؤلاء الذين يدينون إخو م يهلكون ذا السيف، ولكن لأنك لم تدِنْ أحدا بل تواضعت أمـام الله قائلاً إنك أنت أخطأت فقد كُتِب اسمك في سفر الأحياء'"[(٢٨٦)].

كان أنبا بفنوتيوس يقول: "الذي يعتبر نفسه لا شيء فأينما ذهب أو حيثما سـكن يجد راحة"[(٢٨٧)].

سمعت أبي الأب بفنوتيوس يقول: "إن لم يجعل الإنسان بشرة وجهه مثل باطن قدميه فلا يمكنه إطلاقًا أن يصير راهبا"[(٢٨٨)].

قال لي أخٌ: "إنّ تلميذ أنبا بفنوتيوس قال لي: لقد سمعت أبي أبا بفنوتيـوس يقـول: 'لقد رأيت ربنا يسوع ثلاث مرات وقال لي ثلاث كلمات: [اهتم بمراعاة هذه الثلاثـة: الفقر والإماتة والصبر، وأنت تخلص]'"[(٢٨٩)].

صعد مرةً البابا ثيئوفيلس (الـ٢٣) إلى الأسقيط، فاجتمع الإخوة وقالوا لأنبا بفنوتيوس: "قُلْ للبابا كلمةً واحدةً لكي ينتفع". فقال لهم الشيخ: "إن لم ينتفع بسكوتي

(٢٨٥) المرجع السابق: ٨ - ١٧، وقد اعتِبرت هذه العظة أ ا العظة الرابعة من العظات السبع المنسوبة للقديس أنبا مقار، ولكننا وضعناها هنا لأ ا تخص القديس بفنوتيوس. وقد سجل كاسيان في Conf., III حديثًا طويلاً لهذا القديس عن ترك كل شيء من أجل الرب وأنواع الدعوة الإلهية.

(286) Apoph. Paphn., 1.

(287) W. & W., II: 464.

(288) Eth. Coll., 13, 81.

(289) Ibid., 13, 59.

(290) W. & W., II: 181; Apoph., Theophilos, 2; س ٤ ورقة ١٢٩

(291) W. & W., I: 92.

فحتى بكلامي لن ينتفع". فسمع البطريرك ذلك وانتفع جدا(٢٩٠).

قيل عن أنبا بفنوتيوس إنه لم يشرب الخمر حتى ولو كان مريضا(٢٩١).

وقيل عنه أيضا: إنه وجد نفسه مرةً وهو في الطريق أمام عصابة لصوص وهم يشربون خمرا. وكان رئيس العصابة يعرفه جيدا ويعلم أنه لم يشرب الخمر إطلاقًا، ولما رأى أنه مجهد ولا سيما بسبب أعماله النسكية العظيمة ملأ له كأسا من الخمر وأمسك بسيفه في يده وقال له: "إن لم تشرب هذا سأقتلك". فعلم الشيخ أنّ نعمة الله أرادت أن تعمل في قلب رئيس هذه العصابة بواسطته، ولكي يكسب ثقته أخذ منه وشرب. ثم سأله رئيس العصابة أن يسامحه لأنه سبب له ضيقًا، فقال له الشيخ: "إنني أومن أنه بفضل هذه الكأس سيرحمك الله في هذا الدهر والدهر الآتي". فقال رئيس العصابة: "وأنا أومن بالله أنني من الآن فصاعدا لن أؤذي أحدا"! وهكذا فلأن القديس ترك مشيئته من أجل الرب استطاع أن يغير قلوب جميع أفراد هذه العصابة(٢٩٢)!

كان في **الأسقيط أخٌ** مع أنبا بفنوتيوس يحاربه قتال الزنى بشدة، فقال للشيخ: "ولو اتخذت لنفسي عشر زوجات فلن أُشبع شهوتي". فشجعه الشيخ قائلاً: "لا يا ابني، فهذا القتال هو من الشياطين". ولكن الأخ لم يقتنع وذهب إلى مصر (منف بجوار القاهرة) لكي يتخذ لنفسه زوجةً.

وبعد زمنٍ قليل ذهب الشيخ إلى مصر وقابل الأخ وهو حاملٌ سلّة ا محار (حيوان صدفي مائي) ولم يعرفه، ولكن الأخ قال له: "أنا فلان تلميذك". فلما رآه الشيخ في هذه الحالة المشينة بكى وقال: "كيف فقدت كرامتك وأتيت إلى هذه الدناءة؟ وهل يا ترى اتخذت عشر زوجات"؟ فقال الأخ وهو يتنهد: "في الحقيقة أخذت زوجةً واحدةً وها أنا في حالةٍ يرثى لها من التعب لكي أعولها". فقال الشيخ: "تعالَ معنا مرةً أخرى". فقال: "أيمكنني أن أتوب يا أبي"؟ فأجابه بالإيجاب. فترك الأخ كل شيءٍ ورجع مع القديس إلى الأسقيط، وبفضل هذه التجربة صار راهبا مختارا(٢٩٣)!

كان هناك أخٌ يعيش في البرية (أي متوحدا) في الصعيد، وضايقته أفكاره قائلةً: "لماذا تعيش هنا ذه الطريقة التي لا طائل منها؟ قم واسكن في الدير وهناك تنمو". فذهب (إلى الأسقيط) ووجد أنبا بفنوتيوس وأخبره عن أفكاره، فقال له الشيخ: "اذهب

---

(292) Apoph. Paphn., 2; W. & W., I: 63. (293) Ibid., 4.

(294) Ibid., 5. وهذا المرجع الأخير يذكر أنّ أبا آمون هو الذي قال ذلك عن أبا بفنوتيوس.

وامكث في قلايتك وصل مرة واحدة في الصباح ومرة أخرى في المساء ومرة ثالثة في الليل، عندما تجوع كُلْ وعندما تعطش اشرب وعندما تشعر بالتعب ارقد، ولكن امكث في القلاية ولا تِعِر هذا الفكر التفاتا".

ثم ذهب الأخ وقابل الأب يوحنا وأخبره بما قاله له أبا بفنوتيوس، فقال له الأب يوحنا: "لا تصل إطلاقًا، فقط امكث في القلاية". ثم ذهب الأخ إلى الأب أرسانيوس وأخبره بكل ما قاله الشيخان، فقال له: "افعل كما قالا لك، ليس عندي ما أقوله غير ذلك". فذهب الأخ مقتنعا راضيا[٢٩٤].

قال الأب أوديمون عن أنبا بفنوتيوس أب الأسقيط: "ذهبت إلى هناك عندما كنت شابا، ولم يسمح لي الأب بفنوتيوس أن أمكث هناك قائلاً لي: 'إنني لا أسمح لوجهٍ مثل النساء أن يسكن في الأسقيط وذلك بسبب مضايقات العدو (الشيطان)'"[٢٩٥].

قال أبا بفنوتيوس: "كما أنّ الولاة يعدمون الأشرار هكذا أيضا أتعاب الجهاد النسكي تقتل الشهوات الشريرة، وكما أنّ العبيد الأشرار يهربون من ساد م هكذا أيضا رب الشهوات من الأتعاب النسكية. أما العبيد الصالحون فيكرمون ساد م كما يكرم الأبناء آباءهم، لأنّ أتعاب النسك تنتج أعمالاً صالحةً ومنها تنبع الفضائل تماما كما أنّ الأطعمة اللذيذة تنتجها أتعاب كثيرة. فعندما يتعب الإنسان نفسه بكل قلبه فهو يثمر بالفضائل ويحطم الشرور تماما كما أنّ القاضي العادل يعدِم الأشرار"[٢٩٦].

حدث عندما كان أنبا بفنوتيوس يعيش في البرية الداخلية أنّ أخا جاء إليه فوجده مريضا، فغسله ونظّف جسمه ثم طبخ بعضا من الطعام الذي كان معه وأعطاه إياه ليأكل، فلما رأى الشيخ هذا الطعام قال: "في الحقيقة إنني قد نسيت تماما أنّ هذه المسرات التي تبهج بني البشر لا زالت موجودة". ثم أحضر له الأخ قدحا من قشدة اللبن، ولما رآه الشيخ بكى وقال: "لم أكن أتوقع إطلاقًا حتى يوم وفاتي أنني سآكل مثل هذا أو أشرب خمرا"[٢٩٧].

عندما كان الأب بفنوتيوس الصيدوني (Sindonite)[٢٩٨] مشرِفًا على الموت قال له الإخوة الذين كانوا يسكنون معه: " طوباك يا أبانا لأنك ذاهب إلى الملكوت". فقال لهم القديس: "إنني من غير شك قد جعلت من حياتي موضوعا للاستهزاء" (لعله يقصد

---

(295) Apoph., Eudemon, 1; W. & W., II: 304. (296) W. & W., I: 387. (297) Ibid., II: 386.
(٢٩٨) ربما لُقب بالصيدوني لأنه كان قد نفي إلى ديوقيصرية (أنظر "رهبنة" الطبعة الثانية ص ٢٤٠).
(299) Eth. Coll., 13, 82. (300) Apoph., Poemen, 190; W. & W., II: 343.

أنه صير نفسه جاهلاً من أجل الرب(٢٩٩).

قال أنبا بيمين: "لقد كان أنبا بفنوتيوس عظيما جدا، وكان ملجأه الدائم هو في الصلوات القصيرة"(٣٠٠).



(٦) قصص وأقوال
القديـس أنبـا بامـو(🕭)

قيل عن أنبا بامو: إنه كان أُميا، فطلب من أحد المعلمين أن يعلمه المزامير، فبدأ يعلمه لكي يحفظ المزمور ٣٩، ولما حفظ الآية الأولى القائلة: «قلت أتحفّظ لسبيلي من الخطأ بلسـاني»، لم ينتظر حتى يسمع الآية التالية وقال: "تكفيني هذه الآية حتى أنفذها عمليا". ولما رأى معلم أنبا بامو أنّ تلميذه لم يحضر إليه لمدة ستة أشهر وبخه على ذلك، فقال إنه لم يتعلّم بعد أن يمارس تلك الآية.

وبعد وقتٍ طويلٍ سأله أحد أحبائه إن كان قد أحكم تنفيذ هذه الآية فأجاب: "إنني بالكاد نجحت في تنفيذها بعد تسع عشرة سنة"(٣٠١)!

قال بالليديوس: "كان أبا بامو ذا صفاتٍ بطوليةٍ فائقة، وكان يزدري جدا بالذهب والفضة كما يتطلّب الإنجيل"(٣٠٢). وذكر عنه المؤرخ سقراط أنّ إنسانا وضع في يديه ذهبا لكي يوزعه على الفقراء، وطلب منه أن يقدر ما أعطاه له، فقال له القديس: "ليست الحاجة إلى معرفة الكمية بل إلى سلامة النية"(٣٠٣)!

وقال بالليديوس أيضا: "إنّ الطوباوي بامو كان يسكن في جبل نتريا، وإنه كان معلما للآباء: ديوسقورس (الذي صار أسقفًا لدمنهور) وأمونيوس ويوسابيوس وأوثيميوس (وهم

(🕭) هو بامبو أو بامبونيوس باليونانية، وبالقبطية Παμυ، وينطَق ويكتب خطأ "بموا". ("رهبنة" الطبعة الثانية، ص ١٩٧). ويبدو أن أثنان من الآباء كانا يحملان هذا الاسم، أحدهما كان في نتريا والآخر كان في شيهيت. وهو غير أنبا "أموي" الأب الروحي للقديسين بيشوي ويؤنس القصير.

(301) Socrates, Ecc. Hist., IV, 23.

(302) Laus., 10: 1.

(٣٠٣) مرجع الهامش رقم ١٢٨.

(304) Laus., 10: 1.

(305) Apoph., Pambo, 6; Isaac of the cells, 12; ٧٣ س ٤ ورقة

(306) Apoph. Pambo, 9; Laus., 10: 7.

الإخوة الطوال)، وأيضا أوريجين ابن أخت دراكونتيوس الرجل العجيب"[٣٠٤].

قال أنبا بامو: "على الراهب أن يلبس ثوبا من النوع الذي يمكنه أن يلقيه خارج قلايته لمدة ثلاثة أيام دون أن يسرقه منه أحد"[٣٠٥].

وقال عنه أوريجين وأمونيوس تلميذاه: "لقد كان أعظم من كثيرين في أنه كان مدققًا في كلامه، وإذا سئل أن يفسر شيئًا في الكتاب المقدس أو أي قول روحي ما كان يجيب في الحال بل كان يقول إنه لا يعرف هذا القول، وإذا ألحوا في سؤاله لا يقول شيئًا أكثر من ذلك"[٣٠٦].

قال أنبا بامو: "إن كان لك قلب (أي ضمير حي) يمكنك أن تخلص"[٣٠٧].

قيل عن أنبا بامو إنه قضى ثلاث سنوات يتوسل إلى الله قائلاً: "لا تمجدني على الأرض". ولكن الله مجده حتى إنه لم يستطع أحد أن يتفرس فيه بسبب المجد الذي كان يملأ وجهه[٣٠٨].

وقيل عنه أيضا إنه كان مثل موسى النبي الذي نال صورة مجد آدم عندما لمع وجهه. فهكذا كان وجه أبا بامو يلمع مثل البرق، وكان مثل ملك جالس على عرشه. وهكذا كان الحال أيضا مع أبا سلوانس وأبا شيشوي[٣٠٩].

قيل إنّ الآباء القديسين بامو وبيساريون وإشعياء وبائيسيوس كانت لهم مقدرة عظيمة في أقوالهم. ولما كانوا مجتمعين مع أبا أثرة سأل كاهن نتريا أنبا بامو: "كيف ينبغي على الإخوة أن يسلكوا في حياتهم"؟ فأجابه: "بجهادٍ كثير مراعين ضمائرهم تجاه القريب"[٣١٠].

جاء أخوان يوما ما إلى أبا بامو، فسأله أحدهما: "يا أبي، إنني أصوم يومين ثم آكل خبزتين، فهل هكذا أخلص أم أنني أسلك طريقًا خاطئًا"؟ وسأله الآخر: "يا أبي، إنني أربح درهمين كل يوم من عمل يدي وأحتفظ بالقليل لأجل طعامي والباقي أتصدق به، فهل بهذه الطريقة أخلص أم أهلك"؟ وظلاّ هكذا يسألانه لوقتٍ طويل ومع ذلك لم يجبهما الأب.

وبعد أربعة أيام كان عليهما أن يرحلا، فشجعهما الكهنة قائلين: "لا تضطربا أيها الأخوان، فالرب سيعوضكما، إنّ هذه هي عادة الشيخ أن لا يتكلم بسهولةٍ حتى يوحي له الله ويلهمه بما يقوله". فذهبا إلى الشيخ وقالا له: "صل من أجلنا يا أبانا". فقال

(307) Apoph. Pambo, 10. (308) Ibid., 1. (309) Ibid., 12 ; W. & W., I: 621.
(310) Apoph. Pambo, 11; Arm., 1, 19. (311) Apoph. Pambo, 2; W. & W., I: 376.

لهما: "أتريدان أن ترحلا"؟ فقالا: "نعم". فاهتم بموضوعهما، وبينما كان يكتب على الأرض قال لهما: "إذا صام بامو يومين معا ثم أكل خبزتين فهل ذه الطريقة يصير راهبا؟ كلاّ. وإذا عمل بامو ليربح درهمين ثم يعطي منهما صدقةً فهل ذا يصير راهبا؟ كلاّ، ولا ذه الطريقة أيضا". ثم قال لهما: "أعمالكما جيدة، ولكن إذا راعى كل منكما ضميره إزاء قريبه فحينئذٍ يخلص". فاقتنعا وذهبا فرحين[٣١١].

سأل إخوةٌ شيخا: "أخوان سألا أنبا بامو قائلَين: 'نحن نصوم يومين يومين ومن شغل أيدينا نطعِم المساكين، أترى نحن نخلص أيها الأب أم لا'؟ فقال لهما: 'إن كنتما تحفظان سريرتكما مع هذه الأمور تخلصا'. فما هو حفظ السريرة"؟ فأجاب الشيخ: "حفظ السريرة هو: إذا صوم الإنسان جسده من الخبز يصوم سريرته من الأفكار الرديئة، وإذا دفع صدقةً يدفعها من أجل الله لا من أجل مجد الناس، لأنّ المتوحدين ليس بأعمال الجسد فقط يرضون الله بل وبتدبير الذهن ونقاوة القلب"[٣١٢].

جاء أربعة رهبان من الأسقيط (إلى نتريا) مرةً لزيارة أنبا بامو وهم يرتدون جلودا. ثم كشف كل واحدٍ منهم عن فضيلة الآخر في غيابه: فالأول كان يصوم كثيرا، والثاني كان يعيش حياة الفقر، والثالث قد اكتسب محبةً عظيمةً، وقالوا عن الرابع إنه عاش ٢٢ سنة تحت طاعة شيخ. فقال لهم أبا بامو: "أقول لكم إنّ فضيلة هذا الأخير هي الأعظم، فكل واحدٍ منكم في الحقيقة قد حصل على الفضيلة التي رغب هو في اكتسا ا، أما الأخير فقد قطع مشيئته تماما وعمل بمشيئة آخر، ومن بين أمثاله يصير قوم شهداء إذا ثابروا إلى النهاية"[٣١٣].

قال بالليديوس: "جاء الأب بيئور الناسك مرةً إلى أبا بامو ومعه خبزة، ولما وبخه وسأله: 'لماذا فعلت هذا'؟ أجاب: 'حتى لا أثقل عليك'. فعلّمه أبا بامو درسا صامتا فعالاً، فقد ذهب إليه مرةً بعد ذلك وأخذ معه خبزا مبلولاً، ولما سأله أبا بيئور عن معنى ذلك قال: 'أنا أيضا بللته حتى لا أثقل عليك'"[٣١٤]!

كان بائيسيوس وإشعياء ابنين لتاجرٍ أسباني، ولما توفي والدهما اقتسما ميراثهما الذي كان يتكون من خمسة آلاف قطعة نقود وملابس وعبيد. ثم تناقشا معا قائلَين: "أي نوعٍ من الحياة نعيش؟ إن صرنا تاجرين كما كان والدنا فسنعهد بعملنا لآخرين، وسنقاسي الكثير من قراصنة البحار. إذن، هلم بنا نعيش حياة رهبانية لكي ننتفع من خيرات والدنا ولا لك نفوسنا".

---

(٣١٢) س ٩ رقم ١٠٥ ص ١٨٣. (313) Apoph. Pambo, 3; W. & W., I: 247. (314) Laus., 10: 8.

ثم وجدا أنّ مظهر الحياة الرهبانية قد سرهما، إلاّ أنّ طريقة حياة كل منهما لإرضاء الله قد اختلفت: فقد وزع أحدهما نصيبه على الأديرة والكنائس والسجون، ثم تعلّم صنعةً ليعيش منها وقضى حياته في النسك والصلاة. أما الآخر فقد بنى ديرا أدخل فيه قليلاً من الإخوة، وكان يقبل فيه كل غريب وكل عليل وكل عجوزٍ أو فقير، وكان يقيم لهم كل سبت وأحد ثلاث أو أربع موائد. و ہذه الطريقة أنفق كل ماله.

ولما توفي كلاهما قيلت عنهما آراء كثيرة بخصوص درجة كمال كل منهما، فالبعض فضل أحدهما والآخرون فضلوا الثاني، وجرت بين الرهبان مناقشات كثيرة، فذهبوا إلى المغبوط أبا بامو ليحتكموا إليه ليعرفوا أيا من الأخوين كانت حياته أفضل، فقال لهم: "كلاهما كان كاملاً، فالواحد أظهر عمل إبراهيم والثاني أظهر عمل إيليا". فقال له بعضهم: "نتوسل إليك أن تخبرنا كيف أ ہما كانا متساويين"؟ وهؤلاء البعض كانوا من الفئة التي تعتبر أنّ الناسك أعظم، وأصروا على أنه عمل بوصية الإنجيل بأنه باع كل شيء وأعطى للفقراء، ثم أنه في كل ساعةٍ ليلاً و ہارا حمل الصليب وتبع المخلص حتى في صلواته. ولكن الآخرين اعترضوا بشدة قائلين إنّ الأخ إشعياء أعطى نصيبه أيضا للمحتاجين حتى إنه كان يجلس في الطرق ويجمع إليه كل المتضايقين، فهو لم يكن يريح نفسه فحسب بل كثيرين أيضا برعايته للمرضى والاهتمام ہم.

فقال لهم أبا بامو: "مرةً ثانيةً أقول لكم إ ہما كانا متساويان، وأنا أُصِر على أنه لو لم يعِش أحدهما ہذا النسك لما استحق أن يقارن بصلاح الثاني هذا الذي أكرم الغرباء وكان يريح نفسه معهم، وحتى لو ظهر أنه كان مكافحا ولكنه بعد ذلك أراح نفسه". ثم قال لهم: "انتظروا حتى يكشف لي الله ثم ارجعوا إلي لتعلموا". ولما رجعوا بعد بضعة أيام قال لهم: "لقد رأيت كلا من الأخوين واقفين في الفردوس في حضرة الله"[٣١٥].

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القول السابق قائلين: "هذا سر غامض علينا، لأنّ الذي فرق كلّ ماله مرةً واحدةً ومكث في الهدوء: بصومٍ وصلاةٍ وصبرٍ في كل بليةٍ على الشدة المرة الضاغطة من الأفكار الرديئة والملل والكسل وكل ما يتبع حياة الوحدة، كيف يساوي الذي كان يأكل ويشرب ويتكلم وهو بعيد من الضيق الملازم للوحدة؟ نسألك أن لا تملّ من تفسير الخبر بوضوح ولو طال الشرح".

فقال الشيخ: "تدبير الحياة المسيحية ينقسم إلى نوعين: تدبير الصالحين وتدبير الكاملين.

(315) Laus., ch. 14.

فتدبير الصالحين هو عمل إبراهيم ومن سار بسيرته، وتدبير الكاملين هو عمل إيليا ومن سار بسيرته. لأنّ الطوباوي إبراهيم كان كاملاً في ضميره بحب الله والاتضاع الكامل، وهو أب وعلّة كل الصالحين بالفعل. وإيليا كان كاملاً بالفعل مثل المتوحدين. ولما استقصى أحد الإخوة من أنبا نستير: 'أيما تدبير ينبغي أن أحفظه'؟ قال له: 'كما قال أنبا أنطونيوس: إنّ إبراهيم كان يحب الغرباء والله كان معه، وداود كان متضعا وغفورا والله كان معه، وإيليا كان ساكنا في البرية والله كان معه. فكل فعل يكون لله اصنعه والله يكون معك''".

"ولكن لا يمكن أن تكون في العالم وتأخذ امرأةً وترزق بنين مثل إبراهيم أو نساء كثيرات مثل داود وتساوي إيليا، ولكن إن كان فيك اتضاع إبراهيم وغفران الطوباوي داود وصبر وطول روح أيوب، فسيرة هؤلاء الآباء الثلاثة تلائم سيرة الرهبنة. فإنّ الآباء قد قسموا سيرة الرهبنة إلى ثلاثة أنواع: الأول: جالس في هدوء القلاية كإيليا يصبر على قتالات الأوجاع والشياطين بنيةٍ مستقيمة. والثاني: مريض شاكر على مرضه كأيوب صابر على ما لا يوافق المرضى وعلى من يخدمه بشكر. والثالث: يخدم الإخوة والمرضى بدون ضيق ولا تذمر بنيةٍ مستقيمة واتضاع كإبراهيم. ولهذا قال أنبا بامو إنّ هذين الأخوين بصفةٍ خاصة متساويا الجزاء، إذ رأى ذلك برؤيا إلهية لأنه كانت تظهر له الخفايا، ولما سأل الله أن يكشف له أمرهما أظهر له ذلك".

" أما كل الحبساء والرحومين فإنّ كل واحدٍ على قدر تفكيره يكون جزاؤه، فإنه لا يكون تدبيرهم ولا إفرازهم بالتساوي. كذلك المرضى ليسوا كلهم شاكرين، كما أنّ الذين يخدمون أيضا ليسوا جميعا بنيةٍ مستقيمة. ولذلك قال الطوباوي أنطونيوس: 'كثيرون ضيقوا على نفوسهم في الهدوء، وبأتعابٍ كثيرة كل زمان حيا م، ولكن لأ م كانوا بغير إفراز صاروا بعيدين عن طريق الحق'"[٣١٦].

وأيضا سأل الإخوة شيخا: "قال أنبا بامو: 'إذا وجِد ثلاثة رهبان في مكانٍ واحدٍ، وعاش أحدهما في سكونٍ جيدٍ، وكان الثاني مريضا شاكرا في ضعفه، والثالث يخدم الناس ويريحهم، فالثلاثة خدمتهم واحدة'. فاكشف لنا الآن فكر هذا الأب القديس".

فأجاب الشيخ: "إذا كان إنسان يعيش في السكون لأجل الله وليس لأجل ا د الباطل أو أي شيء بشري آخر، والآخر مريض شاكر لله على مرضه ويحتمل من يخدمه بطول أناة؛ فهذا يصير مثل ذاك الذي يعيش في سكون. وإذا كان الذي يخدم الناس يفعل

(٣١٦) س ٩ ص ١و٣ ؛ W. & W., II: 603

ذلك ليس لأجل مكافأة من هذا العالم بل من أجل الله ويكره ذاته في كل شيء ويصنع مشيئة الذين يخدمهم بحب وفرح؛ فهو يصير مثل الذي يغلق على نفسه في السكون ومثل ذاك المريض، وبذلك يكون عمل هؤلاء الثلاثة متساويا في الجزاء".

"ذلك لأنّ أبا يوسف وأبا بيمين قسما حياة الكمال النسكي إلى ثلاث فئات، ولذلك قال أبا نستير لأحد الإخوة: 'إذا سلكت في حياتك مثل أي واحدٍ من هذه الفئات الثلاث تكون كاملاً'. كما قال أنبا أنطونيوس: 'يمكن أن يعيش الراهب في قلايةٍ مائة سنة ولا يعرف كيف يعيش فيها ليومٍ واحدٍ لأنه لا يتضع ولا يعتبر نفسه خاطئًا وإنسانا ضعيفًا جاهلاً، بل يبرر ذاته ويلوم غيره'".

"فمن الصواب أن نعلم أنه حتى إن كان البعض مرضى وآخرون يخدمون الناس ويريحو م بغرضٍ مستقيم، فإن الذين يعيشون في السكون هم أسمى من الكل ويتبعون منهجا أفضل جدا من كل طرق الحياة التي يتبعها الباقون، وذلك حسبما تعلّمنا من سيرة حياة كل من القديسين أرسانيوس وموسى الأسود. إذ إنه لما ذهب أحد الإخوة إلى القديس أرسانيوس ليسأله بخصوص حياة التأمل في السكون، لم يقدم له طعاما أو شيئًا منعشا؛ ثم ذهب إلى أنبا موسى الأسود فرحب به وأنعشه. ولما سمع بذلك أحد الآباء الكبار توسل إلى الله أن يكشف له هذا الأمر قائلاً: 'كيف أنّ واحدا يهرب من الناس لأجل اسمك وآخر يرحب بالناس وينعِشهم لأجل اسمك'؟ فظهرت له في النهر سفينتان كان في إحداهما أنبا أرسانيوس ومعه روح الله يسير معه في سكون، وفي الأخرى أنبا موسى تحيط به في سفره ملائكة مقدسون يطعمونه عسلاً مع شهد عسل. ومن ذلك فهم الآباء أنّ حياة التأمل في سكون تفوق جدا على الصدقة وخدمة الآخرين كما كان تصرف القديس متى الإنجيلي (الذي ترك كل شيء وتبع المخلص) أسمى من تصرف زكّا العشار، وبقدر سمو وعلو روح الله عن الملائكة المقدسين"[٣١٧].

سأل إخوة أنبا بامو: "لنفترض أنّ إنسانا يعيش في العالم وله زوجة وأولاد، وأنه يتصدق كثيرا ويحرر العبيد ويفتدي (أي يدفع فدية عن) المأسورين ويفتقد المرضى، ويريح المتضايقين ويعمل كل ما يمكنه أن يعمله، أليس مثل هذا الإنسان متساويا في عمله مع أحد تلك الفئات الثلاث من الرهبان: الإنسان الذي يعيش في سكون، والمريض الشاكر، وذاك الذي يخدم المحتاجين إلى خدمة"؟ فأجاب أنبا بامو: "كلاّ". فسأله الإخوة: "لماذا"؟

فقال لهم: "لأنه رغم أنّ الإنسان الذي في العالم يعيش حياة البر، فسلوكه كله يكون

(317) W. & W., II: 605.

من خارج الجسد، ولكن جميع أعمال الرهبان هي من داخل الجسد التي هي: الصوم والصلاة والسـهر والجوع والعطش وإلجام المشيئة في كل وقت، والحروب الخفية والظاهرة. كما أنه من المعروف والواضح جيدا أنّ الذين في العالم مهما كانت فضيلتهم فائقة فهم غير متساوين مع الرهبان في أعمال جهادهم، لأنّ الرب يسوع سبق أن سمى ا اهدين "بني النور" والذين في العالم "أبناء العالم"".

"إنّ الرهبان بأعضائهم الجسمية وبأجسادهم كلها وبتصرفا م يخدمون الله بالكمال بأعمال كفاحٍ عنيفة وشدائد، وهم يقدمون ذوا م لله كذبيحةٍ حيةٍ عقليةٍ مقدسةٍ بخدمةٍ عقليةٍ روحانية، وهم مصلوبون للعالم والعالم مصلوب لهم حسب كلام الرب: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مت١٦: ٢٤)، وهذا معناه أنه لا يتبع مشيئته بل مشيئة الرب وحدها ويتحمل ضيقات من كل نوع. فضلاً عن أنّ الرهبان يتركون الأب والأم والإخوة والأخوات والأقارب وموطنهم، ومقابل هذا كله ينالون مائة ضعف ويرثون الحياة الأبدية".

"أما عن الذين في العالم فقد قال: «اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فني (هذا المال "حسب اليوناني") يقبلونكم في المظال الأبدية» (لو١٦: ٩). لأنه كما أنّ الناس الذين في العالم يقبلون رهبانا في بيو م (لقضاء حاجا م الاضطرارية)؛ هكذا سيقبل الرهبان من يعيشون في العالم في ملكوت السموات. وبذلك أظهر الرب أنّ جميع خيرات الله وملكوته تخص الذين منذ شبا م إلى شيخوختهم يجاهدون لأجل الله في الأعمال الفاضلة التي للحياة النسكية".

"ولكن من الصواب أن نعرف إلى أية درجة تتفوق النفس على الجسد. فالحياة التي يعيشها الرهبان في تأمل صامت وأعمال خفية؛ تفوق على حياة الأتقياء الذين في العالم بقدر ما تفوق تصرفات الملائكة على تصرفات البشر. كما أنّ حياة الرهبان وتصرفا م تتفوق على حياة الذين في العالم، لأنّ هؤلاء الأخيرين يرضون الله لأجل حبهم للناس في حين أنّ الرهبان يرضون الله حبا في الله"[٣١٨].

ترجى القديس البابا أثناسيوس أبا بامو أن ينـزل من البرية إلى الإسكندرية[٣١٩]. فلما نزل رأى هناك ممثلةً، فبدأ يبكي. فسأله الذين كانوا معه عن سبب بكائه، فقال لهم: "أمران جعلاني أبكي: الأول: هلاك هذه المرأة، والثاني: أنني لا أملك غيرةً على إرضاء

(318) W. & W., II: 606.

(٣١٩) معروف أنّ أنبا بامو كانت له مكانة عظيمة عند القديس أثناسيوس، وقد استدعاه إلى الإسكندرية ليقوم بدور أنبا أنطونيوس ضد الأريوسيين ("رهبنة" الطبعة الثانية ص ١٩٨).

(320) Apoph. Pambo,4.

الله مثل غير ا على إرضاء الساقطين"[٣٢٠]!

قيل عن أنبا بامو إنه لم يضحك قط. فأراد الشياطين يوما ما أن يجعلوه يضحك، فغرسوا جناح طير في قطعةٍ من الخشب وأدخلوها عنده وهم يرقصون بصخبٍ وضوضاءٍ قائلين: "اذهب اذهب". ولما رأى القديس ذلك بدأ يضحك، فتغنى الشياطين في خورس واحد قائلين: "هه هه! لقد ضحك بامو"! ولكنه قال لهم: "أنا لم أضحك، ولكنني أسخر من ضعفكم لأنّ حمل الجناح احتاج إلى عددٍ كبيرٍ منكم"[٣٢١].

سأل أخٌ أنبا بامو: "لماذا تعوقني الشياطين عن عمل الخير للقريب"؟ فقال له: "لا تقل هكذا وإلاّ فأنت تكذب الله. فأحرى بك أن تقول: إنني أرفض بالكلية أن أصنع الرحمة، لأنّ الله سبق قبل اعتراضك هذا أن قال: «ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو» (لو١٠: ١٩)، فلماذا - إذن - لا تسحق أنت أيضا الأرواح النجسة"[٣٢٢]؟

أرسل الأب بامو تلميذه إلى الإسكندرية لكي يبيع عمل يديه، فقضى - كما قال لنا - ستة عشر يوما، وكان ينام في رواقٍ بالكنيسة عند هيكل القديس مرقس الرسول، ولما رأى ترتيب الطقس في الكنيسة "ακολουθια" رجع إلى الشيخ وكان قد تعلّم الطروباريات (أي الألحان). فقال له الشيخ: "إنني أراك مضطربا يا ابني، لعلك سقطت في تجربةٍ في المدينة"؟! فأجاب الأخ: "صدقني يا أبي إننا نضيع أيامنا في هذه البرية في رخاوةٍ فلا نرتل التسابيح القانونية ولا الطروباريات، فأثناء إقامتي بالإسكندرية رأيت إكليروس الكنيسة كيف يرتلون فشعرت بحزنٍ عميق، فلماذا لا نرتل نحن أيضا مثلهم القوانين والطروباريات"؟

فقال له الشيخ: "يا لبؤسنا يا ابني، فإنه قد قرب الزمان الذي يترك فيه الرهبان الغذاء القوي الذي هو كلام الروح القدس ليتفرغوا للتسابيح والألحان الصوتية. أي خشوعٍ وأية دموعٍ تتأتى من هذه الطروباريات حينما يكون الإنسان في الكنيسة أو في القلاية ويرفع صوته مثل ثور؟ لأننا إذا كنا واقفين أمام الله فعلينا أن نمكث في حضرته بخشوعٍ كثيرٍ وليس بنغماتٍ عالية. إنّ الرهبان لم يأتوا إلى هذه الوحدة لكي يقفوا أمام الله في تباهٍ، ولترتيل الأناشيد وتوقيع النغمات وتحريك الأيدي والقفز بالقدمين، بل يجب علينا أن نقدم صلواتنا لله بمخافةٍ وفي رعدةٍ ودموعٍ وتنهداتٍ بصوتٍ مليءٍ بالخشوع والتوبة الجارفة وفي هدوءٍ واتضاع".

(321)Apoph. Pambo, 13; W.& W., I: 325.

(322)N., 383.

"فأنبهك يا ابني، إنه سيأتي وقت فيه يحرف المسيحيون كتب الرسل القديسين والنبوات الإلهية ويحرفون الأسفار المقدسة ليكتبوا طروباريات وأحاديث هللينية (أي فلسفية يونانية)، وسيغشى على نفوسهم من هذا ويشمئزون من ذاك ... لذلك قال لنا آباؤنا إنّ سكان هذه البرية لا ينبغي أن يكتبوا سير وأقوال الآباء على رقوقٍ بل على أوراق البردي، لأنّ الجيل الآتي سيتجاسر على كشط سير الآباء ليكتبوا بدلاً منها حسب أهويتهم[٣٢٣]، إنّ النكبة الآتية ستكون عظيمة"!

فقال له الأخ: "ماذا إذن؟ هل ستتغير عادات وتقاليد المسيحيين؟ وهل لن يوجد حينئذٍ كهنة في الكنائس حتى يحدث هذا"؟ فقال الشيخ: "في ذلك الزمان «تبرد محبة الكثيرين» (مت٢٤: ١٢)، وستكون ضيقة ليست هينة، وغزوات من أمم وهياج شعوب واضطراب ممالك، وفتور في الكهنة وتوانٍ في الرهبان! المدبرون سيزدرون بخلاصهم وبخلاص رعيتهم. الكل سيكون عندهم اهتمام وتمسك بالموائد وسيتشاحنون على ذلك، أما من جهة الصلاة فيتوانون، ويسرعون إلى الاغتياب ويدأبون على دينونة الآخرين والازدراء م، ولا يريدون أن يقتدوا بسير وأقوال الشيوخ ولا حتى أن يسمعوها، بل بالحري يتهكّمون ويقولون: 'لو كنا عائشين في زما م لكنا جاهدنا مثلهم'! في تلك الأيام سيأخذ الأساقفة بوجوه الشخصيات الكبيرة ويقضون بالرشوة ولا يدافعون بالعدل عن المساكين، يظلمون الأرامل ويذلون الأيتام، وهكذا ينتشر في وسط الشعب الجحود والحقد والعداوة والحسد والدسائس والسرقات وإدمان الخمر"!

فقال الأخ: "وعلى ذلك ماذا سيفعل الناس في مثل هذه الأحوال في ذلك الزمان"؟ فأجاب الشيخ: "يا ابني، إنّ من استطاع أن ينجو بنفسه في تلك الأيام سيخلص وسيدعى عظيما في ملكوت السموات (مت٥: ١٩)"[٣٢٤].

حدث مرةً أنّ أبا بامو سافر مع بعض الإخوة إلى مصر (منف بجوار القاهرة الآن)، وقابلوا في طريقهم بعض العلمانيين وهم جالسون، فقال لهم: "قفوا، حيوا الرهبان لكي تتباركوا لأ م يتحدثون دائما مع الله وأفواههم مقدسة"[٣٢٥].

سأل أخٌ أنبا بامو[٣٢٦] قائلاً: "لماذا تعاند النفس ولا تريد أن تخاف الله"؟ فأجابه: "إنّ

---

(٣٢٣) ذلك لأنّ أوراق البردي يصعب كشط ما هو مكتوب عليها بعكس الرقوق.

(324) J., 758.

(325) Apoph. Pambo, 7 ; W. & W., I: 634.

(٣٢٦) "أنبا بيمين" في بعض المراجع، وفي مراجع أخرى: "شيخا".

(327) PA., 53, 1.

(328) Apoph. Pambo, 14; W. & W.,I: 418.

(329) Apoph. Poemen, 47; W. & W., I: 49.

(330) Apoph. Pambo, 5.

النفس تريد المخافة بالتأكيد، ولكن وقتها الآن لم يكمل بعد، لأنّ مخافة الله هي الكمال"[٣٢٧].

سأل أنبا ثيئودور البرامي أنبا بامو قائلاً: "قُلْ لي كلمة". ولكنه بكل صعوبةٍ قال له: "ياثيئودور، اذهب واسكب شفقتك على الجميع، لأنه بالشفقة يجد الإنسان دالةً أمام الله"[٣٢٨].

قال أنبا بيمين إنّ أخا سأل أنبا بامو إن كان جيدا أن يمدح الإنسان جاره، فأجابه الشيخ قائلاً: "الأفضل هو السكوت"[٣٢٩].

قال أنبا بامو: "إنني بنعمة الله منذ أن تركت العالم لم أندم على كلمة واحدة قلتها"[٣٣٠].

قيل عن أنبا بامو إنه في ساعة انتقاله قال للقديسين الذين كانوا واقفين بجواره: "أوريجين" الكاهن والمدبر و"أمونيوس" - وكانا من تلاميذه المشهورين - ولبقية الإخوة، قال: "منذ أن أتيت إلى هذا المكان من البرية وبنيت قلايتي وسكنت هنا لا أذكر أنني أكلت خبزا لم أحصل عليه من تعب يدي، ولم أندم على كلمة قلتها حتى هذه الساعة، ومع ذلك فها أنا ذاهب إلى الله كإنسان لم يبدأ بعد في خدمة الله"[٣٣١].

قال بالليديوس: "أخبرتنا الطوباوية ميلانية عن أنبا بامو قائلةً: 'عندما أتيت أولاً من روما إلى الإسكندرية وسمعت عن قداسته من القديس إيسوذورس الذي أراني الطريق إليه في البرية، أخذت معي صندوقًا فضيا يحوي ثلاثمائة جنيه من الفضة، وطلبت منه أن يشاركني ثروتي. وكان هو جالسا يضفر خوصا، ولم يفعل شيئًا سوى أنه باركني وقال: 'الله يعوضك'. ثم قال لتلميذه أوريجين: 'خذ هذا ووزعه لجميع الإخوة في ليبيا وفي الجزائر (جمع جزيرة)، لأنّ تلك الأديرة في فاقةٍ عظيمة'. وأمره أن يوزع شيئًا منه في مصر لأنّ حالها كان أفضل من غيرها".

"ثم قالت ميلانية: 'ثم ظللت منتظرةً متوقعةً منه أن يكرمني أو يمدحني لأجل تبرعي، ولكنني لم أسمع شيئًا منه'، ثم قلت: 'ينبغي أن تعلم ياسيد كمية هذا التبرع، إنه ثلاثمائة جنيه'. ولكنه لم يرفع حتى رأسه بل قال: [يا ابنتي، إنّ الله الذي يزن الجبال (إش٤٠: ١٢) يعرف أفضل منا كمية الفضة، لو كنتِ أعطيته لي لكان كلامكِ جيدا، ولكن إن كنتِ قد أعطيته لله الذي لم يغفل عن فلسي الأرملة فكوني إذن هادئة]! ثم قالت ميلانية:

---

(331) Ibid., 8 ; Laus., 10: 6 ; س ٤ ورقة ٦٢ (332) Laus., 10: 1 - 4. (333) Ibid., 5.

’هكذا أظهر الرب قوته عندما ذهبت إلى الجبل‘“[٣٣٢].

وقالت عنه القديسة ميلانية أيضا: ”وبعد فترةٍ قصيرة رقد رجل الله هذا دون أن يصاب بحمى أو أي مرض، بل بينما كان يخيط سلّةً (أو مقطفًا) وهو في السبعين من عمره - وكان قد أرسل في طلبي - وبينما كان يخيط الجزء الأخير من السلّة وجاءت لحظة رحيله قال لي: ’خذي هذه السلّة من يدي حتى تتذكريني، لأنني لا أملك شيئًا آخر أتركه لكِ‘“!

وبعد أن دفنته ميلانية رجعت من البرية واحتفظت بالسلّة معها حتى موتها[٣٣٣].

قال أبا بيمين: ”إنّ أنبا أنطونيوس كان دائما يقول عن أنبا بامو: ’بمخافته لله جعل روح الله يسكن فيه‘“[٣٣٤].

وقال أيضا: ”لقد رأينا في أنبا بامو ثلاثة أمور تخص الجسد (أي خارجية): صوما عن الطعام حتى المساء كل يوم، والصمت، وعملاً يدويا كثيرا“[٣٣٥].

كان أنبا شيشوي إذا سئل عن أنبا بامو يقول: ”أبا بامو كان عظيما جدا في أعماله“[٣٣٦].

(٧) قصص وأقوال
تلاميـذ أنبا بامـو

عرفنا من تلاميذ هذا القديس: الإخوة الطوال وأهمهم: أنبا أمونيوس (ذو الأذن الواحدة)، وأنبا ديوسقورس الأسقف، ويوسابيوس، وأوثيميوس، وأوريجين؛ وذلك حسب قول بالليديوس (راجع هامش رقم ١٣١):

هذا القول لا يتفق مع القول قبل السابق الذي ذكر وجود بعض تلاميذه في ساعة انتقاله، ولكن يبدو أنه كان يوجد اثنان من القديسين باسم بامو: أحدهما كان يعيش في نتريا، والآخر هو هذا الأخير الذي كان في شيهيت والذي تتلمذت عليه القديسة إيلارية ابنة الملك زينون.

(334) Apoph. Poemen, 75; W. & W., II: 134.

(٣٣٥) س ٤ ورقة ٦٢؛ Apoph. Poemen, 150 ; W. & W., II: 195

(336) Apoph. Sisoes, 53 ; W. & W., II: 93.

(٣٣٧) ولد سنة ٣٤٠م، وانضم إلى رهبان نتريا سنة ٣٦٠م. وبسبب طوله غير العادي هو وإخوته الثلاثة الذين ترهبوا معا فقد سموا بالإخوة الطوال. وبعد أن قطع أذنه اليسرى حتى لا يرسم أسقفًا سمي "باروتيس παρωτις" أي ذو الأذن الواحدة. وقد عانى النفي مع إخوته إلى نيوقيصرية أيام اضطهاد فالنس سنة ٣٧٣م، وقد اتهمهم البابا ثيئوفيلس بالأوريجانية واضطهدهم، وكان عمر الأب أمونيوس حينئذٍ ٦٠ سنة، فالتجأوا إلى ق. يوحنا الذهبي الفم في القسطنطينية سنة ٤٠٠م فقبلهم وعزاهم. وقد صالحهم البابا ثيئوفيلس في القسطنطينية سنة ٤٠٣م، ولكن أنبا أمونيوس كانت صحته قد اعتلّت جدا ثم رقد هناك ودفِن في مقبرةٍ تسمى "روفينيانا Rufiniana" نسبةً إلى روفينوس الذي كان قد بناها. فبكى عليه البابا ثيئوفيلس واعترف بأنه كان "أقدس راهب في زمانه". وقد قيل (حسب بالليديوس) إنّ قبره كان يشفى فيه كل من كان يعاني من الرعشة التي تسببها التعاويذ الشيطانية. كما أنه ترك كتابا اسمه "أصول النسك". ("رهبنة" الطبعة الثانية، ص ١٩٩).

أولاً: القديس أمونيوس[٣٣٧]

قال بالليديوس: "إنّ أبا أمونيوس كان تلميذًا لأنبا بامو، وكان قد بلغ إلى درجةٍ عالية من التقوى هو وإخوته الثلاثة وأختاه الاثنتان. ذهب الثلاثة إلى البرية وعاش كلٌ منهم منفصلاً على بعد مسافةٍ من الآخرين، وإذ كان القديس أمونيوس عالمًا في الكتب المقدسة اشتاقت إحدى المدن أن يصير أسقفًا لها. فأخبر شعب هذه المدينة المغبوط البابا تيموثاوس (٣٨١ - ٣٨٥م) برغبتهم، فقال لهم: 'أحضروه وأنا أرسمه'. فلما ذهبوا وأحاطوا به وجد أمونيوس نفسه في مأزق، فتوسل إليهم وأكّد جازما بطريقةٍ مهيبة أنه لن يقبل الرسامة حتى لا يترك البرية، فلم يوافقوه. وبينما كانوا منشغلين أخذ مقصا وقطع أذنه اليسرى قائلاً: 'ومن الآن تأكّدوا أنه يستحيل رسامتي حسب القانون الذي يمنع رسامة ذي الأذن المقطوعة'".

"فتركوه ورجعوا إلى البابا وأخبروه بالأمر، فقال لهم: 'دعوا عنكم قانون اليهود هذا، فإذا أحضرتم لي إنسانا أنفه مقطوعة ولكنه يستحق من كل الوجوه فأنا أرسمه'. فذهبوا مرةً ثانية وتوسلوا إلى أبا أمونيوس الذي تعهد أ م إذا أجبروه سيقطع لسانه، لذلك تركوه وانصرفوا"[٣٣٨].

قيل عن أبا أمونيوس إنه لم يشبِع رغبة جسده إطلاقًا عندما كان يثور عليه بالشهوة، بل إنه كان يحمي قطعةً من الحديد في النار ويضعها على أطرافه حتى احترقت أعضاؤه[٣٣٩].

وقيل عنه إنه منذ شبابه حتى موته كان طعامه يتكون من مأكولات نيئة فقط، فلم يأكل شيئًا مطبوخا بالنار عدا الخبز[٣٤٠].

وقيل عنه أيضا: إنه حفظ العهدين القديم والجديد، وكان يتلو آلاف الآيات عن ظهر قلب، وبعض كتب الآباء أيضا. هكذا سجل بالليديوس شهادة آباء البرية عنه[٣٤١].

كان أبا أمونيوس مشهورا بين الآباء بنشاطه ولطفه ووداعته وحبه وخدمته لكل إنسان حتى قيل إنه خدم البرية كلها، فكان هو الوحيد الذي أخذ على عاتقه السفر مع الآباء كمرشدٍ للمواضع النائية، كما اشتهر بأنه كان يترك قلايته دائما لكل راهبٍ جديدٍ ويبني لنفسه أخرى[٣٤٢].

---

(338) Laus., 11: 1-3. (339) Ibid., 4. (340) Ibid. (341) Ibid.
(342) Monach.,23. (343) Laus.,11:5. (٣٤٤) لأنّ مائدة الأغابي كانت ملحقة بالكنيسة.

وشهد له الأب أوغريس قائلاً: "إنني لم أر إنسانا أكثر حرية من الأوجاع من أبا أمونيوس"[٣٤٣].

وقال مؤلف كتاب "تاريخ الرهبنة في **مصر** *The Historia Monachorum in Aegypto*": "وزرت أيضا أحد الآباء هناك يدعى "أمونيوس" الذي كانت له قلالي (ربما يقصد "قلاية" في منطقة القلالي التي تقع على بعد نحو ١٢ ميلاً إلى الجنوب من نتريا) مبنية بطريقةٍ جميلةٍ ولها فناء وبئر ماء وضروريات أخرى. وفي مرةٍ جاء إليه أخ تائقًا للحصول على خلاص نفسه، وطلب من الأب أمونيوس أن يعين له قلاية ليعيش فيها، فخرج في الحال وأوصى الأخ ألاّ يغادر القلاية حتى يجد له مسكنا ملائما. وترك له كل ما يملك مع القلاية ذا ا وبنى لنفسه قلايةً صغيرة".

"وإذا جاء إليه عدد كبير ممن يرغبون في خلاص نفوسهم، كان يستدعي جماعته كلها ويعطي طوبا لأحدهم وماءً لآخر وهكذا حتى يتمموا بناء قلالي جديدة في يومٍ واحد"!

"والذين كانوا يقصدون أن يعيشوا في منطقة القلالي كانوا يدعون إلى الكنيسة في وليمة (الأغابي)[٣٤٤]، وبينما هم يرحبون بعضهم ببعض كان كل أخ يملأ عباءته أو معطفه بالخبز أو أي أشياء مناسبة من قلايته ويحضِرها للإخوة الجدد، ولم يكن أي منهم يعلم من الذي أحضر أي نوع من تلك العطايا، وعندما كان يعود الإخوة الجدد إلى قلاليهم كانوا يتعجبون من وجود كل ما يحتاجونه"[٣٤٥]!

ويقول روفينوس عن الأب أمونيوس في إضافاته إلى المرجع السابق: "رأينا هناك أبا مكرما يدعى أمونيوس، وهو رجلٌ جمع فيه الله كل نعمة. وعندما ترى مقدار ما لديه من محبةٍ أخوية، تظن أنك لم تر مطلقًا مثلها. وعندما تتأمل في اتضاعه تظن أنه أقوى من أي واحدٍ آخر في هذه الفضيلة. ولكنك إذا تفكّرت في صبره أو لطفه أو جوده تظن أنه تفوق في كل من هذه الفضائل ولا تعلم أيا منها قد سبقت الأخرى. وقد أُعطيت له من الله موهبة الحكمة والعلم بفيضٍ لدرجة أنك تظن أنه لم يبلغ أحد من الآباء مثله إلى جميع طرق المعرفة. وجميع الذين رأوه قالوا إنه لم يبلغ أحد آخر مثله إلى أعماق حكمة الله"!

"وكان هناك أيضا أخواه يوسابيوس وأوثيميوس، وكان أخوه الأكبر ديوسقورس قد رفِع إلى درجة الأسقفية. وكانوا إخوة ليس حسب الجسد فحسب، بل كانوا أيضا أقرباء في طريقة حيا م ونسكيا م وجميع فضائل نفوسهم. أما بخصوص أولئك الإخوة الذين

---

(٣٤٦) المرجع السابق،ص ١٤٩.

(345)The Lives of the Desert Fathers,ch.20:9-11.

عاشوا هناك، فقد كانوا يغذو م كالمربية لأطفالها، مشجعين إياهم بالتعليم، وكانوا يقودو م بكلامهم ليضيئوا في علو حياة الكمال"[٣٤٦]!

ثانيًا: القديس ديوسقورس(♣)

سأل أخٌ الأب ديوسقورس الذي من جبل نتريا قائلاً: "ماذا تريدني أن أفعل يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "اذهب وابحث عن عظْمةٍ صغيرةٍ جدا وطهر فمك ا". فسأله الأخ: "ماهي هذه العظْمة الصغيرة جدا"؟ فقال له: "العظْمة الصغيرة هي الحياة الصارمة سواء الصوم حتى المساء أو السهر القليل، وذلك لكي تكون رائحة زكية مقبولة في حضرة الرب"[٣٤٧].

علمت أنّ أبي الأب يعقوب الفارسي سأل الأب ديوسقورس الذي من جبل نتريا: "كيف يجب أن يحب الإنسان"؟ فقال له: "إن لم يضع الإنسان يديه الاثنتين فوق رأسه ويقول: 'أخطأت'؛ فلا يمكنه أن يحب قريبه كنفسه"[٣٤٨].

وعلمت أيضا أنّ أبا ديوسقورس قال: "الله لم يعطِ الخطية والتعب للإنسان، ولكن الإنسان نفسه هو الذي بدأ وسبب لنفسه الخطية والتعب"[٣٤٩].

كانوا يقولون عن أبا ديوسقورس التناسي (أو الناشياستي) إنّ طعامه كان من الشعير والعدس، وإنه في بدء كل عام كان يضع على نفسه فرضا نسكيا جديدا قائلاً: "في هذا العام لن أزور إنسانا ولن أتحدث مع أحد"، أو "لن أتكلم بتاتا"، أو "لن آكل طبيخا"، أو "لن آكل فاكهة" ... كل سنة كان يبدأها بقرارات مثل هذه وإذا تمّم فرضا منها يضع على نفسه فرضا جديدا[٣٥٠].

سأل أخٌ أنبا بيمين قائلاً: "إنّ أفكاري تضايقني إذ تقول لي إنّ خطاياي قد غُفِرت وتجعلني أتركها وأشغل نفسي بزلّات ونقائص أخي". فأخبره الشيخ بالقصة الآتية عن أبا ديوسقورس: "إنه كان يبكي في قلايته على نفسه بينما كان تلميذه في قلايةٍ أخرى، وجاء إليه ووجده يبكي فسأله: 'لماذا تبكي يا أبي'؟ فأجابه: 'أبكي بسبب خطاياي'. فقال له تلميذه: 'إنك ليست لك خطايا يا أبي'. فأجاب الشيخ: 'بالحقيقة، يا ابني، لو

(♣) يقول بالليديوس إنّ القديسة ميلانية قابلته في زيار ا لمصر عام ٣٧٣م، وقد رسِم أسقفًا على هرموبوليس بارفا (دمنهور) على بعد عشرة أميال من نتريا، وحضر مجمع القسطنطينية عام ٣٩٤م. وأخيرا عزِل وحرِم لظنهم أنه كان متعاطفًا مع الأوريجانية. وتوفي في أوائل القرن الخامس.

(347) Eth. Coll., 13, 21.
(348) Ibid., 13, 86.
(349) Ibid., 13, 87.
(350) W. & W., I: 76 ; Apoph. Dioscorus, 1.
(351) Apoph., Dioscorus, 2; W.&W., I: 149.
(352) Apoph. Dioscorus, 3. وهذا المرجع الأخير يذكر أبا إيسوذورس بدلاً من ديوسقورس.
(353) Eth. Coll., 13, 56.

أُعطي لي أن أرى خطاياي لما كان يكفي ثلاثة أو أربعة رجال يبكون معي لأجلها‘“! ثم قال أنبا بيمين: ”هكذا يكون الإنسان الذي يعرف نفسه“(٣٥١).

قال أبا ديوسقورس: ”إن ارتدينا ثوبنا السماوي فلن نوجد عراة، ولكن إذا وجِدنا غير مرتدين لهذا الثوب فماذا نصنع يا إخوة؟ إننا حتى نحن أيضا سنسمع ذلك الصوت القائل: «اطرحوه في الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت٢٢: ١٣). وهناك يا إخوة سيعترينا خزي عظيم إن كنا بعد أن لبسنا رداء الرهبنة هذا زمانا هذا مقداره نوجد في تلك الساعة الحتمية غير مرتدين ثياب العرس. آه! أي ندمٍ سيستولي علينا! وأية ظلمةٍ ستغشانا في حضرة آبائنا وإخوتنا الذين سيروننا نساق إلى العذاب“(٣٥٢)؟!

ذهبت يوما ما إلى الأب ديوسقورس وسألته بخصوص موضوع معين، فقال لي: ”خذ مثلاً عربات تحمل بعض أشياء ثقيلة، فكم من الوقت عليك أن تقضيه إذا أردت أن تتسلّق ا على جبلٍ؟ ولكنك إذا أردت أن تنـزل ا ثانيةً فإنك تلقيها من العلو، وبانحدارها أيضا تعود إلى المكان الذي أخذ ا منه أولاً“ (يقصد الهموم الثقيلة التي تعرقل تسلقنا لجبل الرب، وعندما نلقيها عنا نعود إلى حالتنا السابقة)(٣٥٣).

ثالثًا: القديس أوريجين

قال روفينوس: ”كان هناك أيضا راهب آخر كان سابقًا تلميذًا لأنبا أنطونيوس، واسمه "أوريجين"، وكان رجلاً ساميا في كل الأمور ومتلئًا حكمةً، وكان يهذب جميع الذين يسمعونه بكلامه وأوصافه لفضائل معلمه العظيم (أنبا أنطونيوس)، وكان يلهبهم لدرجة أنك قد تظن أ م رأوا معلمه بعيو م“(٣٥٤).

(٨) قصص وأقوال

القديس أنبا بيئور

قال بالليديوس: ”كان أحد الآباء الشيوخ يدعى "بيئور"، وفي شبابه المبكر بعـد أن ودع بيت أبيه وتركهم، عاهد الله في غيرته المفرطة أن لا يرى أحدا من أقربائه مرةً ثانيةً، وهكذا لم يسمح لنفسه أن يعود إليهم حتى بعد أن سمع بوفاة والديه. وكان قد قَبِلَ الزي الرهباني من المغبوط أنطونيوس، ولكنه لم يمكث معه سوى سنوات قليلة، إذ إنه لما صار

---

(354) Monach., Additions of Rufinus,XX,14.

(355) Laus., 39: 1, 2 ; R., (فرنسي) هذا القديس لم يكن من الإخوة الطوال، ولكنه تتلمذ معهم لأنبا بامو.
31

في الخامسة والعشرين من عمره (أو الثلاثين حسب مرجـع آخـر) أراد أن يعـيش في الوحدة في البرية، وقال له القديس أنطونيوس: 'يا بيئور، اذهب واسكن حيـث تريـد، وعندما يفصح لك الرب عن مشيئته بطريقةٍ مقنعة وتأتي إلي فستجدني''[٣٥٥].

ثم **قيل** إن أبا بيئور ذهب إلى موضعٍ يقع بين نتريا وبرية الأسقيط، وهناك حفر بئـرا وقرر في نفسه قائلاً: "مهما كان الماء الذي أجده هنا فسأرضى بـه". وكـم كـان احتماله! لأنّ الماء الذي وجده كان مالحًا ومرا لدرجة أنّ الذين كانوا يزورونـه كـانوا يأخذون ماءهم معهم، ومع ذلك فقد عاش هناك حتى انتقاله، وهكـذا ظهـرت قـوة احتماله. ولما كان الإخوة يشيرون عليه بالذهاب إلى مكانٍ آخر بسبب مرارة الماء كـان يقول لهم: "إذا هربنا من مرارة هذا الماء وجهاد النسك، وإذا بحثنا عن الراحة في هـذا العالم فلن ننال في ايه هذه الحياة تلك النعم الأبدية التي سنتمتع ا بالحقيقة هناك، ولن نستمتع أيضا بتلك الأيام التي لا غروب لها في الفردوس السعيد".

وقال عنه الإخوة إنه كان يأخذ معه بقسماطة واحدة وخمس زيتونات فقط كغذاءٍ للطريق عندما يكون خارجا عن قلايته. كما أنه بعد انتقاله من العالم تصارع العديد من الرهبان الصالحين لكي يباروه في السكنى في قلايته، ولكن لم يستطع أحد منهم أن يكمل سنة واحدة هناك، لأنّ المكان كان رهيبا ومجردا من أية ميزة[٣٥٦].

وقيل إنه بعد خمسين سنة سمعت أخته الأرملة - التي كانت قد شاخت - أنه لا زال حيا، وقالت إ ا ستنهار إن لم تبصره. ولما كانت غير قادرة أن تذهب بنفسها لتراه في البرية الواسعة أرسلت ولديها - وكانا صغيرين - ليبحثا عنه، فظلاّ يطوفان في البرية على كل الأديرة بحثًا عنه، وأخيرا لما وجداه بصعوبةٍ قالا له: "إننا ابنا أختك وأمنا لها اشتياق شديد أن تراك قبل مو ا"، ولكنه لم يشأ أن يسمع لهما. وقيل إنّ أخته توسلت إلى الأسقف المحلي أن يكتب للآباء في البرية أن يرسلوه لكي تراه فلم يقتنع.

ثم ذهب ابنا أخته إلى أنبا أنطونيوس وأخبراه بسبب زيار ما، فأرسلهما برسالةٍ إلى أبا بيئور قائلاً له: "أيها الأخ، لماذا لم تأتِ لزيارتي منذ وقتٍ طويل"؟ فأجاب الأب بيئور: "يا أبي الطوباوي، أنت قررت لي ألاّ أذهب لزيارتك إلاّ بعد إعلانٍ واضحٍ من الله، وإلى هذا اليوم لم يستعلَن لي شيء". فقال له المغبوط أنطونيوس: "اذهب إلى أختك لكي تراك". فأخذ بيئور معه راهبا آخر وذهب إلى منـزل أخته، ولكنه ظلّ واقفًا خارجا بالقرب من باب المدخل، ثم

(356) Ibid.

(357) Ibid.

أغلق عينيه حتى لا يرى أخته، وجاءت هي مغمورة من الفرح وارتمت عند قدميه، فقال لها: ”ها أنا أخوكِ بيئور، تطلعي إلي جيدا كيفما شئتِ، ماذا تريدين مني“؟ فنظرت حتى اكتفت ومجدت الله، ولكنها لم تقدر أن تقنعه بالدخول إلى بيتها، فصلّى عند العتبة ثم رجع إلى البرية.

هكذا سلك أبا بيئور حتى يفهم الرهبان أن لا يعطوا لأنفسهم الحق في زيارة الوالدين أو الأهل بحسب أهوائهم[٣٥٧]!

قال بالليديوس: ”كان الأب موسى الذي من ليبيا رجلاً رقيقًا ومحبوبا جدا وقد حسِب مستحقًا لموهبة الشفاء، وهو أخبرني قائلاً: ’عندما كنت شابا في الدير حفرنا حوضا كبيرا عمقه عشرون قدما، وظلّ ثمانون واحدا منا يحفرون لمدة ثلاثة أيام وزدنا قدما عن المعتاد، وكنا نتوقع أن نجد ينبوع ماء ولكننا لم نجد. وإذ خاب أملنا قررنا أن نترك هذا العمل‘.

’وإذ بالأب بيئور قد وافانا حينئذٍ من البرية الداخلية في الساعة السادسة في حر النهار، وكان الشيخ مرتديا عباءة، فحيانا وقال: ”لماذا صرتم منهكي القوى يا قليلي الإيمان؟ إنني منذ أمس أراكم فاقدي العزيمة“! ونزل في حفرة الحوض بسلم وصلّى معهم، ثم أخذ الفأس وضرب ا ثلاث مرات، وفي المرة الثالثة قال: ”يا إله الآباء القديسين لا تجعل تعب عبيدك يذهب سدى بل أرسِلْ لهم الماء الذي يحتاجونه“، وللحال تدفّق الماء، ثم صلّى مرةً أخرى وفارقهم. حاولوا أن يجعلوه يأكل، ولكنه لم يوافق بل قال: ”إنّ ما أُرسِلت لأجله قد تمّ، ولم أُرسل لهذا (أي للأكل)“[٣٥٨].

اعتاد أبا بيئور أن يمشي مائة خطوة أثناء أكله، فسأله واحد لماذا يفعل هكذا، فقال: ”لا أريد أن أنشغل بالأكل بل أجعله شيئًا ثانويا“. وسأله آخر نفس السؤال فأجابه: ”حتى لا تشعر نفسي بمسرةٍ جسدانية في الأكل“[٣٥٩].

قال أنبا بيمين بخصوص أبا بيئور: ”إنه كان كل يوم يبدأ بدءًا جديدا“[٣٦٠].

عمل المغبوط بيئور في وقت الحصاد عند أحد الناس، ثم قيل له أن يذهب ليأخذ أجره، ولكنه أجل ذلك إلى وقتٍ آخر ورجع إلى قلايته. وفي السنة التالية ذهب وعمل في موسم الحصاد بنشاطٍ ورجع إلى قلايته دون أن يعطيه أحد شيئًا. ولما قارب الصيف الثالث على الانتهاء وأكمل الشيخ عمله المعتاد ذهب دون أن يأخذ أي أجر. وفي نفس الوقت كان القديس المستحق لكل بركة يعمل كعادته في فضائله الروحية، وفرح أنه حرِم

---

(358) Laus., 39: 4, 5. (359) Apoph., Pior, 2. (360) Apoph., Poemen, 85.
(361) Apoph., Pior,1; W. & W., I: 194. (362) W. & W.,I: 501. (٣٦٣) س ٩ جزء ٤ رقم ١٤٨.

من أجره، فعمل المسيح في قلب صاحب الأرض، فأخذ الأجور الخاصة بالقديس وذهب إلى الأديرة باحثًا عنه، ولما وجده بعد عناءٍ كثير ألقى بنفسه تحت قدميه وتوسل إليه أن يأخذ أجره. ولكن القديس رفض الأجور وقال: "ربما تكون في حاجةٍ إليها، أما أنا فإنّ الله سيعطيني أجري". فزاد الرجل من توسلاته، وأخيرا طلب القديس منه أن يعطي النقود للكاهن في الكنيسة(٣٦١)!

قيل إنّ أبا بيئور جاهد حتى يقدر أن يغلب نفسه ولا يقول لأحدٍ من الإخوة كلمة "أنت"(٣٦٢).

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص هذا القول، فأجا م: "هذا يعني أن لا يخاطب أحدا إلاّ بصفةٍ ذات فضيلة، ولا يقول له "أنت"، لأنّ الآباء والشيوخ كانوا يخاطبون بعضهم بعضا قائلين: "أبوتك" أو "قدسك" أو "كرامتك" وغير ذلك من النعوت المكرمة، وكان الأخ يخاطَب هكذا: "محبتك" و "اختبارك" و "ثباتك" و "طهارتك" و "حشمتك" ومثل ذلك. أما المخاطبة بكلمة "أنت" فهي غير مستحبة لسببين: الأول: لأن فيها نوعا من الاحتقار، والثاني: لأ ا كثيرا ما تكون سببا للشتيمة والغضب، وذلك كما نقرأ عن القديس يوحنا القصير أنه لما سمع في الحصاد أخا يقول لأخيه بغضبٍ: "تعالَ أنت"، فللحال ترك الحصاد وهرب"(٣٦٣).

عقِد مجمعٌ في **الأسقيط** بخصوص أخ قد أخطأ، وتكلم الآباء في ا مع، أما الأب بيئـور فقد كان صامتا، وأخيرا قام وخرج حيث أخذ جوالاً وملأه رملاً وحمله على كتفه ووضع قليلاً من الرمل في كيس حمله أمامه. فسأله الآباء عن معنى هذا فقال: "في هذا الجوال الذي يحوي رملاً كثيرا توجد خطاياي الكثيرة، لقد وضعتها خلفي حتى لا أضطرب بذكرها ولا أبكي، وهنا توجد خطايا قليلة لأخي وهي أمامي وأنا أقضي وقتي في إدانتها والحكم عليها، وهذا خطأ، إذ ينبغي علي أن أحمل خطاياي أمامي وأهتم ا متوسلاً إلى الله أن يغفرها لي". فوقف الآباء وقالوا: "حقًا هذا هو طريق الخلاص"(٣٦٤).

(٩) قصص وأقوال
القديس أنبا شيشوي الكبير(❖)

(364) Apoph., Pior, 3; س ٤ ورقة ٧٨

(❖) توجد ثلاث شخصيات ذا الاسم:
شيشوي الكبير الذي عاش في برية شيهيت ثم انتقل إلى جبل أنبا أنطونيوس وعاش في مغارته.

قال أخ للأب شيشوي: "إنني أرى أنّ فكري دائما مع الله". فقال له الشيخ: "ليس هذا أمرا عظيما أن تكون مع الله بأفكارك، بل إنه لأمر عظيم حقًا أن ترى نفسك تحت الخليقـة كلها، فإنّ هذا مع العمل الشاق يقودان إلى الاتضاع، ولا سقوط مع الاتضاع"[٣٦٥].

وسأله أخ آخر: "أي طريق يقود إلى الاتضاع"؟ فقال الشيخ: "طريق الاتضاع هي هذه: ضبط النفس، والصلاة، واعتقادك في نفسك أنك أقل من الخليقة كلها"[٣٦٦].

قال أحد الشيوخ: "سألت أبا شيشوي: 'قل لي كلمة'، فقال: 'جيد للراهـب أن يضع نفسه أقل من الأصنام'. فذهبت إلى قلايتي وتشاورت مع نفسي وتأملت لمدة ساعة متسائلاً عما تعنيه هذه الكلمة: "أقل من الأصنام"؟ ثم رجعت إلى الشيخ وسـألته هـذا السؤال فقال لي: 'إنه مكتوب عن الأصنام أنّ «لها أفواه ولا تتكلم، ولهـا عيـون ولا تبصر، ولها آذان ولا تسمع» (مز١١٥: ٥و٦)، هكذا جيد للراهب أن يكـون، ولأنّ الأصنام مرذولة فينبغي أن يكون الإنسان مرذولاً في عيني نفسه'"[٣٦٧].

قال لي **أخٌ جديرٌ بالثقة:** "كنا سبعة رهبان، وذهبنا إلى أنبا شيشوي، وكان سـاكنا في جزيرة بالقلزم[٣٦٨]، وطلبنا منه أن يقول لنا كلمة، لكنه قال: 'اغفروا لي، أنا إنسان أُمي، وقد أتيت لزيارة أبا أور وأبا أثره، ورأيت مقدار طاعتـهما الكاملـة لبعضـهما البعض[٣٦٩]، وما رأيته فيهما حاولت أن أمارسه على قدر طاقتي'. ثم ألـح عليه أحدنا قائلاً: 'من أجل المحبة قُل لنا أنت أيضا كلمة'، فقال: 'الذي لا يحسب نفسه شيئًا بمعرفةٍ ولا يقارن نفسه بغيره يكمل كل الأسفار المقدسة'"[٣٧٠].

قال أنبا شيشوي: "اُترك نفسك للمحقرة، ألْقِ مشيئتك خلفك، وأنت تكون حـرا من أي هم وتعيش في سلام"[٣٧١].

جاء مرةً بعض الإخوة إلى أنبا شيشوي لكي يسمعوا منه كلام منفعة، ولما تكلموا معـه كثيرا لم يقل شيئًا بخصوص ما قالوه سوى: "اغفروا لي". ثم رأوا أنه كان يضفر سـعفًا، فقالوا لأبرآم تلميذه: "ماذا تفعلان بهذه السلال من السعف وهذه الحُصر"؟ فقال لهم: "إنّ الشيخ يفرقها هنا وهناك". فلما سمع الشيخ ذلك قال: "وشيشوي أيضا من هنا ومن هناك

وشيشوي الصعيدي أو التبايسي الذي انتقل من برية شيهيت إلى بابلون الدرج. وشيشوي الذي من سقارة.

(365) Apoph., Sisoes, 13; W. & W., I: 485; Ch., 120; QRT, 30; س ٤ ورقة ١٠٧

(366)Apoph.,Tithoes,7.

(367)W. & W.,I:488;N.,384; X, 97.

(٣٦٨)"كليسما" وهي السويس الحالية.

(٣٦٩) هذه القصة تجدها كاملة في أقوال أنبا أور.

(370) W. & W., II: 182, 331; Apoph., Pistos, 1; ميمر ٣٠ من ميامر أنبا إشعياء

(371) Apoph., Sisoes, 43; س ٤ ورقة ١٢٥

يأكل". فلما سمعوا ذلك انتفعوا جدا وذهبوا فرحين لأ م رأوا اتضاعه(٣٧٢).

أرانا أنبا شيشوي مغارة الأب أنطونيوس (التي كان يسكن فيها) وقال: "هكذا في مغارة أسد يسكن ثعلب" (يقصد نفسه)(٣٧٣).

جاء ثلاثة شيوخ يوما ما إلى أنبا شيشوي لأ م سمعوا أنه رجلٌ عظـيم، فقـال لـه الأول: "أيها الأب، كيف أهرب من ـر النار"؟ فلم يجبه الأب شيشوي بكلمة. ثم قال له الشيخ الثاني: "كيف أهرب من صرير الأسنان والدود الذي لا يموت"؟ فلم يجبـه بأي كلمة. ثم قال له الثالث: "أيها الأب، ماذا أفعل لأنّ تذكر الظلمة الخارجية يرعبني"؟ فأجاب أنبا شيشوي وقال لهم: "أنا لا أفكر في أي شيءٍ من هذه الأمور، ولكنني أومن أن الله رحيم، وأنه سيظهر لي رحمته".

فخرج الشيوخ حينئذٍ محزونين بسبب هذه الإجابة التي قالها لهم أنبا شيشوي، ولكـن لأنه أراد ألاّ يودعهم وهم متضايقون أرجعهم إليه وقال لهم: "مباركون أنتم يا إخـوتي لأنني أغير منكم". فقالوا له: "في أي شيء تغير منا"؟ فقال: "تكلم واحد منكم عـن ـر النار، والثاني عن صرير الأسنان والدود الذي لا يموت، والثالث عن الظلمة الخارجية، وطالما أنّ تذكر هذه الأمور يسيطر على أفكاركم فيستحيل عليكم أن تخطئـوا، فمـاذا أفعل أنا ذو القلب العنيد؟ لأنّ قساوة قلبي لا تسمح لي حتى أن أُدرك أنه يوجد عقـاب للبشر، ولذلك أُخطئ كل ساعة".

فلما سمع الشيوخ هذا الكلام اعتذروا له وقالوا: "حقًا إنه كما سمعنا هكذا رأينا"(٣٧٤).

سأل إخوة القديس فيلوكسينوس عن معنى القول السابق، فأجاب الشيخ: "كان أنبا شيشوي التبايسي الذي سكن في مغارة أنبا أنطونيوس رجلاً عظيما كـاملاً حـتى إنّ الشيوخ سألوه مرةً: 'أما وصلت إلى درجة أنبا أنطونيوس يا أبانا'؟ وكان أنبا بـيمين إذا اجتمع عنده الشيوخ وذكروا أنبا شيشوي يقول لهم: 'أتركوا أنبا شيشوي وحده، فـإنّ درجته تفوق الوصف لأنه وصل إلى درجةٍ عاليةٍ من الكمال'. وكان يأتي إليـه شـيوخ عظماء باعتباره رجلاً كاملاً، فكان يكلمهم باتضاع باعتباره إنسانا ناقصا وجاهلاً لأ م كانوا يسألونه عن التدبير والمعرفة.

(372) Apoph., Sisoes, 16; W. & W., II: 369; س ٤ ص ٦٣

(373) W. & W., II:103.

(374) Apoph., Sisoes,19; W. & W.,I: 138.

ولما جاء إليه هؤلاء الشيوخ الثلاثة أخبروه عما في قلوبهم من ذكر جهنم، وكانوا ينتظرون منه إجابةً تتفق مع درجته كما سمعوا عنه. فلما قال لهم إنه لا يفكر في هذه الأمور المؤلمة بل إنه يؤمن أن الله رحوم يغفر ذنوبه، شكوا. ولكنه لما رأى أنهم حزنوا قال: 'إنني أغير منكم وأفرح بفضيلتكم، فحيث إنّ ذكر هذا الأمر موجود في قلوبكم فافرحوا برجائكم لأنكم كاملون'. وهنا فهم الشيوخ أنّ كلامه الأول هو بسبب كماله وكلامه الأخير كان بسبب اتضاعه، فأجابوا بسرور: 'بالحقيقة إنه كما سمعنا عن اتضاعك وعلو معرفتك وكمال درجتك هكذا رأينا'"[٣٧٥].

قال أنبا شيشوي الذي من "بترا" تلميذ أنبا أنطونيوس: "الصوم هو أم كل الفضائل، وفي الحقيقة إنه هو الذي يوجدها وهو الذي يقود الإنسان إلى كل الفضائل، أما اتضاع الروح فهو في ذاته أعظم من جميع الفضائل"[٣٧٦].

طلب أخ من أنبا شيشوي أن يعلمه كيف يجب أن يعيش في القلاية، فأجابه: "كُلْ خبزك بملح وليس من الضروري أن تطبخ شيئًا يحتاج إلى وقت طويل". وأجاب على أخٍ آخر سأله نفس السؤال بما قاله دانيال النبي: "«خبز الشهوة ما أكلت» (دا١٠: ٣)[٣٧٧]، ومعناه: لا ينبغي أن يشبِع الإنسان شهوة إرادته"[٣٧٨].

سأل أخٌ أنبا شيشوي: "كيف أحرس قلبي"؟ فقال له الشيخ: "كيف يمكننا أن نحرس قلوبنا بينما أبواب أفواهنا وبطوننا مفتوحة"[٣٧٩]؟!

كثيرا ما كان تلميذ أنبا شيشوي يقول له: "هلم يا أبي لنأكل"، فكان يقول له: "ألم نأكل بعد يا ابني"؟ فكان يجيبه: "كلاّ يا أبي". فكان الشيخ يقول له: "إن لم نكن قد أكلنا فأحضر الأكل ونحن نأكل"[٣٨٠]!

حدث مرةً أنّ القديسين يوحنا كاسيان وجرمانوس جاءا من ديرهما بفلسطين وزارا أنبا شيشوي فاحتفل بضيافتهما، فسألاه: "لأي سبب لا تحفظوا طقس صومكم في وقت ضيافتكم للإخوة الغرباء على ما قد عرفناه في بلدنا فلسطين"؟ فأجابهما قائلاً: "إنّ

(٣٧٥) س ٩ رقم ٥٨ ص ١٣٢.
(376) Eth. Coll., 14, 55.
(٣٧٧) المقصود بـ"خبز الشهوة" في هذه الآية هو: خبز الرؤساء والولائم ومجالس الإخوة ("رهبنة" الطبعة الثانية، ص ٢٥٤). وينسب الجزء الأخير من القول في W. & W. إلى الأب شيشوي الذي من "شكيبا" أو "سقارة".
(378) PA, 1, 1 ; Apoph., Sisoes, 23 ; W. & W., I: 374; س ٤ ورقة ١٢٥
(379)Apoph., Tithoes, 3; W.&W., II: 92.
(380)Apoph., Sisoes, 4; W.&W., I: 98.
(٣٨١) بستان الرهبان، طبعة عام ١٩٥٦، جزء٣ ص١٠. (٣٨٢) مدينة تقع في جزيرة وسط النيل في مصر الوسطى جنوبي منفيس أي مقابل جبل أنبا أنطونيوس.

الصوم معي دائما، وأما أنت فلست معي دائما، والصوم شيء نافع لازم وهو من نيتنا وإرادتنا، وأما إكمال المحبة فيطالبنا به ناموس الله بالضرورة. فيكُم أنتم أقبلَ المسيح إلي ويوجب علي دينا لازما بأن أخدمه بكل حرص، فإذا شيعتكم أمكنني استعادة صومي، وذلك أنّ أبناء العرس لا يستطيعون أن يصوموا ما دام العريس معهم، فمتى رفع الخَتن فحينئذٍ يصومون بسلطان"[٣٨١].

زار مرةً أنبا أدلفيوس أسقف "نيلوبوليس"[٣٨٢] أنبا شيشوي في جبل أنبا أنطونيوس، ولما عزم على الانصراف جعله الشيخ يأكل في الصباح قبل انصرافه، وكان الوقت صوما. ولما أُعِدت المائدة قرع الباب أناس كانوا يحرثون الأرض، فقال الأب لتلميذه: "أعطهم قليلاً ليأكلوا لأنهم متعبون". فقال له الأسقف: "لا، لا تفعل ذلك لئلاّ يقولوا إنّ أنبا شيشوي يأكل في الصباح". فنظر إليه الشيخ متأملاً وقال للأخ: "اذهب وأعطهم". فلما رأوا الطبيخ قالوا للأخ: "أترى عندكم ضيوف والشيخ يأكل معهم"؟ قال: "نعم". فحزنوا جدا وقالوا: "لِم تركتم الشيخ يأكل في مثل هذا الوقت، أما تعلمون أنه سيعذب نفسه أياما كثيرة بسبب هذه الأكلة"؟ فلما سمع الأسقف هذا الكلام صنع مطانيةً قائلاً: "اغفر لي يا أبي لأني تفكّرت فكرا بشريا في حين أنك تعمل عمل الله". فقال الشيخ: "إن لم يمجد الله الإنسان فمجد الناس ليس شيئًا"[٣٨٣]!

عندما ذهب أنبا شيشوي إلى **كليسما** (أي القلزم بجوار السويس الحالية)، جاء في أحد الأيام بعض العلمانيين لكي يروه. ورغم أنهم تكلّموا كثيرا فلم يجبهم ولا بكلمةٍ واحدة. أخيرا قال واحد منهم: "لماذا تزعجون الشيخ؟ إنه لا يأكل، لذلك فهو لا يقدر أن يتكلم". فأجاب الشيخ في الحال قائلاً: "من جهتي فأنا آكل عندما تدعو الحاجة إلى ذلك"[٣٨٤]!

كانت هناك تقدمة (أي قداسا) في جبل أنبا أنطونيوس، وكان هناك زق خمر (أي أباركة)، فأخذ أحد الرهبان بعضا منه في آنيةٍ صغيرةٍ وأخذ معه كأسا وذهب إلى أنبا شيشوي ومزج له كأسا فشربها، ثم مزج له كأسا ثانيةً فأخذها وشربها، ولكنه عندما مزج له كأسا ثالثةً رفض أن يشربها قائلاً: "رد يدك أيها الأخ، ألا تعلم أنّ هذه (أي الثالثة) من الشيطان"[٣٨٥]؟!

سأل إخوةٌ شيخا: "ما معنى قول أنبا شيشوي إن الكأس الثالثة من الشيطان"؟ فقال الشيخ: "ذلك لعلمه أنّ الكثرة هي سبب جميع الخطايا: الشتيمة والضرب والزنى وبقية

(383) Apoph., Sisoes, 15; W. & W., I: 421; س ٤ ورقة ١٢٥

(384) Apoph., Sisoes, 21; W.& W., I: 264. (385) Apoph., Sisoes, 8; W. & W., I: 74.

(387) Apoph., Sisoes, 2 ; W. & W., I: 85. (٣٨٦) س ٩ رقم ٤٥ ص ١٢٢.

الأوجاع. ولذلك فعلينا أن نتجنب شرب الخمر ليس بسبب الأوجاع فحسب بل وأيضا لأجل ما يجلبه من الانبساط في قلوبنا فيجد الشياطين الفرصـة ليجـذبونا إلى الخطيـة ويحرمونا من الطوبى التي وعد ا ربنا للحزانى. لقد انعزل المتوحدون لينوحـوا في كـل حين ويتعبوا في كل عمل، لأ م بحزنٍ كثير يقدرون أن يحفظوا نفوسهم مـن خـداع الشياطين وكثرة القتالات، فكيف يشربون خمرا كثيرا يفرح قلو م ويفـك ختـومهم ويسقطون في خطايا العلمانيين السكارى"[٣٨٦]؟!

سأل أخٌ أنبا شيشوي: "ماذا أفعل، فعندما أذهب إلى الكنيسة غالبا تكـون هنـاك أغابي بعد الخدمة، وهم يلزمونني أن أشاركهم فيها"؟ فقال له الشيخ: "إنـه لَسـؤالٌ صعب"! حينئذٍ قال له أبرآم تلميذه: "إذا حدث في مجمع يوم السـبت أو الأحـد أن شرب أخ ثلاث كؤوس من الخمر، أليست هذه كثيرة"؟ فقال الشيخ: "إن لم يوجـد فيها شيطان فهي ليست كثيرة"[٣٨٧].

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق فقال: "كان الآباء الأولـون يستصـعبون شرب الخمر جدا، لأنه يجعل الشيوخ كالأطفال عديمي المعرفة ويحرك في الشبان الميل إلى الشهوة الرديئة، والنساك يكرهون ذلك بسبب حرب الزنى الصعب. ولما سـأل أبـرآم معلمه أنبا شيشوي قائلاً: 'إذا شرب أخ في عيد أو يوم أحد مع الآخرين ثلاثة أقـداح فهل هذا كثير يا أبانا'؟ قال له: 'إن كانوا علمانيين ولا تقاتلهم الشياطين فلـيس هـذا بالكثير، وإن كانوا متوحدين وتقاتلهم الشياطين في كل حين فهذا كثير، لأنه إذا كـان الحكماء الذين في العالم يكتفون بثلاثة أقداح فكم بالحري الرهبان'؟! فكل مـن تجـاوز ذلك فقد تجاوز الطقس، والطوباوي بولس الرسول يحذر من ذلك قائلاً: "لا تتعـدوا في شرب الخمر" [لعله يقصد النص: «لا تسكروا بالخمر الذي فيـه الخلاعـة» (أف٥: ١٨)]، وكأنه يقول: "لا تتعدوا على الناموس".

"وأيضا أنبا إشعياء لما كانت هناك أغابي في ا مع وشرب الإخـوة قلـيلاً وبـدأوا يتكلمون انتهرهم لأنّ الشرب يسبب التراخي وعدم التحفظ. أما ذاك الأخ فلأنه كـان ناسكًا فإنه خوفًا من القتال قال له أنبا شيشوي إنّ هذا الفعل فيه تعـب، أي أنـك إذا حضرت ا مع وشربت مع الإخوة تزداد عليك صعوبة القتال، وإن لم تشرب قد يسخر البعض منك، ولكن من أجل ا مع يشرب الإنسان قدحا واحدا أو اثنين، أمـا الثالـث فيرقَص لأجل وجع الشهوة"[٣٨٨].

---

(٣٨٨) س ٩ رقمي ٤٥و ٥٠ ص ١٢٢و ١٢٥.

(389) W. & W., I: 258 ; X, 189.

قال أحد الشيوخ: "ذهبنا مرةً إلى جبل المغبوط أنطونيوس لزيارة أنبا شيشوي، ولما جلسنا للأكل جاء إلينا شاب يطلب صدقة، ولما بدأنا نأكل قال الشيخ: 'اسألوا هذا الشاب إن كان يريد أن يدخل ويأكل معنا'، فلما سأله واحد منا رفض أن يدخل، فقال الشيخ: 'فليعطَ إذًا ليأكل خارجا'. ثم أخرج الشيخ زجاجة خمر كان يحتفظ بها للتقدمة (أي للقداس)، ومزج لكل واحدٍ منا كأسا، ولكنه أعطى للشاب كأسين، فابتسمت وقلت له: 'سأذهب أنا أيضا خارجا لكي تعطيني كأسين من الخمر'. فقال أنبا شيشوي: 'لو كان قد أكل معنا لكان قد شرب نفس الكمية مثلنا وكان قد اقتنع أننا لم نشرب أكثر منه، ولكنه الآن سيقول في نفسه إنّ هؤلاء الرهبان يبهجون أنفسهم أكثر مني. فجيد إذن أن نجعل ضميرنا لا يلومنا في شيء'"[٣٨٩].

سأل أخٌ أحد الشيوخ: "ماذا أفعل لأنني مضطرب بخصوص أعمال يدي؟ إنني أحب صنع الحصر ولكنني غير قادر أن أصنعها هنا"! فقال له الشيخ: "كان أبا شيشوي يقول: 'لا ينبغي أن نعمل العمل السهل علينا، ولكن الذي يناسب المكان، والأخ يجب أن يعمل حسبما تقتضيه معيشته'"[٣٩٠].

سأل أخٌ الأب شيشوي الذي من بترا تلميذ أنبا أنطونيوس: "يا أبي، ماذا تريدني أن أفعل؟ فالإخوة يسخرون مني قائلين: 'أنت تتنزه وعندك محبة الدوران من مكانٍ لآخر ولا تريد أن تثبت ولا أن تعمل بيديك'"! فقال له الشيخ: "إنّ إخوة هذه الأيام إذا وجدونا نحن الشيوخ في زماننا نجري هنا وهناك يسخرون منا قائلين: 'هؤلاء الناس فيهم شيطان'"[٣٩١].

قال لي **أخٌ:** "قال لي الأب إسحق الذي من "هاراهو": لقد زرت أبا شيشوي الذي من بترا تلميذ أنبا أنطونيوس وتوسلت إليه قائلاً: 'قُل لي كلمة لكي أحيا'. فقال لي: 'اذهب واحفظ الأمور الثلاثة الآتية وأنت تحيا، وهي: احتمل الإهانة مثل المديح، والفقر مثل الغِنى، أحب قريبك مثل نفسك، والرب يكون معك ويعطيك قوةً على أعدائك'"[٣٩٢].

---

(390) Apoph., Sisoes, 39 ; W. & W., II: 99. (391) Eth. Coll., 14, 37.
(392) Eth. Coll., 14, 64. (393) P E., IV, 10, 15. (394) P E., IV, 5, 28.
(395) Apoph., Sisoes,24. (396) Ibid., 40;W. & W., I: 311. (397) Ibid., 36; W. & W., I: 490.
(398) Ibid.,20; Apoph., Poemen,12.

سأل أخٌ أبا شيشوي: "كيف أخلص"؟ فقال له الشيخ: "إذا شئت أن ترضـي الله فاهجر العالم وتجرد من الأرض، أُترك المخلوقات واقترب من الخالق، وبواسطة الصـلاة والدموع اتحد بالله فتجد الراحة في الدهر الحاضر كما في الدهر الآتي"[٣٩٣].

توسل أخٌ إلى الأب شيشوي أن يقول له كلمة، فقال له: "أُمكث في قلايتك مراعيا السهر، وألْقِ بنفسك على الله بدموع حارة وأنت تكون في سلام"[٣٩٤].

قيل عن أبا شيشوي إنه عندما كان يمكث في قلايته كان دائما يغلق الباب[٣٩٥].

كان أبا شيشوي يقول: "أُطلب الله وابحث عنه ولكن ليس فقط في المكان الـذي تسكن فيه"[٣٩٦].

سأل أخٌ أنبا شيشوي الذي من بترا عما قاله أنبا شيشوي الصعيدي: "إنـني أقـرأ العهد الجديد ثم أرجع إلى القديم"، فقال له الشيخ: "إنني أضطجع لأنـام في خطايـاي وأ ض قائما في خطاياي"[٣٩٧].

سألوا أبا شيشوي: "إذا أخطأ أخ ألا يجب أن يصنع توبةً لمدة سنة"؟ فأجاب: "إنّ هذا قولٌ صعب". فقال الزائرون: "هل لمدة ستة شهور"؟ فأجـاب: "هـذا مقـدار كبير". فقالوا: "لمدة أربعين يوما"؟ فأجاب: "وهذا أيضا مقدار كبير". فقـالوا لـه: "ماذا إذن؟ إذا أخطأ أخ وكانت الأغابي معدة فهل يجب أن يحضر هو أيضا إلى الأغابي ببساطة"؟ فقال لهم الشيخ: "لا، ولكنه يحتاج أن يصنع توبةً أياما قليلة، إنني أثق في الله أنه إذا صنع مثل هذا الإنسان توبةً بكل قلبه فالله سيقبله حتى خلال ثلاثة أيام"[٣٩٨].

سأل أخٌ أبا شيشوي: "ماذا أفعل يا أبي لأني سقطت"؟ فقال له الشيخ: "ا ـض أيضا". فقال الأخ: "لقد ضت ولكنني عدت فسقطت". فقال الشيخ: "ا ض مـرةً ثانية". فقال الأخ: "إلى متى أيها الأب"؟ فقال له الشيخ: "إلى أن تؤخذ إما في الفضيلة أو في الخطية، لأن الإنسان فيما يوجد فيه ففيه يؤخذ"[٣٩٩].

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "معناه أنـه كمـا يوجـد الإنسان يؤخذ، كما هو مكتوب إنّ اليوم الذي يرجع فيه البار عن بـره ويصـنع إثمًـا فجميع بره الذي صنعه لا يذكر بل يموت موتا في خطاياه، وكذلك إن رجع الأثيم عـن

---

(399) Ibid., 38; W.&W., I: 605;١٤٤ س ٥ ص

(٤٠٠) س٩ رقم ١٧٧ ص٢٧٢.

(401) Eth. Coll., 13, 91.

(402)Apoph., Sisoes, 44.

(403) Ibid., 22; W. & W., I: 262;١٢٥ س ٤ ورقة

(404) Ibid., 6; W. &W., II: 240, 527.

إثمه وصنع برا فإني (أي الرب) لا أذكر له إثمه بل في البر الذي صنع آخذه (أنظر حز١٨: ٢١-٢٤). فعلينا إذن في كل حين أن نرضي الله بأعمال التوبة، وكلما نسقط في خطيةٍ نقوم بحرص لئلاّ يدركنا الموت في السقوط بغير توبةٍ فنسلم إلى العقوبة الأبدية"[٤٠٠].

قال لي **أخٌ:** "سمعت أنبا شيشوي يقول: 'أليس من العجيب أنهم يأتون إلى هنا في هذه الأيام ويسألوننا قائلين: كيف نستطيع أن نجعل أجسادنا طاهرةً وبالأكثر قلوبنا'؟ وأنا بدوري سألته: 'كيف إذن يا أبي يستطيع الإنسان أن يحفظ قلبه'؟ فقال الشيخ: 'اذهب واحفظ نفسك واضبط ميولك الجسدانية، وحينئذٍ لن يعوز قلبك شيء'"[٤٠١].

سأل أخٌ أنبا شيشوي: "ماذا أفعل بخصوص الأوجاع"؟ فقال الشيخ: "كل واحدٍ يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته" (يع١: ١٤)[٤٠٢].

سأل أنبا يوسف أنبا شيشوي: "كم من الزمن يحتاج الإنسان إلى قطع الأوجاع (الأهواء)"؟ فأجابه الشيخ: "مجرد أن يهاجمك الوجع اقطعه في الحال"[٤٠٣].

سأل أخ أبا شيشوي: "لماذا لا تفارقني الأوجاع"؟ فقال له الشيخ: "إنّ وسائلها (أو عللها) في داخلك، فاقطعها عنك وهي سوف ترحل"[٤٠٤].

ذهب يوما ما بعض الآريوسيين ليروا أبا شيشوي في جبل أنبا أنطونيوس، وبدأوا يتكلمون ضد الإيمان الأرثوذكسي، فلم يجبهم الشيخ ولكنه قال لتلميذه: "أحضر لي كتاب القديس أثناسيوس واقرأه". فلما افتضحت هرطقتهم سكتوا، ثم أطلقهم بسلام[٤٠٥].

سأل أخ أبا شيشوي: "إنني قلق يا أبي لأنني أبحث عن شيءٍ للثالوث القدوس ولا أجد". فقال: "تأمل في أنّ الآب يشبه قرص الشمس والابن يشبه الشعاع والروح القدس يشبه الإشراق (أو الانبثاق)، وكما أنك لا تستطيع أن تدرك علو الشمس ولا أن تلمس الشعاع ولا أن تستقصي هذا الإشراق، فبالأحرى أيضا لا يمكنك أن تدرك الثالوث، لأنّ تلك الصورة هي مجرد خادم (لخالقها)، وهي إحدى مخلوقات الثالوث الصغيرة". فلما سمع الأخ ذلك مجد الله ووجد راحة[٤٠٦].

في **أحد الأيام** ترك أبا شيشوي جبل أنبا أنطونيوس (عند بسبير) ليذهب إلى الجبل الخارجي (عند البحر الأحمر) واستقر هناك. وكان بعض الميليتيين (أتباع ميليتيوس

---

(405) Ibid., 25.

(406) Arm., II: 149.

(407) Apoph., Sisoes, 48.

الأسيوطي المنشق عن الكنيسة) يعيشون في قلمون في أرسينيوي (نواحي الفيوم). وإذ سمع بعض الناس بذهاب الشيخ إلى الجبل الخارجي أرادوا أن يروه ولكنهم قالوا: "ماذا نفعل لأن الميليتيين في الجبل؟ نحن نعلم أن الشيخ لا يتضرر منهم، ولكننا نخاف لـئلاّ نقـع في تجربةٍ مع هؤلاء الهراطقة بينما نحن نريد أن نقابل الشيخ". ولـذلك فحـتى لا يقـابلوا الهراطقة لم يذهبوا ليروا الشيخ(٤٠٧).

سأل أخٌ أبا شيشوي: "إذا سرنا في طريق وضل قائدنا الطريق فهل ينبغي أن ننبهـه"؟ فأجابه الشيخ: "لا". فقال له الأخ: "هل نتركه إذن يضلّ بنا الطريق"؟ فقال له الشـيخ: "وماذا إذن، هل تأخذ عصا وتضربه ا؟ إنني أعرف بعضا من الإخوة كانوا سائرين وضل قائدهم الطريق طوال الليل، وكانوا اثنا عشر أخا، وعلموا كلهم أ م كانوا تائهين، وصارع كل واحدٍ مع نفسه أن لا يقول له ذلك. ولما طلع النهار تحقق القائد أ م كانوا تائهين وقال لهم: 'اغفروا لي فقد ضللت الطريق'. فقالوا له كلهم: 'لقد علمنا ذلـك ولكننـا آثرنـا السكوت'! فلما سمع ذلك تعجب جدا وقال: 'إنّ الإخوة يضبطون أنفسهم من الكلام حتى إلى الموت'، وأعطى مجدا لله. وكانت المسافة التي ضلوها من الطريق اثنا عشر ميلاً"(٤٠٨)!

وقال أيضا: "عندما يكون لك إنسان يعتني بأمورك فلا تعطِه أوامر"(٤٠٩).

وقال أيضا لأحد الإخوة: "كيف حالك"؟ فأجاب: "إنني أضيع وقـتي يـا أبي". فقال الشيخ: "إذا حدث أنني ضيعت يوما من أيامي أكون شاكرا (أي بلا هم)"(٤١٠).

جاء البرابرة مرةً و بوا أبا شيشوي هو وأحد الإخوة أيضا، ولما جاعـا خرجـا في البرية ليبحثا عن شيء يأكلانه، ولما كانا بعيدين عن بعضهما وجد أنبا شيشوي بعضا من حبوب الشعير، فأكل بعضها ووضع البعض الآخر في يده، فجاء الأخ ووجده يأكل فقال له: "أهذه محبة أنك تجد طعاما وتأكله وحدك ولا تدعوني"؟ فقال له أبا شيشوي: "أنا لم أخنك يا أخي، هذا هو نصيبك احتفظت به لك في يدي"(٤١١).

قال أبا شيشوي الذي من بترا تلميذ أنبا أنطونيوس: "إذا فعل الإنسان الصلاح فهو يقترب بسفينته من الميناء الصالح"(٤١٢).

---

(408)Apoph., Sisoes,30;W.&W.,I:201;١٧٠ س٥ ص (409) Apoph.,Sisoes, 29. (410) Ibid., 54.
(411) Ibid., 31; W. & W., I: 267.

(412) Eth.Coll.,14, 28.(413) Apoph., Poemen, 82. (414)Apoph.,Sisoes,41;W.& W.,II: 139.
(415)Apoph.,Sisoes,11;W. & W.,II:69;١٧٠ س٥ ص
(416) W. & W., I: 84. حيث إن الشياطين لا يمكنها أن تسيطر على إنسان إلاّ إذا وجدت فيه ميولاً تناسبها.
(417) W. & W., I: 115; Apoph., Sisoes, 27.

قال أنبا بيمين: "إنّ أنبا شيشوي قال: 'يوجد نوع من الخجل يحتوي على نقص في المخافة يستحق الملامة'"(٤١٣).

قال أبا شيشوي: "الخزي وقلة المخافة يقودان دائما إلى الخطية"(٤١٤).

وسأله أخ: "أترى هكذا كان الشيطان يضطهد القدماء"؟ أجابه الشيخ: "بـل إنـه اليوم يضطهد أكثر لأن زمانه قد قرب وهو قلق لذلك"(٤١٥).

وسأله أخ آخر: "ماذا أنتفع من ذهابي إلى الكنيسة، لأنّ الشياطين دائما تضـبطني بالأفكار وتمسكني ا"؟ فقال له الشيخ: "يوجد في الأمر عملٌ ما"(٤١٦).

كان أبا شيشوي جالسا في قلايته يوما ما، فقرع تلميذه على الباب، فصاح الشيخ نحوه قائلاً: "اذهب يا أبرآم لا تدخل لأنني منذ الآن ليس عندي وقت لأمور هذا العالم"(٤١٧).

سأل إخوةٌ شيخا عن سبب ما قاله القديس في القول السابق، فقال الشيخ: "في ثلاثة أوقات لا يدع الآباء تلاميذهم يدخلون إليهم: الأول: الوقت الذي فيه تختطف عقولهم في أعاجيب الله، والثاني: عندما يكون ذهنهم شاخصا في ذكر الله، والثالـث: عنـدما يكونون محاربين بقتالٍ صعب من الشياطين بالفكر أو بالنظر".

"أما أولاً وثانيا عندما تختطف عقولهم، فهم لا يشعرون بتلاميذهم إذا دخلوا إليهم كما حدث مع أنبا سلوانس إذ دخل تلميذه إليه مرات كثيرة وكان فكـره مختطفًـا إلى السماء وهو ينظر مجد الله، فلم يشعر به لمدة تسع ساعات لأنه كان مسبيا من ذلك المنظر العجيب. ويحدث كثيرا عند انخطاف أفكارهم أ م يشعرون بمن يدخلون إليهم ولكنهم يريدو م ألاّ يبطئوا عندهم حتى لا يعوقوهم عن ذلك النعيم، كما حدث مع القـديس يوحنا القصير عندما جاء إليه أخ ليأخذ المقاطف، فخرج إليه وأجابه ثم نسي، وهكـذا أكثر من مرة، وأخيرا قال له: 'إن كنت تريد أن تأخذ مقاطف فخذ ما تريده لأنني لست متفرغًا لك في هذه الساعة'. ومرةً أخرى بل ضفيرةً ليعمل منها مقطفين فخاطها قفّـةً واحدةً ولم يعلم حتى انتهت الضفيرة لأن فكره كان مسبيا في منظرٍ إلهي".

"أما ثالثًا، عندما يكون القديسون محاربين بقتال الفكر أو بالحواس، فهم لا يريـدون أن يدخل إليهم تلاميذهم لئلاّ يتعوقوا عن الحرب. فأنبا شيشوي، عندما طرق تلميـذه الباب عليه كان محاربا بإحدى هذه القتالات لذلك منعه من الدخول"(٤١٨).

---

(٤١٨) س ٩ رقم ٥٥ ص ١٣٠.

(419) W. & W., I: 261 ; Apoph., Poemen, 88, 89.

سأل أخٌ أنبا بيمين: "هل يمكن لإنسان أن يضبط كل الأفكار ولا يعطي أي واحـدٍ منها للعدو"؟ فقال له الشيخ: "يوجد من يعطي للعدو عشرة أفكار ويضبط فكرا واحدا، والبعض الآخر يعطي واحدا ويضبط عشرة".

ثم أخبر أخ أنبا شيشوي عن قول أنبا بيمين هذا فقال: "هناك البعض لا يعطون ولا حتى فكرا واحدا للعدو"[٤١٩].

روى لنا أبا أبوللون تلميذ الأب شيشوي قائلاً: "في بداية إقامتي عند أنبا شيشـوي كنت مقاتلاً لمدة ٣ سنوات بالأوجاع دون أن أبوح ـا للشيخ. وبصفةٍ خاصة كنـت محاربا من الكذب والاغتياب وا ـد الباطل. ولم يكف الشيخ عن توبيخي، ولكن قتـالي الرئيسي كان بخصوص الكهنوت مما كان يجعلني أحلم أنني أُرسم أسـقفًا. وظـلّ الأب شيشوي يحذرني ويؤنبني حتى إنني اضطربت وهربت منه ذاهبا إلى الإسكندرية عند أقاربي بقصد أن أُرسم كاهنا في كنيسة مار مرقس".

"وفي طريقي رأيت شخصا ضخما عريانا بالكلية ولونه أسـود ومنظـره مرعـب، وأعضاؤه هزيلة بشكلٍ غير عادي ومخيف، بدون ركب، هيئته قبيحة، له مخالـب مـن حديد وعيون من نار، ويشبه الخنـزير في شكله العمومي، خنثوي (أي بدون جنس)، ذا بشرةٍ سوداء، شفتاه غليظتان، متخذًا ثديي امرأة وخصيتين كبيرتين، وجسمه يشبه جسم حمار وحشي. وقد ارتعبت من منظره فرشمت علامة الصليب، ولكنـه اقتـرب مـني واحتضنني وقبلني عدة مرات وقال لي: "لماذا ترشم نفسك ولماذا ـرب مـني؟ أنـت بكليتك لي وتبدو بالحقيقة حبيبا لي لأنك تصنع مشيئتي، ولذلك فها أنا قد جئت للقائك لكي أرافقك حتى أصنع وأكمل رغباتك، ولهذا السبب أيضا أنا مخنث، وما هو قـدامي أقدمه للكذّابين والحلاّفين والمفترين، وما ورائي أسلمه للمغترين بأنفسهم والمتعجرفين"!

"لم أحتمل رائحة نتانته ورفعت عيني إلى السماء صارخا: 'يا رب، بصـلوات أنبـا شيشوي أنقذني من هذه المحنة'. وللحال تراءى لي مثل امرأة جميلة في عـز شـبا ا، وإذ كانت عريانة قالت لي: 'أشبع شهواتك إذ أنك قد أرضيتني جدا ... ولكن حيـث إنّ صلوات الشيخ أبعدتني عنك فها أنا أهرب'. ولما نطقَت ـذه الكلمـات اختفـت. وإذ رجعت إلى صوابي عدت إلى الشيخ وارتميت تحت رجليه ورويت له وللإخوة ما حدث لي، وإذ صليت مكثت معه بعد ذلك على الدوام"[٤٢٠].

---

(420) J.,729. (421) Pa,11, 6. (422) Apoph., Sisoes, 7; W.& W., I:8; س ٥ ورقة ١٦٩

قال الأب شيشوي: "الذي يعمل ويفكر أنه عمل شيئًا يأخذ مكافأته في هذه الدنيا"[٤٢١].

عندما كان أبا شيشوي ساكنا في جبل أنبا أنطونيوس حبس نفسه مرةً في قلايته ومنع خادمه من المجيء إليه عشرة أشهر لم يبصر فيها إنسانا، وبينما كان يتمشى في الجبل ذات يوم وجد إنسانا أعرابيا يتصيد وحوشا في البرية، فقال له الشيخ: "من أين جئت؟ وكم لك من الزمان ههنا"؟ فقال له الرجل: "صدقني يا راهب إنّ لي في الجبل أحد عشر شهرا لم أر فيها أحدا غيرك". فلما سمع الشيخ ذلك دخل قلايته وقرع صدره قائلاً: "يا شيشوي، لا تظن أنك صنعت شيئًا لأنك لم تصنع بعد مثل هذا العلماني"[٤٢٢].

سأل إخوةٌ شيخا عن صياد الوحوش الذي رآه أنبا شيشوي إن كان إنسانا أم ملاكًا، فقال الشيخ: "أظنه ملاكًا، لأنه من المستغرب أن يظلّ صياد علماني زمانا هذا مقداره لا يرى فيه إنسانا. إنّ تلميذ أنبا شيشوي الذي كان يخدمه تأخر عليه عشرة أشهر فلم يبصر فيها إنسانا، لذلك وجد الشيطان فرصةً لأن يقاتله بالافتخار، ولكن الله المهتم بقديسيه أمر أحد الملائكة أن يتشبه بإنسان ليبكته ويمنعه من الكبرياء، ولذلك دخل القديس قلايته ولطم على وجهه قائلاً: 'يا شيشوي، كنت تظن أنك فعلت شيئًا، ولكنك لم تفعل حتى مثل هذا العلماني'. وهذا اهتمام من الله بمحبيه ليعلمهم الاتضاع ويرفعهم إلى فوق لأنّ «من يضع نفسه يرتفع» (مت٢٣: ١٢)"[٤٢٣].

سأل أحد الآباء أبا شيشوي: "إذا جاء أحد البرابرة في البرية لكي يقتلني وكنت أنا أقوى منه أينبغي أن أقتله"؟ فقال له الشيخ: "لا، أُتركه لله، في الحقيقة إنه مهما كانت التجربة التي تأتي على الإنسان فليقُل: إنّ هذا حدث لي بسبب خطاياي، وإذا حدث له شيء حسن فليقُل: هذا من قِبل عناية الله"[٤٢٤].

ذهب أبا أبرآم تلميذ أنبا شيشوي يوما ما في مهمةٍ، وفي غيبته لم يكن الشيخ يريد أن يخدمه أي أحدٍ آخر قائلاً في نفسه: "أيجب أن أجعل أي إنسان آخر غير أخي يعتاد علي"؟ فكان يرفض حتى يرجع تلميذه ويتقدم للعمل الشاق[٤٢٥].

قال أنبا شيشوي: "بالنميمة أغوت الحية حواء وأخرجتها من الفردوس وآدم معها،

---

(٤٢٣) س٩ رقم ١٢ص٩٠.
(424) Apoph., Sisoes, 34; W.& W., I: 382; س ٤ ورقة ١٢٥
(٤٢٦) س ٤ ص ١٤٧. (٤٢٧) الميمر الثلاثون لأنبا إشعياء ؛ س ٤ ص ١٤٨. (425) Apoph., Sisoes, 46.
(428) W. & W., II: 332. (429) Ibid., 330. (430) Apoph., Tithoes, 2.
(431) Apoph., Sisoes, 42. (432) W. & W., I: 48. (433) Apoph., Sisoes, 50.

هكذا نظير الحية تماما من يقع في صاحبه فإنه يهلك من يسمعه ونفسه لا تنجو"[٤٢٦].

سأل أخ أنبا شيشوي: "يا أبي، ما هي الغربة"؟ فقال: "اقتنِ السكوت، وقُلْ في كل أمرٍ: 'من أكون أنا؟ وما شأني بذلك'؟ ولا تخالط أحدا من الذين هم في موضع سكناك في أمرٍ من الأمور. هذه هي الغربة"[٤٢٧].

وسألته أنا أيضا: "في أي شيء تكمن قوة الغربة"؟ فقال لي: "أينما تسكن تمسك بالسكوت، وأي شيء تراه لا تقُل عنه شيئًا سواء كان جيدا أو رديئًا. وإذا سمعت أي شيء من إنسان لا يوافق سيرة الحياة النسكية المستقيمة فقُل: 'هذا لا يخصني، ينبغي أن أكون فيما يخص نفسي ونفسي فقط'. هذه هي الغربة"[٤٢٨].

وقال أيضا: "تكمن الغربة في الإنسان الذي يعيش في حياة سكون وعزلة"[٤٢٩].

وكان أنبا شيشوي يقول: "الغربة تعني أن الإنسان ينبغي أن يضبط لسانه"[٤٣٠].

سأل أخٌ أنبا شيشوي: "ماذا علي أن أفعل"؟ فقال له: "إنك تحتاج إلى قدرٍ كبير من السكون والاتضاع، لأنه مكتوب: «طوبى لجميع منتظريه» (إش٣٠: ١٨)، لأنهم هكذا يستطيعون أن يثبتوا"[٤٣١].

وقال أيضا: "جيد للإنسان أن يلزم قلايته، وإذا احتمل بصبرٍ فسيجد بركات من كل صنف"[٤٣٢].

قيل عن أنبا شيشوي إنه عندما جاء إلى القلزم رقد مريضا، وبينما كان جالسا مع تلميذه في قلايته قرع واحد على الباب، ففهم الشيخ وقال لتلميذه: "يا أبرآم، قُلْ للذي يقرع: أنا شيشوي على الجبل وأنا شيشوي على فراشي". فلما سمع القارع ذلك اختفى[٤٣٣].

كان الأب شيشوي جالسا يوما ما في كليسما يفكر ويتأمل، ثم قال لتلميذه: "اِسقِ النخل يا ابني". فقال له: "ولكننا في القلزم يا أبي"! فقال له الشيخ: "ماذا أفعل هنا في القلزم؟ خذني إلى الجبل مرةً ثانية"[٤٣٤]!

قال أبرآم تلميذ أنبا شيشوي لأبيه: "إنك يا أبي قد شخت، فهلم نذهب إلى مكان أقرب إلى الريف". فقال له الشيخ: "لنذهب يا ابني إلى مكان لا توجد فيه امرأة". فقال

(434)Apoph., Tithoes, 5.

(435)Apoph., Sisoes, 3 ;W. & W., I: 375;١٤٦ س ٤ ورقة

له التلميذ: "وأي موضع لا توجد فيه امرأة إلاّ البرية"؟ فقال الشيخ: "خذني إذن يا ابني وادخل بي إلى داخل البرية"[٤٣٥].

جاء أبا آمون الذي من "رايثو" في أحد أيام فصل الشتاء إلى كليسما (القلزم) ليقابل أبا شيشوي، فلما رأى أن الشيخ كان حزينا لأنه ترك البرية، قال له أبا آمـون: "لمـاذا تحزن على ذلك أيها الأب؟ ماذا يمكنك أن تفعل في البرية وأنت الآن قد شخت"؟ فنظر إليه أبا شيشوي نظرةً حادة وقال: "ماذا تقول لي يا أبا آمون؟ أليست حرية الفكـر في البرية هي أفضل لنا"[٤٣٦]؟

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "إنّ أبا شيشوي كان شيخا عظيما وكاملاً، وسكن كل أيام حياته في البرية المنعزلة، ولما صار شيخا وضعف جـدا أحضره الآباء إلى دير الإخوة الذين اعتادوا أن يأتوا إليه لزيارته كل يوم لأجل حـديثٍ نافعٍ لهم ولأجل صلاة تعينهم. ولأنه لم يكن معتادا أن يشعر بالراحة في حضرة كـثيرين فقد بدأ فكره يجول في تذكر الإخوة وفي تأمل أمور كثيرة، ولم يكن قادرا أن يجد الحرية المهيمنة على استمرار صلاة الفكر السرية التي تفوق أي تأثير يسبب طياشة الفكر والـتي هي حرة من أي جاذبيةٍ أخرى، ولذلك كان فعلاً حزينا بحق".

"وذهب في أحد الأيام أنبا آمون لزيارته فوجد أنه حزين على مجيئه من البرية، فقال له: 'أيها الأب، ليس جيدا لك أن تحزن لأنك اقتربت من مكان سـكنى الإخـوة، لأنّ جسدك صار ضعيفًا ولم تعد قادرا على القيام بتلك الأعمال التي تريدها في البرية'. فلما سمع أنبا شيشوي هذا الكلام نظر إلى أبا آمون بحدةٍ وأجابه بغضبٍ قائلاً: 'ما هذا الذي تقوله لي يا أبا آمون؟ ألم تكن حرية الأفكار التي كانت لي في البرية كافيـةً لأن تأخـذ مكان جميع الأعمال؟ وفيما يخصك أنت أيضا يا آمون الذي تدرك الحياة ونتائج حريـة الفكر، والذي لست خاضعا للاضطرار إلى تجـوال الفكـر واضـطرابه ولا تعوقـك الشيخوخة أو الضعف، أخبرني ماذا يمكنك أن تفعل في البرية في السن المتقدمة؟ وحتى إذا كنت أنا غير كفء لأعمال الجسد لأنني صرت ضعيفًا بسبب شيخوختي، فعندي مقدرة أكثر على إتمام أعمال الفكر مما كنت في رجولتي المبكرة'".

"'أو ربما في رأيك أنّ توقد الذهن ونقاوة العقل الذي يتطلّبه الراهب بواسطة حيـاة التأمل في السكون، والحديث المتواصل مع الله، والصلاة التي بلا انقطاع، وتذكر المسيح

---

(436) Apoph., Sisoes, 26; W. & W., I: 4.

والشخوص المستمر فيه، ورفع النفس إليه، ونعمة حبه، والتعلق بوصـايا، والرغبـة في أموره الصالحة، والتأمل في مجده، والتفكر في سموه وجلاله، والتعجب من اتضـاعه ... ألعل هذه أمور صغيرة أو تافهة؟ إنّ كل أعمال الذهن هذه وغيرها الكثير مما يشـبهها لا تعوقها الشيخوخة أو الضعف، ولكنها يمكن أن تمتنع وتقلّ وتباد بالتدريج بالحديث مـع بني البشر وبرؤية الكثيرين وبالاهتمام بأمور عالمية‘“[٤٣٧].

سأل أخٌ أنبا شيشوي: ”لماذا تركت الأسقيط حيث عشت مع الأب مكاريوس والأب أور وجئت إلى هنا“؟ فقال الشيخ: ”عندما بدأ الأسقيط يزدحم سمعت أنّ أنبا أنطونيـوس قد رقد، فجئت إلى هذا الجبل، ولما وجدت المكان هادئًا سكنت هنا قليلاً من الوقـت“. فقال له الأخ: ”كم من الزمن لك هنا“؟ فقال له الشيخ: ”اثنان وسبعون سنة“[٤٣٨]!!

قال أنبا شيشوي يوما ما عن نفسه: ”ثقوا أنّ لي ثلاثين سنة لم أُصـلِ إلى الله عـن أخطائي، بل كنت أُصلي قائلاً: [يا ربي يسوع أنقذني من لساني]، ولا زلت حـتى الآن كل يوم أسقط بسبب لساني وأُخطئ“[٤٣٩].

سألت أبي أنبا شيشوي الذي من بترا والذي كان تلميذًا لأنبا أنطونيوس قائلاً: ”يا أبي، ما الذي يوافق الراهب“؟ فوضع أصابعه على فمه وقال لي: ”احفظ فمك يا ابني“[٤٤٠].

قال شيخ: ”سألت أنبا شيشوي: ’هل الهروب نافع للراهب‘؟ فوضع أصبعه على فمه وقال: ’إن حفظت نفسك من هذا، يا ابني، فهذا هو الهروب‘“[٤٤١].

يحكى عن أنبا شيشوي أنه عندما كان يقف ويرفع يديه للصلاة فإذا لم يخفضـهما سريعا كان عقله يختطَف عاليا، ولكن إذا تصادف وجود أحد الإخوة معه فكان يخفض يديه بسرعة حتى لا يختطَف عقله ويصير وحده يصلي لمدة طويلة منفردا[٤٤٢].

بينما كان أنبا شيشوي جالسا مرةً مع أحد الإخوة تنهد دون أن يشعر لأنّ فكـره كان مسبيا وقت الظهيرة، ثم اعتذر لهذا الأخ قائلاً: ”سامحني يا أخي أنني تنهدت أمامك مما يثبت أنني لم أصر بعد راهبا“[٤٤٣].

---

(٤٣٧) س ٩ رقم ١١ ص ٨٩؛ W. & W., II: 660   (438) Apoph., Sisoes, 28; W.& W.,I :11.
(٤٤١) س ٤ ورقة ١٢٠.   (440) Eth. Coll., 13, 73.   (439)Apoph., Sisoes, 5; س ٤ ورقة ١٤٦
(442) Apoph., Tithoes, 1; W.&W., I: 111.
(443) Apoph., Tithoes, 6; W.&W., I: 378.   (444) Apoph., Sisoes, 9 ; W. & W., II: 306.

ذهب أحد الإخوة ليرى أنبا شيشوي في جبل أنبا أنطونيوس، وبينما كانوا يتكلمون قال الأخ لأبا شيشوي: "ألم تصل بعد إلى درجة أنبا أنطونيوس أيها الأب"؟ فأجاب الشيخ: "لو كان لي ولو فكر واحد مثل أنبا أنطونيوس لكنت قد صرت كلي كالنار، ولكنني أعرف إنسانا يمكنه بصعوبةٍ أن يحمل أفكاره (أي له أفكار أنبا أنطونيوس)"[٤٤٤] [يبدو أنه كان يقصد نفسه على رأي البعض أو يقصد أنبا مقار الكبير على رأي البعض الآخر].

سأل إخوةٌ القديس فيلوكسينوس عن معنى القول السابق، فأجابهم: "كان لأنبا شيشوي عادةٌ أنه كلما سئل عن أمرٍ يكون فيه تعظيم لنفسه كان أولاً يضع نفسه وينقص من ذاته ويحقر من كلامه وأعماله، وحينئذٍ يجيب عن السؤال. فهو هنا لما سألوه أظهر بكلامه أنه ناقص عن أنبا أنطونيوس كثيرا، ثم في آخر كلامه كشف عن كماله وكأنه يتكلم عن شخصٍ آخر كما فعل الطوباوي بولس لما قال: «أعرف إنسانا في المسيح ...» (٢كو١٢: ٢)، كما أنه جاء بمثلٍ يلائم كمال المتوحد في تدبير الذهن بذكر علو أفكار القديس أنطونيوس"[٤٤٥].

سأل أبا آمون الذي من "رايثو" أبا شيشوي قائلاً: "عندما أقرأ في الكتاب المقدس يريد فكري أن يرتب الكلام لكي أُجيب على أي سؤال"! فقال له الشيخ: "هذا ليس ضروريا، فمن الأفضل أن تغني نفسك بنقاوة الروح، وأن تكون بلا هم، ثم بعد ذلك تتكلم"[٤٤٦].

جرب مرةً أبرآم تلميذ أنبا شيشوي من الشيطان، ورأى الشيخ أنه قد انهار، ففي الحال انتصب وبسط يديه نحو السماء قائلاً: "يارب، لن أتركك حتى تشفيه". وفي الحال شفي أبرآم[٤٤٧].

ذهب مرةً رجلٌ علماني إلى أنبا شيشوي في جبل أنبا أنطونيوس وكان ابنه معه، وبينما كانا في الطريق مات ابنه، فلم يضطرب الرجل ولكنه حمله وأحضره بإيمانٍ إلى الشيخ، وجاء بابنه وسقط أمامه على ركبتيه كما لو كان يتوسل إليه أن يباركهما. ثم خرج الأب وترك ابنه الميت تحت قدمي الشيخ، ولم يكن الشيخ يعلم أنه ميت، ولكنه ظن أنه كان يتضرع ويتوسل إليه. فقال له: "قم واذهب". وفي الحال وبدون تأخير نهض الصبي وخرج ذاهبا إلى أبيه الذي لما رآه تعجب. ثم أخذه أبوه ودخل وانحنى للشيخ وأخبره بالأمر، فلما سمع الشيخ ذلك اضطرب لأنه لم يكن يرغب في حدوث ذلك بسبب مديح الناس. ثم أمرهما تلميذه أن

(٤٤٦) س ٩ رقم ٢٦٠ ص ٣٧٠.

(445) Apoph., Sisoes, 17; W. & W., II: 496.
(447) Ibid., 12 ; Ibid., I: 413.

لا يخبرا أحدا بهذه القصة حتى يوم وفاة الشيخ[٤٤٨].

قيل عن أنبا شيشوي إنه بينما كان جالسا مرةً صاح بصوتٍ عالٍ: "يا خسارة! يا لضعفي"! فقال له تلميذه: "ماذا ألمّ بك يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "أردت أن أتكلم مع إنسان (كان يراه) ولكنني لم أستطع"[٤٤٩]!

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فأجابهم: "في تدبير الوحدة بعد الأعمال والجهاد الكثير يتنقى قلب الإنسان ويستنير بالصلاة وتعبر عنه الأوجاع في وقت الشيخوخة، فيصل إلى الطهارة والنقاوة الداخلية (حتى إنه يرى أشخاصا سماويين، وربما يعبرون سريعا فلا يمكنه أن يتكلم معهم). ولكنه في أوقاتٍ أخرى تتسلّح الشياطين ضده وتتعبه كثيرا: تارةً بالأفكار وأخرى بالخوف ومرةً ثالثةً بالجلد، وذلك ليس بآلام الفكر كما في زمانه السابق بل بأفكار مضادة للمعرفة الروحانية. فأنبا شيشوي في ذلك الوقت صرخ من ضيقة جهاده لأن الشيطان قام عليه، فمن كثرة متاعبه له صرخ في الحال بصوتٍ عالٍ، وهذه الحروب تطلَق أحيانا على الكاملين الأطهار بتدبيرٍ إلهي حتى يذكروا ضعف طبيعتهم ولا يتكبروا لعظم فضيلتهم ولكثرة المواهب التي ينالونها"[٤٥٠].

سأل أخٌ أنبا شيشوي أن يقول له كلمة، فقال: "لماذا تطلب كلاما؟ اصنع مثلما ترى"[٤٥١].

كان أبا ماطويس يقول عن أنبا شيشوي: "لا يستطيع أحد أن يتكلم ضده لأنه مثل ذهبٍ نقي في الميزان هكذا كان أبا شيشوي"[٤٥٢].

قيل إنه عندما كان الشيوخ مرةً جالسين مع أنبا بيمين وكانوا يتحدثون عن بعض الآباء، سألوا بعضهم بعضا إن كانوا يذكرون أنبا شيشوي. فقال أنبا بيمين: "كُفوا عن الكلام عن أنبا شيشوي لأنه قد فاق كل المقاييس والسير"[٤٥٣]!

هذا ما قيل عن الأب شيشوي عندما صار مريضا ومشرفًا على الموت: إنّ الشيوخ كانوا جالسين بجواره، وتكلّم هو مع البعض منهم، فقالوا له: "ماذا ترى يا أبانا"؟ قال لهم: "إنني أرى كائنات آتية نحوي، وأنا أتوسل إليهم أن يتركوني قليلاً لكي أتوب". فقال له أحد الشيوخ: "وحتى إذا أعطوك مهلةً فهل يمكنك وهل عندك الآن قوة أن

---

(448) Ibid., 18; W. & W., I: 616.
(449) Ibid., 47; Ibid., II: 107.
(٤٥٠) س ٩ رقم ٢٢١ ص ٣٢٥. وربما كان الذي ظهر للقديس ملاك أو قديس أراد أن يكلمه!
(451) Apoph., Sisoes, 45 ; W. & W., I: 260; س ٤ ورقة ١٢٥
(452) Apoph., Tithoes, 4.
(453) Apoph., Poemen, 187 ; W. & W., II: 95.

تربح هذه الفرصة وتصنع توبة"؟ فقال له الشيخ: "إذا كنت لا أقدر أن أفعل ذلك فعلى الأقل يمكنني أن أتنهد قليلاً على نفسي وهذا يكفيني". فقال له الشيوخ: "إنّ توبتك قد كملت أيها الأب". ولكن الشيخ قال لهم: "صدقوني إنني لست أعرف إن كنت قد بدأت حتى الآن"!

ثم رأوا وجهه قد أضاء مثل الشمس، وقال لهم: "أنظروا، ها أنبا أنطونيوس قادم". وبعد قليل قال: "أنظروا، ها خورس الأنبياء قادم". ثم أضاءت هيئته بلمعانٍ وقال: "أنظروا، ها خورس الرسل آتٍ". ثم ازدادت هيئته لمعانا وسمِع يتكلم مع شخصٍ ما، فسأله الشيوخ: "مع من تتكلم أيها الأب"؟ فقال: "أنظروا، إنّ الملائكة قادمون ليأخذوني"! ومرةً أخرى صارت هيئته كالشمس، فخاف كل الجالسين حوله، وفي الحال قال لهم: "أنظروا، ها ربنا قد جاء وهو يقول: [ائتوني بتائب البرية الإناء المختار]"! ولوقته سلّم الروح، فرأوا ضوءًا كالبرق، وامتلأت كل القلاية من رائحةٍ زكية(٤٥٤)!!

(١٠) قصص وأقوال القديس الأب سلوانس

أضاف أحد الأديرة مرةً الأب سلوانس ومعه تلميذه زكريا، فقدموا لهما طعاما ليأكلا قليلاً قبل انصرافهما. ولما خرجا وجد تلميذه ماءً في الطريق وأراد أن يشرب، فقال له الشيخ: "يا زكريا، اليوم صوم". فقال التلميذ: "ألم نأكل الآن يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "لقد أكلنا من أجل المحبة، أما الآن فلنحفظ صومنا يا ابني"(٤٥٥).

ذهب أخٌ ليبيٌ (من ليبيا) إلى الأب سلوانس يوما ما في جبل "بنيفو" وقال له: "يا أبي، لي عدو عمل بي شرورا كثيرة، لأنه سرق حقلي عندما كنت في العالم، وكثيرا ما نصب لي فخاخا، وها هو قد استأجر أناسا لكي يسموني، وأريد أن أسلمه للحاكم". فقال له الشيخ: "اِفعل ما يريحك يا ابني". فقال الأخ: "أليس أنه، يا أبي، إذا عوقب ستكون لنفسه بالتأكيد منفعةٌ عظيمة"؟ فقال الشيخ: "اِفعل كما يبدو لك يا ابني". فقال الأخ للشيخ: "قدم لأجلي صلاة، يا أبي، وأنا ذاهب إلى الحاكم". فنهض الأب وصلّيا الصلاة الربانية، ولكنه قال: "لا تغفر لنا ذنوبنا كما لا نغفر نحن أيضا للمذنبين

(454) Apoph., Sisoes, 49, 14; W. & W., I: 140, II: 109; س ٤ ورقة ١٢٦
(455) Apoph., Silvanus, 1; W. & W., I: 96; D. F., p. 136: xlvi; س ٤ ص ١٢٦

إلينا". فقال الأخ: "لا تقُلْ ذلك يا أبي". ولكن الشيخ قال: "هكذا يكون الأمر يا ابني، ففي الحقيقة إن كنت تريد أن تذهب إلى الحاكم لكي تنتقم لنفسك، فإنّ سلوانس لن يقدم صلاة غير هذه لأجلك"! فصنع الأخ ميطانية وغفر لعدوه[٤٥٦]!

قيل عن أبا سلوانس إنه كان يظلّ في قلايته مختفيا، وكانت عنده بعض حبوب البسلّة الجافة، فصنع منها مائة عقد لكي يحصل منها على طعامه. ثم جاء إنسانٌ من مصر ومعه جحش محملٌ بالخبز، فقرع الباب ودخل وأنزل الخبز في القلاية، فأخذ الشيخ العقود التي صنعها وحملها الجحش ثم صرفه (حتى يأكل خبزه بتعب يديه)[٤٥٧].

قيل إنّ أبا زكريا تلميذ الأب سلوانس أخذ معه بعض الإخوة، وبدون علم الأب سلوانس نقلوا سياج الحديقة من مكانه فوسعوا الحديقة. ولما علم الشيخ أخذ رداءه الجلدي وخرج قائلاً للإخوة: "صلوا لأجلي". فلما رأوا ذلك ألقوا بأنفسهم عند قدميه قائلين: "أخبرنا ما هو الأمر يا أبانا". فقال لهم: "لن أعود إلى قلايتي ولن أخلع ردائي الجلدي حتى تعيدوا السياج إلى حيث كان أولاً". فأعادوا السياج إلى مكانه، فعاد الشيخ إلى قلايته[٤٥٨].

قال أنبا سلوانس: "أنا عبد، وسيدي يقول لي: 'أد عملك وأنا أطعمك، ولكن لا تحاول أن تعرف من أين أطعمك، لا تحاول أن تعرف إن كنت أملك الطعام أم أسرقه أم أستعيره، فقط اعمل وأنا أطعمك'. وعلى ذلك فإنني عندما أعمل فأنا آكل ثمر تعبي، ولكن إن كنت لا أعمل فإنني آكل من الصدقة"[٤٥٩].

ذهب أخٌ لرؤية الأب سلوانس في جبل سيناء، ولما رأى الإخوة منكبين على العمل قال للشيخ: "لا تعملوا للطعام البائد أيها الأب، لأنّ مريم اختارت النصيب الصالح"! فقال الشيخ لتلميذه: "يا زكريا، أعطِ الأخ إنجيلاً وأدخله قلايةً خاليةً من أي شيءٍ آخر".

ولما جاءت الساعة التاسعة ظلّ الأخ يراقب الباب لعلهم يرسلون إليه أحدا يدعوه إلى الطعام، ولما لم يدعه أحد نهض وذهب إلى الشيخ وقال له: "أما أكل الإخوة اليوم يا أبانا"؟ فأجاب الشيخ: "نعم". فقال: "ولماذا لم يدعوني"؟ فأجابه الشيخ: "لأنك رجلٌ روحاني ولا تحتاج إلى طعام، ونحن جسدانيون نحتاج إلى طعام، ولذلك فإننا نعمل، أما أنت فقد اخترت النصيب الصالح: تقرأ اليوم كله، ولا تطلب الطعام الجسداني". فلما

(456) An., 1557; س ٤ ص ١٠٩ (457) Apoph., Silvanus, 7 ; W. & W., II: 57.
(458) Apoph. Silvanus, 8; W. & W., II: 272 ; D. F., Paschasius, V, 2.
(459) Apoph. Silvanus, 9.

سمع الأخ هذا الكلام سجد وقال: "اغفر لي يا أبي". فقال له الشيخ: "بلا شك إنّ مريم تحتاج إلى مرثا، لأنّ مريم في الحقيقة بفضل مرثا مدِحت"[٤٦٠].

عندما كان الأب سلوانس في جبل سيناء، أرسل تلميذه زكريا في مهمـةٍ، وقـال الشيخ في نفسه: "أقوم الآن وأروي البستان". فخرج وقد أخفى وجهه بقلسـوته ولم يكن ينظر إلاّ قدميه. وفي هذا الوقت جاء إليه أخ ورأى ما كان يفعله والشيخ لم يبصره. ثم اقترب منه وقال له: "أخبرني، يا أبي، لماذا تخفي وجهك وأنت تسـقي البسـتان"؟ فقال له الشيخ: "حتى لا تبصر عيناي الشجر فيتشتت عقلي عن عمله"[٤٦١]!

وقال أيضا: "ما أتعس الإنسان الذي تكون سمعته أفضل من أعماله"[٤٦٢].

سأل أنبا موسى الأب سلوانس: "هل يمكن للإنسان أن يضع أساسا جديدا كـل يوم"؟ فقال الشيخ: "إن كان عمالاً يمكنه أن يضع أساسا جديدا في كل لحظة. ففـي الحقيقة يجب أن يكون له قليلٌ من جميع الفضائل، وبالتالي يجتهد كل يـوم أن يبـدأ في ممارسة قليل من كل فضيلةٍ ومن كل وصيةٍ من وصايا الله: صبر عظيم ومثابرةٌ عظيمـةٌ، مخافة الله وحبه، اتضاع النفس والجسد، احتمالٌ كثير في الضـيقة، وملازمـة القلايـة، والصلاة والتوسل مع الدموع، نقاوة القلب والعينين، ضبط اللسان والكلام، الزهـد في الماديات وشهوات الجسد، والجهاد الروحي، والصلب أي الإماتة، والمسـكنة بـالروح، الرزانة الروحية، الصراع العنيف، التوبة والندم، بسـاطة القلـب والصـمت، الصـوم والأسهار الليلية، وعمل اليدين. وهذا هو ما علّم به الرسول بولس قائلاً: «نتعب عاملين بأيدينا ... في جوعٍ وعطشٍ ... في بردٍ وعريٍ ... في شدائد في ضيقات في ضـربات في اضطراباتٍ ... في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض» (١كو٤: ١٢؛ ٢كو١١: ٢٧؛ ٦: ٤؛ عب١١: ٣٨)".

"اِعمل بكلمة الله ولا تكتفِ بسماعها فقط (يع١: ٢٢)، اِجعل الوزنة التي استلمتها تثمر مضاعفًا (أنظر مت٢٥: ٢٢). اِلبس ثوب العرس (مـت٢٢: ١١و ١٢)، ضـع الأساس على الصخر وليس على الرمل (مت٧: ٢٤ - ٢٦)، لا تبطِل عمـل الصـدقة بحيث يقدر المرء دائما أن يعتمد عليك (في عوزه). فكر كل يوم أنّ ساعة موتك قريبة، ولا يكون لك أي اهتمامٍ بأشياء هذا العالم وكأنه قد أُغلِق عليك في القبر. أما عن الصوم والاتضاع والندم (أو وخز الضمير) فلا تتخلّ عنها، ولتسكن فيك مخافة الله بلا انقطاع،

(460) Apoph., Silvanus, 5; W. & W., II: 15; D. F., LV, p.137; س ٤ ص ٦١
(461) Apoph., Silvanus, 4; W. & W., II: 268; D. F., XI: xxviii, p. 109; س ٤ ص ١٢٦
(462) Apoph., Silvanus, 10 ; An., 1117.

ففي الحقيقة إنه مكتوب: «قد حبلنا (من كلمة "حبلْ") يا رب، بسبب مخافتك، وصرنا متوجعين، وولدنا نسمة (أو روح) الخلاص» (إش٢٦: ١٨ حسب السبعينية). فإذا كانت هذه المخافة أو إحدى الفضائل الأخرى فيك، فاحرص على ألاّ تظن مثل ذلك، بل اعتبر نفسك أقلّ من كل الخليقة وأردأ من أي إنسان مهما كان ولو كان خاطئًا".

"اِقتنِ الإفراز، اِفحص نفسك بتدقيق، ولكن لا تدين الآخرين ولا تتطلّع إلى أخطاء غيرك، اِبكِ كثيرا لأجل خطاياك ولا تشغِل نفسك بأعمال أي أحدٍ آخر. اِقتنِ روح اللطف، ولا تكن ميالاً إلى الغضب، ولا تلذّ بالشر ضد أي شخصٍ في قلبك، لا تحتفظ بحقدٍ في نفسك ولا بغضة لمَن يعاملك بعداوةٍ بدون داعٍ، ولا تتهيج بغضبٍ من موقفه منك، ولا تتخل عنه إذا كان في حاجةٍ أو ضيقةٍ، لا ترد الشر بالشر، بل كُن مسالمًا للكل، فهذا هو سلام الله. لا ترتبط بشيءٍ مع من يفعل الشر، ولا تسر مع الذي يسيء إلى قريبه، ولا تقُلْ شرا عن أي شخصٍ لأنّ الله يعلم جميع الأمور ويرى الكل، ولا تثق في من يقول الشر عن الآخرين، ولا تسر بأحاديثه الرديئة".

"لا تبغض أحدا بسبب خطيئته لأنه مكتوب: «لا تدينوا فلا تدانوا» (مت٧: ١)، لا تحتقر الخاطئ بل صل لأجله، لأنّ الله بصبرك يجعله يتغير ويشفق عليه، لأنّ الله قادر على كل شيء، وإذا علمت بأنّ شخصا ما يثير الشر فقُلْ: 'هل أنا الذي أدين؟ إنني إنسانٌ خاطئ، لابس الموت بسبب خطاياي، مشغولٌ بالبكاء بسبب شروري، والميت لا يشغِل نفسه بمن يكون هذا حاله'. إنّ الذي يفكر هكذا فهو يتمم كل البر بنعمة وقدرة ربنا"[٤٦٣].

قال شيخٌ: "سقط أخ يوما ما في خطيةٍ جسيمة، فامتلأ بتأنيب الضمير وذهب ليعترف بخطيته لأحد الشيوخ، ولكنه لم يخبره بما فعله بل قال له فقط: 'إذا طرأ فكر من هذا النوع على إنسان، فهل يمكنه أن يخلص'؟ وإنّ الشيخ الذي لم تكن لديه خبرة في الإفراز قال له: 'لقد أهلك نفسه'. فلما سمع الأخ ذلك قال: 'حيث إنني هالك فلأرجعن إلى العالم'"!

"وبينما هو ذاهب شعر برغبةٍ أن يكشف أفكاره للأب سلوانس الذي كانت له موهبة الاستبصار (أي كشف المستتر)، ولما ذهب الأخ إليه لم يخبره بما فعله، بل تصرف بنفس الطريقة وقال: 'إذا طرأت مثل تلك الأفكار على أحدٍ فهل يمكنه أن يخلص'؟ ففتح الأب فاه وحدثه عن ذلك مستشهدا بالأسفار المقدسة قائلاً إنّ الدينونة لا تخص الذين لهم هذه الأفكار. فلما سمع الأخ ذلك استعاد رجاءه وكشف له أيضا ما فعله. فضمد

(463) Apoph., Silvanus, 11; M (P. L. 74, 381), no. 108; D. F., XI: xxix.

الأب جراح نفس الأخ، كطبيبٍ ماهرٍ، بواسطة الأسفار الإلهية، وأوضح له أنه توجد توبة ممكنة للذين يحولون قلوبهم بإخلاصٍ إلى الله".

"وبعد مدةٍ طويلةٍ كان أبي عند الأب سلوانس الذي روى له تلك القصة[٤٦٤] وقال له: 'هذا هو الذي كان قد يئس من نفسه وكان على وشك أن يرجع إلى العالم، وها هو قد صار مثل نجمٍ في وسط الإخوة'. وقد رويت ذلك لكي نكون على درايةٍ بخطورة كشف أفكارنا أو أخطائنا للذين ليس عندهم إفراز"[٤٦٥].

قال أحد الآباء: "كان أحد الإخوة يسكن بمحاذاة النهر القريب من القرية التي كان يعيش فيها الأب سلوانس في فلسطين، وكان هذا الأخ يتظاهر بالجنون. ففي الحقيقة إنه عندما كان يقابله أخ كان في الحال ينفجر في الضحك، فكان كل واحدٍ يتركه وينصرف. وفي أحد الأيام زار الأب سلوانس ثلاثة من الآباء، وبعد أن صلوا طلبوا منه أن يصحبهم شخص ما لكي يذهبوا لرؤية الإخوة في قلاليهم، وقالوا للشيخ: 'اصنع معنا هذه المحبة: أوصِ أحد الإخوة أن يرافقنا إليهم جميعا'. فقال الشيخ لأحد الإخوة أمامهم: 'رافقهم إلى جميع الآباء'، ولكنه أوصاه سرا قائلاً: 'احرص على ألاّ تصحبهم إلى ذاك الأبله حتى لا يعثروا'".

"وأثناء طواف الآباء على قلالي الإخوة قالوا لمرشدهم: 'اصنع معنا هذه المحبة: رافقنا إليهم جميعا'. فأجابهم: 'بالطبع'. ولكنه لم يوجههم إلى قلاية الأبله حسب وصية الشيخ. ولما عادوا إلى الشيخ قال لهم: 'هل رأيتم الإخوة'؟ فأجابوا: 'نعم، وإننا نشكرك، ولكننا متضايقون لأننا لم نذهب إليهم جميعا'. فقال الشيخ لمرشدهم: 'ألم أقل لك أن ترافقهم إلى الجميع'؟ فأجاب الأخ: 'لقد فعلت هكذا يا أبي'. وعند انصراف الآباء قالوا مرةً أخرى للشيخ: 'إننا حقًا نشكرك على رؤية الإخوة، ولكننا فقط متأسفون لأننا لم نشاهدهم جميعا'! ثم إنّ الأخ قال للشيخ: 'إنني لم أصحبهم إلى الأخ الأبله'".

"وبعد انصراف الآباء تفكّر الشيخ في نفسه فيما حدث، ثم ذهب إلى الأخ المشكوك في جنونه. وبدون أن يقرع فتح الباب بهدوءٍ، وراقب الأخ، فرآه جالسا في الهذيذ بين سلّتين إحداهما عن يمينه والأخرى عن يساره. ولما لمح الأخ الشيخ أخذ يضحك كعادته. فقال له الشيخ: 'كُف عن ذلك حالاً، وأخبرني عن عملك'. فاستمر الأخ في الضحك، فقال له الأب سلوانس: 'أنت تعلم أنني لا أبرح قلايتي إلاّ يومي السبت والأحد، ولكنني اليوم جئت

---

(٤٦٤) هذا الشيخ يروي ذلك عن أبيه الروحي الذي سمع هذه القصة من الأب سلوانس نفسه. (465) An., 1217.

في وسط الأسبوع لأنّ الله أرسلني إليك'. فخاف الأخ وصنع ميطانيةً للشيخ وقال له: 'اغفر لي يا أبي، إنني في كل صباحٍ أجلس وهذا الحصى أمامي، فإذا جاء إلي فكر صـالحٌ ألقـي حصاةً في السلّة اليمنى، ولكن إن كان رديئًا فألقي حصاةً في السلّة اليسرى، وفي المساء أعد الحصى، فإن كان الذي على اليمين أكثر فإنني آكل، ولكن إن كان الأيسر هو الأكثـر لا آكل، وفي اليوم التالي إذا جاءني فكر رديءٌ مرةً أخرى أقول لنفسي: انتبه إلى ما تفعله، وإلاّ فإنك لن تأكل اليوم أيضا'! فاندهش الأب سلوانس من هذا الكلام وقال في نفسه: 'حقا إنّ الآباء الذين جاءوا إليك إنما هم ملائكةٌ قديسون، لأ م أرادوا أن يعلنوا مثل تلك الفضـيلة، لذلك فقد شعرت بفرحٍ عظيمٍ وحكمةٍ روحيةٍ في وجودهم'"(٤٦٦)!

وقال الشيخ أيضا: "كان عملي هو أن أهذّ على الدوام ارا ولـيلاً، وأن أذلّ نفسـي وأزدري ا وأوبخها بالحقيقة في حضرة الله، وألاّ أسمح لفكري إطلاقًا أن يرفـع رأسـي (أي يجعلني متكبرا)، أو يفتح فمي، أو يجعلني أتباهى أو أثق في أعمالي الخاصة بي. ففي الحقيقة، يـا ابني زكريا، إنه عندما يعكف الإنسان على مثل هذا العمل على الدوام لإذلال فكـره، فهـذا يكفي لخلاصه، لأنّ مثل هذا السلوك يزوده بـالحزن، ومـن الحـزن تتـأتى لـه جميـع الفضائل"(٤٦٧).

في **أحد الأيام** مدح الآباء الأب سلوانس جدا في وجوده، ولما عاد إلى قلايته قال لـه أبا زكريا: "ألم تجربك أفكارك، يا أبي، منذ قليل بمسرةٍ قليلةٍ (أي جعلتك تسر قليلاً)"؟ فأجابه الشيخ: "حتى لو مدحت جميع أفواه البشر والملائكة سلوانس فهو لن يصدق أنه فعل شيئًا صالحًا حيث إنه بذلك لن يمثل أمام الله. ففي الحقيقة إنّ كثيرين هـم الـذين يتكلون على أتعا م وقد وجِدوا هناك بعيدين عن الله"(٤٦٨)!

سأل أحد الإخوة الأب سلوانس: "ماذا أفعل، يا أبي، كيف أحصل على الندم (أو تأنيب الضمير)؟ إنني قلق من الضجر والنوم والاسترخاء. فعندما أ ض بعد النوم أتفاوض مع نفسي بشدة في الأبصلمودية، وأنا غير قادر أن أتخلّص من الفتور، كما أنني أفشل في أن أقول مزمورا واحدا بدون طياشةٍ". فأجابه الشيخ: "يا ابني، قول المزامير مع الألحان هذا أولاً هو من الكبرياء، لأنّ هذا يوحي لك بفكر أنك ترتل في حين أنّ أخاك لا يرتل، وثانيا فإنّ ذلك يقسي قلبك ويمنع عنك الشعور بالندامة (أو وخز الضمير). فـإذا أردت الشعور بالندامة اُترك الترتيل، وعندما تكون منتصبا في صلواتك فليت روحك تنشـغل

---

(466) An., 1408. (467) QRT (مجموعة نادرة وجِدت في مخطوطات يونانية) no. 33. (468) QRT, no. 32.

بإدراك معنى الآية، متفكرا في أنك في حضرة الله فاحص القلوب والكلى. وعندما تنهض من النوم فقبل كل شيء ليمجد فمك الله، ثم اتلُ قانون الإيمان والصلاة الربانية، ثم ابـدأ قانونك على مهلٍ بتأوهٍ (أو بتنهدٍ) وتفكّر في خطاياك مع العقاب الذي تستحقه عليها".

فقال الأخ: "إنني، يا أبي، منذ أن صرت راهبا أرتل حسب الطقـس والسـاعات بحسب الألحان الثمانية". فأجاب الشيخ: "ولأجل هذا تماما يهرب منك شعور النـدم والحزن. تأمل في الآباء المشهورين، كيف كانوا بسطاء، إ م لم يكونـوا علـى معرفـةٍ بطرائق الألحان، ولكنهم تألّقوا كأنوار في العالم. هكذا كان الأب بولس البسيط والأب بامو والأب أبوللو وبقية الآباء حاملي الإله، الذين بلغوا إلى إقامة الموتى وأجروا آيـات عظيمة، ونالوا قوةً ضد الشياطين، ليس بالأناشيد والألحان بل بالتضرع المملوء بشـعور الندم وبالصوم، تلك الأمور التي ا تأتي مخافة الله إلى القلب بصفةٍ دائمـةٍ، وبواسـطتها يترسخ الحزن الذي يطهر الإنسان من كل خطية ويجعل النفس أنصع بياضا من الثلج. أما عن الترتيل فإنه قاد كثيرين إلى أعماق الأرض، وليس أهل العالم فحسب بل أيضا الكهنة أنفسهم، وبسببه ضعفوا وسقطوا في الدعارة وفي أهواءٍ أخرى مشينة".

"وعلى ذلك فالترتيل هو شأن الدنيويين، كما أنه يجعل الناس يجتمعون في الكنائس (أي أنّ الهدف منه هو أن يقرب البعيدين). تأمل، يا ابني، كم من الرتب (أو المنازل) توجـد في السماء ولم يكتب عن أية واحدةٍ منها أ ا ترتل حسب طرائق الألحان الثمانية، ولكن إحدى الرتب تقول بلا انقطاع: 'الليلويا'، وأخرى تقول: 'قدوس قدوس قدوس رب القـوات'، وثالثة تقول: 'ليتبارك مجد الرب في موضعه وفي بيته'. وأنت أيضا، يا ابني، تشبه بالآبـاء إذا أردت أن تحقق في تضرعاتك الشعور بالندامة بتيقظك لنفسك بقدر استطاعتك مـن كـل تشتتٍ. أحب اتضاع المسيح، وأينما ذهبت لا تتباه كأنك صاحب فكر ثاقبٍ أو كأنـك معلم، بل كُن كإنسانٍ بسيطٍ ومثل تلميذٍ، وحينئذٍ يعطيك الله الشعور بالندم"[٤٦٩].

كان الأب سلوانس جالسا مرةً مع الإخوة، فاستغرق في دهشٍ وسقط بوجهه على الأرض، وبعد مدةٍ طويلةٍ ض وبكى، فسأله الإخوة: "ماذا حدث يا أبانا"؟ ولكنه ظلّ صامتا وبكى، ولما أصروا على أن يتكلّم قال: "لقد اختطِفت لكي أرى الدينونة، ورأيت هناك كثيرين مثلنا (أي رهبانا) يساقون إلى العذاب، وعلمانيين منطلقين إلى الملكوت"! وكان الشيخ ينوح في حسرةٍ ورفض أن يخرج من قلايته، وإذا أُجبِر على الخروج كـان

(469) An., 1726.

(470) Apoph., Silvanus, 2; W. & W., II: 218; س ٤ ص ١٢٦

يخفي وجهه بقلسوته قائلاً: "لماذا أنظر هذا النور الأرضي الذي بلا منفعة"(٤٧٠)؟

سأل إخوةٌ شيخا: "من مِن العلمانيين الذين رآهم أنبا سلوانس في الرؤيا ذاهبين إلى الملكوت؟ ومن هم المتوحدون الذين أبصرهم يؤخذون إلى الجحيم"؟ فقـال الشـيخ: "العلمانيون الذين رآهم هم الصالحون ذوو الفضائل العديدة والصدقة الذين يقول لهـم ربنا ومخلصنا متى ظهر بمجده: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكـوت ...» (مـت٢٥: ٣٤). والمتوحدون الذين أبصرهم يـ ل م إلى الجحيم هم المتوحدون الأشرار الذين تقدم ذكرهم مثل من يكون له اسم صالحٌ بين الناس وهو يغضِب الله كل حينٍ بأعماله الخفية ونيته الفاسدة وأمثالهم. ومثالٌ لذلك المتوحد المرتخي الذي كان يشوش علـى الإخـوة والذي أحرق الطوباوي باخوميوس ثيابه، وأمر أن يدفَن بلا صلاة ولا مزامير، لأنه أكمل حياته بالتواني والانحلال. وذاك الآخر الذي كان له ذهب، وفي وقت مرضـه خدمـه الإخوة وأنفقوا عليه من مال الدير، ولأنه لم يخبرهم بالمال دفنـه الأب معـه في القـبر وكانت النار تظهر على قبره علامةً على الجحيم المعد له"(٤٧١)!

وفي مرةٍ أخرى دخل إلى الأب سلوانس تلميذه زكريا، فوجده في حالة دهشٍ ويداه ممدودتان نحو السماء، فأغلق الباب وخرج. وذهب إليه في الساعة السادسة ثم في التاسعة فوجده في نفس الحالة، وفي الساعة العاشرة (أي الساعة ٤ مساءً) قرع ودخل فوجـده هادئًا، فسأله: "ماذا حدث لك اليوم يا أبي"؟ فأجاب: "شعرت أنني ضعيف ومـريض يا ابني". ولكن تلميذه أمسك بقدميه قائلاً: "لن أتركك حتى تخبرني بما رأيته". فقال له الشيخ: "تعهد أمامي بأنك لن تكشف الأمر لأي إنسانٍ حتى أخرج من الجسـد وأنـا أخبرك". ولما تعهد بذلك قال الشيخ: "لقد اختطِفت إلى السماء ورأيـت مجـد الله، ومكثت هناك حتى الآن ثم صرِفت"(٤٧٢)!

كان الآباء يقولون إنّ واحدا قابل أبا سلوانس يوما ما ورأى وجهه وجسده يشعان مثل ملاكٍ حتى سقط هذا الإنسان على الأرض. كما قيل إنّ آخرين أيضا حصلوا علـى هذه النعمة(٤٧٣).

---

(٤٧١) س ٩ ص ١٤.
(472) Apoph., Silvanus, 3; W.&W., II:219 ;D.F., Book 2: xviii,xxi.
(٤٧٤) ذكرت مخطوطة س ٤ ورقة ١٢٦ أنّ هذا السؤال وجه إليه عند وفاته.
(473) Apoph., Silvanus, 12.
(475) Apoph., Silvanus, 6; W. & W., II: 488; D. F., p. 110, xi, xxx; س ٤ ورقة ٢١

سأل الآباء مرةً أنبا سلوانس قائلين: "أية فضيلةٍ نسكيةٍ أتممتها حتى نلت حكمتك هذه والهبة التي مِنحت لوجهك"؟ فأجاب الشيخ باتضاعٍ عظيمٍ قائلاً: "لم أترك في قلبي فكرا يغضِب الله قط"(٤٧٤).

وكانوا يقولون إنّ وجه الشيخ سلوانس كان يضيء بلمعانٍ، كما كان وجه موسى النبي، ببهاءٍ قد حصل عليه من الله، حتى إنه لم يقدر أحد أن ينظر إليه بعينين مفتـوحتين على اتساعهما(٤٧٥)!

❑☯❖☯❑

(١١) قصص وأقوال

تلاميذ أنبا سلوانس

أولاً: القديس أنبا زينون

قال الأب زينون: "الراهب الذي يأخذ صدقةً يقدم لله حسابا عنها". [حاشـية في المخطوطة س ٤: ربما يقصد أنه إذا أخذها دون احتياجٍ إليها](٤٧٦).

قيل عن أبا زينون إنه منذ البداية لم يرغب إطلاقًا أن يأخذ شيئًا من أحد، والـذين كانوا يحضِرون له شيئًا كانوا يخرجون متضايقين من أنه لم يقبل شيئًا، وجاء إليه البعض يريدون أن يأخذوا ثمة تذكار من شيخ عظيم مثله ولم يكن لديه شيء يعطـيهم إيـاه، وهكذا خرجوا هم أيضا متضايقين. فقال الشيخ في نفسه: "مـاذا أفعـل؟ إنّ الـذين يحضِرون أشياء يتضايقون، وهكذا أيضا الذين يريدون أن يأخذوا شيئًا؟ قد علمت ماذا أفعل، وهو ما بدا لي صوابا: عندما يحضِر لي أحد شيئًا أقبله وأعطيه لأي إنسان يطلب شيئًا". وهكذا فعل وعاش في سلامٍ وأرضى كل واحدٍ(٤٧٧).

جاء أخٌ مصري ليرى الأب زينون في سورية، وأدان نفسه أمام الشـيخ بخصـوص تجاربه وأفكاره، فتعجب أبا زينون جدا وقال: "إنّ المصريين يخفون فضائلهم ويـدينون أنفسهم على الدوام على أخطاء لم يفعلوها، في حين أنّ السوريين واليونانيين يتظاهرون بأنّ لهم فضائل لا يملكو ا، ويخفون الأخطاء التي يرتكبو ا"(٤٧٨)!

---

(٤٧٦) س ٤ ورقة ٧٢

(477) Apoph., Zeno, 2; W. & W., I: 431.
(478) Apoph., Zeno, 3 ; W. & W., I: 465 ; س ٤ ص ٨٢
(479) Apoph., Zeno, 6; W. & W., I: 272; س ٤ ص ٨٢
(480) Apoph., Zeno, 1; W. & W., II: 489.

ومرةً أخرى كان أنبا زينون سائرا في فلسطين وتعب، فجلس بجوار مقثأة (أي حقل قثاء "أتة") لكي يأكل، وقال في نفسه: "خذ قثاءة وكُلْها، فهي حقًا شيء صغير". ولكنه أجاب على هذا الفكر قائلاً: "إنّ اللصوص يعاقَبون، فامتحن نفسك لترى إن كنت تحتمل العذاب". ثم وقف في الشمس عاريا لمدة ساعة، ولما أحرقته جدا قال: "حيث إنك لا يمكنك احتمال العذاب فلا تسرق ولا تأكل"(٤٧٩).

قال أبا زينون تلميذ الطوباوي سلوانس: "لا تسكن في مكانٍ مشهور، ولا تجاور إنسانا عظيم الاسم بسبب نسكياته، ولا تضع أساسا لبناء قلاية لنفسك يوما ما"(٤٨٠).

قيل عن الأب زينون إنه عندما كان ساكنا في الأسقيط خرج من قلايته في الليل وذهب نحو المستنقعات، وقضى ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ يطوف عشوائيا، وأخيرا تعب واستنفِدت عافيته، وسقط كأنه على وشك الموت. ثم وقف أمامه طفلٌ ومعه خبز وقُلّة ماء وقال له: "انهض وكُلْ". فوقف وصلى وهو يظن أنّ هذه خدعة. فقال له الطفل: "حسنا فعلت". حينئذٍ وقف الشيخ وأخذ بعض الطعام وأكل. ثم قال له الطفل: "بقدر ما مشيت بقدر ما ابتعدت عن قلايتك، فانهض إذًا واتبعني". وللحال وجد نفسه في قلايته، ثم قال الشيخ للطفل: "أُدخل ودعنا نصلي". ولكن لما دخل الشيخ اختفى الطفل(٤٨١)!

جاء بعض الإخوة لكي يروه وسألوه: "ما معنى هذا القول: «السموات غير طاهرة أمام عينيه» (أي١٥: ١٥)"؟ فأجاب الشيخ: "إنّ الإخوة يتغاضون عن خطاياهم ويستفسرون عن السماويات! هذا هو تفسير هذا القول: الله وحده هو الطاهر، لذلك قيل إنّ السماء ليست طاهرة أمامه"(٤٨٢).

قال أبا زينون: "إذا أراد إنسان أن يسمع الله صلاته سريعا، فقبل أن يصلي لأجل أي شيء وحتى لأجل نفسه، فعندما يقف ويمد يديه نحو الله، يجب أن يصلي لأجل أعدائه بكل قلبه، فبذلك يستجيب الله لكل ما يطلبه"(٤٨٣).

قيل إنه كان في قريةٍ رجلٌ يصوم لدرجة أنه كان يدعى "الصوام". وسمع عنه أبا زينون وأرسل إليه فجاء بسرور، ثم صلّيا وجلسا. وبدأ الشيخ يعمل في سكون. ولما لم يتمكّن من الحديث معه بدأ يتضجر، وقال للشيخ: "صل لأجلي أيها الأب لأنني أريد الانصراف". فقال له الشيخ: "لماذا"؟ فأجاب: "لأنّ قلبي كأنه في نار ولا أعلم ماذا

---

(481) Apoph., Zeno, 5; W. & W., II: 58; Ch., 179.
(482) Apoph., Zeno, 4; س ٤ ص ٨٢
(483) Apoph., Zeno, 7; س ٤ ورقة ٨٢
(484) Apoph., Zeno, 9.

حدث له، لأنني حقًا عندما كنت في القرية وكنت أصوم حتى المساء لم يحدث معي مثل ذلك". فقال الشيخ: "في القرية أنت أطعمت نفسك بواسطة أذنيك (أي مديح الناس)، ولكن اذهب ومنذ الآن كُلْ في الساعة التاسعة من النهار، وأي شيءٍ تفعله فليكن في الخفاء".

وبمجرد أن بدأ الرجل الصوام يعمل بهذه النصيحة وجد أنه من الصعب أن ينتظر حتى الساعة التاسعة، والذين عرفوه قالوا: "إنّ الرجل الصوام قد سكن فيه الشيطان". فذهب وأخبر الشيخ بكل ذلك، فقال له: "هذه الطريقة تتفق مع مشيئة الله"(٤٨٤).

قال أبا زينون: "الراهب يقدم كلامه لله وينال مقابل ذلك محبته"(٤٨٥).

قيل إنّ الأب زينون كان يقيم الموتى. وكان في نفس البلدة التي كان فيها دير القديس علمانيٌ تقي كانت له ثقةٌ كليةٌ في الشيخ. وإذ كان لم ينجب أبناءً فقد طلب من الشيخ أن يصلي لكي ينجب ابنا، فصلى الشيخ واستجاب الله وأعطاه ابنا، ولما فُطِم صنع والداه وليمةً لسكان بلدهم. وفي نفس اليوم، في الساعة الأولى (من النهار)، مرض الطفل في رأسه، فوضعته أمه على السرير ومات. ولما عاد أبوه من الحقل بحث عن ابنه فقالت له أمه: "ها هو على السرير". ولما دخل أبوه وجده ميتا، وقالت له زوجته: "لا تصرخ ولا تضطرب، بل احمله إلى الشيخ، وأنا أستقبل الذين يأتون إلى الوليمة".

فأخذ ابنه الميت ووضعه في كيسه (أي حقيبته) بين ورق عنبٍ طازج - لأنّ هذا كان موسمه - وذهب إلى الشيخ. فقال له تلميذه: "ماذا تريد"؟ فقال له العلماني: "أريد أن أعطي الشيخ بكور غلاّتي"! فدخل التلميذ وأخبر الشيخ، ثم نهض الرجل وأفرغ حقيبته وانطرح تحت رجلي الشيخ وتوسل إليه قائلاً: "أنت تعلم أنه لم يكن لي ولد، وبصلوات قدسكم أنعم الله علي بهذا الابن، وفي المستقبل يكون لك، فافعل ما تشاء". فقال له الشيخ: "لماذا تفرض علي هذا العبء؟ إنه ليس في طاقتي". ولكن الرجل قال: "اِفعل ما ترى أنه صالحٌ، فهذا هو الذي لك". ثم ذهب إلى خارج.

فأغلق الأب زينون الباب وأخذ الطفل، وبينما كان يصلي عليه أقامه الله. ثم استدعى والده وقال له: "ها هو ابنك، اِعترف بفضل الله ولا تخبر أحدا طالما أنا حي". فأخذ الرجل ابنه حيا وعاد إلى بيته شاكرا الله ومعترفًا بفضل الشيخ القديس(٤٨٦).

وفي مرةٍ أخرى حدث في نفس المكان أنّ علمانيا غنيا وتقيا كان له ابن سلّمه للأب

---

(485) An., 1570.

(486) An., 1627 B, K f, 186.

زينون لكي يباركه، لأنه في الحقيقة قد شاع عنه أنه كان عظيما. وبينما كـان الرجـل يجلس بجوار الأب زينون حدث أن الولد ذهب نحو خدام والده، ثم بدأ يلعب عند شجرة خروب كانت في الحديقة، فخرج ثعبانٌ من جحرٍ تحت الشجرة - لأنّ الشجرة كانـت كبيرة - وعض الولد فمات في الحال. فأخبر أحد الخدام سيده - الذي كـان جالسـا بجوار الشيخ - بما حدث. ولما اضطرب قال له الشيخ: "لا تنـزعج لأنّ هذا من فعـل الشيطان لكي يعطل كلمة الله". فقد كان الرجل في الحقيقة جالسا ينصت بغيرةٍ وتلهفٍ لتعاليم الشيخ. ثم نهض الشيخ وقال للخدام: "أظهروا لي من أين خرج الثعبـان". ثم صلى وهو واقف فقام الميت. وإذ خرج الثعبان وبخه الشيخ فمات. ثم انصـرف والـد الطفل مصاحبا ابنه حيا شاكرا الله ومعترفًا بفضل الشيخ[٤٨٧].

قال الأب زينون: "إذا أردت أن تقطع عنك عروق شيطان النجاسة وتطفئه عنـك فافعل هذا: اِمنع فمك من دينونة أحدٍ مهما كان، ولا تغتب أحدا بخصوص أمور معروفة أو خفية، بل اعترف بخطاياك في كل وقت، فإنّ هذا عونٌ لك وترس قـوي. أمـا إن سلّمت نفسك لكثرة الكلام أو تضررت نفسك بالنجاسة، فإنّ ملاكك الحارس يتنحـى عنك، ويجدك أعداؤك الشياطين الذين يطلبون هلاك نفسك منفصـلاً عـن ملاكـك، فيتسلّطون عليك ويمرغونك في دنس الخطية. ولا شيء يجعلنا نقترب إلى الله ونصير مثله بقدر عدم الحقد أو الانتقام وعدم النميمة، وأن نفعل الخير لمَن يسيء إلينا"[٤٨٨].

قيل عن الأب زينون إنه كان قصيرا ونحيف الجسم، ولكنه كان حاد الذهن جدا ومملوءًا بالحزم والتصميم والغيرة بحسب الله، كما كانت له مودة حميمة للناس، ولذلك كان يأتي إليه أفواج من العلمانيين والرهبان من كل جهةٍ ويكشفون عن أفكارهم ويشفون. وقد التقينا مع أحد الآباء كان يسكن سابقًا بالقرب من القديس زينون، وكان قد حدثنا بكلمة منفعـة، فسألناه بخصوص أحد الأفكار قائلين: "إن كان لأحدٍ فكر غالبا ما يهزمه، وكثيرا ما يحدث عندما يقرأ على انفرادٍ ويسمع ما يقوله الآباء بخصوص الطهارة، يرغـب أن يصـحح (أو يصلح) نفسه ولكنه لا يوفق، فهل من الأفضل له أن يكشف أفكاره لأحد الآبـاء، أم أنـه يجب عليه أن يجتهد في استعمال ما قرأه ويعتمد على ضميره"؟ فقال لنا الشيخ: "عليـه أن يكشف أفكاره لآخر يكون كفؤا لأن ينتفع منه ولا يعتمد على نفسه، لأنه لا يستطيع أحد أن ينجد نفسه ولا سيما عندما يصير مرهقًا من الشهوات".

(487) An., 1627 C, K f, 186 v.

(488) Ger. Eth., 293; ١٣٨ س ٤ ورقة

ثم **قال الشيخ:** "عندما كنت شابا حدث لي الآتي: كان عندي وجع (شهوة) قد سيطر علي، ولما سمعت عن الأب زينون أنه شفى كثيرين أردت أن أقابله وأكشف له الأمر، ومنعني الشيطان قائلاً: 'ما دمت تعلم ما يجب عليك أن تفعله فتصرف بحسب ما قرأت، لماذا تقلق الشيخ'؟ وفي كل مرةٍ كنت أتأهب للذهاب كان القتال (أي الشهوة) يهدأ قليلاً عني حتى لا أتخذ طريقي إلى الشيخ، وحينما كنت أستسلم لفكرة عدم الذهاب كان هذا الوجع يطغى علي. ثم استأنفت المقاومة لكي أذهب فخدعني العدو بنفس الحيلة ولم يسمح لي بأن أكشف أفكاري للشيخ. وكثيرا ما ذهبت إلى الشيخ لكي أخبره بكل شيء، إلاّ أنّ العدو لم يدعني أتكلم إذ أشعر بالخجل في قلبي قائلاً: 'ما دمت تعرف كيف تشفَى فما هي الجدوى من الكلام؟ إنك في الحقيقة لا تجهل نفسك، فأنت تعلم ما يقوله الآباء'. هذا ما كان العدو يوحي به إلي حتى لا أكشف مرضي للطبيب ولا أتعافى".

"وقد أدرك الشيخ جيدا أنه كانت عندي أفكار، ولكنه لم يستدركني إذ كان ينتظر حتى أعرفه ا بنفسي. وقد علّمني بخصوص الطريق المستقيم ثم صرفني. وأخيرا قلت لنفسي بحزنٍ وبدموع: 'إلى متى، أيتها النفس الشقية، تصرين على أن ترفضي الشفاء؟ إنّ الذين يسكنون على بعدٍ يأتون إلى الشيخ ويشفون، وأنتِ لا تخجلين في حين أنكِ تسكنين بجوار الطبيب ولا تعتنين بنفسك'"؟ ثم قال إنّ القلب ض بحرارةٍ وقال لي في داخلي: 'أذهب إلى الشيخ، وإذا لم أجد عنده زائرين أتحقّق من أنّ هذه هي مشيئة الله أن أعرفه بأفكاري'. فذهبت إليه ولم أجد أحدا عنده، وأعطاني الشيخ - كعادته - تعاليم عن خلاص النفس وعن كيفية تنقية النفس من الأفكار النجسة. ولكنني خجلت مرةً أخرى، ولم أكشف له أفكاري وطلبت بركته. فنهض الشيخ وصلى ورافقني سائرا أمامي حتى الباب بينما كنت أنا معذّبا من أفكاري: هل أكلم الشيخ أم لا؟ ومشيت قليلاً خلف الشيخ دون أن ينتبه لي. ثم وضع يده على الباب لكي يفتحه لي، ولكنه لما رأى أنني معذّب بشدة من أفكاري اتجه نحوي وقرع على صدري وقال لي: 'ماذا بك؟ أنا أيضا إنسان'!

"وحالما قال لي الشيخ ذلك اعتقدت أنه كشف عما في قلبي، فانطرحت عند قدميه متوسلاً إليه بدموع قائلاً: 'اشفق علي'. فقال لي: 'ماذا بك'؟ فقلت له: 'أنت تعرف ما بي، فلماذا يجب علي أن أذكره'؟ فقال لي: 'أنت الذي يجب عليك أن تقول ماذا بك'. فطرحت عني الخجل وأعلمته بوجعي، فقال لي: 'ألست أنا أيضا إنسان؟ أتريدني أن أقول لك ما أعرفه؟ أليس أنك لمدة ثلاث سنوات تأتي إلى هنا ذه الأفكار ولا تتخلّص منها'؟ فانطرحت وتوسلت إليه قائلاً: 'اشفق علي لأجل الرب'. فقال لي: 'اِذهب ولا تتوانَ عن

صلاتك ولا تغتب أحدا'. فرجعت إلى قلايتي ولم أتوانَ عن صلاتي، وبنعمـة المسـيح وبصلوات الشيخ لم يعد هذا الوجع يزعجني".

"وبعد سنةٍ جاءني هذا الفكر: أنّ الله بدون شك سيستعمل الرحمة معك، وأنّ هذا لا يكون لأجل الشيخ. فذهبت إليه بقصد أن أمتحنه، وأخذته جانبا وصنعت له ميطانيـة وقلت له: 'يا أبي، أتوسل إلى تقواك أن تصلي لأجلي بخصوص هذا الفكر الذي أظهرته لك سابقًا'. فجعلني أستلقي على قدميه وسكت لحظةً ثم قال لي: 'إ ض، إنك ذكـي'! فلما سمعت هذه الكلمات خجلت وتمنيت لو كانت الأرض قد ابتلعتني. ولما ضـت لم أستطع أن أنظر إلى وجه الشيخ، وعدت إلى قلايتي وأنا ممتلئ بالتعجب"!

"كما أنّ نفس الشيخ - لكي يثبت الفضائل التي كان قد تكلّـم عنـها، ولكـي يعلمنا - روى لنا الآتي: في أحد الأيام تلاقى اثنان من الإخوة اللذين كانا يسـكنان في منشوبية (لافرا)، كل منهما في قلاية خاصة به، وقال أحدهما للآخر: 'أحب أن أذهـب إلى الأب زينون وأعرض عليه فكري'. فقال الآخر: 'وأنا أيضا أريد أن أقول له فكري'. فذهبا معا، وكشفا عن فكريهما، وانطرح الأول أمام الشيخ متوسلاً إليه بدموعٍ غزيرةٍ، فقال له الشيخ: 'اذهب، لا تتثبط همّتك، ولا تغتب أحدا، ولا تتـهاون في صـلاتك'. فذهب الأخ وشفي. وكشف له الأخ الثاني عن أفكاره وقال له: 'صل من أجلي'، ولكنه لم يطلب ذلك بإلحاحٍ".

"وبعد وقتٍ ما تلاقيا وقال أحدهما للآخر: 'عندما ذهبنا إلى الشيخ هـل كشـفت أفكارك التي قلت إنك تريد أن تخبره ا'؟ فقال الآخر: 'نعم'، فسأله: 'وهل انتفعت من ذلك'؟ قال الأول: 'نعم، وبصلوات الشيخ شفاني الله'. فقال الثاني: 'أنـا حاولـت أن أكشف له كل شيء ولكنني لم أشعر بأية نتيجةٍ لذلك'. فقال لـه ذاك الـذي انتفـع: 'وكيف توسلت إلى الشيخ'؟ قال الآخر: 'قلت له: صل من أجلي لأن عندي مثل هـذا الفكر'. فقال له الآخر: 'وأنا عندما اعترفت له بللت قدميه بدموعي متوسـلاً إليـه أن يصلي من أجلي، وبصلواته أرجع الله لي صحتي (الروحية)'".

وقد روى الشيخ لنا ذلك لكي يبين أنّ من يتوسل إلى أحد الآباء من أجل الأفكار يجب أن يطلب بلجاجةٍ وبكل قلبه، وكأنه يطلب إلى الله، وحينئذٍ ينال ما طلبه. أما الذي يقـدم اعترافه بتهاون أو لكي يجرب الشيخ فهو لن يحصل على أية منفعة بل بالحري دينونة(٤٨٩).

(489) An., 1509, 1510 (P E I: 20, 4 et I: 21,1).

روى لنا شيوخٌ آخرون - ممن رأوا المغبوط أنبا زينون كـثيرا - أنّ إنسـانا سـأل الشيخ: "هل يوجد حقًا غفرانٌ لكل خطية"؟ فأجابه الشيخ: "إن تاب الإنسان بقـدر خطيته يحظى بالغفران". وكان السائل يعلم أن خطيته عظيمة، فقال للشـيخ: "إنـني أتعجب، يا أبي، إن كانت خطيتي لها مغفرة". فقال الشيخ: "أنا قلت لك، يا ابني، إنـه توجد مغفرة لكل خطية إن كانت التوبة بقدر الخطية. فأخبرني، يا ابـني، بخطيتـك ولا تخجل، لأنَّ الذي يخجل أن يقِر بخطيته لا يشفَى منها". فشعر السائل بالثقة واعتـرف للشيخ قائلاً: "لما كنت علمانيا سقطت في النجاسة مع أمي". فقال له الشيخ: "حقًا إنّ خطيتك لعظيمة، ولكن إن قدمت توبةً ملائمةً فأنا أثق أنّ الله سيغفر لك". فقال للشيخ: "قُلْ لي كل ما تريده وأنا أفعله".

فاقتاده الشيخ إلى البستان وأراه أصل شجرة جميز مقتلعا منذ مدةٍ طويلةٍ ومتروكًا في الحديقة، وقال له: "اِذهب إلى البرية بالقرب من أحد الآباء، وامكث هناك صائما يومين يومين، ولا تتوانَ في صلاتك، وعد إلى هنا بعد سنة، وإذا وجدت أن هذا الأصـل قـد أنبت فتحقّق أنّ الله قد قبل توبتك". ففعل الأخ كما أوصاه الشيخ، ولما أكمل السـنة عاد ووجد الأصل على حاله، فأخبر الشيخ بأنه لا زال يابسا. فقال له الشيخ: "اِعلم أن توبتك ما كملت بعد، فاذهب هذه السنة أيضا وراقب أفكارك واهتم بنفسك". فذهب وعاد بعد سنة أخرى ووجد الأصل يابسا أيضا. فقال له الشيخ: "اِذهب أيضا واسـهر على نفسك ولا تتوانَ في صلاتك". ولما عاد بعد السنة الثالثة وجد أنّ الأصل قد أنبت، فقال له الشيخ: "ها أنت قد برئت، فلا تعد تخطئ لئلاّ يكون لك أشر (يـو٥: ١٤)". فانصرف شاكرا الله ومعترفًا بفضل الشيخ(٤٩٠).

أحد الإخوة كانت له حرية في الحديث مع أنبا زينون، فسأله: "ها أنت قد صـرت شيخا، فماذا عن فكر الزنى"؟ فقال له الشيخ: "إنه يقرع ولكنه يعبر". ثم سأله أحـد الإخوة: "ما معنى كونه يقرع ولكنه يعبر"؟ فقال له الشيخ: "تصور أنّ واحدا أحضـر إلى ذهنك ذكر امرأة معينة وأنت قلت: أواه! ولكنك لم تسمح لهذا الفكر أن يصعد إلى قلبك. هذا هو معنى أنه يقرع ولكنه يعبر"، وهو يثير الشبان(٤٩١).

كان هناك بعض الآباء في فلسطين في أيام الأب زينون وهـم: الأب "نيكـولاس" والأخوان الأب "ديوجينوس" والأب "بولس". وإذا ذهب أحد إلى الأب زينـون كـان يقول له: "اِذهب لترى الأنبياء والرسل". فقد كان يسمي الأب نيكـولاس نبيـا لأن

---

(490) An., 1627 D, K f, 187; س ٤ ص ١٤٢

(491) W. & W., I: 587.

كلمته كانت قوية نافذة، وكان يسمي الأبوين ديوجينوس وبولس رسولين لأنّ كلمتهما كانت تشدد العزائم!

ولما جاءت ساعة انتقال الأب نيكولاس التف تلاميذه حوله وهم يبكون ويتوسـلون إليه أن يصلي لأجلهم، وكان أحدهم هو مساعده الأب "أنتيوخوس" الذي كان ضريرا، فقال له: "يا أبي، لمن تتركني أنا العاجز"؟ فقال له الشيخ: "إن استطعت أن أتكلّم بحريةٍ مع الله، ففي غضون أسبوع من موتي ستقرأ الإنجيل"! وقد كان في الحقيقة كاهنا. وفي اليوم السابع كان الضرير جالسا عند قبر الشيخ وهو يبكي، وعندما دق ناقوس صـلاة ا مع انفتحت عيناه وعرفت هذه المعجزة في وقت الشركة (التناول)، فمجد الحاضرون الله الذي أعطى مثل هذه الدالّة للقديسين. وكان الأب زينون لا يكـف عـن القـول للرهبان الذين يأتون إليه: "إنّ آباءنا في وسط الزوبعة أنقـذوا سـفنهم مـن أمـواج اضطهادات الشياطين والبشر"[(٤٩٢)].

ذهب بعض الآباء إلى الأب زينون لكي يقتنوا حقولاً (يبدو أ ا كانت بجواره)، وقالوا له: "كيف يمكننا أن نخلص نحن الذين لدينا مشاغل أرضية"؟ فقال لهم الشيخ: "توجد في حقلي امرأة ومعها طفلها الصغير، وكان عندها جوز هند في آنية. فقال لها الطفل: 'أعطني يا أمي من جوز الهند'. فقالت له: 'اذهب وخذ من الآنية'. فلما مـلأ يـده ولم يسـتطع أن يخرجها قال لأمه: 'إنّ يدي لا يمكنها أن تخرج'. فقالت له: 'أترك ما أخذته وهي تخرج'. وهكذا نحن أيضا إن لم نترك الأمور الأرضية لا يمكننا أن نخلص"[(٤٩٣)].

قال الأب زينون: "الذي يراقب أفكاره ولا يتهاون في الصلاة، ويعمـل جسـديا، ويتأمل دائما في مجد الرب، ويكون منشغل البال بيوم الدينونة الإلهي، فهذا الإنسان يتمم كل فضيلة بواسطة المسيح ربنا"[(٤٩٤)].

قال الأب زينون: "علمت عن امرأة في أورشليم كان اسمها "ساتروترا"، وكانـت خاطئة. ولما رجعت إلى الرب قدمت توبةً بحرارة قلب عن كل ما فعلتـه، وعاشـت في النسك والصلاة حتى إنّ صلوا ا الكثيرة ونعمة المسيح التي كانت معها ومعرفتها للـرب جعلت منها رئيسةً على دير للعذارى. ولما صارت أما للدير أكثـرت مـن صـلوا ا وجهادها وزهدها لدرجة أنّ قواها أفلست (ضعفت) بسبب صلوا ا وإماتا ا. فتوسلت إليها العذارى قائلات: 'يا أمنا، تغذّي بالقليل من الطعام لكي يعود لجسدكِ القليل مـن العافية، ولكي يمكنك أن تذهبي إلى الكنيسة'. فقالت لهن: 'اذهبن، يا بناتي، ولا تـتعبن

(492) An., 1627 E, K f 187 v. (493) Q R T, 58. (494) Q R T, 59. (495) Eth. Asc., 46.

أنفسكن لكي تجعلنني آكل، لأنني في كل مرةٍ انتشط (أو أنتعش) قليلاً أرجع إلى عاداتي القديمة، ولهذا السبب أنا في المخافة (لله)"[٤٩٥].

ثانيا: قصص وأقوال
القديس أبا مرقــس

قيل عن الأب سلوانس إنه كان له في الأسقيط تلميذٌ اسمه مرقس كانــت طاعتــه عظيمة، وكان كاتبا، وكان الشيخ يحبه جدا بسبب طاعته. وكان له أحد عشر تلميــذًا آخرين، وقد تضايقوا لأنه كان يحبه أكثر منهم. ولما علم الشيوخ بذلك تأسفوا وجاءوا إليه مرةً ليوبخوه على ذلك. فأخذهم وذهب وقرع على باب قلاية كــل واحــدٍ مــن تلاميذه قائلاً: "يا أخ فلان، تعالَ هنا فإنني محتاج إليك"، ولكن لم يأتِ أي واحدٍ منهم في الحال. ثم قرع على باب أبا مرقس قائلاً: "يا مرقس". فلما سمع صوت الشيخ قفز في الحال وخرج إليه، فأرسله الشيخ في خدمةٍ، ثم قال للشيوخ: "أيها الآباء، أين هم بــاقي الإخوة"؟ ثم دخل معهم قلاية أبا مرقس وبحث فوجد أنه كان يكتب، ولاحظ أنه كان قد بدأ يكتب حرف (ω) "أوميجا"، ولما سمع صوت الشيخ لم ينتهِ من كتابته (أي كتب نصفه فقط: υ). فلما رأى الشيوخ ذلك قالوا للأب سلوانس: "حقًــا أيهــا الأب، إنّ الذي تحبه نحن أيضا نحبه والله يحبه"[٤٩٦]!

قيل عن الأب سلوانس إنه وهو سائر يوما ما مع بعض الشيوخ في الأسقيط أراد أن يقدم الدليل على طاعة تلميذه مرقس ويظهر سبب حبه له، فلما رأى خنــزيرا بريا قال لمرقس: "أترى، يا ابني، هذه الجاموسة الصغيرة"؟ فقال له: "نعم يــا أبي". ثم قــال: "وهل ترى قرونها كم هي مستويةٌ حسنة"؟ فقال له: "نعم يا معلم". فاندهش الشيوخ من إجابته وعدم مراجعته لأبيه، وانتفعوا من طاعته[٤٩٧].

جاءت والدة أبا مرقس يوما ما لكي تراه، وكان معها عدد كبير من أفــراد أســرتها. فخرج الشيخ (الأب سلوانس) ليقابلها، فقالت له: "يا أبانا، قُلْ لابني أن يخرج لكي أراه". فذهب الشيخ وقال له: "أخرج ودع والدتك تراك". فارتدى أبا مرقس ملابــس ممزقــة وسود وجهه بأن وقف فوق مدخنة مسخمة، وخرج هكذا متمما وصية معلمــه لأجــل

(496) W. & W., I: 240 ; Apoph., Mark disciple of Silv., 1 ; D. F., p. 115: v.; س ٤ ورقة ٨٩
(497) Apoph., Mark disciple of Silv., 2; س ٤ ص ٩٠
(498) Apoph., Mark disciple of Silv., 3 ;W. & W., I: 241.

الطاعة، ولما ذهب إلى الزائرين أغمض عينيه وقال لهم: "سلامات سلامات سـلامات"، ولكنه لم ينظر أحدا على الإطلاق، ولم تتعرف والدته عليه. ثم بعثت برسـالةٍ أخـرى إلى الشيخ قائلةً: "أرسل لي ابني، أيها الأب، لكي أراه". فقال لأبا مرقس: "ألم أقل لك أُخرج لكي تراك والدتك"؟ فقال له: "لقد ذهبت، يا أبي، كما قلت لي، ولكنني أتوسل إليك ألاّ تأمرني بالذهاب مرةً أخرى لأنني لا أريد أن أخالفك". فقال الشيخ للوالدة: "إنّ ابنكِ هو الذي جاء لمقابلتك قائلاً: سلامات". ثم هدأ خاطرها وصرفها بسلام[(٤٩٨)].

وفي مرةٍ أخرى قرر أبا مرقس أن يترك الأسقيط ليعيش في جبل سـيناء، وأرسـلت والدته إلى أبيه (الروحي) متوسلةً بدموعٍ أن يرسل ابنها لكي تراه، فـأمره الشـيخ أن يذهب. ولكنه بينما كان يلبس رداءه الجلدي لكي يذهب ويستعد لكي يسـتأذن مـن الشيخ، انفجر فجأةً في البكاء، وبعد كل ذلك لم يخرج[(٤٩٩)]!

قيل عن أنبا سلوانس إنه عندما أراد أن يرحل إلى سوريا[(٥٠٠)] قال له تلميذه مرقس: "يا أبي، إنني لا أريد أن أغادر هذا المكان ولا أن أتركك ترحل. امكث، يـا أبي، هنـا ثلاثة أيام". وفي اليوم الثالث انتقل أبا مرقس من العالم[(٥٠١)]!

ثالثًا: قصص وأقوال

أبا نتـراس

قيل عن أبا نتراس تلميذ الأب سلوانس إنه عندما سكن في قلايته في جبل سيناء كان يعامل نفسه ببصيرةٍ فيما يتعلّق باحتياجات الجسد، ولكنه لما صار أسقفًا على "فـاران" أقمع ذاته بتقشفاتٍ صارمة. فقال له تلميذه: "يا أبي، عندما كنا في البرية لم تكن تمارس مثل هذا النسك"! فقال له الشيخ: "في البرية كان لي سلام داخلي مع الفقر، وأردت أن أدبر أمور جسدي حتى لا أمرض وأحتاج إلى ما لم أكن أملكه، ولكنني الآن في العـالم

(499) Apoph., Ibid.,4.

(٥٠٠) معروف أنه رحل أخيرا هو وتلاميذه الاثنا عشر من مصر إلى سيناء ومن هناك إلى منطقة غزة الفلسطينية، وذلك حسب القول: [قيل بخصوص الأب سلوانس إنه ذهب في وقتٍ متأخر (من حياته) إلى فلسطين، وهناك بنى لنفسه قلاية بجوار النهر وعاش كما كان في الأسقيط بقية أيام حياته Apoph., Silvain, Suppl., 1]. ولذلك فقد ظن البعض، مثل المؤرخ سوزومين، أنّ ق. سلوانس كان فلسطيني المولد. ويصعب معرفة تاريخ ذهابه إلى فلسطين، ولكن يغلب الظن أنه حدث في وقت استبدال آباء الرهبنة بغيرهم أثناء الصراع بين الأسقف الأريوسي "لوقيوس" والبابا الإسكندري بطرس الثاني (٣٧٣ - ٣٨٠م) في الإسكندرية بعد انتقال القديس أثناسيوس (٣٧٣م). فقد صارت الإسكندرية بمركزها السياسي واللاهوتي للكرسي الإسكندري مركزا للجدال اللاهوتي والمكائد السياسية، وبالتالي أثّرت على منطقة الأسقيط والجماعات الرهبانية التي استوطنت هناك. ويرجح D. Chitty أن رحيل جماعة الأب سلوانس إلى سيناء تمّ سنة ٣٨٠م.

(501) Ibid., 5. (502)Apoph.Netras,1;W.&W.,II:409;Ch.,62.

وفي وسط اهتماماته، وحتى لو مرضت هنا يوجد من يهتم بي، وهكذا فإنني أفعل ذلك حتى لا أفسد رهبنتي"[٥٠٢]!

(١٢) قصص وأقوال
الأب ثيئودور البرامي

كان أنبا ثيئودور البرامي قد اقتنى ثلاثة كتب جيدة، فذهب إلى الأب مكاريوس وقال له: "عندي ثلاثة كتب ممتازة أنتفع بها، والإخوة أيضا يستعيرونها وينتفعون منها، فقُلْ لي هل من الأفضل أن أحتفظ بها لفائدتي وفائدة الإخوة، أم أبيعها وأعطي ثمنها للمساكين"؟ فأجابه الشيخ: "أعمالك جيدة، ولكن الأفضل هو عدم القنية". فلما سمع ذلك باع الكتب وأعطى ثمنها للمساكين[٥٠٣].

كان أخ يعيش في (منطقة) القلالي (أي متوحدا)، وكان في وحدته متقلقلاً، فذهب وأخبر الأب ثيئودور البرامي بذلك، فقال له الشيخ: "اِذهب وكُن أكثر اتضاعا في اشتياقاتك، واترك الوحدة الآن وضع نفسك تحت الطاعة واسكن مع آخرين حتى تهدأ هذه العاصفة". ففعل ذلك، ثم جاء بعد قليلٍ وقال للشيخ: "إنني لم أجد سلاما مع الإخوة". فقال له الشيخ: "مع الإخوة لا تجد سلاما وفي الوحدة لا تستريح، فلماذا ترهبت وتجندت؟ أليس لكي تحتمل التجارب والأحزان؟ أخبرني كم سنة لك في الرهبنة"؟ فأجاب: "ثماني سنوات". فقال له الشيخ: "إنّ لي، يا ابني، سبعين سنة في الرهبنة حتى يومنا هذا ولم أجد راحةً يوما واحدا يخلو من الأحزان المرة، وأنت في ثماني سنوات تريد أن تستريح"؟!

فلما سمع الأخ كلام الشيخ تشجع، ثم سكن وحده وابتدأ يحمل سلاح الحرب: الترس المنيع، أي الإيمان الصحيح، ووضع على رأسه خوذة الخلاص، أي الرجاء والثقة بما في الكتب، وحذا قدميه باستعداد البشارة الإنجيلية، وظلّ يثبت نفسه بتدبير جيدٍ، ففارقته قوة المعاند[٥٠٤].

جاء إليه أخٌ مرةً وظلّ ثلاثة أيام يتوسل إليه أن يقول له كلمة، فلم يجبه بشيءٍ، فمضى حزينا. فسأله تلميذه: "لماذا لم تقُلْ له شيئًا، يا أبتاه، فقد ذهب حزينا"؟ فقال له

(503) Apoph. Theodore of Pherme, 1; W. & W., I: 161; س ٥ ورقة ١٠٢
(504) Apoph. Ibid., 2; W.& W.,I: 217; Ch.,34; س ٤ ورقة ٨٢
(505) Apoph., Ibid., 3; س ٤ ص ٨٣
(506) Ibid., 8; W. & W., II: 96, 500; س ٤ ص ٨٣

الشيخ: "صدقني، يا ابني، إنني ما أحجمت عن أن أقول له شيئًا إلاّ لأنه تاجر يريـد أن يتمجد بأقوال الآخرين"[٥٠٥]!

وجاء إليه مرةً أحد الشيوخ وقال له: "ها إنّ الأخ فلان قد رجع إلى العالم". فقال له الشيخ: "هل تتعجب من ذلك؟ بل بالحري تعجب عندما تسمع أنّ أحدا قد هـرب تماما من العالم ومن فكاك العدو"[٥٠٦]!

جاء أخٌ إلى الأب ثيئودور وابتدأ يتحدث معه عن أمور لم يمارسها بعد. فقال له الشـيخ: "إنك لم تجد سفينةً بعد ولا وضعت حاجياتك فيها، وقبل أن تستقل السـفينة وصـلت إلى المدينة التي تريدها! بل بالحري مارس العمل أولاً وحينئذٍ تصل إلى ما تتحدث عنه الآن"[٥٠٧]!

قال تلميذ أنبا ثيئودور: "جاء اليوم إنسانٌ يبيع بصلاً وملأ طستا منـه. فقـال لي الشيخ: 'إملأ طستا بالقمح وأعطه له'. وكانت توجد كومتان من القمح: إحداهما نقية والأخرى غير نظيفة. فملأت له طستا من القمح غير النقي، فنظر إلي الشـيخ بغضـبٍ وأسفٍ. ومن الخوف سقط مني الطست وانكسر. ولما صنعت ميطانية أمام الشيخ قـال لي: 'قم، فهذا ليس خطأك بل خطأي لأنني قلت لك'. ثم دخل وملأ حجـره بـالقمح النقي وأعطاه للبائع مع البصل"[٥٠٨]!

وقيل عنه إنه لما خرب الأسقيط ذهب وسكن في الفرما[٥٠٩]، ولما شـاخ وضـعف جاءوا إليه بأطعمةٍ، ولكنه كان يعطي ما يأتي به الشخص الأول للثاني وهكذا، وعنـدما يحين وقت الطعام كان يأكل ما يأتيه حينئذٍ[٥١٠].

وقيل عن أبا ثيئودور إنه عندما كان ساكنا في الأسقيط جاءه شيطانٌ يريد أن يدخل قلايته، ولكنه ربطه خارج القلاية. ثم جاء شيطانٌ آخر وحاول أن يدخل فربطـه هـو أيضا. ثم جاء شيطانٌ ثالث ووجد الاثنين الآخرين مربوطين فقال لهما: "مـا بالكمـا واقفين هكذا خارجا"؟ فقالا له: "ذاك الـذي يسـكن في الـداخل لا يسـمح لنـا بالدخول". فحاول هو أن يدخل بعنفٍ، ولكن الشيخ بقيود صلاته ربطه هـو أيضـا خارج القلاية. ثم ضجت الشياطين من صلوات الشيخ وتوسلوا إليه قائلين: "أطلقنا"! فقال

---

(507) Ibid., 9; W. & W., II; 34; ٨٣ س ٤ ص
(508) Apoph. Theodore ph., 22; W. & W., I: 432; ٨٣ س ٤ص
(٥٠٩) لعله يقصد "البراما" أي منطقة الأهرام Pyramids (أنظر كتاب "رهبنة").
(510) Apoph. Theodore of Pherme, 26; ١٠٣ س ٥ ورقة
(511) Apoph., Theodore Pherme, 27; W. & W., II: 276; ٨٣ س ٤ ورقة

لهم: "اِمضوا بخزيكم". فذهبوا بخزي[٥١١].

روى أحد الآباء عن أبا ثيئودور البرامي قائلاً: "في إحدى الأمسيات ذهبت إليه فوجدته لابسا ثوبا ممزقًا وصدره مكشوفًا وقلنسوته معلّقةً إلى الأمام. واتفق أنّ إنسانا عظيما جاء لكي يراه، ولما قرع فتح له الشيخ واستقبله وجلس معه عند الباب ليتحدث معه. فأخذ تلميذه جانبا من ردائه وغطّى به كتفيه، ولكن الشيخ ألقاه عنه. ولما انصرف الضيف قال له تلميذه: 'يا أبي، لماذا فعلت ذلك؟ لقد جاء هذا الرجل لكي ينتفع، فربما يكون قد تشكّك'! فقال له الشيخ: 'ماذا تقصد؟ ولماذا تدعوني أبا ونحن لا زلنا نخدم (مشيئة) البشر؟ لقد ضيعنا الزمان وعملنا ما هو ضروري، فمن أراد أن ينتفع فلينتفع، ومن أراد أن يتشكّك فليتشكّك، أما أنا فأقابل الناس في الحالة التي يجدونني عليها'. ثم أوصى تلميذه قائلاً: 'إذا جاء إنسانٌ ليراني فلا تقُل له شيئًا بشريا، بل إذا كنت آكل فقُل له إنني آكل، وإن كنت نائما قُل له إنني نائم، وإن كنت أصلي قُل له إنني أصلي'"[٥١٢].

جاء إليه يوما ما ثلاثة لصوص، وأمسكه اثنان منهم بينما كان الثالث يخرج ما في القلاية. ولما اخذ الكتب أراد أن يأخذ ثوبه أيضا، فقال لهم: "اتركوا الثوب". ولكنهم لم يوافقوا. فدفع اللصين اللذين كانا يمسكانه بيديه حتى فزع ثلاثتهم جدا، فقال لهم الشيخ: "لا تفزعوا، قسموا هذه الأشياء إلى أربعة أقسام، وخذوا ثلاثة واتركوا لي الرابع". ففعلوا ذلك. أما هو فقد أراد بذلك أن يبقي على ثوبه الذي يحضر به صلوات الجمع[٥١٣]!

قال الأب إسحق: "لما كنت شابا كنت أعيش مع الأب كرونيوس، ولم يكن يطلب مني أن أعمل أي شيء رغم أنه كان شيخا وجسده يرتعش، ولكنه كان يقوم بنفسه ويقدم الطعام لي ولكل واحدٍ آخر. ثم عشت مع الأب ثيئودور البرامي ولم يطلب مني أن أفعل أي شيء، بل كان هو يعد المائدة بنفسه ويقول لي: 'إذا أردت يا أخ أن تأكل فتعالَ'! فكنت أجيبه: 'لقد أتيت لكي أساعد قدسك، فلماذا لا تطلب مني إطلاقًا أن أعمل أي شيء'؟ ولكن الشيخ لم يكن يجيبني على الإطلاق".

"فأخبرت الشيوخ بذلك، فجاءوا وقالوا له: 'أيها الأب، لقد جاء الأخ إلى قدسك لكي يساعدك، فلماذا لم تطلب منه إطلاقًا أن يفعل أي شيء'؟ فقال لهم الشيخ: 'هل أنا رئيس دير حتى أعطيه أوامر؟ إن كنت مهتما بشيءٍ فلا أطلبه منه، ولكنه إذا أراد يمكنه أن يفعل ما يراني أفعله'"!

(512) Apoph., Theodore of Pherme, 28; W. & W., I: 470; س ٤ ورقة ٨٣
(513) Apoph. Theodore of Pherme, 29; W. & W., I: 205; س ٥ ص ١٠٤

"ومن ذلك الحين بدأت أسبق وأفعل ما يكون الشيخ على وشك أن يفعله. وكما كان هو يفعل كل شيء في صمتٍ، هكذا تعلّمت منه أن أعمل في صمت"(٥١٤).

سأل أخٌ أبا ثيئودور الأسقيطي: "إنّ فكر الزنى يأتي ويزعج الفكر ويفسده ولا يتركني حرا، ولكن لأنه لا يستطيع أن يقودني إلى الفعل فهو ببساطةٍ يجعلني أتوقّف عن النمو في الفضيلة"!؟ فقال له الشيخ: "الإنسان المتيقظ الذي يصارع بنشاطٍ يقطعه من نفسه وينهض للصلاة"(٥١٥).

سأله أبا أبرآم مرةً قائلاً: "أيهما أفضل، يا أبتاه، أنقتني لأنفسنا كرامةً أم إهانةً"؟ فقال الشيخ: "أما أنا فأشتهي أن نقتني لأنفسنا كرامةً لأنها أفضل من الهوان". فقال له أبا أبرآم: "كيف ذلك"؟ فقال له الشيخ: "لأنني إذا عملت عملاً صالحًا ومُدِحت أستطيع أن ألزم فكري بأنني لست أهلاً للكرامة قائلاً إنني لا أستحق المديح، أما الهوان فهو يكون بسبب أفعال قبيحة تغضِب الله وتشكك الناس، والويل لمَن تأتي بسببه العثرات، وكيف يمكنني أن أسكن قلبي إذا أعثرت أحدا؟ فالأفضل هو أن أعمل الخير وأمجد"! فقال أبا أبرآم: "حسنا قلت أيها الأب"(٥١٦).

وقال أيضا: "إن كانت لك أُلفة مع إنسان سقط في تجربة الزنى، فأعطه يدك - إن استطعت - وارفعه منها وأنقذْه؛ أما إذا سقط في هرطقة ولا تستطيع أن تقنعه بالتحول عنها، فافصل نفسك منه سريعا لئلاّ إذا تأخرت تنجذب إليه وتسقط أنت أيضا في هذا الشرك"(٥١٧).

قيل عن أنبا ثيئودور البرامي إنه تفوق على غيره في ثلاثة أمور اعتبرها أساسية وبلغ في تحقيقها إلى درجةٍ أعظم من كثيرين، وهي: الفقر الاختياري، والنسك، والهروب من الناس(٥١٨).

كان أبا ثيئودور يوما ما يتسلّي مع الإخوة، وبينما كانوا يأكلون كانوا يشربون كؤوسهم باحتشامٍ ولكن في سكون دون أن يقولوا حتى كلمة "اِغفر لي". فقال الأب ثيئودور: "لقد فقد الرهبان أسلوبهم الرهباني ولا يقولون: اِغفر لي"(٥١٩).

---

(514) Apoph., Isaac of the cells, 2; W. & W., I: 444.
(515) Apoph., Theodore of Scetis, 1; W. & W., I: 588.
(516) Apoph., Theodore of Eleutheropolis, 1; W. & W., II: 19; س ٤ ورقة ٨٣
(517) Apoph., Theodore of Pherme, 4; W. & W., I: 315.
(518) Apoph., Ibid., 5; W. & W., I: 174. (519) Apoph., Ibid., 6.
(520) Ibid., 7. (521) Ibid., 10; W. & W., II; 147.

وسأله أخٌ قائلاً: "هل توافق، يا أبي، على ألاّ آكل خبزا لعدة أيام"؟ فقال له الشيخ: "حسنا تفعل، وأنا أيضا فعلت ذلك". فقال الأخ: "أقصد أنني آخذ ما عندي من حمص إلى الخباز ليجعله دقيقًا". فأجاب الشيخ: "إن كنت تذهب إلى الخباز فلماذا لا تعمل من الدقيق خبزا؟ وما الحاجة إلى أن تخرج مرتين"؟!(٥٢٠)

ذهب الأب ثيئودور مرةً لكي يرى الأب يوحنا الذي كان خصيا منذ ولادته، وأثناء حديثهما عن الفضائل قال له الأب ثيئودور: "عندما كنا في الأسقيط كانت فلاحة النفس هي عملنا وكنا نعتبر العمل اليدوي ثانويا، أما الآن فقد صارت فلاحة النفس عملاً ثانويا نتممه كيفما اتفق وما كان ثانويا صار هو العمل الرئيسي الذي يشغل بالنا"(٥٢١).

وسأله أخٌ: "ما هو عمل النفس الذي نعتبره الآن ثانويا، وماهو الذي كان ثانويا ونعتبره الآن هو العمل الرئيسي"؟ فقال الشيخ: "كل ما تفعله كوصيةٍ من الله هو عمل النفس، ولكن كل ما يفعله الإنسان لنفسه فيجب اعتباره ثانويا". فقال الأخ: "اِشرح لي، يا أبي، هذا الأمر". فقال الشيخ: "لنفرض أنك سمعت أنني مريض ويجب أن تزورني، ولكنك تقول في نفسك: هل أترك عملي وأذهب الآن؟ من الأفضل أن أنتهي من عملي ثم أذهب. ثم تأتيك فكرة أخرى وربما لا تذهب إطلاقًا. أو إنّ أخا آخر يقول لك: أعطني يدا يا أخي، ولكنك تقول: هل أترك عملي وأذهب لأعمل معه؟ فإذا لم تذهب فأنت تهمل وصية الله التي هي لأجل فلاحة النفس و تتم بعمل يديك الذي هو ثانوي"(٥٢٢).

قال أنبا ثيئودور البرامي: "الإنسان إذا توقف عن التوبة يكون غير حريص على حفظ الوصية". وفي مرجعٍ آخر:"الإنسان الذي هو في حالة توبة ليس مقيدا بالناموس"(٥٢٣).

وقال أيضا: "لا توجد فضيلة أفضل من ألاّ يكون الإنسان محتقرا لأحدٍ أو يعامله بازدراءٍ"(٥٢٤).

وقال أيضا: "الذي اختبر حلاوة هدوء القلاية يهرب من جاره ولكن ليس كمن يزدري به، بل لأجل الثمار التي يجنيها من السكون"(٥٢٥).

وقال أيضا: "إن لم أقطع نفسي من أصدقاء هذا العالم، فلن يسمحوا لي أن أكون راهبا"(٥٢٦).

---

(522) Ibid., 11; W. & W., II: 148. (523) Ibid., 12; W. & W., I: 611.
(524) Ibid., 13; W. & W., I: 486, II: 293. (525) Ibid., 14; W. & W., I: 34.
(526) Ibid., 15; W. & W., II: 334. (527) Ibid., 16; W. & W., II: 87. (528) Ibid., 17.
(529) Ibid., 19. (530) Ibid., 20; W. & W., II: 521.

وقال أيضا: "في هذه الأيام يأخذ الكثيرون راحتهم قبل أن يعطيهم الله إياها"(٥٢٧).

وقال أيضا: "لا ترقد في مكانٍ توجد فيه امرأة"(٥٢٨).

عندما كان الأب يوسف مريضا مرةً أرسل واحدا ليقول للأب ثيئودور: "تعالَ لكي أراك قبل أن أفارق الجسد". وكان ذلك في منتصف الأسبوع فلم يذهب ولكنه أرسل ليقول له: "إذا انتظرت حتى يوم السبت فسأجيء، ولكن إذا رحلت فسنرى بعضنا بعضا في الدهر الآتي"(٥٢٩)!

قال أخٌ للأب ثيئودور: "قُلْ لي كلمة لأنني على وشك أن أهلك". فقال له بحزنٍ: "أنا نفسي في خطر، فماذا يمكنني أن أقول لك"(٥٣٠)؟

ذهب أبا ثيئودور يوما ما مع أحد الإخوة ليستقي ماءً، وتقدم الأخ فرأى تنينا في البحيرة. فقال له الشيخ: "اِذهب وامشِ فوق رأسه"، ولكنه كان خائفًا ولم يذهب. فذهب الشيخ، ولما رآه الوحش هرب بعيدا في البرية وكأنه خجل منه(٥٣١)!

جاء أخٌ إلى الأب ثيئودور وتوسل إليه أن يعلمه كيف يضفر الخوص، فصرفه الشيخ قائلاً: "انصرف الآن وتعالَ صباح الغد". وفي الصباح بل الشيخ بعض الخوص في الماء واستعد، ولما جاء الأخ أفهمه كيف يصنع الضفيرة، وقال له: "اِعمل بهذه الطريقة"، ثم تركه ودخل إلى قلايته، وفي وقت الطعام أحضر له ليأكل. ثم انصرف الأخ، ولما عاد في صباح اليوم التالي قال له الشيخ: "لماذا لم تأخذ معك بعض الخوص؟ خذ بعضا منه الآن واذهب، لأنك جعلتني أسقط في تجربة الاهتمام بالأشياء". ولم يسمح له بالمجيء إليه مرةً أخرى(٥٣٢).

سئِل الأب ثيئودور: "إذا حدث زلزالٌ هل تخاف أيها الأب"؟ فأجاب الشيخ: "حتى لو انطبقت السماء على الأرض فإنّ ثيئودور لن يخاف". وكان قد صلى متوسلاً أن ينزع الله منه الخوف، ولهذا السبب طُرح عليه هذا السؤال(٥٣٣).

وقيل عنه إنه رغم أنه كان قد رسِم شمّاسا (دياكون)، ولكنه رفض أن يخدم في الكنيسة، وكان يهرب من ذلك إلى أماكن عديدة. وفي كل مرةٍ كان الآباء يعيدونه إلى الأسقيط قائلين: "لا تترك شموسيتك". فقال لهم: "دعوني أصلي لكي يخبرني الله عن

---

(531) Apoph., Ibid., 23.
(532) Apoph., Ibid., 21; W. & W., I: 269.
(533) Apoph. Ibid., 24; W. & W., II: 241; Ch., 35.
(534) Apoph., Ibid., 25; W. & W., II: 242.
(535) W. & W., I: 145.

يقين إن كان علي أن أخدم في القداس". ثم صلى قائلاً: "إن كانت هذه مشيئتك يارب أن أؤدي هذا العمل فأكد لي ذلك". فظهر له عمود من نـار يصـل مـن الأرض إلى السماء، وسمع صوتا يقول له: "إن كنت تستطيع أن تكون مثل هذا العمود فاذهب وتمم هذه الخدمة". فقرر ألاّ يقبل هذه الخدمة. ولما ذهب إلى الكنيسة انطرح الإخوة أمامـه قائلين: "إن كنت لا تريد أن تكون شماسا فعلى الأقل احمل الكأس (عنـد التنـاول)". ولكنه رفض قائلاً: "إن كنتم لا تتركونني فسأبارح هذا المكان". فتركوه وشأنه(٥٣٤).

كانوا يقولون إنّ أبا ثيئودور وأبا أور ارتديا مرةً رداءيهما اللذين من جلد الغنم (يبدو أنهما عزما على الخروج أو السفر)، ثم قال بعضهما لبعض: "لو افتقدنا الله الآن فمـاذا نفعل"؟ فتركا جلدهما وذهبا إلى قلايتيهما وهما باكيان(٥٣٥).

قال الأب ثيئودور: "الزهد في الطعام يميت (أو يهدئ) من جسد الراهب". وقال شيخ آخر: "الأسهار تميته أكثر"(٥٣٦).

قال أبا ثيئودور: "إن كنت معتدلاً فلا تدِن الزاني، لأنك بذلك تتعدى النـاموس، فالذي قال: «لا تزن» قال أيضا: «لا تدِن»"(٥٣٧).

قال الشيخ ثيئودور: "الجوع المتواصـل يجعـل الرهبـان يهزلـون ويـدفعهم إلى الجنون"(٥٣٨).

قال الأب ثيئودور البرامي عن أبا أخيلس إنه كان مثل أسدٍ في الأسقيط وكان يعتبر مرعبا في زمانه(٥٣٩).

سأل أخٌ الأب ثيئودور البرامي: "كيف نحن الآن يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "نحـن مثل المدينة التي لها في موانيها طاغيةٌ رديءٌ، وفي داخلها ملك عادلٌ، وجميع سكان المدينة يتوسلون إلى الملك العادل قائلين: أطِلق لنا هذا الطاغية الرديء"(٥٤٠)!

قال أخٌ: "سألت أنبا ثيئودور البرامي قائلاً: كيف يمكن للإنسان أن يدفع الشـيطان بعيدا عنه بحيث يصير قلبه نقيا من جميع أفكاره"؟ فأجابه الأب ثيئـودور: "إذا سمـح الإنسان لغريبٍ أن يدخِل شئونه في بيته أيستطيع أن يبعِده طالما أنّ شئونه تظلّ في منزله؟ ولكنه إذا أبعد عنه شئونه فإنّ الغريب يرحل من ذاته. هكذا نحن أيضا لا يمكننا إطلاقًا أن

(536) Apoph., Theodore of Eleutheropolis, 2; W. & W., I: 90. (537) Ibid., 3.
(538) W. & W., II: 494. (539) Arm., II: 194 (25) A. (540) Eth. Coll., 13, 15.
(541) Eth. Coll., 14, 5. (452) Eth. Coll., 14, 48. (543) Eth. Coll., 14, 31.

ندفع الشيطان بعيدا عنا إن لم نبعِد أولاً شئونه عنا. وشئونه الخاصة به هي جميع الأعمال الرديئة التي انا الكتاب المقدس عن فعلها"[٥٤١].

قال الأب ثيئودور البرامي إنه عندما كان يدخل إليه فكر الزنى كان يظلّ ست سنوات لا يأكل سوى خبزتين صغيرتين في اليوم: فعندما ينهض باكرا كل يوم يبلّ خبزتيه الصغيرتين في الماء مع قليل من الملح ويأكلهما في المساء بالملعقة مثل الشوربة. وعندما تكمل السنوات الست ينهض ليتلو صلاة المساء ثم يأكل أيضا بهذه الطريقة، ثم يسمع صوتا قائلاً: "أقول لك إنّ هذا الزهد قد استغرق وقتا كافيا". وقال الأب: "وبعد أن كنت أسمع هذا الصوت كان الرب يبعِد عني فكر الزنى"[٥٤٢].

علمت أنّ الأب ثيئودور قال: "كان آباؤنا يحرسون قلوبهم، وأنا أقول إنه في أيام القحط هذه إذا حرس الراهب قلبه من الزنى ومن السلب وكف عن الشهوة فلن يهلك"[٥٤٣].

(١٣) قصص وأقوال
الأب يوسف الكبير(❖)

قال الأب يوسف الذي من "أفرامت": ”هاجمني فكر الزنى يوما ما، وحينئذٍ كنـت ساكنا بجوار أبي، وكان أبي عطوفًا جدا. فقلت له: ’يا أبي، أرى أنّ الزنى يهاجمني بشدةٍ، فأريد أن أذهب إلى العالم وأتخذ زوجةً مثل كل رجل‘. فقال لي أبي: ’لا يـا ابـني، لا ترتكب هذه الخطية، اسمعني والرب سيعطيك راحةً. فسألته: ’ماذا تريدني أن أفعل‘؟ فقال لي: ’خذْ هذه الأربعين خبزة واذهب وأقِم في الأسقيط، وخذْ معك في وحدتك قليلاً من السعف، وابق هناك أربعين يوما، واضفر السعف دون أن تبلّه في الماء، وصم يومين يومين وفي آخرهما كُلْ خبزتين‘“.

”فذهبت وفعلت كما قال لي. وبعد أن قضيت عشرين يوما كنت أضفر فيها السعف وهو جاف وأصوم يومين يومين، دخلَت شابة سوداء صغيرة إلى هناك حيـث كنـت جالسا وقالت لي: ’ألا تعرفني‘؟ فقلت: ’لا‘. فقالت لي: ’إنك تعاني مـن كـل هـذه العذابات بسببي‘. فقلت في نفسي: ’إذن، فأنتِ هي روح الزنى‘. فقالـت لي: ’نعـم‘. فقلت لها: ’حقًا إن كنتِ أنتِ هي روح الزنى ووجهكِ قبيح هذا المقدار فمن السـهل احتقاركِ‘. فقالت لي: ’أردت أن أظهر لك هكذا لأنك رجل الله. والذين يقولون: إننـا دعامات، فأنا أقلب حياتهم‘. وبعد أن قالت ذلك اختفت ولم أعد أراها مرةً أخرى“.

”ثم مضت وجئت إلى ناحية مصر عند أبي، ومكثت ثلاثة أيام بالقرب منه ولم يشـأ أن يكلمني، ولكنه كان يعلم بما حدث. وأنا لم أفهم. ثم قال لي: ’أخبرني بما رأيـت ولا تخفِ عني، لأنّ كل ما رأيته قد ظهر لي‘. وقبل فمي ورأسي عدة مرات ثم قال لي: ’ها أنت من اليوم قد صرت ابنا لي‘“. ثم أضاف الأب يوسف قائلاً: ”منذ ذلـك اليـوم هدأت في شهوة الزنى“(٣٧١).

(❖) يجب التمييز بين ثلاثة آباء باسم يوسف وهم:
الأول: التانيسي: يذكر معه اسم الأب "نستير" أو أي أسماء غير جماعة شيهيت، أو أنهم يشربون الماء مخلوطًا من النهر والبحر. قابله كاسيان عند ميناء تانيس على بحيرة المنزلة، وكان من أسرة غنية ومتضلعا في اللغة اليونانية (Cassian, Conf., 16).
الثاني: شقيق أنبا بيمين: أحد إخوته السبعة، ويبدو في أقواله أنه أصغر منه.
الثالث: الكبير: أكبر من القديسين بيمين وسلوانس وغيرهما لأنه ينصحهم. هو الذي جاء مع والده وأرسله إلى البرية لمدة ٤٠ يوما ورأى شيطان الزنى بهيئة امرأةٍ حبشية. وقد تتلمذ للقديسين أنطونيوس ومكاريوس الكبير. وهو الذي امتدح أنبا أنطونيوس حكمته لأنه قال: ’لا أعرف‘ (أنظر أقوال أنبا أنطونيوس و"رهبنة" ص ٣٠١).

(371) Eth. Coll., 14, 27.

قال أنبا يوسف: "أنا أعرف إنسانا له سيرة جسدانية، فكان يصوم إما يومين يومين أو أربعة أربعة. وحدث مرةً وهو صائم أربعة أيام أنه حلّ عليه الضعف، فجاءه صوت يقول له: 'لا تحتقر أحدا من الإخوة ولا تدن أحدا من خليقة الله، وما استطعت أن تفعله فافعله. بل واضع ذاتك فقط وتحفّظ حسب قوتك وأنت تخلص'". وأنبا يوسف هذا هو الذي قاتله شيطان الزنى لما كان صبيا، ثم أرسله أبوه إلى البرية ليقيم أربعين يوما حيث أبصر شيطان الزنى شبه امرأةٍ حبشية[٣٧٢].

رأى الإخوةُ مرةً أنّ الأب يوسف كان حزينا، وأنه كان في غم شديدٍ. فطلبوا منه أن يخبرهم عن سبب حزنه، ولكنه لم يكن قادرا أن يكلمهم. فبدأ كل واحدٍ منهم يقول للآخر: "ما هو الضيق والحزن الذي يسيطر على الشيخ؟ لقد أقمنا معه عدة سنوات ولم نره قبل ذلك إطلاقًا في مثل هذا الحزن. ألعلنا كدرناه بأي طريقة"؟ ثم ألقوا بأنفسهم على وجوههم عند قدمي الشيخ قائلين: "ألعلنا ضايقناك، أيها الأب، في أي شيءٍ؟ فاغفر لنا لأجل المسيح".

فأجابهم الشيخ بحزنٍ قائلاً: "اغفروا لي أنتم، يا إخوتي، لأنني لست متكدرا منكم، ولكنني حزين من نفسي، لأنني أرى أنني أرجع إلى الوراء بدلاً من التقدم إلى الأمام، وأنني أنا سبب التكدير والخسارة، ليس لنفسي وحدها بل أيضا للآخرين جميعا. إنني أرى أننا الآن نتاجر ونخسر فيما يخص نفوسنا أكثر جدا مما ربحناه في أي وقتٍ من مخافة الرب إلهنا، لأنّ عدم الحياء وعدم المخافة قد سيطرا علينا. ففي الماضي عندما كان الآباء يجتمعون معا كانوا معتادين على أن يكونوا وحدةً متماسكةً يصعدون بها إلى السماء، أما نحن فقوم منحلّون وأموات في خطايانا. وفي أي وقتٍ نقترب بعضنا من بعضٍ نتكلّم عن بعضنا البعض بما هو بغيض، وهكذا نرتفع شيئًا فشيئًا لكيما نهبط إلى قاع الهاوية! ونحن نغرق لا أنفسنا وبعضنا البعض فقط؛ بل أيضا الآباء الذين يأتون إلينا والغرباء الذين يجتمعون بنا والذين يزوروننا من العالم كما لو كنا رهبانا متوحدين وكأننا قديسون، ولهؤلاء قد صرنا سبب عثرةٍ وخسارة"!

"لأنه هكذا قال لي أيضا الأب سلوانس والأب لوط: 'دعنا ألاّ نقيم هنا بعد الآن'. ولما سألتهم: 'لماذا تفارقوننا'؟ قالا لي الآتي: 'حتى هذا اليوم انتفعنا من سكنانا مع الآباء، ولكن منذ أيام الأب بامو والأب أغاثون والأب بترا والأب يوحنا أصبحت وصايا الآباء تؤخذ باستخفافٍ، وصرنا غير مراعين للسنن والشرائع التي وضعها الآباء لنا. وفي

(٣٧٢) س ٤ ص ١٢٠.

اجتماعنا معا نخسر أكثر فأكثر من الأمور الباطلة التي نتكلم عنها. وعندما نجلس على المائدة، فبدلاً من أن نفعل ذلك بمخافة الله والاعتراف بفضله ونأكل ما أعده الله لنا بتمجيدٍ وشكرٍ، نشغل أنفسنا بالحديث معا ونروي قصصا تافهة. وإذ نجلس على المائدة بهذه الطريقة تصير حالتنا متغيرة جدا لدرجة أننا لا نسمع حتى ما يقرأ علينا بسبب ضجيج الكلام الذي بلا منفعةٍ بيننا. وبالإضافة إلى ذلك، فبعد أن ننهض من الأكل نتحادث معا حديثًا فارغًا".

"فما هي منفعتنا من أن نعيش في البرية إن كنا لا ننتفع شيئًا فيها؟ كما أنّ الأب لوط قال: 'سمعت عدة مرات من إخوةٍ غرباء ومن الذين يعيشون في العالم ويأتون لزيارتنا أننا نستخف بوصايا الآباء، كما أنهم قالوا عنا: إننا لم نفكر إطلاقًا أن هؤلاء رهبانٌ'! كما أنّ أحد الإخوة الغرباء قال: 'إنني جئت إلى الآباء في مناسباتٍ عديدة، وتأكدت أنهم كل سنة يقلّ حفظهم للأنظمة الأولى للآباء وسلوكهم'! فما الذي تريدونه الآن؟ هل ستصححون من التهاون في سلوككم وتراعون وصايا آبائنا باهتمامٍ، أم يجب علي أنا أيضا أن أفارقكم"؟

فلما سمع الإخوة هذه الأمور دقّوا الناقوس لكي يجتمع الرهبان، فاجتمع الجميع معا، وتحدث الأب يوسف إليهم بجميع هذا الكلام السابق. فلما سمع الإخوة كلامه وعلموا سبب حزنه وأنه رغب أن يفارقهم؛ ألقوا بأنفسهم على وجوههم باكين وعبروا له عن أسفهم قائلين: "اِغفر لنا أيها الأب لأجل المسيح، لقد أغضبنا الله بأعمالنا، وسببنا الحزن لقدسكم"! ثم قال كل واحدٍ من الآباء: "أما كنت قد وبختنا منذ أول يوم سمعت بخصوصنا من الآباء وحينئذ ما كانوا قد رحلوا عنا؟! وأما كنا قد نهضنا بأنفسنا من نعاسنا وبلادتنا؟! ولكن ماذا علينا أن نفعل؟ لأنّ الشيوخ والقديسين لا يعلموننا، ولا هم حتى يأخذون أماكنهم الملائمة في وسط مجمعنا وعندما نجلس للطعام. كثيرون منا يرغبون أن يسمعوا سير ووصايا الآباء التي تقرأ سواء أثناء جلوسنا على المائدة أو في الفترة بين كل مائدتين، ولكننا غير قادرين على سماع كلمة من حديثهم".

ثم قال الأب إيليا: "تكلم الأب أبراهام والأب يوحنا كثيرا على المائدة وفي وقت القراءة وفي وقت الخدمة (صلوات السواعي)"، وبدأ الآباء يثورون الواحد على الآخر، فقال أحدهم: 'إنّ فلانا، يا أبي، هائج'، وقال الآخر: 'فلان يثيرنا'. ولما رأى الأب يوسف أنّ الجماعة بأكملها هائجة توسل إليهم قائلاً: "أتوسل إليكم، يا إخوتي، أن تكفوا عن هياجكم لأن الله قد دعانا للسلام، ولذلك أرجوكم أن تأتوا وتصلوا ونتضرع إلى الله أن يجعل جنود

العدو يعبرون عنا، لأنني أراهم منتصبين في سخطٍ وغضبٍ، مسلولي السيوف، وهم يرغبون أن يهلكونا جميعا إن لم ينتصب الله لكي يعيننا في بؤسنا".

ولما قال ذلك أمكنه بشيءٍ من الصعوبة أن يهدئهم، وبدأ الأب يوسف نفسه يرتل بكلمات داود عازف القيثارة قائلاً: «سيوفهم تدخل في قلوبهم وقسيهم تنكسر. يا إلهي اجعلهم مثل الجلّ (أو الزوبعة)، مثل القش أمام الريح. يقوم الله ويتبدد جميع أعدائه. يا رب أنقذني، إلى معونتي أسرع» (مز٣٧: ١٥؛ ٨٣: ١٣؛ ٦٨: ١، ٧: ١؛ ٧٠: ١). ولما تلوا مزامير الروح معا وأتموا الخدمة قالوا: "يا الله القدوس، أيها القدير القدوس، أيها القدوس الذي لا يموت ارحمنا". ثم ركعوا جميعا مصلين. وبينما كانوا يصلون سمعوا أصوات الشياطين في الهواء، وقرقعة الأسلحة والخيول والعديد من الفرسان، كما سمعوا أصوات الشياطين قائلين بعضهم لبعض: "لا ترحموهم". كما قالوا: "أيها الرهبان البؤساء، لماذا تقفون ضدنا؟ لو كنا عملنا لكم ما استطعنا أن نعمله لما بقي واحد منكم على وجه الأرض! إننا لن نغيب عنكم ولن نكف عنكم"!

وبعد أن طُردت فرقة الشياطين النجسة بواسطة القوة (الإلهية) الخفية وتوقف هؤلاء الأئمة عن إثمهم، نهض جميع الآباء من على الأرض التي كانوا منطرحين عليها في الصلاة، إذ تزينت الأرض بدموعهم، وقدموا جميعا ندمهم للأب يوسف قائلين: "اغفر لنا وصل لأجلنا لكي يغفر الرب لنا، لأننا أخطأنا وأسخطناه". حينئذٍ قال لهم الأب يوسف: "انهضوا، يا إخوتي، وانتبهوا لأنفسكم جيدا، لأنكم ها قد سمعتم بآذانكم صوت مركبات العدو الذي يهددنا ويطلب هلاكنا. وليصطلح كل واحدٍ مع الآخر ويغفر له إساءته من كل قلبه. واربطوا أنفسكم بحب ربنا بذهنٍ متلهفٍ وقلبٍ نقي للرب وكل واحدٍ للآخر. واقتربوا من الله لكي يقترب منكم، وانتصبوا ضد العدو الذي هو الشيطان. إن كنتم تراعون وصايا الآباء فإنني أضمن لكم أنّ الشيطان لن يمكنه أن يؤذيكم، وأنّ البربر لن يقتربوا إلى هنا؛ أما إن كنتم لا تراعونها فصدقوني يا أحبائي أنّ هذا المكان سيصير خرابا"!

فقدموا توبتهم كل واحدٍ للآخر وتصالحوا بعضهم مع بعض وعاشوا في محبةٍ وسلامٍ عظيمٍ، ووضعوا لأنفسهم في ذلك اليوم قواعد حتى لا يسلك أي واحدٍ منهم من الآن فصاعدا بتوانٍ وبدون مخافةٍ، وحتى لا يفعلوا أو يقولوا أي شيءٍ غريبٍ عن سيرتهم على المائدة، وأنه إذا وجِد أي واحدٍ منهم بعد ذلك محتقِرا أو مستخفًا بوصايا الآباء بطريقةٍ تجعله سبب عثرةٍ وخسارةٍ لنفسه أولاً وللساكنين معه ثانيا وللغرباء الذين يأتون إلينا

ثالثًا، فليعلم أنه يجلب العقوبة لنفسه، وأنه يصير غريبا عن ا مع كله.

ثم أرسل الأب يوسف أخا لكي يرجِع الأب سلوانس والأب لوط، ولما علم هـذان الأبوان ما حدث بين الإخوة، وأ م وضعوا قواعد لحفظ وصايا الآباء، مجدا الله و ضـا وجاءا، ولما تقابلا مع الأب يوسف عانقاه وبكى الجميع. ثم أخبرهما الأب يوسف بكل ما حدث، فمجدا الله الذي لم ينبذ الذين يخافونه. أما بخصوص القواعد الـتي وضـعها الإخوة لأنفسهم، فقد اهتموا بمراعا ا وتنفيذها كل أيام حيا م. ثم رقـدوا بشـيخوخةٍ صالحةٍ بعد أن عاشوا حياةً مرضيةً لله(٣٧٣).

قال أنبا يوسف: "نحن معشر إخوة هذا الزمان نأكل ونشرب ونبيح الجسد، لـذلك فإننا لا ننمو مثل آبائنا، لأنّ آباءنا كانوا يبغضون كل نياحٍ للجسد ويحبـون النسـك والضيقات من أجل الله، ولهذا اقتربوا من الله الحي"(٣٧٤).

قال الأب يوسف التبايسي: "ثلاثة أمور مقبولة ومكرمة في عـيني الـرب: **الأول:** عندما يكون الإنسان مريضا وتتواتر المحن عليه ويقبلها بشكرٍ، **والثاني:** عنـدما يـتمم الإنسان كل أعماله بنقاوة قلبٍ في حضرة الله دون أن يراعي أي شيءٍ بشري، **والثالث:** عندما يظل إنسان في خضوعٍ لأبٍ روحاني متخليا تماما عن إرادته الخاصة، وهذا الأخير سيربح حقًا إكليلاً عظيما. أما عن نفسي فأختار المرض"(٣٧٥).

سأل أخ الأب يوسف: "إذا حدث اضطهاد، فهل من الصواب الهروب إلى البرية أم إلى مكانٍ آهلٍ بالسكان"؟ فأجاب الشيخ: "المكان الذي تسمع أنه يوجد فيه مخلصـون حقيقيون انضم إليهم. لا تكن لك أُلفة إطلاقًا مع صبي ولا تسكن معه. وإذا استطعت أن تستقر في داخل قلايتك فهذا جيد. ازرع خضرواتك بنفسك بدلاً من أن تذهب وتطلبـها من أحد"(٣٧٦).

وقال له هذا الأخ أيضا: "أريد أن أعيش حياةً مشتركةً مع أخٍ لكي أمارس السكون فقط في القلاية، فيعطيني الأخ عملي ويعتني بي". فقال له الشيخ: "لم تكن رغبة آبائنـا في هذه الطريقة من المعيشة، لأنه في هذه الحالة فمن المؤكّد أنك لا يمكنك أن تعطي خبزا لأحدٍ، فالشيطان لا يسمح لك بذلك"(٣٧٧).

علمت أنّ بعض الإخوة كانوا يزورون أبي الأب يوسف، وعندما كـانوا مـزمعين أن

---

(373) W. & W., II: 255. (374) Eth. Coll., 13, 47; س ٤ ص ١٣٧
(375) Apoph., Joseph of Thebes,1;W. & W.,I: 239;٨٧ س ٤ ص (376) N., 412. (377) N., 413.

يرجعوا قال لهم الأب يوسف: ”بعد أن تعودوا إلى قلاليكم زوروا الأب "سيمياس" وتوسلوا إليه أن يقول لكم كلاما لأجل خلاصكم“. فذهبوا إليه ومكثوا عنده ليلةً و ارا، ولم يقـل لهم شيئًا إلاّ هذا: ”خطاياي هي مثل حائطٍ من الظلمات بيني وبين الرب“.

وفي مرةٍ أخرى زاروا الأب يوسف وقالوا له: ”عندما جئنا إلى هنا منذ عهدٍ قريـبٍ قلت لنا أن نزور الأب سيمياس ونطلب منه أن يقول لنا كلمة. وقد ذهبنا إليه ولم يقُـلْ لنا شيئًا سوى هذا: خطاياي هي مثل حائطٍ بيني وبين الله“. فلما سمع الأب يوسف ذلك صاح وبكى قائلاً: ”ها هو قد وجد الطريق، أما أنا فلم أجد الطريق بعد“[٣٧٨]!

(١٤) قصص وأقوال القديسين أنبا زكريـا ووالده أنبا قاريون

قال أنبا قاريون[٣٧٩]: ”الراهب الذي يعيش مع صبي يسقط إن لم يكن ثابتـا، بـل وحتى إن كان ثابتا ولم يسقط فهو يظلّ بدون نمو“[٣٨٠].

كان راهب في **الأسقيط يدعى أبا قاريون.** وعندما ترك زوجته وهجر العالم كان لـه ابنان. وحدثت بعد ذلك مجاعة، فجاءت زوجته إلى الأسقيط وهي مفتقرةً من كل شـيء وأحضرت معها ابنيهما، وكان أحدهما ولدا والآخر بنتا. وانتظرت عند المستنقع على بعـد مسافةٍ من الشيخ. وكانت العادة في الأسقيط أنه عندما تأتي امرأة لتتكلم مع أخٍ أو أي أحدٍ يجب أن تظلّ بعيدةً عنه أثناء حديثهما. فقالت المرأة لأبا قاريون: ”إنك صرت راهبا وتوجد الآن مجاعة، فمن هو الذي سيطعم ابنيك“؟ فقال لها الأب قاريون: ”أرسليهما لي“. فقالت المرأة لهما: ”اِذهبا إلى أبيكما“. ولما اقتربا من والدهما عادت البنت مسرعةً إلى أمها ولكـن الصبي مكث مع والده. فقال الشيخ لزوجته: ”هذا جيد، خذي البنت وانصرفي وأنا سأهتم بالولد“. وهكذا تربى في الأسقيط وعلم الجميع أنه ابنه.

ولما كبر الصبي تذمر جماعة الإخوة بخصوصه لأنه كان جميلاً، ولما سمع الأب قاريون بذلك قال لابنه: ”قم يا زكريا لنذهب من هنا لأن الآباء متذمرين بخصوصك“. فقال له

---

(378) Eth., Coll., 13, 83.

(٣٧٩) كان مصريا متزوجا وله ابن وبنت، وترك أسرته لكي يترهب. ثم أرسلت زوجته إليه ابنهما زكريا فتربى معه في الأسقيط. وسنرى أنّ والده شهد له أنه تفوق عليه روحيا. وقد ذكر القول W. & W. I: 295 اسم الأب "كرونيوس" بدلاً من قاريون.

(380) Apoph., Carion, 3.

الشاب: "يا أبي، كل واحدٍ هنا يعلم أنني ابنك، ولكننا إذا ذهبنا إلى مكانٍ آخر لا يمكننا أن نقول إنني ابنك". ولكن الشيخ قال له: "ا ض ولنذهب من هنا". وهكذا ذهبا إلى الصعيد حيث أعطوهما قلايةً مكثا فيها عدة أيام. ولكن حدث هناك أيضا تذمر بخصوص الولد. فقال له أبوه: "ا ض يا زكريا لنذهب إلى الأسـقيط". وبعـد وصـولهما إلى الأسقيط بأيامٍ قليلةٍ تذمروا بخصوصه مرةً أخرى.

حينئذٍ لما رأى الشاب زكريا ذلك ذهب إلى البحيرة المليئة بملح النطرون وخلع ملابسه ونزل في الماء حتى أنفه، ومكث هناك عدة ساعات بقدر استطاعته حتى تغير جسـده إذ تشوه وصار مثل الأبرص. ثم خرج وارتدى ملابسه وذهب إلى أبيه الذي لم يتعرف عليه إلاّ بصعوبةٍ. ولما ذهب إلى الكنيسة كالعادة كان الأب إيسوذورس قد ظهرت له رؤيـا عما فعله زكريا. فلما رآه امتلأ بالتعجب ثم قال: "يوم الأحد الماضي جاء الصبي زكريا وتناول معنا كإنسانٍ، والآن صار مثل ملاك"[381].

قال أنبا قاريون: "إنني قدمت أتعابا كثيرة، ولكنني لم أصل بعد إلى رتبة ابني زكريـا في الاتضاع والسكون"[382].

قيل عن الأب مكاريوس الكبير إنه سأل مرةً الشاب زكريا: "قُلْ لي ما هو عمـل الراهب"؟ فقال له زكريا: "أتسألني أنا يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "نعم، يا ابني زكريا، إنني متيقن بالروح القدس الذي فيك، لأنّ شيئًا ينخسني أن أسألك". فقال له أبا زكريا: "على ما أرى، فإنّ الراهب هو الذي يغصب نفسه في كل شيء"[383].

قال الأب يعقوب: "كنا مجتمعين في الأسقيط عند البئر، أنا والأب موسى (الأسود) وأبا زكريا. فقال الأب موسى لأبا زكريا: 'عرفني كيف يصير الإنسان راهبا'. فتمدد زكريـا بوجهه على الأرض وذرى التراب على رأسه وذرف الدموع وقال له: 'إنني ابن وأنت أبي، فأنا الذي ينبغي أن أسألك كيف يصير الإنسان راهبا'. فقال له الأب موسى: 'لقد رأيـت أعمالك'. فقال له أبا زكريا: 'ما الذي رأيته إن لم تكن خطاياي'؟ فقال له الأب موسـى: 'ألا تثق أنني لا أكذب عليك'؟ فقال له أبا زكريا: 'أثق فيك بالتأكيد'. فقـال لـه الأب موسى: 'لقد رأيت روح الرب نازلاً من السماء ومستقرا عليك. فبين لي، إذن، كيف أكون راهبا كاملاً'؟ حينئذٍ قال له الأب زكريا: 'حيث إنك لا تسمح لي أن ا ـرب (من الإجابة)،

---

(381) Apoph. Carion, 2;٤٢ س ٤ ورقة (382) Apoph. Carion, 1; D. F., B. XV, xvi;٤٣ س ٤ ص
(383) Apoph., Zacharias, 1; W. & W., II: 82; Arm., II: 20; ٤٣ س ٤ ص

إذًا فاغصب نفسك لأجل الرب في كل شيء، وهذا هو كمال الراهب‘“[٣٨٤]. وفي مراجع أخرى نجد أنّ رد أبا زكريا كان أنه نزع كوكلوسته من على رأسه ووطأها بقدميه قـائلاً: ”من لا يسمح لنفسه أن يعامل هكذا لا يمكنه أن يكون راهبا“[٣٨٥].

روى أخ أنّ أبا زكريا قال للأب موسى: ”أخبرني عما مارسته من زهدٍ منذ شبابك لكي أمارسه أنا أيضا“. فأجابه الأب موسى: ”ما مارسته من زهدٍ منذ شبابي حتى الآن هو: إنني آكل خبزةً واحدةً في اليوم، وإذا صمت حتى المساء آكل خبزتين“. ففعل أبـا زكريا حسبما سمع[٣٨٦].

بينما كان أبا زكريا جالسا يوما ما في الأسقيط ظهرت له رؤية، فأخبر والده قاريون ا، فلم يفهم الشيخ هذا الأمر، فنهض وضربه قائلاً إنّ ذلك هو من الشياطين. إلاّ أنّ أبا زكريا ظلّ يفكر في الرؤية، ثم ذهب في الليل إلى الأب بيمين لكي يخبره بالأمر وأن قلبه يشتعل في داخله. فرأى أنّ هذا الأمر من الله وقال له: ”اذهب إلى الشيخ فلان وما يقوله لك افعله“. فذهب الأب زكريا للشيخ، وقبل أن يسأله سبق واخبره بكل مـا حـدث وقال له إنّ تلك الرؤية من الله ثم قال له: ”ولكن اذهب واخضع لأبيك“[٣٨٧].

قال الأب بيمين: ”عندما مرض الأب زكريا واقترب من المـوت، قـال لـه الأب موسى: ’ألم يظهر لك شيء‘؟ فأجابه: ’نعم‘. فقال له الأب موسى: ’ماذا ترى‘؟ فقال أبا زكريا: ’هل يجب علي أن أتكلم‘؟ فقال له: ’لا، حقًا إنه من الأفضل السكوت يـا ابني‘. ثم رقد الأب زكريا“[٣٨٨].

عند انطلاق روح الأب زكريا كان أنبا إيسوذورس القس جالسا، فنظر إلى السماء وقال: ”اِفرح، يا ابني زكريا، فإنّ أبواب ملكوت السموات قد فُتحت لك“[٣٨٩]!



(384) Eth. Col., 14, 34. (385) Apoph. Zacharias, 2, 3; W. & W., I: 40, 543, 624;س٤ ص٤٣
(386) Eth. Col., 14, 35 a. (387) Apoph., Zacharias, 4; W. & W., II: 262.
(388) Apoph. Zacharias, 5 a; Eth. Col., 14, 35 b. (389) Apoph., Zach., 5b; W.& W.,I: 31b.

(١٥) قصص وأقـوال
القديس التائب الشهيد
أنبا موسـى الأسـود

قال بالليديوس: كان موسى أسود اللون(٣٩٠)، وكان خادما عند أحد ذوي السلطان، ثم غضب عليه سيده بسبب سلوكه وسرقته فطرده، وقيل إنّ هذا حدث بعد أن ارتكب جريمة. وإنني لمضطر أن أروي بعضا من شروره لكي يظهر عظم إيمانه وتوبته:

قيل إنه صار رئيسا لعصابة لصوص، ومما يروى عن شروره أنه حقد ذات مرةٍ علـى راعي غنم لأنه في إحدى الليالي وقف هذا الراعي بينه وبين غنمه ومعه كلابه. فأراد أن يقتل الراعي وبحث عن حظيرة غنمه فعلم أ ا كانت عبر ر النيل. وكان النهر في ذلك الوقت في أقصى علو فيضانه، وكان عليه أن يعبر النهر مسافة ميل كامل، فوضع سـيفه بين أسنانه ورداءه على رأسه وعبر النهر عائما حتى الضفة الأخرى. وأثناء ذلك أستطاع الراعي أن يختفي منه بين الرمال. ثم اختار موسى أربعة كباش من القطيع وذبحها وربطها كلها بحبل واحدٍ ورجع ا عائما...! ثم سلخ جلد الكباش وأكل أفضل أجزاء لحمهـا وباع الجلد ليشتري خمرا، وشرب منه كمية كبيرة وسار مسافة خمسين ميلاً راجعـا إلى مكان عصابته، وفي اليوم التالي استرد وعيه في وقتٍ متأخر(٣٩١).

وقيل إنّ موسى قبل توبته قتل حوالى مائة نفس، وكانت حياته كلها سـلبا و بـا للقوافل المارة على الطرق الكبيرة، وكان له بين زملائه صيت في الوقاحـة والجـرأة في السرقة والقتل حتى إنّ زملاءه - الذين قيل إ م كانوا سبعين لصا - اتخذوه رئيسا لهـم بالتزكية. وكان قويا في جسده يفرط في الأكل والشرب والسكر.

ثم سمع موسى عن رهبان برية شيهيت وطهارة سير م، فتطلّع إلى الشـمس الـتي لا يعرف غيرها إلهًا وقال لها: "أيتها الشمس، إن كنتِ أنتِ الإله فعرفيني"، وكأنه كـان يقول في نفسه: "أيها الإله الذي لا أعرفه عرفني ذاتك". فلم يتركه الله دون إجابة(٣٩٢).

سأل إخوةٌ شيخا: "قيل عن أنبا موسى الأسود إنه بينما كان متقلبا مـع أصـحابه

---

(٣٩٠) ليس صحيحا أنه كان حبشيا، بل إنّ كلمة "حبشي" أو "نوبي" في المخطوطات تعني أنه كان أسود اللون كأهل الحبشة أو كأهل النوبة (وكانت النوبة تسمى "الحبشة")، كما أنّ زملاءه اللصوص الذين كانوا تحت رئاسته، والذين تابوا بسببه، كانوا يقيمون في صحاري مصر، فليس من المعقول أن يكونوا من بلاد الحبشة، كما أن الكتب الكنسية لم تذكر إطلاقًا أنه كان من الحبشة (أنظر كتاب "القديس أنبا موسى الأسود" - يوسف حبيب - ص ٨٨).

(391) Laus., 19: 1 - 3.

(٣٩٢) عن المخطوطة رقم ٤٩٦ بالمتحف القبطي.

قطّاع الطرق في أفعالهم القبيحة أدركته فكرةٌ صالحةٌ فذهب إلى البرية، فإذا كان هذا من عمل نعمة الله فلماذا لم يتم قبل ذلك الوقت"؟ فقال الشيخ: "كل فضيلة هي من نعمة الله كما قال الرب: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا» (يو١٥: ٥)، إلاّ أنّ فعل النعمة يكمل باختيار إرادة الإنسان، وهي لا توقظ الإنسان إلاّ عندما يعلم الله أنّ فكره قد مال إلى الخير، وذلك حفظًا لحرية إرادته، وحينئذٍ توقظه النعمة، فإذا اختار الخير يكمل فيه عمل النعمة كما حدث لإبراهيم"[٣٩٣].

تذكّر موسى رهبان برية شيهيت، فذهب إليهم حاملاً سيفه ليستكشف أحوالهم. وكان أول من قابلهم هو القديس إيسوذورس الذي ذُهِل من منظره المرعب، فسأله قائلاً: "ماذا تريد يا أخي هنا"؟ فأجابه: "سمعت أنك عبد الله الصالح، لذلك هربت وأتيت إليك لكي يخلصني الإله الذي خلصك". وظل يطلب منه بإلحاح وخشوع قائلاً: "أريد أن أكون معك ولو أنني صنعت خطايا كثيرةً وشرورا عظيمة"!

ثم سأله الشيخ قائلاً: "من هو الذي جاء بك إلى هذا الموضع"؟ فأجاب موسى: "أخبرني أحد المزارعين عن قداستك وقال لي: 'امضِ إلى أنبا إيسوذورس فهو يساعدك على خلاص نفسك'، فقمت وأتيت، وهوذا أنا أمامك طالبا منك أن ترشدني إلى خلاص نفسي فلا تردني، ولكن أخبرني وعرفني عن الله".

فسأله الأب: "وماذا كان معبودك في العالم إذن"؟ أجابه: "إنني لست أعرف الله، بل كنت زائغا في شروري، وحالما تأثرت من سماعي عن رهبان الأسقيط تحركت لعبادة إلهي، ولم أكن أعرف سوى الشمس إلهًا، لأنني لما تطلّعت إليها وجدت أنها هي التي تنير المسكونة بضيائها والظلام يحلّ بغيابها، وكذلك القمر والنجوم التي فيها أسرار عجيبة، وكذلك البحر وقوته! ولكن كل هذه لم تشبع نفسي وعرفت أنّ هناك إلهًا آخر لا أعرفه أعظم من كل هذه، وقلت له: 'أيها الرب الإله الساكن في السماء مهدي الخليقة كلها، اهدني إليك الآن وعرفني ما يرضيك'. ولما سمعت أنّ رهبان شيهيت يعرفون الله أتيت إليك لتخبرني وتسأل الله عني حتى لا يغضب علي لأجل شر أعمالي ولا يهلكني لأجل قبائحي غير المعدودة". وكان يقول هذا وهو يبكي بكاءً كثيرا[٣٩٤].

فلما رأى أنبا إيسوذورس كل هذا منه علمه ووعظه كثيرا بكلام الله وعن الدينونة والخلاص. فلما سمع موسى عن الموت والدينونة التي لا مفر منها وجهنم الأبدية وعذابها

(٣٩٣) س ٩ ص ٢٦.
(٣٩٤) مخطوطة رقم ٤٩٦ بالمتحف القبطي.

المرعبة أخذ يفكر كثيرا ... وتركه الأب القديس في تأملاته ومضى.

عملت كلمة الله في قلب موسى كسيفٍ ذي حدين، وجذب خلاص الرب يسوع قلبه، فقرر ترك زملائه الأشرار الذين كان رئيسا عليهم. وظلّ الندم الحار يقلق نومه كشبحٍ مخيف، وهكذا كره حياته الشريرة وعزم على التخلص منها. لم يحتمل توبيخ ضميره على حياته الماضية فألقى بنفسه في طريق التوبة لدرجة أنه قيل إنه جعل حتى الشيطان الذي كان يرافقه منذ حداثته يعترف مقهورا بالمسيح علنا.

ركع موسى أمام قس الأسقيط واعترف علنا بجرائم حياته في تواضع وانكسار ودموع غزيرة بطريقة تدعو إلى الشفقة. فسلّمه أنبا إيسوذورس إلى أبيه القديس أنبا مقار الكبير الذي وضعه تحت رعايته، ثم سلمه إلى أنبا إيسوذورس لكي يعمده ويكمل تعليمه[٣٩٥].

وبعد أيامٍ طلب موسى من القديس إيسوذورس في خشوع أن يصيره راهبا، فأراد القديس أن يجربه فقال له: "إننا في ضيقاتٍ كثيرة من جهة محاربات الشياطين ولا تستطيع أن تكون معنا، ونحن في ضيقاتٍ أيضا من جهة سد احتياجاتنا وليس لنا راحةٌ في أي أمرٍ من الأمور، والأفضل لك يا ابني أن تذهب إلى مصر (أي إلى المدن والأرياف) لتعيش هناك"[٣٩٦].

وكان هذا الحديث مع موسى لأجل اختباره عما إذا كان لا زال له أي تعلق بسيرته الماضية، ولكن بعد أن تحقق الأب إيسوذورس من صدق توبته فرح به وأرسله ثانيةً إلى القديس مكاريوس الكبير. ثم ابتدأ موسى في الاعتراف علنا في الكنيسة بجميع خطاياه وقبائحه الماضية، وكان أنبا مقار أثناء الاعتراف يرى في رؤيةٍ لوحا عليه كتابةً سوداء، وكلما اعترف موسى بخطيةٍ مسحها ملاك الله حتى انتهى من الاعتراف فوجد اللوح قد صار كله أبيض.

ثم عزاه الأب مكاريوس ووعظه بكلامٍ كثير من الكتب المقدسة وأعاده إلى القس إيسوذورس الذي ألبسه إسكيم الرهبنة وأوصاه قائلاً: "امكث يا ابني في هذه البرية ولا تغادرها، لأنه يوم أن تخرج منها تعود إليك كل الشرور، لذلك أقم زمانك كله فيها وأنا أومن أن الله سيصنع معك رحمةً ونعمةً وسيسحق الشيطان تحت قدميك".

ولما سار موسى تحت طاعة الإرشاد الحقيقي استقرت قدماه على صخرة التوبة. والحق يقال إنّ هذين المرشدين العظيمين: أنبا مقار وأنبا إيسوذورس كان اهتمامهما به شديدا عملاً بقول السيد المسيح: «ما جئت لأدعو أبرارا بل خطاةً إلى التوبة» (مت٩: ١٣)[٣٩٧].

---

(٣٩٥) المرجع السابق مع بالليديوس. (٣٩٦) مخطوطة رقم ٣٥٧ بالمتحف القبطي. (٣٩٧) مخطوطة ٤٩٦ بالمتحف القبطي.

وقيل أيضا: إنه لما بدأ موسى يداوم على الصلاة والصوم والتأمل إذ بالشيطان الـذي كان يغريه على الخطية منذ صباه يظهر له بصورةٍ مرعبةٍ مطالبا بفريسته القديمة، فحاربه بشدةٍ ولا سيما في شهواته الجسدانية حتى أوشك على اليـأس والرجـوع إلى حياتـه الشريرة. أخبر موسى أنبا إيسوذورس بذلك فقال له: "لا تحزن هكذا وأنت لا زلت في بدء الصعوبات، إنّ رياح التجارب ستقلق روحك لمدة طويلة فلا تجزع، وإذا ثابرت على الصوم والسهر واحتقار أباطيل هذا الدهر ستنتصر على شهوات الجسد، وسترى كيـف أن هذا الجسد الثائر عليك سيهدأ ولا يعود يطلب شـهواته القديمـة، وأن الشـيطان سيفارقك وهو يائس".

فأطاع موسى، ومارس أنواعا كثيرة من إماتة الجسد، وظلّ يأكل القليل من الخبـز مرةً واحدةً في اليوم فقط، مثابرا على الصلوات وعمل اليدين(٣٩٨).

قيل عن أنبا موسى إنه في بدء رهبنته مارس النسك بغيرةٍ شديدةٍ، فكـان لا يأكـل سوى خبزٍ جاف بالإضافة إلى حمله للأثقال، كما كان يقول خمسين صلاة كل يـوم، وهكذا كان يميت جسده، إلاّ أنه كان يشعر كأنّ نارا تشـتعل في ميـول وشـهوات الجسد، وظلّت الأحلام تزعجه.

ثم ذهب إلى أبيه أنبا إيسوذورس مشتكيا من هذا الصراع العنيف قائلاً: "ماذا أفعل يا أبي؟ إنّ الأحلام الشريرة تظلم ذهني فتستيقظ في كل الميول النجسة ولا سـيما بالليـل حيث تصور أمامي الحفلات الصاخبة التي كنت أُشارك فيها في العالم وكـل مشـاعر الخطية"! فأجابه الأب: "هذا يحدث لك لأنك لا تهرب من تصوراتك، فواظب علـى السهر مع الصلاة الكثيرة والصوم، وكن متيقظًا وتحكم في حواسك، وثق أنك ستنتصـر على الشيطان وتتغلب على جسدك الثائر". فقويت عزيمة أنبا موسى وعمل بهذه المشورة إذ ألزم نفسه ألاّ يرقد طوال الليل ولا حتى يثني ركبتيه(٣٩٩).

وقيل عنه أيضا إنه لما حاربه الزنى بشدة لم يستطع البقاء في قلايته، فذهب إلى أنبـا إيسوذورس وأخبره، فنصحه الشيخ أن يرجع إلى قلايته، فقـال لـه: "لا يمكـنني يـا أبي"(٤٠٠). فأخذه إلى السطح ... ونظـر وإذ بجيشٍ من الشياطين .. وإلى الشرق ورأى جمهورا من الملائكة .. فقال له: "إن كانت ملائكة الله تحارب عنا فلنتقو «لأن الـذين

---

(398) Laus.,19: 5, 6.   (399) Laus., 19: 7.

(٤٠٠) يوجد قول في مجموعة Anonymes بخصوص الأخ الذي حاربه الزنى وذهب إلى أبيه ١١ مرة في ليلة واحدة وهو كان يشجعه، وتنسب بعض المراجع هذا القول لأنبا موسى (س ٤ ورقة ١١١، N., 164; W. & W., I: 560).

معنا أكثر من الذين معهم (علينا)» كما قال إليشع النبي (٢مل٦: ١٦). فلما رآهم أنبا موسى فرح وسبح الله ورجع متشجعا إلى قلايته" (أنظر أقوال أنبا إيسوذورس)[٤٠١].

سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا لما أتى على أنبا موسى قتال الزنى لم يقدر أن يبقى في قلايته حتى ذهب إلى أنبا إيسوذورس الذي لما أراه الملائكة والشياطين تشجع للقتال وعاد إلى قلايته"؟ فأجاب الشيخ: "كل إنسان يحاربه شيطان الزنى بقدر قياس تدبيره، فالذي يحاربه الزنى زمانا طويلاً في أفكاره وهو يجاهد ضده بالصلاة والنسك ويغلب الأفكار، فإن الشياطين تحاربه علنا في حواسه ويصورون له بشرا وحيوانات تفسق أمامه بجميع القبائح، وأحيانا تحيط به شياطين كثيرة ويغصبونه على أن يميل إلى وجع الزنى، فإذا اشتد هذا القتال على المتوحد في الهدوء فعليه أن يصبر، وبعد أن ينتصر في هذا القتال يضيء في ذهنه النور المقدس كما يقول الآباء وينال نعمة الطهارة. فلأن أنبا موسى كان يرى خيالات الشياطين القبيحة، لذلك كشف له أنبا إيسوذورس منظر الملائكة فنال عزاءً وشجاعةً كثيرةً وعاد إلى قلايته بفرح"[٤٠٢].

وقال بالليديوس أيضا: "ثم مكث أنبا موسى في قلايته ست سنوات وهو يقف في وسط قلايته كل ليلةٍ مصليا دون أن يغلق عينيه، ومع ذلك كان من الصعب عليه أن يضبط فكره. ثم بدأ في نوع آخر من الجهاد، إذ كان في كل ليلةٍ يذهب إلى قلالي الشيوخ والأكثر نسكًا في الرهبان ويأخذ جرارهم ويجعلها دائما ممتلئةً بالماء دون علمهم، لأن قلاليهم كانت بعيدة عن الماء، فبعضها كان على بعد ميلين وأخرى على بعد خمسة أميال..."!

"وفي إحدى الليالي كان الشيطان في انتظاره وقد عيل صبره، فبينما كان موسى منحنيا على البئر ضربه الشيطان بين حقويه بهراوةٍ (عصا غليظة) وتركه بين حي وميت حيث إنه لم يشعر بشيء ولا علم بما حدث. وفي اليوم التالي جاء أحد الإخوة ليستقي ماءً فوجده ملقى على الأرض فأخبر الأب إيسوذورس قس الأسقيط، فأخذه إلى الكنيسة حيث ظلّ مريضا لمدة سنة حتى استرد جسده بعض العافية بصعوبةٍ بالغة".

"ثم قال له أنبا إيسوذورس: 'كُف عن الصراع مع الشياطين لأنه توجد حدود للشجاعة حتى في الجهاد النسكي'. فقال موسى: 'لن أكف قبل أن يكفوا عن تخيلاتهم'. فقال له الشيخ: 'باسم يسوع المسيح قد تلاشت أحلامك، والآن تقدم إلى التناول بثقة'. كما قال له: 'بدون قوة الروح القدس التي أعطانا الله إياها في المعمودية لتنفيذ وصاياه،

(401) Apoph., Moses, 1; W. & W., I :562; Ch.184; ص٣٨

(٤٠٢) س ٩ رقم ١٦٢ ص ٢٤٩. س ٤ ص٣٨

والتي تتجدد فينا دائما بالتناول من الجسد والدم الأقدسين لن نتخلّص من الخطايا ولـن نستطيع أن نقهر الشياطين، وبالتالي لن نستطيع أن ننمو في الفضيلة'(٤٠٣). ثم قال لـه: 'لقد تثقّلت بهذه الحروب يا موسى حتى لا تتباهى بأنك غلبت أوجاع الشهوات'".

"ثم عاد موسى إلى قلايته، وظلّ مواظبا على التناول والعمل بنصائح أبيه الروحـي، وبعد شهرين سأله أبوه عن حاله فعلم منه أنه لمدة شهرين لم يقاسِ من الحروب، وحسِب أهلاً أن يأخذ سلطانا على الشياطين حتى إنّ الذباب صار أكثر إزعاجا له منهم"(٤٠٤).

سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا رغم أنّ الآباء يحثوننا دائما على الجهاد لأجـل الفضـائل والصراع ضد الأوجاع والشياطين، فإنّ أنبا إيسوذورس نصح أنبا موسى الأسود قـائلاً: 'كُف عن الصراع مع الشياطين لأنه توجد حدود للشجاعة حتى في الجهاد النسكي'"؟ فأجاب الشيخ: "لأن موسى كان في البداية يجهل أصول الحياة النسكية، ولأن صـحته الجسدية كانت قوية فقد جاهد أكثر من اللازم وظن أنه كان يمكنه أن يسود ببطولتـه على الشياطين بأعماله الكثيرة وحدها وأنه يستطيع أن يبددهم. لذلك لما رأى الشياطين فيه هذا الشعور ظلّت تهاجمه بقسوةٍ أكثر بحروبٍ متتاليةٍ في السر والعلن".

"ولكن أنبا إيسوذورس أراد أن يرشده إلى الصواب وأن يجعله يكتسب الاتضـاع، فقال له: 'بدون قوة الروح القدس...' (القول المذكور أعلاه)، فتعلم موسى وصـارت أفكاره متضعة، وتناول من الأسرار المقدسة، وهزِمت الشياطين وقلّلت من حروبها ضده، ومنذ ذلك الوقت وجد راحةً وامتلأ معرفةً وسلاما".

"إنّ رهبانا كثيرين قد تصوروا أن أوجاعهم تشفى ونفوسهم تتعافى بواسـطة أتعـابهم وجهادهم وحدها، لذلك هجرتهم النعمة وسقطوا من الحق، لأنه كما أن المريض بالجسد لا يمكنه أن يشفى بدون طبيب وعقاقير ويكون أكثر تحفظًا في أكله أو صومه أثناء فترة العلاج، هكذا أيضا المريض بأوجاع الخطية فهو بدون المسيح طبيب النفوس وبـدون المشـاركة في جسده ودمه والقوة الكامنة في وصاياه والاتضاع مثله، لا يمكنه أن يشفى من أوجاعـه ولا ينال شفاءً كاملاً. وعلى ذلك فكل من يحارب الأوجاع والشياطين بوصايا الرب يشفى من مرض الأوجاع ويكتسب صحةً لنفسه وينقَذ من خبث الشياطين"(٤٠٥).

قال أنبا موسى: "هاجمتني شهوة الزنى يوما ما بينما كنت صـائما، فـدخلت إلى

---

(٤٠٣) هذه النصيحة الأخيرة مقتبسة من القول التالي.

(404) Laus., 19: 8 - 11.

(405) W. & W., II: 616; س ٩ رقم ٥ ص ٢٩

أعماق البرية ومكثت هناك ٤٢ يوما دون أن آكل خبزا أو أشـرب مـاءً (إلاّ القليـل النادر)، ودون أن أضطجع أو أجلس، وتوسلت إلى الرب حـتى حـررني مـن هـذه التجارب، وبعد ذلك لم ا جمني إطلاقًا كل أيام حياتي"[(٤٠٦)]!

ذكر أخ أنّ أبا زكريا تلميذ أنبا موسى قال لمعلمه: "أخبرني بحيـاة الزهـد الـتي مارستها في شبابك لكي أُمارسها أنا أيضا". فأجابه أنبا موسى: "كنت في شـبابي ولا زلت آكل خبزة واحدة في اليوم إذا صمت حتى المساء، وإذا أكلت كل يـومين آكـل خبزتين". ففعل أبا زكريا مثله[(٤٠٧)].

ذهب مرةً أنبا موسى إلى البئر ليستقي ماءً، فرأى هناك أبا زكريا يصـلي وروح الله مستقرا عليه مثل حمامة[(٤٠٨)].

حدث مرةً أن أُعطيت وصيةً في **الأسقيط** بأن يصام لمدة أسبوع، ثم اتفـق أن بعـض الإخوة جاءوا من مصر لزيارة أنبا موسى فهيأ لهم طبيخا، فلما رأى جيرانه دخان النار قالوا للآباء الكهنة: "ها أبا موسى قد كسر الوصية وطبخ في قلايته". فقالوا لهم: "عندما يأتي في يوم السبت سنكلمه". ولما حضر، وكانوا هم يعرفون طريقة حياته، قالوا له أمام الجميـع: "يا أبا موسى، وإن كنت قد خالفت وصية الناس إلاّ أنك حفظت وصية الله"[(٤٠٩)]!

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص أنّ القديس صنع طبيخا وأكرم زائريه مخالفًا للصوم، ثم قال له الكهنة: "حللت وصية الناس وثبت وصية الله". فقال الشيخ: "لعل إنسانا كان محتاجا إلى صلاة وصوم، فنادوا في الأسقيط من أجل صوم أسبوع. أما السبب في أنّ أنبا موسى حـلّ هذه الوصية فهو أنه لما كان لصا كان قد عمل شرورا كثيرة مع الناس، فصار بعد توبته يهتم بقبول الغرباء ويخدمهم، وكان مجتهدا أكثر من جميع الآباء في هذه الفضيلة لكي يرضي ـا الله. ولما جاء هؤلاء الإخوة في ذلك الأسبوع زاروا آباء آخرين ولم يصنعوا لهم طبيخا بسبب الصوم، ولما ذهبوا إلى أنبا موسى قبلهم بفرح ونيحهم، فأكمل ناموسه في قبول الغرباء الذي به يرضي الله، وفي نفس الوقت لم يأكل معهم ولم يحلّ قانون الصوم".

"ولما تذمر بعض الإخوة وقالوا للكهنة وعدوهم أن يلوموا القديس، ولكنهم لما رأوا عظم تدبيره وتعبه وشقاء جسده، وربما أخبرهم الإخوة الغرباء أنه لم يأكل معهم طبيخا، تعجبوا من حسن إفرازه ومجدوه جدا. وهؤلاء الكهنة هم رئيس الدير وقسوس الموضـع

(406) Eth. Coll., 14, 26.
(407) Ibid., 14,35; وأبا زكريا هذا غير أبا زكريا ابن قاريون
(408) W. & W., I: 624; Apoph., Zacharias, 2. هذا هو أبا زكريا ابن قاريون
(409) W. & W., I: 441; Apoph., Moses, 5; س ٤ ورقة ٣٨

الذين في أيامهم كان يـ ل على القربان شبه نسر ولا يراه أحد غير الكهنة“[٤١٠].

قال أنبا موسى لأنبا مقار في **الأسقيط:** ”إنني أحب أن أعيش في هدوء الصلاة ولكن الإخوة لا يدعونني أفعل ذلك“. فقال له أنبا مقار: ”أرى أنك إنسان مرهف الشـعور وعاجز عن أن تخرج أي أخ خارجا. إذًا، فإن كنت تريد أن تعيش في سلام فاذهب إلى البرية الداخلية عند الصخرة المعروفة باسم "بترا"[٤١١]، وهناك تكون في سلام“. وهكذا وجد أنبا موسى هناك سلاما[٤١٢].

قيل عن أنبا موسى إنه لما عزم أن يذهب ويسكن عند الصخرة "بتـرا" أ كـه طـول الطريق، فقال في نفسه: ”كيف أجد ما أحتاجه من الماء هنا“؟ فسمع صوتا يقـول لـه: ”أُدخل ولا تم بشيء“، فدخل. ثم جاء إليه بعض الآباء لكي يروه، وكان عنده قليل من الماء في جرةٍ، فاستعمله كله لكي يطبخ لهم عدسا. ثم أقلقه نفاد الماء فظلّ يـدخل قلايتـه ويخرج وهو يصلي لله، فمرت سحابة على مكان الصخرة سقط منها مطر ملأ كل أوعيته.

بعد ذلك سأله الآباء: ”أخبرنا لماذا كنت تدخل وتخرج“! فقال لهم الشيخ: ”كنت أتلاجج مع الله قائلاً: لقد أتيت بي إلى هنا والآن ليس لي ماء لعبيدك! لهذا كنت أدخـل وأخرج طالبا من الله حتى أرسل لنا بعضا من الماء“[٤١٣].

جاء أخ إلى الأسقيط ليزور أبا موسى وطلب منه كلمةً، فقال له الشيخ: ”اذهـب وامكث في قلايتك والقلاية تعلمك كل شيء“[٤١٤].

سأل إخوةٌ شيخا: ”جميع الآباء يرشدون الإخوة الذين يسألو م ليتعلّمـوا منـهم ويكشفوا لهم أفكارهم والإخوة يطيعون وصاياهم، ولكن أحد الشيوخ (هو أنبا موسـى الأسود) قال لأحد الإخوة: ’امضِ وامكث في قلايتك وهي تعلمك كل شيء‘، فكيف يكون ذلك“؟ فأجاب الشيخ: ”هذا القول لا يتعارض مع أقوال الشيوخ، بل كما كان أنبا مقار يقول للمبتدئ: ’في الأيام الأولى التي تدخل فيها قلايتك اعمل كما كنت تعمل في ا مع إلى وقتٍ ما، وبطول المدة تعطيك القلاية طقسا يوافق حبسك، فما يناسبك أن تزيده فزده أو أن تنقصه فانقصه‘“[٤١٥].

قال أنبا موسى: ”الإنسان الذي يهرب ويعيش في الوحدة يشبه عنقود عنب ناضجا

(٤١٠) س ٩ رقم ١١٩ ص ٢٠١.

(٤١١) يوجد مكانان باسم "بترا": الأول: هو صخرة شيهيت، وهي تبعد قليلاً عن دير البراموس الآن، وكان قد بني هناك دير باسم أنبا موسى ظلّ عامرا لعدة قرون، والثاني: صخرة شيهيت المدعوة صخرة مقاريوس، وهي موضع دير أنبا مقار الحالي (عن "رهبنة" الطبعة الثانية ص ٨٩، هامش رقم ٦).

(412) Apoph., Mac., 22; Am., 217: 3.

(413) Apoph., Moses, 13; W. & W., I: 619; س ٤ ورقة ٣٨

(414) Ibid., 6; Ibid., I: 62; س ٤ ورقة ٣٨

(٤١٥) س ٩ رقم ٣٢ ص ١١٠.

بواسطة الشمس، أما الذي يمكث بين الناس ومجاذبا م فهو يشبه عنبا غير ناضج"[٤١٦].

حدث مرةً عندما عِقد مجمع في الأسقيط أنّ الآباء عاملوا أبا موسى بـازدراءٍ لكـي يمتحنوه قائلين: "لماذا يدخل هذا الأسود بيننا؟ لماذا جاء ليفسِد ترتيب رهبنتنا؟ هل نحن في حاجةٍ إلى لصٍ بيننا"؟ ولما انصرف ا مع اعترفوا له بسبب أقوالهم هـذه، وتعجبـوا جدا من هدوئه الكامل وسألوه: "ألم يحزنك هذا الكلام إطلاقًا"؟ فقال لهم: "الحق إنني حزنت ولكنني ظللت صامتا"[٤١٧].

سأل إخوةٌ شيخا: "عندما ازدرى بعض الإخوة بأنبا موسى الأسود سألوه قـائلين: 'أما تسجس قلبك يا أبانا'؟ فأجا م: 'لقد تسجس ولكنني لم أتكلم'، فما معنى ذلك"؟ قال الشيخ: "إنّ كمال الرهبان يتكون من جزءين: عدم التسجس بحواس الجسد، وعدم التسجس بحواس النفس. عدم التسجس بالجسد هو عندما يشتم الإنسان ويكبح جمـاح نفسه لأجل الله ولا يتكلم حتى ولو اضطرب، أما عدم التسجس بالنفس فيكون عنـدما تساء معاملة الإنسان ويشتم ومع ذلك لا يغضب في قلبه. وذلك مثل القـديس يوحنـا القصير، لأنه حدث مرةً عندما كان الإخوة جالسين معه مر عليه رجلٌ وعيره ولكنـه لم يغضب ولا تغير منظره، فسأله الإخوة: 'ألم تضطرب في داخل قلبك يا أبانا عندما أُهِنت ذه الطريقة'؟ فأجا م: 'لم أضطرب في داخلي، فأنا هادئ في داخلي كما ترونني مـن الخارج تماما'. وهذا هو عدم التسجس الكامل".

"وأنبا موسى لم يكن قد بلغ حتى هذا الوقت إلى هذه الدرجة من الكمـال، وقـد اعترف بأنه رغم عدم اضطرابه من الخارج إلاّ أنه كان هناك نزاع في قلبـه واحـتفظ بصمته ولم يغضب من الخارج، وحتى هذه كانت فضيلة روحية، ولو كان لم يغضـب داخليا أو خارجيا لكان ذلك أكثر كمالاً".

"والقديس نيلوس السينائي عمل مقارنةً بين هذين المقدارين من الفضيلة في حـالتي المباركين موسى النبي وأخيه هارون: حيث إنّ طقس تغطية الصدر والقلـب بالصـدرة الكهنوتية الذي كان يجريه هارون عند دخوله قدس الأقداس كان يمثل حالة الإنسـان الذي رغم غضبه في قلبه فهو يقمع هذا الغضب بالصراع والصلاة، أما حالة الإنسـان الذي ليس في قلبه أي غضب إطلاقًا، لأنه بلغ إلى الكمال بنصـرته علـى الأوجـاع والشياطين، فيقار ا القديس نيلوس بما قيل عن موسى النبي، وذلك بقوله: 'قدم موسـى

---

(416) Apoph., Moses, 7 ; W. & W., I: 35.
(417) Apoph., Moses, 3; W. & W., I: 55; س ٤ ورقة ٣٨

النبي الصدر كذبيحة لأن النفس تسكن في القلب والقلب في الصدر’“.

”وسليمان الحكيم يقول: «الحكماء يصرفون الغضب» (أم٢٩: ٨)، ويقول الكتاب بخصوص هارون: «اصنع ثيابا مقدسة لهارون أخيك للمجد والبهاء، وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمةٍ أن يصنعوا ثياب هارون لتقديسه ليكهن لي ... صدرة ورداء و ... إلخ. وتجعل في صدرة القضاء الأوريم والتميم (أي الأنوار والصحايح) لتكون على قلب هارون عند دخوله أمام الرب» (خر٢٨: ٢ - ٤و٣٠). وهذا يعلمنا نحن الرهبان أنه من اللائق لنا أن نغطي على غضب القلب بأفكارٍ طيبةٍ متضعةٍ هادئةٍ، وأن لا نسمح للغضب أن يصعد إلى الحنجرة حيث يفضح اللسان نتانة هذا الغضب“.

”كما أن الراهب عليه أن يستأصل الغضب من قلبه، بل ويطلب المغفرة لمن يغضبه كما فعل الطوباوي موسى النبي عندما احتقرته مريم أخته“(٤١٨).

قال أنبا موسى: ”الذي يحتمل كلمة ظلم أو معيرة من أجل المسيح باتضاع يكمل استشهاده، ومن يتمسكن من أجل الله يعوله الله، ومن يظهر ضعفه أمام الله أو يصير أحمق من أجله يحكمه الله“(٤١٩).

وقيل عنه إنه لما رسِم قسا ألبسوه التونية البيضاء، فقال له رئيس الأساقفة (البابا ثيئوفيلس الـ ٢٣): ”ها قد صرت كلّك أبيض يا أبا موسى“. فقال له الشيخ: ”هذا حق من جهة الخارج، أيها السيد الأب، ولكن ماذا عن ذاك الذي في الداخل“؟

ولما أراد رئيس الأساقفة أن يمتحنه قال للكهنة: ”عندما يدخل إلى الهيكل أطردوه، ثم اتبعوه لتسمعوا ماذا يقول“. ثم جاء الشيخ فطردوه قائلين: ”أخرج يا أسود“. فخرج وهو يقول لنفسه: ”حسنا فعلوا بك لأن جلدك أسود كالرماد، إنك لست إنسانا، فلماذا تسمح لنفسك أن توجد مع الناس“؟!

وكان قد شهد له أبوه الروحي أنبا إيسوذورس ورشحه للكهنوت، وقيل إنه لما بدأ البطريرك يضع يده عليه لرسامته سمعوا صوتا من أعلى قائلاً: ”مستحق، مستحق، مستحق“(٤٢٠).

حدث مرةً أنّ أنبا موسى عاد إلى قلايته ليلاً فوجد أربعة لصوص قد سرقوا ما فيها وأرادوا أن يمضوا فأمسكهم وربطهم بحبلٍ واحدٍ كحزمة حطبٍ وحملهم على كتفه

(٤١٨) س ٩رقم ٣١ ص ١٠٩؛ W. & W., II: 668
(419)W. & W., I: 228; س ٤ ورقة٣٩
(420) Apoph., Moses, 4; W. & W., I: 477; س ٤ورقة ٣٨ ؛مخطوطة ٤٩٦ بالمتحف القبطي

وذهب م إلى مجمع الشيوخ قائلاً: "طالما أنني يجب ألاّ أؤذي أحدا فماذا تريـدونني أن أفعل ؤلاء الذين سرقوا قلايتي"؟ وتعجب اللصوص جدا من قوته الجسـدية وسـألوا الرهبان عنه فعلموا أنه هو موسى زعيم اللصوص، فارتعبوا وسجدوا معترفين بخطاياهم، ومجدوا الله وازدروا بالعالم بسبب تغيير حياة موسى قائلين: "إن كان هذا الذي كـان لصا قويا وعنيفًا، يخاف الله الآن، فلماذا نطرح نحن عنا خلاص نفوسنا"[(٤٢١)]؟!

سأل أخ أنبا موسى: "ماذا يفعل الإنسان في التجربة التي تأتي عليه والفكر الذي من العدو"؟ فأجابه الشيخ: "عليه أن يبكي أمام نعمة الله لكي يعينه، وبسرعة سيجد راحةً إذا قدم توسلاته بمعرفةٍ، لأنه مكتوب: «الرب معين لي فلا أخـاف، مـاذا يصـنع بي الإنسان»؟! (مز١١٨: ٦؛ عب١٣: ٦)"[(٤٢٢)].

حدث أنّ بعض الزائرين جاءوا من مصر إلى أنبا موسى، فرأوا على المائـدة ثعبانـا مشويا. ولما حان وقت الغذاء قال لهم القديس: "لا تقربوا هذا يا إخوتي فإنـه وحـش شرير". فقالوا له: "لماذا فعلت هكذا يا أبانا"؟ فأجا م: "يا إخوتي، إن هذه الـنفس المسكينة اشتهت سمكًا ففعلت هذا لكي أكسر شهو ا الرديئة"، فتعجب الإخوة جـدا ومجدوا الله الذي أعطى قديسيه هذه النعمة العظيمة[(٤٢٣)].

أخطأ أخ في **الأسقيط،** فعقدوا مجمعا بسببه ودعوا أنبا موسى ولكنه رفض أن يذهب، فجاء إليه كاهن هذا الموضع وقال له: "تعالَ، فالجميع ينتظرونك". فقام وأخذ كيسـا مثقوبا وملأه بالرمل وحمله على ظهره ودخل به ا مع، فلما رأوه قالوا له: "ما هذا أيها الأب"؟ أجاب: "هذه خطاياي تجري وراء ظهري دون أن أبصرها وقد جئت اليـوم لأدين خطايا غيري"! فلما سمعوا غفروا للأخ ولم يحزنوه بشيء[(٤٢٤)].

سأل أخ أنبا موسى: "يوجد هنا إنسان يضرب خادمه بسبب خطأ ارتكبه، فماذا يفعل الخادم"؟ أجاب الشيخ: "إن كان الخادم صالحًا فعليه أن يقول: اغفر لي، إنني أخطـأت". فسأله الأخ: "ولا شيء غير هذا"؟ قال الشيخ: "لاشيء، لأنه منذ اللحظة التي فيها يحمل نفسه بمسئولية هذا الأمر ويقول "أخطأت"، ففي الحال يرحمه الرب. والهدف من كل ذلك هو عدم دينونة الآخرين، وهذا هو كمال كل الفضائل، لأنه حقًا عندما قتل الرب أبكـار أرض مصر لم يوجد بيت واحد خاليا من ميت". فسأله الأخ: "ما معنى هذا"؟ قال الشيخ: "إن كنا متيقظين لرؤية خطايانا فلن نرى خطايا الآخرين، تماما كما أنه من الحماقة أن يترك

---

(421) Laus.,19:3, 4; مخطوطة رقم ٤٩٦ بالمتحف القبطي (422) W. & W., II: 125.

(٤٢٣) مخطوطة رقم ٤٩٦ بالمتحف القبطي. س ٤ ورقة ٣٨ (424) Apoph., Moses, 2; W. & W., I: 542;

الإنسان الميت الذي في بيته ويذهب ليبكي على ميت جاره. فانظر إلى خطايـاك واقطـع اهتمامك بأي إنسان ولا تشي بأحدٍ، ولا تفكّر بشر على أحدٍ، ولا تصطحب الذين يثلبون سمعة الآخرين، ولا تسمع كلام وقيعة على أي إنسان".

"أما بخصوص أن يموت الإنسان عن قريبه، فهذا معناه أن تحمل خطايـاك ولا تعـير التفاتا إلى أعمال الآخرين إن كانت صالحة أو رديئة، وأن لا تؤذي أحدا، وإثم قريبك لا تذكره في قلبك، ولا تحتقر من يفعل الشر، ولا تسلم مشيئتك لمن يعمل شرا لقريبك أو تثق فيه، ولا تفرح بما يسبب شرا لقريبك. وهذا هو معنى أن يموت الإنسان عن قريبه".

"لا تتكلم بشر على أحدٍ، بل بالحري قُل: "الله يعرف كـل إنسـان"، ولا تسـر بالحديث الشرير، ولا تسلم إرادتك لمن يغتاب قريبك، وهذا هو معنى قول الـرب: «لا تدينوا فلا تدانوا». ولا تجعل في قلبك عداوةً لأي إنسان، ولا تبغض من يعادي قريبه ولا تدِن عداوته، ولا تغضب على أخٍ يغضب على قريبه، لأن هذا هو السلام الحقيقـي: أن تشجع نفسك بهذا الفكر: [الضيق يستمر لوقتٍ قصير، في حين أن السلام أبدي بنعمـة الله الكلمة]. آمين"[(٤٢٥)].

سأل أخ أنبا موسى: "إنني أرى شيئًا أمامي ولكنني غير قادر أن أُمسكه"، فقال له الشيخ: "إن لم تصر ميتا مثل الذين في القبور فلن يمكنك أن تمسكه، الذي هو الفكر"[(٤٢٦)].

قال أنبا بيمين: "سأل أخ أنبا موسى: 'كيف يمكن للإنسان أن يعتبر نفسه كأنه ميت بالنسبة لقريبه'؟ فقال له الشيخ: 'إن لم يضع الإنسان في قلبه أنه مات وله في القبر ثلاث سنوات فلن يمكنه أن يبلغ إلى هذا الأمر'"[(٤٢٧)].

كانت الشياطين تظهر كثيرا لأنبا موسى وتقول له: "إنك غلبتنا ونحن غير قـادرين عليك، ففي كل مرةٍ نريد أن نحقرك لكي نسقطك في اليأس ترتفع، وكل مرة نريـد أن نرفعك تتضع حتى إنه لم يعد يتجاسر أحد منا أن يقترب إليك"[(٤٢٨)].

كان أحد الإخوة في الأسقيط ذاهبا إلى الحصاد، ولكنه ذهب أولاً إلى أنبا موسى الأسود وقال له: "أخبرني، يا أبي، هل أذهب إلى الحصاد"؟ فقال له الأب موسى: "إن قلت لك فهل ستعمل بما أقوله لك"؟ فقال له الأخ: "نعم، سأسمع كلامك". فقال له الشيخ: "إن استجبت لكلامي فقم اعتذر عن الذهاب إلى الحصاد وتعالَ وأنا أقول لك ماذا تفعل". فـذهب الأخ

---

(425) Apoph., Moses, 7 (المجموعة الثانية);W. & W., II: 126, 127; س ٤ ورقة ٣٨
(426)Apoph., Moses,11;س ٤ ورقة ٣٨ (427)Apoph., Moses, 12; W. & W.,I: 368. (428) R., 102.

واستأذن من رفقائه ورجع إلى الشيخ الذي قال له: "اذهب إلى قلايتك واحفظ أيام الخمسين، وكُلْ خبزا يابسا وملحا مرة واحدة في اليوم، وبعد ذلك سأقول لك شيئًا آخر لتفعله".

ففعل الأخ كما أوصاه الشيخ ثم جاء إليه، ولما رأى الشيخ أنه كان يعمل بيديه علمه الطريقة الصحيحة للحياة في القلاية، ثم ذهب الأخ إلى قلايته وسقط على وجهه على الأرض وبكى أمام الله لمدة ثلاثة أيام. وبعد هذه الأمور، لما كانت أفكاره تقول له: 'إنك الآن قد ارتفعت جدا وأصبحت رجلاً عظيما'، كان يقاومها ويضع أمام عينيه ضعفاته السابقة ويقول: "هكذا كانت عثراتك". ولما كانت تقول له: 'لقد فعلت أمورا كثيرةً بجهالةٍ'، كان يقول: "ومع ذلك فأنا أقدم خدمات قليلة لله وهو يظهر لي رحمته".

ولما قُهرت الشياطين من مثل هذه الوسائل، ظهرت له في هيئة مخلوقات جسدانية وقالت له: "لقد هزمتنا". فقال لهم: "لماذا"؟ فقالوا له: "إذا حقّرناك ارتفعت وسموت، وإذا رفعناك هزمتنا بتواضعك"[٤٢٩].

كان في **الأسقيط** شيخ أُصيب بمرضٍ شديد، وكان الإخوة يخدمونه ولكنه لم يجد راحةً في خدمتهم، فقال الشيخ: "سأذهب إلى مصر (القاهرة الآن) حتى لا أخطئ إلى الإخوة"، فقال له أنبا موسى: "لا تذهب لأنك ستسقط في الزنى". فقال الشيخ وهو متكدر: "ها جسدي ميت وأنت تقول لي ذلك"؟

ثم ذهب ليعالَج عند أقربائه، ولما علم الناس أتوا إليه بهدايا كثيرة وأدوية جيدة و افتوا على خدمته حتى تحسنت صحته، ولكن الشيطان كمن له في ممرضةٍ شابةٍ كانت تخدمه بإخلاص، وهو كان يستلطفها ثم تطورت علاقته بها حتى أخطأ معها فحبلت. وقالت للناس إنّ الشيخ هو سبب ذلك فلم يصدقوها، ولكن الشيخ قال في نفسه: "أنا هو المذنب، وعلي أن أرعى طفلها".

علم الآباء في شيهيت بالخبر المحزن فقدموا صلوات حارة من أجله، واستجاب الله لتوسلاتهم، فشعر الشيخ بالندم وقرر العودة في يوم عيدٍ حتى يكون لاعترافه بخطيئته وقع أكبر، وكان الطفل قد فُطِم، فذهب الشيخ إلى ديره ومعه الطفل ودخل الكنيسة في حضرة جميع الرهبان الذين لما رأوه انفجروا في البكاء. ثم قال لهم الشيخ: "أترون هذا الطفل؟ إنه ابن عدم الطاعة. احترسوا، إذًا، يا إخوتي لأنني في شيخوختي فعلت ذلك، وصلوا من أجلي لكي يرحم الله نفسي". ثم وضعوا عليه قانونا، ورجع إلى قلايته حيث استرجع أسلوب حياته السابقة[٤٣٠].

(429) W.&W., I: 18.

(430) Anonymes, 55.

قال أنبا موسى: "أيها الحبيب، إذ قد تبقّى وقت للرجوع فارجع وتقدم إلى المسيح بتوبةٍ خالصة، أسرع قبل أن يغلَق الباب فتبكي بكاءً عظيما حتى تحرق دموعك خديك بلا منفعة. اجرِ واضبط الباب قبل أن يغلَق، أسرع بالرجوع فإنّ المسيح إلهنا يهوى خلاص جميع الناس وإتيا م إلى معرفة الحق، إنه ينتظرك وسيقبلك، له ا د إلى الأبد آمين"(٤٣١).

قال لي **أبا يوحنا تلميذ الأب يعقوب:** "كان أنبا موسى كثيرا ما يقول في الأسقيط: 'إذا صنع الراهب مشيئة الرب ولكنه سكن مع أهله حيث يرتمي عليهم، فسـ يلقى هـ و أيضا بعد الموت معهم'"(٤٣٢).

قال أنبا موسى: "لا يستطيع الإنسان أن يتجند في جيش المسيح إن لم يصِر كله نارا، وإن لم يحتقر الكرامة والراحة، وإن لم يقطع رغبات الشهوة، وإن لم يراعِ جميع وصايا الله"(٤٣٣).

وقال أيضا: "يستحيل أن نمتلك يسوع إلاّ بالاجتهاد والاتضاع والصلاة المتواصلة"(٤٣٤).

وكان يقول أيضا: "إن تخلى الإنسان عن عمله الداخلي يظلم عقله، ولكن الـ ذي يتحمل ويواظب على أعماله (أي يكون عمالاً) يصير فكره خفيفًا في الرب، وهذا يقوي ويحصن النفس"(٤٣٥).

وقال أيضا: "الراهب الذي هو لله وقريب منه تماما وله عشرة معـ ه يـ نجح في ألاّ يدخل إنسانا إلى قلايته"(٤٣٦).

سمع مرةً أحد الولاة عن أنبا موسى وذهب إلى الأسقيط لكي يراه. ولما سمع الشـ يخ بمجيئه هرب إلى المستنقعات (البهلس) ، فقابله الوالي مع أتباعه وسأله: "أخـ برني أيهـ ا الشيخ، أين قلاية أنبا موسى"؟ فقال له: "لماذا تبحثون عنه؟ إنه رجلٌ أبله"!

فذهب الوالي إلى الكنيسة وقال للآباء: "لقد سمعت عن أبا موسـ ى وجئـ ت لأراه، ولكننا قابلنا شيخا وسألناه عن قلاية أبا موسى فأجابنا بأنه رجلٌ أبله". فلما سمع الآباء ذلك اضطربوا وقالوا: "ما هي هيئة هذا الشيخ الذي تكلم هكذا عن الأب القـ ديس"؟ فقال لهم: "إنه شيخ يرتدي ملابس بالية جدا وطويل وأسود اللون". فقالوا له: "إنه هو أبا موسى نفسه! ولأنه لم يرغب في أن تروه لذلك قال لكم هذا الكلام عن نفسه".

وهكذا رجع الوالي وهو منتفع جدا(٤٣٧).

---

(٤٣١) س ٤ ورقة ٤٢. (432) Eth. Coll., 14, 32. (433) Arm., II: 203. (434) N., 500.
(435) W. & W.,I: 227. (436) P E.IV: 5, 55. (437) Apoph., Moses., 8; D.F., VIII: X.

قال أنبا موسى لأحد الإخوة: "لنقتنِ الطاعة التي تلد الاتضاع وتجلب المثابرة والصبر وتأنيب الضمير والمحبة الأخوية والرأفة، فهذه هي في الحقيقة أسلحتنا في حروبنا"[(٤٣٨)].

وقال أيضا: "أيها الأخ، فلنسلك بالطاعة الحقيقية لأ ا هي التي تسبب لنا الاتضـاع والقوة والفرح والمثابرة والصبر والمحبة الأخوية وتأنيب الضمير والرأفة، لأن هـذه هـي الطاعة الصالحة التي تتمم كل وصايا الله"[(٤٣٩)].

وقال أيضا: "الراهب الذي يكون تحت إرشاد أب ولا يمارس الطاعة والاتضاع، فهو لا يقتني فضيلةً واحدةً ولا يعرف حتى ما هو الراهب"[(٤٤٠)].

وسئل أنبا موسى: "ما فائدة الأصوام والصلوات التي يمارسها الإنسان"؟ فأجـاب قائلاً: "إ ا تجعل النفس تتضع أمام الله، لأنه مكتوب: «أنظر إلى ذلي وتعبي واغفـر لي جميع خطاياي» (مز٢٥: ١٨)، لأنه إذا تذلّلت النفس تجد رحمةً من الله"[(٤٤١)].

وله أيضا عن الفضائل والرذائل:

⌖ خوف الله يطرد جميع الرذائل، والعجز (ربما: التواني) يطرد خوف الله.

⌖ هذه الأربعة واجب حفظها: الرحمة، غلبة الغضب، طول الروح، الـتحفظ مـن النسيان.

⌖ العقل كل ساعة محتاج إلى هذه الأربع فضائل: صلاة دائمة لله بسـجودٍ قلـبي، ومحاربة الأفكار، وأن تعتقد أنك خاطئ، وأن لا تدين أحدا.

⌖ هذه الفضائل الأربع هي عون الراهب الشاب: الهذيذ كل ساعة في نـاموس الله، ومداومة السهر، والنشاط في الصلاة، وأن لا يعتبر نفسه شيئًا.

⌖ ما يدنس النفس والجسد ستة أشياء: المشي في المدن، وإهمال العينين لتجولا بلا تحفظ، والتعرف بالنساء، والصداقة مع الرؤساء، وحب الأحاديث الجسدانية، والكلام البطّال.

⌖ هذه الأربعة تنهض إلى الزنى: الأكل والشرب، الشبع من النوم، البطالة واللعـب، تـزيين الملابس.

⌖ هذه الأربعة تظلم العقل: أن يمقت الإنسان رفيقه، وأن يزدري به، وأن يحسـده، وأن يسيء من الثناء عليه (ربما: يسيء من سمعته).

(438) XIV, 6. (439) XIV, 7. (440) XIV, 8. (441) W. & W., II: 124.

⌖ بأربعة أشياء يتحرك الغضب: الأخذ والعطاء، إتمام الهوى، محبة التعليم، أن يظن الإنسان في نفسه أنه عاقل.

⌖ هذه الأربعة بصعوبةٍ تقتنى: البكاء، أن يتأمل الإنسان خطاياه، أن يجعل الموت بين عينيه، في كل أمر يقول: 'أخطأت اغفر لي'.

من يحرص ويتعب فهو يخلص بنعمة ربنا يسوع المسيح(٤٤٢).

اعتاد أنبا موسى أن يقول للنساك: "أربع قواعد رئيسية يلزم مراعاتها: الصمت، ومراعاة وصايا الله، والاتضاع، وسد احتياج المسكين. وثلاث فضائل يكتسبها الإنسان بصعوبةٍ: أن يحزن نفسه دائما، وأن يذكر خطاياه دائما، وأن يجعل الموت في كل لحظة أمام عينيه"(٤٤٣).

اعتاد أنبا موسى أن يقول: "إن حفظنا وصايا آبائنا أقول لكم باسم الرب إنّ البربر لن يأتوا إلينا هنا، وإن كنا لا نحفظ وصايا الله فإنّ هذا المكان سوف يخرب"(٤٤٤).

هذه سبعة أقوال قالها أنبا موسى لأنبا بيمين، إن حفظها أحد فإن كان ساكنا في ديرٍ أو في الوحدة أو حتى في العالم يمكنه أن يخلص:

(١) كما هو مكتوب: على الإنسان أن يحب الله من كل نفسه ومن كل فهمه.

(٢) على الإنسان أن يحب قريبه كنفسه.

(٣) على الإنسان أن يموت عن كل شر.

(٤) على الإنسان ألاّ يدين أخاه بأي حال.

(٥) على الإنسان ألاّ يصنع شرا بأحد.

(٦) على الإنسان قبل أن يخرج من الجسد أن ينقي نفسه من كل حماقات الجسد والروح.

(٧) على الإنسان أن يكون دائما له انسحاق قلب ومتضع. ويستطيع ذلك من ينظر دائما إلى خطاياه وليس إلى خطايا قريبه بمعونة ربنا يسوع المسيح الذي مع الآب والروح القدس يحيا ويملك إلى ما لا نهاية. آمين(٤٤٥).

هذه التوجيهات أرسلها أنبا موسى إلى أنبا بيمين، وكل من يمارسها يهرب من كل

(٤٤٢) س ٤ ورقة ٤١؛ R., 58 (443) Pa., 35, 1. (444) Apoph., Moses, 9; Ch., 185.
(445) D. F., p. 155: CIX ; M., 109, p. 217.

عقابٍ ويحيا في سلام:

(١) على الراهب أن يموت عن قريبه ولا يدينه إطلاقًا بأي حال من الأحوال.

(٢) على الراهب أن يموت عن كل شيء قبل أن يترك الجسد، ولا يؤذي أو يغيظ أحدا.

(٣) إن لم يضع الراهب في قلبه أنه خاطئ فصلواته لن يقبلها الله. وهنا سأله أخ: "ما معنى وفائدة أن يفكر الإنسان في قلبه أنه خاطئ"؟ فأجابه الشيخ: "عندما ينشغل الإنسان بخطاياه فلن يرى خطايا غيره".

(٤) إن لم تتفق أعمال الإنسان مع صلاته تكون أعماله باطلة. فسأله الأخ: "ما معنى هذا التوافق بين العمل والصلاة"؟ فأجابه: "ينبغي ألاّ نفعل الأمور المضادة لما نصلي من أجله، كما أنّ من يطلب غفران خطاياه لا يليق به أن يعيش متغافلاً، لأنه عندما يسلم الإنسان مشيئته لله يتصالح الله معه ويقبل صلواته".

ثم سأله الأخ: "ما الذي يعين الراهب في شدائده التي يقابلها في حياته"؟ فأجابه: "مكتوب: «إلهنا ملجأنا وقوتنا، وجِد في الشدائد قويا جدا» (مز٤٦: ١)"[٤٤٦].

وقيل عن استشهاده: بينما كان الإخوة جالسين يوما ما مع أنبا موسى قال لهم: "ها قد جاء البربر اليوم إلى الأسقيط، فقوموا واهربوا". فقالوا له: "وأنت يا أبانا ألا تهرب"؟ فقال لهم: "إنني أنتظر هذا اليوم منذ عدة سنوات لكي تتحقق كلمة فادينا: «كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت٢٦: ٥٢)". فقالوا له: "إذن، فنحن أيضا لن نهرب بل سنموت معك". فقال لهم : "هذا ليس شأني بل حسب رغبتكم، فليهتم كل واحدٍ بالمكان الذي يريده لنفسه".

وكان عدد الإخوة سبعة، وبعد قليل قال لهم: "ها قد اقترب البربر من الباب". ثم دخل البربر وقتلوهم، ولكن واحدا منهم خاف وهرب واختبأ خلف سعف النخل (وقيل "تحت حصيرة")، فرأى من هناك سبعة أكاليل نازلة من السماء واستقرت على رؤوس الذين قُتلوا، ثم رأى ملاك الرب ومعه إكليل آخر وكأنه ينتظره، فخرج مسرعا إلى البربر ونال إكليل الحياة من يد الملاك.

وهكذا تمت نبوة أنبا مقار على القديس الشهيد أنبا موسى (أُنظر أقوال أنبا مقار)[٤٤٧].

ثم **يقول بالليديوس:** "هكذا كانت حياة أنبا موسى الأسود الذي اعتِبر هو أيضا

(446) W. & W., II: 119 - 123. (447) Apoph., Moses, 10; W. & W., II: 45; Ch., 186; مخطوطة رقم ٣٥٧ طقس بالمتحف القبطي. وكان ذلك نحو سنة ٤٠٨م، في ٢٤ بؤونة.

أحد الآباء العظماء. لقد رقد في سن الخامسة والسبعين تاركًا وراءه سبعين تلميذًا"[٤٤٨].

من أقوال القديس أنبا موسى الأسود
أرسلها إلى أنبا "تومين" ردا على سؤاله[🕭]

١ - إنني أُفضل - قبل كل شيء بخوف الله - خلاصك، طالبا أن يجعلك كاملاً بمرضاته حتى لا يكون تعبك باطلاً بل يكون مقبولاً من الرب وأنت تفرح. لأن التاجر إذا ربحت تجارته كثر سروره، والذي يتعلّم صنعةً إذا أتقنها كما ينبغي يتضاعف فرحه ولا يذكر تعبه فيها لأنه قد صار حاذقًا في ممارستها. ومن تزوج امرأةً تصون نفسها يفرح قلبه، ومن نال شرف اكتتابه جنديا فمن شأنه أن يستهين بالموت في محاربته لأعداء الملك لكي يرضي سيده. وكل واحدٍ من هؤلاء يفرح إذا أدرك الهدف الذي سعى نحوه.

٢ - فإذا كان الأمر هكذا في شئون هذا العالم الزائل، فكم وكم يكون فرح النفس التي بدأت تخدم الله إذا أكملت عملها كما يرضيه؟! حقًا أقول لك إنّ سرورها يكون عظيما، لأنها في ساعة خروجها من الدنيا تجد أعمالها أمامها وتفرح بها الملائكة إذا أبصروها مقبلةً وهي سالمة من سلاطين الظلمة، لأن النفس عند خروجها من جسدها ترافقها الملائكة ثم يقابلها أصحاب الظلمة كلهم ويمنعونها عن المسير ليبحثوا إن كان لهم فيها شيء مما يخصهم. والملائكة حينئذٍ ليس من شأنهم أن يحاربوا عنها بل إنّ أعمالها هي التي تحفظها وتستر عليها منهم، فإذا تبين أنها غالبة بأعمالها تفرح الملائكة وتسبح معها حتى تلاقي الرب بسرور، وفي تلك الساعة تنسى جميع ما انتابها من أتعاب هذا العالم.

٣ - فسبيلنا أيها الحبيب، أن نبذل جهدنا ونحرص بكل قوتنا في هذا الزمان القصير على أن نصلح أعمالنا وننقيها من كل الشرور فلعلنا نخلص بنعمة الله من أيدي الشياطين الخارجين للقائنا، لأنهم يواجهوننا ويفتشون أعمالنا إن كان لهم فينا شيء من أعمالهم، لأنهم أشرار وليس لهم رحمة، فطوبى لكل نفس لا يكون لهم فيها أمر يخصهم فإنّ فرحها حينئذٍ لا يوصف. فينبغي علينا، أيها الحبيب، أن نجتهد بقدر قوتنا بالدموع قدام ربنا ليرحمنا بتحننه، لأنّ الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج.

لماذا نحب الفضائل:

٤ - لنقتنِ لأنفسنا شوق الله، فإنّ الشوق إليه يحفظنا من الزنى، ولنحب المسكنة

(🕭) س ٤ ورقة ٣٩.

(448) Laus., 19: 11.

لتخلصنا من حب الفضة، ولنحب السلام لينقذنا من البغضة، ولنقتن الصبر وطول الروح لننجو من صغر النفس، ولنحب الكل محبةً خالصةً لكي نحفَظ من الغيرة والحسد، ولنحب الاتضاع في كل أمر وكل عمل، لنحتمل المسبة والتعيير لنتخلّص من الكبرياء، ولنكرم الجميع من كل الوجوه لكي نحفَظ من الدينونة.

٥ - لنرفض شرف العالم وكراماته لنتخلّص من المجد الباطل، ولنستعمل اللسان في ذكر الله والحق لنتخلّص من الكذب، ولنحب طهارة القلب والجسد لننجو من الدنس، لأنّ هذا كله يحيط بالنفس ويضبطها عند خروجها من الجسد، فمن كان حكيمًا ويتصرف بحكمةٍ لا ينبغي أن يترك نفسه بدون أعمالٍ صالحةٍ حتى يخلص من تلك الشدة. فلنحرص بقدر طاقتنا وربنا يعين ضعفنا، لأنه يعلم شقاء الإنسان، لذلك وهب له التوبة ما دام في هذا الجسد.

بغضة العالم:

٦ - لا تصغ إلى أمور العالم كأنه هو هدفك حتى يمكنك أن تخلص، ولا يكُن لك في هذا العالم رجاء لئلاّ يبطل رجاؤك في الله. أمقت أقاويل العالم لكي يعاين قلبك الله. داوم الصلاة في كل حين ليستنير قلبك بالله، لا تحب البطالة لئلاّ تحزن، أتعب جسمك حتى لا تخزى في قيامة الصديقين.

٧ - احفظ لسانك لتسكن في قلبك مخافة الله. أعطِ المحتاجين بسخاءٍ لئلاّ تخجل بين القديسين وتفوتك خيراتهم. أمقت شهوة الأطعمة لئلاّ يحيط بك عماليق. كُن متيقّظًا في صلاتك لئلاّ تأكلك السباع الخفية. لا تحب الخمر لئلاّ يحرمك من مسرة الله. حِب المساكين لكي تنجو في أوان الشدة. كُن مشتاقًا إلى القديسين لكي تأكلك غيرة أعمالهم. اذكر ملكوت السماء لكي تتحرك فيك شهوتها. تفكّر في نار جهنم لكي تمقت أعمالها.

التيقظ وفحص النفس:

٨ - عندما تقوم باكر كل يوم اُذكر أنك ستعطي لله جوابا عن كل أعمالك وأنت لا تخطئ قط وتسكن مخافة الله فيك. هيئ نفسك للقاء الرب وأنت تصنع مشيئته. افحص نفسك ههنا واعرف ماذا يعوزك فتنجو من الشدة ساعة الموت، ويبصر إخوتك أعمالك فيمتلئوا غيرةً. اختبر نفسك كل يوم وانظر أي الأوجاع غلبت، ولا تثق في نفسك بل قُلْ إنّ الرحمة والمعونة هما لله. لا تظن في نفسك أنك قومت شيئًا من الصلاح حتى آخر نسمة في حياتك، ولا تستكبر وتقول: 'إنني نعما ما أنا'، لأنك لا يمكنك أن تطمئن من جهة

أعدائك، ولا تثق في نفسك ما دمت في الجسد إلى أن تعبر من سلاطين الظلمة.

٩ - ليكن قلبك نحو الأفكار شجاعا متجلدا حتى تخف عنك، أما الذي يخاف منها فهي تسحقه، والذي يفزع منها يشهد على نفسه أنه ليس له إيمان بالله، ومـن يطـرح نفسه قدام يسوع سيده بكل قلبه يصير أقوى من الأفكار.

١٠ - الذي يريد كرامة الرب (أي تكريمه) يتفرغ لطهارة نفسه من الدنس. إن كنا نملّ فنحن نشهد على أنفسنا أن الهزيمة هي منا نحن. من يحقر ذاته ولا يعتبر نفسه شـيئًا يكون مواظبا على تحقيق مشيئة الله، ومن يحب أن يطرح كلامه وسط الجماعة فقـد دل بذلك على أن مخافة الله ليست فيه، لأن مخافة الله هي حفظ ومعونة للعقل كما أن الملك هو معين لمن يطيعه، أما الذين يريدون أن يقتنوا الصلاح فهـم إذا سـقطوا لا تصـغر نفوسهم بل يقومون بنشاط واهتمام بالأعمال الصالحة.

أسـلحة الفضـائل:

١١ - أسلحة الفضائل هي أتعاب الجسد بمعرفةٍ، أما التواني فيولد القتالات. من له معرفة مع همة فقد أهان الشر لأنه مكتوب إنّ الاهتمام يتبع الرجل الحكيم، والضـعيف الهمـة لم يعرف أمر خلاصه بعد. الذي يقهر أعداءه يكلل بحضرة الملك، ولو لم يوجد حرب وقتال لما وجِدت فضائل، والذي يقاتل بمعرفة هو الذي أبعد عنه الدينونة لأنّ هذا سـور حصـين، والذي يدين قد حطّم سوره بنقص معرفته. الذي يهتم بضبط لسانه يدل على أنه عمالٌ في الفضيلة، ونقص تأديب اللسان يدل على أنه ليس في صاحبه عملٌ صالح.

١٢ - الصدقة بمعرفةٍ تولد النظر إلى ما سيكون (أي بعد النظر) وترشد إلى المحبـة، والقاسي القلب يدل على أنه ليست عنده فضيلة. الحرية تولد العفة وحمل الهموم يولـد الأفكار. قساوة القلب تولد الغيظ والوداعة تولد الرحمة. بغض التنـزه هو نسك للنفس، والعوز هو نسك للجسد. حمل الهموم هو سقوطٌ للنفس، و تذيبها هو السكوت بمعرفةٍ.

١٣ - الشبع من النوم يولد إثارةً للأفكار، والسهر بمقدارٍ يعين على خلاص الـنفس. النوم الكثير يولد كثرة التخيل، والسهر بمعرفةٍ يزهر العقل ويجعله مثمرا. النوم الكثير يجعـل الذهن كثيفًا، والسهر بقدرٍ يجعله لطيفًا. من ينام بمعرفةٍ أفضل ممن يسهر في الكلام البطال.

١٤ - النوح يطرد جميع أنواع الشر عندما تثور. إذا احترس الإنسان من أن يكـدر رفيقه بظن رديء فهذا يولد له الاتضاع، أما تكريم الناس له فيولد له البذخ وترفع الفكر. حب التفاخر يطرد المعرفة، وضبط شهوة البطن يذلل ميول الجسد. شهوة الأطعمة توقظ

القتالات والامتناع عنها يقمع هذه القتالات. زينة الجسد هزيمة للنفس، والاهتمـام بـه بمخافة الله محمود. ذكر يوم الدينونة يولد في القلب تقوى الله، وقلة مخافة الله تسبي العقل. السكوت بمعرفةٍ يهذب الفكر، وكثرة الكلام تولد الضجر والجنون (أو انحراف الفكر). قطع الهوى يدل على إتمام الفضيلة، وإكمال الهوى يدل على نقص المعرفة.

الاختلاط بالناس وا ـد الباطل:

١٥ - الهذيذ بمخافة الله يحفظ النفس من القتالات، وحديث أهل العالم والاخـتلاط م يظلم النفس. محبة القنية تزعج الفكر، والزهد فيها يمنحه معونةً. صون الإنسان لنفسه هو في أن يقر بأفكاره، ومن يكتمها يثيرها عليه، والذي يقر ا يطردها عنـه. مثل بيتٍ لا باب له ولا أقفال يدخل إليه كل من يقصده هكذا السائب اللسان. مثل الصدأ الذي يأكل الحديد، هكذا تكريم الناس يفسِد القلب إذا مال إليه. وكما يلتف اللبلاب علـى الكرم فيفسِد ثمرته هكذا ا ـد الباطل يفسِد ثمرة الراهب عندما يلتف عليه، وكما يفعـل السوس في الخشب هكذا تفعل الرذيلة في النفس.

١٦ - اتضاع القلب يتقدم (أو يتفوق) على الفضائل كلها، وشهوة البطن أساس كـل الأوجاع. الكبرياء هي أصل الشر كله، والمحبة هي كمال كل صلاح. أشر الرذائل كلها أن يزكي الإنسان نفسه، والذي يرذل ذاته يعيش بدون قلق، والذي يظن في نفسه أنه لا عيب فيه فقد جمع في ذاته جميع العيوب. الذي يخلط حديثه مع أهل العالم ينـزعج قلبه، والـذي يستهين بعفة جسده يخجل في صلاته. محبة العلمانيين تظلم النفس، والابتعاد منـهم يزيـد المعرفة. محبة التعب عونٌ عظيم وأصل الهلاك هو الكسل. احفظ عينيك لئلاّ يمتلـئ قلبـك بأشباح (أو مناظر) خفية. من ينظر إلى امرأةٍ بلذّةٍ فقد أكمل الفسق ا. لا تحب أن تسـمع عن زلةٍ لأحد إخوتك لئلاّ تدينه خفيةً. احفظ أذنيك لئلاّ تجمع لنفسك حزنا في داخلك.

الحـرص والإفـراز:

١٧ - احرص أن تعمل بيديك ليجد المسكين خبزه منك، لأنّ البطالة موت وسـقوطٌ للنفس. مداومة الصلاة مهلكة للسبي (أي للأسر والعبودية)، ومن يتوانى قليلاً فقد سبي. من يتذكر خطاياه لا يخطئ كثيرا، ومن لا يتذكرها يفسد ا. الذي يتأسف أمام الله فقد اهتم بتنقية طريقه من الخطية، والذي يقول: 'دع هذا الأمر لوقته' يكون مسكنا للخبث.

١٨ - لا تكن قاسي القلب على أخيك لأننا جميعا تغلبنا الأفكـار السـمجة. إذا سكنت مع إخوة فلا تأمرهم بأي عمل بل اتعب معهم لئلاّ يضيع أجرك. إذا حاربتـك الشياطين بالأكل والشرب والملبس فلا تقبل منهم، وأظهر لهم محقرة ذاتك فيهربوا منك.

إن لذّ لك الزنى فحاربه بالاتضاع وألْقِ بنفسك أمام الله فتستريح. إن حوربـت بحسـن جسدٍ فتذكر نتانته بعد الموت وأنت تستريح، وإن جاءتك أفكار النساء فاذكر أين ذهبت الأوليات (السابقات) منهن وأين حسنهن وجمالهن، وكل هذه يختبرها الإفراز وينتقدها.

١٩ - يستحيل أن يأتينا الإفراز إن لم نتعب في فلاحته التي أول أنواعها هو السـكوت لأنه تاج الراهب، والسكوت يلد النسك، والنسك يلد البكاء، والبكاء يلد الخوف (المخافة)، والمخافة تلد الاتضاع، والاتضاع يلد بعد النظر، وبعد النظر يلد الحب، والحب يلد للـنفس الصحة الخالية من الأسقام والأمراض، وحينئذٍ يعلم الإنسان أنه ليس بعيدا من الله ويعِد ذاته للموت، ومن يريد أن يبلغ إلى هذه الكرامات كلها لا يهتم بأحدٍ من الناس ولا يدينه.

٢٠ - كلما صلى الإنسان يتفطّن فيما يقربه من الله ويطلبه، ويبغض هذا العالم، لأنّ نعمة الله ب له كل صلاح. ولكن اعلم يقينا أنّ كل إنسان يأكل ويشرب بتخليط (أي بأنواع كثيرة بلا ضابط) ويحب أمور هذا العالم لا يمكنه أن يلقى شيئًا من الصـلاح ولا يدركه، وإنما هو يخدع نفسه.

٢١ - إن آثرت أن تتوب إلى الله فاحترس من التنعم لأنه يثير جميع الأوجاع ويطرد مخافة الله من القلب. أُطلب مخافة الله بكل طاقتك فهي تهلك جميع الخطايـا. لا تحـب الراحة ما دمت في هذه الدنيا، ولا تأمن إلى الجسد إذا رأيت ذاتك مستريحا من الأوجاع في بعض الأحيان، لأن الأوجاع من طبعها أن تتوقف لبعض الوقت كنوعٍ من الخـداع عسى أن يتوانى الإنسان عن التحفظ، حينئذٍ تنقض الأوجـاع علـى الـنفس الشـقية وتختطفها، ولهذا يحذّرنا ربنا قائلاً: «اسهروا». له ا د دائما.



(١٦) قصص وأقوال
القديس أنبا أمـوي(❖)

قيل عن أنبا أموي إنه عندما كان يذهب إلى الكنيسة ما كان يسـمح لتلميـذه أن يمشي بجواره بل على بعد مسافة منه، وإذا كان تلميذه يأتي لكي يسأله عن أفكاره كان بعد أن يجيب عليه يبتعد عنه سريعا قائلاً له: "إنني لا أجعلك بجواري خوفًا من أنه بعد كلام المنفعة ننساب في حديث ليس له علاقة بموضوعنا"(٤٤٩).

سأل الأب أموي أنبا إشعياء: "ماذا تظن في (أو "كيف تراني") الآن"؟ فقال لـه: "إنك ملاك أيها الأب". وفي مرة أخرى سأله أيضا: "والآن ماذا تظن في"؟ فأجـاب: "إنك مثل شيطان حتى عندما تقول لي كلمة صالحة، فهي مثل الصلب"(٤٥٠)!

قيل عن الأب أموي إنه عندما لزم الفراش بسبب مرضه لسنوات طويلة لم يسـمح لنفسه أن يفكر في محتويات قلايته ولا أن ينظر إليها، لأن الناس جاءوا إليه بأشياء كثيرة لأجل مرضه. ولما كان تلميذه ق. يوحنا القصير يدخل أو يخرج كان يغلق عينيه حتى لا يرى ما كان يفعله لأنه علم أنه كان تلميذًا مخلصا(٤٥١).

قال أنبا بيمين إن أخا جاء إلى أنبا أموي ليطلب منه كلمة منفعة. ومكث عنده سبعة أيام دون أن يجيب عليه بشيء. ثم صرفه قائلاً: "اذهب وراقب نفسك، أما أنـا فـإنني خاطئ وخطاياي قد صارت سورا مظلما بيني وبين الله"(٤٥٢)!

قال أنبا أغاثون عن الأب أموي إنه كانت لديه مرةً خمسون "بوشيل" (وهو مكيـال يسع نحو ٨ جالونات أو ٣٢ لترا) من القمح صنع منها خبزا لأجـل احتيـاج ا مـع ووضعها تحت أشعة الشمس. ولكن قبل أن تجف رأى شيئًا في المكان وشعر أنه ضـار، فقال للإخوة الذين معه: "قوموا ننصرف من ههنا". فحزنوا جدا، فقال لهـم: "هـل انزعجتم بسبب الخبز؟ حقًا إنني رأيت رهبانا يهربون ويتركون قلاليهم المبيضـة جيـدا والتي كانت تحوي دواليب مليئة بالأسفار المقدسة وكتب الصلوات، وأ م حتى لم يغلقوا أبوا ا بل تركوها مفتوحة"(٤٥٣).

قال أحد الإخوة: "قال لي الأب بفنوتيوس الناسخ في الأسقيط إن الأب أموي الذي

(❖) هو الأب الروحي للقديسين أنبا يؤنس القصير وأنبا بيشوي. (449) Apoph., Ammoe, 1; Ch., 73.
(450) Apoph., Ammoe, 2; Ch., 74. (451) Apoph., 3. (452) Ibid., 4; W. & W., II: 224;٧٩ س ٤ ص
(453) Apoph., Ammoe, 5; W. & W., I: 308.

من الشاطئ الغربي للنهر قد قال لي حينما كان ساكنا في الأسقيط: ’يطيب للنـاس أن يلقوا بالإنسان بعيدا عن الرب مثل نبات القرع عندما يفسد‘"[٤٥٤].

وقال لي **هذا الأخ أيضا:** "قال لي الأب بفنوتيوس: "قلت للأب أموي: كـان هنـاك أخوان، وصار أحدهما راهبا ولم يحتفظ لنفسه بشيء قط من أجل الرب وصار فقيرا تمامـا لأجل الرب، ولكن الآخر ادخر أشياء ضرورية للمعيشة لكي يعطي صدقة لأخيه الفقير إذا جاء إليه والذي كان يعمل لأجل معيشته. فمن منهما تفوق على الآخر"؟ فقال لي أبي أنبـا أموي: "ذاك الذي صار فقيرا من أجل الرب هو الأعظم لأن المسكنة من أجل الرب عظيمة، ولأ ا تنطوي على ضيق ومشقة شديدتين بالنسبة للذين يقاسون منها""[٤٥٥].

قال لي **أخ:** "قال لي الأب أموي الذي من "تامرياس": ’الفقر وحياة الإماتة والعزلة وحياة النسك هي ذا ا تسمو بالراهب‘"[٤٥٦].

قال شيخ: "ذهب ثلاثة إخوة إلى الأب أموي، وقال له أحدهم: ’يا أبي، إن كنت أسهر كثيرا وأتأمل كثيرا أفلا أخلص‘؟ فلم يجبه الأب أموي. وقال له أخ آخر: ’يا أبي، إذا كنت أعمل عملاً يدويا كثيرا وأعطي صدقات أفلا أخلص‘؟ فلم يجبه الأب أموي. ثم قال لـه الأخ الثالث: ’يا أبي، إذا كنت أصوم كثيرا وأحب الإخوة أفلا أخلص‘؟ فلم يجبـه الأب أموي. فلما رأوا أنه لا يجيبهم قالوا له: ’صل لأجلنا يا أبانا، فنحن منصرفون‘. ولكن الأب أموي لم يرد أن يرجعهم وهم حزانى وقال لنفسه وهو يرغب أن يسمعه الإخوة: ’إذا كنت أسهر وأتأمل كثيرا، أفلا أخلص؟ كلاّ إطلاقًا. وإذا كنت أعمل كثيرا وأعطي صدقات أفلا أخلص؟ كلاّ إطلاقًا. وإن كنت أصوم كثيرا وأحب الإخوة أفلا أخلص‘؟ حينئذ قال لنفسه: ’إن كنت لا أخلص إذا فعلت ذلك فكيف إذن أخلص‘؟ فأجاب على نفسه: ’يا أموي، إن كان لك قلب طيب (أو نقي) فإنك ستخلص‘"[٤٥٧].



(454) Eth. Coll. 13, 36. (455) Ibid., 13, 37. (456) Ibid., 13, 75. (457) Ibid., 14,21.

(١٧) قصص وأقوال
القديس أنبا يؤنس القصير(*)

Πικολοβος[458]

★

جاء عن أنبا يؤنس القصير أنه عبر الأمواج الكثيرة، أمواج أفكار الأرواح الشريرة، وخفّف حمولة سفينة عقله، وفتح قلبه وتشدد ضد هذه الأرواح، مستخدما نور الطهارة بمعرفةٍ حقيقية ... وجمع رحيقًا مقدسا روحانيا من أزهارٍ كثيرة رائحتها زكية، وصيره طيبا واحدا كريما للغاية.

وقيل إنه من نواحي طيبة بالصعيد[٤٥٩]، وكان والداه فقيرين ولكنهما تقيان جدا يخافان الله. وفي سن الثامنة عشرة انطلق إلى وادي النطرون إلى القديس العظيم أنبا أموي[٤٦٠] قائلاً له: "لي اشتياق أن أصير راهبا تحت تدبير قداستكم ...". فأجابه الشيخ: "مالك يا بني وهذه المشقّة العظيمة؟ حياة الرهبنة صعبة ... فينبغي على من يسلك هذا السبيل أن تكون له همّة مستقيمة بغير ميل البتة إلى أمور هذا العالم الزائلة، وينسى تماما جميع أعمال الظلمة الباطلة غير المثمرة، وتكون جميع أعماله مضيئة كمشيئة الله، ويرفض التنعم ولذّات العالم الزائلة من أجل الاشتياق إلى الخيرات الباقية في حياة الدهر الآتي ...".

ثم تركه القديس أموي إلى موضع آخر صلى فيه متضرعا طوال الليل ليكشف له الله ما يرضيه من أجل هذا الشاب، فقد كانت عادته ألاّ يعمل أمرا بعجلةٍ دون الالتجاء إلى الله ... وفي الهزيع الأخير من الليل ظهر له ملاك الرب وقال له: "الرب أرسل إليك هذا الأخ فاقبله، فإنّ قرنه سيرتفع بمجدٍ، وثمرته تكون بخورا مقبولاً إلى جميع الأجيال ...".

وفي الصباح قابل أنبا أموي الشاب يؤنس ووعظه وعلّمه أن يكون مستيقظًا مجاهدا ضد الأعداء الخفيين ... ثم حلق رأسه، ووضع ثياب الرهبنة على الأرض وأقاما كلاهما ثلاثة أيام

(*) عن سيرته التي سجلها "أميلينو" باللغة القبطية مع ترجمتها الفرنسية في كتابه: A.M.G. جزء ٢٥ ص ٣١٦، وهي عن مخطوطة قديمة بدير البرموس لأنبا زخارياس أسقف سخا التي كتبها في أواخر القرن السابع، ويقول إنه جمعها من كتاب الشيوخ القديسين المعروف سابقًا باسم "فردوس شيهيت" - (Ev. White, *New Texts*, p. XXIII).

(٤٥٨) كلمة قبطية معناها "قصير"، ويتصرف منها "كولوبيا" أي "القُصارية" التي كان يلبسها الرهبان، وهي مثل القميص الطويل نوعا ما، والتي اشتقّت منها كلمة "جلابية" (عن "رهبنة"، الطبعة الثانية، ص ٢٢٧).

(٤٥٩) يذكر كتاب "رهبنة" (الطبعة الثانية ص ٢٢٩) أنه من إقليم البهنسا، فربما جاء اسم "طيبة" من تسميته أحيانا بالتبايسي في بعض المخطوطات، وقد ذكرت المخطوطة س ٤ ورقة ٥٢ أن كلمة "تبايسي" هي نسبةً إلى "تيبة" أو "طيبة"، ومعناها أنه من مصر العليا أي صعيدي.

(٤٦٠) تقول بعض المراجع إنّ الأب الروحي لأنبا يؤنس هو أنبا بامو، في حين أن أنبا بامو لم يمرض قط حتى لحظة نياحته، وكما سنرى فإن أنبا يؤنس اعتنى بتمريض أبيه الروحي لمدة ١٢ سنة قبل انتقاله. ولكن الصحيح والمقطوع به أنه هو الأب أموي (أو أمويس) الذي تتلمذ على الأب الكبير "بيثو Pithou" - المرجع السابق ص ٢٢٨.

وثلاث ليال مصلين عليها، وفي نهاية الأيام الثلاثة ظهر أمامهما ملاك ورشم الثياب بعلامة الصليب ثلاث مرات ثم اختفى. ثم ألبسه القديس أموي إياها وقبله بفرح روحاني(٤٦١).

ابتدأ أبونا القديس يؤنس حياته الرهبانية بالطاعة الكاملة والاتضاع لكي يهدم أصول الخطية، وكان أنبا أموي يؤدبه بناموس الرب، وكان كل ما يعلمه إياه يتممه ويحفظ المشورة وهو طائع جدا، لذلك فقد كانت نعمة الله تؤازره(٤٦٢).

أراد أنبا أموي أن يمتحن أنبا يؤنس لكي تظهر فضائله ليتمجد الله فيه، فأخرجه مرةً من قلايته قائلاً له: "لا أستطيع أن أسكن معك بعد، اذهب إلى مكان آخر". فأطاع معلمه وأقام خارج الباب صابرا لمدة سبعة أيام بوجع قلب ودموع دون أن يأكل أو يشرب. وكان أبا أموي يخرج كل يوم ومعه عصاته الجريد وكان يطرده قائلاً: "امشِ من هنا"! أما أبا يوحنا فكان يصنع ميطانية منحنيا إلى الأرض بوجهه باتضاع شديدٍ قائلاً: "اغفر لي يا أبي، لقد أخطأت، واقبلني لأجل الرب لكي لا يبعدني الله عنك". وكان يقول لنفسه من كلام الإنجيل: «أي ابنٍ لا يؤدبه أبوه» (عب١٢: ٧)! وأيضا: «بصبركم تقتنون أنفسكم» (لو٢١: ١٩)، و«الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت٢٤: ١٣).

وفي فجر الأحد خرج أنبا أموي منطلقًا إلى الكنيسة، فرأى القديس يؤنس وسبعة ملائكة تحمل سبعة أكاليل نورانية يضعونها على رأسه واحدا بعد الآخر، فتعجب جدا وأسرع وقبل رأسه بفرحٍ عميقٍ، وأدخله عنده دون أن يخبره بشيء(٤٦٣).

كثيرا ما كان بعض الإخوة يأتون طالبين كلمة منفعة من أنبا أموي، فكان يكلف أنبا يؤنس بذلك، فيتكلم بروح الله الساكن فيه بكل ما هو لمنفعتهم.

ومرةً سأل بعض الإخوة أنبا أموي: "كيف تكون الرهبنة"؟ فنادى أنبا يؤنس قائلاً: "يا يؤنس ابني، عرف الإخوة كيف يصيرون رهبانا". فقال لأبيه: "اغفر لي يا أبي، إنّ الله مع ملائكته هو الذي يرشدنا". فقال له أنبا أموي: "نعم يا ابني، أطعني". فأسرع أبا يوحنا بإطاعة وتتميم أمر معلمه، وخلع جلبابه ووضعه تحت رجليه وداس عليه، فتعجب الشيخ هو والإخوة، وقال له: "ما هذا الذي تفعله يا يوحنا"؟ فأجابهم باتضاع: "إن لم يتعر الإنسان من مجد هذا العالم ويدوس برجليه على جميع هوى قلبه فلا يستطيع أن يصير راهبا حسب مشيئة الله". فقال الشيخ والإخوة: "حقًا إنّ هذا هو طريق

(٤٦١) عن أميلينو أيضا. (٤٦٢) المرجع السابق. (٤٦٣) المرجع السابق.

الخلاص، لأنّ هذا هو قول مخلصنا إنّ الإنسان لا يمكنه أن يخدم سـيدين ولا أن يعبـد إلهين". فانتفعوا كثيرا ومضوا(٤٦٤).

قيل إنه لما أحب الإخوة أنبا يؤنس والتفّوا حوله، أراد شيخ كبير أن يجربه ليعرف ما إذا كان قلبه لا يزال يستهويه مديح الناس أم لا. فابتدره بقول اسـتفزازي قـائلاً: "إنّ يؤنس رجل شرير، وقد زين ذاته كامرأةٍ شريرةٍ تكثر من عشاقها". فأجابـه القـديس باتضاع: "بالصواب نطقت يا أبي القديس لأن الرب كشف لك ذلك". وبعد ذلـك سأله أنبا أموي: "أترى يا يؤنس قد اضطرب قلبك من كلام الشيخ"؟ فقال له: "يا أبي كما كان خارجي كذلك داخلي من قِبل المسيح الذي يقويني". فأيقن المعلم أن تلميذه لم يعد يتأثر بكرامات العالم الزائفة(٤٦٥).

كان القديس جالسا يوما ما أمام الكنيسة، وكان الإخوة يستشيرونه عن أفكارهم ، فلما رأى أحد الشيوخ ذلك استولت عليه الغيرة والحسد وقال له: "يا يوحنا، إنك ساحر وإناؤك مملوء سما". فقال له أنبا يوحنا: "هذا حق تماما أيها الأب، وأنت قلت هذا لأنك رأيـت الخارج فقط، ولكن لو استطعت أن ترى الداخل أيضا فما عساك أن تقول حينئذٍ"(٤٦٦)؟!

قيل إنه عندما شاعت فضائل أنبا يؤنس القصير تشاور شيوخ الرهبان مع أنبا أمـوي أن يجربوه حتى يروا صبره. ففيما هو ماضٍ يوما ما إلى الكنيسة استفزه أحـد الشـيوخ ولكمه وقال له: "أهذا هو وقت ا يء إلى الكنيسة يا قصير؟ اذهب من هنـا"! فلمـا أخرجوه تبعه أنبا أموي واثنان من كبار الشيوخ وأتوا إلى مسكن القديس لـيروا مـاذا يفعل، وليسألوه ليعرفوا فكره عن هذا الأمر، لأ م قالوا: "إن هو ذكر مـا جـرى أو غضب فهو لا يزال مثلنا، وإن هو نسي ذلك ولم يذكره فقد ارتفع أكثر منا وأفضل".

فلما وصلوا إلى القلاية بعد رجوعه هو إليها تنسموا رائحة طيبٍ مختار جدا، وسمعوا جماعة ملائكة يسبحون ويرتلون للرب في مسكن القديس قائلين له: "احترس من الخبث وأنت تصير سراجا للمستقيمين. يعطي الرب ا د والنعمة للخالين من الخبث، وهـو لا يسمح بأن يعوزهم شيء من الخيرات" ... وكان القديس يسبح أيضا في وسطهم ... فبهت الشيوخ مما سمعوه، وطرقوا باب القديس، فخرج وفتح لهم، فرأوا وجهه يضـيء مثل ملاك الرب! ثم كلّمه الشيوخ وكأ م يعزونه عما حدث قـائلين: "بـالحق لقـد توجعت قلوبنا جميعا لأجل ما فعله بك ذلك الشيخ، ولا سيما أنك عندنا كريم جليـلٌ،

(٤٦٤) المرجع السابق. (٤٦٥) المرجع السابق؛ س ٤ ورقة ٥٣؛ W. & W., I: 507 ; Apoph., John D., 46
(466) Apoph., John D., 8 ; W. & W., I: 556; س ٤ ص ٥٣

لكن تعالَ معنا لنصلح الأمر“.

وبينما كان الآباء يقولون ذلك كان وجه القديس مطرقًا إلى الأرض ولم يقل شـيئًا. فقال له أبوه أنبا أموي: ”لماذا لا تجيب هؤلاء الذين يكلمونك“؟ فأجابهم القـديس يوحنا بنعمة الروح القدس الذي فيه ونقاوة قلبه قائلاً: ”اغفروا لي يا آبائي، ليس لي علم بشيءٍ مما تقولون، وإن كان قد حدث شيء فهو بلا شك بتدبير من الله الذي يعمل على خلاص نفسي على أيدي قديسيه“. فلما سمعوا هذا من القديس تعجبوا وقالوا: ”بحقٍ إننا كما سمعنا هكذا رأينا“. وعادوا إلى الكنيسة وهم يمجدون الله.

وبينما هم مجتمعون سأل بعضهم بعضا بدافع من الله عن منـزلة أنبا يؤنس القصير، فوقف شيخ عظيم قديس وقال لهم: ”أنبا يؤنس قد ارتفع كثيرا في نقاوة قلبه واتضـاعه الحقيقي أفضل من الكل، لقد علق شيهيت كلها على أصبعه“[(٤٦٧)].

سأل إخوةٌ شيخا: ”قيل عن أنبا يوحنا القلزمي (لأنه سكن بعض الوقت بجوار القلزم "أي السويس") إنه من كثرة اتضاعه حمل برية الأسقيط كلها بخنصره، فكيـف فعـل ذلك“؟ أجاب الشيخ: ”في النسخ القديمة ذُكر أنه حملها نحو إرادته، وذلك لأنـه مـع التدبير والمعرفة والشيخوخة والاتضاع كان مزينا جدا بالبشاشة، فكان يلاقي بفرح جميع الإخوة الذين يأتون إليه كل وقت ليكشفوا له حروبهم وأفكارهم. فمعنى هذا القول أنهم كانوا يطيعون فكره في كل ما يريد ويقول ويأمر. وفي ذلك الوقت كـان أنبـا مقـار الإسكندراني رئيسا للديـر، وكان القديس يوحنا يجذب جميع رهبان الأسقيط إلى إرادته بالكلمة الخارجة من فمه المعطية الحياة وهو يعلم ويعظ جميع الإخوة“[(٤٦٨)].

سأله مرةً أنبا أموي: ”كيف تقاتل الأفكار الشريرة“؟ فأجابه: ”أنا يـا أبي أشـبه واحدا جالسا تحت شجرةٍ عاليةٍ جدا، فإذا رأى الوحوش والذئاب مقبلةً إليه ولا يقدر أن يقف أمامها يهرب إلى أعلى الشجرة ويخلص، كذلك أنا أيضا أكون جالسا في قلايـتي، فإذا رأيت جميع أفكار العدو الشريرة مقبلةً إلي أهرب إلى حماية ورجاء معونة الله بالصلاة فأخلص من يد العدو إلى الأبد“[(٤٦٩)].

وقال أنبا يؤنس: ”إن عقل الإنسان هو آنية لله، وله استطاعة أن ينظفه ويجلـس في القلاية، وإن جعله الإنسان وعاءً لحديث العالم فلا يستطيع أن يجلس في القلاية“[(٤٧٠)].

---

(467) Am.; Apoph., John D., 36; W. & W., I: 508.

(٤٦٨) س ٩ رقم ١٥٠ ص ٢٣٦.

(469) Am. ; W. & W., II: 210; Apoph., John D., 12; س ٤ ورقة ٥٣

(٤٧٠) س ٤ ص ٥٣.

سأل آباؤنا مرةً أنبا يؤنس عن جلوس الراهب في قلايته، فقال لهم: "من يكون خاليا من مقتنيات الدنيا وفيه فضيلة الله فهو بحق جالس في القلاية بالبرية، لأنّ الذي ليس له شيء من مقتنيات العالم فهو غني بالفضيلة، أما صبره على الوحدة فهو لأجل الخيرات الأبدية. فإذا لم تكن فضيلة الله في نفس الإنسان ولديه مقتنيات العالم فإن هذا الإنسان يقيم في القلاية في البرية لأجل الأمور الفانية. وإذا لم يكن للراهب اهتمام لا في أمور الله ولا في منافع الدنيا الفانية فمن المستحيل أن يبقى في قلايته، لأنه يكون مثل سفينة بلا حمولة في لجّة البحر بعيدةً عن الميناء، بلا ملاّحين أو مدبرين، وهي بسبب الرياح العاصفة تغرق"[٤٧١].

سألوا أيضا أنبا يؤنس: "من هو الراهب"؟ فقال: "الراهب هو الذي يتعب ويكد ويغصب نفسه في كل شيء، ولا يعمل حسب هواه، ولا يتمسك بكلمته في أي شيء، وأيضا ينبغي على الراهب ألاّ يقول شيئًا من الكذب، ولا يحلف إطلاقًا، ولا يكون سماعا ولا ثرثارا ولا يتذمر ولا يدين أحدا"[٤٧٢].

وسألوه مرةً أخرى أيضا: "من هو الراهب"؟ فقال: "تعب الجسد، وضيق البطن، وغلبة الإرادة"[٤٧٣].

قيل إنّ أنبا يؤنس جاء يوما إلى الكنيسة التي كانت في الأسقيط، فسمع ملاجحةً في الكلام بين الإخوة، فرجع إلى قلايته ودار حولها ثلاث مرات ثم دخلها. فرآه الإخوة وعبروا له عن ندمهم، وسألوه: "أخبرنا، لماذا درت حول قلايتك ثلاث مرات"؟ فقال لهم: "لأن صوت الملاجحة كان لا يزال في أُذني، فقلت أُخرِجه أولاً منها ثم أدخل القلاية حتى يكون عقلي داخل القلاية نقيا"[٤٧٤].

قيل إنّ هذا القديس قد نما في الفضيلة بسبب مثابرته على الزهد وشدة تقواه، ولما طلب من الله بلغ إلى الحرية والطهارة ولم يكن يضطرب لأي وجع وذلك كما طلب بنعمة الله وصار بلا هم. وقال لأبيه: "ها أنا مستريح ولا يقاتلني شيء إطلاقًا". فقال له الشيخ: "اسأل الله أن يعيد إليك الأوجاع حتى تجاهد وتأخذ الإكليل الكامل، لأنه بالجهاد تنجح النفس وتنمو في غِنى نعمة الله وتفوز بأجرٍ كثير".

ومنذ ذلك اليوم، لما جاء عليه القتال لم يطلب هذا الطلب من الله مرةً أخرى، ولكنه كان يتوسل إلى الرب قائلاً: "يا ربي وإلهي يسوع المسيح، في كل ما تجلبه علي آزرني

---

(471) Am. ; Apoph., John D., 44.

(472) Am. ; Apoph., John D., 37.

(٤٧٣) س ٤ ورقة ٥٣.

(474) W. & W., I: 319; Apoph., John D., 25;٥٣ س ٤ ص

بقوتك وامنحني صبرا إلى المنتهى"[٤٧٥].

سأل أخ أنبا بيمين قائلاً: "لماذا لا أكون حرا في أعمالي دون أن أكشف أفكـاري للشيوخ"؟ فأجابه الشيخ: "إنّ أنبا يؤنس القصير قال: 'إنّ العدو لا يفرح بشيءٍ مثـل الذين لا يكشفون أفكارهم لآبائهم'"[٤٧٦].

قيل إنّ أنبا يؤنس كانت له طاعة عظيمة، وكانت توجد بجوار المكان الذي عاش فيه مع أبيه أنبا أموي بعض المقابر حيث كانت تسكن ضبعة ضارية، وكان الشيخ قـد رأى هناك بعض أشياء نافعة لهما[٤٧٧]، فقال لأنبا يوحنا: "اذهب وأحضرها". فقـال لـه: "وماذا أفعل يا أبتاه بالضبعة"؟ فضحك الشيخ وقال له: "إن أقبلت إليـك فاربطهـا وأحضرها إلى هنا".

فذهب الأخ وكان الوقت مساءً، فجاءت إليه الضبعة، ولما أراد أن يمسكها هربت منـه، فتبعها القديس قائلاً: "أبي قال لي أن أربطكِ"، ثم أمسكها وربطها. وأثناء ذلك كان الشيخ قلقًا جدا على يوحنا، وبينما كان منتظرا إياه إذ به يأتي وهو يجر الضبعة المربوطة، فتعجـب الشيخ من كونه استطاع أن يأتي بها، ولكنه لكي يبعِد عنه الاعتداد بالذات زجره قائلاً: "يا أحمق، ذهبت وأحضرت لي كلبا"؟! ثم فك الحيوان وأطلقه[٤٧٨].

أرسل يوما ما أنبا أموي تلميذه يؤنس إلى البئر ليملأ جرة ماء، وكانت البئر بعيدة عن قلايته، وكانت عميقة جدا. فلما وصل إلى البئر وجد أنه نسي أن يحضِر معه حـبلاً، وإذ كان ممتلئًا بإيمانٍ عظيمٍ قال بصوتٍ عالٍ: "أيتها البئر، إنّ أبي أرسلني وقال لي: املأ هـذه الجرة ماءً". فللوقت صعد الماء إلى حافة البئر، فملأ الجرة ثم عاد الماء إلى ما كان عليه[٤٧٩]!

في **أحد الأيام** أخذ أنبا أموي خشبةً يابسةً وذهب إلى موضع بعيد من قلايته في البرية نحو اثني عشر ميلاً (أي حوالي ٢٠ كيلومترا) وغرسها هناك. ودعا تلميذه أنبا يؤنس وقال له: "يا يؤنس ابني، املأ جرة ماء كل يوم لهذه الخشبة حتى تثمر". وكان الماء بعيدا عن الموضع الذي غرس فيه الخشبة، ولكن أنبا يؤنس كان يذهب بجرة الماء مساء كل يـوم ويرجع في الصباح. وظلّ يفعل هكذا طوال ثلاث سنوات، فنمت الشـجرة وارتفعـت

(475) Am. ; Apoph., John D., 13; W. & W., I: 215; Ch., 37; س ٤ ورقة ١٢٩و١٤٩

(476) Apoph., Poemen, 101.

(٤٧٧) ذكرت المخطوطة أ ا "قُلّة يمانية"، وذكر كتاب الأبوفثجماتا أنه بعض من روث البهائم الذي يصلح وقودا للنار أو سمادا للزرع.

(478) Apoph., John disciple of A. Paul, 1; W. & W., I: 238; س ٤ ص ٨٧ هذا القول يذكر دائما عن أنبا يوحنا تلميذ أنبا "بلاّ" (أو بولس)، وليس من المؤكّد أنه هو أنبا يؤنس القصير.

(479) Am. ; Ch., 237.

وأعطت ثمرا، فأخذ الشيخ أنبا أموي من ثمر الشجرة وجاء به إلى الكنيسة وأعطى منـه لجميع الشيوخ قائلاً: "خذوا كلوا من ثمرة الطاعة"!

فلما رأى الشيوخ هذا الأمر العجيب دهِشوا ومجدوا الله قائلين: "يا الله، بالحقيقة لولا أنّ هذا الأخ مغبوطٌ لما تمّ هذا السر على يديه. مبارك الرب يسوع المسيح الكلمة الـذي يصنع العجائب في قديسيه، لأنه قال: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع مـ لاً، ومهما سأل باسمي يعطَى له» (يو١٤: ٢٣و١٣)".

وقد بقيت هذه الشجرة أجيالاً طويلة[٤٨٠] تشهد بفضائل هذا القديس العالية[٤٨١].

شعر أنبا أموي بالروح بما أوحته له ثمار شجرة الطاعة. ولما دنت أيامه أوصى أنبـا يؤنس قائلاً: "يا يوحنا ابني، حينما أخرج من هذا العالم اذهب واسكن في المكان الذي زرعت فيه الشجرة، لأنّ لك فيه ذبيحة دائمة مقدسة مقبولة أمام الله تكون على يديك، لأن الشجرة التي استجابت لك وأرسلت جذورها هي علامة ورمز يشير إلى سر النفوس التي ستخلص على يديك في هذا المكان، والتي ستكون ذكرى لك أمام الله"[٤٨٢].

قيل عن أنبا أموي إنه لما كان مريضا على فراشه لعدة سنوات لم يكن يسمح لنفسه أن يفكر في قلايته أو أن ينظر ليرى ما تحتويه، لأنّ الناس أحضروا إليه أشياء كثيرة بسبب مرضه. ولما كان يوحنا تلميذه يدخل أو يخرج كان يغلق عينيه حتى لا يرى ما يفعله لأنه كان يعلم أنه راهب أمين[٤٨٣].

عندما مرض القديس أنبا أموي وظلّ زمانا طويلاً مطروحا، لأنّ الرب أراد أن يزكيـه مثل الذهب الذي يختبر ويصفى في النار، ظل القديس يؤنس يخدم معلمه اثنتي عشرة سـنة بطول أناةٍ عظيمة، ولثقل المرض كان أحيانا يتضجر[٤٨٤]، ولم يقل لتلميذه قط يوما ما كلمة طيبـة عوض خدمته له، لأنّ تأديبه لأنبا يؤنس كان شديدا جدا أكثر من كثيرين من آبائنا.

ولما اقتربت وفاة الشيخ أحاط به جميع الشيوخ، فدعا أنبا يؤنس، ولما دنا منه أمسك

---

(٤٨٠) هذه الشجرة يخبرنا عنها كثير من السياح الأوروبيين منذ عام ١٦٥٧م، وكانت لا تزال موجودة حتى عام ١٩٢١م مكان دير القديس يؤنس القصير ببرية شيهيت الذي بدات بعثة أمريكية في الكشف عنه عام ١٩٩٥م (أنظر كتاب: "اديرة وادي النطرون" للدكتور منير شكري ص ٥٤). وقد وجدت هذه البعثة جزع شجرة قديم ربما يكون هو ما تبقى من شجرة الطاعة.

(481) Am.; Apoph., John Col., 1; W.&W., II: 270; س ٤ ورقة ٥٢

(482) Am.

(483) Am. ; Apoph., Ammoe, 3.

(٤٨٤) ربما كان ذلك على أثر التهابٍ رئوي أو مرض صدري خطير، وكان تلميذه المخلص يمرضه ويحتمل كثرة سعاله والبلغم الذي كان يقذفه من صدره باستمرار، والنوبات التي كانت تنتابه كثيرا حتى كان يسقط بثقله على يوحنا ("رهبنة" الطبعة الثانية، ص ٢٢٩)، وهذا الكلام تؤيده المخطوطة س ٤ ورقة ٨٦ إذ تقول: "وكان الشيخ يطرح تفل سعاله عليه دائما، وكان يغشى عليه، وتعب معه كثيرا".

يديه وقبلهما وباركه كما بارك إسحق يعقوب، وقال له ثلاث مرات: "طوباك، طوباك، طوباك. تخلص، تخلص، تخلص يا بطل الملك المسيح"! وبعد هذا أسلمه للشيوخ المحيطين به قائلاً لهم: "اقبلوا هذا لأنه ملاك الرب على الأرض وليس إنسانا". ولما قال أنبا أموي ذلك فتح فاه وسلّم روحه بسلامٍ من الرب(٤٨٥).

بعد أن رقد معلم الأب يوحنا أطاع وصية أبيه ورحل إلى مكان الشجرة حسب وصية أبيه، وصنع لنفسه مغارةً صغيرةً هناك حيث صنع تنسكات شديدة وكثيرة، وكان يتدثر بثوبٍ من الليف ويقضي يومه في أسفل المغارة في مكانٍ حفره تحتها عميقًا، ولا سيما لأنه كان ملتصقًا بالله بصلواتٍ عديدة وتوسلات لا تنقطع.

وهكذا قصده جماعات ليتتلمذوا على يديه ويتشبهوا بسيرته الملائكية، لأنه كان نموذجا وقدوةً لهم بحلاوة عشرته المملوءة محبةً وسلاما، وكان مشجعا للذين يرونه ويسمعونه، وسكنوا حوله وتكاثروا حتى إنهم بحكمتهم حولوا البرية إلى مدينة للمسيح والأرض القفرة إلى أرضٍ خصبة.

ولما زاد عددهم حفر لهم بئرا لأنه رأى أنهم يعانون من جراء ذهابهم لإحضار الماء من على بعد، وثابر التلاميذ مع أبيهم يوحنا على حفر البئر خمسة أيام متوالية بدون جدوى. ولما رأى القديس يوحنا ذلك قضى الليل كله في الصلاة بجوار الحفرة، وإذ بينبوع ماءٍ عذب يتفجر منها، وصار نافعا ومفضلاً حتى لرهبان الأديرة الأخرى القريبة منهم(٤٨٦).

جاء إليه الإخوة مرةً ليجربوه، لأنهم علموا أنه لم يكن يسمح لفكره أن يخرج إلى حديث بشري، ولا كان يتكلم عن شيء من أمور العالم. فقالوا له: "الشكر لله يا أبانا أنه في هذه السنة كانت الأمطار غزيرة، وقد ارتوى النخل وأخرج سعفًا كثيرا ليجد الإخوة حاجة عمل أيديهم". فقال لهم أنبا يؤنس: "إنّ نعمة الروح القدس إذا حلت في قلب الإنسان ترويه وتجدده فيعطي أثمارا في خوف الله"(٤٨٧).

ثم **سأله الإخوة:** "أين هي روحك"؟ فقال لهم: "إن قلبي هو في الأعالي، أما فكري فهو تحت الخليقة كلها"(٤٨٨).

جاء أخوه الأكبر وصار راهبا، وكان أنبا يؤنس قد تقدم عنه في مخافة الله، فلكي يجعله ينمو تحت نير الاتضاع الحقيقي ولكي يسلم نفسه للفضيلة، ذكره بضيق فقره في

(485) Am. ; Apoph., John the Theban, 1; W. & W., I: 199; س ٤ ورقة ٨٦
(486) Am. (487) Apoph., John D.,10; W. & W.,I: 56; س ٤ ورقة ٥٣ (488) Am.

العالم وقال له: "يا أخي، اعلم أننا فقراء وأننا محتقرون عند الناس، لذلك فلنثابر حسب مشيئة الله في هذا الدهر لكي نأخذ كرامةً من الله ونتمجد مع جميع قديسـيه". وبهذا الكلام وما يشبهه صار أخوه راهبا مختارا، وأخذ أنبا يؤنس بيده في كل عملٍ صالح[٤٨٩].

قال أنبا يؤنس لأخيه: "رغم أننا قطيع صغير في أعين الناس لكن فلنفرح ونتأمل في مقدار ما لنا من مجد في عيني الله"[٤٩٠].

كان قلب أنبا يؤنس القصير يغلي بنار الروح القدس، وكانت عنده غيرة واشتياق في كل وقت أن يتشبه بالقوات السمائية. ففي أحد الأيام قال لأخيه الأكبر بدافـع من حبه لله: "أنا أشتهي يا أخي أن أكون بلا هم وأن أخدم الله بلا انقطـاع مثـل الملائكـة الموجودين باستمرار في مجد جماله ونوره".

ثم تجرد من ثيابه وذهب إلى داخل البرية، وهناك قضى أسـبوعا دون أن يأكـل أو يشرب، ثم عاد إلى أخيه وقرع الباب، فلم يفتح له بل سأله: "من أنت"؟ فقال له: "أنا يوحنا". فقال له أخوه: "إنّ يوحنا قد صار ملاكًا ولم يعد معدودا بين الناس". وتركه من المساء إلى الصباح ثم فتح له قائلاً: "يا يوحنا، اعلم أنك إنسان وطالما أنك في الجسد فأنت تحتاج إلى أن تعمل لكي تقيت الجسد، وهذا التصرف إنما يكـون للملائكـة". فضرب له القديس يؤنس مطانية قائلاً: "اغفر لي يا أخي"[٤٩١].

وفيما هو جالس يوما ما في القلاية جاء بعض اللصوص وأخذوا جميع ما فيها، أما هو فلم يتكلم قط. ثم قال له اللصوص: "قم حملنا". فقام أنبا يؤنس وحملهم. ولما ودعهـم جلس. ثم جاء إليه أخوه وسأله: "أين الأوعية"؟ فقال: "لست أدري". ثم ضرب لـه مطانية قائلاً: "يا أخي اغفر لي، وأطلب منك أن تدرك أن لك ثلاث سنوات منذ مجيئك ولم تحتج إلى شيء"[٤٩٢].

وبينما كان القديس مرةً يعمل في الحصاد سمع أخا يتكلم مع زميله بغضبٍ قـائلاً: "تعالَ هنا"! فللحال ترك القديس الحصاد وهرب[٤٩٣].

وفي مرةٍ أخرى بينما كان القديس في الحصاد مع الإخوة نطق اسم أحـدهم لكـي يصنع خدمةً معينةً للإخوة، لكن هذا الأخ أجاب بغضبٍ قائلاً: "ما شأنك أنـت"؟! فقال القديس للأخ: "اغفر لي". وفي الحال ترك الأب الحصاد وصنع ميطانية للأخ قائلاً:

(489) Ibid. (490) Apoph., John D., 42; W. & W., I: 498.
(491) Am.; Apoph., John D., 2; W. & W., II: 70;٥٣ س ٤ ص (492) Am.
(493) Apoph., John D.,6; W. & W., I: 496; ٥٣ س ٤ ص

"اغفر لي يا أخي من أجل الرب اغفر لي". ثم عاد إلى قلايته.

وقضى القديس تلك السنة كلها يصوم ويأكل كل ثلاثة أيام خبزا وملحا فقط، وكان يصلي باستمرار قائلاً: "يا رب اغفر لي لأنني سببت ضيقًا لأحد خليقتك"[٤٩٤].

قال أنبا يؤنس: "ثلاث حروب تقاتل الإنسان: الزنى، ودينونة القريب، والابتعاد عن الله. فإذا حفظ الإنسان نفسه من الأولى حفِظ من الأخيرتين، وإذا وجد الإنسان (أي حمـلَ في قلبه) على أخيه أهلكت الأوجاع نفسه. وعلى كل حال، فإنّ أساس بيتنا هو أخونا"[٤٩٥].

كان أنبا يؤنس يذهب إلى الحصاد (لكي يعمل بيديه من أجل قوته واحتياجات الرهبان والمساكين كما كانت عادة رهبان ذلك الزمان)، وكان يتصرف مع الإخوة كأبٍ يعطـف عليهم، وكان بقلبه المملوء رحمة يريحهم جميعا في كل شيء، فإذا تعب لا يستريح حتى يشير إلى الإخوة أن يستريحوا هم أولاً ثم يرتاح هو بعدهم. وكان يقول: "مكتـوب: «تحـب قريبك كنفسك»، فإذا أنا أرحت إخوتي فإن الله يريحني أنا أيضا"[٤٩٦].

كانت عادة أنبا يؤنس أن يصوم ثلاثة أيام باستمرار طوال وقت الحصاد مع صلاة لا تنقطع، ولذلك صارت نفسه مضيئة بالروح القدس الذي كـان يعمـل فيـه آيـات ومعجزات[٤٩٧].

بينما كان القديس صاعدا مع الإخوة من الريف أثناء موسم الحصاد والحـر لكـي ينتعشوا، صادف في الطريق امرأةً عجوزا مطروحةً على الأرض، وكان يعذ ا شـيطان قاس بلا شفقة. ولما رأى القديس ذلك صنع رحمةً وقضى كل وقت الحـر في الصـلاة عليها، ولكن الشيطان صرخ من داخل المرأة قائلاً: "ماذا تفعل معي أيها القصير؟! لقـد تركت لك البرية وأنت تأتي إلى هنا؟ دعني أخرج". وفي الحال خرج الشيطان من المرأة وشفيت في الحال. ولما رأى الإخوة ما حدث من أبينا البار مجدوا الله[٤٩٨].

قيل أيضا، يا أحبائي، عن أبينا القديس إنه عندما كان في الريف لأجل الحصاد مـع الإخوة في وقت الحر، وبينما كان يوما ما يغتسل في الماء لكي يستريح قليلاً من التعب، أحضروا له شابا صغيرا به شيطان كان يعذبه كثيرا، ولما رأى القديس وقاحـة الـروح النجس والطريقة التي كان يعذب ا الشاب، نظر إلى السماء وتنهد، ثم صلى على المـاء الذي كان يغتسل فيه ورشمه باسم المسيح ثم سكبه على الشاب، وللحال خـرج منـه الروح النجس على شكل حيوان "النمسية"، وشفي الشاب لأجل مجد الله[٤٩٩].

(494) Am. (495) Am., p. 356. (496) Ibid. (497) Ibid. (498) Ibid. (499) Ibid.

كان جميع الآباء بعد انتهائهم من موسم الحصاد يقسمون أجـورهم إلى قسـمين: أحدهما لأجل الصدقة، والآخر لأجل احتياجا م، وهكذا كانوا يفعلون أيضا بأثمان عمل أيديهم. أما أنبا يؤنس فكان يأتي بأجره كله إلى البرية قائلاً: "إنّ فقرائـي والعـاجزين الذين لي وأراملي وأيتامي هم في شيهيت"[٥٠٠].

قيل عن أنبا يؤنس القصير إنه بعد رجوعه من الحصاد أو من صحبة بعض الشيوخ، كان يعطي نفسه للصلاة والتأمل والتسبيح حتى ترجع أفكاره وتثبت في الحالة التي كانت فيها[٥٠١].

قال الآباء القديسون عن القديس يوحنا الذي لُقب بالقصير إنه عندما كان يرجع من العمل في الحصاد وهو مجهد جدا كان يزور الشيوخ القديسين، وبعد أن يصلي معهـم كان يذهب إلى قلايته ويعكف في هدوء على الصلوات لمدةٍ طويلـةٍ وعلـى القـراءة والتأملات في الأسفار المقدسة، كما كان أيضا يثابر كل يوم على عملـه اليـدوي ولا يسمح لأحدٍ أن يأتي إليه (إلاّ في يومي السبت والأحد حسب بعض المراجع).

وكان في الحقيقة يقول إنه أثناء العمل في الحصاد يتشتت انتباه الروح ويكون الـذهن شاردا مقيدا بأفكارٍ متعددة. ومن ناحيةٍ أخرى كان يلزِم نفسه بالمزيد من النسك قائلاً: "نظير ما أنني كنت أشبع بالخبز في تلك الأيام بسبب العمل في الحصاد، فالآن بما أنـني هادئ في قلايتي فعلي أن أُزيد من التقشف والسهر لكي أوازن وأُصلِح ما كان ناقصا في تلك الأيام"[٥٠٢].

وفي هذه الأثناء رقد أخوه في الرب وهو كاملٌ في التقوى، وكان يسـكن عنـده أخ متتلمذًا عليه. فنصح أنبا يؤنس هذا الأخ - كمرشدٍ حقيقي للنفوس نحو الله - قائلاً له: "يا ابني، إذا أكرمنا ذاك الذي هو فوق الكل، الله، بخوفٍ ورعدةٍ، فالجميع يكرموننا؛ أمـا إذا ازدريناه بجهالتنا فإنّ كل واحدٍ سيزدري بنا وسنهلك بالتأكيد. عندنا معونة وقوة مقتدرة لا تقهر، هي الله، فلنرتبط به بمعرفةٍ ونحن نخلص، لأنه صالحٌ ومراحمه على كل من خلقه كثيرة وسخية. إنه يصنع معنا رحمةً بحب عميق نحونا. لنا هناك، يا ابـني، القـوات المقدسـة والخوارس الملائكية العديدة غير المحصاة، وجيوش رؤساء الملائكة والشـيروبيم والسـيرافيم والعروش والسلطات وكل أتباعهم، وكل القديسين مع كل المساكن غير المصنوعة بأيـدي البشر في السموات، فلنجعل أفكارنا معهم ولنتأمل في جمالهم و اء مجدهم مشـتاقين إلى أن

---

(500) Ibid.; Apoph.,John D., 47. (501) Ibid.; Apoph., John D., 35. (502) C S P.,I: 2 (فرنسي)

نوهب نسيانا كاملاً للأشياء الوقتية حتى نترك الأمور الفانية"[٥٠٣].

قال أنبا يؤنس: "يشبه القديسون بأشجار الفردوس المحملة بثمار الحياة على أنـواع كثيرة مختلفة في بركتها ومجدها، لأن الذي يسقيهم هو ينبوع الروح القـدس الواحـد. وتختلف اختبارات كل قديس عن الآخر، ولكنه هو الروح الواحد الذي يعمـل فـيهم جميعا هذه الفضائل العظيمة"[٥٠٤].

قال أحد الآباء: "ذهبت مرةً إلى أبا "موثويس" (أو "ماطويس" في مراجع أخـرى)، وقلت له: 'أريد أن أذهب إلى القلالي'، فقال لي: 'احمل سلامي إلى أنبا يؤنس'. فلمـا ذهبت إلى أنبا يؤنس وأبلغته سلام أبا موثويس قال لي: 'ها هو أنبا موثويس إسـرائيلي حقًا لا غش فيه'!

وبعد عامٍ ذهبت إلى أنبا موثويس وأخبرته بما قاله أنبا يؤنس، فقال لي الشيخ: 'إنني غـير مستحق لكلمات القديس، ولكن اعلم أنك إذا سمعت شيخا يمدح رفيقه أكثر من نفسه يكون هو قد بلغ إلى درجةٍ عظيمةٍ في الكمال، لأن هذا خضوع حقيقي منه للآخرين'"[٥٠٥].

كان الإخوة مرةً يأكلون معا في الأسقيط، وكان معهم أنبا يوحنا القصير. و ـض أحد الكهنة الكبار لكي يعطيهم ماءً ليشربوا، ولكن لم يقبل منه أحد ذلك إلاّ أنبا يؤنس، فتعجبوا كلهم وقالوا: "كيف أنك، وأنت أقل واحد فينا، تجرأت أن تأخذ منه وتشرب، في حين أنه لم يجرؤ أحد منا أن يفعل ذلك"؟ فقال لهم القديس: "عندما أ ـض أنا وأفعل مثله أفرح عندما يأخذ مني الجميع ويشربون لكي آخذ أجري، ولذلك فإنني قدرت لـه موقفه هذا وأخذت وشربت لكي يكون له أجر، وأيضا لكي لا يحزن بسبب أن أحـدا منكم لم يأخذ منه، وحتى لا تثبط عزيمته"! ولما قال هذا تعجب الآباء لفطنته وانتفعـوا جميعا من إفرازه[٥٠٦].

وقال أنبا يؤنس: "المحبة هي أساس البنيان، فإذا حفظنا الأساس فنحن نبني بيتنـا حـتى نكمل سقفه". لذلك كان القديس يؤنس يفرح إذا شتمه أحد وأهانه، ويزيد من حبه لـه، وكان يقول: "إنّ احتمال الشتيمة والإهانة بمعرفةٍ هو الذي يطهر القلب ويجلب الاتضـاع الحقيقي حتى تصل النفس إلى الله، أما مديح العالم وكراماته فهي ـدم الفضيلة".

وقيل إنّ أنبا يؤنس من أجل عظم اتضاعه وحيائه لم يكن يرفع عينيه قط لينظر وجـه

(503) Am.; Apoph., John D., 24. (504) Am.; Apoph., John D., 43; W. & W., I: 635.
(505)W.& W.,II: 54;Apoph.,Matoes,7. (506) W.& W., II:131; Apoph., John D.,7.

إنسان[٥٠٧].

وقال أيضا: "إنّ البيت لا يمكن أن يبنى من فوق إلى أسفل بل من الأساس إلى فوق". فسألوه: "ما معنى ذلك"؟ فقال لهم: "إنّ أساس كل عمل هو محبة القريب، فيجب علينا قبل كل شيء أن نربحه، لأن وصايا المسيح إلهنا كلها معلّقة بهذه الوصية"[٥٠٨].

ذات يوم سأل الإخوة أنبا يؤنس: "أجيد لنا أن تكون لنا أُلفة مع الناس"؟ فقال لهم: "جيد أن نعتاد على إخوتنا لأن الرب مات من أجلنا ومن أجلهم أيضا بالمساواة، وخصوصا أننا بوداعة المسيح وبكل طهارةٍ في الروح القدس نربح أخانا، وبالألفة مع الشجاعة ندرب أنفسنا ضد البغضة التي تفصلنا عن الله"[٥٠٩].

قال أحد القديسين (هو أنبا يؤنس القصير في بعض المراجع): "لا يوجد عمل محبة أفضل من أن لا يحتقر الإنسان أخاه كما هو مكتوب: «لا تبغض أخاك في قلبك، إنذارا تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطية» (لا١٩: ١٧). وعلى ذلك فإذا رأيت أخاك مستمرا في الخطية وأنت أهملت في إنذاره حتى يعرف حينئذٍ خطأه فسيطلب دمه منك. ولكنه إذا كرر الخطية واستمر فيها فهو يموت بخطيته، وجيد لك أن تشفيه بالمحبة دون أن تجرحه أو تزدري به كعدو"[٥١٠].

كان الأب يوحنا مرةً صاعدا من الأسقيط مع الإخوة، فضلّ الأخ الدليل عن الطريق لأن الوقت كان ليلاً. فقال الإخوة لأنبا يوحنا: "ماذا نفعل يا أبانا لأن الأخ قد ضلّ الطريق ونحن قد نموت"؟ فقال لهم: "إن قلنا له شيئًا يحزن ويخجل، ولكن ها أنا أجعل نفسي مريضا وأقول إنني لا أقدر أن أمشي، ونجلس حتى الصباح". فقالوا له: "أحسنت يا أبانا". ولما فعل هكذا قال الإخوة: "ونحن أيضا نجلس معك". فجلسوا حتى الصباح ولم يجرحوا شعور الأخ[٥١١]!

وقيل عنه أيضا: إنه كان مرةً يحمل بعض المقاطف في مدينة مصر (القاهرة الآن) لكي يستبدلها ببعض الخبز لحاجة الجسد، ولما استبدلها وكان يعِد نفسه للعودة إلى البرية، رأى امرأةً عجوزا تسير في الطريق، وكانت أرملة فقيرة يتبعها ابنها الوحيد الذي كان أعمى وكانت هي تقوده. وسمع القديس الولد الصغير الأعمى يقول لأمه: "هل سيرسل الله لنا اليوم خبزا لنأكل يا أمي"؟! فأنت أمه وبكت وقالت له: "إنّ الرب يرى ويشفق علينا يا ابني ويحيطنا بعنايته".

---

(507) Am. (508) Apoph., John D., 39; س ٤ ص ٨٧ (509) Am.,p. 348.
(510) N.,478. (511) Apoph., John D., 17; W. & W., II: 532; D.F., XVII, vii.

فلما سمع القديس ذلك تحركت أحشاء رحمة المسيح التي كانت فيه، فدعا المرأة وقال لها: "لعلكِ محتاجةٌ لبعض الخبز يا أُمي"! فقالت له: "نعم، كثيرا يا أبي". فمن فـرط شعور القديس بالرحمة نحوهما نسي نفسه مقابل نجاة الآخرين، وأعطاهما المقطف الملـيء بالخبز مترجيا وجه المسيح الذي يحيا فيه والذي يعطي الجميع بسخاء.

ولما أخذت المرأة الخبز بفرح وشكرٍ قالت للقديس وكأنها مدفوعةً مـن الله وممتلئـةً بإيمانٍ عظيم: "يا أبي القديس، أرى أنك قديس لله، فأتوسل إلى قداستك أن تضع يـدك المقدسة على عيني ابني الوحيد الأعمى هذا لكي يأخذ بركتك". فرفع القديس عينيه نحو السماء وتنهد من قلبٍ مملوءٍ رحمة وقال: "أيها المسيح إلهنا الذي يمد الإنسـان بكـل صلاح، خالق كل الكائنات، أنت الكائن بالأمس واليوم وإلى الأبد. بما أنك وهبت النظر للمولود أعمى بإرادتك ورحمتك، الآن أيضا تتفق مشيئتك المقدسة مع كل ما هو خـير لخليقتك، لأن لك المجد مع أبيك المملوء صلاحا والروح القدس إلى دهر الدهور، آمـين ليكن". ووضع يديه على عيني الصبي ورشمهما باسم المسيح فأبصر لساعته.

ومن شدة فرح الأم بهذه الأعجوبة صرخت قائلةً: "ليتبارك الرب إله هذا الراهـب الشيخ القديس"! وعلى هذا الصوت تجمع الناس، فاعتزل هو بعيدا هاربا من مجد الناس، واختفى حيث قاده المسيح[٥١٢].

كان في **الأسقيط** شيخ بسيط جدا في مظهره، ولكنه غير واضح تمامـا في أفكـاره. ذهب هذا الشيخ إلى أنبا يؤنس ليسأله عن النسيان، فأجابه القديس، ولكنه لما رجـع إلى قلايته نسي ما قاله له القديس. وذهب إليه مرةً أخرى ليسأله فسمع نفس الكلام ورجع ونسي مرةً أخرى. وهكذا فعل عدة مرات وكان النسيان يغلبه. وأخيرا قابل القـديس وقال له: "هل تعلم يا أبي أنني نسيت أيضا ما قلته لي؟ ولكنني لم أشأ أن أُثقل عليـك، لذلك لم أرجع إليك".

فقال له أنبا يؤنس: "اذهب وأضئ مصباحا". ففعل. ثم قال له: "أحضر مصـابيح أخرى وأشعلها من المصباح الأول". ففعل. ثم قال القديس للشيخ: "هل حدثت خسارة للمصباح الذي أضاءت منه بقية المصابيح"؟ فقال: "لا". قال أنبا يؤنس: "هكذا هـو الحال مع يؤنس، فحتى لو جاء كل الأسقيط لكي يراني فلن يفصلوني عن محبة المسـيح. ففي أي وقت أردت تعالَ إلي دون أن تتردد".

(512) Am.

ولأجل صبر هذين الرجلين نزع الله النسيان من الشيخ. وهكذا كان عمل رهبان الأسقيط، فهم يوحون بالغيرة للذين هم في شدةٍ ويقسون على أنفسهم لكي يكسبوا الآخرين إلى فعل الصلاح[٥١٣].

قال أنبا يؤنس هذا المثل عن النفس التي تريد أن تتغير: "كان في إحدى المدن عاهرة لها عشاق كثيرون، فجاء إليها أحد الحكام وقال لها: 'تعهدي لي أن تكوني امرأةً صالحة وأنا أتزوجك'، فتعهدت وأخذها إلى بيته. ولما طلبها عشاقها قالوا بعضهم لبعض: 'لقد أخذها هذا الوالي إلى بيته، فإذا اقتربنا من بيته وعلم هو بذلك سيعاقبنا، فلنذهب من خلف المنزل ونغريها، وهي عندما تتعرف علينا ستنزل إلينا ونكون نحن بلا لوم'. فلما سمعت المرأة أصواتهم سدت أذنيها وهربت إلى خدرها وأغلقت بابها عليها خوفًا من زوجها بسبب المجد الذي حصلت عليه، وحتى لا يأتي إليها أحد مرةً أخرى".

ثم قال القديس: "هذه العاهرة هي النفس، وعشاقها الآخرون هم الأوجاع والشهوات، والوالي هو المسيح، والخدر هو المسكن الأبدي، والذين يغرونها هم الشياطين. فإذا سمحت النفس لذاتها بالخضوع لإغراءاتهم والتأخر إلى الوراء تتلطّخ بالخطية، أما إذا التجأت إلى الرب وأسرعت إلى الطهارة بمعونته خوفًا من العذابات واشتياقًا إلى الصالحات التي لملكوت السموات فهي بشجاعتها تصير خادمةً لله، وبمعونته تتخلص من القوات الشريرة ومن الشهوات الخبيثة"[٥١٤].

سأل أحد الشيوخ أنبا يوحنا القصير قائلاً: "عندما كنت في "كريت" مع الآباء كيف وجدت سلوكهم"؟ فأجاب القديس: "إنهم كانوا يعملون ليلاً ونهارًا على قدر طاقتهم عمل الله، أي أنهم كانوا يخدمونه ويصلون ويقرأون، وكان كل انشغالهم في الإلهيات، ولا يعرفون الكسل بل كانوا يعملون بأيديهم"[٥١٥].

سأل أخ أنبا بيمين قائلاً: "هل يمكن للإنسان أن يعتمد على فضيلةٍ روحانيةٍ واحدةٍ لأجل خلاصه"؟ فقال له الشيخ: "إن أنبا يوحنا القصير قال: 'إنني أُفضل أن يأخذ الإنسان لنفسه القليل من كل فضيلة. لذلك انهض مبكرا كل يوم وابدأ من جديد، واتخذ لك ضابطًا يناسب كل فضيلة وكل وصية من وصايا الله. ليكن لك صبر عظيم مع مخافةٍ وطول أناةٍ في حب الله مع كل غيرةٍ في نفسك وفي جسدك'".

---

(513) Apoph., John D., 18; W. & W., II: 153; D. F., XI: xv.
(514) Am. ; Apoph., John D., 16 ; W. & W., II: 215.
(515) W. & W., II: 468.
يذكر هذا المرجع أن هذا القول هو للقديس John the Less، ولا نعرف هل هو نفسه ق. يوحنا القصير أم لا، لأنه لم يذكر في سيرته أنه ذهب إلى جزيرة كريت!

"'تدرب على الاتضاع العميق، احتمل الحزن الداخلي، كن ساهرا وصلِّ كثيرا بتخشع وتنهد، مع نقاوة في كلامك وضبط لعينيك. عندما تحتقر لا تحزن، بل احتفظ بسلامك ولا تقابل الشر بالشر. لا تعِر انتباها لأخطاء الآخرين، ولا تحاول أن تقارن نفسك بالآخرين، عالمًا أنك أقل من كل مخلوق'".

"'أنبذ كل شيءٍ مادي وكل ما هو جسداني. اقرن حياتك بمعاناة الصليب، في جهادٍ، في مسكنة الروح، في نسكٍ روحاني طوعي، في صومٍ، في توبةٍ، في دموع، في إفراز، في طهارة النفس، متمسكًا بكل ما هو صالح. اعمل عملك في سلام، واظب على الاحتفاظ بالسهر، في جوع وعطشٍ، في بردٍ وعريٍ، وفي احتمال الآلام. أغلق على نفسك كأنك في قبر وكما لو كنت ميتا بالفعل حتى تذكر في كل وقت أن الموت هو وشيك الوقوع ... (باعتبارك) في «الجبال والمغاير وشقوق الأرض». واحذر من أن تكون مجرد سامع للكلمة غير عاملٍ بها، لأنّ الذين يفعلون كل ذلك هم بالتأكيد الذين يرتدون ملابس العرس ويتاجرون في وزناتهم'"[٥١٦].

وقال أنبا يؤنس: "يجب على الراهب أنه عندما يقوم صباح كل يوم يتخذ لنفسه وصيةً إلهية، وأن يكون له طول روح، ويتحفّظ من التقلب، وأن تكون له صلاة دائمة مع طهارة لسان، وأن يجعل نفسه تحت الخليقة كلها بالابتعاد عن الهيولانيات (أي الماديات)"[٥١٧].

كان أنبا يؤنس يقول لتلاميذه: "كان آباء الأسقيط يأكلون خبزا وملحا وكانوا يقولون: 'نحن لا نعتبر أن الخبز والملح لا غِنى عنهما'، ولذلك فقد كانوا أقوياء في عمل الله، كما كانوا يضيقون على أنفسهم. لذلك دعونا نقيد أنفسنا بالخبز والملح، لأنه يليق بمن يخدمون الله أن يضيقوا على أنفسهم، لأن الرب نفسه قال: «ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة» (مت٧: ١٤)"[٥١٨].

قيل عن القديس يؤنس القصير إنه لم يكن يشبع إطلاقًا لا من الخبز ولا من الماء ولا من النوم، ولم تخرج من فمه قط كلمة شائنة، هذا لأنه لم يتملكه فكر جسداني قط، بل كان مثل ملاك في طهارة القلب والحكمة[٥١٩].

قال أنبا يؤنس: "من امتلأ من الطعام وتحدث مع صبي فقد زنى بفكره معه"[٥٢٠].

(516) Apoph., John D., 34; Poemen, 46; W. & W., II: 118, 128.
(٥١٧) س ٤ ورقة ٥٤.
(518) Apoph., John D., 29; W. & W., II: 267; D. F., p. 151: I.
(519) Am.
(520) Apoph., John D., 4; س ٤ ص ٥٣

وقال أيضا: "كل من اجتمع أو تكلم مع صبي فهو زانٍ بفكره"(٥٢١).

واعتاد أيضا أن يقول: "من يتكلم كثيرا مع امرأةٍ فقد زنى معها بفكره"(٥٢٢).

وأيضا اعتاد القديس أن يقول: "أي حيوان أقوى من الأسد؟ ومع ذلك فمن أجل شهوة بطنه يقع في الفخ فتبطل كل قوته ويصير هزءًا للناس؛ هكذا الراهب إذا ضيع قانونه وتبع شهوته أهلك وقاره وصار هزءًا لكل أحد"(٥٢٣).

قال أنبا يؤنس مثلاً للإخوة عن التقشف: "إذا أراد ملك أن يستولي على مدينةٍ، فقبل كل شيء يمنع عنها الماء والمؤن الغذائية، فيصير سكان المدينة محاصرين بالجوع والعطش ويخضعون له فيسود عليهم؛ هكذا الراهب إذا قمع حِدة شهواته بالتقشف في الأطعمة، وإذا تزين بمحبة الإماتة بشجاعةٍ في الخفاء، ضابطًا لنفسه ولا سيما من الحرية بسبب فظاظة الشهوات النجسة وخبثها، فإنه يقضي على كل شهوة ويصير في راحة"(٥٢٤).

كان أنبا يؤنس إذا ثقلت على أحد الإخوة حرب الشهوات من العدو يصلي من أجله وللحال يتوقف الداء عن الأخ، فيشفى الإخوة من انفعال الغرائز الرديئة بواسطة محبة الإماتة، وذلك بتعضيد قوة الروح القدس التي كانت تسكن فيه(٥٢٥).

قيل إنّ أنبا يؤنس عمل لنفسه مكانا ضيقًا طوله ذراع واحدة وعرضه ذراع واحدة، وأحاطه بحجارةٍ قويةٍ حتى لا تنحرف من أية جهة، فإذا غلبه النوم وهو جالس لا يسمح له ضيق المكان بالحركة وللحال ينتصب قائما، وهذا كان بالأخص بسبب خبث الذين يحربونه بالخيالات(٥٢٦).

سأل أخ أنبا يوحنا قائلاً: "ماذا أفعل، لأن أحد الإخوة يأتي إلي كثيرا طالبا إياي للعمل، وحيث إنني مريض وضعيف فالعمل خارجا يجهدني، فماذا أفعل لكي أنفذ الوصية"؟ فأجابه الشيخ: "قال كالب بن يفُنة ليشوع بن نون: «كنت ابن أربعين سنة حين أرسلني موسى عبد الرب (معك) لأتجسس الأرض ... والآن فها أنا اليوم ابن خمس وثمانين سنة ... كما كانت قوتي حينئذٍ هكذا قوتي الآن للحرب وللخروج والدخول» (يش١٤: ٧-١١)، فهكذا أنت أيضا، إذا كانت قوتك تكفي للخروج وللدخول فاذهب للعمل، أما إن كنت لا يمكنك ذلك فاجلس في قلايتك وابكِ من أجل خطاياك، وعندما يجدونك ممتلئًا بتبكيت الضمير فلن يجبروك على الخروج"(٥٢٧).

---

(٥٢١) س ٤ ورقة ١٤٧.

(522) W. & W., I: 584.

(523) Apoph., John D., 28; W. & W., II: 266; س ٤ ص ٥٤

(524)Am.;Apoph.,John D.,3;W. &W.,I:75.(525) Am. (526)Ibid. (527) Apoph., John D., 19.

سأله الإخوة مرةً: "يا أبانا، أجيد أن نتلو مزامير كثيرة"؟ فقال لهم: "إنّ غِنى الـروح القدس يسكن في النفس من قِبل حِفظ العقل سواء عمل الإنسان كثيرا أو قليلاً، ولا سيما أن جميع ما يفعله الراهب إن لم يكن بالاتضاع والتحفظ فلا يكون مقبولاً قدام الرب"[٥٢٨].

قال أنبا يوحنا: "تركنا الحِمل الخفيف الذي هو أن نلوم أنفسـنا، وثقّلنـا أنفسـنا بالحِمل الثقيل الذي هو أن نبرر أنفسنا"[٥٢٩].

قيل إنّ أنبا يؤنس كان مزينا بكل الفضائل، وإنه كثيرا ما كان يتذكر ثلاثة أمور: مخافة وقت الخروج من الجسد، ومخافة لقاء الله، ومخافة يوم الدينونة. فعندما يتذكرها كان ينطلـق إلى داخل البرية، وكان أخوه بالجسد - وهو الأكبر منه والذي ترهب بعده - يخرج باحثًـا عنه، وإذا وجده كان يقول له: "لماذا يا أخي تتعب نفسك هكذا كثيرا؟ أما تحققت أنك إذا أقمت في القلاية تجد الله"؟ أجابه: "نعم، أومن أنّ الله في كل موضع، لكنني أريد أن أتعب كثيرا لكي ينظر الله إلى تعبي ويجعلني بغير خوفٍ أو خطر في يوم الدينونة، وبغـير قلـق أو اضطرابٍ من جهة الخطية، وأستحق أيضا أن أُعاين مجد الله وقديسيه"[٥٣٠].

قدم لنا أنبا يؤنس هذه النصيحة: "السهر هو المكوث في القلاية وتذكر الله دائمـا، لأن هذا هو معنى «كنت محبوسا فأتيتم إلي» (مت٢٥: ٣٦)"[٥٣١].

وسأله أخ قائلاً: "هذه الأصوام والأسهار التي نحفظها ماذا تؤدي إليـه"؟ فأجابـه: "إنها تؤدي إلى أن النفس تصير متضعة، لأنه مكتوب: «أُنظر إلى تواضعي (مذلّتي) وتعبي واغفر لي جميع خطاياي» (مز٢٥: ١٨)، لأنه إن كانت النفس تكد في هـذه فـإنّ الله سيشفق عليها ويتألم معها"[٥٣٢].

كان هذا القديس جالسا في الكنيسة يوما ما، وحدث أنه تنهد دون أن يدري وكان واحد جالسا خلفه، ولما لاحظ ذلك انطرح ساجدا أمامه قائلاً: "اغفر لي يا أبي فإني لم أبدأ بعد"[٥٣٣].

وكان القديس يؤنس يقول للإخوة: "اخضعوا بطاعةٍ كاملةٍ حسب سيرة آبائنـا. اقبلوا المشورة بإيمانٍ وبالأخص باتضاع ونقاوةٍ وخوف الله والثبات في الله والانشغال به، هذه الأمور هي أسمى من كل الفضائل وتجعل النفس تضيء بالله باستقامتها".

---

(528) Am. (529) Apoph., John D., 21; W. & W., I: 460; س ٤ ورقة ١٣٢ (530) Am.
(531) Apoph.,John D.,27;W. & W.,I: 60. (532) D. F., p.152: ii. (533) Apoph.,John D., 23.

وقد ذكر الآباء عنه أنه كما أن الأرض لا يمكنها أن تسقط كذلك كان أنبا يؤنس القصير لا يمكنه أن يسقط بسبب عظم اتضاعه، فقد أكمل طاعةً عظيمةً وهو تحت الخضوع لأبيه الروحاني إذ كان متقدا بنار الروح القدس[(٥٣٤)].

سأل الأب يوحنا الإخوة قائلاً: "من باع يوسف"؟ فقال أحد الإخوة: "إخوته". فقال الشيخ: "كلاّ، إنّ اتضاعه هو الذي باعه، لأنه كان يمكنه أن يقول للذين اشتروه إنه أخوهم، ولكن لأنه سكت فقد باع نفسه باتضاعه. واتضاعه أيضا هو الذي رفعه كرئيس في مصر. كما أن اتضاعه قد رفعه ليس إلى مملكةٍ أرضيةٍ فحسب بل أيضا إلى الملكوت السماوي الدائم حيث يملك ممجدا مع جميع القديسين. فيجب علينا يا أولادي أن نتمسك باستمرار وبقوة بفضيلة الاتضاع محتملين الشدائد والضيقات بكل صبر لأجل البر حتى يمكننا أن نبلغ إلى المجد الأبدي السماوي"[(٥٣٥)].

وقال أيضا: "يجب قبل كل شيء أن نقوم التواضع، لأن هذه هي الوصية الأولى التي قالها ربنا: «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات» (مت٥: ٣)"[(٥٣٦)].

وقال أيضا: "إن الاتضاع ومخافة الله هما فوق جميع الفضائل"[(٥٣٧)].

اعتاد القديس أن يقول: "إن الاتضاع هو الباب الذي يقود إلى الملكوت، وآباؤنا بإهاناتٍ كثيرة دخلوا مدينة الله فرحين"[(٥٣٨)].

وقال أيضا: "إنّ ثلاثة فلاسفة كانوا متآخين، فمات أحدهم وخلّف ابنا صغيرا أوصى به للثاني. ولما شب الغلام أخطأ مع امرأة الوصي عليه، فلما رآهما معا طرد الشاب من بيته. ورغم أنّ الشاب جاء وسأل الوصي أن يغفر له فلم يشأ أن يقبله بل قال له: 'اذهب إلى دير رهبان واحتمل الإهانة لمدة ثلاث سنوات'. ففعل. ثم جاء إليه فلم يقبله بل قال له: 'ما تأدبت بعد، ولكن اذهب وأقم ثلاث سنوات أخرى وأعطِ أُجرةً لمن يشتمك'. ففعل ذلك. ولما عاد إليه أرسله بخطابٍ إلى صديقه الثالث الذي كان في مجلس الحكماء في أثينا ليتعلم الحكمة، وكان هناك شيخ حكيم جالسا على الباب يشتم كل من يدخل، ولما دخل الشاب شتمه، فضحك. فقال له الفيلسوف: 'أنا أشتمك وأنت تضحك'؟ فقال له الشاب: 'ألا تريدني أن أُسر ولي اليوم ثلاث سنوات أُعطي أُجرةً لمن

---

(534) Am. (535) Apoph., John D., 20; W. & W., I: 553; ٥٤ س ٤ ص والجملة الأخيرة مأخوذة عن المرجع C S P, IV 5 الذي ينسب فيه هذا القول لأنبا بيمين.
(536) Apoph., John of the Thebaid, 1; W. & W., I: 509; ٥٤ س ٤ ورقة
(537) Apoph., John D., 22; W. & W., I: 479. (538) W. & W., I: 510.

يشتمني والآن وجدت من يشتمني مجانا؟! لذلك ضحكت'. فقال لـه الشـيخ: 'هلـم واصعد إلى مجلس الفلاسفة'"!

ثم قال أنبا يؤنس: "إنّ هذا هو باب مدينة الله، وآباؤنا باحتمالهم الشتائم والإهانات دخلوا فيه مسرورين"[(٥٣٩)].

وقال الشيخ أيضا: "أنتم تعلمون أن ضربة الشـيطان الأولى لأيـوب كانـت في ممتلكاته، فوجد أنه لم يحزنه ولا أبعده عن الله. وفي الضربة الثانية مس جسده، ولكـن هذا الشجاع القوي لم يخطئ بأية كلمة خرجت من فمه بخصوص هذه الضربة أيضـا. ففي الحقيقة إنّ قلبه كان متعلقًا بالله، وكان يعتمد على هذا الينبوع بلا انقطاع"[(٥٤٠)].

أراد القديس ذات يوم أن يبيع عمل يديه من السلال في الريف، وبينما كان سـائرا في البرية ثقلت عليه السلال، ثم التقى بجمال مع جماله، فقال الجمال للأب: "أعطني يـا أبانا هذه السلال لأحملها لك لأني أراك متعبا". فأعطاه إياها، وسارا معا. ثم بدأ الجمال يتفوه بكلامٍ شائنٍ وأحاديث خليعة كأهل العالم، ونظر أنبا يؤنس جمعا مـن الشـياطين حول الرجل، فللوقت ترك السلال وعاد إلى قلايته وهو يردد كلام المخلص: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» (مت١٦: ٢٦)[(٥٤١)]؟!

حدث مرةً أنّ الإخوة كانوا يأكلون في وليمة الأغابي، وكان أنبا يؤنس جالسا معهم، فرأى أخا يضحك وهو يأكل، فبكى أنبا يؤنس قائلاً: "أين هو قلب هذا الأخ؟ ألم يكن من الواجب عليه بالأحرى أن يبكي ويئن مع الشكر لأنه يأكل خبز الصدقة"[(٥٤٢)]؟!

وفي يومٍ آخر أيضا كان أنبا يؤنس يأكل على المائدة مع جمهـور مـن الرهبـان، فانكشفت له رؤية بالروح القدس ورأى فرقًا بين الإخوة الآكلين، فكان بعضهم يأكـل عسلاً، وآخرون يأكلون خبزا، وآخرون يأكلون ترابا. ولما كان القديس مندهشا من هذا السر، جاءه صوت من السماء قائلاً: "الذين يأكلون عسلاً هم الذين يـأكلون بمخافـةٍ ورعدةٍ وفرحٍ روحي ويصلون بلا انقطاع ويلهجون في السماويات، فكانت صـلواتهم تصعد إلى العلا كالعطر المقبول عند الله، ولذلك فهم يأكلون عسلاً. والـذين يـأكلون خبزا هم الذين يأكلون بشكرٍ ممجدين الله على أعماله العظيمة وعلى هباته التي أعـدها لهم. أما الذين يأكلون ترابا فهم الذين يأكلون بتذمر ونميمةٍ وثرثرةٍ ودينونةٍ قائلين عـن

(539) Apoph., John D., 41; س ٥ ص ١٠٨
(540) Apoph., John D.,45.
(541) Am. ; Apoph., John D., 5; W. & W., I: 495; سع ٤ ص ٥٣
(542) Am. ; Apoph., John D., 9; W. & W., I: 139; سع ٤ ورقة ٥٣

هذا إنه رديء وذاك إنه صالح. فليس من اللائق إطلاقًا التكلم أو التفكير هكذا.

أما الأفضل فهو تمجيد الله ومباركة اسمه على أفضاله العديدة تطبيقًا لوصية الرسـول: «إذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا فافعلوا كل شيءٍ لمجد الله» (١كو١٠: ٣١)"[٥٤٣].

كان القديس يحثّ كل واحدٍ أن يحترس من الخطية، ولا سيما من الثرثرة ودينونـة الآخرين قائلاً: "هذا يجعل الإنسان غريبا عن الله مثل الزنى والفسق، وقد عدد الرسـول كل هذه قائلاً: «إنّ مثل هؤلاء لا يرثون ملكوت الله» (١كو٦: ٩و١٠)"[٥٤٤].

سأل أخ أنبا يؤنس قائلاً: "كيف أن النفس وهي مليئة بـالأمور الـتي تلومهـا لا تستحي من أن تتكلم على الآخرين وتدينهم"؟ فقال له القديس هذا المثـل: "إنسـان كانت له زوجتان، وكانت كلتاهما عريانتين بسبب فقرهما. وأُقيم ذات يوم احتفـال في مكان ما، فتوسلتا كلتاهما لزوجهما أن يأخذهما إلى الاحتفال، فصنع لهما صـندوقًا بـه ثقوب (للتنفس) وأدخلهما فيه وأبحر معهما في مركب. ولما وصلوا إلى الموضع خرجت إحداهما من الصندوق وذهبت إلى كومةٍ من القمامة وأخذت أسمالاً بالية وصنعت منـها جلبابا لنفسها وغطّت عريها، وذهبت ووقفت مع الجموع ورأت كل ما يجري هنـاك. فنظرت المرأة الأخرى من ثقوب الصندوق ورأت رفيقتها بين الجموع، فقالت لزوجها: 'ألا ترى هذه العاهرة ووقاحتها؟ إ ا لا تخجل من الأسمال التي ترتديها'! لقـد نسـيت البائسة خزيها هي نفسها وفقرها وهي في الصندوق، وأ ا لم تستطع أن تظهر إطلاقًا أمام الناس بسبب عريها، ومع ذلك كانت تدين رفيقتها. فقال لهـا زوجهـا: 'أُنظـري إلى نفسك وفكري في حالكِ الذي أنتِ فيه، فتلك وجدت أسمالاً بالية وغطّت عريها، وأما أنتِ فلا يمكنك أن تظهري إطلاقًا أمام إنسان واحد، فلماذا تدينين أختكِ'"؟

ثم قال أنبا يؤنس: "هذا هو حالنا، فنحن ننسى خطايانا وندين أخانا! غير أن محبة الله للبشر يئ لنا طريق الخلاص إذ تفتح لنا باب التوبة التي إذا أردناها نخلص"[٥٤٥].

قيل عن أنبا يؤنس القصير إنه لم يكن يخطئ في أمرٍ أو فعل أو قول ثم يسقط فيـه مرةً أخرى. وكان إذا رأى أو سمع أن أحدا سقط في خطية يبكي ويتنهد بوجـع قلـب قائلاً: "هذا سقط اليوم وربما يتوب، وربما أسقط أنا غدا ولا أُعطَى مهلةً لكي أتوب". وكان يفعل ذلك كل حين لكي لا يدين أحدا[٥٤٦].

---

(543) Am., p. 378; Ch., 215. (544) Am. (545) Am.; Apoph., John D., 15; W & W., II: 42.
(546) Am.;١٤٧ س ٤ ورقة

وكان هذا الأب غيورا جدا، فقد جاء إليه واحد ليراه وظلّ يمدح أعمالـه، فظـلّ القديس صامتا لأنه كان يضفر خوصا. ثم تكلم الزائر مرةً ثانيـةً واحـتفظ القـديس بصمتـه. ولما مدحه مرةً ثالثة قال له: "منذ أن جئت إلى هنا أبعدت الله عني"[٥٤٧].

قال أنبا يؤنس: "كان شيخ روحاني يعيش في عزلةٍ، ولكنه كان له قدر عالٍ وسـمعة عظيمة في المدينة. أخبروه يوما ما أنّ شيخا آخر كان على وشك الموت أرسل يطلبه لكـي يقبله قبل أن يرقد. ففكّر في نفسه قائلاً: 'إن ذهبت في النهار فسيلتف حولي الناس ويحيطونني بكرامةٍ عظيمةٍ، وبذلك لن أجد راحة، لذلك فسأذهب في المساء في الظلام لكي لا يـراني أحد'. ولكنه لما ذهب في الليل أرسل الله ملاكين معهما مصابيح لكي يضيئا لـه الطريـق، ولذلك جاءت المدينة كلها لترى مجده. فبقدر ما أراد أن يهرب من مجد الناس بقدر ما تمجد بالأكثر. وفي ذلك قد تمّ المكتوب: «من يضع نفسه يرتفع» (لو١٤: ١١)"[٥٤٨].

توبة القديسة بائيسة

أخبروا عن القديس يوحنا إنّ شابة صغيرة من أهل منوف اسمهـا "بائيسـة" تـوفي والداها اللذان كانا غنيين وتركاها يتيمة. فجاءها فكر صالحٌ أن تجعـل مـن بيتهـا مـأوى للرهبان والغرباء، وفعلت ذلك أياما كثيرة. ثم حدث أن فرغت مواردها المالية وافتقرت. ثم جاء إليها أناس أردياء السيرة واستمالوها إلى الخطية، وهكذا صارت عاهرةً وجعلـت بيتها ماخورا، وبقدر ما كانت تقبل كل من يقصدها لتكرمه بقدر ما صارت تقبل كل من يقصدها للخطية.

علم آباء الأسقيط بذلك فحزنوا جدا، وقالوا لأنبا يؤنس القصير: "بقدر ما أظهرت لنا هذه المرأة من المحبة، فهوذا قد جاء دورنا الآن لنقدم لها المحبة والمعونة. فاذهب إليهـا، وبحسب ما أعطاك الله من حكمةٍ اعمل على خلاص نفسها". فأطاع القـديس طالبـا منهم أن يساعدوه بالصلاة.

ولما ذهب إليها قال للبوابة: "أخبري سيدتك أنني جئت". فطردته قائلةً: "إنكـم قـد أكلتم كل ما لها وها هي قد افتقرت"! فقال لها القديس: "أخبريها بأنّ عندي شيء سيكون نافعا لها". فسخر منه أولاد البوابة قائلين: "ما هو الذي لك لتعطيهـا إياه حتى إنك تريد مقابلتها". فأجابهم: "كيف علمتم أنني سأعطيها شيئًا"؟ أما البوابة فأخبرت سيدتها عنـه.

(547) Apoph., John D., 32.

(548) Ibid., 38.

فقالت لها بائيسة: "هؤلاء الرهبان يجولون دائما في منطقة البحر الأحمر ويجدون لآلئ". ثم هيأت نفسها وطلبت من البوابة أن تحضره لها. فدخل القديس وهو يرتـل قـائلاً: "«إذا سرت في وادي ظل الموت فلا أخاف شرا لأنك أنت معي» (مز٢٣: ٤)".

فلما دخل أجلسته معها على السرير، فنظر إليها ثم قال لها: "لماذا استهنتِ بالسـيد المسيح وسلكتِ هذا السلوك الرديء"؟ فلما سمعت ذلك ارتعبت وشعرت كأن قلبـها يذوب فيها. فأخفض القديس رأسه وبكى بمرارةٍ. فسألته: "لماذا تبكـي أيهـا الأب"؟ فرفع رأسه ثم أحناها ثانيةً وهو يبكي، وقال لها: "إنني أرى الشـياطين يلعبـون علـى وجهكِ فكيف لا أبكي"؟! فلما سمعت ذلك سألته: "هل لي توبة يـا أبي"؟ فأجا ـا: نعم، "ولكن ليس في هذا المكان". فقالت له: "خذني إلى حيث شئت". ولما قال لها: "تعالي"، ـضت وسارت وراءه. ولاحظ أنبا يوحنا أ ا لم ترتب أي شيء فيما يخـص بيتها، فتعجب!

ولما وصلا إلى البرية حلّ المساء، فرشم الصليب على مكانٍ ما وقال لها: "أرقدي أنتِ هنا". ثم رقد هو أيضا بعيدا عنها بعد أن أكمل صلاته. ولما قام للصلاة في نصف الليـل رأى عمود نور عليها واصلاً من السماء، ثم رأى ملائكة الله حاملين نفسها إلى أعلـى. ولما ذهب إليها وجدها قد ماتت، فانطرح بوجهه على الأرض طالبا من الله أن يفهمـه أمرها، فسمع صوتا يقول: "لقد قُبِلَت توبتها في الساعة التي تابت فيها أكثر من الـذين لهم سنين كثيرة ولم يظهروا حرارة توبتهم"!

ولما رجع القديس أخبر الشيوخ بما حدث فمجدوا الله[٥٤٩].

كان أنبا يؤنس - كمن يرى سرا بعيون قلبه - يشير بالروح القدس الساكن فيه إلى علو فضائل الآباء القدامى والنار الإلهية التي كانت في أجيالهم، ونقـص الـذين يـأتون بعدهم. فقال بوحي ونبوةٍ في حكمةٍ واتضاع: "رأى شيخ - وهو يعني نفسه - ثلاثـة رهبان واقفين عند شاطئ النهر، فجاء إليهم صوت من البر الآخر قائلاً: 'خـذوا لكـم أجنحة نارية واعبروا إلى البر الآخر'. فأخذ اثنان منهم أجنحة لهما وعبرا إلى البر الآخـر نحو الذي دعاهما، أما الثالث فظلّ يبكي وهو يهيم ببؤسٍ، وأخيرا أُعطيت لـه أجنحـة ليست من نار بل أجنحة ضعيفة بغير قوةٍ، فبتعبٍ كثير أخذ يغوص ثم يطفو بجهدٍ عظيمٍ وبالكاد بلغ إلى البر الآخر"!

(549) Synaxaire Arabe Jacobite, P. O., Tome XVII, Fas. 3, no. 84, p. 698 ; Apoph., John D., 40; السنكسار القبطي: ٢ مسرى

"وهكذا الحال مع هذا الجيل، فإنهم لم ينالوا أجنحةً من نار مثل آبائنا الذين زينوا حياتهم بوصايا الإنجيل وطاروا إلى العلا بأرواحهم بحرارة النار الإلهية حتى عبروا بحر هذا العالم وسكنوا مع المسيح، لكنه بعد جهدٍ ينال أهل جيلنا أجنحةً ضعيفةً عاجزةً من أجل توانيهم"[٥٥٠].

سأل إخوةٌ شيخا: "ما معنى قول الآباء إنّ أهل هذا الجيل لم يأخذوا أجنحةً ناريةً، بل بالكاد يأخذون أجنحةً ضعيفة"؟ فأجاب الشيخ: "يشيرون بالأجنحة هنا إلى الصلاة، فالقوية منها هي الصلاة الروحانية والضعيفة هي الصلاة النفسانية. كما أن الآباء يقولون إنّ الذي يصل إلى الصلاة الروحانية يغلي بمحبة الله في عقله ويطير به حتى يرتفع إلى العلا، ويتحد بربنا يسوع المسيح ويتنعم بنعيم حبه ولذّة ذكره والحديث معه عن أعاجيبه. والذين يداومون في الهدوء على أعمال الجسد وجهاد الذهن في الضيق تتنقّى قلوبهم ويستحقون الصلاة النقية، وأخيرا يرتفعون إلى الصلاة الروحانية التي هي كمال المتوحد في هذه الحياة، بل إنهم يعملون بأجسادهم وحدها".

"أما الذين لا يلزمون نفوسهم بجهاد الأفكار فلا يصلون إلى طهارة القلب والصلاة النقية المعتوقة من الطياشة لأنهم لا يثبتون في أعمال الهدوء إلى الموت بل يتخلّون عن المداومة عليها لأنهم يتكلون على العزاء الذي ينالونه من نقاوة القلب والصلاة التي بغير طياشةٍ، فيحرمون من العطية الجيدة التي للصلاة الروحانية التي هي إكليل الكمال. لذلك قال الآباء إنّ أهل هذا الجيل لا يبلغون إلى الصلاة الروحانية التي هي التدبير الروحاني، بل إنهم بالكاد يصلون إلى نقاوة القلب والصلاة التي بلا طياشة الذي هو التدبير النفساني"[٥٥١].

قيل إنه قد استراح روح الله على أنبا يوحنا بسبب المخافة التي بها تمسك بالله، لأن مخافة الله هي التي تعلم الإنسان كل الأعمال الصالحة[٥٥٢].

وقيل أيضا إنه بالاستقامة العظيمة التي كانت لأبينا المملوء فضيلة أنبا يؤنس القصير، خصص الرب له ملاكًا لكي يعزيه، ولا سيما لكي يكشف له ما هو صالح ومرضي للرب، ولكي يخدمه أيضا، وذلك حسب المكتوب: «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم» (مز٣٤: ٧)[٥٥٣].

ففي أحد الأيام كان القديس نائما، وذهب أحد الشيوخ إلى قلايته فرأى فوقه ملاكًا من الرب ساهرا عليه وهو يرفرف عليه مروحا له بجناحيه. ولما رأى الشيخ ذلك عاد من

---

(550) Am.; Apoph., John D., 14;W. & W., II:37;٥٣ س ٤ ورقة

(٥٥١) س ٩ رقم ٢٠٢ ص ٣٠٦.

(552) W. & W., II: 342.

(553) Am.

حيث أتى. ولما استيقظ أنبا يؤنس قال لتلميذه: "هل جاء أحد عندما كنـت نائمـا"؟ فأجاب: "نعم، أحد الشيوخ". فعلم القديس أنّ هذا الشيخ رأى الملاك لأنه كان قـد وصل إلى درجة أنبا يؤنس الروحانية(٥٥٤).

ومرةً أخرى جاء إليه الملاك من قِبل الرب وهو ممتلئ بكل فرح روحاني، فقال الأب للملاك: "لماذا أنت مسرور سرورا مضاعفًا هذه المرة، لأنك أتيت إلي بابتهاجٍ كـثير"؟ فقال الملاك للأب يوحنا: "لأننا موجودون كل ساعةٍ في حضرة الله أمام مجـده نحـن القوات السماوية جميعا، وهناك توجد رائحة زكية من كل أصناف الأطيـاب المختـارة صاعدةً من جميع القديسين إلى الأعالي في حضرة الله، والرب مسرور بالثمار التي تتفق مع أعمالهم، كما أنّ صوتا يأتي من عرش الكلي القدرة يحيي كل الخليقة لأجل صـلوا م وتوسلا م وقلو م الرحيمة، ولا سيما صلوات المتألمين والمكرسين من مختاريه المملـوئين من المحبة النقية".

"ونحن أيضا الذين نسر ونتعجب ولا سيما بسبب الأمور الصالحة التي يعدنا لها، يرسل الخالق كل واحدٍ منا إلى أحد هؤلاء القديسين ويخصصه له حتى يعطي كل واحـدٍ مـنكم شجاعةً، لذلك فنحن لنا رغبة قوية ونبتهج جدا أن نرى القديسين الذين في العالم"(٥٥٥).

فرح أنبا يؤنس ـذه التعزيات والإعلانات التي جاءته من الرب، فتفـرغ دون انقطـاع لأعمال النسك الفائقة والمتعِبة مستندا على قول الرسول: «كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء» (١كو٩: ٢٥)، وأيضا: «إن كانت فضيلة وإن كان مدح (أو مجد) ففي هذه افتكروا، وما تعلمتموه وتسلّمتموه وسمعتموه في فهذا افعلوا، وإله السلام يكون معكم» (في٤: ٨و٩)، وأيضا: «إنّ آلام الزمان الحاضر لا تقاس با ـد العتيد أن يستعلَن فينا» (رو٨: ١٨).

ففي كل هذه الأمور اقتنى أنبا يؤنس أفضل معرفة، وروح النبوة، وكان يرى الأمـور عن بعد ويكلم الإخوة بأمثال عن الأمور الحادثة الآن وما سيكون في المستقبل. وكـان حارا بكلمة نعمة الرب يغِنى، حتى إنّ أحد الإخوة ذهب إليه في المساء لكي يسأله عـن منفعة لنفسه، وتكلّما عن الفضيلة حتى مطلع الفجر دون أن يشعرا بمرور الوقت، وعنـد الفجر خرج أنبا يؤنس وشيع الأخ.

ومرةً أخرى ظلّ القديس يتكلم مع هذا الأخ في الروحيات حتى الساعة التاسعة مـن

(554) Am. ; Apoph., John D., 33.
ويرجح أن هذا الشيخ كان هو القديس أنبا بيشوي الذي تتلمذ لأنبا أموي فكان بمثابة أخ روحاني لأنبا يؤنس.
(555) Am. (556) Am. ; Apoph., John D., 26; W. & W., II: 155.

النهار، وأخيرا دخل الأخ وأكلا معا لقمة محبة ثم شيعه بسلام[٥٥٦].

إنّ أنبا بيمين المبارك الممتلئ حكمةً الذي كان بولس جديدا في جيله، والذي كانت عنده حكمة حقيقية، روى لنا الكثير من الأمور العظيمة عن العديد من الأعمدة المضيئة بين آبائنا الذين تمموا أعمالاً مدهشةً من الروح القدس الذي سكن فيهم لفائدة نفوسنا. ومنها أمور كثيرة خاصة بأبينا القديس أنبا يؤنس القصير، مخبرا إيانا بالتفصيل بخصوصه عن حياة الكمال التي كان يعيشها بكل ثباتٍ وتدقيقٍ كابنٍ لله مثمرا بالنعمة ثمارا روحية بالروح القدس.

فكان يقول عنه: "إنّ أنبا يؤنس بسبب طهارة قلبه وسمو اتضاعه كان يحيط به سور من نار الروح القدس محرقًا للأفكار ولكل سهام العدو الشريرة، لأنه لم يكن يسمح إطلاقًا لأقل أمرٍ دنيوي أن يقترب منه، متمما وصايا الرسول الخمس عشرة التي هي: «المحبة تتأنى وترفق، المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد ولا تظن السوء، ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق، وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء، المحبة لا تسقط أبدا» (١كو١٣: ٤-٨). لقد أكمل أنبا يؤنس كل هذه بكل عنايةٍ في إرشاده لكل واحدٍ في عمله"[٥٥٧].

قال أنبا بيمين: "إنه لما ذهب أخ ليرى أنبا يوحنا القصير قدم له تلك المحبة التي قال عنها الرسول: «المحبة تتأنى وترفق» (١كو١٣: ٤)"[٥٥٨].

وذكر أنبا بيمين ما يشبه به أنبا يؤنس فقال: "كان هذا القديس يعيش بكل قدرته في وصايا الرب حتى أكملها كلها، لدرجة أنه سيجلس أيضا في اليوم الأخير ليدين العالم، وذلك كما هو مكتوب: «إنّ القديسين سيدينون العالم» (١كو٦: ٢)، لأن كل قديس سيوبخ جيله في حضرة مجلس قضاء الله".

ولكن بسبب استقامة حياته العظيمة فقد عين الله له قوتين للشيروبيم لتسهرا عليه في كل وقتٍ لكي تغذّياه روحيا من لذّة أسرار الروح القدس المخفية بسبب عطر طهارته العظيمة. فقال أحد الكروبين للآخر في منافسةٍ جديرةٍ بالثناء: "دعني أرف عليه قليلاً بجناحي وأحيطه بما لأنه قد تطهر لرب الصباؤوت"[٥٥٩].

كان القديس يؤنس اللابس الروح يعيش بحرية الروح في تمجيد صليب وسمات المسيح (أي آلامه)، ميتا عن الخطية لكنه حي في ربنا يسوع المسيح، سائرا في ما يرضي

(557) Am. (558) Apoph., Poemen, 74. (559) Am.

مشيئته الصالحة، منقيا هيكل قلبه بالروح القدس. لأجل هذا بالذات رسموه كاهنا. وعندما وضع رئيس الأساقفة يديه عليه سمِع صوت من السماء قائلاً: "أكسيوس"، أي مستحق، ثلاث مرات.

ولما اؤتمن على إقامة الأسرار المقدسة بهذه الدعوة السماوية جدد مسعاه نحو الفضيلة، ولا سيما لأنه حفظ نفسه في حكمة الله قائلاً إنّ طقس الكهنوت يشبه بطقس الشيروبيم والسيرافيم الذين هم أقرب إلى الله من كل القوات السماوية، وهم أيضا أول المشاركين له إلى الأبد في معرفته وفي بهاء مجده المبارك.

لذلك يأمرنا كتاب الله أن نسير بحسب مجد هذه النعمة قائلاً: «كل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو (أي الله) طاهر» (١يو٣: ٣)، وأيضا: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس يقول الرب» (لا١١: ٤٤؛ ١بط١: ١٦). ولكن في ذلك أيضا كان أنبا يؤنس يخدم روح الله القدوس موفيا الدين الذي شعر به نحو طقس الكهنوت مضاعفًا كخادمٍ صالحٍ ومديرٍ مخلص بكونه كاهنا كاملاً بالحق حسب المكتوب: «كهنتك يلبسون البر» (مز١٣٢: ٩).

وإذ اقتبل القديس موهبة الروح القدس كان يجذب إلى نفسه نور وحلاوة مجد الروح القدس لأجل حياته الأبدية، وذلك بالتشبه الصادق بأسلافه في صفاتهم المقدسة وشخصياتهم الحقيقية التي تجلت فيه؛ كما كُتِب عنه أنه كان يرى كل شيءٍ في داخل الإنسان كما في مرآة(٥٦٠).

وقيل إنه بعد رفعه إلى هذه الرتبة صار أكثر اتضاعا مثل حبة الحنطة حتى وصل إلى وقت الحصاد، واضعا نفسه تحت الخليقة كلها. وكان إذا كُشِف له عن أي أحدٍ أنه انزلق في خطيةٍ أو أي شهوةٍ مزعجةٍ، كان هو كأبٍ صالحٍ ورحيم يعلمه بحرصٍ وبعذوبةٍ فائقةٍ بما هو نافع لنفسه، متصرفًا بحكمةٍ مع كل واحدٍ، مزودا كل واحدٍ بالنصيحة التي تناسبه حتى يخلُص الجميع. وهكذا باهتمامه بالخاطئ يجعله يحمل نير التوبة الخفيف لأجل شفاء جرحه، فيتصالح بسلامٍ مع الله في طهارةٍ وتيقظ منذ تلك الساعة، كما كان يرشد كل واحدٍ على نحوٍ مماثل أن يجاهد حسب وصايا الإنجيل وحسب قانونه لكي يتخلّص من الشر بقدر إمكانه بالزهد والثبات في الله.

وكان يفعل كل ذلك كطبيبٍ ماهرٍ للنفوس، كما كان يمزق ثدي الشيطان (الذي يغذي به النفوس) مع كل أرواحه الشريرة، حتى إنّ الشيطان كان يصر على أسنانه

(560) Am., p. 368.

ويطلق صراخه في الهواء قائلاً: "إنك تزعجني يا يسوع مع أولئك الذين معك"! ولما كان القديس يرى ذلك كان يحارب بشجاعةٍ ضد كل أعماله الخبيثة، مفسدا خبث سم حقده وحسده الرديء، وذلك بتدبيرٍ من الرب - بدون عائق - وهو ينمو في الفضيلة، حتى إنه كان ينسى طعامه ونومه بسبب قوة الروح القدس الجبارة التي كانت فيه(٥٦١).

وقيل إنّ أنبا يوحنا القصير كان أثناء إقامته للقداس يعاين حضور الروح القدس على موضع الذبيحة لكي يحول الخبز إلى جسد والخمر إلى دم، كما كان يكشف له أيضا من هو مستحق للتناول من الأسرار المقدسة ومن هو غير مستحق حيث إنهم كانوا مكشوفين له من قِبل الله؛ فحالما يجتمع الرهبان في القداس، وعندما يأتي وقت الشركة في الأسرار المقدسة، كان القديس يجول بنظره بين الإخوة ويرى ملاكًا من الرب كان يظلّ ماكثًا بينهم ومعه سيف مسلولٌ في يده، فإذا قال أحد الإخوة أية كلمةٍ أو فكّر في أمورٍ لا تليق كان الملاك ينذره راغبا أن يصوب سيفه إليه، ولكن صلوات القديس وصلاح الله كانا يمنعانه انتظارا لتحوله. أما الإخوة الذين كانوا يظلّون صامتين في مخافة الله ورعدةٍ وتيقظٍ، منتبهين في الكنيسة بدون أي فكرٍ أرضي، فكان القديس يرى أشعةً عجيبةً من نور مجد الله خارجةً من موضع الذبيحة وداخلةً إلى عمق نفس كل واحدٍ من الإخوة القديسين وتملأهم من معرفة الثالوث الأقدس(٥٦٢).

قيل عن أنبا يؤنس إنه يوما ما بلّ ضفيرةً تكفي لعمل مقطفين، ثم خاطهما مقطفًا واحدا دون أن يلاحظ حتى وصل إلى آخر الضفيرة، وذلك لأنّ فكره كان مسبيا بالنظر الإلهي (θεωρια)، وكانت أحاسيسه في أورشليم السماوية كما قال الرسول: «إنّ سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضا ننتظر مخلصا هو الرب يسوع المسيح» (في٣: ٢٠)(٥٦٣).

جاء مرةً أخ إلى قلاية أبينا القديس يؤنس لشراء بعض القفف، وقرع كثيرا على الباب، وبعد وقتٍ طويل خرج إليه القديس وعقله مشغولٌ في الصلاة (حالة انخطاف للذهن أو دهش روحي)، وقال: "ماذا تريد يا أخي"؟ فقال له: "أنا في حاجةٍ إلى بعض القفف يا أبي". فرجع الأب وظلّ في مكانه لأن روحه كانت مسبية إلى فوق. ثم قرع الأخ أيضا لمدة طويلة، فخرج إليه الشيخ وقال له: "عرفني ما هي رغباتك"! فقال له الأخ: "قلت لك إنني في احتياجٍ لبعض القفف". فدخل الأب وعقله لا زال مخطوفًا، واستمر الأخ يطلب للمرة الثالثة ثم الرابعة. وأخيرا خرج الشيخ وأخذ بيد الأخ وأدخله وأراه مكان القفف قائلاً له: "إذا كنت تريد قفقًا فهذه هي القفف خذ منها ما تريد

(561) Ibid.(562) Ibid. (563) Ibid., p. 359; Apoph., John D., 11; W. & W., I: 132;٥٤ س ٤ ص

لأنني غير متفرغ الآن للقفف"!

فقد قيل عن أنبا يوحنا إنّ اشتياقه كان مركزا في الأمور غير المرئية، إذ كان يقول مع المرتل داود: «واحدةً سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر نعيم الرب وأتفرس في هيكله المقدس» (مز٢٧: ٤)[٥٦٤].

وجاء إليه مرةً جمالٌ ليأخذ منه الضفائر، فدخل أنبا يؤنس ليحضِر له ما كان قد ضفره ونسي لأن روحه كانت شاخصةً في الله. فأزعجه الجمال مرةً ثانيةً وقرع على الباب، فذهب القديس مرةً ثانية ونسي أيضا، فقرع الجمال للمرة الثالثة، فدخل أنبا يؤنس قائلاً: "الضفائر للجمال، الضفائر للجمال"، حتى لا ينسى مرةً أخرى[٥٦٥]!

ومرةً أخرى مضى إلى الريف ليبيع مقاطف، ولما دخل إلى السوق وهو حامل المقاطف على كتفه، كان هناك بعض الإخوة من الرهبان وجمع كثير من الناس، ومع كل منهم صناعته وأعمال يديه. وجاء البعض ليشتروا المقاطف، فسألوا أنبا يؤنس: "بكم هذه المقاطف أيها الأب"؟ وكان القديس ينظر إلى السماء متأملاً لمدةٍ طويلةٍ، فنبهه الإخوة قائلين: "يا أبانا، عرفنا ثمن المقاطف". فقال لهم: "عرفوني أيها الإخوة، أيهما الأكبر والأول في الرتب السماوية عند الله: الشيروبيم أم السيرافيم"؟ فتعجبوا كلهم قائلين: "أين هي روحك يا أبانا"؟ فقال لهم: "تأمرنا الكتب كل حين أن نحول أفكارنا إلى الأمور العليا السماوية حيث يوجد المسيح، ولا نفكر في الأشياء الأرضية". فمجد الإخوة الله من أجله[٥٦٦].

قصة القديس مع الثلاثة فتية القديسين:

قيل إنّ البابا ثيئوفيلس (الـ٢٣) بنى كنيسةً في الإسكندرية باسم الثلاثة فتية القديسين حنانيا وعزاريا وميصائيل، وطلب باشتياقٍ كثير أن تأتي بقايا أجسادهم من بابل (في العراق) لكي يضعها في هذه الكنيسة، وبإرشاد ملاك من الرب أرسل البابا القديس يؤنس إلى بابل لهذا الغرض، وإذ كان قلب القديس قويا كالأسد قال للبابا: "صل علي والمسيح سيقودني". فصلى البابا عليه وأطلقه بسلام.

ولما خرج القديس من المدينة انتصب وصلى، وللحال حملته سحابةٌ وأنزلته في بابل في موضع أجساد القديسين. فسجد أمامهم بشعورٍ غامرٍ من الفرح، وصرخ قائلاً: "يا آبائي القديسون باركوني". وفي الحال سمع صوتم يقول: "الرب إلهنا يباركك ويخلصك

(564) Am.; W. & W., I: 57; Apoph., John D., 30; س ٤ ص ٥٤
(565) Apoph., John D., 31; س ٤ ص ٥٤
(566) Am., p. 358.

ويمجدك أيها الرفيق الصالح والمدبر (الإيكونوموس) الذي لرب الصباؤوت". ثم قال لهم: "يا آبائي، لقد شيد لكم رئيس كهنتنا موضع شـهادة Martyrium تـذكارا لكـم، وأرسلني مع صلواتٍ كثيرةٍ طالبا أن توضع عظامكم هنـاك لأجـل شـفاء وخـلاص كثيرين". فقالوا له بصوتٍ واحدٍ: "ليعطِك الرب أجرا على أتعابك في الحياة الأبديـة، ولكن قُل للبطريرك: إنّ أجسادنا لن تنقَل بل تبقى هنا إلى نهاية العالم حسـب أمـر الله خالقنا. ولكن لأجل أتعاب جهاده وإيمانه ولأجل الرحلة التي قطعتها إلينا، فلـن نـدع تعبكما يذهب هباءً، ولكن عندما تزين الكنيسة التي باسمنا في مصر وتعلق جميع المشاعل بدون زيتٍ ولا فتائل، وعندما يجتمع الشعب كله في الليل، حينئذٍ سنعمل معجزةً كبركةٍ من الله لكي يتمجد اسمه في كل الأرض، وبقوة الله سنكون نحن في ذلك المكان بالروح ونصنع معجزات لأجل مجد الرب ولأجل خلاص النفوس على مدى حياة هذا البطريرك، كما سنبقى بالقرب من خليفتيه البطريركين التاليين(٥٦٧)، ثم بعد ذلك ستحلّ ظلمـات على الأرض كلها حتى إنّ الناس يجهلون مجد صلاح الله ويجدفون على اسمـه القـدوس وينجسون مواضعه المقدسة، وحينئذٍ سنرحل من هناك"(٥٦٨).

ثم انطرح أنبا يؤنس على الأرض مرةً أخرى طالبا بركتهم، فقالوا له: "ليكن الرب الإله ملك إسرائيل ساهرا عليك إلى الأبد بمعونة حمايته، ولكن تشجع وتقو، لأنه لا زالت لـك أيضا بعض أيام من الجهاد والعرق في هذه الحياة، ثم تنتقل إلى الحياة الأبدية، وليكن الخلاص والسلام معك في الرب". ثم سجد القديس وانصرف عنهم مبتهجا بالرب، ثم حملته السحابة أيضا حتى أنزلته خارج مدينة الإسكندرية، وهناك قابل البطريرك وأخبره بكل شيء.

وفي يوم تذكار الثلاثة فتية القديسين جمع البابا رجال الإكليروس والشعب في الكنيسة التي باسمهم لتكريسها. ولما حل الظلام رأوا نورا عظيما واشتموا رائحةً عطريةً نفّاذةً، ثم استضاءت جميع المصابيح فجأةً مشتعلةً بلمعانٍ فائقٍ، وكان هذا دليلاً على حضور أرواح الفتية القديسين، فمجد جميع الحاضرين الله بصوتٍ واحدٍ وامتلأوا بفرحٍ روحي،وقد تمّت معجزات شفاء كثيرة، وظلّت المصابيح مضاءة لمدة سبعة أيام بدون فتائـل ولم تنقطـع الرائحة الزكية، وكان ذلك سببا في إيمان وخلاص كثيرين. وقد امتد تأثير هذا كله حتى اجتمع مجمع خلقيدونية الذي قسم كنيسة الله بسبب الهراطقة.

---

(٥٦٧) وهما القديسان الطوباويان البابا كيرلس عمود الدين (الـ ٢٤)، والبابا ديوسقورس (الـ ٢٥).

(٥٦٨) معروف أن النسطوريين قسموا الكنيسة، بعد البابا ديوسقورس، إلى شرقية وغربية، كما اضطهدوا الأرثوذكسيين وقتلوا منهم الكثير، فتحققت هذه النبوة التي نطق بها الثلاثة فتية القديسون.

وبعد أن أخذ أنبا يؤنس بركة البابا رجع بسلامٍ إلى شيهيت، وحدث الإخوة بكـل ذلك، وبكل ما هو نافع لخلاص نفوسهم. ثم قال لهم: "اغفروا لي يا إخوتي، لقد كنت أعلم من قبل أنه توجد جموع كثيرة في الإسكندرية، ولكنني لم أر وجه إنسـان سـوى البطريرك وحده". فلما سمع الإخوة ذلك دهشوا وقالوا للشيخ: "هل المدينة خربة يـا أبانا"؟ فأجابهم: "كلاّ، ولكنني لم أسمح لفكري أن يسود علي حتى أرفع عيني وأنظـر وجه إنسان إلاّ البطريرك وحده. فثبتوا أنفسكم، يا إخوة، في حراسة حواسـكم حـتى تجعلوا قلوبكم طاهرة في كل وقتٍ، لكي تصيروا هيكلاً ومسكنا للروح القدس".

فلما سمع الإخوة ذلك انتفعوا كثيرا. وظلّ القديس يسير من قـوةٍ إلى قـوةٍ بسـمو فضيلته، وبالأخص في إسعاده للآخرين بأن يغنيهم بالله(٥٦٩).

وقيل إنه بعد رجوع القديس من الإسكندرية بأيامٍ كثيرةٍ، هجم البربر على شـيهيت وطغوا على الرهبان الذين خسروا هذا الموضع ميراث آبائنا، وذلك بقساوةٍ مثل الوحوش وهم يطاردونهم ويخربون المواضع المقدسة. ولكن أنبا يؤنس تأمل في قول المسيح الساكن فيه القائل: «متى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى» (مت١٠: ٢٣)، وعلى ذلك بدأ القديس يهجر هذا الموضع ذاهبا إلى "كليسما" (القلـزم بجـوار السويـس حاليا)، وكان ذلك بقصدٍ وتدبيرٍ إلهيين لأجل خلاص نفوس كثيرة أخرى هناك حيـث كان لا يزال يوجد بعض الوثنيين.

ولما ابتدأ يرحل من شيهيت بسرعةٍ أحاط به الإخوة كلهم باكين وقالوا له: "هـل سترحل أنت أيضا يا أبانا؟ وهل تجزع من البربر"؟ فأجابهم القديس: "في اسم المسـيح إلهنا أنا لا أخاف، ولكن الصلاح الكامل أمام الله يجعلنا لا نسمح بفقدان نفسٍ واحدة. فالإنسان التقي بصفةٍ خاصة هو على طقس الملائكة وعليه واجب سماوي أن يتمم كـل الأعمال مع مراعاة الصالح له ولأخيه على السواء. فهذا البربري، رغم أنه مختلف عني في الإيمان، فهو مع ذلك خليقة الله وصورته مثلي، فإذا تركته يقتلني فسيقاسي من العـذاب الأبدي بسببي"(٥٧٠)!!

ترك أنبا يؤنس شيهيت مثل بقية آبائنا القديسين، وقد قاده المسيح حتى جبـل أنبـا أنطونيوس الكبير داخل منطقة "كليسما"(٥٧١) على مسيرة يومٍ واحدٍ. وهناك سكن على صخرةٍ فوق نهر في مغارة منحوتة بين الصخور بنفس الطريقة التي سكنها في شيهيت،

(569) Am., p. 382 ff.

(570) Ibid.

(٥٧١) أي أنه ذهب عن طريق السويس.

وظلّ هناك ثابتا في الله وفي معرفته، زائدا في تقشفاته وجهاداته الروحية كما لو كان كل يومٍ مبتدئًا في حياته الرهبانية.

ولكن الله الذي يعتني كل الأوقات بخليقته، ولا سيما قديسيه، خصص علمانيا مخلصا وتقيا لخدمته كان ساكنا في قريةٍ قريبةٍ، وكانت له ثقة كاملة في كل القديسين الساكنين في هذا الجبل، وبالأخص في أبينا القديس الذي كان ينصحه بتوجيهٍ من الله فيما يخص خلاص نفسه، لأن تقواه كانت عظيمة، وكما كُتِب عنه أنه كان بتولاً منذ حداثته ثابتا في الله بصلواتٍ وتقشفاتٍ كثيرة، وقد استحق أن يرى رؤى مقدسة من الله، وكان هذا الرجل يخدم أنبا يؤنس[٥٧٢].

ذهب مرةً أنبا ثيئودور البرامي إلى أنبا يوحنا، الذي كان خصيا (أي مخصصا لله) من بطن أمه، وبينما كانا يتكلمان عن الفضائل الروحية قال: "عندما كنا في الأسقيط كانت فلاحة النفس هي عملنا، وكان عمل أيدينا شيئًا عاديا نجريه كيفما اتفق، أما اليوم فقد صارت فلاحة النفس عملاً عاديا نجريه كيفما اتفق، وصار عمل اليدين أمرا خطيرا وأساسا لاهتمامنا وعنايتنا المفرطة"[٥٧٣].

ذهب القديس مرةً إلى القرية المجاورة لمغارته الجديدة في جبل أنبا أنطونيوس، وذلك بتوجيهٍ من الله الذي كان يجري بواسطته معجزات شفاء كثيرة من كل نوع، وبالأخص لأجل تطهير نفوس الوثنيين من وباء العبادة اليونانية الممقوتة، إذ سطع عليهم في ذلك الموضع نور فضائله كالكوكب المنير، لأنه صار مرشدا لجميعهم نحو الخلاص الذي حصلوا عليه بواسطته. فمنذ أن علموا بحلول القديس في ذلك الجبل ذهب كل شعب القرية إليه لأخذ بركته بحسب إحساناته على الكل، لأنه استطاع بنعمة المسيح أن يرفع يد العدو الذي كان يسيطر على الكثيرين باستثناء رجلٍ واحدٍ هو وكل أهل بيته.

هذا الرجل كان غنيا جدا، وكانت عنده أصنام كثيرة في بيته من ذهب وفضة، وكان يخدمها بحسب إرادة الشيطان الذي سبب آلاما كثيرة للمخلصين في إيمانهم والذين عرفوا نور المسيح، وقد سبب للقديس عدة تجارب شريرة لأنه حقد عليه، وكان ينصب له خفيةً فخاخا وشباكًا في كل ساعةٍ لكي يأخذ حياته من على الأرض. ولكن الله الذي يحرس القديسين ويحميهم لم يسمح إطلاقًا بأن يصيب خادمه بأي شيءٍ رديءٍ، بل

---

(572) Ibid. (573) W. & W., II: 147; Apoph., Theodore of Pherme, 10.
ويلاحظ أن يوحنا الخصي ليس هو بالتأكيد القديس يوحنا القصير، ولكن يحتمل ذلك لأنه عاش في الأسقيط كما يذكر هذا القول.

بالحري سمح بحكمته التي كانت تعمل لأجل خلاص الرجل الغني، وبصلوات القديس، أن يصيبه مرض عبارة عن بثور في رأسه جعلته يتألم بشدة حتى فقد بصر عينيه، وصار يسيل كثيرا على نفسه. فصار خدامه والمتعلقون به في حزنٍ شديدٍ وهم ينوحون عليه، وأسرعوا وخروا تحت أقدام آلهتهم المصنوعة من ذهب متوسلين لكل منها لأجل نجاة الرجل، فلم تأتِ أية معونةٍ لهؤلاء البؤساء من أي واحدٍ منهم، بل بالحري كان الرجل يقترب من الموت أكثر فأكثر حتى صار مثل قطعة خشبٍ محروقة.

وبينما هو في هذا العذاب تكلم عن اضطرارٍ، وبالكاد كان صوته يسمع قائلاً: "أسرعوا وأحضروا لي إلى هنا يوحنا خادم إله المسيحيين، لأنه بدونه لن يكون لي شفاء"! وفي الحال أسرع كل الذين حوله بغيرةٍ عظيمةٍ إلى الأب يوحنا في الجبل، وحالما قرعوا على بابه - حيث كان يعيش في نسكياته - ذهب معهم القديس طبيب النفوس والأجساد بالمسيح الذي فيه، وفي بيت المريض توسلوا جميعا إلى القديس كثيرا أن يشفق عليه، ولكن القديس قال لهم: "إن لم يتعهد بالتخلي عن قساوته هذه ويستنير بنور الثالوث الأقدس فلن يشفى". فوافق المريض. ومجرد أن دخل القديس مسكنه ورشم بعلامة الصليب سقطت في الحال الأصنام التي كانت هناك وتحطّمت، كما هربت الشياطين التي كانت ساكنةً فيها!

صرخ المريض قائلاً للقديس: "أعني"، فعلمه مع كل أهل بيته عن المسيح وملكوته، وجعله يعترف بالثالوث الأقدس. فعمده القديس مع كل أهل بيته حيث جحدوا الشيطان، وللحال سقطت من عينيه أشياء كالقشور ورجع إليه بصره في الحال، كما شفيت كل أعضائه، فتعجب كل الحاضرين وكل سكان القرية الذين تجمعوا هناك، ومجدوا الله لأجل ما حصلوا عليه من خلاصٍ مضاعف.

وفي فرح الرجل الذي شفي وزع الكثير من أمواله على الفقراء والكنيسة. وكان الذين قبلوا المعمودية في ذلك اليوم هم الرجل وأسرته وعبيده وأقاربه: حوالي سبعين نفسا[٥٧٤]!

اقترب يوم انتقال القديس إلى السماء حيث وضع كنزه، وحيث كان قلبه هناك دائما مع المسيح، ولما سر المسيح أن يعطيه راحةً نظير كل أتعابه، بدأ يعتريه مرض، وكان خادمه مواظبا على خدمته، وكان يقضي الليل بدون نوم على فراشه لتزايد آلام المرض. ثم ظهر له القديسون أنبا أنطونيوس وأنبا شيشوي وأنبا مقار الكبير وأنبا أموي (أبوه

(574) Am.

الروحي)، وشجعوه قائلين: "تشدد في الرب، وأعد نفسك، ونحن سنفتقدك فجر يـوم الأحد لكي نصحبك معنا إلى الحياة الأبدية كأمر الرب". ثم باركوه واختفوا.

وفي يوم الجمعة أرسل القديس خادمه التقي إلى مصر كأنه محتاج إلى شيءٍ ضروري، ولكنه أراد بذلك أن لا يكون بجواره أحد عند مفارقته لجسده. وعند صياح الديك فجر الأحد جاء إليه جمهور من الملائكة وجموع من القديسين مرسلين من الله في مجدٍ، فجثـا القديس على وجهه، ثم سلّم روحه بين يدي الرب في العشرين من شهر بابـة، وكـان عمره سبعين سنة. وقد اصطحب القديسون نفسه المغبوطة إلى العلا بتسابيح عذبة حـتى أوصلوه إلى الحياة الخالدة مع الرب.

ولما رجع خادمه المبارك، قيل إنه سمع أصوات تسابيحهم، ثم نظر إلى أعلا فرأى خورس من الملائكة وجماعة من القديسين في مجدٍ عظيم، والقديس يؤنس في وسطهم في اءٍ عجيب، كما رأى قدامهم شخصا عظيما منيرا كالشمس كان ينطق بالمدائح للقديس يؤنس وجميع الخوارس تجيبه، فشعر خادم القديس بالذهول لهذا المنظر لمدةٍ طويلةٍ، ولما أراد أن يعرف الشخص العظيم المنير جاءه في الحال ملاك وقال له: "حيث إنك تريد أن تعرف أمرا حسنا، فـاسمع: هـؤلاء الأفواج الملائكية وخوارس القديسين أرسلهم الرب لافتقاد خادمه القديس يؤنس لكي يجعلـه يرحل من سجن هذا العالم المليء بالأتعاب لكي يعطيه ميراثه في مواضع الراحة في أورشـليم السماوية. أما هذا الرجل العظيم المضيء ذا ا د فهو أنبا أنطونيوس الكـبير، وبعـده أنبـا باخوميوس، ثم أنبا مقار العظيم اللابس الروح ومعه بقية القديسين المشا ين له".

وكان الملاك يشير بأصبعه على كل قديس، ثم قال له: "حيث إنّ القديس يؤنس كان أحد أقرا م في حيا م الجديرة بالثناء، وأنه سار على منوالهم، فقد أخذ معهـم ميراثًـا مساويا لهم من الرب. وأنت أيضا أيها الخادم الصالح، إنك مغبوطٌ لأنك حصلت علـى مجدٍ وكرامةٍ مع الرب وقديسيه". ولما قال الملاك ذلك اختفى.

وحالما وصل خادم القديس إلى مغارته وجده مستلقيا على ركبتيه ووجهـه كمـن يسجد للرب، وتفوح من جسده المقدس رائحة عجيبة، فجثا هو أيضا أمـام جسـده المقدس نائحا باكيا، ثم بسط الجسد ولفّه بثوبٍ عتيق ناعم، وهو يرتل بعـض المـزامير بخوفٍ ووجع قلب. ولما حمل جسد القديس ووضعه في المغارة، رجع إلى المدينة وأعلـن على الملأ ما حدث. فلما سمعوا اجتمعوا كلهم بحماسٍ وأمانةٍ كاملةٍ مـن صـغيرهم إلى كبيرهم، وسارعوا إلى الجبل إلى ذاك المحسن إليهم وهم باكون، ثم وضعوه في نعشٍ غالي

الثمن على الدواب وساقوه إلى المدينة.

وقيل إنه قد جرت من نعش القديس معجزات كثيرة، ومنها أ م لما وصلوا إلى المدينة جاء إلى النعش صبي به روح نجس، فصرخ الشيطان على فم الصبي قائلاً: "ما شأنك معي أيها القصير؟ إنك تزعجني وتطردني من مسكني"! ثم احتضن الصبي النعش وللحال سقط على الأرض وصرخ عاليا، وحالما فتح فمه خرج الروح النجس كالدخان، وشفي الصبي لساعته.

ثم أتمّ الناس مراسم الدفن الأخيرة للقديس، وحفروا مقبرةً ووضعوه فيها بكل إكرامٍ بجوار قديسين آخرين هم: أنبا أثناسيوس الشهيد وأنبا شيشوي وأنبا بيجيمي، هؤلاء الذين كانت قد تمت معجزات كثيرة أيضا من أجسادهم لتمجيد اسم الله الذي سكن فيهم إلى الأبد(٥٧٥).

قال أنبا بيمين عن أنبا يوحنا القصير إنه زرع فضائل روحانية من كل صنف(٥٧٦).

عظتان للقديس يؤنس القصير

العظة الأولى(٥٧٧)

١ - ليكن كل واحدٍ كبيرا في عينيك، ولا تهن الذين هم أقل منك معرفةً، ولا تطلب كرامةً من أحدٍ، لكن اتضع لكل الناس، ولا تغضب من الذي يتعظم عليك لأنه قليل المعرفة، لأنه من قلة المعرفة يتعظم الأخ على أخيه.

٢ - كُن هادئًا لينا، ولا ترد الجواب على أمرٍ تؤمر به، بل كُن مطيعا في كل شيءٍ لكي تحب من كثيرين. كُن ميتا عن العالم لكي تكون مختارا لله. كُن حقيرا بين الناس لكي تكون فاضلاً عند ربك. كُن منبسطًا لكي تحلّ عليك حكمة الله. لا يكن بين عينيك شيء مشتهى لكي تبصر الله.

٣ - كُن حزينا على الذين هلكوا، رحيما على الذين طُغي عليهم، متوجعا مع المتوجعين، مصليا لأجل المخطئين. لتكن نفسك عندك دون الكل. كُن ساكنا بين إخوتك كمن هو ميت عادما لكل غضبٍ لأن من الغضب تأتي الخطية.

٤ - اِختر السهر أفضل من الأعمال مع الصوم، لأنّ السهر يضيء العقل ويقال

---

(٥٧٥) المرجع السابق. ويذكر سنكسار ٢٩ مسرى كيفية وصول جسد القديس إلى ديره في برية شيهيت عام ٧٩٩م، ولما خرب ديره نقله الرهبان إلى دير أنبا مقار حيث لا زال فيه حتى اليوم.

(576) W. & W., II: 159.

(٥٧٧) س ٤ ورقة ٥٤.

الأحلام، والصوم يذلّ الجسد وهو معين أكثر من كل الأعمال. اهتم بقراءة الكتب لكي تعلم كيف تكون مع الله، اختر لا أن تكون متعبا بالجسد فقط بينما يكون فكرك بطّالاً، لأنه ليس تعب الجسد وحده هو المطلوب منك، بل اجعل لتدبيرك ميزانا: ساعة للقـراءة وساعة للصلاة وساعة للعمل. إنّ القراءة تضيء لك في صلاتك. والرب لا يريد النشاط الظاهري وحده بل الفكر الحكيم (أي المستنير) الذي يعرف كيف يتقدم نحو الكمال.

٥ - كُن عبدا وحـرا: عبدا مملوكًا لإرادة سيدك، وحرا غير مستعبدٍ لشـيءٍ مـن السبح الباطل ولا لأحد الأوجاع. حلّ نفسك من رباط الحمية (أي الانفعال) والـزم العتق الذي عتقك به المسيح، واقتنِ حرية العالم الجديد. ولا تقطع في أمرٍ لأنك مخلـوق كائن تحت التغيير. لا تستعبد نفسك لشيءٍ ولا ترتبط بشيء. كُن حرا واعتق نفسك من عبودية المحتال. إن لم تكن حرا لا تقدر أن تكون عمالاً للمسيح.

٦ - كُن عاقلاً في تدبيرك. إذا مشيت لا تدع عقلك يدور بل يكون مجتمعا قدامك. كُن طاهرا مرتبا في لباسك، نظرك يكون مطرقًا إلى أسفل وفكرك فوق عند ربك. لا تملأ عينيك من وجه إنسانٍ ولكن بتهيبٍ وخوفٍ ابسط نظرك. كُن شبه عذراء نقية واحفظ نفسك للمسيح. كُن محبا لكل أحدٍ وابتعد من كل أحدٍ. اعلم أنك راهب ولا ينبغي أن ترتبط بشيء. حب بفكرك حبا فاضلاً من يقول لك كلمة منفعة، ولا تحزن من الـذي يبكتك لئلاّ تكون عدوا لكلمة الله.

٧ - لتكن نفسك مستيقظة لخدمة الله وعقلك مجتمعا عند ربـك. لـيس لـك أن تفحص عن كل الأمور لأنك لم تصِر مدبرا ورئيسا، ولكنك مأمور وليس لك سـلطان حتى ولا على نفسك. لا تكن من الذين ينظرون إلى أصحابهم لئلاّ يتنـجس عقلـك بالغيرة وتصير خدمتك بلا منفعة. لا تطلب حاجتك في كل أمرٍ لأنـك لسـت لهـذا تتلمذت أن تكون حاجتك مهيأة في كل أمر.

٨ - داوم على قراءة كتب الأنبياء، لأنك منها تعلم عظمة الله وأفعاله وعدله وقوته، وادرس كتب المبشرين بالعهد الجديد، لأنك منها تعلم رحمة المسيح وخيريته ونعمته. ج كل حين بأوجاع الشهداء لتقتني شجاعة النفس. لا تشتهِ الأصوات مثـل الأحـداث، واحذر من الخواطر التي تناسب هواك. الزم القراءة أفضل من كل عمل، لأنه ربمـا دار العقل في الصلاة ولكن القراءة تجمعه.

٩ - مثل التاجر الذي يطلب الأرباح، هكذا حاسب نفسك كل يوم وانظر ربحـك

وخسارتك في كل عشية، واجمع عقلك وانظر ما الذي عملته في نهارك، وانظر إلى صنيع الله ربك وافهم بماذا أنعم عليك في يومك: إشراق الضوء، وطيـب النـهار، وتقـويم السواعي، بهاء الجبال وحسن الألوان، زينة الخليقة، زينة قامتك، حِفْظ حياتك، هبـوب الرياح وحسن الثمار، حِفظه إياك من الأعراض (أي الحوادث) مـع بقيـة أنعامـه. إذا تفكّرت في كل هذه يتحرك قلبك بالتعجب من حب الله إياك وتسري فيـك الحـرارة، وتشكر الله على ما أنعم به عليك.

١٠ - ثم تحسب لئلاّ تكون قد فعلت شيئًا يخالف هذه النعم. قُل بينك وبين نفسك: لعلي فعلت في هذا اليوم أمرا يغضب الله، لعلي فعلت شيئًا يخالف هوى خـالقي. فـإن أحسست في نفسك أنك قد فعلت شيئًا يخالفه قم حينا في الصلاة، واشكر الله أولاً على النعمة التي أخذتها في يومك، ثم تضرع من أجل ما أخطأت، وهكذا تنام بخوفٍ ورعدةٍ. إننا إذا أغضبنا من هو أعظم منا ننام بمخافةٍ ورعدةٍ، وها نحن نغضب الله وننام بلا مخافة.

١١ - إذا وقفت في الصلاة قدام الله فاحرص أن تجمع عقلك وتطرح عنك الأفكار المشتتة للعقل. ضع أمام نفسك كرامة الله ونق حركاتها مـن الأفكـار الرديئـة، فـإن أحسست بالنعمة ثابر ولا تسترخِ، فإذا أبصر الله صبرك يجعل نعمته تحلّ فيـك بسـرعةٍ ويتقوى ذهنك ويلتهب حرارةً، وتضيء أفكار قلبك. ولعل مشاعر التعجب من عظمـة الله تنبع فيك، هذه التي تتأتى من الطلبات الكثيرة والفكر النقي. لأنه كمـا أنّ البخـور الطيب لا يوضع في إناءٍ منتن، هكذا لا يظهر الله عظمته في فكرٍ رديء.

١٢ - إذا وقفت للصلاة قدام الله فقُل أولاً: "قدوس قدوس قـدوس الله القـوي، السماء والأرض مملوءتان من أمجادك". وبعد ذلك قُل: "اللهم أهلني بنعمتـك لـذلك الشرف الذي هيأته في العالم الجديد، ولا يدينني عدلك في مجيئك العظيم، اللهم أهلـني لمعرفتك الحقيقية والخلطة (أي الاتحاد) بحبك الكامل". وحينئذٍ أكمل بالصلاة التي علمها الرب لتلاميذه، مداوم ومبتهج (أي هذّ وتأمل)[٥٧٨]. الذي يظن في نفسه أن حياته في الدنيا إنما هي يومه الذي هو فيه فهو لا يكاد يخطئ. □

العظـة الثانيـة[٥٧٩]

١ - ابتداء التدبير الجيد أن يبتعد الإنسان (أي الراهب) من أحبائه ومعارفه وأقربائه

(٥٧٨) أخذ القديس مار إسحق السرياني نفس هذا المعنى الذي ذكره في ميامره النسكية. (٥٧٩) س ٤ ص ٦٥.

بالجسد، ثم يتمسكن بتخليه عن كل شيء يشغل قلبه ليس من القنية فحسب بل ومن النظر والسمع والكلام كقدر قوته، لأنّ الحواس هي رباطات الإنسان الباطن و ا حياته. ولهذا فالسكوت هو أفضل من جميع الأعمال لأنه بدوامه تسكن الأفكار وتموت المشيئة وينقطع ذكر الأمور الباطلة وحركة الأوجاع القاتلة الجسدية والنفسانية. فالجسدية هي: لذّة الفم، وشره البطن، وشهوة الطبع، وتنزه الحواس، والاسترخاء، والنوم، والزنى. أما النفسانية فهي: الجهل، والنسيان، والبلادة، وقلّة الإيمان، والحسد، والشر، وا د الباطل، والعجب، والعظمة، وقلّة القناعة.

٢ - سكوت الجسد هو حبسه من الدوران، وسكوت النفس هو الابتعاد من الجهلة ومن النظر إلى الوجوه. فالجهلة يشغلوننا بأباطيلهم ويجروننا إلى عادا م ويستخدموننا حسب نواميسهم (أي مبادئهم) لأ م يرو ا حسنة، وهي تفصلنا عن حياتنا (الروحية). لذلك فليس شيء أفضل من التباعد والسكوت، لأنه بدو ما لا يستطيع الإنسان أن يرى نفسه (على حقيقتها).

٣ - عمل السكوت هو: الصوم، والسهر، والهذيذ الصالح، وأتعاب الجسد بالمقدار والترتيب (أي النظام) الذي يتفق مع قانون كل واحد، وبدوام ذلك ينجمع العقل إلى ذاته ويرجع من الدوران فيما هو خارج عنه، وبعد قليل يبتدئ أن يتيقّظ لنفسه ويتصور حسنه (أي جمال صورة الله التي فيه)، ويشرق عليه نور الرب، ويرى الله خالقه (بعيني قلبه)، ويعرف الله رازقه، ويفرح بوالده، ويرجع من سبيه (أي من عبودية نفسه)، ويحيا من موته، ويستريح من الأوجاع (الشهوات)، ويعتق من الظلمة، ويتخلص من عدوه الشرير.

٤ - ولا بد للإنسان من الإيمان الخاص الحقيقي، فالإيمان العام هو لكل الناس، وبنعمة ربنا علينا ولدنا (في الإيمان)، أما الإيمان الخاص فهو الذي يقربنا من الله بأن نسأل ونطلب منه العظائم التي لا يقدر الآخرون حتى أن يصدقوا بأ ا يمكن أن تكون، وأن نعتصم به ونتقوى ولا نخاف من شيء، إذ نتيقّن أنّ الذي نتقوى به هو أقوى من كل شيء.

٥ - الثبات في الجهاد والصبر على البلايا هو أيضا من أفضل الأمور. وكلما استمر السكوت ضعفت الأوجاع، وكلما ضعفت الأوجاع تقوى العقل قليلاً قليلاً إلى أن يصح ويستريح، وحينئذٍ لا يذكر الإنسان أوجاعه وأحزانه السابقة كما قال ربنا عن المرأة التي تلد (أي بعد ولاد ا كما جاء في يو١٦: ٢١). وإذا انعتق الإنسان من الأوجاع الشريرة التي ندم عليها انعتق من الأحزان والآلام والأمراض العارضة كلها التي يؤدب ا الخطاة. وبدوام السكوت ينعتق من الأوجاع الذميمة، أما الذين يعوقوننا عن

معرفة الله ويبطلوننا عن عمل الفضيلة فلا يلامون لأ م لا يعرفون، أما نحن فإذ قد عرفنا ربحنا وخسارتنا فينبغي علينا أن نبتعد منهم ونسكت لكي تحيا نفوسنا.

٦ - ويوجد شيء آخر رديء جدا يفسِد علينا نقاوة قلوبنا بالكلية، وهـو حـب الرئاسة والكرامة والمديح من الناس. إنّ هذه لأوجاع عظيمةٌ ورجاؤها كاذب، وقليلون هم الذين يعتقون أهواءهم منها، وهي تزداد عند الاستسلام للّذّات وشره البطن. وعسير هو التحرر من حب الرئاسة والكرامة الحاضرة وا د الباطل والارتباط بـه، لأنّ هـذه الأوجاع تلبس الإنسان بلا اية. فلا نطلبن نحن رئاسةً في هذا العـالم الزائـل المظلـم الأرضي. إنّ رئاستنا نحن وكرامتنا في العالم المضيء السماوي وحب المسيح ربنا وحـده هي التي تخلصنا من هذه الأوجاع، آميـن. □

(١٨) قصص وأقوال
القديس أنبا بيشوي

قيل عن أنبا بيشوي الذي كان في جبل شيهيت - وكان أخا روحانيا للقديس يوحنا القصير لأ ما كانا تحت تدبير أنبا أموي - إنه منذ أن ترهب كان مداوما علـى قـراءة الكتب المقدسة لكي يرتوي من كلام الروح القدس. وكان يصلي بلا فتور مداوما على الصوم وسهر الليالي، وأحب كلام الرب أكثر من العسل والشهد، فكان ينمو كل يـوم مثل الشجرة المغروسة على مجاري المياه. وكان أنبا أموي يحبه جدا حتى إنه لكثرة نسكه كان يسميه: "الأب المشرق"[(٥٨٠)].

وقيل أيضا إن المغبوط أنبا بيشوي كان لا يأكل إلاّ من السبت إلى السبت، وحفـظ الكثير من الأسفار المقدسة، وكان يقرأ كثيرا في سفر إرميا النبي، وكلما كان يقرأ فيـه كان يأتي إليه إرميا النبي نفسه ليعزيه ويفسر له معاني السفر. وكان ملازما لعمل يديـه ويتمم معظم فضائله سرا حيث كان يحب الوحدة.

قال أنبا يؤنس القصير: "قلت لأنبا بيشوي يوما ما: 'يا أخي المحب لله، أرى أنـك تحب الوحدة، وأنا أيضا أريد ذلك، فلنداوم على الصلاة طوال هذه الليلة لكي يعرفنا الله الرحوم بما فيه الخير لكل منا'. ففعلنا ذلك، وفي آخر الليل ظهر لنا ملاك الـرب قـائلاً

(٥٨٠) هذا القول وما يليه مأخوذان عن مخطوطة رقم س ١٩ بمكتبة دير أنبا مقار صفحة ٨٥، والتي ذكرت أن القديس يؤنس القصير هو الذي كتب هذه السيرة لأخيه الروحي.

بفرحٍ: 'هذا هو ما يقوله الرب: أن يسكن كل منكما وحده لأجل كمال التدبير الذي وضعه الله لخلاص نفسيكما. وأنت يا يوحنا كُن في هذا الموضع (الذي زرع فيه شجرة الطاعة، وهو موضع دير ق. يوحنا القصير في برية شيهيت)، حيث سأرسل لك شعبا كثيرا (من الرهبان) ويدعى اسمك عليه، وهم يخدمونني فيه مثل القوات العلوية، وذلك حسب الوعد الذي أعطيته لأب البرية أنبا مقار الكبير'".

لما **سكن أنبا بيشوي** في **مغارةٍ**[581]، كان الله معه في كل أفعاله، وكان جهاده عظيما حتى إنّ سيرته شاعت في كل مكان، وكان يأتي إليه الكثيرون ليتعلّموا منه، وكان يجعل منهم جنودا للمسيح رهبانا مطيعين وصاروا له أغصانا روحانية. وكنت أنا (يؤنس القصير) أذهب إليه وأكشف له أفكاري، كما كان هو يأتي إلي بكلامه الصالح في مغارتي.

قال أنبا يؤنس القصير: "كان أنبا بيشوي يوما ما في مغارتي، وبينما كان يعمل في شغل يديه ض، وإذ بربنا يسوع المسيح قد جاء إليه قائلاً: 'افرح يا مختاري الطاهر أنبا بيشاي'. فسجد له، ثم قال الرب: 'أترى هذا الجبل؟ إنني سأملأه بالرهبان مثل أبراج الحمام، فيعبدونني فيه'. فقال له القديس: 'يا رب، هل تعولهم في هذه البرية'؟ فقال له: 'الحق أقول لك إ م إذا أحبوا بعضهم بعضا بالحق وحفظوا وصاياي فإنني أرزقهم بحاجا م وأعولهم'. فقال له القديس: 'يا رب، هل تنجيهم من الشدائد المذكورة في الإنجيل'؟ فأجابه الرب: 'الذي يخافني ويعمل بوصاياي أنا أخلصه وأنجي من يطيعني من تجاربه'. ثم أعطاه الرب السلام وصعد إلى السماء بمجدٍ وكرامةٍ لا ينطق ما"!

أراد الشيطان أن يضلل أنبا بيشوي، فظهر لأحد الأغنياء في مصر بشبه ملاك وقال له: "يوجد سائح في جبل شيهيت اسمه أنبا بيشوي، فأعطه من خيراتك لكي تأخذ بركته". فأخذ هذا الأرخن ذهبا كثيرا وذهب إلى برية شيهيت. ثم إن الملاك الذي كان ملازما لأنبا بيشوي قال له: "هوذا الشيطان قد نصب لك فخا ليجعلك محبا للقنية، ودفع أحد الأراخنة فحمل جماله بالهدايا والذهب، وها هو مقبلٌ إليك". فخرج القديس إلى الجبل، فالتقى به الأرخن وسأله عن أنبا بيشوي، فسأله عما يريد منه فقال: "إنني أريد أن أعطيه هذه الأشياء لكي يوزعها على الإخوة حتى تحلّ بركتهم علي وعلى بيتي". فأجابه القديس: "ليس لسكان هذه البرية حاجة إلى الذهب أو الهدايا، فلا تتعب نفسك، فقد قبل الله صدقتك، فاذهب ووزع هذه الهدايا على المساكين، والله يبارك

(581) قال القديس يؤنس القصير في المخطوطة: "خرج أنبا بيشوي من عندنا (من مكان دير يؤنس القصير الذي إكتشف حديثًا عام ١٩٩٥م في برية شيهيت) كأمر الرب الإله، وصنع له مغارةً على صخرةٍ بحري مني مقدار ميلين". أي في موضع دير السريان الذي توجد فيه هذه المغارة حتى اليوم.

عليك وعلى جميع أهل بيتك". فعاد الأرخن وفعل ذلك، وإذ بالشيطان يلتقي بالقديس ويقول له: "لقد تعبت معك جدا يا بيشوي". فقال له القديس: "منذ أن خلقت وتعبك باطلٌ هو". فقال الشيطان: "أنا أتركك كمن لم يولد أصلاً"! فانتهره القديس وهكذا غاب عنه، وبمعونة الله حطّم فخاخ الصياد.

وقيل إن الله لما رأى جهاد أنبا بيشوي أعطاه غذاءً روحانيا على يد الملاك الملازم له، ولذلك كان ملازما الصوم لأيامٍ كثيرة.

قال أنبا يؤنس القصير: "ذهبت أنا الحقير يوحنا يوما ما لكي أفتقد القديس بيشوي، ولما وصلت إلى مغارته سمعت إنسانا من الداخل يتكلم معه ويبكي، ولما قرعت فتح لي فدخلت وصلّيت معه وجلسنا. فقلت له: 'يا أبي، من هو الذي كان يتكلم معك'؟ فأجاب: 'أسمعته؟ إنه الملك قسطنطين جاءني من السماء وهو متوجع القلب وقال لي: ليتني كنت أعلم بهذه الكرامة التي للرهبان بسبب غربتهم وفقرهم على الأرض، فكنت قد تركت مملكتي وترهبت! فقلت له: أما أعطوك مجدا في السماء؟ فقال لي: نعم، لكنني لم أنل مثل كرامة الرهبان، لأنني رأيت قوما منهم إذا انتقلوا من أجسادهم يأخذون أجنحةً ناريةً مثل النسور ويطيرون بها إلى مدينة الملك المقدسة أورشليم السماوية! فقلت له: لقد كانت لك زوجة وأولاد وعبيد وغِنى وزينات، أيجعلونك مثل الذين تركوا بيوتهم وكل مالهم من خيرات الدنيا ويرقدون على الأرض ويسهرون الليل ويصومون بنسكٍ كثير متضايقين متألمين في المغاير وشقوق الأرض، هؤلاء الذين قال عنهم الرسول بولس إنّ العالم لم يكن مستحقًا لهم؟ ولما قلت ذلك قرعت أنت الباب، وللوقت صعد هو إلى السماء'".

فلما سمعت أنا ذلك من الشيخ القديس نلت عزاءً كثيرا وقلت: "مبارك هو الرب الإله الذي يظهر عجائبه في قديسيه في كل مكان".

كان هناك شيخ في **نواحي "إبصاي"** في الصعيد، أمال الشيطان قلبه حتى قال إنّ الروح القدس ليس له وجود بل الآب والابن فقط، وكان ينادي بذلك علنا، فلم يشأ الله أن يترك تعب هذا الشيخ يضيع هباءً، فأظهر أمره للقديس أنبا بيشوي لكي يذهب إلى الشيخ. فاستعمل القديس حكمته وصنع مقاطف وجعل لكل منها ثلاث آذان.

ولما زار الشيخ ومعه تلك المقاطف، كانت هناك جموع كثيرة يتباركون من الشيخ. ولما رأى الشيخ والجموع تلك المقاطف سألوه: "ما هذا أيها الأب"؟ فأجاب: "هذا عمل يدي جئت لأبيعه". فسأله الشيخ: "وما هي الحاجة إلى تلك الآذان الثلاث لكل منها"؟ فأجابه أمام الجميع: "أنا لي ثالوث في اللاهوت الواحد، ولذلك أصنع عمل يدي

مثالاً للثالوث الأقدس". فقالت الجموع: "هذا معناه أنّ الروح القدس موجود"! فبدأ أنبا بيشوي يكرز لهم عن الروح القدس أنه موجود منذ البدء مع الآب والابن بدليل أنه قبل خلقة العالم كان روح الله يرف على وجه المياه، كما أنّ إشعياء النبي تنبأ عن السيد المسيح بقوله: «روح السيد الرب علي، لأنّ الرب مسحني لأبشر المساكين» (إش٦١: ١؛ لو٤: ١٨)، ويوحنا المعمدان رأى الروح القدس يحل على الرب مثل حمامةٍ، والرسول بولس يقول: «ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاّ بالروح القدس» (١كو١٢: ٣)، ولذلك أوصى الرب رسله قائلاً: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت٢٨: ١٩). فآمن الجميع بالثالوث القدوس، وثبتهم أبونا البار أنبا بيشوي في الأمانة المستقيمة وعاد إلى موضعه ممجدا الرب يسوع المسيح.

كان أنبا بيشوي ماشيا في **البرية** فرأى الجبل مليئًا بالملائكة، فتعجب جدا وتساءل: "من هم هؤلاء"؟ فقال له أحدهم: "نحن الذين نحفظ القديسين في هذا الموضع"! فتعجب جدا ومجد الله على اهتمامه العظيم بجميع قديسيه.

كان في **بلاد السريان سائح عظيم**(٥٨٢) ساكنا في كهفٍ بأحد جبال سورية، عابدا لله ليلاً ونهارا. وبينما كان يصلي في الليل تساءل: "أترى أجد رحمةً عند الله مثل أحد القديسين"؟ فسمع صوتا يقول له: "يوجد في مصر في جبل النطرون شيخ يعبد الله دائما اسمه "بيشوي"، وأنت لك دالة عند الله مثله". فركب السائح سفينةً إلى الإسكندرية وسأل عن مكان أنبا بيشوي، وعلم أنه في جبل النطرون، فذهب إليه وقبلا بعضهما بعضا وصلّيا وجلسا. وتكلّم السائح باللغة السريانية، ولكن أنبا بيشوي لم يكن يعرف تلك اللغة، فتطلّع إلى السماء وتنهد قائلاً: "أسألك ياسيدي يسوع المسيح أن تفهمني كلام هذا الشيخ". ففتح الله ذهنه وفهم كلام الشيخ السرياني! وظلاّ يتكلمان بعظائم الله. وسأله عن فضائل أنبا مقار الكبير، فعرفه أنبا بيشوي بها وبأعمال الله معه كأبٍ لجميع رهبان هذه البرية المقدسة.

ولما شعر أنبا بيشوي بفضائل هذا السائح دعا الإخوة لكي يتباركوا منه قائلاً: "إنني رأيت قوة الله معه"! ولما تباركوا منه، مكث مع أنبا بيشوي أسبوعا. وبعد أن ودعهم وخرج جاء أحد الإخوة لكي يراه فقالوا له: "لو كنت قد جئت قبل ذلك بقليل لتباركت منه، ولكنك إذا أسرعت يمكنك أن تلحقه". فقال له أنبا بيشوي: "إنك لن

(٥٨٢) ذكرت بعض المراجع أنه هو القديس أنبا أفرآم السرياني (أنظر N & P N F., Snd S. Vol. XIII, p. 126) الذي ترك تذكارا له، إذ إنه غرس عصا صارت فيما بعد شجرة، وهي لا زالت موجودة بدير السريان وتعرف باسم: "شجرة مار أفرآم السرياني".

تلحقه لأنه حمِل على سحابةٍ إلى موضعه"! فلما سمع الإخوة ذلك تعجبوا ومجدوا الله.

ذهب أخ إلى مصر ليبيع عمل يديه، فقابل إنسانا يهوديا وتحدث معه. فقال اليهودي: "أنتم تقولون إنّ المسيح صلِب، ولكنه ليس هو الذي صلِب بل شخص آخر". فوافقه الأخ على ذلك، ولذلك انتزِعت منه نعمة المعمودية! ولما عاد إلى الدير رأى أنبا بيشوي أنّ نعمة المعمودية قد انتزِعت منه فحزن. فقال له الأخ: "لماذا تغير وجهك علي اليوم"؟ فقال له: "من أنت"؟ فأجاب: "أنا الأخ فلان". فقال له الشيخ: "لست أنت، لأنّ نعمة المعمودية قد فارقتك"! فسأله الأخ: "لماذا يا أبي"؟ فأجابه: "بسبب ما قلته لليهودي في مصر"! فصنع الأخ مطانية للشيخ قائلاً: "اِغفر لي يا أبي فإني أخطأت بجهالتي". فقال له الشيخ: "اِحذر يا ابني من أن تقول كلاما غريبا عن الأمانة المقدسة، ولنتمسك بما استلمناه من آبائنا القديسين". ثم صلى أبونا بيشوي قائلاً: "أيها الرب الإله، ليس أحد بلا خطية إلاّ أنت وحدك ذو الرأفات الكثيرة. أسألك يا سيدي يسوع المسيح أن تغفر لهذا الأخ ما زلّ به". فأعاد الله للأخ نعمة المعمودية المقدسة بصلاة الشيخ.

مكث أنبا بيشوي في **مغارته** ثلاث سنوات لم ير فيها أحدا، فطال شعر رأسه بمقدار شبرٍ، وكان ملازما للصلاة نهارا وليلاً. ثم ثقب شقًا في الصخرة ووضع فيه وتدا حتى إذا غلبه النوم كان يربط شعر رأسه فيه حتى يداوم على الصلاة. وبعد السنوات الثلاث جاء إليه سيدنا يسوع المسيح، فسقط على الأرض، فأقامه المخلص وقال له: "يا مصطفي (مختاري) بيشوي، السلام لك، لقد رأيت تعبك وجهادك ووهبتك أنّ كل من يطلب مني باسمك أغفر له خطاياه". فقال له أنبا بيشوي: "يا سيدي، إنني أتعب لأجل اسمك القدوس لأنك أنت أيضا تعبت لأجل العالم كله، فقد مت وقمت حتى خلصتنا". ثم أعطاه الرب السلام وصعد إلى السماء بمجدٍ عظيم. وقد أنعم عليه الرب بشفاء أمراضٍ كثيرة.

سمع أنبا بيفامون الذي من مدينة "العقاب" عن فضائل أنبا بيشوي، فذهب إلى أنبا بولا الطموهي وسمعه أيضا يتكلم عن أنبا بيشوي لأنه زاره مرات عديدة. فقال أنبا بيفامون لأنبا بولا: "اِصنع معي رحمةً واذهب معي إليه لكي أتبارك منه". فقال له أنبا بولا: "أخاف أن آخذك معي لأنك صغير السن". فقال له أنبا بيفامون: "أنا أذهب معك وأبقى خارج القلاية، وعندما تخرج من عنده أنا أقبلك وأومن أنّ بركته تحل علي"! فذهبا معا، ودخل أنبا بولا وسلّم على القديس وصلّيا وجلسا، فقال له أنبا بيشوي: "لماذا لم تدخِل الأخ معك وتركته خارج الباب"؟ فأجابه: "اِغفر لي يا أبي،

فإنني قلت إنه صبي لذلك لم آتِ به إليك". فقال أنبا بيشوي: "لا تقل إنه صبي، فـإنّ المخلص قال إنه لمثل هؤلاء ملكوت السموات. وفي الحقيقـة إنّ كـثيرين سـيدخلون الفردوس بواسطة هذا الأب لأن الرب معه، فهو ليس بصغيرٍ بل كبير"! فقدمه أنبا بولا إليه، فقبله وباركه، ثم خرجا وهما يمجدان الرب.

قال أنبا بيشوي لأولاده الذين ألبسهم الإسكيم: "يا أولادي، اِعملوا بأيديكم لكي تعيشوا وتجدوا ما تتصدقون به". فتذمر أحدهم في قلبه قائلاً: "لو كان أبونا يعمل بيديه لعلم مقدار تعب شغل اليدين وما كان يحثنا عليه"! فعلم أنبا بيشوي ذلك بالروح وقال له: "أنت تفكر بذلك في قلبك وتتذمر من تعليمي للإخوة أن يعملوا بأيديهم مع صلا م وتلاوا م ومزاميرهم؟ أما تعلم أنني مهتم بأنفسكم أمام الرب كل حين"؟! فلما سمـع الأخ ذلك سقطت الضفيرة من يده وضرب مطانية للقديس قائلاً: "اِغفر لي يـا أبي". فقال له القديس: "الرب يعلم، يا ابني، أنني منذ أن جئت إلى هذه البرية لم أفتر من العمل ارا وليلاً، وأتمم صلاتي وعمل يدي معا، وأعذب جسدي حتى أفوز وأفلت من العذاب الأبدي". فلما سمع الإخوة ذلك صنعوا له مطانية قائلين: "اِغفر لنا، يا أبانا القـديس، فإننا لا نستطيع أن نتعب مثلك". وكان الأب يعزي الإخوة بقوة الروح القدس.

كان هناك أخ غرس جديد في البرية، وكان يقول إنّ الشياطين يتعبونه جدا. فذهب إلى أنبا بيشوي وقال له: "يا أبي، أُذكرني في صلاتك المقدسة لأنّ الشيطان ترك العـالم كله ويتعبني ويضايقني جدا". فقال له القديس: "يا ابني، إنّ كلامك هذا يكون للرجال ا اهدين الذين تقووا بالرب الإله، فهؤلاء هم الذين يحار م الشيطان ليلاً و ارا، أما أنت فلا يعلم الشيطان أين أنت من هذا الجبل. فاطلب من الله ونحن نؤمن أنه يريحك".

فلما عاد الأخ إلى موضعه تضرع أنبا بيشوي لله لكي يرحم الأخ، فظهر له الشيطان بغضبٍ كالأسد قائلاً: "لماذا تعذبني"؟ فقال له: "اِبتعد عن هذا الغـرس الجديـد ولا تقلقه". فقال له الشيطان: "أقسم لك أنني لم أعلم قط أنه ساكن في هذا الجبل، إنّ معه روح ضعفٍ يجربه، ولكنني من اليوم سألقي عليه كل قوتي"! فانتهره الشيخ، فاختفى. ثم وضع الشيطان حربا شديدة على الأخ حتى هرب من قلايته عريانا من الأوجاع! ثم عاد صارخا إلى القديس قائلاً: "يا أبي نجني"! فسأله عما أصابه، فقـال لـه: "أخـرجني الشيطان من مسكني بآلامٍ كثيرة". فأتى القديس بالأخ إلى مغارته ليسـتريح قلـيلاً، ثم وقف القديس وصلى قائلاً: "أيها الرب ضابط الكل الذي خلق كل شيءٍ بحكمته التي لا حدود لها وأوجد ا من لاشيء بكلام فمك ومشيئة ابنك الوحيد الحبيب ومسرة روحك

القدوس، وبالأكثر الإنسان الذي خلقته على صورتك الناطقة وزينته بالمواهب المقدسة. وأنت الرب الحافظ والساتر علينا في كل شيء. والآن أيها الرب سيد الجميع، أطلب إليك أن تحرس هذا الأخ من أعمال الشيطان الرديئة حتى يمكنه أن يثبت في هذه البرية حتى يكمل إرادتك، ويكون شجرةً مثمرةً ويرضيك كل أيام حياته، لأنك أنت قلت إنك تملأ هذا الجبل رهبانا فيعبدونني كل أيام حيا م. لذلك أطلب منك أن تكون لنا معينا ومحاربا عنا يا رب، لأنك أنت القادر وحدك وسيدنا يسوع المسيح إلى الأبد آمين".

فلما قال: "آمين". إذ بملاك الرب قائم والشيطان معه مربوطٌ بسلسلةٍ حديديةٍ وهو يصرخ قائلاً: "الويل لي، حي هو الرب الإله الذي أرتعب منه، إنني أترك لك هذا الجبل وجميع من فيه وأذهب إلى موضعٍ آخر". فقال له القديس: "يا عدو كل بر، أما تكف عن محاربة عبيد الرب الذين جمعهم باسمه القدوس؟ ماذا عمل لك هذا الغرس الجديد حتى إنك تتعبه"؟ فقال له الشيطان: "أريد أن أسرع بجعله مسكينا، لأنني إذا تركته يتعبني كثيرا"! فقال له القديس: "الرب يزجرك". فقال الشيطان: "إذا تركتني هذه المرة فلن أتعبه بعد ذلك". فقال أنبا بيشوي لملاك الرب: "أُتركه إلى اليوم الذي يشاء الرب أن يجازيه فيه حسب أعماله الشريرة". فتركه الملاك، ثم رشم القديس على قلب الأخ وجبهته بالصليب وأطلقه إلى قلايته وهو يمجد الله، ولم يعد الشيطان يتعبه بعد ذلك، وظلّ ينمو كل يوم وهو يشكر الله!

زار الإخوة أنبا بيشوي طالبين منه كلاما روحانيا لتعليمهم ربحا لنفوسهم، فقال لهم: "فلنجتهد في حفظ قوانين الرهبنة التي هي الطهارة والصوم والصلاة والاتضاع ومحبة بعضنا بعضا". ثم أظهر لهم أفكار قلو م، فتعجبوا جدا، ولما خرجوا قالوا: "بالحقيقة إنّ هذا الشيخ بار لأنه عرفنا بأفكار قلوبنا جميعها". فقلت لهم أنا الحقير يوحنا (القصير) إنه كثيرا ما حدث عندما أجتمع معه يخبرني بما فعلته!

كان أخ اسمه "إسحق" يحب أن يتمم مشيئته، فذهب إلى نواحي "قاوبلون" التابعة لمصر لكي يتوحد هناك. وفي أحد الأيام دخل إلى مصر ليبيع عمل يديه، فرأته امرأةٌ يهودية ساحرة، فأغواها الشيطان ودعته للدخول إلى بيتها لكي تشتري منه، ثم أغوته فعاش معها ونقلته من إيمانه إلى اليهودية. ثم ذهب بعض الرهبان إلى مصر لقضاء حاجا م، فرآهم إسحق اليهودي وسألهم: "أتعرفون أنبا بيشوي"؟ فقالوا: "إنه أبونا". فقال لهم: "أقسم عليكم أن تقولوا لهذا القديس إنّ إسحق اليهودي يستحلفك أن تصلي

لأجله لأنني سقطت في فخ الشيطان". فوعدوه بذلك. ولما سمعت المرأة اليهودية ذلك قالت للإخوة: "قولوا لبيشوي السائح إنني إذا رأيتك لسببت لك الأذى".

ولكن الإخوة لما عادوا نسوا هذا الأمر. فسألهم أنبا بيشوي: "أما قال لكم أحد كلاما عني"؟ فقالوا: "لا"، لأن الشيطان أنساهم الأمر. ثم سألهم: "أما قال لكم إسحق اليهودي شيئًا"؟ فقالوا: "نعم يا أبانا، فقد سأل عنك قائلاً: قولوا لأبي القديس أن يصلي لأجلي لأنني سقطت في فخ الشيطان، كما أنّ امرأةً سمعته فقالت: قولوا لبيشوي السائح إنني إذا رأيتك سببت لك الأذى". فزحف القديس إلى خلف ثلاث مرات وصرخ قائلاً: "يا سيدي يسوع المسيح نجني"! فتعجب الإخوة وسألوه: "وأنت أيضا تخاف يا أبانا"؟ فقال لهم: "من من القديسين غلب فخاخ الشيطان والنساء إلاّ إذا كان الله معه: فآدم أبونا الأول ضللته المرأة، ويوسف العفيف ألقوه في السجن بسبب امرأة، وشمشون الجبار حلقت امرأة رأسه ثم قلعوا عينيه، وبسبب امرأة قُطِعت رأس يوحنا المعمدان الطاهر ... ولولا أنّ الرب كان مع القديسين لما استطاعوا أن يتغلّبوا على فخاخ الشيطان".

ثم أخبرهم القديس أنّ هذه المرأة يهودية ساحرة أغوت إسحق بكلامها حتى جذبته إليها. ثم أقام أنبا بيشوي أياما كثيرة ساهرا بكل تعبٍ وإمساكٍ طالبا من الرب أن يخلص إسحق من هذه المرأة. فاستجاب الرب له، وتخلّص إسحق منها وعاد إلى الشيخ وصار راهبا مختارا قويا ومطيعا للشيخ باتضاعٍ عظيم!

قال أنبا بيشوي: "لا تذهبوا إلى أعياد القديسين فتأكلوا وتشربوا وتتلهوا، لأنّ الشره هو الذي أخرج آدم من الفردوس. ولكن إذا ذهبتم إلى عيد قديس أو شهيد فصلوا في مواضعهم وقولوا: يا إله آبائنا القديسين اغفر لنا خطايانا وعلمنا أن نصنع إرادتك في كل حين. ثم ارجعوا إلى مواضعكم ممجدين ربنا يسوع المسيح".

وقال أيضا: "لا يمكن للإنسان أن يصلي للرب بمخافةٍ إذا لم يمارس إماتة الذات والزهد، ولا يمكن للإنسان أن ينقي قلبه بدون زهدٍ وتقشف. ولكنه إذا ثابر على زهده فإنّ الرب يعطيه المخافة ونقاوة القلب ويمتلئ من نعم الرب"[٥٨٣].

قال القديس يؤنس القصير: "هجم البربر مرةً على البراري وقتلوا شيوخا قديسين، فذهبت أنا الحقير يوحنا إلى أنبا بيشوي وقلت له: 'يا أخي الحبيب، هوذا البربر قد خربوا

(583) Eth. Coll., 14, 12.

البراري وقتلوا آباءنا، وقد خطر على قلبي أن أترك هذا الجبل لئلاّ يقتلني واحد من البربر ويذهب إلى الجحيم بسببي'. فقال لي: 'وأنا أيضا أذهب معك'".

"فنـزلنا إلى مصر، ومضيت أنا إلى القلزم (بجوار السويس)، ومن هنـاك إلى ديـر القديس أنطونيوس وانفردت في مغارةٍ صغيرة. أما أنبا بيشوي فذهب إلى جبـل أنصـنا بالصعيد وسكن هناك حتى اشتهر اسمه لكي لا تختفي سيرته المتشبهة بالملائكة. وفي أحد الأيام جاء إليه هناك ربنا يسوع المسيح ومعه ملائكته الأطهار، فغسل القـديس قـدمي السيد بالماء في وعاءٍ، ثم عزاه الرب وباركه وصعد إلى السماء. ثم شرب أنبا بيشوي قليلاً من هذا الماء واحتفظ بالباقي لتلميذه حسب المكتوب: «تحب قريبك كنفسك»".

"ولما جاء تلميذه طلب منه أن يشرب من الوعاء فلم يفعل لأنه كان يحتاج إلى مـاءٍ باردٍ. ثم قال له القديس مرةً ثانيةً ثم ثالثةً أن يشرب منه فلم يفعل. ولما رأى التلميذ وجه معلمه عابسا لعدم طاعته قام مسرعا ليشرب، ولكنه لم يجد الماء، فلما أخـبر القـديس بذلك قال له: 'صدقني، يا بني، إنّ سيدنا يسوع المسيح جاء إلى أخٍ راهبٍ في هذا الجبل كاستحقاقه وباركه فغسل رجليه بذلك الماء، وأعطاني قليلاً منه فشربت القليـل منـه وتركت الباقي لك، ولما خالفتني أخذته الملائكة إلى السماء'! فلما سمع التلميـذ ذلـك سقط عند قدمي أنبا بيشوي، فأقامه قائلاً: 'يا بني، إنّ آدم لم يسقط إلاّ بسبب مخالفتـه لله'! فحزن التلميذ وظلّ يبكي في كل وقتٍ بسبب ذلك، وكان الشيخ يعزيه بأنه لأجل ندمه فلن يكون عليه لوم، ولكنه لم يستطع أن يعزيه".

"ثم قال التلميذ لمعلمه: 'اِصنع معي رحمةً وارسلني إلى إنسانٍ كامل قوي بالله لكـي أسأله لئلاّ يكون علي لوم'. فأعطاه القديس خبزا وقال له: 'اِذهب إلى مدينـة أنصـنا وهناك تجد إنسانا قبلي حصن المدينة والصبيان يرجمونه مثل المجنون، فأعطه هـذا الخبـز باسمي وهو يكلمك'. فذهب ووجد هذا الإنسان على المزبلة والصبيان يرجمونه، فطـرد الصبيان وأعطاه الخبز باسم أنبا بيشوي وقال له إنه مشتاق إلى سماع كلمة منه. فقال له: 'لماذا خالفت أباك حتى فاتت عليك تلك النعمة العظيمة وحلّ بك القلق؟ فالآن عد إلى أبيك وأطعه لأنّ من يخالف أنبا بيشوي يخالف سيدنا المسيح'"!

"فعاد إلى معلمه وأخبره بذلك، ثم صار يطيعه في كل شيء بمخافة الله حتى تنيح".

سمع **أخوان عن أنبا بيشوي** فذهبا إليه طالبين أن يقبلهما عنده لكي يرشد نفسيهما. فقبلهما بفرحٍ لأنه كان محبا للناس جدا، وعلّمهما مخافة الله وإرضاءه. وبعد أيامٍ قال لهما

أن يذهبا إلى جبل قاو بالصعيد لينفردا ويتفرغا للكتب المقدسة، لأنه بغير الوحدة لا ينمو الراهب. فأطاعاه وأخذا بركته وذهبا إلى هناك.

وحدث مرةً أنّ لصوصا سرقوا متاع أحد الإخوة الساكنين هناك. وكان هناك شيخ ادعى أنّ ملاك الرب كشف له أنّ هذين الأخوين اللذين جاءا إلى هذا الجبل هما اللـذان سرقا متاع الأخ. فصدقه أب الدير وأمر بطرد الأخوين باعتبارهما لصـين. فعلـم أنبـا بيشوي بالروح ذه التجربة التي حلّت ما، فأسرع إلى جبل قـاو ووجـد الأخـوين مسجونين، وعلم بأمر الشيخ، فطلب أن يجتمع الجميع ومعهم هذا الشيخ. ولما تبـاركوا من أنبا بيشوي سألهم عن ذنب هذين الأخوين، فقال الشيخ إ ما سـرقا متـاع الأخ، فتنهد أنبا بيشوي وقال للشيخ: "اِصنع محبةً وقُلْ إ م أضلّوني". فـرفض أولاً، وكـان الجميع يعلمون أنّ أنبا بيشوي عنده روح النبوة، فألزموا الشيخ حتى اعترف قائلاً: "إ م (أي الشياطين جربوني)"، ولما قال ذلك خرج منه الشيطان مثل خ يرة، فانتهرها أنبـا بيشوي فاختفت في الحال.

ثم طلب الجميع المغفرة من القديس الذي أخبر أب الجبل بمكان المتاع المسـروق دون أن يخبرهم بالسارق، وأمره ألاّ يخبر أحدا بذلك هربا من ا د الباطل.

❑❁❖❁❒

(١٩) قصص وأقـوال
القديس أنبا بيمـين(⌘)

القديس في شبابه

عندما كان أنبا بيمين لا يزال شابا، ذهب مرةً إلى شيخ ليسأله بخصوص ثلاثة أفكار، ولما وصل إلى الشيخ نسي واحدا من الأفكار الثلاثة فرجع إلى قلايته، ولكنه بينما كـان يدير المفتاح في الباب تذكّر الفكر الذي نسيه، فترك المفتاح ورجع إلى الشيخ. فقال لـه الشيخ: "لقد رجعت بسرعةٍ أيها الأخ"! فأخبره قائلاً: "في اللحظة الـتي أدرت فيهـا المفتاح في الباب تذكّرت الفكر الذي كنت أحاول أن أجده، لذلك لم أفـتح البـاب، ولكنني رجعت على إثر خطواتي". وكانت المسافة طويلة، فقال له الشيخ: "يا بيمين، يا راعي القطيع، إنّ اسمك سيعرف في مصر كلها"[٥٨٤].

(⌘) كلمة يونانية Ποιμην ومعناها "راعي". عاش في الفترة ٣٧٠ - ٤٦٠م. وتعيد له الكنيسة اليونانية في ٢٧ أغسطس وكنيستنا في ٤ نسيء، وفي تسبيح الكنيسة اليونانية تدعوه: "نور المسكونة والمثال الصالح لكافة الرهبان". وتنسب إليه أقوال كثيرة بعضها باسم "Pastor" (أي راعي)، ولذلك يرجح البعض أ ا ليست كلها لشخص واحد.

(584) Apoph., Poemen, 1; W. & W., II: 40.

كان يحكى بين الرهبان عن القديس أنبا بيمين وإخوته حسب الجسد أنهم عندما كانوا يسكنون في مصر[٥٨٥] جاءت أمهم لتراهم عند ذهابهم إلى الكنيسة، فلما خرجوا ولمحوها من بعيد عادوا مسرعين إلى قلاليهم وأغلقوا الباب على أنفسهم. فجاءت أمهم ووقفت على الباب وبدأت تولول وتبكي وتناديهم، فلما وجدها أنبا أنوب (الأخ الأكبر) على هذه الحال ذهب إلى أنبا بيمين وقال له: "ماذا نفعل مع هذه العجوز التي تبكي على الباب"؟ فقام أنبا بيمين واقترب من داخل الباب، ولما سمعها تبكي وتنوح في حزنٍ شديدٍ قال لها: "أهكذا تصرخين يا كبيرة"؟ فلما سمعت صوته بكت أكثر وبدأت تصرخ: "أريد أن أرى أولادي. ماذا دهاكم؟ ألم أُربكم؟ ألست أمكم؟ ألم ترضعوا من ثديي؟ ألم تخرجوا من أحشائي؟ ألأني عجوز لا أستطيع الوصول إليكم؟ هوذا حين سمعت صوتك الآن تحركت أحشائي..."!

فأجاب أنبا بيمين: "هل تريدين أن تنظرينا هنا أم هناك (أي في السماء) "؟ فأجابت: "يا أولادي، هل إذا حرِمت من رؤياكم هنا سأراكم هناك"؟ فقال لها القديس: "أقول لكِ الحق إذا غصبتِ نفسكِ وتحملتِ عدم رؤيتنا هنا فإنكِ بالتأكيد سوف ترينا هناك"! فغادرتهم راضيةً وهي تقول: "نعم بالحقيقة يا أولادي، إن كنت سأراكم هناك فينبغي ألاّ أسعى إلى رؤيتكم هنا"[٥٨٦].

سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا لم يدخِل أنبا بيمين وإخوته أمهم إلى القلاية لما ذهبت إليهم ولم يتكلموا معها"؟ أجاب الشيخ: "لإتمام وصية ربنا القائل: «من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني ... إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه ... ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (مت١٠: ٣٧؛ لـو١٤: ٢٦و ٢٧). والآباء يرون أنّ بغض الأقرباء هنا هو البعد عنهم وعن رؤيتهم ومخاطبتهم، فالمتوحد إن لم يفعل ذلك لا يصل إلى الحب الروحاني ولا يقدر أن يقاتل الأوجاع والشياطين، وذلك مثل الجندي الذي طالما أنه مرتبطٌ بآبائه وبتجارة العالم فلا يقدر أن يرضي الذي جنده كما قال الرسول بولس".

"وأنبا بيمين نفسه قال: 'لما كنت في الأسقيط وجاء البربر هربت مع بقية الآباء'. وقد أقاموا في مصر (منف) بالقرب من ضيعةٍ، ومع ذلك فقد كان حريصا حافظًا لغربته بكل تيقّظٍ لعلمه بما فيها من ربح، وكان يعلم بما حدث مع أخٍ غريبٍ عند انتقاله، إذ

(٥٨٥) أي "منف" (الجيزة) بجوار القاهرة الآن، وذلك في أحد الأديرة التي كانت معروفة هناك والتي أُنشِئت بسبب غارة البربر الثانية على برية شيهيت عام ٤٣٤م.

(586) Apoph., Poemen, 76; W. & W., II: 5.

رأى شيخ أنه قد أُرسِل إليه ملائكة كثيرون لأجل غربته وذهبوا به بكرامةٍ عظيمـةٍ إلى الفردوس، أما عن الأخ الآخر الذي كان يعيش معه، وهو من أهل البلاد، والذي كـان عمالاً وحريصا، فلم يبصر الشيخ الملائكة الذين جاءوا إلى الأخ الغريب".

"فليتبكّت المنحلون الذين يسمعون عن الشيخ أنبا بيمين أنه لم يشأ أن يبصـر أمـه العجوز ولا يتكلم معها، وهم في كل حين بغير طقس يذهبون بـانحلالٍ إلى أهـاليهم ويتكلمون معهم كلاما بطّالاً"[(٥٨٧)].

قال أخ: "قال الأب بيمين: 'يوجد أمران كانا محقّقين عمليا في الأيام السابقة، أمـا اليوم فقد اضمحلاّ من أيامنا'". فسأله الأخ: "ما هما هذان الأمران يا أبي"؟ فأجـاب الشيخ: "الفقر والشدة (أي الضيقة)، وقد كانا محبوبين قديما وليس الآن"[(٥٨٨)].

سأل أخ أنبا بيمين: "لقد تِرك لي ميراثٌ، فماذا ينبغي أن أفعل به"؟ فقال له الشيخ: "اذهب وارجع بعد ثلاثة أيام وأنا أخبرك". فرجع في الوقت المحدد، فقال له الشـيخ: "ماذا يجب أن أقول لك أيها الأخ؟ إن قلت لك أعطه للكنيسة فسيصنعون به ولائـم، وإذا قلت لك أعطه لأقاربك فلن تربح أية فائدة من ذلك، وإذا قلت لك أعطه للفقـراء فلن تفعل. إذن، فافعل كما تحب فهذا ليس شأني"[(٥٨٩)].

قال أخ لأنبا بيمين: "أنا آكل خضروات كثيرة"، فقال له الشيخ: "هذا لا ينفعك، لكن كُل خبزا وقليلاً من الخضروات ولا ترجع إلى أقاربك لأجل احتياجاتك"[(٥٩٠)].

استقرار الراهب في مكانه في البرية

قال أنبا بيمين: "من يستقر في مكانه في الحياة لن يضطرب"[(٥٩١)].

وقال أيضا: "لو لم يقُد موسى النبي غنمه إلى بريـة مـديان لمـا رأى مـن كـان في العلّيقة"[(٥٩٢)].

سأل إخوة شيخا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "لما أخذ موسى أولاً الغـنم إلى وادٍ واحدٍ لئلاّ يتشتت عقله عندما يرى الغنم مشتتة في البريـة اسـتحق أن ينظـر العوسجة، كذلك المتوحد إن أراد أن ينال طهارة القلب التي ا يعاين الله فعليـه أولاً أن يبتعد من العالم ويبعد حواسه من الأوجاع وأفكاره من الطياشة إلى نظر الله ويلزم الهدوء فيستحق طهارة القلب ويتنعم بمناظر ربنا"[(٥٩٣)].

---

(٥٨٧) س ٩ رقم ٢٠٧ ص ٣١٢.
(588) Eth.Coll. 13, 27.
(589) Apoph.,Poemen,33; W. & W., I: 179. (590) Apoph., Poemen, 186; W. & W., II: 283.
(591) Apoph., Poemen 167 ; Ch., 111. (592) Apoph., Poemen, 195; W. & W., II: 254.
(٥٩٣) س ٩ رقم ٢٤٩ ص ٣٦٠.

وقال أنبا بيمين أيضا: "الفقر والمصاعب والتقشف والصـوم هـي أدوات الحيـاة الرهبانية، إنه مكتوب: «عندما يوجد معا هؤلاء الثلاثة رجال: نوح وأيوب ودانيـال، فهناك أكون أنا يقول الرب» (قارن حز١٤: ١٤) ، فنوح يمثل الفقر والمسكنة، وأيوب يمثل الشدائد، ودانيال يمثل إفراز المعرفة؛ فإذا وجدت هذه الثلاث خصال في إنسان يكون الرب ساكنا فيه"[٥٩٤].

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "يعني أنّ هذه الثلاث خصال تعتق المتوحد من جميع أوجاعه وتنير ذهنه وتنقي قلبه وتجعله مسكنا لله، ويكون المسـيح حيا فيه كل حين كما قال الرسول الطوباوي: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في» (غـل٢: ٢٠)، أي أنه لا يوجد في أي تذكارٍ آخر أو يتحرك في سوى تذكار حب المسيح. ومعنى قوله هذا هو أنّ هؤلاء الثلاثة آباء ليس ببرهم خلصوا نفوسهم"[٥٩٥].

سأل أخ أنبا بيمين: "كيف أعيش في القلاية"؟ فقال له: "حياتك في القلاية حسب الظاهر تعني أن تعمل بيديك، تأكل مرة واحدة في اليوم، الصمت، الهذيذ وقراءة الكتب. أما في الباطن فنموك الحقيقي هو بأن تلوم نفسك في كل أمرٍ وأينمـا تـذهب، وأن لا تتوانى في صلوات السواعي والصلوات السرية، وإذا تفرغت من عمـل اليـدين فـتمم صلاتك بلا سجس. وأكمل هذه كلها بأن تعيش مع رفقـاء صـالحين وتبتعـد عـن الأردياء"[٥٩٦].

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "احتمال ملامة النفس هو مـن الاتضاع، والعمل الخفي هو الصلاة بلا فتور، وطرد الأفكار الرديئة مـن أول حركتـها في القلب مع ذكر الله الدائم وتذكار خيراته وإنذاراته. ووقت الخدمة هو السـبع صـلوات. وقوله: 'كمل خدمتك بلا سجس' أي كمل السبع صلوات فهي تحفظك مـن أوجـاع الشياطين كما هو مكتوب: 'لا تتوانَ في صلواتك لئلاّ تقع في أيدي أعدائك'[٥٩٧]. ولكـن إن حل بك مرض أو زارك آباء أو إخوة وأبطلت إحدى صلواتك (في ميعادها)، فأكمـل صلواتك بعد ذلك بدون تعجل أو طياشة أو سجس، وحاول ما أمكنك تعويض ما فاتك، وإذا أردت أن تجمع أفكارك لتتمم خدمتك فلا تهتم بالوقت الذي انقضى، بل إذا أردت أن

(594) Apoph., Poemen, 60; W. & W., II: 192; س ٤ ورقة ١٦٥

(٥٩٥) س ٩ رقم ٢٤٠ ص ٣٥١.

(596) Apoph., Poemen, 168; W. & W., I: 546; س ٤ ص ١٠٢

(٥٩٧) راجع أقوال أنبا أنطونيوس.

(٥٩٨) س ٩ رقم ١٥٥ ص ٢٤١.

تقسمه على الأوقات الباقية فليكن ذلك أيضا بلا سجس ولا طياشة" [٥٩٨].

وسأل أخ آخر أنبا بيمين: "إنّ نفسي تصغر عندما أمكث في القلاية، فماذا أفعل"؟ فقال له: "لا تغسل أحدا (أي لا تظهر عيوب أحد أو تفكّر فيها)، ولا تقع بإنسان، والله يهب لك الهدوء والراحة في القلاية" [٥٩٩].

وأيضا سأله أخ: "ماذا أفعل بخصوص ما أشعر به من ميولٍ عقيمة"؟ فقال له: "يوجد من يتعبون أنفسهم حتى الموت با ماكهم في صداقات هذا العالم، أما أنت فابتعد من كـل هذه ولا تغرق نفسك بمثل تلك العلاقات، وحينئذ ستتركك هذه الميـول العقيمـة مـن ذا ا" [٦٠٠].

تجنب الجدال والنقاش

قال الأب بيمين: "أهرب دائما من كل إنسان لا يكف عن ا ادلة في حديثه" [٦٠١].

وقال أيضا: "إذا ابتعدت النفس من كل مناقشةٍ وتشويشٍ واضطرابٍ؛ فإنّ روح الله يدخل فيها وتلك التي كانت عاقرا تصير مثمرة" [٦٠٢].

الصمـــت

وقال أيضا: "قد يبدو المرء صامتا، ولكنه إذا كان يدين الآخرين في قلبه فهو يتكلم بلا انقطاع. ولكنه قد يوجد آخر يتكلم من الصباح إلى المساء، ومع ذلك فهو في الحقيقة صامت أي أنه لا يقول شيئًا بلا منفعة" [٦٠٣].

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القول السابق قائلين: "إذا كان أخ لم يغلب بعد قتـال الأفكار ولا زال يدين الآخرين في قلبه فهل يجب أن يترك الهدوء ويطيش؟ والذي غلب قتال الأفكار وصار قلبه هادئًا مستريحا هل يجب أن يخرج من الهدوء ويتكلم بين النـاس كلام منفعة النهار كله ومع ذلك يحسب كأنه صامت"؟ فقال الشيخ: "إنّ الصـامت الذي يدين آخرين يظل في الهدوء بدون معرفة، فلو كان يذكر الله كل سـاعة في قلبـه ويقاتل الأفكار الرديئة ولا يدعها تبطئ في قلبه بل يقتلعها بالصلاة والأعمال في كل حين ويعرف نقص درجته لما كان يدين غيره، بل إنه يعتبر مقاتِلاً ومجاهِدا وشجاعا ونشيطًا، لأنّ الآباء يقولون: 'إننا لا نستطيع اقتلاع الأفكار الرديئة بل إننا نجاهد ضدها' مثلما قال أنبا إشعياء: 'إنّ الله يطلب منك أن تغضب على ذاتك وتصنع خصومة مع عقلك حتى لا

---

(٥٩٩) س ٤ ورقة ١٤٩.
(600) Apoph., Poemen, 123.
(601) W. & W., II: 89; N., 124.
(602) Apoph., Poemen, 205.
(603) Ibid., 27; W. & W., I: 27, 298; س ٤ ورقة ٧٥

يطيع أو يتلذّذ بالأفكار الرديئة، وهكذا بعد وقتٍ معين من القتال تقتلع الخطية'. أما ذاك الذي يدين غيره فبينما هو في قلايته صامتا وتذكره الشياطين بأخٍ كان قـد أحزنـه ولا يجاهد ليطرد من قلبه هذه الأفكار بالصلاة والدموع والتعب بقدر قوته بل يقبلها ويلـوم أخاه وإذا قابله يشتمه أو يحزنه، فهذا الأخ وهو في هدوئه يكون قلبه متوقفًا عن ذكـر الله والفضيلة وهو طول النهار يطيش بعقله ويلوم رئيس الدير والمسئولين وبقية الإخـوة، ولا يسرع بإلقاء هذه الأفكار الشريرة من قلبه بذكر الموت وعذاب جهنم ويطلب معونة الرب بصلاةٍ ودموعٍ وتمرغ".

"كما لا يجب على الذي استراح من هذا القتال أن يترك هدوءه ويتكلم مع الآخرين بغير ضرورةٍ طالما أنه يتكلم دائما كلاما نافعا، لأنّ الآباء لا يسمحون بذلك ولا للـذين يصيرون في أواخر أيامهم منتصرين أن يخرجوا ويتكلموا بطياشةٍ، بل عليهم أن يمكثوا في الهدوء حتى ساعة الموت، فالمتوحد ينبغي أن يتكمل ليس في التدبير فحسب بل أيضـا في التاورية التي يسمو ا كمال الكمال".

"فالكمال يشبه بمخزن الملك، وكمال المعرفة يشبه الكنوز التي في هذا المخزن، وكما أنّ مخزن الملك بعد أن يبنى لا يمتلئ في يومٍ واحدٍ أو في شهرٍ أو سنةٍ بل كل أيام حيـاة الملك توضع فيه كنوز جدد وعتقاء؛ هكذا المتوحد الكامل فهو يستغني كل يـومٍ حـتى ساعة موته بالمعرفة والمواهب المختلفة من الروح القدس حتى يصل إلى كمال الكمال".

"أما الذي يخرج واه من الهدوء قبل موته وكأنه كامل لا يحتاج إلى هـدوء، فهـو يحرم ليس من تلك المواهب الروحانية فحسب، بل حتى الأوليات التي سبق أن اقتناهـا تبعد من قلبه وتصل آخرته إلى أفدح خسارة. وذلك كما قال القـديس يوحنـا الـنبي (الأسيوطي): 'إذا كمل الإنسان في الحب ووصل إلى رؤية المسيح يجب ألاّ يترك قلايتـه ويتنقل ظنا منه أنه قد تكمل، بل يجب أن يثبت في الهدوء حتى يتكمل ويرتفع من درجةٍ إلى درجةٍ إلى الطقس العالي لكي يستحق المواهب كل يوم على قدر عملـه ونشـاطه، وحتى لا يجد شيئًا يمنعه من شهوة رؤية ربنا سواء كانت أوجاعا أو شياطين'"(٦٠٤).

سئل أنبا بيمين: "أيهما أفضل الكلام أم الصمت"؟ فقال: "الصمت من أجـل الله جيد، والكلام من أجل الله أيضا جيد"(٦٠٥).

قال شيخ(٦٠٦)**:** "يوجد من يراعي الصمت ليس كفضيلةٍ بل لتمجيد ذاته، أما الذي

(٦٠٤) س ٩ رقم ١١٠ ص ١٨٦. س ٤ ص ١٠٢
(605) Apoph., Poemen, 147; W. & W., II: 193;
(٦٠٦) هو أنبا بيمين حسب: X, 184
(607) Arm., II: 67 (13) A.

يصمت بحسب الله فهذه هي الفضيلة المرضية عند الله"[٦٠٧].

قال لي **أخ:** "قال لي أنبا بيمين: 'أترى هذا الإناء الفارغ؟ إذا ملأه أحد بحياتٍ وعظاياتٍ[٦٠٨] وعقارب وتركه ممتلئًا هكذا ومغلقًا، ألا تموت هذه الزواحف كلها؟ وإذا فتحت الإناء فجميع هذه الحيوانات لا تخرج ولا تؤذي الناس. هكذا الحال مع الإنسان، فإذا ضبط لسانه وأغلق فمه تموت كل تلك الحيوانات داخله، ولكنه إذا جعل فمه يعمل ويتكلم فإنّ الحيوانات المؤذية تخرج وتنهش هذا الأخ والرب يغضب عليه'"[٦٠٩].

ذهب أخ لمقابلة الأب بيمين في الأسبوع الثاني من الصوم الكبير وكلمه بخصوص أفكاره فنال سلاما في قلبه، ثم قال له: "إنني كنت على وشك أن لا أجيء إلى هنا اليوم"، فسأله الشيخ عن السبب، فقال الأخ: "قلت لنفسي ربما لا يسمح الأب لي بالدخول عنده بسبب الصوم". فقال له أنبا بيمين: "نحن لم نتعلم أن نغلق الباب الخشبي، بل باب اللسان"[٦١٠].

قال أنبا بيمين: "إن أردت أن تكتسب قوةً على حفظ الصمت[٦١١] فلا تظن في نفسك أنك تكتسب فضيلةً روحانيةً، بل قُل: "إنني لست أهلاً أن أتكلم""[٦١٢].

وقال أيضا: "في كل الشدائد التي تقابلك تكون النصرة مضمونة بأن تكون صامتا"[٦١٣].

وقال أيضا: "إذا تذكر الإنسان ما هو مكتوب: «بكلامك تتبرر وبكلامك تدان» (مت١٢: ٣٧) لاختار لنفسه الصمت"[٦١٤].

قال أخ للأب بيمين: "إذا رأيت شيئًا أتريد أن أخبرك به"؟ فقال له الشيخ: "مكتوب «من يجيب عن أمرٍ قبل أن يسمعه فله حماقةٌ وعار» (أم١٨: ١٣)، فإذا سئلت تكلم وإن لم تسأل فاصمت"[٦١٥].

قال أنبا بيمين: "إن كنت صامتا فستجد سلاما أينما عشت"[٦١٦].

الزهد في المباهج والمسرات

اعتاد الأب بيمين أن يقول: "روح الله لا يدخل البيت الذي فيه مباهج ومسرات"[٦١٧].

---

(٦٠٨) العظاية حيوان زاحف كالحرباء، ولكنه أكبر منها.
(609) Eth. Coll., 13, 84.
(610) Apoph., Poemen, 58; W. & W., I: 17.
(٦١١) أو "إن قومت (فضيلة) الصمت" حسب المخطوطة العربية.
(612)W.& W.,I: 45; N., 321;١٣٨ س ٤ ورقة
(613) Apoph., Poemen, 37; W. & W., I: 50.
(614) Ibid., 42; W. & W., I: 44;١٣٧ س ٤ ورقة
(615) Ibid., 45; W. & W., I:22.
(616) Apoph., Poemen,84. (617) W.&W., I:83. (618) Apoph.,Poemen, 19; W. & W.,I: 80.

أخبر بعض الإخوة أنبا بيمين عن أخ أنه لا يشرب الخمر، فقال لهم: "الخمر ليست للرهبان، لأنه لا يوجد فيها شيء نافع لسكان الأديرة"[٦١٨].

سأل إخوةٌ شيخا: "ما معنى قول أنبا بيمين إن الخمر ليست للرهبان"؟ فقال الشيخ: "لأن الخمر تحرك شهوة التناسل وتفرح القلب (بشريا) وتصرف الحزن (بطريقةٍ نفسانيةٍ جسدانية) كما قال سليمان الحكيم: «أعطوا مسكرا لهالكٍ وخمرا لمُري النفس، يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبه بعد» (أم٣١: ٦و٧)"[٦١٩].

ضبط شهوة البطن

سأل مدبر (قمص) أحد الأديرة الأب بيمين: "كيف أقتني مخافة الله"؟ فقال له القديس: "كيف يمكننا أن نقتني مخافة الله بينما بطوننا مليئة بالجبن والأطعمة المختلفة"[٦٢٠]؟!

قال أنبا بيمين: "عندما قاتل داود النبي الأسد أمسكه من حنجرته وقتله في الحال، فإذا أمسكنا أنفسنا من الحنجرة والبطن فسنغلب - بمعونة الله - الأسد غير المرئي"[٦٢١].

وقال أيضا: "لا يمكن للنفس أن تذلل إلاّ إذا أضعفتها بأكل القليل من الخبز"[٦٢٢].

وقال أيضا: "توجد ثلاثة أشياء لا يمكنني أن أستغني عنها: الطعام واللباس والنوم، ولكنني أستطيع أن أحد منها لدرجةٍ ما"[٦٢٣].

سأل أنبا يوسف أنبا بيمين (وهو أخوه الأصغر): "كيف يجب أن نصوم"؟ فقال له أنبا بيمين: "من جهتي فأنا أظن أنه من الأفضل أن يأكل الإنسان كل يوم قليلاً حتى لا يشبع". فقال له الأب يوسف: "عندما كنت يا أبي أصغر سنا ألم تصم يومين يومين"؟ قال له الشيخ: "نعم، بل ولمدة ثلاثة أيام وأربعة بل والأسبوع كله، إلاّ أن الآباء اختبروا كل هذا بقدر ما استطاعوا ووجدوا أنه من الأفضل الأكل كل يوم ولكن بكمية قليلة. وبذلك فقد تركوا لنا هذا الطريق الملوكي الخفيف والمأمون للوصول إلى الملكوت"[٦٢٤].

---

(٦١٩) س ٩ رقم ٤٩ ص ١٢٥. (620) Apoph., Poemen, 181. (621) Ibid., 178. (622) W. & W., I: 93.

(623) Apoph., Poemen, 185. (624) Ibid., 31; W.&W. I: 102.

(٦٢٥) مرجع الأقوال المنهجية هو: W. &W., II: 86، وربما يقصد هنا أن احتياجات الجسد تمنع من ملاحظة الأخطاء الصغيرة. ومرجع الأقوال الأبجدية هو: Apoph., Poemen, 132، وربما يقصد منه أن احتياجات الجسد المادي الكثيف تمنع من رؤية الأمور الإلهية التي تتصف بالبساطة.

(626) Apoph., Poemen, 40; W. & W., II: 230.

قال أنبا بيمين: "الجوع والنعاس لا يسمحان لي بأن ألاحظ هذه الأمور الصغيرة" (هذا بحسب الأقوال المرتبة منهجيا في كتاب W.&W.)، ولكن هذا القول بحسب الأبجدي هو: "بسبب احتياجنا إلى الأكل والنوم لا نرى الأمور البسيطة"[(٦٢٥)].

وقال أيضا: "إذا هاجمك فكر يخص الاحتياجات الجسدية (أثناء ممارستك للروحيات)، ففي الحال ضع الأمر في نصابه، وإذا جاءك مرةً ثانية فافعل ذلك أيضا، أما إذا جاءك مرةً ثالثة وفرض نفسه عليك فلا تعيره أي انتباه لأنه مجرد حرب"[(٦٢٦)].

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "تقاتل الشياطين المتوحدين في هدوئهم بأنواع كثيرة، فإذا كنت في الهدوء مداوما على عملك الروحاني بجسدك يعمل الشيطان على إخراجك من قلايتك ليعوقك عن فضيلتك ويحرك فيك بعض أفكار الخطية: فهو يجعلك إما أن تأكل قبل الوقت أو تنام أو تذهب لتفتقد إنسانا أو أي عمل آخر. فإذا قاومته وصبرت قليلاً تتحرك هذه الأفكار في قلبك مرةً أخرى، وهذه علامة على أ ا من الشيطان. فقف عاجلاً واسجد أمام صليب ربنا وصل طالبا عونا ورحمةً".

" إن الشياطين تحارب المتوحدين ليس بأوجاع الخطية فحسب وهم مداومون على الهدوء من أجل ربنا، بل وأيضا بالتشويش، وكثيرا ما يخرجو م من قلاليهم بحجة عمل الخير: لافتقاد المرضى أو رؤية الآباء أو لأي سببٍ آخر"[(٦٢٧)].

سأل أخ الأب بيمين: "إن كان لي عند أخ بعض النقود، أتنصحني بأن أطلبها منه"؟ فقال له الشيخ: "اطلبها منه مرةً واحدة". فقال له الأخ: "ثم بعد ذلك ماذا أفعل؟ لأنني لا أستطيع أن أضبط أفكاري". فقال له الشيخ: "كن هادئًا ولا تفكر فيها، وأيضا لا تضايق أخاك"[(٦٢٨)].

سمع أبا بيمين مرةً عن أحد الإخوة أنه يصوم ستة أيام ويأكل في اليوم السابع، ولكنه كان سريع الغضب، فقال الشيخ: "لقد تعلم أن يطوي الأسبوع بدون طعام، فكيف لم يتعلم أن يبعد عنه الغضب"[(٦٢٩)]؟!

قال أخ لأنبا بيمين: "سمعت عن شيخ أنه ظلّ لفترةٍ طويلةٍ مواظبا على الصوم يومين يومين ويأكل خبز شعير بدون خميرة". فقال له الأب بيمين: "أما نحن فعلى العكس،

---

(٦٢٧) س ٩ رقم ٢٥٤ ص ٣٦٣.
(628) Apoph., Poemen, 169 ; W. & W., I: 372.
(629) Apoph., Poemen, 203; D. F., p.152: XVII; س ٤ ورقة ٧٥
(630) Eth. Coll., 13, 5.
(631) Eth. Coll., 14, 63.

قارن هذا القول الأخير بما قاله ق. بولس الرسول: «الوقت منذ الآن مقصر لكي يكون ...الذين يستعملون هذا العالم كأ م لا يستعملونه، لأن هيئة هذا العالم تزول» (١كو٧: ٢٩ - ٣١).

كنا نعمل كل الأيام بأيدينا باستمرار وكنا لا نشبع (عندما نأكل)، وكانت يد الـرب تشبعنا سواء بالجسد أو بالروح"(٦٣٠).

قال الأب بيمين: "عرفت أخا في الأسقيط واظب ثلاث سنوات على الصوم يومين يومين دون أن يبلغ إلى النصرة. ولكنه حالما ترك هذه الطريقة من الصوم وصام كل يومٍ حتى المساء بإفراز لم يكف عن النصرة".

كما قال لي **أبا بيمين:** "كُل دون أن تأكل، واشرب دون أن تشـرب، ونم دون أن تنام، اسلك بإفراز وأنت تجد راحة"(٦٣١).

وقال أيضا: "عندما يريد الإنسان أن يبني بيتا يجمع كل ما يحتاجه لكي يـتمكن مـن البناء، أي كل أنواع المواد اللازمة، هكذا الحال معنـا، فلنكتسـب القليـل مـن كـل فضيلة"(٦٣٢).

الزهد في الراحة الجسدية

وقال أيضا: "كما أنّ الدخان يطرد النحل وينتزع حلاوة العسل الذي يصنعه، هكذا راحة الجسد تطرد مخافة الله من النفس وتتلف كل أعمالها"(٦٣٣).

وقال أيضا: "كل راحة أو مسرة جسدانية ممقوتة عند الله"(٦٣٤).

وقال أيضا: "إذا استطاع الراهب أن يغلب أمرين؛ يمكنه أن يصير حرا من العالم". فسأله أخ: "ما هما هذان الأمران"؟ فقال: "الراحة الجسدية وا د الباطل"(٦٣٥).

قال الأب يوسف عن أنبا بيمين إنه قال: "هذا القول المكتوب في الإنجيل: «من ليس له (كيس أو مزود) فليبع ثوبه ويشترِ سيفًا» (لو٢٢: ٣٦) المقصود به: من كان في راحةٍ فليتركها ويتخذ طريق الجهاد (أو الطريق الضيق)"(٦٣٦).

سمعت الأب بيمين يقول لي: "لا يمكنك أن تفعل هذا: ترتاح هنا وفي نفس الوقـت تدخل الملكوت". فقلت له: "وماذا تقول يا أبي في كوني ليست عندي غيرة"(٦٣٧)؟!

قال أبا بيمين: "إذا جرينا وراء الراحة رب منا نعمة الله، ولكننا إذا هربنا من الراحة فإن النعمة تجري وراءنا"(٦٣٨).

---

(632) Apoph., Poemen, 130. (633) Apoph., Poemen, 57; W. & W., I: 95;١٣٧ س ٤ ورقة
(634) Apoph., Poemen, 38; W. & W.,I: 97;١٤٦ س ٤ ورقة
(635) Apoph., Poemen,66; W. & W., II: 478.
(636) Apoph.,Poemen,112; W. & W., II: 94. (637) Eth., Coll., 13, 57. (638) X, 80 ; Arm., II: 105. (639) Apoph., Poemen,35. (640) W. & W., II: 221; Apoph., Poemen, 36; Ch., 105.
(641) W. & W., I: 114; Apoph., Poemen, 53.

وقال أيضا: "ثلاثة أمور تقود النفس: السهر، ومعرفة الذات، والإفراز"[(٦٣٩)].

طرح النفس أمام الله

وقال أيضا: "إذا طرح الإنسان نفسه أمام الله، ولم يعتبر نفسه شيئًا، وطرح مشيئاته كلها خلف ظهره، فإن هذه الثلاثة هي وسائل عمل النفس"[(٦٤٠)].

سأل أخ الأب بيمين: "كيف يسلك الإنسان"؟ فقال له الشيخ: "أنظر إلى دانيال النبي الذي لم يجد أحد عليه شيئًا يشتكي به عليه سوى صلاته وخدمته لإلهه"[(٦٤١)].

سأل إخوةٌ شيخا: "عندما سأل أخ أنبا بيمين كيف ينبغي أن يسير الإنسان في طريق البر أجاب: 'فلينظر إلى دانيال النبي الذي لم يجد عليه أعداؤه سببا لملامته أو ثلبه سوى كونه في خدمة إلهه'، فما معنى ذلك"؟ أجاب الشيخ: "هكذا كان دانيال والثلاثة فتية القديسون وبقية الشهداء، فقد صبروا على الشدائد ليس لشرورٍ صنعوها بل من أجل الخير نفسه (أي الله)، فهكذا ينبغي أن يكون المتوحدون بغير عيب في طريق الفضيلة"[(٦٤٢)].

سأل أخ أنبا بيمين بخصوص الأفكار التي تسيطر على عقله، فقال له: "هذا يشبه بإنسانٍ توجد نار عن يساره وإناء به ماء عن يمينه، فإذا أراد أن يطفئ النار يأخذ من الماء ويفعل ذلك، وهو له الحق أن يفعل ذلك في كل ساعة. فالنار هي بذار أفكار العدو، والماء هو انطراح النفس أمام الرب وهو ما يجب أن يفعله الإنسان"[(٦٤٣)].

تذكر الخطايا وطلب الرحمة

وسأله أخ آخر: "كيف أستطيع أن أحرص في سلوكي عندما أكون في القلاية"؟ فقال له الشيخ: "بخصوصي أنا فإني إنسان غارق في طين الحمأة حتى رقبتي وأنوء بحملٍ على كتفي وأصرخ إلى الله: 'ارحمني يا رب'"[(٦٤٤)].

قال أنبا بيمين: "عندما أتأمل أجد أمامي ثلاثة أمور عجيبة: جيد لي أن أصلي كل وقتٍ أمام الرب بدون انقطاع، وأن أضع موتي أمامي في كل لحظة، وأن أذكر أنني عندما أموت سأُلقى في النار بسبب خطاياي"[(٦٤٥)].

قوة عمل كلمة الله

(٦٤٢) س ٩ رقم ٥٤ ص ١٢٩.
(643) W. & W., I: 129; Apoph., Poemen, 146.
(644) W.& W., II: 525; Syst. Gr., XV, 52; Apoph., Paul le Grand, 2.
(645) Eth., Coll., 13, 46.
(646) Ibid., 13, 1.
(647) Apoph., Poemen, 183; W. & W., I: 628; Ch., 188.

سأل أخ الأب بيمين قائلاً: "أريد أن أدرس قليلاً في الكتاب المقدس". فقال له الشيخ: "طبعا يا أخي، هذا يوافقك". ثم قال له الأخ: "إذا درست أصحاحات كثيرة من الكتاب، فهذا يعطل عملي اليدوي". فقال له الأب بيمين: "وهذا أيضا تعليم ودرس نافع"[٦٤٦].

قال الأب يوحنا الذي نفاه الإمبراطور مرقيان: "ذهبنا يوما ما من سوريا لنرى أنبا بيمين، وأردنا أن نسأله عن نقاوة القلب، ولكن الشيخ كان لا يعرف اليونانية ولم يوجد مترجم. ولما رأى أننا مضطربون من ذلك بدأ يكلمنا باللغة اليونانية قائلاً: 'الماء بطبيعته لين والحجر صلب، ولكننا إذا علقنا آنيةً مليئةً بالماء فوق حجر بحيث تنسكب منها نقطة نقطة فإنّ الحجر يتآكل، وهكذا أيضا كلمة الله فهي لينة وقلوبنا قاسية، ولكنها إذا سمعت كلمة الله باستمرار فإنّ القلب ينفتح ويتجه نحو مخافة الله'"[٦٤٧].

البكاء بسبب الخطايا

لما **سمع أنبا بيمين** أن أنبا أرسانيوس رقد وذهب إلى راحته قال: "مبارك أنت يا أنبا أرسانيوس لأنك بكيت على نفسك في هذا العالم، لأن الذي لا يبكي على نفسه في هذا العالم لا بد سيبكي إلى الأبد في الدهر الآتي. فليبكِ هنا باختياره أو هناك في عقابه الأبدي. إنه يستحيل على إنسان أن يهرب من البكاء إما هنا أو هناك"[٦٤٨].

سأل أخ أنبا بيمين قائلاً: "ماذا أفعل فإنّ أفكاري تقلقني وتقول لي: 'إنّ خطاياك قد غُفِرت' وتشدني نحو نقائص الإخوة". حينئذ حدثه أنبا بيمين عن أنبا إيسوذورس الذي كان في قلايته يبكي على نفسه، وأن تلميذه الذي كان يسكن في قلاية أخرى جاء إليه ووجده يبكي وقال له: "لماذا تبكي يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "أبكي بسبب خطاياي". فقال له التلميذ: "وهل أنت عندك خطايا يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "بالتأكيد يا ابني، وإذا سمِح لي أن أرى خطاياي فلا يكفي أن يبكي معي بسببها ثلاثة أو حتى أربعة أشخاص". ثم قال أنبا بيمين: "هكذا الحال مع الذي يعرف نفسه"[٦٤٩].

روى أبا يوسف أنّ أبا إسحق قال: "كنت مرةً جالسا مع الأب بيمين ورأيت أنه في حالة ذهول، ولما كانت لي حرية في الحديث معه طرحت نفسي أمامه وتوسلت إليه قائلاً: 'أخبرني أين كان عقلك'. فوجد نفسه مضطرا أن يجيب وقال: 'كان فكري مع القديسة مريم والدة الإله وهي تبكي عند صليب مخلصنا، وأنا أريد أن أتمكن من البكاء دائما

(648) W. & W., I: 152. (648) W. & W., I: 152. (649) Ibid., 149.
(650) W. & W., II: 407; Apoph., Poemen, 144.
(651) W.&W., I:137;Apoph., Poemen,26;١٤٦ س ٤ ورقة

مثلها"[٦٥٠].

ذهب مرةً أنبا بيمين إلى مصر (القاهرة الآن)، فرأى في طريقه امرأةً جالسةً في قبر وهي تبكي بمرارةٍ، فقال للذين معه: "لو جاءوا بكل مسرات العالم لهذه المرأة لما استطاعوا أن ينزعوا منها حزن نفسها. وهكذا أيضا الراهب ينبغي أن يكون حزنه وندمه دائما في داخله"[٦٥١].

ذهب أنبا بيمين يوما ما مع أنبا أنوب (أخاه بالجسد) إلى مقاطعة "ديولكوس" (بحيرة المنزلة الآن)، ولما وصلا إلى المقابر رأوا امرأةً في حزنٍ شديدٍ وهي تبكي بمرارةٍ، فوقفا هناك يلاحظانها، ولما ابتعدا قليلاً قابلا رجلاً فسأله أنبا بيمين: "ما هو الذي تبكي من أجله هذه المرأة هكذا بمرارة"؟ فقال: "لأنّ زوجها وابنها وأخاها قد ماتوا". فقال أنبا بيمين لأخيه: "أقول لك إنه إذا لم يمت الإنسان كل شهواته الجسدية ويحصل على حزنٍ مثل هذا لا يمكنه أن يصير راهبا. حقًا لقد تحولت حياة هذه المرأة كلها إلى حزن"[٦٥٢].

سأل أخ أنبا بيمين: "ماذا أفعل بخصوص خطاياي"؟ فقال له الشيخ: "عندما دخل إبراهيم أرض الموعد اشترى لنفسه قبرا، وبواسطة هذا القبر ورث هو ونسله الأرض كلها". فسأله الأخ: "ما هو القبر"؟ فقال الشيخ: "هو مكان الدموع والندامة، فالذي يتخذ له بيتا لموته عن هذا العالم ويحزن فيه على نفسه يرث أرض الحياة"[٦٥٣].

وسأله أخ آخر عن ما يفعله بخصوص خطاياه، فقال له الشيخ: "من أراد أن يتنقّى من خطاياه يفعل ذلك بالبكاء، ومن أراد أن يكتسب الفضائل يمكنه ذلك بالبكاء، لأنّ البكاء هو الطريق الذي علّمه لنا الكتاب المقدس، كما أن الآباء كانوا يبكون باستمرار، ولا يوجد طريق آخر سوى ذرف الدموع"[٦٥٤].

وسأله أخ ثالث نفس السؤال، فقال له الشيخ: "ابكِ في داخلك، لأن التحرر من الخطايا واكتساب الفضائل كل منهما يكون بالحزن والندامة"[٦٥٥].

وقال أيضا: "البكاء هو الطريق الذي سلّمه لنا الكتاب المقدس وآباؤنا"[٦٥٦].

سأل أخ الأب بيمين: "قل لي كلمةً أحيا بها". فقال له الشيخ: "أول شيء سلّمه

---

(652) Apoph., Poemen,72;Ch., 107. (653) Adolph., Poemen, 50; W. & W., I: 153; س ٤ ورقة ١١٢
(654) Apoph., Poemen, 119; W. & W., I: 154.(655) Apoph., Poemen, 208.(656) Ibid., 209.
(657) W. & W., II: 476. (658) Apoph., Poemen, 122.
(659) D. F., p. 143, CXXXII; Apoph., Poemen, 142; W. & W., I: 541.

لنا الآباء هو أن ننوح"[٦٥٧].

وسأله أخ آخر: "ماذا ينبغي أن أفعل بخصوص كل الاضطرابات التي تزعجني"؟ فقال له الشيخ: "فلنبكِ في كل شدائدنا في حضرة صلاح الله حتى يظهر لنا رحمته"[٦٥٨].

محبـــة الجميـــع

أحد الإخوة مدح أخا آخر أمام الأب بيمين قائلاً: "ذاك الأخ هو رجل صـالح لأنـه يبغض الشر". فقال الشيخ: "وما هي بغضة الشر"؟ فلم يستطع الأخ أن يجيب الشيخ بـل سأله: "أخبرني يا أبي، ما هي بغضة الشر"؟ فقال الشيخ: "من يبغض خطاياه وأفكاره هو الذي يبغض الشر، وهو الذي يحب ويبارك على كـل واحـد مـن الإخـوة ويمـدح أفكارهم"[٦٥٩].

ملامـــة النفــس

سأل أخ أنبا بيمين إن كان من الأفضل له لو عاش منفردا أم مع آخـرين، فأجابـه الشيخ: "إذا لام الإنسان نفسه يمكنه أن يسكن في أي مكان، ولكنه إذا مجد نفسه فلـن يمكث في مكانٍ لأنه مكتوب: «إن ظن أحد أنه شيء وهو ليس شيئًا فإنه يغش نفسه» (غل٦: ٣)، وأي خير يفعله إذا ابتهج به أو هنأ نفسه عليه يفقده في الحال"[٦٦٠].

كان أنبا بيمين يقول دائما: "إذا أدان الإنسان نفسه وحده يمكنه أن يحتمل ويستمر في أي مكانٍ يسكن فيه"[٦٦١].

وقال أيضا: "إذا كان الإنسان يدين نفسه فهو يحفَظ من جميع النواحي"[٦٦٢].

سأل أخ أنبا بيمين: "ماذا ينبغي أن أفعل"؟ فقال له الشيخ: "طالما أن الله ناظر إلينا فما الذي ننعى همّه"؟ فقال له الأخ: "خطايانا". حينئذ قال له الشيخ: "فلنـدخل إلى قلالينا وهناك نتذكر خطايانا، حينئذ يأتي الرب ويعيننا في كل شيء"[٦٦٣].

قال أنبا بيمين: "إنني أقول عن نفسي: إنني ملقى في المكان المُلقى فيه الشيطان"[٦٦٤].

كان أنبا بيمين يقول: "إذا قضى الإنسان مائة سنة في القلاية فلن يفهم رحيله من هـذا العالم ويصير راهبا إن لم ينسب الخطية إلى نفسه في كل وقت وينأى بنفسه بفكره وبأعماله

---

(660) Pa., 12, 1. (661) W. & W., I: 504. (662) Apoph., Poemen, 95. (663) Ibid., 162.
(664) Ibid., 171. (665) W. & W., II: 474. (666) Ibid., I: 41.
(٦٦٧) غير معروف من هو ابن شماي هذا، ربما هو "شمعي" في العهد القديم الذي برر نفسه.
(668) Apoph., Poemen, 207. (669) Eth., Coll., 14, 58.
(670) W. & W., I: 529; Apoph., Poemen, 148; س ٤ ورقة ١١٤

عن الأمور التي يعلم أ ا تفصله عن الله ويتوسل إلى الله في كل وقتٍ بمعاناةٍ ودموع"[٦٦٥].

وقال أيضا: "منهج الراهب هو هذا: أن يحمل علـى عاتقـه في كـل وقـتٍ ملامـة نفسه"[٦٦٦].

قال أنبا بيمين عن ابن شماي[٦٦٧] إنّ خطأه كان هو أنه برر نفسه، ومن يفعل ذلـك يهلك نفسه[٦٦٨].

وقال أيضا: "لماذا لا نستطيع أن نعتق أنفسنا من حمل ثقيل ونستبدله بحمل خفيـف ونجد راحة"؟ وقال عن هذا الحمل الثقيل: "إذا سببت لأخيك أحزانا وزكّيت ذاتـك فهذا هو الحمل الثقيل، أما عن الحمل الخفيف فهو أن ندين أنفسنا ونزكي إخوتنا"[٦٦٩].

سأل أخ أنبا بيمين: "كيف يمكن للإنسان أن يتجنب الكلام بالشر عن قريبه"؟ فأجابه الشيخ قائلاً: "أنا وأخي لنا صورتان، فعندما يدين الإنسان نفسه فإن أخاه يبدو له فاضـلاً وأفضل منه، ولكنه عندما يرى نفسه حلوا يصير أخاه في نظره مكروها نجسا"[٦٧٠].

وسأل أخ شيخا[٦٧١]: "كيف يمكنني أن أتجنب احتقار أخي"؟ فقال له الشيخ: "أنا وقريبي وجهان، فإذا استخدمت مرآة الصلاة رأيت الخشبة (العارضة أو لوح الخشـب) التي في عيني، ورأيت أيضا في المرآة وجه أخي لامعا نقيا"[٦٧٢].

سأل أخ أنبا بيمين: "اخبرني لماذا عندما أتوب إلى أخي الذي غضب مني أجـده غـير راضٍ عني"؟ فقال له الشيخ: "أخبرني بالحق، عندما تتوب إليه ألا يكون في فكـرك أنـك تفعل ذلك ليس لأنك أخطأت إليه ولكن من أجل الوصية فحسب"؟ فقال الأخ: "الأمـر هو كذلك". فقال له الشيخ: "لهذا السبب لا يسمح الله أن الأخ يرضى عنـك، ولأنـك تتوب إليه ليس لتحقيق رغبتك ولكن كأنك لم تخطئ إليه بل هو الذي أخطأ إليك"[٦٧٣].

سأل أخ أنبا بيمين: "ماذا أفعل في هذا الحمل الذي يثقل كاهلي"؟ فقال له الشيخ: "السفن الكبيرة والصغيرة مزودة بحبالٍ سميكة تستخدم في جر السفينة، فعنـدما تكـون الريح ليست موافقة لاتجاه السفينة يربطون الحبال حول محور السفينة وحول صـدورهم ويجرون السفينة من الأرض اليابسة ويجعلو ا تسير ببطءٍ، وقليلاً قليلاً تسير في طريقهـا حتى يرسل الله ريحا موافقةً تحملها في الطريق الذي يريدو ا لها. ولكنهم إذا وجـدوا أنّ عاصفةً على وشك أن ـب يسرعون بدق وتدٍ في الأرض ويربطون السفينة لئلاّ تنحرف

---

(٦٧١) يرجح أنه أنبا بيمين. (672) W. & W., II:359. (673) Ibid., 480, I: 523; N., 334 ; Ch., 155.

عن اتجاهها. هذا الوتد هو أن يدين الإنسان نفسه"[٦٧٤].

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فأجاب الشيخ: "ا اذيف (أو الحبال) هي العمل اليسير الذي للمتوحد في الهدوء عندما يقاتله الشيطان بالكسل والملل ويرد قلبه من الغلوة (أي الحرارة) الروحانية، والريح الموافقة هي الهدوء الذي للروح القدس الذي فيه يكمل الراهب صلواته وجميع قوانينه في قلايته بغير عائقٍ ولا ملل، كما قال الطوباوي مار بولس: «حارين في الروح» (رو١٢: ١١)، والعاصفة هي الحماس الكثير والسجس الذي يأتي على الأخ من حركة الشياطين التي فيها تعب كثير بغير ترتيب، والوتد هو الاتضاع وملامة النفس التي تحرس الراهب من الكبرياء الذي يأتي من الحرارة الروحية مع السجس"[٦٧٥].

قال أنبا بيمين: "السبب في كثرة الاضطرابات والتجارب التي تأتي علينا هو لأننا لا نتخذ لأنفسنا الأسماء الوضيعة التي ذكرها لنا الكتاب المقدس: فنحن لا نأخذ في اعتبارنا كيف أن الرب يسوع أعان المرأة الكنعانية (مت١٥: ٢٢) وأعطاها سلاما لأ ا نسبت لنفسها أسماء حقيرة نجسة. كما أننا لا نتأمل كيف أن أبيجايل عندما قالت لداود النبي: «علي أنا يا سيدي هذا الذنب» (١صم٢٥: ٢٤) قَبِل توسلها وأحبها".

"فأبيجايل ترمز إلى النفس وداود يرمز إلى الله، وإذا أدانت النفس ذا ا أمام الله يحبها ويعطيها جة الراحة الحقيقية"[٦٧٦].

وقال أيضا متنهدا: "جميع الفضائل تدخل إلى هذا الدير ماعدا واحدة تلك التي لا يقف أي إنسان على قدميه روحيا بدو ا". فسألوه: "وما هي تلك الفضيلة"؟ فأجا م: "أن يلوم الإنسان نفسه ويحتقرها"[٦٧٧].

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "يعني أن الذي في كل حين يتنهد ويبكي في الصلاة فقد اقتنى جميع الفضائل، فالندم والدموع تغسل القلب من الأفكار الرديئة. ولكن ربما تتبع الدموع الكبرياء إن لم يكن الإنسان مستيقظًا على الدوام كما قال الطوباوي مرقس الناسك: 'إن كانت لك دموع في صلاتك فلا تتكبر'"[٦٧٨].

---

(674) W. & W., I: 528; Apoph., Poemen, 145.

(٦٧٥) س ٩ رقم ١٥٢ ص ٢٣٧.

(676) W. & W., I: 505; Apoph., Poemen, 71.

(677) W. & W., II: 295; Apoph., Poemen, 134; D. F., p. 154: LXX.

(٦٧٨) س ٩ رقم ١٢٨ ص ٢١٠.

(679) Apoph., Poemen, 128.

(680) Ch., 63; PL, LXXIII - X, 37; N., 391.

وقال أيضا: "ما هي منفعـة الإنسـان الـذي يعطـي حياتـه لتجـارةٍ دون أن يتعلّمها"[٦٧٩]!

طلب أخ نصيحةً من أنبا بيمين قائلاً: "أريد أن أترك هذا المكان لكـنني منـزعج". فسأله الشيخ: "ما السبب"؟ قال الأخ: "قد سمعت كلاما أعثرني عن أخ". أجابه الشيخ: "ليس حقًا ما سمعته". فقال الأخ: "كلاّ يا أبتِ، لأن الأخ الذي أبلغني مخلـص جـدير بالثقة". أجابه الشيخ: "ليس الأخ مخلصا، لأنه لو كان كذلك لما قال لك هذا، إنّ الله نفسه لما سمع صراخ أهل سدوم أراد أن ينـزل أولاً ويرى بعينيه ما يحدث هناك". فقـال الأخ: "أنا نفسي قد رأيت بعيني". فلما سمع الشيخ ذلك نظر إلى الأرض وتناول قشةً رفيعةً وسأل الأخ: "ما هذه"؟ أجابه الأخ: "هذه قشة". ثم نظر الشيخ إلى عرق خشـب في القلايـة وقال: "وما هذا"؟ فأجاب الأخ: "هذا عرق خشب". حينئذ قال له الشيخ: "ضـع في نفسك أنّ خطاياك هي مثل هذه الخشبة، وخطايا أخيك مثل هذه القشة".

ولما سمع أنبا شيشوي ذلك امتلأ إعجابا وصاح: "كيف أمدحك أيها الأب بـيمين؟ إنّ كلامك جواهر"[٦٨٠]!

وأيضا سأله أخ: "كيف أستطيع أن لا أقع في الناس"؟ فقال له: "إذا لام الإنسـان نفسه حينئذٍ يكون أخوه عنده أكرم وأفضل منه، وإذا ظن في نفسه أنه صالح حينئذٍ يكون أخوه عنده حقيرا ومهانا ويقع فيه (أي يدينه)"[٦٨١].

سأل أنبا يوسف أنبا بيمين: "قُل لي كيف أكون راهبا". فقال له: "إن كنت تريد أن تجد راحةً هنا وفي الدهر الآتي ففي كل أمرٍ قُل في نفسك: 'أنا من أنا'، ولا تدِنْ إنسانا"[٦٨٢].

وسأله أخ: "ماذا علي أن أفعل"؟ فقال له الشيخ: "اذهب ورافق من يقول: 'مـاذا أريد أنا'؟ وأنت تجد سلاما"[٦٨٣].

التغلب على الشر بالخيـر

سأل أخ أنبا بيمين: "ما معنى «أن لا يجازي أحد أحدا عن شر بشر» (١تـس٥: ١٥)"؟ فقال له: "تعمل الأوجاع في الإنسان على أربع مراحل: أولاً في القلب، والثانية في الوجه، والثالثة في اللسان، والرابعة في الفعل عندما يجازي الإنسان الشر بالشر. فـإذا

---

(٦٨١) س ٤ ورقة ١١٤. (٦٨٢) س ٤ ورقة ١٤٩. (683) Apoph., Poemen, 143.
(684) W. & W., II: 237; Apoph., Poemen, 34. (685) Apoph., Poemen, 177; س ٤ ورقة ١٤٩
(٦٨٦) س ٤ ورقة ١٦٧. (687) Apoph., Poemen, 91; W. & W., I: 456.
(٦٨٨) يبدو أنه جبل "إتريب" بجوار بنها الحالية.

استطعت أن تغلب القلب فلن يظهر الوجع على الوجه، ولكنه إذا ظهر على الوجه فاحذر من أن تتكلم عنه بلسانك، أما إذا تكلمت فاقطع كلامك في الحال حتى لا تصل إلى الفعل الذي هو مجازاة الشر بالشر"[٦٨٤].

قال أنبا بيمين: "الشر لا يغلب الشر، ولكن إن أساء إليك إنسانٌ فأحسن أنت إليه لأنّ إحسانك إليه يستأصل الشر، لأنه لا ينبغي أن نكافئ شرا بشر"[٦٨٥].

وسأله أخ: "ماذا تأمرني أن أفعل"؟ فقال له الشيخ: "كُن صديقًا للأخ الذي يتكلم عنك بالشر، وهكذا تجوز أيامك في راحة"[٦٨٦].

قال أنبا بيمين: "الراهب لا يشكو من نصيبه، الراهب لا يرد الشر بالشر، الراهب لا يغضب"[٦٨٧].

كان يوجد شيخ متوحد في جبل "أتريبيس Athribis" (Athliba)[٦٨٨]، هجم عليه بعض اللصوص، وبدأ الشيخ يصرخ، فلما سمع الرهبان قبضوا على اللصوص وأخذوهم إلى الحاكم الذي ألقاهم في السجن. ثم تأسف الإخوة جدا لذلك وقلقت ضمائرهم قائلين: "إنهم قد سجِنوا بواسطتنا نحن"، فذهبوا إلى أنبا بيمين وعرضوا عليه حالهم، فكتب إلى المتوحد قائلاً: "ينبغي أن تفهم من أين جاءت إليك الخيانة الأولى وحينئذ تدرك كيف حدثت الخيانة الثانية، ففي الحقيقة لو لم تكن قد سقطت في داخلك لما سقطت في الثانية (أي الخارجية)".

فلما سمع الشيخ كلام أنبا بيمين، ورغم أنه كان معروفًا عنه في المنطقة أنه لا يخرج من قلايته، خرج وذهب إلى المدينة وأخرج اللصوص من السجن وأطلق سراحهم علنا[٦٨٩].

سأل إخوةٌ شيخا: "ما معنى القول الذي بعث به أنبا بيمين للشيخ الحبيس قائلاً: 'إبحث عن التسليم الأول من أين هو وحينئذ تفهم التسليم الثاني (يقصد تسليم نفسه للخطأ والانحراف)، فلولا أنك تسلّمت أولاً من الجسد لما أتممت التسليم الثاني'"؟ فأجاب الشيخ: "يقصد القديس أنه كان ينبغي عندما أتى إليه اللصوص أن يعمل معهم كما عمل إليشع النبي الطوباوي مع أعدائه لما جاءوا وسألوا عليه ليقتلوه، إذ إنه أطعمهم وسقاهم وأطلقهم إلى بلادهم بسلام، وبذلك كان قد كسبهم وربما يصلحون حياتهم ويمتلئون من النعمة، وهو كان قد فرح بإتمام وصية الرب، وكان يظهر من أفعاله أن أفكاره الخفية هادئة بمخافة الله،

(٦٩٠) س ٩ رقم ٢٠٦ ص ٣١٠.

(689) W. & W., II: 49; Apoph., Poemen, 90.

ولكنه لما سلّم هؤلاء الناس للعقاب أظهر ذاته أنه خالٍ من المعرفة وعاجز عن الجهـاد مـع أفكاره حيث إنّ كل ما يزرعه فيه الشياطين يكمله بغير معرفة"[٦٩٠].

قال أنبا بيمين: "«ليس لأحدٍ حب أعظم من هذا: أن يضع أحـد نفسـه لأجـل أحبائه» (يو١٥: ١٣)، ففي الحقيقة إنه إذا سمع أحد قولاً شريرا ضده، فعليه أن يصارع ألاّ يعيد هذا القول في ذهنه. وإذا انتفع من هذا القول واحتمله بـدون أن ينـتقم منـه إطلاقًا، فهو بذلك يضع نفسه لأجل أحبائه"[٦٩١].

تجارب الراهب وضيقاته

وقال أيضا: "علامة الراهب إنما تعرف في البلايا"[٦٩٢].

وقد ظهر هذا القول في مرجع آخر هكذا: "التجارب هي علامة أكيدة يعرف ـا الراهب"[٦٩٣].

وقال أيضا: "نِعم التجربة التي تعلم الإنسان"[٦٩٤].

سأل أخ أنبا بيمين: "ماذا أفعل مع قلبي الذي يرتخي ويخاف عندما تواجهني ضـيقة صغيرة أو عندما تأتي علي أي تجربة"؟ فقال له الشيخ: "ألا نعجب ليوسف الشاب ابن ال ١٧ سنة الذي بيع عبدا في أرض مصر بلاد عباد الأصنام، كيف أنه احتمل التجارب حتى النهاية ثم رفعه الله ومجده؟! وألا نرى كيف أنّ أيوب الصديق الذي لم يتراخ إطلاقًا في ضيقته بل احتمل حتى النهاية واستمر في ثقته في إلهه، ولم يستطع أعداؤه أن يهزوه أو يزعزعوا رجاءه؟ إنّ التجارب لا يمكنها أن تحطّم رجاءنا في الله"[٦٩٥].

اعتاد أنبا بيمين أن يقول عن القديس يوحنا القصير الذي طلب من الله أن يزيـل عنـه الأوجاع (تجارب الخطايا والأهواء)، فأزالها عنه وصار بلا هم، إنه ذهب إلى شيخ معروف وقال له: "إنني أرى نفسي في راحةٍ ولا تزعجها حرب أو صراع". فقـال لـه الشـيخ: "اذهب وتوسل إلى الله أن يجعل الحرب والصراع يأتيان عليك مرةً أخرى، لأنه بواسطتهما تتقدم النفس وتنمو في الروحيات". ثم بعد ذلك لما واجهته الحروب لم يطلب مـن الله أن يزيلها عنه، ولكنه توسل إليه قائلاً: "يا رب أعطني صبرا لأحتمل هذه الصراعات"[٦٩٦].

---

(691) Apoph., Poemen, 116; XVII, 10. (692) W.&W.,I: 197; Apoph., Poemen, 13; س ٤ ورقة ١٦٥

(693) W.& W.,II:498.

(٦٩٤) س ٤ ورقة ١٤٩.

(695)W.& W., I:212,213; Apoph.,Poemen,102.

(696)W. & W., I: 215.

سأل أخ أنبا بيمين: "هل يدرك الإنسان أنه حقّق بعض المنفعة في حياته"؟ فأجابه الشيخ: "نعم، إنه يدرك ذلك عندما تأتي عليه التجربة، لأنه بواسطتها سيعلم أنه جنى الثمر. وإذا كان هذا الإنسان مستعدا للتجربة فسيعلم بواسطتها أنه حقّق الفائدة. أما إذا وقعت التجربة وتحقّق أنه لم يكن مستعدا لها، فليعلم أيضا أنه لم يكن قد جنى أية ثمرة"[٦٩٧].

وسأله أخ آخر قائلاً: "لأي غرض قيلت هذه الآية: «لا تهتموا للغد» (مت٦: ٣٤)"؟ فقال له الشيخ: "قيلت لمن هو تحت التجربة، ولم تعد له قوة على احتمالها، لأنه لا يوافقه أن يفكر في الغد ويقول: 'إلى متى سأحتمل هذه التجربة'؟ بل إنه عليه أن يفكر في احتمالها بصبر قائلاً: 'إنني أحتمل اليوم، وهذه التجربة لن تدوم طويلاً'"[٦٩٨].

الشجاعة في الحياة الرهبانية

قال أنبا بيمين: "قال يوآب لرجال شعبه: «لنتشدد لأجل شعبنا ولأجل مدن إلهنا» (١أي١٩: ١٣). والآن هؤلاء الرجال هم نحن"[٦٩٩].

قال أنبا بيمين: "إذا كنت في موضع يوجد فيه أعداء أصير أنا جنديا"[٧٠٠].

قال الإخوةُ لأنبا بيمين: "فلنترك هذا المكان لأنه يضايقنا وها نحن نخسر نفوسنا، وحتى الأطفال (الآتين مع الزائرين) الذين يصرخون يفقدوننا السلام الداخلي". فقال لهم القديس: "هل بسبب أصوات ملائكة تريدون أن ترحلوا من هنا"[٧٠١]؟!

سأل أخ الأب بيمين: "إن كنت أشعر بخسارةٍ في نفسي وأنا أسكن مع أبي، فهل تنصحني بأن استمر في السكنى معه"؟ ففهم الشيخ أن الأخ كان يخسر في معيشته مع أبيه، وتعجب كيف سأل هذا السؤال. فقال له: "اسكن معه إن شئت". ففعل الأخ كما قال له الشيخ، ولكنه عاد ثانيةً إلى الشيخ وقال له: "إنني أشعر بخسارةٍ في الروح". فلم يجبه الشيخ بشيء. ولما جاء إليه الأخ لثالث مرةٍ وقال: "بالحقيقة إنني لا أستطيع السكنى معه"، قال له أنبا بيمين: "الآن أنت تعرف كيف تعيش، اذهب ولا تسكن معه بعد ذلك".

ثم قال القديس: "عندما يرى إنسان أنه في خطر فقدان نفسه، فهو لا يحتاج أن يسأل نصيحةً. جيد أن يسأل عن الأفكار الخفية ويترك للشيخ أن يختبرها، أما الأخطاء الواضحة فلا داعي أن تسأل بخصوصها بل اقطعها في الحال"[٧٠٢].

(697) Eth. Coll., 13, 44.
(698) W. & W., I: 364; Apoph., Poemen, 126.
(699) Apoph., Poemen, 194.
(700) Ibid., 202.
(701) Ibid., 155.
(702) W. & W., I: 388, 389; Apoph., Poemen, 189.
(703) D. F.., p. 153, no. XX; W. & W., I: 284; Apoph., Poemen, 78.

عدم توبيـخ الخاطئ

جاء مرةً إلى أنبا بيمين بعض الهراطقة وبدأوا يتكلمون بالسوء عن رئـيس أسـاقفة الإسكندرية، أما الشيخ فظلّ صامتا. ثم دعا تلميذه وقال له: "أعـد المائـدة وأعطهـم ليأكلوا ثم اصرفهم بسلام"[٧٠٣].

سأل بعض الآباء أنبا بيمين: "إذا رأينا أخا يخطئ أترى أننا ينبغي أن نوبخه"؟ فقـال لهم الشيخ: "أنا عن نفسي إذا خرجت ورأيت أحدا يخطئ أجتـاز في طريقـي دون أن أوبخه". ثم قال أيضا: "إنه مكتوب: «اشهد بما تراه عيناك» (قارن أم٢٥: ٨)، ولكنني أقول لكم حتى إذا لمستم بأيديكم لا تشهدوا. ففي الحقيقة إنّ أخا قد خدِع بخصـوص ذلك، فقد ظن أنه رأى أخاه يخطئ مع امرأة، فثار سخطه جدا واقترب ورفسهما قائلاً: 'كفى، إلى متى'؟ ثم اكتشف أنّ هذه كانت مجرد أكياس قمح! هذا هو السبب أنني قلت لكم: حتى لو لمستم بأيديكم فلا توبخوا الخاطئ"[٧٠٤].

ذهب بعض الشيوخ لزيارة أنبا بيمين وقالوا له: "عندما نرى إخوة ينعسون في ا مع (أي أثناء خدمة الصلاة) فهل ننخسهم لكي يتيقّظوا"؟ فقال لهم: "أنا عن نفسي عندما أرى أخا ينعس أضع رأسه على ركبتي وأجعله يرتاح". فقال له أحد الشيوخ: "ومـاذا تقول لله"؟ فقال له أنبا بيمين: أقول له: "أنت نفسك قلت: «أخرج أولاً الخشبة مـن عينك وحينئذٍ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك» (مت٧: ٥)"[٧٠٥].

وسأله أيضا بعض الآباء: "كيف استطاع أبا "نستير" أن يتأنى على تلميذه"؟ فقال لهم أنبا بيمين: "لو كنت في مكانه لوضعت وسادةً أيضا تحت رأسه". فقال أنبـا أنـوب (أخـوه بالجسد): "وماذا كنت تقول لله"؟ فقال أنبا بيمين: "كنت أقول له: 'إنك قلت: «أخـرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عـين أخيـك» (مـت٧: ٥)'"[٧٠٦].

سمعت **أخا يسأل أنبا بيمين** في أمرٍ ما، فقال له أنبا بيمين: "يستطيع الإنسان الحي - إذا أراد - أن يموت بدلاً من أن يلوم أخاه"[٧٠٧].

عندما كان أنبا بيمين ساكنا في **مصر**[٧٠٨] كان يعيش بجواره أخ (راهـب) ومعـه امرأة، ولم يوبخه إطلاقًا بخصوصها. ثم حدث ذات ليلةٍ أن المرأة ولدت، فعلـم الشـيخ

---

(704) Apoph., Poemen, 113, 114 ; W. & W., I: 285, 286 ; س ٢ ص ٤٧٠

(705) Apoph., Poemen, 92; W. & W., I: 443. (706) Apoph., Poemen,, 131.

(707) Eth., Coll.,13,48. (٧٠٨) أي بجوار منف، وربما كان ذلك بسبب إحدى غارات البربر على برية شيهيت.

واستدعى أخاه الأصغر وقال له: "خذ معك زجاجة خمر وأعطها لجارنا لأنه في احتياج إليها اليوم". وكان الإخوة الساكنون مع الأب بيمين لا يعلمون شيئًا عن هذا الأمـر. ففعل كما أمره الشيخ وقَبِل الأخ الخمر، ثم ندم وطرد المرأة بعد أيامٍ قليلة، ثم ذهب وقال للشيخ: "إنني تائب ابتداءً من اليوم، وأرجوك أن تطلب إلى الله عني لكي يقبل توبتي". فأجابه الأب بيمين: "إن كانت توبتك من كل القلب فثق تماما أن الله يمنحك الغفـران ولا تيأس من مراحمه".

ثم إنّ الأخ بنى لنفسه قلايةً أخرى أقرب إلى أنبا بيمين وكان يداوم علـى استشـارته، وكان الأب ينير له الطريق الصحيح إلى الله حتى سما في الروحيات، وهكذا ربح نفسه(٧٠٩).

ضبـط الفكـر

سأل أخ أنبا بيمين: "إنّ جسدي ضعيف وأنا غير قادر على الأتعاب النسكية، فقل لي كلمة أحيا بها". فقال له الشيخ: "ألست قادرا أن تضبط أفكارك ولا تسمح لهـا أن تتجه نحو قريبك بمكر"(٧١٠)؟

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القول السابق قائلين: "أخبرنا يا أبانـا كيـف يمكـن للضعيف أن يعيش حياة نسكية في أفكاره"؟ فقال الشيخ: "هذا السؤال له علاقة قويـة بسؤالٍ آخر سأله أخ لأنبا بيمين أيضا قائلاً: 'جسدي ضعيف ولكن أفكـاري ليسـت كذلك'. ففي الحالة الأولى تكلم القديس بخصوص الذين يخشون أن يصيروا - بسـبب الآلام والأمراض - متهاونين في أتعاب الحياة الروحية، ومن ناحية أخـرى يخشـون أن يعاقَبوا بآلام وأمراض. وفي الحالة الثانية تكلم القديس بخصوص الذين كدوا لزمنٍ طويلٍ في أتعاب الإماتة وإنكار الذات ثم صاروا أخيرا ضعفاء إما بسبب كبر السـن أو بسـبب الأمراض فكفوا بذلك عن أتعاب النسك".

"فالقديس بيمين عندما قال: 'إن كنت غير قادر بسبب ضعفك على أتعاب الجسد كما كنت سابقًا فجاهد في أتعاب النفس' كان يقصد ضبط الأفكار أي التحكم في العقل، فإذا كنت غير قادر أن تصوم عن الأطعمة فصم عن الأفكار الشريرة، وإن لم تعد قادرا، بسبب ضعف الجسد، أن تنتصب لتتلو مزامير كثيرة كما كنت سابقًا فاجعل فكرك ينتصب أمـام الرب وأن يصلي أمامه بتيقّظٍ بالصلاة الخفية النقية، وكن هادئًا ومتواضعا وراضيا وصـالحًا ومتسامحا ورحوما، وتحمل مرضك وضعفك بشكرٍ، ولا تجعل لسانك يحزن أحدا، ولا تدِن

(709) PE, III, 2B, 22.
(710) W. & W., I: 365.

أو تلوم أو تحكم على أخيك في قلبك. هذه الفضائل يمكن أن تزرع في النفس بأتعاب الذهن لا بأتعاب الجسد، وهي لا تتعوق من ضعف الجسد"(٧١١).

سأل أخ أنبا بيمين: "ماذا أفعل لأنني عندما أمكث في قلايتي أكون مضطربا"؟ فقال له الشيخ: "لا تفكر على أحدٍ باستخفافٍ، ولا تفكر بالشر في قلبك، لا تدِن أحدا ولا تلعن أحدا، حينئذٍ يعطيك الرب راحةً ويكون مسكنك خاليا من الاضطراب"(٧١٢).

وكان هذا القديس يقول: "إنّ حفظ الوصايا واحتراس الإنسان لنفسه في كل شيءٍ وتناول القربان هي الأمور الموجهة للنفس"(٧١٣).

قال أنبا بيمين: "لقد أعطى الله قاعدة السلوك هذه لشعب إسرائيل: أن يزيلوا من أنفسهم كل ما هو مخالف للطبيعة، أي الغضب والسخط والحسد والحقد وكلام الشر والوقيعة ودينونة القريب، وبالاختصار كل ما هو من صفات الإنسان العتيق"(٧١٤).

وقال أيضا: "إذا نظرت رؤى أو سمعت أصواتا فلا تخبر قريبك بها لأنّ هذا خداع في الحرب"(٧١٥).

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "القتال على نوعين: الأول يقاتل فيه الشياطين المتوحد بكل أوجاع الخطية بالأفكار في الذهن، والثاني يقاتل فيه الشياطين إذا هزموا في النوع الأول بالمناظر ويتراءون بأشكال قبيحة ومخيفة ويرعبون المتوحد بأصواتهم ومرات كثيرة بالضرب الشديد. لذلك قال أنبا بيمين إنه إن كنت قد عبرت قتال الأفكار ثم حاربوك بالمناظر والأصوات فلا تقُل لأحدٍ لئلاّ تفتخر بانتصارك فتجد الشياطين حجةً عليك في هذا الافتخار"(٧١٦).

وقال أيضا: "رأس كل الشرور هو الغفلة وطياشة الأفكار"(٧١٧).

كما قال أيضا: "بدء الشر هو السجس بالأخذ والعطاء"(٧١٨).

جاء أخ إلى أنبا بيمين وقال له: "تضايقني أفكار كثيرة، يا أبي، وتجعلني في خطر".

---

(٧١١) س ٩ رقم ٢٧٧ ص ٣٨٧؛ W.&W., II: 631 C;
(712) W.&W., I: 366; D. F., p. 142: س ٤ ص ١٤٩
(713) W. & W., I: 367.
(714) Apoph., Poemen, 68; W. & W., II: 368. وقد جاءت الجملة الأخيرة في هذا المرجع الأخير هكذا: "بالإضافة إلى جميع وصايا العهد القديم الأخرى".
(715) Apoph., Poemen, 139; W. & W., I: 369.
(٧١٦) س ٩ رقم ١٠٤ ص ١٨٣.
(717) Apoph., Poemen, 43; W. & W., I: 370.
(٧١٨) س ٤ ص ١٦٥.
(719) Apoph., Poemen, 28; W. & W., II: 66; D.F., p. 103: LV.

فاقتاده الشيخ إلى خارج القلاية وقال له: "وسع صدرك واقبض على الريح (بالتنفس)". فقال له الأخ: "لا أستطيع أن أفعل ذلك". فقال له الشيخ: "إن كنت لا تستطيع ذلك فلا يمكنك أيضا أن تمنع الأفكار من أن تأتي إليك، ولكن يمكنك أن تقاومها"[(٧١٩)].

سأل إخوةٌ شيخا: "سأل أخ أنبا بيمين: 'هل يقدر الإنسان أن يضبط أفكاره ولا يعطي شيئًا منها للعدو'؟ فقال لهم الشيخ: 'من الناس من لا يعطي للعدو ولا فكرا واحدا، ومنهم من يعطيه واحدا ويأخذ عشرة، ومنهم من يعطي عشرة ويأخذ واحدا، ومنهم من يعطي جميع أفكاره للعدو'. فما معنى ذلك"؟

فقال الشيخ: "إذا حرك الشيطان في الإنسان الكامل فكرا رديئًا فهو لساعته يزجره ويبعده كما قال أنبا زينون: 'إذا حرك فيك الشيطان ذكر امرأة فقُل: أُف لهذا الفكر، لن أجعله يبيت عندي'. والطوباوي مرقس الناسك قال: 'كما أنّ النار لا تبطئ في الماء، هكذا الأفكار الرديئة لا تثبت في قلوب محبي الله، لأن من يحب الله هو عدو للشهوات'. هذا النوع هو الذي قال عنه أنبا بيمين إن من الناس من لا يعطي للعدو ولا فكرا واحدا".

"والشبان الذين لم يكملوا بعد، إذا حرك فيهم الشيطان فكر شهوة قبيحة أو أحد الأوجاع ويتفاوضون قليلاً مع هذا الفكر، فهؤلاء لا زالوا في الدرجة الوسطى في القتال ولم يصلوا بعد إلى النقاوة، ولكن لأنهم مجاهدون وذهنهم صافٍ وعارف بالقتال فهم في الحال يذكرون الله وحبه ومخافته فيطرحون الفكر عاجلاً بعد أن يسروا به قليلاً ويوافقوا عليه، وهؤلاء هم المقصودون من أن البعض يعطي فكرا واحدا ويأخذ عشرة".

"المبتدئون الذين لم يتدربوا بعد على الجهاد الخفي في الأفكار، إذا حرك فيهم الشيطان فكر شهوةٍ فهم يتفاوضون معه كثيرا في قلوبهم، وأخيرا تبكّتهم ضمائرهم على توانيهم وقبولهم للأفكار فيطلبون معونة الله، وهؤلاء هم الذين يعطون للعدو عشرة أفكار ويأخذون واحدا".

"أما الأخ المتواني المنحلّ ففي كل وقتٍ يحرك فيه العدو الفكرة الرديئة يقبلها بفرحٍ ويتفاوض معها بلذةٍ ويطيعها تماما، وكثيرا ما يكملها بالفعل بلا حشمةٍ ولا خوفٍ. ومثل هذا النوع هو الذي يعطي أفكاره كلها للعدو. لذلك قال أنبا مرقس الناسك: 'إنّ من يتفاوض مع الأفكار الرديئة يتقلّب مثل عود محروق بالنار، ويوجد من لا يتوقف عن هذا التفاوض حتى يلتهب بفعل الخطية'"[(٧٢٠)].

(٧٢٠) س ٩ رقم ٨٤ ص ١٥٦.

قيل إنّ أخا كانت تهاجمه أفكار تجديف لدرجة أنه كان يخجل من ذكرها لأحد، وعندما كان يسمع عن شيوخ كبار كان يذهب إليهم ليخبرهم، ولكنه كلما كان يقابل أحدا منهم كان يخجل من أن يكلّمه في الأمر. وبعد أن ذهب للآباء مرات عديدة رآه مرةً أنبا بـيمين وأدرك اضطرابه بالأفكار وشعر بالأسى من جهته لأنه شعر أن الأخ لا يريد أن يكشف لـه الأمر، ولكنه انتهز فرصةً وقال له: "إنك جئت مرات عديدة لتخبرني عن الأفكار الـتي في ذهنك، ومع ذلك فقد كان من الصعب عليك أن تخبرني، فإلى متى تسير على هذا المنـوال وتظل متضايقًا من تلك الأفكار؟ أخبرني يا ابني عما يضايقك"! فأجابه الأخ: "ماذا أقـول لك يا أبي؟ إنني أصارع ضد شيطان التجديف على الله، وكثيرا ما حاولت أن أخبرك ولكنني كنت أشعر بالخجل". فلما علم الأب بيمين بالأمر ابتسم وقال له: "لا تتضايق من ذلك يا ابني، فقط عندما يأتيك هذا الفكر قُل له: 'ليس لي شأن بهذا الفكر لأن نفسي لا تريـده، فليكن هذا التجديف عليك أيها الشيطان لأن نفسي ترفضه'. نعم، لأن كل شيءٍ لا ترغبه النفس لا يبقى طويلاً". فلما سمع الأخ ذلك ذهب فرحا معافى[(٧٢١)].

قال أنبا بيمين: "إذا زارك أخ ثم تحققت أنك لم تنتفع من زيارته ففتش في قلبك لتعرف ماذا كنت تفكر فيه قبل زيارة هذا الأخ لك، وحينئذٍ ستفهم لماذا كانت زيارته لـك بـلا فائدة. إن فعلت ذلك باتضاع ومعرفة فستكون بلا لوم بخصوص أخيك أو جارك، حيـث إنك تحمل ضعفاتك ونقائصك. لأن الإنسان إذا جعل سكناه بمعرفةٍ فلن يسقط في خطيـةٍ لأنه يكون في حضرة الله، وأنا أرى أنه من ذلك يكتسب مخافة الله"[(٧٢٢)].

سأل إخوةٌ شيخا عن القول السابق، فقال الشيخ: "الإخوة يخسرون من بعضهم بعضا، فإذا كان اثنان أحدهما قد تكمل في الحب والاتضاع والآخر يعيش بانحلالٍ وتوانٍ، فـالأول يعتبر كل الناس أنقياء وقديسين كما هو مكتوب: «كل شيءٍ طاهر للطـاهرين» (تي١: ١٥)، وإذا دخل إليه الأخ الآخر فلا يخسر منه ولا يشك فيه ولو كان منحلا متوانيا. وحتى الذي لم يكمل بعد إذا كان يعيش في قلايته في ندامةٍ ودموعٍ وذهنه متيقّظ إذ يرى خطايـاه ويتفهم أوجاعه ويحرص على تكميل ذاته، فهذا إذا جاءه أخ لا يخسـر منه ولو كان منحلا متوانيا، لأن حفظه لذهنه وتذكره لخطاياه لا يجعله يرى نقص أخيه".

"أما الأخ الذي يعيش بانحلالٍ وتوانٍ ويفكر في نقائص الإخوة وقلبه خالٍ من الندامة والحزن على خطاياه، فكل أخ يأتي إليه يخسر منه سريعا ويشك في نقائصه ويلومـه في

(721) W.&W.,II: 59; Apoph., Poemen,93;X,63. (722) W.&W.,I: 458;Apoph.,Poemen, 175.

أفكاره، بل ربما يبكّته في وجهه بسبب كلمة صغيرة قالها ببساطة، وبعد أن يفارقه يظـل يفكر طويلاً في نقائصه ويدينه في قلبه معتبرا أنه خسر كثيرا من مجيئه إليه".

"لذلك يحذّرنا أنبا بيمين جدا ويوصينا أن نتذكر خطايانا كل وقـتٍ ولا ننظـر إلى نقائص إخوتنا حتى نمتلئ من الاتضاع الكامل والحب التام"(٧٢٣).

سأل أخ أنبا بيمين: "يا أبي، عندما يسكن أحد الإخوة معي فما الذي تريـدني أن أحترس منه"؟ فقال له: "ضع خطاياك في رأسك (أي في فكرك) واحترس منها"(٧٢٤).

وقال أيضا: "الإنسان لا يعلم شيئًا عن القوى الخارجة عنه، ولكن إذا قاومته الأفكار من داخله فعليه أن يحاربها، وإن كان مجاهدا فهو سيطردها من داخله"(٧٢٥).

قال أنبا بيمين: "أفكار الزنى وثلب الآخرين (أي دينونتهم) ينبغـي ألاّ يـتكلم عنـها الإنسان ولا يدخِلها في قلبه إطلاقًا ولا يميل إليها، وإذا أراد أن يفكّر فيها أو يقلبها في قلبـه فهو لن ينتفع بل بالحري يصيبه الضرر. فإذا وقفت ضد تلـك الأفكـار بحـزم سـتجد سلاما"(٧٢٦).

سأل أخ أنبا بيمين: "ماذا أفعل فإنّ الزنى والغضب يحاربانني"؟ فقال له الشيخ: "في هذا الأمر قال داود النبي: «سأطعن الأسد وسأقتل الدب» (أنظر١صم١٧: ٣٤-٣٧)، وهذا يعني: سأقطع عني الغضب وأسحق الزنى بالعمل الشاق (أي الجهاد)"(٧٢٧).

وقال أيضا: "إذا أخذ إنسان حيةً ووضعها في قارورةٍ وأغلقها فهي تموت، هكـذا الأفكار الرديئة إذا هاجمت الإنسان فإنّ الصبر والجهاد يهلكانها". **وقال أيضـا** بـنفس التشبيه: "من يضبط فمه تموت أفكاره"(٧٢٨).

الإفـــراز

قال أخ: "كنت قد ذهبت لأيامٍ كثيرةٍ عنـد الأب كرونيـوس الـذي في جبـل "باناهون"، وقد ألزمني بتوبةٍ عظيمةٍ وأوصاني قائلاً: 'لا تفتح بابك ما عدا يومي السبت والأحد'. ثم ذهبت للأب بيمين فحلني بعد التوبة وأمرني أن أفتح بابي، وقال لي: 'يقـال إنّ النعامة عندما تبيض في البرية يتتبعها الصيادون على أثر (جرة) مخالب أرجلها ويجدون

(٧٢٣) س ٩ رقم ١٣٢ ص ٢١٦.

(724) Eth. Coll. 13, 53.

(725) W. & W., II: 226; Apoph., Poemen, 199; S, 12.

(726) Ibid., II: 252; Ibid., 154; D. F., p. 152: III.

(727) Apoph., Poemen, 115.

(٧٢٨) س ٤ ورقة ١٦٠و ١٠٢.

(729) Eth. Coll., 13, 7.

بيضتها ويأخذو ا، لذلك راقب أعمالك التي تتممها لأجل الرب واحرسها حتى لا يضيع جهادك، ففي الحقيقة إنّ كل ما يفعله الإنسان في الخفاء هو الذي يحبه الرب، أليس جهاد الإنسان الداخلي هو الجهاد النقي؟ لأنه به يفوز الإنسان بالغلبة؛ ولكن نفسه تطمـح إلى ا د، وهذا هو مو ا. إنّ مخافة الرب والإفراز تزيلان كل نجاسة'"[٧٢٩].

سأل أخ أنبا بيمين: "في وقت احتياجي طلبت شيئًا من أحد الآباء فأعطاه لي هديةً، فإذا ساعدني الرب أيجب علي أن أُعطي هذا الشيء لآخرين أم أُعيده لمن أعطـاه لي"؟ فقال له الشيخ: "ما هو حق في عيني الله أن تعيده إليه لأنه يخصه". فقـال الأخ: "وإذا أعدته إليه وكان هو لا يريده بل قال لي: 'أعطه لمن تريد'، فماذا أفعل"؟ فقال له الشيخ: "هذا من شأنه هو، ولكن إذا أُعطي لك هذا الشيء دون أن تطلبه فهذا شأنك أنـت. فسواء كان هو راهبا أو علمانيا ولم تعد له حاجة إلى ما تطلبه منه ويعطيه لـك، فمـن حقك أن تعطيه بمعرفته هو وباسمه كهديةٍ لأحدٍ آخر"[٧٣٠].

قيل إنّ أنبا بيمين كان هو والإخوة يصنعون حبالاً، ولم يمكنهم أن يكملوا العمل لأنه لم يكن عندهم ما يشترون به كتانا. فأخبر أحد أصدقائهم تاجرا مؤمنا عن هذا الأمـر، ولكن الأب بيمين لم يكن يحب أن يأخذ صدقةً من أحد. وأراد التاجر أن يؤدي خدمـةً للشيخ، فتظاهر بأنه يحتاج إلى حبال وأحضر جملاً وأخذ الحبال ومضى.

ثم أخبر الإخوة أنبا بيمين بما فعله التاجر قائلين له بقصد أن يمدحوه: "حقًا يا أبانـا لقد أخذها رغم عدم احتياجه إليها لكي يخدمنا". فلما سمع أنبا بيمين أنه أخذها وهـو غير محتاج إليها قال لأحد الإخوة: "قم استأجر جملاً وأعِد لنا الحبال، وإن لم ترجعهـا فإنّ بيمين لن يسكن معكم بعد الآن، إنني لا أريد أن أظلم أحدا أو أُسيء إليه فيتكبـد خسارةً بسببي ويحرمني من أجري".

فمضى الأخ وأعاد الحبال بصعوبةٍ بالغةٍ، ولما رآها أنبا بيمين فرح كأنه وجد كـ ًا عظيما[٧٣١].

حدث أن آباء كثيرين ذهبوا إلى مـ ل أحد أحباء المسيح وكان معهم الأب بـيمين، فصنع لهم وليمةً وقدم لهم فيها لحما، فأكل كل واحد بعضا من اللحم مـا عـدا الأب بيمين. وكان الشيوخ يعرفون إفرازه وتعجبوا من أنه لم يأكل لحما. ولما خرجوا قالوا له:

(730) Apoph., Poemen, 104; W. & W., II: 406.
(731) Apoph., Poemen, 10; W. & W., II: 410. (732) Apoph., Poemen, 170. (733) S P,XVII, 9.

"أنت الأب بيمين ومع ذلك سلكت ذه الطريقة"!؟ فأجا م الشيخ: "اغفروا لي يـا آبائي، أنتم أكلتم ولم يتأثر بكم أحد، ولكن إذا أكلت أنا، فطالما أن إخوة كثيرين يأتون إلي ويتأثرون بسلوكي قائلين إنّ بيمين أكل لحما فلماذا لا نأكل نحن أيضا"؟ فتعجـب الآباء من إفرازه(٧٣٢).

المعيشـة المشـتركة

قال الأب بيمين: "بكل ما في إمكانك تجنب أن تؤذي أحدا واحفظ قلبك مع كـل واحد"(٧٣٣).

سأل أخ أنبا بيمين: "وجدت مكانا لا يتعوق فيه السلام من الإخوة، فهل تنصـحني أن أعيش فيه"؟ فقال له الشيخ: "المكان الذي يناسبك هو الذي لا تضايق أنت فيه أخاك"(٧٣٤).

سأل أخ (كان يعيش منفردا) أنبا بيمين: "أريد أن أدخل إلى كينوبيون (أي مجمـع شركة رهبانية) وأسكن فيه". فقال له الشيخ: "إن شئت سكنى الكينوبيون فإن لم تعتق نفسك من هم كل نقاشٍ (أو مواجهة مع الآخرين) وتبتعد عن بقية الأمور؛ فلا يمكنـك أن تسكن في الكينوبيون، لأنك هناك لن يكون لك سلطان إلاّ على عصاتك"(٧٣٥).

وقال أيضا: "في كل ما تفعله خذ لنفسك مشورةً لأنه مكتوب: «من الحماقة العمل بغير مشورة» (قارن أم١٥: ٢٢)، وإذا سألك أحد أجبه وإلاّ فالصمت أفضل"(٧٣٦).

وقال أيضا: "ما هي الضرورة لأن يتمم الإنسان أموره بالمكر (أو بالحيلة) ولا يتعلم أن يفعل ذلك باستقامة"(٧٣٧)؟!

سأل أخ أنبا بيمين: "ما هو الإيمان"؟ فقال الشيخ: "أن يعيش الإنسان دائما بمحبةٍ حانيةٍ وفي اتضاع وأن يعمل الخير لقريبه"(٧٣٨).

وطلب منه أخ آخر كلمةً ليحيا ا، فقال له الشيخ: "اعمل بيديك بكل قوتك وأعطِ صدقةً لأنه مكتوب: «الرحمة والإيمان يطهران من الخطايا» (أنظر أم١٦: ٦)". فقال الأخ: "ما هو الإيمان"؟ فقال الشيخ: "الإيمان هو أن تعيش باتضاع وتعطي صدقة"(٧٣٩).

---

(734) Apoph., Poemen, 159 ; W. & W., I: 429.
(735) Apoph., Poemen, 152; W. & W., I: 62; س ٤ ورقة ٧٥
(736) Eth. Pat., 350. (737) W. & W., II: 287. (738) D. F., p. 149: XVII.
(739) W. & W., II: 362; Apoph., Poemen, 69; س ٤ ورقة ٦٢
(740) Apoph., Poemen, 206; س ٤ ورقة ١٣٨ (741) W. & W., I: 306; Apoph., Poemen, 135.

الحرص والتيقظ وحرارة الروح

وسأله أخ: "كيف ينبغي أن يسلك الراهب الساكن في الكينوبيون"؟ فأجابه الشيخ: "الذي يسكن في الكينوبيون ينبغي أن يكون جميع الإخوة عنده واحـدا في المحبـة، وأن يحفظ لسانه وعينيه، وحينئذٍ يكون في راحة"(٧٤٠).

وقال أنبا بيمين مرات كثيرة: "لا نحتاج إلاّ إلى قلبٍ متيقّظٍ مجاهد"(٧٤١).

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القول السابق قائلين: "لماذا فضل أنبا بيمين القلب المتيقّظ المجاهد على جميع الفضائل"؟ **فأجاب الشيخ:** "تيقّظ العقل هو أم كل الفضائل، لأنه هو الصلاة الدائمة بلا فتور، وبه نطرد الأفكار والأوجاع، فـلا نخطـئ لا بالأعمـال ولا بالكلام ولا بالأفكار، وبسرعةٍ يتنقّى القلب ويصل إلى الكمال"(٧٤٢).

وسأل أخ آخر أنبا بيمين عن البلادة الروحية، فقال له الشيخ: "البلادة تأتي كلما بـدأ الإنسان في شيءٍ ينبع من هوى لا يوجد أسوأ منه، ولكنه إذا عرف سببه يجد سلاما"(٧٤٣).

طلب أخ من الأب بيمين أن يقول له كلمة، فقال له: "طالمـا أن آنيـة الطعـام موضوعة على النار فإنّ الذباب لا يمكنه أن يقترب منها، ولكنها بمجرد أن تـبرد فـإنّ الحشرات يمكنها أن تدخل إلى داخلها؛ هكذا الحال مع الراهب، فطالما يكـون نشـيطًا وحارا بالروح فالعدو والأفكار النجسة لا يمكنهما أن يقتربا إليه، أما إذا كان متغـافلاً فاترا فإنهما يجدان الفرصة للتغلب عليه"(٧٤٤).

كان أنبا إسحق جالسا يوما ما بجوار أنبا بيمين وسمع ديكًا يصيح، فقال لأنبا بيمين: "أتوجد مثل هذه الدواجن هنا يا أبي"؟ فأجابه القديس: "يا أبا إسحق، لماذا تضـطرني إلى الكلام؟ إن الذين مثلك فقط هم الذين يسمعون مثل هذه الأصوات، أما المتيقظـون المجاهدون فلا يبالون بمثل هذه الأمور"(٧٤٥).

وقال الأب بيمين: "إن شر الناس هو مخبأ وراء ظهورهم"(٧٤٦).

من هو الذي أكشف له قلبي

وقال أيضا: "لا تعطِ قلبك لمن لا يشبعه"(٧٤٧).

---

(٧٤٢) س ٩ رقم ٩٥ ص ١٧٣.

(743) Apoph., Poemen, 149.

(744) Apoph., Poemen,111; W.& W.,II: 338. (745) Apoph.,Poemen,107;W. & W., II: 166.

(746) Apoph., Poemen, 121. (747) Ibid., 80. (748) Ibid., 201.

وقال أيضا: ”لا تكشف ضميرك لأي إنسان لا تثق فيه في قلبك“[٧٤٨].

قال لي **الأخ** الذي كان يعمل ناسخا للأب سيرابيون: ”قال لي الشيخ (أنبا سيرابيون) إنّ أبا ألونيوس الذي من "تامرياس" عاش مع أبيه حتى رقد هذا الأب، وقبل رقاده كشف الرب بعض الأسرار لأبا ألونيوس وأظهر له علامات (أو آيات) عظيمة جدا، ولكنه لم يفهم ما رآه، فكشف أفكاره لأبيه، ولكن أبوه لم يفهم معنى هذا الأمر، ثم روى له الأمر مرةً أخرى ولكنه أيضا لم يفهم، ثم مرةً ثالثة ولكنه لم يستطع أن يفسر هذا الأمر“.

”ثم ذهب أبا ألونيوس إلى الأب بيمين وحدثه في هذا الأمر، فقال له: ’اذهب إلى الأب "سيمياس" وهو سيفسر لك موضوعك هذا‘. فقال له أبا ألونيوس: ’لماذا لا تفسره أنت لي‘؟ فقال له الأب بيمين: ’إنني سأفسره لك بسرور، ولكن مسكني قريب منك وربما تأتي أنت إلي كثيرا وهذا لا يكون مريحا لأبيك، ولكن اذهب إلى الأب سيمياس وهو سيكشف لك موضوعك‘“.

”فاتخذ أبا ألونيوس طريقه إلى الأب سيمياس حتى وصل إلى مقاطعة "أكسيفيتيس"، وكشف الرب الأمر كله للأب مينا الأسقف لأجل أبا ألونيوس، فركب الأب أنبا مينا زورقًا صغيرا لكي يعبر إلى الضفة المقابلة، ولما اقترب من الضفة الأخرى من النهر وهو لا يدري أنّ أبا ألونيوس هناك، ولم يكن يعرفه شخصيا، صاح مناديا: ’يا أبا ألونيوس الذي من تامرياس‘. فلما سمع أبا ألونيوس صوته ض، وحالما وصل الأب مينا بقاربه إلى الشاطئ قال له: ’هل أنت حقًا أبا ألونيوس الذي من تامرياس‘؟ فأجابه: ’نعم‘. فقال له الأب مينا: ’ألست أنت ذاهبا إلى الأب سيمياس‘؟ فأجاب: ’هذا حق‘. فقال له: ’نعم، إنك ذاهب إلى هناك بسبب الأسرار التي أظهرها لك الرب، لأنك رويت موضوعك لأبيك ولكنه لم يستطع أن يفسره، وهكذا مرةً ثانيةً وثالثةً ولم يستطع لأنه لم يكن كُفؤا لأن يشرحه لك. ثم ذهبت إلى الأب بيمين ولكنه لم يرغب أن يكشفه لك خوفًا من أن تذهب إليه كثيرا فأرسلك إلى أبا سيمياس، ولكنني أنا الآن هو المزمع أن أفسر لك الموضوع الذي أظهره لك الرب وكيفية إنجازه‘“.

”ولما رأى أبا ألونيوس أنه شرح له كل ما كان يطلبه قال: ’إذن فأنا لن أواصل مسيرتي إلى أبا سيمياس لأن كل ما كنت أطلبه أظهرته أنت لي‘. فقال الأب مينا: ’اذهب إلى الشيخ لأنك عندما تراه ستخلص نفسك‘. فذهب أبا ألونيوس إلى أبا

سيمياس ومكث بعض الوقت عنده، ثم قال له أبا سيمياس: 'قم اذهب لترى أبيك، وإذا سر بك عد مرةً أخرى'".

"وفي الحقيقة إنّ أبا سيمياس كان قد رأى بالروح الأب الروحي لأبا ألونيوس مريضا ومشرفًا على الموت. فأطاعه أبا ألونيوس وقام وذهب. ولما وصل إلى أبيه وجده مريضا مشرفًا على الموت، ثم رقد ودخل إلى راحته".

"فانظروا آيات الرب وأسراره التي يكشفها لخدامه الذين يطيعونه ويخافونه، إذن فطوبى للإنسان الذي يخاف الرب وللذين يرتعدون من صوته"[٧٤٩].

قال أبا دانيال[٧٥٠]: "ذهبنا يوما ما عند أنبا بيمين وأكلنا معه، وبعد أن أكلنا قال لنا: 'اذهبوا واستريحوا قليلاً يا إخوة'. فذهب الإخوة ليستريحوا قليلاً، ولكنني أردت أن أتكلم معه كلاما خصوصيا فذهبت إلى قلايته، فلما رآني آتيا تظاهر بأنه كان نائما، لأن هذه كانت عادة الشيخ أن يفعل كل شيء في الخفاء حتى لا يلاحظه أحد"[٧٥١].

قيل عن أنبا بيمين إنه في كل مرةٍ كان يذهب إلى ا مع لحضور الصلاة كان يجلس قبل ذهابه على انفراد لمدة ساعة يفحص فيها أفكاره ويدينها ثم يذهب[٧٥٢].

ذهب أبا أمون إلى أنبا بيمين وقال له: "إذا ذهبت إلى قلاية أحد الإخوة أو دعته الضرورة أن يأتي عندي نخاف أن نتحادث سويا لئلاّ ننحرف إلى أمورٍ غريبة". فقال الشيخ: "إنكما على صواب لأنّ الشبان[٧٥٣] تلزمهم اليقظة". فسأله أبا أمون: "كيف يتحادث الشيوخ"؟ فأجاب: "إن الشيوخ الذين تقدموا في الفضيلة قد تخطّـوا حدود اليقظة والانتباه، فضلاً عن أنه لا يوجد عندهم شيء غريب ليقولوه".

ثم سأله أيضا: "إن دعت الضرورة إلى التحدث مع أحد الإخوة فهل نتحدث من الأسفار الإلهية أم من أقوال الشيوخ"؟ فأجابه الشيخ: "إن لم تستطع أن تصمت فالأفضل أن تتكلم من أقوال الآباء أكثر من الأسفار الإلهية التي لا يخلو التحدث منها من خطر"[٧٥٤].

النسيان والتواني والشهوة

---

(749) Eth. Coll., 13, 39.

(٧٥٠) يبدو أنه هو الذي كان تلميذًا لأنبا أرسانيوس.

(751) Apoph., Poemen, 138;W. & W., I: 381.

(752) Apoph., Poemen, 32;W. & W., I: 273.

(٧٥٣) يرجح أنه طالما كان شابا فهو ليس أنبا أمون مؤسس رهبنة نتريا.

(754) Apoph., Amoun of Nitria, 2; W. & W., II: 515; ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء

قال أنبا بيمين: "إنّ للشيطان ثلاث خصال قوية تسبق كل خطية وهي: النسيان، والتواني، والشهوة؛ ومن الشهوة يسقط الإنسان. فإن انتبه العقل ولم ينس لا يصل إلى التواني، وإن هو لم يتوانَ لا يصل إلى الشهوة، وإن لم يشتهِ فلن يسقط بنعمة ربنا يسوع المسيح"[(٧٥٥)].

سأل إخوةٌ شيخا عن القول السابق، **فقال الشيخ:** "الحرب المحسوسة لها ترتيب وهو أن الجنود يرشقون الأعداء بالنشاب وبعد ذلك يتقاتل الفرسان بالسيوف، هكذا أيضا حرب الشياطين الخفية مع المتوحدين لها ترتيب، والشياطين في معاركهم لهم صنعة حتى لا يهزموا. فعندما يجاهد المتوحد في الصلاة وتذكار الله والفرح بمحبته والخوف من عقابه بلا فتور، ثم يريد الشيطان أن يبعده من الله فلا يبدأ بأن يحرك فيه الشهوة أو الغضب أو أي وجع لأنه يعلم أنه لا يقبل أيا منها لأنّ فكره متيقّظٌ ومستنير بتذكار الله، ويمكنه أن يصلي من أجل طرد أي فكر زرع فيه فيهرب الشيطان منه في الحال كأنه مكوي بالنار، كما قال أحد الشياطين لأنبا باخوميوس إنّ الذي أحاربه نشيطٌ جدا فإذا حركت فيه وجعا يصلي لأجله فأخرج من عنده وأنا محترق. كما أنّ شيطانا قال لشيطانٍ آخر: 'لماذا لا تحرك أفكارا رديئة في قلب فلان المتوحد'؟ فأجابه: 'حركت مرةً في قلبه وجعا قبيحا فصلى من أجله بدموعٍ فكسرني كسرةً شنيعة'"!

"فلأنّ الشياطين يعلمون أ م لا يقدرون أن يحركوا في المتوحد فكرا شريرا ما دام مثابرا على الصلاة، فهم يحتالون بأن يقطعوا من فكره الارتباط بالله وذلك بطغيان النسيان الذي يسميه أنبا بيمين "قوة الشيطان الأولى"، ثم يحركوا فيه ذكر الأشياء التي لا يظن أ ا خطية فيطيش عقل المتوحد ويصل إلى التواني في ذكر الله، وهو قوة الشيطان الثانية حيث يطيش بالأفكار الساذجة، وحينئذٍ بقوته الثالثة التي هي الشهوة يحرك في قلب المتوحد أفكاره القبيحة أو الشريرة مثل الغضب فيستعبده حيث إنّ عقله قد نسي ذكر الله".

"فإذا كان المتوحد ليست له خبرة بقتال الشياطين وتحركت فيه الخطية، فعليه قبل أن يجعل فكره يطيعها بالهذيذ في ذكرها أن يسـرع إلى ذكر الله، ويذكر العذاب المعد للخطاة، ويصلي بقلبٍ متوجعٍ فتأتيه المعونة من النعمة وتنصرف عنـه الأفكار ويخزى الشيطان. أما إذا كان كاملاً ولم يشعر بقتال الشيطان بقوتيه الأولى والثانية حتى تحركت فيه الشهوة، فحتى لو غلب الشيطان إلاّ أنّ دالّته عند الله تنقص لأنه غُلِب من طغيان

(755) W. & W., I: 248; N., 273; س ٤ ص ١٣٨

النسيان والتواني وأعطى موضعا (أو أفسح مجالاً) للقوة الثالثة التي هي حركة الشهوة، وهو بالصلاة والدموع تعود إليه دالته الأولى"[٧٥٦].

وقال أيضا: "كل شيء يزيد عن حد الاعتدال فهو من الشياطين"[٧٥٧].

قال أنبا بيمين لأبا أيوب: "«أردد عيناك لئلاّ تعاينا الأباطيل» (أنظر مز١١٩: ٣٧)، لأنّ التصريح للعين بالجولان يجلب الشهوة التي تهلك النفس"[٧٥٨].

الغضب الباطل

سأل أخ أنبا بيمين: "ما معنى قول الرب: «من يغضب على أخيه باطلاً» (مت٥: ٢٢)"؟ فأجابه: "كلما أخذ أخوك منك شيئًا أو ظلمك في شيءٍ وغضبت عليه بسببه فغضبك يكون باطلاً لأنك غضبت بسبب أمور باطلة، (وإذا اقتلع عينك اليمنى أو قطع يدك اليمنى وغضبت عليه يكون غضبك باطلاً)[٧٥٩]، أما إذا أراد أن يبعـدك عن الله خالقك فحينئذٍ اغضب لأن غضبك لا يكون باطلاً"[٧٦٠].

تجنـب منازعات العالـم

قال أنبا بيمين: "أبغض بشدة منازعات هذا العالم لأنه عظيم هو الخراب الذي تسببه"[٧٦١].

وقال أيضا: "النـزاع يزعج كل إنسان، وعندما يزدري الإنسان بحكم الرب فإنه يزعج الجميع كبارا وصغارا ليتكلم هو"[٧٦٢].

سأل أخ أنبا بيمين: "ماذا أفعل، لأن اضطرابا يأتي علي ويغمرني"؟ فقال له الشيخ: "إنّ العنف يقلب حياة كل من الصغار والكبار"[٧٦٣].

عـدم المحـاباة

قيل إنّ الوالي أراد مرةً أن يرى أنبا بيمين ولكن الشيخ رفض ذلك، فقبض الوالي على ابن أخته وحبسه كأنه فاعل شر قائلاً: "إذا جاء الشيخ وسألني بخصوصه سأطلقه". فجاءت أخته إليه وقرعت على بابه باكيةً، فلم يجبها البتة. فوبخته قائلةً: "يا قاسي القلب، يا حديدي الأحشاء ارحمني فإنه وحيدي وليس لي سواه"! فقال لها: "بيمين لم يلد أولادا". فانصرفت. وسمع الوالي بذلك فقال: "وإن سألني ولو بالكتابة فسأطلقه". ولكن

(٧٥٦) س ٩ رقم ٨٣ ص ١٥٢.
(757) W. & W.,II: 288; Apoph., Poemen, 129.
(758) W. & W., II: 203; Apoph., Poemen, 172.
(٧٥٩) هذه إضافة من المراجع الإنجليزية.
(760) Apoph., Poemen, 118; W. & W.,I: 233; س ٤ ورقة ٧٥
(761) Eth. Pat., 206.
(762) Eth. Coll., 13, 20.
(763) Apoph., Poemen, 179.

الأب بيمين أرسل للوالي قائلاً: "افحص قضية الشاب حسب القانون، فإن كان مستحقًا للعقوبة فليعاقَب وإلاّ فافعل كما ترى". فتعجب الوالي من فضيلته وأطلق سراح الشاب(٧٦٤).

حدث مرةً أنّ الوالي قبض على واحدٍ من بلدة أنبا بيمين الأصلية، فذهب كثيرون إلى الشيخ متوسلين إليه أن يتوسط في إطلاق سراحه، فقال لهم: "اتركوني ثلاثة أيام ثم أذهب". ثم صلى القديس للرب قائلاً: "لا تعطني يا رب هذه النعمة (أمام الوالي) وإلاّ فإ م لن يدعوني أمكث في هذا المكان". ثم ذهب الشيخ ليتشفع عند الوالي الذي أجابه: "هل تتشفع أيها الأب من أجل لص"؟ ففرح الشيخ لأنه لم يمنح هذه النعمة(٧٦٥).

الاحتراس من ا د الباطل

سأل أخ أنبا بيمين: "يا أبي، لماذا لا تظهر فضائلك وأعمالك الجذّابة منذ شبابك"؟ فنظر إليه بقلقٍ وفزع وقال له ثلاث مرات: "احترس، فإنك تتجاسر بعد ذلك وتقول لي إنني سأستطيع أن أكلم الإخوة من الأسفار المقدسة تماما كما كنت أنت تستشهد بأقوال الآباء، وبذلك فإنني أهدم مسكني لكي أبني مسكن أخي"(٧٦٦).

قال أنبا بيمين: "كلب حي له قيمة أكثر من أسدٍ ميت". فسأله أخ: "ما هو هذا يا أبي: كلب حي وأسد ميت"؟ فأجابه: "الكلب الحي هو الأخ الذي له سمعة رديئة ويقول عنه الإخوة الذين يرونه إنه رديء، أما في الحقيقة فإنّ أعماله جيدة وفائقة جدا في عيني الله. والأسد الميت هو الأخ الذي له سمعة حسنة بين الإخوة ولكن أعماله ميتة في داخله وعند الرب وهي باطلة بالكلية"(٧٦٧).

سكن أخ في **قلايةٍ** خارج قريته ولم يدخلها لعدة سنوات، وكان يقول للإخوة: "أنظروا كم سنة لم أذهب إلى القرية في حين أنكم تذهبون إليها كثيرا". فأخبروا أنبا بيمين بما يقوله هذا الأخ، فقال لهم: "لو كنت أنا هذا الأخ لكنت أذهب إلى القرية ليلاً وأسير فيها كلها حتى لا أسمح لفكري الذي يمدحني لعدم الذهاب أن يسبب لي ا د الباطل"(٧٦٨).

قيل عن شيخ في جزيرةٍ كان مثابرا على النسك، فظهر له الشيطان مرةً وقال له: "لماذا أنت هنا"؟ فأجاب: "لأجل سيدي يسوع المسيح"، ثم ظهر له مرةً أخرى علنا

(764) Ibid.,5 ;W. & W.,I: 265; س ٤ ورقة ٧٤ (765) Ibid., 9; W. & W., I: 550.
(766) Eth. Coll., 13,2. (767) Eth. Coll., 13, 10. (768) Apoph., Poemen, 110; W. & W., I: 289.

وقال: "لماذا أتيت إلى هنا"؟ فأجاب: "قلت لك إنّ هذا هو من أجل ربي يسوع المسيح". ثم ظهر له مرةً ثالثة وسأله نفس السؤال، فأجاب الشيخ بنفس الطريقة.

ثم إنّ الرب «الساكن في الأعالي والناظر إلى المتواضعين» (مز١١٣: ٥و٦) أرسل ملاكه وقال للشيخ: "قم، وأنا سأقودك إلى مسكن رجل حكيم لكي يزيل عنك هذه الشراك التي وضِعت لك دون أن تعلم".

وللحال نقله ووضعه بجوار قلاّية أنبا بيمين وتركه. فقرع الشيخ على الباب واستقبله أنبا بيمين بفرح وسأله عن حاله، فأخبره. وكان ملاك الرب قد قال لأنبا بيمين: "إنّ هذا سآتي به إليك لكي ترفع عنه الأشراك المنصوبة حوله، لأن المسيح الذي يحب بني البشر أراد ألاّ يتمكّن الشيطان من نصب شباكه عليه بعد".

فقال أنبا بيمين للشيخ: "إذا جاء إليك واضع الشباك حولك مرةً أخرى فقُل له: إنني هنا بسبب خطاياي". ثم أخذه الملاك في الحال وأعاده إلى الموضع الذي كان فيه وتركه. وبينما كان يمارس نسكياته جاء الشيطان وقال له: "لماذا أتيت إلى هنا"؟ فأجاب الشيخ: "بسبب خطاياي". حينئذٍ قال له: "حقًا إنّ الطائر كان على وشك أن يقع في المصيدة، ولكن هذا الشرير بيمين جعل له منفذًا للهروب". ثم تركه[(٧٦٩)].

العمـل بما نقولـه

قال أنبا بيمين: "علم قلبك أن يحفظ (أو يراعي) ما تعلمه بلسانك"[(٧٧٠)].

وقال أيضا: "إذا كان الإنسان يفهم شيئًا ولا يمارسه فكيف يمكنه أن يعلمه لقريبه"[(٧٧١)]؟

وقال أيضا: "الذي يعلم دون أن يعمل بما يعلم به يشـبه ينبوع ماء يروي الناس وينظّف ويغسل ولا يمكنه أن ينقّي نفسه"[(٧٧٢)].

سأل أخ أنبا بيمين: "من هو المرائي"؟ فقال له الشيخ: "المرائي هو من يعلم قريبـه شيئًا لا يجهد هو نفسه ليفعله. إنه مكتوب: «لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها ... يا مرائي، أخرج أولاً الخشبة من عينك حينئـذٍ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك» (مت٧: ٣-٥)"[(٧٧٣)].

---

(769) Eth. Ger., 214 (CSCO 477, Louvain, 1986, pp. 110 - 111). (770) Apoph., Poemen, 188; W. & W., I: 297, II: 143;١٤٥ س ٤ ورقة (771) Ibid., 197; Ibid., I: 173, 352.

(772) Ibid., 25; Ibid., II: 144. (773) Apoph., Poemen, 117 ; W. & W., II: 175.

(774) Apoph., Poemen, 127; W.& W., II: 286.

قال أنبا بيمين: "تعليم الإنسان لجاره هو لمن صار كاملاً خاليـا مـن الأوجـاع (الأهواء)، لأنه ما فائدة أن يبني الإنسان بيت الآخر في حين أنه يهدم بيته"(٧٧٤)؟

وكان يقول أيضا: "لقد اعتاد الناس أن يتكلموا عن الأمور الفاضلة الكاملة ولكنهم يفعلون الأمور الدنيئة"(٧٧٥).

وقال أيضا: "علم فمك أن يقول ما في قلبك"(٧٧٦).

سأل أخ أنبا بيمين: "بعض الإخوة يعيشون معي، أتريد مني أن أكون مسئولاً عنهم"؟ فقال له الشيخ: "لا، فقط اعمل أنت أولاً أمامهم، وهم إذا أرادوا أن يعيشوا مثلك فسيهتمون بذلك بأنفسهم". فقال له الأخ: "ولكنهم، يا أبي، هم أنفسهم يريدونني أن أكون مسئولاً عنهم". فقال له الشيخ: "لا، بل كن قدوةً لهم وليس مشرعا (أي واضع قوانين) لهم"(٧٧٧).

سأل شيخ أنبا بيمين: "ماذا أفعل، يا أبي، مع ابني إسحق الذي يسـمع كلامي ويطيعني بكل سرور"؟ فقال له الأب بيمين: "إذا أردت أن تكون سبب منفعة له فكن قدوة له بالأعمال لا بالكلام لئلاّ إذا رأى فيك كلاما فحسب لا ينتفع، أما إذا أظهرت له أعمالك فالأعمال نفسها ستبقى فيه وينتفع"(٧٧٨).

تشجيـع الخاطئ

قال أنبا بيمين: "إذا أخطأ إنسانٌ ولم ينكر ذلك بل قال: 'قد أخطأت'، فلا تعنفـه لئلاّ تحطم (أو تفسد) نية قلبه، بل بالحري قُل له: 'لا تحزن يا أخـي، ولكـن احتـرس لنفسك بعد ذلك'، فأنت بذلك تجعله يندفع بقلبه نحو التوبة"(٧٧٩).

قال أخ: "ذهبت يوما ما إلى الأب بيمين، وبينما كنت عنده جاء أخ وقال له: 'يا أبي أعني، لأنني في الحقيقة ذهبت إلى أبا "بيس" (أو "فيس")(٧٨٠) وقلت له: أعني لأنّ شهوة الزنى تضيق علي، فسخر مني وقال لي: لماذا تترك شهوة الزنى تتغلب عليك'؟ فقال أنبا بيمين للأخ: 'إنّ أبا فيس قد بلغ إلى قامة الرب ويعتقد أن كل الناس صاروا مثله لأنّ أعماله هي في السماء مع الملائكة، وهو لا يعلم أننا أنا وأنت مسكنا للزنى'.

أترون كيف أن الشيوخ كانوا يشددون عزائم الإخوة"؟(٧٨١).

تجنب الاهتمامات الذاتية والأهواء

(775)Ibid., 56; Ibid., II; 138. (776) Ibid.,63, 164. (777) Ibid., 174; W. & W., I: 457.
(778) Apoph., Poemen, II: 170. (779) D.F., p. 103: XLIV.
(٧٨٠) هذا الاسم مذكور في الأبجدي رقم ٦٢ بأنه "أبا إيبستون"، وفي المنهجي "أنيكيتوس".
(781) Eth. Coll., 14, 44; Apoph., Poemen, 62; W. & W., I: 581.
(782) Apoph., Poemen, 48;W. & W., II: 365.

قال أنبا بيمين: "حتى ولو صنع الإنسان سماءً جديدةً وأرضا جديدةً فلا يمكنه أن يكون حرا من أي اهتمام، لأن شر الشيطان مخفى وراء المخلوقات، ولكن الإنسان يمكنه أن يكون بلا هم بخصوص الطعام واللباس"(٧٨٢).

وقال أيضا: "إذا اعتاد الإنسان على تكميل مشيئته الذاتية وعلى الراحة فإ ما يقلبان حياته"(٧٨٣).

سأل أبا أبرآم - تلميذ أنبا أغاثون - الأب بيمين(٧٨٤) قائلاً: "كيف تحاربنا الشياطين"؟ فقال له أنبا بيمين: "الشياطين تحاربك؟ إ ا لا تحاربنا إطلاقًا طالما أننا نتمم مشيئتنا، لأن مشيئاتنا الذاتية (أو أهواءنا) إذا أكملناها تصير هي الشياطين، وهي التي اجمنا لكي نتممها. ولكن إذا أردت أن ترى من هم الذين تحار م الشياطين حقًا، فهم أنبا موسى (الأسود) ومن هم مثله".

حاشية (تعليق) في المخطوطة العربية: قال راهب: "رغم أن الشياطين يقاتلون كل إنسانٍ إلاّ أننا إذا صنعنا هوانا المخالف للوصايا فإن الحرب تزيد علينا بالإضافة إلى حروب الشياطين"(٧٨٥).

قال أنبا بيمين: "مشيئة الإنسان (أو إرادته الشريرة) هي سور من نحاس بينه وبين الله وحجر عثرة، ولكنه إذا تركها يقول لنفسه: «بإلهي تسورت أسوارا» (مز١٨: ٢٩)، لأن طريق الله هو بلا عيب. وإذا توافقت مشيئة الإنسان مع الحق فهو يستطيع أن يجاهد جهادا حقيقيا"(٧٨٦).

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق فقال: "كل طغيانٍ من الشياطين ومحبة الأوجاع (الأهواء) والشهوات سببها أن الراهب لا ينشط في كل وقت لعمل الفضيلة، ولكنه إذا تيقّظ في حب الله وأعمال البر وقطع من نفسه إرادة الشهوات وانعتق من الأهواء فهو يخلص من الشياطين ويفرح بالله. وذلك كما قال أنبا بيمين في موضعٍ آخر إنه إن كنا نشجع الميل الذي فينا لأن نكون عمالين، فعندما نشتهي أي نجاسة لا نجدها، لأن الذي يعيش في الهدوء مع الصوم والصلاة والسهر العمال يغلب إرادة الجسد، كما

---

(783) Apoph., Poemen, 83; W. & W., I: 371.

(٧٨٤) يذكر كتاب W. & W. أنّ أبا أبرآم سأل أنبا أغاثون، ولكن القول في الأبجدي يخص أنبا بيمين.

(785) Apoph., Poemen, 67; W. & W., II: 307; س ٤ ص ٤٢

(786) Ibid., 54 ; Ibid., II: 77.

(٧٨٧) س ٩ رقم ٢٠٣ ص ٣٠٧.

(788) Eth. Pat., 205.

أن الوديع المتضع والحقير في عيني نفسه يغلب الشياطين، والذي يصلي في كل حين يفرح بالله في كل وقت"[٧٨٧].

وقال أنبا بيمين: "إن كنت تحب ما لا يبلى فلا تبحث عما يبلى، وإن كنت تحب الحياة التي لا تنتهي فاذكر الموت كل يوم"[٧٨٨].

قال أخ لأنبا بيمين: "جسدي يضعف ولكن أوجاعي (أي شـهواتي وأهـوائي) لا تضعف". فقال له الشيخ: "الأوجاع هي مثل الأشواك"[٧٨٩].

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، **فقال الشيخ:** "هذا الأخ كان يريد أن يغصب نفسه في عمل الفضيلة، ولكن كثيرا ما كانت تخيفه أفكاره وتريه أوجاع الإخوة ومرض الشيوخ أنه من أعمال الفضيلة حدث لهم ذلك، وبسبب أنه لم يكشف أفكاره للآباء بل خاف من تلك الأعمال لذلك قويت عليه الأوجاع وأصابه المرض والضعف الشديد، فلما كشف لأنبا بيمين أمره قائلاً: 'إنّ خوفي من الأوجاع والأمراض جعلني أتوانى في الأعمال، والآن قد سقطت فيما خفت منه'. حينئذٍ أفهمه أنبا بيمين أن الأوجاع تلد الموت، كما أن الأشجار التي ثمر ا حلوة مثل النخل والتين وغيرها يخرج بعضها شوكًا مثل القرطب، هكذا الأعمال التي من أجل الله تعتق من أوجاع الخطية وتحرر، وهي تعطي نشاطًا للنفس والجسد. وأنت بسبب خوفك من الأوجاع ومحبتك للراحة أصابتك الآلام ولم تعتق من الأوجاع، فلو تعبت في الفضيلة لكنت قد تخلّصت من الأمراض وما كنت تسقط في الأوجاع الجسدانية كبقية الإخوة".

"إن الآباء إذا عملوا من أجل الفضيلة يكونون أصحاء في نفوسهم وأجسادهم، فلو حدث أنك سقطت في الأوجاع والأمراض بسبب الأعمال التي من أجل حب الله مثل بعض الآباء لكنت تحسب شهيدا من أجل أعمالك ونصرتك، وشهيدا من أجل صبرك وشكرك على أوجاعك وآلامك"[٧٩٠].

كان الأب بيمين يقول: "كل شيءٍ ينشأ من الأوجاع هو خطية"، كما كان يقول أيضا: "كل ممارسةٍ لمقدرةٍ من أجل الله هي اعتراف بفضله"[٧٩١].

وكان دائما يقول أيضا: "الأوجاع لها أربعة رؤوس". فسأله أحد الإخوة: "ومـا هي هذه الرؤوس الأربعة"؟ فأجاب الشيخ: "هي الحزن الدنيوي الذي ينشأ عن أمـور

---

(789) Apoph., Poemen,161; W. & W., I: 576.

(٧٩٠) س ٩ رقم ١٦٧ ص ٢٥٥.

(791) W. & W., II: 72.

(792) Ibid., 477.

دنيوية كثيرة، ومحبة المال، وا د الباطل، والزنى. وعلينا أن نكون يقظين جدا إزاء هـذه الأعداء الرئيسية قبل بقية الأوجاع والآلام والشهوات"[(٧٩٢)].

سأل أخ أنبا بيمين بخصوص أوجاع الجسد، فقال له الشيخ: "إ ا تشبه الذين كانوا يغنون بالمدائح لتمثال نبوخذ نصر، لأ م لو لم يعزفوا على الآلات الموسيقية له ـا س ـجد أحد للتمثال (دا ٣: ٥)، وهكذا العدو أيضا يغني للنفس بواسطة الشهوات وذلك حتى إنه ربما يستطيع أن يجعل النفس تخطئ بواسطة أوجاع (أهواء) الجسد"[(٧٩٣)].

كما أنّ أنبا بيمين كان يقول: "الإنسان دائما يزلّ بواسطة الشيء الذي لا يريد أن يقطعه من نفسه"[(٧٩٤)].

ذهب مرةً أبا إسحق إلى أنبا بيمين فرآه يغسل قدميه، وإذ كانت له حرية في الكلام معه قال له: "كيف أنه بينما يعامل الآباء أجسادهم بقسوةٍ بأعمال النسك الفائقة الصارمة فها أنت تغسل قدميك"؟ فقال له أنبا بيمين: "إننا لم نتعلّم أن نقتل الجسد بل أن نقتل الأوجاع"[(٧٩٥)].

قال أنبا بيمين: "الغضب شيء طبيعي في الإنسان ولكنه يجب أن يستخدم في قط ـع الأوجاع الشريرة. والجوع طبيعي في الإنسان ولكنه يجب أن يستعمل لسد حاجة الجسد وليس لإرضاء الشهوة الجامحة إلى الأكل، وذلك كم ـا ق ـال داود ال ـنبي الطوب ـاوي: «المستكبر بعينيه والمنتفخ القلب (غير القنوع أو الذي لا يشبع) لم أؤاكل ـه (لم آك ـل معه)» (مز١٠١: ٥ حسب الترجمة القبطية). والنوم أيضا من طبيعة الإنسان ولكن ـه لا ينبغي أن يدفعنا إلى إشباعه"[(٧٩٦)].

وقال أيضا: "إنّ قوة الله لا تسكن في إنسان مستعبد للأوجاع"[(٧٩٧)].

حدث أنّ أخا كان مجاورا لأنبا بيمين، ذهب مرةً إلى مكانٍ آخر حيث قابل أحد المتوحدين الذي كان ممتلئًا بالمودة وكثيرون كانوا يأتون إليه. وأخبره الأخ عن أنبا بيمين، فلما سمع المتوحد عن فضيلته أراد أن يراه. ثم بعد حين، بعد أن رجع الأخ إلى مصر (منف بالقرب من الجيزة الآن)[(٧٩٨)]، ذهب المتوحد لزيارة هذا الأخ الذي كان قد أخبره عن مكانه، ففرح الأخ لما رأى المتوحد الذي قال له: "اصنع معي محبةً واصطحبني إلى أنبا بيمين". فأخذه إلى الشيخ وعرفه به قائلاً: "هذا رجل عظيم وممتلئ بالمحبة وله شأنٌ

---

(793) Ibid., 577; N., 661. (794) W. &W., I: 43. (795) Apoph., Poemen, 184; W. & W., II: 165.
(796) W. & W., II: 479. (797) X, 79.
(٧٩٨) حيث إن أنبا بيمين سكن في البرية ا اورة لمنف بعد إحدى غارات البربر على شيهيت.

عظيم في المنطقة التي يسكن فيها، وقد كلمته عنك، وها هو قد جاء ليراك". فاستقبله أنبا بيمين بسرور، وحيا كلٌ منهما الآخر وجلسا.

ثم بدأ الضيف يتكلم من الأسفار المقدسة والأمور الروحانية والسماوية، ولكن أنبا بيمين أدار وجهه ولم يجب بشيء. فلما رأى أنه لم يتحدث معه خرج بحزنٍ عميقٍ وقال للأخ الذي جاء به: "لقد أتيت هذه المسافة الطويلة بلا طائل، لأنني أتيت لكي أرى الشيخ وهو لا يريد أن يتكلم معي". فدخل الأخ إلى أنبا بيمين وقال له: "يا أبي، إنّ هذا الرجل العظيم ذا الشهرة الواسعة في مكانه جاء إلى هنا من أجلك، فلماذا لم تتكلم معه"؟ فقال الشيخ: "إنه عظيم ويتكلم في أمور سماوية، وأنا حقير وأتكلم في أمور أرضية. لو كان قد تكلم عن أوجاع (أهواء) النفس لكنت أجبته، ولكنه يتكلم معي عن أمور روحانية لا أعرف عنها شيئًا". فخرج الأخ وقال للضيف: "إن الشيخ ليس مستعدا أن يتكلم عن الأسفار المقدسة، ولكن إذا استشاره أحد عن أوجاع النفس فهو يجيبه".

فندم الضيف ورجع إلى الشيخ وقال له: "ماذا أفعل أيها الأب لأن أوجاع النفس تسيطر علي"؟ فتحول الشيخ نحوه وأجابه بسرور: "الآن أنا أرحب بك، افتح فمك الآن بخصوص ذلك وأنا أملأه بأمور صالحة" ... وهكذا إذ انتفع الراهب جدا قال للشيخ: "حقًا إنّ هذا هو الطريق الصحيح". ثم رجع إلى مكانه شاكرا الله لأنه حسِب أهلاً أن يقابل قديسا عظيما كهذا[٧٩٩].

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القول السابق، ولماذا فعل أنبا بيمين ذلك، **فقال الشيخ:** "لقد كُتب بخصوص تعليم المتوحدين أنه لا ينبغي أن يتخلّوا عن معرفة الأوجاع والفضائل ويهتموا بالحديث عن الأسفار مثل المعلمين، أو أن يتكلموا عن المعرفة الروحانية مثل الشيوخ الكاملين، وذلك كما قال أنبا بيمين مرةً لأنبا أمون إنّ الحديث في كلام الآباء، أي في معرفة الأوجاع والفضائل، أفضل من الحديث في كلام الكتاب المقدس".

وقال هذا الشيخ أيضا: "ينبغي على الشبان أن يتحدثوا عن فعل الفضيلة، وينبغي على المتوحدين أن يحرصوا على معرفة الأوجاع والفضائل أكثر من كل شيء. قال الطوباوي يوحنا النبي[٨٠٠]: 'إن هذه المعرفة لا تساويها إحدى المعارف الأخرى: وهي أن يكون الإنسان قادرا على التخلص من الأوجاع الشريرة وينعتق منها. إنّ من يطرد من نفسه وجعا شريرا واحدا هو أفضل من أن يخرج شياطين كثيرة من الناس'".

---

(799) Apoph., Poemen, 8 ; W. & W., II: 158.

(٨٠٠) يقصد القديس يوحنا الأسيوطي الذي لُقب بالنبي لأنه نال موهبة التنبؤ.

وقال أيضا: "أي شيء أفضل وأقوى بالحقيقة من أن يكون الإنسان متفهما لأوجاعه الشريرة وأن يستعبدها تحت سلطان إرادته، وهكذا أيضا أفكار الشياطين لأجل طهارة الذهن، فهذه هي الحكمة الحقيقية التي يطو ا الله والتي وضعها في طبع البشر".

وقال أيضا: "أنا لم أجد أنه مكتوب: طوبى للحكماء في ا ادلة، بل «طوباهم الذين هم بلا عيبٍ في الطريق» (مز١١٩: ١)، فخير للإنسان قبل كل شيء أن يكون عنـده حرص من أوجاعه، وبعد أن تتنقّى نفسه منها يمكنه أن يجادل بكل حكمة. لذلك فإنّ الآباء لا يسمحون للشبان الذين لم يبلغوا بعد إلى التدبير بمعرفةٍ روحانيةٍ في الأعمال والجهاد ومعرفة الأوجاع والانتصار عليها بأن يتركوا خلاص نفوسهم ويهتموا بكتب ا ادلات والتفاسير ويحرمون أنفسهم من ذكر الله والاهتمام باستقامة سلوكهم في أعمال مخافة الله"(٨٠١).

سأل أخ شيخا(٨٠٢): "ماذا أفعل بخصوص الشيء الذي أحبه ولكنه ليس نافعا لي"؟ فقال له الشيخ: "لا تقترب منه ولا تلمسه، وهو من نفسه يصير شيئًا غريبا عنك، لأنّ داود النبي كتب ليوآب قائد الجيش قائلاً: «حارب بقوةٍ وشدد قتالك على المدينة التي تخضعها» (٢صم١١: ٢٥ حسب النص)، والمدينة هنا هي العداوة"(٨٠٣).

قال أنبا بيمين: "مكتوب: «كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله» (مز٤٢: ١)، ففي الحقيقة إنّ الإيل في البرية تبتلع أفاعي كثيرة وعندما يحرقها سم الأفاعي في داخلها تصرخ وهي تعدو مسرعةً إلى ينابيع المياه، وبمجرد أن تشرب فإنّ حرارة السم تبرد. وهذا هو الذي يحدث تماما مع الرهبان، فهم في البرية يصابون بنار سم وحسد الشياطين فيتطلعون إلى يومي السبت والأحد(٨٠٤) لكي يذهبوا إلى ينبوع المياه الحقيقي الذي هو جسد الرب ودمه لكي يتنقّوا من مرارة الشرير"(٨٠٥).

وقال أيضا: "لو لم يأتِ نبوزرادان قائد حراس ملك بابل(٨٠٦)، لما كان قد حرِق هيكل الرب (٢مل٢٥: ٨و٩)، وهذا معناه أنه لو لم تدخل إلى النفس مسرات شهوة البطن والتواني والجشع لما هزِمت الروح في حر ا مع العدو"(٨٠٧).

---

(٨٠١) س ٩ رقم ٢٣١ ص ٣٣٨ (للأربعة أقوال).

(٨٠٢) هو أنبا بيمين حسب الأبجدي رقم ١٩٣. وقد جاءت كلمة "عداوة" في الأبجدي "عدو الخير".

(803) W. & W., II: 366; Apoph., Poemen, 193.

(٨٠٤) هذا يؤيد كلام "كاسيان" أ م كانوا يقيمون القداس يومي السبت والأحد.

(805) Apoph., Poemen, 30; W. & W., II: 44; Ch., 189.

(٨٠٦) "رئيس الطباخين" حسب اليوناني.

(807) Apoph., Poemen, 16; W. & W., II: 305.

(808) Arm., II: 432.

سأل مرةً تلاميذ أنبا بيمين أباهم قائلين: "ماذا تراه فينا يا أبانا"؟ فقال لهم: "إنّ الشياطين يقاتلونني عيانا وليس في أفكاري، ولكنني عندما أكون مثلكم فهي اجمني في أفكاري. أما الآن فأنا مجرد من عافيتي لذلك فهي تحاربني علنا (على المكشوف)، وهي تتصرف بنفس الطريقة مع كل واحد"(٨٠٨).

قال أنبا بيمين: "إنّ أبا ثيئوناس قال: 'حتى ولو اكتسب الإنسان فضيلةً فإنّ الله لا يمنحه نعمةً لنفسه وحده'، وذلك لأنه كان يعلم عن نفسه أنه ليس أمينا في جهاده، ولكنه إذا ذهب إلى رفيقه فإنّ الله يكون معه (لأنه سيشاركه في هذه النعمة)"(٨٠٩).

سأل أحد الإخوة أنبا بيمين: "ماذا أفعل، يا أبي، عندما تثور في أفكار الزنى أو أية أوجاع شريرة أخرى مؤذية للنفس"؟ فقال له: "في أول مرة تأتي عليك اهرب، وفي المرة الثانية اهرب، أما في المرة الثالثة فقف في مواجهتها كسيفٍ حاد"(٨١٠).

سأل إخوةٌ شيخا عن معنى القول السابق، فقال لهم: "عندما يكون الراهب خارج ديره تحاربه ثلاثة قتالات: من الحواس ومن الشياطين ومن الأفكار، وإذا كان داخل قلايته يحاربه قتالان: من الشياطين ومن الأفكار. فإذا افتقدته النعمة يفرح برجائه ويحزن بسبب خطاياه، وإذا كان منحلا أو مرتخيا فإنه بقوة القتال في تلك الساعة تجعله آلام قلبه أو فرح رجائه ألاّ يقبل الفكرة المخادعة سواء كانت من الشياطين أو من الأفكار ولا يوافقها في اللذّة بل يطرحها بسرعة ويلقيها عن ذهنه أمام ربنا نادما عن نقصه. وإذا أظلم عقل الراهب بالكسل والملل والاسترخاء تبرد حرارته ويبطل منه الفرح والشعور بالألم والندامة".

"وتواجهه الصعوبة إذا قاتله العدو بأفكار الزنى، فيحتاج إلى أعمال الجسد وقتال الذهن، وحينئذٍ لا يرضى شيطان الزنى أن يبتعد لا بالانتهار ولا بالغضب، لأن نفس الأخ تكون فارغة في ذلك الوقت من آلام القلب وفرح الذهن، حيث يصير ضعيفًا مرتخيا من الكسل وانحلال الأعضاء والملل. وكان أنبا بيمين يعلم هذه التغيرات، لذلك قال لهذا الأخ: 'إذا تحرك فيك شيطان الزنى لا تكف عن القتال معه إما بالفرح بالرب أو بشوق الخيرات العتيدة أو بالخوف من حكم الله وعقابه أو بالندامة على خطاياك، بل عاجله ورد ذهنك بسرعة من النظر إليه واهتم بربح نفسك'. هذه هي الدفعة الأولى التي قال عنها: 'أهرب'".

"فإن عاد إليك فانتهره وسبح الله وهو يهرب منك في الحال وينصرف فكره من قلبك بمعونة الرب مخلصك، وهذه هي الدفعة الثانية. أما في المرة الثالثة فإذا تحركت فيك أفكار

(809) Apoph., Poemen, 151.

(810) Ibid., 140 ; W. & W., II: 253.

الزنى فقف ضدها بقوةٍ كالسيف لئلاّ يخطفك المخادع فتسقط، واحمِ نفسك بأن تقف وتسجد قدام الصليب، والطم نفسك بحرارةٍ قدام الرب، وحرك روحك بالتوسل بأصوات النوح، واشخص بذهنك في آلام المخلص، وقبل صليبه، واصرخ مع الطوباوي بولس قائلاً: «تفكّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومةً لنفسه مثل هذه لئلاّ تكلّوا وتخوروا في نفوسكم، لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية» (عب١٢: ٣و٤)".

"وإن تجاسر وعاد إليك فامكث قدام الصليب واتلُ المزامير التي توافق حالتك وتعطي لك حرارةً وفرحا، أو شجاعةً وندما، أو التي تقتني منها الندامة. ولا تعبر على كلمةٍ واحدةٍ دون أن تتبين فائدتها، وافعل ذلك بنشاطٍ ومعرفةٍ فتغلب شيطان الزنى وتقتني الطهارة ويضيء النور المقدس في قلبك وتفرح بالمسيح الذي له المجد"(٨١١).

سأل أبا أمون أنبا بيمين عن الأفكار النجسة التي تتولد في قلب الإنسان والميول الباطلة، فقال له: "هل يقطع الفأس بدون إنسان يقطع به (إش١٠: ١٥)؟ فأنت لا تستخدم هذه الأفكار وهي تصير لا تأثير لها عليك"(٨١٢).

وسأله أيضا أبا إشعياء عن نفس الموضوع فأجابه: "إنّ هذا يشبه صندوقًا مملوءًا بالملابس، فإن تركتها فيه ولم تستعملها لمدةٍ طويلةٍ تتلف من الحشرات، هكذا أيضا الأفكار إن لم تستعملها جسدانيا فإنها مع الوقت تتلف وتنحلّ"(٨١٣).

وسأله أبا يوسف أيضا نفس السؤال فأجابه: "إذا وضع إنسانٌ حيةً أو عقربا في قارورة وأغلق عليها فهي مع طول الوقت تموت، هكذا الأفكار الرديئة التي يعرضها علينا الشيطان فهي بالصبر والجهاد تهلك"(٨١٤).

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القولين السابقين قائلين: "هل إذا لم يكمل الإنسان الأفكار النجسة تبطُل"؟ **فقال الشيخ:** "إنه يقصد ليس أن لا يتممها بجسده فحسب، بل أيضا أن لا يتناقش معها، لأن أنبا بيمين يعلم أن الأفكار لا تكمل بالفعل إلاّ بالتفاوض معها وطاعتها، فإذا ترك الإنسان السبب والعلّة المؤدية إلى الفعل فهو ينعتق من الأفكار ويغلبها، وهكذا بعد زمنٍ من الجهاد يتنقّى قلبه ويستنير ذهنه ويخلص من الأوجاع ويفرح بالله"(٨١٥).

---

(٨١١) س ٩ رقم ١٧٤ ص ٢٦٥.

(812) Apoph., Poemen, 15; W. & W., I: 255, 538; س ٤ ص ١٠٨

(813) Apoph.,Poemen, 20; W. & W., II: 161; Eth. Coll., 14, 47; س ٤ ص ١٠٨

(814) Apoph., Poemen, 21; » »., II: 162; س ٤ ورقة ١٠٨و١٦٠

(٨١٥) س ٩ رقم ٢٣٦ ص ٣٤٦.

(816) W. & W., I: 603.

سأل أبا أمون الذي من "رايثو" أنبا بيمين عن الأفكار النجسة والشهوات الباطلة التي اجم الإنسان، فقال له أنبا بيمين: "من اختصاص الشيطان أن يزرعها فينا، أما عملنا نحن فهو أن لا نقبلها"[٨١٦].

وقال أيضا: "جيد للإنسان أن يكون مبتعدا عن تجربة الجسد والأشياء المحسوسة، لأنّ القريب من تجربة الجسد يشبه من هو واقف على حافة هوة عميقة، وفي أي وقتٍ يريد عدوه يمكنه أن يلقيه فيها بسهولة. ولكنه إذا كان بعيدا عن هذه التجربة فهو يشبه إنسانا بعيدا عن الهوة، وحتى إذا أراد عدوه أن يلقيه فيها لا يمكنه ذلك لبعدها عنه، فبينما هو يغريه ويجره إليها فإنّ الله الرحوم يرسل له معونة"[٨١٧].

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القول السابق، **فقال الشيخ:** "حروب كثيرةٌ وصعبةٌ تأتي على المتوحدين ومحبي الهدوء، ولكن أصعبها هو قتال الزنى الذي يأتي على الآباء قبل أن تتكمل حيا م كما حدث مع الأب "باخون" لمدة اثنتي عشرة سنة، والذي زاره بالليديوس عندما كان (بالليديوس) محاربا بالزنى لدرجة أنه كان على وشك أن يترك البرية إلى العالم[٨١٨]، ولكنه تعلم أنه - كمتوحدٍ - لا ينبغي عليه أثناء محاربة الزنى له أن يدخل المدن أو القرى البتة ولا يتكلم مع نساء ولا يبصرهن بالجملة وإلاّ فهو يسقط سريعا حتى لو كان متيقظًا ونشيطًا. وروى له الأب "باخون" ما حدث معه من حرب الزنى وكيف أنه فضل أن يموت بواسطة الوحوش من أن يخضع لشهوة الجسد. وقال له إنّ دواء هذه الحرب هو الهدوء والصلاة والدموع وتعزية كلام الآباء، وأنه إذا كان الآباء الأقوياء يحتاجون إلى هذه الأعمال والتحفظ والبعد عن النساء في وقت محاربة الزنى لهم فكم بالحري المبتدئون والشبان الضعفاء"[٨١٩]؟!

---

(817) W. & W., I: 364; Apoph., Poemen, 59; ١٦٥ س ٤ ورقة

(٨١٨) ذكر بالليديوس فعلاً هذه القصة في تاريخه اللوزياكي فصل ٢٣ حيث قال إنه كان مضطربا من حرب الزنى في أفكاره ارا وفي أحلامه ليلاً، ثم زار هذا الأب "باخون" في الأسقيط - وكان عمره نحو ستين سنة - وشعر بنسكه وقداسته فكشف له حالته، فشجعه القديس بقوله: "لا ت عج من ذلك لأن حرب النجاسة تأتي بثلاث طرق: إما من الجسد أو من الأفكار أو من الشيطان، وهذه هي خبرتي. لقد حربت أنا لمدة أربعين سنة، وبعد أن بلغت الخمسين من عمري حاربني الشيطان لمدة ١٢ سنة لم يتركني فيها ارا أو ليلاً، وخفت لئلاّ يكون الله قد تخلى عني، ولكنني فضلت أن أموت من أن أخضع لشهوة الجسد، فذهبت إلى مغارة ضبع وانتظرت فيها لعل هذا الوحش يلتهمني، ولكنه جاء هو وأنثاه ولعقا جسمي ولم يمساني بأذى، فشعرت أن الله أنقذني".

"ثم حاربني الشيطان بطريقة أشد، فخرجت في البرية وأخذت حيةً ووضعتها على جسمي لعلها تلدغني فأموت، فلم تفعل شيئًا! ثم سمعت صوتاً في داخلي يقول: 'لقد سمحت أنا لك ذه الحرب حتى لا تظن في نفسك أنك صرت قويا، بل بالحري تعرف ضعفك ولا تثق في نفسك بل تسرع في طلب المعونة من الله'. ورجعت إلى قلايتي وأنا أشعر براحةٍ عميقةٍ، وبعد ذلك لم أعِر هذه الحرب اهتماما، وهكذا كف الشيطان عن الاقتراب مني".

(٨١٩) س ٩ رقم ١٠٣ ص ١٨١.

(820) W. & W., I: 277; ٩٥ س ٤ ورقة

(821) Apoph., Poemen, 176; ٤٢ س ٤ ورقة

وقال أيضا: "لا تكن لك معاملات أيا كانت مع صبي، ولا حديث مع امرأةٍ، ولا تبغض إنسانا". كما قال أيضا: "لا تصادق رئيسا لئلاّ عندما ترى تصرفاته تفعل مثلها"[٨٢٠].

وقال أيضا: "أي راهب يسكن معه صبي وينفعل بسببه بأي وجـع مـن أوجـاع الإنسان العتيق ومع ذلك يحتفظ به معه؛ فهو يشبه من عنده حقل يأكله الدود"[٨٢١].

سأل إخوةٌ شيخا: "قال أنبا بيمين: 'إن كان أحد يسكن مع صبي فلا يقدر أن يحفظ أفكاره'، وقال أنبا قاريون: 'إنّ الذي يسكن مع صبي فحتى لو كان قويا ولا يسقط أو يرجع إلى الوراء فهو لا يتقدم في الفضيلة'. فما هو سبب ذلك"؟ **أجاب الشيخ:** "لأن للصبية صفتين: منظر جميل مثل النساء يحرك الشهوة، وحدة حركة الطبع والمزاج الذي يحرك الغضب. فالإخوة المنحلّون يكون الصبي لهم سبب عثرة، والشيوخ المتحفّظون يكون لهم سببا للحرب. وذلك كما حدث مع القديس أبراهام الذي لما وجد في أحد الأديرة صبيا رفض أن يبيت فيه، فقالوا له: 'وأنت أيضا تخاف يا أبانا'؟ فأجا م: 'في الحقيقة إنني لا أخاف، ولكن ماذا أنتفع من القتال الباطل'؟! كما أن أنبا إشعياء لما ذهب إليه شاب صغير ليترهب ولم يقبله قال: 'في أيامي لن أسمح لصبيان أن يسكنوا مع رهبان لأ م يشبهون النساء فيسببون قتالاً صعبا من الشياطين على القديسين'".

"بل إنّ القديس باسيليوس وضع تحفّظات على قبول الصبيان في الرهبنة، وكتب إلى أخيه القديس غريغوريوس يقول: 'إنّ الصبا يحتاج إلى الحذر وحكمتك تشهد بذلك، لأنّ الحرارة الطبيعية التي في الصبيان تقفز خلف الأوجاع كل حين، أما إذا غُرست فيهم الأعمال الإلهية فمع أ م يميلون إلى الشرور أكثر من الشيوخ فهم يصيرون مستعدين للخير طالما أنّ الطهارة والصوم والنسك تغرس في طبيعتهم ذات الشهوات المتقلبة'"[٨٢٢].

كان أنبا بيمين يقول: "إذا سكن رجلٌ مع شاب، فمهما احترس من الأفكار فهو يوجد وسيلةً للخطية، لأنّ معاشرة الشباب مفسِدةً فاحذرها"[٨٢٣].

وقال أيضا ردا على سؤال عن حرب الزنى: "إذا ضبط الراهب بطنه ولسانه وعاش كغريبٍ، فثق أنه يصير راهبا حقيقيا وأنه لن يهلك"[٨٢٤].

---

(٨٢٢) س٩ رقم ٩٣ ص ١٧٠.
(٨٢٥) س٩ رقم ١٦٨ ص ٢٥٧.

(823) W. & W., I: 292; س ٤ ورقة ١٤٧
(824) W. & W., I: 581; Apoph., Poemen, 62.
(826) Apoph., Poemen, 14; W. & W., I: 565.

سأل إخوةٌ شيخا عن القول السابق قائلين: "إنّ البطن واللسان معروفين، ولكن ما هي الغربة"؟ **فقال الشيخ:** "الغربة هي أن يحرص الإنسان في كل مكانٍ سواء في بلده أو في الغربة من أن يكون معروفًا أو محسوبا عند الناس، وأن لا يفكر في نقص إخوته، ولا يدين أو يلوم الإخوة الذين معه أو الأشياء التي في ديره، وأن يكون منجمعا إلى نفسه قنوعا، يهتم ويحرص على استقامة ذاته، ويبكي بسبب خطاياه، ويتألم من أجل أوجاعه ويعمل على شفاء نفسه من الجروح"(٨٢٥).

قال أنبا بيمين: "كما أن حارس الملك يقف دائما بجانبه ليحرسه، هكذا أيضا النفس عليها دائما أن تقف حارسةً ضد شيطان الزنى"(٨٢٦).

وقال أيضا: "اجعل ميل الشهوة بدون تأثير بواسطة ذكر الله وأنت تجد راحة"(٨٢٧).

عندما صار أحد الآباء راهبا كان بتولاً، ولم يكن حتى يعلم أنه يوجد زنى بين بني البشر. وبينما هو في قلايته بدأ الشياطين يثيرون فيه وجع الزنى، وإذ رفع عينيه رأى الشياطين يدورون حوله ولو م أسود كالإثيوبيين وهم يغرونه أن يخضع للشهوة، فوقف للحال وصلى قائلاً: "يا رب أعني"! ولما قال ذلك سقط في الحال حجر من السطح وسمع مثل صوتٍ حلو، ويبدو أنه شعر بمتعة قصيرة من أفكار الزنى. فذهب إلى أحد الشيوخ وروى له الأمر، فقال له الشيخ: "لا أعرف معنى ذلك"، ثم أرسله إلى أنبا بيمين فروى له الأخ هذا الأمر، فقال له الشيخ: "الحجر الذي رأيته يسقط هو المفتري (الشيطان)، والصوت الذي سمعته هو الشهوة، فانتبه لنفسك، وقدم التوسلات لله، وها أنت ستعتق من هذه الحرب".

وعلمه أنبا بيمين كيف يواجه الشياطين، وإذ صلى عليه صرفه فذهب الأخ إلى قلايته وقدم توسلاته إلى الله فمنحه الله أن يبلغ إلى تلك الموهبة: أنه عندما انتقل من العالم كان مسرورا لأنه قد كُشف له أن نفسه صارت مرضية عند الله(٨٢٨).

سأل أخ أنبا بيمين بخصوص الزنى، فقال له الشيخ: "فياضةٌ هي معونات الله التي تحيط بالإنسان، ولكننا لا نسمح لعيوننا أن تراها"(٨٢٩).

سئل أنبا بيمين بخصوص النجاسات فأجاب: "إن كنا نشطين ومتيقظين جدا فلن نجد نجاسات في داخلنا"(٨٣٠).

---

(827) W. & W., II: 223. (828) Ibid., I: 579; N., 426. (829) V, 10.
(830) Apoph., Poemen, 165; W. & W., II: 194. (831) Eth. Coll., 14, 24.

وسأله أخ: "هل يحاربكم الزنى، يا أبي، أنتم الشيوخ أيضا مثلنا نحن اليوم"؟ فقال له أنبا بيمين: "نعم يا ابني، إلاّ أنّ الجوع والعطش لا يسمحان لنا أن نفكر في الزنى، فنحن نراقب الشمس حتى لحظة غروبها لكي نأكل خبزنا القليل ونشرب نصيبنا الصغير من الماء. إننا في زماننا كنا لا نكف عن أن نأكل عسلاً بدلاً من الخبز وشراب (أو شهد) العسل بدلاً من الماء، لأن إماتة الذات تغير الخبز في أفواهنا إلى عسل والماء إلى شهد عسل. ومع أننا لم نكن نقتل الجسد فقد كنا نجبره إلى الدرجة التي تكفينا، كما أننا ما كنا نخضِع الجسد إلى درجةٍ زائدةٍ عن الحد بل إلى قياس الدرجة المضبوطة التي من الرب"[(٨٣١)].

❑☯✣☯❑

بالتوبة تغفَر الخطية في الحال

وسأله أخ آخر: "أنا خاطئ فماذا أفعل"؟ فقال له: "مكتوب: «خطيتي أمامي كل حين» (مز٥١: ٣)، وأيضا: «أخبر بإثمي وأغتم من خطيتي» (مز٣٨: ١٨)، وأيضا: «قلت أعترف للرب بإثمي وأنت غفرت لي نفاق قلبي» (مز٣٢: ٥ حسب السبعينية)"[(٨٣٢)].

وسأله أحد الإخوة أيضا: "يا أبي، إذا سقط إنسانٌ في خطيةٍ ورجع أيغفر الله له"؟ فقال له الشيخ: "إذا كان الله قد أوصى الناس أن يفعلوا ذلك أما يفعل هو أكثر من ذلك؟ أليس هو الذي لما سأله بطرس: «كم مرة يخطئ إلي أخي وأغفر له، هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات» (مت١٨: ٢١و٢٢)"[(٨٣٣)]؟

قال أخ لأنبا بيمـيـن: "عندما أسقط في أي خطيةٍ يوبخني ضميري قائلاً: لماذا سقطت"؟ فقال له الشيخ: "في أي وقتٍ يسقط الإنسان في أي ضعفٍ أو جهالةٍ إذا قال: 'قد أخطأت' ففي الحال يقبله الله"[(٨٣٤)].

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القول السابق فقال: "في المعمودية تغفر الخطايا السابقة عليها، أما التي بعدها فتغفر بالأسرار المقدسة، أما الخطايا الكبيرة الملومة التي قال بولس الرسول إنّ فاعليها لا يدخلون الملكوت فهذه تغفر بعد إتمام القوانين التي توضع على الخاطئ من مدبريه حيث يلبس المسوح ويفرش الرماد تحته ثم يتناول الأسرار المقدسة ونفسه مملوءة ندامةً على جهالته".

---

(832) Apoph., Poemen, 153; س ٤ ص ١٠٢

(833) Ibid., 86; س ٢ ص ٢٠٩

(834) Apoph., Poemen, 99; W. & W., II: 251.

(٨٣٥) س ٩ رقم ١٨٣ ص ٢٨٠.

"والذي يزل في قلايته - بسبب صعوبة حروب الشياطين والأوجاع - في أي جهالةٍ كانت، فبعد أن يتألم ويحزن ويصلي ويتلو المزامير المخصصة لذلك ويهيئ نفسه باحتراسٍ لنوال الأسرار المقدسة ويؤمن بدون شك؛ فهو يستحق غفران خطاياه".

"أما الوجع الذي يبطئ لزمانٍ طويلٍ ويتسلّط على الذهن بإرادةٍ منحلّةٍ، فهذا يحتاج إلى تعبٍ كثيرٍ بالجسد والذهن والألم والندامة والجهاد والصلاة الدائمة، وحينئذٍ ينال الإنسان الغلبة على هذا الوجع بأخذ جسد ودم ربنا ومخلّصنا ومحيينا"[٨٣٥].

قال أنبا بيمين: "إذا أخطأ إنسانٌ وكف عن الخطية يكون كمن لم يخطئ، وإذا أنت وبخته فارفع من مستوى رجائه. أما إذا قلت له: 'لا تكن حزينا بسبب ذلك واحرص منذ الآن ألاّ تخطئ'، فأنت تقوده إلى التوبة وتربح نفسه"[٨٣٦].

وقال أيضا: "إذا لم تكن للأعمال صلة بالصلاة فإنّ المصلي يتعب باطلاً"، فسأله أخ: "ما هي المساواة بين الأعمال والصلاة"؟ فقال له الشيخ: "الذي يصلّي لينال غفران خطاياه يجب عليه ألاّ يكون مقصرا، لأنه إذا تخلى الإنسان عن مشيئته يكون مقبولاً عند الله"[٨٣٧].

قال أبا إسحق تلميذ الأب "بيس" (أو "فيس"): "قال لي أخ إنّ أنبا بيمين قال: 'إنك ستقابل كثيرين في مشقّاتٍ إذ يصومون ستة أيام متواصلة أو أربعة أيام أو يومين، وهم يعطون صدقات كثيرة ويحبون الإخوة؛ ولكنك لن تجد كثيرين يحفظون التوبة في داخلهم'. فسأله الأخ: 'ما هو القلب التائب'؟ فأجابه أنبا بيمين: 'إنه الإنسان الذي يتخلى عن رأيه ويخضع للكل من أجل الرب'"[٨٣٨].

سئل أنبا بيمين: "ما هي التوبة"؟ فقال: "التوبة هي الإقلاع عن الخطية وعدم تكرار فعلها، ولهذا السبب دعي الصديقون: "الذين لا عيب فيهم" لأ م أقلعوا عن الخطية فصاروا أبرارا"[٨٣٩].

قال أنبا بيمين: "أنا أُفضل إنسانا يخطئ ويندم ويتوب مقرا بخطئه على إنسان يعمل الصلاح ولا يخطئ ولا يتوب، لأن الأول يشعر أنه خاطئ فيتضع بروحه، في حين أن الثاني يشعر أنه بار فيتكبر"[٨٤٠].

(836) Eth. Ger., 108.
(837) W. & W., II: 123.
(838) Eth. Coll., 13, 24.
(839) Apoph., Poemen, 120; W. & W., II: 475; س ٤ ورقة ١١١
(840) (W. & W., I: 609; X, 52; س ٢ ص ٢٠٩
(841) Eth. Coll., 14, 46.

وقال أيضا: "روى شيوخ الأسقيط أنّ شابا حسن المنظر في الإسكندرية كان مشوها ومقلوبا إلى امرأةٍ عاهرةٍ، وكان يظل جالسا عند باب بيته مثل امرأةٍ زانية. وبعد أيامٍ كثيرة توسل إلى رئيس الأساقفة القديس أثناسيوس قائلاً: 'عمدني لكي أصير مؤمنا'. فقال له القديس: 'اذهب وتوسل إلى الناس لكي يصلوا من أجلك'. وبعد أن واظب مثابرا على التوسل إلى الناس، توسلوا هم إلى الأب أثناسيوس أن يعمده، وقد سمعنا أنه لما أدخله في جرن المعمودية استرد الشاب أعضاءه التي كانت مقطوعة، فاستولت الدهشة على الناس كلهم".

وقال لي أحد الإخوة: "عندما روى لي أنبا بيمين هذه القصة قال لي ثلاث مرات القول الآتي: 'ماذا تكون الخطية أمام التوبة؟! والتوبة لها فاعلية في عدم ارتكاب الخطية فيما بعد'. ألا ترى مقدار تحنن الرب"[٨٤١]؟!

قال الأب تيموثاوس الكاهن لأنبا بيمين: "توجد امرأة في مصر (منف بجوار القاهرة الآن) تعيش في الزنى وتتصدق بأجورها". فقال أنبا بيمين: "إ ا لن تستمر في خطية الزنى لأن ثمرة الإيمان واضحة فيها". ثم حدث أنّ والدة الأب تيموثاوس الكاهن جاءت لتراه فسألها: "ألا تزال تلك المرأة تعيش في الزنى"؟ فأجابت: "نعم، وقد أكثرت من عدد عشاقها، ولكنها أيضا أكثرت من صدقا ا". فأخبر الأب تيموثاوس الأب بيمين بذلك فقال أيضا: "إ ا لن تستمر في الزنى".

ثم جاءت والدة الأب تيموثاوس مرةً أخرى وقالت له: "أتعلم؟ إنّ تلك الخاطئة أرادت أن تأتي معي لكي تصلي عليها". فلما سمع ذلك أخبر أنبا بيمين الذي قال له: "اذهب وقابلها". فلما رأته المرأة وسمعت منه كلمة الله امتلأت بالندم وقالت له وهي باكية: "منذ اليوم سألتصق بالله وأصمم على عدم ارتكاب الزنى مرةً أخرى". ثم إ ا في الحال دخلت ديرا وصارت مرضيةً عند الله[٨٤٢].

أخبر أخ أنبا بيمين عن تجربةٍ شديدةٍ جاءت عليه، فقال له: "ابتعد من هنا مسافةً كبيرةً بقدر ما يمكنك حيث تطوف لمدة ثلاثة أيام وتقضي سنةً كاملةً تصوم فيها كل يوم حتى المساء". فقال له الأخ: "وإذا مت قبل أن أتمم ذلك فماذا يحدث"؟ قال له الشيخ: "لي ثقةٌ في المسيح أنك إذا تركتني وأنت عازم أن تفعل هكذا ثم تموت قبل أن تبدأ فإنّ الله سيقبل توبتك"[٨٤٣].

---

(842) Apoph., Tim., 1. (843) QRT, 16. (844) Apoph., Poemen, 69.
(845) Ibid., 39. (846) Ibid., 192; N., 10. (847) Ibid., 70; W. & W., I: 436; س ٢ ص ٢٠٧

طلب أخ من أنبا بيمين قائلاً: "قل لي كلمة"، فقال له: "لقد وضع الآباء الندامة كبدايةٍ لكل عمل"[844].

قال أنبا بيمين: "للندامة جانبان: فهي عمل صالح وهي حماية جيدة"[845].

وقال أيضا: "هذا الصوت يصرخ للإنسان حتى آخر نسمة: **[تغير اليوم]**"[846].

محبـ ـة الخاطئ

قال أخ للأب بيمين: "إن رأيت أخا سمعت عنه أنه خاطئ أشعر بعدم رغبةٍ في أن أُدخِله قلايتي، وإن رأيت أخا صالحًا أشعر بسعادةٍ في وجودي معه". فقال له الشيخ: "إن صنعت خيرا قليلاً مع الأخ الصالح فاصنع ضعفه مع الخاطئ لأنه هو الأخ المريض المحتاج إلى معونة"[847].

قال أنبا بيمين: "كان راهب في مجمع اسمه تيموثاوس يعيش حياة تأمل في صمت. وحدث أن حلّت تجربة على أخ في هذا المجمع، فسأل أب الدير أبا تيموثاوس بخصوصه فنصحه أن يطرده. فلما طرده حلّت تجربة هذا الأخ على أبا تيموثاوس لدرجة أنه صار في خطر، فصرخ إلى الله قائلاً: 'أخطأت يا ربي، فارحمني واغفر لي'، وقضى الليل كله في قبر صارخا للرب لكي يغفر له، وظلّ يعاني من التجربة حتى أُنهكت قواه، ثم سمع صوتا يقول له: 'يا تيموثاوس، إنّ السبب الوحيد لهذا الذي حدث لك هو أنك احتقرت أخاك في وقت تجربته'"[848].

حدث أنّ أخا في **ديرٍ أخطأ،** وكان في تلك المنطقة متوحد لم يخرج من قلايته زمنا طويلاً، فذهب إليه أب الدير وأخبره عن هذا الأخ فقال له: "أُطرده"، ولما طُرِد ذهب إلى مغارةٍ وظلّ يبكي هناك حتى سمعه بعض الإخوة كانوا ذاهبين إلى أنبا بيمين، فدخلوا ووجدوه في حالة بؤسٍ شديدة، فدعوه ليذهب معهم إلى الأب بيمين ولكنه رفض قائلاً: "سأموت هنا". ولما وصلوا إلى الشيخ أخبروه عن الأخ، فحثهم أن يذهبوا إليه ويقولوا له إنّ الأب بيمين أرسلنا إليك طالبا إياك، فذهب معهم، ولما رأى الشيخ أنه في محنةٍ صعبةٍ احتضنه وأكرمه وقدم له طعاما.

ثم أرسل الأب بيمين أحد الإخوة إلى المتوحد قائلاً: "منذ عدة سنوات اشتقت أن أراك إذ سمعت عنك، ولكننا لم نتقابل حتى الآن بسبب إهمالنا. أما الآن فإذا شاء الله وتوفر لديك وقت أرجو أن تكلف نفسك وتأتي لنرى بعضنا بعضا". ورغم أنّ هذا المتوحد لم يترك قلايته إطلاقًا إلاّ أنه لما سمع ذلك قال: "لو لم يكن الله قد أوحى للشيخ

---

(848) Apoph., Poemen, 70; W. & W., II: 358.

لما أرسل ليستدعيني". فذهب إليه وقبلا بعضهما بعضا وجلسا. ثم قال له الأب بيمين: "اثنان كانا يقيمان في مكانٍ واحدٍ، وحدث أن كلا منهما مات أحد أقربائه، فترك أحدهما ميته وذهب ليبكي على ميت الآخر". فلما سمع المتوحد ذلك امتلأ بالندامة وتذكّر ما فعله وقال: "يا أبا بيمين، لقد ارتفعت أنت إلى السماء أما أنا فقد تدنيت إلى أعماق الأرض"[٨٤٩].

قال أنبا بيمين: "إذا أخطأ إنسانٌ وأنكر أنه أخطأ فلا تعنفه لئلاّ تثبط همّته (تيئسه)، بل قُل له: 'لا تضعف همتك أيها الأخ بل كن يقظًا منذ الآن'، وأنت بذلك تحث نفسه على التوبة"[٨٥٠].

قيل عن أنبا بيمين إنه سكن في الأسقيط مع اثنين من إخوته (حسب الجسد)، وكان أصغرهما سبب إزعاج لهما، فقال أنبا بيمين للأخ الآخر: "هذا الأخ يسبب لنا تعبا، هلم نذهب من هنا". فغادرا المكان وتركاه. ولما وجد أ ما لم يرجعا مدةً طويلةً تحقّق أ ما ذهبا بعيدا، فركض خلفهما صائحا. فقال أنبا بيمين: "فلننتظر أخانا لأنه قد صار مجهدا". فلما وصل إليهما انحنى أمامهما قائلاً: "أين أنتما ذاهبان؟ هل تتركانني وحدي"؟ فقال له الشيخ: "ذلك لأنك سبب تعب لنا". فقال لهما: "نعم، نعم فلنذهب معا حيثما تريدان". فلما رأى الشيخ أنه لا يضمر سوء نية قال لأخيه: "هلم نرجع يا أخي لأنه لا يفعل شيئًا بقصد، ولكن الشيطان هو الذي يعمل". وهكذا عاد الجميع إلى مسكنهم مرةً أخرى[٨٥١].

قيل إنّ كاهن بيلوزيوم[٨٥٢] سمع عن بعض الإخوة (الرهبان) أ م بطّالون وكسالى ويذهبون إلى المدينة كثيرا وهناك يستحمون، وأ م مهملون في واجبا م الرهبانية. فلما جاءوا إلى ا مع نزع عنهم زيهم الرهباني، ولكنه تأسف بعد ذلك وندم، ولما أقلقته أفكاره ذهب إلى أنبا بيمين وأخبره بكل شيء. فقال له الشيخ: "ألا يوجد فيك أحيانا بعض الشيء من الإنسان العتيق"؟ فقال الكاهن: "نعم، أنا لي نصيب من الإنسان العتيق". فقال له الشيخ: "ها أنت مثل الإخوة تماما، فإذا كان عندك ولو جزء بسيط من الإنسان العتيق فأنت إذًا خاضع للخطية مثلهم"!

فذهب الكاهن واستدعى الإخوة وتأسف لهم وألبسهم الزي الرهباني مرةً أخرى وأطلقهم[٨٥٣].

إحتمال الضعفاء

(849) Apoph., Poemen, 6; W. & W., I: 326. (850) Apoph., Poemen, 23; W. & W., I: 608.
(851) Apoph., Poemen, 180. (٨٥٢) بالقرب من بورسعيد الآن واسمها "بالوظة".
(853) Apoph., Poemen, 11; W. & W., II: 391. (854) Apoph., Poemen, 22; W. & W., II: 74.

جاء أخ إلى أنبا بيمين وقال له: "إنني أزرع حقلاً وما أحصده منه أوزعه في عمل المحبة". فقال له الشيخ: "هذا حسن، تقو يا ابني". فمضى الأخ فرحا وزاد من عمل المحبة. ولما سمع أبا أنوب ذلك قال لأبا بيمين: "ألا تخاف الله حتى قلت ذلك للأخ"؟ فظلّ الشيخ صامتا. وبعد يومين استدعى أنبا بيمين هذا الأخ، وفي حضرة أبا أنوب قال له: "ماذا سألتني في ذلك اليوم لأنني لم أكن منتبها"؟ فقال الأخ: "قلت إنني أزرع حقلاً وأوزع ما أكسبه في عمل المحبة". فقال له الشيخ: "لقد ظننت أنك كنت تتكلم عن أخيك الذي في العالم، أما إذا كنت أنت الذي تفعل ذلك فيلزمني أن أقول لك إنه ليس من عمل الرهبان". فحزن الأخ من هذا الكلام وقال: "إنني لا أعرف عملاً آخر سوى الزراعة"!

فلما مضى الأخ تأسف أبا أنوب وقال لأبا بيمين: "اغفر لي". فقال الأب بيمين: "كنت أعلم من البداية أنّ هذا العمل ليس للراهب، ولكنني كيفت نفسي حسب أفكاره وشجعته لكي أزيد من عمل محبته ولكي يرتبط معنا بالحب، أما الآن فقد مضى حزينا، ومع ذلك فهو سيستمر في عمله هذا"[(٨٥٤)]!

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص هذا القول، **فقال الشيخ:** "أنبا بيمين يعرف أنواع تدابير الرهبنة أ ا ثلاثة: المكوث في الهدوء، والمريض الشاكر، وطاعة الأب. وأنه مع اختلاف هذه السير فجزاء كل منها واحد. وقد علم بالروح أن هذا الأخ المزارع لا يستطيع المكوث في الهدوء ولا هو مريض، فأراد له أن يعمل في ما يريده لأنه كان رجلاً ريفيا قويا وقد ترك العالم من أجل الله وجاء إلى الرهبنة، فلذلك قال له ذلك. أما أبا أنوب فلم يكن يعلم سر أمره، فلما علم بموهبة الحكمة التي نالها أخوه وأنه يقول لكل واحدٍ ما فيه ربح له استغفر منه وفرح ومجد الله"[(٨٥٥)].

كان يقال عن أنبا بيمين إنه عندما يدعى للأكل عند أي واحدٍ في وقتٍ غير عـادي كان يذهب والدموع تنهمر من عينيه، وذلك حتى لا يرفض أن يطيع الأخ أو يضـايقه، فهو بذلك كان يتخلى عن مشيئته ويضع ذاته ويذهب إلى الأخ[(٨٥٦)].

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القول السابق، **فأجا م الشيخ:** "إنّ الآباء الذين تكملوا في الفضيلة واجتازوا زمان الحرص الذي للمبتدئين صار لهم تدبير الحرية الذي يتقلّبون عليه كل حين كما حدث مع الرسول بولس، فهم لا يتضررون إن أكلوا أو لم يأكلوا، فإذا استوجب الأمر أن يأكلوا في الصوم باكرا فهم يفعلون كما فعل أنبا شيشوي مع الأسقف الذي زاره، وكما شرب أنبا بفنوتيوس كأس خمرٍ مع زعيم اللصوص، وكما

(٨٥٥) س ٩ رقم ٢٠٥ ص ٣١٠.

(856) Apoph., Poemen, 17; W. & W., I: 411.

أكل القديس إبراهيم المتوحد لحما وشرب خمرا في فندق الزناة لكي يخلص ابنة أخيه[٨٥٧]، ولكن ذلك كان في زمانٍ استطاع فيه الآباء أن يحصلوا على موهبة الإفراز، لذلك كان من الصعب عليهم جدا أن يكسروا صومهم، كما قال أنبا "سيريس": 'إذا خرجت من قلايتك فلا تحل قانونك بانحلالٍ مثل الصبية'. كما أن أنبا شيشوي لما وضع لنفسه قانونا أن يصوم ويأكل كل يومين ثم اضطر أن يذهب إلى الإخوة في اليوم الأول لم يحلّ قانونه ولم يأكل معهم. وهكذا فعل الكثير من الآباء".

"ولأن أنبا بيمين كان أبا ومرشدا لكثيرين فهو كان يتنسك ليس لأجل نفسه فحسب بل وأيضا من أجل الذين كانوا يكشفون له أفكارهم، وكان يتعب من أجلهم بناموس الحب الروحاني، فإذا طلب منه أخ أن يذهب معه إلى قلايته كان يفرح ويحزن، فيفرح لأنه سيضع نفسه ويحتقر ذاته بذهابه معه ليريح نفسه ويجعله يتشبه به في اتضاعه، وكان يحزن لعدم رغبته في أن يحل نسكه ويكسر صومه، ولما كان الشياطين يحاربونه في هذا الأمر كان يبطل حر م بصلاةٍ سريةٍ مصحوبة بتوجع ودموع حتى يقطع هواه من أجل حب الله والإخوة"[٨٥٨].

الاهتمام باحتياجات الآخرين

قال أخ لأنبا بيمين: "عندما أعطي لأخي خبزا أو أي شيءٍ توهمني الشياطين بأن هذه العطايا دنسة لأ ا لغرض إرضاء الناس". فقال له الشيخ: "حتى ولو كانت لإرضاء الناس فيجب أن تعطي الأخ ما يحتاجه". ثم ذكر له المثل الآتي: "اثنان من الفلاحين في بلدٍ واحدٍ، زرع أحدهما وحصد محصولاً قليلاً وضعيفًا، في حين أن الآخر لم يكلف نفسه أن يزرع شيئًا فلم يحصد شيئًا، فإذا أتت عليهم مجاعة فمن منهما سيجد شيئًا يعيش منه"؟ أجاب الأخ: "الذي حصد محصولاً قليلاً ضعيفًا". فقال له الشيخ: "هكذا أيضا نحن، نزرع حنطةً قليلةً وضعيفةً حتى لا نموت من الجوع"[٨٥٩].

قال الأب بيمين: "أنا أقول لكم لماذا توجد مصاعب في حياتنا، ذلك لأننا لا تم بأخينا الذي أوصانا الإنجيل أن نقبله، ألا نذكر بالحري المرأة الكنعانية التي تبعت الرب صارخةً ومتوسلةً من أجل شفاء ابنتها والرب سمع لها وأعطاها سلاما (مت١٥: ٢٢)"[٨٦٠]؟

(٨٥٧) كان هذا القديس في بلاد فارس نواحي مدينة الرها (إديسا)، وهذه القصة مذكورة بالكامل في كتاب: The Desert Fathers, p. 189

(٨٥٨) س ٩ رقم ١٢٧ ص ٢٠٨.

(859) Apoph., Poemen, 51; W. & W., II: 377.

(860) Apoph., Poemen, 204.

(861) Apoph., Poemen, 109; W. & W., I: 439; Ch., 97.

جاء إلى أنبا بيمين علمانيٌ تقي، وكان عند الشيخ إخوةٌ آخرون يطلبون أن يسمعوا منه كلمةً، فقال الشيخ للعلماني: "قُل كلمة للإخوة". فقال: "اغفر لي يا أبي من فضلك لأنني أنا أيضا أتيت لأتعلّم". ولكن الأب أصر واستحثه أن يتكلم، ولما زاد ضغطه عليه قال: "أنا علماني أبيع خضروات، ولأنني لا أعرف أن أتكلم من الأسفار المقدسة فأنا أقول لكم مثلاً: إنسان له ثلاثة أصدقاء، فقال لأحدهم: 'أريد أن أقابل الإمبراطور فتعالَ معي'. فقال له: 'سأذهب معك إلى منتصف الطريق'. ثم قال للثاني: 'تعال معي لمقابلة الإمبراطور'، فأجاب: 'سأذهب معك حتى القصر ولكنني لا أستطيع أن أدخل'. ثم طلب نفس الشيء من صديقه الثالث فأجاب: 'سأذهب معك وأدخل معك القصر بل وأقف معك أمام الإمبراطور وأكلمه نيابةً عنك'".

فسأله الإخوة عن معنى هذا المثل، فقال لهم: "الصديق الأول هو الزهد الذي يقود الإنسان حتى منتصف الطريق، والثاني هو العفة والطهارة التي تأخذه إلى السماء، أما الصديق الثالث فهو الرحمة التي تحضره أمام الله ملكنا وتتكلّم نيابةً عنه بدالةٍ عظيمة". فانصرف الإخوة منتفعين(٨٦١).

سأل إخوةٌ شيخا: "كيف علم ذلك العلماني أن الرحمة أفضل من الطهارة والطهارة أعلى من النسك؟ ومن أين علم أنبا بيمين بما سيقوله للإخوة حتى طلب منه أن يقول كلمة منفعة"؟ **فأجاب الشيخ:** "هذا العلماني علم من الناموس الطبيعي في داخله أن الرحمة أفضل من جميع الأعمال والفضائل لأ ا من أعمال الباري سبحانه وتعالى كما قال: «كونوا رحماء كما أن أباكم أيضا رحيم» (لو٦: ٣٦)، وكان يعلم أن النسك في الطعام يسكن أعضاء الجسد وينير حواس النفس ويحرسها بالطهارة، لأنّ هذا الرجل كان فاضلاً والله أعطاه حكمة. وقد علم أنبا بيمين بحكمته إما بإعلانٍ إلهي أو من تجربته معه قبل ذلك"(٨٦٢).

كان أنبا بيمين يقول: "الذي يتعب ويحتفظ بنتيجة تعبه لنفسه يجعل سعيه باطلاً بطلانا مضاعفًا"(٨٦٣).

سأل أخ أنبا بيمين: "كيف يمكن أن يعيش الإنسان في سلامٍ مع الأخ الساكن معه"؟ فقال له الشيخ: "إن كان الإنسان يعين رفيقه يمكنه أن يسكن ليس مع إنسانٍ فحسب بل مع الوحوش"(٨٦٤).

---

(٨٦٢) س ٩ رقم ١٢٤ ص ٢٠٦.

(863) W. & W., I: 175.

(864) Eth. Coll., 14, 2.

(٨٦٥) بسبب إحدى غارات البربر على البراري التي تكررت كثيرا في ذلك الزمان.

قبل مجيء أنبا بيمين وجماعته (أي تلاميذه) إلى مصر (قرب القاهرة الآن)[٨٦٥] كان هناك شيخ له سمعة وشهرة عظيمة بسبب ما له من معرفةٍ وكرامة. ولما جاء أنبا بيمين وجماعته من الأسقيط إلى هناك ترك الناس الشيخ وظلوا يذهبون إلى أنبا بيمين، فامتلأ الشيخ من الحسد. أما الأب بيمين فلما سمع بذلك حزن وقال لتلاميذه: "ماذا نفعل لهذا الشيخ، لأنّ الناس يحزنونه بتركهم له ومجيئهم إلينا مع أننا لا شيء؟ فكيف نريحه إذن"؟ ثم قال للإخوة: "أعِدوا قليلاً من الطعام، ولنأخذ معنا زق خمر ونذهب ونأكل معه، لعلنا بذلك يمكننا أن نطيب خاطره". فأخذوا الطعام وذهبوا إليه.

ولما قرعوا الباب سألهم تلميذه: "من أنتم"؟ فأجابوا: "أخبر الأب أنه بيمين وأنه يريد أن يتبارك منك". فلما أخبر الشيخ قال له: "اصرفهم وقُل لهم إنني ليس عندي وقت". فأخبرهم بذلك، ولكنهم رغم الحر الشديد أصروا قائلين: "لن نرحل إن لم نبصر الشيخ ونأخذ بركته". فلما رأى الشيخ اتضاعهم وصبرهم ندم وفتح لهم بابه. وبينما كانوا يأكلون قال لهم: "حقًا إنّ ما سمعته عنكم ليس حقيقيا فحسب بل إنّ ما أراه فيكم الآن هو أعظم مما سمعته مائة ضعف". ومنذ ذلك اليوم صار لهم صديقًا[٨٦٦].

قال الأب بيمين: "إذا كان الإنسان ميتا عن خطاياه فهو في الحقيقة ميت عن العالم كله حيث إنه لا يمكنه أن ينسى يوما ما في حياته العلاقة الطيبة التي بينه وبين أخيه"[٨٦٧].

تجنب الاختلاط الكثير مع الناس

وقال أيضا: "من يلتمس الألفة مع الناس فقط يبتعد عن الألفة مع الله، وهو بذلك لن يكون مرضيا عند الكل، ففي الحقيقة إنه مكتوب: «ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنا» (لو٦: ٢٦)"[٨٦٨].

وقال أيضا: "من يكثِر الاختلاط بالناس لا يمكنه أن ينجو من النميمة"[٨٦٩].

السلوك بتدقيـق

كان أحد الرهبان يذهب أحيانا ليبيع عمل يديه في السوق، فجاء مرةً إلى أنبا بيمين يسأله عن كيفية سلوكه، فقال له: "تصادق مع من يحاول أن يتنمر (يتشطّر) عليك، ولا تبِع شيئًا بأكثر مما يستحق، وإياك أن تربح بخسارة الغير"[٨٧٠].

---

(866) Apoph., Poemen, 4; W. & W., I: 555; D F., p. 141: XCIII.

(867) Eth. Coll., 13, 45. (868) J., 671. (٨٦٩) س ٤ ورقة ١٠٢.

(870) Apoph., Poemen, 163; W. & W., I: 475.

(871) Apoph., Poemen, 64; W. & W., II: 357; س ٤ ورقة ١٤٩ (872) Ibid., 156; Ibid., I: 539.

وسأله أخ آخر: "إذا رأيت أخا يخطئ أمن الصواب أن أستر عليه"؟ فقال له الشيخ: "الوقت الذي نغطي فيه سقطة أخينا يغطي الله سقطاتنا، وحالما نظهر سقطة أخينا يظهر الله سقطاتنا"[٨٧١].

سأل أبا "بيتيميوس" أنبا بيمين: "إذا كان واحد غاضبا مني وطلبت منه المغفرة ولم يقتنع فماذا أفعل"؟ فقال له الشيخ: "خذ معك اثنين من الإخوة واطلبوا منه المغفرة، وإن لم يقتنع فخذ معك خمسة، وإن ظلّ غير مقتنع فخذ معك كاهنا، وإذا ظلّ مع ذلك غير قانع فصل لله بلا هم حتى يقنعه الله نفسه، ولا تم ذا الأمر"[٨٧٢].

الاتضـــاع

قال أنبا بيمين: "إذا قلّلت من شأن نفسك يكون لك سلام أينما عشت"[٨٧٣].

وقال أيضا: "كما أن الأرض لا تسقط لأ ا سفلية، هكذا من وضع ذاته لا يسقط أبدا"[٨٧٤].

سأل أخ أنبا بيمين بخصوص حرب الزنى، فقال له: "سببها هو أننا لا نسمح لعيوننا أن ترى معونة الله المحيطة بنا. إنّ الإنسان يحتاج إلى مخافة الله والاتضاع مثل احتياجه إلى النسمة التي يتنفس ا"[٨٧٥].

قال الأب بيمين: "يوجد من يضرب الشجرة لمدة طويلة دون أن يقدر على قطعها، ويوجد من يضر ا ثلاث مرات فقط ويقطعها. إنّ اتضاع الروح ومخافة الرب والحزن، هذه هي الثلاثة التي ينبغي اقتناؤها لقطع الشجرة"[٨٧٦].

وقال أيضا: "إنّ الأرض التي أوصانا الله أن نفلحها هي اتضاع القلب"[٨٧٧].

وقال أيضا: "تحتاج الحياة في الدير إلى ثلاثة أمور: الأول هو الاتضاع، والثاني هـو الطاعة، والثالث الذي يفتح ا ال لهما ويشبه المنخاس هو أعمال الدير"[٨٧٨].

وقال أيضا: "لا تتمم مشيئتك، بل أنت تحتاج بالحري أن تضع (أي تحقر) نفسـك أمام أخيك"[٨٧٩].

(873) Apoph., Poemen, 81; W. & W., I: 42. (874) W. & W., I: 525;١١٤ س ٤ ورقة ٩٥ و

(٨٧٥) مما يدل على أن مخافة الله والاتضاع لهما علاقة بالانتصار على حرب الزنى. (س ٤ ص ١٥٩؛ Apoph., Poemen, 49; W. & W., II: 398)

(876) Eth. Coll., 14, 11. (877) J., 688 ; N., 656; Ch., 110. (878) Apoph., Poemen, 103.

(879) Ibid., 158. (880) PE., II: 15, 12; IV, 35. (881) Eth. Coll., 14, 60.

(٨٨٢) س ٤ ص ١٠٢.

وقال أيضا: "النفس لا تكون متضعة في شيء إذا لم تقنن لها خبزها، أي إذا لم تنقص من غذائها حتى تأخذ منه الضروريات فحسب"[٨٨٠].

قال لي **أخ:** "سألت الأب بيمين: 'ما هو اتضاع الروح'؟ فقال لي: 'هو أن تلقي رغبتك إلى خلفك، أي أن تقطع رغبتك وتجعلها بعد رغبة أخيك. هكذا يكون الاتضاع الكامل من روح الرب'"[٨٨١].

قال أنبا بيمين: "اللجاجة والحسد يتولدان من ا ـد الباطل، لأن الإنسان إذا طلب مجد الناس فهو يحقد على الذي يعمل وينجح ويمجد ويحسده، والاتضاع هو دواء ذلك"[٨٨٢].

سمعت أنّ أخا سأل أنبا بيمين عن قول الرسول: «إن كان أحد يظن أنه حكيم ... فليصِر جاهلاً لكي يصير حكيما» (١كو٣: ١٨) قائلاً له: "كيف يا أبي يمكن للإنسان أن يكون حكيما وجاهلاً في نفس الوقت"؟ فقال له أنبا بيمين: "لنفترض أنّ اثنين من الإخوة، قال أحدهما كلاما كان هو الحق، وقال له الآخر: 'هذا ليس حق، ولكن الصحيح هو غير ذلك'. ثم لنفرض أنّ الذي تكلم أولاً أقمع ذاته وأبطل كلامه اليقيني واعتبره خطأً لأجل أخيه، وهكذا يرغم نفسه لأجل الرب، وبذلك فإنّ من يصير جاهلاً لأجل الرب هو الذي يصير أيضا حكيما في عيني الرب"[٨٨٣].

الشـعور بالغربـة

سأل أخ أنبا بيمين: "كيف أسلك في المكان الذي أعيش فيه"؟ فقال له الشيخ: "حيثما تسكن ضع في قلبك أنك غريب ولا تطلب أن تكون لك كلمة مسموعة أو أن تكون أول المتكلمين، وبذلك تكون في سلام"[٨٨٤].

قال أنبا بيمين: "من يعيش مع رفيق له عليه أن يكون مثل عمودٍ حجري إذا أُضير لا يحزن وإذا مدِح لا ينتفخ"[٨٨٥].

قال لي **الأب "أجوبراس":** "ذهبت مرةً إلى أبا بيمين وقلت له: 'طُفت في أماكن عديدة لكي أتخذ لنفسي مقرا ولكنني لم أجد راحةً، فأين تريدني أن أسكن'؟ فأجاب الشيخ: 'قلما توجد في أيامنا هذه أماكن مقفرة[٨٨٦]، فابحث عن جماعةٍ كبيرةٍ (من الإخوة) واسكن معهم واسلك بينهم كأنك غير موجود، وقُل إنني بلا هم، وحينئذٍ ستجد الراحة العظمى'"[٨٨٧].

---

(883) Eth. Coll., 14, 3. (884) Apoph., Poemen, 191; W. & W., I: 307; Ch., 104.
(885) Apoph., Poemen, 198. (887) Eth. Coll., 14, 66.
(٨٨٦) مما يدل على ازدحام البراري بالرهبان في ذلك الوقت.
(888) Apoph., Poemen, 73; W. & W., II: 228; Ch., 106.

قال الأب بيمين: "لا تقدر قيمة نفسك، ولكن اسكن مع واحدٍ يعرف كيف يسلك في حياته كما ينبغي"[٨٨٨].

حدث مرةً في وجود أنبا بيمين أن تشاجر بائيسيوس (أخوه بالجسد) مع أخيه ولكن الشيخ لم يقل لهما شيئًا. وجاء أبا أنوب (أخوه الأكبر) ورآهما يتشاجران فقال لأبا بيمين: "لماذا تركتهما يتشاجران ولم تقل لهما شيئًا"؟ فأجابه أبا بيمين: "إ هما أخوان وسيصطلحان مرةً أخرى". فقال له أبا أنوب: "ماذا تقصد؟ إنك رأيتهما على هذه الحال وكل ما تقوله إ هما سيصطلحان"؟ فقال له أنبا بيمين: "ضع في قلبك أنني لست هنا"[٨٨٩].

سأل إخوةٌ شيخا عن القول السابق، **فقال الشيخ:** "كان بائيسيوس هذا أخو أنبا بيمين (بالجسد) قد صارت له صداقة مع قوم خارج الدير، ولم يكن أنبا بيمين راضيا عن ذلك، فسأل أنبا أمون عن هذا الأمر، فقال له: 'أأنت حي بعد يا بيمين؟ امكث في قلايتك وقُل لنفسك إنّ لك سنة وأنت ميت في القبر'. وكان بائيسيوس أحد إخوة أنبا بيمين الستة حسب الجسد ولم يكن يسمع لنصائح أنبا بيمين، بالإضافة إلى أعماله الرديئة الأخرى التي جعلت عقله يطيش من ذكر الله والصلاة النقية. ولما رأى أنبا أمون أن بائيسيوس لا يقوم حياته نصح أنبا بيمين بتلك النصيحة، فتوقّف عن توجيه وتوبيخ بائيسيوس".

"ولما تشاجر بائيسيوس مع أحد إخوته كعادته سكت أنبا بيمين حفظًا لتوجيه أنبا أمون. أما أنبا أنوب - أخو أنبا بيمين الأكبر - فلم يكن يعلم بوصية أنبا أمون لأخيه، لذلك فقد وبخه بحق، ولأن هذه الفرصة لم تكن مناسبة لكي يعرف أنبا بيمين أنبا أنوب بوصية أنبا أمون، قال له ذلك معتبرا أنه غير موجود. وحقًا أوصى أنبا إشعياء قائلاً: 'إن وعظت أخا مرةً واثنتين ولم يقبل فاقطع نفسك عنه وإلاّ فأنت تقتل نفسك'"[٨٩٠].

لما **سمع أنبا بيمين** أنّ أنبا "نستير" موجود في ا مع (أي في الدير) اشتاق جدا أن يراه، وأخبر أب الدير لكي يرسله ليزوره ولكنه رفض أن يرسله وحده. وبعد بضعة أيام شعر وكيل الدير ببعض أفكار تضايقه، فتوسل إلى أب الدير أن يرسله إلى أنبا نستير، فصرفه قائلاً: "خذ أبا بيمين معك". ولما جاء وكيل الدير إلى أنبا نستير أخبره بأفكاره فشفاه منها.

وبعد ذلك سأل أنبا نستير أنبا بيمين قائلاً: "من أين أتيت بمثل هذا الاتضاع أنه مهما حدث من اضطرابٍ في ا مع لا تتكلم ولا تتدخل لكي تضع حدا للنـزاع"؟ ولما ضغط الشيخ أنبا نستير على أنبا بيمين أجاب قائلاً: "اغفر لي يا أبي، فعندما دخلت ا مع (في بدء

(889) Apoph., Poemen, 173; W. & W., I: 275; D. F., p.153: XIX.

(٨٩٠) س ٩ رقم ٨٨ ص ١٦٤. (891) W. & W., II: 180. (٨٩٢) س ٩ رقم ٢٣٧ ص ٣٤٧.

رهبنتي) قلت لنفسي: أنا والحمار واحد، فكما يضرب الحمار ولا يتكلم ويشتم ولا يجيب هكذا أكون أنا كما قال داود النبي الطوباوي: «صرت كبهيم عندك» (مز٧٣: ٢٢)"[٨٩١].

سأل إخوةٌ شيخا: "لما سمع أنبا بيمين أن أنبا نستير كان في الكينونيون اشتاق أن يراه، فمن منهما كان في مجمع الشركة ومن منهما أحب أن يرى الآخر؟ لأننا نجد في أول القصة أن أنبا بيمين اشتاق أن يرى أنبا نستير وفي آخرها أن أنبا نستير اشتاق أن يرى أنبا بيمين"! **فقال الشيخ:** "إنّ أنبا بيمين لما كبر في السن وكان جالسا في قلايته اشتاق أن يرى أنبا نستير لما كان في مجمع الشركة في الدير. ويوجد اثنان من الآباء يدعيان "نستير": أحدهما هو الكبير رفيق أنبا أنطونيوس وهو قبل أنبا بيمين بوقت طويل، والآخر هو أنبا نستير الصغير الذي اشتهى أنبا بيمين أن يراه بسبب كثرة فضائله وحرصه واتضاعه، ولما ذهب إليه سأله لماذا لا يتكلم إذا حدث سجس في الدير؟ فأجابه قائلاً: 'أحسب نفسي أنني أنا والحمار في الدير شيئًا واحدا'"[٨٩٢].

جاء يوما قسوس المنطقة إلى الدير، وكانت المغارات خالية من ساكنيها لأ م كانوا يحضرون القداس، فجاء أنبا أنوب إلى أنبا بيمين واقترح عليه أن يدعو كلاهما رجال الله إلى المائدة، فظل أنبا بيمين صامتا ولم يستطع أحد أن يخرجه من صمته، وانتظر الأب الرد طويلاً فلم يجِب بشيء، فمضى حزينا جدا. وبعد فترةٍ من الزمن سأل التلاميذ معلمهم أنبا بيمين عن سبب ذلك، فرد قائلاً: "ماذا تريدون يا إخوتي؟ ليس هناك مِن عجب، فأنا قد مت عن العالم والميت لا يستطيع أن يتكلم"[٨٩٣].

تفضيـل الآخريـن

قيل إنه إذا أتى أحد الإخوة ليرى أنبا بيمين كان يرسله أولاً إلى أنبا أنوب لأنه كان أكبر منه، ولكن أنبا أنوب كان يقول لهم: "اذهبوا إلى أخي بيمين لأنه هو الذي عنده موهبة الكلام". وكان كلّما يأتي أبا أنوب ليجلس بجوار أنبا بيمين كان الأخير يرفض أن يتكلم أثناء وجود أنبا أنوب[٨٩٤].

(893) Apoph., Poemen, 3; "شينو" ، جزء ٢، ص ٢٥١
(894) Ibid., 108; W. & W., I: 474.
(895) Ibid., 105 ; W. & W., II: 349; Ch., 113.
(٨٩٦) س ٩ رقم ١٣٨ ص ٢٢٧.

قيل عن أنبا بيمين: إنه لم يكن يرغب إطلاقًا أن يتكلم بعد شيخ آخر أو يمجد كلمته أكثر من غيره، بل بالحري كان يفضل أن يمدح ما يقوله غيره في كل شيء ويقلل من أهمية كلامه هو(٨٩٥).

سأل إخوةٌ شيخا: "قيل إنّ أنبا بيمين لم يعطِ لنفسه فرصةً أن يظن أن له معرفةً أكثر من بقية الشيوخ، فما معنى ذلك"؟ **فأجاب الشيخ:** "هذا لا يعني أن الأفكار المخادعة لا تتحرك فيه، ولكنه لا يجعلها تبطئ لأنه يطردها في الحال من قلبه بالصلاة وبالغضب عليها، وذلك كما قال هو في مناسبات كثيرة: 'لا يحتاج الإنسان إلاّ إلى عقلٍ متيقّظ'. وقد حارب الشيطان أنبا بيمين بذلك ليس بالأفكار فحسب بل فما لفم قائلاً له: 'لا يوجد مثلك في الآباء'. فكان يجيبه: 'أترى أنا مثل الأب أنطونيوس أو الأب أغاثون ...'"(٨٩٦)؟!

التغاضي عن انفعالات الآخرين

قال لي **أخ:** "ذهبت يوما إلى أنبا بيمين الذي كان يسر بي، ثم قلت لأخٍ إنّ الشيخ كان لطيفًا جدا، فقال لي الأخ: 'اصطحبني معك أنا أيضا لكي أراه'. فرافقته إلى الشيخ، وكان الشيخ غاضبا جدا، فقلت له: 'كانت عادتك دائما أن تكون مسرورا معي، فماذا بك اليوم إذًا'؟ فقال لي الأب بيمين: 'الذي يتغاضى عن السرور (الذي يراه في الآخرين) يتغاضى أيضا عن الغم'"(٨٩٧).

طوبى لمن يعرف قامتـه

قال أنبا بيمين: "من يعرف مقامه لن يضطرب"(٨٩٨).

علمت أنّ أنبا بيمين قال أيضا: "إنه لَمجد عظيم أن يعرف الإنسان قامته"(٨٩٩).

وقال أنبا بيمين: "من يعلم جاره وهو غير مطالَب بذلك فهو تماما كمن يعنفه"(٩٠٠).

إماتـة الـذات

سمعت أنه قيل عن أخٍ إنه عبر إلى الأسقيط وإنه سأل أنبا مقار: "هل يستطيع الإنسان أن يموت تماما أثناء حياته"؟ فقال له القديس: "نعم". ثم قال له الأخ أيضا: "أيستطيع الإنسان أن يموت من أجل أخيه"؟ فقال له: "نعم". ثم إنّ أنبا مقار قال له:

(897) Eth. Coll., 14, 65.
(898) Apoph., Poemen French, 175; W. & W., II: 222.
(899) Eth. Coll., 13, 97.
(900) Apoph., Poemen, 157; W. & W., II: 285.

"أترى هذه الأقوال مصدرها هو أنبا بيمين"؟ فقال له الأخ: "هذا حق". فقال له أنبا مقار: "لقد توقعت ذلك، لأنّ هذه الأقوال شبيهة بأقوال أنبا بيمين"[٩٠١].

جاء أخ إلى أنبا بيمين وسأله: "كيف أتيت إلى هنا حيث يهاجمنا البربر"؟ فأجابه: "إن كان علي أن أموت في الأسقيط مع إخوتي فأنا مستعد، وها نحن هنا"[٩٠٢].

قال الأب يوسف إنه ذهب مرةً إلى أنبا بيمين ووجد كثيرين معه، ونظر وإذ برجل قريب للأب بيمين ومعه شاب وجهه مقلوب إلى خلف بفعل الشيطان، ولما رأى والد الشاب أنّ كثيرين يأتون إلى الأب بيمين أخذ الشاب خارج القلاية وجلس يبكي لأن الشاب كانت تنتابه نوبات شديدة تسبب الفزع لأهله أنفسهم، ولما خرج أحد الشيوخ ورآه قال له: "لماذا تبكي أيها الرجل"؟ فأجابه: "إنني أحد أقارب أنبا بيمين، وقد حلّت ـذا الشاب هذه التجربة، ونخشى أن نأخذه إليه لأنه يرفض أن يرانا، وإذا علم الآن أنني هنا سيطردني"، ذلك لأن الأب بيمين كان قد قرر ألاّ يقابل أي فرد من أفراد أسرته. ثم قال له: "إذا سمحت أيها الأب أشفق علي وخذ الولد وتوسل للأب بيمين من أجله".

وكان هذا الشيخ يعرف طباع أنبا بيمين، ولذلك لم يأخذ الشاب إليه مباشرةً بل تصرف بحكمةٍ، فبدأ بتقديمه إلى الأب الأصغر سنا وطلب إليهم كلهم أن يرشموه بعلامة الصليب، ولما جاء دور الأب بيمين تنحى بسبب عدم استحقاقه، ولكن الراهب الشيخ دون أن ينفعل قال له: "هذا دورك يا أبي فافعل مثل الآخرين"، وهكذا توسل إليه الباقون. فرفع عينيه إلى السماء مطيعا وتنهد متوسلاً ـذه الصلاة: "يا الله اشفِ خليقتك وانتزعها من تحت سيطرة الشيطان"، ورسم مثل الآخرين علامة الصليب على الذي فيه الروح النجس فشفي في الحال وأُعيد إلى والده الذي رجع به فرحا[٩٠٣].

تشاجر أهالي **قريتين** مع بعضهما في مصر (قرب القاهرة الآن)، وجاء إليهما أنبا بيمين وتوسل إلى أهل القرية الأكبر والأقوى من الأخرى أن تصنع سلاما مع القرية الأصغر، ولكنهم لم يشاءوا أن يسمعوا له، فنفض القديس غبار رجليه عليهم (كوصية الإنجيل). ثم بدأ أهل القرية الكبيرة المعركة مع الآخرين فانكسروا وهزموا، لأن الرب يجازي المسيئين بعدل[٩٠٤].

(901) Eth. Coll., 13, 49. (902) Apoph., Poemen, 196; S, 9 Poemen.
(903) Apoph.,Poemen,7;W. &W., I: 620; Ch., 229; "شينو"، جزء ٢، ص ٢٥٠ (904) Arm., II: 98.

قال أنبا بيمين: "إذا وجد ثلاثة أشخاص: أولهما يحتفظ بسلامٍ داخلي كامل وتأمل بسكون، والثاني يشكر الله في المرض والضعف، والثالث يخدم ويصلي ويسبح بقلبٍ طاهرٍ وفكرٍ متضعٍ، فعمل هؤلاء الثلاثة متساوي القدر"[(٩٠٥)].

وقال أيضا: "إذا بلغ الإنسان إلى ما قاله الرسول: «كل شيء طاهر للطاهرين» (تي١: ١٥)، فسيرى أنّ له نقائص أكثر من أي مخلوق وأنه أقل من الكل". فسأله أخ: "كيف يمكن أن أعتبر نفسي أكثر نقصا من القاتل والزاني"؟ فأجابه أنبا بيمين: "إذا بلغ إنسان إلى هذه الآية ورأى إنسانا يقتل أو يرتكب خطية فإنه يفكر قائلاً: هذا الإنسان ارتكب هذه الخطية الواحدة، أما أنا فأرتكب خطايا كثيرة كل يوم"[(٩٠٦)].

سأل أخ أنبا بيمين: "هل يمكن، يا أبي، لقلب الإنسان أن يكون نقيا بالكلية"؟ فقال له: "نعم هذا ممكن، إذا قوم (أو صحح) ميول جسده يصير قلبه نقيا". فقال له الأخ: "هل يستحيل أن يصير قلبه نقيا طالما أنه يصنع مشيئة جسده"؟ فأجابه الشيخ: "نعم، ولكنه إذا قوم ميول جسده فحتى لو أراد أن يدنس قلبه فلن يستطيع، ولكنه سيظل طاهرا على الدوام"[(٩٠٧)].

وسأله أخ أيضا: "لماذا تحثني أفكاري أن أقارن نفسي بمن هو أفضل مني وأن أحتقر من هو أقل مني"؟ فأجابه أنبا بيمين: "يقول الرسول الطوباوي بخصوص ذلك: «في بيت كبير ليس آنية من ذهب وفضة فقط، بل من خشب وخزف (طين) أيضا، وتلك للكرامة وهذه للهوان، فإن طهر أحد نفسه من هذه يكون إناءً للكرامة مقدسا نافعا للسيد مستعدا لكل عمل صالح» (٢تي٢: ٢٠و٢١)". فقال له الأخ: "كيف يمكن أن نفهم هذا الكلام"؟ فقال له الشيخ: "يفسر هذا الكلام هكذا: البيت هو العالم والأواني هي بنو البشر. والأواني الذهبية تمثل الكاملين، والتي من فضة هي الناس الأقل من الكاملين في الأعمال النسكية، والأواني الأخرى التي من خشب وخزف تمثل الذين لهم فضائل أقل من سابقيهم. فإذا طهر الإنسان نفسه من كل الأمور البعيدة عن الصواب يصير آنية كرامةٍ نقية تلائم استعمال سيده ويكون مستعدا لكل عملٍ صالح"[(٩٠٨)].

سأل أخ أنبا بيمين: "ما هي الأمور العالية"؟ فأجابه: "هي البر"[(٩٠٩)].

---

(905) Apoph., Poemen, 29; W. & W., II: 236; D. F., p. 103: LIII.
(906) Apoph., Poemen, 97; W. & W., II: 454. (907) Eth. Coll., 13, 90.
(908) Apoph., Poemen, 100; W. & W., II: 136. (909) Ibid., 77. (910) Eth. Pat., 204.

قال القديس بيمين: "اتبع الطريق الصالح، تمم البر، واهرب بعيدا عن هذا العالم كله"(٩١٠).

سأل أخ أنبا بيمين: "هل يمكن للإنسان أن يكون ميتا"؟ فأجابه: "الإنسان الميال للخطية يبدأ في الموت، أما الذي يعكف على الخير فيحيا ويطبقه (أي الموت) عمليا"(٩١١).

قال أنبا بيمين لأبا إسحق: "أنقص جزءًا من برك وأنت في أيامٍ قليلةٍ تكون في راحةٍ وسلام"(٩١٢).

لماذا لا نتقدم مثل الذين سبقونا؟

قال لي **أخ:** "قلت للأب بيمين: 'لماذا نحن إخوة هذا الزمان لا نربح ولا ننمـو مثل الذين سبقونا'؟ فقال الشيخ: 'لأنكم تركتم كلام الرب ولم تنادوا به (أي تعلنوه وتظهروه)، بل إنكم تنادون بكلام هذا العالم التافه الذي ليس هو من الرب، لهذا السبب نحن لا نربح ولا نتقدم'"(٩١٣).

قال أنبا بيمين: "منذ أيام أنبا موسى (الأسود) والجيل الثالث في الأسقيط(٩١٤) لم يعد الإخوة يتقدمون (روحيا)"(٩١٥).

وقال أيضا: "عدم تقديرنا لأحداث الماضي (في حياتنا) يمنعنا من التقدم نحو الأفضل"(٩١٦).

وقال أيضا: "لا تسكن في مكانٍ تشعر فيه أن البعض عندهم حسد أو غيرة من ناحيتك لأنك لن تنمو في هذا المكان"(٩١٧).

وقال أيضا: "كثيرون صاروا أقوياء، وكثيرون لا يشعرون بالميل إلى الحسد أو الغيرة الشريرة ولا يثيرون الأوجاع على أنفسهم، ولكن قليلون صاروا بارزين (أو مشهورين)"(٩١٨).

وقال أيضا: "كثير من آبائنا صاروا شجعانا جدا في النسك، ولكن قليلون بلغوا إلى الإدراك الصافي للأمور"(٩١٩).

---

(911) Apoph., Poemen, 124. (912) Ibid., 141. (913) Eth. Coll., 14, 59.

(٩١٤) هذا يدل على أنّ أنبا موسى الأسود سبق أنبا بيمين في الرهبنة. (915) Apoph., Poemen, 166.

(916) Ibid., 200 (English), 179 (French). (917) Apoph., Poemen, 18; W. & W., I: 294.

(918) Ibid., 133; W. & W., I: 310.

(919) Apoph., Poemen, 106. (920) W. & W., I: 537. (921) Ibid., II: 135.

(922) N., 647. (923) W. & W., II: 204. (924) Apoph., Poemen, 160; W. & W., I: 155.

قيل عن أنبا بيمين إنه كان دائما يعطي فكره للرب، وإنّ معرفته فاقت على أي شيخٍ آخر[٩٢٠].

مخافــة اللــه

كان أنبا بيمين يقول: "مخافة الله تعلم الإنسان كل الفضائل الروحانية"[٩٢١].

وقال أيضا: "مخافة الله هي البداية والنهاية في نفس الوقت. إنه في الحقيقة مكتوب: «رأس الحكمة مخافة الرب» (مز١١١: ١٠)، كما أن الله قال لإبراهيم عندما أعد ابنه للذبح: «الآن علمت أنك خائف الله» (تك٢٢: ١٢)"[٩٢٢].

وكان يقول أيضا: "يستحيل على من يؤمن بحق ويجاهد بمخافة الله أن يسقط في نجاسة الأوجاع وفي الأخطاء التي من الشياطين"[٩٢٣].

وقال أيضا: "هذه الثلاثة أمور هي معينة للإنسان أكثر من غيرها: مخافة الرب، والصلاة، وعمل الخير للقريب"[٩٢٤].

وقال أيضا: "إن الحجرين اللذين وضعا تحت ذراعي موسى النبي[٩٢٥] حتى انتصر يشوع على عماليق وأبادهم (أنظر خر١٧: ١٠-١٣) هما مخافة الرب واتضاع الروح. اُهرب من الخطية ولا تخضع لها، فهذه هي مخافة الرب، واحمل جميع خطاياك، فهذا هو اتضاع الروح".

"عندما سرق عخان بن كرمي سبيكةً ذهبيةً ورداءً شنعاريا في أريحا (يش٧)، ثم حارب إسرائيلُ الفلسطينيين وهزموا منهم، حزن يشوع وبكى بالدموع أمام الرب قائلاً: «أسألك يا سيد، ماذا أقول بعدما حول إسرائيل قفاه أمام أعدائه؟ ... فقال الرب ليشوع: قم لماذا أنت ساقط على وجهك؟ ... في وسطك حرام يا إسرائيل فلا تتمكن من الثبوت أمام أعدائك حتى تنــزعوا الحرام من وسطكم». وبعد أن نزع الإسرائيليون من وسطهم المحرمات سلّم الرب أعداءهم لأيديهم".

"ونحن أيضا فلنطرح الآن المحرمات من وسطنا التي هي الأفكار الرديئة التي لا زالت رابضة فينا وتريدنا أن نخضع لها ونتمم مشيئتها، وبذلك فإنّ الرب لا يسكن فينا، ولهذا ينتصر علينا أعداؤنا، أما إذا طرحناها عنا فسنغلب ونبيد أعداءنا لأن الله سيكون

(٩٢٥) يبدو أن القديس فهم ذلك من قول الكتاب: «أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هارون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك.» (خر١٧: ١٢).

معنا"[٩٢٦].

سأل أخ أنبا بيمين: "ماذا تعني كلمات النبي القائلة: «يفرح قلبي بالذين يخافون اسمك» (مز٨٦: ١١ حسب النص)"؟[٩٢٧] فأجابه الشيخ: "لقد نطق الروح القدس ـذه الكلمة للإنسان حتى الموت، وحتى يومنا هذا أيضا"[٩٢٨].

سأل أحد الآباء الأب بيمين: "من هو الذي يقول: «شريك أنا لكل الذين يخافونك» (مز١١٩: ٦٣حسب الأجبية)"؟ فقال الشيخ: "إنه الروح القدس هو الذي يقول ذلك"[٩٢٩].

سأل أخ أنبا بيمين عن سبب أن النفس تتقسى ولا تريد أن تخاف الله، فأجاب الشيخ: "في الحقيقة إنّ النفس تريد أن تخاف الله ولكن الوقت لم يحِن بعد، لأن مخافة الله هي الكمال العظيم"[٩٣٠].

صالحةٌ هي الخبـرة

قال أنبا بيمين: "الخبرة شيء صالح، فهي التي تمتحن الإنسان"[٩٣١].

قال لي **أخ:** "زرت أحد الشيوخ لعدة أيام، فلاحظ أحد الإخوة ذلك وحسدني وقال لي: 'كم أنت تزور هذا الشيخ؟ وعلى ذلك أليس عندك عمل'؟ فقلت للشيخ: 'ألا ترى هذا الأخ الذي يوبخني على مجيئي إليك'؟ فقال لي الشيخ: 'كثيرا ما سألت أنبا بيمين بخصوص ذلك، فقال لي: "ألا ترى هذه البقعة من الأرض؟ طالما أ ا مليئة بالثمار فلا بد أ ا لاقت اهتماما، ولكنك إذا ذهبت إلى ما بعد هذه البقعة فلن تجد سوى ثمار قليلة، لأنّ أصحاب الأرض وعمالهم يتسلّحون بعصي ويسهرون حتى لا تأتي حيوانات أو طيور وتأكل الثمار. ففي الحقيقة إنّ هذه الأرض هي الأزمنة الأخيرة التي لن يوجد فيها سوى القليل من الشيوخ مثل أيامنا هذه لا يغضبون من الذين يزورو م بغرض أن يعيشوا للرب'"[٩٣٢].

معونـة الله للرهبـان

(926) Eth. Coll., 13, 78.

(٩٢٧) هذه الآية حسب العبري: «وحد قلبي لخوف اسمك»، وحسب السبعينية: «ليفرح قلبي حتى أخاف اسمك».

(928) W. & W., II: 364. (929) Apoph., Poemen, 136. (930) Pa., 21, 1.

(931)Apoph., Poemen, 24. (932) Eth. Coll.,13, 6.

(933) W. & W., II:132; Apoph., Poemen, 94.

قال أخ لأنبا بيمين: "أرى في نفسي أنني حيثما أذهب أجد معونةً". فقال له الشيخ: "وحتى الذين يحملون السيوف لهم إله يصنع معهم رحمةً في هذه الحياة، فنحن حتى لو تواجدنا في أماكن مرعبة فإنّ الله يعاملنا حسب رحمته"[(٩٣٣)].

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص القول السابق فقال لهم: "بعض الإخوة العمالين بجهالةٍ إذا تمجدوا أو مدِحوا بسبب فضيلتهم، أو إذا قبلوهم في مواضع كثيرة أو إذا حفِظـوا مـن تجارب كثيرة؛ يظنون أ م قد أرضوا الله بتدبيرهم الجيد ونشاطهم في أعمـال الفضـيلة ولذلك يتحنن الله عليهم ويرحمهم ويحرسهم ويكرمهم في أعين الناس. فلمـا أراد أنبـا بيمين أن يبكت فكر ذلك الأخ ويصحح قلّة معرفته قال له: 'في العالم العتيـد يجـازى الإنسان كما يستحق، أما في العالم الحاضر فالأبرار ليسوا وحدهم هم الذين يجدون راحةً ومعونةً، بل إنّ الله يهتم بالخطاة أيضا ويحرسهم، وليس الضعفاء وحدهم بل والأقويـاء والمستعدين بالسلاح كما هو مكتوب: «لن يخلص الملك بكثرة الجيش، الجبار لا ينقـذ بعظم القوة، باطلٌ هو الفرس لأجل الخلاص وبشدة قوته لا ينجي» (مز٣٣: ١٦و١٧). فطالما أنّ الله يهتم بكل إنسان صديق أو خاطئ ويساعد القوي والضعيف، فلا ينبغـي أن تتكبر مثل الجاهل بسبب تحفظك ونشاطك في الفضيلة'"[(٩٣٤)].

موضوعات متنوعـة

سأل إخوةٌ شيخا: "قال أنبا بيمين: 'الاتضاع ليس عادما (أي بلا ملح) بل متبلٌ بالملح'، فما هو ملح الاتضاع"؟ **أجاب الشيخ:** "هو الإفراز الذي به يعرف الإنسان لمن يتضع ولماذا ومتى، وعلى ماذا يكون متكبرا (أي مترفعا) ولماذا ومتى، وذلك كما فعل ربنا والرسل وبقية المدبرين الفضلاء، ففي أوقاتٍ كانوا يتضعون بإفرازٍ لمنفعتهم، وفي أوقاتٍ أخرى يظهرون الجفاء ويبكتون لأجل البنيان. فالقصد من الاتضاع وإظهار الترفع واحد: وهو ربح المدبر للآخرين ومنفعتهم"[(٩٣٥)].

وسألوه أيضا: "ما معنى قول أنبا بيمين: إنّ الحزن له فائدة مضاعفة في حفظ الأعمال"؟ **فأجاب الشيخ:** "إنّ ذهن الحزين ينبهه وينشطه لعمل الفضائل، كما أنه بالحزن يفكر كل يومٍ كيف يتحفظ ويحترس لئلا يهلك من التواني والرخاوة"[(٩٣٦)].

---

(٩٣٤) س ٩ رقم ٢٢٥ ص ٣٣٢. (٩٣٥) س ٩ رقم ١٣٦ ص ٢٢٣. (٩٣٦) س ٩ رقم ٧٤ ص ١٤٦.
(٩٣٧) س ٩ رقم ١٤٠ ص ٢٢٨.

وسألوه أيضا: "قال الشيخ (أنبا بيمين): 'إذا عود الإنسان نفسه أن يكون معلما فهذا تعب له'، فما هو التعب في ذلك"؟ **أجاب الشيخ:** "هو خسارة نفس الذي يعود نفسه على التعليم قبل تنفيذه للوصايا وقبل أن تصير نفسه قوية"(٩٣٧).

وسألوه أيضا: "قال أنبا بيمين: 'إذا خطرت على قلبِ أخٍ آيةٌ من الكتـاب وظـلّ يجري وراءها وهو لم يصل بعد إلى درجتها ولم يأمره الله بذلك، فإنّ الشياطين يظهرون له معنى هذه الآية كما يشاءون'. فما معنى ذلك"؟ **قال الشيخ:** "يسمع بعض الإخـوة عن بعض الآباء أ م بغير تعليمٍ أو تدربٍ قد استناروا في حفظ الأسفار المقدسة وتفسيرها بنعمة الله، فيتجاسرون في هدوئهم أن يطلبوا من الله أن يعطيهم معرفة ما يريدون دون أن يتضعوا ويتعلّموا من الشيوخ الحكماء العارفين، فمن أجل تبكيت كبريائهم لا يجعلهم الله مستحقين أن يفهموا ما أرادوه، وهذا هو معنى قوله: 'ولم يأمره الله بذلك'. فإذا علـم الشياطين ذه التخلية من الله فحينئذٍ يفهمو م ما يطلبونه كما يريدون هـم. وقولـه: 'يجري وراء الآية وهو لم يصل بعد إلى درجتها'، أي أنه لم يتضع ويتعلّم ممن هو أحكم منه، ولا يصبر إلى زمان الشيخوخة ونقاوة القلب حتى يستنير ذهنه بنور الروح القـدس والفهم الروحاني، وبذلك يفهم معنى الآية من الروح الشرير بدلاً من نعمة الروح القدس. الرب يسترنا ويحرسنا من أعدائنا"(٩٣٨).

وسألوه أيضا: "قال أنبا بيمين: 'مكتوب: «على ذنوب صور اثنان أو ثلاثة والرابع لا أرجع عنه» (عا١: ٩و١٠ حسب نص المخطوط)، فالأول هو التفكير في الشر، والثاني هو في طاعته في الفكر، والثالث هو أن يكمله في الفكر، والرابع هو أن يخرج الفكر إلى الفعل؛ وهذا هو الذي قال عنه أنّ الرب لا يرد غضبه عنه'. فما معنى هذا القول"؟

أجاب الشيخ: "لقد أخذ القديس قول الكتاب بطريقةٍ روحانيةٍ عن أوجاع الـنفس وذلك كعادة الآباء، وغرضه أن يبين أنّ فعل الخطية يوجب سخط الله. فالخطية تبـدأ في الفكر ثم في الكلام، وأخيرا تكمل بالفعل، وهذه الأخيرة تبعد الإنسان كثيرا عـن الله، وتظلم النفس من نور المعرفة، وتحرم الإنسان من الدالة مع الرب، وتجلب عليـه غضـبا شديدا. فالفكرة الأولى التي هي بداية كل خطية إما تأتي من حركة الجسد، أو من تذكر ما سبق أن فعله الإنسان، أو من عمل الشيطان. وهذه الفكرة الأولى لا تحسب للإنسان خطية ولا برا. فإنْ تركها تبطئ في قلبه ومال إليها ولم يطردها من داخله بأن يبغضـها وبالصلاة وطلب المعونة؛ فهذا هو السبب الأول للسقوط في الخطية، وإذا قَبِـل القلـب الفكرة وتلذّذ ا وتفاوض معها فهذا هو السبب الثاني، وإذا هذّ بذكرها وتحدث عنـها

---

(٩٣٨) س ٩ رقم ٢١٦ ص ٣٢١.
(٩٣٩) س ٩ رقم ٢٣٨ ص ٣٤٨.

مثل الكلام مع امرأةٍ بشهوةٍ أو إذا شتم أحدا بلسانه بعد أن أبغضه بقلبـه؛ فهـذا هـو السبب الثالث، فإذا ضرب بيده أو زنى بجسده فهذا هو السبب الرابع. وعن هذا السبب الرابع قال الله إنه لا يرجع عنه بغضبه، لأنه لم يخف الله بل ترك فكر الخطية يثبت في قلبه بعد أن خدعه فأطاعه، ثم لم يمتنع عن السبب الثاني بالكلام، بل تجاسر وتوانى عن ذِكـر الله فأكمل الخطية بالفعل فيأتي عليه غضب الله وعقابه على قدر عظم الخطية"(٩٣٩).

قال شيخ: "إنّ أخا قال لأنبا بيمين: 'كنت أولاً أخاف من الأمراض وأوجاع الطبيعة الجسدانية لذلك توانيت في أعمالي، والآن ها قد أتى علي ما خفت منه'. فقال له أنبا بيمين: 'لو كنت تعبت من أجل الفضيلة لكنت قد تخلّصت من الأمراض الطبيعية وأوجاع الخطية مثل كثير من الآباء، وحتى لو حلّت بك أمراض من أجل أعمالك التي هي من أجل حب الله مثل المتوحدين لكانت تحسب لك شهادةً من أجل أعمالك وانتصارك على أوجاع الخطية ومن أجل صبرك وشكرك في أمراضك'"(٩٤٠).

سأل إخوةٌ شيخا: "قال أنبا بيمين: 'إنّ السبي المخفي يظلم العقل، وإذا كان العقل متيقّظًا فهو يثبت في الرب الذي ينيره ويقويه'. فما معنى ذلك"؟ **فقال الشيخ:** "السبي المخفي هو طياشة الذهن وانقطاع ذكره لله وخيراته وتفكره في أوجاع العالم وأعماله، وهذا كله يظلم العقل. أما الذي يثبت منتبها في الرب فهو الذي لا يميل مع الطياشة بل يشخص بذهنه في الله بالصلاة الدائمة الخفية في القلب، ويتذكر خيراته ومواعيده، وهكذا يستنير بالنعمة ويقوى على الأوجاع ويغلب الشياطين ويكلل ويشكر الرب"(٩٤١).

قيل عن أنبا بيمين إنه عاش في البرية ما يقرب من قرن، وخلال هذه السنوات الطويلة جاهد الجهاد الحسن وأكمل السعي في هدوءٍ ودعةٍ. ثم انتقل إلى بيعة الأبكار بعد أن عاش حياةً كانت محل إعجاب الملائكة ومقوية لعزائم القديسين(٩٤٢).

೫❖✞❖೮

(٩٤٠) "تفسير البراديسوس" نسخة المتحف القبطي، قول ١٥٩.
(٩٤١) س ٩ رقم ٩٠ ص ١٦٨. (٩٤٢) "قديسو مصر" بالفرنسية، للأب "بول دورليان"، جزء ٢ ص ٢٤٨ - ٢٥٥.

(٭) هو الأخ الأكبر لأنبا بيمين وبقية إخوته الخمسة. وقد عاشوا أولاً في الأسقيط حتى خرّبها البربر حوالي عام ٤٠٧م. ثم عاشوا في "ترنوتيس" (الطرانة) حياة مشتركة حيث كان أنبا أنوب هو قائدهم، ولما تفوقت نعمة وأبوة أنبا بيمين وإختباراته الروحية بعد ذلك اتخذوه هو أبا ومرشداً واعترف أخوه الأكبر بذلك. ويذكر اسمه في المخطوطات العربية "أيوب"، إلاّ أنّ "أنوب" هو الأصح بحسب أقوال الأبجدية اليونانية.

(٢٠) قصص وأقوال
القديس أنبا أنــوب(*)

قيل عن أنبا أنوب وأنبا بيمين وإخوتهما: إنهم كانوا سبعة إخوة من بطنٍ واحدةٍ، وصاروا جميعا رهبانا بالأسقيط، ولما خرب البربر الأسقيط في المرة الأولى انتقلوا من هناك إلى موضعٍ يدعى "ترنوتيس" (الطرانة) حيث مكثوا في معبدٍ قديمٍ للأصنام أياما قليلة. وقال أنبا أنوب لإخوته: "من أجل المحبة افعلوا هذا: فليصمت كل واحدٍ منا ولا يكلم أي واحدٍ منا الآخر أية كلمة لمدة أسبوع". فقال أنبا بيمين: "سنفعل حسب وصيتك". وهكذا فعلوا.

وكان في ذلك المعبد صنم حجري، فكان أنبا أنوب يقوم باكر كل يوم ويلقي على وجه الصنم ترابا وحجارةً، وعند المساء يقول له: "اغفر لي". وهكذا فعل كل أيام الأسبوع. وفي يوم السبت قال أنبا بيمين لأنبا أنوب: "إني رأيتك يا أخي هذا الأسبوع كله تلقي ترابا وحجارةً على وجه الصنم في الصباح، وفي المساء تقول له: 'اغفر لي'، أهكذا يفعل الرهبان"؟! فأجاب أنبا أنوب: "لقد فعلت ذلك من أجلكم، فعندما رأيتموني أُهينه هكذا هل تكلم أو غضب"؟ قال: "لا". ثم قال أيضا: "ولما تبت إليه هل تحرك أو قال: لا أغفر لك"؟ قال: "لا". فقال أنبا أنوب لإخوته: "ها نحن سبعة إخوة، إن أردتم أن نسكن معا فلنصِر مثل هذا الصنم الحجري الذي لا يبالي بمجدٍ ولا بهوانٍ، وإن لم توافقوا فها هي أربعة أبواب في المعبد، فليذهب كل واحدٍ حيثما شاء". فألقى الإخوة بأنفسهم أمامه قائلين: "نحن لله ولك أيها الأب ونفعل كل ما تقوله لنا". ثم قال أنبا بيمين: "ولنسكن معا حتى نهاية حياتنا عاملين بهذه الكلمة التي قالها لنا الأب أنوب".

ثم جعلوا واحدا منهم يهتم بالمائدة، وكل ما كان يقدمه لهم يأكلونه، ولم يكن أحد منهم يقول: أحضر لنا شيئًا آخر، ولا أحد يقول: لا نريد هذا أو لا نشتهي ذاك، وكان أنبا أنوب يدبرهم في عملهم اليدوي، ثم صار أنبا بيمين معلما لهم في طريق الفضيلة، وهكذا اجتازوا أيامهم بسلام(٩٤٣).

ذهب اثنان من الإخوة يوما ما إلى أنبا بيمين، وكان أنبا أنوب حاضرا، وقالا له: "يا أبانا، إننا نعيش سويا حياة مشتركة ولا نجني من ذلك ربحا ولا خسارة"! ولكن أنبا بيمين ظلّ صامتا لأنه في الحقيقة كان لا يتكلم في وجود أنبا أنوب لأنه كان أكبر منه

(943) Apoph., Anoub, 1; س ٤ ص ٥٩ (944) Arm., II: 112. (٩٤٥) الميمر الثلاثون لأنبا إشعياء.

كثيرا. فقال أنبا أنوب: "إنه لَجهاد عظيم، إذ أنه أية ضرورة تعوز الإنسان إلى القربى من آخر عندما لا يجني من ذلك أي ربح"[٩٤٤]؟!

قال أنبا إشعياء: "قال لي أنبا بفنوتيوس: 'كنت أقوم بزيارة الأبوين الشيخين أنبا أنوب وأنبا بيمين طيلة حيا ما مرتين في الشهر. وكانت قلايتي تبعد عنهما اثني عشر ميلاً، وكنت أسألهما عن جميع أفكاري، فكانا يقولان لي هذا: 'لا تعمل لك اسما في المكان الذي تسكن فيه فتجد راحةً، فالمرأة الشونمية استضافت إليشع النبي لأنه لم يكن لها انشغال شديد برجلها (٢مل٤: ١٤-١٧). ونحن نقول إنّ المرأة الشونمية هي النفس وإليشع هو روح الله، فإذا أقامت النفس بعيدا عن الطياشة يفتقدها الروح، وحينئذٍ تستطيع أن تلد وهي التي كانت من قبل عقيمة''"[٩٤٥].

أخبر أحد الإخوة أنبا أنوب بما قاله أنبا بيمين إنه إذا بلغ الإنسان إلى تنفيذ الآية «كل شيءٍ طاهر للطاهرين» (تي١: ١٥) فهو يرى نفسه أقل من الخليقة كلها[٩٤٦]. فقال له أنبا أنوب: "إذا أقر الإنسان حقًا بهذا القول، فهو عندما يرى أخطاء أخيه يرى أنّ استقامته تتفوق على أخطائه". فسأله الأخ: "ما هي الاستقامة"؟ أجابه الشيخ: "هي أن يدين الإنسان نفسه دائما"[٩٤٧].

قال أنبا أنوب: "منذ اليوم الذي دعي فيه علي اسم المسيح لم تخرج من فمي كلمة باطلة"[٩٤٨].

قال الآباء الشيوخ: "إنّ بائيسيوس أخا أنبا بيمين عثر على صرةٍ صغيرةٍ مليئة بالدنانير وقال لأخيه الأكبر أنبا أنوب: 'أنت تعلم أنّ أسلوب الأب بيمين قاسٍ إلى أقصى حد، هلم نحن أنفسنا نؤسس ديرا في أي مكان ونسكن فيه بلا هم'. فأجابه أنبا أنوب: 'وكيف سنؤسسه'؟ فأحضر بائيسيوس إليه الدنانير، فشعر أنبا أنوب بغضبٍ شديدٍ إذ تفكّر في الضرر الذي أصاب نفس أخيه، ولكنه قال له: 'حسنا، فلنذهب ونبنِ قلايةً (ربما منشوبية) في الضفة الأخرى من النهر'. ثم أخذ أنبا أنوب الصرة ووضعها في كوكلوسته (أي لباس رأسه الذي كان يمتد إلى العنق)، وعبر كلاهما النهر، ولما وصلا إلى منتصفه تظاهر الأب أنوب بالعودة فسقطت الكوكلوسة في النهر ومعها قطع الدنانير. فبدأ الأب أنوب يحزن، ولكن بائيسيوس قال له: 'لا تحزن يا أبي على ما حدث، فلنعد إلى أخينا'. فرجعا وعاش الجميع معا بسلام"[٩٤٩].

❑❧❖☙❑

(٩٤٦) راجع هذا القول في أقوال أنبا بيمين.

(947) Apoph., Poemen, 98.

(948) Apoph., Anoub, 2; W. & W., I: 291.

(949) N., 448.

(٢١) قصص وأقـوال
القديس أنبا أرسانيوس

في بـدء رهبنتـه

قيل عن القديس أرسانيوس إنه كان من رومية العظمى ومن أفاضل فلاسفتها، وكان والده من كبار رجال بلاط الملك المقربين إليه، ولما أرسل الإمبراطور ثيئودوسيوس من القسطنطينية يطلب من الملك وبابا رومية رجلاً فيلسوفًا يحسِن اللغتين الرومية (أي اللاّتينية) واليونانية ليعلم أولاده الحكمة والأدب، لم يجدوا بين فلاسفة رومية من يشبه أرسانيوس في الحكمة والفضل ومخافة الله، فأرسلوه إلى الإمبراطور بالقسطنطينية، ففرح به وأحبه بسبب فضله ومعرفته ونعمة الله التي كانت عليه. فسلم له ابنيه[950] وقدمه على كبار رجاله، وأينما ذهب كان يجعله معه في موكبه، وكان لأرسانيوس أمر نافذٌ وعبيد كثيرون لخدمته. ولم يكن يتخذ لنفسه امرأةً، وهكذا كان شأنه عظيما.

ثم فكّر في نفسه أنّ كل هذا لا بد أن يتلاشى كالحلم في المنام، وأنّ كل غِنى الدنيا ومجدها وجاهها إنما هو حلم، وأنه لا يوجد شيء ثابت غير قابل للتغيير، وأنه لا ينفع الإنسان شيء إلاّ ما يقدمه من خير. فزهدت نفسه في كل شيءٍ، وصار يطلب من الله كل وقت قائلاً: "عرفني يا رب كيف أخلص".

وفي أحد الأيام جاءه صوت يقول له: "يا أرساني، أُهرب من الناس وأنت تخلص". فقام في الحال وترك كل شيءٍ، وذهب إلى البحر فوجد سفينةً إسكندرانيةً مزمعةً أن تسافر، فركب فيها وجاء إلى الإسكندرية. وقيل إنّ عمره حينئذٍ كان أربعين سنة.

ثم ذهب أرساني إلى الأسقيط التي هي برية شيهيت[951] حيث لاحظ الرهبان أنه كان يعيش حياة الرفاهية، فنصحوه بالعدول عن الرهبنة، ولكنه كان يقول لهم: "إنني غريب فقير أبحث عن خلاص نفسي فلا ترفضوني". فتغلبت توسلاته على ترددهم. ثم تقابل مع القديس أنبا مقار الكبير، وكان قد تقدم به العمر جدا، فأشار عليه أن يطّلع على معيشة الرهبان، فرأى رهبانا يواصلون خمسة أيام بدون طعام والدموع على عيو م وغير ذلك من أنواع النسك، فذُهِل وقرع صدره قائلاً: "ويحي أنا الشقي، كيف أضعت زماني في الكسل والتواني"[952]!

---

(٩٥٠) وهما "أركاديوس" و"هونوريوس" ولذلك يسمى "معلم أولاد الملوك"، ولكننا نفضل لقب "أرسانيوس الباكي".

(٩٥١) لا بد أنه كان قد قرأ سيرة ق. أنطونيوس بقلم ق. أثناسيوس وسمع عن سير كل من ق. أنبا مقار وتلاميذه في شيهيت حتى إنه جاء مندفعا إليها.

(952) Apoph., Arsen., 1; W. & W., I: 1; ورقة ٢٧ س ٤

(٩٥٣) ذكر المؤرخان "شـينو" و"أوليري" وغيرهما أن الأب أرساني كان تلميذاً للأب يوحنا القصير.

وقيل إنّ القديس أنبا مقار أوصى أن يتولى القديس يؤنس القصير اختبار أرسانيوس لأنه كان معروفًا بالإفراز والقداسة والحِذْق في تسليم الحياة الرهبانية[٩٥٣]. ولما كانت الساعة التاسعة أعدوا المائدة، ودعا الأب يؤنس تلميذه إلى اللحاق بهم، وجلسوا جميعا يأكلون، أما أرسانيوس فبقي واقفًا وسط صالة المائدة لأنه لم يعلم أين يجلس، ثم ألقى الأب يوحنا بقطعة خبز على الأرض قائلاً: "يا أرسانيوس، كُلْ إذا شئت". فانحنى إلى الأرض وأخذ كسرة الخبز وأكلها في مكانه بشكر كثير. فتعجب جميع الحاضرين، وحينئذٍ قال القديس يؤنس: "أيها الإخوة، خذوا هذا الرجل معكم وصلوا لأجله لأنه سيكون راهبا ممتازا، لأنه مملوء تواضعا ووداعةً، وقد أكسبته وداعته حب الجميع".

ثم قال له القديس أنبا مقار: "اِعلَم أن الرب المتعطف قد كشف لي كل أمورك، فلهذا أنا أفرح جدا لأنك ستبلغ ما تاقت إليه نفسك". فنهض أرسانيوس وسجد قـدام القـديس مكاريوس وقال: "تبارك اسم الرب الإله القدوس الصانع كل شيء حسبما يوافق الإنسان، هأنذا يا أبتاه بلا حجةٍ أو معذرةٍ، وها أنا حائر من عظائم الله التي صنعها مع عبده".

ثم خاطبه أنبا مقار بأقوالٍ كثيرةٍ نافعةٍ للنفس، وحلق رأسه وجعله راهبا ... ثم أعطاه قلايةً هادئةً بالأسقيط لأنه شعر بميله إلى الوحدة، ففرح بها جدا لأنه كان يحب السكون. وبعد وقتٍ قصير انتقل أنبا مكاريوس إلى الحياة الخالدة[٩٥٤].

قيل عن أنبا أرسانيوس إنه بعد أن هرب من القسطنطينية وجاء إلى الأسقيط، داوم على الصلاة والتضرع لكي يرشده الله إلى ما ينبغي أن يفعله وكيف يتدبر. وبعد ثلاث سنوات جاءه صوت يقول: "يا أرساني، اهدأ وابعد من الناس، وعِش حياة التأمل في سكون وأنت تخلص، لأن هذه هي عروق عدم الخطية". فلما سمع ذلك - وكانت هذه هي المرة الثانية - كان يهرب من الإخوة ويلزم الهدوء والصمت[٩٥٥].

سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا ذكر كاتب الفردوس (أي بالليديوس في بستان الرهبان) أنبا أرسانيوس في بدء كتابه قبل تعليم الشيوخ بخصوص الخروج من العالم إلى المجمع ثم إلى القلاية (أي التوحد في الجبل)"؟ **فأجاب الشيخ:** "لأنه دعي من الله بهاتين الدعوتين: إلى الدير، ثم من الدير إلى القلاية. ولأنه من المؤكد أن هاتين الدعوتين كانتا بحسب مشيئة الله، فجيد أن يبدأ تعليم الشيوخ بسيرة هذا القديس لتكون مثالاً لمن يسلك هذا الطريق"[٩٥٦].

---

(٩٥٤) س ٤ ورقة ٢٧ والمؤرخان "شينو" و "أوليري".

(955) Apoph., Arsen., 2; W. & W., I: 2; D. F., p. 63: III; س ٤ ص ٢٩

(٩٥٦) س ٩ رقم ٤ من الجزء الثالث، ص ٨٤؛ W. & W., II: 657

وسأل الإخوة هذا الشيخ أيضا: "اشرح لنا هاتين الدعوتين لأنبا أرسانيوس: ما معنى ما قيل في الدعوة الأولى: أُهرب من بني البشر وأنت تخلص، وما هو مغزى ما قيل في الدعوة الثانية: أُهرب واصمت وعِش حياة تأمل في سكون، لأن هذه هي عروق (جذور أو أساسيات) عدم الخطية"؟ **فأجاب الشيخ:** "معنى "أُهرب من بني البشر وأنت تخلص" هو: إذا أردت أن تتخلّص من الموت الذي تؤدي إليه الخطية وتعيش حياة البر الكاملة، فاترك ممتلكاتك وأسـرتك ووطنك وضجيج العالم وتغرب في البرية والجبال عند القديسين، واغرس وصاياي معهم، وأنت تعيش حياة النعمة. ومعنى 'أُهرب واصمت وعِش حياة تأمل وسكون' هو: طالما أنك كنت في العالم فقد كنت منجذبا نحو الاهتمامات بشؤونه المقلقة، وقد جعلتك تخرج من العالم وأرسلتك إلى مساكن الرهبان حتى تصير، بعد وقتٍ قصير من إقامتك في مجمع الشركة، منجذبا أولاً إلى غرس وصاياي جهارا، وثانيا إلى التأمل في سكون. والآن ها أنت قد صرت مدربا على الدعوة الأولى بما فيه الكفاية، فيمكنك أن رب، أي تخرج من دير الإخوة، وتدخل قلايتك تماما كما خرجت من العالم إلى الدير".

"ومعنى "اهدأ وعِش حياة تأمل في سكون لأن هذه هي عروق عدم الخطية" هو: عندما تدخل إلى قلايتك لتتأمل في سكون لن تعطي للناس فرصةً للمجيء إليك والتحدث معك بلا ضرورة إلاّ في أمورٍ تتعلّق بالروحيات، وبذلك تنتفع من بقائك في سكون التأمل، لأن النظر والسمع والحديث مع الناس الذين يأتون إليك يجعلك مستعبدا لتشتت الأفكار الذي يقتلك (روحيا) ويشوش على سكونك وتأملك. ولكن لا تتصور أن مجرد تركك للإخوة في الدير، أو عدم إحضار الذين يشوشون عليك في قلايتك يكفي لأن يجعل فكرك منجمعا، أو ليمكنك من التأمل في الله ولتصحيح (أو تغيير) ذاتك إن لم تحذر جيدا من أن تشغل فكرك م بأي حال أثناء بعدهم عنك".

"لأنه حتى يصل الراهب إلى حالة عدم التأثر $\alpha\pi\alpha\theta\varepsilon\iota\alpha$، وينتصر في الصراع ضد كل من الأوجاع والشياطين، فعندما يتذكر في قلايته أي إنسان، فهو إنما يتذكره مرتبطًا بثمة نوعٍ من الأوجاع، أي الشهوة أو الغضب أو ا د الباطل. وإذا كانت أفكاره تجول في أمورٍ عاديةٍ، فإن لم يقطعها من نفسه فإنّ جولانه ينحرف بالضرورة نحو تذكر أمور مقترنة بوجعٍ ما. وهذه هي الحال أيضا مع المبتدئ، لأنه في أي وقت أثناء تأمله في سكون إذا تذكر نساءً يسقط في شهوة الزنى، وعندما يتذكر الرجال فإما أن يغتاظ منهم في أفكاره ويدينهم ويلومهم، أو يطلب منهم مجدا باطلاً، وبذلك ينحرف نحو قابلية التأثر بالوجع. ولذلك فإن

القديس مكاريوس عندما سئل: 'ما هي الطريقة الصحيحة للأخ المبتدئ التي يعيش ا في قلايته'؟ أجاب: 'لا يكون للراهب في قلايته أي تذكر من أي نوع لأي إنسان، لأنه لا يمكنه أن ينتفع بأي حال من كبح جماح مشاعره من أحاديث الناس إلاّ إذا اهتم بمنع أفكاره من الاتصال الخفي م'. وهذا هو معنى 'أهرب واهدأ وتأمل في سكون'"[(٩٥٧)].

قيل عن القديس أرسانيوس إنه منذ أن ترهب صار له نسك عظيم وصلاة وحياة مقدسة وزهد حتى فاق الكثيرين، وسمع به أولاد عظماء القسطنطينية، وابتدأ النبلاء والأشراف يأتون إلى مصر ويترهبون[(٩٥٨)].

وقيل إنه عندما كان القديس في **"كانوب"** (أبو قير) سمعت عنه عذراء من بنات رؤساء البلاط في رومية، وكانت غنية جدا وتخاف الله. فجاءت لتبصره وهي محملةٌ بالأموال والجنود والخدم، وقابلها البابا ثيئوفيلس البطريرك (الـ ٢٣) بإكرامٍ كثير. فطلبت منه أن يرجو من الشيخ أن يسمح لها بالذهاب إليه، فأرسل إليه قائلاً إنّ ابنة أحد أشراف رومية تطلب أن يأذن لها أن تراه لتأخذ بركته، كما كتب لمقدم الأديرة أن يمكنها من زيارة الآباء القديسين. فرفض أنبا أرسانيوس أن تأتي المرأة إلى البرية، وأرسل لها بركةً قائلاً: "قد علمنا بسفرك وتعبك ونحن نصلي من أجلك، فلا تحضري لأنني لا أشاء أن أُبصر وجه امرأة".

ولكنها لم تقبل ذلك وقالت: "إنّ ثقتي بالله أن أُبصر وجهه الملائكي، لأنني تعبت وجئت لا لكي أنظر وجه إنسان إذ أن بلادي مليئة بالناس، بل إنني جئت لأعاين ملاكًا". وأمرت بتجهيز الدواب وذهبت إلى البرية، ولما وصلت إليه كان هو - بتدبير الله - خارج قلايته، فلما أبصرته خرت ساجدةً عند قدميه، فأقامها بغضبٍ قائلاً: "لقد آثرتِ أن تبصري وجهي، وها قد أبصرته فكيف حاله"؟ ولكنها من خجلها لم تستطع أن تنظر إلى وجهه. ثم قال لها: "إذا سمعتِ بفضائل إنسان فاحرصي على التشبه ا ولا تبحثي عن فاعلها. كيف تجرأتِ أن تعبري تلك البحار؟ أما تعلمين أنكِ امرأة ولا يليق بكِ أن تخرجي إلى أي مكان؟ أم تريدين أن تفتخري أمام نساء رومية بأنكِ رأيتِ أرساني وتصيري البحر طريقًا للنساء لكي يأتين إلي"؟ فأجابته النبيلة قائلةً: "إنني بسبب إيماني يا أبي أتيت إليك، وإن شاء الله لن أدع امرأةً تأتي إليك، فقط صل من أجلي واذكرني دائما". فانتهرها قائلاً: "بل إنني أصلي إلى الله أن يمحو منظركِ واسمكِ وذكركِ من قلبي"! وتركها ودخل قلايته.

(٩٥٧) س ٩ رقم ٥، الجزء الثالث، ص ٨٤؛ W. & W., II: 658

(٩٥٨) س ٤ ورقة ٢٧.

عادت المرأة وهي مضطربة الأفكار، ولما دخلت الإسكندرية أصابتها الحمى من شدة الحزن، ولما علم البطريرك بمرضها زارها وسألها عن أمرها، فقالت: "يا أبتاه، ليتني ما كنت ذهبت إلى الشيخ، لأنني لما سألته أن يذكرني قال لي: 'أنا أُصلي إلى الله أن يمحو منظركِ واسمكِ وذكركِ من قلبي'، وها هي عبدتك تموت من الحزن". فقال لها البطريرك: "أما تعلمين أنك امرأة، وأن العدو يقاتل الرهبان بالنساء؟ وهذا هو ما أشار إليه الشيخ، أما عن نفسكِ فهو يصلي دائما ولم ينس تعبكِ وسفركِ". فهدأت نفسها وعادت إلى بلادها مسرورة(٩٥٩).

سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا أحزن أنبا أرسانيوس تلك المرأة التي جاءت من رومية، والتي رأته بتدبير من الله وبدون إرادته، حتى مرضت من حز ا؟ وإذا كان ذكرها يؤذيه فكان يمكنه أن يصلي في الخفاء لكي لا يثبت ذكرها في قلبه دون أن يحزن تلك التي تعبت في السفر لكي تبصره كواحدٍ من الرسل والأنبياء"؟ **فأجاب الشيخ:** "قتال ا د الباطل شديد جدا والتغلب عليه صعب، ويقول عنه يوحنا النبي(٩٦٠): 'إنّ التغلب عليه ليس هينا، وهو لا يقهر في وقتٍ قصير مثل بقية الأوجاع، وهو قيد يصعب تحطيمه'. وقال الطوباوي مرقس (الناسك) عنه: 'إنه يقيد الحكماء لأنه يختبئ في كلام الله، وبقية الأوجاع تلازمه بل هي فروع منه، ومنها قلة الإيمان كما قال ربنا لليهود: «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض، وا د الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه» (يو٥: ٤٤)'"؟

"والطوباوي أرسانيوس كان له مع ا د الباطل قتالٌ صعب، فلذلك أحزن المرأة لكي يفضح ا د الباطل وينتصر عليه، لأ ا إذا ذهبت من عنده مكرمةً تكون سببا يء نساء وقورات كثيرات إليه. كما ينبغي أن نفهم أنه غلب حينئذٍ شيطانين شرسين وفضحهما: شيطان ا د الباطل وشيطان الزنى، وهكذا فعل أيضا أنبا تادرس (البرامي) عندما جاء إليه الوالي ليبصره، فقد تكلم معه بتهاونٍ: قلنسوته ملقاة على كتفيه وصدره مكشوف وكان ثوبه مرقعا، ولما غطّى تلميذه صدره بمئزرته ألقاها الطوباوي عنه. ولما مضى الوالي قال له تلميذه: 'ما هذا الذي فعلته أيها الأب؟ فقد جاء إليك رجلٌ جليلٌ ليتبارك منك وينتفع، فتركته يذهب متشككًا'! فقال له أنبا تادرس: 'دعني أيها الأب، فنحن نطلب مرضاة الله لا مرضاة الناس، فمن أراد أن ينتفع فلينتفع، ومن شك فليشك'"(٩٦١).

---

(959) Apoph., Arsen., 28; W. & W., I: 253; D. F., II: vii ; س ٤ ورقة ٢٧

(٩٦٠) يقصد غالبا القديس يوحنا الأسيوطي لأنه كانت له موهبة النبوة.

(٩٦١) س ٩ ص ٩٧ رقم ١٨.

(962) Apoph., Arsen., 3; W. & W., I: 547; D. F., XV: v; س ٤ ص ٢٩

حدث حينما كان أبا أرسانيوس في **قلايته** أنّ الشياطين أزعجته،ولما جاء إليه الذين كانوا يخدمونه ووقفوا خارج قلايته، سمعوه يصرخ إلى الله قائلاً: "يا رب لا تتركني، إنني لم أفعل شيئًا صالحًا أمام عينيك، ولكن بنعمتك وبحسب صلاحك دعني الآن أبدأ الطريق"(٩٦٢).

الســهر في الصــلاة

قال أبا دانيال (تلميذ القديس) عن الأب أرسانيوس إنه اعتاد أن يقضي الليل كله ساهرا، وفي الصباح الباكر عندما تجبره طبيعة الجسد كان يقول للنوم: "هلم يا عبد السوء"، ثم يختطف قليلاً من النوم وهو جالس ثم يقوم سريعا. وقد اعتاد أن يقول: "إن الراهب يكفيه أن ينام ساعةً واحدةً من الليل إن كان عمالاً"(٩٦٣).

قال أبا زينون إنه سأل مرةً الشيخ قائلاً: "يا أبتاه، ماذا يكفي لنومي بالليل"؟ فأجابه الشيخ: "الراهب اليقظ تكفيه ساعة واحدة، وأما الذي هو دونه فتكفيه ثلاث ساعات، وأما الضعيف فيقسم الليل إلى نصفين"(٩٦٤).

وقيل عنه إنه في مساء كل سبت، إذ يستعد لبهاء يوم الأحد، كان يقف تحت السماء معطيا ظهره للشمس، ويبسط يديه للصلاة حتى تشرق الشمس في وجهه ثم يجلس(٩٦٥).

دعا أنبا أرسانيوس ذات يومٍ تلميذيه أبا ألكسندر وأبا زويلة وقال لهما: "لأنّ الشياطين تحاربني، ولأنني لا أعرف إن كانوا يسرقونني بالنوم، فاتعبا معي هنا هذه الليلة واسـهرا وراقباني وانظرا إن كنت أنام أثناء سهري". وهكذا جلسا واحد عن يمينه والآخر عن يساره من المساء حتى الصباح.

ثم قال التلميذان: "لقد نعسنا واستيقظنا، ولم نلاحظ أنه نعس على الإطلاق، ولكن عندما لاح نور النهار سمعنا صوت تنفسه (أي تشخيره) ثلاث مرات، ولكننا لا نعرف ما إذا كان قد فعل ذلك متعمدا لكي يجعلنا نظن أنه نام، أم أن النعاس حلّ عليه بالفعل. ثم ض وقال لنا: 'هل كنت نائما'؟ فأجبناه قائلَين: 'لا نعرف يا أبانا، لأننا نحن أنفسنا قد غلبنا النعاس'"(٩٦٦).

سأل إخوةٌ شيخا: "مع أن أبا أرسانيوس كان في جميع ليالي الآحاد يجعل الشمس خلف ظهره ويرفع يديه نحو السماء ويصلي حتى تشرق الشمس في وجهه، فلماذا احتاج

(963) Ibid., 14, 15; W. & W., I: 133, 134; D. F.,4: 2,3;٣٠ س ٤ ورقة

(٩٦٤) عن كتاب "القديس أرسانيوس" - يوسف حبيب، ص ٥٨.

(965) Apoph., Arsen.,30; D. F., XII: i;٣١ س ٤ ص (966)W. & W.,I:113; Apoph., Arsen., 43.

إلى مساعدة تلميذيه في إحدى الليالي وطلب منهما أن يسهرا معه لكي ينبهانه إذا حل عليه النعاس"؟ **فأجاب الشيخ:** "المتوحدون ذوو الإرادة الصالحة يتعبون مع الله بالأعمال الصعبة لطلب الفضيلة على قدر قوة طبعهم، وأخيرا ينالون قوةً فوق طبيعتهم، حيث إنه ليس في جميع أعمال الجسد أكثر تعبا وأكثر ربحا من السهر، لأنه لا يقمع الجسد فحسب بل وينقي ويصفي النفس. ولم يكن أنبا أرسانيوس وحده هو الذي يفعل ذلك، بل إنه مكتوب أيضا عن أنبا مقار الإسكندراني أنه لم ينم مدة عشرين ليلة، وأنبا شيشوي (الصعيدي) قيل عنه إنه لما أراد أن يغلب النوم صلب نفسه فوق حافة الصخرة، وعن أنبا باخوم إنه ظلّ يقاتل مع الشياطين لمدةٍ طويلةٍ، وشبه في ذلك با اهد النشيط، كذلك أنبا أنطونيوس عندما كانت تثور عليه الشياطين في ليالٍ كثيرة، طلب من الله أن يبعِد عنه النوم ليلاً و ارا لكي يتغلب على قوة العدو، فأعطاه الله هذه الموهبة لفترةٍ معروفةٍ، ولئلاّ يتكبر الآباء بسبب هذه الموهبة العالية كانوا يتركون أحيانا لضعف طبيعتهم حتى يعرفوا ضعفهم ويشكروا الرب معينهم".

"فلما رأى أنبا أرسانيوس صعوبة القتال عليه أكثر من العادة في النعاس، أراد أن يغلب الشياطين في تلك الليلة بمعونة تلميذيه. وكان قد ابتلي بذلك حتى لا يتكبر، وذلك مثل داود النبي الطوباوي الذي غلب جليات الجبار وحده بغير معين من البشر، ثم إنه لما افتكر "يشبي بنوب" أن يقتله، أنجده "أبيشاي بن صروية" (٢صم٢١: ١٦و١٧)، وقد حدث له ذلك حتى لا يتكبر، كما أن أنبا مقار الإسكندراني ضعف أخيرا ونام (بعد العشرين ليلة) حتى لا يتكبر"[(٩٦٧)].

محاسـبة النفـس

قال شيخ: "يجب على الراهب في كل مساءٍ وكل صباح أن يحاسب نفسه قائلاً: 'ماذا فعلنا مما يريده الله، وماذا فعلنا مما لا يريده الله'؟ وهكذا يقدم توبةً، وهذا هو ما يجب أن يفعله الراهب كل أيام حياته كما كان يعيش أنبا أرسانيوس".

كما قال أنبا إبيفانيوس: "جيد للراهب أن يعيش مثل أنبا أرسانيوس، فاحترس كل يوم أن تقف أمام الله بلا خطية، واقترب منه بدموعٍ كما فعلَت المرأة الخاطئة، وصل للرب إلهك كأنه واقف أمامك، لأنه قريب وينظر إليك باهتمام"[(٩٦٨)].

مثل لهيب نار في صلاته

(٩٦٧) س ٩ رقم ٥٢ ص ١٢٧.

(968) An.,1264 (N. 264);Apoph., Nesteros, 5;W. & W., II: 449.

(969) Apoph., Arsen., 27; W. & W., I: 625; D. F., XVIII: I; Ch., 173.

ذهب أخ إلى قلاية أنبا أرسانيوس في الأسقيط، ونظر من النافذة ورأى الشيخ واقفًا وجسده كله مثل لهيب نار، وكان هذا الأخ مستحقًا لرؤية هذا المنظر. ولما قرع الباب خرج الشيخ ورأى الأخ مذهولاً من المنظر الذي رآه، فقال له: "هل كنت تقرع لمدةٍ طويلةٍ؟ وهل رأيت شيئًا بالمصادفة"؟ فأجاب: "كلا". وبعد أن تحدث الأب أرسانيوس معه صرفه[(٩٦٩)].

معرفة حيل الشياطين

سأل أخ أنبا أرسانيوس: "ماذا أفعل لأن أفكاري تضايقني قائلةً: لا يمكنك أن تصوم ولا أن تعمل، فعلى الأقل اذهب وافتقد المرضى لأن هذا من عمل المحبة"؟ ولكن الشيخ الذي يعرف اقتراحات الشياطين قال له: "اذهب كُلْ واشرب وارقد ولا تعمل، فقط لا تترك قلايتك"، لأن الشيخ عرف أن الثبات في القلاية يرد الراهب إلى طقسه.

فذهب الأخ إلى قلايته، ولما مكث ثلاثة أيام بالطريقة التي أمره ا الشيخ ضجر، فأخذ قليلاً من السعف وبدأ يضفره. ولما جاع قال لفكره: "نفرغ من هذا السعف القليل ثم نأكل"، ولما فرغ منه قال: "نقرأ قليلاً في الكتاب المقدس ثم نأكل". ولما قرأ قال: "أصلي بمزاميري ثم بعد ذلك آكل بلا هم"، وهكذا كان يفعل قليلاً قليلاً حتى رجع بمعونة الله إلى سيرته الأولى، وأخذ سلطانا على الأفكار وكان يغلبها[(٩٧٠)].

سأل إخوةٌ شيخا: "قد يظهر أنه يوجد تناقض بين قولين: أحدهما لأنبا أرسانيوس، والآخر لأحد الشيوخ لم يذكر بستان الرهبان اسمه. ففي القول الأول قال أنبا أرسانيوس لذلك الأخ: 'اذهب كُلْ واشرب وارقد ولا تعمل، ومن قلايتك لا تخرج' ... وهكذا تقدم بعون الله حتى بلغ إلى طقسه الأول. والقول الآخر يذكر أن أخا سأل شيخا قائلاً: 'كان يوجد أخوان: أحدهما هادئ في قلايته، يصوم ويأكل كل ستة أيام ويتعِب نفسه كثيرا، والآخر يخدم المرضى، فمن منهما يكون تعبه مقبولاً أكثر من الآخر'؟ فقال الشيخ: 'لو تعلّق الصائم من جفون عينيه لا يمكنه أن يتساوى مع الذي يخدم المرضى'. وبذلك يبدو أن هناك تناقضا بين القولين".

فأجاب الشيخ: "إنّ الآباء القديسين الذين كانوا يرون الإعلانات، قد تعلّموا من الله وسلّموا إلينا أن تدبير الرهبنة ينقسم إلى ثلاثة أنواع: الذين يمكثون في الهدوء بفكرٍ صالح مستقيم، والذين يخدمون المرضى، والمريض الصابر الشاكر. وأنّ هؤلاء جميعا يتساوون في

---

(970) An.,1195; W.& W., I: 7; Apoph., Arsen., 11; D. F.,VII: xxvii; س٤ ص ٣٠

الفضيلة والأجر مع اختلاف العمل. ولأن الشياطين يعلمون ذلك فهم يحتالون بكل نوع لكي يجردوا كل واحدٍ من موهبته التي له من الرب، فيطلب أن ينتقل إلى غيرها. فالذين في الهدوء، عندما يحاربون بالكسل والملل والاسترخاء وثقل الجسد، يطلبون خدمة المرضى ليس لأجل الفضيلة بل طلبا لراحتهم النفسية من القتال وانحلال الأفكار. والذين يخدمون المرضى والشيوخ يطلبون الهدوء ولا يقدرون أن يثبتوا فيه حتى يحرموا من الموهبتين كليهما معا. والمرضى أيضا يتنسكون في أمراضهم ويتذمرون على الذين يخدمو م ولا يطيلون أرواحهم عليهم ولا يشكرون الله".

"ولمعرفة الآباء القديسين المختبرين ذه الحروب المختلفة يعالجون كل واحدٍ من مرضه بما ينفعه. وقد علم أنبا أرسانيوس بأن الشيطان حارب ذلك الأخ بالملل لكي يبرد حرارته، وأنه إذا ثبت قليلاً فارقه القتال، وأنه إذا خرج من قلايته يحرم من تدبير الهدوء ولا يثبت في خدمة المرضى، فقال له ذلك لكي يشفيه من مرضه. أما الأخ الذي مِنح من الله موهبة خدمة المرضى والشيوخ والضعفاء، فكان يرضي الله ذا العمل بنيةٍ مستقيمةٍ نقيةٍ وبنشاطٍ، لذلك حاربه الشيطان لكي يحرمه من الإكليل".

"ونستنتج من كلا القولين أن الذي يترك خدمته ولا يقدر أن يتمم الأخرى، فالذي يكمل خدمته أفضل منه. وبذلك فلا يوجد تناقض بين القولين"(٩٧١).

علاج الضجر في القلاية

سأل أخ أنبا أرسانيوس: "لماذا أشعر بالضجر في قلايتي"؟ فقال له الشيخ: "لأنك حتى الآن لم تدرك ولم تتيقن من راحة الآخرة ولا عذا ا، فلو تيقنت من ذلك بالحقيقة وكانت قلايتك ملآنةً دودا وأنت غارق فيه حتى عنقك لصبرت وما تضجرت"(٩٧٢).

وسأله مرةً الأب مكاريوس: "لماذا رب منا أيها الأب"؟ فأجابه الشيخ: "الله يعلم أنني أحبكم، ولكنني لا أستطيع أن أكون مع الله ومع الناس، لأن الألوف والربوات من القوات العلوية إنما لهم مشيئة واحدة، أما الناس فلهم مشيئات كثيرة، فلا يمكنني أن أترك الله وأكون مع الناس"(٩٧٣).

السـكون والوحـدة

(٩٧١) س ٩ رقمي ٨ و ٩ ص ٨٥.
(972) An., 1196; W. & W., II: 302; س ٤ ص ٣٠
(973) Apoph., Arsen., 13; W. & W., I: 53a; D. F., XVII: v; س ٤ ص ٣٠
(974) Apoph., Poemen, 25; W. & W., I: 6; D. F., II: 5; س ٤ ورقة ٣٠
(975) Apoph., Poemen, 44; س ٤ ص ٣٢

ذهب القديس أرسانيوس مرةً إلى مكانٍ فيه قصب (بوص)، ثم حركّت الريح البوص، فقال الشيخ للإخوة: "ما هذا الزلزال"؟ فقالوا له: "إنه القصب عندما تحركه الريح يا أبانا"، فقال الشيخ: "من يعيش في السكون، إذا سمع صوت عصفور لا يكون لعقله راحة، فكم بالحري مثل هذا الزلزال من القصب"(٩٧٤)؟

جاء بعض الشيوخ يوما ما إلى أبا أرسانيوس وأصروا على أن يروه، فاستقبلهم، ثم طلبوا منه أن يقول لهم كلمةً بخصوص الذين يعيشون في وحدةٍ ولا ينظرون أحدا، فقال لهم الشيخ: "طالما أن الفتاة تعيش في بيت أبيها فإنّ شبانا كثيرين يرغبون في الزواج منها، ولكنها إن هي دخلَت وخرجت لا تعود بعد مرضيةً لكل أحدٍ، فالبعض يزدري ا، والبعض يشتهيها، فلا تتمتع بالكرامة التي كانت لها سابقًا عندما كانت مختفيةً في بيت أبيها. هكذا أيضا النفس، فهي منذ أن تظهر لكل أحدٍ لا تعود قادرةً على إرضاء كل أحد"(٩٧٥).

كان الشيخ دائما يقول لنفسه: "أرساني، لماذا تركت العالم؟ أذكر ما خرجت لأجله". كما أنه كان يقول أيضا: **[كثيرا ما تكلمت وندمت، وأما عن السكوت فما ندمت قط]**(٩٧٦).

كان الأب أرسانيوس دائما يقول: "لا ترحل من مكانك إلاّ بصعوبةٍ كبيرةٍ، ولا تفعل شيئًا من الأمور الأثيمة التي تشتهيها، ولا تفعل شيئًا بدون شهادة له من الأسفار المقدسة"(٩٧٧).

جاء أخ لزيارة القديس، فلم يفتح فاه ولا تحدث إليه لأن النور الطاهر كان قد أشرق عليه، ولم يكن ذلك واه، ولكن العجب الذي كان بداخله كان يمسك لسانه ولا يجعله يتكلم، فقد أُهل للغة الملائكة و ا كان يرتل خفيةً(٩٧٨).

قيل إنّ البابا ثيئوفيلس ذهب مرةً ومعه أحد الولاة إلى أنبا أرسانيوس، ثم طلبا أن يسمعا منه كلمةً، فصمت الشيخ قليلاً ثم قال لهما: "إن قلت لكما شيئًا هل تحفظانه"؟ فوعداه بذلك. فقال: "حيثما سمعتما بوجود أرساني فلا تقتربا منه"(٩٧٩)!

---

(976) Ibid., 40; W. & W., I: 53b, 549; س ٤ ورقة ٣٢

(977) W. & W., II: 201.

(٩٧٨) عن كتاب "الآباء الحاذقون في العبادة"، الجزء الأول.

(979) Apoph., Arsen., 7; W. & W., I: 52; D. F., II: iv; س ٤ ورقة ٢٩

(980) Apoph., Arsen., 8; W. & W., II: 234; س ٤ ص ٣٠

(981) Apoph., Arsen., 21; W. & W., I: 207 ; D. F., II: vi ; س ٤ ورقة ٣٠

وذكر عمر طوسون في كتابه "أديرة وادي النطرون" ص ٣١ أنّ القديس أرسانيوس غادر صحراء شيهيت بعد إغارة الليبيين عليها نحو سنة ٤١١م، أي بعد سقوط رومية سنة ٤١٠م في أيدي "الأريك Alaric".

اشتهى البطريرك مرةً أن يزوره، فأرسل إليه يستأذنه إن كان يفتح له، فأجاب: "إذا جئت فسأفتح لك، وإن فتحت لك فلا أقدر أن أُغلق بابي في وجه أحدٍ، وإذا فتحت لكل الناس فلا يمكنني أن أعيش ههنا". فلما سمع البطريرك ذلك قال: "إن كنت بذهابي إليه أطرده فلن أذهب إليه"[٩٨٠].

قيل إنّ قلاية أنبا أرسانيوس كانت على بعد اثنين وثلاثين ميلاً، ولم يكن يخرج منها إلى أي مكان إلاّ بصعوبةٍ، وكان آخرون يهتمون باحتياجاته، ولما خرب الأسقيط خرج باكيا وهو يقول: "لقد فقد العالم رومية، وفقد الرهبان الأسقيط"[٩٨١]!

قيل إنّ القديسين أرسانيوس وتادرس البرامي كانا يبغضان المجد الباطل جدا أكثر من كثيرين غيرهما. فقد كان أنبا أرسانيوس لا يقابل الناس كيفما اتفق، أما أنبا تادرس فمع أنه كان يلتقي بالناس إلاّ أنه كان يجتاز كالرمح[٩٨٢].

جاء مرةً أحد الإخوة إلى الأب أرسانيوس وقرع على بابه، ففتح له ظانا أنه خادمه، فلما رأى أنه ليس هو ارتمى على وجهه، فقال له الأخ: "قم يا أبي حتى أُسلم عليك ولو عند الباب". فقال له الشيخ: "لن أقوم حتى تنصرف". وألحّ الأخ عليه كثيرا فلم يقم، فتركه وانصرف[٩٨٣].

سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا لم يرفع الأب أرسانيوس رأسه لذاك الذي زاره لكي ينظره عندما فتح له معتقدا أنه تلميذه، وألحّ عليه كثيرا ولم يفعل"؟ **فأجاب الشيخ:** "الآباء الكاملون عند الكبر والضعف ما كانوا يريدون أن يبصروا أو يكلموا أحدا لكي يسلموا من السجس، وذلك فيما عدا تلاميذهم. والأب أرسانيوس كانت سيرته عالية، وكان كل يوم يبكي حتى سقط شعر عينيه من كثرة البكاء كما تشهد سيرته. وكانت قلايته في برية الأسقيط على بعد اثنين وثلاثين ميلاً، أي عشرة فراسخ. ولما قال له أنبا مقار الإسكندراني: 'لماذا أنت بعيد منا أيها الأب'؟ قال له: 'الألوف والربوات العلويين لهم إرادة واحدة، أما البشر فمشيئاتهم مختلفة، فلا أقدر أن أكون مع الله والناس'. أي أننا نحن البشر بميولنا وضعفنا بسبب الأوجاع المغروسة فينا، لا يمكننا أن ننعتق منها ونرضي الله إلاّ بالوحدة والهدوء والبعد من الحديث مع الناس. كما أن القديس كان من جنس الملوك، وكان خبره قد شاع، فلو سمح للناس بزيارته لما تركوه يستريح، وليس الرجال

---

(982) Apoph., Arsen., 31; W. & W., I: 29; س ٤ ص ٣١

(983) Apoph., Arsen., 37; W. & W., I: 13; س ٤ ورقة ٣١

(٩٨٤) س ٩ ص ٩٦ رقم ١٧.

فقط بل حتى النساء أيضا، مثل تلك المرأة التي زارته من رومية. لذلك منع هذا الأب الأخ من زيارته لكي يسمع الناس ويمتنعوا عن زيارته، كما فعل مع البابا ثيئوفيلس والوالي وغيرهما، إذ لم يجلس معهم بل طلب منهم ألاّ يزوروه"[٩٨٤].

زار الأسقيط مرةً أخ غريب لكي يبصر القديس، ثم ذهب إلى الكنيسة وطلب من رجال الإكليروس ذلك، فقالوا له: "كُلْ قليلاً من الخبز وبعد ذلك تبصره". فقال لهم: "لا أذوق شيئًا حتى أبصره". فبعثوا معه أخا ليرشده إليه لأن قلايته كانت بعيدة جدا.

ولما قرعا باب الشيخ فتح لهما، فدخلا وبعد أن صلّيا معه جلسوا صامتين. ثم قال الأخ الذي من الكنيسة: "أنا منصرف، فصليا من أجلي". ثم إنّ الأخ الغريب لما لم يجد راحةً عند الشيخ قال: "وأنا أيضا معك". فخرجا كلاهما.

ثم طلب الزائر من الأخ أن يصحبه أيضا إلى قلاية أنبا موسى (الأسود) الذي كان سابقًا لصا، فلما وصلا إليه قبلهما بفرح وأكرمهما ثم أطلقهما مسرورين. ثم قال الأخ للزائر: "قد أريتك اليوناني والمصري، فمن هو الذي أرضاك منهما"؟ فأجابه قائلاً: "أما أنا فأقول إنّ المصري هو الذي أرضاني".

فسمع أحد الآباء بذلك، فصلى قائلاً: "يا رب ما هذا؟ إنّ قوما يهربون من الناس من أجل اسمك، وقوما يقبلو م من أجل اسمك"؟ ولما ألحّ في السؤال، أظهر الله له سفينتين عظيمتين في لجّة البحر، ورأى في إحداهما أنبا أرسانيوس في سلامٍ كامل وروح الله معه، ورأى في الأخرى أنبا موسى وملائكة الله معه وهم يطعمونه شهد عسل[٩٨٥].

سئِل شيخ: "لماذا كان أنبا أرسانيوس يختار الهدوء ويحبه ولا يحب قبول من يأتي إليه، في حين كان أنبا موسى مع محبته للهدوء يحب الناس ويريحهم؟ ولماذا تراءى روح الله مع أنبا أرسانيوس في المركب في حين تراءى الملائكة مع أنبا موسى في مركبٍ آخر وهم يطعمونه شهدا"؟ **فأجاب الشيخ:** "كان أنبا أرسانيوس قد اشتهر بسبب شرف جنسه، فلو أفسح للناس في زيارته لما كان يحصل على شيءٍ من الهدوء، أما أنبا موسى فقد كان لصا، وكان قد صنع بالناس شرورا كثيرة، فرأى أنه بمحبة الغرباء يرضي الله لأنه كان

---

(985) Apoph., Arsen., 38; W.& W., I: 21; D. F., p.150: xviii;٣١ س ٤ ورقة

(٩٨٦) س ٩ ص ٩٩ رقم ١٩.

يضيق على الناس سابقًا، فأراد أن ييسر الناس في زمان توبته. أما روح الله فهو يظهر للمتوحدين الكاملين وللذين يستحقون ذلك بأشكالٍ مختلفة"[٩٨٦].

المحبـــة والإفـــراز

قيل إنّ بعض الآباء ذهبوا من الإسكندرية لزيارة أنبا أرساني، وكان أحدهم هو خال أنبا تيموثاوس بطريرك الإسكندرية[٩٨٧]، وكان معه أحد أبناء إخوته. وكان الشيخ حينئذٍ مريضا، فلم يشأ أن يلتقي بهم خوفًا من أن يأتي آخرون ويزعجونه. وكان يسكن حينئذٍ في جبل طره (في طريق حلوان)، وهكذا عادوا وهم متضايقون.

ثم هجم البربر على البلاد المصرية، فذهب الشيخ وأقام في مصر السفلى[٩٨٨]، فلما سمع هؤلاء أنفسهم بذلك ذهبوا لزيارته مرةً أخرى، فاستقبلهم بسرور. وقال له الأخ الذي كان معهم: "ألا تعلم أيها الأب أننا ذهبنا إلى طره وأنت لم تقابلنا"؟ فقال له الشيخ: "لقد أكلتم خبزا وشربتم ماءً، أما أنا فالحق يا ابني أنني لم أذق خبزا ولا ماءً ولا جلست حتى علمت أنكم عدتم إلى بيوتكم، وذلك لكي أُعاقب نفسي لأنكم تعبتم بسببي، ولكن اغفروا لي يا إخوتي". وهكذا انصرفوا مسرورين[٩٨٩].

قال أبا دانيال (تلميذ القديس): إنّ بعض الإخوة كانوا ذاهبين إلى الصعيد ليبحثوا عن بعض الكتان، وقالوا: "هلموا ننتهز هذه الفرصة لنـزور أنبا أرسانيوس". فذهب أبا ألكسندر (تلميذه الآخر) ليخبر الشيخ: "إنّ بعض الإخوة جاءوا من الإسكندرية ويرغبون أن يروك". فأجاب الشيخ: "اسألهم لماذا جاءوا". فلما علم أنهم كانوا متجهين إلى الصعيد ليبحثوا عن الكتان، أخبر الشيخ بذلك فقال: "يقينا إنهم لن يروا وجه أرسانيوس، لأنهم لم يأتوا لأجلي بل بسبب شغلهم. اجعلهم يستريحون ثم اصرفهم بسلامٍ، وأخبِرهم بأن الشيخ لا يمكنه أن يقابلهم"[٩٩٠].

حدث عندما كان أبا أرسانيوس مقيما في مصر السفلى (أبو قير)، أنه شعر بانزعاجٍ، فقرر أن يترك قلايته هناك دون أن يأخذ أي شيءٍ منها. وذهب إلى تلميذيـه ألكسندر وزويلة في "فاران"، ثم قال لألكسندر: "قم وارجع إلى المكان الذي كنت مقيما

---

(٩٨٧) يعلق "إيفيلين هوايت" (الجزء الثاني ص ١٦٣) على ذلك بقوله: "هذا غير معقول، لأن البابا تيموثاوس الـ ٢٢ توفي سنة ٣٨٥م، ويصعب جدا التصديق بأنه ترك "خالاً" له على قيد الحياة حوالي سنة ٤٤٠م حينما تمت هذه الرحلة المذكورة، لكن يحتمل أن يكون المقصود هو البابا ثيئوفيلس الـ ٢٣ بدلاً من البابا تيموثاوس، حيث إنه يحدث أحيانا خلط بينهما".

(٩٨٨) معروف أنه أقام بعض الوقت في "أبو قير".

(989) Apoph., Arsen., 34; W. & W., I: 317;٤٨ س ٥ ص

(990) Apoph., Arsen., 26.

فيه"(يقصد مكانه السابق في طره)، ففعل ألكسندر ذلك. وقال لزويلة: "قم وتعالَ معي إلى النهر وابحث لي عن مركب ذاهبةً إلى الإسكندرية، ثم عد واذهب إلى أخيك". فتعجب زويلة من هذا الكلام ولكنه لم يقُل شيئًا.

وهكذا افترقوا عن بعضهم، وذهب الشيخ أرسانيوس إلى نواحي الإسكندرية حيث رقد مريضا بمرض خطير. وذهب تلميذاه عائدين إلى المكان الذي كانا فيه أولاً، وقال بعضهما لبعض: "ألعل أحدا منا سبب مضايقةً للشيخ حتى إنه فارقنا"؟ ولكنهما لم يجدا شيئًا ربما يكون قد ضايقه منهما. ثم تحسنت صحة الشيخ وقال: "أ ض وأعود إلى الآباء (تلاميذه الرهبان)"، وسافر إلى "باتارا" (أي موضع الصخرة في طره)، حيث كان تلميذاه. وعندما كان الشيخ قريبا من النهر رأته فتاة إثيوبية، فاقتربت منه وسحبت رداءه من ورائه، فوبخها الشيخ، فقالت له الفتاة: "إن كنت راهبا فاذهب إلى الجبل". وإذ حزن الشيخ بعض الشيء لهذه الملحوظة قال في نفسه: "يا أرسانيوس، إن كنت راهبا فاذهب إلى الجبل".

ثم التقى به بعد ذلك تلميذاه ألكسندر وزويلة، وسقطا عند قدميه، وألقى الشيخ بنفسه على الأرض أيضا، وبكوا جميعا. ثم قال الشيخ لهما: "ألم تسمعا أنني كنت مريضا"؟ فقالا له: "نعم". فقال: "فلماذا لم تأتيا لرؤيتي"؟ فقال أبا ألكسندر: "لأنّ الطريقة التي تركتنا ا لم تكن صائبة، وبسببها عثر كثيرون قائلين إنه لو لم يكونا قد ضايقا الشيخ بطريقةٍ ما لما كان قد فارقهما قط". فقال لهما الشيخ: "أنا أعرف ذلك، ولكن الناس سيقولون أيضا إنّ الحمامة لم تجد راحةً لرجليها فعادت إلى نوح في الفلك". فتعزى التلميذان، وبقي القديس معهما حتى انتقاله[٩٩١].

قيل عن أنبا أرسانيوس إنّ إخوةً من الأسقيط جاءوا إليه، ولكنه لم يستطع أن يقابلهم بسبب أنه كان في ضيقٍ شديدٍ وحزنٍ، ولما عرف الإخوة ذلك استولى عليهم الخوف وانصرفوا[٩٩٢].

وقيل عنه إنه لم يكن يحب أن يبقى زائروه عنده كثيرا، وإنّ الأب أموي جاء لرؤيته، وكان يحبه كثيرا، وفي بدء الحديث معه قال له: "ماذا تراني يا أبي"؟ فقال: "أراك مثل ملاك". وبعدما تكلّما أكثر مما كان يريد أنبا أرسانيوس، سأله مرةً أخرى: "والآن ماذا تراني"؟ فقال له: "الآن أراك كمجربٍ، لأنك حتى لو قلت كلاما جيدا فكأنك تطعنني بسيف"[٩٩٣].

---

(991) W. & W., I: 343; Apoph., Arsen., 32.

(992) Arm., I: 521.

(٩٩٣) عن كتاب "حياة آباء الصحراء" للأب ميشيل، ص ٤٦٨؛ D. F., XI: iv

الاعتكاف والجهاد

وقيل إنه لما شاخ القديس - وقد بلغ من العمر نحو ٩٧ عاما - حل الصوم المقدس، فدخل كعادته إلى شق الجبل حيث توجد قلايته، واعتكف فيها مدة الأربعين يوما، لأنه منذ خروجه إلى الرهبنة لم يخاطب أحدا في صوم الأربعين المقدسة، وكان يكتفي فيها بغذاءٍ يسير كل ثلاثة أيام.

وبينما هو على هذا الحال، دارسا في شريعة الله ومصليا ليل ار، اغتمت الشياطين لذلك جدا، وأرادت أن تدخل إليه ولكنها لم تقدر بسبب مواصلة الصلاة وقو ا، فصاروا يصنعون ضوضاء في الخارج ليكفوا البار عن صلاته. حينئذٍ تقوى بنعمة الروح القدس الساكن فيه وانتهرهم قائلاً: "لماذا الضوضاء يا أعداء الحق؟ إن كنتم قد أخذتم سلطانا فاقتربوا وادخلوا، وإن كان رئيسكم هو الذي أرسلكم فلتخزوا ولتنصرفوا فإني عبد ليسوع المسيح الذي حطم اقتداركم". فلما نطق الشيخ ذا الكلام هربت الشياطين بالخزي.

وبعد هذا القتال زارته النعمة الإلهية كما قال هو لتلاميذه، كما أن محبة الله أضرمت قلبه كالنار، فازداد في درس المزامير والصلاة النقية، وفاضت عيناه بالدموع. وفي يوم سبت لعازر جاء إليه تلاميذه ليزوروه، ففتح بابه وخرج إليهم، ولما صلوا جلسوا جميعا يتفاوضون في منفعة النفس. ولما سمع التلاميذ تعاليم القديس تعزت قلو م ورجعوا إلى مواضعهم وهم يمجدون الله[٩٩٤].

التعلم من البسطاء

سئل المغبوط أرسانيوس: "كيف أننا مع كل ما تعلّمناه ومعرفتنا الواسعة لا نحصل على شيء، في حين أن هؤلاء القرويين المصريين يكتسبون عدة فضائل"؟ فأجاب: "إننا حقًا لا نحصل على شيء من تعليمنا الدنيوي، ولكن هؤلاء القرويين يكتسبون الفضائل والحكم العالية بجهادهم الشاق"[٩٩٥].

قيل عن أنبا أرسانيوس إنه كان مرةً يسأل أحد الشيوخ المصريين عن أفكاره، فرآه شيخ آخر وسأله: "كيف أنك أنت الذي تعلّمت الكثير باليونانية واللاتينية تسأل هذا

---

(٩٩٤) مخطوطة رقم ٢٦٨ ميامر بدير السريان.
(995) Apoph., Arsen., 5; W. & W., II: 232.
(996) » » ., 6; » »., II: 233; D.F., XV: vii; س ٤ ورقة ٢٩
(997) Apoph., Arsen., 16; W. & W., I: 463; D.F., XV: viii ; س ٤ ورقة ٣٠

القروي عن أفكارك"؟ فأجابه قائلاً: "حقًا إنني حصلت على تعليمٍ جيدٍ بالأدب اليوناني واللاتيني، أما الألفا فيتا التي أتقنها هذا القروي المصري فما تعلّمتها بعد"[٩٩٦]!

الاتضـــاع

وقيل أيضا إنّ واحدا جاء بقليلٍ من التين إلى الأسقيط، فاقتسمه الرهبان فيما بينهم، ولأنه قليل فقد استحوا أن يعطوا منه لأنبا أرسانيوس لسمو منـزلته. فلما سمع الشيخ امتنع عن الحضور إلى الكنيسة قائلاً: "لقد أفرزتموني من الإخوة ولم تعطوني من البركة التي أرسلها الله لأنني لم أكن مستحقًا أن آخذ منها، ومن جهةٍ أخرى نسبتم إلي الكبرياء". فلما سمعت الجماعة ذلك انتفعوا من اتضاع الشيخ، ثم انطلق القس وأحضر له نصيبا من التين، ففرح وسبح الله، وجاء معهم إلى الجمع[٩٩٧].

مرض مرةً أنبا أرسانيوس، فاحتاج إلى ثمن خبزةٍ واحدةٍ ولم يجد، فأخذ صدقةً من إنسانٍ وقال: "أشكرك يا إلهي الذي أهلتني أن آخذ صدقةً من أجل اسمك"[٩٩٨].

جلس الأب أرسانيوس في **أحد الأيام** يأكل فولاً مسلوقًا مع الإخوة، وكان من عادتهم ألاّ ينقّوه، أما هو فكان ينقي الفول الأبيض من الأسود والذي أفسده السوس ويأكله، فلم يرضِ ذلك أب الدير وخشي أن يفسد بذلك نظام الدير. فاختار أحد الإخوة وقال له: "احتمل ما سأفعله بك من أجل الرب". فقال الأخ: "سمعا وطاعةً يا أبي". ثم قال له: "اجلس بجانب أرسانيوس ونق الفول الأبيض وكُلْه". ففعل الأخ كما أمره الأب، فلطمه لطمةً مرة وقال: "كيف تنقي الفول الأبيض لنفسك وتترك الأسود لإخوتك"؟ فسجد أرسانيوس للأب وللإخوة وقال لذلك الأخ: "يا أخي، هذه اللطمة ليست لك بل على خد أرساني". ثم قال: "هوذا أرسانيوس معلم أولاد الملوك ما عرف كيف يأكل الفول مع رهبان أسقيط مصر". وهكذا ازداد فهما وسموا على موهبته[٩٩٩].

وقيل إنّ أحد الإخوة المجاورين لقلاية أنبا أرساني خرج يوما لكي يقطع خوصا، وكان الحر شديدا في ذلك اليوم. ولما قطع الخوص ورجع أراد أن يأكل فلم يقدر أن يبتلع الخبز اليابس لأنّ حلقه كان قد يبس من شدة الحر. وفي ذلك الوقت كان الإخوة بالأسقيط يسلكون بتقشفٍ عظيمٍ ونسكٍ شديد. فأخذ الأخ قليلاً من الملح وصب عليه ماءً وبل فيه الخبز وبدأ يأكل، فدخل إليه الأب إشعياء ليفتقده، فلما شعر الأخ بأنبا إشعياء رفع وعاء الماء وخبأه بين الخوص.

---

(998) » .., » ., 20; » » ., I: 158; »., VI: iii ; س ٤ ورقة ٣٠

(٩٩٩) س ٤ ورقة ٢٨.

(١٠٠٠) س ٤ ورقة ٢٨.

وكان أنبا إشعياء رجلاً ذكيا حارا في الروح جدا، وكان يعلم أن أنبا أرسانيوس يعمل نوعين من الطعام: بقلاً وخلا، ولكنه لاحتشامه لم يشأ الآباء أن يكسروا قلبه سريعا، فرأى أنبا إشعياء أن يؤدب أنبا أرسانيوس بواسطة هذا الأخ، فقال للأخ: "ما هذا الذي خبأته مني"؟ فقال الأخ: "اغفر لي يا أبي من أجل محبة السيد المسيح، فقد دخلت إلى البرية لأقطع خوصا واشتد علي الحر حتى أنه سد حلقي، فلما دخلت القلاية أردت أن آكل فلم أستطع أن أبتلع الخبز بسبب جفاف فمي، فأخذت ماءً مع قليلٍ من الملح وبللت فيه القراقيش لكي يسهل تناولها".

فأخذ أنبا إشعياء الوعاء وخرج ووضعه أمام قلاية أنبا أرسانيوس، وقال للمرقباني: "دق الناقوس لكي يحضر الإخوة ويبصروا الأخ زينون كيف يأكل مرقًا في الأسقيط". ولما حضروا، التفت إلى الأخ وقال له: "يا أخي، لقد تركت تنعمك وجئت إلى الأسقيط لأجل محبة الله وخلاصك، وتريد أن تلذذ نفسك بالأطعمة؟ إن كنت تريد أن تأكل مرقًا فاذهب إلى مصر لأنه لا يوجد في الأسقيط تنعم".

فلما سمع أنبا أرسانيوس ذلك قال لنفسه: "هذا الكلام موجه إليك يا أرساني". ثم أمر تلميذه أن يعمل له بقولاً فقط، وقال: "ها أنا قد تأدبت بسائر حكمة اليونانيين، وأما حكمة هذا المصري وحسن تدبيره فلم أصل إليها بعد، لقد صدق الكتاب إذ يقول: « تهذب موسى بكل حكمة المصريين» (أع٧: ٢٢)"[١٠٠٠].

كان راهب من روما (هو أنبا أرساني) يقول: "كان هناك شيخ له تلميذٌ صالح، وبضيق عقله طرده بجلده (أي بدون شيء سوى ردائه الجلدي)، وظلّ الأخ جالسا في الخارج، ولما فتح الشيخ الباب وجده جالسا، فندم قائلاً: 'أيها الأب، إنّ اتضاعك وصبرك قد غلبا عقلي الضيق، أُدخل ومن الآن فصاعدا أنت الشيخ وأنا الأصغر والتلميذ'"[١٠٠١].

قيل إنّ القديس كان قد اعتاد في قصر الملك أنه عندما يجلس يضع رجلاً على الأخرى، فلاحظ أنبا بيمين ذلك واتفق مع أب الدير على أن يضع أنبا بيمين رجلاً على الأخرى في الاجتماع العام، فلم ينس الأب أن يتكلم عن الإخوة الذين يسلكون بطريقةٍ غير رهبانية مثل الأخ بيمين الذي كان يضع رجلاً على الأخرى، فتنبه القديس أرسانيوس لنفسه[١٠٠٢].

المـوت عن العالـم

(1001) Apoph., An Abba of Rome, 2.

(١٠٠٢) كتاب "حياة آباء الصحراء" للأب "ميشيل إنج مران".

(1003) Apoph., Arsen., 29; W. & W., II: 516; ورقة ٣٠ س ٤

(١٠٠٤) كتاب "القديس أرسانيوس" - يوسف حبيب، ص ٨٣.

روى عنه أبا دانيال تلميذه أنه جاء إليه ذات يومٍ مسئولٌ قضائي اسمه "جسريانوس" ومعه وصية من أحد الشرفاء من أقارب القديس أوصى له فيها بميراثٍ كبير. فأخذ الأب أرسانيوس الوصية لكي يمزقها، فألقى جسريانوس بنفسه عند قدميه قائلاً: "أتوسل إليك ألاّ تمزقها وإلاّ فإنهم سيقطعوا رأسي". فقال له القديس: "ولكنني قد مت منذ زمانٍ قبل هذا الشريف الذي مات عن قريب". ثم أعاد إليه الوصية دون أن يقبل منها شيئًا(١٠٠٣).

كان الأب أرسانيوس يقول: "إنني مرةً واحدةً مت عن العالم، وما نفع الميت للأحياء"(١٠٠٤)؟

وكان يقول أيضا: "الراهب إنما هو غريب في أرضٍ غريبةٍ، فإذا أراد أن يجد الراحة فعليه ألاّ يشغل نفسه بأي شيءٍ فيها"(١٠٠٥).

الــزهــد

وقيل عنه: كما أنه لم يكن أحد في قصر الملك يلبس أفخر منه، كذلك بعد خروجه إلى الرهبنة لم يكن أحد يلبس أحقر من ملابسه(١٠٠٦).

قيل عن أنبا أرسانيوس إنه عندما كان مريضا مرةً في الأسقيط، جاء القسيس وأخذه إلى الكنيسة ووضعه على سريرٍ وتحت رأسه وسادة صغيرة. ثم إنّ أحد الشيوخ الذي جاء ليراه وجده راقدا على سريرٍ ووسادةٍ فصعِق وقال: "أحقًا هذا هو أنبا أرسانيوس الذي يرقد هكذا"؟ فأخذه القسيس جانبا وقال له: "ماذا كان عملك في القرية التي كنت تعيش فيها"؟ فأجاب: "كنت راعيا". - "وكيف كانت معيشتك"؟ - "كانت معيشتي بمشقةٍ وعوز شديدين". - "وكيف تعيش الآن في قلايتك"؟ - "أنا الآن أكثر راحة". حينئذٍ قال له: "أترى أبا أرسانيوس هذا؟ عندما كان في العالم كان أبا للإمبراطور، محاطًا بألفٍ من العبيد المتنطقين بمناطق ذهبية وأربطة عنق ذهبية وملابس حريرية، ومفروشة تحته الكسوات الثمينة ويجلس على الكراسي الملوكية، وأنت عندما كنت راعيا في العالم لم تكن لك الراحة التي تتمتع بها الآن، أما هو فلم يعد يتمتع الآن بالمعيشة المرفّهة التي كانت له في العالم، فالآن أنت في راحةٍ وهو في ضيق".

(1005) The Paradise of the holy Fathers, p. 166.
(1006) D. F., XV: vi; W. & W., I: 165; Apoph., Arsen., 4; ٢٩ س ٤ ص

ذا الكلام شعر الشيخ بالندم وصنع ميطانية قائلاً: "اغفر لي يا أبي فقد أخطأت، حقًا إنّ الطريق الذي يتبعه هذا الرجل هو طريق الحق، لأنه أدى به إلى الاتضاع، في حين أنّ طريقي أدى بي إلى الراحة". وهكذا انصرف الشيخ منتفعا(١٠٠٧).

وقد سجلت أقوال الآباء قصةً مشا ةً للسابقة هي:

كان هناك راهب من روما (هو غالبا أنبا أرسانيوس)، عاش في الأسقيط بجوار الكنيسة (أولاً قبل توحده)، وكان له خادم. ولأنّ القس كان يعلم بصحته السيئة والراحة التي كان معتادا عليها، فقد كان يرسل له كل ما كان محتاجا إليه من أي شيءٍ كان يأتي به أي إنسان إلى الكنيسة (أي العطايا العينية). ولما قضى خمسةً وعشرين سنة في الأسقيط نال موهبة البصيرة وصار مشهورا.

سمع به أحد المصريين وذهب ليراه وهو يظن أنه سيجده في عيشةٍ كلها خشونة جسدية. دخل إليه وحياه، ثم صليا وجلسا. ثم رأى المصري أنه يرتدي ثوبا ناعما، وأن له سريرا عليه غطاء ووسادة صغيرة. كما أنه رأى أنّ قدميه نظيفتان ويلبس صندلاً. ولما لاحظ كل ذلك صدِم لأن مثل هذه الطريقة من الحياة لم تكن معتادة في ذلك المكان، بل إنّ خشونةً كثيرةً كان يتطلّبها من يسكن هناك. ولأنّ الشيخ كانت عنده موهبة البصيرة، فقد فهم أنّ الرجل صدِم، ثم قال لمن كان يخدمه: "سنحتفل اليوم بعيدٍ من أجل هذا الأب". وكان عنده قليل من الخضروات فطبخها، ولما حان ميعاد الطعام ضا وأكلا. وكان لدى الشيخ قليل خمر أيضا بسبب مرضه، فشربا بعضا منها. ولما جاء المساء تلَوا الاثني عشر مزمورا وذهبا للنوم. كما فعلا هكذا أيضا أثناء الليل (صلاة نصف الليل).

ولما ض المصري عند الفجر قال للشيخ: "صل من أجلي"، ثم خرج دون أن ينتفع. ولما ابتعد قليلاً أراد الشيخ أن يجعله ينتفع، فأرسل واحدا لكي يرجعه إليه. ولمـا جـاء إستقبله مرةً أخرى بفرحٍ وسأله: "من أي قطرٍ أنت"؟ فقال: "من مصر". - "ومـن أي مدينة"؟ - "لم أكن من سكان المدن إطلاقًا". - "وماذا كان عملك في الريف"؟ - "كنت راعيا". - "وأين كنت تنام"؟ - "في الحقل". - "هل كان لك أي شيءٍ ترقد عليه"؟ - "هل آتي بسريرٍ وأضعه تحتي في الحقل"؟ - "ولكن كيف كنت تنام"؟ - "على الأرض ا ردة". - "وماذا كان طعامك في الحقول؟ وأية خمرٍ كنت تشرب"؟ - "أيوجد طعام وشراب في الحقول؟ كنت آكل خبزا يابسا، وإن وجدت أي أعشابٍ

(1007) Apoph., Arsen., 36; W. & W., I: 450; س ٤ ص ٣١

خضراء وماء". فأجاب الشيخ: "مشقة عظيمة! وهل كان هناك حمـام للاغتسـال في القرية"؟ - "كلاّ، النهر فقط عندما كنا نحتاج".

ولما علم الشيخ بكل ذلك ومشقّة حياته السابقة، أخبره عن طريقة حياتـه السـابقة عندما كان في العالم بقصد أن يعينه قائلاً: "هذا الفقير الذي تراه، إنني من مدينة رومـا العظمى، وكنت من كبار رجال الإمبراطور". فلما سمع المصري بداية هذا الكلام امتلأ بشعور تأنيب الضمير وأصغى باهتمامٍ لما كان الشيخ يقوله حيث أكمـل قـائلاً: "ثم تركت المدينة وجئت إلى هذه البرية. لقد كان لي، أنا الذي تراه، بيوتا عظيمـة وغـنى كثير، ولما ازدريت بهذه كلها جئت إلى هذه القلاية الصغيرة. وكان لي، أنا الذي تـراه، أسِرة كلها من ذهب وعليها أغطية ثمينة جدا، وبدلاً من ذلك أعطاني الله هذا الفـراش الزهيد وهذا الجلد. بل إنّ ملابسي كانت من أغلى الأنواع، وبدلاً منها ها أنا أرتـدي هذه الملابس التي لا قيمة لها، وأيضا كان على مائدتي أوان ذهبية كثيرة، وبـدلاً منـها أعطاني الله طبق الخضروات الرخيص هذا وكوب الخمر. كان هنـاك عبيـد كـثيرون يخدمونني، وانظر كيف أنه بدلاً من ذلك جعل الله هذا الشيخ يتعب في خدمتي. وبـدلاً من الحمام فإنني الآن أستعمل القليل من الماء لقدمي وأنتعل بصندل بسبب ضعفي. وبدلاً من الموسيقى والقيثارات أقول الاثني عشر مزمورا في النهار والليل، وبدلاً من الخطايا التي اعتدت عليها أتلو الآن قانوني في الصلاة، لذلك أرجوك يا أبا ألاّ تعثر بسبب ضعفي"!

فلما سمع المصري ذلك أفاق إلى نفسه وقال: "الويل لي، لأنني بعد تلك المشقّة الكبيرة في العالم صرت في راحةٍ، وما لم يكن لي سابقًا أملكه الآن، في حين أنك بعد راحةٍ عظيمةٍ بهذا المقدار أتيت إلى المذلّة والفقر"! وهكذا ذهب منتفعا جدا، وصار له صديقًا وكثيرا ما كان يذهب إليه لكي يساعده، لأنه كان ممتلئًا بالإفراز وعطر الروح القدس الزكي(١٠٠٨).

كان أبا دانيال يقول: "عاش أنبا أرسانيوس معنا سنين عديدة، وقد اعتدنا في كل سنةٍ أن نعطيه سلةً واحدةً من الخبز فقط، وعندما كنا نذهب إليه في السنة التالية كنا نأكل بعضا من هذا الخبز"(١٠٠٩).

قيل عن الأب أرسانيوس إنه كان يغير الماء الذي يبلّ فيه الخوص مرةً واحدةً فقط في السنة، أما في بقية الأوقات فقد كان كلما نقص الماء يضيف إليه قليلاً منه، وذلك لأنه كان يضفر الخوص ويخيطه معا كل يوم حتى الساعة السادسة (ظهرا). وقد سأله أحد الشيوخ

(1008) Apoph., An Abba of Rome, 1.
(1009) Apoph., Arsen., 17.
(1010) Ibid., 18; W. & W., I: 208.

بتوسلٍ قائلاً: "لماذا لا تغير الماء لهذا الخوص عندما تصير رائحته كريهة"؟ فقال له: "علي أن أتحمل هذه الرائحة الكريهة عوضا عن العطور والأطايب التي استعملتها في العالم"[(١٠١٠)].

سأل الإخوة شيخا: "لماذا كان أنبا أرسانيوس لا يغير الماء الذي يبلّ فيه السعف ما خلا مرةً واحدةً في السنة؟ وكيف لم يكن شغله يفسد"؟ **فأجاب الشيخ:** "لم يقل البستان إنه كان يبلّ السعف طوال السنة في ماء منتن، فهذا ما لا يمكن، بل إنه كان يضع وعاءً كبيرا في قلايته ويضع فيه كل يوم الماء الذي يبلّ فيه السعف، فإذا تجمع لمدة سنة كانت تخرج منه رائحة لا يقدر أحد أن يصبر عليها. وكان يفعل ذلك لكيما يتعذب من الرائحة عوض الطيب والروائح الفاخرة اللذيذة التي كان يتلذّذ ا في العالم"[(١٠١١)].

سأل أبا مرقس الأب أرسانيوس: "هل جيد ألاّ يملك الراهب شيئًا زائدا في قلايته؟ لأنني أعلم أنّ أخا كانت له بعض الخضروات ثم اقتلعها". فأجاب القديس: "لا شك أن هذا جيد، ولكن يجب أن يتم ذلك بحسب مقدرة الإنسان، لأنه إن لم تكن له القدرة على المثابرة على مثل ذلك العمل فهو لا يلبث أن يزرع غيرها"[(١٠١٢)].

كان أبا دانيال يروي كيف أنّ أنبا أرسانيوس عندما كان يعلم بنضج أي نوعٍ من الثمار يقول: "أحضروا لي بعضا منها". وكان يذوق القليل جدا من كل نوعٍ مرةً واحدةً في السنة ويشكر الله[(١٠١٣)].

سأل إخوةٌ شيخا: "كان أبا أرسانيوس يأكل من جميع الثمار مرةً واحدةً في السنة حتى يشكر الله، بينما كان غيره لا يأكل من الثمار شيئًا البتة، فلماذا"؟ **فقال الشيخ:** "يوجد اختلاف بين الآباء الكاملين لسببين: أحدهما من أجل ربحهم، والآخر لتعليم الآخرين. فبعض الآباء ما كانوا يذوقون شيئًا لأجل ثبا م في النسك، والأنبا أرساني وإن كان عمالاً كثيرا، ولكن لأنه كان يسمع الناس مرات كثيرة يلومون المتوحدين على أ م يرذلون بعض الأطعمة مثل الهراطقة في حين أن الله خلقها للبشر ليستعملوها ويشكروه عليها، لهذا فبإفرازه كان يأكل منها مرةً في السنة ليبطل تلك الظنون ويشكر الله"[(١٠١٤)].

التدبـير والجهـاد

وقيل عنه إنه لم يدرك أحد ولم يبلغ إلى معرفة كيف كان تدبيره وجهاده[(١٠١٥)].

(١٠١١) س ٩ رقم ٧٦ ص ١٤٦.
(1012) » ., » ., 22; » » »., II: 396; D. F., X: vii.
(1013) Apoph., Arsen., 19; W. & W., II: 18.
(١٠١٤) س ٩ رقم ٢٣٤ ص ٣٤٥.
(1015) W. & W., I: 105; An., 1015; س ٤ ورقة ٣٠
(1016) Apoph., Arsen., 33; W. & W., II: 23; Ch., 174; س ٤ ص ٣١

قال أبا دانيال: "أخبرنا الأب أرسانيوس بما يلي، وكأنه كان يشير إلى شخصٍ آخر، ولكنه في الحقيقة كان يقصد ذاته هو:

’كان أحد الشيوخ جالسا في قلايته، فجاءه صوت يقول: "هلم فأُريك أعمال الناس". فنهض وتبعه، وقاده الصوت إلى مكانٍ أراه فيه حبشيا يقطع حطبا وجعل منه كومةً كبيرةً، ثم حاول أن يحملها فلم يستطع، ولكنه بدلاً من أن ينقِص منها قطع حطبا آخر وأضافه إليها. وفعل ذلك مرارا كثيرة. ثم تقدم الشيخ قليلاً فرأى رجلاً واقفًا عند بئرٍ وهو يستقي ماءً ويلقيه في وعاءٍ مثقوب، لذلك فإنّ الماء يرجع مرةً أخرى إلى البئر‘.

’ثم قال الصوت للشيخ: "تعال فأُريك شيئًا آخر"، فرأى معبدا ورجلين يمتطيان حصانين وكلٌ منهما في مواجهة الآخر، وهما يحملان عارضةً خشبيةً بالعرض، وأرادا أن يدخلا من الباب فلم يتمكّنا من ذلك لأ ما كانا يحملان العارضة بالعرض. ولم يتنازل أى منهما ويسير خلف الآخر حتى يحملا الخشبة طوليا، وهكذا بقيا خارج الباب. وقال الصوت للشيخ: "هذان الرجلان يشيران إلى الذين يحملون نير البر بكبرياءٍ ولا يتضعون حتى يصححوا أنفسهم ويسيروا في طريق المسيح المتضعة، وهكذا يبقون خارج ملكوت الله. والرجل الذي يقطع الحطب هو ذاك الذي يعيش في خطايا عديدة، وبدلاً من أن يتوب يضيف على خطاياه خطايا أخرى، والذي يستقي الماء هو الذي له أعمالٌ صالحةٌ ولكنه يخلطها بأعمالٍ رديئةٍ فيفسِد حتى أعماله الصالحة. فيجب على كل واحدٍ أن يكون متيقظًا لأعماله لئلاّ يتعب باطلاً"‘"[(١٠١٦)].

روى أبا دانيال، تلميذ الأب أرسانيوس، قائلاً: "كنت يوما ما بالقرب من أبا ألكسندر، وكان الحزن يغمره، فاضطجع وظلّ يشخص ببصره في الهواء بسبب حزنه. ثم حدث أنّ الطوباوي أرسانيوس جاء ليتكلم معه ورآه مضطجعا، وأثناء حديثهما قال له: ’ومن هو العلماني الذي رأيته هنا‘؟ فقال أبا ألكسندر: ’أين رأيته‘؟ قال: ’بينما أنا نازلٌ من الجبل نظرت في هذا الاتجاه نحو المغارة ورأيت رجلاً منطرحا بطوله وهو يتطلّع في الهواء‘. فقدم أبا ألكسندر توبةً قائلاً: ’اغفر لي فقد كنت أنا، وكنت مقهورا من الحزن‘. فقال له الشيخ: ’إذن فقد كنت أنت وأنا ظننت أنه علماني ولذلك سألتك‘"[(١٠١٧)].

طلب أخ من أبا أرسانيوس أن يسمع منه كلمةً، فقال له الشيخ: "جاهد بكل قوتك أن تجعل عملك الداخلي بحسب الله (أي يرضي الله) وأنت تغلب الأوجاع الخارجية"[(١٠١٨)].

(١٠١٦) س ٤ ص ٣٠

(1017) A. Arsen., 23.

(1018) Ibid., 9; W. & W., II: 235; D. F., XI: I;

(١٠١٩) س ٩ رقم ٢٥٥ ص ٣٦٥؛ W. & W., II: 653

سأل إخوةٌ شيخا: "قال الأب أرسانيوس لأحد الإخوة: 'عِش حياةً نسكيةً بكل قوتك والتعب الخفي الداخلي الذي تعمله من أجل الله سيبيد أوجاعك الخارجية'، فما هو الذي سماه "أوجاعا""؟ **فقال الشيخ:** "يسمي القديس أرسـانيوس أتعاب الجسد في هذه الحالة "أوجاعا"، فالأتعاب تسمى أيضا "أوجاعا" لأ ا تقمع الذين يتعبون وتجعلهم يشعرون بالألم، وذلك كما قال القديس أنبا مقار: 'اقمع نفسك بالآلام والأتعاب من كل نوع في الفضائل النسكية'، وهذا هو ما قاله أنبا أرسانيوس لذاك الأخ: 'اتعب بكل قوتك في عمل البر، وكِد بأتعاب الذهن أكثر من كل أنواع عمل الجسد المختلفة'، لأنّ أعمال الجسد تثير وترضي أوجاع الجسد، أما أتعاب الذهن التي هي الفكر الذي في الله والصلاة بدون انقطاع وإقماع الأفكار مع الاتضاع، هذه كلها تحرر الإنسان من كل الأوجاع وتطرد الشياطين وتطهر القلب وتؤدي إلى حب كامل، وتجعله مستحقًا لاستعلانات الروح"(١٠١٩).

وقال أنبا أرساني: "إن طلبنا الله يكشف لنا ذاته، وإن تمسكنا به يلتصق بنا"(١٠٢٠).

سأل إخوةٌ شيخا: "قال أنبا أرساني: 'إن طلبنا الله نجده، وإن أمسكناه يثبت عندنا'، فما معنى ذلك"؟ **فقال الشيخ:** "يعني أن نحب الهدوء ونثبت في الأعمال والجهاد والصلاة والاتضاع، فتتنقّى قلوبنا ونعاين المسيح كما هو مكتوب: «يذهبون من قوةٍ إلى قوة» (مز٨٤: ٧)، أي من عملٍ إلى عملٍ ومن درجةٍ إلى درجة، حتى يظهر إله الآلهة في صهيون، وكما قال الطوباوي بولس إننا ننتقل «من مجدٍ إلى مجد» (٢كو٣: ١٨)، هذا إن كنا نتمسك به"(١٠٢١).

قال أنبا أرسانيوس لتلاميذه قبل انتقاله هذا التعليم: "ثلاثة أشياء تكون من جودة العقل: الإيمان بالله، والصبر على كل محنةٍ، وتعب الجسد حتى يذلّه الراهب".

"وثلاثة أشياء يفرح ا القلب: تمييز الخير من الشر، والتفكير في الأمر قبل أن يتم، والبعد عن المكر".

"وثلاثة أشياء تنير العقل: الإحسان إلى من أساء إليك، والصبر على ما يحلّ بك من أعدائك، وترك النظر والحسد لمن يتقدمك في الدنيا".

"وستة أشياء يطهر ا العقل: الصمت، وحفظ الوصايا، والضيق في الطعام، والثقة بالله في كل الأمور، وترك الاتكال على رئيس من رؤساء الدنيا، وقمع القلب من الفكر السيء، وترك الاستماع لكلام الأغنياء والنظر إلى النساء.

(١٠٢١) س ٩ رقم ٢٤١ ص ٣٥٢.

(1020) Apoph.,Arsen., 10; W. & W., II: 202, 335.

وأربعة أمور تحفظ النفس: الرحمة لجميع الناس، وترك الغضب، والاحتمال، وإخراج الذنب وطرحه من قلبك بالتسبيح (أي أننا بالتسبيح نطرح عنا ضمير الخطايا).

وأربعة تحفظ الشاب من الفكر الرديء: القراءة في كتب الوصايا (الأسفار)، وطرح الكسل، والقيام في الليل للصلاة والابتهال، والتواضع الدائم.

وثلاثة تظلم النفس: المشي في المدن والقرى، والنظر إلى فخر العالم، والاختلاط بالرؤساء في الدنيا.

من أربعة أشياء تتولّد النجاسة للجسد: الشبع من الطعام، والسكر من الشراب، وكثرة النوم، ونظافة البدن بالماء والطيب والاهتمام بذلك في كل وقت.

وأربعة تعمي النفس: البغضة لأخيك، والازدراء بالمساكين بصفةٍ خاصة، والحسد، والوقيعة.

وأربعة يتولد منها هلاك النفس وخسار ا: الدوران من موضعٍ إلى موضعٍ، حب الاجتماع بأهل الدنيا، والإكثار من العيش اللذيذ، وكثرة حقد القلب.

ومن أربعة أشياء يتولد الغضب: المعاملة، والمقارنة، والانفراد برأيك فيما واه نفسك، وعدولك عن وصية الآخرين واتباع شهواتك.

وثلاثة إذا عمل ا الإنسان يسكن في الملكوت: الغم والتنهد دائما، والبكاء على الذنوب والآثام، وانتظار الموت كل يومٍ وساعة.

وثلاثة تحارب العقل: الغفلة، والكسل، وترك الصلاة"[1022].

كان أنبا أرسانيوس يقول: "الراهب الذي يسافر خارج الدير ينبغي ألاّ يريك نفسه بشيءٍ لأنه غريب في أرضٍ غريبةٍ، وبذلك يظل في سلام"[1023].

صلاة الأب أرسانيوس لأجل أولاده

كان أبا دانيال يقول: "استدعاني الأب أرسانيوس مرةً وقال: 'كُن مريحا لأبيك حتى إنه عندما يذهب إلى الرب يقدم له توسلات من أجلك ويكون لك خير'"[1024].

(١٠٢٢) س ٤ ص ٣٢.

(1023) Apoph., Arsen., 12; W. & W., II: 47.

(1024) Apoph., Arsen., 35; W. & W., I: 243. (1026) N., 1568. (١٠٢٥) س ٩ رقم ٨٠ ص ١٤٩.

سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا عندما كان أبا أرسانيوس قائما في الصلاة في قلايته دعا تلميذه أبا دانيال وقال له هذا القول السابق"؟ **فأجاب الشيخ:** "كان قلب أنبا أرسانيوس في وقت الصلاة يضيء بمناظر نورانية وتمتلئ نفسه فرحا وسرورا ويغلي بحب المسيح، وكان إذا فكّر فيما يقوله بعض الناس الجهال: إنّ نفوس القديسين بعد انتقالهم لا يعرفون بعضهم بعضا ولا يمجدون الله، بل يكونون مثل البهائم مضطجعون بغير حس ولا حركةٍ إلى يوم القيامة، كان يحزن كثيرا لأنّ هذا معناه أنّ النفس تحرم من التمجيد والفرح بالله حتى تنبعث من الموت. وفي أحد الأيام وهو قائم يصلي جاءته هذه الفكرة فاستحق رؤيةً إلهية وعلم منها أنّ نفسه بعد الانتقال لا تحرم من التسبيح بل تجول في الفردوس بارتياحٍ وفرحٍ مع أرواح الصالحين وتمجد الله في كل حين. فمن ذلك الفرح دعا أبا دانيال الذي كان ساكنا معه في شيخوخته وكشف له أسراره دون بقية التلاميذ، وقال له: 'نيح شيخوختي حتى إذا مضيت إلى الفردوس سألت ربنا فيك، لأنني علمت منه في الرؤية أنني عندما أخرج من الجسد أمضي إلى الفردوس وهناك أمجده وتكون لي دالة عنده'".

"وهذه القصة تشبه قصة الشيخ رئيس الدير وتلميذه الأعمى، فإنه عند انتقاله قال له تلميذه: 'لمن تتركني أنا الأعمى'؟ فقال له معلمه: 'صل من أجلي، فإن وجدت دالّةً عند ربنا في الفردوس فإني أسأله من أجلك، وفي يوم الأحد تنفتح عيناك'. وقد تمّ الأمر كما قال. وأنا سمعت من إخوةٍ خدموا آباءهم القديسين وقالوا إنه بعد نياحة آبائنا وجدنا عونا في العمل وخلاصا من التجارب بصلواتهم أكثر مما كانوا عندنا"[١٠٢٥].

فائدة الضيقات للأتقياء

سأل أخ (هو أبا مرقس) الأب أرسانيوس: "لماذا يوجد بعض الناس الأتقياء الذين في ساعة الموت يرحلون وهم مصابون بعقابٍ جسدي"؟ فأجاب الشيخ: "ذلك لكي ينطلقوا أنقياء إذ قد تملحوا ههنا كما لو كان بملح"[١٠٢٦].

كان الأب أرسانيوس يقول: "عندما توضع طوبة غير مسواة (على النار) في أساسات مبنى بجانب نهر، فهي لن تكون دعامة له، ولكنها إذا أُحرِقَت في التنور (الفرن) تدعم المبنى مثل الحجر، وهكذا أيضا مع الإنسان الذي له ذهن جسداني ولم يصر بعد حارا وملتهبا بالحرارة، وذلك كما فعل يوسف الصديق بكلمة الله، لأنه عندما يأتي إلى السلطة يجد نفسه محتاجا، لأن كثيرين من الذين تحلّ عليهم التجارب يجرفون في الحال ويسقطون. ولذلك

فجيد للإنسان أن يعرف ثقل (أو خطورة) السلطة وأ ا تتطلـب احتمال التجارب التي تشبه اندفاع مياهٍ كثيرةٍ هائلةٍ وذلك حتى يظلّ ثابتا وغير متزعزع".

"أما بخصوص يوسف الصديق، فقد كان أنبا أرسانيوس يقول: 'لم يكن كائنا أرضيا على الإطلاق، وهكذا جرب بكثرةٍ ولا سيما في بلدٍ (هي مصر) لم يكن فيها حتى أثر لمخافة الله! ولكن إله آبائه كان معه وأنقذه من جميع شدائده، وهو الآن مع آبائه في ملكوت السموات. ولنقدم نحن أيضا تضرعات بكل استطاعتنا حتى يمكننا أن نخلص مثله من دينونة الله العادلة'"(١٠٢٧).

قــوة كلمــة الله

كان القديس أرسانيوس يقول: "حتى لو لم يكن كلام الكتب المقدسة مفهوما فيجب استعماله ضد الشياطين لأ م يفهمونه ويهزمون بقوة الكلمات الإلهية، لأ م لا يستطيعون احتمال صوت الروح القدس الذي يتكلم في الأنبياء والرسل"(١٠٢٨).

عــلاج التــوانــي

سأل أبا زويلة الأب أرسانيوس: "ماذا أصنع يا أبتاه في التواني"؟ فأجابه: "إن لم تبادر وتقلع الحشيشة الصغيرة التي هي التواني فهي تتأصل وتصير غابة كبيرة"(١٠٢٩).

الصمــت والهــدوء

قال أنبا أرساني: "الراهب الذي يشابه الناس في طلب الكرامة والشرف ويتجاوب معهم في الهزء والازدراء، لا يمكنه اقتناء فضيلة الصمت، لأننا نحن الذين تعلّمنا بالتجربة وذقنا حلاوة السكوت، ليس لأننا نحتقر إخوتنا ونفر من لقائهم، بل من أجل ثمرات البر التي نقطفها في هدوء الصمت؛ نفر منهم. وذلك لأنّ المكوث في الهدوء يصفي الراهب ويسمو به عن كل اضطرابٍ دنيوي، فتشتعل فينا حرارة حب إلهنا، فإن كنا متذللين في عزمنا فإننا نعرف المناظر الإلهية وتستنير ا عقولنا، وهي لا تقترب من عقلٍ متشامخٍ، فحيث يوجد التواضع والهدوء هناك يسكن ربنا، وحيث التكبر والتشويش هناك يستقر الشيطان المحتال، وإنّ رأس الفضائل هو الابتعاد عن العالم وأهله وازدراء شرفه وكل أحكامه، كما قال مخلصنا له ا د إنّ من لم يجحد أهله وكل شيء له حتى ذاته أيضا فلا يقدر أن يكون له تلميذًا".

(1027) W. & W., I: 220.

(١٠٢٨) عن كتاب "القديس أرسانيوس"، يوسف حبيب، ص ٦١.

(١٠٢٩) عن كتاب "من سير القديسين"، القس أخنوخ البرموسي، ص ٥٨.

"فلنربط عقولنا برجائه، ولنتجه إليه بكل أفكارنا، فمن أراد أن يلزم السكوت فليطرح عنه كل أمرٍ دنيوي ويواجه العدو بالصبر في الصلاة، لأنه بالمداومة عليها يتأدب العقل ويعرف الإنسان كيف يضبط أفكاره، ومن هذا تتأصل فينا محبة الله ومناجاته ونصير متوقعين ساعة الموت دائما، هذه هي فضائل السكوت، لذلك فلنتخذه صديقًا لكيما تموت فينا شهوات العالم وترحل من قلوبنا وندنو من الله بحسب طاقتنا فنستحق نعيمه الدائم"(١٠٣٠).

وقال أيضا: "بدء الخلاص هو فلاحة النفس، وفلاحة النفس هي السكوت وضبط الهوى وشقاء الجسم والصلاة الكثيرة والهروب من الناس والامتناع عن معاينة زلاّ م، وتأمل الإنسان في هفواته وحدها، فمتى ثبت الراهب في هذه الفضائل تثمر نفسه وتنجح، وثمرة نجاحه هي التواضع، وبمقدار ما يتحصل عليه من التواضع كذلك يكون مقدار ارتقائه في الفضيلة، والراهب يقتني الاتضاع إذا جعل كل اهتمامه بزلاّته وحدها، فمكنوا ذواتكم مثل الصخر في هذا القول وفروا من الجلبة (الضوضاء) ساكنين هادئين صامتين، واعلموا أنّ التعب والمسكنة ينتج عنهما التواضع الذي يغفر كل هفوةٍ كبيرةٍ أو صغيرةٍ. فأحبوا التواضع والمسكنة كثيرا ولا تقتنوا في قلايتكم قنيةً بتاتا ولو كانت حقيرة، وذلك لأنّ النفس إذا طلبت شيئًا ولم تجده فهي تتحسر وتتضع، وحينئذٍ يعزيها الله بنعمته ويعطيها خشوعا كثيرا".

"وأيضا أقول لكم - يا أولادي - إنّ الراهب إذا لم يمقت جسده فماذا ينجيه من فخاخ العدو المحتال؟ وسبيل من يريد الخلاص أن يكون عنده الزهد البليغ في القنية والصوم الكثير والانعكاف على الصلاة والسكوت والهروب من الناس، وتجنب حب الكرامة، واحتمال المحن بأوفر صبر، والبكاء في كل حين ليلاً و ارا، وصيانة العفة والبعد عما صغر وكبر من الزلاّت. هذه هي ذخائر الرهبان، وينبغي علينا أن تم ا دائما"(١٠٣١).

معاملة الراهب المخطئ

قال أبا دانيال: "عندما كان الأب أرسانيوس في الأسقيط، كان هناك راهب اعتاد أن يسرق الأشياء الخاصة بالشيوخ، فأخذه الأب أرسانيوس إلى قلايته لكي يعمل على تغييره ويسبب شيئًا من السلام للشيوخ، وقال له: 'كل شيء تحتاجه أنا أحصل لك عليه، فقط لا تسرق'. وهكذا أعطاه نقودا وفضةً وملابس وكل شيء احتاج إليه. ولكن الأخ بدأ يسرق مرةً أخرى، فلما رأى الشيوخ أنه لم يكف طردوه قائلين: 'إذا وجِد أخ يرتكب خطية بسبب ضعفه يمكن احتماله، ولكنه إذا كان يسرق نطرده لأنه يضر نفسه

(١٠٣٠) المرجع السابق، ص ٧٢ - ٧٤.

(١٠٣١) المرجع السابق، ص ٧٥.

ويزعج جميع الذين يعيشون هنا""[١٠٣٢].

وكان القديس أرسانيوس يقول إنه إذا ارتكب شاب خطأ فلا ينبغي أن يفرز، بل المتقدم في الأيام هو الذي يفرز، لأن الشاب إذا أُفرز يتقسى قلبه، أما المتقدم في السن فهو يشعر حالاً بألم الفرز من الشركة[١٠٣٣].

جاء أحد الشيوخ إلى مسـكن الأب لوط بجوار المستنقع الصغير في أرسينيوي (الفيوم)، وطلب من الأب لوط فأعطاه قلاية. وكان الشيخ مريضا، فاعتنى به الأب لوط. وعندما كان يأتي زائر للأب لوط كان يجعله يزور الشيخ المريض أيضا. ولكن هذا المريض بدأ يقتبس لزائريه من كلام أوريجانوس، مما جعل الأب لوط مضطربا وقال في نفسه: "ينبغي ألاّ يظن الآباء (الرهبان) أننا مثل ذاك (أي مثل أوريجانوس في أفكارنا)". ولكنه كان خائفًا من أن يطرد الشيخ، وذلك بسبب الوصية.

لذلك فقد ذهب الأب لوط إلى الأب أرسانيوس وأخبره عن ذلك الشيخ. فقال له الأب أرساني: "لا تطرده، ولكن قُل له: كُل واشرب مما يأتيك من الله بقدر ما تريد، ولكن فقط لا تذكر للزائرين تلك التعليقات (من كلام أوريجانوس) مرةً أخرى. فإذا أراد أن يصحح نفسه سيفعل، وإن لم يرغب في تغيير طرقه فسيطلب من نفسه أن يرحل من هذا المكان، وبذلك فإنّ رحيله لن يكون برأيك أنت".

ففعل الأب لوط هكذا، ولما سمع الشيخ كلامه لم يرغب في تغيير نفسه، ولكنه طلب منه قائلاً: "من أجل الرب اصرفني من هنا لأنني لا أستطيع أن أحتمل البرية أكثر من ذلك". وهكذا قام وانصرف، واصطحبه الأب لوط حتى الباب بكل محبة[١٠٣٤].

تسـليم الحيـاة لله

عندما هجم البربر على البرية للمرة الأولى رحل منها الرهبان ولم يبق ا على الترجيح سوى القديس أرسانيوس الذي ظلّ بالجبل وحده، لأن بعد قلايته قد أمنه من تحرش البربر، وكانت ترعاه العناية الإلهية، ولم يكف عن أن يردد القول: "لن يحدث شيء سوى ما يريده الله"[١٠٣٥].

(١٠٣٢) التاريخ الكنسي لسقراط، جزء ٤ فصل٢٣.

(1033)Apoph., Dan., 6; Ch., 56.
(1034) Apoph., Lot, 1.
(1035) Apoph., Arsen., 39; W. & W., I: 502.

وصايا القديس قبل انتقاله

لما **علم القديس** أن رحيله قد اقترب خرج كعادته ليتفقّد تلاميذه، ولما حضر عندهم صلّوا أولاً ثم جلسوا، وفتح الشيخ فاه وقال لهم: "اعلموا يا أولادي أنّ زمان وفاتي قد قرب، وأنا أوصيكم ألاّ تموا بشيءٍ سوى خلاص نفوسكم". وكان البار يتكلم ذا ودموعه تنهمر من عينيه. وعندما سمع الإخوة قول الشيخ حزنوا جدا وبكوا بكاءً مرا، وصاروا يقبلون قدميه ويودعونه كإنسانٍ غريب يريد السفر إلى بلده الحقيقي.

ووعظ القديس أرسانيوس تلاميذه بعظاتٍ كثيرةٍ، فزادوا في النحيب، فقال لهم: "أُسكتوا فما حان وقت انتقالي بعد، فإذا جاءت الساعة فإني أقول لكم، ولكن اعلموا أنني أحاكمكم أمام منبر المسيح المرهوب إن أعطيتم جسدي لأحدٍ من الناس". فقالوا له: "يا أبانا، ماذا نصنع إن لم نعرف أن نكفنه"؟ فأجا م الشيخ: "أما تعرفون أن تضعوا حبلاً في رجلي وتجروني في الجبل، وحيثما انقطع الحبل هناك تدفنونني"؟ فخجلوا من كلامه.

ثم أخذهم معه وصار مصليا ودارسا لأقوال الله ارا وليلاً لمدة سبعة أيام، وبعد ذلك قال: "قد دنت الساعة فلا تقلقوا"، وبدأ يبكي، فلما رآه الإخوة يبكي كثيرا قالوا له: "يا أبانا، وأنت أيضا تخاف من الموت"؟ فقال لهم: "حقًا إنّ فزع هذه الساعة معي منذ صرت راهبا". ثم رسم على وجهه علامة الصليب ولوقته أسلم روحه المقدسة في يد الرب، وهكذا رقد ودموعه تسيل من عينيه. وظهر عامود نور واقفًا فوق مسكنه وصار وجهه مضيئًا جدا[(١٠٣٦)].

كان أنبا دانيال تلميذ أنبا أرساني يقول: "عندما اقتربت ساعة وفاة الشيخ أوصانا قائلاً: 'لا تموا بأن تصنعوا لي تذكارا، ولكن فقط ارفعوا تقدمةً'، لأنه كما اعتاد أن يقول: 'إن كنت قد فعلت في حياتي شيئًا يستحق الذكرى فأنا متيقن تماما أنني سأجده'"[(١٠٣٧)].

سأل إخوةٌ شيخا: "قال أنبا أرسانيوس لتلاميذه: 'لا تعملوا لي تذكارا ما عدا القربان فقط'، فما الفرق بين التذكار والقربان"؟ **فأجاب الشيخ:** "يقصد بالتذكار: لا تعطوا عظامي لأحدٍ يبني عليها كنيسة، لتكون للقديس كرامة وتذكار شائع في هذا العالم، وهكذا قال لتلاميذه وقت نياحته: 'أنا واقف معكم أمام منبر المسيح إن أعطيتم عظامي لإنسان'، أي أنا أقف معكم في المحاكمة إن دفعتم عظامي لمن يجعلها سببا في إشاعة الذكرى لي. ويقصد بالقربان ذكر اسمه على المذبح في أوقات القربان الذي هو

(١٠٣٦) "إيفيلين هوايت"، جزء ٢ص١٦١، وكتاب "أديرة وادي النطرون" - عمر طوسون، ص ٣٠.
(١٠٣٧) س ٤ ورقة ٣٢؛ مخطوطة ٢٦٨ ميامر بدير السريان؛ Apoph., Arsen., 40; W. & W., I: 548 151; D.F., XV: ix

تذكار موت المسيح من أجل مغفرة خطايانا، وذلك 'لكي أنال الرحمة والخلاص من الذي مات عن العالم كله والخطاة مثلي'"[١٠٣٨].

الهرب من الظهور وا ـد الباطل

كان أبا دانيال يقول عنه أيضا: "لم يرغب القديس إطلاقًا أن يجيب عن سؤالٍ يخص الأسفار المقدسة رغم أنه كان متمكنا من ذلك، كما أنه كان مدققًا في كونه لا يكتب لأحدٍ، وكان بصفةٍ عامةٍ لا يتكلم البتة، ليس لأنه غير قادر على ذلك إذ أنه كان فيلسوفًا عالِما يستطيع أن يتكلم بكل طلاقةٍ، ولكن بسبب السكون الذي كان فيه حتى يمنع ا ـد الباطل أو حب الظهور أن يجد إليه سبيلاً".

"وعندما كان من حينٍ إلى آخر يأتي إلى الكنيسة كان يقف خلف عامود حتى لا يرى أحد وجهه ولا ينظر هو إلى الآخرين[١٠٣٩]. وتجنبا للمجد الباطل وحب الظهور كان في الاجتماعات الكنسية يعمل جهده ليتجنب الاختلاط بالإخوة، وكان يخفي نفسه حتى لا يكون عقله متشتتا بل يرفعه إلى الله بغير عائق، وهذا هو المثال الذي تركه القديس".

"وكان منظره ملائكيا، وكان جسمه معتدلاً ونحيفًا، ولحيته الطويلة كانت تصل إلى بطنه، وكان شعره أبيض كالثلج، وشعر جفنيه كان يتساقط من كثرة البكاء. وكان جسمه يابسا بسبب أتعابه الكثيرة. وكان طويل القامة لكنه انحنى من الشيخوخة. وقد بلغ عمره خمسا وتسعين سنة، عاش منها أربعين سنة في قصر الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير صاحب الذكرى الطيبة ووالد الإمبراطورين التقيين "أركاديوس" و "هونوريوس"، ثم عاش أربعين سنة أخرى في الأسقيط، وعشر سنوات في "تروجة" (وهي "طره" الآن في الطريق إلى حلوان) بعد بابليون (مصر القديمة) والمواجهة لممفيس (أي على الضفة الأخرى للنيل)، ثم ثلاث سنوات في "كانوب" (أبو قير الآن) قرب الإسكندرية. وفي السنتين الأخيرتين من حياته عاد إلى "تروجة" حيث رقد في الرب وأكمل حياته في سلامٍ ومخافة الله".

"لقد كان رجلاً «ممتلئًا من الروح القدس والإيمان» (أع١١: ٢٤). وقد ترك لي ثوبه الجلدي وقميصه الشعر الأبيض ونعاله المصنوعة من الليف، وكنت أنا غير المستحق أرتديها لكي أنال بركته"[١٠٤٠].

بكـــاؤه الدائـــم

(١٠٣٨) س ٩ رقم ١٤٩ ص ٢٣٥.
(١٠٣٩) ويوجد بدير البراموس بكنيسة السيدة العذراء عامود أثري يسمونه "عامود أرسانيوس".
(1040) Apoph., Arsen., 42; W. & W., I: 165, 344; س ٤ ورقة ٣٢

قيل عن أنبا ثيئوفيلس البطريرك إنه لما جاءت ساعة وفاته قال: "طوباك يا أنبا أرساني لأن هذه الساعة كانت دائما أمام عينيك ولأجلها كنت تبكي كل أيام حياتك"[١٠٤١].

وقيل عنه إنه كان على خديه تجويف قد صار محفورا بسبب الدموع التي كانت تذرف من عينيه في حياته كلها حتى عندما كان يجلس في شغل يديه. ولما سمع أنبا بيمين برقاده قال باكيا: "حقًا إنك مغبوطٌ يا أنبا أرسانيوس لأنك بكيت على نفسك في هذا العالم، إنّ من لا يبكي على نفسه هنا فسيبكي هناك إلى الأبد، وهكذا يستحيل ألاّ يبكي الإنسان، إما باختياره هنا زمانا قليلاً أو عندما يضطره العذاب هناك"[١٠٤٢].

* * * *

رسالة القديس إلى الرهبان

١ - أيها الإخوة المطوبون والأحباء جدا، يامن اخترتم الحياة الملائكية وآمنتم بالميراث السماوي، ولأجل ذلك فقد واضعتم أنفسكم لتكملوا كل أحكام الرب كما هو مكتوب: «وضعت نفسي لأتمم أحكامك على الدوام من أجل المكافأة» (مز١١٩: ١١٢)[١٠٤٣]. كما يقول الكتاب أيضا: «سمر مخافتك في لحمي لأني من أحكامك جزعت» (مز١١٩: ١٢٠)، وذلك حتى لا أكون عبدا لما هو عابر وفانٍ، وأيضا: «قلبي معد لك يا رب، أباركك وأسبحك» (مز٥٧: ٧)[١٠٤٤].

٢ - قبل كل شيء أحبوا السكون، ثم كونوا ودعاء، لأن الودعاء يدعون أبرارا (قارن مت٥: ٥). لا تشفق على جسدك بخصوص الصوم ، فإنّ قوة الصوم لا تأتي منك، بل إنّ الله سيقويك بالأكثر عندما يرى همتك. إنّ صغر النفس يأتي من الشياطين لكي يجعلوك لا تصوم. قل لي يا حبيبي، ألا تفلح الأرض لكي تزرع الحنطة؟ ألا تعلم يا حبيبي أنّ لا أحد يزرع حنطةً في أرضٍ غير مفلحةٍ؟ هكذا أيضا إن كنتم لا تزرعون قمحا في أرضٍ غير مفلحةٍ فإنّ الله أيضا لن يرسل روحه إليكم إن كنتم لا تصومون، لأنه قدوس ويأنف من الدخول في من هو غير طاهر (قارن حك١: ٤و٥).

٣ - أتريد، يا حبيبي، أن يحلّ روح الله عليك؟ فلتكن لـك مخافة الرب، ونق قلبك ولا تشفق على جسدك من يومٍ واحدٍ من الصوم، وعندما يرى الله استقامة قلبك سيرسل روحه

(1041) Apoph., Theoph., 5; W. & W., I: 146; D. F., Book 3: V; ٣٣ ص ٤ س
(1042) » ., Arsen., 41; W. & W., I: 152.
(١٠٤٣) «عطّفت قلبي لأصنع برك إلى الأبد من أجل المكافأة» حسب الترجمة القبطية في الأجبية.
(١٠٤٤) «قلبي مستعد لك يا الله قلبي مستعد، أسبح وأرتل في تمجيدي» حسب الترجمة القبطية في الأجبية.

القدوس إليك ويصير هو مرشدك ومعلمك، وسيلقنك كل ما يرضيه (قارن يو١٤: ٢٦).

٤ - لا تكف عن الصلاة حتى لا تجد الشياطين موضعا تزرع فيه الزوان في حقلك (مت١٣: ٢٥). لا تشفق على جسدك وتجعله ينام، بل بالحري ا ض لتسبح. إن كنت لا تعرف أن تسبح فاشكر الله وقُل: "ا د لك يا رب"، وقُل هذه الكلمة مرات عديدة، وإذا استطعت فقُل ألف مرة: "ا د لك يا الله"، والرب سيرسل لك ملاكه ليعينك على طرد الشياطين.

ولا تخف منهم (إش٨: ١٢)، لأنه قد أُعطي لك ملاك حارس كما قال الكتاب: «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم» (مز٣٤: ٧)، وقال أيضا في موضع آخر: «يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك» (مز٩١: ١١). ولا تجعل رجاءك في الملائكة وحدهم وتقول: "إ م يحرسونني"، بل لا تكف عن الصلاة لأ م مكلفون بك حتى يسجلوا برك ويقدموه إلى الله.

٥ - اِحفظ نفسك من الكسل لأنه يثقل الجسد حتى لا يدعه يصلي. ليكن جهادك في الصلاة والصوم، لأنه لا شيء يجعل الشياطين رب مثل الصلاة (مر٩: ٢٩). فإذا كانوا يعوقونك عن النوم في الليل ويعذبونك ويقلقونك، فا ض وصل لكي تطردهم مثل الهباء (مز٣٥: ٥) وأنت تجد راحة، ولا تقُل إنّ ساعة الصلاة لم تأتِ بعد، بل لا تكف في كل وقتٍ، لأن الصلاة سهم يطرد الشياطين. وإذا ظهر لك الشيطان مثل كوكب الصبح أمام عينيك، فاعلم أن الذي ظهر لك هو الشيطان وليس هو الرب، وذلك لكي يلقي نفسك في العجب.

٦ - أتريد، يا حبيبي، أن تكون مكرما في أعين الناس والله؟ افعل الخير خفيةً (مت٦: ٤)، وسيرى الله ويصنع معك آيـةً صالحةً (مز٨٦: ١٧ حسب الترجمة القبطية)، وسيمجدك كما تمجده أنت (أنظر١صم٢: ٣٠).

اِحفظ نفسك من الغضب حتى لا تغضب على أحد، لأن الغضب خطية مثل القتل (مت٥: ٢١و٢٢)، أتجعل من نفسك قاضيا للناس؟

لا تملّ من قراءة الكتاب المقدس، وتعمق أقوال الأنبياء.

٧ - يا أخي، إذا جاءك علماني وقال: "أريد أن أصير راهبا"، فقُل له: "القوة تأتي من الله، فلتكن لك مجرد الإرادة أن تصير راهبا والله نفسه سيكون هو طريقك. ولكن

ليس بتردد مثل ذبيحة قايين (تك٤: ٣-٨)، بل اسلك في هذا الطريق كمحاربٍ شجاعٍ، والله سيختبر قلبك، فإذا كان استعدادك جيدا فسيقبلك ويجذبك إليه، وستكتب في سفر الأحياء الذي يعني الخلود".

٨ - إن كنت تريد ألاّ تتنجس أثناء النوم فاسهر، وهذا هو العلاج.

إن كنت تصوم وفي المساء تصلي وتجلس لتأكل خبزا فضح بالنصف من أجل الله حتى تأكل مقدارا واحدا فقط، لأن الشياطين يزرعون في فم الراهب الشره الذي يتلف المعدة.

إذا كنت راهبا حديثًا ولا تستطيع أن تكون قويا، فاعلم أن قوة الله لم تحلّ عليك بعد. وإذا أردت أن تحلّ عليك قوة الله فأحب الصوم وتجنب الناس.

٩ - إذا كان شيطان الشهوات يهاجمك، فقم واطرح نفسك أمام الله وهو سيبتعد عنك في الحال! وإذا جربك ألف مرة ولم تتكاسل عن الصلاة فسيبتعد عنك. وإذا كنت لا تحب أن تمكث في القلاية فلن يكون بمقدورك أن تنتصر على طبيعة الجسد.

وعندما تكون جالسا مع رفقاء فلا تتكلم قبل أن تسأل، فإذا لقيت إجابتك استحسانا أُشكر الله، وإذا كانت غير مقبولة فلا تعارِض لأن الله لا يحب النـزاع (أنظر١كو١١: ١٦).

١٠ - اِحترس لنفسك لئلاّ تزرع فيك الشياطين محبة المال وتقودك إلى هلاكك.

إذا جاءك أخ فاخرج للقائه بفرحٍ ولا تكن حزينا لأنه ليس أنت الذي تعول نفسك بل الله. وإذا أشفقت على مسكين وأعطيته شيئًا فلا تفتخر. وإذا ضايقك الشيطان وقال لك: "ليس لك خبز فلا تعطِ المساكين"، فأعطِ أكثر أيضا ولا تهتم بالغد كما هو مكتوب: «لا تهتموا بالغد لأن الغد يهتم بما لنفسه» (مت٦: ٣٤). وإذا تصرفت بسخاءٍ أيها الحبيب فالله سيعطيك أكثر، أما إذا كنت مقترا شديد البخل فإنّ الشيطان يسيطر عليك، وكما يقول الكتاب: «من منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة» (مت٦: ٢٧) (أو يزيد ربحا على كنـزه)؟!

١١ - إذا صليت فلا تسرع، تأمل أمام من أنت قائم. اُسلك بهدوءٍ وصل أكثر لأنّ الصلاة تصير سهما يطرد الشياطين الذين يولون هاربين. وإن كنت تريد أن تذهب إلى أحد فصل لله وقُل: "لأجل هذه الغاية يا رب أنا أخرج من القلاية".

إذا كان الغذاء ينقصك فصل أولاً واطلب من الله، ثم اُخرج من قلايتك ولا تضع

رجاءك في من تذهب إليه مفكرا هكذا: إنّ إنسانا سيعطيني، بل قُل: "إنّ الله هو الذي سيسد حاجتي". إذا ذهبت عند أحدٍ وطلبت شيئًا ولم يعطِك فلا تتذمر، بل افهم أنّ الله لم يوصِه أن ينال بركتك.

١٢ - لا تكثر الكلام (تثرثر) مع جارك لئلاّ تصير عديما للتقوى بالكلية، لأن الكتاب يقول: «لا تجعل نفسي يا رب مع الذين ... يتكلمون بالسلام مع قريبهم ولكنهم يضمرون الخبث في قلو م» (مز٢٨: ٣ حسب السبعينية).

إذا أخطأ إليك أخوك وغفرت له ثم فتح الشيطان طريقًا في قلبك أن لا تنظر إليه وجعل صوته وكأنه سهم أصابك؛ فلا تدع هذا الكلام يمكث طويلاً في قلبك.

إذا كنت لم تحصل بعد على البصيرة ولم تستطع أن تدرك أنّ نفسك لا زالت تجوز في ظلمات، فانظروا أيها الأحباء ما قاله الرسول: «إن كان لكم كل الإيمان حتى تنقلوا الجبال ولكن ليست لكم محبة فهذا لا ينفعكم شيئًا. إن كنتم تتكلمون بألسنة الملائكة ولكن ليست لكم محبة فهذا لا ينفع في شيء» (أنظر١كو١٣: ٢و١).

١٣ - إذا أغرتك الشياطين بعسلٍ وشهد عسلٍ فلا تشتهِ مأكولا م، لأنّ العسل وشهد العسل هنا هما زنى الشياطين (قارن مز١٨: ١١). وإذا أظهروا لك عذوبة المسرات الجسدانية فابصق اللعاب من فمك (مظهرا استياءك منهم)، ثم اذهب واسجد أمام الله. وإذا لم يتركوك فجاهد أكثر وأطِل في صلاتك وهم يهربون.

إذا لم تجد عندك دموعا فاقرأ في الأسفار المقدسة واستمع متفكرا في كلام الله فتأتيك الدموع. إن كنت جاهلاً فتنهد وصل كثيرا حتى يرسل الله روحه إليك وهو يرشدك إلى كل شيء (يو١٤: ٢٦).

تأمل في كل ما تعمله: هل هذا يرضي الله؟ وإذا كنت تتحدث مع بعض الرفقاء فاختبر كلامك، فإذا لم يكن كلامك بحسب الله فلا تقُله.

١٤ - أيها الأحباء في الرب، عندما تمكثون في القلاية ويملأ الشيطان قلوبكم باليأس، فاعلموا أنّ ملكوت الله معد لكم، وأنّ الشيطان يحسدكم لكي يجذبكم (بعيدا عن الملكوت) ويفسد عملكم. ألا تعلمون - يا أحبائي - أنّ أسماءكم مكتوبة في سفر الأحياء؟ (أنظر لو١٠: ٢٠)، وأنّ الشيطان يريد أن يهلككم ويجعلكم تشاركونه في مصيره؟!

إذا شعرت أنك تكره مكان إقامتك وترغب في مكانٍ آخر، فاعلم أنّ الشيطان هو

الذي جعلك تكرهه وليس الله، وذلك لكي يجعل نفسك تتأرجح هنا وهناك ولن يمكنك أن تشفى. إذا لم تبتعد عن الناس فلن يمكنك أن تكون راهبا (أي متوحدا).

١٥ - إذا كنت تعلم أنك مستنير وأنّ نفسك صالحة فقُل: "الله عمل معي وأنار ذهني الغارق في الظلمة"، وقُل في قلبك: "بماذا أرد للرب عن كل ما أعطانيه" (مز١١٦: ١٢)!

إذا أردت أن تقضي الليل في الصلاة، فكُل خبزك في الساعة التاسعة (من النهار) وأنت تسهر بصورةٍ أفضل. وإن كان اليوم هو الأحد فكُل نحو الظهر وأنت تكون أكثر تيقظًا في سهرك للصلاة. وإذا أردت أن تنهض في نصف الليل فاطلب ذلك من الله عندما ترقد وأنت ستستيقظ، وعندما تستيقظ لا تنم مرةً أخرى بل صل.

عندما يقبل الليل كُن متيقظًا أن لا تكون منجذبا بالشهوة الجسدانية، ولكن أكثِر من صلاتك أيضا وهي تفارقك. وإذا كنت جالسا وهاجمتك هذه الشهوة من جديد فلا تظل جالسا لمدة طويلة بل ا ض وصل. وهكذا أيضا إذا جربك شيطان الزنى ألف مرة فصل ألف مرة مع السجود المتواتر والله سيزجر الشيطان عندما تصلي وهو سيبعد عنك.

١٦ - إذا أردت ألاّ يتعرض لك أحد فتوسل إلى الله في الخفاء وصم فلن يؤذيك شيء. إذا قالت لك الشياطين أن ترضي الناس فلا تقبل، واذكر ما قاله الرب: «اِحترزوا من أن تصنعوا (أعمالكم الصالحة) قدام الناس (بل) في الخفاء، فأبوكم الذي يرى في الخفاء هو يجازيكم علانيةً» (مت٦: ١و٤). وإذا حرضك الشيطان على أن تعمل على إرضاء الناس فانظر قول النبي: «سيبدد الله عظام الذين يرضون الناس، إنه سيخزيهم لأن الله يزدري م» (مز٥٣: ٥ من النص بالمقارنة مع السبعينية)، وهو لا يستمع إلى صلا م بل بالأحرى يسخط عليهم.

١٧ - إذا عرض عليك الشياطين صوما مفرطًا فلا تذعن لهم ولا تفرِط (أو تبالغ) في صومك، بل صم يوما بيوم وفي المساء كُل خبزك بمقدار. إذا أصغيت للشياطين وأطلت من صومك لعدة أيام فلن يمكنك أن تنتصر عليهم، وستضعف أياما كثيرة.

ألم تر مركبا في البحر؟ إذا شحِنت بإفراطٍ تغرق، وإذا كانت حمولتها خفيفة عما يجب تسلّطت عليها الرياح، فإذا جعِلَت الحمولة معتدلة فلا البحر يلتهمها ولا الرياح تستولي عليها.

تدبر باعتدالٍ فيما يخص النفس والجسد: فلا تثقل عليهما حتى لا يضعفا ويصيرا غير قادرين على مراعاة قوانينهما المعتدلة بعد.

١٨ - إذا اقترب منك بعض الناس ودخل الشيطان بينهم وتكلموا معك بالشر وشتموك، فانظر إلى ما قاله النبي: «لو أنّ عدوا عيرني لاحتملت، ولو تكلم مبغضي علي بتبجحٍ (أو بتعظمٍ أو بمباهاةٍ) لاختبأت منه» (مز٥٥: ١٢ سبعينية)، ولا تبرح قلايتك بل امكث فيها واصمت. إذا أضمروا شهادة زورٍ ضدك فتلقّاها وقُل: "هكذا الأمر تماما (كما تقولون)"، فقط لا تسبهم بل اصمت لأن الرب أيضا صمت عندما شهدوا ضده بشهادات زورٍ، إنما قُل أنت: "دعوني أتوب". وسيرى الله اتضاعك وسينجيك من التجربة بمعجزاتٍ عظيمة.

إذا أخطأت وضلّلك الشيطان بنوعٍ من الضلال، فلا تقُل في قلبك: "لا توجد بعد توبة"، بل بالحري تأوه وابكِ حتى يتجدد بناء حياتك كما كانت من قبل.

١٩ - عندما يحلّ روح الله في إنسانٍ فحينئذٍ يكشف له كل الأقوال التي نطق ا الأنبياء. إذا كنت راهبا ولك عبد فحرره وإلاّ تكون مخطئًا.

الإفراط في النوم يأتي من الشياطين، فكونوا ساهرين - يا إخوتي الأحباء والمكرمين - حتى تبتهجوا بالفرح الذي لا يوصف الذي لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه (١كو٢: ٩). نعمة الله تكون معكم آمين.

أما أنا المسكين فلا تنسوني من ذاكرتكم، وذلك لكي أكون متغذيا حول خيمتكم بفضلكم.

ا د للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور، آمين.

(٢٢) قصص وأقوال
تلاميذ أنبا أرسانيوس
أولاً: أبا دانيال

قيل عن أبا دانيال إنه عندما هجم البربر على الأسقيط وهرب الرهبان كلهم، قال هو: "إن لم يشأ الله أن أعيش فمالي وللحياة"؟! ثم اجتاز في وسط البربر ولم يروه البتة. فقال في نفسه: "ها قد اعتنى الله بي ولم أمت، فلأفعل الآن مثل إخوتي". فقام وهرب[١٠٤٥]!

طلب أخ من أبا دانيال قائلاً: "أعطني وصيةً واحدةً وأنا أحفظها". فقال له: "لا تضع

(1045) Apoph., Daniel, 1; W. & W., II: 108; Ch., 55; س ٤ ورقة ٨٠

يدك في طبقٍ واحدٍ مع امرأةٍ إطلاقًا ولا تأكل معها، لأنّ هذا فخ لشيطان الزنى"[١٠٤٦].

قال الأب دانيال: "كانت في بابل (بابليون مصر) ابنةٌ لشخصٍ ذي مركز كبير يسكن فيها شيطان، وأخذها والدها إلى أماكن كثيرة ولم تشف، وكان له صديق راهب، فقال له: 'لا يمكن لأحدٍ أن يشفي ابنتك إلاّ الشيوخ النساك، ولكنك إذا طلبت منهم أن يفعلوا ذلك فلن يوافقوا بسبب اتضاعهم وهروبهم من مجد الناس، ولكن افعل ما أقوله لك: عندما يأتون إلى السوق ليبيعوا عملهم تظاهر بأنك تريد أن تشتري بضاعتهم، وعندما يأتون إلى بيتك ليأخذوا الثمن اطلب منهم أن يصلوا، وأنا واثق أن ابنتك ستبرأ'.

"فلما جاء إلى السوق وجد هناك تلميذًا للشيوخ يبيع بضاعتهم، فاصطحبه مع مقاطفه إلى بيته بحجة أنه سيعطيه ثمنها. ولما وصل الراهب إلى المنـــزل خرجت المرأة التي يسكن فيها الشيطان ولطمته على خده، فحول لها الخد الآخر باتضاع حسب وصية الرب (مت٥: ٣٩)، فتعذّب الشيطان من ذلك وخرج منها وهو يصرخ ويقول: 'الويل لنا من وصايا يسوع لأنها تزعجنا وتطردنا'! فلما علم الشيوخ بذلك مجدوا الله قائلين: 'لا شيء يذِلّ كبرياء الشيطان مثل إتمام وصية المسيح باتضاع'"[١٠٤٧]!

وقال أبا دانيال أيضا: "الجسد يزدهر بقدر ما تضعف الروح، والروح تزدهر بقدر ما يضعف الجسد". كما قال أيضا: "بقدر ما يدلل الجسد تصير الروح هزيلة، وعندما يزداد الجسد هزالاً تسمن الروح"[١٠٤٨].

كان أبا دانيال يقول: "السهر الدائم بصفةٍ خاصةٍ يجعل الجسد ييبس وتضعف سطوته"[١٠٤٩].

خرج الأب دانيال يوما ما مع الأب أموي في رحلةٍ، ثم قال أبا أموي: "متى نستقر في القلاية أيها الأب"؟ فأجاب أبا دانيال: "ومن فصلنا عن الله؟ الله في القلاية، وهو أيضا موجود خارجها"[١٠٥٠].

قال أبا دانيال الفارانيتي: "أخبرنا أبونا أنبا أرسانيوس عن أحد سكّان الأسقيط الذي كانت حياته بارزة وإيمانه بسيطًا، وقد خدِع بسذاجته وقال إنّ الخبز الذي نتناوله ليس هو حقًا جسد المسيح بل إنه رمز. ولما علم اثنان من الشيوخ أنه قال ذلك، وكانا يعلمان

(1046) Apoph., Daniel, 2; W. & W., I: 568; س ٤ ورقة ٨٠
(1047) Apoph., Daniel, 3; W. & W., I: 448; س ٤ ورقة ٨٠
(1048) D. F., Book X: xvii; Apoph., Daniel, 4; Ch., 54; W. & W., I; 99; س ٤ ص ١٠٧
(1049) W. & W., II: 495. (1050) Apoph., Daniel, 5; D. F., Book XI: viii; Ch., 78.

أنّ سيرته صالحة، عرفا أنه لم يقل ذلك عن خبثٍ بل عن بساطةٍ. فذهبا إليه وقالا: 'لقد سمعنا أمرا ضد الإيمان من إنسانٍ يقول إنّ الخبز الذي نتناوله ليس هو بالحق جسد المسيح بل رمز'. فقال الشيخ: 'أنا الذي قلت ذلك'".

"فنصحه الشيخان قائلين: 'لا تتخذ هذا الموقف أيها الأب، بل اتخذ موقفًا يتفق مع ما سلّمته لنا الكنيسة الجامعة. إننا نؤمن، من ناحيتنا، أنّ هذا الخبز ذاته هو جسد المسيح وأنّ الكأس ذا ا هي دمه، وأنّ هذا كله حقيقي وليس رمزا، فكما أنه منذ البدء خلق الله الإنسان على صورته بأخذه ترابا من الأرض، ولم يستطع أحد أن يقول إنه ليس صورة الله رغم أنه لا يرى هكذا؛ كذلك أيضا بخصوص الخبز الذي قال إنه جسده، ولذلك نحن نؤمن أنه حقًا جسد المسيح'. فقال الشيخ لهما: 'طالما أنني لم أجد ما يقنعني من الشيء نفسه (أي التناول) فلن أقتنع تماما'. فقال الشيخان: 'دعنا نصلي لله بخصوص هذا السر طوال هذا الأسبوع، ونحن نؤمن أنّ الله سيكشفه لنا'. فقبِل الشيخ ذلك بفرحٍ وصلى قائلاً: 'أنت تعلم يا رب أنني لا أومن بذلك ليس عن مكر، ولكي لا أخطئ بجهالةٍ فاكشف لي هذا السر يا ربي يسوع المسيح'"!

"عاد الشيخان إلى قلاّيتيهما وصليا قائلين: 'يا ربنا يسوع المسيح، اكشف هذا السر للشيخ لكي يؤمن ولا يفقد مكافأته'. فسمع الله لكلتا الطلبتين، وذهب الشيوخ الثلاثة يوم الأحد إلى الكنيسة وجلسوا جميعا على نفس الحصيرة والشيخ البسيط في الوسط، فانفتحت أعينهم، ولما وضِع الخبز على المائدة المقدسة ظهر مثل طفل صغير لهؤلاء الثلاثة وحدهم. ولما بدأ الكاهن يكسر الخبز بيديه نزل ملاك من السماء ومعه سيف وسكب دم الطفل في الكأس. ولما كسر الكاهن الخبز إلى أجزاءٍ صغيرةٍ قطع الملاك أيضا الطفل إلى أجزاء. ولما اقتربوا ليتناولوا من المادتين المقدستين أخذ الشيخ البسيط وحده جزءًا (أي لُقمةً) من لحمٍ دموي. فلما رأى ذلك خاف وصاح: 'يا رب، إنني أومن أنّ هذا الخبز هو جسدك وأنّ هذه هي كأس دمك'. وللحال صار اللحم الذي تناوله خبزا حسب السر، ولما تناوله شكر الله".

"ثم قال له الشيخان: 'إنّ الله يعلم الطبيعة البشرية وأنّ الإنسان لا يمكنه أن يأكل لحما نيئًا، ولهذا حول جسده إلى خبز ودمه إلى خمر للذين يتناولونه بإيمان'. ثم قدما الشكر لله لأجل الشيخ لأنه سمح له ألاّ يفقد مكافأة أتعابه، ثم عاد ثلاثتهم بفرحٍ إلى قلاليهم"[١٠٥١]!

(1051) Apoph., Daniel, 7; W. & W., II: 22; Ch., 175.

وروى أبا دانيال أيضا عن شيخ عظيمٍ آخر كان يسكن في الصعيد، وقال ببساطته إنّ ملكيصادق كان هو ابن الله. ولما سمع المغبوط البابا كيرلس الإسكندري (عمود الدين) ذلك، أرسل إليه شخصا ما. ولما علم أنّ الشيخ كان يجري المعجزات وأنّ كل ما يطلبه من الله يكشف له، وأنه نطق بهذا الكلام بسبب بساطته، استعمل البابا حيلةً وقال له: "أيها الأب، إنني أظن أنّ ملكي صادق هو ابن الله، في حين أنّ فكرا آخر مضادا يقول لي: 'لا، إنه مجرد إنسان، رئيس كهنة لله'. وحيث إنني منـزعج من ذلك، فقد أرسلت لك لكي تصلي أن يكشف الله لك عمن يكون". فشعر الشيخ بثقة البابا فيه وقال بدون ترددٍ: "أمهلني ثلاثة أيام لأسأل الله عن هذا الأمر، وسأخبرك من هو".

واعتكف الشيخ وصلى لأجل هذه المسألة. ثم بعد ثلاثة أيام جاء وقال للبابا كيرلس إنّ ملكيصادق كان إنسانا، فقال له البابا: "كيف علمت أيها الأب"؟ فأجاب: "لقد أراني الله جميع البطاركة (أي رؤساء الآباء) بطريقةٍ جعلت كل واحدٍ منهم يمر أمامي من آدم إلى ملكيصادق. لذلك كُن على يقينٍ من أن الأمر هكذا". ثم عاد الشيخ بعد أن علّم نفسه أنّ ملكيصادق كان إنسانا، وكان فرح البابا كيرلس عظيما[(١٠٥٢)].

سأل إخوةٌ شيخا: "لماذا كان هذا الشيخ العظيم الذي كان يرى مناظر (سماوية) جاهلاً حتى إنه قال بسذاجةٍ إنّ ملكيصادق هو ابن الله؟ ولماذا تركه الله حتى كاد بعد قليلٍ يضلّ"؟ **فأجاب الشيخ:** "لتوبيخه وتوبيخ كلّ من استحق مثل هذه الدالّة، لكي يصلوا في كل أمرٍ ويطلبوا من الله أن يكشف لهم الحقيقة، ولا يصدقوا كلّ ما يخطر ببالهم أو يسمعوه من آخرين بسذاجةٍ بسبب أنهم يرون نفوسهم نقيةً من حروب الأوجاع ولا يعرفون أنهم يحاربون من الشياطين، وأنهم لو ارتفعوا إلى المعرفة الروحانية ازدادوا مكرا وشرا. وهذا الشيخ لم يكن هو وحده الذي سقط في مثل ذلك، بل أيضا ذاك الشيخ الآخر الذي شك في جسد المسيح ودمه لولا أنّ الشيوخ تداركوه وألهموه بالصلاة"[(١٠٥٣)].

سأل إخوةٌ شيخا بخصوص ذلك أيضا قائلين: "كيف رأى الشيخ رؤساء الآباء من آدم إلى ملكيصادق"؟ فأجاب الشيخ: "إما أنه اختطِف عقله إلى الفردوس، أو أنّ ملاكًا أظهرهم له في شبه رؤيا"[(١٠٥٤)].

(1052) Apoph., Daniel, 8; Ch., 176.

(١٠٥٣) س ٩ رقم ٢٩ ص ٤٧.

(١٠٥٤) س ٩ رقم ٢١٢ ص ٣١٨.

ثانيا: أبا الكسندروس(*)

****

قال أنبا أرسانيوس لأبا ألكسندروس: "عندما تنتهي من عمل يديك تعالَ إلي لنأكل، ولكن إذا جاءك غرباء فكُلْ معهم ولا تأتي إلي". وحدث أنّ ألكسندر انتهى من عمله متأخرا، ولما جاء وقت الغداء، وكان عمله في السعف لم ينتهِ بعد، فلأنه كان مهتما بحفظ كلمة الشيخ، أراد أن ينتهي من السعف ثم يذهب إليه.

ولما رأى الشيخ أنّ أبا ألكسندر تأخر في مجيئه للأكل ظن أنّ ذلك بسبب أنّ غرباء جاءوا إليه. ولما انتهى أبا ألكسندروس من عمله ذهب إلى الشيخ الذي قال له: "هل جاء إليك غرباء"؟ فقال: "لا يا أبي". فقال له الشيخ: "فلماذا تأخرت في الحضور"؟ فأجابه قائلاً: "لأنك قلت لي: 'عندما تنتهي من عملك في السعف تعالَ إلي'، وإذ انتبهت لهذه الكلمة انتهيت من عملي ثم أتيت". فتعجب الشيخ من طاعته الدقيقة وقال له: "اسرع وتمم خدمة تسبيحك وصلاتك، وبعد انتهائها اشرب بعض الماء، لأنك إن لم تفعل ذلك بسرعةٍ فإنّ جسدك سيعتلّ"(١٠٥٥).

❖

(٢٣) قصص وأقوال القديس أنبا أغاثون

قيل عن أنبا أغاثون إنّ بعض الرهبان ذهبوا للقائه إذ سمعوا عن عظم إفرازه، وإذ أرادوا أن يجربوه قالوا له: "هل أنت هو أغاثون الذي نسمع عنك أنك زانٍ متعظم"؟ فقال: "نعم، هذا حق". فقالوا: "هل أنت أغاثون المهذار والذي يتكلم دائما بلا فائدة"؟ فأجاب: "نعم، أنا هو". فقالوا له: "ألست أنت أغاثون الهرطوقي"؟ فأجاب قائلاً: "أنا لست هرطوقيا". فسألوه قائلين: "لماذا احتملت كل ما قلناه وا منّاك به ولم تحتمل هذه التهمة الأخيرة"؟ فأجابهم: "الاتهامات الأولى اكتسبتها لنفسي لأنها نافعةٌ لي، ولكن الهرطقة هي انفصالٌ عن الله وأنا لا أريد الانفصال عن الله". فلما سمعوا ذلك تعجبوا من إفرازه ورجعوا منتفعين(١٠٥٦).

كان أنبا أغاثون على الدوام بغير اضطرابٍ في حواسه، وإذا قال له أي شخص كلمةً صعبةً كان يسكت ولا يجيب بشيءٍ كما لو كان لم يسمعه. أما حين كنا نقول له:

(*) يذكر كتاب "رهبنة" ص ٣٠٩ و٣٦٣ و٣٦٩ أنّ ألكسندروس هذا مع دانيال وزويلة كانوا تلاميذ أنبا أرسانيوس.

(1055) W. &W., I: 305; Apoph. Arsen., 24; س ٥ ص ٤٧

(1056) Apoph., Agathon, 5; W.& W., I: 183; س ٤ ص ٣٥

"أما سمعت ما يقوله الأخ"؟ فكان يقول: "نعم، إنّ الكلام الذي قاله لي اعتبرته في وقد رأيته في، لأنّ هذه هي خطيتي وأنا هو المذنب". ولما كنا نقول له: "ولماذا لم تصنع له مطانية"؟ كان يجيبنا قائلاً: "لأنني لا أريد أن أجرح ضميره"(١٠٥٧)!

وكان هذا القديس حكيمًا بطبعه من جهة الروح، ومجتهدا من جهة الجسد، وكان يكفي حاجته بنفسه في كل الأمور: في عمل اليدين، وفي طعامه، وفي ملبسه. وكان لا يلبس ثيابا يمكن أن يقال عنها إ ا جميلة جدا أو رديئة جدا(١٠٥٨).

وقيل عنه أيضًا إنه لما كان يخرج لم يكن يأخذ معه سوى السكين الذي كان يشقق به السعف(١٠٥٩).

كان أنبا أغاثون سائرًا مع تلاميذه، فوجد واحد منهم بسلّة خضراء في الطريق، فقال للشيخ: "هل آخذها يا أبي"؟ فنظر إليه الشيخ باندهاشٍ وقال: "هل أنت الذي وضعتها هنا"؟ فأجاب الأخ: "لا". فقال الشيخ: "كيف إذن تأخذ شيئًا لم تضعه"(١٠٦٠)؟

قال أنبا إشعياء: "كان أخ يدعى "مارتيريوس"(١٠٦١) قد وجد مرةً قليلاً من النطرون كان قد سقط من الجمال التي تنـزل من الأسقيط إلى ترنوطيس (الطرانة الآن)، فأحضره إلى القلاية (أو المنشوبية)، فلما رآه أنبا أغاثون تألّم قلبه لذلك كثيرا وقال له: 'أين وجدت هذا النطرون'؟ فأجابه الأخ: 'وجدته في الطريق'. فقال الشيخ: 'إن كنت تشاء السكنى مع أغاثون فامضِ إلى حيث وجدته وهناك ضعه (وكان الموضع على بعد اثني عشر ميلاً)، لأنه ليس من الحكمة بالنسبة للراهب أن يأخذ شيئًا لم يضعه، ومن ثمّ فإنّ ما ليس من الحكمة فهو خطية'! فقال الأخ: 'هل هذا كله من أجل قطعة صغيرة من النطرون؟ هل في هذا خطية'؟ أجاب الشيخ: 'نعم، فكل احتيالٍ هو إثم وخطية'. وهكذا لم يهدأ حتى أعاده الأخ إلى مكانه، فقد كان شديد الحرص حتى في الأمور الصغيرة"(١٠٦٢).

وجد أخ قطعة خشبٍ كانت قد سقطت من أحد الجمال في الطريق فحملها إلى القلاية، فقال له أنبا أغاثون أبوه: "أين وجدت هذه"؟ فأجابه: "في الطريق". فقال له الشيخ: "إن كانت قد اقتلعتها الريح فأحضرها إلى داخل، وإلاّ فاذهب وضعها في مكا ا"(١٠٦٣).

(١٠٥٧) الميمر الثلاثون من ميامر أنبا إشعياء.

(1058) Apoph.,Agathon, 10; PA,19,1 (R, 75); ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء؛ س ٤ص ٣٦

(1059) Apoph.,Agathon, 7; س ٤ ص ٣٦ (1060) Apoph., Agathon,11;W. & W.,II:530; س ٤ ص ٣٦

(١٠٦١) يبدو أنه كان تلميذ أنبا أغاثون كما يظهر من هذا القول وأحد الأقوال التالية.

(1062) Apoph., Agathon, 12; ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء؛ س ٤ ص ٣٦ (1063) N., 439;W.& W.,II: 271.

قيل عن أنبا أغاثون وأنبا آمون إ ما لما كانا يبيعان عملهما كانا يقولان الثمن مرةً واحدةً، وما كان يعطى لهما كانا يأخذانه بسكوتٍ. وأيضا إذا احتاجا إلى شيءٍ ويشتريانه كانا يعطيان الذي يقال لهما بسكوتٍ ولا يتكلمان البتة(١٠٦٤).

قال أحد تلاميذ أنبا أغاثون: "ذهب مرةً أنبا أغاثون بنفسه ليبيع أعمال أيدينا وسلّمها للمشتري دوءٍ، وكان ثمن الغربال مائة قطعة وثمن القفة مائتان وخمسون قطعة. وكان يقول الثمن لمن يريد الشراء ويأخذ منه ما يعطيه إياه بسكوت، وما كان يعد ما يأخذه. وكان يقول عن حكمةٍ وإفراز: 'ما نفع التشدد في المساومة مع المشتري والتورط في خطية القسم؟ ألكي أحصل على زيادة في الثمن أعطيها للفقراء؟ إنّ الله لا يريد مني هذه الصدقة بأن أجعل إنسانا ما يخطئ بقسمٍ'.

"كذلك حينما كان يشتري قميصا أو رداءً أو وعاءً للقلاية كان يلقي نظرةً خاطفةً خفيةً (في السوق)، فإذا رأى هنالك أرملةً معوزةً وعندها الشيء الذي يريد شراءه كان يسألها: 'بكم تبيعين هذا'؟ وما تقوله له كان يعطيه لها إذا كان معه، أما إذا لم يكن معه ما يكفي فيقول لها: 'اغفري لي'، ثم يتركها"(١٠٦٥).

وكان أنبا أغاثون إذا قال له أحد الإخوة: "ومن أين يأتينا خبز القلاية"؟ يجيبه قائلاً: "وما هو خبز إنسان يعيش منفردا في القلاية مكتفيا بنفسه"(١٠٦٦)؟

قال أبا بطرس تلميذ أنبا لوط: "كنت مرةً جالسا في قلاية أبا أبرآم تلميذ أنبا أغاثون، فجاء إليه أخ قائلاً: 'يا أبي، إنني إريد أن أسكن مع الإخوة، فأخبرني كيف أُقيم معهم'؟ أجابه الشيخ: 'كُن معهم دائما مثل اليوم الذي بدأت فيه سكناك معهم، واحفظ غربتك هكذا كل أيام حياتك لكي رب من الدالّة؛ فقد حدث أن أقام أبي أنبا أغاثون مرةً في طيبة مع أخٍ يدعى مكاريوس، فأمضى زمانه كله في صحبته على الحال التي أتاه فيها أول يوم حتى إنّ الأخ مكاريوس قال له: 'أيها الأخ أغاثون، لماذا تسلك معي مثل غريبٍ وتجهد نفسك لكي لا تكون لك معي دالّة'؟ فأجابه القديس قائلاً: 'هذا ما يجب أن يكون، لأنه يستحيل علي أن أجد دالّة مع الغرباء سواء أردت أم لا، أما معك فينبغي أن أحفظ نفسي من الدالّة'".

فقال له أبا مكاريوس: 'فما هي الدالّة إذن'؟ أجابه الشيخ: 'الدالّة تشبه ريح السموم التي عند هبو ا يهرب الجميع من أمامها، كما أ ا تهلك ثمار الأشجار'. فقال له أبا مكاريوس: 'أ ذا المقدار تكون الدالّة رديئة'؟ أجابه أنبا أغاثون: 'ليس هناك وجع

(1064) Apoph., Agathon, 16; س ٤ ص ٣٦

(١٠٦٥) ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء.

(١٠٦٦) المرجع السابق.

(هوى) آخر أشد سطوةً من الدالّة لأ ا مصدر جميع الشرور، ولهذا يجب على الراهب العمال ألاّ تكون له دالّة حتى ولا على القلاية ولو كان وحيدا فيها، لأني أعرف أخا كان ساكنا كل زمانه في قلايةٍ واحدة مع أنه كانت لديه قلاية (حجرة) أخرى في المنشوبية، وكان إذا خرج من قلايته لا يذكر أنّ له قلاية أخرى ما لم يقل له آخر، هذا هو الراهب العمال الذي يجاهد ضد مشيئاته الخاصة'"[١٠٦٧].

وقال أنبا أغاثون: "الدالّة والمزاح والضحك تشبه نارا تشتعل في قصبٍ وتهلك"[١٠٦٨].

قال أنبا أبرآم عن أنبا أغاثون إنه كان يقول: "يجب على الراهب ألاّ يدع ضميره يلومه في أمرٍ من الأمور"[١٠٦٩].

وقال أنبا أغاثون أيضًا: "من يزيل من أمام عينيه الا امات للآخرين والنقمة على غيره والاستهانة بالآخرين يمكنه أن يحيا"[١٠٧٠].

وسأله أخ: "لقد تلقيت وصيةً ولكنه يوجد خطر تجربة في المكان المتعلق ا، فبخصوص الوصية أرغب في تنفيذها ولكنني خائف من هذا الخطر"! فقال له الشيخ: "لو كانت هذه مشكلة أغاثون لكان قد نفّذ الوصية و ذا ينتصر على التجربة"[١٠٧١].

قال أنبا أغاثون: "إن لم يحفظ الإنسان وصايا الله لا يمكنه أن يتقدم ولا حتى في فضيلةٍ واحدة"[١٠٧٢].

قيل عن أنبا أغاثون إنه أجبر نفسه على إتمم كل الوصايا، ولما كان يبحِر في مركبٍ كان هو أول من يمسك ا اذيف، وعندما كان الإخوة يأتون ليروه كان يعِد المائدة بيديه بمجرد أن ينتهوا من الصلاة لأنه كان ممتلئًا نشاطًا وحلاوةً ومحبة الله[١٠٧٣].

كان أنبا أغاثون يقول: "إنّ الله يطلب من الذين يبدأون خدمة أعمال مخافة الله لا شيء سوى أن يدبروا أجسادهم بالطاعة للوصايا ضدا لأوجاع الشهوات"[١٠٧٤].

وقال أيضًا: "إن أنا ربحت أخي فقد قربت (أي قدمت) قربانا"[١٠٧٥].

كان أنبا يوسف يتكلم مرةً عن المحبة فقال: "إنّ أخا جاء إلى أنبا أغاثون فرأى عنده مسلّة خياطة، فمدحها لأ ا كانت جيدة، فلم يتركه الشيخ يذهب إلاّ ا"[١٠٧٦].

(١٠٦٧) س٤ ورقة ٣٥.
(1068) Apoph., Agathon, 1; س ٤ ورقة ٣٥ ؛ ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء
(1069) Apoph., Agathon, 2; س٤ ورقة ٣٥؛ ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء
(1070) W. & W., II: 483.
(1071) Ibid., 484; Apoph., Agathon, 13.
(1072) Apoph., Agathon, 3; س ٤ ورقة ٣٥
(1073) Ibid., 29; س ٤ ورقة ٣٦
(1074) W. & W., II: 482; Ch., 98.
(1075) W.&W., I: 425; Apoph., Agathon, 25; س ٤ ورقة ٣٦
(١٠٧٦) س٤ ورقة ٣٦.

ذهب أنبا أغاثون مرةً ليبيع عمل يديه، فوجد إنسانا غريبا مطروحا مريضا وليس له أحد يهتم به، فحمله واستأجر له مسكنا، وأقام معه يخدمه ويعمل بيديه ويدفع له أجرة المسكن وينفق على المريض أربعة شهور حتى شفي، وبعد ذلك انطلق إلى البرية[(١٠٧٧)].

وكان أنبا أغاثون يقول: "لو قابلت أبرص واستطعت أن أُعطيه جسدي وآخذ جسده لصرت سعيدا جدا. هذه هي حقًا المحبة الكاملة"[(١٠٧٨)].

كان الأب أغاثون ذاهبًا يومًا ما إلى المدينة ليبيع عمل يديه، فقابل مقعدا في الطريق مشلولاً في رجليه وسأله: "إلى أين أنت ذاهب"؟ فأجابه: "إلى المدينة". فقال له: "اصنع محبة واحملني إلى هناك"، فحمله إلى المدينة. وقال له المُقعد: "أنزلني حيث تبيع عملك". ففعل هكذا. ولما باع شيئًا سأله المُقعد: "بكم بعته"؟ فأخبره عن الثمن. فقال له: "اشترِ لي كعكة". فاشترى له. ولما باع أبا أغاثون شيئًا آخر سأله المريض: "بكم بعته"؟ فأخبره عن ثمنه. فقال له: "اشترِ لي هذا". فاشتراه. ولما باع أبا أغاثون كل بضاعته أراد أن يرجع، فقال له المُقعد: "اصنع محبة وأرجعني إلى الموضع الذي وجدتني فيه"، فحمله ورده إليه. وحينئذٍ قال المُقعد: "يا أغاثون، إنك ممتلئ بالبركات الإلهية في السماء وعلى الأرض". ولما رفع القديس عينيه لم ير إنسانا، فقد كان ملاك الرب أرسله ليمتحنه[(١٠٧٩)].

كثيرًا ما أعطى الأب أغاثون لتلميذه هذه النصيحة: "لا تقتنِ إطلاقًا شيئًا لا ترغب أن تتنازل عنه لمن يطلبه، لأن هذا يجعلك تتعدى وصية الله: «من سألك فاعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده» (مت٥: ٤٢)"[(١٠٨٠)].

قيل عن أنبا أغاثون إنه إن احتاجت القلاية لأي شيءٍ كان يشتريه، وإذا قال له أخ مريض: "قد مضيت إلى السوق يا أبانا أغاثون دون أن أعلم، وكنت أود أن تشتري لي شيئًا". فإن كان الشيء الذي يريده الأخ هو نفسه الذي اشتراه لاستعمال القلاية كان يعطيه له، فإذا اعترضه الأخ مارتيريوس قائلاً: "نحن أيضا نحتاج إليه"، كان أنبا أغاثون يجيبه: "لقد اشتريته من أجل القلاية دون أن نكون في حاجةٍ إليه، لأنه يوجد عندنا ما يشبهه، أما هذا الأخ فهو في حاجةٍ ضروريةٍ إليه"!

وكان دائما يقول لنا: "لا تحتفظوا بشيء إن كان يطلبه منكم أحد الإخوة ولا تتأخروا في إعطائه إياه"[(١٠٨١)].

(1077) Ibid., 422; Ibid., 27; س٤ ورقة ٣٦ (1078) Ibid., 426; Ibid., 26; س٤ ورقة ٣٦
(1079) Apoph., Agathon, 30; س ٤ ورقة ٣٦ (1080) PA,14, 13 (Pa, 2, 4).. (١٠٨١) ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء

يُحكَى عن أنبا أغاثون أنه ذهب مرةً ليسكن في مغارةٍ في البرية وكان فيها ثعبانٌ كبير، هذا انتصب لكي يخرج ويترك المغارة، فقال له القديس: "إذا ذهبت فأنا لن أجد راحةً هنا". فتوقف الثعبان عن الخروج. وكانت توجد شجرة جميز في تلك البرية، فذهب كلاهما إليها، وعمل الأب أغاثون حزا مقسما به الشجرة إلى قسمين، وذلك لكي يأكل الثعبان جميز أحد القسمين ويأكل الشيخ من القسم الآخر، ولما انتهيا كلاهما من الأكل رجعا مرةً ثانيةً إلى مغار هما[١٠٨٢]!

قال أنبا أغاثون: "إنني لم أقدم ولائم محبة إطلاقًا، ولكن حقيقة العطاء والأخذ كانت بالنسبة لي وليمة محبة، لأنني أعتبر أن منفعة أخي هي ذبيحة تقدمة"[١٠٨٣].

كان أنبا أغاثون مسالمًا لجميع الإخوة الذين يسكنون معه، وكان الجميع يحبونه ويتشبهون بسيرته. هذا ما قاله لي أنبا أبراهام الذي كان ساكنا معه. ونحن كذلك يا إخوتي إذا أحببنا حياتنا فلنتمثل بالذين أرضوا الله ونقتفِ آثار خطوا م لأ م وجدوا السيرة الصالحة[١٠٨٤].

كان أبا دانيال[١٠٨٥] يقول: "كان أبا ألكسندر يسكن مع الأب أغاثون، وأحب الشيخ أبا ألكسندر لأنه كان عمالاً وكان وديعا ومهذّبا. وحدث أنّ جميع الإخوة كانوا يغسلون ملابسهم الكتانية في النهر، وكان ألكسندر يغسل ملابسه معهم دوء. ولكن الإخوة قالوا لأنبا أغاثون: "إنّ الأخ ألكسندر لا يعمل شيئًا". ورغبةً من الشيخ في أن يهدئ من تلاميذه قال له: "اغسل جيدا يا أخ لأن الملابس من الكتان". فلما سمع ألكسندر ذلك حزن، فعزاه الشيخ قائلاً: "ماذا إذًا؟ ألم أعلم أنك تغسل جيدا؟ ولكنني كلّمتك ذه الطريقة أمامهم لكي أنتهر أذها م بطاعتك"[١٠٨٦].

سأل إخوةٌ شيخًا عما نربحه من هذا القول السابق، **فقال الشيخ:** "هذه القصة تعلمنا خصلتين: فضيلة التلميذ وحكمة المدبر. أما فضيلة التلميذ فلأنه رغم أنه كان يغسل جيدا إلاّ أنه سمع الملامة ولم يتكلم، وأما حكمة المدبر فلأنه رغم اطمئنانه على وداعة تلميذه فقد أراح فكر الإخوة بملامته إياه لئلاّ يلوموه هم فيحدث سجس، ثم كشف للإسكندر في السر أنه لامه لأجل ربح الضعفاء، وأيضا لكي يظهر طاعته للإخوة ليتشبهوا بفضيلته ويطيعوا مثله. وكان الطوباويان دانيال وألكسندر من تلاميذ أنبا أرسانيوس، وبعد نياحته تتلمذ ألكسندر لأنبا أغاثون"[١٠٨٧].

(1082) Ch., 235. (1083) Apoph., Agathon, 17.
(1086) Apoph., Agathon, 28; W. & W.,I: 318.

(١٠٨٤) المیمر الثلاثون لأنبا إشعياء.
(١٠٨٥) الذي كان تلميذا لأنبا أرسانيوس.
(١٠٨٧) س ٩ رقم ١١٢ ص ٢٩٠.

قال أبا أغاثون: "إن كان إنسان يحبني وأنا أحبه غاية المحبة، وعرفت أنه يلحقني نقص من أجل محبته فأنا أقطعه مني وأنقطع منه بالكلية"[(١٠٨٨)].

وقال أيضًا: "ما رقدت قط وأبقيت غضبا في قلبي ولا حتى فكر عداوة ضد أي إنسان، ولا تركت قط إنسانا يرقد وفي قلبه أي غضبٍ علي على قدر طاقتي"[(١٠٨٩)].

قيل عن أنبا أغاثون وأنبا هيراكليوس اللذين من الأسقيط إنه في الوقت الذي عاشا فيه معا حدث خلاف بينهما، ثم ذهب أنبا أغاثون إلى قلايته ولم يستطع أن يمكث فيها، فذهب وصنع ميطانية للأب هيراكليوس الذي قال له: "اغفر لي، إنه لم يخطر على بالي أي فكر خصام".

وقد روى أبا أبراهام لأنبا بيمين ما حدث، فقال الشيخ: "إنّ أنبا أغاثون قد وجد الطريق لأنه أبدى الاتضاع في سلوكه"[(١٠٩٠)].

قال أبا أغاثون: "الرجل الغضوب حتى وإن أقام أمواتا فهو غير مقبول عند الله ولا أحد يقبل إليه"[(١٠٩١)].

قال لي **أخ:** "عندما كان الأب أغاثون الكبير يرى أخا يفعل خطية ويرى أنه يميل إلى توبيخه كان يرجع إلى نفسه قائلاً: 'أغاثون، احترس من أن تسقط في خطية، فليس هذا عملك'. وبذلك كان لا يوبخ الأخ، و ىذا كانت روحه تسكن دائما"[(١٠٩٢)].

قيل عن أنبا أغاثون إنه ظلّ وقتا طويلاً يبني قلايةً مع تلاميذه (أي منشوبية)، وأخيرا لما تّمت بدأوا يعيشون فيها، ولما رأى خلال الأسبوع الأول شيئًا بدا له مضرا قال لتلاميذه: "قوموا ولنترك هذا المكان". ولكنهم اضطربوا وأجابوا: "ما دمت قد قررت فعلاً أن ترحل فلماذا أتعبنا أنفسنا هكذا كثيرا في بناء القلاية؟ إنّ الناس سيشكون فينا ويقولون: أنظروا كم أنّ هؤلاء الناس لا ثبات لهم فها هم يرحلون"! فرآهم القديس قد قُهروا فقال لهم: "إن كان البعض يشكون فإنّ آخرين على العكس سينتفعون جدا ويقولون: طوبى لهؤلاء الذين يرحلون لأجل الله وليس لهم اهتمام آخر، وعلى ذلك فمن أراد منكم أن يأتي فليأتِ، أما أنا عن نفسي فإنني ذاهب". فطرحوا أنفسهم على الأرض وتوسلوا إليه أن يسمح لهم بالذهاب معه[(١٠٩٣)].

(1088) Apoph., Agathon, 23; س ٤ ص ٣٧
(1089)Apoph., Agathon, 4; W. & W., I: 347; س ٤ ورقة ٣٥
(1090) N., 495.
(1091) Apoph., Agathon, 19; W. & W., I: 484; س ٤ ورقة ٣٦
(1092) Ibid.,18; Ibid., 356; Eth.Coll., 14, 15; س ٤ ورقة ٣٧
(1093)Ibid., 6; Ibid., II: 481; س٤ ورقة ٣٥

سأله مرةً أحد الإخوة: "أيهما أعظم الأتعاب الجسدية أم اليقظة الداخلية"؟ فأجابه: "إنّ الإنسان يشبه شجرة: الأتعاب الجسدية هي الأوراق واليقظة هي الثمرة، وحسب المكتوب: «كل شجرةٍ لا تعطي ثمرةً جيدةً تقطَع وتلقَى في النار» (مت٣: ١٠). فإذا لم تكن للمجاهد يقظة داخلية فهو يشبه شجرة التين التي ترى عن بعد كثيرة الأوراق، أما إذا اقتربت منها ولم تجد فيها ثمرة فإنك تسميها عقيمة يابسة. ثم إذا كان ثمر الشجرة بعد صغيرا وليس عليها ورق كافٍ فالهواء يجفف الثمر لأن الورق هو الذي يحمي الثمر"[١٠٩٤].

كان أبا أغاثون ذا يقظةٍ عظيمة في كل شيء، وكان يقول: "إنه بغير يقظة لا يقدر أحد أن ينمو في أية فضيلة"[١٠٩٥].

وقال أيضًا: "إذا كان الإنسان الباطن متيقظًا يمكنه أن يحرس الإنسان الخارجي أيضا، أما إذا لم يكن فلنحرس اللسان بكل ما في وسعنا"[١٠٩٦].

وقال أيضًا: "ينبغي على الإنسان في كل الأوقات أن يكون حذرا من دينونة الله"[١٠٩٧].

كان أبا أغاثون مريضا هو وشيخ آخر، وبينما كانا راقدين في قلايتهما كان الأخ يقرأ لهما في سفر التكوين، ولما وصل إلى الفصل الذي قال فيه يعقوب: «يوسف مفقود وشمعون مفقود وأنتم تأخذون بنيامين مني؟ إنكم تذهبون بشيبتي بحزنٍ إلى الهاوية» (تك٤٢: ٣٦و ٣٨). فبدأ الشيخ الآخر يقول: "أليس العشرة هم كفاية لك أيها الأب يعقوب"؟ ولكن أبا أغاثون أجاب: "كُف أيها الشيخ، إذا كان الله هو إله الأبرار فمن هو الذي يدين يعقوب"[١٠٩٨]؟

وكان الأب أغاثون دائما محترسا بعينيه، فلا يدعهما تلتفتان هنا أو هناك. وكان دائما يقول بصراحةٍ: "إنني على ما أذكر لم أسمح قط لعيني أن تجلبا الطياشة لفكري داخل القلاية"[١٠٩٩].

سمعتُ عن أنبا أغاثون أنه قال: "إنني لا أسمح أن يدخل إلى قلبي فكر رديء واحد وقت أن أجذب مغزلي (أي ولا إلى لحظةٍ قصيرة)"[١١٠٠].

سأل أخ أنبا أغاثون عن الزنى، فأجابه: "اذهب اطرح ضعفك أمام الله فستجد

(1094) Ibid., 8; ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء؛ س ٤ص ٣٦ (1095) Ibid., 29; ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء؛س ٤ص ٣٧
(1096)W. & W., II: 485; Ch., 65; An., 1239. (1097) Apoph., Agathon, 24.
(1098) Apoph., Agathon, 22; W. & W., II: 499. (١٠٩٩) ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء.
(1100) Eth. Coll., 13, 93.

راحة"[١١٠١].

سأل إخوةٌ شيخًا عن القصد من القول السابق، وكيف يلقي الإنسان ضعفه قدام الله. **فقال الشيخ:** "هذه التجربة وجميع التجارب والأوجاع والشدائد والشتيمة التي من الشياطين والناس والتي تأتي علينا بسبب مجيئهم إلينا سببها أننا لم نخف بعد من الله ولم نعرف ضعفنا ونتضع. والمتوحد لا يتخلص من الأوجاع ويغلب الحروب ويصعد إلى الكمال إن لم ينـزل بذهنه إلى عمق الاتضاع ويجعله مسكنا له".

"ووجع الزنى هو أشد من جميع الحروب كما هو مكتوب وتصحبه الفضيحة، ولهذا فهو يبكت المتوحد أكثر من بقية الأوجاع، فالذي يعرف القتال مع الجسد وجهاد الذهن في الاتضاع ومحقرة الذات فهو يخلص عاجلاً من وجع الزنى بسهولة. وهذا الأخ كان يظن أنه بأعمال الجسد وحدها يغلب القتال، ويبدو أن هذا القتال كان يواجهه بكثرة، فلما أعلم أنبا أغاثون بصعوبة قتاله أرشده إلى الحق: أنه لا يقدر أن يغلب وجع الزنى وشيطانه إلاّ بالأعمال والاتضاع ومحقرة الذات وقلب منسحق معترفًا بضعفه وشقائه وأن يرفع أفكاره كل حين أمام الله بالتنهد ويطلب منه عونا وغلبةً"[١١٠٢].

كان أنبا أغاثون يقول: "إكليل الراهب اتضاعه"[١١٠٣].

وسأله الإخوة أيضًا: "أية فضيلةٍ من كل الأعمال الصالحة تتطلّب جهادا أعظم"؟ فأجاب: "اغفروا لي، فأعتقد أنه لا يوجد عمل أعظم من الصلاة لله، لأنّ كل وقتٍ يريد الإنسان أن يصلي يريد أعداؤه الشياطين أن يمنعوه أو يجعلوه مشتتا، لأ م يعلمون جيدا أنه لا شيء يبطل قو م سوى الصلاة لله. فكل عملٍ صالح يبذل فيه الإنسان ويتعب فيه لا بد أن يحصد منه الراحة، أما الصلاة فلأن الشياطين يجاهدون لكي يعوقوه عنها لذلك فهو يحتاج إلى جهادٍ حتى آخر نسمة من حياته"[١١٠٤].

لم **يكن أنبا أغاثون يضطرب وهو يعمل شغل يديه** أو يتقيد به إذا دعت الحاجة إلى تكميل وصية الرب، فكان يمكث في عمله حتى الساعة التاسعة، فإذا حان موعد خدمة صلواته ولا يزال باقيا أمامه قليل من عمل يديه، كان يتركه إلى الغد ولا يعتفي من أداء صلواته قط[١١٠٥].

سأل إخوةٌ أنبا أغاثون: "ما هي أعظم الأعمال للحصول على شـفقة الرب عليـنا، وتلك التي لها منفعة أعظم أمام ربنا"؟ فأجا م: "قلب حلو وصلاةٌ نقيةٌ بمخافةٍ ورعدةٍ بمعرفةٍ

(1101) Apoph., Agathon, 21; W. &W., I:573; س ٤ ورقة ٣٦

(١١٠٢) س ٩ رقم ١٧٠ ص ٢٥٩. ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء؛

(1103) W. & W., II: 314.

(1104) Apoph., Agathon, 9; س ٤ ص ٣٦

(١١٠٥) ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء: PA,59,1.

واعيةٍ بوجودكم في حضرة الرب الذي يراكم ويعرف ما في قلوبكم"[١١٠٦].

كان أنبا أغاثون له تلميذان وانعزلا عنه وعاش كلٌ منهما حياة توحدٍ بقدر طاقته. وفي أحد الأيام سأل أحدهما قائلاً: "كيف تعيش في قلايتك"؟ فأجابه: "إنني أصوم حتى المساء ثم آكل خبزتين". فقال له أبا أغاثون: "هذه طريقة جيدة للمعيشة ولكنها شاقة". ثم سأل التلميذ الآخر: "وكيف تعيش أنت"؟ فأجابه: "إنني أصوم يومين وبعد كل صومٍ آكل خبزتين". فقال له الشيخ: "إنك تجاهد كثيرا باحتمالك لمشقتين. إنه لَتعب للإنسان أن يأكل كل يومٍ بدون جشعٍ (أي نهم)، ويوجد آخرون، إذ يرغبون أن يصوموا يومين، يكونون جشعين بعد ذلك، أما أنت فبعد أن تصوم يومين لست جشعا"[١١٠٧].

وكان يقول أيضًا: "عباءة الراهب هي علامة على اختفاء الشر"[١١٠٨] [أي أنّ من يرتدي الزي الرهباني يدلّ به على اختفاء الشر من حياته].

أخبروا عن أنبا أغاثون أنه وضع في فمه حجرا لمدة ثلاث سنين حتى قوم السكوت[١١٠٩].

سأل إخوةٌ شيخًا بخصوص القول السابق **قائلين:** "كيف كان الحجر في فمه؟ وهل كان يفعل ذلك في أوقاتٍ معروفةٍ أم في كل وقت"؟ **فقال الشيخ:** "عندما كان يخرج إلى ا مع كان يضع حصاةً في فمه، فإذا التقى بأحدٍ في الطريق يحتاج إلى كلمة منفعة كان يخرِجها من فمه، وإذا تواجد في الصلاة مع الإخوة في الكنيسة كان يضعها في يده، وإذا جلس يسمع ما يقرأ يضعها في فمه، وإذا جلس على المائدة يضعها في حجره، وإذا انتهى من الأكل يعيدها إلى فمه. فلما نظر الله كثرة حرصه واجتهاده بعد ثلاث سنوات أعطاه الغلبة على لسانه ولم يعد يخاف أن يسقط منه".

"وقد تشبه به بعض الآباء لما سمعوا ذلك، ومنهم من استعمل خاتمًا من المعدن بدلاً من الحصاة، ومنهم من استعمل صليبا صغيرا. أما أنبا بيمين فإنه عوضا عن ذلك كان إذا أراد الخروج إلى ا مع يجلس أولاً يجمع أفكاره ويحاسب نفسه كيف يحفظ لسانه، لقد كان يحفظه يوم الأحد كله منذ أن يقرع الناقوس حتى يعود إلى قلايته. وإذا حدث له زلل بلسانه كان عندما يدخل قلايته يتضرع إلى الله بخشوعٍ وبكاءٍ ويمرغ وجهه ثم يعود إلى التحفظ، وهكذا بعد وقتٍ طويلٍ غلب القتال وسلِم من لسانه واستراح ومجد الله"[١١١٠].

كان الأب يوسف يقول: "عندما كنا جالسين مع الأب بيمين دعا أبا أغاثون بكلمة

(1106) Eth. Pat., 219.

(1107) Apoph., Agathon, 20; W. & W.,I: 88.

(1108) W. & W., II: 482.

(1109) Apoph., Agathon, 15; W. & W., I: 61; س ٤ ورقة ٣٦

(١١١٠) س ٩ رقم ٣٤ ص ١١١.

"**أبا**"، فقلنا له: ’إنه لا يزال شابا فلماذا تدعوه أبا‘؟ أجاب: ’إنّ فمه جعله مستحقًا أن يدعى "**أبا**"‘“[١١١١].

سمعتُ الأب الكبير أغاثون يقول: ”إنّ الرب يظهر لي في كل وقتٍ الطريق الذي أسير فيه“[١١١٢].

وقال أيضًا: ”لو كان كل عمل الراهب هو مثل قطع الشجر والابتعاد عن الجسدانيات لكان أغاثون يدخل الملكوت مباشرةً“[١١١٣].

عُقِد مجمع في **الأسقيط** **بخصوص أمرٍ ما** واتخِذ فيه قرار ما، ولما أتى أنبا أغاثون متأخرا قال لهم: ”لم تقرروا في هذا الأمر بالحق“. فردوا عليه بغيظٍ: ”من أنت حتى تتكلم هكذا“؟ فقال: ”ابن إنسان، لأنه مكتوب: «إن كنتم بالحق تقولون الصواب فاحكموا بالعدل يا بني البشر» (مز٧: ٢)“[١١١٤].

قال أنبا أغاثون: ”الرب لا يريدني أن أُرضي الناس ولا أن أقبل خداعات الشياطين“[١١١٥].

وكان يقول: ”يجب على الإنسان أن يتذكر دائما دينونة الله“.

ولما كان عتيدا أن ينطلق إلى الرب مكث ثلاثة أيام مفتوح العينين لا يتحرك، فأقامه الإخوة وقالوا له: ”ياأبانا أغاثون، أين أنت“؟ فقال لهم: ”أمام مجلس قضاء الله أنا واقف“! فقالوا له: ”أتفزع أنت أيضا“؟ فأجا م قائلاً: ”حتى الآن على قدر طاقتي حفظت الوصايا، إلاّ أنني إنسان من أين أعلم أنّ عملي قد أرضى الله“؟ فقال له الإخوة: ”ألست واثقًا في كل ما فعلت حسب ناموس الله“؟ أجاب الشيخ: ”لن أطمئن حتى ألقى الله، لأنّ حكم الله شيء وحكم الناس شيء آخر“. ولما أرادوا أن يسألوه أكثر قال لهم: ”اصنعوا محبةً ولا تكلموني أكثر من ذلك لأنني ليس عندي وقت بعد“.

وهكذا رقد وهو متهللٌ، وتراءى منظره للإخوة كمن يحيي أحباءه[١١١٦]!



(1111) Apoph., Poemen, 61; W. & W., II: 100; Ch., 112.
(1112) Eth.Coll., 13, 98. (1113) Ibid.,13, 94. (1114) Apoph., Agathon, 14.
(1115) Eth. Coll., 13, 99. (1116) Apoph., Agathon, 29; ميمر ٣٠ لأنبا إشعياء ؛ س ٤ ص ٣٧

(٢٤) قصص وأقوال
القديس أنبا إشعياء

❃❀✻❀❃

من تعاليم الأب إشعياء للمبتدئين[١١١٧]

+ **أيها الأخ الحبيب،** إن كنت قد تركت العالم الباطل وقربت نفسك لله لكي تتوب عن خطاياك السابقة، فلا تدع أفكارك تحزنك بأنها لا تغفَر لك. ولا ترفض أيضا أن تتحفّظ بما قد دخلت فيه من وصايا السيد المسيح وإلاّ فهو لن يغفر لك خطاياك السابقة.

+ **اِحفظ هذه الخصال** حتى الموت ولا تحتقرها: إياك أن تأكل مع امرأة، ولا ترافق غلاما صغيرا، ولا ترقد مع أخٍ على حصيرةٍ واحدة. ولا تتوانَ في النظر بعينك. إذا نزعت ثوبك فإياك أن تبصر شيئًا من جسدك. إذا اضطررت أن تشرب مشروبا فلا تزِد عن ثلاث كؤوس، وإياك أن تحلّ الوصية من أجل الصداقة. اِحذر من أن تسكن في موضع قد أخطأت فيه قدام الله.

+ لا تتوانَ عن صلوات الساعات لئلاّ تقع في أيدي أعدائك. اِغصب نفسك في تلاوة المزامير، فإنّ ذلك يحفظك من سبي الدنس. أحب التعب والشقاء في كل شيء لكي تذلّ أوجاعك. واهتم بألاّ تعد نفسك شيئًا في أمر من الأمور، فإنّ ذلك يجعلك تتفرغ للنوح بسبب خطاياك. اِحفظ نفسك من الكذب لأنه يطرد خوف الله من الإنسان. لا تكشف أفكارك لكل أحدٍ لئلاّ تسبب عثرةً لقريبك. اِكشف أفكارك لآبائك الشيوخ لتجد معونةً بمشورتهم.

+ اِغصب نفسك في عمل يديك وخوف الله يسكن فيك. إذا أبصرت أخا قد أخطأ فلا تحتقره ولا تزدرِ به وتدينه لئلاّ تقع في أيدي أعدائك. اِحفظ نفسك من الانسياق إلى ذكر خطاياك القديمة والتلذذ بها لئلاّ تقع في الأتعاب. أحب الاتضاع فهو يحفظك من الخطية.

+ لا تكن مناقضا تحب أن تقيم كلمتك لئلاّ يسكنك الشر. لا تتمسك في نفسك بأنك حكيم فتقع في أيدي أعدائك. عود لسانك أن يقول: 'اغفر لي' والاتضاع يأتيك.

+ إذا جلست في قلايتك فاهتم بهذه الثلاث خصال: عمل يديك، ودراسة مزاميرك، وصلاتك. تفكّر في نفسك بأنه ليس لك في هذه الدنيا سوى يومك هذا وأنت لن تخطئ إلى الله. لا تكن حنجرانيا في الأطعمة لئلاّ تتجدد فيك خطاياك القديمة. لا تتضجر من أي تعبٍ فيأتيك النياح (أي الراحة) من الله سريعا.

(١١١٧) عن مخطوطة ١٨١ نسكيات بدير السريان؛ وس ٤ ص ٤٥.

+ مثل بيتٍ خرِبٍ خارج المدينة وقد صار موضعا لكل نتانةٍ؛ هكذا نفس الراهب العاجز (أي المتواني)، فهو يصير مأوى لكل وجع ونتانة.

+ اِغصب نفسك على صلوات دائمة ببكاءٍ، لعل الله يرحمك ويخلع منك الإنسان العتيق ويعطيك الملكوت.

+ ثبت نفسك في هذه الخصال التي أذكرها لك: التعب، والغربة، والمسكنة، والصمت. وهذه تجلب لك الاتضاع، والاتضاع يغفر الخطايا. الاتضاع هو أن يعتبر الإنسان أنه خاطئ وأنه ما عمل شيئًا من الصلاح قدام الله، ويلزم الصمت ولا يعتبر نفسه شيئًا ويقطع هواه ولا يقيم كلمته. ويكون متجها بنظره إلى الأرض، ويجعل ذكر الموت بين عينيه، ويحفظ نفسه من الكذب، ولا يتحدث بكلامٍ بطّال، ولا يجاوب من هو أكبر منه، ويحتمل الشتيمة بفرحٍ، ويبغض الراحة، ويكرِه نفسه على التعب، ولا يحزِن أحدا. فاهتموا، يا إخوتي، بأن تحفظوا هذه الوصايا لئلاّ تكون حياتكم بلا ثمرة.

+ وقال أيضًا: يا ابني، كُن متهيئًا دائما لأن تقول في كل كلمة تسمعها: 'اِغفر لي'، لأنك بالاتضاع تهزم كل قوة العدو. وليكن وجهك دائما عابسا إلاّ إذا جاءك إخوة غرباء فكُن معهم باشا لكي يسكن فيك خوف الله.

+ إن مشيت مع إخوةٍ في طريقٍ فتباعد عنهم قليلاً لكي تكون صامتا. وفي سيرك لا تلتفت يمنةً ولا يسرةً، بل ادرس (أو هذّ وتأمل) في مزاميرك وصل لله بفكرك. وأي موضع تدخله لا تكن لك فيه دالّة مع أهله.

+ في كل شيءٍ من أمورك كُن حيا (أي تؤديه بحيوية). وكل شيءٍ يوضع أمامك فبتغصبٍ مد يدك إليه. وإن كنت شابا فلا تتجرأ أن تضع طعاما في فم إنسان آخر. وإن رقدت في موضعٍ فلا تتغطَ مع إنسان آخر بغطاءٍ واحد. وصل كثيرا قبل أن تنام.

+ إن كنت قد تعبت من الطريق وأردت أن تدهن جسدك بقليل من الزيت فليكن ذلك بحياءٍ، ولا تدع أحدا يدهن لك جسدك وأنت شاب إلاّ في شدة المرض. وإذا جاءك أخ غريب فادهن رجليه وقُلْ له: "اِصنع محبةً وخذ قليلاً من الزيت لتدهن به جسدك"، وإن لم يرد فلا تكرِهه إلاّ إذا كان شيخا عمالاً فاغصب عليه حتى يدهن جسده كله.

+ إذا جلست على المائدة وأنت شاب فلا تتجرأ أن تعزم على أحدٍ قائلاً: 'كُلْ جيدا'، ولكن اذكر خطاياك لئلاّ تأكل بلذّةٍ، ومد يدك إلى ما بين يديك فقط. ولتغط ثيابك رجليك ولتكن ركبتاك مضمومتين إحداهما إلى الأخرى.

+ إذا جاء إليك غرباء فأعطهم حاجتهم بعين واسعة (أي بكل قلبك). وإذا كفّوا عن الطعام فقُلْ لهم مرتين أو ثلاث مرات: "اِصنعوا محبةً وكُلوا قليلاً". وعندما تأكل لا ترفع وجهك إلى قريبك ولا تلتفت إلى هنا وهناك، ولا تمد يدك إلى شيءٍ واك، ولا تتكلم كلمةً بطّالة. وإذا شربت ماءً فلا تدع حلقك يدوي مثل العلمانيين.

+ إن كنت جالسا مع إخوةٍ وجاءك بلغم فلا تبصقه بين أيديهم بل قُم خارجا وألْقِهِ. لا تتمط بين أيدي الناس، وإذا جاءك تثاؤب فلا تفتح فمك وهو يمضي.اِحرص ألاّ تفتح فمك بالضحك، لأنّ الضحك يوضح عدم خوف الله.

+ لا تشتهِ متاع صاحبك، لا ثوبا ولا قلسوةً ولا غير ذلك، ولا تتمم شهوتك بأن تصنع لك مثله. إن عملت لك مصحفًا (أي كتابا مقدسا) فلا تزينه فإنّ هذا وجع (أي شهوة). إذا أخطأت في أمرٍ فلا تستحِ ولا تكذب، لكن اصنع ميطانية وقر بذنبك واستغفر فيغفَر لك.

+ إن قال لك إنسانٌ كلمةً شديدةً (أي عنيفةً) فلا تنفر ويستكبر قلبك عليه، ولكن بادر باتضاع واصنع ميطانية ولا تلُمه في قلبك وإلاّ فإنّ الغضب يتحرك عليك. إن كذب عليك أحد (أي افترى عليك) في شيء لم تفعله، فلا تم ولا تجزع، لكن اتضع واصنع ميطانية. وإن كنت فعلت أو لم تفعل فقُل: "اِغفر لي فإنني لن أعود إلى ذلك". هذه الخصال كلها نافعة ولا سيما للأحداث في الرهبنة.

+ إن كنت تعمل عمل يديك فلا تتوانَ البتة، ولكن اهتم به بخوف الله لئلاّ تخطئ بدون معرفةٍ. وفي كل ما تعمله لا تستحِ أن تسأل الذي يعلمك، بل قُلْ له: "اِصنع محبةً وأفهمني"، وقُلْ له أيضا: "هل هذا جيد أم لا"؟ وإن دعاك أخوك وأنت جالس في عمل يديك فاترك عملك واطلب راحته.

+ إذا خرجت من المائدة فادخل قلايتك ولا تجلس لتتحدث مع من لا ينفعك. بل إن كانوا شيوخا يتكلمون بكلام الله فاستأذن معلمك، وإن أذن لك أن تجلس لتسمع كلامهم فكما يأمرك اِفعل.

+ إن أرسلك معلمك إلى مكان لأجل حاجةٍ فاسأله: "أين تحب أن أنزل"؟ وما يأمرك به لا تزِد عليه ولا تنقِص منه، وإن سمعت كلاما خارجا فلا تبلغه إلى آخر.

+ إذا أردت أن تفعل أمرا لا يهواه الأخ الساكن معك فاقطع هواك لأجل راحته لئلاّ

تحدث بينكما ملاججة وتجربة. إن سكنت مع أخٍ فكُن معه مثل غريبٍ ولا تأمره بشيءٍ كأنك رئيس عليه. إذا سكنت مع إخوةٍ فلا تكن لك مع أحدهم دالّة، ولا تعتبر كلمتك مع كلامهم، فيكون زمانك معهم في سلامٍ وعافية. وإن أمروك بشيءٍ لا واه فاقطع هواك لأجلهم وافعل ما يقولونه لك لئلاّ تحز م وينقطع الصلح من بينكم وتفارقهم. إن كنت ساكنا مع أخٍ وقال لك: "أُطبخ لنا شيئًا"، فاسأله عما يحبه، فإن جعل لك السلطان فمهما وجدته يوافقه أُطبخه بخوف الله، وكل عمل تعمله اشتركا فيه ولا يرثي أحدكما لجسده لئلاّ يفزع فكر أخيه.

+ **وقال أيضًا:** إذا قمت باكر كل يوم فقبل أن تمسك بيدك عملاً ـاقرأ كلام الله، وبعد ذلك إن كان لك في القلاية عمل فاعمله بلا كسل. وإن أردت أن تعمل شيئًا فيه منفعة فشارك أخاك فيه ولا تحسده. وإن كان شيئًا صغيرا وقال أحدكما لصاحبه: "ـاِعمله يا أخي"، فليطِع، فإنّ الذي يطيع هو الأكبر!

+ إن جاءك أخ غريب فليكن وجهك بشوشا نحوه حينما تسلم عليه، وخذْ قماشه (أي ملابسه الخارجية وشاله) واحمله عنه بفرحٍ، وإن أراد أن يرحل فليفارقك بفرحٍ وودعه بخوف الله وبشاشةٍ لئلاّ تفارقه بخسارةٍ (أي تخسر محبته). وعندما يجيء إياك أن تسأله عن شيءٍ لا ينفع نفسك، بل اجعله يصلي. وعندما يجلس قُلْ له فقط: "كيف حالك"؟ ثم أعطه كتابا ليقرأ فيه. وإن كان قد جاء من تعبٍ فاتركه يستريح واغسل رجليه. وإن جاءك بكلامٍ ليس فيه منفعة فقُلْ له بمحبةٍ: "ـاِغفر لي يا أخي، فإني ضعيف ولا أقوى على احتمال هذا الكلام". وإن كان ضعيفًا وثيابه قذرة فاغسلها له، وإن احتاجت إلى خياطة فخيطها. وإن كان واحدا من الطوافين وكان عندك في ذلك الوقت إنسانٌ قديس فلا تدخِله عليه، ولكن اصنع معه رحمةً من أجل حب الله وأخلِ سبيله. وإن جاءك أخ بار فنيحه ولا تصرف وجهك عنه من أجل الله، ولكن اقبله بفرحٍ مع المؤمنين الذين يأتون إليك. وإن كان مسكينا فلا تصرفه من عندك خاليا، ولكن أعطه من البركة التي أعطاك الله، واعلم أنّ كل شيءٍ تظن أنه لك فهو ليس لك بل عطية من الله.

+ إذا استودعك أخ وديعةً فإياك أن تفتحها لتعرف ما فيها إلاّ بحضرته. وإن كنت تحتاج إلى الوديعة فقُلْ له أن يعطيك الشيء بيده. إن ذهبت إلى مكانٍ غريبٍ ونزلت عند إنسان في قلايته وخرج هو في حاجةٍ وتركك وحدك في القلاية، فإياك أن ترفع نظرك وتنظر إلى شيءٍ مما في قلايته أو تحرك شيئًا. ولكن عند خروجه قُلْ له أعطني شيئًا أعمله، وكل شيءٍ يوصيك به فاعمله بلا كسل.

+ إذا دخلت المستراح (دورة المياه لأجل حاجة الطبيعة) فلا تتوانَ، بل اذكر أنّ الله ينظر إليك دائما. عندما تصلي ساعاتك، فإياك أن تكون صلاتك بتهاون، فبدلاً من أن تكرم الله تسخطه، ولكن قف بخوفٍ ورعدةٍ ولا تتكئ على الحائط وترخي رجليك أو تقف على واحدةٍ وترخي الأخرى كما يفعل الجاهل. قاتل أفكارك ولا تتركها تطيش في الأمور التي لك فيها هوى لكي يقبل الله صلاتك.

+ إن كنتم تقرأون في صلواتكم وأنتم مجتمعون، فليصنع كل واحدٍ منكم صلاة. وإن كان معكم أحد غريب فاطلبوا إليه بمحبةٍ أن يصلي ولا تلحوا عليه أكثر من مرتين أو ثلاثة. إن كنت واقفًا في القداس فانتصب ضد أفكارك لكي يكون وقوفك بجسدك وحواسك بمخافة الله لكي تستحق أن تأخذ القربان جسد المسيح ودمه لتستحق الحياة ويشفيك الرب.

+ إياك أن تترك في جسدك قذارةً زائدةً لئلاّ يسرقك ا د الباطل. ولكن إن كنت شابا فاترك جسدك بكل سماجةٍ، فهذا ينفعه جدا. لا تلبس ثوبا جيدا حتى تبلغ إلى كبر السن.

+ إذا مشيت مع من هو أكبر منك فلا تتقدم عليه البتة. وإن كان الأكبر منك يتكلّم مع آخرين فإياك أن تحتقره وتجلس، ولكن قف حتى يأمرك.

+ إذا سافرت وأردت أن تنـزل عند أخٍ ولم يشأ أن يقبلك، فإذا قابلته أو نزل عندك فأكثِر الإحسان إليه. وإذا سمعت أنّ أحدا تكلّم ضدك والتقيت به أو نزل عندك، فافرح معه وأحسِن إليه بقدر قوتك، ولا تقُلْ له شيئًا مما سمعته عنه لأنه مكتوب في الأمثال إنّ الذي يذكر الشر هو مخالف للناموس.

+ إذا نزلتم في سفركم عند أخٍ فقير، فلا تتعِبوه لأجل احتياجاتكم، بل اشتروا لكم ما تأكلوه حتى يفضل عنكم وتتركوه للأخ. إذا ذهبت إلى موضعٍ أو دير، فالذي ت ل عنده لا تذهب إلى غيره حتى تطلب منه أولاً إن كان يشاء أن تذهب أم لا، فإن كان لا يسهل عليه ذهابك فلا توجع قلبه وتذهب.

+ إذا أخذت قلايةً في دير لا تعرفه فلا تكثر فيه أصدقاءك، يكفيك صديق واحد لأجل علّة المرض حتى لا تفسِد قوة الغربة التي فيك. إن أحسنت إلى مسكين فلا يكن ذلك بشعور أنك تمن عليه، ولا تستخدمه لئلاّ يضيع إحسانك له.

+ إن كنت قد تغربت عن أهل جسدك لتتقرب من الله فلا تجعل اشتهاءك لهم ولا لذّة ذكرهم تدخل إلى قلبك في قلايتك. واذكر أ م في ساعة شدة موتك لا يقدر أحد

منهم أن يعينك. فلماذا لا تتخلّص من ذكرهم بفرح؟

+ لا ترغب في زيارة الناس لكي تأكل شيءٍ بلذّةٍ أو لأجل شهوة مذاق قديمة. لا تجلس كثيرا في الهواء خارج قلايتك، ولا تشبع مما يقدم لك عند آخرين بلذّةٍ وارتياحٍ لئلاّ إذا أردت أن تدخل قلايتك أو إلى عادتك في الشقاء لا يوافقك ذلك. لا تجعل لك صداقةً مع أحدٍ تخاف أن يعلم الآخرون أنك تمشي معه لئلاّ تعثرهم بمعرفةٍ وعلم.

+ إذا كنت في دير يوجد فيه من كان عبدا لك، فإن أنت أبقيته لك ين نفسك في شكلك (لعله يقصد: تهين شكل رهبنتك). وإن أعطيته لأخٍ لك فإنك تخطئ. بل اعتقه إن شاء أن يذهب، فهو المخير. ولا تدعه يسكن معك لأنّ هذا ليس لمنفعة نفسك.

+ إذا كنت في نسكٍ متعبٍ للجسد من أجل الله وعلم بك الناس وكرموك من أجله، فاتركه إلى نسكٍ آخر لئلاّ يضيع تعبك. فإذا عبرت ا د الفارغ وجزت عنه فلا تنظر بعد للبشر، لأنّ الذي تعمله مرضي عند الله.

+ إذا فرقت كل شيءٍ لك ولم تبقِ لنفسك شيئًا، ثم رأيت أنك تريد الدوران من موضعٍ إلى آخر وأنّ حواسك كما هي ضعيفة؛ فالدوران هو خسارة لنفسك. فالأفضل أن تتعِب جسدك بعمل يديك لكي تجلس في قلايتك بدعةٍ وهدوءٍ ومعرفةٍ إذ تجعل رغبتك هي في أن تأكل خبزك بتعبك.

+ إذا انكشف لك معنى كلامٍ من الكتب، فحثّ نفسك على ألاّ تبطِل ظاهر المكتوب لئلاّ تصدق عملك أكثر من الكتاب المقدس، لأنّ هذا هو علامة كبرياء القلب.

+ إذا طلبت من الله أمرا ما ولم يستجب، فلا تقُلْ في قلبك إنه لم يستجب سريعا، لأنّ الله لا يمكن أن يسمع لإنسان إن لم يسمع الإنسان منه أولاً، لأنّ هذا ليس ببعيدٍ عن الإنسان. ولكن أهوية قلوبنا لا تدعه يسمع لنا كما أنّ الأرض لا تنبِت من ذا ا بدون زرع وماء. ولا يستطيع أحد أن ينمو بغير ألمٍ واتضاع قلب. كما أنّ الإنسان يحتاج إلى مخافة الله.

+ إذا ذهبت إلى مدينةٍ أو قريةٍ فلتكن عيناك ناظرتين إلى الأرض لئلاّ تكتسب لنفسك قتالاً في قلبك. إياك أن تنام في الغربة في بيتٍ تخشى أن تخطئ فيه بقلبك. إذا دعيت لتأكل عند إنسان وعلمت أنّ امرأةً ستجلس لتأكل معك فلا تأكل هناك البتة، لأنه أكثر أمانا أن تحزِن الذي دعاك من أن تزني سرا بفكرك. وإن استطعت فحتى ثياب النساء لا تبصرها بعينيك. وإن كنت في طريق ولقيتك امرأة وسلّمت عليك فاطرق بعينيك إلى الأرض وجاو ا بفمك.

+ إذا ذهبت في طريق ومعك شيخ فلا تدعه يحمل أحماله البتة، بل احملها أنت. أما إن كنتم شبانا فليحمل كل واحدٍ منكم متاعه، والحامل يكون هو المتقدم. وإن كنتم تمشون في طريق ومعكم إنسان ضعيف فليكن هو المتقدم حتى إذا أراد أن يجلس يمكنه ذلك. إن كنتم شبانا واجتمعتم عند إنسان وأراد أن يغسل أرجلكم أو طلب منكم أن تباركوا على المائدة، فاعرفوا أولاً كل واحدٍ منكم رتبته لكيما إذا جاء وقت ذلك لا تتعربسوا (أي لا ترتبكوا) ولا يلاجج بعضكم بعضا، وليكن جلوسكم حسب الطقس: الأول ثم الثاني ثم الثالث ...

+ إن سألك شيخ عن أفكارك فاكشفها له بحريةٍ إن علمت أنه أمين ويحفظ كلمتك، ولا تنظر إلى كبر سنه، ولكن اعتمد على من له علم وعمل وتجربة ومعرفة روحانية لئلاّ يحدث أنه بدلاً من أن يعطيك شفاءً يزيدك سقما.

+ إن تكلّم أناس عن أفكار لم تبلغها بعد ولم تقاتل ا فلا ترغب في سماع كلامهم لئلاّ تجلب عليك ذلك القتال.

+ أَلْزِم نفسك أن تصلي في الليل صلوات كثيرة، لأنّ الصلاة هي ضوء النفس. تفكّر كل يوم فيما فعلته فيه من الخطايا وصل إلى الله من أجلها وهو يغفرها لك.

+ إن سمعت أحدا يدين آخرين فلا تستحِ منه وتوافقه وتسقط وتغضِب الله، ولكن قُلْ له: "اغفر لي يا أخي فإني إنسانٌ شقي، وهذا الكلام الذي تقوله عن الآخر أنا منغمس فيه ولست أحتمل سماعه". إن أساء إليك أخ وجاء آخر ووقع فيه (أي أدانه) عندك فاحفظ قلبك لئلاّ يتجدد فيك ذكر الشر الذي أساء به إليك ذلك الأخ.

+ إذا ذهبت إلى غربةٍ مع إخوةٍ لا تعرفهم فقدمهم عنك في كل شيءٍ ولو كانوا أصغر منك. وإن نزلت عند صديق فليكونوا هم قبلك في كل شيءٍ على المائدة وغيرها، ولا تجعل في نفسك أنّ صديقك أراحهم بسببك، ولكن اجعل لهم الكرامة في كل شيء، وقُلْ لهم إنه بسببهم يصنع لك رحمة.

+ إن مررت في طريق مع أخ وأردت أن تدخل عند صديقك لأجل حاجةٍ ما، وقلت للأخ: اجلس حتى آتي إليك، فإياك أن تدخل لتأكل عنده حتى تدعو صاحبك معك. إن دخلت قلاية أخ ليست لك به معرفة، فحيثما أجلسك اجلس ولا تتحرك من الموضع الذي أجلسك فيه حتى يدعوك.

+ إذا سكنت في قلايةٍ، فإياك أن يكون لك فيها إناء يبطلك من وصية الله. إن سألك

أخوك إناءً عاريةً (أي استعارة)، وتكون حاجتك قدر ما يكفيك ولا يوجد شيء زائد، فلا تبددها ثم تتعربس (أي ترتبك) بعد ذلك.

+ الذين فارقتهم لأجل حب الله لا تكثر ذكرهم بقلبك لئلاّ ينشغل عقلك م، بل اذكر الموت والدينونة وأنّ أحدا منهم لا يقدر أن يعينك في ذلك الوقت.

+ إذا تذكرت في قلايتك إنسانا أساء إليك وأحزنك، فقم في الحال وصل لأجله من كل قلبك أن يغفر الله له حتى تنطفئ عنك مكافأة الشر بالشر.

+ إذا ذهبت لتأخذ جسد المسيح فاحفظ فكرك وإياك أن يكون في قلبك حقد أو غضب على إنسان. وإن علمت أنّ في قلب إنسان عليك شيئًا فاذهب واستغفر منه أولاً لئلاّ تأخذ لنفسك دينونةً وهلاكًا.

+ إن قوتلت بزنى في أحلام الليل فاحفظ فكرك لئلاّ تفكر فيها في النهار وتذكر تلك الأجساد التي أبصر ا في نومك فتتدنس بلذّ ا وتجلب على نفسك حزنا، ولكن ألْقِ ضعفك قدام الله وهو يعينك لأنه رحوم على ضعف الإنسان.

+ إذا ألزمت نفسك بصومٍ كثير وصلاة مستمرة فلا يثق قلبك أنك ذا وهذه تخلص، ولكن قُلْ في فكرك: إني أرجو من الله بصلوات قديسيه أن يصنع مع ضعفي رحمةً من أجل الشقاء الذي أُشقي به جسدي.

+ إن شتمك إنسانٌ فلا تجاوبه حتى يسكت، وفتش نفسك بخوف الله فإنك تجد فيك ما سمعت وأنّ العلّة منك هي. واصنع له ميطانية مثل إنسان يعرف بالحقيقة أنه هو الذي أخطأ، فيقبل الله كلا منكما.

+ إن كنت ماضيا مع إخوةٍ في طريق وكان بينك وبين أحدهم حب من أجل الله، فلا يكن لك معه دالّة أمامهم لئلاّ يكون فيهم أحد ضعيف فتأكله الغيرة منكما، وتكون الخطية عليك لأنك صرت له عثرة. إن أردت أن تذهب إلى أناس فلا تجعل في قلبك أ م يفرحون بك جدا، ولكن إذا قبلوك فاشكر الله على قبولهم لك.

+ إن جاء عليك مرض في قلايتك فلا تصغر نفسك واشكر الله على ذلك. وإن ضاقت نفسك فقُلْ لها: لماذا تحزنين يا نفسي؟ أليس هذا أفضل لكِ من جهنم؟

+ إن مضيت إلى إخوة وقال لك أحدهم: إني غير موفق مع هؤلاء ولكني أحب أن أسكن معك، فإياك أن تسمح له بذلك فتصير له عثرة ولأناس كثيرين. فإن قال لك:

مصيري أن أهلك نفسي هنا بسبب أفكار مكتومة، وعلمت أنّ له فيها هلاكًا، فانصحه أن يهرب إلى مكان آخر ولا تتركه يسكن معك.

+ في قلايتك قنن لنفسك مقدارا معينا من الطعام لا تتعداه ووقتا معروفًا لذلك. وأعطِ لجسدك حاجته بقدر ما تستطيع أن تخدم الله في صلاتك. ولا ترغب في الخروج لكي تطوف فيما لا ينفعك. وإن جلست لتأكل فلا تأكل شيئًا بلذّةٍ وشهوةٍ، ولا تطلب شيئًا تلذّ لك شهوته جيدا كان أو رديئًا. وإن عرضت لك حاجة مهمة: أن تفتقد أخا أو تذهب إلى دير وقدموا لك طعاما لذيذًا فلا تشبع منه، وارغب في العودة سريعا إلى قلايتك.

+ **وقال أيضًا:** إن زرع فيك الشياطين أن تتعب أكثر من طاقتك فلا تطِعهم، لأنهم يشغلون قلب الإنسان في أمور لا يقوى عليها حتى يكون مصيره - إذا انحلّ - أن يقع في أيديهم فيضحكون عليه، لأنّ كل شيءٍ من أمور العدو هي بلا طقس ولا مقدار. ولكن كُلْ مرة واحدة في النهار، وأعطِ جسدك حاجته بقدر ما تقوم عن الطعام وأنت تشتهيه. وأيضا سهرك فليكن بمقدار، فاسهر نصف الليل في الصلاة والنصف الآخر لراحة جسدك. وقبل أن تنام اسهر ساعتين تصلي فيهما وتزمر وبعد ذلك تلقي نفسك (على الفراش).

+ عندما تقوم (من النوم)، فبطول روح اصنع قانونك بحرصٍ وجهادٍ. وإن وجدت أن جسدك بدأ يكسل فقُلْ له: "أتريد أن تستريح في هذا الزمان اليسير ثم تذهب إلى الظلمة الخارجية؟ أليس من الأفضل لك أن تتعب زمانا يسيرا ثم تتنيح مع القديسين إلى الأبد"؟ وبذلك يهرب الكسل وتأتيك المعونة والقوة.

+ إن بعت شغل يديك في مدينةٍ أو قريةٍ فلا تماكس (أي تساوم) على الثمن مثل العلمانيين وتبدد قوة صلاتك في قلبك. وإذا أردت أن تشتري شيئًا أيضا فلا تماكس صاحبه، ولكن إن كنت محتاجا إليه فالزم نفسك وخذه. وإن لم يكن معك ما يساوي قيمته فاتركه بسكوت واذهب. وإن أقلقتك أفكارك بأنك لا تجد مثله، فقُلْ: ماذا يحدث إن أنا صبرت، هوذا القديسون قد أُبتلوا وتمسكنوا من أجل حب الله بإرادتهم الصالحة، ثم بعد ذلك وسع الله عليهم.

+ إذا وضع أخ عندك إناءً ما واحتجت إليه حاجةً شديدة، فإياك أن تمسه إلاّ بإرادته. إن أوصاك أخ أن تشتري له حاجةً وأنت ذاهب إلى غربة، فاشترِ له كما تشتري لنفسك. إن اتفق أن كانت لك حاجة مهمة في بلدتك، فاحفظ نفسك من أهلك ومن أقربائك، ولا تكن لك معهم دالّة ولا مخالطة لا في كلام ولا غيره.

+ إن استعرت من أخيك فأسا أو غيرها فلا تتوانَ عن أن ترده إليه عند فروغ حاجتك منه ولا تتركه حتى يطلبه. وإن انكسر عندك فجدده له. وإن أنت أقرضت إنسانا مسكينا شيئًا وعرفت أنه ليس له ما يوفيك، فلا تحزنه ولا تضيق عليه في شيءٍ مما أعطيته له من ثوبٍ أوفضة أو غير ذلك.

+ إن سكنت في مكان وبنيت لك فيه قلاية وأنفقت عليها، ثم بدا لك بعد زمان أن تترك هذا الموضع، وسكن فيها أخ ثم بدا لك أن ترجع إلى ذلك الموضع، فإياك أن تخرِج ذلك الأخ منها، بل ابحث لك عن قلايةٍ غيرها. أما إن أحب هو أن يخرج منها هواه فأنت بريء. وإن كنت عند خروجك منها أولاً قد تركت فيها متاعا ثم وجدت أنّ الأخ قد تصرف فيه فلا تطالبه بشيءٍ. وإن أردت أن تخرج من قلايتك إلى أخرى، فإياك أن تخرِج معك من متاعها شيئًا، بل اتركه للأخ الذي يسكن فيها، والله يرزقك أنت حيثما ذهبت.

+ كل فكر يقاتلك لا تستحِ أن تكشفه لمَن هو أكبر منك في الروحانية، فإنّ هذا الفكر يخف عنك ويفارقك. واعلم أنه ليس شيءٌ يفرح الشياطين مثل إنسان يخبئ أفكاره سواء كانت رديئة أو جيدة.

+ إذا طُغي أخوك من الهراطقة بغير معرفةٍ ثم رجع إلى الأمانة المستقيمة فلا تحتقره. واحفظ نفسك من مجادلة الهراطقة بغرض أن تقيم الإيمان (الصحيح)، لئلاّ يؤثر كلامهم عليك فتهلك. وإن وجدت كتابا من كتبهم فلا تقرأ فيه لئلاّ يمتلئ قلبك من سم الموت، بل تمسك بإيمانك كما أضاءت لك المعمودية، وكُن على حذر من تعليم الكذب المضاد لتعليم الحق حسب قول الرسول بولس.

+ **وقال أيضًا:** إن كنت شابا ولم تشقِ نفسك وجسدك بالتعب الواجب عليك، ثم سمعت بأخبار القديسين وأعمالهم الشريفة، فلا تطمع أن تنالها بدون تعبٍ، فهي لا تأتيك حتى تعمل عملها أولاً. فإذا أتممت عملها جاءتك من تلقاء ذا ا.

+ اِحفظ نفسك من الملل فإنه يتلف ثمرة الراهب كلها. إن كنت مقهورا من وجع وأنت تجاهد ضده فلا تملّ وتصغر نفسك، ولكن ألقِ نفسك قدام الله وقُلْ: "أعني يا رب أنا الشقي، فإني لا أقوى على هذا الوجع"، وهو يعينك سريعا إن كانت طلبتك بقلبٍ مستقيم.

+ إن كنت في شيءٍ من تعب الرهبنة ورأيت أنك قد هزمت الشياطين فانغلبوا في القتال وهربوا، فلا تطمئن بل كن على حذر منهم. واعلم أ م يهيئون لك قتالاً أشر من الأول ويكمنون به من ورائك. فإن أنت ناصبتهم انطردوا بمكر لكي يستكبر قلبك وتثق

في قوتك. فإذا رأوا أنك قد خرجت من مدينة الاتضاع، قام الكمين عليك من ورائك والآخر من قدامك وأحاطوا بنفسك فلا يكون لها ملجأ. ففي مدينتك (أي في اتضاعك ومسكنتك) ألْقِ بنفسك قدام الله من كل قلبك، فهو يعينك في كل بليةٍ تأتي عليك ويخلصك من قتالات العدو. فلا تملّ من الصلاة، وإن لم يسمع الله منك سريعا فلا تملّ من التضرع إليه لأنه يعرف ما فيه خيرك أكثر منك.

+ إذا طلبت الله في قتالك من كل قلبك، فلا تقُلْ له ِارفع عني هذا وهب لي ذاك، بل قل له: "يا سيدي يسوع المسيح أنت عوني ورجائي، وأنا في يديك وأنت تعرف ما هو خير لي، فأعني ولا تتركني أخطئ إليك، ولا أن أتبع هواي ولا لكني بسبب خطاياي. ِارحم خليقتك ولا ترفضني فإني ضعيف ولا تسلمني إلى أعدائي فإني إليك لجأت. ِاشفِ نفسي لأني إليك أخطأت. وجميع الذين يحزنونني أنفسهم بين يديك يا ربي يسوع المسيح. وأنا لا أهرب بضعفي إلاّ إليك، فخلصني بتحننك ليخزى جميع الذين يقومون علي ويطلبون نفسي ليهلكوها، لأنك أنت القادر على كل شيءٍ، ولك ينبغي ا د والكرامة إلى الأبد آمين".

+ لا يستطيع الإنسان أن يتحفّظ من الخطية إن لم يحفظ نفسه مما يلدها. وهذه هي الأشياء التي تلد الخطية: صغر النفس، الملل، إقامة (أي تحقيق) الهوى، حب الاتساع، طلب الرئاسة، حديث العالم، التماس ما لا ينبغي، التهاون بالناس، سماع الوقيعة، نقل الكلام من إنسان إلى آخر، الذي يحب أن يعلم دون أن يسأل، الذي يدين قريبه. هذه الأمور وغيرها تلد الخطية. فمن أراد أن ينجح ويتقدم في الأعمال الصالحة فليحفظ نفسه بمعرفةٍ من كل شيءٍ يلد الخطية، فإن الخطية تضعف من نفسها. فمن حرص يكون مبصرا لمنفعة تلك الأمور، ومن اون وغفل يعِد لنفسه العذاب. لأنه واجب على كل من تعمد أن ينقي نفسه من كل الشرور حيث إ ا خارجة عن الطبيعة، وينفيها ويبغضها ويعاديها حتى الموت.

+ إذا قطعت هواك بمعرفةٍ جلبت لنفسك التواضع، وإذا قطعت هواك لأجل أخيك بمعرفةٍ فهذا هو التواضع. أما الذي يريد أن يقيم هواه فهو يهلك الصلاح كله. فلنهرب من اللجاجة لأ ا دم وتهلك كل بنيان الإنسان وتصير النفس مظلمةً لا تبصر شيئًا من نور أعمال الصلاح. فاهتموا بالتحفظ من هذا الوجع الرديء الذي يختلط مع كل صلاح حتى يهلكه، لأنّ ربنا يسوع المسيح لم يصعد على الصليب حتى طرح يهوذا من وسط التلاميذ. فإن لم يقطع الإنسان هذا الوجع الرديء - أي اللجاجة - لا يستطيع أن يفلح أو يدرك أمور الله. لأنّ كل شر في الدنيا يصيب صاحب هذا الوجع الذي ينتج من

الكبرياء، والمتكبر لا يقدر أن يحتمل شيئًا من الوعظ. فهو يحب مجد الناس الباطل، وكل أمر يبغضه الله يسكن في نفسه، لأنّ المستكبر لا يقدر أن يكون بدون عثرةٍ. والذي فيه الحسد والغيرة لا يقدر أن يجد الاتضاع، وهو يسلم نفسه في أيدي أعدائه، وحينئذٍ يعملون في نفسه شرورا كثيرة، ومثل سكين حادة يذبحون تلك النفس في الخفاء.

+ فلنهرب من ا ـد الباطل والكبرياء، ولنذكر كل حين كرامة ومجد العالم العتيد. وكما أظن، فإنّ ا ـد الباطل يتغلّب على معرفة الله، لأنّ الذي يسقط في هذا الوجع الخبيث يكون غريبا عن السلام وقاسي القلب، وهو يقاتل القديسين.

+ أما أنت أيها المؤمن فليكن لك تحفظ بتعبك، واهتم بوجع قلبٍ ألاّ تقع في مثل هذه بلسانك أو بفكرك حتى لا تسلم إلى أعدائك. ولنقطع أهوية قلوبنا ونلتمس هوى الله ونصنعه. فإنّ النفس التي تريد أن تلتقي بالله بدون ذنبٍ فلتحرص كالتاجر الذي يفر من كل خسارة، وكل ما يجد فيه ربح يتاجر فيه وباحتراس. وهذه هي خسارات تاجر المسيح: طلب مجد الناس، الكبرياء، تزكية الذات، التعظم على الناس، التكلم بما يغضِب السامعين، محبة العظمة، محبة الأخذ والعطاء والسجس؛ هذه كلها خسارات، ولا يستطيع أحد أن يرضي الله وهذه في خزانته.

+ من أراد أن يأتي إلى نياح الرهبنة ولا يتأذّى من العدو فليتباعد من الناس في كل أمر، ولا يمدح إنسانا ولا يدينه ولا يزدريه ولا ينظر إلى نقائصه ولا يحزنه في شيء ولا يترك في قلبه شيئًا عليه من أفكار العدو. لأنّ الإنسان الذي يتمسك بمكافأة الشر في قلبه تكون خدمته باطلة. لأنّ الذي لا يهتم بأحدٍ ويلوم نفسه تكون أفكاره هادئة مستريحة، لأنّ النقي يعتبر الناس جميعا أنقياء، أما الذي في قلبه وجع فلا يرى أحدا نقيا بل يفكر في قلبه حسب أوجاعه في كل أحد، وإن سمع مديحا لإنسان يحسده. وأقول ذلك لكي تتحفّظ ألاّ تزدري بأحدٍ لا بالقلب ولا باللسان، وأن تبطِل معرفتك أمام القليل المعرفة وتقطع هواك مع الجاهل. أما الذي يثق في صلاحه ومعرفته ويتمسك واه فلا يستطيع أن يفلت من أيدي الشياطين، ولا يستريح ولا يبصر شيئًا من نقائصه، وعند خروجه من هذا الجسد فبتعبٍ يجد رحمةً. وتمام هذا كله أن تلاحظ الله (أي تراعي إرضاءه) من كل قلبك ومن كل قوتك وتترحم على كل الخليقة وتطلب من الله العون والرحمة في كل ساعة.

+ **وقال أيضًا:** السكوت هو ألاّ ترضى بشيءٍ لا ينبغي لك ولا تشغل قلبك بشيءٍ لا يعنيك. النقاوة هي عقل مستيقظ وحس ملتصق بالله. أحب السكوت أكثر من الكلام،

لأنّ السكوت يجمع والكلام يبدد. الراهب لا يقدر أن يحفظ تعبه إلاّ بالسكوت والهدوء وألاّ يعتبر نفسه شيئًا. والذي هو في السكوت يحتاج إلى هذه الثلاث خصال: خوف الله، والصلاة الدائمة، وألاّ يدع قلبه يسبى في أمر غريب. الذي يكون في السكوت ينبغي أن يجعل مخافة الله متقدمة على نسمته، لأنه ما دام القلب يخضع للخطية فما صار فيه خوف الله بعد، وهو بعيد من الرحمة.

+ الذي يتكلم بكلام العالم أو يسمعه مرارا كثيرة لا يقدر أن يكون في قلبه دالّة أمام الله في صلاته. أبغض كل ما في العالم من نياح الجسد لأنّ ذلك يصيرك عدوا لله. فينبغي أن نقاتل الجسد كأنه عدو مقاتل ومبغض.

+ وقال أيضًا: الذي يسكت ينبغي أن يتحفّظ جدا من أن يسمع كلمة ليس فيها منفعة لئلاّ يتسجس ويقلق منها ويفسِد زرع النفس الروحاني الفاضل ويصير بلا نمو حتى يرجع ويبتدئ بعمل الفضائل بمخافة الله ويحفظ وصاياه بمعرفة.

+ الذي يطلب الرب بوجع قلب يسمع الرب طلبته إن هو سأل بمعرفةٍ واهتمامٍ وقلب حزين، ولا يكون مرتبطًا بشيءٍ من العالم إلاّ بنفسه فقط لكي يوقفها قدام الرب بلا عيب بقدر قوته. مثل إنسان حقير مرذول حريص على أن يرضي الله ربه، لأنه لو أجرى إنسان عجائب كثيرة وشفى أمراضا صعبة وكانت له معرفة بكل العلوم، فما دام قد سقط في الخطية لا يقدر أن يكون بدون اهتمامٍ ا، لأنه لا زال في التوبة بعد. وإذا رأى إنسانا فيه كل الخطايا والتغافل ويدينه ويزدري به، فليعلم أن توبته لا تنفع، لأنه طرح عنه عضو المسيح وأدانه ولم يدع الدينونة للرب الديان.

+ وقال أيضًا: ثلاث فضائل يحتاج العقل إليها دائما: ترك الغضب، وعدم التهاون، والتخشع.

+ ثلاث فضائل إذ وجدها العقل معه يثق أنه قد بلغ الحياة: إفراز الجيد من الرديء، والبصيرة في الأمور قبل كو ا، وعدم الخضوع لأمر غريب.

+ ثلاث فضائل تصير في العقل ضوءًا دائما: عدم معرفة شر إنسان، وفعل الخير مع من يفعل به الشر، وقبول ما يأتي عليه من العدو بدون ضيق صدر. فالذي لا يعرف شر إنسان يأتي إلى الحب، والذي يفعل الخير مع من يفعل به الشر يلد له ذلك السلام، والذي يقبل ما يأتي عليه من العدو بدون ضيق صدر يأتي إلى الوداعة.

+ أربع فضائل تزكي النفس: السكوت، وحفظ الوصايا، والانفراد، والاتضاع.

+ الصوم يواضع (أي يذلّ) الجسد، والسهر ينقي العقل، والسكوت يجلب النوح، والنوح يغسل الإنسان ويجعله بلا خطية. طوبى للذين يخجلون من أن يرفعوا نظرهم إلى الرب بمعرفةٍ، ويهتموا بأن تشفى جراحا م، ويعرفوا خطاياهم ويطلبوا من أجل غفرا ا.

+ إذا أراد العقل أن يرتفع على الصليب يحتاج إلى طلبةٍ كثيرةٍ (أي توسلات) ودموع وخضوع في كل ساعةٍ قدام الرب، ويسأل من طبيبه المعونة حتى يقيمه غير مقهور ومتجددا بالقداسة، لأنه توجد شدة كثيرة عند ساعة الصليب وهو محتاج إلى صلاة وأمانة صحيحة (أو إيمان صحيح) وقلب شجاع ورجاء بالله إلى آخر نفس. ولربنا ا د إلى الأبد آمين.

+ وقال أيضًا: إذا صلّيت ولم يأتِ على فكرك شيء من الشر فقد صرت حرا. الذي يلوم أخاه أو يحتقره أو يقع فيه أمام آخرين أو يظهر له غضبا، فهو بعيد من الرحمة. وإن قال إنسان إنه يريد أن يتوب من خطاياه وهو يفعل شيئًا من ذلك فهو كذّاب.

+ من يريد أن يلزم السكوت دون أن يقطع علل الأوجاع، فهو أعمى. الذي يدع خطاياه (أي لا يهتم ا) ويريد أن يقيم آخرين فهو جاهل.

+ عمل النواح (أي الذي ينوح) هو بالحقيقة ألاّ يدين أحدا من الإخوة. فإن انشغلت بخطاياك تصير غريبا عن خطايا أخيك. إن كافأت شرا بشر ابتعد منك النوح. إن قبلت شيئًا من ا د الباطل ابتعد منك النوح. إن صنعت هواك طردت عنك النوح. وإن قلت إنّ فلانا صالح وفلانا شرير فهذا خزي لك، لكن اعلم أنك أنت أشر منه.

+ إن أردت أن تعرف أمرا لا يعنيك فقد أبعدت عنك النوح، وهو خزي لك وقلّة أدب، ولا يجعلك تم بخطاياك. إن قيل عنك كلام لا تعرفه أو عيرك إنسان وتسجست فقد أبعدت عنك النوح. إن لاججت في الكلام مع إنسان لكي تقيم كلمتك فليس فيك نوح. وإن مدحك إنسان وقبلت منه المديح، وإن شتموك فحزنت، فليس فيك نوح. فكل هذه تخبرك أنّ الإنسان العتيق لا زال حيا فيك.

+ إن حفظت وصايا المسيح كلها فقُلْ بعد كل ذلك: إنني لم أُرضِ الله قط. فلنحرص، يا إخوتي وأحبائي، من كل قلوبنا وبدموع حارة أن نرضي الله حتى يرحمنا ويعطينا قوةً لنغلب الشرير.

+ لنحرص، يا إخوتي، أن تكون شهوتنا هي في الله وهي تسلمنا من الشر. ولنلازم حب المساكين لنتخلّص من حب الفضة. ولنكن متصالحين مع كل أحدٍ لنتخلّص من البغضة.

ولنحب جميع الناس مثل أنفسنا ولا نبغض إنسانا ولا نكافئ الشر لنتخلّص من الغيرة. ولنحب الاتضاع في كل شيء ونحتمل كلام وتعيير إخوتنا، حتى إذا رذلونا، لنتخلّص من العظمة.

+ لنقتنِ طول الروح في كل شيء لكي نتخلّص من الحزن. ولنحرص على كرامة إخوتنا ولا نزيفهم (أي نظهر أ م بطالون) لكي نتخلّص من الدينونة. ولنرفض أمور العالم وكراماته لنتخلّص من الحسد وا د الباطل. ولنلزِم ألسنتنا بذكر الله والصلاة والعدل (أي الحق) لكي نتخلّص من الكذب. ولننق قلوبنا وأجسادنا من الشهوة الرديئة لكي نتخلّص من النجاسة.

هؤلاء (الشياطين) هم الذين يحيطون بالنفس متى خرجت من الجسد، فإن كانت النفس قد اقتنت الصلاح فهو يخلصها منهم.

+ **وقال أيضًا:** الحكيم هو الذي يحرص على إرضاء الله حتى الموت، فلنعمل بقدر قوتنا والرب بقوته يعيننا في ضعفنا. وليكن فكرك في الله وهو يحفظك. أمور العالم فلتتركها وتنطلق (في الطريق الروحي)، وما تفعله فليكن من أجل الله وهو يعينك في ساعة الموت. اِبغض كلام العالم لكي يفرح قلبك بالله. حب الصلاة في كل حين لكي يضيء قلبك بأسرار الله.

+ اِبغض الكسل حتى لا تحزن إذا قمت في موقف الأبرار. تحفّظ بلسانك لكي يضيء قلبك وتسكن فيك مخافة الله. أعطِ المحتاجين بعين واسعة (أي بقلب رحب) لئلاّ تخزى بين القديسين. اِحرص في صلاتك لئلاّ تأكلك السباع، ولا تكن محبا للشرب والسكر لئلاّ يبعِدك من نعم الله. أحب المؤمنين لأنه بسببهم تحلّ عليك رحمة الله. أحب القديسين لكي يغار قلبك من أعمالهم الصالحة. اذكر على الدوام ملكوت السموات وما أُعِد فيها للقديسين لكيما يقودك شوقك إليها، وكن متفكرا كل حين في جهنم لكيما تبغض أعمالها.

+ متى قمت باكر كل يوم تفكّر في أنك ستعطي جوابا لله عن أعمالك واثبت على ذلك حتى لا تخطئ وتسكن فيك مخافة الله. هيئ نفسك على الدوام للقاء الرب بذكر الموت لكيما تصنع حسب هواه. حاسب نفسك كل يوم عن أي وجع أنت مغلوب منه، ولا سيما الشهوات الجسدانية، واجتهد بكل قوتك أن تغلب كل الشهوات الرديئة.

+ كُن دائما حذرا منتبه العقل في كل حين، وإياك أن تفكر في العظمة أو تقبل هذا الوسواس، لأنه بالعظمة صار رئيس الملائكة هو وجميع جنوده شياطين. كل من يريد أن يغلب بكلامه فبلا شك قد دلّ على أنه ليست فيه مخافة الله ولا اتضاع.

+ إياك أن تقبل الفكر بأنك صالح عندما ترى في نفسك شيئًا من الصلاح لئلاّ يطغيك هذا الفكر ويبطِل أجرك، ولكن اذكر قول ربنا يسوع المسيح لتلاميذه: «متى فعلتم ما أُمِرتم به فقولوا: إننا عبيد بطّالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا» (لو١٧: ١٠). إياك أن تطمئن لأفكار العدو فيسبيك بمثل هذا الفكر وتظن أنه جيد، ولكن كُن دائما مستيقظ القلب والعقل مقابل حيل العدو وأفكاره الكثيرة، وكُن دائما منتصبا بالروحانية متسلحا بأعمال الوصايا لكيما تحيط بك يمين الله ويسترك من جميع أعدائك. واعلم أنّ الحزن الذي من أجل الله يقودك إلى الفرح الدائم.

+ لا تقبل فكر العدو الذي يقول لك عند السقطة: أين تفر؟ ليس لك توبة ولا مغفرة! فهو يريد بذلك أن يلقيك في اليأس ويرخيك عن التوبة التي تخلصك.

+ الحزن الذي من أجل الله يجعلك لا تخاف. اقترب وتب إلى الله، فهو يعرف ضعف الإنسان، وإذا وجد أنه بدأ يحبه ويطلب رضاه بكل قدرته فإنّ الله يعينه. فماذا ترى تبلغ معونة الله للإنسان؟ أليست هي كثيرة جدا؟ فلذلك ينبغي أن نجهد أنفسنا بكل قوتنا في حب المسيح لكي يسكن فينا ويعيننا على الأعمال الصالحة وينقذنا من أعمال الشيطان. إذا رأى العدو أننا متيقظون لقتاله ومتحكمون بمعرفة طرقه فهو بلا شك يفر منا.

+ فلنحب الله ونخَفْه لكي يطرد عنا جميع الشرور، وبه تقوى الروح والجسد. الذي يحب الله لا يعترف بالغضب إلاّ على الشهوات النجسة، ويكون عمله بمعرفةٍ لقطع الهوى. ذا تعرف أحباء الله من أحباء الشيطان.

+ قوة الذين يقتنون الصلاح هي في أ م إن سقطوا في خطيةٍ لا ييأسوا ولا تصغر نفوسهم. أعمال الصلاح هي في تعب الجسد بمعرفةٍ. الغفلة والتواني يولدان فينا أوجاع الجسد النجسة. من لا يدين أخاه على شيء فهذا له معرفة وحصن حصين، أما من يدين أخاه فهو الشقي الذي يهتم بعيوب غيره قبل أن يهتم بعيوبه هو وبالدينونة العتيدة، وقد أهلك كل صلاحه. من ينغلب من لسانه فهو لا يزال عبدا، ومن غلب لسانه فقد صار حرا.

+ قلة الرحمة تعني أننا لا نحب الله. كثرة المناصبة (أي الوقوف ضد الآخرين) تعني أننا أشرار. البركة تلد البركة والصلاح يلد الصلاح. أما الغضب فهو من قساوة النفس. كثرة الرقاد تأتي منها خسارة العقل، وهي تجفف العينين وتغلظ القلب. الرقاد بمعرفةٍ في السكوت أفضل من الكلام الباطل مع السهر.

+ **وقال أيضًا:** من لزم النوح فقد هرب من كل الشرور ومن كل سجس. ومن كف

عن شر الناس فهذا بالحقيقة قد انطبع فيه اتضاع سيدنا المسيح وأخزى الشيطان. من يحب تمجيد الناس فهو شقي وقد شملته العظمة. ضبط البطن يذهِب الأوجاع، أي الشهوات الرديئة، أما شهوة الأطعمة فتجلبها علينا.

+ من يحب الله يبعد عنه شيطان التهاون. ومن يحترس من الحديث الرديء يحفظه الرب من السقطات، أما كثرة الكلام والأحاديث فتأتي منها الرعونة والملل. من قطع هواه لأخيه من أجل الله فقد أنبأ عن نفسه أنه قد لزم الفضائل، أما الذي يقيم هواه ويحزن أخاه فهو بائس وقد أظهر أنه غير خائفٍ من ربه. من لزم مخافة الله فقد اقتنى حكمةً سماويةً، أما من ليس فيه مخافة الله فهو فقير معدوم من كل خير.

+ حب القنية يعربس النفس والجسد والروح. من يحب كلام العالم تظلم نفسه من كل أعمال الصلاح. من كتم أفكاره عن أخيه وصاحب سره فهذا يدل على تعاظمه وأنّ عدوه قد تملّك عليه. أما من يفشي أفكاره لصاحب سره فيستريح.

+ مثل البيت الذي ليس له باب وكل من أراد دخلَه؛ هكذا الذي ابتدأ بعمل الوصايا ثم تركها ونسيها. مثل الصدأ الذي يأكل الحديد؛ هكذا الذي يحب كرامة العالم فيهلِك بذلك صلاحه.

+ بدء كل صلاح هو الحب الروحاني، ثم يتبعه الاتضاع وحب المسكنة وقطع الدالة. أما خراب النفس فهو حب البطن. الذي غُلِب من الشيطان يمدح نفسه. مثل الدودة التي تأكل النبات وتفسده؛ هكذا القلب الشره الذي ليس له أجر عند الله.

+ من صبر واحتمل شتيمة أخيه يكلله الرب بإكليل منير، لأنّ هذا الشر الذي ظهر له من أخيه ليس منه بل من الشيطان الذي يحرص دائما على أن يفسِد ما بيننا.

+ من لا يلوم نفسه يتملّك عليه شيطان الضجر والغضب. الخلطة مع العلمانيين ترخي التائب وتبرد حرارته، والفرار منهم ينشطنا إلى كل عمل روحاني. حب أمور العالم يظلِم النفس، والكسل يجلب علينا الأعداء. لا ترتبط بالأفكار الرديئة وتتحادث معها لئلاّ توجد متحادثًا مع الشيطان مشافهةً، لأن هذه الأفكار تخرج من فمه إلى أذنيك. فانتبه للعدو وتقو عليه برسم الصليب وباسم ربنا يسوع المسيح. واشغل فكرك وقلبك بدين الآخرة وماذا ستعطي جوابا عن خطاياك، والزم التأمل في المزامير.

+ لا تتكل على قدرتك وصلاحك، بل اطلب العون والرحمة من المسيح لكيما يفرح بك وينجيك ويعينك. وإن أدركت ذلك فاتضع بين يدي الله كل حين.

+ اِحذر من أن تكون بينك وبين الناس تعامل ما دمت في التوبة، فإنّ الخلطة تشغلك عن الروحانية. احفظ قلبك وعينيك فلا يصيبك بأس (أي حزن) جميع أيام حياتك. كل من ينظر وجه أخيه بلذّةٍ شيطانيةٍ فقد فسق.

+ لا تحب أن تسمع عن خسارة أخيك أو تلومه في شيء وإلاّ فأنت هالك.

+ اِعمل لكي تعطي المساكين من عرق جبينك، لأنّ البطالة هي موت وهلاك. واحرص قبل كل شيء أن يكون لك شغل في الروحانية في كل رهبانيتك.

+ لا تعمل عملاً في زمان توبتك بدون مشورة فتعيش أيام حياتك بكل نياح.

سُئل الأب إشعياء: "كيف ينبغي على الراهب أن يستعمل خدمته في الترتيل وتدبير الصوم"؟ فأجاب: "عليه ألاّ يعمل شيئًا يزيد عن المرسوم له، فقد أراد كثيرون أن يزيدوا على ما رسِم لهم وبعد ذلك لم يستطيعوا أن يتمموا حتى ما هو أقل من ذلك"(١١١٨)!

قال الأب إشعياء: "اِغصب نفسك على العمل وخوف الله يحل عليك"(١١١٩).

قال أنبا إشعياء: "إن اشتقت إلى أهل العالم راغبا في مقابلتهم فليست فيك مخافة الله"(١١٢٠).

وقال أيضًا: "لا ترغب أن تقتني أصدقاء من أهل العالم حتى لا يبتعد الله منك"(١١٢١).

وقال أيضًا: "إن شئت أن تكون معروفًا عند الله فلا تعرف الناس بنفسك، لأنّ المرتبط بأمور العالم ويسمع الحق يرذل القائل به (أي من يقول الحق)"(١١٢٢).

أضاف الأب إشعياء الأسقيطي أخًا، فغسل رجليه ووضع قليلاً من العدس في القدر، ولما ابتدأ يغلي أخذه. فقال له الأخ: "لم ينضج العدس بعد أيها الأب". فأجابه الشيخ: "أما يكفيك أنك أبصرت النار؟ إنه عزاءٌ عظيم"(١١٢٣)!

وقيل إنه مكث عريانا مدةً من الزمان بلا ثوب في البرية، فأوحى الله إلى أحد الشيوخ أن يذهب إليه ويستر جسده لأنه رد غضب الله عن العالم كله. فلما جاء إليه الشيخ وقال له ذلك، قال أنبا إشعياء: "ألا يوجد في العالم عريان غيري"(١١٢٤)؟!

(١١١٨) س ٢ ص ٤٦٩. (١١١٩) س ٤ ورقة ٦٢. (١١٢٠) س ٤ ص ٧١. (١١٢١) المرجع السابق.
(١١٢٢) المرجع السابق. (١١٢٣) س ٤ ورقة ٨٢؛ Apoph., Isaiah, 6؛ W. & W., I: 65 (١١٢٤) س ٤ ورقة ٨٢.

قال أنبا إشعياء: "ينبغي أن يقتني الراهب مخافة الله، فإن كان يميل إلى الخطية ويستأنس ا فليعلم أنه ليست فيه مخافة الله، وما دامت ليست فيه مخافة الله فهو بعيـد مـن رحمـة الله"[(١١٢٥)]. **وله قولٌ آخر يشبهه هو:** "مخافة التلاقي مع الله يجب أن تكون هي تنفس من يعيش في السكون، لأنه بقدر ما تغوي الخطية قلبه لا تكون فيه مخافة الله ويبقى بعيدا عـن الرحمة"[(١١٢٦)].

قال أنبا إشعياء: "اِكتفوا بالقوت القليل الحقير، ولا تطيعوا العدو في مشورته في الضيافة بالطعام اللذيذ الكثير، فقد ى الرب مضيفته (أي مرثا) عن الاهتمام والقلق، ولما ضيف الذين تبعوه لم يحضِر لهم أصنافًا كثيرة، بل أحضر لهم ما كان موجودا عند أحد تلاميذه (الخمس خبزات والسمكتين). وتشبهوا أيضا بالأرملة التي ضيفت النبي بما عندها من الخبز والماء. ولا تشتهوا زيادة القنية لأجل إضافة الغرباء والرحمة للمساكين، فإنّ هذا أيضا من خداع الشياطين، لأنّ ذلك يقود إلى الانشغال والاهتمام (بأمور كثيرة) وا د الباطل. فالقليل الموجود ممدوح مثل فلسي الأرملة"[(١١٢٧)].

سُئل أنبا إشعياء: "بأي فكر يخرِج إبليس المحتال الراهب من قلايته"؟ فأجاب: "إنّ إبليس مثل الراقي الذي يخرِج الحية من عشها بكلامٍ لطيفٍ، وإذا أخذها يطوف ا ويطرحها في شوارع المدينة لكي يجعل الناس يتلهون ا، وإذا شاخت معه فإما أن يحرقها بالنار أو يغرِقها بالماء. هكذا يكون الراهب إذا سحبته الأفكار وترك قلايته"[(١١٢٨)].

وسُئل أيضًا: "إذا ألزمني أخ أن أشرب معه قدحا من النبيذ في قلايته، فهل جيد لي أن أذهب معه"؟ فأجاب: "اِهرب من شرب الخمر فتسلم كسلامة الغزال من الوحش. إنّ كثيرين بسبب هذا الأمر اندفعوا إلى السقوط بالأفكار"[(١١٢٩)].

وسُئل أيضًا: "إن ارتاب في أخ من الرهبان أتؤثر أن أسجد له"؟ فأجاب: "أُسجد له مرة واحدة ثم اِقطع ذاتك منه، لأنّ أنبا أرسانيوس قال: 'أحب الكل وابتعد من الكل'"[(١١٣٠)].

وسُئل أيضًا: "أريد أن أستشهد من أجل الله". فأجاب: "من احتمل رفيقه في وقت الشدة فقد دخل أتون الثلاثة فتية القديسين"[(١١٣١)].

وسُئل أيضًا: "ما بال الزنى يؤذي الإنسان ويلح عليه كثيرا"؟ فأجاب: "لأنّ الشيطان عرف أنّ الزنى يجعلنا عراةً من الروح القدس. واسمع قول الرب: «لا يلبث روحي في هؤلاء

(١١٢٥) س ٤ ص ١٥٩. (1126) La Collection systématique grecque, III, 7. (١١٢٧) س ٤ ص ١٦٧.
(١١٢٨) المرجع السابق. (١١٢٩) المرجع السابق. (١١٣٠) س ٤ ورقة ١٦٧. (١١٣١) المرجع السابق.

الناس بما أ م بشر» (تك٦: ٣ سبعينية)“[١١٣٢].

وسُئل أيضًا: ”ما هي خطية الوقيعة“؟ فأجاب: ”خطية الوقيعة لا تدع صاحبها يوجد في حضرة الله، لأنه مكتوب: «كنت أطرد من كان يغتاب صديقه سرا» (مز١٠٠: ٥ سبعينية)“[١١٣٣].

وقال أيضًا: ”لا شيء ينفع المبتدئ مثل الإهانات. فالمبتدئ الذي يحتمل الإهانات يكون مثل شجرةٍ تروى كل يوم“[١١٣٤].

وقال أيضًا للذين يجعلون لأنفسهم بدءًا حسنا بخضوعهم لتوجيه الآباء القديسين: ”مثل صبغة الأرجوان فإنّ اللون الأول لا يفقَد أبدا. وكما أنّ البراعم الصغيرة يسهل تشذيبها وثنيها؛ هكذا أيضا يكون المبتدئون الذين يعيشون في الخضوع“[١١٣٥].

وقال أيضًا: ”المبتدئ الذي ينتقل من دير إلى آخر يكون مثل حيوان يقفز بطريقةٍ وبأخرى خوفًا ممن يقيده“[١١٣٦].

وقال أيضًا: ”عندما كانت هناك أغابي والإخوة يأكلون في الكنيسة[١١٣٧]، ويتحدثون بعضهم مع بعض، وبخهم كاهن "بيلوزيوم" (بجوار بورفؤاد الآن) قائلاً: ’يا إخوة اصمتوا لأنني رأيت أحد الإخوة يأكل معكم ويشرب مثلكم وصلاته تصعد إلى حضرة الله كالنار‘“[١١٣٨]!

قيل عن الأب إشعياء إنه يوما ما أخذ فرع شجرة وذهب إلى البيدر لكي يدرس الحنطة وقال لصاحب البيدر: ”أعطني بعض الحنطة“. فقال له: ”هل أتيت بالحصاد أيها الأب“؟ فقال: ”لا“. فقال له صاحب البيدر: ”كيف، إذن، تتوقع أن تأخذ حنطةً وأنت لم تعمل في الحصاد“؟ فقال له الشيخ: ”إذًا، فإن لم يعمل الإنسان لا يأخذ أجرا“؟ فأجابه: ”نعم“. حينئذٍ ابتعد الشيخ. ولما رأى الإخوة ما فعله انحنوا أمامه طالبين أن يخبرهم لماذا تصرف هكذا. فقال لهم الشيخ: ”فعلت ذلك كمثال، فمن لا يعمل لا يأخذ أجرا من الله“[١١٣٩].

وقال أيضًا: ”عندما يريد الله أن يشفق على نفس وهي تتمرد إذ لا تحتمل شيئًا وتصنع مشيئتها، حينئذٍ يسمح لها أن تقاسي مما لا تريده، وذلك لكي تطلب الله مرةً أخرى“[١١٤٠].
وقال أيضًا: ”عندما يريد أحد أن يكافئ الشر بالشر يمكنه أن يؤذي نفس أخيه حتى

(١١٣٢) المرجع السابق. (١١٣٣) س ٢ ص ٤٦٩. (1134) Apoph., Isaiah, 1.
(١١٣٧) لأن مائدة الأغابي كانت ملحقة بالكنيسة. (1136) Ibid., 3. (1135) Ibid., 2.
(1140) Ibid., 7. (1139) Ibid., 5. (1138) Apoph., Isaiah, 4.

بمجرد إيماءةٍ واحدةٍ برأسه"[(١١٤١)].

عندما سُئِل أبا إشعياء عما هو البخل أجاب: "هو عدم الإيمان بأنّ الله يهتم بك، وأن تيأس من مواعيد الله وأن تحب التباهي والاعتزاز بالنفس"[(١١٤٢)].

وسُئِل أيضًا عما هي النميمة، فأجاب: "هي الجهل بمجد الله وبغضة الآخرين"[(١١٤٣)].

وسُئِل أيضًا عما هو الغضب، فأجاب: "هو تشاجر وكذب وجهالة"[(١١٤٤)].

قال الأب إشعياء: "قال أحد الآباء: 'يجب أن يكتسب الإنسان الإيمان بالله، والاشتهاء المتواصل له، والبراءة، والاعتياد على عدم معاملة الشر بالشر، والإماتة، والاتضاع، والطهارة، والحب للناس، والزهد، والعذوبة، وطول الأناة، والتوسل المتواصل إلى الله بحزن القلب، والمودة الحقيقية في عدم النظر إلى الوراء (أخطاء الآخرين السابقة)، والانتباه إلى الأمور الآتية، والاعتياد على عدم الثقة في عمله الصالح أو طقس صلاته، واستدعاء معونة الله لأجل ما يحدث كل يوم بدون انقطاع'"[(١١٤٥)].

طلب أخ من الأب إشعياء قولاً، فأجابه الشيخ: "إذا أردت أن تتبع يسوع فاحفظ كلمته. وإذا أردت أن تصلب معه إنسانك العتيق يجب عليك أن تقطع عنك أولئك الذين يجعلونك تنـزل من على الصليب، وأن تعِد نفسك لاحتمال الازدراء، وأن تهدئ نفسك نحو الذي أخطأ إليك، وأن تذلّ ذاتك، وأن تتغلّب على مشيئاتك، وأن تكبح جماح فمك حتى لا تدين أحدا في قلبك"[(١١٤٦)].

وقال أيضًا: "التعب الجسدي والفقر والغربة والرجولة والسكون، كل هذه تنشِئ الاتضاع، والاتضاع يغفر الخطايا (مز٢٥: ١٨). إن كان أحد لا يراعي هذه فزهده باطل"[(١١٤٧)].

وقال أيضًا: "إبغض كل ما في العالم وكذلك الراحة الجسدية، لأن هذه الأمور تجلب لك عداوةً لله (يع٤: ٤). فكما يكون للإنسان عدو يقاتله؛ هكذا علينا أن نقاتل أجسادنا بدلاً من أن نعطيها راحة"[(١١٤٨)].

سأل أخ الأب إشعياء عن قول الصلاة الربانية: «ليتقدس اسمك»، فأجاب الشيخ: "إنه يخص الكاملين، لأنه من المستحيل أن يتقـدس اسـم الله فينا نحن الذين يسيطر

(1141) Ibid., 8. (1142) Ibid., 9. (1143) Ibid., 10. (1144) Ibid., 11. (1145) I: 7 Isaïe 23/ XXIII 1. (1146) I: 8 Isaïe 26/ XXV 5. (1147) I: 9 Isaïe 26/ XXV 17.
(1148) I: 10 Isaïe 26/ XXV 16.

علينا الهوى"[١١٤٩].

سأل أخ أبا إشعياء: "كيف يجب ممارسة السكون في القلاية"؟ فأجـاب الشـيخ: "السكون في القلاية هو أن يلقي الإنسان بنفسه في حضرة الله ويعمـل كـل مـا في استطاعته لمقاومة كل فكر يزرعه العدو، لأنّ هذا هو الهروب من العالم". فقـال الأخ: "ما هو العالم"؟ فأجاب الشيخ: "العالم هو تشتيت المشاغل، العالم هو عمل ما هو ضد الطبيعة وإتمام مشيئة الجسد، العالم هو الاهتمام بالجسد أكثر من النفس والتباهي بالأمور التي كان الإنسان قد هجرها. وهذا ما لا أقوله أنا بل القديس يوحنا الرسول: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم» (١يو٢: ١٥و١٧)"[١١٥٠].

وقال أيضًا: "الذي يعيش في السكون يجب أن يفحص نفسه في كل ساعةٍ: هل تخلّص من الذين يقفون قبالته في الهواء، وإن كان متحررا منهم أثناء حياته أيضا؟ لأنه طالما يكون خاضعا لعبوديتهم فهو ليس حرا بعد. إذن، يوجد صراع حتى تأتي الرحمة"[١١٥١].

وسأله أخ: "ماذا يجب على الذي في السكون"؟ فأجاب: "الذي في السكون ينشغل بثلاثة أمور: مخافة الله بلا انقطاع، والصلاة بمثابرة، ولا يفتر قلبه عن ذكر الله"[١١٥٢].

قال الأب إشعياء: "مخافة الالتقاء بالله ينبغي أن تكون هي تنفس الذين يعيشون في السـكون، لأنه طالما أنّ الخطية تغوي قلبه فليست فيه مخافة الله بعد، ويظلّ بعيدا عن الرحمة"[١١٥٣].

قال أبا بطرس تلميذ الأب إشعياء: "ذهبت لزيارة الشيخ فوجدته مرهقًا جدا. ولما رآني حزينا قال لي: 'أي حزن يكون للذي يتوقع الراحة؟ ولكن ما يضيق علي هو مخافة تلك الساعة المظلمة التي سأُطرح فيها من وجه الله، حينما لن يسمعني أحد وحيث لن يكون هناك أمل في راحة'"[١١٥٤].

ومرةً أخرى عدت إليه فوجدته في ضعفٍ شديد، ولما لمح حزن قلبي قال لي: "باقترابي من الموت في مثل هذه الأمراض، ثم في العناء أخلص من تلك الساعة المرة، لهذا فإن صحة جسد الموت هذا ليس لها فائدة، لأنه يطلب الصحة ليكون عدوا لله (أنظر يع٤: ٤). ففي الحقيقة إنّ الشجرة إن كان أصلها يابسا، فمهما رويت كل يوم فلن تعطي ثمرا"[١١٥٥].

قال الأب بطرس: "سألت الأب إشعياء: 'ما هي مخافة الله'؟ فقال لي: 'الإنسان

(1149) I: 11 Isaïe 26/ XXV 20. (1150) II: 15 Isaïe 21/ XIV 13. (1151) II: 15 Isaïe 26/ XXV 3. (1152) II: 17 Isaïe 26/ XXV 40. (1153) III:7 Isaïe 26/XXV 6. (1154) III:8 Isaïe 26/ XXV32. (1155) III:9 Isaïe 26/ XXV 37.

الذي هو على وفاق مع الذي ليس من الله، فليست فيه مخافة الله‘“(١١٥٦).

وقال أيضًا بخصوص الشركة (التناول): ”يا لبؤسي، يا لبؤسي، يا لبؤسي! لأنني بقدر ما أتحد في الرأي (أي لي شركة) مع أعداء الله فماذا تكون شركتي مع الله (تناولي)؟ إذن، فأنا أتناول دينونةً لنفسي (١كو١١: ٢٩) ولخجلي! لأننا نقول (في القداس): [القدسات للقديسين]، مما يعني أنّ المقدسات تليق بالقديسين. فلو كنت قديسا لما كان الأعداء لهم قوة أن يفعلوا معي شيئًا“(١١٥٧).

قال الأب إشعياء: ”يا لشقائي، يا لشقائي! أنا الذي لم أجاهد لأجل خلاص نفسي! يا لبؤسي وشقائي أنا الذي لم أجاهد لتنقية نفسي لكي أُحسب مستحقًا أن أحصل ولو على القليل من رحمة الله! يا لشقائي، يا لشقائي! أنا الذي لم أجاهد لكي أنتصر على هجمات أعدائك (يا رب) حتى تملك أنت علي“(١١٥٨).

وقال أيضًا: ”يا لشقائي، يا لشقائي! أنا الذي دعي اسمك علي يا سيد، في حين أنني أخدم أعداءك! يا لبؤسي يا لبؤسي! أنا الذي آكل ما هو لله بفظاعةٍ، ولذلك فهو لا يشفيني“(١١٥٩).

وقال أيضًا: ”يا لبؤسي، يا لبؤسي! أنا الذي يوجد أمامي من يتهمونني ممن أعرفهم وآخرون ممن لا أعرفهم ولا يمكنني أن أنكرهم! يا لشقائي، يا لشقائي! أنا الذي لي من يتهمونني! كيف سيمكنني أن أوجد في حضرة سيدي وقديسيه أنا الذي لم يترك لي أعدائي عضوا واحدا صحيحا أمام الله“(١١٦٠)؟!

قال الأب إشعياء: ”أحب الصمت بدلاً من الكلام، لأنّ الصمت يكنز أما الكلام فيبدد“(١١٦١).

قال شيخ: ”احفظ الأمور الآتية حتى الموت ولا تهملها: لا تأكل مع امرأة، لا تكن لك أُلفة مع صغار، إن كنت شابا فلا تضطجع مع آخر على حصيرةٍ واحدة. كُن مسالمًا مع أخيك أو مع أبيك، وذلك بمخافةٍ وبدون ازدراء. لا تكن متهاونا مع عينيك عندما تخلع ملابسك. إن وجِدت ضرورة لشرب خمر فلا تزد على ثلاثة كؤوس، ولا تتعد هذه القاعدة لأجل الحاملة. لا تسكن في موضع تخطئ فيه إلى الله. لا تهمل ليتورجيتك (تسابيحك) حتى لا تقع في أيدي أعدائك. إلزم التأمل في المزامير لأن هذا يحفظك من أن يأسرك العدو. أحب كل إماتة حتى تصير أوجاعك (أي شهواتك) مذللة. تعهد بألاّ تِعد

(1156) III: 10 Isaïe 26/ XXV 34.
(1157) III: 11 Isaïe 26/ XXV 33.
(1158) III: 12 Isaïe 26/ XXV 36 abc.
(1159) III: 13 Isaïe 26/ XXV 36de.
(1160) III: 14 Isaïe 26/ XXV 39.
(1161) Arm I 583 (66) B.

نفسك شيئًا في أي أمر وهذا سيسمح لك أن تضمر الحزن بسبب خطاياك. احترس من الكذب لأنه يبعِد عنك مخافة الله. اكشف أفكارك لآبائك لكي تسكن فيك نعمة الله. إلزم عمل يديك فتسكن فيك مخافة الله"(١١٦٢).

قال الأب إشعياء: "طوبى للذين يتممون أعمالهم بمعرفةٍ لأ م يخففون عن أنفسهم كل حمل ويتحاشون خداع الشياطين ولا سيما ذلك الخوف الذي يعوق الإنسان في كل عمل صالح يقوم به إذ يدفع روحه إلى الكسل إذا عزم على التحصن بالالتصاق بالله"(١١٦٣).

وقال أيضًا: "قبل كل شيء، فإنّ أول حرب هي تلك التي من الغربة، ولا سيما لذاك الذي لكي يهرب إلى العزلة يهجر بيته إلى موضع آخر وهو ممتلئ بالإيمان والرجاء وعزم القلب على مقاتلة مشيئاته الخاصة. ففي الحقيقة إنّ الأعداء يطوقونك بصفوف (أو رتب) كثيرة ويرعبونك بطرق عديدة بالخوف من التجارب أو الفقر المدقع أو المرض، ويوحون لك بقولهم: 'إذا ذهبت إلى هناك فماذا ستفعل حيث لا يوجد من يعرفك لكي يعتني بك'؟ إنّ الله بصلاحه يمتحنك حتى تظهر غيرتك وحبك لله"(١١٦٤).

قال الأب إشعياء: "إنني أقدر جدا وأكرم التغلب على ا د الباطل والنمو في معرفة الله، لأنّ الذي يسقط في خزي (أو فضيحة) هذا الوجع الرديء يتغرب عن السلام ويقسي قلبه ومشاعره نحو القديسين. أما أنت أيها الأمين فاستر على أتعابك، وفي عناء الحب تيقّظ مما يجعل كلامك يرفعك بسبب هذه الأتعاب ويسلمك لأعدائك"(١١٦٥).

وقال أيضًا: "الذي يحب أن يتمجد من الناس لا يمكنه أن يكون بدون غيرة (أو حسد)، ومن عنده هذه الغيرة لا يمكنه أن يجد الاتضاع. والذي يكون مستسلما هكذا لأعدائه يجرفونه إلى شرور عديدة ويستولون عليه"(١١٦٦).

وقال أيضًا: "اهرب من ا د الباطل وسينعم الله عليك بمجده في الدهر الآتي"(١١٦٧).

قال أنبا إشعياء: "البساطة والازدراء بالذات ينقيان القلب من الشر"(١١٦٨).

وقال أيضًا: "الذي يسلك بمكر نحو أخيه لن يتخلّص من حزن القلب"(١١٦٩).

(1162) V 53 Isaïe 9 / V 2 - 12. (1163) VII 7 Isaïe 17/ XXVI 3. (1164) VII 8 Isaïe 17/ XXVI 1. (1165) VIII 6 Isaïe 17/ XXVI 2. (1166) VIII 7 Isaïe 17 / XXVI 2 = Sauget 6.

(1167) VIII 8 Isaïe = Sauget 7. (1168) X 28 Isaïe 6 / XIII 6.
(1169) X 29 Isaïe 6/ XIII 7. (1170) PE III 2B, 6. (1171) PE III 2B, 7. (1172) X 30 Isaïe 6/ XIII 8.
(1173) X 31 Isaïe 8 / XXV 63.

قال الأب إشعياء: "إذا خطر على بالك فكر دينونة على قريبك بسبب خطأ ما، فتفكَّر أولاً في نفسك أنك خاطئ أكثر منه بكثير، والصلاح الذي تعتقد أنك تفعله لا تظن أنه أرضى الله، وبذلك فلن تتعرض لخطر إدانة قريبك"(١١٧٠).

وقال أيضًا: "لا تدِن قريبك واحتقر ذاتك، وبذلك تشعر براحة الضمير"(١١٧١).

وقال أيضًا: "الذي يقول شيئًا بينما يوجد في قلبه شيء آخر رديء تكون كل عبادته باطلة. لا تصاحب مثل هذا الإنسان حتى لا تتلطّخ بسمه الدنس"(١١٧٢).

وقال أيضًا: "على ما أرى، فإن الربح والكرامة والرفاهية تحارب الإنسان حتى الموت"(١١٧٣).

قال أنبا إشعياء عن الاتضاع إنه لا يوجد له لسان يقول عن إنسان إنه متهاون أو عن آخر إنّ لديه ازدراء، كما أنّ الاتضاع ليست له عيون تلاحظ عيوب الآخرين ولا آذان تسمع أمورا مؤذية للنفس، وهو لا ينعى هم شيءٍ إلاّ خطاياه، فضلاً عن كونه مسالمًا لجميع الناس بسبب وصية الله وليس بواسطة اللطف. فقد قيل إنه إذا صام إنسان ستة أيام في الأسبوع ويهب نفسه لأتعاب شديدة ومبادئ عظيمة خارجة عن هذا الطريق، فإنّ جميع أتعابه تكون باطلة(١١٧٤).

وقال الأب إشعياء أيضًا بخصوص الاتضاع: "فلنستدع ذاك الذي «ليس له أين يسند رأسه» (مت٨: ٢٠). اِفهم أيها الأخ ولا تكن متكبرا. أُنظر من كان هذا وما الذي صار إليه من أجلك. لقد كان ملكًا، ثم صار غريبا ومثل سائح لأجلك. يا لحبك للبشر الذي لا يوصف ياسيد! لماذا تضع ذاتك هكذا لأجل عبيدك الخطاة لدرجة أنك أنت خالق كل الأشياء ليس لك أين تسند رأسك؟ أما نحن العقوقين (أي الكافرين بالنعمة) والمستحقين لكل مهانةٍ الوضعاء والأدنياء فنشتهي عظمةً وكرامةً بائدتين. فلماذا تكدر نفسك، أيها الإنسان البائس، وتكدس لنفسك هذه الممتلكات؟ لماذا تعمي نفسك بالفساد؟ لماذا تقتدي بأخطاء العالم؟ لماذا لا تربح لنفسك الخيرات المزمعة؟ اِمتحن، إذن، كل ذلك واختر الأفضل (١تس٥: ٢١)"(١١٧٥).

(1174) J 716 Isaïe 8 / XXV 53. (1175) Arm., II, 318 (84) B; J 718. (1176) XI 19 Isaïe 26 / XXV 4.
(1177) XI 20 Isaïe 26/ XXV 21. (1178) XI 21 Isaïe 26/XXV 22. (1179) XI 22 Isaïe 23/XXIII 2.
(1180) XI 23 Isaïe 6/XIII 9. (1181) XI 24 Isaïe 26 / XXV 1d. (1182) XI 25 Isaïe 26 / XXV 7.

وقال أيضًا: "الإنسان الذي له تظلم (أو تذمر) يثور في قلبه هو بعيد عن رحمة الله"(١١٧٦).

وقال أيضًا: "هذه هي التي تطرد من النفس ذكر الله: الغضب وعدم الصبر وشهوة التعليم والكلام الدنيوي الباطل. وبالعكس، فإنّ الصبر واللطف وكل نشاط بحسب الله تجلب المحبة"(١١٧٧).

وقال أيضًا: "آباؤنا القدماء قالوا إنّ النسك هو هروب من الأجساد"(١١٧٨).

وقال أيضًا: "الشكر لله في وقت التجربة يجعل التجارب التي تعرض لك تتقهقر، وعدم ثقتك في أن تعبك مقبولٌ لدى الله يدبر معونة الله لحمايتك"(١١٧٩).

وقال أيضًا: "لا تحمل لإنسان سوء نية حتى لا تصير أتعابك باطلة"(١١٨٠).

وقال أيضًا: "الإنسان الذي له خبث الانتقام في قلبه عبادته باطلة"(١١٨١).

وقال أيضًا: "هذا هو نضالنا: ألاّ يكون لنـا انفعـالٌ في الفـم أو إثم أو خبـث في القلب"(١١٨٢).

وقال أيضًا: "ما دمت في الجسد فلا تتعظّم في قلبك كأنك قد أفلحت. فكما أنّ الإنسان لا يمكنه أن يضمن ثمارا من حقله قبل أن يجنيها، لأنه لا يعلم ماذا سيحدث؛ هكذا الراهب لا يمكنه أن يقول في قلبه إنه عمل حقًا شيئًا صالحًا ما دام يتنفس في هذه الحياة (أنظر أي٢٧: ٣)"(١١٨٣).

قال أبا بطرس تلميذ أنبا إشعياء: "قال أبي الأب إشعياء: 'الإنسان الذي يحمل ملامة نفسه ويتخلّى عن مشيئته الخاصة به لأجل القريب من أجل الله حتى لا يسمح للعدو أن يتدخل بينهما يظهر أنه عمالٌ. لأنه إذا كان متيقّظًا ومنتبها فهو يبادر إلى قطع مشيئته حتى لا يبتعد عن محبة الرب. ففي الحقيقة إنّ الذي يتمسك بمشيئته لا يكون في سلام حتى مع المخلصين، لأنّ الغضب وعدم الصبر والسخط على أخيه يرهق قلبه (أي يلاحقه) حيث يعتقد أنه حائز على المعرفة'"(١١٨٤).

قال الأب إشعياء: "فتور الهمة وإلقاء الملامة على أي أحد يزعج الفكر حتى لا يسمح له أن يرى نور الله"(١١٨٥).

(1183) XI 26 Isaïe 26/ XXV 25. (1184) XI 27 Isaïe 26/ XXV 14a. (1185) XI 28 Isaïe 26/ XXV 25.
(1186) XI 29 Isaïe 26/ XXV 14b. (1187) XI 30 Isaïe 26/ XXV 26. (1188) PE IV 38, 17.

وقال أيضًا: "فلنطلب من الله أن يعطينا أن نحمل غم خطايانا وأن نعمل بكل طاقتنا لكي ‍ ‍رب مما هو بشري وألاّ تكون لنا دالّة مع علمانيين ولا الأحاديث الباطلة حتى لا تغرق نفوسنا في الظلمة وتحرم من معرفة الله. فمن المستحيل على الإنسان الذي يصغي لكلام العالم أو يقوله أن يكون له قلب حر طليق أمام الله. والذي يدعي بأنه لا يحلّ به أي ضرر من سماع الأمور الدنيوية أو النطق ‍ ‍ا يشبه أعمى لا يرى النور عندما يقترب من المصباح، وبالنسبة للشمس التي تنير العالم فهو يشبه سحابةً صغيرةً تمر أمامه فتخفي لمعا ‍ ‍ا وحرار ‍ ‍ا. والذين لهم معرفة يعلمون ذلك"[(١١٨٦)].

وقال أيضًا: "اِعمل ما في وسعك أن ‍ ‍رب من تلك الأوجاع الثلاثة التي تسقِط النفس والتي هي: الربح والكرامة والراحـ‍ـة، لأ ‍ ‍ا عندما تصبح مسيطرةً على النفس تعوقها عن النمو"[(١١٨٧)].

سأل أبا بطرس الأب إشعياء: "من هو خادم الله"؟ فأجاب الشيخ: "طالما يكون الإنسان عبدا لأي هوى أيا كان لا يعتبر خادما لله ولكنه خادم للهوى الذي يسيطر عليه. وطالما أنه يظل في هذا الهوى فلا يمكنه أن يرشد من يسيطر عليه نفس الهوى، لأنّ هذا خزي له أن يعلم قبل أن يتحرر ويتوسل إلى الله طالبا ذلك لأجل قريبه حيث إنه مأسور على الدوام"[(١١٨٨)].

وقال أيضًا: "إذا طلب إنسان الرب بعناء الحب (أي بكل قلبه)، فهو يستمع إليه في حالة ما إذا طلب بمعرفةٍ وينشغل قلبه بعناء الحب وألاّ يكون مرتبطًا بأي شيء دنيوي، ولكنه يعتني بنفسه بمخافةٍ بكل ما في وسعه لكي يحضِرها بلا لوم أمام كرسي قضاء الله"[(١١٨٩)].

وقال أيضًا: "لا تستهن بالمزامير لأ ‍ ‍ا تطرد الأرواح الشريرة من النفس وتجعل الروح القدس يحل فيها. ألا تذكر داود النبي عندما كان يعزف (أو يلحن المزامير) على القيثارة فينقذ شاول من الروح الرديء (١صم١٦: ٢٣)؟ وأيضا إليشع النبي عندما عطش الشعب جدا أثناء الحرب مع بني موآب فقال: «والآن فأتوني بعواد، ولما ضرب العواد بالعود (أي زمر أو رتل المزامير) كانت عليه يد الرب»، ولما زمر بصلاة إليشع النبي جاء الماء وشرب الشعب (١مل٣: ١٥ - ٢٠)"[(١١٩٠)].

وقال أيضًا: "اضبط فمك بحيث يكون قريبك مكرما في عينيك. هذب لسانك

(1189) XI 32 Isaïe 26 / XXV 43. (1190) XI 33 Isaïe. (1191) XI 34 Isaïe 6/ XIII 3-4a.
(1192) XV 21 Isaïe 6/ XIII 4b. (1193) XV 22 Isaïe 8/ XXV 52. (1194) XV 24 Isaïe 17/ XXVI 2.

بكلام الله بمعرفةٍ فيبتعد عنك الكذب (أو الكلام المزيف)"[١١٩١].

قال أنبا إشعياء: "محبة مجد الناس تولد الرياء، ولكن رفضه باتضاع شديد يولد مخافة الله في القلب. فلا تشتهِ، إذًا، أن تكون صديقًا لعظماء هذا العالم حتى لا يتضاءل عندك مجد الله"[١١٩٢].

وقال أيضًا: "عندما تقدم التسابيح، فإذا قدمتها باتضاع باعتبار نفسك غير جدير لا تكون مقبولة عند الله. أما إذا صعد على قلبك أي فكر عجرفة وقبلته، وإذا تذكّرت أنّ شخصا آخر نائما أو أنه متهاون وأدنته، فاعلم أنّ تعبك باطلٌ هو"[١١٩٣].

وقال أيضًا: "الذي يقتني الاتضاع يعرف خطاياه، وإذا تلاقى الحزن مع الاتضاع ومكث فيه، فإ ما معا يطردان من نفسه كل فكر شيطاني ويغذّيان النفس بما لهما من مجدٍ وفضائل مقدسة. فالذي له الحزن والاتضاع لا يهتم بإهانات الناس لأ ما يكونان له تروس تحفظه من الغضب والانتقام ويلقّناه أن يساعد من يقِيل إليه. فأي ضرر أو أي غضب يمكنه أن يدرك ذاك الذي يحمل الحزن بسبب خطاياه في حضرة الله"[١١٩٤]؟

وقال أيضًا: "انطرح في حضرة الله بمعرفةٍ وطاعةٍ للوصايا باتضاع، هذا يجلب المحبة والمحبة تجلب عدم الانفعال والتأثر (أو انعدام الهوى)"[١١٩٥].

سُئِل أنبا إشعياء: "ما هو الاتضاع"؟ فأجاب: "الاتضاع هو أن يعتبر الإنسان نفسه خاطئًا أكثر من جميع الناس ويحتقر نفسه كمن لم يفعل أي شيء صالح أمام الله. عمل الاتضاع إنما هو الصمت وألاّ يعتبر الإنسان نفسه شيئًا ولا يجادل، ويكون خاضعا ومتطلعا إلى الأرض، ويجعل الموت أمام عينيه، لا يكذب ولا يتفوه بكلامٍ باطل، ولا يعارض من هو أعلى منه، ولا يشأ أن يفرض رأيه، ويتحمل الإهانة، ويبغض رغد العيش (الرفاهية)، ويكره نفسه في كل شيء، ويسهر على قطع مشيئته الخاصة، ولا يغضِب ولا يحسد أحدا"[١١٩٦].

وقال أيضًا: "اِعمل كل ما في وسعك أن تحسب كلا شيء حتى يكون مستساغًا لك أن تبكي. واهتم أيضا، بقدر استطاعتك، ألاّ تتناقش بخصوص الإيمان ولا تصر على آرائك، بل اتبع الكنيسة الجامعة، لأنه لا أحد يمكنه أن يدرك شيئًا عن اللاهوت"[١١٩٧].

وقال أيضًا: "الذي يقتني الاتضاع يضع على نفسه ملامة أخيه قائلاً: 'أنا الذي

(1195) XV 25 Isaïe 26/ XXV 2.

(1196) XV 26 Isaïe 20/ IV. (1197) XV 27 Isaïe 26/ XXV 18. (1198) XV 28 Isaïe 26/ XXV 28b.

(1199) XV 29 Isaïe (SPN 268). (1200) XV 30 Isaïe (SPN 268).

أخطأت‘! ولكن الذي يزدري بأخيه يعتبر نفسه حكيما ويفكّر في أنه لم يجرح أحدا على الإطلاق. والذي له مخافة الله ينشغل بالفضائل لكي لا تفلت منه واحدة منها“[١١٩٨].

وقال أيضًا: ”فليتكلم ليس لسانك بل سلوكك، لكيما يكون كلامك أكثر اتضاعا من سلوكك. لا تتكلم بدون وعي، ولا تعلم بدون اتضاع، لكيما تستلم الأرض بذرتك“[١١٩٩].

وقال أيضًا: ”الحكمة ليست هي في الكلام، ولكن الحكمة هي في معرفة الوقت الذي يجب فيه الكلام. اصمت بمعرفةٍ وتكلم بمعرفةٍ. تفكّر قبل أن تتكلم وأجب بما يوافق. كُن جاهلاً بمعرفةٍ لكي تفلت من أحزان كثيرة. لأنّ الذي يظهر نفسه أنه حكيم يذّخر لنفسه الأحزان. لاتتباه بمعرفتك، لأنه لا أحد يعرف شيئًا أيا كان، ولكن أوج الكمال هو ملامة النفس، وجيد أن تكون دون القريب وأن تلتصق بالله“[١٢٠٠].

قال الأب إشعياء: ”المحبة هي اجتهاد أمام الله مع شكره على الدوام، والله يسر بالشكر. وهذا هو علامة الراحة (في مرجع آخر: "علامة السكون وعدم الانفعال")“[١٢٠١].

وقال أيضًا: ”قبل كل شيء ِاشتهِ الاتضاع. في كل كلام تسمعه وفي كل عمل كُن مستعدا أن تقول: ‘ِاغفر لي‘، لأنه بالاتضاع تهدم جميع مخططات العدو“[١٢٠٢].

قال الأب إشعياء الذي من "كالابو" بخصوص كلمات الإنجيل: «كونوا لطفاء» (أف٤: ٣٢) و«مجاهدين» (أنظر ١كو٩: ٢٥؛ ٢تي٢: ٥): ”الجهاد هو القتال ضد الأفكـار وأن تغصب نفسك من أجل الرب“[١٢٠٣].

(٢٥) قصص وأقوال
القديس أبا أبراهام(✪)

سأل أخ أبا أبراهام: ”إذا كنت أرى أنني آكل كثيرا فما الذي يتأتى من ذلك“؟ فأجاب الشيخ: ”ماذا تقول أيها الأخ؟ هل تأكل كثيرا؟ أم ربما تظن أنك جئت إلى البيدر لكي تدرس حنطة“[١٢٠٤]؟

روى الأب أبراهام عن رجل ما في الأسقيط (راهب) كان ناسخا ولم يكن يأكل خبزا. وجاء إليه أخ يطلب منه أن ينسخ له كتابا. فنسخ له الشيخ - الذي كانت روحه تنشغل في التأمل - ونسي بعض الجمل ولم يضع علامات بين الجمل (النقط والفصلات

(1201) XVII 9 Isaïe = Arm 17, 33 (SPN 270). (1202) PE I 44, 12.
(1203) Eth. Coll. 13, 67.
(✪) هو الراهب الذي ذكرت أقوال أنبا مقار الكبير أنّ أنبا مقار زاره لكي يحذره من أفكاره بأنه غلب شهواته.
(1204) Apoph. Abraham, 2. (1205) Ibid., 3. (1206) W. & W., I: 569; س ٤ ص ٤٣

وغيرها). فلما أخذ الأخ الكتاب لاحظ أن بعض الكلمات قد حذِفَت. فذهب وقال للشيخ: "لقد حذِفَت بعض الجمل أيها الأب". فقال له الشيخ: "اِذهب وتمم المكتوب أولاً، ثم ارجع وأنا سأكتب لك الباقي"[(١٢٠٥)]!

كانوا يقولون إنّ الشيخ الكبير أنبا أبراهام جاء إلى دير فرأي هناك شابا صغيرا، فرفض أن يقضي الليلة هناك، فقال له الإخوة الذين كانوا معه: "أتخاف أنت أيضا يا أبانا"؟ فقال لهم الشيخ: "حقًا يا أولادي إنني لست خائفًا، ولكن ما الذي أنتفع به من صراع باطل"[(١٢٠٦)]؟

(٢٦) قصص وأقوال القديس أبا أخيللاس

قيل عن الأب أخيللاس إنه جاء إليه يوما ما ثلاثة شيوخ كان لأحدهم سمعة رديئة. قال الشيخ الأول للأب: "اِصنع لي شبكة يا أبتاه". فأجاب: "لا، لن أصنع لك شبكة". ثم قال الشيخ الثاني: "من أجل المحبة اِصنع لنا شبكة لكي يكون لك تذكار في ديرنا". فقال: "ليس عندي وقت". ثم قال له الثالث ذو السمعة الرديئة: "اِصنع لي شبكة، أيها الأب، ليكون لي شيء من عمل يديك". فأجابه الأب أخيللاس في الحال: "لك أنت سأصنع شبكة".

فسأله الشيخان الأولان عندما اختليا به: "لماذا لم ترغب أن تعمل لنا ما طلبناه منك في حين أنك وعدت الآخر بذلك"؟ فأجا م الشيخ: "قلت لكم 'لا' لأنني علمت أنكم لا تحزنون حيث إنكم تعلمون أنه ليس عندي وقت، ولكنني لو رفضت طلب الآخر لقال في نفسه: 'لقد سمع الشيخ بخطيتي لذلك لا يريد أن يعمل لي شيئًا'، وبذلك ينقطع رجاؤه وتنقطع علاقتي به، أما الآن فقد شجعته حتى لا يغمره الحزن"[(١٢٠٧)].

جاء أحد الشيوخ مرةً إلى الأب أخيللاس فوجده يبصق دما من فمه، فسأله: "ما هذا يا أبتاه"؟ فأجاب الشيخ: "هذه كلمة أخ قد أحزنتني، فصارعت حتى لا أخبره بذلك وطلبت من الله أن يجعلني أتخلّص منها، فصارت الكلمة دما في فمي وبصقتها. وهكذا استرحت ونسيت الأمر"[(١٢٠٨)].

(1207) Apoph. Achilles, 1; W. & W., I: 415; D. F., Book X, xiv; س ٥ ورقة ٦٦
(1208) Apoph., Achilles, 4; W. & W., I: 257; س ٥ ورقة ٦٦

قال أبا أموناس: ذهبنا مرةً أبا بيتيميوس وأنا إلى أنبا أخيللاس فسمعناه يهذّ في قول الله ليعقوب: «لاتخف من النـزول إلى مصر» (تك٤٦: ٣)، وظلّ يهذّ في هذا القول لمدةٍ طويلة. ولما قرعنا الباب فتح لنا وسألنا من أين جئنا. فخشينا أن نقول إننا جئنا من (منطقة) القلالي وأجبنا: "من جبل نتريا". فقال لنا: "ماذا أصنع لكم وقد جئتم من مكانٍ بعيد"؟ ثم أدخلنا فلاحظنا أنه كان يعمل الليل كله وأنه صنع ضفائر كثيرة. وطلبنا منه أن يقول لنا كلمة فقال: "منذ مساء أمس حتى الآن ضفرت عشرين باعا (أي جزءًا أو ضفيرةً) رغم أنني غير محتاج إليها، ولكن ذلك خوفًا من أن يغضب الله ويحاسبني قائلاً: 'لماذا لم تعمل وأنت قادر على العمل'؟ ولذلك فأنا أتعب وأعمل بقدر استطاعتي"! فانتفعنا جدا وانصرفنا(١٢٠٩).

قال لي **أخ:** "ذهبت إلى الأب أخيللاس وقضيت عنده ليلةً. وقد رقد هو في القلاية الداخلية الصغيرة (المحبسة)، وأنا نمت في الداخل منفصلاً عنه. وبعد أن نام قليلاً ض في نصف الليل وصاح: 'ما أبأس اليوم الذي ولِد فيه الإنسان'! ثم مر وقت طويل بعد أن قال ذلك. ثم قال ثلاث مرات: '«لا تخف (يا يعقوب) من الـ ول إلى مصر»، لا تخف يا إسرائيل إنني «أنزل معك إلى أرض مصر» (تك٤٦: ٣و٤)'"(١٢١٠).

قال أبا بيتيميوس: "عندما كنت نازلاً يوما ما إلى الأسقيط أعطاني أحدهم بعض الفاكهة لأعطيها للشيوخ. فقرعت على باب قلاية الأب أخيللاس لأعطيه بعضا منها، ولكنه قال لي: 'أيها الأخ، من الآن فصاعدا لا أريدك أن تقرع بابي لأجل أي نوع من الطعام، ولا تقرع أيضا باب أية قلايةٍ أخرى'! وهكذا أخذت الفاكهة إلى الكنيسة (أي إلى ا مع) وانسحبت إلى قلايتي"(١٢١١).

جاء أنبا أخيللاس يوما ما إلى قلاية أبا إشعياء في الأسقيط فوجده يأكل شيئًا قد مزجه بملح وماء في طبق. وإذ وجده الشيخ يخبئ هذا الطعام بين الضفائر قال له: "أخبرني ماذا تأكل"؟ فأجاب: "اِغفر لي يا أبي، فقد كنت أقطع سعفًا في الحر ووضعت لقمةً مع ملح في فمي ولكن الحر ألهب حنجرتي ولم أستطع أن أبلع اللقمة، فاضطررت أن أُضيف قليلاً من الماء إلى الملح لكي يمكنني أن أبلعها، فاغفر لي يا أبي".

فقال الشيخ: "تعالوا كلكم وانظروا أبا إشعياء يأكل مرقًا (أي شوربة) في الأسقيط.

(1209) Apoph., Achilles, 5; W. & W., II: 156; س ٤ ص ٦١
(1210) Eth. Coll., 13, 55.
(1211) Apoph. Achilles, 2; W. & W., I: 14.

إذا أردت أن تأكل مرقًا فاذهب إلى مصر (أي إلى العالم)"[١٢١٢].

حدث في **وقتٍ آخر** أنّ شيخا عظيما جاء إلى الصعيد لزيارة الأب أخيللاس[١٢١٣]، وقال له: "أيها الأب، إنك أنت نفسك تجربةٌ لي". فقال له: "حتى أنت أيها الشيخ لا زلت مجربا بسببي"؟ فأجاب الشيخ في اتضاعه: "نعم أيها الأب". وكان هناك شيخ أعمى وأعرج جالسا بجوار الباب. فقال الشيخ لأبا أخيللاس: "كنت أحب أن أمكث هنا عدة أيام، ولكنني غير قادر بسبب الشيخ (الأعمى)". فتعجب أبا أخيللاس من اتضاع الشيخ وقال: "هذا ليس زنى، ولكنه بغضة للأرواح الشريرة"[١٢١٤].

سأل أخ أنبا أخيللاس: "كيف أنّ الشياطين يستطيعون أن يحاربونا في بعض الأمور"؟ فأجاب الشيخ: "بسبب إرادتنا". ثم أضاف قائلاً: "قال شجر لبنان يوما ما: 'نحن المرتفعين والأقوياء ذا المقدار تقتلعنا هذه القطعة الصغيرة من الحديد! ولكننا لا نسمح لها بشيء يجعل الأمر متعلقًا بنا، وهي لن تتمكن من أن تقتلعنا'. ولكن البشر يصنعون من هذا الشجر مقبض الفأس التي يقطعو ا ا. فالشجر هو النفوس، والنصل الحديدي للفأس هو الشيطان، والمقبض هو مشيئتنا. إنّ مشيئتنا الرديئة هي التي تسقطنا"[١٢١٥]!

قال أنبا أخيللاس: "اِعتبر نفسك مثل حيوان حتى لا تدع مجالاً فيك للمعرفة قط"[١٢١٦].

وقال أيضًا: "اِحفظ الإيمان المستقيم، واحفظ جسدك من الزنى ومن السرقة، وأنت تخلص بحسب الحكم الذي سيصدر في هذا الزمان"[١٢١٧].

قال الأب ثيئودور البرامي عن الأب أخيللاس إنه كان مثل أسدٍ في الأسقيط، وكان يعتبر مرهوبا في زمانه[١٢١٨].

(٢٧) قصص وأقوال
القديس الأب ألونيوس

قال أبا ألونيوس: "إن لم يقل الإنسان في قلبه إنه لا يوجد في الدنيا إلاّ أنا والله فلن يجد سلاما"[١٢١٩].

(1212) Apoph., Achilles, 3; W. & W.,II: 259; D. F., Book IV, x.
(١٢١٣) يبدو أنه كان قد عاش فترةً من الوقت في الصعيد.
(1214) Apoph. Achilles, 6.
(1215) Pa 25, 4 (X 131). (1216) Eth. Coll., 13, 65. (1217) Eth. Coll., 14, 19.
(1218) Arm. II, 194 (25) A. (1219) Apoph., Alonios, 1; W. & W., I: 47; س٤ ص ٧٩
(1220) Apoph.,Alonios,2;W. & W., II: 225; س ٤ ص ٧٩ (1221) Apoph., Alonios, 3; س٤ ص ٧٩
(1222) Apoph. Poemen, 41; W. & W., I: 544; Ch., 108; س٤ ص ١١٥
(1223) Apoph., Poemen, 55; W. & W., II: 78; Ch., 109; س٤ ورقة ١٢٠

وقال أيضًا: "لو لم أكن قد هدمت نفسي تماما لما قدرت أن أعيد بناءها وأشكلها مرةً أخرى"[(١٢٢٠)].

وقال أيضًا: "إذا أراد إنسان أن يبلغ إلى درجة القياس الإلهي (أو أن يكون حسب مشيئة الله) لاستطاع أن يفعل ذلك في يوم واحد من الصباح إلى المساء"[(١٢٢١)].

قال أنبا بيمين: "سأل أخ أبا أدونياس (ألونيوس في المراجع الأخرى) قائلاً: 'ما معنى أن يعتبر الإنسان نفسه لاشيء'؟ فقال الشيخ: 'معناه أن تجعل نفسك تحت الخليقة كلها حتى المخلوقات غير العاقلة، وأن تعلم أ ا بلا لوم وأ ا لن تدان'"[(١٢٢٢)].

كما قال أيضًا: "بينما كان الشيوخ جالسين للأكل يوما ما، قام أبا ألونيوس ليخدمهم، فلما رأوا ذلك مدحوه ولكنه لم يتكلم قط. فسأله أحدهم سرا: 'لماذا لم تجِب الشيوخ الذين كانوا يمدحونك'؟ فأجاب: 'لو أجبتهم لصرت كمن يقبل مديحهم'"[(١٢٢٣)].

سأل مرةً أبا أغاثون الأب ألونيوس: "كيف يمكنني أن أضبط لساني حتى لا أكذب أبدا"؟ فقال له الأب ألونيوس: "إن كنت لا تكذب تسبب لنفسك خطايا عديدة". فقال: "كيف ذلك"؟ فأجاب: "لنفرض أنّ شخصين ارتكبا جريمةً أمام عينيك وهرب واحد منهما إلى قلايتك، ثم بحث عنه الوالي وسألك: 'هل رأيت القاتل'؟ فإن لم تكذب فستسلم هذا الرجل للموت وهو الذي ينبغي أن تتركه حرا حتى يحفَظ لدينونة الله الذي يعلم كل شيء"[(١٢٢٤)].

قال أبا ألونيوس: "إذا عود إنسـان نفسه أن يكون معلـما، فهذا عمل له تعب وكفاح"[(١٢٢٥)].

وقال أيضًا: "لا يقدر الإنسان أن يعلم خارجا عنه الأفكار التي بداخله، ولكن عندما تقاومه الأفكار من داخله، فإن كان مجاهدا يطردها عنه"[(١٢٢٦)].

وقال أيضًا: "أي مكان يكون الإنسان فيه مخلصا تبنى فيه نفسه، فلا تم برغبتك (أو مزاجك)"[(١٢٢٧)].

(٢٨) قصص وأقوال القديس أنبا بيصاريون[(*)]

(1224) Apoph., Alonios, 4; W. & W., I: 391.

(1225) W. & W., I: 545.

(1226) Ibid., II: 226.

(1227) Ibid., II: 227.

روى تلميذ الأب بيصاريون عنه أنّ حياته كانت كأنه أحد الطيور أو سمكة أو كحيوان في البرية إذ كان يقضي كل حياته بلا هم أو قلق. ولم يهتم قط بمسكن ولا بدا عليه أنه قد سيطرت على نفسه رغبة في مكان خاص به ولا وفرة المباهج أو امتلاك بيوت أو قراءة كتب، كما أنه لم يخزن لنفسه طعاما ولا اقتنى كتابا. بل كان يبدو عليه الحرية التامة من أهواء الجسد ممتطيا قوة الإيمان كأسير للرجاء في الخيرات العتيدة. وكان يصبر في الضيقات ومثل تائهٍ في البراري محتملاً البرد والعري وحرارة الشمس. وكانت معيشته في العراء على الدوام كالتائه في البرية الداخلية. وكان يفضل الأماكن النائية غير المأهولة.

وكان إذا جاء إلى مكان مريح يعيش فيه الإخوة حياة مشتركة، كان يجلس خارج الباب باكيا نائحا كمن غرقت سفينته وقُذِف هو إلى الشاطئ. فإذا خرج أحد الإخوة ووجده جالسا كالشحاذين المساكين يتحنن عليه ويسأله: "لماذا تبكي أيها الرجل؟ إن كنت تحتاج إلى شيء نعمل ما في وسعنا لكي تأخذه، فقط ادخل وشاركنا في المائدة واسترح". فكان يجيب: "لا يمكنني أن أعيش تحت سقفٍ طالما أنني لا أجد ما فقدته من كل ما كان لي من غِنى في بيتي. لقد وقعت بين قراصنة حيث قاسيت من غرق سفينتي وسقطت من شرف نسبي (أي أنّ الشياطين سلبوا من الإنسان نعمته وغناه منذ سقوط آدم) وصرت غير معروفٍ بعد أن كنت مشهورا"! وكان الأخ يتأثر من هذا الكلام ويعود ويأتي إليه ببعض الخبز قائلاً: "خذ هذا أيها الأب، وسيعيد لك الله كل حاجياتك: البيت والكرامة والغنى الذي تكلمت عنه". ولكنه كان يرثي لنفسه أكثر ويتنهد بعمق قائلاً: "لا يمكنني أن أقول إن كنت سأجد تلك الخيرات المفقودة التي أبحث عنها مرةً أخرى، ولكنني لا زلت أكثر ضيقًا وأنا أقاسي كل يوم من خطر الموت ولا أجد راحةً بسبب نكباتي العظيمة. لأنني يجب أن أهيم على وجهي دائما لكي أتمم سعيي"[(١٢٢٨)]!

سأل إخوةٌ شيخًا عن معنى هذا القول فقال لهم: "هذا القول يقصد به جميع الرهبان الذين لا زالوا يجاهدون ضد الأوجاع والشياطين والذين يعوزهم نقاوة القلب وثمار الروح واستعلانات الرب. والبحر الذي غرقت فيه سفينته يقصد به بحر العقل الذي يسافر فيه الراهب ومعه فضائله الروحية التي يدخل ا إلى ميناء عدم التأثر، كما قال الطوباوي مكاريوس: 'الذي يريد أن ينشق عن بحر العقل يجعل نفسه طويل الأناة'. كما أنّ الأب بيصاريون يعتبر أنّ

(⌖) يذكر سنكسار ٢٥ مسرى (طبعة كامل صالح نخلة) أنه تتلمذ أولاً على أنبا أنطونيوس ثم على أنبا مقار ثم هام في البرية لا يأوي تحت سقف.

(1228) Apoph., Bessarion, 12; W. & W., I: 630; An., 1565; ٧٩ س ٤ ص (1229) W. & W.,II: 622.

التجارب هي العواصف والأوجاع هي الأمواج التي أغرقت سفينته، وأنّ القراصنة هم الشياطين، وأنّ والده الذي ورث عنه ممتلكاته التي فقدها هو الله الذي خلقنا على صورته ومثاله وصرنا وارثين له في المسيح لتلك الممتلكات التي هي الفضائل. وقد فقد الإنسان تلك الفضائل بواسطة المسرات والكرامات والشهوات، ولكن يمكن للنفس أن تستعيدها باحتمال التجارب والإهانات والمصاعب حيث يعود للنفس غنى حب الله ونعمته"[(١٢٢٩)].

قال أبا دولاس تلميذ الأب بيصاريون: "يوما ما كنا سائرين بجوار البحر وكنت عطشانا، فقلت للأب بيصاريون: 'إنني عطشان جدا يا أبي'. فتلا صلاةً وقال لي: 'اِشرب من ماء البحر'. فلما شربت منه وجدته ماءً عذبا حتى إنني احتجزت بعضا منه في زق (قربة) خوفًا من العطش مرةً أخرى. فلما رأى الشيخ ذلك سألني عن سبب ذلك، فقلت له: 'اِغفر لي فإنّ ذلك خوفًا من العطش مرةً أخرى'. فقال الشيخ: 'الله موجود هنا وفي كل مكان'"[(١٢٣٠)].

وفي مرةٍ أخرى - كما يقول أبا دولاس أيضا - حدث أنّ الأب بيصاريون صلّى ثم عبر نهر "خريزورواس" بقدميه ثم استأنف سيره. فاندهشت جدا وطلبت عفوه قائلاً: "ما الذي شعرت به بقدميك وأنت تمشي على الماء"؟ فأجاب: "شعرت بالماء حتى عقبي رجلي فقط، أما بقية رجلي فكانت جافة"[(١٢٣١)]!

وذكر أبا دولاس أيضًا أنه في يومٍ آخر، بينما كنا ذاهبين لزيارة شيخ غربت الشمس. فصلّى الأب بيصاريون قائلاً: "أسألك، يا رب، أن تقف الشمس حتى نصل إلى عبدك". وهذا هو ما حدث بالفعل[(١٢٣٢)].

قال أبا بيصاريون: "لقد وقفت مستقيما لمدة أربعة عشر يومـا وليلـةً في وسـط شجيرات شائكة بدون نوم"[(١٢٣٣)].

وقال أيضًا: "لم أضطجع لمدة أربع عشرة سنة، بل كنت دائما أنام وأنا جالس أو واقف"[(١٢٣٤)].

وقيل إنّ أخًا قد أخطأ فطرده الكاهن من الكنيسة، فقام الأب بيصاريون وخرج معه قائلاً: "وأنا أيضا خاطئ". وفي مرجع آخر قال: "إن كنا قد حكمنا أنّ هذا الإنسان الذي ارتكب خطيةً واحدةً فقط لا يليق أن يعبد الله؛ فكم بالأكثر أكون أنا الذي ارتكبت خطايا عديدة"[(١٢٣٥)]!

(1230) Apoph., Bessarion, 1; W. & W., I: 630; Ch., 216. (1231) Apoph., Bessarion, 2; Ch., 217.
(1232) Ibid., 3; Ch., 218. (1233) Ibid., 6; W. & W., II: 402; Ch., 33.
(1234) Ibid., 8. (1235) Ibid., 7; W. & W., I: 500; D. F., book IX, ii; ٧٨ س ٤ ص

قال أبا بيصاريون: "عندما تكون في سلام بدون صراع واضع نفسك خوفًا من أن يضللك السرور غير الملائم، إننا نعظم أنفسنا ونسلم للقتال. لأن الله كثيرا ما لا يسمح أن نجرب بسبب ضعفنا خوفًا من أن نقهر"(١٢٣٦).

كان أخٌ يشارك إخوة آخرين في المسكن، فسأل الأب بيصاريون: "ماذا ينبغي أن أفعل"؟ فأجاب الشيخ: "اِحتفظ بالصمت ولا تقارن نفسك بغيرك"(١٢٣٧).

قال أبا دولاس تلميذ الأب بيصاريون: "عندما ذهبت إلى قلايته يوما ما وجدته واقفًا يصلي ويداه مرفوعتان نحو السماء، وكان قد بقي على هذه الحال مدة أربعة عشر يوما. ثم دعاني وطلب مني أن أتبعه، فمشينا في البرية، ثم قلت له: 'أنا عطشان يا أبي'. فأخذ قربتي ومشى نحو رمية حجر وصلّى وأتى ا مليئة بالماء"!

"ثم مشينا وبلغنا إلى مغارة، ولما دخلناها وجدنا أخا جالسا وهو يجدل حبلاً، ولم يرفع عينيه نحونا ولا حيانا حيث إنه لم يرد أن يتحدث معنا. فقال لي الشيخ: 'هلم نذهب، فلا شك أنه غير متأكد إن كان يجب أن يتكلم معنا'. واستأنفنا سيرنا نحو "ليكوبوليس" (أسيوط) حتى وصلنا إلى قلاية الأب يوحنا (الأسيوطي). وبعد أن سلّمنا عليه صلّينا، ثم جلس الشيخ ليتكلم عن الرؤية التي رآها. وقال الأب بيصاريون إنه علم أنّ الهياكل الوثنية ستهدم. وأثناء رجوعنا وصلنا مرةً أخرى إلى المغارة التي رأينا فيها الأخ. وقال لي الشيخ: 'هلم ندخل لنراه، فربما يكون الله قد أوصاه أن يتكلم معنا'. ولما دخلنا وجدناه ميتا، فقال لي الشيخ: 'هلم يا أخ نحمل الجسد، فإنّ الله لهذا السبب أرسلنا إلى هنا'. ولما أخذنا الجسد لندفنه أدركنا أنه جسد امرأة! فاندهشنا جدا وقال الشيخ: 'أنظر كيف أنّ المرأة تنتصر على الشيطان في حين أننا لا زال سلوكنا رديئًا'! ثم قدمنا الشكر لله الذي يحمي الذين يحبونه وانصرفنا"(١٢٣٨).

أحضروا يومًا ما رجلاً به شيطان إلى الأسقيط، فصلّى الرهبان عليه ولكن الشيطان لم يفارقه لأنه كان عنيدا. فقال الكهنة: "ماذا يمكننا أن نفعل مع هذا الشيطان؟ لا يمكن لأحد أن يخرجه إلاّ الأب بيصاريون، ولكننا إذا دعوناه فلن يأتي حتى إلى الكنيسة. ولذلك فلنفعل هذا: حيث إنه يأتي إلى الكنيسة مبكرا قبل الكل، فلنجعل هذا الرجل ينام هنا، وعندما يأتي الأب نستمر في صلاتنا ونقول له أن يوقظ الأخ". ففعلوا ذلك، ولما

(1236) Apoph., Bessarion, 9. (1237) Ibid., 10; W. & W., I: 39. (1238) Ibid., 4; Ch., 238; D. F., XX, I.

قال أبا بيصاريون للرجل "اِ ض واذهب" فارقه الشيطان في الحال وتعافى[١٢٣٩].

روى أبا بيصاريون عن إنسان أنه زهد في الدنيا، وكانت له حينئذٍ زوجة وابنة لم تصر بعد مسيحية بل كانت لا تزال موعوظة. وقسم ممتلكاته إلى ثلاثة أقسام. وفي غضون ذلك ماتت ابنته وهي لا زالت موعوظة، فقدم الأب عنها فديةً بإعطاء نصيبها مع نصيبه ونصيب امرأته للفقراء. وبينما كان يصلي متوسلاً من أجلها جاءه صوت يقول: "ابنتك تعمدت فلا تقلق"، فلم يشأ أن يصدق. ثم قال له الصوت غير المرئي مرةً أخرى: "اِفتح قبرها لترى إن كنت تجدها". فذهب إلى القبر وفتحه فلم يجدها لأ ا كانت قد وضِعت مع المؤمنين (في مقابر المعمدين)[١٢٤٠].

في **وقت انتقال أبا بيصاريون قال:** "يجب على الراهب أن يكون مثل الشيروبيم والسيرافيم، كله عيونا"[١٢٤١]!

(٢٩) قصص وأقوال
القديس أبا دولاس

قال أبا دولاس (تلميذ الأب بيصاريون): "إذا استمالنا العدو أن نتخلّى عن سلامنا الداخلي، فيجب ألاّ نصغي له لأنه لا يوجد ما يساوي هذا السلام والحرمان من الطعام (أي الصوم)، فكل منهما يتحد بالآخر لمحاربة العدو، لأ ما يجعلان الرؤية الداخلية قوية"[١٢٤٢].

وقال أيضًا: "حرر نفسك من محبة الحشد من الناس لئلاّ يعذب العدو روحك وينزع سلامك الداخلي"[١٢٤٣].



(٣٠) قصص وأقوال
القديس الأب إيليا

روى الأب إيليا الأسقيطي قائلاً: "حالما دخلت برية الأسقيط طلبت من الأب

(1239) Ibid.,5; Ch., 219; W. & W., I: 630; س ٤ ورقة ٥٨ (1240) An.,1009; W. & W., II: 170. (1241) Apoph.,Bessarion,11; W. & W., II: 284; Ch.,77. (1242) Apoph., Doulas,1. (1243) Ibid., 2.

هيراكس قائلاً: 'اِجعلني ابنا لك لكيما أ ذّب بالقرب منك'. فلكي يمتحنني قال لي: 'هل ستسمع لكل ما أقوله لك'؟ فقلت له: 'نعم، تماما'. فأشعل نارا وقال لي لكي يختبرني: 'حيث إنك تريدني أن أجعلك بجانبي وحيث إنك ستطيعني فضع يدك على هذه النار'. فوضعت يدي على النار وأبقيتها حتى صارت سوداء، ولو لم يمسكها ويرفعها لما بقيت لي يدي بعد ذلك". وهكذا لقننا درسا من معجزة يده[(١٢٤٤)].

قال أبا إيليا: "إنني أخاف من ثلاثة أمور: وقت خروج نفسي من جسدي، وعندما أقف أمام الله، وعندما يصدر الحكم علي"[(١٢٤٥)].

قال الشيوخ للأب إيليا في مصر عن الأب أغاثون: "إنه أب عظيم". فأجا م الشيخ: "بالمقارنة بجيله كان عظيما". فقالوا له: "وماذا يكون بالمقارنة بالشيوخ القدامى"؟ فأجا م: "بخصوص الشيوخ القدامى، فقد رأيت في الأسقيط إنسانا أمكنه أن يجعل الشمس تتوقف في السماء مثل يشوع بن نون". فتعجبوا ومجدوا الله[(١٢٤٦)].

قال الأب إيليا: "ماذا يمكن أن تفعله الخطية حيث توجد توبة؟ وما هي منفعة المحبة حيث يوجد كبرياء"[(١٢٤٧)]؟**!**

وقال أيضًا: "رأيت إنسانا يحمل زق خمر على ذراعه، فلكي أُخجِل الشياطين - لأنّ هذا كان خيالاً - قلت للأخ: 'من فضل محبتك اِخلع عباءتك'. فلما خلعها اتضح أنه لم يكن يحمل شيئًا. وأنا أقول ذلك لكي لا تصدقوا حتى ما ترونه أو تسمعونه. وأكثر من ذلك، راقبوا أفكاركم واحترسوا لما يكون في قلوبكم وأرواحكم إذ تعلمون أنّ الشياطين يضعون أفكارا في داخلكم لكي يفسِدوا نفوسكم بجعلها تفكر فيما هو خطأ لكي يحولوها عن التفكر في خطاياكم وفي الله"[(١٢٤٨)].

وقال أيضًا: "يحول البشر قلو م إما إلى خطاياهم أو إلى الرب يسوع أو إلى الناس"[(١٢٤٩)].

وقال أيضًا: "إن لم ترتل الروح مع الجسد فباطلٌ هو التعب. والذي يحب الضيقة يحصل بعد ذلك على فرح وسلام"[(١٢٥٠)].

وقال أيضًا: "كان أحد الشيوخ يعيش في بربه (أي هيكل أصنام) مهجورة لمحبته في

(1244)Ch. 270. (1245)Apoph., Elias, 1; W. & W., II: 214; D.F., III, iv;س ٤ ورقة ٨٢
(1246) Apoph., Elias, 2; W. & W., II: 397; Ch., 220.
(1247) Apoph., Elias, 3; W. & W., II: 163; س ٤ ص ١١٤ (1248) Ibid., 4. (1249) Ibid., 5.
(1250) Ibid., 6. (1251) Ibid., 7; س ٤ ورقة ٨٢ (1252) W. & W., II: 389. (1253) Ibid., 390.

الوحدة، فجاء إليه الشياطين قائلين: ’أخرج من هذا المكان لأنه موضعنا‘. فأجا م الشيخ: ’أنتم ليس لكم موضع‘. فبعثروا السعف الذي كان يجدله، فقام الشيخ وجمعه بمثابرةٍ وهو صامت. وفعلوا ذلك مرةً أخرى فجمعه أيضا وجلس صامتا. ثم أمسكه الشياطين بيده وجروه إلى خارج قائلين: ’لا تقِم ههنا لأنه موضعنا‘. فلما وصل الشيخ إلى الباب أمسكه وهو يصرخ قائلاً: ’يا يسوع المسيح إلهي أنقذني‘! وللحال هربت منه الشياطين. فبدأ الشيخ يبكي، فجاءه صوت الرب قائلاً: ’لماذا تبكي‘؟ فقال: ’لأنّ الشياطين تجاسرت وأمسكت بإنسان من خليقتك وعاملوه ـذه الطريقة‘. فقال له الرب: ’أنت الذي توانيت وبمجرد أن طلبتني وجدتني بجانبك‘! وأنا أقول ذلك لأنه من الضروري أن نتحمل آلام كثيرة، ومن لا يفعل ذلك لا يمكنه أن يأتي إلى إلهه، لأنه هو نفسه صلِب من أجلنا"[1251].

كان الأب إيليا يقول: "عندما تكون محبة إنسان لقريبه بسبب أمر وقتي فهي إنما تتحول بمرور الوقت إلى عداوة شديدة"[1252].

وقال أيضًا: "ما يكون لأجل الله يدوم ويمكث إلى الأبد مع المخلصين"[1253].

وقال أيضًا: "الراهب الذي يأكل كثيرا ويعمل كثيرا لا يمكنه أن يرجو شيئًا. والذي يأكل قليلاً إذا عمل قليلاً فعليه أن يكون على ثقةٍ ويتقدم بشجاعة"[1254].

اثنان من الإخوة أزعجتهما الأفكار فذهبا إلى الأب إيليا. فلاحظ الشيخ أ ما يدينا الجسم فقال بسخريةٍ وكأنه يكلم تلميذه: "حقًا، يا أخي، إنني أستحي بسبب أنك صرت سمينا ـذا الشكل في حين أنك نذرت أن تكون راهبا، لأنّ الشحوب والنحافة مع الاتضاع تكون معا جمال الراهب"[1255].

سأل أخ الأب إيليا: "عندما أكون قد أحزنت إنسانا، فبأي طريقةٍ أطلب منه المغفرة"؟ فأجابه الشيخ: "اظهر له ندمك من صميم القلب مع تأسفاتك، والله الذي يرى نيتك سيطمئن خاطره"[1256].

سُئل الأب إيليا: "ما الذي به نخلص في هذا الزمان"؟ فأجاب: "إننا سنخلص بألاّ يكون للإنسان أي اعتبار لذاته"[1257].

(٣١) قصص وأقوال
القديس أنبا بنيامين

(1254) Pa 11,4 (R 64b).(1255) Pa 11,3 (R 64a).(1256) Pa 10, 2 (PA 28, 2). (1257) Ch. 271.

قال أنبا بنيامين: "عندما رجعنا إلى الأسقيط، فبمجرد أن انتهى الحصاد وأُعطيت الأجور جاءوا لكل منا بآنيةٍ من الجبس تحوي "ِنت" (أي نحو نصف لتر) من الزيت من الإسكندرية. ولما جاء وقت الحصاد مرةً أخرى جاء الإخوة بما فضل إلى الكنيسة. أما أنا فلم أنزع غطاء (أو سدادة) الآنية بل أخذت قليلاً من الزيت بأن ثقبتها بمخراز، وقد تصورت أنني أتممت أمرا جليلاً. ولكن عندما جاء الإخوة بأوانيهم كما هي في حين أن آنيتي كانت مثقوبة خجلت وكأنني ارتكبت خطية الزنى"[١٢٥٨].

قال الأب بنيامين قس القلالي: "ذهبنا مرةً إلى شيخ في الأسقيط وأردنا أن نعطيه قليلاً من الزيت، ولكنه قال لنا: 'هوذا الإناء الصغير الذي جئتم به منذ ثلاث سنوات باقٍ على حاله كما وضعتموه'. فلما سمعنا ذلك تعجبنا من فضيلة الشيخ وقلنا: 'يا أبانا، هذا زيت طيب، ولكن ذاك زيت فجل'. فرشم ذاته بعلامة الصليب وقال: 'ما عرفت قط أنّ في الدنيا زيت غير هذا'"! (يبدو أنّ القديس كان يروي ذلك عن نفسه، لأن القول في المخطوطة العربية يدل على ذلك)[١٢٥٩].

وقال أيضًا: "ذهبنا إلى شيخ آخر وقدم لنا طعاما ووضع فيه زيت فجل. فقلنا له: 'يا أبانا، ضع لنا قليلاً من الزيت الجيد'. فرشم ذاته وقال: 'لم أعرف أنه يوجد نوع آخر من الزيت غير هذا'"[١٢٦٠].

وقال أيضًا: "كما أنّ الملح من الماء يخرج وفي الماء ينحل ويذوب؛ هكذا الرجال فإ م من النساء يخرجون ومن النساء يهلكون"[١٢٦١].

وقال أيضًا: "أُسلكوا الطريق الملوكي ضابطين لحدودكم بدون دناءة، ولا تحزن روحكم فيكم"[١٢٦٢].

وقال أيضًا: "الزهد فيما يتعلق بالنفس يتضمن تقويم طرقها وعادا ا وكيفية تصرفها وقطع أهواء النفس"[١٢٦٣].

سأل أخ الشيخ أبا بنيامين: "مما تتكون حياة الراهب"؟ فأجاب بقوله: "فم حق (أي يقول الحق)، وجسد مقدس (أو طاهر)، وقلب نقي"[١٢٦٤].

في **وقت انتقال أنبا بنيامين قال لأولاده:** "إن راعيتم تلك الأمور يمكنكم أن

(1258) Apoph., Benjamin,1; W. & W., II:413. (1259) Apoph.,Benjamin, 2; W. & W., I: 100; س ٤ ورقة ٧٩ (1260) Apoph., Benjamin, 3; W., & W., I: 101. (١٢٦١) س ٤ ص ١٤٩.
(1262) Apoph., Benjamin, 5; W. & W., II: 324; Ch., 32. (1263) W. & W., II: 323.
(1264) Ibid., 486. (1265) Ibid., 324: Apoph., Benjamin, 4. (1266) Apoph., Apollo, 2.

تخلصوا، وهي: افرحوا كل حين، وصلوا بلا انقطاع، واشكروا في كل شيء"[1265].

(٣٢) قصص وأقوال
القديس أنبا أبوللو

قيل عن أنبا أبوللو الذي من الأسقيط إنه كان راعيا وكان فظا جدا. وفي أحد الأيام رأى امرأةً حبلى في الحقل، وبإغراء من الشيطان قال: "أحب أن أرى كيف يرقد الطفل في رحمها". وهكذا شق بطنها ورأى الجنين. وفي الحال اضطرب قلبه وامتلأ من وخز الضمير، فذهب إلى الأسقيط وأخبر الآباء عما فعله، فسمعهم ينشدون: «أيام سنينا هي سبعون سنة، وإن كانت مع القوة فثمانون سنة، وأفخرها تعب وبلية» (مز٩٠: ١٠). فقال لهم: "أنا في الأربعين من عمري ولم أصنع صلاة واحدة، والآن إذا عشت سنةً أخرى فلن أتوقف عن الصلاة لله حتى يغفر لي خطاياي". وفي الحقيقة إنه لم يشتغل بيديه، ولكنه قضى وقته كله في الصلاة قائلاً: "أنا أخطأت كإنسان، فاغفر أنت كإله"! وهكذا صارت صلاته هي نشاطه نهارا وليلاً.

سمعه أخ كان يسكن معه وهو يقول: "لقد أخطأت إليك يا رب، فاغفر لي حتى أجد ولو سلاما يسيرا"! وكان متأكدا أنّ الله غفر له كل خطاياه بما فيها قتل المرأة، أما عن قتل الطفل فكان في شك من أمره. حينئذٍ قال له شيخ: "لقد غفر الله لك حتى موت الطفل، ولكنه يتركك في حزن لأنّ هذا جيد لنفسك"[1266].

قال أنبا أبوللو: "لتكن هذه عندكم علامة عظيمة على النجاح: عندما تقتنون عدم اشتهاء أي شيء من أمور العالم، لأنّ هذا هو فاتحة جميع مواهب الله"[1267].

كان في **منطقة القلالي** شيخ يدعى أبوللو، إذا جاءه أحد طالبا أن يعمل معه كان يذهب معه بفرح قائلاً: "إنني ذاهب لأعمل اليوم مع المسيح لأجل خلاص نفسي، لأنّ هذه هي الأجرة التي يعطيها"[1268].

قال أبا أبوللو بخصوص استقبال الإخوة: "ينبغي أن ينحني الإنسان أمام الإخوة الذين يأتون إليه، لأننا نطرح أنفسنا ليس أمامهم هم بل أمام الله. عندما ترى أخاك فإنك ترى الرب إلهك. وقد تعلّمنا هذا من إبراهيم (تك ١٨). فعندما تستقبل الإخوة ادعهم ليستريحوا قليلاً،

(١٢٦٧) س ٤ ص ٧١.

(1268) Apoph., Apollo, 1; W. & W., I: 412.

لأنّ هذا هو ما نتعلّمه من لوط الذي دعا الملاكين أن يفعلا ذلك (تك١٩: ٣)"[١٢٦٩].

(٣٣) قصص وأقوال
القديس أبا إسحق تلميذ الأب أبوللو

قيل عن أبا أبوللو إنه كان له تلميذ اسمه إسحق كان متمرسا في كل الأعمال الفاضلة، وكانت له موهبة الصلاة بلا انقطاع في وقت الإفخارستيا (القداس). وعندما كان يذهب إلى الكنيسة ما كان يسمح لأحدٍ أن يرافقه. وكان دائما يقول إن كل الأشياء صالحة في وقتها المناسب لأنه يوجد وقت لكل شيء. وبمجرد أن ينصرف ا مع من الكنيسة كان يهرب كما لو كانت النار تلاحقه ويسرع عائدا إلى قلايته. وكان بعد انصراف ا مع يعطى للإخوة قطعة خبز وكأس من الخمر، ولكن الأب إسحق لم يقبل ذلك، ليس لأنه كان يرفض الأغابي مع الإخوة، ولكن لأنه كان يريد أن يحتفظ بصلاته غير المنقطعة بعد القداس.

وحدث أنه رقد مريضا، ولما سمع الإخوة بذلك جاءوا لزيارته، وسأله بعضهم: "يا أبا إسحق، لماذ ـرب من الإخوة بعد ـاية الخدمة"؟ فقال لهم: "أنا لا أهرب من الإخوة، بل من حيل الشياطين الشريرة. فعندما يمسك الإنسان بمصباح مشتعل ثم يتباطأ في الهواء الطلق ينطفئ المصباح بسبب الريح. ونحن أيضا، إذا تباطأنا خارج القلاية بعد أن نكون قد استنرنا بالإفخارستيا المقدسة فإنّ أرواحنا تظلم". هكذا كانت طريقة حياة القديس أبا إسحق[١٢٧٠].

(٣٤) قصص وأقوال
القديس أنبا لوط

قال الأب لوط: "الراهب الذي لا يعمل عملاً يدان مثل ـم مغتصِب"[١٢٧١].

سأل أبا إشعياء أبا بطرس تلميذ أنبا لوط: "ماذا أصنع؟ عندما أكون وحدي في السكون يكون قلبي في سلام، أما إذا زارني أحد الإخوة ونقل إلي كلام الناس يضطرب قلبي"! فأجابني وهو يردد ما قاله أنبا لوط: "مفتاحك هو الذي يفتح بابي". فسألته عن

(١٢٦٩) Apoph., Apollo, 3. (١٢٧٠) Apoph., Isaac the Theban, 2. (١٢٧١) س ٤ ورقة ٦٢.

معنى ذلك فقال: "إذا جاءك أخ وقلت له: كيف حالك؟ ومن أين أنت؟ وكيف حال الإخوة؟ هل سمعت بأمور حدثت هذه الأيام؟ فإنك عندئذٍ تفتح باب أخيك وتسمع منه ما لا تريد سماعه".

فقلت له: "ماذا أفعل إذن إن زارني أحد الإخوة"؟ فقال الشيخ: "النوح إنما هو يقظة كاملة، فحيث لا يوجد نوح لا يمكن أن تجد اليقظة وتحمي نفسك". فقلت له: "إذا كنت في قلايتي أجد النوح معي، أما إذا جاءني أحد أو خرجت لأمر ضروري فلا أجده معي". فأجابني الشيخ: "ذلك لأنك لم تقتنه بعد، بل لا يزال عندك كشيء مستعار، أما إذا اقتنيته فهو يمكث معك". فسألته: "وما هو اقتناء النوح يا أبي"؟ فقال: "لا تحزن ضميرك، واغصب نفسك على ترك مشيئتك في كل شيء، حينئذٍ يتحنن الله عليك ويهبك إياه، وإذا أتاك تقضي بعد ذلك جميع أيامك في راحة. فقد كُتِب: «إذا بيع لك أخوك العبراني ... وخدمك ست سنين، ففي السنة السابعة تطلقه حرا من عندك ... ولكن إذا قال لك لا أخرج من عندك لأنه قد أحبك أنت وبيتك إذ كان له خير عندك، فخذ المخرز واجعله في أذنه وفي الباب فيكون لك عبدا مؤبدا» (تث١٥: ١٢ - ١٧)".

فسألته عن معنى هذا القول، فقال: "إذا أكمل الإنسان الجهاد المطلوب لاقتناء شيء ما، ففي أي وقت يحتاج إليه يجده حسب رغبته". فقلت له: "اِشرح لي ذلك جيدا". فقال لي: "إذا اتخذ إنسانٌ ما لنفسه أولادا بالتبني فهم لا يمكثون معه، أما الذين يلدهم فأولئك لا يقدرون أن يهربوا منه أو يهجروه. وابن الزنى لا يدوم في خدمة والده، فالابن الشرعي هو الذي لا يترك أباه"[(١٢٧٢)].

قيل إنّ أخًا سقط في **خطيةٍ**، ولما ذهب إلى أنبا لوط كان مضطربا ومترددا وظلّ يدخل ويخرج ولم يستطع أن يجلس. فقال له أنبا لوط: "ماذا بك أيها الأخ"؟ فقال: "لقد ارتكبت خطيةً عظيمةً ولا يمكنني أن أُخبر ا الآباء". فقال له الشيخ: "اِعترف ا لي وأنا سأحملها معك". فقال له: "لقد سقطت في الزنى، ولكي أفعل ذلك ضحيت للأصنام"! فقال له الشيخ: "ثق أنّ التوبة ممكنة. اِذهب وامكث في قلايتك، وكُلْ مرة واحدة كل يومين، وأنا سأحمل معك نصف خطيتك". وبعد ثلاثة أسابيع كشف الله للشيخ أنه قبل يقينا توبة الأخ. ثم بقي الأخ مع الشيخ خاضعا له حتى وفاته[(١٢٧٣)].

(١٢٧٢) الميمر الثلاثون لأنبا إشعياء؛ Apoph., Peter the Pionit
(1273)Apoph. Lot., 2; W. & W., I: 397.

(٣٥) قصص وأقوال
أبّا بطرس البيونيتي تلميذ الأب لوط

قيل في **القلا**لي **عن أبا بطرس البيوني**تي إنه كان لا يشرب خمرا. ولما شاخ أعد الإخوة له قليلاً من الخمر مخففًا بالماء وطلبوا منه أن يقبله. ولكنه قال: "إنه بالنسبة لي رديء مثل خمر مطيب (أو متبل)". وعندما كان يعلق على ذلك كان يدين نفسه على هذا السائل(١٢٧٤).

قيل إنّ أبا بطرس وأبا إبيماخوس كانا رفيقين في رايثو (في سيناء). وعندما كانا يأكلان مع ا مع طُلِب منهما أن يذهبا إلى مائدة الإخوة الشيوخ. فذهب الأب بطرس وحده ولكن بصعوبة. فقال له بعد ذلك الأب إبيماخوس: "كيف تجاسرت وذهبت إلى مائدة الشيوخ"؟ فأجاب: "لو كنت جلست معك لطلب مني الإخوة أن أبارك باعتباري أنا الأكبر، ولأنني أكبر منك فكان علي أن أفعل ذلك، ولكن مع الآباء فأنا أصغر الكل وأكثرهم مسكنةً في قلبي"(١٢٧٥)!

قال أبا بطرس: "يجب ألاّ ننتفخ عندما يفعل الرب شيئًا بواسطتنا، بل بالحري علينا أن نشكره لأنه جعلنا مستحقين أن نكون مدعوين منه". وكان دائما يقول إنه جيد أن نفكر ذه الطريقة بخصوص كل فضيلة(١٢٧٦).

(٣٦) قصص وأقوال
أبا يوسف تلميذ الأب لوط

قال لي **أخ:** "قال لي أبا يوسف تلميذ الأب لوط: 'نحن إخوة هذا الزمان نأكل ونشرب لأجل ملذات الجسد، لذلك فنحن لا نتقدم مثل آبائنا. إنّ آباءنا في الحقيقة كانوا يحبون كل التقشفات لأجل الرب، ولهذا السبب فقد اقتربوا من الله الحي'"(١٢٧٧).



(1274) Apoph.,Peter the Pionite,1. (1275) Ibid.,3;W. & W.,I: 499. (1276) Ibid.,4.
(1277) Eth.Coll.,13, 47.

(٣٧) قصص وأقوال
القديس أبا بائيسيوس(*)

قال الأب يوحنا كاسيان: "ذهب الأب يوحنا - الذي كان أبا لدير كبير، وقيل إنه القديس يوحنا القصير - إلى الأب بائيسيوس الذي عاش لمدة أربعين سنة في البرية الداخلية. وإذ كان يحبه جدا وكان يمكنه أن يتكلم معه بحرية قال له: 'ما هو الصلاح الذي حزته هنا في العزلة طوال هذه المدة حيث لا يزعجك أحد'؟ فأجاب: 'منذ أن عشت في الوحدة لم تبصرني الشمس آكلاً'. فقال له الأب يوحنا: 'أما أنا فإنّ الشمس لم تبصرني غاضبا'"(١٢٧٨)!

قال أنبا بيمين: "رأيت شيخين في الأسقيط: أبا بائيسيوس وأبا إشعياء. رحلا مرةً وسار أبا بائيسيوس أولاً وكلّما كان يرفع قدميه من الرمل كان أبا إشعياء يضع قدميه في أثرهما في نفس مكا ما قائلاً: 'أقادر أنا أن أشابه أبي'؟ وكان كل منهما يعيش حياة إماتة، وعندما كانا يذهبان إلى الكنيسة كانا يتركان مسكنهما مفتوحا، وعندما يرجعان من الصلاة كان أبا إشعياء يذهب إلى مسكنه ويضع كتابه ويخلع رداءه ثم يذهب إلى أبا بائيسيوس ويمكثا معا السبت والأحد".

"وحدث يوما ما أنه لما ذهب أبا إشعياء إلى مسكنه كعادته لكي يضع كتابه ويخلع رداءه قبل ذهابه إلى الشيخ، وجد أخا كان يخطف إناءً. ولكن أبا إشعياء لم يشأ أن يجعل هذا الأخ يراه، فاختبأ حتى أخذ الأخ الآنية الصغيرة وابتعد. ثم ركض أبا إشعياء إلى رفيقه بكل فرح وقال له: 'أتعلم؟ لقد مررت على مسكني كالعادة قبل أن أجيء ووجدت أخا يسرق، ولئلاّ يراني ويختفي اختبأت حتى خطف الآنية وذهب'. فقال له أبا بائيسيوس: 'لم تتصرف جيدا يا أبا إشعياء بكونك لم تشأ أن تظهر أمامه. فكان يجب أن تنطرح تحت قدميه وتتوسل إليه أن يأخذ الآنيـة، وبذلك فهو عندما يهيء طعامه ويصـلي للرب لا يوبخه ضميره كإنسان سارق'"(١٢٧٩)!

قال أنبا بيمين إنّ واحدًا سأل أبا بائيسيوس: "ماذا أفعل مع نفسي، فهي عديمة الشعور ولا تخاف الله"؟ فقال له: "رافق إنسانا يخاف الله واسكن بجواره فستتعلم منه أن تخاف الله"(١٢٨٠).

(*) يجب التفرقة بين الأب بائيسيوس هذا وبائيسيوس أخو أبا إشعياء المذكور في باللاديوس فصل ١٤، وبائيسيوس أخو أنبا بيمين، وبائيسيوس أخو أب اسمه "بولا". وفي بعض المخطوطات اليونانية وجد اسم بائيسيوس بدلاً من اسم بيشوي باللغة القبطية مما يدل على أنّ أنبا بيشوي صاحب الدير المعروف باسمه هو بعينه أنبا بائيسيوس باللغة اليونانية (أنظر كتاب "رهبنة" الطبعة الثانية ص ٢٣٢ هامش ١٨).

(1278) Apoph., Cassian, 4; س ٤ ص ١٢٩

(1279) Eth. Coll., 13, 79.

(٣٨) قصص وأقوال
القديس أنبا ماطويس

☆⌘✞⌘☆

قال الأب ماطويس: "أفضل العمل الخفيف الدائم أكثر من العمل الذي يبدأ ثقيلاً وينقطع سريعا"[(١٢٨١)].

وقال أيضًا: "بقدر ما يقترب الإنسان من الله بقدر ما يرى نفسه خاطئًا. فإنّ إشعياء النبي عندما أبصر الله دعا نفسه إنسانا «نجس الشفتين» (إش٦: ٥)"[(١٢٨٢)].

وقال أيضًا: "عندما كنت شابا كنت أقول لنفسي: ربما أصنع يوما ما شيئًا صالحًا، ولكنني الآن وأنا شيخ أرى أنه لا يوجد في أي شيءٍ صالح"[(١٢٨٣)].

وقال أيضًا: "الشيطان لا يعرف بأي الأوجاع تنهزم النفس، فهو يزرع دون أن يعرف إن كان سيحصد. إنه يزرع أحيانا أفكار زنى وأحيانا أخرى أفكار دينونة أو وقيعة، وهكذا بقية الأوجاع، فهو يغذي الوجع ويشغل النفس فيما يرى أنّ النفس تميل إليه"[(١٢٨٤)].

ذهب أخ إلى أبا ماطويس وقال له: "كيف أنّ رهبان الأسقيط يفعلون أكثر مما يتطلّبه الإنجيل في حبهم لأعدائهم أكثر من أنفسهم"؟ فقال له: "أما عن نفسي فلم أصل بعد إلى محبة الذين يحبونني بقدر ما أحب نفسي"[(١٢٨٥)]!

سأل أخ أبا ماطويس: "ماذا علي أن أفعل عندما يزورني أخ في يوم صوم أو في الصباح؟ إنّ هذا يضايقني". فقال له الشيخ: "إن كنت لا تضطرب بل تأكل ببساطة مع الأخ فهذا جيد، أما إذا كنت لا تتوقع مجيء أحدٍ وتأكل فهذه هي مشيئتك الخاصة"[(١٢٨٦)].

جاء أخ إلى أبا ماطويس وسأله: "هل الإفتراء (أو تشويه السمعة) أسوأ من الزنى"؟ فقال له الشيخ: "الزنى أردأ". فسأله الأخ: "كيف يمكن أن يكون ذلك"؟ فأجاب: "الإفتراء أمر رديء ولكن يمكن شفاؤه سريعا، لأنّ المفتري غالبا ما يندم قائلاً: لقد تكلّمت بالشر والقساوة، أما الزنى بالجسد فهو موت في كيانه"[(١٢٨٧)].

ذهب أبا ماطويس يومًا ما إلى "رايثو" في منطقة "ماجدولوس" (أو "جبالون" في سيناء)،

(1280) Apoph., Poemen, 65; W. & W., II: 360; س ٤ ورقة ١٤٩ (1281) Apoph., Matoes, 1; W. & W., II: 146; س ٤ ورقة ١٦٥

(1282) Apoph., Matoes, 2; W. & W., I: 552; D. F., Book 15, xxviii; س ٤ ورقة ٩٠

(1283) » » , 3; » »., I: 557.

(1284) Apoph., Matoes, 4; W. & W., II: 247; Ch., 61; س ٤ ورقة ١٦٦

(1285) » » , 5; » »., I: 554. (1286) Apoph., Matoes, 6; W. & W., I: 427.

(1287) Apoph., Matoes, 8; W. & W., I: 585.

وكان معه أخوه "أوساف". فأمسك الأسقف "كانتيرزا" الشيخ ورسمه كاهنا. وبينما كانوا يأكلون معا قال الأسقف: "سامحني أيها الأب، فأنا أعلم أنك لم تكن تريد ذلك، ولكنني تجرأت على ذلك حتى أتبارك بك". فقال له الشيخ باتضاع: "بالتأكيد لم أكن أرغب في ذلك، ولكن الذي يزعجني بالحق هو أنه ينبغي أن أكون منفصلاً عن أخي هذا الذي معي، لأنني لا يمكنني أن أتحمل إقامة جميع الصلوات بمفردي". فقال له الأسقف: "إن كنت تعلم أنه مستحق فارسمه هو أيضا". فقال أبا ماطويس: "أنا لا أعلم إن كان هو مستحقًا لذلك، ولكنني أعلم فقط أنه هو أفضل مني". فرسمه الأسقف هو أيضا.

ولم يقترب أي منهما إلى المذبح ليرفع الذبيحة حتى نهاية حياتهما. وكان الشيخ يقول: "أثق في الله أنني لن أُلاقي دينونةً على وضع اليد علي طالما أنني لم أرفع الذبيحة، لأنّ وضع اليد يليق بالذين هم بلا لوم"(١٢٨٨).

طلب أخ من الأب ماطويس قائلاً: "قل لي كلمة". فقال له الشيخ: "اطلب من الله أن يعطيك نوحا في قلبك وتواضعا في نفسك، وانتبه لخطاياك ولا تدِن آخرين بل ضع نفسك تحت الكل. لا تجعل لك صداقة مع صبي ولا أُلفة مع امرأة ولا مع صديق إيمانه مخالف لنا ولا صلة بإنسان، وتجنب الحرية في الكلام، واضبط بطنك ولسانك، واشرب القليل من الماء واهرب من شرب الخمر. وإذا تكلم أحد أمامك فلا تلاجه، ولكن إن كان مصيبا فقل: 'نعم'، وإن كان مخطئًا فقل: 'أنت أدرى بما تقول'، ولا تلاججه فيما يقول. هذا هو الاتضاع وطريق الخلاص"(١٢٨٩).

وطلب منه آخر قائلاً: "قل لي كلمة". فقال له: "اِقطع عنك روح النقاش في كل شيء، وابكِ ونح لأن الوقت يقترب"(١٢٩٠).

وسأله آخر قائلاً: "ماذا أفعل، فإنّ لساني يغلبني، وفي كل وقت أكون مع الناس لا أستطيع أن أضبطه، بل إنني أدينهم في كل شيء"؟ فأجاب الشيخ: "إن كنت لا تقدر أن تضبط لسانك فاهرب وكُن منفردا لأنّ هذا ضعف، ومن يسكن مع إخوة ينبغي ألاّ يكون مربعا (أو ذا أربعة قرون)، بل مستديرا لكي يمكنه أنه يدير نفسه (أو يتدحرج) نحو الكل. إنني ليس لأجل الفضيلة أعيش في الوحدة، بل بسبب ضعفي، أما الذين يعيشون مع الناس فهم الأقوياء"(١٢٩١).

(1288) Apoph., Matoes, 9; W. & W., I: 270; Ch., 103; D. F., Book 15, xxvii.
(1289) » » , 11; » »., II: 65; س ٤ ص ٨٩
(1290) Apoph., Matoes, 12; W. & W., I: 142; س٤ ورقة ٨٩
(1291) Apoph., Motoes, 13; W. & W., II: 511; س٤ ورقة ٨٩

قيل عن الأب ميلينوس (أو موطيوس)[١٢٩٢] إنه عبر بموضع فرأى راهبا معتقلاً بزعم أنه ارتكب جريمة قتل، فسأل الشيخ الأخ وبقية الإخوة وعلم أنه اتهم خطأ، فقال للذين يعتقلونه: "أين هو المقتول"؟ فأروه إياه. فطلب منهم أن يصلوا، وبسط يديه وصلى فوقف الميت، فقال له أمام الجميع: "قل لنا من قتلك". فقال: "دخلت الكنيسة وأعطيت الكاهن بعض النقود ليحفظها لي، فقام وذبحني وطرحني أمام قلاية هذا الراهب، فأتوسل إليكم أن تأخذوا النقود وتعطوها لأولادي"! ثم قال له الشيخ: "أرقد أيضا حتى يأتي الرب ويوقظك"[١٢٩٣].

سأل أخ الأب موطيوس (أو ميلينوس): "إذا سكنت في أي موضع فكيف تريدني أن أعيش"؟ فقال له الشيخ: "إذا عشت في موضع فاحذر من أن تكون معروفًا أو لك اسم في أي شيء، فلا تقل مثلاً: أنا لا أذهب إلى ا مع، أو: أنا لا آكل في "الأغابي"، لأنّ هذه الأمور تجعل لك سمعةً فارغةً، وسيجعلك ذلك مضطربا، لأنّ الناس يسرعون ليروا من يتصرف هكذا (لعله قديس)! ولكن حيثما تعيش فاتبع طريقة حياة الجميع، وإذا رأيت أتقياء ممن ينتفَع منهم يفعلون شيئًا فافعل مثلهم فتكون في سلام، لأنّ هذا هو الاتضاع أن تساوي نفسك بإخوتك، وعندما يراك الناس لا تخرج عن الحدود سيعتبرونك مثل الآخرين ولن يزعجك أحد"[١٢٩٤].

أخبرنا أبا إسحق تلميذ الأب موطيوس (وقد صار كل منهما أسقفًا) بالآتي: إنّ أبا موطيوس كان هو أول من بنى ديرا في "هيراقليوبوليس" (شرق الدلتا)، ثم تركه بسبب كثرة المترددين عليه وبنى ديرا في موضع آخر. ولكن كان هناك أخ قاومه بقوة الشيطان فأحزنه، فذهب الشيخ إلى قريته وبنى هناك ديرا وعاش فيه ناسكًا.

وبعد مدةٍ جاء الشيوخ من المكان الذي تركه ومعهم الأخ الذي ضايقه لكي يسألوه أن يقبل الأخ في ديره. ولما اقتربوا من المكان الذي كان فيه أبا "سورس" تركوا عنده جلد الغنم الذي كانوا يلبسونه مع الأخ الذي جاءوا به، ولما طرقوا باب الأب موطيوس ورآهم قال لهم: "أين جلد الغنم الخاص بكم"؟ فقالوا: "هناك مع الأخ فلان". فبمجرد أن سمع اسم الأخ الذي ضايقه أخذ بفرح بلطةً صغيرةً وحطّم بابه (الذي كان مسدودا) وجاء مسرعا إلى حيث كان الأخ، وذهب إليه أولاً وسقط عند قدميه وقبله، ثم أخذه إلى قلايته.

(١٢٩٢) يوجد تشابه في الأسماء، فبينما تنسب بعض المراجع أقوالاً للأب ميلينوس تنسبها مراجع أخرى هي نفسها للأب موتيوس ومراجع أخرى للأب ماطويس أو ميليسيوس، لذلك اضطررنا إلى وضعها كلها ضمن أقوال الأب ماطويس.

(1293) Apoph., Milesios, 1; W. & W., I: 615; س ٤ ص ٩٠

(1294) Apoph., Motios, 1; W. & W., I: 464; س ٥ ص ١١٧

وقد استضافهم لمدة ثلاثة أيام وتباسط معهم مع أنه لم تكن هذه عادته، ثم قام ورجع معهم إلى مسكنه السابق. وقد صار أخيرا أسقفًا، وكان في الحقيقة صانع عجائب ومعجزات. كما أنّ المغبوط أنبا كيرلس (يبدو أنه عمود الدين) رسم تلميذه أبا إسحق أسقفًا أيضا، ودام أبا موطيوس في فضائله الروحية حتى نهاية حياته(١٢٩٥).

وعندما كان الأب ميليسيوس (أو موطيوس) يعيش مع تلميذين على حدود بلاد فارس (إيران)، ذهب اثنان من أبناء الملك ليصطادا كعادتهما، فألقيا شباكهما في منطقةٍ واسعةٍ لكي يصيبا ويصطادا أي شيءٍ يوجد داخل الشباك، وتصادف أنّ الشيخ كان هناك مع تلميذيه، فلما رآه ابنا الملك مشعرا كله ومثل رجل وحشي اندهشا وسألاه: "أخبرنا، هل أنت إنسان أم روح"؟ فقال لهما: "إنني رجلٌ خاطئ وقد جئت لأبكي لأجل خطاياي، وأنا أعبد يسوع المسيح ابن الله الحي". فقالا له: "لا يوجد إله إلاّ الشمس والنار والماء، فتعالَ وقدم لها ذبيحة". فقال لهما: "إنها مخلوقات وأنتما مخطئان، فأسألكما أن تتغيرا وتتعرفا على الإله الحقيقي خالق كل هذه الأشياء".

فقالا له: "أتقول إنّ الإنسان الذي حكِم عليه وصلِب هو الإله الحقيقي"؟ فقال الشيخ: "إنّ هذا الذي صلب الخطية وقتل الموت هو الذي أقول إنه الإله الحقيقي". ولكنهما عذّباه هو وتلميذيه ليجبراهم على تقديم الذبيحة. وبعد عذابات كثيرة قطعا رأس الأخوين، ولكنهما عذّبا الشيخ لعدة أيام، وأخيرا وضعاه بينهما وألقيا سهاما عليه واحدا من الأمام والآخر من الخلف. فقال لهما: "طالما أنكما وافقتما على سفك دم بريء، ففي نفس هذا الوقت وهذه الساعة غدا ستفقدكما أمكما، وستتجردا من محبتكما، وبسهامكما ستسفكان دم بعضكما بعضا". فاحتقرا كلامه وذهبا في اليوم التالي ليصطادا، فركض بجوارهما ذكر إيل، فهمزا لفرسيهما وأسرعا نحوه وألقيا رماحهما عليه فطعن كل منهما قلب الآخر كما قال لهما الشيخ تماما عندما حذّرهما، وهكذا ماتا(١٢٩٦).

(٣٩) قصص وأقوال
أبا شيريمون الأسقيطي

كانوا يقولون إنّ المغارة التي في "بترا" التي تخص الأب شيريمون الذي كان في الأسقيط، كانت على بعد أربعين ميلاً من الكنيسة واثني عشر ميلاً من ينبوع الماء. وقد

(1295) Apoph., Motios, 2; W. & W., II: 384.
(1296) Apoph., Milesios, 2.
(1297) W. & W., I: 206; Apoph., Chaeremon, 1.

اعتاد أن يحضِر للكنيسة، بتعب يديه، ماءً في آنيتين، لكل يومٍ واحدة منهما. وعندما يكون متعبا كان يضع إحداهما على جانب الطريق ثم يرجع ليأخذها[(١٢٩٧)]!

❀ ❖ ☯ ❖ ☯

(٤٠) قصص وأقوال
القديس أبا كوبرس

☆⌘✞⌘☆

قال أنبا بيمين عن أبا كوبرس إنه بلغ إلى درجةٍ من الكمال لدرجة أنه أثناء مرضه كان يكبح جماح نفسـه إذا اشتهت شيئًا، وكان يشـكر الله ويتحمل مرضه بفرح وبدون شكوى[(١٢٩٨)]!

قال أبا كوبرس: "مبارك هو الإنسان الذي يتحمل الشدة بشكر"[(١٢٩٩)].

❐❁✢❁❑

(٤١) قصص وأقوال
الأب يوحنا كاسيان

قال الأب كاسيان: "ذهبنا الأب جرمانوس وأنا إلى مصر لزيارة شيخ. ولأنه استضافنا فقد سألناه: 'لماذا لا تحافظون على صومكم عندما يزوركم إخوة كما نفعل نحن في فلسطين'؟ فأجاب: 'الصوم في متناول أيدينا على الدوام، أما أنتم فلستم معنا كل حين. كما أنّ الصوم وإن كان من المؤكد أنه نافع وضروري؛ إلاّ أنه يتوقف على اختيارنا، في حين أنّ ناموس الله يفرض علينا أن نتمم أعمال المحبة. وإنني باستقبالي للمسيح فيكم فعلي أن أخدمكم بكل اجتهاد، ولكن عندما تنصرفون يمكنني أن أستأنف صومي مرةً أخرى. لأنه: «هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم؟ ... ولكن حين يرفَع العريس عنهم فحينئذٍ يصومون» (مر٢: ١٩و٢٠)'"[(١٣٠٠)].

وقال أيضًا: "ذهبنا لزيارة أبٍ آخر فقدم لنا طعاما. ولما شبعنا حاول معنا لكي نأكل أكثر. فقلت له إنني لا أستطيع، فأجاب: 'هذه هي المرة السادسة التي أُعِد فيها المائدة للإخوة الذين يأتون، ولما دعوت كلا منهم للأكل أكلت معه، ولكنني لا زلت جائعا. أما أنتما فرغم أنكما أكلتما مرةً واحدةً من هذا الطعام فقد شـبعتما لدرجة أنكما لا تستطيعان أن تأكلا أكثر'"[(١٣٠١)].

(1298) W. & W., II: 363: Apoph., Copres, 1. (1299) W. & W., I: 309; Apoph., Copres, 2.
(1300) Apoph., Cassian, 1. (1301) Ibid., 3.

قال الأب كاسيان الرومي: "إنه لأمر قبيح أنه بينما يتعب العلمانيون ويعولون أولادا ونساءً ويدفعون الضرائب ويحسنون إلى الفقراء والمحتاجين بقدر طاقتهم، ويعطون لبيت الله البكور والقرابين؛ فنحن لا نستثمر أتعابنا ولا حاجاتنا اللازمة لنا، بل نقبض أيدينا ونستدر أتعاب غيرنا ولا نصغي للرسول القائل: «إنّ حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان» (أع٢٠: ٣٤)، وأيضا: «متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوطٌ هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع٢٠: ٣٥)، وأيضا: «نوصيكم، أيها الإخوة، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذي أخذه منا، إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يتمثّل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم، ولا أكلنا خبزا مجانا من أحدٍ، بل كنا نشتغل بتعبٍ وكد ليلاً و ارا لكي لا نثقل على أحدٍ منكم، ليس أنّ لا سلطان لنا، بل لكي نعطيكم أنفسنا قدوةً حتى تتمثّلوا بنا. فإننا أيضا حين كنا عندكم أوصيناكم ذا: أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا، لأننا نسمع أنّ قوما يسلكون بينكم بلا ترتيب، لا يشتغلون شيئًا بل هم فضوليون. فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا دوءٍ ويأكلوا خبز أنفسهم» (٢تس٣: ٦ - ١٢)".

"اِسمعوا كيف أنّ الرسول يزيل بحكمةٍ علل الصلف وعدم الترتيب ويدعو للعمل أولئك الذين بلا عمل، وبذلك فقد أظهر لنا رذيلةً كبرى وشريرة، لأنّ البطّال هو عديم المنفعة في أي شيء، وهو مهيأٌ للغضب وعبد للضجر ومتمرس في الشهوات ومتهجم في كلامه ومرتكب لبقية الرذائل. وقول الرسول إ م لا يسلكون حسب التقليد الذي أخذوه منا يعني أ م متوانون ومستكبرون بإبطالهم للوصايا. وقوله: «ولا أكلنا خبزا مجانا من أحد» يقصد به الذين لا يعملون ويأكلون خبز البطالة، أي أ م يأكلون بغير حق".

"ولذلك فقد كان الآباء بأسقيط مصر لا يسمحون للرهبان، ولا سيما الشبان، أن ينقطعوا عن العمل لا صيفًا ولا شتاءً ولا في أي وقت، لأنّ الذي يعمل يتخلّص من الضجر ويحصل على ما يقيت به نفسه ويسعف منه المحتاجين"(١٣٠٢).

قيل عن أبا كاسيان إنه أخذ مرةً كيسا وذهب مع الحصادين وقال لصاحب الأرض: "أعطني قمحا". فقال له: "لماذا لم تأتِ لتحصد لكي تأخذ"؟ فقال له الشيخ: "إن لم يحصد الإنسان لا يأخذ نصيبه"؟ فقال له: "بلى". فانصرف الشيخ. ثم قال له الإخوة

(١٣٠٢) س ٤ ص ٦٣.

(١٣٠٣) س ٤ ص ١٣٠.

الذين أبصروه: "لماذا فعلت هكذا يا أبانا"؟ فقال لهم: "جعلت لنفسي سنةً أنه إن لم يعمل الإنسان ويتعب فلا يأخذ أجره من الله"[(١٣٠٣)].

قال الأب كاسيان: "كان هناك شيخ تخدمه عذراء قديسة، وقال البعض عنه إنه لم يكن طاهرا. فسمع الشيخ ما قيل عنه، ولما كان على وشك الموت قال للآباء: 'عندما أموت ازرعوا عصاتي في القبر، فإذا أنبتت وأعطت ثمرا اعلموا أنني طاهر من أي علاقة بالعذراء، وإذا لم تنبت اعلموا أنني أخطأت معها'. فزرعوا العصا، وفي اليوم الثالث أزهرت ثم أعطت ثمرا، فمجد الجميع الله"[(١٣٠٤)].

روى القديس كاسيان الرومي أنّ شيخا اسمه "إيرنس"، سقط منذ أيامٍ قليلةٍ سقطةً يرثى لها أمام أعيننا، إذ هزأت به الشياطين فهبط من سمو السيرة الرهبانية إلى قعر الجحيم. فقد سكن في البراري لمدة خمسين سنة في تقشفٍ ونسكٍ باحثًا دائما عن أطراف البرية والوحدة أكثر من الكل. وبعد أتعابٍ كثيرةٍ تلاعب به إبليس وطرحه في سقطةٍ ثقيلةٍ وسبب للآباء القدماء الذين في البرية ولكل الإخوة مناحةً عظيمةً عليه. ولو كان قد استعمل الإفراز لما أصابه ذلك. لقد تبع فكره في الأصوام إلى حد بعيد والابتعاد عن الناس لدرجة أنه حتى في عيد الفصح ا يد ما كان يذهب إلى الكنيسة مع بقية الآباء حتى لا يضطر أن يأكل معهم مما يوضع على المائدة لئلاّ يكسر الحد الذي وضعه لنفسه من النسك!

فقد ظهر له الشيطان بشبه ملاك منير فسجد له. ثم أقنعه أن يلقي بنفسه في بئر عميقة لكي يتحقق بالخبرة من عناية الله به، فهو لن يلحقه ضرر بسبب عظم فضيلته! ولأنه لم يميز بفكره ذاك الذي يعطيه هذه المشورة بسبب ظلمة قلبه، فقد طرح نفسه في البئر في منتصف الليل! وبعد زمان عرف الإخوة بأمره، فانتشلوه بعد تعبٍ كثير وهو نصف ميت. ثم عاش بعد ذلك يومين ومات في اليوم الثالث مسببا للإخوة حزنا ليس بالقليل. ولأنّ الأب بفنوتيوس (تلميذ أنبا مقار) كان ممتلئًا من محبة النفس البشرية، فقد أمر أن يقدم عنه القربان مثل الذين رقدوا في الرب متذكّرا أتعابه الكثيرة وصبره على شقاء البرية[(١٣٠٥)].

وقال أيضًا: "أوصانا أنبا موسى بألاّ نكتم أفكارنا بل نكشفها لشيوخ روحانيين لهم معرفة وتمييز، وليس لمَن طال عمره وشاب شعره، لأنّ كثيرين قصدوا كبار السن وكشفوا لهم أفكارهم، ولأنه لم تكن لديهم معرفة فبدلاً من العلاج طرحوهم في اليأس". ثم روى قصة الأخ الذي أوقعه أحد الشيوخ في اليأس وكان على وشك أن يرجع إلى

(١٣٠٥) س ٥ ورقة ١٥٠. (١٣٠٦) س ٤ ورقة ١٣٠. (1304) Apoph., Cassian, 2.

العالم لولا أنّ رحمة الله أنقذته بواسطة الأب القديس سلوانس (راجع أقواله)[١٣٠٦].

وروى الأب كاسيان أيضًا عن شيخ يعيش في البرية، أنه طلب من الله أن يمنحه ألاّ يحل عليه النعاس أثناء الأحاديث الروحية، ولكن إذا تفوه أحد بكلام افتراء أو باطل يمكنه أن يستولي عليه النعاس في الحال حتى لا تتأذّى أذناه بهذا السم. وقال هذا الشيخ أيضا إنّ الشيطان، عدو كل تعليم روحي، يجتهد أن يحرض على الكلام الباطل، وضرب هذا المثل: "كنت مرةً أتحدث إلى بعض الإخوة في موضوع نافع، فغلبهم نعاس ثقيل لدرجة أنهم لم يستطيعوا حتى أن يحركوا جفونهم. فأردت أن أُظهر لهم قوة الشيطان، فبدأت أتكلم في موضوع تافه (أو مسل). فاستيقظوا في الحال وامتلأوا بالسرور. فتنهدت وقلت لهم: 'حتى الآن كنا نتحادث في أمور سماوية وكانت عيونكم مثقلة بالنوم، ولكن عندما هبطت إلى حديثٍ بلا منفعةٍ استيقظتم جميعا بخفّةٍ. لذلك، يا إخوتي، أناشدكم أن تتعرفوا على قوة الشيطان، وانتبهوا جيدا لأنفسكم واحترسوا من الرغبة في النعاس عندما تعملون أو تستمعون إلى شيءٍ روحي'"[١٣٠٧].

وقال أيضًا: "كان راهب يسكن مغارةً في البرية. فأخبره أقاربه بالجسد قائلين: 'أبوك مريض جدا وقد أشرف على الموت، فتعالَ واستلم ميراثه'. فأجابهم: 'إنني مت عن العالم قبله، والموتى لا يرثون الأحياء'"[١٣٠٨].

التف الإخوة حول الأب كاسيان ساعة انتقاله، وكان مستعدا للرحيل بشغفٍ وفـرح إلى الله. فطلبوا منه أن يترك لهم قولاً مختصرا نافعا كميراثٍ لهم يمكنهم من أن يصيروا كاملين في المسيح. فتنهد وقال لهم: "لم أتمّم مشيئتي قط ولا علّمت بأي شيءٍ لم أكن قد عملت به سابقًا"[١٣٠٩].

(٤٢) قصص وأقوال
القديس أبا هللاديوس

قيل عن الأب هللاديوس إنه عاش عشرين سنة في منطقة القلالي دون أن يرفع عينيه ليرى سطح الكنيسة[١٣١٠].

وقيل عنه أيضًا إنه اعتاد أن يأكل خبزا وملحا، وإنه عندما يحين عيد الفصح كان يقول:

(1307) Apoph., Cassian, 6. (1308) Ibid., 8; W. & W., I: 163. (1309) Ibid., 5.
(1310) Apoph., Helladios, 1; W. & W., I: 254 (أبا هور); II: 354 (An.); س ٤ ورقة ٨١
(1311) Apoph., Helladios, 2; س ٤ ورقة ٨١ (1312) Supplement Guy, 949 Hel., S 1.

"إنّ الإخوة يأكلون خبزا وملحا، وأنا ينبغي أن أعمل مجهودا قليلاً لأجل عيد الفصح، فطالما أنني آكل عادةً وأنا جالس، فالآن في عيد الفصح ينبغي أن آكل واقفًا"[١٣١١].

في **يوم سبت** كانت في منطقة القلالي وجبة للإخوة في أحد الأعياد في الكنيسة. وعندما قدموا آنية العدس أخذ الأب هللاديوس الإسكندري يبكي. فسأله الأب يعقوب: "لماذا تبكي أيها الأب"؟ فأجاب: "لأنه لم يتم فرح النفس الذي هو الصوم، وقد حان وقت عزاء الجسد"[١٣١٢]!

(٤٣) قصص وأقوال
الأب يعقوب القلالي

قال الأب فوقاس الذي من دير أبا ثيئوغنيوس في أورشليم: "عندما كنت ساكنا في الأسقيط، كان في منطقة القلالي راهب شاب اسمه الأب يعقوب، وكان أبوه الجسدي هو أبوه الروحي أيضا. وكانت في القلالي كنيستان: إحداهما أرثوذكسية كان هو تابعا لها، والأخرى كانت عقيد ا هي الطبيعة الواحدة الأوطاخية. ولأنّ الأب يعقوب كانت لديه نعمة الاتضاع فقد كان محبوبا من أتباع الكنيستين. وكان الأرثوذكسيون يقولون له: 'يا أبا يعقوب، اِحترس لئلاّ يخدعك الأوطاخيون ويجتذبوك إلى شركتهم'. كذلك الأوطاخيون قالوا له: 'يا أب يعقوب، عليك أن تتحقق من أنه بكونك في شركةٍ مع أتباع الكنيسة الأخرى، فإنك تخاطر بنفسك لأ م نسطوريون ويهدمون الحق'"!

"وقد وجد الأب يعقوب - الذي كان إنسانا بسيطًا - نفسه محصورا بين الجانبين، فذهب في تلك المحنة واختبأ بعيدا عن جماعة الشركة وصلّى بعد أن ارتدى بكفن، وكأنه يعد نفسه للموت. لأنّ الآباء المصريين كانوا معتادين أن يحتفظوا بالملابس التي ارتدوها يوم رهبنتهم حتى الموت، حيث كانوا يرتدو ا أيام الآحاد والأعياد فقط، ثم يخلعو ا على الفور. فذهب إلى تلك القلاية البعيدة وواظب على الصوم، وكان يصلي وهو ساقطٌ على الأرض. وقال لنا بعد ذلك إنه جاز في تلك الفترة حروب شياطين كثيرة ولا سيما في الأفكار. ولما انقضت أربعون يوما رأى ولدا صغيرا آتيا نحوه بسرور وقال له: 'يا أبا يعقوب، ماذا تفعل هنا'؟ فاستنار في الحال وتشجع من تأمله فيه وقال له: 'يا سيدي، إنك تعلم مشكلتي، فإنّ أحد الجانبين يقول لي: لا تترك الكنيسة، بينما يقول الآخرون:

إنّ أتباع كنيستك يخدعونك. ففي محنتي لم أعلم ماذا أفعل، فبلغت إلى هذه الحالة‘. فأجابه الرب: ’جيد جدا أن تكون حيثما أنت‘! وحالما سمع ذلك وجد نفسه عند أبواب الكنيسة المقدسة التي لأتباع ا مع الأرثوذكسي"[١٣١٣]!

وقال الأب فوقاس أيضًا: "عندما جاء الأب يعقوب إلى الأسقيط هاجمه شيطان الزنى بشدة، ولما اشتدت الحرب عليه جاء إلي وأخبرني بذلك قائلاً: ’سأذهب غدا إلى المغارة الفلانية، ولكنني أتوسل إليك من أجل الرب ألاّ تخبِر أحدا بذلك ولا حتى أبي، بل احسب أربعين يوما ثم اصنع محبةً وتعالَ إلي ومعك سر الشركة المقدس. وإن وجدتني ميتا ادفني، وإن وجدتني لا زلت حيا ناولني‘".

"ولما انقضت الأربعون يوما أخذت السر المقدس ورغيف خبز وقليلاً من الخمر وذهبت إليه. ولما اقتربت من المغارة شعرت برائحةٍ كريهةٍ جدا آتيةً من مدخلها، فقلت لنفسي إنّ المبارك قد رقد. ولما اقتربت منه وجدته نصف ميت، ولما رآني حرك يده اليمنى قليلاً بقدر استطاعته طالبا مني التناول بالإشارة بيده، فقلت له إنه معي. ولكنه لم يستطع أن يفتح فمه، فأتيت بقطعة خشب من خارج المغارة وفتحت ا فمه قليلاً بكل صعوبةٍ، ثم وضعت فيه قليلاً من الجسد والدم الثمينين بقدر ما استطاع أن يتناول منهما، وبمشاركته هذه في السر المقدس تشدد. وبعد قليل قدمت له فتات من الخبز العادي مبلولاً بالماء وأعطيته منه أيضا بقدر ما استطاع أن يأكل. وهكذا بنعمة الله جاء معي في اليوم التالي ومشى حتى قلايته وقد تخلّص بمعونة الله من وجع الزنى المؤذي"[١٣١٤].

❁☯❖☯❁

(٤٤) قصص وأقوال
أبا إسحق تلميذ الأب بيس

قال أبا إسحق تلميذ الأب بيس: "الذي يكرس نفسه للرب بكل قلبه أومن أنّ الرب يفتح قلبه ويفهم كلمة الله كلها"[١٣١٥].

(٤٥) قصص وأقوال
القديس أبا إسحق قس شيهيت

(1313) Apoph., Phocas, 1.
(1314) Ibid., 2. (1315) Eth. Coll., 14, 6. (1316) Eth. Coll., 14, 25.

قال شيخ: "إنّ أبا إسحق كان يسكن في الأسقيط في التلال الداخلية"[1316].

أرادوا أن يرسموا الأب إسحق كاهنًا في **الأسقيط،** فلما سمع بذلك هرب إلى مصـر (أي إلى إحدى بلاد مصر) ودخل في حقل واختبأ وسط التبن. وذهب الكهنة وراءه حتى وصلوا إلى ذلك الحقل وتوقفوا هناك لكي يستريحوا لأنه كان ليـل، وأعطـوا الحريـة للجحش لكي يأكل. فذهب الجحش إلى حيث يوجد الشيخ (إسحق)، ولما صار الفجر بحثوا عن الجحش فوجدوه كما وجدوا الأب إسحق فاندهشوا. وأرادوا أن يقيدوه ولكنه لم يسمح لهم قائلاً: "إنني لن أهرب مرةً أخرى، لأنّ هذه هي مشيئة الله وحيثما أهرب أجد ذلك أمامي"[1317].

(٤٦) قصص وأقوال القديس يعقوب الأسقيطي

قال لي **أخ:** "قال لي الأب يعقوب: 'اِغصب قلبك على المجيء إلى الرب'. فقال الأخ: 'كيف يا أبي'؟ فأجابه الشيخ: 'مثلما «ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة» (مت١٤: ٢٢) هكذا اِلزم أنت أيضا قلبك أن يأتي إلى الرب'"[1318].

(٤٧) قصص وأقوال أبا يوحنا تلميذ الأب يعقوب

قال أبا يوحنا تلميذ الأب يعقوب: "قال لي أخي مكاري في ساعة موته: 'فعلت شيئين في هذا العالم سببا لي ضيقًا: الأول هو أنني اشتريت شبكةً لأخ وجعلته يدفع ثمنها في الحال، والثاني هو أنني عندما كنت أنسج مددت منشفتين (فوطتين) وأبقيت ذلك على مستوى سفلي لأنه كان ينقص القليل من الخيوط'"[1319].

(٤٨) قصص وأقوال الأب يوسف القلالي

(1317) Apoph., Isaac priest of the cells, 1;W. & W., II: 395. (1318) Eth. Coll., 13, 71.
(1319) Ibid., 13, 32. (1320) Ibid., 13, 34. (1321) An., 1755. (1322) An., 1756.

أخبر أخ عن الأب يوسف الذي من القلالي قائلاً: "عندما كان الشيخ على وشك الموت، أقمت عنده وقلت له: 'قل لي، يا أخي، قولاً يمكنني به أن أخلص'. فأجاب: 'لا تفعل ما يرضي الناس، لأنّ الذين يريدون أن يرضوا الناس يقضون على الناس، فاهرب منهم وأنت تخلص'"(١٣٢٠).

(٤٩) قصص وأقوال الأب مارسِل الأسقيطي

قال الأب مارسِل الأسقيطي: "تعرف بالخبرة على الحياة الفاضلة ولا تجـزع منـها كأ ا شيء مستحيل"(١٣٢١).

وقال أيضًا: "لا تتعجب من أنك وأنت إنسان يمكنك أن تصير ملاكًا. لأنه يمـنح لك مجد شبيه بمجد الملائكة، والذي يتصدر القتال فالوعد هو للذين يكافحون"(١٣٢٢).

وقال أيضًا: "لا شيء يقود إلى الله مثل الطهارة الحسنة والأصيلة التي هي عزيزة عند الله والتي تكرم الرب وتقدم له إخلاصا راسخا كما يشهد بذلك الروح القدس بواسطة القديس بولس (أنظر ١كو٧: ٣٢ - ٣٧)"(١٣٢٣).

(٥٠) قصص وأقوال القديس أبا ميوس

قال الأب ميوس الذي من "بيلوس" (ربما يقصد البهلس في الأسقيط): "الطاعة تستجيب للطاعة، فعندما يطيع الإنسان الله يطيع الله طلبه"(١٣٢٤).

وقال عن شيخ كان في **الأسقيط** إنه كان عبدا وإنه صار قارئًا حقيقيا لقلوب الناس. وكان كل سنة يذهب إلى الإسكندرية ومعه أجوره إلى سادته. وكانوا يذهبون لمقابلته باحترام شديد. ولكن الشيخ كان يضع ماءً في حوض ويغسل أقدام سادته. فكانوا يقولون له: "كلاّ أيها الأب، لا تقهرنا". ولكنه كان يقول لهم: "إنني متحقق من أنني عبدكم وأنكم حررتموني لكي أخدم الله، فأنا أغسل أقدامكم وأنتم تقبلون أجوري هذه". فاحتجوا ورفضوا أن يأخذوها، فقال لهم: "إذا رفضتم أن تأخذوها فسأبقى هنا وأخدمكم". ولأ م

(1323) An., 1757.
(1324) Apoph., Mios, 1; W. & W., I: 246.
(1325) Apoph., Mios, 2.
(1326) Ibid., 3; W. & W., I: 599.

كانوا يحترمونه فقد سمحوا له أن يفعل ما يريد، ثم ودعوه بعد أن أعطوه زادا ونقودا لكي يعطي صدقات لأجلهم. ولهذا السبب صار مشهورا ومحبوبا في الأسقيط[١٣٢٥].

سأل جندي الأب ميوس إن كان الله يقبل التوبة. فبعد أن علّمه الشيخ بأمور كثيرة قال له: "أخبرني، يا عزيزي، إذا تمزق ثوبك فهل ترميه"؟ فأجاب: "كلاّ، ولكنني أصلحه وأستعمله مرةً أخرى". فقال له الشيخ: "فإن كنت هكذا معتنيا بثوبك، أفلا يعتني الله أيضا بخليقته"[١٣٢٦]؟

قال أخ: "قال الأب ميوس الذي من "باليئوس": 'نحن نبقى حتى الساعة الأخيرة لكي نستطيع أن نرى كل مشقة الرهبان: العوز والآلام'. وهو قال ذلك لأن المحبة قد بردت بين الإخوة وبسبب أنّ القحط (الروحي) قد سيطر على هذا الجيل. وأيضا لأ م لا يجدون الحكمة في الراحة، ولا هم يحكِمون الفطنة بحيث يكونون بلا هم. فالإنسان البطّال لا يجد الحكمة الروحية، لأنّ الروح لا يسكن في الكسول. ومن يحب الحكمة يبحث عنها في الأتعاب. والذي يرغب في الفطنة فهي تسكن في الطهارة. والذي يريد أن يحتمي بالعفة هو الذي يستأصل الشهوات. والذي يحب الأتعاب يفرح بثمار الحكمة. والذي يسهر فهو الذي يسعى إلى ذلك بمشقةٍ، وبذلك فهو سيأكل من ثمار الروح وسيسكن في أرض الأحياء وسيوضع اسمه مع القديسين. فاطلب من الرب المخافة واتضاع الروح لكي تتعلّم أن تغصب نفسك في كل شيء"[١٣٢٧].

في **أحد الأيام** بنى الأب ميوس بيتا صغيرا بسبب حرارة الجو، ولكنه لم يعرف كيف يبني، فهدمه بعد ذلك. فلاحظ "طايوس" ذلك دون أن يقول له، ثم قال له بعد ذلك: "أتريد أن تعمل هكذا"؟ فضرب بيده على البيت وقال: "إنني لا أعرف أن أعمله هكذا"[١٣٢٨].

(٥١) قصص وأقوال الأب موسى المنحني

سمعتُ أنّ أخًا كان يسكن في **الأسقيط** قال للأب موسى المنحني (من الشيخوخة): "يا أبي، إنني حزين بسبب كوني فقيرا". فقال له الأب موسى: "ألست في غاية الرضى أن تكون فقيرا لأجل الرب؟ ولكن الرب لن يسمح أن يعوزك أي شيء مهما كان، بحيث إنه يكون لديك طعام كافٍ بل ويفضل عنك ما تعطيه لآخرين. هكذا ستجد حظوةً عند الرب

(1327) Eth., Coll. 13, 22. (1328) Arm., II 9 (7) A. (1329) Eth. Coll., 13, 3.

عندما يحاكمك"[١٣٢٩].

☆❀✥❀☆

(٥٢) قصص وأقوال الأب إلبيديوس

قال الآباء إنّ الطوباوي الأب زينون بالإضافة إلى جميع الفضائل التي اكتسبها كانت له أيضا تلك الفضيلة: في أي موضع يعلم أنه يوجد فيه شيخ غيور كان يذهب إليه بدون تأخير. ولما سمع عن الأب إلبيديوس الفلسطيني الذي كان يسكن في الأسقيط ذهب لكي يراه، فقد كانت فضيلته يتعجب منها جدا. وقد وصل الشيخ بتدبير الله إلى مغارة الأب إلبيديوس الذي لما سمع صوت خطوات الأب زينون خرج للقائه، فقد كانت هذه هي عادة الأسقيطيين. وبعد التحيات المتبادلة قال له الأب زينون: "اِصنع لي محبة ودلّني على قلاية الأب إلبيديوس". فقال له: "اِسترح هنا لأنّ الليل قد اقترب، وفي الصباح سأدلّك على مسكنه". فدخل ليستريح عنده.

وفي نفس الوقت صادف أنّ شيوخا آخرين كانوا عند الأب إلبيديوس. ولما استضافهم جميعا أعطاهم مكانا كافيا لكي يستريحوا فيه، أما هو فعاد إلى مغارته الداخلية. حينئذٍ إذ أُخبِر الأب زينون بأماكن سكنى الشيخ وتعرف على الأدلّة التي يدرك ا الكلام في ذاته، اشتبه في أن يكون هو الأب إلبيديوس. ولما نام الضيوف ض الأب زينون وأصغى إلى الطريقة التي كان الشيخ يرتل ا المزامير، فأدرك أنه في كل مزمور يضرب ميطانية ويرفع صلاة. وبعد أن يتمم مزاميره الكثيرة - وقد قيل إنه كان يتلو المزامير كلها - فعند الفجر إذ شعر الأب زينون بصوت خطوات الشيخ ذهب وانضم إلى الضيوف الآخرين.

ثم جاء الشيخ وقال لهم: "أتريدون أن نرتل التسابيح"؟ فأجابوه: "كما تريد". وبعد أن رتلوا التسابيح قال الأب زينون للشيخ: "أتريد أن تسمح لي بالانصراف"؟ فقال له الأب إلبيديوس: "ألا تريد أن ترى الأب إلبيديوس"؟ فقال له: "لقد رأيته وأعترف بأفضاله"! حينئذٍ صلّى لأجله وصرفه[١٣٣٠].

ଓ⌘✞⌘ଓ

(٥٣) قصص وأقوال القديس أبا هيراقليوس

(1330) An., 1627 A.

(1331) Apoph., Heraclios, 1; W. & W., I: 244.

هاجم الشيطان أخًا، فألقى بحمل همه على الأب هيراقليوس (أو هيراكليدس)، فلكي يعزيه أخبره بالقصة الآتية: "كان لشيخ تلميذ وكان مطيعا له في كل شيء لعدة سنوات. وفي أحد الأيام هاجمه الشيطان، فانطرح أمام الشيخ قائلاً: 'اِسمح لي أن أكون راهبا بمفردي'. فأجابه الشيخ: 'اِختر مكانا لنبني لك فيه قلاية'. فوجدا مكانا على بعد ميل واحد وهناك شيدا قلايةً، وقال الشيخ للأخ: 'اِفعل ما أقوله لك: في كل وقتٍ تشعر بضيق كُلْ واشرب ونم، فقط لا تخرج من قلايتك حتى يوم السبت، حينئذٍ تعالَ عندي'. فقضى الأخ يومين حسب هذه التوجيهات، ولكنه في اليوم الثالث صار ضحيةً للاكتئاب، فقال في نفسه: 'لماذا وضع الشيخ لي هذا التدبير'"؟

"ثم نهض ورتل مزامير كثيرة، وبعد الغروب أكل واضطجع على حصيرته لينام. حينئذٍ رأى حبشيا مضطجعا وهو يصر بأسنانه عليه. فاعتراه خوف عظيم وأسرع إلى الشيخ وقرع بابه قائلاً: 'يا أبي، اِشفق علي وافتح الباب'. ولما رأى الأب أنه لم يطِع توجيهاته لم يفتح له حتى الصباح، ثم فتح له في الصباح المبكر فوجده خارجا متوسلاً إليه أن يعينه. فامتلأ بالشفقة وسمح له بالدخول. فقال الأخ: 'يا أبي، إنني محتاج إليك، فقد رأيت على فراشي حبشيا أسود عندما اضطجعت لأنام'. فأجاب الشيخ: 'لقد حلّ بك ذلك لأنك لم تحفظ توجيهاتي'. ثم علّمه عن تدبير حياة التوحد بقدر طاقته، وبعد فترةٍ قصيرةٍ صار راهبا صالحًا"(١٣٣١).

(٥٤) قصص وأقوال
الأب نثنائيـل

قال بالليديوس: كان هناك شيخ اسمه "نثنائيل" كان قد رقد قبل زيارتي (لبرية شيهيت) بنحو ١٥ سنة. ولما سألت عن فضيلته دلّني الآباء على قلايته التي لم يسكن فيها أحد بعد الأب نثنائيل لأنها قريبة من العالم. وكان الشيخ قد بناها عندما كان المتوحدون قليلين ومبتعدين بعضهم عن بعض. وعلمت أنه كان يمكث كثيرا في قلايته حتى لا تضعف عزيمته الرهبانية. وفي بدء رهبنته حاربه الشيطان في قلايته السابقة حيث شعر فيها بالضجر، فبنى تلك الأخرى القريبة من المدن. وبعد أن مكث فيها نحو ثلاثة أو أربعة شهور جاء إليه الشيطان بالليل ومعه سوط (كرباج) من الجلد مثل الجلادين متخذًا مظهر جندي أشعث وصنع ضجيجا بسوطه. فقال له الأب نثنائيل: "من أنت يا من تفعل ذلك

في قلايتي“؟ فأجاب: ”أنا هو الذي طردتك من القلاية السابقة، وقد جئت الآن لكي أطردك من هذه أيضا“!

فعلم الشيخ أنه كان قد خدِع وعاد إلى قلايته السابقة. ولكي يغيظ الشيطان لم يعبر من البوابة طيلة سبعة وثلاثين سنة. وقد أظهر له الشيطان كل أصناف المضايقات لكي يطرده من هناك. وكانت إحدى خداعاته للعدو أنه عندما زاره سبعة أساقفة قديسون - سواء كان ذلك بتدبير إلهي أو تجربة من العدو - فعند انصرافهم بعد أن صلّوا لم يرافقهم الأب نثائيل لتوديعم ولا خطوة واحدة. فقال له الشمامسة المرافقين لهم: ”لقد ارتكبت عملاً فيه عجرفة أيها الأب، لأنك لم ترافق الأساقفة إلى الخارج“. فقال لهم: ”إنني ميت بالنسبة لسادتي الأساقفة وبالنسبة للعالم كله. إن لي قصدا خفيا من عدم مرافقتهم والله يعلم قلبي“!

وهكذا فشل الشيطان في جهوده. وقبل انتقال الأب نثائيل بتسعة شهور اتخذ الشيطان شكل صبي في العاشرة من العمر يسوق جحشا يحمل سلّةً من الخبز، وجاء إلى قلايته في المساء متأخرا وتظاهر بأن الجحش قد سقط وهو يصيح: ”أيها الأب نثائيل اصنع معي رحمةً ومد لي يدك“. فسمع الأب صوت الصبي وفتح الباب وسأله: ”من أنت؟ وماذا تريد مني أن أفعل“؟ فقال: ”إنني خادم الأخ فلان، وقد أتيت بأرغفة خبز لأنه باكرا ستكون وليمة أغابي هذا الأخ، وعند الفجر سيحتاجون إلى التقدمات. فأتوسل إليك ألاّ تتغاض عني لئلاّ تلتهمني الضباع وهي كثيرة هنا“!

فظلّ الطوباوي نثائيل مندهشا مذهولاً، وبعد أن امتلأ بالشفقة تناقش مع نفسه قائلاً: ”يجب علي إما أن أُسقِط الوصية أو عزيمتي“. وبعد أن تفكّر في أنه من الأفضل - بسبب فخاخ الشيطان - ألاّ يجعل عزيمته طوال تلك السنين تنز، صلى وقال للمدعي أنه صبي: ”اسمع يا ولد، أنا أعتقد أنه إن كنت حقًا محتاجا إلى معونة فإن الله الذي أخدمه سيرسل لك المعونة ولن تضرك الضباع أو أي شيء آخر. أما إذا كنت تجربة من العدو فإنّ الله سيكشف الأمر كله“. ثم أغلق الباب ودخل.

فخزي الشيطان من هذا الكلام وانحلّ إلى شبه عاصفة وحمير وحشية تعدو وترفس الحجارة. هكذا كان صراع الطوباوي نثائيل وطريقة حياته، وهكذا انتهت حياته على الأرض(١٣٣٢).

قال الأب زويلة قس مدينة "تامياثيس" إنه سمع عن الأب نثائيل يروي أنّ سبعة سيناتورات

(1332) Laus., 16. (1333) An.,1014. (1334) Apoph., Nisteros the Cenobite,1;W. & W.,I: 37.

(أعضاء البرلمان) أرادوا أن يتشبهوا بالقديس أرسانيوس بسلوك الحياة الرهبانية في الأسقيط. وقد تركوا كل ممتلكاتهم، وأعطوا أنفسهم للعمل في البوص واستعمال أواني حقيرة من الطين وقالوا: "هذا لكيما إذ يرى الله العظيم فلعله يشفق علينا ويغفر لنا خطايانا"[١٣٣٣].

(٥٥) قصص وأقوال
القديس نستروس الكينوبيون

قال الأب بيمين عن الأب نستروس إنه كان مثل الحية النحاسية التي رفعها موسى النبي لأجل شفاء الشعب، فقد كان يمتلك كل فضيلة، ودون أن يتكلم كان يشفي كل واحد[١٣٣٤].

سأل الأب بيمين الأب نستروس كيف حصل على هذه الفضيلة: عندما يحدث أي اضطرابٍ في الدير فما كان يقول أي شيء أو يتدخل قط؟ فأجاب: "اِغفر لي، أيها الأب، فإنني منذ أن جئت إلى الدير قلت لنفسي: أنت والحمار شيء واحد، فالحمار يضرب ولا يتكلم، وعندما تساء معاملته لا يناقش. فعليك أن تفعل نفس الشيء كما قال المرتل: «صرت كبهيم عندك ولكني دائما معك» (مز٧٣: ٢٢و٢٣)"[١٣٣٥].

(٥٦) قصص وأقوال
الأب أوليمبيوس القلالي

قال الأب أوليمبيوس: "نزل أحد الكهنة الوثنيين يوما ما من الأسقيط وجاء إلى قلايتي ونام هناك. ولما تأمل في طريقة حياة الرهبان قال لي: 'حيث إنكم تعيشون هكذا، ألا تتلقون أية رؤى من إلهكم'؟ فقلت له: 'كلاّ'. فقال لي الكاهن: 'ولكننا عندما نقدم ذبيحةً لإلهنا لا يخفي عنا شيئًا، بل إنه يكشف أسراره، وأنتم الذين تعطون أنفسكم لمصاعب وأسهار وصلوات ونسكيات هذا مقدارها تقولون إنكم لا ترون شيئًا؟ حقًا إنّ ذلك لأنّ لديكم أفكار غير طاهرة في قلوبكم تفصلكم عن إلهكم، ولذلك فإنّ أسراره لا تكشف لكم'! ولما أخبرت الشيوخ بكلام هذا الكاهن امتلأوا بالتعجب وقالوا إن هذا حق، لأنّ الأفكار غير الطاهرة تبعِد الله عن الإنسان"[١٣٣٦].

(1335) Apoph., Nisteros the Cenobite, 2; W. & W., II: 180.
يلاحظ أن هذا القول جاء ضمن أقوال أنبا بيمين حيث يذكر أن الذي لا يتدخل في مشاكل الدير هو أنبا بيمين.
(1336) Apoph., Olympios, 1; W. & W., II: 16. (1337) Apoph., Olympios, 2; W.& W., I: 564.

حُرب أبا أوليمبيوس من الزنى، فقالت له أفكاره: "اِتخذ لك زوجةً". فصنع من الطين امرأةً وقال لنفسه: "هذه هي زوجتك، فعليك أن تكد لكي تطعمها". وهكذا أتعب نفسه كثيرا في العمل. وفي اليوم التالي شكّل من الطين أيضا بنتا صغيرةً وقال لأفكاره: "لقد ولدت زوجتك طفلةً، فعليك أن تتعب أكثر لكي يمكنك أن تطعمها وتكسو ابنتك". وهكذا أتعب نفسه لأجل ذلك، ثم قال لأفكاره: "لا يمكنني أن احتمل هذا الإرهاق أكثر من ذلك". فأجابته أفكاره: "إن كنت لا تستطيع أن تحتمل هذا الإرهاق فكُف عن طلب زوجة"! ولما رأى الله أتعابه كف عنه حرب الزنى وصار في سلام(١٣٣٧).

☆❀✟❀☆

(٥٧) قصص وأقوال
القديس أبا باخون

قال بالليديوس: "كان في الأسقيط راهب اسمه "باخون" وكان عمره يزيد على الستين سنة حسب تقديري. وحدث أنني انزعجت من حرب الشهوة في أفكاري بالنهار وفي أحلامي بالليل. وقد بلغ وجعي هذا إلى درجة أنني كنت على وشك أن أترك البرية حيث أنني لم أكشف هذا الأمر لجيراني الرهبان ولا للأب مرشدي. وبدون علم أحد ذهبت إلى داخل البرية وقضيت خمسة عشر يوما بين آباء برية الأسقيط"(١٣٣٨).

"وهناك عبرت على الأب باخون، ولما وجدته أكثر تقدما في حياة النسك من غيره، فقد تجرأت وكشفت له حالتي الروحية، فقال لي: 'لا يحيرك هذا الأمر، فأنت تعاني منه ليس لأنك مستهتر، فالمكان الذي أنت فيه يشهد على أنه تعوزك الضروريات، ولا توجد فرصة للتقابل مع نساء، ولكن ذلك هو بسبب غيرتك. والحرب ضد النجاسة لها ثلاث نواح: فأحيانا اجمنا شهوة الجسد، وأحيانا أخرى اجمنا الأوجاع (الأهواء) بواسطة أفكارنا، وأحيانا ثالثة يهاجمنا الشيطان نفسه بطرقه الفاتنة. فقد تعلّمت ذلك من الخبرة'".

"'وكما ترى، فإنني الآن شيخ، وإنني منشغلٌ بأمر خلاصي مدة أربعين سنة في هذه القلاية ذا ا، وطوال هذه المدة أُعاني من التجارب، وصدقني أنني بعد سن الخمسين ظلّ الشيطان يهاجمني بلا شفقة لمدة اثنتي عشرة سنة دون أن يتركني ارا أو ليلاً. وقد ظننت أنّ الله فارقني، وشعرت أنني مضيق علي حتى عزمت على أن أموت بطريقةٍ غير منطقية أفضل من أن أستسلم لشهوة الجسد. ثم خرجت، وبينما كنت أجول في البرية عبرت

(١٣٣٨) يبدو أنه كان ساكنا في منطقة القلالي لأنه تقابل كثيرا مع أنبا مقار الإسكندراني.

على مغارة ضبع حيث مكثت عريانا لمدة يوم واحد حتى ولو التهمتني الوحوش‘“.

”’حلّ المساء، وكما يقول الكتاب: «تجعل ظلمةً فيصير ليل، فيه يدب كل حيوان الوعر» (مز١٠٤: ٢٠). ثم جاء وحشان ذكرا وأنثى، وظلاّ يشمانني ثم لعقاني بلسانيهما من رأسي حتى قدمي وكنت أتوقع أن يلتهماني ولكنهما تركاني. وقد اضجعت هناك الليل كله ولكنهما لم يلتهماني! فاعتبرت أنّ الله أنقذني وعدت إلى قلايتي. ثم بعد أيام قليلة هاجمني الشيطان بشدةٍ أكثر من السابق حتى صرت على حافة التجديف‘“.

”’ثم اتخذ الشيطان هيئة شابة حبشية كنت قد رأيتها في شبابي وهي تجمع ورق البردي ثم جلست على ركبتي. فامتلأت بالغضب ولكمتها على أذ ا فاختفت. وبعد ذلك لم أحتمل رائحة يدي الكريهة لمدة سنتين! ولما شعرت بالإحباط خرجت إلى البرية الداخلية فوجدت أفعى صغيرة سامة واقتربت منها لعلها تعضني باعتباري أنا المسئول عن تجربتي، ولكنها لم تفعل! ثم سمعت صوتا قائلاً لي: [انصرف يا باخون، وواصل القتال، فإنني لهذا السبب سمحت لك أن تكون مكتئبا حتى لا تصير متعجرفًا كأنك قوي، بل بالحري لكي تعرف ضعفك ولا تثق كثيرا في طريقة حياتك فتسرع بالالتجاء إلى معونة الله]‘“.

ثم قال بالليديوس: ”فرجعت إذ ذاك وأنا مقتنع تماما ومكثت بثقةٍ ولم أعد أنعى هم الصراع، وعشت في سلامٍ بقية أيام حياتي. وعلم الشيطان بازدرائي به ولم يعد يقترب مني“(١٣٣٩).

(٥٨) قصص وأقوال
القديس أبا بالليديوس

قال أبا بالليديوس: ”يجب على النفس التي تتدرب بحسب الله إما أن تتعلّم بالإيمان ما لا تعرفه أو تدرس بحكمة (أو تتفطّن) فيما تعرفه. وإذا لم ترغب في إحداهما ولا في الأخرى فهي مصابة بالحماقة. لأنّ هذا هو بداية الجحود أن يشمئز الإنسان من التعلم وأن يفقد الشهية للكلمة التي تجوع إليها دائما نفس ذاك الذي يحب الله“(١٣٤٠).

ذهب أحد الأراخنة إلى الأب بالليديوس لزيارته، لأنه كان قد سمع عنه. وكان قد أخذ معه كتابةً مختزلة خاطب فيها نفسه قائلاً: ”إنني سأعرف نفسي للأب ولكِ، وستلاحظين باهتمام ما سيقوله لي“. ولما دخل الأرخن قال للشيخ: ”صل لأجلي أيها الأب، لأنّ عندي

(1339) Laus., 23; V, 54.

خطايا كثيرة". فقال الشيخ: "يسوع المسيح وحده هو الذي بلا خطية". فقال الأرخن: "هل مفروض علينا، أيها الأب، أن نعاقَب على كل خطية"؟ فأجاب الشيخ: "مكتوب: «أنت تجازي كل واحدٍ حسب أعماله» (مز٦١: ١٢ سبعينية)". فقال الأرخن: "اِشرح لي هذا القول". فقال الشيخ: "إنه يشرح نفسه، ومع ذلك فاسمع تفسيره بالتفصيل: هل ضايقت جارك؟ انتظر أن تتلقّى المثيل. هل سلبت خيرات المتضعين؟ هل ضربت مسكينا؟ سيكون وجهك مغطّى بالخزي يوم الدينونة. هل أهنت أو افتريت أو كذبت؟ هل عزمت على الزواج بامرأة شخص آخر؟ هل أقسمت بيمين كاذبٍ؟ هل طرحت عنك منهج الآباء؟ هل أخذت ما يخص اليتامى؟ هل ظلمت الأرامل؟ هل فضلت المسرات الحاضرة على الخيرات الموعودة؟ فانتظر أن تتلقّى ما يقابل كل ذلك، لأنّ الإنسان يحصد مثل البذار التي يزرعها. كما أنك بالتأكيد إذا فعلت خيرا فانتظر أن تتلقّى بالمقابل أكثر منه كثيرا حسب القول نفسه: «أنت تجازي كل واحدٍ حسب أعماله». فإذا ذكّرت نفسك بذلك كل أيام حياتك يمكنك أن تتحاشى ارتكاب معظم الخطايا".

ثم سأله الأرخن: "ما الذي ينبغي عمله أيها الأب"؟ فقال الشيخ: "فكّر في الأمور الأبدية والخالدة الباقية التي لا يوجد فيها ليل ولا نوم. ضع أمامك الموت الذي لا يوجد بعده طعام ولا شراب الذي هو بسبب ضعفنا. ولن يكون هناك مرض ولا أوجاع ولا طب ولا محاكم ولا تجارة ولا غِنى ولا علّة الشرور ولا مبرر للحروب ولا جذر الحقد. هذه ستكون أرض الأحياء لا للذين ماتوا في الخطية، بل للذين يعيشون حياة أبدية في المسيح يسوع". فتأوه الأرخن وقال: "حقًا أيها الأب، إنّ الأمر هو تماما كما قلت". وإذ اقتنع جدا رجع إلى مسكنه شاكرا الله(١٣٤١).

سأل أخ أبا بالليديوس: "قُل لي، أيها الأب، ماذا ينبغي أن أفعل؟ إنني منذ ثلاث سنوات أصوم يومين يومين ومع ذلك فإنني لم أتخلّص بعد من شيطان النجاسة". فأجاب الشيخ: "يا بني، عندما أرسل الله إشعياء النبي إلى الإسرائيليين قال له: «نادِ بصوتٍ عال، لا تمسك، اِرفع صوتك كبوق لتخبر شعبي بخطاياهم وبيت يعقوب بآثامهم. وإياي يطلبون يوما فيوما ويسرون بالتقرب إلى الله قائلين: لماذا صمنا ولم تنظر، ذلّلنا أنفسنا ولم تلاحظ»؟ فأجا م: «في يوم صومكم تطلبون مسرتكم، وتسيئون معاملة الخاضعين لكم وتضرون جميع أعدائكم. ها إنكم للخصومة واا اع تصومون، وتضربون الوضعاء بلكمة الشر. فكيف تصومون كما اليوم حتى يسمع صوت صراخكم؟ ليس هذا صوم أختاره، ولا يوما يذلّل الإنسان فيه نفسه

(1340) An., 1694.

(1341) An., 1727.

ويحني كالأسلة (عشب مائي) رأسه ويفرش تحته مسحا ورمادا. هل تسمي هذا صوما ويوما مقبولاً للرب»؟ (إش٥٨: ١ - ٥ مع الرجوع للسبعينية). وأنت إذن، يا بني، عندما تصوم ماذا تفعل"؟

فقال الأخ: "إنني من الصباح أضفر السعف وطيلة وقت العمل أهذ في المزامير. وعندما أنتهي من قفّة أصلي، ونحو نصف النهار أنام قليلاً. وعندما أ ض أخرج من القلاية (أو المحبسة)، وأعمل أيضا حتى أكمل ثلاثة مقاطف، وبحلول المساء أصلي وبعد أن أضرب مائة ميطانية كالمعتاد أقوم للخدمة. وفي اليوم التالي في الساعة التاسعة من النهار آكل حتى الشبع". فقال له الشيخ: "هذا، يا بني، ليس صوما، لأنك إذا حرمت نفسك من الطعام وقلت على أي أحد شرا وأدنته وحملت له حقدا، أو قبلت أفكارا شريرةً، وإذا اشتهيت في قلبك أن تفعل شيئًا يشبه ذلك؛ فمن الأفضل جدا أن تقضي اليوم في الأكل مع تحاشي تلك الأمور كلها من أن تشبِع نفسك منها وأنت صائم. فماذا تنتفع من الزهد في الطعام ثم تشبع كل هذه الرغبات؟ ألا تعلم أنّ من يشبع شهوته بالفكر يسمن وينتشي بدون غذاء خارجي؟ ولكن إن أردت أن تمارس النسك والصوم بالطريقة التي يكون ا صومك مقبولاً عند الله، فاحترس قبل كل شيء من كل كلام شرير ومن كل اغتياب ومن كل دينونة، ولا تعطِ أذنك للأحاديث الخليعة: «لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح» (٢كو٧: ١)، ومن كل حقدٍ وكل بخل".

"اليوم الذي تصوم فيه اكتفِ بالخبز والماء والبقول (أو الخضروات) مع تقديم الشكر لله. واحسب قيمة الوجبة التي يجب ألاّ تتناولها في اليوم الذي تصوم فيه، واعطِ هذه القيمة لأخ فقير يأتي من الخارج أو لأرملة أو ليتيم، وذلك حتى إنّ من يأخذها ويشبع يصلي لأجلـك. أذلّ جسدك بميطانيات وأسهار كثيرة وفي تأملات سرية. نم وأنت جالس، واترك القفـف واصنع سلالاً، لأنه إذا لم يهذب الشبان بأتعابٍ وآلام كثيرة وبالصوم والسهر، وبكثرة النوم على الأرض وأكل البقول الجافة؛ لا يمكنهم أن يهربوا من شيطان النجاسة. ولذلك فإنّ آباءنا لم يوصوا الشبان أن يمكثوا في قلاية (أو مغارة) أو في مساكن الذين يعيشون في السكون، بل في مجامع شركة، وألاّ يرتدوا ملابس ناعمة بل ثياب رثّة ومسوح، وأن يعيشوا بكل أمـان تحت قيادة المرشدين. إنّ البطالة والاسترخاء وتناول وجبتين في اليوم والنوم الكثير هي عادةً التي تجتذب إلينا ليس شيطان النجاسة فحسب؛ بل أيضا شياطين الكآبـة وا ـد الباطـل والعجرفة"(١٣٤٢).

(١٣٤٣) ربما يكون هو تلميذ القديس أرسانيوس.

(1342) An., 1741.

روى لنا الأب بالليديوس قائلاً: "يوما ما ذهبت مع الأب دانيال[١٣٤٣] إلى الإسكندرية لشأن ما، فقابلنا شابا خارجا من أحد الحمامات العمومية حيث اغتسل. فتأوه الشيخ لهذا المنظر وقال لي: 'أترى هذا الأخ؟ لقد كان سببا في التجديف على اسم الله، ولكن فلنتبعه لنرى أين يسكن'. فتتبعناه ودخلنا وراءه. ثم أخذه الشيخ جانبا وقال له: 'أيها الأخ، عندما يكون الإنسان شابا وفي صحةٍ جيدةٍ، فلا يجب أن يغتسل (في الحمامات العامة)، فصدقني، يا بني، إنك تعثر كثيرين، ليس العلمانيين وحدهم بل أيضا الرهبان'. فأجاب: '«لو كنت بعد أُرضي الناس لم أكن عبدا للمسيح» (غل١: ١٠)، ولكنه مكتوب: «لا تدينوا لكي لا تدانوا» (مت٧: ١)'. فضرب الشيخ له ميطانية قائلاً: 'اِغفر لي في اسم الرب، لقد خدِعت كما يحدث للبشر'".

"ثم انصرفنا من عنده، وقلت أنا للشيخ: 'أليس الأخ مريضا على نحو ما؟ أليس هو مخطئًا'؟ فقال الشيخ بتأوه وبكاء: 'إنّ الحقيقة ستقنعك أيها الأخ: فقد رأيت أكثر من خمسين شيطانا يحيطون به ويسكبون عليه الطين. ورأيت حبشيا جالسا على كتفيه وهو يحتضنه بحنو في حين أن حبشيا آخر أمامه يؤذيه ويلقّنه كلاما بذيئًا، والشياطين يرافقونه من كل جهةٍ وهم فرحون. ولكنني لم أر ملاكه المقدس لا بجواره ولا بعيدا عنه، فاستنتجت أنه كان مشمئزا من كل فجوره هذا. وللشهادة على ما أقوله توجد له ملابس من شعر الماعز ناعمة ومنسوجة مضاعفًا، كما أنّ هذه الوقاحة شائعة في وسط هذه المدينة التي فيها حتى الذين شاخوا في النسك ويذهبون إليها لأجل أمور ضرورية يسرعون في الرحيل منها حتى لا يلحقهم أذى روحي. فضلاً عن أنه لو لم يحب نفسه ولا اللذّة ولا الفسق لخجل من أن يتعرى تماما في الحمام ومن رؤية الآخرين عرايا أيضا. إنّ آباءنا القديسين أنطونيوس وباخوميوس وآمون وسيرابيون، وهكذا أيضا بقية الآباء حاملي الإله قد أوصوا أي راهب ألاّ يتعرى تماما. كما أ م هم أنفسهم عندما كانوا يريدون أن يعبروا الأ ار لأسباب جدية عند عدم وجود مركب للعبور، لم يقبلوا أن يتعروا توقيرا للملاك المقدس الذي يرافق كلاً منهم وحتى لا يراهم الناس. ولكنهم كانوا يصلّون لله ويعبرون في الهواء، والله العطوف القادر على كل شيء كان يقبل بسرور صلوا م التي تفيض بالتقوى ويستجيبها بطريقةٍ عجيبةٍ ويعضدهم في عملهم'".

"وبعد أن قال لي الشيخ ذلك صمت. ثم رجعنا إلى الأسقيط، وبعد أيام قليلة قال لنا إخوة بعد أن جاءوا من الإسكندرية إنّ هذا الأخ - الذي كان كاهنا مستقرا في كنيسة القديس

إيسوذوروس، والذي كان قد جاء منذ قليل من عند الملك قسطنطين - هذا الأخ كان يشرع في إغواء زوجة من يدعى "سيلنتاريوس". وهذا الأخير أمر خدامه وجيرانه أن يقطعوه عنهم. وقد عاش الأخ ثلاثة أيام بعد قطعه، ثم مات لأنه كان سبب خزي وفضائح لجميع الرهبان. فذهبت إذ ذاك إلى الأب دانيال وأخبرته بهذا الذي حدث، فقال الشيخ وهو يبكي: 'هذا درس للمتعجرفين الذين يبلغون إلى هذا السقوط. ولو كان هذا الأخ المريض بالعجرفة قد قبل نصيحتي لما كان قد كُبل بمثل هذا الزلل الذي، فضلاً عن ذلك، سيعلم غيره من المتعجرفين ويلقنهم أن يتحاشوا مثل تلك الهاوية'"[(١٣٤٤)].

☆✝☆

(٥٩) قصص وأقوال
القديس أنبا سيرابيون السباني

قيل عن الأب الكبير أنبا سيرابيون[(١٣٤٥)] إنه كان من أهل مصر من الآباء المشهورين بالفضل. وكان يعرف بـ "السباني" لأنه في كل زمانه لم يلبس سوى سبنية واحدة[(١٣٤٦)]، ولم يكن يمتلك شيئًا البتة ولا حتى عصا أو حذاء سوى إنجيل صغير، وكان يرتدي ثوبا كأنه كفن. كما قيل إنّ حياته كانت تشبه حياة أحد طيور السماء فلم يأو تحت سقف، بل كان يطوف هكذا في البراري والمدن ويأخذ الصدقات. ولم يبال بشيءٍ من أمور الدنيا ولا حتى بجسده وكأنه بلا جسد. وكان في كل أموره يؤثر راحة قريبه على راحته. وكان عميقًا في عبادته، جيد القراءة، ويتلو عن ظهر قلب كل الأسفار الإلهية. ولذلك فقد بلغ إلى كافة الفضائل حتى صارت طبيعية فيه[(١٣٤٧)].

قال الأب سيرابيون: "عندما كنت صبيا مع الأب ثيئوناس، تغلّبت علي من العدو عادة هي أنني بعد أن آكل مع الشيخ في الساعة التاسعة من النهار، كنت أخبئ في ملابسي خبزةً لآكلها بعد ذلك خلسةً بدون علمه. ورغم أنني كنت مخطئًا بخضوعي لمشيئتي ونقيصة عدم كبح جماح شهوتي التي ازداد تأصلها في؛ إلاّ أنني بينما كنت راضيا عن ذلك حدث أنني رجعت إلى نفسي وعذّبت نفسي إلى درجةٍ فاقت مسرة الأكل".

(1344) P E III 16, 1-7.

(١٣٤٥) وضعنا أقواله مع أقوال تلاميذ أنبا مقار لأننا رجحنا أنه كان في الأسقيط لأنّ بالليديوس تكلم عنه بالتفصيل في تاريخه اللوزياكي. راجع التاريخ اللوزياكي فصل ٣٧، وأيضا "رهبنة" الطبعة الثانية ص ٢٧٢، وهذا المرجع الأخير هام جدا لأنه يوضح الفرق بين الآباء الذين يحملون اسم "سيرابيون"، كما أنّ هذين المرجعين يشيران إلى العلاقة بين القديس السباني والراهبة تاييس التائبة.

(١٣٤٦) كلمة "سبنية" يونانية الأصل: "σεβεννια" أي ثوب من الليف. (١٣٤٧) س ٤ ورقة ٥٦؛ An., 1565

"إذ إنني بينما كنت خجلاً من كشف هذا الأمر للشيخ، حدث بتدبير من الله أنّ بعض الإخوة جاءوا ليطلبوا مشورةً من الشيخ. فتكلم الشيخ معهم عن خطية الشره وسيطرة الأفكار الخفية مظهرا طبيعتها وقو ا طالما بقيت في خفيةٍ. وحينئذٍ تغلّبت علي قوة هذا الحديث الذي نخس ضميري، وشعرت أن الرب كشف هذا الأمر للشيخ. ولما ازداد شعور التوبيخ والندم في قلبي انفجرت باكيا، ثم أخرجت الخبزة التي أخفيتها في ملابسي ووضعتها في وسط الحاضرين، وانطرحت على الأرض طالبا المغفرة معترفًا بما كنت أفعله خلسةً، وتوسلت إليهم بدموع غزيرة أن يتضرعوا للرب لكي يحررني من هذه العبودية. فقال لي الشيخ: 'ثق، يا بني، أنه بدون تضرعي فإنّ اعترافك يحررك من هذه العبودية، لأنك بذلك تكون قد انتصرت اليوم على عدوك بعد أن كنت تسمح له بسكوتك بأن يسود عليك كما قال سليمان الحكيم: «لأن القضاء على العمل الرديء لا يجرى سريعا، فلذلك قد امتلأ قلب بني البشر فيهم لفعل الشر» (جا٨: ١١). وبعد أن أخرجت هذا الأمر من الظلمة إلى النور فلن تستطيع الحية الحمقاء أن تغلبك في هذا الأمر مرةً أخرى'"[١٣٤٨].

ذات يوم عبر أبا سيرابيون على قريةٍ مصريةٍ، وهناك رأى امرأةً زانيةً على باب بيتها. فقال لها الشيخ: "اِنتظريني هذا المساء لأنني عازم على ا يء لقضاء الليلة معكِ". فأجابت: "حسنا يا راهب حسنا". واستعدت وأعدت الفراش. وفي المساء جاء الشيخ إليها وقال لها: "هل أعددتِ الفراش جيدا"؟ فقالت: "نعم يا راهب". ثم أغلقت الباب، فقال لها: "اِنتظري قليلاً لأنّ لنا نظاما في الصلاة ينبغي أن أتممه أولاً". وابتدأ الشيخ يرتل من أول الأبصلتير (سفر المزامير)، وبعد كل مزمور كان يصلي من أجل المرأة قائلاً: "يا رب ارحم هذه الشقية وردها إلى التوبة لكي تخلص". فاستجاب له الرب وخشع قلبها، فظلّت قائمةً إلى جانبه مرتعدةً ومن فزعها سقطت على الأرض.

ولما أكمل الشيخ الأبصلتير أقامها وقد امتلأت بالندم وفهمت أنه إنما جاء لكي يخلص نفسها. ثم أكمل صلواته، وحينئذٍ انطرحت عند قدميه قائلةً: "اِصنع محبةً، يا أبي، وخذني إلى موضع يمكنني أن أُرضي فيه إلهي وارشدني كيف أخلص". فأخذها الشيخ إلى دير للعذارى وسلّمها للأم الرئيسة قائلاً: "اِقبلي هذه الأخت، ولا تضعي عليها نيرا مثل بقية الأخوات، بل اسمحي لها أن تتدبر كيفما تشاء". فقبلتها. وبعد أيام قليلة قالت المرأة: "إنني امرأة خاطئة، ويجب علي أن آكل مرة واحدة كل يومين". وبعد بضعة أيام قالت: "لقد ارتكبت خطايا عديدة فيجب أن آكل كل أربعة أيام مرة واحدة". ثم بعد أيام

(1348) J. Cass. Conf., II: xi.

قليلة قالت: "إنّ خطاياي كثيرة جدا فيجب علي أن آكل كل أسبوع مرة واحدة". وبعد قليل توسلت إلى الأم قائلةً: "حيث إنني أحزنت الله جدا بخطاياي فاصنعي معي محبةً واجعليني في قلايةٍ صغيرةٍ واغلقي علي تماما وأعطوني من الطاقة خبزا قليلاً وعملاً لليدين". ففعلت الأم ذلك، وهكذا أرضت المرأة الله بقية أيام حيا ا[١٣٤٩].

قال أنبا سيرابيون: "كما أنّ جنود الملك وهم وقوف بين يديه لا يقدر واحد منهم أن يلتفت يمينا أو يسارا، هكذا الإنسان الذي يقف أمام الله في الصلاة يجب أن ينظر إليه بمخافةٍ في كل وقت، وأن يكون عقله منجمعا (أي مركزا)، وحينئذٍ لا يخاف من العدو الذي لا يستطيع أن يؤذيه في شيء"[١٣٥٠].

قيل عن أنبا سيرابيون إنه أراد مرةً أن يذهب إلى رومية، فذهب إلى شاطئ البحر وبتدبير الله وجد سفينةً مسافرةً إلى هناك. فألقى بنفسه فيها دون أن يكون معه خبز ولا نقود ولا أي شيء البتة. وسافرت السفينة خمسة أيام لم يأكل فيها ولا شرب ولا تكلم مع إنسان، ولكنه كان صامتا! فظن النوتية أن دوار البحر منعه من الأكل في حين أنه لم يكن معه أي شيء. فسألوه: "ما هو أمرك أيها الشيخ؟ إنك لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم"! فقال لهم: "ليس معي طعام ولا نقود، لذلك فأنا صائم، وأما صمتي فهذه هي سنة الرهبان أ م يفضلون السكوت".

فلم يصدقوه حتى فتشوه ولم يجدوا معه شيئًا. فخاصموه قائلين: "من أين توفينا بأجرة السفر"؟ فقال لهم الشيخ: "أعيدوني إلى حيث ركبت معكم واذهبوا بسلام"! فقالوا له: "أبعد أن سافرنا خمسة أيام تريدنا أن نرجع ثم نعود مما يستغرق عشرة أيام إن وافقنا الريح، فالمسافة التي قطعناها كانت بسبب موافقة الريح التي لم نر مثلها قط"!؟ ولم يعلموا أنّ الله سهل طريقهم لأجل الشيخ. أما هو فقال لهم: "إن لم تردوني إلى مكاني فهأنذا بين أيديكم لأنه ليس لي ما أعطيكم". وبعد ذلك أشفقوا عليه وأطعموه واهتموا به حتى وصل إلى رومية[١٣٥١].

لما وصل أنبا سيرابيون إلى رومية ظلّ يطوف المدينة سائلاً عن حبسائها وصـالحيها لكي يتعرف على سير م وأحوال عباد م. فدلّوه على راهبةٍ حبيسـةٍ معـروف عنـها الصلاح، وأراد أن يعرف سير ا الرهبانية فذهب إليها. وكانت هذه الحبيسة كثيرا مـا تنأى بنفسها عن الكلام مع الناس. وكانت لها خادمة عجوز، فقال لها الشيخ: "أطلـبي

(1349) Apoph., Serapion,1; Ch., 240: س ٤ ص ١٥٦
(1350) Apoph., Serapion, 3; س ٤ ورقة ٥٧
(١٣٥١) س ٤ ص ٥٧.

من الحبيسة أن تكلمني، وأخبريها أنني جئت إليها بإرادة المسيح". فقالت له العجوز: "ليس للحبيسة عادة أن تكلم إنسانا". ورفضت أن تكلّمها. فمكث القديس ثلاثة أيام لم يفارق المكان ولم يأكل ولم يشرب! فلما شعرت به الحبيسة وعلمت بصبره رحمته وأطلّت عليه قائلةً: "ما الذي يجعلك تمكث هنا، يا أبي، وماذا تطلب"؟ فقال لها: "أخبريني، أحيةٌ أنتِ أم ميتة"؟ فقالت: "حية بالله وميتة عن العالم". فقال: "أقائمة أنتِ أم جالسة"؟ قالت له: "لا يا أبي، بل إنني سائرة". فقال لها: "إلى أين تسيرين"؟ قالت: "إلى السيد المسيح".

فقال لها القديس: "كيف يمكننا أن نصدق كلامكِ هذا؟ إن فعلتِ ما أقوله لكِ علمت أنك صادقة: انزلي من حبسكِ وانزعي ثيابكِ وأنا أيضا أنزع ثيابي، ونمشي عاريين وسط سوق المدينة". فقالت له: "يا أبي، لي حتى اليوم خمس وعشرون سنة في هذا الحبس، وتريد مني أن أخرج منه وأفعل هذا الأمر المزعج"؟ فقال لها: "ألم تدعِ أنكِ قد مت عن العالم، فما الذي يزعج الميت؟ إنه لا يبالي بتهزيء الناس ولا بمديحهم. الذي مات عن الدنيا لا يبالي بما يصيب جسده من أجل الله، ولكن استحياءكِ يدل على أنكِ لم تموتي بعد عن العالم كما قلتِ، ولكنكِ مخدوعةٌ ولم تنتصري بعد"! فقالت له: "إنني، يا أبي، لم أبلغ بعد إلى هذه المنزلة التي قلت عنها". فقال لها القديس: "إياكِ بعد اليوم أن تحسبي أنكِ غلبتِ الجسد ومت عن العالم".

فقالت له: "لو فعلنا هذا الأمر أما كان الناس يشكّون فينا ويقولون: إنهما ما كانا يفعلان ذلك إلاّ لأنهما فاسدان"؟ فقال لها: "افعلي ذلك من أجل الله ولا تبالي بكلام الناس. إنّ الراهب إذا اغتم من الشتيمة والهوان فقد دلّ على أنه لا زال علمانيا لم يترهب". فقالت له: "اِغفر لي، يا أبي، فلم أقو على ذلك بعد". فقال لها: "اِتضعي، إذن، في فكركِ وإياكِ والعظمة"! ثم انصرف(١٣٥٢).

زار أخ أنبا سيرابيون، فطلب منه الشيخ أن يصلي كالعادة، فاعتذر الأخ قائلاً: "إنني خاطئ لا أستحق حتى إسكيم الرهبنة". ثم أراد الشيخ أن يغسل رجليه فأبى ولم يسمح له بذلك قائلاً: "إنني خاطئ وغير مستحق". ثم هيأ الشيخ طعاما، ولما جلسا ليأكلا نصحه الشيخ بمحبةٍ قائلاً: "يا بني، إن كنت تريد أن تنتفع فاجلس في قلايتك واترك عنك الدوران، واهتم بنفسك وعمل يديك، فإنك لا تنتفع من الدوران مثلما تنتفع من

(١٣٥٢) المرجع السابق.

(1353) Apoph., Serapion, 4; س ٤ ص ٥٨؛ س ٥ ص ١٧٤

الجلوس في قلايتك".

فلما سمع الأخ ذلك تضايق وامتقع وجهه وعلم الشيخ بذلك فقال له: "في حين أنك تقول إنك خاطئ وتصف نفسك بأنك لا تستحق أن تعيش في الدنيا، فإنني عندما عاتبتك بمحبةٍ تضايقت وتلون وجهك حتى صرت كالسبع. فإن كنت تريد بالحقيقة أن تكون متضعا احتمل ما يأتي عليك من توبيخ الآخرين دون أن تلوم نفسك بلائمةٍ القصد منها المراءاة (أو "لا تتمسكن بكلامٍ باطل" حسب مخطوطة س ٥)". فلما سمع الأخ هذا الكلام انتفع به، وصنع ميطانية قائلاً: "اِغفر لي". ثم رجع إلى قلايته[١٣٥٣].

ذهب مرةً أنبا سيرابيون إلى الإسكندرية، فقابل إنسانا مسكينا عريانا في السوق، فتفكر في نفسه قائلاً: "كيف أكون أنا الذي يقال عني إنني راهب عمالٌ لابسا ثوبا وهذا المسكين عريان؟ حقًا إنّ هذا هو المسيح والبرد يؤلمه". ثم تعرى بشجاعةٍ من ثوبه وأعطاه لذاك المسكين وجلس بدونه والإنجيل في يده. فعبر عليه أحد المسئولين، ولما رآه عريانا قال له: "من عراك أيها الأب"؟ فأشار إلى الإنجيل قائلاً: "هذا هو الذي عراني". فكساه ثم قام من هناك. ثم وجد إنسانا مديونا ومقبوضا عليه من صاحب الدين، ولأنه لم يكن له شيء باع الإنجيل وأعطى ثمنه للدائن.

وفي الطريق قابل إنسانا يطلب صدقة، فأعطاه الثوب وعاد إلى قلايته عريانا. فلما رآه تلميذه قال له: "يا معلم، أين ثوبك"؟ فأجابه: "قدمته يا ولدي قدامنا حيث نحتاجه". ثم قال له أيضا: "وأين، يا أبتاه، هو إنجيلك الذي كنا نتعزى به"؟ فقال له: "يا بني، إنه كان يقول لي كل يوم: بِع ما لك واعطِ للمساكين، فبعته وأعطيت ثمنه للمساكين"[١٣٥٤]!

قال أحد الآباء: "علمت أنّ الأب سيرابيون قال: 'قبل أن يجعلوني راهبا عندما كنت شابا أعيش في مجمع لم أكف - لمدة خمس وعشرين سنة - عن ألاّ آكل في كل وجبةٍ سوى خبزة صغيرة واحدة'"[١٣٥٥].

كان بمصر (القاهرة الآن) **إنسان له ولد مقعد،** فحمله إلى أنبا سيرابيون وتركه عند باب قلايته وتنحى عنه، فبكى الولد. فلما سمع الشيخ صوت بكائه خرج وقال له: "من جاء بك إلى هنا"؟ فقال: "أبي". فقال له: "وأين هو"؟ قال: "تركني ومضى". فقال له: "قم اجرِ والحق به". فقام وجرى ولحق به، فأخذه إلى منزله وهو يمجد الله[١٣٥٦].

(١٣٥٣) س ٤ ص ٥٨؛ (1354) An., 1566; (1355) Eth. Coll., 13, 88. (١٣٥٦) س ٤ ورقة ٥٨. (١٣٥٧) المرجع السابق.

وقيل إنّ إنسانًا آخر مات ابنه، فأخذه إلى الشيخ ووضعه قدامه على وجهه وصنع ميطانية وتأخر عن القيام، ولم يعلم الشيخ بموت الصبي، وظن أنه ساجد. وانتظر أن يقوم فلم يقم. فقال له: "قُم، يا بني، الرب يباركك". فقام الصبي حيا، فأخذه أبوه وعاد إلى بيته شاكرا الله وقديسه(١٣٥٧).

سأل أخ الأب سيرابيون: "يا أبي، إ م يجلبون علي الحزن لكي أرجع إلى العالم وأباشر عملاً (أو صنعةً)". فقال له الأب: "ما هو العمل الذي تمارسه لكي تترك مسكنك وتذهب إلى العالم وتباشره"؟ فقال الأخ: "إنني أصنع هذه الستور". فسأله الشيخ: "ألا توجد لديك شبكة لتنسجها"؟ فقال له: "نعم، عندي واحدة". ثم قال له أيضا: "ألا توجد لديك شبكة أخرى على بابك"؟ فأجاب: "نعم". ثم قال أيضا: "ألا يوجد عندك ركن مظلم للنوم؟ ألا يوجد عندك دفء لفصل الشتاء"؟ فأجاب: "هذا صحيح". فقال الشيخ: "صدقني، يا بني، لو استطاع الناس أن يروا في هذا المكان الميراث وا د والراحة التي أعدها الرب للذين يحبونه، فمهما كانت طول المدة التي عليهم أن يمكثوها في هذا العالم ولو كانوا يسكنون في بيت مظلم مملوء بالدود حتى الركبتين؛ فلن يتثقلوا بالضجر أو بالحزن"(١٣٥٨).

(٦٠) قصص وأقوال
القديس الأب بولس البربري

انزعج الأبوان بولس وتيموثاوس (البربريان) من بعض الإخوة في الأسقيط، فقال الأب تيموثاوس لأخيه: "لماذا نعيش في هذه الحالة؟ لماذا لا يتركوننا نعيش في سلام اليوم كله"؟ فأجاب الأب بولس: "السلام في الليل يكفينا إذا كنا نراقب أفكارنا"(١٣٥٩).

(٦١) قصص وأقوال
القديس أبا تيموثاوس الأسقيطي

كان الأب بولس البربري يسكن مع أخيه الأب تيموثاوس في الأسقيط، وكانا كثيرا ما يختلفان مع بعضهما. فقال الأب بولس: "إلى متى نستمر على هذا الحال"؟ فقال له الأب تيموثاوس: "أقترح أنك تتخذ جانبي عندما أخالفك وأنا بدوري أتخذ جانبك

(1358) Eth. Coll., 13, 51.
(1359) Paul the Barber, 1; W. & W., I; 200.
(1360) Apoph., Paul the Barber, 2.
(1361) Apoph., Serinos, 1; W. & W., I: 94.

عندما تعارضني". وهكذا أمضيا بقية أيامهما ـذه الطريقة[١٣٦٠]!

(٦٢) قصص وأقوال
القديس الأب سيرينوس

قيل عن أبا سيرينوس إنه كان عادةً يعمل عملاً شاقًا ويأكل دائما خبزتين صغيرتين. ثم جاء إليه الأب أيوب - رفيقه وهو أيضا ناسك عظيم - وقال له: "إنني أحرص بخصوص ما أعمله في القلاية، ولكنني عندما أخرج أعمل مثلما يعمل الإخوة". فقال له الأب سيرينوس: "ليس في حفظك لنظامك في القلاية فضيلة عظيمة، ولكن الفضيلة هي في أن تحفظ نظامك - إن أستطعت - عندما تخرج من القلاية"[١٣٦١].

قال أبا سيرينوس: "لقد قضيت وقتي في الحصاد والخياطة وضفر السعف، وفي كل هذه الأعمال لو لم تعضدني يد الله لما كنت أجد طعامي"[١٣٦٢].

(٦٣) قصص وأقوال
الأب كسانثياس

قال الأب كسانثياس: "اللص اليمين كان على الصليب وتبرر بكلمةٍ واحـدةٍ، ويهـوذا الذي اعتبر في عداد الرسل فَقَد كل تعبه في ليلةٍ واحدةٍ وهبط من السماء إلى الجحيم. ولذلك فلا يفتخرنّ أحد بأعماله الصالحة لأنّ جميع الذين يثقون في أنفسهم يسقطون"[١٣٦٣].

صعد الأب كسانثياس يومًا ما من الأسقيط إلى الطرانة. ولما وجد إخوة المكان الذي استراح فيه أن له أتعابا كثيرة في النسك توسلوا إليه أن يأكل، ثم قدموا له قليلاً من الخمر بسبب تعب الطريق. ولما سمع الناس بوجوده أحضروا له إنسانا به شيطان. فبدأ الشيطان يهينه قائلاً: "أجئت بي إلى هذا السكّير"؟ ولم يشأ الشيخ أن يخرجه خوفًا من مجد الناس، ولكنه بسبب إهانة الشيطان قال له: "إنني أثق في المسيح أنني لن أنتهي من هذه الكأس قبل أن تخرج". ولما بدأ الشيخ يشرب صرخ الشيطان قائلاً: "إنك تحرقني، أنت تحرقني"! وقبل أن ينتهي خرج الشيطان بنعمة المسيح[١٣٦٤].

قال الأب كسانثياس: "الكلب أفضل مني، فهو عنده محبة وإخلاص ولا يدين أحدا

(1362) Apoph., Serinos, 2; W. & W., II: 80, 533.
(1363) Apoph., Xanthias, 1; W. & W., II: 347; س ٤ ورقة ١٢٣
(1364) Apoph., Xanthias, 2; W. & W., II: 393; Ch., 236.

(أو "وهو لن يدان")"[١٣٦٥].

(٦٤) قصص وأقوال
القديس أبا أولوجيوس

روى تلاميذ أبا أولوجيوس قائلين: "عندما أرسلنا الشيخ إلى الإسكندرية لكي نبيع شغل أيدينا أوصانا ألاّ نقضي هناك أكثر من ثلاثة أيام، وقال: 'ولكنكم إذا قضيتم أكثر من ثلاثة أيام فلست مسئولاً عن خطئكم'. فسألناه عن الرهبان الذين يعيشون في المدن والقرى ارا وليلاً مع العلمانيين، كيف لا يلحق م ضرر. فأجاب الشيخ: 'صدقوني يا أبنائي، أنني منذ أن صرت راهبا قضيت ثماني وثلاثين سنة دون أن أغادر الأسقيط، ثم ذهبت إلى الإسكندرية عند الأب يوساب البطريرك مع الأب دانيال (قمص شيهيت) لأجل أمور ضرورية. ولما دخلنا المدينة رأينا رهبانا كثيرين، ورأيت بعضا منهم تضر م غربان، وآخرين تحتضنهم نساء عاريات ويكلمنهم في آذا م، وآخرين كانوا عرايا خاضعين لصِبيةٍ مراهقين يغصبو م ويدهنو م بالقاذورات، ورأيت بعضهم مجهزين بسيوف تقطع لحوما بشرية وتعطيها للرهبان ليأكلوها! ففهمت أنّ كل راهبٍ ضحيةً لهذا الهوى له مثل تلك الشياطين لكي تترصده وتكلّمه في داخله. لهذا السبب، يا إخوة، لا أريد لكم أن تتعوقوا إطلاقًا في المدينة خوفًا من أن تزعجكم مثل تلك الأفكار أو على الأصح تلك الشياطين"[١٣٦٦].

أعِلن في **الأسقيط أنّ الصوم الكبير قد حان.** وذهب أحد الرهبان إلى شيخ (قيل إنه هو الأب أولوجيوس) قائلاً: "يا أبي، لقد آن أوان الصوم". فقال له الشيخ: "أي صوم يا بني"؟ فقال الأخ: "الصوم الكبير". حينئذٍ قال الشيخ: "في الحقيقة يا بني، إنّ لي في البرية خمسين سنة لا أعرف متى يبدأ الصوم الذي تقول عنه ومتى ينتهي، ولكن الحياة كلها عندي صوما"[١٣٦٧]!

قال الأب أولوجيوس لتلميذه: "درب نفسك، يا بني، على أن تضيق معدتك قليلاً قليلاً بواسطة الصوم. لأنه بالإضافة إلى كو ا تتسع فهي تصير أكثر رقّةً، وهكذا أيضا عندما تستقبل المعدة أطعمةً كثيرة. ولكنها إذا أخذت قليلاً تضيق وتطالب دائما بالقليل"[١٣٦٨].

قال الأب أولوجيوس الذي من الهناطون: "كان هناك أخ يسكن في برية القلالي. وبعد

(1365) Apoph., Xanthias, 3; W. & W., I: 512.
(1366) An., 1762. (1367) Arm. I: 580 (55) A; IV 104; س ٤ ورقة ٧٩ (1368) Arm. I: 580(54) A.
(1369) An., 1541.

أن قضى عشرين سنة يشغل نفسه بالقراءة نهارا وليلاً، ذهب وباع كتبه كلها وأخذ جلده (أي رداءه الجلدي) ورحل إلى البرية الداخلية. فالتقى به الأب إسحق وقال له: 'أين أنت ذاهب يا بني'؟ فأجابه الأخ: 'لي عشرون سنةً، يا أبي، لا أصغ فيها إلاّ إلى كلام الكتب المقدسة، والآن أريد أن أنفذ ما كنت أقرأه'. فصلّى الشيخ لأجله وتركه يذهب"[١٣٦٩].

(٦٥) قصص وأقوال
القديس أبا ثيئوناس

قال أخ للأب ثيئودور البرامي: "أريد أن أتمّم الوصايا". فأخبره الشيخ بأنّ الأب ثيئوناس كان قد قال له: "أريد أن أملأ روحي بالله". ثم أخذ بعض الدقيق إلى الخباز الذي صنع منه خبزا فأعطاه للمساكين الذين طلبوا منه ذلك، ولما طلب منه آخرون أيضا أعطاهم المقاطف، ثم أعطى لغيرهم العباءة التي كان يرتديها، ثم عاد إلى قلايته وهو متمنطق بشاله. ثم شغل نفسه بالعمل قائلاً في نفسه إنه حتى الآن لم يتمم وصايا الله. ثم قال: "وإن استطعت أنت أيضا أن تتصرف هكذا فعليك أيضا أن تقول: إنني لم أستطع أن أتمّم وصايا الله. لأن إتمام الوصايا هو الاتضاع الذي فيه يستريح الله «في المسكين والمنسحق الروح» (إش٦٦: ٢). فالذي يتمم الاتضاع يتمم جميع الوصايا، والذي ليس له اتضاع فهو لم يتمم أية وصيةٍ أخرى، لأنه بدون الاتضاع لا تكون أية فضيلةٍ مقبولة عند المسيح". فاتضع هذا الأخ وصنع ميطانية وانتفع وانصرف مسرورا[١٣٧٠].

قال أنبا بيمين: "إنّ أبا ثيئوناس قال: 'حتى ولو اكتسب الإنسان فضيلةً فإنّ الله لا يمنحه نعمةً لنفسه وحده'، وذلك لأنه كان يعلم عن نفسه أنه ليس أمينا في جهاده، ولكنه إذا ذهب إلى رفيقه سيكون الله معه (لأنه سيشاركه في هذه النعمة)"[١٣٧١].

كان أبا ثيئوناس معتادًا أن يقول: "عندما نجعل أرواحنا تبتعد عن التأمل في الله نصبح عبيدا لشهوات الجسد"[١٣٧٢].

(٦٦) قصص وأقوال

(1370) Apoph., Theodore of Pherme, 18; Arm. II, 319 (85 b).(1371) Apoph., Poemen, 151.
(1372) Apoph., Theonas, 1; W. & W., II: 497; Ch., 82.
(1373) Apoph., Nistheros,1; W. & W.,I: 263; س ٤ ورقة ٩١ (1374) Apoph., Nistheros,3; W. & W., I: 16.

القديس أبا نسترَوس

كان الأب نسترَوس يتمشى في البرية مع أحد الإخوة، ولما شاهدا تنينا هربا. فسأله الأخ: "وأنت أيضا تخاف يا أبانا"؟ فأجاب الشيخ: "إنني لا أخاف، يا بني، ولكن الهروب أوفق لي وإلاّ فما كنت أتخلّص من روح ا لـد الباطل"[١٣٧٣].

سأل الأب يوسف أبا نسترَوس: "ماذا أفعل بخصوص لساني، فإنني لا أستطيع أن أضبطه"؟ فقال له الشيخ: "وعندما تتكلم هل تستريح"؟ فأجاب: "لا". فقال الشيخ: "فإن كنت لا تستريح فلماذا تتكلم؟ أُصمت، وعندما يوجد حديث فالأفضل أن تصغي بدلاً من أن تتكلم"[١٣٧٤].

سأل أخ شيخًا: "أي عمل صالح يجب أن أفعله لكي أحيا"؟ فقال الشيخ: "الله يعلم ما هو صالح. لقد سمعت أنّ أحد الآباء سأل أبا نسترَوس الكبير صديق أنبا أنطونيوس عن ذلك فأجابه بما قاله أنبا أنطونيوس: 'أليست كل الأعمال متساوية؟ لأنّ الكتاب يقول: إنّ إبراهيم كان محبا للغرباء وكان الله معه، وإيليا كان محبا لحياة التأمل والسلام الداخلي وكان الله معه، وداود كان متضعا وكان الله معه. فأي عمل ترغبه نفسك وتشعر أنه من الله اِفعله واحرس قلبك من الشرور'"[١٣٧٥].

رأى أخ (قيل إنه أبا أغاثون) أبا نسترَوس مرتديا ثوبين، فسأله: "إذا جاء مسكين وطلب منك ثوبا فأي منهما تعطيه إياه"؟ فأجاب: "أعطيه أفضلهما". ثم سأله: "وإذا طلب منك آخر أيضا فماذا تعطيه"؟ فأجاب: "نصف الثوب الآخر". فقال الأخ: "وإذا طلب واحد آخر أيضا فماذا تعطيه"؟ فأجاب: "أمزق ما بقي وأعطيه نصفه وأتمنطق بالباقي". ثم سأله أيضا: "ولنفرض أنّ شخصا آخر جاء وطلب أيضا فماذا تعطيه"؟ فأجاب الشيخ: "أعطيه ما بقي ثم أذهب وأمكث في أي مكان حتى يرسل الله لي شيئًا ألبسه، لأنني لن أطلب شيئًا من أحد"[١٣٧٦].

وسأله أخ قائلاً: "أيها الأب، إذا حدث مرةً أنني أكلت ثلاث خبزات فهل تعتبر كثيرة"؟ فأجابه: "كأنك تذهب، يا أخي، إلى البيدر". ثم سأله أيضا: "إذا شربت ثلاثة أقداح من الخمر فهل هي كثيرة"؟ فأجابه: "إن لم يوجد شيطان فهي ليست كثيرة، وإلاّ

(1375) Apoph., Nistheros, 2; W. & W., II: 21a. (1376) Apoph., Nistheros, 4; W. & W., I: 171.
(١٣٧٧) س ٤ ورقة ١٢٣. (1378) Apoph., Nistheros, 5; W. & W., II: 449;١٢٣ س ٤ ورقة

فهي كثيرة لأنّ الخمر تضر الرهبان جدا ولا سيما الشباب"[١٣٧٧].

قال الأب نستروس: "يجب على الراهب أن يسأل نفسه كل مساء وكل صباح: 'ماذا فعلنا مما يشاء الله وماذا فعلنا مما لا يشاءه'؟ وعليه أن يفعل ذلك كل أيام حياته، فهكذا كان يعيش أبا أرسانيوس. احرص كل يوم أن تقف أمام الله بلا خطية. وصل لله كأنك تشاهده لأنه حاضر بالفعل".

"لا تضع لنفسك قوانين، ولا تدِن أحدا. والقسم والتعهدات الزائفة والكذب والغضب والشتيمة والضحك، كل ذلك غريب على الراهب. والذي يكرم أو يتمجد أكثر مما يستحق يعاني من أضرار كثيرة"[١٣٧٨].

قيل عن أبا نستروس عندما كان ساكنا في "رايثو" (في سيناء) إنه كان في ثلاثة أسابيع كل سنة يصنع ستة مقاطف كل أسبوع[١٣٧٩].

(٦٧) قصص وأقوال الأب سوباتروس

سأل أخ الأب سوباتروس: "أعطني وصية، أيها الأب، وأنا أحفظها". فقال له: "لا تسمح لامرأة أن تأتي إلى قلايتك، ولا تقرأ كتبا غير قانونية (أبوكريفا). ولا تنشغل في نقاش بخصوص صورة الله[١٣٨٠]، فرغم أنها ليست هرطقة فهي جهالة تسبب نزاعا كثيرا، فمن المستحيل على أي مخلوق أن يفهم حقيقة هذا الأمر"[١٣٨١].

(٦٨) قصص وأقوال الأب بولس الكبادوكي

روى لنا الأب بولس الكبادوكي قائلاً: "عندما غزا الفرس بلادنا هربنا بعيدا عن ديرنا وتشتتنا. ثم ذهبت إلى القسطنطينية حيث وجدت بالمصادفة سفينةً على وشك الإقلاع إلى الإسكندرية. فدفعت ثمن الرحلة وركبت السفينة. وبعد أيام قليلة وصلنا إلى الإسكندرية. وهناك وجدت رهبانا من جبل نتريا فاتخذت طريقي معهم. ولما وصلت إلى الجبل شاركت أحد الشيوخ في مسكنه لمدة سنة وثلاثة شهور. ثم ذهبت إلى مدبر

(1379) Apoph., Nistheros, 6.

(١٣٨٠) هذا يشير إلى عقيدة أنّ صورة الله تشبه الإنسان التي حوربها الرهبان عندما زار كاسيان برية شيهيت في أواخر القرن الرابع.

(1381) Apoph., Sopatros, 1.

(إيغومانوس أي قمص) الجبل وقلت له: 'أيها الأب، اشفق علي وأعطني قلاية أعيش فيها بالسكون، فإني غير قادر أن أعيش مع الشيخ، فهو لا يراعي ما اعتاد عليه الرهبان ولا العلمانيين. إنه، في الحقيقة، يجبرني على أن أصوم يوم الأحد والأعياد وفي أيام الفصح (أي الخماسين المقدسة). وأصعب أمر لا يطاق هو أنه لا يسمح لي بترتيل المزامير والتسابيح التي اعتاد عليها الجميع. وفي أيام صوم الأربعين المقدسة - ما عدا يومي السبت والأحد - لا نتناول خبزا ولا خمرا ولا زيتا، بل علينا أن نكتفي بالثمار''.

فأجابني مدبر الجبل: ''ارجع، أيها الأخ، واسكن مع الشيخ إذا أردت أن تخلص، لأنّ الذي يشتهي الخلاص يجب ألاّ يترك تمجيد الله في أيام الأعياد ولا الآحاد هذا الذي يجعلها مؤازرةً ومحصنةً بالصوم والأسهار. السمكة لا يمكنها أن تعيش بدون ماء، وهكذا الراهب فبدون الصلاة الدائمة والصوم والأسهار لا يمكنه أن يعيش ويسلك بحسب الله. والصوم يومين متتاليين يوافق النساك المتوحدين كما أ م يشاركون في الثمار. ولكن تناول الخبز فلا هو نافع ولا هو جدير بالثناء، لأنه يوجد فيه مظهر الباطل. والذي يصوم أربعين يوما، أي في الأربعين المقدسة، ويتوقف عن صومه ويستريح خمسين يوما، أي في أيام الفصح (الخماسين)، فهذا يوافق العلمانيين والأغنياء وليس الرهبان''.

''وهكذا أيضا ترتيل المزامير والتسابيح والتلحين بالأنغام فهذا يخص الكهنة وأهل العالم، لأنّ ذلك يجذب الناس إلى الاجتماع في الكنائس. أما الرهبان الذين يعتزلون بعيدا عن ضوضاء العالم، فمثل هذا التصرف ليس غير نافع لهم فحسب؛ بل إنه أيضا غالبا يكون مضرا. فالخاطئ يصطاد السمكة بصنارةٍ ودودةٍ (كطُعم)، هكذا أيضا فبواسطة الألحان والتسابيح ذا ا يجتذب الشيطان الراهب إلى ا د الباطل والإعجاب بالذات والسعي إلى اللذة وسريعا إلى النجاسة. لأنّ التلحين لا يوافق الراهب الذي يريد بالحق أن يخلص''[(١٣٨٢)].

(٦٩) قصص وأقوال القديس أبا أبوللونيوس

قال بالليديوس: ''هجر العالم تاجر اسمه "أبوللونيوس" وسكن في جبل نتريا. ولما كان متقدما في الأيام ولم يمكنه أن يتعلم صنعة أو أن يعمل ناسخا، فقد عاش في الجبل لمدة عشرين سنة مهتما ذا العمل: أنه كان يشتري بأمواله ومجهوداته كل أنواع العقاقير والبقالة من الإسكندرية ويزود ا جميع الإخوة في أمراضهم. وكان يرى متجولاً بين مجامع الشركة

(1382) P E II: 19, 5. (1383) Laus., ch. 13. (1384) W. & W., I: 91.

الرهبانية من الصباح الباكر حتى الساعة التاسعة باحثًا عن المرضى في كل قلاية. وكان يأتي لهم بالعنب والرمان والبيض والكعك حسب احتياج كل مريض، وكان يشعر أن هذا العمل له منفعة (روحية) له في شيخوخته. وعند انتقاله من العالم ترك هذا العمل لإنسان مثله وشجعه على هذه الخدمة. فقد كان يعيش في ذلك الجبل نحو خمسة آلاف راهب، وكانوا يحتاجون إلى هذه الخدمة حيث إنّ المكان كان مقفرا"[١٣٨٣].

(٧٠) قصص وأقوال الأب باترميوثيس

كان أحد الشيوخ يقول: "عرفت الأب باترميوثيس في منطقة القلالي، وكان لا يشرب الخمر. ولكنهم عندما كانوا يمزجون الخمر بالماء ويضطرونه أن يشرب كان يقول: 'صدقوني يا إخوتي، إنني أعتبر ذلك أجمل شيء'. ولكنه كان يلوم ويدين نفسه على هذا المزيج، إلاّ أنه كان في نفس الوقت يشكر الله ويقبل عطيته السخية"[١٣٨٤].

(٧١) قصص وأقوال الأب القديس سارماتا

قال الأب سرماتا: "أفضل إنسانا خاطئًا يعلم أنه أخطأ ويتوب عن إنسان لم يخطئ ويعتبر نفسه بارا"[١٣٨٥].

قيل عن أبا سارماتا إنه بحسب نصيحة الأب بيمين كان كثيرا ما يوجد وحيدا لمدة أربعين يوما. وكان يتمم ذلك وكأنه لم يفعل شيئًا خصوصيا. ثم ذهب الأب بيمين إليه وقال له: "أخبرني، ماذا رأيت بتسليمك نفسك لمثل هذه المشقّة"؟ فقال له: "لا شيء خصوصي". فقال له الأب بيمين: "لن أتركك حتى تخبرني". حينئذٍ قال له: "لقد اكتشفت أمرا بسيطًا واحدا: هو أنني إذا قلت للنوم: 'اِذهب' يذهب، وإن قلت له: 'تعالَ' يأتي"[١٣٨٦].

سأل أخ الأب سارماتا: "إنّ أفكاري تقول لي: لا تعمل، بل كُلْ واشرب وارقد". فقال له الشيخ: "عندما تكون جائعا كُلْ، وعندما تكون عطشانا اشرب، وعندما تنعس أُرقد". ولحسن الحظ، جاء شيخ آخر إلى الأخ، فأخبره الأخ بما قاله الأب سارماتا. فقال

(1385) Apoph., Sarmatas,1; W. & W., I: 610. (1386) Apoph., Sarmatas, 2. (1387) Ibid., 3. (1388) Ibid., 4. (1389) W. & W., I: 9. (1390) Apoph., Sarmatas, 5.

له الشيخ: "هذا هو ما قاله لك الشيخ: عندما تكون جائعا جدا وعندما تكون عطشانا لدرجة عدم احتمال ذلك، حينئذٍ كُلْ واشرب، وإذا سهرت لمدة طويلة جدا ثم حلّ عليك النعاس فارقد. هذا هو ما قصد الشيخ أن يقوله لك"[١٣٨٧].

وسأل الأخ نفسه الأب سارماتا أيضًا: "إنّ أفكاري تقول لي: أخرج لكي ترى الإخوة". فقال الشيخ: "لا تسمع لها في هذا الأمر، بل قُلْ: لقد سمعت لكِ سابقًا ولكنني لا أريد أن أسمع لكِ هذه المرة"[١٣٨٨].

سألتُ مرةً أبا سارماتا: "ماذا أفعل يا أبي، لأنني لا أفعل شيئًا مما يفعله الرهبان؟ بل بالعكس فإنني متغافلٌ، وآكل وأشرب وأنام، ولي أفكار دنيئة كثيرة، وذهني دائما مضطرب، وأقوم من عمل إلى آخر ومن سلسلة أفكار إلى أخرى. فماذا أفعل إذن؟ لأنني مضطرب وأشعر بصغر نفس". فقال لي الأب: "أمكث في قلايتك، وما يمكنك أن تفعله فافعله، ولا تزعج نفسك. لأنني أريد منك الآن أن تعمل قليلاً كما قال الأب أنطونيوس في الجبل. وأنا أثق أنك بمكوثك في القلاية لأجل اسم الله فستوجد أنت أيضا في نفس المكان الذي يوجد فيه أنبا أنطونيوس"[١٣٨٩]!

وقال أيضًا الأب سارماتا: "إن لم يهرب الإنسان من كل ما يمكنه أن يهرب منه فهو يجعل الخطية أمرا لا مفر منه"[١٣٩٠].

(٧٢) قصص وأقوال الأب موئيـن

☆⌘✦⌘☆

قال أنبا أغاثون عن أبا موئين إنه خبز مرةً خمسين مكيالاً من القمح خبزا لأجل احتياجات الإخوة ووضعها في الشمس. وقبل أن يجف الخبز رأى شيئًا لا يلائمه في ذلك المكان، فقال للإخوة الذين كانوا معه: "هلموا نذهب من هنا". فحزنوا جدا. فقال لهم: "هل حزنتم على الخبز؟ إنني رأيت في الحقيقة رجالاً يهربون ويهجرون قلاليهم رغم أ ا كانت نظيفة وتحوي دواليب مليئة بالأسفار المقدسة وكتب الصلوات، وحتى هذه الدواليب لم يغلقوها، بل رحلوا وتركوها مفتوحةً على مصراعيها"[١٣٩١]!

(1391) W. & W., I: 308.

(1392) Apoph., Megethios, 1; W. & W., II: 273.

(٧٣) قصص وأقوال
الأب ميجيثيوس

قيل عن أبا ميجيثيوس إنه إذا ترك قلايته وطرأ على أفكاره أن يرحل من المكان الذي يعيش فيه ما كان يرجع إلى قلايته. ولم يكن يملك شيئًا في هذا العالم سوى السكين الذي كان يقطع به السعف، وكان يصنع كل يوم ثلاث مقاطف صغيرة، وهي التي كانت تكفي حاجته من الطعام(١٣٩٢).

وقيل عنه أيضًا إنه كان متضعا جدا، لأنه كان قد تربى بواسطة شيوخ مصريين كثيرين بمن فيهم القديس شيشوي (الكبير) والقديس بيمين. وقد عاش عند شاطئ ـر في سيناء. وحدث - كما روى بنفسه - أنّ أحد القديسين زاره وقال له: "أيها الأخ، ما هي طريقة حياتك في هذه البرية"؟ فقال: "إنني آكل كل يومين خبزةً واحدةً فقط". فقال له الشيخ: "أنصحك أن تأكل نصف خبزة كل يوم". ففعل ذلك ووجد راحة(١٣٩٣).

سأل بعض الآباء الأب ميجيثيوس: "إذا تبقّى بعض الطعام المطبوخ لليوم التالي هل تنصح الإخوة أن يأكلوه"؟ فقال لهم: "إن كان هذا الطعام قد فسد فلا يصح أن نجبر الإخوة على أن يأكلوه لئلاّ يضر صحتهم، بل يجب أن يلقَى خارجا. ولكنه إن كان لا يزال جيدا ويلقى خارجا من قبيل التبذير لكي يعد آخر غيره، فهذا خطأ"(١٣٩٤).

وقال أيضًا: "عندما كنا نتقابل سابقًا كنا نتكلم فيما هو نافع لنا ونشجع بعضنا بعضا وكنا 'مثل ملائكة'، وكنا نكون جماعة كأ ا مرفوعة إلى السماء؛ أما الآن، فعندما نتقابل نتكلم فيما يثير الحقد على بعضنا بعضا ونجذب بعضنا البعض إلى أسفل بالقيل والقال حتى إلى عمق الهاوية"(١٣٩٥).

(٧٤) قصص وأقوال
القديس يوحنا القلالي

أخبرنا الأب يوحنا القلالي بالقصة الآتية: كانت في مصر عاهرة غنية جدا وجميلة يذهب إليها أغنياء وأصحاب سلطان. وفي أحد الأيام كانت بجوار كنيسة وأرادت أن تدخلها، ولكن

(1393) Ibid., 2.
(1394) Ibid., 3.
(1395) Ibid., 4; W. & W., II: 258; ch., 64.
(1396) Apoph., John of the Cells, 1.

الإيبودياكون (مساعد الشماس) الذي كان واقفًا عند الباب منعها قائلاً: "أنتِ غير مستحقة أن تدخلي بيت الله لأنكِ نجسة". ثم سمع الأسقف صوت نقاشهما وخرج، فقالت له العاهرة: "إنه لا يسمح لي بدخول الكنيسة". فقال لها الأسقف: "غير مسموح لكِ أن تدخلي لأنك غير طاهرة". فامتلأت بتوبيخ الضمير وقالت له: "من الآن فصاعدا لن أزني مرةً أخرى". فقال لها الأسقف: "إذا جئتِ بثروتكِ إلى هنا أعلم أنكِ لن تزني بعد ذلك". فجاءت بثرو ا وأحرقها الأسقف كلها بالنار، ثم دخلت الكنيسة باكيةً قائلةً: "إن كان هذا قد حدث لي هنا فما هو الذي لا أقاسيه هناك"؟ وهكذا تغيرت حيا ا وصارت إناءً مختارا[(١٣٩٦)].

(٧٥) قصص وأقوال
رهبان بريــة نــتريا

يقول كتاب "تاريخ الرهبنة في **مصر" المنسوب لروفينوس**[(١٣٩٧)]: توقفنا في نتريا حيث رأينا العديد من النساك العظام. وكان بعضهم من أهالي تلك المنطقة، والآخرون من الأجانب. وقد تفوق بعضهم على بعض في الفضائل والممارسات النسكية، وتبرز حيا م جميع الفضائل، وهم يصارعون لكي يتفوق بعضهم على بعض في طرق حيا م. فقد أعطى بعضهم نفسه للتأمل، وآخرون للأعمال النشيطة.

ولما رأى جماعة منهم أننا نقترب إليهم في البرية من على بعد، جاء بعضهم ليستقبلنا بالماء (للشرب)، وآخرون غسلوا أرجلنا وغيرهم غسلوا ملابسنا. ودعانا بعضهم للأكل وآخرون لنتعلّم عن الفضائل، ودعانا غيرهم إلى التأمل والمعرفة الإلهية. فكل منهم أسرع ليجعلنا ننتفع بما له من إمكانيات. فكيف، حقًا، يمكن لأحد أن يروي عن فضائلهم طالما أنه لا يستطيع أن يوفيها حقها قط!

إ م يسكنون مكانا مقفرا ولهم قلالي كل منها بعيدة عن الأخرى لدرجة أنه لا أحد منهم يمكنه أن يتعرف على الآخر من على بعد أو أن يراه بسهولةٍ أو أن يسمع صوته. فهم يعيشون في سكون عميق، وكل راهب منعزل بنفسه. وهم يجتمعون في كنائسهم يومي السبت والأحد فقط، فيقابلون بعضهم بعضا[(١٣٩٨)]. وكثيرون منهم ممن ينتقلون من العالم في قلاليهم كثيرا ما لا يعثر عليهم لمدة أربعة أيام لأ م لا يرون بعضهم بعضا إلاّ في

(1397) Monach., ch. XX, 5.

(١٣٩٨) بخصوص تقليد اجتماع الرهبان للقداس يومي السبت والأحد أُنظر: Cassian, Institutes, II, 18

اجتماعات الصلاة.

وكان بعضهم يعيش بعيدا لدرجة أنه يمشي ثلاثة أو أربعة أميال حتى يصل إلى الكنيسة. وهم يحبون بعضهم بعضا والرهبان الآخرين أيضا بدرجةٍ شديدةٍ حتى إنه - كما يحدث كثيرا - عندما يأتي إليهم آخرون لينضموا إليهم لكي يخلصوا، يسرع كل واحدٍ ليعطي قلايته لآخر كمسكن مؤقت.

وزرت أيضا أحد الآباء يدعى "أمونيوس"[(١٣٩٩)]، وهو الذي كانت له عدة قلالي ولها فناء وبئر ماء (يبدو أ ا هي منطقة القلالي بين نتريا وشيهيت). ومرةً جاء إليه أخ لأجل خلاص نفسه وطلب منه أن يعين له قلاية يعيش فيها، فخرج الأب أمونيوس في الحال وأمر الأخ ألاّ يترك المكان حتى يجد له مكانا مناسبا. وترك له كل ما عنده والقلاية ذا ا وسكن في قلاية صغيرة بعيدة. وإذا جاء إليه كثيرون راغبين في الخلاص، كان يجمع الجماعة كلها ويعطي طوبا لواحدٍ وماءً لآخر ويكملوا القلالي الجديدة في يوم واحد.

والذين عزموا أن يعيشوا في هذه القلالي كانوا يدعون إلى وليمةٍ (أغابي)، وبينما هم يرحبون ببعضهم البعض كان كل أخ يملأ زنبيله (أو مقطفه) بالخبز أو أي أشياء أخرى مناسبة من قلايته ويضعها في قلاية أحد الإخوة الجدد، لدرجة أنه لا يعرف أحد منهم من الذي أحضر أي شيء من تلك الأشياء، فكل واحدٍ يعود إلى قلايته كان يتعجب من وجود كل ما يحتاجه!

ورأينا هناك أبا يدعى "ديديموس" متقدما في الأيام، وكان مظهره جميلاً. وقد اعتاد أن يقتل عقارب وحيات مقرنة وأفاعي بيديه ا ردتين. ولم يجرؤ أي واحدٍ آخر أن يفعل ذلك، فكثيرون ممن ظنوا أ م يستطيعون ذلك قتلتهم تلك الزواحف بمجرد أن لمسوها.

كما رأينا أبا آخر من الرهبان يدعى "كرونيدس"[(١٤٠٠)]، وكان قد تقدم في العمر جدا، إذ علمت أنّ عمره كان مائة وعشرة سنين، إذ كان أحد رفقاء أنبا أنطونيوس الأوائل. وقد أعطانا نصائح وأحاديث روحية عديدة، ولكن اتضاعه الذي أحرزه في عمره الطويل هذا بلغ إلى درجة أنه كان يعتبر نفسه لا شيء.

كما رأينا ثلاثة إخوة كانوا رقيقين جدا. وبسبب حيا م الفاضلة كانوا مرشحين أن يصيروا أساقفة. ولكن عظم تقواهم دفعتهم إلى قطع آذا م، وكان ذلك أمرا جسورا - مع

(١٣٩٩) يبدو أنه هو أحد الإخوة الطوال، وإخوته الآخرون هم: يوسابيوس وأوثيميوس وديوسقورس الذي صار أسقفًا لهرموبوليس بارفا (دمنهور).

(١٤٠٠) ذكر بالليديوس (فصل ٢١) أنه كان مرافقًا للقديس أنطونيوس الكبير.

أن دافعهم كان صالحًا - وذلك حتى لا يزعجهم أحد في المستقبل (بخصوص الأسقفية، وربما كانوا قد تشبهوا بالقديس أمونيوس الذي اشتهر بلقب "ذو الأذن الواحدة").

والكثير من رهبان تلك المنطقة كانوا لا يأكلون خبزا أو فاكهةً، بل بقولاً فقط. وبعضهم كان لا ينام في الليل، بل كان يستمر في الصلاة واقفًا أو جالسا حتى الصباح.

(٧٦) قصص وأقوال

القديس أنبا يؤنس قمص شيهيت(*)

قيل إن أنبا يؤنس عندما جحد هذا العالم ودخل إلى السيرة الرهبانية كان عمره حوالي ١٨ سنة، وابتدأ بالأعمال الصالحة باشتياق كثير، وكان ينمو في التقشفات الصعبة والعيشة الضيقة والرقاد على الأرض وسهر الليالي بقوة، وباحتمال الأتعاب حتى استطاع أن يقطع أوجاع أفكار الجسد هذه التي تصيرنا أعداء لله، وقد ربط الجسد بالروح حتى صار هيكلاً طاهرا لله، واستحق نعمةً من قبل الله حتى صار ينظر إعلانات (رؤى) كثيرة، فقد رأى السيدة العذراء القديسة مريم مرات عديدة، لأن القديسين يظهرون لمن هو متساو معهم في الغيرة على الطهارة والأمانة وبقية الفضائل.

روى لنا أحد تلاميذه قائلاً: "رأيت مرةً أبانا الطوباوي وهو داخل البيعة يحيط به نور مثل سحابة وكأنه ضوء القمر، فلأنه استحق هذه النعمة فإن هذا النور كان يحيط به ويسير أمامه، لأنه كان يسلك في أعمال النور التي هي وصايا الرب كما قال المرتل داود النبي: «مصباح لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (مز١١٩: ١٠٥)، وهكذا أيضا من يسلك في الشر فإن الظلمة تحيط به لأنه يسلك في أعمال الظلمة، كما قال القديس يوحنا: «من يبغض أخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه» (١يو٢: ١١)".

سمعنا من قوم موثوق بهم قالوا لنا: "لما أرادوا أن يمسكوه ليجعلوه قسا، لم يشأ ذلك لعظم تواضعه وشعوره بعدم استحقاقه. ثم قال: 'أذهب لآخذ مشورة الآباء، وبعد ذلك لتكن إرادة الرب'. فاستشار ثلاثة شيوخ، أوصاه اثنان منهم أن يقبل ذلك، والثالث قال: 'لا تقبل هذا الأمر'، فكان منقسما في فكره. فخرج إلى الوادي وظل يطلب من الله أن يظهر له

(*) عن مخطوطة رقم ٣٥ بدير أنبا مقار ومخطوطة بدير البراموس تاريخها سنة ١٢٩٩ش (١٥٨٢م).

هذا الأمر، فجاءه صوت من عند الرب يعزيه لكي يقبل هذا الأمر، ولما اطمأن أنه كان من قبل الرب قبل الأمر.

"ولما رسموه مع صاحب له، رأى القديس في رؤية أنّ الذي رسموه معه كان في غرب الكنيسة ومعه ملاك ماسكًا بيده اليمنى والشعب مجتمعا إليه ويمجده، وكان أنبا يـؤنس داخل الهيكل وملاك واقفًا معه وبيده قضيب على رأسه صليب، وأن الملاك الذي كـان واقفًا مع صاحبه يفتخر أمام ملاك القديس قائلاً: 'ها هم يمجدون الذي أنا واقف معـه أكثر من الذي أنت واقف معه'. فقال ملاك أبينا القديس: 'ألا ترى أ م يمجدون هـذا أكثر من ذاك'؟ ثم رفع ملاك القديس يؤنس يده إلى فوق ليعلن أن هذا قد ارتفع ولكـن أنبا يؤنس قد ارتفع أكثر من ذاك وتزيد عظمته عليه جدا. وهذه كانت علامة ونبوة عن سيرة أبينا القديس".

ذكر أحد تلاميذ القديس أنه قال له مرةً: "حدث وأنا ساكن في الدير الشـرقي في "نيري" أنني كنت جالسا في الكنيسة في يوم قداس، فرأيت الشيطان داخلاً ورأسه ـا جروح كثيرة حتى إ ا كانت مشقوقة في وسطها، فتعجبت متسائلاً: ما هذه العلامـة؟ وعلمت أن إحدى الفضائل تريد أن تظهر في هذا اليوم وتخزي الشيطان. ولما تقـدمت للتناول من الأسرار المقدسة، كان أمامي شيخ له تلميذ يمشي خلفه، وكان هذا التلميـذ قويا جدا في جسمه، وبينما كنت أمشي تصادف أنني وجدت نفسي بين الشيخ وتلميذه، فبصق التلميذ علي ولكمني كثيرا وألقى بي على الأرض. فقمت في الحال وصنعت لـه مطانية قائلاً: 'اغفر لي'".

ثم أكمل تلميذ القديس يؤنس قائلاً: "علمت من ذلك أنه لا يحـلّ قـوة الشـيطان إلاّ الاتضاع هذا الذي التحف به كلمة الله عندما نزل إلينا حتى حلّ قوة الشيطان كلها، فصار لنا مثالاً لكي نتعلّم من اتضاعه. فليس ثمة فضيلة أعظم من أن يحتمل الإنسان صاحبه ويصنع لـه مطانية طالبا المغفرة". وذكر أناس قديسون عن أبينا القديس قوله: "كنـت مـرةً في جبـل "دمسائي"[(١٤٠١)]، ولما حلّ صوم الأربعين المقدسة ارتبطت بفضيلة عدم أكـل أي طبـيخ في الأربعين يوما"[(١٤٠٢)].

قال لنا إخوة قديسون إنّ هذا القديس كان له تلميذ، ولما انتقل هذا التلميذ رأى أبوه سلاطين عظيمة يخرجون روحه من جسده، ثم ظلوا يجذبو ا هنـا وهنـاك في الجـو

(١٤٠١) يبدو أنه أحد جبال الأسقيط.
(١٤٠٢) يبدو أنه لما شعر بفائدة هذه الفضيلة لأول مرة هنا ذكرها لأولاده.

ويتعبو ا. فدخل أبونا الطوباوي مخدعه وطلب من الله لأجلها لكي يرحمها ويحررها من الذين يمسكو ا، فلم ينس الله طلبته ورحمها سريعا بتحننه لأجل طلبـات القـديس، إذ كان يصلي بحرقة وتنهد ودموع. ولما تحررت تلك النفس شكر الله قائلاً: "ا د لك يـا رب لأنك سمعتني ورحمت خليقتك وتراءفت على صنعة يديك".

لذلك يا أحبائي، عندما نسمع هذه الأمور المملوءة خوفًا فلنخف من الله ونسلك في وصاياه، لأنه مكتوب: «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب١٠: ٣١). لقد كان هذا التلميذ ينيح أبانا الطوباوي، لذلك حصل على هذه النعمة العظيمة من قِبل الـرب وطلبات الشيخ القديس. وكثيرة هي النفوس التي خلصت بسبب كلام هذا الطوبـاوي ومنظره وأعماله!

قال له أخ مرةً: "إنني أحب الكتب الكثيرة". فقال له الشيخ: "الذي يسـتحق أن يقتني معرفة الله ومحبة التطلع إليه لا يحتاج إلى كتب كثيرة". كما أخبرنا إنسان صـادق قائلاً: "كان القديس عندما يجلس في الكنيسة يرى الشيطان يدخل إلى الكنيسة بشـبه نمس ويوشوش الإخوة في آذا م، فيقوم أحدهم ويتكلم بالنميمة على غـيره، والآخـر يتكلم كلاما بطّالاً، لأن الشيطان يعلم أنّ الكلام في الكنيسة خطية كـبيرة، فيجعلنـا ملومين أمام الله. لذلك أوصانا الآباء ألاّ نتكلم بشيء رديء في الكنيسة حتى نستحق أن نتناول السرائر المملوءة رهبةً، لأن الذي يتناول يجب أن يتحفّظ بثبات وسهر لئلاّ يأخـذ دينونة لنفسه".

وقال أيضًا أحد تلاميذ القديس: "لما كنت صبيا دخلت في ليلة إلى الطوباوي عندما انتهى من خدمة صلاة الليل، وكان يتلو في القداسات المقدسة، فرأيت واحدا لابسا حلّة كاهن مملوءةً مجدا كان جالسا مع أبينا القديس، ولم أعرف من هو، ولما أردت أن أمسكه لأخذ بركته غاب عني. فخررت عند قدمي الشيخ طالبا منه أن يخبرني من هو، ولكنه رفض لأنه كان يهرب من مجد الناس، فكانت عادته ألاّ يظهر شيئًا من أعماله لأحد، وقال لنا ذلك ليس طلبا د النـاس بل لأجل ربح الآخرين لكي نفعل نحن أيضا هكذا".

وقد وجدنا هذا الأمر أيضا في سيرة أبينا أنبا شنودة وأبينا أنبا باخوم، وذلك بخصوص الذي كان يتلو في الإثني عشر نبيا الصغار. فالذي كان يتلو أبونا الطوباوي (أنبا يؤنس) قداسه هو الذي كان جالسا عنده في ذلك الوقت. لأن الذي يتلـو بخـوف الله، فـإن

صاحب الكلام الذي يتلوه يوجد معه(١٤٠٣). كما علمنا من سيرة أبينا أنبا باخوم أنه قد صارت له أجنحة عقلية، وكان يسمو بالروح، واستحق أن يصعد إلى العلا بعينيه العقليتين حتى إنه طاف ورأى عذاب وعقوبات الخطاة، وهو الذي وضع ناموسا لشركة الإنسان (ولا سيما الراهب) مع الله.

كان أحد تلاميذ القديس يسكن وحده، وكان الشيخ يحبه جدا، فقد كانت له أمانة عظيمة في الشيخ حتى إنّ كلام الشيخ وتعاليمه كانت مكرمة عنده مثل تعاليم بطرس الرسول (وبقية الرسل). وكان الشيخ يعلمه كل طريق الله ويدبره بكل مشورة حسنة، ولهذا كانت له محبة عظيمة في الشيخ.

وكان هذا التلميذ جالسا مرةً مع صديق له، وكانا يتكلمان عن الشيخ القديس، ولأن محبته للشيخ كانت عظيمة أراد أن يظهر ذلك، فتكلم بشعور من مخافة الله جاعلاً إياه شاهدا على صحة كلامه، فقال: "لو كان بطرس الرسول يتكلم هنا مع آخرين، وفي نفس الوقت يتكلم أبي معي لما كنت أقلق وأتركه وأذهب إلى بطرس الرسول"! كما قال أيضا: "كل تجربة تحلّ بي سواء كان ذلك في السر أو علانيةً، فإذا رأيت وجه الشيخ، ولو في حلم، فإن الله يعطيني راحةً منها سريعا".

وحدث أنّ هذا الأخ حلّت به التجربة العظمى، التي هي التجديف أو الإلحاد، حتى إنه صار قلقًا جدا وأصابه حزن عظيم، ولكن الله لا يتخلّى عن أي من يرجوه. وقد انتظر الأخ أياما قليلةً مجاهدا دون أن يخبر أحدا بذلك إما خوفًا من العار أو لأنه لا يليق به أن يظهره لأحد. ولكنه لما اشتد عليه القتال ذهب إلى أنبا يؤنس قائلاً: "اذكرني يا أبي، فإنني متضايق وحلّت بي شدة صعبة حتى جعلتني غريبا عن الله ومن نصيب قديسيه". فسأله الشيخ: "ما هي"؟ فأجاب: "لا أستطيع أن أذكرها لأنها فضيحة". فقال له الشيخ: "ألعلها التجربة العظمى"؟ فأجاب: "نعم يا أبي". فقال له الشيخ: "إنه روح التجديف الذي لا يستحي أن يفتح فاه على الله وعلى قديسيه بالتجديف والاستهزاء الذي ترتعد منه السماء والأرض. إنه يا بني هو الروح الذي يتعب القديسين ويتجرأ أن يجعل الإنسان لا يذكر الله، ويجذب النفس إلى أسفل بقطع الرجاء من الخلاص". فلما سمع الأخ ذلك امتلأت عيناه بالدموع وقال: "هوذا الله قد أعلمك بتعبي وحزني يا أبي".

فقال له الشيخ: "لا تخف ولا تقلق ولا تهرب من أمام هذا الروح الشرير يا بني، لأن

(١٤٠٣) وهكذا وجدنا في سيرة أنبا بيشوي أنه عندما كان يقرأ في سفر إرميا كان النبي نفسه يأتي ويشرح له السفر.

الله رؤوف وهو يعرف أنّ هذه الأفكار ليست منا ولا نريدها نفوسنا، كما قال أحد الآباء إنه لا توجد في العالم حماقة كهذه قط. فالروح الشرير يريد أن يردنا إلى خلف لئلاّ نقف ونبسط أيدينا أمام إلهنا، وأن يمحو رجاءنا في إلهنا، وعلينا ألاّ نفتح له قلوبنا، بل نقاومه بقوة المسيح الذي يسندنا. وأنت يا بني، لا تقلق ولا تجزع ولا تعط ذاتك للانحلال واللعب وكثرة الكلام، بل اهرب إلى داخل مسكنك وتفرغ للصلاة واطلب إلى الله بقلب قوي ودموع، ولا تعط ذاتك لشغل اليد على الدوام، بل التجئ إلى الله واحتمل منتظرا رحمة الرب كما قال أيوب الصديق: «إنني هربت إلى الله ليؤدبني»، وأنا أومن أنّ الله سيعطيك راحةً من هذه التجربة".

ولما نال الأخ بعض العزاء من الشيخ عاد إلى قلايته وفعل كما قال له، ولم يكن يهتم بشيء إلاّ بالصلوات وقليل من شغل اليد، وكان في كل قليل يقوم ويسجد أمام الله طالبا أن يرحمه ويريحه من هذه التجربة، وظل أياما قليلة يفعل ذلك وكان الشيخ يصلّي لأجله ... وفي أحد الأيام كان الأخ جالسا في عمل يديه وفكره مرفوع نحو الله، فسمع صوتا يصرخ في أذنيه قائلاً: "ارفع عينيك نحو السماء"، ولكنه لم ير المتكلم. ولما رفع عينيه فكما قال: "نظرت وإذ بولد حبشي عمره ثماني أو عشر سنوات معلقًا في الجو وهو مشحوطٌ بيديه ورجليه حتى ظننت أنه سينشق من وسطه. وكنت أتأمله قائلاً: ترى من هو هذا؟ فقال لي ذلك الصوت: 'ارفع عينيك إلى السماء'، فنظرت وإذ بطغمات السمائيين كلهم، ألوف ألوف وربوات ربوات، يتطلّعون إلى الصبي الحبشي، كما رأيت ربوات من الناس يتطلّعون إلى الصبي، وتساءلت: من هم هؤلاء؟ فقال لي الصوت: 'ألا تعلم من هم هؤلاء'؟ فقلت: 'كلاّ'. فقال: 'اقرأ المزمور ٥١ (٥٢ حسب العبري) وأنت تعرف من هم هؤلاء'".

ثم قال الأخ: "ولما تأملته ابتدأت أقرأ من أول ذلك المزمور: «لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار؟ رحمة الله هي كل يوم. لسانك يخترع مفاسد كموسى مسنونة يعمل بالغش. أحببت الشر أكثر من الخير، الكذب أكثر من التكلم بالصدق. أحببت كل كلام مهلك ولسان غش، أيضا يهدمك الله إلى الأبد، يخطفك ويقلعك من مسكنك ويستأصلك من أرض الأحياء». فقال لي الصوت: 'توقّف الآن. أتنظر هذا المعلق في الجو؟ هذا هو الذي قيلت هذه النبوة كلها عنه'. فقلت: 'من هو هذا'؟ فقال: 'هذا هو الذي جلب عليك هذه الأتعاب والتجارب كلها. ألا ترى أن غضب الله ونقمته حلّت عليه لينتقم منه أمام السمائيين والأرضيين'؟ فقلت: 'ومن هم هؤلاء الربوات الذين يشاهدونه من السماء وعلى الأرض'؟

فقال لي: ’أتلُ بقية النبوة وأنت تعلم‘. فقرأت: «فيرى الصديقون ويخافون وعليه يضحكون، هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه بل اتكل على كثرة غناه واعتز بفساده» (عدد٦و٧). ثم قال الصوت: ’إلى هنا كمال النبوة‘“.

ثم أكمل قائلاً: ”هذه الربوات الكثيرة التي تراها في السماء وعلى الأرض وهـي تشـاهد الحبشي المعلّق في الجو، إ م القديسون وهم يشاهدون حكم الله والغضب الذي جلبه عليـه. واقرأ أيضا بعد ذلك“. فقرأت: «أما أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله، توكلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد» (عدد ٨). ثم قال: ”اعترف للرب بصنيعه لك، وتمسك باسمه الحلو أمام قديسيه، وجاهد في كل التجارب التي تأتي عليك، ومجد اسمه على رحمته ورأفته نحو خليقته“.

ثم قال الأخ: ”ثم ذهبت إلى الطوباوي أنبا يؤنس وأخبرته بكل ذلك، وسـألته عـن أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، لأنني كنت خائفًا لئلاّ يكـون هـذا الأمـر مـن الشياطين. فلما سمع ذلك فرح وعزاني قائلاً: ’لا تخف يا بني، فهذا الأمر ليس باطلاً بـل صحيحا، الآن علمت أن الرب سمع ورحمك من تلك التجربة، وبعد الآن لن يعود العدو إليك ويتعبك. وأنا أيضا يابني، أصابني ذلك في بداية رهبنتي، فقد أتعبتني هذه التجربـة ذاتـها، وتضايقت وقلت كما حدث معك تماما حتى قلت كما قال أيوب الصـديق: «إنني أطلب الموت ولا أجده» (أنظر أي٣: ٢١)‘.

’وبينما كنت حزينا في هذا الشقاء صرت في إحدى الليالي في رؤية، ورأيت كأن السـماء قد انفتحت ونزل مجد المسيح إلهنا على الأرض، وكأن السمائيين والأرضيين برتبـهم جميعـا واقفين أمامه: الملائكة ورؤساء الملائكة وبقية الطغمات السمائية والرسل والقديسـون. ولمـا سألت عن صاحب هذا ا د العظيم المحيط به قال لي أحدهم: هذا هو المسيح. ففكرت في أن هذا هو الوقت لكي أشكو إليه ليحكم لي، وحاولت أن أقترب إليه لأشكو له فلم أسـتطع. وبعد تعب كثير وجدت والدة الإله القديسة مريم، فطلبت منها أن تتضرع إلى المسـيح مـن أجلي لكي يخلصني من شدتي، فقالت لي: تعال، أنا أحملك إليه، فاسجد له واطلب منه قائلاً: ارحمني يا سيدي لأن طبيعتي ضعيفة. ففعلت كما قالت لي عندما حملـتني وأوقفـتني أمامـه ووقفَت معي: خررت تحت رجليه ساجدا وقلت: يا رب ارحمني لأني ضـعيف ومسـكين وخلصني من هذا التعب. ولكنه لم يجب علي بكلمة‘.

’فقالت له العذراء القديسة: ”تحنن على ضعفه لأن طبيعته ضعيفة“. فقـال الـرب: ”لقد أعطيتهم الشفاء، فليتخذه لنفسه فيخلص“. فقلت: ”يا سيدي، لا أعلم ما هـو

الشفاء". فقال لي الرب: "ألم تسمع المثل الذي قلته في الإنجيل: «كان في مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب إنسانا، وكان في تلك المدينة أرملة، وكانت تأتي إليه قائلةً: انصفني من خصمي ...» وبقية المثل (لو١٨: ٢-٨)، ألم تسمع هذا الكلام"؟ فقلت: "نعم يـا رب". فقال لي: "امض واصنع هكذا وأنت تخلص".

'وبعد الرؤية شعرت بخوف ورعدة عظيمين، وعلمت أنني كنـت كسـلانا عـن خلاصي، لأن المثل يعلمنا أن نداوم على الطلب بلجاجة. فتركت كل اهتمام وشغل اليد وأعطيت نفسي للصلاة بقوة قلب عظيمة، وكنت أقوم كل قليل وأطلـب مـن الله أن يرحمني ويعينني، وذلك نحو ثلاثين مرة في اليوم وأكثر.

وبعد أيام قليلة حدث وأنا على انفراد وقلبي متعلق بالله، وكنت أعمل في شبكة، أنـني رأيت طفلاً حبشيا عريانا عمره نحو ثماني أو عشر سنوات، كما رأيته أنت، وكان جسـده كله مغروزا بالإبر وليس فيه مكان سالم بغير إبر، وكان قلقًا يذهب هنا وهناك ولا يستطيع أن يجلس أو يقف، فتفكرت عمن كان هذا. ثم وقفت وصلّيت، فصار كأنه أسـير وظـل يصرخ قائلاً: 'حسبك! لا تحاربني فلن أُتعبك بعد الآن'! فقلت: 'من أنـت'؟ فقـال: 'ألم تعرفني'؟ فقلت: 'لا'. فقال: 'أنا الذي جئت ذه الأتعاب عليك'. فسألته: 'وما هذه التي في جسدك'؟ فقال: 'هذه رماح'. فقلت: 'ومن صنع بك هكذا'؟ فقال: 'أنت'. فقلت: 'كيف صنعت بك هكذا'؟ فقال: 'كل مرة تقف للصلاة يغرزون (ربما يقصد الملائكة) في جسدي رمحا، ولهذا علمت أن هذه الجراحات كلها بسبب طلباتك، فلا تصل من الآن بخصوصـي، فلن أُتعبك بعد الآن'! وكان مفتضحا وهو خائف ومرتعد من الصلاة، فظللت أصلّي بقوة قلب فاختفى من أمامي، ولم يعد يتعبني بعد ذلك اليوم البتة'!

'وأنت أيضا يا بني، تقو وثبت قلبك، فمن اليوم أعطاك الرب راحةً وصيرك محلـولاً من هذه الحرب. ولكن لا تدع قلبك بغير اهتمام لأن أعداءك يحاربونك بتجارب أخرى ولا يتخلون عنك البتة، فاهتم بأن تكون متقدما، فإن الله لن يتخلّى عنك ولن يسـلّمك لأعدائك'. فتقوى قلب الأخ ونال عزاءً وذهب إلى قلايته، ومن ذلك اليوم لم تعد هـذه الحرب تتعبه مرةً أخرى.

سأل إخوةٌ أبانا القديس أنبا يؤنس: "لماذا تخاف من مجد الناس ذا المقدار يا أبانـا القديس"؟ فأجا م: "إذا كان إنسان يخاف الله وقالوا له: أترك نصـيبك في ملكـوت السموات ونحن نعطيك كل أموال الأرض وكل الكرامات التي تعطَى للناس، فهل يطيب

قلبه بكلامهم هذا"؟ فقالوا: "لا". فقال الشيخ: "إذن فابكوا علي وعلى من يشبهني، لأن الملكوت لا حد لعظمته بينما لذّة الجسد والسيرة الفاسدة تجعلان الإنسان لا يستحق شيئًا من الملكوت كما قال أحد القديسين".

وسأله أخ مرةً: "اصنع محبة يا أبي، وقل لي كلمة لكي أخلص". فقال له الشيخ: "امض واحتمل كل عار وخسارة تأتي عليك، وتحفّظ من أن تأخذ على إنسان (أي تحمل له شيئًا في قلبك أو تأتي باللوم على غيرك)، لأنه عندما يأخذ الإنسان شيئًا على صاحبه يتسلّط عليه عدوه، كما فعل آدم عندما أخذ من الشجرة، فقد وجد العدو طريقًا للدخول إلينا لأننا ألقينا بخطية الشجرة على الصاحب".

أسر البربر القديس ثلاث مرات، وقد علمنا من سيرة القديس أنبا صموئيل المعترف بعض التفاصيل عن أسر القديس يؤنس في المرة الثالثة وحدها. فقد حدث أنه كان يخفي أواني الكنيسة والستور وملابس الخدمة الثمينة والكتب وغيرها بعيدا في البرية الداخلية، لأن الرهبان بحرصهم ويقظتهم كانوا يخفون أشياء الدير الثمينة عندما يحدث اضطراب بسبب هجوم البربر أو اضطهاد بسبب ا ـمع الخلقيدوني أو الهراطقة(١٤٠٤).

ولما وجد البربر القديس في البرية بعد أن أخفى ممتلكات الدير أسروه، ويرجح أ ـم كانوا يسكنون قرب واحة سيوة، وبعد حوالي أربع سنوات، أي سنة ٦٣٥م، لحقه أنبا صموئيل في الأسر أثناء عودته من الأسقيط إلى الفيوم. وقد استمر أسر أنبا يؤنس لسنوات عديدة ربما وصلت إلى قرب غزو العرب لمصر سنة ٦٤١م. ولما أسروا أنبا صموئيل باعوه كعبد لأحد أكابرهم، وبتدبير من الله اتفق بيعه مع أنبا يؤنس قمص شيهيت ... وأُرسل أنبا صموئيل ليرعى الجمال. وفي الحقل كان يجتمع مع أنبا يؤنس ويعزيان بعضهما بعضا بكلام الله، ويصلّيان كثيرا بطلبات وتسابيح روحانية ويعطيان ا ـد للمسيح إذ جعلهما مستحقين لهذه الضيقات".

ولأن أنبا يؤنس كان قد سبق أنبا صموئيل في الأسر، فقد نصحه قائلاً: "كُن في غاية التشدد، واحترس يا أخي لئلاّ يكلّفك هؤلاء بالسجود للشمس، فكُن قوي القلب ولا توافقهم، فقد ضربوني ضربا مبرحا لأجل هذا الأمر، وهذه هي عـاد ـم: إذا رأوا الشمس تشرق يتجهون إلى الشرق ويسجدون للشمس قائلين: حسنا هو قدومك يا سيدنا الشمس، لأنك أضأت علينا من ظلمة الليل. وقبيل غرو ا يتجهون إلى الغرب ويسجدون لها قائلين: يا

(١٤٠٤) والمخطوطات النفيسة التي وجدها العلاّمة "كامبل مورجان" في خرائب دير الحامولي بالفيوم سنة ١٩١٠م تثبت ذلك.

سيدنا الشمس، أتمضي وتتركنا في ظلمة الليل؟ أسرع واطلع وأضئ علينا"!

ولما عتق الأنبا صموئيل من الأسر، قابل القديس أنبا يؤنس ولم يشأ أن يفارقه ويتركه وحده في تلك الغربة، ولكن أنبا يؤنس قال له: "بما أن الله عتقك أيها الأخ الحبيب فلا تبق هنا بسببي، بل اذهب إلى مكانك الذي أعده لك الرب وصل لأجلي هناك". فقال له أنبا صموئيل: "تحفّظ يا أخي، فإنّ كل ما حلّ بي سيحل بك، وسيكبلون يديك بالحديد مع امرأة كما فعلوا بي، فاحترس لئلاّ تقوى عليك الشهوة حتى تخلص، وبعد ذلك تباع للخلقيدونيين فيأخذونك بعيدا، فإن صبرت على الأمانة المستقيمة فسيطلقك الله بسلام". فقال له أنبا يؤنس: "أستودعك الله". فقال له: "لن تراني بعد الآن في الجسد، ولكننا نرى بعضنا بعضا بالروح". ثم قبلا بعضهما بعضا وافترقا بحزن شديد، وانطلق أنبا صموئيل إلى دير القلمون.

لقي القديس أنبا يؤنس في **الأسر عذابات أليمة** وصفتها المخطوطة المذكورة هكذا: "اسمعوا الآن لأعلم محبتكم لله بهذا الأمر الذي سمعناه من كثيرين عن أبينا الطوباوي: لما حمله البربر معهم إلى السبي نالته أتعاب كثيرة منهم، من جوع وأعمال نجسة من بينها أن امرأة أحد البرابرة ألقت عينيها على القديس لكي تحلّه من طهارته بمشورة الشيطان مثل المصرية التي ألقت عينيها على يوسف الصديق، كما فعلت كثيرات غيرها وضيقت على أنبا يؤنس، ولكنه كان بالحقيقة مثل حجر الماس في قوته، فلم يدع فكرا نجسا يدخل إلى قلبه البتة، ومن قِبل نعمة الله التي تدبره خلص من الفخ الذي نصبه له الشيطان وحفظ طهارته مثل يوسف. إنها لقوةٌ عظيمةٌ إن يقع الإنسان في تجربة كهذه ويجاهد ويغلب فيستحق كرامة عظيمة".

وكان أنبا يؤنس في الأيام التي عاشها في الأسر يعمل كل يوم ويعطونه قطعا معدودة من العملة النحاسية وخبزتين، فكان يعطي إحدى الخبزتين صدقة والأخرى لنفسه، أما العملة النحاسية فكان يعطيها للبربري الذي يحرسه، وكان هناك مداوما على عبادته وفضائله".

كان أنبا يؤنس يطلب من الله أن يخلّصه من ضيقات الأسر، وكان يلتمس حيلة يخرج بها ويخلص من أيدي البربر. وكانوا يحرسون أبواب المدينة نهارا وليلاً، فكان يطلب من الله صاحب الرأفات العظيمة أن يمنحه الخلاص منهم. وكانت تحرس باب المدينة امرأة عجوز، فكان يقول في نفسه: إذا أراد الرب خلاصي فإنني أخرج دون أن تراني هذه المرأة. وقد تم له ذلك، فقد خرج ولم تنظره المرأة، وهكذا خلص من أيدي البربر.

وكان خروجه ليلاً، ولم يكن يعلم إلى أين يذهب، لكن الله الذي هدى بني إسرائيل في البرية بعمود النار هدى أيضا القديس، إذ رأى نورا يتقدمه حتى أوصله إلى موضع رجل شيخ كان في دير صغير على جزيرة، وكانت عادته أن يشتري مسيحيين من سباهم البربر. ولما علم البربري الذي كان القديس عنده أنه هرب أسرع واقتفى أثره حتى وجده عند الشيخ، فامتلأ غضبا وأراد أن يقتله من شدة حنقه عليه، ولما رأى الشيخ ذلك قال له: "لا تصنع به شرا فأنا لن أتركه يذهب، بل خذ هذه القطع النحاسية". فأخذها ومضى.

ولما رأى الشيخ فضائل أنبا يؤنس أراد له أن يقيم عنده، ولكن القديس لم يشأ لأن ذلك الشيخ كان خلقيدونيا، وكان يطلب حيلةً ليهرب منه، فسمع الله له وأرسل إليه معونةً وأنقذه وأوصله إلى كورته معافى من كل مرض.

امتاز هذا الأب بمشاهدة إعلانات سماوية ورؤى مقدسة، وبشعوره المرهف بهيبة هيكل الله وكرامته بيقظة ووعي شديدين، وكان يهزم الأرواح الشريرة ويحل قوة الشيطان، وقيل عنه إنه عندما كان يقدس القرابين كان يرى المخلص مع السيدة العذراء، وكانت بصيرته تكشف أسرارا عظيمة عندما يرى هذه المناظر السمائية في الهيكل.

وكان حاضرا مع البابا بنيامين عندما كرس هيكل كنيسة أنبا مقار بديره حيث عُرف باسم هذا البابا بعد ذلك، وعندما رأى يد السيد المسيح وهي تكرس المذبح. وكان خوف الله ثابتا في نفسه، وكان يتحفّظ بالأكثر في اليوم الذي كان سيقيم فيه القداس لئلاّ تخرج كلمة بطالة من فمه، حتى إنه من عظم تحفظه استحق أنه عندما يرفع القربان المقدس كان كثيرا ما يرى من يرشم الخبز، وعندما كان يصعد إلى المذبح يحل عليه نور وتدرك نفسه برودة عظيمة (أي منعشة) كمن قد انتقل إلى دهر آخر فيظن أنه ليس كائنا على الأرض. وعندما يصل إلى تقديس الدم الطاهر كان يرى كأنه يغلي في الكأس حتى إنه لا يستطيع أن يقدسه بسهولة لعظم خوفه.

وبسبب ورعه وعظم تقواه كان يعرف الخطاة ويميزهم من الصديقين. رأى مرةً كاهنا آتيا إلى الكنيسة وحوله أرواح نجسة محيطة به، فلما وصل القس إلى باب الكنيسة خرج ملاك من الهيكل وبيده سيف من نار وطرد عنه الأرواح النجسة، فدخل وارتدى ملابس الكهنوت وقدس وناول الشعب من الأسرار المقدسة، ثم خلع الملابس الكهنوتية وخرج، فعادت إليه تلك الأرواح الشريرة وأحاطت به كما كانت. وأخبر القديس بذلك مجمع الرهبان ليعرفهم أنه لا فرق في خدمة الكهنوت بين الكاهن الخاطئ والصديق، لأن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين بقوة الدعاء من

الكاهن ولأجل إيمان الشعب أيضا. وضرب لهم مثلاً قائلاً: "إنّ ختم الملك ينطبع على الحديد والذهب ولكنه ختم واحد لا يتغير، كذلك الكهنوت فهو واحد مع الخاطئ والبار، والرب هو ا ازي لكل واحد حسب عمله".

كان القديس يشتاق في كل حين أن يخرج من الجسد ويمضي إلى الرب، لأنه كان يجتهد دائما أن يكمل إرادته. ولما قرب يوم نياحته كان ينفرد في موضع توحده لأنه كان قد علم من الرب بوقت انتقاله. وكان أحد القديسين في زمانه متوحدا، وكان صديقًا له، واسمه أبرآم، قد تنيح، ثم رآه في رؤية وسلّم عليه وسأله: "أترى وجدت نعمةً يا أبي القديس"؟ فأجابه: "مبارك هو الرب لأنه رحمني جدا، لقد عرفت أنت يا أخي الحبيب أنني قبلت أتعابا كثيرةً في البراري، ولم أجد شيئًا من الراحة حتى خرجت منها، والآن تعال أنت أيضا". قال له ذلك ليعلن له انتهاء حياته. ثم قال له أيضا: "قلت لك: تعال، أخرج". فلم يجاوبه، بل قام وجاء إلى الكنيسة وقدم القربان الطاهر، فرأى تلك القوة التي على المذبح وهي ترشم الخبز، ورأى غليان الكأس مرةً أخرى أيضا، وذلك كما أخبر قوما من أحبائه عندما كلّفوه أن يقول لهم الحق.

وكان هناك شيخان يحبهما القديس جدا، فأرسل إليهما، ثم قال لهما: "أتعلمان لماذا أرسلت في طلبكما"؟ فقالا: "لا". فقال لهما: "ذلك لكي آكل معكما قليلاً لأنني أظن أنني لن آكل معكما بعد". ولما قال ذلك حزنا جدا وقالا له: "أترى سيحرمنا الله من أبوتك المقدسة وتتركنا أيتاما"؟ فقال لهما: "لتكن إرادة الرب". ولما رآهما متألّمين كان يتباسط معهما ليأكلا قليلاً. وقد تحقق كلامه، ولم يأكل معهما بعد ذلك.

ابتدأ المرض يحل بالقديس رويدا رويدا، وحتى في مرضه كان يقسو على نفسه ليقدم ولو قليلاً من خدمة الصلوات. ولما كان راقدا في هذا المرض نطق بالوصايا الآتية التي أعدها ليقولها لنا، وهي:

أولاً: الإيمـان:

يا أبنائي، اجعلوا خوف الله بينكم، احفظوا إيمان الكنيسة الجامعة إلى الموت وابتعدوا عن كل هرطقة، وحتى السلام على الهراطقة ارفضوه. وكونوا ثابتين على الأمانة المستقيمة، لأنه لو قوم الإنسان كل الأعمال الحسنة ولم تكن له أمانة مستقيمة (أي إيمان مستقيم) فلن ينتفع شيئًا، لأن هذا ما قاله يعقوب الرسول: «من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرما في الكل» (يع٢: ١٠)، والرسول بولس يقول أيضا: «بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه» (عب١١: ٦)، وقد أحصى جميع الأبرار في هذه الرسالة إلى العبرانيين قائلاً:

«فهؤلاء كلهم مشهودا لهم بالإيمان» (عب١١: ٣٩). لذلك يا أولادي، اقتنوا لكم إيمانا مستقيما في الله، وإذا سقطتم في تجربة أو مرض أو خسارة أموالكم أو اضطهاد، فلا تجعلوا شيئًا من هذا العالم يفرقكم عن محبة الله.

ثانيًا: المحبـــة:

وأيضا اقتنوا لكم محبة بعضكم لبعض، فعظيم هو عمل المحبة لأن ربنا يقول في الإنجيل: « ذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضكم لبعض» (يو١٣: ٣٥)، وأيضا بطرس الرسول يقول: «لأن المحبة تستر كثرةً من الخطايا» (١بط٤: ٨). لذلك فلتكن هذه الفضيلة مثمرة فيكم، وهذه هي ثمر ا: إذا رأيتم أحدا في تجربة أن تتعبوا معه، وإذا رأيتم أحدا مريضا افتقدوه، وإذا لم يكن له أحد فاخدموه، وإذا رأيتم أحدا عريانا فاستروه أو أحدا جائعا فاشبعوه أو أحدا غريبا فاقبلوه إليكم، وإذا رأيتم أحدا غاضبا عليكم أو يبغضكم فاقبلوه إليكم بوداعة وأكرموه، وإن كان أحد يجذبكم إلى المزاح أو النميمة أو إلى أي عمل رديء فاهربوا منه لأن هذه الأعمال ليست من الله بل من الشيطان. كونوا مكرمين لكل أحد، رحومين، متواضعين، طويلي الروح، واغفروا بعضكم لبعض.

ثالثًا: الصـلاة والوحـدة:

كونوا أيضا محبين للصلاة والوحدة والعبادة، وعمل الصلاة هو هذا: ألاّ تتركوا ذكر الله، بل تتلونه في كل حين، وتطلبونه على الدوام في كل موضع إن كنتم تأكلون أو تشربون أو تمشون في الطريق أو تعملون أي عمل بالجملة، لأن الصلاة هكذا تنير العقل، وتهدئ ألم القلب، وتيبس الشهوة، وتطرد الشيطان، وتنقص الخطيئة، وتجدد النفس، وهي على العموم تجعل كل خطيئة شريرة غريبة عن الإنسان كما قال مخلصنا في الإنجيل: «صلوا لئلاّ تدخلوا في تجربة» (مت٢٦: ٤١)، فهو يعلمنا ذا أنه إذا كان الإنسان يصلّي في كل حين فلا يستطيع شيء من الأفكار الشريرة، أي التجارب، أن يقف أمامه.

والوحدة أيضا عملها هو هذا: أن تبتعدوا عن كل أمر رديء، ولا تشغلوا أنفسكم بشيء من ماديات هذا العالم، لأن الوحدة بغير اهتمام تجعل القلب يكون في هدوء فيعرف الإنسان خطأه ويفهم كل زرع الشيطان، وبالجملة يصير الإنسان ممتحنا (أي محنكًا)، مصلحا لذاته ولأخيه.

احفظوا العبادة بثبات ولا تتكاسلوا عنها، لأن الوقت الذي يتكاسل فيه الإنسان عنها يتخلّى عنه الله وتصير أفكاره مظلمة، فلذلك اقتنوا لكم عبادة محمودة، ولا تصنعوا أكثر من المقدار (المحدد لكم)، ولا تعطوا ذواتكم للانحلال بل اجعلوا لأنفسكم حدودا لتقيموا زمانكم

كله في راحة بغير قلق، لأن سليمان الحكيم قال: «لا تكن بارا كثيرا (البر الذاتي) ... لا تكن شريرا كثيرا» (جا٧: ١٦و١٧)، أي ألاّ يسلم الإنسان ذاته إلى عمل أكثر من قوته، ولذلك فإذا صلّيتم أو صمتم أو أكلتم أو شربتم أو رقدتم أو صنعتم أي عمل آخر فليكن كل عمل بمقدار.

رابعًا: الطهـــارة:

اقتنوا لكم طهارة النفس والجسد، لأن عظيم هو عمل الطهارة كما قال الحكيم بولس الرسول: «اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب» (عب١٢: ١٤)، وربنا أيضا يقول: «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت٥: ٨)، لذلك فليكن الاشتياق للطهارة فيكم في كل حين، تشتهونها وتتطلّعون إليها لكي تصيروا هيكلاً مقدسا لله ومساوين للملائكة.

خامسًا: التواضـــع:

اقتنوا لكم تواضع القلب بعضكم لبعض، واطلبوا من الله بقوة قلب أن ينعم بذلك عليكم في كل حين، لأنه عظيم هو عمل التواضع هذا الذي بالله يحلّ كل قوة الشيطان، لأن ربنا لما جاء إلى العالم أخذ شكل مسكنتنا وتواضع حتى الموت موت الصليب واحتمل كل عار بتواضع ووداعة كما قال هو: «تعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت١١: ٢٩)، فقد وضع لنا مثالاً لكي نغير نحن من تواضعه ونحتمل كل عار يأتي علينا بتواضع قلب ووداعة، لذلك كونوا غيورين عليه واقتنوه لكم وليكن فيكم.

وكان يقول لنا أيضًا: "إنكم تعلمون، يا أولادي، أنني لم أسبب ضيقًا لأحد قط في قلايتي ولا طرحته في غير احتياج إليه، ولم أصنع هذه الخطيئة قط أمام الرب، فأنتم أيضا اصنعوا هكذا. وإذا كنتم عددا كبيرا فاسكنوا في قلاية واحدة (لافرا)، ولا تحزنوا نفسا غريبة مضطهدة مثل الذين يفكرون في الأرضيات". وكان أبونا القديس يقول لنا أيضا: "احفظوا هذه الأمور الصغيرة التي سلّمتها لكم، وإذا حفظتم أعظم منها فإن الله الصالح لن يتخلّى عنكم بل يرسل نعمته فتحفظكم".

وكان القديس في **زمان جهاده كله** لم يكف عن أن يتكلم بكلام الله مع الذين يشتهون أن يسمعوه، وكان يعلم ويستشير كل واحد من الذين يأتون إليه كما يليق به وكمشيئة الله ... وفي أيامه بارك الله ذلك الجيل جدا بكل بركة روحانية وصنع الله خيرا مع شعبه، فزادوا وكثروا واستغنوا في كل فضيلة بالروح القدس: في الإيمان، في الرجاء، في المحبة، في البتولية والفضيلة، في الطهارة، في الرحمة، في محبة البشر، في التوبة، في الصبر

.. وغيرها. وأقام الشيطان عليهم تجارب كثيرة، وبنعمة الله وصلوات هذا الشيخ القديس وأصدقائه الخدام زالت هذه التجارب ولم يحدث شيء من الشر كل أيامه.

ولما قربت نياحة الطوباوي لم يكف قط عن ذكر الله، بل إنه كان يتلو في كلامه كمـا كان يفعل كل حين، ولما اقتربت ساعة خروجه من الجسد كان يقول مرةً: "بنورك يا رب نعاين النور"، ومرةً أخرى: "نسير من قوة إلى قوة"، ولم ينقطع ذكر المخلص من فمه إلى أن سلّم الروح وأخرج الله نفسه بغير قلق بل بسكون وراحة وهـدوء، وأكمـل سـعيه بشيخوخة صالحة في آخر شهر كيهك، ومضى إلى الرب الذي أحبه بمجد وكرامة(١٤٠٥).

وكان ذهنه جيدًا، ولم يتغير عن عبادته البتة، بل كان فرحا في العبـادة بالتقشـف العظيم والصلوات حتى إنه لم يستطع أحد أن يلحقه في السيرة الرهبانية. فقد وصـل إلى هذه الشيخوخة وهو منفرد في قلايته يصنع ميطانيات كثيرة كل يوم، وكان يحب الوحدة لعظم اشتياقه إلى الله، وكان يهرب من كل اهتمام ومزاح هذا العالم، وكـان رؤوفًـا ورحيما على كل أحد، بل إنه كان بالجملة كاملاً فى كل فضيلة.

ملحـــق

سـيرة القديس مار أوكـين(❖)

كان ق. مار أوكين من مصر واسم بلده "القلزم" (بجوار السويس الآن). وكان يجتهد أن تكون أعماله روحانية لكي يدوم إلى الأبد. وكانت صناعته أن يغوص في البحر ويلتقط اللآلئ، فكان كل يوم يضع على وجهه غطاءً زجاجيا ويغوص في البحر، وكل ما يلتقطه من اللآلئ كان يبيعه ويصرف ثمنه على المساكين والأيتام والأرامل والكنائس والأديرة، ويطلب من السيد المسيح أن يعوضه في ملكوته. وكان يترجى أن يرى ما رآه الرسول بولس: «ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢: ٩).

وفي أحد الأيام نزل إلى البحر كعادته فرأى رؤية إلهية: شبه كوكب مضيء وهو يمشي على وجه الماء أمامه، فتعجب جدا متسائلاً عن هذا المنظر. وبعد ذلك حلّت عليه نعمةٌ إلهية، فزاد من أعماله الصالحة: أي صلاته وصومه ورحمته على المساكين، كما تشبه بأعمال طابيثا

(١٤٠٥) وكان انتقاله حوالي سنة ٦٧٥م وقد بلغ عمره تسعون سنة.

(❖) عن مخطوطة رقم ٢٩ س بمكتبة دير أنبا مقار ص ١ - ٧٨، التي ذكرت أن كاتب السيرة هو تلميذ القديس الذي يدعى "ميخائيل الكبير". وقد سجلنا سيرته هنا ملخصة جدا عن المخطوطة، وذلك حتى يتعرف القارئ على شيء من سيرته حيث إنه مذكور في أقوال أنبا أنطونيوس، وهو في س ٩ جزء ٤ رقم ٢٥٦ ص ٣٦٥.

المذكورة في سفر الأعمال (ص ٩). وظلّ مداوما على ذلك في مدينة القلزم لمدة ٢٥ سنة، فلما رأى الله إرادته المقدسة أعطاه موهبةً عظيمةً وهي أن يعين السفن التي على وشك الغرق، وأن يمشي على الماء كما على اليابسة، وكان يهدئ العواصف عن السفن التي كانت تمر من هناك.

وفي مرة جاء لصوص في مركب (أي قراصنة) لكي يستولوا على مركب لبعض التجار، فقام القديس بمحبةٍ إلهية ومشى على الماء حتى وصل إلى مركب التجار وخلّصهم من اللصوص، وبصلاته أرسل الله إليهم ريحا من التيمن (بلاد اليمن) فأبعدت مركب اللصوص عن مركب التجار بمقدار تسعين فرسخا، كما أرسل الله ريحا من الشمال فدفعت مركب التجار إلى مياه مدينة القلزم. ولما وصل التجار ورأوا ما فعله القديس لأجلهم خافوا وتعجبوا جدا لأ م تحقّقوا من إنقاذه لهم. فاجتمعوا وتشاوروا قائلين: "هذا رجلٌ إلهي، فبصلاته خلّصنا الله من اللصوص". ثم أعطوه ثلاثين أوقية من الذهب طالبين أن يصلي لأجلهم، ثم صرفهم بسلام.

أخذ القديس الذهب وبدأ في بناء دير لكي يصعد منه تسبيح للرب، وعمل بقول الرب: «اكنـزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسِد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون، لأنه حيث يكون كنـزك هناك يكون قلبك أيضا» (مت٦: ٢٠و٢١). وقد عظم اسم القديس في جميع جزائر البحر والسالكين فيه من التجار والمسافرين، فكانوا كلما ذكروا اسم القديس مار أوكين يجدون خلاصا لنفوسهم وراحةً من نوات البحر.

كما صنع القديس أعجوبةً عظيمةً: فقد حدث أنّ سفينة قوي عليها المـاء والنـو حـتى حوصِرت في شق في الجبل في مضيقٍ عظيم وصار أصحا ا في شدةٍ عظيمة، ولم يقـدروا أن يخرجوها من ذلك الموضع. فانطرحوا بوجوههم قدام الله طالبين أن يخلصهم من غرق البحر. فسمع الله الرحوم صلوا م ونجّاهم بيد القديس. فقد أظهر الله له أن يذهب وينجـي تلـك السفينة، فلما ذهب إلى هناك رآه الركاب ماشيا على الماء متجها نحوهم، فصرخوا بصـوتٍ عظيمٍ قائلين: "ترحم علينا يا عبد الله، لأننا علمنا أنّ الله أرسلك إلينا لتخلصنا من هذه اللجة الصعبة". فوقف القديس وسجد للرب قائلاً: "أيها الرب القوي الجالس فوق الشيروبيم، ملك البر والبحر واللجج، خلص عبيدك من هذه التجربة التي هم فيها، وأوصلنا إلى مينائك الهادئ، لأنّ لك وحدك ا د والإكرام الآن وكل أوان، آمين".

ولما أكمل صلاته هبت ريح من التيمن، ولكن السفينة لم تتحرك من شق الجبل، فصلّى القديس مرةً أخرى، فغطست الصخرة السفلية (من الشق) إلى أسفل، وتخلّصت السفينة من هذا الشق، ووصلت سريعا إلى الميناء الهادئ.

وكان ق. مار أوكين يصنع عجائب كثيرة مثل هذه في البحر وفي البر، وكان الله قد أعطاه قوةً حتى إنّ كل من سمع ورأى أعماله كان يتعجب ويسبح الله. ولما رأى القديس تلك القوات الإلهية التي أعطاها الله له ذهب إلى الدير الذي بناه وعين له رئيسا ومدبرا (ربيتة)، ثم ذهب إلى دير القديس أنبا باخوم في الصعيد لكي يقيم عندهم.

وفي أحد الأيام ساعد القديس الخبازين لكي يحمي معهم الفرن، فحموه حتى صار كالأتون، ولم يكن الإخوة يعلمون بالقديس من أين هو، لأنه أتى إليهم بلباسٍ حقير كأحد المساكين. فقال بعض الإخوة للقديس: "قِف مع هذا الأخ وساعده حتى نمضي ونصلي مزامير نصف النهار، ثم نأتي ونطرح الخبز في الفرن". ولما أكمل الإخوة المزامير جاءوا كالعادة ليطرحوا الخبز في الفرن، فوجدوا ذلك الأخ مطروحا كالميت، فسألوه عن سبب كونه مطروحا على الأرض والفرن قد بردت ناره، فقال لهم: "إنّ ذلك الرجل الذي تركتموه معي قد صنع أعجوبةً عظيمةً، إذ إنّ الخبز استوى على يديه سريعا"، وأخبرهم بما رآه. فسألوه: "أما تعلم أين ذهب"؟ فأجا م: "لما رأيت هذه الأعجوبة سقطت على الأرض ولم أعرف أين ذهب".

فخرج رئيس الدير وجميع الإخوة ليبحثوا عنه في المزارع، فوجدوه ساجدا على الأرض وهو يسبح الله. فجاءوا به إلى الدير وطلبوا أن يصلي عليهم وتباركوا منه، كما طلب هو أن يصلّوا لأجله ثم خرج في تلك الليلة من الدير دون أن يعلم به أحد وعاد إلى بلاده حيث ظهر له الكوكب المضيء مرةً أخرى. وخرج الإخوة للقائه بالمزامير والتسابيح وتباركوا منه وسألوه أن يسكن عندهم لكي يعلمهم فرفض.

ولما فارقهم ذهب معه سبعون من الآباء إلى مدينة نصيبين فيما بين النهرين (العراق)، وهناك تكاثر عددهم حتى وصلوا إلى ر "هرميس" قبلي مدينة نصيبين حيث مكثوا سبعة أيام وسط الغاب الذي وجدوه هناك يسبحون الله دون أن يعلم م أحد. وهناك أخرج مار أوكين روحا نجسا من إنسان بعد أن اعترف أنه سكن فيه ستا وثلاثين سنة. ثم سكنوا في مغارةٍ لمدة ثلاثين سنة، وسمع م كثيرون، فسكنوا معهم حتى صار عددهم ثلاثمائة وخمسين رجلاً متفقين بمحبةٍ إلهية! وكانوا يغسلون أيدي وأرجل الغرباء، وقد أعطاهم الرب قوةً لشفاء المرضى وإخراج الشياطين وكل الأعمال الصالحة باسمه.

وفي مرة أظهر الله للقديس مار أوكين ملاكًا قائلاً له: "شد وسطك مثل جبار واذهب وبشر ببشارة الملكوت لأنّ الله استمع إلى صلواتك. فاظهر أنت وإخوتك للناس

ولا تخافوا ممن يقتل الجسد". فذهب القديس وجميع الإخوة وتلمذوا وعلّموا في المدن والقرى وجرت على أيديهم عجائب كثيرة.

ولما تنيح مطران مدينة نصيبين اختلف شعبها فيمن يخلفه، فذهبوا مع كهنتهم وشمامستهم إلى ق. مار أوكين الذي طلب منهم أن يصلوا معا في الكنيسة. ثم جاء ق. مار يعقوب المتوحد إلى مار أوكين الذي تنبأ له أنه سيرعى هذا الشعب. وبينما كان الأب البطريرك يصلي بدموع غزيرة مع الشعب في الكنيسة حلّ عليه النعاس، فرأى شابا يقول له: "مار يعقوب هو الذي تسأل الرب عنه". فذهبوا جميعا إلى هذا القديس في الجبل حيث قال لهم إنه لا يستحق ذلك، ولكنه لما علم أنّ الأمر من الله خاف أن يقاوم أمر الله. فذهب معهم ورسموه وفرح به الجميع. وقال لهم مار أوكين: "اِفرحوا ومجدوا الله الذي أهل مدينتكم أن يكون لها هذا القديس". ولما سألوا عن جنسه عرفهم مار أوكين أنه من نسل القديس يعقوب الرسول أخي الرب.

وكان هناك رجل مقعد منذ ١٥ سنة، فصلّى عليه القديسان مار أوكين ومار يعقوب أسقف نصيبين حتى شفي فآمن الكثير من اليهود والوثنيين. ولكن أتباع المبتدع "مارقيان"(١٤٠٦) سخروا من ذلك، وكان منهم "قدرون" أخو والي المدينة. وكان قدرون له ابن معوق منذ ولادته، وكان يشتهي أن يشفى ولكنه سخر من كلام المقعد الذي شفي. ثم تأكّد من شفائه المعجزي فبدأ يتخلّى عن بدعة مارقيان، وتضرع في الكنيسة أن يرشده الله. ثم ذهب لمقابلة القديسين مار يعقوب ومار أوكين حيث تصادف وجود أخيه الوالي، وقال للقديسين إنه إذا شفي ابنه على أيديهما يزول منه الشك ويعتنق الإيمان الصحيح. ولما عمده القديسان خرج من جرن المعمودية معافى، فآمن الرجل واعتمد هو وكل أهل بيته. فحلّ الخوف على أتباع مارقيان وهربوا من المدينة. كما آمن كثير من اليهود وتعمدوا حتى بلغ الذين تعمدوا في ذلك اليوم مع والي المدينة نحو ١٢٠٠ نفس، وأحرقوا كتب السحر.

ثم استودع ق. مار أوكين هذا الشعب للرب وعاد إلى ديره حيث أجرى الله على يديه معجزات عديدة منها أنه أقام ابن أخي الوالي من الموت، فأخبر الإمبراطور قسطنطين بذلك، وهذه هي الأسباب التي دعت الإمبراطور أن ينطق بالقول: "أشكر المسيح أنّ في أيامي توجد ثلاثة أنوار: أنبا أنطونيوس، ومار "أللونيوس"، ومار "أوكين"، وهم يضيئون بنورهم الصحيح على كل البشر وقد طردوا الظلمة من قلو م وشفوا أفكارهم المزعجة من أوجاع

(١٤٠٦) لم يكن يؤمن بأنّ كلمة الله تجسد ولا أنه ولد من عذراء، ولم يؤمن بقيامة الأجساد في اليوم الأخير ...

الخطية التي يزرعها الفلاح الرديء ونقّوا أرض نفوسهم وزرعوا فيها زرعا طيبا الذي هو معرفة المسيح إلهنا". وقد أعلم الرب مار أوكين في رؤيةٍ بالتجارب التي كانت ستحل على الكنيسة بسبب بدعة أريوس.

وبجوار نهر دجلة أقام مار أوكين ميتا كان قد قتله سبع في غابةٍ، فآمن عدد كبير من سكان المدينة المجاورة بالمسيح فعمدهم وعلّمهم الإيمان الصحيح وبنى لهم كنيسة، ثم عبر نهر دجلة وذهب إلى الدير الذي بناه ق. مار يعقوب. ولما هاجم الفرس البلاد التابعة للروم وقف ق. مار أوكين ورشم عليهم الصليب فحلّت عليهم غمامة حتى هزموا وهربوا. كما تنبأ عن موت الإمبراطور يوليانوس الجاحد الذي كان يريد أن يهلك المسيحيين، وهكذا حدث واستلم المُلْك بعده الإمبراطور "بنيانوس" المؤمن.

ولما اقتربت وقت نياحة القديس رأى تلميذه الملاك المكلّف من الله بأخذ نفس القديس، فصرخ داعيا الإخوة لكي يتباركوا منه "لأن الملاك جاء ليقطع شجرة الحياة والعمود المضيء علينا وأبانا الروحاني، فعما قليل ينطفئ الشعاع الذي كان يضيء بتدبيره على نفوسنا المظلمة بالخطية". فاجتمعوا جميعا وتباركوا منه وهم يبكون، فباركهم جميعا، ثم بسط يديه ورجليه وسلّم روحه المقدسة لربنا يسوع المسيح، وامتلأت القلاية بروائح عطرة.

هذه هي سيرة القديس مار أوكين التي كتبها تلميذه ميخائيل. كما أن المخطوطة نفسها ذكرت سير بعض تلاميذه مثل "مار ملكا القلزمي" و"مار أولاغ القبطي" و"مار إشعياء المتوحد". بركة صلواتهم جميعا تكون معنا آمين.

❑❃✣❃❒

انتهى بنعمة الرب الجزء الأول من "فردوس الآباء"

ويليه بمشيئته الصالحة الأجزاء التالية:

الجزء الثاني: قصص وأقوال القديس أنبا باخوميوس وتلاميذه

وأنبا شنودة رئيس المتوحدين

الجزء الثالث: قصص وأقوال القديس برصنوفيوس وبقية القديسين

وإلى هنا أعاننا الرب له المجد.

الفهرس الموضوعي

حرف [أ]

أبــوة: ٩، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٣، ١٨٤، ٢٢٥، ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٨٧، ٣٠١، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٥٢، ٣٩٧، ٤٨٤، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٣٨، ٦٥٠، ٦٥٤، ٧٦٠.

اسم الـرب: ٤٣، ٤٦، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٩، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣١١، ٣١٣- ٣١٥، ٣٢٤، ٤٠٥، ٤٠٧.

الله يفوق إدراكنا: ٤٤٦.

الإنسان الجديد والعتيق: ٦٨٩.

تأديب الله للإنسان: ٣٣٢، ٤١٦، ٥١٣.

تأديب الأب لأبنائه: ٤٣، ٥١٨.

آلام المسيح: ٦٤، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٢٠، ٣٤٨، ٣٥٦، ٤٠٧، ٥٣٧، ٥٩٩، ٧٠٠.

التأمل (الثاوريـا) والـدهش: ٤٦، ٦٨، ٦٩، ٨٢، ١٠٨، ١٢٤، ١٣٣، ١٧٦، ٢١٦، ٢٥٣، ٢٨٦، ٣١١، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٢، ٤١٠، ٤١٦، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٤٧، ٤٥٢، ٤٦٢، ٤٧٠، ٥٢٢، ٥٣٩، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٦٤، ٦٧٧، ٦٩٨، ٧٤٩.

الإيمان (الأمانـة): ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٦٣، ٧٧، ٨٣، ٨٨، ٨٩، ١٠٢، ١٠٣، ١١٤، ١١٨، ١٣٠، ١٤٨، ١٦٩، ١٧٤، ١٨٨، ٢١١، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٨٣، ٢٩١، ٣٠٦، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٨٨، ٣٩٨، ٤٠٤، ٤٣٦، ٤٦٥، ٤٧٨، ٥٠٧، ٥١٧، ٥١٩، ٥٤٤، ٥٤٩، ٥٥٤، ٥٨٥، ٦٠٦، ٦٤٨، ٦٥٩، ٦٦١- ٦٦٣، ٦٨٥، ٦٨٩، ٦٩٥، ٦٩٩، ٧٠٩، ٧٣٧، ٧٤٧، ٧٦٧.

حرف [ب]

الباب الضيق والطريق الكـرب: ١٩٠، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٥٠، ٣٥٦، ٥٢٧، ٥٦٨.

البتولية: ١٩٥، ٢٠٧، ٢٦٧.

بر المسيح: ٤٠، ٨٨، ١٠٦، ١٣١.

بركة الرب وبركات الآباء: ١٥٨، ١٥٩.

البشاشة والابتسام: ١٠٨، ١٢٥.

البعد عن الأقارب: ٣٣، ٣٥، ٥٢، ٥٣، ٧٦، ٢٢٤، ٢٢٥، ٣١٧، ٣٥٢، ٤٢٦، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٧١، ٥٠١، ٥٠٤، ٥٤٨، ٥٥٩- ٥٦١، ٥٩٠، ٦١٧، ٦٨٠، ٦٨٤، ٧٢٧.

البعد عن النـاس: ٣٥، ٤١، ٤٨، ٩٨، ١٧٥، ١٩٦، ٢٠١، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٤، ٢٨٨، ٢٩٣، ٣٣٧- ٣٤٠، ٣٦٤، ٤١١، ٤١٤، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٩٦، ٥٠١، ٥٠٤، ٥٠٨، ٥٤٩، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٩١، ٦١٢، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٣٥- ٦٣٧، ٦٤٠، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٨، ٦٦٠، ٦٨٧، ٦٩٢، ٦٩٣، ٧١١، ٧١٦، ٧٢٢، ٧٤٧، ٧٤٨.

البعد عن النساء والصـبيان: ٣١، ٣٥، ٤٣، ٤٧، ٧٦، ٩٨، ٢٣٧، ٢٥٤، ٢٩٣، ٣٣٧، ٣٦٧، ٣٩٥، ٤٢٠، ٤٧٧، ٤٨٤، ٤٨٥، ٥٠٢، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٧، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٣٠، ٦٤٩، ٦٦٢، ٦٧٦، ٦٨١، ٦٩٨، ٧٠٤، ٧١٤، ٧٥٠.

البعد عن الهراطقة: ٩٨، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٧٦، ٥٥٣، ٥٧٨، ٦٥٣، ٧٢٨.

بغض الخطيـة: ٤٥، ٥٠، ٧٦، ١٣٥، ٥٧١، ٥٧٢.

البكاء والنوح والتنهـد: ٦، ٣٤، ٤٠- ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٥٠، ٥٥، ٨٤، ٩٤، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٥، ١٦٦، ١٨٦، ١٩٠، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٥٢- ٢٥٤، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٦٢، ٤١١، ٤١٢، ٤٣٤، ٤٤٢، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٧٨، ٤٩٨- ٥٠٠، ٥٠٣، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٤٦، ٥٦٩- ٥٧٢، ٥٧٤، ٦٠٢، ٦٤٩، ٦٥٢، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٦١، ٦٧٣، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٨٩، ٦٩١، ٦٩٨، ٧٠٣، ٧٠٨، ٧١٧، ٧٢١.

التبكيت على الخطية: ١٧٠، ١٧٢.

بناء النفس الداخلي: ٨٢، ٨٤، ١٣٠.

بنوتنا لله: ١٣١، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٨، ١٥٣.

حرف [ت]

ترك العالم والتجرد: ٢٥، ٣١، ٣٢، ٥٦، ٨٨، ١١٠، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٧، ١٦٧، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٣- ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٥٣، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٣٩، ٣٥٢- ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٨١، ٣٩٩، ٤٠٥، ٤١١، ٤٢٣، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٧، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٩٥، ٥٠٦، ٥١٠- ٥١٢، ٥١٦، ٥٦١، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٤٣- ٦٤٥، ٦٩٦، ٦٩٩، ٧٠٨، ٧١٥، ٧٣٢، ٧٣٥، ٧٤١، ٧٤٥، ٧٤٨، ٧٥٤، ٧٥٦.

التلمذة والتعلم: ٧٣٨، ٧٦٠.

التوبة والندم: ٦، ٤٤، ٥٥، ٥٨، ٧٣، ٨٤، ٨٨، ٩٤، ١٠٧، ١٢٦- ١٢٩، ١٤٦، ١٦٦، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٢٠- ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٨٤، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٦٢، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٨٧، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٠٦، ٤١٢، ٤١٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٨- ٤٧٠، ٤٧٧، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥٢٠، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٣٨، ٥٤٨، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٤، ٥٧٩، ٥٩٣، ٦٠٤- ٦٠٧، ٦٣٣، ٦٤٧، ٦٦١، ٦٧٦، ٦٨٢، ٦٨٩، ٦٩١، ٦٩٨، ٧١٢، ٧١٥، ٧١٧، ٧٣١، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٥٢، ٧٥٥.

حرف [ث]

المثابرة: ٢١٩، ٢٣١، ٥٠٢.

الثبات الروحي: ٣٨، ٤٠، ٥٢، ١٠٢، ١٧١، ٢٦٢، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣٤٥، ٣٤٩، ٤٥٠، ٤٧٣، ٦٣٤.

الثبات في القلاية: ٤٦، ٤٨، ٦٧، ٧٦، ١٠٤، ١٠٥، ٢٤٢، ٢٥١- ٢٥٣، ٢٨٨، ٣٢١- ٣٢٣، ٣٦٣، ٣٩٤، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٧٧، ٤٨٤، ٤٩٥، ٥١٦، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٦٧، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٥٨، ٦٧٨، ٦٨١، ٦٨٤، ٦٩٤، ٧١٦، ٧٣٤، ٧٤٤، ٧٤٦، ٧٥٣.

الثبات في الموضع: ٢٦، ٣٤، ٧٩، ١٩١، ١٩٣، ٢٥٨، ٣٢٨، ٥٠٢، ٥٦١، ٦٣٦، ٦٤٩، ٦٦٠، ٦٩٥.

الثمر الروحي: ٥، ٧٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٥٠- ١٥٢، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٧، ١٨٥، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٨٢، ٢٨٦، ٣١٩، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٩، ٣٨٠، ٥٠٧، ٥١٩، ٥٢٢، ٥٣٧، ٥٦٣، ٥٧٧، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٧٢، ٦٧٧، ٦٩٧.

ثوب العرس السماوي: ٤٣٤، ٥٢٧.

حرف [ج]

تجديد الحياة: ٢٣٢، ٣٤٥.

استجابة الله لطلباتنا: ١٤٨، ١٥١، ٢٧٥، ٢٨٦، ٤٦٤، ٤٦٩، ٦٨١، ٧١٣.

الجسد الروحي بعد القيامة: ١٢٩.

الجندية للمسيح: ٢١٠، ٢٥١، ٥٧٧.

الجهاد والتعب: ٦، ٧، ٢٧، ٣٣، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٦٢، ٦٣، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٨، ٨١، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١١١- ١١٣، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٦٥، ١٧٠- ١٧٣، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٧٣، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩١، ٣١٧، ٣١٩، ٣٣٣- ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٩٠، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٨، ٤٦٠، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥٠٠، ٥٠١- ٥٠٣، ٥٠٥- ٥٠٩، ٥١٢، ٥١٦، ٥١٩، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٨، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٩، ٦٠٤، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣٢، ٦٤١، ٦٤٨، ٦٥٥، ٦٥٨، ٦٧٢،

٦٧٣، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٩١، ٦٩٦- ٦٩٨، ٧٠٠، ٧٠٣- ٧٠٥، ٧٠٩، ٧١٧، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٩، ٧٥١، ٧٥٣، ٧٥٧، ٧٦١، ٧٦٧.

الجهالة الروحية: ١٤٥، ١٨٧، ٢٠٦.

الجهالة (الهبالة) من أجل المسيح: ٤٥٩، ٤٩٧، ٥٠١.

مجيء المسيح: ٢٥١.

حرف [ح]

المحبـــــة: ٥١، ٥٦، ٦٣، ٧٠، ٧٢، ٧٧، ٨٨، ٩٠، ١٠٢- ١٠٥، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٥- ١٥٧، ١٨٨، ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٤٢، ٢٥٩، ٢٨٧، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤١١، ٤١٤، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥٥، ٤٦٤، ٤٦٦، ٥٠٣، ٥٠٦- ٥٠٩، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٣٧، ٥٤٧، ٥٥١، ٥٥٨، ٥٧٢، ٥٧٦، ٥٨٣، ٥٨٥، ٥٨٦، ٦٠٨، ٦١٠، ٦١١، ٦٥٩، ٦٦٨- ٦٧١، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٨، ٦٩٠، ٦٩٢، ٦٩٤، ٧٠٠، ٧٠٣، ٧١٢، ٧١٣، ٧٢٠، ٧٢٤، ٧٤٦، ٧٥٦، ٧٦٧، ٧٧١.

حب الله ورحمته: ٢٦، ٧٠، ٨٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٨٢، ٢٣٤، ٢٧٤، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣١٠، ٤٠٦، ٤٣٩، ٤٤٩، ٤٦٥، ٤٧١، ٤٩٠، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٢٢، ٥٢٩، ٥٤٧، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٢، ٦٠٥، ٦٢١، ٦٨٣، ٧١٠.

حبنا لله من القلـب: ٦، ٣٥، ٤٢، ٤٨، ٧٣، ١٠٢، ١٠٧، ١٥٠، ١٥٨، ١٨٠، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٨٤، ٣٣٠، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٩٩، ٤٢٧، ٤٨٣، ٥٠٣، ٥٢٥، ٥٣٥، ٦٥١، ٦٩١، ٦٩٢، ٧٦٧.

محبة الخـاطئ: ٦، ٥٤، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٧١، ٢٧٦، ٤٥٨، ٤٦٨، ٥٢٤، ٥٣٨، ٥٤٦، ٥٥٧، ٦٠٦- ٦٠٨، ٦١٢، ٦٥٣، ٧٠٥، ٧١٠، ٧٢٢، ٧٤٢.

احتقار الآخـرين: ١٨٥، ٢٠٤، ٣٥٣، ٤٢٩، ٤٣٧، ٤٤٤، ٤٥٨، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥١١، ٥٢٤، ٥٤٦، ٦٠٧، ٦١٥، ٦٤٩، ٦٦٨، ٦٧٦، ٦٨٠، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٩.

احتقـار الـذات: ٨٩، ١٠٢، ١٦٢، ٢٥٤، ٣٦٥، ٣٧٨، ٤١٢، ٤١٨، ٤٣٨، ٤٥٨، ٤٨٧، ٤٩٧، ٥٠٢، ٥٠٧- ٥٠٩، ٥١٤، ٥٤٦، ٥٦٨، ٥٧٥، ٥٩٤، ٦١١- ٦١٤، ٦٢٧، ٦٤٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٦٥، ٦٧٣، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٣، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٣٥.

إحتمال الآلام لأجـل المسـيح: ٢٧٨، ٢٧٩، ٣١٥، ٣١٦، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٧، ٣٩٠، ٤٠٠، ٤٠٣، ٥٥٤، ٥٦٨، ٥٩٥، ٧٠٥، ٧١٣، ٧٢٣، ٧٥٨.

إحتمال الضـعفاء والمرضـى: ٢١٩، ٣٢١، ٤٢٥، ٤٤٦، ٦٤٩، ٦٦١، ٦٩٤، ٦٩٦.

الانحراف والالتواء: ٤١٢، ٤١٥، ٤٢٩.

حروب الأفكار: ٥، ٦، ٣٣، ٤١- ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٧، ٦٦، ٧٤، ٧٦، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٩، ١١٢، ١٢٣، ١٣٩، ١٤١، ١٥١، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٣٣، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٤، ٢٨٨، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٥٥، ٣٥٧- ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٩٠، ٤٠٨- ٤١١، ٤١٤، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٧- ٥٠٩، ٥١٢، ٥١٥، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٤٨، ٥٦٣، ٥٦٦، ٥٦٩، ٥٧٩- ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٩٨- ٦٠٠، ٦٢٠، ٦٢٣، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٤٩، ٦٥٩، ٦٧٢، ٦٨٢، ٦٨٥، ٦٩٢، ٦٩٤، ٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٣، ٧٠٨، ٧١٢، ٧٣٦، ٧٣٩، ٧٤٦، ٧٥٣، ٧٦٨.

حروب الشـياطين: ٦، ٢٥، ٢٧، ٣٦- ٤١، ٤٤، ٥٩، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٩، ٨٨، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣- ١١٨، ١٢٠- ١٢٤، ١٢٧- ١٢٩، ١٣٤، ١٣٨- ١٤٠، ١٤٢، ١٥٠، ١٥٢، ١٧١، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨،

٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥٥-٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨-٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٥-٣٢٧، ٣٣٥-٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٨-٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٧-٤١٠، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٤٢، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٨٣، ٤٩١-٤٩٣، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥١٢، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣٨، ٥٤٣، ٥٥١، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٦٦، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩١-٥٩٥، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦١٦، ٦٢٣، ٦٣١، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٤٠، ٦٥٢، ٦٥٦-٦٦٠، ٦٦٢، ٦٧٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٩٠، ٦٩٢، ٦٩٤، ٦٩٩، ٧١١-٧١٣، ٧١٦، ٧٢٠، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٣٤، ٧٣٧، ٧٤٠، ٧٤٨، ٧٥٩-٧٦١، ٧٦٧.

حرية إرادتنا: ١٤٢، ٣٥٩، ٤٨٩.

الحريـــة الروحيـــة: ٢، ٥، ٥٢، ٨٣، ١٠٦، ١٣١، ١٣٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ٢٢٦، ٢٢٧، ٣٢٢، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٩، ٤٣٢، ٤٥١، ٥٠٧، ٥٤٧، ٥٦٨، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩١، ٦٩٧، ٧٠١، ٧٠٨.

الحزن النافع والحـزن المهلـك: ١٠٣، ٣١٩، ٤٢٧، ٤٤٢، ٤٦٠، ٤٦١، ٥٠٣، ٥٠٨، ٥٧٠، ٥٩٥، ٦٠٤، ٦١٠، ٦١٣، ٦٢٢، ٦٩١، ٧٠٢، ٧١٥.

إحزان الآخـرين: ١٠٥، ١٨٥، ٣١٨، ٣٦٥، ٥٠٨، ٦٧٧، ٧١٣، ٧٦٨.

الحزم والحرص والصرامة: ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٨، ٥١، ٩٧، ١١٣، ١٤٠، ٢٤٠، ٢٨٤، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٩٢، ٤٢٢، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٦٦، ٤٧٦، ٤٧٧-٤٧٩، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٠، ٥٢٨، ٥٨٠، ٥٩٨، ٦٦٦، ٦٧٢، ٦٧٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٠، ٦٩٢، ٧١٢، ٧٤٦، ٧٥٠.

الإحســان إلى المســيء: ٤٦٦، ٥٤٢، ٥٧٥، ٥٧٦، ٦٠٦، ٦١٢، ٦٤٩، ٦٨٠، ٦٨٣، ٦٨٨.

الحسد والغيرة والطمــوح: ٩٦، ١٠٢، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ٢٧٠، ٥٠٣، ٥٤٧، ٦١٣، ٦١٩، ٦٤٩، ٦٨٧، ٧١٠.

حضرة الله وذكره: ٣٤، ٤٠، ٤٥، ٤٨، ٧٣، ١٩٦، ٢٦٤، ٢٨٣-٢٨٥، ٣١١، ٣١٧، ٣١٨، ٣٥٥، ٣٦٣، ٣٧٨، ٣٩٥، ٤٠٧، ٤٤٧، ٤٦٠، ٤٨٤، ٥٠٦، ٥٢٩، ٥٦٢، ٥٨٢، ٥٨٩، ٦٠٣، ٦٣٣، ٦٧٤، ٦٩٠، ٦٩٧، ٧٠٠، ٧٠٧، ٧٠٩، ٧١٢، ٧٥٠، ٧٦١، ٧٦٧، ٧٦٩.

التمســك بــالحق: ٤١، ٦٧٥، ٦٩٠، ٦٩٣، ٧١٥.

الحقد والبغضــة: ٤٤، ٤٥، ٥١، ٨٣، ١٠٤، ١٠٦، ١١١، ١٤٢، ١٨٥، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٨، ٢٣٧، ٢٥٧، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٥، ٤٥٨، ٤٦٦، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٢٤، ٦٤٩، ٦٧١، ٦٨٣، ٦٩٥.

أحكام الله: ٨٥، ٢٧٨.

الحكمــة والفهــم: ٣٤، ٤٧، ٤٨، ٧٥، ٧٨، ٨٨، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١٣١، ١٣٣، ١٤٦، ١٥٥، ٢٤٢، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٤١، ٣٦٧، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٣٣، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٧٢، ٤٩٧، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥٢٣، ٥٣٨، ٥٥٢، ٦٠٩، ٦١١، ٦١٣، ٦١٤، ٦٦٤، ٦٦٦، ٧٠٥، ٧٣١، ٧٣٧.

الأحلام: ٥٩.

حلاوة الكلام والعشــرة: ٤٧، ١٠٣، ١٠٨، ٣٠٦، ٥١٩، ٦٦٨، ٦٧٣.

حلاوة المســيح للــنفس: ٢٦، ١٥١، ١٥٢، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٤، ٣٢٤، ٣٧٣.

حمل أخطاء الآخرين ونقائصهم: ٤٠٩، ٥٢٤، ٥٢٥.

حمــل الصــليب: ١٠٦، ١٥٦، ٢٥١، ٣١٨، ٣٣٠، ٣٥٩، ٣٦٣، ٤٢٦.

الحياة الإنجيلية الرسولية: ١، ٥، ١٣، ٣٢٥.

حرف [خ]

اختبارات روحية: ٦، ٧، ٩، ٦٢١.

اختطاف العقل والروح: ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٦٢، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٧٠، ٦٣٦.

الخداع واليأس: ٤، ٢٥، ٤٧، ٥٦، ٥٩، ٦٧، ٩٨، ١١٤- ١٢١، ١٢٣، ١٦٩، ١٧٧- ١٧٩، ١٨٢، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٩٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨٢، ٣٩٨، ٤١٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٩٩، ٥٧٨، ٥٨٠، ٥٩٩، ٦٥٩، ٦٦٣، ٦٧٥، ٦٩١، ٦٩٨، ٧٤٤.

خدمة الله: ١١١، ٢١٥، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٧٨، ٥٣٨.

خدمة الآخرين والمرضى: ٣٣٣، ٦٣٤، ٧٦٧.

الخضوع: ٣٣، ٦٥، ٧٨، ٢١٨، ٣٠٧، ٣٥٣، ٣٥٥، ٤٨٤، ٤٨٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ٦٠٥، ٦٩٥.

إخفاء الفضائل: ٤، ٥٨٨.

خلاص النفس: ١، ٢، ٤، ٤٩، ٦٠، ٦٢٧، ٦٥٤.

إخلاص وأمانة: ٧، ٢٦١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٧١، ٤٥٨، ٤٨٤، ٥١٠، ٥١٨، ٦٦٦، ٦٧٩، ٦٨٥، ٧٠٨، ٧١٣، ٧٣١، ٧٤٧، ٧٦٠.

خلقتنا على صورة الله: ١٣٠.

تخلّي الله عن الإنسان: ٧٤، ١٠٧، ٣٥٩، ٤١٥- ٤١٧.

مخافة الله والتخشع: ٣٤، ٣٥، ٤١، ٤٤- ٤٦، ٧٣، ٨٤، ٩١، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١٣٥، ١٥٠، ١٩٦، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٠٦، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٨١، ٣٩٠، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤٢٨- ٤٣٠، ٤٤٧، ٤٦١، ٤٧٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٠٦- ٥٠٩، ٥٢٦، ٥٢٩- ٥٣١، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٤٨، ٥٥٧، ٥٦٥، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٨، ٥٩٨، ٦١٣، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٥٧، ٦٧٣، ٦٧٦- ٦٧٨، ٦٨٠، ٦٨٨، ٦٩٠، ٦٩٢- ٦٩٤، ٦٩٧، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧١٩، ٧٣٢، ٧٤٣، ٧٥٩، ٧٦٧.

الخمر: ٤٣، ٨٣، ١٢٧، ١٧٤، ٢٦١، ٤١٠، ٤١٨، ٤٤٢، ٤٤٣، ٥٠٦، ٥٦٥، ٦٧٦، ٦٩٠، ٦٩٤، ٦٩٨، ٧١٨، ٧٥٠، ٧٥٢.

الخوف والاضطراب: ٤٠.

حرف [د]

دالتنا عند الله: ١٥١، ١٥٧، ٢٣١، ٢٨٣، ٣٠٨، ٣٢٢، ٤٢٩، ٥٥٣، ٥٨٩، ٦١٢، ٦٥٠، ٦٨٨.

التدابير الإلهية: ٢٧٨، ٢٨٢، ٦٧٢، ٧١٠، ٧١١، ٧٤٣.

تدبير السيرة: ١٣١، ٢٤٠، ٢٤٢، ٤٢٣، ٥١٦، ٥٣٥، ٥٤٦- ٥٤٨، ٦٤٧.

التدقيق: ٢٠١، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٣، ٤٢١، ٤٣٧، ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٧٤، ٤٧٦- ٤٧٨، ٥٨٤، ٦٦٦، ٧٤٦، ٧٥٤.

الدالة مع الآخرين: ٣٢٢، ٥٢٤، ٦١٢، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧٧، ٦٧٩، ٦٨٣، ٦٨٤، ٧٠١.

الدموع: ٧، ٤١، ٥٥، ٧٣، ٧٩، ٨٤، ٩٤، ١٠٧، ١٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٠٣، ٣١٠، ٣١٦، ٣١٩، ٣٣٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٤٠٦، ٤١٣، ٤٤٤، ٤٨٣، ٤٩٠، ٥٠٥، ٥١٣، ٥٦٣، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٧٤، ٦٣٣، ٦٣٧، ٦٥٩.

الدينونة والاغتياب: ٤٢، ٤٤، ٤٥، ١٠٢، ١٠٣، ١٣٩، ٢٠٣، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٩، ٢٩١- ٢٩٣، ٣١٩، ٣٣١، ٣٥٣، ٣٨٢، ٣٩٤، ٤١٨، ٤٣٨، ٤٥٠، ٤٥٨، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٢- ٥٠٤، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٦، ٥٢١، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٣، ٦٠٢، ٦٦٨، ٦٧٦، ٦٨٢، ٦٨٦- ٦٩١، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧١٢، ٧٣٩، ٧٤٧.

حرف [ذ]

ذبيحة حياة الراهب: ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٩٦، ٤٢٦، ٤٩٧، ٥١٨.

تذكر يوم الدينونة والعذاب: ٣٧، ٥٣، ٧٥، ٨٠، ٩٣، ١٠٦، ١١٢، ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ١٤٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٥، ٣٠٢، ٣٣٥، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٨٤، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٤٥، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٨٩، ٥٠١، ٥٠٦- ٥٠٨، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٤٨، ٥٦٣، ٥٦٩، ٦٣٥، ٦٧٢، ٦٧٥، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٩٠، ٦٩٢، ٦٩٧، ٦٩٨، ٧١٢، ٧٣٨.

تذكر الخطايا والضعفات: ٤٤، ١٦٦، ١٦٧، ٤٤٤، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٢- ٥٠٤، ٥٠٨، ٥١٠، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٢- ٥٧٤، ٥٨٣، ٦١٨، ٦٢٠، ٦٥٢، ٦٦٦، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٨٢، ٦٨٩، ٦٩٨، ٧٠٠- ٧٠٢، ٧١٠، ٧١٢، ٧٢٠.

تذكر الموت: ٣١، ٤٤، ٧٥، ٧٦، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١١، ١٨٩، ٢٠١، ٢٠٨، ٢٣٥، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٨٥، ٢٩٣، ٣٥٨، ٤٤٥، ٤٥٧، ٤٧٨، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥٢٩، ٥٤٨، ٥٦٣، ٥٦٩، ٥٩٤، ٦٤٩، ٦٥٢، ٦٥٤، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٩٠، ٧٠٣، ٧١٢، ٧٣٨.

تذكر الإساءات: ٢٩١.

المذلّة والمسكنة والانسحاق: ٤٠، ٥٠، ٦٤، ١٠٤- ١٠٦، ١٣٣، ١٦١- ١٦٥، ١٦٧، ٢١٥، ٢٥٤، ٢٩٥، ٣٠٧، ٣٢٢، ٣٤٩، ٣٥٨، ٤١٣، ٤٦٠، ٤٩٧، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥١١، ٥٤٨، ٥٦٦، ٦٥٢، ٦٧٧، ٦٨٤، ٦٩٢، ٧١٨.

التذمر: ٤١، ٧٠٠.

حرف [ر]

رائحة المسيح الزكية: ٢١٥، ٢٢٧، ٢٣٣، ٧٧٣.

رائحة نتانة الخطية: ٣٨٢، ٣٨٣.

المراءاة والمحاباة: ١٠٣، ١٠٥، ١٥١، ٥٩٣، ٦٩٩، ٧٤٤.

الترتيل والتلحين: ٤٢٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٧٠٢، ٧١٢، ٧٥١، ٧٥٢.

الميراث السماوي: ١٣٢، ١٨٢- ١٨٤، ٣٩٣، ٤٠٦، ٧٠٩، ٧٤٦، ٧٦٣.

الراحة الجسدية: ٣٤، ٧٩، ١٠٣، ١٥٠، ١٦٠، ١٧٧، ٢٦٢، ٣٣٧، ٤٠٧، ٤٣٥، ٤٧٠، ٤٧٧، ٤٨٤، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥٦٧، ٥٦٨، ٦٧٧، ٦٨٨، ٦٩٦، ٦٩٧.

الرجوع إلى الوراء: ١١٢، ١٢٧، ٣٥٤.

الرهبنة الحقيقية والزائفة: ٩٨، ١٠٧، ١٣٣، ١٥٤، ٢٢٧، ٢٥٢، ٢٦٠، ٢٨٨، ٣٠٥، ٣٥٨، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٢٥، ٤٧٢، ٥٠٢، ٥١٢، ٥١٣، ٥٥٢، ٧٦٩.

الروح القدس: ١- ٤، ٨، ٤٧، ٧١، ٧٦، ٨٤، ٩٣، ٩٥، ١٠٦، ١٢٧- ١٣٣، ١٣٥، ١٣٧، ١٤١، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٥، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٠- ١٨٢، ٢٣٢- ٢٣٤، ٢٤٦، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٤٦- ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦١، ٤٠٣، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٥٣، ٤٨٦، ٤٩٢، ٤٩٤، ٥١٣، ٥١٩- ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٧- ٥٣٩، ٥٥٢، ٥٦٣- ٥٦٥، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٣٨، ٦٤٠، ٦٤٨، ٦٥١، ٦٥٥- ٦٥٧، ٦٥٩، ٦٦١، ٦٩٤، ٧٠٢، ٧٣١.

الرؤى: ٩، ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٥٥، ٧٠، ٧١، ٨٠، ٨١، ١١٥، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٦١، ١٦٥، ١٧٠، ٢٠٠، ٢٦٨، ٣١٥، ٣٨٠، ٣٩١، ٣٩٧، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٦٢، ٤٨٧، ٤٩٥، ٥٣٩، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٥٠- ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٨٠، ٥٨٧، ٦٥٠، ٦٦٣، ٦٦٤، ٧٤٠، ٧٥٧، ٧٥٩، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٥، ٧٧٠.

الراحة الروحية: ٧٣، ٣٣٤، ٣٥٤، ٣٥٨، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٤٤، ٤٧٧، ٥٢٨، ٥٤٥، ٥٤٩، ٥٦٢، ٥٨٠.

الرجاء: ١٠٢، ١٦٧، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٢٨، ٣٨٣، ٤٠٠، ٤٣٩، ٤٥٨، ٤٥٩، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٩٣، ٦٠٤، ٦٩١.

الرحمـة: ٩، ٣٥، ٤٠، ٤٧، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٧٥، ٧٩، ٨٣، ٨٨، ١٠٣، ١٠٧، ١٢٨، ١٥٢، ١٦٦، ١٧٤، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٤، ٢١١، ٢٢٢، ٢٥٧، ٢٧٥، ٣٠٤- ٣٠٨، ٣١١، ٣١٤، ٣٨٥، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٨٥، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٤٦، ٦١٠، ٦١١، ٦٤٩، ٦٦٧، ٦٨٠، ٦٨٩- ٦٩١، ٧٦٧.

الرزانة والوقار: ٧٩، ٦٧٧.

الإرشـاد الإلهـي: ٢، ١٢٧- ١٢٩، ٦٧٥، ٧٣٥، ٧٥٨.

الإرشاد الروحـي: ٢، ٧، ٢٧، ١٧٨، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣.

إرضاء الله والعمل بوصاياه: ٦، ٢٥، ٤٣، ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٦٠، ٨٣، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١١١، ١٤٠، ١٦٧، ١٧٦، ١٩٢، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٥٠، ٢٦٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٣- ٢٨٥، ٢٩٤، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٣، ٤٠٦، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٧، ٤٧٦، ٤٩٤، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٢٧، ٥٣٧، ٥٥١، ٥٨٠، ٦٣١، ٦٣٥، ٦٤٩، ٦٥٩، ٦٦٢، ٦٦٨، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٨١، ٦٨٧- ٦٩٠، ٦٩٢، ٦٩٦، ٧٠٠، ٧٤٢، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥٧، ٧٥٩.

إرضاء النـاس: ١٦٥- ١٦٧، ٢٤٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٤٠، ٣٦٥، ٤٧٤، ٦٦٠، ٦٧٥، ٦٨٢، ٧٣٠.

حرف [ز]

الزهد وعدم القنية: ١٣، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٤١، ٤٥- ٤٧، ٥٦، ٦٠، ٦٥، ٨٣، ٨٨، ٩٨، ١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٨، ١٥٩، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦- ٢٢٨، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩١، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦٣، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٥٧، ٤٦٣، ٤٧٣- ٤٧٦، ٤٧٨، ٤٨٧، ٥٠٨، ٥١٠، ٥١١، ٥١٥، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٧، ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٥١، ٥٦٧، ٥٩٣، ٥٩٤، ٦١٠، ٦٢٥، ٦٢٧، ٦٤٣، ٦٥٢، ٦٥٩، ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٥، ٦٧٨، ٦٨٠، ٦٨٥، ٦٩٠، ٦٩٢- ٦٩٤، ٦٩٦، ٧٠٠، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٩، ٧٣٢، ٧٤١، ٧٤٨.

زينة النفس للرب: ٦.

حرف [س]

تساوي الأقانيم الثلاثة: ٢٠٥.

التسـبيح: ٢٧، ٦٢، ٨٣، ٨٤، ٨٩، ١٠٧، ٢٢٤، ٣٠٩، ٣١٦، ٣٣٦، ٤٦١، ٥٢٢، ٥٤٥، ٥٤٨، ٦٤٩، ٦٥٧، ٦٩٨، ٧٠٢، ٧٧١.

سـتر الخاطئ: ٢٦٦، ٢٦٧، ٦١٢.

السجس: ٤٨، ٦٨٨، ٦٨٩.

السـجود والميطانيـات: ٤٥، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٦، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٩١، ٥٠٢، ٥٤٥، ٥٦٦، ٧٣٣.

أسرار الملكوت: ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧.

سكنى الله في الإنسان: ٧٨- ٨٠، ٨٣، ١٠٦، ١١٢، ١٥٦، ١٦٩، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٦٢، ٤٠٣، ٥٦١، ٧٥٧.

أسلحة الروح: ٣٤٣.

السلام الـداخلي: ٧، ٤١، ٤٨، ٨٣، ١٨٥، ١٩١، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٤١، ٣٤٠- ٣٤٢، ٣٩٥، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٧٢، ٤٩٩، ٥٦٥، ٦١٨، ٦٣٨، ٦٨٨، ٧٠٧، ٧١١، ٧١٦، ٧٣٧، ٧٤٦.

السلام مـع الآخـرين: ٢٩١، ٣٣٢، ٣٣٥، ٤٧٢، ٦١١، ٧٠٠.

السلام مع الوحـوش: ٣٨، ٥٠، ٥٩، ٣٨٥، ٦١١، ٦٧٠، ٧٣٧.

التسليم لله: ١٣٤، ١٦٦، ١٨٩، ٣٤٩، ٣٥٩، ٤٤٤، ٤٨٩، ٥٠٤، ٥٠٩، ٥١٤.

السـهر: ٣٤، ٤٠، ٤٦، ٥٦، ٧٦، ٧٩، ٨٣، ٨٩، ١٢٧، ١٩٨، ٢٣٢، ٢٧٠، ٣١٤، ٣١٦،

٣٣٦، ٣٦٠، ٣٦٧، ٤٦٩، ٤٧٩، ٤٩١، ٥٠٢، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٤٦، ٥٦٨، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٥٨، ٦٦٠- ٦٦٢، ٦٨٤، ٦٨٩، ٧٥٧.

حرف [ش]

التشبه بالأطفال: ١٦٦، ٥٥٤.

التشبه بالمسـيح: ١، ١٣، ٩٨، ١٦٨، ١٦٩، ١٨١، ٢٣٠، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٤٩، ٥٩٩.

التشبه بالملائكـة: ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٥٦، ٣١٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٦٣، ٥١٨- ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٥٠، ٥٥٧، ٦٥٥، ٦٥٦، ٧٣٠، ٧٥٥.

تشتت الفكر والطياشـة: ٢٢٧، ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٨٤، ٣١٧، ٣٢١، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٨١، ٣٨٢، ٤٤٧، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٩٢، ٥١٦، ٥٢٢، ٥٣٥، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٦١، ٥٧٩، ٥٨١، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٩، ٦٥٥، ٦٧٢، ٦٨٠، ٦٨٨.

اشتهاء الأمور العالية: ٣٥٠، ٦٢٣.

الشـــجاعة: ٧٣، ٧٩، ٨٨، ١٠٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٨٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٥٤، ٢٥٥، ٣٢٧، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٦٤، ٤٠٩، ٤٧٨، ٤٩٢، ٥٤٢، ٥٤٧، ٥٧٧، ٦٨٩، ٧٠٦، ٧٦٤.

تشجيع الخطـاة والضـعفاء: ٦٣، ٧٧، ٨٢، ٣٧٥.

الشــر والرذائــل: ٤٥، ٨٣، ١٠٠، ١٠٢- ١٠٤، ١١٢، ١٦٨، ١٨٨، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٩١، ٣١٥، ٣١٧، ٣٣١، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦٦، ٤١٢، ٤١٥، ٤١٦، ٤٥٨، ٤٧٩، ٤٨٨، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٠٨، ٥١١، ٥٢٦، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٥، ٥٨١، ٥٨٧، ٦٢٣، ٦٦١، ٦٧٤، ٦٨٠، ٦٨٣، ٦٨٦، ٦٨٩، ٦٩١، ٦٩٥، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧١٥، ٧٣٨، ٧٥٠، ٧٥٧.

الشعور بالصغر وخدمة الآخرين: ٥٢، ٤٣٢، ٤٩٢، ٧٥٢.

الانشغال بأمور كـثيرة: ٢٣٥، ٤٥٦، ٤٧٨، ٥٦٦.

الشفاء الروحـي: ٧٥، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٨.

شفاعة القديسـين: ٩٩، ١٠١، ٢٢٢، ٣٩٨، ٧٦٢،٧٧٠.

الشفقة والحنان: ٨٥، ٢٤٢.

شـــكر الله: ٣٥، ٣٨، ١٨٧، ١٨٨، ٢٠١، ٢٦٣، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٤٩، ٤٠٣، ٤٢٥، ٤٤٦، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٨٢، ٤٨٤، ٥٣١، ٥٤٨، ٥٨٠، ٦١٨، ٦٣٤، ٦٨٣، ٧٠٠، ٧٠٣، ٧١٥، ٧١٨، ٧٢٤.

استشهاد: ٧٧، ٨١، ٨٩، ٢٠٤، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٢٤، ٣٣٠، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٢٣، ٤٩٧، ٥٠٤، ٥٩٥، ٦٢٤، ٦٩٤.

شهوة البطن: ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٨٩، ٩٨، ١٠٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٧٣، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٩، ٢٥٢- ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٩، ٤١٧، ٤٣٧، ٤٤٠- ٤٤٢، ٤٧٠، ٤٨٤، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٥٧، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٩٦، ٥٩٨، ٦١٣، ٦٤٩، ٦٥٨، ٦٧٤، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨٤، ٦٩٢، ٧٠٤، ٧١٣، ٧١٨، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٤١.

شـهوة التعلـيم: ٣٥٧، ٥٠٣، ٥٩٢، ٦١٧، ٦٢٢، ٦٨٦، ٧٠٧.

شهوة الرئاسة والمناصب والشهرة: ٤، ١٦٣، ٣٥٤، ٦٠١، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٨٦، ٧٠٢، ٧٢٢، ٧٢٩.

شهوة الـزنى: ٣٧، ٣٩، ٤٥، ٤٧، ٧٤، ٩٨، ١١٢، ١٧٣، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٧، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٦٨- ٢٧٠، ٢٨٥، ٢٩٢، ٣٠٩، ٣٣٧، ٣٧٦، ٣٨٦، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٤، ٤١٩، ٤٣٢، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٤، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥٢١، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٩٣، ٥٩٥، ٥٩٩- ٦٠٣، ٦٣١، ٦٦٠، ٦٧٣، ٦٨٣، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٤، ٧٠٦، ٧٢٠، ٧٢٨، ٧٣٦، ٧٣٧،٧٦٤، ٧٦٥.

شهوة السيطرة والتسلط: ٣٥٣، ٤٧٥.

الشهوة الصالحة: ١٢٠، ١٣٠، ٣٤٩، ٣٧٨.

مشـــورة الآبـــاء: ٤١، ٤٤، ٥٧، ٦١، ٧٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٤، ١٧٩، ١٩٤، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٢٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٩٩، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٤٥٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٩٠، ٤٩٥، ٥٠٢، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٩، ٥٣٧، ٥٥١، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٨٥، ٥٨٧، ٥٩٥، ٦٢١، ٦٣٤، ٦٧٦، ٦٨٢، ٦٨٥، ٦٩٣، ٦٩٥، ٦٩٨، ٧٢٦، ٧٣٩.

حرف [ص]

الصبـــر: ٢٦، ٦٤، ٦٥، ٧٣، ٧٨، ٧٩، ١٠٢، ١٢٧، ١٢٩، ١٤٥، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٣، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٢، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٩٥، ٤٠٦، ٤١٨، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥١٣، ٥١٦، ٥٢٦، ٥٣٠، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٦٨، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٩٥، ٦٣٥، ٦٤٣، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٢.

الصـدقة: ٣٣، ٣٥، ٤١، ٦٢، ١٢٤، ١٢٨، ١٩١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٣١٥، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٨٣، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٧٣، ٤٨٤، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٢١، ٥٤٤، ٥٥٥، ٥٨٦، ٦١٠، ٦٥٨، ٦٦٧، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨٥، ٦٩٠، ٦٩٣، ٧٣٩، ٧٤٥، ٧٤٨، ٧٥٠، ٧٦٥، ٧٧٠.

الإصرار ومشيئة الذات: ١٠٣، ١٤٩، ١٧٩، ١٩١- ١٩٣، ٢٣٣، ٢٤١، ٣٥٣، ٤١٩، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٣٩، ٤٤٨، ٤٨٤، ٥٠٣، ٥٠٨، ٥١٦، ٥٦٨، ٥٩٤، ٥٩٦، ٥٩٨، ٦٠٥، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١٣، ٦٤٩، ٦٦٨، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩٢، ٦٩٦، ٧٠١، ٧٠٣، ٧٠٦، ٧١٧، ٧٢٧، ٧٣٢.

صغر النفس: ٤٥، ٥٠٦، ٦٩١.

الصـلاة: ٦، ٧، ١٣، ٢٧، ٣٣- ٤٠، ٤٢، ٤٤- ٤٦، ٥٢، ٥٣، ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٨٠، ٨٤، ٩٩- ١٠١، ١٠٥، ١٠٩، ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٣٦، ١٤١، ١٥١، ١٥٣- ١٥٥، ١٧٥، ١٩٥- ١٩٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥٠- ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٣- ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢١، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٨- ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٣، ٣٧٨- ٣٨٢، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠١- ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٦٤- ٤٧٠، ٤٧٥، ٤٨٢، ٤٩١، ٤٩٥، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٢، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٦- ٥٢٨، ٥٣١، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٤٣، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٥٠، ٥٥٧، ٥٦٢، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٨٠، ٥٨٩، ٥٩٤، ٥٩٩، ٦٠٥، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٤٠، ٦٤٨- ٦٥٠، ٦٥٢، ٦٥٧- ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨٢، ٦٨٥- ٦٩٠، ٦٩٥- ٦٩٧، ٧٠١، ٧٠٢، ٧١٠، ٧١٥، ٧١٦، ٧٣٣، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٦١- ٧٦٤، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٧٠.

الصلاة الجامعة: ٤١.

صلاة يسوع: ٤٣، ٢١٩.

الإصغاء إلى صوت الله: ٣١، ٣٢، ٥٠، ٧٠.

صلب الذات: ٣٥٩، ٤٢٦، ٦٨٩.

الصلح مـع الآخـرين: ٣٣٢، ٣٣٥، ٤٨٣، ٥٧٣، ٦٦٨، ٦٨٩، ٦٩٤، ٦٩٨، ٧١٣.

الصلح مع الله: ٣٤٤، ٣٤٥، ٥٠٤، ٥٣٨.

الصـليب: ٢٦، ٦٨، ١١٤، ١٢٠، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٦، ٢٣٥، ٢٥١، ٢٦٤، ٢٧٠، ٣١٨، ٣٢٦، ٣٩٥، ٤٢٦، ٥١٣، ٥٤٤، ٥٥٦، ٦٥٤، ٦٨٩، ٦٩٢، ٧٧٣.

الصمت والهـدوء والسـكون: ٤، ٥، ٧، ٩، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٩، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧٩، ٨٧، ١٠٣- ١٠٦، ١١٦، ١٤٩، ٢٠١، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٥، ٤٠١، ٤٠٥، ٤١٨، ٤٢٥،

٤٢٩، ٤٣٠، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦٦، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٦، ٤٩٦، ٥٠٧-٥٠٩، ٥٣٥، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٦٢-٥٦٥، ٥٨٥، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٤-٦٣٦، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٧، ٦٧٤، ٦٧٧، ٦٨٧-٦٨٩، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٥-٦٩٨، ٧٠٣، ٧١٠، ٧٤٣، ٧٤٩، ٧٥٦.

الصوم: ٣٥، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٥٦، ٧٧، ٨٤، ١١٤، ١١٨، ١٢٧، ١٦٠، ١٩٨، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٦٢، ٢٧١، ٢٨٥، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣١٦، ٣٣٥، ٣٣٦، ٤٠٣، ٤١١، ٤١٣، ٤٢٢، ٤٣٠، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٥٥، ٤٦٤، ٤٦٩، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٩١، ٤٩٤، ٥٠٢، ٥٢١، ٥٢٩، ٥٤٦، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٨٠، ٦٠٣، ٦٤٠، ٦٥٦-٦٥٨، ٦٦٠، ٦٧٤، ٦٨٣، ٦٨٩، ٦٩٣، ٧١١، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢٤، ٧٢٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٨.

حرف [ض]

ضبط النفس والحواس: ٤٩، ٦٦، ١٢٨، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٣، ٣٣١، ٣٦٣، ٣٨٠، ٤٠٣، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٤، ٤٧٩، ٤٩١، ٤٩٧، ٥٠٢، ٥٠٨، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣٦، ٥٤٢، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٨٦، ٥٩٠، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٧٢، ٦٧٦، ٦٨١، ٦٩٣، ٦٩٨، ٧٢٤، ٧٢٧.

الضجر والملل: ٣٩٠، ٥٠٧، ٥٠٨، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٢، ٧٢٥، ٧٣٤.

الضحك والمزاح: ٥٠، ١٠٨، ١٩٦، ٤٢٧، ٦٧٨.

التضحية لأجل الآخرين: ٤٣٢، ٤٧٧، ٥٢١، ٧١٥.

التضرع والصراخ واللجاجة: ٤٤، ٥٢، ٥٣، ٧٩، ٨٣، ١٤١، ١٩٥، ١٩٨، ٢٣٣، ٢٦٨، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٥٩-٣٦١، ٣٦٩، ٤٦١، ٤٦٨، ٤٨٣، ٤٩٤، ٥٠٠، ٥٤٨، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٩٩، ٦٠٣، ٦٣١، ٦٥١، ٦٦٠، ٦٧٤، ٧١٣، ٧٥٩، ٧٦٢، ٧٦٥.

الاضطراب والانفعال: ١٣٥، ٢٤١، ٥٩٠.

إضافة الغرباء: ٥١، ٨٨، ٣٢٢، ٤٩٤، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٧٧-٦٧٩، ٧١٥، ٧٢٠، ٧٢٤، ٧٥٥.

ضياء النعمة: ٨٦، ٣٨٣، ٤٢٢، ٤٦٢، ٥١٤، ٥٢٩، ٦٠٠، ٦٥٤، ٧٥٧.

الضيقات والأمراض والتجارب: ٨، ٥٢، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٩، ١٠٧، ١١٠، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٥، ١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٣، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٦، ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٤٩-٣٥١، ٣٥٤-٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٧١، ٣٧٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٤، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٤٩، ٤٧٣، ٤٨٤، ٤٩٠-٤٩٢، ٤٩٨، ٥٠٤، ٥١٣، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٤٢، ٥٤٩، ٥٥٨، ٥٦١، ٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧٦، ٥٧٧، ٦٥٠-٦٥٢، ٦٨٣، ٦٩٥، ٦٩٧، ٧٠٠، ٧٠٨-٧١٠، ٧١٢، ٧٢٤، ٧٣١، ٧٣٧، ٧٦٠، ٧٦٢، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٧.

حرف [ط]

الطاعة: ٢، ٥، ٧، ٢٦، ٤٤، ٥٠، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٥، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٢٦، ١٤٧، ١٥٨، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٤، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٤٢، ٣٠١، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٦٢، ٤٢٣، ٤٣٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٨٠، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٢، ٥١٣، ٥١٥، ٥١٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٤٦، ٥٥١، ٥٥٧، ٥٥٨، ٦١٣، ٦٥٠، ٦٦٥، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٧٨، ٦٧٩، ٧١٢، ٧٣١.

التطلع إلى وطننا السماوي: ١٣، ٢٧، ١٧٤، ٢٦٢، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٧٨، ٣٨٣، ٤٢٧، ٤٣٥، ٤٨٧، ٥٠٦، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٧-٥٤٩، ٥٦٠، ٧٦٦، ٧٧٠.

الطمع والجشع: ٢٦٥، ٥٩٨.

الطريق السلوكي والاعتدال: ١٩٧، ٤٧٩، ٥٦٦، ٥٩٠، ٦٦٠، ٦٦١، ٧١٤.

الطهارة والعفة: ٧، ٤٣، ٥١، ٧٣، ٧٩، ٨١، ٨٨، ١٠٨، ١٢٧-١٢٩، ١٣٦، ١٤٤، ١٥٦، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٨٥، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٦٣، ٣٩٤، ٤١٤، ٤٦٦، ٤٩٢، ٥٠٦-٥٠٨، ٥١٢، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٤٢، ٥٤٧، ٦٠٠، ٦١٠، ٦٥٢، ٦٥٧، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٨٠، ٧١٥، ٧٢٦، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٦، ٧٤٠، ٧٦٨.

طول الأناة وطول الروح: ١٠٣، ١٠٨، ٢٤٢، ٣٥١، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥١٨، ٥٢٧، ٦٩٠، ٧٠٩.

حرف [ع]

إعالة الله لنا: ٢٧، ١٣٤، ٢٣٩، ٢٥٣، ٢٥٥، ٣١١، ٣٣٩، ٣٨٩، ٤٦٤، ٥٥١، ٦٥٨.

العثـــرة: ١٨٥، ٤٧٦، ٤٨١، ٦٤٥، ٧٤٠، ٧٤١.

اعتراف بالإيمـان: ٨٣، ٦٦٣، ٧٠٦، ٧٦٤، ٧٦٧، ٧٧٢.

اعتــراف بالخطايــا: ٥١، ٦٢، ٤٩٨، ٥٠٠، ٦٠٤، ٦٧٨، ٦٨٢، ٧٤٢.

المعجــزات: ٩، ٢٩، ٧١، ٧٢، ١٢١، ١٦٢، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١١، ٢١٣-٢١٥، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦٨، ٢٧٥-٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٤١، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠٤، ٤١٧، ٤٣٧، ٤٥٣، ٤٦٥، ٤٦٦، ٥١٧-٥١٩، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٦٩، ٦٠٥، ٦١٨، ٧٠٩-٧١٢، ٧٢١، ٧٢٦، ٧٣٧، ٧٦٥، ٧٧٠-٧٧٣.

استعداد القلب: ١٢٦، ٢٥٠، ٣٤٣، ٣٥١.

العادات الرديئة: ٣٥٥.

العزاء الروحي: ٢٣٣، ٢٤٦، ٣٦٠، ٤٠٩.

المعرفــة الحقيقيــة: ٨٨، ١٠٢، ١٠٦، ١١٢، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٧١، ١٨٦، ٢٢٣، ٢٤٧، ٢٧٥، ٣٠٦، ٣٥٠، ٣٨٤، ٤١٦، ٤١٧، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٧٤، ٦٢٠.

معرفة الإنسان لضـعفه: ٣١٩، ٣٤٣، ٣٧٠، ٤٣٤، ٥٦٨، ٥٧٠، ٦١٧، ٦١٨، ٧٢١، ٧٣٧.

معرفة الله لصالحنا: ٣٤٨، ٣٧٠، ٤١٥، ٦٨٦.

المعاشرات الرديئة: ٨٣، ٥٦٢، ٦٠٢، ٦٨١.

أعضاء بعضنا لبعض: ١٣٣، ١٤١.

العطاء في الخفاء وبفرح: ١٢٨، ٤١٤، ٤١٥، ٤٣٠، ٤٦٣، ٦١٠، ٦٥٧، ٦٦٩، ٦٧٠، ٧٢٥.

العمق الروحي: ٨، ٤٣٧.

العمــل الروحــي: ٧٤، ١٠٥، ١١٢، ١٣٢، ٢٣٨، ٢٧٣، ٢٨٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣١٠، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٦١، ٣٦٤، ٤٢١، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٧٦، ٥٠١، ٥٠٤-٥٠٧، ٥١٨، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٤٣، ٥٩١، ٥٩٤، ٦٣٢، ٦٤٨، ٦٩٠-٦٩٣، ٧٠٤، ٧٤٩، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠.

العمل قبل الكــلام: ٤، ١٠٥، ٢٩٦، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢١، ٤٧٣، ٥٢٧، ٥٩٢، ٧٠٣، ٧٢٧.

العمل مــن أجــل الله: ٢٩٣، ٣٢٥، ٣٦١، ٣٦٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٨٤، ٧١٣، ٧١٥.

عمل اليــدين: ٦، ٣٣، ٣٤، ٤٣، ٤٤، ٥٣، ٥٤، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٣٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٥٨، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٧٦، ٣٩١، ٣٩٥، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٥٦، ٤٧٠، ٤٧٦، ٤٩١، ٥٠٨، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٦، ٥٣٥، ٥٤٣، ٥٤٦، ٥٥٠، ٥٥٥، ٥٦٢، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٨٦، ٦٠٥، ٦١٣، ٦٧٣، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٨١، ٦٩٣، ٦٩٥، ٦٩٨، ٧٠٥، ٧١٣، ٧١٦، ٧٢٠، ٧٢٥، ٧٤٧، ٧٥٠، ٧٥٤.

المعمودية: ١٤٦.

العناية بالضعفاء والمرضى: ٦٦٩، ٧٥٢.

معونة الرب ونعمته: ٨، ٢٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٦٤، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٧، ٧٩، ٨٨،

١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١١٩، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٤، ١٥٢، ١٦٣، ١٨٢، ١٨٦-١٨٨، ١٩٨، ٢٠٨، ٢٧١، ٢٨٤، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٦٤، ٤٩٨، ٥٠٧، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٤٣، ٥٥٠، ٥٥٧، ٥٦٦، ٥٧٢، ٥٨٩، ٦٠١، ٦٠٣، ٦١٣، ٦٦١، ٦٨٣، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٠- ٦٩٢، ٦٩٦، ٧٠٠، ٧٤٧، ٧٦١، ٧٦٣.

معونة الملائكــة: ١٠٨، ١٠٩، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٨، ١٩٨، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٨، ٢٧٣، ٢٨٢، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٢٥، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤٠٨، ٤١٦، ٤٢٦، ٤٤٩، ٥٠٥، ٥١٤، ٥٣٥- ٥٣٧، ٥٤٥، ٥٥١، ٥٥٣، ٥٩٢، ٦٣٨، ٦٥٧.

معاينة الله: ١٣٦، ٢٣٠، ٥٠٦، ٥٢٩، ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٦١، ٥٦٤.

حرف [غ]

الغــذاء الســماوي: ١، ٨٢، ٢١٦، ٣١١، ٣٢٧، ٣٤٨، ٥٣٧، ٥٥١.

الغربــة: ١٠٤، ٣٣٥، ٤٥٠، ٥٦٠، ٦٠٢، ٦١٤، ٦٤٣، ٦٥٠، ٦٦٧، ٦٧٧، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٩٩.

الغرور: ٤٢، ١٨٥، ٢٠٣، ٢٧٣.

التعصــب: ١٣٣، ٢٥٤، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٣، ٣٠٦- ٣٠٨، ٣١٨، ٣٥٤، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٤٢٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٦٩٣، ٧٠٣، ٧١٧، ٧٣٠.

غضــب الله: ٩٩، ١٠٠، ١١١، ١٣٣، ١٨٨، ١٩٩، ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٩١، ٣٨٤، ٣٨٦، ٤٦١، ٤٦٢، ٦١٨، ٦٢٣، ٧٦١.

الغضـــب: ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٦٥، ٨٥، ٨٨، ١٠٣، ١٠٦، ١١٣، ١٨٩، ٢٠٤، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣١٨، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٠٩، ٤١٠، ٤٥٨، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٢٠، ٥٤٦، ٥٦٧، ٥٧٥، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩٦، ٦٤٩، ٦٥٧، ٦٧١، ٦٧٨، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩١، ٦٩٥، ٧٠١، ٧١٩.

غفران الله: ١٦٦، ١٦٧، ٢٢١، ٦٧٦.

المغفرة للمخطئ: ٤٢، ٤٤، ٦٤، ١٠٦، ١١١، ١٨٩، ٢٣٧، ٣٢٤، ٤١١، ٤١٤، ٤٥٦، ٤٨٣، ٤٩٧، ٤٩٩، ٦٠٤، ٦٠٦.

الغنى الروحي: ١٣٣، ١٥٤، ١٥٧.

التغيير الداخلي: ١، ٥٩، ٣٤٦، ٣٥٧، ٤١٩، ٤٥٨، ٦٠٦.

الغيرة والحرارة الروحيــة: ٧، ٢٩، ٣٣، ٤٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١١٢، ١٧٧، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٩٣، ٤٢٧، ٤٦٦، ٤٧٠، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٢٠، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٣٤، ٥٤٢، ٥٤٨، ٥٦٨، ٥٨٦، ٦٠٠، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٦٨، ٦٧٧، ٦٩٩، ٧٥٧.

حرف [ف]

إفتداء الوقت: ٣٢١.

إفتقــاد الله للإنســان: ١٢٩، ١٣٠، ١٣٨، ١٤٤.

إفتقاد المرضى: ٣٥، ٤٢، ١٠٤، ٣٢٣، ٤٧٧.

الافتخــار: ٤٠- ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٥٨، ٦٤، ٧٢- ٧٥، ١٠٤- ١٠٦، ١١١، ٤٩٣، ٥٠٨، ٥٧٥، ٥٨١، ٥٩١، ٥٩٢، ٦٥٨، ٦٦٠، ٧٤٧.

فحــص الــنفس: ١، ٣٤، ٤٢، ٤٣، ١١٢، ١٩٢، ٣٥١، ٣٥٥، ٤٥٨، ٥٠٦، ٥٤٧، ٥٨٢، ٥٨٨، ٦٣٣، ٦٨٣، ٦٩٧، ٧٥٠.

الإفــراز والتمييــز: ٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٧٩، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٣، ١٥٤، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٩٤، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٥٨، ٤٥٩، ٥٠٩، ٥٢٣، ٥٦١، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٧٨، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٩١، ٦٠٩، ٦٢٢، ٦٤٨، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٨٨، ٧٢٦.

الفــرح: ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٦٩، ٧٣، ٨٩، ٩٩، ١٠٦، ١٢٤، ١٣٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٦- ١٥٨، ١٧٧، ١٧٨، ٢٣٠، ٢٣٣، ٣٣٣، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٦، ٤١١، ٥٠٥، ٥٣١، ٦٧٥، ٧١٣، ٧١٥.

الفقر الاختياري: ٢١٢، ٧٠٨، ٧٤١.

الفقر الروحي: ١٤٣.

حرف [ق]

الاقتداء بالقديسـين: ١، ٥، ١١، ١٣، ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٤٢، ٥٠، ٦٧، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٥، ١٧٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٩٦، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠٦، ٤١١، ٤٢٩، ٤٨٧، ٥١٩، ٥٣٨، ٦٧٠، ٦٩٠، ٧١٩، ٧٢٢، ٧٣٢.

القداسـة: ٦، ٧، ٢٢٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٧٥٨، ٧٦٨.

القـــدوة: ٤١، ١٠٣، ١٠٥، ٢٢٤، ٢٣٨، ٢٦٦، ٢٧٩، ٣١٢، ٤٥٤، ٥١٩، ٥٩٣، ٦١٤، ٦٢٩، ٦٧٠، ٧٠٣.

تقديم القربان عن الموتى: ٣٨٣، ٣٨٤، ٧١١، ٧٢٦.

الاقتراب من الله والاتحاد به: ٥٦، ٧٦، ١٠٤، ١٤٦، ١٧١، ٢٠٥، ٢٢٥، ٢٢٧- ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٨٩، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٣٦، ٣٤٣- ٣٤٧، ٣٥٩، ٣٧٨، ٤٤٤، ٤٨٣، ٤٨٤، ٥٠١، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٣١، ٦٤٨، ٦٧٢، ٦٨٩، ٦٩٨، ٧١٨، ٧٢٠.

اقتناء الفضـائل: ٦، ٧، ٣٣، ٥١، ٦٥، ٧٤، ٧٩، ٨٠، ١٠٢، ١١١، ١١٢، ١٢٤، ١٩١، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٣١، ٢٥١، ٢٦٤، ٢٨٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٧٠، ٣٩١، ٣٩٥، ٤٠٥، ٤٢٠، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٥٧، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٤٦، ٥٥٠، ٥٥٦، ٥٧١، ٥٨٠، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٣٠، ٦٤١، ٦٩٦، ٧٠٣، ٧٢١، ٧٣٠، ٧٤١، ٧٤٩، ٧٦٩.

الاســتقامة: ٦٦، ١٠٩، ١١٢، ١٢٨، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٤، ٢٥٣، ٢٩٣، ٣٦٦، ٤٥٠، ٥٣٥، ٥٨٥، ٥٩٨.

القـــراءة الروحيـــة: ٣٥، ٤٣- ٤٥، ١٢٤، ٣٣٦، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٥٠، ٥٦٢، ٧٥٠، ٧٥٩.

قانون التوبة: ٥٠١.

قوانين الصلاة: ٣٥.

أقوال الآبـاء: ١- ٥، ٧، ٨، ٤٨١- ٤٨٣، ٥٠٣، ٥٨٨، ٥٩٧.

القواعد الرهبانية: ٤٨٣، ٤٨٤، ٦٠٩.

قـــوة الله: ٩٧، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٥٠- ١٥٢، ١٦٢، ١٦٤، ١٩٢، ٢٠٨، ٢١٨، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٥٨، ٢٧٣، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣٢٧، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٥، ٤٠٤، ٤٤٤، ٤٧٩، ٥٠١، ٥١٦، ٥٢٢، ٥٤٠، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٩٦، ٦٥٨، ٧٥٦.

حرف [ك]

الكبرياء والعجرفة: ١٤٢، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ٢٠٣، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣١٦، ٣٣٧، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٧٩، ٤١١، ٤١٦، ٤١٧، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٦٠، ٥٠٦، ٥٠٨، ٦٠٥، ٦٢٢، ٦٣٣، ٦٤٧، ٦٥٢، ٦٨١، ٦٨٧، ٦٩٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧١٢، ٧١٨، ٧٤١، ٧٤٤.

كتمان السر: ٥٢.

الكذب وقـول الحـق: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ٢٠١، ٣٥٦، ٥٠٦، ٥١٦، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٩٨.

إكرام الجميع: ٢٥٩، ٤٣٧.

الكرامة والشهرة: ١٦٣- ١٦٦، ٦٢٥.

تكـــريس القلـــب: ١، ١١٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ٧٢٩.

مكافأة الجهـد: ١٦١، ١٦٢، ١٩٣، ٥١٣، ٥١٨، ٥٣٠، ٥٤٥.

كلمـــة الله: ١، ٢، ٩، ١٣، ٣٤، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٥٠، ٦٧، ٧٥، ١٠٨، ١١٠، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٦٩، ١٧٣، ٢١٠، ٢٢٨، ٢٣٨، ٢٥٠، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٨٥، ٣٢٧،

٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٥٧، ٣٩٣- ٣٩٥، ٤١٥، ٤٢١، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٣٩، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٩٠، ٥١٨، ٥٤٧، ٥٥٠، ٥٦٩، ٦٠٠، ٦١٩، ٦٣٦، ٦٤٠، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٨، ٦٧٩، ٦٨١، ٧٠٢، ٧٢٩، ٧٤١، ٧٤٨، ٧٦٩.

الكـلام البطّـال: ٤٥، ١٠٢، ١٠٥، ١٥٤، ١٧٤، ١٩٧، ٢٠١، ٢٤٢، ٢٥٩، ٢٦٩، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٦٣، ٤٠٥، ٤٨١، ٤٨٢، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٠، ٥١٥، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٦١، ٦٢٦، ٦٥٩، ٦٧٧- ٦٧٩، ٦٨٨، ٦٩٠- ٦٩٢، ٧٠١، ٧٠٣، ٧١٦، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٥٥، ٧٥٩.

الكلام النافع للبنيـان: ١١، ٤٧- ٤٩، ١٠٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٩٩، ٣٣٤، ٣٨٠، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣٣، ٥١٥، ٥٤٧، ٥٥٠، ٥٦٣، ٥٦٤، ٦٤١، ٦٧٥، ٦٨٨، ٧٠٣، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٥٤.

الكمال: ٥٦، ٧٨، ٧٩، ١٣١، ١٥٧، ١٦٨، ١٧٠- ١٧٢، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٦، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٩٣، ٣٠٦، ٣٢٢، ٣٤٦، ٣٧٩، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٠٢، ٤١٤، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٤٠، ٤٥٤، ٥٢٣، ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٦٤، ٥٨٦، ٦٢١، ٧٠٧، ٧٢٤.

حرف [ل]

لبس المسيح: ٣٠.

الملاجـة والمماحكـة: ٢٠٢، ٥٦٣، ٥٨٥، ٥٩٠، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٥٨، ٦٦٧، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٩، ٧٠٣، ٧٢١، ٧٥١.

لجم وضـبط اللسـان: ١٠٣، ١٢٨، ١٧٤، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٨٩، ٢٩٣، ٣١٧، ٣٣٧، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٩٧، ٥٠٦- ٥٠٨، ٥٢٧، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٨٤، ٥٨٦، ٦٣٥، ٦٧٢، ٦٧٤، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٦، ٧٠٢، ٧٢١، ٧٤٩.

ملامة الذات: ٥٢، ٧٤، ١٦٣، ١٦٥، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٤١، ٢٦٧، ٢٨٥، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٢٦، ٣٣٥، ٣٦٢، ٣٧٨، ٣٨٣، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٣، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٦٢، ٥٧١- ٥٧٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٦١، ٦٦٨، ٦٨٣، ٦٨٧، ٦٩٢، ٧٠١، ٧٠٣، ٧٢٠، ٧٣٠.

لوم الخاطئ: ٩٣.

ليونة القلب واللطف: ٤٣٧، ٥٤٦.

حرف [م]

المال والجشع والبخل: ٤٠، ٦٠، ٢٠٤، ٢١٢، ٢٦٥، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٨، ٤١١، ٤١٧، ٤٦٢، ٥٠٦، ٥٩٥، ٦١٢، ٦٢٦، ٦٥٨، ٦٨٩، ٦٩٥.

المجد الباطل: ٦، ٢٥، ٤٥، ٥١، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١٢٠، ١٤٢، ١٥١، ١٥٢، ١٦٠، ١٦٥، ٢٠٣، ٢١٤، ٢٣٦، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٧٧، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٩، ٣٨٩، ٤٠٩، ٤١٦، ٤٢٢، ٤٤١، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٧٣، ٤٧٦، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٧، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٣٣، ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٥٩، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٩١، ٥٩٥، ٦١٣، ٦١٦، ٦٢٥، ٦٣١، ٦٣٦، ٦٤٠، ٦٥٥، ٦٦٢، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٧، ٦٨٩، ٦٩٢، ٦٩٩، ٧٠٢، ٧٠٧، ٧٢٢، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥٢، ٧٥٩، ٧٦٣.

تمجيد اسـم الله: ٥، ٤٢، ٧٢، ١٠٨، ١٢٨، ١٣٧، ٢٧٧، ٣٢٦، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٩٢، ٤٠٤، ٥١٨، ٥٣١، ٥٣٢.

المديح: ٥٠، ١٠٣، ١٠٥، ٢٠٣، ٤٢٩.

المسيح في أعضائه: ٨٠، ٣٤٦، ٤٤١، ٧٢٤.

المسيح حياتنا وعريسـنا: ١٤٤، ١٤٦، ١٨٧، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٨، ٣٤١، ٣٤٤- ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٩٩، ٥٣٧، ٥٤٧، ٥٦٢، ٧٣٨.

إماتة الجسد: ٢٧، ٣٤، ٣٩، ٤٣- ٤٧، ٨٢، ٨٤، ١٧٠، ١٧٣، ٢٣٥، ٢٥١، ٢٦٤، ٤٩١، ٥٧٠، ٦٠٣، ٦١٨، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٢، ٦٥٧، ٦٦٢، ٦٨٨، ٧٣٩.

إماتة الـذات: ٣٤، ٤١، ٥١، ٦٣، ٧٦، ٨٨، ٩٨، ١٠٢، ١٠٧، ١١١، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٤١٨، ٤٨٧، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥١١، ٥١٤، ٥١٥، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٣٧، ٥٤٦، ٥٥٧، ٦١١، ٦١٢، ٦١٤، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٩، ٦٢٥، ٦٤٣، ٦٦٥، ٦٦٩، ٦٩٦، ٦٩٨، ٧٠٧، ٧١٩، ٧٢٧، ٧٣٤، ٧٤٤.

ملك الرب على القلـب: ٧٥، ٣٤٤، ٤٧٩، ٥٠١، ٥٤٧.

حرف [ن]

النار الإلهيـة: ٣، ٤٧، ٦٩، ٨٤، ٨٧، ١٠١، ١٣٧، ١٤١، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٤، ١٧٦، ٢٦١، ٣٤٧، ٤٠٢- ٤٠٤، ٤٥٣، ٤٧٨، ٥٠١، ٥٢٠، ٥٣٤، ٥٣٧، ٥٥٢، ٦٣٣.

استنارة وبصيرة واسـتعلان: ٤٥، ٥٧، ٧٧، ٧٨، ١٠٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٨، ٥٠٦، ٥٤٦، ٦٠٠، ٦٢٠، ٦٢٣، ٦٦٠، ٦٨٨.

النسك والتقشف: ٣، ٦، ٩، ٢٥، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٤٠، ٤٢، ٥٦، ٥٩، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٨٧، ٩٤، ٩٨، ١٠٠، ١١١، ١١٥، ١١٨، ١٢٣، ١٤٥، ١٦٨، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٩، ٣٢٥، ٣٥٤، ٣٧٤- ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٤، ٤٨٧، ٤٩١، ٤٩٢- ٤٩٤، ٥٠٠، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٩، ٥٢٢، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٣٦، ٥٤٢، ٥٥٠، ٥٥٤، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٦، ٦١١، ٦٢٠، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٤٦، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٩٣، ٧٠٠، ٧١٠، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٨، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٣٩، ٧٤٢، ٧٤٥، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٣- ٧٥٥، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٦٩.

النصرة وقوة القيامة: ٦، ٣٧، ٣٨، ٦٨، ٨٤، ٨٧، ١٢٢- ١٢٤، ١٣٣، ١٨٨، ٢٠٩، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٧٠، ٢٧٢- ٢٧٤، ٢٨١، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤١، ٣٤٣- ٣٤٦، ٣٥٨، ٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠٨، ٤١٠، ٤٩٠، ٤٩٣، ٤٩٦، ٥٠٧، ٥٣٨، ٥٥١، ٥٥٦، ٥٦٧، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٩، ٥٩٢، ٦٢١، ٦٣٤، ٦٤٠، ٦٦٢، ٦٦٨، ٦٧٤، ٧١٠، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٤٢، ٧٥٨، ٧٦٥، ٧٦٩.

النعمـــة: ١٠٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٩، ١٦١، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣١١، ٣٢٩، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٧، ٣٥٩- ٣٦١، ٣٩١، ٣٩٥، ٤٠٤، ٤١٢، ٤٨٩، ٤٩٣، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٩، ٥١٣، ٥١٩، ٥٣٦، ٥٤٨، ٥٥٣، ٥٦٨، ٥٨٩، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٤٠، ٧٤٩، ٧٦٩، ٧٧٠.

التنعم والملـذّات: ٤٢، ٤٨، ٨٤، ٨٩، ١٠٥، ١٠٧، ١٧٤، ٢٠٤، ٣٣٣، ٥٠٢، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٢، ٥٦٥، ٥٦٨.

الانتقام من الآخرين: ١٠٤، ١٨٩.

النقائص والعيوب: ١٠٥، ٥٠٨.

نقاوة القلب والبساطة: ٥٦، ٧٤، ٨٣، ١٠٠، ١٠٢، ١١٩، ١٩٨، ٢١٩، ٢٥٥- ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٨٣، ٢٩٥، ٣٠٦، ٣١٤، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٩٥، ٤١١، ٤٢٣، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٨٤، ٤٩٧، ٥٠٣، ٥١١، ٥١٥، ٥١٦، ٥٣٥، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٧١، ٥٨٠، ٥٨٦، ٥٩٧، ٦٠٠، ٦١٨، ٦١٩، ٦٧١، ٦٨٧، ٦٩٩، ٧١٥.

منافشة العقائد: ٧، ٧٠٣.

إنكار الـذات: ٨، ٢٧، ٦٢، ٦٥، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ١٠٢، ١٦٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٨٠، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩٦، ٥٠١، ٥٢٧،

٦١٤- ٦١٦، ٦٩٣، ٧١١، ٧١٣، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٥، ٧٥٣.

النمو الروحي: ٢، ٤، ١٠٤، ١٣٧، ١٥٦، ١٧٠، ١٧١، ١٨٠، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٦٤، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٨٤، ٤٠٦، ٤١٤، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٩٣، ٥٥٠، ٥٦٢، ٥٧٧، ٦١٩، ٦٤٨، ٦٧٢، ٦٩٩، ٧٠١.

تناول الأسرار المقدسة: ٢٨٧، ٢٩٢، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٨٢، ٣٩٠، ٣٩٣، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥٨٠، ٥٩٨، ٦٠٤، ٦٨٠، ٦٨٣، ٦٩٧، ٧٢٩، ٧٥٩، ٧٦٦.

حرف [هـ]

الإهانة والمحقرة: ٥٠، ٥١، ٥٩، ٦٤، ٩١، ١٠٢- ١٠٤، ١٠٦، ١٨٣، ١٨٧، ٢٦٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٤٩، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧١، ٤١٤، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٧٦، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٦، ٥١٤، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٩١، ٦٧٧، ٦٨٣، ٦٩٠، ٦٩٢، ٦٩٥، ٦٩٦، ٧٠٢، ٧٤٤، ٧٦٣.

الاهتمام بالخروف الضال: ٥٧٩.

الهذيذ: ٧٤، ٨٩، ٤٦٠، ٥٠٢، ٥٠٨، ٥٦٢.

الهروب إلى البرية: ٢٧، ٣١، ٤٨، ٥١، ٦٦، ٧٦، ١٠١، ١٠٣، ٢٩٣، ٣٩٩، ٤١٢، ٤٣١، ٤٥١، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٢٠، ٥٢٩، ٥٦١، ٦١٩، ٧٢٩.

الهم الباطل: ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٤٦، ٥٠٧، ٥٧٧، ٥٩٣، ٦٤٣، ٧٠٠.

الهروب من الكهنوت والمناصب: ٥٤٩، ٧٥٧، ٧٥٨.

هيكل الله: ١٣٠، ٧٦٨.

حرف [و]

التوبيخ والانتهار: ٨٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٦٩، ٢٦٧، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧١، ٥٤٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٩٣، ٦٧٠، ٦٧١، ٧٤٤.

التوحد والعزلة: ٥٦، ٩٦، ١٠٦، ١١٥، ١٢٥، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٦، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٨، ٢١٣- ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠- ٢٥٣، ٢٦٩، ٢٨٥، ٢٩٥، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٩٣، ٤٣٥، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥١١، ٥١٩، ٥٥٠، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦١، ٦٢٨، ٦٤٠، ٦٨٨، ٧٢١، ٧٣٣، ٧٥٦، ٧٦٦، ٧٦٨، ٧٦٩.

توفير الرهبان: ٤٢٩.

الثقة في الله وتسليم القلب له: ٣٨، ٩٨، ٢٣٣، ٣٥٦، ٦٤٩.

الثقة في الذات والبر الذاتي: ٤٢، ٢٦٩، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥٧٣، ٥٧٥، ٦٧٦، ٦٨٧،٦٨٥، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٩،٦٩٦، ٧٠١، ٧٠٣، ٧٤٧، ٧٦٣، ٧٦٨.

الأوجاع (الأهواء والشهوات): ٦، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٥١، ٦١، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٨١، ٨٤، ٨٩، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١٢٧- ١٢٩، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٤، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٩١، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٩٥، ٤٢٠ ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥٠٧- ٥٠٩، ٥١٦، ٥٢١، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٤٦- ٥٤٩، ٥٦١، ٥٧٧، ٥٨١، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩٢، ٥٩٤- ٥٩٨، ٦٠٤، ٦١٩، ٦٢٩، ٦٣٦، ٦٤٨، ٦٥٢، ٦٦٨، ٦٧٣، ٦٨١، ٦٨٥، ٦٨٧، ٦٨٩، ٦٩٦، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٨، ٧٤٩، ٧٥٧.

الوحدانية والوفاق: ١٣٢، ١٤٨، ١٩١، ٤٨١، ٧٤٦، ٧٤٩.

الوداعة: ٤٠، ٥١، ١٠٢، ١٠٨، ١١١، ٣٢٠، ٤٤٦، ٥٠٧، ٥٢٤، ٦٥٦، ٦٨٨، ٧٦٧.

التواضع: ٦، ٧، ٣٦، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٧، ٦١- ٦٥، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٧، ١٠١- ١٠٥، ١٠٧- ١٠٩، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٥، ١٦١- ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠،

١٨١، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٦، ٢١٩، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٩٠-٢٩٢، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٦، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٥-٣١٧، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٥٠، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٣٣، ٤٣٨-٤٤٠، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٦١، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨٦، ٤٩٣، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٠-٥٠٣، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٣، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٣، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٤٦، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٥، ٥٨٦، ٦٠٥، ٦٠٩، ٦١١-٦١٣، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٠، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٧، ٦٣٩، ٦٤١-٦٤٣، ٦٤٩، ٦٥٢، ٦٥٦، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٦، ٦٧١، ٦٧٣، ٦٧٦-٦٧٨، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٩٠، ٦٩٢، ٦٩٦، ٧٠٠، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٧، ٧١٠، ٧١٣، ٧١٨، ٧٢٢، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٤٤، ٧٤٩، ٧٥٤، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٦٨.

مواعيد الله: ١١٠، ٢٣٣.

الوقيعة والنميمة: ١٧٣، ٣٩٥، ٤٩٩، ٦١٢، ٦٤٩، ٦٨٦، ٦٩٥.

التواني والكسـل: ٤٥، ٤٦، ٥٧، ٦٦، ٨٤، ٨٥، ١٠٥، ١٠٧، ١١١، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٤٢، ١٥٢، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٩٠، ١٩١، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٧٣، ٣٠٥، ٣١٦، ٣١٨، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٥١، ٣٦٠، ٣٦٢، ٤٢٨، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٧٠، ٤٨٢، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٣٥، ٥٦٢، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٣٤، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٧، ٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨٤، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٩٠-٦٩٢، ٦٩٨، ٧٣١، ٧٣٩، ٧٦٨.

وصايا متنوعـة: ٣٥٥، ٥٤٧، ٦٧٨، ٦٨٠-٦٨٥، ٦٨٩.

المواهـب الروحيـة: ٧١، ٨٢، ١٢١، ١٤٦، ١٤٧، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٣١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٥، ٣١٣، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٦٩، ٥٢١، ٧٧١، ٧٧٢.

موهبة الاستبصار (كشف الخفيات): ٢٦، ٢٧، ٧١، ٧٨، ٩٢، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٤٦، ٢٦٥، ٣١٣، ٣٢٥، ٣٢٩، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٨٨، ٦٢٨، ٧٣١، ٧٦٦.

موهبة تمييز الأرواح: ١١٣، ١٢١، ١٢٤.

موهبـة الشـفاء: ٧١، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٢، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠١، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٠٩، ٤١٣، ٤٦٩، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٥٤، ٦١٨، ٧١١، ٧٣٥، ٧٤٥، ٧٤٧، ٧٧٢.

موهبـة النبـوة: ٢٦، ٧١، ٨٧، ٩٢، ١١٩، ١٣٣، ٢٤٦، ٢٥٧، ٣٢٩، ٤٠٣، ٤٦٩، ٤٧٢، ٥٠٥، ٥٣٦، ٥٥٩، ٧٧٢، ٧٧٣.

حرف [ي]

التيقظ والتحفظ: ١٠٨، ١٠٩، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ٢٣٤، ٢٧٠، ٢٨٤، ٢٩٩، ٣١٤، ٣١٦، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٩٥، ٤٢٢، ٤٥٩-٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٠، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١٢، ٥٢٩، ٥٤٧، ٥٦٠، ٥٨٣-٥٨٦، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٥، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٣، ٦٠٧، ٦١٦، ٦٣٢، ٦٤٧، ٦٦٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٨٥-٦٨٧، ٦٩١، ٧٠١، ٧١١، ٧١٢، ٧١٧، ٧٢٧، ٧٥٩، ٧٦٣، ٧٦٦.

من الآداب الرهبانية
في القرون الأولى للرهبنة
****

فردوس الآبـــاء

(بستان الرهبان الموسع)

أي

قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين

محققة من مصادرها الأصلية

❑❀☀❀❒

الجزء الثاني

إعداد رهبان برية شيهيت

الطبعة الأولى

٢٠٠٧

شرح صورة الغلاف

وجه الغلاف: مشهد سماوي يتوسطه الرب يسوع، وعن يمينه القديس أنبا بـولا أول السـواح، وعن يساره القديس أنبا أنطونيوس. وأسفل الرب يسوع: القديسون أنبا باخوميوس وأنبا مقار الكبير وأنبا شنودة رئيس المتوحدين.

ظهر الغلاف: اثنان من الملائكة يتطلعان من السماء وهما يشيران إلى بعض الرهبـان في طريـق جهادهم في البراري. وعن اليسار صورة الكروب (أحد الشيروبيم) ممسكًا بيد أب برية شيهيت أنبـا مقار الكبير، مقتادا إياه إليها ومصاحبا له في طريق جهاده.

اسم الكتاب: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع) الجزء الثاني

اسم المؤلف: رهبان ببرية شيهيت

الطبعـــة: الأولى ٢٠٠٧

رقم الإيداع:

المطبعـــة: مطبعة الدلتا: ٢٤ شارع الدلتا – سبورتنج - الإسكندرية

صورة البابا شنودة

المحتويات

	رقم الصفحة
المقدمـــة	١
المراجع واختصاراتها	٢
الباب الثالــث: قصص وأقوال الأنبا باخوميوس وتلاميذه والأنبا شنودة وتلميذه	٣
الفصل الأول: قصص وأقوال الأنبا باخوميوس	٤
من أقوال الأنبا باخوميوس	١٣٩
الفصل الثاني: عظات وتعاليم ورسائل وقوانين أنبا باخوميوس	١٤٦
أولاً: عظاته وتعاليمه	١٤٦
ثانيا: الرسائل	١٦٧
ثالثًا: مقتطفات من المخطوطات	١٨٢
رابعا: قوانين أنبا باخوميوس	١٨٥
القسم الأول: التعليمات	١٨٩
القسم الثاني: التعليمات والأنظمة	٢٠٥
القسم الثالث: التعليمات والأحكام	٢٠٨
القسم الرابع: التعليمات والشرائع	٢١١
الفصل الثالث: تلاميذ أنبا باخوميوس:	٢١٣
أولاً: قصص وأقوال الأب بترونيوس	٢١٣
ثانيا: قصص وأقوال الأب أورسيزيوس	٢١٦
تعاليم الأب أورسيزيوس	٢٢١
توجيهات الأب أورسيزيوس	٢٣١
رسائل الأب أورسيزيوس	٢٤٥
كتاب عهد الأب أورسيزيوس	٢٥٣
ثالثًا: قصص وأقوال الأب ثيئودورس (تادرس)	٢٨١
تعاليم للأب تادرس	٣٢٦
رسالة الأسقف آمون عن الأب تادرس	٣٢٩
كتابات الأب تادرس: (أ) العظات	٣٥٠
(ب) رسائل الأب تادرس بخصوص البصخة	٣٦٧
مقتطفات للأب تادرس	٣٦٩
الفصل الرابع: قصص وأقوال الأنبا شنودة رئيس المتوحدين وتلميذه	٣٧٣
أولاً: قصص وأقوال الأنبا شنودة	٣٧٥
صــلاة خاصة بالقديس	٤٠١
عظات الأنبا شنودة	٤٠٣
بعض شروحات للأنبا شنودة	٤٤٥
هجوم القديس على الشيطان	٤٥٠
من تعاليم الأنبا شنودة	٤٥٦
ثانيا: قصص وأقوال أنبا ويصا	٤٦٤
عظات ورسائل أنبا ويصا	٤٦٥
الفهرس الموضوعي	٤٧٣

البـاب الثالث

قصص وأقوال القديس أنبا باخوميوس

أب الشركة الرهبانية

وأقوال تلاميذه

*****



✞

المراجع واختصاراتها

G 1 = سيرة أنبا باخوميوس الأولى باللغة اليونانية

G 2 = سيرة أنبا باخوميوس الثانية باللغة اليونانية

Paral. = Paralipomena تجميع لبعض قصص أنبا باخوميوس باللغة اليونانية

S 1 = سيرة القديس الأولى باللغة القبطية الصعيدية

S 2 = سيرة القديس الثانية باللغة القبطية الصعيدية

S 10 = أجزاء المخطوطة القبطية الصعيدية العاشرة

SBO = سيرة القديس المنقّحة باللغة القبطية البحيرية والمترجمة إلى الإنجليزية في كتاب Pachomian Koinonia, 3 Volumes.

Draguet = ما نشره العالم R. Draguet من مخطوطة عن أنبا باخوميوس

PHF. = The Paradise of the Holy Fathers, Compiled by St. Athanasius the Archbishop of Alexandria, Palladius bishop of Helenopolis and St. Jerome and others, London, 1907.

Laus. = The Lausiac History of Palladius.

باخوم عربي = كتاب "القديس أنبا باخوميوس أب الشركة" المطبوع باللغة العربية – نقحه عن المخطوطات القمص عبد المسيح المسعودي، طبعة سنة ١٨٩١م.

شنودة عربي = سيرة أنبا شنودة رئيس المتوحدين باللغة العربية.

م ٤١ = مخطوطة "تعاليم لكثيرين" رقم م ٤١ بمكتبة دير أنبا مقار.

الفصل الأول

قصص وأقوال

القديس أنبا باخوميوس

أب الشركة

قال بالليديوس: عاش في منطقة "طابنيسي" في صعيد مصر[١]، إنسان مبارك اسمه "باخوميوس"، وهو من النوع الذي يعيش باستقامة، وقد سلك حياةً نسكية فائقة حتى إنه استحق موهبة النبوة والرؤى الملائكية، وقد كُلل بمحبة الله والإنسان. وقد صار ممتلئًا بالرقة وروح الأخوة (ولكنه كان حازما)[❖].

قال الذين كتبوا سيرة أنبا باخوميوس: "لم يكن غرضنا أن نمدحه، لأنه ليس في حاجة إلى مديح الناس، إذ هو الآن في رفقة آبائه حيث المدح الحقيقي. وقد علمنا عنه أنه حين كان في الجسد لم يحسب نفسه أهلاً أن يطلب لأجل نفسه في صلواته الدائمة، بل كان يلجأ إلى القديسين ليكونوا شفعاءه قائلاً: "أنتم يا من صرتم أهلاً لله، اطلبوا من أجلي أنا الخاطئ". فهو لم يكن واحدا من الأنبياء أو الآباء البطاركة أو الرسل، ولكنه كان ابنا حقيقيا لهم مثل جميع الذين هم على مثاله في كل مكان. لأن دم ربنا يسوع المسيح قد طهر الأرض كلها ولا زال يطهرها، وعوض الشوك والحسك ملأها بغنى معرفته الإلهية"[٢].

نشأة القديس:

قيل عن أنبا باخوميوس إنه كان ابنا لأبوين وثنيين من طيبة. وحدث أن الصبي ذهب مرةً مع والديه إلى هيكلٍ للأصنام لكي يقدموا ذبيحةً لحيوانات مائية كانت تسكنها أرواح شريرة[٣]، ولما رأت تلك المخلوقات هذا الصبي خافت وهربت. فصاح الكاهن الموكل على الذبيحة قائلاً: "اِبعِدوا عدو الآلهة من هنا لكي يكفّوا عن غضبهم منا، لأنهم بسببه لا يصعدون"! فوبخه والداه قائلَين: "لماذا تغضِب الآلهة منك"؟ فتنهد

---

(١) كانت طابنيسي بجوار "دندرة" في الجانب الشرقي من نهر النيل شمال طيبة (الأقصر). وقد أخطأت مخطوطة المؤرخ "سوزومين" في اسمها اليوناني مما جعل البعض يظن أنها جزيرة في النيل. وقيل إنه ولد عام ٢٩٢م في قرية "أنتينوي" جنوبي بلدة "لاتوبوليس" (إسنا الحالية)، كما قيل في روايةٍ أخرى إنه كان ببلدة "كينوبوسكيون"، وهي الآن "قصر الصياد" بمحافظة قنا، وهي لم تتخذ اسم "كينوبوسكيون" - الذي يعني "مقر الرهبنة المشتركة" - إلاّ بعد أن أنشأ أنبا باخوم رهبنته فيها.

(❖) Laus., 32:1; PHF., I: p. 144.

وقد درس العلامة "دراجيه Draguet" هذا الفصل (٣٢) من التاريخ اللوزياكي بالتفصيل واستنتج أنه أُخِذ بالكامل من وثيقة باللغة القبطية الصعيدية وجدها بالليديوس في نتريا مترجمة إلى اللغة اليونانية.

(2) G 1, 98.

(٣) كان إلههم على شكل سمكة تدعى "لاتوس" التي جاء منها اسم مدينة "لاتوبوليس".

الصبي وهو ناظر إلى فوق، وانطلق إلى البيت.

وفي يومٍ آخر أحضروه معهم إلى الهيكل ليقدموا ذبيحةً. وبعد أن قدموها أعطوه من الخمر الذي سكبوه للشياطين فتقيأه بشدة. فاغتم والداه لأنّ آلهتهما كانت معاديةً له.

ولما صار راهبا ذكر للرهبان هذه القصة قائلاً: "لا تظنوا أنّ الشياطين الذين لا يعرفون الصلاح أبعدوني في ذلك الوقت لسابق علمٍ منهم أنني سأحظى بالرحمة فيما بعد بقبولي للإيمان الحقيقي، لكنهم لما رأوا بغضتي للشر منذ صباي - «لأنّ الله صنع الإنسان مستقيما» (جا ٧: ٢٩) - تيقّنوا في نفوسهم أنني سأُقبِل على عبادة الله، ولذلك حركوا خدامهم أن يبعِدوني، وذلك مثلما يقول الإنسان عن حقلٍ قد تنقّى: إنّ هذا الحقل الذي تنقّى من كل زوانٍ لا بد أنه سيزرع ببذارٍ جيدة"[٤].

وقيل إنّ والديه أرسلاه مرةً ومعه مرجل به لحم ظبي إلى عمال في مكان ما. وفي الطريق جمع إبليس حشدا من الشياطين حوله في هيئة كلابٍ يتحفزون لقتله، فرفع عينيه إلى السماء وبكى، فتفرقوا في الحال. ثم اتخذ إبليس شكل رجل عجوز وقال له: "إذا كنت هكذا منـزعجا في الطريق فذلك لأنك غير مطيع لوالديك". فنفخ الصبي في وجهه فاختفى في الحال.

ولما وصل إلى المكان الذي أُرسِل إليه سلم مرجل اللحم إلى العمال، وكان لا بد أن يبيت هناك، وكان لصاحب المكان ابنتان رائعتا الجمال، فأمسكت إحداهما به قائلةً: "اِضطجع معي". ولكنه ارتعب من هذا الأمر لأنه كان يعتبره نجاسةً وخطيةً بشعةً أمام الله والناس. فقال لها: "أنا لا أقترف هذا العمل النجس. هل لي عينا كلب حتى أضطجع مع أختي"؟ وهكذا أنقذه الله من يديها، ثم هرب راكضا إلى بيته[٥].

باخوميوس يصبح مسيحيا:

أمر الإمبراطور قسطنطين بحشد عدد كبير للجندية لمحاربة أحد الملوك المتمردين، وأُخِذَ باخوميوس معهم وكان في سن العشرين تقريبا، وركبوا سفينةً في النهر. ثم أرسى العساكر الموكلون م عند ميناء طيبة (القريب من إسنا)، وهناك وضعوهم في حبس لكي لا يهرب أحد. ولما سمع م بعض المسيحيين الرحومين آخر النهار، أحضروا لهم طعاما وشرابا واحتياجا م الأخرى، فتساءل باخوميوس: "لماذا يصنعون معنا هذه المحبة العظيمة وهم لا يعرفوننا"؟ فقيل له إ م مسيحيون، وهم دائما يصنعون الرحمة حتى للغرباء لأجل إله

(4) G 1, 3; SBO, 4, 6.

(5) SBO, 5.

السماء. ولما تقصى عن إيما م علم أ م يؤمنون بالمسيح ابن الله ويصنعون صلاحا لكل أحدٍ، واضعين رجاءهم في ذاك الذي خلق السماء والأرض وكل ما فيها.

فلما سمع ذلك عملت النعمة في قلبه والتهب قلبه بالفرح ومخافة الله، ووضع في قلبه أنه إذا تخلص من تلك الضغطة يصير مسيحيا. ثم انفرد في حبسه وصلّى قائلاً: "يا الله خالق السماء والأرض، إذا نظرت إلى مذلّتي وخلّصتني من هذه الضيقة سأخدمك حسب مشيئتك كل أيام حياتي وأحب كل الناس وأخدمهم حسب وصيتك". وقد تضايق من رفقائه كثيرا في الطريق بسبب مسرا م الدنيوية وانحرافا م، وكانوا يطلبون منه أن يشاركهم فيها، ولكنه كان يبتعد عنهم إذ كان قد أحب الطهارة منذ طفولته.

ولما هزم قسطنطين أعداءه أمر بتسريح الشبان، فذهب باخوميوس إلى قرية "شنيست" (أو "كينوبوسكيون") حيث بدأ يوفي نذره وصار موعوظًا في كنيستها وتعمد في خميس الفصح ا يد، وفي الليلة التي أُهل فيها للأسرار المقدسة رأى في حلمٍ أنّ ندى السماء نازلٌ عليه وتجمع في يده اليمنى وتحول إلى قرص عسل وبدأ يقطر على الأرض كلها (لعلها نبوة عن انتشار نظامه الرهباني في العالم كله)، وسمع من يقول له: "تأمل فيما يحدث لأنه سيتحقق بعد زمان"[٦].

وقيل عنه: إنه خدم أهل قرية "شنيست" عندما مات الكثير منهم بسبب الوبـأ، ثم شعر بالميل إلى الرهبنة، ثم قال لنفسه: "إنّ خدمة المرضى في القرى ليست مـن عمـل الراهب، ومن اليوم لن أقوم ا لئلاّ يتشبه بي أحد (من الرهبان) ويعثر بسببـي"[٧].

رهبنة باخوميوس بواسطة القديس بلامون:

وقيل إنه بعد أن قضى ثلاث سنوات في ذلك المكان ووجد أنّ كثيرين يحتشدون حوله حتى صاروا ثقلاً كبيرا عليه، لأ م ما كانوا يسمحون له بلحظة هدوء، ولأنّ قلبه كان ملتهبا بمحبة الله؛ حينئذٍ التمس أن يصير راهبا لكي يسلم نفسه لحياة النسك الهادئة.

وبينما كان يفكر في الابتعاد عن ذلك المكان لهذا الغرض، أخبره القسيس الذي عمده بوجود شيخ ناسك عتيق الأيام اسمه **"بلامون"** يعيش بالقرب من تلك القرية، وقد صار قدوةً وأبا لكثيرين. ففي الحال ترك موضعه لشيخ بتول لكي يهتم باحتياجات المساكين، ثم ذهب إلى الشيخ القديس. ولما قرع باب قلاية الشيخ تطلّع إليه من الكوة قائلاً: "من أنت أيها الأخ؟ وماذا تريد"؟ فأجابه قائلاً: "يا أبي، أريد أن تسمح لي أن أكون راهبا معكم".

---

(6) G 1: 4, 5; SBO: 7, 8; باخوميوس ص ٦ س٤ ورقة ٢٠؛

(7) SBO: 9; باخوميوس ص٦

فقال له الأب: "يا بني، هذا الأمر الذي تطلبه ليس ـذه البساطة، فالرهبنة ليست مطلقة للكل ولا يأتي إليها الإنسان كيفما اتفق، وكثيرون جاءوا يطلبو ا وهم يجهلون أتعا ا، ولما لم يتحملوها ويصبروا عليها ارتدوا خائبين، مع أنّ الكتاب المقدس يوصينا في مواضع عديدة أن نفعل ذلك ناصحا إيانا أن نتعب في أصوامٍ وأسهار وصلواتٍ متواترةٍ لكي نخلص. فاذهب إلى مسكنك وتمسك بما عندك وأنت ستكون مكرما من الله، أو جرب نفسك من كل ناحيةٍ لترى مقدار ثباتك ثم عد إلينا، وحينئذٍ سنكون مستعدين - بقدر ما يسمح لنا ضعفنا - أن نتعب معك حتى تحصل على معرفة ذاتك، ونظهر لك قدر الحياة الرهبانية".

فأجابه باخوميوس: "يا أبي، لا تردني ولا تصد اشتياقي، بل اقبلني وأطـل روحـك علي وجربني، وبعد ذلك افعل ما بدا لك". فقال له الشيخ: "جرب نفسك أنت أولاً يا بني ثم تعالَ، لأنّ نسك الرهبنة فيه ضيق وخشونة وتقشف كثير، لأنّ تدبيرها - حسبما تعلّمنا من الذين سبقونا[٨] - هو هكذا: نحن دائما نقضي نصف الليل، وكثيرا ما نقضي من المساء حتى الصباح، ساهرين في الصلاة وتلاوة كلام الله، كما أننا نعمل بأيـدينا في الخيوط أو السعف أو الشعر أو ليف النخل لئلاّ يغلبنا النعاس، ولأجل قـوام أجسـادنا أيضا، وكل ما هو أكثر من احتياجنا نعطيه للمساكين تبعا لكلام الرسول: «أن نـذكر الفقراء» (غل٢: ١٠). أما الزيت وشرب الخمر والأطعمة المطبوخة فهي أشـياء غـير معروفة لدينا. إننا دائما نصوم حتى المساء في فصل الصيف، وفي الشتاء نصوم يومين أو ثلاثة ونفطر على خبز وملح فقط. أما عن الصلوات فهي سـتون صـلاة في النـهار وخمسون بالليل، والصلوات السهمية لا نحصيها. ونحن نفعل ذلـك حـتى لا نكـون مقصرين حيث إننا قد أُوصينا أن نصلي بلا انقطاع (١تس٥: ١٧)، كما أنه مكتوب: «أعلى أحد بينكم مشقّات فليصل» (يع٥: ١٣)، كذلك فقد أوصى ربنا يسوع المسيح تلاميذه قائلاً: «اسهروا وصلوا لئلاّ تدخلوا في تجربة» (مت٢٦: ٤١). فالصلاة هي حقًا أُم جميع الفضائل. هذا هو ناموس الحياة الرهبانية، فاذهب الآن وامتحن نفسك من كل جهةٍ، فإن استطعت أن تفعل ما أعلمتك به ولا ترتد عنه فسنفرح معك".

فلما سمع باخوميوس كلام أنبا بلامون ورأى أنه أجاب باتضاع قال له: "لقد جربت نفسي في كل شيء لعدة أيام قبل مجيئي إلى محبتك، وبصلواتكم أستطيع أن أصبر على كل ما قلته لي". حينئذٍ نزل القديس وفتح له الباب وقبله وقال له: "لا تظن يا بني أنّ كل ما قلته لك بخصوص النسك والصلاة والأسهار هو من قبيل ا ـد البشري الباطل،

---

(٨) هذا يدل على أنه كان يوجد حينئذٍ تقليد رهباني معروف.

كما لا تظن أننا نخدع الناس أو نخيفهم، فنحن نعلمك كيف تعمل لأجل خلاصك فحسب حتى لا تكون لك حجة علينا، لأنه مكتوب: «كل ما أُظهر فهو نور» (أف٥: ١٣). كما أنك بالقسوة على ذاتك تدخل ملكوت السموات، فقد حملنا على عاتقنا صليب مسيحنا، ليس العود الخشبي، بل شقاء الجسم وقمع شهواته وإماتة أهوائنا. ونحن نبعد عنا الملل بذكر الموت، وبالاتضاع نواجه كل تعظم وارتفاع ونحرس أفكارنا من الهواجس الرديئة، وبذلك نقدم حياتنا ذبيحةً مرضيةً لله، لأننا تأكّدنا أنّ المواهب الروحية توزع على قدر الأتعاب الجسدية ذاكرين قول الرب: «ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه» (مت١١: ١٢)، وأنه «بضيقاتٍ كثيرةٍ ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢)“.

فتأيد باخوميوس بالروح وتشجع بالأكثر على تحمل الأتعاب وقال له: ”ثقتي بالمسيح إلهنا وصلواتكم أنني أتقوى على كل ذلك وأصبر معك حتى إلى الموت، وأنّ قلبك سيستريح من جهتي“. فقال الشيخ: ”حسن جدا“. وفتح له في الحال وقبله بفرح، وأسكنه معه عدة أيام لكي يمتحنه بالصلوات والأسهار والأصوام. وبعد ثلاثة شهور كاملة رأى صبره وشجاعته وعزيمته الثابتة، فأخذ زيا رهبانيا ووضعه أمام المذبح، وقضيا الليل كله يصلّيان عليه، وعند شق الفجر باكرا ألبسه إياه، وكان عمره حينئذٍ نحو ثلاث وعشرين سنة[(٩)].

وقيل إنّ هذين القديسين عاشا كإنسانٍ واحد يمارسان نسكًا صعبا ومجهدا. وبمجرد أن صار باخوميوس راهبا أراد أنبا بلامون أن يجربه بالأسهار من المساء حتى الصباح في الصلوات وتلاوة كلمة الله والتسابيح وأتعاب جسدية كثيرة لكي يحكم على طاقته في النوم ويرى إن كان يصمد دون أن تعتلّ صحته، فلما جاء المساء تناولا وجبتهما البسيطة وقال الشيخ للشاب باخوميوس: ”بِلّ لنا بعض القصب (البوص) والليف مما يكفي الليل كله، لأنّ تدبيرنا هو أن نسهر من المساء حتى الصباح في مساء السبت“. ففعل باخوميوس ما أوصاه به أنبا بلامون بطاعةٍ عظيمة.

وبعد الغروب نهضا للصلاة وواصلا السهر مباركين الله وملازمين لعملهما اليدوي بدون توقف. وإذا ثقل عليهما النوم أثناء العمل كانا يستبدلانه بعمل يدوي آخر لكي يتغلّبا على ثقل النوم. وإذا وجدا أنّ النوم لا زال يقاتلهما كانا يذهبان إلى الجبل ويحملان الرمل في مقاطف من مكان إلى آخر لكي يتعِبا الجسد حتى يظلاّ مستيقظين لكي يصلّيا لله. ولما كان الشيخ يرى أنّ الشاب يترنح من ثقل النوم كان يعزيه قائلاً: ”كُن مستيقظًا يا باخوميوس

(9) SBO, 10; G 1, 6.

لئلاّ يجربك الشيطان، لأنّ كثيرين رقدوا في بؤسهم بسبب ثقل النوم".

ولما رأى الشيخ أنه كان يصمد حتى وقت خدمة الصلاة كان يفرح لطاعته ونموه ويبتهج لخلاصه(١٠).

وفي **يوم عيد القيامة** قال القديس بلامون لتلميذه: "طالما أن اليوم عيد، قم وأعِد لنا طعاما فنأكل قليلاً في نصف النهار ومرةً أخرى في المساء". فصب زيتا على الملح وأعد أيضا بعضا من نبات الأرض بدون خلّ أو زيت، ثم دعاه باخوميوس ليأكل. وبعـد أن صلّيا رأى الشيخ الزيت فلطم على وجهه وهو يبكي ويقول: "الرب قد صـلِب مـن أجلي وأنا آكل زيتا؟! فلنأكل بعض الخضروات بدون زيت ولا نترك ناموس آبائنا لئلاّ نعطي الجسد قوةً زائدة"! فتوسل إليه باخوميوس بمخافةٍ، وبالجهد قَبِلَ أن يأكل بعد أن أفرغ الزيت من الملح. وهكذا أكلا بينما كانت الدموع تنهمر على خديهما. فقد كان الأب بلامون دائما حاملاً الصليب كقول المخلص، تابعا إياه بقلبٍ متضع(١١).

اِعتاد باخوميوس أن يذهب كثيرا إلى المقابر ويقضي الليل كله في الصلاة حتى يصير الموضع الذي يقف عليه طينا من كثرة عرقه. وبعد أربع سنوات رأى الرؤية التي رآها من قبل: ندى السماء نازلاً عليه ومالئًا لوجه الأرض كلها، كما رأى أيضا أنّ بعض المفاتيح قد أُعطيت له سرا(١٢). وفي الصباح أبلغ الأب بلامون بالرؤية، فتحير الشيخ ثم قال: "هذا الأمر له معنى عميق يا ابني باخوميوس، ولكن فلتكن مشيئة الرب"(١٣).

وحدث ذات يوم، في عيد الإبيفانيا، أنّ باخوميوس كان عائدا من غابة الأكاسيا (أي الصمغ)، فرأى الشيخ بلامون يغلي شيئًا في وعاء. فتساءل في نفسه متعجبا: "ما الذي يطبخه الشيخ اليوم"؟ وبعد قليل قال الشيخ: "يا باخوميوس، أحضر الطبق هنا سريعا". فلما أحضر الطبق كشف الأب بلامون الوعاء وأفرغه في الطبق، فإذ به بعض التين الجاف فقط! لأنه كان في ذلك المكان شجرة تين ضخمة اِعتادا أن يسقياها بيديهما لحاجة المرضى. ثم قاما وصلّيا وأكلا شاكرين الرب لأنه: «للنفس الجائعة كل مر حلو» (أم٢٧: ٧)(١٤).

في **أحد الأيام** بينما كان باخوميوس مع الأب بلامون ساهرين، جاء إليهما راهب كان قد استولى عليه الغرور والظن بالذات، وكانت قدامهما نار مشتعلة لأنّ الوقت

---

(10) Ibid.

(11) G 1, 7; SBO, 11.

(١٢) توجد صورة أثرية للقديس في هيكل ق. يوحنا المعمدان بكنيسة أنبا مقار بديره ببرية شيهيت ممسكًا بيده مفتاحا.

(13) SBO, 12, 13.

(14) SBO, 13.

كان شتاءً، فلما رآها الضيف ملأه ا ـد الباطل وقال لهما: "من منكما له إيمان صادق بالله فليقف على هذا الجمر ويقول الصلاة الربانية". فزجره الشيخ قائلاً: "ملعونٌ هو الشيطان النجس الذي ألقى هذا الفكر الفارغ في قلبك، فكُف عن ذلك لأنه من شيطان العجب". فلم يحفل الأخ بكلامه ولكنه قال: "أنا أنا". ثم وقف على الجمر كثيرا وهو يقول الصلاة الربانية مهلاً مهلاً، وخرج من النار دون أن تضره بشيء، فتصلّف قلبه بالأكثر ثم مضى إلى مسكنه بكل كبرياء.

فقال باخوميوس للشيخ: "يعلم الله، يا أبي، لقد تعجبت من ذلك الأخ الذي وقف على هذا الجمر ولم تحترق قدماه". فقال له الشيخ: "لا تعجب يا بني من ذلك، لأنه بلا شك من فعل الشيطان، وبسبب أنه لم يتذلّل بقلبه سمح الرب ألاّ تحترق قدماه كما هـو مكتوب: «الله يرسل للمعوجين طرقًا معوجة» (أم ٢١: ٨ حسب السـبعينية)، ولـو علمت يا بني ما سينتهي إليه أمره لكنت تبكي على تعاسته".

وبعد أيامٍ قليلةٍ لما رأى الشيطان أنه قد صار تحت سطوته وخداعه، تشكّل بصورة امرأة جميلة جدا متزينة بثيابٍ فاخرةٍ، فجاءت وقرعت بابه ففتح لها لوقته، فقالت له: "اِعلم أيها الأب الخير أنه علي دين لقوم مقتدرين وهم يطلبونه ولا أقدر الآن أن أوفيهم، وأخشى أن يقبضوا علي ويأخذوني عبدةً لهم لأ ـم مسافرون، فاعمل جميلاً وآوني عندك يوما واحدا أو يومين حتى يذهبوا". أما هو فبسبب عمى بصيرته لم يميز هذا كله وسمح لها بالدخول، ثم أصابه الشيطان بسهم الشهوة الشريرة وأماله إلى الخطية، ولما اقترب منها ليكمل قصده ألقاه الشيطان على الأرض مصروعا، وظلّ هكذا كالميت. وبعد أيامٍ قليلةٍ حين عاد إلى رشده قليلاً جاء إلى الأب بلامون باكيا مرتعدا وقال: "أنا السبب في سقطتي، لأنك نصحتني كثيرا ولم أُنصت إليك. والآن أعني في شقائي لأنني في خطر أن يهلكني الشيطان".

فوقف الأب بلامون مع تلميذه باخوميوس ليصلّيا لأجله، وبينما هو واقف معهما باغتـه الروح الشرير فقفز خارجا وسار مسافةً كبيرةً في الجبل حـتى وصـل إلى مدينـةٍ تـدعى "بانوس"[(١٥)]، وظلّ هناك تائه العقل حتى ألقى بنفسه في تنور (أي فرن) متقد واحترق فيه[(١٦)].

لما رأى باخوميوس هذه الأمور ازداد حرصه على تقدمه، وكان يسهر على حراسة قلبه بكل يقظةٍ كقول الكتاب حتى إنّ الشيخ القديس كان يعجب منه ليس من أجل احتماله

(١٥) هي "بانوبوليس" وتدعى أيضا "إشمين" وهي إخميم الحالية، وتبعد حوالي ٥٠ ميلاً عن برية الأب بلامون.
(16) G 1, 8; SBO, 14; ٨٧ س ٤ ورقة

لجهاد النسك الخارجي الشاق باختياره فحسب، بل ومن أجل غيرته الشديدة على نقاوة ضميره حتى إلى الكمال الذي بحسب ناموس الله ذاكرا الرجاء العظيم المدّخر في السماء.

ولما كان يقرأ كلام الله أو يتلوه عن ظهر قلب، ما كان يفعل ذلك كما هي عـادة الكثيرين بل كان يجاهد لكي يعي في نفسه ويفهم معنى كل شيء بكل تواضع ووداعـة وصدق كقول الرب: «تعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت١١: ٢٩)(١٧).

كانت البرية هناك مليئة بالأشواك، وكان باخوميوس يجمع حطبا من هناك وهـو حافي القدمين، فكانت الأشواك تؤلم قدميه جدا، وكان يحتمل ذلك مذكرا نفسه بمسامير يدي المخلص وقدميه. وكانت عادته أن يقف مصليا في البرية ويسـأل الله أن يخلصـه ويخلص كل إنسان من خداع العدو، ولهذا كان محبوبا جدا عند الله(١٨).

ظلّ باخوميوس يسير في **البرية** حتى وصل إلى قريةٍ مهجـورةٍ تـدعى "طبانسـين ταβεννισιν"، وهناك قام يصلي ومحبة الله تلهب قلبه. وبعد أن صلى كـثيرا جـاءه صوت يقول له: "أُمكث هنا وابنِ ديرا فإنّ كثيرين سيأتون إليك ليصيروا رهبانا". فميز القديس الصوت المقدس، وعاد إلى أبيه وأعلمه بذلك، فحزن أبوه جدا إذ كان يعاملـه كابنه الخاص. وبعد إقناع كثير بنيا معا هناك ديرا صغيرا. ثم قال له الشـيخ القـديس: "لأني أومن أنّ هذا صار لك من الله، فلنتعاهد فيما بيننا أن نتبادل الزيـارة". وظـلاّ يفعلان ذلك طيلة حياة أنبا بلامون(١٩).

أجهد القديس بلامون نفسه بالنسك، وبعد زمان توجع بطحاله وامتد الهـزال إلى بقية جسده، فكثيرا ما كان لا يشرب بعد أن يأكل، وأحيانا يشرب ولا يأكل. وبعد أن نصحه أحد الأطباء وبعض الإخوة أن يهتم بنفسه لكي يشفى اقتنع أن يأكل الأطعمـة الموافقة لمرضه لبضعة أيام. ولكن الألم لم يزول، فامتنع عن هذه الأطعمة قائلاً: "إذا كان شهداء المسيح بإيمانهم بالله صبروا على تقطيع أطرافهم حتى الموت وقُطِعـت رؤوسـهم وأُحرِقوا، فهل أنزعج أنا من قليل من الألم؟ وهذا الطعام الذي كان يظَن أنه سيساعدني على الشفاء لم يأتِ بفائدةٍ. أما جهاد النسك الشاق ففيه راحة من كل شـيء، لأنـني أمارسه ليس بحسب مشيئة الناس بل بحسب مشيئة الله".

وعاد القديس بشجاعةٍ إلى نسكه السابق، وبعد شهر اشتد عليـه المـرض وجـاء باخوميوس من طبانسين ليفتقده وظلّ يعتني به حتى افتقده الله. فدفنه أبونا بـاخوميوس

(17) G 1, 9; SBO, 15a. (18) G 1, 11; SBO, 15b. (19) G 1, 12; SBO, 17.

وعاد إلى موضع جهاده[٢٠].

سمع عن باخوميوس أخوه بالجسد الذي كان قد آمن بالمسيح وسمي في المعمودية "يوحنا"، كما سمع عن أخبار أخيه الصالحة وذهب إليه في طابنيسي، فقبله باخوميوس وعانقه بفرح، ثم حدثه بكلمة الله، فعشق يوحنا الحياة الرهبانية وأقام عند أخيه في ديره الذي أنشأه. وكانا كلاهما يدرسان الأسفار الإلهية ويمارسان معا نسكًا شديدا حاملين صليب المسيح بحسب قول القديس بولس: «حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضا في جسدنا» (٢كو٤: ١٠و١١).

وكانا كلاهما يشتغلان بأيديهما كأمر الرسول ويعطيان ما يكتسبانه للمحتاجين ما عدا احتياجهما الضروري. وكانا يرتديان مع بقية الإخوة لباس الفقراء، لكل واحدٍ ثوب واحد، وابتاع كلٌ منهما لنفسه عباءةً صغيرةً، وعندما كان كل منهما يغسل ثوبه كان يرتدي العباءة ثم يرتدي ثوبه مرةً أخرى. أما باخوميوس فكان يتسربل بثوب شعر خشن، وكان غذاؤه هو كما تعلّمه من القديس بلامون معلمه. وكانا لا يحتفظان بشيء سوى رغيفين من الخبز في اليوم وقليلٍ من الملح.

وإذا احتاجا إلى القليل من النوم كانا يجلسان وسط المكان الذي يصلّيان فيه دون أن يسندا ظهريهما على الحائط ... وبذلك كانا يتممان قول الإنجيل: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مت١٦: ٢٤). ولما سمع كثير من الآباء ذلك أو رأوه، كانوا يجاهدون ليتشبهوا بمثل تلك الإماتات الجسدية لكي يقتنوا خلاص نفوسهم، وقد جاهدوا كثيرا لإرضاء الله كل على قدر إمكانه[٢١].

بناء القديس أول دير في العالم:

بينما كان أنبا باخوميوس في مغارته ظهر له ملاك وقال له: 'بكل ما في وسعك اجعل سلوكك في حياتك كاملاً. وحيث إنك أكملت تلمذتك، فليس من الضروري أن تمكث هكذا في قلايتك. فاترك الآن هذا المكان واخرج وادع الرهبان الشباب واسكن معهم، ونظم حياتهم بحسب المثال الذي أعطيه لك الآن'. ثم أعطاه الملاك لوحا من البرونز محفورا عليه ما يأتي:

+ دع كل واحدٍ يأكل ويشرب عندما يرغب وكما يتناسب مع مقدرته، وقسم لهم أعمالهم بما يتفق مع قدرات كل منهم، ولا تعوق أي واحدٍ عن الصوم أو الأكل. عين

(20) G 1, 13; SBO, 16, 18; QRT, 22.
(21) G 1, 14; SBO, 19; W. & W., I: 109: باخوم (سيرة أنبا باخوميوس باللغة العربية)

أصعب الأعمال للأقوى منهم الذين يأكلون، والأقل صعوبة للضعفاء والأكثر نسكًا. وابنِ قلالي منفصلة في الدير واجعل في كل منها ثلاثة رهبان. وينبغي أن يتناول الجميع وجباتهم في مكان واحد.

+ دعهم ألاّ يضطجعوا بطول الجسم، بل اعمل لهم مقاعد لكي يستريحوا وهم جالسون على أغطيتهم المفروشة على الكراسي، وفي الليل يمكنهم أن يرتدوا رداءهم الرهباني "الليبيتوناريا λεβιτών" (وهو بدون أكمام)، ولتكن أحقاؤهم ممنطَقة. وليكن لكلِ واحدٍ قلنسوة للرأس ومعطف من جلد الغنم لا يأكلون بدونه. وفي يومي السبت والأحد ينبغي أن يتناولوا من الشركة المقدسة مرتدين القلنسوة بدون أي وبرة، وكل قلنسوة يكون لها في جهتها الأمامية صليب من الأرجوان. وعند التناول يمكنهم أن يحلّوا مناطقهم ويدخلوا بقلنسوة البرنس (غطاء الرأس والعنق معًا) فقط. فصنع الأب باخوميوس لهم قلسوات، وهي تشبه غطاء رأس الطفل، كما عمل وسما على شكل صليب على القلنسوة بالأرجوان[٢٢].

هكذا أُوحي لأنبا باخوميوس أن يمكث هناك ويبني ديرا[٢٣]، فابتدأ هو وأخوه بتوسيع المكان الذي كانا يعيشان فيه لكي يصير ديرا صغيرا. وبموجب الوصية التي أُعطيت له كان عليه أن يقبل أي واحدٍ يأتي إليه لكي يصير راهبا. وحدث بينما كانا يبنيان سور الدير أن وقع خلاف بسيطٌ بينهما، إذ كان في نية باخوميوس أن يجعل الدير متسعا بينما كان أخوه يرى أن يجعله ضيقًا بحسب فكرته الخاصة عن حياة النسك، فقال لأخيه بغضبٍ: "كفاك هذا الاتساع والغرور". فاضطرب قلبه من هذه الكلمة، ولما رأى أنّ قلبه قد تنغص صار في أسى عميق وقال: "أنا لست بعد مؤمنا، ولا زلت بعيدا عن الله الذي وعدته أن أتبع إرادته".

ونزل باخوميوس في تلك الليلة إلى موضع تحت الأرض، ووضع قالبا من الطوب تحت قدميه، وبسط يديه إلى الله صارخا طوال الليل قائلاً: "يا رب، أعني وانزع مني هذا الفكر الجسداني حتى لا أعود ثانيةً أغضب في قلبي حتى ولو صفعني أحد على وجهي. هل أنا أجلّ قدرا من ابنك المحبوب ربي الذي صار إنسانا ليخلّصنا نحن الخطاة؟ لأنه «إذ شُتِم لم يكن يشتم عوضا، وإذ تألّم لم يكن يهدد» (١بط٢: ٢٣)، فكم بالأكثر أستحق أنا الخاطئ أن

(22) Laus., 32: 1-3; PHF., I: p. 144. وهذا يدل على وجود قداسين: السبت والأحد

(٢٣) ولذلك اشتهر بلقب "أب الشركة"، أي مؤسس حياة الشركة الرهبانية، لأنه كان أول من جمع الرهبان تلاميذه في دير واحد يعيشون حياة مشتركة في الصلاة وعمل اليدين والأكل معا في "مائدة الأغابي"، ووضع لهم نظم وقوانين رهبانية، وهو النظام الذي انتشر في العالم كله ولا زال باقيا حتى اليوم.

أُذلل سبعة أضعافه؟ لأنه وهو الله الذي بلا خطية قد تألّم لأجلنا بينما أنا، الطين الذي من صنعة يديه، لماذا لا أحتمل بدون غيظ؟ ويحي لأنّ الأفكار الجسدانية في، فها أنا أموت حقًا كما هو مكتوب: «اِهتمام الجسد هو موت» (رو٨: ٦و١٣)، فارحمني يا رب لئلاّ أهلك، لأنه إذا وجد العدو مكانا صغيرا لنفسه في داخلي يتغلّب علي في النهاية لأنه «من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدةٍ فقد صار مجرما في الكل» (يع٢: ١٠). إنني أومن أنه إذا أعانتني رحمتك الفياضة فسأتعلم كيف أسير في طريق القديسين «وأمتد إلى ما هو قدام» (في٣: ١٣)، لأنهم حقًا قد أخزوا العدو بمعونتك. كيف حقًا سأعلم الذين تدعوهم لهذه الحياة معي إن لم أبدأ أنا بالتغلب على الأفكار الجسدانية"؟!

وظلّ يصرخ لله بهذه الكلمات طوال الليل حتى إنّ قالب الطوب الذي كان واقفًا عليه تحلّل تحته بسبب العرق الذي كان يتساقط عليه من وجهه، فقد كان الوقت صيفًا والمكان حارا جدا. ولما طلع النهار خرج من ذلك المكان ودعا أخاه وصلّيا معا، وكان باخوميوس يميت ذاته حتى نهاية الصلاة، ثم واضع نفسه قائلاً: "اِغفر لي يا أخي لأنني غضبت منك". ثم ذهب مع أخيه ثانيةً للعمل في المباني[٢٤].

وقيل إنه بعد أيام قليلة قذفه أخوه أيضا بملاحظةٍ أخرى، فلما سمعها توجع قلبه، وإذ رأى اضطراب قلبه فعل كما في المرة الأولى، فقضى الليل كله في الصلاة حتى تحول قالب الطوب (اللبن) إلى طين تحت قدميه. ومن ذلك اليوم فصاعدا لم تعد الأفكار الجسدية تثير غضبه، لأنّ الله وهبه سؤل قلبه كما قال يعقوب الرسول: «كل عطيةٍ صالحةٍ وكل موهبةٍ تامةٍ هي من فوق نازلةً من عند أبي الأنوار» (يع١: ١٧)، والرب أيضا يحث كل من يحبه بهذه الكلمات: «اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم، لأنّ كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له» (مت٧: ٧و٨)، كما يقول ق. يوحنا الرسول: «هذه هي الثقة التي لنا عنده أنه إن طلبنا شيئًا حسب مشيئته يسمع لنا» (١يو٥: ١٤). ولما استجاب الله لطلبه صار مطيعا لداود النبي القائل: «كُف عن الغضب واترك السخط» (مز٣٧: ٨)، فإنه بالفعل منذ ذلك اليوم لم يغضب ثانيةً كما يفعل الجسدانيون، ولكنه إذا غضب مرةً كان يغضب مثل القديسين (قارن مز٤: ٤ «اِغضبوا ولا تخطئوا»). وكان أيضا يطلب بلجاجةٍ من الرب أن يمنحه القدرة على إتمام وصايا الكتاب الأخرى[٢٥].

وفي يوم آخر كانا كلاهما يلقيان بعض البوص في الماء لكي يبتلّ، وفجأةً ظهر تمساح في

(24) G 1, 15; SBO, 19; S 1: 7, 8.

(25) S 1: 9; G 1, 16.

ذلك المكان، فخاف يوحنا وهرب إلى الشاطئ وصاح في أخيه: "أسرع وتعال إلى الشاطئ لئلاّ يمسك بك التمساح ويبتلعك". فضحك باخوميوس وقال له: "هل تظن يا يوحنا أنّ الوحوش هي سادة أنفسها؟ كلاّ". ثم صعد التمساح مرةً أخرى إلى سطح الماء، واقترب منه بجسارةٍ حتى صار على بعد ثلاثة أذرع، فملأ باخوميوس يده بالماء وقذفه في وجه التمساح قائلاً: "لينتهرك الرب، ولا تعد مرةً أخرى إلى هنا". وفي الحال غطس التمساح.

ولما صعد باخوميوس من الماء أسرع يوحنا نحوه وقبل فمه ويديه وقدميه بفرح عظيم وقال: "الرب يعلم، يا أخي، أنني كنت أقول كل يوم إنني أخوك الأكبر بالجسد، ولذلك كنت أدعوك "أخي"، ولكن من اليوم سأدعوك "أبي" بسبب إيمانك الثابت بالرب".

وقد امتلأت حياة يوحنا بعد ذلك بأعمال نسكية عظيمة حتى يوم رقاده(٢٦).

تجارب أنبا باخوميوس وجهاداته:

احتمل باخوميوس تجارب كثيرة من الشياطين، متعلما من الكتب الإلهية أنّ «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت٢٤: ١٣). وكما أنّ جهادات القديسين لم يدون منها غير جزء يسير؛ كذلك الأسفار الإلهية أظهرت طريق الحياة الأبدية بكلامٍ موجز. فالوصية التي صارت لأبينا إبراهيم أُجمِلَت في عبارةٍ واحدةٍ: «سر أمامي وكُن كاملاً» (تك١٧: ١). ولكن لأننا كالأطفال والآباء يكسرون لنا الخبز، صرنا محتاجين - كما هو مكتوب - أن نشرب مياها مأمونةً (إش٣٣: ١٦). ومن ثمّ يجب ألاّ نخفي عن الجيل الآخر الأمور «التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا» ا (مز٧٨: ٣و ٤). لأننا نعلم - كما يعلمنا هذا المزمور ٧٨ - أنّ العجائب التي افتقد ا الله موسى والذين جاءوا بعده صارت لنا علامات، ومنها عرفنا أنّ آباء زماننا هذا هم أولادهم والمقتفون لآثارهم، لكي يصير معروفًا لدينا ولدى الأجيال التالية حتى اية الدهور أنّ «يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد» (عب١٣: ٨)(٢٧).

وقيل إن التجارب المتنوعة التي جرب ا القديس بسماح من الله واحتملها كانت لتزكيته ولأجل منفعته هو والآخرين أيضا. فإنه قبل أن تتأسس الشركة كان معتادا أن يعتكف ويكرس وقته ليحفظ نقاوة القلب بالإضافة إلى بقية الوصايا. فكان يجاهد ألاّ يدع الأفكار النجسة تستقر في قلبه إذ إنه كان دائما يقتني في قلبه مخافة الله متذكرا ا ازاة وعذابات النار الأبدية. فكان قلبه اليقظ كبابٍ من نحاس في مأمن من اللصوص.

(26) SBO, 20.

(27) G 1, 17.

فلما رأى الرب اهتمامه العظيم باقتناء مخافة الله وهبه طلبة آبائه التي طلبها واحد منهم قائلاً: «ليصر قلبي بلا عيبٍ في فرائضك لكي لا أخزى» (مز١١٩: ٨٠).

فلما رأى الشياطين ذلك حسدوه وأرادوا أن يسقِطوه. ولهذا أخذوا في مناصبته جهارا حتى إنه في بعض الأحيان بينما كان يصلي ويهم للسجود كانوا يجعلون الموضع أمامه يظهر كهيئة جب لكي يمتنع عن السجود بسبب الخوف. أما هو فإذ عرف خداع مجربيه كان يسجد بإيمان ويخزيهم بتمجيده لله[(٢٨)].

بدأ أنبا باخوم مرةً يسير نحو ديره، ولما اقترب من البرية التي تدعى "أمنون" اصطفّت أمامه فرق من الشياطين على جانبيه، وكأ م في استقبال أرخن (أي رئـيس) قـائلين بعضهم لبعض: "أفسحوا الطريق لرجل الله"، وذلك لكي يبذروا فيه فكـر العظمـة. ولكنه عرف خبثهم، فكلما ازدادوا في هتافهم زاد هو مـن صـراخه إلى الله معترفًـا بخطاياه. ولكي يفسِد عليهم خبثهم قال لهم: "أيها الأشـرار، إنكـم لا تقـدرون أن تدفعوني معكم إلى العظمة والكبرياء، لأنني أعرف سقطاتي التي بسببها ينبغي أن أبكـي دائما لأ ا تستحق عقوبات أبدية. لذلك فإنني لست في حاجةٍ إلى كلامكـم الغـاش وخداعكم الكاذب، لأنّ عملكم هو إهلاك النفس. ولن يغرني مديحكم لأنني أعـرف خبث أفكاركم الدنسة". ولكنهم تبعوا المغبوط حتى اقترب من ديره، ولأنه ألقى رجاءه على الله فقد سخر منهم حتى اختفوا منه[(٢٩)].

حاول الشياطين مرةً أخرى أن يزلزلوا قلاية القديس ويوهموه بأ ا ستقع عليه، فبدأ يتلو المزمور: «إلهنا ملجأنا وقوتنا ومعيننا في شدائدنا التي أصابتنا جدا، لذلك لا نخشى إذا تزعزعت الأرض» (مز٤٦: ١و٢). وتارةً أخرى بينما كان جالسا يعمل جربه الشيطان بصورةٍ أخرى، إذ اتخذ شكل ديك وصاح في وجهه، فأغلق عينيه ولم ينظر إليه ولا حرك ساكنا. ولما تحقق الأشرار أ م لم يقدروا أن يخدعوه بحثوا عن طريقةٍ أخرى، فجاءوا بورقة شجرة وربطوها بإحكام بحبالٍ غليظة طويلة، وتظاهروا بأ م ربطوها بحجر كبير لكي يسحبوا ورقة الشجرة وكأ م يعملون عملاً مجهدا، ونادوا بعضهم بعضا بصوتٍ عالٍ، وقصدهم بذلك أن ينحلّ القديس بقلبه ويضحك وبذلك يستولون على قلبه. ولكنه رفع يديه في الحال وصلّى وتنهد حتى اختفوا من أمامه.

وفي مراتٍ أخرى عندما كان يجلس ليأكل كانوا يأتون إليه في شكل نساء عاريـات

(28) G 1, 18; SBO, 21.

(29) Paral., 14; G 1, 18; SBO, 21.

فيجلسن ليأكلن معه. ولكن رجل الله كان يغمض عينيه وقلبه حتى يختفي العدو دون أن ينال شيئًا منه، لأنّ الرب كان يحفظه كقوله لكل من يتقيه: «لا تخـف لأني معـك» (تك٢٦: ٢٤)[٣٠].

قيل إنّ أنبا باخوميوس قضى وقتا طويلاً يصارع مع الشياطين ببطولةٍ حقيقيـةٍ مثـل القديس أنطونيوس. ولأن الشياطين كانت تأتي إليه بالليل، فقد طلب من الله أن يبعد عنـه النوم ليلاً و ارا، فيظل مستيقظًا حتى يتغلّب على العدو الذي يحاربه ويستأصل قوته كما هو مكتوب: «ولا أرجع حتى أفنيهم» (مز١٨: ٣٧)، لأنّ قو م تبيد إزاء الإيمان بالرب. وقد منحه الرب ما طلبه لمدةٍ كافيةٍ قيل إ ا كانت أربعين يوما حتى طردهم وأخزاهم وصـاروا يخافون منه. وكان بنقاوة قلبه كمن يرى الله - الذي لا يرى - كما في مرآة[٣١].

من سيرة الأب باخوميوس: ظهر له الشيطان يوما ما بصورة السيد المسيح وقال لـه: "اِفرح يا باخوميوس لأني جئت لافتقادك". ففكر في نفسه قائلاً: "من شأن المناظر الإلهية أ ا من جتها وحلاو ا تسبي عقل مستحقيها حتى أنه لا يفكر في أي أمر آخر، ولكـن أفكاري الآن مشتتة وغير محصورة في هذا المنظر". فلما رآه الشيطان مفكـرا حـاول أن يستأصل أفكاره. ثم قال الأب في نفسه: "ها هي أفكاري السابقة غير موجودة الآن". ثم قام ومد يده كمن يريد أن يمسكه، فصار في الحال كالدخان وتلاشى[٣٢].

جرب القديس بأنواع أخرى كثيرة وقاسية، فمثلاً كان الشياطين يضربونه ضـربا محسوسا فيظل متألمًا بجسده من المساء حتى الصباح. ولم يكن له من عزاء سوى تـذكّره أنّ الله هو الذي يدربه، وأنه لأجل ذلك يجعله ينضغط ويتشدد.

وهنا جاءه راهب قديم يدعى "هيراكابوللون" ليفتقده، وبعد أن سـلّم عليـه أنبـا باخوميوس بدأ "هيراكابوللون" يحدثه قائلاً: "تشجع فإنّ الشيطان يعرف أنه إذا تملّـك عليك الإهمال فإنه يتسلّط علينا نحن أيضا الذين اتخذناك لنا قدوةً، لهذا اصطبر لئلاّ تنغلب فتصير مطالَبا بدمائنا".

فلما سمع القديس ذلك تشجع بالأكثر وصلّيا طالبين ألاّ يفترقا البتة. وبعد مدةٍ مـن الزمان أكمل هذا الراهب سعيه حسنا ورقد وسط الجماعة حسب مشيئة الرب[٣٣].

(30) G 1, 19; SBO, 21.
(31) G 1, 22; SBO, 21; W.& W., I: 108.
(٣٢) س ٤ ص ١١٥.
(33) G 1, 20.

القديس يتلقى إرشاد الرب له:

قيل إنه قبل أن يقتني ق. باخوميوس من الرب معرفةً كاملةً، كان له إيمان صادق حتى إنه كان يطأ الحيات والعقارب ويعبر مياه النيل وسط الحيوانات المفترسة (كالتماسيح مثلاً) بجرأةٍ وبلا خوفٍ دون أن تصيبه بأذى، لأنه كان يفعل ذلك باستقامة قلبه، ولم يكن قد أدرك بعد كمال المعرفة، فكان الرب يراقبه قاصدا أن يعلمه فيما بعد ماذا ينبغي أن يفعل.

إنّ موسى النبي حين رأى عصاته قد تحولت إلى حيةٍ خاف منها، لأنّ الرب لم يكن قد أمره بعد أن يمسكها، ولما أمسكها تحولت في يده إلى عصا مرةً أخرى. فقبل أن يمنح الله سلطانا للقديسين تظل المفزعات والمستحيلات لدى الإنسان مستحيلات (أنظر لو١٨: ٢٧). لهذا تعرف باخوميوس على جهله وصار حزينا على ذلك، وصلّى قائلاً: "يا رب، أنت مرشد العميان، أشكرك لأنك حتى في هذه الأمور تغاضيت عن أخطائي بتنازلك إلي في جهلي حتى تعلمني إرادتك الكاملة"[٣٤].

كان القديس مرةً مع بعض الإخوة في جزيرةٍ يقطعون الحلفاء لعمل السلال، وذلك بالقرب من قرية طابنيسي المتاخمة للبرية، ثم ذهبوا إليها بعد العمل. وفي تلك الليلة بعد أن أكملوا صلوا ثم ابتعد القديس قليلاً وجلس وحده. وكان منكسر القلب مترجيا أن يعرف إرادة الله، فظهر له رجلٌ مضيءٌ ووقف مقابله وقال له: "لماذا أنت منكسر القلب"؟ فأجابه: "إنني أطلب معرفة إرادة الله". فقال له الرجل المضيء: "أتريد حقًا أن تعرف إرادة الله"؟ فأجاب: "نعم". فقال له: "إرادة الله أن تخدم البشر وتصالحهم معه". فرد القديس عليه: "أنا أطلب إرادة الله وأنت تقول لي أن أخدم البشر"؟ فكرر الرجل المضيء هذا القول ثلاث مرات ثم اختفى.

حينئذٍ تذكّر القديس العهد الذي قطعه مع الله عندما قُدمت له المعونة عندما كان مسجونا مع زملائه (في الخدمة العسكرية)، فقد وعد الله قائلاً: "يا الله، إذا أعنتني وخلّصتني من هذه الضيقة التي أنا فيها فسأخدم البشرية لأجل خاطر اسمك". فاطمأنّ إلى أنّ ما كان قد جاء على قلبه حينئذٍ هو من روح الرب لأنه اتفق مع كلام الرجل المضيء.

وكان أخوه في مكان قريب وسمعه وهو يتكلم، فسأله: "مع من كنت تتكلم"؟ لأنه لم ير الشخص الذي تكلم معه، ولكن باخوميوس أخفى الأمر وأجاب: "لا أحد"[٣٥].

(34) G 1, 21.

(35) S 1: 6; G 1, 23; SBO, 22.

حياة الشركة الأولى:

وقيل إنه لما تفكّر في ذلك بدأ يقبل كل الآتين إليه، وبعد أن يمتحنهم ويستفسر عن أهلهم يلبسهم إسكيم الرهبنة ويقبلهم بفرح وحب الله، ويقودهم في السيرة الروحانية قليلاً قليلاً. فيتحقق أولاً من تركهم للعالم (في قلوبهم) فيما يختص بأهلهم وذويهم وتبعيتهم للمخلص الذي علّم هكذا، لأنّ هذا هو ما يعنيه حمل الصليب (لو١٤: ٢٦). وبمجرد أن ينضموا إلى مجمع الرهبان كانوا يعطون أنفسهم لممارسات نسكية عظيمة وعديدة. وإذ كانوا يتعلمون منه جيدا فبحسب الوصايا كانوا يثمرون بما يليق بدعوتهم (أف٤: ١). وكانوا يتعجبون منه جدا عندما يرونه يجاهد ليس في احتمال الأتعاب الجسدية فحسب؛ بل وفي اضطلاعه بنفسه بكل اهتمامات الدير تقريبا، فكانوا ينتفعون جدا ويزدادون حرارةً ونسكًا.

فقد كان يعد لهم المائدة وقت الطعام، كما كان يزرع الخضروات ويرويها. كما كان يجيب على كل من يقرع بابه. وإذا مرض أحدهم كان يهتم به بنفسه ويقوم على خدمته أثناء الليل حتى يتعافى قائلاً في قلبه إنّ الإخوة الجدد لم يكونوا قد بلغوا بعد إلى هذا المقدار من الغيرة على خدمة بعضهم البعض، لذلك جعلهم بلا هم في كل شيء قائلاً: "أيها الإخوة، جاهدوا لتدركوا غاية دعوتكم بتلاوة المزامير والفصول التي من الكتب الأخرى وبالأخص من الإنجيل. أما أنا فأجد راحتي في خدمة الله وخدمتكم كوصية الله"[٣٦].

كان من أوائل تلاميذه: بسنتاسيوس وسوروس وبصويص (بشوي). وكان ينفعهم بوعظه بكلام الله ويقودهم إلى الغيرة في الأعمال الصالحة، لأنهم رأوا أنه حتى في صمته لم يكن عمله أقل نفعا من كلامه، فكانوا يتعجبون ويقولون بعضهم لبعض: "كنا نظن أنّ جميع القديسين جبلهم الله هكذا من بطون أمهاتهم قديسين غير قابلين للتغيير وبلا إرادةٍ حرة! وأنّ الخطاة لا يستطيعون أن يحيوا لأنهم جُبِلوا هكذا! والآن ها نحن نرى صلاح الله ظاهرا في أبينا هذا، فهو رغم أنه وُلِد من أبوين وثنيين إلاّ أنه بلغ إلى تقوى عظيمة متسربلاً بوصايا الله. ولهذا ففي استطاعتنا نحن أيضا أن نتبعه مع الآخرين جميعا للأسباب عينها التي من أجلها استطاع هو أن يتبع (طريق) القديسين. وهذا هو، إذن، معنى الآية: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت١١: ٢٨). فلنعِش ونمت جميعا مع هذا الرجل لأنه يقودنا باستقامةٍ نحو الله"[٣٧].

---

(36) S 1: 10; G 1, 24; SBO, 23.

(37) S 1: 11; G 1, 25; SBO, 23.

قال تلاميذ أنبا باخوميوس له: "لماذا تتعب وحدك يا أبانا في كل أعمال الـدير"؟ فأجابهم: "من يوثق بهيمةً في شادوف ويتغاضى عنها حتى تسقط وتموت؟ إنّ الله الرحوم إذا رأى أنني مجهد فسيرسل لنا آخرين يمكنهم أن يساعدونا في الاهتمام بالـدير". لأنّ (ديرهم) كان كينوبيون (شركة). وقد قنن لهم القديس أنظمةً لا عيب فيها وتقاليد نافعة للنفوس بحسب الكتب الإلهية، ورتب أن تكون ملابسهم باعتدال وطعامهم بالتسـاوي ونومهم بحسن نظام ولياقة[٣٨].

أول تنظيم للجماعة:

قال بالليديوس: قال الملاك الذي ظهر لأنبا باخوميوس (انظر ص ١١): "اجعل للرهبان أربعة وعشرين رتبة، وأعطِ لكل رتبة حرفًا من الأبجدية اليونانية". ففعل أنبا باخوميوس كما أوصاه الملاك. وعندما كان يريد أن يسأل رئيسهم عنهم كان يقول له: "كيف حال جماعة "ألفا"؟ وماذا تعمل جماعة "زيتا""؟ أو "تحياتي لجماعة "رو"". وكانوا يتبعون المعنى الذي أُعطي ليخص كل حرف. فقد أُوصي أن يعين حرف "يوتا" لأكثرهم بساطة وأقلهم في الميول الدنيوية، ولكن الذين أكثرهم صعوبةً وعنادا أن يعين لهم حرف "تشي". وهكذا جعل الحروف تناسب كل جماعة بحسب حياتهم وأمزجتهم. ولكن الذين كانوا يعرفون معنى كل رمز هم أكثرهم روحانية.

وكان محفورا على اللوح أيضا: 'الراهب الغريب من دير آخر[٣٩] يجب ألاّ يأكل أو يشرب أو يمكث معهم إلاّ إذا كان مسافرا بالفعل (في مهمةٍ). والذي يأتي للإقامة لا يقبلونه في الهيكل[٤٠] لمدة ثلاث سنوات. فعندما يكون قد تمّم الأعمال الأكثر تعبا يقبل، ولكن فقط بعد ثلاث سنوات ... وعندما يأكلون اجعلهم يغطون وجوههم بقلسواتهم حتى لا ينظر الأخ جاره وهو يأكل، ولا ينبغي أن يتكلم أحد أثناء الأكل أو يحول عينيه عن صحفته أو مائدته'[٤١].

وقد أوصى القديس الرهبان أن يصلّوا اثنتي عشرة صلاة كل يوم في النهار واثنتي عشرة أخرى عند إضاءة المصباح، وفي السهر طوال الليل اثنتي عشرة صلاة، وثلاث صلوات في الساعة التاسعة. كما أوصاهم عندما يأكلون أن يرتلوا مزمورا بالإضافة إلى كل صلاة.

---

(38) S 1: 12; G 1, 25; SBO, 23.

(٣٩) المقصود هنا هو الراهب الطواف من دير إلى آخر بدون هدف روحي.

(٤٠) المقصود بذلك: لا يقبلونه في الرهبنة. وقد ذُكِر عن ق. برفيريوس أنه "ذهب إلى الأسقيط، وبعد أيام قليلة حسِب مستحقًا للزي المكرم".

(٤١) وقد ذُكِر هذا النظام أيضا في كتاب Monach., 3 وأيضا في كتاب كاسيان: Inst. 4, 17.

ولما اعترض الأب باخوم على الملاك بأنّ الصلوات قليلة جدا، قال له الملاك: "إنني رتبت ذلك حتى يمكن للصغار (والضعفاء) أن يحفظوا هذا النظام بدون أن يتضايقوا. أما الكاملون فلا يحتاجون إلى نظام لحيا م، لأ م قدموا ذوا م بكليتها للتأمل في الله في قلاليهم. إنني وضعت نظاما لمثل الذين ليست لديهم المعرفة الحقيقية[٤٢]، وذلك لكيما يتمموا الواجبات التي تتفق مع حالتهم مثل خدام البيت، وهكذا يتمتعون بحياة الحرية الكاملة"[٤٣].

وقد سلكت بعض الأديرة ذا النظام وبلغ عدد رهبا ا سبعة آلاف. وأولهم الدير الكبير الذي عاش فيه أنبا باخوم نفسه. وكان هذا الدير بمثابة الأم لجميع الأديرة الأخرى إذ كان فيه ١٣٠٠ راهب[٤٤] كان بينهم الأب "أفثونيوس" الصالح الذي كان صديقًا معروفًا لي جيدا، والآن هو الراهب (أو المسئول) الثاني في الدير. وقد اعتادوا أن يرسلوه إلى الإسكندرية ليبيع إنتاج الدير ويشتري الضروريات، حيث إنه كان أقل عرضةً للانحراف.

كما كانت هناك أيضا أديرة أخرى يضم كل منها مائتين إلى ثلاثمائة راهب. وقد زرت واحدا منها عندما ذهبت إلى بانوبوليس (إخميم الحالية)، حيث كان يوجد ثلاثمائة راهـب. وقد رأيت في هذا الدير خمسة عشر خياطًا (ترزيا) وسبعة يعملون في المعادن وأربعة نجارين واثني عشر جمالاً، وخمسة عشر قصارا (أي الذين يبيضون الأقمشة). إ م يعملون في كـل نوع من الحرف، ومن فائض أرباحهم يساعدون أديرة النساء ونزلاء السجون.

كما أ م يحتفظون بخنازير، ولما اعترضت على ذلك أجابوا: "هذه عادة قديمة أن الخنازير تتغذّى على النفايات وبواقي الخضروات. وتذبح الخنازير ويباع لحمها، وتعطَى أرجلها للمرضى والمسنين، إذ إنّ هذه المنطقة فقيرة ولكنها مزدحمة بالسكان، لأنّ قبيلة إثيوبية أيضا كانت تعيش بالقرب منها".

والرهبان الذين يعينون لخدمة اليوم ينهضون مبكرين ويذهبون إلى المطبخ أو إلى المائدة، ويعملون حتى ميعاد الوجبة المشتركة في إعداد وتجهيز الموائد، فيضعون على كل مائدة الخبز والخردل والزيتون المحفوظ والجبن المصنوع من لبن البقر والخضروات. والبعض يدخلون ويأكلون في الساعة السادسة (١٢ ظهرا) وآخرون في السابعة وغيرهم في الثامنة وآخرون في التاسعة أو في الحادية عشرة أو في المساء المتأخر، والبعض يأكل مرة كل يومين، وكل مجموعة منهم تعرف ميعادها. وكان البعض يأكل مرة واحدة في

---

(٤٢) «أشهد أنّ لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة» (رو١٠: ٢).

(٤٣) الرهبان الذين لهم نظام معين هم أكثر أمانا وسعادةً مما لو تركوا لميولهم الخاصة، أما الراهب المتقدم في القداسة فلا يحتاج إلى ذلك. (٤٤) يبدو أن عددهم زاد بعد ذلك لأن بعض المصادر تقول إ م كانوا ٥٠٠٠ راهب.

اليوم، والبعض يأكل مرة واحدة في الأسبوع، وكما كان يعرف كل واحد الحرف من الأبجدية الذي يتبعه، هكذا أيضا يعرف عمله.

وهكذا أيضا فيما يخص أعمالهم. فالواحد يعمل كفلاّح في الأرض، وآخر يعمل كبستاني، وآخر يعمل حدادا، وغيره يعمل نجارا، وواحد خبازا وغيره قصارا (للملابس)، وآخر يضفر سلالاً كبيرة أو حصرا، وغيره إسكافي أو ناسخ أو يضفر القصب الرقيق، وآخر يعمل شباكًا للصيد. وهم جميعا يحفظون الأسفار المقدسة عن ظهر قلب[٤٥].

القديس يؤسس ديرا للراهبات:

لما سمعت أخت أبينا الكبير باخوميوس، واسمها مريم، أخباره جاءت لتراه، فأرسل إليها مع الأخ الموكل بباب الدير يقول لها: "ها قد علمتِ أنني حي، فلا تحزني لأنكِ لم تنظريني، ولكن إن شئتِ أنتِ أيضا أن تشاركي في هذه السيرة المقدسة لكي نجد رحمة الله، ففكري في الأمر، والإخوة يصلحون لكِ مسكنا تقيمين فيه بهدوء، لعل الرب يدعو نساءً أخريات يقمن معكِ. لأن الإنسان ليس له رجاء في هذا العالم ما لم يفعل الصلاح لنفسه ولقريبه قبل أن يرحل من جسده إلى الموضع الذي يحاسب فيه وينال حسب أعماله". فلما سمعت هذا الكلام بكت وانسحق قلبها وتحول إلى طلب الخلاص.

وهكذا أُقيمت لها قلاية صغيرة، ولما كثر عدد الأخوات صار الموضع ديرا كبيرا، وذلك في القرية على مسافة من دير الإخوة. وقد عاشت الأخت مع الأخريات بغيرة، ثم صارت لهن أُما. ثم رتب أبونا باخوميوس لهن أخا تقيا جدا ومتقدما في السن يدعى "بطرس" ليفتقدهن. وكان كلامه مصلحا بملح، هادئًا في فكره ونظرته. وكثيرا ما كان يقف ويعظهن بكلام الخلاص من الكتب المقدسة. وكتب لهن الأب باخوميوس قوانين دير الإخوة وأرسله للأخوات على يد الشيخ بطرس لكي يدبرن نفوسهن بموجبها.

وكان إذا اشتاق أحد الإخوة - من الذين لم يصلوا بعد إلى الكمال - أن يزور إحدى قريباته، يرسله بواسطة مدبر البيت إلى الشيخ بطرس، وذلك عملاً بالقول: «صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما» (١كو٩: ٢٢). وبعد مشاورة أُم الدير كانت تتم الزيارة في حضرة أخت أخرى تقية بلياقة وتحفظ شديدين مع إغفال قرابة الجسد، وكانوا يقومون للصلاة قبل أن يفترقوا، ولم يكن يحضِر لها شيئًا لأنه لا يملك شيئًا، كما أنه لا يأخذ منها شيئًا، إذ إن

(45) Laus., ch. 32.

كفايتهم هي رجاء وتذكار الخيرات الأبدية العتيدة.

ومتى كانت هناك حاجة إلى البناء أو إلى أي عمل ضروري، كان يختار رجلاً حكيما تقيا مع آخرين مثله ويرسلهم للعمل هناك، وعند موعد الطعام كانوا يعودون إلى الدير. وإذا انتقلت إحدى الأخوات كانت الأمهات المتقدمات في السن يكفن الجسد، ثم يجتمع الإخوة المعينون ويقفون في هدوء تحت الرواق في مكان الصلاة وهم يرتلون المزامير باحتشام، بينما تقف الأخوات بعيدا عنهم على الجانب الآخر إلى أن يحين وقت الدفن فيمضون إلى الجبل وهم يرتلون المزامير بوقار شديد، بينما ترتل الأخوات وراء العربة. وكان الأب بطرس لا يتركهن حتى يرجعن إلى الدير تملأهن مخافة الله. وبعد انتقال الأب بطرس تعين لهن الأب "تيتوي"[٤٦].

وقال بالليديوس: كان هناك أيضا دير لنحو أربعمائة امرأة[٤٧]. وكانت لهن طريقة الحياة نفسها ما عدا الزي الرهباني. وكانت النساء يعشن على جانب النهر المقابل لدير الرجـال. وعندما كانت إحدى الراهبات تنتقل من العالم كانت الأخريات يحملنها إلى شاطئ النهر، ويعبر الرهبان النهر في قارب وهم يحملون سعف النخل وأغصـان الزيتـون والشـموع، ويحملون الجسد وهم يرتلون المزامير لدفنه في المدفن المشترك. ولم يكن أحد مـن الرجـال يذهب إلى دير الراهبات عدا الكاهن والشماس لإقامة القداس يوم الأحد فقط[٤٨].

روى القديس باسيليوس الأسقف القصة الآتية[٤٩]**:** كان في دير النساء هذا أخت ادعت الجنون وأنّ شيطانا يسكنها. وقد ازدرت ا الأخوات حتى أ ن كن لا يأكلن معها إطلاقًا مما جعلها تسر جدا. وكانت تؤدي في المطبخ كل عمل حقير[٥٠]، وكما يقول المثل، فقد كانت هي "ممسحة الدير" (أو مكنسة ا مع)، محققةً بذلك قول الكتاب: «إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصر جاهلاً لكي يصير حكيما» (١كو٣: ١٨). وكانت ترتدي خرقة حول رأسها بينما كانت الباقيات محلوقات الشعر ويرتدين قلسوات. وهكذا اعتادت هذه الأخت أن تخدم.

ولم ترها واحدة من الأربعمائة راهبة تمضغ الطعام كل أيام حيا ا، كما أ ا لم تجلس على مائدة قط ولا شاركت في فتات من الخبز، ولكنها كانت تجمع الفتات من المائدة

---

(46) G 1, 32; SBO, 27.

(٤٧) كانت هناك ثلاثة أديرة للنساء في طابنيسي: هذا المذكور هنا أسسه أنبا باخوم نفسه ووضع له نظامه، والثاني أسسته مريم أخت أنبا باخوم، والثالث أسسه أنبا تادرس تلميذ القديس.

(48) Laus., ch., 32, 33; PHF., p. 145.

(٤٩) هذا يؤيد الرأي القائل إنّ القديس باسيليوس زار أديرة أنبا باخوم واقتبس من نظامها في بلاده.

(٥٠) ولهذا السبب دعيت "سندريلا الطبانسينية" أي التي لأديرة طابنيسي.

وتكتفي بما تجمعه. ولم تغضب من أي واحدة ولا تذمرت أو تحدثت قليلاً أو كثيرا، وذلك رغم أ ن أسأن معاملتها وأهنها واشمأززن منها.

وظهر ملاك للقديس "بيتيروم" (ربما "بيتيريون") - وهو المتوحد الشهير الذي عاش في جبل "بورفيريتس" الذي يقع بين ر النيل والبحر الأحمر - وقال له: ”لماذا تفكر كثيرا في نفسك أنك تقي وتقيم في مكان مثل هذا؟ أتريد أن ترى امرأةً أكثر منك في التقوى؟ اذهب إلى دير النساء في طابنيسي وهناك تجد واحدة بعصابة على رأسها، إ ا أفضل منك. فبينما كان كثيرون يلطمو ا، إلاّ أ ا لم تنفصل بقلبها عن الله قط. ولكنك أنت تسكن هنا وتجول بذهنك في المدن“.

فذهب القديس - الذي لم يسبق أن غادر مكانه قط - وطلب من المسئولين أن يسمحوا له أن يدخل دير النساء، فسمحوا له حيث أنه كان متقدما في العمر وله أيضا سمعة جيدة. ولما دخل أصر أن يرى جميع الأخوات، ولكن تلك الأخت لم تظهر. فقال لهن: ”أحضرن الجميع لأنه تنقصهن واحدة“. فقلن له: ”عندنا واحدة في المطبخ وهي ممسوسة (أي ا شيطان)“. فطلب أن يراها. ولما استدعينها لم ترد عليهن ربما لأنه كان قد كُشِف لها الأمر. فأمسكنها بقوة وقُلن لها: ”إنّ القديس بيتيروم يريد أن يراكِ“، فقد كان مشهورا.

ولما جاءت رأى القديس عصابة الخرق على رأسها، فخر أمامها قائلاً: ”باركيني“! وبنفس الطريقة أيضا خرت هي عند قدميه قائلةً: ”باركني يا سيدي“. فاندهشن جميعهن من ذلك وقلن: ”أيها الأب، لا تم فهي ممسوسة“. حينئذٍ خاطب القديس جميع الأخوات قائلاً: ”أنتن الممسوسات، فهذه المرأة إنما هي أما (أي أم روحانية) لكُن ولي أنا، وإنني أصلّي أن أكون مستحقًا مثلها في يوم الدينونة“.

فلما سمعن ذلك سقطن عند قدميه معترفات بأمور كثيرة: فواحدة سكبت بواقي طبقها عليها، وأخرى ضربتها بقبضة يدها، وأخرى لذعت أنفها. وهكذا اعترفن بشتى أنواع إهانا ن لها. وبعد أن صلّى القديس معهن انصرف. وبعد أيام قليلة لم تستطع القديسة أن تحتمل مديح الأخوات وتكريمهن لها، وصارت جميع اعتذارا ن لها حملاً ثقيلاً عليها حتى إ ا تركت الدير. ولكن أين ذهبت أو أين اختفت أوكيف ماتت، لا أحد يعرف[٥١]!

مرض صبي حسن الصورة وذهبوا به إلى مكان المرضى. وكان الأخ الـذي يخـدم المرضى ناسكًا يسمى "دويدة"، وكان يحسن فرز أفكاره، ولما رأى أنه نشيطٌ في خدمة

(51) Laus., 34; Apoph., PJ, 18, 19.

الصبي بمحبة وفرح، وأنه يعد له الطعام باهتمام زائد؛ صار يتنهد وهو يميز ما في داخله قائلاً: "لماذا هذا الاهتمام الزائد بهذا الأخ؟ هل هو مختار أكثر من جميع الإخوة أو مريض أكثر منهم؟ كلا"! ولما ذهب إلى قلايته ظلّ صائما لم يأكل ولم يشرب، وكان الوقت صيفًا. وظلّ يصلّي الليل كله قائلاً: "يا ربي يسوع المسيح، أظهر لي هذا الأمر لكي أفهمه، لأن هذا النشاط الذي صار في قلبي ليس مستقيما أمامي مثل تعاليم عبدك أنبا باخوميوس". فلما اقترب الصباح بينما كان "دويدة" مداوما على الصلاة، رأى روحا قائمةً أمامه في شكل امرأة حسنة المنظر والملبس، وقالت له: "لماذا أنت مداوم على الطلبة حتى أنني كُلفت بغير هواي أن أظهر لك؟ إنني أنا هو روح الزنى، وأنا التي زرعت ذلك الفرح والنشاط في قلبك لكي تخدم هذا الصبي بمحبة واجتهاد، وهذه هي صنعتي وعادتي أن أزرع في قلوب النساك العظام أولاً حبا في امرأة أو صبي، وإذا قبلوا هذا الفكر ولا يرون أن فيه خطية؛ حينئذ أزرع فيهم اللذّة وأجتذبهم قليلاً قليلاً حتى إذا لم يفلحوا في التيقظ أطرحهم في دنس الشهوة". ولما قالت ذلك اختفت، أما هو فتعجب وبارك الله الرحوم الذي أظهر له فخ الشيطان وخلّصه منه(٥٢).

وقيل إن الرب دعا بعد ذلك كثيرين آخرين جاءوا ليعيشوا حياة النسك مع الأب باخوميوس ومنهم: بيكيسيوس وكورنيليوس وبافلوس وباخوميوس آخر ويوحنا، وكانوا جميعا قد سمعوا بحسن إيمانه القويم. وبعد أيام قليلة جاء "ثيئودورس" (تادرس) وهو صبي في الرابعة عشرة من عمره، وصار له ابنا حقيقيا مماثلاً له في كل شيء. كما ذكرت نسخة أخرى خبر مجيء ثمانين من الإخوة من موضع اسمه "إثباكات Θβακατ" فقبلهم، ولكنه لما رأى الأفكار الجسدانية ثابتة فيهم أخلى سبيلهم من الدير. وقد أسند للأقوياء منهم أعمال الدير الظاهرة. ثم ازداد عدد الإخوة حتى بلغ المائة(٥٣).

وقيل أيضا إنّ الأب باخوميوس أخذته الغيرة أن يبني كنيسة في قرية "طبانسين" للرعاة الذين بالمناطق المحيطة بها، وكانوا عاميين، لكي يجتمعوا فيها في السبوت والآحاد لسماع كلمة الله. وقد فعل ذلك ليس من نفسه بل برأي أنبا سيرابيون أسقف دندرة. وكان يذهب مع الإخوة يوم السبت للتناول من الأسرار المقدسة ويقرأ لهم وقت الاجتماع لأنه ما كان يوجد أغنسطس. وكان يقضي وقتا لحاجاتهم وحاجات الغرباء القادمين، وذلك حتى أُقيم لهم كاهن.

---

(٥٢) س ٤ ص ١٤٧.

(53) G 1, 26; SBO, 24.

وعندما كان يقرأ لهم كانت له معرفة وتقوى، وكانت نظراته متوافقة مع حسن إلقائه متناغمةً مع معاني الكلمات حتى أنّ هؤلاء العلمانيين كانوا حينما يرون رجل الله هذا بينهم كانوا جميعا يتجهون بالأكثر لقبول الإيمان ويصيرون مسيحيين، لأنه كان رحوما للغاية ومحبا لنفوسهم. وكثيرا ما كان يبكي أوقاتا طويلة وحده عندما يرى أناسا لا يعرفون إلههم وخالقهم، لأنه كان يشتهي إن كان ممكنا أن يخلُص الجميع(٥٤).

الكهنوت في **الرهبنة:**

وكان أنبا باخوميوس يستدعي قسيسا من الكنائس القريبة حينمـا يحتـاجون إلى البروسفورا (أي خدمة القداس)، وكان يصلي لهم العيد إذ لم يكن بينهم من هو في رتبة الكهنوت(٥٥). وكان يحدثهم عن ذلك مرارا كثيرة قائلاً: "ليس من الصالح أن تطلـب الرئاسة وا د وخصوصا في الكينوبيون (الشركة) حتى لا يكون ذلك سببا في النـزاع والغيرة والحسد بين الرهبان. فكما أن شرارة النار تكون في أوائلها صـغيرة جـدا وإذا أُلقيت في بيدر ولم تطفَأ سريعا فهي تهلك أتعاب السنة كلها؛ هكذا درجة الكهنـوت فهي فاتحة شهوة محبة الرئاسة. فالأفضل أن نخضع لكنيسة الله بوداعة، فمتى وجدنا كاهنا أقامه آباؤنا الأساقفة فلندعه يقوم لنا بخدمات الكهنوت، لأنه حتى في القـديم لم يكـن جميع الشعب لاويين.

أما إذا أُقيم راهب من موضع آخر كاهنا فلا يجب علينا، معاذ الله، أن ننظر إليه باحتقار كمن قد اشتهى الرئاسة، وخصوصا إن لم يكن راغبا في ذلك، بل نعتبره كأب مطيع متشبه بالقديسين، هذا إذا أكمل الخدمة بلا عيب. كذلك إذا ارتكب شخص أمرا يعيبه لكونه بشرا فلا ندينه، لأنّ الله وحده هو الديان. وعلى أي حال فقد رتب خلفاء الرسل قضاةً يحكمون بالروح حكما عادلاً. أما نحن عامة الشعب فخليق بنا أن نكون عطوفين رحومين نحو بعضنا البعض".

وكان القديس إذا جاء إليه أحد الإكليروس ليصير راهبا كان يخضع للطقس المرتب بحسب ناموس الله. وكان يسلك كالباقين بطيب قلب حسب القوانين المرتبة للإخوة(٥٦).

وكان القديس متى رأى شيوخا أو أناسا مرضى بالجسد أو صبيانا، كانت تأخـذه

---

(54) G 1, 29; SBO, 25.

(٥٥) تذكر مخطوطة أخرى أن عدم رسامة كهنة بأديرة الأب باخوميوس استمر نحو مائة سنة، وهذا يعطينا فكرة عن تاريخ كتابة هذه السيرة. وتذكر مخطوطة أخرى أن الإخوة كانوا يذهبون أولاً إلى كنيسة القرية ا اورة للصلاة والقداس، ثم لما كثر عددهم بنوا كنيسةً داخل الدير.

(56) G 1, 27; SBO, 25.

الشفقة عليهم ويهتم بخلاص نفوسهم، فيحضهم على الشكر والصبر ومداومة الصـلاة والهذيذ بذكر الله وتمجيده والتماس رضاه. وكان يفرح ويسر بمن يتقـدم في الفضـيلة ويزداد في الإيمان، لأنهم كانوا يجدون في عمل كل ما هو صالح بغيرة عظيمة. كما أنـه عين البعض ليساعدوه في العناية بالنفوس. ومن بين هؤلاء عين مدبرا οἰκονόμος يهتم بكل الاحتياجات الجسدية في الدير، وآخر يكون ثانيا له ليساعده في العمل. كما عـين لكل موضع مدبرين ومساعدين لهم. وكان الموضع الأول هو للمدبرين المساعدين الذين يرتبون المائدة ويعدون الأطعمة للإخوة كل حسب حاجته. لأنه كانت هناك أحـوال متباينة بين العدد الكبير من الإخوة، وكان كل من أراد أن يتنسك تترك له الحريـة في ذلك بلا أي مانع. ثم عين بيتا للمرضى ومدبرين عهد إليهم الاهتمام براحة جميع الإخوة المرضى بكل عناية صادقة حسب القوانين، وألحق به مسئولاً ومساعدا له للغرض عينه.

وقد أوكل البوابة لإخوة أتقياء ورعين محبين للغرباء ليستقبلوا الذين يقصدون الدير، وكان بيت الضيافة مجاورا للبوابة في مكان منفرد. وكان هؤلاء يستقبلون الـراغبين في الرهبنة في بيت آخر مخصص لطالبي الرهبنة يقضون فيه ثلاث سنوات تحت رعاية أحـد الشيوخ الذي ينصحهم بما هولخلاصهم حتى يلبسوا الإسكيم. كما أنـه عـين بعـض المؤمنين العلمانيين الأتقياء لكي يساعدوا في عمل الإخوة في البيع وشراء الاحتياجات.

وبالإضافة إلى الخدمة التي يقوم ا مدبرو المواضع (البيوت)، كان يعهد لكل مـدبر بتغيير المعينين لخدمة الإخوة كل ثلاثة أسابيع لسببين، **الأول:** لكي يستفيد الخادم الجديد من أتعاب الخدمة وثمارها الروحية، **والثاني:** لكي يستريح الخـادم الأول ويرجـع إلى سكونه من قلق العمل لبعض الوقت. ثم يحيلهم إلى خدمات أخرى حتى يقوموا بالعمـل اليدوي الذي يكلّفهم به مدبر الموضع حسبما يرى المدبر الكبير أي أب الـدير. وقـد ترتبت بيوت أخرى بمدبريها ومساعديهم لتعمل في الصنائع ومنها الحصر مع التمسـك بصلوات السواعي، على أن يكون الجميع مذعنين وطائعين في كل شيء، وليست لهم في قلوم شهوة خاصة لكي يكونوا مثمرين في عملهم لله، وهو ما قالـه القـديس: [إن حفظتم أقوالي تعطون ثمارا مرضيةً لله].

وإذا غاب أب الدير أخذ مساعده مكانه بسلطة كاملة حتى يعود، وذلك بدون عجب أو تفاخر بل بكل اتضاع ووداعة لأجل بنيان الإخوة. وهذا الترتيب كان يطبق أيضا علـى مدبري البيوت ومساعديهم. وكان مدبر الدير مسئولاً عن التعليم ثلاث مرات أسـبوعيا، مرة يوم السبت ومرتين يوم الأحد. وكان مدبرو البيوت يفعلون ذلك أيضا في الأصوام.

ولم يكن الصوم والأكل حسب فرض معين، بل إن ذلك كان حسب اختيارهم، فقد كان الإخوة الذين يتولّون خدمة المائدة ينضدو ا ثماني ساعات في اليوم، ويضعون عليها الخبز وأنواع البقول والزيتون. وفي الأيام المناسبة (مثل الأعياد) كانوا يقـدمون الجـبن والبيض والمسلوق والمطبوخ من الحبوب. وكانوا بعد صلاة الساعة التاسـعة يحضـرون المائدة للطعام وسماع القراءة. ولم يكن الجميع يأكلون معا، لأنّ بعضا كانوا يأكلون في الساعة التاسعة، وآخرون الساعة العاشرة أو الحادية عشرة، وغيرهم في المساء عند طلوع النجوم، وآخرون كانوا يأكلون مرة واحدة كل يومين.

وكانوا يربون الخنازير على ما يخرج من غربلة الحنطة وفضلات الطعام. وكانوا يبيعون لحومها لصرف أثما ا في مصالح الدير، ويطعمون أطرافها للشيوخ والمرضى دون غيرهم.

ولقد اتسع الدير جدا حتى بلغ عدد الإخوة ألفين وخمسمائة راهب يعيشون معيشـةً مشتركة. وكانت فيه جماعة تعمل الصنائع بأيديها للجميع: فكان منهم خمسـة عشـر خياطًا وسبعة حدادين، وأربعة نجارين، وخمسة عشر صباغًا، وعشرون دباغًا، وخمسـة عشر إسكافيا، وعشرون بستانيا، وعشرة نساخ، واثنا عشر جمالاً، وعمـال الزنابيـل الكبيرة، وعشرون عامل مراجين (الذين يرعون الغنم في المروج)، وعشرون نفـرا مـن الحراس، وعشرة حراثين لخمسين فدانا[٥٧].

أراد رئيس أساقفة الإسكندرية الطوباوي أثناسيوس أن يمضي إلى الصعيد الأعلى - إذ كان حينئذٍ قد تقلّد رئاسة الأسقفية - حتى إلى "سينيس" (أسوان) ليثبت كنائس الله. ولما عبر على طبانسين خرج الأب باخوميوس والإخوة ليستقبلوه مسبحين ومرتلين بالمزامير، وكان يتقدمه العديد من الأساقفة وحوله جمع غفير من الناس ممجدين الله لحضوره. وكان أسقف دندرة τεντὺρων قد تقدم إلى البابا[٥٨] أثناسيوس يقول له: "إن بين رهبان منطقتي يوجد أب، هو رجل الله، وأريد أن ترسمه أبا وقسا على كل رهبان المنطقة، لأنه لم يسمع لي في هذا الأمر". فلما سمع الأب باخوميوس ذلك اختفى من البابا وسط الإخوة حتى رحل.

ولما جلس البابا مع ذلك الجمع العظيم قال لأنبا سيرابيون: "بالحقيقة إنّ الرجل الذي قلت لي عنه، أي أنبا باخوميوس، قد سمعت خبر إيمانه وأنا في الصعيد قبل أن يضعوا

(57) G 1, 28; SBO, 26.

(٥٨) يعتبر استخدام النص اليوناني لكلمة "البابا" كلقب لرئيس أساقفة الإسكندرية دليلاً قويا على مدى قدم استخدام هذا اللقب عندنا، إذ يرجع العالِم D. Chitty تاريخ هذه السيرة إلى سنة ٣٩٠م.

علي اليد". ثم قام وصلّى وقال لأولاده: "سلّموا على أبيكم وقولوا له: وإن كنت قد اختفيت مني وهربت من الأمور التي بسببها تكون الغيرة والحزن والحسد، واخترت لنفسك السمو الفاضل الدائم إلى الأبد مع المسيح، فالرب يعطيك حسب قلبك، وإن كنت قد هربت من العظمة الفارغة الوقتية الفانية، فالآن ليس أنت وحدك الذي لا تشاء أن يكون لك هذا الأمر؛ بل وأنا أيضا أمد يدي إلى العالي الأبدي أنني لا أغصبك ولا أكلفك بهذا الأمر، بل إنني بمشيئة الله إذا رجعت لعلي أكون مستحقًا أن أرى محبتك"!

ثم فارقهم البابا واتجه إلى الجنوب مصحوبا بعدد من الأساقفة وحشد من الناس بالمصابيح والشموع والمباخر. ولما ابتعد البابا خرج أبونا باخوميوس من مخبئه. ولما تطلّع الأب باخوميوس إلى البابا في المركب عرف فيه خادم الله وإنسانا قديسا، وبالأكثر لأنه سمع عن التجارب المتنوعة التي احتملها من أجل الإنجيل والإيمان الصادق الذي من أجله احتمل الآلام أيضا فيما بعد[٥٩].

وقيل إن أنبا باخوميوس كان يمقت أوريجانوس لأن رئيس الأساقفة كان قد أقصاه من البيعة قبل آريوس وملاتيوس اللذين جدفا على المسيح، كما أنه كان قد سمع عما كتبه من المصنفات الرديئة، فكان يعتبره مجدفًا وقد مزج كلامه، الذي يبدو مقنعا، بأقوال الكتب الإلهية لهلاك غير العارفين كمن يمزج السم بالعسل. ولهذا أوصى الإخوة كثيرا ألاّ يقرأوا كلامه ولا يصغوا لسماعها. وحدث مرةً أنه وجد أحد كتبه فألقاه في الماء وأتلفه قائلاً: "لو لم يكن اسم الرب في هذا الكتاب لكنت قد أحرقته بكلامه الفارغ المملوء تجديفًا".

وكان القديس يوقر الأساقفة الأرثوذكسيين خلفاء الرسل والمسيح نفسه كمن يعاين الرب مترئسا على الدوام على عرش الأسقفية في الكنيسة ومعلما من خلاله. وكان لا يحتمل أن يسمع أحدا يتكلم ضد أحد الآباء قط، فكان يهرب من مثل هؤلاء كمن يهرب من الحية حتى ولو كانت سيرتهم حسنة. وكان يوبخ ويزجر من يحاول ذلك بتذكيرهم بمريم أخت موسى التي تكلمت ضده قائلاً: "الرجل الصالح لا ينطق بكلمة رديئة بأي حال وبالأخص ضد الآباء القديسين". وهكذا صار نافعا لكل من يقابله حتى إنّ كل من رآه ما كان يريد أن يخرج من حضرته[٦٠].

بدأ الناس يأتون إلى الأب باخوميوس وبنوا لأنفسهم مساكن في الموضع الذي كان

---

(59) G 1, 30; SBO, 28.

(60) G 1, 31.

قد أوى هو إليه، وكونوا هناك مجموعة صغيرة ليعيشوا حياة التوحد. ثم وضع لهم قاعدةً هي: 'كل واحد عليه أن يعتمد على نفسه ويدبر شئونه الخاصة، ولكنهم ينبغي أن يتعاونوا في كل الاحتياجات المادية بالنسبة للطعام وإضافة الغرباء الذين يأتون إليهم'، لأ م كانوا يأكلون معا. فأحضر كل واحد ما أمكنه أن يشارك به، وكان هو يقسمها بينهم، وقد فعلوا ذلك بمحض إراد م وحريتهم لكيما يقوم هو بتدبير احتياجا م، لأ م وضعوا فيه ثقتهم واعتبروه أبا لهم بعد الله.

وكان هذا التنظيم متناسبا مع ضعفهم تطبيقًا لقول الرسول: «صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء» (١كو٩: ٢٢)، وما قاله للكورنثيين أيضا: «سقيتكم لبنا لا طعاما لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون» (١كو٣: ٢). وقد سلك هكذا لأنه كان يراهم غير مستعدين أن يرتبطوا معا في شركة حقيقية مثل التي كانت بين المؤمنين الأوائل الذين «كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدةٌ، ولم يكن أحد يقول إن شيئًا من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركًا» (أع٤: ٣٢)، وكما قال الرسول أيضا: «لا تنسوا فعل الخير والتوزيع (الشركة)، لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله» (عب١٣: ١٦)[٦١].

وكان أبونا باخوميوس يغذيهم بأقصى ما في استطاعته، فكل ما يحصل عليه منهم كان يوزعه متوافقًا مع ترتيبا م، فإذا جاءوا بسمك أو بأي نوع آخر، كان يعده لهم ثم يأكل هو بعض الملح مع الخبز، وذلك إن كان قد صام في اليوم السابق. وهكذا كان يجعل من نفسه خادما لهم حسب العهد الذي كان قد قطعه أمام الله كما يقول الرسول: «فإني إذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين» (١كو٩: ١٩).

ولكنهم لما رأوا تواضعه وكرمه عاملوه بازدراء شديد بسبب عدم استقامة قلو م، فإذا قال لهم أن يهتموا ببعض الحاجات التي لديهم كانوا يعارضونه جهرا ويشتمونه قائلين: 'لن نطيعك'. أما هو فلم يكن يعاقبهم بل كان يحتملهم بصبر عظيم قائلاً إ م سيشعرون بمذلتي ويرجعون إلى الله ويخافونه ويصلحون أنفسهم، وذلك كما قال الرسول: «عبد الرب لا يجب أن يخاصم، بل يكون مترفقًا بالجميع، صالحًا للتعليم صبورا على المشقات، مؤدبا بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبةً لمعرفة الحق فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته» (٢تي٢: ٢٤-٢٦)[٦٢].

ذهبوا جميعا **وقت الحصاد** ليستأجروا أنفسهم كحصادين، فذهب الأب باخوميوس

---

(61) S 1: 10, 11.

(62) S 1: 12,13.

بجحش ليحضر لهم طعاما وقت الغداء، ثم أعد لهم مائدةً. وبعد انتهاء العمل في المساء امتطى بعضهم الجحش كنوع من المزاح بينما ساقه الآخرون وهم يضحكون قائلين: "يا باخوميوس خادمنا، اجمع الأدوات واحملها على ظهرك وعد ا إلى الدير"! ففعل باخوميوس ذلك وهو حزين يتنهد، وكان حزنه ليس بسبب إهانتهم له، ولكن لأ م لا زالوا مداومين على استهتارهم وعدم خشيتهم.

وقد ظل محتملاً منهم أحزانا وسخريةً من هذا النوع لمدة أربع أو خمس سنوات. ولمـا رأى أ م لم يرجعوا إلى الله رغم صبره واحتماله لهم؛ ذهب ذات ليلة وحده إلى مكان مـا ووقف مصليا طوال الليل، وكان قلبه منكسرا لأ م لم يخافوا الله بينما كان يخدمهم بكـل صبر. وفي صلاته خاطب الله قائلاً:

أيها الرب الإله ضابط الكل الآب المبارك، الكائن في الابن المبارك، والابن المبارك الكائن في الآب المبارك، وفي الروح القدس المبارك. أنت الذي تملأ كل مكان بقوة لاهوتك، الذي ليس شيء مستورا عنك، لأن المسكونة صنعت بكلمة من فمك وخلقـت بنسـمة مـن شفتيك. قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك.

أنت الكائن في السماء والجالس على الشيروبيم والسيرافيم، والذي عيناك تنظران إلى الأعماق. أنت الذي لا يستطيع إنسان أن يباركك أو يسبحك أو يمجدك كما يليق بك وكما يحق لطبيعة كينونتك، حيث إنك غير مرئي وغير خاضع لشيء، كلّي البركة. أيها الرب الإله المبارك، الذي لا يقدر إنسان أن يعبر عن قوة لاهوتك، لأننا تراب ورماد، وقد جبلتنا من العدم إلى الوجود. أنت الواحد مع ابنك الحبيب والروح القدس كما هو مكتوب: «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح» (أف٤: ٣).

يا الله القدوس المتعالي، الحي الطويل الروح، الشفوق الصالح، الكثير الرحمة، أيها الرب الإله الأمين والبار، الصادق والحاكم العزيز. أيها الرب الإله القوي بين الأقوياء، المرهوب، الذي نتكل عليه، الصانع ملائكته أرواحا وخدامه نارا تلتهب (مز١٠٤: ٤). أيها الرب، الله المبارك خالق كل ما يرى وما لا يرى، رؤساء الملائكة والرئاسات والقوات والأرباب والسلطات والكراسي والأمجاد. أيها الرب الإله المبارك، يا من خلقت السماء والأرض وكل ما فيها: النور والظلمة، الشمس والقمر والنجوم، البحار والأ ار وكل ما فيها.

أيها الرب الإله المبارك، يا من أعطيت الإنسان الذي خلقته ا د والجمال، يا من أخذت ترابا من الأرض وصنعته بيديك إنسانا على صورتك ومثالك، ذكرا وأنثى خلقتهما،

ونفخت في وجهه نسمة الحياة فصار الإنسان نفسا حية، وأعطيته النطق على الأرض وأعطيته أن يسمع صوتك ويطيع وصاياك ويتمم مشيئتك ويباركك كل أيام حياته. يا من جعلت الإنسان سيدا على نفسه لكي يستطيع أن يختار حسب إرادته وضميره وتمييزه بين الخير والشر. يا من أعطيت الإنسان الذي أبدعته الحكمة والفهم والمعرفة والمهارة. يا من خلقت كل أجناس البشر من إنسان واحد لكي يملأوا وجه الأرض.

أيها الرب الإله المبارك، يا من وضعت خوف الإنسان الذي خلقته ورهبته في كل المخلوقات: طيور السماء ووحوش الأرض والأسماك والزحافات، وأقمته سيدا على كل مخلوقات الأرض. يا من خلقت الخصب والعقم كما علمتنا في الكتب المقدسة. يا من صورتنا ونحن في الأحشاء وأخرجتنا من البطن. يا من هو أصل كل نمو، وتعولنا من الطفولة إلى الشيخوخة. يا من بإرادتك تزودنا بخبز لنأكل وماء لنشرب ولباس لنكتسي. يا من بنا خيرات عديدة لا حصر لها: بذارا للأرض وأشجارا مثمرة، وما نحصل عليه من البهائم والطيور ومن البحر والأ ار وندى السماء. يا من تساعد كل من يحبك ويطلبك ويحفظ وصاياك في كل شيء والممتلئين من ثمار البر بروحك القدوس حسب اشتياق قلو م.

يا من أرسلت لنا كلمتك القدوس في العالم: الحق والحياة والنور الحقيقي غير المرئي الذي هو رسم صورتك في كل شيء، ربنا ابنك الحبيب يسوع المسيح الذي مات من أجلنا وقام لكي يقيمنا من خطايانا وآثامنا التي متنا ا، وأنعم علينا بالحياة الأبدية التي لا تضمحل كما وعدنا. أيها الرب الإله ... [٦٣].

’... وهذا ما قلته لكم سابقًا: إنه يلزم أن تتوبوا وترجعوا إلى الرب حيث إنكم لم تعرفوه بعد! فالآن إذا دعيتم لاجتماع الصلاة فعليكم أن تحضروا جميعا ولا تعاملوني فيما بعد كما كنتم تفعلون. وكذلك إذا دعيتم للأكل فعليكم أن تأتوا جميعا ولا تتصرفوا كما كنتم تفعلون. وإذا احتجتم إلى عمل شيء ضروري لحاجتنا فيجب أن تذهبوا كلكم، ولن أسمح بأن تكونوا فيما بعد مهملين ... فإذا كنتم تريدون أن تطيعوا التنظيمات التي أعطيتها لكم، فأنتم أحرار لأن للرب الأرض وملأها. أما إذا أردتم أن تمضوا إلى موضع آخر فافعلوا كما ترغبون، لأنني لن أسمح من الآن فصاعدا أن تتصرفوا إلاّ طبقًا لجميع التنظيمات التي أعطيتها لكم‘.

---

(٦٣) توجد هنا صفحتان مشوهتان في هذا الموضع ولم يمكن قراء ما، مع أن ما حدث مع الأب باخوميوس هنا في تصرفه مع تلاميذه غير الجديرين به وتوجيه الله له بخصوصهم كان من أهم مراحل حياته. وواضح من حديثه الذي سيوجهه لهم أنه أخذ قوةً خاصةً من الله لمواجهتهم ووضع حد لهذه المهزلة.

ولما انتهى من كلامه نظروا بعضهم لبعض بسخرية وضحكوا قائلين: "ما هو الأمر مع باخوميوس اليوم، إننا لن نطيعه إذا كلمنا بشدة هكذا"! ثم تركوه دون أن يعيروه أي انتباه معتمدين على قو م الجسدية لأ م كانوا أشداء. وبينما كانوا يذهبون قبل ذلك إلى اجتماع الصلاة لم يحضر أحد بعد ذلك، فقد اتفقوا فيما بينهم قائلين: "دعونا نتصرف ذه الطريقة لنرى ما الذي سيفعله"! فلما رأى أ م بعنادهم وكبريائهم لا يخافون الله وقد قرروا ألاّ يسمعوا له تشدد هو بنعمة الروح القدس الذي بداخله، وبثقة تامة في الصوت الذي كلّمه، قام بدون عصا ولا سلاح ممسكًا بمزلاج الباب بيده وطردهم من الدير الواحد تلو الآخر في اسم الله، فمضوا وكأن جيشا أو نارا تتعقبهم وتطاردهم. وفي الحقيقة إن خروجهم من ذلك المكان لم يكن من عمل إنسان بل كان من الرب الذي عاملهم كما قال داود النبي: «ليقم الله وليتبدد جميع أعدائه» (مز٦٨: ١)، فإ م لم يتبددوا فحسب؛ بل جعلوا أنفسهم كالعبيد الذين يضربون كما قال داود النبي: «ضربت كل من يعاديني باطلاً» (مز٣: ٧ سبعينية).

ثم أسرعوا بعمى قلو م إلى أسقف الإيبارشية، وكان اسمه "سيرابيون"، واشتكوا له من باخوميوس أنه طردهم، فرأى الأسقف أ م أشداء فقال لهم: "إنكم رجال أشداء، لذلك وضع عليكم تداريب نسكية لكي يلين لبكم. أما إذا كان قد طردكم من ديره، فليس هو الذي فعل ذلك بل الله، وهو بالتأكيد فعل ذلك بسبب أعمال شريرة فعلتموها ..."[٦٤]!

رأى أنبا باخوميوس أن ابن أخته يعمل أعمالاً شريرةً، فإن هذا الفتى كان قد جاء أيضا إليه وعاش حياة توحدية في الكينونيا. ولما وجده هكذا تذكر كلمة الإنجيل: «إن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك» (مت٥: ٣٠)، ولذلك فقد طرده. واستمر يتصرف على هذا الأساس كل أيام حياته طبقًا للاستعلان الذي كشفه له الله بأنه يجب على المسئول أن يطرد من بيت الله كل المعاثر والمخازي[٦٥].

أثناء صوم الأربعين المقدسة سأل أبا تادرس (الذي كان قد ترهـب حـديثًا) الأب باخوميوس قائلاً: "حيث إن أسبوع الفصح (الآلام) ستة أيام تم فيها فداؤنا وخلاصنا، ألا يجب علينا أن نصوم الأربعة أيام الأولى بالإضافة إلى اليومين الآخـرين"؟ فأجابـه: "قانون الكنيسة هو أننا فقط نواصل صوم هذين اليومين معا لكي تبقى فينا قوة لتكميل ما أُوصينا أن نفعله دون أن نخور: أي الصلاة المتواصلة والأسهار وتـلاوة كـلام الله وعملنا اليدوي الذي أوصانا به الكتاب المقدس الذي يسمح لنا أن نمد أيدينا للمساكين.

(64) S 1: 14 – 19.

(65) S 1: 24.

فالذين يتممون مثل هذه كلها والذين يعتزلون في الوحدة، إنما هم أحرار من الأثقـال البشرية التي تزعجهم. ولكننا كثيرا ما نرى أ م يخدمون من آخرين أسوأ منهم حـالاً، ونرى أ م متكبرون أو خائرو القوى أو يبحثون عن ا د البشري الباطل"[٦٦].

سأل أبا تادرس مرةً الأب باخوميوس بخصوص ألم في رأسه، فأجابه قائلاً: "أتظـن أن ألمًا أو أي شيء آخر يأتي علينا بدون سماح من الله؟ فاحتمل إذًا، ومـتى أراد فهـو يشفيك. وإن كان يختبرك بعض الوقت فاشكره كما فعل أيوب الرجل الكامل الـذي صبر على كل ما أتى عليه وبارك الرب قائلاً: «ليكن اسم الرب مباركًا». حقًا إن كان أحد وهو يحمل الصليب لا يتألم من شيء، فالصليب وجهاد النسك يكفيه، ولكن الذي يرقد مريضا يمكنه أن يجاهد أكثر كثيرا ممن في صحة جيدة بثبات النفس والصبر. فمثـل هذا الإنسان له إكليل مضاعف. وجيد لمن يتألم أن يحتمل المرض عشر سنوات قبـل أن يبوح به". فتشدد تادرس ذا الكلام[٦٧].

بينما كان الإخوة يعملون في الحصاد وأبا تادرس يعمل معهم وهو صائم، ضربه الحر في رأسه. وبعد الانتهاء من العمل جلس يستظل، فاجتاز أمامه الأب باخوميوس وقال له بوجع قلب: "أتستظل يا تادرس"؟ فقام مسرعا. وفي المساء قال له: "يا أبي، إن رأسي ا وجع شديد". فقال له الأب: "يا تادرس، الراهب الذي يسلك طريق الكمـال، إذا لازمه مرض عشرين سنة فلا يجب أن يخبِر به أحدا، ما عدا الأمراض التي لا يمكنـه أن يخفيها، وهذه أيضا يحتملها بقدر قوته، ولا يريح نفسه إلاّ في أمر يفوق طاقتـه، لأنـه مكتوب «أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف» (مت٢٦: ٤١). هل تظن أن تقطيع الأعضاء وحرقها فقط هي التي تعتبر استشهادا؟ كلا، بل أيضا حـتى تعـب النسـك وضربات الشياطين والأمراض تعتبر استشهادا لمن يحتملها بشكر، وإلاّ فما هي الحاجـة لأن يقول الرسول بولس: «إني أموت كل يوم» (١كو١٥: ٣١)؟ لأنه ما كان يموت في الظاهر كل يوم؛ بل كان بصبر يحتمل ما يأتي عليه. كذلك أيضا اليوم فإن رجال الله إن كانت لديهم أمراض ويخفو ا من الناس فهم شهداء"[٦٨].

وبعد مدة جاء بفنوتيوس أخو تادرس ليصير راهبا (حسب بعض النسخ)، وكـان تادرس قد أُرسل في خدمة. فقال أخوه للإخوة: "إن لم أجتمع بتادرس فلن أترهـب". ولما جاء أبا تادرس أخبره الإخوة بذلك، فلم يشأ أن يلتقي به. فطيب أبونا بـاخوميوس قلبه لكي يتكلم معه. فذهب إليه، وبعد أن سلّم عليه قال له: "إن كنت من أجلي جئت

---

(66) SBO, 35. (67) G 1, 90; SBO, 36. (٦٨) س ٤ ورقة ٢٤.

إلى هنا فارجع من حيث أتيت، وإن كنت من أجل الله جئت فلماذا لم ترض أن تترهب قبل أن أجيء إليك"؟ ثم أراد أن يرجع ويتركه فأمسكه قائلاً: "كم من الوقت أنتظر مجيئك؟ ولما جئت كلمتني هكذا بكلام جاف"! فقال له: "إن كنت من أجلي تترهب اليوم، فإذا تخلّيت أنا عن الرهبنة تتخلّى أنت أيضا عنها. وإن كنت من أجل مخافة الله تصنع ذلك فسواء صبرت أنا أو لم أصبر فستداوم أنت على البقاء".

وبعد ذلك لما دخل الإخوة به سأل عن قلاية أبا تادرس، فلما عرفها دخل وجلس فيها. فلما جاء أبا تادرس ورآه قال: "الموضع الذي جلست فيه ابق فيه، أما أنا فلا أريد أن أمكث في هذا الموضع لئلاّ تكون علاقتنا جسدانية. فاتركني عنك (أي لا تلتصق بي) مثل جميع الإخوة، لأن هذا المسكن ليس فيه فرق بيننا، بل إننا جميعا عبيد الرب وأبناء لأبينا". فلما سمع ذلك ذهب إلى الأب باخوميوس باكيا قائلاً: "أرسلني إلى بيتي فلا أريد أن أترهب، لأنّ تادرس كلمني في المرة الأولى عند الباب بكلام جاف كمن هو غريب عني، واليوم لما كلمني لم يحتمل قلبي كلامه البتة".

فدعا أبونا باخوميوس تادرس وقال له في خلوة: "لماذا تكلّمه بجفاء؟ أما تعلم أنه غرس جديد؟ فكما أنه جيد للشجرة المغروسة جديدا أن تروى ويعتنى بها؛ هكذا فالملاطفة لمثل هؤلاء نافعة في البداية إلى أن يتأسسوا في الإيمان. أتظن أن الكل يأتي ليترهب بخشية الروح القدس؟ فقوم يأتون من أجل خلاص نفوسهم، وآخرون يأتون لأسباب أخرى. فليصبر المؤمنون على كل نوع منهم حتى يعرفوا طريق الله، وحينئذ يتركون فكرهم الجسداني، لأنه هكذا فعل القديسون حتى كانوا سببا في خلاص من يشاء من جنس البشر. وأنت أيضا سسه ودبره حتى يبلغ إلى المعرفة الحقيقية". فأذعن تادرس لوصية الأب وعمل بموجبها(٦٩).

قبل أن تستلم الجماعة نظام حياة الشركة، كان تحت تدبير أبينا باخوميوس بعض الرهبان ممن لهم أفكار وميول جسدانية، فلم يختر الجميع مخافة الله. لذلك نصحهم بطرق كثيرة ولكنهم لم يطيعوا ولم يتبعوا الطريق القويم، بل سببوا له حزنا. فمضى بعيدا عنهم وخر على وجهه وصلّى قائلاً: "أنت يا الله تأمرنا أن نحب أقاربنا كنفوسنا، فتطلّع إلى هذه النفوس وارحمهم واملأهم خشيةً لكيما يخافوك ويعرفوا ما هي الحياة الرهبانية حتى يضعوا رجاءهم فيك كبقية الإخوة". وبعد هذه الصلاة، لما رأى أنهم لا يرغبون أن يسلكوا معه باتفاق، بل استمروا في مخالفتهم، فرض عليهم القوانين الأساسية والأنظمة

(69) G 1, 65; SBO, 38.

الأخرى اللازمة والضرورية. ولما تيقنوا أنه لن يسمح لهم أن يسلكوا حسب رغبتهم انتابهم الخوف ورحلوا. وقيل إنهم كانوا ثمانين راهبا من موضع يدعى "إثباكات Θβακατ" في الصعيد، وأنه لما رأى فيهم الفكر الجسداني طردهم من الدير. أما الباقون فقد صاروا مثل الحنطة بعد أن يستأصل منها الزوان[(٧٠)].

ولأنهم كانوا يعطون كل ما لهم صدقة، فقد حدث ذات مرة أن أعوزهم الخبز. وفيما كان القديس باخوميوس يفكر أن يبيع بساطَين كان قد أحضرهما أحد الذين اعتزلوا حياة العالم، لكي يشتري بثمنهما قمحا؛ إذ بشخص يقرع الباب. ولما دخل سأله الأب عما يريد، فأجاب قائلاً: "حينما كنت في المناجم نذرت قمحا للعاملين في المناجم من أجل خلاصي، ثم علمت في نومي أنه ينبغي أن أحضره إليكم لحاجتكم لأنكم رجال الله". فأجابه باخوميوس: "نحن فعلاً محتاجون للقمح، ولكن أعطنا مهلةً من الوقت لكي نرده إليك". ولما نقلوا القمح من المركب تعجب الإخوة كيف أعان الله خادمه هكذا سريعا[(٧١)]!

نمو حياة الشركة:

بعد زمان الشهداء، كان أحد المعترفين اسمه "ديونيسيوس" وكان كاهنا تقيا ومدبرا لكنيسة تانتيرا ("دندرة" الآن شرق النيل شمال الأقصر)، وكان صديقًا للأب باخوميوس. ولما سمع أن الأب باخوميوس لا يسمح للرهبان الزائرين أن يقيموا داخل الدير مع الإخوة بل يجعلهم يقيمون وحدهم في مكان قريب من الباب، حزن لذلك لأنه كان صديقًا. فجاء إلى الأب باخوميوس في طبانسين وبدأ يلومه بخصوص ذلك. فأجابه القديس بطول أناة قائلاً: "الله يعرف قصدي، ومحبتك الأبوية لا تجهل أنني ما أردت قط أن أُسيء لأي نفس، فكيف أجرؤ أن أُحزن الرب الذي قال: «كل ما فعلتموه بأحد هؤلاء المؤمنين بي فبي فعلتم» (مت٢٥: ٤٠)؟ كيف يمكنني أن أعزل إخوتي بدون سبب كما لو كنت أعاملهم باحتقار؟ هذا لا يكون أبدا، ولكنني كنت أرى دائما أن ديرنا به غروس جدد كثيرون لم يعرفوا بعد ما هو الراهب، وأبناء لا يعرفون يمينهم من شمالهم. ففكرت أنه من الأصلح - وبالأكثر لأجل كرامة الآباء والإخوة الزائرين - أن نجعلهم يجتمعون معنا وقت الصلاة الجماعية، وبعد الصلاة نجعلهم يأكلون ويستريحون في مكان هادئ لائق بهم. بينما أقوم أنا على خدمتهم كما كان إبراهيم يقوم وحده بخدمة الرب تحت البلوطة". فلما سمع ديونيسيوس الشيخ هذا الكلام اقتنع متحققًا أن باخوميوس

(70) G 1, 38; SBO, 24.

(71) G 1, 39; SBO, 39.

يفعل ذلك بحسب إرادة الله(٧٢).

كان هناك دير يبعد عن طبانسين بمقدار ميلين، وكان أب هذا الدير يزور أبانا باخوميوس كثيرا لأنه كان صديقه ويحبه جدا. وعندما يسمع منه كلام الله كان يخبر به رهبانه لكي يهابوا وصايا الله. وحدث مرةً أن التمس أحد الإخوة في الدير أن يوليه الأب رتبة المدبر. ولأنه كان يرى عدم استحقاقه لما طلب، ولأنه لم يقدر أن يقنعه أجابه بسياسة قائلاً: ''إن أبانا باخوميوس أمر ألاّ يكون لك ذلك الآن، لأنه يعلم جيدا أنك لم تؤهل لهذا الأمر بعد''.

فلما سمع الأخ ذلك جذب الأب بغضب قائلاً: ''فلنذهب إليه هناك لنرى كيف سيحقق ما قاله عني من ادعاءات''! فتبعه الأب صاغرا بحزن وخوف، وهو يفكر فيما سيؤول إليه الحال. ولما وصلا وجدا الأب باخوميوس مع الإخوة يبنون حائطًا للدير. فاقترب الأخ من القديس وخاطبه بغضب شديد قائلاً: ''انزل يا كاذب وحاسبني على خطيتي''! وإذ ظل الأب باخوميوس صامتا قال له الأخ أيضا: ''هل استد فمك لأنه ليس لك عذر؟ ما الذي يجبرك أن تكذب حتى تقول إنك تبصر وأنت أعمى''؟! ولما قال ذلك والكبير لا يعلم عما يتحدث عنه أجابه قائلاً: ''هذه خطيتي فاغفر لي، ألم تخطئ أنت قط''؟ فلما سمع ذلك هدأ غضبه.

ثم نزل الشيخ من على الحائط وسأل عن أب ذلك الدير فوجده يبكي بقلب منكسر، فسأله: ''ما هو موضوع هذا الأخ''؟ فأجابه الأب: ''هذا الإنسان التمس مني أن يخدم في رتبة أعلى من استحقاقه، وإذ علمت أنه ليس بمقدوري أن أجعله يتخلى عن طلبه لأنه لم يستمع لي؛ تكلمت باسمك لكي يهدأ، لأننا نعلم حقًا أن الرب أعطاك موهبة اكتشاف الضلالة بسرعة. والآن هوذا قد أضاف هذا الجاهل إلى أخطائه الأخرى بما اقترفه بإهانته لإنسان بار''. فقال له الأب باخوميوس: ''أما كان ينبغي أن تأتي إلي حتى يمكنني أن أقرر مشيئة الله؟ والآن امتثل لما أقول: أعطه طلبته لكي بهذه الوسيلة نستطيع أن ننتزع نفسه من يد العدو، لأنه قد يحدث أن الإنسان الشرير يعود إلى رشده بعد الإحسان إليه فيدرك ما هو خير له. وهذه هي محبة الله أن نعطف على بعضنا البعض''.

ولما حصل ذلك الإنسان على طلبه أخذته يقظة عظيمة وتغير قلبه فجأةً وذهب وسجد عند قدمي الأب باخوميوس وعانقه واعترف له قائلاً: ''يا رجل الله، لقد

(72) G 1, 40; SBO, 40.

ارتفعت أكثر مما سمعنا، ورأينا حقًا نصرتك في الخير، إذ قد أنقذت إنسانا جاهلاً وخاطئًا مثلي، فلو لم تكن قد أطلت أناتك علي حقًا، بل قلت شيئًا ضدي، لكنت قد تركـت الرهبنة وصرت عدوا لله، فمبارك أنت لأنني الآن بواسطتك أحيا''[٧٣]!

القديس يؤسس أديرة أخرى بأمر إلهي:

لما رأى الأب باخوميوس تزايد عدد الإخوة، وأن الدير صار صغيرا جدا علـيهم؛ سأل الرب فأعلمه في رؤية أن يذهب إلى قرية خربة تدعى "بافو" ويبني هناك ديرا، فنقل بعض الإخوة إلى هناك حيث بنى معهم ديرا يتسع للكثيرين الذين كان يرى أن الرب قد دعاهم. وعين له مدبرا ومساعدين للاهتمام بالإخوة حسب نظـام ديـر طبانسـين. وجعلهم يكتبون الأنظمة والقوانين لكي يتأكد من حفظهم لها لكي يسلك كل واحـد بموجبها دون أن يؤذي رفيقه، لأن النظام جيد، والإنسان الكامل هو وحده الذي لا يجد صعوبات حتى ولو وجِد في مكان انعدم فيه النظام، كما هو مكتوب: «في أيام الجـوع يشبعون» (مز٣٧: ١٩).

وكان يواظب على افتقاد الديرين ليلاً و نهارا كخادم أمين للراعي الصالح. وبعد زمان قليل ازدحم دير بافو أيضا بالإخوة، وحينذاك جاء إلى باخوميوس شيخ ناسـك يـدعى "أبـو نيخوس"، وكان أبا لدير آخر به إخوة كبار، وقال له: ''أسألك أن تدخل ديـري في نظـام الشركة الذي أنعم به الرب عليك وترسم لنا القوانين التي أُعطيت إياها من السماء''. وكـان ذلك الدير يدعى "شينوبوسكيا" (وفي الترجمة القبطية: شينيسيت). فأخذ الأب باخوميوس معه إخوة كثيرين إلى ذلك الدير، حيث صلّى وسلّمهم إلى عناية الله ليسكنوا مع سـكان الـدير الأصليين ويتبعوا نفس القوانين. وعين لهم أيضا مدبرا ومساعدين.

وبعد ذلك تقدم إليه رهبان دير رابع اسمه "منخوسين" (وبالقبطيـة "إثمونشـونس") يطلبون منه نفس الشيء، فأتى بإخوة إلى هناك بحسب نظام الشركة وسلّم لهم القوانين. وكان في هذا الدير راهب شيخ قديس وناسك كامل يدعى "يوحنا"، وكان يلاحـظ الإخوة بغيرة عظيمة. وأخذ باخوميوس أيضا إخوة أقوياء بالروح ورتبهم في كل ديـر ليدبروا الإخوة كما لو كان هو نفسه حاضرا إلى أن يأتي هو بنفسه[٧٤].

قيل لأنبا باخوميوس في **رؤية:** ''يجب أن ترتب أيضا مجمع شركة في "تكاسمين" لكي

---

(73) G 1, 42; SBO, 42.

(74) G 1, 54; SBO, 49 - 51.

تجمع شعبا لي هناك". فنهض في الحال وأخذ الإخوة إلى هناك، وبنى معهم الدير والقلالي. ثم عين مدبريهم ومساعدين لهم وكل سلطا م واحتياجا م، وذلك مثل نظام الأديرة الأخرى، وجعل لهم أبا عظيما وكفئًا لتوجيههم هو أبا "بيسو"، وقد دعي هذا الدير "تسي". وقد اعتاد الأب باخوميوس أن يزورهم كثيرا، وكان مهتما بأن يغذيهم بكلمة الله وبما يحتاجونه(٧٥).

سمع **أحد الرؤساء الأتقياء** عن الأب باخوميوس، وكان يسكن في مدينة "قوص" بالصعيد، فجاء بمركب له وحملها بالقمح وأرسلها إليه وكتب له يقول: 'إذ سمعت عن شهرة تقواكم، وأنكم تتنقلون شمالاً وجنوبا لزيارة أبنائكم الروحيين في الأديرة الأخرى يا سيدي الأب، فأنا أرسل هذه المركب الصغيرة لتقواكم لتستلموا حمولتها وتستعملوها لأجل الإخوة. ولتكن المركب تحت تصرفكم على الدوام لكي تصلّوا من أجلي لكي يشفق ملك السماء علي، ولست أنا الذي أعطيها لكم؛ بل إنه ذاك الذي أنتم ومجمعكم المشهور خدام له'(٧٦)!

كان أسقف مدينة "بانوس πανος"، واسمه "أريوس"، رجلاً أرثوذكسي المعتقد، ناسكًا وخادما حقيقيا للمسيح. وكان قد تنسم شذا رائحة جماعة الإخوة، فطلب من الأب باخوميوس أن يقوم، من أجل الله، ببناء أديرة حول مدينته. وقبل أن يشرعوا في بناء الدير جاء الأب باخوميوس مع الإخوة وأعطاهم أريوس أرضا. وهكذا بدأوا ببناء السور. إلاّ أن بعض الناس الذين لا يعرفون تدبير الله، تحركوا بالحسد والحقد، فكانوا يهدمون في الليل ما يبنونه. وكان أبونا القديس يصبر على ذلك حتى أصلحهم الرب حيث وقف ملاك الرب بالقرب منهم كما لو كان قد أحاط السور بنار بأصبعه.

وبعد ذلك ظلت روحه تذهب من قوة إلى قوة، وظل يعمل مع الإخوة حتى أكمل دير "إشمين" تماما مع حفظ نظامه وقوانينه مع بقية الأديرة. وأقام له مدبرا اسمه صموئيل، رجلاً متعففًا ضابطًا لهواه وكان يعيش بروح الله متهللاً بالروح. وعين معه رجالاً آخرين أكفاء لكو م كانوا قرب المدينة. وأقام عندهم زمانا حتى تثبتوا وصاروا راسخين .. ثم سلّمهم للرب وانصرف، وظل يزورهم مرات عديدة لأنه كان حافظًا للقطيع التابع للمسيح الراعي الصالح العظيم، فكان يربي الضعفاء في مراعي البر ويقيد المنحلين بقيود الإنجيل ويرد الضالين إلى الحظيرة، والسمين والحديث الولادة كان يقدمه للرب على مذبحه لكي يشتم رائحة الرضا، مقتفيا مثال نوح الذي أصعد على المذبح من كل الحيوانات والطيور الطاهرة فاشتم الله رائحة الرضا. وكما قال الرسول بولس: «لأننا

---

(75) SBO, 52.

(76) SBO, 53.

رائحة المسيح الزكية لله» (٢كو٢: ١٥).

وقد جاهد أنبا باخوميوس بكل وسيلة لكي يتحاشى أسباب التوبيخ الذي وجهه حزقيال النبي للرعاة (حز٣٤). فقد كان حقًا يرعى الخراف التي جمعها الرب حوله كوصية الرسول: «انذروا الذين بلا ترتيب، شجعوا صغار النفوس، اسندوا الضعفاء، تأنوا على الجميع» (١تس٥: ١٤). فقد كان الرسول بالحق يحث قطيع الرب أن يأكلوا طعاما جيدا لكي يكونوا رائحةً زكيةً للرب، وذلك عندما قال: «أطلب إليكم أيها الإخوة أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله» (رو١٢: ١)، رائحة زكية نابعة من طهارة أجسادهم وقلوبهم كما يقول داود النبي: «الذبيحة لله روح منسحق» (مز٥١: ١٧). كما أنه توسل إليهم أن يكونوا ذبائح حمد وتسبيح بأفواههم.

لقد كرس نفسه لجميع الذين جمعهم الرب تحت يديه في كل بركة وعمل صالح. كما أنه شكّل كل نفس على حدة بأقصى استطاعته، وجاهد بكل قوته مع كل واحد، حتى إنه إذا تركه أحد وابتعد عنه فما كان يجد من هو أفضل منه ليرده ثانيةً إلى عمل الله. وقد كان يفعل ذلك لئلاّ يفقد واحدا لم يستطع هو أن يخلصه بينما استطاع غيره أن يخلّصه، ولئلاّ يجلب على نفسه بسبب ذلك في الدهر الآتي هذا التوبيخ: 'بعد أن رذلتني كمن لا منفعة منه، أعطاني آخر غيرك الحياة'. ولذلك كان يعتني جدا ببناء النفوس. فكان يوبخ البعض ويصلّي من أجل الآخر ويؤدب البعض الآخر ليس فقط بالكلام؛ بل أيضا كما كان يفعل بولس الرسول بقوله: «أبعصا آتي إليكم أم بالمحبة وروح الوداعة» (١كو٤: ٢١)؟. كما أنه كان ينذر البعض على إهمالهم الذي يعيشون فيه وينصحهم «عسى أن يعطيهم الله توبةً لمعرفة الحق فيستفيقوا من فخ إبليس» (٢تي٢: ٢٥و٢٦). فإن كل أنواع البشر السالكين في الخطية كان يحاول ساعيا في مخافة الرب ...[٧٧].

عندما زار أحد الفلاسفة أنبا باخوميوس ليمتحنه سمع كلاما حكيما من تلميذه أبا تادرس (انظر أقوال أبا تادرس)، فاضطرب جدا في داخله وقال لأبا تادرس: "قل لأبيك: إنك أنت يا من بنيت بيتك على الصخرة التي لا تتزعزع وغير القابلة للكسر قط التي هي في السماء، فلتكن مباركًا أنت وأبناؤك الروحيون الذين أنجبتهم. لقد منحت ذهنا نيرا مساويا للقوة الكونية الخلاّقة (حسب أفكاره الفلسفية)، ولن يعوق مولود امرأة عملك الذي سوف يسود ويزداد قوة وينتشر إلى أقاصي الأرض كلها"! ولما قال ذلك انحنى لأبا تادرس ورجع إلى بيته مع رفقائه وهو ممتلئ تعجبا من نعمة الله التي تكلمت

(77) G 1, 81; SBO, 54, 58 b, 55; S 1: 25. والقول ناقص في المخطوطة

بواسطة أبا تادرس. ولما سمع ذلك الأب باخوميوس تعجب وصاح قائلاً: "مبارك أنت أيها الرب إلهي لأنك أخزيت جليات وكل الذين يبغضون صهيون"[٧٨]!

لم **يكن أحد يعمل شيئًا** في مسكنه بدون رأي المسئولين عن الاهتمام به، وما كانوا يدخلون قلاية أخ ليزوروه (بلا ضرورة). وما كانوا يقتنون نقودا أو ذهبا أو فضةً بصفة خاصة، حتى إنّ بعضهم انتقلوا من العالم وهم لا يعلمون ما هي النقود باستثناء الذين كانوا يقومون بخدمة الدير، وحتى هؤلاء فكانوا عند رجوعهم إلى الدير لا يبقون شيئًا معهم يوما واحدا، بل يسلّمونه للمدبر ليحفظه حتى وقت خروجهم للعمل مرةً أخرى. وكانت كل هذه القوانين مدونة في كتاب (أي كتاب قوانين أنبا باخوميوس) لكل مدبر فيما يخصه (من مسئوليات).

وكان الأب باخوميوس يوجه الإخوة القليلي المعرفة إذا تكلّموا كلاما ليس فيه منفعة، فقد كان يعلم كل واحد منهم في خلوة بأناة وطول روح قائلاً: "يجب على المؤمن أن يميز الكلمة التي يقولها إن كانت فيها منفعة لنفسه ولمن يسمعه أم لا كما هو مكتوب إنّ الحكيم يعلم ما يخرج من فمه". وإذا أبصر واحدا ليس قليل المعرفة بل يتكلم بتهور وقلة مخافة كان يوبخه أمام الكل لكي يكون عند الباقين خوف[٧٩].

عندما غادروا دير "شموسنز" انطلقوا نحو "تبيو"، وهناك زار الأب الإخوة ثم عاد مسرعا إلى دير "بافو"، وهناك عين أبا بفنوتيوس، أخا أبا تادرس، مساعدا له لكي يهتم بخدمة الأديرة لأنه كان رجلاً له كلمة وعمل وكان كاملاً في جميع الفضائل[٨٠].

كان في **أحد الأديرة بئر** تحتاج إلى تطهير، فأخذ الأب باخوميوس الإخوة ونزلوا في البئر لتطهيرها. وكان هناك شيخ قضى معظم حياته في العالم ثم صار راهبا. هذا لما رآه ينزل مع الإخوة في البئر ولم يكن بعد قد عرف شجاعة الذين آمنوا بالكمال، بدأ يتذمر قائلاً: "هذا الإنسان عديم الرحمة، فقد أخذ أولاد الناس وأنزلهم في البئر ليموتوا"! وفي تلك الليلة رأى نفسه في الحلم قائما على قمة البئر، وشاهد بين الذين يعملون في قاعه إنسانا يقول لهم: "خذوا روح الطاعة والقوة". ثم اتجه نحوه قائلاً: "أما أنت فتستحق أن تأخذ روح عدم الإيمان"! ففزع من هذا الحلم وجاء بين الإخوة أثناء خدمة صلاة السحر وسقط على وجهه أمامهم واعترف لهم بكل ما حدث[٨١]!

وفي مرة أخرى بينما كان يحدث الإخوة بتعاليم نافعة، حدث بغتةً أن روحه توقفت عن

---

(78) SBO, 55b. (79) G 1, 59; cf., SBO, 104. (80) SBO, 60. (81) G 1, 70; SBO, 65.

متابعة الكلام، وتحقق في نفسه، بقوة الروح الحال فيه، من سبب ذلك. فاستدعى مدبر الدير وقال له في هدوء: "امضِ إلى القلاية الفلانية وانظر من هذا الذي يسيء إلى نفسه، وكن شاهدا عليه، كيف أنه يؤذي نفسه أولاً بعدم مجيئه لسماع كلمة الله لكي يتقوى مقابل الروح الشرير الذي يحاصره ويجتذبه إليه، وثانيا لنومه بدلاً من أن يصلّي إن كان لا يريد أن يأتي ليستمع إلي. ولست أظن أن هذا الإنسان يمكنه أن يصير راهبا" ... وهكذا لم يشأ هذا الرجل أن يحمل الصليب حسب مقدرته، بل رحل من الدير ورجع إلى والديه[٨٢].

أرسل أحد الأساقفة إلى أنبا باخوميوس إنسانا بعلّة خطية للمرة الثانية ليحاكمه. وكان هذا الإنسان راهبا ملتحفًا بثوب من الشعر. وعندما جاء إلى الدير رآه أحد الإخوة يدعى "مافوس"، وهو شيخ طيب بسيط القلب للغاية، وكان واحدا من مدبري البيوت القدامى، ولكنه كان في ذلك الوقت مريضا ومغموما، فلم يخرج مع الإخوة لجمع البردي. وكان حزنه وتذمره مع بعض الإخوة الآخرين هو بسبب تعاليم الأب باخوميوس التي سمعها في الليلة السابقة والتي تضمنت تحذيرات كثيرة لأجل الخلاص والتحذير من حروب النجاسة، حتى إنه كان ساخطًا على كلام أنبا باخوميوس غير عالم بخبث العدو واحتياله على النفوس، ظانا أنه في أمان، وقائلاً في نفسه: "لماذا ينصحنا الشيخ بتحذيرات كثيرة كهذه؟ هل نحن معرضون هكذا للسقوط كل وقت"؟ ولهذا كان متوجعا وراقدا في إحدى القلالي. إلاّ أنه لما رأى ذلك الإنسان (الذي أرسله الأسقف) قادما قال للأب تادرس باعتباره المدبر: "اعتن بالرجل حتى يأتي أبونا، لأنني أرى أنه إنسان تقي وعظيم". فقال له الأب تادرس: "الناس ينظرون إلى الوجه، أما الله فينظر إلى القلوب".

ولما جاء الأب باخوميوس مع الإخوة، جاء الرجل مع الذين معه لمقابلته. وبعد أن اعترف الرجل بخطيته وبخه عليها، فتضرع إليه باكيا معترفًا بزلته بانسحاق قلب شديد. فأصلح الأب باخوميوس حاله بإفرازه الروحاني ذاكرا له من الكتاب: «إننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (يع٣: ٢). ثم قال له: "ولكن فلنصل لله الرحيم وهو يشفينا، ولنراقب أنفسنا بخصوص المستقبل". ولما سمع مافوس الشيخ هذا الكلام تعجب من إفراز الأب باخوميوس واقتنع بما قاله في الليلة السابقة ومجد الله. كما جاء الإخوة الذين تذمروا من كلامه في اجتماع المساء وسجدوا معترفين بخطئهم. ثم قال أنبا باخوميوس لمافوس: "أتظن يا مافوس، أنه كما أنك أنت ثابت على الصخرة غير المتزعزعة هكذا

(82) G 1, 74.

أيضا كل إنسان قد وجد الطريق؟ فلنصل للرب الرؤوف الرحيم لكي يخلصنا من جيل المنافق الشرير". فأجابه الشيخ مافوس: "اغفر لي يا سيدي الأب رجل الله لأنني تجاسرت وازدريت بالروح القدس الساكن فيك بجهالتي"[٨٣].

خرج من تحت الأب الكبير رهبان أفاضل وقديسون كثيرون مثل بترونيوس وأورسيزيوس وكورنيليوس وبسنتاثيوس وسوروس وبسوبوس وبيكيسيوس وباخوميوس آخر وبولس ويوحنا وبفنوتيوس وآخرون كثيرون. هؤلاء كانوا أقوياء بالروح ومجاهدي المسيح الحقيقيين. وكان الأب باخوميوس يراقب سيرة كل منهم، وقد عين معظمهم مسئولين في الأديرة. وكان بعدهم في الرتبة ممن أحبوا الله أبا "تيثوبس" الذي صار أبا لدير العذارى، وكان فاضلاً قديسا مملوءًا من رأفات الله كما من شحم ودسم. وبعض الآباء لم يكونوا نساكًا عاديين، فقد عاشوا في الرهبنة سبعين سنة دون أن يذوقوا الخمر ولا حتى في مرضهم. وآخرون في مرضهم لم يستجيبوا لرجاء الذين أرادوا أن يضعوهم على أسرة لكي يمكن دفنهم بعد انتقالهم كما يجب، وقال أحدهم: "الأوفق لنفسي أن يجدني الموت ملقى على الأرض شقيا من أن يجدني على سرير مستريحا"! ولكنهم مكثوا كما هم وماتوا وأجسامهم منحنية فوق مراقدهم القصيرة[٨٤].

استلم أنبا باخوميوس أديرةً أخرى تحت عنايته. فاستلم أولاً دير "تاسي" ثم دير "تيباو" في بانوبوليس وآخر يدعى "تسميني". وبعد زمان استلم ديرا آخر يدعى "بخنوم" بالقرب من "لاتوبوليس" (إسنا). وأسكن الطوباوي فيها كلها إخوةً وعين لهم آباء واحتياجاتهم الجسدية. وكان دير "بافو" هو الدير الكبير الذي كان مدبره يهتم باحتياجات الرهبان، فكان يقوم بالعمل ويرتب أمورهم بتدبير إلهي كلما دعت الظروف.

وكانوا يأتون إلى الدير الكبير مرتين في كل عام، فكان الآباء المدبرون يجتمعون في أسبوع الفصح عند أبينا باخوميوس ويحتفلون بعيد الفصح معا بالمحبة وبكلام الله. كما كانوا يجتمعون أيضا في شهر مسرى ليقدموا تقارير مكتوبة عن أعمالهم للأقنوم الكبير الذي كان يعين مدبري البيوت والوظائف الأخرى. وكان رجل الله يهتم بزيارة الأديرة بنفسه ليشدد المضطربين بأنواع التجارب، ويعلمهم أن يقاوموها بتذكار الله، وكان يأمر

---

(83) G 1, 76; SBO, 68.

(٨٤) يبدو أن مراقد الرهبان كانت قصيرة لا تسمح بتمددهم عليها بطولهم، فكانت تسبب مشكلة عند دفنهم وهم غير ممددين! وقد جاء في سيرة الطوباوي "يونان" في النسخة الخطية (ص ١٧١ك) أنه: [انصرف إلى ربه والحبال مضفورة بيده. ولما أردنا أن ندفنه لم نقدر أن نمد ساقيه ونبسطه لأنهما كانتا مضمومتين كخشب يابس. وكذلك يديه لم نقدر أن نضمهما إلى جسده ولا أن نخلع عن جسده الثوب الجلد الذي كان يلبسه ونلبسه الثوب الصوف السابق ذكره. وبسبب تلك الموانع كفناه بثوب من شعر كأنه شيء من الجماد ووضعناه في مغارة]. G 1, 79

لهم بكل ما هو نافع لنفوسهم[٨٥].

كان يوجد مجاهد آخر حارب حتى الدم ضد الخطية ويدعى اسمه "تيتـوي". وكـان مشرفًا على الإخوة المعينين لخدمة المرضى في "بافو". وذات يوم، بينما كان يعد الطعـام، حدث أن جاء إليه روح شرير ليجربه ويغويه بالخطية لكي يأكل أولاً من الطعـام المعـد للمرضى - وقيل إن التجربة كانت بشهوة الزنى متخفيةً خلف الاهتمام الزائد بصبي مريض جميل المنظر - إذ إن المؤمنين يمتحنون بالأكثر في الجهاد لأجل مجد الله. ولذلك لم يـذهب تيتوي إلى المائدة ليأكل في ذلك المساء. وإذ عزم أن يمد صومه إلى اليوم التالي، فقد وقـف يصلّي بدموع قائلاً: "إنني مستعد، يا رب، أن أصوم ليس لأن أقتني حبك فحسب؛ بل إنني بالحق لن أتخلّى عن التعفف الذي هو فخر القديسين حتى ولو سلمت للاستشهاد والحرق. فأتضرع إليك أن تكمل حياتي في مخافتك". وهكذا أكمل حياته راهبا مخلصا نقيا[٨٦].

سمع راهب متوحد عن الأب باخوميوس، فترك وحدته وتتلمذ له. وبعد أن أقام وقتا قصيرا مع الإخوة اعترته شهوة جامحة أن يصير شهيدا عندما كـان العـالم في سـلام والكنيسة في نمو ونجاح بنعمة الله أيام الإمبراطور قسـطنطين. وظـلّ يتوسـل لـلأب الطوباوي أن يصلّي لأجله لكي يصير شهيدا. وكان الأب يزجره قائلاً: "لا تدع هـذا الفكر يدخل إلى قلبك وانتبه إلى خداع العدو". وكان يعظه قائلاً: "اصبر يا أخي على جهاد الرهبنة بشهامة موجها حياتك فيما يرضي الرب، وستكون لك في السماء شركة مع الشهداء". ولكنه أصر أن يصلّي الأب من أجله لكي ينال شهوته. فقال لـه الأب الكبير لكي يتخلّص من إلحاحه: "ليكن كذلك، سأصلّي من أجلك، ولكن احرص لئلاّ عندما تأتيك الفرصة توجد للمسيح جاحدا لا شهيدا. لأنك حقًا قد ألقيت نفسـك في التجربة برغبتك"! ثم وعظه أن يسهر على نفسه ولا يفكر في هذا الأمر ثانيةً.

وبعد قليل أرسله الأب لافتقاد الإخوة الذين كانوا يقومون بقطع الـبردي في قريـة خربة مجاورة للجبل الذي يسكنه البربر. ولما اقترب من البربر في البرية، اتفق أنهم جاءوا ليستقوا ماءً فأسروه عندهم واستهزأوا به قائلين: "أيها الراهب، تعالَ واعبد آلهتنا". وإذ قدموا ذبائح وخمرا لأصنامهم كلّفوه بأن يقدمها معهم فـامتنع، ثم جـردوا سـيوفهم وهددوه بالقتل، فارتعب وقدم من الضحايا والخمر للأصنام! وهكذا ذبح نفسه خوفًا من موت الجسد. ثم أطلقوا سراحه.

(85) G 1, 83; SBO, 57, 58.

(86) G 1, 84; SBO, 99b.

ثم رجع إلى نفسه وعرف إثمه فمزق ثيابه وأخذ يلطم وجهه. وعاد إلى ديره، وكان الأب باخوميوس قد علم بالروح بما حدث فخرج للقائه بحزن شديد. فخر الأخ علـى وجهه باكيا قائلاً: "أخطأت أيها الأب إلى الله وقـدامك، لأني خالفـت مشـورتك الصالحة"! فقال له الأب: "قم أيها الشقي، لقد حجزت عن نفسك تلك الخيرات. حقًا إنك بائس، فقد كان الإكليل على وشك أن يوضع على رأسك ولكنك طرحته عنك، لقد أشرفت أن تحصى مع الشهداء ولكنك أبعدت ذاتك عن مشاركتهم. السيد المسيح أراد أن يعطيك إكليل الغلبة، ولكنك أنكرته وجحدته خوفًا من ألم الموت. أين أقوالك وشهوتك الملحة؟ فلماذا لم تتقدم للموت بشجاعة من أجل ذاك الذي مات من أجلنـا؟ لقد تكبدت خسارة عظيمة".

ثم قال له: "ولكن الرب صالحٌ ولا يغضب إلى الأبد، و«كبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا» (مز١٠٣: ١٢)، لأنه «لا يسر بموت الشرير بل بأن يرجع عن طريقه ويحيا» (حز٣٣: ١١). فلا تيأس من نفسك، لأنه يوجد رجاءٌ في الخلاص. فإذا سمعت لي فيمـا أقوله لك تنال المغفرة من الرب لكي يتم فيك أيضا كلام الكتاب: «انظر إلى ذلّي وتعـبي واغفر لي جميع خطاياي» (مز٢٥: ١٨)". فأجاب الأخ بدموع: "سأخضع مـن الآن في كل شيء أيها الأب". فأمره الأب أن يعتزل في مكان هادئ حيث يغلق على نفسـه ولا يتحدث مع أحد حتى يوم الممات، ولا يأكل سوى الخبز والملح يوما بعد يوم، ولا يشرب إلاّ الماء، وأن ينسج في النهار حصيرتين ويسهر ويصلّي بقدر طاقته، ولا يكف عن البكاء. وهكذا فعل ولم يتحدث مع أحد سوى الأب الكبير وأبا تادرس، وداوم على ذلك عشـر سنوات ثم رقد بنعمة الرب فرحا في الرجاء وبشهادة حسنة"(٨٧).

عندما زار أنبا باخوميوس طابنيسي قال للإخوة: "سبب مجيئي إليكم اليوم هو أن مـا كنا نبحث عنه وجدناه في قدر خزفي". وكان يقصد من ذلك مخالفةً روحيةً لأحد الإخوة. فقد كان هناك أخ اسمه "إيليا" بسيط القلب، وكان حاضرا كلام الأب باخوميوس. وكان قد جنى مبكرا خمس ثمرات من التين وأخفاها في قدر خزفي ليأكلها بعد الصوم. فلما سمـع عن القدر ذهب في الحال وأحضر القدر وسط الجماعة وقال للأب: "أؤكد لك يا أبا أنني لم آخذ سوى هذه فقط". فتعجب باخوميوس مع الإخوة لأنه لم يكن يتكلم عـن هـذا الشخص. وحينئذ قال لهم: "ينبغي أن تتحققوا من أنه ليس عندما نشاء نرى الخفيات لأجل خلاصنا، بل متى شاءت عناية الله. أما بالنسبة لهذا الأمر الصغير، فإنني أؤكّد لكم أنـني لم

(87) G 1, 85; Paral., 8 - 11.

أعرف شيئًا ولا سمعت عنه من أي إنسان. ولكن الرب الذي شاء أن لا يصير هذا الأخ فيما بعد عبدا للطعام، فقد أظهر لنا كيف نصلحه". وإذ كان متعجلاً للعودة إلى بافو، ـض وصلّى مع الإخوة ومضى دون أن يذوق طعاما[٨٨].

بعد أن وضع أنبا باخوميوس توجيهاته بخصوص قيام حياة الشركة، حدث في المخبز في طابنيسي أن تكلم بعض الإخوة الذين يعجنون ويشتغلون، بينما كـان ينبغـي ألاّ يتكلموا بل ينصتوا لما يتلى عليهم بحسب التوجيهات الملزمة. ومع أنه كان بعيدا عنهم، فقد تحقق بروحه أ م خالفوا وصيته. فدعا تادرس الذي كان أبا للدير وقال له: "اذهب وتحرى بتدقيق عما إذا كان بعض الإخوة تكلموا في المخبز في المساء خلافًا للوصـية". فتحرى تادرس ووجد أن كثيرين تكلموا وأبلغه بذلك. فقال الأب باخوميوس: "إ ـم يعتبرون هذه أمورا بشرية، ولكن حتى لو كانت الوصية تخص أمرا تافها للغايـة فهـي مهمة. فإن الجمع العظيم الذي أحاط بأريحا أطاعوا الوصية وحفظوا الصمت سبعة أيام، وحين تلقّوا الأمر بأن يهتفوا تمموا أيضا إرادة الله مطيعين الرجل الذي بواسطته أخـذوا الوصية. وعلى هذا المثال فليحرص هؤلاء الإخوة في المستقبل فيصفَح لهم عما حـدث. فلو كانت هذه الوصية غير نافعة لنفوسهم لما كنت قد أوصيتهم ا"[٨٩].

كان الأب باخوميوس ذات يوم مع الإخوة في طابنيسي لكـي يخبـزوا الأرغفـة الصغيرة التي يحتاجو ا لمدة سنة في دير "فباو" حيث لم يوجد هناك خباز. وكـان قـد أوصاهم ألاّ يتكلم أحد في المخبز، ولكن ينبغي أن يتلو الجميع كلمة الله معا، وإذا احتاج الذين يعجنون إلى ماء يقرعون على جرن العجين بأيديهم. وفي مرة بينما كانوا يعجنون كلّم أحد الإخوة أحد الخدام قائلاً: "أعطني قليل ماء". وكان الأب باخوميوس واقفًـا على بعد، ولكن ملاكًا من الرب أشار إليه بينما كان الآخرون لا زالوا يتكلمون بعضهم مع بعض قائلاً: "انظر كيف يسلك هؤلاء الرجال، فقد خالفوا وصيتك لهم. فإذا جاء إليك الآن أبا تادرس ورفع يديه لك فهل تلتمس له عذرا"؟ فأجاب: "لا".

وفي الصباح، استدعى الأب باخوميوس أبا تادرس - الذي كان أبا لدير طابنيسـي ومسئولاً عن المخبز والخبازين - وقال له: "اذهب وفتش عن الذين خالفوا الوصـية في المخبز مساء أمس". فبحث الأمر بدقة ووجد أن ١٨ أخا قد تورطوا في هذا العصيان. فدخل إلى أبينا باخوميوس بخجل ورفع له يده، فلما رآه الأب يرفع يده له تذكر كـلام الملاك له، فابتسم في وجهه بغضب عظيم. ولما رأى تادرس طبيعة ابتسامته ازداد حزنه.

(88) G 1, 97; SBO, 72c.

(89) G 1, 89; SBO, 74a.

وسأل بعض الحاضرين أبا تادرس: "لماذا تبكي؟ ما الذي قاله لك"؟ فقال لهـم أنبـا باخوميوس: "دعوه يبكي بسبب تقصيره الذي ارتكبه أمام الله".

ثم نقل الأب تادرس وصية المخبز إلى أخ آخر، ثم اعتزل منفردا حسب رغبـة الأب باخوميوس. وظل يصوم يومين يومين بتنهدات وأنات، وكان يصلّي بدموع ليلاً و ارا من أجل ما فعله الإخوة. وبعد أن مارس هذا النسك العظيم مدة ثلاثة أسابيع قال لـه الأب باخوميوس: "كُف، هذا يكفي، ولكن احترس من الآن فصاعدا ألاّ تكون مقصرا وألاّ يحدث تعد بين الإخوة لئلاّ توجد أنت مخطئًا أمام الرب يسوع المسيح"[٩٠].

كان في **دير بافو** عشرة إخوة قدامى، ورغم أ م كانوا أعفّاء في أجسادهم إلاّ أ ـم كانوا غالبا يتبرمون من أقوال رجل الله ولا يصغون له بإيمان. أما هو، فإذ كان طويـل الروح ومحبا للنفوس، لاسيما الذين تعب في نصحهم ووعظهـم زمانـا، لم يشـأ أن يهملهم. فناح من أجلهم أمام الرب، مذللاً نفسه بالصوم وبالامتناع عن الأكل ستة أيام في الأسبوع[٩١]، وأربعين ليلة بلا نوم، فانحلّ جسمه وضعفت قوتـه للغايـة. حينئـذ استجاب الرب له، فأعطى يقظةً لكل واحد منهم لكي يسعى بأقصـى اسـتطاعته لأن يشفَى من خطيئته. وعلى هذه الصفة رقدوا[٩٢].

كان أخ (قيل إنه كان يدعى "بولس") قويا بالروح متمثلاً بصبر أنبا بـاخوميوس. وبينما كان يصلّي ذات يوم لدغته عقرب في قدمه. فوضع قدمه الملدوغة على العقـرب وصلّى قائلاً: "إن لم يشفني الله فمن الذي يشفيني"؟ وفي البداية، إذ كان يختبر نفسـه ليرى إن كان يستطيع الاحتمال، كاد الألم الذي سببه السم أن يمزق قلبه، وقـارب أن يسلّم الروح. ولكنه إذ غصب نفسه على الاحتمال غلب شدة الألم إلى أن حان وقـت الصلاة الجماعية، فهدأ الألم وذهب لحضور الصلاة[٩٣].

توفيَ أحد الإخوة في **الدير.** وبعد أن كفنوا جسده لم يسمح الأب بـاخوميوس أن يرتلوا أمامه وهم يحملونه إلى الجبل كما هي العادة، ولا حتى أن يقدموا القربـان مـن أجله. وكان معهم أيضا والدا وأقرباء المتوفي. كما جمع ملابسه في وسط الدير وأحرقها، مثيرا الخوف في الجميع حتى لا يتهاون أحد بحياته مثله. ولا نعرف كيف احتمـل الأب ذلك الأخ حتى مات. ولكننا نعلم أن رجال الله لا يعملون شيئًا ضارا على الإطـلاق، فصرامتهم ورأفا م هي بحسب قياس معرفة الله التي فيهم.

(٩١) من الأرجح أنه كان يصوم ستة أيام من كل أسبوع.

(90) SBO, 77. (92) G 1, 100; SBO, 92.
(93) G 1, 101; SBO, 99a.

وقد ألقى أفراد أسرة المتوفي بأنفسهم عند قدمي الأب متوسلين إليه أن يسمح لهـم بترتيل المزامير على المتوفي، ولكنه لم يقبل. فحزنوا ووبخوه على هذه المعاملة القاسـية، ولكنه قال لهم: "حقًا أيها الإخوة، إنني أشفق على هذا الراقد أكثر من جميعكم مهتمـا به كأب لما أمرت بذلك. فأنتم تهتمون بالجسد المنظور، أما أنا فأجاهد من أجل نفسه. فلو رتلتم له المزامير سينال عذابا أكثر معطيا حسابا عن تلك المزامير، لأنه مضى بـدون قوة المزامير. فإذا رتلتم له تضيفون إلى محنته المؤبدة. فأنا أهتم بما هو نافع لنفسه. لـذلك أرجوكم أن تدفنوه بلا مزامير حتى يخف عذابه. لأن إلهنا الصالح يعرف كيف يهبه راحةً من أجل هذه الإهانة التي حلّت به وأن يدعوه ثانيةً للحياة. فلو كان قـد سمـع لي في المرات العديدة التي وبخته فيها ما كان قد وصل إلى هذه الحالة". ولما قال الأب ذلـك دفنوه بدون مزامير(٩٤).

سمع **بسيرة الأب باخوميوس رهبان هراطقة،** فأرسلوا إليه جماعةً يلبسـون شـعرا، وقالوا للإخوة: "قد أرسلنا كبيرنا إلى أبيكم قائلاً: إن كنت رجل الله حقًا وما بلغـني عنك صحيحا، وإن كانت لك ثقة في الله أنه يسمع لك، فهلم بنا نعبر النهر معا ماشيين بأرجلنا على سطح الماء فنعرف من منا له دالة أكثر عند الله"! فأبلغه الإخوة بـذلك، فقال لهم: "ولماذا أجزتم لأنفسكم أن تسمعوا هذا الكلام؟ أما تعلمون أن هذه الأمـور غريبة عن الله ولا تقبلها سيرتنا؟ فهي لا تتماشى حتى مع العلمانيين ذوي الفكر السليم. ثم إنه أي ناموس من نواميس الله يدفعنا إلى ذلك؟ ولا يوجد ما هو أكثر حماقة مـن أن أهمل النوح على خطاياي لكي أخلص من العذاب الأبدي وأميل بذهن طفولي إلى هذه الخرافات"! فقال الإخوة: "كيف إذن تجاسر هـذا الهرطـوقي الغريـب عـن الله أن يستدعيك لمثل ذلك"؟ فأجابهم: "قد يستطيع هرطوقي أن يعبر النهر ماشيا كما علـى اليابسة بمعونة الشيطان له وبسماح من الله بسبب كفره، فيغرس إيمانه الفاسد في الـذين يضلّهم. فقولوا لهم: هكذا قال عبد الله باخوميوس: إن حرصي هو ليس أن أعبر النـهر ماشيا، بل أن أعبر دينونة الله الرهيبة، وأن أعبر نهر النار الذي يجري قدام مجيء السـيد المسيح، وأن أهرب بقوة الله من هذه الخدع الشيطانية". ولما قال ذلك أقنع الإخوة بألاّ يفتخروا بأعمالهم ولا يشتهوا إجراء معجزة أو يتوقوا إلى المناظر والرؤى، ولا يجربوا الله البتة حسب المكتوب: «لا تجرب الرب إلهك» (مت٤: ٧)(٩٥).

(94) G 1, 103; SBO, 93; Paral., 5,6.

(95) Paral., 33; س ٤ ورقة ١١٨

قصة الراهب سلوانس:

كان هناك فتى اسمه **سلوانس**، كان أبونا باخوميوس قد أعطاه وصايا قبل أن يقبله في الدير. وكان أصلاً مثلاً، وفي بداية حياة تجرده كان ساهرا جدا على نفسه يقضي كـل وقته في الصوم والصلوات المتواترة بكل اتضاع. ولكنه بعد ذلك صار مهملاً ممتعا نفسه بحياة رخوة، وكثير المزاح والضحك. فدعاه الأب باخوميوس وقال له: "ما هي الوصايا التي أوصيتك ا؟ ألا تعلم أنه أمر عظيم أن تصير راهبا؟ لقد أوضحت لك عند الباب أن تتبصر لنفسك لعلك لا تقدر أن تصير راهبا، وقد وعدت أمام الله أن تكون كـذلك. والآن، إن كنت ترغب حقًا في الحياة الأبدية، فلماذا لم تم بنفسك بدلاً من أن تطلـق العنان لقلبك؟ ولكن إن كنت لا تريد أن تبقى في مخافة الله فقُم واذهب إلى والديك ولا تمكث ههنا بعد الآن".

ثم أمره الأب في حضور الإخوة أن يخلع زيه الرهباني ويعطّى ملابس علمانيين ويطرد من الدير. فلما سمع ذلك انطرح عند قدمي الأب وبكى بكاءً مرا، لأنه لم يشأ أن يعود إلى الحياة العلمانية، وتعهد بتوسل كثير أن يصير راهبا حقيقيا قائلاً: "إذا سامحتني يا أبي هذه المرة ولم تطردني فستجعلني أصنع توبةً عما اونت فيه لكي تفرح بتجديد حياتي". فقال له الأب: "أنت تعلم كم احتملتك وحذّرتك، بل وكنت أضربك في حين أنني لا أريد أن أمد يدي على أحد، ولما كنت أضطر أن أفعل ذلك كنت أُعاني في نفسي مـن التأثر أكثر مما كنت أنت تعانيه من الضرب. وقد ظننت أنني بذلك يمكـنني أن أُصـلح خطأك. وأنت إلى الآن لم تتغير، فكيف أسامحك"؟

فضاعف سلوانس من توسلاته ووعد بتغيير سلوكه. فرق له الأب باخوميوس، ودعا راهبا فاضلاً يدعى "بسينامون"، وقال له في غياب الفتى: "نحن نعلم أن لك زمانا طويلاً في جهاد النسك، أما الآن فمن أجل الله خذ هذا الفتى واشترك معه في التعب والجهـاد في كل شيء حتى يخلص، فأنت تعرف كم أنا منشغلٌ بأمور كثيرة بخصوص الإخوة".

وهكذا ظل بسينامون مع سلوانس يعملان الحصر معا ويتممان صومهما وصلوا ما كما ينبغي. وكان الفتى يطيع بسينامون في كل شيء كما أخذ وصيةً بذلك، حتى إنه لم يكن يأكل ورقة خضروات دون أن يسأله. وهكذا صار متواضعا متقـدما في الفضـيلة ووديعا، ضابطًا لفمه، وما كان يتعجل في رفع عينيه نحو أحد، وكان صارما في نسكه. وكان يقف منتصبا سرا في صلوات السهر حتى أنه إذا تعب من الصلاة كـان يجلـس ويضفر طوال الليل، وفي هذا الوضع كان يأخذ حاجته من النوم. وباختصار فقد صـار

رجلاً تائبا حيا بالروح، وصار مثالاً لكل فضيلة أمام جميع الإخوة!

وقد حقق سلوانس فضائل أهمها الاتضاع المتناهي والدموع التي كانت تنهمر مـن عينيه بلا توقف. وكان عندما يأكل مع الإخوة لا يستطيع أن يضبط دموعه التي كانت تختلط بطعامه. ولما كانوا يطلبون منه أن يكف عن ذلك أمام الغرباء كان يؤكـد لهـم بشدة أنه حاول كثيرا ولم يستطع. فقالوا له: "نود أن نعرف ما هو الفكر الذي يجعلك مبللاً بالدموع بلا توقّف حتى أن كثيرين حينما يرونك هكذا يتوقفون عن الأكـل". فأجا م: "ألا تريدونني أن أبكي وأنوح على نفسي أنا الآتي من المسـرح عنـدما أرى أناسا قديسين يخدمونني على المائدة وأنا لا أستحق تراب أرجلهم؟ إنني أبكي يا إخـوتي خوفًا من أن أُبتلَع مثل قورح وداثان وأبيرام (عد١٦: ٢٧-٣٢)، ولا سيما لأنـني لمـا جئت من الجهالة إلى المعرفة لم أهتم بخلاص نفسي حتى تعرضت لخطر طردي من الدير. لهذا السبب فأنا لا أخجل من هذا البكاء، فأنا أعرف خطيتي التي بسببها إن بذلت نفسي فليس لي فضل"!

وفي أحد الأيام، بينما كان الإخوة جالسين بدأ الأب باخوميوس يخاطبـهم قـائلاً: "يوجد بيننا إنسان لم أر مثله قط منذ أن صرت راهبا. فكما يصبغ الصوف الأبـيض بالبرفير الكريم الذي لا يبهت لونه أبدا؛ هكذا اصطبغت نفس ذلك الإنسـان بـالروح القدس. وهو إذا سمع شهادتي هذه وتحقق أننا نتكلم عنه فلن يسر بذلك، كما أنـه إذا وجه إليه اللوم فلن يحزن، بل يظل كما هو بغير اضطراب".

فظن البعض أنه أبا تادرس وآخرون أنه بترونيوس أو أورسيزيوس. ولما ألحّ الإخـوة الكبار متوسلين إليه أن يعرفهم من هو قال الأب: "لو علمت أنه سيتملك عليه الغرور من مدحي له لما أثنيت عليه، بل إنه إذا مدح سيتضع ويزدري بنفسه بـالأكثر، لـذلك فسأدعوه أمام الكل مباركًا حتى تقتدوا به. إنه أعظم منك أنت يـا تـادرس والـذين يجاهدون مثلك! فمن جهة السن والنسك والمعرفة أنتم آباء له؛ إلاّ أنه باتضاعه العميـق ونقاوة ضميره هو أعظم. أنتم قيدتم الوحش الذي يثير الحرب عليكم وطرحتموه تحـت أقدامكم، وإن اونتم فإنه ينفك ثانيةً ويقوم ضدكم. أما سلوانس الذي تعرض للطـرد بسبب استهتاره فقد أخضع إبليس تماما وذبحه، حتى أن إبليس لن يستطيع بعد أن يقترب منه لأنه قد هزمه تماما بتواضعه العظيم"!

"فأنتم حينما تتضعون تفعلون ذلك مثل أناس لهم أعمال بر ويعملون على ازديـاد

فضيلتهم معتمدين على ما عملتموه قبلاً. أما هذا الرجل فإنه كلما جاهد أكثر كلمـا اعتبر نفسه لا شيء من كل قلبه، وأنه جدير بالازدراء. وهذا في الحقيقة هـو سـبب انسكاب دموعه الدائم. إنكم تتفوقون عليه في معرفتكم واحتمـالكم وقتـالكم ضـد الشيطان بلا قياس، أما هو فقد تفوق عليكم في الاتضاع. ولا شيء يبطل قوة الشيطان مثل التواضع الذي ينبعث بقوة من داخل النفس"!

وبعد أن جاهد سلوانس على تلك الحال ثماني سنوات انتقل من العالم وفرح به أبـا باخوميوس فرحا شديدا. وقد شهد لرحيله بأنه رأى حشدا من الملائكة يأخذون نفسـه بفرح عظيم وتسابيح، وأ م أحضروها لله كذبيحة مختارة وتقدمة بخور فائقة.

وبقدر ما كان الإخوة يتبارون في مآثر بعضهم البعض، بقدر مـا كـانوا يتقـدمون، وبالأكثر لأ م كانوا يشاهدون أمامهم إنسانا قويا في الروح يسكن فيه المسـيح (أي أنبـا باخوميوس)[٩٦].

كان في **دير "بافو" عشرة إخوة** يعيشون بالتواني. وكانت قلو م مليئة بأفكار رديئة كان الشيطان يضعها فيهم في كل وقت. وكنتيجة للأفكار النجسة التي امتلأوا ـا لم يكن لهم إيمان بتعاليم الأب باخوميوس التي يوجه ا الإخوة، وكانوا يقاومونه علانيةً في أمور كثيرة. وكان الأب باخوميوس حزينا عليهم وقد اعتاد أن يصلّي من أجلهم ـارا وليلاً لكي تخلص نفوسهم. وقد تذكّر التكديرات التي أزعجته منهم منذ شبا م، فضلاً عن أنه علم أ م نجّسوا أجسادهم بأفعال أثيمة.

وفي حين أن القديس كان يصلّي من أجل خلاصهم، فقد سمح الله بأن غضبا انتقاميا يحيط بجميع الإخوة بسبب هؤلاء العشرة. لأن الأب باخوميوس كان يصلّي من أجـل أولئك العشرة الذين استخفوا بتعاليمه التي كان يلقيها عليهم لأجل خلاصهم! وقد كلّم أحد القدماء الأب باخوميوس قائلاً: "لماذا أنت منـزعج ذا المقدار لأجـل هـؤلاء الرجال؟ إنك مزمع أن تعاقَب بسببهم. لقد كان أجدر بك أن تطردهم من وسطنا بدلاً من أن ترى أن الله غاضب منك من أجلهم لأنك متأن عليهم في حين أ م لا يتوبـون لكي يصرفوا هذا الغضب الإلهي". فأجابه الأب باخوميوس: "أيها البائس ذو العقـل الضيق! ماذا يعني كلامك هذا أن أطردهم؟ ألم تسمع بما فعله موسى الـنبي في الأيـام الغابرة؟ لأن القديسين إنما هم أمثلةٌ لنا. كيف أنه فرط في نفسه من أجل الشعب الـذي

(96) G 1, 104, 105; SBO, 93 a, b; Paral., 2 – 4.

أخطأ وقال: «والآن إن غفرت خطيتهم، وإلاّ فامحني من كتابك الذي كتبت» (خر٣٢: ٣٢)". هذه هي الطريقة التي كافح الأب باخوميوس من أجلهم لكيما يندموا ويتوبوا ويعملوا على خلاص نفوسهم!

ثم حدث مرةً أن الأب باخوميوس قابل أحد أولئك الإخوة العشرة وقال له بوجه باش: "كيف حالك الآن يا بني؟ وكيف حال إخوتك"؟ فأجاب الأخ: "بفضل الرب وصلواتك المقدسة فإن قلبي الآن يشعر بارتياح". ثم قال له رجل الله أيضا: "في الأيام التي اعتقدت فيها أنك تقاسي بسببنا، كان الشياطين يحاربونك لأنهم لم يجدوا فيك مكانا مريحا لهم. إن هذا ليُشبه جنديا يريد أن يدخل بيتا ويجعله مأوى له، فهو يسبب اضطرابات عديدة لذلك البيت عندما لا يتمكن من دخوله لأن الباب موصد جيدا. ولكن إذا خاف منه الذين في الداخل وفتحوا له، فبمجرد أن يدخل لا يعود يسبب اضطرابا، بل يستريح هناك مطمئنا. وهكذا الحال معك، فالروح النجس كان سابقًا يزعجك لأنك لم تكن تتمم عمله، أما الآن فقد فتحت له بابك، فهو ساكن فيك وقد امتلأت به «من أسفل قدمك إلى قمة رأسك» (تث٢٨: ٣٥)، وهكذا فإنه ما زال قادرا أن يضايقك بسبب ممارساتك النسكية"!

فقال له الأخ مرةً أخرى: "أما زال ممكنا للشيطان أن يفارقني لكيما أصنع مشيئة الله وأفلت من العقوبات المدّخرة لخاطئ مثلي"؟ فأجابه الأب باخوميوس: "أقول لك، إنك حتى لو صمت يومين يومين وصلّيت من المساء حتى الصباح، فإن هذا الشيطان لن يفارقك طالما بقي فيك عدم الإيمان هذا. ولكن إذا آمنت أن الكلام الذي أقوله لك حقيقي وأنه آتٍ من عند الله، فأؤكد لك أنه في ظهيرة هذا اليوم سيفارقك هذا الشيطان وتكون في سلام". فلما سمع الأخ ذلك انصرف وذهب بعيدا. ثم صام يومين يومين، ولكنه لم يتخل عن نقص إيمانه في رجل الله باخوميوس حتى يوم مماته[(٩٧)]!

ذهب الإخوة مرةً إلى الإسكندرية ومعهم بعض الحصر لكي يبيعوها ويشتروا الضروريات التي يحتاج إليها المرضى. وحدث بينما كانوا على وشك أن يسافروا نحو الجنوب، أن ثلاثة أشخاص رغبوا أن يصيروا رهبانا فاستقلّوا المركب وذهبوا معهم إلى دير بافو. ولما عانق الأب باخوميوس جميع الإخوة، استفسر منهم عن سلامة كنيسة المسيح الجامعة. ثم سأل مدبر هؤلاء الإخوة: "لماذا أحضرتم معكم هذا الزوان، هل لكي

(97) SBO, 102.

نصيره راهبا"؟ فأجابه باتضاع شديد: "يا أبي القديس، هل تظن أنني أمتلك الموهبة التي أعطاها الرب لك أن أعرف الصالحين من الأردياء"؟ فقال له الأب: "هذا الرجل كان زوانا منذ طفولته بسبب أعماله ونجاساته التي ارتكبها أمام الله. فمن الصعب حقًا على مثل هذا النوع من الناس أن يعيشوا إن لم يكافحوا بعناء شديد، بأصوام عديدة وصلوات طويلة ونسكيات عديدة وثقيلة وأسهار كثيرة. ولكن طالما أنك أحضرته، فسندعه يدخل مع الاثنين الآخرين، لئلاّ إذا صرفناه نثبط همة الاثنين الآخرين فينصرفا. أما بخصوصه هو فسنراقبه ونوضح له الطريق الذي يمكنه به أن يخلص، لئلاّ يعيش أيضا في وسطنا بالشرور التي اعتاد أن انغمس فيها قبل مجيئه. فإذا تغير وتاب سنقبله بترحاب ونجعل له مكانا في وسطنا. ولكنه إن لم يتب عن خطاياه فسنعيده إلى المكان الذي أحضرته منه. أما إذا قررنا الآن أن نطرده فسيحزن الآخران ويتراجعان، وستتأذّى نفساهما من ذلك ويؤنبنا الرب على ذلك".

"فما هي حاجتنا إلى أن نجعل معنا أشرارا لم يعزموا في قلوبهم أن يتوبوا أمام الله؟ إن الذين أبعدناهم عنا هذا العام بلغ عددهم نحو المائة". وكان عدد إخوة مجمع الشركة في ذلك الوقت يكاد يبلغ ثلاثمائة وستين. فقال الأخ للأب باخوميوس: "لو لم تكن قد أبعدت عنا أولئك الذين ذكرتهم لكان قد ازداد عدد الإخوة وكان مجمع الشركة قد نما بوفرة وبسلام". فقال له الأب باخوميوس: "كلاّ بالعكس، فلو كنت قد سمحت لهم أن يمكثوا لكان عدد الإخوة قد نقص، لأنه عندما يزداد عدد الأشرار جنبا إلى جنب مع الصالحين، فإن غضب الله يحلّ على الصالحين أيضا، ويخضع الجميع للعنة كما هو مكتوب أن الخطية جعلت الشعب ينقص تحت لعنة الرب، ولكنهم عندما يطردون الأشرار من وسط شعب الرب، فإن بركة الرب تحلّ على جميع الشعب الذي يتضاعف جدا ويثمر لله".

ثم قال له الأخ أيضا: "أريد أن تعلمني المعنى الكامل للكلمة التي قلتها إن هذا الرجل "زوان". فهل يعني ذلك أن طبيعتهم شريرة منذ ولادتهم كما يقول الناس؟ وإذا كانت هذه هي الطبيعة التي ولد بها هذا الإنسان فما الذي يمكنه أن يفعله"؟ فقال له الأب باخوميوس: "كل إنسان خلقه الله من نسل آدم يمتلك القدرة على أن يختار بين الخير والشر. وحتى إن وجد إنسان ذو طبيعة شريرة منذ حداثته، فبلا شك أنه ورث ذلك من طبيعة والديه الشريرة. ولكن لا يمكن أن يلام الرب على ذلك، لأن مثل هذا الإنسان حر في أن يتغلّب على نفسه ضد الهوى الذي يزعجه. فإذا وجد جمهور من النساء اللائي انتصرن على طبيعتهن بأن سلّمن ذواتهن للنسك في البتولية حتى نهاية حياتهن، رغم أن طبيعتهن ليست

رجولية، فبالتأكيد كم يكون بالأكثر الرجل الذي خلقه الله على صورته ومثالـه بإعطائـه طبيعة رجولية؟ وحتى لو أزعجه هذا النوع من الهوى كما يقول الناس، فيمكنه أن يتصرف بإرادته ويحكم عقله في السيطرة على الهوى الذي يزعجه ويطرده بعيدا عنه".

"يعلمنا الكتاب المقدس «أن الله خلق الإنسان مستقيما» (جا٧: ٢٩)، ولكنه بإرادته حول قلبه إلى الأفكار الشريرة وأغضب الله الذي خلقه (انظر تث٣٢: ١٨و١٩). إنـه بمشيئته قد حول قلبه نحو الإثم والأفكار النجسة والشهوات البغيضة والأحاديث المخجلة والهزء والسخرية كما يقول سليمان الحكيم في الآية السابقة. وحتى إن كان الإنسـان نسلاً رديئًا من والديه، فهو يمكنه أن يغير طبيعته بإرادته مهما كانت".

"وحزقيال النبي يزودنا بتأكيد لهذا المعنى عندما يقول: «فإن ولد (الإنسـان) ابنـا معتنفًا سفّاك دم .. ورأى (الابن) جميع خطايا أبيه التي فعلها، فرآها ولم يفعل مثلها .. بل أجرى أحكامي وسلك في فرائضي، فإنه لا يموت بإثم أبيه، حياةً يحيـا» (حـز١٨: ١٠و١٤و١٧). وفي المقابل، فإن الإنسان الذي يكون بدون هوى على الإطلاق ويرغب أن يزرع في نفسه طبيعة الرجولة التي خلقه الله ا؛ فهو لن يرتكب أية آثـام بغيضـة. ولكنه إذا سلك بمخافة الرب وبإخلاص، وعاش في طهارة الزيجة، فهو لن يسلّم نفسـه للزنى، بل بالعكس يكون قانعا بزوجته الواحدة. وإن كان أيضا غيـورا إلى الكمـال حسب كلام الرسول بولس الذي قال: «جدوا للمواهب الحسنى» (١كـو١٢: ٣١)، فسيعيش في طهارة الملائكة. وحينئذ يسكن فيه الروح القدس ويقدسه، ويمكنه أن يصير راهبا ويخدم الرب بكل طهارة واستقامة".

ولما قال الأب باخوميوس هذا الكلام قال له الأخ: "يا سيدي وأبي، إنك الآن قـد أقنعتني من الكتاب المقدس بخصوص ما سألتك عنه. والآن أريد أن تخبرني لماذا أرجعت كثيرين من ذلك العدد الكبير من الذين جاءوا إلينا قاصدين أن يترهبوا ورفضت قبولهم للرهبنة. فما الذي دفعك إلى عدم قبولهم وقلت عنهم إنه ليس لهم توبة؟ ولماذا أيضا قلت عنهم إ م لم يأتوا ليصيروا رهبانا بكل قلو م"؟ فقال له أنبا باخوميوس: "هل تظن أنني أحتقر صورة الله؟ كلاّ، حاشا لي أن يعوزني بأي حال تقدير الناس! ولكن جميع أولئك الذين لا أقبلهم إنما هم زوان مثل ذاك الذي أخبرتك عنه، لأن الذين من هـذا النـوع يصعب أن يخلصوا في مجمع الشركة بسبب الأهواء التي تسيطر عليهم. لأنه يصعب على أي واحد أن يصحح حيا م - إلاّ إذا كان الرب يسكن في أي واحد منهم - بطريقة ما بينما هم خائفون من الخطايا والبذاءات التي ارتكبوها. وأؤكد لك أنـني إذا كشـفت

أعمالهم للإخوة لكي يصلّوا من أجلهم، فإ م لن يظهروا فقط عدم الرغبة في الصـلاة لأجلهم؛ بل إ م سيزدرون م ويرفضون أن يأكلوا ويشربوا معهم. لـذلك نحـن لا نقبلهم لئلاّ يسقط أحد الإخوة في أعمالهم الشريرة، أو يتقسى قلبه بواسطة أحد منهم، وبذلك يقع في فخاخ الشيطان".

"ومن ناحيتي، فإنني أحيانا أقبل واحدا أو اثنين من هذا النوع وأكافح معهم بشـدة حتى أنقذهم من قبضة الشيطان. فيجب علي أن أفتقدهم كثيرا ارا وليلاً حتى يصـيروا في أمان أو حتى يفتقدهم الرب فيجدوا راحتهم فيه. وذلك لكي أتمم كلام الرسـول: «بطول أناة محتملين بعضكم بعضا في المحبة» (أف٤: ٢)، حتى يمكنهم أن يخلصوا".

"أما بخصوص الذين لا أقبلهم، فإنني أكون خائفًا عندما أفعل ذلك مثل الفلاح الذي يريد أن ينظف أرضه المحروثة أو المليئة بالشوك، في حين أنه يترك أرضه الجيدة خالية من الزرع لأنه لا يستطيع أن يعمل في كليهما. هكذا هي طريقتي، فإنني أقول في نفسي إنه لا يجب أن أشغل نفسي مع الأشخاص النجسين بينما ربما يجعلني ذلك أ اون في افتقاد الإخوة الأنقياء حتى لا يخضعوا للنجاسة. بل بالعكس، فإنني بنعمة الله أدرب النفـوس الطاهرة في وصايا الحياة الأبدية. والذين سأنجح في تجديد حيا م، أسرع في التحول من سلوكهم الرديء إلى خدمتهم للرب".

"أما بخصوص الذين أطردهم، فإنني أقول لهم: 'حيث إنكم ارتكبتم تلـك الخطايـا بسبب عمى قلوبكم وجهالتكم، فتوجد لكم توبة، ولكنكم لا يمكن أن تخلصوا في مجمع الشركة. فاذهبوا إلى أي مكان، واسلكوا حياة التوحد مع ممارسات نسـكية بالصـوم والصلاة أمام الرب ارا وليلاً مع دموع غزيرة بسبب الخطايا التي ارتكبتموها حتى يغفر لكم. وراقبوا أنفسكم باهتمام لئلاّ تجدوا أنفسكم في تلك النجاسات مرةً أخـرى، ولا تستسلموا للأفكار الرديئة التي يزرعها الشيطان في قلوبكم'. هذا هو الكلام الذي أقوله لكل إنسان من هذا النوع حتى أكون بريئًا من دمائهم أمام الله في يوم دينونته العظـيم، وحتى لا يقولوا: 'إنك لم تعطنا فرصةً لتقديم التوبة للرب'".

أما الشخص الذي جاء من الإسكندرية الذي قال عنه إنه زوان، فبعـد أن أدخلـه وسط الإخوة أخذه على انفراد ووضع عليه نسكيات طويلة لكيما بإتمامها يفلت مـن عذابات الجحيم. وأوصاه مشددا أن يصوم كل يوم حتى المساء ولا يأكل شيئًا مطبوخا. وقال له: "إذا حدث أنك مرضت فلا تظن أنك مريض إن لم تنـبهني أولاً وبعـد أن

أفحص الأمر لأرى إن كان ذلك بسماح من الله أم أنه فخ من الشياطين الذين يريدون أن يسيطروا عليك بالأمور التي سقطت فيها قبل ذلك في العالم. فإذا وجدت أنه مرض من الله سأوصي الأخ الذي يعتني بالمرضى أن يهتم بك حتى تشفَى. فقط احفظ نفسك وجسدك نقيين تماما من الآن فصاعدا ولا تستسلم للأفكار النجسة التي يزرعها الشيطان في قلبك. بل أسرع بأن تتيقّظ لنفسك مصليا لله ساكبا الدموع بكل قوتك حتى يفارقك الروح الشرير الذي كنت مسكنا له. كن متواضع القلب وقُل: 'عندما أنتهي من مراعاة كل ما أُوصيت به، فإنني بالكاد أستحق أن أحيا وأفلت من عقاب النار التي لا يمكن أن تطفَأ والدود الذي لا يموت'".

"وإذا رأى بعض الإخوة نسكياتك ومدحوك لأجلها دون أن يعلموا بالآثـام الـتي ارتكبتها فقُل لنفسك في الحال بدموع: 'يا ربي يسوع، لو علموا بأعمالي النجسة الـتي ارتكبتها ارا وليلاً أمامك بالإضافة إلى النجاسة والبذاءة التي أنا مذنب ا حـتى الآن؛ فإ م ليس فقط لن يمدحوني، بل إ م أيضا لن يرغبوا أن ينظروا وجهي بسـبب نتانـة الخطايا التي ارتكبتها أمام الرب'! تيقّظ لنفسك وراقبها، ولا تدع أي كبرياء أو فكـر باطل يدخل في قلبك لئلاّ تضيف خطايا أخرى إلى خطاياك وتلقَى في عذابات لا ايـة لها. وإذا شتمك أحد أو سبب لك أذى، فاحتمل ذلك بامتنان وقُل لنفسـك: 'لقـد أغضبت الله عدة مرات بأعمالي النجسة'".

"كذلك، كُن خاضعا ومطيعا مع الإخوة بكل اتضاع ووداعة، وكُن بـلا تـذمر بخصوص القوانين الموضوعة علينا في مجمع الشركة، وذلك حـتى يـرى الله اتضـاعك وأتعابك ويغفر لك خطاياك والآثام والبذاءات التي ارتكبتها في حضرته ـارا ولـيلاً، وحتى لا يلقي بك في العقوبات البشعة غير المحتملة إلى الأبد. وكل ما تعملـه فلـيكن بمخافة الرب. ولا تعمل شيئًا لأجل مجد بشري خوفًا من أن تؤول أتعابك إلى لا شيء، ويسيطر عليك الشيطان وتصير خادما له مرةً أخرى".

فلما سمع هذا الرجل كل ذلك من الأب باخوميوس، سلّم نفسه لنسكيات شديدة حتى تعجب جميع الإخوة من نسكه وجهاداته. لأنه لم يعلم أحد من الإخوة أنه مـارس تلـك النسكيات بناءً على توصية الأب باخوميوس، بل ظنوا أنه كان يفعل ذلك من نفسـه. ولا علم أي واحد منهم ما كان عليه حاله من النجاسات التي ارتكبها قبل رهبنته سـوى الأب باخوميوس والأخ الذي جاء به من الإسكندرية. فقد منع الأب البار باخوميوس ذلك الأخ أن يخبر أي أخ عن خطايا ذاك الأخ التي ارتكبها في الإسـكندرية. وكـان هـذا الأخ

الإسكندراني شابا وقوي البنية، وقد قضى تسع سنوات في نسكيات شديدة، ولكن ليس في مخافة الرب أو في توبة، فقد كان لا يزال منهمكًا في أعمال أهوائه الشريرة ومسراته النجسة!

وبعد أن مارس النسك بثبات لمدة تسع سنوات، حدث أنه بميله إلى النجاسة وضـع فخا لنفسه لكي يخر ا. وإذ علم الأب باخوميوس بذلك بالروح القدس الساكن فيـه، رأى الشيطان في هذا الإنسان الذي قبل أفكاره الأثيمة، والذي بدأ حينئذ أن يتمم إثمًـا بغيضا جدا حسب مشورة أبيه الشيطان. وحينئذ استدعاه الأب باخوميوس في وسـط الإخوة جميعا وبدأ يستفسر منه بخصوص الفكر الذي عزم في قلبه أن يتممه بدون مخافة الله. فاضطرب الرجل بسبب مخافة الله التي رآها على وجه الأب باخوميوس، واعترف في الحال بالخطية التي عزم على ارتكا ا. وفي الحال طرده الأب من وسط الإخوة، ولما علم الإخوة ذا الأمر امتلأوا جميعا بخوف عظيم بسبب نعمة الله الـتي سـكنت في الأب باخوميوس، ومجدوا الله(٩٨).

حدث مرةً أن أنبا باخوميوس ذهب جنوبا مع بعض الإخوة لكي يجمعـوا حلفـاء (السمار الذي يستعمل لصنع السلال والحصر). ولما وصلوا إلى مجمـع أراد أن يفتقـد الإخوة هناك. فدخل مع الإخوة وهم يتلون (في كلام الله). وبعد أن قبلوا جميع الإخوة رأى الأب أن أحد الإخوة قد أُصيب بخطية شيطانية. فصلّى في الليلة التالية بخصـوص ذلك قائلاً: "أيها الرب إلهي القدير أبو ربنا يسوع المسيح، أيها المبارك يا من جمعـت إخوة هذا المكان المقدس، أي هذه الشركة المقدسة، التي أسسها منذ البدء آباؤنا الرسل القديسون الذين اختر م وأحببتهم، والذين بعد ذلك أسست عليهم مجمعنا هذا لكيمـا نعيش بكل طهارة، حتى نمجد ونبارك اسمك القدوس إلى أجيال لا ائية، آمين. نتوسـل إلى صلاحك ومحبتك، يا الله، من أجل هذا البائس الذي في وسطنا. لقد أظهر جحـودا لصلاحك وجودك. فقد اختار بنفسه أن يكون آنيةً للشيطان بدلاً من أن يكـون آنيـةً مختارةً (أو «إناءً للكرامة» رو٩: ٢١و٢٢) ومسكناً للروح القدس الذي يخلـص كـل إنسان. لقد ارتكب جريمةً في بيتك المقدس بقبوله لتلك الأفكار الأثيمة الـتي أغـوى الشيطان المحتال ا قلبه فأصبح ابنا له. ومع ذلك فهو لا يجهل الكتاب المقدس لدرجـة أنني أُصلّي لك من أجله، حيث إنه على دراية بمعرفتك الحقيقية، وهو نفسه يعلم آخرين أن يسلكوا في سبل مشيئتك المقدسة. إن الخطايا والنجاسات الـتي يعلـم آخـرين أن يتحاشوها هي ذا ا التي يعيش فيها ويرتكبها. ولذلك فإنه يستحق الموت. ولكـنني لا

(98) SBO, 107.

يمكنني أن أُسبب له أي أذى إن لم تكن هذه هي مشيئتك. لذلك، أيها الرب إله جميـع القديسين، كما كشفت لي آثامه البذيئة، أخبرني أيضا ماذا أفعل معه".

وبينما كان القديس يصلّي، ظهر له ملاك من الرب مخيف جدا ومعه في يده سـيف ناري مسلولٌ، وقال لأبينا باخوميوس: "كما أن الله محا اسمه من سفر الحياة؛ هكذا أيضا اُطرده أنت من وسط الإخوة لأنه ليس جاهلاً. وحتى بالنسبة للجهلاء، فإن مثل هـذه النجاسات تبدو بغيضةً أمام الله". وفي الصباح جعله يرتدي ملابس دنيوية وقـال لـه: "اذهب واعمل ما يناسب تلك الملابس التي جعلتها تصرفاتك ملائمةً لك". ثم طـرده من وسط الإخوة. وقد تحققت بخصوصه كلمات النبي: «من أجل سوء أفعالهم أطردهم من بيتي، لا أعود أحبهم» (هو٩: ١٥).

وبعد ذلك جلس وحدث الإخوة بكلمة الله، وبثّ فيهم الخوف بواسطة أولئك الذين طردهم، بينما كان يذرف دموعا غزيرةً جدا بسبب النصيب التعس الذي أصا م بسبب ما ارتكبوه ليلاً و ارا أمام الله. ثم ض وصلّى معهم جميعا، ثم رجع كـل واحـد إلى مسكنه بسكون وهم يتلون في كلمة الله. أما أبونا باخوميوس، فقد انصرف هو أيضا مع الإخوة الذين جاءوا معه لكي يجمعوا السمار. وكانوا يتلون في كلمة الله حتى وصلوا إلى دير بافو شمالاً[99].

جاء رجلٌ إلى الدير لكي يصير راهبا، وكان به شيطان يزعجه كثيرا، ولكنه كان رجلاً شريفًا ومتواضعا جدا. فلما نظر إليه أبونا باخوميوس وجها لوجه رأى الشيطان الذي فيه. فأخذه في الحال جانبا وصلّى طالبا أن يشفيه الرب من هذا الشيطان. فأجاب الروح النجس قائلاً: "ماذا تريد أن تفعل بي أنت يا باخوميوس؟ هل تسعى إلى أن تطردني من هذا الرجل؟ هل أنا أعوقه بأية صورة عن إتمام كل مشيئة الله؟ لقد أعطاني الرب هذا المكان لأسكن فيه حتى اية حياة هذا الرجل، ولكن إن كنت سترصدني حتى تطردني منه فاعلم أنـني لـن أخالفك، ولكنني سأقتله عندما أخرج منه، لأنه قد أُعطي لي السـلطان أن أتعامـل معـه هكذا". ولما سمع أبونا باخوميوس ذلك استمر في الصلاة من أجله لكي يشفيه الرب. وبينما كان يصلّي ويطلب من الرب أن يتراءف عليه ويطرد منه الروح الشرير، ظهر له ملاك الرب وقال له: "كُف عن الصلاة من أجل هذا الرجل يا باخوميوس، لقد سمح الرب لـه ـذا المرض لأجل خلاصه، لأنه إذا شفي منه فسيندم على ذلك كثيرا". وبعد الصـلاة، أخـذ

(99) SBO, 108.

الأب الأخ جانبا وقال له: "لا تحزن بسبب هذا الضيق، لأن الرب أرسله لـك لخـلاص نفسك. والآن اشكر الرب قائلاً: مبارك إله خلاصي".

ومنذ ذلك اليوم، عندما كان الناس يأتونه بهذا النوع من المرضى، وكان يعـرف أن صاحبه لن ينتفع من شفائه، كان يقول له: "هذا الأمر هو لخلاصك، فاشكر الرب لكي تحيا"(١٠٠).

كان في **دير بافو أخ** يعتريه المرض كل ثلاثة أيام. هذا جاء إلى أبينا باخوميوس وتوسل إليه بدموع قائلاً: "إنك تشفي كثيرين في العالم، ولكنك لم تصل من أجلي لكي أُشفَى من هذا المرض الصعب". فأجابه: "أولئك الناس يشفون في أجسادهم حسب إيمانهم، ولكنهم يرجعون إلى الشر ثانيةً بسبب الراحة التي ينالونها من مرضهم. أما خدام الله فسينالون راحةً دائمةً في الدهر الآتي لا مرض فيها ولا تعب. إنهم يسيرون بشجاعة في طريق الصليب كما يقول الإنجيل: «من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حيـاة أبدية» (يو١٢: ٢٥)". فلما سمع الأخ المريض ذلك من رجل الله تعزى كثيرا جدا.

وبعد زمان، لما وجد أن مرضه مستمر، ذهب إلى الأب باخوميوس ومعـه بعـض الإخوة الكبار بالدير لكي يترجوه أن يصلّي من أجله حتى يعطيه الرب راحةً. فلما رأى رجل الله أنهم قد ألزموه أراد أن يرضيهم. فأخذ أحد الرهبان الكبار المحبين لله من الذين كانوا يترجونه، وذهبا ليصليا من أجل المريض. وعندما بدأا يصليان، جاء صوت مـن السماء قائلاً: "لا تسألا من أجل راحة هذا الإنسان، فقد أرسل الله له هـذه التجربـة لكي يخلصه من فخاخ الشهوات الشبابية التي ينصبها له إبليس، وذلـك مـن أجـل خلاصه". فتوقفا في الحال عن الصلاة وخرج الجميع مع الأخ.

وقد ظن الأب باخوميوس أن الذين كانوا في الخارج سمعوا الصوت الذي جاء إليـه من السماء، فلما خرج قال له الإخوة: "لماذا خرجتما هكذا سريعا، ألم تصلّوا من أجل المريض"؟ فأجابهم الأب: "ألم تسمعوا الصوت الذي جاء من فوق"؟ فقـالوا: "لا". وكذلك الأخ الذي كان يصلّي معه قال أيضا: "ولا أنا سمعت شيئًا". فأخبرهم جميعـا بالصوت الذي سمعه. فلما سمع الإخوة ذلك تعجبوا قائلين: "عظيمةٌ هي أعمال الـرب لأنه صالح ويعتني بالذين يطلبونه، وبدونه لا يحيا أحد"(١٠١).

جاء إلى **الدير رجلٌ يريد أن يصير راهبا،** فقابله الأب باخوميوس وسأله: "أتريـد أن

---

(100) SBO, 111.

(101) SBO, 112.

تصير راهبا"؟ فأجاب: "هذه رغبتي منذ زمان، ولكن إهمالي جعلني أنجرف في أعمال هذا العالم الباطل. واليوم بينما أنا سائر في الطريق سمعت صوتا من فوق يناديني باسمي، فأجبته: 'ماذا تريد يا رب'؟ فخاطبني الصوت ثانيةً: 'إلى متى تكون مهملاً وترفض أن تتوب عن خطاياك؟ فالآن، اذهب لتصير راهبا تحت تدبير الأب باخوميوس الذي في طبانسين، وابذل قصارى جهدك أن تهتم بخلاص نفسك قبل أن تموت وتطرح في العذاب بسبب خطاياك'، وها أنا الآن قد جئت يا سيدي الأب طالبا الرهبنة". فقال له الأب باخوميوس: "إننا نفرح معك لأنك تريد أن تخلص مستجيبا للصوت الذي سمعته من الرب. والآن، حينما نراك سالكًا في الطريق الذي سأشير به عليك، حينئذ ستجدني في خدمتك كأب يعتني بك في كل شيء يلزم لخلاصك. فقط لا تجعل لك اهتماما آخر في هذه الدنيا سوى أن تحفظ في قلبك فكر الله ومخافته وحده، وأن تعمل فقط من أجل خلاص نفسك". فقال له الرجل: "عندما تجربني أعتقد أن الله سوف يريح قلبك من جهتي بفضل صلواتك المقدسة يا سيدي الأب". فرهبنه الأب باخوميوس بكل رضى.

وما إن دخل هذا الأخ وسط الجماعة حتى أبصر حماس الإخوة وتواضعهم التقوي، وحبهم لله. فأعطى نفسه هو أيضا لنسكيات شديدة وجهادات مستمرة، وكان يقضي أغلب الليالي في الأسهار مع أصوام كثيرة، مذللاً نفسه مثل طفل بسيط بريء. وإذا عنفه أحد بشدة في وجهه أو ضربه أو شتمه، فما كان يحزن أو يغضب البتة. بل كان يقول لنفسه: "الأيام التي كنت أغيظ فيها الرب جدا بالأعمال الشريرة التي كنت أقترفها، ما كان يثأر مني بل عمل معي بدلاً من ذلك خيرا وردني إلى طريق الحياة، والآن ألا يليق بي أن أحتمل ضيقة بسيطة أو انتهارا يوجهه إلي؟ ألا أستطيع أن أحتمل ما يفعله أخي معي"؟ وكان عندما يرى بعض الإخوة يتشاجرون أو يتناقشون باحتداد، كان يذهب إليهم ويقول لهم باتضاع: "سامحوني يا إخوتي، أنا هو المخطئ". فكان الذين يتشاجرون يضحكون على الفور وينهون مشاجرتهم. وسلك هذا الطريق في حياته لمدة أربعة شهور ثم انتقل[١٠٢].

وجد بين الجماعة أخ كان متوحدا ثم جاء ليعيش بين الإخوة. وكان معتادا أن يصوم يومين يومين. وكان يرتدي ثوبا من المسوح كل أيام حياته ولا يأكل شيئًا سوى الخبز والملح. إلاّ أنه إذا أساء إليه أخ كان يكرهه ويكن له الضغينة لكي يجازيه عن شر بشر. وحدث بعد انتهاء حياة هؤلاء أن أخذ الأب باخوميوس بالروح إلى العالم الآخر كما روينا سابقًا، فرأى ذلك الراهب البسيط البريء الذي قضى أربعة شهور في حياة

(102) SBO, 115.

نسكية بملء الفرح والبهجة. فلما لمح الراهب أنبا باخوميوس وتعرف عليه وهو يمشي مع الملاك الذي كان يعرفه بعظمة الدهر الآتي، اندفع نحوه وجذبه بشدة قائلاً: "تعالَ يا أبي القديس، وانظر الميراث الذي أعطانيه الرب بفضل التعاليم الفاضلة التي علّمتها لي لكي أسلك فيها". وأراه حدائقه السماوية وثمرها الذي لا يفسد، وأراه مكان سكناه كله والمنزل الفخم المبني فيه. وكان جمالها لا ينطق به، وهي كلها مملوءة من مجد الرب. فلما أراه كل مكان سكناه امتلأ رجل الله بفرح عظيم من أجله.

وبعد ذلك، لما خرجوا وساروا مسافةً قليلةً خارج فردوس النعيم، أبصروا الشيخ الناسك في مكان شديد القيظ (أي الحرارة)، مربوطًا مثل كلب في شجرة محملة بالثمار. وكان يعيش من ثمرها ولكنه لم يكن في إمكانه أن يتحرك بعيدا عن تلك الشجرة. فلما رآهم أحنى رأسه في خجل إلى أن عبروا. ولما رأوه تفرسوا فيه بمنتهى الحزن، وقال الأخ البسيط لأبينا باخوميوس: "هل رأيت الشيخ الناسك الذي تعبت في توجيهه؟ إنه لم يطع كلامك ولم يسلك باتضاع. انظر الآن كيف عاقبه الرب بسبب عصيانه الرديء"[١٠٣]!

حدث مرةً أنه بينما كان الأب باخوميوس يتناقش مع الإخوة عن أمور نافعة لنفوسهم، جاء البواب وقال له: "جاء بعض المتوحدين الكبار وهم يطلبون مقابلتك". فقال له: "ادعهم إلى هنا". فدخلوا الدير وسلّموا عليه هو والإخوة، ثم أرادوا أن يتحدثوا معه على انفراد. ولما جلسوا في قلاية منعزلة اشتم الأب رائحة نتانة شديدة منبعثة منهم ولم يعرف سببها، لأنه كان يتحدث معهم وجها لوجه ولم يستطع أن يستخبر عن السبب بالتوسل إلى الله. وإذ رأى فصاحتهم ودرايتهم بالكتب المقدسة لم يقدر أن يفهم سر نتانتهم المقززة للنفس. وبعد أن تحدث معهم طويلاً عن الكتب المقدسة حان وقت الساعة التاسعة، فنهضوا ملتمسين الانصراف إلى موضعهم. فترجاهم القديس أن يأكلوا ولكنهم لم يقبلوا لأنهم كانوا متعجلين لكي يصلوا إلى موضعهم قبل غروب الشمس. وهكذا صلّوا وودعوه وانصرفوا.

أما الأب، فلكي يعرف سبب رائحتهم الكريهة دخل قلايته وصلّى لكي تستعلن له من الله. فجاء ملاك الرب وقال له: "إنها بعض العقائد الفاسدة لأوريجانوس، وقد أضمروها في نفوسهم، هي التي أفاحت منهم هذه النتانة. لكن أرسل عاجلاً واستدعهم لكي يرجعوا وحذرهم من أن يفتنوا ثانيةً بمثل هذه الآراء الضارة الهدامة لأنها تقود إلى

(103) SBO, 116.

الهلاك". وفي الحال أرسل واحدا من الإخوة خلفهم، ولما عادوا قال لهم: "أريد أن أسألكم سؤالاً". فقالوا: "تكلّم". فقال لهم: "هل تقرأون كتابات المدعو "أوريجانوس""؟ فأنكروا قائلين: "لا". فقال لهم القديس: "أنظروا، إنني أناشدكم أمام الله وأنذركم بأن من يقرأ لأوريجانوس ويقبل كتاباته فهو عتيد أن ينحدر إلى قاع الجحيم، وسيكون نصيبه الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان. والآن ها أنا قد شهدت لكم بما أُعلن لي من الله، وبذلك أكون بريئًا أمامه في هذا الأمر، فأبصروا أنتم. فها قد سمعتم الحق، فإن أنتم صدقتموني وشئتم بالحقيقة أن ترضوا الله؛ فاطرحوا جميع كتب أوريجانوس في النهر، ولا تعودوا تطلبون قراءتها قط، وبالأخص الكتب المملوءة بالتجاديف". وبعد أن قال لهم ذلك صرفهم(١٠٤).

كان الإخوة مرةً يأكلون في **أيام الخماسين،** وكان المشرف على المائدة قد أعطاهم جبنا. ولما فرغ أبا تادرس من الأكل أعطاه المشرف بعض الجبن الإضافي، ولكنه لم يرغب وقال له: "لا أريد". ولما ألحّ عليه ثانيةً أن يأخذ قال له: "لن آخذ". فقال له أنبا باخوميوس: "ما هذه الكلمة التي قلتها "لن آخذ"، معطيا بذلك مكانا في قلبك لشيطان العصيان؟ حتى لو كنت لا ترغب أن تأخذ بعضا منه فقُل: 'لا أريد شيئًا الآن'، بل خذ قليلاً وضعه أمامك". فلما سمع أبا تادرس ذلك حزن جدا، ولم يعد يقول هذا القول قط فيما بعد. وهكذا كان الأب باخوميوس يهذّب أبا تادرس وكل الإخوة في مخافة الله وفي كل قصد صالح(١٠٥).

بينما كان البربر منتصرين وجدوا راهبا متوحدا فأخذوه أسيرا. ومرةً أرادوا أن يشربوا خمرا فقالوا له: "منطق نفسك وصب لنا خمرا". ثم قالوا له: "قدم سكيبا للآلهة قبل أن تعطينا لنشرب". ولكنه امتنع. فأخذوا رمحا وقالوا له: "اسكب سكيبا وإلاّ قتلناك". وإذ خاف أن يقتلوه قدم سكيبا للآلهة، ثم أعطاهم ليشربوا حتى سكروا وناموا، فقام الراهب وهرب.

وبعد ذلك وخزه قلبه جدا حتى إنه لم يستطع أن يبسط يديه للصلاة، وقال لنفسه: "كيف يمكنني أن أصلّي لمن أنكرته؟ لأنه مكتوب: «من ينكرني ... أنكره أنا أيضا» (مت١٠: ٣٣)". ثم فكّر في نفسه: "لقد سمعت عن رجل الله أب الشركة الأب باخوميوس، فلأذهب إليه وأخبره بما فعلته، فإذا أعطاني توبةً فإنني أومن أن الرب سيمنحني

---

(104) Paral., 7.

(105) S 10: 3.

إياها أيضا". فلما قابله أمره القديس أن يصوم كل يوم ويمتنع عن الأطعمة المطبوخة عدا في حالة المرض، ثم قال له: "إذا فعلت ذلك فإن القديسين سيكونون ضامنين لخلاصك أمام الله، وأنا أيضا معهم، في تلك الساعة التي يشتكي عليك فيها العدو"[(١٠٦)].

تشاجر اثنان من الإخوة بعد أن أكملا الخدمة الأسبوعية، فضرب أحدهما الآخر في شدة غضبه، ولم يحتمل الآخر فصفعه هو أيضا. وقُدم تقرير عما حدث للأب باخوميوس، فاستدعاهما أمام كل الجماعة وسألهما فاعترفا بخطئهما. فطرد الأخ الذي ثار وضرب أولاً، وأفرز الآخر لمدة أسبوع (أي منعه من التناول) قائلاً: "لماذا لم تضبط نفسك عندما تقبلت الصفعة، بل أجبت بنفس أسلوب الشر الذي عاملك به"؟

وكان هناك راهب شيخ اسمه "غنوسيثيوس"، وكان عارفًا بالله كما يعني اسمه، وكان في الثمانين من عمره، فلما حكم على الأول بالطرد هتف في وسط الإخوة قائلاً: "أنا خاطئ أيها الإخوة وأنا خارج معه، ومن هو بلا خطية فليبق هنا". وبالإجماع تبع مجمع الإخوة جميعهم الشيخ قائلين: "ونحن أيضا خطاة وسنمضي معك"! فلما رأى المغبوط باخوميوس ذلك أسرع أمامهم وألقى بنفسه على وجهه أمام الباب وغطّى رأسه بالتراب وسأل من كل واحد منهم المغفرة. فتوسلوا إليه أن ينهض وذهبوا جميعا إلى الكنيسة حيث صلّوا والتمسوا من أبيهم فسامح الأخوين اللذين أخطأا.

أما المغبوط باخوميوس، فلما اختلى بنفسه خرج بهذا الانطباع: إذا كان القتلة والسحرة والزناة والآخرون الذين ارتكبوا كل أنواع الشرور، يهربون إلى الدير لكي يخلصوا بالتوبة؛ فمن أكون أنا حتى أطرد راهبا من الدير؟ وبالأكثر ما دام مخلّصنا المسيح يقول في الأناجيل: «كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء وكل ما تحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء» (مت١٨: ١٨). وعندما سأل الطوباوي بطرس المخلّص: «كم مرة يخطئ إلي أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع (الذي له السلطان أن يغفر الخطايا): لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات» (مت١٨: ٢١و٢٢). كما أن الرب علم رسله أن يصلّوا قائلين: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا»، وأيضا: «اغفروا يغفَر لكم» (لو٦: ٣٧).

فلما استرجع هذه الوصايا، أدان نفسه وحكم عليها بعدم الاستحقاق لأسرار المسيح، وقرر ألاّ يتقرب منها لمدة ثلاثة أسابيع، وألاّ يذوق شيئًا على الإطلاق! ووضع لديره هذه

(106) S 10: 7.

القاعدة[١٠٧]: "مهما كانت الخطية التي ارتكبها أخ، فيجب عدم طرده من الدير، بل يجب تقويمه بحسب نوع خطيته، حتى ولو بالتأديب الجسماني إذا استدعى الأمر ذلك. وبذلك فلا يسلم لأيدي الشياطين، وحتى لا يلام الأب على فقده نفسا[١٠٨].

قال أبا زانوس: كثيرون من الرهبان يتركون أسرهم وأقار م وأصدقاءهم وممتلكا م من أجل خلاص نفوسهم، ويعتبر تعهدهم الأول ودخولهم الدير جديرا بالإعجاب؛ ولكنـهم ينتهون إلى ما يوجب اللوم والتوبيخ. إ م يمجدون الله وينفعون الناس ببدايتهم، ولكنـهم يحزنون الله ويعثرون الناس ويبهجون الشياطين بنهايتهم. ذلك لأ م لم يسـلّموا ذوا ـم بالطاعة الخالصة والتجرد الذي بلا حدود. إ م لم يسلموا أنفسهم بصدق للمسـيح، ولم يقطعوا أنفسهم بحزم من الشيطان. فهم بحسب الظاهر في أعين الناس قد هجروا العالم، أما روحيا فهم شركاء في برص جيحزي (٢مل٥: ٢٧) وفي نصيب حنانيا وسفيرة (أع٥: ١-١١). وفي الحقيقة إن الفكر الرديء لا يأتي بسهولة لمن لا يكون ميالاً له.

وقد تعلّمت (أنا زانوس) كل ذلك من واقع معاناتي وتجاربي، لأن الشيطان صـوب الأفكار إلى داخل روحي وأعمى قلبي، ولم يكف عن مهاجمتي بشدة وإزعاجي والتحايل علي حتى استطاع أن يخرجني من دير الطبانسيين. لأنه أوقعني في فخ الرغبات الدنيوية ونخسني بالإغراءات حتى ألقاني فريسةً للشهوة وأغرقني في هوة الزنا. فبعد أن تركـت أهلي في مدينة "ممفيس" وصرت راهبا، بدأت الأفكار اجمني بعنف للعودة إلى أهلـي بحجة أن أخلّصهم وأصيرهم رهبانا وأحول بيت أبي إلى دير. ومنذ ذلك الحين صـرت أقوم بخدمات الدير كأ ا حملٌ ثقيلٌ، وصرت أتماحك قائلاً إنه لا خلاص في هذا المكان.

ثم حدث أن أُرسل أبا تادرس لمهمة في ممفيس، فتفتق ذهني الشرير عن كتابة رسـالة وأعطيتها لأحد الإخوة وحرضته أن يقول لي إن أبي مريض وقد أرسل لك هذه الرسالة طالبا منك أن تحضر بأقصى سرعة لكي تودعه! ثم أخذت الرسالة وأطلعت عليها أبـا تادرس وتوسلت إليه أن يسمح لي بالذهاب لأيام قليلة. ولكن أبا تادرس قال لي: "يـا بني كن متذرعا بالصبر من الله، فإنه لا يناسبك أن تذهب إلى أبيك"! ولكنني امتعضت من كلامه وتفوهت بكلام لا يقال وتركته. ثم وجدت أخا طائشا مثلي وقد شاركني في أفكاري الحمقاء، فغادرنا الدير وأخذنا قاربا سافرنا به طوال اليوم، إلاّ أن ذاـك الأخ

---

(١٠٧) مما يدل على أن هذه القصة حدثت في أوائل تأسيسه لرهبنة الشركة عندما كان قد أسس ديرا واحدا فقط.
(108) Draguet, 1: 1-6.
وهكذا تعلّم الأب باخوميوس وتلاميذه بالخبرة ألاّ يطردا أي راهب إلاّ إذا وجدوا بعد طول أنا م عليه وتحذيرهم المستمر له أنه قد رفض بإصرار كل تقويم وصار خطرا على الجماعة، وبعد أخذ مشورة وإعلان واضح من الله.

تركني وعاد إلى الدير.

ولما لم أجد أحدا معي، سافرت وحدي. وفجأةً نظرت خلفي فرأيت راهبةً، وكانت امرأة جميلة وحسنة المنظر جدا، وقالت لي: "مرحبا يا أبا"! فقلت لها: "سلام لكِ يـا أما، إلى أين تذهبين"؟ فأجابت: "إنني عذراء من دير الطبانسـيين، وأنـا ماضـية إلى أهلي"! فبدأ فكر الزنا يحاصرني ويزعجني، ولم أعد قادرا على مقاومة اشتعاله، فحاولت أن أكمل شهوتي معها، فصفعتني بلطمة، ثم صار المكان كله ملتهبا كما بنار. ثم نهضت وإذ بي قد قُذفت، أما هي فقد اختفت. وفي الحال سمعت في الهـواء صـوت ضـحك وتصفيق كأنه من حشد كبير جدا. واعترتني للتو حمى ورعشة وظللت راقدا هناك مـن الساعة الثالثة حتى التاسعة!

ثم جاءت قافلة لبائعي القمح، وحملوني إلى البهنسا، حيث ظللت أُعـاني مـن آلام شديدة جدا، كما أن عيني قد تحولتا نحو الخلف، وكانت الحمى والرعشة والصـداع لا تتوقف حتى إن الطبيب المسئول في المستشفى قال إنه لا أمل في شفائي! وهكذا قضيت أحد عشر شهرا على هذه الحال من الضعف. ثم حدث بتدبير من الله محب البشر أن جاء الأسقف سيرابيون (ربما يكون هو أسقف "نيتنتوري" التابع لها دير طابنيسي) إلى مدينة البهنسا في مهمة ما. فأحضره القائم على المستشفى إلي. ولما رآني على هذه الحال مـن المعاناة سألني عن هويتي وما حدث لي، فأجلسني ثلاثة من الإخوة، إذ جلس أحـدهم خلفي وأمسك الثاني بيدي واعتنى الثالث بمسح ما كان يسيل من أُذني وأنفي. ثم قلـت له: "ياسيدي ارحمني، فأنا من دير أنبا باخوميوس، وقد خدعتني الشياطين حتى بلغـت إلى هذه الحال".

فدعا لي أسقف الموضع، وصلّى ومسحني بالزيت المقدس وقال لي: "هوذا بصلوات القديسين يشفيك الرب، فارجع إلى الدير الذي ترهبت فيه، لأن الشجرة تحمل ثمـرا في الموضع الذي زرعت فيه. ولا تكن كغيمة بلا ماء أو كقصبة في الصحراء، لأن كليهما يسوقهما النوء. بل كن كشجرة زيتون مثمرة في بيت الرب، أي في ديرك. واحترس يا بني من أن تدع الأفكار النجسة تبطئ في أرض قلبك لئلاّ تحصد حزما مـن الأوجـاع والعذاب مائة ضعف. عد بالحمد والشكر مثل عداء رشيق إلى الموضع الذي خرجت منه بالخزي، لئلاّ تدهمك تجربة أشر، ولا يكون حينذاك شفاءٌ لك منها فيما بعد"!

ظللت سبعة أيام أبحث بلا جدوى عن رفيق لي في السفر، وفي اليـوم الثـامن رأيـت الشيطان في النوم في زي تلك الراهبة، وقال لي: "لقد صرت زوجي! حتى ولو فصلك عني

ذاك الشره العجوز سيرابيون، فتقبل مني هذا الفتق كتذكار لألفتنا معا كل أيام حياتك". ثم إنه رفسني أسفل السرة. وظللت حتى الآن أتألم بشدة، ولكنني أشكر الله أيضا الذي بواسطة هذا الألم العابر قد حررني من هذا الشيطان النجس الشرير القاسي(١٠٩).

قال روفينوس: زرنا رجلاً في الصعيد اسمه "أمون"، وهو أب لثلاثة آلاف راهب يدعون "طبانسيين". وهم يعيشون حياةً صارمةً جدا، ويلبسون عباءات من جلد الغنم، ويحجبون وجوههم عندما يأكلون ويحنون رؤوسهم حتى لا يرى الواحد جاره. وهم يحتفظون بصمت عميق حتى إنك تظن أنك في البرية القفرة. وكل واحد منهم يمارس نسكه الخاص به في الخفاء، وجلوسهم معا على المائدة إنما هو فقط لكي يبدو عليهم أنهم يأكلون، وهم حينئذ يحاولون أن يتجنبوا ملاحظة بعضهم بعضا. والبعض منهم بعد أن يأكلوا شيئًا من على المائدة يرفعون أيديهم إلى أفواههم مرةً أو مرتين فقط، وعندما يذوقون مرةً واحدة من كل طبق يكتفون بهذا الطعام. وآخرون يمضغون خبزهم ببطء ويزهدون في المأكولات الأخرى دون أن يحاولوا المراءاة، إذ يمارسون الاحتمال بهذه الطريقة. وآخرون كان طعامهم قاصرا على ثلاث ملاعق من الشوربة دون أي طعام آخر. وقد اندهشت من كل ذلك ولم أتجاهل المنفعة التي يعطيها لنا هذا النظام من الحياة(١١٠).

زيارة القديس مكاريوس الإسكندراني لدير طابنيسي:

كان القديس مكاريوس الإسكندراني من بين نسكياته أنه إذا سمع عن أي نسك يمارسه إلى درجة الكمال. وقد سمع أن الرهبان الطبانسيين كانوا يأكلون طعاما غير مطبوخ طوال صوم الأربعين المقدسة، لذلك فقد وضع في قلبه ألاّ يأكل طعاما كانت له صلة بالنار. وقد ظلّ سبع سنوات لا يأكل سوى خضروات نيئة، إن وجدت، مع بقول مبلولة. كما أنه عندما سمع أن الطبانسيين لهم طريقة حياة عظيمة، غير ملابسه واتخذ شكل عامل، ثم سافر لمدة خمسة عشر يوما إلى الصعيد عن طريق الصحراء. ولما وصل إلى دير طابنيسي طلب الأب باخوميوس، الرجل الفاضل الذي كانت له موهبة النبوة. ولكنه لم يعرف القديس مكاريوس الذي لما قابله قال له: "أرجوك أن تقبلني في ديركم لكي أصير راهبا". فقال له أنبا باخوميوس: "إنك كبير السن ولا يمكنك أن تمارس الحياة النسكية. والإخوة هنا نساك ولا يمكنك أن تحتمل أتعابهم، بل إنك سترتبك وترحل وتشتمهم". ولم يقبله في اليوم الأول ولا في الثاني بل في سابع يوم. وبعد أن ثبت في النسك بمثابرة وفي الصوم قال له: "اقبلني أيها الأب، وإن لم أصم وأعمل معهم مر بطردي". فحث الإخوة أن يقبلوه، وكان المدير

(109) Draguet, 2: 1-10. (110) *The Historia Monachorum in Aegypto*, ch. III.

حينذاك يحوي ألف وأربعمائة راهب[111].

بعد دخول أنبا مكاريوس هذا الدير بقليل بدأ صوم الأربعين المقدسة، ورأى أن كل واحد يمارس نوعا مختلفًا من النسك، فواحد كان يأكل عند المساء فقط، وآخر يأكل كل يومين، وغيره يأكل كل خمسة أيام وكان يظل واقفًا طوال الليل ثم يجلس في النهار. فبلّ أنبا مكاريوس كمية كبيرة من السعف ووقف في ركن حتى انتهت الأربعين المقدسة وجاء عيد القيامة. ولم يأكل خبزا ولم يشرب ماءً، ولم يثن ركبتيه ولم يضطجع. ولم يأكل شيئًا سوى القليل من ورق الكرنب يوم الأحد وذلك لكي يظهر أنه يأكل.

وعندما كان يخرج لقضاء الحاجة كان يعود سريعا ويقف في مكانه دون أن يتكلم مع أحد أو يفتح فمه، بل يقف صامتا، وما كان يعمل شيئًا ما عدا صلاته في قلبه والسعف في يديه. فرأى الجميع ذلك واحتجوا لدى الأب الكبير قائلين: "من أين جئت بهذا الرجل الذي بلا جسد لكي يديننا؟ فإما أن تطرده أو فلتعلم أننا جميعا سنرحل"! ولما رأى الأب باخوميوس طريقة حياة أنبا مكاريوس صلّى لكي يكشف الله له من يكون هذا الرجل فكشف له. فأخذ أنبا مكاريوس من يده إلى مجمع الصلاة حيث يوجد المذبح وقال له: "تعال أيها المبجل، إنك أنت مكاريوس، وقد أخفيت ذلك عني. وكنت أشتاق منذ عدة سنوات أن أقابلك، وأنا أعترف بفضلك لأنك جعلت أولادي يجاهدون بتصميم حتى لا يتعجرفون بسبب ممارساتهم النسكية. والآن، اذهب إلى مكانك لأنك مكثت معنا مدةً كافية، وصل لأجلنا أيضا". وهكذا فارقهم حسب طلبهم[112].

اتفقت أقوال الآباء بسنتاسيوس وسوروس وبسويوس على أنه: "كلما أصغينا لكلام أبينا الأب باخوميوس نعضد جدا وتنخسنا الغيرة لأجل الأعمال الصالحة. فقد رأينا أنه علّمنا بتصرفاته حتى عندما يكون صامتا. لقد اندهشنا منه وكنا نقول بعضنا لبعض: 'كنا نظن أن جميع القديسين قد خلقهم الله قديسين وأنهم لم يتغيروا من بطون أمهاتهم، بخلاف بقية الناس. وكنا نظن أن الخطاة لا يمكنهم أن يعيشوا بالتقوى لأنهم خلقوا هكذا. ولكننا الآن نرى صلاح الله ظاهرا في أبينا، لأنه كان من أصل وثني وصار تقيا، وقد التزم بجميع وصايا الله. وحتى نحن أيضا يمكننا أن نتبعه ونصير مساوين للقديسين الذين تبعهم هو نفسه. حقًا إنه مكتوب: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم» (مت١١: ٢٨). إذًا، فلنمت ونحيا معه لأنه جاء بنا إلى الله في الطريق الصحيح"'[113].

(111) Laus., 18: 1, 12, 13. (112) Laus., 18: 14 - 16. (113) Apoph., Psenthaisios, 1.

مرض أحد الإخوة جدا في **أيام البصخة المقدسة،** وكان ناسكًا فلم يشأ أن يأكل شيئًا مطبوخا قائلاً إنه جيد له أن يموت أفضل من أن يأكل ويشرب في تلك الأيام. فذهب إليه أبونا باخوميوس وقال له: "الأيام كلها لله، لأن الذي أمر أن يقيم الناس البصخة هو الذي أمر بالمرض عليك، فالآن لا تخف ولا تحسب أنها خطية إذا أكلت لحاجة المرض، لأنه مكتوب: متى لم يلحق أحد أن يحمل قربانه للرب ويعمل الفصح في الشهر الأول؛ فليعمل فصح الرب في الشهر الثاني (حسب النص). والآن إذا لم تقدر أن تعمل البصخة (أي تشترك في صومها وصلواتها) بسبب المرض؛ فيمكنك أن تعملها بعد أن تستريح إذا شاء الرب حيث تذلّل نفسك نحو عدد أيام البصخة"[(١١٤)].

خرج الإخوة من الدير لاستقبال أنبا باخوميوس، وخرج معهم فتى للترحيب بالقديس وترجاه قائلاً: "أيها الأب، منذ زيارتك السابقة للإخوة حتى اليوم لم يطبخوا لنا شيئًا من الخضروات أو سليقًا". فقال له القديس برقّة: "لا تحزن يا بني، فإنني من الآن سوف أجعل هذه الأشياء تطبخ لكم باستمرار". وبعد أن جال في الدير جاء إلى المطبخ، ولما وجد الطباخ يضفر حصيرا سأله: "كم لك من الزمن لم تطبخ للإخوة خضارا"؟ فأجابه: "نحو شهرين". فقال له الكبير: "ولماذا فعلت ذلك بينما تأمر قوانين الآباء القديسين بطبخ الخضر للإخوة أيام السبوت والآحاد"؟ فأجاب الطباخ: "الحق أيها الأب، إن رغبتي هي أن أطبخ لهم كل يوم، ولكنني رأيت أنهم لا يأكلون طبيخنا، لأن غالبية الإخوة يمارسون النسك ويمتنعون عن أكل الطعام المطبوخ، لذلك توقّفت عن طبخه لكي لا يضيع هباءً ما نصرفه عليه إذ يطرح كله خارجا، علاوةً على الجهد الكبير الذي يحتاجه. لقد كنا نستعمل أربعين كيل زيت في الشهر للطبيخ العادي للإخوة، وظننت أنه ليس من الصواب أن نخسر هذه المصاريف كلها. ولكي لا أظل بطّالاً فإنني أشتغل في عمل الحصر مع الإخوة، لأنني رأيت أن شخصا واحدا في المطبخ يكفي لإعداد الوجبات الصغيرة للإخوة".

فلما سمع القديس ذلك، قال له: "كم حصيرة عملتم منذ أن تركتم المطبخ وتفرغتم لهذا العمل"؟ فقال: "خمسمائة". فقال له: "أحضرها لي لكي أقدرها". فما جاءوا بالحصر أمر بطرحها في النار. ولما احترقت قال للطباخين: "كما أنكم بفكر شيطاني تجاوزتم القانون المسلم لكم للعناية بالإخوة؛ هكذا أنا أيضا أحرقت عمل أيديكم بدون شفقة، لكي تعلموا عاقبة إهمالكم لأنظمة اختطّها الآباء لأجل خلاص النفوس. ما أعظم

---

(١١٤) باخوم عربي.

المنفعة التي سلبتم الإخوة منها بعدم طبخكم لما يحتاجونه؟! أما تعلمون أنه إذا كان لدى الإنسان فرصةٌ أن يرى شيئًا ويمتنع عنه من أجل الله، فإنه ينال أجرا عظيمـا مـن الله، ولكنه إن لم تكن له القوة على ذلك واضطر بالضرورة أن يمتنع عن شيء لأنه لم يتـوفر له، فباطلاً يطلب أجرا عن ذلك"؟

"أما تعلمون أنه إذا قُدم على المائدة شيء وامتنع الإخوة عن مذاقه طوعا من أجـل الله فإ م ينالون أجرا عظيما؟ ولكن إذا لم يقدم لهم طعام مطبوخ فمن أي جهة يحسب لهـم النسك وهم لم يروا شيئًا؟ لقد ضيعتم حصاد فضائل عظيمة هذا مقدارها من أجل ثمـانين كيلاً من الزيت! فلتهلك ثروة العالم كلها ولا تضيع على النفس فضيلة واحدة صغيرة. إنني أريد حقًا أن يقدم للإخوة كل يوم طعام مطبوخ بوفرة لكيما بممارستهم ضبط النفس يوميا وامتناعهم عن أشياء مقدمة لهم يزدادون في الفضيلة كل يوم. أما إذا أراد أحد المرضى، من الذين لا يرغبون في الذهاب إلى العيادة، أن يجيء إلى المائدة ليتناول بعض الخضروات من التي تقدم للإخوة حسب العادة، ولم يجد شيئًا فماذا يكون حاله؟ ألا يتعثر لأنه لم يجد حاجتـه على المائدة المشتركة؟ أم أنكم لا تعلمون أيضا أن الصغار بوجه خاص لا يقـدرون علـى الاستمرار في الفضيلة إذا لم يتح لهم بعض التفريط أو القليل من الراحة"[١١٥]؟

حدثت مجاعة في أيام أبينا الطوباوي باخوميوس، ولم يكن للإخوة قمـح، ولا في أرض مصر كلها تقريبا. فأرسل القديس أحد الإخوة ليجول في المدن والقرى بحثًا عـن قمـح يشتريه، وأعطاه مائة عملة (تدعى "صوليدي") ليشتري ا القمح. وبعد أن طـاف الأخ بمواضع كثيرة جاء إلى مدينة تدعى "إرموتيم" (أرمنت حاليا). وبتدبير إلهي وجـد هنـاك إنسانا من كبار القوم عظيم التقوى وخائف الله، وكان قد سمـع عـن سـيرة القـديس باخوميوس والإخوة. وكان هذا الرجل في عهدته القمح الخاص بعامة الشعب. فترجاه الأخ أن يبيع له قمحا بقيمة المائة عملة. فأجابه: "صدقني أيها الأخ، لو كان هذا القمح يخصـني لمنعته عن أطفالي وأعطيته لكم، لأنني سمعت عن سيرتكم التقوية الفاضلة. ولكن اسمعني، فإن عندي بعض الحنطة الخاصة بعامة الشعب في المخزن، وحتى الآن لم يطلبها الوالي، ويمكـنني أن أعطيها لك بدون ما يخص الشعب، إذا أردت ذلك، إلى أن يحين أوان البيدر، فتـرد لي آنذاك عوض ما أخذته من القمح، فإذا كنت تعلم أن ذلك في استطاعتك فخذْ ما تشاء".

فأجاب الأخ: "إنني لا أشاء ذلك، ولكن إن شئت أن تعطيني قمحا بمائة عملة بالسعر

(115) Paral., 15, 16.

الذي تريده فإنك تفعل حسنا". فقال الرجل: "نعم أستطيع ذلك، وليس فقط بمائة عملة؛ بل إذا أردت أن تأخذ قمحا بمائة عملة أخرى، فإنك تعمل معي معروفًا إذ إنني أرغب في صلواتكم". فقال الأخ: "ليس لدينا سوى هذا المبلغ". فأجاب الرجل: "لا تعل هم ذلك، خذ القمح وعندما يتوفر المال أحضره لي". وعلى هذا الأساس وسق الأخ المركب بالقمح بسعر ثلاثة عشر أردب بعملة واحدة، بينما لم يكن ممكنا للمرء أن يجد قمحا في مصر كلها بسعر خمسة أرادب بعملة واحدة، ثم أبحر عائدا إلى الدير وهو في غاية الفرح.

فلما سمع الأب الكبير أن المركب قد رست محملةً بالقمح، وعلم بالكيفية التي تحصل بها الأخ على القمح، أرسل على الفور قائلاً: "لا تحضروا حبةً واحدةً من هذا القمح إلى الدير، ولا تدعوا ذاك الذي قام بالصفقة أن يأتي إلى حضرتي حتى يعيد القمح إلى موضعه، لأن ما فعله مخالف للوصايا. وليس ذلك فحسب؛ بل إنه أيضا أخذ قمحا بمائة عملة أخرى، وهذا ما لم آمره به. فإذ أطاع مشيئته الخاصة أحب الزيادة واستعبدنا جميعا إذ جعلنا مديونين بسبب اشتعاله بشهوة الربح الكثير، واستغلّ إحسان المعطي وجعله سبيلاً إلى الشره، وجلب لنا ما يفضل عن حاجتنا من القمح. وقد استدان بوحي من خاطره الخاص ما لا قدرة لنا على رده. وعلاوةً على ذلك، فلو حدث لأي طارئ أن غرقت المركب في طريقها إلينا فماذا كنا نفعل؟ أما كنا سنصير عبيدا إلى الأبد؟ لذلك دعوه يبيع القمح الذي أحضره كله لأهل هذه المنطقة من العلمانيين بالسعر الذي ابتاعه به من الرجل الذي وثق فيه، أي ثلاثة عشر أردب للعملة، ثم يذهب بالنقود إلى الرجل الذي استأمنه، وبالمائة عملة الخاصة بنا يشتري منه قمحا بالسعر الساري في كل مكان ويحضره إلى هنا". ففعل الأخ كما قال الكبير، وأحضر القمح بسعر خمسة أرادب ونصف للعملة، ثم أقام آخر مكانه ولم يدعه يخرج من الدير في خدمة الإخوة[116].

ومرةً أخرى استلم الأخ، الذي أُقيم بدلاً من الذي اشترى القمح، من إسكافي الدير أحذية وصنادل وأشياء أخرى (مثل مداسات) لبيعها فأخذ عنها ثمنا أعلى من الذي حدده إسكافي الدير وجاء بالثمن إليه. فلما وجد الإسكافي أن ما حصل عليه يساوي ثلاثة أضعاف القيمة ذهب إلى الأب الكبير وقال له: "الحق يا أبي، إنك ما أصبت في تعيين هذا الأخ لخدمة تلك المهام، لأن الفكر العالمي ما زال فيه. فقد أعطيته تلك الأشياء ليبيعها وقلت له عن الثمن فباعها بسعر أعلى وجاءني بثلاثة أضعاف ما حددته له". فدعا الأب الكبير الأخ وسأله: "لماذا فعلت هذا الأمر"؟ فأجاب: "الثمن الذي قاله لي

(116) Paral., 21, 22.

الأخ، يا أبي، هو ما ذكرته للمشترين، فقالوا لي: ’أيها الأخ، إن لم تكن هذه الأشـياء مسروقة فهي تساوي أكثر مما ذكرت‘. ففي ارتباكي قلت لهم: ’ليست هذه مسروقات، ولكن هذا هو الثمن الذي أُمرت أن أبيعها به، ولكن أعطوني أنتم ما شئتم‘. فأعطوني ما أرضاهم، وأنا لم أعد ما أخذته منهم من نقود“.

فلما سمع الكبير ذلك قال له: ”لقد أخطأت جدا إذ أحببت أن تحصل على الأكثـر، ولكن اذهب بسرعة ورد الزيادة عن الثمن المحدد للذين أعطوك إياه. ثم تعالَ وتب عـن ذنبك والزم الدير ممارسا عمل يديك، لأنه لا يوافقك أن تقوم بهذه الخدمة بعد ذلك“. ثم أقام الكبير الطوباوي "زكاؤس" لخدمة احتياجات الدير كلها، إذ إنه كـان رجـلاً صالحًا فاق على كل مديح بشري في تأدية الأعمال الصالحة[١١٧].

حدث مرةً أنه بينما كان الأب باخوميوس وأبا تادرس المحبوب يسيران في الدير، أنه تراءى لهما فجأةً من على بعد خيالٌ عظيم ("فانتازيا" باللغة اليونانيـة الـتي تناسـب الخيالات الشيطانية) مملوء من كل خدعة. وكان الظاهر لهما شكل امرأة ذات حسـن يفوق الوصف. فلما رأى أبا تادرس هذا الخيال اعتراه قلق شديد وتغير وجهه، فعـرف الطوباوي أنه مضطرب وخائف، فقال له: ”تشجع بالرب يا تادرس ولا تضطرب“.

ثم أخذ القديس يصلّي معه لكيما يتبدد هذا الخيال المخيف من أمامهما. ولكن المرأة ظلت تقترب منهما بلا حياء، وصارت تدنو أكثر فأكثر ومعها حشد مـن الشـياطين يهرولون أمامها، ولم تطردها الصلاة بعيدا. ولما جاءت إليهما قالت: ”إنكم تجاهـدون باطلاً، وأنتما حاليا لا تقدران أن تفعلا شيئًا ضدي، إذ قد أخذت من الله ضابط الكـل سلطانا لتجربة من أريد. والحق إنني أمضيت زمانا طويلاً أطلب منه هذا الأمر“. فسألها القديس: ”وأنتِ من أين أتيتِ ومن تكونين، ولمن جئت لتجربي“؟ فأجابت: ”أنا ابنة الشيطان وأُسمى "كل قوته"، وكل طغمات الجن تتعبد لي. أنا من أهبطـت إلى الأرض كواكب القديسين. أنا التي سلبت يهوذا من منـزلته الرسولية. والآن، أخذت سـلطانا عليك يا باخوميوس لمحاربتك. إنني لا أحتمل تعيير الشياطين لي، فلا أحد قد استضعفني مثلك. فقد أنقصت من شأني حتى جعلتني وطئًا لأقدام الفتيان والشيوخ والشباب. وقد جمعت ضدي حشدا هذا مقداره، محوطًا حولهم بخوف الله مثل سور لا ينهدم، حتى إن خدامنا لم يعودوا قادرين على الدنو من أي واحد منكم بثقة. وقد حلّ هذا كله الآن بي

(117) Paral., 23.

بسبب كلمة الله الذي صار إنسانا، فإنه هو الذي أعطاكم السلطان أن تطـأوا تحـت أقدامكم كل قوتنا وتسخروا بنا"!

فسألها أنبا باخوميوس: "هل جئت لتجربيني وحدي أم آخرين أيضـا"؟ فقالـت: "أنتما وكل من ماثلكما". فقال لها: "إذن تادرس أيضا"؟ فأجابت: "لقـد أخـذت سلطانا عليك وعلى تادرس، ولكنني لا أستطيع الدنو منكما قط". فقال لها: "ولماذا"؟ فأجابت: "إذا أقمت حربا ضدكما أعطيكما فرصةً للمنفعة بدلاً مـن الأذى لأنكمـا صرتما أهلاً لرؤية مجد الله. ولكنكما لن تعيشا إلى الأبد لأجل الذين صرتما لهم في الوقت الحاضر سورا بصلواتكما ومؤازرتكما. ولكن سيأتي وقت بعد موتكما فيـه سـأرقص وسط هؤلاء الذين تحصنو م الآن ضدي، لأنكم جعلتموني مداسةً تحت أقدام مثل هذا الجمع الكبير من الرهبان"! فقال لها الكبير: "وكيف تعرفين أن الذين سيأتون بعدنا لن يكونوا رجالاً لله أكثر أصالةً منا، قادرين على تثبيت مخافـة الله في الـذين سـنخلفهم بعدنا"؟ فقالت: "أنا لا أعلم ذلك يقينا". فقال لها الكبير: "أنـتِ تكـذبين أيتـها الكافرة، لأنه ليس لكِ معرفة بما هو آتٍ، فإن الله وحده هو العالم بالمستقبل". فقالت: "بالفعل أنا لا أعرف شيئًا عن المستقبل كما تقول، فهذه صفة خاصة بالله وحده، أمـا إذا قلت لك إنني أعرف فإنما ذلك بالحدس (أي التخمين)". فقـال لهـا الطوبـاوي: "وكيف تحدسين"؟ أجابت: "مما حدث قبلاً أحدس عما لم يحدث بعـد". فقـال: "كيف"؟ فأجابت: "أعلم أن فاتحة كل أمر نجد مؤازر ا في الرغبة الجادة نحو الأمـور التي يرجى الحصول عليها بشوق شديد، لا سيما الزرع الإلهي والدعوة السماوية، تلك التي تكون معززةً بالإرادة الإلهية والمعجزات والآيات وسائر القوات، وتعطي تأمينا لمـن يتبعو ا. ولكن كلما شاخت البداية وعتقت تتوقف عن النمو، ومتى توقف نموها فإمـا تفسد بمرور الزمان أو تذبل بالمرض أو تنطمس بالتهاون والإهمال"!

فسألها القديس: "لماذا، إذن، تقولين إنكِ جئتِ لتجربة الكبار وليس الإخوة جميعا؟ لأنك تقولين إن عملك الخاص هو هلاك النفوس، وإنكِ تتفوقين على جميع الشياطين في الشر، وإن لديك القوة الكافية لمناوئة هؤلاء الرجال العظام". فأجابت: "قلت لك إنـه منذ أن ظهرت قوة الله مخلصكم على الأرض، ضعفت قوانا وصرنا مثل عصفور يلعـب به الذين يريدون أن يتعبدوا للرب، وصرنا أُضحوكةً عند هؤلاء الرجال العظام حـاملي الروح. لكن رغم أننا قد صرنا ضعفاء، فنحن لا نكف عن العمل بكل قوتنا، ولا ـدأ قط من مناوئتكم زارعين شرنا في نفس من يجاهد. فإذا رأينا أنه تقبله فقد أجـاز لنـا

مهاجمته، حينئذ نلهبه بالملذّات الضارية. ولكنه إذا رفض قبول بذارنا بإيمانه في الله، فإننا نصير له بمثابة دخان يضمحل في الهواء. هذا هو السبب في أنه لم يتح لنا إقامة الحرب ضد الجميع، لأن الكمال ليس للكل. لأنه إذا صرح لنا بأن نقيم حربنا ضد الجميع لكنت قد خدعت كثيرين من المحتمين بك"!

فقال لها الطوباوي: "آه من شركِ الذي لا ينعس! إنكِ لن تكفي عن هياجك ضد الجنس البشري حتى تأتي نعمة الله وتمحقكِ"! ثم أمرها أن تمضي إلى حيث أُمرت، وحذّرها من الاقتراب ثانيةً من أديرته بالمرة.

وفي الصباح، دعا جميع الإخوة الكبار وقص عليهم كل ما رآه وسمعه من الشيطان الملعون. وبعث أيضا رسائل إلى الكبار في الأديرة الأخرى لتثبيتهم في مخافة الله، ولكي يعرفهم بموضوع هذا الخيال الشيطاني(١١٨).

عندما كان الأب الطوباوي يفتقد الإخوة في قلاليهم مقوما أفكار كل واحد، جاء إلى أخ رومي (يوناني) ينحدر من أسرة عريقة وقد أتقن اللغة اليونانية. ولما أراد الأب أن ينصحه لمنفعته ويعرف ميول قلبه، خاطبه باللغة القبطية (الصعيدية التي لم يعرف غيرها). فلم يفهم الأخ منه شيئًا ولا فهم الكبير كلام الرومي. فاضطر الكبير أن يستدعي أحد الإخوة من القادرين على ترجمة كلام كل منهما. ولكن لما جاء المترجم لم يشأ الأخ الرومي أن يخبر الأب بخطايا قلبه بواسطة شخص آخر، فقال: "إنني أريدك أنت وحدك بعد الله، وليس آخر سواك، أن يعرف شرور قلبي". فلما سمع الكبير ذلك أمر المترجم بالانصراف، ثم أومأ للأخ الرومي بإشارة من يده أن ينتظر حتى يعود إليه.

ذهب الطوباوي ليصلّي على انفراد، فتضرع إلى الله قائلاً: "أيها الرب الضابط الكل، إن كنت لا أقدر أن أنفع الناس الذين ترسلهم إلي من أقاصي الأرض لجهلي بألسنة البشر، فما الحاجة يئهم إلى هنا؟ أما إن كنت تشاء أن تخلّصهم هنا بواسطتي، فهبني أيها السيد أن أفهم لغا م لكيما أُصلح نفوسهم". وظل متوسلاً بلجاجة لمدة ثلاث ساعات لأجل هذا الأمر، وبغتةً انحدر من السماء شبه رسالة مكتوبة على قطعة من البردي واستقرت في يده اليمنى. ولما قرأها فللوقت تلقّن الكلام بسائر اللغات. حينئذ مجد الله الآب والابن والروح القدس، وعاد إلى ذلك الأخ بفرح عظيم، وفاتحه بالحديث بقول صحيح باللغة اليونانية. فلما سمع الأخ كلامه قال إن الكبير قد فاق الكل في هذه

---

(118) Paral., 24 – 26.

اللغة! وبعد أن تلقى اعتراف الأخ وقوم أفكاره حسب حاجته وحدد له التوبة اللائقـة بأخطائه، استودعه للرب وانصرف[(١١٩)].

توجه مرةً الأب الطوباوي لافتقاد الأديرة الأخرى. ولما دخل دير "منخوسين" رأى في وسط الدير شجرة جميز شامخة، وقد جرت عادة أحد الفتيان أن يتسلقها سرا ليقطف الجميز ويأكله مع رفقائه. فلما اقترب الكبير من تلك الشجرة عاين روحا نجسا جالسـا في وسطها، وعرف في الحال أنه شيطان الحنجرة والنهم الذي يخدع الفتيان. لذلك فقد استدعى البستاني وقال له: "اقطع هذه الجميزة لأ ا معثرة لغير الثابتين في قصدهم، كما أنه سمح هو وضعها هكذا في وسط الدير". فلما سمع البستاني ذلك حزن جدا وقـال: "لا يا أبي، فلقد اعتدنا أن نجني ثمرا وافرا لأجل الإخوة من هذه الشجرة". فلمـا رأى الكبير أنه حزن لذلك لم يشأ أن يغضبه لئلاّ يزداد حزنه، فقد كان يعلم يقينا أن سـيرة هذا الرجل عظيمة وأ ا موضع إعجاب الجميع من الصغير إلى الكبير. وفي اليوم التـالي، وجدت تلك الشجرة يابسة تماما ولم يبق فيها ورقة أو ثمرة لم تذبل. فلما رأى الطوباوي يونان ذلك حزن جدا، ليس من أجل الشجرة، ولكن من أجل عدم طاعته، إذ إنـه لم يقطع الشجرة حالما قال له الكبير ذلك[(١٢٠)].

كان اسم البستاني "يونان"، وقد أقام في هذا الدير خمسة وثمانين سـنة[(١٢١)] سـالكًا بالنسك المبجل للغاية. وكان هو وحده الذي يعتني بجميع الثمار، وهو وحده الذي غـرس جميع الأشجار المثمرة في ذلك الدير. ومع ذلك فلم يذُق أيا من هذه الثمار قط حتى يـوم انتقاله، بينما كان جميع الإخوة والغرباء والساكنين بجوار الدير يشبعون من تلك الثمـار في مواسم الإثمار. وكان لباسه عبارة عن ثلاثة جلود ماعز موصولة معا لستر جسده كله. ولم يستعمل أي غطاء آخر في الشتاء أو في الصيف. ولم يكن يعرف شيئًا من راحة الجسد من العمل المتواصل لأنه كان يعمل دائما بغيرة وحماس. ولم يأكل طبيخا قط ولا عدسا ولا أي طعام آخر سوى الخل مع خضروات خفيفة نيئة! وقد اعتاد الإخوة أن يؤكّدوا أيضا أنه ما كان يعرف مكان عيادة المرضى ولا ما يأكله المرضى!

وعلاوةً على ذلك فقد علمنا أن هذا الطوباوي لم يستلق نائما على ظهره قط حـتى يوم مماته. وكان يعمل طول ـاره في البستان ويتناول غذاءه عند غروب الشـمس، ثم يدخل قلايته ويجلس في وسطها على مقعد بدون ظهر ويفتل الحبال إلى أن يحين وقـت

---

(119) Paral., 27.

(120) Paral., 28, 31.

(١٢١) هذا يدل على أنه كان موجودا قبل أنبا باخوميوس أي أنه تتلمذ على أنبا بلامون.

اجتماع صلاة الليل. وإذا أرغمته الضرورة فكان يختطف اليسير من النوم وهو جالس ممسكًا بيديه الحبال التي يضفرها. وكان يضفر الحبال في الظلام وهو يلهج في أقوال الله التي كان يحفظها عن ظهر قلب. وكان عنده ثوب واحد يلبسه عندما يذهب للتناول من الأسرار المقدسة ثم يخلعه في الحال ليحتفظ به نظيفًا، وظل هذا الثوب عنده طيلة تلك الخمس والثمانين سنة! وقد مارس هذا الطوباوي أعمالاً كثيرة أخرى جديرة بالثناء.

ويقول كاتب هذه السيرة إنه رأى هذا الرجل. وقد رقد بصورة غير عادية، إذ إنه سلّم روحه بينما كان جالسا على مقعده يضفر الحبال كعادته. وهو لم يمت بغتةً لئلاّ يقلل ذلك من بطولة هذا القديس؛ ولكنه مرض ورفض أن يذهب إلى عيادة المرضى لأنه لم يرد أن يخدمه أحد مثل باقي المرضى أو أن يلزموه بأكل شيء مما يأكله المرضى. كما أنه لم يرض بأن يستلقي على ظهره حتى أثناء مرضه، ولم يسمح بأن توضع تحته وسادة أو أي شيء مريح[١٢٢]. ولم يوجد أحد بجواره حينما رقد. بل إنه بكل بساطة مضى إلى راحته وهو ممسك بعمله في الحبال. ومن العجيب أنه عند دفنه لم يكن ممكنا مد رجليه لأنهما كانت قد تصلّبت كالخشب، وكذلك يداه لم يكن ممكنا وضعهما على امتداد جسده، ولا كان ممكنا أن نخلع منه ثوبه الجلدي، لذلك فقد اضطررنا أن ندفنه كما هو مثل حزمة من الأخشاب[١٢٣]!

قام الطوباوي باخوميوس ببناء دار للصلاة، وأقام لها أروقةً بأعمدة من الطوب وأثثها جيدا، وشعر أنه راضٍ عن العمل لأنه بناه حسنا. ثم فكر أن إعجابه بجمال البيت هو من فعل إبليس. لذلك جاء بحبال وربطها في أعمدة المبنى ورفع قلبه بالصلاة، وأمر الإخوة أن يشدوا الحبال ويحنوا كل الأعمدة لكي تظل هكذا منحنية. ثم قال للإخوة: "أرجوكم أيها الإخوة، ألاّ تبذلوا جهدا كبيرا في تزيين عمل أيديكم، بل مهما جعلتم عملكم متقنا بنعمة المسيح وبفضل مواهبكم، فاحرصوا جدا لئلاّ يتعثر فكركم من مديح الآخرين لفنكم وتصيرون غنيمةً للشيطان"[١٢٤].

حدث ذات مرة، بينما كان الأب الكبير جالسا في الدير مع بعض الإخوة، أن أحد

---

(١٢٢) ذُكر أن الرهبان الباخوميين كانوا ينامون على كرسي بظهر مائل (انظر قوانين أنبا باخوميوس: ٨٧).

(123) Paral., 29, 30.

(١٢٤) ويقول العالم الإنجليزي J .D. Chity في كتابه The Desert a City ص ١١٩ إنه من المحتمل أن تكون هذه القصة محاولة لشرح سبب الانحناءات الفعلية في كنيسة قديمة رآها في تلك الأماكن، والتي يرى هو أن سببها في الواقع هو الأساسات غير المتينة أو المادة البنائية الضعيفة أو عدم الخبرة في البناء، وكانت المادة الوحيدة المستخدمة في البناء حينذاك هي الطوب النيئ المجفف في الشمس. ولكننا نحن نقول إن القصة إنما تدل على مستوى عالٍ جدا في خبرة البناء، إذ لم يسقط البناء كله رغم شد أعمدته بالحبال حتى انحنت، ورغم أنه كان مبنيا بالطوب النيئ. ومعروف أن المصريين القدماء كانوا أساتذة في فن البناء. Paral., 32

الإخوة، وكانت قلايته في مواجهة المكان الذي جلسوا فيه، كان قد عمل حصيرتين في ذلك اليوم، فوضعهما أمام قلايته مدفوعا بفكر المجد الباطل، ظنا منه أن الأب الكبير سيمدحه على هذا الحماس، حيث إنه تجاوز المفروض على كل أخ أن يعمل حصيرة واحدة في اليوم. فلما رأى الكبير ما فعله الأخ للاستعراض وعرف الفكر الذي حركه لذلك، تأوه بعمق وقال للإخوة الجالسين معه: "انظروا هذا الأخ، فإنه منذ الصباح وحتى الآن أعطى كل تعبه للشيطان، ولم يترك شيئًا من عمله لراحة نفسه لأنه «أحب مجد الناس أكثر من مجد الله» (يو١٢: ٤٣). ورغم أنه أضنك جسده بالتعب إلاّ أنه ترك نفسه خاويةً من ثمر أعماله".

ثم دعا الأخ ووبخه وأمره أن يقف خلف الإخوة في وقت الصلاة ممسكًا بالحصيرتين بيديه وهو يقول: "أيها الإخوة، أتوسل إليكم أن تصلّوا من أجل نفسي المسكينة لكي يغفر لي إله كل الرأفات ويصنع معي رحمةً، لأنني فضلت هاتين الحصيرتين على ملكوته"! وأن يفعل نفس الشيء وسط الإخوة على المائدة وقت الغداء حتى يقوموا عن المائدة. ثم أمره بعد ذلك أن يلزم قلايته لمدة خمسة شهور يعمل فيها حصيرتين كل يوم، ولا يأكل خلالها سوى الخبز والملح، ولا يزوره أحد من الإخوة(١٢٥).

سلك أحد الإخوة حياة الفضيلة حتى بلغ ذروتها، فلنصف يسيرا من وقائع سيرته للمنفعة والتهذيب. كان هذا الأخ ذو الذكرى المطوبة مصابا بالجذام في جسده، لذلك كانت قلايته منعزلة عن قلالي الإخوة، وكان أكله في حياته كلها من الخبز والملح. وكان يعمل كل يوم حصيرةً واحدةً. وكان أثناء ضفره للحبال التي تدخل في صناعة الحصر كثيرا ما تتمزق يداه من البردي فتدميان، حتى إن الحصر التي كان يصنعها تصير مصبوغة بالدم. ورغم مرضه هذا لم يتخلّف قط عن اجتماعات الصلاة. ولم ينم في النهار البتة حتى يوم انتقاله. وكانت عادته أن يتلو عن ظهر قلب بعض الفصول من الكتب المقدسة كل ليلة قبل النوم، ثم يرقد حتى تعطى الإشارة لصلاة الليل الجماعية.

وكان الأب يعجب من صبره على ألم المرض ومواظبته على العمل بحلاوة نفس، وكان يفرح به جدا متحققًا أنه عمال في الفضيلة، ولذلك فقد كان يرسله كثيرا برسائل ومهمات قاصدا بذلك منفعة الإخوة برؤيتهم إياه لأنه كان مثالاً صالحًا، لأنه أي نفس قاسية ترى إنسانا قد استحالت صورته وتغيرت هيئته واضمحلت محاسن خلقته وقد برأ

(125) Paral., 34.

لحمه وصار دمه سائلاً جاريا، وهو بطيبة نفس يخدم ويعمل ويشكر الله؛ ولا ترتدع تلك النفس ولا تلين قساوتها ويتوفر نشاطها وتقدم لله شكرا على عافيتها؟!

دخل عليه مرةً أحد الإخوة، ولما أبصر يديه مخضبتين بالدم من ضفر الحصر قال له: "لماذا أيها الأخ تجاهد وتتعب هكذا في العمل بينما أنت مبتلى بهذا المرض؟ أتظن أنك إذا تركت العمل ستعتبر بطّالاً أمام الله؟ الله يعلم أنك مريض ولم يحدث قط أن إنسانا به هذا المرض وباشر عملاً، ولا سيما أن أحدا لم يضطرك للعمل. وها نحن نعول غرباء ومعوزين، أفما يجدر بنا أن نخدمك من كل قلوبنا وبأكثر سعادة، وأنت واحد منا ورجل قديس أيضا"؟ فأجابه قائلاً: "من المستحيل علي ألاّ أعمل لأن ق. بولس يقول: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا» (٢تس٣: ١٠). وإذا كان الرب نفسه يقول: «اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية» (يو٦: ٢٧)، فإننا نأمل في رحمة الله أن تكون أعمالنا كلنا ليست من الأعمال الفانية بل الباقية"! فقال له الأخ: "إن كان ذلك يسعدك، إذن، فأرجوك على الأقل أن تدهن يديك بزيت كل مساء حتى لا تؤلمك". فسمع من الأخ ودهن يديه بالزيت، فتأذّت يداه بالأكثر لأنها لانت ونعمت، فصار البردي يمزقها أكثر من السابق.

ثم جاء إليه الأب الكبير مفتقدا وقال له: "أتظن يا أثينودوروس، أن الزيت ينفعك؟ من الذي يضطرك إلى العمل حتى إنك بحجة العمل وضعت أملك في الزيت للشفاء بدلاً من الله؟ أليس الله قادرا أن يشفيك؟ ولكنه لمنفعة نفسك سمح لك بهذا المرض". فقال له: "لقد أخطأت يا أبي، وأقر بخطيتي، ولكنني ألتمس منك أن تصلّي لأجلي لكي يغفر الله لي هذه الخطية". وقد تحقق الآباء أنه قضى سنة كاملة نادبا نفسه على هذه الجريرة، ولا يأكل إلاّ مرة كل يومين(١٢٦).

مرض أحد الشيوخ وكان ربيتة أحد البيوت، فاعترى أبانا باخوميوس توجعا عليه ورفع من أجله صلوات مستمرة، فكلّمه ملاك قائلاً: "إلى متى تظل متأسفًا على هذا الأخ وتصلّي من أجله؟ ألعله إذا مات لن تجد غيره"؟ ثم رأى أنبا باخوميوس ثلاثة رجال مضيئين ممجدين ذوي شيبة جاءوا لأخذ نفس المريض. وبينما كان مذهولاً قال له الملاك: "هؤلاء هم الآباء البطاركة إبراهيم وإسحق ويعقوب". وفي الحال أخذوا روح الأخ المريض وانطلقوا بها إلى السماء بمجد عظيم(١٢٧).

---

(126) Paral., 35, 36; QRT, 31; باخوم

(127) S 1: 28.

سمع **أبا تادرس مرةً الأب باخوميوس** وهو يعلم الإخوة قائلاً: "إذا اقتنى الإنسان المعرفة الحقيقية فلن يخطئ سواء إلى الله أو إلى قريبه". فلما سمع ذلك حزن وصلّى قائلاً: "يا الله الذي إليك التجأت، لقد ظننت أنني قد وجدتك، ولكن ها أنت بعيد جدا وأنا لم أعرفك بعد، لأنني لم أجد معرفتك لنفسي، كما أنك وعدت كل من يحبك أن تعمل ما يسره ..."! ولما علم أبونا باخوميوس أن أبا تادرس يبكي كثيرا بسبب هذا الأمر صلّى من أجله. وفي كل مرة كان يقابله كان يقول له: "جاهد يا بني واحصل لنفسك على المعرفة الحقيقية". ثم حدث مرةً أنه بينما كان القمر مضيئًا بنوره، دعاه وقال له: "ارفع عينيك يا بني وانظر إلى هذا النور الذي يضيء على الأرض كلها مع أنه ليس إلاّ أحد مخلوقات الله. أما الواحد الذي خلقه مع الشمس وسائر المخلوقات جميعا فإنه غير منظور. وها أنت ترى بهاءه ومجده، فكن خائفًا منه كل أيام حياتك، واعلم أنه هو الذي خلقنا مع المخلوقات كلها وأننا جميعا في يده. فعندما تخافه وتؤمن أنه يراك في كل لحظة وتكون يقظًا ألاّ تخطئ إليه؛ فإنك ستنال منه المعرفة الحقيقية. وهكذا تباركه في كل وقت كل أيام حياتك". ولما قال ذلك بكيا معا بحرارةٍ وصلّيا[١٢٨].

فضائل القديس باخوميوس:

حدث مرةً بينما كان الإخوة في إحدى الجزائر يحصدون الحلفاء وكان تادرس معهم ليهتم بالموائد، أن الأب باخوميوس عاد من العمل في المساء وهو مريض. وإذ رقد وهو يرتجف ألقى عليه تادرس غطاءً من الصوف، فلم يشأ الأب ذلك وقال له: "خذ هذا وضع علي حصيرة من الحلفاء كما كنت ستفعل مع باقي الإخوة". ثم قدم له تادرس ملء قصبة تمرا، ولكنه لم يأخذ وقال له: "هل لأن لنا السلطان على تدبير الإخوة وحاجاتهم نستعمل ذلك لإراحة نفوسنا؟ فأين مخافة الله؟ أترى افتقدت قلالي جميع الإخوة في هذه الساعة لتتأكد أنه لا يوجد بينهم مريض؟ لأن الله سيديننا أيضا حتى على هذه الأمور". وقد ظل مريضا لمدة يومين حيث كان يقوم ليصلي بحرارة قلبه ومحبته لله[١٢٩].

كان في **قلاية قريبة أخ مرض إلى حد الموت**، والتمس من الإخوة أن يطعموه قليل لحم، لأنه بسبب طول المرض لم يبق في جسمه غير الجلد والعظام. ولما لم يعطوه قال لأحد الإخوة: "اسندني وخذني إلى أبينا باخوميوس". ولما اقترب منه خر على وجهه وأخبره بعلّته. فتحقق الأب من أن الأخ يستحق ما يطلبه وتنهد. وفي وقت الطعام رفض الأب باخوميوس أن يأكل وقال لهم: "أنتم تحابون بالوجوه، فماذا عن المكتوب: «تحب قريبك

---

(128) S 10: 1.

(129) G 1, 51; SBO, 47a.

كنفسك»؟ ألا ترون أن الأخ صار كالميت؟ لماذا لم تقدموا له العناية الكافية قبل أن يطلب؟ ستقولون إن هذا النوع من الطعام ليست لنا عادة أن نقدمه؟ ولكن ألا يختلف الحال بالنسبة للمرض؟ أليست كل الأشياء طاهرة للأطهار؟ وإن لم تروا أن ذلك صالحٌ بدون مشـورتي فلماذا لم تخبروني"؟ وقد ملأت الدموع عينيه وهو يتكلم، وهي علامة على مشاعره الرقيقة. ولو لم تأتِ الدموع في موقف كهذا يكون له البكاء الداخلي عوضا عنها.

فتاب إليه أقنوم الدير واستغفر منه، واشتروا لحما ليطعموا الأخ، وصـاروا يغذّونـه باللحم حتى تماثل للشفاء، فعاد القديس إلى أكل المسلوق والحبوب أُسوةً بالإخوة(١٣٠).

حدث مرةً أنه بينما كان الأب باخوميوس ذاهبا في مركب إلى "منخوسين" مع اثنين من الإخوة، أ م عند المساء أعدوا مائدةً. ورأى الأب تنوع الأطعمة بكثرة على المائدة، فأكل خبزا فقط، أما الأخوان فصارا يأكلان من كل شيء بلا إفراز، ولاحظ أحدهما أن عيني الأب تدمعان. فبعد الأكل سألاه عن ذلك، فقال: "لا شيء". ولما ألحّا عليه مرةً أخرى قال: "كان حزني لأنكما لستما متعففين في الأكل، فإن من كان عقله في السماء يجب أن يكون زاهدا بحق ولا تستولي عليه شهوة الأكل. فالأكل ليس خطية وخصوصا إذا كان باعتدال، ولكن الأفضل، كما يقول الرسول، ألاّ نستعبد لشيء. وأما أنا فلأنني إنسان خاطئ، فقد وجدت في الخبز كفايتي وصرت قانعا به، ومرات كثيرة آكـل مـا يعطيني الله إياه". فلما سمعا هذا الكلام اقتنيا غيرةً وزهدا في الأطعمة(١٣١).

بينما كان الأب باخوميوس مقلعا في مركب إلى الأديرة الأخرى ومعه اثنـان مـن الإخوة صار المساء، فقال لهما: "أتؤثران أن تسهرا هذه الليلة"؟ فلما أجابا: "نعـم"، قال لهما: "إنّ أبانا القديس بلامون علّمني ثلاثة رسوم للصلاة: فإما أن نصـلّي حـتى نصف الليل ثم نرقد حتى الصباح، أو أن نرقد حتى نصف الليل ونصلّي حتى الصباح، أو أن ننام مباشرةً قليلاً ثم نقوم ونصلّي ثم ننام حتى الصباح". فاختارا النظام الأخير. وظلّ الأب ساهرا ورتب ساعات النوم والصلاة بالتساوي، لأنه كان خبيرا في ترتيب صلوات السهر. وضجر أحدهم وذهب لينام وظلّ الآخر حتى الصباح. وعند الفجر (السـحر) أ ض الأول ليؤدي الخدمة الإلهية، وبعد ذلك ذهب الثاني إلى خن المركب لينـام. أمـا الأب باخوميوس فظلّ يجذف مع الأخ الذي كان قد نام وقتا طويلاً من الليـل، حـتى وصلوا إلى دير "منخوسين" (على بعد ٦ ساعات سفر في النهر من دير "بافو")(١٣٢).

(130) G 1, 53; SBO, 48. (131) G 1, 55; SBO, 59. (132) G 1, 60; SBO, 59b.

كان الأب كورنيليوس مدبرا لذلك الدير (منخوسين)، ولما سمع بوصول الأب باخوميوس جمع الإخوة وخرجوا لاستقباله، ولما رأوه عانقوه مع الإخوة الذين معه. وفيما كان أحدهم داخلاً سأله كورنيليوس: "كيف حال أبينا هذه الأيام"؟ فأجابه: "إنه ظلّ يعلّمنا طوال هذه الليلة". ولما أخبره بكل ما حدث قال له كورنيليوس: "يا للضعف! أتجعلان شيخا ضعيفًا يغلبكما وأنتما شابان"؟ فسمعه الأب باخوميوس ولكنه سكت وكأنه لم يسمع. وفي المساء عند إيقاد الأنوار قال الأب باخوميوس لكورنيليوس: "أتشاء أن نصلّي"؟ فأجابه: "كما تريد". ولما مضوا للصلاة أخذ أنبا باخوميوس يتأنى في صلواته. وبينما كان يطيل الصلاة ليختبر كورنيليوس تحقق رفقاؤه مما كان سيفعله بسبب خبر ما معه في المركب، فانصرفا إلى مكان آخر حيث رقدا، أما كورنيليوس فصبر معه. ولما كان الأب باخوميوس واقفًا يصلّي وامتدت الصلاة طويلاً جدا، كان كورنيليوس يهذّ في الفصول الكتابية التي كان يحفظها عن ظهر قلب. ولما دق الناقوس معلنا وقت خدمة الصباح، ختم الأب باخوميوس الصلاة، وقال له الأب كورنيليوس: "ما الذي فعلته لك يا أبي؟ إنني لم أذق حتى الماء منذ عشاء الأمس"! فأجابه الأب الكبير: "يا كورنيليوس، أتجعل شيخا يغلبك في الصلاة"؟ فعلم كورنيليوس أن أباه كان قد سمعه يقول ذلك لأحد الإخوة، فقال له: "أخطأت فاغفر لي يا أبي، لأنني لم أتكلم باستقامة. إن الروح الذي فيك قدوس وهو قوة الله"[١٣٣].

عندما كان الأب باخوميوس مريضا، قدموا له بعضا من مرق السمك بالزيت. فلما رآه تذكّر الملح والرماد في الأيام السابقة وقال للذي أحضره: "أحضر لي جرة الماء". ثم صب الماء على الطعام لكي يطفو الزيت فوقه فيفرغه. ثم أعطى الجرة لتادرس وقال له: "صب ماءً لكي أغسل يدي". وبينما كان يغسل يديه صب ماءً على قدمي تادرس لكي يغسلهما أيضا، فسأله تادرس: "لماذا، يا أبي، فعلت ذلك لي ولطعامك"؟ فأجاب: "فعلت ذلك بالطعام حتى لا أجد لذّةً في الأكل، ففي كل زمانك احفظ نفسك من الحرب فيما تفعله حتى لا تخسر نفسك، لأن الأخ الذي أعد لي الطعام أعده جيدا بنشاط، والنشاط لا يلازم الإنسان دائما، فقلت لئلاّ آكل الطيب هذه المرة ويأتي الغد بمرض آخر فأنتظر أيضا الطعام الجيد مما يجعل قلبي يضطرب. لذلك أفسدت ما أعده لي جيدا حتى إذا لم يعد مثله في الغد لا يهمني، لأننا لسنا نجهل أن المؤمن يجربه الحرب. ولما غسلت يدي صببت ماءً على قدميك كما لو كنت أغسلهما لكي لا أُدان من ضميري أنك تخدمني بدلاً من أن أخدم أنا الآخرين

(133) G 1, 61; SBO, 59c.

جميعا حسب قول الرب: «لم آتِ لأُخدم بل لأخدِم»“[١٣٤].

في **أحد الأيام** بينما كان الأب باخوميوس ينسج حصيرا، جاء ولد لحضور الخدمة الأسبوعية بالدير، فلما رآه ينسج قال له: ”ليس هكذا أيها الأب، لا تلف الخيط هذه الطريقة، فقد علّمنا الأب تادرس طريقةً أخرى“! فقال له الأب في الحال: ”نعم، علمني الطريقة“. وبعد أن علّمه الولد إياها جلس يعمل وهو مسرور، إذ إنه طرح عنه روح الافتخار في هذا الأمر أيضا، لأنه لو كان اهتمامه حسب الجسد لما التفت إلى الولد، بل بالحري كان يزجره لخروجه عن حده في الكلام[١٣٥].

كان الأب باخوميوس يرسل أبا تادرس كثيرا ليطوف بالأديرة ويفتقدها. وبينما كان يتكلم مرةً بين الإخوة قال لهم: ”تادرس وأنا نكمل معا خدمة واحدة لله، وله سلطان أيضا أن يأمر كأب“. وكان تادرس إذا جاء إلى أي دير تبتهج نفوس الإخوة برؤيته، لأنه كانت عليه نعمة عظيمة من الرب. أما أبونا باخوميوس فكان كاملاً في كل شيء، إلاّ أنه كان مهوبا ودائم النوح متذكرا النفوس التي في العذاب، كما رأينا (في الإنجيل) الرجل الغني. وكان كثيرا، عندما يشتد عطشه من الحر اللافح، يأخذ جرة الماء ليشرب، ولكنه ما كان يشرب ما يكفي لإرواء عطشه[١٣٦].

كان أنبا باخوميوس يخضع لمدبر البيت، إذ كان أكثر اتضاعا من الجميع كما هو مكتوب: «مثل أرض جبلية قفرة»[١٣٧]. وفي ساعة الوعظ كان يقف منصتا مع بقية الإخوة. وكانت ثيابه في قلاية تحت عهدة مدبر البيت. وببساطة لم يكن له سلطان أن يأخذ شيئًا لحاجة جسده من المدبر، لأنه كان يخشى أن يصير متغربا عن الاتضاع وعن حلاوة ابن الله ربنا يسوع المسيح أكثر من خوفه من العذاب الأبدي. وكما كان الإخوة يقيمون في مساكن منفصلة وكان لكل مسكن شخص مسئول عنهم مثل أب؛ كان هو أيضا منتسبا لأحد المنازل. فلم يكن مختلفًا عن الإخوة في أي شيء قط. ولم يكن له سلطان أن يمضي من نفسه ليأخذ ثوبا من رئيس الجماعة، فقد كان المشرف على المسكن الذي ينتسب إليه هو الذي يأخذ له، وذلك تبعا للترتيبات التي وضعها للإخوة من الله[١٣٨].

شاع صيت أنبا باخوميوس بعيدا، وتحدث الناس عنه، بعضهم بما يطابق فضيلته والآخر بمغالاة. و لكن حدثت مناقشة عما إن كان قادرا على تمييز الأرواح. فدعوه

(134) G 1, 64; SBO, 61; S 1: 4, (135) G 1, 86; SBO, 72b. (136) G 1, 91; SBO, 74b.
(١٣٧) «أرض جبال وبقاع، من مطر السماء تشرب ماءً» (تث ١١: ١١)، أي أ ا لا تعطي ثمرا إلاّ بواسطة المطر.
(138) G 1, 110; S 1: 5.

ليجيب بنفسه عن ذلك في كنيسة لاتوبوليس (إسنا) في حضور الرهبان والأساقفة (وقيل إنه حدث خلاف بين الأب باخوميوس والأساقفة بسبب الحسد!)، فذهب إلى هناك ومعه بعض الإخوة القدامى، ولما رأى الذين يجادلون ضده لزم الصمت. ولما سأله الأسقفان "فيلونوس" أسقف طيبة و"أموي" أسقف إسنا لكي يتكلم عن نفسه قال لهم: "ألم تكونا راهبين معي في الدير قبل أن تصيرا أسقفين؟ وألا تعلمان أنني بنعمة الله أحب الله مثلكما وأهتم بالإخوة؟ وحينما كان "موسى" الذي من "مجدولون"، كما يدعى، ممسكًا من الشياطين واختطفوه إلى الأماكن المظلمة (أي الكهوف) ليقتلوه، أما عرفتما كيف أعانته نعمة الله بواسطتي؟ وألا يكفي هذا المثال عن ذكر الباقي"؟

فأجابوه قائلين: "نحن نشهد أنك رجل الله ونعلم أنك كنت ترى الشياطين وتقاومهم لتطردهم من النفوس. أما عن الكشف وتمييز الأرواح فلكونه أمرا عظيما، فأجب عن ذلك لكي يمكننا أن نقنع المتذمرين". فقال لهم: "أما سمعتموني مرارا كثيرة أقول إنني كنت ابنا لوالدين وثنيين لا يعرفان من هو الله؟ فمن هو إذن الذي أنعم علي أن أصير مسيحيا؟ أليس هو إلهنا محب البشر؟ وبعد ذلك لم يوجد سوى رهبان قليلين حتى إن الجماعات التي وجدت من اثنين أو خمسة أو عشرة رهبان على الأكثر كانوا قلّة نادرة، وبجهد كثير كانوا يدبرون أنفسهم ويضبطون بعضهم البعض في مخافة الله. أما الآن، فإننا جمع غفير - تسعة أديرة - نجاهد بكل حرارة الليل والنهار لكي نحفظ أنفسنا بلا عيب بنعمة الله. وأنتم أيضا تشهدون بأن لنا معرفة فيما يخص الأرواح النجسة. فالرب قد أعطانا أيضا أن نعرف، متى شاء، من هو الراهب الذي يسلك باستقامة ومن هو الذي له مظهر الراهب فحسب".

"ولكن فلندع موهبة الله جانبا، فالحكماء والفهماء بحسب هذا العالم إذا قضوا أياما قليلة بين الناس أما يصلون إلى تمييز ومعرفة حال كل واحد منهم؟ أكثير، إذن، على ذاك الذي سفك دمه لأجلنا، الذي هو حكمة الآب، إذ يرى إنسانا يرتعد بكل قلبه من أجل خسارة قريبه - وبالأخص إذا كانوا كثيرين - أن يمنح ذلك الإنسان الوسيلة التي بها يخلصهم بلا عيب، سواء بإفراز الروح القدس أو بالإعلان إذا سمح الرب؟ إنني لا أرى الحقائق التي تخص خلاصنا حينما أريد بل حينما أحظى باستحقاق ذلك من عند مدبر الكل. فالإنسان في ذاته أشبه بنفخة، ولكنه إذا أخضع نفسه تماما لله فلا يكون بعد نفخة بل هيكلاً لله، كما يقول الله نفسه: «وأنا أسكن فيهم» (يو١٤: ٢٣). وهو لا يقول ذلك عن جميع الناس بل عن القديسين وحدهم، فهو يسكن فيكم وفي الجميع وفي

باخوميوس أيضا إن كان يصنع مشيئته".

فلما سمعوا كل ذلك تعجبوا من ثقته وتواضعه. وعندما انتهى من الكلام، إذ بإنسان ممسك من العدو جاء نحوه ومعه سيف ليقتله، ولكن الرب أنقذه بواسطة الإخوة الذين كانوا معه، وذلك رغم الشعب الكثير الذي حدث في الكنيسة. وإذ كان البعض يقولون شيئًا والآخرون شيئًا آخر هرب الإخوة وجاءوا إلى ديرهم الأخير، الذي يدعى "بخنوم" (وهو آخر دير أسسه أنبا باخوميوس، وهو أبعد الأديرة جنوبا)، الذي كـان يقـع في حدود مدينة "لاتوبوليس" نفسها[١٣٩].

ولما رجعت المركب من الإسكندرية - علما بأنه لم يكن للكينونيون كلـه سـوى مركبين: إحداهما لبيع الحصير للحصول على الحاجات الضرورية، والثانية لملابسـهم - جاء الأبوان زكاؤس وتادرس إلى الأب باخوميوس، فسألهما عن حال الإسكندرية لأنه كان حزينا عليها لأن الأريوسيين المدفين مع البطريرك الدخيل غريغوريوس كانوا قـد قاموا عليها بعنف كاللصوص. وكان يصلّي من أجل هذا الأمر. وكان متوجع القلـب جدا بسبب الظلم الواقع على شعب الله الذي حرم من رئيس أسـاقفته ق. أثناسـيوس الحامل للمسيح الذي كان في المنفى. وأكّد قائلاً: "نحن نؤمن أن الرب سمح بأن يحدث هذا لامتحان المؤمنين، ولكن الانتقام سيأتي سريعا وبدون تأخير"!

ثم حدثهم بعد ذلك عن الشدة التي جاءت عليه في "لاتوبوليس" وهو يشكر الـرب قائلاً: "سبيلنا أن نصبر على كل تجربة لأنها لن تضرنا. أما الذين يفحصون أمورنا فهم آباء وإخوة أرثوذكسيون، فرغم أن العدو قد فعل بنا الشر بواسطة أناس منا؛ إلاّ أنهـم كانوا خارج السور - أعني به القانون - وذلك إلى حين، إلاّ أن الرب نجّانا وإياهم. أما بخصوص البابا الكلي القداسة أثناسيوس، الذي ظلّ أعداؤه يحاربونه زمانا طويلاً، فإنـه مغبوطٌ حقًا. وهم بلا قوة مقابله، لأن الله معه يعضد إيمانـه. وسـوف يتحقـق فيـه المكتوب: «كل لسان يقوم عليكِ في القضاء تحكمين عليه» (إش٥٤: ١٧)". وهذا هو ما حدث: إذ عاد ق. أثناسيوس إلى الكنيسة بكرامة ووقار[١٤٠].

عندما كان الإخوة يجدون **الأب باخوميوس** جالسا على الأرض أو في مكـان غـير مريح، كانوا يأتون له بشيء ليجلس عليه، ولكنه لم يكن يرضى بذلك وكان يقول لهـم: "حينما يكون جسدي بلا مرض لا أفعل ذلك، لأنني أخاف من أن أكون عبدا في الـدهر

(139) G 1, 112.

(140) G 1, 113; SBO, 96b.

الآتي في حضرة كل الذين يرونني لكوني طلبت الراحة لجسدي. لأنــه هكــذا كُتــب في الإنجيل: «من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما» (مت٢٠: ٢٦)، وأيضا: «ابن الإنسان لم يأتِ ليخدم بل ليخدِم وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين» (مت٢٠: ٢٨). لذلك، فعلينا أن نكون خداما بعضنا لبعض ولا نجعل آخرين يقومون على خدمتنا".

وكان قد علّم الإخوة ألاّ يفقدوا الثقة في الرب إذا حدث لهم شــيء مــن حيــات أو عقارب أو أي وحوش أخرى قائلاً: "إنني أعلم كل ما فعلت قبل أن تكشف لي المعرفة". وبعد ذلك اليوم إذا لدغته عقرب أثناء عمله مع الإخوة وآلمته، ما كان يوقف العمل، بــل كان يعتبر أن هذا الألم كأحد الآلام التي يقبلها من أجل المسيح. وإذا لُدغ نحو المساء كان يظل واقفًا ويصلّي حتى يشفَى قائلاً إنه لا يوجد علاج فعال أكثر من اسم الرب.

وفي أحد الأيام، بينما كان واقفًا في مجمع الصلاة في ساعة الصباح وهو يخاطب الإخوة، نظر نحو المدخل وأدرك أن روحا مظلما كان واقفًا هناك. وكان يوجد فوقه منفذٌ مغطّــى بحصيرة وضعت عليها طوبتان. ولما سحب أحد الإخوة الحبل المتصل بالحصيرة لكي يفــتح المنفذ حتى يدخل النور إلى المكان، سقطت الطوبتان على الأب باخوميوس. فانزعج الإخوة وصرخوا ظانين أن رأسه لا بد أ ا انكسرت. فلما أدرك الأب أن شيئًا كان سيحدث لــه بواسطة الأسود الذي رآه واقفًا بجوار الباب، غطّى رأسه سريعا بيديه وتحمل خبطة الطوبتين بشكر. وأشار في الحال للإخوة أن يسكتوا. ولما سأله الإخوة بعد ذلــك: "ألم تنكســر رأسك"؟ فأجا م: "قبل أن يحدث ذلك كانت رأسي تــؤلمني، والآن قــد فــارقني الألم بسلام"! وحينئذ كان يذكر كلام الرسول: «اشكروا في كل شيء» (١تس٥: ١٨)، وفي نفس الوقت كان يعلم أنه لا يحدث له شيء بدون سماح من الله.

ولما كان يعمل مع الإخوة في الحصاد وحلّ المساء حدث الإخوة بكلمة الله. وبينمــا كان يتكلم جاءت حيتان والتفّتا حول قدميه ولكنه لم يلتفت إليهما ولا حرك قدميه من حيث كان واقفًا. ولما انتهى من حديثه صلّوا حتى يرجع كل واحد إلى مسكنه، ثم طلب مصباحا ورأى الوحشين ملتفّين حول قدميه، فقتلهما في الحال ومجد الله «الذي ينقــذ المتكلين عليه» (مز١٧: ٧)[(١٤١)].

في **أحد الأيام** خرج الإخوة لأجل خدمة ما. وقد أخبروا الأب باخوميوس أن مجاعةً عظيمةً ومرضا معديا قد تفشيا في العالم لدرجة أن الدنيا كانت مهددة بالهلاك. ولما علم بذلك، كان هذا هو اليوم الثاني الذي لم يأكل فيه، ثم ظل يوما ثالثًا بدون طعام قــائلاً:

---

(141) SBO, 98; cf. G 1, 21; س ٤ ص ٢١و٦٤

"لن آكل في حين أن إخوتي جياع ولا يجدون خبزا يأكلونه". وطالما كانـت ا اعـة قائمة كان ينوح ويميت ذاته أكثر بالأصوام والصلوات المضاعفة متمما كلام الرسول: «إن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه» (١كو١٢: ٢٦). وكان يتوسل إلى الله بلجاجة لكي يجعل مستوى مياه النهر يرتفع إلى درجة جيدة لكي ترتوي الأرض ويجد الناس خبزا لطعامهم ويباركوا الرب ويصنعوا مشيئته(١٤٢).

كلما كان أنبا باخوميوس يصلّي كان يتذكر وصية الرسول: «أن تقـام طلبـات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس: لأجل الملوك وجميع الذين هـم في منصب لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار» (١تي٢: ٢). ولذلك فقد كان يصلّي من أجل العالم كله. وكان يذكر أولاً الرهبان والعذارى لكي يمنحهم الرب وسائل تحقيق ما تعهدوا به بقلب ثابت. فكان يقول: "أيها الـرب إلهنـا القـدير، الله المبارك، امنحنا أن نتمم هذه الخدمة لأجل شركاء طريقنا حتى نكون مستحقين لـك، ولكيما تسكن في أجسادنا ونفوسنا وأرواحنا، وحتى نكون دائما كـاملين في محبتـك سالكين أمامك حسب مسرتك الصالحة. ولعلنا لا نخطئ إليـك أو نجـرب روحـك القدوس الذي ختمنا باسمه (أف٤: ٣٠). بل بالعكس نكون أنقياء وبلا شائبة أمامـك كل أيام حياتنا في هذا العالم. لكيما نستحق برحمتك خـيرات ملكوتـك السـماوي الأبدي، يا حبيب البشر".

كما أنه كان يصلّي لكي يحفظ المتزوجون وصايا الله التي في الإنجيل المقـدس حـتى ينالوا حياةً أبدية. وهكذا أيضا كان يصلّي من أجل ثلاثة أنواع من الناس: أولاً لأجـل الذين بدأوا يعملون الصلاح، ولكنهم بعد ذلـك لم يسـتطيعوا أن يكملـوه بسـبب اهتمامات هذا العالم الباطلة التي منعتهم من العمل الصالح، وذلك لكي يمنحهم وسـائل عمل الصلاح بتحريرهم من كل اهتمام ذا العالم الباطل، ماعدا فقط احتياجات الجسد الضرورية، وإذ يتممون مشيئة الله يفلتون من العذابات ويرثون الملكوت الأبدي. كمـا كان يصلّي من أجل الذين يتعلقون بأعمال الشيطان، ولأجل جميع الـوثنيين والـذين ينخدعون بالهرطقات بجهالة، أي الذين يضللهم آخرون، وذلك حتى يمنحهم الله فهمـا وإدراكًا و«يصنعون أثمارا تليق بالتوبة» (مت٣: ٨)، إذ يذكرون، فوق كـل شـيء، الصلاح الذي يعمله الله دائما لأجلهم.

فهو الذي يجعل الشمس تشرق لهم على الأرض في النهار فتنير لهم أثناء أعمالهم حتى

(142) SBO, 100.

يتزودوا بضروريات حيا م. والقمر والنجوم لأجلنا في الليل، «يعطينا من السماء أمطارا وأزمنةً مثمرةً» (أع١٤: ١٧)، والندى والرياح التي تؤدي إلى نمو المحاصيل التي زرعـت في الحقول، وقد خلق الله كل ما هو ضروري للناس ولكل المخلوقات التي أوجـدها الله لاحتياجات البشر، كما يقول المرتل: «والنهار أيضا ثابت، لأن كل الأشياء متعبدة لك» (مز١١٩: ٩١ الترجمة القبطية).

وكان القديس يصلّي أيضا من أجل الملوك وأصحاب المناصب متمما كلام سـليمان الحكيم: «بي تملك الملوك» (أم٨: ١٥)، وذلك حتى يجعلهم الله برحمته ثابتين في محبة الله والناس، ولكي يجروا «حكما للمظلومين» (مز١٤٦: ٧). كما كـان يصـلّي لكـي يظهروا هم أيضا وسط جميع القديسين الذين أرضوا الله، وحتى يقولوا مع إشعياء النبي: «إن الرب قاضينا، الرب شارعنا، الرب ملكنا هو يخلصنا» (إش٣٣: ٢٢). كمـا أنـه كان يصلّي أن يزدروا بالمناصب الملكية التي لا تدوم إلاّ زمانا قصيرا، وذلك لكي يصيروا وارثين للملكوت السماوي الذي يدوم إلى الأبد، ولكي يتشبهوا بالملوك العادلين مثـل داود النبي وحزقيا ويوشيا والذين سلكوا مثلهم بالبر.

كذلك كان القديس يصلّي من أجل إكليروس الكنيسة الجامعة قائلاً: "رغم أ ـم آبائي، إلاّ أنه من واجبي أن أذكرهم وأصلّي لأجلهم لأن الرسول يدعونا أن نفعل ذلك قائلاً: «مصلّين لأجلنا نحن أيضا ليفتح الرب لنا بابا للكلام» (كو٤: ٣)". وهذه هـي الطريقة التي كان يصلّي ا من أجل الكل[١٤٣].

كان أبا تادرس يخدم الأب باخوميوس عندما كان مريضا. فقد رقد أربعين يوما في المشفَى المخصص للعناية بالمرضى، وكان يتلقى نفس العناية مثل بقية الإخـوة في كـل شيء، ولم يوجد أي اختلاف قط بينه وبينهم، وذلك حسب توجيهاته لهم. ورغم أنـه صار ضعيفًا جدا بسبب طول فترة المرض؛ إلاّ أن قلبه وعينيه كانتا مثل ضوء ملتـهب. وقال لأبا تادرس: "من فضلك أحضر لي غطاءً باليا خفيفًا وافرشه علي، لأن هذا الغطاء ثقيلٌ جدا ولا يمكنني أن أحتمله حيث إنني ظللت مريضا منذ أربعين يوما، ولكنني أشكر الرب". فأحضر أبا تادرس في الحال من الوكيل غطاءً جيدا وخفيفًا وفرشه عليه. ولمـا رأى الأب اختلاف هذا الغطاء عن أغطية الإخوة غضب من أبا تادرس وقال له: "أي ظلم عظيم فعلته يا تادرس! أتريدني أن أُعثر الإخوة؟ وعندما يقولون فيما بعد إن الأب

(143) SBO, 101.

باخوميوس كانت له حياة ميسرةً أكثر من الإخوة، فأكون عرضةً للدينونة أمام الـرب. فخذه مني، وأنا سأتدبر بطريقة ما حتى أذهب إلى الرب"! فأخذه أبا تادرس منه وجاء بغطاء آخر بالٍ أكثر وأردأ من أغطية الإخوة المرضى الآخرين ووضعه عليه(١٤٤).

مرض أنبا باخوميوس ذات يوم، ولكنه لم يبلغ أحدا من الإخوة بذلك، ولا حـتى اعتقد في نفسه، كعادته، أنه مريض، بل بقوة عزيمته قام وذهب معهم إلى الحصاد. وكان الإخوة يحصدون القمح بالمنجل. وبينما كان يحصد سقط على وجهـه في وسـطهم. فأسرع الإخوة ورفعوه واكتشفوا أن جسده محموم جدا بسبب المرض. فأحضـروه إلى الدير حيث رقد على الأرض بمنطقته. وتوسلوا إليه أن يحلّ منطقته بسبب الحمى ويرقد على سرير مثل الإخوة المرضى، ولكنه لم يطِعهم وبقي راقدا علـى الأرض. وجلـس أحدهم بجواره يروح له بقلنسوة. وكان كثيرون من الإخوة قد استسلموا للمرض لأنـه كان شديدا ووبائيا معديا. وقال أحد الإخوة للذي كان يروح له بقلنسوته: "ألا يمكنك أن تجد مروحة لكي تبرد ا جسده"؟ وسمع الأب ذلك ولكنه لم يقدر أن يجاوبه بسبب مرضه الشديد، ولكنه أشار بإصبعه قائلاً: "أليس كل هؤلاء مرضى؟ هل يمكـنكم أن تجدوا مروحةً لكل واحد حتى تكون لي واحدة مثلهم"(١٤٥)؟!

قيل عن الأب باخوميوس إنه كان دائم الصلاة بنسك زائد وسهر، ولم يرضِ نفسه في أكل أو شرب، وإذا أراد أن يرقد لم يكن يرقد ممتدا ولا على مصطبة؛ بل كان يجلس مستندا على الحائط ويرقد هكذا. وإذا احتاج أن يبني مصطبة ما كان يبنيهـا جيـدة؛ ولكن إذا بناها لآخر كان يجعلهم يبنو ا جيدة، وبعد بنائها يمسحو ا، لأنه كان في كل شيء يهتم برفيقه أكثر من نفسه حتى في أحقر الأمور. وكان إذا ذهـب إلى موضـع خارج الدير مع الإخوة واحتاجوا أن يبيتوا هناك؛ كان يأمرهم أن يحفر كل واحد لنفسه حفرةً في الأرض مثل مراقدهم في الدير قائلاً إنه يجب على الراهب أن يتعب نفسـه في مرقده لكون روح الزنى يقفز على الرجل ليجربه بشدة إذا رقد ممتدا براحة(١٤٦).

وقيل عنه أيضا إنه كان له ثوب خاط أجزاءه مع بعضها مثل المئزرة، وكان يلبسـه مساء كل يوم بسبب الشتاء والبرد، ولم يكن يتغطى. وكان إذا جاء إليه كاهن أو زائر يقابله ـذا الثوب. فلما رأى أحد الإخوة الأتقياء ممن كان يعمل في السفينة (أي المركب الخاصة بالدير) واسمه "تناسيه" (أي أثناسيوس)، وكان قديما في الإخوة، ما كان يفعلـه

---

(144) SBO, 117.

(145) SBO, 120; G 1, 115.

(١٤٦) س ٤ ورقة ٢٤.

الأب باخوميوس قال للأب تادرس: "ليس حسنا أن يقابل أبونا الآتين إليه بهذا اللباس الحقير، فأعطني إياه لكي أذهب به إلى المجمع فلا يجده إذا طلبه، وأنا أعطيه آخر بدلاً منه". فأعجب الأب تادرس هذا الكلام، وأعطاه إياه ووضع ثوبا آخر بدلاً منه. وفي المساء طلب الأب باخوميوس الثوب فلم يجده، وقال لأبا تادرس: "أين ثوبي"؟ فقال له أبا تادرس: "خذ هذا الموضوع مكانه". فقال له: "يا ساذج، أعطني ثوبي". فأجاب: "خذ هذا الموضوع مكانه". ولما سأله مرةً ثالثةً توجع قلب تادرس وندم على ما فعله ولا سيما أنه علم بحاجته إليه لأن الوقت كان شتاء، ومن وجع قلبه سالت دموعه على خديه وقال له: "إنك لا تجده في هذا الوقت". وبعد ذلك ظل الأب باخوميوس سبع سنوات يذكر هذا الأمر أمام الرب قائلاً: "اغفر لي يا رب مخالفتي له، إذ كان يجب أن أطيعه لأنني أعلم الإخوة عن الطاعة وألاّ يلاججوا، وصرت أنا عاصيا"[(١٤٧)].

قيل عن القديس باخوميوس إنه ذهب مرةً مع الإخوة في شغل، وقد احتاجوا أن يحمل كل واحد بعض الخبز. فقال له أحد الرهبان الشبان: "لا تحمل شيئًا يا أبانا، فقد حملت ما يكفيني ويكفيك". فأجابه: "لا يكون الأمر هكذا، فإن كان مكتوبا عن الرب أنه يليق به أن يتشبه بإخوته في كل شيء، فهل أميز نفسي أنا الحقير عن إخوتي ولا أحمل حاجتي مثلهم؟ بسبب ذلك فإن رهبان الأديرة الأخرى يعيشون بانحلال لأن صغارهم يستعبدون لكبارهم، فليس من الواجب أن يفعل هكذا لأنه مكتوب: «ابن الإنسان لم يأتِ ليخدم بل ليخدِم وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين» (مت٢٠: ٢٨)، والرسول يقول: «حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان» (أع٢٠: ٣٤)"[(١٤٨)].

مواهب أنبا باخوميوس:

كان الأب باخوميوس - بإفرازه الروحي - يختبر طبيعة الأحوال الصحية المختلفة، فيفرق بين المرض الناتج من علّة الجسد، والذي يلزم ألاّ نعاند فيه الجسد ونزيده آلاما؛ وبين المرض الناتج من حروب الشياطين والذي يحتاج إلى إفراز وشجاعة بمعونة الله. إذ إن الشياطين تحاول بكل الطرق أن تقف في طريق المؤمنين. فقد حدث مرةً وهو في الدير أن أصابته حمى ولازم الفراش بدون طعام لمدة يومين كاملين. وفي اليوم الثالث - حيث لم يكن قد أكل بعد - وقف قليلاً ليصلّي لأنه كان تائقًا إلى الحديث مع الله، فشعر بالشفاء من مرضه. ولما قرع المدبر الباب وقت الطعام كالعادة منطق حقويه ليذهب إلى المائدة ويأكل مع الإخوة الأصحاء، وشعر أن المرض لم يكن جسمانيا وشكر الله الذي

---

(١٤٧) باخوم عربي؛ س ٤ ورقة ٢٤.

(١٤٨) س ٤ ص ٢١.

منحه الصحة. وكان إذا رأى إنسانا مريضا يهتم به حتى يشفى لئلاّ يهزأ به العدو. وقد مرض مرةً أخرى، لأن جسده كان ضعيفًا. ومع أنه كان قديسـا؛ إلاّ أن الله يمـتحن خدامه بطرق متنوعة[١٤٩].

حدث أن زوجة أحد الرؤساء في تلك الناحية كان ا نزف دم. فلما سمعت عـن الأب باخوميوس طلبت من الأب ديونيسيوس الذي ذكرناه أن يدعوه، لكونه صديقًا له، لكي يتحدث معه في أمر ضروري. ولما استدعاه جلس القديس في الكنيسـة يتحـدث معه. وكانت المرأة تؤمن بالله المتأنس الذي قال لتلاميذه: «من يقبلكم يقبلني»، فاقتربت منه ولمست "الكوكوليون" الذي على رأسه فشفيت في الحال. ويقول مرجع آخـر إن المرأة طلبت من الأب ديونيسيوس أن يأخذها معه إلى الأب باخوميوس. فأخذها معه في المركب، وعند الباب تركها ودخل حيث تكلم مع الأب بخصـوص الإخـوة الـذين طردهم، ثم طلب منه أن يأتي معه ليكملا الحديث عند الباب. ولما جلسا جاءت المـرأة ولمست ثيابه فشفيت. وقد توجع قلب أنبا باخوميوس بسبب ذلك حتى يوم انتقاله، لأنه كان دائما يهرب من مجد الناس[١٥٠].

جاء إلى الدير إنسان يطلب من الكبير أن يشفي ابنة له ا شيطان. فلما سمع ذلـك، ولم يكن معتادا أن يتصل بالنساء، أرسل مع البواب هذه الرسـالة: ’أرسـل لي ثوبـا مغسولاً من ثيا ا‘‘. فلما أحضره إليه نظر إليه وقال: ’’هذا الثوب لا يخصها‘‘. وبعد أن أكّدوا لها أنه ثو ا أرسل يقول: ’’هو لها ولكنها ليست عذراء ولا تحفظ طهار ا. لذلك لما رأيته تحققت أ ا ليست طاهرة، ولهذا قلت إنه ليس ثو ا. فلتعترف وتعزم أن تحفـظ منذ الآن عفتها أمام الله وهو يشفق عليها فتشفَى‘‘.

فلما سألها أبوها عن ذلك بحزن وغضب، اعترفت وتعهدت ألاّ تعود تخطـئ أبـدا. حينئذ أرسل القديس إلى أبيها زيت الصلاة فدهنها بإيمان فشفيت[١٥١].

وإنسان آخر أحضر إليه ابنه، وكان به شيطان مارد. فأرسل الأب باخوميوس البواب قائلاً: ’’خذ واحدة من خبز الإخوة واعطها لوالد المريض، وقل له: أعط ابنك من هذا الخبز بعد أن تكسره قطعا صغيرة، وآمن أن الرب يشفيه‘‘. فلما أخذه والد المريض سجد ثلاث مرات. ولما جاع الولد أحضر له أبوه الخبز فلم يمسه بل أكل أشياء أخرى. ومرةً أخـرى أخفى أبوه قطعا صغيرة من الخبز داخل بعض البلح والجبن الطازج لكي يأكلـها دون أن

(149) G 1, 52; SBO, 47b. (150) G 1, 41; SBO, 41. (151) G 1, 43; SBO, 43.

يدري. فلما بدأ الولد يأكل فتح البلح والجبن وأخرج منها قطع الخبز ولم يأكلها. ثم تركـه أبوه بلا طعام مدة يومين حتى ضعف، ثم أرسل إلى الأب باخوميوس قليل زيت فصلّى عليه، وعمل عصيدة للولد خلط فيها الخبز، فأكل وارتاح ونام، فدهنه باسم الرب يسوع فللوقت تعافى. فعاد الأب إلى بيته وهو يمجد الله مخبرا بشفاء ابنه(١٥٢).

صنع الرب - الذي بواسطة قديسيه يدبر خلاص النفوس - على يـدي القـديس أشفية كثيرة بين العلمانيين والإخوة. وكان إذا التمس الشفاء لأحـدهم ولم تسـتجب طلبته من الرب العارف بقصد قديسيه؛ ما كان يستغرب أو يحزن لأن صلاته لم تقبـل، بل كان هو نفسه دائما يقول في الصلاة: ''لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك''، كما علّمنـا بالحق - ذاك الذي هو واحد مع الآب - أنّ هذا هو ما ينبغي أن يكون في كل شيء.

فإن قرأ أحد في أي وقت كلمات صلواته قد يقول: من أين جاءت معرفـة هـذه الأمور لنا نحن الذين نكتب هذا؟ فليتذكر أولاً ما سبق أن قلناه أننا سمعنا هذه الأمور من الآباء وأننا فحصناها بتدقيق، لأن الأب القديس كان يجلس أحيانا ويشرح هذه الأمـور لكي من خلال معرفته يبين لهم كيف يصلّون من أجل كل طلبة. وكان يداوم تعليمـه للجميع بكثرة أن يضعوا إيما م ورجاءهم في الرب وأن يحبوا أقار م بالحق(١٥٣).

جاء بعض الناس في **اليوم التالي** عند باب الدير ومعهم رجل فيه شيطان يعذبه بشـدة. ولما أخبروا أنبا باخوميوس بأولئك الذين توسلوا إليه عن طريق الأخ المسئول عن بوابة الدير، أقبل إليهم بسرعة ومعه اثنان من الإخوة. ولما جاء سأل عن اسم المريض، فأجاب المريض: "اسمي مائة (لجئون)". فقال له أنبا باخوميوس: "أنت لا تصلح لشيء، فمن أين تعلّمت ما يساوي مائة"؟ فطأطأ المريض وجهه إلى الأرض وقال: "لقد أربكتني بقولك هذا". فقال له الأب: "أيها الروح النجس، قُل لي الحقيقة، من أين تشرب أنت شخصيا"؟ فأجـاب بخضوع: "أشرب من قاع البحر". فسأله أيضا: "قُل لي، من الذي أعطاك السـلطان أن تدخل في هذا الإنسان لتعذبه"؟ فقال له الروح النجس: "المصلوب هو الـذي أعطـاني السلطان على هذا الرجل". فقال له الأب: "أيها الروح الشرير، بما أن ذاك هـو الـذي أعطاك هذا السلطان أن تسكن فيه، فأرني المسامير التي سمر ا على الصـليب". فصـر الشيطان بأسنانه وقال: " ذا أيضا قد هزمتني وأربكتني".

حينئذ بسط أبونا البار يديه ودعا الرب بصلوات ودموع غزيرة قائلاً: "أسألك يـا

---

(152) G 1, 44; SBO, 44.

(153) G 1, 45, 46; SBO, 45.

ربي يسوع المسيح من أجل عبدك هذا، يا محب البشر، لكي برأفتك وكثرة رحمتك تنظر إليه، لأنه هو صورتك وشبهك، فتشفيه من هذا الشيطان الشرير، لأنك أنت وحدك المستحق الحمد والإكرام والقوة مع أبيك الصالح والروح القدس إلى الأبد آمين". ثم رشمه باسم الثالوث القدوس، ثم انتهر الروح النجس الذي خرج منه في الحال وتعافى الرجل بقوة المسيح وبصلوات أبينا باخوميوس. ولما رأى الذين معه ذلك الذي حدث بسرعة أعطوا الحمد لله والشكر للأب باخوميوس(١٥٤).

أحضروا للأب باخوميوس أخا من أحد الأديرة مجربا من الشيطان. ولما تكلّم معه الأب أجاب حسنا وكأنه لم يجرب من الشياطين قط. فقال للإخوة الذين أحضروه إليه: "أؤكد لكم أن الشيطان مختفٍ فيه ولن يتكلم معي بصوت هذا الرجل. ولكنني سأفحص جسده كله لأعرف في أي عضو من أعضائه اختبأ". وبينما كان يفحص جسده كله جاء إلى أصابع يديه وقال للإخوة: "هذه هي الطريقة التي يدخل بها الشيطان، فقد وجدته في أصابع يديه". ولما جاء إلى عنقه، حيث الموضع الذي كان فيه الشيطان، صرخ الشيطان بصوت عظيم وارتعش الرجل رعشةً عنيفةً حتى إن أربعة من الرجال استطاعوا بصعوبة أن يمسكوه. فأمسك أبونا باخوميوس الموضع الذي اختبأ فيه الشيطان وصلّى طالبا من المسيح أن يشفيه. وبينما كان يصلّي خرج منه الشيطان وارتدت إليه عافيته في الحال بصلوات أبينا القديس. وجميع الإخوة الذين رأوا ما حدث أعطوا الحمد لله من أجل أعماله العظيمة التي يظهرها في قديسيه(١٥٥).

أحضروا إلى الأب باخوميوس رجلاً متألمًا للغاية من لدغة حية، وكان راقدا في عربة. وطلبوا من القديس أن يصعد إلى العربة ويدهنه بالزيت لأنه كان فاقد الحركة. وبينما كان صاعدا فوق عجلة العربة مقتربا نحو المريض، إذ بالأخير يقفز قائما وهو يقول: "لا تتعب نفسك يا أبي فقد شفيت في اللحظة التي اقتربت فيها من العربة"(١٥٦).

حدث في **نفس اليوم،** بينما كان راجعا إلى الدير أنه وجد رجلاً مريضا بالاستسقاء جالسا على قارعة الطريق، لأنه لم يعد بعد قادرا على المشي والعودة إلى بيته. فما إن باركه باخوميوس حتى طردت أحشاؤه شوائب المرض التي كانت فيه. فجاء الرجل إلى القديس وسجد عند قدميه شاكرا له ما عمله له. فقال له: "بارك الرب الذي شفاك واحرص ألاّ تخطئ إليه كل أيام حياتك". وكانت هذه هي نصيحته لجميع الذين كان يهبهم الشفاء على يديه: "ليكن لك رجاءٌ في الله الذي شفاك. ومن الآن فصاعدا لا

(154) SBO, 109. (155) SBO, 110. (156) S 2: 10.

تخطئ إليه لكي مثلما شفاك من أمراضك يعطيك أيضا شجاعةً حتى يوم مماتك".

وكان في كل مرة يخاطب الله بخصوص الأشفية، يعبر عن مشاعره هكـذا: "أيهـا الرب الإله المبارك، يا من خلقت ما يرى وما لا يرى في المسكونة، إن كانت هذه هـي مشيئتك فامنح الشفاء لهذا المريض لكيما يتمجد أولاً اسمك المبارك، ولكي يربح هـذا المريض مما سيصير له، ولا يعود يخطئ إليك بعد ... لتكن مشيئتك". فإذا شفي المريض بينما كان يستخدم له دواءً، فما كان يغتر بنفسه عالمًا أن القوة لم تكن منه، ولكن مـن الله الساكن فيه. أما إذا استخدم دواءً لأحد ولم يشف، فما كان يحزن أو يشعر بأنه قد خذل، بل كان يبارك الرب قائلاً: "لا شك أن منفعة ..."[(١٥٧)].

رؤى القديس باخوميوس:

بعد أن رأى أبا تادرس رؤية تخص الثالوث الأقدس (انظر أقوال أبا تادرس)، سمـع أنبا باخوميوس عنها منه وقال له: "إن ما استعلن لك وما سمعته إنمـا يتناسـب مـع مقدرتك على الرؤيا والسماع. وأنا أيضا عندما اخترت الحياة الرهبانية حرضني في وقت ما أولئك المنتسبون لميليتس أسقف ليكوبوليس (أسيوط)، وكذلك التابعون لماركيون، أن أشاركهم في رأيهم. ولعلمي بأن هناك أيضا هرطقات أخرى، وكلٌّ منها تدعي أن الحق معها، لذلك اضطربت. فصلّيت بدموع غزيرة لكي يكشف لي الله عمن هو الذي يمتلك الحق، لأنني كنت مرتبكًا للغاية".

"وبينما كنت ملازما الصلاة وقعت في دهش ورأيت كل ما تحت السماء وقد صار كالليل، وسمعت أصواتا تنبعث من نواحي مختلفة قائلةً: "هنا الحق". ورأيت لكل صوت كثيرين يتبعونه في الظلام ويقودون بعضهم بعضا. ورأيت ناحية الشرق فقط مصـباحا مرفوعا عاليا وهو يشع نورا كنجم الصباح. ومن هناك سمعت صـوتا يقـول لي: "لا تنخدع بأولئك الذين يجذبونك إلى الظلام، ولكن اتبع هذا النور لأن الحقيقة موجـودة فيه". وللوقت جاءني صوت يقول لي: "هذا المصباح المضيء كنجم الصباح سوف ينير لك يوما ما بلمعان أكثر من الشمس، إنه الكرازة بإنجيل المسيح الـذي يكـرز بـه في الكنيسة المقدسة التي تعمدت فيها. والذي ينـادي فيهـا هـو المسـيح في شـخص ألكسندروس أسقف كنيسة الإسكندريين (أي بابا الإسكندرية الـ١٩). أما الأصوات الأخرى التي في الظلام فهي أصوات الهرطقات حيث يتكلم الشيطان ويقود الكثيرين إلى

(١٥٧) واضح من مضمون الكلام أن الجزء المفقود ينطوي على أنه إذا شفي المريض من الدواء، فذلك بسبب استجابة الله للصلاة، وإن لم يشف فهو لا يحزن لأن ذلك يعني أن المريض لن ينتفع روحيا من شفائه. S 2: 11 – 13

الضلال بواسطة قادة كل واحدة منها""!

"ثم رأيت كثيرين يسرعون نحو المصباح بملابس مضيئة، فباركت الله. وهكذا نبذت الذين أرادوا أن يخدعوني وذهبت لأعيش مع رجل الله بلامون الذي كان متمثلاً بالقديسين، إلى أن جاءني ملاك الرب ليقول لي: "هب الدفء للآتين إليك بالنار التي أشعلها الله فيك". وبعد ذلك أنشأت هذه الأديرة بإرشاد الله ومعونته. ولكن اعلم أن أثناسيوس أسقف كنيسة الإسكندريين هو أيضا ممتلئ من الروح القدس"(١٥٨).

(بخصوص مستقبل الشركة) حدث مرةً بينما كان الإخوة يقطعون البردي وينقلونه بالمركب - وكان الأب يتناول منهم الأحمال من داخل المركب، وكانوا جميعا يهذّون في الأقوال المقدسة - أن الأب باخوميوس أُخذ في دهش ورأى منظرا مرهوبا جدا، ورآه الإخوة ينطرح على الأرض ساجدا وباكيا لوقت طويل، فبكى الإخوة أيضا معه. فقد رأى في رؤية بعض الإخوة تحدق بهم النار من كل ناحية وألسنة اللهيب تحوطهم وهم غير قادرين أن يقفزوا فوقها. وشاهد آخرين قائمين حفاةً فوق عيدان خشب مملوءة أشواكًا وقد انغرست في أقدامهم ولم يمكنهم أن يخرجوا إلى موضع آخر. وآخرين رآهم واقفين وسط جرف شديد الانحدار وهم غير قادرين على الصعود منه أو النزول إلى البحر حيث كانت التماسيح تراقبهم وتقفز إلى فوق نحوهم.

ولما رجع إلى نفسه بعد وقت طويل بسط يديه وظل يصيح بصوت عظيم وهو يسأل الله أن يكون لهم عونا من عنده، وأقام هكذا حتى المساء. ثم أمر الإخوة أن يتناولوا الطعام لأن الوقت كان متأخرا. وبعد ذلك دعاهم أن يجتمعوا حوله، ولما أخبرهم برؤياه بكوا جميعا بخوف. ولما سألوه عن معنى الرؤية قال: "على ما أظن أن ذلك سيحدث للإخوة بعد وفاتي، إذ إنهم لن يجدوا من يقدر أن يمنحهم باسم الرب العزاء الضروري في أوقات التجارب".

ولم يأكل الأب باخوميوس مع الإخوة. ولم يعلم تادرس بما حدث لأنه كان قد أرسله في شغل مع أحد الإخوة. ولما جاء أعلموه بما حدث وأن الأب لم يأكل لكونه حزينا بسبب ما أُعلن له في الرؤية. فلما سمع أنه لم يأكل هيأ للوقت خبزا مما يأكله الإخوة وأرسل إليه أخا قائلاً إن تادرس يدعوك. فلما سمع جاء إليه في الحال وابتدأ يكلمه بوجع قلب حتى إنه من عتابه توجع قلبه وخرج من عنده وهو يبكي، لأنه قال له: "امض أنت وابك قدام الله كما بكيت أنا". وسمعه أحد الإخوة وهو يكلّمه فقال لأبينا باخوميوس: "تادرس لم يأكل هو أيضا اليوم شيئًا". فقال: "وما شأنكم أنتم؟

(١٥٨) من رسالة الأسقف آمون إلى البابا ثيئوفيلس الـ٢٣ عن الرهبنة الباخومية بناءً على طلبه، رقم ١١و١٢.

دعوه لا يأكل ويبكي أيضا". وجلس وهو يأكل بوجع قلب كثير[159].

لما كان الإخوة مجتمعين للصلاة انضم أنبا باخوميوس إليهم وختم الصلاة معهم. ولما ذهبوا إلى المائدة بقي هو وحده حيث اعتادوا أن يقيموا الصلوات الجماعية (Synaxis). وأغلق الباب وانتصب مصلّيا لكي يكشف الله له عما سيكون عليه حال الإخوة بعده. وأطال الصلاة من الساعة العاشرة (الرابعة بعد الظهر) حتى صلاة نصف الليل. وحينئذ ظهرت له فجأةً رؤيا من السماء وعرفته أن الإخوة سيعيشون في نفس الطريق بالتقوى في المسيح، وأن الأديرة ستزداد. ولكنه رأى أيضا عددا لا يحصى من الإخوة سائرين في واد قفر سحيق، وكثيرون منهم كانوا يريدون أن يصعدوا من هذا الوادي بلا طائل. وكثيرون كانوا يصطدمون بعضهم ببعض بسبب الظلام الدامس الذي كان يكتنفهم، ولكنهم لم يميزوا بعضهم بعضا. وكثيرون سقطوا من الإعياء، وآخرون كانوا يطلقون صرخات تدعو للرثاء. وقليلون منهم استطاعوا بالكاد بعد طول عناء أن يجدوا طريقهم خارج ذلك الوادي، وما إن صعدوا حتى واجهوا النور فقدموا لله تمجيدا من أعماق قلوبهم.

وهكذا عرف الطوباوي ما سيؤول إليه حال الإخوة في آخر الزمان، وأي تهاون سيكون في تلك الأيام، والإثم وفشل الرعاة الذي سيؤدي بهم إلى الشدة العظيمة. فالذين هم أكثر تهاونا هم الذين سيتسلطون على الصالحين ويغلبونهم بكثرة عددهم. هذه الأمور - التي نعاني من بداياتها نحن الذين نسجل هذا الكلام - هي إحدى الأمثلة، لأن الأشرار سيحكمون الإخوة والذين بلا معرفة سيتحكمون في الأديرة ويكافحون من أجل الألقاب. وسوف يضطهد الأشرار الأخيار، ولن يجد الصالحون طمأنينة في سكنى الأديرة، بل إن ما هو إلهي سيتحول إلى بشري!

ولما عرف الطوباوي ذلك صرخ إلى الله بدموع قائلاً: "أيها الرب الضابط الكل، إن ذلك عتيد أن يكون فلماذا سمحت بوجود هذه الأديرة الجماعية؟ وإن كان الذين سيرأسون الإخوة في تلك الأيام أشرارا، فماذا يكون حال الذين يرعونهم؟ لأن «أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة» (مت١٥: ١٤). هل ضاع تعبي باطلاً؟ اذكر يا رب أتعابي وأتعاب كل الإخوة الذين يمارسون النسك اليوم بكل قلوبهم. اذكر عهدك لي بأن زرعك الروحاني سيبقى إلى انقضاء الدهر (انظر القول الخاص بتأسيس دير بافو). أنت تعلم أيها السيد أنني منذ أن لبست الزي الرهباني لم أمتلئ من شيء مما على الأرض ولا حتى من الماء"!

(159) G 1, 71; SBO, 66.

ولما قال ذلك جاءه صوت قائلاً له: "أتتفاخر يا باخوميوس؟ ألا تعلم أنك بشر؟ التمس لنفسك الرحمة، لأن جميع الأشياء قائمة برحمتي"! فلما سمع الطوباوي هذا الكلام خر في الحال على الأرض ساجدا وطلب من الله الرحمة قائلاً: "أيها الرب الضابط الكل، أرسل رحمتك علي ولا تنزعها مني أبدا، لأنني موقن تماما أنه بدون رحمتك لن يثبت شيء من الكائنات". ولما قال ذلك إذ بملاكين ظهرا أمامه ومعهما شاب له وجه يفوق الوصف، وهيئته لا يمكن أن يعبر عنها، وعلى رأسه إكليل من شوك. وقال له الملاكان: "بما أنك طلبت رحمة الله، فهوذا رحمته: رب المجد يسوع المسيح ابنه الوحيد الجنس الذي أرسله إلى العالم، ولكنكم صلبتموه ووضعتم إكليلاً من شوك على رأسه"!

فقال أنبا باخوميوس للشاب: "إنني أتوسل إلى طبيعتك القدوسة أيها السيد، فإنني ما صلبتك". فأجابه الشاب بابتسامة: "أنا أعلم أنك ما صلبتني بل آباؤك، فتشجع لأن أصول زرعك لن تفنى إلى الأبد، وسوف يحفَظ زرعك على الأرض إلى انقضاء الدهر. والقليلون الذين سينجون من الظلمة المدلهمة في تلك الأيام سوف يوجدون أعلى من الذين يمارسون حينئذ نسكًا عظيما، ذلك لأنهم اتخذوك أنت لهم مصباحا أمام عيونهم، وهم يمارسون النسك معتمدين على نورك. أما الآتون بعدهم الذين سيعيشون في موضع قفر ليس فيه إلاّ الظلمة في برية قاحلة، فإذا تبعوا البر بعقل راجح من تلقاء أنفسهم دون أن يرشدهم أحد إلى الحق، فالحق أقول لك إنهم سيكونون مع الذين يمارسون الآن نسكًا شديدا بلا لوم، متمتعين بنفس القدر من الخلاص". وبعد أن قال ذلك ارتفع إلى السماء[١٦٠].

كان أنبا باخوميوس مرةً يضفر حصيرا، فظهر له الشيطان متجليا ومدعيا أنه هو المسيح. ومعروف أنه بغير سماح من الله ليست للشياطين قدرة أن تظهر لأي إنسان ولا أن تعرض عليه أي فكر شرير. ولما كانت للقديس موهبة إفراز الأرواح للتمييز بين الشريرة والمقدسة كما هو مكتوب: «فإنه لواحد يعطَى بالروح كلام حكمة ... ولآخر تمييز الأرواح» (١كو١٢: ٨-١٠)، ففي الحال فكر في نفسه قائلاً: "عندما تكون الرؤية لأرواح مقدسة، فهي تجعل أفكار الذي يعاينها تبطل تماما، فلا تعود تنشغل بشيء سوى قدسية المنظر. والآن هوذا أنا أعاين المنظر بينما أفكر وأتروى، فمن الواضح أنه يخدعني، فهو ليس من الأرواح المقدسة". فلما وجده الشيطان متفكرا هكذا بدأ يبدد عنه أفكاره. فنهض القديس بإيمان المسيح وبسط يده كمن يريد أن يمسك بالشيطان ونفخ في وجهه فاختفى. ولكي يتيقن من أن الذي يظهر له روح نجس، فإن جسده يمتلئ

(160) Paral., 17, 18.

بالرعب، في حين أنه إن كان ملاكًا نورانيا، فإن أعضاء جسده تؤلمه ألمًا خفيفًا وتتلاشى كل الأفكار من قلبه، فكان بنعمة الله يميز الأرواح بعضها من بعـض. وكـان ينتـهر الأرواح الشريرة، أما الملائكة فيتقبل كلامهم. وكان يفحص كلامهم إن كان مطابقًـا للكتب المقدسة، وبذلك كان يقبل الإلهام الذي أعطاه له الملاك[١٦١].

كانت للأب تادرس عادة أن يذهب إلى "بافو" كل مساء بعد فراغه من عملـه في "طابنيسي" لكي يستمع إلى قراءات الأب باخوميوس من الكتب المقدسة، ثم يعود ويخبر ا الإخوة قبل نومهم. وقد اعتاد أن يفعل ذلك لزمن طويل. وحدث ذات مرة أنه ذهب ولم يجده، فصعد إلى سطح موضع الاجتماع لكي يهذّ في الفصول الإلهية الـتي كـان يحفظها عن ظهر قلب. وبينما كان يهذّ فيها تزلزل المكان. وبينما كان متعجبا من ذلك نزل إلى موضع الاجتماع لكي يصلّي، فلما دخل لم يستطِع أن يمكث بسبب الخـوف الذي ملأ المكان، وارتجف جسمه. وبسبب الرعب الذي اعتراه طفر خارج الباب وهو لا يدري بما حدث.

وفي اليوم التالي بعد الاجتماع وجد الأب باخوميوس مع الشيوخ على انفراد يروي لهم ما حدث قائلاً: "كادت نفسي تفارقني هذه الليلة، إذ بينما كنـت أصـلّي في موضـع الاجتماع شاهدت بعض المناظر المرعبة، ومن شدة الفزع صرت كأنني لم أعد موجودا بعد. وطلبت من الرب أن يثبت في هذا الخوف وفي الإخوة إلى النهاية، متذكرا الآباء الذين كانوا مع موسى النبي أسفل جبل سيناء حيث كانت النار والأمور الأخرى المخيفة. وبينما كنت في هذه الشدة دخل رجلٌ جريء، ولكنه برحمة الله خرج مسرعا".

فقال الأب تادرس: "أنا هو الرجل، فإنني لما لم أجدك في المساء صعدت إلى السطح لأهذّ، ولكن لما بدأت الزلزلة نزلت لكي أصلّي. ولما لم أقدر أن أفعل ذلـك هربـت خارجا". فتعجب الذين سمعوه، وبالأكثر لأنه لم يكن معتادا أن يكشف لهم عن الأمور المخفية التي كان يراها بإرادة الله، إلاّ ما كان نافعا لبنيان الإيمان. فالقديسون بالتأكيـد يكونون بأفكارهم دائما كأ م في السماء[١٦٢].

جرب الشيطان أحد الإخوة في مجمع دير طابنيسي، فأركبه أبا تادرس على جحش وجاء به إلى الأب باخوميوس في بافو لكي يصلّي عليه. فرآه القديس من بعيد بينما كان يلقي كلمة الله على الإخوة لأجل خلاصهم. وللحال ترك الإخوة وخرج لملاقـاة أبـا

(161) G 1, 87; SBO, 113; S 2: 3,4.

(162) G 1, 88; SBO, 73.

تادرس. فغضب بعضهم قائلين: "نحن شيوخ وقد تركنا لكي يقابل أبا تادرس الشاب حالما رآه"! وهؤلاء هم الذين تذمروا سابقًا عندما عين الأب أبا تادرس ليوجه الإخوة لأجل خلاصهم.

احتضن الأب أبا تادرس وقال له: "قبل أن تصل اليوم إلى هنا بلغتني كلمة عنك بأمر من الرب. فاذهب بهذا الأخ المريض الذي جئت به إلى شخص آخر ورافقني سريعا إلى صالة الاجتماع". ثم صلّى الأب باخوميوس لأجل الإخوة وصرفهم، وعاد كل منهم إلى قلايته.

ولما رجع أبا تادرس اصطحبه الأب باخوميوس إلى صالة الاجتماع، وظلاّ واقفين وهما يصلّيان من الساعة الثانية حتى التاسعة من النهار (أي من الثامنة صباحا حتى الثالثة بعد الظهر). وبينما كانا يصليان نظرا فوقهما على ارتفاع برج (أو منارة) عرشا عظيما كان الرب جالسا عليه بهيئة اختارها لكي ينظراه. وبعد حين ارتفع العرش لدرجة أنهم لم يعودا ينظرانه، وبعد حين آخر هبط منخفضا حتى استطاعا أن يلمساه بيديهما، واستمرت عملية الصعود والهبوط لمدة نحو ثلاث ساعات.

ولما هبط العرش وضع الأب باخوميوس يده على أبا تادرس وكأنه كان يحمله على يديه ويحضره لذاك الذي كان جالسا على العرش قائلاً: "يا رب، اقبل هذه العطية مني". وظل يفعل ذلك عدة مرات وهو يكرر هذه الكلمات حتى سمع صوتا يقول: "لقد استجيبت طلبتك، فتشجع وتقو". وبعد ذلك صرف أبا تادرس الذي جاء بالأخ المريض، وصلّيا معا عليه، فشفاه الرب من مرضه ورجع مع أبا تادرس جنوبا إلى طابنيسي وكأنه لم يمرض قط[163].

في **أحد الأيام**، في الساعة السابعة من النهار (أي الواحدة بعد الظهر)، عندما كانت الحرارة شديدة في الخارج، دعا أبونا باخوميوس أبا تادرس وقال له: "دعنا نذهب ونأكل قليلاً من الخبز لأننا سنذهب سريعا إلى دير "تموشنز" لأجل أخ موعوظ على وشك الموت". فقال أبا تادرس: "كما تشاء". ثم ذهبا للحال إلى المائدة، وفي ذلك الوقت لم يكن هناك أحد ماعدا هما الاثنين وحدهما. ولما وضعا الخبز في الماء قال لأبا تادرس: "دعنا نصلّي أثناء انتظارنا حتى يلين الخبز". ولما بدأا يصليان وقع عليهما خوف عظيم، ونظرا رجلاً واقفًا أمامهما وهو يشع نورا ويمد يده إليهما قائلاً: "أعطياني صلواتكما ذات الرائحة الحلوة لكيما أحضرها أمام الرب".

(163) SBO, 76.

وللحال سجدا على الأرض وصاحا للرب قائلين بتوسلات كثيرة ودموع: "أيهـا الرب إلهنا، لتكن رحمتك علينا". ثم ظلاّ يصلّيان حتى المساء. وقدم أبونـا بـاخوميوس توسلات كثيرة بخصوص الأخ الموعوظ لكيما يتركه الرب في الجسد حتى يمكنـهما أن ينظراه قبل موته. وفي المساء جلسا وأكلا ثم أسرعا وسارا في الطريق، وقضيا نصف الليل في الطريق قبل أن يصلا إلى دير "موسنـز".

وحالما وصلا إلى هناك دخلا عند الأخ المـريض، وقـال الأب المسـئول لأبينـا باخوميوس: "لقد ظل مريضا لمدة يومين، وكنا خائفين أن نأخذه إلى الجنـوب لكـي يتعمد لئلاّ يموت بين أيدينا في الطريق". وكان من عادتهم أن يحضروا جميع موعـوظي الأديرة إلى دير بافو أثناء صوم الأربعين المقدسة لكي يعمـدوهم. فقـال لـه أبونـا باخوميوس: "طالما أنكم رأيتم أن حالته تزداد سوءًا، فلماذا لم تعمدوه هنا"؟ فأجـاب المسئول: "لا يوجد هنا كاهن لكي يعمده". وبينما كانوا يتحدثون، وقبل أن يسـلم الأخ روحه انفتحت عينا كل من الأب باخوميوس وأبا تادرس وشاهدا الملائكة الـذين جاءوا لكي يأخذوه وهم يعمدونه سرا قبل أن يفارق الجسد(١٦٤)!

مرةً سمع **أبا تادرس** في الهواء أصوات مرتلين بأنغام عذبة جدا وشـجية، فسـأل الأب باخوميوس: "هل تسمع يا أبي"؟ فأجابه: "نعم". فسأله أبا تادرس: "وما هو هـذا"؟ فأجابه: "نفس فاضلة في طريقها إلى السماء مرت من فوقنا، وقد أُنعم علينا للحظـات أن نسمع صوت الذين يرتلون ممجدين الله في حضرته". وفيما هما يتحدثان تطلّعا فرأيا تلـك النفس وعرفا من هي، لأنه في أحيان كثيرة كان يفتح الله عينيهما ويبصران ملاك الله داخل الهيكل عند المذبح يعطي الأسرار للمستحقين من الناس على يد الكاهن الذي يناولهم، وإذا جاء إنسان غير مستحق أو نجس كان الملاك يسحب يده فيعطيه الكاهن وحده.

ومرةً أخرى كانا جالسين حول أخ ينازع سكرات الموت، فكشف لهما الرب كيفية خروج النفس من الجسد، ولم يشاءا أن يطلعا أحدا على مثل تلك الأمور طوال حياتهما لكونها أسرارا. إلاّ أن الإخوة الكبار الذين كانوا معهما لاحظوهما يتطلّعان في سـكون ودهش نحو بعض النفوس القديسة التي كانت حاضرة ساعة تسليم ذلك المريض روحه. وأحيانا كانا يذكران أيضا جانبا مما أبصراه بحسب إرادة الرب من أجل المنفعة. وكـان الأب باخوميوس يعلم أنه لا ينبغي أبدا قبول الفكر الذي يشتهي أن يرى شـيئًا مـن الأمور غير المرئية، لأنها مملوءةٌ دهشا وتخيف كل من يفحصها ويسمعها(١٦٥).

---

(164) SBO, 81.

(165) G 1, 93; SBO, 82, 83.

رؤية عن مصير النفوس بعد الموت:

هذه هي الطريقة التي يفتقد بها ملائكة النور الإخوة الصالحين كما كشفها الرب مرات عديدة لأبينا باخوميوس: إذا كان الرجل الذي في نزاع الموت إنسانا صالحًا، فإنه يأتي لأخذه ثلاثة ملائكة تتناسب رتبتهم مع مستوى سلوك المشرف على الموت. فإذا كان ذا مرتبة عالية بأعماله، يبعث له بملائكة رفيعي الشأن ليقودوه إلى الله. أما إذا كان صغيرا في فضائله فيبعث له بملائكة أقل مرتبة. ويتدبر الله هكذا: يقوم الملائكة المقبلون لافتقاد الإنسان برفع نفسه من جسده بصبر لائق، لئلاّ إذا أُرسلت رتب عالية لأخذ من هو أقل مرتبة في أعماله، يعاملونه كما هو متبع عند السلطات الأرضية التي تسلك بالمحاباة متأثرةً بالغنى والمجد الفارغ، وتعامل المحتقرين والفقراء بحسب حالة بؤسهم وفقرهم. ولكن القوات السمائية تتصرف في كل شيء بحسب عدالة القضاء وطبقًا لأمر الرب ووفقًا لاستحقاق الأعمال.

والملائكة الثلاثة المرسلون لإحضار النفس يكونون متدرجين في رتبهم، فيطيع ذو المرتبة الأقل دائما من هو أعلى منه مقاما. وعند اللحظة التي يكون فيها الإنسان مشرقًا على لفظ أنفاسه الأخيرة، يقف أحد الملائكة عند رأسه والآخر عند قدميه، بنفس وضع البشر (أي الكهنة) الذين يرشمونه بالزيت بأيديهم إلى أن تفارق النفس الجسد. أما الملاك الثالث فإنه يفرش ملاءة روحية كبيرة لكي يستقبل عليها النفس باحترام ووقار. وتبدو نفس الإنسان القديس جميلةً لمن يراها وبيضاء كالثلج. وبعد خروج النفس من الجسد واستقبالها على الملاءة، يمسك أحد الملائكة بطرفي الملاءة العلويين والآخر بطرفيها السفليين، بنفس النمط الذي يرفع به الناس جسد إنسان من على الأرض. ويرتل الملاك الثالث أمام النفس بلغة لا يعرفها أحد، ولا حتى الذين أُعطيت لهم هذه الرؤيا، أعني الأب باخوميوس وأبا تادرس، فهما لم يفهما ترتيله، ولكنهم سمعوا فقط صوت الملاك يدوي بكلمة "هلليلويا".

ويواصل الملائكة انطلاقهم في الجو نحو الشرق بالنفس، وهم لا يسيرون على أقدامهم مثل البشر، بل يتقدمون بحركة انزلاقية مثل الماء المتدفق، لأنهم أرواح. وهم ينطلقون مرتفعين بالنفس حتى يمكنها أن ترى أطراف المسكونة من أقصاها إلى أقصاها، وحتى ترى الخليقة كلها وتمجد الله الذي خلقها. وبعد ذلك يعرفونه بموضع راحته حسب أمر الرب، حتى إذا ما دخل الموضع الذي استحقه بأعماله الصالحة يمكنه أن يدرك مقدار العذابات التي نجا منها، فيبارك الرب بالأكثر الذي أنقذه منها بصلاح ربنا يسوع المسيح. وعندئذ يأتون به عند قدمي رجل الله الذي علّمه مخافة الرب وغذّاه بشريعته،

فيحمله هو بالتالي مثل هدية عند أقدام الرب. وحينئذ يسبح الرب علانيةً بقوله: ''أسبحك يا ربي مع جميع قديسيك'' (مز١٥٠: ١).

وبعد ذلك يقودونه إلى موضع راحته الذي عينه له الرب حسب قياس أعماله التي أكملها، وفي اللحظة التي تكون فيها النفس على وشك أن تقدم للرب، فإنه يخول لها أن تقترب أو أن تبقى على بعد، حسب استحقاق أعمالها الصالحة التي حققتها على الأرض. لأن أي من استحق الحياة الأبدية لا شك أنه يرنم أيضا ويسبح الرب قبل أن يدخل موضع الراحة الذي أعده له الرب. وهناك البعض ممن يرون الله ويسبحونه بفضل نقاوة قلوبهم قائلين: ''طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله'' (مت٥: ٨)، لأن كل من كان مهملاً في أعماله لا يستحق أن يرى الله في مجد ألوهيته، لأن نقاوة قلبه ليست كاملة. ومع ذلك، فإن كان لا يستحق مجرد الحياة فإنه يرى جسد ابن الله، أي بشريته، التي هي واحد مع لاهوته الكائن فيها بغير انفصال.

وحسب استحقاق كل ميت منتقل، يأتي القديسون نحو الذين عملوا مسرة الله الصالحة ليقابلوهم بتوقير وتكريم حسب أمر الرب. فيأتون إلى البعض منهم حتى باب الحياة ويعانقونهم، بينما يأتون للآخرين إلى مسافة تتناسب مع استحقاقهم. وآخرون يدعونهم يقتربون منهم قبل أن يقوموا ويعانقوهم. وآخرون أيضا ليس لهم حتى الجدارة الكافية لأن يعانقهم القديسون، فإنهم يرثون الحياة وحسب بقدر قياس قامتهم. ويلبس الصديقون، وهم آتون لاستقبالهم، أكاليل أكثر لمعانا من التي حصل عليها الشخص في معارك الأرض التي حارب فيها ضد الشرير، باستثناء إكليل البر الذي سيناله في يوم القيامة من الله الديان العادل كما يقول الرسول بولس (٢تي٤: ٨). وعندما تدنو نفس الصديق من باب الحياة، فإن الرب يضع في فمه كلمات داود النبي لكي يرددها قائلاً: «افتحوا لي أبواب البر لكي أدخل فيها وأمجد الرب» (مز١١٨: ١٩). فيجيب الملاك الذي يحرس باب الحياة قائلاً: «هذا هو باب الرب، والأبرار يدخلون فيه» (مز١١٨: ٢٠). فإذا كانت هذه النفوس لأناس كانوا تلاميذ لرجال كاملين، فإن الملائكة المصاحبين لهم يهتفون لدى وصولهم عند الباب كما جاء في إشعياء النبي: «افتحوا الأبواب ليدخل الشعب الذي حفظ البر والأمانة والسلام، لأنهم عليك توكلوا أيها الرب» (إش٢٦: ٢و٣ حسب النص).

رأى أبونا باخوميوس هذه الرؤيا العظيمة في دير منخوسين قبل موت أخ موعوظ عمد سرا (بواسطة الملائكة). وبعد أن رأى كيف يترك البار الجسد، طلب أيضا أن

يعرف كيف تخرج نفس الخاطئ من الجسد، فقال له الملاك: "سيعطيك الرب كل رغبتك: إذا كانت نفسا قد سلكت حياة شريرة، فإن ملاكين عديمي الرحمة يأتيان لإحضارها في وقت افتقادها. وعند لحظة الموت، عندما يفقد الإنسان الوعي بكل أحد، يقف أحد الملائكة القساة عند رأسه والآخر عند قدميه، ثم يبدأون في جلده إلى أن تصبح نفسه التعسة على وشك الانطلاق. ثم يدفعون في فمه صنارة مثل صنارة السمك، وينتزعون تلك النفس التعسة من جسدها انتزاعا. وهي تكون مظلمة قاتمة. ثم يربطونها في ذيل حصان روحي، لأن النفس أيضا روحية، وهكذا يأخذونها خارجا ويطرحونها في العذاب أو في أسفل الجحيم حسب استحقاق أعمالها".

"وفي الحقيقة، يوجد أيضا رجال صالحون كثيرون جازوا في هذه المعاناة خلال مرضهم الأخير وفي اللحظة التي كانوا يلفظون فيها النفس الأخير. والسبب في ذلك هو أنهم يشبهون اللحم الذي يحتاج إلى أن يطبخ لفترة أطول قليلاً قبل أن يؤكل. فهو نفس الوضع مع المؤمنين الذين يجربون بشدة في آخر أيامهم قبل موتهم لكي يصيروا أنقياء من كل شائبة أمام الرب. ونحن نعرف بالمثل أن بعض الرجال القديسين قد وضع عليهم أن يتألموا في وقت موتهم مثل القديس اسطفانوس وجميع الشهداء وأيوب الصديق وداود النبي وكثيرين آخرين من الرجال القديسين، تحملوا آلاما شديدة ومحنا في مجرى حياتهم، وبعضهم عندما كان على فراش الموت. وفي الحقيقة إن الكثير من الخطاة ماتوا في هدوء دون أن يجتازوا آلاما في هذا العالم بسبب المحن والعذابات التي تنتظرهم، كما هو مكتوب: «الشرير أيضا (حفظ) ليوم الشر» (أم١٦: ٤). هذا هو سبب قول الجامعة عندما رأى هذا النوع من الناس: «حادثة واحدة للصديق وللشرير للطاهر وللنجس للصالح وللطالح» (جا٢: ٩ حسب النص). وقد رأينا مخلصنا رب الكل معلقًا على الصليب بين لصين، واحد عن يمينه والآخر عن يساره والرب في الوسط".

هذه الأمور كلها لُقنت لأبينا باخوميوس وهو في دير "منخوسين"، وكان سعيدا جدا لكون الأخ الموعوظ قد دخل موضع الراحة مع رجال الرب القديسين. ولما حمل ذلك الأخ إلى الجبل لكي يدفَن بجانب الإخوة، ذهب أبونا باخوميوس مسرعا نحو الجنوب إلى بافو مع أبا تادرس، شاكرا الرب على ما رآه(١٦٦).

بينما كان الأب باخوميوس يصلّي يوما ما بمفرده حلّ عليه دهش، وكان جميع

(166) G 1, 93b; SBO, 82.

الإخوة في ا مع، وكان الرب جالسا على عرش مرتفع ويتكلم معهم عن أمثال الإنجيل المقدس. وفي الرؤية التي عاينها في ذلك اليوم أمكنه أن يسمع الكلمات التي قالها الـرب وتفسيرها بينما كان الرب ينطقها بفمه. ومنذ ذلك اليوم، عندما كان الأب باخوميوس يريد أن يخاطب الإخوة بكلمة الله كان يخلي المكان الذي رأى فيه الرب جالسا وهـو يخاطب الإخوة. وإذا كرر الكلام مع تفسيره الذي سمعه من فم الرب، كانت تخرج أنوار عظيمة تلمع متوهجة، وكان جميع الإخوة يشعرون بالخوف والفزع بسبب كلام أبينـا باخوميوس التي كانت تشبه أضواءً متوهجة خارجةً من فمه(١٦٧).

رؤية لعقوبات الخطاة بعد الموت:

في **أحد الأيام** حمل الأب باخوميوس بأمر من الرب لكـي يتأمـل في العقوبـات والعذابات التي يخضع لها أبناء البشر. وهل حمل وهو في الجسد أم خارج الجسـد؟ الله يعلم. وهناك رأى أ ارا وقنوات وخنادق مليئة بالنار كانت نفوس الخطاة تتعذّب فيها. وبينما كان سائرا مع الملاك يتأمل في العذابات رأى الذين كان يسير فوقهم وهم يتألمون أكثر من الذين رآهم في البداية. لقد سلموا لمعذبين منظرهم مخيف جدا ويحملون سياطًا نارية في أيديهم. وإذا رفع بعض من المعذبين رؤوسهم فوق النار كانوا يجلدو م بقسوة ويدفعو م إلى أعماق النار. وكانوا يتنهدون بيأس وهم غير قادرين على الصراخ بسبب إرهاقهم وبسبب الطريقة التي يتألمون ا من العذابات العديدة الشديدة التي تحـلّ ـم. والنفوس التي تعذب كانت كثيرة جدا بل إن عددها لا يحصى!

كما أنه رأى آبارا وينابيع ممتلئةً بالنار تشتعل وتحرق بعنف أكثر. وتطلّع فـرأى في كل ينبوع نفسا واحدةً فقط. وتلك النفس التي لها منظر الجسد الذي كانت ترتديـه في العالم كانت كلتا قدميها موضوعتين على أحد جانبي الينبوع. وكانـت النـار تلتـهم الأعضاء التي لطّخت نفسها في العالم عضوا بعد الآخر. ولما تطلّع بانتبـاه في إحـدى الينابيع تعرف على الشخص الذي كان يتعذّب فيها، فقد كان هو أحد الـذين كـان معروفًا في العالم، والذي يسميه الكتاب المقدس "متخنثًا".

كما أنه رأى رهبانا يخضعون للعقاب في ذلك المكان، وسأل الملاك الذي كان يمشي معه: "ما هو الشر الذي صنعه هؤلاء لكي يأتوا إلى هنا"؟ فأجاب المـلاك: "هـؤلاء الذين تراهم أنقياء حسب الجسد، ولكنهم كانوا متراخين يطوفون في أماكن يعيش فيها إخوة نساك، ويتكلمون بالشر عن إخوة آخرين يعيشون بالقرب ممن يزورو م، حيـث

(167) SBO, 86.

يعلمون أ م ليسوا على علاقة جيدة مع النساك، ويظنون أ م يجدون منهم استحسـانا بسبب افتراءا م، وبذلك يحصلون منهم على طعام وشراب. وعندما يذهبون إلى أماكن أخرى يتكلمون بالشر عن الذين كانوا يتملقو م في مسامع الذين افتروا عليهم، وذلك أيضا لكي يحسن هؤلاء استقبالهم. وبسبب افتراءا م أُلقي م في تلك العذابات القاسية التي لن تتوقف"!

وكان المعذبون ممتلئين فرحا كما يفرح الوكيل برؤية ثروة سيده تزداد، لأن قلـو م خالية من الشفقة فلا يشعرون بالأسى على الأشرار الذين يعذبو م. وإذا توسل هـؤلاء إليهم أن يشفقوا عليهم يمتلئون بالغضب عليهم ويعذبو م أكثر بعذابات أشد! وعنـدما تأتي إليهم نفوس جديدة يفرحون كمن حصل على ربح عظيم، ويشـعرون بالسـعادة لسقوط الأشرار!

وبينما كان الأب باخوميوس يتطلّع إلى العقوبات مع الملاك المرافق له قال له: "تعالَ يا باخوميوس لأُريك تلك العذابات الشديدة الأخرى". فاندهش من طبيعة هؤلاء المعـذبين العديمي الشفقة وهم فرحون بمثل تلك العذابات الشريرة. أما هو فقد كان حزينا جدا مـن منظر الآلام التي كانت النفوس التعيسة تقاسيها في تلك العذابات.

ولما تقدم قليلاً رأى حشدا من النفوس التي لا حصر لها من جميع الأعمـار يسـتحثهم المعذِبون العديمو الشفقة. فسأل مرةً أخرى الملاك المرافق له عن هوية تلك النفوس، فقال له: "هذه هي نفوس الخطاة الذين ماتوا اليوم في أنحاء العالم، وقد أُفـرزوا للعقـاب حسـبما يستحقون". ولما تقدم مرةً أخرى نحو الغرب مع الملاك المرافق له، نظر إلى أسفل فرأى فتحةً في بوابة جهنم. ورأى أن جهنم عميقةً جدا ومظلمةً وتنبعث منها حرارة مثل الأتون، وهذا المكان هو السجن الذي عندما يؤتى بالناس إليه يلقون فيه بعنف ويصرخ كل منهم بصوت عالٍ قائلاً: «الويل لي لعدم معرفتي الله الذي خلقني حتى أخلص»! وبعد ذلك لا يستطيعون الكلام البتة بسبب الحرارة وغشاوة الضباب الكثيف. ولا يعودون يتعرفون بعضهم علـى الآخر فيما بعد بسبب الظلمة والمحن التي تستحوذ عليهم.

ولما تقدم القديس نحو الجنوب الغربي رأى هناك عقوبات بشعة أخرى من نفس النـوع الذي رآه سابقًا ناحية الشمال والتي تعاقَب ا النفوس. كما أنه رأى بيتا كبيرا من الحجـر شاهق الطول والعرض والارتفاع، وكان مليئًا بالنار. وقد أُلقي فيه جميع الشـباب الـذين لطّخوا أجسادهم في هذا العالم بالنجاسة بدون معرفة والديهم، ولذلك فإ م يقاسون تلك

العذابات العنيفة بسبب شرهم ونجاسا م الآثمة أمام الله والناس.

ولما انتهى الملاك من أن يظهر للأب باخوميوس جميع العقوبات والعذابات التي أمر ـا الرب، أشار عليه بطريقة ملحة قائلاً: "اشهد يا باخوميوس للإخوة بكل ما رأيت لكيمـا يصارعوا حتى لا يسقطوا في مثل تلك العقوبات البشعة. لقد أرسلني الله إليك لكي أُظهـر لك كل هذه، فاشهد ا أنت بدورك للإخوة وللعالم كله حتى يتوبوا ويخلصوا". ومن ذلك اليوم فصاعدا، عندما كان أبونا باخوميوس يجمع الإخوة لتوجيههم؛ كان يكلمهم أولاً من الأسفار المقدسة لأ ا هي الشيء الرئيسي وأنفاس الله، ثم يخبرهم عن جميع العقوبات الـتي رآها والعذابات التي رسمت للخطاة والتي وجهه إليها الملاك من قبل الرب، وذلـك لكـي تكون عندهم مخافة الله ويتجنبوا الخطية والسقوط في مثل تلك العقوبات والعذابات[١٦٨]!

ذات يوم أخبر الأب باخوميوس الإخوة بأمر هو نوع من الرؤى قائلاً: "رأيت مرةً موضعا كبيرا به أعمدة كثيرة. وكان في الموضع أناس كـثيرون لا يقـدرون أن يـروا طريقهم، والبعض منهم كانوا يدورون حول الأعمدة ظانين أ م قطعوا مسافة طويلة نحو النور. وكان صوت من ناحية: "انظروا هوذا النور ههنا"! فكانوا يرجعون لعلهم يجدون النور. وإذ يسمعون الصوت ثانيةً يعودون مرةً أخرى من حيث بدأوا. وهكـذا كـان شقاؤهم شديدا. ثم رأيت مصباحا يتقدم ورجالاً كثيرين يتبعون. وكان أربعة رجـال منهم فقط هم الذين ينظرون المصباح، أما الباقون فكانوا يتبعو م ممسكين كل واحـد بكتف قريبه لئلاّ يتوهوا في الظلام. وكان إذا ترك أي واحد منهم الذي قدامه يفلت من يده يضلّ طريقه هو والذين يتبعونه. وإذ لاحظت اثنين منهم قد تخلّـوا عـن الـذي يتقدمهم، صحت فيهم قائلاً: 'تمسكوا م لئلاّ لكوا أنتم والآخرين'. أما الذين تبعـوا المصباح مسترشدين به، فقد صعدوا من نافذة إلى هذا النور".

وقد أخبر القديس بعض الإخوة ذه الأمور على انفراد. وبعد زمان طويل سمعناها منهم أن الذي أظهر له هذه الرؤية أخبره بتفسيرها وهو كالآتي: هذا العالم هو الموضـع المظلـم بسبب الخطية والاهتمامات الباطلة التي تظلمه، والذين هناك هم النفوس التي بلا معرفـة، والأصوات التي تصيح قائلةً: "النور هنا بجوارنا" هم الهراطقة والذين يسببون الانقسامات، وكل واحد منهم يقول إن رأينا هو الصحيح. والأعمدة التي يدورون حولها هي أصـحاب الآراء الخاطئة الذين يثق فيهم البسطاء لأ م يقولون إ م هم الذين ينقذون من المضـللين. والإخوة الذين يوضحون الطريق هم جميع الذين يحبون الرب ويسلكون بالإيمان الصـحيح

(168) SBO, 88.

حيث إ م جميعا واحد في المسيح (غل٣: ٢٨).

كما علم القديس أيضا أن الإخوة الذين يصرفون نظرهم عن تمسكهم بالأساقفة ذوي الإيمان الصحيح بالمسيح، ولكنهم يعيشون في شركة مع الهراطقة ويضلّون كثيرين من الذين يعلّمو م ولا سيما الذين لا يعرفون أي خبث، فإ م يتجاهلون الذين يسلكون حسنا ويسببون عثرةً لكثيرين كما هو مكتوب: «ويلٌ لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة» (مت١٨: ٧). أما المصباح الذي يقود الإخوة فهو الإنجيل والإيمان بالحق الإلهي. حقًا إن الذي يخدع من ذاته ومن أهوائه فهو ليس بنقي كما هو مكتوب: «الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلاّ تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله» (٢كو٤: ٤)، ولذلك أيضا فإن هذا الضوء قليل، لأنه مكتوب عن ملكوت السماء أنه «يشبه حبة خردل ... وهي أصغر جميع البذور» (مت١٣: ٣١و٣٢). أما فيض النور الآتي من الأعالي، فهو كما قال الرسول: «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف٤: ١٣).

ولما رأى أبونا باخوميوس ذلك، استدعى الإخوة الذين رآهم في رؤيته يصرفون نظرهم عن ثبا م، ونصحهم أن يجاهدوا بمخافة الرب لأجل حيا م. ولما انصرفوا من عنده لم يهتموا بالتخلص من او م وازدرائهم، بل بالعكس فقد استمروا في موقفهم السابق حتى صاروا غرباء عن إخو م وعن حياة الرب يسوع الأبدية[١٦٩].

بينما كان أنبا باخوميوس يصلّي في أحد الأيام كُشف له في رؤية بخصوص الذين انحرفوا عن ثبا م وصاروا زوانا كما هو مكتوب: «الزوان هو بنو الشرير» (مت١٣: ٣٨)، أي الذين ينجسون صورة الله. فلم يتوانَ القديس عن فصل مثل هؤلاء عن الحنطة الجيدة، لأنه علم أن قمعهم يمهد السبيل إلى تقدم الذين يسلكون باستقامة. وعندما وجد أن الأخ الذي خدعه ابن الشيطان كان صغير السن، أراد أن يعمل على شفاء تلك النفس. كما أنه عندما وجد أن واحدا كان قد سقط في خطية، وأنه أراد أن يتوب، أراد القديس أن يسرع برحمته لإنقاذه من قبضة الشيطان وهو يذكر وصية الرسول: «أيها الإخوة، إن انسبق إنسان فأُخذ في زلة ما، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظرا إلى نفسك لئلاّ تجرب أنت أيضا» (غل٦: ١).

وأراد القديس أن يجرد الذين علم أ م صاروا أبناءً للشيطان من الزي الرهباني،

(169) G 1, 102; SBO, 103.

ويلبسهم ملابس دنيوية ويفصلهم من وسط الإخوة. وبفضل روح الله الذي سكن فيه، فإنه قبل أن يحقق هؤلاء رغبات قلو م التي كانوا يشتهو ا، كثيرا ما علم هو بـ ذلك، وأراد أن يسألهم بإسهاب حتى يعترفوا بأفواههم بما كانوا يضمرون في قلو م أن يفعلوه، وحينئذ كان يفصلهم من وسط الإخوة[١٧٠].

بعض رحلات للأب باخوميوس إلى السماء:

مرض أنبا باخوميوس مرةً وتألّم كثيرا جدا حتى إن الذين أُرسلوا ليجيئوا به أخـ ذوا روحه ومات وأُخذ إلى الدهر الآخر. ولكنه بينما كان يقترب من باب الحياة صدر أمر من الله بإعادته إلى جسده مرةً أخرى. فحزن لما علم بذلك لأنه لم يرغب أن يعود. حقًا إنه رأى أن نور ذلك ا ال رائع وله جمال لا يوصف بسبب ائه. وبينما كان حزينـ ا جاء واحد كان واقفًا عند الباب يحرسه، فالتفت نحوه وتأمله، فكان وجهه يلمع كصورة عظيمة في ائها، وكانت هيئة جسده كلها نور. فقال له ذاك الإنسان: "اذهب يا بني، عد إلى جسدك لأنه ما زال أمامك أن تحتمل قليلاً من الاستشهاد في العالم". فلما سمع ذلك فرح جدا لأنه كان يشتهي جدا أن يصير شهيدا لأجل الرب. وقد عرفه الملائكـ ة الذين فرحوا معه أن هذا الإنسان الذي تكلم معه هو ق. بولس الرسول.

ولما جاءوا به إلى جسده المسجى تعرفت النفس على جسدها الميت. ولمـ ا اقتربـ ت النفس من الجسد انفتحت لها كل الأعضاء سرا، فاتخذت النفس وضعها مـ ن جديـ د وعاش الجسد. وحينما أُخذت نفس القديس كان الأخ الذي معه نائما.

وقد أُخذ الأب باخوميوس بعد ذلك إلى الفردوس مرات عديدة أخرى، وكيف حدث ذلك؟ الله يعلم كما يقول الرسول: «أفي الجسد لست أعلم، أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم ... وسمع كلمات لا ينطَق ا ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم ا» (٢كو١٢: ٢و٤). وقد رأى الأب باخوميوس مدن القديسين التي لا يمكن وصف بنائها ومعالمها، والأشـ ياء الصالحة التي أعدها الرب للذين يحبونه. وقد ذكّرته تلك المدن بقول الرب في الإنجيل مخاطبا العبيد الذين ربحت وزنا م عشر وزنات وخمس وزنات أُخر: «ادخل إلى فـ رح سـ يدك» (مت٢٥: ٢١)، كما قال للذي ربح عشرة أمناء: «فليكن لك سلطان على عشر مدن»، وقال للذي ربح خمسة أمناء: «وكُن أنت على خمس مدن» (لو١٩: ١٦-١٩).

والمناخ في ذلك الدهر مستقر تماما، وسطحه ليس له حـ دود. وأشـ جار الفاكهـ ة

(170) SBO, 106.

والكروم هناك تعطي طعاما روحيا لا يفسد، حتى إن ثمار أشجار دهرنا هذا تبدو بلا قيمة وجديرة بالازدراء إذا قورنت بها. ولا تخلو أي شجرة أو نبات في الفردوس من الثمار الوفيرة ذات الرائحة النفّاذة. ولا يمكن لإنسان أن يحتمل هذه الرائحة العبقة دون أن يغشى عليه إن لم يعطِه الرب نعمةً! وذلك الدهر هو فوق هذه الأرض وخارج حدود الجلد. وتلك الأرض بعيدة جدا فوق الجبال. والأنوار التي تضيء الأرض في الجلد ليست هي التي تضيء ذلك الدهر، بل الرب هو نورها كما يقول إشعياء النبي: «لا تكون لك بعد الشمس نورا في النهار ولا القمر ينير لك مضيئًا، بل الرب يكون لك نورا أبديا» (إش٦٠: ١٩). فليس في ذلك الدهر نهار وليل، ولكنه يضيء بنور واحد لا ينقطع. وحدوده عظيمة جدا حتى إن هذا العالم لا يساوي شيئًا إذا قورن به.

وخارج الفردوس بمسافة قصيرة توجد أشجار مثمرة وكروم كثيرة تشبه تماما أشجار هذا العالم. فلما رآها الأب باخوميوس فكّر في نفسه قائلاً: "ربما أخذ نوح بعضا منها وزرع الأرض ثانيةً بعد الطوفان". فقد كان يفكر في المكتوب في سفر التكوين أنه بعد أن خرج نوح وبنوه من الفلك: «ابتدأ نوح يكون فلاّحا وغرس كرما» (تك٩: ٢٠). وذلك الدهر أيضا محاطٌ بظلمة كثيفة وعظيمة مليئة بالحشرات الدقيقة جدا حتى إنه لا يمكن لأحد أن يجتاز إلى هناك إن لم يقُده ملاك الله[(١٧١)].

تذكّر أنبا باخوميوس ما كان قد أبصره في الرؤيا التي تقبلها من الرب يوم أن وجه بأن يصير مسيحيا، وكيف أنه رأى في ذلك الاستعلان ندى السماء هابطًا عليه متكثّفًا في يده حتى صار قرصا من العسل ثم تساقط على الأرض (انظر القول G 1, 5). وقيل له في الرؤيا: "انتبه لذلك لأنه سوف يتم فيك بعد وقت". وبعد ذلك أعلمه الروح أن "قرص العسل الذي تكثّف في يدك ثم تساقط على الأرض، إنما يمثل جميع المواهب التي حلّت عليك من الرب، وستحل أيضا على إخوتك الذين تمثلهم الأرض عندما يولَدون ثانيةً ويغتسلون من كل كبرياء وغرور. فحقًا إن كل من ينقّي قلبه تماما من كل فكر شرير ينال الإفراز بين الخير والشر"[(١٧٢)]!

حدث لما غلب البربر الروم في الحرب أن سكان البلاد البحرية هربوا من قدامهم. وكان أبونا باخوميوس يطلب من الرب من أجل رباط الشركة واجتماع الإخوة لئلاّ يحدث لهم تشتيت. فلم يكشف له الرب شيئًا عن هذا الأمر. فلما رأى ذلك فعل بحسب ما لديه من معرفة، إذ أرسل معظم الإخوة إلى مواضع الشركة البحرية التابعة للشركة

(171) SBO, 114.

(172) S 10: 5.

الكبيرة، وأقام هو في ا امع التي هم فيها ومعه الإخوة ذوو القدرة. وكان دائما يطلـب من الرب أن يرشده فيما يفعله. ثم دعا تادرس وأعطاه الكتب التي يقرأ فيها الإخوة لكي يذهب ا إلى موضع إخوة الشركة البحرية حيث ذهب الإخوة.

وسأل أبا تادرس معلمه: "أما علمت من الرب بخصوص هذا الأمر حتى لا نكون في عناء"؟ فقال له: "هل نحن أفضل من داود النبي، الذي شهد الكتاب المقدس أن الـرب كان معه في كل ما كان يفعل، أرسل "حوشاي" قائلاً: «اذهب إلى أبشالوم لكي تبطل مشورة أخيتوفل» (انظر ٢صم١٥: ٣٤). وأية مشورة أرسلها على يد يوناثان وزميلـه ابني الكهنة؟ وأيضا كان يقول: «حمق يا رب مشورة أخيتوفل» (٢صم١٥: ٣١). أترى لم يجد الرب ملاكًا لكي يرسله إليه لكي يعرفه كمال الشيء حتى يرسل حوشاي ليبطل رأيه؟ قلت لك ذلك لكي تعرف كيفية عمل الرب مع عبيده في كل حين، أنه كثيرا ما يكشف لهم في الحال ما يسألون عنه، وكثيرا ما يخفي عنهم ولا يخبرهم".

ثم صلّى الأب باخوميوس، وإذ بملاك الرب ظهر له قائلاً: "ماذا تنـذر أن تعطـي كعمل رحمة إذا هدأ الرب الغضب ورد البربر على أعقا م"؟ فقال: "إني أرسـل إلى كنيسة المدينة التي خر ا البربر مائة أردب قمح وكتبا وأشياء أخرى مما يحتاجون إليه". ولما سمع ذلك من الملاك أخبر الإخوة بما استعلن له قبل أن يحدث، وهكذا في الغد هـزم البربر واندحروا ورجعوا إلى خلف كما قال له الملاك[١٧٣].

قال أنبا باخوم إنه التقى يوما ما في الطريق ميتا كانوا سائرين به، وإنه رأى ملاكين كانا يسيران خلف المحفّة. وإذ كان محتارا في أمرهما صلّى طالبا من الله أن يكشف لـه ذلك. ثم جاء إليه الملاكان فقال لهما: "لماذا أيها الملاكان تتبعان الميت"؟ فقـالا لـه: "واحد منا هو ملاك يوم الأربعاء والآخر هو ملاك يوم الجمعة، فإن هـذا الإنسـان لم يكف حتى اية أيامه عن الصوم يومي الأربعاء والجمعة، ولهذا السـبب نحـن نرافـق جثمانه. لقد كان يراعي الصوم حتى موته، ولذلك فإننا نكرمه لأجل المشقة التي كرس نفسه لها في الرب"[١٧٤].

الأب تادرس الإسكندري:

وصلت شهرة أبينا باخوميوس ومحبته إلى خارج مصر وبين الرومان، وجاء بعض منهم ليصيروا رهبانا معه. وعاملهم معاملةً حسنة «كما تربي المرضعة أولادها» (١تـس٢: ٧).

(173) S 10: 6; باخوم عربي

(174) Apoph., systematique grecque, XVIII 25.

وكان في الإسكندرية شاب يدعى "تادرس"، كان وثنيا واعتنى والداه بتنشئته، ثم حركه روح الله ليصير مسيحيا. ثم عزم في قلبه قائلاً: "إذا قادني الرب لأصير مسيحيا سأصبح راهبا وأحفظ جسدي بلا دنس إلى أن يفتقدني الرب". ثم عمده البابا أثناسيوس وعينه قارئًا ورتب له مسكنا في كنيسة الإسكندرية حيث أخضع نفسه للنسك، وامتنع عن مقابلة النساء. وكان يجاهد ألاّ يدع عينيه تجولان بين الناس تنفيذًا لكلام الإنجيل: «كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه» (مت٥: ٢٨). فقد سلك طريقًا عظيما إذ كان بالقرب من ينبوع الماء الحي أي القديس أثناسيوس.

وبعد أن قضى بعض الوقت قارئًا في كنيسة الإسكندرية، لم يجد راحة مع بعض الذين كانوا حوله، فتوسل بدموع لله قائلاً: "يا رب، أرني إنسانا يسلك حياةً تتفق مع إرادتك المقدسة لكي أذهب إليه وأعرفك جيدا بواسطته". ثم سمع بعض الرهبان يرتلون تسابيح "الكينونيا" التي أسسها الله بواسطة أبينا باخوميوس. فتوسل إلى الله أن يجعله مستحقًا لرؤية خادمه القديس هذا والحياة معه. ولما أرسل الأب باخوميوس بعض الإخوة إلى الإسكندرية رآهم تادرس وهم يتكلمون مع البابا الذي كان يسألهم عن الأب باخوميوس ففرح جدا وقال لهم: "إنني أرغب أن أذهب معكم إلى رجل الله وأنال بركته". ثم أخذ تصريحا من رئيس الأساقفة أن يأخذوه معهم. وقد كان تقيا ومطيعا كأحد خراف الرب. فلما ذهب قبله الأب باخوميوس وعانقه، وبالأخص لأن البابا كتب له بخصوصه. ثم رتب سكناه مع أخ شيخ يعرف اللغة اليونانية لكي يشجعه، وحتى يتمكن أيضا من فهم لغة الصعيد. وقد أظهر تقدما عظيما في جهاد النسك ونموا في كل عمل صالح.

أما عن أرثوذكسيته فكانت ظاهرة، لأنه كان يرتوي من ينبوع الحياة الأبدية لكي يأتي بالثمار، ولقربه من الجزيل القداسة أثناسيوس، فإن الذي يجلس على ذلك الكرسي لا يكون فيه وحده، بل ذاك الذي قال إنه إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه فهناك يكون في وسطهم، أي المسيح ابن الله الحي أساس الكنيسة ومؤسسها.

وذات يوم سأله أبونا باخوميوس، بمساعدة المترجم، عن إيمان الذين يعيشون في الإسكندرية كمتوحدين وعن نسكهم، فأجاب: "إنهم، بفضل صلواتكم، ثابتون في الإيمان الأرثوذكسي لكنيسة المسيح الجامعة ولا يقدر أحد أن يزعزعهم فيه. أما عن طعامهم فهو متوفر ويسلكون حسب المكتوب أنها: «أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق» (١تي٤: ٣)". فقال أنبا باخوميوس: "هل يمكنهم أن يأكلوا ويشربوا بلا حساب ويحفظوا طهارتهم"؟ فأجاب أبا تادرس: "طهارتهم

عظيمة ومعرفتهم متكافئة مع كل واحد. فضرب أنبا باخوميوس الأرض بعصاته قـائلاً: إذا رويت هذه الأرض وسبخت ألا تعطي نباتا؟ هكذا الجسد، إذا رفّهناه بكثرة الطعام والشراب لا يمكن أن يحتفظ بطهارته لأنه مكتوب: «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل٥: ٢٤)". فارتبك تادرس لما سمع ذلك.

وبعد وقت لما ذهب الإخوة إلى الإسكندرية كعادتهم ورجعوا سألهم أنبا تادرس الإسكندري عن إخوة معينين يعيشون كمتوحدين هناك، فأبلغوه أن بعضهم قد أُمسكوا متلبسين بنجاسات، وآخرين لهم سمعة رديئة بسبب سلوكهم الرديء. فلما سمع أنبا تادرس ذلك اندهش مما سمعه من الأب باخوميوس. فانحنى إلى الأرض وقبل قدميه من شدةّ إعجابه بالمعرفة الإلهية التي فيه، ومن الطريقة التي تنبأ بها، بمثال الأرض التي تروى وتسبخ، عن استحالة الطهارة مع الإسراف في الأكل والشرب(١٧٥).

أحب الأب باخوميوس تادرس هذا لحُسن تحمله للحياة، وبنعمة الله عمل كل ما في وسعه ليتعلّم اللغة اليونانية لكي يقدم له العزاء على الدوام، ولكي يعظ الإخوة الغرباء من الكتب المقدسة. ولما رأى أبونا باخوميوس أن أبا تادرس الإسكندري قد أحرز تقدما في المعرفة الإلهية عينه مشرفًا على الغرباء الذين كانوا يجيئون إلى الرهبنة (ويرجح أن ذلك كان سنة ٣٣٣م) وكان يلقّن أبا تادرس هذا طريقة تدبير الإخوة الإسكندريين الذين أقامه مدبرا لهم تحت مسئوليته والإخوة الأجانب الذين جاءوا بعده. فكان بيته ممتلئًا من التقوى.

وكان الأب باخوميوس يشترك معه في أعمال كثيرة لكي يدربه على قيادة الناس. وكان يقول له: "إنه لشيء عظيم! فإذا رأيت أخا من بيتك مهملاً لخلاصه، عظه بطول أناة على انفراد، فإذا غضب اتركه إلى أن يحركه الله للتوبة. وذلك كما إذا أراد إنسان أن يخرج شوكةً من قدم إنسان آخر، فإنه يحفر حولها، فإذا نزفت وآلمته فإنه من الأفضل أن يتركها ويضع فوقها مرهمًا مرطبا أو ما أشبه، وهكذا بعد أيام قليلة تخرج هي من ذاتها بسهولة. فالإنسان الذي يغضب حتى ممن يراجعه، فسيحصل فيما بعد على فائدة أعظم من (مثابرة) الذي يعلّمه بحسب الناموس".

"أما إذا كان الخطأ كبيرا فأبلغنا به ونحن نتصرف بحسب مشيئة الرب الرحيم. واهتم أيضا بالمرضى كما بنفسك. وكُن متعففًا واحمل الصليب أكثر منهم بما أنك في مرتبة الأب. وكُن أنت أول من يحفظ قوانين الإخوة لكيما يحفظوها هم أيضا. وبعد ذلك إذا

(175) G 1, 94; SBO, 89a.

صادفك أمر بخلاف ذلك يحتاج منك إلى قرار ولا تعرف ماذا تفعل فاخبرني به، وبنعمة الله سنحاول معا أن نجد الحل السليم لكل مشكلة".

وكان كلما أعطى باخوميوس تعاليم للإخوة يقوم أبا تادرس بترجمتها للذين لا يعرفون اللغة القبطية. وخدم كمدبر لأحد البيوت مدة ثلاث عشرة سنة قبل نياحة أنبا باخوميوس، وكان باكورة الثمار الروحية لهذا البيت من الإسكندريين هم: أوسونيوس الكبير وأوسونيوس آخر وصبي يدعى "نيون". وبين الروميين كان هناك حاملو الإله "فيرموس" و"روميللوس" و"دمنينوس" و"أرمينوس" وقديسون آخرون. وبعضهم عرف الأب الكبير وهو في الجسد وبعضهم لم يعرفه[(١٧٦)].

في **أحد الأيام** عند خروج الإخوة من مائدة الطعام، وبينما كانوا يأخذون ما يسمونه "جذور اللوتس" عند الباب كما هي عادتهم، جاء الأب باخوميوس ليأخذ نصيبه. وفيما هو منصرف إلى مسكنه تبعه أبا تادرس الإسكندراني بعد أن أخذ نصيبه هو أيضا. ولما جاءا إلى المسكن وجلسا سأله أبا تادرس قائلاً: "سمعت عن الأب كرنيليوس أنه ضابطٌ لنفسه جدا، وأنه أثناء صلوات المجمع لا يدع عقله يطوف متشتتا. وفي نفس الوقت حاولت أنا أيضا باهتمام شديد أن أحفظ عقلي بلا تشتت، وبالكاد استطعت أن أتلو ثلاث صلوات وأنا ضابطٌ لأفكاري. فكيف يمكنني أن أنصت لكلام الله وأصلّي بدون تشتت"؟

فقال له الأب باخوميوس: "إذا رأى عبد بحسب الجسد إنسانا حرا ولو كان فقيرا فإنه يتمنى الحرية. وإذا رأى مسكين رئيسا فإنه يريد أن يكون رئيسا. والرئيس إذا رأى ملكًا فإنه يود جدا أن يصير ملكًا. أما عن كرنيليوس فقد جاهد كثيرا وبنعمة الله وهب له ذلك. فاعمل أنت مثله واقتدِ بإيمانه فتأخذ بحسب استحقاقك"[(١٧٧)].

أحاديث وإرشادات لأنبا باخوميوس:

كان أنبا باخوم يعلّم أولاده أنه إلى جانب الأشفية الجسدية الظاهرة توجد أشفية روحية. فإن كان إنسان أعمى البصيرة، وبسبب عبادته للأصنام لا يرى نور الله، ثم يقتاد إلى الإيمان بالرب ليرى الإله الحقيقي وحده مرةً أخرى ويعرفه، ألا يكون هذا شفاءً وخلاصا؟ وإن كان إنسان ثقيل اللسان بسبب الكذب وعدم النطق بالحق، ثم يقنعه رجال الله أن يتكلم بالحق، أما يكون قد نال شفاءً روحيا؟ وإذا أُظهرت الرحمة لإنسان يبست يداه لكونه لا يعمل بوصايا الله فنهض من تكاسله وبدأ يعمل من أجل الصلاح،

(176) G 1, 95; SBO, 89b, 90, 91b.

(177) G 1, 111; SBO, 91a.

ألا يكون ذلك أيضا شفاء؟ وأخيرا إذا تاب إنسان فاسق أو متكبر وعاد إلى مخافـة الله بمساعدة واحد من خدامه ألا تكون هذه معجزة[(١٧٨)]؟

وقال أيضا: ’’سألني أحد الإخوة: ’أخبرنا عن منظر مما تراه‘. فقلت له: ”من كان مثلي خاطئًا لا يرى مناظر، لأنه بدون مشيئة الله تصير المناظر مضللة. ولكن إن كانـت بحسب مشيئة الله لا يتأذّى خادم الله بسببها من الكبرياء والتفاخر ولا مـن أي شـيء يحصل له حتى ولو كان سيقيم ميتا. ومن لا تكون له مناظر لا يقدر أن يـرى العنايـة الإلهية تضبط كل شيء. فاسمع الآن عن منظر عظيم: إن رأيت إنسانا نقيا متضعا فهـو منظر عظيم حقًا، لأنه أي منظر أعظم من أن ترى الله - الذي لا يرى - في الإنسـان المرئي الذي هو هيكله“؟

”على هذا المثال ينبغي أن نفهم المناظر والاستعلانات التي يرى ا القديسون ما يجول بنفوس الآخرين كما في مثال إليشع النبي مع جيحزي. فهذا الاستعلان يكون للقديسين عندما يمنحهم إياه الرب الساكن فيهم والفاحص لكل الأشياء. أما خلاف ذلك فهـم مثل بقية البشر، إلاّ أ م يكونون دائما ذوي بصيرة نيرة لأ م يرون الله. فهوذا واحـد منهم يفسر لنا ذلك قائلاً: «رأيت الرب أمامي في كل حين» (مـز١٥: ٨ سـبعينية). ولكن لا يدان أحد قط لأنه لا يرى الخفيات، وإنما يدان الذين يدينهم الروح في المزمور لأ م «لم يجعلوا الله أمامهم» (مز٥٤: ٣)“.

”وإنه لَمن السهل على الأولاد أن يدركوا هذه الدرجة من النقاوة. فهم حين يسمعون عنها في سن مبكرة يمتدون إلى قدام بحماس بالغ إلى أن يدركوا حد الكمال، كمـا فعـل صموئيل في الهيكل. لأن الأرض التي تنقّت تصير مستعدة لقبول غروس الكرمة (الإلهية). أما إذا كانت الأرض جافة بائرة، فإن رجالاً كثيرين معا يجدون صعوبة في تنقيتها حتى يمكن أن تزرع فيها البذور الجيدة. ونحن نعلم - كما في الكتاب - أنه حتى الأرض النقية المزروعة إذا أهملناها تصير عاقرا («عبرت بحقل الكسلان وبكرم الرجل الناقص الفهم، فإذ هو قد علاه كله القريص وقد غطّى العوسج وجهه» أم٢٤: ٣١)، حتى ولو كانت البذور المزروعة ا جيدة. وهكذا الأرض الجافة غير المزروعة يمكن تنقيتها وزراعتها بالاجتهاد اللائق والغيرة. لهذا ينبغي أن نعتني بالأولاد كإرادة الله، لكي يحفظ نفوسنا مثل حدقة العين ذاك الذي قال عنه الكتاب: «حافظ الأطفال هو الرب» (مز١١٦: ٦)“.

(178) G 1, 47; SBO, 46.

"ويجب ألاّ يجرؤ أحد أن يؤذي نفسا ولو في فكره، لئلاّ يكون كمن ينقـر حدقـة العين التي تتطلّع إلى الله الديان العادل. ولا يحتاج الأمر إلى كلام كثير بخصوص كيفيـة حفظهم، فعبارة واحدة تكفي: إنسان ينقّي ضميره بالتمام بواسطة الحـق ومخافـة الله يستطيع بمعونة الرب أن يحفظ الأطفال - إذ إنه يشعر دائما باحتياجه إلى الرب"[(179)].

كان أنبا باخوميوس يعظ الإخوة دائما ويعلّمهم كيف يكونون بلا عيب ولا يجهلون قوة العدو، وكيف يقاومو ا بقوة الرب لأنه مكتوب: «بالله نصنع القـوة» (مـز٥٩: ١٤). وكان يفسر لهم كلام الكتب الإلهية ولا سيما تلك العميقة والصعبة التفسير. أما عن تأنس الرب وصلبه وقيامته، فكان يقول لهم: "أما عن الكلمة الإلهي الـذي صـار إنسانا، فيكفي أن نعرف من الكثير الذي جاء في العهد القديم قول إشعياء النبي: «يولد لنا ولد ونعطَى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلهًا قـديرا أبـا أبديا رئيس السلام» (إش٩: ٦). وفي الإنجيل يقول: «الكلمة صار جسدا وحلّ بيننـا» (يو١: ١٤). وبخصوص الصليب فلنذكر الكبش المشدود بقرنيه في شجرة، وكانت ترمز لخشبة الصليب، هذا الكبش الذي قُدم ذبيحة محرقة عوضا عن إسحق. وإبراهيم قال عن ذلك بإحكام: «الرب رئي على الجبل» (تك٢٢: ١٣)، وكان بذلك يعني صليب ابـن الله الوحيد. وفي الإنجيل تشهد الخليقة بواسطة قوا ا للصليب (عندما أظلمت الشمس) شاهدةً أن يسوع المسيح المصلوب هو رب الكل".

"كما كلّمهم عن قيامة الرب .. وذكّرهم أن جسد الرب المصلوب مشابه لنا، فكما قام هكذا سنقوم نحن. وبالحقيقة إنه بقيامته قمنا نحن أيضا لأنه أقامنا معه، وهذا هو مـا سمعناه منه حينما قال: «تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته .. والسامعون يحيون» (يو٥: ٢٨، ٢٥)، والقديس بولس يقول: «إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام» (١كو١٥: ١٦)".

"أيها الإخوة، إن كنا قد آمنا بالقيامة العتيدة فينبغي أن نعرف القيامـة الروحيـة، فالرب نفسه قال: «أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي ولو مات فسـيحيا» (يـو١١: ٢٥). فكل خاطئ يؤمن بالرب ويطيع وصاياه سيحيا، كما قال داود النبي: «تحيا نفسي وتسبحك» (مز١١٩: ١٧٥). ولنفهم كيف يأمرنا الرب ألاّ نشتم أحدا، لأنه لما شتموه قائلين: 'بك شيطان' لم يرد الإساءة. ولما قال للكتبة والفريسيين: 'ويلٌ لكم' وسمـاهم

(179) G 1, 48, 49.

"عميانا" و"قبورا مبيضة" كان كمن رأى حفرةً فأمسك بالعميان لئلاّ يقعوا فيها. هكذا الرب أيضا كشف عن شر أعمالهم للمؤمنين حتى لا يتشبهوا م فيهلكوا معهم. وكما أنه لم يرد الشتيمة بشتيمة علّمنا أن نفعل ذلك، كما علمنا أيضا فضيلة الصبر. ولما قال لبطرس 'اذهب عني يا شيطان' لم يكن يقصد بطرس بل الشيطان الذي يحض البشر أن يهتموا ويتكلموا فيما للناس".

وبعد أن انتهى أبونا باخوميوس من كلامه قام وصلّى مع الإخوة طالبا أن يتـذكروا دائما كلام الله لأجل خلاصهم. وانصرف كل واحد إلى مسـكنه. وبعـد أن تمـوا صلوا م جلسوا يتحدثون ويتذكرون ما قيل. ولم يكن أحد ينطق كلمة واحدة بطّالة من أقوال هذا العالم إلاّ تلك الفصول التي كانوا يحفظو ا عن ظهر قلب[١٨٠]، أو تفسير قول من الأقوال الروحية أو الحديث عن أعمال الله ومشيئته[١٨١].

كان القديس سائرا ذات مرة بجوار بعض المقابر، فسمع بعض الناس يبكـون، فقـال لتادرس الذي كان معه: "إ م يبكون من أجل ميت لا يمكنهم أن يستردوه، فلنبكِ نحـن بالأولى من أجل نفوسنا المائتة بزلاّ ا والتي ترجو برحمة إلهنا أن يقيمها ويحييها، ثم من أجل الآخرين لعلنا إذ نضم بكاءنا إلى بكائهم يقيمهم الرب حسب قوله: «استيقظ أيها النـائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٤). وكلما نسمعهم لا ينبغي أن نندهش لأن جميع القديسين هم في وادي الدموع. فقد بكى يوسف لأجل خلاص إخوته أكثر من مرة، وإرميا لأجل السبي (سفر المراثي)، وهكذا هم يبكون لأ م أولادهم"[١٨٢].

كان أنبا باخوميوس يعلم الإخوة ألاّ ينتبهوا إلى حسن هذا العالم وجماله سـواء كـان طعاما لذيذًا أو ملابس أو قلاية أو كتابا مزينا. وكان يقول: "إنّ حسن المؤمن و اءه هما في وصايا الله كقول المزمور: «يا رب بمسرتك أعطيت جمالي قوةً» (مز٢٩: ٨ سبعينية). ومع أنّ يوسف كان جميل المنظر جدا وصار ملكًا على مصر؛ إلاّ أنه لم يلتفت إلى تلك الأمـور الزائلة، لأن الطهارة كانت هي جماله والعفة مملكته. أما الآخرون الذين وجدوا مسر م في أمور هذا العالم فقد هلكوا بموت شرير كما حدث مع أمنون وأبشالوم"[١٨٣].

كلّم ملاك الرب الأب باخوميوس عن أخ ناسك ولكن ليس بحسب الله، فقد كان

---

(١٨٠) كانوا يقضون معظم وقتهم في الهذيذ في الكتب المقدسة حتى إ م كانوا يحفظون أجزاءً كبيرة منها عن ظهر قلب، وكانوا في عملهم أو قيامهم أو سيرهم يرددون هذه الأقوال بصوت خافت أو في قلو م.

(181) G 1, 56 – 58; SBO, 104. (182) G 1, 62. (183) G 1, 63.

له نسك زائد وتعب عظيم، إلاّ أنه لم يكن يعمل ذلك من أجل الله بل من أجل المجد الباطل، وذلك لكي يرشده إلى خلاصه. وقد لاحظ الأب ذلك مرات عديدة، فأخذه على انفراد وقال له: "أيها الأخ، إن كان الرب يقول: «نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» (يو٦: ٣٨)، فاسمع لذاك الذي يكلمك بواسطتي، لأني أرى العدو يحسدك بخبث زائد ويريد أن يهلك كل أتعابك. لذلك فحينما يدق الناقوس داعيا الإخوة للأكل أثناء النهار فلا تتأخر، بل اذهب وكُل من الخبز قدر خمس قطع وتذوق الطعام المطبوخ الذي يقدم لهم. وبما أنك قوي البنية فلا تأكل حتى تمتلئ لكي تكون سيدا لجسدك. وإن لم يقم الإخوة في خدمة الصلاة فلا تصل أكثر منهم حتى تغلب شيطان الغرور الذي يتآمر عليك". فلما سمع الأخ ذلك اقتنع إلى حين، ثم عاد وانقاد للضلال متفكرا في نفسه: "أين كُتب أنه ينبغي ألاّ أصوم أو أصلّي"؟! هذا هو ما أوحى به روح السبح الباطل لهذا الأخ، وقد ذكّره الأب باخوميوس مرات عديدة بكلامه السابق ولكنه لم يذعن له.

ولما ثبت الأخ في عصيانه وكان على وشك أن يتملّك عليه الشيطان استدعى الأب تلميذه تادرس وقال له: "إنّ حزني لَشديد على هذا الأخ لأنه لا يسمع لي، فاذهب أنت وافتقده وانظر ما الذي يفعله". فذهب تادرس ووجده يصلّي بدون انقطاع، فعاد وأخبر الأب، فقال له: "اذهب وامنعه من الصلاة، وسترى حين تمنعه أن الشيطان الذي فيه سيظهر نفسه للوقت، فإذا رأيت ذلك راقبه حتى آتي". فلما منعه تادرس من الصلاة صرخ في وجهه بفعل الشيطان الساكن فيه قائلاً: "يا منافق، أتمنعني من الصلاة"؟ ولما جلس تادرس مداوما على مراقبته أخذ الأخ حجرا ليضربه به على رأسه، فاحتمى منه تادرس وزجره باسم الرب فكف الأخ ونطق بلسان الشيطان قائلاً: "أتريد أن تعرف أن كل الذين يتلذذون بالتلحين يفعلون ذلك بتحريك مني؟ فانصت إلى ذلك الأخ الذي يلحن الآن وكيف أنه يكرر تلحين الكلمة عينها تسع مرات"! وهو يشير بذلك إلى أخ آخر يلحن بداية تسبحة موسى النبي: «فلنسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد». فلما تحقق تادرس من ذلك وسمعه ذُهل وصار خائفًا ومتفكرا في مقدار اليقظة التي يحتاج إليها الإنسان لكي ينجو من فخاخ الشياطين المتنوعة.

وظل تادرس يحرسه حتى جاء الأب باخوميوس ووقف يصلّي معه من أجل ذلك المريض حتى تحنن الرب الرحوم عليه بالشفاء، وهكذا صار صحيحا وحفظ نفسه منذ ذلك الحين[١٨٤]!

(184) G 1, 69; SBO, 64.

جاء أحد الإخوة المتوحدين ليرى أنبا باخوميوس، وجلسا يتحدثان في الأمور المناسبة. ثم قال الأب لتادرس: "أعد طعاما للأخ". إلاّ أن تادرس خرج وجلس خارجا ظنا منه أنه قال له: أُخرج خارجا حتى أتكلم مع الأخ! ولما لم يعد تادرس الطعام، كلّف باخوميوس بذلك أحد المدبرين الذي كان مارا بهم. أما هو فمضى أيضا دون أن يعلم ما الذي قاله له! فتيقّظ باخوميوس بروحه وعلم بكثرة إفرازه أن ما حدث هو تجربة وامتحان فلم يقلق. ثم قام وأعد بنفسه الطعام للأخ وأكل معه ثم تركه ينصرف.

ثم دعا تادرس وقال له: "لو قال لك أبوك الجسداني أمرا فهل تتجاهله؟ لماذا لم تعد طعاما للأخ"؟ فأجابه تادرس: "ظننت يا أبي أنك تقول لي أن أخرج حتى يمكنك أن تتحدث مع الرجل على انفراد". ولما دعا باخوميوس المدبر الآخر قال له نفس الشيء! فتنهد باخوميوس وقال: "عندما كلمت الأخ رأيت روحا مظلما قائما عند الباب، فقلت في نفسي إن هذا الشيطان لن يفعل خيرا. فالروح الشرير هو الذي أعاقكما حتى يسبب لنا حزنا. ولكن تبارك الرب الذي يهب الصبر والفهم، فأنتما أيضا ينبغي أن تتعلّما مما حدث أن تكونا صابرين". ثم أضاف الأب قائلاً لتادرس بصفة خاصة: "قد رأيت اليوم ما حدث، لذلك فاجتهد أنت أيضا إذا دعوت إنسانا وحقّرك هكذا ولم يستجب لك فلا تغضب عليه، بل قُل في قلبك بحق: إنه لم يعلم بما قلته له. وإذا قلت لآخر أيضا أن يعمل شيئًا ولم يعمل فاضمر في قلبك أيضا هكذا حتى يخزى العدو في كل شيء"(١٨٥).

وقال الأب باخوميوس: "كثيرا ما سمعت الأرواح الخبيثة تخبر بأفعالها المتنوعة ضد الناس، وتتحدث فيما بينها عن أنواع الشرور. فسمعت واحدا منهم يقول: 'إنّ الذي أذهب إليه إنسان غير مطيع لي، فحين أعرض له فكرا يقف في الحال ويصلّي فأحترق وأنصرف من هناك'. كما سمعت شيطانا آخر يقول: 'أما صاحبي فهو مطيع إذا نصحته بشيء يستمع لي ويفعله، ولهذا فأنا أحبه كثيرا'! فالشياطين يعرضون بضاعتهم بكل مكر وبلا كلل، فهناك من يقبل بضاعتهم ومن يرفضها، ولكنهم لا يكفّون عن ذلك مهما خزوا. لذلك ينبغي أن تحفظوا نفوسكم وترشموا علامة الصليب باسم المسيح على ذواتكم. ولأن مقاتلينا أرواح لا ترى، فيجب علينا أن نستعين بقوة إلهنا الذي لا يرى، حينئذ يولولون من هذا الاسم ويهربون ولا يمكنهم أن يؤذونا البتة. لأنكم إذا قاومتم الأرواح الشريرة فلن تقوى عليكم. فما دمنا نحفظ مدينتنا إذ نحرس سورها ونغلق أبوابها ولا ننام ونغفل عنها، فلا يمكنهم أن يأخذوها"(١٨٦).

(185) G 1, 72; SBO, 67a.

(186) G 1, 73; SBO, 67b; W. & W., I: 359.

ثم **ضرب لهم مثلاً قائلاً:** "إن كان لواحد بيت به مائة حجرة، واشترى منه إنسان حجرة، هل يمنعه صاحب البيت من دخولها حتى ولو كانت حجرة داخلية في البيـت؟ هكذا أيضا الإنسان المؤمن حتى ولو امتلك كل ثمار الروح، ثم بإهماله وخضوعه لمكيدة العدو تغرب عن واحدة منها، فلن تكون له قوة تلك الثمرة مقابل العدو. وإذا لم يتيقظ فإن العدو يهزمه في أمور أخرى، وهكذا يتسلّط على الإنسان بكليته ويتركه خاليا مـن كل شيء صالح".

"أما إذا استجمع هذا الإنسان كل قواه، فهو يعود ليس ليمتلك الثمر الروحي الـذي تغرب عنه فحسب؛ بل ويحرز تقدما عظيما. فليس للعبادة مقياس واحد بل عدة مقاييس، فالبعض يكونون أراخنة أغنياء روحيا، وآخرون قادة لعشرة أو لخمسين أو لمائة أو لألـف، وآخرون ملوكًا كاملين مثل إبراهيم الذي دعي من قبل الله ملكًا («أنت رئيس من الله بيننا» تك٢٣: ٦)، ليس لأنه هو نفسه كان ملكًا بل لأن ملك الملوك كان متربعا على عرش قلبه. وهذه المقاييس ليست بحسب طول الزمان الذي ثبتوا فيه على حفظ وصايا الـرب، بـل بحسب صدق النية وشدة التمسك بالرب إلى المنتهى"[١٨٧].

توجه أبونا باخوميوس مرةً إلى طابنيسي لمهمة عاجلة تختص بخلاص نفس. وبعد أن قبل الإخوة جلس ليعلّمهم، كعادته، عن جميع أنواع حراسة النفس ضد كل ما يتعارض مع خلاصها. وظل يحدثهم عن طهارة الجسد والأفكار المتنوعة وشهوة الرئاسة والكسل وكراهية الأخ ومحبة المال، فقال:

[كما أن النار تنقّي من كل شائبة وتجلي الأشياء؛ هكذا أيضا مخافة الله تبيد من الإنسان كل أنواع الرذائل وتعده إناءً للكرامة، مقدسا ومرضيا لله ومستعدا لكل عمل صالح. أمـا بالنسبة لتجربة التجديف التي يوحي ا الأعداء، فهي تحل بالإنسان المتغافل حتى ولو كـان محبا لله، فإذا لم يداوم السهر كما ينبغي ولم يأخذ مشورة من له خبرة في كيفية التغلب على هذا الفكر المخادع فإنه يهلك. فكثيرون قتلوا أنفسهم بإلقاء أنفسهم من على جرف شاهق وهم في غير وعيهم، وآخرون شقّوا جوفهم بالسيف أو بطرق أخرى. إنه لَخطأ عظيم ألاّ يعترف الإنسان سريعا بوجعه لمن كان خبيرا قبل أن يصير الوجع مزمنا.

وها هوذا العلاج بإفراز الأرواح كما علّمنا الرب: 'إذا أحزنت قريبي بكلمة فإن قلـبي يندم إذا تبكّت بكلمة الله، فإذا لم أسرع بإرضائه سريعا فلن أجد راحـةً'. أمـا أفكـار التجديف فنقول لها: "أيتها الأبالسة الأنجاس، كيف أوافقكم أيها المنافقون علـى أفكـار

(187) G 1, 75; SBO, 67c.

تجديفكم ضد إلهي خالقي؟ لن أستسلم للهزيمة ببث تجاديفكم لي حتى ولو قطعتموني إربا، فهذه التجاديف ليست مني بل هي منكم أنتم الذين ستعاقَبون إلى الأبد بنار لا تطفأ. أما من جهتي فلن أكف عن التمجيد مسبحا وشاكرا الذي خلقني من العدم، ولاعنا إياكم لأنكم ملعونون بالحقيقة من الرب". فإن قلتم ذلك بإيمان يختفي الشيطان كالدخان][١٨٨].

في **أحد الأيام** قابل أبا تادرس أحد الإخوة وهو عائد من مكان ما ملقيا رداءه فوق كتفه، وكان المسئول عن هذا ا مع قد أرسله في خدمة، وقال له: "من أين أنت قادم"؟ وكان الأب باخوميوس يسمعه من على بعد وهو يسأل الأخ. وبعد أن ابتعد الأخ، دعا أبا تادرس وقال له: "أسرع يا تادرس لتكون سيدا على قلبك بكل اعتدال حتى لا تكون لنفسك عادات، ولكي تتجنب أن تسأل أي واحد: 'أين أنت ذاهب' بل أن تسأله فقط عن خلاص نفسه". ولما سمع أبا تادرس ذلك وضعه في قلبه كل أيام حياته قائلاً: "سواء كان ذلك أمرا صغيرا أم كبيرا، فلن أفعله مرةً أخرى"[١٨٩].

حدث مرةً بينما كان أنبا باخوميوس يمر وسط ا مع أنه سمع واحدا كانت أفكاره جسدانية يقول لآخرين: "هذا هو موسم العنب". فلما سمعه رجل الله غضب ووبخه قائلاً: "أيها البائس، ألا تعلم أن الأنبياء الكذبة قد ماتوا ولكن أرواحهم لا زالت تطوف بين الناس محاولةً أن تجد مكانا فيهم، أي في هؤلاء مثلاً؟ فلماذا إذن أعطيت مكانا لمثل هذا الشيطان ليقيم فيك ويتكلم على فمك ذه الطريقة، حتى يسمعك بعض الجهلاء الآن عندما ذكرت هذه الفاكهة فيجربون باشتهائها، وأنك تصير غريبا عن الله عندما تعثر نفوسهم كما هو مكتوب: «نفسا بنفس» (خر٢١: ٢٣)؟ ألم تسمع الرسول يقول: «لا تخرج كلمة رديئة من أفواهكم، بل كل ما كان صالحًا للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمةً للسامعين» (أف٤: ٢٩)، وللذين ينطقو ا أيضا؟ ألا تعلم أن تلك الكلمة التي تفوهت ا الآن لن تكون وسيلةً لفائدة إخوتك، بل بالحري للخراب والهلاك؟ فلماذا قلتها؟ لذلك فإنني أحذّرك أن كل كلمة رديئة من هذا النوع أو ملحوظة غير لائقة أو قول أحمق، إنما هو تنجيس للنفس البشرية أمام الله".

"وسأريك بمثال كيف يحل غضب الله على الإنسان الذي يستعمل كلاما مخجلاً أو بذيئًا في وسط الإخوة. إن ذلك يشبه إنسانا غنيا دعا آخرين إلى وليمته لكي يأكلوا ويشربوا ويمرحوا. وبمجرد أن اجتمعوا على المائدة قاموا بتهور وألقوا بالأواني في بيته.

(188) G 1, 96; SBO, 72a.

(189) SBO, 80.

فغضب منهم وانتهرهم قائلاً: 'أيها البائسون والناكرو الجميل، لقد دعوتكم إلى بـيتي لتأكلوا وتشربوا جيدا، فلماذا إذن بتهوركم ألقيتم بالأطباق التي في بيتي وأكلتم بعـدم عرفان بالجميل'؟ هذه هي حال الذين يعيشون تحت نير الحياة الرهبانية ويتكلمون بأمور بذيئة. إن الرب يسكب غضبه عليهم ويقول لهم: 'إنكم قد دعيتم إلى هـذه الـدعوة المقدسة، وتريدون أن تهلكوا نفوسكم ونفوس الذين جئت م معا لأجل خلاصهم. هل تجلبون عليهم الهلاك بكلامكم البذيء'"؟

"وسأريك أيضا أن كرامة ومجد رجال حياة الشركة (الكينونيا) الذين يعيشون حياةً صالحةً مع الجهادات التي يضعو ا على أنفسهم، يتفوقون على الذين يعيشـون حيـاة توحدية. وسأريك أيضا أن خراب وسقطات وخسارة الذين لا يسلكون بالاستقامة في حياة الشركة يجلبون عثرةً أعظم مما يحدث بين الذين يعيشون في الوحدة. إن ذلك يشبه تاجرا يسافر في البحر والأ ار في ظل جو من جميع الأنواع. وإذا أفلت من خطر البحر فسيصبح غنيا جدا، ولكن إذا غرقت سفينته، فإنه لن يخسر ثروته فحسب؛ بل حياتـه أيضا كما تموت ذكراه إلى الأبد. وفي نفس الوقت اسمعوا تفسير ذلك: إن الذي يتقـدم في حياة الشركة بطهارة وطاعة واتضاع وخضوع ولا يضع أية عثرة أمام غيره بكلامـه أو تصرفاته، فإنه يزداد غنى بلا حدود. أما إذا ـاون وعثـرت أي نفـس بواسـطته وهلكت، فالويل لهذا الإنسان، فهو لا يفقد نفسه ويجلب عليها الاضطرابات فحسـب؛ بل إن عليه أيضا أن يعطي حسابا لله عن النفس التي أعثرها"!

"أما بخصوص الذين يعيشون في الوحدة، فاسمعوا ما سأخبركم به: إ ـم يشـبهون تاجرا يبيع خبزا أو خضروات أو شيئًا مثل ذلك في السوق. إنه لن يصير غنيا بمثل تلك المكاسب اليومية، إلاّ أنه لن يكون معوزا لأي شيء من ماديات هذا العالم. هكذا هـو حال الناسك في الوحدة، فهو لا يحمل مسئولية نساك آخرين، ولا هـو يـرى الـذين يجاهدون مما يدفعه إلى أن يتشبه بأفعالهم وجهادا م الممتازة. ومثل هذا الإنسان لن تكون م لته عظيمة في ملكوت السماء، ولكنه لن يحرم من الحياة الأبدية، وذلك بسبب نقاوة أتعابه النسكية. وهو سينال من المسيح مكافآت مضاعفة عن أصوامه وصلواته وأتعابـه التي تممها باسم المسيح ومن أجل المحبة ومخافة الله في الدهر الآتي في ملكوته".

"كما أنني سأوجهكم بمثَل بخصوص الإخوة الذين هم أقل شأنا في هذه الشركة، والذين لا يعطون أنفسهم لممارسات نسكية شديدة، بل يسلكون ببسـاطة بخصـوص طهـارة أجسادهم وحسب القوانين الموضوعة بطاعة والتزام. ويرى المتوحدون أن طريقة حياة هؤلاء

الإخوة تبدو غير كاملة، وأ م يعتبرون أقل شأنا. هذا الأمر يشبه خداما وخصيانا للملك لهم حظوة عنده، ولهم حرية في الحركة داخل القصر أكثر من ذوي السلطان الخاضعين لأوامر الملك ولا يمكنهم أن يدخلوا عند الملك إنْ لم يعلم عنهم بواسطة الخصيان. هكذا هو الحال مع الذين يعتبرون أقل شأنا في مجمع الشركة، فإ م سيوجدون كاملين في ناموس المسـيح بسبب ثبا م. إ م يمارسون أتعاب النسك بكل خضوع بحسب الله. إ م أيضا يتفوقون على المتوحدين لأ م يسلكون بالالتزام الذي سلك به الرسول كما هو مكتوب: «بالمحبة اخدموا بعضكم بعضا ... بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضـا في المحبـة ... وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض» (غل٥: ١٣؛ أف٤: ٢و٣٢)"[١٩٠].

كان القديس باخوميوس يعظ الإخوة دائما ويعلم كل واحد مخافة الله، وكيف يجب أن نجاهد ضد الشيطان، وأنه يمكننا بقوة البصيرة أن ندرك حيله وخداعاته، وبقوة الرب نبطل مكايده ضدنا[١٩١].

سأل أخ مرةً أنبا باخوميوس: "لماذا قبل أن يأتي الشيطان ليضايقنا يكون إدراكنا الذهني في حالة جيدة، ونتفلسف بالحديث عن ضبط النفس والاتضاع والفضائل الأخرى، ولكن متى جاء وقت الممارسة الفعلية لما كنا نتفلسف به، مثل الاحتمال في وقت الغضب، وعدم الانتفاخ عندما نمدح وأمور أخرى كثيرة مشا ة، فإننا غالبا ما نهزم"؟

فأجاب الكبير قائلاً: "لأننا لا نسعى في العمل سعيا دقيقًا كاملاً، وهذا هو سـبب عدم فهمنا لكل أفكار الشياطين وتحايلهم بالدرجة الكافية التي تجعلنا، عنـدما يظهـر ا ـرب حضوره، قادرين بسرعة على طرد تخبط هذه الأفكار التي تحيط بنا بقوة تأمـل النفس. لذلك فلنسكب مخافة الله مثل الزيت على الجانب التأملي للنفس في كل وقـت. تلك المخافة التي ننجز ا الأعمال والتي هي مصباح للتأمل فيما يخصنا من الأمور، تجعل عقولنا لا تز ولا تندفع وراء الغضب والحقد والضغينة ولا أي من الأوجاع الأخـرى التي تقودنا إلى الشر. فإ ا تجعل أفكارنا تأملية وترفعها إلى ا الات غير المادية، وتدفعها إلى التمسك بالازدراء بالأمور التي يزينها لنا الشياطين، وتعدنا لأن ندوس تحت أقـدامنا «الحيات والعقارب وكل قوة العدو» (لو١٠: ١٩)"[١٩٢].

بينما كان أنبا باخوميوس مندهشا مما رآه وسمعه في الرؤية عـن مسـتقبل حيـاة

---

(190) SBO, 105; س ٤ ورقة ٢٢ (191) Paral., 6 a.

(١٩٢) جاء في الترجمة اليونانية أن أنبا باخوميوس نال القدرة على أن يطأ الحيات والعقارب مبكرا جدا في حياته. وقد اعترفت الشياطين نفسها بذلك. وفي الترجمة القبطية يعلّم القديس الإخوة ألاّ يفقدوا الثقة في سحق الحيات والعقارب أو أي وحش آخر. وفي تعاليم القديس (١: ٤٢) يوبخ المسيح راهبا مهملاً بقوله: "أما أعطيتك السلطان أن تدوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو"؟ Paral., 12

الشركة، دق ناقوس صلاة نصف الليل. ولما حان وقت صلاة السحر (التي تنتهي عند شروق الشمس)؛ اجتمع الإخوة في الكنيسة، ثم جاء هو واختتم الصلاة، ثم جلسوا جميعا ليستمعوا إلى تعاليمه، فقال:

"أيها الإخوة، ما دام يوجد نفس في أجسادنا، فلنسع جاهدين من أجل خلاصنا قبل أن تأتي الساعة التي نبكي فيها على أنفسنا. دعونا نمارس الفضيلة بكل نشاط وحرص، لأنني أقول لكم إنكم لو علمتم بالخيرات المعدة في السموات والمواعيد الموضوعة للقديسين، وعقوبة الذين ابتعدوا عن الله، والعذابات المعدة للمتوانين، ولا سيما الذين عرفوا الحق ولم تكن لهم حياة تليق به، لكيما يرثوا البركات المحفوظة للقديسين، وينجوا من عقوبة هذه العذابات – لو علمتم ذلك لكنتم تحتملون كل ألم لكي تصيروا كاملين في الفضيلة التي بحسب المسيح".

"اذهبوا إلى المقابر وتأملوا كيف أن اعتداد البشر بأنفسهم إنما باطلٌ هو. لماذا يتعجرف الإنسان إذن وهو تراب؟ لماذا يزهو بنفسه وهو كله نتانة؟ فلنبكِ، إذن، على أنفسنا كلما تكون لنا فرصة، لئلاّ تأتي ساعة رحيلنا ونتمنى لو أُعطينا من الله فسحةً من الوقت للتوبة. بالحقيقة تعيسة هي ومثلثة الشقاء تلك النفس التي تركت العالم وكرست نفسها لله، ولكنها لم تعِش حياةً تليق بدعوا وما وعدت به. إذًا، أيها الإخوة، لا نسمحن لهذا العمر القصير والحقير والذي يعبر كالظل، أن يسلب منا تلك الغبطة والحياة الأبدية العديمة الفناء".

"بالحقيقة إنني لخائف من أن آباءنا بالجسد العائشين في العالم والمنصبين على اهتماماته وارتباكاته، الذين يظنون أننا مكرسون لله وقد امتلكنا عربون الدخول للحياة الأبدية، ومؤملين أن يحصلوا منا على معونة في الدهر الآتي؛ أن يوجدوا ديانين لنا مقتبسين كلمات الكتاب: «كيف صرتم بؤساء وخزيتم جدا» (إر٩: ١٨سبعينية)؟ ما أعظم حزنكم، نار قد أوقدت عليكم، وأغصانكم صارت لا تصلح لشيء. لذلك فقد صارت غنيمةً. زمجرت عليها الأشبال وأطلقت صوا ضدها. لذلك صار المحبوبون مثل الممقوتين، ونزع التاج من على رؤوسكم! لماذا أُغلقتِ يا مدن الجنوب وليس من يفتح؟ (إر١٣: ١٨و١٩سبعينية). حقًا فلينزع الشرير ولا يرى جلال الرب (إش٢٦: ١٠سبعينية)".

"لذلك فلنجاهد أيها الإخوة بكل قلوبنا، واضعين الموت أمام عيوننا في كل وقت، متصورين العقاب المخيف، وبذلك يأتي العقل إلى التبصر، وتنحني النفس بالبكاء، بل وتصبح أيضا متمعنةً في أحوالها ومهيأةً للرجوع إلى الله دون أن تشدها الأمور الأرضية. وليس ذلك فحسب؛ بل إن هذه كلها تولد فينا الاتضاع الذي يقنع النفس بأن تكون

رحيمة خالية من الحقد الباطل، منسحقة وغريبة من كل فكر عالمي".

"إذن أيها الإخوة، فلندع النفس تلقن الحكمة لهذا الجسد الثقيل كل يوم عندما نأوي إلى فراشنا في المساء، مخاطبةً كل عضو في الجسد: "أيتها الأقدام، طالما أن فيك قوة للوقوف والحركة، هيا قفي بغيرة أمام ربك قبل أن تحملي خارجا وتصيري بلا حراك". وقائلةً للأيدي: "ستأتي الساعة التي تصيرين فيها منحلّةً عاجزةً مقيدةً الواحدة مع الأخرى ولا تستطيعين الحركة قط. فلا تفتري عن بسط نفسك أمام الرب قبل أن تأتي هذه الساعة". ولتقُل النفس للجسد كله: "أيها الجسد، قبل أن نفترق وننفصل عن بعضنا البعض، وقبل أن أوخذ إلى الهاوية لكي أُقيد بقيود أبدية تحت الظلام (يه: ٦)، وتتحلّل أنت إلى العناصر الأولية وتذوب في الأرض، وتتحول إلى نتانة وفساد، قف بشجاعة واعبد الرب. اجعل اعترافي واضحا بالدموع وبين حسن خدمتك للسيد. احملني كي أعترف لله بكل اجتهاد قبل أن يحملك الآخرون، ولا تحكم علي بالعذاب الأبدي من أجل رغبتك في النوم والراحة. لأنه سيأتي وقت يطغى عليك فيه ذلك النوم الثقيل جدا. وإذا أذعنت لي فسوف نتمتع سويا بالميراث المبارك، أما إذا لم تصغ لي فالويل لي لأنني ارتبطت بك، ويا لتعاستي لأنني سأدان أيضا بسببك"!

"إذا دربتم أنفسكم كل يوم على هذا النحو تصيرون بالحق هيكلاً حقيقيا لله. وإذا سكن فيكم الله فأي حيلة شيطانية يمكن أن تخدعكم؟ لأنه بدلاً من أن يكون لكم عشرة آلاف معلم، يكون كلمة الله ساكنا فيكم، وهو يعلمكم بالأكثر ويجعلكم أكثر حكمةً بمعرفته الخاصة. وما لا يقدر أن يعبر به الكلام البشري يعلّمه لكم الروح الكلي القداسة. لأنه قيل: «لأننا لسنا نعلم ما نصلّي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطَق بها» (رو٨: ٢٦) ... هناك أمور كثيرة نافعة لأقولها لكم بنعمة الله، ولكن لئلاّ نطيل الكلام في موضوع واحد، دعونا نوجه حديثنا إلى موضوع آخر ..."(١٩٣).

في **أحد الأيام** جمع الأب باخوميوس الإخوة وقال لهم: أريد الآن أن أقول لكم وصايا لكي تحفظوها كلكم لخلاص وثبات نفوسكم، حتى إن الذين لم يتقووا بعد في الإيمان والأعمال لا يقعون في فخ إبليس، بل احذروا من أن يشك أحد في كلامي لكم. اذكروا الكلمة المكتوبة: إنكم إذ لا تؤمنون لا تفهمون. وهذا هو الكلام الذي أريد لكم أن تحفظوه: لا يختلِ أحد منكم مع رفيقه في موضع واحد بغير ضرورة عمل. لا يمسك أحد منكم يد رفيقه أو يلمس شيئًا من جسده بدون أمر ضروري، إلاّ إذا كان مريضا أو

---

(193) Paral., 19, 20.

سقط فيساعده حتى يقوم، ويحتاج بالضرورة إلى أن يمسكه ويلمسه، ويكون ذلك أيضا بحرص واحتراس. لا يجلس أحد منكم في متكأ مع رفيقه في عزلة ليتكلم معه، بل تكونون بعيدين بعضكم من بعض قليلاً أثناء حديثكم. لا يرقد أحد منكم على مرقد ليس هو له. لا يدخل أحد منكم إلى موضع رفيقه بغير رسالة أو حاجة حتى لا يجد العدو موضعا له فينا البتة[١٩٤].

تحدث أنبا باخوميوس مرةً مفندا الوثنية، فقال: "الوثنية هي الكفر والإلحاد. ولكن بعض الوثنيين يقولون: "إنني لا أعبد الشياطين بل أعبد الله. عندي بالفعل أصنام، ولكنني من خلالها أدعو قوى الله باعتبارها آلهة، ومن خلال هذه الآلهة أدعو الله. والإله الأكبر لا يحزن من ذلك، بل إنه يكون بذلك سهل المنال لأنه تكون له آلهة أخرى تحت إمرته". وكان يلزمنا أن نصمت عن هذه الأمور إلى أن ينخس الله الوثنيين ويحولهم إلى الحق الذي تقبلته أنا بالنعمة. ولكن حيث إن الرب أوصانا أن نعطي مجانا ما نلناه مجانا، لذلك فلنتكلم باختصار".

"فمنذ أن تعدى آدم فإن البشر يضلون وهم غير راغبين في طاعة ناموس ضميرهم أو التعرف على الله خالق كل الأشياء بواسطة المعجزة والرهبة وتنوع المخلوقات. لذلك فقد صنعوا لأنفسهم آلهة إذ إنّ مشورة العدو الشريرة كان قد بدأها عندما كان الإنسان في الفردوس بقوله: «تكونان كالله (أو مثل آلهة)» (تك٣: ٥). ولكونه حسودا فهو ما كان يريد لهم أن يكونوا هكذا، بل إنه هو الذي كان يريد أن يكون هكذا. لأنهم إذ لا يخضعون لسيادة كلمة الله، فإنه هو عدو الكلمة يكون بالضرورة سيدا عليهم. فحيث تكون الحياة غائبة يوجد الموت بالتأكيد. ومن هنا جاءت الشهوة للنساء، وقبل ذلك كان قتل الأخ لأخيه وحماقة الجبابرة كما في أيام نمرود (تك٤: ٨؛ ٦: ٤؛ ١٠: ٨)، وأيضا الرجاء في الأرضيات وحدها، وذلك رغم ما أظهره الله الصالح حينذاك من أعمال خارقة، والرجاء في السماويات وحتى في القيامة بواسطة نقل القديس العظيم أخنوخ ومن بعده إيليا".

"لذلك حلّ سخط الطوفان الذي لم يبقِ إلاّ على رجل بار حفظ كخميرة للحق. وبعد كل هذه الشرور التي حلّت، جاء القاضي الطويل الأناة بمعين آخر للإنسان ذي الإرادة الحرة، وهي لم تكن حرة لفعل الشر فقط بل أيضا لفعل الخير، لأن كل الأشياء تحلّ ولكن ليس كل الأشياء توافق (١كو٦: ١٢). هذا المعين الآخر هو الناموس الذي أعطاه الله بواسطة موسى النبي. ولم يكن هذا الناموس في كلمة واحدة كما كان في

(١٩٤) س ٤ ورقة ٢٣.

الفردوس: «أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها» (تك٢: ١٧)، بل إنه كـان ناموسا مفصلاً يتناول أمورا مثل قيادة الأعمى من يده، بل وحتى كيف تفكر وكيـف تتكلم، وكيف تحترس في كلامك وقت الحرب، وكيف تقدم الشكر عند ولادة الأطفال والبهائم ومن أجل ثمار الحقل والكروم ومن أجل الميراث. وغرس فيهم الخوف بواسطة هلاك الذين كانوا يسكنون بجوارهم، وأيضا في مصر بعجائبه العديدة، وبالأكثر عنـد البحر الأحمر، وذلك حتى إذا تذكّروا ذلك كله يخافون الله، خصوصا منـذ أن كُتـب الناموس بأصبع الله".

"كم من أمور مخيفة رافقت هذا الناموس؟ جبل مضطرم ونار تصل إلى عنان السماء (تث٤: ١١)، وأصوات أبواق عالية (خر١٩: ١٩)، وغير ذلك. وكان يدلّلهم كـأب مظلّلاً عليهم بعمود سحاب نهارا ومضيئًا لهم بعمود نار ليلاً (خر١٣: ٢١)، مطعمـا إياهم بخبز من السماء بلا هم، وبذلك كان يعينهم على ألاّ يشتهوا طعامـا، ومـن ثم وجدت قبور الشهوة للذين كانوا نهمين (عد١١: ٣٤). وعندما كانوا لا يجـدون مـا يشربونه كان يعلّمهم دائما أن يتقدموا (أو ينموا) مثل الأبناء خلـف موسـى الـنبي (عد٢٠: ٨-١١)، لأنه هو أيضا كان متشبها بآبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب، ويوسف الصديق الذي كان أيضا بالحقيقة صورةً للآباء".

"ولكن قد يقول قائل: "لماذا لم يظهر الله مثل هذا الاهتمام بنا منذ البداية"؟ الله دائما يهتم بنا لأنه يحب مخلوقاته الخاصة وصورته في القداسة والحق. فهوذا أيضا العدد الهائـل من شهود العهد القديم، وخاصةً اليهود الذين يدركون ويقرون بحقه حـتى الآن. لأنـه يقول: «إني أنا هو المتكلم، هأنذا» (إش٥٢: ٦). كما أن أسفار موسى النبي هي حـق لأنها أخذت بدايتها ونهايتها من الله، فأنتم إذن، الذين من سبط يهوذا (أي اليهود)، قد وافقتم على أن الناموس الأول هو من الله الضابط الكل. وبعد ذلك إذ اقتـرب مـنكم لأجل مجدكم ابن الله وهو من خاصتكم ومن نفس سبطكم. فتمسكوا بالله إن لم يكـن بسبب ثقتكم في، فليكن بسبب ثقتكم في جميع القديسين وفي كلام باروخ وحده: «لا تعطِ مجدك لآخرين» (با٤: ٣). لا ترغبوا في أن يكـون الله لأنفسـكم وحـدكم، إذ تذكرون الوصية: «تحب قريبك كنفسك» (لا١٩: ١٨؛ مت١٩: ١٩). إنكم بالفعـل تقولون معنا وأنتم تحثون الوثني غير المؤمن: «الرب هو الإله. ليس آخر سواه» (تث٤: ٣٥)، وهو لا يريد أن الشياطين تكون آلهة لأولاده أو خدامه، لأنه كتب أنه في غضـبه سيهلك كل إسرائيل مدينتنا ويحرق البشر والأواني التي توجد هناك (انظـر تـث١٣:

١٦)، لأ م وضعوا في قلو م جميعا أن تكون لهم آلهة مزيفة، بل وحتى رئيس كهنتنـا هرون، لولا موسى النبي، لهلك هو أيضا".

"إذن، فليقتنع الوثنيون لدى سماعهم ذلك من اليهود ويؤمنوا بالإله الواحد. فمـن المستحيل أن توجد آلهة أخرى طالما أن الإله الواحد موجود. وهكذا فإنه في حالة آدم لم تنتفع الشياطين بشيء، حيث أن الرب عاقبها من أجله، ليس فقط بأن تزحـف علـى بطو ا وصدورها، وأن الرب البار نفسه الذي يأتي بعد ذلك من نسل داود «يسحق (أو يرصد) رأسها» (تك٣: ١٥)، و«يقطع أعناق الخطاة» (مز١٢٩: ٤سبعينية)؛ بل وأيضا فإن الواحد الذي نصحه الشيطان أن يكون إلهًا (وهو كان إنسانا حيا) قد طُـرد مـن الفردوس. وأنتم أيضا اهربوا من الغضب الآتي (لو٣: ٧) قبل كل شيء بأن تنبذوا الآلهة الغريبة وتعبدوا الواحد المحسن لكم ولنا ولكل البشر متحققين أنه هو الله. لأنه «عن كل واحد منا ليس بعيدا، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجـد» (أع١٧: ٢٧و٢٨) كمـا قـال الرسول بولس لأهل أثينا. وحيث إننا نرى أن لكم من آبائكم أصناما بلا حس، وأنكم تعتقدون أنكم تعبدون الله من خلالها، فاعبدوا بدلاً من ذلك الواحد المولـود مـن الله سيدنا الإله الحقيقي الذي صار إنسانا لأجلنا، يسوع المسيح، الذي يحـيط بـه جميـع القديسين والشهداء والبطاركة والأنبياء والرسل ومعظم صنعة يديه. وكما أن اللؤلؤة لا تحتاج إلى شاهدين أو ثلاثة شهود ليتحققوا من طبيعتها، حيث رغم أ ا صـامتة فهـي موضع إعجاب؛ هكذا أيضا أنت أيها الإنسان الذي يقودك إنسان له نفـس المشـاعر ونفس الأصل، يأتي بك بسهولة إلى الله وإلى الحياة الأبدية".

"أما بخصوص الشهادة عنه، فيجدها الإنسان ذو الفهم الراجح في كثير من كتابات القديسين، ليس عن مجيئه وظهوره فحسب؛ بل أيضا عنكم أيهـا الوثنيـون. لأن الله، بسابق علمه أن الأمم سوف تطيعه دون اليهود المخالفين، قد أعد ميراثه لكـم، فـلا ترفضوا، إذن، بعدم إيمانكم رب الكل الوحيد. ومع أنه من أجلنا قد صار مثلنا؛ إلاّ أنه يظل هو الله بالطبيعة، كما هو مستعلَن أيضا من خلال أعمالـه المنظـورة. ولكـنكم ستقولون: إن كان هذا هو إيمان المسيحيين ومجدهم، فلماذا يندر أن نجد بينهم مؤمنا ذا المقدار؟ ذلك لأن الإنسان له إرادة حرة، فإن لم يكن إيمانه مغروسا بثبات في صـدره، وإن لم يحاضر في الجهاد الموضوع أمامه بحسب وصايا الله؛ فإنه سـريعا مـا تسـتهويه شهوات الجسد أو يرتد بجبن. وا اهد الشريف لا تقع عينه على الشخص المنهزم بـين المسيحيين، ولكنه يجاري المنتصرين لكي يقتدي م في طريق صالح يستحق من أجلـه

نفس الإكليل، باستعداد الموت أيضا من أجله. فافحص وتقص بكل طاقتـك، وإنمـا بإيمان، فيتكشف لك لطف الله بكل تفصيل".

"ونحن نؤمن أن اليهود أنفسهم سوف يعودون إلى إيمان إبراهيم وإسحق ويعقوب إن هم أرادوا ذلك. وإن ذاك الذي لم يتعرفوا عليه مرةً بأنه الله، ابن الله الوحيد، الذي صار إنسانا من أجل جنس البشر خليقته، سوف يجدونه حاضرا ومتكلما إن هم فتشوا الكتب المقدسة القديمة والجديدة، التي كانت عندهم قبلنا، لأنه جاء إلى خاصته. أما إذا لم يشاءوا فسوف يقول لهم: «وجدت من الذين لم يطلبوني» (إش٦٥: ١؛ رو١٠: ٢٠)، لكنهم كانوا قد زاغوا بعيـدا وراء الوثنية والجهل، «وصرت ظاهرا من الذين لم يسألوا عني» (رو١٠: ٢٠)".

"وإذا قال قائل: "إنني لا أصدقك إذ تدعو إنسانا إلهًا مهما كان عمل هذا الإنسان"، فليس في هذا القول غرابة، فإن موسى نبيهم العظيم أيضا الذي لم يقدروا أن ينظـروا إلى وجهـه بسبب لمعانه با د (انظر ٢كو٣: ٧)، لم يؤمن الجاحدون أنه نـبي الله وأرادوا أن يرجمـوه (خر١٧: ٤). ولكن يشوع بن نون - الذي اتخذ لنفسه اسم ورمز ذاك الذي قال عن نفسه: «جئت لأجمع كل الأمم» (إش٦٦: ١٨سبعينية) – لم يؤمن أنه رجل الله فحسب؛ بل إنـه كان يدعوه أيضا 'سيدي' قائلاً: «يا سيدي موسى اردعهما» (عد١١: ٢٨). لذلك فقـد صار خليفته. وكذلك كالب أيضا وكثيرون آخرون أرضوا الله بواسطته".

"وحتى الإنسان الذي يدعى مسيحيا، إن لم يحول نظره ثانيةً نحو إنسانه الـداخلي، ولا يكون مثل حواء التي حولت نظرها من الحقائق الداخلية إلى الخارجيـة فاشـتهت الأشياء المنظورة، وإن لم يداوم على التطلع بخوف ورعدة إلى قوة ومجد المسيح الساكن فيه، ألا يصير هو أيضا مثل اليهود صالبا للمسيح ولو بطريقة أخرى؟ لأن كـل شـر يرتكبه الإنسان، وخاصةً إذا نبذ الوصية الثانية، فإنه بالتالي يرفض الوصية الأولى كمـا قيل: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت٢٥: ٤٠)".

"ولكن لعل كل اليهود والوثنيين والمسيحيين بل والبرابرة أيضا يخلصون بواسطة ربنا وإلهنا يسوع المسيح، لأن «يمينه وذراع قدسه قد خلّصت لنفسه» (مز٩٨: ١) لخـزي العدو، إذ نوجد جميعا في ملكوت السموات مرتلين مع جميع القديسين لله تعـالى منـذ الدهور كلها حتى الدهور اللا ائية".

وبعد أن تحدث أبونا باخوميوس بكل هذه الأمور للإخوة، ض وهو سعيد لأنه لم يخفِ

وزنته. ثم صلّى وصرف الإخوة الذين كانوا متهللين بصلاح الله بسبب ما سمعوه، آمين[١٩٥].

بخصوص تنشئة الرهبان الصغار قال أنبا باخوميوس: ... رأى رب المسكونة، ابن الله الذي تجسد لأجل خلاصنا. وفوق كل شيء فقد قال: «لا تمنعوا ...»[١٩٦]، وأقام ولـدا وسط تلاميذه وقال: «من قبل ولدا واحدا مثل هذا باسمي فقد قبلني» (مت١٨: ٥). ولكن بالنسبة للصغار الذين تعرضوا للانحراف في صغرهم ... (ينقص نحو ١٢ سطرا) ... كمـا يقول الكتاب: «من يعيش بخلاعة منذ صغره يصير عبدا» (أم٢٩: ٢١ حسـب الـنص). لذلك يا إخوتي، فكل ولد صغير وأيضا الأكبر منه، الذين يأتي بهم الـرب إلينـا لأجـل تجديدهم، فلنحرص ... (ينقص نحو ٢٠ سطرا) ... فلنعلّمهم مرات كثيرة أن الله هو الذي خلقهم. وكذلك عن السماء والأرض والشمس والقمر ... (ينقص نحو ٢٧ سطرا).

علّموهم في كل وقت أن يباركوا بلا انقطاع ذاك الذي خلق كل هذه الأشياء، سـواء كان بأفواههم أو بقلوبهم قائلين: 'مبارك أنت يا رب'، حتى يصيروا هم أيضا أولادا لداود النبي الذي قال: «أبارك الرب في كل وقت، وفي كل حين تسبحته دائما في فمي» (مز٣٤: ١). وبعد ذلك ينبغي أيضا أن تعطَى لهم المزامير ليحفظوها عن ظهر قلب، بالإضافة إلى ما يلزم أن يحفظوه من الكتب المقدسة. وبعد ذلك يجب تعليم الأولاد ما يرضي الله وما هـي إرادته كما جاءت في الناموس والوصايا التي اقتبست منها لكم، حتى يحبوا الرب إلهنا مـن كل قلوبهم ومن كل نفوسهم ومن كل قدرتهم، ويحبوا قريبهم كأنفسهم، وحتى يعرفوا بكل يقين أن كل ما كُتب هو بالروح القدس، لكيما إذا حفظوا أجسادهم طاهرة منذ صغرهم فصاعدا، يصيرون هياكل للرب، ويسكن فيهم الروح القدس[١٩٧].

كان أنبا باخوميوس يؤكد في **وصيته للإخوة قائلاً:** إنني أريد لكم ألاّ تبذلوا مـا في وسعكم في حرصكم على تنميق قلاليكم وزخرفتها وتحسين عمارتهـا، لأن في ذلـك مضرةً لأنفسكم، لأن العقل ينجذب إلى ما هو حسن من الأمور والأعمـال وينسـرق بنظره إليها تيها وعجبا، ويصير للشياطين صيدا وقنصا، وذلك لأنه غريب عنا وخـارج عن مذهبنا أن نصغي إلى جمال العالم وبهائه، ونشغف بحسن أعماله، بل إنه يليق بنـا أن نكبح جماح أنفسنا ونرد ألحاظنا عن النظر إلى أي من الأمور المحكمة، ونصم آذاننا عـن الأخبار المطربة، وأنوفنا عن استنشاق الروائح المعطّرة، وأن نكبح المـذاق عـن سـائر

(195) Paral., 37 – 41.

(١٩٦) يقصد في الغالب الآية: «دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم» (مت١٩: ١٤)، وينقص هنا في المخطوطة حوالي ١٢ سطرا.

(197) S 10: 2.

الملذات، وأن نربط أيدينا عن افتعال أي شيء من المنكر، ونقيد أرجلنا عن السعي في سبل السيئات، وأفكارنا عن المرح في مروج الشهوات، وأن نكلف أنفسنا ونقودها قسرا إلى الامتناع عن الطعام اللذيذ الشهي، وعن اللباس الصقيل البهي، وألاّ نقتني من سائر الأشياء إلاّ الضروريات. وبالاختصار، فإن جميع ما هو عند أهل العالم مستحسن كريم فليكن عندنا نحن الرهبان مطروحا مهانا، متحققين أن شرف العالم باطلٌ، وجماله عاطلٌ، وإنما شرف المؤمن وجماله هو نقاء لُبه (أي قلبه) واجتهاده في حفظ وصايا ربه[١٩٨].

مرض القديس الأخير:

بعد عيد الفصح أطلق الله مرضا على الإخوة، فرقد منهم في جميع الأديرة ما يقرب من مائة أخ أو أكثر في وقت واحد. وكان هو مرض الطاعون الذي أصاب أنبا باخوميوس نفسه، هذا المرض الذي متى أصاب إنسانا يتغير لونه وتحمر عيناه وتصيران كالدم، ثم ينتابه الإحساس بالاختناق إلى أن يموت. وهكذا رقد كلٌ من الآباء "سوروس" رئيس دير "بخنوم" و"كورنيليوس" الذي على دير "منخوسين" و"بفنوتيوس" الذي كان مدبرا لجميع الأديرة وهو أخو أبا تادرس وكان مقيما في دير بافو، وغيرهم كثيرون من الإخوة الكبار.

وخصص الأب تادرس ذاته لخدمة الأب باخوميوس الذي انحلّ جسده وهزل جدا من شدة المرض الذي لازمه طويلاً. وكان قلبه وعيناه كنار متقدة. وقد رقد عدد كبير من الإخوة بسبب هذا الوباء حتى إنه كان يرقد كل يوم تقريبا واحد أو أكثر حتى بلغ عدد الذين رقدوا نحو مائة وثلاثين راهبا. فتذكّر الأب باخوميوس ما قاله له الملاك إن الرب سيأخذ تقدمةً عظيمة منكم في يوم الفصح. وقبل انتقاله بيومين استدعى بقية آباء ومدبري الأديرة وقال لهم: "ها أنتم ترون أن الرب يفتقدني، فاختاروا لأنفسكم من يستطيع أن يدبركم في الرب".

واستدعى القديس أحد آباء دير "شينوبوسكيا" يدعى "أورسيزيوس"، رجلاً قويا في الإيمان متواضعا وصالحًا، وقال له: "اصنع جولةً واستفسر من الرهبان عمن يختارونه". ففعل كذلك، أما هم فقالوا له وهم باكون: "بما أن الرب قد سلّمنا ليديك فنحن لا نعرف آخر سواك". فأجابهم أنبا باخوميوس: "صدقوني، إنني على يقين أن "بترونيوس"، إذا عاش، فهو يقدر أن يهتم بكم، وقد كشف لي الرب أنه يمكنه أن يعمل على بنيان نفوسكم بمخافة الرب". فقد كان هو أيضا مريضا في ديره المسمى "تسمين" في منطقة "بانوبوليس".

---

(١٩٨) باخوم عربي.

وقد ظلّ الأب باخوميوس مريضا في أيام الخماسين المقدسة، وظل راقدا مع جميع المرضى ويتلقّى نفس العناية مثلهم بدون تفرقة، وذلك حسب توجيهه السابق لهم. ورغم أن جسده صار ضعيفًا جدا بسبب طول مدة المرض؛ إلاّ أن عينيه وقلبه كانا مثل نور مشتعل. وقال لأبا تادرس: "من فضلك أحضر لي غطاءً مستهلَكًا خفيفًا لأن هذا الغطاء ثقيل علي ولم أعد أحتمله حيث إنني مكثت مريضا لمدة أربعين يوما حتى الآن، ولكنني أشكر الرب". فأحضر الأب تادرس غطاءً جيدا خفيفًا وغطّاه به. ولما رأى الأب باخوميوس نوع الغطاء غضب من أبا تادرس وقال له: "أي ظلم فعلته يا تادرس؟ أتريد أن تعثر الإخوة؟ فعندما يقولون إن الأب باخوميوس كانت حياته ميسرة أكثر من الإخوة، أكون معرضا لدينونة الله. فارفع هذا الغطاء عني، فإنني سأدبر نفسي حتى أذهب إلى الرب". فأخذ أبا تادرس الغطاء وأحضر له غيره مستهلَكًا أكثر وأردأ من كل أغطية الإخوة!

وكان جميع الإخوة قد تجمعوا في مكان الصلاة وقضوا ثلاثة أيام يصلّون ويبكون أمام الرب لكي يترك لهم أباهم مدة أطول على الأرض. ثم أرسل الأب باخوميوس أبا تادرس إليهم قائلاً: "كُفّوا عن البكاء لأن الأمر قد صدر من الرب بخصوص ذهابي في طريق جميع آبائي". فعاد الجميع إلى حيث كان يرقد وظلّوا يبكون بحزن عميق[199].

استطال مرض القديس، وكان ذلك خلال صوم الأربعين المقدسة. وفي الأسبوع الأخير، الذي هو فصح الرب (أسبوع الآلام)، لما تجمع الإخوة كلهم في دير بافو للاحتفال بالبصخة معا، جاء إليه ملاك الرب قائلاً: "استعد يا باخوميوس، لأن الرب سوف يأخذ تقدمةً عظيمةً من بيتك في يوم العيد". ففكّر في نفسه قائلاً: "ربما سيفتقدني الرب يوم السبت ليلة عيد الرب". فقضى أربعة أيام البصخة بدون طعام مع تنهد ونوح في نفسه من أجل وحدة الكينونيا لكي لا تتبدد.

وفي مساء الجمعة، وهو ثالث يوم لم يأكل فيه شيئًا، جمع الإخوة كلهم وكلّمهم كما تكلّم صموئيل النبي مع الشعب في أيامه مخبرا إياهم بكل الفرائض. فقال لهم: "أظن يا إخوتي وأبنائي، أنه قد حان الوقت لكي أذهب في طريق الأرض كلها (١مل٢: ٢) مثل جميع آبائي. وأنتم جميعا على دراية بكل حياتي، وكيف سلكت في وسطكم بكل تواضع وإنكار للذات. وتعلمون أنني لم أسع قط إلى معيشة ميسرة أكثر من أي واحد منكم بأي حال، بل بالعكس، فقد كنا جميعا مثل إنسان واحد في معيشتنا، ولم أكن مستترا عنكم في أي شيء في هذا المكان المقدس. لأن الرب شاهد على ضميري بأنني لم أقُل

(199) SBO, 118.

ذلك عن غرور أو كبرياء. وفي الواقع إنني لست مزمعا أن أكلّمكم عن الأمور التي كنت أفعلها، والتي هي ظاهرة لكم، لكي أقنعكم ا، ولكنني بخلاف ذلك سـأكلّمكم عـن الأمور التي لم أكن قد أوضحتها لكي تطمئن قلوبكم".

"إنني، أمام الله والناس، لم أسبب عثرةً لأي واحد منكم. والرب يعلم كذلك أنه إذا لم تراعوا كل القوانين التي وضعتها لكم وتطبقوها عمليا، فلن تجدوا أية راحة لنفوسكم. وأنا أقول ذلك لأنني لا أعرف ما هو مزمع أن يحدث لنا، لأن الرب يأمرنا في الإنجيـل قائلاً: «فاسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابـن الإنسـان» (مت٢٥: ١٣)".

"إنكم تعلمون قصدي وغايتي، ولم أوبخ أحدا منكم قط كمن له سلطان إلاّ مـن أجل خلاص نفسه، ولم أنقل أحدا من مكان لآخر أو من وظيفة إلى أخرى إلاّ لعلمـي بأن هذا لخيره ومنفعته حسب مشيئة الله. ولم أُجازِ قط أي واحد منكم عن شر بشـر، ولا لعنت أحدا شتمني في ثورة غضب أو ضيق صدر، بل كنت بالعكس أعلمه بطـول أناة حتى لا يخطئ إلى الله قائلاً له: 'والآن، حتى وإن كنت قد أخطـأت في فـاحرص لنفسك كإنسان لئلاّ تخطئ إلى الله الذي خلقك'. ولم أغضب قط إذا وبخني أحد بحـق، حتى ولو كان الذي وبخني صغيرا. ولكنني كنت أتقبل توبيخه من أجل الله كما لو كان الرب هو الذي يوبخني".

"ولما كنت أذهب إلى موضع أو جماعة (مجمع آخر) لم أطلب قط كمن له سلطان: 'أعطِني جحشا لأمتطيه'، بل كنت معتادا أن أذهب ماشيا بشكر واتضـاع. أمـا إذا لاحقني أحد منكم بالجحش لكي يجعلني أركبه بعد أن مشيت على رجلي، فإذا لحقـني على الطريق ورأيت أن جسدي مريض ويحتاج إلى راحة من التعب، فكنت أقبل منـه ذلك. أما إذا لم أكن مريضا فما كنت أقبل ذلك. أما بخصوص الأكل والشرب والدهن بالزيت وسائر الأمور الخاصة براحة الجسد، فأنتم لستم تجهلـون بمـا اعتـدت عليـه بخصوصها كما قلت لكم سابقًا".

وبينما كان القديس يقول ذلك كان الأب تادرس جالسا على مسافة قصيرة وهـو يبكي ووجهه بين ركبتيه. وكان كثيرون من الإخوة يبكون أيضا، عارفين بخدمته التي لا تفتر لكل واحد، وتواضعه الشديد حينما كان يعمل كخادم لكل واحد منهم بمخافـة الرب كما يقول الرسول بولس: «كنا مترفقين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها،

هكذا إذ كنا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسـنا أيضـا لأنكم صرتم محبوبين إلينا» (١تس٢: ٧و٨). ولكن القديس كان يصرح بكل ذلك وهو راقد مريضا، وكان هذا هو اليوم الثالث لصومه، وكانوا جميعا يبكون بسبب الكارثـة التي ستحلّ بهم إذا افتقده الرب مثل غنم يؤخذ منهم راعيهم(٢٠٠).

أوصى الأب باخوميوس أبا تادرس قائلاً: "إذا افتقدني الرب فلا تتـرك جسـدي في المكان الذي سيدفَن فيه". فأجابه أبا تادرس بحزن عميق: "سأعمل بما تقوله لي". ثم أمسك بلحيته وضربه على صدره وقال له: "انتبه"، وكرر تلك الوصية مرةً أخرى، فقال له أبـا تادرس أيضا: "يا سيدي وأبي، سأعمل بكل رضى بكل ما تأمرني به". وقد ظن أبا تادرس أنه قال ذلك بإصرار خوفًا من أن يسرق البعض جسده ويقيموا عليه موضع شهادة كمـا يفعلون مع الشهداء القديسين. لأنه سمعه عدة مرات ينتقد الذين يفعلون ذلـك قـائلاً إن القديسين لا يسرون بالذين يفعلون ذلك، لأنهم يتاجرون بأجساد القديسين.

ثم أمسك بلحية أبا تادرس مرةً أخرى وقال له مرةً ثالثةً: "يا تادرس، احـرص أن تعمل سريعا بما قلته لك. وكذلك إذا صار الإخوة متهاونين، فعليك أن تنذرهم بناموس الله". ففكر أبا تادرس في نفسه قائلاً: "ماذا يقصد بهذا القول؟ هل يعني أنني بعد حين سأكون مسئولاً عن الإخوة؟ لست أدري". وبينما كان يفكر في ذلك قال لـه الأب باخوميوس: "لا تكن مترددا ولا تتذبذب، فإنني أشير ليس فقط إلى ما أقوله لك، بـل أيضا إلى ما تفكر فيه في قلبك". فقال أبا تادرس وهو يبكي: "حسنا".

ولما قال الأب باخوميوس ذلك، فَقَد وعيه لفترة قصيرة، ولم يقل لأحد شيئًا آخر. ثم رشم علامة الصليب بيده ثلاث مرات، وفجأةً فتح فمه وسلّم روحه للرب(٢٠١)، فحلّت عليهم مخافة عظيمة حتى إن المكان تزعزع ثلاث مرات. وقد رأى كثير مـن الشـيوخ الذين كانت لهم رؤى عديدة قالوا: "رأينا حشدا من الملائكة في صفوف فوق بعضـها وهم يتأملون فيه، وكانوا يتقدمونه وهم يسبحون بكل فرح حتى اسـتقبل في مكـان راحته". وقد خرجت من مكان راحته رائحة عطرية لأيام كثيرة. ووضع أبا تـادرس يديه على عيني أبيه القديس وأغلقهما كما فعل يوسف الصديق مع أبيه، والذي قال عنه الرب ليعقوب أبيه: «لا تخف من النـزول إلى مصر لأني أجعلك أُمةً عظيمةً هناك، أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أُصعدك أيضا، ويضع يوسف يده على عينيـك» (تـك٤٦:

(200) G 1, 114, 115; SBO, 118 – 121.

(٢٠١) وذلك في ١٤ بشنس (٩مايو عام ٣٤٦م) الساعة العاشرة نهارا.

٣و٤). وبكى جميع الإخوة واندفعوا إليه وقبلوا فمه وكل جسده المقدس.

وقضى الجميع بقية ذلك النهار والليل كله حوله أمام المذبح وهم يقرأون فصولاً من الكتاب المقدس. ولما انتهوا من صلوات الصباح أعدوا جثمانه للدفن كما فعلوا مع بقية الإخوة وقدموا ذبيحة الإفخارستيا (القداس) لأجله. ثم تقدموه وهم يرتلون المـزامير إلى الجبل حيث دفنوه. وقد قال الإخوة بعد ذلك: "لقد صرنا اليوم بالحق يتامى". وبعـد عودتهم أخذ أبا تادرس في تلك الليلة ثلاثة إخوة معه ونقلوا جثمانه ووضعوه مـع الأب بفنوتيوس أخي أبا تادرس ومدبر الكينونيا، ولا أحد يعلم أين يرقد جسده حتى اليـوم (أي يوم تدوين هذه السير والأقوال).

وقد كانت كل سني حياته ستين سنة، فقد ترهب في سن الحادية والعشرين، وقضى التسع والثلاثين سنة التالية في الرهبنة. ولما رأى الرب أنه صلب ذاته في كل شيء لكـي يصنع مشيئته أراد أن يعطيه راحةً، فأخذه عنده ولم يسمح أن يبلغ سنا كبيرا حـتى لا يعاني أكثر من ضعف الجسد[٢٠٢].

كان الأب باخوميوس يتحدث مع أولاده كثيرا بكلام الله. وبعض الذين أحبوه بشـدة دونوا الكثير من تفاسيره للكتب المقدسة التي سمعوها منه. وكان إذا رأى منظرا أو رؤية يخبر به الإخوة القدامى لكي ينتفع إيمانهم، فالرب دائما يمجد خدامه كما قال لموسى: «فيؤمنوا بك أيضا إلى الأبد» (خر١٩: ٩). ولكننا تعلّمنا في حينه أنه لم يعطَ للجميـع أن يؤمنـوا وبالأخص الراهب رغم أنه يسير في طريق القديسين، ولكن الطريق مفتوح أمام الجميـع. لذلك جمعنا هذه الأمور ودوناها لكي لا نخسر شيئًا من ثمار ما قيل.

ولنعلم يقينا أن الرب لا زال يقول حتى الآن: «أكرم الذين يكرمونني» (١صم٢: ٣٠). ونحن نعلم أن مزمورا واحدا يكفينا، لا سيما أن الرب يقول: «أنا أريحكـم» (مـت١١: ٢٨)، إلاّ أنه توجد الآن في كنيسة الله رتب كثيرة بين الآباء: الأسـاقفة ثم القسـوس ثم الشمامسة ثم الآخرون في الترتيب ومنهم الرهبان، «وطوبى لكل من يتقي الرب» (مز١٢٨: ١). وإن كان الناس لم يكتبوا سيرة كل إنسان كامل؛ إلاّ أنها كُتبت عند الرب.

ونحن لم ندون كل ما كتبناه إلاّ من أجل التذكار، وذلك كما كتب الآباء رسائلهم للمنفعة، ومثل سيرة الطوباوي أنطونيوس للرهبان والإخوة في الأرجاء الأجنبية الـذين طلبوها من الكلي القداسة البابا أثناسيوس. وحتما إنه كتب بتدقيق، أما نحن الخطاة فلا

(202) G 1, 116; SBO, 122, 123.

نقارن أنفسنا بهذا الرجل العظيم، ولكننا كتبنا كأولاد قد أخذتنا الغيرة أن نحفظ تذكار الاباء الذين أرشدونا.

وكان الأب باخوميوس نفسه، وهو بعد حيا، يملي أحاديثه وتوجيهاته ليس لتهذيب جماعته وحدهم؛ بل بعث أيضا برسائل كثيرة لآباء الأديرة. وكان يستخدم فيها الحروف من الألفا إلى الأوميجا ليعبر بها، بلغة روحية سرية، عن أمور تختص بتدبيرهم للنفـوس. وكان يفعل ذلك عندما لا يسمح له الوقت بزيارتهم. وإذ كانوا رجالاً روحيين، فقـد كانوا يجاوبونه بنفس الأسلوب. وقد فهموا جيدا أنه يقودهم بذلك إلى الكمال، مرشدا إياهم بكل تفصيل بالرموز وبلغة خاصة حتى إنهم طلبوا منه أن يجمع هـذه الكتابـات الروحية في كتاب[٢٠٣].

قيل عن أبينا القديس أنطونيوس عندما أتى إليه أولاد القديس باخوميوس يسـألون عنه إن أبانا أنطونيوس كان قد مرِض في الجبل الخارجي، وكان أولاد أبينا بـاخوميوس قد جاءوا من ديرهم طالبين مدينة الإسكندرية، فلما سمعوا أن القديس أنطونيوس مريض في الجبل الخارجي[٢٠٤]، فأرسوا مركبهم على البر وذهبوا لكي يجتمعوا به ويسألوا عنـه ويتباركوا منه. فلما سمع أنبا أنطونيوس أنّ إخوة دوناسة قد جاءوا لكي يسـألوا عنـه ويأخذوا بركته، غصب نفسه وقام وترك قوما من الإخوة كانوا يزورونه، وأمسكوا يده وأقاموه بسبب أن رقاده أبطأ زمنا طويلاً ولأنه كان شيخا هرما[٢٠٥]، وخرج ليسـلّم عليهم. فتعجب الإخوة المجتمعون حوله جدا. ولما أخرجوه وهم ممسكون بيده إلى الباب الخارجي قبلهم بقبلةٍ روحانيةٍ مقدسةٍ، ثم أمسك أنبا تادرس (تلميذ أنبا باخوميوس) بيده اليمنى وأنبا "زكّاوس" بيده اليسرى وساروا معه والإخوة جميعـا يتبعونـه إلى موضـع مرقده، ثم صلوا وجلسوا.

ثم سألهم: "كيف حال أبا باخوميوس"؟ أما هم فبكوا، فعلم أنه قد انتقل. وقد رأى الإخوة المحيطون به وجهه ممتلئًا فرحا وهو ينير مثل وجه ملاك الله، وابتدأ يتكلم معهم قائلاً: "لا تتوجع قلوبكم، يا أولادي، من أجل رجل الله الصديق المزين بكل الفضائل أبينا باخوميوس لأنه رقد، لأنكم قد صرتم معه جسدا واحدا وشركاء في الأعضاء (أي العضوية)، وقد امتلأتم من نعمة روح الله القدوس التي كانت تنير داخله. لا تبكوا، فقد

(203) G 1, 99; SBO, 189.

(٢٠٤) أي القريب من النهر، أما الجبل الداخلي فهو عند البحر الأحمر.

(٢٠٥) يرجح أن هذه الرحلة تمت بعد ٢١ أكتوبر سنة ٣٤٦م، أي بعد عودة البابا أثناسيوس من منفاه، وكان عمر أنبا أنطونيوس حينئذ ٩٥ سنة، وقد تنيح بعد ذلك بعشر سنوات سنة ٣٥٦م بعد أن أدرك من العمر ١٠٥ سنة.

صرتم جميعكم مثل أبا باخوميوس. وأقول لكم إنه استلم خدمةً عظيمةً بجمعه هذا العدد الوافر من الإخوة وسلك منهج الرسل. وفي الحقيقة إنني كنت أشتهي أن أنظره في الجسد، وبحقٍ إنني لم أستحقه، ولكن على أي حال سننظر بعضنا بعضا بنعمة الله في ملكوت السماء وأيضا جميع الآباء القديسين وبالأخص ربنا وإلهنا يسوع المسيح. ولا سيما أن النفوس التي جمعها حوله هي مقدسةٌ لرب الصباؤوت، وأولئك سوف يظهرون الأمر أ م مرتفعون أكثر منا ويسيرون في طريق رسل المسيح التي هي الشركة المقدسة. أما أنتم فتشجعوا وكونوا كاملين".

فقال أنبا تادرس لأبينا أنطونيوس: "اغفر لنا يا أبانا القديس لأنك أنت أكرم منا وأنت هو الباقي من أنبياء الله". وقال له أنبا زكّاوس: "بل إنك أنت أيها الأب نور لكل العالم، وقد بلغ صيتك إلى الأباطرة، وبسببك يمجدون الله". ثم قال له بسذاجةٍ: "إن كان هذا هو الطريق السامي الذي للرسل، أعني الشركة التي أسسها أبونا، فلماذا لم تكن أنت في شركةٍ مثلها وتربي نفوسا كثيرة أيضا كما قلت حتى يعلم الجميع أنك صديق للمسيح يسوع وكاملٌ في الفضائل الحسنة التي للروح القدس؟ الرب يعلم أنّ أبانا باخوم لم يفتر عن الكلام معنا في كل حين ليملأنا بالغيرة من سيرتك"!

فأجاب أنبا أنطونيوس وقال له: "اسمع مني لكي أُطيب قلبك وأقنعك أيها الصغير زكّاوس لأنك مستحق أن أُطيب قلبك، لأن زكّاوس (أي زكا) كان قصير القامة: إنه في الزمان الذي صرت أنا فيه راهبا لم تكن على وجه الأرض حياة شركة لكي أصير أنا أيضا فيها، بل إنه بعد الاضطهاد كان كل واحدٍ يسكن خارج بلده ويتوحد، ولذلك صرت أنا أيضا في الوحدة، ثم ظهر طريق الرسل على الأرض في هذا الزمان، والأمر الذي ابتدأ به أبونا القديس باخوميوس كان خلاصا لكل من هو مضيق عليه من قِبل الشيطان الشرير. والآن لو أردت أن أجمع حياة شركة لا أستطيع لأنني لم آتِ من الأول بأمر كهذا لكي أصنع ما يجب أن أصنعه مع كل واحدٍ في الشركة. كما أنني إذا أردت أن أعيش مع إخوةٍ مجتمعين في سيرةٍ كهذه وأخضع لهم مثل واحدٍ من الصغار لا أقدر لأنني قد كبرت في هذه الشيخوخة، ولذلك فقد اخترت أن أبقى وحدي هكذا كما أنا الآن".

"لقد كان تدبيري هو أن أخرج من الجبل لكي أفتقد الإخوة، وكنت أتكلم مع كل واحدٍ من الإخوة وأُثبته في كلام الرب لكي يكون لي أجر من الرب يسـوع المسـيح. وأقول لكم إنّ هذا الأمر هو موضع اهتمامي أمام الرب في كل حين: أن تخلص نفـس واحدةٌ بواسطتي في الرب لكي يخلص الرب نفسي، ولكنهم لا يتركونني أصـنع إرادتي،

بل عندما يسمعون أنني خرجت من الجبل الخارجي فإن كثيرين من المتخاصمين والذين بينهم مشاكل يسرعون إلي ويكلفونني أن أكتب إلى السلاطين والرؤساء من أجل ظلمهم (أي شكاواهم). ولكنني لما كنت أرى أن هذا ليس فيه ربح لمن هو في شكلنا كنت أمضي بسرعةٍ إلى الجبل وأنفرد في الوحدة".

ولما قال الطوباوي أنبا أنطونيوس ذلك من أجل الإخوة والسيرة المقدسة التي للشركة وكثرة فضائلها، وكانت عنده جموع كثيرةٌ في ذلك الوقت وكهنة وعظماء جاءوا إليه لكي يسألوه ويتباركوا منه؛ علم أنهم تقمقموا (أي تذمروا) في قلوبهم بسبب تمجيده للإخوة الذين للشركة الذين هم تحت الخضوع. فقال لهم: "هل غضبتم بالحق في قلوبكم لأنني أكرمت صبر الإخوة وعبادتهم لله"؟ فقالوا: "لم يكن ضيقنا بالباطل، ولكن ضيقنا في قلوبنا هو لأنه منذ زمانٍ كثير منذ أن ضعفت بالجسد، فإنّ كل من يأتي إليك ويسأل عنك من أسقف أو كاهن أو جندي أو مقدم أو أي رئيس لا تقف وتقبل أحدا منهم بسبب ثقل مرضك، بل إنهم هم ينبسطون عليك ويقبلون رأسك وفمك وصدرك بشكر. ولما أخبروك عن الإخوة الذين من دوناسة في تلك الساعة قمت وتركتنا جالسين ومشيت أمامهم بفرحٍ عظيمٍ وقبلتهم بفرحٍ وتهلّل قلبك من أجلهم"!

فقال لهم الطوباوي أنبا أنطونيوس: "أنا أطيب قلوبكم بخصوص هذا الأمر وأخبركم بكل ما صار إلي من الله بالحق. فالرب يعلم أنني لست من أجل الإخوة قمت وخرجت أمامهم وقبلتهم لأنهم مكرمون عندي أكثر منكم، كلاّ الرب يعلم، بل إنّ ملاك الرب سبق أن دخل إلي قدامكم وقال لي: 'هوذا أولاد أنبا باخوم الذي من دوناسة قد جاءوا إليك، فقُم الآن واخرج أمامهم'. وفيما كان الملاك يتكلم معي جاء إلي خبر مجيئهم، وحينئذٍ حلت علي قوة الرب، فقمت وخرجت وقبلتهم إلي بفرحٍ كما أمرني ملاك الرب. نعم طوباهم إذا ما صنعوا وأكملوا كل الوصايا والقوانين التي وضعها رجل الله الصديق أنبا باخوم".

فأجابه الإخوة الجالسون عنده قائلين: "إن كان هؤلاء الإخوة الذين لتلك الشركة مستحقين للكرامة والمجد الذي مجدتهم به فكيف أنه عندما نجتاز بأديرتهم يتعبوننا إذ يستقصون منا إن كنا من أتباع "ماني" (الهرطوقي) في إيماننا، ونتعب في كلامنا معهم بأننا من أصحاب الأب أنطونيوس ولا يصدقوننا بل يقولون: 'إنّ كثيرين يجيئون إلى هنا ويقولون ذلك فنقبلهم إلينا كوصية الإنجيل، وبعد أن يرحلوا نتقصى عنهم فنجدهم مانيين (أي من أتباع ماني)'"؟

فأجاب أنبا أنطونيوس قائلاً: "أيها السذج الذين ليس عندهم تمييز الكتب وتقبلون إليكم كل واحدٍ بدون اختبار، هل تريدون أنّ إخوة الشركة المقدسة يكونون بلا فحصٍ للذين لا يعرفو م في إيما م؟ أما هم فلأ م متحفظون في كل شيء لأ م يذكرون الكلمة المكتوبة في الإنجيل المقدس التي قالها لنا الرب: «اِحذروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفو م» (مت٧: ١٥و١٦)، وأيضا: «امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن» (١تس٥: ٢١). قد توجد محبة ترون أ ا جيدةٌ ولكن آخر ا تبلغ إلى عمق الجحيم".

فطابت قلوب الإخوة والكهنة جميعا من التعليم الذي قاله لهم القديس أنطونيوس عن إخوة الشركة التي لأبينا القديس أنبا باخوم. ثم سأل أنبا أنطونيوس إخوة دوناسة قائلاً: "قولوا لي، من الذي عينه أبوكم ليكون خلفًا له"؟ فأجابوه: "أبا بترونيوس، وعند نياحته عين أبا أورسيزيوس". فقال لهم: "لا تدعوه "أورسيزيوس" بل "الإسرائيلي". وعندما تذهبون إلى الأسقف أثناسيوس، الذي هو أهلٌ بالحقيقة للأسقفية، فقولوا له إن أنطونيوس يقول: 'اعتنِ بأولاد الإسرائيلي'". ثم قام وصلى عليهم وباركهم وخرجوا من عنده إلى مركبهم بسلام، وحملهم رسالةً إلى البابا أثناسيوس. صلا م تكون معنا جميعا آمين(٢٠٦).

أخبر الأب تادرس الإخوة عن حياة أبينا باخوميوس منذ طفولته وعن جميع الأتعاب التي تكبدها منذ البداية، وعندما أسس الكينونيا المقدسة. فقد حـدثهم عـن تجـارب الشياطين وكيف طردهم من النفوس التي أعطاه الله إياها، وعن الرؤى التي أعلنـها لـه الرب، وعن كل شيء سمعه من فم القديس. وكذلك أيضا الأمور التي رآهـا بعينيـه. وكان حديثه معهم هكذا: "أصغوا إلي، يا إخوتي، وافهموا جيدا الأمور التي أقولها لكم. لأن الإنسان الذي نمدحه هو حقًا أبونا كلنا بعد الله. فإن الله قد أسـس معـه عهـدا ليخلص نفوسا كثيرةً جدا بواسطته. ونحن أيضا قد خلّصنا الرب بصلواته المقدسة. لأنه هو أيضا واحد من رجال الله القديسين، فقد كان يتمم إرادة الله دائما وفي كل مكان. إنني أخاف أن ننسى أتعابه ونصير بالفعل غير مكترثين بذاك الذي جعل هـذا الحشـد الكبير روحا واحدا وجسدا واحدا. لقد تحقق ذلك بواسطته وبواسطة آبائنا القديسـين الآخرين الذين ساعدوه في تأسيس هذا الصرح المقدس. تأملوا كيف بارك الرب بيـت يوناداب ابن ركاب بلسان إرميا قائلاً: «من أجل أنكم سمعتم لوصية يوناداب أبـيكم

(٢٠٦) م ٢٣ ورقة ١٧٠؛ SBO, 126-129; G 1, 120.

وحفظتم كل وصاياه وعملتم حسب كل ما أوصاكم به، لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: لا ينقطع ليوناداب بن ركاب إنسانٌ يقف أمامي كل الأيام» (إر٣٥: ١٨و١٩). ونحن نؤمن أيضا أن بركة أبينا سوف تبقى معنا ومع كل الذين يأتون بعدنا أمام الله إلى الأبد".

والآن، فلنحرص إذن ألاّ نكون مهملين وننسى أحكامه ووصاياه التي أعطانا إياها عندما كان معنا في الجسد. وما هو الذي نتميز به عن باقي الناس؟ هل نتميز بأن لنا زيا خاصا؟ أو أننا مجتمعون معا في شركة كينونيا واحدة؟ إنه يوجد في الواقع كثيرون مجتمعون معا في أماكن كثيرة ويلبسون نفس زينا أيضا، لأن مجد الرب إلهنا ونعمته قد ملأت العالم كله(٢٠٧)؛ ولكن الميزة التي أعطانا إياها الرب حقًا هي ما أعطانا إياه أبونا البار، فقد انتهج فيما أعطانا طريق حياة الأنبياء وطريقة الخدمة التي سلكها ربنا حسب الإنجيل. لقد كان بلا لوم أمام الجميع كما تشهدون أنتم أنفسكم. كما أنكم لستم غير مدركين كيف كان كثيرا ما يعلّمنا بدموع كما قال ق. بولس للذين كان يعلّمهم: «اسهروا متذكرين أني ثلاث سنين ليلاً و نهارا لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد» (أع٢٠: ٣١)، وكيف كان يجمعنا كل يوم ويحدثنا عن الوصايا المقدسة حتى نحفظ كل وصية للمسيح في الكتب المقدسة، وكيف كان يعمل بها قبل أن يوصينا بها. فإنه بصلتنا بمثل هذا الإنسان البار تعلّمنا إرادة الله حتى في أدق التفاصيل مثل بسط أيدينا إلى فوق للرب وكيفية الصلاة. والذي علّمنا ذلك (أي أنبا باخوميوس) ألا نباركه بعد الرب الذي خلقنا؟ حقًا، ألم يقُل الله لإبراهيم الذي عمل إرادته: «أبارك مباركيك ولاعنيك ألعنه» (تك١٢: ٣)؟ والآن إذًا، يا إخوتي، فلنقل كلنا: "مبارك الله وأبونا البار باخوميوس الذي بجهاد صلواته صار لنا مرشدا للحياة الأبدية".

فأجاب جميع الإخوة بصوت واحد وفم واحد: "مبارك أبونا القديس البار أنبا باخوميوس في كل شيء وفي كل أعماله". ولما أعلنوا ذلك كلهم بفرح وثقة عظيمة فيه أضاف الأب تادرس قائلاً: "ربما يفكر بعضكم أننا نعطون المجد للجسد، كلاّ بتاتا. أو أننا من ناحية أخرى نضع رجاءنا في إنسان، كلاّ إطلاقًا، بل إننا نمجد ونبارك روح الله الذي فيه. وإننا في الواقع إذا باركنا الجسد أيضا فإنه مستحق لذلك حقًا لأنه صار هيكلاً للرب. ومن المناسب ليس أن نفعل ذلك فحسب؛ بل إننا نعلم كذلك ونؤمن أن اسمه مكتوب في سفر الحياة مع جميع القديسين".

(٢٠٧) يتضح من ذلك أن الرهبنة في ذلك الوقت كانت قد انتشرت في أنحاء مصر بل وفي أنحاء العالم أيضا.

”والآن إذًا، يا إخوتي، أقول لكم إنه ضروري وحق علينا أن نكتب عن كل أعماله منذ البداية وعن الكمال الذي حققه في حياته، وعن كل الجهادات النسكية التي قام ا حتى تظل ذكراه على الأرض كما هي باقية في السماء إلى الأبد كما قال أيوب الطوباوي: «ليت كلماتي الآن تكتب، يا ليتها رسمت في سفر ونقرت إلى الأبد في الصخر» (أي١٩: ٢٣و٢٤). ولكن لا يقل أحد بجهله: «ملعونٌ الرجل الذي يتكل على الإنسان» (إر١٧: ٥)، لأنه قيل لكم كثيرا إنّ من يلتصق بالرب فهو روح واحد معه (١كو٦: ١٧)، وقيل أيضا: «أما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح» (رو٨: ٩). إذًا، فالإنسان الذي يلتصق بالرب ويخدمه لم يعد إنسانا بسبب فكر الروح القدس الذي فيه، تماما مثل وضع السيف في غمده. فإنه لا يقال: "السيف وغمده" كما لو كانا منفصلين بعضهما عن بعض، فيطلَق لهما اسمان؛ ولكن يقال ببساطة: "السيف". وأيضا مثل الخمر في زق عندما يخلَط بالماء، فإنه لا يدعى "خمرا وماءً"؛ ولكن الذين يشربونه يدعونه ببساطة: "خمرا". وهكذا أيضا مع الإنسان الذي يصير هيكلاً لله بتطهير نفسه وجسده وروحه“.

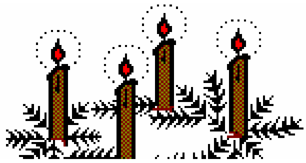
”دعونا نتأمل في القديسين الذين ذُكروا في الكتب المقدسة، وكيف كان كل واحد منهم يمدح من سبقه الذي قاده إلى الحياة إذ عرفه بالله. وقد فعلوا ذلك بناءً على وصية الرب ووفقًا لإرادته. لذلك يليق بنا أيضا، بلا أي تردد، أن نبارك أبانا البار الذي قادنا إلى معرفة الله. عندما كلّم الله إسحق أب الآباء باركه وقال له: «لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك ... وأكثّر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أُمم الأرض من أجل أن إبراهيم (أباك) سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي: أوامري وفرائضي وشرائعي» (تك٢٦: ٢-٥). فلو لم يكن إسحق قد أرضى الرب لما كان قد خاطبه ذا الأسلوب، وما كان قد دعاه: "ابن إبراهيم" عندما قال له: «أباركك من أجل إبراهيم أبيك». وبذلك فقد علّم خادمه وأظهر له تعضيده الكامل في أن يمتدح ذاك الذي ولده بالجسد وبالروح أيضا. وأيضا لوط البار، فقد سلك بكرم الضيافة والبر الذي تعلّمه من إبراهيم لما كان معه قبل أن يفترقا. ولما سكن في سدوم داوم على ممارستها، وكان يعمل الخير دائما لكل من يأتي إليه (تك١٩: ١-١١). وقد كُتب عنه أيضا: «الله ذكر إبراهيم وأنقذ لوطًا من الهلاك» (تك١٩: ٢٩ حسب النص). وقد صار موضع إعجاب وبورك في مواضع عديدة في الكتب المقدسة لأنه أطاع تعاليم إبراهيم“.

"وهكذا يعقوب أيضا عندما كان يبارك ابني يوسف، نجده يمدح آباءه بقوله: «الله الذي كان أبواي إبراهيم وإسحق مرضيين في عينيه ... يبارك هذين الغلامين، وليدع عليهما اسمي واسم أبوي إبراهيم وإسحق» (تك٤٨: ١٥و١٦ سبعينية). ويوسف أيضا، عندما كان على وشك أن يموت قال لإخوته: «الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف بخصوصها لإبراهيم وإسحق ويعقوب» ولنسلهم (تك٥٠: ٢٤)".

"ها أنتم ترون أننا قد سردنا لكم من كل هؤلاء الشهود من الكتب المقدسة كيف كان كل هؤلاء القديسين يمدحون ويمجدون آباءهم الذين سبقوهم. أفلا يحق لنا نحن أيضا أن نمدح ونكرم رجلاً بارا ونبيا أعطانا إياه الرب لكي بواسطة قداسته نقبل إلى معرفته"[(٢٠٨)]؟

عندما وصل خطاب من الأب أنطونيوس إلى أبا تادرس وأبا زكاؤس والإخوة الذين كانوا معهم في الإسكندرية لتشجيعهم، ابتهجوا جدا ولا سيما بالأكثر لأنه كتب لرئيس الأساقفة (أثناسيوس) أبي الإيمان موصيا إياه عليهم كأبناء للإسرائيلي (أورسيزيوس) لكيما يعاملهم بكل لطف. وقال الإخوة للأب تادرس: "إننا حقًا محظوظون لكوننا صرنا مستحقين أن يهتم بنا هؤلاء الكواكب المنيرون، إذ هم يهتمون بنفوسنا بسبب إخلاصهم الشديد لأبينا (باخوميوس)". فقال لهم أبا تادرس: "هذا بسبب أتعاب أبينا ودموعه، وأيضا أتعاب أبا بترونيوس التي تشفع فينا في كل مكان. فضلاً عن أن أبانا أورسيزيوس أيضا سيكون ينبوع حياة لنفوسنا في كل عمل صالح".

"إنني أخبركم، يا إخوتي، أنني سمعت أبانا باخوميوس يوما ما - كما أن الآباء القدامى سمعوه حينئذ - يقول: [إنني أرى في مصر في جيلنا هذا ثلاثة رؤوس ناضرة ولها حظوة لدى الله والناس: الأول هو القديس أنبا أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندرية الذي يصارع لأجل الإيمان حتى الموت، والثاني هو أبونا القديس أنطونيوس النموذج الكامل لحياة التوحد، والثالث هو هذه الشركة النموذج لكل من يريد أن يجمع النفوس بحسب الله لكي تعينهم على تحقيق حياة الكمال"[(٢٠٩)].



(208) SBO, 194.

(209) G 1, 136; SBO, 134.

من أقوال أنبا باخوميوس

قال أنبا باخوميوس: يا بني، إذا جعلت توكلك على الله فهو يصـير لـك ملجـأ ويخلّصك من جميع شدائدك. وإن سلّمت كل أمورك إليه فآمن أنـه قـادر أن يعمـل العجائب لقديسيه. جميع المعلمين والآباء والكتب المقدسة توصي بالصبر الكثير وتحـث عليه، والله لا ينسى حتى الريق الذي ييبس في فمك وأنت صائم، بل إنك تجد ذلك عند شدتك في وقت انتقالك.

اتضع في كل شيء، وإن كنت تعرف كل حكمة، فاجعل كلامك خلف كل أحد، وبذلك تكمل كل شيء. اقبل جميع التجارب بفرح عالمًا با ـد الذي يتبعها، فإنـك إن تحققت من ذلك فلن تملّ من احتمالها، بل وتصلّي لله ألاّ يصرفها عنك. جيد لـك أن تتنهد وتبكي لكي تخلص، لأن الراحة تضرك وتفرح أعداءك. لا تسمح لقلبك أن يسبى (أو يستعبد) مع الغرباء لئلاّ يقال لك: لأنك لم تثق بالرب فأقم الآن في أرض العبودية.

لا تخل قلبك من ذكر الله أبدا لئلاّ عندما تغفل قليلاً يسيطر عليك الأعـداء لأ ـم يترصدون لكي يأخذوك. اغلبهم بترك الكبرياء واحذر منها لئلاّ تفرح أعداءك. سـر في طريق الاتضاع، لأن الله لا يرد المتواضع خازيا، بل يجعل المتكبر يسقط وتكون سـقطته بشعة. إذا ضعفت عن أن تكون غنيا بالله، فالتصق بمن هو غني به لكي تسعد بسـعادته وتتعلّم أن تسلك في وصايا الإنجيل.

ما أعظم فخر الصابرين على التجارب، فكن صبورا وقاتل جميع أفكار الشيطان لكي يعطيك المسيح المواعيد التي أعطاها للقديسين. أحرس نفسك من الشهوة فهي أُم جميـع الرذائل، والمقتنص ا يضلّ عقله ولا يعود يعرف شيئًا من أسرار الله. احرس نفسك من الامتلاء من الطعام لأن الطريق المؤدية إلى الحياة كربة والباب ضيق، لئلاّ يجعلك الامتلاء خارج الملكوت. إياك والنجاسة فهي تفصل الإنسان عن الله. احذر تكبر القلب لأنـه أصل السيئات كلها. كن متيقظًا بكل قوتك لتكون أمينا على مال سـيدك وتـدخل ملكوته بفرح. له ا ـد دائما[٢١٠].

وقال أيضا: سألني أحد الإخوة قائلاً: "قل لنا منظرا مما يظهر لك لكي ننتفع". فأجبته أنا: "من كان مثلي خاطئًا لا يعطَى مناظر، ولكن إن شئت أن ترى منظرا يا ينفعك بالحق

---

(٢١٠) س ٤ ورقة ٢١.

فأنا أدلك عليه: إذا رأيت إنسانا متواضع القلب وطاهرا فهذا هو أعظم المناظر، لأنك بواسطته تشاهد الله الذي لا يرى، فعن أفضل من هذا المنظر لا تسأل"[211].

وقال أيضا: يا بني، في كل شيء اطلب الله بطول روح مثل الزارع والحاصد، فإنك تملأ أهراءك من نعم الله. ارفض إرادتك كلها وافلح (أي كن ناجحا) لله بكل استطاعتك. إذا جاءك فكر عن جمال الأجساد أو بغضة أو غضب أو أي شيء من الفواحش فكن قوي القلب وقاتل كالجبار تكسرها مثل "عوج" و"سيحون" وباقي ملوك الكنعانيين، وحينئذ ترث جميع مدن أعدائك. اطرح عنك ضعف القلب لئلاّ يملك عليك الكسل وقلة الإيمان فيطمع فيك أعداؤك. اجعل قلبك كقلب سبع واصرخ مثل بولس الرسول وقُل: «من سيفصلنا عن محبة المسيح» (رو٨: ٣٥)؟

إن كنت في البرية فقاتل بالصلوات والتنهد والصوم، وإن كنت في وسط الناس فكن وديعا كالحمام وحكيما كالثعبان. إن افترى عليك أحد فلا تفتر أنت عليه، بل افرح واشكر الله. وإذا أكرمك إنسان فلا يفرح قلبك بل احزن. إن بولس وبرنابا لما أكرموهما شقّا ثيابهما، وبطرس وبقية الرسل لما افتروا عليهم وجلدوهم فرحوا أنهم أُهينوا من أجل الاسم العظيم (أع٥: ٤١). يا بني اهرب من مجد الناس وجميع لذّات الدهر الحاضر، ولا تكسل ولا تدفع يوما بيوم فيأتي خلفك المرسلون ليأخذوك وأنت غير مستعد فتلاقي شدةً عظيمةً وتعاين الوجوه البشعة ويحيطون بك بقساوة وتمضي إلى المنازل المظلمة الممتلئة فزعا ونيرانا. لا تحزن إذا افترى عليك الناس، بل احزن إذا أخطأت إلى الله. طلبت حواء مجد الألوهية فتعرت من المجد الإنساني، وهكذا من يلتمس مجد الناس يعدم مجد الله. حواء لم تكتب لها كتب ولا رأت أمثلة فاختطفها التنين، وأما أنت فقد عرفت هذه الأمور من الكتب المقدسة ومن كافة الذين تقدموك، ولا تقدر أن تقول إنني لم أسمع، لأن أصواتهم خرجت إلى كل الأرض وكلامهم بلغ إلى أقاصي المسكونة (مز١٩: ٤). لا تحزن إذا رذلك الناس وافتروا عليك، لأن ربك دعي ضالاً وأنه بعلزبول وبه شيطان ولكنه لم يتذمر، فاقتنِ أنت وداعة قلب، واذكر أن ربك وإلهك سيق كخروف إلى الذبح ولم يفتح فاه. له المجد إلى الأبد[212].

وقال أيضا: يا بني لا تميزن بين موضع وآخر قائلاً: إنني ألاقي الله ههنا، لأن الله موجود في كل موضع، لأنه يقول إنني أملأ السماء والأرض. إن أحببت أن تعبر مياه كثيرة فانظر

---

(٢١١) س ٤ ص ٢٢.

(٢١٢) المرجع السابق.

لئلاّ تغمرك. لا تفتش على الله (أي لا تفحص أعماله) لئلاّ تتلف حياتك. احفظ القداسة فقط فها هو الله بداخلك. انظر أين كان اللص فورث الفردوس، وأين كان يهوذا ثم أُهل للمشنقة. وكيف أن الزانية حسبت مع الأطهار، وحواء في الفردوس تلهت ا الحية، وإيليا عرج به (أي أُصعد) إلى السماء والملائكة من هناك سقطوا. فاطلب الله ولا تكسل فتجده. لا تقضِ أيامك بالتواني، فكما مضى العام السابق هكذا هذا العام، وكما مر يوم أمس هكذا اليوم. فإلى متى تكسل؟ استيقظ وأقم قلبك قبل أن يقيموك كارها في الدينونة فتعطي الجواب عن كل ما صنعت. إن وقفت في حرب الموت فلا تجزع فينقذك روح الله، لأنه مكتوب: «لا أخاف شرا لأنك أنت معي» (مز٢٣: ٤)[٢١٣].

وقال أيضا: يا بني لا تسكن حيث توجد امرأة، لأن هوة الهلاك كائنة في شفتيها. وإن تملقك الجسد قائلاً إننا من زمان طويل قد تحنكنا بالتجربة، أو إنني صرت ضعيفًا أو عجوزا، أو إن الصوم والحزن أذلاّني، وما بقيت قادرا أن أنفذ أمرك (أيها الجسد)، فلا تلتفت إلى إيحاءاته، لأن الأعداء يكمنون لك بداخله، لئلاّ يحلق شعر رأسك أي أفكار عقلك، فيبتعد عنك روح الله وتضعف قوتك، فيربطك الغرباء ويمضون بك إلى موضع السحق فتكون ضحكةً ولعبةً، ويقلعون عينيك ويصيرونك أعمى لا تعرف طريق الخلاص، ولا تنفك من ربطك، فتموت عند الغرباء بحزن عظيم.

والآن يا بني، استيقظ واعرف المواعيد المذخرة لك، واهرب من القاسي القلب الغاش لئلاّ يقلع عيني عقلك. احترس من الزنى، واذكر العذاب المعد للدنسين. اهرب من مصر ولا تشرب مياها من جيحون التي هي أفكار العهارة. إذا أحببت الأطهار فهم يكونون لك أصدقاء ومعهم تصل إلى مدينة الله المملوءة أنوارا[٢١٤].

وقال أيضا: إذا ظلّ أحدنا يأخذ على من أحزنه وخسره وحقد عليه؛ فقد اغتالت الشياطين نفسه، وليس هذا فحسب؛ بل وإن لم تتحقق أنه مثل طبيب شافٍ فقد ظلمت نفسك. ألا تعلم أنه قد نظّف أوساخك؟ فسبيلك أن تعترف أنه طبيب قد أرسله المسيح لك، أما إن كنت تحب المرض فلا يلام الرب على ذلك. كما أن هذا الوجع الذي ظهر لك إنما هو دليل على ضعف نفسك وإلاّ فما كنت تحزن من الدواء. فينبغي أن تعترف بالفضل للأخ لأنك بواسطته عرفت مرضك القاتل، وأن تقبله كدواء شافٍ مرسل من يسوع المسيح. فإن كنت لم تقتصر على عدم شكره فقط؛ بل أيضا تظلّمت عليه بأفكارك؛ فكأنك

(٢١٣) س ٤ ص ٢٣.

(٢١٤) س ٤ ورقة ٢٣.

تقول للمسيح: لا أريد أن تشفيني، ولا أشاء أن أقبل شيئًا من أدويتك!

فالأحزان هي مكاوي يسوع، فمن يشاء أن يبرأ من أسقامه يلزمه اضطرارا أن يصبر على ما يفعله معه الطبيب، ولعمري إن المريض لا يستلذ بالكي والبتر أو شرب الدواء المر، بل إنه يكره الأدوية، إلاّ أنه بسبب تيقنه من أنه بدون مداواة لا يحصل على الصحة؛ فهو يقـدم نفسه للطبيب، عالمًا أنه بالأدوية المرة يتخلّص من الأسقام. فمكوى يسوع هي ذاك الـذي يهينك، فهو يشتمك ولكنه يريحك من ا د الباطل. ودواء يسوع المنقّي هو من يرذلك لأنه يريحك من الأسقام الروحية، فإن لم تحتمل شرب الأدوية تظلم نفسك وليس الأخ هو الذي سبب لك الضرر[٢١٥].

وقال أيضا: سبيل الراهب ألاّ يكتفي بنسك الجسد والتعب الظاهري وحده؛ بـل وأن يجعل خوف الله ساكنا فيه، لأنه هو الذي يحرق الأفكار الرديئة ويفنيها مثل النار التي تحرق الصدأ وتنظّف الحديد من الأوساخ. هكذا يطرد خوف الله كل رذيلة من الإنسان، ويجعله إناءً للكرامة يصلح لعمل الله[٢١٦].

وقال أيضا: الأكل بمقدار ليس خطية، وإنما هزيمة الرهبان هي أن تسود عليهم شـهوة الحنجرة ويتعبدوا لها[٢١٧].

وقال أيضا: يا بني، جرب كل شيء واختر لنفسك الأفضل. لا تكن متعظم العين بل متواضعا. اجتهد في شبابك لتفرح في كبرك. احرص على القداسة لئلاّ تفتضح في موضع الحكم، ويبصرك معارفك فيعيـروك قائلين: كنا نراك حملاً فوجدناك ذئبا. فأين تسـتر وجهك أو تفتح فاك؟ وكيف تنفلت من عملك الملتصق بك كالصبغة بالثوب؟ ومـاذا تفعل حينئذ؟ ستبكي ولا ينفع البكاء، تسأل ولا يسمع منك. الآن يا بني، ارفض هـذا العالم وارذله وامشِ مستقيما.

لا تصادق صبيا، ولا تحادث امرأة ولا تدخل عندها، لأن الحديد إذا وقع على الحجر قدح نارا. احرس طهارة جسدك وسلامة قلبك، فإذا اكتملت لـك هاتـان الصـفتان أبصرت الله ربك. لا تحقد على الناس لئلاّ يبغضك الله. اجعل لك سلاما مع أخيك لكي يحبك ربك. إذا صرت طاهرا في كل شيء وبينك وبين أخيك عداوة فأنت غريب مـن الله، لأنه مكتوب: «اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدو ا لن يرى أحد الرب» (عب١٢: ١٤). كما قال الرب: «اغفروا يغفَر لكم» (لو٦: ٣٧)، فإن لم تغفر لأخيك

(٢١٥) س ٤ ص ٢٥. (٢١٦) س ٤ ورقة ٢٥. (٢١٧) المرجع السابق.

لا يغفر هو لك؛ لأنه يقول: «هكذا يصنع بكم أبي السماوي إن لم تغفروا لإخوتكم من كل قلوبكم» (حسب النص). فإذا حقدت على أخيك فهيئ نفسك للعـذاب؛ لأنـه يقول: "سلمه للمعذبين".

الآن، قد صرنا مسكنا للإله الصالح في المعمودية، فلا نجعله ينفر منا بأعمالنا السيئة، لأن كل الذين عبروا البحر الأحمر تبددوا في القفر لأ م ابتعدوا عـن إرادة الله وتبعـوا أغراض قلو م. الرهبنة هي الصوم بمقدار، ومداومة الصلاة، وعفة الجسـد، وطهـارة القلب، وصمت اللسان، وحفظ النظر، والتعب بقدر الإمكان، والزهد في كل شـيء. جميع آبائنا بجوع وعطش وحزن كثير أكملوا سعيهم ونالوا المواعيد.

إن كنت قد نذرت لله بتولية بمحبة واشتياق، فاطلبه من كل قلبك وسر في وصاياه، وحينئذ يجعلك له ابنا ويبارك فيك، ويصير بركتك ىرا و ىرك بحرا، ويجعلك مثل بركـة نار، وسراجه يضيء عليك، وتمتلئ نورا من الإشراق الإلهي، ويعطيك الله مثـل مجـد القديسين، فتضع ثقلاً على أراخنة الظلمة، وترى قوة الله في يمينك، وتغـرق فرعـون وجنوده في البحر الأحمر، وتخلّص شعبك من تعبد الغرباء، وتورثهم أرض الخيرات الـتي تفيض لبنا وعسلاً التي هي كمال سعيك وخروجك من هذا العالم بسلام[٢١٨].

وقال أيضا: يا بني، لا تخل قلبك (أي تجعله فارغًا) لئلاّ تفرح أعداءك، لأن الإنسـان بذلك يقع في الشرك. لا تكسل في أن تتعلم خوف الله، وذلك حتى تطلع وتنمو مثل الغرس الجديد، ولكي ترضي الله كطفل صغير لا يعرف شرا. كن رجلاً قويا جبارا في كل تدبيرك ولا تفسد يوما واحدا من عمرك، واعرف ما تقدمه لله الحقيقي. كل يوم اجلس وحدك مثل قاضٍ حكيم ودِنْ أفكارك، فما كان نافعا وموافقًا أبقِه واحفظه، وما كان ضارا أبعده عنك. الآن يا بني، اجعل ناموس الله في قلبك، والزم البكاء واجعله لك صديقًا، واجعل جسـدك قبرا لك حتى يقيمك الله ويعطيك تاج الغلبة، له ا د دائما[٢١٩].

وقال أيضا: اسمع يا بني واقبل التعليم وكُن مطيعا مثل إسحق الذي أطاع أباه مثـل حملٍ بسيط القلب، وتشبه بعفة يوسف وحكمته وحلمه وصبره وغِر من سيرته. كُـن عمالاً ولا تكلّ ولا تكسل، وتمم نذرك الذي قررته مع الله خالقك وربك. كن صبورا وتجلّد لأن القديسين صبروا فنالوا المواعيد. كن متسع القلب لكي تكلل مـع الجنـود الأطهار. داوم على الصوم وصل ولا تملّ، واصبر في البلايا حتى يرفعها الـرب عنـك.

(٢١٨) س ٤ ص ٢٤.

(٢١٩) س ٤ ورقة ٢٤.

اجعل لك سلاما مع إخوتك فيسكن الرب في قلبك. الـزم البكوريـة في أعضـائك والطهارة في قلبك وجسدك. رأسك تكون منكسة ونظرك إلى أسفل، واتضع في ذهنك واهزم الكبرياء. التصق بمخافة الله وكن متواضعا لكي تكون فرحا لأن الفرح يتفق مـع الاتضاع. كن متضعا لكي يحرسك الرب ويقويك، لأنه يقول إنه ينظر إلى المتواضعين.

كن وديعا لكي يحكّمك الرب ويملأك معرفةً وفهما، لأنه مكتوب أنه يهدي الودعاء في الحكم ويعلّم المتواضعين طرقه، وحينئذ يثبتك أمامه ويجعل لـك سـلامةً في جميـع سبلك. لا تعط لعينيك نوما ولا لأجفانك نعاسا لكي تنجو من الفخ مثل الطائر. كُـن قوي القلب واقتنِ لك شجاعةً منذ البداية لكي تقدر على الوقوف أمام غضب التـنين، لأنه يصعب قتالك منذ البداية، ولا سيما إذا رآك غير مستعد لمقاومته، حـتى يجعلـك جزعا من أول الطريق فلا تستطيع أن تصل إلى وسطها.

لا تحتقر أحدا من الناس ولا تدِنه حتى لو رأيته ساقطًا في خطية، لأن الدينونة تأتي من تعظم القلب، لأن المتضع يرى كل الناس أفضل منه. وكيف تدين عبدا ليس لك؟ فـإن سقط هو لربه، وربه قادر أن يقيمه. إن كنت غريبا فلا تدخل عند أحـد ولا تخـتلط بصنائع الدنيا، وإن كنت بائسا فلا تملّ من العمل. وأحبب الذي يؤدبـك بخـوف الله، واجعل جميع الناس يربحون منك، وابنِ نفوسهم بالأعمال الفاضلة والكلام الصالح(٢٢٠).

قال أنبا باخوميوس: إذا أكمل الإنسان جميع الحسنات وفي قلبه حقد على أخيه فهو غريب من الله(٢٢١).

وقال أيضا: جميع المواهب بطول الروح وثبات القلب تعطَى، وجميع القديسين لمـا ثبتوا قلوبهم نالوا المواعيد. فخر القديسين هو طول الروح في كل شيء، وبذلك اعتبروا قديسين(٢٢٢).

وقال أيضا: هذه هي الأعمال الفاضلة: إن قاتلك فكر ضجر عن أخيك فاحتملـه بطول روح حتى ينيحك الله فيه، وأن تصبر على الصوم بمداومة، والصلاة تكون بغـير فتور في مخادع قلبك بينك وبين الله، وتقديم الوصية الصالحة لأخيك، والبتولية فلـتكن بتحفّظ في أعضائك، والطهارة والقداسة في قلبك، وعنق منحنٍ وضرب مطانيـة مـع قولك: اغفر لي، ووداعة في وقت الغضب(٢٢٣).

---

(٢٢٠) س ٤ ص ٢١. (٢٢١) س ٤ ورقة ١٣٤. (٢٢٢) س ٤ ص ١٣٥. (٢٢٣) المرجع السابق.

وقال أيضا: احفظ نفسك من الفكر الذي يجلب لك تزكية ذاتك والازدراء بأخيك، لأنه مبغوض جدا عند الله الذي يكرم نفسه ويرذل أخاه[٢٢٤].

وقال أيضا: لن تشارك القديسين في مواهبهم إن لم تتعب جسدك أولاً في مشاركتهم في أعمالهم، ولن تدخل الحياة إن لم تضيق على نفسك أولاً حتى الموت كما ضيقوا هم على أنفسهم[٢٢٥].

وقال أيضا: ليس لنا عذر نقدمه لله عندما نقف بين يديه، هل نقول إننا لم نسمع أو لم نعرف أو إ م لم يعلمونا؟ لأن معرفة كل شيء موجودة بالكتب[٢٢٦].

وقال أيضا: إذا رأيت إنسانا طاهرا ومتواضعا فهذه رؤية عظيمة، لأنه ما هو أعظـم من مثل هذه الرؤية، أن ترى الله غير المرئي في إنسان مرئي[٢٢٧].

(٢٢٤) س ٤ ورقة ١٣٥. (٢٢٥) المرجع السابق. (٢٢٦) المرجع السابق.
(227) Monachorum, p. 45.

الفصل الثاني

عظات وتعاليم ورسائل وقوانين

للقديس أنبا باخوميوس

مقدمة

نسجل هنا كتابات أنبا باخوميوس التي لم ترد في السيرة أو القوانين. وأغلب هـذه الوثائق كانت غير معروفة إلى وقت قريب جداً، وهي تلقي ضوءًا جديداً هامـاً علـى الروحانية الباخومية.

أولاً: عظات وتعاليم القديس باخوميوس

العظة التي هي تعليم روحي من الكتب المقدسة كانت إحدى المقومات الهامة جداً في نظام الشركة الباخومية. وكان رئيس أحد بيوت الدير يلقي عظتين لبيته في الأسـبوع في يـومي الصوم، ورئيس الدير المحلي يلقي ثلاث عظات في الأسبوع لجميع رهبان الدير، إحداهما يـوم السبت مساءً واثنتين يوم الأحد. وكان أنبا باخوميوس، ثم خلفاؤه في رئاسة الأديـرة كلـها التابعة للكينونيا، يقوم كل منهم بالوعظ أيضاً سواء عند افتقاده للإخوة في كـل ديـر أو في مناسبات خاصة مثل الاحتفال بالبصخة وعيد الفصح في دير بافو، أو في التجمع الثاني العـام لجميع الإخوة في آخر السنة القبطية (أواخر أغسطس = شهر مسرى). وقد أدخل كاتبو السير بعض هذه العظات في كتابتهم للسيرة، وهي متضمنة فيها. واحتفظت المخطوطـات أيضـاً ببعض منها كوثائق منفصلة، وهي تلك التي نقدمها هنا. ولدينا عظتان لـلأب بـاخوميوس: إحداهما عظة طويلة بخصوص راهب حاقد، والأخرى عظة قصيرة عن ستة أيام البصخة.

والعظة تتضمن درساً مستفيضاً في النسك الرهباني مشدداً على أهمية القيم الرهبانية كلها مثل: التواضع والتجرد والبساطة والعفة. وهي تؤكد بصفة خاصة على ضرورة الصفح عن الأخ الذي يخطئ إلينا. وكانت إحداها موجهةً إلى أخ راهب يحمل ضغينة ضد أخ آخر.



نص التعاليم الأولى
بخصوص راهب حاقد[(١)]

عظة نطق ا أبونا القديس الجزيل الغبطة الأب بـاخوميوس، الأرشـيمندريت، لأخ راهب يحمل ضغينة لآخر. وقد حدث ذلك في أيام أبا "إيبوني" الذي بواسطته جـاء إلى طبانيسي[(٢)]. وقد خاطبه (أبونا) ذه الكلمات في حضور آباء شيوخ آخرين، وكان هذا سبب فرح عظيم لهم في سلام الله. ليت بركته المقدسة وبركة جميع القديسين تحل علينا! وليتنا نخلص جميعاً، آمين.

١ - اسمع أنت يا بني وكن حكيماً، واقبل المبدأ الحق، فهناك طريقان.

٢ - كن قادراً أن تطيع الله مثل إبراهيم الذي ترك بلاده (عب١١: ٨و٩) وذهـب إلى الغربة، وعاش مع إسحق في خيمة في أرض الميعاد كما في بلد غريب. لقـد أطـاع وأخضع نفسه فنال الميراث، ووضِع تحت الاختبار حتى في إسحق. وكـان شـجاعاً في التجربة وقدم إسحق ذبيحةً لله، لذلك دعاه الله خليله (يع٢: ٢٣).

٣ - "اتخذ لك إخلاص إسحق أيضاً كمثال، فإنه لما سمع أباه سلّم نفسه له إلى حد الذبح مثل حملٍ وديع".

٤ - اتخذ لك كمثال أيضاً تواضع يعقوب وتسليمه وثباته، هذا الذي بواسطته صـار نوراً برؤيته لأبي المسكونة، ودعي إسرائيل (تك٣٥: ٩و١٠).

٥ - اتخذ لك مثالاً أيضاً حكمة يوسف وتسليمه، واصنع حرباً مـن أجـل العفـة والخدمة إلى أن تجعل من نفسك ملكاً.

٦ - يا بني، تشبه بحياة القديسين ومارس فضائلهم. تيقّظ ولا تكن متـهاوناً (أم٦: ٩). أيقظ صاحبك الذي لأجله رهنت ذاتك (انظر أم٦: ٣). «استيقظ أيها النائم وقـم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٤)، فتزهِر النعمة في داخلك.

٧ - إنه بالصبر تستعلن لك كل نعمة، وبالصبر نال القديسون كل ما وعِدوا بـه، فالصبر هو فخر القديسين. فكن صبوراً لكي ما تقبل في جيش القديسين، واثقـاً أنـك

---

(١) النص القبطي لهذه العظة لا يوجد إلاّ في المخطوطة: British Oriental 7024, fol. 18r – 49v، وقد نشره العالم E. A. W. Budge مع ترجمة بالإنجليزية سنة ١٩١٣؛ كما جاءت هذه العظة مختصرة في س ٤ ص ٢١.

(٢) يبدو أن أبا "إيبوني" كان رئيسا لدير طبانيسي الذي قِبل إليه هذا الأخ الحاقد.

ستنال إكليل ا د الذي لا يبلى (١بط٥: ٤).

٨ - أي فكر تفاهم معه بصبر، منتظراً الله لكي يعطيك هدوءًا. وأي صوم اثبت فيه بمثابرة وأي صلاة فلتكن بلا انقطاع في مخدعك بينك وبين الله. ليكن لك قلب واحد مع أخيك، وبتولية في كل أعضائك، بتولية في أفكارك، وطهارة في جسـدك، وطهـارة في قلبك، رأس منحنٍ وقلب متضع، ورقة في ساعة الغضب.

٩ - عندما يقلقك فكر ما، لا ييأس قلبك، بل اثبت أمامه في شجاعة قائلاً: «أحاطوا بي احتياطاً واكتنفوني وباسم الرب قهر م» (مز ١١٨: ١١) وسوف تأتيك النعمة لتساندك في الحال، فتطرد الأفكار عنك بعيداً، وتحيط بك الشجاعة من كل جانب، ومجـد الله يسـير بجوارك، وتمتلئ إلى الشبع نفسك (إش ٥٨: ١١) لأن طرق الله هي تواضع القلب والوداعة. فقد قيل حقا: «إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح» (إش ٦٦: ٢) إذا سرت قُدماً في طرق الرب فإنه يرعاك ويمنحك القوة ويملأك بالمعرفة والحكمة، وذكرك يبقى أمامـه في كل حين، ويخلصك من الشرير، وفي يوم مماتك يهبك سلامه.

١٠ - يا بني، أسألك أن تكون يقظاً وساهراً، منتبهاً إلى الـذين يعـدون ضـدك الكمين. فإن روح الجبن وروح عدم الإيمان يسيران جنباً إلى جنـب؛ وروح الكـذب وروح الخداع يسيران جنباً إلى جنب، وأرواح الطمع والجشع والشهادة بالزور والخيانة والحسد يسيرون جنباً إلى جنب، وروح الزنا وروح النجاسة يسيران جنبـاً إلى جنـب، وروح العداوة وروح الحزن يسيران جنباً إلى جنب. وويل للنفس التعيسة التي يصـنعون منها م لاً ويجعلون من أنفسهم أسياداً عليها. فإ م يبعدون هذه النفس عن الله، لأ ـا صارت تحت سلطا م فتظل تتأرجح بين الجانبين حتى تنتهي في أعماق الجحيم.

١١ - يا بني، أطِعني. لا تكن مهملاً، «لا تعطِ عينيك نوماً ولا أجفانك نعاساً حتى تنجي نفسك كالظبي من الفخاخ» (انظر: أم ٦: ٤،٥ حسب النص). آه يا بـني، لأن جميع الأرواح قد هاجمتني كثيراً منذ طفولتي، فلما كنت في الصحراء ضايقوني إلى الحـد الذي كِدت فيه أن أفقد عزيمتي، وظننت أنني لن أقدر أن أقاوم ديدات التـنين. لقـد عذبني بكل الطرق الممكنة، فإذا أظهرت نفسي كان يحاربني بلهيب النار، وإذا انسحبت كان يضايقني بسفاهته. مرات كثيرة يئس قلبي، وأخذت أتقلّب من جنب إلى آخـر ولا أجد راحةً. ولما هربت إلى الله بالدموع والتواضع والأصوام والأسهار، حينئـذ ضـعف العدو وكل أرواحه أمامي، وحلت شجاعة الله في داخلي واختبرت في الحال معونة الله.

لأنه برحمته يجعل قوته وصلاحه معروفين لبني البشر.

١٢ - يا بني، لا تدِنْ أحداً قط. إذا رأيت إنساناً يكرم، فلا تقُل: «إنه قد استوفى أجره» (مت٦: ٢)، احفظ نفسك من مثل هذا الفكر، لأنه رديء جداً، والله يمقت بشدة الإنسان الذي لا يمدح إلاّ نفسه مزدرياً بأخيه: «لأنه إن ظن أحد أنه شيء وهو ليس شيئاً فإنه يغش نفسه» (غل ٦: ٣) فمن يقدر أن يعينه في كبريائه؟ وعندما يعتبر نفسه مثل الله قائلاً: «ليس مثلي» (خر ٩: ١٤)، فسيسمع ملامته بدون إبطاء: «ستهبط إلى الهاوية، ستطرح فيها مع الموتى، عليك تفرش الرمة وغطاؤك الدود» (انظر: إش ١٤: ١١ حسب النص). أما الإنسان الذي أحرز الاتضاع، فقد حكَم على نفسه قائلاً إن خطاياه أعظم من خطايا أي إنسان. فهو لا يحكم على أحد ولا يدين أحدا: «من أنت الذي تدين عبد غيرك؟» (رو١٤: ٤). فالرب قادر بكل تأكيد أن يقيم كل من سقط. فاحترس لنفسك يا بني، ولا تدِنْ أحداً، وذُق كل الفضائل واسهر عليها.

١٣ - إذا كنت غريباً، فاقبع في مكانك ولا تلتمس العون من الناس ولا تتدخل في شئو م. وإذا كنت فقيراً، فلا تدع شيئاً يثبط عزيمتك، لئلا يقال لك: «الفقر مستقبح في فم المنافق» (سيراخ١٣: ٢٤) ولا تسمح بأن تسمع قط: «حينما يجوعون يحنقون ويسبون رئيسهم وشيوخهم» (إش٨: ٢١ حسب النص). احترس أيضاً من أن تستثار للدخول في معركة مع أحد من أجل شيء جسدي ينقصك في أمور الطعام. لا تثبط عزيمتك، كن راسخاً فإن الله بيقين قد فعل شيئاً في السر. تأمل في حبقوق في اليهودية ودانيال في بلاد الكلدانيين، فعلى الرغم من أنه كانت تفصل بينهم مسافة قدرها خمسة وأربعون فرسخاً بل وأكثر من ذلك، وكان دانيال قد أُلقي طعاماً للوحوش في قاع الجُب، فقد أتاه حبقوق بالغذاء (تتمة سفر دانيال ١٤: ٣٣-٣٩).

تأمل إيليا في البرية وأرملة صرفة صيدا (١مل١٩؛ ١٧). فقد كانت تترنح من شدة الجوع وكرب ا اعة، ورغم هذا البؤس لم تكن قط متخاذلة، بل على العكس فقد صارعت وغلبت ونالت ما وعد به الله: فقد امتلأ بيتها خيرات في وقت ا اعة. فليس من الكرم أن تعطي خبزاً في وقت الرخاء، كما أن الفقر والعوز لا يكونان سبباً لتثبيط العزيمة. لقد كُتب حقًا عن القديسين أ م كانوا «معتازين مكروبين مذلين» (عب١١: ٣٧)، ولكنهم تمجدوا في ضيقا م. فإذا بقيت راسخاً في المعركة حسب الكتب فلن تقع تحت العبودية، كما هو مكتوب: «لا يخدعك أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت، التي هي ظل الأمور العتيدة» (كو٢: ١٦ و١٧).

١٤ - اِتلُ دائماً في كلام الله. ثابر بتعب واشكر في كل شيء (١تس٥: ١٨). تجنب مديح الناس، وأحبب الشخص الذي يؤنبك بمخافة الرب. انتفع من كل إنسان لكيما تكون صالحاً لكل أحد. ثابر في عملك بمواظبة، وكن بلا لوم في أسلوب كلامك. لا تتقدم خطوة ثم تتراجع أخرى لئلا يمقتك الله، لأن الإكليل سوف يمنح للمثابر في جهاده. كن دائماً أكثر طاعةً لله وهو سوف يخلصك.

١٥ - عندما تكون بين الإخوة لا تنغمس في المزاح. فقد تجاهل شدرخ وميشخ وعبدناغو سخرية نبوخذناصر، لذلك فهو لم يستطِع أن يجتذبهم بألحان آلاته أو يغويهم بولائم مائدته. لذلك فقد تغلبوا على لهيب النار التي ارتفعت إلى تسعة وأربعين ذراعاً (دا٣: ١٩-٢٧). إنهم لم يرتدوا على أعقابهم مع المرتدين، بل ظلّوا قائمين مع المستقيم، أي مع الله. من أجل هذا جعلهم أسياداً لأعدائهم. ودانيال، بدوره، لم يخضع لعادات الكلدانيين الشريرة (دا٦: ٤)، لذلك فقد صار مختاراً بامتياز، ووجِد يقظاً ومتدبراً، وسد أفواه الأسود الضارية.

١٦ - والآن، يا بني، إذا اتخذت الله معيناً لك، فسيكون هو معينك في وقت شدتك، «لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه» (عب١١: ٦). هذه الكلمات قد كُتبت لنا لكيما نؤمن بالله ونحارب كباراً وصغاراً، بالأصوام والصلوات وسائر الممارسات التقوية الأخرى. إن الله لا ينسى حتى اللعاب الذي يجف في فمك بسبب الصوم، بل على العكس، فكل شيء سوف يرتد إليك في لحظة شِدتك. عليك فقط أن تتواضع في كل شيء، وامسك عن الكلام حتى ولو كنت تفهم كل الأمر. لا تنسق بسهولة لعادة العيب في الغير، بل على العكس، انتصب بفرح لأي تجربة. لأنك إذا عرفت الكرامة التي تنتج عن التجارب فستصلي ألاّ تخلُص منها، لأنه من الأفضل لك أن تصلي وتبكي وتتنهد إلى أن تخلُص، من أن تسترخي وتساق كأسير. أيها الإنسان، ما الذي تفعله في بابل؟ «عتقت في أرض غريبة» (انظر باروخ٣: ١١)، ذلك لأنك لم تمتثل للامتحان، ولم تكن علاقاتك كاملة مع الله. فلا يجب أن تسترخي، إذن، يا أخي.

١٧ - لعلك إلى حد ما كثير النسيان، ولكن أعداءك لا ينامون، وهم في الليل والنهار لا ينسون أن ينصبوا لك الفخاخ. لا تسع وراء الكرامات، لأنك إن سعيت وراءها فلا يمكنك أن تتضع، ويا لعظم فرح أعدائك بذلك. فاسع بالحري إلى الاتضاع، لأن «من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع» (مت٢٣: ١٢). وإذا لم تقدر أن تتقدم وحدك فاشترك مع آخر يكون سائراً حسب إنجيل المسيح، فتسير معه قُدماً إلى الأمام. فإما أن تصغي أو تمتثل

لآخر يجيد الإصغاء، وإما أن تصير قويا فتدعى "إيليا"، أو تطيع القوي وتدعى "إليشع". لأن إليشع بطاعته لإيليا نال ضعفين من روحه (٢مل٢: ٩و١٥).

١٨ - إذا شئت أن تعيش بين الناس، فاقتدِ بإبراهيم ولوط وموسى وصموئيل. وإذا رغبت أن تعيش في البرية، فهوذا كل الأنبياء قد سلكوا هذا الطريق أمامك. فتمثل بهؤلاء الذين جالوا في البراري والوديان والمغاير وشقوق الأرض، مكروبين في بؤس وتجارب وأحزان (عب١١: ٣٨). لأنه قيل أيضاً: «إنك تكون ملجأً للذين وهنت عزيمتهم بسبب عوزهم» (إش٢٥: ٤ سبعينية)، وروح المظلوم يباركك. واللص الذي قال كلمة واحدة على الصليب سامحه الرب على كل خطاياه وقَبِلَه في الفردوس. فانظر مقدار الكرامة التي تصير لك إذا ثبت مقابل التجربة أو روح الزنى أو روح الكبرياء أو أي شهوات أخرى. قاتل ضد الشهوات الشيطانية ولا تتبعها، وسوف يمنحك يسوع ما وعدك به. احترس من التهاون الذي هو أُم الرذائل كلها.

١٩ - يا بني، اهرب من الشهوة، فإنها تظلم العقل وتحرمه من الإتيان إلى معرفة سر الله. وهي تجعلك غريباً عن لغة الروح وتمنعك من حمل صليب المسيح، ولا تدع القلب يقظاً لإعطاء الكرامة لله. احذر من شهوة امتلاء البطن، لأنها تجعلك غريباً عن خيرات الفردوس. احذر من النجاسة التي تغضب الله وملائكته.

٢٠ - يا بني، اتجه إلى الله وأحببه. اهرب من العدو واحتقره. لتأتِ نعم الله في طريقك ولترث بركة يهوذا ابن يعقوب. فقد قيل: «يهوذا، إياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك» (تك ٤٩: ٨). ابتعد عن الكبرياء، لأنه بداية كل شر. وبداية الكبرياء هي الابتعاد عن الله، ويتبع ذلك قساوة القلب. إذا أخذت حذرك من هذا الأمر، فستكون أورشليم السمائية هي موضع راحتك. وإذا أحبك الرب وأعطاك مجداً، فاحذر من الكبرياء، بل على العكس، الزم الاتضاع وأنت تثبت في المجد الذي أعطاك الله إياه. خذ حيطتك وكن ساهراً، لأنه طوبى لذلك العبد الذي يوجد ساهراً، فإنه يقام على جميع ما لسيده (مت٢٤: ٤٦و٤٧)، ويدخل ملكوت النعيم. وأصدقاء العريس سوف يحبونه، لأنهم وجدوه ساهراً على كرم سيده.

٢١ - يا بني، كن رحيما في كل شيء، لأنه مكتوب: «اجتهد أن تقيم نفسك لله مزكى (في التجربة) عاملاً لا يخزى» (٢تي٢: ١٥). اقترب إلى الله مثل إنسان يبذر ويحصد، فتجمع في مخزنك خيرات الله. لا تصل بتظاهر وتباهٍ مثل المرائين، بل اطرح

عنك نزواتك وافعل ما تفعله من أجل الله، عاملاً بالحري من أجل خلاص نفسك. وإذا ما أثارتك شهوة ما مثل حب المال أو الحسد أو الكراهية أو أي شهوة أخـرى، فانتبـه وليكن لك قلب أسد، قلباً قوياً. قاتل ضدها، وافِنهم مثل سيحون وعوج وكل ملـوك الأموريين. ليت الابن الوحيد المحبوب يسوع الملك يحارب عنك، لترث مدن أعـدائك. داوم على طرح كل كبرياء بعيدا عنك، وكن باسلاً. انظر، فعندما استبسل يشوع بـن نون دفع الله أعداءه في يديه (يش٢: ١٠و١١). إذا تخاذلت تصير غريباً عن ناموس الله. فالتخاذل يملأك بعلل الكسل والشك والإهمال إلى أن لك. ليكن لك قلب أسد واصرخ أنت أيضاً كذلك: «من يفصلني عن محبة الله» (رو ٨: ٣٥)؟ ولتقُل: «إن كان إنسـاننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢كو٤: ١٦).

٢٢ - إذا كنت في البرية، فصارع بالصلوات والصوم والإماتة. وإذا كنت بين الناس فكن حكيماً كالحيات وبسيطاً كالحمام. فإذا شتمك أحد، فتقبل ذلك منه بانبسـاط، راجياً أن يدبر الله ما هو أفضل لك. أما من جهتك، فلا تسب قط صورة الله. فإنه هـو نفسه الذي قال: «إني أكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصـغرون» (١صـم٢: ٣٠). أما إذا مدحك أحد فلا تسعد بذلك لأنه مكتوب: «ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً» (لو ٦: ٢٦). وفضلاً عن ذلك فإنه: «طوباكم إذا أبغضكم النـاس وإذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان» (لو٦: ٢٢). هـوذا أبوانا برنابا وبولس، لما مدِحا مزقا ثيا ما ولطما نفسيهما احتقاراً منهما للمجد البشري (أع١٤: ١٤). والرسولان بطرس ويوحنا كذلك لما أُهِينا أمام السنهدريم، ذهبا فـرحين لأ ما حسِبا مستأهلين أن يهانا من أجل اسم الرب القدوس (أع٥: ٤١)، لأن رجاءهما كان في ا د السماوي.

٢٣ - أما من جهتك، يا بني، فتجنب مجازاة هذا الدهر لكي تكون سعيداً في الدهر الآتي. لا تكُن متوانيا تاركاً الأيام تمر حتى تأتي بلا توقع باحثةً عنك فتصل إلى شـدائدِ كَربك وتحيط بك الوجوه المفزعة[٣] جاذبةً إياك بعنف إلى موضع ظلام رعبهم وكـر م (انظر أي١٠: ٢١و٢٢)، فلا تحزن حينما تهان من البشر، بل احزن وتنهد حينما تخطئ، لأن هذه هي الإهانة الحقيقية، وعندما تمضي حاملاً مرارة خطاياك.

٢٤ - إنني أحثك من كل قلبي أن تزدري با د الباطل. فالغرور الباطل هو سـلاح

(٣) الوجوه المفزعة هم خدام أبدون ملاك الهاوية والموت (رؤ٩: ١١)، ورسالتهم هي أن تجعل نفس الإنسان الشرير تخرج فزعةً من الجسد من رؤية وجوههم المرعبة.

الشيطان الخاص. وبه خدعت حواء، فقد قال لها: «الله عالمٌ أنه يوم تأكلان منـه (ثمـر الشجرة) تنفتح أعينكما وتكونان كالله» (تك ٣: ٥). فأصغت إليه، ظناً منها أن هذا هو الحق. وجرت وراء مجد الألوهة فسلِبت منها إنسانيتها ذا ا. فإذا سعيت أنت أيضاً وراء ا د الباطل فسيجعلك غريباً عن مجد الله. أما بالنسبة لحواء، فلم يكتب لها أحد محـذراً إياها من هذا القتال قبل أن تغوى من الشيطان. وهذا هو السبب الذي من أجله جـاء كلمة الله وتجسد من العذراء مريم ليحرر جنس حواء. لكنك أنت قد حذرت من هـذا القتال في الكتب المقدسة، وبواسطة القديسين الذين سبقوك. لذلك يا أخي، لا تقُل: أنا لم أسمع قط عن هذه الأمور كلها، أو: أنا لم أُخبر بذلك أمساً أو قبـل أمـس. لأنـه مكتوب: «إلى كل الأرض خرج صو م وإلى أقاصي المسكونة أقـوالهم» (مـز١٩: ٤؛ رو١٠: ١٨). والآن، إذن، إذا ما مدحت فاضبط قلبك واعطِ ا د لله، وإذا أُهِنت فاعطِ ا د لله واشكره لأنك صرت مستحقاً للاشتراك في نصيب ابنه وقديسيه. فإذ قد دعـوا سيدك "مضلا" (مت٢٧: ٦٣)، والأنبياء "أدنياء"، وآخرين "مجانين"، فكم بالحري علينا، نحن التراب والرماد، أن لا نشتكي عندما نهان. هذا هو سبيل حياتك. إذا انقـدت إلى إهمالك فابكِ حينئذ ونح، لأن «الذين كانوا يتربون على القرمز احتضنوا المزابل» (انظر: مراثي٤: ٥)، لأ م أهملوا ناموس الله وتبعوا نزوا م الخاصة. فالآن إذن يا بني، ابكِ أمام الرب في كل ساعةٍ لأنه مكتوب: «طوبى للرجل الذي اخترته وتبنيته. وضعت طرقك في قلبه في وادي البكاء في الموضع الذي قررته» (انظر: مز٦٥: ٤ و٥).

٢٥ - كن خاليا من المكر مثل الغنم الساذجة التي يجز صوفها دون أن تفتح فاهـا بكلمة. لا تتنقل من موضع إلى آخر قائلاً: "سوف أجد الله هنا أو هناك". فقد قال الله: «أما أملأ أنا السموات والأرض» (إر٢٣: ٢٤)؟ وأيضاً: «إذا اجتزت في المياه فأنا معك وفي الأ ار فلا تغمرك» (إش٤٣: ٢). يا بني، كن واعياً بأن الله في داخلك، لكيما تقيم في ناموسه ووصاياه. هوذا اللص كان على الصليب ودخل الفردوس، ولكن يهوذا كان بين الرسل وخان الرب. وهوذا راحاب كانت في الدعارة، وحسِبت بـين القديسـين (يش٦: ١٧)، ولكن ها هي حواء كانت في الفردوس وخدِعت. وهوذا أيوب كان على المزبلة وصار متشبها بربه، ولكن آدم كان في الفردوس وسقط مـن الوصـية. وهـوذا الملائكة كانوا في السماء وقُذف م في الهاوية، ولكن انظر إيليا وأخنوخ اللذين رفِعا إلى ملكوت السماء.

ففي كل مكان، إذن، اطلب الله، وفي كل لحظة التمس قدرته. اطلبه مثل إبراهيم، الذي

أطاع الله وقدم ابنه ذبيحةً لله، فدعاه الله "خليلي". اطلبه مثل يوسف الذي قاتل ضد النجاسة، لذلك فقد صار رئيساً على أعدائه. اطلبه مثل موسى الذي تبع ربه فجعله معطي الناموس وسمح له أن يتعرف على شبهه (خر٣٣: ١٨). وطلبه دانيال فعلمه أسراراً عظيمة وأنقذه من جب الأسود. والفتية الثلاثة القديسون طلبوه فوجدوه في أتون النار. واحتمى فيه أيوب فشفاه من قروحه. وسوسنة طلبته فأنقذها من أيدي الأشرار. ويهوديت طلبته فوجدته في خيمة أليفانا. هؤلاء جميعاً طلبوه فخلصهم وخلص آخرين أيضاً.

٢٦ - وأنت أيضاً، يا بني، إلى متى تكون متوانياً؟ ما هي حدود توانيك؟ فكما كان الحال في السنة الماضية، هكذا هو أيضاً في هذه السنة. وكما كان الحال بالأمس، هكذا هو أيضاً اليوم. طالما أنت مهمل فلن تتقدم قط. فاسهر وارفع قلبك، لأنك لابد أن تقف أمام كرسي دينونة الله وتعطي حساباً عما فعلته في السر وفي العلن. فإذا مضيت حيث تكون معركة الله دائرة، وإذا حثك روح الله فلا تنم هناك لأن الفخاخ منصوبة. وإذا همس الشيطان من جانبه: "ما الذي حدث لك في المرة الأخرى"؟ أو "حتى ولو رأيت ذلك فلا تحزن"، فلا تنصع لكلامه الماكر وإلاّ يفارقك روح الله، وتصير ضعيفاً بلا قوة مثل شمشون، ويكبلك الغرباء ويسوقونك مثله إلى الطاحونة، أي إلى صرير الأسنان، وتصير لهم موضع سخرية فيضحكون عليك، ولن تعرف الطريق إلى مدينتك لأنهم يقلعون عينيك لأنك قد فتحت قلبك لدليلة، أي إلى الشر الذي أخذك بحيلة لأنك أهملت مشورات الروح. لقد رأيت أيضاً ما ألم برجل قوي مثل داود، ولكن لغبطته أسرع بالتوبة فيما يخص امرأة أوريا (٢صم١١و١٢). وقد كُتب أيضاً: «لقد رأيتم قروحي فخافوا» (أي ٦: ٢١ حسب النص).

٢٧ - ها قد علمت أنه لم يرأف بالقديسين(٤). فاسهر إذن، وتذكر وعودك، وتحاش العجرفة وتشامخ الروح، وانتزع نفسك منه، لئلاّ ينتزع هو عيني فهمك ويتركك أعمى، لا تعرف بعد الطريق إلى مدينتك ولا إلى مكان سكناك. وأيضاً اطلب أن تعرف مدينة المسيح، وأعطِه الحمد، لأنه مات من أجلك.

٢٨ - عندما يقذفك أخ بكلمة فلماذا تغضب؟ لماذا تصير مثل وحش مقابله؟ ألا تذكر حينئذ أن المسيح قد مات من أجلك؟ ولكن عندما يهمس لك عدوك الشيطان، ترهف له أذنيك ليصب فيها قذارته، وتفتح قلبك له وتمتص السم الذي يلقيه في طريقك. أيها البائس!

(٤) يبدو من الكلام السابق أنه يقصد أن الشيطان هو الذي لم يرأف بالقديسين، ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

هذا هو الوقت الذي ينبغي فيه أن تصير وحشاً أو لهيب نار تبيد كل خبثه، وتتقزز لافظـاً ومتقيئاً الشر المنتن، لئلاّ ينتشر السم فيك ويقتلك! أيها الرجل، إنك لم تحتمل كلمة طفيفـة قذفها أخوك في حقك، ولكن العدو لما أراد أن يبتلع نفسك ماذا فعلت؟ تظهر له الصبر! لا يا حبيبي، لا تدعنا ننوح عليك إذ نجدك بدلاً من أن تكون لابساً جدائل مـن الـذهب، إذ برأسك قرعة بسبب أعمالك (انظر إش٣: ٢٤). لكن تيقظ لنفسك واحتمل بفـرح مـن يهينك، وكن رحيما مع أخيك ولا تخف من معاناة الجسد.

٢٩ - انتبه يا بني إلى كلمات الحكيم بولس عندما يقول: «إن وثقاً وشدائد تنتظرني (في أورشليم)، ولكنني (لست أبرر نفسي بكلمة) ولست أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي حتى أتمّم بفرح سعيي» (أع٢٠: ٢٣و٢٤). و«إنني مستعد أن أموت في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع» (أع٢١: ١٣). لأنه لا الآلام ولا التجارب عوقت القديسين عن البلـوغ إلى الرب، بل الثقة والشجاعة حينئذ! لا جبن شيطاني فيما بعد! بل اركض بالحري نحو شجاعة القديسين! يا بني، لماذا تهرب من أدوناي، رب الجنود، وتجري بـلا توقـف نحـو سـبي الكلدانيين؟ لماذا تعطي قلبك أن يأكل برفقة الشياطين؟

٣٠ - يا بني، ابتعد من الزنا، لا تفسد أعضاء المسيح، لا تطِع الشياطين. لا تجعل أعضاء المسيح أعضاء زانية (١كو٦: ١٥). ضع في فكرك دائماً شدة العذابات، واجعل دينونـة الله أمام عينيك. اهرب من الشهوة، اخلع الإنسان العتيق مع أعماله والبس الجديد. تذكر كرب اللحظة التي ستفارق فيها الجسد.

٣١ - يا بني، اهرب إلى الله لأنه هو الذي خلقك، ومن أجلك احتمل تلك الآلام. لأنه قال: «بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق» (إش٥٠: ٦). أيها الإنسان، «مالك وطريق مصر لشرب مياه شيحور (أي مياه نهر النيل العكـرة)» (إر٢: ١٨)؟ ما هي منفعتك من هذه الأفكار المتعبة حتى تتحمل هذه الآلام؟ كان الأحرى أن تتحول عنها وتبكي على خطاياك، لأنه مكتوب: «إن أمكنكم أن تقدموا ذبيحـةً عـن خطاياكم فإن نفوسكم سترى نسلاً تطول أيامه» (إش٥٣: ١٠ سبعينية).

٣٢ - لقد رأيت، إذن، أيها الإنسان أن التعدي شر، وأن الخطية تجلب الألم والكرب. فاسرع أيها الإنسان واهرب من الخطية، وفكر حالاً في الموت، لأنه مكتوب: الرجل العاقل يتعامل مع الخطية بصرامة. و"وجوه النساك تضيء كالشمس" (قارن مت١٣: ٤٣). تذكّر أيضاً أن موسى النبي فضل «أن يذلّ مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقـتي بالخطيـة»

(عب١١: ٢٥). إذا أحببت آلام القديسين فسيصبحون أصدقاءك وشفعاءك أمام الله. وهو سيمنحك جميع طلباتك المناسبة لك، لأنك حملت صليبك وتبعت ربك.

٣٣ - لا تتطلّع إلى عرش من المجد البشري، لكيما يظلل الله عليك ويحميك من العواصف التي لا تعرف لها قرارا، ويرفعك إلى مدينة ملكه أورشليم السماوية. «امتحن كل شيء وتمسك بالحسن» (١تس٥: ٢١). وبالمثل، لا تكن متغطرسا على صورة الله، اسهر أيضاً على شبابك حتى يمكنك أن تسهر على شيخوختك (سيراخ٢٥: ٣)، لئلا يكون لك الخزي والندم في وادي يهوشافاط (يوء٣: ١٢)، حيث تنظرك كل خلائق الله ويلومونك قائلين: «كنا نظنك حملاً فوجدناك ذئباً!» (من الديداخي١٦: ٣)! مصيرك في عمق الجحيم، والآن انحدر إلى باطن الأرض! آه، يا له من خزي فظيع! ففي العالم كانوا يمدحونك في ذهابك وإيابك كمختار، وعندما وصلت إلى وادي يهوشافاط في موضع الدينونة، وجِدت عرياناً، والجميع ينظرون خطاياك وقبحك مفضوحة أمام الله والناس، الويل لك في تلك اللحظة! إلى أين تدير وجهك؟ أتستطيع أن تفتح فمك؟ وماذا تقول؟ فخطاياك محفورة على نفسك التي تبدو سوداء كقميص الشعر! ما الذي ستفعله في تلك اللحظة؟ أتبكي؟ لن يوجد أحد حينئذ ليتقبل بكاءك؟ أتصلي؟ لا أحد يقبل صلواتك، لأن الذين سلمت لهم لا يرحمون[5]. ما أهول تلك اللحظة، حينما تسمع الصوت المفزع القاطع: «الخطاة يمضون إلى الجحيم» (مز٩: ١٧)، «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» (مت٢٥: ٤١)، وأيضاً: «صانعي المعصية أبغضت» (مز١٠١: ٣)، «أبيد من مدينة الرب جميع فاعلي الإثم» (مز١٠١: ٨).

٣٤ - والآن يا بني، احرص إذن أن تنتفع من وجودك في هذا العالم، فداوم على احتساب نفسك كلا شيء، واتبع الرب في كل شيء، حتى تكون لك دالة في وادي يهوشافاط. فلتكن محسوباً في العالم كواحد من المنبوذين منه، فتجد نفسك مكتسياً بالمجد في يوم الدينونة! لا تستأمن أحد على قلبك من أجل إشباع نفسك، بل ألق على الرب كل همومك فهو يعولك (مز٥٥: ٢٢). تأمل إيليا الذي عهد بنفسه إليه عند نهر كريث فأعاله بواسطة غراب (١مل١٧: ٥و٦).

٣٥ - احذر جدا من الزنا، لأنه أضر بكثيرين وأهبطهم إلى الحضيض. لا تصادق شاباً ولا تجرِ وراء امرأة. اهرب من المسرات الجسدية، لأن المودة تتقد مثل النار. لا تجرِ

(٥) عن الملائكة الذين لا يرحمون، انظر رؤية باخوميوس عن مصير الخطاة بعد خروجهم من الجسد (في النسخة القبطية البحيرية: ب ص الفصل ٨٨).

وراء أي جسد، لأنه إذا سقط حجر على صلب، فالنار تتقد وتأتي على الكثير من الأشياء. اركض إلى الرب في كل الأوقات واجلس في ظلّه، لأن «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت» (مز٩١: ١) و«لا يتزعزع إلى الدهر» (مز١٢٥: ١؛١١٢: ٦). افتكر في الرب وفي أورشليم السمائية، فإذا ملَك ذلك على عقلك ستصير تحت رعاية البركة السمائية ويتملك عليك مجد الله.

٣٦ - احرس جسدك وقلبك بكل يقظة، اتبع السلام والطهارة، لأنهما مرتبطان معاً، وأنت ترى الله. [٦]لا تكن في عداوة مع أحد، لأن الذي يعادي أخاه هو عدو لله، والذي في سلام مع أخيه هو في سلام مع الله. ألم تتعلم حتى الآن أنه لا شيء أفضل من السلام الذي يجعل كل شخص يحب أخاه؟ حتى لو كنت خالياً من كل خطية، إلاّ من كونك عدوا لأخيك، فأنت غريب عن الله، لأنه مكتوب: «اتبعوا السلام والطهارة» لأنهما مرتبطان معاً. ومكتوب أيضاً: «إن كان لي كل الإيمان حتى أنقُل الجبال ولكن ليس لي محبة (في القلب) ... فلا أنتفع شيئاً» (١كو١٣: ٢و٣). «المحبة تبني» (١كو٨: ١). ما الذي يمكن أن يطهر من الفساد؟ إذا كانت الكراهية والعداوة في قلبك فأين هي طهارتك؟ قال الرب في إرميا: «يخاطب صاحبه بالسلام والعداوة في قلبه، يتكلم مخاتلاً صاحبه، والعداوة في قلبه أو يفكر بالعداوة؛ أفما أكون غاضباً على هذه يقول الرب؟ أم لا تنتقم نفسي من أمة كهذه؟» (انظر إر٩: ٥- ٩). وكأنه يقول: "إن الإنسان الذي يعادي أخاه هو أممي (أي وثني)، لأن الأمميين يسيرون في الظلمة ولا يعرفون النور". هكذا الإنسان الذي يبغض أخاه، فهو في الظلمة يسلك ولا يعرف الله، لأن البغضة التي نتجت عن العداوة طمست عينيه فلا يرى صورة الله.

٣٧ - لقد أمرنا الرب أن نحب أعداءنا ونبارك لاعنينا ونحسن إلى من يضطهدوننا. فأية خطورة نكون فيها إذن عندما نبغض بعضنا بعضاً، عندما نبغض أعضاءنا الذين منا، أبناء الله، الأغصان في الكرمة الحقيقية، الخراف في القطيع الروحي الذي جمعه الراعي الحقيقي، ابن الله الوحيد الذي بذلَ نفسه ذبيحةً من أجلنا! فالكلمة الحي قاسى هذه الآلام من أجل عمل عظيم بهذا المقدار، وأنت، أيها الإنسان، تبغض بسبب الحسد والمجد الباطل والجشع والازدراء تلك الأشياء التي أوقعك العدو في شركها لكي يجعلك غريباً عن الله! أي دفاع ستقدمه أمام المسيح؟ فإنه سوف يقول لك: «بما أنك قد أبغضت أخاك فقد أبغضتني» (انظر مت٢٥: ٤٥)، وستمضي إلى العذاب الأبدي لأنك قد

(٦) الجزء التالي من الفقرة حتى آخر الفقرة رقم ٥١ مقتبس من كتابات ق. أثناسيوس.

عاديت أخاك. أما أخوك فسيدخل إلى الحياة الأبدية لأنه من أجل يسوع اتضع أمامك.

٣٨ – إذن فلنبحث، قبل أن نموت، عن علاج لهذا الشر. أيها الحبيب، لنرجع إلى إنجيل الناموس الحقيقي للمسيح إلهنا لنسمعه يقول: «لا تدينوا لكي لا تدانوا، اغفروا يغفر لكم» (لو٦: ٣٧). فإذا لم تغفر فلن يغفَر لك. وإذا كنت في عداوة مع أخيك، فاستعد لأن تعاقَب على أخطائك وتعدياتك وأعمال زناك التي اقترفتها في الخفاء، وكذبك، وفاحش كلامك، وأفكارك الشريرة، وجشعك، وأعمالك الشريرة. إنك سوف تعطِي حساباً عن هذه أمام كرسي دينونة المسيح بينما تنظرك كل خليقة الله، وكل جيش الملائكة حاضرون بسيوفٍ مسلولة لكي يجبروك أن تعطي حساباً وتعترف بخطاياك، ثيابك ستكون ملطخةً وفمك أبكم، وأنت ساجد وليس لك كلمة تقولها!

أيها الإنسان البائس، ما أكثر الأشياء التي ستعطي عنها حساباً؟ عن نجاسات كثيرة هي "غنغرينا" النفس وشهوات العيون، والأفكار الشريرة التي هي لوعة للروح وكآبة للنفس، وزلاّت الكلام، وتبجح اللسان الذي يدنس الجسد كله، والسخافات والمزاح الرديء، والافتراء والحسد والبغضة، والسخرية، وإهانة صورة الله، والإدانة، وشهوات البطن التي فصلتك عن نعم الفردوس، والأهواء، والتجاديف التي تخجل من ذكرها، والأفكار الشريرة عن صورة الله، والغضب والمنازعات والوقاحة وعجرفة الأعين، والمؤامرات الخبيثة، وعدم التوقير والتشامخ. سوف تطالَب بهذه جميعها بسبب سوء تفاهمك مع أخيك الذي لم تعمل على إزالته في محبة الله كما كان ينبغي عليك. ألم تسمع قط قوله: «المحبة تستر كثرةً من الخطايا» (١بط٤: ٨)؟ وأيضاً: «فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته» (مت ١٨: ٣٥)؟ إن أباك الذي في السماء لن يغفر لك خطاياك.

٣٩ - أيها الحبيب، هوذا أنت تعلم أننا قد لبسنا المسيح (غل٣: ٢٧)، الذي هو صالح ومحب للبشر، فلنحرص ألاّ نخلعه بأعمالنا الشريرة. فإذ قد نذرنا لله الطهارة ونذرنا الحياة الرهبانية، فلنمارس واجباتها: الصوم والصلاة بلا فتور، وطهارة الجسد ونقاوة القلب. فإن كنا قد نذرنا الطهارة لله، فلا ينبغي أن نوجد قط في الزنا في أي صورة من صوره، فلقد قيل حقا: «لقد أعطوا أنفسهم للدعارة بطرق متعددة» (انظر حز ١٦: ٢٦). يا إخوتي، لنحرص من أن نمسك في واحد من أعمالٍ من هذا القبيل، ولنحرص من أن يجدنا أحد وقد سقطنا إلى أدنى من كل إنسان.

٤٠ - لقد نذرنا أنفسنا أيضاً أن نكون تلاميذ للمسيح، فلنذِلّ أنفسنا لأن الإماتـة تعالج النجاسة بشدة. إننا هنا في المعركة، فلا ينبغي أن نفر هاربين لئلا نصـبح عبيـداً للخطية. لقد أُقِمنا نوراً للعالم، فلا ندع أحدا يتعثر بسببنا. فلنلزم الصمت، لأن كـثيرين منا مدينون له بخلاصهم.

٤١ - اسهروا على نفوسكم أيها الإخوة. لنبتعد عن محاسبة بعضنا الـبعض، لـئلاّ نحاسب في ساعة العقاب. فسواء كنتم عذارى أو رهباناً أو متوحدين، فالله مازال يقول لكم: ردوا لي خيراتي مع ربح. إنه سيوبخنا قائلاً: أين رداء العرس؟ أين نور المصابيح؟ إن كنت أنت ابني فأين كرامتي؟ وإن كنت خادمي فأين هيبتي (ملا١: ٦)؟ إن كنت قـد أبغضتني في هذا العالم فاذهب عني لأنني لا أعرفك! فإذا أبغضت أخاك فأنت أجنبي عـن مملكتي. إذا كنت على غير وفاق مع أخيك، وإن كنت لم تسامحه، فإ م سوف يربطون يديك خلف ظهرك ورجليك أيضاً، ويطرحونك في الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. إن كنت قد ضربت أخاك، فسوف تسلم لملائكةٍ لا يرحمون وتعاقَب في عذاب النار إلى الأبد. إنك لم توقر صورتي، لقد أهنتني، لقد ازدريت بي ورذلتني. لذلك فلن أعيرك اهتماماً وأنت في عمق كربك. إنك لم تصنع سلاماً مع أخيك في هذا العالم، فلن أكون معك في يوم الدينونة العظيم. لقد أهنت الفقير، إنه أنا الذي أُهِنـت. لقـد ضربت التِعس فصرت متواطئاً مع من ضربني في يوم مذلّتي على الصليب.

٤٢ - هل تركتك في حاجة إلى شيء عندما جئت لأمكثَ في العالم؟ ألم أباركـك بجسدي ودمي كطعامٍ للحياة؟ ألم أذُق الموت من أجلك لكي أخلصك؟ ألم أُعلن لـك السر السمائي لأجعلك أخي وصديقي؟ ألم أُعطِك السلطان أن تدوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو؟ ألم أُعطِك أدويةً متعددةً للحياة لكيمـا يمكنـك أن تنقـذ نفسـك؟ معجزاتي، آياتي، عجائبي، لقد أقمتها هنا في العالم باعتبارها عتـاد أسـلحتي الحربيـة، وأعطيتها لك مثل عتاد لك لتصرع ا جليات، أي الشيطان. فماذا كان ينقصـك إذن حتى إنك تصير غريباً عني؟ إن إهمالك وحده هو الذي طرحك في هوة الجحيم!

٤٣ - هوذا يا ابني، هذه هي الأشياء التي سنسمعها وأردأ منها أيضاً إذا كنا مهملين ولا نطيع وصية مسامحة بعضنا البعض. ينبغي أن نلاحظ أنفسنا ونكتشف أي الفضـائل الإلهية التي يمكن أن تساعدنا في يوم الممات، والتي تكون مرشداً لنا في وسـط المعركـة القاسية المفزعة، والتي تقيم النفوس من الموت. فأولاً، قد أُعطينا الإيمان والمعرفة اللتين ما نستطيع أن نطرح عنا الشك. ثم أُعطينا التعقل والحكمة حتى نقدر أن نعرف فكر الشرير

حتى نهرب منه ونبغضه. وقد تعلمنا الصوم والصلاة والزهد التي يمكن أن تعطي هدوءًا وقمعاً للجسد في أهوائه. وقد أُعطينا الطهارة والسهر اللذين بواسطتهما يسكن الله فينا. وقد أُعطينا الصبر واللطف ... فإذا حفظنا هذه كلها سوف نرث مجد الله.

٤٤ - لقد أُعطينا المحبة والسلام اللذين هما عتاد قوي للمعركة، لأن العدو لا يمكنه أن يقترب من الموضع الذي يشغلانه. أما عن الفرح فلدينا وصايا باستخدامه في محاربة الحزن. لقد لُقنا أيضاً الكرم وعمل الخير. وقد أُعطينا الصلاة النقية والثبات اللذين يملآن النفس بالنور. وقد أُعطينا الصراحة والبساطة لكي ننتزع بهما أسلحة الخبث. ولدينا المكتوب أن نمتنع عن الإدانة حتى نهزم المراءاة، تلك الرذيلة الخسيسة في الإنسان؛ لأننا إن لم نَدِنْ فسوف لا ندان في يوم الدينونة. وقد أُعطينا قوة التحمل في مواجهة الآلام والظلم حتى لا نضرب بالضجر والإعياء.

٤٥ - في الوقع، إن آباءنا جازوا حياتهم في جوع وعطش وإماتات عظيمة، تلك التي بواسطتها نالوا الطهارة. وقبل كل شيء هربوا من إدمان الخمر الممتلئ من كل شر. فإساءة استعمال الخمر تسبب في أعضائنا الكثير من القلق والاضطرابات والتشويش، فهو داءٌ مملوءٌ من الخطية، إنه العقم وذبول الثمار. لأن الشهوانية في ظمئها الذي لا يرتوي تخدر الإدراك، وتجعل الضمير مستبيحاً ويفقد الزمام على اللسان.

فرح شامل يكون لنا حينما لا نحزِن الروح القدس ولا نترنح بالشهوانية. كما قيل: «الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر» (إش٢٨: ٧)، «الخمر مستهزئة، والمُسكر عجاج، ومن يترنح بهما فليس بحكيم (أي أنه لن ينجو من الخطية)» (أم٢٠: ١). الخمر جيدة إذا شربتها باعتدال (سيراخ٣٤: ٢٨). إذا جعلت عينيك على الأكواب والكؤوس فستسير عارياً مثل المدقة (أم٢٣: ٣١ سبعينية). لذلك، فكل الذين أعدوا أنفسهم ليصيروا تلاميذ للرب يسوع ينبغي أن يمتنعوا عن الخمر والسكر.

٤٦ - وفي الواقع، إن آباءنا لما عرفوا مقدار الضرر العظيم الذي تسببه الخمر امتنعوا عنها، وكانوا يشربون القليل جدا منها في حالة المرض فقط. فإذا كان ذلك العامل العظيم، تيموثاوس، يستعطي القليل منها حقاً، فإنما كان ذلك من أجل أسقامه الكثيرة (١تي٥: ٢٣). ولكن ما الذي يمكنني أن أقوله لإنسان يغتر بالرذيلة وفي ريعان شبابه، ومثقلٌ تحت نجاسات الأهواء؟ أخاف أن أقول له: 'لا تشرب قط' خوفاً من أن يتذمر علي شخص ما يكون غير مبالٍ بخلاصه. لأن هذا الأسلوب من الكلام مؤلم لكثيرين في

هذه الأيام. وعلى الرغم من هذا، فإنه من الجيد لك، أيها الحبيب، أن تكون على حذر، فإماتة الذات نافعة، لأن الإنسان الذي يقمع نفسه يحفظ سفينته في ميناء الخلاص الصالح والمقدس، ويصير ممتلئاً من خيرات السماء.

٤٧ - وفوق هذا كله، قد أُعطينا التواضع الذي يحرس كل الفضائل، وهو هذه القوة العظيمة المقدسة التي اكتسى ا الله نفسه حينما جاء إلى العالم. التواضع هو سور الفضائل الحصين وكنز الأعمال وسلاح الخلاص والشفاء لكل جرح. لما صنعوا الستائر الثمينة المطرزة بالذهب وكل لوازم الخيمة في العهد القديم، غطّوها من خارج بجلود التخس (خر٢٧: ٩-١٦). فالتواضع هو الأقل بين البشر، ولكنه ثمين وممجد أمام الله. إذا ما اقتنيناه فسنطأ كل قوة العدو تحت أقدامنا. وقد قيل: «إلى من أنظر؟ إلاّ إلى المسكين والمنسحق الروح» (إش٦٦: ٢).

٤٨ - دعنا لا نعطي قلوبنا راحةً في زمن ا اعة، لأن التفاخر والعجب بالذات قد تفاقما، والشره أيضاً قد ازداد، والزنا تملك بسبب إشباع الجسد، وسادت الكبرياء. ولم يعد الصغار يطيعون الشيوخ، ولم يعد الشيوخ يعيرون اهتماماً بالصغار؛ وكل يسلك بحسب هواه. وجاء الوقت الذي نصرخ فيه مع النبي: «ويلٌ لي، يا نفسي، ... قد باد التقي من الأرض وليس مستقيم بين الناس» (مي٧: ١و٢) بحسب المسيح، أي أنه قد انعدم التقي تماماً، وكل واحد قد سحق صاحبه.

٤٩ - جاهد يا حبيبي، لأن الوقت قريب والأيام مقصرة. فليس هناك أب يعلم أولاده، وليس هناك ابن يطيع أباه، ولم يعد هناك بعد عذارى صالحات، والآباء القديسون قد ماتوا في كل النواحي، والأمهات والأرامل لا يوجدنَ بعد، وصرنا مثل اليتامى، والمساكين سحِقوا تحت الأقدام، والضربات تكالُ على رؤوس الفقراء. لذلك لم يبق إلاّ القليل الذي يحجز غضب الله من أن يكدرنا، ولا أحد يعزينا. كل هذا قد ألم بنا لأننا لم نمارس الإماتة.

٥٠ - فدعنا نجاهد يا حبيبي، حتى ننال الإكليل المعد لنا الآن. والعرش قد أُعد، وباب الملكوت قد فُتِح. من يغلب فسأعطيه المن المخفي، فإذا جاهدنا ضد الأهواء وغلبناها فسنملك إلى الأبد. أما إذا ا نزمنا فستكون لنا الحسرات ونبكي دموعاً مرة. دعنا نقاتل مع أنفسنا طالما أن التوبة ما زالت متاحة لنا. دعنا نحاضر في الإماتة حتى نتجدد في الطهارة. دعنا نحب الناس حتى نصير أحباء للرب يسوع محب البشر.

٥١ - إن كنا قد نذرنا لله حياة الرهبنة، فدعنا نحقق ذلك بالأعمال التي للحياة الرهبانية،

التي هي: الصوم، والطهارة، والصمت، والتواضع، وإنكار الذات، والمحبة، والبتولية التي ليست بالنسبة للجسد وحسب؛ وإنما البتولية التي هي سلاح ضد كل خطية. لأنه ذُكِر في الإنجيل عن عذارى رفضِن بسبب كسلهن، في حين أن اللاتي ثبتن في السهر بعزيمة راسخة دخلن إلى خدر العريس. فليحرص، إذن، كل واحد أن يدخل هناك إلى الأبد(٧).

٥٢ – نحن اجمنا تجربة محبة المال، فإذا رغبت أن تكتسب غنى فهو طُعم صنارة الصياد، بالطمع والتجارة بالمحرمات، والاغتصاب، والحيلة، أو بالعمل اليدوي الزائد الذي يحرمك من متسع في الوقت لخدمة الله. وباختصار بأي وسيلة أخرى. إذا رغبت أن تكدس الذهب أو الفضة، فتذكر ما يقوله الإنجيل: «يا غبي، هذه الليلة تطلب نفسك منك، فهذه التي أعدد ا لمن تكون» (لو١٢: ٣٠)، وأيضاً: «يذخر ذخائر ولا يدري من يضمها» (مز٣٩: ٦).

٥٣ - فجاهد، يا حبيبي، وقاتل الأهواء وقُل: سأتمثل بإبراهيم، وأقول: «رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض، لا آخذنّ لا خيطاً ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك» (تك١٤: ٢٢و٢٣)، وقد كانت هذه خيرات عظيمة لرجل مسكين غريب. والرب «محب للغريب ليعطيه طعاماً ولباساً» (تث١٠: ١٨). ونفس الشيء ينطبق على الحياة الرغدة التي نتعرض للابتلاء ا قائلين لأنفسنا: «اخزن لحساب الصدقة ولأجل لوازمك» (انظر سيراخ١٨: ٢٥). فتذكّر المكتوب: «ملعونة تكون مخازنك وكل ما احتوته» (انظر تث٢٨: ١٧). أما بالنسبة للذهب والفضة فلدينا كلمات يعقوب الرسول: «صدأهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار» (يع٥: ٣). والمتكأ الأول يصير «للإنسان الصديق الذي ليس له أصنام» (رسالة إرميا: ٧٢ من الأسفار المحذوفة)، فإنه يرى حماقتهم. نق نفسك من اللعنة قبل أن يدعوك الرب، لأنك قد وضعت رجاءك في الله كما هو مكتوب: «فلتكن قلوبكم نقية وكاملة أمام الله» (انظر ١مل٨: ٦١).

٥٤ - أيها الحبيب، إنني أُقرئك السلام في الرب. حقا لقد اتخذت الرب معيناً لك وصرت عزيزاً لديه، فقد عزمت بكل قلبك أن تسير وفقاً لأوامر الله. فليباركك الله، لتصِر ينابيعك أ اراً وأ ارك بحراً. حقا إنك مركبة، بل إنك قائد مركبة العفّة، ومصباح الله يشتعل قدامك يا من تعكس نور الروح المختبئ فيك وتنتفع جيداً من لغته. فليباركك الله بصبر القديسين، ولتكن مدينتك خاليةً من الأصنام، ولتطأ قدمك على عنق رئيس الظلمة، ولتنظر رئيس جند الرب واقفاً عن يمينك، ولتغرق فرعون وعساكره، ولتتقدم

(٧) هنا ينتهي الاقتباس من كتابات ق. أثناسيوس.

شعبك في وسط البحر المالح الذي هو هذه الحياة! آمين.

٥٥ - وبعد هذا أحثّك ثانيةً ألاّ تدع قلبك يرتخي، لأن مسرة الشياطين هي في رؤيتهم إنساناً يرتخي قلبه فيمكنهم أن يسقطوه في الفخ قبل أن يتنبه له. فلا تكن متـهاوناً، إذن، في البلوغ إلى مخافة الرب. فسر قُدماً مثل النباتات الصغيرة وأنت ترضي الله، مثل ثور صـغير يشق طريقه بقرنه وأظلافه. كن رجلاً مقتدراً في الفعل والقول أيضاً. لا تصل مثل المـرائين لئلا يصير نصيبك معهم. لا تضيع يوماً واحداً من وجودك، وتفطن فيما أنت مزمع أن تعطي لله كل يوم. اجلس وحدك كل يوم مثل قائد عاقل، وغَربل أفكارك سواء كنت متوحداً أو تعيش مع آخرين. وباختصار، دِنْ نفسك كل يوم. لأنه خير لك أن تعيش بين ألـفٍ مـن الناس بكل اتضاع من أن تعيش وحدك بالكبرياء في عرين ضبعة. لقد ذُكِر عن لوط أنه عاش في وسط سدوم رجلاً صالحاً وأميناً، بينما نعرف عن قايين الذي كان وحده في الأرض مع ثلاثة فقط من البشر أنه كان إنساناً شريراً.

٥٦ - فها هوذا الجهاد الموضوع أمامك، فامعن النظر كل يوم فيما يحدث لك، لترى ما إذا كنت في جانبنا أم في جانب الذين يحاربون ضدك. والشياطين تأتيك فقط من ناحية اليمين، بينما من الجلي أنها تأتي للناس الآخرين من ناحية الشمال. حقيقةً، إنهم يهاجمونني أنا في الواقع من ناحية اليمين أيضاً. فقد كان الشيطان يساق علي موثقـاً مثـل حمـار وحشي، ولكن الرب أعانني. ولم أثق فيهم ولم أترك قلبي لهم. لقد جربت مرات كـثيرة بأعمال الشيطان من جهة اليمين، فكان يتقدمني بينما أكون سائراً. ولا غرو، فقد تجـرأ على تجربة الرب، ولكنه جعله يتلاشى هو وكل حيله.

٥٧ - من ثم، يا بني، فالبس التواضع واتخذ المسيح وأباه الصالح مثل مشيرين لـك. كُن صديقاً لأحد رجال الله له في قلبه ناموس الله. كن مثل إنسان فقير يحمل الصـليب ويحب الدموع. نح أنت أيضاً وكَفَن على رأسك. ولتكن قلايتك قبراً لك إلى أن يقيمك الله ويعطيك إكليل النصرة.

٥٨ - إذا ما حدث لك خلاف مع أخٍ آلمك بكلمة، أو إذا جرحت بقلبـك أخـاً بقولك: "إنه لا يستحق ذلك"، أو إذا أومأ إليك العدو عن شخصٍ ما بأنه لا يستحق هذا المديح ووافقت أنت على هذا الإيحاء والفكر الذي من الشـيطان؛ فـإذا ازداد صـراع أفكارك وصرت في خصومة مع أخيك، عالماً أنه «ليس بلسـان في جلعـاد ولا هنـاك طبيب» (إر٨: ٢٢) في جماعتك، فالجأ بلا تأخير إلى العزلة بوجدان الإحسـاس بـالله، وابكِ وحدك مع المسيح، فستجد روح يسوع يكلمك من خلال أفكـارك. وسـوف

يقنعك بملء الوصية. لأنه ما الذي يضطرك أن تصارع وحدك، جـاعلاً نفسـك مثـل وحش، وكأن هذا السم الزعاف كان فيك؟

٥٩ - تذكّر أنك أنت أيضاً قد سقطت كثيراً. ألم تسمع المسيح يقول: سامح أخاك «إلى سبعين مرة سبع مرات» (مت١٨: ٢٢)؟ ألم تبكِ كثيراً في صلاتك قائلاً: «اغفر لي خطيئتي لأ ا كثيرة» (مز٢٩: ١١)؟ فإذا أنت أصررت على القليل الذي علـى أخيـك لك، فالروح سوف يقيم الدينونة عليك في الحال ويضع أمام عينيك خـوف العقـاب. تذكر أيضاً أن القديسين استحقوا أن يستهزأ م، وتذكر أن المسيح قد استهزئ به وشتم وصلب من أجلك. حينئذ يملأ قلبك في الحال بالرحمة والمخافة، وتسقط على وجهـك باكياً وقائلاً: 'اغفر لي يا ربي، لأنني تسببت في الألم لصورتك'، وأنت في الحال تنـهض في عزاء التوبة منتصباً على قدميك وتجري نحو أخيك بقلب مفتوح ووجه سـعيد وفـم متهلل، ويشع السلام منك. وتقول لأخيك وأنت مبتسم: "سامحني يـا أخـي لأنـني أحزنتك"، وتنهمر دموعك؛ ويا له من فرح عظيم ينبثق من الدموع، ويقفز السلام فيما بينكما، ويصرخ روح الله بدوره فرحاً: «طوبى لصانعي السلام لأ م أبناء الله يـدعون» (مت٥: ٩). وبينما يسمع العدو رنين هذا الصوت يدوي فإنه يخـزى، والله يتمجـد، وتصيران أنتما موضع بركة عظيمة.

٦٠ - إذن يا أخي، دعنا نقيم الحرب ضد أنفسنا، لأن الظلمة تسقط علينا من جوانب مختلفة. لقد امتلأت الكنائس من المتشاجرين والغضوبين، والجماعات الرهبانية صارت محِبةً للشهرة وا د، وتملك الكبرياء، ولم يبق أحد يهب نفسه لقريبه؛ بل على العكس، كل واحد قد سحق قريبه. لقد غُصنا في المعاناة، ولا يوجد نبي ولا عارف. ولا يوجد أحد يسـتميل الآخر إليه، لأن قساوة القلب قد عمت وكثرت. والذين يفهمون يحفظون الصـمت لأنـه زمان رديء. وكل واحد هو سيد لنفسه. إ م قوم مستخِفون يعملون أعمالاً لا تليق.

٦١ - فلتكن إذن، يا أخي، في سلام مع أخيك. صل لأجلي أيضاً، لأنني لا أقدر أن أعمل شيئاً، ولكنني معذب من رغباتي. «وأما أنت، فاصح في كـل شـيء، احتمـل المشقات، اعمل عمل المبشر» (٢تي٤: ٥)، كن ثابتاً في التجربة. واثبت في كفاح الرهبنة حتى النهاية بالتواضع والوداعة، والرعدة من الكلام الذي تسمعه، حافظاً بتوليتك، متجنباً النقص في الاعتدال، وتلك الكلمات الغريبة الخبيثة. ولا تبرح عنك كتابات القديسـين، بل كن راسخاً في الإيمان في المسيح يسوع ربنا، الذي به وله ا د ولأبيه الصالح والروح القدس من الأزل وإلى الأبد آمين! بارك علينا!

التعاليم الثانية
عن ستة أيام البصخة

مقدمـــة:

كان كل إخوة رهبنة الشركة الباخومية يجتمعون معاً كل سنة في دير بافو للاحتفال بالبصخة المقدسة بكلمة الله والصوم. وكان ينتهي هذا الاجتماع بالاحتفال بقيامة الرب في سهرة عيد الفصح المبارك، عندما يعمد الرهبان الموعوظون. وكان رؤساء الكينونيـا يلقون العظات عادةً خلال هذه الأيام. وإحدى هذه العظات الـتي ألقاهـا القـديس باخوميوس قد حفِظَت. إلاّ أنها وصلتنا متقطعة. وقد نشر نص الجزء الذي بقِي حتى الآن العلامة "أميلينو" سنة ١٨٩٥م لأول مرة، ثم أعاد نشره "ليفور" سنة ١٩٥٦م.

والعظة تحمل طابع أسلوب الأب باخوميوس ماعدا الجزء الأخير منها الذي لا يتمشى مع كونها عظة تقال للرهبان، إذ يقول: "لتخلع النساء الثريات حليهن في أيام الحزن هذه".

نص التعاليم الثانية
[أبا باخوميوس أرشيمندريت طبانيسي عن ستة أيام البصخة المقدسة]

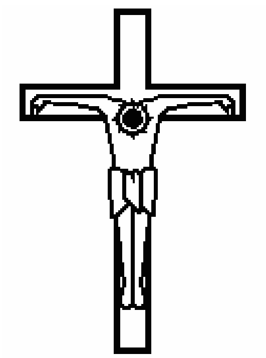
١ - فلنجاهد، يا أحبائي، خلال أيام البصخة هذه، لأنها أُعطيت لنا كل سنة من أجل فداء نفوسنا حتى نقضيها في عمل الله. لأنه في ستة أيام، منذ بدء خلقة السـماء والأرض، كان الله يعمل في خلقته إلى أن أكملها. وفي اليوم السابع استراح من جميع عمله.

٢ - لقد خلق الله هذه الأيام الستة لكي نعمل نحن أيضاً أعمال الله فيها، كل حسب أسلوب حياته: سواء كان صمتا أو عملاً يدويا أو صلاة بلا انقطاع أو حراسة الفـم أو طهارة الجسد وقداسة القلب؛ كل واحد حسب عمله. ولنسترِح أيضاً في اليوم السابع، ونحتفِ بأحد القيامة المقدسة، مؤدين اجتماعات العبادة المقدسة بكـل عنايـة ووقـار، مقدمين الولاء والخضوع لأبي المسكونة الذي صنع معنا رحمةً، فأرسل لنا راعي الخراف العظيم لكي يجمعنا نحن خرافه، التي كانت مشتتة، إلى حظيرته المقدسة مرةً أخرى.

٣ - لنجعل قلوبنا بلا أي هم آخر خلال هذه الأيام، بل لندع مـن يبـذل نفسـه بالصوم بفرح وسكون وحكمة وهدوء عظيم، ومن يحفظ نفسه نقيا من أطعمةٍ متعددة، ومن يمتنع عن متع غير مجدية، ومن يمارس السجود والصلوات المتصلة، ومن أسلم نفسه

لنقص النوم والأسهار المتواترة؛ وباختصار، لندع كل واحدٍ ساهراً ومتيقظًا لما عزم عليه، حتى يتم فينا ما قيل في سفر الأعمال: «بعضهم على ألوح وبعضهم على قطع من السفينة، فهكذا حدث أن الجميع نجوا إلى البر» (أع٢٧: ٤٤).

٤ - ليت السماء والأرض تنوحان في أيام البصخة الستة هذه. فإنه بالحقيقة، عندما يقف من هو عن يمين أبيه في السماء متعطفاً، فليستسلم الملك للنوح على إكليله الذي يلبسه وعلى تاجه الملوكي، لأن إكليلاً من شوك مرشق بالسهام قد أُعد لكي يوضع على رأس ملك السلام. فليخلع الأثرياء ثيابهم المزركشة وملابسهم البنفسجية والأرجوانية، لأن الرب قد جردوه من ثيابه واقترع عليها الجنود. ففي أيام الآلام هذه، ليلزم السكون أولئك الذين يأكلون ويشربون ويتلهون في هذا العالم، لأن رب الحياة كان في وسط الذين عذبوه لأجل خطايانا. وليجتهد بالأكثر بزيادة أولئك الذين يمارسون النسك في حياتهم، ممتنعين حتى عن شرب الماء، هذا الذي يستمتع به حتى الكلاب، لأن ربنا طلب قليل ماءٍ وهو معلق على الصليب فأعطوه خلا ممزوجاً بمرارة. لتخلع النساء الثريات حليهن في أيام الأسى هذه والنوح العظيم، لأن ملك المجد واقف في ثوب الخزي ...[٨]



(٨) باقي العظة مفقود.

ثانياً: الرسائل

مقدمــة:

كانت الترجمة اللاتينية لقوانين أنبا باخوميوس التي قام بها الأب جيروم في القرن الخامس تحتوي أيضا على إحدى عشرة رسالة للأنبا لباخوميوس، وحتى وقت قريب جداً كانت هذه الرسائل لا تعرف إلا باللاتينية فقط، ولكن في السنين الأخيرة اكتشفت النصوص اليونانية والقبطية لكثير منها ونشِرت.

ومن المقارنة التي عقدها العلماء بين الترجمة اللاتينية لجيروم والنص اليوناني والنص القبطي المكتشفين حديثاً (١٩٦٨- ١٩٧٤م)، استطاعوا أن يقرروا أنه كان أمام جيروم ترجمة يونانية مطابقة لتلك التي وجِدت محفوظة في مكتبة "شستر بيتي". ورغم أن هذه الرسائل المكتشفَة حديثاً لا تحمل اسماً لكاتبها إلا أنه لا يوجد أي سبب يدعو للشك في نسبتها للأب باخوميوس كما نسبها جيروم.

والسمة الصعبة التي تسود على هذه الرسائل هو استخدامها السري للحروف الأبجدية. وكل المحاولات التي عمِلَت حتى الآن لفك مغاليق هذه الشفرة مازالت غير مقنعة. ولعلها توحي بحب المصريين التقليدي لاستعمال الشفرات السرية التي تظهر بوضوح من الكتابات الهيروغليفية القديمة في مقابر قدماء المصريين. وقد وجِد ما يشبه ذلك أيضاً في المخطوطات الغنوسية التي اكتشِفَت في نجع حمادي سنة ١٩٤٦م بالقرب من الكنيسة الضخمة للقديس باخوميوس التي كانت في دير بافو.

وقد التزم مترجم هذه الرسائل إلى الإنجليزية، الأب "أرمان فيو"، بالنص القبطي طالما كان متوفراً. وفي حالة عدم توفر النص القبطي كان يلتزم بالنص اليوناني أواللاتيني لجيروم.



نص رسائل القديس باخوميوس

****

الرسالة الأولى

[رسالة من أبينا باخوميوس للرجل القديس كورنيليوس الذي كان أباً لدير "منخوسين"، وهو يتكلم فيها بلغة أُعطيت لكليهما بواسطة ملاك، وقد سمعنا نحن صوتها ولم نستطع أن نفهم معناها].

١ - إله الحكمة، الله غير المتغير الذي لا يدنى منه، أعطاك راحةً في روحك، فيجب عليك أنت أيضاً أن تعطي راحةً لروحك حتى تبتهج بك صهيون في يوم ميلادها.

٢ - اعمل عمل اليوتا ι الذي كان يدعى قديما ο. اجعل δ أيضاً أمام عينيك حتى تكون نافعة لنفسك.

P قد مد يده لكي يصل إليك، إنه هو ι الذي هو القبر مكان راحتك. رنم للأوميجا ω لئلاّ ترنم لك الـ ω[٩]. دع الدهر الذي بلا خزي يبتهج معك حتى لا تبتهج مع الدهر الذي لا يخزى. تذكر الـ η. لا تنسى الأقمار الجديدة، التي هي أيام فقر مكان راحتك. خذْ معك اليوتا (ι) الذي هو منهم، كما أن λ لم يكن في الـ η. ومن أجل ذلك فقد أُطعِموا بدون أسمال بالية.

٣ - عد إلى الأقمار الجديدة التي هي ξ من الـ ο. رؤساء الأسباط قد أعدوا عجلات الخيمة، وجاءوا بقرابينهم أيضاً بالشكر للخيمة (عد٧: ٢و٣). وأنت، كرجل حكيم، اعرف شعر رأسك في السفَر، لكيما تحل النعمة على ε، التي هي أيام طفولتك. أليس τ قمر جديد؟ η هو البصخة. وفي كل هذا لا تنس ς الذي هو مدعو. هذا الواحد في شركة مع الـ ρ. لقد أعطاه نصيبه حتى يصير غنيا فيه.

٤ - رموز الرسالة التي كُتبت هي δ و ι.

أهدي السلام للرأس والأرجل والأيدي والعيون ولباقي روحك جميعه الذي هو α.



---

(٩) اقتبس هذه الجملة بحروفها القديس أنبا شنوده فقال: [قال أحد الآباء الحكماء الأتقياء في رسالة له في رموز: "رنم لـ ω ولا تدع الـ ω ترنم لك" وأنا أعتقد أنه يقصد القول: رنم للدنيا ولا تدع الدنيا ترنم لك]!

الرسالة الثانية

⌘✶♎✶⌘

[رسالة من أبينا باخوميوس لأب الدير، سوروس[١٠]، الذي تقبل أيضاً نعمة اللغة]
[الملائكية مع الأبوين باخوميوس وكورنيليوس].

١ - تذكر أنني كتبت لك ο في الرسالة من أجل الـ τ، لأنه مكتوب. تذكر أيضـاً واكتب η من أجل الـ ς لأنه مكتوب.

٢ - أليست ξ هي ο؟ وυ هي κ. في كل هذه الأشياء تذكر واكتب π و ι ، حـتى تكتب الـ α جيداً بنعمة أولئك الذين هم فوق.

٣ - أليست μ هي ο؟ وκ هي τ. افغر فاك واغسل وجهك لكي ترى عيناك وتقـرأ الرموز جيداً.

٤ - لاحِظ نفسك حتى لا تكتب δ فوق φ، لئلا تشيخ أيامك وتـنقص مياهـك. تذكر واكتب θ و ρ، لكي تكون ρ مكتوبة جيداً.

❒✿❖✿❑

الرسالة الثالثة

❑☯✪☯❑

[رسالة من أبينا باخوميوس إلى أبا كورنيليوس أب دير منخوسين]

١ - أكرم الله فتصير قويا. تذكر أنين القديسين φ ς.

٢ - ليكن البيت مطابقاً لسنى عمره. ليكن منظماً حسب عادة القديسـين، لـيس بأطعمة وقتية أو في تشبهه بشيء مما في السماء أو على الأرض.

ليكن لك ω حتى يمكنك أن تقف أمام الله في يوم الافتقاد سالماً من اللوم الذي قيـل لمرثا. جهز البيت بحسب حدوده.

٣ - احتفظ بـ θ لئلا تنال اللوم الذي أخذه ذاك الذي قيل لـه: «أعـطِ حسـاب وكالتك» (لو١٦: ٢)، أو اللوم الذي ناله ذاك الذي كان يأكل ويشرب مع السكارى، لأنه لم يهتم بأن ينقب ولم يعطِ الطعام في حينه. ولذلك فقد عمل به نفس الشيء لأنـه نسِـي

---

(١٠) سوروس هو واحد من الثلاثة التلاميذ الأوائل الذين انضموا إلى أنبا باخوميوس، وقد صار رئيساً لدير بخنوم وتنيح بوباء الطاعون سنة ٣٤٦م بعد نياحة أنبا باخوميوس بقليل. وعنوان هذه الرسالة موجود في الترجمة اللاتينية فقط. أما في الترجمة اليونانية فالرسالة ١ و٢ تمثلان رسالة واحدة.

ناموس إلهه ولم يفتقد المريض. لذلك فقد قُذف به خارجاً بـدون خبـز مثـل المـدعين والمتعجرفين الذين لم يبنوا البيت ε. أيها الإنسان، اعرف ضمائرهم؛ فإن معركة الـرب في أيديهم، وقد تزودوا بما يسود على أجسادهم حتى يمكنهم أن يتجنبوا اللـوم مـن دانيـال (سوسنة٥٠-٦٢)، وهلاك عيسو، وشدة موآب (إش١٦: ٦)، ورفض إسماعيل (تـك٢١: ١٠-١٦)، وخداع البطن الممتلئ، لأن أفكارهم كانت مهتمة بما هو على الأرض.

٤ - غِنى الإنسان العظيم هو الحكمة. أيها الإنسـان «وجـه قلبـك إلى الأدب» (أم٢٣: ١٢)، ولا تكثر الموتى بغطرستك وإهمالك بسبب خداع قلبك. أيها الإنسان لا تلتفت إلى الأمور المنظورة. الأجير ليس هو الراعي. الثعالب تسكن في المواضع المظلمـة. امسك بسيف نصرتك. اعرف درع البر، ولا تحتقر الموضع الذي تسكن فيه الحكمـة. اعمل لك أكياساً لا تبلى حتى يمكنك أن تمد يدك إلى جحر الأفعـوان (إش١١: ٨). لا تسكر بالخمر الشديدة التي بسببها يتسول الناس ويمشون عراة.

٥ - تذكر أنه بخصوص المرأة الطامث قد أُعطيت وصية أن تستبعد (قارن لا١٥: ١٩-٣٠) لأن طرقها منثورة بالشوك. الفقر يذِلّ الإنسان، والبيت يئن من الأيدي العاطلـة. لا تكن منهارا تحت ضربات العصي τ p. حماقة البطن أصعب من هذه كلها. انخداع العيون هو ارتداد الحكيم. طرد الحكيم هو شهوة الجسد لأجل الجسد، فهو سفك دم على دم.

٦ - أيها العاملون مع الله جميعكم، لا تفقدوا موضوع افتخاركم. فاعلموا قبل كل شيء أنكم ω. والله الذي تركضون فيه سوف يوافقكم حتى لا تصـيروا مثـل الـذين يبتهجون بأي كلمة مهما كانت، لئلا ينقلب فكر ذكائكم إلى حماقة. الإنسان السكير لا يساعد آخر سكيراً، والذي ضل طريقه لا يرشد الضال. فإذا أرشده فإن اللعنة تحل عليه لأنه أضل إنساناً أعمى عن الطريق. حكمة القديسين هي في معرفة مشـيئة الله كأنـاس يحارب الله معهم. الذين يقولون ’إن الله فينا‘ وفي النهاية يتحول فرحهم إلى غم، فلأ ـم لم يعرفوا سر الله ولم يجدوا طريق القديسين لكي يسلكوا فيها؛ لذلك فقد جلِـدوا ولم يتوجعوا وضربوا ولم يتعلموا في كل هذه الأمور.

٧ - يا رجل الله، عد إلى العلا الذي هو معرفة الحكمة. حقًا إنه مكتوب «لا تشتهِ» (خر٢٠: ١٧)، وأيضاً: «لا تسكروا بالخمر» (أف٥: ١٨)، الاشتهاء ليس هـو أمـرا واحدا، والسكْر ليس هو أمراً واحداً. إن الخاطئ يفتخر بأعمال يديه. وقد قيـل أيضـاً لآخرين: «أي بيت تبنون لي» (إش٦٦: ١)؟ لأ ـم كانوا يسمعون صـوت الله طـوال

أربعين سنة دون أن يقدموا له ذبائح، لأ م لم يكونوا قد صاموا سبعين سنة من أجلـه (زك٧: ٥)، لأن قلو م كانت ذاهبةً وراء أرجاسهم (انظر حـز٣٣: ٣١)، لأنكـم لم تقفوا عند الذي قال: «كفوا واعلموا أني أنا الله» (مز٤٦: ١٠)، وحتى الآن لم يكفوا.

٨ - إنك تسأل أيها الإنسان: «لماذا تحب الباطل» (مز٤: ٣)؟ «ولماذا تقسي قلبك» (خر٧: ٣)؟ إن قايين أيضاً كان يزرع الأرض لكي يقدم قرباناً لله، ثم بعد ذلـك بـنى مدينة، ولكنه لم يفعل هذه الأشياء كلها بحسب المعرفة التي ترضي الله. أما نوح وكل بيته فقد أُرشدوا للنجاة على سفينة، وإبراهيم كان غنيا جدا، وأعطي إسحق بركته ليعقوب. وعرف يعقوب من الذي ينبغي عليه أن يحبه وكتب قانون بركاته. ويوسف صار عونـاً لجنسه لأنه كره الخطية، وتنبأ لهم بأن الله سوف يفتقدهم، كما كشف لهم كذلك عـن الاهتمام بالأدب وتذكار حكمته (حك٦: ١٧؛ ١٠: ٨). بعد ذلك قام موسى الـذي كسر خداع الحياة واحتقر الغنى لكي يرينا موضع الغنى (الحقيقي) ومسكن الحكمـة. لذلك كان يشوع خادمه لأنه عرف قوة الأدب، وشاركه كالب في ذلك. أما الرجـال الأغبياء فلم يعرفوا هذه الأمور. من أجل هذا فقد قالوا عن النور إنه ظلام، وأعطاهم الله توجيهاتٍ كان عليهم أن يسلكوا ا، وفي كل هذا لم يوجهوا قلو م ولم يتجهوا نحـو السلوك حسب توجيهاته، ولذلك فقد انتبه كل واحد لأعماله الخاصة وليس لأعمال الله.

٩ - أيها الإنسان، إلى متى لا تسمع لصوت القائل لك: «كفّوا واعلمـوا أني أنـا الله»؟ ولكنهم لم يكفّوا، بل إ م بدلاً من ذلك ذهب كل واحد «وراء عناد قلبه» (إر٣: ١٧). ولم يفتقدوا المريض. «لماذا تموتون»؟ لا تذهبوا إلى الفخ. هذه هي المذكرات التي أُعطيت للمؤمنين لكيما بسلوكهم فيها وجهادهم في حفظ الوصايا يمكنـهم أن يعملـوا الأعمال اللائقة بالحياة الأبدية.

١٠ - «طيور السماء لا تزرع ولا تحصد» (مت٦: ٢٦) وقد أباح الله لها أن تأخذ من كل شيء وتأكل بحرية. إ ا تأكل مما هو ليس لها مثل إنسان ظالم شـرير ينظـر إلى حاجات الآخرين بدون استقامة. لقد كُتب لنا نحن أنفسنا أن نحذر منهم حتى نفهم كل الأمثال، ولكي تكون لنا معرفة، فلا نصير نحن أنفسنا أيضاً لصوصاً، بل نسلك عوضـاً عن ذلك في طريق الأبرار الذين أرضوا الله في الأزمنة الأُولى. لأ م لاموا آدم على أكلـه مما أعطته له حواء. وقبل أن يأكل أُحضرت له جميع المخلوقات لكي يدعوها بأسمائهـا ويقسمها إلى فصائل. وبعد أن أكل طُرد من الفردوس وعمل في الأرض، ثم أنجب قايين وهابيل. ولما كبر الاثنان اشتغل كل واحد حسب اختياره. وأرضى الله عمل هابيل أكثر

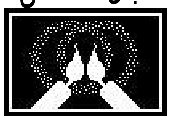
من عمل قايين، لأنه قدم قرابين من أفضل خيراته بينما أعطى قايين لله الأشياء الرخيصة. لقد صارا آيةً لكل الجنس البشري: فكلّ من يقدم لله أفضل خيراته يشبه بما عمله هابيل، أما من يقدم الرخيص فيشبه بعمل قايين أو بذاك الذي سخر بأبيه ومضى ليخبر أخويه (تك٩: ٢٢)، أو بذاك الذي قرر أن يبني برجاً في سهل شنعار ناسياً ذلك الذي دبر له سفينة النجاة وأنقذه من مياه الطوفان وبارك آباءه (حك١٠: ٤). فقد قال في ارتحاله: هلم ننحت حجارة ونقطع جميزاً وأرزاً ونبني برجاً لأنفسنا (انظر إش٩: ٩و١٠)، متناسين ما حدث للبرج في "كلنو" وكيف بلبل الرب ألسنتهم لأنهم أرادوا أن يبنوا البرج لكي يبارحوا المشرق وينسوا ناموس الله الذي أعطاه لهم في قلوبهم! والآن كن عاقلاً وافهم عقوبة البرج، لأنهم لن يصلوا إلى السماء. ولن يبقى حجر على حجر في الهيكل الذي تجادلوا بخصوصه مع المسيح من جهة سقوطه، لأنه لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله (مر١٣: ٣٠).

١١ - هوذا الآن وقت للعمل من أجل الرب، لأن خلاصنا إنما هو الآن في زمان محنة. فإذا استطاع الذين يحبون خلاص الله أن يعرفوا خطواته (مز٧٧: ١٩) ويقولوا دائماً: «ليتعظم الرب» (مز٧٠: ٤)، وإذا استطاعوا أن يقولوا: «رجائي فيك دائماً» (مز٧١: ١٤)، فهل يؤمنون في وقت الفرح وفي وقت الضيق يرتدون؟ لقد كُتب حقاً: «ما خرج من أفواهكم افعلوه (باجتهاد)» (عد٣٢: ٢٤)، وأيضاً: «إذا نذرت نذراً للرب إلهك فلا تؤخر وفاءه لأن الرب إلهك يطلبه منك فتكون عليك خطية» (تث٢٣: ٢١). وإذا قلت: «رجائي فيك دائماً»، فلتكن واثقاً في وقت الضيق الذي فيه الخلاص.

١٢ - تذكر أيضاً أنه من أجلك قد كُتب: «لا تكن ضعيف القلب» (تث٢٠: ٨)، «احفظ الرأي والتدبير فيكونا حياةً لنفسك» (أم٣: ٢١و٢٢)، لأن «حافظ الوصية حافظٌ نفسه» (أم١٩: ١٦). لقد سمعت آخرين يعترفون قائلين: «غطّيتنا بظل الموت. إن نسينا اسم إلهنا أو بسطنا أيدينا إلى إله غريب أفلا يفحص الله عن هذا» (مز٤٤: ١٩و٢٠)؟ ويقول أيضاً: «اكتنفتني حبال الموت، أصابتني شدائد الهاوية، ضيقاً وحزناً وجدت» (مز١١٦: ٣و٤)، «في كل هذا لم يرتد قلبنا إلى وراء» (مز٤٤: ١٨)، بل يقول: «باسم الرب دعوت» (مز١١٦: ٤). تذكر أيضاً إنساناً آخر ذا قلب عظيم يقول: «لا أخاف من ربوات الشعوب المصطفّين علي» (مز٣: ٦)، لأنه وثق في الرب.

١٣ - يا بني، لا تتوانَ، أرضِ (قلب) صاحبك الذي صرت في يده (رهينةً له) (أم٦: ٣)، عالماً أن الأمم كلها هي مثل القش في النار أو مثل القش الذي تبدده ريح البرية، أو

مثل التراب الذي تبدده الزوبعة. تذكر أنه من أجلك كُتب: لا يخف قلبـك إذا رأيـت فرساً وراكبه وجمعاً غفيراً، ولكن تذكر الرب الإله الذي أعطاك القوة لتعمل بسـلطان، وهو الذي «يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحـق يقبلـون» (١تي٢: ٤). إذا أصغيت إلى كلمة الله الذي قال: «أما أملأ أنا السموات والأرض» (إر٢٣: ٢٤)؟ فإنك لن تخاف بل تقول: «إلهنا هو في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت» (هو٢: ١١). وحينئذ لن يقال لك أيضاً: «يا قليل الإيمان لماذا شككت» (مـت١٤: ٣١)؟ وسـوف تجيب: «لولا أن الرب كان معنا عندما قام الناس علينا لابتلعونا ونحن أحياء» (مز١٢٤: ٢و٣). إذا كانوا قد ضايقوك كثيراً منذ شبابك (مز١٢٩: ٢)، أما كان أولى بك أيضاً أن تختار حمل النير منذ صباك (مرا ٣: ٢٧)؟ لأنني أعلم أنك لم تبعد عن الحمل كتفك، كما أنك بالمثل لم تستعبد يديك في عمل السلال، لأنك تحب الختان غير المصنوع بيـدٍ بشرية (كو٢: ١١) الذي تحقق فيك لأجل خلاص نفسك. خطرةٌ هي الخمر الجديدة.



الرسالة الرابعة

[رسالة من أبينا باخوميوس إلى سوروس أب دير "بخنوم" ويوحنا رئيس بيت بنفس الدير]

١ - لقد كنا عندكم، ولكن لأننا كنا في عجلةٍ شديدة لم نستطِع أن نتكلم معكـم كلاماً روحيا، لذلك فإننا نتكلم إليكم الآن في رسالة.

٢ - جاهدوا بكل قوتكم أن تتبعوا العرف السائد للدير وتعملوا بالمرسوم. وهكذا فإنكم لا تجعلون أنفسكم تحت عقاب الدهر الآتي، ولا تظلّون مربوطين بقيود الخطايـا، وتـدانون وتقدمون لله بسبب إهمالكم لأنفسكم وإهمالكم كذلك للإخوة الذين معكم والذين يتعاونون معكم، والذين يعرفون أنكم قد نقلتم لهم بكل أمانة ما قد أُعطي لنا من الله.

٣ - تذكروا أيضاً خدمة القديسين وعملهم، أنتم وأصحابكم الذين تعلموا إرادة الله معكم، لكي يصيروا هم أيضاً شركاء الميراث لنفس الوعد، وينالوا من الله الإيمان غـير الميت الذي خلق أولاً بواسطة روح الأنبياء وتقوى بواسطة الرسل، وتحملوا من أجلـه الضيقات والاضطهادات. لقد آمنوا حقا بمواعيده، ولذلك أعدوا لأنفسهم رائحة زكية.

٤ - فلنقدر إذن أولئك الذين وهبهم الله سلطاناً، لنرى إن كنا مستأهلين لخدمتـهم والتمسك بعقيد م، متجنبين كل كبرياء، ومقاومين بكل شجاعة الخطية α التي تعمل في

الأجساد بلا خوف، لأن الموت قد ابتلع إلى غلبة (١كـو١٥: ٥٤). ومـن الناحيـة الأخرى، ما أضعفنا في هذا الدهر، عالمين أنه على الكنيسة أن تصمد وتنقاد لما هو خـير كما سبق أن قلت لكم. وإنكم تعلمون أن الفأس لا تفتخر على القاطع ـا (إش١٠: ١٥)، وأن الكتب تعلمنا أن لنا في أنفسنا حكم الموت (٢كو١: ٩) الـذي يجـب أن نستنفده لكي تخلص نفوسنا. ولا ينبغي أن نخاف من الهلاك في موضع غربتنا، بل يجـب أن نحارب حتى يمكننا أن نحظى بالسلام مع الذين حفظوا وصايا الله.

η ماذا تنتفع لو ربحت العالم كله وكنت في عداوة مع الله؟ فيجب علينا إذن أن نفهم ما قد أُخبرنا به، عالمين أن العالم يمضي وكل شهوته معه. فاسهروا وتعقلوا لتعرفوا كيف تسلكون.

٥ - نحن نعلم أن الموت يوجد في أولئك الذين يتعلمون، لذلك فافهم الأوقات الـتي تلاقي فيها الخطأ والإغراء. لاحظ الساعات بل واللحظات كذلك والفترات من الشهور التي بموجبها تنساب حياة الإنسان، ومن عددها نعرف مقدار الزمن الذي عاشـه كـل إنسان واستطاع أن يجمع ثماره لكي يملأ مخازنه ـا، ويعد نفسه للبذار لحصـاد مقبـل. وعندئذ، في وقت الحصاد سوف يجد ثمر فلاحته المخلصة، وسوف يمتلك ما هو ضروري أمام الله والناس بمجرد أن هزم الموت، وعندما ينقضي هذا العالم فهو لن يحتفل بالشعائر الدينية بثيابٍ عتيقة. فالمدن تكون مهدومة وممتلئة بالغرباء، أما الأتقياء فيتخذون قـرارا حكيما. لقد انساب الماء في القفر ففرحت الحيوانات والطيور. إن الرجل الحكيم العفيف لن يدهن نفسه بالمرهم الذي أفسدته الحشرات الميتة، والذي يكون قد أُعد لأبناء الحقل. لذلك ينبغي أن نكون ساهرين ونعِد ولائم المستقبل بكل اهتمام حتى لا نخجل عندما يأتي زمان الراحة ولا نجد أنفسنا خاضعين للعبودية، بل نكون بالحري خبزة جديدة، عالمين أن ـاء الحقل إنما هو معنا.

٦ - تقول كلمة الله في موضع آخر: «هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيـوس» (مز٥٠: ١٣)؟ لذلك، فلنحرص ألا نكون محمولين بكل ريح تعلـيم، لأن الوقـت آتٍ حين يحظى القديسون بالمملكة: «بسطت صهيون يديها، لا معزي لها» (مـرا ١: ١٧). «الشبان ضعفوا بالعصي» (مرا ٥: ١٣ سبعينية)، وسيبددون الماء الذي لرحلتهم. «الليث هالك لنقص الطعام» (أي٤: ١١). «من يقاسم سارقاً يـبغض نفسـه» (أم٢٩: ٢٤). «وأما الأقوال الباطلة الدنسة (والتعاليم الجديدة الغريبة) فاجتنبها» (٢تي٢: ١٦). ليكن النـزيل بينكم كمولود الأرض (لا١٩: ٣٤). «أهلك بالبـرد كـرومهم وجميـزهم

بالصقيع» (مز٧٨: ٤٧). «رضوان الملك على الوزير (العبـد) الفطـن» (أم١٤: ٣٥). «أوجدت عسلاً فكُلْ كفايتك لئلا تتخم فتتقيأه» (أم٢٥: ١٦). تذكّر الحكم والرحمـة والإيمان: الحكم الذي صارت به البقاع صالحةً للسكنى، والرحمة الـتي ـا تمجـد الله، والإيمان الذي هو الأساس للأحياء والأموات، لكي بواسطتها يكون لنا رجاء. جاهـد وكافح أنت والإخوة الذين معك. لقد كتبت لك بأمثالٍ ورموزٍ حتى تفحصها بالحكمة تابعاً أثر خطوات القديسين، وما أمر به الله في كلامه لكي لا تقع تحت الحكم. لا تـدع شتاء هذا الدهر يعوقنا في السير، بل دعنا نتمم عدل الله دائماً وبلا انقطاع، متـذكرين شهادته الخاصة إلى أن يمضي الشتاء ويمر المطر ويزول. ليكن الله معيننا في سلامه الـذي يفوق كل عقل. ليكن هذا السلام فيكم جميعاً إلى أن ينقضي وقت المساء. كتبت إليكم هذه الأمور كلها لكي إذا عملتم ا الآن تجدون راحةً في المستقبل.

الرسالة الخامسة

[رسالة من أبينا باخوميوس إلى جميع الأديرة داعياً جميع الأخوة للاجتماع في الدير]
[الكبير "بافو" في أيام البصخة ولكي يشترك الجميع معاً في هذا الاحتفال]

١ - ينبغي أن تعطوا اهتماماً شديداً لاجتماعكم معنا بكل وقار، حتى يكون بـابكم مفتوحاً قبل انطلاقكم من هذا العالم. عندما يأكل الفقير فإنه يفعل ذلك بما يتناسب مـع فقره. لقد أخبرتكم لكي تعرفوا ساعات طفولتكم ودقائقها، ولكي لا تقلقوا بخصـوص البيت الذي يعد لاحتفالكم.

٢ - وعندما تجيئون إلينا، اعملوا حساب سرير المريض وأن يكون معكم كفايـة مـن الخبز، وإذا أمكن أيضاً أن تجدوا وسادةً للرأس لكي يستريح الضعفاء. وإنما هذا لكي ننفـذ التحذير الذي كُتب من أجلنا: «إن كان أحد لا يعتني بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن» (١تي٥: ٨). «يخبط الشونيز بالعصا ويؤكل الكمون مـع الخبز» (إش٢٨: ٢٧و٢٨ سبعينية). إذا حافظتم على شعر رؤوسكم ووجدتم الدهن نـازلاً على لحيتكم إلى طرف ثيابكم، فسيمكنكم أن تتمموا كل ما كُتب لكم.

٣ - نقرأ في موضع آخر: لا تدعوا عيونكم تكف عن البكاء، لأنه توجـد مجـازاة لأعمالكم. فلتسِل الدموع إذن من عيونكم ولتذرف دموعاً لـيلاً و ـاراً ولا تكـف (إر١٤: ١٧).

٤ - أريدكم أن تكونوا مثل الذين لم يعرفوا يمينهم من شمالهم. اسهروا وفوقوا سهامكم لأن أعداءكم قد «فوقوا سهمهم كلاماً مرا» (مز٦٤: ٤). تذكروا أن القديسين يفتحون أبوابهم لكل عابر سبيل. أما نحن فعندنا الوصية أن ندخل مخادعنا ونغلق أبوابنا لئلا نحمل بكل ريح.

٥ - لذلك يجب أن نتنبه أكثر لئلا نخيب في زمان التعطف، بل بالحري نتمثل بتلك الأوقات التي كانت قبل الطوفان. فقد كان كل واحد من الأبرار مرضياً لله مع كل بيته وأولاده، ولم توجد فيهم خطية. إلا أنه بعد ذلك، ازداد الشر وسلِمت الأرض نفسها لرذائل الجسد. فأغضبوا الله حتى إنه عند زمان دينونتهم، لما غطى الطوفان الأرض، لم يوجد سوى نوح وبيته وأولاده الذين نجوا. وبينما كان العالم يهلك تمسك هو بخوذة البر ولم ينهزم لأي ريح من رياح الخطايا. ولكن ذاك الذي سخر به وأذاع عريه لإخوته فقد لُعِن مع كل ذريته (تك٩: ٢٢-٢٥)، وتم حينئذ ما قد كُتب: «من يحتقر البار (أو قريبه) يخطئ» (أم١٤: ٢١) و«ملعون من يشتم أباه أو أُمه» (انظر خر٢١: ١٧؛ لا٢٠: ٩؛ مر٧: ١٠)، مثل عيسو الذي ازدرى (ببركة) أبويه (تك٢٥: ٣٤)، لذلك كُتب عنه: «لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو» (عب١٢: ١٦).

٦ - بواسطة مكر رفقة لم يحصل عيسو لا على البركة ولا على رداء البكورية، فلأنه أساء إلى والديه فقد ردا له الإساءة وأثاروا كبرياءه لكي يحسن التصرف فألبسوا يعقوب ثيابه (تك٢٧: ١٥). وهو لم يكن بالفعل مستحقاً لهذه الثياب التي كان قد أهملها بكبريائه وقساوته. لذلك، فإنهما لم يقسما ميراثهما على ابنيهما، بل أعطيا ليعقوب كل شيء لأنه كان ساكناً في البيت ببراءة وكان خاضعاً لوصاياهما. ويقول سليمان أيضاً عن عيسو: «الابن العاصي يهلك» (أم١٣: ١سبعينية)، كما يقول موسى النبي: «ملعون من يشتم أباه أو أمه» (خر٢١: ١٧؛ لا٢٠: ٩). ويقول سليمان أيضاً: «لا خير للابن الغاش» (أم١٥: ١٥ حسب النص)، لذلك فقد خسر البركات وحرِم من ميراث أبيه.

٧ - ماذا أقول عن آدم الذي في بداية الجنس البشري أعطى المَثَل الأول لعدم الطاعة والاستهتار؟ لقد أُعطِي له السلطان على جميع دبابات الأرض، تماماً كما يعطَى كل شيء مضاعفاً للبكر. ولكنه بعد أن ازدرى بأمر الله لم يفقد فقط سلطانه بل وطُرِد أيضاً من الموضع الذي ناله لأجل سكناه - تماماً مثلما يطرد الزاني من الكنيسة ويجرد من مجده. لقد تحمل كل شيء، والذين يستهترون بوصايا الله سيعاقَبون، وإذ يسلكون بالكبرياء سيختبرون كلمة الكتاب: «لما فرغ (موسى) من التكلم فتحت الأرض فاها وابتلعتهم»

(عد١٦: ٣٢).

٨ - دعونا نتشبه بمثال الرجل البار الذي كان ساهراً على بيته بالحكمة وخلُص بالتواضع بينما كان كبرياء العمالقة يتلاشى. وليس في ذلك عجب أن يخلص هو وحده مع أولاده ونسائهم دون الجنس البشري كله، لأنه حتى الوحوش والطيور أيضاً نجت بالطاعة. وأرسل نوح حمامةً من الفُلك، فذهبت ثم عادت مذعنةً لإرادة الذي أرسلها، فأدانت بطاعتها البشر المستهترين، لأن طائراً أطاع رجلاً باراً في حين أن البشر لم يطيعوا إلههم! جميع الوحوش والكائنات الحية نجت بالطاعة، ولأنها كانت كذلك فقد قدم منها نوح ذبائح لله.

٩ - هذه القصة تعلمنا أن القديسين يقدمون ذبائح لله، وإذا أطاعوا وصيته، فإنهم ينجون من فخاخ الشيطان ويتمتعون بخيرات الله «ليس بسبب أعمالٍ بر عملوها هم، بل بمقتضى رحمته» (انظر تي٣: ٥) التي بواسطتها تكون لنا جميعاً دالة الدنو منه.

١٠ - وحيث إن لنا معرفة بالأمور الآتية، فلنتحد بالمحبة مع بعضنا البعض حتى يمكننا أن نتحاشى دينونة الله الوشيكة الحدوث. لا تدفع أحداً للغضب، خوفاً من أن يموت وتترك أنت مقيداً (بذنبه). فإن حزنه سوف ينقَل إلى نفسك ويصب الله غضبه عليك، لأنك قد صببت سخطك على أخيك. فلنحرص ألا ننسى وصايا الله لئلاّ يقال لنا: «حولوا نحوي القفا لا الوجه وفي وقت بليتهم يقولون: قُم وخلصنا» (إر٢: ٢٧). أما هو فسوف يجيب: إنني سأوبخ تمنعهم ولن أدعهم يقبلون إلى البصخة التي دعوا إليها.

١١ - فلنتعب حاملين بعضنا أثقال بعض (غل٦: ٢) كما حملَ المسيح أوجاعنا في جسدِهِ بدون نكوص. فإذا كان المسيح هو سيدنا فلنقتدِ به ونتحمل جراحاته لئلاّ نفرز في الدهر الآتي من إخوتنا الذين تحملوا الضيقات. وهذا هو أيضاً مصير الآخرين لأنهم أرادوا أن يهبوا أنفسهم ليس للفضائل بل بالحري للرذائل!

١٢ - الله هو قاضينا والشاهد لنا. إنه يشرف من السماء على كل شيء، وفي يوم الافتقاد سيجازي كل واحد حسب أعماله. كل قديسيه سوف يتبعونه، لذا ينبغي أن نصغي إلى تعاليمهم. لقد تكلمت إليكم من خلال ضعفي.



الرسالة السادسة

❑✶❖✶❒

[رسالة من أبينا باخوميوس إلى سوروس، أب الدير المسمى بخنوم،]
[ويوحنا أحد رؤساء بيوت هذا الدير]

وهو يشرح فيها معاني حروف الأبجدية القبطية التي يراسلهم بها قائلاً:

١ - "أريد منكم أن تفهموا الرموز التي كتبتم لي بها والتي كتبت بها أنا ردا عليكم، ومدى أهمية التعرف على كل عناصر الأبجدية الروحية" ... ثم يشرح معاني تلك الحروف.

❑✫❋✫❒

الرسالة السابعة

[رسالة من أبينا باخوميوس إلى جميع الأديرة داعياً جميع آباء الأديرة ورؤساء البيوت]
[للاجتماع في الدير الكبير "بافو" في العشرين من شهر مسرى القبطي من أجل إتمام]
[الصفح عن جميع الخطايا والأعمال على نحو لائق][(١١)]

١ - إن وقت اجتماعنا معاً يقترب، حسب عادتنا في الصفح، إذ نتبع الأنظمة القديمة للاجتماع معاً لعمل الصفح والغفران، فليصفح كل واحد إذن لأخيه حسب وصية الله وتطبيقاً للوصايا المكتوبة لنا من الله. وليفتح كل واحد قلبه بالتمام لأخيه. وليشارك الإخوة بعضهم بعضاً في التزاماتهم. ولتطهر نفوسهم بالتقديس ومخافة الله. ولا تكن في قلوبهم أية عداوة. وليعرفوا بالأحرى كيف يسلكون بالحق مع بعضهم البعض، لأن هذه هي وصية ناموس الله أن نطلب السلامة ونجد في أثرها أمام الله والناس (مز٣٤: ١٤؛ ١بط٣: ١١)، سالكين بالحق مع كل إنسان. وليعيشوا في سلام في كل شيء خادمين الله وبعضهم البعض لا أغراضهم العديدة وخداع عيونهم ومخاتلات العلم الذي ينفخ وميول الجسد. فمن هذه الأمور تنشأ الانقسامات واحتقار ناموس الله، والمنازعات، والأفكار الشريرة التي تثير الغضب، مثل المياه التي تفيض وتزبد بالملذات الجسدية.

٢ - لذلك كُتب ناموس الله لكي يبطل ناموس الأجساد وحقوقها، وحتى يخجل الذين يتبعون شهواتهم ويعودون إلى الله في النهاية، ولكي بازدرائهم للأمور الزمنية يسعون إلى الأمور الأبدية. وهكذا يصيرون مستعدين لاستقبال ميراث القديسين الذين كبحوا جماح أنفسهم مزدرين بالحياة الحاضرة لكي ينالوا حياة الدهر الآتي. فبدلاً من

---

(١١) هذا العنوان جاء في الترجمة اللاتينية فقط. كما أن الترجمة اليونانية كانت ناقصة فأُخذت البقية من اللاتينية أما عن اجتماع جميع الرهبان في بافو في أواخر شهر مسرى فانظر النسخة القبطية البحيرية ٧١: ٢.

الخبث ترجوا الصلاح، وبدلاً من الشغب والنـزاع السلام والانسجام، وبدلاً من تبنـي الجسدانيات خدمة الله؛ وذلك لكيما بقهرهم لمثيرات الجسد يمكنهم أن يطلبوا الأشـياء التي ترضي مشيئة الله.

٣ - مكتوب أنه «إن غفرتم للناس زلا م يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي» (مت٦: ١٤). وأيضاً: «اتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته» (مت١٨: ٣٥). وكـذلك: «اغفروا يغفر لكم» (لو٦: ٣٧). ثم: «أحسنوا إلى مبغضيكم» (لو٦: ٢٧). وفي موضع آخر: «لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير» (رو١٢: ٢١). وهذه أيضـاً: لا تقُـل: «أنصفني من خصمي» (لو١٨: ٣). وفي موضع آخر: «لا تجازوا أحداً عن شر بشـر» (رو١٢: ١٧؛١بط٣: ٩). وأيضاً: «معتنين بأمور حسنة قدام جميـع النـاس» (رو١٢: ١٧). وكذلك: «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء» (رو١٢: ١٩). وهـذه كـذلك: «كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض» (أف٤: ٣٢)، «عاملين الخير للجميع» (غل٦: ١٠). وأيضاً: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجـل الـذين يسيئون إليكم ويطردونكم (أو يضطهدونكم)» (مت٥: ٤٤).

٤ – فتأملوا، إذن، ما أكثر الشواهد التي تدفع المؤمن إلى تجنب الخطية إن كان يرغب في الإصغاء إلى ناموس الله ويصيخ بسمعه إلى وصاياه، ويجعل عينيه مفتـوحتين عليهـا ويتجه بقلبه إلى مراعا ا. يوجد كثيرون يرغبون في حفظ هذه الوصـايا ويطلبـون الله بدموع وهم يئنون اراً وليلاً، ولكن بسبب خداع عيو م وعدم انضباط أجسادهم ماتوا في أنينهم وأسى قلو م. فإ م في الحقيقة كانوا غير قادرين علـى ضـبط أجسـادهم وشهوات قلو م. لقد اشتهوا ناموس الله، ولكنهم إذ انجرفوا وراء الأباطيل لم يسـتطيعوا أن يسلكوا بموجبه. لقد اختاروا بالأحرى أن يسيروا في طرق أخرى شريرة، لذلك فقد كانوا يئنون حسب قول النبي: «الأشرار كالبحر المضطرب ... وتقذف مياهـه حمـأةً وطينا» (إش٥٧: ٢٠) إلى أن يصاب كل منهم بالدوار في طريقه ويموت حزينا، أما البار فيظل في سعادة وفرح.

الرسالة الثامنة

[رسالة من أبينا باخوميوس إلى الإخوة الذين كانوا في البرية يجزون الماعز، التي من شعرها كانوا ينسجون الأقمصة الشعر]

١ - الله طالب الذين يحبونه، إذ وجد إسرائيل كعنقود عنب في البرية وكباكورة نضجت مبكراً على شجرة تين (انظر هو٩: ١٠).

٢ - فإنه بالحق كان يعقوب، الذي هو إسرائيل، تائهاً في البرية مثل عنقود عنـب، فوجِد في ما بين النهرين. ويوسف الذي عرفه الله قبل إخوته لكي يعطيه مملكةً في ايـة أحزانه في البرية، وجِد مثل باكورة الثمار التي نضجت مبكراً على شجرة تين.

٣ - فتأملوا يوسف الذي كان مثالاً للرجل الذي قهر الخطية التي صارعته، فإنه لكي يحفظ نفسه نقيةً لله، ولكي يصير هيكلاً للروح ويستأهل د التعبد لله، لم يتبع شـهوة عينيه وشبع البطن.

٤ - تأملوا في كيف أن الله لا ينسى قط الذين يخافونه. فإنه يعمل بالبر والعدل مثلما عمل مع يوسف فأ ى أحزانه. إن الله لم ينسه.

٥ - ولنأخذ لأنفسنا شجاعةً من هذه الأمور، عالمين أن الله معنا في البرية كما كان مع يوسف في البرية. فلنضع هؤلاء، إذن، في قلوبنا كتذكار. ولنحفظ أجسادنا ونفوسنا نقية في البرية مثل يوسف، لكي يذكرنا الله ويكون معنا إلى الأبد.

❑☆☀☆❒

الرسالة التاسعة "أ"

☆✿✿☆

[يشرح فيها معاني الرموز، في لغة مستترة، عما هو مزمع أن يكون]

ⲁⲱ الأجيال قد اهتاجت بالشر، الذي هو ⲁ.

ⲃⲫ الثمرة اكتملت على الشفاه (انظر عب١٣: ١٥)، التي هي ⲧ.

ⲓⲭ الله جعلني أنسى الفقر في بيتي، من بداية الجبال حتى قمتها، التي هي ⲣ.

ⲁⲫ لأجل رقاد الأرملة ومجد الفقير، الذي هو ⲟ.

ⲉⲩ الجبال سمعت بفرح الأرض، التي هي ⲍ... وهكذا.

الرسالة التاسعة "ب"

(يشرح فيها معاني الحروف القبطية التي قسم على أساسها الرهبان)

الرسالة العاشرة

[كلمات نطق بها أبونا باخوميوس برموز، معلماً الإخوة في دير "تموشنس"]
[(Thmousons) عن الأمور التي ستحدث. وبواسطة هذه الكلمات التي قيلت بالروح]
[أبلغ الإخوة عما كان رؤساء الأديرة مزمعين أن يفعلوه ويعانوه]

١ - لقد اقترف المدبرون جريمةً في جعيتهم، لذلك فقد صار لهم السيف تحت صدورهم، الذي هو الحديقة. وعند أبواب الجحيم يناضلون من وفرة غِنى الأرض أو الخيرات التي أغدقها الله على البشر. لقد قالوا: "هلم نفحص طرقنا ونرى إن كنا نجد بعضاً من الخميرة فنلقيها في العجين الذي لا يرتفع ولا يزداد ولكنه يفنى بالجوع". لقد هيأوا فخا لأقدامهم وقوساً لأيديهم وفأساً لأكتافهم.

٢ - لقد جاءوا إلى إنسان كان معه منشار في يده، فقال: "هل أنتم مزمعون أن تقطعوا بعضاً من الخشب؟" فأجابوه: "كلا، ولكننا نريد أن نمتحن طرقنا لكي نرى إن كنا نجد بعضاً من الخمير فنضعها في العجين الذي لا يرتفع ولا يزداد ولكنه يستهلك بواسطة الجوع". فدعا الرجل أصدقاءه، فقطعوا أباهم أرجلهم وأيديهم (قض١: ٧)، أي أصابعهم التي سقطت على الأرض. فجاءت فراخ الغربان وجمعتها، وبنت عشها وأنجبت الأيائل في مواضعها، وبهذه صارت الأرض مأهولة.

الرسالة الحادية عشر "أ"

[كلمات لأبينا باخوميوس بلغة سرية عن الأمور المزمع أن تحدث]
(يشرح فيها معاني الحروف التي قسم الرهبان على أساسها)

الرسالة الحادية عشر "ب"

(يشرح فيها أيضا معاني الحروف مثل الرسالة السابقة)

ثالثاً: مقتطفات من مخطوطات أنبا باخوميوس(❖)

I

١ - ... من الجسد لكي يحصدوا ثمرة في قلوبهم النقية وكلماتهم الحسنة جداً.

٢ - الفعالية الثانية لإبليس هي هذه: إنه يترك الإنسان الذي يقاتله عندما يرى الروح القدس ساكناً فيه ومتوهجاً مثل اللهيب، تماماً مثلما لا تستطيع الحية أو العقرب أن تلدغ حديداً متوهجاً دون أن تجعله يزداد توقداً بالأكثر. ولكن عندما يراه كسلاناً بعض الشيء أو مهملاً بالتمام، فإنه يجول حوله ويختفي إلى أن يراه نائماً، حينئذ ينقض عليه فجأةً ويخدعه.

أنبا باخوميوس [الأرشمندريت]

II
أيضاً من نفس المصدر

١ - اهرب من الذين يتبعون نزواتهم. من ذا الذي يستطيع أن يعينك؟ لأنه لا يمكن لأحد أن يكون ذا نفع لصاحبه في تلك الأوقات. لكن أسرع لاقتناء النوح والصمت اللذين يصيران لك مرشدين إلى مخافة الله. أغلق أذنيك مقابل الكلام البغيض الذي أصبح يتخذه أغلب الذين يرتدون زينا الآن كقاعدة لهم، أعني به الاغتياب (أو الافتراء).

٢ - قُلْ أنت أيضاً مع النبي: «رفضت الذي يغتاب صاحبه سرا» (انظر مز١٠١: ٥)، لأنه يغتاب أيضاً ذاك الذي ينصت بتعمدٍ لحديث افترائه، فالدينونة واحدة، غير أنه سوف يرى موضعاً لم يكن له أن يراه. فليذهب إذن إلى الموضع الذي ينبغي أن يذهب إليه ويتجنب لعنة واضع الناموس.

٣ - لتكن كلماتك موزونة ومحسوبة منك، عالماً أنك سوف تعطِي حساباً لله عما يخرج من فمك، بما في ذلك المزاح أو حتى أي كلمة لا تبني. احترس لنفسك أيها الراهب، ولا تفقد كل ثمارك مع نسكك. ولا تكن غريباً تجاه تلك المواعيد. وكل ما تفكر فيه وكل ما تحب ليكن مؤسساً في الرب بثبات. وضع في فكرك دائماً رحيلك من الجسد للذهاب إلى الله الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله.

أبا باخوميوس [الأرشيمندريت]

(❖) حقق العالِم "زوئيجا" (Zoega) اثنين من هذه القطع التي وجدها باللغة القبطية ونشرها أميلينو (E. Amèlineau) لأول مرة في باريس سنة ١٨٩٥، ثم نشر ليفور (L. T. Lefort) طبعة جديدة لها سنة ١٩٥٦ في لوفان.

III
وأيضاً من نفس المصدر

١ - حكى أحد الشيوخ قائلاً: أراد أخ أن يصير راهباً فمنعته أُمه. فتشبث بفكره وصرح لها قائلاً: إنني أريد أن أُخلص نفسي. وظلت تعترض سبيله، إلا أنه لم يستسلم لها. وفي النهاية تركته وشأنه، فمضى وصار راهباً، ولكنه سلك بتوانٍ وأمضى حياته بدون لياقة.

٢ - وماتت أُمه، وبعد فترة من الزمان مرض مرضاً خطيراً، ورأى حلماً أثناء نومه: فقد وجد نفسه محمولاً إلى المحاكمة ووجد أُمه مع الذين سيحاكمون. فلما رأته أُمه فزعت وقالت له: "كيف يكون هذا يا ابني، أنك أنت أيضاً قد جيء بك إلى هنا لتحاكَم؟ أين هي كلماتك التي كنت تقولها لي: أريد أن أُخلص نفسي"؟ فاحمر وجهه خجلاً من كلمات أُمه، ثم مضى إلى العقاب المعد له.

٣ - ولما استيقظ من حلمه وتعافى من الحُمى التي ألمت به بعض الشيء، فكر في نفسه قائلاً: "إذا كانت أُمي قد وبختني هكذا، فماذا أفعل عندما يؤتى بي أمام كرسي الديان العادل الذي يحكم بغير محاباة"؟ وهكذا جاهد من أجل خلاصه بكل غيرة وصار معروفاً حتى إن كثيرين خلصوا بسببه[١٢].

أبا باخوميوس [الأرشيمندريت]

IV
وأيضاً من نفس المصدر

١ - إنني أحذركم، أيها الإخوة الرهبان الذين تحبون الرب، ألا تسمحوا لمثل هذا الفكر أن يدخل إلى عقولكم: 'لماذا اشترك الآباء البطاركة والأنبياء في الحياة الزوجية وكانوا أيضاً مرضين لله'؟! كلا، لا يكن فيكم هذا الفكر، ولكن ليفكر كل واحد في نفسه. انظروا في أي موضع وفي أي سجن معيٍ بالدخان قد قُيد الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم، في قتام الظلام (يه: ٦). إن استطعتم أن تنهضوا من هذا الظلام القاتم الذي قُيدوا هم فيه فهذه هي مسئوليتكم! يقيناً، إنه من المستحيل لمن نذر نفسه لله أن يعود ثانيةً ويرتبك بأعمال الحياة وضيقات الذين يعيشون في العالم الكثيرة. أما بالنسبة لمن يعيش في الحياة المدنية، فحالما ينجب أولاداً وينضغط بالعوز والحاجة، فليس من العدالة أن يمضي ويتركهم بحجة الرغبة في الحياة الرهبانية.

---

(١٢) هذه القصة جاءت عدة مرات في مجموعات متعددة من الأبوفثجماتا (أقوال الآباء) ولم تنسب لأحد من الآباء.

٢ - إنني أرى، أيها الإخوة، أننا قد ذُقنا معاً تعاليم مملوءة من مخافة الـرب. وهـي كفيلة بأن تجعل من يطبقها عمليا أن يعيش ا وينال بركة من الرب يسوع.

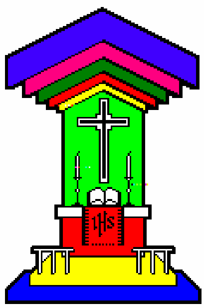
V

وأيضاً من نفس المصدر

١ - ... لقد قيل مرةً أخرى في الأنبياء الصغار: «سأجذ م إلي بربط محبتي» (انظـر هو١١: ٤). وقال ق. بولس أيضاً: «لقد صرنا شركاء المسيح» (عب٣: ١٤). لذلك، أيها الإخوة، افرحوا، كونوا مستعدين وتمسكوا بإقرار الرجاء ويقين الافتخار راسخاً إلى النهاية (عب١٠: ٢٣؛ ٣: ٦).

٢ - أما بالنسبة للإنسان الذي ينخسه ضميره من جديد، فإن أول صورة من صور ضبط النفس هي السيطرة على البطن، لأن شهوة البطن هي أردأ جميع الشهوات؛ فهـي تؤدي إلى الملذات وخديعة التراخي والكسل. فعندما يحدث إفراط في إشباع الشهوة وتجد مجالاً لمثل هذه الأمور في الإنسان، فإنه يصبح مثل بئر قد امتلأت منها، وينبوع قد جف، و ر قد فرغ ماؤه، ويصير مثل قصرٍ منهار، وبستان فاكهة سقط سياجه وقُطِفَت ثماره. وآخر حكم بالموت على النفس هو عدم إيما ا.

٣ - لذلك، فإنكم أنتم، يا أحباء الكلمة ابن الله الحي، كونوا مثل الشعر النامي على جسد المسيح المغطى بريش الطيور الجميلة في كنيسة العلي، سالكين في الحق، مـرتبطين بالبر، لكي ترثوا مساكن السلام. والرب إله القوات هو نفسه الله الذي سـيرعاكم إلى الأبد في فرح نعمته وطمأنينة سلامه إلى اية كل الدهور التي لا تشيخ. آمين.



ثالثاً: قوانين القديس باخوميوس

مقدمـــة:

عندما أراد أنبا باخوميوس أن يحول مجموعة الرجال الذين جاءوا ليعيشـوا معـه في البداية إلى جماعة شركة رهبانية، وذلك بعد أن ظل يخدمهم باتضاع سنوات قليلة مؤملاً أن يتصفوا من أنفسهم بالسلوك الرهباني اللائق مقتدين به ولكن دون جدوى؛ وضع لهم مجموعة من القوانين استقاها من الكتب المقدسة. ثم بعد زمان، عندما قررت أختـه أن تعتنق الحياة الرهبانية ومعها نساء أخريات، أرسل لها القوانين الـتي وضـعها للإخـوة. وعندما كان يؤسس أديرة جديدة أو يضم أديرة موجودة إلى نظام الشركة، كان يطبـق في الأديرة الجديدة نفس القوانين التي سارت عليها الجماعة في دير طبانيسي.

وكانت تلك القوانين تتطور بتطور نظام الشركة أيـام ق. بـاخوميوس ثم في أيـام خلفائه. ولدينا أربع مجموعات من القوانين التنظيمية المنسوبة للأب باخوميوس إحـداها منسوبة لتلميذه الأب أورسيزيوس. وقوانين ق. باخوميوس لم تحفظ كاملةً إلاّ في اللغـة اللاتينية التي ترجمها الأب جيروم في القرن الخامس. وأول من عثر على أجزاء من تلـك القوانين بلغتها القبطية الصعيدية الأصلية هو العالم "ليفور Lefort" ثم تحقق منها ونشرها عام ١٩٣٥م مع ترجمة لها باللغة الفرنسية[١٣].

وتتكون قوانين ق. باخوميوس من أربع مجموعات هي:

١ – تعليمات. **٢** – تعليمات وأنظمة. **٣** – تعليمات وأحكام. **٤** – وصايا وشرائع.

وهي في مجموعها تحمل طابع التشريع للرهبنة الباخومية في أواخر القرن الرابع الميلادي.

مقدمة الأب جيروم لهذه القوانين:

١ - مهما كان السيف حادا ولامعا، فسيعلوه حتما الصدأ ويفقد لمعان جماله السابق إذا استمر طويلاً في غمده. لذلك، فبينما كنت حزينا لموت القديسة الموقرة باولا[١٤] - ولم يكن حزني عليها مخالفًا لوصية الرسول (١تس٤: ١٣)، ولكنه كان لهفةً وأسى على المؤازرة التي فقدها الكثيرون بموتها - إذ بي أتسلّم الكتب المرسـلة لي مـن رجـل الله سلوانس الكاهن التي كان قد تسلّمها هو بدوره من الإسـكندرية لكـي يـدعوني إلى

(13) Oeuvres de St. Pachome et de ses disciples, CSCO – 159, Louvain, 1956.

(١٤) ولدت القديسة باولا سنة ٣٤٧م، وتنيحت في ٢٦ يناير سنة ٤٠٤م، وبذلك تكون ترجمة جـيروم لقـوانين الأب باخوميوس قد تمت في أواخر سنة ٤٠٤م.

ترجمتها. وقال لي إن في أديرة الصعيد وفي دير الميطانيا (وهذا هو الاسم الجديد السعيد الذي تحول إليه من دير "كانوب" إلى دير "التوبة")، يقيم هناك كثير من اللاتين الذين لا يعرفون اللغتين القبطية واليونانية اللتين كُتبت بهما تعاليم الآباء باخوميوس وتادرس وأورسيزيوس[١٥]. وهؤلاء هم أول من وضع أسس حياة الشركة في الصعيد ومصر حسب وصية الله والملاك المرسل من الله لهذا الغرض عينه[١٦].

ولما كنت ملازما الصمت لمدة طويلة متكبدا حزني في سكون، فبسبب الإلحاح المستمر من الكاهن "ليونتيوس" والإخوة الآخرين المرسلين معه إلي، فقد استدعيت كاتبا وأمليت عليه هذه الكتابات بلغتنا، إذ إنني وجدتها قد ترجمت من القبطية إلى اليونانية. وقد فعلت ذلك ليس استجابةً لطلبات المتوسلين، ولكن طاعةً لأمر أمثال هؤلاء الرجال العظام، ولكي أقطع صمتي الطويل في ظروف طيبة تبشر بالخير كما يقولون. وهكذا بعودتي إلى سابق عهدي بالدراسات، فقد أُدخل الراحة لنفس تلك القديسة التي كانت دائما تشتعل حبا للأديرة، وكانت تمعن التأمل، وهي هنا على الأرض، فيما سوف تشاهده في السماء. وفضلاً عن ذلك، فلكي تجد عذراء المسيح الموقّرة ابنتها "أوستوخيوم" شيئًا تقدمه للأخوات كقانون للسلوك، ولكي يتمكّن إخوتنا اتباع قدوة المصريين الرهبان الطبانسيين.

٢ - هؤلاء كان لهم في كل دير آباء ووكلاء، ومسئولون عن الخدمة الأسبوعية وأعوان ورئيس لكل بيت. ويضم كل بيت حوالي ٤٠ أخا يتحتم عليهم طاعة الرئيس. وبحسب عدد الإخوة كان في كل دير من ٣٠ إلى ٤٠ بيتا؛ وتتحد كل ثلاثة أو أربعة بيوت لتكون عشيرة. وهم إما يذهبون معا للعمل أو تخلف كل مجموعة الأخرى في الخدمة الأسبوعية حسب رتبتها.

٣ - من دخل الدير أولاً تكون له الأولوية في الجلوس والسير وتسبحة المزامير، ومد اليد أولاً على المائدة، والتقدم للتناول في الكنيسة، إذ لا يعتبر الأخ عندهم بحسب السن بل بحسب أقدمية التحاقه بالدير.

٤ - لا يوجد في قلاليهم سوى حصيرة بالإضافة إلى ما يلي:

---

(١٥) قام البابا ثيئوفيلس الـ٢٣ نحو سنة ٣٩٠م بهدم المعبد الوثني للإله سيرابيس في "كانوب" (أبوقير) التي تبعد حوالي ٢٠ ميلاً شرقي الإسكندرية، وبنى في مكانه ديرا دعا إليه الرهبان الباخوميين لتعميره، وقد سمي "دير التوبة" (أي "الميطانيا" باللغة اليونانية).

(١٦) لم يكن جيروم قد علم بالقانون الذي أعطاه الملاك للأب باخوميوس من كتابات بالليديوس لأنه جاء بعده، فلا بد أنه اعتمد في ذلك على التقليد المشار إليه في القصص التي نقرأها في سيرة أنبا باخوميوس.

ثوبان ["اللبيتوناريا"، وهي نوع من الملابس المصرية بدون أكمام]، وثوب ثالث رث[17] سبق استعماله يرتدونه أثناء النوم والعمل، وعباءة من الكتان، وقلنسوتان، ورداء من جلد الماعز يسمونه "ميلوطة" (melote)، ومِنطقة من كتان وحذاء وعصا لاستخدامها في الأسفار.

٥ - يعتنى بالمرضى عنايةً فائقةً وبوفرة كثيرة من الأطعمة. أما الأصحاء فيمارسون بالأحرى تقشفًا أكثر. والجميع يصومون مرتين في الأسبوع: الأربعاء والجمعة فيما عدا أيام الفصح والخمسين (بعد عيد الفصح). أما في الأيام الأخرى فمن أراد أن يفعل هكذا فإنه يأكل بعد الظهر، وتعد المائدة مرةً أخرى في المساء من أجل المتعبين والشيوخ والصبية، وبسبب حرارة الجو الشديدة للغاية. وبعضهم يأكل قليلاً في الدفعة الثانية، والبعض الآخر يكتفي بوجبة واحدة سواء في الظهر أو في المساء، ومنهم من يكتفي بقليل من الخبز ثم يخرج. والجميع يأكلون سويا. أما إذا لم يرغب أحد في الذهاب إلى المائدة فيعطَى له في قلايته خبز فقط مع ماء وملح كل يوم أو كل يومين بحسب رغبته[18].

٦ - الإخوة ذوو الحرفة الواحدة يجمعون في بيت واحد تحت إشراف رئيس واحد. فمثلاً يجتمع معا الذين ينسجون الكتان، والذين يصنعون الحصر يحسبون أسرةً واحدةً، وكذلك الخياطون وصانعو العربات والقصارون (أي مبيضو الأواني) وصانعو الأحذية، فكل مجموعة منهم يحكمها رئيسها ومنفصلة عن الأخرى، ويقدمون كل أسبوع حسابا عن أعمالهم لأب الدير.

٧ - يخضع جميع رؤساء الأديرة لرأس واحد يقيم في دير بافو، وفي أيام البصخة يجتمع الجميع حوله فيما عدا الذين تلزمهم الضرورة للمكوث في أديرتهم حتى إن الذين يحتفلون معا بعيد آلام الرب يبلغ عددهم ما يقرب من خمسين ألف رجل[19].

٨ - في شهر مسرى الموافق شهر أغسطس، يجتمعون للاحتفال بأيام الصفح على مثال اليوبيل في العهد القديم (انظر لا٢٥)، حيث يصفح كل واحد عن خطايا الآخر، ويتصالح معا كل من كانت بينهم منازعات. ثم يتم تعيين رؤساء للأديرة، ومشرفين وأعوان (جدد) إذا دعت الضرورة لذلك.

---

(١٧) يسمى "المرقّعة"، أما "اللبيتوناريا" فهي غالبا "القُصارية"، (انظر "رهبنة" الطبعة الثانية صفحة ٢٢٧ هامش رقم ٢).
(١٨) كانت غالبا الوجبة التي يحضرها الجميع هي وجبة الظهر.
(١٩) هذا الرقم لا بد مبالغٌ فيه لأنه يعني أن عدد الأديرة يكون قد وصل إلى ٣٠ ديرا على الأقل في سنة ٤٠٤م، وهذا غير متوقع لأن الأب تادرس أضاف ٣ أديرة على التسعة التي أسسها أنبا باخوميوس، وكان متوسط عدد رهبان الدير يتراوح بين ٣٠٠ و٤٠٠ راهب عدا الدير الكبير في بافو وكان عدد رهبانه نحو ١٣٠٠.

٩ - ويقول الرهبان الطيبيون إن باخوميوس وكورنيليوس وسـوروس[٢٠] [وهـذا الأخير مازال على قيد الحياة وعمره يزيد عن ١١٠سنة) قد أعطي لهم بواسطة ملاك لغة سرية يمكنهم ا أن يكتبوا لبعضهم البعض ويتكلموا معا باستخدام أبجدية روحية تنطوي على معانٍ خفية في هيئة علامات ورموز معينة. وقد قمنا بترجمة هذه الحروف إلى لغتنـا كما تقرأ عند المصريين واليونان، ملتزمين حرفيا بالنص الذي لدينا. وإذا كنا قد تشـبهنا (في ترجمتنا) ببساطة الكلام المصري، فقد فعلنا ذلك من قبيل الأمانة للنص، ولئلاّ تشوه بلاغة الكلام ما قاله هؤلاء الرجال الرسوليون المملوؤون من نعمة الروح.

أما بخصوص الأمور الأخرى التي تحتوي عليها كتابا م فقد أحجمت عن أن أعطـي بخصوصها مذاقة مسبقة حتى يتسنى التعرف عليها من مؤلفيها، ولكي أُتيح للذين يجدون مسرةً في دراسة الجماعات المقدسة أن يشربوا من الينابيع ذا ا لا من الجداول المتفرعـة منها.



(٢٠) كان من الثلاثة الأوائل الذين ترهبوا مع أنبا باخوميوس وهم: بيستيس وبيشوي وسوروس. وقد صار رئيسا لدير "بخنوم" وتنيح إثر وباء الطاعون سنة ٣٤٦م قبل أنبا باخوميوس بقليل. فلا بد أن جيروم خلط بينه وبين سوروس آخر كان يدعى "سوروس الأصغر" الذي حلّ مكان أبا تادرس في رئاسته لدير طبانيسي، وربما يكون هو الذي كان على قيد الحياة عند ترجمة جيروم للقوانين.

القسم الأول

التعليمـات

[تعليمات أبينا باخوميوس رجل الله الذي كان أول مؤسس لرهبنة الشركة بأمر من الله]

١ - عندما يأتي شخص بدون توجيه من أحد إلى مجمع القديسين، يدخله البواب[٢١] من بوابة الدير ويعطيه مكانا حسب رتبته[٢٢] مع جماعة الإخوة. ولا يسمح لـه بتغـيير مكانه أو ترتيبه في الجلوس إلى أن ينقله رئيس البيت التابع له إلى المكان المناسب له.

٢ - ينبغي عليه أن يجلس بكل احتشام وأدب واضعا تحت فخذيه الجزء السفلي من رداء جلد الماعز[٢٣] الذي يتدلّى من على كتفه إلى جنبه، ويثبت بعناية ثوبه الكتاني الذي بدون أكمام المسمى "ليبيتوناريا" بحيث يغطي ركبتيه[٢٤].

٣ - بمجرد سماعه صوت البوق[٢٥] الذي يدعو الإخوة للاجتماع، عليـه أن يتـرك قلايته مرددا أقوالاً من الكتب المقدسة إلى أن يصل إلى باب موضع الاجتماع.

٤ - وأثناء سيره في داخل موضع الاجتماع متجها إلى مكـان جلوسـه ووقوفـه، فليحذر من أن يدوس على السمار المبلّل بالماء والمعد لاستعماله في ضفر الحبال، حتى لا يتسبب إهمال أي واحد في خسارة ولو طفيفة للدير[٢٦].

٥ - أما عند سماع الإشارة ليلاً، فلا يقف أحد عند النار المشـتعلة عـادةً لتدفئـة الأجساد من البرد، ولا يجلس بطّالاً في ا مع، بل عليه أن يعد بيد نشيطة الحبال لعمـل السداة اللازمة لصناعة الحصر، إلاّ أن هناك استثناءً من أجل عجز الجسد الضعيف الذي ينبغي أن يتوقف قليلاً من وقت لآخر للراحة.

٦ - عندما يصفق الواقف في المقدمة على الدرج بيديه وهو يتلو عن ظهر قلب بعض نصوص من الكتب المقدسة، معلنا بذلك اية الصلاة، لا يسوغ لأحد أن يتـأخر عـن

---

(٢١) كان يعهد بالإخوة الجدد للبواب الذي عليه أن يهتم بتوجيههم إلى أن يصيروا مهيئين لدخول الدير.
(٢٢) الرتبة أو الدرجة في وسط الجماعة كانت مهمة جدا وتراعى للغاية.
(٢٣) كانت هذه هي إحدى استخدامات جلد الماعز المتعددة، ربما هنا لحفظ الثوب الكتاني من الاتساخ أو من أن يبلى سريعا.
(٢٤) يفهم الغرض من هذه التوصية بوضوح أكثر إذا علمنا أن الرهبان الباخوميين والمصريين عموما كانوا لا يستعملون سوى "الليبيتوناريا" لتغطية أجسادهم ولا يستعملون ملابس داخلية (انظر كاسيان: الأنظمة الرهبانية١: ١٠).
(٢٥) ذكر البوق هنا ربما يكون إضافة من جيروم، لأن المعروف أ م كانوا يعطون الإشارة بالقرع بمطرقة، أو أي شيء آخر، على قطعة من الخشب الجاف.
(٢٦) هناك علاقة وثيقة بين الصلاة والعمل في الأديرة الباخومية، فقد كان الرهبان يصلّون باستمرار أثناء العمل، ويضفرون الحصر ويفتلون الحبال أثناء الاجتماع (مجمع العمل كان مساويا تماما في أهميته مع الصلاة).

القيام، بل على الجميع أن ينهضوا معا.

٧ - لا يجوز لأحد أن ينظر إلى آخر وهو يجدل الحبال أو يصلّي، بل عليه أن يركّز انتباهه في عمله الخاص وعيناه مسبلتان إلى أسفل.

٨ - هذه هي تعاليم الحياة المسلّمة لنا من الشيوخ. وإذا حدث خلال الأبصلمودية (التسبحة) أو الصلاة أو أثناء القراءة، أن تكلم أحد أو ضحك، فليحلّ منطقته فورا ويقف أمام المذبح بعنق مطأطأ ويدين متدليتين إلى أسفل ويوبخه رئيس الدير. وعليه أن يفعل نفس الشيء أيضا في اجتماع الإخوة عندما يجتمعون لتناول الطعام.

٩ - إذا بوق بوق الصباح لدعوة الإخوة للاجتماع، فمن يحضر بعد الصلاة الأولى فليعاقَب بنفس الطريقة المشروحة سالفًا، ويظل واقفًا في قاعة المائدة (قارن كاسيان: الأنظمة الرهبانية٢: ١٠؛ ٣: ٧).

١٠ - أما ليلاً، فهناك تجاوز أكثر بسبب ضعف الجسد، فمن يأتي متأخرا بعد الصلاة الثالثة يعاقَب بنفس الطريقة في مكان الاجتماع وفي وقت تناول الطعام(٢٧).

١١ - أثناء صلاة الإخوة في الكنيسة لا يسمح لأحد بالخروج إلاّ بأمر من الرؤساء وبعد أن يحصل على إذن بذلك لأجل حاجة الطبيعة.

١٢ - لا ينبغي أن يقوم أحد بتوزيع السمار اللازم لجدل الحبال سوى المختص بالخدمة الأسبوعية. أما إذا تعوق لسبب معقول في عمل آخر، فيلزم الاسترشاد بتوجيه الرئيس.

١٣ – لا ينبغي أن يختار البعض فقط من المكلفين للخدمة الأسبوعية من أحد البيوت للوقوف على الدرج وتلاوة بعض نصوص الكتب المقدسة في اجتماع جميع الإخوة، بل يلزم عليهم جميعا، بحسب ترتيب جلوسهم وقيامهم، أن يرددوا من الذاكرة ما قد حدد لهم.

١٤ - إذا نسي أحد منهم شيئًا أو تلعثم في الكلام فليعاقَب بسبب إهماله ونسيانه(٢٨).

١٥ - في يوم الأحد، أو في وقت تقديم الإفخارستيا(٢٩)، ينبغي ألاّ يتغيب أحد من المكلفين بالخدمة الأسبوعية عن مقعده فوق الامبريميوم(٣٠) أو في الرد على المرتل. ويجب

---

(٢٧) تضيف المقتطفات اليونانية هنا قانونا حذفه جيروم هو: "إذا وجد أحد يصلّي أمام أبواب الاجتماع دون أن يؤمر بذلك فليوبخ بنفس الطريقة".

(٢٨) لأنه أهمل أو نسي ما حدد له أن يحفظه عن ظهر قلب.

(٢٩) كان نظام كنيسة مصر في تلك الأيام أن يحتفَل بالإفخارستيا مساء السبت وصباح الأحد.

(٣٠) الامبريميوم كلمة قبطية ••po•• ومعناها وسادة أو شلتة أو حصيرة، ويبدو أ ا كانت توضع في المقدمة عند خورس المرتلين.

أن يكونوا جميعا من نفس البيت المنوط به القدر الأكبر من الخدمة الأسبوعية، لأن هناك خدمات أسبوعية أصغر لكل بيت على حدة يقوم ا عدد أقل. أما إذا احتاج الأمـر إلى عدد أكبر، فليدع رئيس البيت آخرين من نفس العشـيرة ومـن المكلفـين بالخدمـة الأسبوعية. وبدون أمره لا يجوز لأحد من بيت آخر من نفس العشيرة أن يرتل المـزامير. كما أنه لا يسوغ مطلقًا لأحد أن يخدم الخدمة الأسبوعية لبيت غير بيته إلاّ إذا كان بيته من نفس العشيرة. وتدعى "عشيرة" تلك التي تضم ثلاثة أو أربعة بيوت، بحسب تعـداد الدير، وهي ما نسميها أسرة أو شعبا من نفس الجنس.

١٦ - في يوم الأحد، وفي اجتماع الصلاة الذي تقام فيه الإفخارسـتيا، لا يسـمح لأحد أن يرتل المزامير منفردا عن رئيس البيت وشيوخ الدير ذوي الاعتبار الخاص.

١٧ - إذا تخلّف أحد أثناء تلاوة أحد الشيوخ للمزمور، فليوقع عليه أمر العقوبة فورا ويوبخ أمام المذبح.

١٨ - إذا غادر أي واحد اجتماع الصلاة أثناء تقديم الإفخارستيا بدون أمـر مـن الرئيس، فليوبخ فورا.

١٩ - لا يرجع الإخوة في الصباح في كل بيت إلى قلاليهم بعد انتـهاء الصـلوات مباشرةً، بل عليهم أن يتدارسوا فيما بينهم في التعليمات التي سمعوها من رؤساء بيو م. ثم يدخلون بعد ذلك كل إلى مكانه[٣١].

٢٠ - على رؤساء البيوت أن يلقوا درسا إرشاديا ثلاث مرات كـل أسـبوع. ولا يسوغ في أثنائها للإخوة أن يغيروا أماكنهم في الجلوس أو الوقوف حسب ترتيب البيوت والأشخاص.

٢١ - إذا نام أحد وهو جالس أثناء إلقاء الدرس من رئيس البيت أو رئيس الـدير، فإنه يلزم بالوقوف فورا، ويظل واقفًا إلى أن يؤمر بالجلوس.

٢٢ - عندما تعطَى الإشارة للاجتماع وسماع تعليمات الرؤسـاء، فـلا يجـب أن يتخلّف أحد، ولا توقَد النار قبل الانتهاء من الدرس. وكل من يخالف واحدةً من هـذه التعليمات يخضع للعقوبة السابق ذكرها.

٢٣ - بدون أمر رئيس الدير، ليس للمسئول عن الخدمة الأسبوعية أن يعطي حبالاً

---

(٣١) ليس واضحا من هذا النص إن كان المقصود هو بعد انتهاء الصلوات التي تقام في كل بيت على انفراد أم الصلاة العامة التي تقام لكل الجماعة والتي بعدها يذهب كل واحد إلى مسكنه، وربما يقصد بعد صلاة باكر.

أو أية آنية لأحد. كما لا يستطيع بدون أمره أن يعطي الإشارة لاجتماع الإخوة في نصف النهار أو لصلوات المساء الست.

٢٤ - بعد صلاة الصباح، على خادم الأسبوع المنوط به هذا العمل أن يسأل رئيس الدير عن كافة الأمور التي يراها ضرورية وعن الميعاد الذي ينبغي أن يذهبوا فيه للعمل في الحقول. وبحسب توجيهاته عليه أن يطوف على كل بيت للتعرف على احتياج كل واحد منهم.

٢٥ - إذا ما طلبوا كتابا للقراءة فليعطَ لهم، على أن يعاد إلى مكانه في نهاية الأسبوع مراعاةً لمن يعقبونهم في الخدمة.

٢٦ - عندما يعملون في الحصر، فعلى الأعوان أن يسألوا كلا من رؤساء البيوت في المساء عن كمية السمار اللازمة لكل بيت. وبناءً على ذلك ينقَع السمار ويوزع في الصباح على كل واحد حسب الترتيب. وإذا لاحظ المسئول في الصباح أن هناك احتياجا إلى مزيد من السمار، فعليه أن ينقع الكمية ويوزعها على كل بيت قبل أن تعطَى الإشارة لوجبة الطعام.

٢٧ - على كل من: رئيس البيت الذي هو في سبيله إلى الانتهاء من خدمته الأسبوعية، ومن سيخلفه في خدمة الأسبوع الذي يليه ورئيس الدير، أن يكونوا مسئولين عن ملاحظة ما حذف أو أُهمل من الأعمال. وعليهم أيضا أن يتأكدوا من تنفيض الحصر المعتاد فرشها على أرضية مكان الاجتماع، وإحصاء الحبال التي تجدل أسبوعيا وتسجيل عددها على لوحات، والاحتفاظ بهذه السجلات إلى وقت الاجتماع السنوي حيث يقدم الحساب ويتم الصفح عن خطايا كل واحد.

٢٨ - عند انصراف الاجتماع، على كل أخ أن يتلو شيئًا من الكتب المقدسة أثناء ذهابه إلى قلايته أو إلى صالة المائدة، ولا يغطّي أحد وجهه أثناء التلاوة.

٢٩ - وعند مجيئهم للأكل، فليجلسوا في أماكنهم المحددة ورؤوسهم مغطاة.

٣٠ - إذ أمرك الرئيس أن تنتقل من مائدة إلى أخرى فلتنفذ ذلك على الفور بدون اعتراض على الإطلاق. ولا تتجاسر وتمد يدك على المائدة قبل رئيس البيت، ولا تتلفّت حولك إلى الآخرين وهم يأكلون.

٣١ - على كل رئيس بيت أن يعلمهم في بيته كيف يجب أن يكون أكلهم بسلوك حسن واحتشام. وإذا تكلّم أحد أو ضحك أثناء الأكل فليعاقَب ويوبخ هناك على الفور ويظل واقفًا حتى يقوم أحد الإخوة الذين يأكلون.

٣٢ - إذا حضر أحد متأخرا بعد الصلاة التي قبل الأكل بدون إذن من الرئيس فليعاقَب بالمثل، أو يعود إلى بيته بدون أكل.

٣٣ - لا يجرؤ أحد على التكلم إذا احتاج إلى شيء وهو على المائدة، بل عليه أن يعطي إشارةً صوتية إلى المشرفين.

٣٤ - عند خروجك بعد الأكل، الزم الصمت في ذهابك إلى مكانك.

٣٥ - لا يأكل المشرفون (أو المعاونون) سوى ما أُعد للإخوة عامةً، ولا يؤذَن لهم بإعداد أطعمة خاصة لأنفسهم.

٣٦ - على من يقرع لإعطاء الإشارة لدعوة الإخوة للطعام أن يتلو (محفوظاته) أثناء القرع.

٣٧ - على من يوزع الحلوى للإخوة على باب المائدة أن يتلو شيئًا من الكتب المقدسة أثناء عمله.

٣٨ - على كل واحد أن يتقبل الأشياء التي يتم توزيعها ليس في قلنسوته ولكن في ميلوطته، ويجب ألاّ يتذوق ما أخذه قبل وصوله إلى بيته. والذي يقوم بالتوزيع يأخذ نصيبه من رئيس البيت. وكذلك المشرفون (أو المعاونون) يجب أن يأخذوا أنصبتهم من آخرين، غير طالبين لأنفسهم شيئًا بتمييز عن غيرهم. وليكن ما يأخذونه كافيا لثلاثة أيام. وإذا تبقّى عند أحد شيء فليقم بإعادته إلى رئيس البيت الذي يضعه بدوره في المخزن لكي يخلَط مع باقي الأشياء لحين توزيعه على الإخوة.

٣٩ - لا ينبغي أن يعطَى لأحد أكثر من غيره.

٤٠ - إذا زعم أحد أنه مريض فعلى رئيس البيت أن يتقدم إلى المشرفين على المرضى ويستلم منهم اللازم.

٤١ - إذا مرض أحد المشرفين أنفسهم، فلا يسمح له بالدخول إلى المطبخ أو المخزن ليأخذ منه شيئًا لنفسه، بل على المشرفين الآخرين أن يعطوه ما يرون أنه في احتياج إليه. ولا يسمح له أيضا أن يطبخ لنفسه ما يرغب، ولكن على رؤساء البيوت أن يحصلوا له من المشرفين الآخرين على ما يرون أنه يحتاجه.

٤٢ - لا يجوز لغير المرضى دخول المصحة. أما المريض فليأخذه رئيس البيت إلى المطعم الخاص بالمرضى. وإذا احتاج إلى عباءة أو رداء أو أي نوع آخر من الغطاء أو

الطعام، فليأخذ رئيس البيت بنفسه هذه الأشياء من المشرفين ويعطِها للأخ المريض.

٤٣ - لا يجوز للأخ المريض أن يدخل (من نفسه) حجرة أكل المرضى ويأكل ما يريد دون أن يصحبه للأكل المشرف المسئول عن هذا الأمر. ولا يسمح له أن يحمل إلى قلايته شيئًا مما أخذه في المصحة حتى ولو ثمرةً واحدةً من الفاكهة.

٤٤ - على من يطهو الوجبات للمرضى أن يقدمها لهم كل في دوره.

٤٥ - لا يسمح لأحد أن يتناول نبيذًا أو حساءً (أي شوربة) خارج المصحة.

٤٦ - إذا مرض أحد من المبعوثين في سفر وهو في الطريق أو على المركب، وكان في حاجة أو رغبة في تناول بعض من حساء السمك أو شيء آخر مما يقدم من الأطعمة في الدير، فلا يأكل مع الإخوة ولكن على حدة، وعلى المشرفين أن يعطوه بوفرة حتى لا يحزن الأخ المريض لأي سبب.

٤٧ - لا يتجاسر أحد على زيارة مريض بدون إذن الرئيس. وبدون أمر من رئيس البيت لا يسمح حتى لقريب أو أخ بالجسد أن يخدمه.

٤٨ - إذا أغفل أحد أو أهمل إحدى هذه التعليمات، فليقوم بمقتضى التوبيخ المألوف.

٤٩ - إذا جاء أحد إلى باب الدير راغبا في ترك العالم والدخول في مصاف الإخوة، فلا تكن له حرية الدخول. إنما يجب أولاً إبلاغ رئيس الدير، وينبغي أن يظل خارجا عند البوابة بضعة أيام يلقن خلالها الصلاة الربانية وما يقدر على حفظه من المزامير. ويجب أن يقدم عن نفسه بتدقيق هذه البيانات: هل ارتكب خطأً ومن شدة خوفه أسرع بالهروب؟ أو هل هو تحت سلطان أحد؟ هل في استطاعته أن يهجر والديه ويرذل ممتلكاته؟ فإذا رأوا أنه على استعداد لكل شيء، فليلقن حينئذ باقي النظم الرهبانية: ماذا ينبغي أن يعمل ومن الذي يجب أن يخدمه، سواء كان ذلك في الاجتماع الذي يضم كل الإخوة أو في البيت الذي سيعين فيه أو في قاعة المائدة. وبعد أن يوجه تماما في كل عمل صالح فلينضم إلى الإخوة. عندئذ تُنزَع عنه ملابسه العلمانية ويكسونه بالزى الرهباني، ثم يسلم للبواب لكي يحضره في وقت الصلاة أمام جميع الإخوة، ويجلس حيث يحدد له. أما الملابس التي جاء بها فتعطَى للمسئولين عن هذا الأمر وتوضع في المخزن حيث تكون في عهدة رئيس الدير.

٥٠ - لا يصرح لأي واحد من سكان الدير أن يستقبل أحدا عنده ليطعمه، بل عليه أن يرسله إلى بوابة الضيوف حيث يستقبله المسئولون عن هذا الأمر.

٥١ - إذا أقبل أُناس إلى بوابة الدير، فليستقبلوا بكل توقير إذا كانوا من الإكليروس أو الرهبان، ويجب أن تغسل أرجلهم حسب وصية الإنجيل، ويؤتى م إلى بيت الضيافة حيث يقدم لهم كل ما يليق بالرهبان. وإذا رغبوا أن يشتركوا مع الإخوة في وقت الصلاة والاجتماع، وكانوا من نفس الإيمان(٣٢)، فعلى البواب أو رئيس بيت الضيافة أن يبلـغ رئيس الدير بذلك وبعدئذ يمكنهم حضور الصلاة.

٥٢ - إذا أقبل إلى البوابة علمانيون أو قوم ضعفاء أو أحد من الآنية الضعيفة - أعني النساء - فليستقبلوا في أماكن مختلفة بحسب دعو م وجنسهم، ولا سيما النساء، ويجب الاهتمام م بأكثر توقير واجتهاد، ويجب أن يعطَى لهن مكان منفصل عن كل المنـاطق المعتاد ارتيادها من الرجال، حتى لا يكون هناك أي مجال للعثرة. وإذا كـان مجيـئهن في المساء فمن الخطأ طردهن، ولكن كما قلنا فليقدم لهن مأوى منفصل ومغلق بكل نظـام واحتراس حتى يستمر قطيع الإخوة في مباشرة واجبا م بدون عائق، ولا تسـنح لأحـد فرصة للذم أو الطعن.

٥٣ - إذا تقدم أحد من باب الدير قائلاً إنه يود أن يرى أخاه أو قريبه، فعلى البواب أن يبلغ أب الدير الذي يستدعي بدوره رئيس البيت ليسأله عما إذا كان هذا الشـخص في بيته، وبعد الاستئذان من رئيس البيت فليصاحبه رفيق من الموثوق م ويمضي لمقابلـة أخيه أو قريبه، وإذ اتفق وقدم له بعض الأطعمة المصرح بأكلها في الدير، فلا يجـوز لـه أخذها بنفسه، بل عليه أن يستدعي البواب لقبول الهدايا، أما إذا كانت من نوع الأطعمة التي تؤكل مع الخبز، فلا يأخذ الذي أُحضرت له شيئًا منها، بل تعطَى كلها للمصـحة، ولكن إذا كانت حلوى أو فواكه فليعطه البواب بعضا منها ليأكل بقدر كفايتـه، أمـا الباقي فيرسله إلى المصحة، ولا يجوز للبواب أن يأكل مما أُحضر، بل عليه أن يقدم للعاطي بعض الخردل - وهو نوع رخيص من الأعشاب - أو بعض الخبز أو بعض الخضـروات الصغيرة. أما بخصوص الأطعمة المشار إليها التي أحضرها الآباء والأقارب، والتي تؤكَل مع الخبز، فعلى رئيس البيت أن يأخذ الأخ الذي أُحضرت له إلى المصحة ليأكل منها مـرة واحدة فقط، ويظل الباقي تحت تصرف المشرف على المرضى الذي لا يجوز له هو أيضا أن يأكل شيئًا منها.

٥٤ - إذا جاء نبأ مرض واحد من أقارب أو أسرة المقيمين بالدير، فعلى البواب أن

---

(٣٢) كان ذلك في زمان انتشار الأريوسية.

يبلغ أولاً أب الدير الذي يستدعي رئيس البيت ويسأله، ثم يختارا رجلاً راسخا في الإيمان والسلوك ويرسلاه لكي يصاحب الأخ في زيارة المريض، ويلزم أن يأخذ معه زادا كافيـا للسفر بقدر ما يقرر رئيس البيت. وإذا اضطرته الظروف أن يمكث مدةً ويأكل خارجا، فلا يجوز له بأي حال أن يفعل ذلك في بيت والديه أو أقاربه، بل عليه أن يقيم في كنيسة أو في دير له نفس المعتقد. وإذا هيأ والداه أو أقاربه طعاما وقدموه لهما فلا يسوغ لهما أن يقبلا أو يأكلا شيئًا بالمرة إلاّ ما يأكلانه عادةً في الدير، وعليهما ألاّ يـذوقا الحسـاء أو يشربا الخمر أو أي شيء آخر من التي لم يعتادا على أكلها. وإذا قبلا شيئًا من الوالـدين (عند العودة) فلا يأكلا منه إلا بقدر ما يلزم للسفر، أما الباقي فيعطيانه لـرئيس بيتـهما الذي يحمله بدوره إلى المصحة.

٥٥ - إذا مات لواحد أحد أقاربه الأقربين، فلا يسمح له بحضور الجنازة إلا إذا أمر أب الدير بذلك.

٥٦ - لا يرسل أحد لأي مهمة وحده بدون رفيق.

٥٧ - وعند عود م إلى الدير، إذا رأوا أحدا عند الباب يريد مقابلة أحد أقاربـه في الداخل، فلا يتجاسروا ويذهبوا ويبلغوه أو يستدعوه. كما لا يجوز لهم التحدث في الدير، بأي حال، عما سمعوه أو عملوه خارجا.

٥٨ - عندما تعطى الإشارة للخروج للعمل، فعلى رئيس البيت أن يقودهم ولا يبقى أحد في الدير إلاّ بأمر الأب، ولا يجوز لأولئك الذاهبين خارجا أن يسألوا إلى أين هم ذاهبون.

٥٩ - وعندما تجتمع كل البيوت، على رئيس البيت الأول أن يتقدم الجميع، ويتبعه الباقون حسب ترتيب البيوت والأفراد. ولا يجوز أن يتكلم الواحد مع الآخر، بل علـى كل واحد أن يتلو شيئًا من الأسفار المقدسة. وإذا صادف وعبر شـخص مـا وأراد أن يتكلم مع واحد منهم، فعلى بواب الدير المكلف ـذه المهمة أن يأتي ويرد عليه، ويكون لهم بصفة وسيط. أما إذا لم يكن البواب على مقربة منهم، فعلى رئيس البيت أو من يعين لهذه المهمة أن يجاوب الذين يقابلو م.

٦٠ - أثناء العمل، لا يسوغ للرهبان الكلام في أمور دنيوية، بل إما يتلـون أمـورا مقدسةً أو يحفظون السكوت.

٦١ - لا يجوز أن يأخذ أحد عباءته الكتانية معه وهو ذاهب للعمل، إلاّ بإذن مـن

الرئيس. وفي الدير لا يسمح لأحد بارتداء هذه العباءة والتجول ا بعد الاجتماع.

٦٢ - لا يجوز لأحد الجلوس أثناء العمل بدون أمر الرئيس.

٦٣ - إذا رأى رواد الإخوة في العمل ضرورة إرسال شخص لمهمة، فـلا يفعلـون ذلك بدون أمر رئيس البيت. وإذا كان من المحتم على الرائد نفسه أن يمضي إلى مكان ما فعليه أن يوكل مهمته لمن يليه في الترتيب.

٦٤ - إذا احتاج الإخوة المرسلون للعمل في الخارج أو المقيمون بعيدا أن يأكلوا خارج الدير، فعلى المشرف على الخدمة الأسبوعية الذي يصحبهم أن يقدم لهم طعاما لا يحتاج إلى طهي، وليوزع الماء بنفسه كما يعمل بالدير حتى لا ينهض أحد للاستقاء أو شرب الماء.

٦٥ - عند رجوعهم للدير، لا يسوغ لأحد أن يخرج عن نظام رتبته. وعند وصولهم إلى بيو م فليسلموا الآلات التي استعملوها في العمل وأحذيتهم لمساعد رئيس البيـت، فيحملها في المساء إلى قلاية خاصة ويتحفظ عليها هناك.

٦٦ - في اية الخدمة الأسبوعية، تجمع الآلات كلها في بيت واحد، لكي يـتمكن الذين جاء دورهم في الخدمة من معرفة ما ينبغي توزيعه لكل بيت.

٦٧ - غير مسموح لأحد أن يغسل ثوبه أو أي شيء آخر من ملابس الرهبنة في غير يوم الأحد، ويستثنى من ذلك العاملون على المركب والخبازون.

٦٨ - لا يذهب أحد لغسل الثياب قبل سماع الإشارة للجميع، وعليهم أن يتبعـوا رئيس بيتهم ويتم الغسيل في سكوت ونظام.

٦٩ - عند غسل الثياب لا يسوغ لأحد أن يشمر ثيابه أكثر مـن الـلازم. وبعـد الانتهاء من الغسيل يرجع الجميع معا. وإذ تخلّف أحد أو لم يكن حاضرا عنـد ذهـا م للغسيل، عليه أن يعرف رئيس بيته لكي يرسل معه شخصا آخر. وبعد غسـل ملابسـه يرجع إلى بيته.

٧٠ - عند المساء، عليهم أن يأخذوا الأردية التي جفّت ويسلّموها لمساعد رئـيس البيت ليضعها في القلاية. وإذا لم تكن قد جفّت تنشر في الشمس في اليوم التـالي حـتى تجف، ولكن لا تترك معرضةً للشمس بعد الساعة الثالثة. وبعد إحضـارها إلى الـداخل يجب تليينها بخفّة (تطوى بعناية)، ولا يحتفظ ا الإخوة عندهم بل تسلم لتصان في القلاية الخاصة إلى يوم السبت.

٧١ - لا يجوز لأحد أن يأخذ خضروات من الحديقة إلاّ إذا أُعطيت لـه بواسـطة البستاني.

٧٢ - ليس لأحد سلطان أن يأخذ من نفسه سعف النخيل لجدل السلال إلاّ المسئول عن النخيل.

٧٣ - محافظةً على النظام، لا يتجاسر أحد على أكل العنب غير الناضج أو السنابل. ولا يجوز لأحد أن يأكل أي شيء من الحقل أو البستان من نفسه قبل أن يقدم منه لجميع الإخوة معا.

٧٤ - لا يجوز للطباخ أن يأخذ أي شيء من الأطعمة قبل أن يأكل الإخوة.

٧٥ - على المهتم بالنخيل ألاّ يأكل من ثمرها قط قبل أن يحصل الإخوة على بعـض منها.

٧٦ - الذين أُعطي لهم الأمر بجمع ثمار النخيل يلزم أن يعطيهم المشرف عليهم قليلاً منها عند بدء العمل. وعند عود م إلى الدير يأخذون نصيبهم كبقية الإخوة.

٧٧ - إذا وجدوا ثمارا ساقطة تحت الأشجار لا يتجاسر أحد ويأكل منها، بل توضع عند أسفل الشجر عند مرور الرهبان ا ويجمعها الشخص المكلف بـذلك. كـذلك لا يجوز للمسئول عن توزيع الثمار للعاملين في الجني أن يذوق منها، بل يحملها إلى المـدبر الذي يعطيه نصيبه بعد أن يكون قد وزع منها على باقي الإخوة.

٧٨ - لا يجوز لأحد أن يحتفظ بأية مأكولات في قلايته سوى ما يتقبله من المدبر.

٧٩ - فيما يخص الخبزات الصغيرة التي تعطَى لرؤساء البيوت لتوزيعها على الـذين يضعون على أنفسهم تقشفات أكثر ولا يريدون الأكل المشترك مع الآخـرين، فعلـى رؤساء البيوت أن يراعوا ألاّ يعطوا شيئًا بتحيز، ولا حتى للمسافرين، ولا يسوغ وضعها في مكان مشترك، بل يجب أن توزع لهم بنظام دقيق في قلاليهم عندما يريدون الأكـل. ولا يجوز أن يأكلوا شيئًا مع هذه الخبزات سوى الملح فقط.

٨٠ - لا يسمح بطهي الأطعمة خارج الدير أو المطبخ. وعند خروج الإخوة للعمل في الحقول فليأخذوا خضروات متبلة بالملح والخل ومعدة للتخزين الطويل في موسم الصيف.

٨١ - لا يجوز لأحد أن يحتفظ في قلايته أو بيته بأي شيء سوى المنصـوص عليـه للجميع في قانون الدير، فلا يسمح برداء من الصوف ولا عباءة ولا فروه خروف ناعمة

غير مجزوزة، ولا حتى القليل من قطع النقود، ولا وسادة للرأس أو مختلف وسائل الراحة الأخرى. بل يكون عندهم فقط ما يوزعه أب الدير عن طريق رؤساء البيوت. وهذه هي تجهيزا م: ثوبان من الكتان بالإضافة إلى ثوب ثالث رث، ووشاح طويل للرقبة والكتفين (شال)، وميلوطة من جلد الماعز تعلق على الكتف، وحذاء وقلنسوتان ومنطقة وعصـا. وإذا وجد شيء يزيد على ذلك فليجرد منه بدون معارضة.

٨٢ - لا يجوز لأحد أن يقتني لنفسه ملقطًا صغيرا لي ع به من رجليه الشوك الـذي يعلق ما أثناء سيره، فهذا خاص برئيس البيت ومساعده فقط، وعليهما أن يعلقّـاه في الطاقة المخصصة للكتب.

٨٣ - إذا انتقل راهب من مسكن لآخر لا يأخذ معه إلا ما ذُكر سابقًا.

٨٤ - لا يجوز لأحد أن يخرج إلى الحقول أو يتمشى في الدير أو يخرج خارج أسوار الدير بدون الاستئذان وأخذ موافقة رئيس البيت.

٨٥ - يجب أن يراعى عدم نقل الكلام من مسكن إلى آخر أو من دير إلى دير أو من الدير إلى الحقل أو من الحقل إلى الدير.

٨٦ - لا يجوز لأي واحد كان مسافرا بالبر أو بالبحر أو مشتغلاً بالخارج، أن يحكي في الدير عما رآه يحدث هناك.

٨٧ - يجب دائما استعمال المقعد المائل المخصص لكل واحد في النـوم، سـواء في القلاية أو على السطح الذي يستخدم للراحة ليلاً في أيام الحر الشديد أو في الحقول.

٨٨ - لا يجوز لأحد أن يتكلم مع آخر في الموضع الذي ينام فيه. ولا يجوز لأحـد بعد أن يقوم من نومه في الصباح أن يأكل أو يشرب شيئًا في أثناء الصوم. ولا يصـح أن يفترش شيئًا غير الحصيرة على مقعده المائل.

٨٩ - لا يجوز لأحد أن يدخل قلاية جاره بدون القرع على با ا أولاً.

٩٠ - يجب ألاّ يذهب أحد للأكل عند الظهر قبل إعطـاء الإشـارة. ولا يسـمح بالتجول في القرية قبل إعطاء الإشارة أيضا(٣٣).

٩١- لا يجوز لأحد أن يمشي في وسط الدير بدون ميلوطته وقلنسوته، سواء كـان

(٣٣) كانت أديرة طبانيسي وبافو في قرية صحراوية مقفرة، وكان يسمح للإخوة بالخروج للتجول خارجا.

متجها إلى الاجتماع أو إلى صالة المائدة.

٩٢ - لا يجوز لأحد أن يذهب لدهن يديه بالزيت في المساء إلاّ بصحبة أخ يرسـل معه. كما لا يجوز لأحد أن يدهن جسمه كله بالزيت إلاّ إذا كان مريضا، أو يستحم أو يغتسل بدون احتشام مخالفًا للقواعد الموضوعة للجميع.

٩٣ - لا يجوز لأحد أن يدهن مريضا أو يحميه دون أن يؤمر بذلك.

٩٤ - لا يتكلم أحد مع جيرانه في الظلام.

٩٥ - لا ينام أحد مع آخر على حصيرة واحدة أو بساط واحد، ولا يمسك أحد بيد رفيقه أو أي شيء من جسده، بل فلتكن هناك مسافة ذراع بيـنكم سـواء كـان في جلوسكم أو وقوفكم أو سيركم.

٩٦ - لا يجوز لأحد أن ينـزع شوكة من رجل آخر سـوى رئـيس البيـت أو مساعده أو من يؤمر بذلك.

٩٧ - لا يجوز لأحد أن يحلق شعر رأسه بدون إذن رئيس بيته، ولا يحلـق الواحـد للآخر بدون أن يؤمر بذلك، ولا يحلق واحد لآخر وكلاهما جالسان.

٩٨ - لا يجوز لأحد أن يغير شيئًا من ملابسه بدون إذن من رئيس بيته، كما لا يجوز أن يستبدل شيئًا بدون موافقته، ولا يضيف شيئًا إلى ملابسه بخلاف ما هو محدد لهم.

٩٩ - يجب أن تثبت كل الميلوطات (جلد الماعز) برباط، وأن تحمل كل القلنسوات العلامة المميزة للدير وللبيت.

١٠٠ - لا يجوز لأحد أن يترك كتابه مفتوحا عند ذهابه إلى الاجتماع أو المائدة.

١٠١ - على مساعد الرئيس أن يأخذ الكتب كل يوم عند المساء من الطاقة ويغلق عليها في الخزانة الخاصة ا.

١٠٢ - لا يجوز لأحد أن يذهب إلى الاجتماع أو إلى المائدة بحذائـه في رجليـه أو مرتديا عباءته سواء كان في القرية أو في الحقول.

١٠٣ - لا يجوز لأحد أن يترك عباءته في الشمس حتى ميعاد إعطاء الإشارة لوجبة الغذاء. وكل من يهمل في تنفيذ كل هذه الأمور فليوبخ.

١٠٤ - لا يجوز لأحد أن يأخذ حذاءً أو أي شيء آخر لدهنه بالزيت سوى رؤساء البيوت فقط.

١٠٥ - إذا جرح أحد الإخوة جرحا لا يستدعي ملازمته للفـراش ولكنـه ينـهض ويتحرك؛ إلاّ أنه احتاج إلى ملبس أو قليل من الزيت، فعلى رئيس بيته أن يذهب إلى موضع الوكيل المدبر ليحضر له ما يلزمه إلى أن يتعافى، ثم عليه أن يعيد ما أخذه في موضعه.

١٠٦ - لا يجوز لأحد قبول شيء من آخر بدون إذن من رئيس البيت التابع له.

١٠٧ - لا يجوز لأحد أن ينام في قلاية مغلقة بالمفتاح، ولا يعطَى قلاية يمكن غلقها إلاّ بتصريح من أب الدير بسبب كبر السن أو المرض.

١٠٨ - لا يسمح لأحد بدخول حظائر البهائم، ولا حتى المزارعين، فيما عدا الرعاة العلاّفين.

١٠٩ - لا يركب اثنان معا على حمار بدون سرج أو على عريش العربة.

١١٠ - عندما تصل إلى الدير راكبا على حمار، ينبغي عليك أن تترجـل وتتقدمـه ماشيا إلاّ في حالة الضرورة.

١١١ - غير مسموح لأحد أن يذهب إلى ورش الأعمال سوى المنوطين للعمل ا، الذين يذهبون إليها من أجل احتياجات عملهم، ولا يسوغ لأولئك كذلك أن يـذهبوا قبل أن تعطَى الإشارة للأكل إلاّ لضرورة العمل، وفي هذه الحالة يجب إبلاغ رئيس الدير الذي عليه أن يرسل المسئول عن الخدمة الأسبوعية.

١١٢ - لا يجوز لأحد أن يذهب إلى موضع حيث توجد ألواح الخبز، كما لا يجوز لأحد أن يدخل قلايةً إلاّ إذا أُرسل.

١١٣ - لا يجوز لأحد أن يقترض شيئًا من آخر حتى ولو كان أخاه شقيقه بـدون إذن رئيس البيت.

١١٤ -لا يجوز لأحد أن يأكل شيئًا في قلايته بدون إذن رئيس البيت.

١١٥ - إذا تغيب أحد رؤساء البيوت خارجا، فيجب أن يعتني بكل شيء في بيتـه واحد من رؤساء البيوت المنتمين إلى نفس عشيرته، بالنسبة لأي شيء يحتاجه مسـاعده. ويجب عليه أن يلقي موعظتي يومي الصوم: إحداهما في بيته والأخرى في بيت زميله.

١١٦ - فيما يختص بالمخبز: لا يجوز لأحد أن يتكلم أثناء العجـن في المسـاء، ولا الذين يعملون في الخبيز أو أمام الألواح في الصباح، بل عليهم أن يتلوا معا من الكتـب المقدسة إلى أن ينتهوا من عملهم. أما إذا احتاجوا إلى شيء فلا يتكلمون مطلقًا بل عليهم أن يشيروا بالقرع.

١١٧ - لا يجوز لأحد أن يذهب للخبيز بدون أمر. ولا يجوز لأحـد أن يتلكّـأ في حجرة الفرن عندما يكون الخبازون منهمكين في الخبيز، سوى المعينين لذلك فقط.

١١٨ - فيما يختص بالمراكب: لا يجوز لأي نوتي أن يبحر بمركب أو حتى بقـارب صغير من الميناء بدون إذن رئيس الدير. ولا يجوز لأحد على سطح المركب أن يذهب إلى القاع لينام، كما لا يجوز لهم أن يأخذوا على المركب علمانيا لينام.

١١٩ - ولا يجوز لهم أن يأخذوا أحدا من الآنية الضعيفة بدون إذن رئيس الدير.

١٢٠ - لا يجوز لأحد أن يشعل نارا في مسكنه قبل أن يطلب ذلك من الإخوة.

١٢١ - من يحضر متأخرا بعد الصلاة الأولى من صلوات المساء الست، أو لا يتلو، أو يضحك أو يتكلم، فليعاقَب في مسكنه خلال الصلوات الست.

١٢٢ - لا يسمح للإخوة بالكلام أثناء جلوسهم في بيو م (في أمور عالميـة)، بـل عليهم مراجعة الكلمات التي قيلت لهم من الرئيس.

١٢٣ - أثناء مراجعة التعليم لحفظه، لا يجوز لأحد أن يجدل أو يستقي ماءً مـا لم يأمر رئيس البيت بذلك.

١٢٤ - لا يجوز لأحد أن يأخذ من السمار المنقوع بدون إذن المشرف على الخدمة الأسبوعية في البيت.

١٢٥ - من يكسر إناءً من الفخار أو يبلّ حزمة السمار ثلاث مرات فليوبخ أثنـاء صلواته الست.

١٢٦ - بعد الصلوات الست وتفرق الإخوة للنوم، لا يسمح لأحد بترك قلايته إلاّ في حالة الضرورة.

١٢٧ - إذا رقد أخ من بين الإخوة، فعلى الجميع أن يرافقوه إلى الجبل. ولا يجوز لأحد التخلف دون أن يؤمر بذلك، كما لا يجوز لأحد ترتيل المزامير دون أن يؤمر بذلك.

١٢٨ - في طريق الإخوة إلى الجبل (لدفن الميت)، لا يجوز أن يكون ترتيلهم للمزامير اثنين اثنين، ولا يجوز لأحد أن يأخذ عباءته معه عند ذهابهم للجبل. كما ينبغي ألاّ يمتنع أحد عن ترديد المردات، بل عليهم أن يحفظوا انسجام الصوت ووحدته.

١٢٩ - على المسئول عن المصحة أن يتخلّف في حالة مرض أحد الإخوة، وهذا هو ما يجب اتباعه في أي وقت أو موضع يرسل إليه أحد.

١٣٠ - لا يسوغ لأحد أن يتقدم رئيس بيته أو قائده في السير.

١٣١ - لا يسوغ لأحد أن يخرج عن حدود درجته. وإذا فقد أحد شيئًا فليوبخ علنًا أمام المذبح. وإذا كان ما فقده من ملابسه الخاصة، لا يأخذ بدلاً منها لمدة ثلاثة أسابيع، وفي الأسبوع الرابع يعطى له عوض ما فقده بعد أن يكون قد تمم العقوبة اللازمة.

١٣٢ - من يجد شيئًا فليعلّقه لمدة ثلاثة أيام أمام مكان اجتماع الإخوة لكيما يهتدي إليه صاحبه ويأخذه.

١٣٣ - بالنسبة لكل التوبيخات والتوجيهات المحددة كتابةً، على رؤساء البيوت أن يتكفّلوا بها. أما إذا ارتكب خطأ جديد فيجب تبليغ رئيس الدير به.

١٣٤ - لا يجوز لأحد أن يقيم في بيت بدون إذن، ولا يتم إقرار أمر جديد بدون إذن رئيس الدير.

١٣٥ - كل توبيخ يجب أن يتم هكذا: ينزع الذين يوبخون مناطقهم ويقفون أثناء الاجتماع الكبير وفي قاعة المائدة.

١٣٦ - إذا ترك أحد شركة الإخوة (الكينونيا) ثم بعد ذلك تمم العقوبة ورجع، فينبغي ألاّ يعود إلى درجته بدون أمر الرئيس.

١٣٧ - وبالمثل كذلك، إذا بات رئيس البيت أو الوكيل المدبر (الإيكونوموس) بالخارج ليلةً بدون الإخوة، ثم بعد ذلك تمم العقوبة وجاء إلى جماعة الإخوة، فلا يسمح له بدخول بيته أو استعادة درجته بدون أمر الرئيس.

١٣٨ - من الواجب المحتم على الإخوة أن يراجعوا فيما بينهم جميع ما تعلّموه في اجتماع الإخوة، ولاسيما التعليم الذي يتقبلونه في أيام الصوم من رؤساء بيوتهم.

١٣٩ - كل من يدخل الدير ولم يكن قد سبق توجيهه، يجب أن يلّقن أولاً ما يلزم

مراعاته، ومتى استوعب كل ما لُقن له جيدا، فليعطَ عشرين مزمورا أو رسالتين لأحد الرسل أو أي جزء آخر من الأسفار المقدسة لحفظه.

أما إذا كان أُميا، فيجب أن يذهب في الساعة الأولى والثالثة والسادسة إلى من في استطاعته تعليمه والمعين له. ويجب أن يقف أمامه ويتعلّم بشغف شديد وكل عرفان بالجميل.، ثم تكتب له الحروف الأبجدية والأفعال والأسماء الأساسية، وحتى إذا لم يكن راغبا في ذلك فيلزم إجباره على القراءة.

١٤٠ - على أي حال، لا يسوغ أن يكون هناك واحد في الدير لا يعرف القراءة ولا يحفظ عن ظهر قلب جزءًا من الكتب المقدسة، فيلزم لكل واحد أن يحفظ عن ظهر قلب العهد الجديد وسفر المزامير على الأقل.

١٤١ - لا يجوز لأحد أن يحتج بأي حجة ليعفي نفسه من حضور الاجتماع التسبحة والصلاة.

١٤٢ - لا يجوز لأحد أن يهمل ساعات الصلاة والتسبيح، سواء كان على ظهر مركب أو في الدير أو في الحقول أو في سفر أو قائما بأي خدمة مهما كانت.

١٤٣ -فلنتكلم أيضا عن دير العذارى: لا يجوز لأحد زيارتهن إلاّ إذا كانت هناك أُمه أو أخته أو ابنته أو إحدى قريباته أو بنات أعمامه أو أخواله أو أُم أبنائه. فإذا كانت هناك ضرورة لمقابلتهن لأي سبب قوي، مثل بعض ميراث يستحققنه عن والديهن قبل تركهن للعالم ودخولهن الدير، أو لأي سبب آخر واضح، فليصاحبهن راهب مسن مشهور بالحياة الفاضلة لمقابلتهم معا ثم يرجعان سويا.

وهكذا عندما يريدون رؤيتهن، ينبغي أولاً إبلاغ أب الدير، وهو يقوم بالتالي بإبلاغ الشيوخ المعينين لخدمة العذارى، فيذهبون لمقابلة العذارى ويرون معهم ما يحتاجونه منهن بكل وقار ومخافة الله. وعندما يرون العذارى لا يكلموهن عن أمور عالمية.

١٤٤ - كل من يخالف واحدة من هذه الأوامر فليعاقَب جهارا على إهماله وذنبه بدون تأخير، حتى يستطيع أن يحظى بملكوت السموات.

القسم الثاني

التعليمات والأنظمة

[تعليمات وأنظمة لأبينا باخوميوس رجل الله الذي كان أول مؤسس لرهبنة الشركة] [المقدسة حسب وصية الله].

بخصوص قانون الاجتماع، وكيف يجتمع الإخوة للتعليم الذي هو نافع لنفوسهم، حسبما يرضي الله وطبقًا لنصائح وقواعد القديسين. لقد أعطانا الله هذا القانون في ضوء الكتاب المقدسة لأجل تحرير النفوس الجاهلة، لكيما يمجدوا الله في نور الأحياء، وحتى يعرفوا كيف ينبغي عليهم أن يسلكوا في بيت الله بلا زلة ولا عثرة، غير ثملين بما لا يرضي الله، بل راسخين في معيار الحق، حسب تسليم الرسل والأنبياء كما علّمونا كيف نحتفل بالله.

هذا هو كيف يجتمع الإخوة يوميا في بيت الله للصلاة والصوم في نور الكتاب المقدس. والذين يخدمون حسنا هم الذين يتبعون معيار الكتاب المقدس. وهذه هي الخدمة التي يجب على الخادم (الشماس) أن يقوم بها:

١ - يجب عليه أن يجمع الإخوة وقت الصلاة حسب النظام المحدد لهم، ويتمموا خدمتهم حسبما تستوجبه القوانين الموضوعة لهم، بحيث لا يجعلوا أي مجال للشكوى ضدهم، بل يتبع الجميع قوانينهم، ولا يسمحوا لأحد أن يأتي ويتصرف مخالفًا للقواعد العامة.

٢ - كل من يطلب كتابا فليعطوه له.

٣ - إذا حضر أحد من الخارج مساءً، ولم يتمكن من الحصول على ما يجب عليه عمله في اليوم التالي فعليهم أن يعطوه له في الصباح.

٤ - أما إذا انتهى أحد من العمل الذي كان يعمله، فليبلغ المدبر بذلك، ويعمل ما يطلَب منه أو ما يرسل لأجله.

٥ - يجب على المشرف ألاّ يسمح بأي تلف يحدث في أي من المحلات التي يعملون فيها حرفهم المختلفة، ولا بأي تلف في الأشياء الموجودة خارج البيوت، لأن كل الأشياء التي توجد تالفة في محلات العمل بسبب الإهمال سوف يعاقَب عليها من الوكيل المدبر بحسب قانونها. وعليه هو أن يعاقب الشخص الذي تسبب في تلفها ولكن بناءً على حكم

المدبر الذي بدون أمره لا يسوغ لأحد أن يعاقب شخصا ما.

٦ - إذا أشرقت الشمس لليوم الثالث على ثوب منشور خارجا، فليعاقَب صـاحبه على ذلك بأن ينحني ساجدا على الأرض (ميطانيا) في الاجتماع ويقف في قاعة المائدة.

٧ - وليعاقَب بموجب هذه الأحكام على ميلوطة أو حذاء أو منطقـة أو أي شـيء آخر من هذا القبيل.

٨ - من يأخذ شيئًا ليس له، فليوضع هذا الشيء على كتفيه في أثناء الاجتماع خلال إحدى الصلوات، وينحني ساجدا على الأرض ويقف في قاعة المائدة.

٩ - إذا وجد أحد مثيرا للمنازعات أو كثير النقاش أكثر من اللازم أو معترضا على تعليمات الرئيس، فليعاقَب كما يستوجبه فعله.

١٠ - إذا وجد أحد يكذب أو يظهر كراهيةً في حديثه أو غير مطيع أو خليعـا أو كسولاً أو خشنا وغير مهذّب في كلامه أو مفتريا على الإخوة أو الغرباء، كـل تلـك الأمور التي هي مخالفة تماما لتعاليم الكتب المقدسة، فعلى المدبر أن يفحص أمرها بتـرو ويعطي الحكم فيها حسب نوع الخطيئة وجسامتها.

١١ - إذا فُقد شيء من البيت سواء في الحقل أو في الطريق، ومر على فقده أكثر من ثلاثة أيام، فإن رئيس البيت يتحمل مسئولية ذلك طالما لم يبلّغ المدبر به خلال الثلاثة أيام، وعليه أن ينحني ساجدا إلى الأرض حسب الوصية المتبعة.

١٢ - كما يتحمل أيضا مسئولية من يفقَد لهروبه إذا لم يخبر أب الدير بذلك خلال ثلاث ساعات، إلاّ إذا وجده ثانيةً. هذه خطيئة من يفقد شخصا عن طريـق الإهمـال، وعليه أن ينحني ساجدا على الأرض يوميا لمدة ثلاثة أيام حسب قانو م. أما إذا أخطـر عن الهروب في حينه فإنه يعفى من الخطية.

١٣ - إذا اقترفَت خطية بين الإخوة في أحد البيوت، ورآها رئيس البيت ولم يخطر ا المدبر فليخضع هو لعقا ا حسب القانون المتبع.

١٤ - على الإخوة ا تمعين في بيو م أن يتمموا الصلوات الست في المساء حسب نظام الاجتماع العام.

١٥ - درس الكلمة يجب أن يعطَى مرتين في الأسبوع (قانون موجه لرؤساء البيوت).

١٦ - لا يجوز لأحد أن يعمل شيئًا في الم ل مخالفًا لتوجيه رئيس البيت.

١٧ - إذا وجد رؤساء البيوت واحدا منهم مهملاً، ويستخدم لغةً خشنةً متجـاوزا الحدود، فليعاقَب حسب قانو م. فضلاً عن أنه لا يعمل شيئًا جديدا خارجا عن الأمور المقررة أصلاً إلاّ بإذن المدبر.

١٨ - ينبغي ألاّ يكون (أحد منهم) سكيرا. ولا يجلس في المواضع السفلية حيث تحفظ أواني الدير. ولا يوجد كاسرا للحدود التي رتبها الله في السماء لكي تراعى على الأرض. ولا يكون نائحا في عيد المسيح. ويكون سيدا على جسده كما يليق بالقديسين. ولا يوجد طالبا للمراتب العالية مثل الوثنيين. ولا يكون إيمانه مزعزعا. ولا يتبع أفكار قلبه بل بالحري ناموس الله. ولا يقاوم السلاطين الفائقة بفكر منتفخ. ولا يزمجر ويهدر على من هم أضعف منه. ولا يكون ناقلاً للتخوم. ولا إنسانا مخادعا في أفكاره.

ولا ينسى فقره الشخصي. ولا يغلب لأعمال الجسد. ولا يسلك بسيرة متهاونـة. ولا يكون مندفعا في التلفظ بكلمات باطلة. ولا يصب علقما في فم الأعمى. ولا يعلم بما تمليـه عليه طياشته الشخصية. ولا ينغلب لضحك الحمقى ومزاحهم. ولا يدع قلبه ينخدع بكلام الحمقى والمتملقين. ولا يدع نفسه تنخدع دية. ولا ينغلب لكلام الأطفال. ولا يقهـر في وقت التجربة. ولا يخاف الموت بل الله. ولا يضطر للإنكار بسبب الخوف. ولا يتخلّى عن النور من أجل الطعام. ولا يكون مترددا في تصرفاته. ولا يكون متقلبا بلسانه، بـل لـيكن صريحا في كلام البر، مميزا وحاكما بالحق. غير طالب ا د لنفسه، منفتحا لله والناس.

ولا يكون جاهلا كالأعمى بمعرفة القديسين. ولا يخطئ قريبه بدافع من كبريائه. ولا ينقاد لشهوة العيون. ولا يكون منساقًا وراء شهوات أفكاره. ولا يسلك حسب حذقـه وذكائه. ولا يبرئ الخائن (أو المضلل). ولا يبرر إنسانا في المحاكمة من أجل رشـوة. ولا يدين نفسا بدافع الكبرياء. ولا يكون متلهيا بين الأطفال. ولا يتخلّى عن الحق مغلوبا من الخوف. ولا يأكل خبز الاحتيال. ولا يطمع في أرض الغير. ولا يضغط على أحد مـن أجل مغنم لآخرين. ولا ينسى كرب النفوس المحتاجة.

ولا يحلف بقسم باطل من أجل ربح. ولا يكذب عن كبريـاء. ولا ينـازع لأجـل الرتب. ولا يستسلم بسبب الملل. ولا يتلف نفسه بسبب الخزي. ولا يعلق نظره بأطعمة مائدة فاخرة. ولا يشتهي الملابس الجميلة. ولا يهمل مشورة الشيوخ، وذلك لكي يتمكن دائما من تمييز أفكاره. ولا يسكر بالخمر، بل ليكن له تواضع مقترن بـالحق. وعنـدما

يقضي فليتبع تعاليم الشيوخ وناموس الله المبشر به في العالم أجمع.

إذا أهمل أيا من هذه التعاليم، فليكَلْ له بالكيل الذي به كال، ويجاز حسب أعماله لأنه قد زنا مع الحجر ومع الشجر، لن بريق الذهب ولمعان الفضة جعلاه يترك العدالة جانبا، ومن أجل الرغبة في ربح مؤقت أوقع نفسه في شباك الشرير. فلتحل عليه: كسرة عالي وفروعه، ولعنة داود التي دعا ا على دواغ الأدومي (مز٥٢: العنوان)، والعلامة التي حملها قايين، وليدفَن دفن حمار كما قال إرميا النبي، وهلاك الخطاة الذين فتحت الأرض فاها وابتلعتهم، وموت الكنعانيين، وانكسار الجرة على العين (جا١٢: ٦)، وسحق الرمال على الشاطئ الذي تلاطمه الأمواج المالحة، وكسر قضيب المتسلطين كما قيل بإشعياء النبي (١٤: ٥). وليصر أعمى يتلمس الحائط بيده .. فلتحل عليه كل هذه الأمور لأنه لم يراعِ الحق في أحكامه، وسلك بالخبث في الأمور الموكولة إليه.

القسم الثالث

التعليمات والأحكام

[تعاليم وأحكام لأبينا أنبا باخوميوس].

المحبة هي تكميل الناموس للذين هم «عارفون الوقت، أ ا الآن ساعة لنستيقظ من النوم، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة» (رو١٣: ١١و١٢) التي هي الا اعات والافتراءات والأحقاد وكبرياء القلب المتعجرف (انظر ٢كو١٢: ٢٠).

١ - إن كان أحد ميالاً إلى الافتراء والتكلم بأشياء غير صادقة، وأُمسك في خطيته، فلينصح بخصوص ذلك مرتين. فإذا ازدرى بما سمعه ازدراءً كاملاً فيجب عزله عن جماعة الإخوة لمدة سبعة أيام لا يأكل فيها إلاّ الخبز والماء إلى أن يعِد بحزم أن يقلع عن هذه الرذيلة، وحينذاك يغفَر له.

٢ - إذا كان أحد غضوبا وشرسا، وكثيرا ما ينفعل بالغضب بلا سبب أو لأسباب تافهة لا أهمية لها، فيجب أن ينصح ست مرات، وفي المرة السابعة ينقَل من درجة جلوسه ويوضع مع الأخيرين، ويعطَى وصيةً (أو توجيها) في كيفية تخلصه من هذا الاضطراب

الفكري. وعندما يتمكن من إحضار ثلاثة شهود ثقات يعدون من أجله بأنه لن يعود إلى فعل شيء من هذا القبيل ثانيةً، يسترد درجة جلوسه. وإلاّ فإنه يفقد درجته السابقة ويستمر بين الأخيرين.

٣ - إذا أراد أحد أن يلصق تهمة باطلة ضد آخر ليظلم البريء، فلينصح ثلاث مرات وبعد ذلك فليكن مسئولاً عن خطئه مهما كانت درجته مرتفعة أو منخفضة.

٤ - إذا كان لأحد تلك العادة الشريرة: أن يغوي إخوته بالكلام فيفسِد نفوس البسطاء، فيجب أن ينصح ثلاث مرات. فإذا أظهر ازدراءً بالنصح واستمر في عناده وقساوة قلبه، فليعزل خارج الدير ويضرب أمام الأبواب، ولا يعطَى إلاّ خبزا وماءً ليأكل خارجا إلى أن يتنقّى من بذاءته.

٥ - إذا اعتاد أحد على التذمر والشكوى من ثقل العمل، فيجب أن يوضح له خمس مرات أنه يتذمر بدون سبب، وتوضح له الحقيقة كاملةً، فإذا ظل رغم ذلك متمردا، وكان بالغ السن، فليحسب كواحد من المرضى ويوضع في المصحة حيث يغذى ويترك عاطلاً إلى أن يهتدي إلى الحقيقة. ولكن إذا ثبت أنه على حق في شكواه، وأنه مثقلٌ بدون عدالة من رئيسه، فالذي تسبب في أذيته يوقع عليه نفس العقاب.

٦ - إذا كان أحد غير مطيع أو محبا للمشاحنة أو كثير المعارضة أو كذّابا وكان في سن البلوغ، فيجب أن ينصح عشر مرات أن يمتنع عن رذائله. فإذا رفض الإصغاء يعاقَب حسب قوانين الدير. أما إذا كان سقوطه في هذه الرذائل بسبب خطأ الآخرين وثبت ذلك فيجب أن يوقع العقاب على المخطئ.

٧ - إذا ضبط أحد الإخوة يضحك ويلعب باستهانة مع الصبيان وله صداقات مع الذين هم في سنوا م الأولى، فيجب أن ينصح ثلاث مرات لكي يمتنع عن مصادقتهم، وأن يراعي الإخلاص ومخافة الله. وإن لم يرتدع فيجب أن ينال أشد العقوبة التي يستحقها.

٨ - الذين يرفضون بازدراء تعاليم الرؤساء وقوانين الدير التي وضعت بحسب وصية الله ويستخفون بنصائح الشيوخ، يجب أن يعاقَبوا حسب القانون الموضوع إلى أن يرتدعوا.

٩ - إذا كان الشخص الذي يحكم على خطايا الجميع هو الذي حاد عن الحق بسبب حماقة قلبه أو بسبب الإهمال، فليحكَم عليه بواسطة عشرين رجلاً قديساً يخافون الله، أو عشرة أو حتى خمسة فقط مشهود لهم من الجميع، فليجلسوا ويحاكموه ويجردوه

إلى أحطّ مكان إلى أن يرتدع.

١٠ - إذا كان أحد يبلبل أفكار الإخوة، وهو منكب على الكلام وزرع المنازعات والشقاقات، فيجب أن ينصح عشر مرات، وإن لم يصلح سلوكه فليعاقَب حسب قانون الدير إلى أن يرتدع.

١١ - إذا رأى أحد الرؤساء أو رؤساء البيوت أخاه في شدة ولم يشأ أن يبحث عن سبب هذه الشدة وتجاهله، فعلى القضاة السابق ذكرهم أن يفحصوا السبب بين الأخ ورئيس البيت. فإذا اكتشفوا أن رئيس البيت بدافع من إهماله وكبريائه كان يتعسف مع الأخ، وأنه كان يحكم عليه بمحاباة الوجوه وليس حسب الحق، فعليهم أن يجردوه من منصبه إلى أن يرتدع ويتطهر من دناءة الظلم، لأنه راعي الأشخاص دون الحقيقة وخضع لانحلال نفسه بدلاً من أن يخضع لحكم الله.

١٢ - إذا وعد أحد بحفظ قوانين الدير، وبدأ في التنفيذ ولكنه تخلّى عنها، ثم بعد ذلك رجع وقدم توبةً معتذرا بضعف الجسد كسبب في عدم إمكانه إتمام ما وعد به، فليمكث مع المرضى ويطعم مع العاطلين إلى أن يتمم ما وعد به بعد تكميل قانون توبته.

١٣ – إذا كان في أحد البيوت أولاد مستسلمون للعب والكسل ولم يرتدعوا بالتوبيخ، فيجب أن ينصحهم رئيس البيت ويوبخهم لمدة ثلاثين يوما، فإذا رآهم مصرين على انحلالهم ولم يبلغ الأب بذلك، ثم ضبطوا متلبسين ببعض الخطايا، فيجب أن يعاقَب هو نفسه بدلاً منهم بالعقاب المستحق على الخطيئة التي اكتشفَت.

١٤ - من يحكم حكما ظالمًا، يجب أن يدان من الآخرين على ظلمه.

١٥ - إذا أُعثر أحد الإخوة، أو اثنان أو ثلاثة من شخص ما، وتركوا البيت (بسببه) ثم عادوا بعد ذلك، فيجب أن يحكَم في الأمر بينهم وبين الشخص الذي أعثرهم، فإذا وجد الأخير مذنبا فليقوم بحسب قوانين الدير.

١٦ - من يتفق مع الخطاة ويدافع عمن ارتكب خطية، فليلعن أمام الله والناس، وليعاقب بكل صرامة. ولكن إذا كان مخدوعا عن جهل، معتقدا في الوضع بخلاف الحقيقة فليغفَر له، وهكذا كل من يخطئ عن جهل فيجب الصفح عنه بسهولة، أما الذي يخطئ بإرادته فليوبخ بحسب جسامة فعلته.



القسم الرابع

التعليمات والشرائع

[تعليمات وشرائع أبينا باخوميوس عن الست صلوات المسائية واجتماع الست]
[صلوات التي تؤدى في كل بيت].

١ - على رئيس الم ل ومساعده أن يضفروا خمسا وعشرين قامةً من سعف النخيل، حتى يعمل الآخرون على مثالهم. أما إذا غابوا، فعلى من يحل محلهم أن يجتهد لإتمام هذه الكمية من العمل.

٢ - على الإخوة أن يحضروا الاجتماع بعد استدعائهم، فلا يترك أحد قلايته قبل إعطاء الإشارة. وإذا خالف أحد هذه الأوامر، فليوقع عليه العقاب المعتاد.

٣ - يجب ألا يجبر الإخوة على العمل أكثر من اللازم، بل إن الجهد المعتدل يحض كل واحد على العمل. فليكن هناك سلام ووفاق بينهم، ودعهم يخضعون للرؤساء عن طيب خاطر، سواء في جلوسهم أو سيرهم أو وقوفهم حسب درجتهم، منافسين بعضهم بعضا في التواضع.

٤ - متى ارتكبت خطيئة فعلى رؤساء الأديرة أن يقوموها بسلطا م ويقرروا ما يجب عمله.

٥ - من سلطة رئيس البيت ومساعده أن يلزما الإخوة على الخضوع للتأديب من أجل الخطايا الشخصية فقط في اجتماع البيت أو الاجتماع الكبير الخاص بجميع الإخوة.

٦ - إذا سافر رئيس البيت، فعلى مساعده أن يأخذ مكانه في تقبل التأديب لأي أخ، وكذلك في سائر الأمور الأخرى اللازمة للبيت.

٧ - إذا ذهب أحد بدون علمهما إلى بيت آخر أو إلى أخ من بيت آخر لاستعارة كتاب ليقرأه، أو أي شيء آخر، وأُدين على ذلك فليوبخ حسب قانون الدير.

٨ - من يريد أن يعيش بلا لوم وبلا عيب في البيت الذي تعين له، عليه أن يراعي أمام الله كل ما أُمر به.

٩ - عندما ينشغل رئيس البيت، فعلى مساعده أن يقوم بكل ما هو ضروري سواء في الدير أو في الحقول.

١٠ - إ ا مسرة عظيمة في تأدية الصلوات الست المسائية على غرار الاجتماع الكـبير الذي يجمع الإخوة معا، وهي مرتبة بسهولة كبيرة حتى لا تمثل عبئًا يؤدي إلى الضجر.

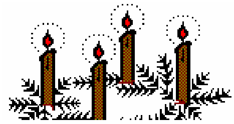
١١ - إذا كان أحد الإخوة مرهقًا من الحر عند عودته من الخارج بينما كان بـاقي الإخوة ذاهبين لإقامة الصلوات، فلا يسوغ إجباره على الذهاب معهـم إذا لم يكـن في استطاعته ذلك.

١٢ - عندما يعلم رئيس البيت الإخوة عن كيفية الحياة المقدسة، لا يجـوز لأحـد التغيب دون عذر قهري.

١٣ - الشيوخ الذين يرسلون خارجا مع الإخوة، ليكن لهم نفس سلطان رؤسـاء البيوت في كل الفترة التي يوجدون فيها هناك، وجميع الأشياء يلزم أن تكـون خاضـعة لتدبيرهم. وعليهم أن يعطوا الدروس الروحية للإخوة في الأيام المحددة. وإذا قام نزاع بين الإخوة، فمن مسئولية الشيوخ أن يسمعوا ويحكموا في الأمر ويؤنبوا المـذنب، لكيمـا بتوجيههم يقوم الإخوة بعمل الصلح في الحال فيما بينهم بكل قلو م.

١٤ - إذا كان لأحد الإخوة مظلمة ضد رئيس بيته، أو كان لرئيس البيت نفسـه شكوى ضد أحد الإخوة، فيجب أن يستمع لمشكلتهم إخوةٌ من المشهود لهم في حيا م وإيما م ويقضوا بينهم، وذلك في حالة غياب أب الدير أو ذهابه إلى مكان مـا فقـط. فعليهم أولاً أن ينتظروه، ولكن إذا رأوا أنه سيطول غيابه، فليستمعوا إلى القضـية بـين رئيس البيت والأخ لئلاّ يتسبب التأخير في الفصل بينهم تفاقما للشكوى. وليكن رئـيس البيت والواقع عليه الضيم، كما أيضا أولئك الذين يستمعون للقضية، جميعهم يعملـون كل شيء في مخافة الله، ولا يدعوا أية فرصة للخلاف.

١٥ - بخصوص الملابس: إذا كان لدى أحد أكثر من المنصوص عليه منها، فليأت ا إلى أمين المخزن دون انتظار إنذار من الرئيس، ولا يجوز له الدخول أو السؤال عنها بعد إعاد ا، لأ ا ستكون تحت تصرف رئيس البيت ومساعده.



الفصل الثالث
تلاميذ أنبا باخوميوس
*****

أولاً: قصص وأقوال القديس بترونيوس

كان راهب يدعى "بترونيوس"، وكان من أسرة غنية وقد زهد في كل شيء وترك منزل والديه وهو ابن عشرين سنة ولم يرجع إليه حتى سلّم روحه للرب. وليس ذلك فحسب؛ بل إنه استطاع أثناء حياته أن يقنع أفراد أسرته أن يأتوا إلى الدير حيث أكملوا حياتهم، وكان رقادهم الأخير كمن هم في نوم لذيذ.

وقيل إنه كان من أهالي "بجوج" بإقليم "هو" (قرب نجع حمادي)، ولما اعتزل العالم بنى له موضعا في أرض والديه التي تدعى "تيباو". فاجتمع معه هناك كل من أحب أن يعيش للمسيح. ولما سمع عن أنبا باخوميوس أرسل إليه يدعوه أن يضم ديره لنظام الشركة، فاستلم أنبا باخوميوس الدير وبنى بعده ديرا آخر قرب مدينة "إشمين" (إخميم) وأقام الأب بترونيوس عليه وعلى ديرين آخرين قريبين منه لأن كلامه كان مصلحا بملح.

وفي بادئ الأمر توسل بترونيوس إلى الأب باخوميوس أن يخدم مع الذين يسقون الإخوة الماء على المائدة. وعند انصراف الإخوة من المائدة كان يقف على الباب ويسجد لكل أخ طالبا صلاته. وثبت على هذه الحال ثلاث سنوات، ثم أمره الأب أن يجلس على المائدة مع الإخوة فاستجاب لأجل الطاعة وهو حزين على مفارقته لخدمته، وصار يجلس آخر الكل على المائدة باختياره.

أما والده، الذي يستحق مديحا أكثر مما يمكننا أن نوفيه، فقد أحضر معه للدير غنمه وماشيته وكل أنواع أدواته وأوعيته ومنحها لأديرة أنبا باخوميوس الذي سلّمه دير "تيباو" الذي كان الإخوة يعيشون فيه خاضعين لنفس أنظمة الأديرة الأخرى[1].

قال الأب باخوميوس في **مرضه الأخير:** "صدقوني إنني على يقين أن بترونيوس إذا عاش فهو يقدر أن يهتم بكم". فقد كان هو أيضا مريضا في ديره المسمى "تسمين" في منطقة "بانوبوليس". وأرسل إليه رسالةً بذلك، فأحضروه وهو مريض، ورغم مرضه فقد كان حازما جدا ومتيقظًا. وحسب نظامهم، فقد كان يعطي الإخوة توجيهات في كل

(1) G 1, 80; SBO, 56.

موضوع كانوا يسألونه عنه.

ولما علم الأب بترونيوس أن الإخوة كانوا ذاهبين إلى الإسكندرية تلك السنة لزيارة البابا أثناسيوس ولإحضار احتياجات الإخوة المرضى، استدعى أبا تادرس وأرسله لخدمة الدير مع الإخوة الآخرين، وأرسل معه خطابا إلى البابا بخصوص انتقال الأب باخوميوس. ثم احتضن أبا تادرس والذين معه قائلاً: ”تحياتي الحارة لأبي الإيمان، كما أنني أودعك، لأنه ربما سنرى بعضنا بعضا في حضرة أبينا (باخوم) والذين معه“. فسافروا وهم حزانى بسبب قوله هذا(٢).

عندما كان الإخوة في الإسكندرية صار الأب بترونيوس مريضا وفي حالة خطيرة في دير "بافو"، ورغم مرضه فقد كان حازما جدا ومتيقظًا. وفيما كان على وشك أن يسلم الروح قال للإخوة المحيطين به: ”كما هو مكتوب: «أنا ذاهب في طريق الأرض كلها» (١مـ ل٢: ٢)، فاختاروا من تريدون أن يكون لكم أبا ويغذيكم بوصايا الرب“. فأجابوه: ”إننـا لا نعرف أحدا بعد الله وأبينا الراحل إلاّ أنت، فقد ائتمنك أبونا علينا عندما كان على وشك أن يرقد“. فقال لهم: ”لقد تقرر أن أفارق الجسد، وقد كُشـف لي عـدة مـرات أن أبـا أورسيزيوس هو الذي يهذب نفوسكم في مخافة الرب“. ولما سمع الأب أورسيزيوس ذلـك بكى قائلاً: ”هذا أمر يفوق طاقتي، وليس لي قدرة على ذلك“. فقال له الأب بترونيـوس: ”لست أنا الذي يعينك لهذه المهمة ولا إنسان، بل هو الله وأبونا الراحل“.

وبعد قليل فتح الأب بترونيوس فمه وسلّم روحه بعد أن ظل يسوس الإخوة أياما قليلـةً بكلمة الله وتذكار أبيهم. وقد انتقل في ٢٧ أبيب (١٩ يوليو عام ٣٤٦م)، أي بعد انتقـال الأب باخوميوس بحوالي شهرين ونصف. ثم كفّنوا جسد ق. بترونيـوس وأقـاموا قـداس الإفخارستيا من أجله، ثم دفنوه بجوار الأب باخوميوس في الجبل بالصلوات والمزامير(٣).

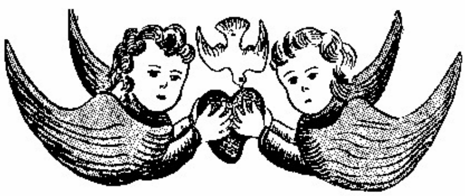
تناقش القدماء من الإخوة فيما بينهم قائلين بكل أسف: ”أليس أنه مما لا يوافقنا أن نظل في حزننا على ذاك الذي انتقل، الذي عينه لنا أبونا البار لكي يغذّينا كما تم المربية بصغارها؟ فإذا قلنا: "ربما يكون الرب غاضبا منا"، فإن هذا يكـون بـلا معـنى. إذن، فمبارك هو الرجل الذي أُعطي لنا، ليته يمكث معنا طـويلاً! وهـو أيضـا - أي الأب أورسيزيوس - كان مقربا جدا من الذين رقدوا. وكثيرا ما سمعنا أبانا (باخوميوس) يتكلم عنه بشعور من الرضى. كما أن الأب بترونيوس قال قبل انتقاله: "لست أنا الذي أعينك لهذه المهمة بل الله وأبونا". ونحن نعلم جيدا أنه لا يخرج من فمه أي كذب“.

(2) G 1, 114, 117 a; SBO, 121, 124.

(3) G 1, 117; SBO, 124, 130.

أرسل أنبا أنطونيوس يعزي الإخوة قائلاً: أيها الإخوة الأتقياء، أريد أن أخبركم أنني لما سمعت أن الأب القديس بترونيوس الذي عينه الأب باخوميوس لكي يخلفه على الشركة "الكينونيا" قد رقد حزنت جدا وخشيت من أن يصير الإخوة القديسون يتامى. وبينما كان الحزن متغلبا علي بلغ أذني صوت رقيق قائلاً: 'لقد أقام الرب على الكينونيا المقدسة أبا حاذقًا آخر هو الأب أورسيزيوس'. وبفضل روح الله الذي فيه سيكون قادرا على الاعتناء بنفوسكم وأجسادكم، لأنه بسبب تقواكم فقد تحقق قول الرب: «لا أترككم يتامى، إني آتي إليكم» (يو١٤: ١٨). والآن، أيها الإخوة القديسون، ينبغي ألاّ نسميه "أورسيزيوس"، بل "الإسرائيلي" أي الذي ينظر الله بعينيه الداخليتين. إنكم لَمباركون لأن الله جعلكم مستحقين لأب متقو بروح الله. فاطلبوا، إذن، من الرب إله أبينا باخوميوس لكي يثبتكم في سلامه، ولكي تخضعوا له مثل جميع القديسين.

ثم كتب أنبا أنطونيوس أيضا لبطل المسيح الأب أثناسيوس رئيس الأساقفة طالبا منه أيضا أن يعزي الإخوة بكلام مشجع لأن كلاً من أبيهم والذي عينه خلفًا له قد رقدا. فكتب البابا لهم قائلاً: رغم أنه ليس من الضروري أن أكتب لكم بخصوص الإخوة الذين معكم أبناء أب الشركة المقدسة أنبا باخوميوس، طالما أن الله قد أعطى راحةً لكل من أبيهم والذي عينه خلفًا له، إذ قبلهما في مساكنه المجيدة؛ إلاّ أننا كنا قلقين على حياة الشركة من أن تتشتت أو أن يصير الإخوة القديسون يتامى. ولكن بفضل رفع أياديكم المقدسة سمعنا بعد قليل أن الأب المبارك بترونيوس خليفة الأب المبارك القديس باخوميوس قد أقام الأب أورسيزيوس في مكانه. وإننا نعتقد أنه سيصير نورا عظيما للشركة، وأن كثيرين سينالون تعزيةً وقوةً و تهذيبا عندما يتحدث بكلام ملهم بالنعمة التي يمنحها له الله. إننا مقتنعون أن هذا الرجل ينبغي أن يدعى "الإسرائيلي". ونحن نحثكم أن تشجعوا الذين معكم وأن تبثّوا فيهم الولاء له وأن تعتنوا بجميع احتياجاتهم. صلّ لأجلنا أيها الأب أورسيزيوس النور غير المطفأ وينبوع الفطنة وفخر القديسين[٤].



(4) SBO, 133.

ثانياً: قصص وأقوال القديس أورسيزيوس

❑❀✵❀❑

تولّى الأب أورسيزيوس مسئولية الكينونيا (حياة الشركة) المقدسة بشجاعة، وقد أطاعه جميع الإخوة باتضاع وخضوع. ثم إنه تكلم مع الإخوة قائلاً: "الرب يعلم أنني لم أقتنع ليوم واحد أنني أنا الذي يصلح لهذه المهمة، بل إنكم أنتم المؤهلون لها لأنكم أكبر مني. وفي الواقع، فإن الذي هو أهل لهذه المهمة هو الأب تادرس، لأنه هو حقًا الذي اقتدى بأبينا من كل ناحية. ومع ذلك، فإن كانت هذه هي مشيئة الله، فلا يمكن لأحد أن يعترض على قراره. وإنني أحثكم، بحبكم لله، أن تصلّوا لأجلي لكي يعضدني الرب في كل عمل صالح. وأيضا، إذا شاء الله وشئتم أنتم، فإنني أود أن أفتقد جميع الإخوة". فأجاب الآباء القدامى: "ليت الرب يعضدك في كل شيء ويمنحك الروح الذي منحه لأبينا. وليجعل سلامه يستقر عليك إلى الأبد". ثم صلّوا معا، وذهب كل واحد إلى قلايته متشددا. ثم أخذ معه اثنين من الإخوة وذهب إلى جميع الأديرة لكي يفتقد الإخوة ويشددهم في مخافة الرب وفي مراعاة القواعد التي وضعها أبونا[5].

كان الأب أورسيزيوس صالحًا جدا ومتواضعا. وظل يطوف الأديرة ليفتقد الإخوة باهتمام كثير، عالمًا كيف كان القديس أبا باخوميوس كاملاً في غيرة عنايته بهم. وسواء كان جالسا أو واقفًا فقد كان يتحدث بكلمة الله لأجل منفعتهم. وكثيرا ما كان يعيد على مسامعهم ما قاله له الأب باخوميوس حينما كان رئيسا لدير "شينوبوسكيا": "إنك وإن كنت لم تأخذ من الله معرفة كثيرة، لكن قُلْ لهم مثَلاً والله يجعله عاملاً فيهم". وهكذا كان يضرب الأمثال ويشرحها لهم، وكان الإخوة يتعجبون عند سماعها، وهذا هو واحد منها:

"نعلم أن أبانا كان يدعمنا بمعرفته الكاملة بالأقوال الإلهية، أما أنا ففي فقري أرى أنه إن لم يحرس الإنسان قلبه جيدا فهو ينسى ويهمل كل ما سمعه. وهكذا يجد العدو له مكانا فيه ويغلبه، مثل المصباح المعد للإضاءة إذا أهمل المرء أن يضع فيه زيتا، فإن ضوءه يخبو قليلاً قليلاً إلى أن ينطفئ. وليس هذا فحسب؛ بل أحيانا أيضا يأتي فأر ليأكل الفتيل، ولكنه لا يقدر أن يفعل ذلك إن لم يكن المصباح قد انطفأ تماما. فإذا رأى أن الفتيل فقد النور والحرارة ينتزعه خارجا ليأكله بعد أن يلقي بالمصباح على الأرض ويكسره. فإن كان المصباح خزفيا يتحطم تماما، وإن كان نحاسا يجده صاحب البيت ويعمل على إصلاحه ثانيةً".

---

(5) SBO, 131.

"هكذا أيضا إذا أُهملت النفس يبتعد الروح القدس عنها قليلاً قليلاً إلى أن تنطفئ حرارته منها تماما. وأخيرا يبتلع العدو غيرة النفس ويفسد شره الجسد أيضا. فإذا كان ذلك الإنسان جيد الانعطاف نحو الله وقد هزم بدون قصد بسبب التواني، فإن الله الرحوم يغرس في قلبه مخافته وتذكار العذاب الأبدي، وهكذا يصير الإنسان يقظًا بعد ذلك حارسا نفسه بكل حرص حتى يوم افتقاده".

وبعد أن تحدث إليهم بهذا الكلام وأفادهم بالمثَل نهض ليصلّي[٦].

ظلّ الأب أورسيزيوس وسط الإخوة متمثلاً بسيرة الأب باخوميوس بكل غيرة وحماس، فقد كان مصاحبا له زمانا طويلاً. ولما أقامه الأب باخوميوس أبًا لدير شينوبوسكيا تذمر البعض قائلين إنه مبتدئ ولم يصر كفئًا بعد لهذه الرتبة. فلما سمع أبنا باخوميوس ذلك قال: "لا تظنوا أن ملكوت السموات هو للإخوة القدامى وحدهم، فالراهب القديم الذي يتذمر على أخيه ليس قديما بل إنه لم يبدأ أن يصير راهبا. إن الله لا يطلب من الإنسان شيئًا سوى المخافة والمحبة، فالمحبة لا تصنع شرا للقريب. وأقول لكم إن أورسيزيوس بتقدمه صار مصباحا ذهبيا في بيت الرب، ويوافقه المكتوب: «خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح» (٢كو١١: ٢)"[٧].

كان الأب أورسيزيوس يرعى الإخوة ويغذيهم بحسب النعمة المعطاة له من الله، وكان يتقدم في موهبة الكلمة أكثر فأكثر حتى يمكنه أن يعظ الإخوة. فكان يكلمهم ليس بالأمثال فحسب؛ بل أيضا بتفسير معاني الأقوال الإنجيلية. وكان يحثهم على حفظ قوانين الشركة التي وضعها الأب باخوميوس لأجل بنيانهم وهو بعد على قيد الحياة[٨].

وقيل إن الرب كان يحفظ الإخوة باتفاق ومحبة كما كانوا من قبل. وكان يوجد كثيرون من الإخوة القدامى الذين لم يكونوا قد رقدوا بعد مثل الآباء: بسنتاسيوس وصموئيل وبولس ويوحنا وهيراكابوللون الذي كان يعزي أبانا باخوميوس في الرب في أوقات تجاربه، وأيضا الأبوين تيتويس ويونان وآخرين كثيرين، وأبا تادرس الذي من المدينة (أي الإسكندري)، ومعهم أيضا أبا تادرس الآخر الذي امتحنه الرب روحيا كما بنار بواسطة الأب باخوميوس لكي يصير إناءً مختارا. وإذ كانت توجد مصابيح كثيرة بهذا المقدار بين الإخوة، لم يكن هناك ظلام في الرؤية لأن «وصية الرب مضيئة تنير العينين من بعد» (مز١٩: ٨)[٩].

---

(6) G 1, 118; SBO, 209; Apoph., Orsisios, 2.

وقد جاء ذكر هذا الحديث للأب أورسيزيوس في ترجمة أخرى في بداية رئاسته الثانية بعد نياحة الأب تادرس.

(7) G 1, 119; SBO, 199. (8) G 1, 122. (9) G 1, 123.

كان الإخوة كثيرا ما يطلبون من الأب تادرس أن يفسر لهم قولاً روحيا أو يحدثهم عن أحد مناظر الأب باخوميوس، فكان يقول لهم: "هوذا أبونا أورسيزيوس، فلنطلب منه كل ما نريد لأنه هو أبونا". فكان الأب أورسيزيوس يتحدث إليهم كالعادة منذ البداية، حيث كانوا يجلسون بعد نهاية العمل وبعد العشاء ويتفاوضون في أقوال الكتب، إذ لم يكن لهم ثمة اهتمام آخر إلاّ بما هو لخلاصهم. والذين كانوا معينين للاهتمام بهم كانوا على قدر قوتهم يخدمونهم كخدام الله. فالرب يقول: «بما أنكم فعلتموه بأحد هؤلاء المؤمنين بي فبي قد فعلتم» (مت٢٥: ٤٠ حسب النص).

ولما كان الأب أورسيزيوس يتحدث كان الأب تادرس يجلس بينهم ليسمع كصبي بريء قائلاً في نفسه: "إنني جاهلٌ، فقد سببت بعملي سابقًا حزنا لله ولأبينا". فقد كان متضعا للغاية حتى إن أبا باخوميوس شهد له مرةً في غيابه قائلاً: "لقد ربح تادرس من هذا التأديب سبعة أضعاف ما كان عليه"[10].

قيل إنه لما رقد أبا بفنوتيوس الأقنوم الكبير لدير بافو، عين الأب أورسيزيوس أبا آخر يدعى "بصارفتين" مدبرا مكانه، وكان واحدا من الرهبان القدامى صبورا على الأتعاب فرحا في الروح[11].

كان الأب أورسيزيوس يقول: "أرى أن بعضا منكم يطلبون الألقاب والرئاسات، أو أن يصيروا مدبري بيوت أو غير ذلك. وفي الماضي، أيام أبينا، ما كان أحد يريد أن يكون عظيما إلاّ من أجل الطاعة خوفًا من أن يوجد هو الأصغر في ملكوت السموات. وحينما عينني الأب بترونيوس بكيت بحرقة وصرت في خوف عظيم من هلاك النفوس. ولست أنا وحدي، بل هكذا فعل القديسون. فموسى النبي حين أرسله الله إلى الشعب استعفى أولاً باتضاع، ثم عاد فقبل تلك الخدمة عندما غضب الله بسبب رفضه. فلنسمع أيها الإخوة ما هو مكتوب: «من يرفع نفسه يتضع» (لو١٨: ١٤)، ولنلاحظ أنفسنا. فقيادة النفوس ليست لكل واحد بل للكاملين وحدهم. وها هو مثلٌ لكم:

إذا وضعت لبنة نيئة في أساس قريب من النهر لا تثبت يوما واحدا، أما إذا حمصت في النار فهي تثبت مثل الحجر. هكذا الإنسان ذو الميول الجسدية الذي لم ينق بنار كلمة الله مثل يوسف الصديق، فإنه يهلك إذا وصل إلى موضع الرئاسة. لأنها كثيرةٌ هي التجارب التي تصادف أمثال الذين يعيشون وسط الناس. فالأجدر بالإنسان الذي يعرف قدر نفسه أن يلقي عنه ثقل تلك الرئاسة التي أُقيم عليها ويتجنب ثقل أية مسئولية لئلاّ

(10) G 1, 125; SBO, 135.

(11) G 1, 124.

يحدث له ضرر أعظم. أما الراسخون في إيمانهم فهم ثابتون غير متزعزعين.

وإذا أراد أحد أن يتكلم عن يوسف الصديق العظيم في قداسته، فليعتبره ليس من هذه الأرض. فكم احتمل من التجارب؟! وفي أي بلد؟ حيث لم يكن هناك أي أثر لمخافة الله. ولكن إله آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب كان معه وأنقذه من كل شدة. وهو الآن بين الآباء في ملكوت السموات. وأما نحن فلنعرف قدرنا وضعفاتنا ولنجاهد لأننا بهذا فقط يمكن أن ننجو من دينونة الله".

وبعد أن حدثهم بأمور كثيرة مثل هذه صلّى، ثم انصرف الإخوة إلى مساكنهم[١٢].

عندما كان الإخوة عائدين من الإسكندرية، فمهما كانوا يسألون أبانا ثيئودور (تادرس) طالبين شرح أي قول أو يأتون له بمشكلة، كان يهدئهم بقوله: "لنصبر حتى نصل إلى دير بافو ونخبر أبانا بالمشكلة، فإن الرب سيريحنا بواسطته"[١٣].

مشكلة انفصال أحد الأديرة وتعيين الأب تادرس أبا للجماعة:

لما زاد عدد الإخوة بدأوا في الاتساع في الحقول وماديات أخرى كثيرة. وابتدأ كل دير يتوانى قليلاً قليلاً (في الروحيات) كلما زادت الاهتمامات الأخرى. وأراد أب دير منخوسين – ويدعى "أبولونيوس" – أن يشتري لنفسه مقتنيات زائدة عن الحاجة بخلاف قانون الجماعة. ولما راجعه الأب أورسيزيوس وأنبه غضب، وبتحريض من العدو أراد أن يفصل ديره عن مجمع الشركة وأقنع كثيرين من الشيوخ بذلك. وقد تأذّت أديرة كثيرة أخرى من ذلك لأنه انفصل قائلاً: "لسنا بعد تابعين لشركة الإخوة". ولما حاول الأب أورسيزيوس أن يقنعه لم يستمع له، وهكذا ازدادت التجربة شدة!

ولما رأى الأب أورسيزيوس نفسه في شدة عظيمة، ظل محتملاً مدةً واضعا في نفسه أن يصبر في ضيقته حتى الموت. وبعد ذلك فكّر أنه ينبغي أن يرتب زميلاً له ليشاركه في حمل أعباء واجباته الأبوية. فانفرد ليلاً في مكان هادئ، كما ذكر هو نفسه لنا بفمه، وظل يبكي طويلاً ويقول: "يا الله، إن خادمك الأب بترونيوس قد أقامني على هذه الخدمة لكي أربح أكثر وأخلّص كثيرين، ولكنني أرى الآن أن كثيرين لا يسمعون لنا لأجل خلاصهم، بل إن كل واحد يتبع هوى قلبه، ما عدا عبيدك الأمناء الذين سلكوا حسنا مع أبينا (باخوميوس)، والآخرين الذين فيهم مخافتك. إنني حزين إذ أرى الدير كله في اضطراب، مع أنني، كما تعلم، لم أحزن أحدا. وأنت تعلم يا رب أنه ليس هذا الدير وحده، بل إنني أخاف على

(12) G 1, 126; Apoph., Orsisios, 1; س ٤ ورقة ٧٠

(13) SBO, 136.

الأديرة الأخرى كذلك، لئلاّ يجدوا علّةً لرفضهم الوفاق والمحبة التي كنا نعيش فيهـا منـذ البداية. لذلك يا رب، فأنا لا أقدر الآن أن أكون وحدي بعد، فاظهر لي شخصا قديرا وأنا أقدمه لهم، حتى لا أصير مسئولاً عن نفوسهم".

وفي تلك الليلة، شاهد الأب أورسيزيوس حلما رأى فيه سريرين: أحدهما جيد ولكنه قديم، والآخر جيد ومتين. وأُوحي إليه هكذا: "استرح على هذا الواحد المتين". فتحقق بـالروح أن هذا السرير هو أبا تادرس الذي كان في وقت ما بنفس واحدة مع الأب الكبير باخوميوس.

ولما كان النهار، وكان قد زال حزنه - وبالأخص لأنه كان يحب أبا تادرس بشـدة بسبب اتضاعه وصبره على مواجهة المنازعات - جمع كل رؤساء الأديرة في غياب أبـا تادرس وقال لهم: "إنكم بالتأكيد لا تجهلون التجربة التي نعاني منها. وقد انتظرت زمانا لعلها تكف، ولكنها على العكس في ازدياد كما ترون. لهذا فإنني أعترف لكم أنـني لم أعد قادرا على تحمل العبء وحدي. وأعلم أنه لا أحد منكم يضطرني إلى ذلك، بل أنـا نفسي أدرك تماما أنني لست قادرا (على المتابعة). إن الله والآباء لا يلومونني لأ م يعرفون حدود طاقتي. أما من أراه كفؤا لهذا من كل جهة فهو نفس الشخص الذي كان وقتا ما ولا زال أيضا هو أبونا تادرس".

وبعد أن قال ذلك مضى ليلاً إلى دير "شينوبوسكيا" وأقام هناك. أما الإخوة، فلمـا سمعوا ذلك تقبلوا كلهم الأب تادرس كأب لهم بكل فرح و لهل. أما أبا تادرس فـأعلن أنه لن يتحرك حتى للأكل والشرب مدة ثلاثة أيام حتى يقابل الأب أورسيزيوس.

فأرسلوا في استدعاء الأب أورسيزيوس، فحضر وانعقد اجتماع آخر من أجـل أبـا تادرس. فقال له الأب أورسيزيوس: "هل نحن الذين أقمناك؟ بل هو أبونا بـاخوميوس الذي أقامك، وأشار إلى ذلك من قبل حين أمسك بلحيتك وقال لك ثـلاث مـرات: 'اذكر يا تادرس ألاّ تترك عظامي في موضع دفنها". فلما سمع أبا تادرس هذا الكـلام لم يعد يقاوم. وأما الأب أورسيزيوس فعاد ثانيةً إلى شينوبوسكيا بعد أن سلّمه للإخوة.

وهكذا تثبت أبا تادرس أبا. ولما سمع الإخوة في جميع الأديرة بذلك فرحوا، وبالأخص الذين عرفوه منذ البداية ابنا حقيقيا للأب باخوميوس، وعرفوا أن كلامه فيه نعمة وقـوة شفاء للنفس الحزينة. أما هو فكان عجيبا في خضوعه للأب أورسيزيوس حتى إنه كـان يقول عنه: "حقًا إن هذا الإنسان هو سرير مريح في كل شيء".

ورغم أن أبا تادرس كان قد أُقيم على هذه الرتبة، وكان يتعب ليلاً و ارا من أجـل

خلاص إخوته في الرب، إلاّ أنه لم يحسب نفسه أبا، متذكرا قانون توبته، بل كان يدعو نفسه تابعا وخادما لأبا أورسيزيوس مع أنه كان قد اعتزل التدبير. وهكذا كان رجل الله تادرس كلما أراد أن يصدر أمرا كان عليه أن يقطع مسافةً طويلةً[(١٤)] لكي يذهب إليه ويسأله: "ماذا تريدني أن أفعل"؟ ولما كان قد استأصل من نفسه كليةً شهوة الرئاسة، إذ كان قد تأدب من الله، وبواسطة التجربة بلغ حد الكمال؛ فقد صار بذلك و بة صلاحه العظيمة راحةً لكل أحد وليس للأب أورسيزيوس وحده، حتى إن الأب أورسيزيوس كان يقول: "إنني اليوم أدبر أكثر مما كنت"[(١٥)].

تعاليم الأب أورسيزيوس

العظة الأولى

عظة لأبينا القديس أبا أورسيزيوس ألقاها باكر يوم السبت، في **سلام الله آ**مين.

١ - الله يدعونا بفم المرتل القديس داود النبي قائلاً: «هلم أيها البنون استمعوا إلي فأعلمكم مخافة الرب» (مز٣٤: ١١). جدير بنا أيضاً، يا إخوتي، أن ننتبه بشدة إلى محبة الله لنا ونسرع إلى حبه، ليس بكلام الفم وحده بل بالقول والفعل (انظر ايو٣: ١٨). فقد قيل صراحةً: «من هو الإنسان الذي يهوى الحياة ويحب أن يرى أياماً صالحة؟ صن لسانك عن الشر وشفتيك عن النطق بالغش. حد عن الشر واصنع الخير. اطلب السلامة واتبعها، فإن عيني الرب على الصديقين وأذنيه مصغيتان إلى طلبتهم» (مز٣٤: ١٢- ١٥).

٢ - عن أي نوع من الحياة يتحدث المزمور، يا أحبائي؟ وما هي الأيام الصالحة إن لم تكن تلك الحياة التي ستبقى إلى الأبد في السماء، والأيام التي سننعم فيها بالراحة في الدهر الآتي، حسب قول إشعياء العظيم في الأنبياء القائل: «لأنه كأيام شجرة (الحياة) أيام شعبي» (إش٦٥: ٢٢)، «إذاً بقيت راحة لشعب الله، لأن الذي دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله. فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة (نحن أيضا يا إخوة)» (عب٤: ٩-١١)؟ فجدير بنا أن نخوض كل المعارك بالأعمال الصالحة، ولا ندع الشيطان يحرمنا من ملكوت الله بالأعمال التي لا تليق بكرامة المسيحية، وخصوصا تلك التي لا تتفق مع دعوتنا المقدسة.

حقاً إن حياة آبائنا القديسين هي حياة ملائكية قد فاحت رائحتها الزكية لكل العالم.

(١٤) المسافة بين ديري بافو وشينوبوسكيا كانت حوالي ١٥ كيلومترا.
(15) G 1, 127-130; SBO, 139, 140.

فيجب، إذن، ألاّ نسمح لأي لذة أن تنجس دعوتنا المقدسة. وهذه الفترة القصيرة مـن العمر لا ينبغي أن تحرمنا من الحياة الأخرى، إذ لا ينبغي أن نحرم من بركـات الـرب العظيمة في أرض الأحياء من أجل مسرة عابرة. لأنه يجب بالأحرى أن يفرح معنا هـذا الجيل الممتلئ خزياً ولا نفرح نحن مع جيل الخزي، وذلك وفقاً لوصايا أبينا القديس أبـا باخوميوس الذي قال حقاً: ... (هنا فصل مفقود).

٣ - ... إذ يطرحون في فوهة الجحيم، فكل واحد يطرح للعقاب الـذي يسـتحقه حسب أعماله الشريرة، بينما يستقبل الأبرار في حياة التمتع وعزاء الخيرات بمقدار تعب كل واحد. فإذا كان الأمر كذلك، فماذا يجب أن نفعل؟ فلندع ينبوع الدموع يفيض كل يـوم اراً وليلاً. ولنقل أيضا مع إرميا النبي العظيم الباكي: «يا ليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع فأبكي اراً وليلاً» (إر٩: ١). فجدير بي أن أبكي بسبب خطاياي النهار والليل. وقبل كل شيء فلنعترف بخطايانا قبل أن تأتي ساعة الموت الممتلئة رعبا ودموع الارتجاف!

ولنترج صلاح إلهنا ومراحمه بينما نحن هنا في أرض غربة الدموع وقبـل أن يـداهمنا الموت، مدركين حقيقة أمرنا وكم نحن بؤساء وأشقياء. جدير بنا، إذن، أن تم بأنفسنا بكل اجتهاد، لأنه من أجل النفس قد قيل ... فالنفس التعيسة توجد وحيدة مجردة مـن كل عون حينما تسقط في الخطية، ولن يستطيع أحد أن يعينها في عذابا ا.

٤ - والآن، يا أبنائي الأعزاء، دعونا ألاّ نحسب شيئاً أثمن من خلاصنا. دعونا نتوب عن خطايانا السالفة طالما نحن هنا في أرض الدموع، ومازالت أيدينا وأرجلنا حرة غـير مغلولة بالقيود، ولم توضع بعد في القبر لتصير فريسةً للدود، وطالما الجسد له كيـان ولم يتحلل بعد ويتحول إلى تراب. أيليق بنا أن نقول في ذلك اليوم إن الغِنى قـد خـدعنا؟ سوف يقول لنا الديان عندئذ: ألم تسمع قول الإنجيل يصرخ قائلاً: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه» (مت١٦: ٢٦)؟ وإن قلنا إن العدو هو الذي خدعنا فسيجيبنا قائلاً: "هل انتفعت حواء في القـديم مـن قولها: «الحية غرتني فأكلت»" (تك٣: ١٣)؟

والآن، يا أبنائي الأعزاء، فلنسهر بكل يقظة على نفوسنا الصغيرة، فإ ا بـلا شـك سوف تنجو وتجد قليلاً من الراحة ... (هنا فصل مفقود).

٥ - ... أين الطهارة والتواضع؟ أين السلام والوداعة؟ أين المودة والمحبة؟ أين تعاليم أبي ونصائح أُمي؟ أين هذه وتلك لكي أضعها إكليلاً على رأسي؟ أين هـم المؤمنـون

والأبرار وجميع القديسين؟ فليأتوا ويبصقوا في وجهي لأنني لم أتبع تعاليمهم. أيـن هـم الأنبياء والرسل؟ فليأتوا ويغطوني بالخزي لأنني لم أُطع كلما م التي للحياة، إلى أن أتيت إلى يوم الدينونة الأخير وسلمت إلى قوات الظلمة التي لا تشفق وإلى رعبة الموت.

آه، عجباً لأنه مازلت هناك فرصة للتوبة حتى الآن! آه، وعجباً إن كنت لا أصنع توبةً حتى إلى سفك دمي!

٦ - أين جسدي، هذا الجسد الذي وهبته من الله مثل حقل لكي أُفلحـه، حيـث ينبغي أن أعمل جاهداً لكي أصير غنياً. آه، لقد أفسدته وجعلته عقيماً. لقـد كدسـت فوقي الشرور والخطايا التي بسببها سوف أُطرح في العذاب. الويل لي، فقد صرت مثـل سارق ووضعت في القيود مثل قاتل، وها أنا الآن أُساق إلى العذابات والندم والعقاب في الجوع والعطش!

٧ - أؤكد لكم أن كل من يعيش في إهمال وعدم توبة، سواء كان رجلاً أو امـرأة، كبيراً أو صغيراً، غنياً أو فقيراً، سوف يعاني من كل العذابات التي ذُكرت آنفاً، بل وأكثر منها بكثير. سوف نبكي في تعاسة ولن نجد من ينصت إلينا. لذلك دعونا لا نكف عـن التضرع إلى ربنا وإلهنا يسوع المسيح اراً وليلاً ما دمنا هنا في موضع الغربة والخـداع، صارخين وقائلين: ارحمنا يا ربنا! واغفر لنا يا إلهنا كل ذنوبنا التي أذنبنا ا في الماضـي! وأنعِم علينا بالتجديد في مستقبل حياتنا، واهدنا إلى السبيل الذي يرضيك، وامنحنـا أن نتمم مسرة قلبك، وأن نجد نعمةً أمامك حينما نقف في حضرتك، لأنك أنت هو إله كل الرأفات والمراحم وا د، تلك التي تليق بك مع أبيك الصالح والروح القدس منـذ الأزل وإلى الأبد آمين.

العظة الثانية

حديث ثان لأجل باكر عيد القديسين يوم السبت، في سلام الله آمين

قال الله لإبراهيم المؤمن: «سر أمامي وكن كاملاً فأجعل عهـدي بـيني وبينـك» (تك١٧: ١و٢). لقد أكمل آباؤنا هذه الكلمة وتبعوا مثال القديسين، وأقام الله عهـدا معهم. فإذا أتممنا نحن أيضاً، أيها الإخوة، مشيئة الله، وتمثلنا بآبائنا المباركين وإن كنا بلا خطية؛ فإن الله سوف يطّلع علينا ... احفظوا أساس إيمان جميع القديسين.

العظة الثالثة

حديث ثالث لأبا أورسيزيوس ألقاه في باكر يوم الأحد

١ - قال الروح القدس ناصحاً: «يا بني أكرم الله بجهاداتك بكل قدرتك، وأعطِه باكورات برك، فتمتلئ خزائنك قمحاً ومعاصرك خمراً» (أم٣: ٩و١٠ سبعينية).

٢ - ما هو المعنى الذي يقصده بالمخازن والمعاصر؟ لاشك أنه يتكلم عن مخازن النفس ومعاصرها، تلك التي يملأها فلاحو البر بالخمر الروحي بجهاداتهم وعرقهم، فينالوا كمكافأة لثمر تقواهم.

ويحثنا الرسول القديس أيضاً على هذا التدبير ذاته قائلاً: «أنتم فلاحة الله، بناء الله» (١كو٣: ٩). فإنه فخر لنا أيضاً أن نعتني بكرمة نفوسنا حسب صلاح مسرة إلهنا، فلا نزرع فيها زراعات مختلفة، أي لا ندع الشر يختلط بالخير الذي فينا. فطالما نحن جزء من الكرمة الحقيقية، الذي هو المسيح يسوع ربنا؛ فإن لنا الله الآب كراماً حسب قول مخلصنا الذي نادى قائلاً: «أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام» (يو١٥: ١)، وأيضاً: «كان لسليمان كرم في بعل هامون» (نش٨: ١١).

٣ - فلنسرع، إذن، لكي نملأ خزائننا بالقمح اللائق بالسماء، ومعاصرنا بالخمر الذي يحمل رائحة المسيح، بفضل تعاليم أبينا الطوباوي البار أنبا باخوميوس وجميع آبائنا القديسين الآخرين، والذين ما زالوا معنا حتى الآن. فهم بالحقيقة ينابيع ماء الحياة التي تروي زرعهم الأخضر الذي هو نحن ... تروي كرم نفوسنا بالأفكار اللائقة بالسماء، وبالأقوال التي تفوح منها رائحة حلاوتهم. لأنهم يطفرون على الجبال، يقفزون على التلال (نش٢: ٨)، أعني هم الرسل والأنبياء. ولنا أيضاً قد قيل: «اهرب يا حبيبي وكن كالظبي أو كغفر الأيائل على جبال الأطياب» (نش٨: ١٤).

٤ - وما أسعدنا نحن أيضاً إذ لنا نصيب في نعمة آبائنا القديسين حسب القول المقدس لباروخ: «طوبى لنا يا إسرائيل لأن ما هو مرضي عند الله معروف لدينا» (با٤: ٤)، وأيضاً: «طوباك يا إسرائيل، من مثلك يا شعباً منصوراً بالرب» (تث٣٣: ٢٩).

أما نحن، أيها الإخوة، فلنتمسك بتعاليم آبائنا ولا نتخلى عنها البتة، ولنحفظها كل أيام حياتنا. ولنتبع رائحة حبهم الزكية وطريقة حياتهم المقدسة في المسيح، لكي نسير نحن أيضاً بفرح عظيم بنعمة الروح القدس قائلين: "يا ليتنا نكون مقبولين في الموضع الذي أُعد لنا"!

العظة الرابعة

الحديث الرابع في نار الأحد

على الإخوة أن يجلسوا حتى يكونوا منتبهين للكلمة، في سلام، آمين.

١ - يقول روح الله بصلاحه: «لا تمنع الخير عن أهله حين يكون في طاقة يـدك أن تفعله. لا تقل لصاحبك اذهب وعد فأعطيك غداً وموجود عنـدك» (أم٣: ٢٧و٢٨). فالروح القدس يعلّمنا ألاّ نسوف الأمور من يوم إلى يوم، بل نعمل لأنفسنا كل ما هـو صالح على قدر طاقتنا، لكي نزينها بكل فضيلة لائقة بالسماء، ولكي نكسـوها بثيـاب بيضاء حسب هذا الصوت السار: «لتكن ثيابك في كل حين بيضاء، ولا يعوز رأسـك الدهن» (جا٩: ٨). فيجب علينا أن نزينها بالحلي كعروس، ونضع عليها عمامة كمـا لعريس، ونقول نحن أيضاً بصوت الأنبياء مبتهجين مع إشعياء النبي: «تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص، كساني رداء الفرح، زينني مثل عروس تتزين بحليها ومثـل عريس يتزين بعمامة» (إش٦١: ١٠).

٢ - أما نحن، يا إخوتي، فما أعظم سعادتنا أن نكون وارثين لبركة آبائنـا. والآن، هوذا يوجد نوعان من الحاجة: حاجة الجسد وحاجة النفس. فإذا اعتبرنا إهمال الذين هم في حاجة إلى أمور جسدية ولم نعطهم ما هو ضروري لأجسادهم أنه نقص في التقوى؛ فكم يكون أكثر سوءاً إذا أهملنا إنساناً تحتاج نفسه إلى اهتمام؟ لأن الأغذية والملابس هي حاجات الجسد، أما النفس فتحتاج إلى تغذية روحية ولباساً أبيض، الذي هو الطهارة فخر الملائكة، الذي ينبغي لكل واحد أن يقتنيه لنفسه.

والواقع أن روح الحق لم يتكلم فقط عن الحاجة المنظورة، ولكنه تكلم أيضـاً عـن حاجة النفس التي لا ينبغي أن نغفلها. بل على العكس، ليكن كل واحد غيوراً بـالأكثر على أن يجمع لنفسه الغذاء الروحي واللباس الروحي. فإن الذي يتمسك بما أوصى بـه روح الله سوف يقول بصوت متهلّل: «أرضنا أعطت ثمرها، يباركنا الله إلهنا، يباركنـا إلهنا» (مز٦٧: ٦ حسب النص). وحينئذ سوف نقول بكل ثقة: «يا سيد، خمس وزنات سلّمتني، هوذا خمس وزنات أُخر ربحتها فوقها» (مت ٢٥: ٢٠). لأن كل من يجاهـد سوف يسمع ذلك الصوت الحلو الآتي من الرب: «نعما أيها العبد الصالح والأمين، كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥: ٢١).

❁✪❖✪❁

العظة الخامسة

الحديث الخامس في مساء يوم الأحد

يعلمنا روح الله بواسطة سليمان الحكيم أن نبني بيت نفوسنا على أساس متسع وصلب. لأنه هكذا يبدأ الإنسان الغني عندما يقرر أن يبني بيتا جميلاً لنفسه، وذلك بأن يعد كل الأدوات اللازمة للبيت، من ذهب وفضة وخشب وحديد وحجارة، وذلك لكي يضع الأساس الصحيح بحجارة صحيحة بصلابة، وأن يشد مبنى البيت كله معا بقطع من الحديد، مزينا الحوائط بديكور (زينة) من الذهب والفضة البراقة. وذلك حتى أن كل من يرى البيت يقف متعجبا من منظره. هكذا قال روح الله لنا جميعا وهو يقصد أن كلا منا يجب أن يبني بيت نفسه بديكور ليس أرضيا؛ بل بما يكون لائقًا بالسماء، وليس بذهب أو فضة؛ بل بدم المسيح الطاهر ... (الذي يمحو) الصك الذي علينا (كو٢: ١٤)، ذاك الذي من أجلنا قبل الجلْد حتى أننا من جانبنا «نصلب الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل٥: ٢٤)، ذاك الذي أُعطي «خلا ممزوجا بمرارة» (مت٢٧: ٣٤)، حتى أننا من جانبنا ننبذ مرارة الخطية، ذاك الذي ذاق الموت لأجلنا جميعا، وذلك «لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس» (عب٢: ١٤)، حتى لا تملك الخطية علينا ... بواسطة الجسد الذي أخذه الرب يسوع من آدم ... ذاك الذي قام من بين الأموات، حتى ... (نحصل على) رجاء القيامة ... (باقي الحديث مفقود).

❁✶✪✶❁

العظة السادسة

١ - ... في قلوبكم. إن كانت الشمس والقمر والنجوم التي تضيء الأرض كلها قد خلقت بكلمة فيك، فمن يستطيع أن يفكر فيك أنت الخالق: كيف وجدت، وما هي حقيقتك؟ وأي فم يمكنه أن يباركك بقدر ما أنت مبارك؟

٢ - عندما تفكرون في كل هذه العجائب وفي العظائم التي خلقها الله بكلمته، وتفكرون من ناحية أخرى في صغركم – لأنه خلقكم من العدم هذا القدير الأزلي لكي يكون لكم وجود، ولو لم يخلقكم لما كان يوجد حتى أي ذكر لكم – بعد أن تفكروا في ذلك لا يفوتكم أن تباركوه بلا انقطاع قائلين: "مبارك أنت يا رب، يا من خلقتني من تراب الأرض عندما لم يكن لي وجود". قُل ذلك حتى يتلاشى تماما الفكر الخاطئ الذي يغرزه الشيطان في قلبك، و بهذه الطريقة ستبارك الرب حالاً وبفرح. لا تتضايق أينما تعبر تلك الأفكار النجسة على ذهنك، وحينئذ فإن الشيطان الذي يجربك سيرحل ويقول:

"إنني ألحّ عليه ذه الأفكار الشريرة لكي يعاقَب، وها هو ينمو أكثر وهو يبارك الله بدلاً من أن يلعنه". هذه هي الطريقة التي ا هزم العدو في كل الأوقات وفي كل شيء مـن جميع القديسين الذين باركوا الرب الذي أوجدهم من العدم.

٣ - بخصوص المثابرة في الصلاة، ولا سيما في الليل، اسلكوا بحسب قدرتكم. إننـا لسنا غافلين عما كُتب عن الرب أنه «قضى الليل كله في الصلاة لله» (لو٦: ١٢). فضلاً عن أنه عندما تصلّون، فإذا أردتم ألاّ تكونوا متغافلين أو مشتتين بأفكار كثيرة، فعنـدما تكون أيديكم مرفوعة لا تسرعوا في إنزالها إلى جنبكم، لأنه أثناء التعب والألم تكف تلك الأفكار وتكونون كأنكم رأيتم الرب الذي تصلّون له، كما هو مكتوب عن موسى النبي أنه «تشدد كأنه يرى من لا يرى» (عب١١: ٢٧).

٤ - وأيضا عندما تصلّون اشتكوا من أنفسكم مرارا قائلين: "أيها الرب إلهنا المبارك، لماذا عشت كل هذا الزمان في الجهل بك؟ فمنذ حداثتي لم أعلم أنك أنت الذي صورتني في بطن أمي (أي٣١: ١٥)، وأنك أنت الذي غذيتني بكل طريقة، وأن نسـمة حيـاتي كانت في يديك دون أن أعلم"! ومن ثم فإنك ستسأله على الفور عما تكـون مشـيئته الكلية لكيما يمنحك أن تتممها، وحسب وصيته تحبه «من كل قلبك ومن كل نفسـك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك» (لو١٠: ٢٧). وستطلبون منـه أيضا ثمار الروح القدس، لكيما يهبنا طريقة اكتسا ا، سواء كانت الطهارة الجسـدية أو طهارة القلب أو الرحمة أو الصلاح ...

❁☆✞☆❁

العظة السابعة

هذه هي التعاليم التي نطق بها أبونا القديس أورسيزيوس عن الأمور التي كانت تسبب له ضيقًا، وعن ذلك الأمر الذي هو الصداقـة

❑❁❖❁❑

١ - إنني أميل إلى الكلام بسبب حزن قلبي، ولكنني أيضا أميل إلى السكوت بسبب نقائصي التي تدينني. ميول قلبي العاطفية تدفعني بانزعاج إلى الكلام، ولكن عيوبي تقـف في طريقي محفزةً إياي إلى السكوت. فالأفضل لي أن أتكلم عن أن أظل ساكتا، فسأتكلم عن عظمة الرهبنة التي أُحط من قدرها.

٢ – أيتها الرهبنة، ا ضي وابكي على ذاتك. ا ضي وابكي على زيك الذي يستحق

الاحترام، الذي سيمزقه الذين هم في منـزلة الخنازير والبغال! أيتها الرهبنـة، امضـي وابكي على أبنائك الصغار الذين نجسوا بتوليتهم وعلى شبانك الذين فقـدوها مثلـهم. امضي وابكي على عظمائك الذين كانوا مرةً عظماء وممجدين في زيك، ولكن ها هـم على وشك أن يموتوا موتا مرعبا بسبب جمال الأطفال الصغار الذين أغووهم! امضـي وابكي على الذين يأتون إلينا لئلاّ يقعوا هم أيضا في الشرك مع الذين صاروا عثرةً لهم!

٣ - أيها الإنسان، ابتعد عمن هم أصغر منك، وأنت تفلت من كل شدة وكل محنة وكل تجربة وكل مرض هنا وفي الحياة الأخرى. فإن كل انحراف عن الحق وكـل شـر وكل خطية وكل قلة حياء وكل عمى إنما هي من نصيب ذاك الذي يبحث عمن هـو أصغر منه. ومن ناحية أخرى، كل ما هو حق وكل ما هو ملائم وكل ما هو صالح وكل بركة وكل فضيلة وكل فرح في الروح وكل محبة وكل رحمة، ومشيئة الله والرب يسوع ابن الله، تكون كلها على رأس ذاك الذي يبتعد عمن يتوق إليه.

٤ - يا للصداقة الشريرة المكروهة من الله وملائكته! يا للقهقهة الأثيمة التي لها مذاق المر! يا لكِ من ملعونة أيتها الصداقة التي أتكلم عنها والتي سيتبعها غضب الله! يا للصداقة الشريرة التي ضحكها إنما هو خراب حياة ليس العظماء فحسب؛ بـل أيضـا الكهنـة والرؤساء والرئيسات، هؤلاء الذين تمجدوا في زيهم الفاخر وكلام أفواههم!

٥ - أناشدك، يا أخي، أمام الله أن تبتعد عن الصداقة الشريرة. ولكن ربما تقـول: 'إنك بذلك تعلّمني العداوة'. كلاّ، بل بالعكس، فكن في سلام مع قريبك من أجـل الله والوصية. ولكنك تنعم النظر في هذا الطريق وذاك بقلق. فأنت تراقب حتى تجد اللحظـة المناسبة، ثم تعطيه ما هو مخبأ في هدب ثوبك الداخلي، حتى يسـكب الله أيضـا هـو ومسيحه غضبهما وسخطهما عليك وعليه. وحينئذ لن توجد لك وسيلة لكي تسلك ا هذا الطريق وذاك. حقًا أيها الغبي، إن لم يوجد خزي في صداقتك، فلماذا أنت خجـل وخائف من أن تتكلم معه علانيةً؟!

٦ - يا لكِ من صداقة شريرة! يا للمرارة بلا حلاوة! يا للمرض غير القابـل للشـفاء! أقصد ذاك الذي يحب واحدا أصغر منه. يا له من أب ذاك الذي يحتمل واحدا يقـول لـه: "هذا هو ابني"، ويلهو بموته هو! أقصد ذاك الذي يرغب أن يفسد بتوليته. يا له من أخ ذاك الذي لا يذهب لمعونة ذاك الذي يقول عنه: "هذا هو أخي"، عندما يراه يشق طريقـه إلى عتبة الموت، وهو ليس فقط لا يعلمه شيئًا؛ بل يضحك ويفرح لخراب حياته! ماذا أقول، أو ما الذي لا أقوله بخصوص تلك المحبة المؤذية؟ أقصد الذين كانوا بالأمس متبـاهين وكـانوا

يوجهون غيرهم، والذين هم الآن متصلّبون مثل الغنم في هذا الجرب الأشر خبثًا. أم يجب أن أتكلم عن الذين لم يتشوهوا بعد ـذا الجرب الخبيث وتلك الحكّة؟

٧ - ربما تظنون أيها الإخوة، أن ورطة مثل هذه الصداقة أمر سهل. فليتحقق مـن يتجاهل هذه الورطة أ ا ورطة جهنم مع عقوبا ا حتى لا ينجذب إلى صداقات شـريرة بتعبير الأطفال الصغار، وسلوكهم الذي بلا حياء، وتغيير منظر عيو م الشريرة، وبريـق وجوههم، وطقطقة أقدامهم، وشراهتهم المعتادة. بل بالعكس، فلا تنتبهوا إلى سـلوكهم الشرير. أيها الأخ، تذكر أن هذا الجمال الخادع سيعبر ويفنى في الأرض، أما أنت، فـإن بلوى عظيمة ستحل بك لأنك ذقت ذلك العسل الذي مرارته أعظم من أي شيء!

٨ - دعونا نفكر، يا إخوتي، في الوقت الذي يمر بنا سريعا. دعونا ألاّ نبدده في تلك المسرات الخادعة. بل بالعكس، دعونا نتذكّر آباءنا الذين كانوا ثـابتين علـى مـدى وجودهم دون أن يخضعوا لتلك المسرات الشريرة. دعونا نفكر، يا إخوتي، أن الدينونة لا بد أن تتم بأي حال. فإذا مات إنسان في شبابه، فإنني أومن أنه لن يفلت مـن الانتـهار التالي: "إن كنت في مثل هذا العمر قد عشت في تلك الخطايا، فماذا كانـت سـتكون أرجاسك لو كنت عشت وقتا طويلاً"؟ هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى، إذا متنـا بعد عمر طويل دون أن ننبذ الخطية، فإن التوبيخ التالي الذي سيوجه إليناهو: "بعد هذا العمر الطويل لم تنبذ الخطية"! فأي خزي سيكون لنا نحن الذين لم ننبذ الخطية، هذا الميل الوجداني المؤذي والحقير ...؟!

٩ - ... اعلموا أنكم قد ضللتم في حياتكم البشرية هذه. إذن، فلا تنسبوا ضلالكم لذاك الذي يدعوكم إلى الحياة، لا تنسبوا جهالتكم لذاك الذي يقودكم إلى النـور، ذاك الذي يوقظكم من النعاس، لا تنسبوا له جهالتكم، لا تنسبوا سـقوطكم لـذاك الـذي ينتهركم. إنه هو الذي انتشلكم من حمأة الطين، فلا تنغرسوا في الطين بأنفسكم. فـإذ تجعلوه مثلكم تلقون عليه بصداقتكم العفنة. بل بالحري انصتوا لي، فإنني سأخلق عـداوةً وحاجزا بين صداقتكم وصداقته.

١٠ - يخرج البعض من طوق صداقتكم بوجه سوي، وهم يلبسـون عصـابة حـول وجوههم، ويجعلون هذا الشيء الأسود على عيو م متظاهرين بالمرض، ولهم حلقات بـلا عدد مربوطة بمناديلهم، وعلى مناطقهم أهداب ترفرف خلفهم، ومثل عجـول تمـرح في حظيرة. وكثيرا ما يستحمون وهم عرايا بدون ضرورة، ويلبسون أحذيةً ناعمةً في أقدامهم: «خرجت بكبرياء في شهوات نفسها» (إر٢: ٢٤ حسب النص)، إ م يتبختـرون وسـط

الجماعة، ويدنون من صديقهم بضحك صاخب، مثل ضوضاء أغصان شائكة تقرقع تحـت آنية الطبخ. إ م يبنون بأنفسهم فجوات، ويتبنون عادات الغربان والنسور في العالم مساوين أنفسهم م في طعامهم: اللحم الميت ولحم الطرائد المنتن. إ م يملأون فجوا م بكل نوع من التعدي، وتتحقق فيهم كلمة النبي: «الموت طلع إلى كوانا» (إر٩: ٢٠). وأحيانا أيضا ينتشر الكلام بأن الأكبر سيأتي لكي يفحص الفجوات التي وجدت عليها رجاسات إسرائيل، إ ا تسرع بلا نظام لكي تنتزعهم من الفجوات وتدفنهم في الأرض أو تلقي م في مكان آخر، ثم يدعون الناس ليدخلوا وينالوا الإكرام. فمن ذا الذي يسر ذه اللحظة؟ إ م أولئك الذين يعيشون حياة الزهد. ومن ذا الذي يضحك عليهم؟ أولئك الذين يتملك علـيهم الخـوف بسبب التعديات التي ارتكبوها أو اكتشف أ ا أعمالهم. من ذا الذي يكـون بـين الـذين يضحكون عليكم؟ أولئك الذين يحفظون وصايا آبائهم، الذين هم مرتبطون معا في الإيمـان ويسلكون وهم متألقون بالثقة في المسيح.

١١ - هذه، إذن، هي طبيعة صداقتكم. فتعلّموا عما تشبهه صداقة أولئك التي مـن السماء. فإ م أولاً يلتصقون بالذين يضبطون بطو م، الممتلئين بالمعرفة، الـذين تعلّمـوا الفطنة والكاملين والمحبوبين، والمتشوقين للإنصات بانتباه، الثابتين في الإيمان ذه الشركة، الذين يطلبون السلام والطهارة، الذين لا يدينون أحدا، الذين لا يفرحون لسـقوط أي إنسان، الذين لا ينقلون مشاعر أي إنسان نحو رفقائه، والذين لا يسايرون الظروف حتى يتجنبوا تجارب الضيقات، بل يثابرون على عمل ما هو مقبول لدى الله.

١٢ - والآن، أيها الإنسان المتغافل، ارجع إلى أعماق الألوهية، اسلك في هـذه ولا تكف عن تلك، كبل نفسك بقيود الحياة لكي ترجع نفسك إلى راحتها (مز١١٦: ٧). كُف عن كراهية الأبرار وإثارة المرارة في الناس الموقرين الذين انفصلت عنهم ذا الكلام. «لا يوجد الخطاة في مجمع الأبرار» (مز١: ٥)، فإن تعلّمت الحديث المتواضـع تكـون ملاطفًا لإخوتك، وإذا نبذت فظاظة عصيانك يسر بك المسئولون عنك. كُف عن ضرب إخوتك بسيف لسانك، استبعد من نفسك ما قاله إرميا النبي: «لسا م سهم قتـال ... كلام أفواههم فخاخ» (إر٩: ٨ حسب النص). فعندما تكون متغـافلاً تسـقط مثـل الأوراق لأنه ينقصك التوجيه.

١٣ - فانبذوا الخطية. إننا ربما بتعليمكم نكون «مثل الذي يجبر إناءً من خـزف، أو كمن يوقظ مستغرقًا في نومه» (سيراخ٢٢: ٩). تيقظ حتى لا تدرج بـين الـذين ... (الباقي مفقود).

توجيهات أنبا أورسيزيوس(❖)

١ - ... ولكن أيضا عيونهم سوف تسقط عند أقدامهم، وألسنتهم ستجف في أفواههم(١٦).

٢ - وبناءً على ذلك أيها الإخوة، فلنعلم بتأكيد أن هذه ليست مجرد كلمات أو اصطلاحات، بل إنها أمور لابد أن تحدث. فلنخف بكل قوتنا لئلاّ نكون بأي طريقة عثرةً في المكان الذي يجتمع فيه اثنان أو ثلاثة باسم يسوع؛ لأنه يكون معهم وفي وسطهم كما قال.

لقد سمعنا من قبل في الإنجيل عن عقوبات الرب العظيمة، مثل تلك التي أُنزلت على ذاك الذي دعي إلى العرس، فرغم أنه دخل أيضا وأجلس نفسه بين الآخرين، إلاّ أنه لما وجد غير لابس لباس العرس، لم يتردد الملك في جعله يربط من يديه ورجليه ويطرح في الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. دعونا إذن ننتبه إلى صرير الأسنان التي يرثَى لها لنكتشف طبيعتها، خاصةً وأنها دائمة، كما أن ألم الظلمة هو إلى الأبد.

٣ - دعونا نعتبر أيضا بانتباه من الخمس العذارى الجاهلات. فإنهن حملن مصابيحهن وأتين أيضا مع العذارى الحكيمات، في انتظار العريس حتى منتصف الليل. ومع ذلك فقد أُغلق الباب لهن وسمعن الرب يقول لهن: «إني ما أعرفكن» «من أين أنتم» (مت٢٥: ١٢؛ لو١٣: ٢٥). آه يا للحسرة، يا للأسف الذي بلا نهاية! لأنه بعد أن بقين مع زميلاتهن العذارى الحكيمات حتى منتصف الليل، سمح لأخواتهن بالدخول إلى وليمة العرس بينما رفضهن من الدخول.

٤ - فلتكن فينا المخافة من كلمات الله، دعونا نستيقظ من نوم الهلاك والموت الأبدي. دعونا ألاّ نوجد في شهوات الجسد وملذات هذا الدهر. ليت أبا الرب يسوع لا يقطعنا من الكرمة، ليتنا لا نكون حكماء في أعين أنفسنا، دعونا لا ننقض إحدى وصاياه الصغرى، دعونا لا ندعى "الأصغر". دعونا كلنا نثبت في الكرمة الحقيقية حتى لا نطرح بعيدا كغصن فنجف ونطرح في النار فنحترق، لأنه إذا طُرح غصن من الكرمة فأين سيكون مصيره؟ أليس هذا صحيحا أن كرمة الرب ليست لهذا الدهر فقط؟ أليس أن الرب هو أيضا إلى انقضاء الدهور؟ فيسوع هو الرب... (ناقص هنا ١٢ سطرا).

(❖) SBO, Vol. 2, p. 197.

(١٦) هكذا جاءت البداية مبتورة، فلا يعرف ما كان يتكلم عنه. أما الجملة المذكورة فهي مقتبسة من الآية: «عيونهم تذوب في أوقابها ولسانهم يذوب في فمهم» (زك١٤: ١٢).

٥ - ... كل هذا لا بد آتٍ، «لأنه لا بد أننا جميعا نظهر أمام كرسي المسيح لينـال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا» (٢كو٥: ١٠)، لكيمـا نعمل إرادة الله في كل تصرفاتنا، حتى نتحاشى الفخـاخ والعقـاب العظـيم الأبـدي والعذابات الرهيبة، ونرث بالحري «ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر علـى بـال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢: ٩).

٦ - لذلك، فلنحترس لأنفسنا في كل شيء. ولننتبه بتدقيق لقوانين الصلاة بمخافـة للرب تليق به، سواء في الاجتماع أو في الست قطع أو في بيوتنا أو في أي مكان سواء في الحقول أو في الدير. فحيثما نكون، حتى أثناء السير في الطريق، يجب أن نصلّي لله بكـل قلوبنا جاعلين انتباهنا في الصلاة فقط، وأيدينا مبسوطة على مثال الصـليب، نـاطقين بالصلاة (الربانية) المدونة في الإنجيل بينما تكون عيون قلوبنا وأجسادنا مرفوعةً نحو الرب كما هو مكتوب: «إليك رفعت عيني يا ساكنا في السموات، فها هما مثل عيون العبيـد إلى أيدي ساد م» (مز١٢٣: ١و٢).

٧ - في بداية صلواتنا فلنرشم أنفسنا بختم المعمودية. فلنرسم علامة الصليب علـى جباهنا مثلما كان في يوم معموديتنا، كما هو مكتوب في حزقيال النبي: «وقال لي الرب: اعبر في وسط المدينة في وسط أورشليم وسِم سِمة على جباه الرجـال الـذين يئنـون ويتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة في وسطها» (حز٩:٤). دعونا أولاً ألاّ نخفض أيدينا إلى أفواهنا أو إلى لحُانا، بل فلنرفعها إلى جباهنا قائلين في قلوبنا: 'لقد رشمنا أنفسنا بالختم'. إنه ليس مثل ختم المعمودية؛ ولكن علامة الصليب قد اقتفي أثرها على جبهـة كل واحد منا في يوم معموديتنا.

٨ - عندما تعطَى الإشارة للصلاة فلننهض بدون إبطاء، وعندما تعطَـى الإشـارة للركوع فلنسجد على الفور مقدمين العبادة للرب، راشمين أنفسنا قبل الركوع. وحالمـا نسجد بوجوهنا دعونا نبكي في قلوبنا على خطايانا كما هو مكتوب: «هلـم نسـجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا» (مز٩٥: ٦). ولا يرفع أحد قط رأسه عند سـجوده، لأنه يدل بذلك على نقص شديد في المخافة والمعرفة.

٩ - وعندما ننهض ثانيةً فلنرشم أنفسنا، وبعد أن نقول صلاة الإنجيل، دعونا نتضرع قائلين: "يا رب، اغرس مخافتك في قلوبنا حتى نعمل من أجل الحياة الأبدية ونمسك بك بمخافة". وليقل كل واحد منا في قلبه بتنهد داخلي: «من الخطايا المستترة يا رب طهرني ومن الغرباء احفظ عبدك حتى لا يتسلطوا علي، فحينئذ أكون بلا عيب وأتنقّى من خطية

عظيمة» (مز١٩: ١٢و١٣)، و«قلبا نقيا أخلقه في يا الله، وروحا مستقيما جدده في أحشائي» (مز٥١: ١٠).

١٠ - عندما تعطَى لنا الإشارة للجلوس، فلنرشم أنفسنا ثانيةً على الجباه بإشارة الصليب، ثم دعونا نجلس بكل انتباه من القلب والآذان إلى الكلمات المقدسة التي تتلَى علينا وفقًا لما أُمرنا به في الكتب المقدسة: «يا بني خف من كلامي، وإذ تقبله اصنع توبةً» (أم٣٠: ١ سبعينية). وأيضا: «يا بني اصغ إلى حكمتي، أمل أذنك إلى فهمي» (أم ٥:١).

١١ - لا يتطلّع أحد في وجه أي واحد أثناء الاجتماع بغير ضرورة، فإنّ من ينظر في وجه جاره بغير ضرورة يثير الضحك على الوجه عادةً أو الابتسام، وهذا لا يؤدي إلى أي نفع بل بالحري يسبب السخط. من ثمّ فلنحترس لأنفسنا ضد كل ما هو ضار لأرواحنا. «لنرفع قلوبنا على أيدينا إلى الله في السموات» (مرا ٣: ٤١)، مصلّين بكل قلوبنا ومتممين الكلمة: «اذبح لله حمدا وأوف العلي نذورك، وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني» (مز٥٠:١٤و١٥). ولا يقُل أي واحد إذن: "ليست لي دالة كافية أمام الرب لكي أصرخ إليه لأنني إنسان مهمل".

١٢ - دعونا نتأمل رحمة الله العظيمة في الكتاب المقدس: الابن الذي بدد ماله في الفسق ورجع بكل قلبه إلى أبيه، وبكل اتضاع قال له: «لست مستحقًا بعد أن أُدعى لك ابنا» (لو ١٥:١٩)، ولننظر كيف عاملته رحمة الله! والعشار الذي قرع صدره وهو لا يتجاسر أن يرفع عينيه نحو السماء، وقد عاد إلى بيته مبررا من الرب. (لو١٨:١٣و١٤). وداود في ما حدث له بخصوص بثشبع وأوريا الذي تسبب في موته. (٢صم١١و١٢). والرسول العظيم بطرس، بعد أن أنكر الرب ثلاث مرات! فبفضل غفران الله ورحمته يتنعمون جميعا إلى الأبد بنعمة الملكوت السماوي في أعالي مجد الله. دعونا نثق نحن أيضا، بناءً على ذلك، في رحمة الله الغزيرة، ولنصرخ إليه بكل قلوبنا في كل لحظة.

١٣ - بعد الانصراف من الاجتماع، دعونا نستمر في التلاوة حتى نصل إلى بيوتنا. وليمتنع كل واحد عن الكلام مع قريبه عند تركه للاجتماع، حتى ولو كان من أجل أمور متعلقة با مع، فلننتظر إلى أن نصل إلى بيوتنا، ملاحظين وصايا الحياة.

١٤ - بخصوص سر خلاصنا (أي الإفخارستيا)، عندما ندعى له، دعونا نستعد بمخافة عظيمة. دعونا نتوسل إلى الرب بكل قلوبنا وكل أفكارنا أن يجعلنا مستحقين لهذه الهبة العظيمة وأن ينعش فينا ما يرضي الله، دعونا نسلم أنفسنا بالجسد والنفس والروح

لإرادته، واثقين في كلمة المخلص: «لأن جسدي مأكلٌ حق ودمي مشرب حـق، مـن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه» (يو٦:٥٥و٥٦). فلنتناول السر بشـكر، ولنرجع إلى بيوتنا بفرح ومسرة، دون أن يكون في كل سلوكنا عثرةٌ لأي واحد يرانـا، سواء كان إكليريكيا أو رجلاً آخر لكي يعطوا ا د لله إذ يعاينون فينا كل المعرفة معلنـةً في التقوى التي نكتسي ا بالحق. ولنلازم التلاوة أيضا في ذهابنا وإيابنا من الاجتماع.

١٥ - يجب أن نحسبه أمرا مستهجنا أن ننساق في الكلام ليس فقط مع الغرباء بـل وأيضا مع إخوتنا أنفسهم، وكذلك ارتفاع الصوت أثناء الحديث، لأن هذا هو سـبيل العاطلين والذين لا يبالون بحرارة نفوسهم. أما نحن، فعلى النقيض من ذلك، فلنأخذ كلمة الله كغذاء لحياتنا كما هو مكتوب: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت ٤: ٤).

١٦ - لنكن أغنياء في النصوص المحفوظة عن ظهر قلب، فليحفظ الذي ليسـت لديـه مقدرة كبيرة على الحفظ عشر قطع على الأقل بالإضافة إلى قطعة من المزامير. والذي لا يتلو في الليل، فليتلُ عشرة مزامير أو خمسة مع فصل من النصوص التي يحفظها عن ظهر قلب.

١٧ - إذا ض أحد بالليل من أجل التلاوة، وظلّ الآخر الذي معه في القلاية نائمـا وعاجزا عن القيام للتلاوة الليلية، فعلى الذي ض مستيقظًا - ولم يكن للنوم تسلطٌ عليه لأنه مهتم وحريص على نفسه وعلاقته بالله - فعليه أن يخرج خارج باب القلاية ويقرع على الحصيرة، داعيا النعسان أن ينهض ويتلو، حتى يمكنه أن يتلو مزاميره وقطع النصوص المحفوظة غيبا قبل إشارة الاجتماع. فإذا ظلّ أيضا غير قادر على الاستيقاظ فليناده باسمه ويظلّ واقفًا خارج الحصيرة حتى يقوم. أما إذا استيقظ ورفض القيام والتلاوة، وليس هو في خطر بسبب مرض مميت، بل على العكس قوي أمام الله ولكنه كسلان، فلتكن اللعنة المذكورة في الكتب المقدسة ضد الكسولين من نصيبه.

١٨ - أما بخصوص ذاك الكسول أيضا في أعماله المنظورة، فإذا لم يعمل بكل قوته لكي يكتسب، بأتعابه الخاصة، طعامه ولباسه وكل ما يحتاج إليه جسده، وذلك لكي يجـد مـن يسدد مصاريفه في كل الأوقات، سواء في الصحة أو في المرض أو الشيخوخة، والخبز ربما لا زال يوجد له، وربما يوضع في بيت الضيافة عند البواب؛ فإذا استمر على العكس من ذلـك يأكل من تعب إخوته ويلبس مما تحصلوا عليه بشجاعتهم وكرم بنو م؛ فحتى لو كان طفلاً بريئًا من الخطية ولكنه شغوف بالكسل، فهو سيصير في الدهر الآتي مثل ابن لأمير عظيم نبيل

من أمراء العالم الذي يتمتع أبوه وجميع إخوته بمجد الغنى وملذّاته والكرامات اللائقة بمركـز أبيهم كحاكم أو أحد النبلاء، بينما يوجد هو راقدا في مذلّة الفقر المدقع، وعلى كتفيه خزي ملابس الشحاذ وخجله الذي يتخلله ويستحوذ عليه. الكل ينظر إلى أخيه متربعا على عرش الحكم، أما هو فيرونه في نفس مكانه كمتسول. هذا هو الحال الذي سيتطلّع إليه القديسون والملائكة نحو الكسول في الدهر الآتي. حتى ولو كان بارا وفي موضع السعادة الأبديـة وفي نعيم ملكوت السماء، فهو يكون هناك مثل متسول.

١٩ - فلنحترس إذن من الكسل في كل شيء، وأولاً، دعونا جميعا لأجل الله ننـتج ثمارا من ثمار الروح القدس، ثم بعد ذلك ثمارا من تلك التي يحتاجها الجسد. أما ثمار الروح القدس التي يجب أن يعرفها الإنسان، فإنه يقتنيها بواسطة تغيير حياته والتنهـدات علـى تهاونه الكثير الذي اقترفه، واضعا مخافة الله في داخله ومؤمنا أن كل الكـلام المـدون في الكتب المقدسة لا بد أن يتم. فلا يطرح هذه الكلمات خلفه مثلما يفعل طاغيةٌ ظـالم في هذا العالم أو إنسان شرير أو لص، أولئك الذين طرحوا عنهم كليةً خوف الموت لكـي يتبعوا نزواتهم التي ستقودهم إلى الهلاك، وحينئذ يقبض الموت عليهم. إنه لمن المسـتحيل التخلص من قبضته حتى ولو طرحنا عنا خوفه، لأنه توجد كلمة من فم الله: «يوم تأكل من هذه الشجرة موتا تموت» (تك٢:١٧). كذلك كل الكلمات الأخرى التي نطق بهـا الله بواسطة قديسه (أنبا باخوميوس)، لابد أن تتم جميعا ولا يستثنى منها أحد.

من ثمّ يا أحبائي، دعونا نخاف الله وننأى بأنفسنا عن أعمال اللعنة، ونكتسي بتلـك التي للبركة، حتى نجد دالّةً في دهر الدهور الآتي الذي بلا انقضاء، آمين.

٢٠ - ومرةً أخرى، عند جلوسنا في المجمع دعونا نجلس باحتشام، ولنضـم ثيابنـا حولنا لكي تغطي أرجلنا. ولا نكن محبين لاستطلاع كل ما حولنا أثناء الاجتمـاع، ولا نتطلّع إلى الرهبان الغرباء أو إلى أي واحد آخر. ودعونا أيضا ألاّ نطأ بأقدامنا السـمار المبلل الموضوع أمام الإخوة عندما نأتي إلى مقاعدنا.

٢١ - كل ما هو نافع للتقوى ولم نتكلم عنه هنا، فلنعلم ا بعضنا بعضا. ولنثقف بعضـنا بعضا بتعليم إلهنا ومخلصنا المسيح يسوع ربنا، الذي له المجد والقوة إلى الأبد آمين.

٢٢ - نصائح للمدبرين[١٧]: فليعكف كل واحد منا، إذن، على العمل الذي حدد

(١٧) المدبرون هم غالبا رؤساء البيوت المكلفون بمسئوليات خاصة في الخدمة الأسبوعية، ويبدو أن هذه التعليمات والأنظمة كانت موجهة إليهم.

له جيدا وبكل عناية في مخافة الله. ليعتن المدبرون بكل شيء له صلة بخدمتهم حتى لا يتلف أي شيء منها. وليهتموا لئلاّ، عن طريق السهو، يفسد الخبز المنقوع في الماء، أو بسبب الكسل يعملون ماء التخليل ليومين في وقت واحد، بل بالحري يعملون ما يكفي ليوم واحد حتى لا يبقى فائضا أكثر من طاسة لماء التخليل. وليحرصوا أيضا ألاّ ينقعوا كميةً من البلح أكثر من اللازم لأجل عمل عصير البلح بوفرة تكفي ليومين أو ثلاثة في وقت واحد مما يجعل طعم البلح حامضا. وليحرصوا ألاّ يغلوا كميةً من الترمس زيادة عن حاجة أسبوع في وقت واحد، وليهتموا بغسل الترمس مرةً أو مرتين كل يوم، بل وإن أمكن فليتركوا الماء يجري فوقه باستمرار حتى لا يوجد أي أثر لرائحة المياه النتنة عندما يأكل منه الإخوة. كذلك فليعتنوا ألاّ تفسد كمية كبيرة من الخضروات أو تتحطم بسبب الإهمال أي أطباق ولا حتى طاسة صغيرة. وبالاختصار، يجب علينا أن ننتبه إلى كل شيء بإيمان، لأن الأشياء الخاصة بمجمع الشركة ليست أشياء جسدانية مثل تلك التي للعالم.

٢٣ - بخصوص مدبري المطبخ: دعهم يهتمون بالبواب بمظهر مبهج وكلام متزن، فكل ما يعطون له يعطونه بسرور. وكل ما يطبخونه للإخوة فليكن مطهيا بعناية شديدة بمخافة الرب. وليطبخوا كل شيء بطريقة سليمة سواء كان على النار المباشرة أو على الموقد. وليحرصوا ألاّ يحرقوا حطبا أكثر من اللازم، فيكفي ثلاث قطع من جذوع الشجر في المرة الواحدة حسب الوصية. ولا يلقون حطبا بكثرة على النار: فعلى الأكثر ملء قبضتين. وعلى كل من يشعل نارا، مهما كانت، أن يفعل هكذا. وبالمثل، عليهم ألاّ يتركوا جذوع الشجر تحترق في الموقد حتى تكف عن الاشتعال، بل عليهم أن يضيفوا قطعا أصغر إلى الجذوع حتى يتجنبوا الدخان. ويجب أن يجمعوا الجمر معا في الموقد حتى لا يتبعثر، ويغطونه بالجُلّة الجافة أو أي شيء آخر، لكيما يلين بالتدريج أي شيء يوضع على الموقد سواء كان قمحا أو عدسا، لأن اللهيب الزائد في البداية يمنع تليينه جيدا. وبذلك، فعندما يفتحون قاع الموقد يجدون كل الجمرات جاهزةً عند الحاجة إليها، وكل ما نحتاج إلى خبزه يخبز جيدا. ودعهم يحركون الجمرات المشتعلة بسرعة وعناية عندما يزداد اشتعال النار. ولتكن القدور مرصوصةً جنبا إلى جنب حتى يمكن للجمرات التي تحتها أن تتوهج.

٢٤ - بخصوص الذين يعتنون بالمرضى: هؤلاء فليفعلوا أيضا بالمثل عندما يخبزون ما يحتاج إليه الإخوة المرضى الذين يجب أن يعتنوا بهم بكل شفقة.

٢٥ - كل من تعين في عمل من هذا النوع، بمن فيهم الذي يوزع الماء ويضخه لأجل

الإخوة، عليه أن يغسل يديه قبل أن يستقي الماء. ويجب أن يغسل الأباريق أيضا جيدا حسب الوصية مرتين في الأسبوع، في يومي الصوم. أما بخصوص الحوض فعليه أن يغسله مرةً كـل أسبوع. ويجب أن يرج الأباريق بالماء ويفرغها كل يوم قبل أن يستقي الماء من البئر.

٢٦ - وينبغي على المدبرين أيضا ألاّ يسمحوا بتغافل بترك غلاّية أو أي شيء آخـر على النار بدون ماء أو بدون تقليبها فتتلف، بما في ذلك ... (هنا جزء مفقود من النص).

٢٧ - ... ادفع ثمنا للشيء كما يطلَب منك. إنني أقول ذلك بإخلاص، حتى أنكـم إذا فعلتم كما أقول لكم بإيمان وبدون محاباة لأشخاص، فإن الله سوف يفـتح كنـوز خيراته - أعني سماءه - حتى تتحقق لنا كلمته المكتوبة: «تتحول إليك ثـروة البحـر ويأتي إليك غنى الأمم» (إش٦٠: ٥)، وأيضا «الذين لا يضعون رجاءهم في البشر يمتلئون فرحا» (إش٢٩:١٩ سبعينية).

٢٨ - وينبغي عليكم أيضا ألاّ تبيعوا أو تشتروا أو تعملوا شيئًا، صغيرا كان أم كبيرا، بدون إذن رئيس الدير و ... (بعض سطور مفقودة).

٢٩ - اجعلوا كل شيء، صغيرا أو كبيرا، يكون مسجلاً عند المدبر بوضوح وجلاء، لكي يتمجد اسم الله في كل شيء نقوم به. نفّذوا هذه الأمور بكل دقة حتى لا يعترينـا الخجل إذا ما اطّلع أي واحد عليها. فليقل كل واحد منا عندما نعمل أي شيء كبير أو صغير ... (بعض سطور مفقودة).

... بواسطة مدبر المطبخ ورئيس الدير، وكذلك أيضا الخادم الأسبوعي وذاك الذي يهتم بالماشية والخنازير، وذاك الذي يعمل في المزرعة وفي أي مكان آخر بما يتفق مع دعوتنا.

٣٠ - لا يدع أحد منكم أي شيء يتلف بسبب إهماله، عالمًا أن هذا هو ثمـر تعـب آخرين أو كده هو شخصيا. هل من حقه أن ينفقه على نفسه أو يعطيه صدقةً لأجل نفسـه من أجل خلاصها؟ فإنه لا شيء يغيب عن نظر الله، ولا حتى فلسي الأرملة، أو كأس مـاء بارد. لقد قال إنسان عظيم مثل إبراهيم: «لا خيطًا ولا شراك نعل» (تك١٤: ٢٣). وعندما كلم الرب موسى من وسط النار ونطق بما أراد أن يضعه من شرائع لبني إسرائيل - الـذي استطاع أن يميز الصوت الآتي من داخل النار - فقد أعطاهم أنظمة لكل شيء، بما في ذلك الحيوان الذي يمزقه وحش ضارٍ إلى قطع أو ينطحه ثور.

٣١ – وبناءً على ذلك، ها أنتم قد تعلّمتم أننا في الحقيقة سوف نسأل عـن كـل عمل. فلا نكن متغافلين في أي من تلك الأعمال، لأن أعمال التدبير إنما هي توجيهـات

تصدر من عند الله، ونحن نعلم أن الرحمة ستحلّ علينا بسبب اهتمامنا بأمور الإخوة.

٣٢ - ... بقساوة قلب ووحشية من هذا النوع: 'إننا قادرون أن نحسم أمـرا'، أو 'لقد قرر هو ذلك بسبب حكمتنا أو شجاعتنا'. يا لغباوتنا! فإذا كنا قادرين، أو كانت لدينا الحكمة لأن نحسم أمرا خارجا عن قلوبنا أو أجسادنا، فلنتحكم في قلوبنا وأجسادنا لكي نحضر أنفسنا أمام كرسي دينونة الله بلا عيب في الجسد أو النفس أو الروح. وأنـا أشير إلى من يمسهم هذا الأمر.

٣٣ - فلنكن حازمين مع أنفسنا، كبيرا أو صغيرا، لكيمـا نتجنـب أي ازدراء أو قساوة، كل واحد في عمله، سواء في الفكر ... بل على العكس، فلنعط الحمد لله الـذي يعرف كل الأمور قبل حدوثها ويتحكّم فيها بواسطة ملائكته الأشداء وبواسطة البشر.

٣٤ - عن كيفية التصرف أثناء الحصاد: ليت إله إبراهيم وإسحق ويعقوب وإلـه الأب (أي أنبا باخوميوس) يباركنا كلنا معا. نود أن نذكركم بكيفية التصـرف أثنـاء الحصاد ودرس الحنطة حتى لا يوجد تغافل حسب ناموس هذه الشركة.

٣٥ - على رئيس الدير أن يعين الشخص الذي يتقدم الإخوة المكلفين بالعمـل في الحصاد، ويكون هو المسئول عن خروج الإخوة للعمل وكذلك عن عودتهم في الوقـت المناسب. وكذلك أيضا عن المكان الذي يريد أن يعمل فيه الحصاد أو أي شـيء آخـر يختص بالعمل داخل الدير أو في الزراعة، بالاتفاق بين رئيس الدير ورئيس بيت المزارعين. ولا يسمح لأحد أن يعصاه في أية مهمة يحددها لكل واحد من الذين يرافقونه، بل لنقُم بأي عمل نكلف به بابتهاج وبدون تذمر، حتى ننال المكافأة أمام الله. وليحذر كل واحد من إثارة المشاجرات أثناء العمل ولا أحد يثرثر، بل بالحري فليعمل كل واحـد عملـه بمخافة الله بدون تفاخر أو تشاجر، حتى تحلّ علينا بركة الله ويبارك كل أعمال أيدينا.

٣٦ - لا يعط أحد ظهره لجاره تاركًا إياه خلفه وهو يحصد، بل بالعكس، إن كان ممكنا فلنكن جنبا إلى جنب مع إخوتنا في الحصاد. ولنحرس قلوبنا من التفاخر حسـب الجسد، لأن الله هو الذي يعطي القوة. فلنحرص أيضا من الازدراء بجارنا حتى لا نكون مثل الفريسي الذي ازدرى بالعشار ... (هنا صفحتان مفقودتان).

٣٧ - ... نحن الذين ورثنا نظام الشركة (الكينونيا) على الأرض، لعلنا نرث معهم فرح ملكوت السماء. من ثَم، فحتى لو كنا نعمل في أمور زائلة لكي نعـول الجسـد - وهو شيء ضروري - فلنكن حريصين ألاّ نجعل نفوسنا، التي هي أثمن من غذائنا، غريبةً

عن الحياة الأبدية بحجة ضرورة ستزول.

٣٨ - فلنتمم قوانين الصلاة، سواء تلك الخاصة با مع أو صلوات الست قطع، في ساعا ا المحددة طبقًا للوصية.

٣٩ - وصايا للمخبز: عن كيفية العمل في حجرة العجين: حينما يحين الوقت لعمـل كمية الخبز القليلة لأنفسنا، يجب علينا جميعا، الكبير والصغير، أن نقوم بعمل الخبز بمخافة الله وبانتباه شديد، بينما نتلو كلمة الله بوقار وبدون كبرياء أو افتخار أو محاباة للوجوه.

٤٠ – يجب علينا – ليس فقط الذي يجلس عند الألواح الخشبية - بل أيضـا نحـن جميعا العاملين في حجرة العجين، أن نعمل كل شيء نكلف به بطاعة. فليعمل كل واحد عمله بدون ثرثرة أو صياح. ولا ينبغي أن يضحك أحد على الإطلاق، حتى لا ينطبـق علينا توبيخ الكتاب: «للضحك يعملون وليمة» (جا١٠:١٩). وإذا احتاج أحد أن يسأل جاره سؤالاً فليفعل ذلك دوء بدون صياح.

٤١ - لا يأكل أحد، كبيرا أو صغيرا، قبل إعطاء الإشارة للأكل. وإذا شـاء أحـد الصغار أن يأكل، فلا يكن ذلك على الإطلاق في حجرة الفرن أو بين الإخوة الـذين لا يأكلون، بل بالحري فليعطَ له خبز وليذهب إلى موضع آخر ليأكل وحده. وبعد أن نقوم من على المائدة في وجبة الظهر، ينبغي ألاّ نأكل خبزا مرةً أخرى حتى ينصـرف مجمـع نصف النهار. وبعد انصرافه، فعلى الشخص المكلف بعمل الفطير أن يضع كمية كافيـة منه في سلّة ويضعها في مكان منعزل مع قليل من الملح النقي غير المخلوط بأي ملح آخر ولا حتى الملح المستعمل في بيت الضيافة. ويضعه بجانب سلّة الفطير حتى أنّ كل من شاء أن يأكل يمكنه أن يفعل ذلك. وينبغي على من يأكل ألاّ يختار قط من الفطير، بل فلنأخذ ما هو في متناول اليد منه، ولنأكله عند السلّة أو على المائدة عندما يلين الفطير. لـذلك، فليختر المسئول عن الفطير، بمحبة كاملة، الفطير الجيد والمخبوز حسنا الذي يضـعه في السلّة أو على المائدة. كذلك أيضا فليأخذ الواحد رغيفًا واحدا من الخبز ليأكله.

٤٢ - أثناء عملية العجين كلها، لا ينبغي على أي واحد، كبيرا كان أو صغيرا، بمن فيهم المريض، أن يشتهي أن يخبز لنفسه خبزا مختلفًا عما يأكله الإخوة. وحتى قطع الخبز الرقيق المحمص لا يأكله أحد وحده. وعلى رئيس ا مع أن ينتبه لهذا الأمر بنفسه، أو أن خادم المرضى عليه أن يضع في اعتباره إعداد بعض من الخبز المحمص لجميع المرضى الذين يجب أن يأكلوا منه بالتساوي. فإذا توفّر خبز محمص، فعلى الشخص المسئول عن الفطير

أن يحتفظ به ثم يسلمه للمصحة. وإذا أمكن أن تخبز أرغفة صغيرة بسرعة لإعطاء المرضى حصةً صغيرةً منفصلة منها أيضا، فلنخبزها جيدا بكمية تكفي لملء حوالي خمس سلال. وعلى المسئول عن الفطير أن يفرزها ويسلمها إلى المصحة. ولنخبزها حسب توجيهات رئيس المجمع الذي له وحده أن يقرر ما يجب عمله للترفيه عن المرضى. والشيء الذي يسمى "كولي" فقط هو اللذيذ. كما أن الفطير المخبوز جيدا بدقيق أبيض أفضل طعما من "الأوشكبشوتي" (نوع من الحلوى المخبوزة في الفرن)، لأن هذا الأخير أثقل على القلب (في الهضم).

٤٣ - بخصوص المكلف بالإشراف على الطحن، فليؤد ذلك الذين يتولّونه بمخافة الله بدون أي تراخٍ، عالمين أنه لا يضيع لإنسان عملٌ صالحٌ يعمله من أجل الله. بل على العكس، فإن أعمالنا الصالحة ستكون سبب راحة لنا جميعا في يوم الدينونة العظيم.

٤٤ – في وقت العجين، فليدع المشرف على حجرة العجين الذين تعينوا لهذه المهمة بالاتفاق مع رئيس الخبازين. وعليه أن يعين الذين سيعجنون والمسئولين عن تزويدهم بالماء. وعليه أن يوزع أجران العجين بعدل دون أن يتجاهل أحدا من القادرين على العجن. ويجب أن يعين الذين سيعجنون في الأجران بحسب ترتيب منازلهم، ولا يسمح لأحد أن يختار جرنه، ولنهتم نحن جميعا الذين في حجرة العجين بالتلاوة بدون صياح، بل بالهمس.

٤٥ - المسئول عن الدقيق عليه أن يكيله بالمكيال، وليضع كل واحد سلّة الدقيق الخاصة به بجانب جرن العجين الذي سيعجن فيه، وينتظر إلى أن يقرع رئيس الخبازين على أحد الأجران بيده أو يقول: ’اعجن‘. فلا يبدأ أحد في العجين أو يرفع العجين من الأجران إلاّ إذا قال رئيس الخبازين ذلك. ويجب ألاّ نعجن بدون تلاوة، فيمكننا أن نتلو أو نتوقف قليلاً للراحة، فإذا رغبنا في ذلك فيمكننا أن نتلو شيئًا في قلوبنا. وإذا احتجنا إلى قليل ماء فلنقرع على الجرن دون أن نقول شيئًا، وعلى المسئولين عن الإمداد بالماء أن يأتوا به سريعا. وعلى هؤلاء أيضا ألاّ يكفّوا عن التلاوة، وليكونوا حريصين ألاّ يتناثر منهم الماء على أقدام الذين يعجنون.

٤٦ - وعلى الذين يعجنون أن يضعوا الدقيق في جرن العجين برقّة حتى لا يتناثر غبار الدقيق، ولا يدعوا حافة السلّة تنغمس في الماء. ويجب أن يهتموا بكل غيرة أن يساووا الدقيق ولا يتركوا شيئًا منه في قاع الجرن، ولا يجعلوا العجين يلتصق بجوانب الجرن. ويجب ألاّ يعطوا العجين ماءً أكثر من اللازم ويجب ألاّ يكون العجين طريا جدا،

وإذا رفعوا رؤوسهم من فوق الجرن وتوقّفوا للحظة، فليتلوا (كلام الله) وهم واقفون باستقامة، ثم يستمرون في العجن حتى يأتي رئيس الخبازين لكي يوزع الخميرة عليهم.

٤٧ - وبعد أن ينتهوا من العجن، فليغسل كل واحد جرنه جيدا ويفرغ الماء في المكان الواجب صبه فيه لكي يأخذه راعي الخنازير. وبعد ذلك فليصلّوا - وينبغي أن ننتبه إلى الصلاة منذ البداية حسب القانون - وليرجعوا جميعا إلى مساكنهم وهم مداومون على التلاوة دون أن يكون قد تكلّم أحدهم في حجرة العجين، بل يكونوا بالعكس مراعين للوصية بكل رضى.

٤٨ - بخ**صوص الطعام** في **حجرة العجين**: يجب ألاّ يكون هناك طعام خاص لأي واحد يعمل في حجرة العجين، فليكن الطعام واحدا للجميع، للذين يخبزون وللمعينين لأي عمل، وذلك حسبما رتب منذ البداية أبونا أب الشركة الذي استأمنه الله على هذه الدعوة العظيمة. أما إذا كان الآباء الآخرون الذين جاءوا بعده قد وضعوا قوانين تسمح بطعام خاص للخبازين؛ فقد فعلوا ذلك على طريقة موسى النبي، كما تعلّمنا من الإنجيل الذي يقول: «إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا» (مت ١٩:٨). وإذا حدث، بسبب تعب قليل، أن افترق واحد عن أخيه وأكل طعاما مختلفًا عنه أكثر مما يفعل الذين يذهبون للحصاد أو إلى أي عمل آخر يتحملون فيه الحر؛ فلا نسمح للإخوة المكلفين لأي عمل آخر في ا مع أن يأكلوا مع هؤلاء، طالما أ م لم يصمدوا على احتمال الحرارة والعمل باجتهاد.

إن وحدة هذه الشركة هي على النقيض من ذلك، فهي تتكون من معيار واحد للجميع، وذلك كما فعل القديسون، فقد تقدم داود إلى الذين لم يذهبوا إلى الحرب وكلّمهم بسلام، معطيا لهم نصيبا من الغنائم مساويا لما أخذه الذين ذهبوا معه إلى الحرب. ولم يسمع للذين كانوا أشرارا وقالوا له: 'لا نقتسم معهم' (١صم٣٠: ٢١و٢٢). وقد علّمنا الرب هكذا في الإنجيل بواسطة المَثَل، حينما تذمر الذين احتملوا ثقل النهار والحر قائلين: "كيف ساويتنا بالذين عملوا ساعةً واحدةً"؟ فسمعوا هم أيضا التوبيخ القائل: «أم أن عينك شريرة لأني أنا صالح» (مت٢٠: ١١-١٥)؟!

٤٩ - لذلك، فهذا هو ما يجب عمله مع أي واحد يكون في احتياج، صغيرا كان أم كبيرا، طالما أنه قد كُلف بأي عمل في مجمعنا بحسب دعوتنا. إن كان أحد قد تضرر من الحرارة فوق الطاقة، فلينظر المسئولون في هذا الأمر، فإن كان هو حقًا غير قادر أن يأكل

خبزه على مائدة الإخوة فليخبرهم بذلك. ومتى كان متيقنا في قلبه أمام الله أنه ليس مستهينا، وأنه ليس راغبا في أن يكون مختلفًا عن إخوته بسبب أي عادة عنده، وأنه لا يرغب في التمتع بالجسديات - مثلما يحدث عندما نطلب نبيذًا أو طعاما خاصا - ولكن ذلك هو عن ضرورة واحتياج في هذه الحالة، فلنقُل هكذا بدالّة البنوة، وليؤتى إلينا بكل ما نحتاجه، حسبما هو متوفر وما جاد به الله لنا في ذلك الوقت. حتى ولو احتاج جميع الإخوة إلى قليل من الجعة أو أي طعام آخر يتفق مع قانون الكينونيا، فعلى رئيس المجمع أن يعطيهم إياه بسخاء وبسرور.

٥٠ - إذا أعطى الله للذين يقفون أمام الأفران بعضا من القوة التي أعطاها للفتية القديسين في الأتون، فلا يطلبوا، في ضعفهم، أن يكونوا متميزين عن الإخوة بمقتضى أي تقليد. ومن جهة أخرى، فإننا يجب أن نجتهد ألاّ نطلب شيئًا يصعب العثور عليه، أو ما هو غير معد سابقًا رغم أنه منصوص عليه في الوصية؛ ولكن دعونا بالحري أن تكون لدينا الدالّة أن نقول مثل القديس بولس: «تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في٤:١٢و١٣).

٥١ - في كل الواجبات الأخرى التي يجب أن نؤديها وفقًا لقانون الشركة المقدسة، فلنؤدها كلّنا بتعقل التقوى كإنسان واحد كما هو مكتوب: «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة» (أع٤:٣٢)، لكيما يبارك الله خبزنا حتى نأكله بفرح ومسرة في الروح القدس، وحتى تستقر عليه البركة وتدوم ولا تتلاشى سريعا، وحتى يبارك الله أيضا كل عمل نقوم به.

٥٢ - لنعمل كل ما ينبغي علينا عمله وفقًا لدعوتنا لأجل مجد الله، سواء كان في أمور الطعام أو العمل في الحقول أو المجمع، أو الحديث مع العلمانيين الذين نقابلهم في الطريق أو في بيت الضيافة، أو الذين علينا أن نزورهم لأجل أمر ضروري متعلق بالمجمع. وقصارى القول، ليكن كل ما نعمله أو نقوله لأجل مجد الله عالمين أن الكلمة المكتوبة هي حق: «إني أكرم الذين يكرمونني» (١صم٢: ٣٠). حقًا إن كلمات الكتاب المقدس أنفاس الله صادقة ومستحقة لكل قبول، سواء فيما يخص الثواب أو العقاب.

٥٣ - فلنؤد الصلوات أثناء كل مشغولية، كما في حجرة العجين[١٨]، بغيرة، تلك الخاصة

(١٨) هذا الاهتمام الزائد بقوانين المخبز كان لأنهم لم يكونوا يخبزون إلاّ على فترات متباعدة ثم يحمصونه ويأكلونه بعد نقعه في الماء، لذلك كان يوم الخبيز عندهم كأنه يوم عيد.

با مع والخاصة بالست قطع في ساعا ا المحددة حسب تعليمات الكينونيا، بإخلاص شـديد ودموع، متوسلين إلى الله الصالح أن يحفظ لنا رحمته ونعمته، التي بواسطتها قد أيقظنـا لكـي يجددنا في محبته، ولكي يعطينا قوةً في ضعفنا، ولا يدعنا نسقط ثانيةً في فخ الإهمال، ولكي يضع مخافته في قلوبنا متوهجةً ارا وليلاً مثل النار المشتعلة، لأنه بمثل هذه المخافة سوف نتجنب ليس فقط جحيم النار وموضع صرير الأسنان والخزي الممتلئ بالعار في موضع ا د؛ بل وأيضا نرث «ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كـو٢: ٩). كما أنه يعطينا في هذا الدهر أيضا بركات جميع القديسين لأجل كل ما نقوم به، سـواء في القرية أو في الحقل، ويبارك خبزنا وماءنا كما هو مكتوب أنه إن حفظت وصايا الرب إلهك «مباركًا تكون في المدينة ومباركًا تكون في الحقل» (تث٢٨: ١-٣) وبقية البركات.

٥٤ - إذا نقّينا داخل الكأس والصحفة يكون خارجهما أيضا نقيا حسـب كلمـة الرب (مت٢٣: ٢٦). وإذا سكن المسيح بالإيمان في إنساننا الباطن أي في قلوبنـا، وإذا تأصلنا وتأسسنا في المحبة (أف٣: ١٧و١٨)، فسوف نسمع حينئذ الله الذي ظهر قـائلاً: «قد أعطيتك أيضا ما لم تسأله غنى وكرامةً» (١مل٣: ١٣). وإذا استنارت أعين قلوبنا، وإذا تمثّلنا بحياة القديسين وبرسوخ إيما م بالله وشجاعتهم في كل تجربة، فسنرى حينئـذ ازدهار إبراهيم وإسحق ويعقوب وأيوب ويوسف وداود وأبي الكينونيا (هذه الشركة)، لأنه كان قد دعاه الله مباركًا ومحبوبا وجعله مثمرا جدا.

٥٥ - توجيهات في **الزراعة:** يجب على الذين يقودون الإخوة في العمل خارجا أن يراعوا الوقت الذي يخرجون فيه والوقت الذي يجب أن يعودوا فيه. وإذا كانت هنـاك ضرورة ملحة لعمل شيء أو الانتهاء منه، واستلزم ذلك الاستمرار لفترة قصـيرة عنـد الظهر أو بالليل، فليكن ذلك بدون أن نفقد عزيمتنا أو نتذمر؛ ومن جهة أخرى لا ينبغي بأي حال أن نتجاهل اجتماع ا مع والخدمة المقدسة والمائدة.

٥٦ - على المزارعين أن يعملوا بكل عناية بمخافة الله في كل ما يختص بالزراعة. لأن المشقّة الزائدة التي يتحملها كل واحد أكثر من زميله ستكون بالنسبة له مثلمـا كانـت بالنسبة لذاك الذي أخذ خمس وزنات، وذاك الذي أخذ وزنتين، وذاك الذي أخذ وزنة. ومن ثَم يجب علينا أن نكون حريصين في الأمور الصغيرة حتى لا نسمح لأي شـيء أن يتلف بسبب الكسل.

٥٧ - المسئول عن الري ينبغي ألاّ يجعل الماء يغطّي الأرض المشبعة بالماء، بالليـل أو

بالنهار. ولا يترك الماء يتدفّق بكثرة في خندق أو أرض منخفضة. كما ينبغي ألاّ يترك جزءًا من الحقل الذي روي جافًا، ولا يقسم الماء إلى قسمين، لأن هذه الطريقة في تقسيم الماء لا تصلح إلاّ لري جزئين فقط، بينما تكون هناك إمكانية لري ثلاثة أجزاء إذا غمر ا مرةً واحدةً، وإذا لم تطلق الماء بكثرة في الجزء الواحد. ولنحرص ألاّ نقتلع الكثير من نبات الغاب في الخنادق الصغيرة عندما نزرع الحقل، وإنما فقط تلك التي في قاع القناة، أما تلك التي على حافة القناة فلنثنها نحو الخارج ونضع قليلاً من الطين لوقف الماء من التدفق، ولنلاحظ خطو أقدامنا حتى لا نسحق عيدان الغاب تحتها. وعندما يتوقف تدفق الماء يجب أن نحرص على وضع قليل من العشب فوق الجزء الذي تمّ ريه. ويجب أن نتأكد كل يوم من سلامة القناة الرئيسية المؤدية إلى الساقية، فقد يكون هناك تسرب أو بعض من الحشائش التي تعوق تدفق الماء أو موضع يحتاج إلى حزمة صغيرة من العصي أو قليل من الروث، أو قد يكون هناك موضع قد غُمر بالمياه ويحتاج إلى مقطف من التراب، أو أي عمل آخر نافع ينبغي عمله.

٥٨ - رئيس بيت المزارعين عليه أن يفحص يوميا، بلا توقف، الجزء الذي تم ريه، ويفحص كل بقعة صعبة في الري، ويعين شخصا آخر بجانب الذي يروي، حتى لا يتسرب الماء عنوةً ويضيع هباءً، إلى أن ينتهي من ري الجزء الصعب في ريه. لأن كل المزرعة تعمل أيضا ... (هنا صفحتان مفقودتان).

٥٩ - ... ويجب أيضا أن نعلف العجول والعجلات الصغيرة بنفس الطريقة. ولنفرد موضعا منعزلاً في الحظيرة للحمار حتى لا تؤذيه الماشية، ولنطلقه عندما ننتهي من ... (جزء ناقص في النص).

٦٠ - ... ولا نلقي كثيرا منها في الممر تحت أقدام البقر، ولنحرص ألاّ نلقي الكثير من العليقة الخضراء أمامها في المرة الواحدة، ولكن قليلاً فقط في كل مرة حتى ... (جزء ناقص).

٦١ - ... والذين يرون الماشية يهنئون الراعي من أجلها.

٦٢ - إذا وجد أي إهمال في عمل المزرعة فيما يخص مهمة أي واحد، فهذا الأخير يصير مسئولاً ... (جزء مفقود من النص).

٦٣ - ... الله والأب باخوميوس أب الكينونيا.

٦٤ - أما من جهتنا، فإننا باهتمام شديد وصبر وضعنا هذه الأمور بقصد استقامة النظام، وحتى نكون بلا لوم في اليوم الذي ... (الباقي مفقود).

رسائل الأب أورسيزيوس(*)

الرسالة الأولى

١ - ... (البداية مفقودة) «الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل» (١كو١١: ٨و٩). كما أن سليمان الحكيم قال: «بنات كثيرات عملن فضلاً» (أم٣١: ٢٩)، مثل يهوديت التي بحكمتها نزعت رأس أليفانا، وسوسنة أيضا التي قتلت شهوة قلبها لأجل الله وصدت الشيخين (دا ١٣: ١-٢٣). وقال أيضا سليمان الحكيم: «أما أنتِ ففقتِ عليهن جميعا» (أم ٣١: ٢٩)، حقًا إن الله «أعطى سليمان حكمةً وفهما كثيرا جدا ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر» (١مل٤: ٢٩)، كما أن سليمان قال: «من يرفض امرأةً صالحةً يرفض خيرات» (أم١٨: ٢٢ حسب النص)، وأيضا: «الخيرات تكون من نصيب الأبرار» (أم١٣: ٢١ حسب النص)، وأيضا: «بسبب خطاياكم ...» (١٢ سطر مفقود).

٢ - ... للرب حقًا، قالت هي ذلك، وأيضا: «إن كان قبيحا بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغطّ» (١كو١١: ٦)، لأن سليمان الحكيم قال: «لأن كل الذين معها (أو أهل بيتها) لابسون حللاً» (أم٣١: ٢١)، وأيضا: «أما المرأة المتقية الرب فهي تمدح» (أم ٣١: ٣٠)، وأيضا: «الحكمة تنادي في الخارج، في الشوارع تعطي صوتها، تدعو في الساحات في مداخل الأبواب، في المدينة تبدي كلامها بثقة» (أم١: ٢٠و٢١)، وأيضا: «مخافة الرب رأس المعرفة. الفطنة صالحة للذي يمارسها» (أم١: ٧ حسب النص). وأيضا: «مخافة الرب للحياة، في حين أن الذي ليست له مخافة يسكن في أماكن لا تفتقده فيها الأبدية» (أم١٩: ٢٣ حسب النص).

٣ - ليته لا يقول أحد: «إنني سأسلك حسب شهوة قلبي وستكون لي طهارة» (تث٢٩: ١٨ حسب النص). عديدةٌ هي اللعنات التي نطق بها موسى النبي على مثل هذا الإنسان وأكثر من أن تقتبس، ولكن داود النبي قال: «في ناموس الرب مسرته» (مز١: ٢). وأيضا دانيال النبي: «لأنك أنت رجلٌ محبوب جدا» (دا ٩: ٢٣ سبعينية)، وأيضا: «تدعين "حفصيبة" (أي مسرتي بها)، لأن الرب يسر بك، وأرضك تدعى "بعولة" (أي ذات بعل، فبعد أن كانت مهجورة تصير مسكونة)» (إش٦٢: ٤)، والقديس بولس قال: «لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رو١٢: ٢) لكي تكونوا لي أرضا

(*) SBO, Vol. III, p. 153.

أحبها، وأيضا: «يجعل القبائل مثل قطعان الغنم، يرى ذلك المستقيمون فيفرحون وكل إثم يسد فاه» (مز١٠٧: ٤١و٤٢).

٤ – يقول الإنجيل أيضا: «من نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى .. يدعى أصغر في ملكوت السماوات، وأما من عمل وعلّم فهذا يدعى عظيما في ملكـوت السـماوات» (مت٥: ١٩)، لأنه قيل: «من حفظ الوصية يكافَأ (أو يسلم)، الذي يحفظ الوصية لـن يعرف (أو يسمع) كلمة شريرة» (أم١٣: ١٣ حسب النص). وأيضا: «حافظ الوصـية حافظ نفسه. وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب، أمر الرب طاهر ينير العينين. الوصـية مصباح والشريعة نور» (أم ١٩: ١٦؛ مز١٩: ٨؛ أم٦: ٢٣). كما أن موسى النبي قال: «أكرم أباك وأُمك لكي تكون لك خيرات ولكي تطول أيامك علـى الأرض الجيـدة» (خر٢٠: ١٢ حسب النص). وأيضا: «من تكلم بالشر على أبيه أو أُمه يقتل» (خر٢١: ١٧ حسب النص). وأيضا: «العين المستهزئة بأبيها، والتي تنبذ شيخوخة أُمها تقورهـا غربان الأودية وتأكلها فراخ النسر» (أم٣٠: ١٧ حسب النص).

٥ – قال موسى النبي: «أكرم أباك وأُمك»، ثم جاء ابن الله وقال لنا: «إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأُمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضا، فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا. ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكـون لي تلميـذًا» (لو١٤: ٢٦و٢٧)، وقال بولس الرسول: «إني بافتخاركم الذي لي في يسوع المسـيح ربنا أموت كل يوم» (١كو١٥: ٣١)، ولا يعني ذلك أن نتعلّم أن الإنسان يموت كـل يوم، ولكنه يقول ذلك بالحري لكي يظهر أنه تكلم عن صليب ابن الله. وأيضا: «حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم من مصر وروحي قائم في وسطكم. لا تخافوا، لأنه هكذا قال رب الجنود: هي مرةٌ بعد قليل فـأزلزل السـماوات والأرض والبحـر واليابسة، وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجـدا قـال رب الجنود. لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود. وسأعطي سلاما في هذا المكان، سلاما للنفس، سلاما منقذًا لجميع الذين يجتمعون للعمل لتشييد هذا الهيكل» (حجي٢: ٤- ٩ حسب النص). وأيضا: «الذين يعملون في الأشياء المقدسة من الهيكل يـأكلون، الـذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح» (١كو٩: ١٣).

٦ – كما قيل في إنجيل ق. مرقس: «إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد» (مر١٤: ٥٨)، وفي إنجيل ق. يوحنا: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه» (يو٢: ١٩). فقال له اليهود الجهلة: «في ست وأربعين سنة بني هـذا

الهيكل، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟ وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده» (يـو٢: ٢٠). فلعلنا نفهم ما هو مكتوب لكل واحد منا: غاية الحديث، أنصتوا لكل ما فيـه، خـافوا الله احفظوا وصاياه، لأن الله سيجعل كل مخلوق يظهر أمامه لكي يدينه على كل عمل قد نسيه، خيرا كان أم شرا ... وإنني أسلّم عليكم جميعا، وصلّوا لكي تكونوا آمنين في الرب.

****

الرسالة الثانية

أبا أورسيزيوس يكتب لابنه المحبوب تادرس المكرم والذي يستحق المحبة. سلام.

قبل كل شيء أرحب بتقواك وتدابيرك الكاملة في كل عمل صالح. حقًا، إنـني كلمـا أتذكر موقفك البنوي وحبك الأخوي أمتلئ بالفرح. وقلت إنه من واجبي أن أكتب وأرحب بحكمتك حيث إنه مكتوب: «الابن الحكيم يسر أباه» (أم١٠: ١)، وأيضا: «أعط حكيما (فرصةً) فيكون أوفر حكمة، علم صديقًا فيزداد علما» (أم٩: ٩). وأيضا: «سلام عظـيم للذين يحبون اسمك وليس لهم معثرة» (مز١١٩: ١٦٥)، لأنه قيل: «الرب (هو الذي) يـبني أورشليم، يجمع منفيي إسرائيل، يشفي المنكسري القلوب ويجبر كسرهم، يحصـي عـدد الكواكب، يدعو كلها بأسماء» (مز١٤٧: ٢- ٤)، وأيضا: «عندما كونـت الكواكـب باركتني جميع الملائكة بصوت عال (أو هتاف)» (أي٣٨: ٧ حسـب الـنص). وأيضـا: «الكواكب قامت من السماء وحاربت سيسرا» (قض٥: ٢٠ حسب النص). وأيضا: «يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي موآب ويهلك كل بني الوغـا (أو بني شيث)» (عد٢٤: ١٧)، لأن بولس الرسول قال: «الله هو العامل فـيكم» (في٢: ١٣). وأيضا: «أنا غرست وأبلس سقى لكن الله كان ينمي. إذًا ليس الغـارس شـيئًا ولا الساقي بل الله الذي ينمي» (١كو٣: ٦و٧). وأيضا: «أنتم تطلبون برهان المسيح المـتكلّم في» (٢كو١٣: ٣). كما أن داود النبي قال: «نهر سواقيه تفرح مدينة الله. العلـي طهـر مسكنه. الله في وسطها فلن تتزعزع» (مز٤٦: ٤و٥). وأيضا: «ميناء البر مجموع مجهودات آبائنا الكلي» (انظر إر٥٠: ٧). وأيضا: «تستقون مياها بفرح من ينابيع الخلاص» (إش١٢: ٣)، كما يقول النبي: «الجبال تقطر عصيرا والتلال تفيض لبنا، وجميع ينابيع يهوذا تفـيض ماءً، ومن بيت الرب يخرج ينبوع ...» (يوء٣: ١٨) ... (الباقي مفقود).

****

الرسالة الثالثة

١ - ... إلى الإخوة ... تادرس ... عزوا بعضكم بعضا ... (١تـس٥: ١١) ...

«نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله» (٢كو٥: ٢٠) ... بعضكم بعضا، وليته لا يكـون عندكم تشويش ... للذين يسلكون بالاستقامة. «من الصعب أن يوجد إنسـان أمـين يسلك بقداسة في بر» (أم٢٠: ٦و٧ حسب النص). وأيضا: «الأب البار يعطي طعامـا جيدا» (أم٢٣: ٢٤ حسب النص). إذن «لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسـرجكم موقـدة، وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس» (لو١٢: ٣٥و٣٦)، كما هـو مكتوب في الإنجيل: «في نصف الليل صار صراخ: هوذا العريس مقبلٌ» (مـت٢٥: ٦). خمس عذارى حكيمات كن مستعدات دخلن مع العريس، واللائي لم يكن مسـتعدات تركن خارج الباب، لكي نكون نحن أيضا مستعدين (لو١٢: ٤٠)، لأن الرسول قـال: «لئلاّ يأتوا إليكم ويجدوكم غير مستعدين» (٢كو٩: ٤ حسب النص).

فلنهتم أن نكون مستعدين لأن داود النبي قال: «مستعد قلبي يا الله مسـتعد قلـبي» (مز٥٧: ٧)، «إنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة، غير أنه لا تصيروا الحريـة فرصـةً للجسد، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضا لأن كل الناموس في كلمة واحدة يكمل: تحب قريبك كنفسك» (غل٥: ١٣و١٤). لأنه قال: «غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا» (١كو١٠: ٢٤، ٣٣)، «لأن من دعي في الرب وهو عبد فهـو عتيـق الرب، كذلك أيضا الحر المدعو هو عبد للمسيح» (١كو٧: ٢٢).

٢ – ... قال النبي: «عيدي يا يهوذا أعيادك أوفي نذورك، فإنه لا يعود يعبر فيك أيضـا المهلك (أو النجس)» (نا١: ١٥؛ إش٥٢: ١). وكما قال أبونا (باخوميوس) الذي هو الأب حيث إننا نعلم ... عهدا معه، كما يقول موسى النبي: «أذكر ميثاقي مع يعقوب، وأذكـر أيضا ميثاقي مع إسحق، وميثاقي مع إبراهيم» (لا٢٦: ٤٢). ولنذكر أيضا ما أمرنا به أبونا ولا نغيره، بل إننا نكتب لك أكثر فأكثر لنعزي بعضنا بعضا، لأن العظام تدعم الجسد، لأنه قال: «جميع عظامي تقول: يا رب من مثلك» (مز٣٥: ١٠)؟! وأيضا: «الخبر الطيـب (أو السمعة الحسنة) يسمن العظام» (أم١٥: ٣٠). ويقول سفر باروخ: «سيروا في ضوء الحكمة لتنير طريقكم ... هنيئًا لنا نحن بني إسرائيل لأن ما يرضي الله معروف لدينا (أو قد كُشـف لنا). تشجعوا يا شعبي لأنه يتذكر إسرائيل» (با٤: ٢-٥).

ولنذكر كلام النبي: «حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم مـن مصـر وروحي قائم في وسطكم... (أكمل من الرسالة الأولى)» (حجـي٢؛ ١كـو٩: ١٣؛ مر١٤: ٥٨) ... «فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا (عن هيكل جسده)» (يو٢: ٢٢). «لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو. لا يخدعن أحد نفسه» (١كو٣:

١٧و١٨). بل «حارين في الروح عابدين الرب فرحين في الرجاء صابرين في الضـيق مواظبين على الصلاة، مشتركين في احتياجات القديسين .. بـاركوا علـى الـذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا. فرحا مع الفرحين، بكاءً مـع البـاكين، مهـتمين بعضكم لبعض اهتماما واحدا، غير مهتمين بالأمور العالية، بل منقادين إلى المتضعين» (رو١٢: ١١- ١٦).

٣ - وعندما عبروا البحر الأحمر «جاءوا إلى مارة ولم يقدروا أن يشربوا ماءً من مارة لأنه مر ... فصرخ موسى إلى الرب، فأراه الرب شجرةً فطرحها في الماء فصـار المـاء عذبا» (خر١٥: ٢٣- ٢٥)، فشرب الشعب. هكذا أيضا آخرون: «قطعوا خشبا (مـن شاطئ الأردن)، وإذ كان واحد يقطع خشبةً وقع الحديد في الماء ... فقطع (رجـل الله إليشع) عودا وألقاه هناك، فطفا الحديد» (٢مل٦: ٤-٦). كما أن داود الـنبي قـال: «قولوا بين الأمم إن الرب ملك على خشبة» (مز٩٦: ١٠)، سواء تسقط الخشـبة إلى الجنوب أو إلى الشمال فهناك ترقد. وأيضا: "إنني سأطهر بواسطة دم الخشبة"[١٩].

٤ - بسبب ذلك، فلعلنا نجد المسيح في أنفسنا، لأنه قيل: «ختمتم بـروح الموعـد القدوس» (أف١: ١٣) ... ولذلك قال الرسول: «اتبعوا السلام مع الجميع والقداسـة التي بدو ا لن يرى أحد الرب» (عب١٢: ١٤)، «فلا تطرحوا ثقتكم التي لهـا مجـازاة عظيمة» (عب١٠: ٣٥). فإذ لنا بعض الثقة فيما هو مقدس (عب١٠: ١٩)، «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمةً ونجد نعمةً عونا في حينه» (عب٤: ١٦).

٥ - إننا نكتب لكم، إذن، أيها الإخوة لكيما تعزوا (أو تسندوا) الضعفاء (١تس٥: ١٤). فإن كنا غائبين عنكم بالجسد، ولكننا حاضرون بالروح (١كو٥: ٣)، بل أيضـا تذكروا المكتوب: « ذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعض لـبعض» (يو١٣: ٣٥).

٦ - إننا نسلّم عليكم وعلى جميع الذين معكم، وجميع الذين معنا يسلمون علـيكم. ونحن نصلّي لكي تخلصوا في الرب أيها الإخوة الأعزاء. نعمة الـرب يسـوع المسـيح تحفظكم جميعا. آميـن.

الرسالة الرابعة

١ - ... كما هو مكتوب: «مواظبين على الصـلاة، مشـتركين في احتياجـات

(١٩) هذه الجملة يوجد نص مشابه لها في رسالة برنابا ١٢: ١.

القديسين ... باركوا على الذين يضطهدونكم ... (أكمل من الرسالة الثالثة)».

٢ – وإذ نتمم أيضا ما هو مكتوب: «فصعد كثيرون من الكور إلى أورشليم قبـل الفصح ليطهروا أنفسهم» (يو١١: ٥٥)، فلنكن نحن أيضا في نقاوة في اجتماعنا «سائرين في ضوء الحكمة لتنير طريقكم ... (أكمل من الرسالة الثالثة)». وأيضا: «هكذا يكـون الرجل الصديق الذي لا صنم له أفضل من هذه الآلهة الكاذبة، لأنه يحفظ نفسه من العار» (رسالة إرميا في الأسفار المحذوفة: ٧٢).

٣ - «قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النـور» (رو١٣: ١٢). الخادم ... (٩ سطور هنا مشوهة). «لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق» (١كو٥: ٨) ... وأيضا: «الأمم الـذين لا يصعدون ليعيدوا عيد المظال» (زك١٤: ١٨) ... الذي أنا طهرته ... من الرب. وأيضا: «اصعدوا أنتم إلى هذا العيد، أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد لأن وقتي لم يكمل بعـد ...» (يو٧: ٨) ... «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قـائلاً: إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب. من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أ ار ماء حي» (يو٧: ٣٧و٣٨) ... (٧ سطور هنا مشوهة). وأيضا: ... دعونـا ألاّ نفكـر في الأرضيات ... «فلا نحاكم بعضنا بعضا، بل بالحري احكموا ذا أن لا يوضـع لـلأخ مصدمة أو معثرة ... فإن كان أخوك بسبب طعامك يحزن فلست تسلك بعد حسـب المحبة. لا تهلك بطعامك ذاك الذي مات المسيح لأجله» (رو١٤: ١٣و١٥). ... لأنـه قال: «ويلٌ للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذوا م» (إش٥: ٢١). هكذا أيضا: «الحكمة التي تتجاهل التصحيح هي خادعة. الذي لا يشفي نفسه كله وحده في شـئونه فهو أخ للذي يحطم نفسه وحده. تقويم الضال مر، أما شفتا الحكيم فتشـفي. الرجـل الحكيم حساس، أما المرأة التي تكره الحق فهي موضع للسخرية» (انظر أم١٠و ١١و ١٢ حسب النص). «كيف تقول لأخيك: دعني أخرج القذى من عينك وهـا الخشـبة في عينك يا مرائي» (مت٧: ٤و٥)؟ ولكنه يقول: «لتنظر عيناك إلى قـدامك مسـتقيما» (أم٤: ٢٥)، ولا تسمح للشرير ...

٤ - ... دعونا نتذكر ... السكْر. (هنا سطران مفقودان) «أليس زرعا جيدا زرعت في حقلك؟ فمن أين له زوان» (مت١٣: ٢٧)؟ وأيضا: «أنا قد غرستكِ كرمة سـورق زرع حق كلها، فكيف تحولتِ لي سروغَ جفنةٍ (أو مرارة) غريبة» (إر٢: ٢١)؟ وذلك حتى نعرف أن ... قال داود النبي: «أحب اللعنة فأتته، ولم يسر بالبركة فتباعدت عنـه.

ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت كمياه في حشاه» (مز١٠٩: ١٧و١٨). وأيضا: «فتحت فمي واجتذبت لي روحا» (مز١١٩: ١٣١ الترجمة القبطية)، خارجا عني. وأيضـا: «لا تطفئوا الروح، لا تحتقروا النبوات» (١تس٥: ١٩و٢٠) ... بل دعونا نحقق لأنفسنا ... الذين أعدوا مصابيحهم ... إذا جاء الصوت ... الذي كـان في البـدء حـتى ... ولا نتجاهل ... كو م مستعدين ... في كنعان ... «من يحفر حفرة (لقريبه) يسقط فيهـا. ومن يلقي حجرا يسقط عليه» (أم٢٦: ٢٧). الذي يقطع خشبا يكون في خطر منـه، والذي يحطم سورا تعضه أفعى[٢٠]. الكلدانيون أشعلوا أتون النار (للثلاثة فتية)، ولكـن شعرةً من رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأت علـيهم. ولكـن لهيب النار قتل الرجال الذين أشعلوا الأتون (دا ٣: ٢٧و٢٢). وتحققت فيهم الكلمة: أن الذي يشعل شرا يهلك فيه، «من يقاسم سارقًا يبغض نفسه» (أم٢٩: ٢٤)، «الرجـل المثقّل بدم نفس (أي قاتل) يهرب إلى الجب، لا يمسكنه أحد، ولكنـه لـن يكـون في سلام» (انظر أم٢٨: ١٧ حسب النص).

٥ - إذن، فلنتنبه لكلمة الله لموسى النبي: «الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة» (خر٣: ٥)، وذلك لأن المكان الذي كان فيه له أساساته في الطهارة والسلام ومخافـة الله، عالمين أن أبانا الذي جمعنا في الله كان بارا ومرضيا لله. إنه هو الذي علّمنا عن الله الـذي لم نكن نعرفه. كما علّمنا أيضا أن تم بعضنا ببعض عندما كنا نجهل الكلمة التي قيلـت: «إذا كان إنسان بار يعلم ... إذا كان رجل بار يموت، فإن رجاءه لا يهتز» (قارن حك٤: ٧). دعونا نتذكر وصاياه وقوانينه التي وضعها لنا حتى نراعيها في حقيقتها. ودعونا نتذكر أيضـا أبانا بترونيوس الذي قضى زمانه القصير معنا بحسب التدبير. ولنتذكر أيضا أبانا تادرس ... الذي كتب لنا بعض ... وذلك حتى تتحقق كلمة يشوع بن نون الذي قـال: «أرسـلني موسى عبد الرب» (يش١٤: ٧)، كما «كشفت (يا رب) عن كلامك الذي ينير (العينين) ... الناموس الذي يعلم الصغار و(العظماء)» (انظر مز١٩: ٧و٨). «أبتهج أنـا بكلامـك كمن وجد كنـزا وفيرا» (مز١١٩: ١٦٢).

رفقاؤك ... كثيرون، كانت بدايا م قوية ...[٢١]. وأيضا: «سلام عظـيم للـذين يحبون اسمك وليس لهم معثرة» (مز١١٩: ١٦٥). وأيضا: «نـور أشـرق في الظلمـة للمستقيمين» (مز١١٢: ٤) ... (هنا سطران مشوهان). «لأنك أنت تضيء سـرجي،

---

(٢٠) استعمل القديس أورسيزيوس هذا الأسلوب تعبيرا عن حزنه على ترك الإخوة للأنظمة التي وضعها ق. باخوميوس.

(٢١) هذه الجملة غير معروف من أين اقتبست.

الرب إلهي ينير ظلمتي» (مز١٨: ٢٨). وأيضا: «كما هي ظلمته هكذا أيضا هو نـوره» (مز١٣٩: ١٢). وأيضا: «يجعل القبائل مثل قطعان الغنم، يـرى ذلـك المسـتقيمون فيفرحون وكل إثم يسد فاه. من كان حكيما يحفظ هـذا ويتعقـل مـراحم الـرب» (مز١٠٧: ٤١-٤٣).

٦ - لهذا السبب، فمن الملائم له في أي حال أن يذهب إلى إخوته، ولنـا نحـن أن نكون حكماء وصالحين بعضنا مع بعض لأن «البغضة تهيج خصـومات» (أم١٠: ١٢)، ولكن «الحكيم يسكّن الخصام» (أم١٥: ١٨ حسب النص). «الرجـل الأثـيم يزيـد الغضب. والذي يعتزل عن رفقائه يطلب حجةً، وهو دائما يكون معرضا للمشاجرات» (أم١٨: ١ حسب النص).

٧ - إذن، فلا يقُل أحد: 'أريد أن أبقى في هذا المكان'، أو يقول: 'أريد أن أذهب إلى تلك الشركة (أي إلى دير آخر)'، بل لنبق جميعا حيث يكون مرتبا لنا. فلا يمد أحد ... (هنا ١٨ سطر مفقود) الجماعة التي حددت لنا من أبينا البار، وذلك لكي يجعلنـا إلـه آبائنـا مستحقين أيضا أن نكون مع الجماعة التي ستوجد في الدهر الآتي! وهذا يتم لنـا إن كنـا نصحح ونحذر بعضنا بعضا من أجل خلاصنا كما هو مكتوب: «التوبيخ الظاهر خير مـن الحب المستتر. أمينةٌ هي جروح المحب وغاشةٌ هي قبلات العدو» (أم٢٧: ٥و٦).

٨ - هكذا ربما يحدث أن حب الرب يكون فينا كما قال لتلاميذه: «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعض لبعض» (يو١٣: ٣٥)، وذلك لكي نعـرف نحـن الأحرار بذلك حقيقة الحق كما وعد الرب في الإنجيل. سلام في الرب.

****

مقتطفات من كتابات الأب أورسيزيوس

... لم نتمكن من الذهاب إلى المدينة لنستقبل هذا الرجل المكرم بسبب الأخطـار الـتي سمعنا عنها. هذا هو سبب سماعنا كلنا عن هذا الاسم "راهب"، فقد لبسنا جميعا زي الرهبنة ظانين أن الزي هو الذي يزكّينا لدى الله. ولكن عندما نكسر قوانين هذا الزي نكون كلنـا جبناء مهجورين. لقد تعلّمنا، أيها الإنسان البائس، أن نحفظ الطهارة فنـدخل مدينـة الله. والرجل الجاهل يقول: أريد أن أدخل المدينة ولكن لا يمكنني أن أنبذ مسرات النجاسة. إذن، فأنت تقول: أرغب أن آتي إلى الله مثقّلاً بأمرٍ ما! فالإنسان البائس يعلن قـائلاً: 'أريـد أن أرضي الله، بينما أنني لا زلت مثقلاً بالهموم (أو الاهتمامات)'! **أبا أورسيزيوس الأرشيمندريت**

من الأب نفسه أيضا

إنه لّجيد أيضا أن الذي يتوب بالحقيقة يكون متيقظًا ضد مكائد الشيطان هذه. حقًا إن الوقت الذي يبدأ فيه الإنسان أن يتوب، يبث الشيطان في داخله فكرة النذر الغاش لله بنسك صارم عندما يكون لديه مخافة الله، ويكون قد وعد ألاّ يخطئ إليه. إن الشيطان الماكر يتصرف بهذه الطريقة لأنه يعلم أنه إذا اختبر أحد مرةً مللاً شديدا، أو بصفة خاصة إذا صار مريضا؛ فإنه يرخي من نسكه ويفقد بالتأكيد مخافة الله. وإذا فقد الإنسان مخافة الله أو ارتد إلى خطاياه السابقة؛ فإن ذلك يكون بالتأكيد هو بداية نذر زائف.

ومن هنا، فإنه من الأفضل للإنسان، عندما يكون على وشك أن يبدأ عهدا مع الله، ألاّ يحدد ممارساته النسكية، بل بالحري يقول: 'يا رب، إن ما يمكنني أن أعمله، حتى لو سبب لي مرضا أو إرهاقًا مفرطًا، فسأعمله حيث إنك أنت الذي ستعطيني القدرة'. وإذا توقف لحظةً تحفظه مخافة الرب حتى يرجع إلى الرب، إلى ممارساته النسكية وإماتاته الجسدية المعتدلة، لأن مخافة الرب التي تسكن في القلب النقي ستزداد. حقًا إن هذه المخافة ليس لها حدود حتى أن هذا الإنسان سينال النور الذي به يسير بثقة نحو أحكام الله، حينما يظهر أمام كرسي قضاء الله، وحينما يحاكَم عما فعله منذ اليوم الذي سمع فيه ناموس الله.

كتاب أبينا أنبا أورسيزيوس
الذي أعطاه لإخوته كعهد عندما أوشك على الموت

١ - «اسمعوا يا بني إسرائيل وصايا الحياة، اصغوا وتعلّموا الحكمة. لماذا أنتم في أرض الأعداء؟ شختم في الغربة وفي عداد الموتى تحسبون. أما لأنكم تركتم ينبوع الحكمة؟ فلو سلكتم طريق الله لّعشتم حياتكم في سلام مدى الأيام. تعلّموا أين الحكمة وأين القوة وأين الفهم حتى تعرفوا أين الحياة وأين النور لعيونكم وأين السلام وطول البقاء. من وجد الحكمة أو عثر على كنوزها؟» (با٣: ٩-١٥). قال باروخ ذلك بخصوص الذين أُخذوا في الأسر إلى أرض بابل أرض أعدائهم، لأنهم لم يريدوا أن يلتفتوا إلى تعاليم الأنبياء ونسوا الناموس الذي أعطاهم الله إياه بواسطة موسى النبي. لذلك ابتلاهم الله بالعقوبات والآلام ووضع عليهم نير السبي موجها إياهم باعتبارهم خاصته كما يصحح الأب أبناءه. إنه لم يشأ أن يراهم يهلكون، إذ يقومهم مرةً واحدةً، بل أراد أن يخلصهم بواسطة التوبة.

٢ - ولذلك فيجب علينا نحن أيضا أن نتذكر كلام الرسول: «إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أنت أيضا» (رو١١: ٢١) أنت الذي أهملت في حفظ وصاياه. «هذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور» (١كو١٠: ١١). إ م قد نقلوا من مدينة يهوذا إلى مدينة الكلدانيين فتغير مكا م على الأرض. أما نحن، فإذا رآنا الله متغافلين، فسنفقد مـدينتنا في الـدهر الآتي. فإذ ننبذ الفرح سنسلم للعقوبات ونفقد السعادة الأبدية التي وجدها آباؤنا وإخوتنا بكفاحهم الكثير.

٣ - فلعلنا لا نهزم من النسيان. ولا ننظر إلى أناة الله كأ ا جهل. إنه يتأنى ويتـأخر حتى أننا عندما تدي إلى حالة أفضل لا نسلم للعذابات. فعندما نخطئ لا نظـن أن الله يرضى بخطايانا لأنه لا ينتقم منا في الحال. بل فلنفكر بالحري أننا سنعبر سريعا من هـذا العالم، وفي الدهر الآتي سنكون منفصلين عن آبائنا وإخوتنا الذين امتلكوا بالفعل مكـان النصرة. ونحن أيضا سنمتلكه إن شئنا أن نسلك في إثر خطوا م ونتنبه لما انتبه إليـه ق. بولس الرسول هنا على الأرض، إذ فصل بين القديسين والخطاة (انظر ١كـو٥: ١١-١٣)، وأن يسلم المذنبون «لهلاك الجسد لكي تخلص الروح» (١كو٥: ٥).

«طوبى للرجل الخائف الرب» (مز١١٢: ١)، ولذاك الذي يقومه الرب لكي ينميـه روحيا، ولذاك الذي «تعلمه من شريعتك» (مز٩٤: ١٢)، وذلك لكي «يسلك في طريق وصاياه» (مز١١٩: ٣٢) كل أيام حياته. وطوبى لمن «لا يشتكي من (قصاص) خطاياه» (مرا ٣: ٣٩).

٤ - لذلك، دعونا «نفحص طرقنا» ونتمعن في خطواتنا، دعونا «نرجع إلى الـرب، ولنرفع قلوبنا على أيدينا نحو السماء» (مرا ٣: ٤٠و٤١ سبعينية)، حتى يكون هو معيننا في يوم الدينونة، وحتى «لا نخزى عندما نكلم أعداءنا في الباب» (مـز١٢٧: ٥)، بـل بالحري نكون مستحقين أن نسمع: «افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة» (إش٢٦: ٢). الذي له حق في قلبه ويمتلك سلاما يمكنه أن يقول: «وضعنا رجاءنا فيك يا رب إلى الأبد» (انظر مز٥٢: ٨). دعونا نذكر الرب «ولتخطر أورشـليم ببـالكم» (إر٥١: ٥٠) لئلاّ ننسى المكتوب: «مبارك الرجل الذي يتكل على الرب وكان الـرب رجاءه، فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى ر تمد أصولها ولا تخاف إذا جـاء الحر ويكون ورقها أخضر، وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار. القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس من يعرفه؟ أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطـي كـل

واحد حسب طرقه» (إر١٧: ٧-١٠).

٥ - لنمتحن أنفسنا ولا نتساهل مع أخطائنا التي ارتكبناها، ولندرس باشتياق كل وصية من وصايا أبينا باخوميوس والذين علّمونا. وينبغي «لا أن نؤمن بالمسيح فقط بل أيضا أن نتألم لأجله» (في١: ٢٩)، وأن نفهم السر الذي كُتب عنه: «نفَس أنوفنا هو مسيح الرب» (مرا ٤: ٢٠)، وأيضا: «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (مز١١٩: ١٠٥)، وأيضا: «قولك (يا رب) أحياني» (مز١١٩: ٥٠)، وكذلك: «ناموس الرب نقي يرد النفوس، وصية الرب مضيئة تنير العينين» (مز١٩: ٧و٨)، والرسول يقول: «الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة» (رو٧: ١٢). وإذا فهمنا كل هذه الأمور نكون مستحقين أن نسمع أن الصديق «إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده» (مز٣٧: ٢٤)، وأيضا: «الصديق يسقط سبع مرات ويقوم» (أم٢٤: ١٦).

٦ - والآن أيها الإخوة، حيث إن الله يتأنى علينا ويحثنا على التوبة (٢بط٣: ٩)، فلنستيقظ من النوم (رو١٣: ١١) «لأن إبليس خصمنا كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان، عالمين أن نفس هذه الآلام (كانت) تجرى على (آبائنا)» (١بط٥: ٨و٩). فلا نملّ من التعب وزرع بذار الفضيلة حتى يمكننا أن نحصد فرحا في المستقبل. ولنسمع تعليم القديس بولس: «أما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري واضطهاداتي وآلامي» (٢تي٣: ١٠و١١)، وإذ نتبع مثال القديسين «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع» (عب١٢: ٢)، فلنثابر فيما بدأنا فيه. ولنعرف شعر رؤوسنا في الطريق[٢٢]، حتى يكون لنا طيب في لحانا (جمع لحية)، لينسكب على طرف الثوب (انظر مز١٣٣: ٢)، وذلك حتى نستطيع أن نتمم كل ما هو مكتوب (لو٢١: ٢٢).

٧ - وعلى ذلك، فيا قادة الأديرة وأرباب البيوت (أي بلوكات القلالي)، الذين استودع لكم أناس، والذين وجد معكم الألفا والإبسلن واليوتا والكبا (حسب التقسيم الذي وضعه أنبا باخوميوس)، أو نقول بطريقة أوضح: الذين ائتمنتم على أفراد كل منهم مع مجموعته، دعهم ينتظرون مجيء المخلّص (انظر تي٢: ١٣)، ويجهزون جيشا متسربلاً بأسلحة لأجل فحصه. ولا تنعشوهم بالاحتياجات الجسدية بدون إعطائهم الغذاء الروحي. وأيضا، لا تعلّموهم الأمور الروحية بينما تظلمونهم في احتياجاتهم الجسدية التي

(٢٢) انظر الرسالة الأولى لأنبا باخوميوس: ٣.

هي الطعام والكسوة. بل أعطوهم الطعام لكل من الروح والجسد، ولا تعطوهم فرصةً للإهمال. وأين هو العدل إن كنا نقسو على الإخوة في العمل بينما نتمتع نحن بالراحة؟ أو إن كنا نفرض عليهم نيرا «لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله» (أع١٥: ١٠)؟

نحن نقرأ في الإنجيل: «بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم» (مت٧: ٢). لذلك فلنشاركهم في كل من العمل وإشباع الاحتياجات الجسدية. ولا يصح أن نعتبر تلاميذنا عبيدا ونسر بضيقهم لئلاّ يديننا الإنجيل مع الفريسيين قائلاً: «ويلٌ لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحملون الناس أحمالاً عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم» (لو١١: ٤٦).

٨ - هناك البعض ممن يعتبرون أنفسهم أنهم يعيشون بحسب ناموس الله ويقولون في أنفسهم: 'ما لي وللآخرين؟ إنني أطلب أن أخدم الله وأتمم وصاياه، فما يفعله الآخرون لا يعنيني'! هؤلاء يحذرهم حزقيال النبي قائلاً: «ويلٌ لرعاة إسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم، ألا يرعى الرعاة الغنم؟ تأكلون الشحم وتلبسون الصوف وتذبحون السمين ولا ترعون الغنم! المريض لم تقووه والمجروح لم تعصبوه والمكسور لم تجبروه والمطرود لم تستردوه والضال لم تطلبوه، بل بشدة وبعنف تسلّطتم عليهم. فتشتتت بلا راع وصارت مأكلاً لجميع وحوش الحقل وتشتتت» (حز٣٤: ٢-٥). لذلك، فإن «الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم» (إش٣: ١٤). وحينئذ يتحقق فينا القول: «يا شعبي مرشدوك مضلّون ويبلعون طريق مسالكك» (إش٣: ١٢). فإلى أي مدى علينا أن نظل سامعين للقول: «طوبى لكِ أيتها الأرض إذا كان ملككِ ابن شرفاء، ورؤساؤكِ يأكلون في الوقت للقوة لا للسكر» (جا١٠: ١٧)، إنهم لا يهزمون.

٩ - لذلك أيها الإنسان، لا تكف عن أن تنصح وتعلم عن الأمور المقدسة حتى آخر نفس اؤتمنت عليها، وأن «تقدم نفسك في كل شيء قدوةً للأعمال الحسنة» (تي٢: ٧). وكُن معتنيا بصفة خاصة ألاّ تحب واحدا وتكره الآخر، بل أظهر موقفًا متساويا للجميع، وذلك لئلاّ يكون الذي تحبه مكروها عند الله، والذي تكرهه يحبه الله. ولا تقبل أي واحد يضل الطريق بسبب صداقته لك. ولا تضغط على واحد وترفع آخر حتى تفقد تعبك.

عندما يجلس أرباب البيوت (أي المشرفون على القلالي) في الأماكن الوضيعة حيث منع أبونا (أب الشركة) ذلك بكل حزم، فيجب أن يحترسوا لئلاّ يسبب أحد الإخوة ضررا لأحد الكبار، ثم يصدر هذا الأخير قرارا قائلاً: 'ما الذي أفعله مع هذا المغرور؟ فليفعل ما يريد، فهذا لا يعنيني. وأنا لن أحذّره أو أصححه إن كان يضلّ، فسواء كان يخلص أو يضلّ فهذا لا

يهمني'! أيها الإنسان الذي يقول ذلك، افهم أنك قد هزمت من الغضب وأن الحقـد قـد استولى على قلبك، وأن الأخ قد ضلّ بسبب خطئك أكثر منه بسبب خطيئته. فعليـك أن تغفر له وتقبله عندما يتوب حتى يمكنك أن تقول: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحـن أيضـا للمذنبين إلينا». لأنك إذا أردت أن يغفر الله لك خطاياك فيجب أن تغفر أنت لأخيك مهما أخطأ إليك، واذكر هذه الوصية: «لا تبغض أخاك في قلبك» (لا١٩: ١٧)، وتحذير سليمان الحكيم: «أيقظ صاحبك الذي لأجله رهنت ذاتك» (انظر أم٦: ٣)، وأيضا: «لا تمنـع التأديب عن الولد لأنك إن ضربته بعصا لا يموت» (أم٢٣: ١٣). واسمع أيضـا قـول موسى النبي: «إنذارا تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطيـة» (لا١٩: ١٧)، ولعلـه لا ينطبق علينا إنذار سليمان: «الإنسان الذي لا ينذر ابنه لكي يتحفظ من الهلاك سـيهلك سريعا» (أم٢٤: ٢٢ حسب النص).

١٠ - فليعِد جميع الذين اؤتمنوا على الاهتمام بالإخوة أنفسـهم ـيء المخلـص وللدينونة المرعبة. لأنه إذا كان إعطاء الإنسان حسابا عن نفسه مفعما بالخطر والرعب؛ فكم بالأكثر يكون تحمل العذاب من أجل خطايا آخرين مرعبا و«الوقوع في يـدي الله الحي» (عب١٠: ٣١)؟ نحن لا يمكننا أن نبرر الجهالة، لأنه مكتوب: «الله يحضر كـل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيرا أو شرا» (جا١٢: ١٤). كما أن الرسول يقول: «لا بد أننا جميعا نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد مـا كـان بالجسـد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا» (٢كو٥: ١٠). كما أن إشعياء النبي يشير إلى ذلـك قائلاً: «هوذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها خطا ا» (إش١٣: ٩)، «لأنه أقام يوما هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل» (أع١٧: ٣١) حيث لا يوجد دواء لذلك.

لأننا نعلم أن علينا أن نتذكر (أو نحفظ في أذهاننا) كل شيء مكتوبـا في النـاموس والذي سبق أن أخبرنا به الأنبياء وعلّمنا إياه أبونا القديس، وأننا سوف نعطي حسابا عن كل ذلك، فلماذا لا نعمل به أو لماذا نعمله بتهاون؟ لأن ذاك الذي أُعطيـت لـه كـل الدينونة (يو٥: ٢٢) يتكلم، والحق قد علّم بالحق قائلاً: «لا تظنـوا أني أشـكوكم إلى الآب، يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني» (يو٥: ٤٥و٤٦).

١١ - نتعلّم من كل ذلك أننا «جميعا سوف نقف أمام كرسي المسـيح» (رو١٤: ١٠) ونحاكم ليس فقط عن كل عمل؛ بل أيضا عن كل فكر. وبعد أن نقدم حسابا عن

حياتنا سنعطي حسابا أيضا عن الذين اؤتمنا عليهم. وهذا ينبغي أن يكون مفهوما لدى أرباب مساكن الرهبان ورؤساء الأديرة وكل واحد من الإخوة التابعين لأي رتبة أو صف (المرموز له بأحد الحروف الأبجدية)، لأننا جميعا يجب أن نحمل بعضنا أثقال بعض، وهكذا نتمم ناموس المسيح (غل٦: ٢). وليت الجميع يسمعون ما كتبه الرسول لتيموثاوس: «يا تيموثاوس احفظ الوديعة معرضا عن الكلام الباطل الدنس، ومخالفات العلم الكاذب الاسم» (١تي٦: ٢٠).

لقد ائتمننا الله أيضا على وديعة هي طريقة حياة الإخوة. فبينما نحن نتعب نيابةً عنهم، نتطلّع إلى مكافآت المستقبل، لئلاّ يقال لنا نحن أيضا: «دع هؤلاء يذهبون» (انظر خر٥: ١١)، ولئلاّ إذا نبذنا تقاليد آبائنا نقذَف بهذا القول: «أهل الشريعة لم يعرفوني، والرعاة عصوا علي» (إر٢: ٨). ثم إنه يؤنب آخرين كما قال للعذراء ابنة بابل: دفعت ميراثي في يدكِ، ولكنكِ لم تصنعي له رحمةً، وعلى الشيخ ثقّلتِ نيرك جدا (إش٤٧: ٦). وعلينا ليس أن نسمع ذلك فحسب؛ بل يجب أن نفهمه أيضا، لأنه «إن يجهل أحد فليجهل» (١كو١٤: ٣٨)، وجاء في مكان آخر: «لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا حتى لا تكهن لي» (هو٤: ٦).

١٢ - وهكذا، يا أعز إخوة، فإنكم أنتم الذين تتبعون حياة ووصايا هذه الشركة، اثبتوا فيما عزمتم عليه مرةً وتمموا عمل الله، وذلك حتى أن أبانا الذي كان أول من أسس هذه الشركة يقول للرب بفرح بخصوصنا: "إنهم يعيشون حسبما سلّمتهم". والرسول بولس أثناء حياته قال: «أمدحكم أيها الإخوة على أنكم تذكرونني في كل شيء وتحفظون التقاليد كما سلمتها إليكم» (١كو١١: ٢).

١٣ - لذلك أيها المسئولون عن الأديرة كونوا مدقّقين وأظهروا كل اهتمام بالإخوة بالعدل ومخافة الله، ولا تسيئوا استعمال سلطانكم بعجرفة، بل قدموا ذواتكم كقدوة «صائرين أمثلةً للرعية» (١بط٥: ٣) مثل ربنا الذي قدم ذاته مثالاً في كل شيء، و«جعل القبائل مثل قطعان الغنم» (مز١٠٧: ٤١). كونوا شفوقين على الرعية التي ائتمنتم عليها ذاكرين كلام الرسول: «لم أؤخر شيئًا من الفوائد إلاّ وأخبرتكم وعلّمتكم به جهرا... لأني لم أُؤخر أن أخبركم بكل مشورة الله ... لم أفتر عن أن أُنذر بدموع كل واحد» (أع٢٠: ٢٠و٢٧و٣١). انظروا مقدار الحب وعظم الرحمة اللذين كانا في قلب رجل الله الذي كان ليس فقط في حالة «اهتمام بجميع الكنائس» بل إنه قال أيضا: «من يضعف وأنا لا أضعف» (٢كو١١: ٢٨و٢٩)؟ و«حمل أحزان وأوجاع الجميع» (قارن إش٥٣: ٤).

دعونا نتيقّظ لأنفسنا حتى لا يعثر ويهلك أحد بسبب تغافلنا، وحتى لا ننسى كلام ربنا ومخلصنا: «إن الذين أعطيتني لم أُهلك منهم أحدا» (يو١٨: ٩). ولا نحتقر أي نفس لـئلاّ يهلك أحد بسبب قساوة قلوبنا، لأنه إذا مات أحد بسببنا سنصير مذنبين من أجله. لقد اعتاد أبونا (باخوميوس) أن يطبع ذلك فينا باستمرار واعتاد أن يحذرنا حتى لا يتحقق فينا القـول: «كل واحد يظلم قريبه» (مي٧: ٢حسب النص)، وأيضا: «إن كنتم تنهشـون وتـأكلون بعضكم بعضا فانظروا لئلاّ تفنوا بعضكم بعضا» (غل٥: ١٥). فواضح من ذلك أن «الذي يحفظ طرقه (أو نفس غيره) يحفظ نفسه» (أم١٦: ١٧ سبعينية).

١٤- وأنتم أيضا أيها المساعدون، كونوا أوائل في الفضيلة، ولا تدعوا أحـدا يهلـك بسبب أخطائكم، ولا تجلبوا على أنفسكم تأنيبا مثل ذاك الذي «يأكـل ويشـرب مـع السكارى .. ولا يعطي الطعام للعبيد رفاقه في حينه .. فيأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين، هناك يكون البكاء وصرير الأسـنان» (مت٢٤: ٤٥-٥١). ليت هذا الحكم لا يكون من نصيب أحد منكم، بل عندما «تـأتي أوقات الفرج من وجه الرب» (أع٣: ١٩)، نستحق أن نسمع: «نعما أيها العبد الصـالح والأمين، كنت أمينا في القليل فأُقيمك على الكثير، أُدخل إلى فرح سيدك» (مت٢٥: ٢١).

١٥- وأنتم يا أرباب مساكن الرهبان، كونوا «مستعدين دائما لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم» (١بط٣: ١٥)، «أنذروا الذين بلا ترتيب، شجعوا صـغار النفوس، أسندوا الضعفاء، تأنوا على الجميع» (١تس٥: ١٤). وأصغوا لتحـذير الرسـول: «أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم، بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره» (أف٦: ٤). واعلموا أن «كل من أُعطي كثيرا يطلَب منه كثير، ومن يودعونه كثيرا يطالبونه بأكثر» (لو١٢: ٤٨). ولا تهتموا فقط بما هو نافع لأنفسكم بل أيضا بما هو نافع للآخرين (١كو١٠: ٣٣)، لـئلاّ يتم فيكم قول الكتاب: «أنتم راكضون كل إنسان إلى بيته (أو "لأن كل واحد يطلب منفعة بيته")، لذلك منعت السموات من فوقكم الندى ومنعت الأرض غلّتها» (حجي١: ٩و١٠)، لأنكم جعلتم كلامكم ضدي بجفاء. ومكتوب أيضا: «بما أنكم لم تفعلوه بأحـد هـؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا» (مت٢٥: ٤٥).

١٦- أقول ذلك مرارا وتكرارا: اعتنوا بألاّ تحبوا البعض وتبغضـوا آخـرين، وأن تعضدوا واحدا وتتجاهلوا الآخر، لئلاّ يتبدد تعبكم ويذهب كل عرقكم هباءً. وحينمـا تفارقون الجسد وتتحررون من اضطراب هذا العالم تظنون أنكم دخلتم مينـاء الهـدوء، ولكنكم تواجهون انكسار سفينة حياتكم، وحينئذ «بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم»

(مت٧: ٢) بواسطة ذاك الذي «لا يأخذ بالوجوه. ويحكم بغير محاباة» (تـث١٠: ١٧؛ ١بط١: ١٧). فإذا ارتكب أي شيء فيه خطية للموت أو مخجل في مسـاكن الإخـوة بسبب تغافل أرباب المساكن، فإنه بعد معاقبة المخطئين، يعتبر المسئول أيضا مذنبا بسبب هذا الإثم. وقد كان أبونا (باخوميوس) دائما يطبع ذلك في ذهننا.

١٧- لهذا السبب، فليحرس كل واحد الرعية التي ائتمن عليها بكل عناية واهتمـام. وليتشبهوا بالرعاة الذين كانوا ساهرين فبشرهم ملاك الله بمجيء المخلّـص. والمخلّـص نفسه قال: «الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف، وأما الذي هو أجير وليس راعيـا، الذي ليست الخراف له، فيرى الذئب مقبلاً ويترك الخراف ويهرب، فيخطـف الـذئب الخراف ويبددها. والأجير يهرب لأنه أجير ولا يبالي بـالخراف» (يـو١٠: ١١-١٣). وبخصوص الرعاة الصالحين يروي القديس لوقا قصة تبشير الرعاة الساهرين بأنه قد ولـد لهم مخلّص هو المسيح الرب، وقد سعدوا برؤيته (لو٢: ٨-١٢).

إ م لم يكونوا هم وحدهم الذين كانوا يرعون غنمهم في البادية، ولكن لأ م كانوا هم وحدهم الذين كان لهم اهتمام مفرط، ولأ م تغلّبوا على النوم الطبيعي خوفًا من الـذئاب، فقد استحقوا أن يكونوا هم أول من سمع ذا الحدث القريب بينما لم تكن أورشليم النائمة تدري شيئًا! لذلك يقول داود النبي: «لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل» (مـز١٢١: ٤). وهكذا، يجب عليكم أن تسهروا و«تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في٢: ١٢)، عالمين أن رب الكون - الذي سيجازي كل واحد على كل ما يعمله – ظهر بعـد قيامتـه لرسـله وحدهم وقال لبطرس هامة الرسل: «يا سمعان بن يونا (يوحنا)، أتحبني أكثر من هؤلاء؟ فقال له: نعم يا رب، أنت تعلم أني أحبك. قال له: ارع (أو أطعم) خرافي. قال له أيضا ثانيةً: يا سمعان بن يونا أتحبني؟ قال له: نعم يا رب، أنت تعلم أني أحبك» (يـو٢١: ١٥-١٧)، ثم أوصاه للمرة الثالثة أن يطعم غنمه، ومن خلال بطرس الرسول فرض الرب علينا جميعا هذه الوظيفة، أن نرعى ونطعم غنمه، حتى أنه في يوم الافتقاد ننال ما وعد به في الإنجيل لأجـل تعبنا وتيقظنا قائلاً: «أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا» (يو١٧: ٢٤). وقال أيضا: «حيث أكون أنا هناك أيضا يكون خـادمي» (يـو١٢: ٢٦). فلنتطلّع إلى المواعيد والمكافآت حتى أننا في موقف الإيمان نواجه آلامنا بكل سهولة إذ إنـه «كما سلك ذاك هكذا نسلك نحن أيضا» (١يو٢: ٦).

١٨- وأنتم أيضا أيها المساعدون للمساكن الانفرادية، جاهـدوا لأجـل الاتضـاع والاعتدال، وتفكروا في وصايا الشيوخ المتنوعة كمعيار للحياة المشتركة، حتى أنكم بمراعا ا

تخلصون نفوسكم وتكونون مثل الذي قال: «نفسي دائما في كفّي» (مـز١١٩: ١٠٩)، ولعل «الابن يكرم أباه» (ملا١: ٦)، ولعلكم تفرحون بثماركم. لأنه بدون أعمال وثمار لا يفرح إنسان بصحبة الرب. فعندما يكون لكم ثمر في الرب تستمتعون به كوارثين وشركاء ميراث (مع المسيح) (رو٨: ١٧).

١٩- كذلك أنتم جميعا، يا إخوتي، كل واحد حسب رتبته، فإنكم خاضعون لعبودية حرة «لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة، وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت. طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين» (لو١٢: ٣٥- ٣٧). هكذا فلتكونوا أنتم أيضا إن كان الكفاح الطويل الأمد لا يجعلكم تملّون، فإنكم سوف تدعون إلى الوليمة السماوية والملائكة ستخدمكم. هذه هي المواعيد التي تعطَى للذين يحفظون وصايا الله وهي مكافآت حياة الدهر الآتي.

«افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضا افرحوا» (في٤: ٤). اخضعوا للآباء بكل طاعة بدون تذمر «بلا دمدمة ولا مجادلة، لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء» (في٢: ١٤و١٥)، حتى أنكم إذ تمتلئون بالفضائل ومخافة الله تكونون مستحقين لتبنيه إياكم، «حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا ... سيف الروح الذي هو كلمة الله» (أف٦: ١٦و١٧). «كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام» (مت١٠: ١٦). أنصتوا إلى قول القديس بولس: «أيها الأولاد، أطيعوا والديكم» (كو٣: ٢٠)، واقبلوا خلاص نفوسكم بواسطة الذين أُقيموا كمتولين عليكم. كما أنه مكتوب: «أطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابا (عنكم)» (عب١٣: ١٧). ولترهب نفوسكم ما قاله الرسول بولس: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟ إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله» (١كو٣: ١٦و١٧)، وأيضا: «لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء» (أف٤: ٣٠) بواسطة قضاء الله العادل (٢تس١: ٥).

٢٠- احتفظوا بعفّة أجسادكم، لكي تكونوا مثل «جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم» (نش٤: ١٢)، لأن «كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه» (١يو٣: ٩)، وق. يوحنا يقول أيضا: «كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير» (١يو٢: ١٤). فعندما تغلبون أنتم أيضا العدو بمعونة الله حينئذ هو نفسه يقول لكم: «من يد الهاوية أفديهم، من الموت أخلّصهم. أين أوباؤك (أو شوكتك) يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية» (هو١٣: ١٤؛ ١كو١٥: ٥٥). فإذا ابتلعنا الموت نتغلّب عليه ونسمع

«لا يسود عليه الموت بعد، لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطيـة مـرةً واحـدةً» (رو٦: ٩و١٠)، لأن الموت الذي متناه عن الخطية مرةً واحدة جعل الخطية تموت فينا، والحياة الـتي نحياها في المسيح نحيا ا دائما، لأنه عندما يموت إنسان بالجسد يتبرأ من الخطية (رو٦: ٧). فلا نعيش بعد حسب الشهوات البشرية، بل فلنقض بقية حياتنا بحسب مشيئة الله: «لكي لا نعيش أيضا الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله» (١بط٤: ٢).

أنتم يا من تخافون الله، سلّحوا أنفسكم بالعفة لكي تستحقوا أن تسمعوا: «أما أنـتم فلستم في الجسد بل في الروح» (رو٨: ٩). واعلموا أن الأمور الكاملة تعطَى للكاملين، وأن الأمور الباطلة تعطَى للبطالين كما قال الإنجيل: «كل من له يعطَى فيزداد، ومن ليس له فالذي عنده (أو يظن أن عنده شيء) يؤخذ منه» (مت٢٥: ٢٩). فلنتشبه بالعـذارى الحكيمات اللائي استحققن أن يدخلن خدر العرس مع العريس ومعهن زيت الأعمـال الصالحة في أوعيتهن ومصابيحهن. وحينئذ تجد العذارى الجاهلات أن باب خدر العـرس مغلقًا، فإ ن لم يشأن أن يعددن زيتا لأنفسهن قبل وليمة العرس، «فهذه الأمور جميعهـا أصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور» (١كو١٠: ١١)، وذلك لكي نتجنب نحن ما حدث في الماضي ونحفظ وصايا الحكيم الذي قال: «يا ابني، إن كان قلبك حكيما يفرح قلبي أنا أيضا، وتبتـهج كليتـاي إذا تكلّمـت شـفتاك بالمستقيمات. لا يحسدن قلبك الخاطئين بل كن في مخافة الـرب اليـوم كلـه» (أم٢٣: ١٥و١٦)، وداوم على المواظبة في عبادته.

٢١- بل إننا فلنكن أكثر تيقظًا عالمين أن الله منحنا بواسطة أبينا باخوميوس تلك النعمة العظيمة: أن ننبذ العالم ونعتبر أن كل اهتماماته ومشاغله وشئونه كلا شيء. أية فرصة قـد أُعطيت لنا ليكون كل شيء ملك لنا من الخيط حتى شراك النعل (تك١٤: ٢٣)، طالما أن لنا سادة منشغلين بقلق بال بخصوصنا «في خوف ورعدة كثيرة» (١كو٢: ٣) من أجل طعامنا ولباسنا وأثناء أمراضنا إذا حلّت بنا؛ لدرجة أننا ينبغي ألاّ نقلق بخصوص أي شيء مما يجعلنا نفقد ما هو نافع لأرواحنا من أجل الجسد؟! إننا أحرار، فقد طرحنا من على أعناقنـا نـير العبودية للعالم. فلماذا نريد أن نعود إلى قيئنا، وأن تكون لنا أشياء نقلق عليها ونخاف من أن نفقدها؟ لأنه ما الفائدة التي تؤديها العباءة ذات النوع الممتاز؟ أو طعام المـزاج أو الفـراش المفضل؟ في حين أننا نزود بكل شيء بصفة عامة للجميع، وفي حين أنه لا يوجد أصعب من صليب المسيح؟ فإن آباءنا إذ عاشوا وفقًا لهذا الصليب (أي مصلوبين أو حاملي الصـليب)، بنوا حياتنا «على أساس الرسل والأنبياء» (أف٢: ٢٠)، وعلى ذيب الإنجيل الذي يترسخ

بواسطة حجر الزاوية ربنا يسوع المسيح (تكملة الآية السالفة). وإذ نتبعه نهبط إلى الاتضاع المحيي بعيدا عن الكبرياء الذي يؤدي إلى الموت، مستبدلين الغنى بالفقر والأطعمة الشهية بالبسيطة.

٢٢- أتوسل إليكم ألاّ تنسوا عزمكم الذي اتخذتموه مرةً، ودعونا نفكر في تقاليد أبينا (باخوميوس) كسلّم يقود إلى ملكوت السماء. ولا تتطلّعوا إلى الأشياء التي وطئتموها مرةً بأقدامكم. فيكفينا أن يكون لنا ما يكفي لأي إنسان: جلبابان وواحد آخر باليا وعباءة كتانية وقلنسوتان ومنطقة كتانية وأحذية وجلد ماعز وعصا.

وإذا حدث أن واحدا اؤتمن على خدمة أو تدبير أحد الأديرة وانتفع من وراء ذلك، أي أنه يضع يده على أي شيء لأجل راحته الشخصية، فهذا يجب أن يعتبر جريمة وتدنيس للمقدسات. لأنه بعمله هذا يحتقر الذين ليس لهم ولكنهم أغنياء في فقر مبارك. وهو بذلك يكون ليس هالكًا فحسب؛ بل أيضا يتسبب في هلاك الآخرين.

إن الله يسر بالتأكيد بالذين أحنوا رقابهم بكل اتضاع ومعاناة، وهم يبكون ويحزنون في هذه الحياة. وعندما يفارقون الجسد يؤخذون ليتكئوا مع آبائنا القديسين إبراهيم وإسحق ويعقوب والأنبياء والرسل. إنهم سيتمتعون بالعزاء الذي يستحقونه كما حدث مع لعازر في حضن إبراهيم. ولكن ويلٌ للذين عاشوا في هذه الشركة وحولوا شيئًا من الاستعمال العام إلى استعمالهم الخاص. فعندما يفارقون هذا الجسد سيسمعون: «يا ابني، اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك» (لو١٦: ٢٥)، بينما كان إخوتك يكافحون بأصوام وزهد وعرق في جهاد لا يتوقف. فانظروا إلى الذين نبذوا الحياة الحاضرة وهم سعداء ومبتهجون لكي يحصلوا على الحياة الآتية، في حين أنكم غارقون في نجاسة وعذابات وبؤس لأنكم لا تريدون أن تسمعوا كلمة الإنجيل، ولأنكم ازدريتم بقول إشعياء النبي: «هوذا عبيدي يأكلون وأنتم تجوعون، هوذا عبيدي يشربون وأنتم تعطشون، هوذا عبيدي يفرحون وأنتم تخزون، هوذا عبيدي يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب ومن انكسار الروح تولولون» (إش٦٥: ١٣و١٤). لقد سمعتم جميع تطويبات الأسفار، ولم تشاءوا أن تقبلوا قواعد هذه الشركة.

٢٣- ولذلك أيها الإخوة، فلنكن متساوين من الأصغر إلى الأكبر، سواء كنا أغنياء أو فقراء، كاملين في الانسجام والاتضاع حتى يقال عنا أيضا: «الذي جمع كثيرا لم يفضِل والذي جمع قليلاً لم ينقِص» (٢كو٨: ١٥؛ خر١٦: ١٨). ولا يبحث أحد عن

مسرته الشخصية عندما يرى أخا يعيش في فقر ومشقّة (١يو٣: ١٧)، وليخبر هذا الإنسان بما قاله النبي: «أليس أب واحد لكلنا؟ أليس إله واحد خلقنا؟ فلِم نغدر الرجل بأخيه لتدنيس عهد آبائنا؟ غَدر يهوذا وعمل الرجس في إسرائيل» (ملا٢: ١٠و١١).

لقد أعطى ربنا ومخلصنا لرسله هذه الوصية: «وصيةً جديدةً أنا أعطيكم: أن تحبوا بعضكم بعضا، كما أحببتكم أنا ... بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي» (يو١٣: ٣٤و٣٥). فيجب، إذن، أن نحب بعضنا بعضا ونظهر أننا حقًا خدام ربنا يسوع المسيح وأبناء للأب باخوميوس وتلاميذ لحياة الشركة.

٢٤- إذا وبخ رب بيت أحد الإخوة الخاضعين له موجها إياه بمخافة الله وهو يريد أن يصحح خطأه، وإذا أراد أحد آخر أن يتكلم بالنيابة عنه ليدافع عنه فيقود قلبه إلى الضلال، فالذي يفعل ذلك يخطئ إلى نفسه لأنه قاد الذي كان يمكنه أن يصححه إلى الضلال، وقد ألقى إلى الأرض الإنسان الذي كان ينهض وخدع ذاك الذي كان يميل إلى الأفضل بإغراء شرير. فهو بضلاله يقود آخرين أيضا إلى الضلال، فينطبق عليه كلام الكتاب: «ويلٌ للذي يعطي قريبه رواسب الخمر الثقيلة ويجعله ثملاً» (حب٢: ١٥سبعينية)، «ملعونٌ من يضلّ الأعمى عن الطريق» (تث٢٧: ١٨)، «خير له (لمن يعثر أحد هؤلاء المؤمنين بي) أن يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لُجة البحر» (مت١٨: ٦).

وكما قلنا، فإن ذلك لأنه عرقل إنسانا كان ينهض، فقد حول حياة شخص كان مطيعا إلى الكبرياء، حول إلى المرارة أخا كان قادرا أن يسلك في حلاوة المحبة، لقد أفسد بمشورة شريرة شخصا خاضعا لقوانين الدير وجعله يحقد ويغضب من الذي كان يعلمه بتهذيب الرب. لقد زرع صراعا وعدم وفاق بين الإخوة ولم يخف من المكتوب: «من أنت الذي تدين عبد غيرك؟ هو لمولاه يثبت أو يسقط، ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته» (رو١٤: ٤)، فانتبه لقول الرسول بولس: إن الرب الذي له القدرة أن يثبته وليس الإنسان الذي لا يكترث بكلام الرب.

٢٥- إذن يا إخوة، دعونا نتجنب بصفة خاصة إفساد ذهن أي واحد ضد معلمه وموجهه. دعونا نتذكر الكتاب القائل: «اغسلي من الشر قلبكِ يا أورشليم لكي تخلصي» (إر٤: ١٤). دعونا ألاّ نزرع الكبرياء والعناد بدلاً من الطاعة في قلوب بعضنا البعض. لأن أي واحد يخاف الرب، إذا رأى أخاه يضلّ ويسقط فبالحري يجب أن يريه الأمور المقدسة ويشير له إلى الطريق الصحيح حتى إذ يجعله يتقدم بكل عفة ومخافة الله

يتمم قول سليمان الحكيم: «أنقذ المنقادين إلى الموت، ولا تكف عن تحريرهم من القتل. إن قلت هوذا لم نعرف هذا، أفلا يفهم وازن القلوب وحافظ نفسك ألا يعلم» (أم٢٤: ١١و١٢)؟ وكن متأكدا أن «الله يعرف قلوب الجميع» (لو١٦: ١٥)، ويهوذا الرسـول يقول في رسالته: «مختطفين (البعض) من النار، مبغضين حتى الثوب المدنس من الجسد» (يه٢٣). دعونا نحذر من هذا النوع من الثياب ونلبس بدلاً منه «سلاح الله الكامل لكي نقدر أن نثبت ضد مكايد إبليس، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السـماويات» (أف٦: ١١و١٢).

٢٦- يجب أن نحذر من ألاّ يخصص أحد لنفسه أي شيء في بيت أو قلايـة واحـد آخر، فإن هذا منافٍ لنظام الدير. والذي يفعل ذلك لا يحسب بين تعداد الإخوة، بـل يعتبر أجيرا وغريبا. وليس له أن يأكل من فصح الرب مع القديسين لأنه صار حجر عثرة في الدير. ويمكن أن يقال عنه: «ألقوا بالحجارة خارجا عن طريقي» (إر٥٠: ٢٦ حسب النص). لأنه إذا كان ليس لنا الحق أن نحتفظ بثيابنا معنا عندما نغسلها حتى المساء وهـي لا تزال مبلّلة، بل نعطيها لمدبر البيت المسئول عنا أو المسئول عن المخزن، لكي يضعها في المكان الذي تحفظ فيه ملابس الجميع معا، وفي الصباح يسـتعيدها لكـي ينشـرها في الشمس، وعندما تجف لا نحتفظ ا في حوزتنا، بل نعيدها لكي تحفظ في مكان عـام، وذلك حسب وصايا الشيوخ؛ فكم بالأكثر إذا استأمنت آخر أو أردت أن تكون تحـت تصرفك الأشياء التي يبدو لك أن تأخذها لنفسك؟ فإنك تخطئ ضد نظام الدير ولم تفهم قول الرسول بولس: «فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة، غير أنه لا تصـيروا الحريـة فرصةً للجسد، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضا» (غل٥: ١٣)! وأيضا: «الرب قريب، لا تموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء» (في٤: ٥و٦).

أما بخصوص ذاك الذي يأخذ شيئًا تحت تصرف شخص آخر وهو يظن أنـه يعمـل عملاً صالحًا ويساعد أخاه، فليعلم أنه يخطئ إلى نفسه هو إذ يتغاضى عن أنظمة الـدير. أيها الغبي، إن نفسك مستأمنة لرب بيتك، فهل يعتبر ذاك الذي يحرس نفسك وجسـدك غير مؤهل لحفظ الأشياء الزائلة؟ دعنا نحب الإنصاف لكيما نتبرر، لأننا نقرأ أن الرحمـة تلتقي بالذين يعيشون بالحق (انظر مز٨٥: ١٠).

٢٧- ينبغي أن نلاحظ الآتي أيضا: لا يقُل أحد في قلبه، إذ يخدع بفكرة غبيـة أو بالحري يصطاد في مكايد إبليس: 'عندما أموت سأعطي ما أملكه لإخوتي'. أيها الأكثر

غباءً في البشر، أين وجدت ذلك مكتوبا؟ ألم يقض جميع القديسين والذين خـدموا الله على ثقل العالم كله مرة واحدة؟ وفي سفر الأعمال، ألم يأتوا بكل شيء يمتلكونه تحـت أقدام الرسل؟ وكيف سيمكنك أن تلبس «رداء البر» (إش٦١: ١٠) بعد موتك إن كنت لم تربحه في حياتك؟ لماذا نسيتم المكتوب: «الذي يزرعه الإنسان إيـاه يحصـد أيضـا» (غل٦: ٧)؟ وأيضا: «إن ابن الإنسان سوف .. يجازي كل واحـد حسـب عملـه» (مت١٦: ٢٧، رو٢: ٦)، وأيضا: «أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأُعطي كـل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله» (إر١٧: ١٠).

بينما أنت لا زلت على قيد الحياة، فلماذا لا تستمع لداود النبي القائل: «يذخر ذخائر ولا يدري من يضمها» (مز٣٩: ٦)، وقول الإنجيل الذي ينتهر الغني الطماع: «يا غبي، هذه الليلة تطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون» (لو١٢: ٢٠)؟ وأيضا: «في ذلك اليوم تهلك كافة أفكاره» (مز١٤٦: ٤)؟ يا غبي، لماذا لا تريد أن تسمع الرب يحثك قائلاً: «اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء .. وتعالَ اتبعني حاملاً الصليب» (مـر١٠: ٢١). ولما سمع الشاب ذلك ذهب حزينا لأن قلبه لم يكن مستقيما (انظرمـز٧٨: ٣٧)، ولذلك فلم يستطع أن يتنازل عن حمل ثروته الثقيل. لقد كان يشتهي حياة الكمال، كما يشهد الكتاب، وكان منجذبا إلى رونق الفضائل لكيما يمدح، ولكن ثروته أعاقتـه في سبيل ذلك. ولم يستطع أن يسمع لتعليم المخلص لأنه كان لا يزال يفكـر في مسـرات العالم. وهكذا يقول المخلص: «يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوات» (مت١٩: ٢٣). وأيضا: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخـر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ... وكان الفريسـيون يسمعون .. وهم محبون للمال، فاستهزأوا به» (مت٦: ٢٤ولو١٦: ١٤). فلنتجنب عدم إيمانهم ولا نسخر من الذين يعترضون علينا.

دعونا ننبذ العالم حتى نتبع، كأناس كاملين، الرب يسوع الكامل. إن الذين يتملّـك الطمع على نفوسهم يبدو لهم الفقر من أجل المسيح أنه حماقة، «أما التقوى مع القناعـة فهي تجارة عظيمة، لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء. فإن كان لنا قوت وكسوةٌ فلنكتف بهما، وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس في العطب والهلاك، لأن محبة المال أصلٌ لكل الشرور» (١تي٦: ٦-١٠).

٢٨- حتى اليوم يعاتب إيليا النبي شعب إسرائيل قائلاً: «حتى متى تعرجـون بـين

الفرقتين؟ إن كان الرب هو الله فاتبعوه» (١مل١٨: ٢١)، ونحن قد أُخبرنا: إن كانت هذه هي وصايا الله التي سلّمها لنا بواسطة أبينا (باخوميوس)، وإن كنا باتباعها يمكننا أن نأتي إلى ملكوت السماء، إذن فلنتمم هذه الوصايا بكل مشيئتنا. أما إن كنا نتبع أفكارنا فتبلغ مشيئتنا إلى شيء آخر، فلماذا لا نقر ببساطة بخطئنا ونظهر أنفسنا أننا نبدو على ما نخجل منه، لئلاّ ربما نسأل نحن أيضا: لماذا نجستم موضعي المقدس؟ فإنني «من أجل سوء أفعالهم أطردهم من بيتي» (هو٩: ١٥). لأن مجامع الشركة الرهبانية إنما هي بالتأكيد بيت الله وكرمة القديسين (انظر مز٨٠: ٨-١٥؛ إش٥: ٧)، كما قرأنا: «كان لسليمان كرم في بعل هامون، دفع الكرم إلى نواطير (أي نظّار)، كل واحد يؤدي عن ثمره ألفًا من الفضة .. الألف لك يا سليمان ومئتان لنواطير الثمر» (نش٨: ١١و١٢).

فدعونا ألاّ نطرح خارجا بسبب تنجيسنا إياه، كما قرأنا في الإنجيل أن الذين كانوا يبيعون الماشية والغنم في الهيكل كانوا ينجسونه: «وجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرا وغنما وحماما والصيارف جلوسا، فصنع سوطًا من حبال وطرد الجميع من الهيكل الغنم والبقر وكب دراهم الصيارف وقلب موائدهم، وقال لباعة الحمام: ارفعوا هذه من ههنا، لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة .. أليس مكتوبا: بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم؟ وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (يو٢: ١٤-١٦؛ مر١١: ١٧)؟ وفي موضع آخر: «لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم» (رو٢: ٢٤).

٢٩- أتوسل إليكم، أيها الإخوة، ليته لا يقال عنا: «الواحد يجوع والآخر يسكر! أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا؟ أم تستهينون بكنيسة الله وتخجلون الذين ليس لهم» (١كو١١: ٢١و٢٢)؟ وقيل لهم أيضا: «إن كان أحد يجوع فليأكل في البيت كي لا تجتمعوا للدينونة» (١كو١١: ٣٤). فلا تجعلوا بيتنا يأخذ اسما غريبا لئلاّ ينطبق علينا القول: «لم يتركوا أصنام مصر» (حز٢٠: ٨)، وأيضا: «لم يسلكوا في فرائضي .. ونجسوا سبوتي كثيرا. كذلك ينادون هم فلا أسمع قال رب الجنود» (حز٢٠: ١٣وزك٧: ١٣). دعونا ألاّ نصر على قساوة القلب ونثير غضب الله، لئلاّ يصير عدوا لنا ويقول: «أعطيتهم أيضا فرائض غير صالحة وأحكاما لا (يمكنهم أن) يحيوا بها» (حز٢٠: ٢٥)، لأنهم «أكلوا ثمر الكذب» (هو١٠: ١٣)، و«سجدوا لأعمال أيديهم» (إش٢: ٨). إن أرضهم قد امتلأت منذ البداية بالعرافة (أو الكهانة)، تماما مثل أرض الوثنيين.

٣٠- وبعد أن نبذنا العالم وأخذنا على عاتقنا أن نتبع راية الصليب، دعونا ألاّ نرجع إلى الوراء ونطلب الراحة الوقتية متشبهين بإفرايم الذي قال: «إني صرت غنيا، وجدت

لنفسي ثروةً» (هو١٢: ٨). ولعلنا لا نسمع ما استحق أن يسمعه: «كل أتعابه ستضـيع هباءً بسبب الخطايا التي ارتكبها» (هو١٢: ٨ سبعينية). ولعله لا يتم فينا القول: «أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟ أهذا المقدار احتملتم عبثًا» (غل٣: ٣و٤)؟ ولعله لا يحكَم علينا بهذا الكلام: «الشريعة تباد عن الكاهن والمشورة عن الشـيوخ .. وأيـدي شعب الأرض ترجف .. كفّت الشيوخ عن الباب والشبان عـن غنـائهم» (حـز٧: ٢٦و٢٧؛ مراثي ٥: ١٤). وأيضا: «لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بـين الأمـم» (رو٢: ٢٤). ودعونا ألاّ نحتقر قوانين أبينا باخوميوس، حتى يزحف علينا النسيان، وحتى نتجاهل بخطئنا وسيطنا الإلهي (الرب يسوع) وشفاعة قديسيه.

٣١- لأنه أية ثمرة أو أية علامة وجدت فينا من وصايا الله؟ كيف نظهر أننا نعـيش حسب نذرنا الرهباني؟ ألم نترك كل شيء، وأليس أننا ما نزال خاضعين للجشع؟ وإننـا نسأل: «من أين هذه الحروب والخصومات» (يع٤: ١)؟ أليست هي نتيجة الجشع؟ فلأن كل واحد يبحث عن منفعته الخاصة لا منفعة قريبه، فإن حزقيال النبي، وكأنه يعيش حتى يومنا هذا، يؤنبنا بكلامه النبوي قائلاً: «التجار بين الشعوب يصفرون عليكِ» (حز٢٧: ٣٦)، و«الابن مستهين بالأب» (مي٧: ٦)، والأب يوبخ الابن بقسوة. فبماذا سنجيب في يوم الدينونة؟ أو أي عذر سيمكننا أن نقدمه دفاعا عن أنفسنا في اليوم الأخير؟ كـل هذه الأمور حدثت لنا لأن «الكهنة صفقوا بأيديهم وشعبي هكذا أحـب» (إر٥: ٣١ سبعينية). لأنه: «كما الشعب هكذا الكاهن» ولذلك يقول الـرب: «أعاقبـهم علـى طرقهم، وأرد أعمالهم عليهم» (هو٤: ٩).

٣٢- هذا الكلام لا أقوله عنكم جميعا، بل عن الذين يزدرون بوصايا الشيوخ، «لأنه كان خيرا لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم» (٢بط٢: ٢١). وإرميا النبي يرثي هذا النوع من البشر قائلاً: «كلّت من الدموع عيناي، غلت أحشائي، انسكبت على الأرض كبدي على سحق بنت شعبي لأجل غشيان الأطفال والرضع في ساحات المدينة، يقولون لأمهاتهم: أين الحنطة والخمر؟ إذ يغشى عليهم كجريح في ساحات المدينة إذ تسكَب نفوسهم في أحضان أمهاتهم» (مرا ٢: ١١و١٢). ونحن نعلم أن الله «لا يسر بقوة الخيل، لا يرضى بساقي الرجل» (مز١٤٧: ١٠).

٣٣- لذلك، «هلم نرجع إلى الرب» (هو٦: ١)، ومتى صلّينا، فإن الذي يحثّنا كـل يوم قائلاً: «كفوا واعلموا أني أنا الله» (مز٤٦: ١٠)، سيسمعنا. ويقول في موضع آخر: «ارجعوا إلي أرجع إليكم» (ملا٣: ٧)، وأيضا: «ارجعوا أيها البنون العصاة يقول الرب

لأني سأسود عليكم» (إر٣: ١٤ سبعينية). وكذلك حزقيال النبي يدعونا قائلاً: «لماذا تموتون يا بيت إسرائيل، لأني لا أُسر بموت من يموت يقول السيد الرب، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا، فارجعوا واحيوا» (حز١٨: ٣١، ٣٣: ١١). إن الرب، أكثر الراحمين وينبوع كل صلاح، يصيح نحونا معلنا في الإنجيل: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم» (مت١١: ٢٨و٢٩). فليتنا نتأمل في أن «لُطف الله إنما يقتادنا إلى التوبة» (رو٢: ٤)، وأن القديسين يحثّوننا على الخلاص بالقول: «لا تقسوا قلوبكم .. ونذخر لأنفسنا غضبا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله» (عب٣: ٨؛ رو٢: ٥و٦). بل فلنرجع إلى الرب بكل قلوبنا (تث٣٠: ٢، ١صم٧: ٣). وموسى النبي يذكّرنا بقوله: «إن رجعت إلى الرب إلهك بكل قلبك .. يختن الرب إلهك قلبك وقلب نسلك» (تث٣٠: ٢و٦).

٣٤- دعونا نتعب ونكافح كجنود صالحين للمسيح (٢تي٢: ٣)، ونكون متنبهين لما هو مكتوب: «ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي من جنده، وأيضا إن كان أحد يجاهد لا يكلّل إن لم يجاهد قانونيا. يجب أن الحراث الذي يتعب يشترك هو أولاً في الأثمار» (٢تي٢: ٤-٦). إنه مكتوب: «جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه، ونحن نسلك باسم الرب إلهنا .. هم عثروا وسقطوا، أما نحن فقمنا وانتصبنا» (مي٤: ٥؛ مز٢٠: ٨).

٣٥- «إن كان أحد يمشي في النهار لا يعثر .. ولكن إن كان أحد يمشي في الليل يعثر لأن النور ليس فيه» (يو١١: ٩)، «وأما نحن – كما يقول الرسول – فلسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس» (عب١٠: ٣٩). ويقول في موضع آخر: «جميعكم أبناء نور وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا ظلمة» (١تس٥: ٥). فإن كنا أبناء نور علينا أن نعرف ما يخص النور، ونحمل ثمار النور (أف٥: ٩) في كل عمل صالح «لأن كل ما أُظهر فهو نور» (أف٥: ١٣).

فإذا رجعنا إلى الرب بكل قلوبنا واتجهنا ببساطة قلب (كو٣: ٢٢) إلى وصايا قديسيه وأبينا (أنبا باخوميوس)، نزداد في كل عمل صالح (٢كو٩: ٨). أما إذا هزمتنا مسرات الجسد فإننا سنتحسس على الحائط في وضح النهار كما في ظلام الليل (أي٥: ١٤ سبعينية)، ولن نجد مدينة مسكننا (مز١٠٧: ٤)، حيث قيل: «جياع عطاش أيضا أعيت أنفسهم فيهم» (مز١٠٧: ٥)، لأنهم ازدروا بالناموس الذي أعطاهم الله إياه ولم يسمعوا

لصوت الأنبياء، ولذلك لم يمكنهم أن يصلوا إلى الراحة الموعودة (عب٣: ١٨و١٩).

٣٦- فلنسهر ولنكن متيقظين «لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضا» (رو١١: ٢١). إنني لا أتكلم عن الجميع، بل عن المتغافلين، فهذا الرثاء يمكن أن ينطبق بالصواب عليهم. «ويلٌ للذين ابتعدوا عني» (هـو٧: ١٣)، فقد صار واضحا أنهم تصرفوا ضدي بعدم تقوى، «تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آبارا، آبارا مشققة لا تضبط ماءً» (إر٢: ١٣). ولأنهم لم يسمعوا لأحكامه، فليسمعوا الله قائلاً: «أقمت عليكم رقباء قائلين: اصغوا لصوت البوق، فقالوا: لا نصغي» (إر٦: ١٧). فمن أين جاء عدم الإيمان هذا؟ أليس لأنهم تآلفوا مع الغرباء ولم يقاوموهم؟ وفي موضع آخر يقول الروح القدس بواسطة النبي: «أنا هو الرب إلهك الذي أسس السماء وخلق الأرض، الذي كونت يداه جميع القوات السماوية، ولكنني لم أُظهرها لك حتى كان يمكنك أن تتبعها (أي تعبدها» (هو١٣: ٤ سبعينية).

وقد نطق الله بنفس التحذير بواسطة موسى النبي قائلاً: «لئلاّ ترفع عينيك إلى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم، كل جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء فتغتر وتسجد لها وتعبدها» (تث٤: ١٩)، «أنا الرب إلهك (الذي أخرجك) من أرض مصر، وإلهًا سواي لست تعرف ولا مخلص غيري، أنا عرفتك في البرية أرض العطش، لما رعوا شبعوا شبعوا وارتفعت قلوبهم لذلك نسوني» (هـو١٣: ٤-٦)، «لذلك هكذا قال الرب: ... هأنذا .. أجعلكم قلقًا لكل ممالك الأرض» (إر٣٤: ١٧).

٣٧- عندما نسمع هذه الأمور فلنستيقظ كما من سبات عميق، ولنبرهن على أننا مستحقين لخدمة الرب حتى يشفق علينا ويقول لنا: «حينئذ تدعو فيجيب الرب» (إش٥٨: ٩)، لأنه هو نفسه يقول: «مبدد إسرائيل يجمعه» (إر٣١: ١٠)، ويقول أيضا: «لا أعود أتصرف حسب حمو غضبي، لا أعود أخرب (أو أهجر) أفرايم» (هو١١: ٩)، وأيضا: «لأني لا أخاصم (أو أعاقبكم) إلى الأبد، ولا أغضب إلى الدهر، لأن روحي يخرج مني وكل ما يوحي به أنا صنعته» (إش٥٧: ١٦ حسب النص). ثم أضاف: «قد أعطيتهم تعزيةً حقيقية، سلاما على سلام للقريبين وللبعيدين، وقال الرب: إنني سأشفيهم» (إش٥٧: ١٨و١٩). ولكي ندرك رحمته بالكامل يعلّمنا إرميا النبي قائلاً: «حتى إذا ارتفعت السماء إلى العلو وهبطت أساسات الأرض إلى أسفل، فلن أرفض جنس إسرائيل من أجل كل ما عملوا يقول الرب» (إر٣١: ٣٧ حسب النص).

٣٨- وحيث إن لُطف ربنا ومخلصنا عظيم لدرجة أنه يدعونا إلى الخلاص، فلنحول قلوبنا إليه لأن «الآن ساعةٌ لنستيقظ من النوم .. قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور، لنسلك بلياقة كما في النهار» (رو١٣: ١١-١٣). يا أبنائي الصغار، فلنحب الله من كل قلوبنا، ثم نحب بعضنا بعضا. احفظـوا في أذهـانكم وصايا إلهنا ومخلصنا التي يقول فيها: «سلاما أترك لكم، سلامي أعطيكم، لـيس كمـا يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو١٤: ٢٧). و« ـاتين الوصيتين (محبة الله ومحبـة القريـب) يتعلق الناموس كله والأنبياء» (مت٢٢: ٤٠).

٣٩- إن كان أي واحد يعيش تحت مسئولية رب أحد بيوت الدير ولا يعوزه شيء من الأشياء المسموح له ـا، وكان له أب وأخ وصديق؛ فعليه ألاّ يأخذ أي شيء منـهم إطلاقًا سواء كان جلبابا أو عباءةً أو أي شيء آخر. ولكن إذا ثبت أن ما عنده هو أقـل مما هو مقرر، فإن الخطأ كله والعقاب يقع على رب البيت.

٤٠- وعلى ذلك، فإنكم أنتم آباء الأديرة، إذا رأيتم أن أي واحد يعـوزه شـيء وفي ضيق، فلا تتجاهلوه عالمين أنكم ستعطون حسابا عن «جميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها .. لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أع٢٠: ٢٨). وعلى ذلك، «فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف (أي ضعفات) الضعفاء ولا نرضي أنفسنا، فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان، لأن المسيح أيضا لم يرض نفسه، بل كما هو مكتوب: تعـييرات معيريك وقعت علي» (رو١٥: ١-٣)، وأيضا: «كما أنا أيضا أُرضي الجميع في كل شيء، غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا» (١كو١٠: ٣٣).

٤١- والآن، إن كان ربنا ومخلصنا هكذا رتب، وإن كان القديسون هكذا عاشوا، وإن كان آباؤنا هكذا علّمونا، إذن، «فلنستيقظ من النوم» (رو١٣: ١١)، ونعمل بما هو مقرر لنا، «لأن كل ما سبق فكُتب كُتب لأجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء» (رو١٥: ٤). ليته لا يكون أحد منا سببا في سقوط آخـر، وليتنـا لا نحسد الذين يوفقون في طريقهم. إ ـم بعد أن يكتسبوا كل ضروريات الجسد فلن يأخذوا معهم شيئًا عندما يموتون. إن أبناء هذا الدهر يضعون ثقتهم في هذا الدهر حيث إ ـم من العالم والعالم يحب خاصته. أما أبناء الله فيجب أن يذكروا قول الإنجيل: «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم» (يو١٥: ١٨)، وأيضا: «من أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله» (يع٤: ٤)، وأيضا: «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو١٦: ٣٣)، وأيضا: «طوبى للحزانى لأ ـم يتعـزون .. طـوبى

للجياع والعطاش إلى البر لأ م يشبعون.. طوبى للمطرودين (أو المضطهدين) من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات» (مت٥: ٥-١٠). ومن الناحية الأخرى، ما الذي قيل عن أبناء الليل؟ أليس هذا: «ويلٌ لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم، ويلٌ لكم أيهـا الشباعى لأنكم ستجوعون، ويلٌ لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكـون» (لو٦: ٢٤و٢٥)؟

٤٢- دعونا، إذن، نتجنب محبة العالم حتى نستحق أن نسمع: «عند المسـاء يبيـت البكاء، وفي الصباح ترنم (أو سرور) .. الرب سمع وأشفق علي .. حللـت مسـوحي ومنطقتني فرحا» (مز٣٠: ٥و١٠و١١). من من القديسين عبر طريق هذا العالم بـدون نوح وحزن؟ لقد قال إرميا النبي: «لم أجلس في محفل المازحين مبتهجا، بل ارتجفت أمام يدك، جلست وحدي لأنني امتلأت بالمرارة» (إر١٥: ١٧ حسب النص). ويقـول داود النبي أيضا: «كمن ينوح على أمه انحنيت حزينا» (مز٣٥: ١٤). فـإذا سـرنا في إثـر خطوا م ندرك أن «خلاصنا هو في وقت الشدة» (إش٣٣: ٢)، وأنه قد تحقق وعد النبي القائل: «الذين هم في ضيق إلى وقت ما لن يرذَلوا» (إش٨: ٢٢ حسب الـنص). فـإن كان الضيق لوقت قصير ولن يدوم إلى الأبد، فلنـزرع بالدموع حتى نحصـد بـالفرح (مز١٢٦: ٥)، ولا نضعف لأننا نعلم أن الرب ينقذ أتقياءه من التجربة (٢بط٢: ٩).

٤٣- «الرب هو أبونا» (إش٦٤: ٨)، «الرب قاضينا، الرب شارعنا، الرب ملكنـا هو يخلصنا» (إش٣٣: ٢٢). إذا تجاهلنا وصاياه نظل في ضيق، لأنه هو نفسه يقول: «أما المتوكل علي فيملك الأرض ويرث جبل قدسي» (إش٥٧: ١٣). ونحن أيضا سـنمتلك هذا الجبل إذا تممنا ناموسه وأصغينا إلى ما قاله: «أصلحوا طرقكم وأعمالكم فأسـكنكم في هذا الموضع» (إر٧: ٣)، وأيضا: «ارفعوا المعثرة من طريق شـعبي» (إش٥٧: ١٤). وفي مكان آخر: «اطرد المستهزئ فيخرج الخصام ... مبرئ المذنب ومـذنب الـبريء كلاهما مكرهة الرب» (أم٢٢: ١٠؛ ١٧: ١٥). فلنكن متيقظين لأنفسنا حتى لا يقـال عنا: 'أبناؤهم قد تغربوا عنهم' (انظر ١مك٦: ٢٤)، وأيضا: «بنات صهيون متعجرفات ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيو ن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن ويجذبن ملابسهن بأعراش» (إش٣: ١٦ سبعينية). كما أن كلام الـنبي يعمـل علـى تصحيحنا قائلاً: «كيف صارت القرية الأمينة الممتلئة حقًا زانية؟ كان العدل يبيت فيها، وأما الآن فالقاتلون» (إش١: ٢١ سبعينية). وأيضا: «الشعب الذي عرف الحق قد تاجر مع زانية، وأنت يا إسرائيل لن يتغافَل عنك» (هو٤: ١٤ حسب النص).

إذا كنا نتلو الكلام الإلهي يمكننا أن نقول مثل داود النبي: «أفرح بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة» (مز١١٩: ١٦٢)، وأيضا: «ما أحلى كلامك في حلقي، أفضل من العسل والشهد في فمي ... حقوقك كانت لي مزامير في أرض غربتي» (مز١١٩: ١٠٣، ٥٤). وقال أيضا: «لم أضع أمام عيني أمرا يخالف الناموس، صانعي المعصية أبغضت» (مز١٠١: ٣)، وأيضا: «لم يلصق بي قلب معوج، وعند ميلان الشرير عني لم أكن أعلم، والـذي يغتاب قريبه سرا كنت أطارده، المستكبر بعينيه والمنتفخ القلب لم أؤاكله. عيناي علـى جميع أمناء الأرض لكي أجلسهم معي» (مز١٠١: ٤-٦).

٤٤- دعونا نتشبه بمثال هؤلاء جميعا لكي يكون سلام وبر في أيامنا (انظـر رو١٤: ١٧)، وحتى لا يحدث معنا ما نقرأه في مكان آخر: «على أرض شـعبي يطلـع شـوك وحسك» (إش٣٢: ١٣)، بل بالحري «احرثوا لأنفسكم حرثًا ولا تزرعوا في الأشواك» (إر٤: ٣). وبمجرد أن نحفظ الوصايا التي أُعطيت لنا، يتضح أننا نحب الله كما يشـهد الكتاب المقدس: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبـه أبي وأنا أحبه .. وإليه نأتي وعنده نصنع منـزلاً» (يو١٤: ٢١و٢٣)، وأيضا: «أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به» (يو١٥: ١٤)، «خذوا معكم كلاما وارجعوا إلى الرب وقولوا له: إنك قادر أن تغفر لنا خطايانا لكي ننال خيرات. ولنقدم ثمر شفاهنا» (هـو١٤: ٢ حسب النص)، وحينئذ «تفرح نفسي بالرب» (مز٣٥: ٩).

٤٥- ليتنا تبنا عن خطئنا وتغافلنا وعدنا إلى طرقنا السابقة وقلنا: «لا يخلصنا أشور، لا نركب على الخيل، ولا نقول أيضا لعمل أيدينا: يا آلهتنا. الله الذي فيكم يشفق علـى الشعب. إنني سأجدد مساكنهم» (هو١٤: ٤و٥ سبعينية). حينئذ سـيقول عنـا مـرةً أخرى: «إنني سأحبهم علانيةً وأحول غضبي عنهم. أكون لإسرائيل كالنـدى، يزهـر كالسوسن ويضرب أصوله كلبنان، تمتد أغصانه ويكون كالزيتونـة المثمـرة ورائحتـه كرائحة لبنان. إ م سيعودون ويجلس كل واحد في خيمته. إ م سيعيشون ويشبعون من الحنطة، وسيزهرون مثل كرمة، ويكون ذكرهم لإفرايم كخمر لبنان. وما لهم بعد ذلـك وللأصنام؟ لقد أذللتهم وسأشجعهم. أنا كسروة خضراء، وثمرتك إنما مني أنا توجد. من هو حكيم ويفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها» (هو١٤: ٥-١٠ سبعينية). وليتنا نحن أيضا استطعنا أن نعطي ثمرا منه! لأنه بدونه أي عمل صالح غير مستطاع.

٤٦- فلنرجع إلى الرب حتى يقول عنا أيضا: «إني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد» (إر٣١: ٣٤). دعونا ألاّ ننبذ ناموس الله الذي استلمه أبونا (باخوميوس) منه وسـلّمه

لنا، فلا نقلل من قيمة وصاياه لئلاّ يقال علينا هذا الرثاء: «كيف فقد الذهب بريقه والفضة الجيدة تغيرت؟ والحجارة المقدسة أُلقيت في ركن كل شارع» (مرا ٤: ١). وبعد الأتعـاب العديدة التي تحملها أبونا لأجل خلاصنا، مقدما ذاته كنموذج للفضيلة، مفتخرا بنـا بـين القديسين بقوله: "هؤلاء هم أبنائي وشعبي، إ م لن ينكروني". فبعد هذه الشهادة ليتنـا لا نفقد ثقة الضمير الصالح، إذ نتعرى من الرداء الذي ألبسنا إياه. إنه قادنا إلى النضال لكـي نجاهد قانونيا (انظر ٢تي٢: ٥)، فليتنا لا نهزم من أعدائنا. وبمجرد أن نصل إلى وقت مفارقة الجسد، فليتنا لا نصبح أعداءً لأبينا بخدمتنا لكنوز أرضية بطريقة تجعلنا، حتى نحـن الـذين وجب علينا أن نبلغ إلى حرية الروح بواسطة الصوم وإذلال الجسد، نكرس أنفسنا للجسـد والمسرات والثياب الجميلة والفراش الناعم. وحينئذ نحن ليس فقط نفقد نفوسنا؛ بل إننا نكون سببا في هلاك آخرين كان يمكن أن ينتفعوا من قدوتنا.

وقد كُتب بخصوص ذلك: «لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف، بل روح القـوة والمحبة والنصح» (رو٨: ١٥، ٢تي١: ٧)، وأيضا: «الطعام لا يقدمنا إلى الله، لأننـا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص. لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشربا، بل هـو بـر وسلام وفرح في الروح القدس، لأن من خدم المسيح في هذه فهو مرضي عند الله ومزكّى عند الناس» (١كو٨: ٨، رو١٤: ١٧و١٨). ويقول أيضا إشعياء النبي: «أما منتظـرو الرب فيجددون قوةً، يرفعون أجنحةً كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون» (إش٤٠: ٣١). ولذلك «يرفع رايةً للأمم ويجمع منفيي إسرائيل» (إش١١: ١٢). «وها هم بالعجلة يأتون سريعا، لن يجوعوا أو يتعبوا، لا ينعسون ولا ينامون ولا تنفك مناطقهم من أحقائهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم، الذين سهامهم مسنونة وجميع أقواسهم منحنية. أقدامهم تحسب كالصوان، وعجلات مركبا م كالزوبعة. يتهيجون كالأسود ويقتربون كأشبال الأسد» (إش٥: ٢٦-٢٩).

٤٧- ولذلك، فلنتشبه بالقديسين ولا ننس البنية التي سلّمها لنا أبونا في حياته. دعونا ألاّ نطفئ المصباح المشتعل الذي وضعه فوق رؤوسنا. وإذ نسلك في هذا العالم على ضوء هذا المصباح، فلنذكر أنه بواسطة غيرته قِبلْنا الله ضمن أهل بيته. لقد استضاف عـابري السبيل وأعطى ميناء سلام للذين في البحر العاصف. أعطى خبزا في الجوع وظلا في الحر ولباسا للعري. وقد وجه الجهال بوصايا روحية. وقد أحاط المسـتعبدين مـن الرذائـل بالعفة، وقرب لنفسه البعيدين.

والآن، بعد رقاده، دعونا ألاّ ننسى مثل هذا اللطف العظيم والفوائـد الخالـدة، وألاّ

تحول الحكم إلى غضب وثمار البر إلى مرارة حتى لا يقول علينا: «احكموا بـيني وبـين كرمي ... انتظرت أن يصنع عنبا .. فأعطى إثمًا، وعدلاً (أو برا) فإذا صـراخ» (إش٥: ٣و٤و٧). وحينئذ تحلّ علينا تلك اللعنة التابعة لذلك في النص النبوي. إ ا لعنة يجب أن رب منها ونتجنبها بأقصى غيرتنا، وذلك باتباع طريقة حياة الذين سبقونا في الـرب، آبائنا وإخوتنا، الذين هجروا العالم وشقّوا طريقهم إلى الرب بخطـى متواصـلة (غـير متوقفة)، وهم الآن في حوزة ميراثه الذي أخاف أن نفقده بتكاسلنا، وهكذا ينطبق علينا الكلام النبوي الذي يقول عن إفرايم: «إنه يجري تجارة زيت مع مصر. وقد اختلطوا مع الأمم وتعلّموا ممارسا م» (هو١٢: ١ حسب النص).

وبعد أن دعينا للحرية (غل٥: ١٣)، وقد تجمعنا من أماكن متفرقة لنشـكل شـعبا واحدا لله، كما هو مكتوب: «آخذكم واحدا من المدينة واثنين من العشيرة وآتي بكم إلى صهيون، وأعطيكم رعاةً حسب قلبي فيرعونكم بالمعرفة والفهم» (إر٣: ١٤و١٥) – بعد ذلك، دعونا ألاّ نكسر قيود المحبة لئلاّ يقال عنا: «الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده، فإن كنت أنا أبا فأين كرامتي، وإن كنت سيدا فأين هيبتي» (ملا١: ٦)؟

٤٨- لذلك، فلتصرخ قلوبنا إلى الرب: «يا سور بنت صهيون، اسكبي الدمع كنهر ارا وليلاً. لا تعطي ذاتكِ راحةً، لا تكف حدقة عينكِ. قومي اهتفي في الليـل في أول الهُزع. اسكبي كمياه قلبكِ قبالة وجه السيد، ارفعي إليه يديكِ لأجل نفـوس أطفالـك المغشى عليهم من الجوع في رأس كل شارع» (مرا ٢: ١٨و١٩). ولعله لا ينطَق ضدنا القول: «الأرض ناحت والعالم قد فسد، متغطرسو الأرض نـاحوا. الأرض أخطـأت بسبب سكا ا، لأ م تعدوا الناموس وغيروا فرائض العهد الأبدي. لذلك، فـإن الأرض تلتهمها اللعنة لأن سكا ا أخطأوا .. ويبقى أناس قلائل» (إش٢٤: ٤-٦ سبعينية). ولعل خمرنا وكرمتنا لا تنوح أيضا، ولعل الذين فرحوا سابقًا لا يتنهدون (انظـر إش٢٤: ٧)، ويمكن أن يقال عنا: «لقد اخترعوا جنونا في بيت الله. وقد أفسدوا أنفسهم كما في أيام التل» (هو٩: ٨و٩)، وأيضا: «الغنيمة تأتي منكم» (إر٣٧: ١٧ حسب النص)، وأيضا: «لأنكم قلتم: قد عقدنا عهدا مع الموت وصنعنا ميثاقًا مع الهاوية» (إش٢٨: ١٥).

فإذ نتجنب هذا الكلام، نعتقد، بدلاً من ذلك، أنه في زمانه «يـبرز كوكـب مـن يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي موآب ويهلك كل بني الوغا (أو بـني شيث)» (عد٢٤: ١٧). ليته «لا يكون بعد لبيت إسرائيل سلاّء ممرر (أي وخز يهـيج السخط) ولا شوكة موجعة» (حز٢٨: ٢٤)، لأن «قسم الرب هو شعبه، يعقوب حبل

نصيبه» (تث٣٢: ٩). ويقول إرميا النبي: «إن كانت هذه الفرائض تزول من أمامي يقول الرب، فإن نسل إسرائيل أيضا يكف من أن يكون أُمةً أمامي كل الأيام» (إر٣١: ٣٦). وأيضا: «سأعطي تعبهم للأبرار، وأقطع معهم عهدا أبديا، ويعرف بين الأمم نسلهم وذريتهم في وسط الشعوب، كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسلٌ باركه الرب، ويفرحون بالرب فرحا عظيما» (إش٦١: ٨-١٠ سبعينية).

٤٩- إذن، «فلنفحص طرقنا» (مرا ٣: ٤٠)، ونتفكّر مليا في خطواتنا، وليتنا نتبع «رائحة معرفة الرب الذكية» (٢كو٢: ١٤)، مخبئين كلماته في قلوبنا (مز١١٩: ١١) حتى نكون «بلا عيب في الطريق، سالكين في شريعة الرب» (مز١١٩: ١). ولعل ضعف الجسد وا بهود الطويل لا يخيفاننا. وكما هو مكتوب: «آباؤكم أين هم؟ والأنبياء هل أبدا يحيون؟ ولكن اقبلوا كلامي وشرائعي كل ما أُوصي به بروحي لعبيدي الأنبياء الذين كانوا مع آبائكم» (زك١: ٥و٦). ولعلنا نختبر «غنى لطف الله وإمهاله وطول أناته» الذي هو حتى اليوم «يحثنا على التوبة» (رو٢: ٤) قائلاً: «الذي يسقط ألا يقوم؟ أو الذي يضلّ ألا يرجع مرةً أخرى؟ لماذا حاد شعبي هذا بعصيان مخزٍ؟ وتعلقوا بمسرا م ورفضوا أن يرجعوا» (إر٨: ٤و٥ سبعينية)؟ إذا رجعنا إلى الله فإنه يبني حياتنا بروحه القدوس كما هو مكتوب: «الرب يبني أورشليم، يجمع منفيي إسرائيل» (مز١٤٧: ٢).

٥٠- لقد علّمنا الرسول أن مجمع شركتنا، ا مع الذي ارتبطنا به الواحد مع الآخر، ينبع من الله عندما قال: «لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله» (عب١٣: ١٦). ونقرأ نفس الشيء في سفر الأعمال: «كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدةٌ، ولم يكن أحد يقول إن شيئًا من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركًا. وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمةٌ عظيمةٌ كانت على جميعهم» (أع٤: ٣٢و٣٣). كما أن المرتل يتفق مع هذا الكلام في قوله: «هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معا» (مز١٣٣: ١). فدعونا نحن الذين نعيش معا في هذه الشركة، نحن الذين هم متحدون كل مع الآخر في محبة متبادلة، نطبق ذلك على أنفسنا تماما كما استحققنا صحبة الآباء القديسين في هذه الحياة، فلعلنا نكون أيضا رفقاءهم في الدهر الآتي.

إننا نعلم أن صليب حياتنا هو أيضا أساس عقيدتنا، وأننا ينبغي أن «نتألم معه» (رو٨: ١٧)، ويجب أن نتحقق أنه بدون تجارب ومصاعب لا يبلغ أي أحد إلى النصرة. «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكّى ينال إكليل الحياة» (يع١: ١٢)، وأيضا: «إنه

تعب في الدنيا وسيحيا إلى الأبد» (مز٤٩: ٨ سبعينية). «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضا معه. فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا» (رو٨: ١٧و١٨). ومكتوب أيضا: «تفكّرت كيف أمكنني أن أفهم ذلك مع أنه صعب علي» (مز٧٣: ١٦ حسب النص)، وأيضا: «ولكنني لم أكلّ من اتباعك، ولا رغبت في يوم بشر» (إر١٧: ١٦ سبعينية). وفي مكان آخر: «كثيرةٌ هي بلايا الصديق، ومن جميعها ينجيه الرب» (مز٣٤: ١٩)، وقال ربنا في الإنجيل: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢)، وفي مكان آخر: «هذا هو كتاب وصايا الله والناموس الذي يبقى إلى الأبد. كل الذين يحفظونه يحيون، والذين يتركونه يموتون. ارجع يا يعقوب، وتمسك به، واسلك في نوره حتى تستنير، لا تعطِ كرامتك لآخر ولا الأمور النافعة لك لأمة غريبة. طوبى لنا يا إسرائيل، لأن الأمور التي تسر الله قد كُشفت لنا. ملوا يا شعبي يا تذكار إسرائيل» (با٤: ١-٥). كما يقول إشعياء النبي: «افرحي يا أورشليم وأنتم جميعا الذين تحبونها، وعيدوا فيها، افرحوا جدا معها أنتم كلكم الذين تنوحون عليها الآن لكي تشبعوا من ثدي تعزياتها» (إش٦٦: ١٠و١١ سبعينية).

٥١- فلنكرس أنفسنا لقراءة الأسفار المقدسة والتعلم منها، إذ نتلوها على الدوام ونحن مدركون القول: «من ثمرة فمه يأكل الإنسان خيرا» (أم١٣: ٢)، وأيضا: «يعوض البار بالمكافأة عن أتعابه» (حك١٠: ١٧). هذا هو الكلام الذي يقودنا إلى حياة أبدية، الذي سلّمه لنا أبونا (باخوميوس) وأوصانا باستمرار أن نتلوه، حتى يتحقق فينا المكتوب: «ضعوا كلماتي هذه على قلوبكم ونفوسكم واربطوها علامةً على أيديكم ولتكن عصائب بين عيونكم، وعلموها لأولادكم متكلمين بها حين تجلسون في بيوتكم وحين تمشون في الطريق وحين تنامون وحين تقومون، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك لكي تكثر أيامك ... لتحبوا الرب إلهكم وتسلكوا في جميع طرقه وتلتصقوا به» (تث١١: ١٨-٢٢). ويشير سليمان الحكيم إلى ذلك بقوله: «اكتبها على لوح قلبك» (أم٣: ٣).

٥٢- تأملوا كيف أن كلمة الرب تحثنا بشهادات عديدة أن نتلو في الأسفار المقدسة حتى نمتلك بالإيمان ما تلوناه مرارا بأفواهنا: «جيد للرجل أن يحمل النير في صباه، يجلس وحده ويسكت لأنه قد وضعه عليه ... يعطي خده لضاربه، يشبع عارا، لأن السيد لا يرفضه إلى الأبد» (مرا ٣: ٢٧-٣١). ومكتوب في مكان آخر: «قد ذكرت لكِ غيرة صباكِ» (إر٢: ٢). وأيضا: «افرح أيها الشاب في حداثتك وليسرك قلبك في أيام شبابك واسلك في طريق قلبك ولكن ليس بمرأى عينيك، واعلم أنه لأجل هذه الأمور كلها يأتي

بك الله إلى الدينونة. فانزع الغم من قلبك وابعد الشر عن لحمك، لأن الشباب والحماقة باطلان. فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها مسرة. قبل أن تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم وترجع السحب بعد المطر. في يوم يرتعد فيه حفَظَة البيت ويصير الأقوياء منحنين، وتتوقف الطاحنات لأن صرن قليلات، وتظلم الناظرات من الشبابيك وتغلَق الأبواب في السوق بسبب ضعف صوت اللائي يطحن، ويقفز الرجال لصوت العصفور، وتحط جميع بنات الغناء. ويتطلّعون فتكون مخاوف في الطريق، ويزهر شجر اللوز ويزداد الجراد ويقطَع شجر الكَبر، لأن الإنسان يذهب إلى بيته الأبدي والنادبون يطوفون السوق. قبل أن ينفصم الحبل الفضي والحلية الذهبية تنكسر، وتتحطم الجرة عند العين أو تنقصف البكرة عند البئر، قبل أن يرجع التراب إلى الأرض كما كان، وتعود الروح إلى الله الذي أعطاها» (جا١١: ٩ – ١٢: ٧ سبعينية).

وهكذا أيضا مكتوب في الإنجيل: «يا غلمان، ألعل عندكم إداما؟ ... ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا» (يو٢١: ٥و٦). وأيضا: «وبنوكم الذين لم يعرفوا اليوم الخير والشر، فهم يدخلون إلى هناك (أرض الموعد)» (تث١: ٣٩)، وأيضا: «قدس لي كل بكر كل فاتح رحم» (خر١٣: ٢)، «كما هو مكتوب أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوسا للرب» (لو٢: ٢٣)، وأيضا: «وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس» (لو٢: ٥٢). ويشوع أيضا خادم موسى، كان شابا ولم يبرح من خيمة الله (خر٣٣: ١١).

ونحن نقرأ أيضا المكتوب عن داود النبي: «كان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر» (١صم١٦: ١٢). وتيموثاوس أيضا، وهو لا يزال صبيا وشابا كان قد تعلّم الكتب المقدسة حتى أمكنه أن يأتي بواسطتها إلى الإيمان بالرب والمخلص (انظر ٢تي٣: ١٥)، ولأن دانيال النبي كان حاذقًا في كل حكمة (دا ١: ٤)، لذلك فقد دعي: «الرجل المحبوب» (دا ٩: ٢٣، ١٠: ١١). وكان يوسف محبوبا جدا من أبيه لأنه حفظ وصاياه، وعندما كان في السابعة عشرة من عمره اعتبر أن وصايا أبيه هي ناموس حياته (انظر تك٣٧: ٢،٣، ١٤).

٥٣- لقد كشفت لكم هذه الأمور كلها حتى بالتأمل في سير القديسين «لا نكون مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم» (أف٤: ١٤)، بل حتى نصارع ونضع طريقة حياة م كنموذج لحياتنا حتى نكون «شعبا خاصا للرب» (تث٧: ٦، ٢٦: ١٨)، «ولا تحزنوا روح

الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء» (أف٤: ٣٠)، وليتنا «لا نطفئ الـروح ولا نحتقـر النبوات» (١تس٥: ١٩و٢٠) لئلاّ نفشل في تهيئة مكان لروح الله الذي يريد أن يسكن فينـا (انظر رو٨: ١١). وليتنا لا نخاف أحدا إلاّ الله الذي هو المنتقم والقاضي على كل عمل. إنـه «قدوس مع القديس، ومع الطاهر يكون طاهرا» (مز١٨: ٢٥ سبعينية)، وهو يقـول: «أنـا أحب الذين يحبونني، والذين يبكّرون إلي يجدونني» (أم٨: ١٧). كما أنه يقول: «إن لم تتأدبوا مني بذلك بل سلكتم معي بالخلاف فإني أنا أسلك معكم بالخلاف» (لا٢٦: ٢٣و٢٤).

٥٤- دعونا ألاّ نغضب بعضنا من بعض، وحتى لو هزمنا من الغضب فـلا نخطـئ بغضبنا (مز٤: ٥) إن كنا نندم على الغضب قبل غروب شمـس اليـوم (أف٤: ٢٦). ولنتذكر أننا كم مرة قد أوصينا أن نغفر لمن أخطأ إلينا؟ (مت١٨: ٢١و٢٢)، وأن نترك قرباننا على المذبح (مت٥: ٢٣و٢٤)، لأنه لن يقبل إن لم يكن مقبولاً بالمصالحة. حينئذ يمكننا أن نقول: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا» (مت٦: ١٢). وقد أوصى الرسول قائلاً: «مسامحين بعضكم بعضا إن كان لأحد على أحد شكوى» (كو٣: ١٣). فلنكن تلاميذ للوداعة التي مارسها جميع القديسين، ولا سيما داود الـنبي الـذي كُتب عنه: «اذكر يا رب داود وكل ذلّه (أو دعته)» (مز١٣٢: ١)، وموسى النبي الذي نقرأ عنه أنه «كان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عـد١٢: ٣). ويقول الرب عن الودعاء: «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (مت٥: ٤).

امتلاك الوداعة إنما هو علامة على حكمة عظيمة، إذ نسمع القول: «يا ابـني، كـن حكيما وفرح قلبي» (أم٢٧: ١١)، وأيضا: «كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء» (أف٥: ١)، و«كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامـل» (مـت٥: ٤٨)، وفي مكان آخر: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس يقول الرب» (لا١١: ٤٤؛ ١بط١: ١٦).

٥٥- عندما نقرأ هذه الشهادات، فلنـزرع البر لأنفسنا حتى نحصد ثمـرة الحيـاة. دعونا نضيء مصباح الحكمة، لأنه قد حان وقت الحصول على معرفة الله حتى تعطَى لنا ثمرة الحياة (يع٣: ١٨). «هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص» (٢كو٦: ٢). وحقًا كما هو مكتوب: «المحبة هي تكميل الناموس» (رو١٣: ١٠)، ويتفـق القـديس يوحنا مع ذلك إذ يقول: «كما أخذنا وصيةً من الآب ... أن يحب بعضنا بعضا» (٢يو: ٤و٥)، وأيضا: «من يحب الله يحب أخاه أيضا» (١يو٤: ٢١). «ليس كما كان قـايين من الشرير وذبح أخاه. ولماذا ذبحه؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيـه بـارة. لا تتعجبوا يا إخوتي إن كان العالم يبغضكم. نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحيـاة

لأننا نحب الإخوة» (١يو٣: ١١-١٤)، لذلك «لنحب بعضنا بعضا» (١يو٤: ٧).

٥٦- إنني «بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئيا» أيها الأبناء الأعزاء (رو١٥: ١٥)، حيث أن الله قد استأمنني على القطيع الذي يتبع طريقتكم في الحياة التي هي هذه الشركة (الكينونيا) المقدسة. إنني «لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد» (أع٢٠: ٣١)، لكي تكونوا مرضيين عند الله، وأنني «لم أؤخر شيئًا من الفوائد إلاّ وأخبرتكم وعلّمتكم به ... والآن أستودعكم يا إخوتي لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثًا مع جميـع المقدسـين» (أع٢٠: ٢٠و٣٢). فاسهروا وصارعوا بكل قوتكم وانتباهكم حتى لا تنسوا ما عزمتم عليـه، بـل تحققوا ما تعرفون أنكم وعدتم به، «فإني أنا الآن أسكب سكيبا ووقت انحلالي قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيرا قد وضِع لي إكليل الـبر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الـذين يحبـون ظهوره أيضا» (٢تي٤: ٦-٨)، والذين تمموا جميع وصايا أبينا (باخوميوس). «فلنسمع ختام الأمر كله: اتقِ الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله، لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيرا أو شرا» (جا١٢: ١٣و١٤).



ثالثًا: قصص وأقوال ورسائل وكتابات
القديس الأب ثيئودورس (تادرس)

طفولة تادرس ودخوله الدير:

وقيل عن تاودورس (تادرس) ابنه الحقيقي إنه كان مسيحيا من أسرة مسيحية، وكان تقدمه الروحي عظيما وكان ظاهرا في قطيع المسيح، وقيل إن عمره حينئذ لم يتجاوز الثانية عشرة، وإنه في هذه السن المبكرة كان يمتنع عن اللحوم الفاخرة، وإنه كان يقلد الرهبان ولا يأكل إلاّ مرة واحدة في اليوم. وحدث في الحادي عشر من طوبة (عيد الظهور الإلهي)، أن رأى تادرس منزله قد شملته الأبهة العالمية والخيرات الأرضية، فتفكّر في نفسه بشعور إلهي قائلاً: 'إذا تمتعت بهذه الأطعمة فلن تجد النعم الأبدية والحياة الحقيقية، فلا يمكن أن ينغمس الإنسان في ملذات العالم ثم ينال ثواب المجد الذي لا نهاية له'. ثم تنهد بعمق وأغلق على نفسه وانطرح على وجهه وطفق يبكي قائلاً: "يا الله، لست أريد شيئًا مما لهذا العالم، بل أريدك أنت وحدك ورحمتك".

ثم بحثت والدته عنه كثيرا حتى وجدته، ولما رأت دموعه سألته: "من الذي أحزنك يا بني؟ لقد انتظرناك أنا وإخوتك على المائدة طويلاً". فقال: "اذهبوا وكُلوا أنتم فلا أريد أن آكل الآن". وظلّ في عزلته صائما حتى المساء، وأحيانا كثيرة كان يصوم يومين. وكان يزهد في الأطعمة الفاخرة واللذيذة مثل راهب، وذلك لمدة سنتين. وقيل إنه ظل يصلّي حتى الفجر، وعند الصباح خرج من منزله ومن بلدته وذهب إلى أحد المواضع في منطقة إسنا وانفرد هناك لدى بعض الرهبان القدامى المحبين لله. ويذكر مصدر آخر أنه سمح له أخيرا أن يذهب إلى أحد الأديرة في منطقة "لاتوبوليس" (إسنا) ليتخذ السيرة الرهبانية مع رهبان ذلك الموضع الأتقياء، وكان عمره حينئذٍ أربعة عشر عامًا، وظل يسلك هناك باتضاع عظيم(١).

وقيل إن الرهبان كانوا جالسين ذات مرةٍ في المساء كالعادة يتحادثون بكلمة الله، فسمع تادرس واحدا منهم - قيل إنه اضطر يوما ما أن يبيت في دير أنبا باخوميوس لما أمسى عليه الوقت، وسمع القديس يتكلم مع الرهبان في شرح كلمة الله، فلما عاد إلى ديره في إسنا نقل ما سمعه إلى رهبان ديره - سمعه تادرس يتحدث عما سمعه عن خيمة الاجتماع، ويشرح معنى القدس وقدس الأقداس ويطابق التفسير على الشعبين، فقال إن

(1) G 1, 33; SBO, 31.

الخباء الخارجي، الذي كانت الخدمة تكمل فيه بالذبائح الحيوانية وخبز الوجوه والمنارة وسرجها وأشياء أخرى، كانت ترمز إلى الشعب الأول (اليهودي)، وقدس الأقداس كان يرمز إلى دعوة الأمم أي إلى كمال الناموس، وكان كل ما فيه أعظم مجدا من الخباء الخارجي. إذ إنه عوضا عن الذبائح الحيوانية كان يوجد مذبح البخور، وعوض المائدة كان هناك تابوت العهد الذي فيه الخبز الروحاني وكتاب الناموس (لوحا العهد وبقية التوراة)، وعوض سراج المنارة كان كرسي الرحمة (غطاء تابوت العهد) حيث كان الله يتراءى كنار آكلة، أي الله الكلمة المتأنس الذي فدانا بظهوره في الجسد.

وبعد هذا الشرح قال الأخ: "أنا سمعت هذا الكلام من الرجل القديس أبينا باخوميوس الذي جمع في طبانسين إخوة كثيرين يتقدمون وينمون في المسيح. وأنا أومن أن الرب سيغفر لي الكثير من خطاياي لأني ذكرت رجلاً بارا في هذه الساعة". فلما سمع الشاب تادرس ذلك التهب قلبه وصلّى قائلاً: "يا رب، ما دام يوجد رجل قديس مثل هذا على الأرض فاجعلني مستحقًا أن أراه وأكون له تلميذًا لكي تخلص نفسي بمساعدته". وقد أمضى معظم الليل مصليا بخصوص ذلك. ثم سأل تادرس هذا الأخ عن هذا الرجل العظيم وكيفية تدابيره، فازداد شوقًا وصلاةً ليسهل الله طريقه إليه.

ثم مرض تادرس واشتد عليه المرض حتى إنّ والديه اللذين جاءا ليفتقداه بطعام لما وجداه على هذه الحال أخذاه إلى البيت دون أن يدري، ولكنه لما أفاق لم يرد أن يأكل شيئًا قبل أن يعيداه إلى الدير، وهناك خدمه الإخوة حتى عوفيَ من المرض(٢).

وبعد أيام قليلة صعد إلى هناك الأب "باكيسيوس"، وهو راهب شيخ تقي أرسله الأب باخوميوس لخدمة الإخوة، وقد جاء إلى هذا الدير بترتيب من الله ليبيت فيه. فتوسل إليه تادرس بإلحاح أن يأخذه إلى الدير إلى الأب الكبير باخوميوس. ولكنه رفض لكونه في دير ولأنه خاف لما علم أن والديه من أشراف مدينة إسنا. ثم هرب تادرس من الدير ولحق بالأب باكيسيوس في المركب مما اضطره أن يأخذه معه. ولما وصل إلى الموضع سجد لله وقال: "مبارك أنت يا رب لأنك استمعت لابتهالي". ولما التقى بأبينا باخوميوس أخذ يبكي عند الباب، فقال له: "لا تبكِ فأنا خادم لأبيك (أي لله) ... الإله الذي جئت من أجله والتجأت إليه، الرب يسوع المسيح، هو يكمل لك جميع ما عزمت في قلبك أن تفعله". ثم اتخذه تلميذًا خاصا له(٣).

(2) G 1, 34; SBO, 29.

(3) G 1, 35; SBO, 30 a.
وتنفرد نسخة أخرى بذكر نبوة أنبا باخوميوس عن تادرس: هوذا الإناء المصطفى ...

وقيل إن تادرس لما دخل الدير[٤] ورأى الإخوة وسمعهم يسلكون باستقامة بأ بكل غيرة للصلاح، وأظهر تقدما ووجد راحةً وقوةً في الوصايا كما تعلّم من أنبا باخوم الذي كان يتمثل بالقديسين. وكان الشاب تادرس عاقلاً رزينا، وقد أحكم الفضائل الـثلاث الآتية: نقاوة القلب، وكلام النعمة بقياس ووزن وطاعة بدون فحص حتى الموت، والجهاد وأسهار الصلوات التي لم يكن فيها أقل من غيره. وكان يجاهد ليقتني المواهب العظيمـة حتى إنه صار معزيا لكثيرين من المتضايقين ومثقفًا للذين هم أكبر منه لأنّ «الريح ـب حيث تشاء»، إذ كان الأب باخوميوس يعهد إليه بنفوس كثيرة لكي يعزيهـا، وكـان يوصيهم أن يذهبوا إليه ليتعزوا عنده في شدائدهم وتجار م. أما هم فكـانوا يسـمونه "معزي الإخوة"! فقد كان يعزيهم بكلامه الدسم ويصلّي مع كثيرين منهم مرات عديدة لكي يمنحهم الرب عزاءً في تجار م. ولما رأى أبونا باخوميوس تقدمه الظاهر، تحقـق في قلبه أنّ الله سيعهد إليه من بعده برعاية النفوس[٥].

لما سم**عت والدة تادرس جاءت** تحمل رسائل مـن الأسـاقفة إلى الأب بـاخوميوس يوصونه فيها بإعادة الفتى إليها[٦]. ونزلت ضيفة في دير العذارى وأرسلت الرسائل لعلها تستطيع أن تراه. فقال له الأب باخوميوس: "سمعت أن والدتك جاءت مـن أجلـك وأحضرت رسائل من الأساقفة، فمن أجل الرسائل ينبغي أن تذهب وتقابلـها وتقنعهـا لترضيها". فقال له الفتى: "أخبرني، هل إذا ذهبت لأراها لأ ا أمي بعد كل ما أدركت من معرفة، أما يلومني الرب في يوم الدينونة؟ فبدلاً من أن تكون لي شهامة الرجل لأقوم الآخرين بالأحرى أصير حجر عثرة لكثيرين؟! وإذا كان أولاد لاوي قتلـوا والـديهم وإخو م لإرضاء الرب ولكي لا يحل عليهم سخط غضبه، فأنا أيضا ليسـت لي أُم ولا شيء من هذا العالم لأنه يزول"!

فقال له الأب باخوميوس: "إن كنت قد أحببت الله أكثر من أمك فأنا لا أمنعك بل بالحري أشجعك على ذلك، لأنه مكتوب: «من أحب أبا أو أُما أكثر مني فلا يستحقني» (مت١٠: ٣٧)، فهذا هو الكمال. كما أن آباءنا الأساقفة إذا سمعوا ذلك لن يحزنوا بـل بالأحرى يسرون بتقدمك ونجاحك. والواقع إنه ليس في ذلك خطية أن يعامل الواحـد

---

(٤) عندما دخل دير إسنا كان عمره ١٤ سنة، وذلك في سنة ٣٢٨ م، حيث قضى ست سنوات، ثم التحق بدير أنبا باخوم عندما كان عمره عشرين سنة.

(5) G 1, 36; SBO, 30 b, 32.

(٦) تذكر مراجع أخرى أن مضمون رسائل الأساقفة كان للسماح للأم برؤية ابنها فقط، ولكن يتضح من بقية الكلام أ ا كانت ترغب في عودته معها إلى دير إسنا القريب من بيتها، لذلك قال الأب باخوميوس: "اذهب سلّم على والدتك وعزها واقنعها بما تتلقنه حينئذ من الروح".

أقاربه ليس كأقارب بل كأعضاء المسيح ويحبهم مثل جميع المؤمنين الآخرين. فالجسد لن يفيد الإنسان شيئًا بالمرة".

فلما علمت والدته أنه لا يريد أن يراها، فمن محبتها له لم تشأ أن تعـود إلى بيتـها، ولكنها بقيت مع العذارى قائلةً في نفسها: 'لعلّي أراه مرةً وسط الإخوة فضلاً عن أنـني أنا أيضا أربح نفسي'. ومكثت في دير العذارى حتى دبر كهنة الكنيسة أن تراه من بعيد وسط الإخوة. كما أنّ أخاه "بافنوتي" (بفنوتيوس) الذي كان مع أمه حاول أن يكلّمـه، وقال له وهو يبكي: 'إنني أريد أن أكون راهبا معك'. ومع أنه بكى كثيرا فلم يقف لـه تادرس ليكلّمه ولم يعامله كأخ. فلما أخبروا أنبا باخوميوس بذلك أخذ تـادرس علـى ناحية وكلمه بمفرده لكي يعامل أخاه بلطف. ثم أدخله إلى الدير وصـيره راهبـا. أمـا والدتهما فمضت بحزن عظيم وبكاء مر من أجل ابنيها، فهي لم تستطِع مقابلـة تـادرس وحتى ابنها الأصغر صار أيضا راهبا معه(٧)!

وفي **أحد الأيام**، بعد أقل من ستة شهور من دخوله الدير، جاء الأب تادرس إلى أبينا باخوميوس وهو يذرف دموعا غزيرة. فقال له الأب باخوميوس: "لماذا تبكي"؟ لأنه كثيرا ما كان يتعجب من رؤية ميله إلى الدموع هذا رغم أنه كان حديث العهد بالرهبنة. فأجاب: "أحب، يا أبي، أن تعلن لي أنني سوف أرى الله، وإلاّ فما هي منفعتي من مجيئي إلى العالم"؟ فقال له أبونا باخوميوس: "أتريد أن تراه في هذا الدهر أم في الآتي"؟ فأجاب: "أريد أن أراه في الدهر الذي يبقى في الأبدية كلها". فقال له الأب: "أسرع بأن تعطي الثمر الذي يقول عنه الإنجيل: «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت٥: ٨)، وإذا حلّ في قلبك فكر غير نقي، سواء كان حقدا أو إثمًا أو غيرةً أو حسدا أو ازدراء بأخيك، أو مجدا بشريا باطلاً أو غرورا؛ ففي الحال قُلْ في نفسك: 'إذا أذعنت لأي واحد من هذه الأفكار فلن أرى الرب'. وإذا أردت ألاّ تكون لهذه الأفكار قوة عليك، فالهج في قلبك بلا توقف في كل ثمرة مذكورة في الأسفار، واضعا في نفسك أن تسلك بموجبها كما جاء في الكتاب: «قلبك يهذّ في خوف الرب» (إش ٣٣: ١٨ حسب النص). وكل هذه الأمور تمتنع منك قليلاً قليلاً وتتضاءل تدريجيا مثل العنكبوت. لأن الرب وضع في الإنسان الضمير وحرية الإرادة والبصيرة والفهم والحكمة، لأنه كما أن أعضاء الجسد المنظورة التي يعمل بها الإنسان، مرةً بهذه الأعضاء ومرةً أخرى بتلك حسب احتياجه ... (سقط هنا حوالي ١٣ سطرا). وكما أن أي باب له مفتاح ومزلاج

(7) G 1, 37; SBO, 37.

وسلسلة ومشجب وكل ما يضمن أمانه؛ هكذا أيضا بالنسبة للإرادة الحرة والضمير والفهم والبصيرة والحكمة ... (سقط هنا حوالي ١٥سطرا)".

فلما سمع تادرس ذلك من أبينا باخوميوس وضع في قلبه أن يسلك باتضاع ونقاوة لكيما يشبع الرب رغبته في أن يراه في الدهر الذي لا يتغير[٨].

وفي أحد أيام السنة الأولى لرهبنة تادرس، كان جالسا في قلايته يضفر حبالاً ويتلو فقرات من الأسفار المقدسة كان قد حفظها عن ظهر قلب. وكان ينهض ويصلّي كل وقت كان يحثه فيه قلبه على ذلك. وبينما كان جالسا يتلو، أضاءت القلاية فاندهش من ذلك. وإذ بملاكين ظهرا له مثل رجلين يبهران البصر. فخاف وخرج مسرعا من قلايته وصعد إلى سطحها لأنه لم يكن قد نظر رؤيةً بعد. ولما جاء إلى السطح جاء الملاكان أيضا إلى هناك وحرراه من خوفه. ثم قال أكبرهما له: "مد يدك يا تادرس". فمدها كما يفعل عندما يتناول الأسرار المقدسة، فوضع الملاك في يده عددا كبيرا من المفاتيح. فلما أخذها أمسكها بيده اليمنى، وبينما سادت عليه الدهشة من ذلك تطلّع فجأةً فلم يعد يرى الملاكين. ولما نظر مرةً أخرى إلى يديه لم يعد يرى أي مفتاح.

لم يجرؤ أن يخبر أبانا باخوميوس عن هذه الرؤية لأنه كثيرا ما سمعه يقول: "قد أُعطيت لي مفاتيح سرا". وقال في نفسه: "من أنا لأجعل نفسي مساويا لرجل الله أنا الخاطئ! لأن المهم بالنسبة لي هو أن أسلك باتضاع جميع أيام حياتي، حيث إننا نعلم أن هذه هي مشيئة الله"[٩].

تثقّف تادرس وهو صغير بكلام الله الحق وتقوى بالروح، إذ كان يرى أن أباه الذي يرشده هو بلا عيب في كل شيء، فأطاعه كمن يطيع الله. وكان إذا أمره أنبا باخوميوس أن يعمل شيئًا ثم غير رأيه ولام تادرس على عمله؛ ما كان يتأثر أو يلتمس الأعذار أو يجادل. وحين كان يعاتبه قائلاً: "لماذا فعلت ذلك"؟ كان يظل صامتا ويقبل اللوم بإيمان صادق ويتفكر في نفسه قائلاً: "إن رجل الله لا يغير كلمته، فربما لأنني لم أكن مستقيما وانحرفت بعيدا عن الروح القدس، فأوصاني وأنا لم ألاحظ. لأنه لو لم يكن الأمر كذلك فكيف يلومني بعد أن يوصيني؟ أو لعلي أنا لم أفهم ما كلمني به، أو لعل عقله كان مسبيا مع الله حين أمرني، أو لعله رآني غير مستقيم في تصرفي فرسم لي ما يليق باعوجاجي ووبخني! ويوجد ما يماثل ذلك في سفر إرميا حينما وبخ الرب الشعب لأنهم لم يقدموا له الذبائح بالحق قائلاً لهم:

(8) SBO, 33; S 10: 4.

(9) SBO, 34.

«لم أكلّم آباءكم ولا أوصيتهم .. من جهة محرقة وذبيحة» (إر٧: ٢٢)، مع أنه كان قد أمر بذلك بواسطة موسى النبي. هكذا أنا أيضا ينبغي أن أبكي إلى أن يهدي الـرب قلـبي إلى الطاعة اللائقة بقديسيه"[(١٠)].

جاء أحد الفلاسفة إلى الدير لكي يختبر الرهبان ويرى أي فئة من الناس هم، فقـال لهم: "أدعوا لي أباكم لأتحدث معه". فلما سمع أنبا باخوميوس أرسل الأب كرنيليـوس ليتباحث معهم. فقال له الفيلسوف: "إن لكم سمعة حسنة كرهبان ورجال ذوي فطنـة وتتكلمون بحكمة، إلاّ أنه من ذا الذي يفكر أن يحضر زيتونا إلى بانوس ليبيعه بينمـا أن بالمدينة وفرة منه"؟ فأجابه الأب كرنيليوس: "سمع مرةً أن زيتون بانوس ينـتج زيتـا ولكنه يحتاج إلى الملح، فنحن الملح وقد أتينا لكي نملّحكم". فلما سمع الفيلسوف ذلـك عاد وأخبر أصحابه، فقال له أحدهم: "هل هذا هو كل ما تباحثت معهم فيه؟ سأمضي وأختبر معرفتهم بالكتب".

فأرسل الأب باخوميوس الأب تادرس ليقابل الرجل. وقد روى لنا أنه ذهب وهـو خائف من التباحث مع أحد الفلاسفة لأنه كان يعتبر كرنيليوس أكثر منه حكمةً. وسأله الفيلسوف عن أمر لم يصعب عليه أن يجد له جوابا: "من هو الذي لم يولد ومات؟ ومن هو الذي ولد ولم يمت؟ ومن هو الذي مات ولم ينتن"؟ فأجاب أنبا تادرس: "إن آدم لم يولد ولكنه مات، والذي ولد ولم يمت هو أخنوخ، وأما امرأة لوط فقد ماتت، ولكـن لأنها صارت عمود ملح فلم ينتن جسدها". فلما سمع هذه الإجابة انصرف.

وكان أيضا في ذلك الدير رجل قديس مقتدر بالروح يدعى "تالماس"، وقد عانى في الجسد مثل أيوب الصديق كما بنار، ومع ذلك كان مداوما العمل والسهر في الصلاة حتى موته[(١١)].

أبا تادرس يعامل الرهبان بحكمة:

اغتم أحد الإخوة بالدير بسبب توبيخ الأب باخوميوس له من أجل خلاصه. فعرف تادرس بفطنته أن الرجل كان ساخطًا في قلبه إلى حد التفكير في تـرك الإخـوة لهـذا السبب، فقال له: "أنت تعلم أن كلام الشيخ صارم فوق كل مقدار، وأنا على ما أرى لا أستطيع الإقامة ها هنا". فارتاح الأخ إليه وأجابه: "هل حدث نفس الشيء معك"؟ فقال تادرس: "بل وأكثر منه، ولكن دعنا نشجع بعضنا بعضا حتى نختبره مرةً أخـرى، فإذا تلطّف بنا بقينا، وإلاّ نمضي إلى موضع آخر ونعيش معا في هدوء". فلما سمـع الأخ

(10) G 1, 50.

(11) G 1, 82; SBO, 55a.

الضعيف ذلك الكلام تقوى.

ثم ذهب تادرس سرا إلى الأب باخوميوس وأعلمه بالأمر. فأجابه الأب: "تعالَ معه إلى هنا لكي تلوماني كلاكما لأجل هذا الأمر، وكما يعطيني الرب أقنعه". فلما ذهبا إليه تظاهر تادرس أنه يوبخ الأب باخوميوس، فكان يجيبه: "اغفر لي فقد أخطأت. أما تحتملون أباكم مثل أبناء"؟ ولما بدأ تادرس يتظاهر بتوبيخ الأب مرةً أخرى، أشار إليه الأخ قائلاً: "كُف، هذا يكفي، فقد تعزيت جدا". وهكذا أفاد تادرس الأخ بدهائه الممدوح(١٢)!

لما رأى أبونا باخوميوس حكمة تادرس وطاعته الحقيقية أرسله مع أحد الإخوة الـذي كان قد طلب زيارة أسرته مهددا أنه إذا لم يسمح له بذلك يرجع إلى العالم حيث إنه لم يكن قد خلع الإنسان العتيق بعد، وأوصاه أن يتنازل معه حتى يخلص نفسه من يد العـدو. ولمـا دخلا المنـزل أعد الوالدان لهما طعاما. ثم قال الأخ لتادرس: "هلم نأكل"، ولم تكن عادة الرهبان أن يأكلوا في منازل العالم، كما أ م يصومون حتى المساء. ولما تحقق تادرس أنه إن لم يتنازل مع الأخ فلن يعود إلى الدير، لأنه كان عازما أن يأكل ضد رغبة تادرس، لذلك ذاق تادرس قليلاً من الطعام، وحتى هذا القليل مزق قلبه. ولمـا عـاد إلى الـدير روى لـلأب باخوميوس ما حدث، فالتمس له العذر لعلمه أن الأمر كان بغير اختياره(١٣).

تحدث أبا تادرس مع أحد الإخوة القدامى، وقيل إن اسمه "أرشيلاوس"، حول معنى قول الإنجيل: «إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وإخوته وأخواته حـتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا» (لو١٤: ٢٦)، وسأله: "ماذا يعـني هـذا في رأيك"؟ فأجابه الأخ: "في رأيي أن الكتاب يغالي في الكلام لكي نبلغ اليسير من علـو الوصية، وإلاّ فكيف يمكن أن نبغض والدينا"؟ قال ذلك لأنه كان يداوم على زيارة أهله، وكان غير قادر - رغم كل الإرشادات وقدمه في الرهبنة - أن يتخلّص من اهتمامـات الجسد. فأجابه تادرس بدهاء: "أهذا هو حقًا إيمان رهبان طبانسين؟ فالإنجيل يقول شيئًا وأنت تقول شيئًا آخر؟ إذن، فسأترك هذا المكان ولن أبقى هنا، فقد كنت سعيدا حيث كنت أولاً لأن آباء ذلك المكان ما جحدوا الإنجيل قط". وعلى هذه الحال تركه ومضى ليختفي بعض الوقت وكأنه سيترك الدير بسببه.

أما الأخ فذهب إلى الأب باخوميوس وأعلمه بالأمر. فأجابه الأب: "أما تعلـم أنـه غرس جديد؟ أسرع وابحث عنه لأنه إذا خرج لهذا السبب تكون لنا سمعة رديئة". فلما وجد تادرس ترجاه كثيرا أن يبقى، فقال له تادرس: "إن كنت تريدني أن أبقى فاظهر لي

(12) G 1, 66; SBO, 62.

(13) G 1, 67; SBO, 63a.

أن ما تقوله حق هو باعترافك أمام الرب والإخوة أنك تتبع الإنجيل". ففعل ذلك وانقطع نائيا عن زيارة أهله[١٤]!

قيل إن أبا تادرس كانت له طاعة عجيبة لأبيه، فقد حدث أن الرهبان عندما كانوا يحصدون احتاجوا إلى خبز. فدعا الأب باخوميوس أبا تادرس وعرفه كيف يتصرف مع كل واحد من الإخوة لكي يدبرهم بمرضاة الرب، وكان يقول له: "افعل هكذا حتى أمضي إلى المجمع لأفتقد الإخوة لأننا قد أبطأنا عليهم، وأنا أعود بمشيئة الرب ونأتي بالخبز الذي احتجنا إليه". وبعد ذلك قال له: "إذا مضيت يا تادرس لا تبطئ، بل خذ الخبز وارجع إلينا سريعا". فقال له: "حسنا". ولما أراد أبا تادرس أن ينصرف من عنده لكي يفعل كما قال له، قال له الأب باخوميوس: "ألم أقل لك حتى الآن إنني أنا أذهب، فكيف تنصرف أنت"؟ فقال أبا تادرس: "أنا بالطاعة فعلت ذلك، لما قلت لي: 'لا تمض' فعلت ذلك، ولما كررت قولك: 'إذا مضيت يا تادرس لا تبطئ'، قلت: 'حسنا، أنا أفعل كما يقول'". فلما سمع الأب باخوميوس ذلك تهلل بالروح وقال له: "حسنا هيأت نفسك أن تفعل هكذا، ولكن يلزمني أن أعرفك بما حدث لكي يرتاح قلبك: عندما كنت أكلّمك بما يجب أن تكلّم به الإخوة حتى أذهب وأجيء، قال لي ملاك الرب حينئذ: 'لا تذهب أنت بل تادرس'! ولذلك قلت في الحال: 'إذا مضيت يا تادرس لا تبطئ'"[١٥]!

استدعى الأب باخوميوس أبا تادرس في يوم أحد وقال له: "عند خروج الإخوة في المساء من المائدة سلم خدمتك لآخر وتعالَ حيث نجتمع للتعليم كل يوم أحد". فلما جاء تادرس إلى موضع التعليم قال له الأب باخوميوس: "قف هنا في وسط الإخوة وتحدث إلينا بكلمة الرب مثلما كنت أفعل أنا". فأطاعه أبا تادرس على غير رغبة منه وبدأ يتكلم بما أعطاه الرب في أمور نافعة للإخوة، بينما أنصت الجميع وبينهم الأب باخوميوس كواحد منهم. فغضب بعضهم من القدامى بسبب الكبرياء وعادوا إلى مساكنهم حتى لا يسمعوا لأبا تادرس الذي كان شابا بحسب فكرهم البشري.

وبعد العظة والصلاة، جلس الأب باخوميوس كعادته وقال لهم: "ها قد سمعتم العظة، فلمن تكون؟ هل هي من عند المتكلم أم من عند الرب؟ فبأي فكر غضب هؤلاء من هذا الأمر؟ هل لكونه أصغر منهم؟ هوذا عندنا ولد، وبخصوصه قال الرب: «من قَبلَ ولدا واحدا مثل هذا باسمي فقد قبلني» (مت١٨: ٥). ألم أكن منصتا كواحد منكم؟ بل

(١٥) باخوم عربي.

(14) G 1, 68; SBO, 63b.

وأؤكد لكم أنني لم أكن أتظاهر بالاستماع، بل إنني كنت أُنصت بالفعل بكل قلبي كمن هو عطشان إلى الماء. لأن كلمة الرب هي بكل نوع «مستحقةٌ كل قبول» (١تي٤: ٩) حسب المكتوب. فيا لشقاء الذين رجعوا إلى مساكنهم إذ إ م حرموا أنفسهم من رحمة الله! وسيكون من الصعب عليهم أن يحيوا إن لم يتوبوا عن كبريائهم، لأنه «قريب هـو الرب من المنكسري القلوب ويخلّص المنسحقي الروح» (مز٣٤: ١٨)".

ثم دعا الأب باخوميوس أولئك الذين انسـحبوا وسـألهم: "لمـاذا انسـحبتم إلى قلاليكم"؟ فقالوا: "لأنك جعلت صبيا معلما لنا ولشيوخ كثيرين وبقية الإخوة". فتنهد الأب الكبير وقال لهم: "أتعلمون من أين دخل الشر إلى العالم منذ البدء"؟ فسألوه: "من أين"؟ فأجاب: "من الكبرياء التي بسببها سقطت وتحطمت على الأرض نجمة الصـبح المضيئة في النهار (إش١٤: ٢)، والتي بسببها أيضا سكن نبوخذ نصر ملك بابـل بـين الوحوش المفترسة (دا ٥: ٢١). ألم تسمعوا ما كُتب: «مكرهة الرب كـل متشـامخ القلب» (أم١٦: ٥)؟ لأن «كل من يرفع نفسه يتضع» (لو١٤: ١١)".

"والآن قد سلب الشرير كل فضيلتكم، غير عالمين أن الكبرياء هي أُم كل الشـرور، لأنه ليس تادرس هو الذي تركتموه بل إنكم هربتم من كلمة الله وسقطتم من الـروح القدس. حقًا ما أبأسكم وما أحوجكم إلى كل شفقة. كيف لم تفهموا أن الشيطان هـو الذي أثار فيكم هذا الفكر وأنكم بذلك قد انفصلتم عن الله؟ آه، يـا للعجـب! إن الله يضع نفسه ويطيع حتى الموت من أجلنا؛ أما نحن الذين بالطبيعة منخفضـين فننـتفخ في أنفسنا! لقد انقلب الوضع بواسطتنا: فإن الذي هو فوق الجميع والأعظم بما لا يقـاس، جذب العالم إليه بتواضعه، بينما كان في استطاعته أن يحرقه بمجرد ومضة! أما نحن الذين لسنا شيئًا فنرفع أنفسنا غير عالمين أننا بذلك ندفع أنفسنا دفعا إلى أعمـاق الأرض. ألم تروني واقفًا أنصت إلى تعليمه؟ وأقول لكم الحق، لقد انتفعت كثيرا جدا من الاسـتماع إليه، لأنني لم أقصد أن أختبره لما ألزمته أن يتكلم، ولكنني كنت أتوقع أن أجني منفعـةً لنفسي. فكم كان يليق بكم أنتم بالأكثر أن تنصتوا لكلامه بلهفة عظيمة واتضاع؟ أنـا أباكم في الرب كنت أنصت له بكل كياني مثل إنسان لا يعرف يمينه من شماله. لـذلك فإنني أقول لكم أمام الله: إن لم تظهروا توبةً عظيمةً عن هـذه الخطيـة، وإن لم تبكـوا وتنوحوا على أنفسكم لكي يغفَر لكم ما حدث منكم فستمضون إلى الهلاك"[١٦]!

---

(16) G 1, 77; SBO, 69a; Paral., 1.

الأب تادرس مدبرا لدير طابنيسي، والآباء الكبار للأديرة الأخرى:

أقام الأب باخوميوس أبا تادرس مدبرا على دير "طابنيسي" عندما تحقق من كفاءته ورجاحة عقله، وكان عمره نحو ثلاثين سنة. وأقام الأب باخوميوس في الدير الكبير المدعو "بافو" الذي كانت فيه إدارة سائر الأديرة. ورغم تعيين أبا تادرس في هذه الرتبة، إلاّ أنه لم يعتبر أنه صار شيئًا إذ لم تكن له إرادة من نفسه، إذ كانت كلمة الله تلهبه وتشده لكل اهتمام بالسماويات. وكانت كل غيرته منصبة على حب الله بكل القلب حسب الوصية. وكان تقدمه نافعا للإخوة لأن كلامه كانت له نعمة عظيمة(١٧).

كان الأب باخوميوس يرسل أبا تادرس كثيرا ليطوف بالأديرة ويفتقدها. وبينما كان يتكلم مرةً بين الإخوة قال لهم: "تادرس وأنا نكمل معا خدمة واحدة لله، وله سلطان أيضا أن يأمر كأب". وكان تادرس إذا جاء إلى أي دير تبتهج نفوس الإخوة برؤيته، لأنه كانت عليه نعمة عظيمة من الرب(١٨).

بينما كان أبا تادرس مرةً في أحد الأديرة، أحضروا له أخا اتهموه بسرقة شيء، وطلبوا منه أن يطرده، إلاّ أنه لم يكن هو السارق بل أخ آخر بعيد عن الشبهات وموثوق فيه في أعين الناس. أما الأول فقد شكّوا فيه لأنه كان ذا طبع خشن. فلما تحقق السارق الفعلي أنه اقترف ليس فقط خطية السرقة؛ بل أيضا عرض إنسانا آخر للخطر بسببه، أخذ أبا تادرس على انفراد وقال له: "أنا هو المذنب". فأجابه أبا تادرس: "لقد اقترفت ذنبا، ولكنك أعتقت نفسك بأن كشفت لنا براءة الأخ". ثم دعا الأخ الأول وقال له: "لقد علمت أنك لست أنت الذي فعلت ذلك، ولكن ولو أحزنك الإخوة رغم براءتك فإنك مديون للرب في أمور أخرى. لذلك قدم له الشكر مع المخافة". ثم قال للإخوة عنه: "ألم تقدموا لي هذا الأخ للحكم؟ لقد علمت أن مشيئة الله هي أن نغفر له ولا نعود نذكر هذا الأمر إطلاقًا. فلا شك أننا جميعا نحتاج إلى الرحمة"(١٩)!

جرب الشيطان أحد الإخوة في مجمع دير طابنيسي، فأركبه أبا تادرس على جحش وجاء به إلى الأب باخوميوس في بافو لكي يصلّي عليه. فرآه القديس من بعيد بينما كان يلقي كلمة الله على الإخوة لأجل خلاصهم. وللحال ترك الإخوة وخرج لملاقاة أبا تادرس. فغضب بعضهم قائلين: "نحن شيوخ وقد تركنا لكي يقابل أبا تادرس الشاب حالما رآه"! وهؤلاء هم الذين تذمروا سابقًا عندما عين الأب أبا تادرس ليوجه الإخوة لأجل خلاصهم.

(17) G 1, 78; SBO, 69b, 70. (18) G 1, 91; SBO, 74. (19) G 1, 92; SBO, 75.

احتضن الأب أبا تادرس وقال له: "قبل أن تصل اليوم إلى هنا بلغتني كلمة عنك بأمر من الرب. فاذهب بهذا الأخ المريض الذي جئت به إلى شخص آخر ورافقني سريعا إلى صـالة الاجتماع". ثم صلّى الأب باخوميوس لأجل الإخوة وصرفهم، وعاد كل منهم إلى قلايته.

ولما رجع أبا تادرس اصطحبه الأب باخوميوس إلى صالة الاجتماع، وظـلاّ واقفـين وهما يصلّيان من الساعة الثانية حتى التاسعة من النهار (أي من الثامنة صباحا حتى الثالثة بعد الظهر). وبينما كانا يصليان نظرا فوقهما على ارتفاع برج (أو منارة) عرشا عظيما كان الرب جالسا عليه بهيئة اختارها لكي ينظراه. وبعد حين ارتفع العرش لدرجة أنهم لم يعودا ينظرانه، وبعد حين آخر هبط منخفضا حـتى اسـتطاعا أن يلمسـاه بيـديهما، واستمرت عملية الصعود والهبوط لمدة نحو ثلاث ساعات.

ولما هبط العرش وضع الأب باخوميوس يده على أبا تادرس وكأنه كان يحمله علـى يديه ويحضره لذاك الذي كان جالسا على العرش قائلاً: "يا رب، اقبل هـذه العطيـة مني". وظل يفعل ذلك عدة مرات وهو يكرر هذه الكلمات حتى سمع صـوتا يقـول: "لقد استجيبت طلبتك، فتشجع وتقو". وبعد ذلك صرف أبا تادرس الذي جاء بالأخ المريض، وصلّيا معا عليه، فشفاه الرب من مرضه ورجع مع أبـا تـادرس جنوبـا إلى طابنيسي وكأنه لم يمرض قط[٢٠].

عندما رأى أبونا باخوميوس أن أبا تادرس يتقدم في عمل الرب أخـذه مـن ديـر طابنيسي، وعين بدلاً منه أبا "سوروس" الصغير كأب للجماعة، وجاء بأبا تادرس إلى دير بافو واحتفظ به كمساعد له مثل يشوع بن نون مع موسى النبي. وكان كثيرا ما يرسله إلى الأديرة لكي يزور الإخوة ويشجعهم بكلمة الله. وكان هو الذي يقبل الذين يجيئـون لكي يترهبوا في كل مجمع، كما أنه إذا كان من الضروري أن يطرد أحدا منهم بحسـب إرشاد الله والأب باخوميوس، فكان هو الذي يفعل ذلك[٢١].

حدث يوما ما أن الأب تادرس كان يعمل مع الإخوة، ولما انتهوا مـن عملـهم في المساء طلب أن تعد لهم وجبة. وبينما كانوا يأكلون وكان أبا تادرس واقفًـا يخـدمهم لاحظ أن أحدهم يأكل كراثًا كثيرا، وكان شابا قويا دخل في وسط الإخوة منذ وقـت قصير. ولما انتهى أبا تادرس من خدمة الإخوة ابتعد قليلاً واستند بظهره على الحائط لأنه كان صائما لمدة يومين وكان الجو حارا. ثم قال للإخوة بخصوص الأخ الذي أكل كراثًا

(20) SBO., 76.

(21) SBO, 78.

كثيرا والذي كان حاضرا يسمع: "الراهب ينبغي ألاّ يأكل كراثًا كثيرا لأن ذلك ينشط الجسد ويحارب النفس".

وبينما كان يتكلم جاء الأب باخوميوس في وسطهم لكي ينظر المكان الذي كان يعمل فيه مع الإخوة. ولما رأى أبا تادرس مستندا بظهره على الحائط قال له بحزن: "هل الحائط هو الذي سيحمل جسدك"؟ فاستقام أبا تادرس في الحال وانطرح باتضاع أمام أبينا باخوميوس، فقد كان يتضع في كل شيء بلا توقف لكيما يصير كاملاً في ناموس الرب.

وكان أبا تادرس حزينا جدا على الأخ الذي وبخه، لأنه ربما تكون هذه ليست هي إرادة الله أن يتكلم هكذا. ثم قال لنفسه: "لماذا لم أنتظر حتى يحركه الرب بحرية اختياره، ولكي يتعلم هو من الذين لهم حياة صالحة أن يكبح جماح جسده بواسطة الفضيلة"؟ أما الأخ، فلما سمع كلام أبا تادرس لم يحاول أن يأكل كراثًا مرةً أخرى حتى يوم وفاته. ولما لاحظ أبا تادرس ذلك امتنع هو أيضا عن أن يأكل كراثًا حتى يوم رقاده خوفًا من أن الله يدينه لعدم كبح جماح نفسه من شيء وبخ شخصا آخر عليه[٢٢].

في **أحد الأيام** قابل أبا تادرس أحد الإخوة وهو عائد من مكان ما ملقيا رداءه فوق كتفه، وكان المسئول عن هذا الأخ قد أرسله في خدمة، وقال له: "من أين أنت قادم"؟ وكان الأب باخوميوس يسمعه من على بعد وهو يسأل الأخ. وبعد أن ابتعد الأخ، دعا أبا تادرس وقال له: "أسرع يا تادرس لتكون سيدا على قلبك بكل اعتدال حتى لا تكون لنفسك عادات، ولكي تتجنب أن تسأل أي واحد: 'أين أنت ذاهب' بل أن تسأله فقط عن خلاص نفسه". ولما سمع أبا تادرس ذلك وضعه في قلبه كل أيام حياته قائلاً: "سواء كان ذلك أمرا صغيرا أم كبيرا، فلن أفعله مرةً أخرى"[٢٣].

رؤية ملائكة تزف روحا بارة إلى السماء:

سمع أبا تادرس مرةً في الهواء أصوات مرتلين بأنغام عذبة جدا وشجية للأذن، فسأل الأب باخوميوس: "هل تسمع يا أبا"؟ فأجابه: "نعم". فقال أبا تادرس: "وما هو هذا"؟ فأجابه: "نفس فاضلة في طريقها إلى السماء مرت من فوقنا، وقد أنعم لنا للحظات أن نسمع صوت الذين يرتلون ممجدين الله في حضرته". وبينما كانا يتحدثان تطلّعا إلى فوق فنظرا النفس التي كانوا يزفونها وعرفا من هي. لأنه في أحيان كثيرة كان يفتح الله عينيهما فيبصران ملاك الله داخل الهيكل عند المذبح يعطي الأسرار للمستحقين

(22) SBO, 79.

(23) SBO, 80.

من الناس على يد الذي يناولهم سواء كان كاهنا أو أسقفًا. وإن حدث أن جاء إنســان غير مستحق أو نجس كان الملاك يسحب يده فيعطيه الكاهن وحده(٢٤).

ذهب الأب باخوميوس يوما ما إلى أحد الأديرة يرافقه أحد الإخوة، وذلك في مهمة تتعلق بنفس أحد الإخوة، وأوصى أبا تادرس أن يعتني بالإخوة حتى يعود. وفي مرة نهض أبا تادرس في الليل وسار وسط الدير لكي يحرس الإخوة. ثم وقف وصلّى، وبينما كــان يصلّي حلّ عليه دهش، ونظر في رؤية جميع الإخوة وهم راقدون مثل قطيع غــنم، ورأى ملاكًا في وسطهم يحرسهم. فلما حاول أن يقترب من الملاك أشار له الملاك قائلاً: "من هو الذي يحرس الإخوة أنت أم أنا"؟ فاضطرب تادرس ورجع إلى مكانه قائلاً: "حقًــا إننا فقط نبدو أننا نرعى، ولكن الحقيقة هي أن الملائكة هم رعاتنا ويحرسوننا نحن غــنم قطيع المسيح الروحي. وهم أيضا الذين يحفظوننا من فخاخ العدو الشريرة". ولباس هذا الملاك جعله يشبه أحد جنود الملك، وكان بيده سيف نــاري لامــع، وكــان يلــبس "استيخارة" تزينها ميداليات كبيرة، وكانت منطقته بعرض راحة اليد ولو نا أحمر لامــع وترسل أشعةً عديدة(٢٥).

أرسل الأب باخوميوس أبا تادرس في أحد الأيام إلى دير في "تكاهشمين" لكي يــزور الإخوة ولأجل أمور ملحة تخصهم. وبينما كان أبا تادرس يصلّي بجوار شجرة تين في ذلك الدير نظر إلى بعيد جدا فرأى أبانا باخوميوس في "فباو" (على بعد نحو ستين مــيلاً) وهــو جالس يتحدث بكلمة الله للإخوة بلا توقف. وسمع تادرس أيضا هذا الكلام. ولما رجع إلى الجنوب أخبر الأب باخوميوس أنه رآه يصلّي، كما أخبره بالكلام الذي قاله للإخوة. فقال له الأب باخوميوس: "يا تادرس، إن الكلام الذي سمعته هو تماما الذي أنا قلته"(٢٦).

كان أبا تادرس في **أحد الأيام** يعمل مع الإخوة نحو المساء، ولما انتهى العمل تنــاولوا وجبتهم. وكان الأب تادرس قد أعد لهم قليلاً من العصيدة حيث إن الكثير منهم كانت عاد تهم ألاّ يأكلوا خبزا. وكان أحدهم، ويسمى "باتلولي"، شابا نشيطًا جسديا، وكــان دائم الصراع مع الشهوات الشبابية. ولما تغلّبت عليه الرغبة أن يأكل قليلاً من العصــيدة شعر في الحال بملامة من روح الله قائلاً له: "هذا النوع من الطعام قد أُعد للذين هم في حاجة إليه، ولكنك أنت لست في حاجة إليه، لأن الأفكار الجسدية تهاجمك بعنــف". ولكنه لم يطِع الفكر الذي يحثه من الرب، بل بالعكس جلس وأكل كما أنه أخذ يأكــل

(24) G 1, 93; SBO, 83. (25) SBO, 84. (26) SBO, 85.

أيضا من سلطانية مدبر الدير.

ولما انتهى الإخوة من الأكل جلسوا كعادتهم لسماع كلمة الله التي كان يلقيها أبا تادرس. فسألوه لكي يجعلوه يذكر أخطاءهم. فوبخ واحدا منهم قائلاً: "إنك خائر العزيمة". وقال لآخرين: "إنكم سريعو الغضب"، ولغيرهم: "أنتم قساة في كلامكم"، وأيضا "إنني أرى واحدا منكم يضع كل أمله في آنية الطبيخ". وللحال أدرك الأخ أن هذا الكلام موجه إليه، فأسرع بالانطراح على الأرض وسط الإخوة قائلاً: "صلّوا لأجلي لأنني تجاهلت صوت ضميري بمعرفة، ولأنني لم أُطِع الوحي الصالح الذي صدر من قلبي، لذلك فقد انتهرني الرب علانيةً"[٢٧].

تجربة الأب تادرس الكبرى:

كان أبا تادرس قد عين معزيا للإخوة بعد أن يرقد الأب باخوميوس. وحدث بعد سبع سنوات أن تعرض لتجربة عظيمة من قبل الرب لامتحانه. لأنه لما مرض أنبا باخوميوس أحاط الآباء المتقدمون ورؤوس الأديرة بالأبا تادرس وقالوا له: "ربما يفتقد الرب أبانا فجأةً ويتركنا. وبما أنه ليس بيننا من يعرف جميع طرقه في الحياة مثلك، فليتك تقتنع وتتعهد لنا بأنه إذا حدث هذا لا ترفض أن تخلفه حتى لا يتشتت الإخوة. وبعد أن سألهم الأب تادرس أن يعفوه من ذلك مرات كثيرة ولم يقبلوا منه اعتذاره، أعطاهم كلمته".

ولما سمع أنبا باخوميوس بذلك لم يسره الأمر، فدعا جميع مدبري الأديرة: سوروس وبسنتاؤس وبفنوتيوس وكورنيليوس وتادرس نفسه، وقال لهم: "هلم فليعترف كل منا بنقائصه، وسأبدأ بنفسي أولاً: إنني أهملت زيارة الإخوة وتعزيتهم لأنني كنت أعمل أثناء النهار في الحقول بالجزيرة من أجل قوت الإخوة، لأنه كانت توجد مجاعة حينئذ. وأنت يا تادرس قُل ما عندك". فأجاب أبا تادرس: "هوذا الآن لي سبع سنوات وأنت ترسلني لأفتقد الأديرة وأدبر كل شيء مثلك، ولم يصعد على قلبي قط أنني سأخلفك. ولكنني الآن مقاتلٌ بهذا الفكر ولم أستطِع أن أغلبه بعد".

فقال له أنبا باخوميوس: "حسنا، من الآن ليس لك سلطة على أي شيء، فاعتزل وحدك وصل لكي يغفر الرب لك". فذهب أبا تادرس بحزن عميق إلى قلاية هادئة لكي ينوح ببكاء وندم شديد، وكان خائفًا لئلاّ يصرف الله وجهه عنه لأنه أحزن خادم الله الذي كان يعتبره بحق رجلاً كاملاً وبلا عيب[٢٨].

(27) SBO, 87.

(28) G 1, 106; SBO, 94 a.

توبة الأب تادرس القوية:

بدأ كبار الإخوة يلومون الأب باخوميوس قدام أبا تادرس ظانين أنه بذلك يتعـزى. ولكنه لما سمع كلامهم كان كأنه قد ذُبح بسبب اتضاعه، إذ كيف يلوم أحد رجل الله؟ ثم أقنع الإخوة قائلاً: "لا تظنوا أن أبانا فعل ذلك دون أن أكون مستحقًا له، بل إنه فعله من أجل خلاص نفسي لكي أكون مستحقًا للرب".

ثم قضى أبا تادرس سنتين تحت العقاب، وكان كبار الإخوة يعزونه دائما لأ م كانوا يرون أن ما حدث ليس خطية بل مجرد فكر، ولكن الأب باخوميوس أراد من معاقبته أن يكون كاملاً ومتحررا من كل طموح للرئاسة.

وقبل أن يعتكف الأب تادرس قال لأنبا باخوميوس: "لي عمل ينبغي أن أُ يه في دير "منخوسين Thmousons"، فاسمح وأرسلني وسأعود سريعا". فسمح لـه أن يـذهب وحده. وكان يبكي في الطريق قائلاً: "يا رب، هل بقيت لي توبة"؟ ولما استقل مركب المعدية تجاه "شينوبوسكيون" كان فيها شيخان، فابتدأ أحدهما يمدح أبا تـادرس قـائلاً للآخر: "هذا الراهب طوباوي". فأجابه الآخر: "لماذا تعتبر إنسانا بائسا مطوبا؟ إنه لم يصل بعد إلى حد الكيل بالمرجونة". فسأله الأول: "وما هو هذا المكيال"؟

فأجابه الثاني قائلاً: "كان هناك فلاح صعب المعاملة حتى إنه ما كان أحد يقـدر أن يدوم معه في العمل سنة كاملة. ولكن شخصا جاء إليه قائلاً: أنا أعمل معك. فقال لـه: 'حسن جدا'. فلما حان وقت ري الحقل قال له: 'هلم نسقي الحقل ليلاً وليس ـارا'. فأجابه الرجل: 'من الحكمة أن نفعل ذلك حتى لا يشرب من قناتنا إنسان أو حيـوان أو أي مخلوق آخر'. ولما بلغ أوان الحرث قال له الفلاح: 'هلم نزرع حقلنا هكذا: نـزرع قمحا في خط وشعيرا في خط آخر وعدسا في آخر وفولاً في آخر، و ذا النظام نـزرع بقية الخطوط'. فأجابه الرجل: 'وهذا الرأي أعظم من سابقه، لأن زرعنا بذلك سـوف يبدو جميلاً بتنوع أزهاره'. ولما نمت النباتات ولم تعطِ بذورا (تقاوي) بعد، قال الفـلاح للرجل: 'هلم نذهب لنحصد'. فأجابه: 'فلنذهب لأن في ذلك منفعة عظيمـة، فـالتبن سيكون أخضر ونافعا'. وبعد درس المحصول طلب الفلاح من الرجل أن يحضر المرجونة قائلاً: 'دعنا ننقل التبن إلى الداخل ذا المكيال'. فأجابه الرجل: 'لقد فاق هذا الرأي في حكمته كل الأفكار السابقة، لأنه بذلك يحفَظ التبن من الضياع'".

"فلما امتحنه الفلاح في كل هذه الأمور ووجده مطيعا له بغير فحص قال له: 'مـن

الآن لن تكون أجيرا عندي بل ابنا ووارثًا لي'! وعلى هذا القياس، إذا كان هذا الشخص أيضا يكيل بالمرجونة فهو يستحق أن يدعى مطوبا"!

فقال له الشيخ الآخر: "ما دمت قد أخبرتنا بالمثل فقل لنا تفسيره أيضـا". فقـال الأول: "الفلاح هو الله، وصعوبته هي في كونه يأمرنا بأن نحمل الصليب ولا نتبع أهوية قلوبنا. وهوذا الأب باخوميوس أبو هذا الرجل بطاعته لله في كل شيء صار مرضيا جدا في عينيه. فإذا صبر هذا الإنسان أيضا على مثاله فسيصير وارثًا له".

فلما سمع أبا تادرس هذا الكلام تقوت عزيمته، وكان يتعجب من هذه الأقوال ومـن قائليها. وبمجرد خروجه من المركب لم يرهما ثانيةً لأنهما كانا ملاكين مرسلين مـن الله وظهرا له بهذا الوضع لكي يصلحا من حاله ويعزيانه، وذلك كما أعلن الأب باخوميوس ذلك فيما بعد. ولما عاد أبا تادرس إلى دير بافو تفكّر في نفسه فيما سمعه فتعزى. وكـان حزنه ليس بسبب أنه عوقب، ولكن لكونه تنازل مع ذلك الفكر، ولاسيما لما سمع الأب باخوميوس يقول: "كما أن جثة الميت لا يمكنها أن تقول للجثث الأخرى: أنا رئـيس عليكم؛ هكذا لم يخطر على قلبي قط أنني أب للإخوة، لأن الله وحده هو أبونا"[٢٩]!

عندما كان أبا زكاؤس - وهو من المسنين القدامى ويخاف الله، ومن القائمين علـى خدمة الإخوة - مزمعا أن يسافر إلى الإسكندرية، طلب من الأب باخوميوس أن يأخـذ أبا تادرس معه لكي يشرف على المراكبية، وأيضا لكي ينتعش قليلاً في ضيقته، لأنه ربمـا تكون عيناه قد أُضيرتا من كثرة البكاء. فأرسله الأب باخوميوس معه، وأرسل معهمـا خطابا للبابا أثناسيوس[٣٠].

وكان سلوك أبا تادرس في المركب بكل اتضاع، فقد كان مطرق الرأس، وخاضـعا للكل مثل الطفل، وسلوكه مثل مبتدئ وعلى المائدة كان يرفض أن يكون هو أول مـن يوضع أمامه الطعام، بل يكون هو آخر الكل، وكان يتلو كلام الله بدون انقطاع. وكثيرا ما كان الجميع يقضون الليل كله يتلون من الأسفار المقدسة. وعندما ترسي المركب كان هو أول من يقفز لكي يربط المركب في الوتد. وعندما كانوا يرسلونه مع أحد الإخوة إلى قرية في مهمة، كان يوصي الأخ أن يصنع معه معروفًا بأن يجيب هو إذا حياهما أحـد.

---

(29) G 1, 107, 108; SBO, 94 b, 95.

(٣٠) كانت هذه الرحلة سنة ٣٤٥م، ويبدو أنه كان هو الوقت المعتاد لرحلة الإخوة إلى الإسكندرية كل سنة. في ذلك الوقت كان "غريغوريوس" الذي فُرض على كرسي الإسكندرية من قبل الإمبراطور بدلاً من البابا أثناسيوس في مارس سنة ٣٣٩م، ما زال يشغل الكرسي ولم يتركه إلاّ عندما عاد البابا أثناسيوس من المنفي في أكتوبر سنة ٣٤٦م.

فكانوا يذعنون له لمعرفتهم باتضاعه.

ولما وصلوا إلى الإسكندرية رآه البابا وتعجب، وأرسل خطابا للأب باخوميوس مدح فيه أبا تادرس. ولما رجعت المركب قبل الأب باخوميوس جميع الإخوة الذين سافروا، ثم سألهم عن حال الكنيسة، فأجابوه: "بفضل معونة الله وصلواتكم بدأ يحل السلام". وذلك لأنه كان حزينا على الكنيسة لأن الأريوسيين كانوا قد قاموا عليها مثل قطّاع الطرق، وكان يصلي من أجل سلامها ولا سيما بعد إبعاد ق. أثناسيوس. وكان يقول إن الله الذي سمح بكل ذلك لكي يمتحن المؤمنين، فهو لا بد سينتقم سريعا من فاعلي الشر.

ثم تكلم القديس قائلاً للإخوة عن أبا تادرس: "لا تظنوا، يا إخوتي، أن تادرس قاسى من تحقيره أمام الرب لأنه نقص من رتبته أمام الناس، كلا، بل على العكس، فقد نما في تقدمه الروحي أضعاف ما كان عليه، وذلك بسبب المذلّة التي احتملها بصبر. واذكروا أنه ستتحقق لأجله كلمة الإنجيل: «من يضع نفسه يرتفع» (مت٢٣: ١٢). إن تادرس وأنا نقوم بالفعل بهذه الخدمة ذاتها وبهذه الروح الواحدة". فقد تبع تادرس خطوات الأب باخوميوس حتى اليوم الذي افتقده الرب فيه، ولما أرسله الأب ليفتقد الإخوة كان يكلمهم بكلمة الله[٣١].

في **عظة الأب تادرس الأولى** خاطب الإخوة قائلاً: "أين هم الإخوة الأوائل؟ تقووا في الرب، ولنكن فكرا واحدا مشاركين بعضنا أتعاب البعض لكي لا يبدد العدو تعب أبينا. فأنتم لا تجهلون كيف احتمل الأحزان من الشياطين في كل وقت معلما إيانا عن ربنا يسوع المسيح الذي يكون مجيئه بخوف ورعدة. والآن لم تمضِ خمس سنوات بعد، وقد نسينا تلك الأيام التي عشنا فيها بفرح عظيم، والسلام الذي كنا فيه بعضنا مع بعض. لأننا في أيام أبينا لم تكن في قلوبنا أو على أفواهنا شيء سوى كلمة الله التي هي أحلى من العسل وقطر الشهاد (مز١٩: ١٠). وكنا لا نشعر أننا نعيش على الأرض بل كأننا نعيد في السماء. فأي إنسان إن وجد نفسه في الصقيع والبرد الشديد لا يجري مسرعا بأقصى قوته إلى حيث حرارة النار ليتمتع بالدفء بجوارها وينتعش؟ هكذا كان الحال معنا حينذاك، إذ إننا بقدر ما كنا نطلب الله بقدر ما كان يظهر صلاحه نحونا ليملأ نفوسنا من حلاوته. ولكن كيف هو حالنا الآن؟ فلنرجع جميعا إلى الله، ونؤمن أنه يجددنا برحمته".

ولما قال ذلك بكى وبكى معه الإخوة بصوت عظيم حتى سمع صوت بكائهم من

(٣١) لم يرفع الأب باخوميوس قانون التوبة عن تادرس إلاّ في أواخر سنة ٣٤٥ أو بداية سنة ٣٤٦م، وذلك قبل قليل من نياحة أنبا باخوميوس. ورغم أن الأب باخوميوس أرسله لزيارة الإخوة كما كان قبلاً؛ إلاّ أنه ليس من المؤكد أنه كان يعامله كمساعد له كما كان سابقًا. (G 1, 109; SBO, 96a, 97).

على بعد من مكان الاجتماع. وبعدما صلّى هكذا صرف الإخوة. ثم استقلّ مركبا مع بعض الإخوة وجال يفتقد إخوة الأديرة ويشددهم. وبعد جهاد عظيم وحكمة روحية استطاع أن يكسب أبولونيوس أب ذلك الدير لكي يصنع سلاما مع الإخوة. وهكذا خزي العدو الذي كان يجرم[٣٢].

أبحر الرهبان **بمركبهم شمالاً** حتى جاءوا إلى مدينة "أنصنا". وهناك حجزت مركبهم، فبكوا واغتموا جدا وقالوا: "هذه حقًا علامة على أن الله قد نسينا منذ أن رقد أبونا. إذ لما كان بيننا في الجسد لم يحدث لنا مثل ذلك قط". فقال لهم أبا تادرس مشجعا: "لا تخافوا يا إخوتي، فكما أن الرب مع القديسين ومع أبينا، فهو أيضا معنا. تفكّروا في إنسان صديق للملك في هذا العالم، فحتى لو كان بعيدا عنه فهو لا يخشى أحدا لأنه صديق الملك. ليس أن أحدا لا يضره فحسب؛ بل إن كثيرين يتقربون إليه لكي يحصلوا على حظوة لأنفسهم عند الملك بواسطته؛ وإذا ترك مدينته وذهب إلى مدينة الملك ألا يحظى بثقة أعظم لأنه أصبح أكثر قربا من الملك رغم أنه ملك أرضي؟ هكذا أبونا لما كان معنا على الأرض كان ملك الملوك ورب الكون يظهر لنا صلاحه العجيب بسبب تضرعاته وصلواته التي كان يقدمها من أجلنا في كل الأحوال. فهو الآن بعد أن صار أكثر قربا من الله ألا يسمع له بالأكثر وهو في مظال الأبرار يتشفع من أجلنا؟ وحتى لو كان يختبرنا ولا يساعدنا، فإذا قلنا إن الرب قد تركنا لأن مركبنا قد حجزت يكون إيماننا ضعيفًا".

"وماذا يكون قولنا لو أن السلطات الأرضية أرسلتنا إلى النفي ووضعتنا تحت العبودية مثل دانيال ورفقائه؟ فقد كُتب عنهم من أجلنا أنهم كانوا في بلاط الملك نبوخذ نصر الذي لا يخضع لقانون، كعبيد له. لأنهم كانوا خاضعين له في كل شيء إلاّ فيما يعتبر خطية إلى الله. وهكذا، فعندما أقام تمثالاً ذهبيا وطلب أن يسجدوا له وإلاّ سيعاقبهم، فضلوا أن يسلموا أجسادهم للنار من أن ينكروا إله آبائهم. كما أن ق. بطرس الرسول قال: «فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب، إن كان للملك فكمن هو فوق الكل أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير» (١بط٢: ١٣و١٤). إذن، فيجب أن يطاع هؤلاء الناس من أجل الرب. كما أنه لا ينبغي أن خوفنا منهم يجعلنا ننكر الله أو نخطئ إليه بسبب البشر الذين لهم اليوم سلطان حسب الجسد. ويقول الرسول بولس: «إن كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس» (رو١٢: ١٨). فبقوله: «إن كان ممكنا» يجعل الأمر واضحا لنا، أي 'إن كنتم لا تخطئون إلى الله بصنعكم السلام فاصنعوه مع كل أحد'. أما إذا

(32) G 1, 131; SBO, 141 – 143.

كان الأمر يختص بمرطوقي أو إنسان من هذا القبيل، وإذا كنتم تخطئـون إلى الله بصـنعكم السلام معه، فاهربوا منه كما من عقرب حتى لا تموتوا بسم شره".

فلما سمع الإخوة هذه الكلمات من أبا تادرس تشجعوا كثيرا، وفي مساء ذلك اليـوم قال للإخوة: "هلموا نصلّي لكي يخلّصنا الرب من الذين يصنعون بنا شـرا". ووقفـوا وصلّوا بتوسل كثير حتى نصف الليل. وفي صباح اليوم التالي جمع الدوق كـل ضـباطه وقال لهم: "في الليلة السابقة رأيت أشياءَ مكدرةً حتى بدا لي أنني سأسلم الروح. وقـد خطر ببالي الآن أن ذلك ربما جاء علي لأنكم حجزتم مركب الرهبان الطبانسيين. فاذهبوا وردوها إليهم سريعا لأنهم خدام الله". فركض خدام الدوق في الحال وحيـوا الرهبـان وردوا لهم مركبهم. فالتفت أبا تادرس إلى الإخوة قائلاً: "ها قد رأيتم صلاح الله وكيف أنعم علينا بذلك. والواقع أن ذلك ليس بسبب برنا، بل بسبب أن أبانا البار دخـل إلى حضرة الله، ومن أجل صلوات أبينا القديس بترونيوس الذي هو في وسطنا حاليا، هـذا الرجل الذي هو حقًا لا غش فيه". أما الإخوة فكانوا متعجبين حقًا مـن إيمـان الأب تادرس في الله، ومن ثقته الكاملة في كل عمل صالح. ثم أبحروا شمالاً[(٣٣)].

عندما علم الإخوة وهم في المركب في الإسكندرية أن أبا بترونيوس قد ذهـب إلى راحته، بكوا. ثم علم الأب تادرس برقاده وأنه قد عين في مكانه الأب أورسيزيوس الذي من "شنيست"، فبكى هو أيضا. ثم قال للإخوة: "يا إخوة، ليتنا لا نبكي بـل بـالحري نقول: لتكن مشيئة الرب. فإن كان الرب قد أخذ منا أبا صالحًا كان يغذّي نفوسنا، فها أنتم ترون أنه برحمته الجزيلة قد ذكر آلام أبينا (باخوميوس) ودموعه، فأقام لنا أبا آخـر مؤهلاً مملوءًا بقوة الروح القدس. إنه "إسرائيلي حقًا لا غش فيه". هذا الرجل هو حقًـا يشوع بن نون الذي أعطاه الله لموسى النبي كبديل له. إنه أيضا أحد الأبطال الثلاثة الذين سلكوا بالصواب (٢صم٢٣: ١٦و٢٣). وقد قيل: «لا يأخذ أحد هذه الكرامة بنفسـه، بل المدعو من الله» (عب٥: ٤). وأيضا: قد «دار المُلك وصار لأخي لأنه من قبل الرب صار له» (١مل٢: ١٥). إنني، يا إخوة، لا أمدح أبانا المبارك أورسيزيوس من نفسي؛ بل إن الرب هو الذي مدحه وأوصاه على فم أبينا البار"[(٣٤)].

صلّى الأب تادرس مرةً أخرى بخصوص قادة مجامع الأديرة طالبا من الله أن يرشـده إلى ما يفعله معهم. فاستجاب الرب لطلبه، إذ حلّ عليه دهش وعاين في رؤية مثل أنبـا

(33) SBO, 125.

(34) SBO, 132.

باخوميوس برداء أبيض كالثلج، ومعه ملاكان مشعان. فلما رآهم خاف أن يقترب منهم، ولكن أحد الملاكين أشار إليه أن يقترب منه. فلما اقترب وهو مرتعد أمسك أحد الملاكين برداء الأب باخوميوس وعمل إشارةً كأنه يقول له: "أنت ترى أي نوع من الملابس يرتديه"، مشيرا بذلك إلى أنه في مجد مثل أحد القديسين، كما قيل عن إبراهيم إنه كان ملكًا بتدبير الله، لأن رداء الأب باخوميوس في الرؤية كان مثل أرجوان ملكي يلمع كالبرق. ولما أظهر له هذا المجد أخبره كيف يعين رؤساء المجامع، وحدد بالاسم كل واحد منهم والمجمع الذي يعينه له. ويجب ألاّ يترك أي واحد منهم في أماكنهم السابقة، بل يجعلهم في أماكن جديدة لكي يعيشوا بروح إنكار الذات.

وبعد الرؤية، جمع القادة والقدماء الذين كانوا في دير "بافو" وعقد مجمعا، وعينهم كما أشار الرب له. ثم شهد قائلاً: "لست أنا وحدي الذي حددت هذه التعيينات، ولكنني تصرفت كما وجهني الرب وأبونا". وقد اعتاد أن يفعل ذلك مرتين في السنة لخيرهم ولأجل خلاصهم، فكان يغير عمل الكثير منهم وينقلهم من مجمع إلى آخر. كما أن الإخوة اعتادوا أن يجتمعوا أثناء أيام الفصح (ربما يقصد في الخماسين)، وأيضا في أواخر أيام السنة التي تسمى أيام الغفران، حيث يقرأون سجلات عمل أيديهم[(٣٥)].

وحدث أن اجتمع الإخوة مرةً أخرى، وبعد أن أجرى الأب تادرس تعيينات جديدة قال لهم: "ها أنتم ترون أنني عينتكم بمشيئة الله كما أنتم تؤمنون، لأن هذا هو لأجل خلاص نفوسكم ونفوس الإخوة الذين معنا. فإن كنا قد دعونا واحدا من جماعة شركة صعبة إلى أخرى سهلة وفرح في داخله، فإنني أؤكد لكم أن هذا الإنسان ليس فيه روح الله. أو إن كنا قد دعونا واحدا من مجمع سهل إلى آخر صعب وحزن لذلك، فأقول لكم إن هذا الإنسان ليس فيه روح الرب ولا اتضاع. لأن الذي يحب الله حقًا بكل قلبه لا يفرح لشيء إلاّ لكونه يتمم وصية الله، أو عندما يرى أن قريبه يحقق تقدما قانونيا كما هو مكتوب: «إن كان عضو واحد يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه» (١كو١٢: ٢٦). كما أن الحزن ليس له سلطان على مثل هذا الإنسان إلاّ إذا وبخه قلبه لأنه أهمل (ذكر) الله، أو إذا رأى أحدا يسلك باستخفاف كما هو مكتوب: «من يعثر وأنا لا ألتهب» (٢كو١١: ٢٩)"؟

"هكذا أنت أيضا أيها الإنسان المنكر لذاتك، الذي ليست لك شهوة أخرى سوى الرب، إذا عينت في دير له ظروف صعبة، ألا يلزمك أن تضبط نفسك وتقول في نفسك:

---

(35) SBO, 144.

’أشكرك يا ربي، لأنني في الحقيقة وجدت مكانا يجعلني أبسط يدي إليك‘. أو قد تقـول أيضا: ’لماذا لا أكون معترفًا بفضلك ومبتهجا طالما أنني أتممت إحدى الوصايا أن أكون خاضعا‘؟ أو حتى إذا ألقى ا .رب في قلبك شعورا بالحزن الباطل، فتذكر أيوب الصديق الذي مع كونه ملكًا قد صار كاملاً بإنكار ذات إنجيلي قبل مجيء مخلصنا. فلما سمع عن ضياع كل ممتلكاته وموت أبنائه وبناته لم يضطرب من ذلك، بل إنه حتى القليل الـذي بقي من ملابسه وشعر رأسه تخلّى عنه بفرح مباركًا الرب الذي كان هو رجاؤه. وقـد سجد للرب قائلاً: «عريانا خرجت من بطن أُمي وعريانا أعود إلى هناك. الرب هو الذي أعطى وهو الذي أخذ، فكما حسن عند الرب هكذا حدث، فليكن اسم الرب مباركًا» (أي١: ٢١ سبعينية). فلو لم يكن هذا البار مارسا إنكار الذات يوميا في قرارة قلبه لكان قد حزن جدا وأخطأ إلى الرب عندما ضاعت كل ممتلكاته“.

”وكيف أمكننا أن نعرف ذلك إذا لم يكن الأمر هكذا كما قال حينما كان مجربـا؟ إنه بينما كان لا يزال معذبا بالقروح كان يخبر كل إنسان أن هذه الآلام لم تأتِ عليـه بسبب خطايا اقترفها ولا لأنه كان يتمتع بغناه، بل إ ا بالحري اختبار له من الرب. فقد قال: «إن كنت قد جعلت الذهب عمدتي أو قلت للإبريز أنت متكلي، إن كنـت قـد فرحت إذ كثرت ثروتي» (أي٣١: ٢٤و٢٥). لأنه كان يريد أن يعلم الـذين يؤمنـون بالرب أن ثروة القديسين لا تعطَى لهم لأجل رفاهية الجسد والمسرة، بـل فقـط لكـي يطعموا الفقراء والمحتاجين. فالإنسان الغني يشبه وكيلاً أقامه سيده على ممتلكاتـه لكـي يطعم خدامه كما في المثل الذي جاء في الإنجيل (لو١٢: ٤٢). لأن أيوب البـار قـال: «كنت عيونا للعمي وأرجلاً للعرج، أب أنا للفقراء» (أي٢٩: ١٥و١٦)“.

”والرسول أيضا يؤكّد لنا على إنكار موسى النبي معطي الناموس لذاته عندما «أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون، مفضلاً بالأحرى أن يذلّ مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية» (عب١١: ٢٤و٢٥). كما أننا نعلم أن إبراهيم أب الآباء كان غنيا بالـذهب والفضة وعبيد كثيرين. فلماذا إذن لم يذكر لنا شيء عن العطايا التي قدمها للفقراء؟ كان ذلك بالتأكيد لكي يتم قول الرسول: «أما (الأعضاء) الجميلة فينا فلا تحتاج إلى كرامة» (١كو١٢: ٢٤ حسب النص). وفي الواقع أنه عندما كُتب عنهم أ م أرضوا الرب، فقد صار واضحا أ م في سير م قد مارسوا كل عمل صالح وكل فعل محبة. بل إنه قد ذُكـر عن الكثير من القديسين أ م كانوا أغنياء، ولكن بسبب إنكارهم لذوا م فقد اعترفـوا بأفواههم أ م فقراء وبؤساء، مثل داود النبي الذي، مع أنه كان ملكًا، فقد قال: «أما أنا

فمسكين وبائس، الرب يهتم بي» (مز٤٠: ١٧)".

"والرسول بولس أيضا قال إن الآباء البطاركة «حيوا (المواعيد) وأقروا بأ م غرب اء ونزلاء على الأرض» (عب١١: ١٣). هكذا نحن قد شرحنا لكم ك ثيرا ع ن ه ؤلاء الرجال. ولكن حتى لا يعثر أحد منكم عندما يقرأ عن وليمة سليمان الحكيم، فعلين ا أن نفكر في أ ا يجب أن تفهم كسر، لأن سليمان يرمز إلى مخلصنا الذي جاء م ن نس له حسب الجسد. إنه هو الرب الذي أرسل خدامه إلى كل إنسان قائلاً: «ثيراني ومسمناتي قد ذُبحت وكل شيء معد، تعالوا إلى العرس» (مت٢٢: ٤). ففي الحقيقة إنه هو حقً ا حكمة الله كما هو مكتوب: «الحكمة بنت بيتها، نحتت أعمد ا السبعة. ذبحت ذبحه ا مزجت خمرها، أيضا رتبت مائد ا، أرسلت جواريها» لكي تدعو كل واحد «أش رارا وصالحين» (أم٩: ١-٣؛ مت٢٢: ١٠)".

"والآن يا إخوتي، ها نحن قد تكلمنا عن الفقر وإنكار الذات عند القديسين، فلنتشبه بحيا م لكي نصير أبناءهم"[٣٦].

ذهب الأب تادرس إلى دير "شنيست" ليزور الأب أورسيزيوس وشجعه قائلاً: "ك ن واثقًا، فإن كلينا إنسان واحد في كل عمل صالح. والواقع أنك أنت الذي عينتني ونحن أبناء لرجل واحد". فلما رأى الأب أورسيزيوس تواضعه استراح من قلقه ولم يعد من زعجا من تركه لمسئوليته، بل كان يقول لنفسه: 'إن أبانا باخوميوس لم يمت بالكلية'[٣٧]!

لما توطدت أواصر الوحدة في **الكينونيا،** وتحدث الأب تادرس مرةً مع الإخوة قائلاً: "سوف أخبركم بأمر سيفعله الرب في وسطكم قريبا لكي تعرفوه، وب الأخص ال ذين عندهم شك فيما بينكم، إننا قد اجتمعنا ليس بتدبير إنسان بل بتدبير الله. وهذا الأمر هو أن أخا بينكم سوف يفتقده الله قريبا. وهو ملم تماما بأحوالنا وبما اختبرناه، حتى إذا انتقل يمكنه أن يخبر أبانا والذين معه في العالم الآخر عن وحدتنا والتجديد الذي نعيشه بنعم ة الرب. لأن فخر البشر وفرحهم عند الله هو أن ينمو زرعهم ويزداد على الأرض كما قال معلمنا بولس الرسول لخدام الرب: «لأن من هو رجاؤنا وفرحنا وإكليل افتخارن ا؟ أم لستم أنتم أيضا أمام ربنا يسوع المسيح في مجيئه» (١تس٢: ١٩)"؟

وبعد خمسة أيام حدث ما تنبأ به، فقد مرض أخ من القدامى كان ناسكًا مخلصا واسم ه "أكولا". وكان عمله مسك دفاتر حساب أديرة الكينونيا. وأثناء مرضه علم الأب تادرس أن

---

(36) SBO, 145.

(37) SBO, 146.

أخا آخر من القدامى قد مرض وحالته خطيرة، وكان كاتبا ماهرا، فقال الأب تادرس: "إنني حقًا حزين جدا بسبب مرض هذين الأخوين، فلا شك أنهما سيحظيان بالراحة الأبدية، ولكننا محتاجون إليهما لخدمة هذا الجمع الكبير، ولكننا نؤمن أن الرب لن يفتقد كليهما". وحدث كما تنبأ، فبعد أيام قليلة افتقد الرب أكولا، فحزن الإخوة مع الأب تادرس على فقدانه حزنا شديدا. ثم علموا بشفاء الأخ الآخر، فأقامه الأب تادرس بدلاً من أكولا في وظيفته. وقد تعجب الإخوة من أن ما تنبأ به تحقق هكذا سريعا[٣٨].

كان أبا تادرس جالسا مرةً في **خلوة**، وكان متوجع القلب. فعلم أخوان بوجع قلبه فتقدما إليه قائلين: "قل لنا كلمة". فقال لهما: "أنا محتاج أن تعزياني". فقالا له: "يمكن أيضا أن يتعزى الآباء من بنيهم، فقُل لنا وجع قلبك ونحن نعزيك". فقال لهما: "لا تقدرا وأنتما اثنان أن تعزياني، ولكن واحدا فقط يمكنه أن يعزيني". فلم يفهما معنى قوله. وفيما هو يتكلم إذ بشبه إنسان جالسا بين يديه، وبدأ يتكلم كمن يريد أن يشتم أنبا باخوميوس قائلاً: "أليس هو إنسان أُمي لا يعرف شيئًا"؟! فخاصمه تادرس قائلاً: "هل أبونا باخوميوس لا يعرف شيئًا؟ إن كان كذلك فلعلك تقول عن الرسل أيضا إنهم لا يعرفون شيئًا، لأنه مكتوب عنهم إنهم كانوا أُميين لا يعرفون الكتابة. إنه يفسر لنا الأسرار التي في الكتب المقدسة، بل إنه أيضا أعلم منك". ولما فرغ من كلامه هذا جعله الذي يكلمه يعرف أنه ملاك الرب، فاستحى من منظره. فقال له الملاك: "لا تخف، فالإيمان الذي لك في أبيك باخوميوس أَبِقه بغير نقص، وكل كلمة قلتها أنت عنه هي حق". ولوقته صعد إلى السماء وهو ينظر إليه. ثم قال واحد من الأخوين اللذين كانا يكلمانه: "مع من كنت تتكلم"؟ لأنه لم ير الذي كان يكلّمه. فانتهره الآخر لكي يسكت لأنه علم أنه رأى رؤيةً، لأنه كان يعلم أنه يرى رؤى كثيرة[٣٩].

رتب أبا أورسيزيوس أن يكون أبا تادرس مدبرا لبيت البنائين (أو النجارين) في بافو مدةً من الزمان. ثم جاء "مكاريوس" - أب دير "بخنوم" بعد الأب سوروس - وطلب من أبا أورسيزيوس أن يرسل تادرس معه إلى ديره لكي يعد لهم الخبز، لأنه كان يعلم أنه سيكون مصدر تشجيع وتعزية. وبعد عيد الفصح ذهب تادرس معه إلى الدير. وبينما كان في المركب، جاء أحد الإخوة إلى أبا تادرس حيث كان جالسا، وإذ رآه متضعا وهادئًا مثل أخ مبتدئ سأله: "كم من الزمان لك مع الإخوة"؟ فأجاب: "مدة يسيرة". فسأله الأخ: "وهل كنت تعرف صناعة الخبز قبل مجيئك إلى هنا"؟ فأجابه: "قليلاً". حينئذ قال له: "إذا

(٣٩) باخوم.

(38) SBO, 147.

رأيت في المخبز واحدا يضحك أكثر مما يجب، أو أحدا يخاصم آخر كما هو الحال في الكينوبيون، حيث يوجد أناس من كل نوع، فلا يعثرك ذلك، ولكن وجه اهتمامك إلى نفسك متمثلاً بالحريصين المتيقظين". فقال له أبا تادرس: "حسنا"!

ولما أرسوا المركب عند الدير سمع الإخوة بمجيء أبا تادرس فخرجوا جميعا بفرح للقائه، فقد كانوا يعرفونه منذ أن كان يعزي النفوس مع أبينا باخوميوس. أما الأخ الذي تكلم معه في المركب مثل مبتدئ، فلما رأى الإخوة يكرمونه خجل واختشى لكونه تجاسر أن يتكلم هكذا مع رجل مثله[٤٠]!

حدث مرةً أن الأب تادرس اقترب من أخ كان قد سقط في خطية محاولاً أن يشفيه منها سرا، ولم يعلم أحد بما سقط فيه. ولما تحدث معه عن أخطائه - التي كُشفت له سرا - رفض أن يعترف بها قائلاً: "أنا لم أفعل شيئًا مما تقول"! مع أن هذا الأخ كان يعلم أن الأب تادرس لا يخفى عليه شيء كما كان الأمر مع الأب باخوميوس. فلما رأى الأب تادرس أنه لا يريد أن يعترف بخطئه تركه قائلاً: "أنت مسئولٌ عن نفسك"!

وأرسله الأب تادرس مرةً في مهمة، فعطش في الطريق وذهب ليشرب من النهر فاندفع نحوه تمساح، ولكنه نجا منه بمعونة الله. ولما وصل إلى بافو لدغه عقرب وصار في خطر الموت. فانفجر في البكاء وأرسل إلى أبينا تادرس يتوسل إليه أن يأتي قبل أن يموت. ولكنه لم يشأ أن يذهب وقال: "في اليوم الذي كان في إمكاني أن أساعده رفض ولم يقبل معونة الله. والآن لماذا يريد مني أن أذهب إليه بعد أن فارقه روح الله؟ كما أن اعترافه الذي يريد أن يقدمه الآن لن يفيده شيئًا لأنه متأخر جدا"! ولما علم الأخ أن أبانا تادرس لن يأتي الآن ظل يتوسل إلى الإخوة لكي يترجوه ويحضروه إليه قبل أن يموت، توسلوا إليه حتى ذهب معهم. ولما رآه الأخ طلب من الإخوة أن يسمحوا ويتركوه معه لأنه أراد أن يقول له شيئًا.

ثم قال لأبينا تادرس: "يا أبي، اغفر لي لأنني أخطأت ولأنني لم أعترف بالحق في ذلك اليوم عندما كلمتني عن خلاصي. فصل من أجلي يا سيدي الأب لكي أنال رحمةً لأنني مزمع أن أقع في يدي الله. أنا أعلم أن كل شيء ممكن لك"! فقال له أبونا تادرس: "الرب قادر ليس أن يغفر لك وحدك بل وللعالم كله". حينئذ بكى الأخ، وبعد يومين انتقل. وسأل الإخوة أبانا تادرس عن حاله بعد موته، فأجابهم: "لقد حاولت أن أتكلم

(40) G 1, 121; SBO, 137, 138.

معه لكي ينال من الرب نعمة التوبة ولكنه رفض قائلاً إنه لم يفعل شيئًا. وأقول لكم الحق إنه الآن يتلقى ضربات كثيرة، وليس هو وحده بل إن كثيرين جدا منكم سوف يعانون بشدة عندما يفتقدهم الرب"[٤١]!

ذكر الأب تادرس مرةً أسماء بعض الإخوة في وسط الجميع وقال لكل واحد منهم: "إن لم تندموا وتقدموا توبةً فإنكم سوف تقاسون من الآلام والعقاب". ولما رأى أن كثيرين من الذين ذكر أسماءهم لم يتوبوا من توانيهم طردهم من وسط الإخوة القديسين. ثم تحدث مع الإخوة قائلاً: "لا ينبغي أن تتصوروا أنني طردت رفقاءنا من وسطنا بدون سبب كاف. فقد حاولت في الواقع أن أسعى من أجل خلاص نفوسهم، ولكنهم لم يرغبوا في حفظ وصايا الله الذي يطلب خلاص كل واحد. ورغم أنهم سمعوا تحذيري لهم: "إنكم سوف تنالون ضربات شديدة"؛ إلاّ أنهم كانوا يسخرون من كلماتي بقولهم إنه لن يحدث شيء من ذلك"!

"وقد حدث فعلاً - عندما كان أبونا باخوميوس في الجسد - أن سمعه الإخوة الكبار وهو يقول في ظرف وفاة أخ لم تكن أعماله مستقيمة: "إنه سوف يتلقى ضربات شديدة من الرب". بل إنه أيضا أمر ألاّ يدرجوا اسمه مع الإخوة المنتقلين. فلما أجابه أحد الإخوة الكبار القدامى: "أما من حيث الضربات فهو أمر لا قيمة له"، رد عليه أبونا: "ما أقل إفرازك! ألعلك تظن أن ضربات الله كضربات الإنسان"؟ إنها في الواقع هي غالبا تلك الضربات القاسية التي ذُكرت في الإنجيل: «ويطرحونهم في أتون النار» (مـت١٣: ٤٢) إلى نهاية الدهور، أو قد تكون أقسى من ذلك أيضا" ... فلما سمع الإخوة هذه الشهادة الإضافية من أبينا تادرس، أي شهادة أبينا باخوميوس، أخذوا حذرهم وتقدموا في جهادات أعظم لكي يتجنبوا تلك الضربات الأليمة[٤٢].

احتاج أحد المراكب القديمة إلى ترميم، فأعاد أبونا تادرس بناءه حسب أمر الأب أورسيزيوس. ولما حان وقت إنزاله إلى الماء بدأ الإخوة يصيحون بصوت عالٍ مثل سائقي العربات في منافسة سباق حامي الوطيس قائلين: "سنكون جاهزين أمامك". وقال آخرون: "كلاّ، بل نحن". فلما رأى أبونا تادرس المشاحنة والهياج الشديد بينهم صاح رجل الله يأمرهم ألاّ يتشاجروا على شيء ليس فيه منفعة لنفوسهم. ولكنهم لم يصغوا إليه، فحزن أبونا تادرس جدا ولزم الصمت وألقى بكل همّه على الرب. ثم ابتعد قليلاً

(41) SBO, 148.

(42) SBO, 149.

وجلس وهو مغموم حتى انتهوا من إنزال المركب إلى الماء بمرح صاخب.

ثم جلس وتكلم معهم بكلمة الله حتى المساء، وخاطبهم قائلاً: "عندما كنتم منهمكين في صياحكم المرتفع امتنعت حينئذ من النظر إلى أي منكم، ولا سيما بسبب العلمانيين الذين كانوا يراقبوننا وينصتون إلى صياحكم. والآن، إن كنتم ستستمرون في هذا السلوك فستبكون وتتوجعون وتتأوهون بسبب المسرات التي تنغمسون فيها. ولكن ليت أي واحد يسمعني أتكلم ألاّ يسيء فهم أسلوبي ويقول بغباء: "هل إذا مت سيصير العالم حقًا مقفرا بسببك"؟ إننا جميعا نعلم أن الله لن يتخلّى عن الخليقة كلها التي جبلها. ولكن يعلم الرب أنكم إذا داومتم على السلوك بهذه الغباوة، فإنكم سوف تبكون وتبكون وتبكون بتأوهات. أين هي مخافة الله التي تلاشت من قلوب البعض منكم؟ ألم تسمعوني عندما كاد حلقي يبح من الصراخ إليكم؟ والآن يا إخوتي، ما هو شأننا بمركب أو عربة أو بأي من أشياء هذا العالم التي لا تعود على أنفسنا بأي منفعة بل إنها عابرة وسريعة الزوال؟ فإذا هلكت نفوسنا بسبب سكرنا بهذه الأباطيل، فما هو الفرق بيننا وبين الذين لعبوا أمام العجل في حوريب، الذين أكلوا وشربوا وسجدوا له تاركين الله الذي خلقهم؟ فإن كنتم لن تطيعوني أو تقبلوا تعليمي، فحينئذ يكون الله هو المسئول عنكم، أما أنا «فما هي قوتي» (أي٦: ١١)"؟!

ولما قال ذلك بكى معظم الإخوة مدركين الأوجاع التي تحملها لأجل خلاصهم وسلامة نفس كل واحد منهم. ثم نهض وصلّى بأسى من أجل الذين تجاهلوا منهم أمر خلاص نفوسهم. ثم انصرفوا إلى قلاليهم وهم منتفعون كثيرا من ذلك[٤٣].

كان الإخوة يتعجبون من سلوك الأب تادرس المتواضع تجاه جميعهم، وكيف كان يهتم بخدمتهم وهو يتوارى عن الظهور في وسطهم. وكانت ملابسه ومظهره في الغالب لا يميزه عنهم، بل إنه كان يبدو عادةً أكثر حقارة منهم. وكان الناس عندما يأتون بمرضاهم من أماكن بعيدة لكي يصلّي من أجل شفائهم، كانوا لا يعرفونه بسبب زيه المتواضع، كما أنه ما كان يتقدم الإخوة في سيرهم كمن يطلب الكرامة من البشر؛ فكانوا يترجونه أن يدعو لهم الأب تادرس رجل الله لكي يطلب الشفاء من الرب لمرضاهم. ثم بعد ذلك كانوا يعلمون من الإخوة أنه هو الأب تادرس، فكانوا يسرعون في إثر خطوات قدميه ويأخذون من التراب الذي مشى عليه ويدلّكون به المرضى فيشفيهم الرب من أجل إيمانهم وتكريما لخادمه كما هو مكتوب: «إني أكرم الذين يكرمونني» (١صم٢: ٣٠)[٤٤].

(43) SBO, 192. (44) SBO, 150.

جاء أناس ذات يوم إلى الأب تادرس بمريض كان جسده قد ضعف من الحمى والقشعريرة لمدة ثلاثة أيام، وترجوه أن يصلّي عليه لكي يشفى. فقال له أبونا تادرس: "اذهب عاجلاً واغطس في الماء في أقرب مكان تجد فيه ماء، وسوف تسترد عافيتك باسم الرب"[٤٥].

ومرةً أخرى أحضروا إليه واليا محمولاً على كرسي، وكان مثل ميت بسبب عمل سحري. فلما رأى القديس ذلك أخذه في حجرة وغسله بيديه فانتعش في الحال وبدأ يتكلم شاكرا له. ثم أخذه أقاربه وانصرفوا وهم يمجدون الله[٤٦].

كان الأب تادرس مرةً يقرأ وحده في سفر ميخا النبي. فظهر له ملاك الرب وسأله عن الآية: «كالماء المنحدر من منبعه» (مي١: ٤حسب النص)، قائلاً له: "ماذا تعتقد في معناها"؟ وبينما كان الأب تادرس متحيرا ومحاولاً أن يفهمها أجابه الملاك: "يا تادرس، لماذا لا تدرك معناها؟ أليس واضحا أنه يقصد ماء النهر المنحدر من الفردوس"؟ ثم اختفى الملاك. ولما تكلم القديس مع الإخوة ذكر لهم تلك الآية التي فسرها له الملاك، وقال لهم: "هذا التفسير الواضح قاله لي الملاك باعتباره تنبيه لنا، فكل آية في الكتاب المقدس يجب أن نحاول فهمها أولاً بمعناها الحرفي قبل المعنى الروحي، إلاّ إذا كانت قولاً لا يمكن أن يبني من يسمعه على المستوى الحرفي إطلاقًا، مثل آية المزمور: «جميع عظامي تقول يا رب من مثلك» (مز٣٥: ١٠)؟ و ... "(جزء مفقود من المخطوطة)[٤٧].

كان الأب تادرس ساهرا جدا على النفوس التي ائتمنه الرب عليها، فكان يأخذ كل واحد على انفراد ويطيب قلوبهم مثل طبيب، إذ كان يميز أفكارهم وأعمالهم بروح الله الذي فيه. ولم يكن أحد من الإخوة يحجم عن أن يعترف له على انفراد عما في نفسه وعن حروبه مع العدو. وكان يتأكد من أنه لا أحد يقاسي من تجارب الشياطين. فقد كان يحرسهم بكل حزم وفقًا للتنظيمات والقوانين التي وضعها لنا أبونا البار كدستور للإخوة في الكينونيا. وإذ كان هو نفسه قد اختبر النصرة في الرب الذي قال: «ثقوا» (يو١٦: ٣٣)، فقد كان يعلمهم أن يقاوموا كل فكر من أفكار العدو، لأنهم لا يكللون إن لم يجاهدوا قانونيا كما قال بولس الرسول (٢تي٢: ٥). وكان يحث كل واحد أن يثبت مقابل الأفكار الشريرة وأن يحفظ وصايا الرب بكل طهارة. وكان يعزي المضطربين منهم بروحه المليئة بالرأفة، ويؤنب الذين يستحقون التأنيب لأجل تجديد نفوسهم في نظر ربنا يسوع.

(45) SBO, 153. (46) SBO, 154. (47) SBO, 155.

وكان ينقل بعضهم من دير إلى آخر أو من بيت إلى غيره، عاملاً كل ما في وسعه من أجل خلاص نفوسهم. كما كان يحث البعض الآخر على النسك وممارسات إماتة الذات لأجل تقديس أجسادهم، ويلزم آخرين بالصوم حتى يمكنهم أن ينتصروا على الذين يحاربونهم. وإذا رأى شخصا متوانيا في مراقبة حياته ومهملاً في خلاصه، كان ينصحه بصبر كثير وينذره بدينونة الله الرهيبة، لأنه «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب١٠: ٣١). وكانوا ينفذون ما يأمرهم به بكل حزم. كما أنه كان يصلّي من أجل المتواني أو يطرده خوفًا من أن يتسبب في هلاك آخرين. ففي معاقبة الله للخطاة إنما يظهر صلاحه وخيريته لأنه يريد أن يخلص الجميع ويقبلوا إلى الراحة الأبدية.

وكان يقول أيضا: "إذا أُعثر شخص بسلوك إنسان متوانٍ، لأنني صابر عليه إلى أبعد الحدود، فإنني أحسب نفسي مسئولاً عن ذلك". ولذلك فإنه لم يعطِ لنفسه راحةً، بل بغيرة عظيمة كان يعتني بهم نهارا وليلاً كما هو مكتوب عن الرب: «لأنه فيما هو قد تألم مجربا يقدر أن يعين المجربين» (عب: ١٨). وكان يلقي همّه على الرب ويصلّي قائلاً: "إنه لَجهاد عظيم على المرء أن يعطي حسابا عن نفسه، فكم بالأكثر جدا أن يعطي حسابا عن كثيرين؟ ولهذا فإنني أعرف أننا مثل الظل (أي٨: ٩)، ولسنا نحن الذين نحرس النفوس ولا نقدر أن نصل إلى هذا المقدار؛ بل أنت يا رب الذي صورت نفوس البشر واحدا فواحدا، فاحفظنا جميعا وكل العالم من الشياطين الأشرار، لأنه لا يقدر أحد أن يخلصنا سواك أيها الرب الإله ورب المجد". فقد كان يخشى أن يقع تحت حكم الله إن هو أهمل لدرجة هلاك النفوس التي لم يؤنبها. هكذا كان يسلك دائما، منقيا الزغل (أي العيوب والخطايا) من شعبه (انظر إش٤: ٤).

كما أنه كان يعتني جدا بالاحتياجات المادية لجميع الإخوة. أما الراهبات، فقد كان يخدمهن عن طريق أب بار عينه لهن لأجل تطبيق التنظيمات والإرشادات الروحية. وكان يرعاهن بكل قداسة حسب قوانين أبينا البار باخوميوس[٤٨].

كان الأب تادرس إذا جاء إليه أناس لأجل شخص مريض أو به شيطان، كان يقول لهم: "لا تظنوا أننا نستطيع أن نتشفع لدى الله لأجل المريض ونحن خطاة، فإذا أراد الله برحمته على خليقته أن يعفو فهو قادر على ذلك، إذ إنه دائما يظهر جوده وصلاحه نحو الجميع". فإذا ألحّوا عليه جدا وطلبوا منه أن يصلّي، كان يطلب أن تكمل مشيئة الله وما يحسن في عينيه، فكان الرب يمنحهم الشفاء. وكان يفعل ذلك وهو يتذكر الأب

(48) G 1, 132; SBO, 191, 195.

باخوميوس الذي علّمه، فقد كان يسير في طريق القديسين بدون انحراف. وفي الحقيقة إن سمعة تقواه كانت قد انتشرت في مصر كلها، فكانوا يأتون إليه بمرضى كثيرين لكي يشفيهم بالموهبة التي أنعم بها عليه الرب الذي مجد في القديم خادمه أليشع النبي(٤٩).

أسس الأب تادرس أديرة أخرى: اثنين منهما كانا بجوار "هرموبوليس" (الأشمونين)، ودعيا: "كايور" و"أوي"، وذلك بموافقة الأب أورسيزيوس. ثم رتب لهما، حسب قوانين الجماعة، الآباء الساهرين الأتقياء ومساعديهم، ومدبري البيوت ومساعديهم مثل بقية الأديرة. كما أسس ديرا آخر بجوار "هرمونثيس" (أرمنت بجوار الأقصر)، وعين له كذلك آباء صالحين وإخوة بحسب الأنظمة عينها. ثم أسس ديرا آخر للعذارى في قرية تدعى "بيخني" بجوار دير "بافو"، وكان الأب باخوميوس قد أسس ديرا آخر للعذارى في "تومينا" (وهي "إشمين" أو إخميم بجوار سوهاج). وكانت هذه الأديرة قادرة على خياطة الملابس الصوفية والأغطية وغيرها، وكذلك غزل الكتان لملابس الرهبان. وكان مدبر الدير الكبير يرسل لهن عمل أيديهن عن طريق رجل قديس وقور يدعى "إيبونيخس"، وهو الذي صار أبا لهن بعد نياحة الأب بطرس الشيخ في طبانسين(٥٠).

بدأ الأب تادرس يخفي كل الرؤى التي كان يشاهدها، لأنه سمع عن الشكاوى ضد الأب باخوميوس ومحاكمته (في مجمع لاتوبوليس)، وتحقق أن ذلك أفضل له، ولذلك علّم الإخوة قائلاً: "أي شيء أعظم من اقتناء الروح القدس؟ فإن كان كل من يؤمن باستقامة ويحفظ وصايا الله يصير أهلاً لأن يكون هيكلاً لله، فواضح إذن أنه حيثما يوجد الرب فهناك أيضا كل القوة والثقة. فأي بهاء ومجد لا تجده في قصر الملك؟ كذلك كانت خيمة الاجتماع قديما تحتوي على كل شيء يؤول إلى مجد الله. لذلك لا ينبغي أن يشك أحد إذا سمع عن أحد رجال الله أنه رأى رؤيةً، لأن الذي يظهر له الرؤى إنما هو ساكن فيه. ومع ذلك فيلزم الحذر أيضا في هذا الأمر لئلاّ يظن أحد في نفسه أنه شيء وهو ليس بشيء، فيخدعه العدو بشهوة الرؤى، وإذ يغلب منها يسقطه في الضلالة كما حدث لكثيرين".

"والآن، سواء وصلنا إلى هذه الدرجة أو لم نصل، فلنقتن جميعا اتضاعا كثيرا مصلّين لكي ننجو من العذاب الأبدي، فهذا هو الذي كان القديسون يبتهلون من أجله، إذ يقول واحد منهم: «احفظ نفسي وانقذني» (مز٢٥: ٢٠). وبولس الرسول يشكر الرب على خلاصه فيقول: «وأُنقذت من فم الأسد» (٢تي٤: ١٧، وقارن بالآية: «خلّصني من فم

(49) G 1, 133; SBO, 151.

(50) G 1, 134.

الأسد» مز٢٢: ٢١). وكان يقصد بذلك الشيطان الذي يزأر ملتمسا أن يفترس النفوس (١بط٥: ٨)، لأنه مخادع جدا، فأحيانا يجعل الكذب يظهر وكأنه حق. وإن لم يكن الإنسان المجرب عنده تمييز دقيق جدا بخصوص حيل العدو فإنه ينخدع منه. أما الذي لا ينخدع فهو ذاك الذي يقدم الطاعة لله وللقديسين في أي شيء بدون فحص".

"أما من جهتنا أيها الإخوة، فإذ قد فهمنا هذه الأمور، فليعرف كل منا كيف يلزم مقداره، سواء كان راعيا للنفوس أو غنمة (أي أحد الرعية). بل فلنصل جميعنا لنكون رعيةً، حيث إنه لا يوجد راع سوى الذي قال: «أنا هو الراعي الصالح» (يو١٠: ١٤). ولكن، كما سبق داود وأخبرنا أن «الرب هو الله وقد أنار لنا» (مز١١٨: ٢٧)؛ فإن الله الكلمة حينما ظهر في هيئة بشر وخلّصنا، منعما علينا بمعرفة الإيمان، قبل صعوده إلى السماء أقام الرسل كخلفاء له بقوله لبطرس الرسول: «ارع (أو أطعم) خرافي ... ارع غنمي» (يو٢١: ١٥و١٦). فمن هنا كانت الحاجة، كما في كل جيل، إلى الذين يطعمون النفوس في الرب الذي يقول: «أنا معكم» (مت٢٨: ٢٠). ونحن نعلم أنه بعد الرسل جاء الآباء الأساقفة. ولكن جميع الذين يطيعون المسيح الذي فيهم هم أيضا أولادهم، حتى ولو لم يكونوا من الإكليروس أو ليس لهم رتبة كنسية"[٥١].

كان كثيرون من الإخوة يموتون بسبب انتشار وباء الطاعون مرةً أخرى، حتى إنه كان ينتقل كل يوم واحد أو اثنان. وفي مرة ذهبوا ليدفنوا أحد الإخوة فوجدوا أن مياه الفيضان بدأت تغمر الحقول، فسألوا الأب تادرس: "هل سنموت جميعا من هذا الوباء القاتل؟ وماذا سنفعل إذا انتقل واحد آخر؟ لأنه لا يمكن للمركب أن تعبر حيث إن المياه غير كافية لذلك، وها هو الماء قد ارتفع وبدأ يصل إلى الطريق المؤدي إلى الجبل"! فقال لهم: "لا، بل إنني رأيت ثلاثين فقط يرقدون من بيننا. وأنا أعتقد أنه إذا غطّى الماء هذا الطريق، فإن الرب حينئذ سيدبر ألاّ يموت أحد بسبب هذه البلية التي تحل بالإخوة، وحسب إيماننا فإن الله سيتحنن علينا في هذا الأمر". وهكذا حدث بالفعل كما قال، إذ إنه لم ينتقل أحد حتى انحسر الفيضان، فتعجب الإخوة من ذلك! ولكن بعضهم سأله: "هل يهتم الرب بنا حتى في مثل هذا الأمر التافه"؟ فأجابهم: "أؤكد لكم أنه يهتم بنا في كل وقت. فإن كان هو كثيرا ما يسمح لنا بالضيقات؛ فإنه حتى في ذلك يهتم بنا أيضا لأنه هو الذي يعلم ما هو صالحٌ لنا. فلنشكره على الدوام وعلى كل شيء. أما ما قلته أنا فسيتم لأننا نثق في قول الإنجيل: «اطلبوا تأخذوا» (يو١٦: ٢٤). وهكذا حدث، فإنه لم يمت أحد منذ ذلك اليوم حتى جف الماء من

(51) G 1, 135.

على الأرض، كما أن الله افتقد ثلاثين من الإخوة فقط، فتعجب الإخوة من روح الله الذي في الأب تادرس، لأنه لم تسقط كلمة واحدة مما قاله"[٥٢]!

بينما كان أبونا تادرس يشتغل مع الإخوة يوما ما خارج الدير وقع عليهم خوف. فلما رآهم خائفين دعاهم إلى الصلاة. ولما صلّوا نظر هو إلى السماء فرأى روحا يتقدمها ملائكة ترتل المزامير وهي ماضية بها إلى موضع راحتها. ثم استمر الأب تادرس في حديثه للإخـوة بكلمة الرب حتى جاءه الخبر من الدير بأن أبا بفنوتيوس الصغير قد رقد[٥٣]. فذهب في الحال مع الإخوة لكي يدفنوا الأخ في الجبل مع الإخوة الذين رقدوا قبله[٥٤].

كان أنبا تادرس مرةً يجتاز وسط بعض البهائم، فرأى بينها ثورا كان يفتخر به بعض الإخوة الجسدانيين بسبب منظره الجميل، وذلك لأن مخافة الله لم تكن قد ملكت علـى قلوبهم بعد. فتذكر حينئذ أن الرسول بولس كان يحث خدام الرب أن يكونوا صـبورين مع الأشرار: «مؤدبا بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبةً لمعرفة الحق فيسـتفيقوا من فخ إبليس» (٢تي٢: ٢٥و٢٦). وكان أبونا تادرس بالفعل صبورا معهم، فلم يوبخهم بتجبر وتسلط لكي ينتزع منهم ما كان يضللهم، ولكنه صلّى قائلاً: "يا ربي يسـوع، أنت الذي تعمل من أجل خلاص نفوسنا في كل شيء، اضرب هذا الحيوان حتى يمـوت لكي لا يجد هؤلاء البؤساء أنفسهم قد تقسوا بعبادة الأصنام بعـد أن جحـدوا العـالم وشهواته". وفي اليوم التالي سقط الثور ميتا فجأةً[٥٥].

غرق أحد مراكب الإخوة مرةً، وكان محملاً بخيوط الكتان لأجل ملابسهم[٥٦]. ولمـا وصل هذا الخبر تضايق الإخوة جدا، وكان أبونا تادرس يتكلم في ذلك اليوم مع الإخوة عن الكتب المقدسة كعادته، فقال لهم: "لقد تضايق بعضكم بسبب غرق ذلك المركب، ألسـنا من أجل اسم ربنا يسوع المسيح قد تركنا بسرور ممتلكاتنا التي كانت تخصنا لما كنا لا نزال في الجهالة؟ فهل ننـزعج بسبب أشياء نزعت منا الآن بعد أن حصلنا على معرفة حق الرب؟ إننا نقرأ في الكتاب المقدس كل يوم ونردد ما قاله أيوب الصديق دون أن ننتبه إليه: «الرب هو الذي أعطى وهو الذي أخذ، فكما حسن عند الرب هكذا حدث، فليكن اسم الرب مباركًا» (أي١: ٢١ سبعينية). فإذ قد أُتيحت لنا الفرصة لكي نبرهن على أننا أبناء أيـوب البار بأن نبارك الرب في التجربة التي حلّت بنا؛ فلا نكن إذن خائري القلوب هكذا يا إخوتي

(52) G 1, 139; SBO, 180.

(٥٣) وهو غير بفنوتيوس شقيق الأب تادرس الذي رقد أيام الأب باخوميوس.

(54) SBO, 181.

(55) SBO, 182.

(٥٦) كان الرهبان الباخوميون لا يستخدمون الصوف في ملابسهم إلاّ بالنسبة للقلنسوة، ولا يعرف سبب ذلك، ولكنه جاء في القوانين أن ملابسهم كانت من الكتان.

حتى أننا ننسب لله جهلاً لكونه جربنا".

"وفي الحقيقة، إن كل شيء يخص الكينونيا ليس ملكًا لنا، ولكنه ملك لربنا يسوع الذي جمعنا معا. فإذا سمح هو بهذه الأشياء لنا لأجل حاجتنا، فإن ذلك هو بفضل حنوه ورحمته التي يظهرها لنا بمحبته، وإذا أخذها منا فينبغي أن نشكره. لتكن مشيئته، لأننا نعرف بكل يقين أن لا شيء يحدث لنا إلاّ لمنفعتنا (انظر رو٨: ٢٨). لذلك يا إخوتي، فلنحذر من أن نتزعزع بسبب أمور تأتي علينا مثل هذه، بل فلنحزن من أجل حاجة نفوسنا ولنتمم مشيئة الله، وحينئذ يهتم هو بنا في كل شيء كما هو مكتوب: «اطلبوا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد ("تتضاعف" حسب اليوناني) لكم» (مت٦: ٣٣)، ولن يعوزنا شيء".

حقًا، لقد كان أبونا تادرس ينفّذ قول مخلصنا في الإنجيل بحفظه الوصايا التي أعطاها إياها مخلصنا كما قال لتلاميذه: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي» (يو١٤: ٢١)[٥٧].

بينما كان أبونا تادرس نائما مرةً، أقامه ملاك وقال له: "قم عاجلاً واذهب إلى الكنيسة لأن الرب موجود هناك". فقام، وكان قد اعتاد أن يسير بيقظة شديدة وثقة لا تهتز لأن أفكاره كانت دائما في السماء ناظرا مجد الله كما قال المرتل: «تقدمت فرأيت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز١٦: ٨). ولما اقترب من الكنيسة نظر فرأى بالداخل طيفًا، وظهر عند قدميه شيء مثل ياقوت أزرق، ولم يستطِع أن يتطلّع إلى وجهه بسبب النور الذي كان يبرق منه بلا انقطاع.

ثم قال أحد الملائكة الواقفين بجوار الرب لأبا تادرس: "لماذا لا تحث الإخوة باستمرار على ألاّ يهملوا حضور اجتماع الصلاة ويقدموا صلواتهم للرب؟ ألا تدرك أن الرب يحضر عادةً في وسطهم لكي يشفي المنكسرين ويغفر للمخطئين"؟ فلما سمع ذلك أبونا تادرس اضطرب وأخذته الرعدة وقال: "اغفر لي يا ربي، فقد كنت مهملاً إلى هذا اليوم. ولن أنسى هذا الأمر من الآن فصاعدا". وبعد هذه الرؤية ظلّ خائفًا ومرتعدا، فقد أخذ يفكر في شعب إسرائيل وهم في البرية منذ زمن بعيد، وكيف حلّ عليهم خوف عظيم مثل هذا وعلى أبنائهم وبناتهم وزوجاتهم عندما ظهر لهم الرب بنفسه لكي يخيفهم حتى لا يخطئوا إليه. لقد أبصروه جميعا على جبل سيناء، وكان الجبل كله مشتعلاً بالنار ورعود وبروق وسحاب وظلمة وبوق يدوي بشدة، حتى إنهم ارتعدوا فجأةً وصرخوا لموسى قائلين: «تكلم أنت معنا

(57) SBO, 183.

فنسمع، ولا يتكلم معنا الله لئلاّ نموت» (خر١٩: ١٦-١٩؛ ٢٠: ١٨-٢١)[٥٨].

عندما كان الأب تادرس يعلّم الإخوة، كانوا يسألونه عن أمور كثيرة كان قد قالها لهم ولم يفهموا عمق معناها. وإذا كان واقفًا فلا يسأله إلاّ المترجم حسب القانون الموضوع منذ البداية. ولكن كان عليهم أن يقفوا بمنتهى الانتباه ليستوعبوا كل ما يقوله. وكانوا يقفون سكان كل بيت حسب رتبته وحسب ترتيبهم، ويقف مشرف كل بيت أمام رجاله، ومساعدوهم يقفون خلفهم، ويفتشون ليتأكدوا من عدم غياب أي واحد. هكذا كانوا يقفون بنظام مستمعين إلى كلام الله! وكم كان مذهلاً حقًا حينما تشاهد مقدار غيرتهم على كلام الله الذي كان يشرحه لهم. فقد كان إخوة الكينونيا يشبهون بالفعل مجتمع ملائكة. وبينما كانوا يقفون الواحد بجانب الآخر كان كل منهم ينصت إلى ما يجرحه في الصميم وأيضا إلى ما تممه في الماضي. وكانت عيون بعضهم تنهمر منها الدموع بسبب التوبيخ الذي كانوا يشعرون أنه موجه إليهم، فيعزمون على أن يقدسوا ذواتهم لله. بينما أن الذين يشعرون براحة في ضمائرهم لأنهم عملوا أقصى ما في جهدهم، كانت كلمة الله تحثهم على أن يزيدوا من جهادهم لعمل ما يرضي الله. ولما كان ينتهي من تعليمهم كانوا يسجدون بينما كانوا يصلّون. وكانوا يبكون بحرقة قائلين في قلوبهم: "إننا لسنا مستحقين أن نصلّي مع الإخوة"[٥٩].

خاطب الأب تادرس الإخوة قائلاً: "دعونا نتفكر في الإرشادات الرصينة التي أعطانا إياها هذه السنة الأب أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندرية القديس، التي كتبها لنا في رسالته الفصحية. فقد ثبت أسفار الكتاب المقدس القانونية وعددها، لأنه هو أيضا ابن للرسل القديسين ويعتني جيدا بقطيع الرب معطيا إياهم «طعامهم في حينه» (مز١٤٥: ١٥). حقًا إنني لما سمعت ذلك فرحت وتعجبت من ذلك. فرحت لأن ذلك سينتفع به الذين يسمعونه ويراعونه. كما أنني تعجبت من الكلمة التي أعطاها الرب للرسل كتراث، وهي تعني أنه لا زال باقيا حتى اليوم على الأرض، إذ قال لهم: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت٢٨: ٢٠)".

"إنه يقيم في كل جيل، وفي جيلنا أيضا، معلّمين كاملين يسكن فيهم لكي يحفظنا من كل خداعات الشيطان. إذن، فإنه توجد الآن، أيها الإخوة، منفعة عظيمة وشفاء لنفوسنا في الرسالة التي كتبها لنا هذه السنة. فهو قد حدد لنا ينابيع ماء الحياة الصالحة التي يلزمنا

---

(58) SBO, 184.

(59) SBO, 188.

جدا أن نشرب منها لكي نكون أصحاء بنعمة الله والأفضال التي وهبنا إياها. وافرةٌ هي مياه الغش والخداع والآبار المليئة بالمرارة التي حفرها البعض لهلاكهم ولهلاك الذين يشربون منها. هؤلاء هم الذين قال عنهم الأب البطريرك: "لقد ابتدعوا لأنفسهم كتبا أبوكريفية (أي غير معترف بها)، وادعوا أنها قديمة ونسبوها إلى أسماء قديسين"! والذين تجرأوا على ذلك، فبتصرفهم هذا جعلوا أنفسهم جديرين بالازدراء مضاعفًا، لأنهم بمعرفتهم الزائفة التافهة جدفوا على الممتلئين بالمعرفة الحقيقية. بل إن الذين هم أقل معرفة والسذّج من الشعب قد ضللهم انحرافهم الشرير عن الإيمان الأرثوذكسي المدعم بالحق كله والصحيح في نظر الله".

"ولذلك، أيها الإخوة الأحباء، فلنشكر جميعا الله الذي يعتني بنا الآن وعلى الدوام برحمته الفائضة بغزارة. بل فلنكن متيقظين ولا نقرأ الكتب التي ألّفها أولئك الهراطقة النجسين، وذلك حتى لا نصبح عاصين على الرب الذي يقول الآن لأبينا أثناسيوس ولكل أمثاله وأيضا للذين سيخلفونه: «من يقبلكم يقبلني» (مت١٠: ٤٠). وعلينا ألاّ نضلل آخرين لكي يقرأوها ويتعلموا أن يكونوا مخالفين لوصايا الكتاب المقدس التي تأسس عليها الإيمان الأرثوذكسي الذي علّمه لنا أبونا القديس. إنني أؤكد لكم، يا إخوتي، أمام الله ومسيحه أن مزمورا واحدا يكفي لخلاصنا إذا فهمناه جيدا وتصرفنا بموجبه وراعيناه. ولكن لدينا، فوق الكل، أناجيل ربنا يسوع المسيح المقدسة وجميع الأسفار المقدسة الأخرى. وبحسب المثل الذي ذكره الرب عن اللؤلؤة الكثيرة الثمن التي «باع التاجر كل ما كان له واشتراها» (مت١٣: ٤٦) بسبب قيمتها".

لقد أعلمهم أبونا تادرس بشرحه تلك الأمور لهم. ثم أمر أن يترجموا رسالة البابا أثناسيوس فسجلوها باللغة القبطية، ووضعوها في الدير كقانون لهم. ثم صلّوا وانصرفوا وهم متعجبون من تعاليم الأسفار المقدسة[٦٠].

كان أبونا تادرس يهتم بتقوية الإخوة بكلمة الله وتعاليم أبينا البار باخوميوس. وعندما كانوا يحتفلون بالبصخة المقدسة كانت تتوقف كل أعمالهم حتى يحتفلوا بعيد قيامة الرب، ثم كان يصلّي عليهم ويصرفهم بسلام. وقد سمعه الإخوة المترجمون إلى اللغة اليونانية مرات كثيرة وهو يتكلم عن حياة أبينا باخوميوس، فيترجمون كلامه لأجل الذين

(60) SBO, 189.

لا يعرفون اللغة المصرية (القبطية) لأنهم أجانب أو من أهل الإسكندرية[٦١]. وبعد أن كان أبونا تادرس يتكلم عن حياة أب الشركة، كان يتنهد قائلاً للإخوة: "انتبهوا لهذا الكلام، لأنه سيأتي وقت لن تجدوا فيه أحدا يقول لكم مثله" (من المتفق عليه عموما أن تلاميذ الأب تادرس هم أول من كتبوا سيرة أنبا باخوميوس في جوهرها بعد أن سمعوه يتكلم عن أب الشركة[٦٢].

كان الإخوة يقولون بعضهم لبعض عن الأب تادرس: "في الحقيقة إنه لم يقم ابن آخر من الإخوة القدامى كلهم سوى أبينا تادرس الذي بلغ أعمال أبينا باخوميوس وجهاداته". هكذا سلك بكل اتضاع على مدى حياته حتى اليوم الذي سر الرب فيه أن يفتقده وينقله من العالم الباطل. وقد أحضره إلى مسكن نوره ممتلئًا بالفرح والابتهاج وأورثه الخيرات الأبدية.

وقد اعتاد أبونا تادرس أن يسهر مصلّيا لله من المساء حتى الصباح. وإذ صار ابنا لأبينا باخوميوس فقد تشبه به بكل طريقة، وكلما كان يصلّي ويقدم طلبةً إلى الله كان أولاً - حسب تعليم الإنجيل - يسأل باسم المسيح الذي أوصى تلاميذه قائلاً: «كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم» (يو١٦: ٢٣). وبعد أن كان أبونا تادرس يدعو باسم الرب وجميع القديسين كان يقول: "يا رب، اذكر عبدك أبانا الذي بواسطة أتعابه ودموعه المقدسة جمعنا هنا معا في اسمك القدوس". فقد كان كثيرا ما يذكر اسمه في صلاته لأنه كان يؤمن أنه سينال رحمةً برأفة الرب ودموع وبر أبينا باخوميوس، حيث إنه عرف الله بواسطته، وكان يذكر قول الكتاب: «الله ذكر إبراهيم وأنقذ لوطًا من الهلاك» (تك١٩: ٢٩ حسب النص). وكان كلما تكلم مع الإخوة من الأسفار المقدسة كان يتلو لهم مقاطعها ويشرح لهم أيضا معناها الروحي ويقول: "هكذا كان أبونا يشرح لنا عندما كان معنا بالجسد"[٦٣].

وجد الأب تادرس أن الأديرة امتلكت حقولاً كثيرةً، ثم امتلكت أيضا مراكب كثيرة حيث كان كل دير يقوم ببناء ما يخصه. لذلك لم يعد لديهم فراغ وصاروا تحت عبء اهتمامات ثقيلة. أما في أيام أنبا باخوميوس فقد كانوا قليلين، وكانوا حريصين ألاّ يتثقّلوا بممتلكات العالم، لأن نير الرب هين وحمله خفيف (مت١١: ٣٠). ولما رأى الأب تادرس أن الكثير من الإخوة بدأوا يغيرون من أسلوب الحياة الذي سلكه القدامى حزن جدا وتنهد وقال لهم: "انتبهوا لكلامي، فسيأتي وقت لاتجدون فيه من يكلمكم

(٦١) ظلت مصر تحت الحكم الروماني تتكلم بالقبطية فيما عدا بلاد الدلتا. أما الثقافة واللغة اليونانية فلم تتغلغلا في مصر إلاّ قليلاً. ولكن العاصمة الإسكندرية كانت تتكلم باليونانية والكثير من سكانها كانوا لا يعرفون اللغة القبطية.

(62) SBO, 196.

(63) SBO, 190.

بمثل هذا الكلام". وقد رأى أ م بعلّة حاجة الطعام والاحتياجات الجسدية فقد اتسعت الأديرة في الحقول والمواشي الكثيرة والمراكب والغابات، فتوجع قلبه متيقنـا أن أقـدامنا تنحرف كثيرا عن الطريق القديم بسبب حطام هذا العالم واهتماماته الباطلة. ثم ذهب مع اثنين من الإخوة إلى أبا أورسيزيوس في شنيسيت وهو متوجع القلب وشكا له الأمر على انفراد، فأجابه أبا أورسيزيوس: "إن الرب الذي بارك هذه الشركة ونمّاها، هو أيضا قادر أن يجمعها بحسب قصده الصالح وحكمه العادل المستقيم".

وظل الأب تادرس يصوم يومين يومين ويسهر مصليا بدموع، وكان يلبس أثناء الليل قميصا من شعر تحت ردائه. ولما رآه الإخوة مرات كثيرة على هذه الحال أدركوا أن في الأمر شيئًا. وكان يذهب كثيرا دوء إلى الجبل على بعد نحو ثلاثة أميال لكي يصلّي عند مقابر الإخوة. وذات ليلة تتبعه أخ فرآه من بعيد واقفًا عند قبر أبينا باخوميوس مصـلّيا، وسمع صلاته فاعتراه الخوف. فقد كان يقول: "يا سيدي رب عبدك الأب بـاخوميوس الذي أقف الآن على قبره، تعطّف بأن تفتقدني إن كان ذلك حسب مشيئتك. لأن إهمالنا قد زاد ولم نعد تم بعمل ما هو مستقيم. ومع ذلك فلا تترك عبيدك يا رب. فإن كنا قد صرنا مهملين فأ ضنا، وإن كنا قد ازدرينا بك فاغرس مخافتك فينا وذكّرنا بالعـذابات الأبدية. وامنحهم أن يسلكوا في طريقك الصالح، لأننا صنعة يديك يا رب. إنك لم تشفق على ابنك الوحيد بل بذلته لأجل خلاصنا أجمعين"! وقضى القديس وقتا طويلاً جـدا يصلّي هكذا، ثم نزل من الجبل(٦٤).

رقد الأب تادرس مريضا بسبب القلق الشديد الذي كان يتزايد في نفسه، فقد كانت القوانين التي لم يعد الإخوة يجنون منها نفعا مصدر قلق دائم لنفسه. لقد تبدلت أحوالهم للغاية بسبب تجاهلهم واستخفافهم ا حتى وجد أنه من المستحيل إرجاعهم إلى وضعهم السابق بسبب الانحلال الذي أصا م. فقد رأى أن معظم الإخوة قد بردت عزيمتـهم في تنفيذ الوصايا التي وضعها الرجل الكامل أبونا باخوميوس لكي يمارسوها بكل اجتهاد.

ولما سمع قادة الأديرة أن أبانا تادرس مريض جاءوا جميعا لزيارته، وكانت أيام الفصح (أي أسبوع الآلام) كذلك تقترب. وكان جميع الإخوة قد اعتادوا أن يجتمعوا في بـافو لأجـل تعميد الموعوظين، ولكي ينظموا جميع أعمالهم حسب القوانين الموضوعة. ولما رأوا أن وجهه متغير اضطربوا جدا وخافوا أن يقتربوا منه. أما هو، فقد كان حزينا بسبب بعض الأحداث.

---

(64) G 1, 146; SBO, 197, 198.

وبعد أيام قليلة شفاه الله من مرضه ووهبه الصحة، فجلس وتكلم معهم بكلمة الله من الكتب المقدسة. وكان يكلمهم يوميا ويشجعهم من الصباح الباكر حتى ميعاد الاجتماع. وكان يفعل ذلك كل أيام البصخة بينما كانوا يباركون ويشكرون ربنا يسوع المسيح(٦٥).

أرسل الإمبراطور قسطنطيوس قائدا يدعى "أرتيميوس" ليبحث عن القديس أثناسيوس بتحريض من الأريوسيين أعداء المسيح(٦٦). وانتشرت إشاعة تقول: "أليس هو مختبئ بين الرهبان الطبانسيين لأنه يحبهم"؟ فأقلع القائد في نهر النيل لهذا الغرض، وتصادف أن الأب تادرس كان مقلعا ليفتقد الإخوة في الأديرة المحيطة بهرموبوليس. ولما اقترب من دير "كايور" شاهد الدوقس مقلعا وأرشده الرب إلى ما سيحدث، ففكر مع الإخوة أن يرجعوا إلى الدير قبل وصوله لئلاّ يزعج الإخوة في بافو، ولكن الأب تادرس أخذ بعض الإخوة وصلّوا معا، فاستعلن له من الرب أن الدوق لن يسبب ضررا في الدير، فطمأن الإخوة قائلاً: "إن ذاك الذي من أجله قطعنا مسافةً طويلةً لنفتقد خدامه، قادر أن يهتم بهذا الأمر". وانطلقوا لافتقاد الإخوة في دير "كايور".

ولما وصل أرتيميوس إلى الدير أمر جنوده أن يتجهزوا كما في حرب، وأن يحرسوا ساهرين طوال الليل. أما هو فجلس داخل الدير مع ضباطه ورماة السهام بجواره في موضع خارج قاعة الصلاة. وقد اعترى الإخوة خوف، ولكن الأب القديس "بيكوس" شجعهم بالرب. وسأله القائد بواسطة المترجم عن أبيهم، فأجابه: "ذهب ليزور الأديرة". فسأله عمن يحل مكانه، فعرفوه بالأب "بصارفين"، فقال له القائد على انفراد إنه جاء ليبحث عن عدو للملك. وبعد تفتيش الدير أفصح عن السبب الحقيقي قائلاً: "لدي أمر ملكي للبحث عن الأسقف أثناسيوس، ويقال إنه معكم هنا". فأجابه أبا بصارفين: "هو حقًا أبونا، ولكنني لم أر وجهه قط، وهوذا الدير أمامكم". وقيل إن راهبا أرمنيا قال باللغة اليونانية للدوق أن يأخذ ثلاثة رهبان شيوخ ليشهدوا أمام الرب بعدم وجود الرجل الذي يطلبونه، ففعل هكذا.

ثم طلب الدوق من الرهبان المجتمعين في قاعة الصلاة أن يصلّوا لأجله، فقالوا: "إننا لا نقدر لأن أبانا أوصانا ألاّ نصلّي مع أي إنسان يتبع الأريوسيين"، وذلك لأنهم رأوا مع الدوق إنسانا أريوسيا يتصرف كأسقف. فألحّ طالبا الصلاة من أجله قائلاً: "هل أنا هرطوقي؟ ألست إنسانا خاطئًا"؟ ولكنهم تركوه فصلّى هو وحده. وبينما كان نائما في

(٦٦) حدث ذلك سنة ٣٦٠م، حيث إن الإمبراطور قسطنطيوس توفي سنة ٣٦١م

(65) SBO, 193.

النهار في قاعة الصلاة استيقظ منـزعجا وهو ينـزف دما من أنفه، ولم نعرف بالتأكيد ما حدث له. أما هو فقال وهو ممتلئ رعبا: "لما حدث لي ذلك في رؤية فبالكاد نجـوت من الموت برحمة الله"! وقبل انصرافه من الدير رأى مائدة الإخوة وحياة الفقر الاختياري التي يعيشو ا فتأثر للغاية، وأفصح عن تأثره لرئيس مدينة طيبة الذي كان ينتظـره عنـد النهر. وهكذا ارتحل عنهم. ولما رجع الأب تادرس وسمع ذه الأمور مجد الله[٦٧].

حدث أثناء صوم الأربعين المقدسة أن الأب أورسيزيوس سمع في دير شنيسيت أن الأب أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندرية كان في طريقه جنوبا إلى الصعيد لتشجيع وتثبيت جميع الكنائس في إيمان المسيح[٦٨]. فأرسل في الحال إلى دير بافو إلى أبينا تادرس لكـي يقابلـه. فنهض في الحال وأخذ خمسة إخوة معه وأقلعوا في مركب صغير شمالاً إلى شنيسيت. ولمـا قابل أبانا أورسيزيوس توسل إليه أن يذهب معه لمقابلة رئيس الأساقفة، ولكنه لم يرغـب في ذلك - ولا سيما أ م كثيرا ما سمعوا أبانا باخوميوس يمدحـه ويسـميه: 'أبـو الإيمـان الأرثوذكسي في المسيح'. فرأى أبا تادرس أن أبا أورسيزيوس لم يقتنع أن يـذهب بسـبب اتضاعه، ولكنه حث أبا تادرس أن يذهب قائلاً: "إذا ذهبت أنت أكون أنا أيضا قد ذهبت، لأننا معا كإنسان واحد ونفس واحدة وروح واحدة"! فقال له أبا تـادرس: "اذكرنـا في صلواتك المقدسة حتى يرجعنا الله إليك بسلام". ثم ذهب مع الإخوة، ورافقه أبا أورسيزيوس وبعض الإخوة إلى المركب قائلاً: "تحياتنا لرئيس الأساقفة وأبي الإيمان".

أخذ الأب تادرس معه آباء ورعين وإخوة ممن يجيدون التسبيح لله. ولما ذهبوا وجدوا رئيس الأساقفة شمال إيبارشية "إشمين"، وكان ممتطيا جحشا وكان يتبعه حشد لا يحصى من الناس بما فيهم أساقفة ومن الإكليروس (كهنة وشمامسة) عدد لا يحصى بالمصابيح والشموع، وأيضـا رهبان من أماكن عديدة كانوا يسبقونه وهم يرتلون المزامير والتسابيح. فتوقف أبـا تـادرس سريعا على الشاطئ أمام أديرة إيبارشية إشمين، وأخذ معه جميع إخوة تلك الأديرة (التي كان هو قد أسسها)، وظلوا يتلون معا من كلام الله. ولما رآهم البابا من بعيد علم أ ـم أبنـاء أبنـا باخوميوس الذي أعطاه الله نعمة تأسيس الشركة المقدسة. ففي الحال قال عنهم: «من هـؤلاء الطائرون (نحوي) كسحاب وكالحمام (مع صغاره اللطفاء)» (إش٦٠: ٨)؟!

ولما اقتربوا من البابا جعل أبا تادرس بعض الإخوة القدامى أمامه لكي يقبلـوا رئـيس

---

(67) G 1, 137, 138; SBO, 185.

(٦٨) كانت رحلة البابا أثناسيوس هذه إلى الصعيد لافتقاد البلاد سنة ٣٦٣م بعد هروبه من الإمبراطور يوليانوس الجاحد، فقد غادر الإسكندرية في ٢٤ أكتوبر سنة ٣٦٢م، ولكنه علم بوفاة يوليانوس أثناء رحلته.

الأساقفة، لأن أبا تادرس كان يهرب من المجد الباطل. ولكن رئيس الأساقفة تعرف عليه وسط جميع الإخوة بواسطة روح الله الذي فيه، فقبله هو أولاً ثم قبل الإخوة بعده. وبعد أن صلّى عليهم جلسوا وكلمهم قائلاً: "كيف حال "الإسرائيلي الحقيقي" الذي لا غش فيه أبينا أبا أورسيزيوس وبقية الإخوة القديسين"؟ فأجابه أبا تادرس: "بمعونة الله وصلواتكم المقدسة نحن جميعا بخير، والجميع يحيونكم". ثم أمسك أبا تادرس بلجام جحش رئيس الأساقفة لكي يسير به، ولكن البابا أمره ألاّ يفعل ذلك. فقال له أبا تادرس: "أليس هذا فضلاً لنا أن نضع أنفسنا للذي أمات ذاته كثيرا لأجلنا لكي يبقي على إيمان المسيح"؟ فسمح له أن يمسك اللجام. ثم تقدمه نحو مائة من الإخوة الأقوياء وهم يرتلون المزامير.

وقد لاحظ رئيس الأساقفة أن أبانا تادرس يغلي داخليا بالروح القدس الذي فيه، وهو يمشي بكل نشاط وثبات دون أي اهتمام بالجموع الضاغطة عليه ولا بألسنة نار المصابيح المتوهجة أمامه التي كادت تحرقه. فقال رئيس الأساقفة للأساقفة السائرين معه: "هل نستحق نحن أن نقول عن أنفسنا إننا آباء للعالم؟ بل إن آباءنا بالحقيقة هم هؤلاء المتواضعون والخاضعون لله. حقًا، سعداء ومباركون هم هؤلاء الذين يحملون الصليب في كل الأوقات، الذين تأتي عظمتهم من اتضاعهم، والذين ستكون لهم راحة بعد أتعابهم عندما ينالون الأكاليل التي لا تفنى. تأملوا في رئيس هذه الجماعة الكبيرة كيف يتعب نفسه راكضا أمامنا"! وكانوا يتقدمونه وهم يرتلون المزامير حتى جاءوا به إلى كنيسة إشمين. وبعد أن صلّى لأجل الجموع الذين رافقوه، ذهب الجميع إلى مساكنهم. وأخذ الأب تادرس والإخوة الذين معه بركة رئيس الأساقفة ثم انصرفوا إلى أديرة ذلك المكان.

وبعد أن قضى رئيس الأساقفة أياما قليلة في تلك المدن مشجعا النفوس بكلمة الله، صعد مع الإخوة المرافقين له إلى ديري "أوي" و"كايور" لكي يرى أنظمة حياة الإخوة. فلما دخل رأى فطنتهم ولطفهم وكمالهم والخلوة التي يعيشون فيها ومشاعرهم الشديدة الإخلاص نحوه، فتأثر جدا وسبح الله. ثم دخل كنيستهم بينما كان الإخوة يتقدمونه وهم يرتلون المزامير، وصلّى فيها. ثم اصطحبوه إلى مائدة طعامهم وقلاليهم حيث صلّى فيها كلها. ولما رأى مبانيهم وأنهم ينامون على الأرض ونظامهم حتى في أماكن قضاء الحاجة تعجب وبارك الله ممجدا إياه على طريقة حياة الإخوة وممارساتهم. ثم قال لأبينا تادرس: "لقد أسستم حقًا في العالم شيئًا عظيما وجليلاً لأجل النفوس يعطي راحةً لكل من يأتي إليكم، وخصوصا ما سمعته عن قوانين رهبنتكم". فقال له الأب تادرس: "لقد انحدرت إلينا هبة الله العظيمة هذه بواسطة أبينا البار (باخوميوس) وبواسطة صلواتكم المقدسة.

والرب يعلم أننا حقًا عندما رأينا قداستكم فكأننا رأينا ربنا يسوع المسيح في أورشليم السماوية بسبب ثقتنا المتينة فيكم، لأنكم أنتم أبونا".

وبعد أن قضى البابا أياما قليلة في هذا الدير خادما إياهم بكلمة الله قال للأب تادرس: "إن شاء الرب، نريد أن نقضي هنا بعض الأيام لأن أيام فصح خلاصنا (أي أسبوع الآلام) قد اقتربت. أما أنت فخذ منا خطابا للأب أورسيزيوس ودعه أيضا يأتي إلينا حتى نأخذ بركته المقدسة، واذهب أنت لكي تعتني بأديرتكم كما تعرف".

وفي المساء تحدث الأب تادرس إلى الإخوة بكلمة الله، ثم قال للإخوة الذين كانوا في المركب: "حيث إن رئيس الأساقفة أخبرنا أنه سيقضي بعض الأيام هنا قبل أن يذهب جنوبا لزيارتنا، فأنا أوصيكم أن تنتظروه بالمركب إن كان سيحتاج إليه، لأنه هو أبونا بعد الله. أما نحن فإننا ذاهبون جنوبا لأن أسبوع البصخة المقدسة قد اقترب". ثم أخذ من البابا خطابه للأب أورسيزيوس ونال بركته وطلب منه أن يذكرهم في صلواته، فقال له البابا: «إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني» التي هي أنتم (مز١٣٧: ٥).

ولما وصل الأب تادرس إلى "شنيست" قابل الأب أورسيزيوس وأعطاه خطاب البابا فقرأه أمام الإخوة حيث جاء فيه: أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندرية يكتب ليسلم على أخيه الحبيب أبا أورسيزيوس وجميع الإخوة الذين معه الذين أحبهم في الرب. حقًا، إنني عندما رأيت العامل معكم في الرب أبا تادرس الممتلئ من كل فضيلة إلهية ويشع نورا بينكم، رأيت أيضا من خلال وجهه المضيء رب أبينا باخوميوس بداخله مشجعا إياه في كل ما يعمله. كما أنني سررت جدا من رؤية أبناء الكنيسة الذين أ جونا بوجودهم. لعل ربنا يسوع المسيح يكافئهم في مكان قديسيه. ولعل الله رجاءنا يجعلنا متكاثرين في سلامه وفي حبه وفي المثابرة إلى أبد الآبدين، آمين. ونحن نصلّي دائما طالبين أن نراكم... ثم ترك الأب تادرس المركب مع الإخوة تحت تصرف البابا، ورجع هو إلى بافو ماشيا تلك المسافة الطويلة لأنه رفض أن يستعمل المركب الذي قدمه له دير أشمين لأنه لم يشأ أن يضع نظاما كهذا في الأديرة(٦٩).

تكلم الأب تادرس مع الأب أورسيزيوس على انفراد وظلّ يعزيه من جهة الضيقة التي سببها الأب أبوللونيوس(٧٠). وكان الأب تادرس يعلم أن أيامه قاربت على النهاية، فظل يحث أبا أورسيزيوس على الذهاب معه إلى دير بافو لكي يتشجع الإخوة به، وبعد إلحاح خضع له. ولما اقتربا مع الإخوة من بافو أرسل الأب تادرس إلى الإخوة لكي

(٧٠) انظر قول رقم SBO, 139; G 1, 127

(69) G 1, 143, 144; SBO, 200 – 203.

يخرجوا في استقبال "أبينا القديس". فجاءوا جميعا وهم يرتلون المزامير وعانقوه واصطحبوه إلى الدير بنظام وترتيل حيث صلّوا جميعا في كنيسة الدير. ثم حث الأب تادرس الأب أورسيزيوس أن يحدث الإخوة بكلمة الله كما كان يفعل سابقًا، فأطاع بكل اتضاع وألقى بحديث طويل من الأسفار المقدسة. وقد جلس الأب تادرس ليستمع مثل الإخوة، وإذ اخترق الكلام قلبه كان مطرقًا برأسه إلى أسفل وهو يبكي. وقال بعد ذلك بكل قلبه: "إنني ابن الأب أورسيزيوس ومساعده".

وكان كل منهما كإنسان واحد، وكان الجميع يتعجبون منهما ويمدحو ما بسبب حلاوة محبتهما بعضهما لبعض! وكانا يحبان الله بكل نفسيهما وبكل قلبيهما كما أوصاهما الأب باخوميوس. وكان الأب تادرس لا يعمل شيئًا بدون أخذ مشورة الأب أورسيزيوس حتى في أصغر الأمور. وكان كثيرا ما يقول: "لقد اقترب الوقت الذي فيه أنفصل عن أبي أورسيزيوس وأذهب في طريق آبائي". وبعد أن حث الأب أورسيزيوس الإخوة أن يتشبهوا بحياة الأب تادرس وثباته واتضاعه، ض وصلّى معهم ثم انصرفوا إلى قلاليهم وهم يتلون من كلمة الله ويعزمون على ممارسة الفضائل. وكان الأب أورسيزيوس يفتقد الإخوة في الأديرة مرةً والأب تادرس مرةً أخرى، ولم يأخذ الأب أورسيزيوس راحةً قط بسبب المسئولية التي كانت عليه[71].

قبل أسبوع البصخة مرض شاب من الإسكندرية يدعى "هيرون"، وكان مساعدا لأنبا تادرس الإسكندري. ولما اجتمع الإخوة للاحتفال بأسبوع البصخة توسل الأب تادرس للأب أورسيزيوس أن يخاطب الإخوة بكلمة الله كل يوم من أيام البصخة، ولكنه بسبب اتضاعه كان يعطي الفرصة للأب تادرس أن يتكلم في بعض الأيام. ولما خرج أبونا تادرس من اجتماع الصلاة يوم السبت في ختام الأسبوع المقدس (أي سبت الفرح)، وجد أن الأب هيرون يلفظ أنفاسه الأخيرة، فتكلم معه بكلام خصوصي استنتج منه الإخوة أنه طلب منه أن يسأل الأب باخوميوس لكي يطلب من الرب أن يعطيه هو أيضا أن يمضي وراءه. ثم أغلق عينيه إذ سلّم روحه، ثم قال: "هذا الأخ الذي انتقل الآن إنما هو علامة على أن شخصا آخر لا تتوقعونه مزمع أن ينتقل". وفي صباح أحد الفرح (القيامة) دفن الأخ وسط ترتيل الإخوة للمزامير. وعند رحيل الأب أورسيزيوس إلى شنيست قال له الأب تادرس: "لا تذهب بعيدا، لأن أحد الإخوة بيننا على وشك أن يرقد"[72]!

(71) SBO, 204; G 1, 145.

(72) G 1, 147; SBO, 205.

كان الأب تادرس وهو مجتمع مع الإخوة لكي يلقي بحديثه إليهم، كثيرا ما كان يشير إلى أن افتقاده سيكون قريبا. ولكنهم ما كانوا يفهمون ما يتكلم عنه. وأحيانا كان يقول لهم: "يوجد أخ بيننا سيفتقده الرب هذا العام. إنه في الخارج وفي الداخل ممجد ومذلول"! وأحيانا أخرى كان يقول: "لقد جيء بهم إلى المعصرة لكي يعصروا حتى نأخذ نحن عصيرهم". وكثيرا ما اعتاد أيضا أن يقول لإخوة معينين وحدهم: "إنني مزمع أن أذهب إلى قدمي ربي يسوع". وأحيانا أيضا اعتاد أن يقول علانيةً: "أعتقد أن الله سيفتقدني في غضون هذا العام". وذلك ليس لأنه رأى الشيخوخة آتية أو أن عافيته تنقص؛ بل لأن الرب أعلمه أنه حان الوقت لكي يرتاح ويكون مع آبائه الذين سبقوه والذين مارس هو أيضا فضائلهم.

كما أنه ذات يوم كان يتحدث للإخوة عن كلمة الله بينما كانت دموعه تنهمر على خديه. كما أن الإخوة كانوا يبكون أيضا. حينئذ قال لهم: "أنصتوا لي يا إخوتي، ظل يعقوب ١٧ سنة يطعم يوسف، كما أن يوسف ظل ١٧ سنة يطعم أباه يعقوب وكل إخوته. وأنا أيضا قضيت ١٨ سنة غذّاني أبونا فيها بوصايا الله. وأنا بدوري قضيت ١٨ سنة بينكم أغذيكم بأفضل ما في إمكاني بوصايا الله وأبينا أورسيزيوس، لأنه هو حقًا أبونا جميعا، وإننا نؤمن أننا إذا أطعناه ونفّذنا الوصايا التي أعطانا إياها، فإن الله سيكون معنا هنا وإلى الأبد. وإذا مدحنا الأقوياء الذين جاءوا بعد أبينا باخوميوس، وفوق الكل أبانا القديس أورسيزيوس الرجل الكامل؛ فإن حديثنا هذا بالتأكيد سيطول. فإن معظمكم سمعوا أبانا البار يتفوه عليه ببركات عظيمة ومدحه جدا عندما عينه أبا لدير شنيست. فقد شبهه حينئذ بمصباح ذهبي يسطع في بيت الرب. وقال أيضا إن هذا الدير قد نال اليوم عروسا للمسيح، لأنه كان يعلم أنه رجل ذو مشيئة صالحة تجاه الجميع وبدون غش مثل حملٍ. فقد كان مطيعا له وخصص نفسه لأجل احتياجات الإخوة بكل قلبه. وأنا أقول لكم ذلك لأن أبانا كان يحبه".

وقد اعتاد أبونا تادرس أن يتكلم مع كل واحد من الإخوة مشجعا إياهم جدا في كل شيء، وكأنه كان يعد نفسه ليذهب إلى الرب. فقد كان مقتنعا أنه حينئذ سيكون بلا لوم فيما يخصهم جميعا طالما أنه قد علّم كلا منهم أن يهتم بخلاص نفسه. ثم كان يصلّي معهم، وكانوا جميعا يعودون إلى قلاليهم وهم حزانى لأنه أخبرهم أنه سينصرف إلى الرب ويتركهم يتامى(٧٣).

(73) SBO, 199.

حلّ المرض بالأب تادرس، فأرسل إلى الأب أورسيزيوس لكي يأتي إليه. كما جـاء إليه إخوة الأديرة المحيطة بدير "بافو". فلما رأى الأب أورسيزيوس أن حمى المـرض قـد اشتدت على الأب تادرس اغتم جدا، ثم أخذ الإخوة جميعـا إلى الكنيسـة، وطرحـوا أنفسهم أمام المذبح وهم يبكون ويتوسلون للرب أن يعطي لأبيهم نعمة الشفاء بصلوات أبينا باخوميوس. وكان الأب أورسيزيوس يصرخ للرب قائلاً: "يا رب الكون وإله أبينا باخوميوس، إذا أخذت الأب تادرس منا الآن سنكون من التعساء. ومن الأفضـل لي أن أموت أنا أولاً لأنني قد شخت، وتتركه لكي يتشجع جميع الإخوة بواسطته". ثم رفـع جميع الإخوة أصواتهم وهم يبكون بمرارة قائلين: "يا رب ارحمنا واشفق علينـا واقبـل تضرعنا. اترك لنا أبانا البار تادرس، فمن الأفضل أن تأخذ معظمنا وتترك لنا ذاك الـذي يغذّي نفوسنا بناموسك ووصاياك المحيية".

وبعد أن قضوا أياما كثيرة في الحزن لأجله والتوسل إلى الرب أن يعطيه نعمة الشـفاء لكي يقودهم مدةً أطول نحو خلاص نفوسهم، أرسـل الأب تـادرس وطلـب الأب أورسيزيوس من الكنيسة، وقال له: "لا تتعبوا أنفسكم في التوسل إلى الرب من أجلـي، لأنه في الحقيقة قد تقرر أن أذهب إلى الرب مثـل آبـائي القديسـين". ولكـن الأب أورسيزيوس استمر يبكي بحزن شديد بدموع غزيرة. ثم قال الأب تادرس للآباء القدامى الذين التفوا حوله: "بعد رقادي عليكم أن تساعدوا أبانا أورسيزيوس بكل طاعة واتضاع وبدون أي تذمر، لأن الميراث هو له وأنا كنت مساعدا له فقط. والرب يعلم أنه لم تكن رغبتي أن أقوم بهذا العمل، لأنني خاطئ أكثر من جميع الناس. ومع ذلك، فلـئلاً أهلـك كانت نعمة الله معي دائما حتى أنني لم أكن عاصيا في أي شيء. فانتبـهوا إذن، فـإنني أشهد «وشهادتي هي في السماوات» (أي١٦: ١٩)، أنني لم أنس خطايا نفسـي يومـا واحدا في حياتي. كما أنني لا أظن أنني فعلت أي شيء بدون إذن الأب أورسـيزيوس، وبدون توجيهاته المباركة ومشوراته الصالحة، لأن روحه الآن قد اضطربت بسببنا لمـدة ١٨ سنة. فالآن إذن، يا إخوتي الأتقياء المحبوبين، أطلب منكم بعد أن يفتقدني الـرب أن تنقلوا جسدي من المكان الذي يوضع فيه أولاً، وأن تضعوا عظامي بجوار عظـام أبي". وبعد أن قال ذلك، فتح فمه وسلّم روحه بكل هدوء في اليوم الثاني من شهر بشـنس. وبعد أن أعدوه للدفن رفعوا ذبيحة القداس ودفنوه وهم يرتلون المزامير[٧٤].

---

(٧٤) معروف أنه سلّم للإخوة خطاب البابا أثناسيوس عام ٣٦٧م، وهذا يعني أن انتقاله تم بعد ذلك، وغالبا في عام ٣٦٨م. G 1, 148; SBO, 206

قضى الإخوة أياما كثيرةً في **حزن شديد،** وكانوا يقولون: "لقد أحزنا أبانا تـادرس جدا حتى إنه كان يطلب دائما من الرب أن يأخذه. وها هو قد مضى وتركنـا"! وإذ كانوا يتذكرون لطفه العظيم نحو الكل ومخافته الشديدة لله كانوا يزدادون أسـى، فقـد قضى زمانا طويلاً يخدم الرب بكل قلبه. وقد حلّ بالأب أورسيزيوس مرض بسبب حزنه على الأب تادرس. ثم حثه الآباء القدامى أن يحدث الإخوة بكلمة عزاء، فنـهض وهـو يبكي وجلس وسطهم وحدثهم بدموع قائلاً:

"لقد أخذ الله منا أبا بارا قد شجعنا بكلمة الرب. وإن حزننا لَعظيم لأننا نحـن الـذين أحزناه كثيرا حتى أنه طلب من الرب أن يأخذه سريعا فصرنا يتامى. إنكم جميعا تعرفون حبه الشديد لنا وكيف أنه كان دائما يصلّي من أجلنا لكي ينقذنا الله من يد الشـيطان الـذي يحسدنا. فلنذكر دائما، يا إخوتي الأحباء، أتعابه ونسكياته والدموع التي سكبها أمام الـرب ارا وليلاً من أجلنا، وذلك حتى لا تنطبق علينا كلمة الكتاب: «أسرعوا فنسوا أعمالـه، لم ينتظروا (أو يحفظوا) مشورته» (مز١١٦: ١٣)، وحتى لا نصير تحت الدينونة. لذلك، فإنني أومن حقًا أننا إذا سلكنا حسب توجيهاته التي أعطانا إياها سيكون هو سـفيرا لأجلنـا في حضرة الله مع أبينا باخوميوس. وهذا تماما كما قال ربنا يسوع لتلاميذه: «أنا أمضي لأعـد لكم مكانا» (يو١٤: ٢)، كما أن الكتاب قال: «يوجد إله واحد ووسيطٌ واحد بـين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فديةً لأجل الجميع ... وهو كفارةٌ لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا» (١تي٢: ٥و٦؛ ١يو٢: ١و٢)".

"إن أبانا البار باخوميوس، في كل الأيام التي كان معنا فيها بالجسد كان يصلّي ارا وليلاً لأجل خلاص نفوسنا وخلاص العالم كله. وهذا أيضا هو ما فعله أبوانا القديسـان اللذان جاءا بعده: الأب بترونيوس والأب تادرس، اللذان صارا ابنيه بالتشبه بحياته مـع حمل الصليب. والآن يا إخوتي وقادة الأديرة، دعونا نراعي القوانين التي وضعها لنا آباؤنا والوصايا التي أعطوها لنا وذلك حتى تكون قلو م في سلام نحونا في مواضع راحتـهم. وكما قال المسيح لأبيه الصالح عن رسله: «الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا ... وقد حفظوا كلامك» (يو١٧: ٨و٦). فلعلهم أيضا يقولون عنا: "مرحبـا بالأبنـاء الذين أطاعوا أباهم وحفظوا الوصايا التي أعطاها لهم. تعالوا ورثوا حياةً أبديةً مع آبائكم لأنكم سلكتم في إثر خطوا م وحسب وصاياهم". إن عظام أبينا البار باقية في وسـطنا اليوم، وهذه هي القوانين التي أعطانا إياها لكيما نكون ا منتصرين على الشرير، فيرتاح آباؤنا بخصوصنا عندما يرون أن أبناءهم يعطون ثمارا روحيةً لله خالقهم مثـل أشـجار

«مغروسة عند مجاري المياه» (مز١: ٣)“.

”فدعونا يا إخوتي، ألاّ نكون متغافلين حتى لا يكون عمل آبائنا باطلاً أو يتبدد، وحتى لا نتعرض نحن لخطر دينونة الله. ولهذا السبب قد عينني الرب مع آبائنا لكي أكون خادما لكم كما قال الرب: «أنا بينكم كالذي يخدم» (لو٢٢: ٢٧). كما أن أبيجايل قالت لداود النبي: «هوذا أمتك جارية لغسل أرجل عبيد سيدي» (١صم٢٥: ٤١). وبسبب اتضاعها فقد أنقذت جميع الذين هم من خاصتها“ ... ثم نهض الأب أورسيزيوس وصلّى عليهم، ثم عانقوه بكل ابتهاج وكأنهم كانوا يرون أبوينا باخوميوس وتادرس في وسطهم. وبعد أن تناولوا في قداس اليوم الثالث للأب تادرس انصرفوا بسلام.

وعاد الأب أورسيزيوس ليتحمل مسئولية الأبوة مرةً أخرى وساس الإخوة بقدر استطاعته. وكان يفتقد الأديرة كثيرا ويشجع الجميع. وكان خيرا للغاية ومحبا لخلاص نفوس الإخوة. وقد شدده الله وكشف له معاني الأسفار المقدسة، وهكذا تعهد الإخوة في سلام زمانا طويلاً(٧٥).

أرسل البابا أثناسيوس ليعزي الإخوة في انتقال الأب تادرس قائلاً: ”من أثناسيوس إلى الأب أورسيزيوس وجميع الإخوة الذين يعيشون معه حياة الرهبنة والثابتين في إيمان المسيح، الإخوة الأعزاء المحبوبين. سلام في الرب ... قد علمت بنياحة الطوباوي تادرس وتأثرت بعمق وتقبلت هذا الخبر باهتمام عظيم جدا لعلمي أنه كم كان نافعا لكم بسبب غيرته الشديدة. والآن، لو كان الأب تادرس غير موجود لكنت قد كتبت لكم كلاما ممزوجا بالدموع مقدرا ما يترتب على موته. ولكن بما أنه حي كما نعلم أنه في وسطكم مثل الأب أورسيزيوس - لأن كليهما واحد - فما الحاجة لأن أكتب لكم شيئًا سوى: مغبوطٌ هو تادرس الذي «لم يسلك في مشورة الأشرار» (مز١: ١)، بل إنه سيظل مغبوطًا إلى الأبد بما أنه كان أيضا يتقي الرب“.

”الآن نحن نجرؤ أن ندعوه مطوبا بكل يقين لأنه وصل بسفينته إلى الميناء حيث الحياة الخالية من الهموم. وليت ذلك يكون حقيقة لكل واحد منا، وليركض كل منا في الميدان لكي يدرك الهدف كما أدركه هو. ليت كل واحد يقلع بسفينته إلى أن يرسيها في ذلك المرفأ الخالي من العواصف، حتى إذا استراح مع الآباء يمكنه أن يقول: «ههنا أسكن لأن هذا هو البيت الذي اخترته» (مز١٣٢: ١٤ حسب النص). إن تادرس، أيها الإخوة الأعزاء

(75) G 1, 149; SBO, 207, 208.

المحبوبون، لا يجب أن تبكوا عليه لأنه لم يمت ولكنه نائم ومستريح مع آبائه. فلا يجب أن ينوح أحد عليه عندما يتذكره، بل بالأحرى أن يقتدي بسيرته. فلا يليق بنا أن نحزن على من وصل إلى الموضع الذي هرب منه الحزن والتنهد (إش٣٥: ١٠؛ ٥١: ١١)".

"إنني أكتب هذا الكلام لكم جميعا بصفة عامة، وبالأخص لك أيها العزيز جدا والمحبوب أورسيزيوس، لكي تحمل أنت بعده المسئولية كلها وتأخذ مكانه بين الإخوة. إذ أنه لما كان حيا كنتما معا كرجل واحد. أما وقد مضى واحد منكم في رحلة فإن واجبات الاثنين تكمل بالتمام. لقد كنتما كشخص واحد تعلمان الإخوة الأحباء ما هو نافع لهم. فاعمل نفس الشيء أيضا! وإذا فعلت ذلك فاكتب لنا وعرفنا عن سلامتك وسلامة الإخوة. وألتمس منكم أن تصلّوا جميعا معا لكي ينعم الرب بالسلام على كنائسه بفيض أكثر ... إننا نسلّم على جميع الذين يخافون الرب. يسلّم عليكم الذين معي. وإنني أصلّي أن تتقووا في الرب أيها الإخوة الأعزاء المحبوبون"[٧٦].

تعاليم للأب تادرس:

مرةً كان الأب تادرس جالسا يعلم، فسأله أخ: "يا أبا تادرس، لماذا أغضب سريعا إذا وجه لي إنسان كلاما قاسيا"؟ فأجابه قائلاً: "ليس هذا بغريب، فإن نبات الأكاسيا الشائك أيضا إذا ضرب بالفأس أفرز صمغا"! فسأله الإخوة: "ما معنى ذلك"؟ فقال: "إن رجل الله يشبه بكرمة، إذا أخذ الإنسان منها عنقود عنب وعصره لا يعطيه إلاّ نبيذًا حلوا، وهذا يعني أنه إذا أُصيب المؤمن بضيقة سواء في فعل أو قول أو فكر، فإنه لا يستطيع أن يحمل ثمرةً أخرى سوى حلاوة كلمات الله. وكذلك الإنسان الجسداني السريع الغضب فإنه يثمر مرارةً غير نافعة".

"وأقول لكم أنا نفسي المتكلم بهذه الأمور، إنني أخاف لئلاّ أسقط من نعمة الله إذا لم أتمكن من الصمود في حرب العدو ضدنا، كما قيل: «اليوم كله محاربا يضايقني (عدوي)» (مز٥٦: ١). فإن كان ملائكة قد سقطوا وكذلك بعض من الأنبياء وبعض من الرسل - ولست أقصد يهوذا فقط؛ بل وأيضا كثيرين من تلاميذ بولس الرسول الذين عزلهم عن تلاميذه الحقيقيين (أع١٩: ٩) – فعلينا نحن أيضا أن نخاف. فلنسرع يا إخوتي لنكمل ما قاله سليمان الحكيم: «لا يحسدنّ قلبك الخاطئين بل (انمُ في محبة الله) وكن في مخافة الرب اليوم كله» (أم٢٣: ١٧)".

(76) G 1, 150; SBO, 210.

وكان الإخوة هكذا يسألونه كثيرا ليحدثهم عن الكلام الذي لم يقدروا أن يفهموه من أنفسهم لعمق معناه. أما إذا كان واقفًا، فما كان أحد يسأله حسب القانون السائد منذ البداية، بل إنهم كانوا يقفون ويستمعون له بكل يقظة وانتباه لما يقوله. وكانوا يقفون بحسب طقوسهم ونظامهم(٧٧)، وكان مدبر كل بيت يقف أمام رجاله، والمساعدون يقفون خلفهم مراعين ألاّ يوجد أحد غريبا. وهكذا كانوا يقفون بترتيب معطين كرامةً لكلمة الله. وكان من العجيب حقًا أن ترى كيف أن كلام الله الذي كانوا يسمعونه يلهب قلوبهم، فكانوا في اجتماعهم يشبهون جمعا من الملائكة واقفين معا ويسمع كل منهم ما يحتاجه ويشبعه. وبعضهم كانت تفيض عيونهم بالدموع بسبب الحمية التي تأخذهم وتجعلهم يعزمون في قلوبهم أن يثبتوا في القداسة أمام الله. وآخرون كانت قلوبهم تستحثهم في مسيرتهم الصالحة حسب قوتهم، إذ كان كلام الله يمنحهم فرحا ومسرةً في طريق الفضيلة وإرضاء الله!

ثم أكمل الأب تادرس قائلاً: "إنني أشهد لكم يا إخوتي، أننا إن كنا نتغافل في أي وقت عن كلام الكتب المقدسة؛ فالعدو ينزع من قلوبنا مخافة الله ويجعلنا نخاف منه ونعمل أعماله الشريرة ونغضب الله الذي خلقنا. أتريدون أن أعطيكم مثالاً عن كيف أننا ينبغي أن نخاف الله؟ دعونا نتصور صخرة ممتدة حتى إلى السحب، وعرضها لا يتعدى أربعة أذرع، وعلى جانبيها هوة لا يدرك عمقها ممتدة من الشرق إلى الغرب. وعندما يتعمد إنسان ثم يسلك في طريق الرهبنة، ينال ختم الروح ثم يبدأ في طريقه نحو الشرق. والآن، دعونا نتأمل ليس في الهوة السحيقة فقط بل وفي ضيق الطريق أيضا. فهو ضيق لدرجة أن الذي ينحرف قليلاً إلى أي جانب يهلك ولا يعود له ذكر. فعن يسار الطريق توجد هوة شهوات الجسد الرديئة، وعن يمينه توجد هوة كبرياء القلب. فإذا سلك أحد في الطريق بجدارة ومخافة يصل إلى الشرق حيث يجد المخلص على عرشه تحيط به قوات الملائكة من كل جانب بالأكاليل الأبدية المعدة ليكلل بها كل من يسلك باستقامة نحوه".

وبعد أن قال الأب تادرس ذلك، كان الإخوة يسقطون على وجوههم ويصلّون ويبكون كثيرا قائلين في قلوبهم إنهم لا يستحقون أن يقفوا ويصلّوا مع الإخوة. ثم أكمل القديس قائلاً: "أما إن قال واحد: "هل إذا انخدع أو سرق إنسان من إحداهما (أي الشهوة أو الكبرياء)، فهو لا محالة هالك ولا تكون له توبة بعد"؟ فإنني أقول له: إن الذي يتوب وله إدراك حقيقي من جهة الإيمان بالله ووصاياه، ويظهر غيرةً في هذا الأمر، حتى ولو كان قد

(٧٧) وهذا هو النظام الذي يتبعه دير أنبا مقار منذ أن وضعه الأب متى المسكين في القرن العشرين حسب تقليد آباء الرهبنة الأوائل.

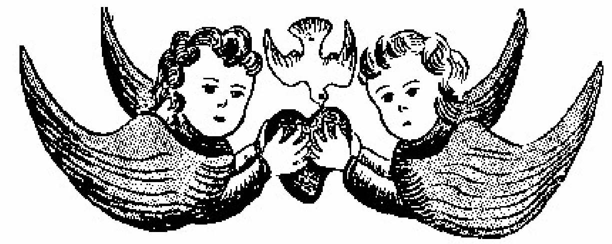
قارب على السقوط بسبب إهماله وتوانيه، فإن الرب لا يتركه يهلك كليةً كما هو مكتوب: «أما أنا فكادت تزل قدماي» (مز٧٣: ٢). بل يظهر نعمته له بواسطة سياط المرض أو الحزن أو الخزي من جراء خطيته، حتى إذا انتبه يسير في وسط الطريق الضيق إلى أن يصل، ولا يعود ينحرف عن طريقه خطوة واحدة، فالطريق عرضه أربعة أذرع فقط".

"أما الذي يحيد تماما فهو يشبه يهوذا، الذي بعد أن حظي بهبات عظيمة من الرب، وشاهد آيات جليلة إلى حد إقامة الموتى وكان الصندوق عنده؛ إلاّ أنه لم يدرك نعمة الله. ولذلك فقد هلك تماما بسبب محبته للمال وخيانته. أما الأخيار، فإن كانوا - كبشر ذوي إرادة حرة - قد أهملوا بطريقة أو بأخرى ما هو نافع لهم، فإنهم لا زالوا تحت التمحيص بالنار مثل الفضة لكي يطرحوا عنهم الصدأ. لذلك يقول الطوباوي داود النبي: «أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك» (مز٥: ٧). فإن كان هو يقول هكذا، فكم بالأحرى نحن البائسين"؟!

"ولنتفهم أيضا هذا الأمر النافع الذي سمعناه من أبينا عندما كان يفسر لنا الأسفار المقدسة، عن إنسان كان يريد أن يتنقّى من خطية مثل الغضب، فإن لم يقُل في نفسه عندما يهان للمرة الأولى: "هوذا اليوم قد ربحت درهمًا ذهبيا"، وعندما يهان للمرة الثانية إن لم يعتبر ذلك ربحا أوفر، وهكذا حتى يربح ذهبا كثيرا؛ فمن المستحيل عليه أن يضبط الغضب وبقية الخطايا التي يزرعها الشيطان في قلوبنا ويريدنا أن نرتكبها لكي يجعلنا نتغرب عن الله. لأنه إذا أُهين مرةً واحتمل كأنه مكره على ذلك، فماذا تراه سيفعل في المرة الثانية، ولا سيما إذا كان ذلك يتكرر كثيرا؟ لأن وصايا الله هي بالحقيقة ذهب وحجارة كريمة وأحلى من العسل وقطر الشهاد كما هو مكتوب (مز١٩: ٩و١٠). ولكننا لا نعرف ولا ندرك الأمور بهذه الطريقة لأن ذهننا جسداني".

"فأي إنسان يقول لمن يقذفه بخبز نقي: "سوف أحتملك هذه المرة، ولكن إذا فعلت ذلك مرةً ثانيةً فسأفقأ عينيك"؟ أما يكون الأولى به أن يحب الذي أعطاه حتى ولو كان هذا المعطي لا يطلب أن يحب؟ هكذا يكون رجال الله، فهم ليس فقط يحتملون مضطهديهم والمسيئين إليهم؛ بل أيضا يصلّون من أجلهم كوصية المخلّص (مت٥: ٤٤) الذي سيورثهم غناه حسب المكتوب: «ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو٨: ١٧). فما هو الذي فعلته أيها الإنسان لكي تستحق أن تكون وارثًا لله؟ هل اضطُهدت؟ هل سلمت للموت من أجله؟ إن مجد العالم لهو كافٍ تماما لأن يكافئك عن ذلك. فمن ذا الذي لا يكرم رجل الله ولا سيما شهيد المسيح؟ ولكن ما أعظم صلاح الله علينا! فما أشبه الله بإنسان يقول لنا: "هاتوا كل الأواني الخزفية التي في بيتكم، فسأحطمها وعوضا عنها

خذوا مني آنيةً ذهبيةً مرصعةً بالحجارة الكريمة"! ولكننا لا نفهم كمـا هـو مكتـوب: «إنسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تباد» (مز٤٩: ١٢)... يـا ليتنـا نكـون بنعمته ساهرين إلى النهاية"[٧٨].





(78) G 1, 140- 142.

رسالة الأسقف آمون
عن
القديس الأب تادرس

تقديـم:

بناءً على طلب البابا ثيئوفيلس (الـ٢٣)، كتب له الأسقف آمـون هـذه الرسـالة بخصوص الرهبنة الباخومية والأب تادرس بصفة خاصة، وذلك نحو سنة ٣٩٩م[٧٩].

ونستنتج من هذه الرسالة أن الأب آمون أمضى ثلاث سنوات راهبا في دير بافو، حيث وصل إلى هناك سنة ٣٥٢م، أي بعد ست سنوات من نياحة أنبا باخوميوس. ثم غادر هـذا الدير إلى نتريا سنة ٣٥٥م حيث عاش سنين عديدة قبل أن يصير أسقفًا. وقد عاش أنبا آمون في دير بافو تحت رئاسة الأب تادرس وأُعجب به كثيرا. لذلك تعتبر هذه الرسالة تقريظًا له. وقد ركّز على روح النبوة التي كانت في القديسين باخوميوس وتادرس ومعجزا ما. ويرى العلماء أن التواريخ التي ذكرها في رسالته كانت دقيقة للغاية[٨٠].

نص رسالة الأسقف آمون

١ – بسبب محبتك لخدام المسيح، ولكونك غيورا على محاكا م في طهرهم، ولأجـل إعجابك برجل الله الطوباوي أبا تادرس، وهو أحد الرهبان الطبانسيين المقيمين بجوار طيبة، والذي سمعت عنه من كثيرين، ولعلمكم بأنني قضيت في ديرهم ثلاث سنوات؛ فقد أرسلت لي تحثني أن أكتب لغبطتك عن كل ما سمعته عنه من الآباء القديسين الذين عاشوا معه وكل ما أهلني الله أن أراه. لذلك فإنني أسرع في تلبية طلبكم متوسلاً إلى الله أن يهبني ذاكرةً دقيقةً نقيةً لكي أكشف تلك الأمور بعينها.

٢ – لما بلغت السابعة عشرة من عمري، وبعد أن صرت مسيحيا، سمعت المغبوط البابا أثناسيوس يروي في الكنيسة طريقة حياة الرهبان والدائمي البتولية، معبرا عن اندهاشه "مـن أجل الرجاء الموضوع لهم في السموات" (كو١: ٥). فأحببت ما سمعته منه واخترت لنفسي

---

(٧٩) عن كتاب SBO الجزء الثاني، وقد وجدت هذه الرسالة ورد البابا ثيئوفيلس عليها في مخطوطتين لسيرة أنبا باخوميوس باليونانية هما: G 1 و"الباراليبومينا"، وهما: المخطوطة الفلورانتينية والمخطوطة الأثينية: *Acta Sanctorum*, May, III, 1686.

(٨٠) انظر: D. Chitty, *Pachomian Sources Reconsidered*, in JEHS (1954) 43.

هذه الحياة المباركة. وبعد أن نلت "غسل الميلاد الثاني" (تي٣: ٥)[٨١]، تقابلت مع راهـب طيبي في المدينة وعزمت أن أتبعه. ثم قدمت لله ما كنت أملكه. وأخذت مشورة أبي الكاهن الذي اكتشف أن هذا الراهب هرطوقي[٨٢]، فأرسلني إلى القديس تادرس في طيبة بصـحبة مكرسين لله هما "ثيئوفيلس" و"كوبرس"، تصادف وجودهما في الإسكندرية، إذ كانـا قـد حضرا برسائل من الأب تادرس للبابا أثناسيوس.

ولما وصلنا إلى دير بافو في مقاطعة "ديوسبوليس" العليا، حيث خادم الله الأب تـادرس، تعطّف بمقابلتي عند باب الدير. وبعد أن حدثني عما هو ضروري لي، طلب مني أن أرتدي الزي الرهباني وسمح بدخولي الدير. وهناك وجدت ستمائة راهب مجـتمعين ومنتظـرين في وسط الدير. ثم جلس الأب تادرس تحت نخلة وجلس الجميع حوله. ولما رأى اندهاشي من تنظيمهم وقد احمر وجهي حياءً، أجلسني بالقرب منه.

٣ – ض أحد الرهبان، كما لو كان قد حلّ عليه الإلهام، وسأل الأب تادرس أن يخبره بأخطائه أمام الجميع. فنظر إليه الأب وقال له: ”«جيد للرجل أن يحمل النير في صباه يجلس وحده ويسكت لأنه قد وضعه عليه ... يعطي خده لضـاربه، يشـبع عـارا» (مـرا ٣: ٢٧و٢٨و٣٠). ولكن لماذا تتحمل أنت الإهانات من أجل المسيح بحزن شديد“؟ ولما جلس هذا الأخ ض آخر وطلب أن يسمع عن نفسه. فنظر إليه الأب وقال: ”مكتوب «أخـتي العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم» (نش٤: ١٢)، ولكنك أنت على عكس ذلك، فإن ثمارك يقطفها كل عابري الطريق (مز٨٠: ١٢)“!

وإذ جلس هذا الأخ مغتما جدا ض آخر وسأل نفس السؤال، فقال لـه: «انتظـارا انتظرت الرب فمال إلي وسمع صراخي، وأصعدني من جب الهلاك من طين الحمأة، وأقـام على صخرة رجلي. ثبت خطواتي وجعل في فمي ترنيمةً جديدةً تسبيحةً لإلهنا» (مز٤٠: ١-٣). فبكى هذا الأخ بغزارة ثم جلس بينما بكى كثيرون من الإخوة أيضا معه. ثم قام آخـر وسأل أن يعرف عن نفسه، فقال له: ”«بطيء الغضب كثير الفهم، وقصير الروح معلـي الحمق» (أم١٤: ٢٩)، فراجع نفسك“. ولما جلس حزينا قام واحد يدعى "أوريون"، لـيبي الجنسية وفي مهنته نجّار كما علمت عنه، وطلب أن يعرفه عن نفسه، فقال له أبا تـادرس: «لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد» (عـب١٠: ٣٦). ثم

(٨١) يتضح من ذلك أنه صار موعوظًا مسيحيا في سن السابعة عشرة، وقرر أن يصير راهبا قبل أن يتعمد، وبعد المعمودية اعتزم أن يسلك فيما اختاره من حياة.

(٨٢) لولا استشارته للأب الكاهن لكان قد سقط في براثن الهراطقة وهو حديث الإيمان.

ض واحد آخر اسمه "باتلولي" وسأله أن يخبره عما يخصه، فأجاب: "«احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح» (غل٦: ٢)، فصحح نفسك". ولما ذهب هذا بعيدا قال الأب عنه للرهبان الحاضرين: "صدقوني إن قلت لكم إن هذا الأخ مخيف للشياطين".

ثم ض بعده آخر وسأله، فقال له: "«مبارك الرب صخرتي الذي يعلم يـدي القتـال وأصابعي الحرب» (مز١٤٤: ١)، فكن شجاعا في هذه الأمور". ثم قال لآخر ض بعده: "«فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العـالم علـى ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف٦: ١٢)، فعليك أن تجاهد". وبعد هذا قام آخر فقال له: "«لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح» (٢كـو٧: ١)، فانتبه إلى أمورك الخفية (أي أسرار حياتك)". وبعد هذا قال لآخر ض أيضـا: "قُـل في صلاتك: «من الخطايا المستترة أبرئني، أيضا من المتكبرين (أو الغرباء) احفظ عبدك» (مز١٩: ١٢و١٣)، إنك تجتاز في الحقيقة حربا عنيفةً من الجانبين".

٤ – وقد سمعناه ينطق بتلك الأقوال بلغة المصريين، بينما كان يترجمها إلى اليونانية الأب تادرس الإسكندري الذي كان قارئًا في الكنيسة بالإسكندرية، وهو رجل قـديس تشـهد حياته مثلما يتكلم لسانه قائلاً: «مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في» (غـل٢: ٢٠). وكان لا يزال في الجسد في ذلك الوقت ومرضيا للرب(٨٣).

٥ – كنت مندهشا وغير فاهم لما قيل بسبب حداثتي وعدم خبرتي. ثم إذ سأله آخر ض خادم الله الأب تادرس ووقف صامتا يحملق نحو السماء، وكان في وسط الإخوة يحيطون به من كل ناحية مثل إكليل. ثم أوصى أبا تادرس الإسكندري أن يترجم، وقال: "أنا أعلم أن الجسدانيين الذين يسمعون ما سأقوله سيرتبكون، ولكن بما أن الرب قد أمرني أن أخبركم فلا بد أن أفعل: إن الاضطهاد الذي سيقع على كنيسة الله من داخل شعبها سيتصاعد ويتسبب في أذية كثيرين، تماما مثل الذين تآمروا على الرسول بولس وهم «عن تحزب ينادون بالمسيح لا عن إخلاص» (في١: ١٦). وعندما يبلغ هذا الاضطهاد أقصاه، سيقوم بغتةً ملك وثـني ويخطّط مؤامراته ضد سر المسيح ويتحمس بكل قوته لاضطهاد المسيحيين (قـارن دا ١١: ٢٤). ولكن المسيح سيبطل كل خططه، لأنه قال عنه أيضا: "المتكبر والمزدري رجلٌ مدعٍ، ولن يحقق شيئًا بالمرة" (قارن حب٢: ٥). فعلينا أن نصرخ إلى الله «ليديم رحمته» (مـز٣٦: ١٠) على الكنائس لأجل خلاص كثيرين".

(٨٣) كان الأب تادرس الإسكندري مترجما للقديس باخوميوس ثم لتلميذه أبا تادرس ثم للأب أورسيزيوس.

٦ – وعندما سأله أحدهم قائلاً: "ومن هم الذين مـن 'داخـل شـعبها'"؟ قـال: "الأريوسيون الأشرار". ولما قال ذلك عاد وجلس تحت النخلة، أما أنا فكنت قد تحركت من مكاني وأصبحت أكثر بعدا منه. وبينما كان الرهبان يتحدثون فيما بينهم بلغتهم فـإن واحدا يدعى "إيلوريون"، وهو "لابس للمسيح"، قال لي باليونانية: "قم واسأل رجـل الله: متى تكون هذه كلها"؟ وإذ رآني خائفًا مرتعدا قال لي: "لا تخف، إنه ينظر إليـك بوجـه مبتسم مشجعا لك، امض واسأله". وبسبب توقيري لشيبة الرجل ازداد حرجي بـالأكثر. ولكنني لما رأيت رجل الله تادرس يصغي للشيخ المبارك "إيلوريون" ولي أيضـا بابتسـامة، وقفت. فرمقني الأب تادرس بابتسامة وأمر أبا تادرس الإسكندري أن يترجم، وبواسطته قال لي: "قل ما تريد إذ أعلم أنك حصاد حديث، لذلك فأنت خمر جديدة". وإذ كنـت مـا زلت مرتبكًا من الخوف قلت: "ومتى تكون هذه الأمور"؟ فقال لي: "حسب المكتـوب: «لأنه حس دوي مطر» (١مل١٨: ٤١)، لذلك أقول لك: إن صوت الأحداث المتتابعة هي التي أنبأت بذلك، وإنك سترى هذه الأحداث، وستتحمل فيها أمورا سارة وغير سارة، لأن الرب سيسكب رحمته على نفوس كثيرة، وسيتلاشى أولاً اضطهاد الوثنيين، ثم بعد ذلـك الاضطهاد الواقع على الكنيسة من شعبها"!

٧ – وبينما كان الكل يتفرسون في قام القديس تادرس وأمر الكل أن يذهبوا للصلاة، ثم أخذني من يدي وعهد بي لمن يعلّمني ويرشدني وهما الأب تادرس الإسكندري ومسـاعده الأب أوسونيوس[(٨٤)]. وقال لهذا الأخير: "حثه على دراسة الكتب الإلهية لأنه لن يبقـى في الدير، ولكنه سيصير خادما لكنيسة الله".

فقبلاني إليهما وأخذاني إلى البيت الذي كان يسكنه عشرون راهبا يتكلمون اليونانيـة، الذين كانوا تحت إشرافهما. وهناك جلس الرهبان يطلبون بعضهم من بعض أن يقول كـل واحد ما يتذكره من الأسئلة التي وجهت إلى القديس تادرس وأجوبته عليها. وهكذا سمعت منهم جميعا يقولون ما تذكّروه وحفظته في قلبي واستطعت أن أتذكر منه ما أكتبه الآن. لأنني لما كنت أسأل أبا تادرس الإسكندري كان يفسر لي في الحال معنى ما قاله القديس تـادرس لكل واحد من الذين سألوه. وقد قيلت هذه الأمور بعد المناداة بجـالوس قيصـرا باسـم "قسطنطيوس الجديد"[(٨٥)] بفترة تزيد قليلاً عن سنة.

٨ – كنت كلما أسمع صوت ق. تادرس ولو من على بعد أمتلئ إما بالفرح أو بـالحزن

(٨٤) انظر فصل ٩٥ من الترجمة اليونانية G 1، الباب الأول، حيث يذكر أن أوسونيوس هذا كان باكورة الثمار الروحية من الإسكندريين المتكلمين باليونانية.

(٨٥) حدث ذلك في مارس سنة ٣٥١م.

أو بالخوف. وكنت أتعجب ما عسى أن يكون اختباري هذا! ولما استفسرت عن ذلك أفهموني أن آخرين أيضا اختبروا نفس هذا الأمر. لذلك سألت كلا من أوسونيوس وإيلوريون على حدة لكي يخبراني عن قصة رجل الله تادرس، لأنني لم أكن بعد أجرؤ على سؤال أبا تادرس الإسكندري باستمرار، فقال لي كل منهما الآتي:

٩ – كان يقود هذه الأديرة رجلٌ أرضى الله اسمه "باخوميوس". وكان الله يكشف له أمورا كثيرة بالرؤى، بل وأيضا بحديثه الخاص في قلبه، وأمورا أخرى عن طريق الملائكة. وشرفه الله بمواهب متنوعة. ومنذ ست سنوات (سنة ٣٤٦م) فارق الجسد حيث مضى ليقيم مع الله. وحدث مرةً، بينما كان جالسا مع الرهبان أن قال لهم: "لقد أرسلنا خادم الله "بيكوس" إلى لاتوبوليس ليثبت الإخوة المتقلقلين هناك. والآن، بينما أنا هنا جاءني ملاك الرب بأنباء سارة بأنه سيصل اليوم، وسيحضر معه إناءً مختارا لله. وهو فتى في الثالثة عشرة من عمره اسمه "تادرس" وممتلئ من الروح القدس". وبعد غروب الشمس وصل بيكوس إلى الدير، وكان صديقًا حميما لباخوميوس، وأحضر معه القديس تادرس هذا، الذي كان حينذاك، كما قلت، عمره ١٣ سنة. فاستقبله أنبا باخوميوس واتخذه ابنا شخصيا له (سنة ٣٢٨م).

١٠ – ولما بلغ تادرس ٢٢ سنة، عهد إليه أنبا باخوميوس بعمل ما فأتمه. ثم، في بحثه عن القديس باخوميوس، اقترب من البيت الذي كان يأكل فيه الإخوة، وهو بالقرب من كنيسة الدير، وكأن الروح القدس قد اقتاده إلى هناك. فقد لاحظ أن الأرض تهتز وسمع الأب باخوميوس يصلّي قائلاً: "يا الله الكثير الرأفة الذي يرق لأذيتنا ويندم على الشر (يوء٢: ١٣و١٧)، أنقذ جنس البشر وضاعف عطفك علينا. ولا تحكم على الرهبان والعذارى مطالبا إياهم بكمال وعدهم، وكذلك شعبك من جهة الأمور التي أمرتنا بها وغرستها فينا. بل في حكمك علينا انظر إلينا في مقابل ما كان عليه العالم قبل مجيء ابنك الوحيد، لأنك بذلك لن تدخل في المحاكمة معنا، بل سوف تمحو كل آثامنا. فإذا كنت حقًا لم تهلك العالم آنذاك، فكيف لن ترحم شعبك في أيامنا هذه؟ ارحمنا يا سيد وخلصنا واقبلنا إليك وارجع عن حمو غضبك (خر٣٢: ١٢و١٤)، من أجل دم ابنك الوحيد الذي به افتدينا. فإذا كنت حقًا من أجل إبراهيم وإسحق ويعقوب كثيرا ما رحمت اليهود، فكم بالحري جدا أن لا تنقطع رحمتك علينا من أجل دم المسيح! فنحن خدام ابنك الوحيد، الذي جعلنا أبناءً لك، بينما نحن خليقته".

ثم لما أخذ الأب باخوميوس يقول: "ارحم" دون أن يضيف عليها كلاما آخر، كانت الأرض تهتز. أما تادرس فكان منطرحا بوجهه على الأرض وهو يصلّي بمخافة شديدة، إلى أن

سمع الأب باخوميوس يصرخ بصوت متهلل قائلاً: "مبارك أنت يا رب الـذي خلّصـت جنسنا، لك ينبغي التسبيح والتمجيد إلى كل الأجيال، آمين". عندئذ توقفت الزلزلة ولم يعد هناك نور يرى بالأعين الجسدية. ثم فتح الأب باخوميوس باب البيت وقال لتادرس الـذي ض: "آه من جسارتك في البقاء هنا! ولكن اصرخ لله بلا توقف ليبسط مراحمه علينا، هذه التي بدو ا لا يمكن أن تقوم الخليقة. ولا تقل لأحد عن هذه الأمور طيلة حياتي في الجسد". أما نحن فقد سمعنا هذه الأمور من الأب تادرس بعد نياحة الأب باخوميوس.

١١ – وبعد ستة أيام من رؤيته لهذه الأمور التي تمت مع الأب باخوميوس، وبينما كان هو يفتقد الأديرة الأخرى، كان أبا تادرس في دير بافو ينجز ما عهد به إليه الأب. وإذ سمع من بعض الذين كانوا قد وصلوا من الإسكندرية ما يقوله الأريوسيون عن ابن الله الوحيـد، صلّى طالبا من الله أن يعتق جنس البشر من هذا الغش. فرأى أثناء صلاته ما يشـبه ثلاثـة أعمدة من نور متشا ة في كل شيء، وسمع صوتا يقول له: "لا تلتفت إلى انقسام العلامـة التي تراها ولا إلى شكلها الخارجي، بل تأمل فقط في تطابقها، لأنه لا توجد علامة في الخليقة يمكنها أن تعبر عن الآب والابن والروح القدس"!

١٢ – فلما سمع الأب باخوميوس ذلك من تادرس قال له: "إن ما استعلن لـك ومـا سمعته إنما يتناسب مع مقدرتك على الرؤيا والسماع. وأنا أيضا عنـدما اختـرت الحيـاة الرهبانية، حرضني مرةً أولئك المنتسبون إلى ميليتس أسقف ليكوبوليس (أسيوط)، ثم حرضني في وقت آخر أولئك التابعون لماركيون، لأشترك معهم في رأيهم. ولعلمي بأن هناك أيضـا هرطقات أخرى، وكل منها تدعي أن الحق معها، لذلك اضطربت، فصلّيت بدموع لكـي يكشف الله لي عمن هو الذي يمتلك الحق لأنني كنت مرتبكًا للغاية. وبينما كنت أصـلّي، صرت في دهش، ورأيت كل ما تحت السماء وقد صار كالليل. وسمعت أصواتا تنبعث من نواحي مختلفة قائلةً: [هنا الحق]. ورأيت لكل صوت أتباعا كـثيرين يتبعونـه في الظـلام، ويقودون بعضهم بعضا. ورأيت فقط ناحية الشرق من المسكونة مصباحا مرفوعا عاليا، وهو يشع نورا كنجم الصباح. ومن هناك سمعت صوتا يقول لي: 'لا تنخدع بأولئـك الـذين يجذبونك إلى الظلام، ولكن اتبع هذا النور لأن الحق هو فيه'! وللوقت جاءني صوت يقـول لي: 'هذا المصباح المضيء كنجم الصباح سوف ينير لك يوما ما بلمعان أكثر من الشمس، إنه الكرازة بإنجيل المسيح، الذي يكرز به في الكنيسة المقدسة التي تعمدت فيها. والذي ينادي فيها هو المسيح في شخص ألكسندروس (البابا التاسع عشر: ٣١٢-٣٢٨م) أسقف كنيسة الإسكندريين. أما الأصوات الأخرى التي في الظلام، فهي أصوات الهرطقات حيث الشيطان

يتكلم ويقود الكثيرين إلى الضلال من خلال قادة كل واحد منها‘“.

”ثم رأيت كثيرين يركضون نحو المصباح بملابس مضيئة، فباركت الله. وهكذا نبذت الذين أرادوا أن يخدعوني، وذهبت لأعيش مع رجل الله بلامون (عام ٣١٦م) الذي كان متمثلاً بالقديسين، إلى أن جاءني ملاك الرب ليقول لي: ’هب الدفء للذين يأتون إليك بالنار التي أشعلها الله فيك (عام ٣٢٣م)‘. وبعد ذلك أنشأت هذه الأديرة بإرشاد الله ومعونته. ولكن اعلم أن أثناسيوس أسقف الإسكندريين هو أيضا ممتلئ من الروح القدس“.

١٣ – بعد أن سيم البابا أثناسيوس أسقفًا، كان الأب باخوميوس يقول لنا: ”ينتقد الناس الأردياء حكم الله بشأن اختياره ملمحين إلى حداثته، وقصدهم هو أن يقسموا كنيسة الله. أما من جهتي فقد قال الروح القدس: ’لقد رفعته كعمود ومصباح للكنيسة. وإن ضيقات وافتراءات كثيرة من الناس تنتظره(٨٦) من أجل إخلاصه الكامل للمسيح. ولكنه سيتغلّب على كل تجربة ويكرز بحق الإنجيل لكل الكنائس حتى النهاية متقويا بالمسيح“.

١٤ – وبعد ذلك كان أبا تادرس مع الأب باخوميوس في دير طبانسين الذي يقع في مقاطعة "نيتنتوري"(٨٧). وذات ليلة بينما كان منشغلاً بصلواته المسائية على انفراد غلبه النوم، فبدأ يتمشى في الدير. وإذ كان لا يراه أحد لأن الوقت كان ليلاً، صلّى لبعض الوقت. ثم قرر أن يقتسم الوقت معطيا لجسده بعض الراحة، فجلس عند باب كنيسة الدير ونام لأجل حاجة الجسد. ثم جاء ملاك الرب وأيقظه قائلاً له: ”اتبعني“. فقام وتبعه إلى داخل الكنيسة، فوجدها ساطعةً بالأنوار وحشدا من الملائكة مجتمعين، حيث يقدم الكهنة الخدمة لله. فاعتراه الخوف، ولكن لما دعاه أحد المجتمعين اقترب منهم. ثم أطعمه أحدهم - وكان يفوق الجميع في مجده - طعاما غريبا، وبعد أن قواه أمره أن يمضغ ما أُعطي له في فمه. فلما فعل ذلك تذوق طعما غريبا ثم وجد أن النور والملائكة قد اختفوا.

وإذ أُوعز إليه أسرع إلى الأب باخوميوس وهو ممتلئ فرحا. ولما أخبره بهذه الأمور ابتسم، إذ أُعلن له مغزاها، وقال له: ”الرجل الذي أخذ وزنتين أحضر أربعة، والذي أخذ خمس وزنات أحضر عشرة، لذلك فعليك أن تمنطق حقويك وتعطي ثمرا للذي أعطاك نعمة“. فتنهد أبا تادرس وسأله أن يتشفع من أجله عند الله. ومنذ ذلك اليوم وهب أبا تادرس إعلانات مستمرة من الله. وقد سلّمنا خادم الله "بيكوس" هذه الأمور التي كان قد سمعها من

---

(٨٦) علما بأنه صار بطريركًا سنة ٣٢٨م، وفي نفس السنة دخل تادرس الدير.

(٨٧) كان هو الدير الوحيد الذي يرأسه الأب باخوميوس حينما صار أبا تادرس راهبا، وهو الوحيد أيضا الذي يقع في مقاطعة "نيتنتوري" (ولعلها هي الآن "دندرة" بين قنا ونجع حمادي).

الأب باخوميوس بعد نياحته.

١٥ – تعجبت عندما روى لي أبا بيكوس نفس الأمور التي رواها الأب باخوميوس عن أبا تادرس.

١٦ – سألت أبا "أوسونيوس" أن يبين لي من الكتب المقدسة ما إذا كان ممكنا للإنسان أن يعرف خفايا قلوب البشر، فقال لي: "سوف أعطيك الفرصة لتعرف بالخبرة إن كان الله سوف يكشف خفايا قلبك لأبا تادرس، لأنه بدون أن يكشفها الله لا يمكـن لمخلـوق أن يعرف ما في قلوب البشر. ولكن لكي تقتنع أيضا من الكتب المقدسة فاسمع ما يقوله صموئيل النبي لشاول: «اصعد أمامي ... ثم أخبرك بكل ما في قلبك، وأما الأتن الضالة لك منذ ثلاثة أيام فلا تضع قلبك عليها لأ ا قد وجدت» (١صم٩: ١٩و٢٠). وما قاله الـرب أيضـا لصموئيل عن أبناء يسى لكي تعلم أنه إذا أعطى الرب استعلانا لخدامه فإ م يرون مسـبقًا، ولكن إن لم يعطهم فهم يرون ما بداخل نفوسهم فقط بالقدر المعتاد لبني البشر".

وإذا قرأت سفر قصص الملوك كله فستجد أليشع النبي أيضا يقول لخادمه عن المرأة الخائفة الله: «إن نفسها مرة فيها والرب كتم الأمر عني» (٢مل٤: ٢٧). ويفهم من ذلـك أن الله كان قد كشف له قلوب كثيرين من قبل، وستعرف ذلك بالأخص من قوله لخادمه: «مـن أين (جئت) يا جيحزي؟ فقال: لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك. فقال له: ألم يذهب قلـبي حين رجع الرجل من مركبته للقائك؟ أهو وقت لأخذ الفضة ولأخذ ثياب ... فبرص نعمان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد. فخرج من أمامه أبرص كالثلج»(٢مل٥: ٢٥- ٢٧).

ومكتوب أيضا في أمثال سليمان: «معرفةً اعرف حال غنمك واجعل قلبك إلى قطعانك» (أم٢٧: ٢٣)، وأيضا: «البار يدرك قلوب المنافقين ويزدري بالعديمي التقوى في الشـرور» (أم٢١: ١٢ حسب النص). وفي سفر أعمال الرسل: «وكان يجلس في لسترة رجلٌ عـاجز الرجلين مقعد من بطن أمه ولم يمش قط. هذا كان يسمع بولس يتكلم، فشخص إليـه وإذ رأى أن له إيمانا ليشفَى قال بصوت عظيم: لك أقول باسم الرب: قم على رجليك منتصبا. فوثب وصار يمشي» (أع١٤: ٨- ١٠). وواضح أن الإيمان يرى في القلب ولا ينظَر جسديا على الوجه. وبالمثل، فإن بطرس الرسول لما رأى شر سيمون الساحر ليس مرتسـما علـى وجهه بل في قلبه قال له: «أراك في مرارة المر ورباط الظلم» (أع٨: ٢٣). فلما سمعت هذه الأمور من أوسونيوس أخذت الأسفار وقرأ ا.

١٧ – وبعد فترة وجيزة، اضطرتني الضرورة أن أخرج من البيت في منتصف الليل وكان

الظلام دامسا. فسمعت صوت أبا تادرس فتملكني الخوف والهلع حتى نضح جسدي عرقًا غزيرا رغم أنني كنت مرتديا عباءةً من الكتان فقط، وكان الوقت شتاءً في شهر طوبة. وإذ كنت حينئذ قد تعلّمت اللغة الصعيدية، فقد دعاني باسمي وأجلسني بجواره. ثم قال لراهب صعيدي يدعى "أمايس": "لماذا لا تجعل مخافة الله أمام عينيك؟ أما تعلم أن الله يفحص القلوب والكُلى؟ لماذا يحدث أحيانا أنك ترى في قلبك زانيات وتحتضنهن، وتفكر أحيانا أخرى كأنك مضطجع مع زوجة شرعية لك وهكذا تلطّخ جسدك كله بالنجاسة؟ ثم تتصور في أفكارك أنك ستصير جنديا وترى نفسك منتصرا في المعارك وقد أرضيت القادة ونلت منهم ذهبا؟ وفي تفكيرك في كل هذه الأمور التي تتعارض مع دعوتك الرهبانية قررت أيضا أن تتمم بالجسد كل ما تفكر فيه. فاعلم، إذن، أنك إن لم تتب وتستعطف الرب مطهرا نفسك بالدموع في مخافة الله، بل أصررت على خطئك، فإن الرب لن ينجح طريقك، ولكنه سيحكم عليك بالنار الأبدية"!

فسقط الراهب عند قدمي الأب تادرس معترفًا بأن هذا هو حاله بالفعل، ووعد بالتوبة وطلب منه أن يصلي من أجله. فقال له أبا تادرس: "ليت الرب يمنحك أن تدين نفسك بالحق وتتوب وتخلص، لأنني أرى قلبك قد زاغ بعيدا عن الله. ولكن إن أردت يمكنك أن ترجع، لأن الله يقبل الذين يرجعون إليه بالحق". وبعد أن بكى الراهب كثيرا صرفه. ثم بعد أربعة شهور ترك "أمايس" الدير والتحق بالخدمة العسكرية، ثم أُصيب بمرض الاستسقاء الذي أزمن معه حتى مات بعد سنة معترفًا بهذه الأمور.

١٨ – ذهبت مرةً مع الأب تادرس وبعض الإخوة إلى دير الطبانسيين حيث كان الأب تادرس قد عاين الرؤية. وبينما كنا معه في حديقة الدير، التي تقع على امتداد النهر، جاء إليه ما يقرب من ثلاثين قرويا وانطرحوا أمامه، فرفض هذا الأمر وأقامهم. وكان الجميع يبكون بينما توسل إليه أحدهم قائلاً: "حدث ليلة أمس أنني زوجت ابنتي البالغة من العمر خمسة عشر عاما. ولما ألزموها اليوم أن تأكل اعتراها التشنجات، وهي الآن ترقد فاقدة النطق. وواضح أنه قد وضع لها السم في الطعام أو الشراب. وقد أعلن الأطباء الموجودون عجزهم تجاهها. لذلك، نتوسل إليك أن تتفضل بالمجيء إلى بيتي وتصلّي لأجلها، لأننا نعلم أنك إذا دعوت باسم المسيح فإنه سيهبك حياة ابنتي".

فرفض القديس أن يذهب إلى البيت، فتوسلوا إليه ببكاء، فقال لهم: "لقد قلتم إنه يلزم أن أذهب إلى بيتكم لأصلّي لأجل ابنتكم، ولكن الله يحوي ويملأ الكل ولا يحده مكان. فلندع باسمه، إذًا، هنا، وهو سوف يهب الحياة لابنتكم". فقبل الجميع ذلك، واتجه الأب تادرس

للصلاة مع جميع الرهبان الذين كانوا معه. وجثا بركبتيه ثلاث مرات داعيا الله بحـرارة. ثم توقف صامتا لبعض الوقت وقال: "لقد أنعم الله على ابنتكم بالحياة فاذهبوا مطمئنين".

وبينما كان يسمع صوت نحيب حشد من الرجال والنساء بالقرب من الدير، إذ كـانوا يتوقعون وفاة الفتاة، جاء أبوها من الضفة المقابلة للنهر حاملاً كأسا من الفضة مملوءًا بالمـاء، وقدمها للأب تادرس وعيناه مغرورقتان بالدموع وقال له: "أنا إنسان قليل الإيمان، فأتوسل إليك على الأقل أن تدعو باسم الله على هذا الماء لأنني أومن أن الله سيسمع لك ويجعل من هذا الماء دواءً لخلاص ابنتي". فأخذ أبا تادرس الكأس ونظر إلى السماء وصـلّى بـدموع، ورشم الماء بعلامة الصليب. فأخذ والد الفتاة الماء إلى بيته مع الجمع، وبعد ثلاث ساعات عاد الرجل مع قليل من أصدقائه محدثًا بعجائب الله التي صنعها معه، وقال: "لقد تمكن إخوتي أن يفتحوا فم ابنتي بالقوة ويسكبوا فيه قليلاً من الماء، وللحال أخرجت من أسفل إفرازا كثيرا، وهكذا نجت الفتاة"! ... وكان مع والد الصبية رجل يدعى "سلوانس"، وكان إسكندرانيا وأريوسيا ويعمل بائع أحجار، هذا لما رأى ذلك مجد الله.

١٩ – بعد ذلك أخذ أبا تادرس نحو ١٢٠ راهبا وجاء م إلى جزيرة في النيل لجمـع الحشائش التي يسميها المصريون "السمار" الذي يستعمل في صناعة الحصر. وكـان بينـهم راهب صعيدي اسمه "سلوانس"، وكان رئيسا لاثنين وعشرين راهبا من نساجي الكتـان. وكان مساعده "مكاريوس" ضمن هذه ا موعة، وهو الأخ الأكبر للأب تادرس من أُمـه وليس من أبيه[٨٨].

وفي اليوم التاسع جاء أحد الرهبان وأبلغنا أن بعض الرهبان من الذين ذهبوا مع تادرس قد جاءوا بالراهب سلوانس في مركب وهو على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة. وكانوا حينئذ في مستنقعات النهر على بعد ميل من دير بافو الذي كنا فيه. فذهبنا لنراه، فوجـدناهم في الطريق حاملين سلوانس على فراش وهو فاقد الوعي لا يسمع ولا يتكلم منذ ثلاثة أيـام. ثم بقي ثلاثة أيام أخرى لا يأكل ولا يشرب، فما كان من أبا تادرس الإسكندري و"بيكوش" و"بصاريف" و"بسنتيسي" و"إيلوريون" و"إيسودور"[٨٩] – وهم من رجال الله الذين أرضوه في حيا م - إلاّ أن رفعوا أياديهم نحو السماء وتوسلوا إلى الله بدموع كثيرة أن يصنع رحمةً مع سلوانس. وبينما كانوا يصلّون سمعت سلوانس يقول: "مبارك أنت يا الله الذي عاقبتني

(٨٨) هذه هي المرة الوحيدة التي ذُكر فيها مكاريوس الأخ الأكبر للأب تادرس من أُمه. وهو غالبا ليس مكاريوس الذي كان رئيسا لدير "بخنوم" بعد نياحة الأب باخوميوس مباشرةً (SBO, 137).

(٨٩) هؤلاء الرهبان هم من الإخوة القدامى ماعدا "إيسودور".

ورحمتي". حينئذ قلت أنا أيضا بصوت عال: "مبارك الله". أما هم فأكملوا صلاتهم.

ثم أعطاه أبا تادرس الإسكندري طعاما وطلب مني أن ألازمه. وقبل الفجر دعا سلوانس كل الذين في الدير أن يجتمعوا حوله. ثم جلس على فراشه بينما كنت أنا واقفًا بجانبه، وكان "إيلوريون" يعلن بصوتٍ عالٍ للحشد ما يقوله:

"اسمعوا ما حدث لي وكيف صار: في اليوم الرابع من الأسبوع ونحن في الجزيرة، كان الأب تادرس واقفًا يعلم الإخوة الذين كانوا مجتمعين حوله في شكل دائرة. وفجأةً توقف عن الكلام وتحرك من المكان الذي كان واقفًا فيه وأرانا حيتين صغيرتين من النوع السام وهو يقول: 'فليتقدم أحدكم ويقتلهما. لقد جاءتا عند قدمي وأنا أتكلم، ولكي لا أزعج أحدا من الإخوة تظاهرت كأنني أقفز بقدمي وأخفيتهما'. وبعد قتلهما قال إن ملاكًا قد ظهر له وأخبره قائلاً: 'إن بعض الرهبان الذين معك متهاونون بخصوص خلاصهم'. ثم قال: 'وقد عرفني بأسماء بعضهم، وقال لي عن واحد منهم أيضا إن حكم الله قد صدر من جهته آمرا بطرده من الدير، وهو يسكن في دير بافو'".

"أما أنا، فلما سمعت هذه الأمور ازدريت بأبا تادرس في قلبي قائلاً: 'أليس هذا هو أخو مكاريوس (مساعدي)؟ ألم تحمل به أم مكاريوس أيضا؟ فمن أين جاء الزهو لهذا الشخص؟ فهوذا مكاريوس متضع جدا'! حينئذ جاء إلي شخص ما في هيئة بشرية وعليه ثياب براقة ووجهه مخيف للغاية وقال لي: 'أما تخاف الله في تفكيرك بهذه الأمور عن خادمه'؟ فارتبكت وامتلأت خجلاً، وشعرت كما لو كان قد صفعني على وجهي. وبعد ذلك لم أعرف أين أرقد أو كيف جئت إلى هنا حتى شفاني الله"! فلما سمعنا ذلك مجدنا الله جميعا.

٢٠ – بعد أيام قليلة، وصل أبا تادرس إلى الدير وأمر الإخوة أن يجتمعوا إليه. وتكلم معهم ثم طلب منهم أن ينتظروه إلى حين عودته. ثم ذهب مع اثنين من الإخوة من الذين كانوا معه في المبنى الذي اعتاد الرهبان أن يأكلوا فيه. وإذ براهب شاب خرج من المبنى، فجذبه وأمسك به وأدخله إلى مبنى مقبي، ثم أرغمه أن يقر بما كان يفعله، مبينا أن هذا هو الأخ الذي دلّ عليه الملاك وأمر أن يطرد من الدير. ولما لم يشأ أن يقر بشيء، بدأ أبا تادرس يخبره بأول شيء فعله وسأله إن كان أحد من الرهبان علم به. فخر الأخ عند قدمي أبا تادرس متوسلاً إليه أن يسكت عن ذكر بقية أفعاله وأن يكتفي بطرده من الدير. ولما أحضره أبا تادرس إلى مجمع الإخوة المنعقد أقر أمامهم بأن الله قد كشف لخادمه بالحق عن كل ما يتعلق به وأنه باستحقاق قد جاءه الأمر بطرده من الدير.

ثم أمر الأب تادرس بطرده، ثم استمر يتحدث طويلاً إلى الإخوة. وفي الليل، ذهب سرا على انفراد لكل واحد من الإخوة الآخرين الذين ا مهم الملاك، وسرد لكل واحد منـهم خطاياه التي اقترفها بعد المعمودية المقدسة مما أذهلهم. ثم حثهم بكلام آخر أن يسترضوا الله بالتوبة. أما هم فإذ تحققوا من مقدار أناة الله عليهم، فقد رغبوا أن يكشفوا ذوا م للجميع. ولكن الأب تادرس منعهم قائلاً إن أغلب الإخوة غير قادرين على احتمـال سمـاع هـذه الأخبار. وأضاف أنه بجانب الضرر الذي سيصيب الذين ما زالوا أطفالاً في المسيح، فيوجد أيضا احتمال لفخ يوضع لبعض المعترفين من الإهانات التي قد يلاقو ا من أي من الإخوة غير الراسخين. ولكن كل واحد منهم كشف نفسه سرا للآباء القديسين الـذين كـانوا مـع "بيكوش" و"بيسنتيسي"، متوسلين إليهم أن يصلّوا من أجلهم.

٢١ – حدثت هذه الأمور أثناء صوم الأربعين وفي أيام البصخة، وبالتحديد في اليـوم الثالث من الأسبوع (أي يوم الأربعاء) في وقت متأخر من المساء. وقد طلب كثير من الإخوة من الأب تادرس أن يشرح لهم أقوال الكتب المقدسة التي لم يفهموها، وكان جميع الرهبـان من الأحد عشر ديرا التابعة للأب تادرس(٩٠) مجتمعين في دير "بافو"(٩١)، إذ كانت عاد م أن يجتمعوا هناك للاحتفال بعيد الفصح المقدس. فكان يوضح لكل واحد ما يطلبـه حسـب سؤاله. ثم قال: "من النافع أن أقول لكم شيئًا لطيفًا هو: إن روحا نجسا ضحك على واحد منا. ففي الليلة السابقة، بينما كان الرهبان منقطعين عن الطعام حسب العادة بمن فيهم هـذا الراهب، قمت بزيارته فوجدته جائعا جدا وفي غاية الإهمال - لأن عادة الشياطين أن تتربص لتهاجم الناس في شهوا م - فأملت عليه أفكارا وألهبته بالجوع، ثم أقنعته بأن يسرق بعـض خبزات ويأكلها سرا. والآن، هوذا اللص جالسا في وسط الرهبان، وقـد أصـبح متعـديا بإرادته، لكي يبدو صائما معهم". ثم قال الأب تادرس للرهبان: "لا يغصب إنسان نفسه أن يصوم فوق طاقته، لأن أجسادكم قد وهنت من النسك الزائد. فعلى الضعفاء جدا أن يأكلوا كل مساء ما عدا يوم الجمعة (العظيمة)"(٩٢).

أما ذلك الراهب، فقد ض في وسط حشد الرهبان - وكنا أكثر من ألفين مجتمعين معا - وخر عند قدمي أبا تادرس وهو يدين نفسه. فغطّى أبا تادرس وجهه بردائه الجلدي لكي

(٩٠) تذكر الترجمة اليونانية (G 1 فصل ١٣٤) أن أبا تادرس أنشأ ثلاثة أديرة أخرى بالإضافة إلى التسعة التي أنشأها أنبا باخوميوس: اثنان منها في منطقة هرموبوليس وواحد بالقرب من أرمنت. وبما أن أبا آمون هنا يتحدث عن ١١ ديرا فقط، فربما يكون الدير الأخير قد تأسس في وقت متأخر بعد ذلك.

(٩١) كان الرهبان الباخوميون يجتمعون في دير بافو مرتين في السنة: الأولى في الفصح والثانية في شهر مسرى.

(٩٢) استلم الأب تادرس نفس هذه النصيحة من أنبا باخوميوس بخصوص صوم أيام البصخة المقدسة.

يخفي شخصيته عن المجتمعين وهو يقول: «من يضعف وأنا لا أضعف» (٢كو١١: ٢٩)؟!

٢٢ – ذهب مرةً أخرى المغبوط أبا تادرس مع أربعين من الإخوة إلى مناطق جبلية غير مأهولة بالسكان للحصول على الخشب اللازم للعمل، وأرسل عددا مماثلاً لنفس الغرض إلى مكان آخر تحت إشراف القديس "إيسودور"، وهو رجل ممتلئ وداعة وحكمة بحسب المسيح. وكانت المسافة بينهما تقدر بمسيرة يوم كامل. وفي اليوم الأول، بعد أن بدأت جماعة الأب تادرس في قطع الأخشاب، توقفوا عن العمل في المساء واجتمعوا للصلوات المعتادة، ثم قال لهم: "كما تعلمون أنه توجد حاجة ملحة لتكملة هذا العمل. ولكن أثناء صلاة الساعة الثانية عشرة، وبينما كنا راكعين على الأرض كشف لي الروح القدس أن أربعة إخوة في الجبل الآخر، من الذين ظلت سيرتهم حسنة منذ حداثتهم، قد سقطوا، ولكنهم سيرجعون إلى حالتهم الأولى بمجرد وعظهم بواسطة مسكنتي. لذلك فمن الضروري أن نتوقف عن هذا العمل لكي نكون نحن والذين في الجبل الآخر في دير بافو يوم السبت".

ثم استدعى اثنين من الإخوة، وبعد أن أوصاهما ألاّ يذكرا شيئًا عن هذا الأمر لأحد، أرسلهما إلى الجبل الآخر لإبلاغ الذين مع أبا "إيسودور" بالحضور إلى بافو يوم السبت. وهكذا جاء إلى الدير يوم السبت بعد الغروب بصحبة جميع الذين كانوا معه، وكان الآخرون قد سبقوهم إلى هناك. ولما تجمع الكل جاء الأب إلى الكنيسة. ولما حان الوقت الذي كان يلقي فيه عادةً تعليما على الرهبان، وقف في وسطهم بينما كان أبا تادرس الإسكندري يترجم، وقال:

٢٣ - "أنتم تعلمون أيها الإخوة، أن حياة الرهبان والدائمي البتولية تسمو عن أسلوب حياة البشر، فهي حياة ملائكية. والذين يسلكون هذا النهج من الحياة قد ماتوا عن طبيعة الحياة المعتادة للناس، وهم يحيون لأجل ذاك الذي مات لأجلهم وقام. وإذ رفضوا أن يعيشوا لأنفسهم فقد صلبوا ذواتهم مع المسيح. وكل واحد منا باختياره لهذه الحياة قد جاء إلى هنا جاحدا الفقر (الروحي) الذي أخذه عن والديه. لذلك عليه أن يعيش بحسب المسيح، وكل واحد من الذين سبقناهم نحن إلى هنا فلتكن له فينا مثالٌ وقدوة. وقد أعطى الله للذين يرغبون منا أن يبلغوا إلى ملكوته، كوسائل مؤدية إليه، ليس الكتب المقدسة وحدها؛ بل أيضا حياة خدامه هؤلاء ورسوخهم في إيمانهم بالمسيح. إلاّ أن بعضا منا، من الذين كانوا يركضون حسنا في هذا الميدان قد زلّوا، ولكنهم لم يسقطوا. إذ إن أربعة إخوة من الذين أرسلناهم إلى الجبل، لما وجدوا أنفسهم منفردين، بدأوا يسردون الفكاهات بعضهم لبعض ويتريضون ويضحكون بصوت مرتفع، حتى إن الروح القدس الذي أحزنوه كشف لي أسماءهم

وأخطاءهم لكي يخجلوا ويصلحوا أنفسهم بالدموع والتنهدات".

"أيها الإخوة، ماذا فعلتم بما خاطب به إرميا النبي الله قـائلاً: «لم أجلـس في محفـل المازحين، ولكنني كنت أوقّر يدك فجلست وحدي لأنني امـتلأت بـالمرارة» (إر١٥: ١٧ حسب النص)"؟ وكيف لم تذكروا قول أيوب الصديق: «إن كنت قد سلكت مع المازحين ... ليزنني في ميزان الحق» (أي٣١: ٥و٦ حسب النص)، فليحلّ علي كذا وكذا من الأمور المخزية! أو كيف نسيتم كلمات الرسول بولس التي تتلو ا باستمرار؟ ألا تعلمـون أن الله يفحص سقطات قديسيه الصغيرة كما لو كانت كبيرة، وذلك من أجـل خلاصـهم؟ ألم تسمعوا قول سليمان الحكيم: «لأنه كصوت الشوك تحت القدر هكذا ضـحك الجهـال» (جا٧: ٦)؟ وأيضا: «للضحك قلت مجنون» (جا٢: ٢)، وأيضا: «الحزن خير من الضحك» (جا٧: ٣)؟ لذلك فارجعوا إلى وعيكم واسمعوا الرسول يقول: «ليتحول ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم» (يع٤: ٩)، حتى لا يدرككم قول المخلص: «ويلٌ لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون» (لو٦: ٢٥). فالأحرى بكم أن تتخذوا لأنفسكم بلهفـة النوح والبكاء الإرادي الذي سيدوم إلى وقت قصير حتى لا تذوقوا تلك التي تدوم إلى الأبد بغير إرادتكم. وليقل كل واحد منكم لله: 'ها أنا مستعد للضربات'".

وبينما كان يتكلم أعلن الإخوة الأربعة أ م هم المدانون - كما لو كانوا قد قرروا ذلك معا، مع أ م كانوا بعيدين عن بعضهم البعض - وأخذوا في البكاء والنحيب بصوت مرتفع، ناظرين نحو الشرق وطارحين بأنفسهم نحو الأرض أمام الله. وتوسلوا إلى جماعة الإخـوة أن يصلّوا من أجلهم. فبكى الجميع بغزارة وختم الاجتماع كالعادة. أما الإخوة الأربعة فقـد اتخذوا مما قاله الأب تادرس زادا لهم في كل حيا م، وتقدموا جدا حتى صاروا جميعا مثـالاً وقدوةً للخلاص لكل من في الدير. حقًا إن حيا م كانت هكذا قبل هذه الزلّة البسيطة.

٢٤ – كان هناك راهب صعيدي اسمه موسايوس تحت تدبير أبا سلوانس السـابق ذكره. هذا أُرسل مع أبا سلوانس وإخوة آخرين تحت إشرافه إلى جزيرة في النيل لجمع ما يسمى "الخردل البري" لأجل تخليله كطعام للإخوة. وفي اليوم الخامس لعملهم، استدعاه أبا تادرس للحضور وحده، ولكنه لم يطِع قائلاً: "سأحضر مع جميع الإخوة متى انتـهينا من العمل الموكول إلينا"! فاقتادوه إلى الدير رغما عنه حيث كان أبا تادرس يبكي بمرارة في قلايته. وكان "بيسنتيسي" و"إيسودور" واقفين عنده. فتفرس أبا تادرس فيه طويلاً ثم قال له: "لماذا لم أُبلغ بموتك الجسدي أفضل من أن يبلغني موتك الروحي؟ ألم أفتقـدك الليل والنهار في قلايتك قائلاً لك إن نفسك ذّ في أمور شريرة؟ إن أفكارك هذه أكثـر

رداءةً من أية خطية. فمثل هذه الأفكار سببت هلاك كثيرين. ولما قلت لي إن هذه الأفكار الفاسدة مجرد عروض من الشياطين، قلت لك إن الشياطين لم يؤذَن لها بعد بمهاجمتك، ولكنك صرت مرعى متسعا للشياطين بامتلائك من الأعشاب، جاذبا إياها إليك بمشوراتك الشريرة. ألم أقل لك: لقد تمّ فيك قول الأمثال: «رجلٌ بلا وعي هو مثل حقل، وإنسان ناقص الفهم مثل كرم، فإذا تركته يجف كله ويمتلئ حشائش ويصير مهجورا وينهدم جدار حجارته» (أم٢٤: ٣٠و٣١ حسب النص)"؟

ثم سأله أبا تادرس: "إلى أين قادتك طرقك الشريرة"؟ فلما أجابه بأنه ليس لديه أي فكر جديد سوى ما عرفه الأب تادرس قال له: "عندما كنت جالسا خلف الكوخ بماذا كنت تفكر وماذا وضعت في قلبك"؟ فأجاب بأ ا كانت عروض من الشياطين. فرد عليه أبا تادرس: "حتى هذه الساعة لم يسمح لشيطان واحد أن يهاجمك، والآن بما أنك وضعت هذه الشرور في قلبك، فمن العبث أن تقيم هنا. ولذلك فقد صدر الأمر بطردك من الدير". ثم سلّمه لأربعة من الرهبان الشباب وأمرهم أن يقتادوه إلى بيت أهله. وعندما وصل إلى باب الدير اعتراه روح شرير فأفلت من أيادي الرهبان الأربعة واندفع منطلقًا مثل ثور هائج إلى بلده!

٢٥ – شيد أبا تادرس ديرا بالقرب من "بتولمايس" في طيبة وعمره بالرهبان[٩٣]. وكان بينهم أخ يدعى "كارور"، ومعناه في لغة أهل طيبة "قصير". وكان أبا تادرس يوبخه كثيرا جدا على توانيه في الصلوات الليلية. وكانت المسافة بين هذا الدير ودير بافو بعيدة جدا. وكان الأب تادرس في دير بافو جالسا ذات يوم مع جميع الإخوة بعد الغروب، وفجأةً امتلأ جةً وقال: "ها أنا أبشركم بأخبار مفرحة عن رحمة الله التي صنعها مع "كارور" في "بتولمايس"، فقد انطلقت روحه الآن فقط من جسده إلى السماء بمجد عظيم، لأنه تمسك بكل أمانة بمعتقدات الكنيسة بالإضافة إلى فضائله الأخرى التي حفظت جسده في عفّة تامة. أما نقائصه الأخرى فقد محيت بواسطة الأمراض المتعددة التي جلبها الله عليه"! وبعد ثمانية أيام حضر اثنان من الإخوة من هناك، وأدهشونا جميعا عندما أخبرونا عن اليوم والساعة التي انتقل فيها "كارور"!

٢٦ – بينما كان الأب تادرس مرةً مع الإخوة قال لبصاريف - الذي هو أول الكل في دير بافو - قال له: "أرسل من يستدعي "باتشلفيوس" من قلايته هو والشاب الذي معه في

---

(٩٣) لم يأت ذكر دير آخر بالقرب من "بتولمايس" في السيرة، فهل كان هذا ديرا رابعا أنشأه أبا تادرس؟ وتبعد بتولمايس أميالاً قليلة عن "إشمين" (إخميم) بمقاطعة "بانوبوليس" حيث شيد أنبا باخوميوس ثلاثة أديرة.

القلاية، واستدع أيضا ابنه الأكبر". فلما حضروا قال أبا تادرس لباتشلفيوس: "أخبر بما كنت تعلم به هذا الحدث أثناء الليل". فقال: "ماذا كنت أعلمه؟ مخافة الله". فقال أبا تادرس: "إن الله نفسه قد فضحك بواسطة ملاك، فقل الحق إن كان تعليمك هذا نور". ولكنه رفض. فقال الأب تادرس للجميع: "إنه كان يعلمه أنه لا توجد قيامة للأجساد داعيا طبيعة الجسد شرا". ثم قال لباتشلفيوس: "قل إن كان حدث ذلك أم لا". فصاح ابن باتشلفيوس قائلاً: "لقد حاول أن يقنعني أنا أيضا أن أعتقد بذلك ليلة أمس". عندئذ قال آخر يدعى يدعى "أور" - وكان خصيا من بطن أُمه - مخاطبا الأب تادرس بجرأة عظيمة: "دع هذا الحدث الذي خدع أن يتذكر"! فقال الأب تادرس: "إن نفس هذا الحدث وكذلك نفس باتشلفيوس قد صارتا كالصلب ولم يتقبلا شيئًا من تعليمه". ثم قال للشاب: "لقد قبل الله ثباتك".

ثم أوصى رئيس البيت الذي يسكن فيه الشاب ألاّ يزجره قط بسبب تركه البيت سرا في الليل بدون إذن منه. ثم تكلّم باستفاضة من الكتب المقدسة مبينا لباتشلفيوس عن قيامة أجسادنا المائتة من الأموات، وأكّد أن جسدنا المائت لا بد أن يقوم من الموت في مجد وخلود وعدم فساد (١كو١٥: ٥٢- ٥٤). عندئذ أخذ باتشلفيوس في البكاء أمام حشد الإخوة، لأن ما قاله أبا تادرس كان كافيا ليعيده إلى الإيمان. وألقى بنفسه على الأرض مقرا بمعتقدات الكنيسة وطالبا من كل واحد أن يصلّي من أجله لعل الله يمحو له هو أيضا هذه الخطية. وصلّى الإخوة بفرح، وكان باتشلفيوس يعترف لله بصوت عال وبدموع غزيرة!

٢٧ - ذهبنا مرةً مع الأب تادرس بالقارب إلى جزيرة لجمع حطب للوقيد. وبينما كنا نحن الإخوة المتكلمين باليونانية لا زلنا في القارب، كان الأب تادرس قد نزل مع كثير من الرهبان إلى البر وبدأوا في نصب الخيمة لأنهم كانوا قد وصلوا قبلنا. إلاّ أن فتى كبيرا في قاربنا يدعى "باتريك" وهو من "ميرا" في "ليكية"، صرخ طالبا النجدة. فرأينا حيةً سامةً سوداء كبيرة قد نشبت أنيابها في كعب قدمه اليمنى. وكان معنا في القارب راهب شاب من طيبة، فأمسك بالوحش من ذيله وانتزعه بصعوبة من قدم باتريك وقتله بضربه في جدار المركب، ثم ألقاه ميتا في النهر.

أما باتريك فكان يبكي، وكنا كلنا نتوقع أن يقع فجأةً ميتا، ولكن الأب تادرس أقبل ورشم علامة صليب المسيح على أثر لدغة الوحش، وقال لباتريك الذي كان ما زال يبكي: "لا تخف فالمسيح قد شفاك". وفي اليوم التالي، قال بعض الرهبان: "إننا لم نصدق الأب تادرس، وكنا متوقعين موت باتريك خلال الليل. ولكن لما رأيناه في صحة جيدة مجدنا

المسيح، وتعجبنا من كون الأب تادرس صار مرضيا لله بهذا المقدار. كما أن الذي قتل الوحش لم يصبه أذى"!

٢٨ – ثم وصل إلى الجزيرة رهبان كثيرون آخرون بالمركب من بافو، حتى صار عددنا ثلاثمائة. وفي حوالي الساعة الثامنة (أي الثانية بعد الظهر) من يوم ٢٦ هاتور (٢٢ نوفمبر)، استدعانا أبا تادرس جميعا لكي نجتمع معه، وطلب من أبا تادرس الإسكندري أن يترجم ما هو مزمع أن يقوله للجميع: "لقد أعلن لي الله من مدة طويلة ما يجب أن أقوله، ولكنه طلب مني أن ألزم الصمت برهةً من الوقت. والآن فقط، بينما كنت واقفًا، أُعطيت الأمر بأن أبوح به لكم، وها هو: في كل مكان حيث كُرز باسم المسيح، فإن كثيرين من الذين أخطأوا بعد المعمودية المقدسة قد حفظوا الإيمان الرسولي الذي نحن قائمون فيه، وقد بكوا نادمين على خطاياهم. وإذ قبل الرب توبتهم الأصيلة فقد مسح خطاياهم. وبالتالي، فإن جميع الذين بكوا منكم بإخلاص على الخطايا التي اقترفتموها بعد معموديتكم حتى هذا اليوم، فلتعلموا أنكم قد نلتم المغفرة عنها. لذلك فليعترف كل واحد منكم للرب بمراحمه ويقول: «حولت نوحي إلى فرح لي، مزقت مسوحي ومنطقتني سرورا» (مز٣٠: ١١)"!

رسالة من القديس أنطونيوس تؤكد ما استعلن للأب تادرس:

٢٩ – استمر الأب تادرس يعظ الإخوة بأقوال أخرى كثيرة. ولما قارب الوقت نحو الساعة العاشرة (٤ بعد الظهر)، نادى الأب أربعة من الإخوة بأسمائهم، وسمعناه نحن جميعا يقول لهم: "إن إخوتنا القادمين من الإسكندرية مع الأبوين ثيئوفيلس وكوبرس يقتربون من هذا المكان. والآن لئلاّ يتخطّونا بدون قصد فاذهبوا إلى قمة النتوء الجبلي الذي في الجزيرة وأعطوا إشارةً للذين في القارب عند وصولها نحو منحنى النهر لكي يرسوا عند الجزيرة. أما ثيئوفيلس الذي يقود دفة المركب، فهو يعرف أماكن المراسي الآمنة وسيدفع بالمركب إليها". فذهب الإخوة، وبعد انتظار قليل رأوا المركب قادمةً نحو المنحنى. ولمحوا ثيئوفيلس ممسكًا بالدفة فاندهشوا. وأعطوا إشارات يفهم منها أن الأب تادرس في الجزيرة، ثم عادوا معلنين وصول القارب. فاندهش الجميع وتبعوا أبا تادرس الذي ذهب إلى المراسي واستقبل الرهبان القادمين من المركب على البر وحياهم بقبلة مقدسة.

وبينما كانوا جميعا ملتفين حوله قال لهم: "تعالوا بفرح، فقد رأيتم أبانا أنطونيوس". فقالوا: "لقد أرسل لك رسالة معنا". فأخذها وقرأها وامتلأ فرحا. ثم طلب من "إيلوريون" أن يقرأ الخطاب على الإخوة، بينما كان أبا تادرس الإسكندري يترجم، لأنه كان مكتوبا

باللغة القبطية:

"من أنطونيوس إلى ابنه المحبوب تادرس، تحياتي في الرب. أنا أعلم أن «السيد الرب لا يصنع أمرا إلاّ ويعلن سره لعبيده الأنبياء» (عا٣: ٧)، وأظن أنني لست في حاجة إلى أن أصرح لك بما كشفه لي الله منذ فترة طويلة. ولكنني عندما رأيت إخوتك الذين كانوا مع ثيئوفيلس وكوبرس، أمرني الله أن أكتب لك لكي أصرح لك أنه في كل أنحاء العالم تقريبا فإن الكثير من الذين يعبدون المسيح بالحق ولكنهم أخطأوا بعد معموديتهم وبكوا وناحوا، وإذ قبل الله بكاءهم ونوحهم فقد محا خطايا جميع الذين سلكوا هذا الطريق حتى اليوم الذي يعطَى لك فيه خطابي هذا. فاقرأه على إخوتك حتى يبتهجوا لدى سماعه. سلم على الإخوة، ومن هنا الإخوة يهدونكم السلام. وأُصلّي أن تكونوا معافين في الرب".

فلما سمعنا ذلك نحن الحاضرين جميعا، انطرحنا بوجوهنا أمام الله وبكينا كثيرا جدا حتى أنه بعدما ختم القس الذي كان معنا الصلاة قال أبا تادرس: "صدقوني عندما أقول إن كل الخليقة السماوية الناطقة ملت أيضا ببكائكم هذا. لقد قبل الله بالتأكيد صلواتنا ومحا خطايا بعض الرهبان منا الذين يبكون هنا حاليا بمرارة. فإنه بعلمه السابق عنهم تكلّم كما قالت وكما كتب أبونا أنطونيوس". فامتلأنا جميعا بفرح عظيم، وقال لي أبا تادرس: "يا آمون، إن الأمور التي قلناها هنا في الخفاء، والأمور الأخرى التي رأيتها وسمعتها منا، سوف تخبر بها على الملأ وفي الشوارع"!

٣٠ – في **السنة الثالثة من وجودي** في **الدير**، رآني صديق لوالدي عند بوابة الدير مع خادم الله "بيصاريون" الذي كان حينذاك بوابا للدير. فتوسل إلي قائلاً إنّ أُمي كانت تنوح علي منذ أن فارقت أسرتي، وإن أبي يرثيني مثل ميت بعد أن بحث عني في جميع الأديرة ولم يجدني. فلما سمعت ذلك طلبت من رجل الله الأب تادرس أن يرسل معي راهبين لكي أرى أُمي وأعزيها ثم أرجع معهم. ولكنه قال لي: "إن أُمك قد صارت مسيحية. أما أنت، فإنك ستقيم في تلك المواضع من الآن فصاعدا. لذلك، فإنني أنصحك أن تسكن في جبل نتريا، لأنه في ذلك المكان بصفة خاصة يوجد رجال قديسون مرضيون عند الله". وكان يعني ثيئودور رفيق ق. آمون، الذي كان ما زال حيا، وإيلوريون وأمونيوس اللذين انتقلا ليس بعد ذلك الوقت بكثير، والقديس "بامو" وخادم الله "بيئور"[٩٤]، اللذين نالا من الرب مواهب شفاء، والقديسين الذين كانوا معهم الذين عبرت على أسمائهم صامتا لئلاّ أُطنب في الكتابة.

---

(٩٤) أبا ثيئودور رفيق أبا آمون جاء ذكره في الترجمة اليونانية G 1 فصل ٢، أما أبا "بامو" الذي عاش مع أبا آمون، وأبا بيئور الذي كان مع أنبا أنطونيوس؛ فقد كانا من أوائل الرهبان الذين استقروا في نتريا.

ولما صرفني قبلته بدموع غزيرة، وطلبت منه أن يصلّي من أجلي لكي أذهب لرؤية والدي. وبعد أن رأيتهما أقمت في جبل نتريا (وكان ذلك في أغسطس سنة ٣٥٥م).

٣١ – بعد ذلك بستة شهور (في ٨ فبراير عام ٣٥٦م)، في أيام قسطنطيوس، نفى الأريوسيون البابا أثناسيوس. وقد نفي أساقفة مصر، وقاسى الرهبان الذين كانوا حينذاك في مصر والإسكندرية الكثير من الشرور، وكذلك العذارى المتبتلات والغيورون من العلمانيين، ومات البعض منهم خلال التحرشات ... وقد اقترف الأريوسيون شرورا عديدةً لا توصف بقيادة "جورج" القاسي القلب. وحينئذ أخبرت الذين كانوا مع الآباء بيئور وبامو والكهنة الآخرين الساكنين في جبل نتريا بما قاله رجل الله تادرس عن هذا الاضطهاد، وأنه سيكون شديدا، ولكنه سينتهي أخيرا.

٣٢ – بينما كانت تزداد شرور الأريوسيين، إذ بأربعة رهبان قد جاءوا إلى جبل نتريا موفدين من قبل الأب تادرس، ومعهم رسالة منه إلى الرهبان المقيمين في الجبل. وقد بحثوا عني حسب تعليمات الأب تادرس وأعطوني الرسالة، وفي الغد، وكان يوم الأحد، قرأتها على القسوس أولاً ثم على مجمع الرهبان كله وجاء فيها:

"من تادرس إلى الإخوة المحبوبين في جبل نتريا: القسوس والشمامسة والرهبان، تحياتي في الرب. أود أن أعرفكم أن كبرياء الأريوسيين قد صعد إلى الله، وأن الله قد افتقد شعبه. ولما رأى الضيقات التي يعانو ا فقد رحمهم. لقد وعد أن يرحم كنيسته ويخلصها من هذه الأحزان. فالوقت إذن قد صار وشيكًا لخلاص الكنيسة من هذه الاضطهادات. وحقًا قال الله عن الأريوسيين: «أعاقب بابل وأخرج من فمها ما ابتلعته» (إر٥١: ٤٤). وأما عن الكنيسة فيقول: «من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول؟ ... مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول» (حجي٢: ٣و٩). فإذ لنا هذه المواعيد، أيها الإخوة، عزوا الذين يقاسون من الأريوسيين في تلك المناطق، حتى لا ينحرف إيمان أحد، لأن خطايا الأريوسيين لم تكمل بعد. الإخوة الذين معي يهدونكم السلام. ليت الرب يحفظكم معافين أيها الإخوة الأحباء".

ولما قرأت ذلك مجد جميع الإخوة الله. وقال لي أحد القسوس المدعو "هاجيوس" وهو يبتسم: "ونحن أيضا نقول لك إننا لسنا بعد بسبب كلامك فقط نؤمن" (يو٤: ٤٢). وبحسب أمر القس "هيراقليدس" فقد أعطيت هذه الرسالة لأبا إسحق المدعو أيضا "كريزوجونوس"، الذي كان حينذاك راهبا في جبل نتريا، ولكن الأسقف القديس ثيئودور

أقامه بعد ذلك شماسا لكنيسة "هرموبوليس بارفا"، وذلك لكي يرسلها إلى الأسقف القديس "دراكونتيوس" الذي كان في المنفى. وأظن أن أخانا الخائف الله ورفيق خدمتنا "ديوسقورس" خليفة القديس إيسوذورس سيمكنه أن يجدها.

٣٣ – في **الشهر التاسع من السنة السادسة لنفي البابا أثناسيوس** صار يوليانوس الوثني (المرتد عن المسيحية) إمبراطورا ونفى البابا إلى الصعيد، وبعد أن هدد المسيحيين كثيرا عاجلته المنية سريعا في بلاد فارس ولم يتمكن من تنفيذ تهديداته. وهكذا مجدنا الله نحن جميعا الذين سمعنا الأب تادرس لما رأينا أن كلامه قد تحقق بعد تلك السنوات الطويلة. كما توقعنا بلا أدنى شك أن يبطل الله جنون الأريوسيين ضدنا، وها نحن الآن نرى أن ذلك قد تم!

٣٤ – يقول الأب آمون للبابا ثيئوفيلس: لقد تجرأت على كتابة هذه الأمور طاعةً لأمر قداستكم. ولكنني تركت أمورا كثيرة من التي رأيتها مع الأب تادرس ربما لا يستطيع كثيرون أن يسمعوها، لأنني خشيت أن تقع رسالتي هذه في أيدي الذين لا يزالون أطفالاً في المسيح. ولكن عندما وصل البابا المغبوط أثناسيوس في وجود حقارتي مع آخرين من الإكليروس إلى الكنيسة الكبرى بالإسكندرية، قال شيئًا عن الأب تادرس لأمونيوس ذي الذكرى العطرة الذي صار أسقفًا على "إيليركيا"، ولهرمون أسقف "بوباستيس"، وهو ما أرى أنه لزاما علي أن أذكر تقواكم به، رغم أنني أعتقد أن قداستكم كنتم أيضا حاضرا وسمعتم ذلك، لذلك فإنني سأكتب ما قاله.

فبينما كان الأساقفة الذين ذكرتهم مندهشين من المغبوط أنطونيوس، فقد قال لهم البابا أثناسيوس (الذي كان كثيرا ما يتحدث معه): "لقد رأيت في هذه الأيام أيضا رجالاً لله عظماء هم: القديس تادرس أب الرهبان الطبانسيين، وفي منطقة أنتينوبوليس أبا للرهبان يدعى "بامون". وقد تنيح الاثنان حديثًا. لأنه لما نفاني يوليانوس، وكنت متوقعا أن يقتلني - كما أبلغني ذلك بعض الأصدقاء الأوفياء - إذ بهذين الاثنين يأتيان إلي في أنتينوبوليس في نفس اليوم. وإذ كنت قد اعتزمت أن أختفي عند الأب تادرس، فقد أقلعت بمركبه التي كانت مغطّاة من جميع الجهات. وقد صرفنا أبا بامون أيضا. وإذ لم تكن الريح مواتية، وكنت أنا أصلّي بلوعة قلبي، عندئذ نزل رهبان الأب تادرس من المركب ليربطوها. وبينما كان أبا بامون يعزيني في كربتي قلت له: "صدقني إذا قلت لك إن قلبي لا يكون في ملء الثقة في وقت السلام كما في أوقات الاضطهاد. إنني أومن حقًا أنني إذا تألمت من أجل المسيح وتشددت برحمته فإنني أجد رحمته بل وأكثر إذا قُتلت"!

وبينما كنت أتكلم نظر تادرس إلى أبا بامون وابتسم. ولما رأيت أن أبا بـامون يكـاد يضحك قلت لهما: "لماذا تضحكان عندما قلت ذلك؟ هل حكمتما بأنني جبان"؟ فقال أبا تادرس لأبا بامون: "قل له لماذا ابتسمنا"؟ فقال أبا بامون: "كان عليك أن تقول ذلـك". فقال أبا تادرس: "في هذه الساعة عينها قُتل يوليانوس في بلاد فارس (عام ٣٦٣م). وحقـًا قال الله عنه مسبقًا: «الرجل المتكبر والحقير لن يحقق شيئًا على الإطلاق» (حب٢: ٥ حسب النص). وسيقوم مكانه إمبراطور مسيحي ويكون مشهورا ولكنه لن يعيش طـويلاً (هـو جوفيان). لذلك فلا يلزم أن تتعب نفسك وتذهب إلى الصعيد، بل اذهب سرا إلى الـبلاط الإمبراطوري، وستلاقيه في الطريق وهو بالتأكيد سيستقبلك، وستعود إلى الكنيسة. وبعـد ذلك سيؤخذ هذا الإمبراطور سريعا إلى الله".

وقد حدث ذلك. ولذلك فإنني أعتقد أنه يوجد كثيرون بين الرهبان مرضيين عنـد الله مخفيين عنا. لقد كانوا فعلاً غير معروفين مثل المغبوط آمون والقديس ثيئودورس اللذين عاشا في جبل نتريا، وخادم الله الشيخ العظيم "بامو".

٣٥ - تعجب الأسقف أمونيوس جدا من المغبوطين "بيئور" و"إيلوريون" و"أمونيوس" و"إيسودورس" قس المتوحدين والقديس مكاريوس، هؤلاء الذين رآهم قدسكم جميعـا في جبل نتريا. وقد سألني أيضا عن القديسين المتوحدين في الأسقيط: "بائيسيوس" و"بـولس" و"بيشوي" إخوته، وإشعياء و"بيسيروس" وإسحق وبولا. وسألني إن كنت قد رأيت أيضـا الأب تادرس الطيبي. فلما قلت له إنني عشت معه ثلاث سنوات، طلب مني أن أخبره عـن أي شيء رأيته معه. فلما أخبرته عن بعض مما كتبته أعلاه - لأنني كنت حريصا أن أختصر في كلامي مع البابا - تعجب قداسته وقال: "لأنني عرفت هذا الرجل شخصيا فإنني أصدق صحة هذا الأمور".

ثم ختم الأب آمون رسالته للبابا ثيئوفيلس بطلب الصلاة من أجله.

رد البابا ثيئوفيلس على رسالة الأسقف آمون:

من ثيئوفيلس إلى سيدي الأخ المحبوب وشريك الخدمة آمون. تحياتي في الرب.

إذ عرفنا غيرة تقواكم الصادقة، فإننا نحيي فيكم ذكركم للقديسـين. لقـد أ جتمونـا بكتابتكم لنا عن أمور كنا نسمعها كثيرا. إذن، فليته يكون لنا جميعا نصيب وشـركة مـع المغبوط تادرس. كما أنكم بعدم إهمالكم لطلبنا، بل استجبت لنا، فقد انتفعنا مـنكم أيهـا الحبيب الذي نشتاق إليه كثيرا. سلم على الإخوة الذين معك، والإخوة الذين معنا يهدونكم سلامهم في الرب. لعلكم تكونون معافين في الرب أيها الحبيب والأخ المشتاق إليه جدا.

ثانياً: كتابات الأب تادرس

(أ) العظات

كما هو الأمر بالنسبة للقديس باخوميوس، فإن بعض عظات أنبا تادرس قد حفِظَت في السيرة، إلاّ أن ثلاث عظات له قد وصلت إلينا في وثائق منفصلة في مخطوطات باللغة القبطية. اثنتان من هذه الثلاث عظات جاءت في قطع متفرقة بصورة مشوهة، ولكن لدينا جزء كبير من العظة الثالثة. وقد نشِر هذه العظات العالِم "لِيفُور" سنة ١٩٥٦؛ إلاّ أنه لم ينشر من العظة الثالثة سوى ورقة واحدة من ١٩ ورقة متبقية، فهي إذن تنشر هنا للمرة الأولى.

ورغم أن القطعة المتبقية من العظة الثانية قصيرة جداً؛ إلاّ أن أهميتها تتركز في كونها تمثل أحد النصوص التي دعيت فيها حياة الشركة الرهبانية بوضوح باسم: "حياة الرسل"، وأُطلق على أنبا باخوميوس "أب الكينونيا" من بعد الله والرسل.

أما العظة الثالثة فتختص بصفة خاصة في مجملها بالفكرة الرئيسية للكينونيا نفسها، وتعتبر مع ميثاق (عهد) أورسيزيوس، وهي واحدة من اثنين من أوضح وأجمل ما كُتب تعبيراً عن الروحانية الباخومية.

العظة الأولى

١ - ... لا يحسب عليه الخطية، فهذه هي أعظم سعادة للإنسان ستصير لنا مع جميع القديسين. صادقةٌ هي كلمة ربنا عندما قال: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو٢٠: ٢٩).

العظة الثانية

تعليم للأب تادرس

١ - إنه بفضل من الله ... أن حياة الشركة المقدسة قد ظهرت على الأرض، التي بواسطتها صارت حياة الرسل معروفة للناس الذين يرغبون أن يتبعوا مثالهم إلى الأبد أمام رب الكل. لقد ترك الرسل كل شيء وتبعوا المسيح بكل قلوبهم، وثبتوا معه في تجاربه (لو٢٢: ٢٨)، واشتركوا معه في موت الصليب، فاستحقوا بذلك أن يجلسوا على عروش الـ الاثني عشر ليدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر ...

٢ - يا أحبائي، دعونا نظهر إيماناً صادقاً كما ينبغي لله، ولنحفظ وصاياه ...

٣ - ... حتى أننا لا نتخلى عن ناموس ووصايا آبائنا، وحتى نسلك في حضرتهم بتعليم صحيح، وحتى نغرس في أذهان الإخوة قانون الشركة، و... يشهد لنا ... عملاً ... فلننفذها جميعا من المبتدئين إلى المتقدمين. دعونا نحفظ وصاياه من أصغرها إلى أكبرها، لكي نجد رحمة لنا جميعاً. حقا لقد جاهد أبا باخوميوس رجل الله بغيرة عظيمة حتى إن الذين بلا لوم يستحون أمام إنسان مثله. فلنذكر أنه قضى ثماني وثلاثين سنة بدون أقل راحة نهاراً وليلاً حسبما سمعنا. دعونا إذن نسلك بوصاياه بموجب مجمل الناموس الذي وضعه لنا. فلنحب حياة أبينا لكي نشترك معه في المجد الذي ادخره له الله في العالم الآخر إلى الأبد ...

❁☯✞☯❁

العظة الثالثة

١ - ... رحمةً ... لنا فيه من أجل خلاصنا، وثقةً في يوم ظهوره. حقا، إن الذين يحبهم الرب يؤدبهم (عب١٢: ٦)، إما بضيقة تأتي عليهم من البشر، أو بتوبيخ مثلما حين تطلق علينا كلمة طائشة. وفوق هذا كله فإنه يجعل ضمائرنا تنخسنا في كل لحظة عندما لا نسلك كما يليق بكرامة الدعوة المقدسة لزينا الذي نرتديه. إلاّ أنه لا يجعل الذين نساعدهم بقدر إمكاننا أن يسحقونا بلا مسوغ.

٢ - وإذ قد عرفنا، يا أحبائي، أن هذه هي الطريقة التي يتعامل بها الرب مع الذين سيجعلهم من خاصته مؤدبا إياهم، فلنكن واثقين ولنقدم له الشكر على هذه التقويمات الزهيدة التي تأتي علينا لمنفعتنا. ولنتأمل في التدريب الطويل الذي صاغ به الرب قديسين مثل يوسف وأيوب وداود وآخرين مثلهم من الأنبياء والرسل والشهداء، بمن فيهم آباء الشركة: أبونا الكبير وأبونا أورسيزيوس. لقد شكّلهم بتجارب خفية وبأمراض، وجعلهم موضع نقد ممن هم أقل منهم قدراً، إذ يقذفونهم بكلام حاقد بعيدة كل البعد عن التقوى.

لقد سمح الرب بمصاعب خطيرة وسط الإخوة في أيام أبينا، لدرجة أن هذا الرجل العظيم لجأ إلى العلمانيين من أجل الخبز. لقد رأى هذا الرجل الصالح بعينيه أبناءه يشغلون مطاحن صغيرة ويلعقون وجنتهم بألسنتهم منها بسبب شدة جوعهم. وقد افترى عليه كبارهم قائلين: "إنك تقتل أولاد الناس بالجوع". ولقد ألجم الله لسانه لوقت طويل حتى لا يتكلم، لكي يراه ذاك الذي تفضل بأن يعطي جسده للبشر ليأكلوه بسبب محبته الإلهية

التي لا تحد. فلأجل العوز إلى الخبز، كانت تعطى الإشارة أكثر من مرة في جميع تلـك الأيام لأجل وجبة واحدة.

٣ - إذن، أيها الأحباء، إن كنا قد استطعنا أن نعجب ـذا الإنسـان، فـلا نـدع الشدائد تثبط هممنا، لأن ما نتحمله اليوم إنما هو جزء صغير مما تحمله أولئك الرجال. فإن «خلاصنا هو في وقت الشدة» (إش٣٣: ٢)، و«الضيق ينشئ صبراً» (رو٥: ٣).

فإنه بواسطة الطريقة التي طلبنا كلنا أن نتبعها في تصرفاتنا بموجب الزي الذي نرتديـه، والاسم الذي أُطلِق علينا، والناموس الذي تعهدنا بحفظه بأمانة أمام الله والناس، قد مجـدنا الرب تمجيداً عظيماً، ذاك الذي حول قلوبنا نحوه. فلنتيقن من هذا: أنه كما أيقظنا هو برحمته من رقاد الموت؛ هكذا هو أيضا سيجعلنا بفضل تحننه نرث المواعيد التي وعد ا قديسيه.

٤ - لذلك علينا أن نكون يقظين ونحرس النعمة التي صارت من نصيبنا وتفوق جدا استحقاقات أعمالنا. ولنحفظ الناموس، إذ يكون كل واحد خاضـعا لتهـذيب قريبـه ووسيلة للدخول إلى فرح ملكوت السماء. وعلى ذلك، فلنضع قلوبنا بكليتها في السلوك بموجب ناموس الكينونيا بكامله. ولنخمد لهيب النار والازدراء والشكوى بقوة الـروح القدس، وذلك بتلاوة كلام الله ليلاً و اراً، ومطفئين كذلك كل سهام الشرير الملتهبـة، ولنكن أقوياء بترس الإيمان (أف٦: ١٦)، وذلك حتى إذا جاء الوقت وافتقدنا الله نوجد مستعدين للغاية لأن نقول: «فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب» (مز ١٢٢: ١).

٥ - إننا نشكر الله أبا ربنا يسوع المسيح، لأنه جعلنا قـادرين أن ننسـى أحزاننـا وضيقنا في شذا الطاعة ورسوخ الإيمان الثابت في قانون الشركة المقدس الحقيقي. هـذا الذي أنشأه بعد الرسل أبا باخوميوس، الرجل الذي صرنا نحن وارثين لوعـود الله لـه بشرط أن نكون مستعدين لحفظ وصاياه، «مطهرين ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة في خوف الله» (٢كو٧: ١)، وأن نكون حريصين بكل وسيلة ألاّ نضع عثرةً لإخوتنا، سواء في الكلام أو العمل، وأن نكون رائحة زكية للذين هم من خـارج، إذ يروا أعمالنا الصالحة فيمجدوا أبانا الذي في السموات، لكي يعرف الجميع، حتى الذين يشتمون سيرتنا الصالحة، أننا لا نتبع أقوالاً مصنعةً أو حكمةً إنسانيةً، بل إن الرب هـو أبونا، وهو رئيسنا، وهو ملكنا، وهو الرب الذي سوف يهبنا الحياة. ولنفرح في شـدة الاضطهاد قائلين: «في كل ما جاء علينا ما نسيناك ولا خنا في عهدك، ولم يرتد قلبنا إلى وراء» (مز٤٤: ١٧).

ولنتذكر دائماً أنه «قد وهِب لنا لأجل المسيح لا أن نؤمن به فقط بل أيضاً أن نتـألم لأجله» (في١: ٢٩). ولنحسب أن كل المضايقات وكل الشدائد كلا شيء بفضل نعمة ذاك الذي يهب القوة، المسيح يسوع ربنا. ولنذكر الأمراض والأحزان التي أتـت علـى جميع القديسين الذين «طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلّين، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم» (عب١١: ٣٧و٣٨). لقد مضوا بفرح عظـيم عـالمين أن خلاصهم يكون في أزمنة الشدة، وأن «آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالـمجد العتيـد أن يستعلن فينا» (رو٨: ١٨).

٦ - لأن «الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله ... ولكن كـل تأديـب في الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن، وأما أخيرا فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (عب١٢: ٦و١١). ألا تعلمون كيف تدرب الحيوانات وأية معاملة تعاملها لكي تتعلم التمرين الذي يسر سيدها بأن تتلقّنه؟ فإذ قد صرنا ملمين بالمعرفة النافعة للكتاب المقدس وبأعمال الله التي دربها القديسين وآباء الشركة؛ فلا يهن عزمنا بل لنقُل كلنا أمام الله في داخل قلوبنا وبأفواهنا أيضاً إننا مستعدون «ليس أن نربط فقط (بالقيود) بل أن نموت أيضاً (في كل مكان) لأجل اسم الرب يسوع» (أع٢١: ١٣). ففي عوزنا للجسـديات وعندما نواجه إهانات الذين يعيروننا بسبب فقرنا وأحزاننا، فلنقل: «من سيفصلنا عـن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطـر أم سـيف» (رو٨: ٣٥)؟ وما إلى ذلك. فهذا هو تماماً السبيل الذي سلكه الرسول المختار من الله، الذي قال لنا: «كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو١١: ١). وهو أيضاً نفس السـبيل الذي سلكه جميع القديسين وآباء الكينونيا الذين أكملوا جهادهم بنبل، وأدركوا الراحة من أتعابهم بدخولهم إلى موضع راحتهم الأبدية.

٧ - أما من جهتنا الآن، نحن أقل الكائنات طُرا، والجديرون بالازدراء أكثر مـن كـل أحد، فإننا نؤمن بكل يقين مصدقين أنه ينبغي أن يتم فينا حسب رحمته هذا الأمـر أيضـاً بموجب كلمات إشعياء النبي القائلة: «لا تخافي لأنك تغطيتِ بالخزي، لا تخجلي لأنه قد لحق بِكِ العار، فإنكِ تنسين خزيك القديم، وعار ترملكِ لا تذكرينه بعد» (إش٥٤: ٤ سبعينية)، وبموجب كل البركات الأخرى التي كُتبت في ذلك السفر. فإذا ثابرنا حتى المنتـهى بصـبر المسيح وجلَده، فرحين بأن نكون في وسط الضعفات والشتائم والشدائد والاضـطهادات والضيقات من أجل المسيح؛ فإننا بكل تأكيد سنرث كل بركـات الكتـاب ونفخـة الله، وكذلك أيضاً المواعيد التي وعِد بها آباؤنا. ولسنا نحن فقط، بل كل من أحب الحياة المقدسة

التي للكينونيا، وتحمل عار المسيح متقبلاً الآلام بلا تراجع، كما يقول الرسول: «جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطَهدون» (٢تي٣: ١٢).

٨ – لذلك، فلنعز بعضنا بعضاً بهذا الكلام ولنبنِ أحدنا الآخر، ليس فقط بهذا الكلام وإنما أيضاً بالأعمال الحسنة وخلونا من العثرة، مجددين أنفسنا في ثمار الروح القدس لكي نضيء كأنوار في العالم، حتى إن كل من يرانا يعرف أننا نحن النسل الذي باركه الله (إش٦١: ٩)، إذ يرون إيماننا ومعرفتنا ووقارنا في كل شيء واتضاعنا، وكلامنا المصلح بملح في معرفة الكتب ومحبة الله. لنعطِ الجميع حقوقهم: الجزية لمَن له الجزية، والجباية لمَن له الجباية، والتوقير لمَن له التوقير، والإكرام لمَن له الإكرام، كما يقول الرسول (رو١٣: ٧). لنكن بلا هم بشرِي أو محبة المجد الباطل أو النفاق، بل ليكن ذلك كما هو باعتباره أمراً من الله، محترسين بحرصٍ شديد لئلا نصبح محبين للكرامات.

لأننا إن صرنا محبين للكرامات في هذا الدهر، فإننا نضطر الله لأن يستخرج صك الدين الذي يقف ضدا لنا، وخزي خبايا أعمالنا وأفكارنا أمام كرسي دينونة المسيح في حضرة الملائكة وكل القديسين، حيث سنوجد عراة ولا نجد وسيلةً للهروب إلى أي موضع سوى نحو اللهيب الذي يأكل المضادين، ولا وسيلة نغطي بها خزينا بأية طريقة كانت. أما إن كنا بالحري نضع أمام أنفسنا في كل لحظة ضعفاتنا وأفكارنا الشريرة، وإن كنا آسفين بسببها في هذا الدهر، فإننا نهرب من الخزي الأبدي ومن النار والعقاب الذي لا ينتهي؛ وسوف نتمتع ببركات ثمارنا بتطويبات الإنجيل: «طوبى للحزانى الآن لأنهم يتعزون» (مت٥: ٥) .. إلخ. لهذا السبب، أيها الأحباء، دعونا نحسب الإهانات التي تقدم للمسيح غنى أفضل من كل مُتع هذا العالم التي يعطيها مع كراماته ومسراته، فهذه المتع ليست إلاّ وقتية مثل الضباب أو ظل عابر.

٩ - من ذا الذي لا يعرف حقا كم أن الطهارة حلوة؟ وكيف يكون الإنسان في دالة أمام الله والناس عندما يقترب من المذبح المقدس حيث جسد الرب ودمه؟ هل يحاول أحد أن ينكر ذلك؟ أو هل يشتهي بأي حال من الأحوال وضعاً مداناً من النجاسة إذا ما فكر في يوم القيامة عندما يغير الرب شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده (في٣: ٢١)؟

أو من ذا الذي ذاق بساطة القلب النقي، وارتمى في حضن الرب بفرح قلب متحررا من الآثام والنجاسة، ثم يسعى بعد ذلك وراء ظلال الأفكار الخفية وظلمة الوجه وتبلد الحس بسبب الأفكار الخبيثة والانغماس فيها؟ بل هل يمكنه أن يسكر بنوم الموت، مغرماً بتلك

الأفكار لأنه أهمل أن يصرخ في الحال لله في قلبه قائلاً: «خلصني يا الله لأن المياه قد دخلت إلى نفسي، غرقت في حمأةٍ عميقةٍ وليس مقر .. والسيل غمرني» (مز٦٩: ١ و٢).

١٠ - ومن ثم، يا أحبائي، أنتم الذين بمحض قوة إرادتكم الحرة فقط أحببتم عار الصليب، دعونا كباراً وصغاراً نتوخى التعقل والسهر، عالمين أنه «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب١٠: ٣١). دعونا نتذكر أن آلام الأمراض الجسدية تطرد من عقولنا كل الأشياء التي تتعلق بهذا الدهر ونشتهي الموت لنتحرر من الألم. ثم أي مكان هذا الذي يمكن أن نتصوره حيث صرير الأسنان والنار التي لا تطفأ والدود الذي لا ينام! وإذ نحن، إلى جانب ذلك، قد وعينا الخوف الذي يعتري المرء أمام كرسي قضاء الله، فلنخلع عنا الإنسان العتيق مع أعماله وأفكاره ونلبس الجديد بكل سلوكه (كو٣: ٩و١٠)، حتى نرث مع جميع القديسين فرح ملكوت السموات.

١١ - إذا أطعنا صوتاً واحداً، وإذا أردنا لذلك الإنسان (القديس باخوميوس) أن ينعم بالرضا بنسيانه لأحزانه وضيقاته، فليبين كل منا عِظَم حكمة اختياره بالإصغاء إليه، هذا الذي جمع شملنا دون تذمرٍ أو أي تدبير رديء أو ... ولكن فلنحذر من أن نهمل شئون حياتنا. فلا ينبغي أن نرضى بالقول: 'إنها مجرد مسألة طاعةٍ وحسب، فإذا فشل العمل فهذا أمر لا يهمنا، وإذا نجح فهذا أيضاً لا يهمنا'. إننا نعلم بكل تأكيد أن مثل هذا الفكر نابع من جذر الكبرياء والخبث. فهكذا كان الأمر مع "أونان" الذي إذ علم أن النسل لا يكون له أفسد على الأرض (تك٣٨: ٩). وهكذا أيضاً يتصرف البعض الذي إذ يعلم أنه لن ينال من هذا الأمر مديحاً إذا نجح، فإنه يخفيه في سكون غير عابئ بأن يعرف لأنه لا يهمه الأمر. دعونا نأخذ لنا نموذجاً لكرم الأخلاق من "يثرون" الوثني (حما موسى) الذي اقترح تنظيماً للجماعة من ستين حشداً من عشرات الألوف، مما أدى إلى راحة جميع الشعب وموسى أيضاً الذي سار أمام الشعب (خر١٨: ١٤-٢٦).

١٢ - وإذ نعلم أننا نتعب ليس لأجل أحد ما أو شيء ما، ولكن الله هو الذي أعد لنا مكاناً لنعمل فيه حتى نفطن إلى ما ينفعنا - سواء كان الواحد منا هو رئيس الجماعة أو من أُوكلت له الخدمة أو مسئولية أي عمل مهما كان صغيراً، وقد كُلف بأن يقوم بهذا العمل أو ذاك - فلنعتنِ به سبعة أضعاف بكل اجتهاد وإقدام ونشاط ليل نهار. إنه حقا اختبار قد وضِع بيننا لكيما نظهر ما نحن عليه. لا يقُل أحد على سبيل المثال: لقد أخبرته بما ينبغي أن يعمله مرةً ومرتين ولكنه لم يصغ لي، لذلك فسأكف عنه.

١٣ - ويجب أن نعرف هذا: عندما وضعنا الرب موضع الاختبار في الوقت الـذي اخترنا فيه بمحض إرادتنا أن نكون له أولاداً، ولم نكن متراخين في الاهتمام بما يهمه، إذن فنحن حقا أبناء. فينبغي ألاّ نتذمر في داخلنا بينما نحن نطيعه بعد أن رفـض ذاك الـذي أمرنا أعذارنا التي نتعلل ا. كلا، بل يجب علينا ألا نكون من العصاة وألا نحمل ضغينةً، فإن كنا نلقَى معاملةً صعبةً أثناء تأديتنا لأي عمل، فإن الرب سوف يمنحنا هدوءًا كاملاً، ويعد لنا سرا ميراثنا كأبناء، ويلزم من يكلفنا بأن يعيد لنا الراحة مرةً أخرى. فإن كـان هو قد جعل كلا من لهيب النار والمياه تعطي راحةً للذين يستحقو ا؛ فلماذا إذن لا يجعل إنساناً يعطي راحةً لقريبه؟

١٤ - فإذا أُرسلنا في عمل تحت إشراف أحد الإخوة، فلنعمل بكل همّة في العمل الذي أُرسلنا له، حتى ولو ضربنا أو شتمنا أو حبسنا، حتى ولو عدنا إلى الدير ملطخين بالدم بسبب الضربات. أما إذا طلبنا تعويضاً عما تعرضنا له، سواء كانت تعزية أو بعض كلمات الإطراء من شفاهٍ بشرية مثل 'لقد كدحت بشجاعة، وإننا نشكرك على تحملك هذه المعاناة العظيمة لأجلنا'؛ مثل هذا الإنسان يظهر بوضوح أنه لا يعرف الرب حقا. لأنه لو كان يعرفه لَعِلم أنه بقبوله الإطراء على أتعابه من شفاه بشرٍ فقد حرم نفسه من الفرح الذي يأتي من فم الـرب الذي يقول: «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتـاً، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي» (لو٢٢: ٢٨-٣٠). اعلموا، إذن، أنه كما تعاملتم الآن مع الذي هو في وسطكم لكي يختبركم، وهو أنا، فإنكم هكذا يلزم أن تتعاملوا معه. إن أمور الله بالتأكيد تفصل بيننا أحيانا بالجسد ولكن ليس بالقلب.

١٥ - أما بالنسبة للإخوة المرضى، فدعونا ألاّ نقلق من أجلهم، ولا يجب أن تثـبط همّتهم. فالله الرحوم يعلم ما هو نافع لكل واحد منا، وهو يوزع أنواع العلاج كما يحب إذ يشكل البشر لنفسه حتى يرثوا غِنى ملكوت المخلص. فلا يقُل أحد منا: "لا شك أنه لكونه إنسانا شريرا للغاية حلت عليه هذه الضيقات"! إنّ من يقول ذلك في نفسه فربما لازال هو نفسه غير أهلٍ للعلاج. كما ينبغي ألاّ يفرح أحدٍ منا بأنه جعل غـيره يعـاني بشدة، أو يسر بأن غيره قد حلّ به مرض، فهذا إثمٌ عظيم من العدو. حقًا إن الذي يوجد في قلبه موضع لهذا الفكر فهو يستحق الرثاء. فلتكن لنا، إذًا، قلوب شفوقة بعضنا علـى البعض، لأن المخلص قال: «كونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم» (لو٦: ٣٦).

١٦ - إذا جاء أحد إلى المضيفة له أخ في الدير راغبا أن يصير راهباً، فيلزم أن يقضي شهراً في المضيفة. ولا ينبغي أن يخرج أخوه إليه إلاّ مرةً واحدةً في الأسبوع. ولكن عليه

أن يعمل بالوصية بينما يكون المبتدئ تحت الاختبار، وأن يحفظ قلبه بعيداً عنه طالما أنـه قريبه، ويراقب ذاته في نفس الوقت لئلاّ يقع بعد أيامٍ في فخ الحزن. كما ينبغي أن يحرص أيضاً على ألا يسبب عثرةً في دعوة هذه الشركة (الكينونيا) بسبب عاطفة جسدية، بـل عليه أن يتفكر في كلمات المخلص: «من هي أمي ومن هم إخوتي؟ ... من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأُختي وأُمي» (مت١٢: ٤٨-٥٠). وعليه أن يتفكـر أيضاً في البركة التي نطق ا موسى النبي للاّوي: «الذي قال عن أبيه وأمـه لم أرهمـا، وبإخوته لم يعترف، وأولاده لم يعرف، بل حفظ كلامك وصان عهدك» (تث٣٣: ٩). هكذا تصرف آباء الشركة أبا باخوميوس وأبا أورسيزيوس.

١٧ - وعلى البواب أن يهتم بالمبتدئ بموجب محبة ذاك (الرب) الذي دعاه، بكل مـا يحتاجه من كلام مملح. وعليه أن يعرفه بنواميس الحياة الأبدية. لقد ترك أبويه وإخوته وأهله بحسب الجسد ومسرات هذا العالم، فمن ثم إذا حضر أبوه وطلب من المسئولين أن يستدعوه له، فعليهم أن يجيبوه ذا الرد حتى ولو تمت المقابلة معه، إلاّ إذا رأى الذي يدبر المختصـين غير ذلك. وفي مثل هذه الحالة، ينبغي على المختص أن يخبر المسئول بما يعلنه الأخ له، وعلى المبتدئ أن يبين لأبيه أنه لا توجد في دعوتنا عاطفة جسدية أو سلطان بحسب الجسد، ولكننا جميعا إخوة كما قال المخلص: «أنتم جميعاً إخوة» (مت٢٣: ٨)".

١٨ - إننا نقول ذلك ونصر عليه في اسم ربنا يسوع المسيح لكي نكـون ثـابتين وأشداء في مواجهة الزوابع وعواصف إثم العدو العاتية، لأننا تعلّمنا أن المخلص يهزم حيل العدو ويحطّم الفخاخ الخادعة التي ينصبها للبشر. إنه يمنحنا التوبة بعد سقطاتنا، ويعطينا عزاءً عندما نتفكّر في بعض القديسين الذين زلّوا مثلنا في سقطات بشرية، والذين أعادهم الله إلى مرتبتهم السامية بسبب مخافتهم له. أولئك الرجال العظام مثل داود النبي وبطرس الرسول وأمثالهما. أما الخطاة فإنه يمسح في الحال كثرة أخطائهم بواسطة مخافتـهم لـه، هكذا حدث مع العشار والمرأة التي غسلت رجليه بدموعها وأمثالهما.

١٩ – هكذا، يا أحبائي، فنحن واثقون أنه بفضل محبة الله الفائقة لنا، أن العواصـف التي تثور الآن ضدنا لن تدوم طويلاً، وأقصد ا الزوابع التي تثور من هوى الشـهوات الجسدية أو من أي سبب آخر. فإنه سوف يعطينا الوسيلة لاكتساب راحة الجسد التي لن نجدها بعد في لحظة كربنا. فإذا كان السبب هو كلام قاسٍ من الذين يحكموننـا، أفـلا يحدث لنا أنه إذا جعلنا من أنفسنا عبيداً للمسيح أن نشعر بثقة عظيمة في حضرته وغفراناً لخطايانا عندما يأتي في مجده؟ أما إذا كان السبب هو مرض عضالٌ وتقدير لما يحتمل أن

يحدث لاختبار صبرنا، فإننا حتى الآن لا نرى شيئاً يحدث مما نتوقعه، ولا نجد أية راحةٍ مما يهاجمنا سرا أو علناً. أفلا نذكر أن الله الآب سمح للشيطان أن يجرب حتى مخلصنا، وأنه قد كُتب عنه: «رجل أوجاع (مجروح) ومختبر الحزن» (إش٥٣: ٣)؟

إننا نعلم بكل يقين أن «الذي يحبه الرب يؤدبه» (عب١٢: ٦)؛ ونحن نعير انتباهاً لكلمات الرسول: «غارقين في ضيقات من كل نوع لكن غير متضايقين» (٢كو٤: ٨ ترجمة منقحة)، و«من خارج خصومات، ومن داخل مخاوف» (٢كو٧: ٥)، وقد «أُعطيت شوكةً في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني» (٢كو١٢: ٧)، و«إني أُسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي. ويحي أنا الإنسان الشقي» (رو٧: ٢٢-٢٤)، و«الشر الذي لست أريده فإياه أفعل» (رو٧: ١٩). فرغم أنه بحسب البر الذي في الناموس لا يكون مخطئاً، فكيف يكون هو بلا لوم؟ ذلك بأن يكون سفيراً للمسيح (٢كو٥: ٢٠). إن ما اختبره وكتبه بخصوص سقطات الذين هم مثلنا، الذين لم يكن لهم إيمان، فقد عمل كل ما بوسعه حتى لا نضجر وحتى لا نستسلم للذين يريدون أن يبتلعونا عندما نجيب قائلين: "لقد طُرحنا خارجاً، ولن نحاول فيما بعد أن نكون ذوي منفعة لله"، فإن ذلك ليس هو ما تخبرنا به الكتب المقدسة أنفاس الله.

٢٠ - والآن، نحن نرى أن البعض منا، كباراً وصغاراً، يشعرون بنوع من الامتعاض بعد أن كانوا قد تعاهدوا مع الله على السلوك بحسب ناموسه، وبعد أن تجردوا من كل ما كان لهم من أجل هذه الدعوة، كل واحد على قدر طاقته تحت إلحاح الروح القدس، وبعد أن جعلوا من الواضح لكل من يراهم قولهم: 'إننا أبناء دعوة الكينونيا المقدسة'، وبعد أن أعلنوا للآخرين أنه: 'لا توجد عقبة في الطريق الذي اتخذناه'، وبعد أن وجهوا آخرين ممن يرغبون أن يصيروا رهباناً بقولهم لهم: 'تعالوا امكثوا معنا وشاركونا في وصايا الله المقدسة التي أعطاها لأبينا (باخوميوس)'؛ نعم، فبعد كل ما حاولوا أن يرجعوا إلى الوراء، واضعين عثرةً للذين جاءوا إليهم، وللذين بواسطتهم صاروا قريبين من الله.

إنهم يريدون أن يعرضوا عطية الله للازدراء، غير مبالين بمخافته، كما هو مكتوب: «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب١٠: ٣١). إنهم يحولون حكمتهم إلى حماقة، غير عابئين بأن حياتنا إنما هي «بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل» (يع٤: ١٤). إنهم يلتمسون أعذاراً لأفكارهم الجسدية وأهوائهم، لأننا عندما نسمح لأنفسنا بإشباع شهواتنا ونقاوم نعمة الله، فمن يعلم إن كنا سنعيش أم أننا سنتجنب أي مرض خطير؟ وفي جميع الأحوال، فإننا

بذلك نمهد السبيل إلى أن ما أُلقي في قلوبنا فإنه يستبعد من مجد الصليب بموجب إنجيل الله.

٢١ - هذا هو السبب، إذن، في كوننا لا نستطيع أن نصمد، ولكننا تكلمنا بهذه الطريقة لكي يكون التحذير من جانب الله شاملاً لنا جميعا. فإن وجد من يشعر في قلبه باستياء من شخصٍ آخر، فإننا نعلن أمام الله في وسطكم، أننا سنتصرف بموجب القانون الذي وضعه الأب من أصغر وصية إلى أكبرها.

٢٢ - إن كان رؤساؤنا هم الذين يضعون لنا عثرةً، إذن فعلينا ألاّ نطيعهم، ولا نطأ بأقدامنا على أي قانون وضعه آباؤنا. فقط فليكن كل واحد منا، كبيراً كان أو صغيراً، مستعداً أن يقدم لله جواباً. فإن ذاك الذي سيدين المسكونة بالعدل بابنه الوحيد يسوع المسيح، هو الذي سينطق بحكمه علينا. لأننا قد تعهدنا أن نتمم ناموس الله، وحتى الآن لم نفعل ذلك. بل على العكس، فقد كان كل واحد منا متغافلاً بخصوص غيره لدرجة الامتعاض وعدم الاهتمام بتهذيب أقاربه بموجب وصايا الله. فلنتذكر عهد الإنجيل بألاّ نحقد بل بالحري نحب من يكون معروفًا بتعديه.

٢٣ - فلنشكر الله أبا ربنا يسوع المسيح، لأنه جعلنا أهلاً أيضا أن ننال منه قليلاً من الفرح في وسط غمرة ضيقاتنا. لأن السكينة تحلّ في قلوبنا المكتئبة بفضل عمق اتضاعنا وثبات إيماننا. وإننا نُصلي بغيرة ودموع لكي يهبنا الله جميعاً عطفًا ومغفرةً، ولا يعاملنا بحسب استحقاقنا؛ بل بالحري يتغاضى عن خطايا أي واحد منا، بل ويهبنا تجديداً بواسطة معونته، ويطهرنا من شهوات النفس والجسد الشريرة، ويجعلنا أيضاً مستحقين أن نقول: «مزقت مسوحي ومنطقتني سروراً» (مز٣٠: ١١ سبعينية). وليته يجعل كلا منا يعود إلى بدايات دعوته، أي إلى الأمل في وعود الله لأبينا (الكبير) الذي وعدناه أن نراعي وصاياه، سالكين بالحق في إتمام الناموس، أي أن نكون جميعاً لنا قلب واحد (أع٤: ٣٢)، ونتعب بعضنا لأجل بعض ممارسين المحبة الأخوية والشفقة والاتضاع كما قال بطرس الرسول (١بط٣: ٨)، تابعين لصوت واحد فقط، وعاملين بكلامه بكل يقين الإيمان. فنحن نعلم تماماً أنه بطاعتنا نصير «عبيدا من أجل يسوع» (٢كو٤: ٥) الذي بخصوصه سمعنا صوت الآب يعلن في الأناجيل: «هذا هو ابني الحبيب، الذي به سررت، له اسمعوا» (مت١٧: ٥).

٢٤ - وإذ تعلمون، يا أحبائي، أننا قد قطعنا هذا العهد أمام الرب إلهنا، وأنه سوف يطلب من كل منا أن يعطي حساباً عن تعهده، فالكبير بما يتناسب مع علو رتبته،

والصغير بقدر صغر مقامه، فلا نكن متغافلين أو متناسين أمر خلاصنا. بل بالحري فلنجدد نفوسنا في المسيح يسوع الذي يمنحنا القوة. وليعطِ كل منا قلبه للآخر، حاملين صليب المسيح، ولنكن أتباعه بالحقيقة وفقًا لما وعدناه به بمطلق حريتنا وبدون إكراه.

٢٥ - إننا نفرح بأن جميع الذين يحفظون محنتهم لأنفسهم لم يعلنوها لغيرهم بنار اللسان الذي «يدنس الجسم كله» (يع٣: ٦)، ويكشف عن شر الكبرياء المتزايد في قلب الإنسان. ولنفرح بالأكثر لأجل الذين يجعلون قلوبهم متناغمةً مع قلب كل واحد منهم، متجنبين مجد هذا الدهر الذي يتجلى في إعجابنا بأنفسنا فيما نفعله قبل تقدير الناس لنا، باعتبارنا عمالين أو مدبرين حسنا تحت ستار إخلاص باطل. بل فلنكن بالأولى متيقظين لأنفسنا لئلاّ نسمع صوت تأنيب الرب القائل: «إنهم قد استوفوا أجرهم» (مت٦: ٢)، وكما يقول الرسول بولس: «أبتعدي الناموس تهين الله» (رو٢: ٢٣)؟ أما من جهتنا، فلنفرح نحن المستعدين بكل قلوبنا أن نكون تابعين لله إذ أدركنا قوة كلمة المخلص: «من وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات» (مت١٨: ٤).

٢٦ - كما أننا نرى حرارة محبة كل منا في الحديث الهادئ، وفي الطريقة التي بها يبرر كل واحد قريبه أكثر من نفسه. فإن محبة الله للبشر تمهد السبيل للخلاص والغيرة أن يقبلا إلينا بقدر ما يسرع كل منا إلى أن يتجدد في ثمار الروح، وأن يستيقظ من نوم الغفلة، وأن يتنقى من بذاءة اللامبالاة وبلادة الأفكار الدنيوية، وبقدر حرارة لهيب تلاوتنا المستمرة ليلاً ونهاراً في أقوال الله. حينئذ يضعف الأعداء الذين ينصبون لنا الفخاخ لكي يطرحونا بعيداً عن طريق الحياة الأبدية، الطريق الذي زكّاه إله إبراهيم وإسحق ويعقوب لأب الشركة. فبقوة الله نبتدئ أن نجلب الخزي والعار على القوى الأثيمة التي تقول في الخفاء: «إن الله قد تركهم فلنلحقهم ونمسكهم لأنه لا منقذ لهم» (مز٧١: ١١).

٢٧ - كم نود أن نتمكن من أن نعرف الذين لا يعرفون حلاوة حراسة نفوسنا، أي حفظ أفواهنا (أم١٣: ٣)، طالما أنه لا يوجد ما هو نافع لنقوله لكي نكون سببا لتهذيب بعضنا بعضا وقدوةً نافعةً للمبتدئين الذين جاءوا إلينا استجابةً لدعوة الرب. لقد أحطنا أنفسنا بسور واقٍ الذي هو محبة ناموس الله ولأجل دعوة الكينونيا، وذلك لكي نسلك على هذه الأرض على غرار سكان السماء وحسب حياة الملائكة المبجلين، حتى يرى الناس أعمالنا الحسنة فيمجدوا الله، ويعرفوا أننا تلاميذ المسيح حيث إننا نحب بعضنا بعضاً بلا رياء.

٢٨ - إننا نرى كل ذلك ونجاهد فيه، ونجدد نفوسنا ونمجد الله الرحيم «لأنه لم

يصنع معنا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا» (مز١٠٣: ١٠). بل ككثرة رحمته: «حول نوحنا إلى فرح لنا، ومزق مسوحنا ومنطقنا بالسرور» (انظر مز٣٠: ١١). هـذا هو عربون كل صلاح قد وعد الله به آباء هذه الشركة والذي سبق أن أودعه فينا، حتى لا نكون مرفوضين من دعوة الميلاد الجديد المقدسة. فقد جعلنا نرسخ جذور وجـزوع هذا العربون، ولكننا غطينا فروعها الصغيرة بتغافلنا ونزواتنا.

٢٩ - وهوذا رب الكون، يسوع المسيح سيد الكل، لن يتخلى عنا ليسمح للـذين ينصبون كمائن لنسل آدم أن يحدقوا بنا. بل بالعكس، فإنه بتحننه قدم دعـوةً خفيـةً: «استيقظ أيها النائم وقم من الأموات» (أف٥: ١٤) ومن نتانة الأفكار الشريرة. كما أنه أمر «ملائكته المقتدرين قوةً الفاعلين أمره» (مز١٠٣: ٢٠) أن يحررونـا مـن أغـلال خطايانا. فإنه هكذا نادى قديما لعازر الذي كان قد مات وأنتن قائلاً له: «هلم خارجاً، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع: حلّوه ودعوه يذهب» (يو١١: ٤٣و٤٤). فليتنا نحفظ وصاياه إلى النهاية حتى نجلس معه على مائدته مثل لعازر في فرح ملكوت السماء!

٣٠ – دعونا نصلي لكي لا يوجه أي ا ام ضد أي فرد منا عند استعلان مجد أولاد الله، وأن لا يحرم أحد منا من فرح المواعيد التي أُعطيت لآبائنا، لأجل ارتداده بسـبب الأفكار التي تأتي عليه من الذي يصوب سهامه الشريرة نحو قلوبنا.

أما من جهتنا، نحن الذين نعتمد على الإيمان، كما تعلمنا من آبائنا منذ أن اسـتأمنهم الرب علينا، فإن واجبنا هو أن نشدد الإخوة الذين أحبوا أنظمة هـذه الشـركة بكـل قلو م. فإن أمكننا أن نفعل ذلك بدون عثرة بالليل والنهار، فليتنا لا نفشل في تشجيعهم بتعاليم آبائنا النافعة وبالمعرفة المقدسة. فلنخف خوفاً شديداً لئلاّ بسبب الإهمـال لـك نفس كان ممكناً أن تخلُص. ولنحفظ أيضاً في أذهاننا ذكر الراعي الصالح الـذي يبـذل حياته عن خرافه (يو١٠: ١١). بل حتى إذا عاملنا بعض الذين هم أكبر منـا أو الـذين صاروا رهباناً قبلنا معاملةً سيئة، فينبغي ألاّ نتراجع بقصد أن نتحاشى ضـرب الغريـب الذي عير صفوف جماعة إسرائيل (انظر١صم١٧: ١٠). بل دعونا نضبط أنفسنا مقابل الشتائم والتعييرات كما فعل داود الجبار. ولنرفض سيف شاول وثيابه البشرية لئلاّ نعثـر ا (انظر١صم١٧: ٣٨و٣٩)، ولنتمسك بالشباب (الروحي) في مواجهة الشر، ولنضرب باسم رب الجنود بشجاعة الإيمان والاتضاع ذاك الذي ينغص على الإخوة ويـزعجهم. وليكن جوابنا بغير حنق. ولننـزع القناع عن وجه الذين يتلفظون بكلمـاتٍ تـؤذي

النفوس وتحز ا. ولنحطم أيضاً استحكامات حشود الأعداء بلطف، ولنوبخ أفكار قلوبنا الشريرة، بل والاحتفاظ بالسكون، واضعين نصب عيون أذهاننا صـراع الـذين أ ـوا معركتهم بطريقة ممتازة.

وهكذا فإن بولس الرسول، الذي تحمل في جسده شدائد المسيح (كو١: ٢٤)، هـو الذي علم كل واحد منا كيف يعيش: «وآخرون تجربوا في هزء وجلدٍ ثم في قيودٍ أيضـاً وحبسٍ، رجِموا نشِروا جربوا ...» (عب١١: ٣٦و٣٧). أما عن نفسه فيقول: «لذلك أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضـطهادات والضـيقات لأجـل المسـيح» (٢كو١٢: ١٠)، لأن خاتمة حياة كل قديس وكل أب من آباء الشركة قد أظهرت لنـا بكل وضوح أ م كانوا سفراء المسيح.

٣١ - لذلك، فينبغي ألاّ يكون أحدنا خائر القلب فيقول: "في موضع آخر يوجـد هدوءٌ حقيقي"، لأنه ألا ينبع حقًا هدوء الأفكار من الإيمان الراسخ؟ ففي الواقع، من ذا الذي يستطيع أن يميل قلب الإنسان إلى أي عمل صالح وفكر سماوي سوى ذاك الـذي يأتى بمسيحه للبشر؟ وأي إنسانٍ مخلص يمكنه أن يقول: "إن بولس أو أبلّوس أو صفا هو الذي يخلّصني" (١كو٣: ٤)؟ أم لعل أحداً لم يسمع قول الرب لتلاميذه المختارين: «لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الآب، لأن أبي أعظم مني» (يـو١٤: ٢٨). وأيضا: «إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي» (يو١٦: ٧).

إننا نقول ذلك دون أن نحاول أن نقارن كلماتنا الحقيرة بتلك التي تحمل وزنا عظـيم المقدار، ونحن لا نحسب أنفسنا الآن شيئًا بأي حال، بل فلنكن «راسخين في الإيمـان» (١بط٥: ٩)، ولنجعل لأنفسنا سورا حصينا بطاعتنا الداخلية للناموس، فهذه هي الطريقة التي ا «يعلم الرب الذين هم له» (٢تي٢: ١٩)، والذين ائتمنهم على نعمـة روحـه القدوس، فإنه «ليس أحد يجعل خمراً جديدةً في زقاق عتيقة» (لو٥: ٣٧)، «لأن الـذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشا ين صورة ابنه» (رو٨: ٢٩).

٣٢ - إذن، نحن نعرف أن الذي وهبنا هذه العطية لم يكن إنسانا، بل إنه هو الرب بالحقيقة الذي سلّم نفسه لكي يخلّص جميع البشر، وأنه هو الذي قال: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت٢٨: ٢٠). لذلك فلا نكن قط خائري القلـب، ولا أن نخاف من تعييرات الناس، ولا ن عزائمنا إذا أهانونا، لأن الرب قـد شـجعنا بقولـه: «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كـاذبين،

افرحوا و هللوا لأن أجركم عظيم في السماوات» (مت٥: ١١و١٢). وأيضاً: «إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم» (يو١٥: ٢٠). وكذلك أيضاً: «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم» (يو١٥: ١٨).

٣٣ - ونحن نعلم يقيناً أن روحه يسكن فينا ويعطينا القوة، لذلك فليت همتنا لا تتثبط ولا نظن أن أية شخصية بشرية ستمدنا بأية تعزية أو نمواً. فقد سمعنا لتونا قول بولس الرسول: «من هو بولس ومن هو أبلّوس» (١كو٣: ٥)؟ ومن هو صفا؟ كما أننا قد تعلّمنا أيضاً أنه «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم إبن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساكِ (يا أورشليم يقول الرب)» (إش٤٩: ١٥). وأورشليم إنما هي كل نفس صارت مسكناً لروح الله.

كما أننا سمعنا أيضاً إيليا النبي العظيم وهو يشتكي إسرائيل، وأن الله لم يتصرف بموجب أفكار إيليا غير المتروية! كما أن يونان وبخه الله، لأنه لم يتصرف حسب سخط يونان على إثم شعبه. كما أنه وبخ تلاميذه حينما قالوا: «يا رب، أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء (على الذين لم يقبلوا الرب) فتفنيهم» (لو٩: ٥٤)؟ ليتنا نتعلّم، إذن، من ذلك أن كل جسد إنما هو تراب ورماد، كما أكّد لنا ذلك إبراهيم خليل الله، أن سخاء الله وحده هو الذي يدوم. لذلك، فدعونا نعتمد على الرب، فهو يمنح سخاءه للذين يصيرون مسكناً له.

٣٤ – حينما نستبدل مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى (رو١: ٢٣)؛ فإننا حقًا نؤكّد أنه إذا كُشفت ضعفات كل واحد المعروفة لدى الله؛ فإننا سنضطر أن نجاوب بعضنا بعضاً. لذلك، فإننا نستحثكم ألاّ يظن واحد في الآخر بغير ما نراه عليه، رغم أنه في واقع الأمر فإن حقيقة ضعفنا الكاملة ليست واضحة بعضنا لبعض.

حقاً إن الله يستر على كل منا أمام الآخر في وقت الضعف، في حين أنه في وقت المجد - الذي هو مجد الله – فإنه يلبسنا إياه، فمن هو إذن غير الله وحده الذي يمكنه أن يعرف مقدار لطف الله؟ دعونا، إذن، نتعرف على ضعفنا ونسبح الله الذي يليق به المجد ونقول: «إن صعدت إلى السموات فأنت هناك، وإن فرشت في الهاوية فها أنت، إن أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر فهناك أيضاً تهديني يدك وتمسكني يمينك» (مز١٣٩: ٨-١٠)، لأننا سمعناه للتو يقول: «أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب» (إر٢٣: ٢٤)؟ وأيضاً: «سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون

لي شعباً» (٢كو٦: ١٦) يقول الرب القادر على كل شيء.

٣٥ - فإذ قد فهمنا المعنى الدقيق لكل ذلك حسب المعرفة الحقيقية للأسفار المقدسة أنفاس الله؛ فلنتمثل بحياة أنبا باخوميوس، ولنعمل على اكتساب ثقته في هذا الدهر والدهر الآتي. ولنضع ثقتنا في الرب، لأنه هو الذي يعزينا ويشجعنا، وهو الذي يعطينا القوة دائما، فإننا قد كرسنا أنفسنا له ولكلمة نعمته. وهو الذي له القدرة أن يبنينا ويعطينا ميراثاً مع جميع المقدسين (أع٢٠: ٣٢).

٣٦ - دعونا نختار نصيب دعوة هذه الشركة (الكينونيا) والمحبة المتبادلة مع كل واحد، ناظرين في سلوك آباء الشركة تلك الرغبة القوية التي أشرقت في قلوبهم جميعا لأجل محبة الكينونيا، والمحبة التي كانت قد تأصلت فيهم من قبل. هذه المحبة التي برزت الآن إلى النور بنعمة المسيح بعد أن كنا نحن أنفسنا قد غطيناها بحجاب من إهمالنا، بينما أطفأنا، بسبب نقص مخافتنا، حرارة الروح القدس الساكن فينا بسبب الرحمة وليس بسبب أعمالنا.

٣٧ - إن الله الرحوم لم ينسنا حتى أن الشرير يفرح لخسارتنا. ولكنه بمحبته يوقظنا من نوم الموت، وبرحمته يظل ينخسنا يوماً فيوماً قائلاً في قلوبنا: «استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٤). إذ إننا عارفون بالنعمة العظيمة التي ورثناها - لأنه «لم يعاملنا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا» (مز١٠٣: ١٠) – فلنتب ولنكن يقظين ولنشكره قائلين: «أعظمك يا رب لأنك احتضنتني ولم تشمت بي أعدائي» (مز٣٠: ١). ولنردد كلمات إرميا النبي: «بعد رجوعي (من الأسر) ندمت (تائباً) ... ثم تحسرت على يوم عاري» (إر٣١: ١٩). لأننا نعلم، كما علّمنا إشعياء النبي، أنه إذا رجعنا وإن كنا نئن نخلص (إش٣٠: ١٥)، وسنعرف أين نقف في أزمنة الثقة فيما هو موجود وهي مجرد أمور باطلة، وفي الأفكار الشريرة التي ليست من الله.

٣٨ - «لنفحص طرقنا ونمتحن آثار خطواتنا، ونرجع إلى الرب إلهنا، لنرفع قلوبنا على أيدينا أمام الله الذي في السموات» (مرا ٣: ٤٠و٤١). وعندما تميل قلوبنا إلى الابتعاد عن الرب فلنرجع ونطلبه عشرة أضعاف. فقد علّمنا الروح القدس بالحق في الأسفار الإلهية التي هي أنفاس الله، أن نطلبه بكل قلوبنا، قائلاً لنا بإشعياء النبي: «اطلبوا الرب مادام يوجد، ادعوه وهو قريب. ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران (لكل خطاياكم)» (إش٥٥: ٦و٧).

٣٩ - وإذ قد عرفنا رحمة الله وغفرانه، فلا ينبغي أن نضيع الأيام تلو الأيام هكذا إلى

الانقضاء، ولا ينبغي أن نكون متوانين من نقص المخافة، فنصير فاترين ونطفئ نار الروح القدس ومحبة ناموس الحرية الذي دعانا إليه في داخلنا بحجة عجز إمكانياتنا الجسدية. فإن خالقنا يعلّمنا بذلك من أجل خلاص نفوسنا كما هو مكتوب: «كن خلاصنا أيضـاً في وقت الشدة» (إش٣٣: ٢)، وأننا «مغمورون في الضيقات في كل شيء، لكـن غـير متضايقين» (٢كو٤: ٨)، وأن «الضيق ينشئ صبراً» (رو٥: ٣)، وأنكم، هكذا يقـول الرب: «بصبركم (أو بثباتكم) تقتنون أنفسكم» (لو٢١: ١٩).

٤٠ - لذلك، فدعونا ألاّ نسمح لما هو حسب الجسد أن يضطهد ما هـو حسـب الروح، ولا نتعلّل بالجسد فنطفئ المصباح الذي أضاء في داخلنا. فلا يجـب أن ننـاقض أنفسنا إلى الدرجة التي فيها نفكر أو نتكلم بما يخالف الإيمان الذي في الكتب المقدسـة. ولكن «الذي يحبه الرب يؤدبه» (عب١٢: ٦)، فإنه يبتليهم ويختبرهم في كل شيء لكي يرى إن كانوا يحفظون وصاياه أم لا. أما ما يبحث الله عنه فينا فهو ثمار الروح القـدس (غل٥: ٢٢)، فيجب ألاّ نكون متوانين بخصوصها لأننا سنسأل عنها.

٤١ – فلنضع في أذهاننا أن نثير بعضنا بعضاً لكي تكون جميع ثمارنا في أمور تسـر الله. ولنكن على دراية أن الله يعتني بنا، وذلك حتى لعلنا نعمل من أجل ما هو ضروري للجسد، وحتى لعلنا نصير هيكلاً طاهراً لله. إذن، يا إخوتي، راعوا ألاّ يواجه أي واحد منا الإقصاء في وقت الثقة المفرحة، في يوم استعلان مجد الرب. «لأنه بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يبطئ، أما البار فبالإيمان يحيا» (عب١٠: ٣٧و٣٨). فلا ينبغي - بسبب وهن في العزيمة أو بعـض زوابع - أن يوجد أي نقص في حرية اختيارنا الكاملة لدعوة الشركة المقدسة التي دعينا إليها، وذلك بفضل النعمة الموهوبة لنا من الله، ليس لأجل أعمالنا بل كنتيجة لعطية ...[(٩٥)].

٤٢ - ... لكي لا يجعله يتحدث مع قريبه بهدوء ونعمة مصـلحة بملـح الكتـب المقدسة، لدرجة أن قلب المتكلم يكون لا يزال بعيداً بسبب شدة وهن عزيمته المخـتلط بتشامخ ذاك الذي يخاطبه. وفي هذا الأخير تستدعي هذه الأمور لامبالاة وتثبيطًا للـهمم تجاه مواهب النعمة الإلهية التي لمسته. لقد حدث أن دعاه الرب بواسطة هذا الإنسـان، واستماله المخلص إلى احتقار كل شهوات هذا الدهر، وأن يتبعه بمذلّة وحب لله الـذي يراه فينا. هذا، إذن، هو سبب كوننا نبذل حياتنا بعضنا لأجل بعض، ونعطي أيضا ثمـار الروح القدس الأخرى التي أوجدها فينا بواسطة النسك في كل الأشياء بما فيها شهوات

---

(٩٥) تنقص هنا ١٨ صفحة.

الجسد. فبعد أن ورطنا أنفسنا في كل هذه الشهوات، ثم بالتهاون في سلوكنا وبكلامنا المملوء رحمة بمحبة كاملة، فإننا نظهر مختلفين بعضنا عن بعض، وهذا يسبب عدم اكتراث ونكبة في الذين هذّبهم الرب بواسطتنا.

٤٣ - لهذا السبب يجب أن نتجنب أن نعثر بعضنا بعضاً في تلك الدعوة التي دعينا إليها، لئلاّ نصبح في خطر ليس فقط بسبب خطايانا وتهاوننا؛ بل أيضاً بسبب الآخرين الذين هذّبهم الرب، لأننا قد أعثرناهم بأية طريقة مع الذين هم خارج دعوة الشركة المقدسة. فلننتبه، إذن، إلى ما نسمعه من الكتاب المقدس، ولنعرف تعاليم المسيح المعلم الحقيقي، ودعونا نتقبل بفرح تلك التعاليم التي تفيض من صلاحه. لأنه أثناء الوقت الذي كنا فيه صغاراً كان يغذينا بطعام الصغار، ولما بدأنا ننمو في ميلادنا الجديد، أراد أن يغذينا بطعام الحق. وبحبه العظيم لنا لم يمتحنا ولا هو ثقّل علينا أكثر من طاقتنا، ولكنه أراد أن يجعل من المعروف أننا تلاميذ إلهنا وأننا أبناء الذين يطلبونه قائلين: «جربني يا رب وامتحني، صف كليتي وقلبي ... وانظر إن كان في طريق باطل واهدني طريقاً أبديا» (مز٢٦: ٢؛ ١٣٩: ٢٤).

٤٤ – حقًا إننا سنكون أكثر اعترافًا بفضل الله في اجتهادنا لمعرفة رحمته. فمنذ أن كنا صغاراً، أي عندما كنا بعد غير مؤهلين لخوض حرب الصليب، زودنا بالحرارة ...[٩٦].

٤٦ – والآن، اسمعوا عن حالة من هذا النوع في شخص أبينا يونان الذي في دير Thmousons (الأشمونين؟)، وهو إنسان اعتبره أبونا كمن له صيت عظيم، فقد كان مستحقًا لكل اعتبار لأجل نسكياته وشجاعته ...[٩٧].

٤٧ - يا أحبائي، طالما أننا صرنا مستحقين أن ندعى للمشاركة في ميراث أسلافنا، فلنتخذ سلوكهم سبيلاً لنا حتى نكون أبناء لآبائنا ... (الباقي ناقص).



(٩٦) سقطت هنا ٢٢ صفحة، وقد أسقطنا رقم ٤٥ لأن الكلام مبتور وغير مفهوم. (٩٧) ينقص هنا ١١ سطر.

(ب) رسائل أبينا تادرس إلى جميع الأديرة
بخصوص البصخة

الرسالة الأولى:

١ - ها قد اقترب الاحتفال بالخبز غير المختمر (الفطير)، عندما يحين الوقت للاحتفال بالفصح، الذي بخصوصه أعطى موسى النبي هذه الوصية للشعب الخارج من مصر: «وتأكلونه بعجلة» (خر١٢: ١١). وقد احتفل أيضاً الملك البار يوشيا بالفصح باهتمام عظيم في أيامه، وانحدر إلينا خبر غيرته. والرسول أيضاً كان لديه ما يقوله بهذا الخصوص: «لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذُبح لأجلنا، إذاً لنعيد» في الرب (١كو٥: ٧)، كما أُوصينا.

٢ - «لتكن أحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم في أرجلكم وعصيكم في أيديكم» (خر١٢: ١١)، «وسرجكم موقدة» (لو١٢: ٣٥)، «حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام» (أف٦: ١٥)، لكي يمكننا أن نأكل الفصح بعجلة. لنصعد إلى أورشليم قبل الفصح بستة أيام (يو١١: ٥٥؛ ١٢: ١)، ولنقدس أنفسنا لكي نحتفل باليوم المقدس بقداسة، بالإخلاص والحق بعد أن نكون قد تخلّصنا من الشر والخبث (١كو٥: ٨). هذه هي الوصية التي تسلمناها من الرسول ومن أبينا الذي أسس حياة الشركة.

٣ - فلنجتمع كلنا معاً في سلام، عملاً بالقواعد التي يجب ألاّ نتخلى عنها. ولا يشتهِ أحد منا أن يبقى في ديره إن لم يقرر الرؤساء ذلك. وكذلك لا يأتي أحد لحضور الاجتماع إلاّ بأمر من الرؤساء.

٤ - أما بالنسبة لنا نحن الذين ينظر إلينا كقادة للإخوة ولكي نعلمهم قواعد الحياة، فلا نسمح لهم أن يظلوا في مساكنهم بدون ضرورة خطيرة، لئلاّ يهجر اجتماع الفصح بسبب خطئنا ونوجد نحن مذنبين بتجريد وصايا أبينا من كل قيمة. بل دعونا بالحري نعتبر كتاباته كمعيار للحق، ونمجد الله الذي «يجعل القبائل مثل قطعان الغنم، يرى ذلك المستقيمون فيفرحون وكل إثم يسد فاه» (مز١٠٧: ٤١و٤٢).

٥ – دعونا نحن، شيوخ بني إسرائيل مع مساعدينا، نأتي جميعاً إلى الفصح، ولا يتخلف أحد دون أن يتمم أنظمة أبينا. كذلك مدبرو الأديرة والمشرفون على البيوت وجميع رتب الإخوة، فليأتِ جميع الأعضاء متجمعين في جسد واحد لبناء هيكل الله. لنجتمع في سلام ووفاق، وهكذا نحقق هدف القديسين وأنظمة أبينا.

٦ - أما بالنسبة للموعوظين في الأديرة[٩٨]، الذين ينتظرون سر مغفرة الخطايا المهيب ونعمته الروحية، فلتعلموهم أ م ينبغي أن يبكوا وينوحوا بسبب خطايـاهم الماضـية، ويعدوا ذوا م لتقديس نفوسهم وأجسادهم، حتى يمكنهم أن يحتملوا الالتقاء بجسـد ودم الرب المخلص، الذي ما أرهب ذِكره[٩٩]!

٧ - وأنتم تعلمون جيداً الأمور الأخرى التي عليكم أن تتمموها لكي تعدوا ذواتكم في الوقت المعين، فليس من الضروري أن أذكّركم ا في خطاب. فقد أوصانا أبونا ا.

٨ – ديكم نحن وجميع الإخوة الذين معنا التحية من كل القلب مع جميع الإخـوة الذين في أديرتكم.

الرسالة الثانية:

١ - لقد حان الوقت ليهوذا ليعيد أعياده ويوفي نذوره (انظر نا١: ١٥)[١٠٠]، لكي يكون «قسم الرب هو شعبه، يعقوب حبل نصيبه (ميراثه إسرائيل)، لكي يكفي حاجتهم في زمان عطش حارق في القفر» (تث٣٢: ٩و١٠ حسب النص). لقد قال حقًا: «هوذا عبيدي يأكلون وأنتم تجوعون. هوذا عبيدي يشربون وأنتم تعطشون. هـوذا عبيـدي يفرحون وأنتم تخزون. هوذا عبيدي يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبـة القلب ومن انكسار الروح تولولون» (إش٦٥: ١٣و١٤). ونحن نعلم إذ ذاك أنه في أي وقت لا بد له أن يعد سوطاً من حبال ويطرد كل الذين يبيعون في الهيكل (يو٢: ١٥).

٢ - وهكذا فإننا نقر بأن الله لن ينسى جنس يهوذا الذي قطع معه عهده مرةً، كما هو مكتوب: «إن كانت السموات ترتفع إلى أعلى، يقول الرب، وإن نـزل الجلـد إلى مستوى الأرض؛ فلن أرذل جنس إسرائيل من أجل كل ما عملوه أمـامي» (إر٣٨: ٣٧ سبعينية). وبعد ذلك يقولون هم أيضاً: «إذا ما رد الرب سبينا صرنا مثل المتعزين. حينئذ يمتلئ فمنا فرحاً ولساننا ليلاً» (مز١٢٦: ١و٢). كما كُتب أيضاً: «ينابيع الميـاه لـن تختفي من الصخرة، ولا الثلج من لبنان، ولن تنشف المياه المتفجرة بشدة بواسطة الرياح» (انظر إر١٨: ١٤). وأيضاً «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (مت٢٤:

(٩٨) كان يوجد عدد من الموعوظين في الأديرة الباخومية، وكانوا في كل عام يعمدون الذين تلقّنوا تعاليم الموعوظين أثناء الاحتفال بعيد الفصح الذي كان يجتمع لأجله إخوة جميع الأديرة في دير "بافو".

(٩٩) في أيام الكنيسة الأولى، كان التناول من الأسرار المقدسة يمارسه المؤمنون برهبة عظيمة، وليس كما في أيامنا هذه العديمة التقوى.

(١٠٠) هذه البداية تكرار لبداية رسالة أنبا باخوميوس السابعة، التي هي أيضا رسالة لاستدعاء ا مع العام للإخوة جميعا في اية العام في شهر مسرى (انظر SBO, 71).

٣٥). ثم دعونا نتأمل في ذلك ونفحصه بعناية ثلاث مرات: «العزة لله ولـك يـا رب الرحمة» (مز٦٢: ١١و١٢).

٣ - لذلك، فلنضع الآن أيضاً وصايا أبينا موضع التنفيذ، وكذلك فرائضه وشرائعه التي استخرجها لنا من تقاليد القديسين. ولنحرص، كما أوصانا، على المغفرة التي إذ نتممها كسر فهي تؤدي إلى صفح وتطهير وضمير سوي. وهكذا فلنجتهد في هذا السبيل لكي نجتمع في موضع واحد حسب العادة المقررة في كل القوانين الموضوعة، ونأتي إلى موضع واحـد في "بافو" في الأول من شهر مسرى، حتى نبدأ ذه الطريقة لكي ... ما هو موصوف لنا، بعد أن تكونوا قد انتهيتم من كل الأمور حتى أول مسرى، سواء ما يختص بالشراء أو البيع. لكي نبدأ ... ونستعد في أول مسرى للسنة الجديدة.

٤ - وهكذا، اجتهدوا بعض الشيء حتى لا يحدث أي إهمال، وتمموا كـل عـاداتكم بالطريقة المعتادة. ولكن فلننتبه لهذه الكلمة العظيمة التي قالها موسى النبي: «احترس مـن أن يكون في قلبك أمر سري أو شر قائلاً: قد قربت ... سنة الإبراء» (تث١٥: ٩ سـبعينية). فإذا لم يقَلْ لنا أيضاً: «لا تقبض يدك عن أخيك الفقير» (تث١٥: ٧)، فإننا بدورنا سيقال لنا: "ليكن شراؤكم وبيعكم... عادلاً أمام الله والناس". وحينئذ، حينما نسأل يمكننـا أن نقسم بدون خوف حتى لا نجلب على أنفسنا دينونة في يوم الافتقاد بسبب الشراء والبيع. بل بالحري فلعل التصريح العلني الذي تقدمونه (أمام الجميع) يكون جدياً في ضمائركم أمام الله، إنه ختم عدم الخطية. وحينئذ يمكن لأبينا أن يشهد لنا في الدهر الآتي قائلاً: "هذا هـو مـا أوصيتهم به"، لأنه مكتوب: إنه هو وسيطنا أمام الله[١٠١]، وذلك لكي نخلص مـن جميـع الخطايا ... بواسطة الحق ... نحن وذريتنا ... إلى الأبد.

مقتطفات وجدت من كتابات الأب تادرس

١ - ... يريد أن تكون نفوسكم طاهرة، وهكذا تكونون أسيادا على أنفسكم حتى لا تتكلموا بالشر على أحد، ولكي تكون مجهوداتكم مرضية أمام الله، لأن الرب يعرف أن هذا رجس أمام الله، حتى إنه سريعاً ما يسحب من الإنسان مجهود فمه[١٠٢].

(١٠١) كلمة "وسيطنا" قيلت عن المسيح (١تي٢: ٥)، وعن موسى النبي (غل٣: ١٩)، ولعله يقصد هنا أن ق. باخوميوس يمثل المسيح كأب وشفيع للجميع.

(١٠٢) المعنى غامض بسبب النقص في بداية القول في الأصل القبطي.

٢ - حقاً إنه إذا ضبط الإنسان فمه واقتنى الاتضاع، فإن الملائكة يكونون له أصدقاء هنا في الدنيا، ونفسه تكون مثل طيب مسكوب، كما تحمل الملائكة تذكاره أمـام الله ـاراً ليلاً سواء كان راهباً أو علمانياً. وعلاوة على ذلك، فإن الكثيرين في العالم إنما هم متيقظون لهذا الأمر. أما أنا فإنني أعرف كثيرين قد اكتسبوا اتضاعاً عظيمـاً وتيقظـوا لأنفسهم ألاّ يتكلموا بالشر على أحد، بل بالعكس، فـإ م يحقـرون ذوا ـم دائمـاً ويمدحون الآخرين قائلين: "إن الله قادر أن يجعلنا نجد موضعاً صغيراً في السماء".

أبا ثيئودور (تادرس) الأرشيمندريت (رئيس المتوحدين)(١٠٣)

وأيضاً من نفس الجزء من المخطوطة:

٣ - نعم بالحقيقة، إذا علم إنسان ما خفي عليه من كل أمر صالح؛ فهو لن ينطق بأكثر من كلمتين حتى المساء، بل إنه يجعل نفسه أعمى وأصم وأبكم من أجل الله!

واستمع أيضا لهذه الملحوظة الحكيمة: عندما يرى إنسان حكيم يخاف الله بالحقيقـة إنسانا أعمى أو أعرج أو أخرس، أو من به شيطان، ألا ينفعل قلبه على الأقل إذا كـان إنساناً حساساً؟ فمن أنا حتى إن الله يترك لي جسدي في صحة جيدة؟ ألم يكن ممكناً أن ينتج هؤلاء الناس أشياء كثيرة؟

٤ - إن الوصية القائلة: «تحب قريبك كنفسك» (لا١٩: ١٨) تفوق كل الوصـايا، ونحن ندين للرب بتنفيذها. حقًا، إن هاتين الوصيتين: تحب قريبك كنفسـك، واضـبط لسانك (يع١: ٢٦)، تتقدمان بكرامة على رأس شعبك حتى يصل شعبك إلى ملكـوت الله، رهبان وعلمانيون على السواء.

٥ - أما بالنسبة لي، فإنني أعرف شخصاً في هذه الشركة لم يقل قط كلمةً شـريرةً على أي أحد، بل إنه بالعكس يحب كل واحد مثل نفسه. وكلما فرض الناس على ذهنه أي فكر فإنه يقول: "إن الله يزن كل الأمور، وهو الذي سيفصل نفسي عن جسدي في أي وقت". فالآن، يجب على الإنسان أن يضع ـدوء مصباح نفسه في كل لحظة علـى المنارة (مت٥: ١٥) ... (الباقي مفقود).



(103) CSCO, 159, pp. 60-62.

الفصل الرابع

قصص وأقوال القديس أنبا شنودة

رئيس المتوحدين وأنبا ويصا تلميذه



مقدمـة:

اختفى كل ذكر للقديس أنبا شنودة[1] في كل من التاريخ اللوزيـاكي لباللايـديوس وكتابات ق. يوحنا كاسيان وتاريخ الرهبنة في مصر *The Historia Monachorum in Aegypto* المنسوب لروفينوس. كما أنه لا توجد له أية أقوال في مجموعة أقـوال الآبـاء اليونانية المسماة *The Apophthegmata Patrum*. وربما كان سبب ذلك هو أن قديسنا لم يسمح لأي أجنبي أن يلتحق بأديرته التي كان لها الطابع القبطـي الصـميم، وكـان الرهبان متمسكين بلغتهم القبطية تمسكًا شديدا، وكانت كتابات القديس كلها باللغـة القبطية الصعيدية. كما أنه كان يوجد نفور بين القبط واليونانيين لأسباب لغوية وثقافية ودينية وسياسية. هذا بالإضافة إلى صرامة الأنبا شنودة ونظامه الرهباني الفريد الذي كان طابعه الحزم. ورغم أن بالليديوس زار "بانوبوليس"، أي إخميم التي تبعد عشرة أميال فقط عن الدير الأبيض؛ إلاّ أنه لم يذكر شيئًا عن أديرة أنبا شنودة للرجال أو للنساء، فالمرجح أنه لم تستهوه مبادؤه وقوانينه، وربما أنه عندما ذهب إلى هناك لم تكن شهرة أنبا شنودة وأديرته قد انتشرت بعد. ويقول بعض المؤرخين إن بالليديوس كان يونانيـا ويميـل إلى

(١) ه) هذا هو اسمه باللغة القبطية الصعيدية، أما باللهجة البحيرية بالنطق الحديث فينطَق Ϣⲉⲛⲟⲩϯ (شنوتي) ومعناها: "المخصص لله". ويلاحظ أنه في المخطوطات القبطية الصعيدية جاء: "سينوثيو"، ولذلك فقد جاء في المخطوطات العربية القديمة: "سينوتيو"، وهو يختصر في اللهجة العامية هكذا: "سنيوت".

الرهبان الذين يجيدون اليونانية.

ويعني لقب "أرشيمندريت" (أي رئيس متوحدين) أنه كان مشرفًا على فروع أخرى لديره وبعضها كان للنساء. ورغم أن المؤرخين الأجانب تجاهلوا هذا القديس ونظامه الرهباني؛ إلاّ أن البعض اعتبره تاليا في الأهمية لأنبا باخوميوس بسبب مساهمته في تطوير الرهبنة المصرية، ولا زالت شخصيته لها توقير عظيم في الكنيسة القبطية.

وكانت أديرة أنبا شنودة تحرم نقل قوانينها إلى خارجها، ويتبين ذلك من القصة الآتية:

وجدت وثيقة في كنيسة بنقادة (محافظة قنا) تحتوي على سيرة قديس اسمه "أفرآم"، كما جاء في سنكسار ٢٤ طوبة، وتبين منها أن هذا القديس زار أحد أديرة أنبا شنودة ونسخ قوانين الدير في أوراق ووضعها في طرود وختمها وأرسلها إلى دير ق. مويسيس (موسى)، وبعث برسالة إلى الدير ليخبرهم أنها طرود تحتوي على حبوب. ولما نفدت البقول في هذا الدير فتحوا تلك الطرود فوجدوا قوانين أنبا شنودة التي كان رهبانه لا يسمحون لأحد بنقلها. وكان ذلك في أيام الإمبراطور "يوستنيانوس" في القرن السادس[٢].

والمعتقَد أن الرجوع إلى مجموعة مخطوطات "مورجان" التي يحتفظ المتحف القبطي بصورة منها، وهي باللغة القبطية الصعيدية، قد يكشف اللثام عن الغموض الذي يحيط بأديرة أنبا شنودة ومؤسسها ورهبانها. وهذه المجموعة يبلغ عددها ٥٦ مجلّدا كبيرا اكتشفت سنة ١٩١٠م في خرائب دير الحامول بالفيوم واشتراها مستر Pierpont Morgan أحد الأثرياء الأمريكان، وأعطى صورةً منها للمتحف القبطي، ويقال إنها تحوي الكثير عن قديسنا أنبا شنودة وعظاته وأقواله. وهي تحتاج إلى من يترجمها من هذه اللهجة الصعيدية ...! وجميع المعلومات التي وصلت إلينا عنه جاءت من عظاته وكتاباته بالقبطية الصعيدية وسيرة حياته التي كتبها تلميذه أنبا ويصا.

ونحاول هنا أن نقترب من فكر ق. أنبا شنودة الذي كان له تأثير عظيم على الرهبنة في مصر وبالأخص في الدير الأبيض في الصعيد وما حوله. وق. شنودة بين قديسي الرهبنة الكبار الأوائل يقدم مثالاً ليس له نظير وتقليدا روحانيا يعتبر في عصرنا الحالي منقرضا نسبيا. كما أنّ كتابات هذا الأب المبارك فريدة في اللغة القبطية. وقيل إنه عاش نحو ١١٨ سنة (٣٣٣ – ٤٥١م)، وإن رئاسته على الرهبان دامت نحو ٦٦ عاما!

(٢) عن مقدمة الجزء الأول من كتاب *Oeuvres de Schenoudi* تأليف E. Amelineau صفحة ١٧.

أولاً: قصص وأقوال
القديس أنبا شنودة

قيل إن ق. أورسيزيوس الشبيه بالملائكة، تلميذ أنبا باخوميوس، تنبأ عن ولادة أنبا شنودة. فإنه بينما كان ذاهبا ليقوم بخدمة لازمة للدير التقى بأم شنودة في طريقها لتستقي ماءً، ولم تكن قد أنجبته بعد، فذهب أورسيزيوس إليها وسلّم عليها قائلاً: "سيبارك الله ثمرة بطنك ويعطيك ابنا تفوح رائحة اسمه كالعنبر في أرجاء المسكونة"[(٣)]!

كان والدا شنودة يعيشان في "شندويل" التابعة لمدينة إخميم الحالية، وكان والده يمتلك حقولاً وبعض الأغنام، وكان يرسل شنودة منذ حداثته إلى رعاة الغنم لكي يدربوه على رعاية الغنم على أن يعيدوه إلى المنزل عند الغروب. وكان شنودة حينئذ قد نما وبدأت نعمة الله تظهر عليه. وكان يعطي للراعي طعامه الخاص ويظل هو صائما طيلة النهار، وعند الغروب كان يصحبه أحدهم إلى قرب المنزل ثم يعود. ولكن شنودة كان يختبئ خلف شجرة أو بجانب بئر ويصلّي حتى ساعة متأخرة من الليل.

تعجب والداه من تأخيره وسألوا الرعاة عن السبب، فاندهشوا لأنهم كانوا يوفون بوعدهم. وذات يوم راقب والد شنودة الصبي حتى رآه بجوار البئر يصلّي وأصابعه كأنها شموع مضيئة، ففرح جدا وأخبر زوجته، (وقيل في مصدر آخر إن راعي الغنم هو الذي رأى هذا المنظر وقال لوالد شنودة إنه لا يستحق أن يمكث معه). ثم اصطحبه والداه إلى خاله الراهب المعروف أنبا "بيجول" الذي قيل إنه كان رئيسا لأحد أديرة أنبا باخوميوس. وقال والد شنودة لأنبا بيجول: "بارك يا أبي على هذا الصبي". ولكن أنبا بيجول أخذ يد شنودة ووضعها على رأسه قائلاً: "أنا الذي يجب أن ينال البركة من هذا الصبي لأنه إناءٌ مختار للسيد المسيح الذي سيخدمه بأمانة كل أيام حياته". فلما سمع والدا شنودة ذلك تهللا فرحين، واستودعا الصبي لخاله حيث نشأ واقتبس من خاله كل الفضائل المسيحية.

وقيل إنه حينما قابل الأب بيجول الصبي شنودة، كان جالسا بجوار الأب بيجول رجلٌ به روح نجس، فأمسك شنودة بقطعة خشب تستعمل في قرع الناقوس، وظل يضرب الشيطان الذي كان في الرجل، فصرخ قائلاً: "سأهرب من وجهك يا شنودة،

---

(٣) السنكسار الإثيوبي، ترجمه إلى الإنجليزية "واليس بدج"، جزء ٤ ص ١٠٧٩. وق. أورسيزيوس هذا كان هو تلميذ أنبا باخوميوس.

لأنني منذ أن رأيتك كأن نارا التهمتني"! ثم خرج الروح النجس في الحال مـن الرجـل فأعطى مجدا لله[٤].

وقيل إنه في **مساء هذا اليوم** لما اضطجع الأب بيجول، أعطى الصبي شنودة مكانـا منفردا ليضطجع فيه. ولما رفع الأب بيجول عينيه إلى السماء رأى ملاكًا من الرب يحرس هذا الصبي أثناء نومه، وقال الملاك للأب بيجول: "عندما تنهض في الصباح ألبس الراهب شنودة رداء الإسكيم المقدس الذي تجده أمامك، لأن هذا هو رداء إيليا النبي التشبي الـذي أرسله لك الرب يسوع لكي تلبسه إياه. حقًا إنه سيكون رجلاً بارا ومشهورا، ولن يوجد له مثيل بعده. وهو سيبني ديرا، وسيكون معزيا وحاميا لكل من يدخل عنده، وسيبقى نظامـه الرهباني إلى كل الأجيال". فنهض باكرا وصلّى على الرداء ومنطقه به قائلاً له: "أباركك يا ابني شنودة، لأنك ستكون أبا لجماعة كبيرة من الرهبان".

وقد شهد أحد الشيوخ بأن شنودة، حتى وهو بعد في سن الشباب، كانت أصابعه تلمع كالشموع حينما كان يرفع يديه في الصلاة. وظلّ شنودة في دير أنبا بيجول زمانا مجاهـدا بالصوم والصلاة والصبر والاتضاع. وكان نشيطًا يؤدي جميع واجباته الرهبانية بهمة نـادرة. وقد فاق الكثير من الرهبان في الزهد، وكان خاله فرحا لنموه السريع ودرسه للكتاب المقدس الذي حفظ أجزاءً كبيرةً منه[٥].

وبعد أيام قليلة خرج الأب بيجول ومعه الشاب شنودة وأب قديس اسمـه "بيشـوي"، وبينما كانوا سائرين معا سمعوا صوتا يقول: "لقد أصبح شنودة "أرشيمندريت" (أي رئيسا للمتوحدين)". فقال الأب بيجول للأب بيشوي: "هل سمعت هذا الصوت الذي جاء الآن من السماء"؟ فأجاب: "نعم". ثم سألا الشاب شنودة أيضا فأجاب بالإيجاب. لذلك، فلما رقد أنبا بيجول انتخبوا شنودة خلفًا له ولا سيما بسبب غيرته وقداسته والإعلانات الإلهيـة العديدة التي منحه الله إياها مما جذب الكثيرين من طالبي الرهبنة إليه حتى بنى لهم ديرين: الدير الأبيض ويقال إن عدد رهبانه بلغ ٢٢٠٠ راهب، وربما كان هو أحد أديرة أنبا باخوم الذي كان يرأسه أنبا بيجول ثم وسعه أنبا شنودة، والثاني هو الدير الأحمر، وقيل إن رهبانه بلغـوا ١٨٠٠ راهب. هذا عدا أديرة الراهبات، إذ قيل إنه كان أبا لألف وثمانمائة راهبة، وكتب لهن عدة رسائل تعليمية لإرشادهن[٦].

قيل إن أنبا شنودة لما لبس الإسكيم كرس نفسه للوحدة والتعب وسهر الليالي والصوم

(4) *The Life of Shenoute, by Besa*, David N. Bell, p. 42. (5) Ibid., p. 44; شنودة عربي
(٦) شنودة عربي؛ .Ibid

بدون تحفظ، وما كان يأكل حتى غروب الشمس، وما كان يأكل حتى يشبع حتى التصق جلده بعظمه، وكان يصلّي كل يوم اثنتي عشرة مرةً ويضرب أربعا وعشرين ميطانية في كل صلاة. وما كان ينام في الليل حتى الفجر إلاّ قليلاً. وفي مرات كثيرة كان لا يأكـل إلاّ من السبت إلى السبت. وفي صوم الأربعين المقدسة كان لا يأكل خبزا إلاّ اليسير منه مع بقول مبلولة. وكان البكاء حلوا عنده كالعسل والشهد حتى حفرت الدموع مجاري في مآقي عينيه من كثرة البكاء. فكانت سيرته بشبه إيليا النبي الناسك. وقد كان غيورا في أتعابه، وألقى مواعظ وكتب ميامر ووصايا كثيرة للرهبان، فقد كان معلما ليس للشبان فحسب؛ بل أيضا للشيوخ. ومع ذلك فقد كان يقول: "إنني لا أنطق بكلمة مـن ذاتي، بل إن المسيح هو الذي يضع الكلمة في فمي". لقد كان يحمل المسيح، مواظبا على تلاوة الأسفار المقدسة، ولذلك كانت سيرته وتعاليمه حلوة في أفواه الجميع كالعسل في قلوب الذين يطلبون الحياة الأبدية(٧).

وضع أنبا شنودة نظاما روحيا دقيقًا وقوانين رهبانية حازمة لرهبانه وقيل إنه كـان متأثرا في ذلك بنظام شركة أنبا باخوميوس. وقيل إن هؤلاء الرهبان كان عملهم هو فتل الحبال وصناعة المقاطف وزراعة نبات الكتان ونسجه وخياطته وصناعة الأحذية الجلدية وتجليد الكتب والنجارة والحدادة وصناعة الأواني الفخارية. وحيث إنّ السلع بأنواعهـا كانت رخيصة نسبيا، فقد كان الرهبان يحتكرون السوق في بعض السلع الهامة، ولذلك فقد كانت لتلك الأديرة شيءٌ من الاكتفاء الذاتي. وقد أوصى أولاده أن يحبوا الغربـاء، وألاّ يخرجوا من ديرهم البتة، وأن يحبوا الإخوة ويرحموا الفقراء والغرباء، وأن يقبلوا إليهم كل أحد لأجل محبة الله لكي يأووا الملائكة عندهم(٨).

قال أنبا ويصا عن أبيه أنبا شنودة إنه كان يرى خطايا عديدة ترتكب في العالم كله. وكان يعرف عن الذين يأتون إليه كل ما كانوا يفكرون فيه ويعملونه، فكان يصلّي من أجلهم جميعا لكي يخلصوا ويجدوا رحمةً أمام كرسي دينونة المسيح(٩).

وقال أنبا ويصا إنه جاء إلى القديس مرةً رجل من قرية تابعة لمدينـة "بسـوي"(١٠)، وكان قلبه في غم شديد، وكان قد أرسل له يقول: "يا أبي القـديس، أريـد أن آخـذ بركتك. فلعله بصلواتك المقدسة تحلّ علي رحمة الله ويغفر لي خطاياي الكثيرة جـدا". فأرسل له القديس قائلاً: "إن كنت تطيعني فيما سأقوله لك فسـتراني، وإن كنـت لا

(٧) م ٤١ ص ١٤٠، The Life, p.45 (٨) شنودة عربي؛ The Life, p. 11 (9) The Life, p. 46.
(١٠) "بسوي" هو الاسم المصري لمدينة "بتولمايس" التي أسسها بطليموس الأول في القرن الرابع ق. م، واسمها الحالي هو "المنشاة" التي تبعد نحو ٨ أميال جنوب إخميم. وقد وصفها المؤرخ "استرابو" بأ ا كانت من أكبر مدن الصعيد.

تطيعني فلن ترى وجهي". فقال له الرجل: "إنني سأطيعك يا سيدي وأبي في كل ما تأمرني به". فطلب القديس أن يحضروه إليه. ولما دخل سجد أمامه فقال له أنبا شنودة: "اعترف بخطيئتك أمامنا جميعا". فقال الرجل: "رأيت كيس نقود حول عنق رجل كان راكبا دابة، فقتلته بسيفي وأخذت الكيس الذي ظننت أنه كان يحوي كمية كبيرة من الذهب، ولكنني وجدت فيه عملةً واحدةً. ثم حفرت في الأرض ودفنته ثم جئت إليك يا أبي القديس. فاخبرني عما تريد مني أن أفعله حتى يرحمني الرب ويغفر لي خطاياي".

فقال له القديس: "لا تمكث هنا، بل اذهب سريعا إلى مدينة إخميم حيث تجد الدوق الذي جاء لتوه والناس يحيونه، وسيسلم إليه بعض اللصوص وهو سيثور عليهم، ورافقهم أنت، وسيقولون له إنك موجود. ثم إن الدوق سيسألك: "هل هذا حق"؟ فقُل له: "نعم هذا حق"، ولذلك فإنه سيقتلك مع الآخرين، وحينئذ فإنك ستدخل في حياة الله الأبدية"! فانصرف الرجل في الحال وفعل كما قال له القديس. وإذ قطع الدوق رقبته مع بقية اللصوص حلّت عليه رحمة الله كما أخبرنا أبونا القديس(١١).

طلب البابا كيرلس عامود الدين من أبينا ق. أنبا شنودة وأنبا بقطر الأرشيمندريت (من دير طابنيسي الذي أسسه أنبا باخوميوس)، أن يذهبا معه إلى القسطنطينية لحضور مجمع محاكمة نسطوريوس الهرطوقي، فذهب الجميع إلى العاصمة الملكية. ولما صرفهم الملك ذهب أبونا شنودة لكي يركب السفينة مع آبائنا القديسين، ولكن الخدام لم يعرفوه فقالوا له: "لا يمكنك أن تركب مع رئيس الأساقفة". فقال لهم: إن كان الأمر كذلك فلتكن مشيئة الله"! ثم سار ومعه تلميذه مسافةً قصيرةً ووقف يصلّي قائلاً: "يا ربي يسوع المسيح، كيف ستأخذني إلى ديري"؟ وبينما كان يصلّي هبطت سحابة مضيئة من السماء ورفعته هو وتلميذه ثم ارتفعت وطارت بهما. ولما جاءت السحابة إلى عرض البحر رأى البابا كيرلس القديس وتلميذه وسط السحابة وصاح قائلاً: "باركنا يا أبانا القديس، يا إيليا الجديد"! فقال له القديس: "اذكرني يا أبي القديس". وهكذا أعادت السحابة القديس إلى ديره!

ثم أرسل البابا كيرلس إلى أبينا أنبا شنودة وسأله: "عندما كنت جالسا على السحابة، ففي كم يوم وصلت إلى ديرك"؟ فقال له أبونا: "اغفر لي يا أبي القديس، فإنني غير مستحق لمثل هذا الأمر"! فأرسل له البابا يقول: "إنني أستحلفك بصلوات القديسين أن تخبرني بما حدث معك". فقال له أبونا باتضاع: "حيث إنك تستحلفني، فقد ذهبت إلى

---

(11) *The Life of Shenoute,* by Besa, p. 46.

الدير في نفس اليوم الذي تحادثنا فيه مع بعضنا بينما كنت أنت في السفينة وأنـا علـى السحابة، وفي مساء نفس اليوم حضرت الصلاة مع الإخوة"! فـدهش البابـا كيرلـس والأرشيمندريت بقطر ومجدا الله الذي هو وحده الذي يجري المعجزات مـع قديسـيه الذين يصنعون مشيئته ويضعون ثقتهم فيه(١٢).

قال أنبا ويصا: حدث مرةً أن مخلصنا كان جالسا يتحدث مـع أبي أنبـا شـنودة، ودخلت أنا ويصا تلميذه لكي أقابله، فاختفى المخلص في الحال. ولما تباركت مـن أبي سألته: "من هو، يا أبي القديس، الذي كان يتحدث معك؟ وأين ذهب حينما دخلت"؟ فقال لي أبي النبي: "كان هو الرب يسوع المسيح الذي كان يكلّمني بأسرار". فقلت له: "وأنا أيضا أريد أن أراه لكي يباركني". فقال لي أبي: "لا يمكنك أن تراه لأنك لا زلـت مبتدئًا (أو صغيرا أو حديثًا في الرهبنة)". فقلت له: "إنني خاطئ يا أبي القديس". فقال لي: "ليس الأمر هكذا، بل إنك خائر العزيمة". ثم قلت له بدموع: "أتوسل إليـك يـا أبي، تراءف علي حتى أكون أنا أيضا مستحقًا أن أراه". فقال لي: "إذا انتظرت حتى السـاعة السادسة غدا فتعالَ وحينئذ ستراني جالسا معه، واحترس من أن تقول شيئًا لأحد".

وفي اليوم التالي دخلت حسب توجيه أبي، ولما قرعت الباب فارقه الرب في الحـال. فبكيت وقلت: "إنني غير مستحق بالكلية أن أرى الرب في الجسد". ولكن أبي قـال لي: "إنه سيعزي قلبك يا ابني ويصا ويجعلك تسمع صوته الحلو". وفي مرة، رغـم أن ذلـك كان أكثر مما أستحق، سمعته يتكلم مع أبي وظللت أعترف بفضله كل أيام حياتي(١٣).

حدث مرةً قحطٌ شديد في **منطقة إخميم،** فجاء جمهور كبير من السـكان إلى أبينـا شنودة لكي يطعمهم. فأعطاهم خبزا حتى فرغت الأرغفة من الدير. فجاء الأخ المسئول عن الخبز وقال لأبينا: "لقد كانت كمية الخبز التي أخذها الناس كبيرة، وماذا سنفعل مع هذا الجمهور الذي جاء إلينا ومع الإخوة في الدير"؟ فقال الأب لي وللذي وزع الخبـز: "اذهبا واجمعا الأرغفة الباقية مع الكسر الصغيرة، وبللاّها بالماء وأعطيـا إياهـا للنـاس لتأكل". ففعلنا كما أوصانا ولم نترك شيئًا، وأخبرنا أبانا بذلك، فقال لنا: "صلّوا لكـي يبارك الله في الخبز حتى تطعموا الجميع". ففعلنا ذلك، ثم لما فتحنا مخزن الخبز وجـدنا أن الخبز ملأ المخزن حتى فاض وسقط فوقنا من باب المخزن. ولما شبع الجمهور مجـدوا الله وطوبوا أبانا القديس(١٤).

(12) Ibid., p. 48. (13) Ibid., p. 50. (14) Ibid.

قال أنبا ويصا: جاء مرةً إلى أبينا القديس من بلدة "بيمجي" (واسمها الآن "البهنسا")، رجل كان معه ١٢٠ قطعة ذهبية، وكان معه صديق، وقال الرجل لصديقه: "أريد أن أعطي هدية صغيرة لهيكل الأب شنودة كصدقة من أجل خلاص نفسي، ولكنني لن أسلّمها حتى أعرف أولاً إن كان هذا الأب الكبير سيعطيها كصدقة أم لا". ثم أعطى النقود الذهبية لهذا الصديق الذي جاء معه. ثم قابل أبانا القديس وقال له: "أتوسل إليك يا أبي القديس، ارحمني وأعطني عطية صغيرة: عشرين قطعة ذهبية لكي أعطيها لمن يقرضني نقودا لئلاّ يطردني من بيتي ويأخذه مني". فقال له أبي: "هذا ليس مكان مزاح يا ابني، فربما أنك تريد عشرين قطعة أخرى لكي تضيفها إلى المائة والعشرين قطعة التي أحضرتها معك، لأنك تريد أن تجمع مبلغا كبيرا"!؟ ثم استدعى أبونا راهبا وقال له: "اذهب إلى الحقل من طريق معين (حدده له)، وستجد رجلاً جالسا على الأرض يمشط شعره، وفي يده جرة ماء، فقُل له: 'إن صديقك يقول: اجلس هنا حتى أرى إن كان الكبير سيعطي النقود في عمل محبة أم لا'، وأنا أقول لك الآن: قم وتعالَ إلي".

فلما ذهب الراهب إلى الحقل وجد الرجل وقال له كما أوصاه أبي. وكان الرجل الذي جاء إلى أبي واقفًا أمامه وهو مندهش جدا، ثم أعلن قائلاً: "حقًا إنني علمت اليوم أنه يوجد نبي في هذا الدير كما رأيت اليوم بعيني"! ثم أعطى الذهب لأبي النبي أنبا شنودة، وبعد أن صلّوا انصرف الرجلان بسلام وهما يمجدان الله ويطوبان قديسيه(١٥).

ذكر أنبا ويصا أنه جاء مرةً إنسان من قطر أجنبي، ولما سمع بمعجزات أبينا البار أنبا شنودة طلب أن يباركه، فقال له أبي: "كيف أباركك في حين أنك ارتكبت خطيةً عظيمةً وفظيعة"؟ فقال الرجل: "لا أعرف أية خطية ارتكبتها، إنني مسيحي وقد آمنت بالله منذ طفولتي"! فقال له أبي: "ألا تتذكر اليوم الذي فيه أكلت وشربت ونمت في بيتك، وبينما كنت نائما خدعك الشيطان، فقمت وأخذت سيفك وخرجت ووجدت امرأةً فشققت بطنها بسيفك"؟ فأجاب: "حقًا يا أبي القديس، هذا حق، ولكن إذا تاب إنسان خاطئ ألا يغفَر له"؟ فقال له أبي: "إنه بالتأكيد توجد توبة، فإذا احتملت العقاب التأديبي الذي أعطيه لك يغفر الله لك، لأن الله لا يشاء موت الخاطئ بل أن يترك طرقه الأثيمة ويفعل الصلاح ويحيا (حز٣٣: ١١). فلما سمع الرجل ذلك قص شعره ولبس الزي المقدس، وجاهد جهادا مجيدا، وصار راهبا بارزا حتى نهاية حياته.

وفي ثالث يوم من صيرورته راهبا أخذ جرة ماء وذهب معه أبي إلى البرية الداخلية

(15) Ibid., p. 52.

حتى صارا على بعد ثلاثة عشر ميلاً من الدير، وتركه هناك ليعيش في مغارة في صخرة كان طولها بمقدار طوله هو. وكان أبي يذهب إليه كل يوم سبت ليفتقده ويباركه ويحضر له احتياجاته الضرورية. وبعد سنة ذهب إليه وقال له: "أخبرني عما حدث لك". فأجابه: "بمجرد أن طلع فجر اليوم، وجدت أن جسدي يرتعش جدا حتى إنني قلت إن جميع أعصابي قد انتزعت من جسدي، واضطربت إذ ظننت أنني سأموت سريعا. ثم خرج من جسدي شيء منتن برائحة كريهة جدا مثل رمة عفنة، ثم دخل هذا الشيء في شق في الصخرة مثل البخار المدخن ثم اختفى. وقد ظللت في حالة شبه غيبوبة حتى جئت قدسك إلي"! فقال له أبي: "تعز، فقد جاءك الخلاص اليوم وقد غفر لك الرب خطيئتك". ثم أعاده أبي إلى الدير وسط الإخوة.

ثم سألت أبي القديس أنا تلميذه ويصا قائلاً: "أليس هذا هو الذي جاء إلينا من قطر أجنبي"؟ فأجاب بالإيجاب. فسألته: "أين كان هذا الوقت كله"؟ فأجابني: "بعد أن جرحه وحش شرير، أخذته إلى الطبيب الذي شفاه فحلّ عليه الخلاص"! وظلّ هذا الأخ يمجد الله كل أيامه(١٦).

جاء مرةً إلى الأب شنودة تاجر غني من إخميم، وقد نهب اللصوص بيته ولم يتركوا له شيئًا. فصاح قائلاً لأبي: "إنهم لم يتركوا لي شيئًا على الإطلاق"! فقال له أبي: اذهب إلى مدينة "سيوط" (أسيوط الحالية)، وهناك تجد ثلاثة أشخاص جالسين على الأرض خارج بوابة المدينة، وواحد منهم يصفف شعره، فقل له: "يقول لك الأب شنودة: 'تعالَ إلي لكي أتكلم معك في موضوع ما'". وبعد أن أخذ التاجر بركة أبي ذهب فوجد الرجال كما قال له أبي، وقال للرجل الذي كان يصفف شعره كما قال له أبي، فقال له: "إنني أرغب منذ عدة أيام أن آخذ بركة هذا القديس". ثم ذهب كلاهما إلى أنبا شنودة وتباركا منه، وبعد أن استراحا قليلاً قال أبي للرجل: "يا بني، أعِد لهذا الرجل الممتلكات التي سلبتها منه، وسأجعله يعطيك جزءًا منها"! فشعر الرجل بالخوف وقال لأبي: "يا أبي القديس، لست أنا وحدي الذي أخذها". فقال له أبي: "أعرف ذلك أيضا يا بني"! ثم قال الرجل: "إن كان لا يخبر أحدا قط سأعيد إليه ممتلكاته كاملةً بلا نقصان". حينئذ جعل أبي التاجر يتعهد بألاّ يكشف هذا الأمر لأحد حتى نهاية حياته. ثم أخذه الرجل وأعاد إليه جميع ممتلكاته كما هي، فأعطاه التاجر جزءًا منها وصرفه(١٧)!

مرةً أخرى جاء التاجر المذكور إلى أبي ونال بركته. فقال له أبي: "إنك تريد، يا بني،

(16) Ibid., p. 53.

(17) Ibid., 54.

أن تذهب إلى الإسكندرية، فاصنع معي معروفًا: وهو عندما تصل إلى هناك اشـترِ أول شيء تجده للبيع أمامك وأحضِره إلي، وأي ثمن تدفعه سأعطيك إياه عندما تعود بمشـيئة الله". وبعد أن نال التاجر بركة أبي سافر، وبمجرد أن نزل من السفينة بجوار الإسكندرية وجد رجلاً يحمل مذبحا فضيا متنقلاً كان قد سرقه من أحد أديرة أنبا شنودة. فلما رأى المذبح قال في نفسه: "لو أنني اشتريت هذا المذبح الفضي وأعطيته لرجل الله، سـأخجل من أن آخذ أي شيء منه، لأنه كان قد أشفق علي وأعاد إلي ممتلكاتي المسـروقة، فلـن أشتريه لئلاً أفقد شيئًا آخر"! ولما وصل إلى الإسكندرية قابل نفس الرجل الـذي معـه المذبح الفضي ولكنه لم يشترِه. وبعد يومين قابل الرجل نفسه وهو يحمل المذبح أمام جميع الموجودين، ولكنه أيضا لم يشترِه! ولما باع التاجر بضاعته وعاد إلى النهر لكي يركـب السفينة جاء الرجل نفسه ومعه المذبح، ولكنه أيضا لم يشترِه! ولكن واحدا مـن بحـارة السفينة اشتراه بأربع عملات ذهبية وقال في نفسه: "سأذهب به إلى هيكل الأب شنودة رجل الله"!

جاء البحار بالمذبح إلى الدير وقدمه إلى أبي قائلاً: "أتريد يـا أبي أن تشـتري هـذا المذبح"؟ فقال له أبي: "أريد ذلك بالتأكيد، ولكن أخبرني كم دفعت فيه يا بني". فقال له البحار: "دفعت ثماني عملات ذهبية يا أبي"! فقال له أبي: "لا يا بني، لا تكـذب، إنـك دفعت فيه أربع عملات فقط"! فقال البحار: "حقًا فإن هذا هو ما دفعته بالفعل، فخذه يا أبي القديس". فقال له أبي: "خذ خمس عملات ذهبية ثمنا له". ولكن البحار قال له: "كلا يا أبي، إنني لن آخذ شيئًا، فقط اذكرني في صلواتك المقدسة". وبعد أن نـال بركـة أبي رجع إلى بيته وهو يمجد الله"(١٨)!

وبعد شهر، جاء هذا التاجر وقال لأبي: "بينما كنت ماشيا سقط مني كيس فيه ستون عملةً ذهبية ولا أعلم أين سقط". وحدث أن البحار الذي اشترى المذبح هو الذي وجد الكيس ولم يعلم صاحبه بذلك. فتوسل إلى أبي بدموع قائلاً: "تراءف علي". فقال له أبي: "هذا بسماح من الله، فإن غِنى هذا العالم يشبه امرأة عاهرة، تكون اليوم في بيتـك، وفي الغد تتعاقد مع شخص آخر. والآن يا بني، لقد أعطى الله الذهب الذي فقدته لمـن أراد، وأنت لن تجده قط"! فانصرف التاجر بقلب مغموم وبخزي عظيم(١٩)!

عديدةٌ هي الآيات والمعجزات التي أجراها أبونا شنودة النبي الحقيقي وحامل الروح، وقد انتشر خبرها وملأ وجه الأرض كلها حتى بلغت إلى أسماع الملوك الأتقيـاء الـذين

(18) Ibid., p. 55.

(19) Ibid., p. 57.

أُخبروا أنه يوجد رجلٌ في جنوب مصر يدعى "شنودة"، وأي شيء يقوله يتم حدوثـه، لذلك فقد أرسل الإمبراطور إلى أبي القديس يقول: "ثيئودوسيوس الصغير غير المستحق أن يكون ملكًا، والذي أعطاه الله المملكة رغم عدم استحقاقه، يحييك يا أبي القديس أنبـا شنودة رجل الله الحقيقي، وأتوسل إليك أن تسرع بمجيئك إلينا، وذلك حتى لعلنا نكون مستحقين أنا وجميع مواطني لبركتكم. إن المملكة وكل أعضاء مجلس الشيوخ يتطلّعـون إلى زيارة قدسكم لنا، فلا تتأخر يا أبانا القديس، فإننا عطشى إلـيكم وإلى تعـاليمكم المقدسة كما أخبرنا الذين يأتون إلينا عن النعم التي أسـبغها الله علـيكم. اذكرنـا في صلواتكم المقدسة وإلى اللقاء في اسم الثالوث الأقدس".

وختم الإمبراطور الرسالة وأعطاها لرسوله الشخصي "أودوكسيوس"، وأرسل نسخةً منها إلى دوق مدينة "أنتينيوي" ("الشيخ عبادة" الآن بجوار ملوي). ولما اسـتلم الـدوق الرسالة ذهب مع الرسول إلى أبي أنبا شنودة وسلماه الرسالة، ولما علم القديس بفحواها شعر بالحزن وتضايق في قلبه وقال للرسول: "ماذا يريد الإمبراطور مني؟ إنني راهب أعيش في هذا الدير من أجل الله، أصلّي وأتوسل من أجل خطاياي". فقال له الرسـول: "يـا سيدي وأبي، إنه يريد أن يتمتع ببركتك". فقال له أبي: "لعلك تسـتطيع أن تقـدم لـه اعتذاري لأنني في الحقيقة رجل شيخ". فقال له الرسول: "يا أبي القديس لا تعوق هـذا الأمر، ففي الحقيقة إنه لا يمكنني أن أصد أمر سيدي الملك". فقال له أبونا: "اذهب الآن مع رجالك لتستريحوا وتأكلوا".

وبعد يومين، قال الرسول لأبي: "هلم بنا نذهب يا أبي حتى لا تحلّ بي عقوبة شـديدة من سيدي الملك". فقال له أبي: "ألا يمكنك أن تعفيني يا بني؟ اذهب بسلام وقل للملك إن الرجل شيخ ولم يمكنه أن يأتي معي". فقال له الرسول: "إن لم تأتِ بإرادتـك فـإن الجنود سيأخذونك بغير إرادتك"! فقال له أبي: "إذن، فأمهلني حتى الغـد، وإذا أراد الله سنذهب". فمكث الجميع حتى الغد. وفي المساء دخل أبي إلى الهيكل وصلّي لكي يرشده الله إلى ما يفعله، ولما قال: "آمين"، جاءت إليه سحابة منيرة وخطفته وطارت به حـتى أنزلته في قصر الملك، ورأى الملك نورا باهرا في مكان نومه. فقفز الملك وقال لأبي: "من أي نوع أنت، لأنني اضطربت جدا"؟ فقال له أبي: "أنا شنودة الراهب الذي أرسلت إليه. ماذا تريد مني أنا الخاطئ حتى ترسل جنودك ليطلبوني أنا الراهب الضعيف"؟ فقـال لـه الملك: "كيف جئت إلى هنا يا أبي القديس؟ وكم يوم قضيت في هذه الرحلة"؟ فقال لـه أبي: "إن المسيح يسوع ابن الله الحي الذي تؤمن به مع أبيه القدوس والروح القدس هـو

الذي جاء بي إلى هنا إليك، وذلك لكي أحقق لك ما عزمت عليه، وأيضا لكي تعلم أنه قبل أن آتي إليك هنا كنت في مجمع الصلاة هذا المساء مع الإخوة في الدير". فقال له الملك: "يا أبي القديس، أين تركت الرسول والجنود الذين أرسلتهم معه"؟ فقال له أبي: "تركتهم نائمين في الدير". فقال الملك بإيمان عظيم: "حقًا إنني سمعت عن معجزات أبوتك المقدسة المباركة، ولكنني اليوم قد رأيتها وجها لوجه"!

ثم قال له أبي: "ولأي سبب أرسلت لي"؟ فقال له الملك: "لأنني أنا وأهل بيتي والمدينة كلها نريد أن نتمتع ببركتك وصلواتك المقدسة". فقال له أبي: "يباركك الرب يسوع المسيح أيها الملك المحب لله وكل أهل مدينتك، وليثبت عرشك مثل أبويك المباركين أركاديوس وهونوريوس، وليكملكم جميعا في إيمان آبائكم وأنتم ثابتون في وصايا وإيمان آبائنا الرسل". ثم قال له الملك: "امكث معنا أياما قليلة يا أبي القديس لكيما نتمتع بك حتى الشبع". فقال له أبي: "إنه من الضروري أن أذهب. فاكتب محبتك رسالةً مختومةً باسمك لكي أعطيها للرسول حتى يرجع هو ومن معه إليك بسلام، ولا تزعجني بمحاولتك أن تحضرني إليك مرةً أخرى". فكتب الملك رسالةً إلى رسوله قال فيها:

"الملك ثيئودوسيوس إلى أودوكسيوس الرسول: بمجرد أن تستلم هذه الرسالة من أبينا النبي أنبا شنودة رئيس المتوحدين، الذي جاء هذه الليلة بطريقة لا يعرفها إلاّ الله وحده إلى مكان نومي، أسرع بالعودة ولا تحاول أن تأتي به إلينا مرةً أخرى". كما أنه كتب إليه عن أمور سرية بينه وبين الملك، وختم الرسالة وأعطاها لأبينا. ثم عانقه ونال بركته وصرفه بسلام. فأخذت السحابة أبي أيضا وأوصلته إلى الدير في نفس الليلة، وقبل الفجر كان أبونا يصلّي مع الإخوة في الدير، ولم يعلم أحد أنه ذهب إلى الملك ورجع!

وفي الصباح، طلب الرسول من أبي مرةً أخرى أن يذهب معه، فاعتذر له أبي أيضا بسبب شيخوخته، فهدده الرسول أيضا بأنه سيأخذه بدون إرادته، فلما رأى أبي إصراره أعطاه رسالة الملك، فلما قرأها وجاء إلى الأمور السرية التي بينه وبين الملك ذُهل وفَقَد وعيه، فرشم أبي عليه بعلامة الصليب حتى استعاد وعيه. ولما أكمل قراءة الرسالة ألقى بذاته عند قدمي أبي وقال: "حقًا يا سيدي وأبي إنك رجل لا ينبغي أن يسمح لقدميك أن تطأا أرضنا النجسة"! ثم قال له: "إنني أريد أن أمكث معكم وأصير راهبا". فقال له أبي: "كلاّ يا بني، بل اذهب إلى الملك لأنه يسأل عنك وعن جنودك". فقال له الرسول: "من أجل محبتك يا أبي القديس باركني بفمك الطاهر يا تلميذ الرب القوي ومسكن الله"! فباركه أبي قائلاً: "ليباركك الرب يسوع المسيح وينقذك من فخاخ الشيطان، ولترث الصالحات التي تدوم إلى الأبد". ثم عاد

إلى الملك ومعه رسالته، وكان هذا الحدث سبب تقوية وتعزية له كل أيام حياته[٢٠].

جاء إليه في **أحد الأيام** بعض كبار رجال مدينة إخميم لأنهم أرادوا أن ينالوا بركته، وجاء معهم أيضا بعض الرهبان المعروفين من برية شيهيت (أو حسب الترجمة السريانية: بعض الرهبان من دير القديس الشهير أنبا مكاريوس) الذين أرادوا أن يستمعوا إلى كلامه، وهؤلاء قالوا له: "يا أبانا القديس، هل سيوجد في هذا الجيل راهب مثل الطوباوي أنبا أنطونيوس"؟ فقال لهم أبونا البار: "حتى لو اجتمع جميع رهبان هذا الزمان معا في مكان واحد، فلن يكونوا من مجموعهم أنطونيوس واحدا"! فاندهش الإخوة مع كبار المدينة من قول أبينا النبي، وبعد أن نالوا بركته انصرفوا وهم يمجدون الله[٢١].

كان أبونا يوما ما جالسا مع ربنا يسوع وهما يتحدثان معا. وحينئذ مر على الدير أسقف مدينة إخميم في طريقه إلى الإسكندرية لكي يقابل رئيس الأساقفة، وكان يريد أن يزور أبي قبل اتجاهه إلى الشمال. ثم أرسل إلى أبي قائلاً: "أسرع بمجيئك لأنني أريد مقابلتك لكي أتكلم معك في موضوع قبل اتجاهي إلى الشمال". ولأن أبي كان جالسا مع المخلص قال لخادمه: "قُل له إنني لست حرا في هذا الوقت". فأخبر الخادم الأسقف بذلك. فقال له الأسقف أيضا: "قُل له: من أجل محبتك تعالَ لكي أقابلك". فبعث له بنفس الإجابة. ولما علم الأسقف أرسل إليه قائلاً: "إن لم تأتِ تكون محروما"! فلما علم أبي ابتسم بلطف وقال: "انظر إلى ما يقوله هذا الإنسان الذي من لحم ودم! ها هو جالس معي ذاك الذي خلق السماء والأرض، ولن أذهب بينما أنا معه". ثم قال المخلص لأبي: "قم يا شنودة واذهب إلى الأسقف لئلاّ يحرمك، وإلاّ فإنني لن أدعك تدخل السماء بسبب العهد الذي قطعته مع بطرس الرسول قائلاً: «كل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السماوات» (مت١٦: ١٩). فلما سمع أبي ذلك من المخلص نهض وذهب إلى الأسقف وحياه. ولما انتهى حديثهما انصرف الأسقف بسلام الله[٢٢].

بينما كان أبي **جالسا يوما ما** دخل الشيطان ومعه بعض أتباعه وتكلم مع أبي بتهديدات وشرور بشعة. فلما رآه أبي تعرف عليه في الحال وقفز عليه وصارع معه، وقبض عليه وقذف به على الأرض ووضع قدمه على رأسه، وصاح مناديا الإخوة القريبين قائلاً: "اقبضوا على الآخرين الذين يتبعونه". وللحال اختفوا كالدخان[٢٣].

(20) Ibid., p. 57. (21) Ibid., p. 61. (22) Ibid., p. 62. (23) Ibid., p. 63.

كان الأب مارتيريوس أرشيمندريت ديـر "فبـوؤو"[٢٤]، ذاهبـا إلى الإمبراطـور ثيئودوسيوس في القسطنطينية. وقبل أن يقترب من الدير قال إنه يريد أن يأخذ بركة أبي النبي أنبا شنودة. فقال تلميذه يوحنا بطريقة عنيدة: "أي نبي؟ دعنا نتقدم، لأنه في الحقيقة لا يعرف ماذا أكل هذا المساء"! ثم نزلا من السفينة، ولما اقتربا من الدير خرج أبي لمقابلته وسلّما على بعضهما، وبعد أن صلّوا جميعا في الدير جلسوا، ثم قال أبي: "أين يوحنـا"؟ فنظر الإخوة بعضهم إلى بعض، ثم قال: "أنت يوحنا تلميذ الشيخ الأب مارتيريوس". ثم أمسك به وقال: "حقًا يا يوحنا، إن شنودة لا يعرف ماذا أكل هذا المساء، ولكن في يوم الدينونة، فإن هذا الجسد البائس الذي يكلّمك الآن سيجلس مع الرسل لكي يدين معهم (انظر مت١٩: ٢٨)، من ثم فاحذر من أن تشك في الله وفي خدامه"! ففي الحال ألقـى الشاب بنفسه عند قدمي أبي القديس وتوسل إليه قائلاً: "اغفر لي فقـد أخطـأت"! ثم انصرف الأب مارتيريوس وتلميذه وهما يمجدان الله إذ دهشا مما حدث[٢٥].

ذهب مرةً أبونا النبي أنبا شنودة إلى البلاط الملكي لكي يكلّم الملوك الأتقيـاء عـن مظالم الولاة للفقراء. ولما دخل المدينة اضطربت كلها بسبب زيارته لها، وجاء الجميع إليه لكي يأخذوا بركته بإيمان عظيم، وظلوا يدخلونه إلى بيوتهم لكي يصلّي فيها. وفي أحـد الأيام عندما كان ذاهبا إلى بيت واحد مكرم عند الملك لكي يصلّي هناك، بدأ النهار يميل وقد مضى الوقت الذي يأكل فيه الإخوة الذين معه، فاشتكوا قائلين: "إن أبانا يريد هكذا أن يقتلنا، نريد أن نشرب قليل ماء"! لأن الوقت كان صيفًا، وكان سكان القسـطنطينية يتكلمون عن درجة الحرارة العالية عندهم. فعلم أبونا بالروح بما كانوا يفكـرون فيـه، وبينما كان سائرا معهم في الطريق لمس أحد الأبواب فانفتح في الحال، فـدخل ودعـا الإخوة المصاحبين له وقال: "تعالوا كلوا". فلما دخلوا وجدوا مائدةً معدةً كما في ديرهم تماما، وكان هناك راهبان واقفان وهما يحملان آنيتين صغيرتين لتقديم المـاء وكـل مـا يحتاجونه. ثم قال أبي لهم: "اجلسوا وكلوا". وبعد أن أكلوا انصرفوا. ثم سألوه: "يا أبانا، من أعد هذه المائدة؟ ومن هما هذان الأخوان اللذان كانا يخدماننا؟ حقًا إننا بصعوبة نجد ما نحتاجه في ديرنا مثل ذلك"! فقال لهم بصراحة: "مجدوا الله، لأن ذاك الـذي أرسـل طعاما لدانيال النبي في جب الأسود (انظر دا ١٤: ٣٢-٣٨ في الأسفار المحذوفة)، هـو الذي أعد لكم اليوم هذه المائدة، وهذان الأخوان اللذان كانا يخـدمانكم همـا ملاكـا الرب"! فاندهش الإخوة ومجدوا الله وشكروا أبانا[٢٦].

---

(٢٤) وموقعه الآن هو في مدينة "فاو" الحالية، وهو أحد أديرة أنبا باخوميوس.

(25) Ibid., 63.

(26) Ibid., p. 64.

وحينما كان أبونا أنبا شنودة جالسا في حضرة الملك، جاء إليه أحد أعضاء مجلس السناتو (أي البرلمان) الذي كانت له كرامة سامية عند الملك، وأراد أن ينال بركته. ولما حياه وأراد أن يأخذ يده ليقبلها، سحب أبي يده منه ورفض أن يعطيها له. فقال له الملك: "يا أبي القديس، من أجل محبتك أعطه بركتك لأنه رجلٌ عظيم سواء في القصر أو في مجلس السناتو". فقال أبونا بغضب: "أتريد مني أن أعطي يدي لإنسان ينجس هيكل الله بأعماله الشنيعة"؟ فاندهش الملك ومجد الله وطوب نبيه القديس أنبا شنودة(٢٧)!

ذهب مرةً أبونا أنبا شنودة إلى مدينة إخميم لكي يعاقب إنسانا وثنيا بسبب المظالم التي يعذب بها المساكين. ولما وجده وبخه وظل يهدده بالشرور التي يزمع الله أن يجلبها على رأسه، فلطم هذا الرجل الكافر أبانا على وجهه. وفي تلك اللحظة عينها جاء شخص كان يسير في شوارع المدينة، ويوحي منظره بأنه ملك عظيم، وأمسك بشعر الرجل الوثني ولطمه على وجهه، ثم ظل يجره في المدينة كلها، وكان يتبعه جمهور كبير، حتى وصل إلى النهر فألقاه في الماء، ثم غطس كلاهما ولم يرهما أحد بعد ذلك إطلاقًا. وكل من رأى ذلك قال: "هذه هي قوة الله التي أرسلها لكي ينتقم سريعا من هذا الوثني الكافر بسبب المظالم العديدة التي جلبها علينا". وهكذا مجدوا الله الذي يجري المعجزات على أيدي مختاريه(٢٨).

ومرةً أخرى ذهب أبونا القديس إلى قرية "بليويت"(٢٩)، وذلك لكي يحطم الأصنام الموجودة هناك. ولما علم الوثنيون بذلك حفروا في المكان المؤدي إلى قريتهم حفرةً وضعوا فيها بعض سوائل سحرية مجهزة حسب كتبهم لأنهم أرادوا أن يعيقوه في الطريق. فامتطى أبونا جحشه، ولما وصل إلى المكان الذي أُخفيت فيه تلك السوائل، وقف الجحش وحفر بظلفه حتى ظهرت تلك السوائل، فقال أبي لخادمه: "التقطها حتى يمكنك أن تعلّقها حول رقابهم". وكان الخادم يضرب الجحش قائلاً: "تحرك"، ولكن أبي كان يقول له: "دعه لأنه يعرف ما يفعله"! ثم قال لخادمه: "خذ الأواني واحفظها في يدك حتى ندخل القرية لكي نعلّقها حول رقابهم". ولما دخل القرية رآه الوثنيون ومعه الأواني السحرية التي كانت في يدي خادمه، فهربوا في الحال واختفوا، ودخل أبي إلى هيكلهم وحطم الأصنام مهشمًا إياها الواحد فوق الآخر(٣٠).

كان في **أحد الأيام** عيد تذكاري في الدير لآبائنا القديسين. فجاء إلى الدير بعض

---

(27) Ibid., p. 65. (28) Ibid. (30) Ibid., p. 66.

(٢٩) يرى "أميلينو" أنها هي الآن قرية "باناويت" في الضفة الغربية للنيل والتي تقع على بعد ١٥ ميلاً شمال سوهاج.

الزائرين وطلبوا من أبي أنبا شنودة القليل من عصير العنب فأعطاهم، ثم طلبوا أشياء أخرى فأعطاهم بسرور، ثم كرروا طلبا م بدون اكتفاء فأعطاهم أيضا. فتعجب الذين كانوا جالسين معه من سخائه وسألوه: "لو أ م ظلوا يطلبون فستظل تعطيهم"؟ فقال لهم: "نعم، ولكنهم سيذهبون بعد أن يأكلوا ويشربوا من الأشياء التي هنا فقط، لأ م ليس لهم رجاء في حياة أخرى"[٣١]!

كان إنسان وثني اسمه "جيسيوس"، وقد اعتاد أن يجدف على المسيح ويقول عنه كلاما نجسا بحماقة وشر أثيم. ولما علم أبونا البار بذلك لعنه قائلاً: "إن لسانه سيكون مربوطًا بإصبع قدمه الكبير في جهنم". وهذا هو ما حدث بالفعل، فبعد موته شهد أبي لنا قائلاً: "لقد رأيته في جهنم ورأيت لسانه مربوطًا بإصبع قدمه الكبير وهو يعذب بلا رحمة بسبب كفره[٣٢].

قيل إن أنبا شنودة كان ممتلئًا بالمحبة نحو الجميع حتى التف حوله الكثير من العلمانيين ليسمعوا عظاته رغم أنه كان كثير الاختلاء بالله في مغارته. وتتضح محبته وبذله وقلبه الأبوي من القصة الآتية:

حدث مرةً أن قبيلة "بليميس"[٣٣] جاءت نحو الشمال وسلبت بعض المدن وأسرت الناس والدواب، ثم رحلوا جنوبا بكل غنائمهم وعسكروا في ولاية "بسوي". ثم أراد أبي أنبا شنودة أن يذهب إليهم لأجل الذين أسروهم، ولما عبر النهر نحو الشرق قابله بعض منهم ورفعوا عليه حرا م لكي يقتلوه، وللحال يبست أيديهم وتخشبت وثبتت منبسطة بطولها بدون أي قابلية للثني، فظلوا يصرخون بانزعاج شديد. وقد حدث نفس الشيء لبقية هؤلاء الناس حتى وصل أبي إلى كرسي ملكهم. ولما تحقق ملكهم من أ م لن يتغلبوا على القوة التي كانت مع أبي، قام وسجد أمامه قائلاً: "أتوسل إليك أن تستعيد صحة أيادي هؤلاء الناس". فلما رشم أبي علامة الصليب عليهم استعادت أياديهم صحتها في الحال! ثم وعده الملك دايا، ولكنه لم يأخذها بل قال له: "أعطوني البشر وخذوا الغنائم لأنفسكم". فأعطاه الملك إياهم بلا ثمن، فعبر م إلى الضفة الغربية من النيل وجاء م وهو فرح إلى الدير الأبيض حيث استضافهم ثلاثة شهور كاملة. وكانوا رجالاً ونساءً وأطفالاً، فقسم رهبانه إلى جماعات واضعا على كل جماعة عملاً، فاهتم سبعة رهبان أطباء بالجرحى وسهروا على

(31) Ibid., p. 67. (32) Ibid.

(٣٣) وهي "الباجات" من القبائل الرحالة التي كانت تعيش في الصحراء الشرقية، وكانت بالتحالف مع أهل النوبة تنهب صعيد مصر لعدة عقود من السنين، وربما يكون ذلك قد حدث عام ٤٥٠م، عندما حار م والي الصعيد ببركة أنبا شنودة.

رعايتهم، واهتم غيرهم بالشيوخ والأطفال ... وهكذا.

وفي تلك الفترة التي قضوها في الدير مات منهم ٩٤ شخصا ودفنوا في الدير، بينما ولد لهم ٥٢ طفلاً. وقد استهلكوا في تلك المدة ٨٥ ألف أردب قمح من مخازن الدير عدا العدس والزيت والبقول والأغنام والتوابل. ثم أمدهم أبي بنفقات سفرهم والضروريات وصرفهم بسلام إلى بيوتهم وهم يمجدون الله ويعترفون بفضل القديس النبي أنبا شنودة[٣٤]. وهكذا كان هؤلاء الرهبان يعملون بنظام وغيرة تحت رعاية رئيسهم المتفاني في خدمة الجميع والساهر على نهضة الرهبنة. وهكذا تظهر لنا هذه القصة بأن أنبا شنودة كان ملجأً لمواطنيه وقت الشدة[٣٥]!

حدث مرةً عندما اجتمع الإخوة للصلاة في **الكنيسة** في **المساء،** أن جاء خلفهم شخص كان يلبس رداءً ملكيا ومظهره جميلٌ جدا، وبمجرد أن رآه أبونا القديس اقترب منه وكلّمه بكل احترام وأمسك بيده واقتاده إلى المكان الذي كان الإخوة يتلون فيه القراءات المحفوظة. وقد قاد هذا الزائر التلاوة بحلاوة ووقار عظيمين فابتهج جميع الذين سمعوه بحديثه وطريقة نطقه ومعرفته المميزة. ولما انتهى من التلاوة دخل إلى الهيكل واختفى. ثم تذمر بعض الإخوة قائلين: "ألم يجد أبونا واحدا منا لكي يقود التلاوة بدلاً من هذا العلماني الذي اقتاده لكي يفعل ذلك"؟ فلما علم أبونا بتذمرهم كشف لهم السر قائلاً: "صدقوني يا إخوتي، فإن هذا الرجل هو داود النبي القديس ابن يسى، وإنه هو الذي أراد أن يقود التلاوة في كنيستكم، فها هو الرب قد أنعم علينا بذلك". فاندفع الإخوة في الحال إلى الهيكل وهم يظنون أنهم سيجدونه وينالون بركته، ولكنهم لم يجدوا أحدا. فتعجبوا جميعا من الطريقة التي مجد بها الله أبانا القديس النبي أنبا شنودة[٣٦].

أخطأ أحد الإخوة في **أمر ما،** فطرده أبونا أنبا شنودة من الدير حسب قوانين الدير. فظل هذا الأخ يهيم في البرية في بؤس شديد، ولكنه لما تذكر مراحم الله أعطى نفسه للتوبة قائلاً: "أيها الرب إلهي، الرؤوف والمحب للبشر الذي لا يشاء أن أحد أعمال يديه يهلك، إن كنت اليوم تحرك قلب أبي لكي يغفر لي ما فعلت ويقبلني مرةً أخرى، فإن رجائي هو أن آتي إليك مرضيا إياك في كل شيء"! وبمجرد أن نطق بهذا الكلام ظهر ملاك الرب واقفًا بجواره وسأله: "لماذا أنت مكتئب هكذا"؟ فأجاب: "إنني يا أخي مكتئب لأن أبي القديس أنبا شنودة طردني

---

(٣٤) عن كتاب "الكنيسة القبطية والروح القومية في مصر في العصر البيزنطي" للدكتور عزيز سوريال عطية، نشر في المجلة المصرية للتاريخ، جزء ٣ عدد ١ عام ١٩٥٠ ص ٦: عن كتاب "قصة الكنيسة القبطية – إيريس المصري، جزء ١ الطبعة الثانية ص ٤٧٧.

(35) Ibid., p. 68.

(36) Ibid.

من وسط الإخوة ولا أعلم ماذا أفعل إذا يئست من خلاصي ومن رجائي في التوبة"! فقال له الملاك: "إذا قبلك أبوك مرةً أخرى فهل ستراعي العهد الذي قطعته مع الله وتأخذ على عاتقك بالكامل ما وعدت به"؟ فانطرح الأخ في الحال تحت قدمي الملاك وقال: "بالتأكيد يا سيدي، إذا تراءف علي فإن رجائي هو أن أراعي هذه الأمور وأتممها". وكما علمنا من هذا الأخ، فإن الملاك كان مرتديا زي راهب.

فقال له الملاك: "قم اذهب إليه وهو سيقبلك". فقال له الأخ: "لن يسمح لي البواب بالدخول". فقال له الملاك: "إنك لن تجد أحدا على الباب، فاذهب سريعا وستجد أباك جالسا عند المدخل أمام باب الكنيسة وقل له: 'إن الذي كف الآن عن الحديث معك عن يمين المذبح يقول: أرجعني مرة أخرى'". فتشجع الأخ وذهب إلى الدير ووجد كما قال له الملاك، وكان الأب شنودة مرتديا جلباباً مغسولاً لأنه كان وقت تقديم الذبيحة. ولما أخبره الأخ بما سمعه من الملاك قال للأخ المسئول عن مساكن الإخوة: "أدخل الأخ لكي يمكث مع الإخوة كما كان". فتعجب الإخوة الذين لم يعرفوا عن سر ما حدث(٣٧).

حدث في **إحدى السنين** أن فيضان النيل لم يأتِ كالمعتاد، وعلم أبونا شنودة من الله السبب الخفي في ذلك، كما أنه كشف ذلك للإخوة بدموع غزيرة وقال لنا: "صلّوا لأجل ذلك، وأنا أيضا سأذهب إلى البرية وأقضي هذا الأسبوع مصلّيا للرب، واحترسوا ألاّ يأتي إلي أي أحد قط". وفي اليوم الرابع جاء دوق تلك المنطقة واستدعاني أنا ويصا الحقير تلميذ أبينا وقال لي: "أريد أن أقابل الشيخ القديس وأقدم له احتراماتي". فقلت له: "إنه غير موجود هنا بل ذهب إلى البرية الداخلية". فقال أيضا: "اذهب واستدعه لي". فقال له الإخوة: "إنه قال لنا ألاّ نسمح لأحد قط أن يذهب إليه طوال هذا الأسبوع". ولكن الدوق أقسم أنه سيمكث في الدير حتى نستدعي أبانا له لكي يأخذ بركته. ولما شعرنا أننا في ضيق بسببه ذهبنا إلى حيث يمكث أبونا، ولما قرعنا بابه أجابنا بصعوبة بعد وقت طويل، ثم خرج وكان غاضبا منا وقال: "ألم أقل لكم لا تدعوا أحدا يأتي إلي طوال هذا الأسبوع"؟ فقلنا له: "اغفر لنا يا أبانا، فقد جاء الدوق إلى الدير ومعه حراسه من الجنود، وهو الذي أجبرنا أن نأتي إليك".

ثم قال لنا أبونا: "أنتم تعلمون أنني قلت لكم إن الله أمر ألاّ يكون فيضان في هذه السنة، وقد صلّيت فوعدني الله الصالح الرحوم أنه في هذه السنة أيضا سيجعل المياه تغطي وجه الأرض". ولما طلبنا منه جاء معنا إلى الدوق الذي بعد أن أخذ بركته قال له: "أتريد

(37) Ibid., p. 71.

يا أبي أن أذهب إلى الجنوب وأشن حربا على البرابرة"؟ فقال له أبي: "أريد بالتأكيـد". فقال له الدوق: "فلتحل بركتك علي يا أبي القديس، وأعطني إحدى مناطقك الجلديـة لتكون بركةً لي". فأعطاه إياها.

ولما ذهب الدوق إلى الحرب نسي أن يربط المنطقة حول جسمه، فهزمه البربر وقتلوا العديد من جنوده في موقعتين. وأخيرا رجع إلى نفسه وربط المنطقة حوله وحارب البربر للمرة الثالثة وقتلهم جميعا! ثم رأى في رؤيا أنبا شنودة وفي يده سيف وهو يساعد في قتل البربر. ثم ذهب إلى الدير ليقدم الشكر لله وللقديس البار أنبا شنودة(٣٨).

كان في **الدير اثنان من الإخوة**، أحدهما كان غيورا متيقظًا لنفسه باهتمام، أما الثاني فقد كان متوانيا يقضي أيامه في أمور باطلة. وحدث أن حلّ بهما المرض وذهب أبونا أنبا شنودة ليفتقدهما، فقال للأخ المتواني: "إنني أراك تقاسي وأنك تقترب من الموت، فمـاذا تظن في نفسك"؟ فأجاب الأخ: "صدقني يا أبي، إنني لم أتمم أية واحدة من وصاياك، ولا أعلم بأية طريقة يمكنني أن أبرر نفسي"! ثم ذهب أبونا إلى الأخ البار، الـذي لم يكـن مرضه خطيرا، وسأله: "ماذا تظن إذا افتقدك الرب، هل أنت متيقن الآن أنـك سـتجد رحمة"؟ فأجاب قائلاً: "صدقني يا أبي القديس، إنني كنت غيورا في حفظ جميع وصاياك، ولكن إن كان الله ليس رحيما فلا أعلم ماذا سيحدث لي". فقال له أبي: "جيد". وبعـد ذلك رقد الأخ الغيور وذهب إلى الرب. أما الأخ المتواني فقد شفي من مرضه، ولكنه ظل مستمرا في توانيه، وكان أبونا حزينا بسببه.

ثم حدث أن الإخوة بينما كانوا يفرشون ترابا في البيدر، كان بعض الإخوة يحملـون ترابا وكان من بينهم الأخ المتواني، وكان يمشي متباطئًا ومعه مقطف التراب وهو يمـزح بتكاسل ويعج بالضحك. فقام أبونا الشيخ بغضب وأمسكه وألقاه على الأرض وألقـى عليه مقطف التراب وقال له: "ألا يكفيك أنني من أجلك سلّمت الأخ الغيور واستعدتك أنت إلى الحياة راغبا في توبتك؟! وها أنت لا زلت غير متنبه لأعمالك الشائنة"! فنـهض الأخ وانطرح أمام أبينا قائلاً: "اغفر لي يا أبي". ثم أعطى هذا الأخ نفسه للتوبـة بغـيرة عظيمة وتنهدات ودموع حتى مر شهر كامل. ثم رقد مريضا واقترب من الموت، فذهب أبونا القديس ليفتقده ومكث بجواره حتى لفظ أنفاسه. ثم قال أبونا للإخوة: "ها هو أخ قد انتقل اليوم إلى الرب بعد أن صارت حياته بلا نقيصة(٣٩).

(38) Ibid., p. 72.

(39) Ibid., p. 74.

في **أحد الأيام،** جاء ربنا يسوع المسيح إلى أبينا أنبا شنودة وقال له: "إن بعض نساك البراري يتطلعون إلى رؤية أولادك، وها هم سيأتون إليك هذه الليلة". ثم اختفى الـرب. فجمع أبونا القديس كبار الإخوة والمسئولين وقال لهم: "سيأتي بعض الرهبان إلينا هـذه الليلة، فإذا جاءوا في وسطكم احذروا من أن يتكلم معهم أي واحـد مـنكم أو مـن الإخوة، بل احنوا رؤوسكم لهم وخذوا بركتهم لأنهم قديسون بالحقيقة". فلما اجتمعوا في تلك الليلة لتلاوة كلام الله – وكانوا يصطلون بجوار النار لأنه كان شتاءً وهم يتلون ما يحفظونه عن ظهر قلب – دخل أبونا القديس وكان يمشي معه ثلاثة رهبان وهـم في مجد عظيم. ولما رآهم الإخوة نهضوا جميعا وانحنوا أمامهم ونالوا بركتـهم. ثم انسـحب هؤلاء القديسون وذهب معهم أبونا النبي أنبا شنودة.

وفي الصباح اجتمعنا معه وسألناه: "من كان هؤلاء المكرمون، يا أبانا، الذين جـاءوا إلينا في الليلة السابقة؟ إننا لم نر مثلهم، فقد كانوا يمشون بجلال وحكمة، بملابس نقيـة. إنهم مختلفون عن بقية البشر، ولكنهم كانوا مثل ملائكة الله"! فأجاب أبونا قائلاً: "مجدوا الله لأجل هذه العطية التي نلناها. صدقوني، فإن هؤلاء القديسين كانوا هم يوحنا المعمدان وإيليا وأليشع النبيان. إن هؤلاء الأنبياء العظام كانوا يتطلعون إلى رؤيـتكم في عملكـم وطلبوا ذلك من الله، وها هو قد أرسلهم إليكم وتحقق بينكم القول: الأمور «التي تشتهي الملائكة أن تطّلع عليها» (١بط١: ١٢)"[٤٠]!

ذهب أبونا أنبا شنودة مرةً شمالاً إلى جبل أسيوط لكي يزور صديقه القديس النبي أنبا يوحنا المتوحد (الأسيوطي) الذي كان يدعى أيضا "النجار". وكان يعيش متوحـدا في البرية حابسا نفسه في قلاية صغيرة ويتكلم مع الذين يذهبون إليه من طاقة صـغيرة. وإلى الشمال من جبل أسيوط توجد أجساد شهداء مدفونة عند الطريق، وكلما كان أبونا أنبا شنودة يمر من هذا الطريق كان يظهر له هؤلاء الشهداء ويقولون له: "مرحبا بك أيهـا المحبوب من الله"! كما أنه كثيرا ما كان يظهر له أنبياء ورسل ويخبرونه عما يجـب أن يقوله سواء لتعزية الآخرين أو لتوبيخهم.

وعندما كان معتكفًا في قلاية خارجية مصلّيا لأجل فيضان النيل، وقـد أوصـى ألاّ يذهب إليه أحد، احتجنا أن نسأله في أمر ضروري، فأرسلنا الأب يوسف خـادم أبينـا لكي يخبره بالأمر ويسأله عما يجب أن نفعله. ولما اقترب من قلايته سمع صوتا بدا منه أن أبانا كان يتكلم مع بعض الناس، فخاف أن يقرع الباب. وبعد قليل ناداه أبونا قـائلاً:

(40) Ibid., p. 75.

"تعال يا يوسف، لا تمكث خارجا"! فدخل وأخذ بركته، فقال له أبونا: "لماذا أتيت إلى البرية ولم تفتح الباب وتدخل"؟ فأجاب باتضاع: "ظننت أن ولاةً جاءوا إليك من المدينة وأ م كانوا يتحدثون معك، لذلك لم أدخل يا أبي". فقال له أبونا: "إن شنودة لا يتكلم مع بشر في البرية، بل مع ملائكة أو أنبياء أو رسل أو شهداء. ولكنك فقـدت بركـةً عظيمةً اليوم، لأن الاثني عشر رسولاً قد جاءوا ليفتقدوني وقد ذهبوا للتو. صدقني يا بني، إ م هم الذين كانوا يتكلمون معي الآن"(٤١).

عندما التأم ا مع المسكوني في أفسس لكي يحرم نسطوريوس الهرطوقي، وكـان أبي النبي أنبا شنودة هناك مع القديس كيرلس (عامود الدين) رئيس أسـاقفة الإسـكندرية، ذهب الجميع إلى الكنيسة وجلسوا، ووضعوا في وسط ا مع كرسيا آخر ووضعوا عليـه الأناجيل الأربعة. ولما دخل نسطوريوس الكافر بمظهر كله كبرياء وعدم خجـل، أخـذ الأناجيل الأربعة ووضعها على الأرض وجلس هو على الكرسي! فلما رأى أبي ذلك قفز سريعا بغضب مقدس في وسط آبائنا القديسين، وأخذ الأناجيل من على الأرض وضرب نسطوريوس على صدره قائلاً: "أتريد أن ابن الله يجلس على الأرض بينما تجلس أنت على الكرسي"؟! فقال نسطوريوس لأبي: "ما شأنك أنت ذا ا مع؟ إنك بالتأكيـد لسـت أسقفًا، ولا أنت أرشيمندريت (رئيس متوحدين) ولا مسئولاً كبيرا، بل مجرد راهـب"! فقال له أبونا: "إنني أنا الذي أراد الله أن آتي إلى هنا لكي أنتهرك مـن أجـل آثامـك وأكشف أخطاء كفرك باحتقارك آلام ابن الله الوحيد التي احتملها لأجلنا لكي يخلصـنا من خطايانا(٤٢). وهو الذي سينطق الآن عليك بحكم سريع"! وللحال تملّك الشـيطان على نسطوريوس الكافر. وللحال قبل البابا كيرلس أبانا أنبا شنودة، ثم أخذ البطرشـيل الذي كان حول عنقه ووضعه حول عنق أنبا شنودة، ووضع عصـا في يـده وجعلـه أرشيمندريت (أي "رئيس متوحدين"، وهو اللقب الذي اشتهر به حتى الآن)، وصـاح جميع الحاضرين قائلين: "مستحق مستحق مستحق أيها الأرشيمندريت"(٤٣)!

كان في **الدير راهب شاب،** وكانت تعترضه أفكار طفولية شـيطانية. ولأن هـذه الأفكار كانت تعذّبه، فقد عزم في قلبه قائلاً: "إذا جاء والدي ليزورني فسأرجع معه إلى العالم"! فعلم أبونا البار أنبا شنودة بأفكار الأخ واستدعاه وقال له: "هل هذا حق أنه إذا جاء والدك سترجع معه إلى العالم"؟ فضحك الشاب، ثم قال لـه أبونـا: "إنـني حقًـا

(41) Ibid., p. 76, 77.

(٤٢) ذلك لأنه فصل بين طبيعتي المسيح، واعتبر أن الذي تألم لكي يخلصنا هو الإنسان يسوع!!

(43) Ibid., p. 78.

سأرسلك إلى أبيك الحقيقي"!! ثم صرفه. ثم اعتلّ هذا الشاب وعلم أبونا بذلك، ثم طلب منه الإخوة أن يصلّي من أجله لكي يشفَى، لأنه كان يقاسي من آلام شديدة. فقال لهم أبونا: "ما شأنكم به؟ إنه يريد أن يذهب إلى أبيه"! فلما سمع الإخوة ذلك انصرفوا. وفي سابع يوم من مرض الشاب رقد في الساعة التاسعة من النهار، فكفّنه الإخوة ودفنوه. ثم جمع أبونا الإخوة جميعا وتحدث معهم بكلمة الله، ثم قال لهم: "صدقوني يا إخوة، فها هي اليوم نفس ليس فيها أية شائبة قد ذهبت إلى الله، بل إ ا ستذهب بدون أي ع ـائق إلى أماكن الراحة حتى تسجد أمام قدس الأقداس". فلما سمع الإخوة ذلك مجدوا الله وأعدوا أنفسهم لخدمة الرب بصبر وبدون انحراف[٤٤].

في **أحد الأيام،** بعد انتهاء صلاة المساء، جلس أبونا أنبا شـنودة ليسـتريح قلـيلاً، فظهرت له رؤيا من عند الرب: إذ رأى أمامه رجلاً ممتلئًا كله بمجد عظيم، وتنبعث من فمه رائحة زكية قوية، وكان وجهه يشع نورا مثل الشمس. فقال له الشيخ: "من أنت يا سيدي الذي يحيط بك هذا ا د العظيم"؟ فقال له: "أنا بولس رسول المسيح. لأنك تحب عمل المحبة وتعطي صدقات لأي واحد يطلب منك، ولأنك تحفظ جميع الوصـايا بكـل الطرق بسبب حبك لله، فها هو الرب قد أرسلني لك لكي أعزيك بسبب ما تفعله لأجل المساكين والمعدمين". وظل هكذا يتكلم معه حتى حان وقت اجتماع نصـف الليـل في الكنيسة. وحينئذ أعطاه الرسول رغيف خبز، فأخذه الشيخ ووضعه في كيسه. ثم قال له الرسول: "ضع هذا الرغيف في مخزن الخبز الذي يوزع الإخوة منه الخبز، فقـد باركـه قديسون كثيرون وحتى ربنا يسوع المسيح نفسه قد باركه بأن رشم عليه علامة الصليب. فتشجع وتحصن ولا تخف! وسلام الله سيمكث ويبقى معك إلى الأبد". ثم حياه واختفى.

أفاق الشيخ القديس من الرؤيا ووجد الرغيف في كيسه، فمجد الله قـائلاً: «بمـاذا أكافئ الرب عن كل ما أعطانيه» (مز١١٦: ١٢)! وعندما كان ذاهبا إلى الكنيسة لكي يصلّي مع الإخوة عرج في طريقه على مخزن الخبز حيث وضع الرغيف الذي أخذه مـن الرسول سرا دون أن يعرف أحد وأغلق الباب وذهب إلى الكنيسة، وقد رأى الإخـوة وجهه مشعا فتعجبوا! ولما تجمع الإخوة لكي يذهب كلٌ منهم إلى عملـه، جـاء الأخ المسئول عن مخزن الخبز إلى الشيخ وقال له: "يا أبي القديس، من أجل محبتك تعالَ وصل لكي نفتح مخزنا آخر لنأخذ منه ما يحتاجه الذين يأتون إلينا، فإنه لم يتبق سوى القليل في المخزن الذي نأخذ منه الخبز". فامتلأ وجه الشيخ بالفرح وقال: "اذهب يا بني، وأحضر

(44) Ibid., p. 79.

كل ما في المخزن حتى لا يتبقّى شيء". فقال له الأخ: "اغفر لي يا أبي، فإنني لم أترك شيئًا في هذا المخزن سوى سلّة واحدة أريد منك أن تباركها". فقال له الشيخ: "أحضر هـذه السلّة". فلما ذهب لكي يحضرها لم يستطع أن يفتح باب المخزن، وذهب الإخوة معـه ولم يمكنهم أن يفتحوه، فقالوا: "واضح أن هذه ليست مشيئة الله أن نعطي جمهور الآتين إلينا اليوم". ولما علم أبونا بما حدث قال للإخوة: "أحضروا من خيرات الله الفائضة، وإن كانت غير كافية فسنفتح مخزنا آخر لنأخذ منه". ثم رشم الشيخ علامة الصليب على باب المخزن قائلاً: "أيها الرب إلهي، بقوتك وأمرك فلينفتح الباب"! فانفتح الباب في الحـال، وانسكبت من داخل المخزن إلى خارجه كومة هائلة من الخبز حتى ملأت المدخل المؤدي إليه! وهكذا أخذ جمهور الزائرين والإخوة الرهبان احتياجهم لمدة ستة شهور، وحتى اليوم (عند تدوين هذا الكلام) صار مخزن الخبز هذا يسمى "مخزن البركة"(٤٥)!

كان أحد الرهبان يعمل في حديقة الخضروات واسمه "بسوتي"، وكان خيرا جدا، فقـد كان يعطي خضروات لكل من يأتي إليه ولا سيما الإخوة الساكنين في الجبل. وقد اتهمه الإخوة أمام أبينا أنبا شنودة بكرمه الزائد عن الحد قائلين: "إن بسوتي لا يترك شيئًا في حديقة خضروات الإخوة، فلا نجد نحن ولا الآتون إلينا ما نحتاجه". فقال لهم أبونـا: "إن كانـت الخضروات لم تفرغ من عندكم يكون هو غير مذنب، ومع ذلك، فسنذهب إليه عند الفجر ونؤنبه، فإن وجدنا أنه تنقصنا الخضروات ننقله من العمل في الحديقة، ومع ذلك فإنـه مـا أعظم عمل المحبة"! ذلك لأن أبانا كان يعلم أن بسوتي مباركًا في كل ما كان يعمله.

وفي تلك الليلة، عندما انتهى أبونا من الصلاة واضطجع قليلاً ظهرت له امرأة جميلة جدا تشع كلها بنور مثل الشمس، وأخذت يد بسوتي وقالت له: "احذر من أن تكف عن عمل المحبة في حديقة الخضروات. هل أنت تمتلك الأرض التي تعطي ثمرها؟ هل أنت تمتلك مـاء الينبوع؟ هل أنت تمتلك قدرة الدواب التي تتعب؟ ها أنا أقول لك إن قلب ربي وابني راضٍ عنك لأنك تعطي القليل من الخضروات للإخوة ولكل من يحتاج إليها"! فلما سمع أبونا ذلك علم أنها والدة الإله. ثم اتجهت نحو الشيخ وقالت: "يا شنودة المحبوب عند ابني، ها أنـا آتي إليك بهذا الذي اتهموه أمامك، فإن وجدت فيه أية خطية فأنا أعاقبه بمرض خطير".

ولما أفاق الشيخ من الرؤية دهش مما حدث، ولما دعي الجميع إلى الكنيسة دخل هـو الكنيسة قبل الإخوة ورأى بسوتي البستاني واقفًا في الصلاة وكانت أصابع يديه العشـرة مضيئة، فقال له: "من أنت يا من أراه هكذا"؟ فقال له: "أنا بسوتي ابنك". فقـال لـه

(45) Ibid., p. 80.

الشيخ: "من الذي جاء بك إلى هنا يا بني"؟ فأجابه: "إن الذي جاء إليك في قلايتك وتحدث معك قبل استدعاء الإخوة إلى الكنيسة هو الذي جاء بي إلى هنا". فقال له الشيخ: "إنه مكتوب يا بني أن إلهك هو الله، وملكك هو رب الأرباب. إنني أعلم أن الله معك في كل ما تعمل. وسآتي إليك اليوم في البستان لكي أفتقدك، أما أنت يا بني، فأعطِ الصدقات كما كنت تفعل حتى الآن".

وفي الساعة الثالثة من النهار ذهب إليه الشيخ سرا في البستان ورأى بسوتي يجمع خضروات للإخوة. فأخذ بسوتي بركة أبي قائلاً: "لقد حلّت علي اليوم بركةٌ عظيمةٌ يا أبي القديس لأنك جئت إلي، فسنكون مباركين في كل ما نعمل". وحينئذ رأى الشيخ العذراء القديسة مريم وأمامها سلطانية ماء، ووجهت يدي الأب بسوتي إلى السلطانية لكي يرش الماء على الخضروات وقالت للزرع: "انمُ ولا تتوقف"! ثم أعطته السلام وانصرفت بمجد عظيم. وحينئذ علم أنبا شنودة أن الأب بسوتي كان بارا فوق العادة، وأن الرب يسوع معه في كل ما يعمله(٤٦)!

كان القديس ينبه الناس إلى العادات الوثنية والجهالات التي كانت متفشية في ذلك الزمان. فقد قيل إنه بينما كان ذات يوم جالسا مع بعض الزائرين، إذ بغراب قد وقف على حائط وصاح نحوهم، فتطلّع إليه أحد الزائرين وقال: "أبفمك بشارةٌ يا غراب"؟ فتنهد أنبا شنودة وقال: "يا للجهالة التي تسود على بني البشر! كيف يمكن لهذا الغراب أن يعرف هذه الأخبار السارة؟ هل الغراب هو رسول أبيك"؟ لا تضع في قلبك يا بني هذا الأمر أن تنصت للطائر مرةً أخرى، إنه فقط يصرخ للرب ليهيئ له طعامه، أما سمعت المرتل داود النبي يقول: «يعطي البهائم طعامها ولفراخ الغربان التي تدعوه» (مز١٤٧: ٩)"؟ هكذا كان القديس ينبه الناس الذين يتفاءلون بصوت الطيور وحركات الشمس والقمر والنجوم قائلاً: "إن هذه كلها من أثر عبادة الأوثان لأنه مكتوب: «لا تتفاءلوا ولا تعيفوا ... أجعل وجهي ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها» (لا١٩: ٢٦؛ ٢٠: ٦). كما أن كثيرين يتكلون على رؤساء هذا العالم حتى لا يصيبهم شر، وهم لا يعلمون أنه إذا حول الله وجهه عنهم لا يمكنهم أن يثبتوا ساعةً واحدة، لأنه مكتوب: «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص، تخرج روحهم فيعودون إلى ترابهم، في ذلك اليوم تهلك كافة أفكارهم. طوبى لمن إله يعقوب معينه واتكاله على الرب إلهه» (مز١٤٦: ٣-٥)"(٤٧).

(46) Ibid., p. 82.

(47) Ibid., p. 84.

جاء بعض الناس إلى أبي أنبا شنودة بناقة ومعها مولودها، وكان هذا المولود ضعيفًا جدا لأن أمه كانت ترفض أن ترضعه منها. فلما رآها أبونا جاء بقليل من ماء اللقان من الكنيسة وأعطى منه للمولود فشرب. ثم وضع المولود تحت أمه وقال: "إن كنتِ لا تقبلين مولودكِ فلماذا ولدِته"؟ وللحال جعلته يرضع من لبنها بدون أي اضطراب، ثم أخذهما أصحابهما ورجعوا إلى بيوتهم وهم يمجدون الله ويطوبون أبانا القديس(٤٨).

كان في **نواحي إخميم عاملٌ** يعمل بعقد عمل سنوي، ولم يكن لأولاده خبز كافٍ. فذهب إلى أبينا أنبا شنودة وتوسل إليه أن يعينه، ولكن أبي علم في الحال سبب مجيئه. ثم قال العامل لأبي: "يا أبي القديس تراءف علي، فإنني ظللت أعمل منذ صباي عند واحد ثم عند آخر، ومع ذلك فإنني أنا وأولادي ليس لنا خبز كافٍ، بل إننا نعيش معوزين من يوم إلى يوم". فقال له أبي: "ربما أنك يا بني لم تجد نوع العمل الذي يمكنك أن تعيش منه". فقال له العامل: "لا أعرف يا أبي القديس". فدخل أبونا الكنيسة وصلّى متوسلاً إلى الرب من أجله. ولما انتهى من الصلاة وجد بعض بذور قرع عسلي، فأخذها وغمرها بالماء على المذبح وأعطاها للرجل قائلاً: "خذ هذه البذور واذهب إلى مكان (حدده له) وازرع لنفسك قرعا عسليا، إن هذا هو العمل الذي عينه الرب لك لكي تكتسب معيشتك. ولكن إذا نمت هذه البذور جيدا، فإن لي نصيب فيها مخصص لي مثلك". فقال الرجل: "بكل تأكيد يا أبي القديس".

ثم زرع الرجل هذا القرع وجاء إلى أبينا وقال: "لقد زرعت القرع، ولكن صل لأجلي لكي أعمل لمدة عشرين يوما أخرى لكي أكمل سنة حيث أعمل الآن". وبعد ذلك ذهب وعمل في زراعة القرع، ولما أعطى ثمره جاء بالبكور إلى الدير، فوزعها أبي على الإخوة. ثم صلّى على قليل من الماء وأعطاه للرجل قائلاً: "رش هذا الماء على الزرع وقل له: 'إن شنودة قال: ليكن نموك طويلاً لأن لي نصيبا فيك". ففعل الرجل ذلك، وكبر القرع وأعطى ثمرا حلوا وتكاثر جدا. فباع الرجل منه واكتسب كمًا هائلاً من القمح والشعير وأنواع أخرى كثيرة، وهكذا اغتنى الرجل الفقير جدا وملأ بيته من كل الخيرات حتى احتاج إلى مساعدين له لجمع الثمار. ولما أُتخم من كل الخيرات مات قرع العسل.

ثم ذهب الرجل إلى الدير وانطرح أمام أبي وقال: "يا أبي القديس، بسبب صلواتك المقدسة أنعم الله علي بخيرات عظيمة، فتعالَ معي الآن لكي نقتسم عطية الرب بيننا".

(48) Ibid., 86.

فذهب أبونا معه بكل بساطته ومعه غصن من سعف النخل، ورأى في بيت الرجل أهراءً مليئةً بالخبز والقمح، ثم أراد أن يختبر نيته. فقال له الرجل: "اقتسم عطية الرب بيننا، وها أنا قد أعددت العربات لكي تأخذ نصيبك إلى الدير". فلما رأى أبي طبيعة إيمانه ونيته قال له: "يا بني، إن شنودة لا يريد شيئًا، بل خذ كل هذه لنفسك لتعيش منها مع أولادك. وإنني أثق في الله أنك من اليوم لن يعوزك أي خير مرةً أخرى، ولكن كن خيرا مع الجميع. وتعالَ الآن لكي تريني القرع المزروع". وهناك وجدا أن الزرع قد مات، فلمسه أبونا بالسعف الذي معه قائلاً: "أيها القرع، أقول لك انمُ وأعط ثمرا أكثر قليلاً لأجل هذا الرجل لكي يعيش هو وأولاده"! ثم عاد أبونا إلى الدير، وقد ازدهر القرع مرةً أخرى وأعطى ثمرا عظيما حتى اغتنى الرجل جدا بخيرات لم ير مثلها آباؤه ولا أجداده، وظل يمجد الله ويعترف بفضل أبينا أنبا شنودة كل أيام حياته[٤٩]!

قال أنبا ويصا: ها نحن قد أخبرناكم عن القليل من عجائب ونسكيات أبينا القديس النبي أنبا شنودة، الرسول والبتول، الكاهن ورئيس المتوحدين، هذه التي رأيتها بعيني وسمعتها بأذني، أنا ويصا تلميذ أبي الشيخ. لقد كان مبجلاً في جيله وكان «كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو» (مز٩٢: ١٢)، حتى أن سمعته انتشرت في البلاد الأجنبية وملأت وجه الأرض كلها. وقد انتصر مظفرا على كل قوة العدو بسبب فيض دموعه المباركة، ورسوخ حياته الملائكية وتأسيس مجمع رهبانه المقدس الذي ظلّ مشهورا بعد انتقاله.

ولكننا فلنرجع مرةً أخرى إلى تقدمه الصالح فلعلنا نحصل على نعمته. فقد كان أبونا أنبا شنودة يوجه كل واحد، صغيرا كان أو كبيرا، راهبا أو علمانيا، بأحاديثه ورسائله المتبلة بالملح. وكان يوصي الجميع أن يكونوا مضيافين ورحومين على الكل، وذلك حتى تظل الروح الخيرة والسلام والبر باقية في الدير في كل الأوقات[٥٠].

وقيل إنه كان يأتي إليه كبار رجال الدولة لكي يستشيروه في أمورهم الهامة، فكان يكشف لهم ما خفي من أسرارهم حتى اعتبروه كأحد الأنبياء العظام الذين يخاطبون الله رأسا[٥١].

وكان أنبا شنودة محبا لإنصاف المظلومين، فقد جاء إليه ذات يوم بعض الكرامين المسيحيين طالبين منه أن ينصفهم من سيدهم الوثني الذي لم يدفع لهم أجورهم بحجة أن الكروم لم تثمر جيدا. فسار القديس بصحبة عدد كبير من رهبانه إلى ذلك الوثني وألزمه بدفع حقوق الكرامين، فدفعها مكرها[٥٢].

(49) Ibid., p. 86. (50) Ibid., p. 88. (51) Ibid., p. 89. (٥٢) شنودة عربي.

ثم **قال أنبا ويصا:** وبعد ذلك طعن أبونا في أيامه وامتلأ أياما صـالحة مثـل أبائنـا البطاركة. وقد أعلن أبونا البار عدة مرات لنا جميعا قائلاً: "لقد أنعم الرب علي بطـول عمر موسى أول الأنبياء، أي مائة وعشرين سنة. أما إذا أغضبتموني فسأصلّي أن يأخذني قبل أن تكتمل هذه السنين". ولما تقدم أبونا في الأيام وبلغ نحو مائة وثماني عشرة سـنة، بدأ يتوعك في اليوم الأول من شهر أبيب، وهو نفس التاريخ الذي ولد فيه كما أخبرنا. وقد جاء إليه السيد المسيح بالليل، فقال له أبي: "يا ربي وإلهي، أطلب أليك أن تقـويني لكي أنطلق إلى ا مع إذ إن البابا البطريرك أرسل يستدعيني لكي أقاوم الهراطقة الـذين يجدفون على الثالوث القدوس". فأجابه السيد: "يا صفيي شنودة، أتريد عمرا آخر بعـد هذا العمر الطويل ولك أكثر من مائة سنة منذ أن صرت راهبا؟ إن تمام السابع من شهر أبيب هو يوم مقدس، فهلم إلى مكان الراحة لكي تتنيح إلى الأبد"!

وحينئذ قال لي أنا ويصا تلميذه: "أريد قليلاً من الخضروات المسلوقة". فجئت له سريعا ببعض منها، ثم قال لي: "ضعها على السطح حتى أطلبها". ففعلت ذلك. وفي اليوم الثالث من مرضه قال لي: "أحضر لي تلك الخضروات المسلوقة". فأحضر ا، ولما فتح فاه وجد أ ا منتنة مثل الرمة، فقال في نفسه: "لقد اشتهيتِ هذا يا نفسي، فكُليه"! ثم قال لي: "ألْقِها خارجا"، ولم يذقها ... ومنذ ذلك اليوم بدأ المرض يشتد عليه حتى جاء اليوم السادس من أبيب، ثم استدعى كبار إخوة الدير وقال لنا: "يا أبنائي الأحباء، لقد طلبت أن تأتوا جميعا لأن هذه هي حقًا مشيئة الرب أن يأخذني من هذا المسكن الوقتي ويفصل روحي مـن جسـدي البائس". فألقينا بأنفسنا عليه وبكينا بشدة وقلنا له: "هل ستذهب يا أبانا وتتركنا يتامى؟ فأين سنجد أبا مثلك لكي يعلمنا ويملأنا بكل أنواع الغذاء الإلهي والبشري؟ لقد مـلأت العالم كله بوصاياك المقدسة وكلامك المملوء حكمة الذي أنعم به الله عليـك، وكـل تنظيماتك وتعاليمك الرسولية قد ملأت العالم كله". فقال لنا: "احفظوا وصاياي الـتي وضعتها لكم، واحترسوا من أن تتجاهلوا التنظيمات التي علّمتها لكم من الرب: المحبـة الأخوية والرحمة وإضافة المحتاجين والغرباء، ولا تجعلوا هذه كلها تكف (أو تتوقـف) في الأديرة المقدسة، اقبلوها كلها من أجل محبة المسيح لكي تأتي إليكم ملائكة الله وتسـكن معكم. لا تتهاونوا في العبادة والصلوات والأصوام، بل واظبوا عليهـا بمثـابرة في كـل الأوقات لكي تكونوا رفقاء للمسيح، وبحفظكم لها لن يعوزكم أي خير سواء هنا أو في العالم الآتي. واسمعوا من أبيكم ويصا لأنه هو الذي يكون لكم أبا وراعيا"!

ثم صار مرضه أيضا إلى حال أردأ، وكنا جميعا نبكي من أجله بحزن قلوبنا. وفي صباح

اليوم السابع من أبيب كان يتألم في مرضه بشدة. وفي الساعة السادسة من النهار قلت له: "كيف حالك الآن يا أبي"؟ فقال لي: "ويلٌ لي لأن الطريق طويل، حتى متى علي أن أنتظر حتى أذهب إلى الله؟ توجد مرعبات وسلاطين قوية على الطريق، ويلٌ لي حتى أتقابل مع الرب"! ثم صار صامتا في غيبوبة نحو نصف ساعة. وفجأةً صاح قائلاً: "من أجل محبتكم، يا آبائي القديسين، باركوني، تعالوا واجلسوا أمامي بحسب رتبكم". ثم قال أيضا: "هـا هم البطاركة قد جاءوا مع الأنبياء، ها هم الرسل مع رؤساء الأساقفة، ها هم رؤسـاء المتوحدين قد جاءوا مع جميع القديسين". ثم قال أيضا: "أبي أنبـا بيشـوي، أبي أنبـا أنطونيوس، أبي أنبا باخوميوس، خذوا يدي لكي أ ض وأسجد لذاك الذي تحبه نفسي، لأنه ها هو قد جاء لأجلي مع ملائكته"! وفي تلك اللحظة فاح أريج رائحة قوية، وحينئذ سلّم روحه بين يدي الرب في اليوم السابع من شهر أبيب.

ثم دوت أصوات في الدير، فقد سمعنا أصواتا حلوة تصيح فوق جسده المقدس وهـي تنطق بتسابيح ومزامير وألحان روحانية خورسا بعد خورس، فقد كانوا يقولون: "سـلام لك يا شنودة ولتقابلك مع الله. اليوم تفرح السماء معك، أنت يا من لم تسمح للشيطان أن يظهر في أي واحد من أديرتك. سلام لك يا شنودة حبيب الله ومحبوب المسيح وأخو جميع القديسين. إننا جميعا نفرح معك، أنت الذي أكملت التهذيب وحفظت الإيمـان، ويا من نلت إكليلاً مضيئًا. ها هي أبواب السماء قد فُتحت لك بفرح لكي تدخل منها".

ولما سمعنا هذا كله غطينا جسده المقدس ووضعناه في صندوق ودفناه. ثم جلسنا نبكي بقلوب حزينة من أجله لأننا فقدنا معلما عظيما صالحًا. ثم مجدنا الله وقدمنا الشكر للرب ملكنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي له ا د مع أبيه الصالح والروح القدس المحيـي الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور كلها آمين[٥٣].



(53) The Life, p. 89.

صلاة خاصة بالقديس:

+ المجد للآب والابن والروح القدس، ثالوث في وحدانية ووحدانية في ثالوث.

+ اللهم نجني لكي لا أخطئ إليك اليوم بشكل من الأشكال سواء بالقول أو الفعل أو الفكر.

+ اللهم اغفر لي أنا الخاطئ، فإني لا أستحق أن أرفع عيني إليك يا رب، لأني أخزى من كثرة خطاياي.

+ اللهم لا تحسب علي آثامي، بل اصنع معي رحمةً في ملكوتك.

+ اللهم إني أتضرع إليك وأسألك من أجل نفسي وجسدي البائسين أن تهب لي أن أصنع إرادتك لترشدني برحمتك. أيها الرب الإله اغفر لي خطاياي واستر آثامي، ونجني من غضبك ورجزك.

+ اللهم ماذا أقول حينما أحضر بين يديك؟ وبم أتزكّى حينما تحاكمني؟ يا يسوع المسيح دبرني، استرني من الأهوال، ونجّني من لجّة أمواج الشيطان، ضع سلامك واسمك القدوس علي أيها الساكن في السموات، ولتشملني رحمتك وتسترني.

+ اللهم لا تسلّمني ليد العدو، فإني ألقيت كل اهتمامي عليك أيها المسيح ابن الله.

+ اللهم إذا ملت إلى الشر فلا تتركني ولا تدعني أسير مع شهواتي الرديئة، ولا تدع تبكيتي ليوم دينونتك العظيمة، ولا تقض علي كاستحقاق خطاياي، بل استر عريي أمام منبرك المرهوب.

+ اللهم طهرني لكي لا يوجد في نفسي دنس بين يديك. أيها الإله محب البشر حصن نفسي بدمك الكريم واضبط نفسي من الخطية فأعيش في مخافتك، أيقظني من سنة الغفلة التي تنتج من نبع الخطية الرديء الطعم، واحفظني من الضلالة والزلل بشفتي، واجعل ملاكك الطاهر يطرد عني كل تجديف فيجد روحك القدوس مكانا في.

+ أيها الصالح أعطني سبيلاً أن أهرب من عثرات الضلالة لكي تسبحك نفسي وروحي كل أيام حياتي.

+ اللهم استجب لي ككثرة رحمتك واقبل بين يديك صلاتي وابتهالي.

+ اللهم نجني لكي لا أخطئ إليك وأعطني سبيلاً أن أصنع مشيئتك، ولا تنزع

نعمتك عني ولا تبعد عني معونتك. أعن ضعفي على الشرير وجنوده وتابعي هواه، وطهر قلبي ولساني وجميع حواسي. وانزع مني القلب الحجري وأنعم علـي بقلـب منسـحق لأتضرع أمامك. لا تفحص خطاياي أو تبحث عنها بل امحها كلها.

+ اللهم لا ترفضني بما أنك دعوتني، فإني عاجز بسبب خطاياي، بل ارحمني يا من له سلطان الرحمة، فلا أقلق في وقت شدتي المخوفة.

+ اللهم اجعلني مستحقًا أن أباركك كل الأوقات وإلى النفس الأخير. ثبت كلماتك المقدسة في قلبي ونفسي واجعلني مستحقًا لقولك الذي وعدت به محبيك.

+ اللهم لا تطلبني وأنت غاضب، وكن لي معينا في زمان شدتي، ولا تخف وجهك عني عند وقوفي أمامك.

+ اللهم لا تطرحني عن يسارك لأنني عصيتك. هب لي ثباتا وصبرا، واجعلني مستحقًا لطهرك فإنك قدوس.

+ اللهم قدس قلبي أمامك ليكون هيكلاً لروحك القدوس، ونجني من جميع فخـاخ الشرير. دبر سيرتي كما يرضيك.

+ اللهم تراءف علي واسمع صلاتي واستجب لتضرعي. لتستقم صلاتي أمامك كرائحة بخور طيبة بين يديك.

+ اللهم لا تحاكم عبدك فإنه لا يتزكّى أمامك أحد.

+ اللهم إن تفوهت ـذه الاعترافات بين يديك تفضل بعظـيم رحمتـك وارحمـني واستجب لي، وطهرني من جميع خطايا إبليس، فإن لك الملك والقوة وا ـد والعظمـة والسلطان والكرامة والخلاص الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين(٥٤).

❑☆ ❖☆ ❒

صلاة أخرى للقديس:

يا الله رب الفضائل الرحوم، أنت الذي تعرف ما نحتاج إليه قبل أن نطلبـه، الـذي بدونه لا نستطيع أن نفعل شيئًا. افتح قلب كل نفس بشرية ترجوك لكي تعرف خطـأ هذا الروح النجس الشيطان الذي سقط من السماء مثل البرق حسب كلمتـك الحـق. أعطنا قوة معرفة ألاعيبه الماكرة لكي ندوسه بأقدامنا وندوس أيضا كل قوته، لأنك على

(٥٤) عن كتاب "مقتطفات من عظات التوبة" للقديس أنبا شنودة - يوسف حبيب - ص ٢٩

الصليب صيرته ضعيفًا ورفضته وجعلته مثل جثة يابسة للذين يفكرون ولا يستصعبون الازدراء به وبكل شروره والضحك على عدم قدرته التي كسرناها فيه.

أعن خرافك أيها الراعي المبارك يسوع المخلص واحفظها من هذا الملاك الذي أصبح حيوانا مفترسا وجعل من جمع من الأرواح التابعة له أشكال حيوانات متوحشة، ولم يكفه جميع الذين لم يعرفوك حتى يشبع من خسارتهم، ولكنه يتجاسر أيضا ضد الذين لا يعرفون إلهًا آخر سواك أيها المسيح الإله الذي لا يوجد إله غيرك. إنك لم تتكلم في الخفاء ولا في مكان مختبئ ومظلم. إنك أنت الرب الذي ينطق بالعدل ويتكلم الحق، ولا يوجد غيرك إله عادل ومخلص. أنت الذي تتكلم في الذين هم لك. أنت الذي تثبت الذين يحبونك بتعليمك الكامل، وفوق كل شيء بيمينك الحقيقية حتى لا يتنجسوا بأشكال أو تقاليد عباد الأوثان والعادات الشيطانية. هب لهم أن يتطهروا ويغتسلوا من الأوزار كليةً طالما أن الوقت وقت الغفران، ولم يأتِ بعد وقت يمتنع فيه الغفران. آمين[55].



عظات لأبينا القديس أنبا شنودة

عظة عن السلوك بحكمة في هذا الزمان[*]

بسم الله. من قول للقديس العظيم أنبا شنودة بركاته تكون معنا، وبركات جميع القديسين تحل علينا وعلى هذا الشعب لنحيا وتخلص نفوسنا جميعا، آمين.

١ - ما أحسن اللحظات التي تنطلق فيها السفينة للسفر، وما أجمل اللحظات التي فيها ترسو على ميناء السلامة، أما الغرق فهو رديء!

٢- ومعنى قولي هذا أنه ما أحسن الانطلاق إلى بيعة الله، وما أجمل الصوم، وما أجود الوقت الذي يمتنع فيه الرجل عن زوجته! كذلك صالحةٌ هي جميع الأمور اللازمة والضرورية، أي الاشتغال في الفلاحة (وغيرها)، كما أنه حسن هو الأكل وحسن هو الزواج، وحسن هو جميع ما نحتاج إليه، أما الزنى فهو رديء. كذلك عدم الإمساك وخديعة المقتنيات (الزائدة عن الحاجة) وكل هذه الأمور.

---

(55) *Oeuvres de Schenoudi*, E. Amelineau.

(*) عن الأصل القبطي الصعيدي الذي نشره العالم "يوهانس ليبولد" في المجلد الخامس عن "حياة وأعمال أنبا شنودة رئيس المتوحدين" *Scriptores Coptici* الذي نشر في "لوفان" ببلجيكا Opera Omnia, iv.

هذا أقوله خاصةً للعلمانيين (الساكنين في العالم) الذين يمارسون الزيجة العفيفة، وليس للرهبان الذين حملوا صليبهم وتبعوا مخلصهم كوصية الإنجيل وأحبوا الطهارة كملائكة النور لكي يصيروا معهم أيضا في ملكوت أبيهم.

٣ - حسن أيضا هو التسلق على الجبل العالي في أي وقت وفي كل يوم للحصول على الرزق وجمع الخيرات، وطيب جدا هو الوصول إلى مداخله بعد كشف مسالكه ومنعطفاته حتى يدرك الإنسان مقاصده. ولكن ما أردأ السقطة من فوق مرتفعاته حيث يترضض الجسم كله!

٤ – معنى ذلك أنه ما أحسن الالتجاء إلى الله في كل وقت متضرعين إليه أن يحفظنا من الشرير في كل مكان نوجد فيه في هذا الزمان، ويؤهلنا للراحة في الموضع الذي سنرحل إليه. ثم ما أحسن الكد في الأعمال الجسدانية والعناية ا من أجل القوت والكسوة ومحبة الغرباء، ومن أجل تقديم القرابين والصعائد التي نقدمها لله عن أنفسنا. أما السقوط عن هذا السبيل والترضض بالخطيئة فهو رديء!

٥ - ما أحسن الليل بعد أن نستريح فيه، والنهار أفضل لأنه إذا أشرقت شمسه تأوي جميع الوحوش وترقد في جحورها، ويخرج الإنسان إلى عمله وصناعته حتى المساء.

٦ - أما تفسير هذا الكلام، فهو أنه لما أشرقت شمس البر - أي لما جاء المسيح إلى العالم - اجتمعت الشياطين ورقدت في كهوفها التي هي قلوب الجاحدين لله. أما خروج الإنسان إلى عمله وصناعته حتى المساء، فمعناه انطلاق الإنسان العابد في خدمة الله وانشغاله بالخير والصلاح حتى وقت شيخوخته وإلى أن يمضي إلى المسيح!

٧ - والصناعات(٥٦) وأشغال الناس الجسدانية ليست واحدة، بل إ ا كثيرة ومتعددة. هكذا أيضا الأعمال الروحانية، فصناعتها والاشتغال بأمورها ليست واحدة بل متعددة وكثيرة. هكذا أيضا في الروحيات، فالصناعة ا والاشتغال بأمورها ليست واحدة بل متعددة وكثيرة، فكثيرون اختاروا البتولية، وآخرون طهر المضجع (أي الزواج الحسن)، والبعض حملوا صليبهم وتبعوا الرب (أي الرهبنة)، وآخرون اختاروا الرحمة والتوزيع من كل غنى هذه الدنيا، والبعض تخصصوا للصلاة والزهد، وآخرون كرسوا أنفسهم لكل عمل صالح.

(٥٦) يلاحظ أن كلمة "صناعة" بالقبطية الصعيدية جاءت "تكني"، ومنها كلمة "تكنولوجيا" أي الصناعة المتطورة.

٨ - كما نجد أن كثيرين يعاتبون النائمين إن لم يقوموا في الوقت اللائق قائلين لهـم: "ها إن الشمس قد أشرقت وأنتم نيام"؟ فما يقولونه هو الصواب! أفلا ينبغي علينا نحن أيضا بالأكثر أن نقول هكذا إن المسيح قد جاء إلى العالم ونحن لا نزال نخطئ ولم نتب؟ ولا سيما بالأكثر أن هذا هو الزمان (الوحيد) الذي ينبغي أن ننتبه فيه من غفلة النوم.

٩ - إن كنا في هذا الزمان نعمل الرذيلة، فما هو الزمان الذي نقتني فيه الفضـيلة؟ أترى في الزمان الذي سيكون مخصصا للنحيب والبكاء في أماكن الظلمة (الـتي نطـرح فيها) لأجل نجاساتنا وعثراتنا التي جعلناها في رهبانيتنا بعدم تقوى وقلة خشية من جهـة الكلام الذي يدينوننا به؟

١٠ - لقد قيل: «لا نجعل عثرةً واحدةً في شيء لئلاّ يهين أحد خدمتنا» (٢كـو٦: ٣)، وهوذا قد استهان بنا كثيرون واحتقروا خدمتنا وطقسنا وأسماءنا وأيضا إسـكيمنا وحسبوها كلا شيء، فصرنا ضحكةً وهزءًا عند أعداء المسيح.

١١ - فإن كان اللوم والعقاب يكون على الذين يسكرون ويتغافلون بالليل؛ فماذا يكون مقدار الحكم الواجب على النيام بالنهار؟ ومعنى قولي هذا أنه إذا كان العصاة الذين عميـت قلوبهم عن معرفة الله وشرائعه قد حتم بالقضاء عليهم؛ فكم بالحري يكون القضاء والدينونة الواجبة على الذين يخطئون بعد أن عرفوا يقينا أنه لا إله إلاّ الرب يسوع؟

١٢ - ويا ليت الغفلة والسكر كانا يقتصران على الذين ينامون ويسكرون بالليل، فإن هذا يكون خيرا عظيما لكل المسكونة، ولصارت الأرض مثل الفردوس الذي غرسه الرب الإلـه الضابط الكل منذ تأسيس العالم؛ إلاّ أن الذين ينامون ويسكرون بالنهار كثيرون!

١٣ - لذلك تحل بنا البلايا مرات كثيرة، وتدركنا الآلام والشدائد على ممر الزمان.

١٤ - ولكن لا زال يوجد بين الناس من يجهد ذاته في عمل الصلاح، ومن يقـوم للصلاة والتسبيح لله في ظلمة الليل، كما يوجد أيضا من يرتكب المعاصي في نور النـهار كالزناة وأبناء الغضب.

١٥ - وها قد سبق أن عرفناكم ما هو النوم وما هو النهار وما هو الليل.

١٦ - يوجد أناس جرائمهم وذنوبهم مشهورة في هذه الدنيا، هؤلاء تسبقهم أعمـالهم السيئة إلى الحكم قبل مماتهم، ويوجد أناس تتبعهم ذنوبهم عند مماتهم حيث تدركهم المشـقة بشدة. فالذنوب التابعة هي التي تظن أنت أن أحدا من الناس لا يعرف أنك فعلتها، ولكنها

جميعا تقف في وجهك يوم الدين إزاء حكم الله العظيم، وجميع أعمال المكر التي تمارسها على اختلاف أنواعها سوف تعلَن وتشهر يوم يدين الله سرائر الناس ويكشف خفايا الظلمة.

١٧ - فالآن تب أيها الإنسان الذي تعصى ربك. هل تظن أنه يعفو عنك؟ كلاّ لن يعفو عنك إذا لم تتب.

١٨ - هذا حسب ما قاله النبي العتيق إذ ينذرنا ونحن لا ندري. أما تأويل ذلك فهو أننا نرتكب ذنوبا عديدة ونحن غافلون عنها وكأ ا ليست ذنوبا، مـع أن مثـل تلـك الذنوب (التي ارتكبت سرا) هي أعظم وزرا. لأن الذنوب التي نرتكبها خلسةً ترصـدها عين الله الناظرة إليها، لأننا نتجاهلها ولا نحسبها ذنوبا فنتوب عنها. مع أن ذنوبنا الـتي تشهر بين الناس، إذ يكون الناس قد تحققوا منها، نحسبها ذنوبا ونخجل منها، أفليس هذا هو سلوك المرائين الذين يدركهم الحزن إذا انفضحت أعمالهم بين الناس ولا يختشـوا أو يخافوا من وجه يسوع؟! فليكن معلوما على كل حال أن كل من كانت قلو م بالذنوب راضيةً، فهؤلاء ليس لهم إله إلاّ الناس (الذين يخافو م)!

١٩ - فماذا نظن إن كنا لا نتوب عن المعاصي والذنوب؟ من نرتجي؟ أو من ننتظر؟ أو من سيتنبأ لنا (من جديد)، أو من ذا الذي سينذرنا أو يسلم ذاته عنا ويموت لأجلنا؟

٢٠ - أننتظر نبيا آخر أو رسولاً؟ أو أن ابن الله يأتي حتى يعلم الناس أو يسفك دمه عنهم؟

٢١ - لقد قُضي حتما أن جميع القديسين سيأتون بصحبة يسوع ملكهـم، ولكـن لكي يستقصوا عن تعاذيبهم وآلامهم ودمائهم وعن كل ما صنع م ويسألوننا عن ثمارها فينا من أعمال، فلا يوجد لدينا إلاّ ما نستحق عليه المقت والإهانة.

٢٢ - كذلك حينما تحدث النبي عن التي ولدت الأولاد الكثيرين كيف صارت بغير بنين وغابت عنها الشمس في منتصف النهار، فنحن لا نجد منفعةً لنا من ذلك إذا فسرناه على مجمع اليهود وحدهم من حيث أن الله كان حالاً بينهم وشرائعه كانت بأيـديهم ثم كفروا ا. لأ م إن لم يكن لهم الابن الرب يسوع، فليس لهم الله الآب. وكانوا يتقلبون لأسباب كثيرة ولم يريدوا أن ينقادوا لطاعة الآب الضابط الكل لكي يعمل معهم خيرا.

٢٣ - لكن تأويل المعنى هو أن النفس التي كانت بكرا زمانا وقائمةً في الصلاح والبر وتمارس الفضائل، ثم إن هي سقطت وتنجست ومارست الرذائل تغيب عنها الشمس في منتصف النهار، أي الرأي والمعرفة، وتختفي منها الحكمة والصواب حتى تيأس وتتعرى من

صبرها.

٢٤ - وأما معنى العاقر التي ولدت سبعة بنين، فهي كنيسة الأمم التي صارت كرمل البحر وكنجوم السماء بحبها ليسوع. أما الكثيرة الأولاد التي ضعفت فهي مجمع اليهـود الذين ضعفوا في الإيمان بعد المحبة الكثيرة التي عاشوها في الله حينما خرج منـهم الآبـاء والأنبياء والرسل والقضاة والصديقون، أما الآن فقد أقفرت.

٢٥ - وهي التي قيل عنها إن ابنة صهيون تصير كالراقوبة (النـاطور أي الحـارس) في الكرم وكالعريش في المقثأة ("خيال المآتة" وسط المزروعات لتخويف الطيور). كما قيل عنها إنها أشبهت في ظلمتها نهاية الليل، كما قال عنها الله: إنني من أجل آثامكم طلّقت أمكـم. كما شبهها بالأرض التي كانت مثمرة فصارت سبخة من أجل رذائل الشياطين الحالّة فيها.

٢٦ - هذه هي النفس التي كانت سابقًا غير مثمـرة، ثم تفاضـلت في الأعمـال الصالحة، والتي كانت متفاضلة في الأعمال الصالحة لم تقتنع بضعفها في عمل الصـلاح، فارتدت إلى عمل الرذائل وأكملت جميع الأعمال غير الصالحة.

٢٧ - والذي قيل عن أورشليم عندما عصت ربها: إنني أسوق شعبها إلى السبي والجلاء حتى تصير مسكنا للتنانين. وتأويل هذا هو أن النفس الملازمة لخطاياها ولا تشاء أن تتوب، فهذه يقول عنها الرب: أنا أسلمها لشدائد كثيرة وضيقات حتى تصير مسكنا للشياطين.

٢٨ - ثم أيضا كثيرةٌ هي الأقوال والأعمال الباهرة التي صنعها الرب، التي اشـتهى أنبياء كثيرون وملوك وأبرار أن يروها أو يسمعوها فلم يروا ولا سمعوا، كما قال الـرب في الإنجيل. أما نحن فقد تحققنا منها وميزناها، ولكننا تهاونا بكل ما صنعه ربنا.

٢٩ - فهل مثل هذه الأقوال والأعمال التي سمعناها تزيدنا عصيانا ولا تجعلنا نكـف عن الخطيئة؟ حاشا. ورغم ذلك فلا يستطيع أحد أن يكابر ويقول إنني مـا رأيـت ولا سمعت وإلاّ كنت قد نذرت ذاتي منذ طفولتي أن أصون هيكل الله في ولا أدنسه وأحفظ بيته وأتجنب الظلم وجميع رذائل إبليس.

٣٠ - أما أنا فأقول إنه طالما أن الإنسان يحرس جسده وقلبه طاهرين من أجـل الله، فكل ما هو صالح يصير من نصيبه.

٣١ - ثم علينا أن نتعظ إذا سمعنا أن النحل لا يصنع خيره ولا يستأمنه في أي وعاء كان، بل لا بد أن يهيئ له وعاءً خاصا (أي قرص الشمع). فكم بالحري المسيح وروحه القدوس لا

يصنع الخير في الإنسان وفي روحه إلاّ إذا وجده مستعدا لوصاياه بكل الطهر والنقاوة.

٣٢ - ثم إن النحل – هذه الحشرة الطائرة اللطيفة - يقوم بعمل آخر، إذ إنه يعرف كيف يبني لنفسه بيتا (فهو يجمع حبيبات الشمع الدقيقة من على ساق وأوراق النباتات ويعجنها ويعمل منها القرص الذي يجمع فيه عسله). فكيف تسأل أنت عن كيفية تجسد الكلمة في أحشاء العذراء الطاهرة القديسة مريم؟ فهو وحده العالم كيف كان تأنسه فيها وهو الإله القادر على كل شيء، ولا يمكننا نحن أن نعرف جميع أمور الرب على جليتها، لأن كثيرين سقطوا في التجديف بسبب اختلاط الأمور عندهم فخاب سعيهم وصاروا في بلبلة.

٣٣ - كن أنت مؤمنا طاهرا، وإذا مضيت إليه فستشاهد مجد لاهوته وجزيل نعمته وفضله.

٣٤ - فإذا كنت تستلطف الأشياء التي تشاهدها هنا على الأرض؛ فكم بالأكثر تكون الأمور التي ستشاهدها في السموات أكثر استلطافًا؟ وإن كنت تتعجب من عظمة المدن المصنوعة والمزخرفة بالأيدي بكل ما فيها من روعة؛ فكم يكون تعجبك إذا شاهدت أورشليم السمائية وجمال زينتها وجميع ما فيها من أعمال مصنوعة بيد الله الحي؟

٣٥ - لأنه مهما قلت ومهما خطر ببالك أنك إنسان ضعيف ومريض وجسدك ثقيل؛ فإنك إذا أجهدت ذاتك تكون عديل الملائكة ولن تنقص عنهم في شيء، حيث إنك تسبحه وتمجده دائما على جميع إحساناته، لأنك تكون في منزلتهم عند الله وتصير مثلهم وتسبحه معهم!

٣٦ - لأنه حينئذ لا يكون ثقل جسم ولا ضعف ولا سقم ولا خطية بعد، لأنك تقوم بجسد روحاني حيث لا زوان في الأرض فيما بعد ولا عين تنبع من بئر، أي لا خطيئة تنبع من القلب لتقف ضدك، ولا شهوة طبيعية تلهب الجسد، ولا عين تقع على حسن امرأة لأجل الشهوة، ولا فكر رديء ضد أحد، حيث لا يوجد هناك بعد ذكر وأنثى ولا عبد وحر ولا سلطان لأحد على آخر، إذ يكون الرجال والنساء على حال واحد في ملكوت المسيح، ولا معصية ولا شهوة ولا شيطان يغوي أحدا كما أغوى آدم وحواء في الفردوس، إذ كانا في الجسد النفساني فكانت لهما أُذن طائعة للكلام الرديء المؤدي إلى العصيان وعين مشتهية لثمار الشجرة التي نهاهما الله عن أن يأكلا منها.

٣٧ - فمن كانت عنده الخطية لا تزال حلوة وأحلى من الطاعة، فذلك الإنسان، بعيبه هذا، لا يكون أهلاً لله ولا لخيراته.

٣٨ - إذا كان رب البيت جليل القدر، فإنه يأبى أن يدخل منـزلاً إذا لم يسبقه أولاً من ينظفه من القذارة. أو أنه كيف يدخله إن كان قد هدمه الأعداء؟ أو كيف ينسجم فيه وبداخله عبد أحمق؟

٣٩ - معنى قولي هذا هو أنه إذا كان الرب يسوع، بعد جهد عظيم، يحلّ في إنسان ذي همّة يعكف على طهارة قلبه كل يوم من الأفكار النجسة والهواجس السقيمة؛ فكيف يحلّ أو يسكن بأي حال في جسد إنسان قد نجّس جسده أو في الذين أفسدت الأرواح النجسة أجسامهم بالخطية وخربتها فأصبحت نفوسهم جاهلةً أيضا ورديئة؟

٤٠ - أو كيف تبرر ذاتك إذا تملّكت الخطيئة على جسدك؟ ثم كيف بجسدك هذا تمجد الله هذا الذي فداك بدمه الذكي؟!

٤١ - وإن كان الذين يتعبدون لبطونهم هم مرذولون، وقد رذلهم الرسول أولاً وأخيرا قائلاً إن أصل القضية التي حلّت علينا هو الأكل والشرب، وقائلاً عن آخرين أيضا إنهم بطون بطّالة شرهون منهمكون في اللذّات. فبناءً عليه كيف لا تلام أنت إن كنت مستعبدا للشياطين متعبدا لأفعالهم؟

٤٢ - ليس الاحتفاظ بالطهارة والبتولية فرضا على الملائكة المقدسين، لأنهم أطهار بطبيعتهم؛ وإنما كل ما هو حق وكل عمل لأجل العفة وكل عمل صالح ولأجل الطهارة وكل تسبيح وكل فضيلة وكل كرامة، هذه كلها مفروضة على الإنسان لكي يجذبه على الأرض.

٤٣ - أما النجاسات والغواية والضلال والفسق وكل تعدٍ، فلا توجد إلاّ في الأبالسة. وكل من يقبل نجاستهم وينشغل بها يصير متشبها بهم، وكذلك من يعمل أعمال الملائكة يصير متشبها بهم.

٤٤ - وإن كان السكارى بالخمر يتعرضون لكل ملامة من الكتب المقدسة، مع أن الخمر ذاته مباح من الله إن تناول منه الإنسان بقدر وكفاية وليس للسكر قط؛ فكم تكون المذمة لمن يسكر وتختلّ حياته بخطايا إبليس؟ أليس هؤلاء هم الذين قيل عنهم إنهم سكارى بغير خمر؟!

٤٥ - يوجد بين الناس من يتحسر ويتأسف عندما يسمع الرسول يقول إن ملكوت الله ليس أكلاً وشربا، ولكن الله خلق الأكل والشرب للناس ليأخذوا منه بدون شره وانهماك في اللذّات. ولكن كيف تفلت أنت من الرجز وأنت مخدوع عندما تأكل من مائدة الشياطين وتشرب من كأسهم (في حفلات الترفيه والسمر واللهو)، ثم تطالب أن

تدخل الملكوت؟ فما هو الذي على مائدتهم إلاّ أنها عامرة بطعام الموت وشراب الهلاك. ويا للعجب، فإن الذين يلتئمون حولها كثيرون جدا حتى إنه لا يوجد فيها مقعد فارغ!

٤٦ - إنهم لا يتناولون ما عليها فقط كبقية الناس؛ بل يتخاطفون ما عليهـا بنهـم وبدون قناعة. وعهدنا بمن يأكلون من مائدة مليئة بـالخيرات أن يكتفـوا ويشـبعوا إذا امتلأت بطونهم، أما الذين يتناولون من مائدة الشياطين فلا يكتفـون ولا يشـبعون ولا يودون أن يفارقوا هذه المائدة أبدا!

٤٧ - فإن كان أحد من المسيحيين الذين نعتوا باسم يسوع لا يجب أن يكف عـن الطعام الذي على مائدة أولئك ويشارك الذين يتناولون منها، فخليق به أن يوصف بمـا شبهتهم به كلمة الله: أنهم كلاب مسعورة ووحوش ضارية تأكل من الجيف المنتنة!

٤٨ - ومن ذا الذي لا يقول: فلتفرح السماوات ولتتهلل الأرض، آمـين يكـون، بفرح الروح القدس الناطق في الأنبياء وسائر أصفياء الله!

٤٩ – والمجد للثالوث القدوس الآب والابن والـروح القـدس المحيـي بالكمـال والمساوي، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور كلها آمين.

يا إله أبينا القديس أنبا شنودة تحنن علينا واغفر لنا خطايانا الكثيرة. ❑

من عظات أنبا شنودة عن التوبة

العظة الأولى(✪)

«ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة» (حز٣٣: ١١).

تعساءٌ هم الذين يعيشون بينكم ولم يتغربوا بعد عن صداقة قوات الظلمة ويشتركون في أعمال الظلمة. طوبى للذين لم يتخلّوا عن صداقتهم لملائكة النور، وقد وطّدوا علاقتهم بهم، فيشتركون في أعمالهم النورانية ويسلكون كأبناء النور. إنهم يثمرون ثمار النـور في كل عمل صالح بالعدل والحق.

«زمان الحياة الذي مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم» (١بـط٤: ٣). لقـد حان الوقت بالتأكيد لكي نستحي من شعرنا الأبيض ونكف عن عمل ما لا يجب عمله. لقد أصبح أولادكم الصغار شيوخا في المعرفة، والفتيات الصغيرات أصـبحن سـيدات

(✪) *Scriptores Coptici*, Series Secunda, Tomus V, Sinuthi, Opera, iv.

ناضجات في الفكر، فكم بالحري شيوخكم المسنون وسيداتكم المسنات! فـإن كـان البعض منكم ليست لديهم حتى الآن المعرفة أو العزيمة لكي يبتعدوا عن الباطل، فإننا نبدو كحيوانات غير مستحقين لشيء. لقد حاد الكثيرون عن أعمالهم الشريرة دون أن نتعلّم نحن أن ننأى عن شرورنا، لأننا في الحقيقة لا نخاف الله.

«أيها الفريسي الأعمى نق أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضـا نقيا» (مت٢٣: ٢٦). قال السيد المسيح إنكم تظهرون من الخارج رجالاً صالحين لكن داخلكم مملوءًا غشا وخبثًا. فمن ذا الذي يستطيع أن يصف الدنس الذي بداخل الكتبـة والفريسيين ورؤساء الكهنة الذين لم يؤمنوا في ذلك الزمان بالمسيح؟ هل أفاد م طهار م الخارجية شيئًا؟ هل كانت عباد م نافعة؟ أو ماذا ربحوا من صلبهم لسيدهم؟ إ م خـدام غير مستحقين. كيف تظل عباد م وعبادة أبنائهم بعدهم مرفوضة وكل ما تبقّى منـها حتى الآن؟ هؤلاء الذين سقط الدم عليهم ولن يرفَع عنهم بتوالي الأجيال إلى الأبد.

كل هرطوقي مجدف، وكل من يمدح الذين يرتكبون هذه الآثام ويقولون ا يحـزن الذي أوصانا قائلاً: «تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء» (لو١٢: ١). أمثال هؤلاء موجودون في الكنيسة وهذا ليس بعجيب، فالعصافير أيضا كثيرا ما توجـد ا. وإن كان الهراطقة يبسطون أيديهم أو يرفعو ا بغش كما لو كانوا يصلّون؛ فالعصافير تفعل ذلك مرارا كثيرةً حينما تبسط أجنحتها.

أتقدرون أن تقاوموا الشيطان أيها غير الأمناء إن لم يكن لكـم درع الإيمـان؟ فبـه تستطيعون أن تطفئوا سهامه. الويل لكم إن كنتم لا تدخلون الكنيسة أو إن كنتم لا تتناولون جسد ودم السيد. والويل لكم إن كنتم تدخلو ا وتتناولون من السر المقدس ولكم قلبان، لأن أعمالكم كلها تكون باطلةً وغير مثمرة، وقد قال الكتاب: «باطلٌ هو لكم التـبكير» لكـي تفعلوا ماذا؟ تنهضون لتعبدوا أو تصلّوا إلى آلهة ليست بآلهة؟ ومن من الذين يصلّون من أجل أن يخرجكم الله من خطئكم لا يحزن عليكم إذا كنتم تقومون مبكرين باطلاً أو تعبدون بـاطلاً؟ ماذا تكسبون إن كنتم تغشون قلوبكم حتى لا تؤمنوا بالله الذي جبلنا على صورته ومثاله؟

توجد طيور كثيرة لكن النحلة أفضلها. جيد بالتأكيد أن نحب النحل لأنه يعطي تعبه للجميع، وجيد أيضا أن نحب الصديقين لأ م يسرون الله بكل أعمالهم الصالحة، وهـم أيضا يريحون أحشاء جميع القديسين في السموات.

جيد أن يعتني الناس بالنحلة ويسهروا عليها ويقضوا على الحشرات الأخـرى الـتي

تحار ا، وجيد أن يعتني الملائكة بالمسيحيين الحقيقيين ويسهروا عليهم ويضـربوا العـدو الذي يحار م ويؤذوه. جيد أن يحب الناس النحلة لأ ا تعطي شهدا حلوا من السماء بقوة السيد، وجيد أيضا أن يحب الملائكة المسيحي لأنه يقبل في نفسه الندى الحلو النازل مـن السماء الذي هو أحلى من كل عسل: كلمة الله والإيمان والسلام والمحبة ورجـاء كـل خير. وإن كان النحل الصغير يضع خيره في أي وعاء يجده مهيأً له، فكم بالحري السـيد المسيح يضع الخير في الإنسان الذي يجده مستعدا لوصاياه بكل الطهر والنقاء.

أيها الإنسان، أتريد أن تعلم ما في قرارة نفس من كان غير أمين ذا نفس مضـطربة ومملوءًا من الأرواح النجسة؟ راقب مغارات الضبعة ومغارات كل الحيوانات المفترسـة وانظر كم هي مملوءةً بالعظام من كل نوع ... ذا تقفون على أسباب خـزيكم. إنـني أخاطبكم يا من تدخلون الكنيسة برياء خوفًا من الناس، لأنه من أجلكم قد قيل: «ملعونٌ من يعمل عمل الرب برخاء (أي بيد مرتخية)» (إر٤٨: ١٠).

العظة الثانية(*)

«هوذا زوبعة الرب تخرج بغضب، نوءٌ جارف، على رأس الأشرار يثور» (إر٣٠: ٢٣).

لقد حلّت الكارثة على الذين لم يتفكّروا في أن الإنسان هو هيكل لله. إذن، فمـاذا يحدث لمن ينجسونه رغم أ م سمعوا وعلموا أن الإنسان ما هو إلاّ جسد واحد في المسيح (١كو١٢: ٢٧)، وأيضا أننا نحن أعضاء جسمه (أف٥: ٣٠). كما قيل إن كل واحـد منا عضو فيه، فنحن وزملاؤنا أعضاء، وأنت تقول لأحد أعضائك: يا ابني، ويا أخـي، وتقول المرأة لقريبتها: يا أختي، وتقول الأم لابنتها: أنت ابنتي؛ فلمـاذا لا تخجلـون أن تخطئوا ضد أنفسكم؟ ألا تخافون؟

أما تستحون أمام المسيح أن تجعلوا من أعضائه أعضاء زانية بينمـا أن أعضـاءه هـي أعضاؤك؟ كيف لا تخجلون من أن تجعلوا أعضاء أولادكم وبناتكم وإخوتكم أعضاء خطيئة (انظر رو١: ٢٦و٢٧). لقد قلت وأقول أيضا إنه من الكفر أن نجعل الإنسان يكشف مـا ليس له أن يكشفه وأشد منه حينما يقول: لا يوجد من يعرف.

يوجد إخوة يكرهون التعليم في حين أنه يوجد من يحبونه. من يكره التعليم هو مـن يكره أولاً مصدره، لأنه من ذا الذي يحب التعليم ولا يحب أولاً من يعلمه إياه؟

(*) *Oeuvres de Schenoudi,* Tome 1.

إن الدينونة معلَنة وأيضا ا ازاة والانتقام. لأنه مثل إنسان يرى حجرا تدحرج مـن مكان مرتفع، فإذا وجد أناسا جالسين في مكان سفلي يصرخ بكل قوته: ابتعـدوا ولا تقفوا هناك! فمن يسمع يخلص ومن لا يسمع يسحقه الحجر الذي يسقط عليه. وهكذا، فإن اللعنة المذكورة في الكتاب وسخط الرب وغضبه تدرك كلها كل إنسان يتغافل عن هذه الأمور لأنه لم يصغ لصوت الله!

الذين يدنسون الهياكل المقدسة ويحتقرو ا يستحقون العقوبات، ومن أيـن لهـم أن ينجوا من لعنة وغضب سخط الله؟! إ م يسـلمون إلى أمكنـة شـهوا م ومسـاكن الشياطين. فكأن امرأة ظهرت أمام زوجها كصانعة خير ولكنها فعلت الشرور، وبدلاً من أن تتزكّى في ذلك المكان دنست نفسها. أترى المرأة تختفي من زوجها أو الولد يختفي من أبيه أو الإنسان يختفي من جاره؟ فلو كنتِ أيتها النفس الممقوتة تختفين من الذي خلقك، أو إذا اطلع أحد على نجاستك فكيف تتصرفين؟ هل تجتهدين في شـيء آخـر سـوى تكذيب ذاتك؟ لأنك تصبحين ذاتا واحدةً مع الشر كما هو مكتوب: «كذب الظالـم لذاته» (مز٢٧: ١٢الترجمة القبطية).

فبدلاً من أن يمتلئ أمثال هؤلاء من روح مخافة الرب كما هو مكتوب، امتلأوا مـن روح الوقاحة والنفاق. والرب يسوع لا يفعل معهم شيئًا إلاّ أن يمحو اسمهم وذكرهم من بين الناس الذين يسكنون معهم حين يشاهد بيته قد فقد طهارته، لأنه إذا وجد أناسا قد جعلوا أماكن الله غريبةً بسبب إثمهم؛ فإن آخرين أيضا قد غمرهم بنعمته بسبب براء م. وهو لا يهمل أماكنه بسبب وجود الأعداء، وذلك بسبب الصديقين الساكنين فيها ولو كان الأعداء مختلطين م.

حقًا إن اللعنة تحلّ على الرجل والمرأة أيضا عندما يقولان إننا لبسنا المسيح (غـل٣: ٢٧) وقد لبسنا درع الإيمان (١تس٥: ٨)، وهم منغمسون في الأمـور الممقوتـة، ولا يهربون أبدا مما قاله النبي في محاربة المرائين في كل زمان، فهو يشجبهم بقولـه: «إ ـم أضلّوا شعبي ... واحد منهم يبني حائطًا وها هم يملّطونه (أي يبيضونه) بالطفال ... إنـه يسقط» (حز١٣: ١و١١). معروف هو هذا البناء ومعروف أيضا هذا التبييض أنه يعني الذين يرتكبون الخطايا بافتخار. إ م يتفقون مع الذي يبغضه الله حين يقول إن الحـائط يستقيم قائما، ولكن الله قال إنه يسقط. قال للذين يبيضون إنه يسقط بعكس ما قـالوه هم. فقد قال: «أهدم الحائط الذي ملّطتموه بالطفال وألصقه بالأرض وينكشف أساسه فيسقط» (حز١٣: ١٤). إنه يسقط ليس على ذاته فحسب؛ بل على الذين بيضوه أيضا،

كبيت يهبط على بيوت أخرى فينجم عن ذلك هبوطها ويعم الخراب على الكل!

أين الآن تبييضك أيها الحائط وما هي منفعة الذين بيضوك؟ انظروا عطب الأرض والمثالب التي ا الت على الفلاحين الذين حرثوها حين تركوا الزوان وسط القمح حيث قال: «دعوهما ينميان كلاهما معا إلى (وقت) الحصاد» (مت١٣: ٣٠).

❑☆✣☆❒

العظة الثالثة[*]

«إن وجدت في **سدوم عشرة أبرار فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم»** (تك١٨: ٢٦و٣٢)

ألا ينظر الرب إلى العالم لأجل صديقيه بسبب وجود الأشرار؟ وهل يترك أماكنه بسبب أحبائه الذين يسكنون فيها لأ م مختلطين بالأعداء؟ ومن هم الأكثر عددا الساكنون في الأرض كلها أم الذين في الأديرة؟ يجب أن يقال إن العالم ينجو بسبب الأماكن المقدسة!

عندما تكون حبة الخردل في جرا ا ينجو الجراب بسبب حبة الخردل، بمعنى أن يسوع يمهل ديرا بسبب الذين يخافون الله فيه. الويل لذلك الجراب يوم أن تؤخذ منه حبة الخردل، وأيضا الويل للعالم يوم تؤخذ منه البذور ... ولكن أي رياء أعظم من هذا، أن يرغب دير في سكنى أناس معروفة أعمالهم الشريرة بدلاً من أن يجعل يسوع يسكن فيه؟! إلى من تلتجئ أو من ذا الذي يخلّصك؟ من هو الذي يثبتك أيها الدير إن لم يكن الرب ساكنا فيك؟ مثل (الكنيسة) التي يقال عنها: "الرب في وسطها فلن تتزعزع". في أي الأمور لا تتزعزع؟ إ ا لن تتزعزع في معرفة الله وتتجه نحو عدم التقوى كقوم لا يعرفون الكتب.

العظة الرابعة

«كونوا قديسين لأني **أنا قدوس»** (١بط١: ١٦)

أتكلم عن الذي يعرف المسيح الكرمة الحقيقية والذي لا يعرفه. هل يضع الإنسان يده على المحراث وهو لا يعرف مثل الذي نظر إلى الوراء بعد أن وضع يده؟ هل يحرث الإنسان أرضا إذا كان متجها إلى الوراء؟ وهل يجني شيئًا آخر سوى خسارة زرعه كله؟ لأن الإنسان الذي جعل نفسه عبدا لله ثم ارتد قلبه إلى الخلف بدلاً من أن يتجه إلى الله، حيث إن السيد يعلمنا كيف نحرث، أو إن كنت أضع يدي على محراث أو على مقبض محراث، فماذا يعني ذلك؟ ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء لكي يكون

---

[*] المرجع السابق.

حرثه مستقيما. أول شيء يلزم أن يفعله الإنسان هو ألاّ يجعل أعضاء المسيح أعضاء زانية، لأن هذا هو الغضب العظيم، وبعد ذلك كل الفضائل الأخرى.

لا عجب إذا وجد رجلٌ أبرص أن أولاده مرضى بالبرص، فإن كل واحد يقول إن ما كان في أبيهم صار إليهم. أتكلم عن الأشرار الذين غطاهم برص أبيهم بقشوره، ولماذا لا يرغم بنو الله أنفسهم، بما أ م ليسوا برصا، على تحصيل ما في أبيهم ليكون فيهم، ليكونوا أطهارا كما هو طاهر؟ لم يقل لأحد: قلّد الشيطان، ولكن كثيرون هم الذين يقلّدونـه وأعمالهم تشهد بذلك، بينما صوت الرب يملأ الأرض كلها: «كونوا قديسين لأني أنـا قدوس» (١بط١: ١٦).

كما أن الزواج لأجل إنجاب الأولاد أمر جميلٌ وجميلٌ أيضا النسل؛ هكذا يكون جميلاً الأكل والشرب بغير جشع والنوم بدون كسل. محبوب هو الإنسان الذي يشـبع مـن خيراتك. إن كان شغفك بأعمالك الصالحة يجذب في أغلب الأوقات الرجل الغيـور إذ تعبد وتبارك أثناء الليل؛ إلاّ أنه ملعونٌ ذلك الرجل الذي لا تدع أعماله الرديئة الـبعض آمنا بسبب مظالمه.

❀♛❀

العظة الخامسة

«الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو٣: ٢٣)

العالم كله أضحى رديئًا، والأرض كلها صارت تحت الخطية، والزوان نما، والـزرع الصالح ليس فيه إلاّ التبن. وبسبب كون الأرض المأهولة سلّمت قلبها للخطية بكل قو ا لم يصبح القمح وحده هو الرديء، بل إن الكثير من الحبوب أيضا دفعها الريح مع التبن، وبعضها جف قبل أن تظهر فيه البذور أو تبتدئ في الخصب.

يا لخسارة زمان حياتنا! لقد تقاعسنا عن الأعمال الصالحة. إننا نتفرق في أماكن العمل، ولكن كثيرين سوف يخزون حينما يأتي رب الحقل يسوع! من افتقر من المسيح غير الـذين فعلوا الشرور؟ إن الأمم التي لا تعرفك يا رب تصير حقًا مثل الشوك المعد للحريق، والـذين لُعنوا في أماكن السكنى يكونون مثل شوكة مطروحة في الحقل، أُعدوا للحريق في فمهم وفي أثوا م وأينما وجدوا. إننا في الحقيقة قد ابتعدنا عنك يا رب بشرورنا العديدة لأننا أخطأنـا على مرأى منك لا على مرأى من البشر، وقد صارت الخطيئة معنا جسدا واحدا.

لكننا بالحقيقة لو ـضنا واقفين في مقادسك لَغمرنا العالم بالصلاح والخيرات، خصوصـا إذا تناول كل واحد منا الأسرار مختبرا ذاته، حينئذ لا يدركنا شـيء البتـة. وإذا أدركـت

المصائب الأرض أيضا فإن ذلك يكون بسببنا، لأننا لو عملنا ما يريده الله لارتد عن غضبه، وذلك حينما يتقد سخطه مثل النار ويتضاعف عندما يمحو كفر الناس المعطلين. وكيف يلطف الله من سخط غضبه؟ إننا إذا لم نحاكم أنفسنا بهذه الأقوال وإذا لم نعملها فإنها تكون دينونةً لنا لا تعزية.

الويل لنا لأنه منحنا إحساناته فعصيناه! إننا عصاة في نظر من تنتسب إليه الأرض كلها مع سكانها، في نظر يسوع المسيح. إن العالم لم يعرف المسيح، فقد عرف العالم ذاك الغريب عنه ولم يعرف خالقه. لقد عصى الإنسان على الذي خلقه وخلق العالم وكل ما فيه. لقد قال الرب: «خرافي تسمع صوتي» (يو١٠: ٢٧)، فإننا نحن الذين حرمنا أنفسنا منه. وما هي خرافه إلاّ أولاده؟! ومن هو الغريب سوى إبليس؟ فيلزمنا أن نتبع كلنا صوت المسيح ونرفض الإصغاء إلى صوت المهلك اللص حتى لا نسمع ما يخاطب الرب به الناس: «لا أعرفكم من أين أنتم، تباعدوا عني» (لو١٣: ٢٧)، هؤلاء الذين كانوا مساكن للشيطان، لأنهم تغافلوا عما يجب أن يفعلوه، لأنهم لم يناولوه لكي يأكل ويشرب، لأنهم لم يتقدموا إليه بزيت .. أما نحن الذين ننطق باسم الله، فإن كانت فظائعنا مختفية عن الناس فإنها مكشوفة لله.

❀ ✫ ❖ ✫ ❀

العظة السادسة

«الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبةً لخلاص بلا ندامة» (٢كو٧: ١٠)

بيوت الله ليست أماكن للضحك أو كلام الوقاحة وعدم الوقار والنميمة والقلاقل والشكاوى. إن الذين يحزنون بحسب الله فإن الله يرفع عنهم حزنهم، أما الذين لا يحزنون بحسب الله فإن الله يسلّمهم للحزن كما هو مكتوب: «أعطهم يا الله سببا للحزن» (انظر مز٢٨: ٤)، كما قال أيضا إن هؤلاء ليسوا حزانى، علام؟ على النفاق الذي يصنعونه في الأرض كلها. كثيرون هم الذين يحزنون حسب العالم على ما هو لهم كل واحد بطريقته، وقليلون هم الذين يحزنون من أجل أمور المسيح! فإن عرفنا أن الله من أجل معصية واحدة لم يترك الإنسان الأول يمكث في الفردوس، فكيف ندخل إليه ونحن نرتكب هذه الشرور كلها؟!

العظة السابعة

«اعزلوا الخبيث من بينكم» (١كو٥: ١٣)

لقد ضل كثيرون بسبب كلمات لم يفهموها مثل «لا تدينوا فلا تدانوا، لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم» (لو٦: ٣٧)، أو لماذا تدين أخاك؟ إذا كان الشيطان أحيانا يتخذ شكل إنسان رحيم يتملق الإخوة الذين يبكّتون الذين يفعلون الشر، وإن كان هو أحيانا يتحول إلى ملاك الله ويهدد الذين يهتمون بطرد الأشرار من أماكنه؛ فالويل لشعب يجتهد رؤساؤه في عمل آخر ولا يمتحنون الأرواح، أعني الذين يخدعونكم بكلامهم عن الآباء النجسين ويناصرونهم قائلين إنه لا ينبغي أن نقلع جذورهم ونقتلعهم من الحدائق. ولنفرض أن الذي يكلمك ملاك، فهل هو يعلّمك أكثر من الله؟ فيجب أن يقصي النجسين والعصاة من هذه الأماكن، لأنهم لو كانوا قد أطاعوا لما قُبض عليهم في الفخ كما يفعل الصيادون.

أليس الذين بالدير كلهم في الأصل أحرار؟ وإن كان فيه خمسة لصوص، ولا أقول عشرة، ألا يقولون إن البعض يمثل الكل؟ لأنه هل يطرد اللصوص غيرهم من اللصوص؟ وهل يجعل النجسون غيرهم من النجسين غرباء عنهم؟ وهل الشيطان يطرد شيطانا من الأماكن المقدسة؟ وهل يطارد الشياطين إنسانا شريرا؟ ولكن إذا طُرد عدو المسيح ومن يشبهه في شروره من هذه الأماكن المقدسة، فإن كلمة الحق بالحري ترذله قائلةً: وماذا كنت تفعل بينهم؟

وإنني أقول: إذا طرد إنسان بعض الناس من هذه الأديرة بدافع شخصي حتى ولو كانوا لم يتركوا شيئًا من الشر إلاّ واقترفوه، فإن الله يلقيه خارجا. من أراد أن ينجو من دينونة الله فليتعلّم أن يسلك هكذا بحسبه تعالى فقط. انظر ما فعله الرب يسوع عندما اتقد غيرةً على بيته. إن الكتب تأمر ألاّ يستقر شرير واحد وسط جماعة، لا اثنين أو عشرة، خوفًا من أن يأتي اللوم على الكل.

ضع الزوان لينمو مكان الكرمة أو مكان الخضروات، فإنك تجده ينمو بكثرة. أيها الزارع الغبي، أيها الأحمق بين الزراع العقلاء، هل ترك راع قط خروفًا أو ماعزا وسط القطيع أو في الحظيرة بعد أن ذُبح أو أهلكته الحيوانات المفترسة؟ لماذا لا يجب أن نجعل رجال الدماء والمكر غرباء عن أديرة الله، ليس بسبب شرورهم فحسب؛ ولكن حتى لا يبتعد الله عن الأديرة؟ ألا يلام الشعب إذا ترك في وسطه أعداء العدالة والوصايا التي أُعطيت لنا؟ نسمع أن إنسانا عوقب لأنه سرق قطعا من الحطب، فلو ترك كل واحد

يفعل ما يريد أما كان الكثيرون يسرقون؟ وهل كان الحكام خالين من الشفقة في عقابهم للمخطئ بسبب قطع صغيرة من الحطب لا تصلح إلاّ للحريق؟ ألم يفعلوا ذلك من أجل أمر الله حتى لا يحزن الله الجميع ويهلكهم من أجل واحد؟ ولماذا لا يجب طرح بعض الناس خارجا عن مجامع الله؟ إن التحدث بأعمالهم الكريهة لَهو ضرب من القيء لأنهم هيأوا مائدةً للشياطين. إنهم يكونون ملعونين لأنهم رتبوا لهم ما يأكلونه معهم. فهل يسوغ أن يتركوا في أماكن القديسين؟

لو أن رقعةً رثةً باليةً كانت نافعةً لتبطين رداء جديد، أو أن رقعةً جديدةً نافعةً لرداء عتيق، لكان الناس الدنسون ذوي نفع في سكناهم مع الأطهار، ولَصح سكن الأطهار مع الموبوئين. لماذا لا يفصل أب طاهر عن ابن نجس وابن طاهر عن أب موبوء؟ ولماذا لا تفصل أم ذكية عن ابنة مخدوعة؟ إن كلام النبي الذي كان بالأمس يكون اليوم وكل الأيام إلى الانقضاء: هل هذا الحائط والذين ملّطوه (انظر حز١٣: ١٥) هم الذين ينصحون ويعلّمون ويعظون بأن يترك النجسون في أماكن الله، ويحاربون الذين يقولون بعدم وجوب تركهم ويشجعون من يتصرفون بالتهاون؟

❑✿♛✿❑

العظة الثامنة

توبيخ وتحذير

جاء إلى الدير بعض القسوس والشمامسة وآباء من أديرة أخرى ومعهم جمع كبير ليسمعوا كلام القديس أنبا شنودة. جاءوا لكي يبرروا تصرفاتهم بينما هم أعداء بعضهم لبعض بسبب أعمال شريرة وسرقة. ولكن القديس رأى ألاّ يتكلموا معه فيما جاءوا لأجله حتى اليوم التالي رغبةً منه في أن يسود عليهم الهدوء حتى يسمع الذين يحبون التعاليم التي يرسلها الله لهم. ولما فرغ من كلامه في مساء يوم الأحد كعادته انصرفوا دون أن يفاتحوه فيما جاءوا لأجله لأنهم استحوا إذ توبخوا من كلامه، وهذه هي عظته:

إن الذين يرتكبون أعمالاً مكروهةً في الأماكن المقدسة إنما هم خونة وسارقون وجاحدون. ماذا ينفع من الفتائل إلاّ ما يشتعل في المصباح؟ لأنها تكون غير صالحة إذ قد استعملوها عدة مرات! كلمة الله تنذرنا أنه ليس للذين يسلكون بمكر في بيت الله أن يتوقعوا الصالحات. ومن واجب الإنسان الأمين أن يريهم الأعمال الحسنة وأن يضع النور في الأماكن المقدسة. إن الرجل غير الناجح الذي هو بدون استعداد في ذاته كيف يكون أهلاً لعمل مجيد نافع؟

إن يهوذا لم يكن له استعداد في ذاته لذلك لم يستحق درجة الرسولية، بل إنه كـان مستعدا أن يظهر بمظهر لص وخائن، ليس فقط لأن هذا الجاحد سمع الرب يقول: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» (مت١٦: ٢٦)؛ بل لأنه سمع أيضا: «إن واحدا منكم سيسلّمني» (يو١٣: ٢١)، فلم يخجل ولم يشفق على نفسه، لكنه تاه بسبب الثلاثين من الفضة، فأهلك نفسه وأتلف الفضة أيضا. وإن كان البعض لا يقنعه العالم كله ويلقي بنفسه في فخ إبليس بسبب الأموال مفضلاً إياها على السماء التي ليس فيها ذهب؛ فلنكتف نحن بما يمنحه الله لنا من الكفاف.

قال الرب لآدم وحواء: لماذا أكلتما من هذه الشجرة التي يتكما عن أن تأكلا منها؟ فقالت حواء: إن الحية أطغتني فأكلت. وقال آدم: إن المرأة التي أعطيتني إياها قد أعطتني من الشجرة فأكلت! ولذلك طردهما الله، وأما الجنة فأغلقها. ونحن أين نذهب من أمـام وجه الله؟ لأننا ارتكبنا الشر لأننا فجار، لأننا اختطفنا ما ليس لنا، لأننا نلجأ إلى الكذب، لأننا نقسم باليمين الكاذبة، ونقترف كل الشرور الأخرى التي نغضبه ا!

لقد عرف آدم وحواء في الحال وشعرا بخزي السقطة التي تورطا فيها، وعلما أ مـا عريانان ولذلك بحثا عما يستتران به، وصنعا مئزرتين من ورق التين لأ ما اضطربا. ونحن المغمورين دائما في خطايانا لا نشعر بخزينا ولا نعلم أننا أصبحنا متعرين من النعمة الـتي كنا نكتسي ا قبل أن نخطئ، ونحن في ذلك لا نفكر في أن نلتـزم بالوصـايا ونقـوم بالواجبات التي فرضتها علينا الكتب لكي نخفي جهلنا.

إذا جاء البربر إلى أرض فإلى أين يهرب سكا ا لكي يكونوا في أمان وسـلام إن لم يكن إلى المدن المحصنة؟ ولكن إن استولى البربر على أماكن الحراسة فإلى أين المفر؟ يمكن للقوي أن يهرب إلى الجبال لكي ينجو. وعلى هذا القياس، إذا هجم الشـيطان علـى النفوس بقصد أن يخدعها ويصرعها فإلى أين تلتجئ إلاّ إلى الذين لهم القيادة في بيت الله لكي يعرفوهم بأمور الجهاد وأسلحة الحرب لكي تنتصر على الخطية؟ وإذا ابتدأنا نحن أن نضعف أو إذا سقطنا في الشر حينما يضع العدو حجر عثرة تحت أرجلنا، فإلى أين يذهب الناس أو من يمسك بأيديهم؟ إ م يرفعون أعينهم إلى الجبال كمـا هـو مكتـوب، أي يضعون في قلو م أن يحفظوا المكتوب لكي يروا من أين يأتي عو م، حيث يأتيهم مـن السيد الذي خلق السماء والأرض.

إذا كان البحارة يهتمون كثيرا بأن يلقوا إلى الخارج بالمياه التي تقذفها الأمـواج إلى

داخل المركب لكي تكون الحمولة في أمان؛ هكذا أيضا الذين يحكمـون في أمـاكن الله عليهم أن يهتموا بألاّ يتركوا فيها أعمالاً شريرةً أو يعمدوا إلى محاباة الوجـوه والإدانـة الشريرة من أجل أغراض بشرية، وبالاختصار كل الأمور التي ا تكثر الخطية؛ وبـذلك يخلص الجميع. أما زوايا الصخور وكل حجر عثرة في طرق الملاحة فسيخلصنا منها الرب يسوع، كما أنه سيأخذ بأيدينا في تلك الأمور الأخرى.

أقول: إن كنا نشبه الإنسان بالمركب، فمن البديهي أنه على الذي يقـود مركبـا أن يلاحظ طريقه بعناية حتى تحفَظ قلوبنا فوق كل تحفظ، كما هو مكتـوب (أم٤: ٢٣)، من كل ما يهاجمها أو من ذكريات تدخل فيها فتضيع روح الورع لأنه، كما قيل، فـإن الذين يحاربون بعضهم بعضا بمثل هذه الأسلحة التي هي الغيرة والحقد والا امات الكاذبة والازدراء والسخرية وما شابه ذلك، قد أخطأوا بأفكار قلو م. إنه لا حصـر للـذين جعلهم الشيطان أعداء للعدالة في محبة ممزوجة بالغيرة والحقد. وهكذا فإننا سوف نخجل في اليوم الذي يدين الله فيه سرائر الناس. فكيف نخفي غيرتنا وحقدنا الواحد نحو الآخر في ذلك اليوم حينما كنا نكلّم بعضنا بعضا بالسلام لكن العداوة في قلوبنا؟ إنه لَخير لنـا ألاّ نسأل عن أخبار صحة رفقائنا من أن نسأل برياء وغش.

فلنخجل من هذا الكلام لأن الرب يعرف أن أفكار الناس باطلة ... إنني لن أقـع في يديك، ولا أنت تقع في يدي، لكننا سوف نقع بين يدي الله. مغبوطٌ هو الإنسان الذي ينقذه المخلص يسوع من الشيطان. إن كنت آكل الخبز معك ويدك في الطبـق معـي، ونسكن معا في الأماكن المقدسة، أنت معي في المذبح، وأقف بالقرب من المائدة معـك، لي ولك جسد المسيح وتناولني دمه؛ وقلوبنا مليئة بالشر الواحد نحو الآخـر ولا نخشـى الغضب واللعنة!؟ يوجد في كل زمان الذين يسلكون بمكر في الأماكن المقدسة وقلـو م ليست مستقيمة نحو الله ..!

أين يوجد يهوذا؟ في الجحيم. لماذا؟ بسبب السرقة والخيانة. كانت يده في الصحفة مع يد الله وكان على استعداد أن يسلّمه. فلنخش إذن من جهنم، ولنخجل من أنفسنا نحـن الذين منحنا عظائم الله، ولنحفظ أنفسنا أطهارا من أعمال يهوذا في بيت الله، لأنـه إن كان قد فعل تلك الشرور العظيمة، فلأنه بعد أن أخذ اللقمة دخل فيه الشيطان. وقد حلّ عليه ذلك الغضب الشديد بعدل بحسب شر أعماله، لأنه بدلاً من أن يتطهر من الشيطان حينما أخذ لقمة الخبز الذي كسره الرب وأعطاه له، دخل فيه أكثر، وهكذا بدلاً من أن يصبح رسولاً أصبح إبليسيا (أي تابعا لإبليس).

إنكم ترون أن الذي بعد أن نال النعمة والاسم الحسن والثوب الذي ارتداه ويجعل مكانا في نفسه للروح النجس؛ فإنه يقع بين أيدي أشرار عديدين. والإنسان النجس ليس هو فقط المنفصل عن الأطهار؛ بل إن كل شر وكل رياء هي أمور نجسة وكل من يلمسها أو يرتكبها هو نجس، ومن لا يبتعد عنها هو نجس أمام الله. أنا وأنت اللذان نعظ ونعلم فلنبك على خطايانا حتى لا يلقينا الرب بعيدا عنه في الضيق إذ يقول: «لا أعرفكم .. تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم» (لو١٣: ٢٧)، فماذا نقول في تلك الساعة؟ هل نقول: "باسمك أخذنا وصايا أو عظائم، باسمك لبسنا ثيابا وسكنا في أماكنك المقدسة، باسمك قرأنا الكتب؟ أو كما يقول آخرون: «أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة» (مت٧: ٢٢)"؟ ولكن هذا لن ينفعهم بشيء، فسيقول لهم: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية» (مت٢٥: ٤١)، لأنهم لم يعملوا بما قاله لهم، فكم بالحري يكون الويل لنا أكثر لأننا نترك الأعمال الضرورية أي أحكام الله والعدل.

❖ ✿ ✣ ✿ ❖

العظة التاسعة

تحذير للكهنة

[لا يدنو من التناول من لا رحمة عنده ولا من هو نجس بالكلية]
(كتاب الأعمال الرئيسية للأنبا شنودة)

أيها الكاهن، إذا أردت أن تكرم أناسا فأكرمهم في بيتك وقدم لهم مما تملك، فالمذبح ليس هو المكان الذي فيه ترضي الناس، ووجود جسد الرب ودمه لا يمكن لنا معه أن نشتري خواطر الناس. هذا الذي تصنعه إنما هو سر وليس أكلاً وشربا. والهيكل ليس هو المكان الذي يدخل فيه الإنسان وهو خاطئ أو زان أو غضوب أو سارق أو يحلف باطلاً، كلٌ في خطاياه. أيضا من أجل يسوع، ينبغي أن نعلم أن الهبة الحقيقية التي يجب أن يعطيها الإنسان لقريبه هي أن يسند كل واحد أخاه وصديقه في احتياجاته ليست الظاهرة فحسب؛ بل أيضا في احتياجاته الروحية ضد إبليس.

❖ ✪ ✵ ✪ ❖

العظة العاشرة

عمل الرحمة والطهارة

«الديانة الطاهرة النقية عند الله هي (عمل الرحمة والطهارة)» (يع١: ٢٧)

هناك أمور يجب على الإنسان أن يفعلها سواء وعد بها أو لم يعد، وهي أن يطهر

فراشه ويعطي صدقة إن كان يملك شيئًا من خيرات الحياة، ويظهر الحـق دون محابـاة الوجوه، ويحفظ أيام الصوم حسب قوانين الكنيسة، وأن يعطي البكور والعشور وكـل عمل صالح. وهناك أمور إن لم ينذرها الإنسان فلا خطيئة عليه، لأن الرب يقول: «مـن استطاع أن يقبل فليقبل» (مت١٩: ١٢). ولكنه إذا نذر ولم يتمم نذره فالويل له، وهو أن يكون بتولاً وأن يحمل صليبه لكي يتبع الله. من سقط إذن من هذه الأعمال أو مـن رجع فيها إلى الوراء فقد أهلك نفسه وأصبح عامود ملح مثل امرأة لوط.

احترسوا لئلاّ يسرق إبليس غنى العفة:

وأنتِ أيتها العذراء، ابحثي في كل أوعيتك وستعرفين ما يريد العدو أن يأخذه، إنـها طهارتك وهي الغنى العظيم، إنها الصلاة التي هي الأساور والخواتم من كل نوع الـتي في يديك وأصابعك، إنها طاعتك التي هي الأقراط التي في أذنيك، إنه تواضعك وهو العقـد وخيط البرفير اللذان في عنقك، إنها حكمتك وهي الزينة التي علـى رأسـكِ أو حـول جبينكِ، إنها أصوامكِ وهي زمام جسدك، إنها التأملات في كلمة الله سراج رجليكِ، إنها أعمالكِ الصالحة وهي الثياب الثمينة التي تلبسينها، وهي النعمة مثل العطر والزيت الذي تدهنين به نفسكِ وتضعينه على رأسكِ، إنها الحرية مثل الرداء الذي تلبسينه. هذه الأمور وغيرها يسعى العدو لا لكي يسلبها منكِ فحسب؛ بل إنه يروم أن يسـلبكِ الكرامـة والحياء الحسن الذي في عينيكِ. فالعذراء عليها أن تحفظ لنفسها كل غناها الحقيقـي في الأعمال الصالحة وتتممها بكل شجاعة.

ماذا لو أخذتِ عدوا وأدخلِته في بيتكِ وفي غرفتك؟ فالمكروه النجس قبلِته إليكِ، والطاهر المحبوب أبعدِته عنكِ، وليس لأنه لم يكن في قدرته أن يخلص؛ لكن لأنك أحببـت الغربـاء وتبعتيهم .. أقول عن روح الشر وقوات الظلمة، لكن إلهك والرب يسوع لم تسـكنيه في قلبكِ وفي أفكاركِ! إلى متى تكون هذه الآلام على الأرض بسبب أعمالنا العنيفة؟

❏☯✵☯❑

العظة الحادية عشر

[ارفعوا الخطيئة لكي يرفع الرب الآلام والعقوبات والأتعاب من كل نوع] (رئيس المتوحدين)

لا يمكن أن أقول كلمة لا أؤدي عنها حسابا، لذلك أقول لكم:

يوجد إنسان يقرأ الكتب ويتلو المزامير ويقال عنه في السماء إنه كان خليقًـا بـه أن يغلق فمه. ويوجد إنسان في الأماكن المقدسة ويحمل أيضا الاسـم ا يـد، أو راهـب

ويسمونه في السماء عدوا لبيت الله ويستحق أن يمزق الثوب الذي عليه. ويوجد إنسان يأتي إلى المذبح ويتناول جسد الرب ويسمونه في السماء مستحق أن تقطع يداه ورجلاه. ويوجد أناس نظن نحن على الأرض أ م أنوار قد تحلّوا بكل طهارة، ويسمو م في السماء "نجسين في كل شيء".

إنه يوجد فرق بين الذين يسمعون هذه الكلمات وهم يتنهدون ويبكـون، والـذين يسمعو ا وهم يضحكون ويستهزئون. فماذا ينفع هذا الاسم وهذا الثـوب إن كنـا في أعمال لا تليق؟ الذي لا ينتبه إلى خطاياه وهو يسمع هذه الكلمات هو الذي لا يفكر في ايته وفي ساعة احتياجه. أيها الإخوة، ليس العالم هو الذي ملأنا بالأخطاء، بـل نحـن الذين ملأناه ا! لذلك فهذا هو الوقت الذي ينبغي أن نكون فيه حكماء. إنني أتـذكر كيف رأيت دموعا تسيل على خدودكم حينما قيل: "أترتفع على المنبر أو على العـرش لكي تقرأ للذين يسمعون كلمة الله في الكنائس أم تنـزل في الحفر"؟ وأيضا: "ما هـو حرص الراعي إن كان يأخذ ماءً لكي يسقي قطيع خراف ولا يسقي عنـزة صـغيرة يملكها؟ ومن يوقد مصابيح كثيرة في بيوت الآخرين ولا يوقد مصباحه في غرفته"؟

إنكم حكماء إذ تعلمون أنني أشبه نفس القارئ بالعنـزة الصغيرة، وقلبـه بغرفتـه، والكلمات بالمصابيح والمياه، والناس بالخراف، والكتب بالبئر والأعمال الحسنة بالأماكن المرتفعة، والأعمال الشريرة بالحفر .. هكذا أنتم مثابرون و ذه الدموع باكون، وأنـتم تفتكرون خطاياكم وجهالاتكم. وبما أننا قلنا وسمعنا ما فيه الكفاية، فإنني أكتفي ـذه الأمور. ورب كل رأفة يجعلنا مستحقين لهذين الأمرين: أن يحفظ الأبرياء الذين في شعبه، ويخلّصنا أيضا نحن الخطاة من كل إثم.

❀ ❖ ❀

العظة الثانية عشر

دخول السماء بواسطة الكنيسة

أنت أيها الإنسان الذي يبحثون عنك لكي تتوب، فلتلتف كلمة الله حولك وتمسك بك حتى ينـزعك أولئك الذين يبحثون عنك من طين الخطية، فيكون فرح لمن يكلمك حيثما يلقي التعليم. فإذا كانت امرأة لوط قد تغيرت لأ ا نظرت إلى الوراء حتى إ ا بدلاً من أن تكون امرأة أصبحت عامود ملح؛ وأنت أيضا لا تحول روحك من أجـل ريـاء بشري بل تجعلها غير مستحقة بدلاً من أن تكون مستحقة.

إن هلاك أنفس الحكام وأنفس الذين يحكمو م إنما يكون إذا كنت أظن أنه: في شيء ما سوف يغضب مني قلب من يخطئ إذا كنت أؤنبه. أيها ا نون، أليس من الأفضل أن يغضب الناس منك من أن تجعل الله يغضب عليك وعليهم؟ وكيف لا يغضب إن كنـت تحتمل الذين يفعلون ما لا يجب في أماكنه المقدسة، الذين بخصوصهم أمر موسـى الـنبي قائلاً: «مقدسي ابون» (لا١٩: ٣٠). لأنه حقًا يجب أن نرتعد ونمتلـئ خشـوعا في أماكنه المقدسة أعني كنيسة الله التي رآها الطوباوي يعقوب أولاً وامتلأ خوفًا كما هـو مكتوب أنه عندما نام في مكان ما شاهد في رؤيا سلّما وصـل إلى السـماء والملائكـة يصعدون وينـزلون عليه، لقد كان الرب متكئًا عليه، فخاف يعقوب واعترف «وقال: ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلاّ بيت الله وهذا باب السماء» (تك٢٨: ١٧)!

ما هو إذًا المكان الذي كان فيه السلّم الذي بلغ إلى السماء إن لم يكن هو كنيسة الله التي هي وحدها الطريق إلى دخول السماء، والتي كان الرب متكئًا عليها، والتي رآها أيضـا أب الآباء وقال عنها بمخافة إ ا بيت الله وباب السماء؟! فلا يوجد طريق آخـر للـدخول إلى السماء إلاّ الكنيسة الوحيدة التي أمر الله أن نخافها ونطرد منها الخطاة، لأنه في ذلك يغضب كل حين قائلاً: «يا صاحب، كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس» (مـت٢٢: ١٢)؟ هذا الكلام يهددنا بالغضب ليس بسبب رهبة المكان الذي نذهب إليه فحسب؛ بل إن صداه هو الآن أكثر. أيها الأصدقاء، كيف دخلتم إلى هذه الأماكن بدون طهارة وبدون محبة حفظ الوصايا أو أية أعمال لكم تجعلكم مستحقين أن تمكثوا فيها؟!

فلينـزل ملاك من السماء بأمر الله ويقف في هذه الأديرة ويفرق بين الذين علـيهم ثياب العرس والذين ليس عليهم، هؤلاء الذين كم يكونوا محتقرين وتسـتد أفـواههم؟! ولماذا نكون نحن غير مطيعين للكتب ومبغضين للثوب المدنس من الجسد حتى لا نلبسـه هذا الذي لا يليق بالصلاة لله أو خدمته؟!

✸✣✸

العظة الثالثة عشرة

«كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية» (يو٨: ٣٤)

كما أن العين للنظر والأذن للسمع أقول: إن الغِنى للرحمة والمقدرة لإقامـة العـدل والأيدي للصلاة واللسان لكي يبارك والرجل لكي تدوس عتبة كنيسة الله والجسد كلـه لكي يخضع للذي خلقه، ولا أنسى ما قاله زميل: "إن الرهبان قد جعلوا للصوم". حقًـا إ م مجبولون لذلك من أجل الرجاء الذي يتطلّعون إليه في السموات. وكما أن الزميـل

يتكلم بمرح - وليس ثمة مناسبة للمزاح - أُريه أيضا دون خجل أنه يجب عليه أن يصوم فأضرب لذلك المثل الآتي:

كان لرجل ابنان، وذبح العجل المسمن وأعطى الواحد أربعة أجزاء والآخـر جـزءًا واحدا فقط، فمن من الاثنين يجب عليه أن يعمل أكثر؟ هل الذي أخذ القليل أم الـذي أخذ الكثير؟ هل الرهبان الحقيقيون المستقيمون الذين يعيشون على غذاء قليل وعليهم أن يصوموا، أم أنت الذي تأكل العجول وتشرب النبيذ مع خيرات أخرى من كـل نـوع تتمتع ا كما تشاء؟ لا تتهمني إذا كنت أقول لك الحق، لأنك أنت الذي فهمت الكلام بطريقة المزاح، تريدني أن أضحك في وقت يجب فيه البكاء، بل تريدني أن أشـاركك في الفرح وأنت لاهٍ. لقد قلت لك عن تجربة إنه إذا كان الراهب يصوم فلماذا لا تتـوخى العدل من أجله؟ أليس كل واحد يجاهد لكي يجد رحمةً أمام الله؟ لأنه كما كنت أقـول يوما لأحد الناس: "أعطِ راحةً للفقراء الذين يعملون من أجلك"، ولأنه لا يحب العـدل ويكره الفقراء أجاب قائلاً: "إ ا خطيئة أن تأكل خبز إنسان دون أن تعمل عمله". قال ذلك لأنه كان تحت سلطان آخر، فأجبته: "حسنا قلت إ ا خطيئة أن تأكل خبز إنسان دون أن تعمل عمله، لأن الخبز ليس خبزه بل خبز المسيح، فكم يكون أفظع إذا كنـا لا نعمل أعماله فحسب؛ بل نجعل الآخرين يغضبونه بشرورنا شأن الذين لا يعرفونه"؟!

سألني صديق عندما اقتربنا من الأربعين المقدسة قائلاً: "ماذا آكل في هـذه الأيـام"؟ فقلت له: "كل شيء يمنعه الإنسان عن نفسه سوف ينال عنه أجرا مـن الله. ولكـنني أخبرك عن الشيء الوحيد الذي ينجس كثيرا، فإذا لم تأكل منه تكون سعيدا". فتساءل: "أهو الخنـزير"؟ قلت: "لا". ثم ذكر أشياء أخرى كثيرة قائلاً: "هل هي هذه"؟ فقلـت له: "لا". فسأل: "وما هي إذن"؟ فقلت له: "إ ا الخطيئة مكرهة الرب، فإذا كنت تمتنـع عن عمل الشر أثناء الأربعين المقدسة يمكنك أن تقول لنفسك: إذا كنت أفعل هكـذا في حياتي كلها، فلا يوجد شيطان أو روح نجس يستطيع أن يغلبني لكي أخطئ"!

طوبى للذين يعرفون المسيح، لأنه لا يوجد إله آخر حقيقي إلاّ الله القادر على كـل شيء وابنه يسوع المسيح سيد الكون. طوبى للذين لا يخدمون إلهًا آخر. ولا أقول فقـط عن الآلهة التي تخدمها الأمم: الأخشاب والأحجار والشمس والقمر والنجوم ... إلخ. بل عن الذين يدعون باسم المسيح ويخدمون آلهةً أخرى، الذين يفسدون الحكم ويتركون ما هو حق من أجل الذهب ويخدمون آخرين. إن الذين يدنسون أجسادهم من الواضح أ م خدام الأدناس، وبديهي أيضا أن الطماعين هم خدام أصنام.

وبالأكثر، فإن هناك إله مخفي عن الغافلين هو البطن، لأن الرسول قال: «الذين إلههم بطنهم» (في٣: ١٩). فالإنسان يمكنه أن يأكل ويشرب ما يحتاجه جسده دون أن يكون عبدا للبطن، ويؤنب الذين في كل ساعة يهتمون بالأكل والشرب، وكذلك الذي قـال لنفسه: «لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة، استريحي وكُلي واشربي وافرحـي» (لو١٢: ١٩)، فسمع لوقته: «يا غبي، هذه الليلة تطلَب نفسك منك» (لـو١٢: ٢٠). إ م لا يغيرون في أي وقت ما يقوله الإنجيل عنهم إ م «يأكلون بيوت الأرامل» (مر١٢: ٤٠). وهل نستطيع أن نقول غير ذلك؟

يشهد القديس بولس الرسول أن الشيء الذي يغلَب منه أحد من الأشياء التي يكرهها الله هو عبد له، فكيف إذن لا يستحي الإنسان من أن يتورط في صداقة العالم لدرجة أنه يصبح عدوا للمسيح إلاّ إذا تخلّى عن غش البخل وقساوة القلب حتى يصـبح رحومـا شفوقًا ومحبا؟!

قال أب طيب حكيم تقي بحق: "تكلم ولا تتركه يكلّمك"، أما أنا فأتصور أنه يعني: كلم العالم الذي سوف تخرج منه لتقف أمام محكمة الله قائلاً: 'البخل وما يـنجم عنـه وعدم التقوى لا يقدران أن يحولا بيني وبين أن أكون نقيا في كل شيء'. لا تترك العـالم يكلمك ويقول لك: 'أخذتك وربطتك بمحبة الأموال والخطايا: الزنى والعنف والسرقات والنجاسات وأشياء أخرى لا تحصى' .. كما أظهر لنا الابن. أي أن الـذين يخـدمون المسيح ويخدمون إبنه بالحقيقة هم الذين يكرهون العنف والسرقة وشهوة المال وما شـابه ذلك، مساعدين أنفسهم بعمل كل ما يمكنهم أن يعملوه من الصالحات.

فلنبتعد عن هذه الأصنام حتى لا تكون عثرة في سبيل تقوانا. ألا تقولون: "لو لم يكن المخلص يسوع قد جاء إلى العالم لكان للأرض شأنٌ آخر"؟ إن حال الناس يشبه بحال من يكونوا قد انتهوا من بناء آلهة من الخشب والحجر، وذلك عندما يرى العدو مـا يحـل بالأرض من الدمار وقد خرب كل ما كان ا، فيسرع بآخرين للعمل حتى يصبح عددا كبيرا من قلوب الناس هياكل لهذه الأصنام التي تكلمنا عنها ..!



العظة الرابعة عشرة

«إن كان أحـد لا يثبـت في يطـرح خارجا كالغصـن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق» (يو١٥: ٦)

حينما تكلمت مع صديق ووجدت أنه لا يرغب في تقبل كلمة الحق قلت له: "لمـاذا تتهم الله الذي هو الحق"؟ وأنا أقارنه بنجار وخزاف، أما الأخشاب التي لا تصلح لعمل النجار فتستحق أن تلقى في النار، أي أن الناس الذين لا يستحقون ملكوت السـموات يستحقون نار جهنم. لأنه إن كان الله ممجدا في الأتقياء، فهو أيضا ممجد في الأشرار. ألم تسمع أن الرب تمجد بواسطة فرعون؟ ألم يظهر بره عندما جعل شعبه يعبر البحر الأحمر ثم أغرق فرعون وكل من معه؟ كما أنه تمجد بإنقاذ لوط وبنتيه مـن هـلاك سـدوم وعمورة، وأظهر قوته بأن أحرق سكا نها. وقد تمجد بإنقاذ الثلاثة فتية القديسين مـن أتون النار الذي أشعله الملك نبوخذ نصر، كما أظهر قوته في أن النار التـهمت خـدام الملك. هكذا أيضا تمجد بخلاص دانيال النبي إذ جعل الأسود لا تضره، بل أضرت الذين ا موه فمزقتهم وافترستهم لكي تظهر قوته. وهل إذا جعل الجحيم يبـتلعهم في اليـوم الأخير مع كل الذين نصحوهم بالعنف لا تظهر قوته فيهم؟ ففي أي شـيء لا يتمجـد السيد؟ إنه يتمجد وهو يضرب ويتمجد وهو يشفي، يظهر قوته وهو يحيي وقوته وهـو يميت. إنه يتمجد وهو يجمع الحبوب في مخازنه ويظهر قوته وهو يحرق القش. إنه يتمجد في كل ما يفعله منذ الأزل وبره عظيم في كل ما سوف يعمل ..!

قلت مرةً أخرى إنه إذا رغب الرؤساء وأحبوا الحق لاستطاعوا أن يصبحوا أغنيـاء في الأعمال الصالحة في سنة واحدة وفي جولة واحدة في البلد، لأن لهم القدرة على إجـراء الحكم وعلى مساعدة من هم في خطر. أما إذا كان هؤلاء الرؤساء مهملين، فسيفسدون ما هو أكثر قيمةً من الذهب أو الفضة أو العالم بكل ما فيه. وحقًا ما هي منفعة الأموال؟ لقد قلت في قلبي إنه إذا كان الرؤساء يجدون ما يبحثون عنه، أي الذهب، فإ م يـودون لو قطعوا جميع أشجار البلد الذي ذهبوا إليه وجعلوها صحراء.

لا تنظروا إلى طريقتي في الكلام الذي أوجهه لكم وتغتاظون أيها القادرون، ولكـن فكروا في حكم الله وسوف تعلمون أن هذه الأمور ليست مستقيمة. إن كان الذي هـو كبير في قومه له نفوذٌ وقدرةٌ؛ فإن كلمة التعليم أكبر ومرتفعة أكثر مـن كـل الـذين يسكنون الأرض، أكثر من العالم وكل ما فيه، لأنه من هم الذين بجانب السيد المسـيح الذي خلق الكون ويحكمه، الذي جبلنا وخلقنا ووضع يده علينا وجعل قوته فينا؟ ليتنـا

نجد رحمةً أمامه في يوم الدين، وأيضا نعمته في مكان غربتنا هذا! وما هو العالم بالنسبة للراحة في السماء؟!

طوبى للذين يصلّون قائلين: "خبزنا الذي للغد أعطنا كل يوم". ربما تقول لي إنه يتكلم عن خبز الغذاء الجسدي، لكن أليس أن الكفرة عندهم هذا الخبز أيضا وكثيرون متوفر عندهم بكثرة؟ ألا تسمع "الذي للغد" (حسب النص القبطي)؟ إنه يقصد الذين لهم المسيح اليوم، أي كل أيام حيا م، فهو يقصد الخبز الحقيقي خبز الحياة الذي نزل من السماء، والذي هو رجاء حيا م الذي سيقفون أمامه حينما يأتي ليدين الأحياء والأموات. الخبز غذاء الجسد يثبت قلب الإنسان، فكم بالحري يثبت الخبز الحقيقي خبز الحياة قلوب الذين يأتون ليتغذوا منه؟!

انظروا إلى حال عباد الأصنام والكفرة، إن قلبهم مكسور ضائع. فلا شك أن ذلك ليس إلاّ لأ م ليس عندهم الرب يسوع، فإن لم يكن هو عندهم فمن هو الذي يثبتهم؟ هل الخشب والحجر؟ أم الشمس والقمر وكل زينة السماء؟ إنني أتجرأ وأضرب مثَل الذين عندهم الخبز بكثرة ولا يستطيعون أن يأكلوا منه لأ م مرضى يعانون من مرض شديد، فأمثلهم بالذين سقطوا في مرض شر الشيطان ويقولون: "لنا يسوع"، ولكنه في الحقيقة في أفواههم وليس في قلو م! ومن هو الذي يجعلهم يقيمون في الضعف وهذا الخزي جالسين بجوار الخطية التي تفسد نفوسهم مثل امرأة يتبعها كلاب وتجلس القرفصاء لكي تسمح للكلاب أن تنهش لحمها! إ م لا يحاربون الخطية ولا يطاردو ا بأعمالهم الصالحة مثل رجل يضرب الكلاب بالعصا حينما تقترب إليه!

أيضا كانت توجد امرأة تجلس بالقرب من إبليس وتحت أرجل الشياطين بدلاً من الكلاب حتى ضربوها وغلبوها. ومن هي؟ إ ا مجمع اليهود الذين طاردوا الرسل والأنبياء وجميع القديسين، فقد تجرأت وطارد م جميعا. ومن الذي يقابلها بسلام؟ إ ا صرخت ضد سيدها قائلةً: "اصلبه اصلبه"! لماذا؟ أليس لكي يكرهها جميع الصديقين وشعب وكنيسة المسيح جميعا هؤلاء الذين يقفون في وجه العدو وهم مستعدون أن يموتوا من أجل اسم إلههم وسيدهم؟!

«لا سلام قال الرب للأشرار»:

هذه حقًا عداوةٌ لله، إذ ترى آباء وإخوة يقولون: "إننا ملك للمسيح"، في حين أ م يشاركون بعضهم بعضا في معاطب أولاد الهلاك! ما هو سلام الناس عند الله عندما

تكون شرورهم غير خافية عن زملائهم ولا يوبخ بعضهم بعضا؟ كيف يهربون مما هـو مكتوب: «لا سلام قال الرب للأشرار» (إش٤٨: ٢٢)؟ طوباهم الذين تعلّموا فعل الخير لأ م هم الذين تعلّموا كيف يهربون من الغضب الآتي.

الأشرار في كل زمان إلى اية الدهر سيذهبون إلى الجحيم، والأبرار منذ أن خلق الإنسان على الأرض وإلى النهاية سيذهبون مع زملائهم إلى الملكوت. ومن ذا الذي لا يرغـب أن يكون بارا حتى يذهب إلى المسيح مع ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع الصديقين منذ هابيـل حتى الآن وإلى الدهور الآتية بدلاً من أن يكون شريرا ويذهب إلى الشيطان في الجحيم مـع الأبالسة والكفرة ومع كل الذين ماتوا في شرور خيانتهم التي هي أردأ من كل خطايـاهم؟ لأن الذين هم عبيد لله في كل زمان يشفع فيهم روح الرحمة قائلاً: "النفس المعترفة لـك لا تسلمها إلى البهائم". وهو يتضرع إلى الله لكي لا يسلّمها للشياطين.

إن الكتب لن تفيدنا شيئًا ولن نجني منها ثمرا طالما نحن نغوص في حمأة الخطية والطين يغطينا ويغرقنا. ألا يصيح أحد أو يسمع أحد من يقول: «الرب يرعاني فـلا يعـوزني شيء»، بينما يعوزه كل شيء؟! ربما تظن أنه يقول: إنه لن يتركني أحتاج إلى الذهب أو الفضة أو النحاس أو أي غنى، دون أن تفكر أنه يقول: إنه لن يتركني أحتاج إلى ما هـو ضروري: الطهارة في الجسد وكل شيء! وحتى تعرف ذلك ألا ترى الأشـرار يملكـون خيرات الأرض بكثرة ويعوزهم غنى الرب الذي يرعاهم؟!

«إن لم تتكلم لتحذّر الشرير من طريقه، فذلك الشرير يموت بذنبه، أما دمه فمن يدك أطلبه» (حز٣٣: ٨). إن كنت أنا ثقيلاً عليكم مثل حِملٍ فلا تجزعوا، بـل انتبـهوا إلى نفوسكم وإلى التعليم، لأنكم إن فعلتم ذلك سوف تخلصون أنتم والـذين يسـمعونكم أيضا. لذلك كنت أعظ بشدة حتى قيل إنني عنيف! ترتكبون كل نجاسةٍ وكل أمر رديء أنتم الذين سلّمكم روح الله للازدراء. إنكم تشبهون الذباب الطائر إذا مات ضاع منـه زيت العطر (ربما يقصد نوعا معينا من الفراش!). إنكم قد متم وضاعت منكم الحياة التي يحفظها المسيحيون في أنفسهم. أفلا تستطيعون أن تبكّتوا أنفسكم بواسطة هذه الحشرات الصغيرة؟! ولنقل نحن لكل من لا يريد أن يعيش في الإيمان وصار من أعوان الشيطان، إن نصيبه كما هو مكتوب هو أنه يصير «كالثعالب في الخرب» (حز١٣: ٤).

العنـزة لا تعطَى للوحوش بل يرعاها الراعي، أما إذا ماتت فيمكن للراعي أن يعطيها للوحوش لتستعملها كطعام. وهل للشيطان نصيب في الناس؟ حاشا، لأن الخليقة كلها،

الناس والحيوانات والوحوش والطيور والحيوانات المائية والزواحف وحتى الثعابين، قـد أوجدها الله. وإن كنتم تموتون في جحودكم وعدم أمانتكم تصيرون نصـيبا للشـياطين ومسكنا للأرواح النجسة. كل من يصادق من لا يحب الحق ولا يتبع كلمة الله يضـار كثيرا. حتى متى تفتقرون؟ أو ما هي الأشياء التي أنتم في حاجة إليها حسب مقاييس هذه الحياة حتى يوجد بينكم سارقون لا يشبعون يجرهم الشيطان إلى التفكير فيما للجسد حتى يموتوا أو يميتوا آخرين معهم في كل تعد منذ البدء حتى الآن؟!

لقد أغضبتم اسم الله القدوس، وصعد كبرياؤكم إليه في كل زمان. لقد رفعتم قرنكم ضد السماء وكلّمتم الله بعنف! جميع الذين يفعلون الشر سيتفرقون وسيفنى الخطاة مـن على وجه الأرض. لقد تكلم الله مرات عديدة بطرق شتى مع قديسيه موصيا إيـاهم أن يصنعوا إرادته، ولكنه مرةً واحدةً فقط أمر نوحا أن يبني الفلك، فأتم عمله ونجـا مـن الغضب الذي حلّ على الأرض هو وكل بيته والطيور والحيوانات. ونحن الـذين نفعـل الشر لم نطع بعد هذا الكلام الذي يأتي من الله أو نتمم عمل حق نخلص به!

مرةً واحدةً قال الله لإبراهيم أن يقدم له ابنه الحبيب محرقةً، ففعل سريعا بما أمره الرب لأنه كان يحبه أكثر من ابنه، ونحن حتى الآن لا نطيعه في كل كلامه فنقدم له أجسادنا ذبيحةً بكل طهارة ومحبة! والملائكة لم تكلّم لوطًا كلاما كثيرا لكي تجعله يهرب خارج مدينتـه الـتي أحرقها الرب بنار من السماء، ولكن لوطًا عمل بما أُمر به بسرعة، ونحن لم نطع الله في كل كلامه لكي نهرب من كل شر ونكمل كل عمل صالح! أيضا كلمةً واحدةً قالهـا الـرب لتلاميذه: "اتبعوني وسأجعلكم صيادين للناس"، فتركوا شباكهم وسفنهم وعملهم بسـرعة وتبعوه، وهكذا نالوا هذه الكرامات والأمجاد العظيمة! ونحن لم نطعه في كل هذه الأقـوال حتى نترك وراءنا رغباتنا وخطايانا لكي نصير مستحقين لرحمته وبركته!

إن الأبرار منذ آبائنا القدماء حتى آبائنا الرسل لم يعصوا الله بل عملوا ليس بكل إرادتـه فحسب؛ بل أيضا حثّوا الآخرين معلّمين إياهم كما هو مكتوب: «فأعلّم الأثمـة طرقـك والخطاة إليك يرجعون» (مز٥١: ١٣). ألا يجب علينا أن نتمم مشيئته بكل قلوبنا كأبنـاء سوف يرثون ملكوت أبيهم السماوي؟! مرات عديدة، بسبب الأثمة، قلت بأسى وقلبي مملوء حزنا: "يا الله سيد الكون، أيها الرب يسوع أضرع إليك بكل قوتي في شدتي، إن كنت تشاء أن تبقيني في هذا الدير فلا تسمح أن أموت في الوقت الحاضر. لا تجعلني أتغرب عن هـذا المكان سريعا حتى أراك تؤدب المستكبرين الذين يأكلون لحم الأسد الشيطان ويشربون دمه، أي الشرور والشهوات والحقد والعصيان والجهل والآثام والسرقات والأكاذيـب والمكـر،

وفوق كل شيء الكبرياء والافتخار وكل الشرور الأخرى"!

مرات عديدة، بسبب الأشرار، قلت وأنا ملقى على الأرض على وجهي: "يـا الله، أتضرع إليك من كل قلبي وفكري، أنه إذا كنت أعنف الذين يحزنون نفسي بلا سـبب، وإذا كنت أنا حقًا أكرههم أو أحسدهم؛ فليأتِ علي كل حزن وعذاب وعار لأن هـذا هو جزائي إذا كنت بدلاً من أن أحب قريبي كنفسي قد كرهته. ولكن إن كنت لا أريد لهم إلاّ الخير وخلاصا لنفوسهم في يوم الدينونة كما أنت تعلم؛ فعلم أنت هؤلاء بالحزن والتنهد والألم بلا راحة، ولكن ليس بغضبك يا سيد حتى لا تجعلنا ضعفاء في غضـبك، وأيضا ليس بسبـبي أنا لأنني حقًا غير صالح أمامك يا سيد، إذ عنفت نفسي وحـدي وسط كل الشرور، فأرجو ألاّ أكون مخطئًا ـذه الكيفية كما تعلم لأنك أنـت الـذي تفحص قلبي وكليتي.

مرات عديدة، بسبب الخطاة، حينما أقترب من الدير أكون مثل الذي رماه أعـداؤه بالسهام حينما أفكر في أمثال هؤلاء الناس، ليس لأنني أكرههم، حاشا، ولكـن لأنـني حزين من أجلهم، عالمًا أن الله غاضب عليهم ولا يقبل ما يفعلونـه في كبريـائهم وفي ثرثر م ومعرفتهم الباطلة وكل أعمالهم الشريرة التي يعملو ا في جهادهم وتذمرهم على الذين يعلّمو م، لأ م لم يتعلّموا من الكتب قط.

مرات عديدة قلت في قلبي بحزن بسبب هؤلاء إنني مصمم أن آكل خبزي وحـدي منفصلاً عن الدير، مهتما بطريقي كغريب، لكنني كنت أعود وأنصح نفسي وحدي أن أفعل العكس حتى لا أعثر أمثال هؤلاء في عمل آخر. لأنني ما كنت أريد أن أُحزن سائر الإخوة أو الأبناء لعلمي أن ذلك يؤلمهم جدا لأ م رحومون.

مرات عديدة استطعنا أن نقول كلمة تعزية أو صلاة للذين يستحقون كل بركـة أو كل تعزية، لأننا جلسنا ساعات كثيرة في اليوم في اجتماعاتنا وقلوبنا متأكـدة أ ـم لم يراعوا كلمة السيد حتى أتت عليهم تأديبات كثيرة بسبب الجهل والعصيان. مرات عديدة قضينا نصف الليل حتى الفجر، وقضينا نصف النهار حتى الظهر، وأمضينا اليـوم كلـه نتكلم ونؤنب ونصلي ونعزي ونبارك ونجاهد قائلين كلاما فيه زجر وفيه سلام، ثـائرين لكن جسورين، رحبي الصدر ولكن مثقلين بضيق وحزن، بـاكين بالـدموع ولكـن مستبشرين بالتعزية، وفي مخافة الله عالمون أننا نكون مخطئين إذا ضحكنا في هذه الظروف، لأن ضحكنا يجب أن يتحول إلى حزن كما هو مكتوب (يع٤: ١٩)، ومع ذلك فإننـا

نفرح أيضا في الرب كما هو مكتوب (في٤: ٤).

نجلس مجتمعين ونقول: "أين هم أصدقاؤنا الذين كانوا يأتون إلينا من الخارج ويسـموننا ملائكة؟ أين هم ليروا شرورنا ومكرنا وكل أعمالنا الشريرة؟ يروننا نسلك بـدون لياقـة، الواحد في عداوة للآخر بسبب كبريائنا وجهلنا، وقد عصينا الكلمة المكتوبة: «فلنعكف إذًا على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض» (رو١٤: ١٩). تارةً كنا نقول كلمـات قاسية وثقيلة، وتارةً أخرى كلمات لينة وخفيفة. ننذر بغير هوادة كل واحد حتى يغفر لقريبه من له دين، ويتضع أمامه ليس عن اضطرار بل بقلب صالح، وأن يتقي غضب الله وانتقامـه على الذين قيدهم العدو بسلاسل فشا ـوا يهوذا، وعلى الذين لم يهتموا بالابتعاد عن الشـر حتى يكونوا متصالحين مع الله ولم يتركوا العداوة أو يصطلحوا مع القريب.

مرات عديدة أيضا في ألمي بسببهم لم أستطع أن أقابل الذين يفدون إلينا من الخارج، ولولا أنني وجدت، ببركة الرب، بعض الآباء الشيوخ الموجودين معنـا الآن فأرسـلتهم لكي يستقبلوهم ويقنعوهم بكل شيء؛ لكنت قد أعثرت الكثيرين من جهتي كمـا لـو كنت قد احتقر ـم، بينما لم يكن في داخلي شيء من ذلك، ولكنني كنـت أرغـب أن أراهم أكثر مما كانوا هم يرغبون أن يروني أنا غير المستحق.

كنت أجلس مع الآتين إلينا ثم أتركهم لأدخل إلى الدير لكي أقرر ما يتبع بشـأ ـم، وكنت أضطرب حزنا كالتي تتمخض في الأوجاع، لأنني ذاهب بعيدا عن الذين جـاءوا إلينا لكي أقرر مصير هؤلاء التعساء. وأخيرا، انتهيت إلى قرار بحزن قلب، ولأجل خلاص كثيرين قلت، وكل الإخوة يسمعون، إننا لا نرى أن نفعل شيئًا آخر سوى أن نفصـل الخاطئين عن القديسين كما فعل الرسول مع بعض الناس القساة القلوب الذين عصـوا قديما. ولذلك فقد افترق عنهم الرسول القديس وأبعد الإخوة عنهم، وهكذا كان يكلّم الذين يستحقون أن يسمعوا، أما أعداء الله المقيمين في عصيا ـم وغير التـائبين المصـرين وا ـاهرين بشرورهم؛ فما كان يقول لهم شيئًا لأ ـم لم يكونوا مستحقين متذكرا قـول السيد: «لا تعطوا القدس للكلاب» (مت٧: ٦). وهؤلاء وأمثالهم هم الذين قال لهـم: «دمكم على رؤوسكم» (أع١٨: ٦).

وأنتم يا أحباء المسيح، أتريدون أن تعرفوا قلوب الذين يحبون الله لكي تكتشفوا جمال نفوسهم المملوءة من الروح القدس في كل عمل صالح؟ راقبوا شقوق الصخور المملـوءة باليمام والأماكن التي تسكنها. هذه الشقوق هي المساكن الوحيدة للصـغار، وهـي لا

تتركها وحدها لأن قلبها مثل قلوب الأصدقاء الأمناء. إ ا واحد مع السـيد المسـيح، الحجر الذي يفيض عسلاً، لأن الصخرة هي المسيح ولم ينفصلوا عنها. وهو يقول: "إنـه أشبعهم عسلاً من صخرة، وزيت شفاء لغليلهم من الحجر الجلمود" (انظر مز٨١: ١٦؛ حك١١: ٤)، فما هو العسل إن لم يكن هو المسيح؟ وما هو الزيت إن لم تكن النعمـة التي ا يخلص المسيحيون؟!

إذا اختلط الماء بالنبيذ يصبح واحدا معه، وأيضا رجل الله إذا اشترك مع الروح القدس يصير معه واحدا! ومن هي التي يقول عنها المتكلم في سليمان: «يا حبيبتي يا جميلتي .. يا حمامتي» (نش٢: ١٠و١٤) إن لم تكن الكنيسة التي تلد المسيحيين الـذين يشـبهو ا؟! وعنها أيضا قيل: «واحدةٌ هي حمامتي كاملتي الوحيدة لأمها عقيلة (أو مختارة) والـد ا هي» (نش٦: ٩)، ثم يقول أيضا: «قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي يا حمامتي في محاجئ الصخر في ستر المعاقل» (نش٢: ١٣و١٤)، وهذا يشير إلى الذي في البهاء الـذي هـو إشراقة النور الذي جاء إلى العالم، أي المسيح، فقد كتب موسى في الناموس عن جمالـه ومجده ونعمته وقوته. وقال أيضا سليمان: «أنتِ جميلةٌ يـا حبيـبتي كترصـة حسـنة كأورشليم» (نش٦: ٤)، وأيضا: «ها أنتِ جميلة يا حبيبتي، ها أنـتِ جميلـة، عينـاك حمامتان» (نش٤: ١)، ويعني بذلك الأنبياء والرسل المملوءين من الروح القدس. وقـال أيضا: «ثدياك كخشفتي ظبية توأمين» (نش٤: ٥)، وأيضا: «صرة المر حبيبي لي، بـين ثديي يبيت» (نش١: ١٣)، ويعني بذلك العهدين القديم والجديد المملوءين بكلام الله.

عظة عن أعياد الشهداء(*)

جميلٌ جدا أن يذهب الإنسان إلى مقر الشهيد ليصلي ويقرأ وينشد المـزامير ويطهـر نفسه ويتناول من الأسرار المقدسة بمخافة المسيح. أما من يذهب ليتكلم ويأكل ويشرب ويلهو، بل ربما يزني، ويرتكب الجرائم نتيجة إفراطه في الشرب والفساد والإثم، فهذا هو الكافر بعينه! وبينما يكون البعض في الداخل يرتلون المزامير ويقـرأون ويتنـاولون، إذ بآخرين في الخارج يملأون المكان بآلات الطبل والزمر، في حين أن «بيتي بيت الصـلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (مت٢١: ١٣). لقد جعلتموه سوقًا لبيع العسـل والحلي وما أشبه ذلك، وجعلتموها موالد ومكانا لتدريب ائمكم وسـباق حميركـم وخيلكم. جعلتموها أماكن لسرقة ما يعرض فيها للبيع.

(*) عن كتاب: "صفحة من تاريخ القبط"، ص ١٩.

وبعد جهد يحصل بائع العسل على بعض الزبائن المتشاحنين، أو يستخلص لنفسه شيئًا من الفائدة نظير أتعابه. وحتى الأمور التي لا يمكن أن تحدث للباعة في الأسـواق العامـة تحدث لهم في أعياد الشهداء! يا للغباء! هل تذهبون لمواطن الشهداء لكي تفعلوا كل مـا يروق لكم؟ فأية فائدة تعود على بيوتكم التي في مدنكم أو قراكم؟ يا لعقولكم المغلّقـة! وإذا كانت بناتكم وأُمهاتكم يعطّرن رؤوسهن ويكحلن عيو ن ويتجملن لخداع النـاس الذين ينظرون إليهن، وإذا كان أبناؤكم وإخوتكم وأصدقاؤكم وجيرانكم يفعلون هكذا عند ذها م إلى مواطن الشهداء، فلماذا جعلتم لكم بيوتا؟! كثيرون يـذهبون إلى تلـك الأعياد لإفساد هيكل الرب، ولكي يجعلوا من أعضاء المسيح أعضاء للإثم والفجور بدلاً من أن يحفظوا لها قداستها وطهار ا من كل رجس، سواء كانوا رجالاً أم نساء ...!

عظة على القيامة والتوبة

يا لعمق هذه الأعجوبة التي لا يمكن قياسها! فالعظام المتناثرة والتي أحرقتها الـنيران، الأجساد التي أكلتها الوحوش أو الطيور الجارحة، وتلك التي أنتنت في جـوف الأرض، كلها سوف تسمع صوت ابن الله وتجتمع مع غيرها، كل منها مع ما يخصـه، فيغطيهـا اللحم والمفاصل، ويبسط الجلد عليها، وتدخل فيها الأرواح، وهكذا تحيـا وتقـوم في حضرة الذي يأمرها كما قال حزقيال النبي: «... هكذا قال السيد الرب لهذه العظـام: هانذا أُدخل فيكم روحا فتحيون، وأضع عليكم عصبا وأكسيكم لحمـا ... فتحيـون وتعلمون أني أنا الرب ... فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظـيم جدا جدا. ثم قال لي: يا ابن آدم، هذه العظام هي كل بيت إسرائيل، ها هـم يقولـون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا قد انقطعنا ... هانذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي ... وأجعل روحي فيكم فتحيون وأجعلكم في أرضكم» (حز٣٧: ١-١٤).

ها هو أمر الله الذي سوف يجعل الأموات يقومون في الحال. ولاحظوا أيضا تجاسـركم أيها المقيمون في خطاياكم! يا لعمى القلب الذي يسيطر علينا! كل عظمة يابسـة سـوف تعرف العظام الأخرى وتقترب منها دون أن تختلط بعضها ببعض، ثم تكسـوها المفاصـل ويغطيها اللحم وينبسط عليها الجلد ويدخل فيها روح فتحيا. ونحن حتى الآن لا نطيع فيبتعد كل منا عن أعماله الشريرة التي يتمرغ فيها، مثلنا مثل عظام يابسة مرفوضة في القبور. سوف تكتسي العظام اليابسة، ومع ذلك فإن المشاعر والأفكار الصالحة والإيمان قد يبست عند كل

الهراطقة، سقطت على الأرض مثل أوراق. يدخل الروح في جميع الأموات فيحيون (انظر ١كو١٥)، أما روح الله القدوس فيبتعد عن الوثنيين والهراطقة، إذ قد خنقهم روح شرير في عدم إيمانهم وتجديفهم على الله وعلى مسيحه، وكل أعمالهم المكروهة الأخرى. هكذا يقوم الجميع من أول بار، وهو هابيل الذي قتله قايين، حتى الذين يموتون إلى انقضاء الدهر.

إنكم أنتم الذين تعبدون الأباطيل في عماكم أكثر من اليهودي الميت في شر أبيه الشيطان، ذلك الذي لم يكفه أن يكون عثرةً، بل إنكم حتى الآن تجدفون على الرب يسوع كما شتموه هم أيضا في ذلك الزمان بكلامهم وخيانتهم، كلامهم المملوء حقدا حينما كان معلّقًا على الصليب لأجل خطاياهم. ألم يقل الرب يسوع بغضب لهؤلاء ولكل الذين لا يؤمنون به في كل زمان: «أنتم من أبٍ هو إبليس» (يو٨: ٤٤)؟ لأن هذا جاء منتفخا في مدحه لذاته قائلاً إنه سيكون مساويا لله وشبيها بالعلي، وما كان يدري أنه هابطٌ إلى الجحيم كما هو مكتوب. الذين يجدفون على الله ومسيحه جاءوا وهم مرتفعو القلوب يغشاهم عنفهم وعدم تقواهم، يتعالون على المسيحيين حاسبين أنفسهم مساوين لهم في الصلاح بينما هم كفرة لا يعرفون أن الرب يسوع سوف يتتبعهم كراعٍ، فهو يتبع الذئاب ويبعدها عن حظيرته حتى يذلّها ويطردها من وسط شعبه.

قال الشيطان: "سوف أتساوى مع الله"، ومنه تعلّم غير المسيحيين أن يقولوا للمسيحيين: "ابتعدوا عنا لأننا أطهار"، بينما هم نجسون. إن قطيع الغنم المبارك ينصت إلى صوت الراعي الصالح يسوع وهم يتبعونه في كل عمل صالح كما قال: «خرافي تسمع صوتي». ولكن الأشرار ينصتون إلى أفكار العدو الغريب ويتبعونه في كل غش. لقد تواضع الرب يسوع وأخذ شكل العبد مع أنه سيد الخليقة، فكما هو مكتوب إنه تواضع وأطاع حتى الموت. هكذا أيضا تبع المسيحيون تعاليمه!

يبدو الإنسان حسنا في عيون الذين ينظرون إليه ما دام حيا في الجسد، ولكنه يكون قبيحا للغاية في عيون الذين يرونه ميتا وملقى في القبور. هكذا الإنسان أيضا يكون حسنا أمام الله إذا رآه يحيا في البر، ولكنه يكون قبيحا للغاية أمامه إذا رآه ثابتا في خطاياه. الخطاة الذين هلكوا وسقطوا على الأرض الواحد تلو الآخر بسبب الشرور ويقضى عليهم جميعا، هم مثل أجساد ميتة تلاشت أعضاؤها وسقط منها الواحد بعد الآخر، مثل أعضاء الذين ماتوا في الخطية وهم في فم الشرير، ومثل أعضاء الأجساد الميتة في أفواه الحيوانات المتوحشة.

من هو الإنسان الذي يرضى أن يموت قبل نهاية الأيام التي حددها الله لحياته؟ إنه ذاك الذي يدوم في شروره ولا يريد أن يتحرر منها برضاه الكامل، فهو يحب الموت وهو في كل شر، وسيجازى حسب أعماله. الذين يعيشون في يسر لا يرغبون أن يعيشوا ضعفاء في الشيخوخة، هكذا أيضا المؤمنون، فإنهم لا يرغبون في الحياة إلاّ في الحق وفي كل بر إلى اليوم الذي يقفون فيه أمام الله الذي يجازي كل واحد حسب أعماله بالعدل والحق، لأن سيدنا يسوع المسيح مات لأجلنا لكي نقوم من بين الأموات ليس فقط بالجسد في اليوم الأخير؛ بل أيضا لكي نقوم الآن من موت الخطية.

هب أن واحدا من القديسين القدماء حضر الآن وقال لبعض الأموات الذين مكثوا زمانا طويلاً في مكان دفنهم وانحلّت أجسادهم: "قوموا" فنهضوا أحياء، لكن بعضهم مجد صنيعه واستنكره البعض الآخر، ترى ماذا يفعل؟ أخال أنه يمنح الذين يستحقون أن يكونوا في حياة سعيدة، وأما النجسون فيكسوهم بالخزي ويسلّمهم إلى الموت مرةً أخرى. هكذا الذين ماتوا في الخطية، فإنهم بعد أن عاشوا طويلاً في الشر وأضاعوا حياتهم في كل نجاسة، قد يحدث أن يقوموا من موت الخطية بأمر الذي مات لأجلنا وقام. ولكن البعض يدوم في التوبة ممجدا الله من أجل خلاصه ومن أجل البركة، ويمسي البعض الآخر جاحدا لا يعرف من هو الذي أحسن إليه وما هو الشرف الذي يمنحه الرب يسوع للذين أكرموه في آلامهم الحقيقية فيمنحهم الحياة الأبدية ولا يموتون في الخطية فيما بعد، بل يعيشون أيضا في البر ويقومون جسديا لكي يحيوا إلى الأبد. وكم يكون الازدراء الذي سوف يعاقَب به الآخرون الذين يسلّمهم مرةً أخرى لنجاستهم، فيسلمون إلى الجحيم بسبب خطاياهم في يوم القيامة.

من من الذين يخافون الله يرى أمواتا في قبورهم ولا يحزن؟ بل من من الأنبياء والرسل يرى الأشرار وقد ماتوا في شرورهم ولا يحزن عليهم؟ من من الذين أخطأوا يسره الذهاب إلى الجحيم بعد القيامة من الأموات؟ من من الذين قاموا من موت الخطية وتابوا عن كل شرورهم يسر بالعودة مرةً أخرى إلى شروره؟ ومن من الذين يستحقون رحمة الله العلي لا يرغب في الدخول إلى الحياة عند القيامة من الأموات؟ من من الذين يخافون الرب الذي أقامهم من بين الأموات لا يريد أن يستمر في كل عمل صالح؟ من لا يقول: "نجس هذا الكلب الذي يعود إلى قيئه مرةً أخرى"؟ من ذا الذي لا يقول: "مكرهةٌ عند الله أن الإنسان بعد أن يعتمد باسم الثالوث الأقدس يعود مرةً أخرى إلى خطئه وعدم إيمانه"؟

الويل للذين لا يؤمنون بالله ومسيحه ولم يتوبوا بعد! الويل للسحرة! الويل للذين

يأخذون جسد الرب ودمه دون أن يكونوا قد تحرروا من أعمالهم الشريرة! الويل للذين يستهزئون بأسرار الله أو بأعمال البر التي يمارسها المسيحيون! الويل لكل من ينال المعمودية المقدسة التي لربنا وهو ذو قلبين! الويل لمن يقبل يده وهو يقول: السلام لكِ أيتها الشمس، كن منتصرا أيها القمر! مباركًا بذلك المخلوقات ومجدا إياها أكثر من الخالق، في حين أنه يجب أن يعطي الحمد لله القادر على كل شيء الذي صنعها لكي تنير الأرض! الويل للذين يشعلون المصابيح في أي عيد إكراما للأباطيل ويبخرون باسم الأشباح! لو كان هؤلاء الناس يستحقون أن ينالوا معرفة خالقهم لكانوا ينصتون لخادمه إذ يقول: «لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين، لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة شياطين» (١كو١٠: ٢١).

أقول للذين يقولون إننا مسيحيون وللذين يغضبون الرب: "ألم يكفكم الزمان الذي قضيتموه في جهلكم"؟ البيت المبني على الرمال لا يثبت إذا هبت عليه الرياح الشديدة، ومن كانت كلمة الله ليست ثابتة فيه يعثر إذا أصابه حزن أو اضطهاد وقد لا ينجو من نكران إيمانه. وقول الكذب بدلاً من الحق برياء ومحاباة ألا يكون ذلك إنكارا للإيمان؟ أي شيء أفضل من الاعتراف بالرب يسوع؟ فإنه حتى لو فقأوا عينيك أفلا تقوم في القيامة ولك عينان؟ يكفي أن يعترف بك الرب أمام ملائكته. فماذا تخشى إذن؟ هل تخشى أن تعترف بأمور تشهد الكتب المقدسة نفسها لها؟ فحتى لو ضربوا عنقك، فإنك سوف تقوم من بين الأموات ورأسك موجودة على كتفيك. ولو قطعوا كل عضو فيك، فستقوم دون أن ينقصك أصبع واحد في يدك أو قدمك. نعم، إنك ستقوم من بين الأموات جسدا روحانيا!

إذا كنت تذكر الألم والحزن الذي سببه لك الأشرار، فتفكر فيما قاله الرسول: «إني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا» (رو٨: ١٨). يكفيك أن ترى هناك جميع الذين احتقروا أو قُتلوا من أجل الرب يسوع، ولا سيما الرسل والأنبياء الأبرياء. وذلك مثل يوحنا المعمدان الذي قطع هيرودس رأسه بعد أن ألقاه في السجن بسبب حبه لامرأة شريرة وابنتها، وميخا الذي ضربه الأنبياء الكذبة بأمر ملك شرير، وإرميا وإسطفانوس الذي رجموه وقتلوه ...!



عظة على يوم الدينونة الرهيب(٥٧)

ما هو جزاء الذين يتجاسرون على عمل الشرور؟ معرفتهم رماد وحكمتهم ضـلال، فبماذا يجيبون في يوم الدينونة؟ أيقولون: «باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة» (مت٧: ٢٢)؟ لكنهم سيسمعون: «إني لم أعرفكم قـط، اذهبـوا عني» (مت٧: ٢٣). أليس ذلك هو بسبب شرورهم التي يرتكبو ا سرا دون أن يعلـم أحد ا إلاّ الله؟ فلنطرد عنا كل مكر قبل أن يدين الله الخفيات. عندما نمثل أمام محكمته، هل نستطيع أن رب من قوله: لا أعرفكم؟ إنه لا يقول عن الخطاة المعروفين؛ بـل إنـه يقول: «كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم ...»، ليس من الذين لا يعرفونه، بـل مـن الذين يمجدون أنفسهم باسمه! لأن القش والزوان وما ينظر إليه الناس كأنه قمح في حين أنه قش، كلها معدةً للنار. كثيرون سيقعون في يد الرب يسوع المسيح مـن المـاكرين والمرائين الذين شبههم بالقبور المبيضة، فهي جميلة من الخارج، أما داخلها فمملوء مـن كل نتانة ونجاسة.

ماذا يجدي الاسم والزي بدون الطهارة؟ أين هي الثمار التي تليق ا؟ أعني الفضائل المسيحية التي تمجد الملك المسيح؟ لأن الأسماء والثياب والتيجان لا يصل رجهـا إلاّ إلى ساعة الموت فقط. فلا شيء منها يمكنه أن يعيننا، لأننا نحن الذين نحمل الاسم والملـبس سنرجع أمام الله قبل كل إنسان، وحتى الملوك وكل كائن من العظماء. لأنـه كمـا أن الأغنياء، سواء كانوا أبرارا أو أشرارا، يتركون خيرا م ويذهبون إما ليفوزوا برحمـة الله لأ م كانوا رحومين، أو ليحق عليهم العقاب لأ م لم يكونوا محبين للناس. هكذا نحـن، فإننا سوف نتخلّى عن الاسم والزي، وإذا كنا قد عملنا ما يليق أثناء حملنا إياها فسوف نأخذ أجرا، وإن كنا قد عملنا ما لا يجب فسوف يحكَم علينا. ففي المكان الذي نتطلّع إليه لا يرتفع إنسان بسبب الاسم أو الزي، فالمرتفعون هم الذين ترفعهم أعمالهم الحسنة. أما إذا قلنا إ م مرتفعون بالاسم، فإنما نقول ذلك لكي نقنع أنفسنا. فإن كنـا نكمـل حياتنا حسنا مثل كل الذين يصنعون إرادة الله، فإننا نكون مرتفعين بالأعمال مع الأنبياء والرسل وجميع القديسين. إ م هم فقط الذين تمموا أعمالاً تميزهم وسيكونون مطـوبين، أما الذين يهملون ما اؤتمنوا عليه ويتممون ما هو مكروه وغير مسموح به فسـيكونون ملعونين.

(57) *Oeuvres de Schenoudi*, Amelineau, Tome II, Fascicule I.

لا يوجد ملك ولا قوة ولا شخص ينتمي إلى الجنس البشري يحكم في السموات سوى الله ومسيحه الرب ملك السماء والأرض. والمستحقون بأعمالهم الصالحة سيملكون الحياة في الدهر الآتي. الذين ماتوا مع المسيح هم الذين سوف يحيون من جديد مع المسيح. الذين تألموا مع المسيح هم الذين سوف يمجدون معه. الذين تألموا ليس بالاسم فحسب؛ بل أيضا في الإيمان والأعمال وفي كل التجارب هم الذين سيكونون ملوكًا مع المسيح لا مساوين له لأنه إله وملك. إذا كنا أولاد الملك المسيح فسنملك أيضا معه. هل يوجد ملك أفضل ممن سوف يجد رحمةً أمام الرب يسوع وبالأخص الذين يرثون ملكوته؟ لأن من ذا الذي يرث ملكوت السموات دون أن يكون ملكًا؟ هل يملك أحد إلاّ الذين ليس لهم سيد سوى المسيح يسوع وأبيه؟ هل يوجد ملك آخر إلاّ الذي ينجو من الغضب الآتي؟ أيكون ملك آخر إلاّ الذي ملك حياة الدهر الآتي؟

الإنسان يكون ملكًا ليس لأنه يرى وجه ملاك مسرورا أو وجه قديس فحسب؛ بل لأنه يرى جابلنا وجها لوجه، الرب الملك المسيح وابن الملك. إنها أثمن رؤية، لأنه لا يوجد ملك خارجا عن هناك، لأن الذين يستحقون أن يروه في مجده هم الذين سيتمجدون به. لكن من هم الذين سوف يصلون إلى هذه المراتب إلاّ الذين تجندوا في الخدمة العسكرية جنودا للملك المسيح؟ لقد أخذوا درع الإيمان وذهبوا إلى المعركة. حاربوا كل إثم حتى لا يتسلّط عليهم. إنهم أحرار من عبودية الخطية، وهم الذين سيكونون أحرارا من كل الآلام، أما عبيد النجاسة والشر فحالما يفصلهم الموت عنها تتسلّط عليهم كل الضيقات.

لماذا تمسكنا بكل أعمال التقشف التي نتخذها على عاتقنا؟ لكي لا نجعل أنفسنا غرباء عن الله وعن مسيحه من أجل مسرة أو إغراء زائف أو شر. وإذا كان الله يحول وجهه عنا فلن ينفعنا شيء في حياتنا أو عند مثولنا أمام محكمته. إذا كانت الخطية تجد موضعا في أناس قبل النعمة أو التكريس، فهذا أمر هين، لأنه لا يصعب عليهم أن يتطهروا منها إذا تابوا. ولكن إذا كان الشر يتسلّط على الإنسان بعد التكريس والنعمة والاسم الذي دعي به والمكان المقدس الذي سكن فيه، فيصعب عليه أن يهرب منه، وأصعب منه أن يهرب من غضب الله.

إنه يكون على شاكلة يهوذا الذي بعد أن دعي رسولاً وبعد أن حسب مع الأحد عشر رسولاً، وبعد أن أخذ الخبز دخله الشيطان ووضع في قلبه أن يسلم سيده، فحق عليه العقاب الأبدي هو والذين سلّم الرب يسوع إليهم، أي رؤساء الكهنة والكهنة

وكل من وضع يده على الرب لكي يغتاله مثل الحيوانات المفترسة. ألست أقول ذلك باختصار وأبكي على هؤلاء الأشقياء لأنهم الآن في العذاب وهم كارهون أنفسهم بالأكثر بسبب ما فعلوه، وقد لعنوا أنفسهم في عمى قلوبهم؟! وأتكلم أيضا عن قلوبهم الدنسة والشباك التي ينصبونها التي هي تعاليمهم والأوامر التي أصدروها باحثين عن قتل الرب، لأنه يوجد شيء واحد ينصب به الصياد شباكه، إنه مكره. وهكذا يقول إرميا النبي: «ماذا وجد في آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عني» (إر٢: ٥)؟ لأن بني إسرائيل ابتعدوا عن الله مرات كثيرة، مرةً بعبادة الأصنام، ومرةً أخرى بقتل القديسين، وأخيرا وضعوا أيديهم على ملك الكون مظهرين شرهم وأفكار رؤسائهم الرديئة!



عظات أسبوع الآلام

عظة باكر الاثنين من البصخة المقدسة

يا إخوة، إن كنا نريد الآن أن نفلت من عقاب الله ونجد رحمةً أمامه، فلنجلس مساء كل يوم منفردين وحدنا عند كمال النهار، ونفتش ذواتنا عما قدمناه للملاك الذي يخدمنا (أي الملازم لنا) لكي يصعده إلى الرب. وأيضا إذا انقضى الليل وطلع النهار، فلنفتش ذواتنا ونعلم ما الذي قدمناه للملاك الموكّل بنا ليصعده إلى الله، ولا نشك البتة، لأن كل إنسان ذكرا كان أو أنثى صغيرا أو كبيرا اعتمد باسم الآب والابن والروح القدس جعل الله له ملاكًا موكلاً به إلى يوم وفاته، لكي يصعد إليه كل يوم أعمال الإنسان الموكل به الليلية والنهارية، ليس لأن الله غير عارف بأعمالنا، حاشا، بل إنه أعلم بها بالأكثر، كما هو مكتوب أن عيني الرب ناظرةً كل حين في كل مكان على صانعي الشر وفاعلي الخير. إنما الملائكة هم خدام قد أقامهم خالق الكل لأجل المزمعين أن يرثوا الخلاص. (فلنختم موعظة أبينا القديس أنبا شنودة الذي أنار عقولنا وعيون قلوبنا باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين)(❖).

(❖) جاءت هذه العظة في قطمارس البصخة طبعتي ١٩٢١، ١٩٤٩؛ وفي المخطوطة القبطية رقم ٧٠ بالمكتبة الأهلية بباريس ورقة ٢١.

عظة الساعة التاسعة من يوم الاثنين من البصخة المقدسة

والآن أيها الإخوة، لنمتحن أفكارنا وأعمالنا، ولنتأمل ماذا نفعل قبل أن يبطل كـل التعليم وكل عمل صالح ولا ننتفع شيئًا ... في المكان الذي سنذهب إليه سـواء كـان عملنا قليلاً أو كثيرا. لماذا، إذن، نرتكب كل هذه الآثام؟ وإن كنا قد ارتكبناها فلماذا لم نتب ونظل غير مستأهلين لنعمة المسيح هذه التي خلّصت عددا لا يحصى؟ أي عمل تراه ثقيلاً أو صعبا مما أوصانا به السيد؟ ما هو العبء الذي ألقاه السيد الرب على الإنسـان الأول آدم؟ ألم يقل له: من كل أشجار الجنة تأكل ما عدا هذه الشجرة وحدها الـتي في وسط الجنة فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت؟ ولما خـالف آدم وحـواء وأكلا حرما نفسيهما من بقية أشجار الجنة.

وما أحرى أن تكون الجنة وأشجارها مثل السنة التي نعيشها والصوم الأربعيني وما يجب نحو عيد القيامة الذي يشبه بالشجرة التي في وسط الجنة! فليجاهد كل إنسان قدر استطاعته، وحتى المرضى، حتى يباركنا السيد مع الذين جاهدوا وحتى نجد مكان الراحة في ملكـوت السموات. أما الذين يخطئون في هذه الأيام المقدسة أو الذين يرتكبون التعديات فسيهلكون ... موتا يموتون وسيشملهم الحزن والألم في جهنم. أما الذين يحتملون الجـوع والعطـش فطوبى لهم، لأ م سيتمتعون بكل الأفراح والسعادة في ملكوت السموات.

وينبغي أن نعلم أيضا أن بدء الصالحات هو أن يحفظ الإنسان جسده طاهرا، وبعد أن نكون أطهارا فلنتمم كل عمل صالح حسبما يرشدنا الروح القدس سواء كانـت هـذه الأعمال عظيمة أو صغيرة، وبذلك نكون مخلصين وننتفع ـا ... لأ ـم (الأطهـار) سيباركون السيد ا في الدهر الآتي إلى الأبد حينما يقومون أجسادا روحانيـةً في يـوم القيامة. (فلنختم عظة ...)(✽).

✽ ☆ ⁂ ☆ ✽

عظة الساعة الحادية عشرة من يوم اثنين البصخة(❖)

قد توجد أعمال نخالها صالحة ولكنها رديئة عند الله، وذلك أننا نرى مـن يخطـئ في المواضع المقدسة ونصبر عليه مما يجعله يتمادى في الشر. لأن الرب لم يغـرس في الفـردوس الأشجار الصالحة وغير الصالحة بل الأشجار الصالحة فقط. ولم يغرس فيه أشجارا غير مثمرة

(✽) وجدت هذه العظة في قطمارس خطي قديم في مكتبة مطرانية بني سويف، وجاءت بقطمارس ١٩٤٩ باللغة القبطية، كما أ ا موجودة بالمخطوطة رقم ٩٨ بمكتبة الفاتيكان، صفحة ٧٣.

(❖) جاءت بالقطمارسين المطبوعين عام ١٩٢١، وعام ١٩٤٩، وبالمخطوطة القبطية رقم ٧٠ بالمكتبة الأهلية بباريس.

أو رديئة الثمر. وليس هذا فحسب؛ بل إن الإنسان نفسه الذي وضعه فيه عندما خـالف لم يهمل أمره (أي لم يحتمله) بل أخرجه منه. فمن هذا اعلموا، أيها الإخوة الأحباء، أنه لا يجب أن تكون بيوت الله المقدسة مليئة بالناس الأشرار والصالحين كما في العالم المملوء من الخطاة والظالمين والقديسين والنجسين؛ بل إن الذين يعيشون في الخطية يجب أن يطردوا منها. ويجب علينا أن نقول ذلك لكل من نراه يسلك بدون ترتيب في بيت الله.

أنا أعرف أن الأرض كلها للرب، فإذا كان بيته مثل باقي الأرض فما هي ميزته إذن على غيره؟ فإن كنت وأنا الكاهن أعمل الشر كما يعمله الأشرار على الأرض فلا يحق لي أن أُدعى كاهنا! لأننا مرارا كثيرة نخطئ ولا نعرف كيف ندين أنفسنا بما نقول. لأنه لا يتجرأ أحد أن يملأ بيتك قذارة إلاّ إذا رأى منك التهاون، ولا يتجرأ حجاب الملـك أن يدخلوا بكل إنسان إلى بيته من حافظي مراسيمه والمخالفين لها إلاّ بأمره، ومـتى فعلـوا خلاف ذلك ألا يعاقبون؟ (فلنختم عظة ...).

عظة باكر يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة(❖)

إنني أخبركم بأمرين: أن كل الذين يفرحون م في السماء بسـبب توبتـهم علـى الأرض، سوف لا يرون حزنا ولا ألمًا في ذلك المكان العتيد أن يرثوه. وأمـا الـذين لا يفرحون م في السماء لعدم رجوعهم عن خطاياهم وتوبتهم عن آثامهم علـى الأرض، فلن يروا فرحا ولا نياحا في ذلك الموضع، لأن الذين يتنعمون ويفرحون على الأرض لن يروا فرحا ولا نياحا في السماء. أما سمعتم قوله تعالى: «طوبى للحزانى فـإ م يتعـزون» (مت٥: ٤)؟ وكذلك أيضا الذين لا يفرحون على الأرض يفرحون في السموات، أمـا سمعتم: «ويلٌ لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون» (لو٦: ٢٥)؟ أليس هذا هو الزمان الذي فيه يلبس الضعفاء قوةً، والذي ليس بقوي يقول أنا قـوي عنـدما يعطي قلبه للقول المكتوب؟ وكقول النبي: «كثيرون هم الذين ضعفت أجسـادهم مـن كثرة زناهم» (حسب النص)، ولكنهم سيضعفون أيضا في قلو م كما يقول الكتاب عن مثل هؤلاء: «إنه يهلك بنجاسة نفسه» (انظر مي٢: ١٠). أما ا اهدون بشجاعة فقـد قيل عنهم: «اجتهد أن تقيم نفسك لله مزكى عاملاً لا يخزى مفصـلاً كلمـة الحـق باستقامة» (٢تي٢: ١٥). (فلنختم عظة ...).

❑ ❖ ❋ ❖ ❑

(❖) موجودة بقطمارس البصخة المقدسة طبعتي ١٩٢١، ١٩٤٩، وأيضا في المكتبة الأهلية بباريس رقم ٧٠.

عظة الساعة التاسعة من يوم ثلاثاء البصخة(٥٨)

فلنصنع إرادة الله، يا إخوتي الأحباء، ما دام لنا وقت أن نعمل فيه لأجل الرب. تذكروا أن الموت لا يتأخر وأن مصيرنا أن نترك العالم. أين جميع الذين كانوا قبلنا؟ هوذا جميعهم الآن يرقدون في القبور. فلنصنع ثمارا تليق بنعمة الله التي أعطانا إياها. وعلينا نحن وجميع المسيحيين أن نتشبه بيسوع المسيح النور الحقيقي، ولكننا نحن بشر وهو السيد ونحن عبيده. هو الراعي ونحن غنم تحت يده. هو مولود من الآب ولكننا نحن خليقته. هو نور من نور، وقد مات لأجلنا نحن الخطاة وسلّم ذاته من أجلنا على خشبة الصليب لكي ينعم علينا بملكوته. فإذا كان السيد قد استهان بالخزي ومات من أجل عبيده أفلا يكون العبيد ملزمين أن يموتوا من أجل سيدهم، وذلك لكي كما مات هو يموتون هم معه، وكما هو حي فهم أيضا يحيون؟! (فلنختم عظة ..).

❑☆❖☆❑

عظة باكر أربعاء البصخة المقدسة

أقول هذا الكلام ولا أتركه: لا تظنوا أنه بعد عزل التبن من الحنطة يحصل الخطاة على راحة. وأقول لكم كشهادة الكتب إنه وإن كان الملائكة أو رؤساء الملائكة أو القديسين يصمتون جميعا؛ فإن لكلمة الله الحكم الكامل القاطع في اليوم الذي يفرز فيه الأشرار من بين الصديقين، في الوقت الذي يلقَى فيه الخطاة في أتون النار المتقدة. هل ترى الله مثل البشر حتى يجعل له مشيرا أو جليسا يسأله؟ لأنه ما هو الذي ينساه الله حتى يجيبه آخر عنه أو يسأله عن كلمة إلاّ هذا القول فقط: أن يقال من فم واحد: "أيها الديان الحق أحكامك عادلة، أنت المعطي كل واحد حسب أعماله، فهل نحن الذين نذكرك هذه الأمور، أنت الذي من عندك كل الرأفات"؟ (فلنختم عظة ...)(☯).

☙❋☆❋❧

عظة الساعة التاسعة من أربعاء البصخة(□)

أمران أقولهما لكم: ... (أكمل من عظة باكر الثلاثاء). فإلى متى تتكاسل أيها الإنسان؟ أتوسل إليك أن تبكي على نفسك طالما تكون دموعك مقبولة، وبالأخص إذا كنت قد ارتكبت أعمالاً تستحق البكاء. فابك على نفسك وحدك مادام جميع القديسين

---

(٥٨) جاءت بالمخطوطة القبطية بمكتبة الفاتيكان رقم ٩٠.
(☯) جاءت بالمخطوطة رقم ٤٠٨ بالمتحف القبطي بالقاهرة، وأيضا بقطمارسي ١٩٢١، ١٩٤٩.
(□) جاءت في قطمارس ١٩٤٩ وبالمخطوطة رقم ٩٠ بمكتبة الفاتيكان، وبدايتها مثل عظة باكر الثلاثاء.

يبكون معك لأجل خلاص نفسك. طوبى لمن امتلأ بكاءً على نفسه هنا، فإنـه سـينجو هناك من البكاء وصرير الأسنان الأبدي ويفرح فرحا سماويا. فلنتيقّظ، يا أحبائي، قبل أن يقفَل دوننا خدر العرس وباب التوبة، ونتضرع أمام الباب فنسمع: إنني لست أعـرفكم! كل ذلك وأردأ سنسمعه إذا تمادينا في خطايانا. (فلنختم عظة ...).

عظة الساعة التاسعة يوم خميس العهد(*)

(النصف الأول من العظة هو نفسه الجزء الأول من عظة الساعة الحادية عشر يوم الاثنين) ... لهذا يجب علينا أن نخافه ونحفظ وصاياه. فإذا سقطنا في واحدة منها فلنبك وننتحب أمامه حتى إذا رأى تنهدنا واشتياق نفوسنا مثل المرأة التي بلّت قدميه بـدموعها، نكـون حقًـا مستحقين صوته الحلو القائل: «مغفورةٌ لك خطاياك، إيمانك قد خلّصك، اذهبي بسـلام» (لو٧: ٤٨و٥٠). فقد رأيتم، يا إخوتي، أن الإيمان يؤدي إلى الخلاص وأ ا أظهرت اشتياقها إلى ذلك. إذن، فكل من ليس له اشتياق لحفظ وصايا الله وغـيرة في الاقتـداء بالحكمـاء بالروح، الذين شهد لهم أ م قد عرفوا الحق وقبلوا نصيحته وأعماله، والذين ليس لهم إيمـان يسقطون في كل أمر رديء ويهلكون كما هو مكتوب: «الرجل العاقل يقبـل النصـيحة ويعمل، والجاهل يسقط على وجهه» (حسب النص). (فلنختم عظة ...).

عظة لقان خميس العهد(*)

فلنسبح الآن، أيها الإخوة، من الذي تألم من أجلنا، ولنخف ممن اشتد بمنديل وصب ماءً في جرن وغسل أرجل تلاميذه بيديه الطاهرتين، حتى نصنع ثمـارا تسـتحق هـذا الاتضاع العظيم الذي اتخذه من أجلنا لكي نتوب سريعا عن خطايانا التي ارتكبناها، لأننا إن لم نتب فسيقال عنا في السماء إننا محبون للخطية. فماذا يكون رجاؤنا بعد أن نكون قد طُردنا من السماء وطُرحنا للحكم ورفضنا بسبب خطايانا. إننا ندان دينونةً مضاعفةً ليس لأننا أخطأنا بغير معرفة فحسب؛ بل لأن ما صنعناه بمعرفة كان أردأ مما صنعناه بغير معرفة، ولا لكوننا أخطأنا فحسب؛ بل لكوننا لم نتب. لماذا لم تعرف الخـراف صـوت الراعي الحقيقي المحيي وتلتجئ إليه؟ ذاك الذي اشتراها بدمه وعالها وسلّم ذاته فداءً عنها، الذي أعطانا جسده لنأكله ودمه لنشربه، يسوع المسيح ربنا ومخلصنا الإله ابـن الإلـه، الممجد والساكن في الأعالي إلى الأبد. (فلنختم عظة ...).

(*) موجودة بقطمارس ١٩٤٩ وبالمخطوطة رقم ٩٨ بمكتبة الفاتيكان.
(*) جاءت بالمخطوطة القبطية رقم ٧٠ بالمكتبة الأهلية بباريس.

بعض شروحات للقديس

«الله ليس إله أموات بل إله أحياء»:

«الله ليس إله أموات» (مت٢٢: ٣٢)، فهل جميع الذين ماتوا صاروا غرباء عن الله؟ وهل جميع الأحياء هم لله؟ فإذا كان الله إله الأحياء فقط وليس هو إله الأموات فكيف إذن استطاع الرسول بولس أن يقول: «ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته، لأننا إن عشنا فللرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن. لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات» (رو١٤: ٧- ٩). لذلك، فإنه عندما يقول إنه ليس إله أموات، فهو يقصد الذين ماتوا في الدنس والنجاسة والسرقة والكذب وشهادة الزور والقتال والخصومات والحسد والحقد والعداوة وعدم الإيمان وكل أمر شرير. هكذا قال الرب يسوع: «ليس الله إله أموات بل إله أحياء» (مت٢٢: ٣٢)، وذلك في الطهارة والكرامة والبر وكل أمر صالح.

«لو كنتم عميانا لما كانت لكم خطية، ولكن الآن تقولون إننا نبصر، فخطيتكم باقية» (يو٩: ٤١)[٥٩]:

«النفس الشبعانة تدوس العسل» كما هو مكتوب (أم٢٧: ٧)، وأيضا العين العمياء لا تقبل النور بسبب ما ا من الظلام. العيون المضيئة بالنور هي التي ترى النور أو تقبله، أما العيون التي غشيها الظلام فلا تبصر وهي في ظلام، ولا يمكن أبدا جعل العين التي فقدت نورها أن ترى النور. كذلك أيضا لا يمكن أن ترى يسوع يفتح عيني الأعمى، ذاك الذي جاء إلى العالم لكي يرى الذين لا يرون ويبصر الذين كانوا عميانا. قال له الفريسيون: «ألعلنا نحن أيضا عميان» (يو٩: ٤٠)؟ فسمعوا هذه الكلمة الحزينة: «لو كنتم عميانا لما كانت لكم خطية، ولكن الآن تقولون إننا نبصر، فخطيتكم باقية» (يو٩: ٤١).

أولاد الملك المسيح الرب هم في النور، كما هو مكتوب، ولكن الأشرار هم في الظلمة، مثل إنسان دخل مكانا مظلما فيسوده الظلام حتى إن الذين ينظرون إليه لا يرونه. هكذا يكون رؤساء الأمم غير المؤمنين منذ البدء الذين انغمسوا في مكان الظلمة، أي الشيطان، وساروا في زواياه وغرفه وقد أحاطتها دوامة من كل شر، فغمرهم الظلام الدامس، مثل بيوت مبنية تحت الأرض ليس فيها شعاع صغير من النور، لأن الله قد تركهم، وهو النور الحقيقي يسوع الذي ينير لأولاده الذين يؤمنون بالنور ويسيرون في

(59) *Oeuvres de Schenoudi*, Tome I, Fascicule I.

النور في كل زمان، كما هو مكتوب. وهم يشبهون بإنسان أسرع خارج مكـان قفـر ومظلم إلى مكان منير يحيط به عدد من المدن، هكذا كان آباؤنا القدماء إبراهيم وإسحق ويعقوب مع الذين كانوا قبلهم والذين كانوا بعدهم، فقد أسرعوا جميعا خارج الخطيـة التي كانت في العالم نحو المعرفة الحقيقية، وكانوا تحت ظل الرب إله السماء، وكمـا أن النور يضيء الظلمة دون أن تعرفه الظلمة؛ هكذا أضحى جنسهم كله منذ البدء وإلى الآن يتألق بالأعمال الصالحة دون أن يقوى عليهم الهراطقة.

«انظروا الحقول إ ا قد ابيضت للحصاد»

يقول الرب: «ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إ ا قد ابيضت للحصاد» (يو٤: ٣٥). هل يتكلم عن حقول حقيقية أم عن الشعب؟ لأنه يقول: «اطلبوا من رب الحصـاد أن يرسل فعلةً إلى حصاده» (مت٩: ٣٨). يرسلهم لكي يعلموا كل الأفكار، لأننا مكـان حرث للرب للحياة الأبدية، وأيضا نحن كرمة كما قال: «كان لسليمان كرم» نـ ش٨: ١١). وتوجد شواهد كثيرة في الأسفار المقدسة تبين أننا نحن الكرمة، كمـا أن السـيد المسيح يعلّمنا أنه أخذ الكرمة من الكرامين الذين لم يعطوه ثمرها وأعطاها لآخرين يعطونه ثمرها في حينه. إ ا شعب تعلّم من معلّمه المسيح، وهي أيضا تنشر التعليم وتعلّم الجموع الجاهلة، وهي تتنبأ وتبشر البعيدين والقريبين أيضا. إ ا راعية ترعى الناس بكلمتها الـتي يوحي ا الله إليها إذ تصرخ إليه قائلةً: "ارع شعبك بعصاك، قبائل ماعز ميراثك، إ ـا تبقى من تلقاء نفسها في الغابة". وعن الخراف يقول السيد: «خرافي تسمع صوتي وأنـا أعرفها فتتبعني»، وأيضا: «لي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلـك أيضا» (يو١٠: ٢٧و١٦)، فيهم الطبيب والراعي كقول الكتاب: «وضع الله أناسـا في الكنيسة: أولاً رسلاً ثانيا أنبياء ثالثًا معلمين ... مواهب شـفاء ..» (١كـو١٢: ٢٨)، وتلاميذ كقول السيد: «ليس التلميذ أفضل من المعلّم .. يكفـي التلميـذ أن يكـون كمعلّمه» (مت١٠: ٢٤و٢٥)، وعن الباب الذي يدخل منه الكثيرون إلى الحياة يقـول: «أنا هو الباب، إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى» (يو١٠: ٩).

فالكنيسة حصن له سور يحميه حوله وأمامه مصنوع من الفضة كما هو مكتـوب أنـه حصن تحيط به حاميات من الفضة، وهي أخت كما قال الرب: «من يصنع مشيئة الله هـو أخي وأختي وأُمي» (مر٣: ٣٤). وهي حبيبة كما قال السيد: «أنتم أحبائي إن فعلتم مـا أوصيكم به. لاأعود أسميكم عبيدا ... لكني قد سميتكم أحباء» (يو١٥: ١٥). ويقول عنها أيضا ما قاله لإبراهيم: «قد جعلتك أبا لجمهور من الأمم» (تك١٧: ٥) الذين قال عنـهم:

«هلم أيها البنون استمعوا لي فأعلّمكم مخافة الرب» (مز٣٤: ١١)، ويقول الرسول أيضـًا: «يا أولادي الذين أتمخض بكم إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غل٤: ١٩).

إ ا هي الكنيسة الجامعة التي تسير في الطريق الحقيقي للرب، والتي سوف يدخل ـا جموع إلى الحياة. هي نور يسير في النور الذي جاء إلى العالم الرب يسوع، وسوف يسير الناس في نورها كما هو مكتوب: «أنتم نور العالم» (مت٥: ١٤)، وهي تدعو النـاس للسير حسب كرامة السيد، وهي أيضا مدعوةً لكي تسير في كرامة الخدمة التي دعيـت إليها بكل تواضع وطهر. وهي ذبيحة كما قال الرسول بولس: «أطلب إلـيكم ... أن تقدموا أجسادكم ذبيحةً حيةً مرضيةً عند الله» (رو١٢: ١). وهي مملكة وكهنوت وأمة مبررة وشعب للحياة (انظر١بط٢: ٩) حسب المكتوب أ ا دائمة إلى الأبـد مـع الآب والابن والروح القدس. وقيل في الكتب أيضا إن الرب هو خطيبـها البكـر والحبيـب والسيد، هي الخراف وهو الراعي، هي الذبيحة وهو رئيس الكهنة، هي الكرمـة وهـو الجبل، هي ار وهو الشمس، وهو الأول والآخر. ومن يقرأ بقية الشهادات في الكتـب بتمعن يستطيع أن يفهمها.

بخصوص بيوت الله:

إذا كنا ندنس الأماكن المقدسة ونتصرف فيها بإهمال، فالويل لنا في دخولنا وخروجنـا، لأ ا أماكن جميلة في طولها ومقاسا ا وكل ما فيها، ويجب أن يسكنها أناس تكون مقاسات قلو م وأرواحهم جميلة. إ ا أماكن المسيح. وجيد أن يزين خارجها والأفضل منه أن يـزين داخلها. إنني أشير بخارجها إلى الطوب والحجارة والخشب وبقية المواد التي يتركـب منـها بناؤها، وأشير بداخلها إلى الشعب الذي يسكن فيها أو يدخل إليها. وهكذا قيل: «كونـوا أنتم مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا» (١بط٢: ٥). فإذا كان البيت كاملاً، فإن سكانه يعيشون في انسجام كامل مع الذين يدخلونه، فيتقدمون ويظهرون أبرارا وأطهارا في بيت الله الطاهر ويصبحون خير قدوة وأفضل مثال للجموع الأخرى.

أما إذا دخلت لتسرق وتنهب، فهل تظن أنك تعطى كأس ماء في الأماكن السماوية وأنت سارق في هذه الأماكن؟ فإن لم تكن أمينا في الأماكن التي تدخل إليها والتي سوف تتركها أيضا، فكيف تكون أمينا في الخيرات المستديمة؟! لا يسكن أحد في بيت قبـل أن يبنى، ولا توضع فيه أشياء ضرورية أو أشياء من الذهب والحجارة الكريمة إلاّ إذا شاهده الإنسان عن كثَب وعاينه باهتمام سائلاً نفسه إن كان يصلح للتأثيث أم لا. ولن يقال إنه بيت أو بيوت لله قبل أن تبنى. وإذا كان الأمر كذلك، فيجب أن نعرف مـتى يسـكن

المسيح في الإنسان ومتى لا يسكن ..!

إذا كان قبيحا أن يقال عن بيت قذر إنه بيت الملك، وهو لن يحسب أبدا ضمن بيوت الملك؛ فمن ذا الذي يقول عن إنسان نجس إنه بيت المسيح؟! بيوت الملوك جميلة ولا تنسب البيوت غير اللائقة للملوك، هكذا أيضا ينظَر إلى الذين ليسوا هم لله ..! هل هو أمر بسيط أن يرفَع حجر ثقيلٌ إلى مكان عالٍ لكي يوضع فوق عامود؟ هكذا أيضا فمن الصعب أن يبعد الجاهل عن أهوائه الحقيرة، فإن هذا هو أكثر صعوبةً من رفع الشيء الثقيل، فهو يحتاج إلى تعب وجهد حتى يعود إلى طاعة المسيح لكي يجد رحمةً في يوم شدته.

ينظر الناس إلى الزينة الخارجية للبيوت، ولكن الرب يسوع ينظر إلى الزينة الداخلية! ما هو المكان الذي لا يملأه الرب يسوع في السموات وعلى الأرض وبالأحرى بيته؟ ولكنني أقول أيضا إن البيت الظاهر هو البيت المعد للناس ليسكنوا فيه، ولكن الداخل هو ملك للمسيح ليسكن فيه. إن الناس يصيرون غرباء عن المسيح إذا جعلوا بيته غريبا عنه بالدنس. إن الله لا يسكن في بيت لنفسه ولا يعوزه مكان سكن، فإن سماء السموات هي كرسيه. وإن كان سليمان بنى له بيتا، و«لكن العلي لا يسكن في مصنوعات الأيادي ... أي بيت تبنون لي يقول الرب وأي هو مكان راحتي؟ أليست يدي صنعت هذه الأشياء كلها» (أع٧: ٤٨-٥٠)؟ ولكنه يسكن فيها من أجلنا إذا كنا أطهارا!

إذا كان الله لم يرحم الذين كانوا يدنسون المكان الذي يقدمون فيه العجول والماعز والعصافير، فهل يرحم الذين يدنسون المكان الذي يقدمون فيه له جسد ودم ابنه؟! إنه حقًا يصبر علينا. وإذا كان هذا الشعب قد احتاج إلى القصاص من حين لآخر، فهل ننجو نحن الآخرين، أم أننا نحتاج أن يؤدبنا مرات عديدة؟ وإذا كنا نهرب منه في هذا المكان فإلى أين نهرب منه في ذلك اليوم؟! إن الإنسان سوف يصير بارا يتمتع بجمال البيت وتناسق بنائه، ونحن أيضا نصير كذلك، بل إننا سوف نخلص إذا كنا نحفظ البر ونطيع كتبه وقوانينه.

«بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢):

إن كنت تخشى السهام فلن يمكنك أن تقف في المعركة، ولكنك سوف تهزم. وإذا كنت تخشى استهزاء الناس فلن تستطيع أن تفصل كلمة الحق باستقامة، ولكنك سوف تلبس ثوب الرياء كما يفعل كثير من الضعفاء عندما يصيبهم جرح أو ضربة. فإذا كنت تخاف من أن تجرح يدك أو رجلك أو أي عضو آخر في جسدك، فلا تقدر أن تجاهد

حتى تأخذ الإكليل، لأنه «إن كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونيـا» (٢تي٢: ٥). فلماذا تخاف من أن يقول الناس كلاما رديئًا ضدك؟ إن الذين لا يخشون من الوقوع بين يدي الله، وبدلاً من أن يقولوا الحق يكذبون، فإ م يخجلون من الناس أكثر من الله، ويترجون مجد الناس أكثر من مجد الله.

الجندي له أسلحة ويمكنه أن يلقي السهام، وأنت أيضا احمل الحق حتى تقـول لـك كلمة الله: «عدله يحيط بك كالسلاح، فلا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير في النهار» (مز٩٠: ٤و٥ الترجمة القبطية). إذا أردت أن تطفئ نارا بسرعة فاسكب عليهـا ماءً، فخذ «ترس الإيمان الذي به تقدر أن تطفئ جميع سهام الشـرير الملتهبـة» (أف٦: ١٦). الجندي له منطقة يلبسها في المعركة، وأنت أيضا أُعطيت منطقة الحق لكي تتمنطق ا، وفوق كل شيء تشجع لأنك لبست المسيح (غل٣: ٢٧)!

من ذا الذي يستطيع أن يحزنك إن كنت تريد أن تتغلّب على كل حزن وكل كآبة؟ فإذا كانوا قد جدفوا على المسيح بسببك لأنه جاء لكي يخلّصك من كل شر، فذلك لكي تمجده كما قيل: «أما من جهتهم فيجدف عليه وأما من جهتكم فيمجـد» (١بـط٤: ١٤). فلماذا لا يشتمونك من أجله؟ ينبغي أن تمتلئ من تمجيده إذا كانوا يحتقرونك من أجله. إن كانوا قد كذبوا من نحو المسيح من أجلك أنت كما قيل إن أعداء الرب كذبوا عليه؛ فلماذا لا يكذبون ضدك من أجله؟ وإذا كانوا قد تكلموا بالشر علـى الله الـذي خلقهم، فكيف لا يتكلمون عليك بالشر؟ وإذا كانوا قد نسبوا الخطية للرب يسوع الذي يرفع خطية العالم وذلك كما قال رؤساء الكهنة: «تذكرنا أن ذلك المضلّ قال وهو حي إني بعد ثلاثة أيام أقوم» (مت٢٧: ٦٣)، فلماذا لا يدعونك مضـلا؟ وإذا كـانوا قـد شهدوا عليه زورا، فلماذا لا يتهمونك زورا؟ لقد حدث ذلك مع جميع القديسين، فقـد كذبوا ضد يوسف في بيت المصري حتى سقط في ضيقات كثيرة، ولكن الله لم يتركـه. وكذبوا ضد سوسنة، ومن هم الذين كذبوا؟ كهنة وشيوخ وقضاة، ولكن الله لم يـنس تضرعها وصلا ا. كذبوا ضد اسطفانوس ورجموه وقتلوه، ولكنه رأى السماء مفتوحـة ورأى مجد الله والرب يسوع عن يمين الله. وفوق كل شيء، كيف أنه هو الآن في مجد؟! فلا عجب أن يقال كلام قاسٍ ضدك، فهذا ليس بالأمر الجديد!

إ م لم يجربوك بالعذابات وبالسيوف مثل الرسل الذين تركوهم شبه أموات وجروهم بعنف وطردوهم خارج المدينة. لم يلقوك في السجون مثلهم، وقد قتلوا آباءك منذ هابيل الصديق إلى زكريا بن براشيا وسائر الشهداء الذين سفكوا دماءهم! لم يقولوا شرا علـى

جميع القديسين فحسب؛ بل احتقروهم وكذبوا ضدهم وقتلوا معظمهم. ألم يكونوا عبيدا قبلوا الاحتقار من أجل اسم سيدهم؟ ألم يحتقَر سيدهم من الأشرار لأجل خلاص عبيده؟ الذين غشت القساوة أعين قلوبهم أوثقوه مثل لص، فأنت أيضا إذا أوثقوك من أجله فلا تعثر. لقد بصقوا على وجهه وغطّوا وجهه ولطموه وضربوا رأسه بالقصبة، وفي عطشه سقوه خلا ووضعوا على رأسه إكليل شوك وسمروا يديه ورجليه على الخشبة وأهانوه على الصليب قائلين: «إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب .. فنؤمن بك» (مت٢٧: ٤٠و٤٢). وبعد كل ذلك طعنوا جنبه بالحربة!

أما كان يستطيع أن يجعل الأرض تنفتح وتبتلع جميع هؤلاء الأشرار الذين كانوا يحيطون به مثل الكلاب؟ ولكنه كان يتطلّع إلى الذين يؤمنون به. وأنت أيضا إذا سقطت في أيدي الأعداء الذين فكروا في قلوبهم بالشر ضدك **من أجله**، أو «سنوا ألسنتهم كحيةٍ، حمة الأفعوان تحت شفاههم» (مز١٤٠: ٣)، فلا ترد بالشرور، بل انظر إلى ازدياد المجد الرب الذي يتقدم وينتشر في الأرض كلها، وإلى رائحة الأعمال الصالحة العطرة فإن رائحتها أفضل من كل بخور، ولسوف يؤنب الذين جدفوا على الرب يسوع، فقد جاء عليهم الهلاك حقًا وسوف يأتي أيضا، وسيؤنب جميع الذين يصنعون هذه الشرور، لأنه يقول: «هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونةً على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاةٌ فجار» (يه:١٤و١٥).

◆✿❖✿◆

هجوم القديس على الشيطان(١)

خاطب القديس الشيطان بقوة قائلاً:

أيها الشيطان، إنك مخرب ولكنك لا تستطيع شيئًا ضد الساهرين، ولا حتى في نومهم حينما تأتي في خيالات الأحلام آخذًا شكلاً غير شكلك متشبها بملاك. إن الساهرين يعرفونك لأن الملائكة يتكلمون في داخلنا وليس خارجا عنا. إنك دودةٌ ماصة للدماء ولكنها لا تشرب إلاّ الدم الذي يروق لها. إنك مفترس ولكنك لا تستطيع أن تلتهم إلاّ الشباعى. إنك ثعبانٌ ولكن بقوة السيد المسيح يتطهر الأمناء من سمك، بل يسحقون رأسك ويقطعونك ويهلكونك فلا يمكن أن يخشى أحدهم جثة ميتة!

(١) (*Entretiens et Epitres de Shenouti* CM. I. F. A. O. 1-23. *Sinuthi Archimandritea, Vita et Opera Omnia*, C. S. C. O., Script. Coptici, Ser. 2. 1. IV, Paris, Poussielgue, 1908.

أسلحتك مثل أعضائك قد هدمها السيد المسيح وليس لك سلطان إلاّ الذي يعطيه لك الناس أنفسهم. أنت، إذن، لست إلاّ عبدا هاربا وأسلحتك خادعة، إ ـا أكاذيب وظلمات وكل الخطايا. أما أسلحة الأمناء فهي الطهارة والبر. تجاربك أيها العدو ليس لها سلطان إلاّ بالمشاركة الإرادية للناس ا ـربين، والأمراض التي تجعلها عليهم لا تصل إليهم إلاّ بسماح من الله.

إنني أهاجمك أيها الشيطان ولا تستطيع أن تفعل شيئًا بينما يستطيع ملاك واحد أن يهلكك. أنت لا تسقِط إلاّ الذين يريدون السقوط ولا يعرفون رحمة الله. ليس لك سلطان إلاّ على الهدم ولا سلطان لك على الإبداع. إن الذي يخاف الله ويجرب بالمرض يجد في مرضه ذاته ما يمدح به السيد المسيح الذي هو عضو فيه(٦٠).

حقًا إنه بسببك أنت، يا رئيس الشر، قد حدث كل أمر شرير. لقد أقمت مستعمرةً لكل شر في وجه كل خير. ولكنك إذا كنت فضلاً عن ذلك تقوي في الناس الكراهية للمحبة والعداوة للسلام والدنس ضدا للطهارة والعنف ضدا للحق والعدل وكل أشكال العصيان الأخرى ضد التقوى؛ فهل يذهب الجميع إلى الهلاك؟!

طوبى للذين يفكرون قائلين: "ماذا تستطيع بعض الحزم من الحشائش والقش أن تفعله ضد النار حينما يلقو ا عليها؟ أو ماذا تستطيع بعض الأواني الطينية أن تعمله ضد الحجر وهم يلقو ا عليه؟ إنني أقول ذلك ضدك أيها الروح النجس. من تكون أنت مع كل شرورك أمام قوة الله الكائنة في الإنسان الذي يجتهد في فعل الخير؟ لا تغتر بخداعك للناس النيام الذين سلبتهم وكنست بيو م. تعال ضد اليقظين الساهرين!

أيها السفّاح، لماذا تحوم حولهم في خيالات الأحلام ذات الأشكال العديدة؟ أيها المتمرد، إذا كنت شجاعا في الحرب، فلا ـرب من الطرق التي ا يحاربك كل من يسلم نفسه لله بإخلاص وينكر نجاساتك. بك أنت كل الضعفات، وعندك مرض النجاسات من كل نوع. أنت لست رجلاً ولا امرأة، لست ثورا ولا حصانا ولا أي حيوان عامل، لست ثعبانا ولا عقربا أو أي نوع من الزواحف، أنت لست من البربر ولا من الرجال الأشرار، لست بحرا ولا ينبوع ماء، لست جبلاً ولا أرضا، ولا تحسب كواحد منها. إنك تغير شكلك إلى شبه هذه الأشياء أو غيرها، ولكن شكلك كما هو لا يتغير. ليس

(٦٠) يرى العلاّمة "دي بورجيه" أن أنبا شنودة يقدم في هذه الرسالة فلسفة واضحة جدا، فهو يظهر كلاهوتي بارع وفريد في كثير من تعبيراته التي تنبع دائما من أفكار ق. بولس وق. أنطونيوس. إن هذه الرسالة تعتبر مستندا مهما يدل على نواحي كثيرة من التعليم الذي كان سائدا عند رهبان مصر في ذلك الزمان.

لك أصغر جزء من عضو في أي شيء كان، لا أنت ولا باقي شياطينك. كل شيء تغير نفسك إليه هو غريب عنك ولا يعدو أن يكون مظهرا وخيالاً!

ماذا بينك وبين السماء والهواء أو النور حتى تحاول أن تأخذ شكلها، وأنـت مثـال الذين سيطرحون في النهاية في النار؟ إن زلزلة الأرض وتكاثف السحب والـدخان قـد تجعل الكون يبدو كأنه على وشك الدمار. تلك الظلمات المخيبة للآمال قد تغطي العالم فيتصور الناس الهلاك، وأنت تتخذ شكل جموع بشرية مع شياطينك وتصرخ: هذه هـي النهاية. تتعجل فتسقط وتقوم ثم تسقط على الأرض، وذلك لكي تخدع الـذين يـرون مظاهرك الشريرة في الأحلام! وقد تعلن أمورا كثيرةً بواسطة الذين تملّكتهم مدعيا أنـها النهاية. بيد أنه لا يوجد شيء من ذلك لأنك كذاب وأبو الكذاب. وقد يتصور الـبعض في تخيلاته أنك ملاك نور وتتمادى في تظاهرك، بينما تكون رغبتك الحقيقية هي أن تقتل ضحاياك وليس لكي تفرح قلوبهم بالرؤى العلوية التي تدعيها.

أيها المملوء من كل مكر وخبث والتواء، أتتخذ شكل ملك أو جندي لكي تـدخل الاضطراب والخوف إلى النفوس؟ أية منفعة تنالها وقد أُعِدت لك جهنم مع كل جنودك الأشرار؟ بل أية منفعة ترجوها وأنت تقيد الناس بالخطايا ليكون نصيبهم النـار الـتي لا تطفَأ؟ إنك تغير ذاتك بعالمك الذي هو من نور كاذب. إن كل ما تملكه إنما هو مـزور ومصيره الفناء. إذا كنت تظهر في شكل ملاك للذين لا تتملّك عليهم، فهم لا يصدقونك لأنهم يعرفون علامات ملاك الرب. يعرفون أنك أنت الشيطان من أعمالك. إذا ظهرت في أشكالك الكاذبة للذين يتحفظون ضدك فستنفضح لأنهم يتعرفون عليك، فماذا أنـت فاعل؟ إنك حتى لو تشكّلت بصورة ملاك من نور فلن تكون مخفيا عنهم.

أرواح الحق وأرواح الضلال:

يا له من جنون! لماذا نقف عديمي الفهم حتى نتوقع من ملاك أو من روح أن يظهر لنا ويتحدث إلينا، في حين أن الله وروحه وملائكته يتكلمون معنا في داخل أرواحنـا؟! في الواقع إن الفارغين هم الذين لا يسكن فيهم الرب يسوع، فإنهم ليسوا ممتلئين مـن روح الله القدوس. وأنت لا تستطيع أن تستهزئ بالذين هم ملك حقًا للسـيد المسـيح، ولا تستطيع أن تربطهم بظهوراتك الكاذبة.

طوبى للذين يرون هلاكك دون أن يهلكوا معك في اليوم الذي فيه يسحقك غضب ذاك الذي جدفت على أعماله. إنك سوف تسحق وتلقَى في قاع جهنم. ولكن ويلٌ لمن

يعاينون هلاكك ويهلكون معك! ويلٌ لمن لم يميزوا أفكارك وفخاخك! إ ـم لم يميـزوا صوت الكتب المقدسة حينما جاءت على الأرض. طوبى للذين عرفوك وعرفوا أفكـارك المختبئة خصوصا أدناسك التي يستطيع أن يميزها الصغار، وهي ليست بمخفية عن الذين يستهزئون بك وبأدناسك.

أيها المخالف، أسقطت كل الذين يسلكون رديئًا مخـالفين للـرب. أيهـا الكـائن المرفوض، جعلت شعوبا عديدةً مرفوضةً! أنت أخطر من الدودة الماصة للدماء، فإنـك تفعل أكثر منها، فهي لا تستطيع أن تبلغ إلى شراهتك.

أيها القاتل، ألم يكفك سافكو الدماء وخدام الأوثان؟ نعم ليس بكافٍ لك ملحد ولا هرطوقي، قاسٍ أو شهواني ضعيف، غير مؤمن أو أي واحد من الذين أنكروا الله! طوبى للذين لم يتذوقوا البتة ما تتذوقه أنت. إنه يلزم بالضرورة وأنت تتذوق مـا يـذوقون أن يتذوقوا هم ما تذوق أنت، فهي الأطعمة الوحيدة المشتركة بينك وبينهم.

طوبى للذين جرحوا حنجرتك ولم تستطع أن تبتلعهم بسبب عظامهم الكبيرة، أولئك الذين تجر م وتتعقبهم ولا تستطيع أن تتملّك عليهم بسبب إيما م بالله وفضيلتهم. طوبى أيضا للذين تركتهم رغما عنك فخلصوا. أما أنت فصرت بائسا حتى الفنـاء، في تلـك الساعة التي يبيد فيها الرب يسوع بقية أفكارك التي علـى الأرض وتختفـي و ـوي في جهنم. إنك لم تشبع من قتل الناس، ولسوف تتعذب إلى دهر الدهور مع الذين أشـبعوا هواهم معك.

إن سم الثعبان له حدود ولا يخرج عن طبيعته لأن الله هو الذي جعله فيـه، ولكـن سمك أنت ليس له حدود! يستطيع الثعبان أن يقذف سائلاً محـدودا يلحـق الأذى في القريبين منه فقط، وعندما يقفز أو يعض فمن يدركه يلحق به الأذى في مكانه المحـدود؛ أما أنت أيها الشرير، فسمومك تدرك الذين في العالم أجمع! إنك تفاجئ وتضرب الذين في العالم أجمع من البدء حتى اليوم، فسمومك كثيرة جدا، وأنت لا تكف عن أن تنفثهـا بكل قوتك. كثيرون في كل مكان يحفظون أنفسهم حتى لا تصيبهم سمومك، وإذا كـان بعضها قد يصيب الكثيرين، فإن افتقاد السيد المسيح يطهرهم منها إلى النهاية. الثعبـان ينفث سمه نحو عيون الجسد، أما أنت فتهدف إلى عيون القلب!

الويل للبائسين الذين جعلتهم عميانا بالكلية، ففي اتساع تجبرك على الذين سـقطوا تحت قدميك قد سحقت رؤوسهم ولن يستطيعوا بعد أن يتكلموا عن ضعفك. أما الذين

سحقوك وأذلّوك تحت أقدامهم، فليس لك سلطان عليهم ولا شيء آخر تقدر أن تصنعه لهم بشرورك سوى أن تحوم خارج أجسادهم بأمراض مختلفة وأنواع من الآلام. إنك لا تستطيع أن تجذ م إلى مكرهاتك، ولا تجد منفعةً من محاربتهم، بل إنك ـرول هارب ـا مسرعا! وهكذا تخزى بخيالاتك وأشكالك المتعددة الدنسة، إذ ترتد إليـك مكرهات ـك وسهامك، لأ م يرفضو ا في نومهم الهادئ الطاهر كما في يقظتهم.

إن الثعبان في الواقع ليس له سلطان آخر سوى سمه، ولا شيء يخشاه النـاس فيـه سواه، ومن يهرب من سمه لن يموت بسببه؛ وأنت أيضا بالأكثر عدو كل الخليقة، وليس لك سلطان آخر سوى سم شرورك. أنت تمزق وتفرق، ليس لأن الله جعلك بائسا ذا المقدار فحسب؛ ولكن لأن شكلك المرئي مهدوم، وأيضا لما نعرفه عن ضعفك.

إن الذي يهرب من شرورك لا يعود يبالي بوجودك، حتى وإن كنت تملك سـيوفًا في أي وقت، فإن سيوفك قد فسدت تماما، وما عندك منها تصوبه نحـو الأغنيـاء الـذين يعطونك سلطانا أن تتملّك عليهم. أما الذين يعرفونك فلا يبالون بخيالاتـك الليليـة أو النهارية، وهم لا يخافونك البتة، إذ كيف يخافون من جثة هامدة؟ أيخافون من جندي قطع الملك يديه ورجليه وجرده من سيفه وأسلحته وسائر مستلزمات القتال، فجعله غريبا عن مكان إقامته وبلده؟! نعم إن الملك حاربه، ولكنه بكرمه تركه حيا إلى اليوم الذي يـرى أن يقضي عليه فيه!

نعم أيها الشيطان، لقد تفرقت وأُلقيت من السماء (انظر إش١٤: ٩-٢١؛ لـو١٠: ١٨)، وسقطت من سائر جيش الملائكة بسبب كبريائك. أيها ا نون الأعمـى الـذي يقاوم الله، لقد صرت كائنا محتقرا بدلاً من أن تكون كائنا مكرما. صرت ملعونا من الله لأنه يعرف ظروف بدايتك و ايتك وفسادك الكامل وانحطاطك وحسدك. أيها العبـد الهارب غير النافع الذي هرب من سيده، كيف تستطيع أن رب أو تختبئ منه؟ أعـرف شيئًا غير خافٍ عن الحكماء، أعرف أنك مذنب بما تحمله السيد المسيح من آلام، حـتى الذين صلبوه فقد فعلوا ذلك بوصيتك الشريرة. في جنونك لا تجد ماذا تفعل مع الـذين يثبتون! سيهلكك السيد المسيح ويجعلك تختفي.

أتبعد حينما لا يكون لك درع ولا سيف ولا منطقة ولا ثوب ولا سلسلة براقـة ولا سلاح مثل التي لرافائيل وجبرائيل ورئيس الملائكة الجليل ميخائيل وكل الملائكة؟ الأشياء التي لك والتي تدعيها بالأكثر قد أُعلنت لكل واحد. عوض درع الملائكـة أو المنطقـة،

وضعت درعك حول وسطك ومنطقة الكذب اشتديت بها. عوض السلسلة البراقة والثوب النوراني، فإن سلسلة سوداء وثوب دخان وضباب يغطيك أيها الكلّي الظلمات. عوض سيف الملاك وقوة الروح الطاهر توجد في عجز تام. نصيبك هو الهلاك بسبب النجاسة الكاملة وأعمالك الأخرى: أعمال العنف والزنى والدنس والحسد وبقية الشرور التي لسنا في حاجة أن نذكرها بالتفصيل لأنك تعرفها، فأنت في شرورك مثل غابة من الجذوع الذابلة المتراكمة، إذا ألقى أحد نارا عليها وأشعلها لرآها تسقط أمامه رمادا، ومن أهملها رآها سهاما وسيوفًا وعتاد حرب من كل نوع، لأن كل أُمة شريرة قد خربتها أنت بكل ظلم وليس بحربة أو بسلاح آخر. ولكن أناس الله الحقيقيين فبطهارتهم يضربونك، وببرهم وبأنواع الأعمال الصالحة وكل تقوى يغلبونك.

إن التجارب التي تبتلي بها أجساد الذين يحاربون تفكيرك المكروه ليست ملكًا لك، إنما هي نتيجةً لسماح من الله. إن أتباعك والذين أصبحوا من أمثالهم هم أولئك الذين حسبهم الكتاب المقدس مثل قش سوف يحرق بنار لا تطفَأ. أعتقد أنه لو فُرض أنني أشتم هكذا أحد ملائكة الله – حاشا، بل ليكن بالحري مباركًا – لكان يحرقني بلهيب نار لأن له سلطانا وليس لك أنت. إنني أجحدك وأشتمك وأقول ذلك ضدك وأكثر منه أيضا بالنهار وبالليل وفي كل وقت ولا تجد ما تفعله بي، لأنه لو كان في مقدورك أن تفعل شيئًا، حينما لا تدركنا معونة المسيح، لما كنت تمتنع.

ليس نصرا لك أن تملأ الجسد بالوجع والألم. وإذا كان هذا السلطان لك فمن هم الذين انتصرت عليهم؟ أليس أولئك الذين أسقطتهم بكل الطرق وهم في معرفة كاملة ولم يكن ذلك عن جهل منهم؟ من لا يعرفك ويجهل حيلك السحرية؟ هل أنت قاضٍ أيها الخبيث في الخداع؟ إنك تارةً تقنع الذين تأتي بهم إلى الخطية أن الله لن يحاسبهم، وتارةً تجعل قلب الذين يريدون أن يتخلّصوا من شرهم مضطربا بحجة أن الله لن يغفر لهم كما لو كنت تعلم فكر الله العلي!

فليترك عديم الفهم طرقه والشرير خططه، وليلتفت نحو الرب، والرب سيشفق عليه، لأن كرمه وجوده وتحننه في مغفرة الخطايا غير محدود: «لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم» (إش٥٥: ٨و٩).

ليس لك سلطان أيها الشيطان إلاّ لكي تهدم. إنه لتجديف أن يقال إن لك سلطانا أن

تخلق أو أن تفعل خيرا، كما يفكر الوثنيون، إلى أن تسلّمهم لضربات الغضب الإلهـي. الذين تعودوا أن يحاربوك يقولون غير ذلك، إنك تجرب أجسادهم بالألم. ابعد عن جسد السيد المسيح وأعضائه لأ م سوف يخضعون له ويخدمونه ويشكرونه حتى في مرضـهم، لكي يكون واضحا أنه ليس أمامك في ذلك جدوى، ولن تجد ما تربحه من أي إنسـان يخاف الله. أيوب البار، ليس فقط بأعماله الصالحة أصبح غنيا بالله؛ ولكن أيضا بسـبب تجربته بالأمراض. وأيضا لعازر، ليس فقط لم يكن له ما يعطيه؛ ولكنه أيضا كان يشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني، ولا نجد سببا آخر من أجله حمل إلى حضن أب الآباء إبراهيم سوى احتمال المرض بصبر ...!

من تعاليم القديس أنبا شنودة

كان أنبا شنودة يعلم أولاده قائلاً: يوجد طريق واحد للحياة، هو أن تحب الرب إلهك من كل قلبك وتحب قريبك كنفسك. والذي لا تشتهي أن يفعله بك أحد لا تفعله أنـت بأحد. لا تقتل، لا تفسق، لا تشتهِ شيئًا لصاحبك، لا تشهد بالزور. لا تقُل شرا على أحد، ولا يكن كلامك كاذبا أو باطلاً. لا تكن بقلبين في أفكارك البتة. لا تأخذ أجرة أجير، ولا تتعظّم في قلبك، ولا تقُل كلاما رديئًا. لا تبغض أحدا من الناس. إذا سقط واحد في خطيـة فبكته بينك وبينه وصل لأجله ووجهه مثل نفسك[٦١].

وقال أيضا: اهرب من كل شر. لا تكن غضوبا لأن الغضب يقود إلى القتـل. لا تكـن حسودا ولا لواما ولا ممارٍيا، لأن ذلك يولد القتل. لا تكن طموحا مشتهيا، لأن الشهوة تؤدي إلى الزنى. لا تتفوه بكلام باطل. لا تكن وقح العينين، لأن ذلك يؤدي إلى شهادة الـزور. لا تكن راقيا ولا معزما، ولا تقترب من هذه الأفعال، لأ ا تجعل الإنسان يبعد عن الله. لا تكـن كاذبا ولا محبا للفضة، لأن ذلك يؤدي إلى الكفر. لا تصغر نفسك، ولا تفكر بالشر[٦٢].

وقال أيضا: كن وديعا لأن الودعاء يرثون أرض الحياة. كن طويل الأناة بسيط القلب صالحًا خائفًا من الله، مرتعدا من كلام الله في كل وقت. لا ترفع نفسك ولا تتكل على الغد. اسلك مع الأبرار والتصق بالمتواضعين. وما يحلّ بك اقبله سواء ظننته شرا أو خيرا. اتلُ الكلام المبارك ليلاً و ارا واذكر كلام الله. اسأل عن طريـق القديسـين وابتـهج

(٦١) م ٤١ ص ١٤١.   (٦٢) المرجع السابق ص ١٤٢.

بكلامهم. لا تعمل فرقةً بين إنسان وآخر، بل اجمع المتفرقين بالمصالحة والسلام. أحكم بالحق ولا توبخ أحدا على خطيته. لا تكن مبسوط اليد عند الأخذ وقابضها عند العطاء. أعط الفقراء لكي تمسح خطيتك. وإذا دفعت شيئًا لأحد لا تكن بقلبين، ولا تتذمر عند الدفع. إذا كنت رحيما فاعلم أن الله يعطيك الأجر الحسن. لا ترد وجهك عن سائل كقدر قوتك. كن مشاركًا لكل أحد يحتاج إليك، لأنك إذا شاركت الآخرين في الدنيا الفانية، تكون مشاركًا للأبرار في الآخرة الباقية[٦٣].

وقال أيضا: التأمل هو نصف العبادة، والجوع يجب أن يرافق العبادة. أقرب الناس إلى الله هو المتفكر في الخير وفي الجائع. وكما قال بعض المعلّمين: إذا امتلأت المعدة ثارت الفكرة وصمتت الحكمة وارتخت الأعضاء عن العبادة. خبز الشعير والماء والنوم على المزابل يوافق من يشاء أن يسكن الفردوس[٦٤].

وقال أيضا: من أعداء المسيرة الرهبانية التفكير العقلاني والرضا عن الذات وشر التدبير، وثمرة المعرفة هي الحكمة، وحسن التدبير هو في كمال غيرة المعرفة والكنوز المدّخرة في أقوال الصالحين. إذا علمت (أي إن كانت لك معرفة) فاذكر أن الله ينظر إليك، وإذا تمسكنت فاذكر معرفة الله فيك، وإذا تكلمت فاذكر أن الله يسمعك. راقب ساعات حياتك لئلاّ تفلت منك بالتغافل، وإيمانك لئلاّ تبيعه بثمن بخس، وكلامك لئلاّ تتكلم فيما لا يعنيك[٦٥].

وقال أيضا: اهجر الدنيا بالآخرة، والناس بالملامة. وإذا لم تساعدك نفسك على الطاعة ومخافة الله والشكر، فتمم الطاعة بمخافة ورجاء وشكر. أصل المعصية هو الكبرياء والغضب والحسد[٦٦].

وقال أيضا: إذا كنت بالنهار هائما وبالليل نائما، فمتى تتجه نحو من يأمرك وهو قائم؟ إذا كنت بالنهار (مثل) خلية، وبالليل (مثل) خشبة، فمتى تقوم لكي تتجاوز العقبة؟ إنك تنال النعمة السماوية بفعل المكارم وتجنب المحارم والصبر على المغارم (أي الخسائر)، مع امتلاء العينين بالدموع واللسان بالثناء والتمجيد، والقلب بمخافة الله والرجاء[٦٧].

وقال أيضا: إذا دخل النور الإلهي في القلب انشرح، وعلامته هي مجافاة دار الغرور والهروب إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل الموت باكتساب الفضائل وترك الرذائل والتخلّي عن هذا الجسد الزائل[٦٨].

---

(٦٣) المرجع السابق، ص١٤٣. (٦٤) المرجع السابق، ص ١٤٤. (٦٥) المرجع السابق ص ١٤٥.
(٦٦) المرجع السابق ص١٤٥. (٦٧) المرجع السابق، ص ١٤٦. (٦٨) المرجع السابق.

وقال أيضا: لا تحقد على من يبغضك ولا من يغضبك، ولا تخطئ في من تحب، واصبر على من ضربك ولطمك وظلمك. لا تصح الأخوة إلاّ بالأعمال وتقريب الآجال وتنقية الآمال(٦٩).

وقال أيضا: من أدلة المحب: السكوت والتذلل والإطراق والخجل والدموع. انفق ما فضل من مالك، وامسك الفضل من لسانك. غاية الزهد الانشغال بذكر الله عما سواه، والعلم بأنه إن أعطاك فلا يقدر أحد أن يحرمك، وإن منعك لا يقدر أحد أن يعطيك. اترك الاهتمام برزقك الذي ضمنه لك(٧٠).

وقال أيضا: حقيقة الإيمان هي الالتجاء إلى رحمة الله والالتزام بطاعته والمداومة على تقواه. إذا أبطأ عليك الرزق والاستجابة فاكثر من طلب المغفرة، وإذا جاءتك نعمة فسبح الله، وإذا حلّت بك مصيبة فتقوى بالرب(٧١).

وقال أيضا: صل من أجل من قطعك عنه، وأعطِ من حرمك من شيء، واغفر لمن ظلمك. إياك أن يخرجك غضبك عن الحق أو رضاك إلى الباطل. لا تأخذ مما ليس لك. إذا كنت لا تنفع الناس فلا تضرهم، وإذا لم تسرهم فلا تغمهم، وإذا لم تمدحهم فلا تذمهم(٧٢).

وقال أيضا: شره القلب يتولد من كثرة الأكل وكثرة النوم وكثرة الضحك، ويتولد أيضا من عدم الاحتراس في الكلام وكثرة الذنوب، ومن التعليم بدون علم لأنه يفسد أكثر من أن يصلح، ومن جعل أذنيه هدفًا لسماع ما يحكم به على الآخرين. يكثر انشغال الإنسان بالله إذا اتقاه في كل شيء واستعان به في كل شيء وافتقر إليه في كل شيء. احتمل كل ما يأتي عليك(٧٣).

وقال أيضا: أصل جميع الخطايا هو الكذب، فتجنبوه لأنه هو الشيطان الكبير. وأصل جميع الخيرات هو الحق، فإذا اعتمدتم عليه لا تخيبوا، ومن اعتمد عليه في كل طرقه يقويه الله. لا تتفكّروا في الأمور الرديئة، ولا تطلبوا أن تأكلوا شيئًا من الإخوة بالسرقة، لأنه لا يفرح بالسيئات إلاّ الشيطان(٧٤).

وقال أيضا: الرجل الحكيم إذا رأى أن واحدا قد سقط يجتهد في إنقاذه ويتعب حتى يخلّصه. كما أن الله إذا أبصر إنسانا ساقطًا في خطيئة لا يسر بذلك، بل يسر بالذي يسلك في الطريق المستقيم الإلهي(٧٥).

---

(٦٩) المرجع السابق، ص ١٤٧. (٧٠) المرجع السابق. (٧١) المرجع السابق، ص ١٤٨.
(٧٢) المرجع السابق. (٧٣) المرجع السابق ص١٤٩. (٧٤) المرجع السابق، ص ١٥٠. (٧٥) المرجع السابق.

وقال أيضا: تدبر يا بني بما في الكتب ولا تعمل بغيره، لأن الروح المتكلم في الأنبياء هـو المتكلم في الصديقين إلى الأبد. وغاية المستقيم هي أبونا السماوي كما قال سيدنا يسـوع المسيح. لأن غاية الصديقين هي التشبه بالله بقدر الطاقة(٧٦).

وقال أيضا: يا إخوة، يجب أن نجتهد في تكميل ما جاء في الكتب المقدسة، وأن يكون الإنسان بارا وصديقًا ومتجنبا للأمور الرديئة، فإذا فعل ذلك يكون كالشمس مضـيئًا في الملكوت كما هو مكتوب (مت١٣: ٤٣)، ولا يسلك في أي شيء من طرق السـوء. والصديق يحزن على من يسلك فيها. قال الرب: لا تحـب السـوء وانظـر إلى أفعـال القديسين لأ م يطلبون الخير بكل قلو م لكل من يسقط(٧٧).

وقال أيضا: لا تفتخر، لأن القديس إذا افتخر سقط من أعين الناس بسبب تعظم قلبه وافتخاره بمجد فارغ، كما أنه يغضب الله بتعظم قلبه(٧٨).

وقال أيضا: لا يقدر أحد أن يقف على أسرار الله التي في الكتب إلاّ إذا أنـار الله عليـه، ولكنه بحكمته لا يقدر على ذلك، وإذا اتكل في ذلك على حكمته فقد عظمت سقطته(٧٩).

وقال أيضا: لا تقُل في نفسك: إنني لم أفعل شيئًا، فتكون سقطتك كبيرة، فلا يوجد صديق على الأرض ولا بار ليس له بين يدي الله خطية ولو كانت حياته يوما واحدا على الأرض. وأقول لكم إن كل من افتخر بالذي يفعله ويتعظم به فقد صـار كالفريسـي وانعدم فيه الخير(٨٠).

وقال أيضا: من قتل نفسه بالجوع والعطش وأنفق جميع ما له وليست فيه محبة فليس له نصيب مع الرب، وهو يرذله ويضعه. ومن اتضع واعتمد على الله في كل أفعاله وأهان نفسه وسلّم أموره لله استحق أن ينيره الله بنور مسيحه كالعشار الذي بسبب تأدب نفسه واتضاعه وقرعه على صدره قال للرب: لست مستحقًا أن أرفع عيني إلى السماء لكثـرة خطاياي وذنوبي، لذلك مضى إلى بيته بالأنوار المضيئة الإلهية. ومن افتخر مثل الفريسـي وظن أنه فاعل خير ورفع عينيه إلى السماء بافتخار يخزى مثله ويضيع أجره لأنه مضـى بالخزي والخيبة(٨١).

وقال أيضا: الصديق الذي يعمل الحسنات ويفتخر بعمله يكون مرذولاً أمام الله أكثر من الخطاة. والمتضع فاعل الحسنات القليلة ويعظم غيره يكون عند الله في منـزلة جليلة

---

(٧٦) المرجع السابق ص ١٥١. (٧٧) المرجع السابق. (٧٨) المرجع السابق ص ١٥٢.
(٧٩) المرجع السابق. (٨٠) المرجع السابق. (٨١) المرجع السابق ص ١٥٣.

والموضع الرفيع الذي لا يوجد مثله. والمفتخر بالسوء، المفتري على الصالحين ويفعل الخير يكون عند الله أشر من الخطاة النجسين بسبب افتخاره، وتكون حسناته مرذولة أمام الرب. فاقتنِ الاتضاع لأنه هو غاية البر، فتعتبر حسناتك القليلة كثيرة عند الله(٨٢).

وقال أيضا: الذي يرذل الصديقين تكون خطيئته عظيمة أمام الرب لأنهم مصطفون وجليلون أمام جماعة الملائكة. كل من يخاف الرب ويصنع الخير ولا يفكر في الشر؛ يكون مكرما أمام الرب أكثر من الملائكة. الذين يخطئون ولا يعرفون الرب يسوع المسيح ولا ملائكته ولا كلامه، فالويل لهم جميعا قدامه. والذين يعرفون الرب يسوع المسيح ويغضبوه بأعمال الشر ولا يفعلون الخير إطلاقًا، فالويل لهم لأن الرب يحب الذين يفعلون الخير على قدر طاقتهم، لأن الحكيم يقول: «لا تكن بارا كثيرا» (جا٧: ١٦)، وهو يحب ألاّ يفتخر الأديب بحكمته، لأنه هو القائل إنه ليس أحد أديب ولا عالِم غيري، ولكنه يحب من يتضع ولا يتعظم ولا يفتخر ولا يكذب، ومن يرجع إلى كلام ذوي المعرفة وذوي الأعمال الصالحة الذين ليس فيهم غش ولا كذب، أولئك الذين يحبهم الرب بسبب صلاح قلوبهم وحبهم له واجتنابهم فعل الشر ومحبتهم للإخوة. والصديق لا يفتخر بالحسنات، بل إنه يكثر منها ويتضع مثل الرب يسوع المسيح الصديق الحقيقي الذي اتضع حتى الموت موت الصليب. فلا يجب أن يفتخر الأديب بحكمته لأن إلهنا هو رب كل أدب وحكمة، وهو القائل: لا أديب غيري(٨٣).

وقال أيضا: قال الرب: اجعلوا الناس يرون أعمالكم الحسنة التي ليس فيها غش ولا رياء، فيمجدون الله أباكم، ولا يسمعوا منكم كلام العلم الذي أساسه الافتخار. كثيرون عملوا خيرات كثيرة ثم ابتعدوا من الله بسبب الكذب والنجاسة والسرقة وقلة السمع والأفكار الرديئة التي يقبلونها مع فعل الخير. لا توجد خطية أعظم من الكذب، ولا توجد فضيلة أفضل من قول الحق، والصدق هو الذي يوقف الإنسان أمام الرب مستقيما(٨٤).

وقال أيضا: من عمل بالناموس كله ماعدا وصية صغيرة قيل عنه: «من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة، فقد صار مجرما في الكل» (يع٢: ١٠). وأنا رأيت كل ذلك بروح الله وفهمته عندما أحاط الأعداء بروحي مثل الكلاب، ومثل سباع تزأر لتخطف، لأنني رأيت أنني أخطأت كثيرا، لأن الإنسان إذا فعل خيرا كثيرا ثم فعل شرا قليلاً فإنه يلاشي ذلك الخير، ويبعده من الله بعد الاقتراب منه بسبب السيئات القليلة التي

(٨٢) المرجع السابق ص ١٥٤.   (٨٣) المرجع السابق ص ١٥٥.   (٨٤) المرجع السابق ص ١٥٦.

ارتكبها. لقد كنت في زماني أفعل خيرا كثيرا، فقلت إنني قد اقتربت من المسيح وصرت صديقًا، فابتعدت عنه بسبب الشر القليل الذي ارتكبته. لذلك يجب على الخاطئ أن يفعل الخير بدون افتخار ولا يتكلم عنه بل يخفيه ويظهر للناس خطاياه التي لا يعرفونها، وبذلك فإن الرب يسوع المسيح وملائكته يعظمونه عند توبته وعودته إلى الصلاح، ولا سيما إذا أخفى ما عمله من الخير(٨٥).

وقال أيضا: من يفكر في السوء فهو كمن فعله. وإذا احترسنا من الأفكار الرديئة وتكلمنا بالسوء نكون قد فعلنا جميع الخطايا. ومن قال إنه ليست له خطية فقد كذّب الله، لأنه قال على ألسنة أنبيائه إنه لا يوجد صديق بلا خطية ولو أقام على الأرض يوما واحدا(٨٦).

وقال أيضا: المتذمر والغضوب والمتكبر والذي يأكل لحم الناس بالاغتياب، أي الذي يتكلم في حق أخيه؛ كل من يرتكب تلك الأمور مرذولٌ جدا قدام الله وملائكته. الرجل الفهيم هو الذي ليس فيه غش والماشي حسب الحق ولا يغضب. الذي يخاف الله هو المتحنن الرءوف الذي يحزن على من يعمل الشر ويفرح بالله ويعمل الصلاح، ولا يفتري على من يخطئ بل يبكي على أخيه الذي يفعل السوء، هذا الإنسان يظهر بره أمام الله والناس وخصوصا إذا لم يظن أن الله راضيا عنه، بل يعتقد أنه خاطئ(٨٧).

وقال أيضا: من يأكل فليأكل من أجل الله ويشكره، ومن يصوم فليصم بقوة من عند الرب ويفعل ذلك بدون غش، والمريض الذي له قوة احتمال فليحتمل، ومن لا يقدر أن يحتمل فليطلب قوة الاحتمال من الله بمخافة(٨٨).

وقال أيضا: خادم الإخوة المرضى فليهتم بهم في كل مكان بمخافة الله بكل ما يأمرهم به الأرشيمندريت، ولا يفعلون شيئًا إلاّ بأمره. الذي يتمارض وهو ليس مريضا، ولكنه يطلب شهواته، فهذا مرذولٌ أمام الله تعالى. والمريض إذا اشتهى شيئًا فليطلبه مرةً أو اثنتين بخضوع وبساطة وبدون غش، بينما يكون متضرعا إلى الله أن يصرف عنه الشهوات الجسدية لأنها موت، وبذلك تقوى فيه الأفكار الروحانية التي تؤدي إلى الحياة الأبدية(٨٩).

وقال أيضا: المريض المحق في مرضه الشاكر لكل ما يصنعه له الخادم، يكون منيرا بين يدي المسيح ربنا. الخادم المتهاون بالمريض الذي يؤخر عنه شهواته وطلباته يكون شريرا

---

(٨٥) المرجع السابق ص ١٥٧. (٨٦) المرجع السابق ص ١٥٨. (٨٧) المرجع السابق.
(٨٨) المرجع السابق ص ١٥٩. (٨٩) المرجع السابق.

بين يدي السيد المسيح وكمن يهرق دماء الناس. كذلك المريض القليل الشكر والذي يتفكر في قلبه بالرديء على الخادم، يكون مرذولاً. كما أن الخادم إذا تفوه بكلام صعب أو بغيض للمريض يكون مرذولاً(٩٠).

وقال أيضا: أي واحد من الإخوة، صغيرا كان أو كبيرا، رجلاً أو امرأة، لا يأكل شيئًا مسروقًا ولا حتى عود بقل أو خبز إلاّ مع الإخوة، ومن فعل غير ذلك يكون مظلما قدام الله. ولا يشرب أحد شيئًا مسروقًا لا في مرضه ولا في صحته، ولا في برد ولا في حر ولا لأي ضرورة(٩١).

وقال أيضا: مكتوب في ناموس الآباء المتقدمين أن يكون الأكل مرة واحدة في اليوم، وذلك بالنسبة لكل من يلبس الإسكيم. ولا ينتقل أحد من موضع إلى آخر، فقد قال أنبا أنطونيوس: لا تنتقل من مكان إلى آخر سريعا، فالرهبنة الحقيقية هي أن يثبت كل واحد في الموضع الذي يسكن فيه، ويلزم الصبر في موضعه ويثبت ولا يتنقّل ويقاتل أراخنة الشياطين. فلا تتشبهوا أنتم بغير المؤدبين الذين يتنقّلون من موضع إلى آخر حيث أن ذلك لا يتفق مع عبادة الله. ولا يقاوم أحد صاحبه في أي شيء(٩٢).

وقال أيضا: يجب ألاّ يسكن راهب مع علماني، ولا يجوز أن يقبل الرهبان العلمانيين في مجمعهم، بل يجعلوهم خارج المجمع، ولا يأكلوا ولا يشربوا قدامهم. لا يخرج راهب أو راهبة من باب الدير، وبعد أن يضرب الناقوس في آخر النهار لا يتحدث الراهب مع أحد حتى يدق ناقوس السحر(٩٣).

وقال أيضا: لا تذهب أية راهبة قط إلى دير رجال. وإذا ذهبت راهبة أو راهب لمقابلة الأقرباء بدون مشورة فإنه يسجس قلوب الذين يرعونه ويخالف الوصايا الإلهية. فالراهب يجب أن يخضع لناموس الرب في الدير. فعلينا أن نطيع كبير الدير ولا نقاومه ولا نتكلم معه أو من ورائه إلاّ بما يشاء هو، لأنه مختار من الله تعالى لرعاية المقيمين في هذا المكان، وهو مكلف بالاهتمام بنجاة نفوسهم وسيجاوب الله عنهم، وهو المهتم بأمورهم وكل مصالحهم. لذلك يجب ألاّ يعملوا شيئًا كبيرا أو صغيرا إلاّ بمشورته(٩٤).

وقال أيضا: الراهب يهتم بالتوبة وملازمة الأفكار الإلهية، ولا يفكر في الشر أو يتمم شيئًا منه، ولا يتفوه بكلام بشري، ولا يهتم بالاختلاط الفارغ بالناس أو الأفكار

---

(٩٠) المرجع السابق ص ١٦٠.
(٩١) المرجع السابق ص ١٦١.
(٩٢) المرجع السابق.
(٩٣) المرجع السابق ص ١٦٢.
(٩٤) المرجع السابق.

الجسدانية، بل يذكر خطاياه ويندم عليها، ويختلي ويحزن على أعماله الشريرة ويجتهد في الابتعاد عما يماثلها، ويبكي من أجل من يعمل شرا ولا يوبخه، ويتقوى بـالرب الـذي يعمل على خلاص أفكارنا وأجسادنا من هذه كلها، وذلك كمن يريد أن يدير سفينته في ريح عاصف حتى تسلم وتصل إلى الميناء. وعلينا أن نلازم ضرب المطانيـات قـدام الله لأجل التوبة عن ذنوبنا ومن أجل الذي يندم عليها، والرب، جلّ اسمه، يعيننا وإياكم على العمل بما يرضيه. آمين[٩٥].





(٩٥) المرجع السابق ص ١٦٣.

ثانيا: قصص وأقوال

القديس أنبا ويصا

تلميذ أنبا شنودة

❑☯☀☯❑

قال القديس مكاريوس الشهيد أسقف تكاو(٩٦): عندما شاخ النبي القديس (أنبا شنودة) عين أنبا ويصا ليكون رئيسا للإخوة(٩٧).

قيل عن أنبا ويصا إنه تميز بحلمه ووداعته، وتدل كتاباته على أن له معرفة غزيرة بالأسفار المقدسة. كما أننا نتبين منها أنه كان رئيسا نشيطًا ومسالمًا، كما يظهر منها تأثير معلّمه عليه(٩٨).

ذكر أنبا ويصا في **إحدى رسائله** إلى بعض المسئولين والرؤساء وكل الشعب الساكن في البلاد القريبة من الدير أنه قد حزن جدا عندما علم أنهم يتشاجرون بسبب ملكية بعض الأخشاب، ووبخهم كأخ لهم حيث أن هذا لا يليق بالمسيحيين(٩٩).

كان أنبا ويصا يريد أن يكون الناس مسالمين في معاملاتهم مع الوثنيين، فينبغي عليهم أثناء تأدية أعمالهم ألاّ يضربوهم أو يرغموهم على أي شيء. فقد أراد لهم أن يتجنبوا المشاكل التي تنتج عن التخلّي عن السماحة. فمعاملة الوثنيين بعنف كان أمرا مقبولاً في العهد القديم، أما في العهد الجديد فينبغي على المسيحيين، ولا سيما الرهبان، ألاّ تكون لهم أسلحة أخرى سوى كلمة الحق مع المحبة(١٠٠)!

كان أنبا ويصا يهدف من رسائله إلى الرهبان إلى أصلاح عيوبهم وخيرهم الجماعي. وهو يمتدح رهبانه في إحدى رسائله بسبب ما فعلوه أثناء المجاعة التي حدثت في المنطقة، ثم يطلب منهم أن يكونوا شفوقين على الفقراء الذين لا يجدون ما يأكلونه ويعيشون على عشب الحقول. كما أنه يشكر الله لأنه سمح للرهبان بإعانة الجياع البؤساء. وكان ذلك بعد نياحة القديس أنبا شنودة بست سنوات. كما أن المجاعة تبعتها انتشار الأمراض، فكان هؤلاء البؤساء يأتون إلى الدير طلبا للراحة. وقد مات منهم الكثيرون ونجا آخرون بفضل مساعدات الرهبان لهم بشتى الطرق، فقد كانوا يقدمون لهم الطعام ويعدون حمامات وأدوية للمصابين بالقروح. وقد بلغ عدد الذين حصلوا على هذه المساعدات نحو

---

(٩٦) وتنطق خطأ "إدكو"، ولكنها هي الآن بلدة "قاو النواورة" التابعة لمركز البداري بمحافظة أسيوط.
(٩٧) كتاب "القديس أنبا ويصا" – مليكة حبيب يوسف ويوسف حبيب، ص ١٢. (٩٨) المرجع السابق ص ١٣.
(٩٩) المرجع السابق. (١٠٠) المرجع السابق ص ١٤.

خمسة آلاف نسمة. كما أن الرهبان قاموا بدفن ١٢٨ شخصا. وكان سبب كل هـذه البلايا هو انخفاض فيضان نهر النيل في تلك السنة[١٠١].

وبخ القديس أنبا ويصا الرهبان في بعض رسائله على خطاياهم، ودعاهم إلى الرجـوع إلى تعاليم القديس أنبا شنودة، فلا يجوز لأي راهب أن يحتفظ لنفسه بمال حتى ولو كان هدية من أهله. وكانت رسالته إلى الراهبة "أفتونيا" جديرة بكل اهتمام. فقد كانت أفتونيـا قـد اشتكت إلى أهلها من أن زميلاتها يسئن معاملتها ويحرمنها بالأخص من الأشياء التي يرسلونها لها. ولما علم أنبا ويصا بذلك أرسل إليها يلومها لأن عمل الأخوات ليس معناه أنهن يسـئن معاملتهن لها، ولكنهن ببساطة يرفضن أن يسمحن لها بالاحتفاظ بالأشياء التي يرسلها إليهـا أهلها لاستعمالها الشخصي، فإنهن بذلك يتبعن قانون الرهبنة[١٠٢]!

لاحظ أنبا ويصا أن بعض الرهبان يخرجون من الدير للتحدث مع النـاس أو للأكـل والشرب معهم. فمنع ذلك وأمر ألاّ يأكل أحد أو يشرب خارج الدير أو داخلـه في غـير المواعيد المخصصة لذلك. وكان يعاقب الذين يبالغون في تنظيف ملابسهم وأجسادهم[١٠٣].



عظات ورسائل
للقديس أنبا ويصا

العظة الأولى
عن السهر

١ - «لماذا كأنكم عائشون في العالم تفرض عليكم فرائض، لا تمس ولا تـذُق ولا تجس» (كو٢: ٢٠و٢١)؟ إننا قد انفصلنا عن خطايا العالم بنبذنا إياها. فلماذا نتـورط فيها مرةً أخرى؟

٢ - وقد قيل عن ذلك أيضا: «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور، لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبر وحق، مختبرين ما هو مرضي عند الرب.

---
(١٠١) المرجع السابق. (١٠٢) المرجع السابق ص ١٥. (١٠٣) المرجع السابق ص ١٦.

ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحري وبخوها، لأن الأمور الحادثة منهم سرا ذكرها أيضا قبيح. ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور، لأن كل ما أُظهر فهو نـور» (أف٥: ٨-١٣). ولذلك، فلنظهر حماقاتنا التي فينا وكل أفكار الشيطان التي يزرعها فينا والجحـود والأحقاد بقدر ما نفكر في الشر ضد بعضنا البعض إذ لا نكون بعضنا لبعض إطلاقًا. كمـا أننا للأسف نلوم بعضنا بعضا لا أنفسنا طالما أننا نحارب بعضنا بعضا ولكـن «مصـارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف٦: ١٢). لذلك يقول الرسول: «احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير» (أف٦: ١٣).

٣ - إذن، كونوا متيقظين حتى نحتضن الصالحين، لأنه يوجد كثيرون مع بعضهم البعض بالجسد، ولكنهم بعيدون بعضهم عن بعض بالقلب والمحبة. كذلك يوجد كثيرون رغم أ م ليسوا مع بعضهم البعض بالجسد؛ فإ م مع بعضهم البعض على الدوام في حب المسيح وحب الروح القدس ومسرة الرب يسوع. فكونوا أنتم، أيها الإخوة، متيقظين وداوموا على الأمور التي تعلّمناها، وكثيرون سيتعلمون وينتفعون منكم كما قيل: «لكي يروا أعمالكم الحسـنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت٥: ١٦). لأنه كما أنكم تبعتم جميع القديسين في أفعالكم كما قيل: «وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأنـاتي ومحـبتي وصبري واضطهاداتي وآلامي» (٢تي٣: ١٠و١١)؛ فاتبعوها أنتم أيضا بأن تصونوا آلامكم لأنفسكم، لأن الذين لهم ثروة في المسيح لا تخفى عليهم أن يسهروا عليها.

٤ - إن كان الذين عندهم ممتلكات، ذهب وفضة وغير ذلك، يكونون يقظـين لـئلاّ يسرقها اللصوص؛ فكم بالأحرى أن نكون نحن يقظين لئلاّ يسرق العدو ما نفعله من صلاح: صلواتنا وأصوامنا وطهارتنا ورسوخنا. لأن سرقة الذهب والفضة ليس على نفس المستوى. لأنه بقدر ما أن البتولية والحياة الرهبانية ثمينتان، بقدر ما يتوق العدو أن يسرقهما. إن الذي اكتسب لنفسه لآلئ أو ذهبا يظل ساهرا. فإن كان العدو يسهر من أجل الإثم، فكم بالأكثر الذي له ممتلكات يسهر لئلاّ تدبر عليها مؤامرة؟

٥ - دعونا نذكر ما قاله أبونا (أنبا شنودة): "إن إخوة طريقة حياتنا هـذه يصـومون ويصلّون ويسهرون؛ إلاّ أ م أيضا يكذبون ويتشاجرون ويتذمرون ويتكلمون بالشر. إ ـم يحقدون ويسلكون بفتور وينجسون ذوا م، وهم مخادعون إذ يرتكبون كل عمل شـرير. فمثل هؤلاء يتعبون باطلاً، ولا يحصلون على أية فائدة إطلاقًا. بل إن ثبا م في هذا الطريـق باطلٌ هو"، وكما قيل: «حزمة حنطة لا تنفع في إعداد وجبة (طعام)» (هو٨: ٧ سبعينية).

وقد قيل أيضا في ذلك: «زرعوا حنطةً وحصدوا شوكًا، أعيوا ولم ينتفعوا» (إر١٢: ١٣). فتيقظوا، إذًا، ولا تدعوا العدو يهلك الصلاح الذي نفعله، بل فلنحرس قلوبنا بكل تيقظ من كل فكر شيطاني أحمق حتى نستحق أن نسمع بكل ثقة: «لن يخدموا الغرباء فيما بعد، بـل يخدمون الرب إلههم» (إر٣٧: ٨و٩ سبعينية).

٦ - لأن اللصوص لا يهاجمون بيتا أو مكانا لا توجد فيه ممتلكات، بل يهاجمون المكان الذي توجد فيه ممتلكات، ولا يهاجمون مكانا محروسا ضد النهب، بل المكان الذي يعلمون أن أصحابه لا يحرسونه ولكنهم نيام، فهم يهاجمونه ويأخذون كل ما يجدونه. هكذا أيضـا الشيطان لا ينهب ذاك الذي يكون متيقظًا لأشيائه وهو معذب، بل ذاك الذي يجـده بـلا حراسة، الذي لا يخاف الله ولا يذكر كيف أنه لا بد أن يقع في يدي الله. أما الذي تحملـه كل ريح فيسلبه العدو من الصلاح الذي يتممه بكل قسوة.

٧ - لذلك أيها الإخوة، كل واحد فكره موحد مع الله ومع آبائنا ومعنـا أيضـا – سواء كان رجلاً أو امرأة، كبيرا أو صغيرا – معنا ومعكم؛ فليتشجع ويكون ساهرا: «لا تعطِ عينيك نوما ولا أجفانك نعاسا» (أم٦: ٤) حتى ينقذنا الرب من كل تجربة للعدو، لأن كثيرين هم الذين يحسدوننا. ولا تلتفتوا، أيها الإخوة، إلى الذين كثيرا ما يتهيجون في القتال والعراك والذين ينكرون وفاءهم ويضايقونكم، بل لا ندع الله يقول إ ـم دائمـا يضايقون المحبين لله الذين يجعلون إيما م بالمسيح كاملاً ويمكثون مع روح الله.

٨- أما بخصوصكم، يا من تخطئون وتنبذون الثبات، والذين تزعجون مجامع الشركة بدناءة الروح والحسد والحقد والقتال والعراك والخداع، فويلٌ لكم! ماذا ستفعلون في يوم افتقادكم؟ لأن هلاككم يأتي من بعيد (إش١٠: ٣). أم أنه ليس موضوع دينونة لنا أننـا - بعد أن تركنا ما تركناه وعقدنا اتفاقًا مع ذاك الذي عقدناه معه واعدين بنذر: إننا لن نسرق، ولن نكذب، ولن ننجس أجسادنا بأية طريقة، ولن نشهد بالزور، ولن نعمل أي شيء مخادعا في السر، وكل ما يأتي بعد ذلك – أن نرجع ونعمل هـذه الأمـور مـرةً أخرى؟ (بعض سطور مفقودة).

العظة الثانية

نصـائح

... إن ما تعلّمناه هو: «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأن الله هو العامـل فـيكم أن

تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرة (قلبه)» (في٢: ١٢و١٣). بل إن موسى النبي عندما رأى كيف أن بني إسرائيل قد نسوا سريعا وصايا الله، أوصاهم أن يصنعوا أهدابا في أطراف ثيابهم لكي عندما يروها يتذكرون وصايا الله ولا ينسوها (عد١٥: ٣٨و٣٩). أما نحن فلنجعل مخافة الله في قلوبنا بدلاً من الأهداب حتى لا ننسى الوصايا التي أعطانا إياها آباؤنا.

لذلك أيها الإخوة، فلنرجع ونتوب قبل أن تفلت الفرصة منا، وبينما لا زال معنا النور الذي هو تعاليم آبائنا. وكما قال الرب: «سيروا ما دام لكم النور لئلاّ يدرككم الظلام» (يو١٢: ٣٥)، وأيضا: «لنسلك بلياقة كما في النهار» (رو١٣: ١٣)، وأيضا: «لأن الذين ينامون فبالليل ينامون، والذين يسكرون فبالليل يسكرون، وأما نحن الذين من النهار، فلنصح لابسين درع الإيمان» (١تس٥: ٧و٨).

❁✰❖✰❁

العظة الثالثة

عقاب الخطاة

١- كما هو مكتوب: «استيقظ الرب كنائم، كجبار ثمل من الخمر، فضرب أعداءه إلى الوراء، جعلهم عارا أبديا» (مز٧٨: ٦٥و٦٦). لأن الذي قال: «على أدوم أطرح نعلي» (مز١٠٨: ٩)، قال أيضا: «من أجل أنكِ قد نجّستِ مقدسي بكل مكرهاتكِ وبكل أرجاسكِ، فأنا أيضا أقطعكِ ولا تشفق عيني عليك، وأنا أيضا لا أعفو» (حز٥: ١١). لقد انتظروا نورا، ولكن ظلمة أعمالهم الشريرة حلّت عليهم. انتظروا نورا، فسلكوا في ظلمة عصيانهم. تلمسوا الحائط مثل أعمى، أي مثل الذين لا فهم لهم، فتحسسوا مثل الذين لا عيون لهم، وسقطوا في وقت الظهيرة كما في نصف الليل (إش٥٩: ٩و١٠)، أي مثل الذين لم يسمعوا الكتاب المقدس ولم يتعلموا شيئًا!

٢- أما أنتم يا أحبائي، إذ تبنون أنفسكم على إيمانكم الأقدس، مصلّين في الروح القدس، فاحفظوا أنفسكم في محبة الله متطلعين إلى رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية، مختطفين البعض من النار (يه٢٠-٢٣)، أي من أعمالهم البغيضة وكلامهم المفسِد، ومبغضين حتى الثوب المدنس من الجسد (يه٢٣). و«احترسوا من أن تنقادوا بضلال الأردياء فتسقطوا من ثباتكم» (٢بط٣: ١٧). لا تكونوا مثل الذين يسلكون بالرياء بيننا سواء كانوا رجالاً أو نساءً، الذين لم يذكروا المكتوب أن الأبناء الذين تنجسوا ليسوا هم من الله، وأنه «إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله، لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو. لايخدعن أحد نفسه» (١كو٣: ١٧و١٨). ولا تكونوا مثل

الذين يبغضون أمور الله ويزدرون بسنن وأعمال الخلاص التي هكذا يجريها المسيح يسوع في أديرته لأجل فداء وتثبيت أبنائه وبناته الذين يرغبون في خلاصهم كما هو مكتـوب: «أعطى علامةً لعبيده الذين يخافونه لكي يهربوا من وجه القوس حتى ينقـذ أحبـاؤك» (مز٥٩: ٤).

٣- أما بخصوص مبغضي الصلاح هؤلاء، المتباهين الذين يزدرون بآبائنا والشرائع التي سلّموها لنا، فلا تلتفتوا إليهم وإلى كلامهم المفسِد الذي يقولونه، وذلك حتى تتم الكلمة المكتوبة على أمثالهم. وكما قال الذين يفترون على الله: «كل من يفعل الشر فهو صالحٌ في عيني الرب وهو يسر بهم» (ملا٢: ١٧). هكذا الآن هم الذين يكرمون فاعلي الشـر ويمجدون الذين يخطئون أمام الله، ويحتقرون الذين يخافون الرب ويرتعبون من اسمه. إنهم يحولون الحق إلى سم وثمر البر إلى أفسنتين (عا٦: ١٢). إنهم يعتبرون الظلام نورا والنور ظلاما، ويجعلون المر حلوا والحلو مرا (إش٥: ٢٠).

رسـالة
إلى الأخ متى

ويصا أصغر الجميع يكتب إلى أخيه الحبيب متى:

إنني أتعجب من أنك تحولت هكذا سريعا عن نعمة الرب يسوع المسيح الذي دعاك من الظلمة إلى النور (١بط٢: ٩)، ومن الموت إلى الحياة، إذ تركت ثباتك وطريق حياتك الرهبانية. لقد تنكرت لنفسك بسبب ضعفك وفتور محبتك. لقد أحببت هـذا العـالم الحاضر وذهبت إلى تسالونيكي (٢تي٤: ١٠) أي الغباوة والطريق الذي عدت إليه بخزي حتى تكون حجر عثرة لكثيرين. ولم تذكر قول الرب: «من أعثر أحد هـؤلاء الصـغار المؤمنين بي فخير له أن يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجّة البحر مِن أن يعثر أحد هؤلاء الصغار» (مت١٨: ٦؛ لو١٧: ٢). لأنها حقًا ليست عثرةً صغيرة تلك التي أصابت كثيرين بسببك لأنهم ذُهلوا مما فعلت إذ أسأت إلى نفسك.

لقد تركت ينبوع الماء الحي ونقرت لنفسك آبارا مشقّقةً لا تضبط ماءً (إر٢: ١٣). إنك لم تتفكّر ولم تدرك أن ما قمت بعمله كان أمرا مشينا في نظر الجميع، كما أنك لم تـذكر قول الرب: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢)، وأيضا: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو٢١: ١٩). هل يمكن أن تكون هذه الأمور نافعة لنفسك؟ إنك أنت الـذي

تعرف ذلك. إن «الرب يرد لكل واحد بره وأمانته» (١صم٢٦: ٢٣). فإن كانت الحقيقة هي أن قلبك كان حزينا على شيء، أو أنني أنا سببت لك ألمًا بدون قصد خلافًا لوصية الله، فلماذا لم تخبرني بذلك حتى أعرف؟ لأنه لا أنا ولا أنت ولا أحد آخر يعلم بأي شر عملته لك. لأنني لم أسبب ضررا لأحد ولا أفسدت أحدا ولا سلبت أحدا شيئًا. الرب شاهد وأيضا جميع الإخوة على علم بكل عمل وكل كلمة. وإذا كنت أنا فاعل شر إذ أمنع الناس من العمل بإرادة الله، فهل يمكنك أن تقول ذلك عن أبنائك؟ (أي أن تقول إنني منعت أبناءك من إرضاء الله؟). من هو الذي حثّهم إلاّ لصالحهم بسبب أعمالهم الشريرة؟ ولكن كل واحد يعتبر مسئولاً، أما أنا فإنني بريء من دم الجميع، لأنه مكتوب: «إني أكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون» (١صم٢: ٣٠).

ولكن أيضا من جهة أبنائك، فعليك أن تتذكر قول الرب: «من أحب ابنا أو ابنةً أكثر مني فلا يستحقني. ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني» (مت١٠: ٣٧و٣٨). وأيضا: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه» (مت١٦: ٢٦). فلا تظن إذن أيها الأخ أنه مما يشرفك أنك أنكرت ثباتك أو أنك نبذت مجمع آبائك الذي تربيت فيه! إنك لم تذكر أبي الموقر، ولا ذكرت أبناءك، ولا حتى ذكرت الذين صلّيت من أجلهم حتى أدخلتهم إلى هنا. ولكن حتى بعد أن هربت سرا كلص، فهل تتصور أنك تستطيع أن تنتفع من ذلك؟

يقول الرسول موصيا الذين يكملون ثباتهم: «لنتمسك بإقرار الرجاء راسخا لأن الذي وعد هو أمين. ولنلاحظ بعضنا بعضا للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة. غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة، بل واعظين بعضنا بعضا وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب. فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين» (عب١٠: ٢٣-٢٧). وأيضا: «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب١٠: ٣١). كما أنه قال: «تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعدما أُنرتم صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة. من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات، ومن جهة صائرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا. لأنكم رثيتم لقيودي أيضا (وتألمتم مع الذين هم في الأسر)، وقبلتم سلب أموالكم بفرح، عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقيا. فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة، لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد» (عب١٠: ٣٢-٣٦). لذلك فأنت ترى، أيها الحبيب والأخ، أن الذي يصنع مشيئة الله ويكمل ثباته سينال الموعد. لذلك أقول لك، لا

تستميل نفسك إلى ذلك، فإنك لن تنتفع، لأنه لا توجد منفعة فيما تفعله. إنني قلق عليك لئلاّ تفلت منك التوبة في اية حياتك!

وفضلاً عن ذلك، فإن الرب يقول عن الذين يرتدون في فتور محبتهم: «قد غرسـتكِ كرمة سورق زرع حق كلها، فكيف تحولتِ لي سروغ جفنـة غريبـة» (إر٢: ٢١)؟ وأيضا: «مالكِ وطريق مصر لشرب مياه شيحور (أي ر النيل)، ومالكِ وطريق أشـور لشرب مياه النهر. يوبخكِ شركِ وعصيانكِ يؤدبكِ. فاعلمي وانظري أن تركك الـرب إلهكِ شر ومر، وأن خشيتي ليست فيكِ يقول السيد رب الجنود. لأنه منذ القديم كسرتِ نيركِ وقطعتِ قيودكِ وقلتِ لا أتعبد (أو لا أستعبد)» (إر٢: ١٨و١٩).

لا تظن أنني أبغضك عندما أقول ذلك، بل الأحرى بك أن تعلم أنني أرغب أن تعود إلى ديرك بسلام حتى لا تخسر نفسك في شيخوختك. لأنه من من الذين تركونا لم يندم حتى أنك لا تندم؟ أو من منهم قد انتفع حتى تنتفع أنت من ذلك؟ ألا يكشـف لـك الهجران الذي ارتكبته عن ذاك الذي تصارع معه أو مع من تتشاور؟ لقد قيـل حقًـا: «احترزوا كل واحد من صاحبه، وعلى كل أخ لا تتكلوا، لأن كل أخ يعقـب عقبـا، وكل صاحب يسعى في الوشاية، ويختلُ الإنسان صاحبه ولا يتكلمون بـالحق، علّمـوا ألسنتهم التكلم بالكذب وتعبوا في الافتراء» (إر٩: ٤و٥).

هل نحن أرسلناك في مهمة حتى إنك تذهب وتخسر نفسك؟ إننا في الحقيقة اخترنـاك كرجل ذي همة وأرسلناك. فلو كنت غير مرتاح الفكر بخصوص ذهابك، فلماذا لم تخبرنا حتى لا نرسلك؟ ومع ذلك فاعلم أنه قد قيل: «أصغوا واسمعوا أرجوكم، ألا يتكلمـون هم هكذا: ليس أحد يتوب عن إثمه قائلاً: ماذا فعلت أنا؟ لقد فشل الساعي في مسـيرته كفرس قد سئم من صهيله» (إر٨: ٦سبعينية). لذلك فلا تدعهم يقولون: «إن طريـق بنت شعبي ليست نحو الطهارة ولا القداسة» (إر٤: ١١سبعينية). ولا تدعهم يقولـون: «ويلٌ للقائلين للشر خيرا وللخير شرا الجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما الجـاعلين المـر حلوا والحلو مرا. ويلٌ للحكماء في أعين أنفسـهم والفهمـاء عنـد ذوا م» (إش٥: ٢٠و٢١).

لذلك يا أخي، لا تنساق في طريق الضلال، بل ا ض وافحص ذاتك مثل المرأة الـتي فقدت درهمها فكنست بيتها وفتشت باجتهاد حتى وجدته، فدعت صديقا ا وجارا ـا «قائلةً: افرحن معي لأني وجدت الدرهم الذي أضعته» (لو١٥: ٨و٩). لأن كثيرا مـن

الإخوة الذين بيننا لم يهتزوا من رسوخهم في الله عندما رحل عنا أبناؤهم وإخو م حيث عرفوا أ م لن يجدوا ابنا أو ابنةً أو أي واحد ذي قرابة لهم بالجسد بجوارهم في وقت احتياجهم عندما يقفون بين يدي المسيح. بل إن الخير الذي يفعله كل واحد هو الذي سيجده بجواره في ذلك الوقت. لأنه لن يموت أب من أجل ابنه ولا ابن من أجل أبيه ولا أخ من أجل أخيه، بل إن «كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه» (إر٣١: ٣٠). لأنه لو فكر كل واحد هكذا وصار بضعفه متغربا كما فعلت أنت، فمن ذا الذي يعيش مع زملائه؟ ولو لم يثابر آباؤنا واحتفظوا بثبا م، فأين كنا نجدهم لكي نسكن معهم؟ ولكن آباءنا أكملوا رسوخهم وذهبوا إلى الله. وإن كنا نحن مثلهم فإن كثيرين سينتفعون بواسطتنا، أما إذا رجعنا إلى الوراء وتخلّينا عن ثباتنا فإن كثيرين سيضلّون ويعثرون بسببنا. لذلك فإننا ننصحك في إلهنا وربنا يسوع أن تعود إلى ديرك حتى يستريح قلبك وتنتفع، ولا تطِع الذين يشيرون عليك أن جر ديرك، لأ م لن يستطيعوا أن يتكلموا لأجلك في وقت حاجتك!



حرف [أ]

الأبوة والرعايـة: ١٠، ١٨، ٢٩، ٣٨، ٣٩، ٤٧، ٥٤، ٥٩، ٦٣، ٦٨، ٧٢، ٧٦، ٨١، ١٠٧، ١١١، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٣، ٢١٤، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٠- ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٦- ٣١٠، ٣١٢- ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٦٥، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٣٥، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦.

الإنسان الجديد والعتيق: ١٥٤، ٢٨٧، ٣٥٥.

تأديب الله للإنسـان: ٧٩، ٣٣٩، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٨٢، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٤٨.

تأديب الأب لأبنائـه: ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٥، ١٤٤، ١٤٩، ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٣، ٢١٠، ٢١٨، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٩٤، ٣٠٧.

آلام المسيح وموتـه: ٨، ١٢، ١٣، ١٤٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٥، ٢٢٦، ٢٨٩، ٣٠٨، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٩٣، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٣- ٤٤٥، ٤٥٠، ٤٥٤، ٤٦٠.

التأمل (الثيئوريا) والـدهش: ٢٠، ١١٩، ٢٧٦، ٢٨٥، ٢٩٣، ٢٩٩، ٤٢٢، ٤٥٧.

الإيمان (الأمانة): ١٤، ١٧، ٤٠، ٤٦، ٥١، ٥٨، ٨٣، ٨٧، ٨٩، ١٠٤، ١٠٨، ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٨، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٨، ١٦٢، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٣، ٢٠٦، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٨، ٣١٩، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٥٠- ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٧٩، ٣٨٤، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٧، ٤٦٨.

حرف [ب]

الباب الضيق والطريق الكرب: ١٣٩، ٣٢٧.

البتولية: ١٤٤، ١٤٧، ١٦١، ١٦٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٤٠٤، ٤٠٩، ٤٢٢، ٤٦٦.

بر المسيح: ١٨٣.

بركة الرب وبركات الآباء: ١٣٥، ١٥٨، ١٧٥، ١٨٣، ٢٢٥، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٧٦، ٣١٩، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩٠- ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٤١.

البعد عـن الأقـارب: ٢١، ٣٣، ٢٧١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٥٧.

البعد عن الناس: ٤٦٢، ٤٦٥.

البعد عن النساء والصبيان: ١٤٠، ١٤٢، ١٥٥،

(تابع) البعد عن النساء: ١٩٤، ٢٠٨، ٢٢٨.

البعد عـن الهراطقـة: ٢٨، ٦١، ١٠٣، ١٠٤، ١٣٤، ١٧٣، ٣١٧، ٣٣٠، ٣٣٤، ٤١١.

بغض الخطية والشر: ٤، ٩٠، ١٠٣، ١١٢، ١١٣، ١٥١، ١٥٤، ١٧٠، ١٧٨، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٠، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٨، ٤٤٦، ٤٥٦، ٤٦٣، ٤٦٨.

البكاء والنوح والتنهد: ٤٤، ٤٦- ٤٨، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٩٢، ٩٣، ١١٢، ١١٩، ١٢٠، ١٢٨، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٤، ١٨١، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٧، ٣٩١، ٤٠٥، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٦٣.

بناء النفس الداخلي: ٢٢٦، ٢٧٦، ٣٦٤، ٤٣٧، ٤٤٧، ٤٦٨.

بنوتنا لله: ٢٦١، ٣٣٣، ٣٥٦.

بذل الذات: ٣٥٢، ٣٦١، ٣٦٥، ٤٢٨، ٤٣٠.

حرف [ت]

ترك العالم والتجـرد: ٦٣، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣١١، ٣١٢، ٣٣٠، ٣٥٠، ٤٣٠، ٤٥٧، ٤٦٥، ٤٦٧.

التلمـذة والـتعلم: ٢٨٢، ٢٨٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٦، ٤١٢، ٤٤٦، ٤٤٧.

التوبـة والنـدم: ٤١، ٤٤، ٤٨، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٩، ٧٠، ٧٣، ٧٦، ٧٨، ١٠٣، ١٠٩، ١١٠، ١١٦، ١١٩، ١٥٣، ١٦٠، ١٦٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٠٥، ٣١١، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٨٠، ٣٨٩، ٣٩١، ٤٠٥- ٤٠٧، ٤١٠، ٤٢٣، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٦١- ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧١.

حرف [ث]

المثابرة: ١٤٩، ٢٥٥، ٢٧٤، ٣٥٣، ٣٩٩، ٤٢٣، ٤٧٢.

الثبات الروحي: ٣٨، ١١٨، ١٣٣، ١٤٤، ١٤٨- ١٥٠، ١٥٩، ١٦٣، ١٨١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٥٨، ٢٦٤، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٤٤، ٣٥٧، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٥٤، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٢.

الثبات في الفلاية: ١٧٥.

الثبات في الوضع: ٦٤، ١٥٢، ٢٥٢، ٤٦٢.

الثمـر الروحـي: ١٨، ٢٦، ٨٤، ١١٥، ١٧٣، ١٧٩، ١٨١، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨٤، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٦٥، ٤١٠، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦.

حرف [ج]

تجديد الحيـاة: ٢٢٣، ٢٤٣، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٤٣٩.

استجابة الله لطلباتنا: ١٣، ١٥، ٤٦، ٩٦، ١٥٥، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٩١، ٢٩٩، ٣١٠، ٣١١، ٣٣٠، ٣٩٠، ٣٩٥، ٤٠٢.

الجسد الروحي بعد القيامة: ٣٥٤، ٤٣٧، ٤٤١.

الجندية للمسيح: ٤٣٩، ٤٤٩، ٤٦٦.

الجهاد والتعب: ٦، ٧، ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٤٣، ٤٩، ٥٠، ٥٤، ٨١، ٨٦، ٩٣، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١١٠، ١١٢، ١١٦- ١٢٠، ١٢٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢- ١٤٤، ١٤٩، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢- ١٦٤، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٢، ٢٢١، ٢٢٣- ٢٢٥، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٩، ٣٧٦، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٩، ٤٧٠.

الجهالة (الهبالة) من أجل المسيح: ٢٢، ٢٣.

مجيء المسيح: ١٥٢، ١٦٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٨٢، ٢٩٧، ٣١٠، ٣٥٨، ٣٦٢، ٤٠٤- ٤٠٦، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٤٧، ٤٤٩.

حرف [ح]

المحبـــة: ٣- ٥، ١٢، ٤٢، ٨٦، ١٢٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٨، ٢٠٧، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٤٧- ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٩، ٤٠٧، ٤١٢، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٧٠.

حب الله ورحمته: ١٠، ١٢٣، ١٥١، ٢٢١، ٢٧٣، ٢٧٩، ٣١٢، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦٦، ٤٠٠، ٤٤٦، ٤٦٠، ٤٦٦.

حبنا لله مـن القلـب: ٥، ١٠، ٥٩، ٨١، ١٢٦، ١٣٩، ١٥٠، ١٧٨، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٥١، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٩٠، ٣١٢، ٣٢١، ٣٥٣، ٣٦٥، ٤٠٠، ٤٣٠، ٤٥٦، ٤٧٠.

محبة الخاطئ: ١٠٩.

احتقار الآخرين: ٥٩، ١٤٣، ١٥٨، ١٧٥، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٥٩، ٤٢٠.

احتقار الذات: ٨٥، ٨٦، ١٤٤، ١٥٥، ٤٥٩.

إحتمال الآلام لأجل المسيح: ١٠، ١٣، ٣٣، ٤٤، ٤٦، ٧٥، ٨٣، ١١٩، ١٤٠، ١٥١، ١٥٣- ١٥٥، ١٥٩، ٢٥٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٣٠، ٣٤٨، ٣٥٣، ٣٥٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٥٠، ٤٥٨، ٤٦١.

إحتمال الضعفاء والمرضى: ٢٩، ١٧٦، ٣٣١.

الانحراف والالتـواء: ٢٩، ٦٠، ٦٣، ٨٤، ٩٣، ١٠٤، ١١٤، ١٢٥، ٢٥٠، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٤٤، ٣٩٤، ٤١٩.

الرب يحارب عنا: ١٥١.

حروب الأفكـار: ٧، ١٣، ١٤، ٢٤، ٤١، ٤٣، ٥٤، ٥٥، ٦٣، ١٠٦، ١١٦، ١١٩، ١٢٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٢، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٢٧، ٢٨٤، ٣٣١، ٣٤٣، ٣٥٤- ٣٥٦، ٣٥٩- ٣٦١، ٣٦٤، ٣٩٣، ٤٠١، ٤٠٩، ٤٢٠، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٧.

حروب الشـياطين: ٤، ٩، ١٣، ١٤- ١٦، ٢٤، ٤١، ٤٣، ٥١، ٥٤- ٥٦، ٦٣، ٦٤، ٧٠- ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٩، ٨١- ٨٣، ٨٧، ٩١، ٩٤، ٩٥، ١١٢- ١١٩، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٩- ١٤١، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٨١، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٢٦- ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٥٦- ٣٥٨، ٣٦٠- ٣٦٢، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٤٩- ٤٥٢، ٤٥٣- ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٦، ٤٦٧.

حرية إرادتنا: ٥٢، ٥٣، ٥٦، ١٢٢، ١٢٤، ٢٨٤، ٣٢٨، ٣٦٠، ٣٦٥.

الحرية الروحيـة: ٢٠، ٧٨، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٦٥، ٤٢٢، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٦٥.

الحزن النافع والحزن المهلك: ١٤٧، ٢٢٧، ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٧، ٤١٦، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٦٣، ٤٦٤.

الحزم والحـرص والصـرامة: ٣، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٦٥، ١١٥، ١١٦، ١٢١، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٨١، ١٩٩، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥٥، ٣٤٠، ٣٥٤، ٣٧٣، ٤٠٤، ٤١١، ٤٢٠،

(تابع) الحزم والحرص: ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٤١، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٧، ٤٧١.
الإحسان إلى المسيء: ٣٦.
الحسد والغـيرة والطمـوح: ٣٦، ١٤٧، ١٥٧، ٢٧١، ٣٢٦، ٤٢٠، ٤٥٦، ٤٥٧.
حضـرة الله وذكـره: ٨٣، ١٢٤، ١٣٩، ١٧٢، ٣٠٠، ٤٥٨.
التمسك بالحق: ٩١، ١٠٣، ١١٢، ١٢٠، ١٢١، ١٤٦، ١٧٧، ١٨٣، ٢٠٦- ٢٠٨، ٢٥٢، ٢٦٥، ٣١٤، ٣٣٤، ٤٠٣، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣٦، ٤٤٩، ٤٥٨، ٤٦٤.
الحقد والبغضة: ٥٩، ١١٦، ١١٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٦- ١٥٨، ٢٠٧، ٢٣٠، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٧، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦٢، ٤٢٠، ٤٣٢، ٤٥٨، ٤٦٦.
أحكام الله: ٢٢٦، ٣٦٣، ٤٠٨، ٤٤٣، ٤٥٥.
الحكمـة والفهـم: ٣٦، ٣٩، ٥٤، ٨٤، ١٢٠، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٣٠، ٣٥٥، ٣٧٠، ٣٩٩، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٧١.
حمل أخطاء الآخرين ونقائصهم: ٦٢، ٣٣١.
حمل الصـليب: ٧، ١١، ١٨، ٣٣، ٤٠، ١٠٩، ١٥٠، ١٥٥، ١٦٢، ١٧٢، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٧، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٦٠، ٤٠٤، ٤٢٢، ٤٧٠.
الحياة الإنجيليـة الرسـولية: ٩١، ١٤٩، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٥.

حرف [خ]

اختبارات روحية: ١٤٦.
اختطاف العقل والروح: ١٠٤، ١٠٥.
الخداع واليـأس: ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٦٣، ٦٤، ٧٢، ٧٣، ٨٤، ٩٤، ١٠٣، ١١٦، ١٢١، ١٤٠، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٩، ١٧٧، ١٧٨، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٦٥، ٣١٤، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٥٠- ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٦٦، ٤٦٨.
خدمـة الله: ١٧٨، ٢٠٤، ٢٧٠، ٢٩٠، ٣٢٤، ٣٩٤، ٤٠٤، ٤٢٦، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٦٧.
خدمة الآخرين والمرضى: ٥، ١٠، ١٧، ١٨، ٢٤، ٢٩، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٨، ١٠٩، ١٢٧، ٢٦٥، ٣٢٥.
الخضـوع: ١١٨، ١٤٦، ١٦٤، ١٧٥، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٣٠١، ٤٢٤، ٤٥٦، ٤٦٢.
إخفاء الفضائل: ٣٣٠، ٤٦١.
خلاص النفس: ٤٤، ٤٧، ٥٠، ٥٨، ٥٩، ٩٤، ١١٦، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٥، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٤، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٦٠، ٣٦٢، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٦٧، ٤٧٠.
الإخـلاص والأمانـة: ٣٧، ١٤٦، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٤٥، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦٧، ٤٥٨.
خلقتنا على صورة الله: ١٥١، ١٥٨.
تخلّي الله عن الإنسان: ١٤١، ٣٦١، ٤٣٩.
مخافة الله والتخشع: ٥، ١٤، ١٥، ٣٤، ٥٦، ٧١، ٧٢، ٧٧، ٩٥، ١٠٢، ١٠٤، ١١١، ١١٢، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٨، ١٦٢، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٨- ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٩٦، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٨ (هـامش)، ٣٧٠، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٣، ٤١٤، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧١.
الخمر: ١٥٩، ١٦٩، ٢٠٦، ٤٠٩.
الخوف والاضطراب: ٤٤، ٦١، ١٧٢، ١٧٣.

حرف [د]

دالتنا عند الله: ١٥٥، ١٧٦، ٢٣٣، ٣٥٤.
التـدابير الإلهيـة: ٣٧، ٤٢، ٨٣، ٢٢٦، ٢٣٨، ٣٠٢، ٣٩٧.
تدبير السيرة: ١٠٩، ١٣١، ٢٤٧، ٤٥٧.
التـدقيق: ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٧، ٧٩، ٨٥- ٨٧، ١١٩، ١٨١، ٢٥٨.
الـدموع: ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٩٣، ١١٣، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٧، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٤، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٥٨، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٩٩، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٩، ٣٧٦، ٣٩١، ٣٩٨، ٤٣١، ٤٤٣، ٤٥٧، ٤٥٨.
الدينونة والاغتياب: ٢٥، ٢٨، ٤٠، ١٠٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٧، ١٥٩، ١٨١، ٢٠٦، ٢٣٠، ٢٦٤، ٣٣٩، ٣٦٩، ٣٧٠، ٤١٧، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٢.
دم المسيح: ٣، ٢٢٦، ٢٤٩، ٣٣٣، ٤٠١، ٤٠٦،

(تابع) دم المسيح: ٤٤٤.

حرف [ذ]

ذبيحة حياة الراهب: ٧، ٣٩، ٤٤٧.

تذكر يوم الدينونة والعذاب: ١٤، ٤٧، ٥٥، ٥٩، ٨٠، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١١١، ١١٩، ١٢٠، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٥١، ١٥٣- ١٥٩، ١٦٣، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٨٦، ٣٨٨، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠- ٤٢٢، ٤٢٧- ٤٣٠، ٤٣٦، ٤٣٨- ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٢.

تذكر الخطايا والضعفات الشخصية: ٥٥، ١٤٣، ٣٥٤، ٣٦٣، ٤٢٣.

تذكر الإساءات: ١٤١، ٤٣٧.

تـذكر المـوت: ٧، ١٢٠، ١٢١، ١٤٠، ١٥١، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٢، ١٧٣، ١٨١، ٢٢٢، ٢٣٥، ٢٥٩، ٢٧٤، ٢٧٨، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٧٠، ٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٢٣، ٤٤٣، ٤٥٧.

المذلّة والمسكنة والانسحاق: ١٢٠، ١٥٤، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٢، ٤٠٢، ٤٥٧، ٤٥٨.

التذمر والشكوى: ٢٣، ٤١، ٥٥، ١٣٣، ٢٠٨، ٢١٧، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٦١، ٣٢٣، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٨٩، ٤٣١، ٤٦١، ٤٦٦.

حرف [ر]

رائحة المسيح الزكيـة: ٣٨، ٣٩، ٢٢١، ٢٢٤، ٣٥٢، ٣٧٥، ٣٩٤، ٤٠٠.

رائحة نتانة الخطية: ٦٠، ٣٦١، ٣٨١، ٤١٠.

المـراءاة والمحابـاة: ١٥٩، ٣٤٠، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٨، ٤٦٨.

الترتيل والتلحين: ١١٤.

الميراث السـماوي: ١٢٠، ١٢٤، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٩، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٣، ٢٦١، ٣٢٨، ٣٥٤- ٣٥٦، ٣٦٤.

الراحة الجسدية: ١٢، ١٢٠، ١٢٩، ١٣٨، ٣٥٧.

الرجوع إلى الـوراء: ٢٦٨، ٣٥٨، ٣٦١، ٤٠٧، ٤١٤، ٤٢١- ٤٢٣، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢.

الرهبنة الحقيقية والزائفـة: ١٦٠، ١٦٣، ٢٢٧، ٢٥٢، ٣١٩، ٣٢٩، ٤٣٨، ٤٦٢، ٤٦٦.

الروح القدس: ٤٩، ٥٣، ٧٩، ٩١، ١٢١، ١٢٦،

(تابع) الروح القدس: ١٣٦، ١٥٣، ١٦٢، ١٦٣، ١٨١، ١٨٧، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٦١، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٩، ٣٢٧، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٤٠١، ٤١٠، ٤٢٩، ٤٣٢- ٤٣٥، ٤٥٢.

الـرؤى: ٣، ٥، ٨، ١١، ٣٧، ٦٠، ٧٠، ٧١، ٩١- ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١١٠، ١٢٨، ١٣٣، ٢٨٥، ٢٩١- ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣٣٣- ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢- ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٥٢.

الراحة الروحية: ٥٨، ١٢٨، ١٣١، ١٦٧، ١٧٣، ٢٢١، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٩٩.

الرجـاء: ١٠، ٤٤، ٨٩، ١٢٢، ١٧٤، ١٨٣، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٧١، ٣٣٠، ٣٨٨، ٣٩٠، ٤١٢، ٤٢٨، ٤٥٧، ٤٧٠.

الرحمـة: ٤، ٢٥، ٩٤، ٩٧، ١٢٠، ١٥٠، ١٥٤، ١٧٤، ٢٥٨، ٣٥٦، ٣٨٨، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٢١، ٤٢٤- ٤٢٧، ٤٥٧.

رحمة الله: ١٣، ١٢٠، ١٤٨، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٩٠، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٨، ٣٣٢- ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٩١، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٤، ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٨- ٤٤٠، ٤٤٨، ٤٥٨، ٤٦٨.

الإرشاد الإلهـي: ٣٢، ٦٣ (هـامش)، ٨١، ٩٢، ٣٠٠، ٣١٧، ٣٣٥، ٣٤٥.

الإرشاد الروحي: ١٨، ٢١٨، ٢٨٥.

إرضاء الله والعمل بوصاياه: ١١، ١٣، ١٤، ٦١، ٨٢، ٨٤، ١٠٧، ١١٣، ١٢٦، ١٣١، ١٣٥- ١٣٧، ١٤٢، ١٤٧، ١٦١، ١٧٠، ١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٥- ٢٤٧، ٢٥٢- ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢- ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٨، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٨- ٤٧٠.

إرضاء الناس: ٤٢١.

الأرواح الشريرة: ٣، ٤، ١٤٧، ٤١٧.

حرف [ز]

الزهد وعدم القنيـة: ٢٢، ٤٠، ٤٢، ٧٨، ٨٠، ٨٥، ٨٦، ١١٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٤٢، ١٥٨، ١٦١، ١٨٦، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٤٢، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨١، ٣٠١، ٣٠٦، ٣١١،

(تابع) الزهد: ٣١٥، ٣٥٨، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٨، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٥٨.
زينة النفس للرب: ٢٢٥، ٤٤٧، ٤٤٨.

حرف [س]

تساوي الأقانيم الثلاثة: ٣٠، ٣٣٤، ٤٠١.
التسبيح: ٣٠، ٩٨، ١٠٧، ١١٦، ١٢٥، ١٣٠، ٢٢٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٦٣، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٣٣، ٤٥٨.
ستر الخاطئ: ٥٥، ٣٤١، ٣٦٣، ٣٨١، ٤٠١.
السجود والميطانيات: ٢٣٢، ٣٤٦، ٤٠٠، ٤٦٣.
أسرار الملكوت: ١٥٨.
سكنى الله في الإنسان: ٨١، ١١٠، ١٢١، ١٢٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٢- ١٤٤، ١٥٢، ١٥٩، ١٧٩، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٧٩، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٦٣- ٣٦٥، ٣٧٧، ٣٨٤، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢٢، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢.
أسلحة الروح: ١٥٨.
السلام الداخلي: ١٤٧، ١٥٩، ١٦٣، ١٧٤، ٢٢٢، ٢٥١، ٢٥٣، ٣٥٩، ٣٩٤، ٤٠١، ٤١٢، ٤٣٢.
السلام مع الآخرين: ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٣، ١٧٧، ١٧٨، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٤٩، ٢٩٨، ٣٩٨، ٤٥٧، ٤٦٤.
السلام مع الوحوش: ١٤.
التسليم لله والثقة فيه: ٦٣، ٨٣، ٨٨، ٩١، ١٠٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٦، ١٥٥، ١٧١، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١١، ٣٤٨، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤٠١، ٤٤٥، ٤٥١، ٤٥٩، ٤٧٠.
السهر: ٦- ٨، ١٢، ١٦، ٤٤، ٥٩، ٧٤، ٧٨، ١١٦، ١٢٨، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٤، ٢٣١، ٢٦٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٩، ٣١٥، ٣١٦، ٣٥٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٦٦.

حرف [ش]

التشبه بالأطفال: ١٤٣.
التشبه بالمسيح: ١٧٦، ٢٦٠، ٣٦٢، ٤١٥، ٤٤٣، ٤٥٩.
التشبه بالملائكة: ٣١٣، ٣٢٧، ٣٤١، ٣٦٠، ٤٠٨- ٤١٠.
تشتت الفكر والطياشة: ١١٠، ٢٢٧.
الشجاعة: ٧، ١٧، ٥٨، ٧٠، ١٢١، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٤، ١٧٩، ٢١٦، ٢٤٣، ٣٣١، ٣٦١، ٣٦٦، ٤٢٢، ٤٤٩.
تشجيع الخطاة والضعفاء: ٧٠، ٢٥٩، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٤٧، ٣٦١.
الشر والرذائل: ٢٤٦، ٢٦٤، ٣٤٣، ٣٤٧، ٤٥٥، ٤٦٠، ٤٦٧، ٤٦٩.
الشفاء الروحي: ١١٠، ١١٤، ١٤١، ١٥٨، ٢٢٠، ٣١٢، ٣٣٩.
شفاعة القديسين: ٣، ٢٦٨، ٢٩٨، ٣٢٤.
الشفقة والحنان: ٨٤، ١٠٢، ٢٠٦، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٩٦، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٩٤، ٤٦١، ٤٦٤.
شكر الله: ٢٦، ٣٣، ٥٨، ٧٦، ٨٣، ١٠٠، ١٢٢، ١٤٠، ١٤٨، ١٥٢، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٤، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٧٩، ٣٩١، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٦٢.
استشهاد: ٣٣، ٤٣، ٤٤، ١٠٤، ٤٣٧، ٤٤٩.
شهوة البطن: ٤٤، ٤٥، ٧٣، ٧٨، ٧٩، ١٠٨، ١١٣، ١١٧، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٩، ١٤٢، ١٥٠، ١٥٧، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٩، ١٨٣، ٢٣٠، ٢٨٧، ٢٩٢- ٢٩٤، ٣٤٠، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٥٧، ٤٥٨.
شهوة التعليم: ٤٥٨.
شهوة الرئاسة والمناصب والشهرة: ٢٥، ١١٦.
شهوة الزنى: ٢٤، ٦٤، ٨٦، ١٠٨، ١٤١، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٠، ١٧٩، ٢٤٥، ٢٩٣، ٣٣٧، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٤٢، ٤٥٦.
شهوة السيطرة والتسلط: ٢٥٨، ٣١١.
مشورة الآباء: ١١٦، ٢٠٦، ٢٢٢، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٩٧، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٩٢، ٤٦٠، ٤٦٢.
حياة الشركة: ١٣٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٨٥، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٦، ٣١٦، ٣١٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٩٨.
مشاركة الآخرين في ضيقاتهم: ٨٤.

حرف [ص]

الصبر: ٧، ١٤، ٢٦، ٢٩، ٣٣، ٣٨، ٦٣، ٧٥، ٨٢، ١١٤، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٩، ٢١٨- ٢٢٠، ٣١١، ٣٣١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٥، ٤٠٢، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٠.
الصداقة: ٢٢٨- ٢٣٠، ٢٥٦، ٣٩٢، ٤٢١.
الإصرار ومشيئة الذات: ٢٤٥، ٢٦٧.
الصلاة: ٣، ٥، ٦، ٨، ١٠، ١٢، ١٣، ١٥، ١٩، ٢٤، ٣٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٥٦، ٥٧، ٦٦، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٧- ٧٩، ٨٢- ٨٥، ٨٩- ٩٣، ٩٦، ٩٧، ١٠٧، ١١٠، ١١٤، ١١٥، ١٢٧، ١٤٢ - ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩- ١٥١، ١٥٣،

(تابع) الصلاة: ١٥٧- ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤، ٢٠٣، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٢٦- ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٧٥، ٣٧٧- ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٣٣، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٥٨.

الصلاة الجامعة: ٩٢، ١٦٤، ١٧٤، ١٨٩، ٢٠٣- ٢٠٥، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٣، ٣١٢.

مصير النفوس بعد الموت: ٩٧، ١٧٦.

صلب وإماتة الذات: ٧، ١١، ١٣، ١٣٠، ١٥٨، ١٦٠، ٢٢٦، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٩٦، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٢٣، ٣٣١، ٣٤١، ٣٥١، ٣٥٣، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٤٣.

الصلح مع الله: ١٧، ٢٤٨، ٤٣٢.

الصلح مع الآخرين: ١٣، ٣٦، ٦٢، ١١٦، ١٦٣، ١٧٧، ١٨٦، ٢٧٩، ٤٣٢.

الصليب: ٨، ١٢، ٥٨، ٩٤، ١٠٠، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١٣٠، ٢٣٢، ٢٤٦، ٢٧٦، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٨٤، ٣٨٨، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠٣، ٤٦٩.

الصمت والهدوء والسكون: ٢٦، ٤٥، ٦٥، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٥، ١٨١، ١٩٢، ١٩٥، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٧٠، ٤٥٨.

الصوم: ٦، ١١، ٣٢، ٤٣، ٤٦، ٥٩، ٨٣، ٨٤، ١٠٧، ١٣٨، ١٤٢- ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٤، ١٧٠، ١٨٦، ١٩٨، ٢٧٤، ٢٨١، ٣٠٨، ٣٤٠، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٤١، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٦٢.

حرف [ض]

ضبط النفس والحواس: ٦٢، ٦٨، ١٠٩، ١١٨، ١٢٦، ١٤٢، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٨، ١٨٣، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٣٨، ٢٩٢، ٣١٠، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٧٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٥٨.

الضجر والملل: ٧، ١٥٩، ٣٥٨.

الضحك والمزاح: ١٤٩، ١٥٧، ١٨١، ١٨٩، ١٩١، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٩، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٩١، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣١، ٤٤٢، ٤٥٨.

التضحية لأجل الآخرين: ٢٦٠.

التضرع والصراخ واللجاجة: ١٥، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٧٥، ٢٩٩، ٣٢٣، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٥٥، ٤٠١،

(تابع) التضرع: ٤٠٤، ٤٢٩- ٤٣١، ٤٤٤، ٤٦١.

الاضطراب والانفعال: ١٢، ١٣، ١٥٩.

إضافة الغرباء: ٤، ٢٦، ٣٥، ١٣٧، ١٩٤، ٢٧٤، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٢١.

ضياء النعمة: ١٤٢، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٥٤، ٣٦٥، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠٠.

الضيقات والأمراض والتجارب: ٥، ٧، ١٠، ١٤، ١٦، ٢٨، ٥٧، ٥٨، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٥، ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٨٧، ٩٩، ١٠٠، ١١٤، ١٢٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٦، ١٤٨- ١٥٠، ١٦٣، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٣، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠١، ٣١٠، ٣١١، ٣٢٦- ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥١- ٣٥٦، ٣٥٨- ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٦، ٤٢٢، ٤٣٩، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٤- ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٧٠.

حرف [ط]

الطاعة: ٧، ٨، ٢٦، ٣٤، ٤٠، ٤٥، ٤٨، ٥٥، ٦٠، ٧٣، ٨٦، ١٠٨، ١١٢، ١١٦، ١١٧، ١٢٩، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٦٠، ١٧٥، ١٧٦، ٢١٣، ٢١٨، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٤- ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣١٠، ٣٢١- ٣٢٤، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٧٨، ٣٨٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٤٨، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٢.

التطلع إلى وطننا السماوي: ٩٥، ١١٩، ١٢٠، ١٤١، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٦٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٨- ٢٦١، ٢٦٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩٠، ٣١٢، ٣٢٤- ٣٢٧، ٣٥٠- ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٧٠، ٣٧٨، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤٢٤، ٤٢٨- ٤٣٠، ٤٣٧- ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٧، ٤٥٩.

طرد المتمردين والمنحرفين: ٣٢، ٣٥، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ١٠٤، ١٧٥، ٢٠٧، ٢٩١، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٦٨، ٣٨٩، ٤١٦- ٤١٩، ٤٢٤، ٤٣٢، ٤٤٢.

الطمع والجشع ومحبة المال: ١١٦، ١٤٧، ١٥٦، ١٦١، ٢٠٧، ٢١٩، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٢، ٣٢٨، ٣٣٧، ٣٧٨، ٣٨٢، ٤١٠، ٤١٩، ٤٢٥- ٤٢٧، ٤٥٦، ٤٦٥.

الطريق الملوكي والاعتدال: ١٦٣.

الطهارة والعفة: ٥، ٤٣، ٥٣، ٨٨، ١٠٧- ١٠٩، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١٢٦، ١٣٩، ١٤٢- ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩- ١٦١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦١،

(تـابع) الطهـارة: ٢٦٢، ٢٧٤، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦٩، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٣، ٤٢٠-٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٥١، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٧١.

طول الأناة وطول الـروح: ٣٤، ٤٠، ٥٤، ٦٣ (هـامش)، ١٠٩، ١١٨، ١٢٩، ١٣٩، ١٤٤، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٧٦، ٣٤٠، ٤٤٨، ٤٥٦.

حرف [ظ]

ظلمة الخطية: ١٠٣، ١٥٦، ٤٢٢، ٤٤٥، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٨.

حرف [ع]

إعالة الله لنـا: ٣٥، ٣٨، ٥٨، ٨٤، ٨٥، ١٢٣، ١٤٨، ١٥٥، ٣٦٣.

العثـرة: ٧٣، ١٠٣، ١١٧، ١١٨، ١٢٨، ١٥٨، ٢٠٩، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٦، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٦٩، ٤٧٢.

الاعتـراف بالخطايـا: ١٢، ١٥، ١٧، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٨، ٥٦، ٦٢، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ١١٦، ١٦٣، ٢٢٢، ٢٦٧، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٠٤، ٣٢٣، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٧٨، ٤٠١، ٤١٥، ٤٥٩، ٤٦١.

المعجـــزات: ١٤، ١١٠، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٢-٣٨٤، ٣٨٦- ٣٨٨، ٣٩٧.

اسـتعداد القلـب: ٢٥٩، ٢٦٥، ٣٦٨، ٤١٢، ٤١٨، ٤١٩.

العادات الرديئة: ١١٦، ٢٩٢.

العزاء الروحي: ٩٢، ٢٨٣، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٢٠، ٣٤٧، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٩، ٣٨٥، ٣٩٤، ٤٣١.

المعرفـة الحقيقيـة: ٣، ٤٦، ٧٧، ١٠٣، ١٠٨، ١٠٩، ١٤٤، ١٥٨، ١٧٠، ٢١٦، ٢٥٨، ٢٧٦، ٢٧٩، ٣١١، ٣١٤، ٣٣٦، ٣٥٣، ٣٦١، ٤١١، ٤٤٦، ٤٥٧، ٤٦٤.

معرفة الإنسان لضعفه: ٢١٩، ٢٢٠.

معرفة الله لصالحنا: ٣١٠، ٣١٢، ٤٠٢.

المعاشرات الرديئة: ٢٧٠.

التعاون بين الإخوة: ٢٩، ٢٢٨.

أعضاء بعضنا لبعض: ١٠٣، ١٣٢، ١٣٥، ١٥٦، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦٧، ٤١٢، ٤٣٢، ٤٦٦، ٤٧٠.

العطـاء والصـدقة: ٦، ١١، ٢٠، ٢١٣، ٢٣٦، ٣٠١، ٣٦٩، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٩٤ - ٣٩٧، ٤٢٢،

(تابع) العطاء والصدقة: ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٠.

عقـاب الخطـئ: ١٨٩- ٢١١، ٢٣١، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦٨، ٣٠٨، ٣٨٧، ٣٩٥، ٤٠٥- ٤٠٧، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٦٥، ٤٦٨.

العمق الروحي: ٢٣٠.

العمل الروحي: ٣٩، ١١٩، ٢٣٠، ٢٥٨، ٤٠٤.

العمل قبل الكلام: ٥٦، ١١٩، ١٣٦.

العمل من أجـل الله: ١٦٤، ١٧١، ٢٤٠، ٢٤٢، ٤٢٧، ٤٤٣.

عمل اليـدين: ٦، ٧، ١١، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧، ٣٢، ٦٦، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ١٦١، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٣٥، ٢٥٦، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠٩، ٣٥٥، ٣٧٧، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٢٥.

المعموديـة: ٩٧، ٢٣٢، ٣٣٠، ٣٦٨ (هـامش)، ٤٣٧.

العناية بالضعفاء والمرضـى: ١٧٤، ١٨٦، ٢٣٦، ٢٤٩، ٢٦٥، ٢٧١، ٤٦١، ٤٦٤.

معونة الـرب ونعمتـه: ١٩، ٨٢، ١٤٧، ١٤٩، ١٦٢، ٢١٩، ٢٥٥، ٢٧٢، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٣٥، ٣٥٩، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٥٥.

معونـة الملائكـة: ٤٥، ٩٧، ٩٩، ١٠٦، ١٦١، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٦١، ٣٧٠، ٣٧٦، ٣٨٩، ٣٩٩، ٤٠١، ٤١٢، ٤٤٠.

معاينـــة الله: ٩٨، ١١١، ١٣٩، ١٤٢، ٢٢٧، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣١٢، ٤٣٩، ٤٤٩.

حرف [غ]

الغـذاء السـماوي: ١٠٦، ١٢٢، ١٥٨، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٥٥، ٣٢٣، ٣٣٥، ٣٦٦، ٤٢٨.

الغربة: ١٤٤، ١٤٨، ١٦١، ١٧٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٥٣، ٣٠٢.

الغـــرور: ٨، ١٤٨، ١٥١، ٢٣٨، ٢٥٠، ٣٠٩، ٣٦٠.

غضـــب الله: ٩، ٥٢، ٦٠، ٩٩- ١٠٣، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٦٠، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١، ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٥٤، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٣٠- ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٥٢، ٤٥٩، ٤٦٠.

الغضـب: ١٢، ١٣، ١١٥، ١١٩، ١٢٩، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٧، ١٧٧، ٢٠٧، ٢٥٦، ٢٧٩، ٢٩٤، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٥٦- ٤٥٨، ٤٦١.

غفـران الله: ٥٥، ٢٣٣، ٢٧٣، ٣٠٤، ٣١٢،

(تابع) غفـران الله: ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٧- ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٤٤، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٥٨.

المغفرة للمخطئ: ١٣، ٦٢، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣، ١٧٨، ٢٥٧، ٢٧٩، ٢٩٠، ٣٦٩، ٣٩٠، ٤٥٨.

الغنى الروحـي: ٣، ١٣٩، ١٧٠، ٢٢٤، ٢٦٣، ٤٢٩، ٤٦٦.

التغيير الداخلي: ١٨، ١١٠، ١٤٠، ١٥٢، ٢٣٥، ٢٧٢.

الغيرة والحرارة الروحية: ١٠، ١٨، ٢١، ٢٦، ٣٧، ٥٧، ٦٦، ٧٣، ٧٧، ١١٩، ١٣٣، ٢١٧، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٨، ٣١٣، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٩، ٣٩١.

حرف [ف]

إفتداء الوقت: ١٢٠، ١٦٢، ١٧٣، ٢٢٩.

إفتقاد الله للإنسان: ١٤، ٣٤٧، ٣٩١، ٤٥٣.

إفتقاد المرضى: ١٦٩.

الافتخار: ٩٣، ١١٠، ١٦٠، ١٦٩، ٢٣٨، ٤١٣، ٤٣١، ٤٥٩- ٤٦١.

فحص النفس: ١٢٠، ٢٥٤، ٣٦٤.

الإفراز والتمييـز: ٩، ١٦، ٤٠، ٨٧، ٩٤، ٩٥، ١٠٦، ١١٤، ١١٦، ١٣٣، ١٤٢، ٢٠٦، ٣٠٥، ٣١٠، ٤١٧، ٤٥٢، ٤٥٣.

الفـرح: ١٥٩، ١٧٨، ١٨٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٣٨، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٧٢- ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٢٧، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٨، ٣٩٤، ٤١٠، ٤٣٢، ٤٦١.

تفضيل الآخرين: ٨٦.

الفقر الاختياري: ١١، ٣١٨.

الفقر الروحي: ١٦٩، ٢٣٥، ٣٤١، ٣٤٢، ٤١٥.

حرف [ق]

الاقتداء بالقديسـين: ١٣٥، ١٣٧، ١٤٦، ١٥٠، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤- ١٧٦، ١٧٩، ٢٢٣، ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٧٢- ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٣، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٤١١، ٤٣٠، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٦.

القداســة: ١٤٠، ٢٦٧، ٢٧٩، ٣٢٧، ٣٥٢، ٣٦٧، ٣٧٦، ٣٨٥، ٣٩٦، ٤١٤، ٤١٥، ٤٣٤، ٤٧١.

القدوة: ٥، ٢٥، ٤٩، ٥٠، ٥٤، ٦٦، ٧٥، ٩٤، ١١٠، ١٢٤، ١٢٨، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٧٤، ٢٨٣، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٦٠، ٤٤٧، ٤٦٠، ٤٦٦، ٤٧٢.

الاقتراب من الله والاتحاد بـه: ٢٣، ١٣٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٩٧، ٣٦٤، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٦٠.

اقتناء الفضـائل: ٢٦، ٤٠، ٤٨، ٤٩، ٦٨، ٧٥، ١١٩، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٨، ١٦١، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٨٣، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٧٥، ٤٠٥، ٤٥٧.

الاسـتقامة: ٣، ١٨، ٥٣، ١١٧، ١٤٢، ٢٥٠، ٢٦٦، ٣٢٧، ٤٥٨، ٤٦٠.

قساوة القلب: ١٥٠، ١٦٣، ١٧٠، ٢٠٨، ٢٣٠، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٩٤، ٣٢٦، ٤٢٦، ٤٣٢.

قانون التوبة: ٤٤، ٦٢، ٧٥، ٢٠٩، ٢٢١.

قوانين الصلاة: ٢٣٢، ٢٣٩.

أقوال الآبـاء: ١٣١، ١٦٣، ١٧٦، ١٨٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٥، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤١٦، ٤٥٧، ٤٦٨.

القواعـد الرهبانيـة: ١٩- ٢١، ٣٧، ٤٠، ٨٠، ١٠٩، ١٢٨، ١٣٤، ١٧٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨- ١٩٤، ٢٠٨- ٢١٠، ٢١٦، ٢١٧، ٢٥٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٣٠٨، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٩، ٣٩٩، ٤٦٥.

قـوة الله: ٧١، ٨٢، ١١١، ١١٥، ١١٨، ١٣٤، ١٤٢، ١٤٧، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٧٤، ٢٩٧، ٣٠٩، ٣٢٦، ٣٣٨، ٣٥٣، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٨٧، ٣٩٩، ٤٢٧، ٤٤٢، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٨، ٤٦٣.

قوة القيامة والنصرة: ٣٨، ٣٩، ٤٩، ٨٩، ١١٢، ١١٣، ١٤٣، ١٦١، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٩، ٢٢٦، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٩٨، ٣٠٧، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٧٥، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٣٤- ٤٣٧، ٤٥٠، ٤٥٣- ٤٥٥.

حرف [ك]

الكبرياء والعجرفـة: ٧، ٩، ١٥، ٢٦، ٣٣، ٤٧، ٥٤، ٥٥، ٦٦، ٨٠، ١١٠، ١١٩، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٦٠، ٤٣٠- ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٩- ٤٦١.

الكذب وقول الحق: ٢٠٦، ٣١٠، ٣٨٢، ٤١٩، ٤٣٧، ٤٤٩، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٦.

إكرام الجميع: ٣٥٤، ٣٨٨، ٣٩٥.

الكرامـة والشهرة: ١٤٠، ١٤٩، ٣٠٦، ٣٥٤،

(تابع) الكرامة والشهرة: ٣٨٣، ٣٩٨.
تكريس القلب: ٣٩، ١٨٢، ٢٧٨، ٣٦٤، ٤٠٤.
مكافأة ا اهد: ٩٩، ١٠٥، ١١٨، ١٤٧، ١٤٨، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٨٠، ٢٩٦، ٣١٩، ٣٢٨، ٤٠٧، ٤٣٦، ٤٤١.
كلمـــة الله: ٦، ١٠، ١١، ١٨، ٢١، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٥، ٥٧، ٧٥، ٩٤، ١٠١، ١٠٣، ١١٢، ١١٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٣١، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٢، ١٧٤، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٣-٢٠٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩-٢٤٢، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٧٠-٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨-٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٣-٣١٦، ٣١٩- ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦- ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٤- ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٤، ٤٠٢، ٤١٢، ٤١٦، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٧، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٤، ٤٦٨.
الكلام البطّال: ٤٠، ١١٢، ١١٧، ١٦٣، ١٧٣، ١٨١، ١٩٥، ٢٠١، ٢٠٦- ٢٠٩، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٥٨، ٣٠٥، ٣٦٢، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٩.
الكلام النافع للبنيان: ١١٢، ١١٧، ١٤٤، ٢١٣، ٢١٥، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٥.
الكمال: ١٠، ١١، ١٤، ٤٠، ٨٠، ١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣١٣.
الرب يتكلم في الأب الروحي: ١٠٠، ٣٧٧.

حرف [ل]

لبس المسيح: ١٥٧، ٣٣٢، ٤١٣، ٤٤٩.
ملامـة الـذات: ٢٤، ٤٤، ٦١، ٦٢، ٧٤، ٨٦، ١٦٢، ٢٢٧، ٢٥٠، ٢٨٥، ٢٩٢- ٢٩٤، ٣٠٤، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٦٢، ٤٢٩، ٤٤٠- ٤٤٢، ٤٦٦.
ليونة القلب واللطف: ٢٣٠.

حرف [م]

ا ـد الباطـل: ٩، ٣٣، ٧٤، ٧٥، ٨٨، ١١٣، ١٢٠، ١٤٠، ١٤١، ١٥١، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦، ٣١٨، ٣٥٤، ٣٦٠، ٤٤٩، ٤٥٧.
تمجيد الله: ١٥، ٨٣، ٩٠، ٩٣، ٩٧، ٩٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٣، ١٧٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٨، ٣١٩، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٧٥، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٥- ٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٩، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٧، ٤٦٠.
المـديح: ٣، ٢٣، ٤٩، ٥٥، ٧٤، ١١٩، ١٣٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ٢٩٩، ٣٥٦، ٤٦٤.
المسيح في أعضـائه: ٤١٢، ٤١٥، ٤٣٣، ٤٥١، ٤٥٦.
المسيح حياتنا وعريسنا: ١٤، ١٠٨، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٦٣، ٣٣١، ٤٢٨، ٤٣٣، ٤٤٧.
إماتة الجسد: ٧، ٨، ١١، ١٠٩، ١٥٩، ٢٥٣.
الأمجـاد السـماوية: ٦٠، ١٠٥، ٣٠٠، ٣١٥، ٣٥٩، ٣٩٤.
ملك الـرب علـى القلـب: ٨٥، ١١٥، ١٥٦، ٣٥٢، ٣٩٦، ٤٣٩، ٤٤٨.
الموت الروحي: ٤٣٤، ٤٤٥.
الميـول الجسـدانية: ١١٧، ١٤٨، ١٧٧، ٢١٨، ٢٦٥، ٢٧٤، ٢٨٧، ٣١١، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٦٥، ٣٨٨، ٤٣٠، ٤٣٤.

حرف [ن]

النـار الإلهيـة: ٩٢، ١٢٢، ٢٩٧، ٣١٢، ٣١٩، ٣٣٥.
استنارة وبصيرة واسـتعلان: ٣٩، ١١١، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٦٩، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٧٦، ٤٤٥، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٥.
النسك والتقشف: ٣، ٥، ٦، ٨، ١٠، ١١، ١٤، ١٨، ٢٦، ٣٣، ٤٢، ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٥-٦٧، ٧٣، ٧٤، ٨٢، ٨٦، ٨٧، ٩٣، ٩٤، ١٠٧، ١١٣، ١١٨، ١٣٦، ١٤١، ١٤٥، ١٦٥، ١٨٦، ٢٥٣، ٣٠٨، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٤٠، ٣٦٦، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٣٩.
النعمـــة: ٥، ٣٩، ٥٦، ٧٢، ٨٠، ٨١، ١٠٦، ١١٠، ١٣٢، ١٤٦، ١٤٧، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٤٩، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٩٠، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٥، ٤٠٢، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٣٣، ٤٤١، ٤٥٧، ٤٥٨.
التـنعم والملـذّات: ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٤٢، ٢٨١، ٣٠١، ٣٠٦، ٤٠٩، ٤٤٢.
الانتقام من الآخرين: ١١٢.
نقاوة القلـب والبسـاطة: ١٤، ١٦، ٤٩، ٩٩، ١٠٦، ١١١، ١١٢، ١٢٦، ١٥١، ١٥٢، ١٥٩، ١٦١، ١٧٩، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٦٤، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٥٤، ٣٦٩، ٤١١، ٤١٢، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٣٢، ٤٥٦.
إنكار الإيمان: ٤٣، ٦١، ٢٩٨، ٣٠٦، ٤٣٧.
إنكار الـذات: ٣، ٢٢، ٧٧، ٩٠، ١٢٨، ١٣٩، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٨٥، ٢٩٤، ٣٠٠- ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٢٣، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٧٨، ٤٤٥.

النمو الروحـي: ٨، ٩، ١٣، ٤٨، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٥، ١٢٢، ١٤٩، ١٥٣، ١٦٢، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٦٥، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٠٢، ٣٤٢، ٣٦٦، ٣٧٦، ٣٩٨.

تناول الأسرار المقدسـة: ١٢، ٩٧، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٩٢، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦٨، هامش ٣٦٨، ٤١١، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٣، ٤٣٧.

حرف [هـ]

الإهانة والمحقرة: ٢٢، ٢٣، ٢٩، ٣٠، ٥٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٣، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٥٢- ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٦١- ٣٦٣، ٣٧٨، ٣٩٣، ٤٠٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٨.

الاهتمام بالخروف الضال: ٣٩، ١٠٤، ١٠٩.

الهذيذ: ٢٦، ٢٨٤.

الهروب إلى البرية: ٣١٦.

الهروب من الكهنوت والمناصب: ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢١٨، ٢٩٤، ٢٩٥.

هيكـل الله: ٤٢١، ٤٢٤، ٤٣٣، ٤٤٢، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٦٨.

حرف [و]

التـوبيخ والانتـهار: ٣٩- ٤١، ٤٧، ٤٨، ٧٨، ١٢٨- ١٣٠، ١٧٦، ١٨٢، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٠٥، ٣١٣، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤١٨، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٤، ٤٦٥.

التوحـد والعزلـة: ١٣٣، ١٥٠، ١٦٢، ١٧٥، ٣٧٦، ٣٨١، ٣٨٨، ٣٩٠.

الثقة في الذات والبر الذاتي: ٢٣٨.

الأوجاع (الأهـواء) والشـهوات: ٧، ٢٦، ٥٣، ٥٦، ٥٨، ٦٣، ٦٤، ١١٦، ١١٩، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٩- ١٤١، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩- ١٦١، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ٢٠٦، ٢١٩، ٢٣١، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٩٣، ٣٢٧، ٣٤٠، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٥- ٣٦٧، ٤٠١، ٤٠٨، ٤٢٢، ٤٣٠، ٤٣٩، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٦١.

الوحدانية والوفـاق: ١٥٨، ٢٤٢، ٢٦٣، ٢٧٦، ٢٩٧، ٣٠٢، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٧، ٤٤٧، ٤٦٧.

الوداعـــة: ٣، ١٠، ٥٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ٢٢٢، ٢٦٩، ٢٧٩، ٣١١، ٤٥٦، ٤٦٤.

التواضع: ٧، ٨، ١٠، ١٧، ٢٦، ٣٦، ٤٨، ٥٠، ٥٥، ٥٩، ٦٢، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٥- ٨٧، ١١٠، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٧- ١٢٩، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦- ١٥٠، ١٥٧، ١٦٠،

(تـابع) التواضـع: ١٦٢، ١٦٣، ١٧٦، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٥- ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٥، ٣١٨- ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٥٤، ٣٥٩- ٣٦١، ٣٧٠، ٣٨٣، ٤٢٢، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٠.

مواعيـد الله: ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦١، ٤٠٢، ٤٧٠.

التـواني والكسـل: ٤٦- ٤٨، ٥٠، ٧١، ٩٣، ١٠٤، ١١١، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩- ١٥٣، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٨١- ١٨٣، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٧٠، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤- ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٩١، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٦، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٥٧.

وصايا متنوعـة: ٤٣، ٦١، ١١٧، ١٢١، ١٢٦، ١٤٣، ١٧٦، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٩، ٢٣٤- ٢٤٤، ٢٦٤، ٢٦٥، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٦٩، ٤٦٢.

المواهب الروحية: ٧، ١٧، ٧٢، ٨٩، ٩٠، ١٠٦، ١٤٤، ٣٣٣، ٣٣٤، ٤٤٦.

موهبة الاستبصار (كشف الخفيات): ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٥٦، ٧٥، ٨٨، ٩٦، ١٠٤، ١١٤، ١٣٠، ٢١٤، ٢٨٣، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٩- ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٠- ٣٨٢، ٣٨٦- ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦- ٣٩٨.

موهبة تمييز الأرواح: ٨١.

موهبـة الشـفاء: ٨٧- ٩٠، ٩٦، ١١٤، ٢٩١، ٣٠٦- ٣٠٩، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٨٨.

موهبة النبوة: ٣، ٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٧٥، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٨.

حرف [ي]

التيقظ والـتحفظ: ٩، ١٣، ١٤، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٧٧، ١١٤، ١١٥، ١٢١، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩- ١٤١، ١٤٣، ١٤٦- ١٤٨، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤- ١٥٦، ١٦٤، ١٧٣، ١٧٥، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٠- ٢٧٢، ٣٠٤، ٣١٣- ٣١٥، ٣٢٧، ٣٥٢، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٧٠، ٤٠٧، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٤٤، ٤٥١، ٤٦٦- ٤٦٨.

محتويات الجزء الثالث

تقـديم	**د**
الباب الرابع: قصص وأقوال الآباء الآخرين	**١**
الفصل الأول: قصص وأقوال الآباء المعروفة أسماؤهم:	**٢**
« « القديس يوحنا الأسيوطي	**٢**
« « القديس أنبا لنجينوس	**١٧**
قصة الأب مقاره الكاتب	**٢٢**
قصة القديس أنبا يوساب السائح	**٢٧**
قصص وأقوال أمهات الرهبنة:	**٢٩**
أولاً: القديسة الأم سنكليتيكي – سيرتها المختصرة	**٢٩**
عظتها الطويلة	**٣٤**
أمراضها الأخيرة ورقادها	**٦٥**
قصص وأقوال الأم سنكليتيكي	**٦٩**
ثانيا: سيرة وقصص وأقوال الأم سارة	**٧٤**
ثالثًا: « « « أما ثيئودورا	**٧٦**
قصص وأقوال مار أفرام السرياني	**٧٩**
ميمر لمار أفرام السرياني في مدح القديس يوليانوس الناسك	**٨٢**
وصايا القديس إكليمادوس للدخول في الرهبنة	**٨٧**
قصص وأقوال القديس يوحنا الذهبي الفم	**٨٩**
« « « باسيليوس	**٩١**
« « « غريغوريوس الثيئولوغوس	**٩٣**
« « « الأب زوسيما	**٩٥**
تعاليم الأب زوسيما	**١٠٠**
حديثه مع القديس دوروثيئوس عن الاتضاع	**١١٩**
قصص وأقوال أنبا يعقوب	**١٢٠**
« « الأم أوجينيا	**١٢١**
« « الأب فيلاجريوس	**١٢١**
« « الأب مادانا	**١٢٢**
« « القديس مار إسحق السرياني	**١٢٢**
أقوال وتعاليم الأب الشيخ الروحاني (يوحنا سابا)	**١٤١**
قصص وأقوال القديس أناسطاسيوس السينائي	**١٤٥**
« « الأب دتينوس	**١٤٧**
« « القديس سمعان العمودي	**١٤٧**
« « « تادرس الرهاوي	**١٤٩**
« « « يوحنا السرياني (أو الفارسي)	**١٥٠**
تعاليم القديس اسطفانوس الطيبي	**١٥١**

قصص وأقوال القديس هيريشيوس الكاهن	١٦٥
نصائح القديس هيريشيوس للنساك	١٦٦
من رسائل القديس أنبا بولا الطموهي	١٧٨
قصص وأقوال البابا ثيئوفيلس البطريرك	١٩١
« « القديس جيلاسيوس	١٩٣
« « القديس أنبا تيموثاوس	١٩٦
قصص وأقوال الأب باريكوس	١٩٧
« « الأب بفنوتيوس الأسقف	١٩٧
« « القديس ديادوخوس	١٩٨
« « « أنبا تادرس الإسكندري	١٩٩
« « « يوحنا الدرجي	٢٠١
« « « إبيفانيوس أسقف قبرص	٢٠٢
« « « أنبا دانيال قمص برية شيهيت	٢٠٨
« « « نيلوس السينائي	٢٣٢
« « « دوروثيئوس	٢٣٥
« « « أنبا شيشوي الصعيدي	٢٣٦
« « « الأب آموس	٢٣٨
« « « كليميكوس	٢٣٨
« « « مكسيموس	٢٣٨
« « « الأب روفس	٢٣٩
« « « إلأب إسطفانوس	٢٤٠
« « « أموناثاس	٢٤١
« « « بطره	٢٤١
« « « إقليمس	٢٤٢
« « « كيرادوس	٢٤٢
« « « أنبا كاما	٢٤٢
« « « إيليا السائح	٢٤٢
« « « أورانيوس	٢٤٣
« « « أنبا تومين	٢٤٤
« « « الأب كورس	٢٤٤
« « « الأب يوحنا قمص رايثو	٢٤٤
« « « جيرونتيوس	٢٤٥
« « « أفراطوس	٢٤٥
« « « ديوسقورس الصعيدي	٢٤٥
« « « أولوجيوس	٢٤٦
« « « يوسف التانيسي	٢٤٧
« « « يوسف كاهن عسقلان	٢٥٠
« « « أبا لوقيوس	٢٥٢
« « « الأب بياري	٢٥٣

« « « إيسوذور البيلوزيوم ٢٥٤
قصص وأقوال القديس الأب خوما ٢٥٤
« « « الأب أغربيوس ٢٥٥
« « « أنبا إبراهيم ٢٥٥
« « « جراسيموس ٢٥٥
« « « أنبا أنانيه ٢٥٥
« « « الأب سيمن ٢٥٦
« « « أنبا بلاّ ٢٥٦
« « « الأب إيليا الفلسطيني ٢٥٦
« « « الأب ثيئودوتي ٢٥٧
« « « إيليا الذي خصاه الملائكة ٢٥٧
« « « بفنوتيوس الصعيدي ٢٥٩
« « « أبا هـ ـ ـور ٢٦٢
« « « بولس الصعيدي ٢٦٤
« « « كوبرس الإسكندري ٢٦٤
« « « يوحنا القلالي ٢٦٥
الفصل الثاني: أسئلة وأجوبة للقديسين برصنوفيوس ويوحنا – مقدمة الناشر ٢٦٧
سيرة القديسين برصنوفيوس ويوحنا ٢٦٨
كتاب مملوء بالنعمة ٢٧٨
رسائل وأجوبة للقديسين برصنوفيوس ويوحنا ٢٨٠
الفصل الثالث: أقوال الآباء غير المعروفة أسماؤهم (المجموعة الأولى) ٣٩١
« « « « « **(المجموعة الثانية)** ٤٥٦
أقوال آباء المخطوطات غير المعروفة أسماؤهم ٤٦٩

الفهرس الموضوعي ٥٥٣

تقديم للجزء الثالث

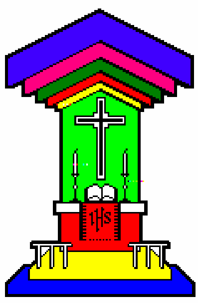
بعد أن نفذت الطبعة الأولى للجزء الأول من كتاب "فردوس الآباء" في فترة وجيزة، اضطررنا – لأسباب خارجة عن إرادتنا – إلى طبع هذا الجزء الثالث الخاص بقصص وأقوال الآباء الآخرين المعروف أسماؤهم وغير المعروفين، وذلك قبل الجزء الثاني الخاص بقصص وأقوال القديس أنبا باخوميوس وتلاميذه وسيرة وعظات القديس أنبا شنودة رئيس المتوحدين التي وجدناها، وذلك لأن هذا الجزء الثاني لا زال العمل مستمرا في إعداده.

ولذلك فإننا نقدم اعتذارنا إلى حضرات القراء الأعزاء طالبين أن يؤازرونا بصلواتهم حتى نتمكن من إتمام طباعة وتوزيع جميع الأجزاء، ولكي نتمكن أيضا من إعادة طبع الجزء الأول منقحا ومزيدا. كما أننا رأينا ضرورة إضافة فهرس موضوعي لكل جزء حتى يسهل عمل أي بحث أو تحضير أي عظة أو مقالة أو موضوع لمنفعة السامعين أو القراء.

وبعد الانتهاء من طبع الأجزاء الثلاثة، نرجو بمشيئة الرب أن ننشرها جميعاً على أقراص كمبيوتر (CD)، تلبية لطلب بعض القراء الذين يريدون القراءة على أجهزة الكمبيوتر.

نطلب من الله أن يكون كتاب "فردوس الآباء" (بستان الرهبان الموسع) سبب بركة لكنيستنا، مغنيا لخدامها وشعبها بكل مفاهيم آبائنا الروحية النافعة لهم، ولكي يتمجد اسمه القدوس في كل شيء.

أما بخصوص مراجع أقوال هذا الجزء، فنرجو الرجوع إلى ثبت المراجع واختصارا لا بعد مقدمة الجزء الأول.



الباب الرابع

قصص وأقوال الآباء الآخرين
المعروفة أسماؤهم وغير المعروفة أسماؤهم



الفصل الأول

قصص وأقوال
الآباء المعروفة أسماؤهم

قصص وأقوال
القديس يوحنا الأسيوطي

قال بالليديوس: كان واحد اسمه يوحنا الذي من ليكوبوليس (أسيوط)[١] كان قد تعلّم فن البناء في صباه، وكان أبوه صباغًا. ولما صار له ٢٥ سنة ترك العالم، وبعد أن عاش في بعض الأديرة لمدة خمس سنوات ذهب منفردا إلى جبل "ليكو" في الضفة الغربية من النيل عند أسيوط، وعلى أعلى قمة في هذا الجبل بنى لنفسه ثلاث قلالي: إحداها لاحتياجاته الجسدية، والثانية ليعمل ويأكل فيها، والثالثة خصصها للصلاة[٢].

ثم قضى ٣٠ سنة في حبسٍ كاملٍ حيث كانت تصل إليه ضروريات المعيشة بواسطة واحد كان يخدمه، وذلك من طاقةٍ في قلايته، ثم استحق أن ينال موهبة النبوة، فمن بين أعماله الكثيرة أرسل تنبؤات عديدة إلى الإمبراطور المبارك ثيئودوسيوس بخصوص ما سيحدث في أيامه وانتصاراته في الحروب، وقد تحققت كلها، وهكذا ذاعت شهرته كإنسانٍ فاضل[٣].

وتقول مخطوطات البستان باللغة العربية: **قيل عن أنبا يؤنس الذي من أسيوط:** إنّ أربعة لصوص رأوا كثرة الجموع التي تأتي إليه لأنّ الله كان قد منحه موهبتي الشفاء والنبوة، فظنوا أنّ عنده أموالاً في مغارته، فجاءوا بالليل لينقبوا باب مغارته فأصيبوا جميعا بالعمى وظلوا هكذا خارج المغارة حتى الصباح. ثم جاء الناس وأمسكوهم وأرادوا أن يسلموهم للوالي، فقال لهم القديس: "إن لم تتركوهم ستفارقني موهبة الشفاء"، فتركوهم. وكانت هذه هي الكلمة الوحيدة التي خرجت من فمه مدة الثلاثين سنة التي حبس نفسه فيها[٤].

---

(١) يعتبره Tillemont (10, 438) تاليا في الأهمية للقديس أنطونيوس، وذكره كاسيان (Inst., 4: 23-26 ; Conf., 1: 21, 24: 26)، ويؤيد كلام بالليديوس بدقة المرجع الآتي: Une Vie Copte de St. Jean de Lycopolis, P. Peeters, AB 54.

(٢) لا زالت آثار هذه القلالي موجودة في جبل دير درنكة بأسيوط.

(3) Laus., ch., 35.

(٤) س ٤ ص ١٦٤.

ثم **يقول بالليديوس:** عندما كنا في برية نتريا مع الأب إيفاجريوس، سألناه عن فضائل القديس يوحنا الأسيوطي، فقال لنا: أشتاق أن أعرف شيئًا عن حياة هذا الرجل رغم أنني لا أذهب إلى الجبل الذي يسكن فيه. فلما سمعت أنا ذلك حبست نفسي في قلايتي في اليوم التالي كله طالبا إرشاد الله، وهكذا شعرت بدافعٍ للذهاب إلى القديس في الصعيد.

سافرت إلى هناك مشيا على الأقدام أحيانا وبالإبحار في النهر أحيانا أخرى، وكان وقت فيضان النيل حيث يصاب الكثيرون بالمرض الذي صرت أنا أيضا ضحيةً له، ولما وصلت وجدت الدهليز المؤدي إلى مسكن القديس مغلقًا لأنه كان لا يفتحه إلاّ يومي السبت والأحد، ولما علمت ذلك انتظرت حتى يوم السبت وذهبت لمقابلته في الصباح ووجدته جالسا عند نافذته ليعطي مشورةً للذين كانوا هناك.

حياني القديس وكلّمني بواسطة مترجم[5] قائلاً: "من أين أنت؟ ولماذا أتيت؟ أظن أنك من جماعة إيفاجريوس"! فأجبته: "أنا أجنبي جئت من غلاطية". ثم أضفت أنني فعلاً من جماعة إيفاجريوس. وأثناء كلامنا وصل "أليبيوس" والي تلك المنطقة، فتحول القديس إليه وتوقف عن الكلام معي، فانسحبت قليلاً تاركًا لهما الفرصة ووقفت على مسافةٍ قصيرةٍ منهما، وظلاّ هما يتحادثان، فشعرت بالاشمئزاز وقررت أن أتجاهله وأرحل، فدعى مترجمه "ثيئودور" وقال له: "قُل لهذا الأخ: لا تكن تافها، إنني مزمع أن أصرف الوالي وأتكلم معك". فبدا لي أنه من الأفضل أن أنتظر بصبرٍ وأن أراقبه كرجلٍ روحاني.

ولما انصرف الوالي دعاني القديس وقال: "لماذا أنت غاضب مني؟ ما الذي وجدته يستحق الملامة حتى تفكر هكذا فيما هو ليس حقيقيا عني وغير موافقٍ لك؟ ألا تعلم أنه مكتوب: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى» (لو٥: ٣١)؟ وإن كنت أنا لا أعطيك مشورةً فيوجد إخوة وآباء آخرون ليعطوك مشورة! إنّ هذا الوالي قد أُسلِم للشيطان بسبب أعماله الدنيوية، وقد تمتع بقليل من الترويح هنا كعبدٍ هاربٍ من سيده (الشيطان) حيث إنه جاء طالبا معونة، فمن غير المعقول أن نتركه لنقضي معك الوقت طالما أنك حر دائما في اهتمامك بخلاصك". فطلبت منه أن يصلي من أجلي وأنا على درايةٍ تامةٍ بأنه رجلٌ روحاني.

حينئذٍ داعبني بضربةٍ خفيفةٍ على خدي وقال لي: "أحزان كثيرة تنتظرك وأمور كثيرة

---

(٥) رغم أنّ بالليديوس كان غالبا يعرف اللغة القبطية، لأنه عاش بضع سنوات مع رهبان مصر، إلاّ أنّ اللهجة الصعيدية لم تكن مألوفة لديه، لذلك احتاج إلى مترجم.

عملت ضدك لتجبرك على ترك البرية، وأنت قد اضطربت وطرحت عنك عزيمتك. إنّ الشيطان يبرز أمامك ضرورات تبدو أ ا تقوية ومقنعة ويضعفك ا. لقد اقترح عليك رغبةً في أن ترى أباك وأن تعلم أخاك وأختك عن الحياة التأملية. والآن انظر، ها أنا عندي أخبار سارة لك، إنّ كلا منهم قد تغير إلى الحياة التقوية والخلاص، وأبوك لا زالت أمامه عدة سنوات أخرى في الحياة، وعلى ذلك فثابر أنت على الحياة في البرية ولا تم بالرحيل إلى وطنك من أجلهم لأنه مكتوب: «ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله» (لو٩: ٦٢)". وقد أعانتني هذه الكلمات وشكرت الله عندما وجدت أنّ المعوقات التي كانت تزعجني قد تحطّمت.

ثم كلّمني هذا الأب وهو يمزح قائلاً: "أتريد أن تكون أسقفًا"؟ فقلت له: "أريد فعلاً". فقال: "أين"؟ فقلت: "في المطبخ على الموائد والأواني، فأفحصها كناظر (أو أسقف) عليها، وإذا وجدت محتويا ا (من الطعام والشراب) رديئة فأنا أحرمها (أي أضع عليها قانون حرم) وآخذ الصالح منها، كما أُفتش الأواني فإذا احتاج الطعام فيها إلى ملح أو توابل أضعها وآكل منها، هذه هي إيبارشيتي لأن شهوة البطن عينتني ابنا لها"!

فقال القديس مبتسما: "كُف عن التلاعب بالألفاظ. إنك سترسم أسقفًا وتتعب كثيرا وتقاسي من ضيقات كثيرة، فإذا كنت حقًا تريد الهروب من الضيقات فلا تترك البرية لأنه لا يوجد في البرية أحد عنده سلطان أن يرسمك أسقفًا".

ثم رحلت من عنده وذهبت إلى مكاني المعتاد في البرية (نتريا) وأخبرت الآباء المباركين بكل شيء، ولذلك فقد سافروا بعد ذلك بشهرين وقابلوا هذا القديس. أما أنا فقد نسيت نصيحته، ولكنني بعد ثلاث سنوات أُصبت بمرضٍ في الطحال والمعدة. ثم أخذني الإخوة إلى الإسكندرية للعلاج، فنصحني الأطباء أن أذهب إلى فلسطين حيث المناخ أفضل والجو أنسب لطبيعتي الجسمية.

بعد فلسطين ذهبت إلى بيثينية (في آسيا الصغرى بجوار غلاطية موطنه الأصلي)، وسواء كان ذلك بسبب اشتياقي إليها أو بسبب المشيئة الصالحة لله القوي على الكل لست أعلم الآن، الله يعلم، وهناك اعتبروني مستحقًا للرسامة حيث أنه كانت لي شركة في بعض الأمور المتصلة بالأب المبارك يوحنا الذهبي الفم[٦]. ثم نفيت وخبأوني في حجرةٍ

---

(٦) كان بالليديوس قد عاش فترةً طويلة مع القديس يوحنا الذهبي الفم وشارك في الكثير من مهامه، ولذلك فهو يعول عليه كثيرا كمؤرخ لسيرته التي كتبها، ولتقييم هذه السيرة أنظر: Quasten Patr., 3: 424 - 482. وكانت رسامته على "هلينوبوليس".

مظلمةٍ[٧] لمدة ١١ شهر، وهناك تذكّرت كلام القديس يوحنا الأسيوطي حيث قاسيت كل ما أنبأني به، كما أنه لكي يجعلني أحتمل المعيشة في البرية أخبرني بالآتي: "إنني قضيت ٤٠ سنة في هذه القلاية لم أعاين فيها وجه امرأة ولا رأيت نقودا. كما أنني لم أنظر إنسانا وهو يأكل ولا رآني أحد آكلاً أو شاربا"[٨].

قال أبا دولاس تلميذ أنبا بيصاريون: "ذهبت مع أبي إلى ليكوبوليس حتى وصلنا إلى قلاية أنبا يوحنا، وبعد أن صافحنا وصلينا جلس الأب وحدثنا عن رؤيةٍ كان قد رآها، وقال الأب بيصاريون إنّ القديس علم من الرؤية أن هياكل الأصنام ستتحطم، وهذا هو ما حدث بالفعل"[٩].

ويذكر الكتاب المنسوب لروفينوس[١٠] أنّ سبعة إخوة من أورشليم زاروا القديس يوحنا، وقد ذكر سيرته في أول كتابه. ولذلك **سأل إخوةٌ شيخا:** "لماذا بدأ القديس إيرونيموس (جيروم)[١١] سير الآباء بسيرة القديس يوحنا التبايسي (الأسيوطي)"؟ **فأجاب الشيخ:** "لأنه لما ذهب ومعه الستة إخوة الذين رافقوه من أورشليم إلى مصر ذهبوا أولاً إلى تبايس (الصعيد)، ورأوا القديس يوحنا قبل كل الآباء الذين هناك حينما كان ابن تسعين سنة، وكان له ذِكر أكثر من جميع آباء صعيد مصر، كما كانت له موهبة النبوة"[١٢].

قال هؤلاء الإخوة السبعة الذين زاروا القديس يوحنا: لقد زرنا في مقاطعة "ليكو" في صعيد مصر الأوسط الأب المبارك العظيم يوحنا، وهو رجلٌ فاضلٌ وقديس حقًا. وواضح للجميع أنه حصل على موهبة كشف الخفيات، وقد تنبأ للإمبراطور التقي ثيئودوسيوس ليس فقط عن كل ما كان الله سيسمح بحدوثه في العالم بل أيضا عن عواقب الأحداث.

فلنتخذ من هذا القديس أساسا لكتابنا هذا كمثال لكل فضيلة[١٣]، لأنّ سيرته وحدها تكفي لتشجيع الأتقياء والمكرسي القلوب للبلوغ إلى ذروة الفضيلة ولتنهضهم إلى بلوغ قمة الكمال. لقد رأيناه في البرية الملاصقة لمدينة "ليكو" حيث يعيش فوق صخرة على جبل شديد

---

(٧) ذكر بالليديوس في مقدمة كتابه هذا أنه نفي وهو أسقف إلى أسوان لأنه كان مناصرا للقديس ذهبي الفم الذي اضطُهد كثيرا، وهناك صار تحت حراسة إحدى القبائل الإثيوبية.

(٨)مرجع الهامش رقم ٣.

(9)Apoph.,Bessarion,4.

(10)The Historia Monachorum in Aegypto, ch., 1.

(١١) ربما يعتبر هذا دليلاً على أنّ الذي ألف الكتاب المنسوب لروفينوس هو القديس جيروم، لأنّ العلماء لم يستقر رأيهم حتى اليوم بخصوص المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب، وهم ينسبونه دائما إلى روفينوس.

(١٢) س ٩ رقم ١ ص ٤٩.

(١٣) حيث إنه بدأ بذكر سيرته في الفصل الأول من كتابه.

الانحدار. وكان الممر الصاعد إليه صعبا والاقتراب إلى مكان نسكه مغلّقًا كما بمتراس حتى إنه لم يدخل أحد إلى منسكه منذ الأربعين من عمره حتى بلغ التسعين عندما زرناه! وكان يظهر لزائريه من نافذته التي كان يقدم لهم منها كلمة الله لتعليمهم أو إجاباته وتشجيعاته لهم. ولم تذهب إلى هناك أية امرأة ولا حتى على مرمى بصره من بعيد، كما أنّ الزائرين عموما كان قليلاً ما يراهم وذلك في مواعيد محددة. وقد سمح ببناء قلاية خارجية للضيوف لكي يرتاح فيها القادمون من سفرٍ بعيد لوقتٍ قصير.

وهكذا كان يظلّ وحيدا مع الله، ولم يكف ارا أو ليلاً عن الصلاة وحياة الشركة مع الله مصارعا بنقاوة قلبٍ كاملة لأجل الإلهيات وكل ما يفوق الفكر. وبقدر ما نأى بنفسه عن الاهتمامات والصِلات البشرية بقدر ما كان الله يقترب منه ويلتصق به. وباختصار، فقد ظلّ يتقدم في مثل هذه الأمانة القلبية حتى إنه نال من الله ليس معرفة الأمور التي تخص الوقت الحاضر فحسب، بل إنه أيضا في الحقيقة حسِب أهلاً أن يتنبأ عن المستقبل، لأنّ الله منحه بوضوح موهبة النبوة (حتى اشتهر بلقب "النبي") التي خدم ا ليس أهل بلاده فحسب، بل أيضا الأجانب.

ومن الأفضل أن نسجل هنا ما رأيناه بعيوننا:

لقد كنا سبعة إخوة - وجميعنا أجانب عن مصر - وذهبنا لنرى القديس. وبعد أن احتضننا ورحب بكل منا بابتسامةٍ مضيئة، سألناه قبل كل شيء أن يصلي معنا لأجلنا لأنّ هذه كانت عادة الآباء المصريين، فسألنا هو إن كان أي واحدٍ منا إكليريكي (أي من رجال الإكليروس)، فأجبنا كلنا بالنفي، فنظر إلى كل منا وعلم أنّ أحدنا عنده رتبة دياكون، وكان واحد آخر منا فقط يعلم ذلك، ولكن الدياكون طلب منه ألاّ يخبر أحدا بذلك تواضعا منه من ناحية، ومن الناحية الأخرى لأنه بالمقارنة بمثل هؤلاء القديسين فهو بالكاد ربما يستحق أن يدعى مسيحيا بدون أية رتبة. ثم أشار القديس إليه وقال: "هذا دياكون"! ولكن الأخ استمر في إنكار ذلك وحاول أن يظلّ أمره مخفيا، إلاّ أنّ القديس انحنى من نافذته وأخذ يده وقبلها ونصحه قائلاً: "لا تزدرِ بنعمة الله يا ابني، ولا تكذب بإنكارك لموهبة المسيح، لأنّ الكذب غريب عنا بصرف النظر عما إذا كان موضوعه خطير أم بسيط، وحتى إذا كذب أحد بقصد البلوغ إلى نوعٍ من الصلاح فهذا الكذب مع ذلك غير ممدوح لأنّ المخلص يقول إنّ الكذب يأتي من الشرير (مت٥: ٣٧؛ يو٨: ٤٤)". فلما أثبت القديس للأخ أنه مخطئ ظلّ صامتا وقبِل توبيخه اللطيف.

ثم صلينا، وبعد الصلاة طلب واحد منا أن يشفَى من حمى كان قد أُصيب ا منذ ثلاثة أيام، فقال له الأب إنّ هذه الضيقة نافعةٌ له في الوقت الحاضر وقد أصابته بسبب ضعف إيمانه، ومع ذلك فقد أعطاه زيتا وطلب منه أن يدهن نفسه به، ولما فعل ذلك تقيأ كل ما كان في معدته ونجا من الحمى ثم سار حتى حجرة الضيوف بدون معونة أحد.

كان واضحا أن جسد القديس في عمره التسعين هذا قد وهن من كثرة النسك لدرجة أنه حتى لحيته توقفت عن النمو، لأنه لم يكن يأكل سوى من ثمار الأرض بعد غروب الشمس رغم تقدمه في السن حيث أنّ هذه كانت هي حياته التقشفية منذ البداية، ولم يكن يأكل الخبز إطلاقًا ولا أي شيء يحتاج إلى طبخ.

ولما دعانا للجلوس شكرنا الله على مقابلتنا له، وهو من ناحيته بعد أن رحب بنا كأننا أبناؤه الأعزاء بعد طول غياب، خاطبنا بوجه مبتسم: "من أين أنتم يا أولادي؟ ومن أي قطر سافرتم لتزوروا إنسانا وضيعا"؟ فأخبرناه عن بلادنا الأصلية وأضفنا قائلين: "لقد أتينا إليك من أورشليم لفائدة نفوسنا، وذلك لكي نرى بعيوننا ما سمعناه بآذاننا، لأن الأذن بطبيعتها أقل وثوقًا ا من العين، وأيضا لأن ما نسمعه غالبا ما ينسى في حين أنّ ما نراه بعيوننا لا يمحى من الذاكرة بسهولةٍ بل يظل محفورا في أذهاننا مثل الأيقونة"!

فأجاب الطوباوي يوحنا: "وما هو الأمر الملفت للنظر الذي تتوقعون أن تجدوه، يا أبنائي الأعزاء، حتى إنكم قطعتم هذه الرحلة الطويلة الشاقة لكي تزوروا أناسا فقراء وبسطاء لا يملكون شيئًا يستحق الرؤية أو الإعجاب؟ إنّ الذين يستحقون الإعجاب م ومدحهم في كل مكان هم رسـل وأنبياء الله الذين تقرأ كتابا م في الكنائس، وهم الذين يجب أن تتشبهوا م! إنني أتعجب من غيرتكم، إذ كيف لم تبالوا بمخاطر الطريق في مجيئكم إلينا لتتعلّموا شيئًا، في حين أننا من كسلنا لا نريد حتى أن نخرج من مغاراتنا"!

حديثه الروحي معهم:

والآن أقول لكم: رغم أنّ سعيكم يستحق المديح، ولكن لا تتصوروا أنكم فعلتم ما فيه الكفاية، وأنكم أتممتم أمرا صالحًا، ولكن يلزمكم أن تتشبهوا بالفضائل التي مارسها آباؤنا، وإذا بلغتم إليها كلها - وهذا نادرا ما يحدث - فلا تثقوا بأنفسكم بناءً على ذلك، لأن البعض وثقوا بأنفسهم في هذا الطريق عندما اقتربوا من قمة الفضائل فسقطوا في النهاية من رتبتهم العالية، بل على العكس تأكّدوا أولاً من أنّ صلواتكم تسير على ما يرام وأنّ نقاوة أفهامكم لم تتلوث وأنّ أذهانكم لا تعاني من التشتت عندما تظهرون أمام

الله في الصلاة لئلاّ يندس أي فكر غير مرغوب فيه في الذهن وينحرف به نحو أي أمرٍ غريب ولئلاّ تزعج أفكاركم أي تصورات غير لائقة.

تأكدوا من أنكم قد هجرتم العالم بحسب حق الله، وأنكم لم تأتوا «لكي تتجسسوا حريتنا» (غل٢: ٤)، وأنكم لا تستقصوا عن فضائلنا لأجل المجد الباطل لكي تظهروا أمام الآخرين كأنكم تستعرضون وزناتكم بتقليدكم لأعمالنا. كونوا متأكدين من أنه لا تزعجكم أو تشوش عليكم أي أهواء أو مجد أو كرامة أو مديح بشري أو تصنع لأي شيء ترون أنه يجعلكم مستحقين للكهنوت، أو أي حب للذات، أو أن تظنوا أنكم أبرار أو أن تفتخروا بالبر، أو ذكر أحد أقربائكم عندما تصلون، أو تذكركم لأي خبرة سعيدة أو أي انفعال آخر أو حتى تذكر العالم نفسه ككل، وإلاّ فإنّ عشرتكم لله بكاملها تصير بلا معنى حيث تستميل الإنسان أفكار مضادة أثناء حديثه مع الرب.

كل واحد لم يهجر العالم بالكامل بل لا زالت تشده مجاذباته فهو يقاسي من هذا التذبذب الروحي حيث أنّ انشغالاته السابقة التي كانت جسدانية أرضية تشتت ذهنه بالمهام الكثيرة التي ينهمك فيها، وبالتالي فإنّ استغراقه في صراعه ضد الأهواء لا يمكنه من أن يعاين الله. وعلى ذلك فعلى الإنسان ألاّ يتمعن في هذه المعرفة بفضائل الآخرين بأي درجة من العمق، وذلك خوفًا من أنه إذا وهِب جزءًا صغيرا منها وهو غير أهلٍ له يظن أنه قد أدرك الكل وبذلك يسقط كليةً في الفساد المهلك.

ولكن على العكس من ذلك، فمن الضروري أن يقترب الإنسان من الله بطريقةٍ معتدلةٍ وتقويةٍ تكريسيةٍ وهو يخطو متقدما روحيا حسب طاقته وفي الحدود المسموح بها للبشر. إذن، فإرادة الذين يطلبون الله ينبغي أن تكون حرة من كل اهتمامات أخرى، لأنّ الكتاب يقول: «كُفوا واعلموا أني أنا هو الله» (مز٤٦: ١٠)[(١٤)]. وعلى ذلك فالذي يمنح معرفةً جزئيةً لله - لأنه يستحيل نوالها بالكامل - يبلغ أيضا إلى معرفة كل الأمور الأخرى. إنه يعاين أسرارا لأنّ الله يريه إياها، إنه يرى مسبقًا ما يخص المستقبل، إنه يتأمل في رؤى كما فعل القديسون، إنه يفعل عظائم، إنه يصير حبيبا لله وينال من الله كل ما يطلبه.

كما علمنا القديس يوحنا الأسيوطي كثيرا عن حياة النسك، وكان مما قاله:

على الإنسان أن ينتظر الموت كمعبرٍ إلى حياة سعيدة ولا ينظر إلى ضعف الجسد،

(١٤) لعله يقصد المعنى العميق للآية، وهو: كفوا عن عبادة أصنام قلوبكم وميولكم واعلموا أني أنا إلهكم الحقيقي.

كما لا ينبغي أن يملأ بطنه ولا حتى بالأطعمة المعتادة، لأنّ الذي يتخم بالأطعمة يقاسي من نفس التجارب التي تحلّ بمن يعيش في ترف. فعليه أن يحرر شهيته للأطعمة من الهوى وذلك بالنسك. ولا يطلب الإنسان اليسر والراحة بل فليكن قويا الآن ويتحمل الشدائد حتى يرث ملكوت المسيح بسعةٍ، لأنّ الكتاب يقول: «بضيقاتٍ كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢)، لأنه «ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه»، ولكن «واسع هو الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون فيه» (مت٧: ١٣و١٤)، فلماذا تضعف قلوبنا (أو ترتخي عزيمتنا) في هذه الحياة ونحن نرى أنه عما قليل سنذهب إلى راحةٍ أبدية!؟

كما قال لنا: لا يجب أن ينتفخ الإنسان بسبب ما حقّقه في حياته، بل يكون باستمرار متواضعا ويهرب إلى أبعد الأماكن في البرية إذا تحقّق من أنه سيصير متكبرا، لأن المعيشة بجوار المدن والأرياف كثيرا ما أضرت حتى بحياة الكاملين. ولذلك فإنّ داود النبي بعد خبرةٍ مماثلة يرتل قائلاً: «هانذا أبعد هاربا وأبيت في البرية، أُسرع في نجاتي من الريح العاصفة ومن النوء» (مز٥٥: ٧و٨). وكثيرون من إخوتنا اختبروا أمورا مشا ةً لذلك ولكنهم بسبب العجرفة فشلوا في الوصول إلى هدفهم.

فعلى سبيل المثال: كان في البرية ا اورة راهب في مغارة يعيش في أقوى تدبير نسكي، وكان يقتني خبزه بعمل يديه، ولكن لأنه استمر مثابرا على صلواته ونموه في الفضائل بدأ يثق في نفسه واعتمد على حياته الصالحة. فبحث عنه ا ب كما فعل مع أيوب الصديق، وجاء إليه في الليل على هيئة امرأة جميلة تائهة في البرية، ولما وجدت بابه مفتوحا دخلت إلى مغارته وألقت بنفسها عند ركبتيه وتوسلت إليه أن يأويها عنده لأنّ الظلام قد حل عليها. فأشفق عليها، وما كان ينبغي أن يفعل ذلك، واستضافها في مغارته.

ثم أخذ يسألها عن خط سيرها، فأخبرته كيف أ ا تاهت، ثم بدأت تزرع في قلبه كلمات الغش والخداع والتملق وظلّت تتحدث معه حتى أغرته برقّةٍ أن يقع في حبها، ثم تطور الحديث وصار أكثر حريةً وامتزج بالضحك والمسرة، وظلّت هكذا حتى أضلّته، ثم اقتربت منه حتى صيرت هذا الناسك عبدا لها، وجاش عقله بأفكارٍ شريرة عندما شعر أن الأمر قد صار في متناول يديه وأنّ الفرصة قد سنحت له بحرية ليتمم شهوته، فخضع لأفكاره في داخل نفسه. وبمجرد أن بدأ في الفعل النجس أطلَقَت هي صرخةً مدويةً وأفلتت من بين يديه وتلاشت كأ ا خيال. ثم امتلأ الهواء بدوي أصوات ضحك كالرعد

كانت هي أصوات الشياطين الذين أضلوه بخداعهم وهم يصرخون بصوتٍ عالٍ قائلين: ’كل من يرفع نفسه يتضع (أي يوضع إلى أسفل)‘ (لو١٤: ١١؛ ١٨: ١٤)، لقد رفعت نفسك مرةً حتى السماء، أما الآن فقد وضِعت وأُنزِلت إلى الأعماق!

ثم ض في الصباح وهو ينوء بحمل تلك الكارثة الليلية التعيسة، وقضى اليوم كله في نحيبٍ ثم يئس من خلاصه، وهو الأمر الذي ما كان ينبغي أن يسقط فيه، ثم رجع إلى العالم. لأنّ هذا هو ما يفعله العدو بصفةٍ عامةٍ أنه عندما يتغلّب على إنسان يجعله يفقد رجاءه حتى لا يتمكّن بعد ذلك من أن ينهض من سقطته.

لذلك يا أبنائي، فنحن لا يسرنا أن نسكن بجوار الأماكن العامرة بالسكان أو أن تكون لنا أية علاقةٍ بالنساء، لأنّ أية مقابلاتٍ من هذا النوع تثير فينا أفكارا وذكريات لا تمحى تنطبع فينا مما نراه ونسمعه في الأحاديث. كما أننا يجب ألاّ نيأس من خلاصنا ونلقي بأنفسنا في ورطة اليأس هذه المُهلكة، لأنه حتى الآن فإنّ كثيرين من الذين يئسوا لم يقصِهم الله من محبته لأنه رحوم على الدوام.

وهنا ذَكَر لنا القديس مثلاً آخر قائلاً: كان في المدينة شاب قد فعل شرورا عديدة وخطايا جسيمة، ثم إنه بسماحٍ من الله امتلأ بالندامة على خطاياه وذهب في الحال إلى المقابر حيث ظلّ ينوح بمرارةٍ على حياته السالفة ويلقي بنفسه على وجهه ولا يجرؤ على أن ينطق بشيء ولا أن يذكر اسم الله أو يتوسل إليه، لأنه اعتبر نفسه غير مستحق ولا حتى للحياة ذا ا، وقد حبس نفسه في قبرٍ تحت الأرض قائلاً في نفسه: إنني لا أستحق السكنى مع الأحياء بل مع الموتى. وظلّ يتنهد متوجعا من أعماق قلبه.

وبعد أن قضى أسبوعا على هذا الحال ظهر له في الليل الشياطين الذين أضروا بحياته السابقة وهم يصيحون ويقولون: ’أين هذا الرفيق النجس؟ لقد أتخم نفسه ولم يكن يشبع من أنواع الدنس والخلاعة، والآن هو يغفّلنا ويتحول فجأةً إلى العفة والصلاح بل ويريد أيضا أن يصير مسيحيا طاهرا؟ ولكن أي صلاحٍ يتوقع أن يبلغ إليه هذا الذي تثقّل بشرورنا؟ ألا تقوم الآن وتترك هذا المكان مسرعا؟ ألا تريد أن ترجع معنا إلى الأماكن المألوفة عندك سابقًا؟ إنّ الزواني وأصحاب الخمارات ينتظرونك، ألا تريد أن تأتي لتشبع شهواتك؟ لقد فُقِد كل رجاء لك، وسيأتي عليك الحكم لا محالة سريعا إذا أهلكت نفسك ذه الطريقة. فلماذا تسرِع إلى عقابك أيها التعيس؟ إنك ملك لنا وقد ارتبطت بنا إذ قد مارست كل أنواع الدنايا وصرت خاضعا لنا ثم تجرؤ على الهروب؟ ألا ترد

علينا وتأتي معنا‘؟

ومع أن الشياطين أكثروا من هذا الكلام إلاّ أنه ظلّ يتنهد متوجعا من ذكر خطاياه ولم ينصت إليهم ولم يجبهم بكلمة. ولما وجدوا أ م لا ينتفعون بشيء من هذا الكلام أمسكوه وعذّبوه بوحشيةٍ حتى جرحوا جسمه كله وتركوه بين ميتٍ وحي. ولما استرد وعيه ظلّ راقدا كما تركوه بلا حراك واستمر في أنينه وتنهده. وفي نفس الوقت كان أهله يبحثون عنه، ولما وجدوه وعلموا منه بأمره وبما حل به أرادوا أن يأخذوه معهم، ولكن رغم جميع محاولا م فقد قاومهم بشدة.

وفي الليلة التالية عذّبه الشياطين أيضا بطريقةٍ أشد، ثم حاول أيضا أهله أن يقنعوه بالذهاب إلى موضعٍ آخر، ولكنه قال إنه يفضل أن يموت عن أن يعيش تلك الحياة الدنسة. وفي الليلة الثالثة أراد الشياطين أن يقتلوه وأحاطوا به وظلوا يعذبونه بلا رحمة حتى وصل إلى آخر رمق، ولما وجدوا أنه لا يلين تركوه فاقد الوعي، وأثناء رحيلهم صرخوا قائلين: ’لقد غلبتنا‘، ولم يحاربوه مرةً أخرى. وهكذا سكن في هذا القبر نقيا من كل دنس حتى اية حياته، وقد نما في فضيلة الطهارة. وقد اقتنى رهبنةً فاضلةً وصار سببا في رجوع كثيرين إلى التوبة، وقد أكرمه الله بإجراء المعجزات التي أدهشت الكثيرين وحركت غير م إلى الأعمال الصالحة[(١٥)].

وكانت قصة هذا التائب باعثًا للكثيرين ممن استولى عليهم اليأس الكامل إلى أن يمارسوا التقوى ويعيشوا حياة فاضلة، فقد تحقّقوا بأنفسهم من صدق قول الإنجيل: «من يضع نفسه يرتفع» (لو١٤: ١١؛ ١٨: ١٤). وهكذا يا أولادي، فلندرب أنفسنا أولاً على البلوغ إلى الاتضاع طالما أنه هو الأساس الرئيسي لكل الفضائل، وفي نفس الوقت فإنّ البراري النائية هي النافعة لنا لممارسة النسك.

وجاء في **كتاب "تفسير البراديسوس"** أنّ إخوةً سألوا شيخا: ”لماذا يقاتل المتوحدون أولاً بالأفكار من الشياطين ثم بالتخويف والضرب كما حدث مع ذاك الذي حبس نفسه في القبر الذي أخبر عنه القديس يوحنا الأسيوطي“؟ **فأجاب الشيخ:** ”هذا هو طقس تدبير المتوحدين أ م يتعبون أولاً في الأعمال الجسدية، ثم بحرب الأفكار، ثم بالنظر المحسوس والخوف والضرب، ثم يبلغوا إلى نقاوة القلب. وآخرون تقاتلهم الشياطين

(١٥) هذه القصة موجودة أيضا في أحد أقوال بستان الرهبان: مخطوطة س ٤ ورقة ١١٠ دون أي ذكر لقائلها القديس يوحنا الأسيوطي.

بمجرد خروجهم من العالم بالخوف والضرب، وهذا يحدث للذين تقلّبوا في العالم بين شرور كثيرة، إذ تحار م الشياطين بقوةٍ أثناء نشاطهم الأول وحرارة توبتهم ليفقدوهم قو م الأولى كما حدث مع أنبا موسى الأسود وهذا الرجل الذي حبس نفسه في القبر، لأنه لم يكن قد عرف شيئًا من حروب الأفكار إذ لم يسكن مع إخوة أو إنسان يرشده، لذلك جسر عليه الشياطين وضربوه. وقد تركه الله في أيديهم لسببين: **الأول:** لكي ينادى بعد ذلك أنه كإنسانٍ غشيم ضعيف استطاع بقوة الله أن يغلب قوات الشيطان، **والثاني:** لتعرف قوة التوبة وندامة النفس كم هي كريمة عند الله، إذ بصبره على عقاب ثلاثة أيام هزم شياطين كثيرين وبلغ إلى درجةٍ عاليةٍ في طريق الكمال"[(١٦)].

ثم **سأله الإخوة:** "يقول الرسول بولس إنّ المحبة لا تسقط أبدا، ولكننا نرى قديسين قد ارتفعوا في محبة الله كما أخبر عنهم القديس يوحنا الأسيوطي، ثم سقطوا إلى قطع الرجاء والهلاك"! **فأجاب الشيخ:** "بسبب تعاظمهم". فسألوه: "ما هو تعاظمهم"؟ فقال الشيخ: "أن يظن الإنسان نفسه شيئًا ويحسب نفسه بارا وأفضل من المحتقرين والخطاة". فسألوه أيضا: "وبأي طريقةٍ يقتنى هذا الاتضاع أن يعتبر البار نفسه كالخاطئ"؟ فقال الشيخ: "باحتماله الآلام وتشبهه بالسيد المسيح واتضاعه في كل أمر، لأنه تشبه بعبيده وهو رب السماء والأرض، وأن لا يثق الإنسان في نفسه بل يفتكر في آخرة يهوذا، وإذا رأى خاطئًا يفكر في آخرة اللص اليمين والزانية وا دلية التي فاقت محبتها للرب محبة الرسل، فإذا فكّر في ذلك وما يشا ه لا يسقط"[(١٧)].

قديس آخر ينخدع ثم يتوب:

ثم ذكر لنا القديس يوحنا قصةً عن راهب آخر قائلاً: كان راهب يسكن في أعماق البرية ممارسا للفضائل لعدة سنين في حياة نسكية وسكون، وكان يقضي أيامه في الصلاة والتسبيح وتأملات كثيرة. وقد عاين رؤى واضحة تتعلق بالطبيعة الإلهية بعضها في يقظته والأخرى في منامه. وقد نجح تقريبا في معرفة طريق الحياة الروحانية. ومنذ أن ترك العالم امتلأ بالثقة في الله لدرجة أنه لم ينع هم احتياجاته الجسدية، بل كان يحفظ نفسه في حضرة الله الدائمة برغبةٍ كاملةٍ منتظرا كل حين رحيله من العالم. وكان معظم غذائه هو في جة إيمانه ورجائه فيما لا يرى.

ولم يضعف جسده من استمراره على هذا الحال لمدةٍ طويلةٍ ولا ضجر أو أصابه الملل،

(١٦) س ٩ رقم ١١ ص ٥٦.

(١٧) س ٩ أرقام ٤ و٥ و٦ ص ٥٠.

بل على العكس فقد كان رصينا في مواظبته على هذه الحياة الصالحة. ورغم أنه لم يعمل بيديه في زراعةٍ أو صيدٍ أو أي عمل يمده باحتياجات جسده؛ إلاّ أنّ تكريس وقته كله لله جعل الله يكرمه بأنه كل يومين أو ثلاثة أيام في وقتٍ معين كان يعطيه رغيفًا على مائدته، فكان كلما شعر بألم الجوع يجد طعامه، وبعد الأكل يعود إلى تسابيحه وصلواته وتأملاته بكل صبرٍ. وهكذا كان ينمو روحيا في الفضيلة والرجاء كل يوم.

ثم شعر بأنه متأكد تقريبا من أنّ النصيب الأفضل سيكون له وكأنه صار في قبضة يديه، وبمجرد أن تملّكه هذا الشعور كان لا بد أن يسقط بعد وقتٍ قصير في تجربةٍ لا يستطيع أن يتجنبها، لأنّ هذا الظن نشأ من خضوعه لفكرة أنه صار أفضل من معظم الناس، وأنه أصبح ذا شأن أعظم من غيره، وبذلك بدأ يثق في نفسه.

ثم بدأ يتولّد فيه قليل من الكسل بدا له كأنه ليس كسلاً على الإطلاق، ثم تطور الأمر إلى اون أكثر زاد مع الوقت لأنه صار أكثر إحجاما عن القيام من النوم وترتيل التسابيح، وهكذا صارت صلاته أكثر فتورا، ومزاميره أقل مما كانت، وهكذا مالت نفس هذا الراهب إلى الراحة، وتحولت ميوله الذهنية إلى الأرضيات، وأفكاره صارت مستعبدة للتشتت، بل إنّ قلبه أيضا ربما بدأ في أعماقه الخفية في التخطيط للسقوط في الخطية ...

حتى الآن فإنّ العادات الصالحة التي اكتسبها هذا الناسك في الماضي والزخم وقوة الدفع الروحية الأولى قد كبحت جماح نفسه وحفظته من السقوط، وبعد صلواته المعتادة كان يجد الخبز الذي كان الله يرسله له، إلاّ أنه لم يحاول أن يتخلّص من ميله إلى التقليل من وقت الصلاة، ولا فكّر في أنّ سهواته هذه تضر بغيرته، بل على العكس فقد ظن أنّ هذا الأمر تافها ولا يزيد عن كونه مجرد تقصير بسيط في واجباته.

وكنتيجة لذلك تملّكت عليه حواسه الشهوانية وحولت الأفكار الشريرة اتجاهه إلى العالم، ولكنه أمسك نفسه حتى اليوم التالي وعاد إلى نسكه المعتاد، فصلّى وسبح ثم ذهب ليأكل فوجد الخبز ولكنه أقل بياضا وأردأ قليلاً من المعتاد، فتعجب وجزع بعض الشيء ومع ذلك فقد أكل وانتعش. وفي الليلة الثالثة عاد إليه الفكر الشرير ثلاث مرات بعنفٍ أكثر، وصار عقله يرتمي على الأفكار ـِمةٍ أكثر حتى صورت له أفكاره صورة امرأة كأ ا موجودة معه مما زاد من حركة شهوته. وفي اليوم الثالث لم يستطع أن يحفظ طهارة أفكاره أثناء الصلاة والتسبيح، بل شعر بعدم الاستقرار وعدم الراحة الداخلية لأنّ

تصورات أفكاره شوشت على أعماله التقوية.

وفي المساء لما شعر باحتياجه إلى الطعام وجد الرغيف ولكنه بدا كأنّ الفئران أو الكلاب قد قضمته ولم يتبق منه سوى قشرته الخارجية، فأن وبكى ولكن ليس بالدرجة التي تمكنه من كبح جماح الشر. وحيث أنه لم يأكل بقدر احتياجه فلم يقدر أن ينام، وحينئذٍ عادت إليه الأفكار بقوةٍ وأحاطت به من كل جانب واستأسرته سريعا واجتذبته للرجوع إلى العالم! فقام ذاهبا إلى الأماكن المأهولة بالسكان ورحل ليلاً وسط البراري ...

ولما لاح الفجر كانت المسافة لا زالت بعيدة، فكافح محتملاً حرارة الشمس، ثم تطلّع حوله لعله يجد ديرا يرتاح فيه قليلاً، فظهر أمامه دير ودخله حيث استقبله إخوةٌ أتقياء مخلصين وعاملوه كأنه أبوهم الحقيقي وغسلوا وجهه وقدميه. وبعد أن صلوا أعدوا مائدةً ودعوه بمحبةٍ ليشاركهم فيها. وبعد أن شبع طلب منه الإخوة كلمةً لخلاصهم وأن يخبرهم كيف يخلصون من فخ الشيطان ويتغلّبون على الأفكار الدنيئة. فشجعهم، كأبٍ ينصح أولاده، على المواظبة على أتعاب النسك لأ م في لحظةٍ قد يرحلوا (من العالم) ويتمتعوا براحةٍ عظيمةٍ، وكلّمهم عن أمور كثيرة بخصوص الحياة النسكية، فانتفعوا منه جدا.

ولما انتهى من نصائحه، تأمل في نفسه قليلاً فشعر أنه رغم أنه أعطى مشورةً لآخرين فقد بقي هو نفسه بلا مشورةٍ، فشعر بوخز ضميره، ثم رجع مسرعا إلى داخل البرية وهو ينوح على نفسه ويقول: «لولا أنّ الرب كان معيني لسكنت نفسي سريعا في جهنم» (مز٩٤: ١٧ حسب النص)، وأيضا: «لولا قليل لكنت في كل شر وسط الزمرة والجماعة» (أم٥: ١٤)، «لولا قليل لأفنوني من الأرض» (مز١١٩: ٨٧).

ثم قضى بقية حياته في ندامةٍ وهو محروم من الطعام الذي كان يأتيه من الله، وظلّ يكسب عيشه من تعب يديه. وقد أغلق على نفسه في مغارته وفرش تحته مسوحا ورمادا ولم يكف عن النوح حتى سمع صوت ملاك يقول له في حلمٍ: ’قد قبل الله توبتك ورحمك، فاحذر بعد ذلك لئلاّ تخدع مرةً أخرى، وها هم الإخوة الذين أعطيتهم مشورةً روحيةً سيأتون ليطلبوا منك مشورةً أخرى ومعهم بركةً لك، فرحب م وكُل معهم واشكر الله دائما‘.

ثم قال القديس يوحنا لزائريه: لقد رويت لكم هذه الأمور، يا أولادي، لكيما إذا اعتبرتم أنفسكم ضمن الصغار أو العظماء تجعلوا هدفكم الرئيسي هو الاتضاع في حياتكم النسكية، لأنّ هذه هي الوصية الأولى للمخلص: «طوبى للمساكين بالروح لأنّ

لهم ملكوت السموات» (مت٥: ٣)[١٨]، وحتى لا يخدعكم الشياطين الذين يثـيرون في مخيلتكم صورا ومناظر. فإذا أتى إليكم أي واحدٍ، سواء كان أخا أو صديقًا، أختا أو امرأةً، أبا أو معلما، أما أو طفلاً أو عبدا، فابسطوا أولاً أيديكم في الصلاة، فإن كان شبحا سيهرب منكم. وإذا أراد شياطين أو بشر أن يخدعوكم بالتملق والمديح فلا تصدقوهم ولا تعجبوا بأنفسكم.

لقد حاولت الشياطين كثيرا أن تخدعني بهذه الطريقة في أوقات الظلام لدرجة أنهم لم يسمحوا لي بالصلاة أو الراحة وهم يظهرون لي مناظر في الليل، ثم في الصباح يسخرون مني إذ يسجدون عند قدمي قائلين: اغفر لنا أيها الأب لأننا أزعجناك طوال الليل...! ولكنني كنت أقول لهم: «ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم» (مز٦: ٨؛ مت٧: ٢٣)، لأنكم لا ينبغي أن تجربوا خادم الله.

وهكذا أنتم، يا أبنائي، ينبغي أن تزرعوا لأنفسكم هدوءًا وتمارسوا التأمل بلا انقطاع حتى تكون صلاتكم لله نقية. فإذا فُرِض أنّ الناسك له أعمال صالحة بين الناس في العالم، مثل إظهار المحبة الأخوية وإضافة الغرباء وإعطاء الصدقات والاهتمام بالمرضى ولا يسبب عثرةً لأحدٍ، فهو يعتبر رجلاً صالحًا جدا لأنه يتمم وصايا الله، إلاّ أنه يكون قد شغل نفسه بأمور أرضية. أما صاحب الحياة التأملية فهو أفضل وأعظم لأنه نهض قائما من الأعمال اليدوية إلى المجال الروحاني وترك تلك الأعمال لآخرين لينشغلوا بتلك المهام الأرضية. فطالما أنه أنكر ذاته بل وصار ناسيا لنفسه فقد صارت اهتماماته كلها في أمور سماوية. إنه يوجد بلا عوائق في حضرة الله وبدون أية مشغوليةٍ تجذبه إلى الوراء، لأنّ مثل هذا الإنسان يقضي حياته مع الله في انشغالٍ كاملٍ به مسبحا إياه بلا انقطاع[١٩].

هكذا كان حديث الطوباوي يوحنا معنا مع أمور أخرى مماثلة حتى إنّ أحاديثه معنا استغرقت ثلاثة أيام حتى الساعة التاسعة من نهار كل يوم، وكان بذلك يشفي نفوسنا.

مواهبـه الروحيـة:

كان القديس يوحنا يعتقد أنّ المواهب قد أُعطيت له ليس بسبب فضائله بل من أجل الذين كانوا يسألونه، وقد اعتاد أن يقول إنّ هذه الأمور كانت تأتيه من عند الرب لأجل الذين يسمعونه. وقد أكّد لنا الآباء الذين كانوا يسكنون بجواره أنه كانت لديه

(١٨) هذه الفقرة الأخيرة هي نفسها أيضا القول: Apoph. John of Lyco, 1 ; W. & W., I: 509
(١٩) هذه الفقرة الأخيرة موجودة أيضا في أقوال الآباء بالفرنسية: Q R T, 17

بالفعل موهبة فائقة لكشف المستتر، كما أن شعب المنطقة القريبة كانوا يقدرون سيرة حياته تقديرا عاليا، ولم يكن كلامهم عنه منمقًا لكي يعظموا من سمعته، بل على العكس فإنّ كلامهم كان يميل إلى عدم المبالغة.

وقد أجرى القديس بعض المعجزات أمام الغرباء الذين جاءوا إليه، أما مواطنوه الذين كانوا كثيرا ما يأتون إليه لأجل احتياجا م، فكان يكشف لهم أمورا خفية وأحداثًا في المستقبل، وكان يخبر كل إنسان بما فعله سرا، كما كان يتنبأ عن فيضان ونقص ر النيل وعن المحاصيل الزراعية. كما أنه كثيرا ما تنبأ عن أي غضبٍ إلهي كان مزمعا أن يحلّ بالناس وكشف عن الخطايا التي سببت لهم ذلك. وكان يعلم بسبب مجيء أي إنسان قبل أن يخبره ويكشف ما في قلبه، وإذا كانت خطية مخفية عن فاعلها كان يندد ا له في كلامٍ خاص معه منذرا إياه بالتوبة وإصلاح طريقه.

وكان الطوباوي يوحنا لا يجري معجزات شفاء علنا، بل كثيرا ما كان يعطي زيتا للمصابين فيشفون في بيو م. إنه تجنبا للمجد الباطل لم يكن يسمح بإحضار المرضى إليه ليشفيهم علانيةً، بل كان يصلي من أجلهم بناءً على طلب آخرين عنهم، وكان مجرد إيما م بالزيت الذي صلى عليه يشفيهم من أي مرض.

ثم أكمل الإخوة السبعة روايتهم بقولهم: وبعد أن أكمل أحاديثه معنا أعطانا بركةً ثم صرفنا بسلامٍ ... ثم ذهبنا لزيارة بعض الآباء الآخرين، وأثناء تواجدنا معهم جاء بعض الإخوة وأخبرونا أن القديس يوحنا الطوباوي قد رقد في الرب بطريقةٍ عجيبة، فقد أمر بعدم السماح لأي أحدٍ أن يزوره لمدة ثلاثة أيام، ثم إنه أثناء ركوعه في الصلاة انتقل إلى الرب الذي له ا د إلى أبد الدهور، آمــين[٢٠].



(٢٠) كان انتقاله على الأرجح أواخر عام ٣٩٤ أو أوائل عام ٣٩٥م. وهذا يتفق مع ما رواه بالليديوس في تاريخه اللوزياكي. ومما يؤكد صحة هذا التاريخ أنّ القديس قال لزائريه إن منشورا قد وصل اليوم إلى الإسكندرية يعلن انتصار الإمبراطور ثيئودوسيوس على الطاغية "أوجينيوس"، ويحدد التاريخ أن ذلك تمّ في سبتمبر سنة ٣٩٤م، وهذا يحدد لنا أيضا تاريخ رحلة هؤلاء الإخوة السبعة إلى مصر أنه كان في أواخر عام ٣٩٤م. كما أنه تنبأ عن وفاة هذا الإمبراطور التي حدثت في يناير سنة ٣٩٥م كما يذكر المؤرخ الكنسي سقراط.

وتحتفل الكنائس الغربية بتذكار هذا القديس في ٢٧ مارس، ويذكر السنكسار الإثيوبي سيرته في ٢١ "خيدار" وهو الشهر الإثيوبي الذي يقابل شهر هاتور القبطي، ليت كنيستنا تسجل سيرته في هذا التاريخ.

قصص وأقوال
القديس أنبا لنجينوس(✪)

✸⌘❖⌘✸

قال أبا لنجينوس: "توجعت معدتي مرةً طالبةً مني طعاما في غير أوانه، فقلت لها: حتى ولو كنتِ مريضة، فموتي، وإذا طلبتِ مني طعاما في غير أوانه فسأمنع عنكِ ما كنت أُعطيكِ إياه في أوانه"[٢١].

وقال أيضا: "الصوم يذلل الجسد، والسهر يطهر الروح (أو "العقل" حسب المخطوطة)، والصمت يجلب البكاء، والبكاء يعمد (أو "يغسل") الإنسان ويجعله يتجنب الخطية"[٢٢].

قيل عن أنبا لنجينوس إنّ أفكاره قاتلته مرةً بالدخول إلى البرية الداخلية لكي يستريح، فسمع بوضوح صوتا يقول له: "قلايتك أعظم من البرية الداخلية، وهي صخرة أكثر من البرية". فنهض بسرعةٍ وأخذ بيده عصا، وبدأ يمشي في القلاية قائلاً: "من هذه الجهة الشرقية يذهب الناس إلى القدس المدينة المقدسة التي صِلب فيها الرب، وأيضا قُتِل فيها الأنبياء، وذُبِح فيها زكريا ابن برخيا بين الهيكل والمذبح. فما أعظم ما في جهة الشرق هذه التي جاء منها ا ـوس أيضا"! ثم انتقل إلى غرب القلاية قائلاً: "أما هذا الغرب فهو الجبل المقدس المعروف بالأسقيط، وقد سماه أنبا مقار "جبل شيهيت" أي "ميزان القلوب". فما أعظمه من جبل! فالرب وعد بالمغفرة لجميع الذين يسكنونه ويموتون فيه، وبالراحة لهم يوم الدينونة ... أما الجهة القبلية فما أعظمها! فقد سكن فيها أب الآباء البطاركة إبراهيم، وعلى رأس هذه الجهة القبلية تكلم الله مع إبراهيم، واستضافه هو وملائكته. كما صعد إبراهيم على رأس هذه الجهة القبلية وربط ابنه اسحق بيديه ورجليه، فقال له اسحق: 'يا أبتاه، ها هي النار والحطب، فأين هو حمل المحرقة؟ ألعلي أنا هو الضحية اليوم'؟ ثم نادى الرب إبراهيم قائلاً: 'لا تمد يدك إلى الغلام فقد قبلت ضحيتك'". ثم ذهب إلى الجهة البحرية وفكر ثم قال: "هذا أمر يطول شرحه، إنّ هذه القلاية أعظم وأوسع من البرية"!

(✪) كان من أهل كيليكية بآسيا الصغرى، وترهب في الدير الذي كان قد ترهب فيه والده لوقيانوس بعد وفاة زوجته. أراد الرهبان أن يقيموا والده رئيسا عليهم فهرب مع ابنه إلى الشام، ثم اشتهرا بالمعجزات فاستأذن القديس لنجينوس من والده وجاء إلى مصر إلى دير الزجاج (الهناطون) غرب الإسكندرية، ثم أقاموه رئيسا على الدير، ثم تبعه أبوه، وكانا يعملان في قلاع المراكب لأجل قوت الجسد. وأجرى الله على أيديهما معجزات كثيرة (سنكسار ٢ أمشير).

ولهذا القديس مؤلّفات ومياه ـر عديدة نشِر معظمها في كتاب: "الآباء الحاذقون في العبادة"، الجزء الثاني - دير السريان.

(21) Apoph. Long., 2 ; ٨٩ س ٤ ص

(22) N., 560; ١٢٩ س ٤ ص

ولما أعيا أنبا لنجينوس من التفكير والمشي جلس، ثم أدركه المساء، وقال لأفكاره: "لقد دخلنا إلى البرية، ووصلنا إلى المشرق والمغرب ... والذين يبتغون سكنى البرية خبزا لا يأكلون وماءً لا يشربون، فافعل أنت هكذا ...". وخرج من باب القلاية وأكل قليلاً من نبات (أعشاب) الأرض، ثم قال لنفسه: "والذين في البرية لا ينامون تحت سقف بل تحت السماء"... وفعل هكذا ... فقد ألقى بنفسه على الصخرة ونام متعبا.

وأقام على هذه الحال ثلاثة أيام: يمشي في جوانب القلاية من باكر إلى المساء، ويأكل البقل الأخضر، ويضطجع قليلاً تحت السماء حتى أعيا وضجر، وبدأ يخاصم نفسه بعنادٍ، ولطم على خديه قائلاً: "أُدخل إذن إلى قلايتك وابكِ من أجل خطاياك، ولا تجعل عقلك يطيش بقولك: البرية. لقد دخلت البرية. أما سمعت داود النبي يقول: «إنّ عيني الرب على الصديقين وأذنيه مصغيتان إلى طلبتهم» (مز٣٣ الترجمة القبطية)، ولا يخفى عنه شيء من أفكارنا"؟ ... فلما رآه ا رب هكذا خاف منه وانصرف عنه[٢٣]!

قال الأب لنجينوس لأبا أكاكيوس: "المرأة تعلم أ ا صارت حبلى عندما يتوقف خروج الدم منها، هكذا أيضا النفس، فهي تعلم أ ا قد حبلت بالروح القدس عندما تكُف الأهواء عن أن تأتي منها، ولكن طالما كان الإنسان مقيدا بالأهواء، فكيف يجسر أحد أن يصدق أنه بلا خطية؟ أعطِ دما واقبل الروح القدس"[٢٤]!

وقال أيضا: "لا يوجد أسوأ من العادة الرديئة لأ ا تحتاج إلى وقت طويل وجهد لقطعها، لأنه بدون الوقت والجهد من المستحيل قطع العادة. فبخصوص الجهد فبالتأكيد إنّ كثيرين يبذلونه، أما بخصوص الوقت فقليلون هم الذين يحصلون عليه بينما يكون آخرون قد حل م الموت سريعا، والله وحده يعلم ما سيفعله بخصوص هؤلاء يوم الدينونة"[٢٥]!

قال أبا لنجينوس: "التحفظ مع الاتضاع جيد في كل موضع. ففي الواقع هناك من يمزح ويبدو كأنه مسرور، فإذا فعل ذلك لمدة طويلة يصير ملوما، في حين أنّ الإنسان المتحفظ الذي يأخذ حذره (أي يحترس) باتضاع فهو دائما له قدره"[٢٦].

سئِل أنبا لنجينوس: "ما هي أعظم الفضائل كلها أيها الأب"؟ فقال الشيخ: "أعتقد أنه كما أنّ الكبرياء هي أسوأ الشرور كلها حتى إ ا طرحت البعض من السماء ذا ا؛ هكذا فإنّ الاتضاع هو بالتأكيد أعظم الفضائل لأنه يستطيع أن يرفع الإنسان من

---

(٢٣) بستان الرهبان، إعادة الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦، ص ٣٥٣. س ٥ ورقة ١١٥
(24) Apoph. Long., 5;
(25) N., 563.
(26) Sy., XV, 113.

الهاوية ذا ا رغم أنّ الخاطئ نفسه يكون قد صار مثل الشيطان، وأيضا طوب الرب المساكين بالروح قبل جميع المطوبين الآخرين"[٢٧].

وقال أيضا: "كما أنّ الجثة لا تأكل، هكذا أيضا الإنسان المتضع لا يمكنه أن يدين إنسانا حتى ولو رآه للأصنام ساجدا"[٢٨].

وقيل إنه كان للأب لنجينوس تخشع كثير في صلاته وتسبيحه، فسأله تلميذه مرةً: "يا أبي، هل هذا قانون إلهي أنّ الراهب يبكي في خدمته لله"؟ فقال الشيخ: "نعم يا ابني، هذا هو القانون الذي يتطلّبه الله، ليس لأنّ الله خلق الإنسان للبكاء بل للفرح والسرور لكي يمجده بطهارة قلب وعدم خطيئة تماما مثل الملائكة، ولكن لما سقط الإنسان في الخطية صار محتاجا إلى البكاء، لأنه حيث لا توجد خطية فلا حاجة إلى البكاء قط"[٢٩].

كان أخ يسكن بجوار أبا لنجينوس في قلايةٍ منفردا متوحدا[٣٠]، وكان كثيرا ما يخرج منها وهو في حالة إحباط، خائر العزيمة، بسبب أنه كان يسقط في خطيةٍ عظيمة، وبعد أن كان يتأوه ولا يعلم ماذا يفعل كان يقول: "ما عمِل قد عمِل"، فيجيب عليه ضميره: "ولكنه عملٌ رديء". وهكذا كان ينوح حتى يوم وفاته[٣١].

قال شيخ: (هو أبا لنجينوس في بعض المراجع): "عندما يريد أخ أن يزور أخا آخر فإنّ شيطان الاغتياب إما أن يسبقه أو يرافقه عند الأخ"[٣٢].

قيل عن أبا لنجينوس: إ م ا موا تلميذه أمامه لكي يطرده، لأنّ بعضا من تلاميذ أبا ثيئودور ذهبوا إلى الأب لنجينوس وقالوا له: "أيها الأب، نحن نسمع عن تلميذك أمرا غير صالح، فإذا أردت فنحن نقصيه بعيدا عنك ونأتي بأخٍ آخر صالح". فقال لهم الشيخ: "أما عني فأنا لا أطرده لأنني أجد معه راحةً". ولما سمع القديس عن العلّة التي ا موا ا الأخ قال: "الويل لي، لأننا نأتي إلى هنا لكي نصير ملائكة ولكننا نصير ائم وفاجرين ودنسين"! حينئذٍ ارتبك الإخوة وفهموا وأدركوا أنه يجب عليهم أن يكونوا ناسين للشر[٣٣].

وقيل عنه أيضا: إنّ صاحب سفينة أحضر إليه ذهبا مما ربحته سفينته، ولكنه لم يشأ أن يقبله وقال له: "لست في حاجةٍ إليه هنا، ولكن اصنع محبةً معي وامتطِ جوادك (أي اركب حصانك)، واذهب بسرعةٍ إلى الطريق المؤدي إلى "بترا"، وستقابل غلاما يحمل

(27) N., 558. (28)N.,559. (29) N., 561; ١٢٩ س٤ص
(٣٠) يبدو أن القديس لنجينوس هو الذي روى هذه القصة. (31) N.,564. (32) N., 562. (33) J., 708.

ملابس هذه صفتها (أي أنه وصفها له)، فاسأله عما يفعل، واعطه ذهبك هذا فيكون لك أجر عظيم".

فامتطى الرجل جواده وأسرع ووجد الغلام في المكان الذي أخبره عنه الشيخ وقال له: "إلى أين أنت ذاهب يا أخ؟ وما هو شأنك حتى إنّ الأب لنجينوس أرسلني إليك لكي أعطيك هذا الذهب"؟ فقال الغلام: "لقد فقدت خيرات كثيرة، والآن إذ أنا معذب من دائني أبي فأنا ذاهب لأنتحر وأتخلص من شرورهم، لأنه ليس في إمكاني أن أوفيهم حقوقهم، وها هو الحبل الذي سأشنق به نفسي"...

إلاّ أنّ صاحب السفينة أعطاه الذهب وأعاد الغلام إلى المدينة، ثم ذهب إلى أبا لنجينوس وأخبره بذلك، فقال له: "صدقني أيها الأخ أنك لو لم تسرع إليه لصرنا أنت وأنا مسئولَين عن نفسه"(٣٤).

وحدث مرةً أخرى أيضا أنّ أبا لنجينوس أثناء وجوده في قلايته، وكان بعض الآباء قريبون منه، ودون أن يقول لأحد، قفز واقفًا وذهب إلى شاطئ البحر، ولما وصل إلى هناك كانت سفينة قادمة من مصر قد بدأت ترسو، ووجد فيها شيخا قديسا كانت له موهبة رؤية الغيب، وكان آتيا إليه ليراه، ولما تصافحا وقبلا بعضهما بعضا صليا، وأخذ الشيخ المصري يقول لله: "يا رب، لقد تضرعت إليك ألاّ تكشف للشيخ عن وصولي حتى لا يتحمل مشقة مجيئه لاستقبالي". ثم ذهبا إلى قلاية الأب لنجينوس، وفي اليوم التالي انتقل الشيخ المصري هناك من العالم(٣٥)!

كانت امرأة مريضة بالسرطان في **صدرها،** وسمعت عن الأب لنجينوس وأرادت أن تقابله، وكان يعيش في دير "الهناطون"، أي الميل التاسع من الإسكندرية. وبينما كانت المرأة تبحث عنه صادف أن الطوباوي كان يجمع أخشابا بجوار البحر. فلما قابلته قالت له: "أيها الأب، أين يسكن أبا لنجينوس خادم الله"؟ وهي لم تكن تعلم أنه هو. فقال لها: "لماذا تبحثين عن هذا العجوز المحتال؟ لا تذهبي إليه لأنه مخادِع! ماذا بكِ"؟ فأظهرت له المرأة مكان ألمها، فرشم على هذا المكان بعلامة الصليب ثم صرفها قائلاً: "اذهبي والله سيشفيكِ لأنّ لنجينوس لا يمكنه أن يعينكِ إطلاقًا"!

فانصرفت المرأة واثقةً من هذا الكلام، لذلك فقد شفيت في نفس المكان. ثم أخبرت الناس

(34) J., 709.

(35) J., 710.

بما حدث، وذكرت العلامات المميزة لهذا الشيخ، فعلِمت أنه هو الأب لنجينوس نفسه[٣٦].

وفي مرةٍ أخرى أيضا كانت امرأة مريضة في يدها بمرضٍ تعذّر شفاؤه، هذه جاءت مع امرأةٍ أخرى إلى خارج قلاية القديس ونظرت إليه من النافذة وهو جالس. ولكنه وبخها قائلاً: "امضِ من هنا يا امرأة". ولكنها مكثَت هناك تنظر إليه دون أن تقول شيئًا لأ ا كانت ممتلئةً خوفًا. فأدرك الشيخ الأمر وأُعلِن له (من الله) ما كان بالمرأة، فنهض وأغلق نافذته قائلاً: "اذهبي ليس بكِ سوءٌ". وللوقت شفيت المرأة[٣٧].

أحضروا إليه مرةً إنسانا به شيطان، فقال القديس لمرافقيه: "لا يمكنني أن أفعل شيئًا لكم، ولكن اذهبوا إلى الأب زينون"[٣٨]. فبدأ الأب زينون يجبر الشيطان على الخروج، فصرخ الشيطان قائلاً: "قد تظن يا أبا زينون أنني سأخرج بسببك، اُنظر ها أبا لنجينوس يصلي ويتحداني، وها أنا أخرج خوفًا من صلواته، أما من ناحيتك أنت فلا أريد حتى أن أُجيب عليك"[٣٩]!

ومرةً أخرى ذهب إنسانٌ إلى الأب لنجينوس، وإذ خطف منه كوكلوسته مضى ا إلى إنسان به شيطان، ولما فتح الباب ليدخل صرخ الرجل الذي به الشيطان قائلاً: "لماذا تحضِر الأب لنجينوس إلى هنا ليطردني"؟ وللحال خرج الشيطان من الرجل[٤٠]!

أرسل الإمبراطور مرقيان رسلاً إلى كل مكان ومعهم قانون الإيمان القائل بالطبيعتين، فوصل بعضهم إلى دير الزجاج وأعطوا نسخةً للأب لنجينوس للتوقيع عليها، فقال: "أنا لا أقدر أن أعمل شيئًا بغير مشورة آبائي، فهلموا نشاورهم". فدخلوا عند أجساد الشيوخ ووضع قانون الإيمان على أجسادهم قائلاً: "يا آبائي، لا تقولوا إنكم قد رقدتم واسترحتم، بل قولوا لي هل أوقع على هذا القانون القائل بالطبيعتين"؟ فخرج صوت من الأجساد سمعه الجميع قائلاً: "لا تقبله ولا تخرج عن إيمان الآباء السابقين، وابعد عنا هذا المكتوب".

فلما رأى رسل الملك وسمعوا ذلك شعروا بخوفٍ ورعدةٍ شديدين، ولم يعودوا إلى الملك بل ترهبوا في هذا الدير[٤١].

---

(36) Apoph. Long., 3 ; W. & W., I: 471.

(37) Sy., XIX, 7.

(٣٨) هذا غير أبا زينون المعروف في شيهيت في القرن الرابع.

(39) Apoph. Long., 4.

(40) Sy., XIX, 9.

(٤١) سنكسار ٢ أمشير.

قصـــة
الأب مقـاره الكاتـب

قال الأب مقاره الكاتب[٤٢]:

إنني أردت الدخول إلى مدينة الإسكندرية لأقضي بعض حوائجي، ولما وصلت إلى المدينة لقيني رجلٌ لا أعرفه خارج المدينة وعلى كتفه وعاءٌ وآلة صناعة البساتين ومعه من ثمارها. فقال لي: "من أين أتيت يا أبي، وإلى أين تقصد"؟ فقلت له: "أتيت من الوادي المقدس وأنا قاصد هذه المدينة". فقال لي: "أسألك أن تبيت عندي هذه الليلة، وعند الصباح تمضي إلى حيث تريد". وكان حينئذٍ قد اقترب المساء. وألح علي باسم المسيح فأجبته إلى طلبه ولم أكن أعلم مذهبه ولا معبوده، إلاّ أنه كان يعرف كلام أهل الجبال، أي اللغة القبطية، فسكنت إليه (أي ارتحت إليه) ومضيت معه.

ولما وصلنا إلى م له أخرج من وعائه مفتاحا وفتح الباب، ودخل وأدخلني، فنظرت يمينا ويسارا فلم أجد شيئًا سوى حصيرة قد مضى عليها الزمان، ووعاء فيه ماء، وحبلاً مشدودا في سقف البيت، وكتابا موضوعا على كرسي، وسراجا فيه زيت، ومنديلاً فيه رغيف من الخبز اليابس لا غير. فقدم لي أولاً ماءً، فغسلت وجهي ورجلي، ثم بعد ذلك انتصب للصلاة، فوقفت وصليت معه حتى أتمّ صلاته وأنا معه. ثم أحضر ذلك الرغيف اليابس وقليلاً من الملح وطلب مني أن آكل، فأخذت وأخذ معي وأكلنا كلانا. ولما دخل الطعام في فمي إذ بطعمه مثل شهد العسل وأحلى منه، والملح كذلك مثله أيضا، فداخلني العجب، وأما رغيف الخبز فأكلنا منه كلانا ولم ينقص منه شيء، فقلت: "ليت شعري، ما هذا الرجل"؟

وبعد أكل الخبز ابتدأ يسألني في الكتب المقدسة، وما فيها من أمر السيد المسيح ويشرح تفسيرها. وكنت أنا كاتبا جميع أيامي متضلعا في الكتب المقدسة وأنا لا أعرف ما أوضحه لي. فقلت: إنّ هذا الرجل رجل الله أو ملاك، وإنّ الله سهل طريقي إذ جمع بيني وبينه. وكنت أسمع منه ولا أقدر أن أجيبه لأجل ما فيه من الروح الناطقة.

ولما كان الصباح بعد أن مضت الليلة وهو لم ينم، أخذ أداته كعادته وأراد الخروج إلى المكان الذي فيه الكرم الذي كان له وأنا لا أعلم بذلك، وقال لي: "أنا أريد أن أخرج إلى

---

(٤٢) البستان طبعة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١٠٤؛ مخطوطة رقم ٢٨٥ ميامر بمكتبة دير السريان المأخوذ عنها في البستان طبعة ١٩٧٦ ببني سويف ص ١١٧. وقد استكملنا الناقص من كلا الطبعتين من بعضهما.

عملي باكرا جدا حتى أنصرف باكرا"، وكان ذلك يعني به عن الآخرة وأنا لا أعلم. ودفع لي بمفتاح م له وقال لي: "اخرج إلى ما أردت من قضاء حوائجك، فاقضها وعد إلى الم ل فإنك تكون عندي إلى عشرة أيام"، فأخذت منه المفتاح، وتوجه هو إلى عمله.

أما أنا فمضيت إلى البيعة وتناول القربان، فوجدت فيها رهبانا قديسين كنت أعرفهم، فلما رأوني فرحوا بي وقالوا لي: "يامقاره، متى أتيت إلى هنا"؟ فقلت: "بالأمس". فقالوا: "وأين أنت نازلٌ"؟ فذكرت لهم صفة ذلك الرجل فتعجبوا ولم يعرفوه. وسألوا رجلاً كان قيما للبيعة خبيرا بجميع سكان المدينة فلم يعرفه، وكان ذلك عجبا في تلك الساعة.

ولما فرغت من الصلاة والقداس، عدت طالبا الم ل فلم أجده وبقيت متحيرا لا أعرف أين أذهب، فتفكّرت وقلت: "إنّ كل ما رأيته كان مناما (أي حلما)، أمضي وأقعد على الطريق في المكان الذي اجتمعت به أولاً فإنني سأراه". وكنت قد وضعت في الم ل قبل خروجي منه بعض حوائجي. وخرجت إلى خارج المدينة وجلست على الطريق في المكان الذي اجتمعت به فيه أولاً، فما جلست إلاّ قليلاً وإذ بذلك الرجل قد أقبل على تلك الحالة الأولى وأداته على كتفه، فتطلّع وأبصرني وقال لي: "أخرجت إلى ها هنا"؟ فأعلمته بكل ما حدث لي.

فقال لي: "أسأت لي، لِم فعلت ذلك برجلٍ مطالَب بما قدمت يداه وكنت لا أريد أن يعرف موضعي"؟ وكان هذا تعليما جيدا، وتفكّرت قائلاً: "إنّ ما قاله لي صحيح أنني أسأت إليه". ومشى وأنا أتبعه حتى دخلنا الم ل، وفعل مثل المرة الأولى، وأقمت عنده ثلاثة أيام، وذلك الرغيف لم ينقص منه شيء، وقضيت بعض حوائجي في هذه المدة، وأردت الانصراف فقال لي: "ألم أقل لك إنك تقيم عندي عشرة أيام، ولم تنقض منها إلاّ ثلاثة أيام"؟

وأخذ أداته وأراد الخروج إلى كرمه، فقلت له: "أنا اليوم أذهب معك إلى كرمك لأبصره وأبصر عملك". فقال لي: "قم واذهب معي". فأخذ بيدي وخرج قدامي وأنا تابع له حتى خرجنا من باب المدينة، وإذ بثلاثة رجال لابسين مثله ومعهم أداة مثل أداته وقالوا له: "لِم أبطأت علينا؟ ا ض". فنهض وهو يقول لي: "يا مقاره امشِ خلفنا". فمشيت وأنا أريد أن أكلمهم، ولكنهم هو وإياهم لا يلتفتون إلي، وهم مجِدون في السير ولا أعلم أين يقصدون! ولم يحدث إلاّ عندما حان وقت صلاة الساعة الثالثة أننا أشرفنا على عين ماءٍ جارٍ و ر ماء لا يعرف أحد من العالم أين حده، وحوله شجر من النخيل

والعنب والزيتون والتين والرمان. فصلوا، وبعد الصلاة أخذوا أدوا م وظلوا يكرمون (أي يشتغلون في الكرم) في ذلك الشجر ولا يأكلون من ثماره شيئًا، فبقيت أنا متفكرا.

ثم دنوت من الرجل الذي أنا نازلٌ عنده وقلت له: "من هؤلاء القوم"؟ فقال لي: "هؤلاء القوم هم شركاء لي في هذه الروضة". فقلت: "لماذا لا يكلمونني"؟ فقال لي: "هم يعرفونك ولكنهم يقولون إنك لا تريد أن تكون مقيما معهم". فقلت: "إ م يعملون أعمالاً لا أعرفها، وأنا مشغولٌ بما أنت عارف، فإني أنسخ كتب البيعة قاصدا بذلك عمار ا، وأجدد منها ما خلع (أي ما تقادم)".

وأقمت ذلك النهار معهم، وعند صلاة الساعة التاسعة أكلت من ثمر ذلك الشجر، وكنت أُكثِر الأكل منه ولا أمل وهو لا يشبعني، وقلت لذاك الرجل: "إنّ ثمرة هذا الشجر لا تشبِع الجائع". فقال لي كلاما هو تعليم روحاني: "إنّ اهتمامك هو بطعام العالم، وتركت الاهتمام بالعمل الصالح، والطعام الروحاني أوجب لك من ذلك". وللوقت علمت أنّ القوم صالحون، فدنوت إليهم أريد أن أتبارك منهم فلم أجدهم!

وبقيت في الروضة وحدي، أطوف فيها يمينا وشمالاً ولا أدري كيف أتجه. وأقمت على هذه الحالة عاما كاملاً، آكل من ثمر الشجر، ولا أجد من يجاوبني ولا القوم الذين رأيتهم. وقلت: "لقد فعل الله معي مثل قديسيه وأسكنني هذه الجنان، وهو الذي بعث لي هؤلاء القوم".

وفي آخر العام إذ بي أرى ركّابا يريدون المسير إلى قضاء حاجتهم، فتقدمت إليهم وقلت لهم: "إلى أين تقصدون"؟ فقالوا: "إلى مدينة الإسكندرية". فقلت لهم: "هل لكم أن تحملوني فإني تائه في البرية ولا أعلم أين أذهب"؟ وذلك بسبب ما داخلني من محبة العالم، وبينهم ظهر لي الشيطان وجنوده في هذه الهيئة ليخرِجوني من الموضع الرحب إلى الضيق والتعب، وحملوني وأنا لا أعلم أ م شياطين. وفي أسرع وقت وصلت إلى الإسكندرية، وكان أحد الركاب يقول: "قد ربحناه وأخرجناه من النعيم إلى التعب"!

وفيما أنا متفكر في كلامه إذ بالرجل الذي كنت نازلاً في بيته رأيته مقبلاً على الهيئة التي رأيته فيها يوم لقائه، وكان قد حلّ بي الشعور بالجوع، فمشى قدامي وأنا أتبعه إلى الم ل، وأحضر الرغيف بعينه فأكلت وأكل معي كالمعتاد، وقال لي: "يا مقاره، أين كنت هذه المدة"؟ فقلت له: "إنني كنت في موضع الروضة منذ فارقتك لأنك تركتني فيها ومضيت، وانتظرتك أن تعود إلي فلم أستطع أن أراك إلاّ في هذه الساعة".

ثم اقترب مني وقال لي: "يا مقاره، اخترت لك مكانا تكون فيه حتى تموت، ولم ترغب أنت فيه، لكن الشيطان العدو هو الذي أخرجك منه ولم تعلم". فقلت له: "يا أبي، من هؤلاء القوم الذين كانوا معك"؟ فعرفني أ م آباء قديسون يسكنون هذه المدينة وقال لي: "إن منازلهم مثل م لي هذا. ونحن كل يوم نمضي سرا إلى هذه الروضة، نصلي فيها ونصلح أشجارها ونعود إلى منازلنا، وأهل هذه البلاد لا يشعرون بنا، ولو صبرت قليلاً لكنت لنا رفيقًا. هل تعرف هذه البرية والروضة"؟ فقلت: "لا". فقال لي: "إ ا من الجنان التي وعد ا الله أتقياءه وأصفياءه، ولا يعرف أحد من الناس بعد المسافة بين العالم الكوني وبينها".

وللوقت صرت نادما، كلح الوجه (أي متجهما)، وأطرقت وجهي إلى الأرض، ولم أستطع رفع رأسي بالجملة، ثم رفعت صوتي وبكيت نادما. فقال لي: "قم ارجع إلى مكانك، فإنّ الله جعلك لتمجيد اسمه فيما تكتبه، وتصير إلى رعية شعبٍ كبير". وأخبرني بأشياء كثيرة لا أذكرها في هذا الكتاب لئلاّ يطول بذلك الشرح.

فأقمت عنده بقية الأيام التي ذكرها، ولم تكن المدة التي كنت فيها في الروضة إلاّ مثل منام رأيته. وقد سألته في عدة مسائل وأبواب لمشكلات في الكتاب فأخبرني ا وبتفسيرها، وقد كتبتها في كتاب "المستاجوجيا" (Mystagogy وهو أخبار النساك والمتصوفين)، وليست في هذا الكتاب المسطور.

ولما أردت الذهاب أخرج ذلك الرغيف وأعطاه لي، وقال لي: "خذ منه واستعمل وقت حاجتك إلى الطعام، فإنه يغنيك عن كثيرٍ من الطعام، واحذر أن تعِلم أحدا بما رأيت، ولكن دونه في كتاب واجعله مخفى لا يقرأه أحد إلاّ بعد وفاتك. وأنا أُعِلمك أنك تكون رئيسا وتدوم رئاستك اثنين وعشرين سنة، وتكتب كتبا كثيرة فيها عجائب وبراهين، وهي تكون بعدك ذِكرا"... ولم أكن أعرف من أين هو ذلك الرجل.

ولما خرج ليودعني عند ذهابي قال لي: "يا ولدي، أوصيك إذا انتقلَت إليك الرئاسة فلا تكبر نفسك على أخيك، ولكن كُن متواضعا رحيما عفيفًا، فطوباك إذا فعلت هذا. وطوباك يا مقاره لأنك تقدس قرابين كثيرة، وتعِد للرب شعبا كثيرا وتصبغه بماء المعمودية. وفي العام الثاني تأتي وتطلبني في هذا الم ل ويهديك الله إليه ولا يخفيه عنك".

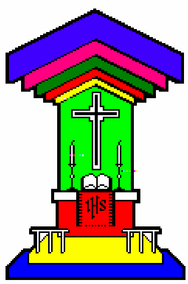
وانطلقت عنه في تلك الساعة، ومضيت إلى مسكني بدير براموس، ولم يمر علي إلاّ مدة يسيرة مقدار خمسة وعشرين يوما، وإذ بالأب البطريرك أنبا ديمتريوس يصل إلى هذا

الدير، فأخذني ورسمني أسقفًا على كرسي نيقيوس(٤٣)، وسلم إلي رعية شعب كثير كما ذكر لي الأب. وبعد ذلك، مضيت في العام الثاني إلى الإسكندرية وطلبت ذلك الرجل فوجدته على تلك الحالة التي كنت أعرفه فيها، فتلقّاني عندما رآني، وقبلني وقبلته، ونزلت في م له فوجدت عنده القوم رفقاءه الذين كنت قد رأيتهم، فسلّموا علي وسلمت عليهم. وقالوا: "يا مقاره، قد تحصنت اليوم من الشيطان، فاحفظ هذا الثوب، وهذا حصن حصين". وتباركت منهم، ثم ودعوني وأرادوا الذهاب، فسألتهم: "هل لي أن أصل إلى تلك الروضة"؟ فقالوا: "لا، فهوذا أنت ترعى شعبا عظيما، إياك أن تحيد في الحكم أو تحابي"!

وأما ذلك الرغيف الذي أعطاني إياه ذلك الرجل، فكنت آكل منه في اليوم ما يغنيني عن ثلاثة أيام فلا أعود أن آكل فيها طعاما، وأردت السؤال عنه ومن هو، فسألته عند الاجتماع به فلم يخبرني من هو.

وأنا مقاره كتبت هذا جميعه، وكنت قد سألت الله أن يحلّ هؤلاء القوم في م لي ويصلوا في بيعتي بنيقيوس، فرأيت أحدهم قائما أمامي، وقال لي: "يا مقاره، إنك لا ترانا إلاّ في اليوم الذي تصير فيه إلى ربك، فإننا نكون من الحاضرين للصلاة عليك"... وهذا ما رأيته وسمعته وكتبته.

أُنظروا يا إخوة، إنّ الذي يرضي الله بعمله فما الذي يصير إليه من القدس (أي القداسة)! فنسأل الله أن يجعلنا ممن يعملون بطاعته، وأن يكُف عنا سوء الشيطان العدو المناصب لمقاتلتنا. وا د للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمـين.



(٤٣) بمحافظة المنوفية، وهي التي كان أسقفًا لها أنبا صرابامون الشهيد في زمن الاضطهاد، وأنبا صرابامون أبو طرحة في أيام محمد على باشا في القرن ١٩.

قصـــة
القديس أنبا يوساب السائح

كان شيخ سائحا في **برية الأسقيط** اسمه **يوساب،** وكان شيخا كبيرا متقدما في الأيام، وقد ضمر جسمه حتى كان يظن أنه خيال من الصوم والصلاة والسهر والتعب والصبر على حر الصيف وبرد الشتاء، وكان طعامه من أعشاب البرية ولباسه من الليف الخشن. وكان لسانه لا يفتر من التسبيح والتقديس، وانتهت به عبادته إلى أن صار يركب على السحاب، ويغتذي من طعام يأتيه من السماء في أوقات معلومة. وحصل له من العناية الربانية قوةً تمنع عنه الحر والبرد، وهو يزيد في فضائله محتقرا لذاته، وهو يشعر بأنه غير مستحق لما صار إليه.

ومع هذا اشتهى من الله فكرا طرأ على قلبه، وهو أن يريه إنسانا يماثله في نعيم الآخرة، وطلب ذلك من الله بخضوع وتضرع كثير، فجاء إليه صوت يقول له: "يا يوساب يا يوساب، الملك الذي في أنطاكية سيكون نظيرك في ملك السماء"!

حينئذٍ ركب الشيخ على سحابةٍ، وطلب من الله أن يوصله إلى أنطاكية، فأجاب طلبته ونزل خارج المدينة، وأخذ جريدته بيده وقصد باب المدينة، وعند الباب وجد الملك خارجا من المدينة في موكبٍ وحوله الحراس بالتبجيل والتعظيم، فبعضهم يمشي في ركابه وبعضهم على خيلهم. فاستند الراهب على باب المدينة حتى يشاهد الملك وجها لوجه، وإذ بالملك قد أقبل راكبا وفرسه مثقلٌ بالحِلي وا وهرات التي عليه، وكانت أشعة الجواهر المختلفة الألوان التي في التاج الذي على رأس الملك تضيء.

فحينئذٍ ندم الشيخ وحزن لما أبصر عظمة الملك هذه، وقال: "من يكون هذا الملك العظيم؟ وكيف يكون له ميراثٌ في ملكوت السماء"؟ وصار حزينا باكيا، وحدث ازدحام عند الباب، وصار الشيخ في بلبلةٍ وتعبٍ شديدين من الازدحام، ولما وصل الملك إلى الباب خف الازدحام. حينئذٍ التفت الملك إلى الشيخ وقال له: "يا أنبا يوساب، لقد اشتهيت لنفسك تعبا ما كانت إليه حاجة". وأمر بأن يمضوا به إلى القصر حتى يعود.

فلما سمع الشيخ قول الملك فرح جدا وقال: "لولا أنّ الله ساكن في هذا الإنسان لما عرفني ولا عرف قصتي". ولما وصل إلى الدار جلس في الدهليز حتى عاد الملك، ولما نزل الملك من مركبته أخذ بيد الشيخ، ودخل إلى مجلسٍ عظيم قد هيأ فيه الطعام للعساكر،

فجلسا على ناحيةٍ من الطعام، ودخل العساكر كلهم وأكلوا وشبعوا من تلك الأطعمة اللذيذة وانصرفوا.

حينئذٍ قام الملك والشيخ ودخلا إلى القصر، وإذ بالملكة زوجة الملك تلاقيهما وعليها من الحلي والجواهر ما يفوق الوصف، وحولها من الجواري جمع كثير حسان المنظر مجملات باللباس والحلي مما يفوق وصفه، وظللن في خدمة الملك حتى جلس على عرشه، وحينئذٍ انعزلت الملكة وجواريها عنهما، وبعد ساعةٍ عادت إليهما وهي لابسةً مسح شعر، وعند ذلك انعزل الملك أيضا ولبس مسح شعر وعاد، ثم ضا وخرجا من ذلك الموضع والسائح معهما، وجاءوا إلى مكانٍ آخر في القصر فيه راهب جالس يعمل في شغل، فلما رآهم الراهب وقف ودنا من السائح وقبلا بعضهما بعضا، وصلوا جميعا مزامير تلك الساعة، وتلوا البركة وجلسوا. وإذ بخادمٍ صغير جاء إلى الملك والملكة بشغل أيديهما، فتناول كل واحد صنعته ليعمل فيها.

ثم قال الراهب للسائح رغم أنه لا يعرفه: "يا أنبا يوساب، إنّ الله تبارك اسمه أراد بك خيرا عظيما (أو "أن يعطيك خبرةً عظيمة" كما في نسخةٍ أخرى)، لأنه أظهر لك سيرة حياة الملك والملكة زوجته". وتحدثوا جميعا في عظائم الله حتى الساعة التاسعة. ثم جاء خادم بمائدة عليها خبز وطعام رهبان، فصلوا وأكلوا، ورفِعت المائدة.

وعزم السائح على الانصراف، فتباركوا منه، وقال الراهب للسائح سرا: "امضِ بسلامِ الرب، وعِظ ذه السيرة فإ ا عظيمةٌ جدا، لأنك قد رأيت عظمة الملك وزوجته، وها أنت ترى عيشتهما، والتواضع الذي هما فيه، حتى إ ما لا يتناولان شيئًا من طعام المملكة البتة إلاّ من شغل أيديهما، وفي هذا كفاية".

ثم إنّ السائح ودعهم، وركب على السحابة، وعاد إلى موضعه ببرية الأسقيط وهو متعجب مما رأى مما يمجد الله، الذي له التسبيح والعظمة والإكرام إلى الأبد آمـين[٤٤].



(٤٤) البستان طبعة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١١٥؛ مخطوطة رقم ٢٨٩ ميامر بمكتبة دير السريان التي نشِرت في البستان طبعة بني سويف عام ١٩٧٦، ص ١١٥. وقد استكملناهما من بعضهما.

قصص وأقوال
أمهـات الرهبنـة

أولاً - القديسة الأم سنكليتيكي

السيرة المختصرة للقديسة:

سيرة القديسة سنكليتيكي(❖) - التي عاشت متوحدةً بجوار الإسكندرية في القرن الرابع - تعتبر واحدةً من أقدم وثائق سِير قديسي الرهبنة الشرقية، ومخطوطة السيرة لا تذكر اسم مؤلفها، ولكن بعض المؤرخين ينسبو ا إلى القديس أثناسيوس الرسولي، حيث إنه بعد أن كتب حياة القديس أنطونيوس لفائدة الرهبان، أراد أيضا أن يزود الراهبات والعذارى بـ [سيرة حياة رهبانية نسائية مشا ةً بطريقةٍ قصصية]. ولكن حيث إنّ نياحة القديس أثناسيوس كانت سنة ٣٧٣م، بينما كانت نياحة هذه القديسة نحو سنة ٤٠٠م، فمن المرجح أنه كتب جزءً ا من سير ا أثناء حيا ا مع تعاليمها خوفًا من ضياعها ثم أكمل آخرون تدوين السيرة، ولا سيما أنّ سير ا يستنتج منها أ ا كُتبت في مصر، وبالذات في نواحي الإسكندرية حيث عاشت القديسة(٤٥).

وقد اعترف كاتب السيرة أنه لم يستطع أن يجمع سوى معلومات قليلة عن حيا ا، كما أكّد أنّ فضائلها ظلّت مجهولة تماما من القريبات منها لأ ا اهتمت بأن تخفيها. والفضائل التي اتصفت ا تلك الشابة في سن مبكرة حتى قبل عزلتها تجعل سير ا مثيرةً للإعجاب، وواضح أنّ كاتب سير ا كان منجذبا إلى شخصيتها كما إلى جوهرةٍ لا تقدر بثمن، فهي في نظره نموذج للأم الكاملة التي اشتهرت حيا ا بالإيمان، كما أنه رأى أنّ سير ا تعتبر بعد مرور أكثر من قرن على بداية الحياة الرهبانية، سيرة نموذجية.

ونحن نجد روح آباء وشيوخ الأسقيط ونتريا في حياة وأقوال القديسة سنكليتيكي التي اتسمت بالبساطة ودخلت ضمن مجموعة أقوال الآباء الأبجدية الشهيرة: *The Apophthegmata Patrum*، والتي تأتي كرد على السؤال الرئيسي: "ماذا أفعل لكي أخلص"؟ وقد لاحظنا أنه كما أحجم القديس أنطونيوس أولاً عن أن يعتبر نفسه مسئولاً عن

(❖) مترجمة عن مرجعين: **الأول:** *Vie de St. Syncletique,* Spiritualité Orientale, no. 9؛ **والثاني:** *The Life of Blessed Syncletica,* Peregrina Publishing Co. no. 21.

(٤٥) جاء في ـاية السيرة بالفرنسية ما نصه: "هنا انتهت الروايات الخاصة بالقديسة سنكليتيكي التي أُخِذت عن المغبوط أرسانيوس الذي من "بيجاد" حسب النظام الذي وجِدت عليه". أما شخصية أرسانيوس هذا فهي غير معروفة.

رهبان كأبٍ ومرشدٍ لهم، ثم عاد فأشفق عليهم ودفعه الروح أن يتولّى إرشادهم، حتى إنّ الرب قال مخاطبا نفس القديس: "إنك والدة حسنة ومربية صالحة، وقد تركتك (في الجسد) لتربي أولادك حسنا"؛ هكذا أيضا فإنّ القديسة سنكليتيكي عندما زار ا بعض الفتيات وبدأن يسألنها، تنهدت وبكت وأخبر ن بأ ا غير مؤهلة لتعليمهن، ولكنها بعد ذلك أشفقت عليهن ودفعها الروح إلى الكلام، فبدأت بكلماتٍ بسيطةٍ ومعروفةٍ من الإنجيل، ثم قادها الروح إلى معانٍ قويةٍ وعميقةٍ تدلّ على خبرات روحية نافعة للجميع حتى لغير الرهبان والراهبات.

سير ا وفضائلها قبل أن تتوحد:

كثيرا ما تقع الّلآلئ الكثيرة الثمن في نصيب الفقراء الذين بسبب عدم خبر م يحتقرون قيمتها كأ ا أشياء تافهة، هكذا نحن بسبب جهلنا وعدم خبرتنا أمام هذه الجوهرة الثمينة قد لا نقدر قيمتها لأننا لا نلتفت إلاّ إلى منظرها الخارجي ... ولكننا عندما نتعلّم قليلاً قليلاً من اللائي اقتربن من جمالها الروحي، فإنّ الحب الإلهي يتولّد فينا أيضا، لأنّ سير ا تلهب قلوبنا.

"سنكليتيكي" اسم يوناني من كلمة συγκλητος ومعناها "مدعو"، وكان مسقط رأس أسر ا من مقدونية ببلاد اليونان؛ وعندما سمع أجدادها عن تقوى الإسكندرانيين ومحبتهم للمسيح، نزحوا من مقدونية واستقروا في الإسكندرية. وهناك وجدوا أنّ الواقع كان أفضل جدا مما سمعوه، ولذلك سروا بإقامتهم فيها، لا بسبب كثرة سكان هذه المدينة وعظمة مبانيها، وإنما بسبب إيمان الناس البسيط المقترن بالمحبة الشديدة. ولذلك فقد اعتبروا مصر وطنا ثانيا لهم. وهكذا وٍلدت القديسة في الإسكندرية.

كانت أسرة القديسة من النبلاء، بينما كانت القديسة في نظر أهل العالم جميلة. وكانت لها أخت عمياء قد شاطر ا مشاعرها، وأخوان تربيا في حياة التقوى، توفي أحدهما وهو صغير السن، بينما توفي الآخر وهو يبلغ من العمر ٢٥ عاما قبل أن يتم زواجه الذي أجبره عليه والداه.

بدأت روح القديسة تتشبع بحب الله، بينما بدت أقل اهتماما بجسدها. وقد طلب العديد من الشبان يدها، إذ اجتذِب بعضهم بميراثها، والآخرون بشرف نسبها، ولكن جمالها الجسدي هو الذي أغراهم بصفةٍ خاصة. وبالطبع كان والداها يلحان عليها بالزواج لحفظ نسلهما، ولكنها بحكمتها وسموها لم ترضخ لإلحاحهما، إذ فكّرت في الاقتران الروحي بعريسها الإلهي. ولما احتقرت الطموحات الأرضية وتجاهلت جميع طالبي

يدها كان ذلك العريس الإلهي وحده هو الذي يرعاها.

تشبهت القديسة سنكليتيكي بالشهيدة تكلة التي كانت قد تتلمذت للرسول بولس، حيث صار لهما عريس واحد هو المسيح، وكان الرسول بولس هو المرشد المشترك لهما (بتعاليمه المدونة في رسائله)، لأنه سلّم كلا منهما إلى هذا العريس، فصار خدر عرسهما واحدا وهو الكنيسة: «لأنّ كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل٣: ٢٧).

لم تسمح لعينيها أن تبتهجا ببريق الملابس ولا بلمعان الأحجار الكريمة، كما أنّ الموسيقى الدنيوية لم تستهوِ أذنيها ولا أفلح صوت المزمار في تحطيم عزيمتها. ولم تستطع دموع والديها ولا نصائح أقربائها أن تلينها، ولكنها ظلّت كالماس ولم تغير رأيها. لقد أغلقت أبواب حواسها وحفظت نفسها لعريسها كقول الكتاب: «حبيبي لي وأنا له» (نش٢: ١٦). أما الأحاديث التي كانت تزعجها وتكدرها فكانت تهرب منها وتختلي في مخادع نفسها، ولكنها عندما كانت تجد رأيا فيه استنارة ومنفعة، فبفطنتها كانت تتقبل كل ما يقال.

لم تجهل القديسة أنّ علاجها الناجع هو في إجهاد جسدها، فلم يوجد من يجاريها في حبها للصوم الذي كانت تعتبره كحارسٍ وأساسٍ لبقية الفضائل، فبينما كانت هذه المرأة المباركة تحاول أن تضبط جسدها حقّقت صحةً جيدةً لروحها التي كانت تزدهر، فاختبرت قول الرسول: «إن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوما فيوما» (٢كو٤: ١٦)، وبذلك فقد استمرت في جهادها دون أن تلفت انتباه أحدٍ وأنقذت نفسها من أمور كثيرة ... !

انعزالها وسرعة نموها الروحي:

توفي والداها، وإذ كانت ملهمة بالمشيئة الإلهية فقد اصطحبت أختها العمياء تاركةً المنزل الذي تربت فيه لتسكن في قبر أحد أعضاء أسرتها بعيدا عن المدينة، وقد تخلّت عن كل ميراثها ووزعته على الفقراء. وبعد أن أخذت مشورة أحد الكهنة، قصت شعرها إشارةً إلى الزهد في كل الدنيويات، لأن النساء عادةً يعتبرن أن شعرهن هو مجدهن. ولأنها ثبتت في البساطة والطهارة فقد استحقت منذ ذلك الوقت لقب "بتول".

وبعد أن وزعت كل ممتلكاتها على الفقراء قالت: "لقد حسِبت مستحقةً للقبٍ عظيمٍ، فبماذا أكافئ ذاك الذي حباني بهذه النعمة؟! فإذا كان أهل العالم يتخلّون عن كل ما يمتلكون لأجل أمورٍ عابرة، فكم بالأكثر يكون من الضروري لي - أنا التي مِنحت نعمةً هذا مقدارها - أن أقدم جسدي مع كل ما يعتبر ممتلكات قربانا؟! ولكن لماذا

أتكلم عن تقديم الممتلكات أو الجسد قربانا في حين أنّ كل هذا ملكه هو لأنّ «للرب الأرض وملؤها» (مز٢٤: ١)"؟! ومجرد أن "تسربلت بالتواضع" (أنظر١بط٥: ٥) ـذا الكلام، دخلت إلى الحياة التوحدية.

وكانت القديسة قد تمرنت في حيا ا مع والديها على تحمل الأتعاب وسط أناس كثيرين، لذلك فقد كان من الطبيعي أن تتقدم في الفضيلة عندما دخلت تلك المرحلة الحاسمة من حيا ا. ولكن الذين يسلكون هذا الطريق بدون استعدادٍ سابقٍ أو حسابٍ للنفقة فإ م يخطئون الهدف ولا يستطيعون مواصلة الطريق. أما القديسة فلكي تبني برجها العظيم، فقد زودت نفسها بالتقشفات وضروريات رحلتها إلى القمم الروحية. فمع أن تشييد المباني يتم بتجهيز المواد الأولية الظاهرة؛ إلاّ أ ا فعلت العكس، فهي لم تعِد المواد الخارجية بل بالحري أخلت ذا ا مما في داخلها. فبإعطائها الممتلكات للمحتاجين وتنحيها عن الغضب والحقد وطرد الحسد والطموح؛ بنت بيتها على الصخر حتى صار برجه مرئيا من على بعدٍ وصار محصنا ضد العواصف ... وهكذا تفوقت على غيرها في حرارة غير ا بالروح القدس.

ومعرفتنا لسير ا الداخلية شحيحة جدا، لأ ا لم تسمح لأي من اللائي كُن يقتربن منها أن ترى أو تخبر أحدا بفضائلها، وكانت نعمة الله هي التي تدفعها إلى ذلك، لأ ا كانت تحفظ قول الرب: «لا تعرف شمالك ما تفعل يمينك» (مت٦: ٣)، وهكذا كانت تسلك في الخفاء نحو غاية رسالة حيا ا المكرسة لله. ومنذ شبا ا المبكر، قبل توحدها، كانت تتجنب الاجتماع مع الناس لسببين: **الأول:** خوفًا من أنّ سمو حيا ا النسكية يسبب لها المديح، **والثاني:** خشية أن تحيد عن الفضيلة بسبب العلاقات البشرية.

صراعا ا الروحية:

كانت القديسة متيقظة جدا لحركات قلبها، فلم تسمح لنفسها أن تنقاد إلى شهوات الجسد، فكانت مثل شجرةٍ تقلم من أغصا ا غير المثمرة ونموها الزائد عن الحد. وكانت بالصوم والصلاة تقلم الفروع الشائكة التي للأفكار الرديئة بإساءة معاملة جسدها بكل أنواع التقشفات، فكانت تحدد لنفسها الخبز والماء الضروريين لقـوت الجسد. ومع ذلك فلم تضع ثقتها في نسكها لتهدئة شراسة الأسد (الرابض في الجسد العتيق)، بل كانت في كل مرةٍ يحار ا تطلب في الحال معونة الرب بالصلاة، فيهرب العدو بقوة الرب الذي كان ملازما لها. والرب لم يمنع عنها القتال لأنه قصد ـذه الوسيلة أن يزيد من

تدريب روحها الفاضلة. ولما رأى صمودها أعطاها موهبة الانتصار على روح الشر.

ومن بين أسلحتها في القتال أ ا كانت تتجنب ما تحبه من الطعام، كما حاولت أن تختن نفسها عن المسرات وتنام على الأرض لفتراتٍ قصيرة، وكان رداء محاربتها هو الصلاة، وخوذ ا هي الإيمان والرجاء والمحبة. وكانت بإيما ا تتشجع في كل صراعا ا. كما كانت تمارس الصدقة، إن لم يكن بالماديات فبالنية. ولما كان العدو يحاول أن يهزمها بسبب هذه الممارسات، كانت تخفف من صرامة نسكها حتى لا يضعف جسدها لدرجة استهلاك عافيتها التي تحتاج إليها وقت المعركة. لقد كانت تتصرف بحكمةٍ وإفرازٍ، فمع أ ا كانت تصد العدو بشدةٍ بالصلاة والنسك، ولكن عندما يعود إليها الهدوء كانت تعتني بجسدها. فالبحارة يمكثون بدون طعام في الجو العاصف والبحر الهائج حيث يواجهون الخطر بكل مهار م، وعندما يستريحون قليلاً وقت هدوء العاصفة والأمواج لا يقضون وقتهم في الغفلة أو يغرقون في نومٍ عميق، بل إ م يستعيدون عافيتهم لأنّ خبرا م السابقة تجعلهم يفكرون في المستقبل لمواجهة الأخطار القادمة. فإنْ تلاشى روح الشهوة من أمام القديسة ولكنه لم يذهب بعيدا. لذلك كان من الضروري أن تصلي بلا انقطاع بسبب عدم استقرار البحر وخبث العدو المُر. لقد كانت حساسة جدا لتغير الأحوال وتشعر مسبقًا بمجيء العواصف، وبثقتها في الرب كانت تقود سفينة حيا ا الصغيرة بتيقظٍ. لقد جاءت ا، في الحقيقة، إلى الميناء بسلامٍ دون أن تحطمها العواصف!

عاشت القديسة حياة إنجيلية رسولية، واعتمدت على الإيمان والمسكنة، وشع نورها بمحبتها واتضاعها. وقد حقّق سلوكها كلمة الرب: «تطأ الأفعى وملك الحيات ... وكل قوة العدو» (مز١٣:٩٠ سبعينية؛ لو١٠: ١٩). لقد سمعت هذه الرسالة التي تناسبها: «نِعِما أيها العبد الصالح والأمين، كنت أمينا في القليل فأقيمك على الكثير» (مت٢٥: ٢١). ورغم أنّ هذه الرسالة تشير إلى مواهب؛ فهي هنا ينبغي أن تفسر هكذا: "لأنكِ كنتِ منتصرة في حرب الجسد، فستفوزين أيضا بغنيمةٍ في حرب الروح تحت حماية درعي. فليعرف أولئك الرؤساء والسلاطين الذين ذكرهم خادمي بولس (أف٦: ١٢) عظمة إيمانكِ، فطالما أنكِ تغلّبتِ على القوات المضادة، فستواجهين الأقوى منها".

هكذا عندما اعتزلت استمرت في تكميل أعمالها الصالحة. وبمرور الوقت ازدهرت فضائلها، ففاحت منها رائحة المسيح الزكية لأنه «ليس مكتوم لن يستعلَن ولا خفِي لن يعرف» (مت١٠: ٢٦). فقد بدأت بعض الشابات اللّائي رغبن في التقدم الروحي

يذهبن إليها لرؤيتها وتلقي إرشادا ا، ولما بدأن يسألنها السؤال التقليدي: "ماذا نفعل لكي نخلص"؟ تنهدت القديسة بعمقٍ وبكت بسبب شعورها بعدم استحقاقها وأهليتها لأن تعلم غيرها. وقد ذُهِلن في الواقع من مجرد منظرها. ثم بدأن يحفز ا بآياتٍ مثل: «مجانا أخذتم مجانا أعطوا» (مت١٠: ٨)، وأيضا: "انتبهوا ألاّ تخفوا وزنتكم لئلاّ تعاقَبوا مثل العبد البطّال" (مت٢٥: ٣٠)، فأجابتهن القديسة: "لا تطرحن مثل هذه الأفكار علي، إنني ممتلئة بالخطايا، هل أنا مؤهلة للتعليم؟ إنّ لنا معلما واحدا وهو الرب، ونحن جميعا نستقي من نفس ينبوع الماء الذي يعطي الحياة: العهدين القديم والجديد اللذين يغذّياننا مثل اللبن من الأم".

فأجابت الشابات: نعم، "نحن نؤمن بذلك، ولكنكِ أنتِ قد تقدمتِ في الحياة الفاضلة لأنكِ متيقظة دائما بغيرةٍ إلى طريقة حياتك، والذين لهم سلوك صالحٌ يعينون الذين ليس لهم سوى بداية الطريق ...". فلما سمعت ذلك بكت مرةً أخرى، فطلبن منها ألاّ تبكي، ثم صمت الجميع وقتا طويلاً. وبعدئذٍ امتلأ قلب الأم سنكليتيكي بالحنان، وأدركت أ ا لن تتكلّم لكي تمدح، بل لكي يكون كلامها مثل البذار التي تزرع في الأرض لمنفعة الفتيات ... وهكذا بدأت تعاليمها قائلةً:

حب الله والقريب:

١ - يا بناتي، نحن جميعا نعلم تماما ما يجب أن نفعله لكي نخلص، ولكن اوننا يجعلنا ننحرف عن طريق الخلاص. فعلينا أولاً أن نطيع ربنا الذي قال لنا: «تحب الرب إلهـك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ... وتحب قريبك كنفسك» (مت٢٢: ٣٧-٣٩). في هاتين الوصيتين قد حفِظَ أول مبدأ في الشريعة، وعلى هـذه الشـريعة يتوقف فيض النعمة. التعبير عن هذا المبدأ مختصر حقًا، ولكن أهميته عظيمة ولا حـدود لها، لأنّ كل ما هو نافع لمعونة النفس يعتمد على هاتين الوصيتين. والرسول بولس يشهد لذلك عندما يقول: «أما غاية الوصية فهي المحبة» (١تي١: ٥). وهكـذا فـإنّ جميـع الأقوال النافعة التي قيلت لنا بنعمة الروح القدس تنشأ من المحبة وتكمل في المحبة، لـذلك فإنّ الخلاص هو بالتحديد في حب الله والقريب. ونضيف هذا الفكر الذي ينطلق هـو أيضا من المحبة: أنّ كلا منا يعرف ما يجب أن يفعله لكي يتجه إلى ما هو أكثر كمالاً.

العـفـ ـ ـة:

٢ - ولكن النسوة تحيرن من كلامها، واستفسرن منها، فقالت: ألا تعلمـن المثـل الإنجيلي الخاص بالبذار التي تعطي ثمرا، بعضها مائة وأخرى سـتين وأخـرى ثلاثـين

(مت١٣: ٨)؟ فالعدد مائة يمثل تكريس حياتنا كلها لله، والعدد ستون يمثل الذين يحفظون العفة، والعدد ثلاثون يمثل الذين يعيشون في الزيجة بعفة. وجيد أن نعبر من فئة الثلاثين ضِعفًا إلى الستين ضِعفًا، ومن فئة الستين إلى المائة، لأنه من الأفضل أن نتقدم من القامة القصيرة إلى الأعلى منها، ولكن من الخطر أن نهبط من الأعظم إلى الأدنى. ففي الحقيقة إنّ الذي يرضخ للشر مرةً واحدةً لا يستطيع بعد ذلك أن يقاومه حتى في الأمور الصغيرة، ولكنه يصير منقادا إلى الهلاك.

وبالتأكيد فإنّ بعض النساء، رغم إعلانهن البتولية، فقد ضللن بسبب محاجاة العقل الضعيف واختراعه للأعذار عن خطاياهن (أنظر مز١٤١: ٤). لأنهن يقلن في أنفسهن (أو بالحري يقول الشيطان لهن): إذا عشنا بعفّةٍ (في الزواج)، فسنحسب مستحقاتٍ على الأقل لثلاثين ضعفًا. ويقُلن أيضا: لقد أيد الجميع في العهد القديم إنجاب النسل. فينبغي أن نتحقّق أنّ هذا هو رأي العدو، لأنّ الذي يهبط من الأعظم إلى الأدنى إنما يكون قد طرحه العدو. لأنّ الذي يفعل ذلك يحاكَم مثل الجندي الهارب. إنه لا يلتمس له عذر لأنه هرب لأجل جهادٍ أقل مشقةٍ، ولكنه يعاقَب لأنه هرب. وكما قلت سابقًا، فمن الضروري التقدم من الأدنى إلى الأعظم، وهذا أيضا ما يعلم به الرسول: «أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام» (في٣: ١٣). والذين يربحون عائدا مقداره مائة ضعف يجب أن يحتفظوا بتكرار ذلك لأنفسهم ولا يضعون حدودا لكمية العائد، لأن الكتاب يقول: «متى فعلتم كل ما أُمِرتم به فقولوا: إننا عبيد بطّالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا» (لو١٧: ١٠).

٣ - وعلى ذلك، فنحن الذين أخذنا على عاتقنا هذه الدعوة يجب أن نمارس العفّة إلى أقصى حد. وعمليا، فإنه حتى بين النساء الدنيويات تعتبر العفّة كتهذيبٍ لائقٍ، ولكن الفجور أيضا ينمو بينهن لأنهن يخطئن بجميع حواسهن الأخرى. فمثلاً يسمحن لعيونهن أن تجول عشوائيا ويضحكن بطريقةٍ غير لائقة. أما نحن فلننبذ بثباتٍ هذه التصرفات ونتحرك دائما إلى الأمام وإلى فوق في فضائلنا، ولنسقِط من نظرنا أي وهمٍ أو نزوةٍ فارغةٍ، لأن الكتاب يقول: «لتنظر عيناك إلى قدامك، وأجفانك إلى أمامك مستقيما» (أم٤: ٢٥). إنه يأمرنا أن نلجم ألسنتنا أيضا من مثل هذه الخطايا، حيث إنه لا يليق بوسيلة التسبيح (أي الفم) أن تنطق بكلماتٍ مخزيةٍ، وأن نتجنب ليس النطق بها فحسب بل سماعها أيضا.

٤ - فمن المستحيل، إذن، أن نراعي هذه القواعد إن كنا نكثِر من الذهاب إلى المنتزهات العامة، لأنّ "اللصوص" يدخلون بواسطة حواسنا حتى بدون إرادتنا. كيف

حقا يمكن لبيتٍ ألاّ يغطيه السواد عندما يهب دخانٌ من الخارج والنوافذ مفتوحة؟ إذن، فيتحتم أن نتجنب الت ه في الأماكن العامة. فإن كنا نعتبر أنه من المزعج وغير المحتمل أن نرى إخوتنا ووالدينا عرايا، فكم يكون أكثر ضررا لنا أن نرى أناسا في الشوارع بملابس شائنة، بل ما هو أسوأ من ذلك، فهم يتكلمون كلاما خليعا؟ لأنه من هذه التجـارب تنشأ (في مخيلتنا) المناظر المخجلة المؤذية[٤٦].

٥ - فضلاً عن أننا عندما نحبس أنفسنا في بيوتنا، فينبغي ألاّ نكون، حـتى هنـاك، متغافلين، بل يجب أن نحتفظ بتيقظنا، لأنه مكتوب: «اسهروا» (مت٢٤: ٤٢). بقـدر ما نصون أنفسنا في العفة بقدر ما تتردد علينا أفكار مزعجة كما يقول الكتاب: «الذي يزيد من معرفته يزيد حزنه» (قارن جا١: ١٨). لأنه بقدر ما يتقدم الأبطال في الصراع بقدر ما يباريهم مقاومون أقوى. تفكّري في مقدار تقدمكِ وأنتِ لا تستخفين بحالتـك الحاضرة. هل أنتن منتصرات على النجاسة الجنسية للجسد؟ حينئذٍ سيبتليكن العدو ـا بواسطة الحواس. وعندما تحمين ذواتكن من هذه أيضا، فهو يسـتمر في أن يكمـن في أركان الفكر المظلمة، إذ يشن عليكن قتالاً روحيا. وحـتى النسـاء اللائـي يعشـن متوحدات، فهو يستحضر في أذها ن وجوها أنيقة وعلاقات قديمة.

فمن الأمور الأساسية، إذن، ألاّ تستسلمن لهذه الـ وات، لأنه مكتوب: «إن صعدت عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك» (جا١٠: ٤). وأكثر من ذلك، فإنّ رضـاءكن ذه الـ وات هو مساو للنجاسة الجنسية (أو الزنى) في العالم، والكتاب يقـول: «أمـا الأقوياء فتوضع عليهم امتحانات (أو تجارب) قوية» (حـك٦: ٨ حسـب الـنص). فالصراع ضد روح الزنى إنما هو أهم الصراعات حيث إنه أعظم شرور العدو الموجه إلى هلاك النفس، وهذا هو الذي أوحى به الطوباوي أيوب عندما أشار إلى العدو قـائلاً: «قوته في متنيه وشدته في عضل بطنه» (أي٤٠: ١٦).

٦ - فالشيطان يلجأ إلى منخاس النجاسة بحيلٍ عديدة ومتنوعة للذين يحبون المسيح. وبغير شك، فإن هذا الحقود كثيرا ما يحول حتى المحبة الأخوية إلى سمة الشر الخاصة بـه، فقد أوقع بالفعل بتوليين هربوا من الزواج ومن كل المظاهر الدنيوية الكاذبـة، وذلـك بواسطة ارتباطهم بأخوا م؛ وأيضا الرهبان جرحهم، حتى الذين هربوا من كل نوعٍ من النجاسة، فقد خدعهم هم أيضا بواسطة علاقا م الروحية بعضهم ببعض. لأنّ هذه هي

(٤٦) وماذا نقول عن جيلنا الحاضر الذي استباح لنفسه مناظر وأحاديث الأفلام الخليعة؟!

مهمة العدو أن يعزز خططه غير الملحوظة متنكرا بنوعٍ ما. يستخدم كسرة خبز ويضـع تحتها فخا. وأظن أنّ الرب أيضا يتكلم عن ذلك في قوله: «يأتونكم بثياب الحمـلان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة» (مت٧: ١٥).

٧ - فماذا نفعل، إذًا، في مواجهة هذا الخطر؟ هلموا نصير «حكمـاء كالحيـات وبسطاء كالحمام» (مت١٠: ١٦)، إذ نواجه فخاخه بكل وسائل حيلنا الفكريـة، لأن النصيحة: «كونوا حكماء كالحيات» قد أُعطيت لنا حتى لا تفلـت منـا ملاحظـة هجمات الشيطان علينا. أما «بسطاء كالحمام» فتشير إلى نقاوة الفعل. فكـل عمـلٍ صالحٍ، إذن، يكون هو الابتعاد عن شيءٍ أسوأ. ولكن كيف نهرب مما لا نعرفه؟ علينا أن نتحقّق من مهارة العدو ونتيقّظ ضد مكائده الشريرة، لأنّ الكتاب يتكلم عـن الـذي «يجول ملتمسا من يبتلعه» (١بط٥: ٨)، ويقول أيضا: «طعامـه هـو المختـار (أو المنتقى)» (حب١: ١٦سبعينية). ففي جميع الأوقات توجد حاجة إلى السهر، لأنه يشن حربا بواسطة الأفعال الخارجية ويحوز على انتصاراته بواسطة الأفكار الداخليـة. وهـو يحقق رغباته أكثر بواسطة الأفكار الداخلية، لأنه - إذ هو غير مرئي - يواصل هجومـه علينا ليلاً ونهارا.

٨ - فماذا نحتاج للقتال الحالي؟ واضح أننا نحتاج إلى نسكٍ صارم وصلاة نقية. فهذه تزودنا بحمايةٍ شاملةٍ ضد كل فكر مهلكٍ، ولكن من الضـروري أن نسـتعمل بعـض الاختراعات أو الحيل العقلية الخاصة لندفع عن أنفسنا فساد النفس الذي يهـددنا الآن، ولكي نواجه الأفكار الدنيئة بأضدادها عند هجومها. فمثلاً، إذا ظهرت في زوايا الفكر المظلمة رؤية منظر جميل، يجب أن يقاوم في الحال بملكة الإنسان المنطقية، وعليه أن يقتلع عيون تلك الصورة وينتزع الجسد من الوقاحات ويشق الشفتين أيضا، ثم ينظر إلى هيكل العظام العارية القبيح! وحينئذٍ يجب أن ينظر باحتقار إلى ما كان هو موضع الشهوة. لأنه بذلك يمكن للفكر أن ينسحب من الخدعة الحمقاء.

وموضوع المحبة لم يكن سوى دم ممزوج ببلغم، وهو مزيج تتطلّب المخلوقات الحية أن تغطيه. وبهذه الطريقة أيضا يمكن بواسطة مثل تلك العمليات العقلية انتزاع الشر الأحمق. وكما أنه من الملائم إخراج مسمار بآلةٍ، هكذا أيضا من الملائم إخراج شيطان. وأكثـر من ذلك، فإنّ الإنسان يجب أن يتصور أنّ موضوع الشهوة بكليته له رائحة عفنة وقروح متقيحة، وأنه يرى ذلك بعينه الداخلية، أي، باختصار، كأنه شيء يشبه الجثة، أو حـتى

يرى نفسه مثل جثة. والأهم من ذلك هو ضبط شهوة البطن، لأنه بذلك يمكن السيطرة على الملذات التي هي أسفل البطن.

٩ - كانت هناك، إذ ذاك، ندوة تقوية تجري بين النسوة الحاضرات، لأ ـن كُـن يحتفلن بكؤوسٍ من الحكمة حيث تسكب الطوباوية سنكليتيكي الجرعة الإلهية، وكـل واحدةٍ منهن كانت تأخذ ما تريد. ثم سألت إحدى ا تمِعات قائلةً: "هل يعتبر الفقـر الاختياري صلاح كامل"؟

فأجابت القديسة: إنه بالتأكيد صلاح للنسوة القادرات أن يتحملنـه. لأنّ اللائـي يثابرن على هذه الحالة يكون لهن ضيق في الجسد ولكن سلام في الروح. لأنه كمـا أنّ الملابس السميكة تغسل وتبيض بأن تسحق وتعصر بقوةٍ؛ هكذا أيضا الـنفس القويـة تتشدد إلى أعظم درجةٍ بالفقر الاختياري. ولكن النسوة ذوات الـ عة الضعيفة تكون لهن خبرة مضادة لتلك التي للنسوة القويات. إ ن حقًا عندما يصقَلن قليلاً يـتحطّمن مثـل الملابس الممزقة، إذ أنّ غسلها يجعلها لا تدوم على قو ا. ورغم أنّ القصار يكون هـو نفسه، فالنتيجة تختلف في الملابس، فبعضها يتمزق ويفسد بينما يبيض الآخر ويتجـدد. ويمكن أن يقال، حينئذٍ، إنّ الفقر الاختياري صالحٌ لأن يدخر للذهن الشجاع، لأنه حقًا لجام ضد ارتكاب الخطايا.

١٠ - ولكن من الضروري أولاً أن يتمرس الإنسان في التقشفات، أعـني الصـوم والنوم على الأرض والتقشفات الأخرى، وهكذا يكتسب تلك الفضـيلة (أي الفقـر الاختياري). إنّ الذين لم يواصلوا سيرهم ـذه الطريقة، ولكنهم اندفعوا فجأةً إلى تـرك ممتلكا م، يتغلّب عليهم الندم.

١١ - الممتلكات هي أدوات الحياة المخصصة للشهوات، فانزع أولاً "تجارتك" (أي الميول الخاطئة مثل الشره والمعيشة الناعمة)، وحينئذٍ يمكنك أن تستغني عن أدوا ا المادية التي تتمثل في ممتلكاتك، لأنه من الصعب - حسب رأيي - أن تتخذ "التجارة" مجراهـا في غياب "الأدوات". لأنّ المرأة إن لم تتخلّ عن تلك "التجارة" فكيف ـجر أدوا ا؟ لهذا السبب، فإنه حتى المخلص في حديثه مع الغني لم ينصحه بطريقةٍ فجائيةٍ بأن يطرح جانبا كل ممتلكاته، بل إنه سأله أولاً إن كان قد حفظ وصايا الناموس. فإذ قام بدور المعلـم الحقيقي، سأله أولاً إن كان قد تعلّم كيف يقرأ، ثم تقدم إلى القراءة الفعلية وهي: «بِـع أملاكك ... وتعالَ اتبعني» (مت١٩: ٢١). وأنا أتصور أنّ الرب ما كان قد وجهه إلى

الفقر الاختياري لو لم يكن قد أكّد أنه تمّم الوصايا، لأنه كيف كان يمكن له أن يتقدم في "القراءة" (الروحية) بدون معرفة قيمة "مقاطعها"؟!

١٢ - وهكذا فإنّ الفقر الاختياري صالحٌ للذين لهم عادات صالحة، لأ م بمجرد أن يطرحوا عنهم جميع الممتلكات غير الضرورية يأتون للرب بعلامةٍ على تعهـدهم وهـم يرتلون بطهارةٍ تلك الآية الملهمة: «أعين الكل إياك تترجى، وأنت تعطيهم طعـامهم في حينه» (مز١٤٥: ١٥).

١٣ - وبطرقٍ أخرى أيضا ينتفع الذين يعيشون حياة الفقر، لأ م بعدم تركيز قلو م على المذّخر هنا على الأرض يلتحفون بملكوت السماء ويتممون بوضوح تصريح المرتل داود النبي القائل: «صرت كبهيمٍ عندك» (مز٧٣: ٢٢). لأنه كما أنّ الحيوانات الأليفة في أدائها لمهامها الخاصة تكتفي بالغذاء الذي يبقي على حيا ا فحسب؛ هكـذا أيضـا الذين يعيشون الفقر يعتبرون أن استعمال الفضة أمر تافه، ويؤدون أعمالهم اليدوية لأجل غذائهم اليومي وحده. هؤلاء يمتلكون أساس الإيمان، ولأجلهم تكلّم الرب عـن عـدم اهتمامهم بالغد قائلاً: «أنظروا إلى طيور السماء إ ا لا تزرع ولا تحصد ... وأبـوكم السماوي يقو ا» (مت٦: ٢٦). و ذا الكلام يتشجعون (لأن الله هو الذي قاله)، وبثقةٍ يهتفون بكلام الكتاب: «آمنت لذلك تكلّمت» (مز١١٦: ١٠).

١٤ - وفضلاً عن ذلك، فإنّ العدو يكون مقهورا تماما أمام الذين يعيشـون بـلا ممتلكات، لأنه يفقد وسائل الأذى حيث إنّ معظم أحزاننا وتجاربنا تنشأ عن ممتلكاتنـا. فأي سبيلٍ له للحرب ضد الذين هم بلا ممتلكات؟ لا شيء. أيمكنه أن يحرق مقاطعا م؟ أم يهلك مواشيهم؟ إ م لا يملكون أي شيءٍ منها. أم يتملّك على أعزائهم؟ ولهؤلاء أيضا قالوا منذ زمانٍ: "وداعا"! وهكذا فإنّ الفقر الاختياري هو بمثابة رادعٍ قوي ضد العـدو ككـ ٍ ثمينٍ للنفس.

١٥ - وكما أنّ هذا الفقر يستحق الإعجاب وله أهميته لأجل الفضيلة؛ هكذا فـإن محبة المال بشرها تستحق الازدراء والملامة. وحقا قال ق. بولس الملهم عن هذا الشـر: «محبة المال أصلٌ لكل الشرور» (١تي٦: ١٠). اشتهاء الثروة والحِنث (أي عدم الوفـاء بالوعد) والسرقة والنجاسة والحسد والحقد على الإخوة والصـراع وعبـادة الأصـنام والطمع ... سبب كل هذه الشرور هو محبة المال، لذلك فمن الصـواب أن يعتبرهـا الرسول أُم كل الشرور. وهذه الشرور لا تسبب عقاب الله فحسب؛ بل إ ـا أيضـا

بطبيعتها تسبب الهلاك. فهي تجلب الشر بلا حدود، كما أ ا ليس لغايتها حد، ولذلك فإنّ جرحها عديم الشفاء. إنّ من لا يملك شيئًا يريد القليل، وبحصوله على هذا القليـل يرغب في الأكثر. فواحد يملك مائة عملة ذهبية ويتطلّع إلى ألفٍ، ثم يستمر تطلعه بـلا حدود. وهكذا عندما يعجز عن أن يضع حدا لطمعه يظل يندب فقره! كما أنّ محبة المال تجلب معها الحسد الذي يهلك صاحبه أولاً. لأنه كما أنّ الأفعى السامة عنـدما تولـد تهلك أمها أولاً قبل أن تؤذي آخرين[٤٧]؛ هكذا أيضا الحسد يضيع صاحبه قبل أن ينتشر ليعدي من هم حوله.

١٦ - إنه لفائدة عظيمة إذا أمكننا، في سعينا إلى الثروة الحقيقية، أن نتحمل ضيقات عديدة ضارة مثل تلك التي تواجه صيادي الدنيويات الفارغة. إ م يعانون من انكسـار سفينة حيا م ويرافقون القراصنة، وعلى الأرض يقعون بين اللصوص، فضلاً عن أ ـم يواجهون العواصف والرياح العنيفة، وعندما تزدهر حيا م كثيرا ما يقولون إ م معوزين خوفًا من الحاسدين! ومع ذلك فنحن لا نقوم بمثل هذه المخاطرات لأجل منفعةٍ حقيقية! ولكننا نحن النساء إذا ذُقنا بعض الربح القليل نكشفه للناس وننتفخ.

هذا بالإضافة إلى أننا كثيرا ما ينقصنا أن نجعل روايتنا مشتملةً على ما حدث بالفعل، وهكذا يسلبنا العدو في الحال حتى من ومضة الصلاح التي نظن أننا ملكناها. وهـؤلاء الناس أيضا، بينما هم يجنون منافعهم العديدة يدومون في سعيهم إلى الأكثر، وما يملكونه يعتبرونه كلا شيء ويظلّوا يسعون وراء ما لا يملكونه. ومع ذلك فنحن لا نريد أن نملك أي شيءٍ، وحتى لو كنا لا نملك شيئًا مما كنا نسعى إليه فنحن نسمي أنفسنا أغنياء حتى عندما نبتلى بفقرٍ مدقع. فمن الصالح للمرء الذي يكون موفقًا ألاّ يعلن ذلك لأحدٍ، لأنّ مثل هؤلاء سيعاقبون أكثر، وما يظنون أ م يمتلكونه سيؤخذ منهم (أنظر لو٨: ١٨).

١٧ - يجب، إذن، أن نبذل كل جهدٍ لنبقي ربحنا مخفيا. فالذين يريدون أن يكشفوا عما أفلحوا فيه ينبغي أن يحاولوا أيضا أن يذكروا الضعفات التي تلازمهم. أما إذا أخفوا ضعفا م حتى لا يوبخهم سامعوهم، فعليهم بالحري جدا أن يراقبوها كعوامل تبعدهم عن الله. ويقينا إن الذين يعيشون في الفضيلة يتصرفون بطريقةٍ عكسية، فهم يخفون فضائلهم ويعلنون للناس زلا م الصغيرة بجانب الأمور الأخرى التي لم يرتكبوها، وبـذلك فهـم يتجنبون مديح الناس لأجل منفعة نفوسهم. لأنه كما أن الكـ يستنفد بمجرد أن يكشف

(٤٧) لأجل هذه الفكرة الخاطئة التي كانت شائعة، انظر: Pliny, N. H. 10: 82

عنه؛ هكذا أيضا الفضيلة تتلاشى بمجرد أن تعرف وتعلَن. وكما يذوب الشـمع أمـام النار؛ هكذا أيضا النفس تنحلّ في وجه المديح وتفقد عافيتها.

١٨ - كما أنّ عكس ذلك صحيح، لأنه إذا أذابت الحرارة الشمع فـإنّ الـبرودة تكون سببا في صلابته. فإذا جعل المديح النفس تفقد عافيتها، إذًا فمن المؤكد أنّ التوبيخ والإهانة يقودان النفس بكل تأكيد إلى قمم الفضيلة. يقول الكتاب: «اِفرحوا و ﮪﻠﻠوا ... إذا قالوا عليكم كل كلمةٍ شريرةٍ من أجلي كاذبين» (مت٥: ١٢و١١)، وفي مكـانٍ آخر: «في الشدة فرجت عني» (مز٤: ١حسب السبعينية)، وأيضا: «انتظرت نفسـي انتهارا وإذلالاً» (مز٦٨: ٢٠ حسب النص). وتوجد أيضا آيات لا حصر لها مثل هذه في الكتاب المقدس نافعة للنفس.

١٩ - يوجد حزنٌ نافع وحزنٌ مهلك. فمهمة الحزن النافع هي أن ينوح الإنسان من أجل خطاياه وكذلك من أجل جهالة جيرانه، بل وأيضا لكي يتجنب الانحـراف عـن غرضه وأن يحقق الهدف من الصلاح. هذه الاهتمامات إنما هي علامات علـى حـزنٍ سوي وصالح. ويوجد أيضا نوع آخر من الحزن يأتي من العدو الذي يعرف كيف يخلطه بالنوع الأول، فهو يفرض حزنا غير منطقي إطلاقًا هذا الذي يسميه الـبعض "اكتئابـا ακηδια". فهذا الروح يجب أن يطرد ولا سيما بالصلاة والأبصلمودية (التسبيح).

٢٠ - وبينما نكون نحن منشغلين باهتماماتنا الفاضلة يجب ألاّ نظن أنه يوجـد أي واحدٍ حر في الحياة من الهم، لأنّ الكتاب يقول: «كل الرأس مـريض وكـل القلـب سقيم» (إش١: ٥)، ففي جملةٍ واحدةٍ وصف الروح القدس كلا من الحيـاة الرهبانيـة والعلمانية، لأنه يعني بألم الرأس طريقة الحياة الرهبانية، فالرأس هـي الـتي تـتحكّم في الإنسان، لأنه حيث إنّ «الحكيم عيناه في رأسه» (جا٢: ١٤)، فالإفراز يسكن فيهـا. وفضلاً عن ذلك فإنّ الكتاب يتكلم عن الألم، لأنّ كل غصن للفضيلة ينمو باسـتقامةٍ كنتيجةٍ للآلام. كما أنه يكشف بالحزن في القلب عما تتصف به الحياة الدنيويـة مـن تزعزعٍ واضطراب. لأنّ البعض يسمي القلب "كرسي الغضب والحزن". فعندما لا يكرم أهل العالم يحزنون، وعندما يتوقون إلى ما يملكه غيرهم يذبلون (من الشعور بالحرمـان)، وعندما يكونون فقراء يشعرون بالغم، وإن كانوا أغنياء يستغرقون في انشغال البـال ولا يستطيعون أن يناموا بسبب قلقهم على ممتلكاتهم.

٢١ - فليتنا نحن النساء لا نخطئ بظننا أنّ الذين في العالم هم بلا هموم، لأنهم ربمـا

بمقارنتهم بنا يصارعون أكثر منا. فالنساء ينجبن الأولاد بصعوبةٍ ومخاطرةٍ، ويعانين كثيرا في تربيتهم وتحمل أمراضهم، ويقاسين من كل هذه الأتعاب بلا حدود. فهن إما يجـدن أولادهن مشوهين، أو ينشأون متمردين، أو ربما يغدرون بوالديهم ويقتلو م. فطالما أننا نحن النساء نعرف هذه الحقائق، فليتنا لا ننخدع من العدو بأنّ حيا ن ميسرة وخالية من الهم. إنّ بعض النسوة يقضين نحبهن في مخاض الولادة، وإن لم يلدن تذوي حيا ن مـن تعيير الأخريات لهن بأ ن عاقرات غير مثمرات.

٢٢ - إنني أخبركن ذه الأمور لكي أحميكن من العدو. ولكن ما قلته لا يناسـب الجميع، بل فقط الذين يختارون الحياة الرهبانية. فكما أنّ طعاما واحدا معينا لا يناسـب جميع الحيوانات، هكذا أيضا لا يوافق جميع الناس تعليم واحد. وكما يقول الكتاب: «لا يجعلون خمرا جديدة في زقاقٍ عتيقة» (مت٩: ١٧). فالذين يجدون كفايتهم في التأمـل والاستنارة بالمعرفة الروحية يتغذّون بطريقةٍ، في حين أنّ الذين لهـم تـذوق للنسـك وممارسته العملية يتغذون بطريقةٍ أخرى، وهكذا أيضا الذين في العالم الـذين يمارسـون أعمالاً صالحةً بقدر استطاعتهم. لأنه كما أنه توجد مخلوقات أرضية (أي تعيش علـى الأرض) وأخرى مائية (أي تعيش في الماء) وأخرى مجنحة؛ هكذا أيضا البشر، فـبعض الناس يختارون الطريق الوسطى (كما تفعل الكائنات الأرضية)، وآخرون يختارون القمم (كما تفعل الطيور)، ويختبئ غيرهم (مثل الأسماك) في مياه خطاياهم. والكتاب يقـول: «دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرني» (مز٦٩: ٢)، وهكذا هي طبيعة المخلوقـات الحية. ولكن طالما أننا نحن النساء لنا أجنحة مثل النسور فلنحلق في الأعالي ولنطأ بأرجلنا الأسد والتنين (مز٩١: ١٣)، ولنسد الآن على الذي كان يسود علينا. ويمكننا أن نفعل ذلك إذا سلّمنا للمخلص كل قلوبنا.

٢٣ - ولكننا بينما نصعد نحو الأعالي، فإن العدو يجاهد أيضا لكـي يسـقطنا في فخاخه. ولماذا هو أمر جدير بالاعتبار أن يكون لنا نحن النساء أعداء عندما نجاهد لأجل الصلاح حينما يضمرون لنا العداوة حتى في الأمور القليلة الأهمية؟ إ ـم بالتأكيـد لا يسمحون للناس أن يأخذوا كنوزا مخبأة تحت الأرض، فإن كانوا إذ ذاك يقاومون حـتى أحلام اليقظة المتعلقة بالأرضيات؛ فكم يفعلون ذلك بالأكثر بخصوص ملكوت السماء؟!

٢٤ - فعلينا، إذًا، أن نسلح أنفسنا ضدهم بكل طريقةٍ، لأ م يهاجموننا حقًا مـن الخارج، كما أ م ليسوا أقل نشاطًا في الداخل. إنّ نفوسنا تُشبه سفينةً تكتنفها الأمواج

أحيانا من الخارج، وأحيانا أخرى تمتلئ بالماء في قاعها من الداخل. إننـا نحـن أيضـا بالتأكيد نهلك أحيانا بالخطية التي نرتكبها من الخارج، ولكننا أحيانـا أخـرى نهلـك بالأفكار من داخلنا. وهكذا يجب أن نتيقّظ ضد هجمات الأرواح من خارجنا ونطرح أفكار النجاسات من داخلنا. وعلينا أن نكون ساهرين على الدوام بخصوص أفكارنا لأنها تعتبر تهديدا مستمرا لنا. وغالبا يأتي الإنقاذ من أمواج العاصفة الخارجية مـن السـفن القريبة عندما يصرخ البحارة طالبين النجدة، أما المياه الراكدة في عمق السفينة فهي تغمر الركاب وكثيرا ما تقتلهم وهم نيام والبحر هادئ!

٢٥ - بناءً على ذلك، يجب على الذهن أن يصير مجتهدا بكل نشاط فيمـا يخـص أفكاره. لأنه عندما يريد العدو أن يهلك النفس وكأنه يهدم مبنى؛ فهو يدبر لها أن تنهار من أساسها، أو يبدأ من السطح ثم يسقِط المبنى كله، أو يدخل من النوافذ ويقيـد رب البيت أولاً ثم يربح السيطرة على كل شيء. فالأساس يقصد بـه الأعمـال الصـالحة، والسطح يعني الإيمان، والنوافذ هي الحواس. وبواسطة هذه كلها يشن العـدو حربـه. وهكذا إذا أراد الإنسان أن يخلص عليه أن يكون متيقظًا. إننا لا نملك هنا شيئًا لكي نثق به، لأنّ الكتاب يقول: «من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١كو١٠: ١٢).

٢٦ - إننا نبحر بعدم يقين، لأنّ حياتنا إنما هي بحر كما يقول المرتـل داود الـنبي (انظر مز٦٩: ٢). ولكن بعض أجزاء من البحر ممتلئةً من الصخور القريبة مـن سـطح الماء، وأجزاء أخرى مليئة بالوحوش، ولكن بعض الأجزاء أيضا هادئة. فنحن يبدو لنا أننا نبحر في الجزء الهادئ من البحر في حين أنّ العلمانيين يبحرون في الأجزاء الخطرة. كما أننا نبحر أثناء النهار، أي أننا نقود سفينتنا بواسطة شمس البر، في حين أنهم يبحـرون في الليل حيث تجرفهم جهالتهم. ولكن كثيرا ما يحدث أنّ العلماني ينقذ سفينته في وسـط العاصفة والظلام بواسطة صراخه ويقظته، في حين أننا نحن نغرق في المياه الهادئة بسـبب إهمالنا في توجيه دقّة البِر!

٢٧ - «إذًا، من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط»، لأنّ الذي سقط له فكر واحد فقط، هو أن يقوم مرةً ثانيةً، أما الذي هو قائم ثابت فعليه أن يكون متيقظًـا حـتى لا يسقط. والسقطات لها أنواع مختلفة. والذين سقطوا فقدوا بلا شك رسوخ أقدامهم. أما الذي احتفظ برسوخ قدميه فينبغي ألاّ يحكم على الذي سقط بأنه أدنى منه، بل عليه أن يخاف على نفسه لئلاّ يسقط ويهلك ويذهب إلى هوةٍ أعمق. لأنه حيـث إنّ صـراخه

لأجل النجدة يكون مكتوما بسبب عمق الهوة، فربما لا يستطيع أن يطلب معونـةً، لأنّ الإنسان البار يقول: «(لعل) العمق لا يبتلعني ولا تطبِق الهاوية علي فاها» (مز٦٩: ١٥).

إنّ المائت الذي يسقط يظل في موضعه السفلي، فتيقّظي لنفسكِ لئلاّ تسقطي أنـتِ أيضا وتصيري لقمةً سائغةً للوحوش. المرء الساقط يكون بابه غير آمنٍ، فـلا تسـمحي لنفسكِ أن تأخذكِ سنة من النوم بأي حال، بل رتلي دائما هذه الكلمات الملهمة: «أَنِر عيني لئلاّ أنام نوم الموت» (مز١٣: ٣)، وامكثي في حالة يقظةٍ بـلا انقطـاعٍ بسـبب «الأسد الزائر (أي الذي يزأر)» (١بط٥: ٨). [أُنظر أيضا PE, III: 2, 7]

٢٨ - هذا الكلام نافع ضد الشعور بالتشامخ. الذي يسقط يخلص بالتغيير والبكاء، وأنتِ (أيتها الأخت) يا من لا زلتِ على قدميكِ، التفتي لنفسكِ، لأنه يتهددكِ أمـران: إما رغبتكِ في الرجوع إلى طرقكِ القديمة لأنّ العدو هاجمكِ بواسطة توانيكِ، أو أن تزلي وأنتِ في الطريق. فعدونا الشيطان إما يجتذبنا لنفسه من الخلف عنـدما يجـد نفوسـنا متكاسلة بليدة، أو أنه بواسطة الكبرياء يهاجم خفيةً ومكرٍ النفس التي تعتبر نفسها غيورةً ومجتهدةً في نظام حيا ا، وبذلك فهو يحطم النفس تماما. فهذا السلاح إنما هو أقصـى الشرور ورأسها! فبه قُهر الشيطان نفسه، وبواسطته يحاول أن يهزم أقوى الناس.

المحاربون المدربون، عندما يستنفدون أسهمهم الاحتياطية ويرون أنه توجـد ميـزة للعدو، يستعملون سلاحا أعظم عندما يستلّون سيوفهم. هكذا أيضا الشيطان، فبعد أن يستخدم أولاً فخاخه يستعمل بعد ذلك سيفه الأخير: الكبرياء. ولكـن مـاذا كانـت فخاخه الأولى؟ واضح أ ا هي شهوة البطن ومحبة الملذّات والنجاسة، لأنّ هذه الميـول بصفةٍ خاصةٍ تعمل معا في الشباب. ثم يتبع ذلك محبة المال والجشع وما إلى ذلك. فعندما تسود النفس التعيسة على هذه الأوجاع، وعندما تتحكّم في شهوة البطن، وحتى عندما تتغلّب بالقداسة على النجاسة، وعندما تحتقر المال؛ فإنّ الحقود، الذي يجد نفسه مرتبكًا من جميع النواحي، يحرك في النفس دافعا منحرفًا. فهو ينفخ النفس حـتى تنخـدع في علاقتها بأخوا ا على نحوٍ غير لائق.

مفجِع ومميت سم العدو هذا، فبه أعمى كثيرين وطرحهم على حين غِرةٍ، لأنه يوحي للنفس بفكرٍ زائفٍ ومهلكٍ حتى تتصور أ ا أدركت أمورا غير مدركة عند معظم الناس، وأ ا متفوقة في الصوم. كما أنه يوحي للنفس بأعمالٍ بطوليةٍ عديدةٍ، ويضلّها بجعلـها تنسى كل خطاياها لكي تشعر بتفوقها على من هم حولها. إنه يسرق من قلبها ذكـر

أخطائها، وهو لا يفعل ذلك لمنفعة النفس بل حتى لا يمكنها أن تنطق ذا القول الشافي: «إليك وحدك أخطأت، ارحمني» (مز٥١: ٤و١)، ولا يسمح لها أن تقـول: «أحمـد الرب بكل قلبي» (مز١١١: ١). بل كما قال الشيطان نفسه في قلبه: «أرفع كرسـيي فوق كواكب الله» (إش١٤: ١٣)، وهكذا يخـدع الإنسـان بالاتجـاه إلى السـيطرة والمناصب العالية، وأيضا بمناصب التعليم والتباهي بالشفاء. وهكذا لك النفس بالخداع إذ تصاب بجرحٍ يصعب شفاؤه.

٢٩ - ماذا يفعل المرء، إذًا، عند وجود تلك الأفكار؟ يجب عليه أن يتأمـل بـدون توقف في تلك الكلمة الملهمة التي أعلنها داود النبي الطوباوي عندما قال: «أما أنا فدودةٌ لا إنسان» (مز٢٢: ٦)، كما يقول الكتاب أيضا: «أنا تراب ورماد» (تك١٨: ٢٧)، وأيضا للتأكيد، يجب أن يصغي الإنسان لقول إشعياء النبي: «كل بر بشري هـو مثـل خرقةٍ نجسة» (إش٦٤: ٦ حسب النص).

وإذا خطرت تلك الأفكار على بال امرأةٍ تعيش حياة التوحد، فينبغي أن تـدخل حيـاة شركة، ويجب أن تجبر على أن تأكل حتى مرتين في اليوم إن كان قد لحقها هـذا السـقم بالإفراط في نظام حيا ا. ويجب أن تلومها زميلا ا وينتهر ا، نعم يجب أن تلام بشدةٍ كواحدةٍ تفعل شيئًا غير صالح. كما يجب أن تتمم كل أعمال الخدمة، وتستمع إلى سـير القديسـات المشهورات. وأيضا أخوات هذه الشركة يجب أن يزدن من نسكيا ن لبضعة أيام لكيما تحكم على نفسها أ ا أدنى منهن بمجرد أن ترى مقدار فضائلهن مما يقودها إلى الاتضاع.

٣٠ - ولكن شرا آخر يسبق هذا السقم هو عدم الطاعة. وهكذا بواسطة فضـيلة الطاعة المضادة لهذا الشر يمكن تنقية مرض النفس الخبيث المتقيح، لأن الكتاب يقـول: «هوذا الاستماع (أو الطاعة) أفضل من الذبيحة» (١صم١٥: ٢٢).

٣١ - فمن الضروري، إذن، أن نضع حدا لبروز ا د الباطل في الوقت المناسب، بل وأيضا أن نشجع الأخت ونمدحها في الوقت المناسب. لأنه إن كانت الـنفس متغافلـة ومتبلدة بل ومشلولة عن النمو الروحي، فمن الملائم أن نشجعها (حتى لا تيـأس). وإذا عملت هذه النفس أي شيءٍ صالح، مهما كان بسيطًا، ينبغي أن نظهر إعجابنا به. بل إنّ أخطاءها الجسيمة يجب اعتبارها قليلة الأهمية. لأنّ الشيطان، إذ يرغب في قلـب كـل الأمور، فهو يحاول أن يخفي عن الغيورين والنساك خطاياهم السابقة لأنه يريد أن يزيد من كبريائهم. أما الذين اهتدوا حديثًا والذين لم تستقر نفوسهم وتثبت بعد، فهو يضـع

جميع خطاياهم أمام عيو م. إنه يوحي لمثل هؤلاء بقوله: 'طالما أنكم ارتكبتم النجاسات فأية مغفرةٍ تكون لكم'؟ ويقول لغيرهم: 'حيث إنكم كنتم جشعين طماعين فلا يمكنكم أن تحصلوا على الخلاص'!

إنّ النفوس التي تز من ذلك يجب تعزيتها، فمن الضروري أن يقال لها: 'كانت راحـاب عاهرة، ولكنها أُنقِذَت بالإيمان (عب١١: ٣١)، وكان بولس الرسول مضطهدا، ولكنه صار إناءً مختارا (أع٩: ١٥)، وكان متى الرسول عشارا، ولكن لا يجهل أحد النعمة التي مِنحت له (مت٩: ٩)، واللص (اليمين) سرق وقتل، ولكنه كان أول من فتح باب الفردوس (لـو٢٣: ٤٣). فإذ تحتفظن بذكر هؤلاء في أذهانكن لا تفقدن الرجاء لنفوسكن'.

٣٢ - عندما تضعن أساس هذه المعاملات الملائمة لمثل تلك النسوة يجب أيضـا أن تطبقن نفس العلاج على اللاتي هن مستعبداتٍ للكبرياء. فيجب أن تقلن لهن: لماذا أنتن مغرورات؟ لعدم أكل اللحم؟ توجد أخريات لا ينظرن حتى مجرد النظـر إلى السـمك. وحتى إن كنتن لا تشربن الخمر فلاحظن كيف أن أخريات لا يأكلن أكثر من الزيتون. هل تصمن حتى وقتٍ متأخرٍ من اليوم؟ توجد أخريات يبقين بدون طعام لمـدة يـومين وثلاثة أيام. أتفتكرن أنّ عدم استحمامكن يعتبر شيئًا عظيما؟ إن الكثيرات لا يحصـلن على رغبتهن في ذلك مطلقًا حتى أثناء المرض الجسدي. هل تعجبن بأنفسـكن لأنكـن ترقدن على الحصير وشـعر الماعز؟ هناك نسـوة يرقدن على الأرض كل الوقت! بـل وحتى لو فعلتن ذلك أيضا فهو شيء ليس بذي أهميةٍ، فهناك أناس يرقدون على حجارةٍ حتى لا يشبعون مسرة الجسد، وآخرون أيضا يحرمون أنفسهم من النوم الليل كله! بـل حتى لو فعلتن كل ذلك ومارستن بنجاح أقصى أنواع النسك فلا تعتبرن ذلـك شـيئًا عظيما، لأنّ الشياطين في الحقيقة قد تمّموا ولا زالوا يتممون أعمال نسكٍ أكثر مـنكن: إ م لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون. وإن ظننتن أنكن تفعلن شيئًا عظيما بمعيشـتكن في مغائر فالشياطين يقضون حيا م في الصحراء.

٣٣ - ذه الطريقة يمكن أيضا الشفاء من المرضين المتضادين، اللذين همـا اليـأس والكبرياء، بعلاجاتٍ للفكر مشا ةً لذلك. لأنه كما أنّ النار التي ننفخ فيها بشدةٍ تتبدد وتنطفئ وتموت إن لم تجد هواءً مرةً أخرى؛ هكذا أيضا الفضيلة تتبـدد بالكبريـاء إن كانت تمارس بقسوةٍ شديدة. كذلك فإن الصلاح يتلاشى كنتيجة للتواني عندما نفشل في أن نحرك أنفسنا بنفخة الروح القدس. السكين الحادة تنكسر بسهولةٍ بواسطة حجر،

وأسلوب الحياة الصارم يتلاشى سريعا بفعل الكبرياء. فمن المناسـب، إذن، للـنفس أن تكون في أمان من جميع النواحي. وأكثر أنواع النسك صـرامةً يناسـبه الالتجـاء إلى الأماكن الظليلة عندما تسفع الإنسان حمى العجرفة! وأحيانا يكون أيضا من المناسب أن نقلم الفرع الزائد لكيما يكون ازدهار الأصل أفضل.

٣٤ - كذلك فإنّ الإنسان الذي هو في قبضة اليأس يجب أن يجبر على التحرك إلى الأمام بواسطة علاجات الفكر التي ذكرناها، لأنّ النفس في الحقيقة مربوطة برباطٍ وثيقٍ بالأرض. إنّ أمهر الفلاحين، عندما يرون نباتا ضعيفًا ومتعوقًا عن النمو يروونه بكثـرةٍ، ويعتبرون أنه يستحق عنايةً كثيرة لكي ينمو. ولكنهم، من الناحية الأخرى، عندما يرون نموا مبكرا في نباتٍ يقطعون منه الزوائد، لأنّ هذا النمو عادةً يذوي سـريعا. والأطبـاء يوصون لبعض المرضى بأن يتغذّوا جيدا ويشجعو م على المشي، بينما يلزمون الـبعض الآخر بالبقاء في الفراش وبدون طعام لمدةٍ طويلة.

٣٥ - واضح، إذن، أنّ أعظم الشرور هو الكبرياء، ومنه تظهر الفضـيلة المقابلـة، أي الاتضاع. ومن الصعب أن يكتسب الإنسان الاتضاع، فإن لم يكن أسمى (روحيا) من كل مجدٍ باطل لا يمكنه أن يحصل على هذا الكـ . ولكن عظيمةٌ هي فضيلة الاتضاع حتى إنه رغـم أنّ الشيطان يبدو أنه يقلد جميع الفضائل؛ ولكنه لا يفهم طبيعة هذه الفضـيلة. ولـذلك فـإنّ الرسول، إذ يعلم بالحماية والرسوخ اللذين تمنحهما هذه الفضيلة، يوجهنـا إلى أن نرتـديها ونحيط أنفسنا ا حتى أثناء إنجازنا لأعمالنا الهامـة: «تسـربلوا بالتواضـع، لأن الله يقـاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (١بط٥: ٥). فمثلاً إذا كنت صائما أو تعـطي صدقات أو معلما، بل وحتى إن كنت ضابطًا لنفسك وفهيما، فعليك أيضا أن تتحصن ـذه الفضيلة في داخلك كسورٍ منيع لا يمكن اقتحامه. فليجعلكم الاتضاع - الذي هو أفضل جميع الفضائل - متماسكين ويشمل جميع فضائلكم. أنتم تعرفون أيضـا تسـبحة الثلاثـة فتيـة القديسين، فإ م بدون أن يذكروا أيا من الفضائل الأخرى البتة، يعتبرون المتضعين ضمن الذين يرتلون التسابيح بدون ذكر الفطنين أو الفقراء. فكما أنه يستحيل أن تـبنى السـفينة بـدون مسامير؛ هكذا يستحيل الخلاص بدون الاتضاع.

٣٦ - لأنّ الاتضاع صالحٌ ونافع، فقد التحف به الرب بينما كان يتمم تدبير خلاص البشرية، لأنه يقول: «تعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت١١: ٢٩). انتبهوا إلى من هو المتكلم وتعلّموا منه هذا الدرس كاملاً. وليصِر لكم الاتضـاع هـو بدايـة

الفضائل و ايتها. إنه يقصد قلبا متضعا، فهو لا يشير إلى مظهر الإنسان وحده بـل إلى الإنسان الباطن، لأن الإنسان الخارجي سيتبع الداخلي. هل راعيتم جميع الوصايا؟ الرب يعلم، ولكنه يوصيكم أن تتبنوا أيضا الشعور بمذلّة العبودية، فهو يقول: «متى فعلتم كل ما أُمِرتم به فقولوا إننا عبيد بطّالون» (لو١٧: ١٠).

٣٧ - فالاتضاع، إذن، يتشكّل بواسطة الانتهارات والإهانـات والضـربات، وأن تسمع أنك تدعى بلا عقل وغبي، مسكين وشحاذ وضعيف وتافه، غير مجدٍ فيما تفعله وبلا عقلٍ فيما تقوله، مظهرك جدير بالازدراء، ضعيف القوة. هذه الإهانات هي ينابيع الاتضاع. وقد سمعها ربنا واختبرها، لأ م قالوا إنه سامري وبه شيطان (يو٨: ٤٨)، وقد اتخذ صورة عبدٍ (في٢: ٧)، وأذلّوه بالضربات (مت٢٦: ٦٧)!

٣٨ - وهكذا علينا أن نتشبه ذا الاتضاع الذي اختبره الرب. وأنـتم تـرون أنّ البعض يدعون الاتضاع بمظهرهم الخارجي وطريقتهم الخضوعية، ولكنهم ذا السـلوك يبحثون عن الشهرة. إلاّ أ م يعرفون من ثمارهم (مت٧: ١٦)، لأ م في الحقيقة عنـدما يهانون لا يحتملون، ولكنهم يطلِقون في الحال سم حقدهم كالأفاعي.

٣٩ - فرحت النسوة اللائي كُن مجتمعات عند القديسة ذا الكلام، ومع ذلك فقد ظللن باقياتٍ حيث إ ن لم يأخذن كفايتهن من نصائحها الصالحة. ثم تكلّمـت المـرأة المباركة مرةً أخرى قائلةً: الذين يشقّون طريقهم إلى الله يوجد أمامهم أولاً صراع وجهد كبيرين، ولكن بعد ذلك فرح لا يوصف. فكما أنّ الذين يريدون أن يشعلوا نارا فـإنّ الدخان أولاً يكاد يخنقهم وتدمع أعينهم، و ذه الطريقة يحصلون على غرضهم، إذ يقول الكتاب: «إلهنا نار آكلة» (عب١٢: ٢٩)؛ هكذا نحن أيضا يجب أن نشعل النار الإلهية في داخلنا بالدموع والجهد. والرب نفسه قال: «جئت لألقـي نـارا علـى الأرض» (لو١٢: ٤٩). كما أنّ البعض تحملوا الدخان، ولكنهم بتراخيهم لم يشعلوا النار بسبب عدم مثابر م، بل بالأكثر لأن صلتهم بالله كانت واهية.

٤٠ - والمحبة أيضا كـ عظيم، وعن هذه الفضيلة تكلّم الرسول بقوةٍ قـائلاً: «إن أطعمت كل أموالي، وإن سلّمت جسدي حتى احترق، ولكن ليس لي محبة، فقد صرت نحاسا يطن أو صنجا يرنّ» (أنظر ١كو١٣: ١-٣). وهكذا فإنّ المحبة هي الأسمى بـين الفضائل، كما أنّ الغضب يتفوق على الرذائل. لأنّ الغضب يفسِد العقل بعد أن يجعـل النفس مظلمةً تماما وغير إنسانية. إلاّ أنّ الرب، الذي يتوق دائما إلى خلاصنا، لم يسمح

لأي جزء من نفوسنا أن يبقى طويلاً بدون حمايةٍ. هل يثير العدو الشهوة؟ فقد سـلّحنا الرب بضبط النفس. أيخلق الكبرياء؟ حسنا، فإنّ الاتضاع ليس بعيدا منا. هل يغرس فينا الحقد؟ حسنا، فالمحبة موجودة في وسطنا. فمهما كانت الأسلحة التي يرشقنا ا العدو، فإنّ الرب قد حمانا بأسلحةٍ أقوى لأجل خلاصنا ولأجل إسقاط العدو.

٤١ - الغضب هو رذيلة الرذائل، لأنّ الكتاب يقول: «غضب الإنسان لا يصنع بر الله» (يع١: ٢٠). فيجب علينا، إذن، أن نتحكّم فيه، لأنه أحيانـا يبـدو نافعـا، لأنّ الشعور بالغضب في انتهار الشياطين شيءٌ لائق، ولكنه ليس من الملائم أن يثور الإنسان بشدةٍ ضد إنسان حتى ولو ارتكب خطيئةً، بل بالعكس، فعليه أن يهديه بعد أن يكـف وجع الغضب.

٤٢ - ومع ذلك فإنّ الغضب يعتبر كأنه رذيلة أقل من غيرها، حيث إنّ تذكر الأخطـاء هو أخطر كل الرذائل. فالغضب هو مثل الدخان، يختفي بعد أن يزعج النفس لوقتٍ قصير؛ أما تذكر الأخطاء فكأنه يرسخ في النفس ويجعلها مريعةً أكثر من الوحش. فحتى الكلب، عنـدما يتهيج ضد إنسان يكف عن غضبه عندما يلاطفه بلُقمةٍ، والحيوانات الأخرى أيضا تصير لطيفةً بتعويدها على ذلك. أما الإنسان المستعبد لتذكر الأخطاء، فهو لا يقنـع بالاسـتعطاف، ولا الطعام يجعله لطيفًا، ولا حتى الوقت - الذي يغير كل الأشياء - يشفي مثل هذا الإنسان ممـا يعانيه! فهؤلاء الناس هم أردأ الكل في عدم التقوى والتمرد، لأ م لا يطيعون المخلص الـذي يقول: «اِذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذٍ تعال وقدم قربانك» (مت٥: ٢٤)، وأيضـا قول الكتاب: «لا تغرب الشمس على غيظكم» (أف٤: ٢٦).

٤٣ - فجيد، إذن، ألاّ تغضب، ولكن إذا حدث ذلك فالرسول لا يسمح لانفعالك هذا أن يستغرق أكثر من ارٍ واحدٍ حسب الآية السابقة. ومع ذلك فأنت تتأخر حـتى تغرب شمس حياتك! ألا تعرف أن تقول: «يكفي اليوم شره» (مت٦: ٣٤)؟ لماذا تحقد على الذي أغاظك؟ إنه لم يكن هو الذي أخطأ في حقك بل الشيطان. فاكره المرض لا المريض. «لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار» (مز٥٢: ١)؟ لقد أعلن المزمور ذلـك عنـك عندما قال: «لأنّ لسانك يخترع مفاسد اليوم كله» (مز٥٢: ٢ سبعينية). أي أنك طوال أيام حياتك تعصى واضع الناموس القائل: «لا تغرب الشمس على غيظكم»، كما أنـه بقوله إنّ لسانك يخترع مفاسد يعني أنك لا تكف عن التكلم بالشر عن أخيك. ولذلك، فإنّ الإنتقام (الإلهي) الذي نطق به المرتل بالروح إنما هو على حق، إذ يقول: «يهدمك

الله إلى الأبد، يخطفك ويقلعك من مسكنك ويستأصلك من أرض الأحياء» (مـز٥٢: ٥). هذه العقوبات هي جزاء الذي يذكر الأخطاء، فهي المكافآت على تلك الرذيلة!

٤٤ - إنه لأمر أساسي، إذن، أن نكون متيقّظين ضد تذكر الأخطاء، لأنّ لها نتائج مرعبة عديدة مثل الحسد والحزن والكلام الخبيث! شر هذه الرذائل مهلك هو حتى ولو بدا أ ا تحدث في فترات قصيرة، لأنّ هذه هي طريقة العـدو في اسـتعمال الأسـلحة الخفيفة. بل إنّ الجروح الناتجة من الشفرة ذات الحدين والسيف الكبير (مثل النجاسـة والجشع والقتل) كثيرا ما يشفيها عقار الاهتداء الخلاصي. ومع ذلك فـإنّ الكبريـاء أو تذكر الأخطاء أو الكلام الخبيث - هذه التي تبدو أسلحةً صغيرةً للعـدو - تـؤدي إلى هلاكٍ بطريقةٍ غير ملحوظة، وذلك بمجرد أ ا تغرس في أجزاء النفس المفعمة بالحيويـة. وهذه الرذائل تؤدي إلى الخراب ليس بسبب حجم ضربا ا، بل بسبب اون المصـابين ا! فطالما أ م يعتبرون الكلام الخبيث وبقية الرذائل عديمة الأهمية؛ فإ ا لكهم تدريجيا.

٤٥ - فالكلام الخبيث، إذن، إنما هو أمر خطير ومزعج، لأنه هو معيشـة وتسـلية بعض الناس. فلا ينبغي أن تقبلوا أية إشاعةٍ فارغةٍ لئلاّ تصيروا وعاءً لشرور الآخـرين. ِاحفظوا نفوسكم بلا تشويش. لأنكِ، يا أختي، بقبولكِ لرائحة الكلام التافـه الرديئـة تلطخين صلاتكِ بأفكاركِ، وبدون سبب تحقدين على زميلاتك. لأنه عنـدما تتجـرع أسماعكِ الحقد على الناس من كلام الخبثاء، ستنظرين إلى جميع الناس بدون سماحة نفس (أي بنوع من ضيق الأفق وعدم الاحتمال)، تماما كما توجد في العين صـورة معتمـة للأشياء المرئية عندما تستحوذ عليها ألوان بطريقةٍ مغالى فيها.

٤٦ - فعلينا، إذن، أن نحرس ألسنتنا وآذاننا من الكلام أو الاستماع إراديا لأي من مثـل تلك الأمور، لأنه مكتوب: «لا تقبل خبرا كاذبا» (خر٢٣: ١)، وأيضا: «الـذي يغتـاب صاحبه سرا هذا أقطعه» (مز١٠١: ٥)، كذلك يقول المرتل: «لعل فمي لا يتكلم عن أعمال المائتين» (مز١٧: ٤ حسب النص). ولكننا نتكلم أيضا عن أعمال لم تتم! فيجب ألاّ نصدق الأمور التي تقال، ولا ندين المتكلمين، بل علينا أن نتصرف ونتكلم حسب الكتاب المقـدس: «وأما أنا فكأصم لا يسمع وكأبكم لا يفتح فاه» (مز٣٨: ١٣).

٤٧ - لا يجب أن نسر ببلية إنسان حتى ولو كان خاطئًا جدا. عندما يرى بعـض الناس شخصا يجلَد أو يسجن يتفوهون بذلك المثل الشعبي: "الإنسـان الـذي رتـب (أوسدته) بطريقةٍ رديئةٍ لا يستريح في المتكأ". فأنتِ، إذن، يا أختي، التي رتبتِ أمـورك

حسنا، هل أنتِ مقتنعةً بأنكِ وجدتِ سلاما في حياتك؟ وماذا نفعل بخصـوص الـذي يقول: «توجد حصيلةٌ واحدةٌ للأبرار وللخطاة» (جا٩: ٢ حسب النص)؟ لأننا حتى لو اختلفت طريقة حياة كل منا فإنّ حالتنا البشرية تظل واحدة.

٤٨ - يجب ألاّ نكره أعداءنا، ففي الحقيقة إنّ الرب أعطانا هذه الوصية بكلماته هو: «إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجرٍ لكم؟ أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك» (مت٥: ٤٦)؟ إنّ اتباع الصلاح لا يتطلّب براعةً أو نضالاً، فهو يجتذب لنفسه الذين يحبونـه. ومـن الناحيـة الأخرى، فإنّ نبذ الشر يتطلّب تعليما ملهما وجهدا كثيرا، لأنّ ملكوت السموات ليس هـو للمتراخين والمتغافلين، بل للنشطاء (أو للذين يغتصبونه: أنظر مت١١: ١٢).

٤٩ - وكما أننا يجب ألاّ نكره أعداءنا، هكذا يجب ألاّ نتجنب أو نسـخر بالمتغـافلين والمتراخين. فإنّ بعض الناس يضعون أمامهم كلمات الكتاب القائلة: «مع الطـاهر تكـون طاهرا، ومع الأعوج تكون منحنيا ("عنيدا" حسب السبعينية)» (مز١٨: ٢٦). في هذا الكلام يقول الكتاب إننا نهرب من الخطاة لئلاّ يجعلوننا ملتوين، ولكن مثل هؤلاء يفعلـون العكـس بجهالة نفوسهم، لأنّ الكتاب لا يأمرنا أن نلتوي مع الملتوين، بـل أن نحـول التـواءهم إلى استقامةٍ. فكلمة: «تكون منحنيا» تعني أنك يجب أن تجتذبه لنفسك من اليسار إلى اليمين.

٥٠ - بخصوص حياة البشر توجد ثلاثة أنواع من الميول (أو النزعـات): **النـوع الأول:** يتميز بأبشع أنواع الشر. **والنوع الثاني:** يتصف بنوعٍ من الرأي الوسط، لأنـه ينظر إلى كلا الاتجاهين ويشارك في موقف كل منهما. أما **النوع الثالث:** فهو يتجه إلى التأمل العميق، وهو يدبر ليس نفسه فحسب؛ بل يحاول أيضا أن يرشد بوداعةٍ النـوعين الآخرين! فالأشرار باختلاطهم بالأردأ منهم يضاعفون من عدد الناس المرعِبين. والـذين هم من النوع المتوسط يحاولون أن يتجنبوا غير المهذبين خوفًا من أن يجذبوهم إلى أسفل مرةً أخرى، لأنهم لا زالوا مثل الأطفال في أمور الفضيلة.

أما الذين من النوع الثالث، فرغم أنهم شجعان بفطرتهم وإرادتهم قوية؛ فهم يعيشون مع الضعفاء ويشاركونهم حياتهم إذ يرغبون في خلاصهم. وهكذا فبلا شك أنّ الذين هم من خارج ينتقدونهم، ويسخر منهم الذين يرون أنهم يقضون حياتهم مع الذين هم أقـل تهذيبا منهم، بل إنهم يفترون عليهم كأنهم مشابهون لهم. ومع ذلك فإن الذين هم مـن النوع الثالث يؤدون عملهم هذا المعين لهم من الله بحريةٍ، معتبرين توبيخـات الآخـرين كأنها مدائح لهم، لأن الكتاب يقول: «اِفرحوا وتهلّلوا ... طـوبى لكـم إذا عيروكـم

وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمةٍ شريرةٍ، من أجلي، كاذبين» (مت٥: ١٢و١١).

إنّ سلوك الذين هم من هذا النوع ليشبه سلوك الرب، لأنّ الرب أكل مع العشارين والخطاة، فموقفهم يتميز بالمحبة الأخوية لا بمحبة الذات، لأ م يعتبرون الذين يخطئـون مثل بيوتٍ مشتعلة بالنار، وإذ يتغاضون عن اهتماما م الخاصة يستخدمون مجهـودا م لإنقاذ من هم على وشك الهلاك؛ وهم يثابرون بإصرار رغم أ م يلـذعون بالإهانـات العنيفة. ولكن الذين من النوع المتوسط يهربون إذا رأوا أخاهم ملتهبا بالخطية خوفًا من أن تمتد نارها إليهم. أما النوع الأول فهم يتصرفون كجيرانٍ أردياء ويشعِلون نيرانا أكثر تحت الذين هم في وسط اللهيب إذ يزودون شرهم كما بحطبٍ للنار لأجل هلاكهـم. ومثل الذين يعتلون مركبا مدهونةً بالزفت ويلقون زيت الأرز (أو الشربين) عليها بـدلاً من الماء. ولكن في مقابل أولئك، فإنّ الصالحين يجعلون ممتلكا م ثانويةً بالنسبة لإنقـاذ الآخرين، وهذه هي علامة المحبة الأصيلة، فهؤلاء هم الحافظون للمحبة النقية.

٥١ - وكما أنّ الصفات البغيضة مرتبطة بعضها ببعض (فمثلاً الحسد يتبع الجشع، وهكذا أيضا الخيانة وعدم الوفاء بالوعد والغضب وتذكر الأخطاء)؛ هكذا فإنّ الصفات المضادة لهذه الشرور تعتمد على المحبة، أقصد طبعا اللطف والصبر والاحتمال وأقـدس أنواع الفقر (الاختياري). ولا يمكن لأحدٍ أن يكتسب فضيلة المحبة بدون الفقر المقدس، لأنّ الرب لم يوصِ بالمحبة لشخصٍ واحدٍ بل للجميع. فالذين عندهم ثروات يجـب ألاّ يزدروا بالمحتاجين. ففي الحقيقة إنّ أعمال المحبة تكون مخفية، لأنه يستحيل على الإنسان أن يزود الجميع باحتياجا م، بل إنّ هذه هي مهمة الله.

٥٢ - فلماذا، إذن، تتألمون - أنتم الذين لا تملكون شيئًا - لأجل الصدقة؟ ولمـاذا تصير الصدقة حجةً للقنية؟ إنّ وصية الصدقة قد أُعطيت للعلمانيين، لأ ا وضِعت لـيس لإطعام الفقير بقدر ما أ ا لأجل المحبة. إنّ الله الذي يدبر شئون الغني هو الذي يطعِـم الفقير. فهل أوصى الله بالصدقة، إذن، بدون غرض؟ بالطبع لا. بل بالعكس، فهي بداية المحبة للذين لا يعرفون المحبة. وكما أن الختان كان رمزا لختان القلـب؛ هكـذا أيضـا تأسست فضيلة الصدقة كمعلمٍ للمحبة. أما الذين وهِبت لهم المحبة بالنعمـة، فـإ م لا يحتاجون إلى فضيلة الصدقة.

٥٣ - أقول ذلك ليس لكي أقلل من أهمية الرحمة، بل لكي أبين نقاوة الفقر المقدس. ليت الفضيلة الصغرى لا تصير عائقًا عن الأعظم منها. لقد قومتن سريعا الفضيلة

الصغيرة، لأنكن تخلّيتن عن كل شيءٍ في وقتٍ واحد. فمن اليوم فصاعدا تطلّعن إلى الفضيلة الأعظم، ألا وهي المحبة، لأنكن قد حملتن الصليب. فعليكن أن تتخذن قرار الحرية: «ها نحن قد تركنا كل شيءٍ وتبعناك» (مت١٩: ٢٧). لقد حسِبتن مستحقات أن ترددن تعبير الثقة الرسولي هذا، لأنّ الرسولين بطرس ويوحنا قالا: «ليس لي فضة ولا ذهب» (أع٣: ٦). هذا التعبير صدر من شخصين، ولكن إيمانهما كان واحدا.

٥٤ - وحتى بين العلمانيين، فالصدقة يجب ألاّ تمارس بدون تمييز فيما يتعلّق بهذا الأمر، لأنّ الكتاب يقول: «لا تدع زيت الخاطئ يدهن رأسي» (مز١٤٠: ٥ سبعينية). فمن اللائق، إذن، أن يتخذ المتصدق موقف إبراهيم ويتشبه به، فيكون منصفًا بعدل، لأنّ الإنسان البار حينما يقدم كرم الضيافة يكون مظهره مكشوفًا مع الطعام الذي يقدمه. لأنّ الكتاب يقول عن إبراهيم في ضيافته للثلاثة رجال: «إذ كان هو واقفًا لديهم تحت الشجرة أكلوا» (تك١٨: ٨)، إذ إنه لم يرغب أن يشاركه خدامه في مكافأته. حقًا إنّ مثل هؤلاء الناس سيكافَأون على صدقتهم حتى ولو كانوا من الرتبة الثانية. فعند خلقة العالم أسس الرب فيه رتبتين من سكّانه: فالذين يعيشون بالتقوى قرر لهم الزواج لإنجاب الأولاد، ولكن بالنسبة للآخرين فقد قرر لهم القداسة بواسطة العفّة إذ جعلهم مثل الملائكة. وقد أعطى للأولين شرائع وعقوبات وتوجيهات، أما الآخرين فيقول لهم: «لي النقمة أنا أجازي يقول الرب» (رو١٢: ١٩؛ تث٣٢: ٣٥). يقول للأولين أن يعملوا الأرض التي أُخِذوا منها (تك٣: ٢٣)، أما الآخرين فيوصيهم بقوله: «لا تهتموا للغد» (مت٦: ٣٤). أعطى الأولين ناموسا، أما لنا فقد كشف عن وصيته علانيةً بواسطة النعمة.

٥٥ - الصليب بالنسبة لنا هو إكليل النصرة، لأنّ دعوتنا ليست سوى الزهد في الحياة وممارسة الموت. فكما أنّ الجثث ليس لها نشاط في جسمها؛ هكذا نحن أيضا. فأي شيءٍ كان على الجسد أن ينجزه قد أتممناه عندما كنا أطفالاً. لأنّ الرسول يقول: «قد صلِب العالم لي وأنا للعالم» (غل٦: ١٤). إننا نعيش بالروح، فلنبرهن إذًا على فضائلنا. ولنظهر الرحمة بقلوبنا لأنه «طوبى للرحماء» (مت٥: ٧) بالروح. وكما يقول الكتاب إنّ الإنسان الذي يشتهي جسدا جميلاً يرتكب خطيةً (في قلبه) حتى بدون الفعل ذاته (أُنظر مت٥: ٢٧)، هكذا أيضا بخصوص الصدقة، فعندما تتمم الإرادةُ العملَ فحتى لو أعوزنا المال تكون مكافأتنا عظيمة.

٥٦ - يحصل السادة العلمانيون على خدمات متعددة من خدمهم، فيرسلون البعض إلى

ممتلكا م الريفية ليعملوا الأرض ويحفظوا نوعهم (بالتناسل)، ولكنهم إذا رأوا بعضا من نسل خدمهم ملائما ووسيما ينقلو م إلى بيو م لخدمتهم الشخصية. هكذا أيضا يضع الرب في "مقاطعته الريفية" التي للعالم أولئك الذين اختاروا لأنفسهم زواجا شريفًا، ولكن الذرية المميزة أكثر من هؤلاء الناس - ولا سيما الذين لهم استعداد ملائم - يقيمهم الرب بالقرب منه لخدمته. وهؤلاء لا يأتلفون مع الاهتمامات الأرضية، لأ م حسِبوا أهلاً لمائدة السيد. إ م لا يهتمون بما يلبسونه لأ م «قد لبسوا المسيح» (غل٣: ٢٧)!

٥٧ - فلكل من الرتبتين، إذًا، يوجد سيد واحد هو الرب. لأنه كما أنّ نبات الحنطة يوجد فيه التبن والبذرة؛ هكذا يوجد لنفس الإله من يعيشون بالتقوى في العالم والذين اختاروا حياة التوحد. ولا شك أنه توجد حاجةٌ لكل منهما، حيث إنّ أوراق النبات لها حاجة لتدعيم وحماية البذرة، كما أنّ إنتاج الثمرة له أهمية أيضا، لأنّ الثمرة هي ينبوع العملية الزراعية كلها. وكما أنه لا يمكن أن يكون الشيء عشبا وبذرةً في نفس الوقت؛ هكذا أيضا يستحيل إنتاج ثمرة سماوية مع أُبهة العالم المحيط بنا. ولكن عندما تسقط الخضرة وتجف الساق يكون النبات المنِتج للحبوب معدا للحصاد. وهكذا، أيتها الأخوات، في حالتنا، فبعد أن نطرح عنا خداع العالم (الذي هو مثل أوراق الشجر) ونجف بالجسد (مثل ساق النبات)، وبمجرد أن نسمو بأفكارنا؛ نتمكّن من أن نعطي "بذرة" الخلاص.

٥٨ - من الخطر أن يحاول الإنسان أن يعلم في حين أنّ حياته لم تتشكّل بالخبرة في الحياة النسكية، هذا يشبه إنسانا بيته غير راسخ يستقبل ضيوفًا فيسبب لهم الأذى عندما ينهار المبنى. بنفس الطريقة، فإنّ الذين يعلمون غيرهم يحطمون معهم حياة الذين يأتون إليهم، وذلك بعدم بناء طريقة حيا م بناءً مأمونا. إ م بكلامهم يدعون أتباعهم إلى الخلاص، ولكنهم بطريقة حيا م الخاطئة يسببون لهم الأذى. لأنّ مجرد نطق الكلام يشبه النقوش المرسومة بألوان زائلة تمحى بعد وقتٍ قصير مع هبوب الريح وتساقط المطر. أما التعليم المبني على خبرةٍ نسكيةٍ فلا يمكن ولا حتى للأبدية كلها أن تمحوه. فبنحت حواف النفس غير المهذبة تمنح الكلمة المنطوقة للمؤمنين صورة المسيح السرمدية وكأ ا محفورة على حجر.

٥٩ - فيجب علينا ألاّ نجعل علاجنا للنفس سطحيا، بل علينا أن نجعل نفوسنا كلها سوية إذ نعير اهتماما خاصا لأعماقها. علينا أن نقص شعرنا، ودعونا في نفس الوقت أن نزيل القمل من على رؤوسنا لأنه يسبب لنا حزنا كثيرا. والمقصود بشعرنا هو العنصر

الدنيوي في الحياة: الكرامات والشهرة وامتلاك المقتنيات والملابس الفاخرة واستعمال الحمامات (العامة) والتمتع بالأطعمة. وقد وجدنا أنه من الحكمة أن نلقي هذه عنا، ولكن بالحري ليتنا نزيل القمل الذي يلتهم النفس، وهو مثل الافتراء والقسم والطمع. ورؤوسنا هي نفوسنا، وطالما أنّ "الحيوانات" تأوي في غابة الاهتمامات الدنيوية فهي تبدو كأ ا تفلت من ملاحظتنا، ولكنها إذ تتجرد من غطائها تصير مرئيةً من الجميع. لهذا السبب، فإنه حتى الخطايا الصغرى تكون واضحةً للراهبة أو الراهب، تماما كما أنه في البيت النظيف يكون "الحيوان (أو الحشرة)" واضحا للجميع حالما يكتشف حتى لو كان صغيرا جدا. ولكن أكبر "الحيوانات" السامة تمشي وسط العلمانيين دون أن يلاحظها أحد، وتكمن في المخابئ القذرة حيث تختفي في "غابةٍ" كثيفة. فيجب علينا، إذاً، أن نداوم على نظافة بيتنا باستمرار، ونكون في حالة ترقب لئلاّ تنسلّ تلك "الحيوانات" التي تلتهم النفس من ورائنا إلى خزائن النفس. كما يجب علينا أن نبخر مساكننا ببخور الصلاة المقدس. لأنه كما أنّ الأبخرة القوية تطرد المخلوقات السامة؛ هكذا أيضا تطرد الصلاة مع الصوم التصورات الحمقاء من الفكر.

٦٠ - وأحد الوحوش أيضا الذي يلتهم النفس هو البلوى التي يسببها الذين يقولون بوجود القضاء والقدر (أو الحظ)، والذي يسمونه "النشوء". وهذا أيضا تحريض مريع من الشيطان. فهو يثير في الغالب ليس أكثر من وهمٍ مفسدٍ فقط في النفوس الغيورة ثم يهرب، ولكنه يسيطر على النفوس الأكثر تغافلاً. أما الذين يعيشون في الفضيلة، فلا أحد منهم يؤمن أو يقبل هذا الإفساد للذهن والمفهوم الزائف، لأ م يؤمنون أنّ الله هو منبع كل صلاح في الحاضر أو الماضي، ويجعلون المشيئة الفردية ثانوية باعتبار أ ا هي المحرض والذي يحكم على الفضيلة والشر. ولكن جميع الذين قاسوا من نقص الإرادة ومن الكسل يتواجهون في الحال مع هذا المفهوم الشيطاني. وهم مثل الأطفال الذين يهربون ويرفضون أن يتحملوا التمارين التي يعطيهم إياها والدوهم لصالحهم، فهم في متاها م يأتون إلى الأماكن المهجورة ويواجهون الشياطين المتوحشة الشرسة. فلأ م يستحون أن يتصرفوا حسب موقفهم يفترون على قوةٍ ليس لها وجود.

٦١ – إ م بلا شك بعد أن يبتعدوا أكثر من الله، يقولون إنّ حياة المسرات قد فُرِضت عليهم قضاءً وقدرا منذ ولاد م! لأنه وسط حياة النجاسة والسرقة، إذ يكونون مرضى بالجشع والمخاتلة والخزي من أفعالهم؛ يبتعدون عن الحق. و اية وجهة نظرهم إنما هو يأس قاتلٌ لهم، وكنتيجة لهذه الأفكار فإ م بالضرورة يتجاهلون الله من حيا م

وبالأكثر دينونته. إ م يقولون: "إن كان قد تقرر لي ذلك: أن أكون زانيا أو بخيلاً، فالدينونة، إذًا، تكون أمرا لا داعي له. لأنّ الانتقام العادل يليق بالخطايا الطوعية، ولكن الفعل غير الإرادي الذي ينشأ من مصدر غير معروف يجعل الفاعل بلا لوم، ولذلك تكون الدينونة أمرا غير ملائم".

٦٢ - ويجب أن نسمع أيضا كيف نبذوا طريق الله. لأ م يقولون في حماقتهم إما أنّ الله هو الأول أو أنه هو الثاني أو أنه دائم الوجود. فإذا قالوا إنّ الله هو الأول، فلا بد أن يتبع ذلك أنه هو أصل كل شيءٍ، وأنه في الحقيقة موجود في الكل، وبذلك فهو ذاته رب القضاء والقدر. بل وأيضا إن كان إنسانا جشعا أو شهوانيا قضاءً وقدرا منذ ولادته، يكون الله بالضرورة هو علّة الشر الذي اتصف به قضاءً وقدرا منذ ولادته، وهو استنتاج شائن!

ولكنهم إذا أصروا على أنّ الله هو الثاني، فالعقل يتطلّب أن يكون هو تابعا للأول. ومهما أراد العنصر الرئيسي، فالعنصر التالي يتبعه بالضرورة. وهكذا يكون الله أيضا في نظرهم هو علّة الشر، وهذا الاستنتاج غير مقبول. وإن كان قصدهم أنّ الله أزلي، فهم يثيرون صراعا شاملاً بين مبدأين لهما طبيعتان متضادتان. إذن، فمن هذه المحاورات ينقلب تخمينهم الذي لا أساس له بكليته. وقد ذكر الكتاب المقدس هذه الأمور في قوله: «قال الجاهل في قلبه ليس إله»، وأيضا: «يتكلمون بالشر ظلما، من العلاء (أي بكبريائهم) يتكلمون» (مز١٤: ١؛ ٧٣: ٨).

٦٣ - إنـهم بالطبع يلتمسون لأنفسهم أعذارا عن خطاياهم، وفي عماهم يشوهون الكتاب المقدس برغبتهم في تثبيت التوائهم بـهذه الوسيلة. بل إنـهم يحاولون بمجهودٍ عنيفٍ أن يتقيأوا سمهم من الإنجيل. فهو يقول: «أما ولادة (أو بداية) يسوع المسيح فكانت هكذا» (مت١: ١٨)، ففي الحقيقة إنّ الكتاب يعبر عن ولادة الرب بكلمة "بدء γενεσις" (التي تعني أيضا: أصل أو منبع أو بداية). فمجيء الرب إلى الوجود بين البشر حسب العناية الإلهية نِعت ذه الكلمة (التي تعني أيضا: الولادة قضاءً وقدرا) لسببٍ صالح. ولكنهم حتى لو تكلّموا أيضا كلاما زائفًا عن النجم (الذي قاد ا وس)، فليتعلّموا من هذه الآية أيضا عن مجيئه ا يد. لقد صار لنا نجما واحدا لامعا بشدةٍ بشيرا للحق، ولكن فكر م الحمقاء تقود الكثيرين إلى ملاحقة البداية البشرية (الولادة قضاءً وقدرا). وكنتيجة لذلك، يظهر أنّ الشر في كل مكان يتعارض مع ذاته.

كما أ م يستشهدون بإشعياء النبي على حماقتهم، فيقولون إنه قال إن الرب هو:

«صانع السلام وخالق الشر» (إش٤٥: ٧). ومن هنا فإنه صار معلوما عند الجميع أنّ السلام هو من صنع الله، ولكن من الناحية الأخرى، فإن الشر يربض بالفعل بينهم إذ ينبثق من النفس. ومع ذلك فإنّ الشر بالنسبة لنا، الذي يكون مصدره من عند الله، نافع جدا. فا اعات والقحط والأوبئة والفقر والمحن الأخرى إنما هي لخلاص النفس و ذيب الجسد. هذه العلاجات الخلاصية التي يعتبرها هؤلاء الناس شرا للنفس إنما يقدمها القدير لنا لأجل تغييرنا «فأي ابنٍ لا يؤدبه أبوه» (عب١٢: ٧)؟ وأيضا: «ليس لإنسانٍ يمشي أن يهدي خطواته» (إر١٠: ٢٣).

ومرةً أخرى، فإنّ هذه التفسيرات الخاطئة تقود بنفس الطريقة إلى الهلاك، فرغم أ م ليست لهم "خطوات"؛ فهم يريدون أن يجدوها. فالجشع أو الشره أو النجاسة لا تقدم طريقًا "أو خطوات"، لأنّ تلك الشرور ليس لها جوهر حيث إ ا ليس لها وجود في ذا ا. ومع ذلك فإن هؤلاء الناس يسمو ا عادةً "طريقًا". ولكن الكتاب المقدس يخبرنا أنه يوجد طريقان شائعان هما: الحياة والموت، وهما في الحقيقة سبيلا الدخول إلى هذا العالم والعبور من هذه المرئيات.

٦٤ - إذن، فالبؤساء التعساء يفعلون كل شيءٍ لكي ينبذوا حرية الإرادة، ويستعملون حماسهم هذا ليستبدلوا حريتهم بالعبودية. لأنّ هذه هي وظيفة الشر، أن يشد الآخرين معا دائما معه إلى المستوى الأدنى. لقد صاروا شهودا على أنفسهم أ م باعوا أنفسهم للشر. فهذه هي مشورة الشيطان المخادعة، لأنه يجعل النفوس المتهاونة مستعدةً أن تنحطّ بالاعتقاد الزائف ولا يسمح لها أن تسمو مرةً أخرى بالتعرف على الحق. فكما أنّ السفينة التي تبحر بدون دقّة تتقاذفها الأمواج على الدوام؛ هكذا أيضا فإنّ الخطر يعصف ذه النفوس، ولا يمكنها أن تصل إلى ميناءٍ هادئ طالما أ ـها لفظت الرب كربان لسفينتها. هكذا يضلل الشيطان النفوس التي استسلمت له.

كما أنّ العدو كثيرا ما يكمن للغيورين بواسطة هذه الأساليب الفنية ذا ا راغبا أن يقطع عليهم طريق حيا م الفاضلة. فهو يوحي لأفكارهم أنّ الفلاّح ينشأ من حركة النجوم (أي التنجيم). هذا التصور أوحى به العدو للذين تحولوا من الحكمة الدنيوية إلى الحياة التوحدية. لأنّ العدو الماكر في حيله ينصب فخاخه بحيث تناسب طبائع الناس. فهو دائما حاضر في أوقات يأسهم، وهو يجر البعض إلى أسفل با د الباطل، ويهلك البعض الآخر بمحبة الغِنى ويدفنهم في جشعهم. فهو يأتي بالسم للناس مثل طبيبٍ يحمل

معه الموت: فيهلك واحدا بواسطة الخلاعة بأن يقدم له سم الشهوة، بينما يمرِض آخر في قلبه بأن يقود وجعه نحو الغضب، ويجعل قدرات البعض متبلدة إما بأن يغمرهم بالجهالة أو بأن يشتتهم بالخرافات.

٦٥ - لقد ألهى العدو البعض باستفسارا م المراوغة، لأ م إذ يرغبون في أن يفهموا الله وطبيعته الجوهرية تنكسر سفينة حيا م. ودون أن يمتلكوا الحياة النسكية العملية بما فيه الكفاية يندفعون إلى التأمل، وإذ يقهرهم دوار الرأس يسقطون. فطالما أ م لم يأخذوا على عاتقهم الناحية الأولى بطريقةٍ صائبةٍ يسقطون في الثانية. وهم يشبهون بالذين يتعرفون على حرف ألفا، فهم يرون أولاً شكله، ثم يتعلّمون اسمه، ثم يتعلمون بنفس الطريقة مغزاه العددي، وأخيرا يدركون طرق نطقه (أو طبقاته الصوتية). فإن كانت هناك حاجة كبيرة بـهذا المقدار لتعلم الحرف الأول وإتقانه؛ فكم بالأكثر في حالة الخالق حيث يجب أن الجهد والوقت يسبقان التأمل في ذاك الجدير بمجدٍ لا يوصف؟ ومع ذلك فيجب ألاّ يتفاخر الإنسان بنفسه عندما يكتسب معرفة الله مبتدئًا من التعاليم الخارجية. مثل هذا الإنسان يخدع نفسه حيث إنّ الشيطان قد خدعه، لأنّ المرتل يقول: «من أفواه الأطفال والرضعان هيأت تسبيحا» (مز٨: ٢)، والرب يقول: «دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله» (لو١٨: ١٦)، وأيضا: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال فلن تدخلوا ملكوت السموات» (مت١٨: ٣). لقد تعلمتن هذه الدروس لأجل العالم، فلتصرن جاهلات لأجل الله (١كو٣: ١٨). اِقطعي النبتة القديمة لكيما تزرعي الجديدة، حطمي الأساسات المختلّة لكي تستبدليها بدعامات الرب غير القابلة للتحطيم، لكيما تبنين أنتِ أيضا مثل الرسل على صخرةٍ صلبة (مت١٦: ١٨).

٦٦ - فلا حاجة، إذن، لأن نكون محبين للـ اع، ولا تقضِ أوقاتا طويلةً في أحاديث مطولة، لأنّ العدو يمكنه عمليا أن يسبب أذى بواسطة اللغو الذي في غير محله. إنه يملك فخاخا عديدةً وهو صياد مرعِب، فالعصافير الصغيرة مثلاً ينصب لها فخاخا صغيرة، ولكن الطيور الكبيرة يعِد لها فخاخا قوية. والاعتقاد بالقضاء والقدر في الولادة هو فخ هام، وينبغي أن نتجنب التفكير على هذا المنوال. ومع ذلك، فهل يقنعكن العدو بواسطة الأحداث الفعلية والمعرفة المسبقة؟ هذه الطريقة أساسها التخمين، وليس لها أساس منطقي يعتمد عليه، لأنّ ما يقوله الراءون لا يحدث بالضرورة. وذلك مثلما يكون لدى بعض الناس غير المتعلّمين والبحارة نوع من المعرفة الغامضة عن الرياح أو العواصف المطيرة التي تتميز ا السحب، هكذا أيضا فإنّ هؤلاء الناس لديهم معرفة مسبقة مشوشة من

الشياطين. إ م عمليا يتنبأون بالتخمين كما يفعل الوسطاء (أنظر أع١٦: ١٦-١٨). هذا الرأي أمكن أن يضعِف جدا من حجتهم الضعيفة، لأنه إن كانت تخمينا م ذا ا هي أكاذيب من الشياطين؛ إذن فبراعة الذين يتنبأون إنما هي بلا منفعة.

٦٧ - ولكن إذا استمر العدو يدافع أكثر عن رأيه في هذه الأمور، فيجب أن تفندن دعواه على هذا الأساس: أنه يقاتل النفس مرةً بحجةٍ ومرةً ثانيةً بحجةٍ أخرى. فالأمر المتقلب إنما هو فاسد وقريب من الاضمحلال. والشيطان لا يكتفي بشره الأول، بل إنه بالتأكيد يوحي أيضا للنفس بأنّ الطبيعة تؤدى عملاً بطريقةٍ آليةٍ، وينعت العقل، الذي هو مرشدنا، بأنه "ازدهار" للطبيعة، بل ويقول أيضا إنه عندما يتحلّل الجسد تفنى النفس أيضا معه! وكل هذه الأفكار يوحي ا لنا بغرض إهلاك النفس بواسطة التواني. ولكننا عندما توجد أمامنا هذه الخداعات السمجة ليتنا لا نوافق عليها كأ ا حقائق، لأ ا تظهر شرها إذ تقترب منا مرةً بطريقةٍ ما ومرةً ثانيةً بطريقةٍ أخرى لأ ا تطرأ على بالنا «في طرفة عين» (١كو١٥: ٥٢).

إنني في الحقيقة أعرف خادما لله يعيش حسب الفضيلة، وبينما كان في قلايته كان يراقب حركات الأفكار الشريرة وتسلسلها: أي أيها يأتي أولاً وأيها ثانيا، وطول الوقت الذي يدوم فيه كل منها، وما إذا كانت تدوم فترةً أقل أم أكثر مما في اليوم السابق. وهكذا بلغ إلى معرفة نعمة الله بدقةٍ، ومقدار قوة احتماله، بالإضافة إلى معرفة هزيمة العدو.

٦٨ - فعلينا إذن، أن نحفظ هذه القواعد التي استلمناها. وإذا كان الذين يتاجرون في أشياء زائلة يحسبون أرباحهم ويفرحون ا ويغتمون من خسارا م؛ فمن اللائق أكثر جدا بالذين يتاجرون في ك أصيل أن يكونوا متنبهين ويجاهدوا لأجل فضائل أكثر. وإن وجِد تلصص ولو صغير من العدو فينبغي أن نعتبره خطيرا بسبب الدينونة (العتيدة)، ولكن دون أن نفقد الرجاء ونلقي عنا كل شيء بسبب خطأ غير إرادي. لديكن تسعة وتسعون خروفًا تطلب أيضا الواحد الذي ضلّ، ولكن لا تفزعن لأجل هذا الواحد لئلاّ تبتعدن عن السيد ويأسر الشيطان مصاص الدماء كل القطيع الذي لأعمالكن الصالحة ويهلكه. فلا ربن، إذًا، بسبب الخروف الواحد لأنّ السيد صالحٌ هو، فهو يقول بواسطة المرتل: «إذا سقط لا ينطرح لأنّ الرب مسند يده» (مز٣٧: ٢٤).

٦٩ - مهما عملنا أو ربحنا في هذا العالم فلنعتبره لا شيء بالمقارنة بالثروة الأبدية العتيدة. إننا على هذه الأرض كأننا في رحم أمومة ثانية. في هذه الفجوة الداخلية (العالم) لم تكن لنا فيها حياة كالتي لنا هنا (في البرية)، لأنه لم يكن لنا هناك غذاء قوي ثابت مثل الذي نتمتع به هنا، ولا أمكننا أن نكون نشطاء كما نحن هنا، وقد كنا في الحقيقة بدون نور الشمس أو أي

بصيص من النور. وكما كنا حينئذٍ، عندما كنا في تلك الغرفة الداخلية، ينقصنا الكثير من أشياء هذا العالم، هكذا أيضا في عالمنا الحاضر نحن متجردون بالمقارنة بملكوت السماء. لقد اختبرنا الغذاء هنا، فدعونا نصل إلى الغذاء السماوي. لقد تمتعنا بالنور في هذا العالم، فلنتطلّع إلى شمس البر. دعونا نعتبر أنّ أورشليم السماوية هي وطننا الأصلي وأمنا، ولندع الله أبا لنا. هلموا نعيش بتعقل في هذا العالم حتى نحصل على الحياة الأبدية.

٧٠ - بمجرد أن يبلغ الأطفال في رحم أمها م إلى الطور الكامل على أساس إنقاص الغذاء إلى حد بعيد، يكونون قد بلغوا إلى هذه الحالة الصحية المتقدمة. هكذا أيضا الأبرار، فإ م يعتزلون من الحياة الدنيوية إلى رحلة الصعود حسب المكتوب: «يذهبون من قوةٍ إلى قوة» (مز٨٤: ٧). ومن الناحية الأخرى، فإنّ الخطاة يسلمون "من ظلمةٍ إلى ظلمة" مثل الجنين الذي مات في رحم الأم. إ م أموات على الأرض من الناحية الفعلية، مخنوقون من خطاياهم المتعددة، وبمجرد أن يؤخذوا من هذه الحياة يقادون إلى أماكن الظلمة والجحيم.

إننا قد وِلدنا للحياة ثلاث مرات: أولها هو العبور من رحم أمهاتنا حيث جيء بنا من ترابٍ إلى تراب. والولادتان الباقيتان تقودانا من التراب إلى السماء: فالأولى منهما هي بالنعمة التي تأتينا في المعمودية المقدسة، ونحن نسمي هذه الولادة بالصواب "ولادة ثانية". أما الولادة الثالثة فهي تمنح لنا كنتيجة لتغييرنا وأعمالنا الصالحة. ونحن حاليا في هذه المرحلة الثالثة.

٧١ - عندما اقتربنا، أيتها الأخوات، من العريس الحقيقي، كان علينا أن نتجهز بطريقةٍ ملائمة. وينبغي أن يكون مشهد الزواج الدنيوي نموذجا لنا. فإن كانت تلك النسوة اللائي يتبارين لاكتساب رجل مائت يركزن اهتمامهن على الحمامات والأطياب وأنواع الزينة المتعددة – لأ ن بذلك يتخيلن أ ن يصرن محبوباتٍ أكثر - وإن كان مثل هذا التخيل يطرأ على بال اللاتي يعشن حسب الجسد، فكم بالأكثر جدا يجب علينا نحن المخطوبات للعريس السماوي نتفوق عليهن في الاغتسال من بذاءة خطايانا بواسطة النسك الشاق، ونستبدل ثيابنا الجسدانية بأخرى روحانية! أولئك النسوة يزين الجسد بزينات دنيوية وبزهور من الأرض، فلنجعل نحن نفوسنا ساطعةً بالفضائل. وبدلاً من الحجارة الكريمة فلنطوق رؤوسنا بالإكليل الثالوثي: الإيمان والرجاء والمحبة، وحول العنق فلنضع عِقْد الاتضاع الثمين. وعوضا عن الحزام فلنمنطق أنفسنا بالعفة، ولتكن ثيابنا البراقة هي الفقر. ولتكن وليمة العرس أطعمة الصلوات والمزامير الشهية غير الزائلة.

ولكن لا تصلين بتحريك اللسان وحده؛ بل كما قال الرسول: «أصلي بالروح وأصلي بالذهن أيضا» (١كو١٤: ١٤)، لأنه كثيرا ما يتكلم الفم ويكون القلب منشغلاً بأفكار التشتت. بل ومن الضروري أن ننتبه لئلاّ نخدع - نحن اللائي اقتربنا من الزيجات الإلهية - من "مصابيح"، أي فضائل، قليلة جدا، لأنّ خطيبنا لن يعطينا حبا ولا ترحيبا إن لم يتلق ما وعدناه به. وما هي تلك المواعيد؟ أن يقلّ اهتمامنا بالجسد وأن نروي النفس بدرجة أكبر، فهذا هو عهدنا معه.

٧٢ - وكما أنه لا يمكن رفع دلوين مملوءين بالماء من البئر في وقت واحد، حيث إنّ الآلة الرافعة تجعل الأقل امتلاءً منهما يهبط بينما يرتفع الآخر الممتلئ؛ هكذا أيضا الحال معنا. فعندما نجعل جلّ اهتمامنا بالنفس، فهي ترتفع مملوءةً بالفضائل متجهةً نحو السماء، بينما أنّ الجسد (الذي يصير خفيفًا من النسك) لا يمكنه أن يثقل مقابل النفس (أي يتوازن معها). ويشهد الرسول بذلك قائلاً: «إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوما» (٢كو٤: ١٦).

٧٣ - هل تعيشين في حياة شركة في دير؟ لا تغيري موضعكِ لأنكِ ستتضررين جدا. لأنه كما أنّ الطائر الذي يهجر بيضه يجعله غير مثمر؛ هكذا أيضا الراهبة أو الراهب، فإنّ روحه تبرد حتى يموت إيمانه بانتقاله من مكان إلى آخر.

٧٤ - لا تغريكن مباهج الأغنياء بحسب المقاييس الدنيوية كأنـها شيء نافع. إنـهم يبتهجون بفن الطبخ لأجل مسرتهم، فلتتخطّين أنتن على أطعمتهم المفرطة بالصوم والاعتدال في الأكل. لأنّ الكتاب يقول: «النفس الشبعانة تدوس العسل» (أم٢٧: ٧).

٧٥ - توجد ثلاثة ينابيع للعدو ينبثق منها كل شر: الشهوة والمسرة والحزن. وهي متصلة بعضها بالآخر، وكل منها يتبع الآخر. ومن الممكن التحكم في المسرة إلى درجةٍ ما، ولكن يستحيل التحكم في الرغبة (أو الشهوة)، لأنّ إشباع المسرة يتم بواسطة الجسد، ولكن الشهوة تبدأ من النفس، في حين أنّ الحزن يمكن أن يتكون من كليهما. إذن، فلا تسمحن للشهوة أن تصير فعالة وبذلك تبددن الاثنتين الأخريين (أي المسرة والحزن). أما إذا سمحتن للأولى أن تبرز فهي تتطور إلى الثانية ثم يشكلان معا "حلقةً فاسدةً" لا يمكن للنفس أن تفلت منها. لأن الكتاب يقول: «لا تعطِ ممرا للماء» (سيراخ٢٥: ٢٥).

٧٦ - ليست كل الأساليب تناسب جميع الناس. فليثق كل إنسان في استعداده الخاص به، لأنه من النافع لكثيرين أن يعيشوا في مجمع شركة ولآخرين أن يتوحدوا. فكما أن بعض

النباتات يزداد ازدهارها عندما تكون في مواضع رطبة، في حين أنّ غيرها يكون أكثر ثباتا في ظروف جافة؛ هكذا أيضا بين البشر، فالبعض يزدهر في الأماكن الأكثر سموا، بينما يتمم آخرون خلاصهم في الأماكن الأقل سموا (أو الأكثر تواضعا). كثير من الناس يجدون خلاصهم في المدن وهم يتصورون كأ م يعيشون في البراري. وكثيرون رغم أ م يعيشون في الجبل يضلّون بمعيشتهم حياة أهل المدن. فمن الممكن لمن يعيش مع جماعة أن يكون منفردا في أفكاره، ولمن يعيش منفردا أن يعيش مع حشد من الناس في ذهنه.

٧٧ - كثيرةٌ هي منخسات الشيطان. إن كان لا يغير النفس بواسطة الفقر فهو يغريها بالثروة. وإذا لم يظهر قدرته باللعنات والانتهارات، فهو يقدم المديح وا د. إذا هزم بواسطة الصحة الجيدة يصيب الجسد بالمرض. وعندما لا يستطيع أن يضلل الإنسان بالمسرات يحاول أن يجعل النفس تنحرف، بدون اختيارها أو رغبتها، بالمصاعب غير الإرادية. إنه يأتي بأشد الأمراض حتى إنّ الذين يضعفون بتلك الأمراض يتداعى حبهم لله. ولكن إن كان جسدك ملتهبا كما بنار بحمى شديدة وقد تثقّل بعطش غير قابل للإرواء وغير محتمل، وإن كنت تحتمل أنت الخاطئ تلك العذابات؛ فتذكر العقاب المزمع: أي النار الأبدية والعقوبات التي يتطلبها العدل الإلهي، وأنت لن تضعف أمام الظروف الحاضرة. وافرح لأنّ الرب تطلّع إليك، واجعل على لسانك القول المقدس: «تأديبا أدبني الرب وإلى الموت لم يسلمني» (مز١١٨: ١٨).

إن كنتِ حديدا، فبالنار تتنقين من صدئك. وحتى لو رقدتِ بالمرض، فمع أنكِ بارة فإنكِ تتقدمين من فضيلةٍ عظيمةٍ إلى أعظم! إن كنتِ بالفعل ذهبا، فبالنار تصيرين أعظم قيمةً! إن كان قد أُعطي لكِ في جسدك «ملاك الشيطان» (٢كو١٢: ٧)، فتفكّري فيمن صرتِ مشا ةً له، لأنكِ قد حسِبتِ مستحقةً لعطية الرسول بولس! إن كنتِ قد جربتِ بحرارة (حمى) محرِقة، فإنك تتهذّبين بواسطة البرودة، ولكن الكتاب يقول: «دخلنا في النار والماء» (مز٦٦: ١٢)، فإنّ مكان الراحة قد أُعِد هناك. فإن كنتِ قد ذقتِ الأولى (أي ضيقات الحاضر) فانتظري الثانية (الراحة الأبدية). وبينما أنتِ تمارسين فضيلتك ارفعي صوتكِ بكلمات داود النبي: «أما أنا فمسكين ومكتئب» (مز٦٩: ٢٩)، فتصبحين كاملةً ذه الشدائد فإنّ الكتاب يقول: «في الشدة فرجت عني» (مز٤: ١سبعينية). فلندرب نفوسنا ذه الممارسات بصفةٍ خاصة، لأننا نرى العدو أمام عيوننا.

٧٨ - ليتنا لا نحزن إن كنا غير قادرين أن نقف للصلاة أو نرتل المزامير بصوتٍ بسبب ضعف أجسادنا وأوجاعها، فإنّ جميع هذه العلل تأتي علينا لأجل إبادة شهواتنا. لقد وصِف لنا

الصوم والنوم على الأرض بسبب الملذات المشينة. فإذا جعلت هذه الأمراض تلك الملذات متبلدة يكون التقشف شيئًا زائدا عن الحاجة. ولكن لماذا أقول إنه زائد عن الحاجة؟ لأنّ الزلات المهلكة الكامنة يكبح المرض جماحها كما بعلاج طبي قوي وفعال. هذا هو النسك العظيم: أن يظل المرء قويا في المرض ويواصل التسابيح والشكر للقدير.

هل حرِمنا من عيوننا؟ ليتنا لا نستاء من ذلك، فقد فقدنا الوسائل المؤدية إلى الشهوة النهمة (أي التي لا تشبع)، ومع ذلك فإننا نتأمل بعيوننا الداخلية في مجد الرب «كما في مرآة» (٢كو٣: ١٨). هل أصابنا الصمم؟ فلنشكر الله لأننا فقدنا بالكلية الضوضاء غير النافعة. هل أُصيبت أيدينا بالضرر؟ ومع ذلك فلا زلنا نملك أيدينا الداخلية ا هزة جيدا للحرب ضد العدو. هل يتحكم المرض في أنحاء الجسد كله؟ فلا زالت صحة إنساننا الداخلي تزداد أكثر جدا.

٧٩ - عندما نعيش، أيتها الأخوات، في شركة فلنفضل الطاعة على النسك، لأنّ الثانية تعلم العجرفة بينما تجلب الأولى الاتضاع. ويوجد أيضا نسك يشجعنا عليه العدو، فيمارسه تلاميذه. فكيف نميز، إذًا، بين النسك الملكي الذي من الله وذاك الشيطاني؟ واضح أننا نميز بينهما بالاعتدال. فينبغي أن يكون لكُن، على مدى حياتكن، نظاما واحدا للصوم. فلا تصومي لمدة أربعة أو خمسة أيام، ثم تنغمسين بعد ذلك في أطعمةٍ زائدة عن الحاجة، فهذا هو ما يسر العدو. ففي كل الأوقات يكون عدم الاعتدال مهلكًا. فلا تستهلكي جميع أسلحتك الدفاعية في وقتٍ واحدٍ، فإنك تصيرين مجردةً من السلاح وتؤسرين في الحرب. درعنا هو الجسد، والنفس هي الجندي، فاعتني بـ ـهما لأجل وقت الحاجة.

عندما تكونين شابة وصحتك جيدة صومي، لأنّ الشيخوخة آتية بضعفها. بأقصى ما في وسعكِ اكـ ي ثروات (روحية) لكيما تجديها عندما تصبحين ضعيفة. صومي بتعقّل ولكن بتدقيق. تيقّظي من تدخل العدو في شئون صومكِ. وأعتقد أنّ المخلص ربما كان يوحي بذلك في مثل الوزنات (مت٢٥: ١٤-٣٠)، أي تعلّمي أن تعرفي الختم الملكي بدقة، لأنه توجد أختام مزيفة. الذهب طبيعته واحدة، ولكن يوجد فرق في علاماته المميزة (الدمغة). فالذهب هو الصوم وضبط النفس والعطاء، إلاّ أنّ أبناء اليونانيين (أي الوثنيين) دمغوا هذه الفضائل بصورة طاغيتهم، وجميع الهراطقة يكرمون هذه العملة المزيفة بسبب اليونانيين. ولكن يجب عليكن أن تكن يقظات من هذه العملات المزيفة

واهربن منها كما من التزوير. عليكن أن تكن حريصات لئلاّ يحلّ بكن العقاب من استعمالكن لها بدون تمييز. فاقبلن صليب المسيح المدموغ بالفضائل بكل أمان، أي قومن الإيمان بأعمال مقدسة.

٨٠ - من الضروري لنا أن نضبط نفوسنا بكل إفراز. وطالما أننا نعيش في شركةٍ فلا نطلب أمزجتنا أو أن نستعبد لمشيئتنا، بل أن نطيع أمنا الروحية في الإيمان. لقد أعطينا نفوسنا للغربة، أي أننا خارج التخوم الدنيوية وكأننا منفيون، فلا نطلب نفس الأهداف (الدنيوية). في العالم كانت لنا سمعة طيبة، أما هنا فلنا الانتهار. كانت لنا هناك وفرة من الطعام، أما هنا فلنا نقص حتى في الخبز. الذين يعثرون في العالم حتى بدون إراد م يلقون في السجن، فلنسجن نحن أنفسنا أيضا لأجل خطايانا، وذلك حتى إنّ هذا العمل الطوعي يعفينا من العقوبة المزمعة.

٨١ - هل تصومين؟ لا تتذرعي بالمرض كعذر للكف عن الصوم، فإنّ الذين لا يصومون تحلّ عليهم الأمراض نفسها. هل بدأتِ في حياةٍ فاضلة؟ فلا تتراجعي عندما يؤذيكِ العدو، لأنه هو ذاته يخزى من ثباتك. الذين يبدأون رحلةً بحريةً تصادفهم أولاً ريح مواتية عندما ينشرون أشرعتهم، ولكن بعد ذلك ب عليهم ريح مضادة، ومع ذلك فإن البحارة لا يعودون بالسفينة بسبب الريح غير المواتية، ولكنهم يواصلون رحلتهم بعد أن يهدئوا أنفسهم قليلاً أو بعد أن يصارعوا ضد العاصفة. وهكذا نحن أيضا ينبغي أن نكمل رحلتنا بدون توقف عندما نواجه ريحا مضادة، وذلك إن كنا نرفع الصليب بدلاً من الشراع.



هذه هي تعاليم القديسة سنكليتيكي، ولكنها هي خبرا ا العملية أكثر مـن كو ـا كلاما. وقد أعلنت أيضا عن تعاليم أخرى عديدة وهامة لكي تعين ا اللائي كن يصغين إليها ويلاحظنها. هكذا كانت غزارة التعاليم الصالحة التي تدفّقت منها حتى إنّ اللسـان البشري لَيعجز عن ذكرها كلها.

الشيطان يصيبها بالأمراض ليمنعها من التعليم:

ولم يستطع الشيطان عدو الخير أن يحتمل غزارة هذه التعاليم المباركة، وظلّ يحاول أن يخترع في ذهنه طريقةً يعوق ا نمو فضائلها. وأخيرا تحدى تلك العذراء النبيلة بأقصى

حد من الصراع. بل إنه بسبب حقده فقد أنزل ا انتقاما شرسا، إذ إنه لم يبدأ جومه على أعضائها الخارجية، بل خصص لها ألمًا عميقًا في داخلها بمهاجمته لأحشائها حتى لا يمكنها أن تجد راحةً بأية معونةٍ بشرية!

فضرب أولاً أهم الأعضاء الأساسية للحياة وهي الرئة، واستعمل شره قليلاً قليلاً بواسطة الأمراض المميتة. لقد سمِح له بالفعل أن ينهي سريعا على حيا ا حسب اختياره، ولكن كجلاّدٍ متعطش إلى الدم، وقد أظهر وحشيته بتعذيباتٍ عديدةٍ ولمدةٍ طويلة. فقد مزق رئتها شيئًا فشيئًا بواسطة البلغم الذي كانت تبصقه بالكُحة، حتى أزال الرئة بالتدريج! وبالإضافة إلى ذلك، فقد استمرت في حمياتٍ مستعصيةٍ أرهقت جسدها وكأ ا مبرد!

احتمالها لأمراض بشعة في أواخر أيامها:

كانت القديسة في الثمانين من عمرها عندما نقل الشيطان إليها تجارب أيوب الصديق، لأنه في تلك الفرصة استعمل أيضا نفس الجلدات، رغم أنه حينئذٍ اختصر الوقت بأن جعل الآلام أكثر حدةً. أيوب الصديق أكمل خمسا وثلاثين سنةً في عذابه، ولكن العدو هنا أكمل ثلاثين سنة كتقدمة بكور، إن جاز القول، في عذابات جسد هذه المرأة المقدس. وقد صارعت ضد العدو لمدة ثلاث سنوات ونصف في تلك الآلام الشهيرة. أيوب الصديق جلب الشيطان عليه قروحا من الخارج؛ أما هذه المرأة، فقد هاجمها بعذاباتٍ من قروحٍ في الداخل، لكيما بتعذيبه لأعضائها الداخلية يخصص لها آلاما أكثر حدةً وعسرا!

ولا أظن أنّ أنبل الشهداء وأكثرهم شجاعةً قد قاسى أكثر من القديسة المشهورة سنكليتيكي، لأنّ العدو المنتقم هاجمهم خارجيا. فحتى لو جلب عليهم السيف أو النار، فقد كان ذلك أخف من التجارب التي اختبر ا القديسة. لقد أحرق العدو أحشاءها كما في أتون ناري مشعلاً النار من الداخل قليلاً قليلاً، وقد أرهق جسدها كمبردٍ لفترةٍ طويلةٍ من الوقت. والحديث عن هذه العملية إنما هو حقًا ثقيل الوطأة ووحشي. عندما يريد الذين ائتمِنوا على وظائف قضائية أن يضعوا عقوبات عنيفة جدا على المخطئين، فهم يهلكو م بنارٍ بطيئة الاشتعال نسبيا؛ ولكن العدو خلق للقديسة عذابا لا يهدأ ليلاً و ارا من أعضائها الداخلية، وذلك كأنه كان يهيج النار التي كانت دائمة الاشتعال.

وبينما كانت القديسة خاضعةً لهذه البلية بشهامةٍ لم تخفق عزيمتها. بل بالعكس، فإنّ هذه المباركة قد استمرت في صراعها ضد العدو، وعلى الأقل فقد ظلّت تشفي الذين جرحهم العدو بتعاليمها الصالحة. وقد استمرت بالفعل في إبعاد الغرور عن النفوس التي

لم يجرحها الأسد المتعطش للدماء. بل وحتى ا .روحين ظلّت تشفيهم بعقاقير الرب الخلاصية. ولكنها أبقت على بعض النفوس بلا جروح على الإطلاق، لأ ا كشفت لهم عن فخاخ الشيطان الغادرة فجعلتهم أحرارا من الخطية.

وقد اعتادت هذه المرأة العجيبة أن تقول إنّ النفوس المكرسة لله يجب ألاّ تكون متغافلة، فالعدو يكمن لهذه النفوس بصفةٍ خاصة. فهي بينما تكون في سلام يصر بأسنانه، وعندما يهزم يغتاظ وينسحب قليلاً ويظل في حالة ترقب، ثم يسقِط الإنسان بواسطة نفس الطباع التي يظن الإنسان أنه لا يوجد سبب يجعل العدو يهتم ا. فكما أنه من المستحيل على أحقر الناس ألاّ تكون لديهم ولو ذرة من الصلاح، هكذا فإنّ العكس أيضا حقيقي بالنسبة للصالحين، فإنّ نصيب الذين يصارعون يكون في معسكرات المقاومة. على أي حال، فإنّ الذي يعيش في كل نوع من الأمور المخزية ويكون منهمكًا في كل نوع من الخلاعة، كثيرا ما يكون رحيما! وكثيرا ما يوجد أتقياء يمارسون العفة والصوم وضبط السلوك، ولكنهم بخلاء وأفّاكين (أي لهم بعض المخازي والعثرات).

فمن الضروري ألاّ نكون متهاونين في الأمور الصغيرة وكأ ا غير مؤذية، لأنّ الماء بمرور الوقت يحت في الحجر. إنّ أعظم الصالحات عند البشر تأتيهم بواسطة النعمة الإلهية، هذا من ناحية؛ ومن الناحية الأخرى، فإنّ تلك الأمور التي تبدو صغيرة قد تعلمنا أن نتجنبها. وهكذا فإنّ الذي يقاتل التجربة الكبيرة بواسطة النعمة ولكنه يحتقر التجربة الصغيرة يتأذّى جدا. لأنّ ربنا، كأبٍ حقيقي، يمد يده عندما يحاول أطفاله أن يمشوا، وبينما هو ينقذنا من أي من الأخطار الكبيرة يسمح لنا أن نقاوم الأخطار الصغرى بأنفسنا، مبينا لنا بوقوفنا على أقدامنا هكذا أنّ إرادتنا حرة. لأنه كيف يمكن لمَن يهزم بسهولةٍ في التجارب الصغيرة أن يكون متيقظًا في الأخرى الكبيرة؟

ولما رأى مبغِض الصلاح أنّ ق. سنكليتيكي تتشدد ضده غضب. ولما رأى أنّ طغيانه يتبدد ِاخترع نوعا آخر من الشر، فقد أصاب أعضاءها التي تتكلم ا (أي الفم واللسان) لكي يمنعها من الكلام (النافع) ظنا منه أنه بذلك يجعل النسوة اللائي يتجمعن حولها يذهبن جائعات إلى كلامها الملهم. ولكنه حتى وإن كان قد حرم أسماعهن من كلامها النافع، إلاّ أنه على المدى الأطول فقد أُنعِم عليهن بالمنفعة، لأنه - كما قررت النسوة - فإنّ آلامها التي رأينها بعيو ن قد شجعتهن، حيث إنّ جروح جسدها قد شفت نفوسهن من بلاياها. فقد كان ممكنا رؤية تيقظ وشفاء اللاتي تطلّعن إلى سمو نفس هذه

المرأة المباركة وصبرها في تلك الآلام!

ولقد سبب العدو لها البلايا بالطريقة الآتية: بعد أن ابتلاها بالألم في أحد ضروسها جعل اللثة تصاب بالعدوى في الحال. لقد تلفت عظمة الفك وانتشرت القروح فيها كلها وصارت مصدرا للعدوى لأجزاء الجسد ا اورة لها. وفي غضون أربعين يوما تسوست (أو تلفت) العظمة وبعد شهرين ظهر فيها ثقب. ثم اسود كل ما حولها وأخيرا تفتتت واضمحلّت. ثم تسلّطت العفونة ورائحة النتانة الكريهة جدا على جسدها بأكمله حتى إنّ النسوة اللائي كن يخدمنها قاسين من ذلك أكثر منها! وقد اعتدن على أن يبتعدن عنها لفترات طويلة من الوقت لعدم احتمالهن النتانة البشعة. ولكنهن كن يقتربن عندما تدعو الحاجة، حيث كن يحرقن كميةً كبيرةً من البخور ثم يبتعدن سريعا!

ولكن المرأة رأت العدو بوضوح، ولم تسمح بإحضار أية معونةٍ بشريةٍ على الإطلاق مما أظهر شجاعتها الشخصية بجلاء. وقد حثتها رفيقا ا على دهن أماكن جسمها المتضررة بالمراهم لأجل ضعفها، ولكنها لم تقتنع لأ ا اعتقدت أ ن بالمعونة الخارجية يلاشين قتالها ا يد. ثم استدعت رفيقا ا طبيبا لعله يقنعها بالموافقة على العلاج، إلاّ أ ا لم تسمح بحضوره قائلةً: "لماذا تمنعن عني، يا أخواتي، هذا الصراع الجيد؟ لماذا تطلبن النواحي المرئية وتتجاهلن الخفية؟ لماذا تصنعن ضجيجا بخصوص هذه الحالة دون التطلع إلى الذي أوجدها"؟ فأجاب الطبيب - الذي كان حاضرا - بقوله: "إننا لا نقدم علاجا لأجل الشفاء أو الراحة، بل لكي ندفن - حسب العادة - الجزء الميت من الجسد الذي تعفن، ولئلاّ يصاب الحاضرون هنا أيضا بالعدوى. فنحن نفعل الآن ما يفعله الناس للموتى. إنني مزجت مرا مع عصير ريحان شامي وصبار، وها أنا أستعمله الآن". فقبلت مشورته بالعلاج شفقةً منها على رفيقا ا أكثر من أي شيءٍ آخر، لأنّ رائحة العفونة التي لا توصف تحسنت ذا العلاج.

من ذا الذي لا يقشعر من منظر مثل هذه البلية؟ من ذا الذي لا يشعر بالمعونة من منظر احتمال تلك المرأة المباركة؟ ومن إدراكه لفشل العدو أمامها؟ لقد ركّز المرض في المكان الذي كان يتدفق منه ينبوع حديثها الخلاصي الدائم الحلاوة، وقد بددت قساوته المفرطة كل راحةٍ لها، ومثل وحش متعطش للدماء أرعب رفيقا ا وامتص غير ن لكي يمزق فريسته إربا، ومع أنه طلب لنفسه وجبةً، فقد صار هو نفسه طعاما، وكأنه أُمسِك بخطّافٍ بواسطة ضعف جسدها. لقد كان يرى أ ا امرأة، ولكنه صار موضع ازدراءٍ لأنه

فشل في التعرف على إراد ا الرجولية الشجاعة! لقد أدرك أن أطراف جسمها كانت مريضة، ولكنه في الحقيقة كان أعمى غير قادر أن يميز ذهنيتها ذات القوة الهائلة.

لقد استمرت تصارع في هذا القتال لمدة ثلاثة شهور. وكانت تؤازر جسدها قوة إلهية شاملة، لأنّ ما ساهم في تحمل جسدها كان يضمحل، وسوء التغذية صار عاملاً هاما، لأ ا كيف كان يمكنها أن تتغذّى بينما سيطر عليها الفساد والعفونة؟! وقد هجرها النوم أيضا، إذ حرمتها آلامها منه!

وعندما صار هدف نصر ا وإكليلها وشيكين عاينت رؤى: الملائكة الحراس يحلّقون، وتشجيع العذارى الحكيمات لها على الانطلاق، وشعاع نور يفوق الوصف ومجال الفردوس. وبعد هذه الرؤى، وكأ ا أفاقت إلى نفسها، أوصت النسوة الحاضرات أن يتحملن بشجاعةٍ ولا ن عزائمهن في تلك الظروف. ثم قالت لهن:"في غضون ثلاثة أيام سأفارق جسدي". ولم تكشف عن ذلك فحسب؛ بل أيضا ساعة رحيلها من هذا العالم. ولما حان الوقت انطلقت المباركة سنكليتيكي إلى الرب وقد نالت منه ملكوت السماء كمكافأة على صراعا ا. وسبحا لربنا يسوع المسيح مع الآب والروح القدس إلى الأبد آمين.

أيها الرب إله القوات
بشفاعات والدة الإله
الجديرة بكل تسبيح، والتي هي رجائي الثابت
وطلبات الآباء الذين سجلت سيرهم بغيرةٍ وجهدٍ،
اِجعلني مستحقًا أنا الخاطئ
أن أجد نعمةً في عينيك
حسب أحكامك التي تعرفها.

☸☯✞☯☸

قصص وأقوال
القديسة أما سنكليتيكي

قالت أما[٤٨] **سنكليتيكي:** "كثيرون يعيشون في الجبال ويسلكون كأ م في المدينة ويضيعون وقتهم، ويعملون عمل الأشرار ويهلكون نفوسهم. يستطيع الإنسان الذي يعيش مع كثيرين أن يكون متوحدا في قلبه، ويمكن للمتوحد أن يعيش مع كثيرين في أفكاره"[٤٩].

وقالت أيضا: "الذين يتقدمون إلى الله (أي يعطون حيا م له) يجدون في البداية قتالات شديدة وقدرا كبيرا من المعاناة، ثم بعد ذلك فرحا لا يوصف. وهذا يشبه الذين يريدون أن يشعِلوا نارا، ففي البداية يتضايقون من الدخان وتدمع عيونـهم، ثم يحصلون على ما يريدون، لأنه قيل إنّ: «إلهنا نار آكلة» (عب١٢: ٢٩). وهكذا نحن يجب أن نشعِل النار الإلهية في نفوسنا بواسطة الدموع والعمل الشاق"[٥٠].

وقالت أيضا: "كما أنّ الكائنات السامة تطردها أكثر العقاقير مرارةً، هكذا أيضا الأفكار الشريرة تطردها الصلاة المقترنة بالصوم"[٥١].

وقالت أيضا: "لا تنخدع بمباهج غِنى العالم كأنه يحوي شيئًا نافعا لأجل اللذّة الباطلة. إنّ الدنيويين يقدرون فن الطبخ، أما أنت فتجاوز اتساعهم في الطعام بالصوم والطعام الرخيص. إنه مكتوب: «النفس الشبعانة تدوس العسل» (أم٢٧: ٧). لا تشبع من الخبز وأنت لن تشتهي الخمر"[٥٢].

وسئِلت المغبوطة سنكليتيكي إن كان الفقر وعدم القنية يعتبران صلاحا كاملاً، فأجابت: "إنه صلاح كاملٌ للقادرين عليه، فالذين يصبرون على ذلك يتضايقون بالجسد ولكنهم يجدون راحةً وهدوءًا في الروح. فكما أنّ الذي يغسل ملابس خشنة يسحقها بقدميه ويقلبها من كل ناحيةٍ؛ هكذا أيضا النفس القوية تتشدد وتصير أكثر رسوخا وثباتا وتنظف بفضل الفقر الاختياري"[٥٣].

وقالت أيضا: "إن تواجدت في دير فلا تستبدله بغيره لئلاّ تقضي زمانك بدون ثمر، وهذا يضرك بقدر كبير، وذلك مثل الطائر الذي يهجر بيضه الذي كان راقدا عليه

---

(٤٨) كلمة "أما αμμα" القبطية تستعمل كلقب للأم الراهبة مثل αββα التي تستعمل للأب الراهب.
(٤٩) س ٤ ص ١٢٧؛ Apoph., Sync.,19.
(٥٠) س ٤ ص ١٢٧؛ Apoph., Sync., 1.
(٥١) س ٤ ص ١٢٧؛ Apoph., Sync., 3.
(٥٢) س ٤ ص ١٢٧؛ Apoph., Sync., 4.
(٥٣) س ٤ ورقة ١٢٧؛ Apoph., Sync., 5.

فيفسد ولا يفقس، هكذا أيضا الراهب أو الراهبة عندما يذهب من مكان إلى آخر تبرد حرارة رهبنته ويموت إيمانه"[٥٤]!

وقالت أيضا: "كثيرةٌ هي حيل الشيطان المحتال، فإن لم يقدر أن يزعِج النفس بالفقر يقترح عليها الغِنى ليجذ ا إليه. وإذا لم ينتصر عليها بالشتائم والتعييرات يقدم لها المديح وا د الباطل. وإذا هزم بصحة الجسد يجلب عليه أمراضا، وإن لم يقدر أن يغريه بالملذّات يحاول أن يهزمه بالأوجاع غير الإرادية، ويقرن ذلك بمرضٍ قاسٍ جدا لكي يعوق الذين تخور عزيمتهم عن حبهم لله. وهو أيضا يدمر الجسد بحمى عنيفة جدا ويرهقه بعطشٍ لا يحتمل. فإذا كنت خاطئًا وحلّت بك هذه كلها، تذكّر العقاب المزمع والنار الأبدية والآلام العادلة المملوءة عذابا، ولا تيأس بين الحين والآخر.

"اِفرح لأنّ الله يفتقدك، واحتفظ ذا القول المبارك على شفتيك: «تأديبا أدبني الرب وإلى الموت لم يسلمني» (مز١١٨: ١٨). فإن كنت من حديد، إلاّ أنّ النار أحرقت الصدأ منك. وإن كنت بارا ومرضت، فستذهب من قوةٍ إلى قوة. واذكر المكتوب: «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضا معه» (رو٨: ١٧).

"هل أنت من ذهب؟ فستعبر في النار المطهرة (أي التجارب). هل أُعطيت شوكةً في الجسد (٢كو١٢: ١)؟ فتهلّل وانظر إلى الذي حدث معه ذلك، إنه لشرف أن تكون لك نفس آلام القديس بولس! هل جربت بالحُمى؟ هل تعلّمت من أمراض البرد؟ يقول الكتاب: «دخلنا في النار والماء ثم أخرجتنا إلى الخصب (أو الرحب)» (مز٦٦: ١٢). هل ربحت النصيب الأول؟ اِنتظر الثاني. قدم بقوةٍ كلاما مقدسا بصوتٍ عالٍ، لأنه قيل: «إنني متضايق وفي شدة» (أنظر مز٦٩: ١٧)، و ذا النصيب من البؤس ستصير كاملاً، لأنه قال: «الرب يسمع عندما أدعوه» (مز٤: ٣). «اِفغر فاك» (أي وسع فمك) لكي تتعلّم بواسطة ممارسات (أو اختبارات) النفس هذه مع الأخذ في اعتبارنا أننا تحت نظر عدونا"[٥٥].

وقالت أيضا: "إن كان عليك أن تصوم فلا تحتج بالمرض، لأنّ الذين لا يصومون يصابون غالبا بأمراضٍ حقيقية. وإذا بدأت في عملٍ صالحٍ فلا تتقهقر بسبب أي معوقٍ من العدو، لأنه بصبرك ينهزم العدو. الذين يبدأون السفر في البحر يفعلون ذلك عندما تكون الريح مواتية ثم يفردون الأشرعة، ولكن الرياح تصير بعد ذلك مناوئةً، ثم تلاطم الأمواج السفينة ولا يمكن التحكم فيها بالدقّة بعد. ولكن عندما يهدأ الحال قليلاً

(٥٤) س ٤ ورقة ١٢٧؛ Apoph., Sync., 6

(٥٥) س ٤ ورقة ١٢٧؛ Apoph., Sync.,7

وتتوقف العاصفة، تبحر السفينة مرةً أخرى. هكذا نحن أيضا، فعندما تصدنا الأرواح المناوئة لنا نتمسك بالصليب كشراعٍ لسفينتنا، وهكذا نتخذ طريقنا بأمان"(٥٦).

وقالت أيضا: "إذا أخطأنا إلى ملوك العالم ولو بغير إرادتنا، ألا نلقَى في السجن ونعاقَب؟ هكذا فلنحبس أنفسنا بسبب خطايانا ونعاقبها بالأتعاب، وذلك لكيما ذا العقاب الطوعي نتذكّر العقاب العتيد"(٥٧).

وقالت أيضا: "كما أنّ الك إذا كُشِف عنه النقاب سلِب؛ هكذا أيضا الفضيلة إذا عرفَت اضمحلّت. وكما يذوب الشمع قدام النار؛ هكذا أيضا النفس لك بالمديح وتفقد كل نتائج أتعا ا"(٥٨).

وقالت أيضا: "كما أنه لا يمكن أن تبنى سفينة بدون مسامير؛ هكذا يستحيل الخلاص بدون اتضاع"(٥٩).

وقالت أيضا: "الذين يك ون الثروة الدنيوية يتحملون أتعاب الأسفار وأخطار البحار، وكلّما ربحوا واكت وا كلما اشتهوا ربحا أكثر وازداد انشغالهم في ذلك، وما يمتلكونه في الحاضر لا يلتفتون إليه، ويبحثون عما يشتهونه ويحرصون على جمعه. أما نحن فقد صرنا في حياتنا الرهبانية بخلاف ذلك، لأنّ الأمر الذي خرجنا لنطلبه ليس في أيدينا منه شيء، ولا نريد أن نقتنيه لأجل مخافة الله"(٦٠).

وقالت أيضا: "الحزن على نوعين: أحدهما نافع والآخر مهلك. الأول حزنٌ روحي ويتضمن بكاء الإنسان بسبب خطاياه، وبسبب ضعف قريبه، ولكي لا يفوته ما نوى عليه من الصلاح حتى لا يفسد هدفه. أما النوع الثاني فهو حزنٌ من العدو، ويسمونه "ضجرا"، ويأتي منه قطع الرجاء واليأس، فعلينا أن نطرد هذا الحزن عنا بالصلاة والتسبيح والرجاء في الله"(٦١).

وقالت أيضا: "طالما أننا في الدير، فالطاعة تفضل على النسك، لأنّ النسك يعلم الكبرياء، والطاعة تعلم الاتضاع. فيجب أن نوجه أنفسنا بإفراز، فطالما نحن في الدير لا نطلب تحقيق مشيئتنا ولا نتبع رأينا الشخصي، بل نطيع الأب - الذي استودعناه سرنا بأمانةٍ - فيما يوصينا به"(٦٢).

---

(٥٦) س ٤ ورقة ١٢٧؛ Apoph.,Sync., 20
(٥٧) س ٤ ورقة ١٢٧؛ Apoph., Sync.,9
(٥٨) س ٤ ورقة ١٢٧؛ Sync., 21 ؛ W. & W., I: 362
(٥٩) س ٤ ورقة ١٢٧؛ Apoph., Sync., 26
(٦٠) س ٤ ص ١٢٨؛ Apoph., Sync., 10
(٦١) س ٤ ص ١٢٨؛ Apoph., Sync., 27.
(٦٢) س ٢ ص ٣٥٥؛ Apoph., Sync., 16, 17.

وقالت أيضا: "نحن الذين اخترنا هذا الطريق يجب أن نحصل على ضبطٍ كاملٍ للنفس. حقًا إنّ ضبط النفس (أو الاعتدال) بين العلمانيين يقترن بحرية المعيشة في المدن ولكن يصاحبه التطرف (عدم الاعتدال)، لأ م يخطئون بجميع حواسهم، فنظرا م تكون بلا حياءٍ ويضحكون بإفراط"(٦٣).

وقالت أيضا: "إذا ثقل علينا المرض فلا نحزن لأننا بسبب المرض وانطراح أجسادنا لا يمكننا أن نسبح، لأنّ كل ذلك هو لخيرنا لأجل تطهيرنا من شهواتنا. حقًا إنّ الصوم والنوم على الأرض قد جعِلا لنا بسبب ميولنا الشهوانية. فإذا أضعف المرض من هذه الميول تصير هذه الممارسات لا داعي لها، لأنّ هذا هو النسك العظيم: أن يضبط الإنسان نفسه في المرض وأن يرتل تسابيح الشكر لله"(٦٤).

وقالت أيضا: "تشبه بالعشار وأنت لن تدان مع الفريسي، اِختر وداعة (أو حلم) موسى فتجد أنّ قلبك قد صار صخرةً تحولت إلى ينبوع ماء"(٦٥).

وقالت أيضا: "من الخطر أن يعلم إنسانٌ غيره وهو لم يصِر بعد محنكًا في الحياة العملية، لأنه إذا امتلك إنسانٌ بيتا محطما واستقبل فيه ضيوفًا، فهو يضرهم بسبب خراب مسكنه؛ وهكذا أيضا الحال مع من لم يبنِ أولاً مسكنه الداخلي فيسبب خسارةً لمَن يأتي إليه. ربما بكلامه يهديهم إلى الخلاص، ولكنه بسلوكه يضرهم"(٦٦).

وقالت أيضا: "جيد للإنسان ألاّ يغضب، ولكنه إذا غضب فالرسول لا يوافق على دوام ذلك اليوم كله، لأنه يقول: «لا تغرب الشمس على غيظكم» (أف٤: ٢٦). هل تنتظر حتى ينتهي زمانك كله؟ لماذا تبغض الذي أحزنك؟ إنه ليس هو الذي أخطأ بل الشيطان، فاحقد على المرض وليس على المريض"(٦٧).

وقالت أيضا: "الأبطال العظام هم الذين ينبغي أن يصارعوا ضد أعداءٍ أقوى منهم (بالنعمة)"(٦٨).

وقالت أيضا: "يوجد نسك مقرر من العدو ويمارسه تلاميذه. فكيف نفرق بين النسك الإلهي الملوكي والطُغيان الشيطاني؟ واضح أنّ ذلك يكون بواسطة نوعية وزنه. اِستعمل دائما نظاما واحدا في الصوم، فلا تصم أربعة أو خمسة أيام ثم تكسر الصوم في اليوم التالي بأية كميةٍ من الطعام، ففي الحقيقة إنّ نقص التناسب يفسِد على الدوام.

(63) Apoph., Sync., 2. (64) Ibid.,8. (65) Ibid.,11. (66) Ibid.,12. (67) Ibid.,13. (68) Ibid., 14.

وعندما تكون شابا صحيح الجسم صم، لأنّ الشيخوخة ستأتي بضعفها، فطالما أنك قادر ادخر (روحيا) حتى إنك عندما تكون غير قادر تعيش في سلام"[٦٩].

وقالت أيضا: "مكتوب: «كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام» (مت١٠: ١٦)، فأن نكون حكماء كالحيات معناه ألاّ نتجاهل هجمات الشيطان وخداعاته، فالمثيل يعرف سريعا من المثيل، أما بساطة الحمام فتعبر عن نقاوة التصرف"[٧٠].

وقالت أيضا: "كما أنه يستحيل أن يكون الزرع هو البذرة في نفس الوقت، هكذا أيضا يستحيل علينا عندما تكتنفنا الكرامة الدنيوية أن نعطي في نفس الوقت ثمرا سماويا"[٧١].

وقالت أيضا: "يجب أن نسلح أنفسنا بكل طريقةٍ ضد الشياطين، لأ ا اجمنا من الخارج وتثيرنا أيضا من الداخل، وتكون النفس حينئذٍ مثل سفينةٍ عندما تلاطمها أمواج عاتية، ولأنّ جوفها في نفس الوقت يمتلئ بالماء فهي تغرق. وهكذا نحن تماما، فإننا نخسر من الخطايا الخارجية التي نرتكبها بقدر الأفكار التي في داخلنا. فيجب أن نتيقّظ لهجمات الناس التي تأتينا من خارجنا، كما نصد أيضا هجمات أفكارنا الداخلية"[٧٢].

وقالت أيضا: "إننا هنا لا نعفَى من التجارب، لأنّ الكتاب يقول: «من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١كو١٠: ١٢). إننا نبحر في الظلام، والمرتل يسمي حياتنا بحرا، والبحر إما أن يكون ممتلئًا بالصخور أو وعرا جدا، وإما أن يكون هادئًا. فنحن مثل الذين يبحرون في بحرٍ هادئٍ، والعلمانيون مثل الذين في بحر وعر، ونحن دائما نوجه طريقنا بواسطة شمس البر، ولكن يحدث كثيرا أنّ العلماني ينقَذ في العاصفة والظلام لأنه يظلّ متيقظًا كعادته بينما ننحدر نحن إلى العمق بسبب التهاون رغم أننا في بحر هادئ، لأننا جعلنا توجيه البر يفارقنا"[٧٣].

قالت الأم سنكليتيكي: "الذين لا يملكون شيئًا يهزمون عدونا بسهولةٍ، فهو لا يملك شيئًا لكي يؤذيهم به. فالكثير من الرهبان الذين كانوا متنبهين للمصاعب والتجارب التي تفصل المرء عن الله قد اعتادوا على التضحية بالنفس بالزهد في الغِنى وجميع الخيرات"[٧٤].



(69) Apoph. Sync., 15. (70) Ibid., 18. (71) Ibid., 22. (72) Ibid., 24.
(73) Ibid., 25. (74) V P, vi: 4, 23.

ثانيًا: القديسة أما سارة

ملخص سيرة القديسة:

اِعتنقت أما سارة الحياة الرهبانية في شبا ا وسكنت بجوار ر النيل ليس بعيدا عن الإسكندرية لمدة ستين سنة. وكانت صارمةً مع نفسها جدا، وكانت شهو ا الوحيدة هي أن تروي عطشها من حياة التقوى الحقيقية. وقد حاربت القديسة شيطان الزنى لمدة ثلاث عشرة سنة حيث كانت تدعو اسم المسيح طالبةً القوة.

كانت حيا ا النسكية نموذجا للرجال والنساء، وكانت تحتفظ بذكر الموت كل حين كما جاء في أقوالها، وهذه هي أفضل الطرق لمنع المرء من الخطية. وهكذا بسيرة حيا ا المقدسة اقتادت نساء كثيرات إلى الحياة النسكية. وإذ توجت بأكاليل الإيمان الحقيقي والنسك والبتولية رقدت في الرب سنة ٣٧٠م.

قصص وأقوال القديسة الأم ســارة

قيل عن أما سارة إ ا مكثت ثلاث عشرة سنة مقاتلة بشدة من شيطان الزنى، ولم تصل إطلاقًا طالبةً أن تتوقّف الحرب، ولكنها قالت: "يا الله أعطِني قوة"!

وهاجمها مرةً روح الزنى بإلحاحٍ أكثر مذكرا إياها بمغريات العالم الباطلة، ولكنها لم تحِد قط عن مخافة الله والنسك. ثم صعدت إلى السطح لتصلي، فظهر لها روح الزنى متجسما وقال: "لقد غلبِتني يا سارة". فأجابته: "لست أنا التي غلبتك، بل سيدي يسوع المسيح". فكف عنها القتال منذ ذلك الوقت[(٧٥)]!

وقيل عنها أيضا إ ا كانت ساكنةً بجوار النهر (النيل) لمدة ستين سنة، ولم ترفع عينيها إطلاقًا لتنظر إليه[(٧٦)].

وقالت القديسة سارة: "إنني أضع رجلي على السلّم لأصعد، وأضع الموت أمام عيني قبل أن أنقل الرجل الثانية"[(٧٧)]!

---

(٧٥) س ٤ ص ١٢٧؛ Apoph., Sarah, 1,2؛ W. & W., I: 566
(٧٦) س ٤ شرحه؛ Apoph., Sarah, 3 ؛ W. & W: I: 203
(٧٧) س ٤ شرحه؛ Apoph., Sarah, 6 ؛ W. & W., I: 268

سأل إخوةٌ شيخا: "ما معنى قول الأم سارة السابق؟ وهكذا قيل أيضا عن آباء آخرين إ م كانوا في كل وقتٍ يضعون مو م أمام أعينهم، فكيف يكون ذكر الموت الدائم"؟ فقال الشيخ: "يكون ذلك بموهبةٍ من الرب، ولكن الموهبة لا تكون بدون عمل. فالآباء يتعبون أولاً ويغصبون أنفسهم على تذكر مخافة الله والدينونة المزمعة وعقوبة جهنم وذكر الموت الدائم، ثم ينالون القوة والمعونة كموهبة من المسيح. وذلك كما قال ق. مرقس (الناسك) إنّ مخافة جهنم ومحبة الفردوس تعطيان الصبر في الشدائد، ليس منهما بل من الذي يعرف أفكارنا. فليس من مجرد تذكر جهنم يمتنع الإنسان عن الخطايا، ولا من ذكر الملكوت يغلي (أي يمتلئ بغيرةٍ حارة) لأجل أعمال البر. لأنّ كل إنسان يذكر ذلك، ولكن ليس كل إنسان يربح من ذلك إلاّ إذا نال القوة والمعونة من العلي، وذلك كما أُعطِي للشيوخ الثلاثة الذين ذهبوا إلى أنبا شيشوي أن يتذكّر أحدهم دائما النار والآخر الظلمة الخارجية والثالث الدود الذي لا يموت وصرير الأسنان، فقال لهم أنبا شيشوي: 'إن كانت أفكاركم مسلّطة (أي مركّزة) على هذه كلها فلا يمكن أن تخطئوا'"[٧٨].

ذهب مرةً رهبان من الأسقيط لزيارة أما سارة وقدمت لهم طعاما، فتركوا الطعام الجيد وأكلوا الأقل جودة. فقالت لهم: "حقًا إنكم أسقيطيون"[٧٩]!

وقالت أيضا: "جيد أن نعطي صدقات حتى ولو كانت لإرضاء الناس فحسب، فمن خلالها يمكن للإنسان أن يبدأ في البحث عن إرضاء الله"[٨٠].

قالت أما سارة: "إن أنا طلبت أن أصنع إرادة كل الناس، فسأوجد تائهةً على باب كل واحدٍ، بل ينبغي أن أحفظ قلبي نقيا نحو كل واحدٍ وأنا مبتعدة عن كل واحدٍ"[٨١]!

سأل إخوةٌ شيخا عن معنىالقول السابق، فقال الشيخ: "معناه أنّ المتوحد (أي الراهب) ينبغي أن يحب الله وجميع الناس لأجل وقار صورة الله فيهم. ولا يفكر إن كان الجميع يحبونه أم لا، وإلاّ فهو يصير عبدا لكل إنسان، لأنّ أفكار البشر وإرادتـهم وتدابيرهم متغيرة، فإن هو اهتم بأن يرضي كل إنسان فلا يقدر أن يكون عبدا للمسيح. فليكن اهتمامه هو في أن يحب الله ويكرم صورته خلوا من صفة المراءاة"[٨٢].

---

(٧٨) س ٩ رقم ١٦٦ ص ٢٥٤.
(٧٩) س ٤ ص ١٢٧؛ Apoph., Sarah, 8
(٨٠) س ٤ ص ١٢٧؛ Apoph., Sarah., 7; W. & W., I: 428
(٨١) س ٤ ص ١٣٠؛ Apoph., Sarah., 5; W. & W., II: 75
(٨٢) س ٩ رقم ٢٣٥ ص ٣٤٦.

جاء مرةً شيخان من المتوحدين الكبار من منطقة "بيلوزيوم" (بجوار بورفؤاد الآن) لزيارة القديسة، وقال أحدهما للآخر: "هلم بنا نذلّ هذه المرأة العجوز (أي نجعلها تتضع)". فقالا لها: "اِحذري من أن تغتري بنفسكِ إذ تقولين لنفسكِ: أُنظري كيف أنّ متوحدين يأتون لرؤيتي وأنا مجرد امرأة". ولكنها قالت لهما: "حسب الطبيعة أنا امرأة، ولكن ليس حسب أفكاري"[٨٣]! [والجملة الأخيرة في المرجع الأخير هي: "إنني امرأة حسب الجنس وليس حسب الروح"]!

كما قالت القديسة لآخرين: "إنني أنا هو الرجل وأنتم النساء"[٨٤]!

قالت المتوحدة سارة لأخوا ا: "يتميز الرهبان عنا بثلاث ميزات". فقالت الأخوات: "وما هي"؟ فقالت لهن: "الأولى هي أ م يتنقلون علانيةً، والثانية هي أنّ فكرهم رجولي وجريء، والثالثة هي أنّ الشيطان يقاتلهم أكثر منا. ومن الواضح أ م يأخذون أجرا حسب أتعا م"[٨٥].

كانت الأم سارة تسير في طريق فانزلقت في مجرى صغير من الماء. فرآها أحد العلمانيين وأخذ يضحك. وهي دون أن تدري بفضل الله الذي كان قد أعا ا، قالت لهذا العلماني: "كُف، إنك ستنفجر"! وعند عود ا رأت بطنه مشقوقة. وإذ حلّ عليها الفزع صلّت قائلةً: "يايسوعي، أعِد له الحياة، ومن الآن فصاعدا لن أنطق بمثل هذا الكلام"[٨٦]!

القديسة أما ثيئودورا

ملخص سيرة القديســة:

معنى الاسم "ثيئودورا" هو "عطية الله". وكانت ثيئودورا ابنة وحيدة لوالدين من أغنياء الإسكندرية المسيحيين، ولما أرادا أن يزوجاها أحضرا لها الكثير من الحلي والحلل الثمينة، فلم تقبل ذلك لأ ا كانت تميل بقلبها إلى عبادة الله والجهاد من أجله. وباعت كل شيء وفرقت منه على المساكين، ثم بنت كنيسة في غرب الإسكندرية.

ذهبت إلى البابا القديس أثناسيوس الرسولي، فقص شعرها ورهبنها في أحد الأديرة ا اورة للإسكندرية، فتنسكت وجاهدت كثيرا حتى استحقت أن تعاين الرؤى الإلهية وأن تميز الملائكة من الشياطين وتعرف أفكار الآخرين. وكان البابا أثناسيوس يفتقدها

(83) Apoph., Sarah., 4; D. F., Book X: lxxiii.
(84) W. & W., II: 524.
(85) Arm., II: 19.
(86) PA, 80, 2.

كثيرا بتعاليمه بل وكان أيضا يكاتبها من منفاه. وقد عاصرت خمسة بطاركة هم ألكسندروس وأثناسيوس وبطرس وتيموثاوس وثيئوفيلس (أي البابا ١٩ حتى ٢٣). وقد وضعت أقوالاً كثيرة نافعة، بعضها بالنعمة التي حصلت عليها والآخر مما تعلّمته من الآباء. ولما أكملت جهادها انتقلت بسلامٍ بالغةً من العمر مائة سنة[٨٧].

قصص وأقوال
الأم ثيـئودورا

قالت أما ثيئودورا: "فلنجتهد أن ندخل من الباب الضيق، فكما أنّ الأشجار إن لم تثبت أمام العواصف الشتوية لا يمكنها أن تعطي ثمرا؛ هكذا الحال معنا، فإنّ هذا الدهر إنما هو عاصفة، ولا يمكننا أن نحصل على ميراث في ملكوت السماء إلا من خلال تجارب واختبارات عديدة"[٨٨].

وقالت أيضا: "جيد أن نعيش في سكون، لأنّ الإنسان الحكيم يمارس صلاة دائمة، وهذا بالحقيقة عونٌ للعذارى والرهبان ولا سيما الشباب. ولكن تأكد أنك بمجرد أن تضمر أن تعيش في سكون، فإنّ الشيطان يأتي عليك بثقل نفس وضجر ووهن عزيمة وأفكار شريرة، كما أنه يهاجم جسدك بالمرض والضعف وانحلال الركبتين وكل الأعضاء، ويجعل قوى النفس والجسد تنحلّ حتى تظن أنك مريض ولا تقدر أن تتمم صلاتك. ولكن إن كنا متيقّظين فإنّ جميع هذه التجارب تسقط.

إنني أعرف راهبا كان كلما يعزم أن يصلي يشعر برعشة أمراض البرد والحمى والصداع، فيقول في نفسه: 'إنني مريض، فيا شقي لعلك تموت هذه المرة، فلأنهض الآن وأصلي قبل أن أموت'. وكان بذلك يغصب نفسه ويصلي، وبمجرد أن ينتهي من الصلاة تختفي الحمى والألم والقشعريرة. فبهذا الفكر كان يقاوم ويغلب ويتمم صلاته وينتصر على أفكار الوهم الشريرة، وصار له صبره إكليلاً سماويا"[٨٩]!

وقالت أيضا: "إنّ إنسانا عفيفًا شتمه أخ سمعته ليست جيدة، فقال له: كنت قادرا أن أجاوبك على ذلك ولكن وصية الله تغلق فمي". كما قالت أيضا: "كان إنسان مسيحي يناقش إنسانا مانيا (أي من أتباع بدعة ماني)، فقال له: هذب الجسد، وسترى أنه مِلْك لخالقه"[٩٠].

(٨٧) سنكسار رينيه باسيه، ١١ برموده.
(88) Apoph., Theodora, 2.
(٨٩) س ٤ ورقة ٨٤؛ Apoph., Theodora, 3
(90) Ibid., 4.

وقالت أيضا: "المعلم عليه أن يكون غريبا عن شهوة التسلط وا د الباطل والكبرياء، ولا يجب أن يخدعه أحد بالتملق ولا أن يعميه بالهدايا، ولا أن يتغلّب عليه بواسطة شهوة البطن، ولا أن يتسلّط عليه بالغضب. بل عليه أن يكون صبورا لطيفًا متضعا بقدر ما يستطيع، ويجب أن يختبر بدون عصبية أو تحزب، وأن يكون ممتلئًا بمحبة النفوس والاهتمام ا"[٩١].

وقالت أيضا: "لا نسك ولا سهر ولا صوم ولا أي نوع من المعاناة يمكنها أن تخلص الإنسان، ولكن الاتضاع الحقيقي يمكنه ذلك. لأنه قيل عن متوحدٍ كانٍ يخرج الشياطين، فسألهم: 'ما الذي يجعلكم تخرجون؟ هل الصوم'؟ فقالوا: 'نحن لا نأكل ولا نشرب'. فقال: 'هل السهر'؟ فقالوا: 'نحن لا ننام'. فقال: 'هل بترك العالم'؟ فقالوا: 'نحن نسكن في الأماكن المهجورة'. فقال: 'بأية قوةٍ تخرجون إذًا'؟ فأجابوا: 'لا شيء يسحقنا سوى الاتضاع'! أترون كيف أنّ الاتضاع هو الذي يهزم الشياطين"[٩٢]؟

وقالت أيضا: "أحد الرهبان - بسبب كثرة التجارب والمحن التي جاءت عليه - قال: 'سأذهب من هنا'. وبينما كان يلبس نعل رجليه أبصر أمامه رجلاً آخر يلبس نعله أيضا. فسأله: 'إلى أين أنت ذاهب'؟ فأجابه: 'إلى الموضع الذي أنت ذاهب إليه لأنني من أجلك أقيم في هذا الموضع. هل بسببي تريد الانتقال من هنا؟ سأنتقل أنا أيضا من هنا، لأنني أريد أن أسكن معك حيثما تشاء'"[٩٣]!

وقالت أيضا: "راهب آخر كان يعاني من التهابٍ جسدي بسبب سكناه في موضع حار وأزعجه البق والحشرات، وقد تعب من ذلك جدا لأنه كان من ذوي المراتب والغِنى. فجاء إليه الشيطان في صورة إنسان كأنه يفتقده وقال له: 'كيف يمكنك أن تسكن هذه القلاية حيث الدود والحر الشديد'؟ فقال له: 'إنني أصبر على الدود لكي أفلت من الدود الذي لا يموت، أما الحر فأصبر عليه لأفلت من نار جهنم، فإنّ هذين زائلان وذانك خالدان'. وبصبره هذا قهر الشيطان"[٩٤].

سئِلت أما ثيئودورا بخصوص الأحاديث التي يسمعها المرء: "إذا كان إنسان يسمع أحاديث علمانية بصفةٍ اعتياديةٍ، فكيف يمكنه أن يعيش لأجل الله وحده كما توحين أنتِ لنا"؟ فقالت: "تماما كما عندما تجدين أنواعا كثيرة من الطعام على المائدة وأنتِ تأخذين بعضا منها ولكن بدون لذّة، هكذا عندما تقابلكِ أحاديث علمانية فاتجهي بقلبكِ نحـو الله،

---

(91) Ibid., 5 ؛ س ٤ ص ٨٥ (٩٢) Apoph., Theodora, 6 ؛ س ٤ ص ٨٥ (93) Apoph., Theodora, 7.
(94)Apoph. Theodora, 9; س ٤ ص ٨٥

وهذا يجعلكِ تسمعين تلك الأحاديث بدون مسرة، وهي لن تسبب لكِ أي ضرر"[٩٥]!

وسألها أحد الشيوخ قائلاً: "كيف سنقوم في قيامة الأموات"؟ فقالت:"لنا وعـد ومثال ونموذج في ذاك الذي مات من أجلنا وقام، المسيح إلهنا"[٩٦].



قصص وأقوال
القديس مار أفرآم السرياني

قال الأب أبرآم الذي من المنطقة الشرقية: ''إذا ثابر الإنسان على إماتة الجسد فهو يفوز بالنصرة ويعاين قوة الرب وعجائبه"[٩٧].

قال مار أفرام: ''إن كانت لك صداقة مع أحد الإخوة ويلومك فكرك على أن مخالطتك له تضرك فاقطع نفسك منه. وأنا أقول ذلك، أيها الحبيب، لا لكي تبغض الناس بل لكي تقطع أسباب الرذيلة"[٩٨].

وقال أيضا: ''خطر عظيم هو وجود صبي في كينوبيون المعيشة المشتركة ولا سيما إن كان يوجد فيه عدم ترتيب"[٩٩].

وقال أيضا: ''تبدأ العجرفة عندما لا يشارك الراهب الإخوة في العمل بقدر إمكانياته. وإذا بدأنا في العمل فلا نكثر من الكلام بل يكون اجتهادنا وحرصنا على العمل الذي بسببه خرجنا"[١٠٠].

وقال أيضا: ''قال أحد الإخوة: 'طلبت من الله أن يعطي عمل يدي نعمةً لكي يعول الكينوبيون (مجمع الشركة) كله، ألا يكون لي بذلك فرح'"[١٠١]؟!

---

(95)Apoph., Theodora, 8. (96) Ibid., 10. (97) Eth. Coll. 14, 18.
(٩٨) س ٤ ورقة ٤٢. (٩٩) المرجع السابق. (١٠٠) س ٤ ص ٦٢. (١٠١) س ٤ ص ٦٣.

وقال أيضا: ''سأل أحد الإخوة أخا قائلاً: 'أمرني الأب أن أذهب إلى المخبز لنعمل خبزا للإخوة، ولكن أجراء المخبز علمانيون يتكلمون بما لا يليق ولا أنتفع من كلامهم، فماذا أفعل'؟ فأجابه قائلاً: 'أما رأيت في الكتاب صبيانا كثيرين وكل واحد منهم يقرأ ما لا يقرأه رفيقه لعلمه أنّ معلمه يطلب منه واجبه لا واجب غيره؟ فإن كان الكلام البذيء يضايقك فاستمع للقائل: «امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن» (١تس٥: ٢١)'''.

حاشية جاءت في **المخطوطة:** هذا إذا كان لا يمكنه البتة ألاّ يذهب معهم إلى المخبز، ولكنه إن لم يكن مضطرا فليبتعد عنهم أو يذهب إلى مخبز آخر[١٠٢].

وقال أيضا: ''ما لنا وللعالم ومعاملته؟ نحن قد متنا عن العالم، وليس لنا منه إلاّ أكلة تسد جوعنا. أيدينا تخدم أجسادنا مع معونة الله لنا لأنه قال: «ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي من جنده» (٢تي٢: ٤)''[١٠٣].

وقال أيضا: ''اهرب من المشروبات، ولا تدخل في المجالس لئلاّ تصير زانيا بلا امرأة تساكنك''[١٠٤].

جاءت إلى الأب أفرام السرياني ذات مرة امرأة فاسدة وأرادت أن تخدعه ليرقد معها وإلاّ شنعت عليه بكلام رديء. فقال لها: ''إن الإخوة قد اعتادوا أن يأتوا إلى هنا، ولكن اتبعيني''. ولما اقتربوا من موضع فيه جموع كثيرة قال لها: ''أريد أن أتمم هذا العمل هنا''. فقالت له: ''يا راهب، أما تستحي من هؤلاء الكثيرين عندما ينظروننا في الفعل القبيح''؟ فقال لها: ''وأنتِ يا امرأة أما تستحين من الله خالق الجميع عندما ينظرنا في الفعل القبيح''؟ فخجلت وانصرفت خائبة[١٠٥].

قال أنبا أبرآم: ''إذا أمسك الإنسان الضيقة فهو ينمو وينظر جميع قوات الله وحسناته''[١٠٦].

وقال أيضا: ''لأي سبب رفضت العالم إن كنت تطلب راحة العالم؟ لقد دعاك الله الكلمة إلى الضيق وأنت تطلب راحةً؟ للعري دعاك وأنت تتزين بالملابس؟ للعطش دعاك وأنت تشرب خمرا''[١٠٧]؟!

وقال أيضا: ''أعظم الناس قدرا هو من لا يبالي بالدنيا في يدي من كانت''[١٠٨].

وقال أيضا: ''ازهد في الدنيا فيحبك الله، وازهد فيما في يدي الناس فيحبك الناس''[١٠٩].

(١٠٢) س ٤ ص ٧١. (١٠٣) المرجع السابق. (١٠٤) س ٤ ص ٧٢. (١٠٥) س ٤ ص ٨١.
(١٠٦) س ٤ ص ١٢١. (١٠٧) س ٤ ص ١٣٦. (١٠٨) س ٤ ص ١٥٤. (١٠٩) س ٤ ص ١٥٤.

وقال أيضا: ''خبز وملح مع سكون وراحة أفضل من أطعمة ثمينة مع هموم وأحزان''[١١٠].

وقال أيضا: ''ساعة الموت مرهوبة، وهي تأتي على الإنسان مثل الفخ، حينئذ يحلّ بالنفس ندم عظيم وتقول: 'كيف انتهت أيامي وأنا مشغول بالأعمال الفارغة التي لا منفعة منها''[١١١]؟!

من أقوال مار أفرآم: ''يا أخي، تفكّر في أنّ ربوات من الأقوال غايتها السكوت، فأحب السكوت يا من لا يتألم لشيء من أمور الدنيا. أحب الناس يا من لا يحب شيئًا مما هو للناس. ياحبيب، تمسك بالصمت فإنه يريحك من أدناس كثيرة. اقطع بحكمة الأحاديث الضارة لكي يسكن الإنسان الباطن حسنا. إذا رأيت أنّ ذاتك مصدودة عن الأقوال الإلهية متهاونة بالمواعظ الروحانية وتحب الخلطة وحديث الناس فاعلم أن نفسك قد سقطت في مرض رديء، فاحرص أن تجعل حديثك مع الرب وحده. اسقِ نفسك بالمياه الإلهية فتزهر وتثمر ثمار الحق''.

''بدء الصالحات وكمالها هو التواضع بمعرفة حقيقية، لأن المعرفة مقترنة بالتواضع. الإنسان مكون من نفس وجسد، فإن لم يستعمل الجسد خبزا فلن يعيش، كذلك النفس إن لم تغتذِ بالصلاة والمعرفة الروحانية فهي ميتة. إذا ضرب البوق يستعد الجيش للحرب، لكن في وقت الجهاد لا يكون الكل محاربين، هكذا يوجد رهبان كثيرون بالزي ولكن قليلون هم المجاهدون، ففي وقت التجربة تظهر حنكة الراهب وخبرته. فالطبيب الحاذق هو الذي من تجارب الآلام صار مدربا''.

''يا أخي، في كافة أعمالك تذكّر أواخرك وأنت لا تخطئ أبدا. الذي يكثر من كلامه يكثر خصوما وبغضا لنفسه، ومن يحفظ فمه يحب. إن أحببت الصمت تقطع سير سفينتك بسكون. إن استهنت بالأشياء البالية تأخذ الأشياء التي لا تبلى. لتكن عقولنا فوق، لأننا بعد مدة يسيرة ننصرف من ههنا، والأشياء التي جمعناها لمَن تكون؟ بغير طين لا يبنى برج، وبغير معرفة لا تقوم فضيلة''.

''ضبط البطن وصون اللسان ولجم العينين هي طهارة الجسد، فإن أمسكت بطنك وصنت لسانك ولم تحفظ عينيك من الطموح فلست ممسكًا للطهارة تماما. بقدر ما أنّ التواني ضار هو هكذا يكون التيقظ نافع ومسبب لكل صلاح، لأنّ المتيقّظ يكون ذكر الله حاضر عنده كل حين، وحيثما يتلى ذكر الله تكف كل أفعال الخبيث. مثلما يكون الماء للسمك يكون السكوت للراهب بتواضع قلب ومحبة. من يشاء أن يعيش في كل موضع حياة سلامية لا

---

(١١٠) المرجع السابق. (١١١) س ٤ ورقة ١٦٠.

يطلب راحته بل راحة رفيقه في الرب فيجد الراحة. إن شئت ألاّ تخطئ فاحتفظ بمخافة الله. ليخطر ببالك أنّ القديسين جميعا بمكابدة الآلام أرضوا الله، لأنّ الأحزان والمحن موافقة للإنسان لأ ا تجعل النفس مختبرة وصلبة إذ تنتظر الفداء من المسيح ورحمته بإيمان لا ارتياب فيه".

"الراهب العاجز لا ينفع ذاته ولا قريبه، وغير العاجز يستنهض المتوانين جدا إلى الفضيلة. تفهم يا أخي، أنّ من أجلك أقبل الإله الأعلى والأقدس من السماء ليعلو بك من الأرض إلى السماء. مغبوطٌ هو الذي حرص من هنا عندما يوجد في ذلك اليوم مستحقًا لتلك السعادة. وإذ لا يمكن أن تباع أدوية سماوية وقداسة لأ ا ليس لها ثمن، فالدموع بها للكل. ترى من لا يتعجب ولا يذهل ولا يبارك كثرة تحننك يا مخلص نفوسنا لأنك ارتضيت أن تأخذ الدموع عوض أشفيتك، فيا لقوة الدموع! إلى أين بلغتِ؟ لأنكِ تدخلين إلى السماء بمجاهرة كثيرة بلا مانع وتأخذين طلبتكِ من الإله الأقدس".

"يا أخي، أحضر إلى ذهنك النار التي لا تطفَأ والدود الذي لا يموت ففي الحال يخمد التهاب الأعضاء لئلاّ تسترخي وتنغلب وتدركك نار حزن الندامة وتعتاد على أن تخطئ وتندم. اقتنِ صرامةً منذ الابتداء مقابل كل شهوة حتى لا تغلبك فتعتاد على الهزيمة في الحرب، لأن العادة إنما هي طبيعة ثانية للإنسان، والاعتياد على الهزيمة لا يؤدي إلى اقتناء صرامة وشهامة قط، لأنّ الإنسان حينئذ يبني ويهدم كل حين، وكل حين يخطئ ويندم. أيها الحبيب، إن اعتدت أن تتراخى عندما تقاتل يصير ندمك ثابتا فيك ولا يمحى إلى الأبد! من اعتاد أن ينغلب لبعض الشهوات يصير ضميره موبخا له كل وقت، فاحترس بكل قلبك واحذر محتويا المسيح في ذهنك في كل وقت، لأن المسيح هو للنفس ختن حلاوة لا تموت. له ا د إلى الأبد"(١١٢).

ميمر للقديس مار أفرآم السرياني(*)

في

مدح القديس يوليانوس الناسك

****

إنّ هذا الفاضل في النساك كان مملوكًا (أي عبدا)، وكانت أوائله - كما حدثنا هو - غير مرضية، عاش فيها بالقبائح، ثم وصل أخيرا إلى المعرفة وسار سيرةً حسنة. وقد أصابته شدائد من سيدِه في مدينة بعلبك التي في لبنان لأنه كان قد اشترك في عبادة الأصنام، ولما مات مولاه

(١١٢) س ٤ ص ١٦١.

(*) وهي المقالة رقم ٣٤ من مقالات مار أفرآم السرياني.

زهد في العالم وأحب الرب من كل نفسه وقلبه حتى قوم تقريبا كل فضيلةٍ، لأنه اقتنى تخشعا كثيرا وتواضعا زائدا، ولم يصِر مثل الذين بعد انصرافهم من العالم يتوانون في تقوى الله فيهلكون لأ م يبذلون ذوا م للتواني والبطالة وعدم العمل بوصايا الله، ولا يمنطقون أحقاءهم بالعفّة فيغرِقون أنفسهم في قعر (أي عمق) المساوئ، حتى إنّ قوما وهم لابسين زي الديانة البهية تورطوا في الرذيلة بسبب شهوا م فجعلوا ذوا م مسكنا لعسكر الشياطين ...

هذا يا إخوتي ما يفعله التواني في الصلاة الجامعة وعدم مداومة الصلاة والتيقظ فيها، لأنّ الترتيل والصلاة بتواضع الفكر يخففان عن العقل الآلام المحظورة (أي الشهوات) ويجعلان النفس يزدهر شبا ا لاشتهاء الخيرات السماوية. وكما أنّ محادثة الله بالصلاة النقية تجعل في النفس تواضعا، كذلك مخاطبة الملوك تنتج استعلاء رأي للذين لم يقتنوا المخافة الفاضلة. فمصاحبة الملك هي إذن أتون وموضع تصفية حيث يتضح المختبرين والمنافقين.

أما الذين جعلوا الله أمام أعينهم كل حين فهم يرفضون بالتقوى المفضلة أوجاع الأمور المنظورة، فلذلك مغبوطٌ هو الزاهد في العالم، هذا المتصرف في رفقة القديسين وفي طاعة الآباء الروحانيين، الذي يكمل سيرته بضميرٍ نقي، فهو لا يخزى في قيامة الصديقين، لكن الويل لمن يخالِط ويعاشر قوما لا بر فيهم ولا طاعة لهم، فإنه سيبصر أياما مرة، لأنّ التأمر والتفرد بالرأي واتباع مشيئة الذات تجعل الإنسان مقفرا من الثمار والمواهب الروحانية، ومن يتمم كل أفعاله بإنصافٍ فهو مغبوط.

أما المغبوط يوليانوس فإنه أمات ذاته من الأمور العالمية واختار الزي النسكي ومكث في قلايته، وكانت قلايتي بقرب قلايته، وكنت أزوره في قلايته لأنني كنت أنتفع من محادثة ذلك الإنسان وأتعجب عندما أُبصر مثل ذلك الفهم في إنسان أعجمي لأنه كان من النواحي الغربية، وكنت أمجد الله الذي لا يشاء أن يهلك أحد بل يجتذب الكل إلى التوبة، وكنت أتذكر الفصل الإنجيلي القائل: «أقول لكم: إنّ كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات، وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت٨: ١١و١٢) ... وكنت أتنهد قائلاً: "يا رب نجنا من الظلمة الخارجية ومن صرير الأسنان، واذكرنا في سرور شعبك، واجعل لنا شركة في خلاصك لنعاين صلاح مختاريك ونفرح بسرور أُمتك (أي شعبك) ونمدح مع وارثيك. أُذكرنا يا رب كاللص متى جئت في ملكوتك، وفُك أجسادنا من القيود بمجد نعمتك مؤهلاً إيانا لاختطاف الصديقين في السحب لنرث جبلك المقدس بشفاعات قديسيك آمين".

وكان المغبوط يوليانوس قويا، ولكن اعتراه السقم من كثرة النسك لأنه سلك وراء القديسين. وكان لا يعرف هذا المحب لله الكتابة، فحرص على أن يتعلّمها. وكانت له قلاية يخلو فيها إلى ذاته، فيها مضجع صغير، ولم يكتفِ بضيقه حتى ابتنى له داخلها موضعا صغيرا كالقبر، وجعل مدخله ضيقًا جدا، فكان يدخل فيه كأنه في قبر ...

وكان يصلي باكيا ويعمل بيديه قلوع المراكب، وأحب جدا التخشع والبكاء اللذين لم يحبهما آخر مثله، حتى إنّ ا تازين بقلايته كانوا يسمعون صوت بكائه مثل من دفن أباه أو ابنه وحيده، وكان يندب بلحن لأنه كان يضع خطاياه نصب عينيه ويبكي بتوجع ارا وليلاً، وكان ينام في الليل نوما يسيرا لأنّ الاهتمام با ازاة (يوم الدينونة) قد استنهضه إلى الحرص. أما مقدار جملة المحن والأحزان التي احتملها من الإخوة المتوانين فلم توصف، وكان يجتازها كلها بالتواضع والصبر غير متضررٍ منها، وكان مسالمًا صبورا وديعا ورعا لا قنية له، لأنّ المعتكف في البرية بأمتعةٍ يكون ضيق الذهن مرتعدا في كل وقت وفي كل موضع، وأخيرا يصير صيدا لفاعلي الشر، أما الفاقد القنية فذاك يكون مطمئنا من الاغتيال.

وكان أيضا لا يكسل بل كثير النشاط في العمل، ممتنعا من القرف، متواضعا في الكلام وفي الفعل وفي المشي، لأنه لم يكن مثلي ومثل نظرائي المتوانين يقضي أيامه في التواني، بل استكمل بالتخشع سائر أيام حياته. وكما أنّ الجالسين في السجن مقيدين إذا خرجوا إلى مجلس الوالي يرتعدون من الخوف، كذلك المغبوط يوليانوس كان يتذكر متواترا مجلس قضاء المسيح المرهوب، فلذلك كان يبكي دائما مكررا التفكر في يوم الدينونة المنتظرة.

إنه حيث يكون التخشع والدموع والتواضع لا يوجد عدم الترتيب ولا أمر طالحٌ، بل حسن الترتيب والصلاح. وكان يوليانوس يعتفي من مخاطبة النساء، ويقطع سائر أسباب اللذات الباطلة. ومتى ضرب الناقوس للصلاة الجامعة كان يجتهد أن يسبق فيلتقي كل أخ يجيء إليها. وهكذا كان يقف في الصلاة ونظره ثابت كأنه ماثلٌ أمام عرش ربنا يسوع المسيح نفسه.

وفي أحد الأيام قلت له: "ترى من الذي يمحو المصاحف التي هنا؟ لأنه حيثما يكون مكتوب اسم الله أو الرب يسوع المسيح أو المخلص أجد حروف هذه الألفاظ المكتوبة ممحاة"! فقال المغبوط: "لا أكتم عنك شيئًا، إنّ الزانية تقدمت إلى المخلص وقبلَت قدميه بعبرا ا ومسحتهما بشعر رأسها، وأنا متى قرأت الكتب فحيث أجد اسم إلهي

مكتوبا أبله بدموعي لكيما آخذ منه غفران الخطايا". فأجبته مسرورا: "إنّ الله متعطف على الناس، وقد قَبِل نيتك، فأطلب إليك أن تشفق على المصاحف". فقال لي: "لا يتندى قلبي إن لم أبكِ قدام الرب إلهي"! ولقد عاش في النسك بحرارةٍ متوقدة أكثر من خمس وعشرين سنة، ثم انتقل بالرب.

تحمل القديس الاضطهاد والطاعة، فصار مستحقًّا للتطويب من القائل: «طوبى للمساكين بالروح لأنّ لهم ملكوت السموات» (مت٥: ٣). إنّ عيني لَتسكبان الدموع على مفارقة إنسان الله ...!

سأل المغبوط يوليانوس يوما ما أحد الإخوة قائلاً: "إنّ أخا أراد أن يدخل البرية الجوانية يلتمس أناسا يبصرون المناظر المعقولة، فأسألك أن تشير علي من أجل الرب إن رأيت أن أذهب معه أم لا". فلما علم الأخ أن يوليانوس عمالاً قال له: "الأفضل أن يسكت الإنسان ويبتغي في السكوت الكمال، لأنّ من يستفحص عن أمور صغيرة غير ثابتة وهو يجول في البرية فليس ذلك محمودا". فسأله المغبوط: "ما هو الكمال؟ وما هي الأمور الصغيرة غير الثابتة"؟ فقال له الأخ: ''الكمال هو غاية كل قول وكل فعل، لأنه قد كُتِب: «فلنسمع ختام الأمر كله: اتقِ الله واحفظ وصاياه» (جا١٢: ١٣). أما الأمور التي تعرض لكل واحدٍ منا في هذا الدهر إن كانت محزنة أو صالحة فلها ايه، فلذلك تبطل بانتهاء الزمان. فأما التي تعرض عند الخروج من هذا العالم فهي غير مائتة، فليكن في فكرنا يوم الدينونة وا ازاة".

''لتكن عقولنا كاملة بالرب، ولا نفعل مثل اثنين سافرا إلى بلدةٍ بعيدة، فضجر أحدهما في الطريق وظلّ يسأل الذين صادفهم عما لقيهم في الطريق قبل عشر علامات منه، فأجابه أولئك: 'إنّ الطريق صعبة'. فسألهم قائلاً: 'وماذا بعد الطريق الصعبة'؟ فقالوا: 'أرض يانعة مخضرة'. فلما رأى رفيقه أنه يسأل عن أمور الطريق باهتمام قال: 'كُف أيها الرفيق عن الفحص عن أمور الطريق التي أنت عازم أن تسلكها مثل ساعٍ سباق، لأنّ الطريق يشبه العمر الإنساني'"!

''فمن أجل هذا يجب أن نترقّب بالأكثر لا ما نصادفه في سيرنا بل ما يعرض لنا بعدها عسى أن نستوطن في تلك البلدة براحة، تلك البلدة التي نزمع أن نقيم فيها على الدوام بعد كمال العمر وانصرافنا من هنا، ترى أين يكون مسكننا في ذلك الدهر؟ أين يكون حظنا، في العمق أم في العلا؟ في النياح أم في الأوجاع؟ في الظلمة أم في النور؟ في

النار أم في النعيم؟ فلتبحث أرواحنا عن كل هذه ولتتكلم ا أفواهنا. ولا يبعد مثل هذا الاهتمام عن قلبنا ما دمنا في هذا العمر الوقتي، ولنتجنب الذين يرومون تعويقنا عن مثل هذا الاهتمام بما أ م يسببون الطغيان والهلاك، لأنه ليس أحد مضى إلى هناك ثم عاد إلى هذا العالم".

''فلنهتم إذًا، أيها الابن، بما نزمع أن نظهر به من الدالة قدام ملك ا د، ولنحرص أن نضع أنفسنا في (مجال) تعطفه ليعضد ضعفنا ولا سيما حين نتعرى من كل لباس إنساني، لأنه لا بد أننا سنترك كل شيء ونذهب إلى هناك، فإن لم نرسم في ذهننا كل حين الدينونة العتيدة فلن ينفعنا شيء حين تظهر الخفيات والمكتومات، لأنّ يربعام بن نباط الذي أخطأ إلى إسرائيل سمع وقتا ما بالرجز العتيد أن يصيبه من ِقبل الرب ولم يتب عن شره. وجيحزي وبخ على ذنوبه المكتومة فلم يقوم خلُقه، وإلاّ لما كان قد تركه معلمه في البرص، لأنّ الذي طهر نعمان السرياني رئيس جنود الشام بكلمة الرب من مثل ذلك البرص كان يسهل عليه أكثر أن يزيل مصاب تلميذه. فلنحصل إذًا في أذهاننا كمال هذا العالم الحاضر لكي ننهض عقولنا النائمة بانتظار الخوف المستأنف إلى إتمام الأعمال الصالحة وحفظها، لأنّ العمر أخف من الساعي"!

''فلنكن إذًا خائفين جدا أن نوجد هناك بسبب التواني في هذه الحياة تحت سخط ملك ا د فنرسل إلى الظلمة القصوى، فإنّ الذين يذهبون إلى هناك لا راحة لهم من العذاب، ولا يستريح المسجون من ِقبل خطاياه، ولا ينفك من القيود، لأنّ هناك نار لا تنطفئ ودود لا يموت وعمق هاوية مظلمة وولولة رهيبة وبكاء وصرير أسنان وشدائد ليس لها اية، ولا يوجد بعد الموت راحة منها ولا حيلة ما ولا صناعة تنجي أو توقف العذابات، لكن كل هذا يمكننا أن نخلص منه الآن إن سمعنا صوت ربنا وإلهنا الذي من فرط تعطفه كرز به بنفسه وعلم بني البشر كمال كل قول وتمام كل فعل لكي يصيروا سامعين له".

''فلكي ننجو من مختلف العذابات ونؤهل للخيرات يلزمنا حتما أن نحفظ بتواضع كثير أقوال الرب، لأن حفظ وصاياه هو الكمال، والذين صبروا عاملين بوصاياه نالوا الكمال منتظرين إياه باستقامة قلب، وفي كل ساعة يتصورون مجيئه ا يد وجلوسه على عرش مجده حين يميز الصالحين من الخطاة ويكافئ كل واحدٍ نظير أعماله. فلنحفظ إذًا أيها الابن المحبة النقية لكي إذا قومنا بـ ها الفضائل نؤهل للوقوف عن يمين ابن الله الوحيد وتسر قلوبنا، وسرورنا لا ينتزعه أحد منا".

فقبل الأخ الوعظ قبولاً حسنا وثبت في السكون شاكرا ربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى كافة الدهور آميـن.

الأب القديس إكليمادوس

وصايا لمن يريد الدخول في الرهبنة

قال القديس إكليمادوس: اسمع يا بني كلامي وتمسك به. اعلم أنك من الآن قادم لتقاتل السباع والتنانين والأراخنة (أي رؤساء الشياطين) في سيرة التوبة، وهي كربة وصعبة. وأنك قد وضعت نفسك هدفًا للشدائد والأحزان يوما بعد يوم إن أردت أن تكون راهبا. لأنه مكتوب: انتظر، يا بني، شدة بعد شدة، وقتا بعد وقت، وهيئ نفسك لتجارب كثيرة. وتقول حكمة الله: ستأتي عليك تجارب وأحزان، فكُن مستعدا وهيئ نفسك، لا تتوانَ لئلاّ تندم أخيرا وتكون رهبانيتك تلفًا (أو هلاكًا) لك.

ليس ههنا طعام وشراب، بل جوع دائم وعطش. ليس منذ الآن لعب ولا ضحك ولا قهقهة ولا انحلال. ولا تظهر نفسك في شيء، ولا تكمل أغراضك الجسدانية، بل الزم الحزن والبكاء عوض الانحلال واللعب. والزم السهر والصوم إلى المساء في كل زمانك إلاّ إذا لحقك مرض أو جاء إليك ضيف، فهذا هو واجبك إن أردت أن تكون راهبا. وإن تكاسلت عن إحدى هذه الوصايا فما أكملت الواجب، ويكون وعدك (أي نذرك) فارغًا وظنك أنك راهب ليس بصحيح. وإن كان لك مال وفرقته فقد ضيعته وصارت جميع طلباتك فارغة.

إن لم تستيقظ بقوةٍ وتعمل باجتهاد في سيرة الرهبنة وتمنطق نفسك بالكمال وتحرص وتقاتل بشدة الشياطين غير المنظورين كما يقول الرسول بولس: «إنّ مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية» (أف٦: ١٢)؛ فافحص قلبك قبل أن ترفض الدنيا وتعد ذاتك جنديا للسيد المسيح.

اعلم أنك ماضٍ لتقاتل الذئاب والكلاب والنمور والسباع والوحوش الضارية، وليس ذلك لأيامٍ أو شهور أو سنوات قليلة، بل عمرك كله حتى تظفر بالعدو. إن أردت أن تكون راهبا فاقطع جميع أفكار العالم من قلبك. الراهب هو من يستعد ليصير مثل

الملائكة بدون هم ويمزق عنه ثوب العالم. ولا تظن أنّ معاشرة الصديقين أو السكنى في مواضع القديسين تنفعك، بل ارفض جميع هذه الظنون، لأنّ أجرة العمل لا تؤخذ لتوزع على الكسالى، لأنّ الأخ لن يفدي أخاه، لأنّ الله يجازي كل واحد حسب أعماله.

فلا تتخلّ عن أي كبيرة أو صغيرة من جميع الوصايا بل قُم ا كلها بثباتٍ وإلاّ فوجودك مع العلمانيين أخير لك، لأنّ الرهبنة هي درجة الملائكة الذين لا يفترون ارا ولا ليلاً عن خدمة ملكهم. فمن دخل فيها بانحلال وكسل فقد صير نفسه أشقى ممن هو في انحلال في العالم.

إذا لبست إسكيم الرهبنة لا تتعظم بل بالأكثر اتضع لأنك إنما أخذت ختم التجند للمسيح لكي تخضع تحت نيره لا لكي تكون مقاوما له أو محاربا. لا تكسل عن الذهاب إلى الكنيسة وقت الصلاة الجامعة، وكمل عبادتك لله بخوف. وتأدب في صلاتك واجعلها بكل عقلك وقلبك. وإذا ضرِب الناقوس في نصف الليل فلا تكسل، بل قُم وصل بحرص، ولا تتلُ بفمك وحده، بل يكون فكرك وعقلك وجميع حواسك متفرغةً لله ناظرةً إليه. وإذا ذهبت إلى الكنيسة فاحذر أن تجلس عند الباب بينما يكونون هم في الداخل يصلّون.

ِاحفظ نفسك وكُن خائفًا من الله. إذا أتاك أخ وكلّمك فيما لا يجب فلا تجاوبه البتة. بل اجعل نفسك كأنك أخرس وأطرش ولا تسمع قوله ولا تلُمه في قلبك، بل كُن مثل طفل صغير لا يعرف شرا ولا شيئًا من المكر. احذر من أن تجاوب أو تحدث أحدا ولو كان بكلامٍ جيدٍ ما دمت في الكنيسة. وإذا رجعت إلى قلايتك اهتم بقراءة كتب الله والصلاة، ولا تتفرغ لشغل اليد وحده وتنسى ذكر الله خالقك.

إذا جلست على المائدة لتأكل مع إخوة فلا تتحدث مع أحد، وإن حدثوك فلا تجاوب حتى تفرغ من الأكل. واشكر الله سبحانه على جميع أفعاله وما أنعم به علينا بغير استحقاق منا. واندم على خطاياك، واجعل قلبك مع الله في كل وقت لتستحق نعمته.

إذا جلست في خزانتك (قلايتك أو محبستك) فاقرأ وفكّر في نفسك في تمجيد الله، هكذا افعل جميع أيام حياتك قدام الله لتكون لك الطوبى أي الحظ الشريف مع القديسين. ومع كل ذلك فتحقق أنه لا يلبس الإكليل إلاّ من قاتل وصبر على الشدائد وغلب الأعداء وهزمهم وظهرت شجاعته فيهم أمام الملك العظيم الرب يسوع المسيح الذي تستحق أن تحارب باسمه وتغلب كما غلب هو إذ يساعدك بقوته العظيمة، لأنه قال: «ها أنا معكم كل الأيام إلى

انقضاء الدهر» (مت٢٨: ٢٠)، له المجد إلى الأبد آمين[١١٣].

قصص وأقوال
القديس يوحنا الذهبي الفم

قيل عن ق. ذهبي الفم إنه طوال مدة إقامته في بطريركية القسطنطينية كان غذاؤه ماء الشعير والدشيشة، يأخذ منها كل يومٍ بمقدار، وهذا جعله ينسى الشهوة. وكان ثوبه من شعر خشن ولم يكن له ثالث (أي ثوبان فقط)[١١٤].

قال ذهبي الفم: "لأننا لا نتحفّظ من الزلاّت الصغار نقع في الكبار. فمثلاً ضحك إنسانٍ في غير وقت الضحك يجر غيره إلى الضحك ثم يقول: ما هو الضرر من الضحك؟ وحينئذٍ تبدأ مخافة الله تنقلع منه، ثم يتولد من الضحك المزاح، ومن المزاح الأقوال القبيحة، وهذه تنتج عنها الأفعال المذمومة. فالعدو المخادع يسهل علينا الزلاّت الصغار ومنها يولجنا إلى الخطايا الكبار، ومن هنا يقودنا إلى اليأس. فبهذا التدرج يستدرجنا إلى الأمور بطريقةٍ مستورة. فيجب علينا أن نطرد هواجسه من بدايتها وألاّ نتهاون بالصغائر لأنّ العدو يكمن فيها ليجرنا إلى الكبائر. لأنه لو كان يحاربنا بطريقةٍ ظاهرةٍ لكان قتاله سهلاً علينا وقهره متيسرا لنا، لكنه ينصب لنا كمائنا وفخاخا لا نقدر أن نتخلّص منها سريعا".

"ولكننا إذا تيقّظنا نتغلّب على كل حيله، وذلك لأن ربنا قد وهب لنا سلاحه الكامل، وحذّرنا من الصغائر، فهو لم يقف عند قوله: لا تقتل، بل قال: لا تغضب، كما أنه منعنا من أن يقول أحد منا لأخيه كلمة فيها مهانة. ولم يقف عند قوله: لا تزن، لكنه حذّرنا من النظر إلى امرأةٍ بشهوةٍ، وأعطى الويل للضاحكين، وبلغ في تحذيرنا من الصغائر حتى قال: «إنّ كل كلمةٍ بطّالةٍ يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين» (مت١٢: ٣٦). فإذا عرفنا ذلك فسبيلنا أن نحفظ أنفسنا من خواطر أفكارنا فلا نسقط سريعا"[١١٥].

وقال أيضا: "إذا أخطأنا فإنّ الله قد ينهض علينا أعداءنا ليؤدبنا، وعلى ذلك فلا ينبغي أن نحاربهم، بل يجب أن نحاسب أنفسنا ونثقفها. وطالما أنه أطلقهم علينا بسبب خطايانا، فمتى حاربناهم نصرهم هو علينا، ولهذا أمرنا ألاّ نكافئ (أو ننتقم) من أعدائنا.

(١١٣) س ٤ ورقة ٢٥. (١١٤) س ٤ ورقة ٧٣. (١١٥) س ٤ ص ٩٣.

فلنقبل الامتحانات كقبول الأدوية من الطبيب لكي نخلص، وكقبول التأديب من الأب لكي نتهذّب. ولهذا قال الحكيم: «يا بني إن أقبلت لخدمة الرب الإله فاثبت على البر والتقوى وأعدد نفسك للتجربة» (سيراخ٢: ١)"[١١٦].

لذهبي الفم قول عن الكلمة المكتوبة: «أصلي بالروح وأصلي بالذهن أيضا. أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضا» (١كو١٤: ١٥): ''يقصد الرسول أن الإنسان يصلي ليس بلسانه فقط تاركًا عقله يتوه في الأمور ويصير بلا ثمر، بل أن يكون جهاد واحد لكليهما: فاللسان ينطق بكلام الصلاة والعقل يميز المعنى الخفي غير المنظور، والفكر يكون إلى فوق ليتبع الرب يسوع مثل النفَس الصاعد مع الكلام، ويكون مثل إنسانٍ يشتكي إلى الملك ووجهه ناظر إليه ولسانه يتكلم بدون انشغالٍ عنه"[١١٧].

قال ذهبي الفم: "السكوت هو نمو عظيم للإنسان وراحة لنفسه. السكوت يعطي القلب عزلةً دائمة. السكوت يجلب الدموع للإنسان، السكوت يبعِد الغضب، السكوت قرين النسك، السكوت يولد المعرفة، السكوت يحرس الحب، السكوت لا يوجع قلب إنسان ولا يشكك أحدا، السكوت يعمل عمله بدون تذمر، السكوت يحفظ الشفتين واللسان ولا يبقي في القلب شيئًا من الشر، السكوت هو كمال الفلسفة، فمن يتمسك بالسكوت يستطيع أن يتمسك بجميع الحسنات. الذي يلازم السكوت بمعرفةٍ فقد ختِم بخاتم المسيح، والذي يحفظه فإنه بلا شك يرث ملكوت السموات"[١١٨].

وقال أيضا: "إذا أردت ألاّ يصيبك حزنٌ فلا تحزِن إنسانا"[١١٩].

قال الطوباوي ذهبي الفم: "عندما تجلس مع نفسك لقراءة كلام الله أطلب أولاً انفتاح عيون قلبك حتى لا تقرأ المكتوب فحسب؛ بل أيضا تتممه بحيث أننا لا نعبر على سير وأقوال القديسين لكي تديننا"[١٢٠].



(١١٦) س ٤ ص ٩٦. (١١٧) س ٤ ص ١٢٣. (١١٨) س ٤ ص ١٣٢. (١١٩) س ٤ ص ١٥٤.
(120) An., 1702 (N 670).

قصص وأقوال
القديس أنبا باسيليوس

قال القديس باسيليوس: "لا تبحث عن سير أهل العالم التي لا تنفع. لا تحب الأسفار والتجول في القرى والبيوت، بل اهرب منها لأ ا فخاخ للنفوس. وإذا أراد أحد أن يدخِلك بيته لثقته فيك فليتعلّم هذا الإنسان أن يتبع إيمان قائد المائة الذي قال للسيد: «لست مستحقًا أن تدخل تحت سقفي» (مت٨: ٨)، فإن إيمانه أفضل من كل شيء"(١٢١).

وقال أيضا: "يليق بالراهب المسكنة: عقلٌ منخفض، نظر مطرق إلى الأرض، وجه مقطّب، زي مهمل، ثوب قذر، حتى يكون حالنا هو حال النواحين الباكين. ثوب بقدر الجسد، لأنّ الغرض منه أن يستر الجسد من الحر والبرد فقط، ولا نطلب أن يكون حسنا ناعما لينا، لأنّ هذا تطلبه النساء. كما يجب أن يكون الثوب سميكًا حتى لا يحتاج إلى وشاحٍ لتدفئة الجسد، ويكون الحذاء رخيصا ليؤدي الغرض منه فحسب. وفي الطعام: خبزة واحدة تسد الجوع والماء ليروي الظمأ، والمشي لا يكون بطيئًا بانحلال ولا بسرعةٍ وعجرفةٍ"(١٢٢).

سئل القديس باسيليوس: "كيف يجب على من عوقب بقانون توبةٍ أن يكون شعوره"؟ فأجاب: "مثلما يجب أن يفكر ابن مريض وهو في شدة الموت عندما يكون أبوه خبيرا في الطب ويريد أن يداويه. ورغم صعوبة العلاج وما فيه من تعبٍ كثير، ولكون قلبه يثق بمحبة أبيه له وخبرته في الطب، وبسبب رغبته في الشفاء؛ فعليه أن يخضع لعلاجه ويمكنه من نفسه حتى يشفى ويحيا. فالذي يعاقَب بقانون توبةٍ عليه أن يكون شعوره هكذا نحو معلمه"(١٢٣).

وسئل أيضا: "كيف ينبغي أن ينتهر الإنسان"؟ فقال: "كما ينتهر الأب ابنه، وكما يكون قصد الطبيب أن يشفي المريض"(١٢٤).

وسئل أيضا: "كيف يجب أن يقبل الإنتهار"؟ فقال: "كما يقبل الولد تأديب والده والمريض مداواة طبيبه"(١٢٥).

وسئل أيضا: "كيف ينبغي أن يحب الإنسان قريبه"؟ فقال:"كالمكتوب: «تحب قريبك كنفسك»، وأيضا: «ليس لأحدٍ حب أعظم من هذا: أن يضع أحد نفسه لأجل

---

(١٢١) س ٤ ص ٧٢. (١٢٢) س ٤ ص ٧٣. (١٢٣) س ٤ ص ١٠٢. (١٢٤) س ٤ ورقة ١٠٢.
(١٢٥) المرجع السابق.

أحبائه» (يو١٥: ١٣)"[١٢٦].

وسئل أيضا: "ما هي الكلمة البطّالة التي نعطي عنها جوابا (يوم الدينونة)"؟ فقال: "هي تلك التي ليست للبنيان كقول الرسول: «لا تخرج كلمة رديئة من أفواهكم، بل كل ما كان صالحًا للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمةً للسامعين» (أف٤: ٢٩)"[١٢٧].

وقال أيضا: "الصوم الحقيقي هو سجن الرذائل، أعني ضبط اللسان وإمساك الغضب وقهر الشهوات الدنسة. الذي يصلِح نفسه خير من الذي يصلِح الغضوبين، والذي يدبر نفسه خير من الذي يدبر غيره.

"بداية المحبة حسن الثناء، وبداية البغضة الوقيعة. عود جسدك أن يطيع روحك وروحك أن تطيع الله. ما لا ينبغي أن تفعله لا تفكر فيه ولا تذكره. إن أردت أن تكون معروفًا عند الله فاحرص ألاّ تكون معروفًا عند الناس. عاتب نفسك أصلح من أن تعاتب غيرك. ابتعد من نظر وسماع ما لا يفيد فتتخلّص من فعل ما لا يفيد.

"جيد ألاّ تخطئ، وإن أخطأت فجيد ألاّ تؤخر التوبة، وإن تبت فجيد ألاّ تكرر الخطية، وإن لم تكررها فجيد أن تعرف أنّ ذلك هو بمعونة الله، وإذا عرفت ذلك فجيد أن تشكره تعالى على نعمته وتداوم على الطلب منه أن يديم معونته لك.

"إن كان ليس بجيدٍ أن نستشهد بإنسانٍ شريفٍ على أمرٍ حقيرٍ؛ فكم بالحري الله تعالى؟ علامة الخوف من الله هي الهرب من العيوب الصغيرة احتراسا من الوقوع في الذنوب الكبيرة. علامة من غلب الشيطان هي أن يحتمل شر أخيه ولا يدينه. علامة الخلوة مع الله هي الابتعاد من القلق وبغضة سيرة العالم. علامة الكبرياء اقتناع الإنسان برأيه الخاص.

"لأنّ عامة الناس يظنون أنّ الله هو في الهياكل فقط، فهم يحسنون سيرتهم فيها فقط. وذوو المعرفة يعلمون أن الله موجود في كل موضع، فهم يحسنون سيرتهم في كل موضع. كما أنّ الجسديين لا يقدرون أن يغضبوا في حضرة الملك؛ كذلك الذين يتدبرون بروحانيةٍ يمنعهم من الغضب الخوف من الله الملك المعقول الناظر إليهم دائما.

"الحكيم لا يتقي غير المخوف ولا يرجو غير المدرك، ولذلك فهو لا يخاف الآلام ولا يرجو دوام اللذات العالمية لأنها سريعة الزوال. فإذا لم يخَف من هذه الآلام احتملها، وإذا لم يرج هذه الملذّات لن يطلبها"[١٢٨].

---

(١٢٦) المرجع السابق. (١٢٧) المرجع السابق. (١٢٨) المرجع السابق.

قال مار باسيليوس: "ماذا أنتفع إذا أتممت الفضائل كلها ثم قلت لأخي: 'يا أحمق'، فأكون قد استوجبت نار جهنم؟ هوذا الرسول يعقوب يقول: «من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدةٍ فقد صار مجرما في الكل» (يع٢: ١٠). ما أبعدك من أن تدرك شيئًا من رضى الله إلاّ بالاتضاع، فلا تكرس أفكارك للبحث عن عيوب الناس وخطاياهم، بل تفرغ لتفتيش عيوبك وخطاياك"[١٢٩].

قال شيخ: "عندما جاء القديس باسيليوس يوما ما إلى الدير قال للأب بعد العظة المعتادة: 'هل عندك هنا أخ مطيع'؟ فأجاب: 'كلهم خدامك أيها السيد، وهم يجاهدون لأجل خلاصهم'. ولكنه أعاد سؤاله: 'هل عندك أخ مطيع بالحقيقة'؟ فجاء الأب بأحد الإخوة، فاستخدمه القديس ليخدم أثناء الطعام. وبعد الطعام جاء الأخ له بالماء لكي يشطف يديه، ثم قال له القديس: 'تعال هنا لكي أقدم لك الماء أنت أيضا'. فسمح الأخ للأسقف أن يسكب الماء على يديه. حينئذٍ قال له القديس: 'عندما أدخل الهيكل فتعال لكي أرسمك شماسا'. وبعد أن فعل ذلك رسمه كاهنا وأخذه معه إلى الأسقفية بسبب طاعته"[١٣٠].

قال الأب كاسيان: "كان أحد الشرفاء قد ترك كل شيء ووزع ممتلكاته على الفقراء وأبقى لنفسه القليل لاحتياجاته، لأنه لم يرغب في قبول المسكنة الناتجة عن ترك كل شيء، ولا هو أراد أن يخضع لنظام الدير. فأرسل القديس باسيليوس إليه قائلاً: 'لقد فقدت رتبتك الشريفة دون أن تصير راهبا'"[١٣١].

قال القديس باسيليوس: "نظام حياة المسيحي هو التشبه بالمسيح"[١٣٢]!

قصص وأقوال
القديس غريغوريوس الثيئولوغوس

قال الأب غريغوريوس الثيئولوغوس: "هذه الثلاثة أمور يطلبها الله من كل إنسان من بني المعمودية: إيمان صحيح في القلب، وصدق في اللسان، وطهارة الجسد وعفته"[١٣٣].

وقال أيضا: "عمر الإنسان كله ليس سوى يوم واحد للذين يريدون أن يعملوا بتعب واشتياق"[١٣٤].

---

(١٢٩) س ٤ ورقة ١٣٨. (١٣٠) أبجدي ١. (١٣١) أبجدي كاسيان ٧؛ W. & W., II: 417، Ch., 26
(132) Sy., I: 37.
(١٣٣) س ٤ ورقة ٧٩؛ Apoph., Gregory Theo., 1
(١٣٤) س ٤ ورقة ٧٩؛ Apoph., Gre. Th., 2

وقال أيضا: "فليكن عملك نقيا في حضرة الرب وليس للتباهي"[١٣٥].

وقال أيضا: "إنّ نزاع الموت لَيطهر النفوس الخارجة من العالم من الخطية الدنيئة الخفيفة، فحسبما سمعت من رجل قديس كان قد روى لي عن قديس آخر قائلاً إنه لما جاءه الموت فزع بشدة، وبعد موته ظهر لتلاميذه بحلّة بيضاء تدل على البهاء الذي وجِد فيه"[١٣٦].

وقال أيضا: "إن كنت عند الله غير مذنب فلا تغفر للمذنبين إليك، وإن كنت تعلم أنك مذنب فقدم الرحمة أمامك، فإنّ الله يضاعف الرحمة للرحومين"[١٣٧].

أعطى الأب غريغوريوس جوابا ضد الأفكار وقال للإخوة: "يا إخوتي، بقدر ما نكون قد اجتزنا قامة الأطفال فلنكف عن أن نكون أطفالاً في أذهاننا، بمعنى أننا فلنتحرر من عادات الشهوات البذيئة المتهاونة، فمن المخزي لنا إن كنا بعد أن اجتزنا مرحلة الطفولة وتقدم بنا العمر لم تفارقنا الأمور المخزية"[١٣٨]!

سئل أبونا القديس غريغوريوس: "كيف يكون الابن والروح القـدس مسـاويان للآب"؟ فأجاب: "مثل الامتزاج الفريد من نوعه بين الضوء في ثلاث شموس قريبة من بعضها، هكذا يكون اللاهوت"[١٣٩].

وقال أيضا: "إن كنت لا تتوقع أي مشقة عندما تقترب من الحكمة، فهذه بداية تنقصها الحكمة وتأتي باللوم علي الذين علّموك. أما إن توقعت المشقة فإن لم تصادفها تكون راضيا، وإن صادفتها فإما أن تحتملها بشجاعة أو أن توجد ناكثًا لوعدك"[١٤٠].

من حديث للقديس غريغوريوس عن الإتضاع: "كيف بط إلى الاتضاع الملائم بالتخلّي عن عجرفة الكبرياء المهلكة؟ ذلك إذا مارسناه (أو تدربنا عليه) بدون توقف وإذا تحققنا أنّ لا شيء مضر لنا جدا مثل الكبرياء. فالنفس تصير مشا ة لما تنشغل به (أو تكرس نفسها له)، وهي تلتزم بما تفعله وتتبنى المواقف المناسبة. لعل ذلك، إذن، يكون هكذا في المكوث مع نفسك، وفي ملبسك، ومشيك، وطريقة الجلوس والأكل والوقوف والنوم. ولعل مسكنك وكل أمتعتك تكون منظمة بقليل من الجهد. كما يجب أن تكون الأبصلمودية (أي التسبيح) والترتيل والعلاقات بالآخرين هي أيضا تتم بالحري ببساطة بدلاً من الزهو والتفاخر، بدون تباهي بكلام معقّد، وبدون التلحين المبالَغ فيه في التسابيح، وبدون مماحكات المغرورين الثقيلة، بل بالتخلي عن كل شموخ يكون لأجل

(135) Eth. Pat., 348. (١٣٦) س ٤ ورقة ١١٩. (١٣٧) س ٤ ص ١٥٤.
(138) W. & W., II: 417. (139) An., 1003. (140) Sy., VII: 6.

إرغام الصديق، واللطف نحو الأجير، والخضوع أمام المتعجرفين، والعطف بالنسبة للمتواضعين، والتعزية للبائسين، وافتقاد المرضى، وعدم احتقار أي شخص قط، والكلام بكل بعذوبةٍ، والإجابة بلطف، وسلاسة المعشر دائما"[١٤١].

قصص وأقوال
القديس الأب زوسيما
****

قال الأب زوسيما: "كنت أنا وأخ آخر سائرين مع علمانيين في طريق نابلس، فجئنا إلى موضع فيه مسلخة، فالعلمانيون لمعرفتهم بالعادة أعطوا (لمحصلي الضرائب) ما وجب عليهم من الضريبة، أما الأخ الذي كان معي فأخذ يقاوم قائلاً: 'أتتجاسرون أن تأخذوا خراجا من رهبان'؟ فلما سمعته قلت له: 'ماذا تقول أيها الأخ؟ كأنك تقول: أكرموني إكرام قديس إن شئتم أو أبيتم. فليتهم أبصروا تواضعك من إجابتك، وحينئذٍ كانوا قد خجلوا وقالوا: اغفر لنا! فاعطهم، إذن، الجزية كتلميذٍ وديعٍ للمتمسكن (لأجلنا أي المسيح) الذي دفع الدرهمين واعبر بسلام' "[١٤٢].

قال أنبا زوسيما: ''لما كنت في الدير بمدينة صور[١٤٣] جاءنا شيخ فاضلٌ، وبينما كنا نقرأ فصولاً مما قاله الشيوخ - لأنّ الطوباوي كان يحب قراء ا، ولذلك فقد استثمر منها الفضيلة - أتينا إلى خبر الشيخ الذي أخذ اللصوص كل ما في قلايته، ولما نسوا مخلاةً أسرع وراءهم ليأخذوا ما قد نسوه، فتعجبوا من بساطته وأعادوا إليه كل ما أخذوه قائلين إنّ هذا هو بالحقيقة رجل الله.

فقال لي الشيخ: 'أرأيت يا أبا هذا القول؟ لقد انتفعت منه كثيرا'. فقلت له: 'كيف كان ذلك أيها الأب'؟ فقال لي: 'لما كنت في نواحي الأردن قرأته وتعجبت من الشيخ، وقلت في نفسي: يا رب أهلني أن أسلك في سبيله يا من أهلني أن ألبس زيه. وإذ كنت مشتاقًا إلى ذلك طرق بابي بعد يومين لصوص، ولما علمت أ م لصوص قلت في نفسي: ا د للرب وهذا فضلٌ منه، ها قد جاءت الفرصة لكي أحصل على ما اشتقت إليه. ففتحت لهم واستقبلتهم ببشاشةٍ، وأوقدت السراج لكي يروا ما في القلاية قائلاً لهم: 'لا

---

(141) An., 1486.

(١٤٢) س ٤ ص ٩١.

(١٤٣) في لبنان بجوار فلسطين، وربما يكون هو القس زوسيما الذي ناول القديسة مريم المصرية في برية الأردن قبل نياحتها وكفّنها ودفنها.

تقلقوا، وثقوا أنني لا أُخفي عنكم شيئًا'. فقالوا لي: 'أعندك ذهب'؟ فقلت لهم: 'نعم، عندي ثلاثة دنانير'. ثم فتحت المقطف قدامهم، فأخذوا ما فيه ومضوا بسلام. فسألت الشيخ: 'ألم يعودوا إليك كما عاد لصوص ذلك الشيخ'؟ فقال لي: 'لم يسمح الله بذلك لأنني لم أشتهِ رجوعهم'. هكذا أعطى الله للشيخ ما اشتاق إليه، وليس أنه لم يحزن فحسب، بل وفرح كمن استحق هذه الموهبة"[(١٤٤)].

وقال عدة مرات: "نحن في أمس الحاجة إلى تيقظٍ كثير وعقلٍ واعٍ لكي نواجه فنون الشيطان، لأنه يسبب لنا الانزعاج من لاشيء، وأحيانا يسبب لنا غضبا في غير موضعه. وهذا الأمر غريب جدا عن المشتاقين إلى سلوك طريق الله كما يقول القديس مكاريوس: 'الغضب غريب هو عن طغمة الرهبان، وإحزان الأخ أيضا غريب هو عن طريقة الرهبان'"[(١٤٥)].

وقال أيضا: "مرةً استحسنت مصحفًا عند أحد النساخ وكان ماهرا، وبعد أن فرغ من نسخه أرسل يقول لي: 'قد فرغت من نسخه، فمتى شئت ارسل وخذه'. فلما سمع أحد الإخوة ذلك ذهب باسمي إلى الناسخ ودفع له ثمن نسخه وأخذه، ولم أعرف أنا بذلك. فأرسلت أحد إخوتي ومعه دنانير وكتبت للناسخ لكي يعطيه المصحف. فلما تحقّق الناسخ أنّ الذي سبق وأخذه قد خدعه انزعج وقال: 'أنا أذهب إليه وأوبخه أولاً لأنه خدعني وثانيا لأنه أخذ ما ليس له'. فلما سمعت أنا ذلك أرسلت إليه قائلاً: 'يا أخي، إننا نقتني المصاحف حتى نتعلم منها المسكنة والمحبة والوداعة، فإن كانت فاتحة اقتناء المصاحف فيها غضب وخصومةٌ فلا أريد أن أقتنيه ولا أريد أن أخاصم أحدا لأجل ذلك، لأنّ الخصومة والا اع لا يليقان بعبيد الله. وها أنا قد طرحت عني أمر هذا المصحف، فلا تقلق الأخ بسببه على الإطلاق'!

وتذكّرت الشيخ الذي كان الأخ جاره يسرق ما يجده، ولما علم بذلك لم يوبخه، بل صار يعمل أكثر من احتياجه قائلاً: لعل الأخ محتاج. وتعجبت من تحنن القديسين. وتذكّرت الشيخ الذي سرقت آنيته، ولما وجدها في قلاية أخٍ احتشم الشيخ واختفى حتى خبأها الأخ، ثم اعتقل الوالي الأخ، فذهب الشيخ إلى الوالي ولاطفه حتى أخرج الأخ من الحبس"[(١٤٦)].

وقال أنبا زوسيما عن هذا الشيخ إنه ذهب مرةً إلى السوق ليبتاع له ثوبا، وأخذ الثوب وجلس عليه حتى يعد ثمنه من النقود. فعبر إنسان أراد أن يأخذ الثوب، ولما شعر الشيخ بذلك تحنن على الرجل وخفّف نفسه وكأنه يعد النقود حتى يمكن الرجل من أخذ

---

(١٤٤) س ٤ ورقة ١٦٧. (١٤٥) س ٤ ص ١٦٨. (١٤٦) المرجع السابق.

الثوب ولم يوبخه على ذلك!

ثم قال عنه: "كم كان ثمن الوعاء الذي ضاع أو الثوب الذي أُخِذ؟ ولكن مروءة الشيخ كانت عظيمة، لأنه أظهر بما فعله أنّ هذه الأشياء مع كونها ملكه ولكن كأنها لم تكن ملكه، ولما أُخِذت منه لم يغتم عليها ولا انزعج لضياعها. وإنني أقول إنّ ملكية الشيء غير مؤذية، ولكن ميلنا وتمسكنا بملكيته هو المؤذي. فهذا الشيخ لو كان العالم كله ملكه فكأنه لم يمتلكه، لأنه أظهر بما فعله أنه متحرر من كل شيء"[١٤٧]!

وقال عن ذلك أيضا: "إنّ الشياطين متى رأوا إنسانا ليس له ميل أو تمسك بالأمور ولا يحزن إذا فقدها؛ يعلمون أنه يمشي على الأرض دون أن يكون له هوى أرضي. فإذا كانت إرادة واحدة لإنسان شديدة الحرارة يمكنها أن تقدم لله في ساعةٍ واحدةٍ ما لا يمكن أن تقدمه إرادة أخرى في خمسين سنة"[١٤٨].

وقال الطوباوي أيضا إنّ إنسانا أخبره أنه كان له معلم وديع جدا، وقال إنه بسبب عظم فضيلته والآيات التي كان يجريها كانت كل الكورة المحيطة به تعتقد أنه ملاك. وحدث أن العدو حرض إنسانا فجاء إليه وشتمه شتائم قبيحة بمشهدٍ من الكل، بينما كان الشيخ ينظر إلى فم شاتمه فقط. فقال له: "نعمة الله على فمك يا أخي"! فأجابه: "أيها الشيخ الرديء الذي يأكل شيبته، أتقول ذلك لكي تتظاهر أمام الناس"؟ فقال له الشيخ: "بالحقيقة، يا أخي، إنّ جميع ما تقوله حق هو". وبعد ذلك سأله إنسان: "أما انزعجت يا راهب"؟ فقال: "لا، بل كنت أشعر أنّ الله يستر نفسي"[١٤٩]!

وكان الطوباوي يقول مرارا كثيرة: "ما عرفنا نحن البشريين المحبة ولا الإكرام، لكننا ضيعنا عقولنا، لأنه إذا تحمل إنسانٌ أخاه قليلاً إذا أحزنه أو أغضبه، ثم عاد بعد قليل إلى نفسه وعرف كيف احتمله فإنه يضع ذاته من أجله"[١٥٠].

وقال أيضا: "يجب على الإنسان أن يشكر مضايقيه بالحق، ويعتقد أنهم كأطباء يداوون جراح نفسه إن كانت له أوجاع وانفعالات، وإن كانت ليس له انفعالات أو أوجاع فيعتبرهم محسنين يسببون له ملكوت السموات"[١٥١].

وسئِل أيضا: "كيف يستطيع الإنسان ألاّ يغضب عندما يشتمه أو يعيره بعض الناس"؟ فقال:"إذا ازدرى الإنسان بنفسه واحتقرها لا يقلق ولا يضطرب من ذلك،

---

(١٤٧) المرجع السابق. (١٤٨) المرجع السابق. (١٤٩) س ٤ ورقة ١٦٨. (١٥٠) س ٤ ص ١٦٩.
(١٥١) المرجع السابق.

وهذا ما قاله أنبا بيمين: 'إن ازدريت بنفسك واحتقر ا أرحتها ونيحتها'"[١٥٢].

ذكر القديس القصة الآتية: "كنت أُلاطف مرةً أحد الإخوة الذين ألبستهم الإسكيم لأنه كان شابا مترفًا. فقال لي: 'يا معلم، إنني أحبك'. فقلت له: 'لم أجد من يحبني كما أحبه. أنت قلت إنك تحبني وأنا صدقت قولك، فإن حدث أمر لا ترغبه فلن تثبت على ما أنت عليه الآن، ولكنني لا يغير شعوري بالمحبة أي عارضٍ'.

"وبعد وقتٍ قصيرٍ انفصل هذا الأخ عني وصار يسبني كثيرا ويقول علي أقوالاً قبيحة كانت تبلغني! فكنت أقول في نفسي: هذا هو مكوى يسوع أرسله ليعالجني من كبرياء نفسي. وكنت أقول لمَن يخبرني: إنه يذكر ما رآه من شروري الظاهرة، أما قبائحي الخفية فلا يحصى لها عددا.

"وبعد زمانٍ التقى بي في قيسارية (فلسطين)، وسلّم علي كعادته وقبلته ببشاشةٍ كأنه لم يقُل عني أي شر. فسجد أمامي وقال: 'يا معلمي، اغفر لي لأجل الرب، فقد تكلّمت عنك كثيرا بكلامٍ رديءٍ'. فقلت له ببشاشةٍ: 'هل تذكر محبتك عندما قلت لي إنك تحبني كثيرا، وقلت لك إنني لم أجد من يحبني كما أحبه؟ وثق أنه لم يخف عني ما قلته ولمَن قلته وفي أي موضعٍ قلته، وإن أردت لقلته لك. ولم يقنعني أحد أن أقول كلاما رديئًا عنك، ولم أكف عن أن أذكرك في صلواتي. ولكي تعلم صدق محبتي لك، فإنّ عيني أوجعتاني مرةً وجعا شديدا، فصلّبت على وجهي وقلت: يا ربي يسوع المسيح، اشفني بصلوات الأخ فلان. فشفيت في الحال'! هذا ما قلته للأخ"[١٥٣].

وقال أيضا: "علامة طرح العالم (من القلب) هي ألاّ يضطرب الإنسان لشيءٍ من أموره. وقد يوجد إنسان يتهاون بمالٍ كثيرٍ ولكنه بسبب محبته لإبرةٍ (رخيصةٍ) ي عج أكثر من ضياعه لأموال كثيرةٍ، ومثل هذا الإنسان ليس هو بعبدٍ لله. ولذلك قال الرسول بطرس: «ما انغلب منه أحد فهو له مستعبد» (٢بط٢: ١٩)"[١٥٤].

وقال أيضا: "النفس تريد الخلاص، ولكن لمحبتها للأشياء الباطلة وانشغالها ا رب من الأتعاب، وإلاّ فإنّ الوصايا ليست ثقيلة، بل إنّ المشيئات هي الرديئة الخبيثة"[١٥٥].

وقال أيضا: "قال لي قائلٌ: 'يا معلم، كثيرةٌ هي الوصايا التي أُمِرنا ا، وربما يظلم عقلي فلا أدري أيها أحفظ'. فقلت له: 'لا يزعجك ذلك، لكن اعلم أنك متى أصبحت

---

(١٥٢) المرجع السابق. (١٥٣) المرجع السابق. (١٥٤) س ٤ ورقة ١٦٩. (١٥٥) المرجع السابق.

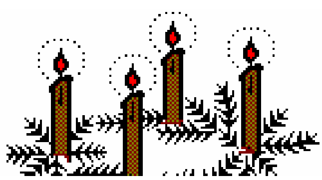
لا تتأسف على الأشياء يسهل عليك إحكام الفضيلة. ولا تعتنِ بالأمور البشرية فتنعتق من العالم. ولربنا المجد دائما آمين''"[١٥٦].

وقال أيضا: ''إنني لا أدين الذين يوبخونني، ولكنني أعتبرهم محسنين إلي ولا أرفض دواء النفوس الذي يجلب علاجا مذلا لنفسي النجسة المتعجرفة"[١٥٧].

وقال أيضا: ''نحن ننظر صليب الرب يسوع ونقرأ (كل يوم) قبوله لآلامه ولا نحتمل أذية واحدة''[١٥٨].

وقال أيضا: ''إن كان أحد يهتم بتذكّر الأخ الذي ضايقه أو أضره أو أهانه، فعليه أن يذكر نفسه بأنه مثل طبيب أرسله المسيح ويعتبره كمحسن إليه، لأنك إذا تضايقت في تلك الأحوال، فهذا يعني أنّ نفسك مريضة. ففي الحقيقة لو لم تكن مريضا لما تألمت. فعليك إذًا أن تشكر هذا الأخ طالما أنه بفضله عرفت مرضك، وصل لأجله واقبل ما يأتي عليك كأدوية أرسلها لك الرب. أما إذا حقدت عليه فكأنك قلت للمسيح: لا أريد أن أقبل هذه الأدوية وأفضل أن يحل الفساد في جروحي''[١٥٩].

وقال أيضا: ''إذا أردت أن تشفى من جروح النفس المريعة هذه عليك أن تحتمل ما يفرضه عليك الطبيب. ففي الحقيقة إنّ المريض بجسده لا يسر بأن يتكبد أي قطع أو أن يتجرع شربة، بل إنه يستاء من مجرد ذكر ذلك. ومع ذلك فباقتناعه بأنه بدون تلك العلاجات لا يمكنه أن يشفَى من هذا المرض، فهو يتحمل ما يلزمه به الطبيب. إنه يعلم أنه بقليل من الإزعاج سيعفَى من مرض طويل. إنّ مكوى يسوع هي التي بإهانتك وإلحاق الأذى بك تحررك من المجد الباطل. فكل من يهرب من تجربة نافعة فهو يهرب من الحياة الأبدية! ما هو المجد الذي حصل عليه القديس اسطفانوس سوى الذي اكتسبه بفضل الذين رجموه"[١٦٠]؟!



(١٥٦) المرجع السابق. (157) Sy., XVI, 19. (158) Ibid., 20. (159) Sy., XVI, 17. (160) Sy., XVI, 18.

تعاليم القديس زوسيما(❖)

(١) في التجرد

عندما ابتدأ أنبا زوسيما في الكلام رسم أولاً علامة الصليب على فمه ثم قال:

+ عندما صار كلمة الله إنسانا أعطى نعمةً وفيرةً للذين آمنوا ولجميع الذين يؤمنون به. لأنه أصبح ممكنا الآن، لو أردنا، أن نؤمن ونبدأ مسيرتنا من اليوم. فبمجرد أن نرغب في ذلك بحرية إرادتنا مع معونة النعمة يصير ممكنا، لمن يريد، أن يعتبر العالم كله كلا شيء.

+ ثم التقط شيئًا: قشة وقطعة من الخيط وشيئًا آخر لا قيمة له ثم قال: من يقاتل من أجل هذه أو يتشاجر أو يغتم حتى يفقد صوابه؟ إذًا، عندما ينمو رجل الله فهو يعتبر العالم كله مثل القشة، ومع ذلك فهو يمتلك الكون. والواقع كما كنت دائما أقول: إنّ التملك في حد ذاته ليس ضارا إلاّ إذا ارتبط بالشهوة.

+ من منا يجهل أن الجسد أثمن بكثير من الخيرات التي نمتلكها؟ كيف يحدث إذن أن يطلَب منا أن نزدري به متى استدعت الظروف ذلك (مت١٨: ٨)؟ فإذا كان الأمر هكذا بالنسبة للجسد؛ فكم بالأكثر بالنسبة للأشياء الخارجية؟ فكما أنه ليس من المقبول أن نطرح عنا الأشياء بغير ضرورة وبدون تروي وكيفما اتفق؛ هكذا أيضا ليس مقبولاً أن يطرح الإنسان نفسه في الموت، فهذا يحدث من الجنون، بل أحرى بنا أن ننتظر الوقت لكي نوجد مستعدين.

+ ثم ذكر القديس خبر الأخ الذي كان يمتلك حقلاً مزروعا بالخضروات[١٦١]، وقال: ألم يزرع ويتعب ويغرس ويعتني؟ ثم ألم يقلَع ما زرعه ويطرح؟ ولكنه كان حينئذ يعتبر نفسه كأنه لا يملك هذه الخضروات. فهو لم يجزع عندما أراد الشيخ أن يمتحنه وداس عليها، ولم يظهر له أي شيء بل أخفى مشاعره. وإذ تبقّى آخر قَدم قال له الأخ: 'إذا أردت يا أبي فاتركها لنعمل ا أغابي'. حينئذ علم الشيخ أن الأخ كان خادما حقيقيا لله وليس عبدا للخضروات، فقال له: 'إنّ روح الله قد ارتاح فيك أيها الأخ'! فلو كان هذا الأخ يمتلك الخضروات عن شهوة لأظهر ذلك على الفور بقلقه واضطرابه،

(❖) مترجم من كتاب: Enseignements des Pères du désert, Spiritualité Orientale, 51

(161) An., 1343.

ولكنه أظهر أنه كان يمتلكها وكأنه لم يكن يمتلكها (١كو٧: ٣٠). وقال: إن الشياطين تلاحظ ذلك، فإذا رأوا إنسانا بدون شهوة للأشياء لأنه لا ينزعج أو يحزن، يدركون أنه مع كونه يمشي على الأرض إلاّ أنه ليس فيه فكر أرضي.

(٢) احتمال الإساءة
وصلاة القديس باخوميوس

+ وقال أيضا: توجد حركات مختلفة للإرادة، فالإرادة الحارة يمكنها أن تقدم الإنسان نحو الله في ساعةٍ واحدةٍ ما لا يمكن للإرادة الفاترة أن تفعله في خمسين سنة. فإذا رأى الشيطان شخصا مشتوما أو مهانا أو أُسيء إليه أو يعاني من أي شيء آخر وهو حزين، ليس بسبب معاناته المستمرة، بل لأنه لم يحتمل العناء بشجاعة، حينئذ تخافه الشياطين إذ يدركون أنه ملتزم في طريق الحق وأنه قد عزم على السلوك بحسب وصايا الله.

+ ثم ذكر القديس باخوميوس حين وبخه أخوه قائلاً: 'كفاك عجبا'، وذلك لأنه أراد أن يوسع الدير حسب العلامة التي أعطاها له الله. فقال أنبا زوسيما: أما هو فشعر بحركة الغضب باعتبار أنه على حق، ومع ذلك فلم يجب بشيء وتمالك قلبه. وفي الليلة التالية نزل إلى مغارة صغيرة وظلّ يبكي ويصلي هكذا: يا الله، إن الفكر الجسداني لا زال في، فأنا إذن أعيش حسب الجسد، والويل لي لأنني سأموت كالمكتوب (رو٨: ١٢). فبعد كل هذا الجهاد واستعداد القلب ها أنا أُغلَب من جديد من الغضب حتى ولو كان لأجل سبب مقبول. فاشفق علي يا رب لكي لا أهلك، لأنه لو وجد العدو في مكانا ولو صغيرا لانتهى الأمر بسقوطي تحت قبضته إن لم تؤيدني، لأنه إذا حفظ الإنسان جميع وصاياك وعثر في واحدة فقط صار مذنبا في الكل (يع٢: ١٠). ولكنني واثق أنه إذا أعانتني وفرة رحمتك فسأتعلم السير من الآن في طريق قديسيك ممتدا إلى ما هو قدام (في٣: ١٣)، لأنّ القديسين يخزون العدو كما يليق به. كما أنني كيف أقود الذين تدعوهم معي لاختيار هذه السيرة إن لم أكن أنا نفسي قد غلبت أولاً؟!

ولما قدم هذه الصلاة ظلّ طوال الليل يكرر تلك الكلمات عينها مع الدموع حتى مطلع النهار. وكان عرقه يتساقط بغزارة حتى صارت الأرض تحت قدميه كالطين لأنّ الوقت كان صيفًا والمكان شديد الحرارة.

+ ثم قال المغبوط وهو ممتلئ اندهاشا: ألم تكن تلك الدموع بلا كيل(مز٧٩: ٦)؟

فكيف لا يمنحه الله معها الإرادة نحو جميع الفضائل؟ أما أنا فأعتقد أنّ الله منحه في تلك الليلة كل ما طلبه منه، أي أن يصير مائتا عن كل شيء.

(٣) أدوية يســوع

+ قال القديس: إذا احتفظ أي إنسان بالغيظ مقابل من يحزنه أو يظلمه أو يفتري عليه أو يصنع به أي شيء كان ويصور لنفسه أفكارا ضده، فهو ينصب لنفسه فخا كالذي تصنعه الشياطين. وماذا أقول: يصور؟ إنه في الحقيقة إن لم يتفكّر في ذاك كأنه طبيب فهو يسيء لنفسه جدا. أتتكلم عن الألم؟ إنه حقًا ينقيك! بخصوصه هو، يكفيه أنه نصب فخا لنفسه، أما أنت فيجب عليك أن تذكره كطبيب أرسله لك المسيح وأنت مدين له بكونك تتألم لأجل المسيح. لهذا فعليك أن تعتبره صاحب فضل عليك!

+ إن كنت لا تبتعد عن الشر أو لا ترغب في ذلك، فإنّ الرب الإله يكون بريئًا منك. فالألم يخص النفس المريضة، وإن لم تكن مريضا فأنت لا تتألم. لذلك يجب عليك أن تعترف بالفضل لأخيك لأنك بفضله عرفت مرضك، بل وعليك بالأكثر أن تتقبل ما يفعله معك أخوك كأدوية شافية أرسلها لك يسوع. أما إذا كنت لا تشكر أخاك بل وتصور لنفسك أيضا أفكارا ضده، فحقيقة الأمر أنك تقول ليسوع: 'لا أريد أن تداويني، لا أريد أن أتقبل أدويتك، أريد أن تتقيح جراحاتي، أريد أن أخضع للشياطين'. فماذا يمكن للرب أن يفعله بعد ذلك؟ ربنا صالحٌ هو، وقد أعطانا وصاياه المقدسة لشفائنا من شرورنا، فهي تطهرنا على غرار المكاوي والمطهرات.

فالآن، كل من يريد أن يشفَى يجب عليه بالضرورة أن يحتمل ما يصفه له الطبيب من الأدوية. المريض لا يحب البتر ولا الكي ولا المطهرات المختلفة، إذ هو ينفر منها، ولكنه في نفس الوقت يقتنع أنه بغير هذا كله لا يمكن استئصال المرض. ومن جهة أخرى فهو يستسلم للطبيب واثقًا أنه بقليل من الألم يتخلّص من جميع مضاعفات المرض الطويل.

+ إنّ مكوى يسوع هي ذاك الذي يظلمك بينما هو يخلصك من طمعك الذي لا يشبع إذا احتملته بشجاعة. أما إذا لم تحتمله فإنك تظلم نفسك، فلا تدن أخاك. إننا إذ ننسى أن نلوم أنفسنا في التجربة نرفض الدواء الذي يقدمه لنا المسيح ونسمح لأنفسنا كا انين أن نتصور الأفكار ضد الذين يحسنون إلينا.

(٤) منفعة التجارب والمحقرة

+ وقال أيضا: اقطع الأفكار (أو التجارب) ولن يكون أي إنسان قديسا. ومن يهرب من تجربة نافعة يهرب من الحياة الأبدية. قال أحد الآباء القديسين: 'من الذي أعطى الشهداء القديسين الأكاليل سوى قضا م؟ ومن الذي أعطى القديس إسطفانوس أن يرى مثل هذا ا د العظيم إلاّ الذين رجموه'؟ وكان يذكر دائما قول أحد الآباء: 'إنني لا ألوم الذين يثلبونني، بل على العكس أعتبرهم أصحاب فضل علي. لست أرفض طبيب النفوس الذي يهيئ دواء الإذلال للنفس المتعظمة، وأخاف لئلاّ يقال عن نفسي: «داوينا بابل فلم تشف» (إر٥١: ٩)'.

+ ثم **قال:** كان أوغريس يخاف لئلاّ يوبخه المسيح ويقول له: يا أوغريس، أنت مريض با د الباطل، وقد هيأت لك دواء المحقرة لكي يطهرك ولكنك لم تشف. فلنعلم جيدا هذا الأمر: إنّ أحدا لن يقول الحقيقة إلاّ الذين يلومونا.

+ وقال أيضا: الرب يعلم، إذ هو فاحص القلوب والكُلى، أنه حتى ولو مدح الناس ومجدوا كل ما أعمله فإنني أستحق الملامة والخزي والبصاق. وإذا قالوا: أنت فعلت هذا الأمر أو ذاك، أجيبهم: ما الذي فعلته من الصلاح؟ لأنه لا أحد يكذب علي سوى الذين يمدحونني ويمجدونني، ولا أحد يقول الحق كما أقوله أنا إلاّ الذين يلومونني ويحتقرونني. كما أ م لا يقولوا كل الحقيقة، لأ م لو أمكنهم أن يروا، لا أقول محيط خطاياي، بل جانبا منها فقط، لتحولوا عني كمن يبتعد عن أرض موحلة أو رائحة نتنة أو روح نجس. ولو صارت ألسنة جميع الناس تشتمنا فأنا متأكد أنه ليس بإمكا م أن يعبروا عن مدى شناعة شرورنا. لأنه من الواضح أن من يشتم أو يعير فهو يتكلم عن الجزء الذي يراه فحسب، ولكنه لا يقدر أن يعرف الكل.

فإن كان أيوب البار قال: «إني ممتلئ هوانا» (١٠: ١٥)، والذي يمتلئ لا يكون فيه موضع لزيادة؛ فماذا نقول نحن وقد صرنا مثل محيط ممتلئ من كل شر؟! إنّ الشيطان يتعمد إذلالنا بكل خطية من خطايانا، لهذا ينبغي علينا أن نكون معترفين بخطايانا وخزينا، لأنّ الذين يعترفون بخزيهم يدوسون الشيطان تحت أقدامهم. وكما يقول الآباء القديسون: إذا هبط الاتضاع حتى الجحيم يرتفع إلى السماء، وإذا ارتفعت الكبرياء إلى السماء بط إلى الجحيم.

+ وقال أيضا: من يستطيع أن يقنع الراهب المتضع أن يتفكّر بالشر على أي إنسان، وبالمثل أن يحتمل أحدا يلوم أو يتهم آخر أمامه؟ حقًا إنّ كل ما يعانيه الراهب المتواضع أو يسمعه يصير له فرصةً لكي يأتي باللوم على نفسه ويحتقرها. ثم أورد القديس خبر أنبا موسى عندما طرده الكهنة من الهيكل قائلين له: 'أخرج يا حبشي'، فانصرف وهو يوبخ نفسه قائلاً: 'حسنا فعلوا بك يا أسود الجلد، فإن لم تكن إنسانا فلماذا جئت وسط الناس'؟!

(٥) طريق المسيح والقديسين المستقيمة

+ وقال أيضا: مهما حدث للمتواضع فهو يتحول للوقت إلى الصلاة معتبرا جميع الناس أصحاب فضل عليه. أما نحن فبعد أن تحولنا عن طريق الحق ومسيرة القديسين، نريد أن نشق لأنفسنا طريقًا بحسب مشيئاتنا الرديئة. ومع ذلك فليس أسهل من أن نستمع إلى هذا القديس العظيم المختبر أنبا أموناس القائل: احرص أن تحتفظ بالسكوت إذا أساء إليك أحد لأي أمر كان، ولا تقل شيئًا البتة قبل أن يهدأ قلبك بالصلاة الدائمة، وبعد ذلك عِظ أخاك.

+ من يريد أن يمشي في الطريق الحقيقي المستقيم عليه إذا لحقته إهانة أن يعود باللائمة على نفسه بشجاعة ويوبخ نفسه على الدوام قائلاً: لماذا تضطربين يا نفسي؟ ولماذا تتكدرين مثل الحمقى؟ إنكِ بذلك تظهرين أنكِ مريضة، فلو لم تكوني مريضة لما تألمتِ. فلماذا تركتِ عنكِ توبيخ نفسكِ وا مِتِ أخاكِ، في حين أنه هو الذي كشف لكِ مرضكِ في واقع الحال؟ تذكّري وصايا المسيح «الذي إذ شتِم لم يكن يشتم عوضا، وإذ تألم لم يكن يهدد» (١بط٢: ٢٣). انصتي إلى ما قاله معطيا لنا مثالاً: «بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق» (إش٥٠: ٦). وأنت أيها البائس من أجل إهانة واحدة أو محقرة واحدة تصور لنفسك آلاف الأفكار فتنصب لنفسك شباكًا مثل الشياطين. فما الذي يمكن للشيطان أن يفعله لتلك النفس أكثر مما تفعله هي لنفسها؟ إننا نرى صليب المسيح ونقرأ كل يوم عن الآلام التي احتملها لأجلنا ولا نحتمل أقل إهانة! حقًا إننا تركنا الطريق المستقيم.

+ وقال أيضا: حتى لو بلغ الإنسان عمر متوشالح، فإذا لم يتبع الطريق المستقيم الذي سار فيه جميع القديسين، أي طريق الاتضاع ومعاناة الأتعاب وتحملها بشجاعة؛ فهو لن يتقدم قليلاً أو كثيرا ولكنه يضيع زمانه باطلاً.

+ **وقال أيضا:** تواجدت يوما ما عند المغبوطة "ديونيسيا" عندما طلب منها أحد الإخوة صدقة فأعطته قدر ما استطاعت. ولكن لأنه لم يحصل على كل ما أراده أخذ يشتمها ويتفوه عليها وعلي أنا أيضا بكلمات غير لائقة. فلما سمعت هذا الكلام ساءها الأمر وأرادت أن تعنف الأخ. فلاحظت ذلك وقلت لها: ماذا تفعلين؟ أتنصبين فخا لنفسكِ؟ إنكِ تجردين نفسكِ من كل فضيلة، فما الذي احتملِته بالمقارنة بما احتمله المسيح لأجلكِ؟ أنا أعلم، يا سيدتي، أنكِ قد وزعتِ أموالكِ مثل نفاية، ولكن إن لم تقتنِ الوداعة تصبحين مثل الحداد الذي يطرق قطعة حديد دون أن يصنع منها شيئًا نافعا.

+ **وأضاف:** قال القديس إغناطيوس حامل الإله: "إنني في حاجة إلى الوداعة التي ا أهدم كل قوة رئيس هذا الدهر". إنّ علامة رفضنا للعالم هو ألاّ نضطرب لشيء فيما بعد. فقد يحدث أنه بعد أن يترك الإنسان الملايين يرتبط بإبرة صغيرة ارتباطًا مريضا حتى إنه يضطرب من أجلها. فالإبرة قامت مقام الملايين، وهكذا يصير عبدا لهذه الإبرة أو للكوكلسة أو لرداء أو لكتاب، فلا يعود بعد عبدا لله. وقد قال بالحق أحد الحكماء: "بقدر عدد الأوجاع هكذا يكون عدد الطغاة الذين يتسلطون على النفس". والرسول يقول: «لأنّ ما انغلب منه أحد فهو له مستعبد أيضا» (٢بط٢: ١٩). وعند هذه الكلمات نظَرت إلي (المغبوطة ديونيسيا) بإعجاب وقالت: "لقد استطعت أن تجد الإله الذي تشتهيه"!

+ **وقال المغبوط:** إنّ النفس تريد أن تخلص، ولكن إذا استولت عليها الأباطيل تجعلها ـرب من الأتعاب. والحقيقة أنّ الوصايا ليست ثقيلة بل إنّ مشيئاتنا هي الرديئة. لقد اعتدنا بسبب الخوف من البحر أو من قطّاع الطرق أن نزدري بكل شيء ونطرح كل ما نملكه دون تأخير حتى لو عرفنا أننا سنموت بعد وقت قصير، ولكننا بينما نتخلّى عن كل شيء من أجل القليل الذي تبقّى من حياتنا نعتبر أنفسنا سعداء بنجاة حياتنا من قطّاع الطرق أو من البحر حتى لو فقدنا كل ما نملكه. وفي حين أننا كنا من قبل نكافح لكي نربح قطعة واحدة من النقود؛ نسرع بطرح كل ما لنا مقابل أن نربح حياة زائلة. فلماذا لا يكون لنا، إذًا، نفس الإحساس من أجل الحياة الأبدية؟ ولماذا لا تكون مخافة الله، كما قال القديس، بنفس القوة التي لمخافة البحر؟ ولكي يؤكد القديس ذلك ذكر لنا القصة التالية كما سمعها من آخرين:

(٦) مثل الجواهرجي

+ حدث أنّ جواهرجي كان يمتلك لآلئ وأحجار كريمة، وركب سفينةً مع عبيده قاصدا أن يبيع الجواهر. وبتدبير من الله تصادق مع أحد خدامه الذي كان يقوم بخدمته ويأكل معه. ومرةً سمع هذا الخادم البحارة يفكرون بالسوء على ذلك الجواهرجي ويتفقون على أن يطرحوه في البحر لكي يأخذوا الجواهر التي بحوزته. وعندما دخل الخادم عند التاجر ليخدمه كالعادة كان شديد التأثر. فسأله: 'لماذا أنت حزين اليوم'؟ فظلّ صامتا، ولكنه سأله مرةً أخرى: 'بالحق قل لي ماذا بك'؟ فانفجر باكيا وقال له: 'إنّ البحارة يتآمرون ضدك'. فسأله: 'أحقًا هذا'؟ فأجابه: 'هذا هو ما اتفقوا عليه فيما بينهم'.

حينئذٍ دعا التاجر عبيده وقال لهم: 'كل ما أقوله لكم افعلوه دون تردد'. وجاء بملاءة وفرشها وقال لهم: 'قدموا لي الصناديق'. فلما قدموها له فتحها وأفرغ ما ا من الجواهر ثم قال لهم: 'هل في هذه تكون حياتي؟ من أجل ذلك أنا في خطر أن أصارع البحر وبعد قليل أموت دون أن آخذ معي شيئًا من العالم'! ثم قال لعبيده: 'ألقوا كل شيء في البحر'. وفي الحال طرحوا الكل في البحر. فلما رأى البحارة ذلك ذُهِلوا، وهكذا آلت مكيد م الشريرة إلى لا شيء.

+ ثم **قال المغبوط:** فلنتأمل كيف أن ذلك الرجل في اللحظة التي اتخذ فيها قراره صار فيلسوفًا (أي محبا للحكمة) في أقواله وأفعاله، وذلك لكي يربح زمانا قليلاً من عمره، وكان محقا. فقد قال: 'إن أنا مت فما المنفعة التي أحصل عليها من هذه الجواهر'؟ ونحن لا نريد أن نحتمل أقل خسارة من أجل وصية المسيح!

إن كان هناك ما يستحق الحزن فلنحزن بالأولى على خسارة ذاك الذي أساء إلينا أكثر من الخسارة التي لحقت بممتلكاتنا. فالذي يظلِم يطرح نفسه خارج الملكوت لأن «الظالمين لا يرثون ملكوت الله» (١كو٦: ٩). أما أنت يا من أصابتك الخسارة فقد جلبت لنفسك الحياة لأنّ الرب قال: «اِفرحوا و لملوا لأن أجركم عظيم في السموات» (مت٥: ١٢). ولكننا بدلاً من أن نحزن على هلاك أحد أعضاء المسيح تثور أفكارنا من أجل أشياء زائلة تافهة ليس لها أية قيمة. في الحقيقة إنّ في ذلك ما يوجب عقابنا.

+ لقد جعلنا الله في م لة أعضاء الجسد ورأسنا هو المسيح إلهنا كما يقول الرسول

القديس: «كل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد ... ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح» (١كو١٢: ١٢؛ ١١: ٣). فإذا فعل أخوك شرا يكون تماما كأن يدك هي التي تتألّم أو كأن عينك مريضة. ومع ذلك فنحن وإن كنا نتألم لكننا لا نقطع اليد ونطرحها عنا ولا نقلع أعيننا، لأننا نعتبر هلاك هذه الأعضاء خسارة عظيمة جدا. ولكننا بالعكس نرسم عليها ختم المسيح الفائق القدر ونبذل جهدنا أيضا في التشفع بالقديسين، ونرفع إلى الله الصلوات لأجل هذا الأمر، ونأتي بالعقاقير والمراهم لعلاج العضو المتألم.

إذًا، فكما تصلي من أجل عينك أو يدك لكي تعود صحيحة سالمة من المرض، هكذا يجب عليك أن تفعل ذلك من أجل أخيك. ولكننا عندما نرى أعضاء المسيح تتألم لا نحزن من أجلها، وليس هذا فحسب بل إننا نشتمها. وهذا هو صنيع الذين ليست لهم أحشاء رحمة.

+ وقال أيضا: من اقتنى أحشاء رأفة المحبة والتحنن يجلب الفرح والمنفعة لنفسه أولاً ثم للقريب. أما الشر فهو على النقيض من ذلك يفسِد ويهلِك كل من يسود عليه. ولعله من السهل أن ندرك أنّ من يضر قريبه في ممتلكاته أو في سمعته أو جسده فهو يبتعد من الحياة.

ثم ذكر القول: "ما لا يضر النفس لا يضر الإنسان".

(٧) ســـر الســـلام

+ وقال المغبوط أيضا: قال لي إنسان: "يا أبي، إن الوصايا عديدة وأنا في حيرة مما يجب حفظه وما لا يجب". فأجبته: "لا يقلقك هذا الأمر، بل اعتبر أنك إن كنت بلا شهوة للأشياء فإنك تدرك الفضيلة بسهولة، وإن لم تطلب التملك تصير بلا حقد".

+ أي مشقة توجد في الصلاة من أجل الأعداء؟ هل يحتاج الأمر إلى الحفر في الأرض أو السفر؟ هل هذا ينقِص شيئًا مما تمتلكه؟ قدم الشكر إذا تعرضت للإهانة وصرت تلميذًا للرسل القديسين الذين ذهبوا فرحين «لأ م حسِبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه» (أع٥: ٤١). الرسل احتملوا الإهانة من أجل اسم المسيح في حين أ م أبرار وقديسون، أما نحن فنستحق أن نهان ونتألم من أجل خطايانا، ونستحق أن نتألم حتى ولو لم يسِئ إلينا أحد لكوننا مرذولين: «ملاعين الذين حادوا عن وصاياك» (مز١١٨: ٢٩)!

لم يعطَ للجميع أن يهانوا لأجل اسم المسيح، لكنه أُعطي فقط للقديسين والأبرار كما قلت، أما نحن فيناسبنا أن نعرف بصدق أننا نستحق الإهانة بسبب أعمالنا الرديئة.

+ لكن نفوسنا البائسة وهي عالمة تماما بأعمالها النجسة وتعرف جيدا أ ا تستحق أن تقاسي كل الآلام، نجدها مسترسلة في خداع ضميرها وفي تصورات الأفكار، وهي تقول: إ م قالوا كذا وأساءوا إلي وأهانوني. وهكذا تنصب لنفسها الفخاخ وتصير أُلعوبةً للشياطين فيجعلون منها تلميذةً لهم.

لأنه كما أنّ المعلم يسلّم فنه لتلميذه ويتركه بعد ذلك يعمل وحده ولا يهتم أن يظل بجانبه بعد، بل ينظره من وقت لآخر خوفًا من أن يصير مهملاً أو يتلف شيئًا؛ هكذا أيضا الشياطين، فإ م حين يرون نفسا مطيعة لهم وتتقبل الأفكار الشريرة بسهولة، يسلّمو ا صناعتهم الشيطانية، ولا يهتموا بعد بالبقاء بجوار تلك النفس طالما عرفوا أنّ فيها الكفاية لإهلاك ذا ا، ولكنهم يفتقدو ا فقط على فترات حتى لا تصير مهملة في عملها هذا.

+ هل يوجد شيء أسهل من أن نحب الجميع ونصير محبوبين من الجميع؟ وما هو الأمر غير المريح الذي تجلبه لنا وصايا المسيح؟ ولكن الإرادة ليست مستعدة، لأ ا لو اقتنت غيرة متقدة لكان كل شيء سهلاً لديها بمعونة نعمة الله. وكما كنت أقول دائما إنّ أقل استعداد من جهتنا يجتذب مساعدة الله، هكذا قال القديس الروحاني أنطونيوس: [الفضيلة لا تحتاج إلاّ إلى إرادتنا]، وقال أيضا: [إننا لسنا بحاجة أن نسافر إلى ملكوت السموات ولا إلى عبور البحار لاقتناء الفضيلة]. ترى هل يوجد ما يعطل راحة الودعاء والمتواضعين؟ بالحقيقة إنّ «الودعاء يرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة» (مز٣٧: ١١).

(٨) درس في التواضع

+ **وقال الطوباوي أيضا:** اتفق أنني كنت مع أخ آخر نسير مع علمانيين في طريق نابلس، فوصلنا إلى موضع للجباية. ودفع العلمانيون ما عليهم من الضريبة إذ كانوا يعرفون العادة. أما الأخ الذي كان معي فقال لهم محتجا: ”أتجرؤون أن تطلبوا الرسوم من الرهبان“؟ فلما سمعته قلت له: ”ماذا تقول أيها الأخ؟ كأنك تقول: أكرموني إكرام قديس إن شئتم أو أبيتم. فليتهم أبصروا تواضعك من إجابتك، وحينئذٍ كانوا قد خجلوا وقالوا: اغفر لنا! فاعطهم، إذن، الجزية كتلميذٍ وديعٍ للمتمسكن (لأجلنا أي المسيح)

الذي دفع الدرهمين واعبر بسلام‘‘.

+ ومرةً أخرى تواجدت في المدينة المقدسة حين جاءني أحد العلمانيين المسيحيين وقال لي: ”يوجد نزاع قليل بيني وبين أخي ولا يريد أن يتصالح معي، فتكرم وتحدث معه وعظه“. فقبلت هذا الأمر بفرح واستدعيت أخاه وتحدثت معه عن المحبة والسلام، فتظاهر بالقبول، ولكنه قال لي بعد ذلك إنني لا أستطيع أن أتصالح معه لأنني أقسمت بالصليب. فقلت له مبتسما: ”كأنك بقسمك هذا قلت للمسيح: بحق صليبك الغالي أيها المسيح لن أحفظ وصاياك بل سأصنع مشيئة عدوك الشيطان، فعلينا ألاّ نتمسك بما عزمنا عليه من الشر، وليس هذا فحسب، بل علينا أيضا أن نتوب عن الأمور الرديئة التي عزمنا عليها ونحزن بسببها، كما قال القديس باسيليوس حامل الإله[١٦٢]: [لو أن هيرودس ندم ولم يتمسك بقسمه لما ارتكب الخطية العظيمة بقتله لسابق المسيح (المعمدان)]“. ثم ذكرت له بعد ذلك شرح القديس باسيليوس لما قيل عن الرب إنه أراد أن يغسل قدمي بطرس وكيف عارضه!

(٩) كيف نكتسب ضبط النفس الروحي

+ **قال الطوباوي أيضا:** سألوني مرةً عن الوسيلة التي بها نضبط الغضب. فقلت: ”أول شيء يفعله الإنسان لكي يضبط الغضب هو أن يمتنع عن الكلام طالما أنه مضطرب. وهذا ما فعله أنبا موسى (الأسود) نفسه حينما اضطرب لما ازدروا به قائلين: ’لماذا يأتي هذا الحبشي ويجلس بيننا‘؟ حيث قال: ’لقد اضطربت ولكنني لم أتكلم‘ (أنظر مز٧٧: ٤). وفي المرة الثانية نجده لم يضطرب بل أيضا أدان نفسه قائلاً: ’حسنا فعلوا بك يا أسود اللون، فطالما أنك لست إنسانا فلماذا تأتي وسط الناس‘؟“

+ ولكننا نحن الأقل منه بكثير، وبسبب إهمالنا الشديد لسنا مؤهلين لأن نبلغ قامة المبتدئين، ونعتبر أنّ الوصايا ثقيلة جدا ومستحيلة. لأن عدم الكلام عندما يضطرب الإنسان يخص ليس الكاملين بل المبتدئين. والأعظم من ذلك حقًا هو ألاّ يضطرب الإنسان أصلاً كما قال النبي: «أُهنت ولم أضطرب» (قارن مز١١٩: ٦٠ سبعينية). ولكننا نتعهد بذلك ولا نسعى لتحقيقه ولا نبدي استعداد الإرادة الكافي لكي نجتذب نعمة الله لمعونتنا. كما أننا إذا أظهرنا استعداد إرادتنا نجدها فاترة وغير مستحقة لأقل

(١٦٢) الرسالة رقم ١٩٩ إلى أمفيلوفيوس.

عطية من الله.

+ والحقيقة أن كل ما يخصنا يكون حاله مثل الزرع والحصاد. فنحن نقدم الإرادة ونتقبل ثمار النعمة. فالزارع يزرع القليل وببركة الله في عمله يحصد الكثير، كما هو مكتوب عن إسحق: «وزرع إسحق في تلك الأرض فأصاب في تلك السنة مائة ضعف وباركه الرب» (تك٢٦: ١٢). وهكذا فإننا ببركة الرب في إرادتنا يمكننا أن نكمل كل شيء بدون وجع أو تعب وبسهولة. لأن بذل الجهد لأجل الصلاة والاحتمال ينتج عنهما الصلاة النقية والهادئة. فجهد الإرادة يكون أولاً، ثم بعد ذلك تسهيل النعمة.

+ ونحن نرى ذلك أيضا في جميع الفنون. فالذي يريد أن يتعلّم مهنةً ففي البداية يجد مشقةً ويقع في أخطاء وكثيرا ما يتلف العمل، ولا تفتر همته بسبب ذلك ولكنه يبدأ من جديد. وإذا أتلف العمل مرةً أخرى فلا يهجره إذ يظهر بذلك عزيمته لمعلمه. ولكنه إن خارت عزيمته واستسلم لليأس فلن يتعلّم شيئًا. أما إذا كان يتلف العمل مرارا دون أن يهجره ويثابر على التعب والعمل فبمعونة الله سيكتسب فن الصنعة ويعمل كل شيء بدون مشقة وبسهولة ويمكنه أن يعيش من صنعته.

+ هكذا الحال في ا ال الروحي، فإذا شرع الإنسان في ممارسة فضيلة يجب عليه ألاّ يتصور أنه سينجح في ذلك في الحال لأن هذا أمر مستحيل بحد ذاته. ولكنه عليه أن يبذل جهده، ومهما أدركه الفشل فلا يتراجع إلى الوراء بحجة أنه غير قادر أن يقتني أي شيء؛ بل يجب عليه أن يبدأ من جديد مرة أخرى مثل من يريد أن يقتني صنعة، فإذا دأب على ذلك بمداومةٍ دون أن تفتر همته فإن الله ينظر إلى تعب إرادته ويعطيه أن يعمل كل شيء بدون تعب. هذا هو ما قاله أنبا موسى: ”إن قوة الذين يريدون أن يقتنوا الفضائل تكمن في كو م عندما يقعون لا تفتر همتهم بل يستردون عزيمتهم مرةً أخرى“.

(١٠) تجنب التواني والاعتماد على الله

+ **وقال أيضاً:** كل فضيلة تتطلب منا جهدا ووقتا وعزيمةً، وقبل كل شيء تحتاج إلى معونة الله، لأن الله إن لم يؤازر إرادتنا فباطل يكون جهادنا. فهو يكون مثل الزارع الذي يفلح الأرض ويلقي فيها البذار ولا يفيض الله عليها بالمطر. فمؤازرة الله لنا تتطلب منا الصلاة والابتهال، لأننا بواسطتها نجد معونة الله التي تشددنا. أما إذا أهملنا الصلاة فكيف

يمكن لله أن ينظر إلى تعبنا بعين الاعتبار؟ لأننا إذا فترت همتنا سريعاً، كما كنت أقول، نصبح غير مستأهلين أن ننال أي شيء مهما كان. لأن الله يتطلع إلى الإرادة ومن أجلها يمنح عطاياه.

+ ألم يكن أنبا موسى أولاً رئيس قطّاع طرق؟ ألم يرتكب جرائم لا تحصى حتى إن سيده طرده؟ ولكنه عندما أقبل على العمل (الروحي) بشهامة وبإرادة حارة ذا المقدار، نعلم جميعا إلى أي سمو بلغ حتى إنه حسب بين أفاضل خدام الله حسبما جاء في سيرته. أما نحن، فالحرارة التي أظهرناها في بداية تكريسنا قد فقدناها بمضي الوقت بتوانينا. فنحن نتعلق بشهوة الأشياء التافهة الباطلة والعديمة القيمة. وقد استبدلنا حب الله والقريب بتلك الترهات، وقد استحوذنا على الأشياء كأننا نمتلكها لأنفسنا دون أن نحصل عليها من الله. ألم يكتب: «أي شيء لك لم تأخذه؟ وإن كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ» (١كو ٤:٧)؟

+ وقال أيضا: هل صار الله إذن هكذا فقيراً وعاجزاً عن أن يمنحنا هذه الخيرات كما أفاض بسخاء على الآباء القديسين، إذا رأى حقا أن عطاياه تفيدنا؟ ولكن لأنه يرى أن القليل الذي وهِب لنا يضرنا بسبب رعونتنا، فهو بصلاحه لم يأتمننا على الكثير حتى لا يؤدي قط إلى هلاكنا. لأنه إذا رأى أننا ننتفع من القليل، فهو لن يعجز عن أن يعطينا الكثير كما قلت آنفاً.

من الذي أقنع الذين وضعوا ممتلكا م عند أقدام الرسل القديسين (أع ٤:٣٥)؟ ولكن، كما أقول باستمرار، إن الله بصلاحه وهبنا أن نحصل على المنفعة من كل شيء، أما نحن فبسبب الشهوة والاستعمال الرديء لعطايا الله نتلفها ونضيعها. وهكذا فإنّ الخيرات التي وهبت لنا هي نفسها تضرنا بسبب نوايانا الرديئة.

+ وكان كثيراً ما يقول: لا يستطيع أحد أن يضر نفساً تسلك بأمانة ولكن كل ما تعانيه يصير لها مكسباً. فكما أن العامل الذي يتعب ينال الأجر حسب عمله؛ هكذا يعاقَب الإنسان غير الأمين بسبب عدم أمانته. أما الأمين الذي يكون حتى في المشقة أمينا والذي يتوقع أن يحصل على أجر لأجل احتماله، فهو ينال تعزيات كثيرة. وعلى النقيض من ذلك، فإن غير الأمين الذي ليس له رجاء أن ينال أجره من الرب فأي عزاء يكون له؟ إنه يكون فاسدا في أفكاره، يلهج ا في نفسه عند أقل مضايقة: "فلان قال لي،

وعلي أنا أيضاً أن أرد عليه". ويكون ممتلئاً من الحقد، ويدبر أموراً مستحيلة نادرا ما يتمكن من تنفيذها. لأن ما يعزم عليه الناس ليس هو الذي يمكنهم عمله، بل فقط ما يسمح لهم الله بعمله ولأسباب يعلمها الله وحده.

+ كثيراً ما يحدث أن يرغب إنسان في الإساءة إلى آخر، ولأن الله لا يسمح له بذلك تبطل مشورته. وهكذا فإن مشيئات الناس توضع فقط تحت الاختبار. فكم من مؤامرة شر دبرت للآباء القديسين، ولأن الله لم يسمح ا فلم يقدر أحد أن يسيء إليهم كما هو مكتوب: «لم يدع إنساناً يظلمهم، بل وبخ ملوكاً من أجلهم قائلاً: لا تمسوا مسحائي ولا تسيئوا إلى أنبيائي» (مز١٠٤: ١٤و١٥). وحينما كان يريد أن يظهر قدرته كان يحرك بالشفقة قلوب الذين لا شفقة عندهم، كما هو مكتوب في سفر دانيال: «وأعطى الله دانيال نعمةً ورحمةً عند رئيس الخصيان» (دا ١:٩).

+ مغبوطة هي النفس التي استعدت بالحقيقة لأن الله لن يتخلى عنها أبداً، بل يحميها دائماً حتى ولو لم تطلب منه ذلك بجهالتها. فبالصواب قال الحكيم إنّ الإنسان الحكيم يحفظه الله. لأنه ما الذي لم يفعله شاول لكي يقتل داود الطوباوي وأية مكيدة لم يدبرها؟ ولأن الرب كان يحفظ داود فلم تنجح جميع محاولات شاول. بل إن الله سلّمه ليدي هذا القديس الذي حافظ عليه، ذلك لأنه لم يكن يحمل له في قلبه أي ميل شرير إلى الخصومة والمشاجرة.

+ سئل القديس: كيف يمكن للإنسان ألاّ يستسلم للغضب إذا احتقر أو أُهين من البعض؟ فأجاب: إذا ازدرى الإنسان بنفسه فلن يضطرب كما قال أنبا بيمين: "إذا ازدريت بنفسك تجد راحة"[١٦٣].

(١١) الصبر والاحتمال

+ وكان يقول دائماً: "إننا نحن البشريون لا نعرف إن كنا محبوبين أو مكرمين، لكننا قد فقدنا صوابنا. لأنه إذا احتمل الأخ أخاه قليلاً عندما يغضب عليه ويحزنه، فإن هذا الأخ بعد أن يرجع إلى نفسه ويرى كيف احتمله الأخ دون أن يضطرب فإنه يشكره كثيراً ويبلغ إلى أن يحبه لدرجة أنه يكون مستعداً أن يبذل حياته من أجله".



(163) Apoph., Poemen, 181.

(١٢) أمثلة أخرى للوداعة والصبر في الشدائد

+ **وقال الطوباوي:** "بالحقيقة إنه يجب علينا أن نعتبر أن الذين يهينوننا لهم الفضل وأن نعتبرهم – إن كانت لنا أوجاع – كأطباء يعالجوننا من جروح نفوسنا، وإن كنا بدون أوجاع نعتبرهم كمتفضلين علينا يجلبون لنا ملكوت السموات. وإذا احتملنا أخانا قليلاً في ضيقته نربح نفسه. وأنا أود أن أسرد لكم ما سمعته من الطوباوي سرجيوس مدبر دير "بدياس"".

(١٣) قوة الوداعة

+ **وهذا ما قاله** لي: كنا يوماً نسير في الطريق مع شيخ قديس فضللنا طريقنا، ودون أن نعلم أين كنا نسير وجدنا أنفسنا في حقل مزروع فدسنا على الزرع قليلاً. ولما فطن الزارع لما حدث انطلق يشتمنا بقسوة وهو ممتلئ غضباً: "أأنتم رهبان؟ أتخافون الله؟ لو كانت مخافة الله أمام عيونكم لَما فعلتم ذلك". وللوقت قال لنا القديس: "من أجل الرب لا يتكلم أحد منكم"! ثم قال للرجل بوداعة: "صدقت يا بني، لأنه لو كانت لنا مخافة الله لَما فعلنا ذلك". فكرر الرجل شتائمه بغضب، أما القديس فعاد يقول له: "لقد تكلمت بالصدق، فلو كنا رهباناً لَما فعلنا ذلك، ولكن من أجل الله اغفر لنا لأننا أخطأنا"! فدهش الرجل وانطرح عند قدمي الشيخ وقال: "اغفر لي من أجل الله، واقبلوني معكم". وختم الطوباوي سرجيوس كلامه قائلاً: والحقيقة أنه تبعنا وتقبل الزي الرهباني.

+ ثم **قال الطوباوي زوسيما:** هذا ما استطاعت وداعة القديس ولطفه أن تفعلاه بنعمة الله، وكيف قدرتا أن تخلصا نفساً مخلوقة على صورة الله، نفساً فضلها الله عن عشرة آلاف من العوالم بكل غناها!

+ **وكنت** في **أحد الأيام جالساً بقربه،** فقال لي: "اِقرأ لنا فصلاً من الكتاب المقدس". فابتدأت أقرأ فصلاً من سفر الأمثال وبلغت إلى قوله: «بحطب كثير تضرم النار وحيث لا يوجد الغضب يهدأ الخصام» (أم ٢٦: ٢٠ سبعينية). حينئذ سألته: "ماذا يعني هذا القول يا أبي"؟ فأجابني قائلاً: "كما أن قِطَع الحطب تزيد اشتعال النار، توجد بالمثل أمور تضرم نار الأوجاع. وكما أن انعدام الحطب يطفئ النار هكذا الأوجاع، فإذا استؤصِلت أسبا ا بطل فعلها. قال أنبا موسى إن أسباب الشهوة هي: 'الأكل والشرب

حتى الشبع، والامتلاء من النوم، والبطالة، واللعب، والثرثرة، والترف في الثياب'. فإذا أبطلنا هذه كلها يضعف وجع الشهوة.

وأسباب الغضب كقول أنبا موسى أيضاً هي: 'الأخذ والعطاء، تكميل المشيئة الخاصة، محبة التعليم، أن يعتبر الإنسان نفسه حكيماً'. فإذا قطع الإنسان هذه كلها صارت الأوجاع بلا قوة. وهذا ما أراد أن يقوله أنبا شيشوي حين سأله أحد الإخوة عن ذلك: 'لماذا لا تبتعد عني الأوجاع'؟ فأجابه: 'ذلك لأن أدوات الأوجاع، أي أسبا ا، موجودة فيك. اقطعها عنك وهي ترحل''"[(١٦٤)].

+ إن رجل الخصام الذي لا يهدأ من ال اع هو الذي لا يكتفي بالشقاق الأول فيثور غاضباً من جديد. أما الذي هو بالعكس ليس رجل خصام، فحينما يشتعل غضبه يرجع إلى نفسه في الحال ويلوم نفسه ويطلب المغفرة من أخيه الذي غضب منه، فيهدأ فيه الخصام لأنه أدان نفسه واصطلح مع أخيه، ولن يجد الصراع له فيه موضعاً كما قلت.

أما الإنسان الغضوب الذي لا يهدأ الشقاق بداخله، والذي إذا غضب لا يدين نفسه بل يثور غضبه بالأكثر دون أن يندم على غضبه قط، بل ولا يكتفي بما قاله في غضبه فيزيد عليه؛ هذا يدعى رجل خصام ولا يهدأ الغضب في داخله، لأن الحقد والمرارة والخبث تتبع الغضب. ليت الرب يسوع المسيح يخلصنا من مصير هؤلاء الناس ويهبنا نصيب الودعاء والمتواضعين!

(١٤) المنفعة الروحانية

+ **بينما كان الطوباوي جالساً** يتحدث عن المنفعة الروحانية بدأ يورد بعض أقوال الآباء القديسين، وجاء إلى قول للأنبا بيمن: "الإنسان الذي يلوم نفسه يجد راحة في كل شيء"، وتلك الإجابة لأب جبل نتريا على السؤال: "ما هو أفضل شيء وجدته في هذا الطريق يا أبي"؟ فقال: "أن يدين الإنسان نفسه ويأتي باللوم عليها"، وما أجابه به مخاطبه بقوله: "حقاً لا يوجد طريق أفضل من ذلك". ثم قال القديس زوسيما: يا لقوة أقوال القديسين! حقًا إن ما قالوه كان عن خبرة، كما ألمح إلى ذلك القديس أنطونيوس، فقد كانت أقوالهم قوية لأ م تكلموا بما عملوه كقول أحد الحكماء: "لتكن سيرتك شاهدة

(164) Apoph., Sisoes, 6.

على أقوالك".

+ **وحدثنا أنبا زوسيما فقال:** بينما كنت أقوم بزيارة قصيرة لدير الأنبا جراسيموس الذي كان فيه أخ عزيز، تواجدت يوماً مع ذلك الأخ وجلسنا نتحادث في أمور نافعة. ولما ذكرت أقوال أنبا بيمين والشيخ الآخر قال لي الأخ: إنني قد اختبرت صدق هذه الأقوال والراحة التي تجلبها ممارستها. فقد كان لي فيما مضى صديق مخلص، وهو شماس هذا الدير. ولا أعرف لماذا تطرق إليه الشك من جهتي بخصوص أمر أحزنه مما جعله يظهر عدم ارتياحه لي. فلما رأيته بهذه الحال سألته عن السبب فأجابني: لأنك فعلت ذلك الأمر. ولما كنت خالِي الذهن تماماً من أنني فعلت ذلك حاولت أن أقنعه بذلك، ولكنه قال لي: اغفر لي، أنا غير مقتنع.

ولما عدت إلى قلايتي وأخذت أفحص قلبي لأعرف إن كنت قد فعلت أي شيء مثل ذلك لم أجد شيئاً بالمرة. وعندما رأيته يحمل الكأس ويوزع السر المقدس للإخوة أكدت له بحق الكأس أنني لست أتذكر أنني فعلت ذلك. ولكنه لم يقتنع.

+ عدت مرةً أخرى إلى نفسي، وأخذت أتذكر أقوال الآباء القديسين هذه ووثقت منها، فغيرت قليلاً طريقة تفكيري وقلت لنفسي: إن هذا الشماس يحبني بإخلاص شديد، ومن محبته لي كشف لي ما كان في قلبه من جهتي، الأمر الذي يستوجب مني أن أكون من الآن فصاعداً متيقظاً ومتحفظاً فلا أعود إلى ذلك الأمر. ومن جهة أخرى، يا نفسي الشقية، أنتِ تقولين إنكِ لم تفعلي ذلك الأمر، ولكن ألم ترتكبي أخطاء عديدة أخرى نسيتها؟ أين تلك الأخطاء التي صنعتِها بالأمس أو منذ عشرة أيام؟ أتذكرينها؟ ألم تفعلي هذه مثلما فعلتِ تلك، ثم ألم تنس هذه مثلما نسيتِ تلك؟ وهكذا أقنعت قلبي أنني كنت حقا قد فعلت تلك ولكنني نسيتها مثل البقية.

عندئذ نهضت ومعي هذه الأفكار ومضيت لكي أصنع مطانية أمام الشماس وأقدم له الشكر. ولما قرعت الباب فتح لي وكان هو البادئ بعمل المطانية لي قائلاً: اغفر لي لأن الشياطين لعبوا بي وأوعزوا لي بهذه الشكوك ضدك في هذا الأمر، والحقيقة أن الله جعلني أتأكد أنه ليس لك شيء في هذا الأمر. ثم قال الأخ: وهكذا لم يسمح لي أن أعتذر له قائلاً إنه لا لزوم لذلك.

+ ثم **قال الطوباوي:** انظروا كيف أن الاتضاع الصادق كشف قلب الأخ الذي ابتغى

هذا الاتضاع حتى إنه ليس فقط لم يعثر من جهة الشماس ولا امتلأ بالغضب عليه - أولاً لأنه تشكك فيه، ثم لأنه لم يبلغ إلى طمأنته، وأخيراً لأنه لم يقبل طمأنته له - بل وأيضاً نسب الخطأ إلى نفسه، وبالأكثر فقد قدم الشكر للشماس. أترى ما فعلته الفضيلة؟ أترى إلى أية درجات من التقدم تقود من يرغب فيها؟ لأنه لو أراد لوجد ألف علة لكي يصير شيطاناً بسبب ذلك الشماس. ولكن لأنه كان ذا غيرة حارة نحو الفضيلة، فهو ليس فقط لم يحتد عليه بل وأيضاً شكره: فقد كانت الفضيلة مستحوذة على قلبه.

ونحن أيضاً بالمثل إذا أعددنا قلوبنا وهيأناها بعناية لزرع الوداعة والاتضاع فيها، فإن العدو لن يجد له مكاناً لكي يزرع فينا بذاره الرديئة. ولكن لأنه يجدنا خالين من كل فكر صالح، وما هو أسوأ من ذلك أيضاً أننا نثير نفوسنا للشر؛ فهو يغتنم الفرص التي نقدمها له لكي يتمم عمله. والعكس من ذلك يحدث بالنسبة للفضيلة: فالرب الذي يرى النفس متعطشة للخلاص وتزرع البذار الصالحة، فهو يقدر مشيئتها الصالحة ويغدق عليها مواهبه.

(١٥) التجرد الكامل لأحد الشيوخ

+ في **أحد الأيام** ذكر أنبا زوسيما سيرة الشيخ الذي سرقه الأخ جاره وعلم الشيخ ذلك ولكنه لم يوبخه بالمرة، بل بالعكس زاد من عمل يديه قائلاً: لا شك أن الأخ محتاج. وتعجب أنبا زوسيما عندئذ من صلاح القديسين وروى لنا ما يلي:

بينما كنت في **"بدياس Pédias"** روى لي أحد الرؤساء القصة الآتية: كان أحد الشيوخ ساكناً بالقرب من ديرنا وكان بطبيعته صالحًا للغاية. وكان له جار من أحد الإخوة، واتفق في غياب الشيخ أن هذا الأخ أُطغي (من الشيطان) وفتح قلايته ودخل وسرق أمتعته وكتبه. فلما عاد الشيخ وفتح قلايته ولم يجد أمتعته ذهب إلى الأخ ليخبره. فوجد هناك أمتعته في وسط القلاية، لأن الأخ لم يكن قد خبأها بعد، أما الشيخ فإذ لم يشأ أن يحرج الأخ ولا أن يوبخه تظاهر بأن قضاء الحاجة يلح عليه. فخرج وأبطأ في بيت الراحة وقتاً طويلاً بما يكفي للأخ لكي يخفي الأمتعة من وسط القلاية. ولما عاد الشيخ تكلم معه في أمور أخرى دون أن يوبخ الأخ.

إلا أنه بعد بضعة أيام عثروا على أمتعة الشيخ (عند الأخ) وأُخذ المذنب وأُلقي في السجن دون علم الشيخ. فلما سمع دون أن يعلم بالمرة العلة التي من أجلها حبس الأخ،

يقول الإيغومانوس (أي مدبر الدير): جاءَ إلى، لأنه كان كثيرا ما يأتي إلينا، وقال لي: "من أجل المحبة أعطني بعضا من البيض والخبز". فقلت له: "لا شك أنه يوجد عندك ضيوف اليوم". فقال لي: "نعم".

ثم ذهب الشيخ بتلك الأشياء إلى الحبس ليشدد عزم الأخ. فلما دخل إلى السجن خر الأخ على قدميه وقال: "إنني بسببك موجود هنا يا أبي لأنني أنا الذي سرقت أمتعتك! أما كتابك فتجده عند فلان وثوبك عند فلان". فقال له الشيخ: "ليطمئن قلبك يا بني، لأنني لست من أجل هذا أتيت إلى هنا، كما أنني لم أكن أعلم أنك بسببي جئت إلى هنا، لكنني عندما علمت أنك هنا تألمت وجئت لك ببعض المنعشات: هذا البيض والخبـز. والآن سأبذل ما في وسعي لكي أخلصك من السجن". ومضى الشيخ ليتشفع له عنـد المسئولين - وكانوا يعرفونه بسبب فضيلته - فأرسلوا وأطلقوا الأخ من السجن.

+ **وقيل أيضاً عن هذا الشيخ:** إنه مضى يوماً إلى السوق ليشتري ثوباً. ولما اشتراه دفع قطعة ذهب وبقي عليه أن يكمل الثمن ببعض قطع صغيرة من النقود. فأخذ الثوب وجلس فوقه وأخذ يعد النقود، وإذ بشخص يقترب منه ويحاول أن يأخذ الثوب. فشعر الشيخ بذلك، ولأنه كان طيب القلب جدا رفع نفسه قليلاً عن الثوب وكأنه يريد أن يقترب من طاولة التاجر، حتى تمكن ذاك الشخص من أن يأخذ الثوب ويمضي دون أن يوبخه الشيخ.

+ وعلق الطوباوي زوسيما على ذلك بقوله: لقد كان الثوب والأمتعة غالية الثمن، ولكن الشيخ أظهر استعداداً عظيماً بأنه رغم امتلاكه لتلك الأشياء فكأنه لم يمتلكها. ولما أُخذت منه لم يهتم وظلّ بلا هم ولا انزعاج. فكما كنت أقول دائماً: إن ما يضر الإنسان ليس هو امتلاك الشيء بل الامتلاك المصحوب بالشهوة. فمثل هذا الشيخ لو كان يمتلك العالم كله لظل هادئاً وكأنه لم يمتلكه، لأنه أظهر بتصرفه أنه متجرد من كل الأشياء.

(١٦) قصة الملائكة التي قامت بتعميد الفتاة الزانية بمدينة الإسكندرية

+ **روى لنا الطوباوي زوسيما** أيضاً هذه القصة: سمعت من الأبوين ثيئوناس وثيئودور الطبيب - وكلاهما على درجة عظيمة من التقوى والصدق الأكيد - أنه في مدينة الإسكندرية في أيام الأسقف يوحنا الذي من نيقية، كانت هناك فتاة يتيمة الأب

والأم، وقد تركا لها ثرو ما، ولكنها لم تكن قد تعمدت.

+ ودخلت مرة إلى البستان الذي تركه لها والداها (لأنه كانت توجد بساتين في وسط المدينة يمتلكها كبار القوم)، فرأت إنساناً يحاول أن يخنق نفسه. فأسرعت إليه وسألته: ماذا تفعل يا عزيزي؟ فقال لها: أتوسل إليكِ أن تتركيني يا سيدتي لأنني في ضيقة عظيمة. فقالت له الفتاة: قل لي الحقيقة فربما يمكنني أن أساعدك. فقال لها: علي ديون كثيرة والدائنون يضغطون علي بشدة، لذلك أفضل أن أموت من أن أعيش في هذه الضيقة. فقالت له الفتاة: أرجوك خذ كل ما لي وسدد ديونك ولكن لا تقتل نفسك. فأخذ كل ما لها وسدد ما عليه!

+ ثم اشتد ضيق الحال بالفتاة، وإذ لم يكن لها من يهتم ا إذ كانت محرومة من والديها، احتاجت فسقطت في الزنى. ثم إن بعض معارفها الذين كانوا يعرفون مكانة والديها قالوا: من يعلم أحكام الله وكيف يسمح لنفسٍ تسقط، ولماذا؟

+ وبعد زمن مرضت الفتاة ورجعت إلى نفسها وامتلأت ندماً. وقالت لجيرا ا: من أجل الرب اشفقوا على نفسي وقولوا لرئيس الأساقفة أن يصيرني مسيحية. ولكنهم سخروا منها جميعا وقالوا: هل يقبل أحد مثل هذه الزانية؟ فحزنت الفتاة، وإذ ظلت هكذا يائسة ظهر لها ملاك الرب في هيئة الإنسان الذي صنعت معه الرحمة وقال لها: ماذا بكِ؟ فقالت: إنني أريد أن أصير مسيحية ولا أحد يريد أن يتوسط لي. فقال لها: هل ترغبين في ذلك حقا؟ فقالت: نعم أرجوك. فقال لها: لا تيأسي إطلاقًا، فأنا سآتي بمن يحملونكِ إلى الكنيسة. ثم جاء بملاكين آخرين وحملاها إلى الكنيسة. ثم تحول الثلاثة إلى هيئة شخصيات لها مكانة عظيمة، واستدعوا رجال الإكليروس المسئولين عن المعمودية. فسألهم هؤلاء: هل محبتكم تضمنوها؟ فقالوا: نعم. وبعد أن أجروا كافة الطقوس لإعداد المعمودية عمدها الكهنة باسم الآب والابن والروح القدس، وألبسوها ثياب المعمدين الجدد البيضاء، ثم حملها أُولئك وأعادوها إلى بيتها ثم اختفوا عنها.

+ ولما رآها جيرا ا بملابس بيضاء سألوها: من الذي عمدكِ؟ فقالت: جاءني بعض الرجال وحملوني إلى الكنيسة وكلموا الكهنة فعمدوني. فقالوا لها: من هم هؤلاء الناس؟ فلما لم تجد ما تجيبهم به ذهبوا وأخبروا رئيس الأساقفة بالأمر. فاستدعى الكهنة المسئولين عن المعمودية وسألهم: هل أنتم الذين عمدتموها؟ فأخبروه قائلين: طلب منا ذلك فلان وفلان وفلان من

كبار القوم. ولما دعا رئيس الأساقفة هؤلاء الذين ذكروهم وسألهم هل هم الذين ضمنوها؟ فقالوا: لا نعرف ولا نذكر أننا فعلنا ذلك. حينئذ علم أن هذا كان عمل الله.

ثم دعا الفتاة وقال لها: أخبريني يا بنيتي أي خير صنعتِ؟ فقالت له: إذ كنت زانية وفقيرة فأي خير أمكنني أن أصنع؟ فقال لها: ألا تتذكرين أنكِ صنعتِ أي خير قط؟ فقالت له: لا شيء سوى أنني رأيت إنساناً أراد أن ينتحر لأن دائنيه كانوا يضيقون عليه، فأعطيته كل ما كان لي لكي أخلصه. وبعد أن قالت ذلك رقدت لساعتها في الرب وقد حررت نفسها من خطاياها الإرادية وغير الإرادية. فمجد رئيس الأساقفة الرب قائلاً: «بار أنت يا رب وأحكامك مستقيمة» (مز ١١٩:١٣٧).

+ ثم **قال الطوباوي زوسيما:** بالقدر الذي فاضت به شفقة الفتاة فاضت رأفة الرب عليها بنفس القدر في وقت احتياجها الملح. وهكذا أيضا بقدر الأعمال الصالحة التي يصنعها كل منا بإرادته الصالحة ستكون مقدار النصرة التي يطلبها من الرب في لحظة امتحانه كما قيل عن البار: «إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده» (مز٣٧: ٢٤). وله ا د دائما، آمين.

+++++✝+++++

حديث القديس زوسيما مع القديس دوروثيئوس الغزاوي عن الإتضـــاع:

+ **أخبر القديس دوروثيئوس** يوما ما أن القديس زوسيما كان يتحدث عن التواضع، وكان أحد الفلاسفة حاضراً، وإذ سمع حديثه أراد أن يستوضح المعنى فقال له: كيف يمكنك أن تعتبر نفسك خاطئاً؟ ألا تعلم أنك قديس وأنك تقتني الفضائل وترى أنك تمارس الوصايا؟! فكيف يمكنك في هذه الأحوال أن تعتقد أنك خاطئ؟ فلم يجد الشيخ ما يجيبه به، لكنه قال له: لا أعرف كيف أجيبك، ولكن الأمر هو هكذا! فألحّ الفيلسوف عليه لكي يشرح له ذلك. أما الشيخ فإذ لم يجد كيف يشرح له الأمر، قال له في بساطته المقدسة: لا تضيق علي فأنا أعلم جيداً أنني أنا هكذا.

فلما رأيت أن الشيخ لم يعرف بماذا يجاوبه قلت له: "أليست الفلسفة كالطب؟ فعندما نتعلّم فنو ا جيداً ونمارسها نكتسب قليلاً قليلاً بتلك الممارسة نوعا من الخبرة في الطب أو الفلسفة. ولا أحد يستطيع أن يقول أو يفسر كيف وصل إلى هذه الخبرة. بل

إنّ النفس تقتنيها قليلاً قليلاً، كما قلت، ولا شعورياً عن طريق ممارسة فنها. ويمكننا أن نفكر بنفس الأسلوب في الاتضاع: فمن ممارسة الوصايا يتولد الاتضاع الأمر الذي لا يمكن تفسيره بالكلام".

عند ذلك امتلأ الأب زوسيما فرحاً وعانقني في الحال وهو يقول: "لقد وجدت التفسير، فهو كما تقول تماما". أما الفيلسوف فقد اقتنع وقبل هو أيضاً هذا المنطق.

+ قول للقديس زوسيما اقتبسه القديس دوروثيئوس:

قال الأب زوسيما: إن كان إبليس مع جميع شياطينه يحرك كل مكائد خبثه؛ فإن جميع فنونه تبطل وتزول بواسطة اتضاع وصايا المسيح.

❒🔔📖🔔❒

أقوال القديس أنبا يعقوب

قال الأب يعقوب: "إنّ الغربة أفضل من ضيافة الغرباء"(١٦٥).

وقال أيضا: "كما أن المصباح ينير البيت المظلم؛ هكذا خوف الله عندما يملأ قلب الإنسان فهو يضيئه ويعلّمه جميع الوصايا"(١٦٦).

نبه أنبا يعقوب كل واحد عندما يمدح أن يفكر في خطاياه وأن يتحقق من أنه لا يستحق ما قيل عنه(١٦٧).

وقال أيضا: "نحن لا نحتاج إلى كلام فقط، لأنه في أيامنا الحاضرة يوجد كلام كثير بين الناس؛ ولكننا نحتاج إلى أعمال، لأن هذا هو المطلوب وليس الكلام الذي لا يحمل ثمارا"(١٦٨).

وقال أيضا إن أحد الشيوخ قال: "عندما كنت ساكنا في البرية كان لي ابن مجاورا لي في الوحدة. وقد زرته فوجدته يصلي طالبا من الله أن يعيش بسلام مع الوحوش. وبعد صلاته ذهب ورقد تحت ضبعة وجد أ ا كانت ترضع صغارها، فبدأ يرضع معها"(١٦٩)!

---

(١٦٥) س ٤ ص ٨٦؛ Apoph., James, 1.
(١٦٦) س ٤ ورقة ١٣٧؛ Apoph., James, 3; W. & W., II: 145.
(167) Apoph., James, 2; W. & W., I: 454. (168) Apoph., James, 4; W. & W., II: 52.
(169) Apoph., Jacques, 2 (franc.)

وقال أيضا عنه: "في مرة أخرى وجدته يطلب من الله قائلاً: أعطني موهبة ألاّ أتألم من النار. ثم ذهب إلى محرقة (كومة حطب مشتعلة) وركع وسطها مصليا لله"(١٧٠).

وقال أيضا: "الذي يكون وديعا على الأرض سيكون في السماء ملاكًا. والذي يكون عاجزا (أو ذا عاهة) على الأرض سيكون قويا نشيطًا في السماء. والذي يكون محتقَرا على الأرض سيكون متواضعا ومشهورا في السماء. والذي يضرب على الأرض إنسانا على صورة الله سيضرب هناك مرات عديدة. والذي يبغض أخاه على الأرض سيكون مكروها من الملائكة في السماء. والذي يختار المكانة الرفيعة على الأرض ويتعلق بالراحة سيكون مبعدا في السموات ويسلم للحزن والغم إلى الأبد"(١٧١).

القديسة الأم أوجينيا

قالت المغبوطة أوجينيا: "جيد لنا أن نستعطي، فقط يجب أن نكون مع المسيح، لأن الذي مع المسيح يكون غنيا ولو كان فقيرا بالجسد. لأن الذي يكرم الأرضيات أكثر من الروحيات يخيب من كليهما، والذي يشتهي السماويات يحصل بالضرورة على الصالحات على الأرض. وهكذا بالنسبة للحكماء، فهم ينتظرون لا الموجودات الحالية بل المزمعة أن تكون والسعادة التي لا توصف. وفي هذه الحياة القصيرة المضطربة ينبغي أن يعدوا أنفسهم لذلك"(١٧٢).

القديس الأب فيلاجريوس

كان أحد القديسين يدعى فيلاجريوس ساكنا في برية أورشليم، وكان يعمل باجتهاد ليحصل على حاجته من الطعام. وبينما كان في السوق ليبيع عمل يديه وجد كيسا كان قد سقط من إنسان وفيه ألف قطعة نقود (دارك)، فبقي في مكانه قائلاً إنّ الذي فقده لا بد سيعود ليبحث عنه. وقد عاد فعلاً وهو يبكي، فأخذه الشيخ جانبا وأعطاه الكيس. ثم أمسك صاحب الكيس بالشيخ لكي يعطيه جزءًا من المال، ولكن الشيخ رفض أن يقبل أي شيء. فصاح الرجل قائلاً: "تعالوا انظروا ما فعله رجل الله". أما الشيخ فهرب سرا من المدينة حتى لا يكرم من الناس(١٧٣).

(170) Ibid., 3. (171) QRT, 60. (172) An., 1447; W. & W., I: 342.
(173) Apoph., Philagrios, 1; W. & W., I: 159.

القديس الأب مادانا

سأل أخ أنبا مادانا: "قل لي كلمة". فقال له الشيخ: "أطلب من الله أن يمنحك نوحا واتضاعا في قلبك، وانتبه إلى خطاياك كل حين، ولا تدِن أحدا بل اجعل نفسك تحت كل الناس. ولا تجعل لك رفقة مع صبي ولا معرفة بامرأة ولا صداقة مع هرطوقي. واقطع عنك الدالّة واحفظ لسانك، وامسك بطنك (ولا سيما) عن الخمر. ولا تكن محبا للانتصار (على الآخرين)، ولا تلاجج أحدا ولا تخاصمه، فهذا هو الاتضاع"[(١٧٤)].

من أقوال
القديس مار إسحق السرياني

قال مار إسحق: ''الراهب هو إنسان ترك العالم وأخذه وعطاءه وبلده وأقاربه، وانتقل إلى ا امع (أي الأديرة) أو البراري. وهو يجلس في هدوء ويعمل بيديه ويقيت نفسه، ويعبد الله ارا وليلاً. وأما عمله فهو الصوم من العشاء إلى العشاء، وسهر نصف الليل، وصلوات لا تنقطع ليلاً و ارا، وضرب المطانيات والسجود، وخدمة المزامير وقراءة الكتب، والمسكنة والتجرد، والبعد عن كل شره ورغبة، والنسك في كل شيء ما خلا الخبز والماء، والرقاد على الأرض إلى وقت الشيخوخة أو المرض، والثبات داخل القلاية في الدير. وهو لا يخرج من غير ضرورة إلاّ للصلاة أو أمر ضروري للمجمع.

''**سيرته:** البكاء والنحيب والتنهد، لباس الشعر، الرحمة، خدمة الغرباء، الطاعة لسيدنا بحفظ وصاياه، الخضوع للآباء، الاتضاع، محقرة الذات في كل شيء، الحب لأهل زيه، السكوت، الصمت، أن يكون غير محسوب، الامتناع عن شرب الخمر إلاّ لأجل مرض أو حب القريب، وهذا يكون إلى ثلاثة أقداح لا غير، خدمة الضعفاء، عمل اليدين، حفظ الحواس، العفة، الاحتراس من طياشة الأفكار، الصبر، عدم الغضب، الصفح عن كل من يضره أو يحزنه، التعري من الأوجاع (أي الأهواء). الهذيذ في الصلوات، تضرع القلب، بسط اليدين نحو السماء. وباختصار: النسك والتوبة ومحبة الأعمال مع بغضة الذات، والانصلاب (أي صلب الذات) ليلاً و ارا مقابل الأوجاع والشياطين والدنيا والنفس والجسد إلى الموت. هذا هو الراهب وهذه هي سيرته. وكل راهب لا يفعل ذلك

(١٧٤) س ٤ ص ١٢٠.

يكون في رتبة وم لة العلمانيين. طوبى للذين يعملون ويحفظون. لا نفتخر بالاسم بل نجتهد بالأعمال، لأنّ العمل هو الذي يبرر ولو كان بلا شكل ولا اسم''[١٧٥].

وقال أيضا: ''طوبى لمن غصب نفسه كل أيام حياته، لأنه من مزبلة الفقر يتكرم بجنس المملكة العظمى. طوبى لمن غصب نفسه دائما في طريق الله، لأنه يصير من ذات الجنس الحقير مناسبا للجنس العظيم الشريف المعقول. التغصب هو مغني الفقراء ومكرم المحتقرين. التغصب هو مبدأ طريق الوحدة، وبه يسعد النشطاء في طريق ملكوت الله وتعد لهم التيجان من القوي القاهر. وإن كنت تسأل إلى أي مدى أغصب ذاتي، أقول لك إلى حد الموت اغصب ذاتك من أجل الله. اغصب نفسك في صلاة الليل وزدها مزامير، لأنّ رجاءً عظيما ومعونةً في التغصب من أجل الله. له ا د إلى الأبد آمين''[١٧٦].

وقال أيضا: ''مثل الرسام الذي يصور الماء على الحائط ولا يقدر هذا الماء أن يروي عطشه، ومثل الإنسان الذي ينظر الأحلام؛ هكذا الذي يتكلم بدون عمل. أما الذي من تجربة أعماله يتكلم عن الفضائل فهو مثل الذي يعطي سامعيه من بضاعة تجارته، ومما اقتناه في نفسه يزرع التعاليم في آذان السامعين، ويفتح فمه بدالةٍ مع بنيه الروحانيين مثل يعقوب الشيخ ليوسف العفيف في قوله: «ها أنا قد أعطيتك نصيبا أفضل من إخوتك مما اكتسبته من الأموريين بسيفي وقوسي» (تك٤٨: ٢٢ سبعينية).

''كل إنسان تدبيره رديء، حياة هذا العالم عنده شهية، ويليه ذاك الذي هو قليل المعرفة. وحسنا قيل إن مخافة الموت ترعب الرجل الناقص. والذي له في نفسه شهادة صالحة هو الذي يشتهي الموت مثل الحياة. لا تعتبره حكيما حقيقيا ذاك الذي من أجل حياة هذا الزمان تستعبد الأشياء فكره. كل الخيرات والشرور التي تعرض للجسد تكون عندك كأ ا أحلام، لأنك ليس بموت الجسد وحده تنحلّ منها؛ بل إ ا تبتعد عنك مرارا كثيرة قبل الموت. فإن كان لها شيء مشترك في نفسك فاعتبر أ ا هي مقتناك إلى الأبد، لأ ا تذهب معك إلى العالم العتيد. فإن كانت صالحة فافرح واشكر الله في قلبك، وإن كانت رديئة فاحزن وتنهد، واطلب الابتعاد منها ما دمت في الجسد. واعلم أيضا أن كل خير يتم لك بطريقة معقولة وفي الخفاء يكون مفهوما عندك بالحقيقة أنّ المعمودية والإيمان كانا واسطتان لك فيه، هذان اللذان ما دعيت ليسوع المسيح بالأعمال الصالحة.

---

(١٧٥) س ٤ ورقة ٢٦.

(١٧٦) س ٤ ص ٢٧.

''شكر الذي يأخذ يحرك الذي يعطي المواهب التي هي أعظم من الأوليات. والذي لا يشكر على الأمور الصغيرة فإن قال إنه يشكر على الأمور الكبيرة فهو كذاب. المريض الذي يعترف بمرضه شفاؤه هين، والذي يقر بأوجاعه فهو قريب من البرء، أما القلب القاسي فتكثر أوجاعه. والمريض الذي يخالف الطبيب يزيد عذابه.

''**ليست خطية بلا مغفرة إلاّ التي بلا توبة، وليست موهبة بلا زيادة إلاّ التي تكون ناقصة من الشكر.** الجاهل يكون جزاؤه في عينيه قليل دائما. تذكّر الذين هم أرفع منك في الصلاح لكي تحسب نفسك ناقصا بقياس نفسك م. تأمل دائما بلايا الآخرين الصعبة والذين هم في شدةٍ وضيق لكي تشكر على ضيقاتك الهينة ويمكنك حينئذٍ أن تصبر عليها بفرح. والوقت الذي تكون فيه مغلوبا مقهورا وفي ملل وكسل وقد قيدك عدوك بسماجة فعل الخطية، أُذكر الأوقات القديمة التي كنت فيها نشيطًا ومهتما حتى بالأمور الحقيرة، وكنت تتحرك فيها بالغيرة على الذين يعوقون مسيرتك.

"تنهد على القليل من عمل الفضائل إذا فاتك، وكيف كنت تأخذ إكليل الغلبة على الأعداء. بمثل هذه الذكريات تتيقظ نفسك كما من نوم عميق وتلبس حرارة الغيرة، وتقوم نفسك من سقطتها كما من الموت، وتصلب ذا ا حتى تجيء إلى طقسها الأول بالجهاد الحار ضد الشيطان والخطية. أُذكر سقطات الأقوياء لكيما تتضع بصلاحك. أُذكر عظم خطايا القدماء الذين سقطوا وتابوا وما نالوه من شرفٍ وكرامةٍ بعد ذلك لكيما تتعزى في توبتك. بقدر ما تكون ضاغِطًا لنفسك ومحزنا لها يطرد العدو من أمامك. **اصطلح مع نفسك فتصطلح معك السماء والأرض.**

"محب الصلاح هو الذي يحتمل البلايا بفرح. أستر على الخاطئ بدون أن تخسر (نفسك) منه لكيما تحملك رحمة الرب. اسند الضعفاء وعز صغيري النفوس لكيما تسندك اليمين التي تحمل الكل. شارك الحزانى بقلب متوجع لكيما ينفتح لصلاتك باب الرحمة. أترك الصغائر فتنال الكبائر. كُن ميتا بالحياة لا حيا بالموت. لا تطلب الأمور الحقيرة من العظيم القادر لئلاّ ينه. اسأل المواهب الكريمة من الله فينعِم بـ ـها عليك. سأل سليمان من الله الحكمة فأعطاه معها الغِنى والسلام الدائم. سأل شعب إسرائيل الحقيرات فمقِت لأنه تخلّى عن تمجيد عجائب الله وطلب شهوة بطنه، وبينما كان الطعام في أفواههم جاء عليهم رجز الله كما هو مكتوب. فاطلب من الله ما يلائم مجده لتكون

كريما عنده، ولا تسأل الأرضيات من السمائي فقد كُتِب: أطلبوا ملكوت الله وبره وهذا كله تزدادونه.

"لا تطلب أن تتم الأمور حسب هواك، لأنّ الله يعرف أكثر منك ما هو أصلح لك. لا تكره الشدائد، فبالجهاد معها تنال الكرامة و ا تتقرب إلى الله لأن النياح الإلهي موضوع داخلها. قبل البلايا يصلي الإنسان لله كغريب، فإذا قبلها من أجل حب الله حينئذٍ يصير من أحبائه وخواصه ا اهدين من أجل مسرته كمن وجب حقه عليه. توكل على الله وسلم نفسك له، وادخل من الباب الضيق وسِر في الطريق الكربة فإنّ ذاك الذي كان مع يوسف ونجاه من الزانية وجعله شاهدا للعفة، ومع دانيال في الجب ونجاه من الأسود، ومع الفتية ونجاهم من أتون النار، ومع إرميا وأصعده من جب الحمأة، ومع بطرس وأخرجه من الحبس، ومع بولس وخلصه من مجامع اليهود، وبالجملة الذي كان في كل زمان وكل مكان مع عبيده في شدائدهم ونجاهم وأظهر فيهم قوته؛ هو يكون معك ويحفظك.

"فخذْ لك، أيها الحبيب، غيرة الأنبياء والرسل والشهداء القديسين قبالة الأعداء الخفيين، واتخذ غيرة الذين ثبتوا قائمين في النواميس الإلهية فطرحوا الدنيا وأجسادهم وراءهم وتمسكوا بالحق، ولم ينهزموا في الشدائد التي نالوها في أنفسهم وأجسادهم إذ فازوا بالقوة الإلهية وكُتِبوا في سفر الحياة وأُعِد لهم ملكوت السموات التي نؤهل لها كلنا برأفة وتحنن إلهنا الذي له ا د إلى الأبد آمين"(١٧٧).

وقال أيضا: ''النفس المحبة لله راحتها في الله وحده. حلّ قلبك من الرباطات الخارجية أولاً وحينئذٍ تقدر أن تربطه بحب الله. من لم يفطم نفسه من حب الدنيا لا يقدر أن يذوق حلاوة محبة الله. الأعمال الروحانية تتولد من الأعمال النفسانية، والأعمال النفسانية تتولد من الأعمال الجسدانية. من يهرب من مجد العالم بمعرفةٍ فقد شعر في نفسه برجاء العالم العتيد. الذي يفر من راحة الدنيا فقد أشرف عقله على الآخرة. المرتبط بالقنية واللذات هو عبد للأوجاع الذميمة.

''بالإيمان يدرك العقل الأسرار الخفية كما يدرك البصر المحسوسات. المعمودية هي الولادة الأولى من الله، والتوبة هي الولادة الثانية منه. الأمر الذي نلنا عربونه بالإيمان، بالتوبة نأخذ موهبته. التوبة هي باب الرحمة المفتوح لمَن أراده، وبغير هذا الباب لا يدخل

---

(١٧٧) س ٤ ص ٣٣؛ ورقة ١٤٢.

أحد إلى الحياة لأن الجميع أخطأوا كما قال الرسول، وبالنعمة نتبرر مجانا. فالتوبة، إذن، هي النعمة الثانية، وهي تتولد في القلب من الإيمان والمخافة. والمخافة هي عصا الأب التي تسوقنا إلى محبة الله، وإذا بلغنا إلى هناك تتركنا وترجع. ومحبة الله هي فردوس جميع النعم الذي فيه شجرة الحياة وما لم يخطر على قلب بشر، ومن يدركه لا يموت لأنه يغتذي بلا تعب من الخبز الذي نزل من السماء ويهب الحياة للعالم. فمن عاش في هوى حب المسيح يكون قد استنشق من ههنا هوى نعيم الأبرار بعد القيامة.

''هذا الحب هو المُلك الذي وعد به المسيح لمحبيه. والحب هو المسيح، لأنّ الرسول يقول إنّ الله هو المحبة. وكما أنه لا يمكن عبور البحر بلا سفينة؛ كذلك لا يمكن لأحد أن يعبر إلى حب الله بدون مخافة الله. لأنّ التوبة هي السفينة والمخافة هي مدبرها، والمحبة هي ميناء السلام والكرامة حيث يجد المتعبون راحتهم والعمالون نياحهم والتجار ربحهم، حيث هناك الآب والابن والروح القدس الذي له ا لمجد إلى الأبد آمين''[(١٧٨)].

وقال أيضا: ''طوبى للإنسان الذي يعرف ضعفه، فإنّ هذه المعرفة تكون له أساسا صالحًا وبداية لكل خير، لأنه إذا عرف ضعفه ضبط نفسه من الاسترخاء وطلب معونة الله وتوكل عليه. ومن لا يعرف ضعفه فهو قريب من سقطة العظمة، وبلا اتضاع لا يتم عمل العابد. ومن لا يتم عمله لا يختم كتاب حريته بخاتم الروح، والذي لا يختم كتاب حريته بخاتم الروح يكون عبدا للأوجاع، ولا يتضع إلاّ بالبلايا. لذلك يترك الله البلايا - التي تؤدي إلى الاتضاع - على محبي البر حتى يعرفوا ضعفهم. فربما كسر قلبهم بأوجاع طبيعية، وربما بشتيمة الناس لهم وإهانتهم لهم، وربما بالفقر والمرض والاحتياج، وربما بالخذلان بأن يأتي عليهم الشيطان بأفكار دنيئة. وكل ذلك لكي يشعروا بضعفهم ويتضعوا حتى لا يتغلب عليهم نعاس الغفلة. إذن، فينبغي على كل إنسان أن يتيقظ دائما ويذكر أنه مخلوق وأنّ كل مخلوق محتاج إلى معونة خالقه، فيطلب حاجته ممن يعلم احتياجه الحقيقي وقادر أن يعطيه إياه. له ا لمجد إلى الأبد آمين''[(١٧٩)].

من كلام مار إسحق، قال: "ابتعد من العالم وحينئذٍ تشعر بنتانته، لأنك إن لم تبتعد عنه لا تحس برائحته الكريهة".

سؤال: "ما هو العالم؟ وكيف نعرفه؟ وما هو مقدار ضرره لمحبيه"؟

---

(١٧٨) س ٤ ورقة ٣٤.

(١٧٩) س ٤ ص ٣٥.

الجواب: "العالم هو زانية تجذب الناظرين إليها بشهرة حسنها فيحبو ا. والمقتنص بعشقه والمتشبث به لا يقدر أن ينفلت من يديه حتى ينهي على حياته. فإذا عراه من كل شيء وأخرجه من م له يوم موته، في ذلك اليوم يعرف الإنسان أنه خداع مضللٌ. وإذا أراد الإنسان أن يخرج من هذا العالم ومن ظلمته، فما دام مغموس فيه لا يمكنه أن يبصر تشبيكاته (أي قيوده)"[(١٨٠)].

من كلام مار إسحق: "شيطان الزنى يرصد ثوب الراهب، هل هو الذي يلبسه كل يوم أم غيره من أجل ما يواجهه، لأنّ هذا هو مفتاح باب الزنى (أي الملابس الثمينة)". وقال أيضا مخاطبا الإخوة: "كان آباؤنا يلبسون الثياب العتيقة المرقّعة، أما الآن فثيابنا غالية الثمن. امضوا من هنا فقد أفسدتم ما كان هنا". ولما كانوا عتيدين أن يمضوا إلى الحصاد قال لهم: "لن أوصيكم بشيء لأنكم لا تحفظون شيئًا"[(١٨١)]!

قال مار إسحق: "كل الذين يزعمون أنّ المسيح بعد ارتفاعه إلى السماء يظهر خارج الإنسان بمنظر تراه عين الجسد، هم رفقاء القائلين إنّ نعيم الملكوت هو أكل وشرب"[(١٨٢)].

وقال أيضا: "بنوعين يصنع الجسد نياحه بحماقةٍ ويسبب للنفس أتعابا ومشقةً وتشويشا عظيما للفكر، وهما: عدم ضبط البطن غير المخضعة لتحمل الصوم، وعدم ترتيب الأعضاء التي تعطَى دالةً للنظر وا س بغير تعفف، هذان اللذان منهما يحدث فساد لهيكل الله بتوسط الأفكار الطائشة في الأباطيل"[(١٨٣)].

وقال أيضا: "تحكّم قبالة أسباب الآلام (أي أوجاع الشهوات) فتهدأ الآلام من ذا ا"[(١٨٤)].

وقال أيضا: "العفة وسط النياحات لا تثبت بغير فساد، كما أنّ الجوهرة وسط النار لا يحفَظ بريقها بغير فساد"[(١٨٥)].

وقال أيضا: "خمس فضائل بدو ا لا يمكن لجميع رتب الناس أن تكون بلا لوم، وإذا حفظها الإنسان يتخلّص من كل مضرةٍ ويكون محبوبا عند الله والناس، وهي: جسد عفيف، لسان محترس، زهد في الرغبة والشره، كتمان للسر في كل شيء بغرض مستقيم إلهي، أن يكرم كل رتب الناس فوق ما يستحقون، لأنّ الذي يكرم الناس يتكرم هو أيضا منهم وينال ا ازاة من الله، لأنّ الكرامة توجب كرامة والازدراء يجلب ازدراءً،

---

(١٨٠) س ٤ ورقة ٦٧. (١٨١) س ٤ ص ٧٣. (١٨٢) س ٤ ورقة ١١٧. (١٨٣) س ٤ ص ١٣٦.
(١٨٤) المرجع السابق. (١٨٥) المرجع السابق.

والذي يكرم الله يتكرم هو أيضا منه"[186].

وقال أيضا: "في أربعة أوجاع لظنون رديئة سمجة يسقط من هو مستعبد لها، وهي: شغب الجسد، والرغبة في أشياء جسدانية، ولسان قاسي، ونقل كلام من واحدٍ لآخر فيه مثلبة. والذي يتخلّى الله عنه بسبب تعظمه يسقط في واحدٍ من ثلاثة أمور: إما في فسق سمج، أو في ضلالةٍ شيطانيةٍ، أو في أذى عقلي"[187].

وقال أيضا: "كما أنّ الدهنيات تزيد من إشعال النار؛ هكذا أيضا نعومة المأكولات تزيد وجع الزنى. معرفة الله لا تسكن في جسد محب للراحة. الذي يحب جسده لا يؤهل لمواهب الله. كما يشفق الأب على ابنه يشفق المسيح على الجسد العمال، وهو في كل وقتٍ قريب من فمه"[188].

وقال أيضا: "الذي يشتهي الروحانيات بالضرورة يهمل الجسدانيات. احذر من حياة الخلطة لأ ا معوقة لسائر أنواع التوبة. الحديث مع كثيرين يعوق الحزن الذي من أجل الله. ليس شيء محبوب عند الله وسريعا يعطي مسألته (أي يستجيب لطلبته) مثل الذي يطلب لأجل زلاته وغفرا ا. الذي يحب الكرامة لا يمكنه أن يمنع علل الهوان. كل إنسان تدبيره رديء حياة هذا العالم عنده شهية، ويأتي بعده من هو قليل المعرفة. ونعما القول إن مخافة الموت ترعب الإنسان الناقص. والذي له في نفسه شهادة صالحة هو الذي يشتهي الموت مثل الحياة"[189].

وقال أيضا: "شيخ مدحته أفكاره على أعمال سابقة مثل من أُهل لرجاء عدم الفساد، فأجاب على أفكاره قائلاً: أنا الآن سائر في طريق، وباطلاً تمدحونني لأن الطريق الآن ما كملت"[190].

وقال أيضا: "متى جاءت إليك شهوة الاهتمام بغيرك باعتبارها فضيلة حتى تشوش على ما في قلبك من السكون، فقُلْ لنفسك: إنّ طريق المحبة جيدة والرحمة لأجل الله مقبولة، ولكنني من أجل الله لا أريدها. قال راهب: 'قف لي لأجل الله لأنني أجري خلفك'، فقلت له: 'وأنا من أجل الله أهرب منك'"[191].

سئل مار اسحق: "متى يثق الإنسان في أنه استحق وأُهل لمغفرة الخطايا"؟ **الجواب:** "إذا

---

(١٨٦) المرجع السابق.
(١٨٧) المرجع السابق.
(١٨٨) س ٤ ورقة ١٣٦.
(١٨٩) المرجع السابق.
(١٩٠) المرجع السابق.
(١٩١) المرجع السابق.

شعر في نفسه أنه قد أبغضها تماما من كل قلبه ويفعل ما هو ضد تصرفه السابق في الظاهر وفي الخفاء. والذي هو هكذا تكون له ثقة بغفران خطاياه من الله بشهادة ضميره التي اقتناها في نفسه حسب قول الرسول، لأنّ القلب الذي لا لوم فيه هو الشاهد على نفسه"[١٩٢].

من كلام مار إسحق: سؤال: "ما هو العالم"؟ **الجواب:** "العالم هو تجربة الخطية. العالم هو أن تكمل إرادة الجسد. العالم هو أن يفتخر الإنسان بالأشياء التي يمضي ويتركها. فلنعمل بكل قوتنا، يا إخوتي، أن نرتدي لباس الفضيلة لئلاّ نلقى خارجا، لأنّ الرب لا يأخذ بالوجوه"[١٩٣].

وقال أيضا: "افحص ذاتك باستقصاء وانظر إلى نوع زللك، واطلب من الله أن يغفر لك، وإذا شئت أن تنال الغفران فاغفر أنت أيضا لقريبك. متى قمت باكر كل يوم فاذكر أنك سوف تعطي جوابا لله عن كل ما تفعله حتى لا تخطئ. أُذكر كل يوم أنه ليس لك في العالم سوى يومك الذي أنت فيه فلن تخطئ أبدا. ابغض كلام العالم لكيما يعاين قلبك الله. أحب الصلاة كل حين لكيما يستنير قلبك بالله. احفظ لسانك لكيما تسكن فيك مخافة الله. لا تحب التهاون لئلاّ تحزن نفسك في قيامة الصديقين. أُذكر ملكوت السموات لكي تجذبك الشهوة إليه، واذكر أيضا نار جهنم لكي تبغض أعمالها.

"دِن نفسك وحدك في أعمالك حتى لا تنخدع بالإهمال والتهاون. افحص كل يوم ما عجزت عنه لئلاّ تتعب وقت شدتك. لا تظن في نفسك أنك طاهر من الخطية ولا تثق بنفسك ما دمت في هذا الجسد حتى تعبر سلاطين الظلمة. إن كنت مجاهدا قبالة وجع فلا تتوقف عن ذلك، بل الق بنفسك قدام الله من كل قلبك وقُلْ: أعني يا رب أنا الشقي فإني لا أقدر أن أقف قبالة الأوجاع، والله يعينك"[١٩٤].

من أقوال مار إسحق: "حد كل تدبير السيرة يكون ـذه الثلاثة: التوبة والنقاوة والكمال". **وما هي التوبة؟** "هي ترك الأمور المتقدمة والحزن من أجلها". **وما هي النقاوة؟** "هي قلب رحيم على جميع طبائع الخليقة". **وما هو الكمال؟** "هو عمق الاتضاع ورفض كل ما يرى وما لا يرى، أي ما يرى بالحواس وما لا يرى بالهذيذ فيه"[١٩٥].

سئل مار إسحق: "ما هي التوبة"؟ فأجاب: "قلب منسحق"."وما هو الاتضاع"؟ فأجاب: "ترك الهوى والسكون من (الكلام مع) كل أحد". "وما هي الصلاة"؟ فأجاب:

---

(١٩٢) المرجع السابق. (١٩٣) س ٤ ورقة ١٤٩. (١٩٤) س ٤ ص ١٥٠. (١٩٥) س ٤ ورقة ١٥١.

"تفرغ العقل من جميع أمور الدنيا ونظر العقل إلى الاشتياق للرجاء العتيد"[١٩٦].

وسئل أيضا: "كيف يقتنى الاتضاع"؟ فقال: "بتذكر السقطات، وانتظار قرب الموت، ولباس حقير، واختيار موضع هادئ ويكون له (أي للراهب) سكوت دائم، فلا يحب ملاقاة الجموع، ويكون غير معروف وغير محسوب. ويلزم أموره بمقدار، ويبغض لقاء الناس والدالة والخلطة (بالآخرين). ولا يحب الربح، ويمتنع عن أن يلوم أحدا أو يقع في إنسان، ولا يعامل أحدا ولا يعاشره. ويكون متوحدا في ذاته منفردا. ولا يجعل له هما بأحدٍ من الخليقة غير نفسه. وباختصار: الغربة والمسكنة والتصرف على انفراد. هذه كلها تولد الاتضاع وتطهر القلب. وهذه هي أدلة وعلامات الذين بلغوا الكمال. ولو سلموا كل يوم عشر المرات للحريق من أجل محبة الناس فلا يشبعون من حبهم"[١٩٧].

وسئل أيضا: "لماذا فعل الرجاء لذيذ وتعبه خفيف"؟ **الجواب:** "بسبب الاشتياق الطبيعي الذي يستيقظ في النفس ويسقيها كأس الرجاء ويسكرها، ومن تلك الساعة لا يشعرون بتعبٍ أبدا ويثبتون غير حساسين للضيقات. وعلى مدى سيرة حيا م يظنون كأ م في الجو سائرين بدون أقدامٍ بشرية، ولا تظهر لهم صعوبة الطريق وخشونتها ولا أنه توجد قدامهم أودية وروابي وكمائن، بل يكون الوعر قدامهم سهلاً، والأحراج (أو العراقيب) كأرض لينة، لأ م كل وقتٍ ينظرون إلى حضن أبيهم، والأمل يشير لهم كالأصبع إلى الأشياء البعيدة غير المرئية كأ ا قريبة تلاحظ بعين الإيمان الخفية. لأنّ جميع أجزاء النفس تلتهب كالنار بالاشتياق إلى الأمور العتيدة، وإلى هناك يمدون لواحظ أفكارهم ويسرعون إلى بلوغها.

"وإذا بدأوا في ممارسة إحدى الفضائل فلا يكون ذلك بالتدريج، بل يتممو ا مرةً واحدة. وهم يشعرون أ م لا يسيرون في الطريق السلطانية مثل باقي الناس، بل إ م اختاروا سبلاً قاطعةً هذه التي استطاع الجبابرة والشجعان أن يسيروا فيها. لأنّ سعيهم بالتجبر والحرص ينتهي، لأنّ الرجاء يشعلهم كالنار ولا يهدئوا من سرعة جريهم بسبب فرحهم. ويحدث لهم مثلما قال إرميا النبي: «قلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه، فكان في قلبي كنار محرقةٍ محصورةٍ في عظامي» (إر٢٠: ٩)، هكذا تكون قلوب الذين يركضون برجاء الله حتى يدركوا الحياة الأبدية"[١٩٨].

---

(١٩٦) س ٤ ص ١٥٢.

(١٩٧) المرجع السابق.

(١٩٨) المرجع السابق.

وقال أيضا: "تسبق عزة النفس ومحبة الذات جميع الأوجاع، ويسبق جميع الفضائل احتقار الإنسان للراحة. فالذي يغذّي جسده بالراحة في بلد السلام ينضغط بالضيقة، والذي يتنعم في شبابه يكون عبدا في شيخوخته وأخيرا يتنهد. وكما أن من يحبس رأسه في بئر عميقة مملوءة بالماء لا يتمكن من استنشاق الهواء المتدفق في الجو؛ هكذا من غمر ضميره في اهتمامات الأمور الحاضرة لا يمكن أن تقبل نفسه استنشاق حسس (أي الإحساس بـ) العالم الجديد. وكما أنّ رائحة السم المميت تفسِد مزاج الجسد؛ هكذا تصدم المناظر السمجة سلامة الضمير. وكما أنه لا يمكن أن تكون الصحة والمرض في جسد واحد ولا ينفسد أحدهما من الآخر؛ هكذا لا يمكن للحب والبغضة أن يسكنا في إنسان واحد ولا يفسِد أحدهما الآخر. وكما أنّ الزجاج لا يثبت في تقلبه مع الأحجار دون أن ينكسر، هكذا لا يمكن لأحدٍ أن يكون طاهرا وهو مداوم على النظر والكلام مع النساء. وكما أنّ الأشجار تقلَع من شدة جريان الماء، هكذا تقلَع محبة العالم من شدة التجارب التي تحلّ على الجسد. وكما أنّ الأدوية المسهلة تنقّي الأجساد من الكيموس (الجرثومة) الرديئة، هكذا تقلع شدة الضيقات الأوجاع من القلب. وكما أنه لا يمكن لمن يشفق على عدوه في القتال أن يكون بدون أذى، هكذا لا يمكن أن يشفق ا اهد على جسده وتنجو نفسه من الهلاك.

"الذي اقتنى في صلاته دموعا يكون كمن يقدم قربانا عظيما للملك وقد اقتنى وجها يجا لديه. هكذا هي الدموع قدام الله الملك العظيم لكل العالمين الذي يزيل كل أنواع خطاياه ويقتني عنده وجها يجا. مثل النعجة التي تخرج من مكا ا وتذهب إلى جحر الذئاب، هكذا يكون الراهب الذي يترك الموافقة مع إخوته ويداوم الطياشة والنظر في الخليقة. ومثل من يحمل جوهرة ثمينة ويذهب في طريق أُشيع عنه أمور رديئة ويكون مرعوبا دائما ممن يسلبه؛ هكذا يكون الذي اقتنى جوهرة العفة وهو يسير في العالم الذي هو طريق الأعداء إلى أن يدخل م ل القبر الذي هو بلد الثقة، فهو ليس له رجاء في أن يفلت من اللصوص السالبين. وكما أنه لا يمكن لحامل الجوهرة ألاّ يخاف؛ هكذا أيضا العفيف لأنه لا يعرف في أي بلد وفي أي وقت يخرجون عليه بغتةً ويفقِروه من جميع ماله، لأنه ثمة من يسلُب في باب داره الذي هو زمان الشيخوخة".

"وكما أنه من بذار عرق الصوم ينبت سنبل العفة؛ هكذا أيضا من الشبع يتولد الفسق ومن الامتلاء (أي الشبع) النجاسة. والبطن الجائعة المتذللة لا تجسر عليها الأفكار

الخاطئة قط. كل مأكول يتكون منه في داخلنا زيادة في كيموس الزرع الطبيعي (السائل المنوي) المتجمع في الجسد، وإذا امتلأت الأعضاء التي هي أواني الزرع (التناسل) من أنحاء الجسد يخرج السائل إذا صادف أن رأى جسدا أو تحرك فيه ذكر شيء بدون إرادته، وحتى لو كان الفكر شجاعا وعفيفًا ونقيا في حركاته بخصوص الحساسية التي في الأعضاء، ولكنه لوقته يضطرب إفرازه وتتسخ عفة أفكاره النقية وتتنجس طهارته بسبب اضطراب الأوجاع التي تتحرك في القلب من التهاب الأعضاء، وفي الحال تهدم نصف قوته، ويصير مغلوبا بدون قتال، ولا يتعب عدوه في قتاله لأنه انغلب من شغب الجسد. وعندما يكون راقدا وحده تتجمع حوله أفكار متخذةً أشكالاً مشاغبة، ويصير سريره الطاهر فندقًا للزواني، وتتدنس أعضاؤه الطاهرة دون أن تدنو منه امرأة. أي بحر يضطرب هكذا ويتسجس من التصورات مثلما يضطرب العقل الرزين بقوة الأمواج الثائرة عليه في جسمه من امتلاء البطن؟!

"أيتها العفة، ما أنقى حسنكِ بالرقاد على الأرض وألم الجوع الذي يشتت النوم بسبب جفاف الجسد وخلو البطن! كل مأكول ينتج عنه في داخلنا أشكالاً مرذولة وصورا شغبة تتشكل وتظهر لنا في بلد (مجال) عقلنا الخفي وتجذبنا إلى الشركة معها بأفعال الفسق. فخلو البطن تكون مثل برية قفرة للضمير وهادئة من تصورات الأفكار، والبطن الممتلئة هي بلاد المشاهد والمناظر، حتى ولو كنا في البرية والقفر فقد وجدنا أن الشبع يسبب الكثير مما ذكرنا"[(١٩٩)].

قال مار إسحق عن التوبة: "التوبة هي أم الحياة تفتح لنا بابـها بواسطة الفرار من الكل. نعمة المعمودية التي ضيعناها بانحلال سيرتنا تجددها فينا التوبة بواسطة إفراز العقل. من الماء والروح لبسنا المسيح ولم نحس بمجده، وبالتوبة ندخل إلى نعيمه بنعمة الإفراز التي تظهر فينا. العادم من التوبة هو خائب من النعيم المزمع. القريب من الكل بعيد عن التوبة، والمبتعد من الكل بإفراز هو التائب بالحق.

"بداية التوبة هو الاتضاع الذي بلا رياء ولا زي كاذب مسجس. التوبة هي لباس الثياب الحسنة المضيئة. طريق الحكمة هو ترتيب الأعضاء. طموح الجسد هو إفساد الحكمة. الحكمة الحقيقية هي النظر في الله، والنظر في الله هو صمت الأفكار. الإحساس

---

(١٩٩) س ٤ ورقة ١٥٢.

بالله هو عمق الاتضاع. تاورية تصور الحق هي ميتوتة القلب. القلب الذي مات بالحقيقة عن العالم يتحرك جميعه بالله. الذي يبني نفسه أخير له من أن ينفع المسكونة كلها، أخير له أن يأخذ الحياة من أن يقسم الحياة لآخرين.

"الذي ماتت أعضاؤه الخارجية عاشت أعضاؤه الداخلية. التواضع بإفراز هو معرفة الحق. معرفة الحق هي ينبوع الاتضاع. المتضع بقلبه متضع بجسده، والمتوقح بجسده متوقح بقلبه، والمضطرب بجسده مضطرب بقلبه، والمضطرب بقلبه جاهل بعقله، والجاهل بعقله رديئة هي طرقه، والذي طرقه رديئة هو مائت بالحياة.

"إن كنت محبا للتواضع فلا تكن محبا للزينة، لأنّ الإنسان الذي يحب الزينة لا يقدر أن يحتمل الازدراء ولا يسرع إلى الأعمال الحقيرة، لأنه يصعب عليه جدا أن يخضع لمن هو دونه ويخجل من ذلك. المتعبد لله لا يزين جسده. واعلم أنّ كل من يحب زينة الجسد هو ضعيف في أفكاره حتى لو رأيت له حسنات. وكل من يحب الربح المنظور لا يقدر أن يقتني حبا حقيقيا لأحد. وكل من يسرع إلى الكرامة هو متعبد لهذا العالم. وإن كرهت الذين يفعلون ذلك فابتعد من أفعالهم.

"الاتضاع والعفة تعضدهما المحقرة، والذي يحب الزينة والكرامة لا تطلب منه حقيقة تلك الفضائل الثلاث. إن كنت تحب العفة فلا تحب الطياشة، لأن اللقاءات التي تعرض لك من الطياشة لا تدعك تمسك بالعفة في نفسك باحتراس، لأن كل من يحب الطياشة لا يكون عفيفًا، وكل من يلتصق بالعلمانيين لا تصدق أن يكون متواضعا، وكل من هو محب لله يحب الحبس والثبات في القلاية. الإنسان الطائش لا يمكنه أن يحفظ الحق في نفسه بغير دنس.

"كثيرون يعدون بالتوبة ويتظاهرون ا، ولا أحد يقتنيها بالحق إلاّ المحزون. وكثيرون يسرعون إلى الحزن ولا يجده بالحقيقة إلاّ الذي اقتنى الصمت على الدوام. كل من هو كثير الكلام حتى ولو أخبر بأمور عجيبة فاعلم أنه فارغ من الداخل. الحزن الداخلي لجام للحواس. إن كنت محبا للحق فكن محبا للصمت، فكمثل الشمس يجعلك الصمت تنير بالله ويخلصك من ادعاء المعرفة، والسكوت يلصقك بالله. الذي يحب الحديث مع المسيح يجب أن يكون وحده، والذي يريد أن يكون مع كثيرين هو محب لهذا العالم.

''إن كنت تحب التوبة فأحب السكوت لأن بدونه لا تكمل التوبة، وإن قاومك أحد

في ذلك فلا تلاججه لأنه لا يعرف ما يقوله. لأنه لو كان يعرف ما هي التوبة لكان يعرف أيضا موضعها أ ا لا تكمل في السجس. الذي يشعر بخطاياه أخير له أن ينفع الخليقة بمنظره. والذي يتنهد على نفسه كل يوم فهذا أخير له من أن يقيم الموتى بصلاته. والذي أُهل أن ينظر خطاياه فهذا أخير من الذي ينظر ملائكة. والذي بالنوح يختلي كل يوم بالمسيح أخير من الذي يمدحونه في ا امع"[٢٠٠].

وقال أيضا: ''إذا أفرزت نفسك للتوبة فكل يوم لا تصادفك فيه محقرة لا تحسبه يوما كاملاً، وكل يوم لا تجلس فيه ساعة مع نفسك وتتفكر في أي شيء أخطأت وفي أي أمر سقطت وتقوم ذاتك فلا تحسبه من عداد أيام حياتك. الويل للذي لا يبكي ويتضايق (يضيق على نفسه) وينقي عيوب نفسه ما دام للتوبة وقت، لأنه ينقّيها بغير إرادته في أمواج النار حتى يوفي آخر فلس عليه الذي هو الزلّة الصغيرة. الذي يتهاون في الصلاة ويظن أنه يوجد باب آخر للتوبة هو محل الشياطين. والذي لا يداوم على قراءة الكتب فهو في التيه سائر لأنه إذا أخطأ لا يشعر.

''الذي هو متنسك في المأكولات وفي قلبه حقد وأفكار رديئة على أخيه هو آلة وأرغن للشيطان. احذر من هذه العادة: أن ذّ في أخيك وأنت جالس، لأن هذا يهد كل بنيان برج الفضيلة العظيم. الذي اقتنى الفضائل العظيمة مثل الصوم والسهر وغيرهما ولم يقتن حراسة القلب واللسان فهو في الباطل يتعب ويعمل. إذا وضعت كل أعمال التوبة في ناحية والتحفظ في ناحية ترجح كفة التحفظ. لقد وضع المسيح فأس الوصايا على أصل الأفكار القلبية، أما موسى فوضعه على الأعمال المحسوسة.

''الويل للذي له وقت وإمكانية وجسده يساعده ويتهاون في أعمال التوبة، لأنه يبكي وينتحب عندما ينتبه ويطلب زمان الراحة ولا يجد. الضيقات والمحقرات والتجارب هي سبخ التوبة وماؤها، ومو ا هو حب الربح والكرامة والراحة، لأنّ الضيقات الخارجية تتولّد منها الراحة الداخلية، والحزن والكآبة اللتان من أجل الله يتولّد منهما الفرح وعزاء النفس. وبالإيجاز، فإنّ السلام الذي يتولّد من الأعمال هو ضلالة. أساس تدبير الوحدة هو الصبر والاحتمال بالتغصب، و ا يبلغ (الراهب) إلى كمال تام، وهي تجعل قدامه سلّما يصعد به إلى السماء. رباطات النفس هي عادات الإنسان سواء الجيدة أو الرديئة''[٢٠١].

---

(٢٠٠) س ٤ ص ١٥٤.

(٢٠١) س ٤ ص ١٥٥.

وقال أيضا: ''سئل شيخ: بماذا تشبه رهبنة القدماء ورهبنة زماننا هذا؟ فأجاب: كان هناك إنسان غني وحكيم، وكان يطلب المسك الخالص (أي الصافي)، ولما لم يجد الحق حسب إرادته قطع برا وبحرا وذهب إلى الصين وقدم هدايا للملك الذي هناك، وسأله أن يعطيه مسكًا، فأمره أن يقطعه هو بيده، ورجع به وأعطاه لأولاده، فأعطوه بعضهم لبعض، وقليلاً قليلاً غشوه وخلطوا به شيئًا يشبه المسك في اللون ويختلف عنه في الرائحة. وبمرور الزمن بقي الزغل (أي المسك المغشوش) بدلاً من الأصلي، وفُقِدت رائحته وبقي شكله واسمه فقط. وهكذا الآباء القدماء الذين جسروا على الحياة والموت، فقد ذاقوا كل التجارب واحتملوا جميع الضيقات وقدموا ذوا م ذبيحة روحانية، وأهلوا لمعرفة الروح وصاروا مسكنا لله وحسوا بالأسرار، ثم توارثت هذه الأسرار حتى انتهت إلينا نحن الذين لنا الاسم والشكل فقط. فأمور سيدنا مريرات حلوات، مظلمات نيرات، محزنات مبهجات؛ وأمور العالم حلوات مرات، نيرات مظلمات، مبهجات محزنات. والذي يعرف الحق هو الذي ذاق تجربة هذه الأمور وليس من سماع الأذن فحسب(٢٠٢).

من أقوال مار إسحق: "الراهب الذي في زمان الطاعة والخضوع اختار لنفسه الراحة والحرية، ففي زمان الراحة الحقيقية بالعدل يبكي ويجوع ويشقى بالندامة ويشعر بالضنى. الراهب الذي في زمان الحصاد وشمول الفرح يملك عليه الندم والكآبة، هو شاهد علـى نفسه أنه في أوان الزرع والخضوع والعمل لم يغصب نفسه أن يحتمل ويصبر على حدة البرد والجليد ليشق بالمحراث خطوطًا عميقة في باب قلبه ويطمر فيها زرع خبز الحيـاة. وهو الآن يشقى بالجوع في الحصاد.

"أعمال التوبة والصلوات والدموع باتضاع وانكسار القلـب لا تقلـع الآلام (أي الشهوات) من النفس فحسب؛ بل ومن الموت تقيمها. حفظ الحواس يقطـع الخطايـا، وحفظ القلب يقطع الآلام التي هي أمهات ووالدات الخطايا. الراهب الذي يحارب قبالة الآلام بحفظ الوصايا لكي يقطعها من القلب لا دأ النعمة من أن تسنده خفيةً.

"بالقراءة مع الإفراز اجمع عقلك من الكل وقُم للصلاة. وفي وقت الصلاة الفت نظرك إلى البشارة (أي الإنجيل) وانظر المسامير والصليب والحربة، واحزن وتنهـد وابـكِ، وانصـت للجموع الصارخة: اصلبه اصلبه. واعجب من مخلص الكل كيف يصرخ مصليا طالبا: «يـا

---

(٢٠٢) س ٤ ورقة ١٥٥.

أبتاه، اغفر لهم» (لو٢٣: ٣٤)، وتشبه به أكثر من قوتك، وابدأ بالصلاة والدموع"[٢٠٣].

وقال أيضا: "الاتكال على البشر يمنع كليةً الاتكال على المسيح، والعزاء الظاهر يمنع العزاء الخفي. وهكذا حسبما يكون الراهب منفردا وفي وحشة يخدم من العناية الإلهية. كُن حقيرا ومزدرى بك في عيني نفسك فيكون رجاؤك عظيم بالله. محاسن الصلاة هي: التغصب والصبر والاحتمال وطول الروح والتجلد، والصلاة هي صراخ العقـل الـذي يصرخ بدون إرادة من حرقة القلب. يا بني، إن سلّمت نفسك لله سلّمت ذاتك لجميـع التجارب وغيرها.

"اِصلب ضميرك وأفكارك مقابل الآلام بواسطة عمل الوصايا بتغصب وقسر. بـدء تدبير سيرة الصلب هو الصبر بتغصب والانقطاع عن كل محادثات الوجوه، وأن يكـون (الراهب) بغير اهتمام، وعدم ذكر كل جيد ورديء، وبغضة الكرامة والصبر بشـجاعة على الظلم والعار والهزء مثل ذاك الذي استهزئ به بالصلب وهو يعطي الحياة للعالم. إن كنت مشتاقًا إلى سلامة القلب وراحة الضمير اللذين هما من ثمار شجرة الحياة فاقلع من قلبك شجرة تمييز الجيد من الرديء التي أُوصي مبدأ جنسنا ألاّ يذوق منها لئلاّ يمـوت، لأ ا إنما تولد سجسا في النفس وتقلع السلام من القلب"[٢٠٤].

وقال أيضا: "الإنسان الذي عرف ضعفه وعجزه قد وصل إلى حد الاتضاع. الموجه لأنعام الله على الإنسان هو الشكر المتحرك في القلب على الدوام. والموجه للتجارب على النفس هو التذمر. إنّ الله عز وجلّ يحمل كل ضعف الإنسان، ولا يحتمل الإنسان الذي يتذمر دائما دون أن يؤدبه. الفم الذي يشكر دائما يقبل البركة من الله تعالى، والقلب الذي يلازم الحمد والشكر تحلّ فيه النعمة. الاتضاع يتقدم النعمة، والعظمة تتقدم الأدب. المتعظم بالمعرفة بضميره يسقط في التجديف، والمتبجح بفضيلة العمل يسقط في الزنى. والمترفع بالحكمة يسقط في فخاخ الجهل المظلمة. الإنسان البعيد من ذكر الله تعالى هو الذي يهم بالإساءة لقريبه. الذي يكرم كل إنسان لأجل الله تعالى يجد معونة من كل إنسان بإشارة الله الخفية.

"المعتذر عن المظلوم يجد الله تعالى مناضلاً عنه. من عضد قريبه يعضده الله سبحانه بذراعه. ومن سب أخيه برذيلته كان الله تعالى له سابا ومبكتا. التاجر إذا أكمل ما يخصه

(٢٠٣) س ٤ ورقة ١٥٦.

(٢٠٤) س ٤ ص ١٥٧.

يجتهد أن يمضي إلى م له، والراهب بقدر ما يعوزه من زمان للعمل بقدر ما يحزن من مفارقة جسده، وإذا شعر في نفسه أنه قد حصل الوقت وأخذ العربون يشتاق إلى العالم الجديد. التاجر ما دام في البحر فالخوف ينبت في أعضائه من أن تتعالى عليه الأمواج فيغرق ويخيب أمله من عمله، والراهب ما دام في بحر هذا العالم فالخوف يستولي على سيرته من أن تحلّ عليه أذية فيبيد عمله من الشباب إلى الشيخوخة. التاجر عيناه إلى البر، والراهب يرمق ساعة الموت. الذي يسبح في البحر يظل عاريا حتى يجد اللؤلؤة، والراهب الحكيم يسير في هذه الدنيا عاريا حتى يجد فيها الدرة الحقيقية التي هي يسوع المسيح. وإذا وجدها فلن يقتني معها شيئًا من الموجودات.

"الجواهر تحفَظ في الخزائن، ونعيم الراهب هو داخل السكون والهدوء. العذراء تتأذّى في ا امع والمحافل، وفكر الراهب يتأذّى بالحديث مع الكثيرين ومنظرهم. الطائر يسارع إلى وكره من كل مكان لكي يفرخ، والراهب ذو الإفراز يبادر إلى قلايته ليصنع فيها ثمرة حياة. السحاب يحجب نور الشمس، والأقوال الكثيرة تبلبل النفس. الشجرة إن لم تطرح أولاً الورق العتيق فلن تأتي بأغصان جديدة، والراهب إن لم يطرح من قلبه ذكر الأمور السالفة ويبتعد من كل لقاءات فلن يقدم ليسوع المسيح أثمارا جديدة. الهواء يسمن الثمار، والاهتمام بأمور الله عز وجلّ يسمن ثمار النفس. ثمار الشجر تكون عفصة ومرة ولا تصلح للأكل حتى تحل فيها الحلاوة من الشمس، وأعمال التوبة الأولى تكون عفصة ومرة جدا ولا تعزي الراهب حتى تحل فيها حلاوة التاوريا وتنقل القلب من الأرضيات.

"حلاوة الكلام بدون أعمال لا تنفع لأنه إذا انتقل منها الإنسان يخزى بالأكثر. كما أنه لا يمكن أن يشرب إنسان خمرا ولا تفوح الرائحة من فمه، هكذا لا يستطيع الإنسان أن يؤهل للنياح الروحاني بتدبير سيرته دون أن يظهر التغيير في أموره لحكماء القلب. الذي قبل الزرع السمائي يتغير في كلامه وفي ضميره وفي سيرته وفي حواسه ويكون متغيرا في كل شيء عن بقية الناس، ويكون كإنسان كان نائما وانتبه من نومه. الراحة والبطالة هلاك للنفس وهما يؤذيان أكثر من الشياطين"(٢٠٥).

وقال أيضا: "الإنسان المماحك لا يظفر بسلامة الفكر، والخالي من السلام هو خال من الفرح. الذي يطلق لسانه على الناس بكل جيد ورديء لا يؤهل للنعمة من الله. توبة

---

(٢٠٥) س ٤ ص ١٥٧.

مع أحاديث تشبه آنية مثقوبة. عفة وحديث مع امرأة كلبوة مع خروف في بيت واحد. أعمال مع قساوة قدام الله تعالى كإنسان يضحي بولد قدام والده. من هو مريض ويقوم رفقاءه يشبه إنسان أعمى يرشد آخرين إلى الطريق. الحقود يستثمر من صلاته ما يستثمره الزارع في البحر من الحصاد. كما أن شعاع النار لا يمكن منعه من الطلوع إلى فوق؛ هكذا صلوات الرحومين لا يمكن ألاّ ترتقي إلى السماء. كما أن جريان الماء يتجه إلى أسفل هكذا قوة الغضب إذا ألفت موضعا في فكرنا.

"من واضع قلبه فقد مات عن العالم، ومن مات عن العالم فقد مات عن الآلام، ومن مات بقلبه عن أصحابه فقد مات عنه المحتال. ومن وجد الحسد فقد وجد معه الشيطان الذي أوجده منذ القدم. جماعة المتواضعين محبوبين عند الله تعالى كجماعة السيرافيم. الجسد العفيف كريم عند الله – تقدس اسمه – أكثر من الضحية الطاهرة، وذلك أن الاتضاع والعفة هما ضامنا النفس بحلول الثالوث القدوس فيها. خف من العادات أكثر من الأعداء. من يربي عنده عادة هو كإنسان يربي نارا بكثرة الوقيد، وذلك أن قوة كليهما تتقوم بالمادة، أما العادة فإذا طلبت ما يخصها مرةً ولم تستجب طلبتها فإنك تجدها في وقت آخر ضعيفة، وإن أنت استجبت لها مرةً تتقوى عليك في المرة التالية أكثر مما سلف.

"لا تكن صديقًا لمحب الضحك والذي يؤثر أن يهتك الناس، لأنه يقودك إلى اعتياد الاسترخاء. لا تظهر بشاشةً في وجه المنحلّ في سيرته وتحفّظ من أن تبغضه. عبس وجهك لدى من يبتدئ أن يقع في أخيه قدامك، فإنك إن فعلت ذلك تكون متحفظًا عند الله تعالى وعنده. صديق ليس بحكيم كسراج في شمس. صلاة الحقود كبذار على صفَا. ناسك غير رحيم كشجرة بلا ثمر. ردع صادر عن حسد كسهم مسموم. مشير أحمق كضرير مرشد. تفتت في القلب يتأتى من مجالسة غير الحكماء. فخ مخفى هو المديح الغاش. ينبوع عذب هو محادثة الفضلاء. مشير حكيم كسور من الرجاء. صديق جاهل هو ذخيرة خسارة. أن تشاهد النادبات في م ل البكاء أفضل من أن ترى حكيما تابعا لأحمق.

"جالِس الضباع ولا تجالِس الشرِه الذي لا يكتفي. تحدث مع الخنازير ذات الحمأة أفضل من الأكولين (أي محبي الأكل). جالس ا ذّمين ولا تجالس المتعظمين. كُن مطرودا لا طاردا. انظلم (أي كُن مظلوما) ولا تظلِم. ابسط سربالك على المذنب واستره إن كنت لا تقدر أن تحمل أوزاره وتضعها على نفسك أو أن تقبل الأدب وتجشم المتاعب

بسببه. لا تماحك أو تخاصم من أجل البطن، ولا تبغض من أجل أن تكرم. ولا تحب الرئاسة. التمس فهما لا ذهبا. البس الاتضاع ولا الأرجوان. اقتنِ سلاما لا ملكًا"[٢٠٦].

وقال أيضا: "إذا أردت أن تعرف رجل الله فاستدل عليه من دوام سكوته ومن بكائه ومن انقباض نفسه إلى ذاته. وإن أردت أن تعرف الرجل السايب القلب فاستدل عليه من كثرة كلامه ومن اضطراب حواسه ومن مقاومته لكل شيء، إذ يتكلم ويريد أن يغلب"[٢٠٧].

من أقوال مار إسحق: "بر المسيح عتقنا من بر العدالة، والإيمان باسمه يخلّصنا بالنعمة مجانا بالتوبة. لا تثبت مع أي فكر ولو كان حقيرا لئلاّ تتأسس فيك عاداته ويجعلك اضطرار العادة عبدا لهذا الوجع. المتوحد الذي يخدم الأوجاع هو تلميذٌ لها، واضطرار عادة معلمه هذا (أي العادة) تغصبه ليكون مثل معلمه بدون إرادته حسب الكلمة السيدية: «كل من يفعل الخطية هو عبد للخطية» (يو٨: ٣٤). كل ملك ولو كان حقيرا فهو فاتك في بلده وقوي، وكل وجع ولو كان صغيرا ففي بلده (أي موضعه) يظهر سلطانه. العادات تشجع الأوجاع، والأعمال تؤسس الفضيلة. سلاح الأوجاع والفضائل هو تغيير العادات والطباع. العادات تطالب بما يقدم لها، وهي أربطة (قيود) للنفس تقيدها بسهولة، ولكنها بصعوبة تنفك منها".

"الأوجاع والفضائل التي لم تتأسس مدة من الزمان بالاعتياد هي كالشجاع ا ـرد من سلاحه. العادات التي عتقت في الإنسان تكمل له طباعه. لا تدع عادة تتأسس فيك وتظل تردد الأفكار دون أن تقومها لئلاّ تتجدد فيك الأوجاع التي كانت قد هدأت قليلاً. كل عادة إذا استسلمت لها باختيارك تجد أ ا في النهاية هي السيدة التي تسير خلفها مضطرا بغير اختيارك. الهذيذ في أمور كثيرة هو غذاءٌ للنفس إن كان صالحًا أو طالحًا أو ممتزجا من هذا وذاك. الهذيذ في الواحد هو الانحلال من الكل، والانحلال من الكل هو الارتباط بالواحد. الطبع المخلوق الذي يميل بسهولة، إذا أبطل العمل اليميني لا يثبت هادئًا بل يرجع إلى الأعمال اليسارية. البطّال من الاهتمام بالفضيلة والسير بموجبها ففي تخيلات الخطية يهذّ. الذي لا يريد أن يتمم أعمال البر يضطر إلى إتمام أفعال الإثم"[٢٠٨].

وقال أيضا: "الإنسان الذي يغصب ذاته دائما ليتدبر بمقتضى حكم النية (أو الضمير) لا يخطئ بلا توبة. الذي يهذّ في ضميره دائما في الصالحات لا ينظر نقائص

(٢٠٦) س ٤ ص ١٥٨. (٢٠٧) س ٤ ورقة ١٥٨. (٢٠٨) س ٤ ص ١٦٢.

قريبه. الذي يعود لسانه أن يتكلم بالصالحات على الأخيار والأشرار يملك السلام سريعا في قلبه. الذي يمتد بمراحمه على الصالحين والأشرار بالشفقة بدون تمييز قد تشبه بالله. الذي يبغض صورة الله لا يمكن أن يكون محبوبا من الله. الذي يغلب دائما مشيئته هو مجاهد نشيط والنعمة تعمل فيه بزيادة. الذي تلومه نيته (أو ضميره) أكثر من مرة ولا يقوم عاداته ترفَع منه النعمة ويترك في التجارب فيتبهدل.

"الذي شعر بالراحة التي تتأتى من محقرة الذات أخير من الذي حصل على تكريم من تاج المملكة. الذي ضربه حب المديح والكرامة من الناس ليس لجرحه شفاء، وإذا قوم كثيرين بأعماله ففي العالم العتيد تكون تدابير سيرته مبكتة له في عذاب الجحيم. الذي تكون سيرته منحلّة في كل وقت، يكون ضميره بعيدا عن الله. والذي لا يكون قلبه منسحقًا وحزينا أمام الله لا يعتق من الطياشة. والذي لا ينشق قلبه بالتحسر والتنهد هو خال من صلاة الدموع. الذي يكون معدما من القراءة هو سائر في التيه لأنه إذا أخطأ لا يشعر. الذي يمزج قراءته بالتدابير والصلاة يعتق من الطياشة.

"الذي إذا زلّ وأخطأ ويعرف سبب مرضه فبسهولة يشفَى بالتوبة. الذي يصوم فمه من الطعام ولا يصوم قلبه من الحقد ولسانه من الأباطيل فصومه باطل، لأن صوم اللسان أخير من صوم الفم، وصوم القلب أخير من صوم الاثنين. قوة الجسد في المأكولات وغذاء النفس في الكلام والحكايات، وكما أن الشره إلى كثرة الحكايات هو رغبة النفس؛ هكذا السكوت فهو ثمرة الحكمة المزمعة. الذي يزيل من ضميره هفوات قريبه يزرع السلام في قلبه. الساذج الحكيم بالله أخير من الفهيم الغاش بضميره. الذي استعبد بطنه ولسانه أخير من الذي استعبد الأسد، والذي أقمع الكلمة في قلبه أخير من الذي طمر وزنته في الأرض. الإنسان المجرد من الصلاح ويجادل بخصوص الفضائل لا فرق بينه وبين الأعمى المجرد من النور ويجادل بخصوص الحجارة الكريمة والألوان الكثيرة.

"الذي يماحك قبالة التأديب يبعد عنه المراحم الأبوية. الذي يتذمر مقابل التجارب تتضاعف عليه. الذي لا يتأدب ههنا وينسحق بالتجارب يتعذب هناك بلا رحمة. المجرد من الأصدقاء الخصوصيين هو أيضا مجرد من الضنك. الذي يصالح ذاته أخير من الذي يصالح شعوبا منقسمة وهو غاضب ومنقسم على ذاته. كما أنه لا يمكن أن نتعلم الصنائع من حكمة الكلام؛ هكذا لا يمكن أن نتعلم فضائل السيرة من قراءة الكتب وحدة الحركات ودقة الفهم

بدون تجربة طويلة بأنفسنا نحتمل فيها فلاحة الأعمال. الأبله الذي يتقن صناعة بعد تجربة أخير من العارف الذي يتعلم سيرة الروح من الكتب وتسليم آخرين بدون تجربة محكمة بنفسه. الذي يعمل بالتوبة وينجح في النسك بكل الأعمال وأنواع الفضائل ويتكل على بره لا على النعمة، لا فرق بينه وبين الذي يجمع حجارة لثغرته.

"ثمة إنسان أبعده صومه عن الحق وآخر أبعده نسكه وآخر تجرده وآخر سهره وآخر عمله وآخر صدوقيته (تصدقه) وآخر احتماله وآخر كمال أعماله الإلهية. وكم نريد أن نقول؟ لأن ربنا جزم بالقول: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا» (يو١٥: ٥)، أي بالهدوء وتواضع القلب اللذان هما غلبت العالم"(٢٠٩).

من أقوال الأب الروحاني
المعروف بالشيخ "يوحنا سابا"

قال الشيخ الروحاني: "كل وقت تبصر في التاورية شبه مركبة من نار فاعلم أنّ هذا فخ خداع الشيطان الذي يريد أن يصطادك به للهلاك. وإن كان يظهر أمامك بشبه قرص أو كوكب أو قوس قزح الذي يرى في السحاب، أو شبه كرسي أو مركبة أو خيل من نار ... هذه كلها من طغيان الشياطين. وأقول باختصار إنّ كل شيء مثل هذا تراه خارجا عنك هو طغيان من الشياطين. أما منظر التاوريا فهو بسيط وليس فيه شبه تركيب.

"وشرحنا هذا ليس جزافًا، بل حتى لا تخفى عنك معرقلات الخبيث العطشان إلى هلاك الناس. ولا تشتاق أنت أيها السامع إلى أمور جليلة تعلو قدرك قبل أن توجب النعمة لك ذلك، ولا تشتهِ الصعود في سلم المناظر المنصوبة للسقوط والقيام، لئلاّ عندما تطلبها قبل الأوان تصير من الساقطين وأضحوكةً للشياطين"(٢١٠).

من تعاليم الشيخ الروحاني للمبتدئين

هذا هو الترتيب العفيف المحبوب عند الرب: ألاّ تنظر عين الإنسان إلى هنا وهناك، بل يكون نظره إلى قدامه فقط. ولا يتكلم كلاما زائدا، بل ما هو ضروري فقط. ويستعمل اللباس الحقير لحاجة الجسد الضرورية، والطعام لقوام الجسد بدون شهوة، ويأكل من

(٢٠٩) س ٤ ورقة ١٦٢.
(٢١٠) س ٤ ورقة ١١٧.

الأطعمة بالنقص (أي دون ملء البطن). ولا يرذل شيئًا، ولا يملأ بطنه مما يهواه لأنّ الإفراز هو أفضل من كل الفضائل. ولا يشرب خمرا ما خلا مع آخرين أو لعلّة ضعف أو مرض. ولا يقاطع الذي يتكلم ليتكلم هو مثل غير المتأدب، بل يصبر مثل حكيم.

وكل موضع يصادفه يكون هو الصغير والخادم لإخوته، ولا يكشف أي عضو من جسده قدام إنسان، ولا يدنو من جسد إنسان بغير علّة. ولا يسمح لإنسان أن يتقدم إلى جسده بغير ضرورة، وليحذر من الدالة كمن يحذر من الموت، ويقتني لمرقده ترتيبا عفيفًا حتى لا تبعد منه القوة التي تحرسه. وإذا نام لا يبصره إنسان إن كان يستطيع، ولا يطرح بصاقًا قدام إنسان، وإن أتاه سعال وهو على المائدة فليرد وجهه عنها ثم يسعل. وليأكل ويشرب بعفة كما ينبغي على أبناء الله، ولا يمد يده قدام رفيقه بوقاحة. وإن جلس معه غريب فليغصبه مرتين أو ثلاثة أن يأكل، وبالهدوء يأخذ ويضع على المائدة ولا يتهاون. وإذا تناول فليغط فمه لئلاّ ينظره أحد. وتكون ثيابه ورجلاه مرتبة على المائدة.

وإذا دخل قلاية معلمه أو تلميذ معلمه أو صديقه فبالحذر يمسك نفسه لئلاّ يبصر أو يميز ما فيها. وإن كان يغصب من صاحبها للنظر إلى شيء فلا يطاوعه، فمن جسر على ذلك فهو غريب عن شكل الرهبان وعن المسيح معطيه. ولا يبصر الموضع الذي فيه آنية صديقه، وبالرفق يفتح بابه ويغلقه وباب غيره أيضا دون أن يسمع صوته، ولا يستعجل في مشيه بدون علّة ضرورية، ويكون مستعدا لكل عمل ومطيع.

ولا يلتصق بالمرتبط بأشياء أو بدرهم أو بأمور علمانية لئلاّ يكون عبدا للشيطان. وبالليونة يتكلم مع كل إنسان، وبالعفة ينظر في كل إنسان، ولا يملأ عينيه من وجه إنسان. وإذا ذهب في طريق فلا يسبق من هو أكبر منه، وإذا انفصل عنه رفيقه لأي سبب فليبعد عنه قليلاً ويقف له حتى يأتي، ومن لا يفعل ذلك هو جاهل. وإن اتفق أن التقى رفيقه بأناس وتكلم معهم فلينتظره ولا يستعجله.

ومن هو قوي فليقل للضعيف قبل الوقت: هلم نأكل. ولا يبكت إنسانا على جهالته بل يجعل نفسه مخطئًا عن الجميع. ويختار كل عمل حقير ويعمله باتضاع. وإذا ضحك فلا يكشف أسنانه، وإذا اضطر إلى الكلام مع النساء فليرد وجهه عن النظر إليهن، وليفر من لقاء الراهبات وأنسهن والنظر إليهن كما من فخ الشيطان لئلاّ يتسخ بحمأة الأوجاع النجسة، وإن كن أخواته بالطبيعة فليحفظ نفسه منهن في كل شيء مثل الغرباء،

وليحذر من المخالطة مع أقربائه وبني جنسه لئلاّ يبرد قلبه من محبة الله، وليبتعد عن مرافقة الشبان والدالّة معهم كما يبتعد من محبة الشرير. وليكن له واحد كابن لسـره وأنسـه وشريك له ممن يخاف الله وهادئ مع نفسه ومسكين في مسكنه وغني بأسرار الله. ويحفظ أسراره وتدابيره من كل بشر، ولا يكشف أعماله وحروبه.

وعندما يذهب لقضاء الحاجة فليكن ذلك بعفّة كمن يستحي من الملاك الحافظ لـه. وليستعمل كل هذه بمخافة الله، ويغصب نفسه على ذلك حتى ولو لم يشـأ القلـب. والأصلح له أن يأكل سم الموت ولا يأكل مع امرأة ولو كانت أمه أو أخته. وأصلح له أن يسكن مع تنين من أن يتغطّى مع آخر بغطاء واحد ولو كان أخوه. ولا يلاجـج في شيء. ولا يكذب ولا يحلف باسم الله. يهان ولا يهين. يظلَم ولا يظلِم، لأن الأصلح أن يهلك ما للجسد مع الجسد ولا يعجز واحدة مما للنفس. ولا يتكلم بطريقة قاطعة مـع إنسان، بل يحتمل وهو مزكّى أن يدان مثل السقيم. ولا يحب نفسه في شيء ممـا لهـذا العالم، وليطع الرؤساء وليبعد عن مخالطتهم.

أيها الشره محب بطنه، أخير لك أن تجعل في بطنك جمر نار، إن كان ممكنا، ولا أطبخـة الرؤساء. ولتكن رحمة الراهب على كل إنسان وهو بعيد ومتفرغ من كل إنسان. وليحذر من كثرة الكلام لأنه يطفئ من القلب الحركات النورانية المتحركة بالله. وليفر من الدالـة مـع الأخصاء والغرباء كما من سبع ضار. ولا يعبر بجوار الغضوبين والمتخاصمين لئلاّ يمتلئ قلبـه غضبا وتملك في قلبه ظلمة الضلال. ولا يسكن مع المفتخرين لئلاّ يرتفع من نفسه عمل الروح القدس ويكون مسكنا لكل الأوجاع الشريرة. هذه التحذيرات كلها إن حفظتها أيها الإنسان كل حين واستأنست بالهذيذ في الله؛ فإنك بالحقيقة في قليل من الزمان ترى في نفسك نـور المسيح ولا تعمى إلى الأبد، الذي له المجد من محبيه إلى الأبد آمين(٢١١).

وقال أيضا: "الذي يحترس بلسانه لا يسلَب كنزه منه إلى الأبد. فم الساكت يترجم أسرار الله، ومن يتكلم بسرعة يبعِد منه خالقه. من يهين ذاته ويرذلها يتحكم من الله. ومن يحسـب نفسه حكيما ترتفع منه حكمة الخالق. المسكين من متاع العالم يغتني بالله، وصديق الأغنيـاء يفتقر مما للرب. الذي يداوم على كلام اللعب (النكات والهزار) ويفرج عن نفسه هـو زاني، ومن يستأنس معه هو فاسق. المحبة الخاصة للصبيان زنى سمج أمام الرب. شاب يصاحب شاب

(٢١١) س ٤ ص ١٤٠.

فليبكِ عليهما المفروزون. والذي يحب صحبة الصبيان اعرف أن أوجاعه أكثر نجاسةً من الصبيان النجسين، وحتى إذا كلمهم بالأعاجيب فإن قلبه في الحمأة غارق. يا أخي، كن ميتا للعالم فتكون حيا لمحيي العالمين، الذي له المجد"[٢١٢].

وقال أيضا مما سمع من الشيوخ: قال واحد منهم: "لي أيام كثيرة يظهر لي أن استعمال الأطعمة يعتبر أمرا زائدا عن الحاجة، لأن حسن ربي يكمل لي حاجتي ويجعلني أنساها". **وقال أيضا:** "محبة المسيح ربي غربتني عن البشر والبشريات". **وقال آخر:** "في خدمتي وصلاتي لا أعرف تعبا لأنها ليست فيها حركة هواي، بل إنني أنصت فقط للروح في وأتلذذ، وهذا هو ما قيل عنه إنّ الروح يصلي فينا". **وقال شيخ آخر:** "إن كان لسانك كثير الحركة فإنّ قلبك يكون منطفئًا من الحركات الطاهرة. فطوباك إن حركته بالروح، لأنه إلى هدوء الحياة يرفعك. **سكت لسانك ليتكلم قلبك، سكت قلبك ليتكلم فيه الروح**".

وقال آخر: "جاهلٌ هو من يوجد في فكره شيء من العالم ما خلا ما يخصه من الميراث أعني القبر وحده". وقال أيضا: "إن كنت بالمسيح قد ولدت فكل واحد هو أخوك، وإن كان الأمر كذلك فلا تحب نفسك في شيء أكثر من أخيك". **وقال أيضا:** "إن كانت شهوتك دنيوية فهذه توجد أيضا عند الكلاب والخنازير، أي شهوة البطن والزنى. وإن كانت شهوتك هي في الله فهذه هي أيضا عند الملائكة"! وقال أيضا: "الراهب الذي يحتفظ بأكثر من طعام قليل فهذا هوى شيطاني لأنه يحتفظ بذخيرة بغير حاجة. فالصديق يطرح همّه على الرب بخصوص ذلك دون أن يشفق على نفسه، فيجد يد الرب مفتوحة وممتلئة قدامه فيأخذ ويعطي بدون تفكير (أي دون أن يعنى الهم). من يحتفظ بشيء زائد ولا ينيح به المحتاجين، فهذا هو من الشيطان المنافق. والذي يفرق ماله للمحتاجين فهو حكيم بحق، ولذلك فإنّ يده الفارغة تمتلئ كل ساعة، فلأنه أعطى يأخذ أيضا. من ينيح آخر في ضيقته فهو أيضا في ضيقاته تنبسط له الحياة".

وقال أيضا: "الاتضاع هو أرض حاملة للفضائل، فإذا انعدمت تهلك الفضائل بكاملها". **وقال أيضا:** "كما أن حمار المسكين لكونه لا يجد قوتا للشبع يذلّ ويضعف، وأيضا تنطفئ منه شهوة الجماع، وإذا ركبه صاحبه تذلّ أفكاره ويتضع بسبب ضعف مركوبه؛ هكذا الراهب إن كان يقمع جسده وينقِص من القوت ونعومة الملابس تنطفئ الشهوة الدنيوية من

---

(٢١٢) س ٤ ص ١٤١.

جسده، وتتضع نفسه وتمتنع عن الافتخار، فلا يوجد شفاء لوجع المفتخر، لأنه كلما تعـالى بأفكاره هكذا ترقّع معرفة الله من نفسه، وإلى عمق الظلمة يهبط"(٢١٣).

من أقوال
القديس أناسطاسيوس السينائي

قال القديس أناسطاسيوس: "لا تكن ديانا لأخيك لكي تؤهل للغفران، فعساك تراه آثمًا خاطئًا لكنك لا تعلم آخرته وكيف يفارق العالم. فاللص الذي صلِب مع يسـوع كان قاتلاً للناس وسافكًا للدماء، ويهوذا كان رسولاً وتلميذًا للمسيح ومن الأخصـاء لأنّ الصندوق كان معه؛ إلاّ أ ما في وقت قصير تغيرا، فاللص دخل الفردوس والتلميـذ شنق نفسه وهلك"(٢١٤).

وقال أيضا: "إنّ أخا من الرهبان كان يعيش بتوان كثير، ثم اضطجع للموت. ولمـا بلغ إلى النفس الأخير لم يجزع من الموت البتة، ولكن نفسه كانت بكل فرح وسرور عند انتقاله. وكان الآباء جالسين حوله، لأنه كان في نظام الدير أن يجتمع الرهبان جميعا عند الأخ وقت نزاع الموت ليشاهدوه. فقال أحد الشيوخ لهذا الأخ: 'نحن نعلم، يا أخانـا، أنك قضيت عمرك بكل توان فمن أين لك هذا الفرح والسرور وعدم الهـم في هـذه الساعة؟ فبقوة الله ربنا تقو واجلس واخبرنا بأمرك لنعرف كلنا عظـائم الله'. فللوقـت تقوى الأخ وجلس وقال: 'نعم، يا آ اتي المكرمين، أنا قضيت عمري كلـه بـالتواني، والآن في هذه الساعة أحضر الملائكة كتاب أعمالي منذ أن ترهبت وقالوا لي: أتعـرف هذا؟ قلت: نعم هو عملي وأنا أعرفه، ولكنني منذ أن صرت راهبا ما دنت أحدا مـن الناس قط ولم أنمّ على أحد ولا رقدت وفي قلبي حقد على أحد، ولا غضبت البتة. وأنا أرجو أن يتم في قول الرب يسوع المسيح: «لا تدينوا فلا تدانوا ..اِغفروا يغفَر لكـم» (لو٦: ٣٧). فلما قلت ذلك تمزق للوقت صك خطاياي بسبب هذه الوصية الصغيرة'!

ولما فرغ من هذا الكلام للوقت سلّم الروح، وانتفع الإخوة بذلك وسبحوا الله"(٢١٥).

من كلام القديس أناسطاسيوس: "ليس كل صانع آيات قديس، فقد تجد كـثيرين يجرون آيات وتتلاعب م الشياطين. لأننا علمنـا بحـال أسـقف هرطـوقي اسمـه

(٢١٣) س ٤ ورقة ١٤١. (٢١٤) س ٤ ورقة ٧٨. (٢١٥) س ٥ ورقة ٨٥.

"مقدونيوس" محارب الروح القدس. فقد نقل شجرة زيتون من موضعها وغرسها في موضع آخر بطريقة تشبه الصلاة. كما أن رجلاً كان قد ظلم أرملةً بخصوص دين كان له على زوجها وأضاف عليه مبلغا آخر ولم يكن زوجها قد دِفن بعد، فجعل هذا الأسقف الميت يتكلم وذكر مقدار الدين. ولما مات هذا الأسقف الهرطوقي ظهرت عند قبره خيالات كثيرة وأجرت آيات. فلذلك يجب ألاّ نعتبر أنّ كل من يجري آيات قديسا، بل يجب أن يمتحن أولاً ويختبر حسب القول: «لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله، لأنّ أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم» (١يو٤: ١). والرسول يقول: «مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح. ولا عجب، لأنّ الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيما إن كان خدامه أيضا يغيرون شكلهم كخدام للبر» (٢كو١١: ١٣-١٥)، لأنّ الشياطين الأنجاس بواسطة الأنبياء الكذبة يصنعون آيات وأشفية جسدية ليخدعوا من كان سهل الانقياد لخداعهم.

"وقد يظهرون أحيانا إنسانا ميتا قائما بواسطة صلاة بطّالة من إنسان مضلّ، فيدخل إبليس في جسد الميت ويحركه ويخاطب الأحياء بواسطة الميت، ويجيب الإنسان المخدوع عما يسأله ويخبر عن أمور خفية وعما فعله قوم سرا، حتى إذا وثق في صدقه يظهر الضلال الذي يخصه. كما أنّ الشياطين يخمنوا بخصوص خصب الأرض وجدبها واختلاف الأهوية والأمطار وما شاكل ذلك. كما أنهم يفهمون آراء الناس من إشارات وحركات يرونها في الإنسان، أو يتصيدون ذلك من وجوه أخرى. وليس ذلك فحسب، بل إنهم يسبقون وينذروا بموت بعض الناس، لأنّ العناية الإلهية وضعت علامات في أجساد البشر كما يعرف ذلك الذين حذقوا في صناعة الطب، إذ يستدلون على موت الناس من علامات تظهر فيهم مثل زيادة الإفرازات ونقص الدم وتغيير المزاج وغير ذلك. ولا سيما لأنّ الشياطين أرواح خفيفة، ولطول أعمارهم وكثرة خبرتهم، فالنساء العرافات والمنجمون يخبرون بما تحكم به الشياطين، ليس عن سابق علم بل عن تجربة وخبرة، وهذا ليس بالأمر العجيب.

"وقد عرفنا قوما سحرة مشعوذين أجروا آيات مختلفة من فعل الشياطين مثل "ينيس" و"يمبريس" ممن كانوا في أيام موسى النبي، فقد حولوا عصيهم إلى حيات والمياه إلى دم، وأصعدوا من المياه ضفادع كثيرة. وأيضا سيمون الساحر في أيام الرسل، كم أجرى من

الآيات العجيبة: فقد حرك أصناما وجعلها تمشي، وانطرح في النار ولم يحترق، وطار في الهواء، وحول الحجارة إلى خبز، وتحول إلى حية، وتشكّل بهيئة حيوانات أخرى، وفتح أبوابا محكمة، وفك قيودا وحلّ حديدا، وأظهر أشكالاً كثيرة على الموائد، وجعل أوعية البيت تتحرك دون أن يرى من يحركها، وجعل ظلا يتقدمه زاعما أنها أرواح الذين ماتوا. وأراد سحرة كثيرون أن يفضحوه، فغير شكله ثم ذبح ثورا وأطعمهم بحجة وجود وليمة، فحلّت بهم أسقام كثيرة وبغتتهم شياطين شرسة. ولما طلبه الملك أخيرا فزع منه وهرب وألقى بشكله على غيره"[٢١٦].

من أقوال
القديس الأب دتينوس

قيل عن الأب دتينوس إنه كان يبسط يديه بسرعة حين يقوم للصلاة، وكان عقله يختطَف إلى فوق. فإذا اتفق أن صلّى معه إخوة كان يحرص ألاّ يرفع يديه لئلاّ يختطَف عقله[٢١٧].

وسأله أخ مرةً قائلاً: "كيف أحفظ قلبي"؟ فقال له: "لا يمكنك أن تحفظ قلبك ما دام فمك وبطنك مفتوحين"[٢١٨].

من أقوال
القديس سمعان العمودي

قال القديس سمعان العمودي: "إن كانت حمى الجسد تمنعه أن يعمل أعماله الجسدانية؛ فهكذا مرض النفس بالخطية يمنعها من أعمال الحياة الروحانية. إنّ الله يريد من النفس أن تحبه وتطلبه بحرص، فإذا أحبته وطلبته بكل قوتها حينئذ يسكن فيها ويملك على أفكارها ويهديها إلى ما يريده لها"[٢١٩].

ومن أقواله أيضا: "كما أن الجسد إذا فقد أصغر أعضائه كان ذلك نقصا له؛ هكذا النفس إذا عجزت عن أصغر أجزاء الفضيلة كان ذلك نقصا لها. وكما أنّ الإنسان إذا مشى كثيرا نحو مدينة ونقص ميلاً واحدا أضاع كل تعبه ولم يدخلها؛ هكذا الراهب إذا

(٢١٦) س ٥ ورقة ١٥٨. (٢١٧) س ٤ ص ١٢٨. (٢١٨) المرجع السابق. (٢١٩) س ٤ ورقة ١٠١.

لم يجاهد إلى النفس الأخير فلا يدرك مدينة الأطهار. وكما أنّ الإنسان إذا نقصت منه آلة واحدة لا يقدر أن يكمل الصناعة اللازمة لها تلك الآلة؛ هكذا الراهب إذا عدم وصية واحدة لا يقدر أن يكمل سيرته. فلا يكفيه أن يمنع جسده من الزنى وحده، بل وأن يضبط فكره ونظره وشهوة قلبه. كذلك لا يكفيه أن يمسك بطنه من الأكل وحده، بل وأن يضبط لسانه من الكذب والنميمة والشتيمة والتعيير والدينونة والمزاح والمماحكة، وبالجملة من كل كلام بطّال. وعليه أن يعلم جميع أعضائه الخضوع لإرادة الله، ليس أعضاء جسده الخارجي فحسب؛ بل أيضا أعضاء إنسانه الداخلي. وكما أنّ الجسد يهلك إذا ألقى فيه أحد الوحوش سمه؛ هكذا النفس أيضا تهلك إذا ألقى فيها أحد الأرواح الخبيثة فكره"(٢٢٠).

وقال أيضا: "الكلام الروحاني يغذّي النفس ويحييها كما أنّ الخبز يغذّي الجسد ويحييه. وهو نور للعينين وسراج للقدمين، ويشفي من أمراض الخطية، وكل من لا يعمل بكلام الناموس فقد احتقر واضع الناموس. ولا يكفي استماع الناموس والتكلم به دون العمل بما قيل فيه. فكما نؤمن أن الله رحيم نؤمن أيضا أنه صادق، وأنه عادل فيجازي كل واحد كعمله. له المجد"(٢٢١).

وقال أيضا: "لتكن أسماء الإخوة حلوة في فمك، ومناظرهم جميلة محبوبة في عينيك، وخدمتهم سهلة متيسرة في يديك. اعمل برغبة واتضاع وبدون حسد ولا بخل، ولا تنحلّ في الشدائد لكي تكون مرضيا لله، عالمًا أنه لو أراد لرفع عنك الشدة، وأنه إذا لم يرفعها عنك فهو إنما يريد منفعتك، فاشكره في كل حال. كما أن الذهب لا يمكن أن يعمل منه إناء مختار للملك بدون سبك وصياغة، والشمع لا يقبل الانطباع بالصورة الملكية بدون تليين، هكذا النفس لا تصلح لأن تنقَش فيها صورة المسيح الملك بدون أدب كثير ظاهر وباطن ورياضة وافرة ومحن شديدة"(٢٢٢).

من رسالة القديس سمعان: "جميع المناظر التي يمكن أن يبينها الناس في الأجسام إنما هي من تخيل أفكار النفس وليست من أفعال النعمة، لأنّ هذا الأمر يتبع الرهبان الذين يبحثون بعمق والمحبو المعرفة والجانحون إلى الكبرياء والأبهة، المتمسكون بالتوافه والمراءون"(٢٢٣).

وقال أيضا: "مثل إنسان فقير يتكلم عن غِنى ليس له، ويحسب مال قوم آخرين،

(٢٢٠) س ٤ ورقة ١٠٥. (٢٢١) س ٤ ص ١٠٦. (٢٢٢) المرجع السابق. (٢٢٣) س ٤ ورقة ١١٦.

وهو نفسه ليس له شيء، بل تجده عريانا معوزا فقيرا؛ هكذا الذي لم يقتن في نفسه شيئًا من غنى المسيح وهو مرافق لأناس قديسين، وتجده عريانا من مشاركة الروح، ولا يربح شيئًا من غِنى القديسين، لأنه يشاركهم في المسكن دون أن يشاركهم في الفضيلة"[٢٢٤].

القديس الأب تادرس الرهاوي

قيل عن الأب تادرس الرهاوي: كان بتلك النواحي (الرها) حبيس قديم، وذهب إليه القديس تادرس الأسقف وطلب منه أن يعرفه بسيرته من أجل الرب. فتنفس الحبيس الصعداء من صميم قلبه وذُرفت دموعه وقال:

"أنا أخبرك عن سيرتي، ولكن لا تشهرها لأحد إلاّ بعد افتقادي: اعلم أيها الأب أنني خدمت بدير ثلاث سنوات مع أخ لي أكبر مني. وبعد ذلك جئنا إلى البرية المتاخمة لبابل القديمة (في العراق الآن)، وسكنا في مغاير لم تبعد عن بعضها كثيرا. وكنا نتغذّى على الحشائش التي تنبت من ذا ا من السبت إلى السبت. وعندما نخرج لنجمع الحشائش لغذائنا كان يتراءى مع كل واحد منا ملاك يحفظه. ولم يكن أحد منا يخاطب الآخر أو يقترب منه.

"وفي أحد الأيام رأيت أخي من بعد وهو يقفز كأنه من فخ وهرب إلى قلايته. فتعجبت من قفزته وذهبت إلى ذلك الموضع لأتحقق الأمر، فوجدت ذهبا كثيرا، فأخذته وذهبت إلى المدينة، وابتعت موضعا حسنا محاطًا بسور وبداخله ماء نقي، وبنيت فيه كنيسة، وعمرت موضعا لضيافة الغرباء، وابتعت له مواضع تدر عليه ريعا، وأقمت عليه رجلاً خبيرا بتدبيره، وتصدقت بباقي المال على المساكين ولم أُبق لنفسي دينارا واحدا. ثم عدت إلى قلايتي وفكري يوسوس لي بأن أخي من فشله لم يقدر أن يدبر ما وجده من المال، وأنني أنا تدبرت جيدا!

"وبينما أنا أفكر في ذلك وقد اقتربت من قلايتي، رأيت ذلك الملاك الذي كان قبلاً يفرحني وقد نظر إلي نظرةً مفزعةً وقال: 'لماذا تتعجرف باطلاً؟ إن كل تعبك الذي شغلت نفسك به كل هذه الأيام لا يساوي تلك القفزة الواحدة التي قفزها أخوك، لأنه لما عبر على مطمورة الذهب عبر تلك الهوة الفاصلة بين الغني ولعازر، وبلغ سكنه في

(٢٢٤) س ٤ ص ١٢٣.

الأحضان الإبراهيمية، ولذلك فإنه ليس بينك وبينه قياس، وقد سبقك كثيرا جدا، ولذلك فلم تصر أهلاً لأن ترى وجهه أو تحظى بتعاملي معك بعد'! ثم غاب عن عيني.

"فذهبت إلى مغارة أخي ولم أجده فيها، فرفعت صوتي باكيا حتى لم يتبق في موضع للبكاء. وظللت أطوف في تلك البرية مدة سبعة أيام باكيا فلم أجد أخي ولا وجدت عزاءً! فتركت ذلك الموضع نادبا وجئت إلى هنا. وأقمت في هذا العمود مدة تسع وأربعون سنة محاربا أفكارا كثيرة وشياطين ليست بقليلة. وحلّت على قلبي غمة مظلمة وحزن لا يصاحبه أي عزاء.

"وفي السنة الخمسين في صباح يوم أحد أشرق على قلبي نور حلو وقشع عني غمام الألم، وظللت مبتهلاً بقلب خاشع متنديا بدموع معزية. ولما انقضت الساعة الثالثة من النهار بينما كنت مصلّيا قال لي الملاك: 'السلام لك من الرب والخلاص'! فتعزى قلبي"[٢٢٥].

من أقوال
القديس يوحنا السرياني (أو الفارسي)

قيل عن الأب يوحنا السرياني إنّ أناسا أشرارا خبثاء جاءوا إليه، فأخذ ماءً في طشت وغسل أقدامهم، فاحتشموا من إكرامه لهم وتابوا[٢٢٦].

وقيل عنه أيضا إنه كان خاليا من الشر بالكلية، فقد أدت محبته الشديدة إلى براءة قلب عميقة. وكان يقيم في إحدى البراري المصرية. ومرةً اقترض دينارا من أحد الإخوة وابتاع به كتانا لعمل يديه. ثم طلب منه أحد الإخوة أن يعطيه من الكتان ليصنع به عباءةً، فأعطاه بفرح، وطلب منه آخر أيضا فأعطاه بسرور، وأخيرا جاء إليه صاحب الدينار، فقال له الشيخ: "سأهتم بإعادته لك". ثم ذهب إلى الأب يعقوب المسئول عن الدياكونية ليعطيه دينارا ليدفعه للأخ، فوجد في طريقه دينارا على الأرض، فلم يأخذه بل قدم صلاةً وعاد إلى قلايته.

ثم عاد إليه الأخ ليطالبه بالدينار وأزعجه، فقال له الشيخ: "سأحضره لك". ولما ذهب وجد الدينار مطروحا في مكانه، فقدم صلاةً وأخذه وجاء به إلى الأب يعقوب قائلاً: "بينما كنت آتيا إليك وجدت هذا الدينار ملقى على الأرض، فاصنع محبةً واعلن

---

(٢٢٥) س ٤ ص ٧٧.

(٢٢٦) س ٤ ص ٨٦؛ Apoph., John the Persian, 3; An., 1496

في الجبل كله لئلاّ يكون قد سقط من أحد الإخوة". فنادى في الجبل كله ولم يوجد أحد ضاع منه دينار. ثم قال الشيخ للأب يعقوب: "إنني مديون لفلان الأخ بدينار، فاعطني إياه لأنني كنت آتيا إليك لأتصدق منك بدينار وأعطيه له". فتعجب الأب يعقوب من أنه كان مديونا ووجد الدينار ولم يأخذه ليوفي دينه!

وكان كل من يأتي طالبا شيئًا يعطيه، وما كان يعطي بيده بل يقول للسائل: "أدخل أنت وخذ ما أردت"! وإذا أرجع أحد إليه شيئًا كان يقول له: "ضعه حيثما أخذته". ومن لا يرد له حاجته لم يكن يطالبه(٢٢٧)!

وقيل إن صبيا به شيطان جاء إليه مرةً لكي يشفَى، كما أن إخوة من أحد الأديرة المصرية جاءوا إليه حينئذ. ولما خرج الشيخ ليقابلهم رأى أخا يخطئ مع الصبي، ولكنه لم يوبخه وقال: "إن كان الله الذي خلقهما يراهما ولا يحرقهما؛ فمن أنا لكي ألومهما"(٢٢٨)؟!

سئل الأب يوحنا الفارسي: "لقد تحملنا ضيقات عظيمة من أجل ملكوت السماء، فهل سنرثه"؟ فقال له الشيخ: "فيما يخصني، فلي ثقة أنني سأحصل على ميراث أورشليم العليا المكتوب في السموات. لماذا لا أكون واثقًا؟ لقد كنت مضيافًا مثل إبراهيم، ووديعا (أو حليما) مثل موسى، ومقدسا مثل هارون، وصبورا مثل أيوب، ومتواضعا مثل داود، ومتوحدا مثل يوحنا، وممتلئًا بالندم مثل إرميا، ومعلما مثل بولس، وممتلئًا بالإيمان مثل بطرس، وحكيما مثل سليمان. إنني أثق - مثل اللص (اليمين) - أنّ ذاك الذي بصلاحه الطبيعي قد أعطاني كل ذلك، سيمنحني أيضا الملكوت"(٢٢٩)!

من تعاليم
القديس إسطفانوس الطيبي
على الحياة الرهبانية(✪)

١ – الآن يا بني، وقبل كل شيء، أرفض العالم وانبذ وطنك ووالديك. تخلّى عن الماديات والمرئيات، أي اهتمامات هذا العالم لكي يمكنك أن ترى ملكوت السماء الصالحة.

(٢٢٧) س ٤ ورقة ٨٦؛ Apoph., John Persian, 2.
(228) Apoph., John Persian, 1. (229) Ibid.,4.
(✪) لا نعرف عنه شيئًا، ولكن يرجح أنه من نواحي طيبة (الأقصر)، وأنه عاش بين القرنين الخامس والسادس.

٢ – أزل الحجاب من قلبك لكي تبصر. أرفض المرئيات ليمكنك أن ترى غير المرئيات.

٣ – ليكن لك حارس في داخل قلبك حتى تعرف ما هو الدافع في داخلك، لأن الطعـام القوي هو للبالغين الذين بواسطة اليقظة المتماسكة اكتسبوا بالتمرن القدرة على التمييز بـين الخير والشر (عب٥: ١٤). هذا التمييز هو حارس القلب (أنظر مز١٤١: ٣و٤).

٤ – يا بني، خف من الله وارفض العجرفة. ابتعد عن الشر وارفض الحسد، تخلى عن الـ د الباطل وابتعد عن الافتراء وعن كثرة الكلام.

٥ - أرفض (شهوة الأطعمة) وما تشتهيه عيناك. أرفض الشك والكبرياء المنتفخـة. ابتعد عن صغر النفس وارفض الضجر والغضب، واترك التذمر والتهيج.

٦ - يا بني لا تكن مصرا بعناد. أترك الضحك وشهوات بطنك وابتعد عن الطياشة.

٧ - أرفض السخرية من الناس، ولا تكن مخاصماً (أو منازعا) في أي أمر. وارفض الإثم والجنون الديني.

٨ - تخلّص من الهم الباطل ولا تكن متغافلاً (أو لا تدع الكآبة تتملكك). أرفـض قلة ضبط النفس، ولا تعطِ فرصةً لمخاوفك لئلاّ تسقط في القتال.

٩ - يا بني، كن مستقيماً في كل أعمالك وأقوالك لأن الله يحب الكلام المستقيم.

١٠ - لا تكن محباً للملذّات سافر الوجه، بل بالحري اقتنِ لنفسك خجلاً صـالحاً. ولا تكن عاصيا حتى لا تموت في غير وقتك (جا ٧:١٧).

١١ - يا بني لا تكن محباً للمال، لأن محبة المال أصلٌ لكل الشرور (١تي ٦: ١٠).

١٢ - لا تكن مرائياً، ولا تشتهِ ما للغير.

١٣ - اهرب من الخطية لئلاّ تصير عبداً للشهوة. لا تكن ماً بل بالحري اهرب من الشر.

١٤ - لا تتبع مشيئاتك الجسدية بل سيطر عليها.

١٥ - لا تكن سارقاً، وامتنع عن الكذب. لا تكن قاسي القلب بل وديعاً.

١٦ - يا بني لا تكن مضطربا ولا محبا للعالم.

١٧ - لا تنقل الكلام من مكان لآخر.

١٨ - يا بني اقتنِ لك الطاعة الحميدة.

١٩ - لا تجعل لنفسك مظهرا زائفًا، بل اقتنِ لك سيرةً حسب الله.

٢٠ - لا تكن فاعل شر أو مخادعاً؛ ولا تصاحب الرجل المعوج، لأن هـذه كلـها أعمال الإنسان العتيق (كو ٣:٩).

٢١ - يا بني اقتنِ مخافة الله واهرب من هذه كلها. لا تكن متغطرساً بل وديعاً لأن «الودعاء يرثون الأرض.» (مت ٥:٤)

٢٢ - كن متواضعاً لأن الله يحب المتواضعين.

٢٣ - واضع نفسك أمام الله فلا يقوى عليك الشيطان. كُن هادئاً متضعاً أمام جميع الناس.

٢٤ - تأمل معلمك، كيف سار باتضاع مظهراً لنا مثالاً «لكي تتبع خطواتـه.» (١بـط ٢:٢١)

٢٥ - يا بني تأمل جميع القديسين وكيف سلكوا باتضاع.

٢٦ - تأمل إبراهيم المؤمن الذي واضع نفسه وقال: «أنا تراب ورماد.» (تك ١٨:٢٧)

٢٧ - تأمل موسى الذي كان يقول: «أنا ثقيل الفم واللسان» (خر ٤:١٠)، "أنا مثل البخار الصاعد من قدر".

٢٨ - وانظر إشعياء يصرخ قائلاً: «كل برنا أمامك مثل خرقة الطامث.» (إش ٦٤:٥)

٢٩ - والمخلص هكذا كان يعلم أتباعه قائلاً: «متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا.» (لو١٧:١٠)

٣٠ - فهكذا إذن الذين زرعوا في الأرض الجيدة يواضعون أنفسهم أمام كل الناس، لأنه توجد أرض مرتفعة وأرض منخفضة. وعينا الرب تلتفتان نحو هؤلاء (مز ١٠٢:١٨).

٣١ - تدبر بالمسكنة، لأن التقشف يجعل الإنسان متضعاً. ولا تحتفظ إلا بما تكتفي به لطعامك وملابسك والباقي أعطِهِ للمحتاجين حسب وصية المسيح (مت ١٩:٢٥). والله سوف يعطيك المعرفة لكي تعرفه.

٣٢ - تفرغ لله لكي تنفتح عيناك. يا بني الهب غيرتك في عمل الرب أكثر من عمل

العالم (٢كو ٨:٧؛ ٩:٨).

٣٣ - لتكن مشتهياً لكل كلمة صالحة، أما الكلمة التي ليست لك منها منفعة فلا تسمعها. لأن الرب قال في الإنجيل: «خرافي تسمع صوتي» (يو ٢٧:١٠)، «والذي من الله يسمع كلام الله.» (يو ٤٧:٨).

٣٤ - يا بني، إذا جلست وسط من هم أكبر منك، انصت أفضل من أن تتكلم. لا تكن متسرعاً في كلامك لئلا تكون عادم الفطنة.

٣٥ - كن مالكاً قلبك واضبط لسانك (يع ٢٦:١). لا يلذّ لك أن تسمع قولاً ضد أحد حتى يكون لك سلام مع جميع الناس، لأن كل قديسي الرب هـم في سـلام والله يسكن فيهم. كما هو مكتوب: «سلامة جزيلة لمحبي شـريعتك» (مـز ١٦٥:١١٨). فالذين يحبون الله يعيشون في سلام مع جميع الناس.

٣٦ - يا بني ليكن كل إنسان مكرماً أمامك. وإذا كنت جالساً في القلاية لا تترك أفكارك «تطيش خارجاً» (أم ١٢:٧)؛ واطلب من الله أن تعرف ماذا يحلّ فيك (من صالحات).

٣٧ - إذا جلست في قلايتك فلا تكن كالقبر (ﻻ ﻴﺅﺫﻴﻙ في نتانة الأفكار)، بل كـن مثل ردهة الاحتفالات (في قصور الملوك) المزينة والممتلئة من كل جانب بالتحف الذهبية والمحاطة بالحراس ليلاً و ﻨﻬﺎراً. والحراس هم القوى الإلهية التي تحصن عقلك، أعني: المعرفة والإيمان وطول الروح والتعفف والبساطة والبراءة والنقاوة والعفـة والمحبـة والوفـاق والإخلاص. هذه كلها تسيج حول الإنسان فلا ينحرف يميناً أو يساراً. هذه هي مجموعة أسلحة الدفاع والوقاية التي يتقلد ﺒﻬﺎ الإنسان (أف ١١:١٦و١٣) فيصير قوياً في القتـال ويصد هجمات الأعداء أي الأفكار الشريرة التي تصنع معه القتال.

٣٨ - يا بني إذا جلست في قلايتك، كن كمثل مدبر حكيم يدبر سفينته، فينتبه إلى الريح لكي يرى من أين ﺘﻬﺏ وإلى أين تذهب؟ وإن كانت هادئة أو عاصفة. كن قوياً في الحرب واصرخ قائلاً: «اذهبي يا ريح الشمال، وتعالي يا ريح الجنوب هبي على جـنتي فتقطر أطيا ﺒﻬﺎ.» (نش ١٦:٤)

٣٩ - إذا جلست في قلايتك لا تكن مثل قاضٍ. ولكن اتخذ الله لك قاضياً ومنتقماً. (أي ضعه نصب عينيك ليكون هو قاضيك وحاكمك).

٤٠ - لا تضجر في صلاتك لكي يسمع لك.

٤١ - عندما تصل إلى حد الإعياء ضع في بالك رجاء الراحة.

٤٢ - سلم نفسك لله من كل قوتك لكي يقاتل الله من أجلك (حز ١٤:٢٤)، فهو يخلصك ويعطيك القوة لكي تحتمل القتال مقابل الذين يقاتلونك. لأنـه بـدون الله لا تستطيع شيئاً (يو ١٥:٥). ولكن إن طلب الإنسان من الله، فهو يعطيه قـوة ويقظـة ومعرفة وفهماً ويقوده بمشورته.

٤٣ - إذا جلست في قلايتك لا تكن مشتت الفكر خارجها ولكن احفظ نفسـك في يقظة روحية دائمة، وليكن هذا دأبك وأنت جالس في قلايتك. لا تكن مثل الدابة التي تساق بل مثل إنسان يسوق الدابة. إذا جلست في قلايتك ليكن لك تحفظ، فلا تجعل جسدك وحده في القلاية ونفسك في مصر، ولا تماثل الشعب الذي كان في البرية أما نفوسهم فكانت بمصر (خر ٣:١٦). اغلق على جسدك واحبس أفكارك لكي تقتني لك فكر التقوى.

٤٤ - إذا كنت جالساً في قلايتك وجلب لك أخ أقوالاً رديئة، فلا تجعـل قلبـك يتعلق ا لكي تبقى في راحة، لأن كثيرة هي الأفكار (التي تحاصر المتوحد) في القلاية.

٤٥ - إذا جلست فليكن الهذيذ في فمك. وإذا كففت عن الهذيذ فليكن لك تحفظ حتى لا يضلّك الأعداء. بل اثبت في النقاوة فيصير الروح صديقك. إذا جلست فـاتبع فكر التقوى الملازم لذكر الله، لكي تغلب جميع الذين يقاتلونك. لأن تـذكار الله - أي فكر التقوى - يسود على الأوجاع.

٤٦ - إذا جلست في القلاية، ابتهل إلى الله لكي يمنحك نعمة القلاية. لأ ا عظيمة هي نعمة المثابرة على الوجود في القلاية.

٤٧ - إذا جلست فلا تعود نفسك أن ينشغل فكرك بانتظار إنسان يأتيك، أو أن إنساناً ينتظرك، لكي تبقى في راحة. ولكن من أجل وصية الله اقبل من يأتي إليك. وإذا أمضى أحـد الإخوة يوم الأحد عندك اقبل محبة الله هذه. وإذا أتى أحد الإخوة إلى البرية وكنت مقيماً (في ذلك الموضع) قبله فساعده من أجل محبة الله إلى أن يجد قلاية. وكل من يأتي عنـدك أعطـه حسب احتياجه؛ لأنك أنت أيضاً إن ذهبت إلى البرية تتمنى أن تجد من يهتم بإعطائـك مـا تحتاجه، لأن هذه هي وصية الله، وذلك من صميم أعمال القلاية (وصية المحبة).

٤٨ - يا بني إذا خرجت من قلايتك احفظ قلبك لئلا إذا خرجت وسفينتك ملآنة بالنعم تفقد حمولتك بسيرك على هوى ما تراه عيناك وما تسمعه أذناك. لهذا كن أميناً وكل شيء تراه حوله لمنفعتك لكي تعود (إلى قلايتك) وأنت مستريح البال.

٤٩ - كذلك وأنت جالس (في قلايتك) احفظ تذكار الله في كل لحظة، ومخافته ستحيط بك على الدوام.

٥٠ - لأن مخافة الله تبعد من النفس كل خطية وكل شر وكل إثم.

٥١ - كل من اقتنى مخافة الله فقد اقتنى كل النعم. والذي له مخافة الله قد امتلك كنزاً مملوءاً من الخيرات. وبمخافة الله يحيد الكل عن الشر.

٥٢ - يا بني إذا كنت جالساً في قلايتك اجعل الدينونة أمام عينيك بينما أنت تكمل أعمال الحياة. منطق حقويك بالتعليم الإلهي وأنت تطأ تحت قدميك كثرة الأعداء (أف ٦:١٤).

٥٣ - لا تكن بلا معرفة ولا تكن خالياً من ذكر الله، بل اتقِ الله واحفظ وصاياه (جا١٢: ١٣).

٥٤ - لا تكن عبداً لمشيئتك من أجل تمجيد الناس. احفظ نفسك من المجد الباطل لئلا يبدد الله عظامك (مز ٥٢:١٦) (أي لا يكون أثر باقٍ لأعمالك ولا قوام دائم لحياتك الروحية إذا كان هدف أعمالك هو طلب المجد من الناس).

٥٥ - جميع أعمالك تممها من أجل الله. لأن الله حقاً ليس بظالم حتى إنه لا يكافئك حسب أعمالك (عب ٦:١٠).

٥٦ - يا بني نق عملك حتى يسمع لك الله. اجتهد أن تقدم نفسك لله كإنسان مزكى (٢تي ٢:١٥). لا تتهاون ولا تسوف يوماً بعد يوم.

٥٧ - وإذ يفوتك الوقت المناسب، تلعن اليوم الذي ولدت فيه.

٥٨ - أنا أوصيك يا ابني ألاّ تمشي في الطريق مع إنسان ليس لك منه منفعة روحية لئلا تتعثر في مسيرتك. ولا تصاحب إنساناً غضوباً أو حاد الطبع. ولا تشارك إنساناً نماماً أو كثير الكلام. لا تمش مع الحسود، لأن «الودعاء يرثون الأرض» (مت ٥:٤). لا تمش في الطريق مع إنسان متراخي. ولا تصادق إنساناً مبلبلاً ولا مع من له صداقة مع

امرأة. بل احترس لنفسك حسب قوتك أن لا تكون لك صداقة مع امرأة. ولا تمشي في الطريق مع من هو أصغر منك حتى لا تأتي إلى وراء.

٥٩ - إذا اتخذت لك صديقاً فليكن إنساناً مؤمناً أعماله أفضل من أعمالك، إنساناً محباً لله لا يكون منشغلاً بأمور هذا العالم التي تفرق الناس. ولا تكن صديقاً لإنسـان لا ينالك منه ربح بسبب انشغاله بأمور هذا العالم.

٦٠ - بل كن صديقاً للفقير ولمحب الله والمتواضع والغريب الذي يحفظ الغربة، ولمن كان متمنطقاً بمخافة الله، والمسكين الذي يحمل الصليب ويضع حارساً على فمه (مز ١٤٠:٣).

٦١ - يا ابني كن صديقاً لكل الذين يخافون الله.

٦٢ - لا تضع رجاءك في إنسان من أجل أي أمر من أمور هذه الدنيا لكي تبقـى حرا. الق على الرب همك لكي يهتم بك الرب (مز ٥٤:٢٣). ضع على الله رجاءك يا ابني فهو راعيك وحافظك. وهو أيضاً الذي يحميك ويشدد قلبك ويقودك. وهو الـذي يحرسك ويكون معينك.

٦٣ - يا بني، احمل ثمراً للرب لأنه هو الذي يحلي قلبك. ولتكن ناره فيـك وهـي تحرق كل الذين يقاتلونك، أي الأفكار الرديئة.

٦٤ - اقترب من الله لكي يهتم هو أيضاً بك (يع ٤:٨). أنصت إلى الله لكي يسمع هو أيضاً لك. الجأ إليه لكي يمسك بيدك ويعلمك ناموسه ومعرفته ويكون لك مرشداً.

٦٥ - وجه قلبك نحوه لكي يساعدك. التصق به ليلاً و اراً لأنه هو الذي يعينـك. اجعل في الرب مسراتك. تلذذ به وهو يعطيك سؤل قلبك (مـز ٣٦:٤). وإن أنـت قدمت لله طلبة فلا ترجع إلى الوراء لأن الله يريد أن تنتظره بكل قلبك (مز ٢٦:١٤).

٦٦ - إذا كنت جالساً في قلايتك تفكر في البـاب الضـيق (مـت ٧:١٣)، وإذا جلست على المائدة تفكر في وصايا الله لكي لا ين وجهك من أجل بطنك (مز ٣٣:٦). إذا أردت فستتعلم مثل طفل، وإذا طلبت فسوف تجد. تقبل الضيقة لكي تعرف الراحة ولا ترفض العمل الشاق، فالإنسان يحيا بفضل المشقات الكثيرة.

٦٧ - يا بني، أنا أعلمك طرق الحياة وأقودك في السبل المسـتقيمة (أم ٤:٢٦). لا تكن معوجاً بل مستقيماً في جميع أمورك. لا تذهب وراء كل ريح ولا تتبع كل عمـل.

كن ثابتاً على أساس الكتاب المقدس وليكن ناموس الله في قلبك كل حين، كما قـال داود النبي: «لو لم تكن شريعتك تلاوتي لهلكت حينئذ في مـذلتي» (مـز ١١٨:٩٢). وأيضاً: «أبتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة عظيمة» (مز ١١٨:١٦٢)، فليصر كلام الله حلواً في فمك كقول داود النبي أيضا: «كم هي حلوة كلماتك في حلقي، أفضل من العسل والشهد في فمي.» (مز ١١٨:١٠٣)

٦٨ - داود النبي هو في الحقيقة مثال لجميع محبي الله. اتخذ داود أيضاً كمثال، إذ إنه حينما كان مطارداً بواسطة شاول صرخ قائلاً: «أنا كلب ميت وبرغوث واحد» (١صم ٢٤:١٤). كل هذا إذا كان بالاتضاع. تأمل داود أيضاً وهو مطارد بواسطة أعدائه وهو يصرخ قائلاً: «أتبع أعدائي فأدركهم، ولا أرجع حتى أفنيهم.» (مز ١٧:٣٨)

٦٩ - لقد كان داود النبي حقا يصارع أعداءه المنظورين، ولكن كانت لديه ثقة أن الله يحارب عنه، لأنه كان قد اختار أن يوجه قلبه نحو الله. وأنت أيضاً يا ابني اجعل قلبك ثابتاً واصرخ قائلاً: «أتبع أعدائي وأدركهم»، فهو يقصد الأفكار الشريرة التي تصـنع معك القتال. لأن الله هو الذي يعطي القوة للإنسان طالما كان مداوماً على الجهاد مقابل من يقاتلونه. فقد قال حقا لمن يتبعونه: «ها أنا أعطيكم سـلطانا لتدوسـوا الحيـات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء.» (لو ١٠:١٩)

٧٠ - فلا تقل إن المخلص لم يعطِ هذا السلطان إلا للرسل وحدهم. فقد قال: «ما أقوله لكم أقوله للجميع» (مر ١٣:٣٧). خذ لك شجاعة ابن نون الـذي تشـدد في الحرب في قتاله مقابل عماليق المرئي، فقد غلبه بواسطة ذراعي موسى الممدودتين (خـر ١٧:١١). ولا تقل إنه كان نبيا عظيماً. اسمع الرسول يقول: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء.» (أف ٢:٢٠)

٧١ - فأنت إذن يا بني إذ تمد ذراعيك في الصلاة تحرز الانتصـار علـى الـذين يحاربونك. فإذا كنت تخاف الله وخرجت لتقاتل أعداءك في طريق واحد، فهم سيهربون أمامك من سبع طرق (تث ٢٨:٧). فالأعداء الذين يصنعون معك القتال هم الأفكـار الرديئة. فاطلب، إذن، يا بني، اقتن لنفسك القوة وأنت تغلب الذين يحاربونك «لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة.» (٢تي ١:٧)

٧٢ - يا بني، لا يليق أن تطلب من الله أن يعينك في القتال وأنت متعـاطف مـع

الشيطان. كما أنه لا يليق أن تصلي هكذا: «لا تدخلنا في تجربة»، لأنه توجد أعمـال يندفع فيها الإنسان بنفسه ويربط نفسه بالشيطان وحده. والشيطان من جهته ينصـب فخاخه ويحث الإنسان على أعمال الرحمة إلى الحد الذي يجعله يسقط في فخـه حيـث يوعز إليه بأعمال مضللة.

٧٣ - فلا تخلط هواك بالشفقة، ولا تخلط المرارة مع الحلاوة. ولكن اطلب من الله يا ابني أن يخلصك من فخاخه لأنه يطغي الأشخاص الأتقياء بأعمال البر. فـآدم أُطغـي بدعوى البر وخلط المرارة بالحلاوة.

٧٤ - فاحفظ نفسك، إذن، ولا تعطِ لعينيك نوماً ولا لأجفانك نعاساً حتى تنجي نفسك كالظبي من الشرك والعصفور من الفخ (أم ٦:٤-٥). واحفظ قلبك بكل اهتمام ويقظة «لأن منه مخارج الحياة.» (أم ٤:٢٣)

٧٥ - إن كنت جالساً في قلايتك أو كنت موجوداً مع أُناس، فلا تحمـل إلا هـم (خلاص) نفسك فقط. فإذا رأيت أمراً ما انظر إلى نفسك أولاً لكي تعرف إن كنت قد أخرجت الخشبة من عينيك (مت ٧:٥). لا تقبل أي فكر ضد أحد معتمداً على ما رأته عيناك أو سمعته أذناك. ولكن احمل أنت خطأ الغير وضعه على نفسك من أجـل قـول الكتاب: «ابكوا على ضعفات بعضكم البعض واعتبروا نقائص الغير أ ا لكم».

٧٦ - إذا حسبت نقائص غيرك أ ا لك فلن تدين أحداً ولن تحكم على أحـد أو تنتفخ على أحد، بل تحتمل الكل بمحبة الله. إذن، يا ابني، كن وديعاً لأن الودعاء يرثون الأرض والقديسون يبقون فيها (مز ٣٧: ٣و٩و٢٨و٢٩). وأيضاً: «المحبة تصنع الخير» (أنظر١كو١٣: ٦و٧)، وهي «لا تصنع شراً للقريب» (رو ١٣: ١٠). فكن إذاً بغير شر وديعاً لكي تدرك البر (الحقيقي) بر الـرب (مـز ٦:٢٧، في ٧:٩). لا تكـن جافـاً كالشجيرات التي تنمو فوق الجبال، بل ليناً مثل القصب الذي ينمو في الميـاه. ولـيكن وجهك مبتهجاً بالله، وقلبك كالنار تجاه الخطية. لا تكن متكاسلاً بل حازمـاً في كـل شيء. لا تسمح لقلبك أن يتسلط عليك بل تسلط أنت على قلبك. لا تتبع نفسك بـل اجعل نفسك تتبعك. ولا تطع قلبك بل ليطعك قلبك لكي تطيع الله.

٧٧ - يا بني، اغلب مشيئاتك لكي تجعل نفسك عبداً لمشيئة الله. وهذه هي مشـيئة الله: أن تحفظ وصاياه. فإن حفظت وصاياه تصير قوياً في جميع أعمالك ويصير عملك نقيـاً، لأن

هذه الوصايا ليست ثقيلة. فهو حقـاً ينادي: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم» (مت ١١:٢٨)، ويقول أيضاً لمَن يتعب باطلاً: «الذين يتعبون لماذا يتعبون بـاطلاً» (جا ١:٣)؟ وأيضاً: «آثامي مثل حمل ثقيل قد ثقلت علي.» (مز ٣٧:٥)

٧٨ - نحن نعلم أن الإنسان إذا التصق بالله فهو يطهره لكي يخف عنه ثقل خطاياه وتتم فيه كلمة المخلص: «إذا ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق والحق يحرركم» (يو٨: ٣١و٣٢). لأن الله هو الذي يطهر الإنسان. وقـد كُتـب أن «المقدس والمقدسين جميعهم من واحد» (عب ٢:١١). وأيضاً: «كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه، وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر.» (يو ١٥:٢)

٧٩ - فالتصق إذن بالله (سيراخ ٢:٣) يا ابني، واهرب من جميع الأعمال الشريرة. أَعِن نفسك واهرب من الخطية مثل الذي يهرب من الحية.

٨٠ - إذا أردت أن تكون بغير خطية فلا تشغل نفسك بأعمال متعددة. لأن الذين يخطئون هم ذوي الأعمال الكثيرة. فإذا أردت إذن أن تحيا في راحة القلب فلا تنشـغل بأمور كثيرة. تمسك في سيرتك بالضيقة لكي تدخل من الباب الضيق (مت ٧:١٣).

٨١ - تأمل القديسين جميعهم: كيف عاشوا في عزلتهم بالفقر، «بالجوع والعطـش والعري واللطمات» (أنظر١كو ٤:١١)، «تائهين في براري وجبال ومغـاير وشـقوق الأرض.» (عب ١١:٣٨)

٨٢ - وافهم أيضاً أنه بضيقات كثيرة نـدخل ملكـوت الله (أع ١٤:٢٢)، لأن «ملكوت الله ليس هو ههنا أو هناك، لأنه ها هو داخلنا.» (لو ١٧:٢١)

٨٣ - وهذا هو السبب الذي من أجله أيضاً يوصينا الرب أن نصلي هكذا: «يا أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأتِ ملكوتك»، وأيضاً الرسول المغبوط بطرس قال: «قدسوا الرب الإله في قلوبكم.» (١بط ٣:١٥)

٨٤ - لأنك حقـاً إذا كنت تقدس اسم الله يقبل عليك ملكوت الله ويسكن فيك، فتكون جميع أعمالك بحسب الله، وتصير في السماء العليا مثل الذين أرضت أعمالهم الله.

٨٥ - لأنه قال: «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»، لأن «الذين حسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون،

إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنـهم (يكونون) مثل الملائكة» (لو٢٠: ٣٥و٣٦).

٨٦ - وهو يدعونا أن ننقّي عملنا حتى نصير مثل الملائكة في السماء، لكي يكمـل فينا القول المكتوب: «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»، أي لـيكن عملك على الأرض مثل الملائكة الذين في السماء!

٨٧ - ولأنه مكتوب: «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، أعطنا اليوم خبزنا اليومي»؛ لهذا كُتب: «أنا هو الخبز الحي النازل من السماء».

٨٨ – وإذ يقول: «الخبز الذي أعطيه لكم هو جسدي المبذول من أجل حياة العـالم»؛ نقول نحن: أعطنا اليوم خبزنا اليومي، الذي هو جسده وكلمته ووصاياه. «واترك لنا ما علينا كما نترك نحن لمَن لنا علينا»، أي ليغفر لنا الخطايا التي علينا من نحوه كما نغفر نحن للآخرين.

٨٩ - «ولا تدخلنا في تجربة ولكن نجنا من الشرير .. لأن لك الملك والقوة وا ـد إلى الدهور». فالله إنما يهب القوة للإنسان الذي يطيعه «لأن لك القوة»، لأنه مكتوب: «الرب يعطي القوة والشدة لشعبه.» (مز ٦٧:٣٦)

٩٠ - يا بني، إن أحببت الله فهو يهبك روح الحق، لأن الله يعطي الروح القـدس للذين يطيعونه (أنظر أع ٥:٣٢)

٩١ - فإن لم تقدر أن تصير ابناً فكن فاعلاً، لأن الفاعل الأمين ينال أُجرته بثقة.

٩٢ - وإن لم تستطع أن تكون فاعلاً فكُن عبداً (متشبهاً) بداود الذي قال: «عبدك أنا فهمني فأعرف وصاياك.» (مز ١١٨:١٢٥)

٩٣ – وأيضا إن لم تصر عبداً فالزم النوح على نفسك وأنت تقول: «تعبـت مـن صراخي، يبس حلقي» (مز٦٩: ٣). لكي لا يقال لك كما قيل إن «العبد الذي يعلـم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته يضرب كثيراً .. ومن يودعونـه كـثيراً يطالبونه بأكثر» (لو ١٢:٤٧و٤٨). لأنه كما أخذنا معرفة عظيمة فإننا بالمثل نصـير في خطر عظيم.

٩٤ - اسمع يا بني: اختر لك عمل مريم الذي اختارته لنفسها كنصيب صالح. وهذا هـو النصيب الصالح: أن تؤمن بالله وتحب أن تسمع كلامه مثل مريم، وأن تحفظ وصاياه وتكـون حازماً، وتحب التعلم وتحمل الصليب، وتكون بلا شر وديعاً، وقوي العزم في القتال.

٩٥ - يا بني، اهتم بقلبك واحرص على فمك. كن وديعاً وودوداً للناس. وكن بلا هم، «القِ على الرب همك.» (مز ٥٥: ٢٢)

٩٦ - احترس من داخل ومن خارج لكي لا تدِنْ أحداً ولا تلُم أحداً. لأن رجل الصلاة هو الذي يقف مصلياً أمام الله، فهو يناجيه ويسبحه، إذ إنه يتفرغ لله ويمجده كـل حـين. مشدود الحقوين يحمل مصباحه وله في أوعيته زيتاً. إنه متشدد بقوته، فهو قوي بالله. يحـارب مقابل الشياطين ويحمل ثمراً لله. قلبه نقي. وهو هيكلٌ لله ومسكن للروح القدس. وهو بيـت مبني على الصخر. إنه طويل الأناة، وديع يقظٌ. حزنه بحسب الله وليس بحسب العالم (٢كـو ٧:١٠). يفرح ويبتهج بالله بدالة قلبية عظيمة. وهو ساكت يحيط به السلام. وهو ينسى مـا وراء ويمتد إلى ما هو قدام (في ٣:١٣). وقد خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد. وهو يحتمـل تعييرات الناس. وهو شجرة مثمرة حلوة. وهو مثل حمل وديع لا شر فيه. وهو مبادر لعمـل الخير، صادق في كل أمر وليس تافها. كلامه بقدر ولا يميل إلى اليمين أواليسار (أم ٤:٢٧). وهو مضيء من الداخل والخارج. وهو مثل ا لزرع الطيب في الأرض الجيدة ويحمل ثمراً مائة ضعف. وهو راسخ مثل أسد وكامل في كل شيء.

٩٧ - هذا هو النصيب الصالح الذي ينبغي أن تقتنيه يا ابني، فلا تؤد أي عمل بدون الله. كن متشبهاً بمريم في عملها.

٩٨ - وإن لم تقدر أن تكون مثل مريم فتشبه بعمل مرثا باهتمامك بأمور الله في خدمة القديسين.

٩٩ - اختر لك عملاً تدوم فيه إلى النهاية. ضع يدك على المحراث ولا تلتفـت إلى الوراء، بل ثبت اهتمامك بما هو أمامك وأنت تصرخ قائلاً: «لا أعطي لعيني نومـاً ولا لأجفاني نعاساً ولا راحة لصدغي إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإلـه يعقـوب.» (مز١٣٢: ٤و٥)

١٠٠ - لأن الإنسان الذي يطلب الله لا يجد راحةً حتى يستجيب له الله. فكما هو مكتوب: «هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه.» (مز٣٤: ٦)

١٠١ - فانظر إذاً: إنّ من يصير فقيراً من أجل الله يستجيب الله له سريعاً.

١٠٢ - أما سمعت أنه «يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة، فلمـا

وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها» (مت ١٣:٤٥)؟

١٠٣ - فإن قال إنسان: ليس لي شيء أبيعه، يجيبه: ''اذهب واترك كل مشيئات قلبك الشريرة لكي تقتني تلك الجوهرة الثمينة''، أي روح الله. فاجحد مشيئاتك وشهواتك حتى يمكنك أن تقتني المسيح مصدر كل الخيرات، كما هو مكتوب: إنني «أورث محبي رزقاً وأملأ (بالخيرات) خزائنهم» (أم ٨ :٢١). وأيضاً: «ثمري خير من الذهب ومن الإبريز، وغلتي خير من الفضة المختارة» (أم ٨:١٩). فاقتن لك إذن الفهم، لأنه مكتوب: «أنا الفهم، لي القدرة» (أم ٨:١٤). وأيضاً: الإنسان «الفطن من جهة أمر يجد خيرا.» (أم ١٦ :٢٠)

١٠٤ - فاقتن لك الفهم ولا تكن جاهلاً، لأن كل شيء مضاد للإنسان الجاهل. أما الرجل الحكيم فهو يربح من الخير كما يربح من الشر إذا لم يفعله، لأنه يجد الخيرات في أعماله.

١٠٥ - الرجل الحكيم يجر شبكته إلى الشاطئ، ويجمع الأسماك الجيدة في الأوعية ويطرح التي لا قيمة لها.

١٠٦ - كن إذن مستعداً للخير وبسيطاً تجاه الشر. لأنه يوجد أُناس حاذقون في الشر وبسطاء في الخير. ومن هم الذين يصيرون حاذقين في الشر؟ إنهم الذين يرون الصلاح ويتخلون عنه بينما يشيدون بالشرير ويصيرون له رفقاء. كل ما تراه بعينيك حوله إلى الخير وكن بسيطاً تجاه الشر، «وإله السلام يسحق الشيطان تحت قدميك سريعاً» (رو ١٦ :٢٠). لأن «تصور قلب الإنسان مائل إلى الشر منذ حداثته» (تك ٨:٢١ سبعينية).

١٠٧ - فاجتذب قلبك كل حين نحو الصلاح، ووجه اهتمامك إلى كل ما هو جيد أمام الرب والناس كما هو مكتوب: «مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح.» (٢كو١٠: ٥)

١٠٨ - يا ابني إذا سعيت في طلب فكر التقوى فإنه يأتيك. وإذا كنت في قلايتك فعود قلبك أن يسود على أفكارك. لأنك إن ملكت على قلبك فقد ملكت على جميع أفكارك كما هو مكتوب: «كل الأشياء تحلّ لي لكن لا يتسلط علي شيء» (١كو ٦:١٢). فلا تكن إذن مثل الدابة المتمرغة تساق على الدوام من الآخرين من مكان إلى مكان.

١٠٩ - ولكن إذا خرجت من قلايتك اعرف ما الذي دعاك للخروج وافحص أولاً

عملك، لكي يكون خروجك بقلب غير منقسم. لأن إحدى ثمار القلب توافقه (مع القداسة).

١١٠ - احفظ نفسك من التشكك لأنه طرح كثيرين عن الإيمان حتى من المؤمنين الذين بلغوا شأواً كبيراً (في طريق الجهاد). فإذا خرجت بنفس هادئة راضية (بدون انقسام) وواجهتك تجربة ما فلا تتحير. وإذا مضيت إلى مكان ما لأجل أمر محدد أو إذا ذهبت مع أحد الإخوة لأمر ما؛ أو إذا خرجت لتبيع عمل يديك ووجدت نفسك متعباً فلا تتحير، لأن التجارب تحلّ على الإنسان في كل أمر «لأن الشبكة منصوبة في أماكن المؤونة أينما وجدت» (أنظر مز١٤٠: ٥). إذن، فكن دائماً متيقظاً. فإذا خرجت من قلايتك فلا تخرج كالحمار البري بغير تعقل، فيربطون رسناً في عنقك وشكالاً في قدميك، فالرسن يشير إلى بطنك والشكال إلى عينيك. وإذا حدث أن مررت بإحدى القرى، فاحفظ عينيك لئلا تحمل معك تجربةً في قلايتك فتتعِب نفسك في الطلبة دون أن يسمع لك لأنك لم تضبط عينيك. ألا تعلم أنه من خلال النظر تدخل الأفكار إلى القلب ومنه تتولد أفكار أخرى؟ فعيناك هما اللذان يدخلا ا إلى القلب، ومنه تخرج الأفكار الشريرة كالمكتوب في الإنجيل: «من القلب تخرج أفكار شريرة.» (مت ١٩:١٥)

١١١ - فاحرص إذن - سواء من جهة عينيك أو من جهة قلبك - أن تثبت في الراحة فتحيط بك نقاوة كاملة، لأن الله يحب القداسة، ولهذا يقول: «لأني قدوس ومع القديسين أستريح» (إش ١٥:٥٧ سبعينية). وأيضاً: «طوبى للأنقياء القلب لأ م يعاينون الله»، وأيضاً: «اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدو ا لن يرى أحد الرب» (عب ١٤:١٢). لأننا نعلم أنه إن أتينا بأثمار فالله ينقينا.

١١٢ – فجاهد، إذن يا ابني، أن تثبت دائماً في القداسة، سواء كان بالنسبة للعينين أو القلب، لكي ترجع إلى مبدئك كحال الأطفال الصغار الذين قال عنهم الله: «إن لمثل هؤلاء ملكوت السموات».



قصص وأقوال
القديس هيبريشيوس الكاهن

قال الأب هيبريشيوس: "كما أن الأسد مرعب للحمير الوحشية؛ هكذا الراهب المهذّب المختبر فهو مرهوب عند أفكار الشهوة"[٢٣٠].

وقال أيضا: "من لا يقدر أن يضبط لسانه وقت الغضب لا يقدر أن يغلب ولا يمكنه أن يتحكم حتى في أصغر أوجاعه (أي ميوله الشهوانية)"[٢٣١].

وقال أيضا: "الأفضل للإنسان أن يأكل لحما ويشرب خمرا من أن يأكل لحوم الإخوة ويشرب دماءهم باغتيابهم"[٢٣٢].

وقال أيضا: "بواسطة الهمس في الأذن أخرجت الحية حواء من الفردوس؛ هكذا فإن من يتكلم ضد جاره يكون مثل الحية لأنه يفسد نفس من يسمعه ولا تنفلت نفسه كما لم تنفلت الحية من اللعنة"[٢٣٣].

وقال أيضا: "الطاعة هي فخر الراهب، فمن يقتنيها يسمع الله صلاته ويقوم أمام المصلوب رب المجد بدالة، لأن إلهنا من أجل طاعته لأبيه صلِب عنا (أو: لأن الرب المصلوب صار مطيعا حتى الموت)"[٢٣٤].

وقال أيضا: "الصوم هو كبح لجماح الخطية للراهب، والذي يتنصل منه يشبه الحصان الهائج (أنظر إر٥: ٨: «صاروا حصنا معلوفةً سائبة»)"[٢٣٥].

وقال أيضا: "كنز الراهب هو الفقر الاختياري. فاجعل كنزك في السماء، أيها الأخ، لأن هناك توجد دهور من السكينة والنعيم بلا نهاية"[٢٣٦].

وقال أيضا: "اِجعل أفكارك على الدوام في ملكوت السماء، وأنت ستمتلكها حالاً كميراث"[٢٣٧].

قال أبا أوبراكسيوس (هيبريشيوس): "شجرة الحياة التي ترتفع إلى الأعالي هي الاتضاع". وقال أيضا: "اِجعل نفسك مثل العشار، ولا تكن مذنبا مثل الفريسي. اختر

(230) Apoph. Hyper., 1; Ch., 8; س ٤ ص ١٢٨ (231) Apoph. Hyper., 3; Ch., 12; س ٤ ص ١٢٨
(232) Apoph. Hyper., 4; Ch., 14;س ٤ ص ١٢٨ (233) Apoph. Hyper., 5; Ch., 15;س ٤ ص ١٢٨
(234) Apoph. Hyper., 8;س ٤ ص ١٢٨ (235) Apoph. Hyper., 2; Ch., 9.
(236) Ibid., 6; Ch., 30. (237) Ibid.,7; An.,1679.

لنفسك حلم موسى لكيما تغير قلبك الذي هو قاسي مثل الصلب إلى ينبوع ماء"[٢٣٨].

كان الشيخ هيبارخوس (هيبريشيوس) يقول: "لا تذم (أو تسيء معاملة) جارك ولا تقص عنك إنسانا يتجه إليك، وذلك لكي يمكنك أن تقول للرب: 'اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا'"[٢٣٩].

قال الأب هيبريشيوس: "الراهب الذي يسهر يجعل الليل نهارا بمثابرته على الصلاة. وإذ يعصر قلبه يجعله يتفجر بالدموع ويستدعي مراحم السماء"[٢٤٠].

وقال أيضا: "حسب تدبير إليشع النبي، أصعدت خشبة يابسة نصل (حديد) الفأس من النهر (٢مل٦: ٦)؛ وحسب تدبير الراهب إذ يضعف الجسد بالصوم تنتشل النفس من البحر. صوم الراهب يجفف مجاري الشهوات الحسية"[٢٤١].

وقال أيضا: "ليكن في فمك تسبيح روحي أيها الراهب لتخفيف ثقل التجارب التي تطرأ عليك. والتشبيه الجيد لذلك هو المسافر المثقل بأحمال وهو يرتل فينسى تعب الطريق"[٢٤٢].

وقال أيضا: "يجب عليك أن تتسلّح أمام التجارب لأنها حتما ستأتي، وهكذا فإن قدومها سيوضح إن كنت مختبرا"[٢٤٣].

وقال أيضا: "فلتكن حياة الراهب مشابهةً لحياة الملاك في محق الخطايا"[٢٤٤].

نصائح للنساك

للقديس هيبريشيوس الكاهن[٢٤٥]

عندما تطّلعون على هذه الإرشادات البسيطة، يا إخوتي المحبوبين عند الله وأحباء المسيح، اهتموا بملاحظة أنفسكم بحسب المسيح في الحياة والكلام والتصرف والأعمال الحسنة. وتشفعوا من أجلي أنا الخاطئ هيبريشيوس في صلواتكم، طالبين من السيد المسيح أن أكون أهلاً للشركة في سيرتكم الفاضلة، وأن يكون لي نصيب معكم في

(238) W.& W.,I: 513;An.,1699. (239) Ibid., 348. (240) An., 1666 (J 666).
(241) An., 1667 (J 667). (242) An., 1669 (J 669). (243) An., 1670 (J 670).
(244) An., 1680 (N 649).
(٢٤٥) مترجمة عن: Spiritualité Orientale, n° 51, Abbaye De Bellefontaine, 1991.
وهذا القديس يرجح أنه عاش في أواخر القرن الرابع، وقد جاءت أقواله ضمن أعمال القديس نيلوس التي نشرت في القرن ١٧، ثم أعيد نشرها في مجموعة الباترولوجيا اليونانية.

ملكوت السموات.

+ أساس تجرد الراهب هو مخافة الله، والراهب الذي لا يقتني المخافة يبقى خارج أبواب الملكوت.

+ أساس حياة الراهب هو المعرفة الحقيقية، وجهل الراهب يظلم نفسه.

+ الميراث الحقيقي للراهب هو الاعتدال والقداسة، وبغير ذلك لا يقتني الراهب ميراث الآباء.

+ نسك الراهب هو الهذيذ بالأسفار الإلهية وممارسة وصايا الله. والراهب الذي لم يعطِ نفسه لهذا العمل ليس له نسك.

+ اِغصب نفسك أن تطرد ا اذبات بواسطة صلواتك، أما إذا ألحت عليك فواجهها بشجاعة.

+ من يتجاهل الآخرين يسلم عقله للغباء.

+ مذبح الصلاة هو للقديسين، لأنه يجتذب نحونا قدوس القديسين.

+ نصيب حواء أثقل وارثيها، ولكننا عندما نحتمل التجارب بالشكر تتحول اللعنة لنا إلى بركة.

+ طعام الراهب هو أن يعمل مشيئة الله (يو ٤:٣٤)، ومشروبه هو تكميـل وصـايا المسيح. لأن الطعام الحسي لا يقدم الراهب إلى الله (١كو ٨:٨)، لكنه «يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج» (مت ١٥:١٧).

+ ينبغي على الراهب أن يكون وقوراً في مسلكه، وأن تكون خطواته باتجـاه عتبـة الكنائس. يجب عليه أن يكون متزناً في مشيته، ولا ينتقل من بيت إلى بيت (لو ١٠:٧).

+ يجب أن تكون سيرة الراهب نقية، ولا يكون هزأة للنساء الأردياء. لأن المرأة التي تسلك بمداهنة وسط البيوت، هي سهم للمجرب.

+ ينبغي على الراهب أن يأخذ المشورة من إنسان حكيم، وأن لا يجعـل مشـورة الجاهل تسكن في قلبه.

+ أتريد أن تمارس الفضيلة دون أتعاب؟ اعتبر أن التعب زائل أما المكافأة فأبدية. أتشاء أن

يضعف العدو؟ اقطع خطيتك، وهو إذ يتجرد من أجنحته يقفز هارباً كالعصفور الصغير.

+ الراهب الذي يسهر في ترتيل المزامير والتسابيح الروحية يطرد عنه خيالات الليل. أما الراهب الذي يفتخر بأعماله الفاضلة وينام، فهو يكون كمن ينسج ثياباً من خيـوط العنكبوت.

+ الراهب الأصيل (الذي ينتمي إلى السماء) ينجو من فخـاخ الشـيطان بإشـارة الصليب. أما الراهب الدنيوي الذي يميل إلى التراب فيطعن بسهام إبليس.

+ ينبغي على الراهب أن يشغل نفسه دون انقطاع في ممارسة الأعمال الصالحة.

+ عمل الراهب هو الهذيذ بالأفكار الفاضلة التي تتوالى عليه باستمرار. وسهر الراهب يبطل عنه الأفكار النجسة.

+ حقل الراهب هو النفس الصالحة التي تأتي بثمار الإنجيل. والراهب الـذي يسـهر على فلاحتها يأكل من ثمارها، لأن ثمرها حلو في فم الراهب، وهو أجرة أتعابه.

+ افرح مع الفرحين وكن مشاركاً للمحزونين، لأن هذا العمل له جـزاؤه، وهـو مكرم عند الحكماء. افرح مقابل شتى أعاصير الحياة؛ واحترس من تلك الهوة التي تجتذب إليها الذين ينامون.

+ قوة الراهب الذي يحمل الصليب هي الفقر؛ لأن محبة المال أمر شنيع للرهبان، وهي تغلق ملكوت السموات أمامه.

+ اهتم بنفسك جيداً أيها الراهب، لكي تطرد عنك عدوك في الفكر كما في الفعل ...

+ ليست عطية للراهب أثمن من البتولية، إ ا تجعله يصعد إلى السماء كما في مركبة مع إيليا النبي. فأنت أيضاً أيها الراهب، إذ قد عشقت البتولية اصعد على المركبة النارية مغتسلاً في ـر الدموع التي تسيل من عينيك.

+ التواضع شجرة حياة ترتفع نحو الأعالي.

+ الراهب الذي استطاع أن يقتني التواضع يجمع ثماراً جيدة.

+ البتولية تتقوى بالزهد في الطعام، أما الراهب الذي ينجذب لكثرة الأطعمة فهـو يدنس جسده.

+ الراهب الذي ينجس جسده يصير كراهة لنفسه، ويسمع المسيح يقول له: «لقد استوفيت أجرك»! فلو أنه مع خجله اعترف بذلك، فإنه سينال أجره من المسيح الذي يعلم ما هو خفي.

+ ينبغي على الراهب الذي «يعطي ما لله لله»، أن لا يتعظم، بل فليقل لله في صلاته: "إنني أقدم ما هو لك، ومما يأتي من عندك، وأنا منك فقط أطلب، وإليك وحدك ترجع نفسي".

+ الرب يستجيب للراهب الذي يصلي بنقاوة في خدمته الليلية. وهو يجعله في ذلك اليوم يشرق ويتألق كنهارٍ صافٍ.

+ ينبغي على الراهب الرحوم أن يحب إخوته، فيرث الأرض الجيدة.

+ الرب لا يرتاح عند الراهب المتشامخ، ولكن الروح القدس يستقر عليه عند تواضعه (إش ١٥:٥٧).

+ يجب أن يكون فكر الراهب كل حين مرتفعاً نحو ملكوت السموات، وهو سريعاً يرثه.

+ ينبغي أن يحفظ الراهب ثوبه دائماً بلا دنس، ليس فقط ثوب القماش بل ثوبه الروحي. لأنه إذا حفظه نقياً هكذا فإنه في نصف الليل سوف يدخل مع المسيح العريس إلى خدره السمائي.

+ يجب على الراهب أن يأخذ معه زيتاً لمصباحه لكي يمشي أمام العريس، لأن الراهب الذي لا يضيء مصباحه من قلة الزيت يبقى خارجاً مع العذارى الخمس الجاهلات.

+ ينبغي أن تكون حياة الراهب على صورة الملاك إذ قد اضمحلت منه الخطية، لأن حياة الراهب هي ذبيحة التائبين.

+ ينبغي أن تشهد سيرة الراهب أن أعضاءه قد ماتت عن الشهوة. وحياة يوحنا المعمدان والذين تشبهوا به هي في الحقيقة مثال لك.

+ متى أبعد الرهبان عنهم عاصفة الشياطين فعندئذ تسمع جوقات الملائكة تسبيحها الهادئ.

+ عندما تشتد عاصفة الشياطين ينبغي على الراهب أن يتحفظ من الغضب. لأن حياة الراهب ينبغي أن تتصف بالوداعة والصبر.

+ الراهب الحار بالروح يهرب الشيطان من أمامه، أما الراهب الذي يحسد أخاه ظلماً فيجتذب إليه الشيطان.

+ ينبغي ألا تسمى خميرة الخبث عند الرهبان (١كو ٥:٨). ولكن فلتملك عندهم المحبة النقية.

+ ينبغي ألا تغرب الشمس على غضب الراهب (أف ٤:٢٦).

+ الراهب الهادئ لا يسبب إزعاجاً للإخوة، ولكن صياح الراهب يكدر سلام الدير.

+ أيها الراهب، لا تظهر استياءك من صوت التسبحة، لأ ا هي نفسها تسبيح الملائكة.

+ يجب على الراهب أن يهرب من أصوات الفنون الشيطانية، لأ ا خداع إبليس.

+ أيها الراهب، فليكن صليب المسيح قبالة وجهك كل حين. أيها الناسك، لـتكن مخافة الله أيضاً في قلبك دائماً.

+ سكون الراهب بنقاوة قلب يجتذب إليه الروح القدس.

+ استعداد الراهب لتقديم المساندة للآخرين يمكن المحبة الأخوية ويبدد الخصومات.

+ ينبغي على الراهب الذي اتحد بالرب ألا يستسلم لإبليس، حتى لا يخزى أمام العريس.

+ ترس الراهب الذي لا يقهر هو تسبيح الملائكة في فمه. ولكن النشيد المحبوب فوق كل حد هو موت الراهب.

+ كـ الراهب هو الفقر الاختياري، والراهب الذي يقتنيه يصير إلهياً حقاً.

+ إكـ لك أيها الراهب كـ اً في السماء؛ لأن دهور راحتك هناك هي بلا اية.

+ فليكن تأمل الراهب دائماً في الأسفار المقدسة، ولتتجه مشيئته نحو الرب.

+ ينبغي ألا يكون باب الراهب موصداً بمتاريس من حديد، بل يكون مرتكزاً على حجر الزاوية (أف ٢:٢٠). تقوى الراهب ينبغي أن تظهر في محبته للغرباء، وأن يلبس أحشاء رأفات ولطفاً.

+ قَدر الراهب لا يجب أن يظهر في مقياس بدانته.

+ منظر الراهب يصير عجيباً بالصلاة، ومتألقاً بالعفة.

+ شفاء نفس الراهب يتم بالصلاة ويستعلن في اللطف والشفقة.

+ الراهب الذي يقتني الفرح يصير معزياً للنساك، ويطهر من الأفكار الشريرة.

+ أيها الراهب، ليكن لك يوحنا المعمدان مثالاً في لبسه ثوباً من وبر الإبـل، حـتى يجعلك إيليا تلبس الرداء فتحمل إلى السماء.

+ هوذا يعقوب الرسول يحثك على الفرح، حين يعلمك الصبر في التجارب التي تأتي عليك (يع ١:٢).

+ كذلك يوحنا الرسول يقودك إلى الكلمة الذي كان في البدء (١يو ١:١).

+ مسحة الفرح التي يتسم ا وجه الراهب تفرح جماعة الإخوة؛ أما الراهب المتسلط فيفرقهم.

+ المساواة بين الإخوة تطرد الكبرياء وترسخ الاتضاع.

+ الراهب الذي يرذل البطن ولا يحب الأطعمة الفاخرة يصير مساوياً للملائكة.

+ البتولية التي بلا عيب هي جمال فائق لنفس الراهب؛ أما منظـر الراهـب الـذي تدنست بتوليته فيكون قبيحاً.

+ ممقوت جدا هو الراهب الذي يسكن مع أخت روحية؛ إن ذلك يكون كالنار في القصب.

+ الراهب الذي طرح العالم تحت قدميه يصير صديقًا للمسيح. أما الراهب الذي ينشغل بأمور العالم فإنه لا يسِر المسيح الذي اختاره جندياً له.

+ الراهب المبتعد عن الطمع هو كارز أمين جدا لملكوت السموات. أمـا الراهـب الذي أُمسك بالطمع فهو يهلك بؤساً وشقاءً.

+ زينة الراهب الشاب هي الاعتدال (في الأكل والشرب) الذي يحرس البتولية بلا عيب.

+ ك الراهب هو الطاعة، ومن يقتنيها يستجاب له.

+ ينبغي ألا يسكن الخبث قلب الراهب، بل يفيض صلاحاً كل حين.

+ ينبغي على الراهب أن يتحدث بأقوال القديسين وفضائلهم ويخبر فمه بكلام العلي.

+ ينبغي على الراهب أن يحتمل الجوع بإرادته كيما يقمع جسده الترابي ويسمو بنفسه إلى مواطن السماء.

+ ينبغي على الراهب أن يقول كلمة الحق ويبعد عن فمه الكذب.

+ إذا سمع الراهب كلمة صعبة فلا ينبغي أن يردها بالمثل، بل أن يتقبلها برضى حتى يكبح غضبه. لأنه ينال مكافأة السلام ويدعى ابناً للعلي بما أنه ابن السلام (مت ٥:٩).

+ الراهب الذي من أجل تواضعه يتكلم بصوت هادئ وديع، يجعل الدموع أيضاً تنسكب حتى من صاحب القلب الحجري.

+ كما أن الأسد يرعب حمير الوحش، بالمثل فإن الراهب يغلق الباب مقابل أفكار الشهوة.

+ الراهب الذي يكسر صومه قبل الميعاد يشبه إنساناً يهدم البناء من أساسه.

+ مثل دوامة الريح التي تثير الغبار في السهل، هكذا الراهب المتسلط فهو يثير الغضب في الدير.

+ مثل ميناء هادئ تحتمي فيه السفن من العواصف، هكذا هو الدير للراهب.

+ الراهب الهادئ الذي لم تصبه سهام الشهوة هو صورة للملائكة على الأرض.

+ أيها الراهب، لا تكن لك غيرة الكبرياء حتى لا تقع في سقطة مميتة.

+ أيها الراهب، تمثل باتضاع بولس الرسول لكي تصير وارثاً مع القديسين.

+ أيها الراهب، اتخذ لك مثال العشار حتى لا لك مع الفريسي.

+ أيها الراهب، اقتنِ لك وداعة موسى النبي لكي يصير قلبك القاسي مثل الصخرة التي نبعت أ ار ماء عذبة. وبعد أن تكون قد تذوقت حلاوة الوداعة يمكنك أن تقول: «إلى مياه الراحة أوردتني» (مز ٢٣:٢).

+ أيها الراهب، لا تكن صارماً وتذكر أن الصرامة لا تعرف الاحتمال.

+ لا تتخل عن (مثال) هابيل لكي لا تلتصق بكبرياء قايين وتشاركه مصيره.

+ تفطن كم أنّ الاتضاع حسن واهتم باقتنائه، لأنه يوصلك إلى السماء.

+ أيها الراهب، هذا هو ما يعرضه عليك التواضع كمكافـأة حسـنة: ملكـوت السموات؛ احترس إذاً ألا تفقده بأي حال.

+ يجب على الراهب الشاب أن يثبت في التواضع مبغضاً ا د الباطل. لأن الراهب الذي تسربل بالتواضع هو مثل غرس جديد محبوب عند الله.

+ الصوم هو لجام الراهب، والذي يرفضه يكون مثل حصـان جـامح. والراهـب الشاب بدون الصوم يخطئ بلا رادع.

+ الراهب الذي يغسل أرجل القديسين يتألق قلبه ويقتني له ك اً في السموات.

+ الراهب الذي يغسل أقدام الخطاة دون تفريق يجتذب لنفسه بركة التائبين.

+ الإنجيل هو مصدر حياة الراهب الذي يمارس الوصايا.

+ الراهب الذي يسهر بنشاط في الصلاة يحول الليل إلى نـهار.

+ الراهب الذي يقرع صدره ويسكب الدموع يجتذب إليه الرحمة السمائية.

+ مزامير التسبيح هي نـهر ماء إلهي في فم الراهب، ومن يمتلكها هو كامل.

+ الراهب الذي يكون بغير وجع على هذه الأرض هو مثل شجرة خضراء.

+ التسبحة في فم الراهب هي سيف حاد ضد إبليس.

+ بفضل عود يابس جعل إليشع النبي الحديد يطفو فوق المـاء (٢مـل ٦: ١ـ٧)؛ وبفضل جسد يبس من (شدة) الصوم يجتذب الراهب نفسه من الأعماق.

+ صوم الراهب يجفف مجاري الشهوة.

+ أسهار الراهب هي سيف بتار مقابل الأوجاع التي تقاوم الصلاة.

+ البقول التي يقدمها الراهب لضيوفه بمحبة هي أفضل من شحم الذبائح.

+ «الهدايا والرشاوى تعمي أعين الحكماء» (سيراخ ٣١:٢٠)، والذي يقبلها لكـي يسبب ضرراً للآخرين، ليس بناسكٍ.

+ صوم الراهب لا يبطل حتى موته، فلا تبطله أنت قبل الوقت.

+ ليس لصلاة الراهب وقتاً محدداً، لأنه جيد هو تمجيد الله كل حين.

+ الناسك الذي يشتم الرهبان هو مرذول أمام الله ومكروه عند الناس.

+ الراهب الذي لا يضبط لسانه وقت الغضب لا يستطيع أن يتسلط على أوجاعه.

+ الراهب حين يغضب يكون كمن يقتل نفسه ويصيب أقرباءه بسهام حادة.

+ ويل للراهب الذي يبرر نفسه أمام الناس، إنه بغيض أمام الله.

+ الراهب المتكاسل يهذّ بأقوال باطلة، وتكون جميع أحاديثه كاذبة.

+ الراهب السريع الاحتداد يقع في التجارب؛ أما الوديع فهو يسكن الغضب.

+ الذي يضع ثقته في قوة جسده يسقط، أما الذي يثق في الله فيخلص.

+ الذي يحتقر قريبه لكونه خاطئ هو راهب شقي، أما من يكرم قريبه فيصير مكرماً.

+ الراهب الوديع المتواضع يصير ممجداً ويكرم أمام المقتدرين. والراهب الذي يتشاجر يصير مكروهاً، ويحتقر في أعين الأعزاء.

+ أيها الراهب، سلح نفسك قبل أن تأتي التجربة، حتى يظهر في التجربة أنك إنسان مزكى.

+ أيها الراهب، لا تقتنِ الغنى ولا البدانة، لأن الطريق الضيق والكرب يرفضهما كليهما.

+ وأنت يا من تتلمذت للقديس بولس قل معه: «إني أحسب كل شيء نفاية لكي أربح المسيح» (في ٣:٨).

+ لذة السكْر الملتهبة هي نار ملتهبة في أحشاء الراهب.

+ المسيح ينبوع يتدفق دائماً، استقِ منه واطفئ نار الشهوة.

+ الغِنى الذي تحتفظ به والبدانة التي تتمتع بالمآكل لا يمكن أن تعبرا أبواب السماء. إذاً أيها الراهب، لا تضع ثقتك في الغنى والبدانة بل في الفقر والعفة حتى لا تقف عند باب الملكوت، ولكي يمكنك أن تقول: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن للمذنبين إلينا».

+ الراهب الذي يتكل على شهرة أهله وشرف نسبه بحسب الجسد يخزى؛ أما الذي يتضع من أجل المسيح فيرتفع (مت ٢٣:١٢).

+ الراهب الذي يتهاون ينغلب بواسطة أوجاعه مثل الحنطة بواسطة الشوك (مر ٤:٧).

+ يجب على الراهب ألا يتفوه بأقوال رديئة، لأن العنب لا يثمر شوكاً.

+ يجب على الراهب ألا يتحدث مع قريبه إلا بكلامٍ وديع، لأن العسل لا يحمل أية مرارة.

+ ينبغي على الراهب ألاّ يتهاون في أعمال البر، لأن النحل يعمل دائماً بنشاط.

+ الدموع تغسل الخطايا تماماً مثل مياه الأردن، لأن المسيح قال: «طوبى للباكين لأنهم سيضحكون».

+ الراهب الذي تقلقه عواصف أفكاره عليه أن يتمسك بقوة بأقوال الإنجيل.

+ أيها الراهب، انتشل أخاك من خطاياه بقدر استطاعتك دون أن توبخه. لأن الله لا يرد الذين يرجعون إليه.

+ أيها الراهب، لا تحفظ في قلبك أقوالاً شريرة ورديئة ضد أخيك، حتى يمكنك أن تقول: «اغفر لنا خطايانا».

+ إكليل الراهب هو السلام والقداسة والذي يقتنيهما يرى الرب.

+ اعتدال الراهب يرفع رأسه ويجعله ممجداً وسط الأبرار. الراهب المعتدل (الوديع) يصير مكرماً في الجماعات.

+ ينبغي ألاّ تظهر حكمة الراهب في الأقوال المنمقة، بل تتجلى في التقوى والوداعة. والحكيم حقا هو ذاك الذي لا يعلم بالكلام بل بأعماله.

+ الراهب العاقل الذي يحارب جحافل الشياطين لا ينجرح بالتالي بواسطة سهامهم.

+ الراهب الذي يستند على صليب المسيح يسحق رأس التنين.

+ لينطق فم الراهب بكلام الله، وليهذ قلبه بلا انقطاع بالأقوال الإلهية دون تشتت.

+ فضيلة الراهب الثمينة الفائقة هي البتولية التي تتألق في نور الصدقة. فإذا حفظها الراهب فإنها تدخله إلى خدر عرس المسيح.

+ أيها الراهب احفظ وصايا العلي، واجتهد أيها الناسك أن تلاحظ تعاليم الآبـاء، لأنك إن فعلت ذلك فإنك ترث ملكوت السموات.

+ الراهب المعتد بنفسه يسقط في تجارب وفخاخ إبليس. أما الوديع والمتواضع فيجد السلام ويحظى بإكليل البهجة.

+ الراهب المحب للذّات يصير فريسةً للأحلام والخيالات الليلية. أما الـذي يصـوم فيقتني فراشاً نقياً ونوماً خالياً من التصورات.

+ الراهب الذي يخاف الله لا يلحقه أي شر لأن الرب يحفظه، وفي يوم نياحته يكون له معيناً وناصراً.

+ طاعة الراهب لا تظهر في الأمور العظيمة، ولكنها تمدح في الأمور الصغيرة.

+ صبر الراهب لا يعرف فقط في الأمراض، ولكنه يتزكى أيضاً في التجارب.

+ صبر الراهب له عمل تام (يع ١:٤) فهو يحفظ كل النفس الثمين.

+ الصبر الذي يحفظه الراهب بأمانة في التجارب يلد رجاءً لا يخزى (رو ٥:٥).

+ صبر الراهب يحفظه حتى النفس الأخير: «لأن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت ٢٢:١٠).

+ ينبغي ألا يكف الراهب عن التسبيح، لأن السيرافيم يسبحون الله بغير سكوت.

+ ينبغي أن تكون التسابيح الروحية على شفتيك كل حين أيها الراهب، لكي مـا تخفف ثقل التجارب التي تلاقيك.

+ اقتنِ الصبر أيها الراهب، لأن تعب الصبر لوقت قصير هو، أما الجزاء فلا نـهاية له.

+ الراهب المطيع يقف بثقة أمام المصلوب؛ لأن الرب كان على الصليب مطيعاً حتى الموت (في ٢:٥).

+ لا ينبغي أن يرتفع صوت الراهب ضد قريبه في مرارة نفسه. ولكن يجب أن يظهر صوت النساك بكل نقاوة تجاه الله في وداعة نفس دون تحريك الشفاه.

+ الراهب الذي لا يخطئ بلسانه هو حقا نجم مضيءٌ على هذه الأرض.

+ مخافة الرب تحفظ الراهب، فهي برج منيع. والذي لا يقتنيها يصير فريسة سهلة للمضادين.

+ الراهب الذي اقتنى عدم الأوجاع ولا يوجد عنده جشع هو نور متألق على الأرض «لأن محبة المال أصل لكل الشرور» (١تي ٦:١٠)، وهي لا تثمر أبداً أثماراً صالحة.

+ الأفضل للمرء أن يأكل لحماً ويشرب خمراً من أن ينهش لحم إخوته بالافتراء.

+ أيها الراهب، كل خبزك مع العسل واحفظ نفسك من المرارة، واشرب خمرك مع اللبن مثل طفل روحاني، لأن العسل لا يوجد به مرارة، واللبن لا يعرف الخبث.

+ يختبر الذهب في الكور، ويعرف الراهب وسط جماعة الرهبان. والذي يكون معدنه مختاراً فهذا يخلص.

+ ينبغي أن تكون يدي الراهب دائماً مرفوعتان بقداسة تجاه الله، لأن موسى النبي هزم عماليق بمثال الصليب بيديه المرفوعتين (خر ١٧:١١).

+ الراهب المصلوب الذي يموت كل يوم يقتني نعمة عظيمة، لأن الملائكة تفرح به عند استقباله في ملكوت السموات.

+ الصوم يقمع الأوجاع، والصدقة والصلاة تطفئا ا.

+ سقوط البرد يضر الكرمة إذا بدأت تنمو محاليقها؛ هكذا هي يد الراهب الذي يصنع الشر في دير جديد.

+ الراهب الذي قمع شهواته الجسدية، يبيض أكثر من الثلج. إنه يختار المسيح عوضاً عن الذهب، ويراه حين يكلله في يوم ا ازاة.

+ الراهب النمام يشيع الفرقة وسط جماعة الرهبان ويباعد بين الأصدقاء.

+ أما الراهب الذي يشترك في التسبيح بفهم بدون انقطاع، فيولد المودة الروحية.

+ الحية بمثالبها طردت حواء من الفردوس، والراهب الذي يثلب قريبه يشبهها، لأنه يهلك نفس قريبه ولا يخلص نفسه.

+ الراهب الذي يسبح بفهمٍ يجمع شمل جماعة الإخوة ويمدح في الكنائس. والراهب الذي يسبح بنقاوة قلبه يستجيب له الله.

+ ينبغي على الراهب أن تكون نظرة نفسه متجهة كل حين نحو الله، لأن الراهب الذي تجرد من العالم وصارت نفسه مخطوبة للمسيح يحتقر كل ما هو أرضي.

+ الراهب الذي يتسربل بأعماله الصالحة يشبه خزامة تثقب أنف التنين (أي ٤٠:٢٤). نفس الراهب النقية تفوح منها رائحة عطرة روحية تسد مناخير التنين فلا يقدر بعد أن ينفث فيه نتن الشهوات.

+ كم هو جيد للإخوة أن يقمعوا الملذات الرديئة ويتسلطوا على الشهوات الجسدية! لأن الذي يمتلك مخافة الله في قلبه لا تؤذي الأدناس نفسه.

+ كم هو حلو في فم الراهب التمجيد الذي يرفعه من قلبه نحو الله. إن الرب يتقبل صلاته مثل رائحة بخور زكي.

+ يا لحزن الملائكة حينما يرون راهباً يطرد خارج الملكوت بسبب إهماله! ويا لأسى القديسين حينما يشاهدون ناسكاً لم يتحد بالعريس المسيح في خدره بسبب كبريائه!

+ يا لفرح الملائكة حينما يرون خاطئاً يدخل ملكوت السموات بتوبته! ويا لبهجة القديسين حينما يجدون خاطئاً يرتد عن ضلاله! فبعد أن تقتدي بإيمانهم، اطلب باجتهاد البهجة التي تتبع ذلك.

+ طوباكم يا أولاد الله الرهبان الذين لم ينغلبوا لشهوات الجسد، فإن القبر لن يحتويكم بل السماء هي التي تقبلكم بين الملائكة!

❏✪❖✪❐

من رسائل
القديس أنبا بولا الطموهي(❖)

+ كن ثابتاً في قيامك أمام الرب الإله ضابط الكل.

(❖) وصلتنا رسائل القديس بولا الطموهي كاملةً تقريباً في مخطوطة اكتشفت سنة ١٩٢٤ ضمن مجموعة من أربعة مخطوطات في جرةٍ كانت مدفونة في موقع دير القديس إرميا بسقارة جنوبي أهرامات الجيزة. وهي باللغة القبطية الصعيدية مكتوبة على رق الغزال. ويرجع تاريخها إلى مستهل القرن السادس الميلادي. وهي موجودة حالياً في مكتبة جامعة متشيجان تحت رقم: Mich. Ms. 166

وقد قام العالِم Tito Orlandi سنة ١٩٨٨ بنشر النص الكامل لهذه الرسائل مع مقدمة ودراسة وترجمة للنص باللغة الإيطالية (Paolo Di Tamma Opere Introduzione, Testo, Traduzione e Concordanze. Tito Orlandi - Rome - C.I.M – 1988). ونقدم هنا ترجمة عربية للنص القبطي.

+ ليكن طعامك، يا حبيبي، قليل خبز وقليل ماء، وأنت مـلازم مسـكنك بصـبرٍ ومسكنة؛ والله يكون معك.

+ لا تعطِ راحة لأفكارك إلى أن تأتيك الراحة (الحقيقية) بدون راحتـها، فاتركهـا تموت وأنت تحيا فيما لله.

+ لا تتكاسل تجاه الأمور الشمالية (أي المضادة). لا تثق ... ولا تبطـل ... إلى أن (تحظى) بالراحة في الجهاد ...

+ هذا هو حقا زمن احتمال التجارب، لأنك إذا تزكيت وصرت مطوباً تنال إكليل الحياة كقول يعقوب الرسول (يع ١٢:١). فإذا فعلت ذلك، يا بني، صرت حبيـب ذي القرن الواحد (مز ٦:٢٨).

+ صوت اليمامة يسمع في أرضك بداخلنا (نش ١٢:٢)، (أي) بـداخل موضـع راحتك، آمين. وذلك لكي تكمل فيها يا حبيبي، وتأتي ثمراً مئة ضعف (مت ٨:١٣). صل علي لأجل خلاصي، ونحن جميعاً معاً.

+ إذ أنا واثق في طاعتك كتبت إليك، عالماً أنك تفعل ما كتبته لك (فل ٢١).

+ وبالحري إلهي يزيدك نمواً، وأنا أيضاً، وكل من يسمع.

+ مبارك هو المسيح الذي يعطي الغلبة. (ا د) والكرامة لله. آمين.

رسالة أنبا بولا بركته تحل علينا. آمين.

❋ ❋ ❋

عن القلاية:

+ يا بني، أطع الله واحفظ وصاياه. كُن حكيماً واثبت في مسكنك. حلو هو لك أن تكون قلايتك معك في قلبك وأنت تنشد نعمتها، فيأتي بك تعب قلايتك إلى الله.

+ قلايتك هي التي تحملك فوق بحيرة النار المتقدة وتقودك إلى كنيسة الأبكار المكتوبين في السماء (عب ١٣:١٢). فخر قلايتك سوف يمجدك وسط القديسين في بيت الله.

+ يا بني، احفظ كلامي وادخر وصاياي عندك، احفظها لأجل حياتك (أم ٧: ١و٢).

+ صبر المسكين لا يخيب أبداً (مز ١٩:٩).

+ الآن، يا حبيبي، يا من يحملك الله، تمسك به بصبرٍ. لا يضعف قلبك ولا تـهمل

النعمة إلى أن تنطلق إلى الله بفرح وأمان.

+ الأسد حين يخرج من الصحراء يضع ذيله بين قدميه، فإذا حصل على الصيد الذي خرج لأجله عاد إلى موضعه بكل جرأة. فالآن لا يضعف قلبك طالما أنك في هذا العالم إلى أن ترجع إلى الله منتصراً.

+ أيها المسكين، إذا ثبت في الرب وحده فإن الرب أيضاً يثبت فيك ويجعلك تملك معه.

+ والآن، أيها المسكين، اخدم الله بكل قلبك وبكل فكرك وبكل قوتك وبكلامك. وضع قلبك في مسكنك كما في الله، وأنت بهذا الشكل تخبر حقا بوصاياه. اجتهد بكل قوتك أن تكمل خدمة يوم الرب بلا قانون[٢٤٧]، والله يقويك ويجعلك تنتفع بذلك كما في قلايتك.

+ لا يكون هناك أسد على جبل (إش ٣٥:٩)، بل مع اتضاع قلبك يكون لك فرح كالذي يعيد. ولا يكون عيد حقيقي مثل خدمة الله في مسكنك، لأن الله يوجد فيه حقا، ونعمته عظيمة جدا. وفخر الراهب المسكين هو في البرية وفي معرفة الاتضاع.

+ المسكين والمتواضع يدعى اسمه بين الأنبياء "يوصاداق" (١صم ٦: ١٤و١٥؛ سيراخ ٤٩:١٣)، لأن ربنا غني جدا وقد افتقر لأجلنا، فإذا اقتنيت نعمة القلاية صرت مع الله.

+ والقلاية لا تحتاج إلى شهادة، فشهادة القديسين هي في الحقيقة النوح الدائم.

+ إذا شتمت فلماذا تضطرب؟ أجبهم أنت هكذا بطول أناة فيتحول هذا الاضطراب إلى هدوء وسلام.

+ لأنه بالاتضاع وحده يكون لك منفذ إذا اتضعت بمعرفة، لأن الوقت مقصر، فتصير لك قلايتك سماءً.

+ اعرف غناك لكي يكون لك عمق الحكمة بالحقيقة.

+ اقتنِ التعليم بكل اتضاع، ولتقل أنت أيضاً: «يا لعمق غنى الله وحكمته» (رو ١١:٣٣) فتملك مع الله، وتصير رعية مع القديسين وأهل بيت الله (أف ٢:١٩) في أورشليم السمائية (عب ١٢:٢٢) التي هي أُمنا جميعاً.

+ والآن، أيها المسكين، ارفع عينيك على أعدائك مثل أسد يزأر وكدبة أخذوا

(٢٤٧) يقصد الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد دون التقيد بقانون القلاية.

أولادها (أي أ ا ثكلى) (أم ١٥:٢٨، ٢صم ٨:١٧).

+ اخفض عينيك في صورة الله مثل حملٍ (وديع).

+ لا تدع فمك يسبب لك خسارة ويسلمك لأيدي أعدائك بعدم انضباطه، فإن قتلاه أقوياء وكثيرون وحبائل الموت منه تخرج.

+ لا تدع الغضب يسكن عندك، أيها المسكين البائس، ولا تسمح لروح الاضطراب أن يقترب منك.

+ ولا تسمح لروح الكذب أن يوجد فيك لئلا يسلمك الرب للهلاك.

+ لا تدع القلق يمكث عندك، يا حبيبي، لئلا يتقوى عليك. لا ترفض نعمة القلاية، لئلا ...

+ لقد قبلت أتعاباً كثيرة لأجلك، لكي يصنع الله معك رحمته ... والشيطان ... بي لأجلك، والرب أراد ...

+ لا تنصت لأي شخص يتكلم معك بكلام مزعج يجعلك تـ عج وتغادر قلايتك.

+ لأنك ستعرف الله في القلاية فتمسك أنت ا فيهرب الشيطان أمامك وتتقوى عليه.

+ لا تتكاسل، يا حبيبي، عن الجهاد لئلا يهزأ بك (العدو) ويحزنك (١تي ١٢:٦).

+ أيتها القلاية! قاضية ومؤدبة الراهب! أيتها القلاية! غِنى المتوحد!

+ الحكيم يجلس في قلايته ويدين أفكاره. وفي قلايته يجلد الأثمة ويـرد علـيهم كثـرة شرورهم.

+ اجعل فكرك وكلامك تحت كل إنسان، لكي ترتاح وتكون في سلام مع الكـل. احفظ هذا الكلام فتصير لك النصرة في أيام الحرب.

+ لا تصنع تقدمة مع أبناء الذين «انقلبوا في يوم الحرب» لأ م «لم يحفظوا عهد الله» (مز ٧٨: ٩-١٠).

+ قد سمعت عن بلعام بن بعور الذي مات في الحرب لسبب عدم طاعته (عد ٢٢)، الـتي أنا نفسي كائن فيها. والآن، يا حبيبي، ارفض المخالفة، واثبت في نسكٍ واتضاعٍ في القلاية.

+ الله غير محدود، وليس قياس لحكيم[٢٤٨] ملازم لقلايته، لأن اسمه هو في السماء، وضياء وجهه يشع من أورشليم، ويرى في أوقات الجدب. والذي اختبر هذه النعم يعرفها.

+ قياس الحكيم الجالس في قلايته هو الرب، فهو الذي يتشبه بالله لأنه لا يرى.

+ [٢٤٩]الحكيم الجالس في قلايته يستتر من الشرور التي تأتي عليه.

+ حكمة الحكيم تعرف حياته، وقلبه يفرح في الله الذي يهبه الراحة في القلاية.

+ لا تترك الله، ولا تترك قلايتك. بخور زكي لله هو الحكيم الجالس في قلايته.

+ هيكل لله هو الحكيم الملازم لقلايته، لأن قلايته هي حقـا ممتلئة على الدوام مـن رائحة ثمار أعماله الحسنة. ومجد الله يتراءى له فيها.

+ ملاك الرب ظهر لزكريا بجانب مذبح البخور (لو ١:١١)، والملاكان دخلا بيـت لوط (تك ١٩)، والملاك دخل بيت طوبيا وطوبيت في بيته (طو٥)، ودخل أيضاً بيـت منوح (قض ١٣:٣). تمسك إذاً بنعمة القلاية فيكون لك فيها كل شفاء.

+ لا تبادر بالخروج من القلاية بدون معرفة، وذلك بسبب الخداع، لأن الشـياطين تقاتل ضد الإنسان في البرية علانية، وهم محرومون من الله، لهذا لا توجد عندهم رحمـة تجاه الإنسان الذي يجلس وحده في السكون.

+ فإذا أدركت نعمة القلاية حفظتك بيمينها لتجعل الجهاد خفيفاً عليـك لأجـل خلاص الإنسان إلى أن ترفعك نعمة الله.

+ لوط خلُص فوق الجبل (تك ١٩: ١٩ـ٢٠). من يعطيني ملجأً في البرية لأهرب وأبكي؟

+ ضع فكرك تحت كل إنسان واثقاً أنه إنما يحمل صورة الله.

+ أما أنت فاعرف ضعفك واهرب إلى الجبل لأجل خلاصك. احفظ الموضع الـذي رتبه الله لك، فهو على هذا النمط قد رتب لك القلاية. وستجد حنة بنت فنوئيل عندك - وهي امرأة متعبدة لله ليلاً و اراً - تتنبأ على الرب مع جميع المنتظرين خلاص أورشليم (لو ٢: ٣٦ ـ ٣٨).

---

(٢٤٨) أو العارف (πcaβє). (٢٤٩) تبدأ هنا المخطوطة B وقد حاولنا التوفيق بين النسختين في الترجمة.

+ أيتها القلاية! بماذا توزن كرامتكِ؟ أنتِ هي الخيمة الحسنة التي يجلس فيها إنسـان الله! الخيمة الحقيقية الكاملة هي الحكيم الجالس في قلايته، (وكل مجده هو فيها). فيها مبخرة مـن ذهب، وقسط الذهب الذي فيه المن، وعصا هارون ولوحا العهد (عب ٩:٤).

+ طوبى للمسكين الفقير الذي يحفظ السكون. فهو يكون صديقاً لله مثل إبـراهيم، لأن الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء (عا ٣:٩).

+ وحقاً إن الله تكلم مع إبراهيم عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار (تك ١٨:١). وتكلم أيضاً مع سليمان في البيت الذي بناه (١مل ٩: ١و٢). وأيضاً مع إيليا عند ر كريت (١مل ١٧).

+ وأنت أيضاً أيها المسكين، عظيمة هي كرامتك وأنت جالس في قلايتك.

+ أيها الحكيم المتغرب (= السائح) إذا أفلتت منك كلمة، فإن الله يتكلم معك ويغفر لك في القلاية. فقد تكلم مع أبيمالك الملك وهو في بيته وغفر له (تك ٢٠).

+ الحكيم الجالس في قلايته، الله هو العارف بكماله. والرب قال: «طوبى للحـزانى لأ م يتعزون» (مت ٥:٤).

+ الحكيم الملازم قلايته هو مدينة النِعم ومقر الفضائل، لأن الروح يكمل فيه حقـا.

+ كن حكيماً ملازماً قلايتك لتبني نفسك فيها، فيكون ا د معك ويكون الاتضاع معك، ورهبة الله تحوطك اراً وليلاً، وعنايته (بجسدك) تشـملك، ويحفـظ نفسـك وأفكارك شاخصةً إليه جميع أيام حياتك.

+ لا تتطلع لأي إنسان، ولا تدع إنساناً يتطلع إليك.

+ اتخذ لك مشيراً «واحداً من ألف» (سيراخ ٦:٦)، فتكون في راحة جميع أيام حياتك.

+ اختبر التعليم في مسكنك وأنت وحدك، والرب يسير معك. لقد كان إيليا وحـده عند ر كريت وكان الله معه، وكان الغراب يخدمه.

+ وأيضاً النبي الذي كان وحده أخذ منطقة بولس وربط ا نفسه (أع ٢١:١١).

+ فالآن إذاً، اجتهد بصبر من أجل نعمة مسكنك لأ ا هي (وحدها) التي تمكث معك.

+ فيلبس أيضاً اختطفه روح الرب ووجِد في أشدود (أع ٨:٣٩). ونحـن أنفسـنا

مبنيين على أساس الرسل والأنبياء (أف ٢: ٢٠).

+ فالله يمكث معك حين تكون وحدك ويفتقدك في مسكنك، وتستعلن لك أسرار الله فيه مثل كرنيليوس وهو في بيته (أع ١٠).

+ إذا تسربلت بالمسكنة في هذا العالم مع الاتضاع، فسوف تكون مع ابن الله في ملكوته.

+ ابتغ نعمة القلاية جميع أيام حياتك فهي التي تمكث معك. مجد القلاية يفوق كل قياس، وكثيرة هي أسرارها.

+ الأرملة التي تبقى وحدها وتداوم الصلاة والطلبات والأصوام هي عظيمة جداً؛ أما المتنعمة فقد ماتت وهي حية (١تي ٥: ٥و٦).

+ فالآن إذا مكثت وحدك ملقياً رجاءك على الله تكون كرامتك عظيمة ومجدك في وسط القديسين.

+ لا تدع كلام الناس يحملك خارج القلاية، ولا قلق أو رعب الشياطين يسرقك منها. ولتكن أفكارك في القلاية بحسب الله.

+ لا تستسلم للضعف، لأن الضعف يولد ضعفاً. انتبه ألا يلتصق بك الضعف، فلا تدعه يدخل إليك.

+ ولا ترافق ذا اللسان القاسي ولا متعظم القلب.

+ لا تمشِ مع الفقير المنحل الخالي من أمور الله لئلا تتشبه به.

+ ستعبر إلى أرض جبالٍ وبقاعٍ، عينا الرب عليها دائماً، وتشرب ماءً من مطر السماء كل حين (تث ١١: ١١و١٢).

+ مبارك هو المسيح الذي يعطي النصرة. والمجد لإلهنا إلى الأبد آمين.

[انتهت رسالة أنبا بولا الطموهي عن القلاية]

بركته تكون معنا آمين.



(المخطوطة B تكمل الأقوال السابقة كما يلي):

+ ليكن تعبك بينك وبين الله، حتى يظهره الله في القيامة ويمجدك من أجله وسـط جميع الأبرار والصديقين.

+ لا تقبل إليك ا د الباطل، فإنك لا تقدر أن تحتمل خداعه وجنون نفاقه إذ يجلب عليك الأفكار الغاشة.

+ إذا سلّمت قلبك له في أحلام كاذبة، فهو يزداد رسوخاً في الفكر الباطـل حـتى يضلل كل الذين يقبلون الروح الذي يحب القول الذي كُتب عنه: «متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم بما له لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يو ٨:٤٤).

+ فتخلّص أنت، يا رجل الله، من هذا الروح الرديء ولا تصر جبلاً محترقاً خرِباً، بل بالأحرى تكون جبلاً دسماً قوياً (مز ٦٧:١٦) يحب الرب أن يسكن فيه، ومركبـة الله ربوات ألوف مكررة تكون فيك (مز ٦٧:١٨)، وتظهر رائحة بخورك الزكي في السماء يفوح عبيره وسط القديسين، وتكون معيناً للأرضيين، قوياً وظافراً في الحـرب، حـتى يكمل عليك المكتوب: «إن جبل الرب يكون ظاهراً» (مي ٤:١)، و«جبل الرب يكون على رأس الجبال» (إش ٢:٢).

+ فلتكن في هذه الكرامة، أيها ا اهد، فتحظى بإكليل الفرح من الرب لأجل أتعابك وأنت جالس في قلايتك.

+ لأنه حقا يقول: «قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظـت الإيمـان، وأخيراً قد وضِع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذي يحبون ظهوره أيضاً» (٢تي ٤: ٧و٨)، ولكل من يجاهد.

+ فاعطِ نفسك لله وأنت في القلاية، وا ض مقابل أعدائك واطردهم باسم الرب إلهك وأنت ملازم للقلاية.

+ لا تفزع من الشياطين؛ فقد جاهدت أنا معهم في البرية، والله طردهم عني بمحبتـه وليس بقوتي، لأنني ضعيف وعاجز، والله وحده هو القوي.

+ فلا تخف منهم إذاً، لأنه ليست لهم قوة على مواجهتك.

+ أما أنت، أيها الإنسان، فاهرب لكي تخلص، واعلـم أن الوقـت مقصـر (رو

١١:١٣؛ ١كو ٢٩:٧).

+ لقد احتمل داود وخلص، فاحتمل أنت كثيراً من الناس. لأن القديسين وربنا ماتوا على يد البشر، وأنا أيضاً احتملت من مناصبة البشر أكثر من حرب البرية ... لـذلك فاهرب أنت إلى السكون.

+ أندرياس (الرسول) فيما كان سائراً وحده وجِد في مدينة لآكلي لحوم البشر.

+ إذا وجدت وسيلةً للجلوس في القلاية سالماً من المجد الباطل، غريباً عن الكبريـاء، فستخلص من كل ذلك وتصير قوياً في القتال كل حين مثل يشوع بن نون، والنـدى على رأسك في مسكنك والرب يتطلع إليك.

+ المسكين الملازم قلايته هو ملك ورب، فاسجد له لأن الله ساكن فيه. «الرب قد ملك ولبس الجلال. لبس الرب القوة وتمنطق بـها» (مز ١:٩٣).

+ ها قد سمعت بكرامة المسكين الجالس باتضاع في قلايته. إذاً فاقتنِ الاتضاع وأنت في القلاية فتكون مع الله كل حين.

+ والآن، يا حبيبي، لقد أعطاك الله هذه النِعم وهذه البركات في قلبك. مبـارك هـو المسيح الذي يعطي النصرة. والمجد لإلهنا آمين.

+ أيها المسكين، اقتنِ الصبر وكن متواضعاً فتبلغ إلى هذه الكرامة. وليفكر قلبـك في السمائيات وليس فيما على الأرض. وثق أن القديسين سيأتون عندك. وتمثـل بتلاميـذ يسوع المسيح، الذي له المجد والقوة إلى الأبد آمين.

❖ ❖ ❖

رسالة بدون عنوان:

+ إذا جلست في قلايتك كُن مثل نوتي ماهر يقود سفينته، فتراقب الريح من أي اتجاه تأتي إليك، وتميز إن كانت هي ريح جيدة أم رديئة.

+ كُن قوياً في القتال، واهتف قائلاً: استيقظي يا ريح الشمال وتعـالي يـا ريـح الجنوب؛ هبي على جنتي فتقطر أطيابها (نش ١٦:٤).

+ إذا جلست في قلايتك يا بني، فلا تكن كالمرائين. لا تملّ من الصلاة فيسمع لك.

+ إذا كنت في تعبٍ فانتظر الراحة. يا بني، أعطِ نفسك لله بكل قوتك وهو يحارب عنك ويسترك ويمنحك القوة لتحارب الذين يحاربونك .. لأنك بدون الله لا تستطيع أن تعمل شيئاً.

+ أما إذا صلى الإنسان إلى الله، فإن الله يمنحه القوة ويسهر عليه ويملأه بالحكمة والفهم ويهديه بمشورته.

+ إذا جلست في قلايتك فلا تكن تائهاً في الطياشة. احترس وأنت جالس من أن تكون مثل البهائم التي تقود الإنسان، بل مثل الإنسان الذي يقود البهيمة .. إذا جلست في قلايتك ضع السهر نصب عينيك.

+ لا تجعل جسدك في القلاية بينما قلبك في مصر! لكن اجعل جسدك هيكلاً لله، ووجه أفكارك واقتنِ لك فكراً ثابتاً.

+ إذا جلست في قلايتك فلا تترك قلبك يستعلي، ولا تتعظم بفكر قلبك ولا تمدح نفسك، لأن الله يمقت الذين يمدحون أنفسهم وحدهم. وهو «يلتفت إلى صلاة المنسحقين» (مز ١٠١:١٨).

+ إذا جلست في قلايتك فلا ترتبط بمحبة أي شيء. اكتفِ لكل يوم بأعماله، وأنت تمكث في راحة. وبالأكثر احفظ نفسك من الزلل واحترس لئلا تخطئ. إذا جلست في قلايتك كن مداوماً على صلواتك وأصوامك وجهادك القلبي، ثابتاً في نقاوة القلب .. لأنه بدون السلام والنقاوة ...

+ ... (لا يأخذك) الغرور بسبب أي شيء. بل احتمل كل شيء من أجل محبة الله.

+ كُن صالحاً، يا بني، لأن الصالحين يسكنون الأرض والبسطاء يبقون فيها (أم ٢:٢١)، والمحبة تعمل الصلاح وتقول إذا نظرت أي أمر: كن صالحاً طيب القلب وأنت تدرك مجد الله.

+ لا تكن مثل الشوك الذي ينمو على الجبال، أي جبل الله. بل بالحري كن مثل القصب المغروس على الماء، الذي هو العمق.

+ كن هادئاً في هيئتك (سلوكك)، وليكن قلبك كنارٍ مقابل الخطية. لا تكن منحلاً (عاطلاً) في قلبك .. بل بالحري كن مجتهداً في كل عمل.

+ لا تدع قلبك يتسلط عليك، بل كن أنت متسلطاً على قلبك. لا تتبع قلبك، بل فليتبعك قلبك. ولا تطع قلبك، بل ليكن قلبك طائعاً لك. لا تدع قلبك يصير إلهاً لـك، بـل اجعلـه بالأحرى مطيعاً لله. ابتغ الطاعة لله، يا بني، ولا تشتهِ أن تطيع مشيئاتك، ولكن أطع الله.

+ مشيئة الله هي أن تحفظ وصاياه، فإذا حفظت وصاياه امتلكـت قـوة في جميـع أعمالك، ويصير عملك مختاراً (مقدساً)، لأن وصاياه ليست ثقيلة (١يو ٥:٣)، فقد قال أيضاً: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مـت ١١:٢٨). وأيضاً ينادي مقابل الذين يتعبون باطلاً بحسب المكتوب: لماذا المُتعبون يتعبون بـاطلاً؟ وأيضاً: «آثامي قد طمت فوق رأسي كحِمل ثقيل أثقل مما أحتمل» (مز٣٨: ٤).

+ ونحن نرى أن الإنسان إذا التصق بالله ينحل عنه ثقل الخطايا، ويكمل عليه قـول المخلص: «إنكم إن ثبتم في كلامي .. تعرفون الحق والحق يحرركم» (يو٨: ٣١و٣٢). فهو يقول إن الله يحرركم من خطاياكم، لأن الله هو الذي يطهر الإنسان، لأنه مكتوب أنه: «مع الطاهر تكون (يا رب) طاهرا» (مز١٨: ٢٦).

☆❖☆

عن الفقر والمسكنة:

+ بداية كل عمل أن تقتني مخافة الله وأن تحفظ وصاياه (أم ١:٧). هذه هي وصـايا الله، يا بني، فاحفظها. أسلك بمسكنة، وفي سيرة هادئة بسيطة، بغير هم (أي انشـغال) وبفقرٍ وعوزٍ؛ لكي تمكث في راحة. لأنه بالمسكنة والعوز، يا أخي، ترتاح من الوجـع، وبعدم الانشغال بشيء يشفي الإنسان.

+ لا تطلب كثرة الأعمال، فتعلم في أي حال أنت. ولا تضاعف أفكـارك لكـي تمكث في اطمئنان وبغير تشويش.

+ الآن إذاً، يا بني، تطلع إلى القديسين جميعاً وتأمل كيف صاروا واحـداً مـع الله: لأنـهم عاشوا في غربة ومسكنة وعوز، وفي عزلة من الكل، وذلك لكي يتقووا علـى العدو، «تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض .. معتازين مكروبين مـذلّين، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم» (عب١١: ٣٨و ٣٧).

+ تذكر أيضاً أن مخلصنا قد أتى في فقرٍ، وترك لنا مثاله لكي نتبع خطواتـه (١بـط ٢١:٢)، ونتشبه به كما هو مكتوب: «كونوا متمثلين بي كما أنا أيضا بالمسيح» (١كو

١:١١)، وأيضاً تكونون له رسلاً آخرين. وهو عندما أرسلهم لم يأمرهم بعملٍ كثير، بل أوصاهم كثيراً بالمسكنة. وكما هو مكتوب في الإنجيل بحسب القديس متى: «وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا ... لا تقتنوا ذهباً ولا فضةً ولا نحاساً في مناطقكم .. ولا ثوبين ولا أحذية» (مت ١٠: ٧و٩و١٠). وهذه جميعها قالها بخصوص المسكنة.

+ فلهذا لا تمشِ مع إنسان ينسيك طريقك ويجعلك في حيرة وارتباك. ولا تدع لك شركة أيضاً مع إنسان ناعم العيش مترفهاً بحسب هذا الدهر، لئلا تفقد مسكنتك وفقرك وتعود إلى الوراء. لأن الإنسان المسكين ...

عن التواضع:

+ استمع بخصوص ما طلبته: اسهر وكن ثابتاً في الرب. فإذا حفظت هذه الأقوال فإنك تصير إنساناً صالحاً في كل شيء. لأنه مكتوب: «المجد يتقدم أمام المتضعين» (قارن: أم ٢٣:٢٩)؛ وأيضاً: «حكمة المتواضع ترفع رأسه» (سيراخ ١:١١)؛ وأيضاً: «إلى هذا أنظر: إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي» (إش ٢:٦٦).

+ ومكتوب أيضاً: «تفرح العظام المنسحقة» (مز ٨:٥٠ سبعينية)؛ وأيضاً: «الرجل المتواضع تقبل صلاته سريعاً» (سيراخ ١٧:٣٢). ومكتوب أيضاً: «أُنظر إلى ذُلّي وتعبي واغفر لي جميع خطاياي» (مز ١٨:٢٥). فانظر مقدار (عظمة) التواضع. إذا اقتنيت التواضع فقد اقتنيت كل شيء.

+ كذلك احفظ جسدك مقدساً، فيأتي الملائكة القديسون إليك ويبهجونك، وترى الله. ومكتوب: «عيناي قد رأتا الملك رب الجنود» (إش ٥:٦). ومكتوب أيضاً: «بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني» (أي ٥:٤٢). والروح القدس يشع ضياؤه في جميع أعضائك، والاثنا عشر فضيلة تتلألأ داخل نفسك، والشاروبيم والسيرافيم يسترونك تحت أجنحتهم.

+ مكتوب: «طوبى للبتوليين لأن مكافأة طهارتهم لن تضيع أبداً». وهي تلد لك الصمت.

+ جيد هو تعبك، لأنه يظل حافظاً لك، لأنه مكتوب عنه أن الذي يحافظ عليه يحفظ نفسه في الهذيذ والصلاة. فكن ملازماً له النهار والليل. مكتوب: «عند لهجي اشتعلت النار» (مز٣٩: ٣)، وأيضاً: «لو لم تكن شريعتك تلاوتي لهلكت حينئذٍ في مذلتي» (مز ٩٢:١١٨ سبعينية).

+ كذلك فإن بولس الرسول أوصى تيموثاوس قائلاً: «إلى أن أجيء اعكف على القراءة» (١تي ٤:١٣). لا تتخذ لك أصدقاء كثيرين فتمكث في راحة زمانك كله. لأنه مكتوب: إذا كثرت أشغالك فلن تنجو من الخطية. «ليكن مشيرك واحداً من الألف» (سيراخ ٦:٦)، وأيضاً: «الصديق الأمين دواء الحياة» (سيراخ ٦:١٦)، كذلك: «الصديق الأمين صلاحه لا موازن له. الصديق الأمين لا يعادله شيء» (سيراخ ٦:١٥).

+ إذا اتخذت لك صديقاً أميناً وقِبَلك إليه، فإن كنت ضعيفاً فهو يشددك ويجعلك شجاعاً. وهو سوف يجعلك عمالاً مجاهداً، ويصير لك سياجاً متيناً وسنداً قوياً يعينك، ويكون لك كشجرة مظللة تستريح عنده من جميع أتعابك. ويكون لك قوة وثباتاً وعزاءً في ضيقاتك، وتجده في شدائدك يحمل جميع أتعابك. وإذا ألقيت عليه أتعابك كلها فهو يرفعها عنك.

+ يا بني، اشتهِ الوداعة، لأنه مكتوب عن أبينا موسى: أنه «كان حليماً جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عد ١٢:٣). ومكتوب أن «الودعاء يرثون الأرض» (مت٥: ٥)، وأيضاً: «فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة» (أم ٤:٢٣).

+ إذا طرحت من قلبك كل الأفكار الرديئة، فإن جسدك كله يتعافى (ويهدأ)، وتثبت أفكارك في علو الفضيلة. لأنه مكتوب: لا تعطِ لنفسك مرادها الذي تشتهيه، لئلا يتجه الروح المخادع بطريقه إليك. ولا تتبع شهواتك، ولكن اثبت فيما تشتاق إليه، وتكون أورشليم السمائية مدينة مقدسة لك فلا يدخلها غريب. ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر حلاوةً والتلال تفيض لبناً وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماءً بكثرة، ومن بيت الرب يخرج ينبوع ويسقي وادي السنط، ومصر تصير خراباً (يوء٣: ١٩)، الذين هم أعداؤك، «والرب يسكن في صهيون» (يوء٣: ٢١).

+ أيها المسكين، لا تدع بطنك تتسلط عليك. ولتكن ابناً للعلي فترث الملكوت مع الصالحين وتملك مع المسيح إلى الأبد. لا تترك الله من أجل بطنك، فقد تكلم في حزقيال قائلاً: «تنجسنني عند شعبي لأجل حفنة شعير ولأجل فتات من الخبز» (حز ١٣:١٩).

+ لا تسر بسقطة أخيك بسبب الغيرة. فالإنسان الذي يفرح بسقطة قريبه ينفصل عن الرب. والله يغضب عليه ويسلمه لأيدي أعدائه ليتعذب بالشر الذي أراد أن يفعله بقريبه وذلك حسبما قال الرب. هذا هو ما قاله الرب عن أبناء هامان (في سفر أستير):

لأنكم فرحتم على مواضعي المقدسة لأ ا تنجست، وعلى بيت إسرائيل لأنه قد هلـك، وعلى بيت يهوذا لأنه قد أُخذ إلى السبي لهذا ها أنا أسلمكم ليد أبناء كتيم ليرثونكم.

+ لا تكن مرائياً. بل اطلب كلام الرب من رجل الله. لأن الرب قال بالنبي: «يأتون إليك كما يأتي الشعب، ويجلسون أمامك كشعبي، ويسمعون كلامك ولا يعملون بـه، لأ م بأفواههم يظهرون أشواقًا وقلبهم ذاهب وراء كسبهم» (حز ٣٣:٣١).

+ جاهد يا إنسان من الآن. وأنا أيضاً أجتهد معك.

قصص وأقوال
البابا ثيئوفيلاس البطريرك

سأل أخٌ أنبا تادرس قائلاً: "أريد أن أتمّم الوصايا". فقال له الشيخ: "عندما كـان أنبا ثيئوفيلس البطريرك في البرية قال إنه يريد أن يكمل فكره مع الله. فأخذ دقيقًا وصنعه خبزا، فجاء إليه مساكين فأعطاهم الخبز، وطلب منه آخرون فأعطاهم الزنابيل، وطلب منه آخر فأعطاه الثوب الذي كان يلبسه ودخل القلاية مرتديا وزرته. ومع ذلك كـان يلوم نفسه قائلاً: ''إنني لم أتمّم وصايا الله''"[(٢٥٠)].

ذهب مرةً أنبا ثيئوفيلس بطريرك الإسكندرية إلى جبل نتريا - أي جبل النطرون - وجاء أب الجبل ليقابله. فقال له البطريرك: "ما الذي وجدت أنه أفضل شيء في هذه الطريقة مـن الحياة التي تعيشو ا"؟ فقال له الشيخ: "لا يوجد أفضل من أن ألوم نفسي وأوبخها في كـل شيء". فقال له البطريرك: ''هذه هي الطريقة التي ما بعدها شيء''[(251)].

قال أنبا ثيئوفيلس: "إنني أفزع وأنا خائف، فأية رعبة وأية شدة تعاين النفس عنـد خروجها من الجسد، إذ يأتي ضدها الجنود والقوات المضـادة وأرواح الشـر والـذين يتحكمون في ظلمة هذا العالم الخبيث، فيأخذون النفس ويظهرون لها كل ما فعلت من الخطايا بمعرفةٍ أو بغير معرفةٍ أو بجهالة منذ شبا ا، ويحاججو ا على كل ما فعلت. فأيـة شدة ورعب تلاقيهما النفس في تلك الساعة حتى يحكم في قضيتها وتعتق. هـذه هـي ساعة شد ا حتى ترى اية أمرها. ومن ناحية أخرى تقف القوات السماوية من الناحية

(٢٥٠) س ٤ ورقة ١٢٩.

(251) Apoph., Theoph., 1; W. & W., I: 461.

المقابلة، وتظهر أعمال النفس الصالحة. فتفكّر في خوف النفس ورعبتها وهي تقف بين الفريقين حتى يحكم عليها في الدينونة من القاضي العادل. فإن كانت مستحقة للنعـيم تأخذها الملائكة بكرامة وتحفظها من الأشرار، فتصير من ذلك اليوم بغير هم كما هـو مكتوب: «لأن جميع الساكنين فيكِ هم من الفرحين» (مز٨٦: ٧ سبعينية). وحينئذ يتم المكتوب: «يهرب الحزن والتنهد» (إش٣٥: ١٠)، وحينئذ تفلت النفس من ضـابطي الظلمة وتذهب إلى ذلك ا د المبهج الذي لا ينطَق به.

"ولكن إن وجِدت النفس في حياة التواني تسمع ذلك القول المرعب: «يبعد المنـافق لئلاّ يعاين مجد الرب» (أنظر إش٢٦: ١٠)، حينئذ يدركها يوم السخط، يـوم الحـزن والشدة يوم الظلمة وظلال الموت، وتلقَى في الظلمة الخارجية ويحكَم عليها بالعـذاب المؤبد في نار غير مطفَأة. أين تكون حينئذ أباطيل هذا العالم؟ وأين يكون ا د الباطـل؟ والحياة الجسدانية؟ أين المتعة؟ حينئذ يهرب كل نعيم ولذّة، ولا يوجد هناك فـرح ولا راحة ولا غنى ولا جاه، ولا أب ولا أُم ولا أخ، ولا من يخلص من هذا اللهيب والعذاب المر المعد لنفوس الخطاة.

"فإن كانت هذه الأمور هكذا، فأي تدبير بأمانة وقداسة ينبغي أن نتدبر به في هـذا العمر؟ أية محبة علينا أن نكتسب؟ وأي تسبيح وأي صلوات وأي تحفظ يجب علينـا أن نعمل به؟ يقول الكتاب: «إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام» (٢بط٣: ١٤). وبذلك نكون مستحقين أن نسمع ذلك الصوت المملوء فرحا القائل: «تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منـذ تأسـيس العـالم» (مت٢٥: ٣٤). له ا د إلى دهر الدهور آمين"[٢٥٢].

في **ساعة الموت قال أنبا ثيئوفيلس** رئيس الأساقفة: "إنك مغبوطٌ يا أبا أرسانيوس، لأن هذه الساعة كانت دائما في فكرك"[٢٥٣].



(٢٥٢) س ٤ ص ٨٤؛ Apoph. Theoph., 4

(253) Apoph., Theoph., 5; W. & W., I: 146.

قصص وأقوال
القديس جيلاسيوس

قيل عن الأب جيلاسيوس إنه في شبابه عاش حياة فقر مثل ناسك. وقد عاش مثله في نفس الوقت رجال عديدون في نفس المنطقة. وكان أحدهم شيخا يتصف ببساطة وفقر شديدين، وكان يعيش في قلاية منفردة حتى نهاية حياته رغم أنه في شيخوخته كان له تلاميذ. وكان من نسكياته الخاصة به أنه كان يحترس من أن يكون له أكثر من ثوبين، وألاّ يفكر في الغد حتى يوم انتقاله في حين أنه كان موجودا مع رفقائه.

وعندما أسس الأب جيلاسيوس ديره[٢٥٤] بالمعونة الإلهية منح مواهب كثيرة، كما أنه اكتسب ركائب من البهائم وقطيع من الماشية مما كان يحتاج إليها الدير. وكان في البداية قد ناقش تأسيس الدير مع القديس باخوميوس وكان يرجع إليه ليستعين به أثناء تأسيسه. ولما رأى الشيخ الذي ذكرناه آنفًا أنه مشغولٌ بذلك، وإذ أراد أن يحتفظ بمحبته العميقة له قال له: "يا أبا جيلاسيوس، أخاف من أن روحك تصير مستعبدة لأراضي وممتلكات الدير". ولكنه أجاب: "إن روحك لمستعبدة للمسلّة التي تعمل بها أكثر من استعباد روح جيلاسيوس لتلك الأشياء"[٢٥٥]!

قيل عن الأب جيلاسيوس إنه كان له كتاب مقدس يساوي ثمانية عشر دينارا لأنه كان يحتوي على العهدين. وكان قد وضعه في الكنيسة لكل من يريد أن يقرأ فيه من الإخوة. ثم جاء إلى الشيخ أخ غريب، ولما دخل الكنيسة ورأى الكتاب اشتهاه فسرقه وذهب، وعلم الشيخ ولكنه لم يلاحقه.

ذهب الأخ إلى المدينة وأعطى الكتاب لإنسان وطلب منه ستة عشر دينارا. فقال المشتري: "لن أدفع الثمن إلاّ إذا سألت عن قيمته". فتركه عنده. فجاء به الرجل إلى الأب جيلاسيوس وأعلمه بالثمن الذي طلبه البائع. فقال الشيخ: "اِشتره، فهو جيد ويساوي أكثر من هذا الثمن". ثم قال هذا الرجل للبائع: "إنني أريته للأب جيلاسيوس فقال لي إنّ هذا الثمن كثير"! فلما سمع الأخ ذلك قال له: "ألم يقل لك الشيخ شيئًا آخر"؟ فقال: "لا". حينئذ قال الأخ: "لا أريد أن أبيعه".

ثم جاء الأخ بالكتاب إلى الأب جيلاسيوس وهو نادم، فلم يشأ الشيخ أن يأخذه.

(٢٥٤) قيل إنه كان في نيكوبوليس في فلسطين.

(255) Apoph. Gelasios, 5.

فقال له الأخ: "إن لم تأخذه فلن تكون لي راحة". فقبله، ومكث الأخ عند الشيخ حتى انتقاله وقد احتمله بصبر حتى ربح نفسه(٢٥٦).

روى الكثير من تلاميذه أنه في مرة جاء إنسان بسمك إلى الدير. فسواه الطباخ وتركه في الخزانة، ثم أوصى الخازن عليه صبيا ليحفظه حتى يعود، ثم خرج لأمر ضروري. فظل الصبي يأكل من السمك بشراهة. فلما جاء الرجل (المسئول عن الخزانة) ووجده يأكل غضب ورفسه على رأسه وهو جالس فسقط على الأرض ميتا بقدرة شيطانية! فاعترى الرجل خوف وأخذ الصبي ووضعه على سريره وغطّاه. ثم ذهب إلى الأب جيلاسيوس وانطرح عند رجليه وأعلمه بما حدث. فقال له الشيخ: "لا تخبر أحدا بهذا الأمر، ولكن أحضره سرا إلى الكنيسة عندما يذهب الجميع ليستريحوا في المساء وضعه قدام المذبح وانصرف". ثم جاء الشيخ إلى الكنيسة ووقف للصلاة، ولما اجتمع الإخوة في الكنيسة لصلاة الليل خرج الشيطان وانصرف الشيخ والصبي خلفه! ولم يعلم أحد بما حدث إلاّ الخازن والقديس حتى انتقاله(٢٥٧).

وقيل عن الأب جيلاسيوس إنه قلق مرةً من أفكار ضايقته أن يخرج إلى البرية. فقال لتلميذه: "احترس من أن تكلمني في هذا الأسبوع". ثم نهض وأخذ عصا بيده وبدأ يمشي خارج القلاية، ولما تعب جلس قليلاً ثم قام ومشى أيضا. ولما صار المساء قال لفكره: "إن الذين يطوفون في البرية لا يأكلون خبزا بل يغتذون بالحشائش، ولكن لأنك ضعيف فكُلْ بقولاً". فأكل ثم قال في نفسه: "الذي في البرية لا يرقد على فراش بل في العراء، فافعل أنت هكذا". فرقد تحت السماء، وفعل هكذا ثلاثة أيام: يتمشى طول النهار ويأكل في المساء بقلاً قليلاً وينام الليل كله في العراء. ولما تعب بدأ يوبخ نفسه قائلاً: "إن كنت لا تقدر أن تفعل مثل أهل البرية فامكث صابرا في قلايتك وابكِ بسبب خطاياك ولا يطيش عقلك قائلاً: أُدخل إلى البرية، لأن عيني الرب في كل مكان ناظرةً إلى أعمال جميع الناس، وهو يعرف جميع فاعلي الخير"(٢٥٨).

ترك أحد الشيوخ الرهبان – الذي كان يسكن بجوار نيكوبوليس - قلاية محاطة بقطعة أرض للأب جيلاسيوس. وكان هناك فلاح قروي يخضع لولاية "باتاكوس" – الذي كان يعيش في نيكوبوليس في فلسطين – فذهب إلى باتاكوس طالبا أن يأخذ قطعة

---

(٢٥٦) س ٤ ورقة ٧٩؛ Apoph. Gelasios, 1; W. & W., I: 184 (٢٥٧) س ٤ ص ٨٠؛ Apoph. Ge., 3
(٢٥٨) س ٤ ص ٨٠؛ Apoph. Gelasios, 6

الأرض لأنـها – حسب القانون – يجب أن ترجع إليه. وكان باتاكوس رجلاً قاسـيا وحاول أن يأخذ الأرض من الأب جيلاسيوس بالقوة. ولكن الأب جيلاسيوس ما كان يرغب أن تسلم قلاية رهبانية لرجل علماني، فرفض تسليم الأرض.

ثم لاحظ باتاكوس أن ركايب الأب جيلاسيوس كانت تحمل زيتونا من الأرض التي تركت له، فحولها بالقوة عن طريقها وأخذ الزيتون لنفسه، وبالكاد أعاد الركايب مـع سائقيها بعد أن أذاهم بالإهانات. ولم يطلب الشيخ الطوباوي أن يسترد الثمار، ولكنـه أيضا لم يسلّم الأرض للسبب الذي ذكرناه. فاغتاظ باتاكوس منه، وإذ كانت لديه أمور أخرى، ولأنه كان يحب القضايا، فقد ذهب إلى القسطنطينية ماشيا على قدميـه. ولمـا اقترب من أنطاكية – حيث كانت سمعة القديس سمعان العمودي تشع ببهاء عظـيم – سمع عن علو شأن القديس، ولأنه مسيحي أراد أن يراه.

رأى الطوباوي سمعان الرجل من على قمة عموده بمجرد أن اقترب من الدير فسأله: "من أين جئت وإلى أين أنت ذاهب"؟ فأجاب: "أنـا مـن فلسـطين وذاهـب إلى القسطنطينية". فسأله: "ولأي أسباب"؟ فأجاب باتاكوس: "بخصوص أمور كـثيرة، وأرجو بفضل صلوات قداستك أن أرجع وأنحني أمام إثر خطواتكم المقدسة". حينئـذ قال له القديس: "أيها البائس، لا تريد أن تقول إنك ذاهب لكي تتصرف ضد رجـل الله. ولكن طريقك ليس مواتٍ لك، ولن ترى بيتك مرةً أخرى. وإذا تبعت نصـيحتي، فاترك هذه النواحي وأسرع إليه واطلب عفوه إن كنت ستبقى على قيد الحياة عنـدما تصل إلى ذلك المكان". وللحال أُصيب باتاكوس بالحمى، فحمله رفقاء رحلته على محفة وأسرعوا به – حسب كلمة القديس سمعان – لكي يصل إلى الأب جيلاسيوس ليطلب عفوه. ولكنه عندما جاء إلى بيروت مات دون أن يرى بيته مرةً أخرى حسـب نبـوة الشيخ. وكان ابنه – وكان اسمه "باتاكوس" أيضا – هو الذي روى ذلـك لكـثيرين موثوق بهم، وذلك في نفس الوقت الذي روى فيه قصة موت والده[٢٥٩]!

قال الأب جيلاسيوس: "لا يمكننا أن نصل إلى مستوى الاتضاع المحيي إن لم نطرد عنـا أولاً اغتيال النفوس وثقل عبء العجرفة؛ لأننا إذا قاومناها نجد الاتضاع. لا نقُل إن هذا لـن يضرنا، لأن مقاومة كل ما يعيننا يضرنا كما قال الرب: «من لا يجمع معي فهـو يفـرق»

(259)Apoph.Gelasios,2.

(مت١٢: ٣٠)، لأنه كما يطبع الختم رسمه على كل ما يختمه؛ هكذا تماما تطبـع الأعمـال رسمها (أو علامتها) في النفوس. وعلى ذلك، فإن مظهرك وثيابك ومشيتك وطريقة جلوسك وغذاءك وأسلوب حياتك وفراش مرقدك وأحذيتك وجميع شئونك، والمسكن وجميع أدواتك المـلية فلتكن متواضعة وحقيرة. هكذا أيضـا صـلاتك وأبصـلموديتك (أي تسـابيحك) وعلاقاتك بجارك، فلتكن كلها متواضعة وحلوة. لا تتكلم بتبجح ولا بتصنع ولا بعجرفة، لا تقُل ولا تعمل شيئًا في غير وقته، ولا تشدو مغنيا في صلاتك، ولا ترد بعجرفة؛ ولكن في جميع أقوالك وأعمالك اقبل من هو كبير واعط من هو صغير. كن حلوا مع أصدقائك، لطيفًا نحـو الخاضعين لك، بلا حقد على المغرورين بأنفسهم، محبا للمتواضعين. كن معزيـا للـذين في الشدائد، وافتقد المرضى، ولا تحتقر أي إنسان. كن حلوا عندما تتكلم، بشوشا ومقبـولاً في إجاباتك، وسيطًا بين الجميع، لينا مع الكل"[٢٦٠].

❑☯❖☯❒

أقـوال
القديس أنبا تيموثاوس

☯❖✞❖☯

قال أخ لأنبا تيموثاوس: "إنني أرى نفسي بين يدي الله دائما". فقال له: "لـيس هذا بالعجيب، ولكن العجيب أن يبصر الإنسان نفسه تحت الخليقة كلها"[٢٦١].

قال أنبا تيموثاوس: "المحبة لا تعرف أن تدين رفيقها ولا تكافئ بالسيئات"[٢٦٢].

وقال أيضا: "من يهتم بجسده بشهوة أكل وشرب يقيم على نفسه الحرب ويقتـل نفسه بنفسه"[٢٦٣].

وقال أيضا: "إن شئت أن تصادق الله فلا تحزن أحدا من الناس ولو أكثر الإسـاءة إليك، بل اترك الأمر لله"[٢٦٤].

وقال أيضا: "إن لم تتسلط على بطنك وتقهر جسدك في كل شيء فـلا تقـدر أن تقتني الطهارة"[٢٦٥].

وقال أيضا: "إن أنت صادقت الله يقوم عليك كل واحد ويجعلون عقبهم على رأسـك، وفي الآخر يجعلون عليك إكليلاً من ياقوت، وتاجا ملوكيا يضعون على رأسك"[٢٦٦].

---

(260) Arm. II,315(81)B. (٢٦١) س ٤ ورقة ١٣٢. (٢٦٢) س ٤ ورقة ١٣٤.
(٢٦٣) المرجع السابق. (٢٦٤) المرجع السابق. (٢٦٥) المرجع السابق. (٢٦٦) المرجع السابق.

قال أنبا تيموثاوس: "إذا أكرمك الناس خف جدا واكره نفسك ولا تستح أن تقر بذنوبك، واهرب من كرامة الكثيرين لئلاّ يغرقوا مركبك"(٢٦٧).

وقال أيضا: "إذا سقطت فلا تتوانى ولا تكسل، بل قم بسرعة. وإذا ضللت أسرع بالرجوع حتى تجد الطريق المستقيم، لأن الطريق المستقيم جيد وليس فيه دوران ولا يحتاج إلى طول زمان بل بسرعة يوصل إلى مدينة السلام"(٢٦٨).

وقال أيضا: "لا توجد طريق مستقيمة سوى طريق ربنا يسوع المسيح، لأنه هو الطريق والحق والحياة"(٢٦٩).

قال أنبا تيموثاوس: "من احتمل عدوه عندما يشتمه فهو قوي حكيم، ومن لا يحتمل الشتيمة لا يحتمل الكرامة أيضا، لأن الشتيمة أقل ضررا من الكرامة"(٢٧٠).

القديس الأب باريكوس

طلب أخٌ من الأب باريكوس أن يقول له كلمة فأجابه: "أُمكث في قلايتك، وإذا جعت كُلْ، وإن عطشت اشرب، ومنها لا تخرج، ولا تتكلم بكلمة سوء وأنت تخلص"(٢٧١).

الأب بفنوتيوس الأسقف

لما كان الأب بفنوتيوس في البرية كان مزاجه صعبا وأعماله بحرارة كثيرة. ولما صار أسقفًا لم يكن كذلك. فطرح ذاته أمام الله قائلاً: "أترى بسبب الأسقفية ابتعدت مني النعمة"؟ فقيل له: "لا، ولكنك لما كنت في البرية حيث لا يوجد إنسان كان الله يعضدك، أما الآن ففي هذا العالم أناس يعضدونك"! فلوقته هرب إلى البرية(٢٧٢).



---

(٢٦٧) س ٤ ص ١٣٥. (٢٦٨) س ٤ ص ١٣٥. (٢٦٩) المرجع السابق. (٢٧٠) س ٤ ورقة ١٣٥.
(٢٧١) س ٤ ص ٨٦. (٢٧٢) س ٤ ص ٧٩.

من أقوال
الأب أنبا ديادوخوس

من أقوال الأب ديادوخوس(♣): "الذي فاز بمعرفة مقدسة وذاق الحلاوة الإلهية لا يجب أن يحاكم أحدا قط ولا يحرك حكومة ولا يأتي بأحد إلى مجلس حكم البتة حتى ولو سلبه إنسان ملابسه، لأن عدالة سلطات هذا الدهر ليست شيئًا بالنسبة لعدالة الله، وإلاّ فما الفرق بين أولاد الله وأولاد هذا الدهر؟ هكذا سلك ربنا يسوع المسيح، إذ إنهم لما شتموه لم يشتم أحدا، ولما أوجعوه لم يهدد، ولما نزعوا ثيابه لم يتكلم. إنه توجع لأجل خلاصنا، بل إنه طلب من الآب من أجل الذين فعلوا به المكروه"(٢٧٣).

قال الأب ديادوخوس: "من يشاء أن يطهر قلبه جيدا فليتخذ له كل حين الذكر الصالح الذي هو اسم ربنا يسوع المسيح الاسم القدوس عملاً وهذيذًا وكلاما وفكرا بغير فتور بعظم محبة وشوق كثير، ويخرج من عقله وسخ الخطية بعمل الوصايا كل حين"(٢٧٤).

وقال أيضا: ''لا يقدر إنسان أن يقتني مخافة الله إلاّ بأن يحب خصالاً ويبغض أخرى إن أراد أن يكون راهبا''. فسألوه: ''ما هي الخصال التي يحبها''؟ فقال: ''هي الشجاعة في غلبة الأهواء المظلمة، الحب، العفة، العلم، الاتضاع، المسكنة، الرحمة، حسن الحديث وليونته، الصبر، السهر، التعب، الطاعة .. وما إلى ذلك مما يرضي الله. فمن كانت له هذه الخصال رجوت له الخلاص''. فسألوه: ''وما هي الخصال التي يجب أن يبغضها''؟ فقال: ''الشره، الفسق، الحقد، اللجاجة، المراءاة، الكذب، النميمة، الحسد، الشر، الضجر، التواني، الغفلة، البذخ، التيه، التعظم، العجب (بالذات)، الصلف .. وما إلى ذلك''(٢٧٥).

وقال أيضا: ''كما أن أبواب الحمامات المفتوحة على الدوام تطرد سريعا حرارة الداخل إلى خارج؛ هكذا أيضا نفس ذاك الذي يريد أن يتكلم كثيرا حتى ولو كان كل ما يقوله جيد، فهو يجعل ذاكرته تهرب من باب صوته. لأنه أمر صالح يناسب الصمت: هو أنه ليس شيء آخر إلاّ كونه والد للأفكار الحكيمة جدا''(٢٧٦).

قال شيخ (قيل إنه هو أنبا ديادوخوس): "كما أن شمع العسل بقلة السخونة أو العجن لمدة طويلة لا يمكنه أن يتلقّى بصمة الختم؛ هكذا الإنسان لا يمكنه أن يحتوي على

(♣) كان أسقفًا في "فوتيكي" في شمال اليونان في القرن الخامس، وقيل إنه ولد نحو عام ٤٠٠ وانتقل قبل عام ٤٨٦م.
(٢٧٣) س ٤ ورقة ٧٤. (٢٧٤) س ٤ ص ١٣٤. (٢٧٥) س ٤ ص ١٣٧. (276) II, 12, Diadoque 70.

ختم قوة الفضيلة الإلهية إن لم يختبر بالأحزان والضعفات. ولذلك قال الرب للقـديس بولس: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل» (٢كو١٢: ٩)"[٢٧٧].

وقال أيضا: "لا يوجد فكر أكثر فقرا من الذي يتفلسف (أو يحب الحكمة أو يتأمل) بدون الله في أمور الله. ففي الحقيقة إن الذي يعلم سواء في الكنيسة أو في القلاية يجـب أولاً أن يعمل بما يقول ويعلم، لأنه قيل: «يجب أن الحراث الذي يتعب يشترك هو أولاً في الأثمار» (٢تي٢: ٦)"[٢٧٨].

قصص وأقوال
القديس أنبا تادرس الإسكندري(✪)

قيل عن أنبا تادرس إنه عندما كان شابا ساكنا في البرية ذهب ذات يوم ليخبز لـه خبزا. فقابل أخا يعمل لنفسه خبزا ولم يكن يتقنه وما كان يوجد أحد ليخبز له. فتـرك أنبا تادرس خبزه وعمل خبز ذلك الأخ. ثم جاء أخ آخر ليخبز فترك أيضا خبزه وخبـز لهذا الأخ. وجاء أيضا أخ ثالث فخبز له. وبعد أن أراحهم خبز لنفسه[٢٧٩].

قال الأب ثيئودور الذي من الهناطون: "إذا وبخنا الله على إهمالنا في صلواتنا وعدم الوفاء بأبصلموديتنا (تسابيحنا) فلا يمكننا أن نخلص"[٢٨٠].

سأل أخ أنبا تادرس: "كيف يقدر الإنسان أن يخرج الشياطين من نفسه"؟ فقـال القديس: "الإنسان إذا قبل ضيفًا وأكرمه اليوم، لا يقدر في الغد أن يطرده إذا كانـت ملابسه داخل بيته، إلاّ إذا أعطاه ملابسه وجميع ما كان له داخل بيته، وحينئـذ إن أراد أن يطرده يغلق الباب في وجهه؛ وهكذا الشيطان إذا لم تطرح خارجا عنك متاعه الذي هو الزنى والنجاسة والكذب وجميع معداته فلا تقدر أن تطرده"[٢٨١].

ذهبنا إلى كانوب (أبوقير) التي تقع على بعد نحو عشرة أميال مـن الإسـكندرية، وتحدثنا مع الأب ثيئودور الناسك (تودري) الذي كانت له موهبة الحلم والصبر. وقـد

(277) VII, 59 Diadoque 94.

(278) An., 1738 (J 738).

(✪) كان تلميذًا للقديس أنبا آمون في نتريا، ثم ذهب إلى دير "هيناطون" غرب الإسكندرية نحو سنة ٣٠٨م.

(279) Apoph., Theodore Enaton, 1; W. & W., I: 407; س ٤ ورقة ٦٧

(280) Apoph., Theodore of Enaton, 3; W. & W., II: 353; Ch., 81.

(٢٨١) س ٤ ص ١٢٥.

روى لنا أنّ أخا كان يسكن في منطقة القلالي قد اكتسب موهبة ملامة النفس والبكاء. وحدث يوما ما أنه بلغ به وجع القلب حتى جاءه فيض من الدموع، فقال لنفسه: "هذه بالتأكيد علامة على أن يوم موتي قد قرب". وكلما كان يفكر هكذا كانت الـدموع تتضاعف أكثر، فقال أيضا: "هذا يؤكد أن وقتي قد اقترب". ومن يوم إلى يـوم ظـل يبكي أكثر فأكثر. وإذ انتفعنا كثيرا من رواية الشيخ سألناه بخصوص الدموع: "لماذا، يا أبانا، تأتي الدموع تارةً من نفسها وتارةً أخرى لا تأتي حتى مع الحزن"؟ فقال الشـيخ: "الدموع تشبه أمطار العاصفة والراهب هو الفلاح. فيجب عليه حالما يـأتي المطـر أن يحرص ألاّ يفقد شيئًا منه، بل أن يدخل كله في حديقته الصغيرة ويرويها. لأنـني أقـول لكم، يا أبنائي، إنه كثيرا ما يكون يوم واحد من المطر أفضل من السنة بأكملها فينقـذ جميع الثمار. ولذلك فحالما نتحقق من مجيئه فلنجتهد ونحرص ونتفرغ للصلاة والتضرع لله بلجاجة، لأننا لا ندري إن كنا سنعثر على هذا المطر في يوم آخر".

ثم **سألناه أيضا:** "وكيف يمكننا أن نحافظ على ملامة النفس والبكاء عندما تـأتي"؟ فأجاب الشيخ: "ليتنا لا نلتقي بإنسان في ذلك اليوم أو في ذلك الوقت، ولنحترس مـن ملء البطن ولنتيقظ لقلوبنا حتى لا تصور لنا أن بكاءنا فضيلة فنتكبر، ولنتفرغ للصـلاة والتلاوة. ومن جهة أخرى، فعندما يأتينا الحزن يعلّمنا هو نفسه ما يقودنـا إليـه ومـا يضرنا". ثم حكى لنا قائلاً: "عرفت أخا كان جالسا في قلايته ويعمل عمله العادي. ثم جاءته دموعه فجأةً، فنهض للصلاة، ولكن الدموع توقفت في الحال. فجلس ورجع إلى عمله واستجمع روحه فجاءت دموعه في الحال. وأيضا إذ كان يقرأ، فحالما شعر بملامة النفس ض ولكنها توقفت على الفور. وبمجرد أن أخذ الكتاب رجعت الدموع. فقال الأخ حينئذ: صدق الآباء عندما قالوا إن النوح إنما هو معلم لأنه هو نفسه يعلم الإنسان كل ما ينفعه"[٢٨٢].

قيل عن الأب ثيئودور الإسكندراني والأب لوقا (أو لوقيوس)، إ ما قضيا خمسين سنة مضطربي الفكر بخصوص تغيير مكان سكنهما، فكانا يسخران من هذا الفكر قائلين: "سنغير مكاننا في الشتاء". وفي فصل الشتاء كانا يقولان: "سنغير في الصيف". وفعلا هكذا حـتى ـاية حيا ما، هذين الأبوين اللذين يجب أن نحفظ ذكراهما على الدوام[٢٨٣].

---

(282) An., 1537 (N 537); س ٤ ورقة ١٠٨
(283) Apoph., Theodore of Enaton, 2; W. & W., I: 12; Ch., 36.

قصص وأقوال
القديس يوحنا الدرجي السينائي

من كتاب الدرجي: "سمعت نمّامين وزجرتهم، فقال فعلة الشر هؤلاء إنهم يفعلون ذلك بسبب محبتهم وشفقتهم على الذين يتكلمون عنهم. فقلت لهم: امتنعوا عن هذه المحبة، فإن كنت تحبه حقًا فصل لأجله خفيةً ولا تهجو وتسب الرجل"(٢٨٤).

ومن كتاب الدرجي أيضا: "الذي يصدق الأحلام يشبه من يريد أن يلحق بظله ويمسكه، لأن شياطين العجرفة ينذروننا في الحلم بما سيكون بمكر حتى إذا تحقق الحلم ننخدع ونظن أننا قد اقتربنا من موهبة النبوة، فنتعجرف في أنفسنا"(٢٨٥).

وقال القديس: "الشيطان هو روح إعلان في الهواء، فإذا عرف أن فلانا قد مات يخبر عنه ويخدع الخفيفي العقول. وقد يتنكر مرةً بشبه ملاك نور أو أحد الشهداء ويرينا ذلك في الحلم، فإذا انتبهنا يملأنا فرحا وعجرفة"(٢٨٦).

قال الأب يوحنا السينائي: "أثناء وجودي في البرية الداخلية جاءني أحد الإخوة مفتقدا من الدير، فسألته عن حال الآباء، فأجابني: 'بخير بصلواتك". فسألته أيضا عن أخ كانت سمعته رديئة، فأجابني: 'صدقني يا أبي، لم يتخلّص بعد من هذه الأحوال'. فقلت: 'أُف'. وفي الحال حلّ علي سبات، وكأن نفسي قد أُخذت، ورأيت أنني قائم قدام الجلجثة والمسيح بين لصين مصلوبا، فتقدمت لأسجد له، فأمر الملائكة الواقفين أمامه بإبعادي خارجا قائلاً: 'هذا قد أخذ مني الدينونة ودان أخاه قبل أن أدينه أنا'. فهربت، ثم تعلّق ثوبي بالباب وأُغلق علي، فتخليت عن الثوب. ولما استيقظت قلت للأخ الذي كان عندي: 'هذا هو أردأ يوم علي'. فسألني: 'لماذا يا أبي'؟ فأخبرته بما رأيت وقلت: 'الثوب هو سترة الله لي وقد حرمت منها'.

ومن ذلك اليوم ظل القديس سبع سنوات تائها في البراري لا يأكل خبزا ولا يأوي تحت سقف ولا أبصر إنسانا. وبعد ذلك رأى في منامه كأن الرب أمر أن يعطوه ثوبه، فلما انتبه فرح فرحا عظيما. وبعد أن أخبرنا بذلك تنيح في اليوم الثالث. فلما سمعنا ذلك تعجبنا قائلين: «إن كان البار بالجهد يخلص، فالفاجر والخاطئ أين يظهران» (١بط٤: ١٨)(٢٨٧)!

⌘✵❖✵⌘

(٢٨٤) س ٤ ورقة ٧٥. (٢٨٥) س ٤ ورقة ١١٥. (٢٨٦) المرجع السابق. (٢٨٧) س ٥ ورقة ٨٣.

قصص وأقوال
القديس إبيفانيوس أسقف سلاميس بقبرص

قال الأب إبيفانيوس: "النظر في الكتب (المقدسة) حرز عظيم وضروري، لأن مجرد النظر فيها يجعلنا أقل ميلاً إلى الخطية ويحثنا ويستميلنا إلى عمل البر"[٢٨٨].

وقال أيضا: "قراءة الأسفار المقدسة صيانة عظيمة ضد الخطية"[٢٨٩].

وقال أيضا: "الجهالة بالكتب المقدسة جرف عظيم وهوة عميقة"[٢٩٠].

وقال أيضا: "الذي لا يعرف الشرائع الإلهية يضيع رجاء خلاصه"[٢٩١].

وقال أيضا: "الأبرار يخطئون بأفواههم، ولكن غير الأتقياء يخطئون بأجسادهم كلها. لذلك يقول النبي داود: «ضع يا رب حافظًا لفمي وبابا حصينا لشفتي» (مز١٤١: ٣ الترجمة القبطية)، وأيضا: «قلت أتحفظ لسبيلي لكي لا أخطئ بلساني» (مز٣٩: ١ سبعينية)"[٢٩٢].

وقال أيضا: "إن الله يبيع ملكوته بثمن زهيد للذين يريدون أن يشتروه: بكسرة خبز، بثوب ليس له قيمة، بكوب ماء بارد، بفلس؛ إذا فعلوا ذلك بإفراز"[٢٩٣].

وقال أيضا: "إن ملكي صادق – رمز المسيح – قد بارك إبراهيم أبو اليهود؛ فكم بالأكثر الحق نفسه، الذي هو المسيح، يبارك ويقدس كل الذين يؤمنون بالحق"[٢٩٤]!

وقال أيضا: "المرأة الكنعانية صرخت وسمع صراخها (مت١٥)، وكانت المرأة النازفة الدم صامتة ودعيت مطوبة (لو٨). الفريسي تكلم وأُدين (مت٩) والعشار لم يفتح فاه وسمعت صلاته (لو١٨)"[٢٩٥].

وقال أيضا: "كان داود النبي يصلّي في الليل متأخرا، ويستيقظ في نصف الليل ويصلّي قبل ضوء النهار، وعند الفجر يقف أمام الرب. كان في الساعات الأولى يصلّي وفي المساء ووقت الظهر يصلّي أيضا، ولذلك قال: «سبع مرات في اليوم سبحتك» (مز١١٩: ١٦٤)"[٢٩٦].

أرسل مرةً رئيس دير بفلسطين إلى الأب إبيفانيوس مع أحد الأساقفة سرا قائلاً: "إننا لم نتهاون في خدمات الصلاة منذ أن رحلت عنا، ولكننا تممنا جدا بخدمات الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة والغروب (أو المساء) أيضا". حينئذ وبخ القديس

---

(٢٨٨) س ٤ ص ٨١؛ Apoph., Epiph., 8
(289) Apoph., Epiph., 9.
(٢٩٠) س ٤ ص ٨١؛ Apoph., Epiph., 11
(291) Apoph., Epiph., 10.
(292) Ibid., 12.
(293) Ibid., 16.
(294) Apoph., Epiph., 5.
(295) Ibid., 6.
(296) Ibid., 7.

إبيفانيوس الذين قالوا ذلك برسالة كتبها لهم قائلاً: "ينبغي أن تعلموا أنكم حقًا متغافلون عن الخدمات والصلوات الخاصة ببقية الساعات الثماني اليومية، لأنه يجب على الراهب الذي ابتعد عن العالم أن ينشغل بالصلوات بلا انقطاع، وعليه أن يصلّي إما في قلبه أو في الخدمات المقررة أو بالخدمة التي يتممها بمشيئته وبفهم. لأن المفتري علينا (أي الشيطان) يضيف الكثير على أي سقطة صغيرة يجدها في الراهب، وبوجوده معه على الدوام يوسع جدا الثغرة التي صنعها، ويكتسب قدرته الطبيعية من عناده المعتاد، وهذا يفعله بصفة خاصة في حالة المتغافلين والكسالى. فالراهب الحقيقي يجب أن تكون الصلاة والأبصلمودية دائما في قلبه"(٢٩٧).

أرسل القديس إبيفانيوس يوما ما إلى أبا هيلاريون (الغزاوي) قائلاً: "تعال لنرى بعضنا بعضا قبل أن نفارق الجسد". فلما جاء ابتهجا بتقابلهما. وأثناء الأكل جيء أمامهما بطائر (مطبوخ)، فأعطاه الأب إبيفانيوس للأب هيلاريون. فقال له الشيخ: "اغفر لي، فمنذ أن لبست هذا الثوب لم آكل لحما مذبوحا". فأجاب الأسقف: "منذ أن لبست هذا الثوب لم أسمح لأي واحد أن ينام وله علي شكوى، ولا ذهبت أنا لأستريح ولي شكوى على أحد". فأجاب الشيخ: "اغفر لي، فإن طريقتك في الحياة أفضل من طريقتي"(٢٩٨).

من سيرة القديس إبيفانيوس: ظهر في أيامه بقبرص شاب يدعى "الفيلسوف"، وكان يجادله علماء كثيرون وهو كان يفحمهم بأقوال مقنعة. وكان يأتي إليه كهنة وأساقفة كثيرون فيقنعهم بكلامه. فتكاسل الكثيرون عن مجادلته، وذاع صيته حتى إلى "بافوس"، وتحدثوا عن حكمته وقوة منطقه ومقدرته على الجدال. فلما رأى الأسقف إبيفانيوس ذلك حزن متفكرا في نفسه قائلاً: "ماذا يكون هذا الشاب المفتخر بعلوم كاذبة من إيماننا بالمسيح"؟!

ثم تسلّح بالإيمان وأمر أن يحضروه إليه. فقالوا له: "إن الأسقف إبيفانيوس يستدعيك". فذهب إليه، ولكن الأسقف لم يتكلم معه، بل انتصب للصلاة. ولما بدأ الصلاة أخذت الشاب رعدة وصر بأسنانه، فتعجب الكل لذلك جدا. فلما شعر الأب بقوة الصلاة بدأ يطلب من الله قائلاً: "يا رب، اشفِ هذا الشقي العليل من المرض، حلّه من أسره يا رب، واظهر الشيطان المستتر فيه واعتق جبلتك منه". عند ذلك صر بأسنانه وأزبد واحمرت عيناه وصرخ بصوت عظيم قائلاً: "أنت يا إبيفانيوس تخرجني من مسكني"؟ فقال له القديس: "الرب يسوع المسيح يخرجك من جبلته". فقال له

(297) Ibid., 3; W. & W., I: 118.

(298) Apoph., Epiph., 4; D. F., IV: xv.

الشيطان: "ألم تعرفني من أنا"؟ فقال له الأسقف: "من أنت"؟ فقال: "أنا هو الـذي تكلمت في أوريجانوس"! فقال له الأسقف: "إن كنت أنت الذي تكلمت فيه فقُل لنـا بدء الكتاب الذي ألّفه ذاك الشقي". فبدأ إبليس يذكر بدء هذا الكتـاب. فقـال لـه القديس: "بالحق أنت هو المصنف لهذه الشرور العظيمة".

ولم يحتمل الأب أن يسمع أكثر من ذلك، ثم قال له: "اصمت يا ابن جهـنم، أنـا آمرك باسم الرب يسوع المسيح أن تخرج منه ولا تؤذيه"! فصرعه على الأرض وخرج منه. ولما أفاق لنفسه سألوه: "من أين كانت لك المقدرة على ذلـك المنطـق العظـيم والنحو والفلسفة"؟ فقال: "لا أعلم ماذا تقولون، ولا كيف كنت أتكلم، ولا كيـف أتيت إلى ههنا"! فتعجب الحاضرون وخافوا من ضربات العدو[٢٩٩].

تكدر أحد الإخوة من أخيه، فلما سمع الأخير ذلك ذهب إليه ليعبر عن ندمه، ولكنه لم يفتح له الباب. فذهب الذي كدر أخاه إلى أحد الشيوخ وأخبره بالأمر، فقـال لـه الشيخ: "انتبه لئلاّ تكون في قلبك مبررا لذاتك مدينا لأخيك وكأنه هو المكدر، لأنه ربما بسبب ذلك لم يحثه قلبه أن يفتح لك. ومع ذلك فافعل ما أقوله لك: رغم أنك اسـتأت منه، فاذهب بشعور ثابت في قلبك أنك أنت الذي اعتديت عليه، فلعل الله يضع في قلب أخيك أن يصطلح معك".

ثم روى له الشيخ قصةً تشرح هذا الأمر: "كان هناك أخـوان يعيشـان في العـالم ويخافان الله، وكانت ميول قلب كل منهما واحدة. ثم ترهبا، ولما سمعا الإنجيل يقـول: «يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات» (مت١٩: ١٢)، بلغ حبهما إلى قمة حرارته فخصيا نفسيهما لأجل ملكوت السموات. ولما سمع الأسـقف ذلـك أفرزهما وحرمهما. فلكي يظهر الأخوان أ ما فعلا أمرا صالحًا قالا بعضهما لبعض: 'لقد خصينا نفسينا لأجل ملكوت السموات، وهذا الأسقف يحرمنا. فلنـذهب ونشـتكيه لرئيس أديرتنا الذي هو أسقف أورشليم'. فذهبا وأخبراه بالأمر، فقال لهما: 'وأنا أيضا أحرمكما'! فحزنا جدا وذهبا إلى أسقف أنطاكية وأخبراه بالأمر، فطردهما وحرمهمـا. فقالا بعضهما لبعض: 'لنذهب إلى بطريرك روما، وهو سينتقم لنا من هؤلاء الأساقفة'. وذهبا إليه وأخبراه بالأمر، فقال لهما: 'وأنا أيضا أحرمكما، فلتكونوا محرومين'!".

"حينئذ احتارا فيما يفعلان، ثم قالا بعضهما لبعض: 'هؤلاء جميعا يكرمون بعضهم بعضا

(٢٩٩) س ٥ ص ١٥٧.

لأ م يتلاقون في مجامعهم، فلنذهب إلى قديس الله إبيفانيوس أسقف قبرص، لأنه أسـقف بالحق ولا يأخذ بوجه إنسان'. ولما اقتربا من مدينة القديس كُشِف له عن أمرهما، فأرسـل لهما قائلاً: 'لا تدخلا المدينة'. فرجعا إلى نفسيهما وندما قائلين: 'إننا حقًا قد أخطأنا، فبماذا نتبرر؟ لأنه حتى لو افترضنا أن الأساقفة حرمونا بطريقة غير مناسبة، ولكن لعل هذا الرجل يكون نبيا، لأنه ها قد كشف له الله أمرنا مسبقًا، فلنحكم على أنفسنا فيما فعلناه'. وحينئذ، فإن الله الذي يعلم ما في القلوب، لما رأى أ ما أدانا ذا ما عمل في قلب القديس إبيفانيوس فأرسل إليهما من ذاته وجاء ما وأشركهما في التناول معه. ثم كتـب بخصوصـهما إلى أسقف أورشليم قائلاً: 'اقبل ابناك لأ ما تابا بالحق'"!

ثم قال الشيخ: "هكذا يكون شفاء الإنسان، والله يريد أن الإنسان يضع استياء رفيقه منه على نفسه". ولما سمع الأخ هذه القصة فعل كما قال له الشيخ، ولما ذهب وقـرع باب الأخ أدرك الأخ في داخله وعبر عن أسفه له وهو لا يزال بالداخل، ثم فتح لـه في الحال واصطلحا مع بعضهما بكل قلبيهما وصارا في سلام عميق[٣٠٠]!

سئل الأب إبيفانيوس: "هل يكفي بار واحد لتسكين (غضـب) الله"؟ فأجـاب: "نعم، لأنه هو نفسه قال: «هل تجدون إنسانا أو يوجد عامل بالعدل (أو البر) طالـب الحق فأصفح عنها (عن أورشليم)» (إر٥: ١)"[٣٠١]؟

وقال هذا الأب: "الله يعفو عن ديون الخطاة الذين يتوبون مثـل المـرأة الخاطئـة والعشار، أما البار فهو يطلب منه حتى الفائدة. وهذا هو ما قاله لرسـله: «إن لم يـزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات» (مت٥: ٢٠)"[٣٠٢].

وقال أيضا: "الذي يأخذ شيئًا من آخر بسبب فقره أو حاجته تكون له في هذا الشـيء مكافأة. ولأنه يخجل فعندما يرد الشيء يفعل ذلك في الخفاء. ولكن الرب على العكس مـن ذلك، فهو يأخذ في الخفاء ولكنه يعوض في حضرة الملائكة ورؤساء الملائكة والأبرار"[٣٠٣].

قال الأب إبيفانيوس: "عندما يأتيك فكر ويملأ قلبك با د الباطل أو الكبرياء، قُـل لنفسك: أيها الإنسان العتيق، ها هو زناك"[٣٠٤].

وقال أيضا: "اعرف نفسك وأنت لن تسقط أبدا. أعط لنفسك عملاً، أي صـلاة دائمة وحب لله، قبل أن يمكن لآخر أن يعطيها أفكارا شريرة، وصل لكي يبتعد عنـك

(300) W. & W., I: 523,524; An., 1334. (301) Apoph. Epiph., 14. (302) Ibid., 15.
(303) Ibid., 17. (304) W. & W., I: 123; 337; II: 445.

روح الانحراف"[٣٠٥].

وقال أيضا: "أي شيء تفعله بنجاح وتفتخر به حطمه، لأنه ليس من الصواب أن يفتخر الراهب بأعماله الجيدة، فإذا افتخر يسقط"[٣٠٦].

وقال أيضا: "أي طعام تريد أن تأكله بمتعة لا تعطه لجسدك ولا سيما عندما تكون بصحة جيدة ولست مريضا، والذي تشتهيه لا تأكله. وعندما تتغذّى بالطعام الذي يرسله لك الله فاشكره في كل المناسبات، واقبل عطيته السخية، تلك المسرات التي قبلناها باعتبارنا رهبان رغم أننا لا نتمم أعمال الرهبان. وإن كنت راهبا، ألا تشاء أن تجعل نفسك قويا حتى لو اكتسيت بالمصادفة بلباس غريب عنك"؟

"أخبرني، أيها الأخ، كيف يمتلك الإنسان ختم الخدمة إن لم يكن له اتضاع؟ لأن القديس المتضع الذي يرى إنسانا آخر يخطئ يبكي بمرارة قائلاً: 'هذا الإنسان يخطئ الآن، ولكن كم مرة سأخطئ أنا غدا'؟ فمهما أخطأ إنسان بكثرة أمامك لا تدِنه، بل اعتبر نفسك خاطئًا أكثر منه جدا، حتى ولو كان هو من أهل هذا العالم وحتى لو أخطأ خطأً جسيما إلى الله"[٣٠٧].

وقال أيضا: "عندما تصلّي قُل لله بصوت هادئ: 'كيف يمكنني أن أمتلكك يا رب؟ إنك تعلم جيدا أنني حيوان ولا أعرف شيئًا. لقد أتيت بي إلى عنفوان هذه الحياة، فحررني إذن لأجل رحمتك. إنني خادمك وابن أمتك يا رب، فبحسب مشيئتك أعطني حيوية'. زائف هو الإنسان العتيق، أما الإنسان الجديد فهو حق، والحق هو أصل الأعمال الصالحة، والزيف هو الموت. لو علم الكذّاب واللص والمفتري أنهم سيفضحون أخيرا وتفضح أعمالهم لما ارتكبوا الخطية إطلاقًا، وهكذا كان الأمر بخصوص الزناة مثل ابني عالي الكاهن حفني وفينحاس، لأنهما كانا كهنة للرب ولكنهما لم يخافا الله، فهلكا مع كل بيتهما. والإنسان الذي يحتفظ بذكر الشرور ويرتبط بها ويحبسها في داخله، يشبه الذي يخبئ نارا في قش".

"إذا تكلمت مع أحد بخصوص الحياة، وإذا قلت له كلمة فليكن ذلك بشعور داخلي وتوبة وبدموع. وقل كلامك للذي يسمعه ويعمل به، وإلاّ فلا تتكلم لئلاّ ترحل من هذا العالم بلا أية منفعة من الكلام الذي رغبت أن تعطي به حياةً لآخرين. لأن الله يقول للخاطئ: «ما

(305) I: 120; II: 438. (306) I: 121; II: 439. (307) Ibid., I: 119; II: 437.

الذي تعمله بوصاياي، لأنك جعلت عهدي على فمك فقط» (حسب النص)؟"[308].

وقال أيضا: "إذا عملنا شرورا، فإن الله يهمل طول أناته، أما إذا عملنا الخيرات فهي لن تعيننا كثيرا، لأن الإنسان لكي يزيد من منفعة حريته، ولكي لا تسلب إرادته؛ يجب أن يسر بالجهاد"[309].

وقال أيضا: "إننا نفعل الشر والله بطول أناته يغفر لنا، فكم بالأكثر يأتي لمعونتنا إن عملنا الخير"[310]!

توسل مرةً بعض الإخوة للأب إبيفانيوس قائلين: "قُل لنا كلمة للحياة حتى ولو أننا عندما تتكلم ربما لا ندرك ولا نحفظ بذرة كلامك لأن التربة مالحة". فقال لهم الشيخ: "الذي لا يقبل جميع الإخوة بل يفرق بينهم لا يمكنه أن يصير كاملاً. فإن أهانك أحد بارك عليه، فإذا قبل البركة يكون ذلك صالحًا لكل منكما، وإن لم يقبلها سينال أجر إهانته وتنال أنت أجر البركة. هذه هي الطريقة الصحيحة التي يعيش ا الراهب. و ذه الطريقة عاش الأب أرسانيوس الذي اهتم أن يقف أمام الله كل يوم بلا خطية، وكان يقترب إليه بدموع كالمرأة الخاطئة. فبهذه الطريقة صل لله كأنه واقف أمامك لأنه قريب منك وينظر إليك باهتمام.

"فيليق بالذي يريد أن يسكن في البرية أن يكون مثل معلم في المعرفة، وينبغي ألاّ يكون في حاجة إلى التعليم لئلاّ تكتسحه الشياطين. وعليه أن يراقب فكره بتدقيق سواء بخصوص السماويات أو الأرضيات، لئلاّ يصير أضحوكةً لهم بوسيلة أو بأخرى. فمن اللائق لمَن يحب الله أن تكون طريقة حياته بلا لوم"[311].

وقال أيضا: "الذي يظهر ويكشف عمله الصالح يكون مثل الذي يزرع البذار على سطح الأرض ولا يغطيها، فتأتي طيور السماء وتلتهمها. أما الذي يخفي أعماله الصالحة فيكون كمن يزرع بذاره في أخاديد (أي شقوق) الأرض فيجني منها في الحصاد"[312].

وقال أيضا: "أيها الراهب، اعتن بأقصى ما يمكنك ألاّ تخطئ لئلاّ تحزن الله الساكن فيك وتطرده من نفسك"[313].

---

(308) W. & W., I: 122; II: 440 – 444. (309) Ibid., I: 124; II: 446.
(310) Sys., XXI, 21. (311) W. & W., I: 125. (312) W. & W., I: 336. (313) Ibid., I: 338.

وقال الأب إبيفانيوس لتلاميذه عند خروج نفسه من جسـده: "اصـغوا بانتبـاه واحفظوا كلامي أنا الخاطئ: لا تحبوا خيرات أو متاع هذه الدنيا لكي تجـدوا راحـةً وتفرحوا في اليوم الأخير. لا تتكلموا بالشر على إخوتكم حتى لا يقوى عليكم هـوى شيطاني. تحفظوا من رغبات هذا العالم التي تثير شهوات الجسد، واعلم جيـدا أن هـذا يخص الشيطان، لأن الجسد ربما يكون هادئًا ولكن القلب يهذّ في الأمور الباطلة. أيقظوا قلوبكم بذكر اسم الرب لكي تخف عنكم قتالات العدو"[٣١٤].

القديس أنبا دانيـال
قمص برية شيهيت[🔔]

قيل عن أنبا دانيال إنه انطلق إلى برية شيهيت وهو شاب[٣١٥] وترهـب. وكـان حازما في تقشفه، فقد كان يتناول طعامه مرةً واحدةً عند الغروب، وكان يسير على هذا النظام كل أيام حياته. وكان يعمل بيديه السلال المتنوعة الأغراض ويذهب ليبيعهـا في إحدى قرى الدلتا. لكن هذا الحال لم يستقر هكذا طويلاً، إذ هجم البربر على البريـة، وأُسِر أنبا دانيال الراهب الشاب ثلاث مرات عند لصوص كانوا في البرية، ثم عـاد إلى قلايته بالأسقيط حيث قضى مدة طويلة في حياة الانسـحاق والاتضـاع والـدموع، واستحق في النهاية أن يكون قمصا على البرية كلها[٣١٦].

وقيل عنه إنه لما أُسِر أول مرة ظلّ أسيرا لمدة سنتين، ثم عتقه من الأسر رجلٌ بحـار (دفع ثمن رقبته). وفي ثاني مرة هرب من الأسر بعد ستة شهور، أما في ثالث مرة فقـد فرغ صبره وأتى عملاً عنيفًا، فقد صرع آسِره بحجرٍ أرداه قتيلاً (بدون قصد) وهـرب. ولكنه ظلّ تحت عذاب الضمير طوال حياته: فقد ذهب إلى بابـا الإسـكندرية أنبـا تيموثاوس الثالث وسأله عن العقوبة التي ينبغي أن يتحملها ليكمل توبته، ولكن البابـا حاول أن يرفع عن ضميره ثقل هذا الكابوس عبثًـا عندما أراد أن يقنعه أن الرجل الذي

(🔔) نشرت سيرته باللغات الآتية: ١- اليونانية: "Leon Clugnet - Vie et Récits de l'Abbé Daniel le Scétiote 1901" (R.O.C.V pp.49f, 254 f., 370 f. 535 f.). ٢- السريانية: F., Nau ٣- القبطية: Gyuidi الذي ترجمها إلى الإيطالية. ٣- الحبشية: Goldsmith, E. Periera - Vida de Abba Daniel, Lisbon, 1897 (عن "رهبنة" ص ٤١٩؛ ومقدمة كتاب سيرة أنبا دانيال - يوسف حبيب).

(314) Eth. Pat., 424; س ٤ ص ١٥٩

(٣١٥) يستنتج من تواريخ الحوادث المذكورة عنه في المخطوطات أنه وِلد حوالي سنة ٤٨٥م.

(٣١٦) سيرة القديس - يوسف حبيب، ص ٧.

أسره هو في مرتبة الوحوش المفترسة، والدفاع عن النفس لا يكون إلاّ بقتلها. فلم يقتنع ورحل إلى روما، فقالوا له ما قاله أنبا تيموثاوس، فلم يسترح، ومنها أقلع إلى القسطنطينية ثم أفسس ثم أورشليم ثم أنطاكية ليسأل أساقفتها، فلم يسترح. وأخيرا عاد إلى الإسكندرية وسلم نفسه للسلطات القضائية باعتباره قاتل نفس، ولكن القاضي أخلى سبيله وتمنى لو كان قد قتل سبعة برابرة آخرين ...!

وأخيرا لجأ إلى أعمال النسك والرحمة ليعزي ضميره، فأضاف في قلايته رجلاً كسيحا مقعدا أخذ يعتني به بنفسه(٣١٧).

أخبروا عن الأب دانيال وتلميذه أنهما توجها مرةً إلى الصعيد، فلما بلغا إلى ضيعة قال الشيخ: "ها هنا نقيم اليوم". فتذمر تلميذه وقال: "إلى متى نطوف؟ هلم بنا إلى الأسقيط". فقال الشيخ: "لا، بل نقيم هنا اليوم". وجلسا في وسط الضيعة كأنهما غريبين. ثم قال التلميذ للشيخ: "أيرضي الله أن نظلّ هنا في الطريق مثل الآخرين؟ فلنذهب بالحري إلى الكنيسة". ولكن الشيخ قال: "لا، ها هنا نجلس". فمكثا هناك جالسين حتى المساء.

أخذ الأخ يخاصم الشيخ، وبينما هو يتكلم أقبل رجلٌ شيخ منحني الظهر من أهل الضيعة، ولما نظر إلى أنبا دانيال أقبل عليه واحتضنه وقبل قدميه ببكاءٍ كثير، ثم احتضن تلميذه وقال لهما: "تفضلا علي بالمجيء إلى منزلي". وكان حاملاً مصباحا، وقد طاف شوارع الضيعة مفتشا عن الغرباء. ثم اصطحب الشيخ وتلميذه ومن وجده من الغرباء إلى منزله، وغسل أرجلهم، ولم يكن عنده أحد يؤنسه سوى الله وحده. ثم قدم لهم المائدة، وعندما فرغوا من الأكل أخذ ما بقي من الكسر وطرحها لكلاب الضيعة، وكانت هذه عادته كل ليلة، ألاّ يبقي أي فضلات إلى الصباح.

ثم أخذ الشيخ على انفراد ومكثا طوال الليل تقريبا يتحادثان في أمور الخلاص بدموع غزيرة، وفي الصباح صلى الأب واحتضنا بعضهما ثم افترقا.

وبينما كان الشيخ وتلميذه سائرين في الطريق انطرح التلميذ أمام الشيخ قائلاً: "اصنع معروفًا، يا أبي، وعرفني من هو هذا الشيخ وكيف عرفته"، ولكنه لم يشأ أن يخبره. فانطرح الأخ أمامه مرةً أخرى قائلاً: "لقد أبحت لي بأمور أخرى عديدة، ولكنك لم تكشف لي أمر هذا الشيخ". ولكن الشيخ لم يشأ أن يخبره بشيءٍ حتى حزن

---

(٣١٧) "رهبنة"، ص ٤١٩.

الأخ ولم يقل للشيخ كلمةً واحدةً حتى وصلا إلى الأسقيط.

فقال له أنبا دانيال: "هذا الرجل يسمى "أولوجيوس"، أي مبارك، وصناعته قطع الحجر، ويتحصل كل يوم على درهم واحد ولا يذوق شيئًا حتى المساء، وعند حلول الظلام يخرج إلى السوق وأماكن الضيعة ويفعل كما رأيت. وعمره الآن يقرب من مائة سنة، وقد رزقه الله قوةً يحصل بها على رزقه كل يوم.

"ولما كنت أنا شابا في الأربعين من عمري، صعدت إلى هذه الضيعة أبيع عمل يدي، فلما جاء وقت المساء أخذني وأخذ معي إخوة غيري حسب عادته، واحتفل بضيافتنا. ولما رجعت إلى الأسقيط تفكّرت في فضيلة الرجل، وبدأت أصوم أسابيع متصلة وأتضرع إلى الله أن يرزقه نفقةً أكثر حتى يكون له ما يحسِن به لكثيرين، وأقمت ثلاثة أسابيع منطرحا من الصوم مثل الميت. ثم رأيت إنسانا أمامي لابسا مثل الكهنة، وقال لي: 'يا دانيال، ما حالك'؟ فقلت له: 'يا سيدي، قد أعطيت المسيح عهدا ألاّ آكل خبزا إلاّ إذا استجاب سؤالي في أولوجيوس، وهو أن يهب له بركةً لكي يحسِن بها لآخرين كثيرين'. فقال لي: 'إنه حسن الحال'. فقلت له: 'أسألك يا رب أن تعطيه أكثر مما أعطيته حتى يمجد به اسمك القدوس في قومٍ كثيرين'. فقال لي: 'قلت لك إنّ حاله الآن حسن، فإن شئت أن أرزقه سعةً فاضمن لي نفسه أنها تتخلص من عبودية الغِنى وشرهه وأنا أهب لك ذلك'. فقلت: 'نعم'.

"ثم رأيت وكأننا وقوف في القيامة المقدسة، ورأيت شابا جالسا فوق الحجر المقدس، وأولوجيوس واقفًا عن يمينه، فأرسل لي واحدا من القيام قدامه وقال: 'أهذا هو الذي يضمن أولوجيوس'؟ فقالوا كلهم: 'نعم يا سيدنا'. فقال أيضا: 'قولوا له إنني سأطالبه بالضمان'. فقلت له: 'نعم يا سيدي علي ضمانه، فاعطه ما طلبته له'. ورأيتهم يسكبون في حِجر أولوجيوس أموالاً كثيرة، وبمقدار ما كانوا يسكبون أموالاً كان هو يوسع حِجره، ولما انتبهت علمت أن الله قد استجاب لي.

"ولما خرج أولوجيوس إلى المكان الذي يقطع فيه الحجر، ضرب صخرةً فسمع فيها صوتا يدل على تجويفٍ تحتها، ثم ضرب أيضا فوجد ثقبا صغيرا، ولما ضرب أيضا وجد مغارةً فيها أموال كثيرة، فدهِش وقال في نفسه: 'هذه الأموال من عهد بني إسرائيل، فماذا أعمل بها؟ إن أخذتها إلى الضيعة يسمع بها الوالي ويأخذها مني وأصير في خطر، فالأفضل أن أذهب بها إلى بلدٍ بعيدٍ لا يعرفني فيها أحد'.

"ثم دبر الأمر بحكمةٍ واستأجر دوابا لنقل الحجارة، ونقل المال بمعرفتـه إلى البحـر، واستأجر مركبا وأبحر فيها إلى بيزنطة[٣١٨]، ونزل قريبا منها، وكان قد ملـك هنـاك الإمبراطور يوستنيانوس. ولما استقر أولوجيوس هناك بدأ يصادق الشرفاء ويأكل ويشرب معهم، وصار يركب مع عظماء الدولة ويهاديهم بكرمٍ ويقرضهم. وسمع به الملك فأنعم عليه وأضافه وأكرمه، ثم أرسل إلى الملك هديةً عظيمةً وأموالاً جزيلة. فجعله الملك مـن الأشراف ووهبه دارا كبيرةً فعمرها وسميت "دار القبطي"، وتخلى عن عمله الصالح ولم يذكره أصلاً، ثم عظّمه الملك وجعله أكبر وزرائه.

"وبعد سنين رأيت في المنام ذلك الشاب جالسا في القيامة المقدسة، فقلت في نفسي: ترى أين هو أولوجيوس؟ فلم أشعر إلاّ وأولوجيوس بين أقوام سود يجرونه. ولما انتبهت قلت في نفسي: 'ويلي أنا الخاطئ أهلكت نفسي'! ثم توجهت إلى الضيعة كأني أريد أن أبيع عمل يدي، وفيما أنا أنتظر الرجل، صار المساء واشتد الظلام وما جـاءني أحـد فتعجبت جدا، وسألت إحدى عجائز الضيعة وقلت لها: 'أيتها الأم، إن كان عندكِ خبز فأعطني لأنني ما أكلت اليوم شيئًا'، فأحضرت لي قليل طبيخ وبعض الكسر. ثم جلست وقالت لي: 'يا معلم، أما تعلم أنك شاب وما ينبغي لك أن تذهب إلى ضيعة؟ أما علمت أنّ إسكيم الرهبنة يعوزه د السكوت'؟ وقالت لي كلاما كثيرا مشابـها. فقلـت لهـا: 'وماذا تأمرينني أن أفعل لأنني جئت لأبيع عمل يدي'؟ فقالت لي: 'متى بعت عملك لا تتمشى في هذه الضيعة، وإن شئت أن تكون راهبا فاذهب إلى الأسقيط'. فقلت لهـا: 'لعلك تعرفينني خبر أولوجيوس قطّاع الحجر'. فقالت: 'إنّ ذلك الرجل كان محسـنا، فلما نظر الله إلى أعماله الحسنة أرسل له نعمةً عظيمة، وهو الآن، على ما سمعنا، وزير في القسطنطينية'.

"فلما سمعت قولها قلت في نفسي: 'أنا السبب في هذا الشر القاتـل. ثم أبحـرت في سفينةٍ إلى بيزنطة، وسألت عن دار أولوجيوس القبطي فوجد ا، وجلست على با ا إلى أن خرج، فرأيته وسط خيول كثيرة وصِحت إليه: 'ارحمني لأن لي سـرا أقولـه لـك منفردا'. فلم ينظر إلي، ثم ضربني صاحبه وأبعدني. فسبقته أنا وصِحت أيضا، فضـربوني مرةً ثانية. وظللت أُقاسي على هذه الحال أربعة أسابيع وما قدرت أن أكلمه.

"حينئذٍ صغرت نفسي، وذهبت فطرحت نفسي أمام أيقونة والدة الإله القديسة ببكـاءٍ

---

(٣١٨) وعاصمتها هي القسطنطينية التي هي اسطمبول في تركيا الآن.

غزير وقلت للمخلص: 'يا رب انقل عني ضماني لهذا الرجل'. وإذ كنت أقول ذلك في ذهني نعست، وإذ برجةٍ عظيمةٍ حدثت، وسمعت قوما يقولون: 'إنّ والدة الإله مجتازة'، وقد تقـدم أمامها ربوات وألوف من المواكب. فصِحت أنا وقلت: 'يا سيدتي ارحميني'. فوقفَت وقالـت لي: 'ما حالك'؟ فقلت لها: 'إنني ضمنت أولوجيوس القبطي، فخلصيني من ضمانه'. فقالـت لي: 'أنا لا أمر لي في ذلك، تمم أنت ما ضمنت كما تشاء'!

''ولما ذهبت قلت في نفسي: 'لو وجب علي الموت فلن أفارق بابه حـتى أكلمـه'. وذهبت ووقفت قدام بابه، فلما خرج صِحت إليه، فتقدم خادمه وضربني بعصاه ضـربا مبرحا حتى أدمى جسدي، حينئذٍ صغرت نفسي وقلت: 'أعود إلى الأسقيط فإن أراد الله فهو يخلص أولوجيوس'، ثم أبحرت في سفينةٍ إلى الإسكندرية.

''ولما صعدت إلى السفينة نمت من شدة صغر نفسي، فأبصرت وكـأني في القيامـة المقدسة، وشعرت بخوفٍ عظيم فارتعدت مثل الورقة ولم أستطع أن أفتح فمي لأن قلبي كان كالحجر. ورأيت سيدنا يسوع المسيح جالسا، فقال لي: 'لا تضمن ضمانا زائـدا على قوتك، ولا تقاوم مشيئة إلهك'! فلم أستطع أن أفتح فمي إذ كنـت معلّقًـا، وإذ بصوتٍ قائلاً: 'ها هي الملكة خارجة'. فلما رأيتها صرخت وقلت لها بمسكنةٍ: 'يا سيدة العالم ارحميني'! فقالت لي: 'ماذا تريد أيضا'؟ فقلت: 'أنـا معلـق بسـبب ضـماني لأولوجيوس'. فقالت لي: 'أنا أسأل من أجلك'. وذهبت وقبلت قدمي السيد، فقال لي: 'لا تفعل ذلك مرةً أخرى'. فقلت: 'لن أفعل، وقد أخطأت يا سيدي فاغفر لي'. فـأمر بإطلاقي وقال لي: 'اذهب إلى قلايتك وستعرف كيف أرد أولوجيوس إلى رتبته الأولى'.

''فانتبهت وفرحت فرحا عظيما بخلاص نفس أولوجيوس وخلاصي من الضـمان، وسرت في البحر شاكرا الله. وبعد ثلاثة أيام سمعت أن ملك القسطنطينية قـد مـات، وملك آخر غيره. وبعد مدة يسيرة عصاه ثلاثة من كبار رجاله ومعهم الوزير أولوجيوس أيضا، فقُطِعت أعناق الثلاثة، أما أولوجيوس فنهبت نعمته وهرب لـيلاً مـن مدينـة القسطنطينية. وأمر الملك أن يقتلوه أينما وجِد، فاختفى كأحـد المسـاكين وعـاد إلى ضيعته، وأبدل ثيابه بثياب أهل الضيعة. ثم اجتمع جميع أهل الضيعة ليبصروه، وقالوا له: 'ورودا ميمونا وردت، وبلغنا أنك صرت وزيرا'. فقال لهم: 'يا لعجبي منكم! فلو كنت قد صرت وزيرا لما رأيت الآن وجوهكم، ولكنني سمعت أن رجلاً اسمه كـاسمي صـار وزيرا بمدينة القسطنطينية'.

"ثم رجع إلى نفسه وقال: 'يا أولوجيوس الحقير الضعيف، قم خذ عدتك واذهب واعمل، فليس لك هنا قصر الملك ذلك الذي كادت رأسك أن تضيع فيه'. ثم أخذ عدته وذهب إلى الصخرة التي وجد فيها الأموال مؤملاً أن يجد فيها شيئًا آخر، فضرب فيها حتى الساعة السادسة (أي الظهر) ولم يجد شيئًا، وتذكّر ما كان فيه ثم قال: 'انهض يا أولوجيوس واعمل فهنا ليست القسطنطينية بل مصر'. وهكذا رده الله إلى طريقة حياته الأولى بكثرة تحننه، ولم يشأ أن يضيع تعبه السابق.

"وبعد مدة يسيرة صعدت إلى تلك الضيعة لأبيع عمل يدي، وإذ به قد جاء إلي عند المساء كقديم عادته، فلما رأيته مغبر الوجه مصفرا تحسرت وبكيت وقلت: 'يا رب، «ما أعظم أعمالك، كلها بحكمةٍ صنعت». أنت هو وحدك العظيم الصانع العجائب، الذي يرفع المسكين من المزبلة ويصنع عجائب وأحكاما، ولم تفحص أحكامك وعجائبك يا رب. وأنا الخاطئ لولا رحمتك لكادت نفسي تسكن الجحيم'.

"أخذني أولوجيوس وغسل رجلي وأرجل الغرباء الآخرين، وقبل أيديهم كعادته، وقدم لنا مائدة، وبعد أن أكلنا وأراح نفوسنا قلت له: 'كيف أنت يا أولوجيوس'؟ فقال لي: 'يا معلم، صل علي فإني مسكين وخاطئ وذليل'. فقلت له: 'يا ليت الذي حدث لك لم يكن'! فقال لي: 'ولِم ذلك يا معلم؟ هل أحزنتك في شيء'؟ فقلت له: 'نعم يا ولدي الحبيب'. ثم حدثته بكل ما جرى لي معه وبكينا كلانا. فقال: 'صل علي أن يرسل الله لي نعمةً، ومنذ الآن أصلح حالي'. فقلت: 'بالحقيقة يا ولدي، لا تتوقع أن يأتمنك المسيح على شيء آخر ما دمت في هذا العالم إلاّ على هذا الدرهم الذي تتحصل عليه من عمل يديك وأنت في هذا العمر، وقد وهبك الله قوةً تكتسب بها خبزا تأكله وتطعِم منه غيرك، فواجب عليك أن تعطي الحمد للرب على سبوغ نعمته عليك، وسبيلنا أن نعجب من كثرة صلاح إلهنا، له الحمد إلى الأبد آمين'"[٣١٩].

قيل إن أنبا دانيال توجه يوما مع تلميذه إلى الإسكندرية، وبينما كانا يسيران في المساء أبصرا أخا على حقويه مئزر وكان يتظاهر بالبله، واسمه مرقس، ويسكن في سوق عامة للفقراء، ويعمل كل يوم بمائة فلس: يسكن ويشتري طعاما باثني عشر فلسا، ويصرف الباقي على المحتاجين.

فكشف الرب عن بصيرة أنبا دانيال وعرف سيرته، فقال لتلميذه: "سر يا بني لتعرف

(319) An., 1596 / 9.

أين يقيم هذا الرجل". فذهب التلميذ ليبحث عنه حتى عرف مقره. وفي اليوم التـالي، بترتيب من الله، بينما كان أنبا دانيال يسير في شوارع المدينة رأى القديس مرقس فحياه. وكان الجميع يقولون للشيخ: "احذر لئلاّ ينالك منه مكروه، لأنه رجل فاقد اللب، ولا تتحدث معه". فتأثر الأب الشيخ وقال لهم: "إنكم لا تعلمون، فلا يوجد في هذه المدينة من هو أفضل منه ... هيا بنا إلى الأب البطريرك". فأخذوه قهرا وهو يهم بالهروب. ولما مثل أمام البطريرك طلب منه أن يشرح قصته ولماذا يظهر أمام الناس ذه الصورة.

فقال لهم إنه كان راهبا بدير "الميطن"[٣٢٠]، وأقام فيه ثماني سنوات، وأنه كان محاربا بالأفكار الشريرة التي لم يقو على الخلاص منها. ثم رأى أن يطوف يصنع خيرا ويخـدم المحتاجين. وبينما كان الراهب مرقس يتحدث أمام البطريرك كان ينتحب حتى أبكـى جميع الحاضرين.

وفي اليوم التالي لما زاره أنبا دانيال وجد أنه قد تنيح، فأخبر البابا بذلك، كما أرسل تلميذه إلى رهبان دير الإناطون (دير التسعة أميال) ليجتمع الآباء كلهم، وهكذا جـاء رهبان هذا الدير مع رهبان ديره الأصلي (الميطن) بسرعة وكفنوه بكل إكرام[٣٢١].

وقيل عن شابة اسمها "توماييس" لم تتجاوز الثامنة عشر من عمرها، وكان زوجهـا يشتغل في مهنة الصيد التي تستلزم التغيب عن الم ل كثيرا. وكانت هذه الشابة تخاف الله و تم برعاية م لها، وكانت معروفة لأنبا دانيال. وحدث أن هجم عليها أحد الأشرار، ولما قاومته طعنها بسيفه فماتت شهيدة الطهارة.

ولما علم القديس أشار بأن تدفَن في مقابر الرهبان، ولكن آباء دير "الأكتوذيكاتون" (οκτωκαιδεκατον أي الثمانية عشر ميلاً) تذمروا وقالوا: "لا يصح أن يوضـع جسد امرأة بجانب أجساد الآباء وبالأخص لأ ا مقتولة". ولكن أنبا دانيال أفهمهم أن هذه الشابة ماتت وهي تدافع عن طهار ا، وقال إ ا أمنا الروحية، وخليق بنا أن نكرمها ونكرم الطهارة فيها. فاقتنع الرهبان ودفنت في مقابر الآباء[٣٢٢].

في **أحد الأيام** جرب أحد الإخوة بقتال الزنى، فذهب إلى أنبا دانيال وكشـف لـه أمره. فقال القديس: "إذهب، يا بني، إلى الدير الذي دفنت فيه تومـاييس، ثم اجعـل مبيتك ومقامك فوق مدفن الآباء هناك، وصل قائلاً: 'يا إله توماييس العفيفة أعني ونجني

---

(٣٢٠) ربما يكون معناه: "دير الميطانيا" أي "التوبة" أو الدير الخامس πεμπτον أي دير الخمسة أميال (من الإسكندرية).

(٣٢١) سيرة أنبا دانيال – يوسف حبيب – ص ١٠؛ An., 1596 /3

(٣٢٢) كتاب يوسف حبيب ص ١٢؛ An.,1596 /5

من محنة الزنى'. وأنا أومن أنك ستخلص من هذه المحنة".

فذهب الأخ وعمل بوصية الشيخ. وبعد قليل هدأت نفسه وبطلت عنه التجربة. فعاد إلى القديس وقال: "يا أبي، إنني عتقت بقوة الرب يسوع المسيح وبحسن صـلاتك". فسـأله القديس: "كيف تم ذلك"؟ فقال له: "إنني كنت مداوما علـى الانسـحاق والصـلاة لله والمطانيات. وبعد أن نمت ظهرت القديسة وقالت لي: 'يا راهب يا راهب، خذ هذه البركـة وامض بسلام إلى قلايتك'. فلما أخذت البركة خف القتال ووثقت أنني تحررت منه". فقال له أنبا دانيال: "كل من جاهد من أجل العفة تكون له عند الله دالّة عظيمة"[(٣٢٣)].

كان أنبا دانيال سائرا مرةً مع تلميذه، ولما اقتربا من موضع يقـال لـه: "أرمـون المدينة" قال لتلميذه: "امض إلى هذا الدير الذي للعذارى وعرف الأم أنني هنا". وكان الدير يعرف باسم "دير أنبا إرميوس"، وكانت فيه ثلاثمائة عذراء. فلما قـرع التلميـذ الباب قالت له البوابة بصوت خافت: "من هذا؟ ماذا تريد يا أبي"؟ فقـال لهـا الأب: "أريد أن أتكلم مع الأم". فقالت له: "إن الأم لا تتكلم مع أحد، فعرفني بما تريده وأنا أخبرها". فقال لها: "قولي لها: هوذا راهب يريد أن يتكلم معك". فدعت الأم فجاءت عند الباب وتكلمت معه على لسان البوابة حيث قال لها الأب: "اصنعي محبة واقبلينـا إليك هذه الليلة أنا وأبي لئلاّ تأكلنا الوحوش". فأجابت قائلةً: "ليست لنا عادة أن يبيت عندنا رجل، والأصلح لكما أن تأكلكما وحوش البرية ولا السباع الجوانية الذين هـم الشياطين". فقال لها الأب: "إن أبانا أنبا دانيال أرسلني إليك".

فلما سمعت أنه أنبا دانيال خرجت مسرعةً إلى الباب الثاني والعذارى يجرين خلفهـا وهن يفرشن بلاليهن في الطريق إلى موضع الشيخ. وما أن دخل الدير حتى قدمت لـه لقان فيه ماء وغسلت رجليه. ثم جعلت العذارى يغسلن وجوههن ذا الماء مـا خـلا أختا واحدةً كن يسمينها الهبيلة وكانت مطروحة عند الباب بملابس زرية جـدا. ولمـا فرغن من الغسل خرج أنبا دانيال عند الباب، فنظر إلى تلك الأخت فلم تسلم عليه ولا التفتت إلى كلامه، فصاحت فيها الأخوات: "قبلي يدي أبينا أنبا دانيال"! فلم تقـف. فقالت الأم لأنبا دانيال: "يا أبانا، إ ا مجنونة وأردت مرارا كثيرة أن أطرحها خارج باب الدير ولكنني خشيت من الخطية".

ثم إ ن قدمن لأنبا دانيال طعاما ليأكل وبعد ذلك أكلن. ثم قال القـديس لتلميـذه:

(٣٢٣) هذه القصة مذكورة في: Clugnet, Vie de l'Abbe' Danniel, pp. 24, 25؛ An., 1596 /6

"اسهر معي الليلة لتنظر عظم فضائل هذه القديسة التي يدعونـها مجنونة". ولم تمـض هجعة من الليل وإذ بالمجنونة قامت وانتصبت ورفعت يديها نحو السماء وفتحت فاهـا وباركت الله وصنعت ميطانيات كثيرة، وكانت دموعها تجري مثل ينبوع من أجل حرقة قلبها في الله، وكان هذا هو عملها في كل ليلة. وإذا سمعت صوتا آتيا نحوها طرحـت نفسها على الأرض وتظاهرت بأنها نائمة، وهذا كان تدبيرها جميع أيام حياتـها. فقـال الأب لتلميذه: "استدع الأم بسرعة". فلما جاءت ونظرت الأخت عبدة المسيح والنور بين يديها والملائكة تسجد معها بكت وقالت: "الويل لي أنا الخاطئة، فكم فعلت معها من الشتم والإهانة والتعيير"!!

فلما ضرب الناقوس واجتمعت الأخوات للصلاة عرفتهن الأم بما عاينت. فلما علمت هذه الراهبة أنهن عرفن خبرها كتبت ورقة وعلقتها على قصبة عند باب الدير وخرجت من الدير. وكان مكتوبا في الورقة: "أنا الشقية لشقوتي ومعاندة العدو أخرجني من بينكن وأبعدني مـن وجوهكن المملوءة حياة. إهانتكن لي كانت قرة نفسي، وضجركن علي كان ثمرة تجمع كل يوم. استقلالكن عني كان ربحي ورأس المال يزداد كل يوم وساعة. فمباركةٌ هي تلك الساعة التي قيل لي فيها: يا هبيلة يا مجنونة. وأنتن محاللات من جهتي بريئات مـن الخطيـة. وإنـني قدامكن، قدام المنبر سوف أجاوب عنكن لأجلي. ليست فيكن مستهزئة ولا من هي محبـة للحنجرة ولا للباس ولا للشهوة، بل كلكن تقيات"!

وهذه هي آخر رسالة لها. فلما قرأها أنبا دانيال قال: "ما كان بياتي البارحة ههنا إلاّ لهذا السبب"! وأقرت جميع الأخوات له بما كن يهينونها به ويفترين به عليها، فحينئـذ حاللهن الأب دانيال، وعرفهن بألاّ يستهزئن بخليقة الله حتى ولو كان هبيلاً، فهذه أعظم الخطايا، لأن توراة موسى النبي تقول إن الله خلق الإنسان على صورته ومثالـه .. ثم إنّ الأب صلّى عليهن وتوجه طالبا ديره(٣٢٤).

وقيل عن هذه الهبيلة(٣٢٥) إنها كانت ملكة واسمها "أناسيمون"، وإنها صارت سائحة بعد أن تركت دير "إرميوس". وقد كتب سيرتها كاهن تقي في الإسكندرية حيث قال إنه في أثناء صلاته بصحن كنيسته ذات يوم اشتم رائحة عطرة في الهيكل وقال: "فتحت باب الهيكـل فوجدت شخصا واقفًا يصلي والأبواب مغلّقة، فأخذتني الرعدة وسقطت مغشيا علي، فأمسك بيدي وأقامني وقال: 'لا تخف'. ثم دعاني باسمي فزال خوفي، ثم قال لي: 'اسمح وأعطني قلـيلاً

---

(324) Clugnet, Vie de l'Abbe' Danniel, pp. 24, 25.

(٣٢٥) وهو ما ذكرته مخطوطة سيرة القديسة المحفوظة في دير القديس مرقوريوس أبو سيفين للراهبات بمصر القديمة.

من الدقيق وقليلاً من الخمر، فإنني أريد أن أعمل قربانا ليوم الخميس الكبير لأربعمائة أخ'. فسألته: 'أين هم هؤلاء الإخوة'؟ فقال: 'ليست لك حاجة أن تعرف موضعهم، اربح بركة واعطني'. فأعطيته ما طلب وقلت له: 'من أجل الرب خذني معك وأرني هؤلاء الإخوة'. فأجابني: 'ليست لك حاجة أن تذهب إليهم'. فألححت عليه كثيرا، فقال لي: 'في مثل هذا اليوم انتظرني هنا فسأحضر وأعطيك جوابا'.

"ولما جاء اليوم المحدد كنت في الكنيسة، وإذ برائحة العطور قد عبقت، فقمت سريعا وفتحت الباب فوجدت ذلك الشخص قائما، فطرحت نفسي على الأرض ساجدا وقلت: 'باركني يا سيدي'، فباركني وأقامني، فقبلت يديه وسألته عن الإخوة، فقال: 'هم يصلّون من أجلك'. فقلت له: 'حقق ما وعدتني به'. فقال: 'ليس الآن. أعطني الآن بركة من عندك للإخوة لأجل قربان الخميس الكبير'. فأعطيته ما طلب وأنا حزين لفراقه، فلما رآني حزينا قال لي: 'في مثل هذا اليوم وهذا الوقت أعد مثل هذه البركة وانتظرني خارج الإسكندرية، وأنا سأكون عندك بقوة ربنا يسوع المسيح'. ثم أخذ البركة وودعني منصرفًا.

"ولما جاء الميعاد أخذت البركة وانتظرت خارج المدينة حتى جاء كأنه البرق أو الريح العاصف، فشملني خوف عظيم، وقال: 'أعطني البركة'، ثم قال: 'هل تشتهي أن ترى الإخوة'؟ فقلت: 'نعم يا أبي، لأجل محبة المسيح'. فقال: 'هل أنت مصمم على ذلك'؟ فقلت: 'نعم يا سيدي'. فقال لي: 'رتب ثيابك جيدا ولا تفزع مما تبصر'. وأمسكني جيدا، ثم رشم الصليب على وجهه وقال لي: 'تشدد'. ثم مشى ثلاث خطوات، ولا أعلم ماذا حدث بعد ذلك، ولم أكن أسمع سوى صوت أهوية وغدير البحار، فلحقني خوف عظيم.

"وبعد وقت وصلنا إلى دير عظيم البناء حسن المنظر. ثم أدخلني كنيسة لا مثيل لها في العالم، ثم رأيت الإخوة يدخلون واحدا واحدا اثنين اثنين وكان المنظر رائعا، ولضعفهم كانوا يبدون كأنهم أشباح، ولقد تعجبت كثيرا من منظرهم. ثم صلّى هؤلاء السواح المجاهدون القداس وتناولت معهم بعد أن شجعني الأب الذي أحضرني.

"ثم رأيت إنسانا كبيرا طاعنا في السن واقفًا على باب الهيكل واثنان يمسكانه من يمينه ويساره، ثم قال القس لهؤلاء: 'باركوا هذا القس الذي يعطينا البركة'. فباركوني. ثم قال لي الأب: 'استعد لأرجعك إلى بيتك وبيعتك لأن شعبك محتاج إليك'. فقلت له: 'يا

أبي، من أجل الله اتركني هنا مع الآباء'. فقال: 'هذا غير ممكن، لأن هـؤلاء الإخـوة (الأربعمائة) لا يمكث معهم أحد حتى يرقد واحد منهم فيأتي الرب بآخر عوضا عنه حتى لا يزيدوا ولا ينقصوا'.

"ثم سألته: 'يا أبي، من هو ذلك الإنسان الكبير الذي يسنده هذان الأخوان'؟ فقال: 'هذا ليس برجل يا أخي، ولكن هذه هي العذراء القديسة الطاهرة الملكة أناسيمون ابنة ملك الروم التي ورثت المُلك بعد أبيها وتركت باب قصرها مفتوحا وخرجـت طالبـةً الرب يسوع المسيح، وليس في هذه البرية اليوم أكبر منها سنا وأعظم درجةً ولا أرفـع مرتبةً، فهي الرئيسة القديسة'.

"فتعجبت وسألت: 'كيف يعيش هؤلاء الإخوة'؟ فقال: 'من ثمار الأشجار ونبـات الأرض. وفي خميس العهد يجتمع هؤلاء السواح المباركون للتناول من الأسرار المقدسة، ويقيمون الجمعة العظيمة والسبت العظيم، وفي أحد القيامة يأخذون الجسد المقدس والدم الكريم ثم يتباركون وينصرفون. ولا يجتمع أحد بالآخر طوال السنة'. فتعجبت كثيرا. ثم قال لي: 'امض إلى بلادك وبيعتك'، فحزنت، فقال لي: 'ربنا يسوع المسيح يعينك'.

"وبعد أن سرت قليلاً عطشت فانطرحت على الأرض، فنظرت خلفي ووجـدت ذلك الشخص ففرحت به كثيرا. وقطع من الأرض نباتا أخضر وقال لي: 'كُـل هـذا الحشيش'، فلما أكلته زال عني الجوع والعطش والتعب. ثم قال لي: 'قم إلى موضعك'، فسرعان ما وجدت نفسي على باب الكنيسة التي أخدم ا. ثم أمرني ألاّ أتكلم إلاّ عند وفاتي، ثم باركني وانصرف".

استمر القديس يزور الكاهن كل سنة ويأخذ البركة (الخمر والدقيق) حتى اقتربـت نياحة الكاهن، وكان هذا الكاهن يسأل القديس السائح عند زيارته بشأن انتقال أحـد الإخوة السواح لعله يؤهل لرؤيتهم ثانيةً، فقال له القديس: "ليس ذلك بمستطاع"!

كان بمدينة أنطاكية شاب يدعى "أندرونيكوس" يشتغل ببيع الفضة، وزوجته تدعى "أثناسية"، وهي قديسة متحلية بكل الفضائل، وكان زوجها يعيش في خوف الله. وكانا يعملان أعمال المحبة ويقسمان ما يحصل لهما من الربح إلى ثلاثة أقسام: قسم للمساكين، والثاني للرهبان، والثالث لهما.

رزقا ابنا وابنةً، وبعد ١٢ سنة مرض الولدان بحمى شديدة فجائية وماتا الواحد بعـد

الآخر. وكان جزع الوالدين عظيما حتى إن أثناسية كانت تمكث وحـدها في كنيسـة القديس يوليانوس حيث دفن ابناها، وكانت تقول إنها تريد أن تموت أيضا، وفي الليـل ظهر لها القديس يوليانوس نفسه يعزيها. ثم أخبرت أثناسية زوجها برغبتها في قضاء بقية أيام حياتها في دير، فأعطاها مهلة ثمانية أيام لكي تفكر، وفي نهاية المدة لم تغـير رأيهـا. وكان أندرونيكوس نفسه يفكر في مثل هذا الأمر، فأخبر أخا زوجته بأنه ذاهـب مـع زوجته إلى الأراضي المقدسة، وسلّمه ممتلكاته وأوصاه أن يستعملها أفضل استعمال ممكن إذا أدركهما الموت في الطريق.

خرجا في الليل، ورفعت أثناسية عينيها نحو السماء قائلةً: "يا الله الذي قال لإبراهيم الصديق ولسارة: اُخرج من أرضك ومن جنسك وهلم إلى الأرض التي أريـك إياهـا، أرشدنا يا رب إلى موضع تهواه أنت، فها نحن قد تركنا منزلنا مفتوحا من أجل اسمـك، فلا تغلق أمامنا باب رحمتك". ثم واصلا سيرهما. وبعد أن زارا الأماكن المقدسة جـاءا إلى الإسكندرية قبل أن يختارا مكان عزلتهما، حيث زارا هيكل القديس مينـا قـرب الإسكندرية (في مريوط)، ومن هناك ذهب أندرونيكوس بمفرده إلى الأسقيط.

قابل أندرونيكوس أنبا دانيال وروى له قصته، فطلب إليه أن يحضر زوجته ليستودعها ديـر "طابنيسي" (من أديرة أنبا باخوميوس) في الصعيد ... وهكذا افترق الاثنان: هي في الصعيد وهو في الأسقيط حيث تتلمذ على القديس أنبا دانيال الذي علّمه طقس الراهب وألبسه إسكيم الرهبنة.

وبعد ١٢ سنة سأله أن يأذن له بزيارة الأماكن المقدسة مرةً أخرى فـأذن لـه. وفي الطريق جلس تحت شجرة ليستظل من شدة الحر ويستريح قليلاً، وإذ بأثناسيا – بتـدبير من الله – جاءت إليه وكانت في ملابس الرجال، لكنه لم يعرفها بسـبب التقشـفات الكثيرة التي أذبلتها، وكان وجهها قد غيرته حرارة الشمس؛ أما هي فعرفته وسألته: "إلى أين أنت ذاهب أيها الأب"؟ فقال لها: "إلى الأماكن المقدسة". فقالت لـه: "وأنـا أيضا". فذهبا معا، ثم عادا إلى الإسكندرية، وفي كل ذلك لم يعرفها.

ومن هناك ذهبا إلى دير "إكتوذيكاتون" (دير الميل ١٨). ولم تجرؤ – رغم أنها كانت تلبس ملابس الرجال – أن تصحب زوجهـا إلى منطقـة شـيهيت، وطلبـت مـن أندرونيكوس إن كان يوافق أن يبقى في هذا الدير ويسكن فيه بشرط أن يظلاّ صـامتين بصفة دائمة كما كانا أثناء سفرهما. فأراد أندرونيكوس أن يسأل أولاً أنبا دانيال قبل أن يقبل هذا العرض. فذهب إليه وأوصاه القديس بالقبول قائلاً لـه: "إن الأخ لا بـد أن

يكون راهبا كاملاً". وكان أنبا دانيال قد علم بالروح أخبارهما. فأقاما في الدير المذكور ١٢ سنة دون أن يعرف من هي، وقد سمت نفسها "أثناسيوس"، وكان أنبا دانيال يزورهما كثيرا ليكلمهما عن خلاصهما.

ثم حدث أن أثناسية مرضت جدا، فذهب أندرونيكوس إلى معلمه ليخبره بمرض الأخ أثناسيوس، فذهب معه فوجدها تذرف الدموع، فقال لها أنبا دانيال: "لماذا تبكين في الوقت الذي فيه سوف تظهرين أمام السيد المسيح"؟ فأجابته بأنها تبكي بسبب أندرونيكوس. وطلبت منه أن يصنع محبةً ولا يخبره عن أمرها شيئًا إلاّ بعد انتقالها، وأنه سيجد ورقةً مكتوبا فيها جميع العلامات التي بينها وبينه. ثم تناولت من الأسرار المقدسة وسلّمت الروح. وبينما كانوا يدفنوها وجدوا الورقة تحت رأسها مكتوبا فيها قصتها وأنها زوجته.

انتشر الخبر، وفي الحال حضر جمع غفير من المتوحدين من كل صوب ليحضروا جنازة الطوباوية. وطلب أنبا دانيال من أندرونيكوس أن ينطلق معه إلى البرية، ولكنه فضل أن يكمل بقية أيام حياته في المكان الذي كانت فيه زوجته. وبعد زمن قليل رقد أندرونيكوس أيضا في الرب[٣٢٦].

أخبر القديس أنبا دانيال أن أحد الإخوة كان مقيما في مصر، وفي سيره في الطريق أدركه المساء فدخل إلى قبر لينام فيه بسبب البرد، ولما رآه الشياطين قال أحدهم لصاحبه: "أرأيت جسارة هذا الراهب حتى نام في مقبرة؟ أسرعوا وتعالوا نزعجه". فأجاب الآخر: "ما فائدتنا من إزعاجنا له؟ إنه من أصحابنا ويعمل ما نهواه، يأكل ويشرب ويدين الناس ويتوانى في الصلاة ... هلموا بنا نحزن من يحزننا نهارا وليلاً"! ففتح الرب مسامع الأخ، ولما سمع ذلك تعجب وندم على أعماله وتاب وصار راهبا ناجحا[٣٢٧].

قيل إنه لما ذاع صيت أنبا دانيال في كل مكان كان كثيرون يشتهون أن يفوزوا ببركته المقدسة. وكان بالقرب من جبل شيهات – الذي تفسيره "ميزان القلوب" – دير منعزل فيه كثير من العذارى. وكان لهن رزق قليل ويفرقن منه على المساكين والغرباء. فلم يحتمل مبغض الخير أعمال الرحمة التي كن يصنعنها للكثيرين، فملأ قلب مقدم قبيلة (أو رئيس لصوص) بالقرب منهن لكي يأخذ معه رجاله ليسطوا ليلاً على هذا الدير وينهبوه.

---

(٣٢٦) تعيد لهما الكنيستان اليونانية واللاتينية في ٩ أكتوبر. وهذه القصة وردت في مخطوطة ٢٨٠ بدير السريان، وفي الترجمة السريانية المحفوظة في لندن (.Add صفحة ٩٦)، ومخطوطة باريس السريانية رقم ٢٣٥ ص ٢٠٤، ونشرها أيضا الأب Bedjan في "أعمال الشهداء القديسين" – باريس عام ١٨٩٦ الجزء السادس ص ٤٠٥؛ وأيضا في An., 1596 / 10

(٣٢٧) سيرة أنبا دانيال – يوسف حبيب – ص ١٩؛ An, 1596, 1.

ولما قال هذا الكلام لرجاله فرحوا جدا، ولكنهم لما جاءوا إلى الدير وجدوا أن حصنه كـان منيعا فحزنوا لعدم قدرتهم على عمل شيء. فقال لهم مقدمهم: "إن لم تفعلوا ما أوصيكم به فلن تقدروا أن تنهبوا شيئًا منه". فوافقوا، فقال لهم: "أحضروا لي ثياب راهب وبلينا أسود وطاقيـة منقوشة بالصلبان مثلما يرتدي أنبا دانيال، وعند المساء ألبس أنا كل ذلك وآخذ بيدي عصا وأقرع باب الدير، فإذا نظرن إلي يفتحن لي من أجله، وبذلك أُهيئ لكم الموضع لتنهبوه بسهولة"!

ففرح اللصوص جدا، وذهبوا وأحضروا له الثياب التي طلبها. وفي الوقت المناسـب ارتدى رئيس اللصوص الثياب وأخذ العصا وقرع الباب وقال للبوابة: "عـرفي الأم أن المسكين دانيال القسيس الذي من شيهات قائم على الباب ويطلب أن تقبلنني عنـدكن حتى الصباح لكي أستريح". فلما علمت البوابة قامت مسرعةً والأخوات يتبعنها وقبلن رجليه. ولأن الوقت كان مساءً لم يتحققن من شخصه، بل أدخلنه بإكرام وأحضرن ماءً في لقان وغسلن رجليه. ولما أردن أن يفرشن له في أعلى الدير لم يقبل بل قـال: "لـن أفارق هذا الموضع".

أخذت الأم والأخوات من الماء الذي غسل فيه رجليه وبدأت كل واحدة تغسل وجههـا منه بإيمان وهو يصلب عليهن. وكانت إحدى الأخوات عذراء عمياء من بطن أمهـا، ولمـا شعرت بالفرح بين الأخوات قالت لهن: "أعطينني أنا أيضا من الماء". فاقتـدنها بيـديها إلى اللقان، فصاحت قائلةً: "طوباك يا أبي القديس أنبا دانيال، الله من أجل اسمـك يـرحمني". فحضر الأب دانيال عندهن بالروح في تلك الساعة وأمسك بيد العذراء وأحضـرها لـذلك الإنسان! وقالت له الأخوات: "يا أبانا نطلب من قدسك أن تصلب على عينيها". فقال لهن: "قدمن لها فضلة الماء الذي في اللقان". وكان يقول ذلك مستهزئًا في قلبه مستخفًا بعقولهن. فأخذت الأخت الماء ورشمت عليه باسم المسيح قائلةً: "بصلاة القديس أنبا دانيال". وغسلت به وجهها وللحال انفتحت عيناها أمام هذا الإنسان!

وعندئذ عم فرح وصياح الراهبات جميعهن واندفعن للتبرك وبالأكثر الراهبـة الـتي أبصرت وهي تقول: "طوباك يا أبي القديس لأنه بواسطتك وهبني الله النور". وقـبلن جميعا رجلي اللص قائلات: "يا أبانا، مباركةٌ هي الساعة التي دخلت فيها إلينا"!

أما رئيس اللصوص فكم إنه امتلأ بالخوف والرعدة! وبعد أن نامت جميع الراهبات ظلّ هو ساهرا، وجلس يبكي حتى إن دموعه كانت تسيل على الأرض وهو يقول: "يا ويلـي ويـا لتغربي عن الله! فإذا كان اسم أنبا دانيال يجعل ماء رجلي يعطي النور ويفتح أعين العميـان،

فكم يكون ذلك الرجل نفسه؟ ويلي، كيف ضيعت زماني في النجاسات! وحق صلاة أنبا دانيال من الآن لن أرجع إلى سلوكي السابق"! وكان يبكي وينتف شعر لحيته.

وأما الرجال الذين كانوا ينتظرونه ليفتح لهم الباب، فقد كانوا قيامًا وسيوفهم بأيديهم وهم قلقون. وقد سمعهم من الداخل يقولون: "لقد أزف الليل، ألعله يريد أن يترهب ويسكن عندهن"! وقال آخر: "لعل راهبة منهن جعلته مسيحيا"! وكانوا يقولون ذلك باستهزاء. فكان يسمع ذلك ويقول: "حقًا لقد نطق نبي الله على أفواههم بأنني أترهب، وأن راهبةً منهن جعلتني مسيحيا"!

ولما أشرق نور النهار انقطع رجاؤهم فيه وخافوا وانصرفوا إلى مكانهم محزونين وأسنانهم تصر على مقدمهم. ثم بسط رئيس اللصوص يديه نحو المشرق ونطق بما كان قد سمعه من المسيحيين قائلاً: "يا رب، إنك لم تأتِ لتدعو الصديقين بل الخطاة، فاقبلني إليك بصلاة الذين تعبوا على اسمك". ثم ودعهن وخرج وهن متحققات من أنه أنبا دانيال.

ولما قابل رفقاءه قالوا له: "ما الذي أصابك؟ هل وجدت جوهرة حسنة وتريد أن تبدي نفسك علينا؟ أرنا ما معك". ولما فتشوه لم يجدوا شيئًا، وقد تغير وجهه وتورمت عيناه من كثرة البكاء، وقد تغير كله، وزالت منه طبيعته الشرسة. فخافوا وارتعدوا وبدأوا يسألونه بخوف وحشمة أن يعرفهم سبب تغييره. فأخبرهم بكل ما حدث منذ دخوله إليهن حتى تلك الساعة. فلما سمعوا امتلأوا خوفًا وسكتوا.

ثم توجه نحو البرية إلى الأب أنبا دانيال وتبعه بعض رفقائه، وقص عليه ما حدث بدير العذارى، فقال له أنبا دانيال: "أنا الذي أحضرت لك العمياء، ومنذ دخولك عندهن كنت حاضرا بينكم بالروح". ثم رهبنه وأقام عنده في عبادة صالحة وزهد زائد حتى يوم انتقاله من العالم. وقد أجرى هذا اللص معجزات عظيمة، وبصلاته سكن فردوس النعيم. بركة صلاته تكون معنا آمين[٣٢٨].

قيل عن القديسة أناستاسية[٣٢٩] **تلميذة أنبا دانيال** إنها نشأت في القصر الإمبراطوري لأنها كانت من أشرف وأغنى العائلات، وكان والدها ذا مركز ممتاز في البلاط الإمبراطوري، ولكن كل مظاهر العظمة والمسرات لم تستهوها أو تصل إلى أعماقها، فقد كانت تقية هادئة وديعة عفيفة، حلوة الحديث ومكرمة جدا لدى كل من عرفها، محبة للفقراء والمساكين، وقد

---

(٣٢٨) بستان الرهبان (طبعة ١٩٥٣) جزء ٣ ص ١٢٦؛ وسيرة أنبا دانيال (يوسف حبيب) ص ١٩.
(٣٢٩) كلمة يونانية معناها "قيامة".

منحها الله جمالاً بارعا، وكانت تدعى "أناستاسية البطريقة"[(٣٣٠)].

أُعجب ا الإمبراطور يوستينيانوس (٥٢٧ – ٥٦٥م)، وأراد أن يتزوجها رغم أن زوجته الإمبراطورة ثيئودورة كانت على قيد الحياة، وهذه لما علمت ملأت الغـيرة قلبـها. وظـل الإمبراطور يلاطف أناستاسية ويريها مباهج المملكة والسعادة التي تنتظرها، لكـن القديسـة كانت قد عزمت من كل قلبها أن تكون عروسا للمسيح، وكانت تتعبد لله ارا وليلاً.

ظل القلق والاضطراب يسودان حياة الإمبراطور وزوجته بسبب هذا الأمر، وكـان هذا الجو خانقًا بالنسبة للقديسة مهددا حيا ا الروحية. لقد سمعـت عـن القديسـين مكسيموس ودوماديوس، وكيف رفض مكسيموس أن يصير بطريركًا وهرب مع أخيـه إلى البرية، وعن القديس أرسانيوس الذي هرب من القصر الإمبراطوري إلى الأسـقيط، وكانت تنظر إلى القصر ومباهجه وملذّاته كلا شـيء لأن العـالم يمضـي وشـهوته، فاختمرت في ذهنها فكرة الهروب، ولكنها كانت في حاجة إلى أب مرشـد حكـيم. فكتبت للقديس أنبا ساويرس بطريرك أنطاكية، وكان يرد عليها في أمورها الخاصة وفيما تحتاج إليه من تفاسير للكتاب المقدس، وظل يراسلها حتى بعد هرو ا.

أبحرت القديسة سرا من القسطنطينية حتى جاءت إلى الإسكندرية، وفي مكان قريب منها – قرب الدخيلة الآن – مضت إلى دير الإناطون (أي دير التسعة أميال مـن الإسـكندرية، وكان يعرف بدير الزجاج). وقيل إن القديسة هي نفسها التي أسسته وظل معروفًا باسم "دير أناستاسية البطريقة" مدة من الزمن. وقد استقرت زمانا في هذا الدير متعبدةً ليل ار، تمـارس الصلوات والأصوام والسهر، وكانت في كل الأوقات تسجد لله شكرا على ما أنعم به عليها من ترك العالم واضطراباته، وعلى إنقاذها من كل ضروب الإغراءات.

تعجبوا جدا في البلاط الإمبراطوري من غياب الفتاة الشريفة، واهتموا جدا بالبحث عنها. وحدث بعد هذه الأمور أن توفيت الملكة ثيئودورة، فأمر الإمبراطور بالبحث عن القديسة جيدا وبالأخص في منطقة أديرة الإسكندرية. وعلمت الفتاة بذلك فعزمت على السير إلى جبل شيهيت، وهكذا تركت دير الزجاج ليلاً بعد أن تزيت بـزي الرجـال وأسمت نفسها "أناسطاسيوس الخادم". وقيل إ ا مضت أولاً إلى مقبرة التسعة والأربعين شهيدا شيوخ شيهيت (بدير أنبا مقار) وتباركت من أجسادهم المقدسة.

وفي دير أنبا مقار قابلت القديس أنبا دانيال الذي اشتاقت كثيرا إلى رؤياه، ففرحت جـدا

---

(٣٣٠) من الكلمة اليونانية "باتريك".

بلقائه وأخبرته بكل شيء فسر جدا من جهادها المقدس، وأسكنها في مغارة على بعد ١٨ ميلاً جنوبي شيهيت ورسم لها قانون حياة التوحد، وكان يرسل لها تلميذه كل أسبوع مرةً ليمدها بما تحتاج إليه من الماء والمؤونة حيث يضع احتياجا ا قرب المغارة ولا يقترب من با ـا. ولم يحاول التلميذ أن يعرف شيئًا عن هذا الراهب الغريب، لكنه كان ينفذ في طاعة كاملة أمـر معلمه بكل دقة، واستمر على ذلك ٢٨ سنة! وكانت القديسة تكتب أفكارها وما تحتاج إليه على قطعة خزف (كان شائع الاستعمال في ذلك الزمان)، وكان التلميذ يوصـلها إلى أنبـا دانيال دون أن يفهم أو يحاول معرفة ما هو مكتوب.

وكانت القديسة أناستاسية ترى أنبا دانيال مرة واحدة كل أسبوع هي يوم الأحـد للتناول من الأسرار المقدسة. وظل أمرها مكتوما مدة ٢٨ سنة فلم يعلم أحد في الدير أو خارجه بأمرها أو بأ ا امرأة ما خلا أنبا دانيال الذي كانت تسلك تحت إرشاده. وظلت هكذا تعبد الله ارا وليلاً طوال تلك السنين.

وفي أحد الأيام أحضر التلميذ قطعة الخزف وكان مكتوبا عليها: "أحضر الأدوات وتعال هنا إلي". ولما قرأ أنبا دانيال ذلك علم أن القديسة في طريقها إلى مفارقة هذا العالم، فبكـى كثيرا وقال لتلميذه: "الويل للبرية الداخلية لأن عمودا عظيما سيسقط فيها ... هلم يا بـني احمل الأدوات وسر بنا بسرعة لنلحق بالقديس الشيخ لئلاّ نحرم من صلواته لأنـه سـائر إلى الرب". ولما ذهبا وجداها مريضة بحمى شديدة، وقال لها القديس: "مغبوطةٌ أنـت لأنـك اهتممت ذه الساعة ورفضتِ المملكة الأرضية". فقالت له: "مغبوطٌ أنت يا إبراهيم الجديد صاحب ضيافة المسيح، لأنه كم من ثمرات اقتبلها الرب من يدك"!

ثم إن الشيخ طلب منها أن تبارك تلميذه، فصلّت هكذا قائلةً: "يا إلهي الذي دبرت هذه الساعة لتصرفني من هذا الجسد، الذي يعرف مقدار المسافات التي قطعها خادمك، وكم تعب من أجل اسمك! أعطه روح آبائه روح إيليا مع إليشع ...". ثم إ ا أوصـت الشيخ من أجل الرب أن يدفنها في القبر كما هي، وبعد أن تناولت من السر المقـدس أشرق للحال وجهها ورشمت نفسها بالصليب وهي تقول: "في يديك يـا رب أسـلم روحي". وهكذا سلّمت روحها بيد الرب الذي أحبها، فانتشر للوقت بخور ورائحـةٌ عطرة، وبكيا وحفرا قدام المغارة قبرا. ولما كان التلميذ يلبسها الأكفان وجد أ ا كانت تلبس ثوبا من الليف، وأبصر ثديي القديسة وقد يبسا كأ ما من ورق الشجر اليـابس، فلم يتكلم، ثم دفناها وصلّيا. ثم حملا ضفيرة الخوص التي كانت قد ضفر ا وانصرفا إلى قلايتيهما متعجبين وشاكرين الله.

وأثناء سيرهما قال التلميذ لأنبا دانيال: "علمت أن هذا الخادم كان امرأة ...". فقال له الشيخ: "يا بني قد علمت ذلك من قبل" .. وروى له تاريخ حياتها، ثم قال له: "أعلمك يا ولدي الحبيب أن هذه المرأة سبقت مراتب قديسين كثيرين وأبطال مجاهدين، فقد بلغت إلى الدرجة الرفيعة العالية لأنها من أعرق أسر الأشراف، وجاهدت ضد العدو الشيطان وقمعت جسدها، وأفنت أيامها في خدمة الله، ورفضت العالم وشهواته ... أما نحن فقد كنا بالكاد نشبع من الخبز، ولما جئنا إلى الرهبنة صارت لنا راحة، ولم نستطع أن نقتني فضيلةً واحدة مما اقتنته هذه القديسة التي سمت نفسها "أناسطاسيوس الخادم""[٣٣١].

قيل إن أنبا دانيال تحمل عذابات كثيرة في سبيل الأمانة المقدسة، إذ لما كان في شيهيت وحضر مندوب الملك يوستنيانوس ليضطر الرهبان على الموافقة على عقيدة خلقيدونية، وقف القديس بصفته قمص شيهيت وشجب طومس لاون وعقيدة خلقيدونية علنا أمام الوالي، وثبت إيمان الآباء وقوى شجاعة الرهبان، فما كان من الوالي والجنود إلاّ أن أوقعوا به ضربات عديدة حتى قارب الموت، وبعد ذلك قام هو وكثير من الآباء وانحدروا إلى نواحي مصر وتشتتوا في البلاد.

ثم وصل أنبا دانيال مع تلميذه ويصا إلى تمبوك[٣٣٢]،وبنى هناك ديرا صغيرا غربي المدينة، وظل فيه مدةً يسبح الله ويجاهد بإماتات كثيرة، وكانت له فضائل كثيرة حتى انتشر صيته في كل مكان، وكان الناس يمجدون الله بسببه. ومكث هناك حتى مات الملك يوستنيانوس عام ٥٦٥م، حينئذ عاد إلى شيهيت إلى ديره حيث كانت الأديرة في ذلك الوقت تبنى وتنمو مثل الغروس الناضرة التي في الحقل، ودخلت في عصر نهضة ونشاط روحي، وكان الشعب يأتي إلى الأديرة بكل ما تحتاج إليه من جهة البناء والتعمير. وربما كان لصيت أنبا دانيال وقداسته دخل كبير في هذا النشاط، وفي مجيء أفواج الزائرين للتبرك والمشورة وخصوصا في دير أنبا مقار[٣٣٣].

ذهب مرةً أنبا دانيال إلى الإسكندرية مع تلميذه، وهناك رأى الشيخ إنسانا عريانا أعمى جالسا يطلب صدقة. فقال الشيخ لتلميذه: "أترى هذا الأعمى؟ أقول لك: عظيم هو كماله. أتريد أن أثبت لك ذلك؟ انتظرني هنا". ثم ذهب الشيخ إليه وقال له: "اصنع معي محبة أيها الأخ، لأنه ليس معي ما أشتري به أسلاً (لصنع السلال) ولأجل سفري ولطعامي". فقال له الأعمى: "ماذا ترى في أيها الأب؟ إنك ترى أنني عريان ومتسول، وأنت تطلب مني أن أشتري لك أسلاً! ومع ذلك انتظرني هناك". وأعطى الشيخ لتلميذه إشارةً عما سيحدث بعد

---

(٣٣١) مراجع هذه السيرة هي: Vie de l'Abbe' Danniel ; An., 1596/2 (٣٣٢) مركز شبراخيت الآن.
(٣٣٣) "رهبنة" ص ٤٢٤، وسيرة القديس – يوسف حبيب – ص ٣٧.

ذلك، ثم ذهبا نحو كنيسة القديس مرقس خارج المدينة، لأنه هناك كانت توجد قلاية الأعمى الذي قال للشيخ: "انتظرني يا أبي". ثم دخل وجاء للشيخ بسلّة ا عنب ورمان وتين مـع ثلاث جزرات، وأخرج من فمه قطعة من الذهب وأعطاها للشيخ قائلاً: "صل من أجلي يـا أبي". ثم جاء الشيخ إلى تلميذه وبكى وقال: "كم أن الله له عديد من الخدام المختفين! حي هو الرب، إنني لن أرجع هذه البركة لأ ا عمل محبة".

وبعد أن رحلا بعدة أيام علم أن الإيكونوموس (أي المدبر) أُصيب بمرض خطـير في الكبد وقد تواجد في كنيسة القديس مرقس. فظهر له الرسول القديس الإنجيلي وقال له: "أرسل في طلب الأعمى، فهو سيضع يده على مكان المرض فتشفَى". فلمـا أرسـل خدامه توسلوا إليه وأقنعوه وغصبوه على ا يء معهم، فصلّى ووضع يده فاختفى المرض في الحال، وعرف ذلك في المدينة كلها. ولما علم البطريرك بذلك ذهب ليرى الأعمـى فوجد أنه رقد في الرب، وانتشرت هذه القصة في الأسقيط وفي المدينة كلـها. فـذهب الشيخ (أنبا دانيال) مع تلاميذه وآباء كثيرين، وتباركوا من الأخ الطوباوي، وخرجـت المدينة كلها تقريبا وبالدعاء بالبركات والتشكرات والمدائح رافقـوا جسـده المبـارك، واستودعوه فوق جسد الأب مرقس الهبيل. وفي أثناء حياته، كان في فصل الصيف مـع الذي كان يقبل الصدقات، وكان يشتري تفاحا وعنبا ورمانا، وكان يوزعه بواسـطة شخص آخر في يوم الأحد للمرضى الغرباء. وقد داوم على ممارسة هذه الخدمة الفاضلة لمدة أربعين سنة لأجل مجد الله، آمين(٣٣٤).

صعد الأب دانيال مع تلميذه من الأسقيط إلى الصعيد لأجل تذكار الأب "أبوللون"، وخرج الآباء للقائه حتى مسافة نحو سبعة أميال، وكانوا حوالي خمسـة آلاف. وكـان يمكن رؤيتهم منتشرين على الرمال في الوادي مثل خوروس من الملائكة وهم يستقبلون المسيح لأن بعضهم افترشوا ثيا م أمامه والآخرون كوكلوسا م، وكانت الدموع الـتي ذرفوها كالينابيع. وانطرح الأرشيمندريت ساجدا سبع مرات قبل أن يقترب من الشيخ، وبعد أن عانقوه جلسوا. ثم طلب الأرشيمندريت من الأب دانيال أن يتكلم لأنه ما كان يتكلم بسهولة لأحد من الناس. ثم جلس على الرمل خارج الدير لأن الكنيسة ما كانت تسعهم جميعا، ثم قال الأب دانيال لتلميذه: "أكتب: إذا أردتم أن تخلصوا فاطلبوا العوز والسكون، لأن حياة الراهب كلها تتعلّق اتين الفضيلتين". ثم أعطى التلميذ ما كتبـه لأحد الإخوة فترجم القول إلى اللغة القبطية. وبعد أن قرأه على الآباء بكـى الجميـع

(334) An., 1596, 4.

وسمحوا للشيخ بالانصراف لأنه لم يجرؤ أحد أن يقول له أن يعملوا أغابي.

ولما ذهب إلى "هرموبوليس" قال لتلميذه: "اذهب واقرع على دير النساء هذا". فقد كان هناك في الحقيقة دير للنساء باسم الأب إرميا تسكن فيه نحو ثلاثمائة راهبة. فـذهب التلميـذ وقرع فقالت له البوابة بصوت خافت: "مرحبا بك، ماذا تريد"؟ فقال لها: "اسمحي أن تأتي الأم الرئيسة لأنني أريد أن أكلمها". فأجابته: "إ ا لا تتكلم مع أحد، فقُل لي ما تريد وأنـا أقول لها". فقال: "قولي لها إن راهبا يريد أن يكلمك". فذهبت لتخبرها، ثم ذهبت الرئيسة وقالت للأخ بصوت خافت: "أرسلتني الأم لتسألك: ماذا تريد"؟ فقال الأخ: "تفضلي بأن تسمحي لنا أن ننام هنا، أنا وأحد الشيوخ، لأن الوقت متأخر خوفًا من أن تلتهمنا الوحوش". فقالت له الأم: "لا يدخل هنا رجلٌ، وإنه لَمن الأفضل أن تلتهمكما الوحوش الخارجية من أن تلتهمكما الوحوش الداخلية". فقال الأخ: "إنه أنبا دانيال الأسقيطي".

وعلى هذه الكلمة فتحت الأم بابي الدير وأسرعت بإخراج مجمع الراهبـات كلـه، وارتدين كلهن براقعهن وقد امتد صفهن من عند الباب حتى الموضع الذي كـان فيـه الشيخ، وانطرحن أمامه عند قدميه. ولما دخل الشيخ وتلميذه الدير جـاءت الرئيسـة بطست مليء بالماء الدافئ وبأعشاب عطرة وعينت مجموعتين من الأخوات لكي يغسلن رجلي كل من الشيخ وتلميذه. وبعد ذلك أخذت وعاءً وصبت فيه ماء الطست لكـي تسكبه على رؤوس الأخوات، وأخيرا صبته على صدرها ورأسها هي نفسـها. وكـان يمكن للمرء أن يراهن جامدات بكماوات كالتماثيل، وكن جميعهن محتشدات كالملائكة. وقال الشيخ للرئيسة: "إننا فخورون جدا بكون الأخوات هكذا دائما". فأجابت: "إن خادماتك، يا سيدي، هن دائما هكذا، ولكن صل لأجلنا".

ثم قال الشيخ: "أخبرن تلميذي بأي استفسار يعن لكن". وكانت إحدى الأخوات مضطجعةً وسط الفناء مرتديةً بالخرق. فقال الشيخ: "من هذه الراقدة هناك"؟ فقالت له إحدى الأخوات: "هذه امرأة سكّيرة، ولا نعرف ماذا نفعل معها، ونخاف أن نطردهـا من الدير، وإذا تركناها تثير سخط الأخوات". فقال الشيخ لتلميذه: "خـذ الطسـت والق بالماء عليها". ففعل هكذا، فصرخت كما لو كانت سكرانة. فقالت الأم: "إ ـا هكذا دائما يا سيدي".

ثم أدخلت الرئيسة الشيخ إلى مائدة الطعام، وقدمت الطعام للأخوات وقالت: "بارك خادماتك حتى يأكلن في حضرتك". فباركهن. وقد تعاونت الرئيسة مـع مسـاعد ا

وحدهما على المائدة معه. وقدمن للشيخ وعاءً يحتوي على فول وخضروات نيئة وبلح وماء، وأحضرن لتلميذه عدسا مسلوقًا وخبزةً صغيرةً ومشروبا. وأحضرن للأخوات طعاما بكثرة وسمكًا وخمرا حتى الشبع. وأكلن كثيرا ولم يتكلم أحد. وبعد الانتهاء من الطعام قال الشيخ للرئيسة: "ما هذا الذي فعلته؟ فنحن الذين يكون لنا الطعام الجيد، وأنتم الذين أكلتم الطعام الأفضل". فقالت له الأم: "أنت راهب فقدمت لك طعام راهب، وتلميذك هو تلميذ راهب، فقدمت له طعام تلميذ، أما نحن فإننا مبتدئات فنأكل طعام المبتدئات". فقال لها الشيخ: "هكذا ذكّرتنا محبتكن، فقد تعلّمنا كثيرا من ذلك".

ثم ذهبن للراحة، وقال الأب دانيال لتلميذه: "اذهب لترى أين ترقد السكيرة المضطجعة في وسط الفناء". فذهب ثم عاد وقال له: "إنها في المرحاض". ثم قال له الشيخ: "اسهر معي هذه الليلة". ولما نامت جميع الأخوات أخذ الشيخ تلميذه معه ونزلا إلى الموضع المذكور خلف الشباك ووجدا تلك السكيرة كانت منتصبة ويداها مرفوعتين نحو السماء وهي تذرف دموعا غزيرةً وتحرك شفتيها وتنطرح على التراب ثم تنهض. ولما كانت تسمع أن أختا جاءت لأجل احتياجها كانت تنطرح على الأرض وتصنع شخيرا وكأنها نائمة! وهكذا كانت تقضي كل أيامها.

فقال الشيخ لتلميذه: "استدع لي الأم الرئيسة بهدوء". فذهب واستدعاها هي ومساعدتها، وعاينتا طوال الليل ما كانت تفعله هذه الأخت. فذرفت الأم دموعا غزيرة قائلةً: "كم أنني بائسة إذ رأيت ذلك"! ولما انتشر الخبر وسمع مجمع الراهبات ذلك، علمت الأخت، فانسحبت دون أن يراها أحد إلى مكان رقاد الشيخ وأخذت عصاته وإسكيمه، ثم فتحت باب الدير بدون أي صوت، وتركت بطاقةً على قفل الباب قائلةً فيها: "صلّين من أجلي واغفرن لي جميع الأحزان التي سببتها لكن". ثم اختفت.

وفي اليوم التالي عندما بحثن عنها ولم يجدنها ذهبن إلى الباب ووجدنه مفتوحا وعليه البطاقة، وسبب ذلك صخبا في الدير. وقال الشيخ: "إنني بسببها جئت إلى هنا، لأن الله يحب مثل تلك السكرانات"! فشكرت جميع أخوات الدير مع الشيخ على ما فعله لأجلهن. ثم أعطاهن بركته وعاد إلى قلايته هو وتلميذه مسبحا الله وشاكرا إياه لأنه هو وحده الذي يعلم كم أن له خداما مختفين[٣٣٥]!

روى الأنبا دانيال أن راهبا اسمه "دولاس" كان يعتبر من الآباء الكبار. وقد سكن

(335) An., 1596, 7. هذه القصة شبيهة بالقصة التي ذكرناها في صفحة ٢١٥.

أولاً لمدة أربعين سنة في دير للنساك cenobites، وكان أنبا دانيال يقول إنـه متأكـد بالخبرة أن معظم النساك يزداد تقدمهم وبأكثر سرعة في ممارسة الفضائل إذا عاشـوا في الدير بكل قلو م. وقال إنه يوجد في الحقيقة في دير للنساك أخ يظهر عليه أنـه بـائس ومحتقَر، ولكنه من الناحية الروحية عظيم وكبير. وبينما كان الجميع يحتقرونه ويهينونه، كان هو فرحا مسرورا. ومن جراء حسد العدو ثار الإخوة عليه، فبعضـهم ضـربوه، وآخرون بصقوا عليه، وآخرون أوسعوه بالشتائم. وإذ لم يحتمل العدو تشبثه بالاحتمال، أوحى لأخ أن يدخل الكنيسة بينما كان الإخوة نائمين ليسرق جميـع الأواني المقدسـة ويخبئها خارج الدير. وفي وقت الاجتماع دخل الكاهن ليرفع البخور فاكتشف أن جميع الأواني قد اختفت، فذهب وأخبر الأب بذلك، فدق الناقوس واجتمع جميـع الإخـوة وثاروا قائلين: "لا يمكن لأحد أن يأخذها إلاّ الأخ "أونتل"، ولهذا السبب لم يـأت إلى الاجتماع. ولو كان لم يفعل ذلك لكان هو أول من أتى كالمعتاد".

فذهبوا إليه ووجدوه يصلّي. وبعد أن قرعوا بابه دخلوا وجروه بقوة. فسـأل الأخ: "ماذا في الأمر أيها الآباء"؟ ولكنهم جروه وأذلّوه بالإهانات والشتائم قائلين: "مدنس المقدسات لا يستحق أن يعيش، فإنك لم تكتف بأن تعذبنا لسنوات هذا مقدارها، وهـا أنت الآن تؤذي نفوسنا". ولكنه قال: "اغفروا لي، لقد أخطأت". فاقتـادوه إلى الأب وقالوا: "أيها الأب، إنه هو الذي يسبب اضطرابا في ا مع منذ البداية". وظلوا يقولون كل بدوره: "أنا أعلم أنه كان يأكل الخضروات خفيةً"، أو "أنه كان يسـرق الخبـز ليعطيه للذين هم خارج الدير"، أو يقول آخر: "إنه كان يذهب ليشرب أفضل أنـواع الخمر". والجميع كانوا يكذبون ولكنهم كانوا يصدقو م، وأما الذي كان يقول الحقيقة فلم يصغ له أحد.

فخلع الأب منه الزي الرهباني قائلاً: "هذه ليست أعمال إنسـان مسـيحي". ثم أوثقوه وسلّموه لمدبر الدير، وهذا إذ جرده من ملابسه وجلده بأعصاب البقـر كـان يفحصه ليعرف إن كان ما قالوه عنه حق. فقال الأخ وهو مبتسم: "اغفـر لي، فقـد أخطأت". فاغتاظ الأب المدبر من هذا الكلام وأمر أن يوضع في سجن وتقيد رجـلاه، وكتب إلى الحاكم ليكشف له الأمر. ثم جاء الوكلاء ليأخذوه وأركبوه على بغل بدون مقعد وبسلاسل ثقيلة في عنقه وساقوه هكذا في وسط المدينة.

ولما اقتادوه إلى القاضي سأله عن اسمه ومن أين جاء ولماذا صار راهبا؟ ولكنه لم يقُل أكثر من: "إنني خاطئ فاغفر لي". فلما اغتاظ القاضي أمر أن يطرح ويضرب بأعصاب

البقر، فمددوه من يديه ورجليه وضربوه بأعصاب البقر بلا رحمة، وظلّ وجهه مبتسـما وقال للقاضي: "اضرب اضرب، إنك ستعيد فضتي ببريق أكثر تألقًا". فقال القاضـي: "إنني سأظهر حماقتك بما هو أنصع بياضا من الثلج". ثم أمر بإشعال النار تحت بطنه وأن يصب ملح ممزوج بخلّ على جروحه. ودهش المعذبون من تحمله لذلك وقالوا له: "قُـل لنا أين وضعت الأواني المقدسة ونحن نتركك". فأجاب بأنه لم يكن له شأن في ذلك.

ثم أمر القاضي بالتوقف عن التعذيب وإعادته إلى السجن وأن يحرس بدون طعام أو أي اهتمام. وفي اليوم التالي أرسل إلى الدير للإتيان بالرهبان وأب الدير. فلما جاءوا قال لهم القاضي: "لقد عملت كل ما في استطاعتي وأخضعته لكل العذابات بلا طائـل". فأجابه الإخوة: "أيها السيد، لقد ارتكب أعمالاً رديئة عديدة، وقد احتملناه من أجـل الله برجاء أن يتغير، ولكن ها هو قد صار إلى الأسوأ". فقال لهم: "إذن، ماذا أفعل"؟ فقالوا: "ماذا يقول القانون"؟ فأجاب: "القانون يعاقب منتهك الحرمات بـالموت". فقالوا: "فليمت"! فأرجعهم وجاء بالأخ وجلس على كرسي الحكم وقال له: "اعترف أيها البائس، وستفلت من الموت". فقال الأخ: "إن كنت تريد مني أن أقـول مـا لم يحدث فسأقول". فقال القاضي: "لا أريد منك أن تكذب". فقال الأخ: "إنني لم أفعل شيئًا يجعلني عرضةً للاستجواب". فلما رأى القاضي أنه لم يقل شيئًا أمر أن تقطَع رأسه!

ثم إن ذاك الذي خبأ الأواني ظلّ ضميره يبكته حتى قال في نفسه: "رغم أن الأمر لم يعرف حتى الآن مطلقًا؛ فإذا ظللت مخفيا إياه هنا على الأرض، فماذا ستفعل يوم الدينونة؟ كيـف ستجيب عن تلك الجرائم"؟ ثم ذهب إلى الأب وقال له: "أرسل رسولاً بسرعة حتى لا يعدم الأخ، فقد وجدت الأواني المقدسة". فنقل الخبر إلى القاضي وأُفرج عن الأخ وأُعيد إلى الدير، وحينئذ انطرح الجميع تحت رجليه وتوسلوا قائلين: "لقد أخطأنا إليك فاغفر لنـا". فأخـذ يبكي ويقول: "اغفروا لي، فإنني مدين لكم بالشكر العظيم، لأنه بواسطة تلك العذابات نلت خيرات عظيمة. ففي الحقيقة إنني كنت أبتهج كثيرا باستمرار لسماع كل شر تقولونه عـني لأنني بواسطة تلك الإهانات القليلة أستحق أن أحصل على مكافآت عظيمة في ذلك اليـوم الرهيب. والآن أنا أسر أكثر أيضا بأنكم فعلتم معي ذلك، حيث إنني لم أحزن بسببكم، لأنني أرى الآن الراحة التي كنت أنتظرها كأجر لهذه التجارب في ملكوت السموات".

ثم عاش الأخ ثلاثة أيام أخرى وانتقل إلى الرب. وجاء أحد الإخوة ليرى كيـف كـان انتقاله، فوجده راكعا لأنه كان في وضع السجود في الصلاة، وهكذا سلّم روحه. وقد ظـل

جسده هكذا في وضع التوبة (الميطانية). وذهب الأخ وقال ذلك للأب الذي أمر أن يحملوا جسده إلى الكنيسة لكي يدفنوه فيها. ولما وضعوه أمام الهيكل دق الناقوس لكي يجتمع الدير كله ويدفنوا الجسد بالإكرام. ولما اجتمع الإخوة أراد كل واحد أن يأخذ جزءًا من رفاته. فلما رأى الأب ذلك جعلهم يحملوا الجسد إلى داخل المذبح وأغلقوا الباب وأعطوا المفتاح لأب الدير لكي يشترك الجميع في تكفينه. ولما جاء الأب مع الكهنة قالوا له: "افتح الباب وانقل الجسد لتكفينه لأننا في الساعة التاسعة من النهار". فلما فتح لم يجد سوى ملابسه وصندله، فحلّ الذهول على الجميع وأخذوا يمجدون الله بدموع وقالوا: "انظروا يا إخوة، هذا هو الذي يزودكم بالصبر والاتضاع، وكما كنتم ترونه هكذا جاهدوا أنتم أيضا في احتمال الازدراء والتجربة، لأن الجميع يعلم أن هذه تؤدي إلى ملكوت السموات بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى دهر الدهور آمين"(336).

هجم البربر يوما ما على جبل شيهيت المقدس وخربوه وألقوا أيديهم على الشيوخ وأسروا كل من فيه، فلحقت بهم شدائد وضيقات كثيرة. فقاد هذا الحدث أنبا دانيال إلى دير "تمبوك" مع تلميذه، وقضى أيامه هناك في تقشف شديد. وفي أحد الأيام أعلن لـه ملاك الرب أن زمن انتقاله من هذا العالم قد حان. ثم أصابه مرض الموت، وجاء تلميذه وحياه فلم يستطع الرد عليه. فقال له تلميذه: "ماذا أصابك اليوم يا أبي"؟ فأجابه: "يا ولدي، إن جسدي ينحل والتراب سيعود إلى التراب مرةً أخرى، والله يعلم إلى أين ستذهب النفس". فأجاب تلميذه: "يا أبي، هل أنت أيضا ترهب الموت بهذا المقدار"؟ فأجابه: "يا بني، لو جاء أمامي إبراهيم وإسحق ويعقوب وقالوا لي 'إنك بار' لا أصدق. ويلٌ لرجل خاطئ مثلي، والآن أقول لك يا بني إن موسى الذي تكلم مع الله مرات عديدة والأنبياء القديسون جميعا لَيرتعدون من هذه الساعة مع أنهم أبرار، لأن هذه الساعة موجعة لكل أحد على وجه الأرض. يا بني، انظر أيضا إلى الأطفال الرضع إذا ما افتقدهم الرب كم هم أيضا يتألمون، هؤلاء الذين لم يفعلوا خطية قط. يا بني، إن الطريق الذي سأمضي إليه لا أعود أمضي إليه مرةً أخرى".

ولما قال ذلك أدار وجهه نحو الشرق وقال لتلميذه: "يا بني، قد اقتربت الساعة، اقتربت ساعتي أنا الشيخ الضعيف". ثم أمسك بيديه الاثنتين ووضعهما على عينيه وقال: "يا ربي يسوع المسيح المحب لنفسي، في يديك أستودع روحي". ولما قال ذلك سلم روحه في يدي الرب(337).

---

(336) An., 1642 (N 642-643).

(337) عن كتاب سيرة القديس، يوسف حبيب، ص ٣٨.

قصص وأقوال
القديس نيلوس السينائي

قال القديس نيلوس: "البطالة هي بداية الأعمال الرديئة، ولا سيما للذين هم عديمو الأدب، لأن اليهود لما لم يكن لهم في البرية عمل ينشغلون به خرجوا من البطالة إلى عبادة الأوثان. فلا تفارق عمل اليدين لأنه نافع جدا ومهذب"(٣٣٨).

وقال أيضا: "بلغني أن إنسانا كسلانا أخذ في حضنه الكتاب المقدس من الساعة السابعة (أي الواحدة بعد الظهر) حتى غروب الشمس ولم يقدر أن يفتحه البتة وكأنه مربوط برصاص. لكن أنبا أنطونيوس فعل كما أظهر له الملاك: فتارةً كان يجلس ولعمله ممارسا، وتارةً أخرى يقوم وللصلاة ملازما (وتارةً يجلس ولكلام الله قارئًا). وقد حظي باستنارة لدرجة أنه قال لأحد فلاسفة زمانه: 'يكفيني أن أتأمل في طبيعة المخلوقات دائما وأتلو في أقوال الرب حتى ظلمة الليل'. إلى هذا الحد كان يتصل بالله، وكان ليله يضيء كالنهار كما قيل: «الظلمة أيضا لا تظلم لديك والليل مثل النهار يضيء» (مز١٣٩: ١٢)"(٣٣٩).

وقال أيضا: "إن شئت أن تكون أعمال يديك إلهية لا أرضية، فلتكن أثمارها مشاعة بينك وبين المساكين"(٣٤٠).

وقال أيضا: "بع كل ما يخصك واعطه للمساكين وانكر نفسك حاملاً الصليب، وبذلك يمكنك أن تصلي بدون تشتت"(٣٤١).

وقال أيضا: "كل ما تفعله انتقاما من أخيك الذي ضايقك يأتي على فكرك في وقت الصلاة"(٣٤٢).

وقال أيضا: "الصلاة هي بذرة الوداعة وغياب الغضب"(٣٤٣).

وقال أيضا: "الصلاة علاج ضد الحزن والإحباط"(٣٤٤).

وقال أيضا: "أي شيء احتملته بسبب محبة الحكمة يثمر لك في وقت الصلاة"(٣٤٥).

وقال أيضا: "إذا أردت أن تصلي بطريقة صحيحة فلا تجعل نفسك مضطربة وإلاّ فإنك تسعى باطلاً"(٣٤٦).

---

(٣٣٨) س ٤ ورقة ٦١. (٣٣٩) المرجع السابق. (٣٤٠) س ٤ ص ٦٢. (341) Apoph., Nilus, 4.
(342)Ibid., 1. (343) Ibid., 2. (344) Ibid., 3. (345) Ibid., 5. (346) Ibid., 6.

وقال أيضا: "لا تجعل مشيئتك أن يتم كل شيء دائما حسب فكرك، بل بـ الحري كما يرضي الله، فحينئذ تكون بدون قلق وشاكرا في صلاتك"(٣٤٧).

وقال أيضا: "طوبى للراهب الذي يعتقد أنه هو المنبوذ من الكل"(٣٤٨).

وقال أيضا: "الراهب الذي يحب السلام الداخلي يظل متحصنا من سهام العدو، أما الذي يختلط بجموع الناس فيتلقّى ضربات متواصلة"(٣٤٩).

وقال أيضا: "العبد الذي يتجاهل عمل سيده لا بد أن ينتظر الضرب"(٣٥٠).

من أقوال الأب نيلوس: "احتفظ بأبواب السمع، وأفضل منها أبواب العينين، فإن سهام الشر لها عادة أن تدخل بواسطتها. احفظ الإمساك عن الملذّات حتى توضع (أو تذلّ) حركات الجسد. وإن مرض الجسد فعزه حتى يصل إلى الصحة بدون أن تلازم الملذات. صل ألاّ تأتيك البلايا، وإن جاءتك فاصبر عليها. هل تحب أن تتمم الفضيلة بلا تعب؟ احسب أن التعب إنما هو لزمن قليل والأجر يدوم إلى الأبد".

"لا تحول وجهك عن دموع المسكين لئلاّ تحتقَر دموعك في وقت الشدة. إن أمسكت بطنك فاضبط أيضا لسانك لئلاّ يكون أحدهما عبدا والآخر حرا بلا منفعة. إن أحببت السمائيات فمالك والأرضيات التي تمنعك من أن تطير إلى السمائيات"؟!

"إذا دنا أنفسنا رضي الديان عنا، لأنه يفرح مثل الصالح الذي يرى الخاطئ يطـرح الخطايا من على كاهله. وإن كنا فعلنا أمرا نجسا فلنغسله بالتوبة. تنهد على قريبـك إذا أخطأ كما تتنهد على نفسك لأننا كلنا تحت الزلل".

"الصلاة تكون بيقظة العقل لئلاّ تطلب من الله أمورا لا يهواها. وعندما تصلّي ارفع أفكارك إلى الله، وإن هي هبطت عليك فارفعها أنت أيضا. اصبر للأحزان لأن ا يأخذ ا اهدون الإكليل. ما أطيب وألذّ خبز الصوم، لأنه يعتق من خميرة الشهوات. إن عملت بيدك فليكن اللسان مزمرا والعقل مصليا لأن الله يحب أن تذكره دائما".

"ينبغي أن تتكلم بالحسنات لكيما تبدأ بالأعمال حينما تستحي من الكلام. الـ نفس تطهر بالدموع التي تنهمر في الصلاة، ولكن بعد الصلاة اذكر لماذا كانت الـ دموع. لا تختلط بالذي تراه يبتعد عن الصالحين. أعط البطن قو ا وليس ما واه، ولا تحب التنعم لأنه يجلب حب العالم. التواني في الخيرات هو أم الشر".

(347) Ibid., 7. (348) Ibid., 8. (349) Ibid., 9. (350) Ibid., 10.

"لا تكره المسكنة لأ ا تصير المقاتل بلا هم. ولا تفرح بالغنى لأن الاهتمام به يبعـد الإنسان عن الله وهو كاره. لا تتغافل عن عمل الرحمة، ولا تحب أن تستغني عن ضيافة الغرباء. لتكن تلاوتك للمزامير دائمة لأن ذكر الله يطرد الشياطين. اعتبر الصوم حصـنا والصلاة سلاحا والدموع غسلاً".

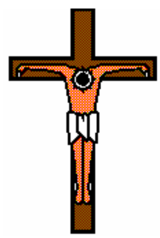
"إذا شتمت تفكر إن كنت فعلت شيئًا يستحق الشتيمة، فإن كنت فعلت اعتبر الشـتيمة بم لة ا ازاة، وإن كنت لم تفعل فلتكن عندك مثل الدخان. الطريق التي تؤدي إلى الفضيلة هي الفرار من العالم. الذي لا يبغض الخطية يدان مع الخطاة ولو لم يفعلها، وإذا نظرنا إلى أنفسـنا فلن ندين الآخرين. أمور كثيرة موجودة فينا ونحن نلوم غيرنا عليها".

"إن كان لك غنى فبدده وإن لم يكن فلا تجمع. اِصنع الخير بالمساكين فإ م يرضون الديان عوضا عنك. إن شربت شيئًا فقلل منه لأن قلّته تنفع شاربه".

"اظهر إسكيم الفضل ليس لكي تخدع الناظرين بل لكي تنفعهم. كُن في الكنيسـة كمن هو في السماء. امش ولا تتكلم، ولا تفكر في شيء من الأرضيات. احزن علـى الذي يخطئ وليس على الذي يتمسكن، لأن الحزن الأول يكلل أما الثاني فيعذب".

"ويلٌ للظالم لأن غناه يفر منه وتلقاه نار لا تطفَأ. ويلٌ للمتوانين لأ م يتمنون الزمان الذي تغافلوا فيه فلا يجدونه. ويلٌ لمحب الزنى فإنه يخرج من عرس الملك وهو مخزي. ويلٌ للمحتال والسكران فإ ما يدانا مع القتلة والزناة. ويلٌ للذي يأخذ بالوجوه فإن الراعي يجحده والذئاب تفترسه".

"طوبى للذي يسلك الطريق الضيقة الحزينة، فإنه بفرح يدخل السماء وهو مكلـل. طوبى للذي اقتنى أمرا رفيعا وفكرا متضعا، فإنه يتشبه بالمسيح ومعه يجلس في الملكوت. طوبى للذي ألزم لسانه بالناموس، فإن الله لا يفارقه في مسكنه. طوبى للذي بدد السيئات التي جمعها، فإنه يقف أمام الديان مزكى"[(٣٥١)].



(٣٥١) س ٤ ص ١٣٩.

قصص وأقوال

القديس دوروثيئوس

⌘✶✞✶⌘

قال القديس دوروثيئوس عن الدينونة: لا شيء أردأ من الدينونة للإنسان، لأنه منها يتقدم إلى شرور ويسقط في شرور. فالذي يدين أخاه في قلبه يتكلم عنه بلسانه ويفحص أعماله وتصرفاته، ويترك النظر فيما يصلح ذاته ويشغل نفسه بما لا يعنيه عما يعنيه، ومن هنا ينشأ الازدراء والنميمة والملامة والتعيير، وحينئذ تتخلّى عنه المعونة الإلهية فيسقط في ما دان أخاه عليه.

النميمة هي أن يخبر المرء بما فعله أخوه من خطية شخصية فيقول إنه فعل كذا، أما الدينونة فهي أن يخبر المرء عما لأخيه من خلُق رديء فيقول إنه سارق أو كذاب أو ما شابه ذلك، فيحكم عليه باستمراره في هذه الصفة وعدم الإقلاع عنها، وهذا أمر صعب جدا. ولذلك شبه الرب خطية الدينونة بالخشبة والخطية المُدانة بالقذى، وعلى ذلك تزكّى العشار رغم آثامه وشجب الفريسي لكونه دان غيره بالرغم مما له من صدقة وصوم وصلاة وشكره لله على ذلك. فالحكم على خليقة الله يليق بالله لا بنا، ودينونة كل واحد وتزكيته هي لله وحده، لأنه هو وحده العارف بسر كل إنسان وعلانيته، وبما يجب من الحكم في كل أمر وعلى كل شخص.

فقد يتفق أن يصنع الإنسان شيئًا ببساطة بقصد أن يرضي الله وتظن أنت غير ذلك. وإن كان قد أخطأ فمن أين تعلم إن كان قد رجع وغفر له الله؟ أو إن كان الله قد دانه في العالم مقابل ذنوبه؟ فالذي يريد الخلاص لا يتأمل سوى نقائص نفسه، مثل ذاك الذي رأى أخاه قد أخطأ فبكى وقال: "اليوم أخطأ هذا وأنا أخطئ غدا، وربما يفسح لهذا فيتوب وقد لا يفسح لي أنا"!

فبالحقيقة ويلٌ لمن يدين أخاه، فإنه سيهلك نفسه بكونه صار ديانا وكونه يؤذي الذين يسمعونه، وعنه يقول النبي: «ويلٌ لمن يسقي صاحبه كأسا عكرة» (حب٢: ١٥ حسب النص)، وأيضا: «ويلٌ لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة» (مت١٨: ٧). وأصل هذا كله هو عدم المحبة لأن المحبة تغطي كل عيب. أما القديسون فلا يدينون الأخ بل يتألمون معه كعضو منهم ويشفقون عليه ويعضدونه ويتحايلون لأجل خلاصه حتى ينتشلوه كالصيادين الذين يرخون الحبل للسمكة قليلاً قليلاً لئلاّ تتخرق الشبكة وتضيع. فإذا توقفت السمكة عن حركتها الثائرة حينئذ يسحبوا قليلاً قليلاً، هكذا يفعل القديسون

بطول روح ومحبة فيجتذبون الأخ الساقط حتى يقيموه[٣٥٢]!

قال القديس دوروثيئوس: "الذي يتضجر من شدائد هذا الدهر فهو جاهل بشدائد الدهر الآتي وانفصال الروح عن الجسد والصعوبات التي تنالها. وكيف ننسى شدائد الدهر الآتي ونظل نذكر الأعمال التي ندان عليها بلا نسيان"[٣٥٣]؟!

✪☯✟☯✪

قصص وأقوال
القديس أنبا شيشوي الصعيدي

قيل عن أنبا شيشوي الصعيدي إنه سكن في قلمون التي في أرسينيوي (الفيوم)، وكان هناك شيخ مريض في منشوبية أخرى، ولما سمع أبا شيشوي ذلك تأسف جدا، وكان قد اعتاد أن يصوم يومين يومين، وكان هذا اليوم من الأيام التي لا يأكل فيها، فلما سمع عن مرض الشيخ قال في نفسه: "ماذا أفعل؟ إذا ذهبت لأراه أخاف أن يدفعني الإخوة أن آكل، وإذا انتظرت حتى الغد أخاف أن الشيخ ينتقل إلى راحته. فلأفعل هذا: أذهب ولا آكل". فذهب صائما مكملاً وصية الله وغير مرخ لطقس حياته لأجل الله[٣٥٤].

روى أحد الآباء عن أبا شيشوي الذي من قلمون أنه يوما ما أراد أن يتغلّب على النوم، فعلّق نفسه على جرف الصخرة "بترا"، فجاء إليه ملاك وأنزله وأمره ألاّ يفعل ذلك مرةً أخرى ولا ينقل مثل هذا التعليم إلى آخرين[٣٥٥].

سأل أحد الآباء أبا شيشوي: "إن كنت جالسا في البرية وجاء أحد البربر لكي يقتلني وكنت أنا أقوى منه، فهل أقتله"؟ فقال له الشيخ: "لا، أتركه لله. ففي الحقيقة إنه مهما كانت التجربة التي تأتي على الإنسان فليقل إن هذا حدث لي بسبب خطاياي، وإذا حدث أمر حسن فليقل إن هذا من قبل عناية الله"[٣٥٦].

سأل أخ أبا شيشوي أن يقول له كلمة، فقال: "لماذا تطلب كلاما؟ افعل مثلما ترى"[٣٥٧].

قيل عن أنبا شيشوي الصعيدي إنه عندما كان ينفض اجتماع الكنيسة اعتاد هو أن يهرب

---

(٣٥٢) س ٤ ص ٧٦.
(٣٥٣) س ٤ ورقة ١٥٦.
(٣٥٤) س ٤ ورقة ١٢٥؛ Apoph., Sisoes, 32 ;W. & W., II: 408.
(٣٥٥) المرجع السابق؛ Apoph., Sisoes, 33; W. & W., 1: 116
(٣٥٦) المرجع السابق؛ Apoph., Sisoes, 34; W. & W., I: 382
(٣٥٧) المرجع السابق؛ Apoph., Sisoes, 45; W. & W., I: 260

في الحال إلى قلايته، فكانوا يقولون إن به شيطانا، ولكنه كان في الحقيقة يعمل عمل الله[٣٥٨].

سأل الإخوة شيخا عن القول السابق قائلين: "من هم أولئك الذين قالوا إن به شيطانا؟ وما هو عمل الله الذي اعتاد أن يفعله"؟ فأجاب الشيخ: "الذين قالوا إن به شيطانا كانوا هم الإخوة الكسالى، لأنه عندما يرى الشيطان الرهبان الذين يسلكون بالروح في الدير يثير الإخوة الكسالى ليشهروا حربا ضدهم بإساءة معاملتهم أو شتمهم أو اغتيابهم أو الافتراء عليهم أو دينونتهم".

"أما عمل الله الذي كان يعمله أنبا شيشوي عندما كان يهرب فهو هذا: الصلاة المصحوبة بالبكاء والدموع، وذلك وفقًا لنصائح أنبا إشعياء الذي قال: 'عندما تنصرف الجماعة، أو بعد أن تقوم من الأكل، لا تجلس لتتكلم مع إنسان سواء فيما يخص أمور العالم أو الأمور الروحية، بل اذهب أنت إلى قلايتك وابك لأجل خطاياك'. وكما قال أنبا مكاريوس الكبير للإخوة الذين كانوا معه: 'اهربوا يا إخوة'، فقال الإخوة: 'يا أبانا، كيف يمكننا أن نهرب إلى أكثر من البرية'؟ فوضع يده على فمه وقال لهم: 'من هذا اهربوا'. وللحال كان كل واحد منهم يهرب إلى قلايته ويحفظ السكون"[٣٥٩].

قال أنبا شيشوي الصعيدي لتلميذه: "أخبرني بما تراه في ثم أخبرك أنا بما أراه فيك". فقال له تلميذه: "إنك رجل صالح، ولكنك صارم قليلاً". فقال له الشيخ: "وأنت أيضا صالح، ولكنك لست حازما بما فيه الكفاية"[٣٦٠]!

قيل عن أنبا شيشوي الصعيدي إنه كان لا يأكل خبزا، وفي عيد الفصح توسل إليه الإخوة أن يأكل معهم، فقال لهم: "إنني سأفعل أحد أمرين: فإما أن آكل خبزا فقط، أو آكل مما طبختموه". فقالوا له: "إذن، فكُل خبزا فقط". ففعل ذلك[٣٦١].

تأذّى أخ من أخ آخر فذهب إلى أنبا شيشوي الصعيدي وقال له: "إن أخي سبب لي أذى وأريد أن أنتقم لنفسي". فترجاه الشيخ قائلاً: "لا يا بني، أترك الانتقام لله". فقال له: "لن أجد راحةً إن لم أنتقم لنفسي". فقال الشيخ: "هلم بنا نصلّي أيها الأخ". وانتصب الشيخ وقال: "يا رب، نحن لم نعد في حاجة إلى أن تعتني بنا طالما أننا نحقق العدل لأنفسنا". فلما سمع الأخ هذا الكلام خر عند قدمي الشيخ قائلاً: "لن أطلب العدل لنفسي من أخي، فاغفر لي يا أبي". وهكذا شفى أنبا شيشوي هذا الأخ[٣٦٢].

---

(358) Apoph., Sisoes, 37; W. & W., I: 15; II: 491.
(359) W. & W., II: 661.
(360) Apoph., Sisoes, 51.
(361) Ibid., 52; W. & W., I: 81.
(362) Apoph., Sisoes, 1; W. & W., I: 198.

أراد إنسان من الصعيد أن يصير راهبا، فجاء إلى أنبا شيشوي الصعيدي. فسأله الشيخ إن كانت له أية ارتباطات في العالم، فأجاب: "عندي ابن". فأراد الشيخ أن يعرف طاعته فقال له: "اذهب والقه في النهر ثم تعالَ وستصير راهبا". ولأنه كان مطيعا فقد ذهب على الفور ليفعل ذلك. ثم أرسل الشيخ أخا بسرعة لكي يمنعه وقال له: "كُف ماذا تفعل"؟ فأجاب: "إن أبي قال لي أن أُلقيه". فقال له الأخ: "ولكنه قال بعد ذلك ألاّ تلقه". فترك ابنه وذهب إلى الشيخ وبطاعته صار راهبا مختارا(٣٦٣).

القديس الأب آموس

قال الأب آموس: "توجد للتوبة ستة أنواع: ذم الخطايا والإقلاع عنها، والإقرار بها، والندم عليها، والصفح عن خطايا القريب، وترك دينونة المخطئين، ومسكنة القلب"(٣٦٤).

القديس كليميكوس

قال القديس كليميكوس: "من يستطيع أن يميت نفسه عن الكل يستطيع أن يتفرغ لنفسه بذكر الموت، ومن يحب مخالطة الناس لا يمكنه أن يتفرغ لنفسه وهو عالة على نفسه"(٣٦٥).

وقال أيضا: "لا يستطيع إنسان أن يجيز يوما كما ينبغي إن لم يعتبره آخر حياته في الدنيا"(٣٦٦).

القديس مكسيموس(★)

قال القديس مكسيموس: "لا نقبل الأفكار التي تقلل من شأن خطايانا، لأن الرب أمرنا أن نتحفظ منها قائلاً: «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة» (مت٧: ١٥)، لأنه طالما أن أفكارنا منزعجة من الخطية فلا نكون قد حظينا بالمغفرة عنها، لأننا لم نصنع ثمار التوبة، لأن ثمر التوبة هو عدم انفعال النفس، وعدم انفعال النفس هو تمحيص الذنوب، ولا تكون صفة عدم الانفعال صحيحة إن كنا نوجد أحيانا قلقين من الأوجاع. فلنتب إذًا توبةً نقيةً لكيما إذا

---

(363) Apoph., Sisoes, 10; W. & W., I: 245.

(٣٦٤) س ٤ ورقة ١١١. (٣٦٥) س ٤ ورقة ١٢٣. (٣٦٦) المرجع السابق.

(★) هذا غير ق. مكسيموس أخو ق. دوماديوس.

انعتقنا من الأوجاع ننال المغفرة"[٣٦٧].

وسئل القديس مكسيموس: "كيف تتحقق النفس أن الله غفر لهـا خطاياهـا"؟ فأجاب: "إذا رأت أ ا في درجة ذاك القائل: «أبغضت الظلم ورذلته، أمـا ناموسـك فأحببته» (مز١١٨: ١٦٣ الترجمة القبطية)، لأنه يقول: «لرحمتك وعدلك أسبحك يـا رب» (مز١٠١: ١ الترجمة القبطية). فلنصنع أعمال التوبة لكي نظهر حكم الله العـادل ويكمل رحمته علينا إذ يغفر لنا خطايانا"[٣٦٨].

قال القديس مكسيموس: "من غلب الحنجرة فقد غلب كل الأوجاع، ومن أتقـن الاتضاع فقد أتقن كل الفضائل"[٣٦٩].

وقال أيضا: "مخافة الله هي حد الاهتمام بألاّ يقع الإنسان في عقاب الآخرة بسـبب خطاياه"[٣٧٠].

وقال أيضا: "كما أن القصدير الذي كان أسود اللون يمكنه أن يصير مضيئًا؛ هكذا أيضا المؤمنون حتى ولو اسودت حيا م بالخطية فإ م يستردون بريقهم عندما يتوبـون. فبدون شك أنه بسبب ذلك يشبه الإيمان بالقصدير"[٣٧١].

قصص وأقوال
القديس الأب روفس

سأل أخ الأب روفس: "ما هو السكوت"؟ فأجابه الشيخ: "السكوت هو أن يبقى الإنسان في قلايته بمعرفة وبمخافة الله، وأن يمتنع عن ذكر أي شر، والمداومة على ذلـك تلد كل الفضائل وتحفظ الراهب من سهام العدو الملتهبة. نعم أيها الأخ، اقتن السكوت وداوم على ذكر موتك المزمع أن يكون وأنك لا تعرف في أية ساعة سـيأتي اللـص، وهكذا كن متيقظًا لنفسك"[٣٧٢].

قال الأب روفس: "الذي يظل جالسا تحت قدمي أبيه الروحي يأخذ مكافأةً أعظم مـن الذي يعيش منفردا في البرية". وأضاف إلى ذلك أن أحد الآباء قال: "لقد رأيت أربع مراتب في السماء: في الأولى المريض الذي يشكر الله، وفي الثانية الذي يهتم بإضافة الغرباء ويخدمهم، وفي الثالثة الذي يعبر البرية دون أن ينظر أحدا، وفي الرابعة الذي يطيع أباه ويظل خاضعا له من

(٣٦٧) س ٤ ص ١٢٠. (٣٦٨) المرجع السابق. (٣٦٩) س ٤ ص ١٥٩. (٣٧٠) المرجع السابق.
(371) An., 1717 (J 717). (٣٧٢) س ٤ ورقة ١٢٣؛ Apoph., Rufus, 1.

أجل الرب. وإن ذاك الذي يعيش في خضوع كان مرتديا سلسلةً من ذهب وترسا وله مجد أعظم من الآخرين. فقلت لمن كان يقودني: 'لماذا هذا الأخير له مجد أكثر من الآخرين'؟ فأجابني: 'إن الذي يضيف الغرباء يعمل حسب مشيئته، والذي يعيش في البرية ينطلق حسب إرادته الحرة، ولكن الأخير له طاعة، وإذ نبذ كل الرغبات فهو يعتمد على الله وأبيه، فلهذا السبب أخذ مجدا أكثر من الآخرين'".

"أُنظر يا بني، كم أن الطاعة صالحة عندما تتخذ لأجل الرب! لقد فهمتم، يا أولادي، جزئيا عناصر هذه الفضيلة. إيه أيتها الطاعة فاتحة السموات وجاعلة البشر يصعدون إلى هناك من الأرض! أيتها الطاعة طعام جميع القديسين الذين رضعوا من لبنك، والتي بواسطتك صاروا كاملين! إيه أيتها الطاعة رفيقة الملائكة"(٣٧٣).

وعند نياحته اجتمع إليه تلاميذه قائلين: "كيف يجب أن نتدبر من بعدك"؟ فأجاب الشيخ: "لست أعلم أنني قلت لأحد منكم قط أن يفعل شيئًا قبل أن أضع في قلبي منذ البداية ألاّ أغضب إذا هو لم يفعل، وهكذا سكنا كل زماننا بهدوء"(٣٧٤).

❁⌘❖⌘❁

القديس الأب إسطفانوس

كان رجل ليبي الجنسية اسمه إسطفانوس مقيما على شاطئ "مرمريكا"(٣٧٥) ومربوط مدة حوالي ستين سنة، وبلغ أعلى درجات النسك وصار مستحقًا لنعمة الإفراز. وكل من ذهب إليه وهو يعاني من أي نوع من الآلام يخرج معافَى. وكان أيضا له معرفة شخصية بالمغبوط أنطونيوس، وعاش إلى وقتنا هذا (أيام بالليديوس)، وأنا لم أقابله لأنه كان بعيدا جدا ... ولكن القديسين المحيطون بنا مثل أمونيوس وإيفاجريوس أخبروني بالآتي:

عندما وصلنا إليه وجدناه مصابا بقروح مرعبة معروفة بالسرطان، ووجدناه تحت عناية طبيب، وكان يعمل بيديه ويضفر خوصا ويتحدث معنا بينما كانت تعمل له عملية جراحية في جسده. لقد تصرف كما لو كان شخصا آخر هو الذي يعمل فيه المشرط. وبينما كانت تقطَع بعض أعضائه مثل خصل الشعر لم يظهر أية علامة على أنه يتألم، وذلك كان بفضل سموه الروحي.

وبينما كنا محزونين من ذلك وقد روعنا من كون إنسان عاش حياةً مثل هذه عليه أن

---

(٣٧٤) س ٤ ص ١٢٤.

(٣٧٥) بين مصر وليبيا.

(373) Apoph., Rufus, 2.

يعاني من مرض وعلاج طبي مثل هذا، أخبرنا هو قائلاً: "يا أبنائي، لا تتأذّوا من ذلك، فإنه لا يعمل شيء من أعمال الله بغرض شرير، ولكن كل شيء لأجل قصـد صـالح، فجيد هو أن تستحق أعضائي العقاب، ومن الأفضل أن تنال قصاصها هنا من أن تنالـه بعد أن أترك العالم". وهكذا شجعنا وعلّمنا بتوجيهاته.

أما أنا فقد أخبرتكم بذلك حتى لا تتحيروا عندما ترون قديسين يصـيرون ضـحيةً للأمراض(٣٧٦).

❐❁❖❁❑

القديس الأب أموناثاس

جاء يوما ما أحد الحكام إلى "بيلوزيوم" ("بالوظة" الآن بجوار بورفؤاد) لكي يجـبي ضريبة البالغين من الرهبان تماما مثل سكان المدن. فاجتمع جميع الإخوة بسـبب ذلـك وذهبوا إلى أبا أموناثاس. وفكر بعض الآباء أنه ينبغي أن يـذهبوا لمقابلـة الإمبراطـور بخصوص ذلك، فقال لهم القديس: "لا ضرورة لهذا الاضطراب، فـامكثوا بهـدوء في قلاليكم وصوموا لمدة أسبوعين، وسأعالج هذا الموضوع وحدي بنعمة الله".

فذهب الإخوة إلى قلاليهم، ومكث الشيخ في سلام في قلايته. وبعد نهاية الأسبوعين استاء الإخوة من الشيخ الذي لم يروه قلقًا وقالوا: "إن الشيخ لم يفعل شيئًا بخصـوص موضوعنا". وفي اليوم الخامس عشر اتفق الإخوة واجتمعوا مرةً ثانيةً، وجاء الشيخ ومعه رسالة تحمل ختم الإمبراطور. فلما رأى الإخوة ذلك قالوا وهـم مندهشـون: "مـتى حصلت على هذه الرسالة أيها الأب"؟ فقال لهم الشيخ: "صدقوني يا إخوة إنني ذهبت تلك الليلة إلى الإمبراطور الذي كتب هذه الرسالة ثم ذهبت إلى الإسكندرية حيث صدق الوالي على إمضاء الإمبراطور ثم رجعت إليكم"! فلما سمع الإخوة ذلك امتلأوا خوفًـا وتابوا إليه. وهكذا حلّت مسألتهم ولم يزعجهم الوالي مرةً أخرى(٣٧٧).

القديس أنبا بطـره

قال أنبا بطره: "الإمساك الذي هو أفضل من إمساك البطن والذي يجب أن تغصب نفسك عليه هو هذا: ألاّ تأكل لحم إنسان وألاّ تشرب دم إنسان بالوقيعة"(٣٧٨).

(376) Laus., 24. (377) Apoph., Ammonathas, 1; Arm., 18, 66. (٣٧٨) س ٤ ص ١٣٧.

القديس إقليمس

قال الأب إقليمس: "من لا يجد في نفسه مخافة الله فليعلم أن نفسه ميتة"[(٣٧٩)].

القديس أنبا كيرادوس

في **أيام جهاد أنبا كيرادوس** عندما كان يعذب من أجل المسيح قال مثلاً: "الأرض التي تشقق وتحرث بالمحراث تثمر أضعافًا، هكذا الجسد إذا هو انكسر وانحلّ بالتعب حينئذ ينبت للنفس أجنحةً وتسمو إلى المسيح الذي قُتل من أجلها، وهي حاملةً ثمرا مائة ضعف"[(٣٨٠)].

القديس أنبا كاما

قال شيخ إن أنبا كاما قال لي: "كل خطية نفعلها الله يغفرها لنا إذا نحن دعوناه، فإذا تاب إلي أخي ولم أغفر له فلن يغفر الله لي البتة"[(٣٨١)].

القديس أنبا إيليا السائح

قال أنبا إيليا السائح إنه كان في مغارة قرب دير الخصيان، وفي نصف النهار في شدة الحر في شهر أغسطس فوجئ بإنسان يقرع على مغارته، فخرج ووجد أ ا امرأة. فقال لها: "ماذا تفعلين ههنا"؟ فقالت له: "إنني قريبة منك في مغارة على بعد ميل واحد وأعيش بمثل سيرتك. وبينما كنت أهيم في البرية عطشت من شدة الحر، فاصنع محبة يا أبي واسقني قليل ماء". وقال: "فسقيتها وصرفتها".

ولما ذهبت حاربني قتال الزنى وهزمني، فأخذت عصاتي وسرت نحو مغار ا في ساعة حر شديد، ولما دنوت من مغار ا والشهوة تلهبني سهوت فرأيت الأرض قد انفتحت وظهرت تحتها أجساد موتى كثيرة منتنة جدا، وكان إنسان ي يريني تلك الأجساد ويقول: "أنظر إلى أجساد هذه النسوة الحسنة المنظر كيف هي رائحتها، تقدم يا راهب واشبع شهوتك من أية امرأة تختارها، وانظر كم من التعب تريد أن تضيع من أجل هذه الشهوة النتنة وتحرم نفسك من ملك السماء! أُف من الإنسان الذي يضيع تعبه من أجل شهوة باطلة"!! ومن شدة النتانة سقطت على الأرض فأقامني ذلك الرجل وأزال عني

(٣٧٩) س ٤ ص ١٥٩. (٣٨٠) س ٤ ورقة ١٥٩. (٣٨١) س ٤ ورقة ١٢٠.

القتال، فرجعت إلى مغارتي أسبح الله وأمجده على خلاصي.

فانظروا يا إخوتي كيف أن القرب من النساء مفسد ويسبب القتال حتى للرجال الأبرار التاعبين من النسك طول أيامهم[٣٨٢]!

القديس الأب أورانيوس[★]

عندما كان الأب أورانيوس مبتدئًا ذهب إلى أحد الشيوخ وطلب أن يقول له كلمة، فأجابه الشيخ: "إن آثرت الخلاص فإن كنت في حضرة إنسان فلا تتكلّم قبل أن تسأل". فأدرك معنى هذا القول وصنع ميطانية للشيخ وقال: "تعلّمت من كتب كثيرة، ولكنني ما عرفت مثل هذه الآداب". وانصرف منتفعا[٣٨٣].

سأل أخ الأب أورانيوس: "كيف يأتي خوف الله إلى النفس"؟ فقال له: "إن اقتنى إنسان التواضع وعدم القنية وألاّ يدين أحدا يأتي إليه خوف الله"[٣٨٤].

وقال أيضا: "يجب أن تجعل لك تواضعا وفزعا (أو مخافةً) وكثرة نوح وقلة طعام دائما"[٣٨٥].

قال الأب أوبريبوس: "حيث إنك تعلم أن الله أمين وقدير فليكن لك إيمان به فتشاركه فيما هو له. فإن كنت خائر النفس فأنت لا تؤمن. نحن جميعا نؤمن أنه قدير ونؤمن أن كل شيء ممكن لديه. ففيما يخص شئونك ليكن سلوكك بثقة فيه بخصوصها أيضا، لأنه قادر أن يعمل معجزات فيك أنت أيضا"[٣٨٦].

قيل إن الأب أوبريبوس ساعد بعض اللصوص عندما كانوا يسرقون. ولما أخذوا ما كان في قلايته وجد أنهم تركوا عصاته فحزن. فأخذها وأسرع وراءهم ليعطيها لهم، ولكنهم لم يشاءوا أن يأخذوها خوفًا من أن يحدث لهم شيء إذا أخذوها، فطلب من شخص قابله وكان ذاهبا في نفس اتجاههم لكي يعطيها لهم[٣٨٧].

قال الأب أوبريبوس: "الأمور الجسدية هي خليط من الأشياء. والذي يحب العالم يحب فرص السقوط. وعلى ذلك، فإذا فقدنا شيئًا فعلينا أن نقبل ذلك بفرح وامتنان متحققين أننا قد تحررنا من الاهتمام به"[٣٨٨].

---

(٣٨٢) س ٤ ص ١١٢.
(★) جاءت أقواله في الأبوفثجماتا الأبجدي باسم "أوبريبوس".
(٣٨٣) س ٤ ورقة ٨١؛ Apoph., Euprepios, 7; W. & W., I: 58
(٣٨٤) س ٤ ورقة ٨١؛ Apoph., Euprepios, 5
(٣٨٥) المرجع السابق؛ Apoph., Euprepios, 6
(386) Apoph., Euprepios, 1.
(387) Ibid., 2.
(388) Ibid., 3.

سأل أخ أبا أوبريبوس بخصوص حياته، فقال الشيخ: "كل تبنا (أو قشا) والبس تبنا وارقد على تبن، وهذا يعني أن تحتقر كل شيء واقتن لنفسك قلبا من حديد"[٣٨٩].

✸✪❖✪✸

القديس أنبا تومين

أبصر أنبا تومين أخا يضحك فقال له: "لا تضحك يا أخي لئلاّ يبتعد الله منك"[٣٩٠].

القديس الأب كورس

قال أنبا كورس: "الذي يقيم مع صبي إن لم يكن قويا فهو يميل إلى أسفل، وإن كان قويا ولم يهبط إلى أسفل فإنه لَعمري لا ينجح"[٣٩١].

القديس الأب يوحنا قمص رايثو

أخبرنا الأب يوحنا الخادم (الخصي قمص رايثو) أنه سأل في شبابه شيخا: "كيف استطعتم أن تعملوا عمل الله بارتياح بينما نحن لم يمكننا أن نعمله ولا حتى بتعب"؟ فقال له الشيخ: "إننا أمكننا ذلك لأن عمل الله كان هو رأسمالنا (أي له الأولوية) وحاجة الجسد حقيرة عندنا. أما أنتم فحاجة الجسد هي رأسمالكم وعمل الله ليس هو ما لا بد منه عندكم، فلهذا أنتم تكلّون. وقال مخلّصنا في ذلك: «يا قليلي الإيمان ... اُطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم (أو "تتضاعف لكم" حسب اليوناني)» (مت٦: ٣٠-٣٣)".

فقال الأخ للشيخ: "زدني إيضاحا". فقال له: "إذا سمعت عني مثلاً أنني مريض ويجب ان تفتقدني، وتقول في نفسك: بعد أن أنتهي من عملي أفتقده. ثم يحدث ما يعوقك وربما لا تأتي إلي قط. وهكذا تكون قد جعلت عمل اليدين هو رأسمالك وعمل النفس (أي العمل الروحي) في المرتبة الثانية. وأيضا ربما يقول لك أخ آخر: "أعطني يدا يا أخي وساعدني في هذا الأمر"، فتقول في نفسك: عندما أفرغ من عملي أذهب معه. وهكذا تترك وصية المسيح التي هي العمل الروحاني و تم بعملك الذي كان ينبغي أن تجعله في المرتبة الثانية"[٣٩٢].

✸✪❖✪✸

---

(389) Ibid., 4.

(٣٩٠) س ٤ ورقة ١٤٥.

(٣٩١) س ٤ ص ٤٣.

(٣٩٢) س ٤ ص ٦٢؛ Apoph., John the Eunuch, 1

أقوال القديس جيرونتيوس

قال الأب جيرونتيوس الذي من بترا: "إن كثيرين عندما يقاتلون بشهوات الجسد يزنون ليس بأجسادهم بل بأرواحهم، أي دون أن يقتربوا إلى جسد آخر، وذلك لأنهم لم يعرفوا أن يقمعوا أفكارهم، فهم يحفظون البتولية بأجسادهم ويزنون بنفوسهم. وعلى هذا فجيد يا أحبائي أن نعمل بما هو مكتوب، وجيد لكل واحد أن يحفظ قلبه بكل حرص مستطاع (انظر أم٤: ٢٣)"[٣٩٣].

أقوال القديس أفراطوس

قال أنبا أفراطوس: "إن شاء الله حياتي فهو يعلم كيف يسوس أمري، وإن لم يشأ فمالي وللحياة"؟ لأنه ما كان يشاء أن يأخذ من أحد شيئًا، وكان ملقى على سريره، لأنه كان يقول: "إن أخذت من أحد شيئًا فليس لي ما أكافئه عنه"[٣٩٤].

وقال أيضا: "يليق بالمتقدمين إلى الله أن ينظروا إليه وحده ويلتجئوا إليه بتخشع حتى إنهم لا يعتبرون الشتيمة شيئًا حتى لو كانوا مظلومين ربوات من المرات"[٣٩٥].

أقوال القديس ديوسقورس الصعيدي

كان أحد الكهنة في **الصعيد** اسمه **ديوسقورس،** وكان أبا روحيا لرهبان كثيرين. وكان عندما يتناول الإخوة من الأسرار المقدسة يقول لهم: "احترسوا وانظروا لئلاّ يكون أيا منكم قد اصطيد بخيال امرأة أثناء الليل ثم يتجاسر ويتناول من الأسرار المقدسة. إن النتائج التي تحدث من ذلك ليس سببها رغبة الإنسان بل إنها نتيجة طبيعية، وهي تنشأ عن الزيادة في (إفرازات) الجسد. وهي إذ ذاك لا تقود الإنسان إلى الخضوع للخطية".

"ولكن الخيالات التي تنشأ من الرغبة تكون علامة على رغبة شريرة، لأنه ينبغي أن يكون الراهب أسمى من ناموس الخطية، كما ينبغي ألاّ توجد فيه أقل نجاسة جسدية، بل ينبغي أن يضعف (سلطان) الجسد ويجعله يتضع، فلا يسمح لأي أشياء زائدة أن توجد فيه. إذن، فدبروا لأنفسكم حتى تمنعوا هذه الأشياء الزائدة بالصوم (الانقطاعي) الطويل، لأننا إن لم نفعل ذلك

(٣٩٣) نص الآية هو: «فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة»: س ٤ ورقة ٨٠؛ Apoph., Gerontios,1
(٣٩٤) س ٤ ورقة ٧٢.
(٣٩٥) المرجع السابق.

فإن الجسد يدفع الشهوات الأخرى أن تهاجمنا، ولا يوافق الراهـب أن يكـون مشـغولاً بالشهوات التي تقوم عليه يوميا. وإن لم نفعل ذلك ففي أي شيء نختلف عن الذين يعيشون في العالم؟ لأننا لاحظنا أن الذين هم من هذا النوع كثيرا ما ينأون بأنفسهم عن ميولهم الشهوانية إما لأغراض الصحة الجسدية أو لأغراض أخرى لا يصح ذكرها. إذًا، فكم بالأكثر ينبغي أن يهتم الراهب بنوع خاص بصحته الروحية والنفسية والجسدية"(٣٩٦)!؟

أقوال القديس أولوجيوس

قال أنبا أولوجيوس لتلميذه: "يا بني، عود نفسك قليلاً قليلاً قليلاً أن تضيق بطنك بالصـوم، لأن بطن الإنسان تشبه زقا يابسا، فعلى قدر ما تمرنه وتملأه تزداد سعته، هكذا الأحشاء الـتي تملأها بالأطعمة، فإذا جعلت فيها القليل ضاقت وصارت لا تطلب منك إلاّ القليل"(٣٩٧).

روى تلاميذ الأب أولوجيوس قائلين: "عندما رآنا الشيخ في الإسكندرية لكي نبيع أعمال أيدينا، أوصانا ألاّ نقضي هناك أكثر من ثلاثة أيام وقال: "أما إذا قضيتم أكثر من ثلاثة أيام فإنني لست مسئولاً عن خطئكم". فسألناه: "كيف أن الرهبان الذين يعيشون في المدن والقرى ليلاً و نهارا مع العلمانيين لا يصيبهم ضرر"؟ فأجاب الشيخ: "صدقوني يا إخوتي، فمنذ أن صرت راهبا قضيت ٣٨ سنة لم أغادر فيها الأسقيط، ثم ذهبـت مـع الأب دانيال إلى الإسكندرية إلى البطريرك أنبا يوساب (الأول) لأجل مهام ضرورية. ولما دخلنا المدينة رأينا رهبانا كثيرين، ورأيت بعضا منهم كانت شياطين تحـاربهم بمنـاظر نجسة. ورأيت بعض الشياطين يجهزون قطعا من اللحوم البشـرية ويعطونهـا للرهبـان ليأكلوها. وفهمت أن كل راهب كان ضحيةً لمثل هذه الشهوة كان هؤلاء الشـياطين يراقبونه ويكلّمونه في داخله. فلهذا السبب، يا إخوتي، لا أريدكم أن تتأخروا في المدينة إطلاقًا خوفًا من أن تعذّبكم مثل تلك الأفكار أو بالحري أولئك الشياطين""(٣٩٨).



(٣٩٦) W. & W., II: 374.

(٣٩٧) س ٤ ورقة ٩٦؛ Arm., I: 580

(٣٩٨) An., 1762 (J 762).

قصص وأقوال
القديس يوسف التانيسي(*)
(من بانيفيسيس)

سأل أخ الأب يوسف: "ماذا أفعل لأنني ليست لي شجاعة أن أحتمل الشر ولا يمكنني أن أعمل وأتعب لكي أتصدق"؟ فقال له الشيخ: "إن لم يمكنك أن تفعل شيئًا من ذلك فعلى الأقل احرس ضميرك من أي سوء نحو أخيك فتخلص، لأن الله يريد ألاّ تكون النفس خاطئة"[٣٩٩].

كان الأب أولوجيوس قسا، وكان شديد التنسك: يصوم يومين يومين، وكثيرا ما كان يطوي أيام الأسبوع كله، وكان لا يأكل سوى الخبز والملح فقط. فمدحه الناس كثيرا، ولذلك زاد نشاطه. ثم ذهب إلى شيخ يدعى "أنبا يوسف" لكي يعطي له توجيها أكثر صعوبة. فقبله الشيخ بفرح واستضافه بما كان عنده. ولما بدأ الأكل قال تلاميذ الأب أولوجيوس: "إن القس لا يأكل سوى الخبز والملح". فلم يتكلم أنبا يوسف بل ظل يأكل وهو صامت. وأقاموا عند الشيخ ثلاثة أيام ولم يروه مصلّيا أو مرتلاً لأنه كان يخفي عمله. فخرجوا من عنده دون أن يستفيدوا شيئًا.

وبتدبير من الله هبت ريح شديدة وظلام حتى إنهم لم يستطيعوا أن يواصلوا السير، فرجعوا إلى قلاية الشيخ، فسمعوه يصلّي ويسبح بحرارة، فوقفوا خارج القلاية مدة كبيرة، وأخيرا قرعوا الباب، فسكت وفتح لهم وقبلهم بفرح، ولشدة العطش أخذ أولوجيوس إناء الماء ليشرب فوجده مزيجا من ماء البحر وماء النهر، فلم يقدر أن يشرب. ثم رجع إلى نفسه متفكّرا، ثم خر عند رجلي الشيخ قائلاً: "ما هذا يا أبتاه؟ إننا عندما كنا عندك لم نجدك مصلّيا، والآن وجدناك مصلّيا، كما أننا كنا نشرب الماء عذبا، أما الآن فوجدناه مالحًا"! فقال الشيخ: "إن الأخ (أي تلميذه) موسوسا، فمزج الماء العذب بماء البحر". فلم يقتنع الأب أولوجيوس بذلك، وظلّ يلتمس منه أن يعرف الحقيقة. فقال الشيخ: "هذا الماء أعددناه لأجل المحبة، أما ذلك الماء فهو الذي نشربه دائما".

وظلّ الشيخ يعلمه كيف يجب أن يعيش المرء بإفراز، وأن يمتنع عن التفكر في مديح الناس. وعلّمه أن يأكل مما يوضع قدامه، وأن يجعل عمله مخفيا. فقال الأب أولوجيوس:

(*) انظر "رهبنة" الطبعة الثانية ص ٢٩٩.

(٣٩٩) س ٤ ص ٦٢؛ W. & W., I: 373; Apoph., Joseph of Panephysis, 4.

"هذا هو العمل الحقيقي"[٤٠٠].

ذهب بعض الآباء إلى بانيفيسيس لزيارة الأب يوسف ولكي يسألوه عن نوع الطريقة التي يجب أن يستقبلوا بها الإخوة الذين يزورونهم، وإن كان يجب أن يتركوا عملهم ويتكلموا معهم بحرية. وقبل أن يسألوه قال الشيخ لتلميذه: "خذ بعين الاعتبار ما سأفعله اليوم وابق صامتاً". ثم وضع الشيخ حصيرتين واحدةً عن يمينه والأخرى عن يساره وقال: "اجلسوا". ثم ذهب إلى داخل قلايته وارتدى ملابس شحاذين، ثم خرج ومشى في وسطهم. ثم ذهب وارتدى ملابسه العادية مرةً أخرى، ثم خرج وجلس في وسطهم. فتعجبوا من ذلك، فسألهم: "هل رأيتم ما فعلته"؟ فأجابوا بالإيجاب. فسألهم: "هل أنا تغيرت وأنا بهذه الملابس الحقيرة"؟ فقالوا: "لا". فقال لهم: "لقد بقيت كما أنا، فالملابس الأولى لم تغيرني ولا الثانية سببت لي أذى. وهكذا يجب أن نسلك عندما نستقبل الإخوة الذين يزوروننا، وذلك حسب الإنجيل المقدس الذي يقول: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (مت٢٢: ٢١). فعندما يأتي إلينا إخوة فلنستقبلهم ونتكلم معهم بحرية. ومن الناحية الأخرى، فعندما نكون وحدنا علينا أن نبكي لكيما نكون مثابرين".

فاندهش الإخوة من كلامه لأنه أجاب على ما تفكّروا به في قلوبهم حتى قبل أن يسألوه وقبلوا كلامه كما من الله ومجدوا الله[٤٠١].

سأل أبا بيمين الأب يوسف: "ماذا يجب أن أفعل عندما تهاجمني الشهوات؟ هل يجب أن أقاومها أم أدعها تدخل"؟ فقال له الشيخ: "دعها تدخل وجاهد ضدها". ثم عاد إلى الأسقيط حيث كان يسكن. ثم جاء أخ من طيبة (من الصعيد، وكان قد زار الأب يوسف في بانيفو)، وقال للإخوة: "لقد سألت الأب يوسف إن كان يجب أن أقاوم الشهوات عندما تقترب مني أم أدعها تدخل، فأجاب أنني يجب ألاّ أسمح لها بمدخل صغير بل أقطعها في الحال"!

فلما علم أبا بيمين أن الأب يوسف قال ذلك للأخ الذي من الصعيد، ذهب إليه في بانيفيسيس وقال له: "أيها الأب، إنني استشرتك بخصوص أفكاري، فقلت لي شيئًا وقلت للأخ الذي من الصعيد شيئًا آخر". فقال له الشيخ: "ألا تعلم أنني أحبك"؟ فقال: "نعم". فقال له: "وألم تطلب مني أن أتكلم معك كما أكلم نفسي"؟ فأجاب: "هذا حق". فقال له الشيخ: "في الحقيقة أنه عندما تدخل إليك الشهوات وتقاتلها

---

(٤٠٠) س ٥ ص ٩٠؛ Apoph., Eulogius, 1; W. & W., I: 322; D. F., p. 91: iv

(401) Apoph., Joseph of Panephysis, 1; W. & W., I: 398.

تصير أكثر قوةً. وقد كلمتك بما أقوله لنفسي. ولكن يوجد آخرون لا يمكنهم أن ينتفعوا بهذه الطريقة إذا اقتربت منهم الشهوات، ولذلك فيجب أن يقطعوها في الحال"[٤٠٢]!

روى أحد الإخوة قائلاً: "ذهبت يوما ما إلى "هيراقليوبوليس" السفلى (شرق الدلتا) لزيارة الأب يوسف. وكانت في الدير شجرة توت جيدة جدا. وفي الفجر قال لي: "اذهب وكُل". ولكن لأنه كان يوم جمعة لم أذهب بسبب الصوم، ولذلك سألته: "اشرح لي ذلك من أجل الله: لقد قلت لي أن أذهب وآكُل ولكنني لم أذهب بسبب الصوم. وقد استحيت خجلاً مفكّرا في وصيتك هذه، وسألت نفسي: ماذا كان قصد الشيخ بقوله هذا؟ وتساءلت إن كان يجب أن أفعل ذلك حيث إنه أمرني بذلك"! فقال الشيخ: "في البداية أقول إن الآباء لا يتكلمون مع الإخوة كما وجب عليهم، بل بالحري بطريقة غامضة، وعندما يرون أنهم يفعلون الصواب، فحينئذ لا يعودوا يتكلمون بهذه الطريقة بل يخبرونهم بالحقيقة عندما يعلمون أنهم مطيعون في كل شيء"[٤٠٣].

قال الأب يوسف لأبا لوط: "لا يمكنك أن تكون راهبا إن لم تصبح مثل نار آكلة"[٤٠٤].

ذهب أبا لوط لزيارة الأب يوسف وقال له: "أيها الأب، إنني بقدر استطاعتي أتلو خدمتي قليلاً وأصوم قليلاً وأصلّي وأتأمل، وإنني أعيش في سلام، وبقدر استطاعتي أنقّي أفكاري، فماذا يمكنني أن أفعل غير ذلك"؟ فحينئذ نهض الشيخ وبسط يديه نحو السماء، وصارت أصابعه مثل عشرة مصابيح من نار وقال له: "إذا أردت فإنك تصير كلك نار"[٤٠٥].

قال أخ للأب يوسف: "أريد أن أغادر الدير وأعيش متوحدا". فقال له الشيخ: "اذهب حيث تجد أن نفسك في سلام أكثر، وامكث هناك بدون ملامة". فقال له الأخ: "ولكنني في سلام سواء في الدير أو في حياة الوحدة، فهل تنصحني أن أفعل ذلك"؟ فقال له الشيخ: "إن كنت في سلام سواء في الدير أو في الوحدة، فضع أفكارك كما في ميزان، وحيثما ترى أن أفكارك تنفعك أكثر وتجعلك تتقدم فهو الذي ينبغي أن تفعله"[٤٠٦].

اصطحب شيخ أحد رفقائه وذهبا لزيارة الأب يوسف، ثم قال هذا الشيخ للأب يوسف: "قُل لتلميذك أن يسرج الجحش". فقال له الأب يوسف: "ادعه وهو سيفعل ما تريد". فسأله: "ما اسمه"؟ فقال: "لا أعلم". فسأله: "منذ متى هو معك وأنت لا

---

(402) Apoph., Joseph Paneph., 3; W. & W., II: 209.
(403) Apoph., Joseph Pan., 5.
(404) Ibid.,6;W.& W.,II: 461.
(405) Ibid.,7; W. & W., I: 303.
(406) Ibid., 8; W. & W., II: 265.

تعرف اسمه"؟ فأجاب: "منذ سنتين". فقال الشيخ: "إن كنت لم تعرف اسم تلميذك مدة سنتين، فهل يمكنني أن أعرفه في يوم واحد"؟![٤٠٧]

تقابل بعض الإخوة يوما ما في قلاية الأب يوسف. وبينما كانوا جالسين يستشيرونه صار مبتهجا وقال لهم وهو مملوء بالسعادة لكي يعزيهم: "إنني اليوم ملك، لأنني أسود على شهواتي"[٤٠٨].

قيل عن الأب يوسف الذي من بانيفو إنه عندما كان في ساعة الموت، وكان بعض الشيوخ جالسين حوله؛ نظر نحو النافذة ورأى شيطانا جالسا بجوارها. فدعا تلميذه وقال له: "أحضر عصاتي لأنه يوجد واحد هناك يظن أنني صرت عجوزا وليست لي بعد قوة لأقف ضده". وبمجرد أن أمسك بعصاته رأى الشيوخ أن الشيطان ألقى بنفسه من النافذة وهيئته كانت مثل كلب واختفى عن الأنظار[٤٠٩].

الأب يوسف كاهن عسقلان

أخبرنا الأب يوسف كاهن عسقلان (في فلسطين) بالقصة الآتية:

كان في مدينة عسقلان تاجر قد اقترض من بعض الناس مبلغا كبيرا من المال، ثم استأجر سفينةً وأبحر بها، ثم قامت عليه عاصفة شديدة ففقد كل ما كان معه، ولكنه نجا بنفسه. ولما عاد إلى المدينة أمسكه الذين كان مدينا لهم بالمال، وأخذوا كل ما كان عنده في بيته وباعوه وحبسوه في سجن. ولكنهم تركوا له زوجته رأفةً به لكي يمكنها أن تتصدق لكي تعوله. وهكذا كانت تجول من باب إلى باب تطلب صدقةً لأجل زوجها.

وفي أحد الأيام بينما كانت تأكل مع زوجها، جاء إليهما أحد وجهاء المدينة لكي يعطي صدقة للمسجونين الذين كانوا هناك، ولما رأى المرأة اشتهاها لأنها كانت جميلة. فأرسل خادمه ليدعوها، فذهبت وهي تظن أنه يريد أن يعطيها صدقةً، ولكنه أخذها جانبا وقال لها: "لماذا جئت إلى هنا"؟ فروت له الأمر كله. فقال لها: "إذا دفعت ثلث الدين الذي على زوجك، هل تضطجعين معي الليلة"؟ فقالت له تلك المرأة العفيفة: "لقد علمت أن الرسول القديس قال إن المرأة ليس لها سلطان على جسدها بل لزوجها، فسأسأل زوجي أولاً وما يأمرني به سأفعله". ولما أخبرت زوجها حزن وبكى وقال لها: "اذهبي وقولي له إنك أخبرت

(407) Ibid., 9; W.& W., II:405.
(408) Ibid., 10; W.& W., II: 67.
(409) Ibid., 11: W.& W., I: 110.

زوجك وإن ذلك لم يرضه، وإن له رجاءًا في الله أنه لن يتخلّى عنا“!

وكان في بيت السجن لص كان قاطع طريق وقد أُغلق عليه في حجرة مجاورة. وكان في ذلك الوقت جالسا عند النافذة التي كانت مواجهة لهما، وسمع كل ما تكلموا به، فقال في نفسه وهو يبكي: ”ويلٌ لي، لأن هذين الزوجين، رغم أنهما في هذه المحنة العظيمة فلم يشاءا أن يبيعا حريتهما بالمال ويخرجا من هذا المكان، ولكنهما حفظا عفتهما باعتبارها أعظم قيمةً من الغنى. فماذا أفعل أنا البائس؟ لأنه لم يخطر على بالي قط أنه يوجد إله، ولم أذكر أن شروري سوف يحكَم علي بسببها، وقد ارتكبت شرورا عديدة وأعمال قتل رهيبة. وأنا أعلم أنه عندما يأتي القاضي فسيأمر بإعدامي دون أن يسألني كما ينبغي أن تكون العدالة“.

ثم قال اللص للمرأة وزوجها: ”لأنني رأيت أنكما تحفظان طهارة جسديكما لأجل المسيح، وأنكما اخترتما أن تبقيا في هذه الضيقة العظيمة ولا تبددا عفتكما، فقد وضع الله في قلبي أن أقدم لكما عطية أنتما تستحقانها، ولعل الله يرحمني بسببكما في يوم الدينونة. إذهبي إلى سور المدينة الشمالي واحفري هناك (في مكان حدده لها)، وأنت تجدين آنيةً فخاريةً كبيرةً وأسفلها آنية أخرى مملوءة بالذهب، فخذيه وسددي دينكما، ولعل بركة عظيمة تمكث معكما لكي تعيشا بها، ولكنني أتوسل إليكما أن تصلّيا لأجلي باستمرار لكيما أجد رحمةً عند الله في يوم الدينونة“.

وبعد ثلاثة أيام جاء القاضي إلى المدينة وأمر بقطع رأس هذا اللص بدون أي تحقيقات، وبعد أن أُعدم قالت تلك المرأة النبيلة لزوجها: ”هل تأمرني أن أذهب لأرى إن كان ما قاله لي ذاك اللص حقًا“؟ فقال لها: ”اذهبي“. فذهبت وقت المساء ووجدت المكان كما وصفه اللص لها، ولما حفرت قليلاً وجدت المال، فأخذته وعادت إلى بيتها وقدمت الشكر لله. ثم أعطت للدائنين ما يستحقونه، فظنوا أنها جاءت بهذا المال من الشحاذة، ثم خرج زوجها من السجن وهو يشكر الله ويمجده.

ثم قال الأب يوسف: ”تأملوا، يا إخوتي، في هذه الأسرة، لأنها اختارت أن تعيش في الضيق ورفضت أن تزدري بوصية الله، وقد ضاعف الله نعمته لهما بدون تأخير. لأنه حتى إذا سمعت المرأة لهذا الرجل الشهواني، فربما ما كان يعطيها ما وعد به. ولكن لأنهما حفظا عفتهما المرضية لله، كافأهما الله بمبلغ الدين كله وجعل حياتهما مزدهرة أكثر مما كانت عليه سابقًا. وإنني أعتقد، يا أحبائي، أن آدم عندما كان في الفردوس لو كان قد حفظ تلك الوصية الصغيرة، لكانت

حلّت عليه كرامة أعظم مما كانت له سابقًا، ولكنه عندما تعدى وصية الرب حرم من البهجـة والمسرة وطُرد من حيث كان يعيش. لعل الله يجعلنا مستحقين أن نحفظ وصاياه. آمين"(٤١٠).

❑⌖✪⌖❑

قصص وأقوال

القديس أبا لوقيوس

قال أنبا لوقيوس: "أنا عبد وصاحبي قال لي: اعمل عملك وأنا أعولك بأية طريقة كانت. وحتى إن شخت أو اقترضت أو كان لي ما عليك فاعمل أنت فقط وأنا أعتني بك"(٤١١).

ذهب بعض الرهبان من الذين يدعون "إفشيين" – وهي من كلمة ευχη التي تعـني "صلاة" – إلى دير "الهناطون" لزيارة الأب لوقيوس. فسألهم الشيخ: "ما هـو عمـل أيديكم"؟ فقالوا: "إننا لا نلمس أي عمل يدوي، بل كما قال الرسول فنحن نصلّي بلا انقطاع". فسألهم الشيخ إن كانوا لا يأكلون، فأجابوا إ م يفعلون. فقال لهم: "عندما تأكلون فمن يصلّي حينئذ لأجلكم"؟ ثم سألهم أيضا إن كـانوا لا ينـامون، فأجـابوا بالإيجاب. فقال لهم: "عندما تنامون فمن يصلّي حينئذ لأجلكم"؟ فلم يجدوا ما يجيبونه به. فقال لهم: "اغفروا لي، فأنتم لا تسلكون حسب كلامكم. ولكنني أُريكم أنني أصلّي بلا انقطاع بينما أكون في عملي اليدوي. فإنني أجلس بمعونة الله، وأبلّ أوراق القصـب وأضفر الحبال وأقول: "ارحمني يا الله كعظيم رحمتك وحسب كثرة رأفاتك امح إثمـي، وانقذني من خطاياي"".

ثم سألهم إن كانت هذه ليست صلاة، فأجابوا بالإيجاب. ثم قال لهم: "إنني أقضي اليوم كله وأنا أعمل وأصلّي وأكتسب نحو ١٣ قطعة نقود ثم أضع قطعتي نقود خارج البـاب وأشـتري بالباقي طعامي. والذي يأخذ قطعتي النقود يصلّي من أجلي عندما آكل وعندما أنـام، وهكـذا فإنني بنعمة الله أتمم وصية الصلاة بلا انقطاع وأتمم عملي. وبذلك أقهر شيطان الملل والشـهوة، لأن الملل يؤدي إلى البطالة والشهوة تكمن في البطالة، والطريق الذي سلّمه لنا الآباء هو أن نلازم عمل اليد ونصوم طوال النهار ونتمسك بصمت اللسان ونبكي عن خطايانا"(٤١٢).

سأل أخ الأب لوقيوس عن ثلاثة أفكار قائلاً: "أريد أن أتغرب". فقال له الشيخ: "إن لم تضبط لسانك في أي موضع تذهب إليه فأنت لست بغريـب، وإن ضـبطت لسانك ههنا فأنت غريب". ثم قال له: "أريد أن أصوم يومين يومين". فقال له الشيخ:

---

(410) W. & W., II: 531. (٤١١) س ٤ ورقة ٦٢. (٤١٢) س ٤ ورقة ٦٣؛ Apoph., Lucius, 1.

"قال إشعياء النبي: «أمثل هذا يكون صوم أختاره، يوما يذلّل الإنسان فيه نفسه، يحني كالأسلة (عشب مائي) رأسه، ويفرش تحته مسحا ورمادا؟ هل تسمي هذا صوما ويوما مقبولاً للرب» (إش٥٨: ٥)؟ بل إن أردت الصوم فاصرف عنك الأفكار الخبيثة". ثم قال له: "إنني أفضل أن أهرب من الناس". فقال له الشيخ: "إن لم تقدر أن تقوم نفسك وأنت بين الناس فلا تقدر أن تقومها وأنت وحدك".

تعليق للمخطوطة: لم يقصد أن الصوم غير نافع، بل إنك مع الصوم يجب أن تطرد الأفكار الخبيثة لكي يكون صومك مقبولاً[٤١٣].

أقوال الأب بياري

سأل أخ أبا بياري: "ماذا أفعل لكي أخلص"؟ فقال له الشيخ: "سأل أبا "أنباستيون" أنبا "أثره" قائلاً: "ماذا أفعل"؟ فقال له: "اذهب وقلل من شهيتك وأعمال يديك، واسكن بلا هم في قلايتك وأنت تخلص"[٤١٤].

وسأله هذا الأخ أيضا قائلاً: "إذا وجد اضطهاد فهل من الأفضل الهروب إلى البرية أو إلى مساكن الناس"؟ فقال له الشيخ: "اذهب إلى حيث تسمع أنه يوجد مؤمنون حقيقيون ولا تكن لك صداقة مع شاب، ولا تسكن مع أحد. وإن كنت قادرا فاسكن في قلايتك لأن هذا جيد. ونظّف بستانك من الأعشاب، فهذا أفضل جدا من أن تذهب إلى إنسان لتسأله أسئلة"[٤١٥].

وسأله أيضا: "إنني أرغب أن أعيش في صداقة وثيقة مع أخ، وأرغب أن أعيش حياة تأمل هادئ مع نفسي في قلايتي، وهو يجب عليه أن يعطيني ما أريد وأنا أعطيه عمل يدي". فقال له الشيخ: "إن الآباء لم يبحثوا عن أمر مثل هذا، وإن كنت لا تعطي خبزا للفقير، فالشيطان لن يسمح لك أن تعيش هكذا"[٤١٦].



(٤١٣) س ٤ ورقة ٨٨؛ Apoph., Longinus, 1
(414) Apoph., Biare, 1; W. & W., II: 21 (b).
(415) W. & W., II: 21 (c).
(416) Ibid., 21 (d).

أقوال القديس إيسوذور البيلوزيوم

قال الأب إيسوذور الذي من البيلوزيوم: "أن تعيش بدون كلام أفضل من أن تتكلم بدون حياة. لأن الأول الذي يعيش بالصواب يفعل خيرا حتى بصمته، أما الآخر فهو لا يفعل خيرا حتى عندما يتكلم. وعندما يتطابق الكلام والحياة كل منهما مع الآخر فهما يكونان معا الفلسفة (محبة الحكمة) الكلية"(٤١٧).

وقال أيضا: "بجل الفضائل ولا تكن عبدا للمجد، لأن الأمر الأول غير مائت، بينما أن الآخر يضمحل سريعا"(٤١٨).

وقال أيضا: "كثيرون يشتهون الفضيلة، ولكنهم يخافون أن يسيروا في الطريق التي تؤدي إليها. في حين أن آخرين يعتبرون أن الفضيلة غير موجودة. فمن الضروري أن نحث الأولين أن يتخلّوا عن كسلهم، ونعلّم الآخرين ماذا تكون الفضيلة حقًا"(٤١٩).

وقال أيضا: "الرذيلة تبعد الناس من الله وتفصلهم الواحد عن الآخر. فيجب أن نبتعد عنها سريعا ونتبع الفضيلة التي تقود إلى الله وتوحدنا بعضنا مع بعض. وإن تعريف الفضيلة والفلسفة (محبة الحكمة) هو: البساطة مع التعقل"(٤٢٠).

وقال أيضا: "عظيمةٌ هي قمم الاتضاع، وهكذا أيضا أعماق التباهي، وأنا أنصحكم أن تنتبهوا للأولى وألاّ تسقطوا في الثانية"(٤٢١).

وقال أيضا: "شهوة الممتلكات خطرة وبغيضة، فهي لا تعرف شبعا، وهي تجذب النفس التي تتسلّط عليها إلى قمم الشر. ولذلك فلنطرحها عنا بقوة من البداية، لأنها بمجرد أن تسود علينا لا يمكن التغلب عليها"(٤٢٢).

أقوال الأب خوما

عندما اقتربت وفاة الأب خوما قال لتلاميذه: "لا تكن لكم خلطة مع هراطقة، ولا تكن لكم علاقة برؤساء، ولا يكن لكم حديث مع أخ له أخت، ولا تكن أيديكم مبسوطة للأخذ بل بالحري للعطاء"(٤٢٣).

(417) Apoph., Isidore of Pelusia, 1. (418) Ibid., 2. (419) Ibid., 3. (420) Ibid., 4.
(421) Ibid., 5. (422) Ibid., 6. (423) Apoph., Chomas, 1; W. & W., II: 231; س ٤ ورقة ١٢٨

أقوال الأب أغريبيوس

قال أنبا أغريبوس: "رأس الحكمة هو ذلك الوقت الذي فيه تلوم نفسك وحدك"(٤٢٤).

أقوال القديس أنبا إبراهيم

قال أنبا إبراهيم: "إذا حملت نير المسيح فانظر كيف تسير فيه، ولا ينبغي أن تخالط عمل الدنيا بعمل المسيح لأنهما لا يجتمعان معا ولا يوجدان معا في مكان واحد. لا تسلك الطريق الرحبة لأن كثيرين سلكوا فيها فضلّوا وأدتهم إلى الظلمة حيث النار، بل اسلك طريق الحق والصواب فإنها وإن كانت ضيقة حزينة ضاغطة إلاّ أنها تؤدي إلى السعة والحياة والنعيم الدائم".

"لا تبنِ جسدك بالنعيم واللباس مثل البيوت المسورة التي مصيرها الهدم والهلاك، بل ابنه بالتوبة والأعمال المرضية لله على الأساس الوثيق الذي بنى عليه القديسون، مع المشي الهين والصوت اللين واللباس الحقير والطعام اليسير وحب تام وطاعة واتضاع وأفكار نقية"(٤٢٥).

القديس أنبا جراسيموس

التقى أنبا جراسيموس بامرأة في البرية عريانة. فلما أبصرته توارت عنه. وأراد أن يكلّمها فتوارت خلف صخرة وكلّمته. فقال لها: "كم لك في هذه البرية"؟ فقالت: "خمسون سنة". فقال لها: "وماذا كان غذاؤك"؟ فقالت: "إن الخالق لا يضيع ما خلق". فقال: "وماذا أبصرت في هذه البرية"؟ فقالت: "ما أبصرت غير المسيح وأعماله وصنائعه". فقال لها: "فيم يوجد الخلاص"؟ فقالت: "في تركك ما أنت فيه". فقال لها: "وما هو"؟ فقالت: "انشغالك بالبكاء عن خطاياك أولى من سؤالك لامرأة عما لا ينفعك". فقال لها: "صدقت"، وصنع ميطانية وانصرف(٤٢٦).

أقوال القديس أنبا أنانيه

طلبنا من أنبا أنانيه أن يقول لنا كلمة، فقال لنا: "عليكم بالمسكنة والإمساك، لأنني عندما كنت في برية مصر في شبابي اشتكى أحد الآباء من طحاله، وطلب جرعة خلّ فلم يجد في تلك البرية كلها، وكان فيها ثلاثة آلاف راهب. فشكا حاله لأحد الشيوخ

(٤٢٤) س ٤ ورقة ١٤٥.
(٤٢٥) س ٤ ص ١٣٧.
(٤٢٦) س ٤ ورقة ١٣٩.

الذي طلب قليل ماء ثم قام وصلّى عليه ورشمه باسم الآب والابن والروح القدس، ودهن الطحال فزال الوجع في الحال برحمة السيد المسيح"[٤٢٧].

أقوال القديس الأب سيمن

سمع أحد الحكام عن الأب سيمن فذهب ليزوره، ولما سمع الشيخ ذلك ارتدى مئزرته وخرج لكي يروي نخلةً. ولما جاء الزائرون صاحوا للشيخ قائلين: "أيها الشيخ، أين هو المتوحد"؟ فأجابهم: "لا يوجد هنا متوحد". فلما سمعوا ذلك انصرفوا[٤٢٨]!

ومرةً أخرى جاء لزيارته والي آخر، فسبق رجال الإكليروس وأخبروه قائلين: "استعد، فإن فلانا الأرخن سمع بك وهو حاضر لينظرك ويتبارك منك". فأجاب الشيخ: "نعم، سأهيء نفسي جيدا". ثم ارتدى المرقّعة وأخذ خبزا وجبنا واعتلى الحائط وركب فوقه كما يركب الحصان، وظلّ يأكل ويهز رجليه. فلما جاء الأرخن مع خدامه ورآه هكذا قال: "أهذا هو المتوحد الذي سمعنا عنه؟ لا يوجد ههنا متوحد". وكان هذا ما أراد الشيخ أن يسمعه[٤٢٩].

القديس أنبا بلاّ

قال أنبا بلاّ: "إن حفظنا الإيمان الصحيح وحفظنا الجسد من الزنى واللسان من النميمة، فنحن بنعمة الله مفلحون حسب هذا الزمان"[٤٣٠].

القديس الأب إيليا الفلسطيني

كان الأب إيليا متوحدا يعيش في فلسطين. وكانت له حياة مقدسة في أشد ضبط للنفس. وفي أحد الأيام زاره عدد كبير من الإخوة الصالحين، لأن المكان كان على قارعة الطريق، وكان هو يعوزه الخبز. وقد أكّد لنا قائلاً: "حسب ذاكرتي، فقد دخلت القلاية ووجدت ثلاث خبزات. وكان الإخوة عشرون. وبعد أن أكلوا وشبعوا تبقّت خبزة واحدة، وقد تغذّيت بها مدة خمسة وعشرون يوما"[٤٣١].

كان أخ يعيش في **سكون** في دير تابع للأب سابا (ربما يكون هو الشيخ الروحاني). وجاء

---

(٤٢٧) س ٤ ص ١٥١. (٤٢٨) س ٤ ورقة ١٢٦؛ Apoph., Simon, 1; W. & W., I: 469
(٤٢٩) س ٤ ورقة ١٢٦؛ Apoph., Simon, 2; W. & W., I: 472 (٤٣٠) س ٤ ص ١٢١.
(431) Apoph., Elias, 8.

إلى الأب إيليا وقال له: "أعطني، أيها الأب، منهجا للحياة". فقال له الشيخ: "في أيام أسلافنا كانوا يهتمون جدا بتلك الفضائل الثلاث: الفقر والطاعة والصوم. أما رهبان هـذه الأيـام، فيوجد بينهم جشع واعتداد بالنفس وطمع شديد. فاختار أنت ما تشاء"[٤٣٢].

القديس الأب ثيئودوتي

قال أبا ثيئودوتي: "الزهد في الطعام يهدئ جسد الراهب". **وقال شـيخ آخـر:** "السهر يزيد من موات الجسد"[٤٣٣].

وقال أيضا: "الجوع المتواصل يجعل الرهبان يهزلون ويدفعهم إلى الجنون"[٤٣٤].

وقال أيضا: "لا تدن الزاني إن كنت عفيفًا، لأنك بذلك تتعدى النـاموس. ففـي الحقيقة إن الذي قال: "لا تزن" قال أيضا: "لا تدن" (انظر يع٢: ١١)"[٤٣٥].

القديس إيليا الذي خصاه الملائكة

كان ناسك اسمه إيليا، وكان له اهتمام عظيم بالعذارى، لأنه توجد نفوس مثل ذاك الذي يشهد له اتجاهه الفاضل. وكان يبدي رأفةً على الناسكات، ولأنه كانت له أملاك تدر دخلاً في "إتريب"[٤٣٦]، فقد شيد ديرا كبيرا وجمع فيه جميع اللائي كن مشـتتات حول هذا الدير. وقد اعتنى ن وأمدهن بالحدائق واللوازم الم لية وكـل احتياجـا ن الضرورية. وكانت تلك النسوة – اللائي تجمعن من كل مرتبة في ا تمع – يتشـاجرن بعضهن مع البعض.

وإذ كان عليه أن يصغي إلى خلافا ن ويعمل كصانع سلام – لأنه جمع نحو ثلاثمائة منهن – فقد كان من الضروري أن يقيم في وسطهن لمدة سنتين، ولذلك فقد جرب من الشهوة. فابتعد عن الدير وصام مدة يومين حيث كانت صلاته: "يا رب، إما أن تقتلني بالكلية حتى لا يلزمني أن أرى تلك النسوة يتشاحن، أو ت ع شهوتي لكيما أعتني ـ ن بطريقة مناسبة".

---

(432) An., 1011. (433) Apoph., Theodote, 1. (434) W. & W., II: 494.
(435) Apoph., Theodote, 2.
(٤٣٦) في الصعيد حيث أسس القديس أنبا شنودة رئيس المتوحدين أديرة للرجال والنساء.

ولما جاء المساء نام في البرية، فجاء إليه ثلاثة ملائكة، كما كان يقول، وأمسكوا به وقالوا: "لماذا تركت دير النساء"؟ فشرح لهم الظروف قائلاً: "لأنني كنت خائفًا من أن أسبب لهم أذى ولنفسي أيضا". فسألوه: "وإذا نزعنا عنك شهوتك هل ترجع وتعتني بهن"؟ فوافق على ذلك، فانتزعوا منه تعهدا قائلين: "تعهد لنا قائلاً: "أتعهد أمام ذاك الذي يعتني بي أنني سأعتني بهن". ولما تعهد لهم، أمسكوه أحدهم من يديه وآخر من قدميه، وأخذ واحد ثالث موسى حلاقة وخصاه، ليس بالفعل بل في حلم. ثم بدا له في تلك الرؤية كما لو كان قد شفي. ثم سألوه: "هل تشعر بالفائدة"؟ فقال: "إنني أشعر أنني ربحت كثيرا، وأومن أنني حقًا قد شفيت من شهوتي"!

فطلبوا منه أن ينصرف حينئذ. فرجع بعد خمسة أيام حيث وجد أن المجمع كله كان ينوح عليه. فدخل ومكث منذ ذلك الوقت بالداخل في قلاية قريبة حيث كان يعطي مشورةً بقدر استطاعته إذ كان قريبا منهن بما فيه الكفاية. وقد عاش بعد ذلك أربعين سنةً وقال للآباء: "لم تعد الشهوة تخطر على بالي بعد ذلك". هكذا كانت نعمة هذا القديس الذي اهتم بذلك الدير بهذه الطريقة[(٤٣٧)].

القديس بفنوتيوس الأسقف الصعيدي[(❖)]

كان الأب بفنوتيوس أسقفًا لإحدى بلاد الصعيد. وكان ناسكًا محبوبًا عند الله لدرجة أنه كان يجري معجزات مذهلة. ففي عصر الاضطهادات اقتلعوا عينه الشمال. وقد كرمه الإمبراطور قسطنطين جدا وكان يأتي به باستمرار إلى قصره ويقبل مكان عينه المقلوعة، فقد كانت للإمبراطور تقوى عظيمة. وأريد أن أعطي مثلاً لما كان يفعله الأب بفنوتيوس لخير الكنيسة وتأثير مشورته القوي:

لقد بدا حسنا للأساقفة الذين اجتمعوا في نيقية في ذلك الوقت أن يضعوا قانونا جديدا هو أنهم أرادوا أن الخدام أي الأساقفة والكهنة والشمامسة ومساعدوهم (الإيبوذياكونيون) لا يعيش أي منهم مع المرأة التي تزوجها عندما كان علمانيا. فوقف القديس بفنوتيوس وسط مجمع الأساقفة وطالب بشدة ألاّ يضعوا على الخدام المقدسين نيرا ثقيلاً قائلاً: "لأنه كما هو

---

(437) Laus., ch. 29.

(❖) يذكر كتاب ".Monach فصل ١٤" أن الذين زاروا البراري المصرية زاروا أيضا هذا القديس في مكان توحده وقالوا عنه إنه كان رجلاً فاضلاً، وقد تنيح في نواحي "هيراقليوبوليس" في منطقة الفيوم، وأن كثيرين أخبروا عنه روايات عديدة.

مكتوب أن «الزواج مكرما» (عب١٣: ٤)، أفلا يلحق بالكنيسة ضرر بالحري من هذه القسوة المفرطة؟ إنهم جميعا في الحقيقة لا يمكنهم أن يتحملوا نسك عدم الانفعال (بالشهوة)، وهم لا يكونون مصونين جيدا إلاّ بالعفة المعتدلة – فقد كان القديس منتبها للارتباطات بالزيجة الشرعية – وبناءً عليه فإنه يكفى للذي سيكون من رجال الإكليروس ألاّ يعقد زواجا إضافيا طبقًا لتقليد الكنيسة القديم، وبدون قطع علاقته بالمرأة التي كان قد تزوجها في قرانه الأول عندما كان علمانيا". وقد قال القديس ذلك دون أن تكون له خبرة في الزواج ولا حتى قيود المرأة، وذلك لأنه عاش منذ طفولته في الدير والجميع عرفوا عنه عفته. وهكذا خضع جميع الأساقفة لكلام القديس بفنوتيوس وكفّوا عن مناقشة هذا الأمر، تاركين المشيئة للذين لديهم الاستعداد للانفصال عن زوجاتهم[٤٣٨].

قيل إن الأب بفنوتيوس بعد أن عاش سنوات عديدة في النسك طلب من الله أن يعرفه بقديس عاش حياة فاضلة مشابهة له. فظهر له ملاك وقال له: "إنك تشبه عازف فلوت (مزمار) وهو في المدينة الفلانية". فأسرع إلى رؤيته وسأله عن طريقة حياته ونسكياته. فقال له إنه كان كان خاطئًا وسكيرا وزانيا، وإنه من وقت قريب ترك حياته كلص وصار عازف فلوت. ولما سأله القديس عن أعماله الصالحة، أجابه بأنه لا يعرف أن له أي عمل صالح سوى أنه حدث مرةً عندما كان قاطع طريق أنه أنقذ راهبةً كانت على وشك أن تغتصبها عصابة لصوص وأعادها بالليل إلى بلدها.

وقال أيضا إنه في مرة أخرى وجد امرأةً تجول في البرية وكان يلاحقها وكلاء الحاكم بسبب ضرائب مستحقة على زوجها، وكانت تنوح بمرارة على حياتها المتشردة. وسألها عن سبب بكائها، فقالت: "لا تسألني في بؤسي، بل خذني إلى أي مكان كأمة (عبدة) لك، لأن زوجي كثيرا ما جلد بقسوة خلال السنتين الأخيرتين بسبب ضرائب مستحقة عليه بلغت ثلاثمائة قطعة من الذهب، وقد سجن، كما أن أولادي الثلاثة المحبوبين بيعوا كعبيد، أما أنا فقد صرت هائمةً على وجهي. ولي الآن ثلاثة أيام في الصحراء بدون أي طعام". فشعر بالأسى عليها وأخذها إلى مسكنه وأعطاها الثلاثمائة قطعة من الذهب وجاء بها إلى المدينة حيث عمل على عتقها هي وزوجها وأولادها.

فقال له الأب بفنوتيوس: "إنني لا أعرف عن نفسي أنني أتممت عملاً مساويا لعملك هذا. أما عن النسك، فلا بد أنك سمعت أنني مشهور. لأنني لم أقض حياتي في راحة

(438) Eth. Coll., 13, 82.

وتنعم. والآن قد كشف لي الله بخصوصك أنك لست متأخرا عني في الأعمال الفاضـلة إطلاقًا. وهكذا يا أخي، فطالما أن الله يقيم حياتك بهذا المقدار، فلا تكن متوانيا وتتـرك حياتك للمصادفات".

فألقى الرجل بمزماره وحول عمله الموسيقي إلى لحن روحي، وتبع القديس إلى البرية. وبعد ممارسته للنسك بكل قوته لمدة ثلاث سنوات وقضى وقته كله في التسبيح والصلاة، رحل إلى السماء وحسب مع خوارس القديسين ووجد راحته مع الأبرار(٤٣٩).

بعد أن وضع القديس بفنوتيوس لنفسه نظاما أكثر صرامةً طلب من الله مرةً أخرى أن يكشف له عن أحد القديسين الذي صار هو شبيها له. فسمع صوتا إلهيـا قـائلاً: "أنت تشبه عمدة القرية المجاورة لك". فذهب إليه مسرعا، واستقبله الرجـل جيـدا وغسل رجليه وأعد له مائدةً ودعاه للأكل. ولكن القديس سأله عن اختباراته في حيـاة الفضيلة قائلاً: "أخبرني يا عزيزي عن طريقة حياتك، لأن الله كشف لي أنـك بلغـت حياة أسمى من رهبان كثيرين". فقال الرجل إنه خاطئ ولا يستحق أن يقارن بالرهبان. ولما استمر القديس يلح عليه قال: "من ناحيتي، فإنني لا أشعر بأي دافـع أن أصـف أعمالي، ولكن طالما أنك تقول إنك آتٍ من الله فسأخبرك عن صفاتي".

"لي الآن ثلاثون سنة منذ أن انفصلت عن زوجتي. فقد قضيت معها ثلاث سنوات فقط، وأنجبت منها ثلاثة أبناء، وهم يساعدونني الآن في شئوني. ولم أكف حتى اليوم عن إضافة الغرباء. ولا أحد في هذه القرية يمكنه أن يدعي أنه أكثر تأهبا مني في تقديم المأوى للغرباء. ولم يحدث أن فقيرا أو غريبا خرج من عندي فارغ اليدين دون أن يكون قـد تزود بالمؤونة المناسبة. ولم أعبر على أي إنسان معوز قط دون أن أعطيه إعانة وافرة. ولم أنحاز إلى أبنائي عندما أحكم في أي موضوع. ولم يدخل بيتي أي منتجات لآخرين. ولم يوجد أمامي أي نزاع لم أعمل على تهدئته. ولم توجد ملامة من أحد علـى خـدامي بسبب أي سوء سلوك. ولم تلمس جماعتي حنطة آخرين. ولم أزرع حقولي إلاّ بعـد أن جعلتها للاستعمال العمومي ثم أحصد فقط ما تبقى منها. ولم أسمح لغني أن يظلم فقيرا. ولم أسبب أذى لمشاعر أحد في حياتي. ولم أصدر حكما غير شريف ضد أحد. هذا هو ما أدري بأنني فعلته بمشيئة الله".

فلما سمع أنبا بفنوتيوس عن فضائل هذا الرجل قبل رأسه قائلاً: "«يباركك الـرب مـن

(439) An., 1410 (N 410).

صهيون وتبصر خير أورشليم» (مز١٢٨: ٥). هذه أعمال رائعة، ولكن يعوزك شيء واحد هو تاج الفضائل كلها: معرفة الله الكلية الحكمة. ولن يمكنك أن تبلغ هذه الفضيلة بدون جهد إن لم تنكر نفسك وتحمل الصليب وتتبع المخلص (مت١٦: ٢٤)". وحالما سمع الرجل ذلك لم ينتظر حتى يرتب شئونه، بل تبع هذا الأب في الحال إلى الجبل.

ولما جاءا إلى النهر ولم يظهر أي قارب، أمر الأب بفنوتيوس الرجل أن يخوض في الماء. ولم يحدث أن خوض أحد في هذا النهر من قبل بسبب عمقه. وبعد أن عبرا حيث وصل الماء إلى حقويهما فقط، أسكنه القديس في مكان معين، ثم فارقه وصلّى إلى الله ليكشف له من منهما أعظم من الآخر. وبعد وقت قصير رأى نفس هذا الرجل تحملها الملائكة وهي تسبح الله وتقول: "«طوبى للذي تختاره وتقربه ليسكن في ديارك» (مز٦٥: ٤)، وكان الأبرار يجاوبون قائلين: «سلام عظيم للذين يحبون اسمك» (انظر مز١١٩: ١٦٥)". وهكذا علم أن الرجل قد رقد(٤٤٠).

داوم أنبا بفنوتيوس على التوسل إلى الله وأكثر من أصوامه. ثم طلب منه أن يكشف له أيضا عمن يشبهه. فقال له الصوت الإلهي أيضا: "أنت تشبه تاجرا يبحث عن لآلئ حسنة، فانهض الآن ولا تتأخر لأن هذا الرجل آتٍ لمقابلتك". فخرج ورأى تاجرا من الإسكندرية (قيل إنه كان مسافرا في نهر النيل ليتاجر في الغلال)، وهو رجل تقي محب للمسيح، وكان رأس مال تجارته نحو عشرين ألف عملة ذهبية. وكان آتيا من الصعيد ومعه مائة سفينة، وكان يوزع كل ممتلكاته للفقراء والرهبان. وقد أرسل إلى القديس مع خدامه عشرة أكياس فول وعدس. فسأله القديس: "ما هذا"؟ فقال له التاجر: "هذه من ثمار تجارتي أقدمها لله لمنفعة الأبرار". فقال له أنبا بفنوتيوس: "ولماذا لم تصر أنت نفسك راهبا"؟ فاعترف أنه كان بالفعل في طريقه لكي يفعل ذلك. فقال له القديس: "إلى متى تظل منشغلاً بالأمور الأرضية دون أن تمد يدك إلى الأمور السماوية؟ تعال الآن واترك هذه الأمور لغيرك، أما أنت فاغتنم هذه الفرصة واتبع المخلص، وبعد قليل سترحل لتكون معه". فبدون تأخير أمر التاجر خدامه أن يوزعوا ما تبقى من ممتلكاته على المساكين. ثم عاش في الجبل في مغارة كان الإثنان السابقان قد توفيا فيها، وهناك واظب على الصلاة. وبعد وقت قصير فارق جسده وصار مواطنا سماويا.

وبعد أن أرسل القديس بفنوتيوس هذا الرجل قدامه إلى السماء فقد هو نفسه الرغبة في الحياة على الأرض، لأنه لم يعد قادرا على ممارسة النسك. ثم ظهر له ملاك وقال:

(440) Monach., XIV, 1-9.

"تعال الآن أيها المبارك، وادخل إلى مظال الله الأبدية، لأن الأنبياء جاءوا ليستقبلوك في خوارسهم. وأنا لم أكشف ذلك لك من قبل حتى لا تتكبر وتخسر مكافأتك". ثم عاش يوما واحدا فقط، وجاء بعض الكهنة لزيارته بعد أن تلقوا رؤيةً. فأخبرهم بكل شيء، ثم سلّم روحه. فرآه الكهنة بوضوح وهو يؤخذ إلى السماء مع خوارس الأبرار والملائكـة وهم يسبحون الله(٤٤١).

☙✪✢✪❧

القديس أبا هـور

قال كتاب روفينوس: زرنا رجلاً عجيبا في الصعيد اسمه "أبا هور". وكان أبا لنحو ألف ناسك. وكان يبدو كأنه ملاك، وكان في نحو التسعين من العمر ولحيتـه بيضـاء كالثلج تصل إلى صدره. وكان وجهه لامعا لدرجة أن منظره كان يملأ المرء بالرهبـة. وكان قد قضى مدة طويلة في النسك في البرية الداخلية، ثم نظّم أماكن النسك في البرية القريبة وزرع بيديه أرضا سبخة حيث كانت هناك بعض الشجيرات، وذلك لكي توجد وفرة من الخشب في البرية.

والآباء الذين عاشوا بجواره قالوا لنا عنه: "قبل أن يأتي الأب من داخل البرية لم يكن هنا أي نبات أخضر". فقد زرع هو هذا البستان حتى لا يجبر الإخوة الذين تجمعـوا حوله أن يتجولوا هنا أو هناك بسبب احتياجهم لأي شيء. بل إنه عمل على إمـدادهم باحتياجاتهم وهو يصلّي إلى الله مجاهدا لأجل خلاصهم فلا يحتاجون إلى أية ضرورة ولا أي عذر للتراخي.

وعندما جاء هذا الأب إلى البرية أولاً كان يأكل الأعشاب وبعض جذور النبـات، وكان يشرب الماء حيث يجده، وكان يقضي كل وقته في الصلاة والتسبيح. ولما بلغ إلى الشيخوخة ظهر له ملاك في حلم وقال له: "إنك ستكون أمةً عظيمة (انظر تـك٤٦: ٤)، وسيعهد إليك بأناس كثيرين، والذين سيخلصون بواسـطتك سـيكونون عشـر ربوات، لأن أي عدد من الذين ستربحهم في هذا العالم سيكون هو نفس عـدد الـذين ستقودهم في العالم الآخر. فلا تتردد قط، وطالما أنك تدعو الله فلن تحتاج إلى شيء حتى نهاية حياتك".

فلما سمع القديس ذلك أسرع إلى أقرب برية وعاش فيها متوحدا، وبنى لنفسه كوخا

(441) Ibid., 10-16.

صغيرا واكتفى بخضروات مخلّلة، وكثيرا ما كان يأكل مرة واحد في الأسبوع. وكان في الأصل أميا، ولكنه لما خرج إلى البرية الداخلية وهب قدرةً خارقةً من الله فاستطاع أن يتلو الأسفار المقدسة عن ظهر قلب. وعندما كان الإخوة يعطونه كتابا كان قادرا أن يقرأه لأن الأسفار المقدسة كانت مألوفة لديه.

كما أنه نال موهبةً أخرى هي المقدرة على طرد الشياطين حتى إن العديد من الذين كانوا يقاسون من الشياطين كانوا يأتون إليه ولو بدون إرادتهم وأعلنوا على الملأ فضائله النسكية. وظل يجري أنواعا أخرى من الأشفية بدون توقف حتى إن رهبانا بالآلاف تجمعوا حوله من جميع الجهات.

ولما رآنا القديس أنبا هور امتلأ بالفرح واحتضننا وصلّى لأجلنا. وبعد أن غسل أرجلنا بيديه اتجه إلى التعليم الروحي لأنه كان متضلّعا في الكتاب المقدس إذ نال هذه المقدرة من الله. وقد شرح لنا فقرات رئيسية في الكتاب المقدس، وبعد أن علّمنا الإيمان الأرثوذكسي دعانا لنشترك في سر الإفخارستيا، لأنه كان من عادة النساك الكبار ألاّ يعطوا طعاما للجسد قبل أن يزودوا المرء بالغذاء الروحاني للنفس، أي التناول والشركة في المسيح.

وبعد أن تناولنا وشكرنا الله دعانا القديس إلى وليمة، وجلس معنا وفي أثناء الأكل تكلم في نقاط هامة. فقد قال لنا: "أعرف إنسانا في البرية لم يذق أي طعام أرضي لمدة ثلاث سنوات، وكل ثلاثة أيام كان ملاك يأتي له بطعام سماوي ويضعه في فمه، وذلك جعله يستغني عن أي طعام أو شراب. كما أنني أعلم عن هذا الإنسان أن الشياطين ظهرت له وأظهرت له قوات ملائكية ومركبة من نار ومجموعة كبيرة من الحراس وكأن إمبراطورا آتيا لزيارته. وقال هذا "الإمبراطور": 'لقد نجحت في البلوغ إلى كل فضيلة أيها الإنسان الصالح، فاطرح نفسك أمامي وأنا سأرتفع بك مثل إيليا'! فقال الراهب في نفسه: 'إنني أسجد كل يوم أمام ملكي ومخلصي، فلو كان هذا هو لما طلب مني ذلك'! وللحال عبر عن ذلك بقوله: 'المسيح هو ملكي وأعبده بلا انقطاع، وأنت لست ملكي'. فاختفى الشيطان في الحال". وقد أخبرنا القديس بذلك وكأنه يتكلم عن أحد آخر لأنه أراد أن يخفي طريقة حياته، ولكن الآباء الذين عاشوا معه قالوا إنه هو الذي عاين هذه الرؤية.

وكان هذا الرجل مشهورا بين كثير من الآباء الآخرين لأنه عندما جاء إليه عدد كبير من الرهبان جمعهم كلهم وبنى معهم قلالي لهم جميعا في يوم واحد، فبعضهم حمل الطوب وآخرون حملوا المونة وغيرهم كان يأتي بالماء وآخرون كانوا يقطعون الخشب .. ولما تم

بناء القلالي اهتم هو بنفسه باحتياجا م.

وحدث مرةً أن جاء إليه أخ وقد خبأ ملابسه، فوبخه علانيةً وجاء بـالملابس أمـام الجميع لكي يشاهدوها. ولذلك فلم يجرؤ أحد بعد ذلك أن يكذب عليه. هكذا كانت تلك القدرة الخارقة التي اكتسبها بين العديد من فضائله. وكان يمكن للمرء أن يـرى في الكنيسة العدد الكبير من الرهبان الذين عاشوا معه بملابسهم البيضاء مثل خوارس مـن الأبرار يسبحون الله بلا توقف(٤٤٢).

الأب بولس الصعيدي

كان أحد الآباء يروي عن الأب بولس الصعيدي قائلاً إنه اعتاد أن يمسك بأنواع مختلفة من الأفاعي والعقارب بيديه ويشقها من وسطها. فانطرح الإخوة أمامه قـائلين: "أخبرنا عما فعلته لكي تحصل على هذه النعمة". فقال: "اغفروا لي يا آبائي، إذا حصل المرء على الطهارة ونقاوة القلب يكون كل شيء خاضعا له كما كان الحـال مـع آدم عندما كان في الفردوس قبل تعديه على الوصية"(٤٤٣).

كان الأب بولس يقول: "كنت قد غرقت في الطين حتى رقبتي، فبكيت وتكلمـت أمام الله قائلاً: ارحمني"(٤٤٤).

القديس الأب كوبرس الإسكندري

اجتمع مرةً سكان الأسقيط لكي يتناقشوا بخصوص ملكيصادق، ونسوا أن يـدعوا الأب كوبرس. ثم دعوه بعد ذلك وسألوه عن هذا الأمر. فضرب على فمه ثلاث مرات وقال: "ويل لك يا كوبرس لأن ما أوصاك الله أن تعمله تركته وتريد أن تعرف شيئًا لم يطلَب منك أن تعرفه"! فلما سمع الإخوة ذلك هربوا إلى قلاليهم(٤٤٥)!

سأل أخ شيخا بخصوص أفكار الزنى قائلاً: "ماذا أفعل بخصوص فكر الزنى الـذي يضايقني"؟ فأجاب الأب كوبرس الإسكندري قائلاً: "إن كانت ليست لك أفكار فلن يكون لك رجاء، حيث إن عملها هو معك، لأن الذي يتمم عملها لا تكون له أفكار. فربما تكون لك عادة أن تتكلم مع امرأة"؟ فقال الأخ: "كلاَّ، ولكنها أفكار من أوقات

(442) Ibid., 18-23. لاحظ ملابس الرهبان البيضاء في ذلك الزمان.
(443) Hist. Monach., ch. II.
(444) Apoph., Paul, 1, W. & W., I: 617.
(445) W. & W., I: 144.

سابقة هي التي تزعجني". فقال له الشيخ: "لا تخف من الأمور الميتة بل مـن الحيـة، واطرح نفسك في الصلاة أمام الله، لأنه لو لم تكن عندنا أفكار نكون مجرد حيوانـات. فكما أن العدو يعمل لأجل ما يخصه هكذا فلنعمل نحن فيما يخصنا. فلنقف في الصـلاة وليكن لنا اهتمام بإيماننا، ولنتحمل لأن الاحتمال بصبر إنما هو انتصار. وإن لم يجاهـد الإنسان فلن يكلل قط. لأنه يوجد في العالم أبطال يغلبون رغم جـروحهم، ومـع أن شخصين قد يجرحا شخصا واحدا عدة مرات، فإذا أمكنه أن يحتمل الضربات يمكنه أن ينتصر على الذين ضربوه. لاحظ أية درجة من الاحتمال يمتلكها الذين يعملون من أجل التجارة في هذا العالم! إذن، فاحتمل أنت وسيصارع الله مع أعدائك نيابةً عنك بينمـا تظل أنت هادئًا"(٤٤٦).

قال الأب كوبرس: "الذي يرضي مشيئته أكثر من إرضاء مشيئة الله فليست له مخافة الله"(٤٤٧).

القديس يوحنا القلالي

قال لي **أخ:** "عندما كان الأب يوحنا القلالي يموت قلت له: 'أبا يا أبي، ألا تقول لي قولاً يمكنني بواسطته أن أخلص'؟ فقال لي: "نعم سأقول لك قولاً مأثورا، وهو سيكفي للخلاص'. فقلت له: 'ما هو يا أبي'؟ فقال لي: 'اذهب وأحـب قريبـك كنفسـك، وسيسقط جميع أعدائك تحت قدميك"(٤٤٨).

قال أخ: "قال لي الأب يوحنا القلالي: 'انظر إلى ثمرة الحقل: فإن السـاق قبـل أن يعطي سنابل يلبث دائما مستقيما، وعندما يعطي سنبلة تنحني ثمر ا نحو التربة. وهكـذا الإنسان أيضا، ففي الوقت الذي لا يثمر فيه لأجل الرب، لا يمكن أن يوجد فيه اتضاع الروح، ولكن حينما تأتي الثمرة في الإنسان يخضع في كل شيء لأجل الرب"(٤٤٩).

سأل أخ الأب يوحنا القلالي قائلاً: "كيف يعطي الإنسان الصدقة بيديه بينمـا لا يستطيع أن يتنازل ولو قليلاً عن مشيئته لأخيه"؟ فقال له الشيخ: "مثل هذا الإنسان لم يتمدد (على السرير أمام الطبيب)، وربنا يسوع لم يلمسه بعد بيديه لكيما يشفَى"(٤٥٠).

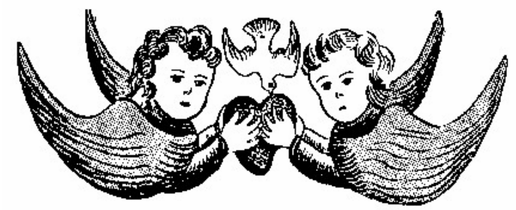
قال الأب يوحنا القلالي: "أترى قول الكتاب هذا: «اذكر أيام القدم» (تـث٣٢: ٧)؟ إن

(446) Apoph., Copres, 3; W. & W., I: 279. (447) Apoph., Cyrus, 1; W. & W., I: 590.
(448) W. & W.,II: 370. (449) Eth. Coll.,13, 85. (450) Eth. Coll., 14, 20.

أسفار ربنا تنبهنا لأ ا تستعيد لذاكرتنا أيامنا القديمة: عندما خرجتم من العالم وقد اتخذتم شبه الرب، عندما كنتم ملتهبين بحب الرب من كل قلوبكم ثم عدتم مرةً أخرى إلى الشهوات الدنيوية"[(٤٥١)].

وقال هو أيضا: "تأملوا جيدا في أروقة سليمان الخمسة حيث كان يرقد العـاجزون والعرج والعميان وذوي العاهات، وكان أحدهم عاجزا منذ ٣٨ سنة على فراشه (يو٥: ١-٦). فقال له الرب يسوع: أتريد أن تبرأ؟ ففي الحقيقة إن الـرب يتـرك الإنسـان لمشيئته، لأن العاجزين والعميان والمعوقين هم الأفكار الرديئة التي تسكن في الإنسـان. فالرب يسوع يترك الإنسان لإرادته بحيث أنه إذا أراد الإنسان يستجيب له الرب وينقذه ويطرد عنه الأفكار الشريرة"[(٤٥٢)].

وقال الأب نفسه أيضا: "هذا القول مكتوب في الإنجيل: عندما دعا الرب يسـوع لعازر ليخرج من القبر «خرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع: حلّوه ودعوه يذهب» (يو١١: ٤٤). ونحـن أيضـا، أيـدينا وأرجلنا مربوطة ووجوهنا مغطّاة بمنديل بواسطة يد العدو. فإذا استمعنا للرب يسـوع فهو يفكنا من كل هذه ويحررنا من عبودية جميع الأفكار الرديئة. وهكذا نكون أبنـاء للرب وننال مواعيد الميراث، ونكون أبناء الملكوت الأبدي"[(٤٥٣)].



(451) Ibid., 14, 22.   (452) Ibid., 14, 40.   (453) Ibid., 14, 41, 42.

الفصل الثاني

أقـــوال

القديس برصنوفيوس وتلميذه يوحنا

[أســئلة وأجوبــة](*)

من مقدمة الناشر:

نرجو ملاحظة أنّ الأقوال أرقام ١ - ٥٤ عبارة عن مراسلات بين ق. برصنوفيوس والأب يوحنا الذي من بير سبع، ماعدا رقم ٣ فهي من شيخ آخر ربما كان هـو الأب "أوثيميوس". ورقم ٥٥ عبارة عن رسالة مستقلة تجيب على سؤال لشيخ مصري يدعى "أفراميوس"، يعتذر فيها الشيخ الكبير "برصنوفيوس" عن الإجابة باللغة القبطية الـتي لا يعرفها أبا سيريدوس (الذي كان يخدمه في هذه المراسلات). والأرقام ٥٦ - ٥٩ عبارة عن إجابات إلى شيخ اسمه "بولس" يثنيه فيها عن حمل مسئولية العناية بأخٍ ضرير، ويحذره من الانشغال بالمناقشات اللاهوتية التي لم يكن ملائما لها.

أما الأرقام ٦٠ - ١٢٤ (١٥١ - ٢١٨ V) فهي عبـارة عـن مجمـوعتين مـن المراسلات: الأولى: أرقام ٦٠ - ٧٢ وهي مراسلات مع الشيخ "أوثيميوس"، الذي يبدو أن ق. برصنوفيوس كان يعامله دائما باحترام باعتباره على الأقل أخا مساويا له، والذي يشعر أنّ عليه أن يتعلّم منه، لأنه يبدو أن أوثيميوس سبقه في الرهبنة. والثانية: أرقام ٧٣ - ١٢٤ عبارة عن مراسلات مع أخٍ مريضٍ وكبير السن اسمـه "أنـدرو"، وهـو في المخطوطة العربية "أندريا"، وآخر رسالتين منها هما إجابتان لأخٍ آخر كان يعيش بجوار أندرو وأراد أن يساعده. والشيخ الآخر يوحنا له نصيب في هذه المراسلات. والقول رقم ٩٧ يوضح دور الأب في تعيين إخوة لخدمة الشيخ المريض.

(*) مترجمة عن: Patrologia Orientalis, Tome XXXI, Fascicule 3 ، والاسم "برصنوفيوس" في اللغـة القبطية Ⲟⲩⲉⲣϣⲉⲛⲟⲩϥⲓ، وفي اللاتينية: Varsanuphius. وكان هذا القـديس وتلميـذه يوحنـا يسـكنان في كينوبيون أنبا "سيريدوس" بالقرب من غزة عند "تافاتا" مسقط رأس القديس هيلاريون، وربما تكون هي "أم التوت" الحالية خلف وادي غزة. وقد رقد كلٌ من سيريدوس ويوحنا قبل ق. برصنوفيوس. وكان الشيخان ق. برصنوفيوس وق. سيريدوس يتممان مراسلاتـهما بواسطة ق. دوروثيئوس.

سيرة حياة أبوينا القديسين برصنوفيوس ويوحنا(٭)

عاش القديسان برصنوفيوس وتلميذه يوحنا في النصف الأول من القرن السـادس في مجمع (دير أو كينوبيوم Coenobium) الأب "سيريدوس" في ضواحي غزة في فلسطين. والقديس برصنوفيوس مصري الأصل، وكان رجلاً علاّمة كما هو واضح من أجوبتـه عن الأمور الروحية وأمور أخرى. أما تلميذه يوحنا فإنّ خلفية حياته الأولى غير معروفة لأنه لم يتحدث عنها إطلاقًا.

ولد الأب القديس برصنوفيوس في مصر. وواضح من أجوبته أنه تعلّم اللغتين القبطية واليونانية. وقد صارع هذا الرجل منذ سنوات عمره المبكر لكي يسلك حياةً نسـكية. وإذ مر يوما ما على سباق خيل حيث كان الناس يلقون بأنفسهم مع حيوانـا م غـير العاقلة في تلك المنافسة، وإذ رأى كيف أن الإنسان يصارع لكي يتغلّب على غيره، قال في نفسه: "انظر كيف أن خدام الشياطين يكافحون باجتهاد، أفلا يجب علينـا نحـن بالأحرى الوارثون للملكوت السماوي أن نكافح باجتهاد أكثر"؟! وهكذا صـار ق. برصنوفيوس أكثر غيرة واعتنق الجهاد الروحي، وذلك كما كتب الشيخ الآخر، يوحنا، عنه في جواب السؤال رقم ٤٥٠.

التهب قلب ق. برصنوفيوس بغيرةٍ حارة، ثم غادر مصر إلى الأرض المقدسة حيـث صلى عند قبر الرب المقدس والأماكن المقدسة الأخرى. ثم وضع نفسه تحت الإشـراف الروحي لشيخ اسمه "مارسِللوس" حيث ترهب وأقام معه مدةً طويلةً حتى رقـد هـذا الشيخ. بعد ذلك ظلّ القديس يذهب من مكانٍ إلى آخر ينصح الأتقياء، ثم اعتـزل في قلايةٍ منفردة تمتع فيها بحلاوة السكون.

نما القديس في الفضيلة حتى إنّ العديد من الرهبان وآباء الرهبنة طلبوا نصـيحته وأن يقدموا اعترافا م له، ورغم أنه لم يكن كاهنا إلاّ أ م انتفعوا منه ووجدوا سلاما. لقـد نقى قلبه من الأهواء، فصار هيكلاً لسكنى الروح القدس، واغتنى ذه النقاوة إلى درجةٍ عاليةٍ واتضاعٍ حقيقي كامل. ولذلك سعى العديد من آباء الأديرة إليه لكـي يعضـد الرهبان بنصائحه وتعاليمه الجديرة بالإعجاب.

وبعد فترةٍ طويلةٍ قرر ق. برصنوفيوس أن يذهب إلى دير الأب سيريدوس. وهناك بنى

(٭) عن مقال للأب نيقوديموس الذي من جبل أثوس باليونان في مجلة: *The Orthodox Word*, no. 145, 1989، وأيضا كتاب: *The Lives of the Saints of the Holy Land & the Sinai Desert*, p. 94

لنفسه قلايةً خارج الدير حيث استقر لمدة ثمانية عشر عاما دون أن يستقبل أي أحـدٍ أو راهبٍ ولا حتى أسقف. والوحيد الذي كان يستقبله هو الأب سيريدوس الذي كان يأتي إليه أسبوعيا بالأسرار المقدسة مع قليلٍ من الخبز والماء. وهكذا مارس القـديس الزهـد لدرجة أنه كثيرا ما كان ينسى أن يتناول خبزه، حيث إنه كرس نفسه للنوح وتـذوق حلاوة الدموع، وهكذا كانت تسلب لبه حلاوة الغذاء الروحاني!

أثناء تلك الفترة كان يتصل بأبنائه الروحيين وكل من يطلب نصيحته برسائل مكتوبة يمليها على الأب سيريدوس حيث إنه عزم على ألاّ يكتب لأحـدٍ بيـده. ولأنّ الأب سيريدوس لم يكن يعرف اللغة القبطية، فقد كان يمليه الرسائل باليونانية.

وقد حفظ نظامه الصارم بكل دقةٍ حتى عندما حلّ به المرض، فقد رفض الخروج طلبا للعلاج. وقد تحفّظ لنفسه من أن يغرق في المشاكل بين الرهبان أو بين الأديرة. وأي من كان ميالاً للعراك بخصوص العقائد كان يجيبه بمرارةٍ: "الويل لجيلنا غير المنطقـي! مـا الذي وصلنا إليه وما الذي فهمناه؟ السموات مذهولة: بماذا أنتم منشغلون أيها البشـر؟ الأرض ترتعد: كيف نلاحق (بعقولنا) ذاك الذي لا يدرك؟ الله لا يتطلّب ذلـك، بـل القداسة والطهارة والسكون والاتضاع"! حقًا، لأننا إذا اكتسبنا الفضائل تبتعد عنا روح الخداع والهرطقة، ويظلل الكنيسة سلام عميق!

وكان قد رأى في رؤيةٍ أنه هو وآخرون سينضمون إلى مجمع رهباني في ضواحي غـزة في ذلك المكان المسمى "تافاتا". أما تلميذه يوحنا، فقد نال مواهب من الروح القدس ولا سـيما موهبتي الاستبصار (أي كشف المستتر وقلوب الآخرين)، والنبوة. لأنه عندما سمع بفضائل ق. برصنوفيوس أراد أن يجاهد مثله، فعلم القديس ذلك بالروح وأعطاه قلايته الأولى التي بناهـا بجوار دير الأب سيريدوس واتخذ لنفسه قلايةً أخرى، وكان ذلك بعد عـام ٥٢٥م بقليـل. وهناك أقام الأب يوحنا ثمانية عشر عاما حتى رقد في الرب. وكانت له طاعة مطلقة وتـوقير شديد للقديس برصنوفيوس، وقد نفّذ بإخلاص وصاياه التي كتبها له. ثم صار هذان القديسان بالنعمة قلبا واحدا وروحا واحدا رغم أ ـما لم يتحادثا معا وجها لوجه!

حلاوة السكون:

إن اللذين دونا هذا الكتاب (الأسئلة والأجوبة) المليء بالحكمة الإلهية ومنفعة النفس، كانا حقًا أبوين حاملين للمسيح حاملين للروح وهما: القديسان برصنوفيوس ويوحنـا المثالان للنسك، الممارسان للسكون، مصباحا الإفراز، ذوي الأعين الساهرة مع موهبـة

الاستبصار، خزانتان لكنوز الفضيلة، تجسيدان لعمل الروح القدس.

ولكن الزمن لم يترك لنا رواية لسيرة حياة هذين المصباحين حاملي الإله: برصنوفيوس ويوحنا. ولذلك فقد حاولت أنا الضعيف (نيقوديموس) أن أستخلص من كتابهما هذا فقرات عديدة تشهد لحياتهما وتقدمهما للذين يريدون أن يتعرفوا على الفضائل التي بلغها هذان الأبوان، أي هذا الكمال المفرط النادر لدى البشر المائتين.

وهكذا ذهب القديس إلى منطقة "غزة" في فلسطين حيث وجد مجمعا ديريا للأب سيريدوس، وبنى لنفسه قلايةً صغيرةً خارج الدير. ولما اعتزل هناك تمتع بالسكون مثل أحلى أنواع العسل (الجواب رقم ٢٢١). ويبدو أنه بنى لنفسه أيضا قلايةً أخرى ليعتزل فيها ربما كانت في داخل الدير.

موت الأوجاع:

في بداية فترة سكونه اعتادوا أن يأتوا له بثلاث خبزات في الأسبوع من الدير. وفي نفس الوقت كان يعطي نفسه للبكاء حيث حصل من الدموع على حلاوة جعلته يكتفي بالقليل من الخبز. بل إنه كثيرا ما كان ينسى أن يتناول منها كما قال داود النبي: «يابس قلبي حتى سهوت عن أكل خبزي» (مز١٠٢: ٤). وأحيانا كان يأكل من الخبز مرتين في الأسبوع. وأحيانا يكون في وقت الطعام كأنه شبعان، وعندما يأكل يلوم نفسه قائلاً: "لماذا لا أكون في تلك الحالة (الروحانية) على الدوام"؟ فمن حلاوة الطعام الروحاني كان أحيانا ينسى الطعام الجسداني (انظر الجواب رقم ٩٦). بل إنه كان يستطيع أن يكون في تلك الحالة طوال أيام حياته، فلا يأكل ولا يشرب، ولا يكتسي بملابس لأن طعامه وشرابه ولباسه كان هو الروح القدس (الجواب رقم ٧٨).

وبمرور الوقت إذ غسل المبارك نفسه بالصلوات المتواترة طهر قلبه ليس من الأهواء الجسدية وحدها؛ بل أيضا من الأهواء الروحية: الغرور، المجد الباطل، إرضاء الناس، المكر والأمور الأخرى المشابهة المختبئة في القلب. وبهذه الطريقة صار فوق أسهم الأعداء واكتسب سلام القلب الذي هو تجسيد لعطية الروح القدس، ولذلك فقد سمى عزلته "قبرا". ولما سئل تلميذه الأب يوحنا عن سبب تسميته تلك قال: "ذلك لأنه مات عن كل الأهواء، لأنه كان ميتا تماما عن الخطية، والقلاية التي اعتزل فيها، وكأنها قبر لأجل اسم المسيح، إنما هي مكان راحة لا يدخل فيه شيطان ولا حتى رئيس الشياطين. لقد صارت هي مخدع "الحمل الخفيف" حيث يسكن الله" (الجواب رقم ٧٣).

ومنذ ذلك الوقت عينه نقّى قلبه من الأهواء وصار مستحقًا أن يكون هيكلاً ومسكنا للروح القدس. وكنتيجة لهذه النقاوة فقد اغتنى بالاتضاع الخلاّق الحقيقي الكامل، وليس ذلك الاتضاع الخارجي الذي يبدو من الملبس الحقير والكلمات المتواضعة؛ بل ذلك الذي وضع الروح القدس أساسه فيه: «قلبا نقيا اخلق في يا الله وروحا مستقيما جدد في داخلي» (مز٥١: ١٠). ولذلك فقد اعتبر الآباء أن هذا الاتضاع موهبةً من الله. وبحسب كلام ق. برصنوفيوس نفسه، يتكون الاتضاع من اعتبار الإنسان لنفسه أنه تراب ورماد بالفعل وليس بالكلام وحده، حتى يمكنه أن يقول: "من أنا، ومن ذا الذي يعتبرني شيئًا؟ وليس لي أعمال مع أي إنسان" (انظر الجواب رقم ١٩١). و ذا الاتضاع اكتسب هذا الشيخ العظيم أعظم جميع الفضائل، وهو الإفراز، الذي – حسب كلام القديس نفسه – يعطَى للراهب من الله مثل دفّة السفينة.

موهبة النبوة:

بحسب كلام القديس "ميليتيوس" المعترف: "الإفراز هو اعتلاء الفضائل، بدء ووسط و اية كل صلاح. إنه مصباح يضيء في الظلمة، إيجاد الطريق للضالين، وميناء للذين في العاصف" (الدرجة رقم ١٦٦). ومن الإفراز صار ق. برصنوفيوس مستحقًا أن يكتسب بصيرة، وبواسطة البصيرة تدرك الكائنات الحساسة والعاقلة الأمور الفكرية والسرية. و ا أيضا منح هذا القديس موهبتي الاستبصار والنبوة، وذلك لكي يرى ما يحدث على بعد كأنه قريب والمستقبل كأنه حاضر. وقد أُعطي له ذلك مضاعفًا لدرجة أنه علم قبل سنتين بوصول راهب من دير ق. سابا (الشيخ الروحاني) إلى مجمع ق. يوحنا المعمدان (الجواب رقم١). كما أنه علم مسبقًا أن بعض الأغنياء سيأتون إلى الدير ويعيشون فيه (الجواب رقم ٣١).

كما أنه كان يعرف بالنعمة ما في قلوب الناس، وكان يجيب على أسئلتهم ليس بما يتوافق مع كلامهم بل حسب اتجاه قلو م وأفكارهم (الجوابان رقمي ٦٤، ١٦١). وقد تأيدت نبواته بالاختبار. وقد تنبأ عن أمير أرسله الملك لكي يعتلي كرسي إيبارشية "غزة" كأسقف غير مستحق، فقال: "رغم أن هذا الأسقف سيصل إلى أبواب المدينة؛ فهو لن يدخلها لأن الله لن يسمح بذلك". وهذا ما حدث بالفعل. فقد وصلت رسالة غير متوقعة عن موت الملك فتحطمت كل أمنيات هذا الأسقف وخططه (الجواب رقم ٨١٢).

لهيب الحب:

من ذا الذي يمكنه أن يصف الحب الغزير لهذا المبارك نحو الله؟ فقد حمل في قلبه حبا

للمسيح كان يشتعل مثل أقوى لهيب نار كما يشهد بنفسه (الجواب رقم ١٠٩). ولذلك لم يستطع أي شيء أن يسقطه لأن «المحبة لا تسقط أبدا» (١كو١٣: ٨). وحسب كلام ق. برصنوفيوس: "المحبة الكاملة لا تترنح إطلاقًا، والذي يكتسبها بحرارة يصير ملتهبا بالحب نحو الله والقريب". ومن يستطيع أن يشرح حبه لقريبه الذي كان يشتعل فيه؟ إن هذا الأب ذو القلب المحب لم يكف إطلاقًا عن التوسل إلى الله نهارا وليلاً أن يجعل جميع الإخوة حاملين لله! وها هو قوله عن ذلك: "لأنه توجد نار مشتعلة في داخلي، مثل أقوى لهيب، نار حب للمسيح الذي قال: «أحب قريبك كنفسك» (مت١٩: ١٩)، وأنا ملتهب في روحي بهذا الحب، فحتى قبل أن تطلبوا مني لا أكف نهارا وليلاً عن التوسل إلى الله أن يجعلكم حاملين لله، وأن يجعل سكناه فيكم، ويتحرك معكم، ويرسل لكم الروح القدس ... إنني مثل أب لكم، كمن قد صارع لكي يسيج على أبنائه وسط حاملي النور للملك دون أن يقلقوا بخصوص هذا الأمر" (الجواب رقم ١٠٩).

كما أن القديس أنار الأب "سيريدوس" مدبر الدير بصلواته وفتح بصيرته لكي يدرك ما لا يمكن فهمه (الجواب رقم ١٠). وبصلواته أيضا حلّ الروح القدس على ق. أندراوس لكي يقويه في الصبر والشكر (الجواب رقم ٢١١). لأن صلواته وصلت إلى الله مثل تألق نور البرق ومثل أشعة الشمس لدرجة أن الآب سر بذلك والابن فرح والروح القدس استراح (الجواب رقم ١١٠). وقد استجيبت جميع توسلاته لأجل الأمور النافعة. وإذ صار حبه لقريبه ملتهبا أكثر، فقد تشبه بالمسيح بأن وضع نفسه لأجل إخوته، وكان مستعدا أن يجيب الله عنهم (الجوابان ٥٧ و٥٨)، لأنه أمكنه أن يرى خطايا الناس ويستر عليهم مثل الله (الجواب رقم ٢٣٦).

سلطان مغفرة الخطايا:

بسبب تلك المحبة الوافرة لقريبه أُعطي هذا القديس سلطانا مباشرا من الله لمغفرة الخطايا (الجواب رقم ٢٠٧) والذي يشكل اكتمال المواهب كما يقول هو نفسه: "كمال المواهب هو أن يغفر الإنسان الخطايا، هو تحرير النفوس من الظلمة، واقتيادها إلى النور" (الجواب رقم ٢٠٧). ولهذا السبب أعطى الرب للرسل مواهب متعددة قبل قيامته، ولكنه أعطى لهم هذه التي هي كمال المواهب بعد قيامته، وذلك حسب كلام القديس: "فتشوا الأناجيل لكي تعلموا بأية طريقة وكم هي عدد المرات التي أعطى فيها المسيح لتلاميذه مواهب الشفاء وإخراج الأرواح الشريرة، ومتى أعطى لهم كمال المواهب: سلطان مغفرة الخطايا، إذ قال: «من غفرتم خطاياه تغفَر له» (يو٢٠: ٢٣)" (الجواب رقم ١٠).

ومنذ أن منح هذا القديس موهبة مغفرة الخطايا، قال لأخ مريض في الدير طلب منـه أن يغفر له خطاياه: "إن الله، الملك العظيم، يقول لك: إن كل خطاياك مغفورة لك" (الجـواب رقم ٤٤). ومرةً أخرى قال لأخ آخر كان مريضا بالسلّ: "حسب طلبك، فقد غفر الله لك جميع خطاياك منذ أيام شبابك حتى الآن. فمبارك هو الله الذي أراد أن يغفر لك كل شيء" (الجواب رقم ١٤٦). وكان القديس أحيانا يرغب أن يأخذ على عاتقه نصف خطايا بعـض الإخوة، وأحيانا كان يحمل حملهم كله (الأجوبة أرقام ١٦٣، ١٦٤، ٢٣٦). وكان يجاهـد من أجل البعض متوسلاً إلى الله أن يمحو خطية تجديفهم، وكان يقول لهم: "اضبطوا أفواهكم حتى لا تسقطوا مرةً أخرى في تجديف أسوأ رغم أنكم ما كان ينبغي أن تعطوا نفوسكم لهذا الأمر. لقد سكبت عرقًا غزيرا متوسلاً إلى الله من أجلكم" (الجواب رقم ٢٢٨)!

وكان القديس يعهد بنفوس بعض الذين ماتوا للثالوث القدوس المحيي، وبينما كانوا يعبرون إلى السماء كان يحررهم من الهجمات الشيطانية (الجواب رقم ١٤٥). وهكذا بلغ القديس إلى مقدار من الحب لقريبه مشا ا للرسول بولس ومن قبله موسى النبي. فقد نطق بنفس كلمات موسى النبي كما كتب هو نفسه قائلاً: "صدقني يا أخي، أن روحي تدفعني بحرارة أن أقـول لسيدي الذي يفرح لخلاص عبيده: "يا سيدي، إما أن تقودني مع أبنائي إلى ملكوتك، أو تمحو اسمي من كتابك"" (الجواب رقم ١١٠)!!

تقدمـه الروحي:

وضع القديس في قلبه ميلاً إلى الصعود والتقدم المقدس، وأرفـق اتضـاعا باتضـاع وسكونا بسكون وحبا بحب. وقد منح أسمى موهبة حتى أمكنه أن يصـعد إلى السـماء السابعة، ليس على جناحي الفكر المخادع، بل في قوة الروح التي لا ينطَق ـا، هنـاك حيث ينال البركة ويرى خيرا لا يعبر عنه وأسرار ملكوت الله، غير عـالم إن كـان في الجسد أم خارجا عنه مثل الرسول بولس (٢كو١٢: ٣). ولننصت إلى ما قاله القـديس عن ذلك: "إن الله يؤكد لكم أن الحب ينقل الذين يمتلكونه إلى السماء السابعة حيث إن بعض الناس يصعدون بالفعل بجراءة ويباركون هناك سواء كانوا في الجسـد أم خـارج الجسد، الله يعلم. ولكي تعرفوا بداية الطريق إلى هذا الفرح اسمعوا: يأتي الروح القـدس أولاً إلى الإنسان ويعلمه كل شيء بما في ذلك كيف أنه من الضروري أن يكون حكيما باتضاع، هذا الذي لا يمكنكم أن تسمعوا عنه الآن. لقد تعلّمتم بذلك عن الإلهام الأول: أن تصعدوا إلى السماء الأولى، ثم إلى الثانية .. وهكذا حتى البلوغ إلى الملء، حتى السماء السابعة، هناك لكي تمنحوا أن تعاينوا أمورا لا ينطق ا ورهيبة، تلك التي لا يمكن لأحد

أن يسمع ا سوى الذين بلغوا إلى مثل هذا المقدار، لعل الـرب يمنحنـا نحـن أيضـا الاستحقاق لذلك" (الجواب رقم١٠٩).

قـوة الصـلاة:

وهكذا نرى لماذا منح ق. برصنوفيوس موهبة صنع المعجزات التي ا أمكنه أن يقيم الموتى باسم الرب يسوع ويخرج الشياطين ويشفي من الأمراض المستعصية ويجـري معجـزات أخرى، وأمكنه، مثل إيليا النبي، أن يربط السماء ويحلّها، وذلك كما يقول هو نفسـه أو - بدقة أكثر - كما يشهد الله الذي منحه هذه المواهب (الجواب رقم ١٨١). بل إن القـديس منح ليس فقط أن يكون ابنا لله بالنعمة؛ بل أيضا ما يستحق إعجابا أكثر: أن يكون أخا للرب يسوع كما يقول هو نفسه: "صل من أجلي أنا الخاطئ لكي أظل إلى النهاية في مثـل هـذا القياس. فإن الذي بلغ إليه قد صار بالفعل معدودا بين إخوة يسوع" (الجواب رقـم ١٨١). وعندما أراد أخوه الذي في العالم، وهو شيخ، أن يتحدث معه قال له: "لي أخ هو يسـوع، فإذا احتقرت العالم وصرت راهبا حينئذ تكون أخا لي" (الجواب رقم ٣٤٥).

ولما بلغ القديس إلى هذا الكمال نال جرأةً ودالةً عظيمةً عند الله حتى إنه هو وحده أمكنه أن يتوسل إليه من أجل جمهور لا يحصى من الناس، ولم تخب توسلاته (انظر الجواب رقـم ١١٠). ولذلك، فإنه لما حدث أثناء حياة هذا القديس أن حلّ غضب عظيم من الله على العالم كله، طلب أتباعه الذين يعيشون حياة السكون أن يصلي لكي يكف هذا الغضب. فأجاب أن ثلاثة رجال كاملين كانوا يتوسلون إلى الله لأجل العالم كله (وكان هو أحدهم)، وها هـو كلامه: "كثيرون يتوسلون ملتمسين رحمة الله للبشر حتى يكف غضبه عنهم، ولا يوجد أحد محب للإنسان أكثر من الله. ولكن رغم كل ذلك، فهو لا يريد أن يغفر لنا لأن خطايا عديدة ترتكب في العالم تعمل على مقاومته. يوجد ثلاثة رجال كاملين أمام الله فاق قـدرهم علـى البشر وأخذوا سلطانا أن يحلّوا ويربطوا، أن يغفروا الخطايا ويمسكوها. فهم الذين يقفون بين الهلاك والعالم حتى لا يهلك الرب العالم كله بغتةً. وبصلوا م ينقص من العقوبة حسب رحمته، وقد علموا أن الغضب سيمكث لوقت قصير. فصلوا معهم. وصلوات هؤلاء الرجال الثلاثـة تتقابل عند مذبح أبي الأنوار السماوي، وهم فرحون متهللون في السموات. وعندما ينظرون إلى الأرض يبكون معا ويذرفون الدموع بتشنج بسبب الشرور التي ترتكب على الأرض والتي تثير غضب الله. هؤلاء الرجال هم: يوحنا في رومية، وإيليا في كورنثوس، والثالث في إيبارشية أورشليم (وهو ق. برصنوفيوس نفسه، لأنه كان متوحدا بجـوار غـزة التابعـة لإيبارشـية أورشليم). وأنا أعتقد أ م يسببون للعالم خيرا عظيما بالحقيقة آمين" (الجواب رقم ٥٦٦).

والقديسون الذين نالوا نعمةً من الله يتقدسون ليس في أفكارهم وأرواحهم فحسب؛ بل أيضا في أجسادهم المقدسة. وبواسطة النفس ينالون نعمةً وتبريرا. هكذا كان مع ق. برصنوفيوس، فقد تغلغلت النعمة والاستنارة ليس في روحه وقلبه وحدهما؛ ولكن أيضـا جسده المبارك قد منح نعمةً وتقديسا إلهيين. وحتى الأمور التي كانت مغلقة على القديس نالت قوة ونعمة إلهيتين كما قيل إن ملابس ق. بولس كانت تشفي المرضى: «حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمـراض وتخـرج الأرواح الشريرة» (أع١٩: ١٢). وهكذا أيضا قلنسوة ق. برصنوفيوس التي أرسـلها إلى الأب يوحنا في دير ق. سابا، حفظته من تجارب وشرور عديدة (الجواب رقم ١). وقد أرسل أب آخر قلنسوته إلى الأب برصنوفيوس طالبا منه أن يرتديها فيباركها ثم يعيـدها إليـه لكيما يحصل ا على حماية ومعونة (الجواب رقم ١٢٣).

وقد نال الكثيرون بركات أخرى من ق. برصنوفيوس: لقمة من خبزة أكَلَ منها أو شربة ماء من الذي شربه ... فشعروا بتخفيف الأوجاع التي كانت اجمهم (انظر الأجوبة أرقـام ٤٣ و٤٤ و١٦٩). بل إن اسم القديس وحده، حتى ولو استدعي ذهنيا، كان مؤثرا وأعطى معونةً للذين دعوه، وذلك كما قال الشيخ الآخر، ق. يوحنا، لمدبر الدير الأب "إليان". فقـد سئل: "أي نوع من الإجابة ينبغي للإنسان أن يعطي لكل سؤال"؟ فأجاب: "اسأل عقليـا الشيخ القديس قائلاً: "ماذا يجب أن أقول يا أبي"؟ وحسب وصية الرب: «لا تموا كيف أو بما تتكلمون» (مت١٠: ١٩)" (انظر الجواب رقم ٥٩٢).

التجـارب:

ولكن هذه المواهب العظيمة كانت تتخذ مجراها فيه بناءً على تجارب لا يمكن لكثيرين أن يتحملوها أو حتى أن يسمعوا عنها. اسمع ما كتبه عن نفسه في رسالته للأب يوحنا في دير ق. سابا: "إذا كتبت لك عن التجارب التي جزتها، فأعتقد أنك لا تحتمل سماعهـا أنت وربما غيرك أيضا في وقتنا الحاضر" (الجواب رقم ١٣). لقد كانت شـديدة هـي الضعفات والأمراض التي خضع لها هذا المبارك، ولكنه تحملها بشجاعة لدرجة أنـه في مرضه لم يرقد أحيانا على فراشه ليستريح، بل إنه حتى لم يتخل عن عمل يديه (الجواب رقم ١٦٥). لقد سمح لتلك الأمراض أن تحلّ به حيث إنه لأجل المواهب العظيمة يخضع القديسون لتجارب عظيمة. ومن لا يسفك دما لا يمكنه أن ينال الروح القدس كما قال الأب بطرس الدمشقي: "أعط دما وخذ الروح".

الله يحفظ سكون الشيخ:

لقد عاش هذا القديس في القرن السادس في عهد الإمبراطور "يوستنيان". وقبل عام ٦٠٠م، ولمدة خمسين سنة وأكثر لم يره إنسان[1]، لأنه أغلق على نفسه في قلاية صغيرة وكأنه في قبر. وطوال ذلك الوقت لم يتناول أي طعام سوى الخبز والماء. ولما علم بطريرك أورشليم "أوستوخيوس" بكل ذلك لم يصدق وأراد أن يرى ق. برصنوفيوس شخصيا. فأخذ معه بعض الأشخاص وذهبوا إلى قلاية القديس، ولما حاولوا أن يحفروا أسفل الحائط ليدخلوا تفجرت بغتةً نار من هناك وكانت على وشك أن تحرق البطريرك ذاته والذين معه. وقد سجل المؤرخ "إيفاجريوس" في الجزء الرابع من تاريخه الكنسي ذلك قائلاً: "كان في هذا الوقت رجال حاملي الإله كانوا يجرون آيات عظيمة، وكان منهم بصفة خاصة الشهير برصنوفيوس المواطن المصري. وقد عاش في الجسد كأنه بلا جسد، وذلك في دير بالقرب من مدينة غزة وصنع معجزات عديدة. وقد قضى حياته متوحدا في قلاية صغيرة، وعلى مدى خمسين سنة أو أكثر لم يظهر لأي إنسان ولم يستعمل أي شيء أرضي[2]. ولم يصدق "أوستوخيوس" بطريرك أورشليم ذلك وذهب وأمر بالحفر أسفل القلاية ليدخلوها فتفجرت بغتةً نار كانت على وشك أن تحرقهم". وبعد رقاد القديس عندما ذهب إلى الآباء والمسيح الذي اشتاق إليه، حينئذ سكن في قبره شيخ اسمه "أوثيميوس الصامت"، كما تنبأ ق. برصنوفيوس في حياته (الجواب رقم ١٥٢).

وكان ق. برصنوفيوس أرثوذكسي المعتقد، وتوقره كنيسة المسيح كقديس. وقد وضعت صورته على غطاء المذبح (البروسفارين) في الكنيسة الكبرى "آجيا صوفيا" في القسطنطينية مع صور القديسين أنطونيوس وأفرام السرياني وآخرين.

الأب يوحنا النبي:

والشيخ الآخر، القديس يوحنا، عاش بنفس طريقة حياة السكون مثل ق. برصنوفيوس، وقد صار مستحقًا لنفس مواهب الروح، ولا سيما موهبتي الاستبصار والنبوة، ولذلك دعي "النبي". ولهذا السبب، فإنه بعد أن وجه أحد الأشخاص سؤالاً للأب يوحنا ثم سأل نفس السؤال للقديس برصنوفيوس قال له هذا الأخير: "إله برصنوفيوس وإله يوحنا واحد" (الجواب رقم ٢٢٠). كما أنه عندما طلب بعض الناس منه أن يخبرهم بحياة ق. يوحنا قال: "بخصوص حياة ابني ذو الفكر الواحد معي، المبارك والمتواضع، الذي تخلّى عن مشيئته في كل شيء حتى الموت،

---

(١) ماعدا الأب سيريدوس الذي كان يرسل أجوبته بواسطته، والقليلين الذين أظهر لهم نفسه مرةً واحدة (جواب رقم ٦٠). (٢) لم يصدق أحد رهبان الدير أن القديس له وجود، بل قال إن هذا من اختراع الأب سيريدوس الذي كان يجيب هو عن الأسئلة بدلاً من القديس. لذلك كتب له القديس رسالةً وجاء إليه شخصيا وغسل رجليه وأرجل جميع الإخوة. فصدق ذلك الأخ وجود القديس ومجد الجميع الله (انظر الجواب رقم ٦٠).

ماذا يمكنني أن أخبركم؟ لقد قال الرب: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ٩)، وقال عن التلميذ: «يكفي التلميذ أن يكون كمعلّمه» (مت١٠: ٢٥). إذن، «من له أذنان للسمع فليسمع» (مت١٣: ٩)" (الجواب رقم ١٢٩).

هكذا أراد القديس أن يظهر أن الأب يوحنا كان مشابها لأبيه ومعلّمه في كل شيء. ويتضح ذلك أيضا من حدث آخر: فعندما سأل البعض الأب يوحنا عن بعض الأمور، اعتاد أن يرسل المستفسرين للقديس برصنوفيوس لكي يجاوبهم. وكان ق. يوحنا يفعل ذلك بسبب اتضاعه. ولذلك، فقد قال أحد محبي المسيح مرةً عنه: "لماذا تضحك علينا أيها الأب يوحنا إذ ترسلنا إلى القديس برصنوفيوس، في حين أنك تمتلك قوة من الروح القدس مساويةً له"؟ (السؤال رقم ٧٩٢).

ولا نعلم من أين كان ق. يوحنا ولا حياته قبل الرهبنة. وقد عاش في قلاية ق. برصنوفيوس الأولى التي بناها خارج دير غزة، وقضى هناك ١٨ سنة في سكون حتى يوم رقاده (الجواب رقم ٢٢١). ولم يره أحد ضاحكًا أو مضطربا أو متناولاً للأسرار الإلهية بدون دموع، وذلك كما شهد له أب ذلك الدير (الجواب رقم ٥٦٨). وقد تنبأ كثيرا وكشف أمورا مستترة عن حياة وموت آخرين (الجوابان رقمي ٦٨٥ و٧٨٦)، ولذلك سماه الأب "نيكون" الذي سجل أقواله: "يوحنا النبي". وقد شفى مع ق. برصنوفيوس أخا محبا للمسيح وآخر محبا للغربة من مرضيهما (الجواب رقم ٧٩٣). كما أنه اختار بموهبة الاستبصار الذين كانوا مستحقين للكهنوت بدقة (الجواب رقم ٨١١).

رقاد القديس يوحنا:

علم ق. يوحنا عن انتقاله مسبقًا حيث قال: "في الأسبوع الذي ينتقل فيه الأب سيريدوس، سأنتقل أنا أيضا ... فلو كان قد عاش هو مدةً أطول، لعشت أنا أيضا خمس سنوات أخرى. ولكن حيث إن الله أخفى ذلك عني وأخذه، فأنا أيضا لن أعيش مدةً أطول" (الجواب رقم ٢٢١). وكان الأب "إيليان" حينئذ ما زال صغير السن وعين أبا للدير، وإذ كان لا يعرف النظم الرهبانية وكيف يقود الإخوة؛ توسل إلى الأب يوحنا قائلاً: "أعطني على الأقل أسبوعين هبةً منك حتى يمكنني أن أسألك بخصوص إدارة شئون الدير". فأشفق الشيخ يوحنا عليه، وإذ كان منقادا بالروح القدس الساكن فيه قال: "حسنا، سأمكث معك أسبوعين". ثم استفسر منه الأب إيليان عن كل شيء. ولما مضى الأسبوعان، استدعى القديس جميع إخوة الدير، وودع كل أخ شخصيا، ثم صرفهم إلى قلاليهم. ثم سلّم روحه في

سلام وسكون في يدي الله (الجواب رقم ٢٢١).

ولما رقد الأب يوحنا عاش ق. برصنوفيوس في سكون تام ولم يعط أي جواب لأحد بعد ذلك، وذلك كما قال الأب دوروثيئوس في مقدمة عظته الثانية. ولما صار ق. برصنوفيوس في صمت غادر الأب دوروثيئوس الدير وأسس مجمعا رهبانيا مستقلاً.

وقرب نهاية حياة القديس ترك سكونه المحبوب لأجل خير الكنيسة، وذلك عندما بدأ الإمبراطور يوستنيان يضغط على الذين لا يقبلون عقيدةً خاطئةً كان هو يؤيدها. وقد استحث حينئذٍ الأب بطرس بطريرك أورشليم (٥٢٤ - ٥٥٢م) القديس برصنوفيوس أن يذهب إلى الإمبراطور طالبا الرحمة، فنجحت مهمته، إذ استجاب الإمبراطور وكف عن اضطهادهم، واستعاد القديس السلام لكنيسة أورشليم!

وتذكر بعض المصادر أنّ كلا من الأب يوحنا والأب سيريدوس رقدا نحو سنة ٥٤٠م. وبعد أن قضى ق. برصنوفيوس خمسين عاما في عزلته تنيح عام ٥٦٣م.

فرح سماوي:

إذ صعد كل من القديسين برصنوفيوس ويوحنا إلى السماء، فإنهما يتمتعان بالنعيم الفائق، إذ ينظران الله وجها لوجه لأنهما أحباه على الأرض بكل قلبيهما، حيث استنارا بنور اللاهوت الذي لا ينطق به. لقد استقرا في السماء، وكما قال ق. برصنوفيوس نفسه عن الذين وصلوا إلى هناك: "وإذ هم في هذا الحال، فقد وصلوا إلى قياس ما فوق التشتت وإلى سمو الذهن، إذ صاروا كلهم عقل، كلهم عين، كلهم نور، كلهم كمال مثل آلهة. ولأنهم تعبوا فقد صاروا معظمين ممجدين مستنيرين قائمين أحياء لأنهم ماتوا عن كل شيء. إنهم الآن فرحون ويسببوا فرحا للجميع، إنهم فرحون لأنهم يتمتعون بالثالوث الأقدس، ويسببون فرحا للقوات الملائكية"!

فلنشته نحن أيضا حالتهم، ولنتبع طريقهم. ولنكتسب لأنفسنا اتضاعهم وصبرهم لكيما نحصل على ميراثهم. ولنحفظ حبهم الذي لم يسقط لكيما نرث الخيرات التي لا ينطق بها و«ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢: ٩) (الجواب رقم ١٢٠).

كتاب مملوءٌ بالنعمة:

لقد أحب هذان القديسان كل القريبين منهما من عمق قلبيهما. وكانا نافعين لهم وقدما لهم المعونة ليس أثناء حياتهما فحسب؛ بل حتى بعد انتقالهما، حيث إنهما تركا

لجميع الإخوة كتاب الأسئلة والأجوبة كميراث آبائي لأبنائهما الروحيين، حتى إنهم بقراءته باهتمام يحصلون منه على منفعة عظيمة لأجيال كثيرة. ويحتوي هذا الكتاب على ٨٥٠ جوابا على أسئلة أشخاص عديدين: رعاة ورهبان وعلمانيين وشيوخ وشباب، ضعفاء وأصحاء. وقد كتب الأب يوحنا بعض تلك الأجوبة، بينما كتب الجزء الأكبر منها ق. برصنوفيوس ليس بمشيئته الخاصة بل حسب إملاء الروح القدس لأجل خير كل نفس كما قال هو نفسه: "وكل ذلك أكتبه لك ليس بمشيئتي الخاصة؛ بل حسب إملاء الروح القدس لتصحيح ومنفعة نفس وضمير الإنسان الباطن" (الجواب رقم ١٣١).

ولما بدأ ق. برصنوفيوس يعطي هذه الأجوبة لأب الدير الأب سيريدوس، حدث شيء جدير بالإعجاب. فقد طلب القديس من الأب سيريدوس أن يكتب جوابا للأب يوحنا الراهب في دير ق. سابا. ولم يستطع الأب سيريدوس أن يحفظ كل الكلام الذي قاله له، فتحير إذ كيف يمكنه أن يتذكر ويكتب كل هذا الكلام. فقد كان متوقعا أن يأمره القديس أن يحضر حبرا وورقًا ليكتب ما يمليه عليه. ولكن ق. برصنوفيوس، إذ كانت له موهبة الاستبصار، قرأ أفكار الأب سيريدوس. وفجأةً شع وجهه مثل النار وقال له: "اذهب واكتب ولا تخف، فحتى لو كنت قد قلت لك كلاما كثيرا لا يحصى لكي تدونه؛ فاعلم أن الروح القدس لن يسمح لك أن تكتب كلمةً واحدةً أكثر أو أقل مما قلت، حتى لو أردت أنت ذلك، لأنه سيوجه يدك لتكتب بالطريقة الصحيحة" (الجواب رقم ١)!

بهذه الطريقة دون هذا الكتاب بأمر الروح القدس. ومن ذلك يمكن لأي إنسان أن يدرك مقدار منفعته وخيره للنفس، وكيف أنه مملوءٌ بنعمة الإفراز الروحاني. وعندما يبدأ الإنسان في قراءته يشعر في قلبه بنعمة الروح القدس وحلاوته فيه، هذا الذي يجتذب المشيئة مثل المغناطيس لتتوافق مع المشيئة الإلهية، ويشعر باقتناع لا شك فيه بالحق الموجود فيما يقرأه وباستنارة الذي كتبه بالروح القدس، وبأن وعد الرب قد تحقق في قوله: «لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم» (مت١٠: ٢٠). ولأن هذا الكتاب فيه حلول لمعظم المشاكل المستعصية، فهو نافع للأساقفة والكهنة والرهبان من جميع المستويات الروحية، للضعفاء والأصحاء والمجربين وجميع المحتاجين إلى مشورة روحية. وهو يعتبر من الكتب النادرة، لأن المخطوطة القديمة الوحيدة لهذا الكتاب وجدت في مكتبة ق. أثناسيوس الذي من جبل "أثوس" باليونان.

رسائل وأجوبة لشيخين روحيين يعيشان في سكون في مجمع Coenobium في منطقة غـزة، ويسـمى "الذي لأبا سـيريدوس"، أرسِـلت عن طريـق الإيغومانـوس أبا سيريدوس الذي خدمهما أيضا، واسم الشـيخين: "برصنوفيوس" و"يوحنا"

أو

تعاليم نافعة للنفس للقديس برصنوفيوس وتلميذه وزميل نسكه يوحنا، التي كتباها في رسائل إلى الإخوة الذين سألوهما بواسطة أبا سيريدوس الذي خدمهما، وكان هو إيغومانوس المجمع الذي كان في منطقة غزة التي عاش فيها هذان الشيخان في سـكون

❖

مقـدمـة

نسأل الذين يقرأون هذا الكتاب أن يتقبلوا ما جاء فيه بالعرفان بالفضل وتـوقير وإيمـان، وبالأكثر أن يدرسوه لكي يصلوا بنعمة المسيح إلى التشبه بحياة الذين نطقوا بأقواله وبأعمـالهم الصالحة، لأنهم إذ دربوا حياتهم لمدة طويلة بحسب الله بالصبر والإيمان، وكما قـال الرسـول القديس إنهم جاهدوا «قانونيا» (٢تي٢: ٥)، واقتفوا أثر خطوات الآباء القديسـين في كـل الأمور؛ فقد صاروا مستحقين لمواهب النعمة العظيمة بهذا المقدار من الله.

لكننا عندما نعزم على قراءة الأمور التي في هذا الكتاب ينبغي أن نعلم أن بعضها قيل لمتوحدين، وبعضها الآخر للذين في مجامع شركة، وأخرى للذين في الخورس، وأخـرى أيضا لكهنة ولعلمانيين محبين للمسيح، وبعضها لشبان حديثي السن أو مبتدئين (تحـت الاختبار)، بعضها لرجال متقدمين في السن ومختبرين في الرهبنة، وأخرى لرجـال قـد اقتربوا من الكمال في الفضيلة، وذلك كما هو مناسب لكلٍ منهم أن يسمعه، لأنـه لا تناسب الجميع بالسوية تعاليم واحدة، لأنه كما أنّ أعمار الجسد تناسبها أطعمة مختلفة: للرضيع وللبالغ وللمسن؛ هكذا أيضا في حالة العمر الروحي. وهم أيضا غالبـا كـانوا يجيبون مع مراعاة الضعف الذهني لمن يسأل، والنزول بتدبيرهم إلى مسـتواه حـتى لا يسقط في اليأس، مثلما نجد أيضا في "سير حياة الشيوخ".

ولا يجب أن نأخذ الأمور التي قيلت هنا كقاعدة عامة، تلك المقصود منها النزول إلى

مستوى أناس معينين مراعاةً لضعفهم، بل علينا أن ندرك في الحال أنّ الإجابة التي أعطاها القديسان كانت موجهة بإحكام إلى السائل، لأنه يحدث أحيانا أنّ السائل عندما يستعيد وعيه يوما ما بصلوات القديسين فإنه يصل إلى حالةٍ تليق بالرهبان، وحينئذٍ يسمع مـرةً أخرى ما ينبغي أن يسمعه (بعد بلوغه تلك الحالة).

أسألكم في الرب أن تذكروا حقارتي أيضا في صلواتكم المقدسة، أنا الذي بمعونة الله قـد توصلت إلى كتابة هذه الأجوبة لمنفعة من يقرأو ا بمخافة الله، حتى لا تكون كلمات القديسين لي للدينونة، بل لكي تحميني صلوا م وصلواتكم الآن وحتى يوم الدينونة، آمين[٣].

❐✪✞✪❑

⌖ ١ - إجابة الشيخ الكبير إلى الأب يوحنا الذي من "بير سبع" عندما طلب أن يأتي ويعيش معهم في الكينوبيون:

لقد كتب الرسول: «إنّ الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحًا (هو نفسه أيضا) يكمل إلى يـوم يسوع المسيح» (في١: ٦). وقال أيضا معلمنا لذاك الذي جاء إليه: «كل واحد مـنكم لا يترك جميع أمواله (وأسرته) ولا يبغض ... حتى نفسه أيضا، فلا يقدر أن يكون لي تلميـذًا» (لو١٤: ٣٣و٢٦). بل إنّ الله يستطيع أن يحقق فينا هذا القول: «هوذا ما أحسن وما أجمـل أن يسكن الإخوة معا» (مز١٣٣: ١). بل إنني أصلي أن تبلغ إلى قياس ما هو مكتـوب في سفر الأعمال أنّ: «كل الذين كانوا أصحـاب حقول أو بيوت كانوا يبيعو ا ويأتون بأثمان المبيعات ويضعو ا عند أرجل الرسل» (أع٤: ٣٤و٣٥).

وإذ أنا عالمٌ بأن قصدك إنما كان بحسب الله، فقد قلت لابننا المحبـوب سـيريدوس، الذي يحمينا - بعد الله - من الناس، ونحن نرجو من الله أن يكون حاميا لك أنت أيضا معنا، قلت له: "استقبل الأخ يوحنا بمحبةٍ كثيرة، ولا تتردد إطلاقًا، لأنه منـذ عـامين كشف لي الله أنه سيأتي إلى هنا، وأن كثيرا من الإخوة سيتجمعون عندنا، وقد احتفظت ذه الرؤيا حتى أعلم بتدقيق ما الذي يفعله الرب. والآن إذ حان الوقت فها أنـا قـد أخبرتك بذلك".

وحيث إنك قدرت أنني ينبغي أن أُزودك بشيء مما أرتديه، فها أنا في وجـود الأخ قـد خلعت القلنسوة من رأسي وأرسلتها إليك معه قائلاً له: "أعطِها له، واحضر لي أخرى بـدلاً

---

(٣) بمقارنة أقوال هذا الكتاب بالإنجليزية المترجمة من اليونانية بما جاء في مخطوطة رقم س ٥٠ بدير أنبا مقار، وجدنا بعض الاختلافات في ترتيب الأقوال، كما وجدنا أقوالاً في الترجمة الإنجليزية غير موجودة في المخطوطة، كما وجدنا عدة جمل زائدة في كل من المرجعين عن الآخر. وقد اتخذنا من الترجمتين الإنجليزية والفرنسية أساسا لعملنا هذا.

منها". فاحتفظ بها إذن حتى نهاية حياتك، لأنها مزمعة أن تحفظك من عللٍ ومحنٍ كثيرة، فلا تعطها لأحد لأنها بركة الله من يدي. واحرص أن تكمل عملك، وأن تفك نفسك من كل التزام كما فككنا نحن أنفسنا، واستقر معنا بحريةٍ من أي اهتمام معطيا وقتك لله.

وأنا سيريدوس أخبرك بأمرٍ عجيب: فكما قال الشيخ، فإنني تفكّرت في نفسي: "كيف يمكنني أن أحتفظ بهذه الأمور لكي أكتبها؟ فلو كان الشيخ قد رغب في ذلك لكنت أحضرت الحبر والورق وسمعت كلمة كلمة ودونتها". ولكنه علم بما كنت أفكر فيه، وتوهج وجهه كالنار وقال لي: "اذهب، أكتب ولا تخف: فحتى لو قلت لك عشرة آلاف كلمة فإنّ روح الله سيجعلك تكتبها ليس كرسالة واحدة مطولة أو قصيرة، ولا حتى إذا رغبت في ذلك، بل إنه هو يوجه يدك كيف تكتبها بطريقةٍ ملائمة".

⌖ ٢ - إجابة الشيخ الكبير إلى الأب نفسه متنبئًا له عن الضيقات المتنوعة التي ستأتي عليه، والضعف الجسدي، وأي نمو روحي لابد أن ينتج منها، وأية بركة من ذلك:

قُل للأخ يوحنا: ''ثبت قلبك وطيدا كالصوان (أنظر إش٥٠: ٧)، أقصد الصخرة العقلية، لتكون قادرا أن تسمع ما أنا مزمع أن أقوله. التفت إلى نفسك إذًا لئلاّ عندما تسمع قولي ترتفع في قلبك وتبتعد عن الوعد الروحي. لأن الكبرياء المفعمة بالغرور أهلكت كثيرين حتى بعض الذين كانوا قد بلغوا حد القامة!

ولكن هيئ نفسك للشكر في كل الأمور إذ سمعت الرسول القديس يقول: «أُشكروا في كل شيء» (١تس٥: ١٨) سواء "في شدائد" أو "في ضرورات" أو "في ضيقات" أو "في ضعفات" أو "أتعاب" جسدية (أنظر ٢كو٦: ٤و٥؛ ١٢: ١٠). في كل ما يأتي عليك أُشكر الله، لأنني أرجو أنك أنت أيضا تأتي «إلى راحته» (عب٤: ١). لأننا «بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢). فلا تشك إذن في نفسك ولا تدع قلبك يخور في أي شيء، بل تذكر القول الرسولي: «إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوما» (٢كو٤: ١٦). فإن كنت لا تحتمل الآلام لا يمكنك أن تأتي إلى الصليب، ولكن إن كنت تحتمل الآلام أولاً فإنك تدخل إلى ميناء راحته، ومن ذلك الوقت فصاعدا تعيش في هدوء متحررا أكثر من الاهتمامات إذ ترسخ نفسك بثبات وتلتصق بالرب في كل شيء، مع إيمان بحارسك (أي ملاكك)، فرحا في الرجاء، مبتهجا في المحبة، في حماية الثالوث الأقدس المساوي. وحينئذٍ يتحقق بخصوصك القول: «لتفرح السموات ولتبتهج الأرض» (مز٩٦: ١١)، لأن هذه هي حياة عدم الهم التي لرجل الله، لأن الآب والابن والروح القدس يبتهجون

لخلاص نفسك يا أخي المحبوب''.

⌖ ٣ - إجابة الشيخ الآخر للأب نفسه عندما طلب أن يقابله:

قُل للأخ: اغفر لي من أجل الرب كونني أرغب أن أراك ولكن لأجل ضمير الآخرين فإنني لا أجد الحرية لذلك، ولكنني أفرح بمحبتك للوعود التي أرسلها لك الشيخ القديس، ومبارك أنت إذ حسِبت أهلاً لها.

⌖ ٤ - عندما حلّت محنة على رهبان المكان الذي كان يسكن فيه الأب يوحنا قبل مجيئه إلى الكينوبيون، وعندما كان الاضطراب مزمعا أن يثور عندما كان هو هناك؛ سبق الشيخ الكبير أن رأى ذلك بالروح، وكتب إليه هكذا:

أُكتب للأخ يوحنا: ها أنا أرسل لك ثلاثة شواهد من قوة الله ومن أسفار الروح القدس، التي أنبه فيها ذهنك إلى تيقظ الله ومفاهيم الروح القدس، لكي تعلم ما يخص الوقت الحاضر:

الشاهد الأول: قال الله بالنبي إشعياء: «هلم يا شعبي اُدخل مخادعك واغلق أبوابك قليلاً حتى يعبر غضب الرب» (إش٢٦: ٢٠). والشاهد الثاني: «اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجسا فأقبلكم، وأكون لكم أبا وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء» (٢كو٦: ١٧و١٨). والشاهد الثالث: «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء، مفتدين الوقت لأنّ الأيام شريرة» (أف٥: ١٥و١٦).

بل إنني أقول لك: اُركض نحو الأمور الموضوعة أمامك، وتمم عملك بسرعة، متذكرا سيدك الذي يقول: «ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله» (لو٩: ٦٢)، وأيضا: «دع الموتى يدفنون موتاهم، وأما أنت فاذهب ونادِ بملكوت الله» (لو٩: ٦٠)، لأنني أتطلّع إلى حياتك الهادئة التي تنتظرك في المسيح يسوع ربنا، الذي له المجد إلى الأبد آمين.

⌖ ٥ - إجابة الشيخ الكبير إلى الأب عندما حزن لأنّ الأب يوحنا تأخر في المجيء، وظن كنتيجةٍ لذلك أنه لن يحضر:

لا تثبط همّتك، يا بني، ولا تحزن بخصوص أخينا، لأنه حتى ولو كان غائبا بالجسد فهو حاضر بالروح وهو دائما معنا، لأنّ له روحا واحدة معنا، ولا أحد يفصله عن محبتنا منذ الآن وحتى نهاية العالم.

⌖ ٦ - رسالة الشيخ الكبير للأب يوحنا عندما كان يقوم في وطنـه الأصـلي بالاهتمام ببعض احتياجات للكينوبيوم وضايقته حروب جسدية:

أُكتب إلى الأخ: عندما تكون في الخارج فإنك تؤدي عملك على قدر طاقتك لأجل الله ولأجل نفوس الإخوة، أو بالحري لأجل انتعاشنا وهدوئنا وأنت أيضا معنا - لأنه إذا انتعش الإخوة وحفظوا بواسطة وسائلنا نحن، فإننا بواسطتهم أيضا نجد الهدوء الكامـل، وتتحقّق فينا الكلمة المكتوبة: «أخ معانٌ من أخٍ يشبه مدينة قوية مسيجة (أو محصنة)» (أم١٨: ١٩ حسب النص) - حينئذٍ أُبتر كل العلاقات والفرص التي لديك (أي الـتي يمكن أن ينتهزها عدو الخير) عندما تكون خارج الدير، ولا تسمح لأية فرصةٍ أو علاقةٍ مع أي إنسان أن تشدك إلى الوراء، وإلاّ فلن يكون هدوؤك كاملاً، لأننا نحن أيضا هكذا فعلنا، فإذا صنعت أنت هكذا فلي رجاءٌ أنّ هدوءك سيكون تاما، لأنّ قرعتك تقع معنا بالتأكيد بمعونة الله، ونصيبك يكون معنا إلى الأبد.

لا تدع أحدا يعلم في الوقت الحاضر بما نكتبه إليك. وعلى ذلك أد عملك، وإذا نجح الأمر أمامك اشكر الله وصل إليه، لأنّ هذا هو: «اشكروا في كل شيء» (١تس٥: ١٨). ودعنا ألاّ نـهمل تقديم الشكر لله مثل ذاك الذي ذكرت أنت مرةً عنه المثَل: أنه اعتاد أن يـذهب ليصلي في الكنيسة لكي يتدبر الطعام له، ثم قابله شخص ما مرةً قائلاً: ''افطر معي اليـوم ثم اذهب وصل''، فقال: ''لن أذهب، لأنّ هذا هو الذي كنت خارجا لأطلبه من الله''. أمـا بخصوصنا نحن، فسـواء وجدنا (احتياجنا) أو لم نجد فلنصل ونقدم الشكر لله، ولكن اهـتم بأن تحمل «إماتة يسوع في جسدك» (٢كو٤: ١٠) في كل شيء.

⌖ ٧ - إجابة الشيخ الكبير إلى الأب عنـدما كان مزمعا أن يرحل مع الإخـوة لكي يجمع المادة الخام للعمل اليدوي، وكان خائفًا من طبيعـة المنطقـة المهجـورة. وتذكيره أن يكون متيقظًا ضد حرب الجسد التي أزعجته، وبوعدٍ معونة الله لاسترداد الذين كان يعمل لأجلهم:

قُل لذاك الذي دعي بالمشيئة الإلهية من العلا أن يسكن معنا لـيس في هـذا العـالم فحسب بل أيضا في العالم الآتي، لأخينا الحقيقي وتوأم نفوسنا يوحنا: لقد قال سـيدنا المسيح لتلاميذه: «أليس عصفوران يباعان بفلسٍ وواحد منهما لا يسقط علـى الأرض بدون أبيكم؟ وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم محصاة. فلا تخافوا، أنتم أفضل من عصافير كثيرة، فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبي الذي في السموات»

(مت١٠: ٢٩-٣٢). فانتبه لنفسك، إذًا، بتيقظٍ أن تجعل الله أمامك كل حين، حتى تتحقّق فيك أيضا كلمة النبي: «جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز١٦: ٨). فابسط يديك، إذًا، من كل قلبك إلى الأمور الموضوعة أمامك، وتأمل فيها دائما لكي تسمع صوت الله قائلاً لك: «ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئُ طريقك قدامك» (مت١١: ١٠).

٨ - عندما أرهق الأب نفسه إلى حد بعيد حزن ولم يجد عمل يدين، واندهش كيف أنّ الملاك لم يرسل لمعونته حسب كلام الشيخ، لأنه لم يفهم أنّ هذا كان قد قيل له بسبب انسحابه، ولهذا السبب كتب الشيخ إليه هكذا:

أكتب إلى الأخ: طالما أنّ السفينة في البحر فهي تتوقع المخاطر وهبوب الرياح، ولكنها إذا وصلت إلى مرفأ الأمان والسلام لا يكون لديها خوف فيما بعد من الأخطار والمحن وهبوب الرياح، بل تكون في سكون. هكذا أيضا محبتك، فطالما أنك مع الناس توقع المحن والمخاطر وهبوب الرياح العقلية، ولكنك عندما تبلغ إلى الأمور المعدة لك فحينئذٍ تكون بلا خوف. أما بخصوص قولي السابق إنّ السيد قال: «ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي»، فقد أرسِلَ. أما بخصوص عدم إيجاد عمل يدين، فقد قال الله في أسفار موسى النبي: «وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر لكي يذِلّك ويجربك ليعرف ما في قلبك» (تث٨: ٢و٣). اِفهم الأمور التي أقولها لك، واعمل بثبات وبدون تشككٍ أيها الأخ الحبيب.

٩ - خطاب الشيخ الكبير إلى الأب عندما انطلق لأجل شغل خاص بالكينوبيوم وفقد التعزية لأنه صادف إذ ذاك محنةً كبيرة:

أكتب، يا ابني، إلى أخينا يوحنا سلاما في الرب مني ومنك ومن أخينا يوحنا، وأخبره قائلاً: «لا تكِلوا في الشدائد» (أف٣: ١٣)، واحتمل الأتعاب الجسدية، عاملاً لأجلنا ولأجل مجمعنا، لأنّ هذا أيضا يتصل بأن «يضع الإنسان نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥: ١٣)، وأنا أرجو أن تكون مكافأة هذا العمل عظيمة، وكما أعد الله يوسف ليطعِم إخوته في المجاعة في مصر، هكذا أيضا أرسلك لأجل معونة المجمع مع ابننا "سيريدوس"، وأذكر لك القول الرسولي لتيموثاوس: «فتقو أنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع» (٢تي٢: ١)، لأنني أرى أنّ هدوءك على وشك أن يأتيك، وأنا أفرح معك في الرب. لأنك طالما تعيش في الخارج فأنت معرض للمحن والأعمال الجسدية، ولكنك عندما تصل إلى مرفأ الهدوء ستجد انتعاشا

وسلاما، لأنّ سيدنا لا يمكن أن يكذب وهو القائل إنه سيعطي «مائة ضعف الآن في هـذا الزمان ... وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية» (مر١٠: ٣٠). فاعمل، إذن، بشغفٍ حتى تجـد حبا وانتعاشا أعظم. لأنّ المركب قبل أن تصل إلى الميناء تهاجمها الرياح وتلاطمها الأمـواج، ولكنها متى وصلت إلى هناك فهي توجد في هدوءٍ عظيم. لاحظ ما أقوله واحفظه «فليعطِك الرب فهما في كل شيء» (٢تي٢: ٧).

⚘ ١٠ - إجابة الشيخ الكبير إلى الأب عندما سقط حجر على قدمه وسبب له ألمًا شديدا وتثبيطًا لهمته:

إلى الأخ الحبيب يوحنا سلام في الرب. حسب تعبك الجسدي لأجلنا وانسحاق روحك لأجل الرب، فليملأ الله نفسك، أيها الحبيب، بخيرات السماء مائة ضعف. اهتم بما كتبته لك، أيها الأخ، وخبئه في داخلك، لأنني سأجعلك تسمع (بكلامٍ) مفرحٍ سماوي من سيدنا وإلهنا، لأنني في اسم الثالوث القدوس أجد أنك شريك ميراثٍ لي في هبات النعمة المعطاة لي من الله، وأتوقع أنك ستبلغ إليها سريعا خطوةً خطوة، لأنّ إنسانا واحدا لأجل عمله الإلهـي يصـل سريعا إلى راحته، وآخر يصل إليها لأجل اتضاعه، ولكن لي رجاءٌ أنّ كليهما سيكونا لك إذ يتلاشى منك الغيظ ويمتنع الغضب من قلبك، وحينئذٍ تتحقّق فيك الكلمة المكتوبة: «اُنظر إلى ذُلي وتعبي واغفر جميع خطاياي» (مز٢٥: ١٨).

وحيث إنني قلت إنك تبلغ خطوةً خطوة، فانظر في الأناجيل كيف أنّ المسيح أعطى مواهب النعمة مرارا لتلاميذه بخصوص الأشفية وإخراج الشياطين، وتكلّم معهـم عـن غفران الخطايا لأجل التكميل النهائي قائلاً: «من غفرتم خطاياه تغفَر لـه» (يـو٢٠: ٢٣). إذن، فإن كان بسبب تعبك لأجل الله سيغفر لك خطاياك، فها هي الغاية الـتي أريدك أن تبلغها. أما إذا قرأت في الخطاب كلمات صعبة الفهم، فاسأل توأم نفسك ابني المحبوب سيريدوس وهو سيشرح لك بنعمة الله ما صعب عليك فهمه، لأنني صلّيت إلى الله من أجله بخصوص ذلك أيضا. إذن، فاركض أنت يا رجل الله في الطريق التي أُعِدت لك حتى تصل بفرحٍ إلى ميناء المسيح الذي وصلنا إليه، وتسمع الصوت المملوء فرحـا ونورا وحياةً و ليلاً قائلاً لك: «نعما أيها العبد الصالح والأمين، كنت أمينا في القليـل فأقيمك على الكثير، اُدخل إلى فرح سيدك» (مت٢٥: ٢١). ليتك تفرح في الـرب، ليتك تفرح في الرب، ليتك تفرح في الرب. والرب سيحفظ نفسك وجسمك وروحك من كل شر ومن كل معاندةٍ شيطانية ومن كل تصوراتٍ مزعجة. ليكن الرب نـورك وحماك وطريقك وقوتك وإكليل فرحك ومعونتك الأبدية. انتبه لنفسك، لأنه مكتوب:

«لا أغير ما خرج من شفتي» (مز٨٩: ٣٤).

⌖ ١١ - إجابة الشيخ الكبير للأب ينصحه أن يتذكّر باستمرار الأمـور الـتي كُتبت إليه لمنفعته وتثبيت قلبه:

قال سليمان عن والديه: «اللذان علّماني أيضا وقالا لي: ليثبـت كلامنا في قلبك» (أم٤: ٤ حسب النص)، هكذا أنا أيضا أقول لك أيهـا الأخ: ''لتثبـت كلمـاتي في قلبك''، وتأمل باستمرار في كل ما كتبته لك كما قال الله على فـم موسـى الـنبي: «قُصها على أولادك وتكلّم بـها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحـين تنام وحين تقوم، واربطها علامةً على يدك ولتكن عصائب بين عينيـك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك» (تث٦: ٧و٨). أظهر هذه نفسـها إذًا في إنجـازك للأعمال، وإلهي سيكون معك إلى دهر الدهور آمين.

⌖ ١٢ - فرض الشيخ عملاً على أحد الإخوة، وعندما لم ينجزه بسرعةٍ انتهره، ولما حزن الأخ فكّر الشيخ في ألاّ يقول أي شيءٍ إطلاقًا لأي واحدٍ من الإخوة فيمـا بعد، وهنا يصرح له الشيخ بالآتي:

قُل للأخ يوحنا إنّ هذا الوقت لين (أي ليس فيه عسر) وإنك ستجهد نفسك لتجـد في الوقت الحاضر إنسانا له قلب ثابتٌ. ولكن كُن أمينا لكلمة الرسول القديس عنـدما يقول: «وبخ، انتهر، عِظ بكل أناةٍ وتعليم» (٢تي٤: ٢).

⌖ ١٣ - عندما كان يجري العمل في أحد المباني في المجمع، حدد الأخ مقـاييس العمل إذ كانت له خبرة في ذلك، ثم إنّ بعض الإخوة أضافوا - دون علمه - شـيئًا إلى تلك المقاييس ظانين أنهم يفعلون شيئًا صالحًا، وهكذا أتلفوا العمل بعض الشيء. ولما اغتاظ وتضايق منهم أرسل الشيخ إليه قائلاً:

قُل للأخ يوحنا ذي الفكر الواحد معنا: كثيرةٌ هي الأمور التي كتبتها لك على يـد ابننا الحقيقي والمحبوب، الذي يحبنا نحن الثلاثة بالتساوي من كل قلبه بمحبةٍ كاملة. وأنـا لا أكتب هذه كلها بمشيئتي الخاصة بل بأمر الروح القدس، وكلها لأجل ربح وإصلاح النفس وضمير الإنسان الباطن، بل ولأجل الضيق وتعفف جسدك وانسحاق قلبك. فكُن أولاً متيقظًا لروح التواني لأنها تلد كل شر وخداع. لأنني لو كتبت لك عن التجـارب التي قاسيتها، فلا زلت أقول لك إنّ أذنيك لا يمكنهما أن تحتملاها، بل ربما ولا حتى أذنا أي شخصٍ آخر في الوقت الحاضر. ولكنني أرجو أن تبلغ إلى ذلـك، ولـيس هكـذا

فحسب، بل وأن تراها بعينيك، وأن تعتق منها بنعمة المسيح بالإيمان.

لماذا يضعف قلبك بالتضجر من خراف المسيح؟ أم أنك لا تعلم مقدار الصداع الذي يحتمله المعلم الصالح من الأولاد حتى يجتازوا الامتحان؟ واصغ إلى القول الرسولي الذي سمعته مني: «وبخ، انتهر، عِظ بكل أناةٍ وتعليم»، وانتبه إلى ما أقوله لك. إنّ طول الأناة هي أم كل الصالحات. لاحظ كيف اختار موسى النبي لنفسه: «أن يذلّ مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية» (عب١١: ٢٥). وعلى ذلك، فعندما يزعجك هناك فكر من الشيطان بخصوص أي إنسان، قُل للفكر بطول أناة: ''هل أصبحت أنا خاضعا لله لكيما أستعبد آخرين''؟ وهو يكف عنك. أُركض (١كو٩: ٢٤) بثباتٍ وبمقدرةٍ متذكرا كلماتي - أو بالحري كلمات الرب - لعلك أنت أيضا تسبقنا في المسيح يسوع ربنا. آمين، يكون يكون.

⌖١٤ - إجابة الشيخ الكبير للأب لأنه استثقل ما سمعه من أنّ أحد الإخوة كان يقول كمن يذمه: "من يكون هذا الإنسان، أو من أين هو، حتى يكون مغموما هكذا"؟

أخبر الأخ أنه كما أنّ ميخائيل كان «محاجا عن جسد موسى» (يه: ٩)، هكذا أصارع أنا عوضا عنك حتى تعتق من الشيخ، لأنّ اليهود تذمروا على المسيح قائلين: «أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه» (يو٦: ٤٢)، فضع هذه الأمور في قلبك واحتمل حتى النهاية.

⌖ ١٥ - إجابة الشيخ الكبير للأب عندما لم يكن قد صفا قلبه بعد من هذا الثقل نفسه:

أخبِر الأخ أنني أتذكر نبوة إرميا النبي القديس عندما يقول: «يا ليت رأسي ماءٌ وعيني ينبوع دموع، فأبكي نهارا وليلاً قتلى بنت شعبي!» (إر٩: ١)، لأنني كنت أتوقع أن أطعمك طعاما قويا، ولكنني أراك محتاجا إلى اللبن مرةً أخرى (عب٥: ١٢). أُنظر إلى ما هو مكتوب: «من الخطايا المستترة أبرئني» (مز١٩: ١٢)، فانظر لئلاّ تسرقك التنانين الشريرة وتنفث فيك سمها لأنه مميت، لأنه لا يصحح أي إنسان الخير بالشر إطلاقًا لأنّ الشر يغلبه، ولكنه يصحح الشر بالخير. أُنظر إذًا، إنك تقف في حلبات الصراع، وواجبك، مثل الرسول، أن «تحارب وحوشا في أفسس» (١كو١٥: ٣٢)، لأنه كان فخورا بعد انتصاره على الوحوش. إنك قد أُلقيت في هياج البحر لتتحمل أخطارا كثيرة، ولكي تصارع ضد تلاطم الأمواج، وهكذا عندما تغلب بمعونة الله تدخل

معنا إلى مرفأ السكون في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد.

⌖ ١٦ - إجابة الشيخ الكبير للأب عندما كان على وشك أن يغتاظ من الإخوة لإفسادهم للطوب الذي حصلوا عليه بواسطة المطر، لأنه نسب ذلك إلى لامبالاتهم، وإذ رأى مسبقًا أنه أيضا بصدد أن يلوم الأب بخصوص ذلك فهو يحذره مسبقًا ويحثه على أن يصون أفكاره مذكرا إياه أيضا بالمحبة الأصيلة التي لدى الأب نحوه، لكيما بذلك يطرح عنه الفكر المضاد:

اصنع محبة، يا ابني، واسرع بإحضار ورق وحبر، واترك جانبا الأمر الذي جئت لأجله، واكتب للأخ يوحنا أولاً سلاما مني، لأنه قد أُثير ليزعج الآخرين وليزعج هو منهم. وأخبره قائلاً: لك فرح من الرب يا أخي. إن كانت أمواج البحر كثيرة ألا يوجد أحد يوقظ يسوع من النوم لكيما «ينتهر الرياح والبحر» (مت٨: ٢٦) فيصير لنا «هدوءٌ» لكي نفهم و''نسجد'' ليسوع؟ وإذا كانت الأشياء كلها باطلة ووقتية، فلماذا تتأثر قلوبنا بسببها حتى ننسى كلام الإنجيل: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» (مت١٦: ٢٦)؟ تعلّم يا أخي، أنه إذا ضايق إنسانٌ غيره، سواء بالعمل أو بالكلام، فإنه هو نفسه سيتضايق بعد ذلك مائة ضعف. وكثيرا ما كتبت لك كلام الرب في الكتاب المقدس أن تكون ''طويل الأناة في كل الأمور''، وأن تنتبه لئلاّ تشتبك بأي منها.

ولكن إذا أرسلت لي المسألة مع ابني المحبوب سيريدوس - الذي يتضايق دائما عندما يراك متضايقًا - تفكّر مليا لكي تروي أفكارك بدقة لئلاّ تلقي بسم مميتٍ في قلبك حتى تضلّ بظنك أنّ البعوضة جملٌ (مت٢٣: ٢٤) وأنّ حبيبة الرمل حجر، ويوجد الإنسان له ''خشبةٌ'' (في عينه) وينتبه إلى ''القذى'' (الذي في عين أخيه) (مت٧: ٣). إنني أكتب إليك كما إلى نفسي، لأنني أعلم أنّ قلبك يمكنه أن يبتهج بهذه الأمور، لأنه مكتوب: «وبخ حكيما فيحبك» (أم٩: ٨)، وأنت تعلم كيف أنني أحبك في المسيح يا أخي. أرجو أن تكون قريبا من التحرر من الاهتمام بالأمور الأرضية منذ الآن، وأن تكون منشغلاً بالعمل الروحي الذي للآباء، لأن المسيح ربي لن يخزيني حينما أصلي لأجلك نهارا وليلاً.

⌖ ١٧ - سؤالٌ من الأب إلى الشيخ الكبير: "إنني أعلم، يا أبي، أن هذه الأمور تأتي علي بسبب خطاياي، وأنني فاقد الحس وسبب العلل، ولكن الذي يأتي بي إلى هذه المحنة هو الأب، لأنه بلا مبالاة، ويتغاضى عن الأمور، وهي قد تلفت بسببه، وأنا لا يمكنني أن أحتمل ذلك. ولكن ماذا أفعل؟ لأنني أجيب على الأفكار ولا أحصل

على قوة. واغفر لي أنني «**تكلّمت مرةً ولكنني لن أفعل ذلك مرةً أخرى» (أي٣٩: ٣٥ سبعينية). ولكنني أتعجب كيف أنّ** المحبة الحارة التي **كانت** لي **نحو الأب والإخوة تبرد! ولأجل الرب صل من أجلي".**

الإجابة: "تذكّر، يا أخي، أنّ الرب قال لتلاميذه: «هل أنتم أيضا حتى الآن غـير فاهمين» (مت١٥: ١٦)؟ لأنني كتبت إليك قائلاً: 'اِروِ أفكارك بدقة'، فلو كنت تعبت لكي تروي بدقة لكنت قد تعلّمت أنّ جوهر الموضوع الذي كتبت لي عنه قد كتبـت لك عنه سابقًا، وأنه لا توجد حاجة لأن أكتب لك. فإجابتي على أسئلتك ستكون هي نفسها السابقة. ولكنني ألومك أولاً على أنك تسمي نفسك خاطئًا، وفي أفعالك لا تعتبر نفسك كذلك، لأن الذي يعتبر نفسه خاطئًا وسبب العلل لا يناقض أحدا، ولا يحارب، ولا يغضب على أحد، بل إنه يعتبر جميع الناس أفضل منه وأكثر تعقلاً منه. وإذا خدعتك أفكارك بأنك هكذا، فكيف أنـها تحرك قلبك ضد الذين هم أفضل منك؟ اِحذر، يـا أخي، فليس هذا هو الحق، لأننا لم نبلغ بعد إلى اعتبار أنفسنا خطاة. وإذا أحب أحد من يوبخه فهو حكيم. أما إذا أحبه ولم يفعل بما يسمع منه، فهذا يكون بالحري حقد. فإذا كنت خاطئًا فلماذا تلوم قريبك وتعتبر أنه هو السبب قائلاً إنه بسببه حلّت عليك المحنة؟ ألا تعلم أنّ كل إنسان يجرب من ضميره، وأنّ هذا هو الذي يلد له المحنة؟ وهذا هو ما كتبته لك بخصوص الإخوة: 'لا تدعهم يظهرون لك البعوضة كأ ا جمـل' (مـت٢٣: ٢٤) .. إلخ. بل صل بالحري لكي تكونوا شركاء في مخافة الله.

"أما بخصوص تسميتك لنفسك "بلا إحساس"، فلا تكن سخريةً، بل فتش وأنت تجد أنك لا تحمل هذه الصفة، لأنك لو كنت كذلك لما كان لك حق أن تغضب، إذ تكون غير قادر أن تميز ما إذا كان الأمر قد انتهى إلى نتيجةٍ جيدة أم رديئة. لأن الإنسان الذي بلا إحساس يسمى "أبله"، والذي بلا إحساس والأبله يفسر كل منهما بأنه "عـاذب" (أي بلا ملح)، وكيف يمكن للعاذب أن يتبل أو يملح آخرين؟

"اُنظر، أيها الأخ، كيف أنه يسخر بنا، وتكلّم بفمنا وحده، وأعمالنا تظهر ذلـك. ولكن عندما نجيب على الأفكار لا ننال قوةً طالما أننا أولاً نقبل أن نـدين جارنـا (أو قريبنا)، وقوة أرواحنا تضعف، ونجعل أخانا هو السبب في حين أننا نحن أنفسنا السبب. إن كنت تعتقد أنّ كل شيءٍ هو في يدي «الله الذي يرحم»، و«ليس لمَن يشاء ولا لمَن يسعى» (رو٩: ١٦)؛ فلماذا لا تفهم وتحب أخاك من كل قلبك بمحبةٍ كاملة؟ لأنه كم هم الذين رغبوا فينا نحن الشيوخ وسعى إلى ذلك ولكنهم لم يمنحوا ما طلبوا؟ ثم عندما

يهدأ الإنسان يرسلنا الله إليه ويجعله ابنا حقيقيا له، لأنّ الرغبة الداخلية هي التي يحبها الله.

"وأما عن قولك: «مرةً تكلّمت ...» (أي٤٠: ٥)، فإذا جاهدت لكي تربح تكـون مباركًا، لأنّ ذلك لا يعطَى للجميع. وبخصوص الأفكار الأخرى، فانسب لله كل فكر قائلاً: الله يعلم ما هو الأفضل، وأنت تنتعش، وقليلاً قليلاً تأتيك قوة الاحتمال. ولا تنقطـع عـن الكلام بالكلية، وحتى لو لم يصغ إليك أحد عندما تتكلم أو لم تجد كلمتك قبولاً، فلا تحزن، لأنّ هذا بالحري هو لمنفعتك. ولكن فيما يتعلق باندهاشك، فالمحبة الكاملة لا سـقوط لهـا (أنظر١كو١٣: ٨)، ومن يحصل عليها يبقى في حرار ا مكتنفًا بحبه لله ولقريبه.

"أما بخصوص الصلوات التي كتبت عنها في اية رسالتك، فعليك أن تكتفـي بمـا كتبته لك: أنني أصلي بخصوصك بلا انقطاع ليلاً و ارا. فهذا أيضا لم يكن لازما لك أن تكتب عنه، فإنه يوجد عندك طعام إلهي مني لمدةٍ طويلة. فثابر وانتظر الـرب بصـبر، بالمسيح يسوع ربنا الذي له ا ـد إلى أبد الدهور آمين".

⌖ ١٨ - إجابةٌ من الشيخ الكبير إلى الأب نفسه عندما سأل: مـن أيـن تـأتي الحرارة والبرودة وقساوة القلب، وبخصوص القتال الجسدي:

بخصوص الحرارة والبرودة: واضح أن الرب قد سمي "نارا" (تث٤: ٢٤؛ عب١٢: ٢٩)، إذ يدفئ ويشعِل القلوب والكُلى. فإن كان الأمر كذلك، إذن فالشيطان أيضـا بارد وتأتي منه كل برودةٍ. لأنه إن لم يكن الأمر كذلك، فكيف يقول الرب: «لكثـرة الإثم (حينئذٍ) تبرد محبة الكثيرين» (مت٢٤: ١٢)؟ فما هو معنى "حينئذٍ" إن لم يكن في أزمنة العدو؟ وعلى ذلك، فإذا شعرنا بالبرودة فلندع الله وهو يأتي ويسخن قلوبنا بمحبته الكاملة ليس نحوه فحسب، بل أيضا نحو قريبنا، وتتلاشى من وجه حرارته برودة مبغِض الصلاح. وإذا جفّف ينبوع دموع قلبك ورطّب أسفل بطنك، فمع ذلك اصـنع أنـت وليمةً للرب في بيتك (مثل زكّا: لو١٩: ٥)، وهو يجفّف هذا الأخير وينظف ينبـوع الدموع لكي يتدفّق الماء العقلي.

من يأتي إلى مخافة الله يأتي بواسطة الصبر، لأنه يقول: «انتظارا انتظرت الرب فمـال إلي وسمع صراخي» ثم ماذا؟ «وأصعدني من جب الهلاك من طين الحمأة» (مـز٤٠: ١و٢). ومثل هذا الجُب يعتقَد أيضا أنّ منه تأتي قساوة القلب. وعلى ذلك، فإذا رغبت كُن سائدا وأنت تخلص بالمسيح يسوع ربنا.

⌖ ١٩ - إجابة إليه من الشيخ الكبير نفسه بخصوص طول الأناة:

قُلْ للأخ: إنني كتبت لك عن طول الأناة، والآن أقول لك إنّ الرب سيدنا قال لتلاميذه: «ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء» (لو١٠: ١٩)، فكُن إذًا مثل أيوب الذي كان: «يشرب الهزء كالماء» (أي٣٤: ٧). ضع هذه الأمور في قلبك، وتأمل فيها باستمرار.

⌖ ٢٠ - إجابة الشيخ الكبير للأب عندما سأل: إذا كان الرب أعطانا سلطانا أن ندوس الحيات والعقارب، فكيف أنني أهتز (منها)؟

لا أحد ممن نال ''سلطانا أن يدوس الحيات والعقارب'' يتأذّى منها أو تسيطر هي عليه بعد. ففتش إذن قلبك بخصوص كل أمر: إن كان يهز قلبك ولو لحظةً واحدة فاعلم أنك لا زلت بعيدا عن نوال هذا السلطان ضده. ولا تكن مهملاً في نفسك لئلاّ يستأثر بك الزمن (أو يحتكرك). ولكن أي شيء ترى أنه عابر، فضع الله والدينونة أمام عينيك وأنه ليس لدينا سوى قليل من الوقت نقضيه في هذا العالم، واجعل الوداعة تستقر في قلبك متذكرا المسيح الحمل الذي بلا عيبٍ، وكم من الأمور احتمل مع أنه كان بلا ذنبٍ: إهانات وجلدات وبقية العذابات، ولكننا نحن المذنبون بالفعل، فلماذا نتحرك ضد قريبنا بينما هو لم يخطئ إلينا؟ وتذكّر أنّ المحبة «لا تحتد» بل «تتأنى» (١كو١٣: ٤، ٥). وصل لكي تبلغ إلى ما هو موضوع أمامك ولكي لا يكون تعبك باطلاً (١تس٣: ٥). فالتصق إذن - دون أن تشك - بالمسيح الذي يحبنا، الذي له المجد إلى الأبد آمين.

⌖ ٢١ - إجابة من الشيخ الكبير إلى الأب ذاته عندما كان في ذهنه ألاّ يفرض أي شيء على أي أحد، بل أن يقضي لنفسه بثمة أمر واضح حتى يركز عنايته فيه وحده:

أيها الأخ، بقدر ما أكتب لك بقدر ما تدرس لكي تنتبه إلى الأمور التي كتبتها لك، ولا تركنها جانبا. أنت تعلم، يا أخي، أنّ الذي لا يحتمل الإهانات لا يرى المجد، وأنّ الذي لا يطرح المر عنه لا يذوق الحلاوة. إنك قد وضِعت في وسط الإخوة والأشغال لكي تشتعِل وتمتحن، لأنّ الذهب لا يمتحن إلاّ بالنار. فلا تضع على نفسك فروضا على الإطلاق طالما أنك دخلت في حربٍ وانشغال البال، بل استحسِن ما يناسِب كل وقت بمخافة الله، ولا تفعل شيئًا على الإطلاق «بتحزبٍ» (في٢: ٣)، بل اعمل ما في وسعك أن تتجنب الغضب، صائرا نموذجا نافعا للجميع، ولا تدِن أو تحكم على أحد، بل انصحهم كإخوة حقيقيين. وأحب بالحري الذين هم تجربة لك، لأنني أنا أيضا كنت غالبا أحب الذين هم تجربة لي، لأننا لو فهمنا، فإنّ مثل هؤلاء هم الذين يأتون بنا إلى النمو.

إذن، فلا تضع على نفسك فروضا. كُن مطيعا ومتضعا. وتحرى عن نفسك كل يوم، لأنّ النبي أيضا كان يعني النظام اليومي عندما قال: «وقلت إنني الآن أبدأ» (مز٧٦: ١٠ سبعينية)، وموسى النبي أيضا قال: «فالآن يا إسرائيل» (تث٤: ١؛ ١٠: ١٢). فاحتفظ أنت أيضا بهذا "الآن". وإن طرأت عليك أية ضرورة أن تعطي أمرا لأي إنسان، فامتحن فكرك: فإن كان "الأمر" يخرج بانفعالٍ ولو كان يبدو لك أنه نافع؛ فخبئه تحت لسانك متذكرا في الحال الذي قال: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسـر نفسـه» (مت١٦: ٢٦)! ولكن اعلم هذا، يا أخي، أنّ كل فكرٍ لا يكون له في المقام الأول (أو لا يسبق ويتقدمه) هدوء الاتضاع فهو ليس بحسب الله، بل هو واضح أنه بـر ناحيـة اليسار. لأنّ ربنا يأتي بالهدوء، ولكن جميع أمور العدو تكون بغيظٍ (أو ببلبلة) وحركـة غضب. وإن بدا الأعداء «بثياب الحملان» فاعلم أنهم «من داخل ذئـاب خاطفـة» (مت٧: ١٥)، ومن ارتباكهم (أو بلبلتهم) يظهرون. لأنّ الرب يقول: «مـن ثمـارهم تعرفونهم» (مت٧: ١٦).

لعل الرب يعطينا جميعا أن نفهم حتى لا يضللنا برهم، لأنّ «كل شيءٍ عريانٌ ومكشوف» له (عب٤: ١٣). فافعلوا، إذن، أيها الأحباء، كل ما يزدهر في أيديكم واضعين مخافة الله أمام عيونكم ومقدمين له الشكر [وأن تتنقّوا من الغضب والحرد ومن سائر الأوجاع مثل القديسين الكاملين الذين لم يكن فيهم شـيء من حركـة هؤلاء (الشياطين) البتة ولا بمقدار طرفـة عين]، لأنّ له المجد والكرامة والقدرة والسلطان إلى الأبد آمين.

⌖ ٢٢ - إجابة الشيخ الكبير للأب نفسه مشجعا إياه ومسترجعا لـه الفـرح الروحاني مما حلّ به من تثبيط الهمة في أمور متعددة:

أُكتب للأخ يوحنا خطابا روحيا مفرحا قلبه في المسيح يسوع ربنا، وقُلْ له: حيـث إنه «كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه» (مز٤٢: ١)، هكذا تشتاق أنت إلينا، ولكن ليس مثلما نشتاق نحن إليك، وهكذا «لم (أعد) أحتمل» كما قال الرسول الإلهي بولس (١تس٣: ٥)، وكتبت لمحبتك بـهذه الأمور التي قلتها أو بالحري قالها الله: لعل كرمتك تعطي ثمرا، عصير عنب، يصنع منه خمر روحاني لكي يفرح النفس المتضـايقة، ولعـل أرضك تعطي بوفرةٍ بذارا صالحةً مثل «المزروع على الأرض الجيدة ... الـذي يـأتي بثمر، فيصنع بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين» (مت١٣: ٢٣).

ولعل النار الروحانية تشتعل في قلبك على الدوام، تلك التي قال عنها سيدنا المسيح: «جئت لألقي نارا على الأرض» (لو١٢: ٤٩). ولعل سلام الرب يملـك في قلبـك

حسب القول الرسولي (كو٣: ١٥)، ولعل نخلتك ترتفع بأغصا ا كما قال داود الـنبي: «الصديق كالنخلة يزهو» (مز٩٢: ١٢). ولعلك تتنقّى من الغضب والسخط، هـذين الوجعين المريعين، مثل القديسين الكاملين الذين لا تظهر حركتهما فيهم على الإطـلاق ولا لحظة، ولعل الرب يعتبر أنه من المناسب أنّ نفسك «في الخير تبيت (أو تسـكن)» (مز٢٥: ١٣) بوداعةٍ وبلا غش، لكيما تكون طفلاً رضيعا للمسيح، حملاً بلا عيـب، ولعلك تقتفي إثر خطواتنا مثل قصاص أثر مجتهد، ولعلك تبلغ إلى تدبيرنا كوارثٍ صالحٍ لما لنا من مواهب النعمة، ولعل عيناك «تعاينا الله» كمن هو «نقي القلب» (مـت٥: ٨)، ولعلك تكون طويل الأناة في الضيقات كمن وصل إلى عهد السيد الذي قال: «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا (أو ابتهجوا) أنا قد غلبت العالم» (يو١٦: ٣٣)، ولعلك تبلغ إلى ذلك الحب الذي لا يقهر الذي يأتي بالذين حصلوا عليـه إلى القصـور الملكية ويجعلهم إخوة للمسيح.

فإن كنت تتألّم مع المسيح فلكي تتمجد أيضا معه (رو٨: ١٧)، إن كنت تموت معه فلكي تقوم أيضا معه (٢تي٢: ١١)، فلا تتجاهل الكـ الموضوع أمامك، لأنك لا زلت غير مدركٍ لما يعنيه. ولكنك عندما تبلغ إلى السكون الكامل فحينئذٍ ستعرفه وتتعجب من عطية المسيح، «ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصـاء» (رو١١: ٣٣). لأنك أثناء وجودك مع الناس لا يمكنك أن تدرك هذه الأمور، ولكن عندما تمكث بـلا هم مثلنا، حينئذٍ تدرك هذه الأمور التي تكلّمنا عنها. لأنني أطلب من الله ارا وليلاً أنه حيثما نكون تكون أنت معنا باتفاقٍ واحدٍ في فرح الأبرار الذي لا يوصف، وفي النـور الأبدي، حتى تجد نصيبك في الوعد الذي أُعطي للقديسين حيث «ما لم تـر عـين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢: ٩). تقـو في الرب، والمسرة لك آمين.

⌖ ٢٣ - سؤالٌ من الأب نفسه إلى الشيخ الكبير: أتوسل إليك، أيها الأب والمعلم، ألاّ تغضب مني بسبب عثراتي، وأن تعطيني قانونـا فيمـا يجـب أن أتبعـه في الصـوم والأبصلمودية (أي ترتيل المزامير) والصلاة، وما إذا كان على الإنسان أن يفرق بين الأيام.

الإجابة: أيها الأخ، لو أنك التفت إلى كلمات أسئلتك لانتبهت إلى ما يمكنك من أن تفهم. فإن كنت قد اتخذتني كأبٍ ومعلمٍ، فلماذا تتخذني كحـانقٍ؟ لأنّ الأب يكـون شفوقًا ولا يكون لديه حنق البتة، كما أنّ المعلم يكون طويل الأناة والغيظ غريب عنه.

أما بخصوص القانون الذي تطلبه، فإنك بتطويقات (circlings) كثيرة تطيل مـن دخولك «من الباب الضيق الذي يؤدي إلى الحياة (الأبدية)» (مت٧: ١٣و١٤). ها هو المسيح يخبرك باختصار كيف ينبغي أن تدخل. فاترك قوانين الناس وانصت إليه قـائلاً: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢). إذن، إن كان إنسان ليس لـه صبر فلن يدخل الحياة. فلا تطلب قوانين، لأنني أريدك أن تكون «ليس تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو٦: ١٤)، لأنه قيل إنّ: «الناموس لم يوضع للبار» (١تي١: ٩)، وأنا أريد لك أن تكون مع الأبرار. تمسك بالإفراز مثل مدير الدقّة موجها السفينة بحسـب الرياح. وعندما تكون مريضا تصرف بحسب مرضك في كل الأمور التي كتبت عنـها، وعندما تكون معافى تصرف بحسب صحتك. لأنه كما أنه عندما يكون الجسد مريضا لا يقبل الطعام بطريقته المعتادة، هكذا في ذلك أيضا يثبت القانون أنه سقيم.

وبخصوص الأيام، فاعتبرها كلها متساوية ومقدسة وصالحة، فاعمل كل الأمور، إذن، بفهمٍ وهو (أي الفهم) سيتدفق لك في الحياة التي في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى الأبد آمين.

⌖ ٢٤ - عندما شب نزاع بين الأب وبينه بخصوص أمرٍ في الكتـاب المقـدس، وكان كل منهما يجاهد لكي يكون طويل الأناة، أرسل الشيخ لهما هـذه الإجابـة موضحا أنّ طول أناتهما لم تكن خالية من الغيظ، وأنّ عليهما أن يكونا متيقظين تجاه حالة عدم الغيظ:

أيها الابن المحبوب، لا تفترض أنّ ذلك كان من ذاتكما أنكما فهمتما أصحاح الأمس من رسالة الرسول بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي. ولكنني، إذ علمت أنّ صبركما مع التبـاهي قد امتزج بالغيظ؛ فقد صلّيت لله لأجلكما لكي تعرفا ذلك. لأنّ في ذلك تكمن كل معـاني الرسائل التي كتبتها بواسطتك إلى الأخ يوحنا. وليس ذلك فحسب، بـل انتبـها أيضـا إلى الأصحاحات التي أنتما مزمعان أن تقرآها اليوم، أعني تلك التي للرسـول بـولس والإنجيـل المقدس، لأنّ هذا هو المقصود منها. واقرآها ثلاث مرات متتالية فاحصين معـاني الكلمـات بتدقيق لمنفعة نفسيكما، لأنني محتملٌ ومعتنٍ بكما بحسب الله. فاتخذا إذن التعب والنضال لكي تنزعا من نفسيكما السخط والغضب. لأنه توجد حاجةٌ إلى الصراع، مع معونة الله.

والأصحاحات هي: من الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي ابتداءً من: «ثم نسـألكم أيها الإخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب» (١تس٥: ١٢) حـتى

ـاية الرسالة، وكذلك من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ابتداءً من: «وأما من جهة المواهب الروحية أيها الإخوة، فلست أريد أن تجهلوا. أنتم تعلمون أنكم كنتم أمما» حتى الآية: «ولكن، في كنيسةٍ، أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهني لكي أُعلم آخرين أيضا، أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسانٍ» (١كو١٢: ١ حـتى ١٤: ١٩). ومـن الإنجيـل بحسب القديس متى ابتداءً من: «فلما خرج يسوع أبصر جمعا كثيرا، فتحـنن علـيهم وشفى مرضاهم» حتى «والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين: بالحقيقة أنت ابن الله» (مت١٤: ١٤- ٣٣).

⌖ ٢٥ - إجابة من الشيخ ذاته إليهما أيضا عندما أرادا أن يضيقا على الإخـوة بالنظام كله في وقتٍ واحد:

أقول لكما يا ابني ويا أخي: قد كتبت لكما سابقًا عن طول الأناة، والآن أقول: «اِحلب لبنا وسيكون زبدا، ولكن إذا ضغطت بيدك على الضرع يخـرج دم» (أم٣٠: ٣٣ حسـب السبعينية). والقديس بولس يقول: «صرت لليهود كيهودي لأربح اليهود ... إلخ» (١كو٩: ٢٠)، وبعد ذلك يقول: «صرت للكل كل شيءٍ لأخلص البعض بكل الوسائل» (١كو٩: ٢٢ حسب النص)، لأنه إذا أراد إنسانٌ أن يحني شجرةً أو كرمةً يحنيها بالتدريج فلا تنكسر، ولكنه إذا دفعها فجأةً بعنفٍ تنكسر في الحال ..اِفهم ما أقوله لك!

⌖ ٢٦ - إجابة من الشيخ نفسه إلى الأخ عندما كشف بعض الأمور التي اعتـاد أن يقول له ألاّ يخبر بها أحدا، وبسبب ذلك سقط في تجربةٍ؛ وبخصوص طول الأناة الكاملة:

قُلْ للأخ: مكتوب: «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له» (رو٨: ٩). انتبه، من أين يأتي إليك الارتباك من تضييق محنة هذه الأفكار إن لم يكن مما حدث مـن إفشائك للأسرار وتعديك لوصيتي! لأنني أوصيتك مرارا ألاّ تخبر أحدا بسـر، وأنـت أظهرته لكثيرين. هل أنا المسيح الذي عندما أوصى بألاّ يخبروا أحدا نشروا الأمر مضاعفًا بين الجماهير وجميع الناس؟ (أُنظر مر١: ٤٣-٤٥).

ومع ذلك فإنّ عدم إضرار الإنسان بأفكار قريبه هي طريقة المسيح الذي جاء بوداعةٍ ولُطفٍ غزيرين لخلاص البشر. لأنه إن لم يصر الإنسان مثل الفتات لا يمكنه أن يسـكن مع الناس. وانظر كيف أنّ المسيح قال لتلاميذه: «ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم» (يو١٥: ١٦). إذن، فإن كانت دعوة محبتكم لنا هي من الله وليست من الناس فاجتهد لكي تحصل على صبرٍ عظيم. لأنّ ما كُتِب قديما إنما هو مكتوب لك: «بصبركم اقتنـوا

أنفسكم» (لو٢١: ١٩). فابدأ، إذن، من جديد في حفظ وصيانة الأمور التي أخبرتـك ا، لأنه لم يحن وقت كشفها بعد. كُن معافى في الرب.

⌖ ٢٧ - إجابة من الشيخ الكبير إلى الأب نفسه عندما حزن بسبب أنه لم يكتب إليه من مدةٍ طويلةٍ مما جعله يظن أنه لفظه من فكره:

أكتب للأخ بعد حينٍ: أولاً فرح وسرور وسلام في الرب، ثم قُلْ له: لا تظـن، يـا حبيبي، أنني سلّمت ذكراك من قلبي للنسيان بسبب تأخري عن الكتابة إليك، بل إنـني أطيل أناتي في اهتمامي بسلوكك حتى الآن. ولكن كُن على يقين من أنه كما أنّ الله لا ينسانا من رحمته للعالم؛ هكذا أنا أيضا غير ناسٍ لمحبتك، بل مصليا ليلاً و ـارا لأجـل خلاص نفسك حتى تبلغ إلى قياسٍ ما كتبت لك عنه سابقًا. واعلم ذلك: أنك عنـدما تذهب في خدمةٍ للكينوبيوم، فثق أنّ قلبي يذهب معك بموافقةٍ من الله. إذن، فلا يجب أن يزداد ضجرك يا أخي، لأنني أرجو أنّ كل ما كتبته لك يصل إليك. لأنّ الله لا يكذب، لأنّ «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢). اِفهم ما قلته وما هو مذّخر لك، لأنه «بضيقاتٍ كثيرةٍ ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢). فـافرح، إذن، في الرب: «اِفرحوا في الرب كل حينٍ، وأقول أيضا افرحوا» (في٤: ٤). ولا تدع أحدا، إذن، يعلم بالسر، لأنه مكتوب: «فتراءى كلامهن لهم كالهذيان» (لو٢٤: ١١)، لأنـه إذا كان إنسانٌ ليس له قلب ثابت فلا يمكنه أن يحتمل الكلام.

⌖ ٢٨ - كان في ذهن الأب أن يقرر لنفسه ألاّ يـذهب في الأصـوام إلى أي مكان، ومنعه الشيخ من ذلك لئلاّ تتطلّب أية حاجةٍ لأجل الله أن يخرج فيضـطرب بتعديه لهذا القرار:

قُلْ للأخ: ألم تسمع مني أنك حيثما تذهب وأي شيءٍ تفعله لأجل الله فـإنّ قلـبي يذهب معك؟ والآن، يا أخي، فكما سمعت قبل ذلك، لا تقرر على نفسك شيئًا، ولكن إذا خرجت عند الحاجة فلن تضطرب في فكرك. فاهتم، إذن، بمعنى ما كتبته لك وافعل هكذا فتجد راحة. سلام مني - أو بالحري من الله - لك.

⌖ ٢٩ - إجابة من الشيخ إلى الأب نفسه، مثبتا إيمانه في الأمور التي وعِد بـها، ومن هذا اليقين يقتاده إلى حرارة (أو غيرة) أعظم:

قُلْ للأخ: الراحة وكل عطية صالحة وكل موهبة من النعمة الإلهية تـأتي للإنسـان بالإيمان. إذن، فلا تكن فاقد الشعور بالقوة التي تحلّ عليك كل يوم مـن الله بواسـطة

حقارتي، واعلم أنه لا يوجد أي استغرابٍ، ولو قليل، في مجيئك إلينا. إذن، «فاركض» نحو ما هو موضوع أمامك «لكي تنال» (١كو٩: ٢٤)، وتذكّر باستمرار ما أنقذك الله منه، واشكره في كل الأمور، متوسلاً أن يتمم رحمته لك حتى النهاية، آمين.

⌖ ٣٠ - إجابة من الشيخ إلى الأب نفسه عندما سأل إن كان عليه أن يبحر مع الإخوة إلى مصر للحصول على عمل اليدين، لأنه كان محترسا بسبب أنه هو والإخوة لم تكن لهم خبرة بالبحر والأماكن (التي يتجهون إليها):

قُلْ للأخ: طالما أنه ليست لك خبرة، فعليك أن تتعب لأجل الله مع الإخوة. فضـع، إذن، ضيقات الرسل أمام عينيك، لأنّ «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢) في المسيح يسوع ربنا، آمين.

⌖ ٣١ - لقد توغّلوا كثيرا في مصر قبل أن يجدوا عمل اليدين، وقاسوا بطـرقٍ متعددة من شدائدٍ وتشتت فكر كثير، ولذلك حلّ الإعيـاء علـى الأب. وإذ رأى الشيخ ذلك مسبقًا بالروح أعد له إجابةً مسبقة قال فيها:

أُكتب، يا ابني، ما أقوله - أو بالحري يقوله الله - وأعده لكي تعطيه للأخ يوحنا: أولاً - سلام في الرب. ثم قُلْ له: لماذا تزداد ضجرا في أفكارك مثل إنسانٍ جسـداني لم يسـمع أن الشدائد تنتظره كما قال الروح للقديس بولس (أع٢٠: ٢٣) مما جعله ينصح الذين معـه في السفينة أن يفرحوا (أع٢٧: ٢٥)؟ ألا تعلم أن «كثيرةٌ هي بلايا الصديقين» (مز٣٤: ١٩)، وأنهم يمحصون فيها مثل الذهب في النار؟ فإذا كنا أبرار فلنمحص في شـدائدنا، وإذا كنـا خطاة فلنتحملها كمستحقين لها، لأنّ «الصبر ينشئ تزكيةً» (رو٥: ٤).

دعنا نذكر جميع القديسين منذ البدء ونرى ما تحملوه، فبينما كانوا يفعلون الصلاح ويتكلمون بالصلاح ويثبتون في كل حق، كانوا يحتقَرون ويبتلون من الناس حتى نهايـة حياتهم، وكانوا يصلون لأجل أعدائهم والذين يسيئون إليهم حسب قول المخلص (لو٦: ٢٨؛ مت٥: ٤٤).

هل باعوك مثل يوسف الصديق (تك ٣٧)؟ وهل «يداك اسـتعبِدتا لعمـل السـلال» (مز٨١: ٦سبعينية)؟ وهل هبطت في حفرتين[٤]؟ أم أنه أُسيئت معاملتك مثل موسى النبي منذ طفولته حتى شيخوخته (عب١١: ٢٥)؟ ما الذي تحملته أيها الكسول؟ أو مثل داود الـذي كان شـاول يتتبعه ويحسده، بل وحتى ابنه ذاته، إلى الموت، ومع ذلك فقد ناح عليهما عندما

(٤) يبدو أنه يشير إلى البئر والسجن اللذين ألقوا فيهما يوسف الصديق (تك٣٧: ٢٤؛ ٤٠: ١٥).

ماتا (٢صم١: ١١-٢٧؛ ١٨: ٣٣)؟! أم هل أُلقيت في البحر مثل يونان (يون١: ١٥)؟

أيها البليد والمحبوب، لماذا يخور فكرك؟ لا تكن في حالة خوفٍ ورعدةٍ كمن هـو عـديم الرجولة لئلاّ تخيب من مواعيد الله (عب٤: ١)! لا تكن مرتعبا كغير مؤمنٍ، بـل اسـتجمع شجاعة أفكارك القليلة الإيمان. أحب مشقّاتك في كل الأمور لكيما تتزكّى كابنٍ للقديسين. تذكّر صبر أيوب (يع٥: ١١) والذين جاءوا بعده وكُن غيورا باقتفاء إثر خطـوا م. أُذكـر الأخطار والضيقات والقيود والجوع والأسقام الأخرى العديدة التي تحملها الرسـول بـولس (٢كو١١: ٢٤-٢٧)، وقُلْ لما فيك من جبنٍ: «أنا غريب عندك» (مز٣٩: ١٢). أذكرني أنا الذي كتبت لك: "إن كان الأمر يزدهر أمامك أم لا فاشكر الله".

لاحظ الأمور كيف أ ا فاسدة وعابرة، إلاّ أنّ الصبر بحسب الله يخلص من يحصـل عليه. ها أنت تصارع لكي تأتي بعمل اليدين وتعمل فيه، فلكي أُظهـر لـك الكلمـة الرسولية: «ليس لمَن يشاء ولا لمَن يسعى، بل لله الذي يرحم» (رو٩: ١٦)، فها هو الله يرسل لك أناسا يمتلكون الحاجة الدنيوية. فعندما تستقبلهم لا تقُلْ إنني قلت شيئًا عنهم على الإطلاق، لئلاّ يصيبهم ا د الباطل. أحبهم كإخوة حقيقيين واجعل في ذهنـك أن تريح أفكارهم لأ م يزدرون بالعالم إذ يرغبون في خلاص نفوسهم. وإنني إذ أكتب طبقًا لمعرفةٍ مسبقة، فإنّ الله بواسطتي يجتذ م إلى هنا إليك حتى تعلم أ م قـد ازدروا تمامـا بالعالم. إذن أيها الأخ، المحمول على يدي، سِر في الطريق الضيق «الذي يؤدي إلى الحياة (الأبدية)» (مت٧: ١٤) في المسيح يسوع ربنا الذي له ا د إلى الأبد، آمين.

⌖ ٣٢ - إجابة من الشيخ إلى الأب عندما سأل إن كان عليه أن يأكل بمفـرده، وإن كان عليه ألاّ يـ ل إلى مجمع الشركة يومي الأربعاء والجمعة، وإن كان يجب عليه أن يترك الاهتمام بالأعمال. وإذا حدث أنه رقد مريضا في سكونه فهـل عليـه أن يستعمل بعض العلاج؟ وأن تعطَى له وصايا للخلاص:

لا أريد من محبتك أن تجهل ما يخص المنفعة المزمعة أن تجتاز إليك من الله محب البشر، لأنه ها هي بالتأكيد آلام المخاض قد وصلت، وبدأ يسوع أن تكون له علاقـة بـك ويدخِلك في سكونه المبارك وفي الصبر الذي لا يخزى. وعلى ذلك فرغم أنّ أي وهن أو مرضٍ آخر يحلّ بك فالقِ رجاءك كله على سيدك فتجد راحةً، لأنني بالتأكيد أرجـو في إلهي أنك لست بعيدا من طريق الله.

أما بخصوص أن تأكل بمفردك، فإنّ هذا يلائمك وتكون لك منه منفعة. ولكـن إذا

طرأ ظرف لتأكل فيه مع الإخوة، فلا تتردد أو تأخذ ذلك على أنه سقم، ثم اسحب نفسك قليلاً قليلاً. وبخصوص مجمع الشركة، فطالما أنك تدخل وتخرج فلا تمتنع عن ا مع، لأن ذلك يمكن أن يسبب جرحا لمشاعر آخرين. وانتبه إلى كيفية جعل سكناك بمسكنةٍ ومخافة الله وحب للكل بلا غش، وأن تبني بيتك على الصخرة الثابتة غير المتزعزعة (مت٧: ٢٤)، لأنه قيل: «والصخرة كانت المسيح» (١كو١٠: ٤).

أما عن بعض الوصايا الأخرى: فلا توجد حاجة إلى ذلك الآن، فقد كتبت لك ما فيه الكفاية، وهو يكفي لأن يقودك من راهب مستجد إلى إنسانٍ كاملٍ. فتأمل فيه وتذكّره ولا تنساه، لأنه يحوي الكتاب المقدس كله. تقو في الرب على الدوام مع كونك بذهنٍ متضعٍ في الكلام والأعمال والتحركات.

⌖ ٣٣ - إجابة من الشيخ إلى الأب نفسه عندما أضمر أخوه بالجسد أن يعتنق الحياة الرهبانية وسأل الشيخ عن ذلك:

قال ربنا يسوع المسيح: «لا يقدر أحد أن يقبِل إلي إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني، وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو٦: ٤٤)، «وأُظهر له ذاتي» (يو١٤: ٢١). أُنظر «الحقول إ ا قد ابيضت للحصاد، والحاصد يأخذ أجرةً ويجمع ثمرا للحياة الأبدية لكي يفرح الزارع والحاصد معا، لأنه في هذا يصدق القول: إنّ واحدا يزرع وآخر يحصد» (يو٤: ٣٥-٣٧).

أيها الأخ، لا أحد يرغب في الدخول إلى المدينة وينام، ولا أحد يرغب في العمل ويكسل عندما يرى الشمس، ولا أحد يرغب في إصلاح حقله ويكون مهمِلاً. لأنّ من يريد أن يدخل مدينة يمشي سريعا قبل أن يصبح الوقت متأخرا، ومن يرى الشمس يخرج للعمل مسرعا لئلاّ يتعوق، ومن يريد أن يصلح حقله يسرع قبل أن تفسِده العفونة. «من له أذنان للسمع فليسمع» (لو٨: ٨).

⌖ ٣٤ - عندما جاء أخو الأب يوحنا إليه مرةً أخرى كان مضطربا بخصوص خلاصه وذكّره بوعده السابق. ولكنه سأل أن تعطَى له علامة بخصوص ذلك من الشيخ، فصرح الشيخ قائلاً:

بخصوص الأخ الذي تكلّمت عنه: إنّ عدم الإيمان يحاربه، وهذا هو مذهب الفريسيين الذين قال لهم الرب: «هذا الجيل شرير يطلب آية، ولا تعطَى له آية» (لو١١: ٢٩). ليس عندي شيءٌ أقوله له إلاّ ما قاله الرسول: «الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد

صار جديدا» (٢كو٥: ١٧)، وأيضا: «الآن يا إسرائيل» (تث٤: ١؛ ١٠: ١٢). وأيضا: «لا تجرب الرب إلهك» (مت٤: ٧)، وأيضا: «اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» (مز٩٥: ٧و٨). «من له أذنان للسمع فليسمع» (لو٨: ٨). صل من أجلي.

⌖ ٣٥ - إجابة من الشيخ إلى الأب نفسه عندما سأل عن إخوة مرضى بالجسد وعن آخرين مرضى بالفكر، إن كان عليه أن يأخذهم ليكونوا معه. وإن كان يجب أن يطلب من الأب أن يخفف الأسهار قليلاً عن الإخوة المستجدين. وبخصوص سكونه الطويل:

أيها الأخ: الإجابة على الأمور الثلاثة واحدةٌ هي: لا تكرِه الإرادة، بل ازرع على رجاء (١كو٩: ١٠)، لأنّ ربنا أيضا لم يكرِه أي إنسان، بل بشر بالإنجيل ومن أراد استمع إليه. إنني أعرف أنك تعلم أنني لست مهملاً لمحبتك ولا أحتقرها، ولكن التأني (أو الاحتمال) هو لأجل الأفضل. لأننا بالتأكيد عندما نصلي ويتأنى الله في استماعه لنا، فهو يفعل ذلك لأجل الأفضل، لكي نتعلّم طول الأناة، ولا نخور قائلين: "إننا صلّينا ولم يسمع لنا"، لأنّ الله يعلم ما هو الأفضل للإنسان. اِفرح بالرب يا أخي، وكُن حرا من الاهتمام بكل شيء، وصل من أجلي يا حبيبي وتوأم نفسي.

⌖ ٣٦ - إجابة الشيخ للأب نفسه مصرحا له أن يبدأ سكونه بكل حريةٍ من الهم، وعن الفكر الذي طرأ عليه أنّ هذه هي الساعة الأخيرة. ويسأله إن كان مصيبا عندما تحادث مع أحد الآباء وقتا طويلاً أم لا:

أيها الأخ، اِسمع مني أنا الذي أحبك في المسيح يسوع: بخصوص القلاية، قال ربنا يسوع المسيح: «تأتي ساعةٌ وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون. لأنه كما أنّ الآب له حياةٌ في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياةٌ في ذاته» (يو٥: ٢٥و٢٦). وأنا أقول لك: إنّ وقت الدخول (إلى السكون) قد جاء بمعونة الله، فأسس قلايتك الجديدة، وادخل متخذًا الله مرشدا لك، وعندما تستقر لا تهتم بأي شيءٍ على الإطلاق، لأنّ الأمور الضرورية وفحصها (أو اختبارها) هي التي تستدعي ذاتها (عند الحاجة إليها).

أما بخصوص الفكر الذي زرع فيك فهو تافه، ويأتي معه بمجدٍ باطلٍ، لأنه من ذا الذي لا يعلم أننا في الساعة الأخيرة؟! وبخصوص الحديث: فعندما تجد نفسك تتكلّم في الأمور اللاهوتية، فاعلم أنّ الصمت أبدع وأكثر روعةً من ذلك. فأنت لست في حاجةٍ، إذن، إلى أن أكتب إليك أكثر من ذلك، لأنني كتبت لك من الألِف إلى الياء كما تعلم محبتك. وعلى ذلك فإنني أسلمك إلى الله، لأنّ عنده المعونة والرحمة، آمين.

⌖ ٣٧ - أرسل إنسانٌ من العالم محب للمسيح يسأل الأب يوحنا بخصوص أمـرٍ ما، فأجاب عليه؛ ثم ندم وأخبر الشيخ بذلك قائلاً: "اِغفر لي لأنني سكران ولسـت على درايةٍ بما أفعله":

كثيرا ما أقول لك: «دع الموتى يدفنون موتاهم» (مت٨: ٢٢)، وأنت لم تشـمئز بعد من رائحتهم الشريرة. أُنظر إلى ما تقوله، لأنك لا تعرف ماذا تقول، لأنّ السكران يستخف الناس به ويحتقَر ولا يعتبر أنّ له أهمية، ولا يعطي آراء أو يعلم آخرين أو ينصح بخصوص أي شيء ولا يميز (للآخرين) بين الجيد والرديء. إذا تكلّمت بفمك عن شيء وأظهرت بأعمالك شيئًا آخر، فأنت تتكلم بجهالةٍ.

لا تنم، لئلاّ تسمع فجأةً: «هوذا العريس مقبلٌ، فاخرجن للقائه» (مـت٢٥: ٦)، وأين حينئذٍ يمكن أن يوجد موضع لكلمتك هذه: "إنني مشغول"؟ لقد جعلك حرا من الهم وأنت لا تريد ذلك. لقد نزع عنك الهم وأنت تشبك نفسك به. لقد أعطى لـك راحةً وأنت تريد أن تكون في مشقّات. إنّ الوقت لا ينتظرك لكي تنوح وتبكي من أجل خطاياك. تذكّر أنه أخبرك أن الباب سيغلَق (مت٢٥: ١٠)، فاسـرع حـتى لا تبقـى خارجا مثل العذارى الجاهلات. أُعبر في فكرك من هذا العالم الباطل إلى الدهر الآخـر. أُترك الأرضيات واطلب السماويات، تخل عن الأمور القابلة للفساد وأنت تجـد غـير الفاسدات، اِهرب في ذهنك من الأمور الوقتية فتصل إلى الأبديات. مت بالكلية لكـي تحيا بالكلية في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى الأبد آمين.

⌖ ٣٨ - إجابة من الشيخ إلى الأب نفسه عندما كان شغوفًا بتلقي إجابةٍ منـه مرارا لمعونة نفسه وخلاصها، وطلب أن يعلم إن كان عليه أن يرتب حديثًا مـع أي واحدٍ من الإخوة أو أن يسأل منهم عن الأفكار:

حيث إنني أعرف لمَن سلّمتك، وأي طعام وضعته أمامك، فإن كنت تفهم فأنا لست مترددا في الكتابة لك، لأنّ الذي سلّمتك إليه «يعلم ما تحتاج إليه قبل أن تسأله» (مت٦: ٨).

لذلك، فكما سمعت، كُن حرا من الهم، لأنّ تحررك من الاهتمام بكل أمـر يجعلـك تقترب من المدينة، وعدم وجود اعتبار لك بين الناس يجعلك تسكن في المدينة، وموتـك عن كل إنسان يجعلك ترث المدينة وكنوزها! وحيث إنك تريد دائما أن تسمع كـثيرا نفس الكلمة بخصوص الحديث مع الإخوة أو التفكر فيهم؛ فعند الحاجة سـأخبرك بمـا تفعله. إذن، فلا تفكر في شيءٍ سوى أن تتمم رحلتك. إنني أستحـسن محبتـك بـلا

انقطاع. ولعلك تعرف تقدمك من كونك تقمِع حركة السخط المريع فيـك تـدريجيا. السلام يكون لك يا أخي وحبيبي يوحنا.

⌖ ٣٩ - إجابة من الشيخ إلى الأب نفسه عندما أراد أن يقطع الحديث حتى مع مساعده بسبب ما قيل له: "تحررك من الاهتمام يجعلك تقترب من المدينة"، وبخصوص تفكيره في البحث عن أسباب التجارب التي تثور عليه بطرق عديدة:

قُل للأخ: ِانتظر أكثر قليلاً، لأنّ الوقت لم يحن بعد، لأنني بالتأكيد أفكر فيك أكثر مما تفكر أنت نفسك، أو بالحري فإن الله يفكر فيك.

يا أخي يوحنا، لا تخف من التجارب التي تأتـي عليـك لامتحانك، لأنّ الـرب لا يسلمك لها. وعلى ذلك، فعندما يأتي عليك شيءٌ منها لا تتعب في البحث عن الأمور، بل ادع اسم الرب يسوع بصراخٍ قائلاً: "يا ربي يسوع أعني"، وهـو يسـمع لأنـه «قريـب لكل الذين يدعونه» (مز١٤٥: ١٨)، فلا تكن خائر القوى، بـل اركـض باستعدادٍ وأنت تنال (١كو٩: ٢٤) في المسيح يسوع ربنا الذي له ا د.

⌖ ٤٠ - سؤال من الأب للشيخ عما إن كان عليه أن يعلم مساعده صناعة الحبال، وبخصوص أخ سأل عن أفكاره ليس بوضوح بل بألغاز، إن كان عمله هذا جيد:

الإجابة: إنّ التعليم الساطع لمخلصنا هو هذا: «لتكن مشيئتك» (مت٦: ١٠). فإذا قـال أي واحدٍ هذه الصلاة بإخلاصٍ يلاشي مشيئته الذاتية ويعلق كل شيءٍ على مشيئة الله. وعلى ذلك فتعليمك للأخ نافع، إلاّ أنّ الأمر توجد فيه فرصةٌ للحسد. ولكن يمكنك أن تفعل ذلك على فتراتٍ متباعدة، ويكون الأمر في خفيةٍ من أجل ضمير الإخوة.

أما بخصوص السؤال بألغاز فهو مزاج فردي ينقصه الإفراز، ومثل هذا الإنسان يحتـاج إلى صلواتٍ كثيرة، لأنّ الأعاجيب «ليست للمؤمنين بل لغير المؤمنين» (١كو١٤: ٢٢).

⌖ ٤١ - إجابة من الشيخ الكبير إلى الأب نفسه عندما استولت عليـه أفكـار وهموم كثيرة بخصوص البنية الأساسية للدير:

كثيرةٌ هي الأمور التي تغلي في قلبك، وهي تقول: «إن أحصها فهي أكثر من الرمل» (مز١٣٩: ١٨). أيها الأخ، لا أحد يعلم ما سيصل إليه حالِ هذا المكان إلاّ فقط «الله العارف القلوب» (أع١٥: ٨)، وهو قد أكّد لي (اهتمامه به). إذن، ضع في قلبـك أنّ الرب لن ينبذه، بل احفظ ذلك وبجله د اسمه ا يد، الذي له ا د إلى الأبد. ومن الآن

فصاعدا كُن حرا من الهم وعِش في هدوءٍ، لأنّ كل الأمور تأتي في ميعادها وترتيبها.

⌖ ٤٢ - إجابة من الشيخ الكبير إلى الأب نفسه عندما سأله عن المرض الـذي ألم به من أين هو. وإن كان عليه أن يخبر الإخوة الذين كانوا يذهبون إلى مصر كيف يسلكون. وعندما كان قلقًا عليهم لئلاّ يضطربوا من عدم خبرتـهم بالأماكن:

أخبِر الأخ: إنّ الذين معك هم خليطٌ، فبعضهم من مصر والآخرون من أورشليم(٥). ولكن لا تهتم، لأنّ الله يهتم بك، بل تمم ما في قلبك بمخافة الله، ولا تقلق على الإخوة، بل صل فقط، والرب سيقودهم حسب مشيئته بخصوص كل أمر، لأنّ لا شيء يحـدث بدون الله ولا سيما في هذا المكان إن كان هو لمنفعة النفوس وإنعاشها.

⌖ ٤٣ - إجابة من الشيخ الكبير إلى الأب نفسه لكي يسلم جميع اهتماماته لله:

«من يشرب من الماء» الذي أرسلته لك بالخطابات، «فلن يعطش إلى الأبد» (يو٤: ١٤). ولكن عليك أن تتوقع وترجو الإنعاش بإيمان المسيح. خذ هذا الخبز من طعـامي وكُن حرا من الهم. لا تخف من شيء، بل اقبل قوةً ورجاءً من الروح القدس. آمن أنّ يد الله معك.

⌖ ٤٤ - لقد أعطى مساعده من البركة التي أرسِلت إليه ليس بيده - لأنـه لم يكن من الإكليروس - ولكنه وضعها فأخذها مساعده بنفسه. وعندما أخذ بركةً مرةً ثانيةً وثالثةً فعل نفس الشيء. وإذ فعل ذلك بدون إذن لم ينتبه إلى الخطية. ثم إنه لمـا رأى أنه عوفيَ من الأوجاع بصلوات الشيخ قال: "قد ارتخت الأوجاع عني".

ثم أرسل بعد ذلك يسأل عن فكر تجديف ولم يتلق إجابةً. وإذ كان متعجبا من سـبب ذلك ظهرت له فجأةً رؤيةٌ مخيفةٌ مرةً تلو مرة، وذلك بسماحٍ من الله لتحذيره، وكانـت تختفي في الحال. فامتلأ باضطرابٍ وانزعاج شديدين، وتذكّر خطيته بخصوص الخبز فقط، ناسيا ما قاله عند ارتخاء الأوجاع عنه. فلبس القلسوة التي أرسلها له الشيخ سابقًا وانطرح على الأرض عدة مرات متوسلاً في طلب الرحمة. وكتب له الشيخ بخصـوص الخطـأين وبالأكثر عن فكر التجديف، وأنّ وضعه للبركات أمام مساعده ليأخذ منها بنفسه لا يعتبر اتضاعا بل بالحري كبرياء متضخمة وتصرف صبياني:

إذا علم إنسانٌ أنه يتعدى الوصية، فهو يظهر دليلاً واحدا على المعرفة، والذي يعرف

---

(٥) يقصد ما كان القديس أنطونيوس يقوله لتلميذه لكي يميز بين "الدوارين" الذين لا يهتمون بخلاصهم، و"العمالين" الذين كانوا يأتون إليه ليسألوا عما ينفعهم.

يصحح نفسه. ولكننا نتكلّم ببساطةٍ بقدر إمكاننا. لقد وضعتك في يد الله وأنت تنحرف عنه، والكتاب يقول إنّ «الحكماء لا ينحرفون عن فم الرب» (أم٢٤: ٧ سبعينية). ماذا تظن فيما يجب أن أقوله؟ ومع ذلك فالكتاب يقول أيضا: «لا يخرج كلام مستعلٍ (أي بكبرياء) من أفواهكم» (١صم٢: ٣ سبعينية). وأنت تجاسرت أن تفتح فمك أمـام الله وتقول: "إنّ الأوجاع قد تراخت عني"، ولم تقُلْ بالحري: "كلّها قد حلّت في كما في مستودع (مخزن)". ولذلك فإنك قد تخلي عنك قليلاً، وظهر لك كل بؤسك، ولـولا الغطاء (أي الحماية) الذي تملكه، لكان التعب الشديد من نصيبك. ولكن الكتاب يقول: «الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون، بل سـيجعل مع التجربة أيضا المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كو١٠: ١٣).

وأي شيء يعمل قبل الأوان فهو يتأتى من مشيئتك أنت، من غرورك دون أن يكون لك تدبير. وكونك تعطي آخرين بركةً مثل رئيس أساقفة[٦]، فلا أعرف كيف أعبر عن ذلك. ألم أعرف كيف أرسل بركات للجميع، أم أنني أرسلتها لك بصفةٍ خاصة؟ أُنظر، إذن، فإنك قد حذرت قليلاً من عدة أخطاء كبيرة. فكُن رزينا من الآن فصاعدا لكـي تحطم بثباتٍ الثماني أممٍ الغريبة! ولا تظلّ منجذبا بأمور صبيانية، واكتسب الصرامة التي هي البساطة بعينها، لأنك بالتأكيد سمعت كثيرا: «لا تعمل شيئًا من غـير مشـورة» (سيراخ٣٢: ٢٤).

أما بخصوص كل وجع (أي هوى) وتجديف، فصـل لله وهو سيسندك، واطرده منـك قليلاً قليلاً. وكُن رزينا لأجل المستقبل، واحفظ هذه الأمور في قلبك، ولا توجد حاجـة لأن يتعلّم أحد منها، ولكن ما حدث فقد حدث. والرب يسوع يكون معك. اِغفر لي ما مضى، وسأضع الأمور الآتية بعد ذلك في نصابها. له المجد إلى أبد الدهور آمين.

⌖ ٤٥ - إجابة من الشيخ إلى الأب نفسه الذي عندما حلّ به مـرض شـديد وصار مقهورا بحمى عنيفة، ولم يكن له طعام أو نوم لعدة أيام؛ صاح بالإهانـة ضـد الأب والإخوة الذين كانوا يخدمونه، وذلك بفعل الشيطان:

آه أيها الأخ! كيف صار قلبك كالماء، إذ تترك المحبوب وتجري وراء العـدو! لقـد تركت صوت المسيح الراعي وتبعت الشيطان الذئب! ماذا حدث لك؟ ما الذي تسلّط عليك؟ ما هذا الصياح الذي أحصاه الرسول ضمن الأمور ذات السمعة الرديئة عنـدما

(٦) يبدو أنه كانت في قلبه شهوة للكهنوت، ولحرمانه منه وضع البركة للأخ بغضبٍ!

قال: «ليرفَع من بينكم كل مرارةٍ وسخطٍ وغضبٍ وصياحٍ وتجديفٍ مع كل خبثٍ» (أف٤: ٣١)؟ إنه لم يحدث لك شيءٌ فوق طاقتك كما يصيح الرسول عاليا قائلاً: «الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ...» (١كو١٠: ١٣). استيقظ من غيظ الأفكار الرديئة هذا، وخذ عود الصليب الذي به تطرد الذئاب التي هي الشياطين، وتذكّر أن تقول: «لماذا أنتِ منحنيةٌ يا نفسي، ولماذا تئنين فيّ؟ ترجي الله لأني بعد أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (مز٤٢: ١١).

كُن رزينا لأجل المستقبل، لا تنفجر بالغضب مثل صبي أبله ليس له إدراك. عندما تكون مدينا بأن تصعد على الصليب مع المسيح وتسمر بالمسامير وتطعن بالحربة، فما الذي دهاك، أيها المسكين البائس، حتى تصيح بعنفٍ ضد المسيح وتهين إخوتك؟ أين: «مقدمين بعضكم بعضا في الكرامة» (رو١٢: ١٠)؟ هذا يكفي، لأنه يقول: «أعطِ حكيما (فرصةً) فيكون أوفر حكمة» (أم٩: ٩). اِحتمل وكُن هادئًا، واشكر في كل شيء، لأنه يقول: «اشكروا في كل شيء» (١تس٥: ١٨)، وذلك بوضوح: «في ضروراتٍ، في ضيقاتٍ» (٢كو٦: ٤)، وفي أمراضٍ وفي عافية. تمسك، إذن، بالله وهو يبقى معك ويعطيك قوةً في اسمه، لأنّ له الحمد إلى أبد الدهور.

⌖ ٤٦ - عندما عوفيَ من المرض وعاد إلى الاتزان بعد التجربة، أظهر له العدو أحلاما شريرةً لكي يغيظه مرةً أخرى. ولما فشل في ذلك أظهر له مثل دير وكنيسة، وكثيرون يلتجئون إلى هناك ليحصلوا على معونة كما هو مفترض. ولكي يحميه الشيخ كتب له قائلاً:

«الحمد لله في الأعالي» (لو٢: ١٤) أيها الأخ! إنّ «إبليس خصمنا كأسدٍ زائر (يزأر)، يجول ملتمسا أن يبتلعك» (١بط٥: ٨). ولكن يد الله المبسوطة فوقنا على الدوام لم تسمح له. فلما رأى أنه غير مسموح له أن يفعل أي شيءٍ يريده، شرع في القتال لكي يفقدك صوابك، وأظهر لك مسبقًا بعض الأمور بأحلامه المخزية. ولما رأى أنّ الرب لا يتركك في تجربةٍ حتى نهايتها أو فوق طاقتك، جعلك هذا الماكر ترى كنيسةً وديرا وكأنّ فيهما ملجأ ومعونة. فحصن، إذًا، قلبك خاتمًا إياه من الغيظ باسم الآب والابن والروح القدس، وأنا أثق أنه سيعيننا على أن نسحق رأسه. وهكذا اقتنِ قلبا متضعا، وأعطِ مجدا لمَن أنقذك من فخ الموت، لأنك قاسيت ذلك بسبب التهاون.

⌖ ٤٧ - إجابة من الشيخ الكبير إلى الأب نفسه عندما حاربته أفكار عديدة كانت محزنة جدا وتفوق إدراك معظم الناس:

قُلْ للأخ يوحنا: إنني أتعجب من محبتك، كيف أنك لا تفهم الأمور. لأنـني إذ أرى اضطراباتك الكثيرة أرسلت لك مرارا من نفسي بركات لكي تأخذ بواسطتها قوةً بحسب الله. ولكن عليك أن تتأمل باستمرار في المزمور القائل: «أمر فأهاج ريحا عاصفة فرفعت أمواجه. يصعدون إلى السموات، يهبطون إلى الأعماق»، وأيضـا: «ذابـت أنفسـهم بالشقاء» (مز١٠٧: ٢٥و٢٦). هذه الأمور أتت علينا، وعلينا أن نتحمل مثـل هـذه الأخطار حتى نبلغ: «إلى المرفأ الذي نريده (أو مرفأ مسرته)» (مـز١٠٧: ٣٠) كمـا كتبت لك سابقًا.

إنّ الله «لم يسلمك إلى مرام (أو أيدي) أعدائك» (مز٤١: ٢)، وأنـت لا تسـلم نفسك لأيديهم، فإذا فعلت ذلك لن يسلمك الله لهم. ولكن هل تريد أن تتحـرر مـن الاضطرابات ولا تتعب فيها؟ توقع الأسوأ وأنت تجد راحةً. تـذكّر أيـوب الصـديق والقديسين الذين بعده، كم قاسوا من ضيقات عنيفةٍ، واقتنِ صبرهم فتتعزى روحـك. «تشدد وتشجع» (تث٣١: ٢٣)، وصل من أجلي، وتذكّر كلامي فتتجدد روحك.

⌖ ٤٨ - عندما تأخر الأب في إرسال الإجابة المذكورة أعلاه إليه لسببٍ ما، لامه بشدةٍ وثبط عزمه جدا. وعندما تكلّم معه بعض الإخوة - الذين كانوا تحت الرعايـة بسبب مرضهم - عن بعض الأمور التي عمِلت في المجمع بتكاسل وبطريقةٍ غير نافعةٍ، فبدلاً من أن ينصحهم ويصحح من انحرافهم هذا قال إنّ هذه الأمور أيضا لم ترضِـه. وعندما أخبره الأب بعد ذلك أنه فعل هذه الأمور بناءً على قرار الشيخ، قال له: "إنّ الشيخ يجعلك تسلك حسب مشيئتك الخاصة". فأرسل الشيخ له هذه الإجابة مشيرا له إلى أنّ الأمور التي تبدو لنا أنها تمّت بطريقةٍ خاطئة قد عمِلت بحسب التدبير، حيث إنها تفوق إدراكنا:

مرةً أخرى، بعد مدةٍ طويلةٍ، تدفعني المحبة أن أضربك بعصا المسيح التي للتأديب والتـوبيخ، حتى يتحقّق فينا كلام الكتاب القائل: «أمينةٌ هي جروح المحب» (أم٢٧: ٦) وما يلي ذلك. وأيضا، إن كنا نؤدبك فلا تخُر، بل تذكر القول: «يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخُـر إذا وبخك، لأنّ الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابنٍ يقبله» (عب١٢: ٥و٦). ولكن حتى لـو انتهرتك، فأنت لا تجهل قول الرسول: «وبخ، انتهر، عظْ» (٢تي٤: ٢).

أين عقلك أيها الكسول؟ أو أين يمكث فكرك أيها البليد؟ لماذا يخالف أسياد عقلـك (يوجد هنا تشابه في اللفظ في اللغة اليونانية بين كلمة νου أي عقـل، و ονου أي جحش) في داخلك تلاميذ السيد حتى إنهم لا يأخذون (الجحش) للسيد لكي يمتطيه حتى

يدخل أورشليم ويطرد من هيكل الله «الذين يبيعــون ويشــترون» (مــت٢١: ١٢)، ويخزي الكتبة والفريسيين؟ لماذا في حين أنك ينبغي أن تسكن في أورشليم يجذبونك إلى بابل؟ لماذا تترك ماء سلوام (التي تجري بسهولة: إش٨: ٦ سبعينية)، وتريد أن تشرب من مياه المصريين المضطربة؟ لماذا تنحرف عن طريق الاتضاع التي تقول: «من أنا؟ إنني تراب ورماد» (٢صم٧: ١٨؛ تك١٨: ٢٧)، وتريد أن تسلك الطريــق العكســي الممتلــئ بالاضطرابات والأخطار؟

أين ألقيت كلامي الذي قلته لك ليلاً و ارا؟ أين هذا الذي قلت لك أن تصل إليــه، وكأنني أكلم نفسي؟ وأين ترى ذاتك قد وصلت؟ أين ما أريدك أن تكون فيه وأين أنت الآن، لأنّ لسانك الآن غير مضبوط وأنت تسمح له أن يسير عشوائيا؟ وإن كنت تــولي اهتماما بقريبك ألست متشككًا (أو موسوسا) في أن تفهم، ولا سيما ذاك الراهب الذي هو حمايــة لنا بعد الله ويضحي برقبته لأجلنا، والذي علينا أن نشكره ونصلي لأجلــه لكي يحفَظ من كل شر لمنفعتنا ولمنفعة كثيرين، إذ نتعلّم ذلك من الرسول القديس الذي يقول عن البعض شاكرا: «اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي» (رو١٦: ٤)؟

ما هو، إذن، الذي لا تتذكره؟ التحرر من الهم الذي أعطاك الله إياه بواسطته؟ الهدوء الذي تعيشه مثل ملكٍ، وهو يحمل ثقل الذين يأتون إلينا ويذهبون ويجعلنا غير مشوشين؟ لأ م إن كانوا يأتون لأجلنا، فعلينا أن نتحمل نحن همَّهم وليس هو. إذن، فأنا أقدم شكرا جزيلاً لله الذي أعطانا ابنا حقيقيا لنفوسنا كما شاء. وأنت عوضا عن ذلك قلت له بلا شعور: "قد غسلت يدي منك"، وذلك ليس مرةً واحدةً بل مرات، فغمرت نفسه بحزنٍ شديدٍ، ولم تذكر ما قاله الرسول: «لئلاّ يبتلَع مثل هذا من الحزن المفرط» (٢كو٢: ٧). ولو لم يكن ذلك لأجل يد الله وصلوات آبائه لكان قلبه قد انكسر! أين وصاياي لــك: "اِبكِ، نح، لا تطلب أن تكون لك أهمية، ولا تحسب نفسك شيئًا"؟

إنني أجتذب محبتك إلى طريقٍ آخر. أعبر من العالم، اعتلِ الصليب الآن، كُن مرتفعــا عن الأرض. اُنفض الغبار من رجليك، استهن بالخزي (عب١٢: ٢). لا ترافق الكلدانيين في إشعال الأتون حتى لا تحترق معهم (دا ٣: ٢٢) من غضب الله. اِعتبر أنّ كل إنســانٍ أفضل منك (في٢: ٣). اِبكِ على الجسد الميت (يو١١: ٣٥). «أخــرج الخشــبة مــن عينك» (مت٧: ٥)، وابنِ بيتك الذي تشوه. اصرخ: «يا يسوع ابن داود، ارحمني ... ياسيدي (حتى) أبصر» (مر١٠: ٤٧-٥١). تعلّم أنّ كل فم ينبغــي أن يســتد (رو٣: ١٩)، ولا تتكلم بكبرياء. «اِغلق بابك» (إش٢٦: ٢٠) في وجه العدو. «زِنْ كلماتك

بالميزان، واجعل لبابك مزلاجا» (سي٢٨: ٢٥). أنت تعلم كيف أكلمك، فافهم الأمور التي أقولها. كِد لكي تحكِمها، وأنت تجد الكنوز المخبأة فيها بحسب الله، واعطِ فيها ثمرا يليق بالله، ولا تخز شيبتي إذ أصلي لأجلك نهارا وليلاً. لعل الله يعطيك أن تفهم وأن تعمل بمخافته، آمين.

وحيث إنك قلت له: "إنّ الشيخ يجعلك تسلك حسب مشيئتك الخاصة"، فيجب علي أن أتحمل وحدي الحكم الذي نطقه الرب بواسطة النبي: «إن لم تتكلم لتحذر الشرير من طريقه، فذلك الشرير يموت بذنبه، أما دمه فمن يدك أطلبه» (حز٣٣: ٨). لا تكن سخرية، بل صدق الرسول عندما يقول إننا سنعطي حسابا (عب١٣: ١٧) عنه. ولكنكم لا تفهمون ما الذي يحدث.

⌖ ٤٩ - إذ يشكر الشيخ على هذا التصحيح، يتوسل إليه أن يكتب له كثيرا عن خلاص النفس. وأيضا عن فكر كان يريد أن يخبر به الأب، يتوسل إلى الشيخ أن يخبره هو به:

يا أخ يوحنا، ما هذا؟ لا أعرف. لقد كُتِب لك من ألفا إلى أوميجا، من حالة المبتدئ إلى ملء النمو، من بداية الطريق إلى نهايته، مِن «خلع الإنسان العتيق مع شهواته» (أنظر أف٤: ٢٢) حتى «لبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله» (أف٤: ٢٤)، من صيرورتك غريبا عن الأرض المدركة بالحواس إلى صيرورتك مواطنا للسماء ووارثًا لأرض المواعيد المدركة بالعقل. تأمل في الرسائل (التي كتبتها لك) وأنت تخلص، لأنّ لك فيها - لو فهمت - العهدين القديم والجديد. وإذا فهمتها لا تكون لك حاجة لأي كتابٍ آخر. انفض عنك النسيان، واترك الظلمة حتى يكون قلبك في سلامٍ (أو على وفاقٍ) مع حواسك فتتأتى لك كل هذه الأمور. اِجعل دخان ذبائح الأصنام تسقط من نينوى التي في ذهنك، فتنتشر رائحة بخور التوبة الروحانية العطرية في شوارعها وتمنع الغضب الذي كان يهددها بالهلاك.

أين أنت نائم؟ لماذا طرحت عنك الأجوبة التي كانت لخلاصك، وهي حقًا أيضا لخلاص كل الذين يدرسونها بإيمان؟ كُف عن أحلامك من الآن فصاعدا، واستيقظ من نومك العميق. عجل من خطى قدميك واسرع إلى صوغر (تك١٩: ٢٢) حتى لا يقهرك انقلاب المدن الخمس، ولا تتجه إلى خلف حتى لا تصير عمود ملح! وكن حكيما كالحية (مت١٠: ١٦) حتى لا يضللك أعداؤك، بل وديعا كالحمام حتى لا يشن الانتقام حربا عليك. كن خادما حقيقيا لسيدٍ واحدٍ حتى لا تستعبد لكثيرين. لا تفصل نفسك عنه، لأنّ غير الأمناء حصلوا لأجل ذلك على الحكم. أنظر كيف تجلس، وقُلْ لنفسك: "لماذا

أنا جالس هكذا؟ ماذا ربحت من هذا الجلوس"؟ ولعل الله محب البشر ينير قلبك لكي تفهم. ها هو الآن قد جعلك حرا من الاهتمام بكل هم أرضي. التفت إلى نفسك، وانظر أين أنت وماذا تريد، والله يعينك في كل الأمور أيها الأخ.

أما عن الفكر الذي تتكلّم عنه أن أخبر به ابني، نعم، لقد أمكنني أن أخبره؛ إلاّ أنه إن لم تخبره أنت نفسك بفمك، فإنك تجعل نفسك غريبا عن المحبة الحقيقية والكاملة نحوه، وذلك إن كنتما نفسا واحدةً وقلبا واحدا حسب الكتاب (أع٤: ٣٢)، ولا يخفي أحد شيئًا عن قلبه. كُن فطنا، يا من لا زلت بليد الحس، الرب يغفر لك!

⌖ ٥٠ - إجابة من الشيخ الكبير إلى الأب نفسه عندما سأل إن كان عليه ألاّ يتحادث مع أحدٍ بعد الأسبوع الكبير المقدس (أي أسبوع الآلام):

بعد العيد كُن في سكونٍ خمسة أيام في الأسبوع، وفي يومين قابل الآخرين حسبما توجد الضرورة، ثم إنني سأخبرك أيضا ماذا تفعل. ولكن اعمل كل ما في وسعك أن تكون حرا من الاهتمام بأي أمر، لأنّ الله يعمل حساب الأفضل لكل واحدٍ، سواء بأن ينخس قلبه أو يوقظه بواسطة آخر لمنفعته.

⌖ ٥١ - بعد العيد جاء أسقف وطلب أن يتحدث معه. وآخرون أيضا من المستجدين أرادوا أن يسألوه بخصوص الأفكار. فأرسل ليسأل الشيخ الكبير عن ذلك:

الجواب: أنت تعلم أننا لم نضع قيدا على أحدٍ أبدا، ولا حتى على أنفسنا. وحيث إنني قلت لك: "كُن في سكون خمسة أيام في الأسبوع، وفي يومين تحدث مع الآخرين"، فكُن حرا من الاهتمام بذلك أيضا. وعندما أقول لك: "تحادث مع الآخرين"، فعندما تفعل ذلك فلا تهتم بما ستقوله، لأنّ المسيح قال: «روح أبيكم هو الذي يتكلّم فيكم» (مت١٠: ٢٠). أما عن الإخوة الذين تكلّمت عنهم، فلا ترفض (الحديث معهم) عند الضرورة، والله سيعينك، آمين.

⌖ ٥٢ - جواب من الشيخ الكبير عندما تكلّم عن حال العالم غير المستقر:

أيها الأخ، طالما أنه يوجد لدينا وقت فلنلتفت إلى أنفسنا، لأنّ كل الأمور في تشويش وارتباك، ولندرب أنفسنا على السكون. وإذا أردت أن تجد راحةً في كل الأمور فكُن ميتا عن كل إنسان وأنت تجد راحة. اهتم بذلك بخصوص الأفكار وبخصوص كل أمر وتصرف وقلق، أقول لك: "كُن هادئًا في سلام".

⌖ ٥٣ - بعد هذا الجواب سعى إلى منع الحديث مع الآخرين تماما، وكان أحد

الإخوة مضطربا من ذلك جدا، وتوسل إليه أن يتحادث معه عند الحاجة، فأشفق عليه ووعده بذلك. ثم سأل بخصوص ذلك، وبخصوص قلنسوة أرسلها أخ إليـه إن كـان عليه أن يقبلها:

أيها الأخ، لقد أرسلت لك كلمة: "كُن متحررا"، فماذا تريـد؟ التفـت إلى نفسـك. «الحصاد كثير» (مت٩: ٣٧)، فلا تتركه وتلتقط في الحقل وراء الحصادين (را ٢: ٣). بـل اترك كل شيء واعطِ وقتك للحصاد والتجميع حتى تكون لديك ثمار من الحنطـة والخمـر (مز٤: ٧)، حتى يتقوى قلبك ويصير فرحا في الرب. أما بخصوص القلنسوة، فإن كـان الأخ يرغب في إعطائها لك من كل قلبه فاقبلها وأنت تدين نفسك بأنك غير مستحق.

⌖ ٥٤ - كانت لأخٍ حرب شديدة، وقد خجل مـن أن يصـرح ـا لـلأب (سيريدوس)، فأرسل يتوسل إلى الأب يوحنا أن يقابله دون علم الأب ويسـتمع إلى أفكاره. ولكن الأب يوحنا اضطرب من ناحيتين: عدم رغبته في مقابلته بدون مشورة حتى لا يسبب عثرة للآخرين، وعدم رغبته في أن يحزن الأخ. وإذ كان متحيرا فيما يفعله، سأل الشيخ الكبير، كما سأله إن كان يجب أن يغلِق بابه:

الجواب: أخبر الأخ - الذي هو بلا فهم - أن يختار لنفسه الأمر الذي يسبب خسارةً وإزعاجا أكثر، وليس ذلك الذي هو أخف وأكثر احتمالاً مع اتضاعٍ وصلاة! ولا تغلِق بابك، لأنّ الإماتة ليست بإغلاق الباب بل بإغلاق الفم. أسلم عليك بقبلةٍ مقدسة.

⌖ ٥٥ - جاء شيخ مصري ليسكن في الدير الذي كان فيه الآبـاء، واسـتعمل خطابا مكتوبا باللغة المصرية (أي القبطية) إلى الشيخ الكبير (لأنه هـو أيضـا كـان مصريا)، طالبا الصلاة وكلمة بخصوص منفعة النفس، وإن أمكن أن يسمح له بمقابلته. ولكن الشيخ أجابه بأن كتب له باللغة اليونانية قائلاً:

حيث إنني قررت لنفسي ألاّ أكتب لأحدٍ، بل أن أرسل إجابتي بواسطة الأب، لذلك لم أكتب لك باللغة المصرية كما كتبت أنت لي، ولكنني اضطررت أن أخبره أن يكتـب لك باليونانية، لأنه لا يعرف اللغة المصرية.

إن كنت قد اعتبرتني في خطابك كحبيبٍ وأبٍ لك في الرب يدرك تعـب الـنفس وضرورا ا ومخاطرها، فإن كنت أنا أباك كما كتبت فأنا أعطيك وصيةً ألاّ تم بخصوص مقابلتي. إنني لا أستطيع أن أميز إنسانا وأعيش، فإذا فتحت لك فتحت للكل[٧]، وإن لم أفتح لك فلن أفتح لأي واحدٍ. ولكنني كتبت لك هذا حيث إنك كتبـت تقـول: "إن

---

(٧) راجع أقوال أنبا أرسانيوس: Apoph., 8

أمكن فاجعلني مستحقًا لوداعتك، واصنع رحمةً مع نفسي البائسة". وأيضا لأجل ما قلته في نفس الخطاب: "إنّ خطيتي قد فصلتني عنك يا معلمي"، إنني الآن - بنعمة المسـيح ابن الله - لم أنفصل عنك، بل إنني دائما مع محبتك في الروح.

وبخصوص ما كتبته لي أخيرا في خطابك: "صل من أجل خطاياي"، فإنني أقول لك نفس الشيء: "صل من أجل خطاياي". لأنه قيل: «كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم» (مت٧: ١٢). إنني الآن، رغم أنني بائس وأقل من أقل جميع الناس، ومع ذلك فإنني أعمل ما في وسعي لأجل ذاك الذي قال: «صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا» (يع٥: ١٦).

أيها الأخ، إننا غرباء، فلنكن غرباء (بالحقيقة)، ولا نحسب أنفسنا شيئًا، وأن لا يعتبرنا أحد شيئًا فنجد راحة. أما في داخلنا فلنصارع لكي نحتمل، لأنه قيل: «الذي يصـبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢). وفوق كل شيء صارع لكي تموت عن كل إنسان وأنت تخلص، وقل لفكرك: "لقد مت، وأنا مضطجع في القبر". صدقني، أيها الحبيـب، إنني إذ قلت هذه الأمور لمحبتك فقد ذهبت بعيدا عن الحد مقيدا بحب الله، لأنني من أنـا الذي هو الأقل؟ لهذا السبب أطلب المعذرة وأقول: "اِغفر للثرثار لأجل الرب، وصـل لأجلي يا خادم الله أبراميوس".

⌖ ٥٦ - جواب من الشيخ الكبير إلى الأب بولس، وهو شيخ كان يعـيش في سكون، وكان يسعى إلى أن يتخذ لنفسه أخا ضريرا ويهتم به:

أيها الأخ بولس، هناك مثلٌ يقول: "عندما ترى شابا يجري، فاعلم أنّ شـيخا قـد اصطاده". وفيما يخصنا، فإنّ الشيخ الذي يصطادنا هو الشيطان، وهو يحسدنا ويريد أن يلقينا في أيام شريرة بحجة التبرير (بالضيقات)، ولا نعلم أنّ كثيرين إذ يريدون أن ينتشلوا أناسا من النهر غرقوا معهم! اُنظر منذ أن أراد أن يوقعك في فخ، وعندما تسأل وتحصـل على إجابةٍ ينصب فخه بطريقة أخرى أسوأ. إنّ الله لا يتطلّب منك أن تفعل خيرا لقريبك فوق طاقتك، لأنه هكذا يقول: «لا تكف عن فعل الخير لقريبك حين يكون في طاقـة يدك أن تفعله» (أنظر أم٣: ٢٧).

عندما يأتي الرجل الضرير، ثم ترقد أنت نفسك مريضا بشدة، فمن يهتم بكل منكما؟ وإن وجِد من يهتم بك بفرحٍ، إلاّ أنّ الذي يأتي لك بهذه الأعذار يقول لك باسـتمرار: "اُنظر، ها أنت قد جئت بثقلٍ على الجمع". وكما تعلم، فإنّ الرجل من الصـعب أن يتحمل، كما يقول الكتاب: «من يستطيع أن يتحمل رجلاً (ولو حتى شيخا) ضـعيف

القلب (أو خائر العزيمة)» (أم١٨: ١٤ سبعينية)؟ أما إن وجِدت حاجة إلى تذوق أيـام شريرة قليلة، فافعل ما تشاء. لو كنت لم أُسأل لما تكلّمت. ولكن أيضا ما قلته فقد قلته لأجل حب المسيح، حتى لا يضلّ أخي. ولكن إن كنت تشعر بشعور هذا الضرير لأجل الله، وتؤمن أن الله قادر أن يعينه، فتوسل إليه وهو سيعمل معه كما يشاء. إنني لم أقيدك أيها الأخ، ولا أعطيتك أمرا، بل رأيـًا. فافعل، إذًا، كما تريد، واغفر لي مـن أجـل الرب، وصل لأجلي أنا الأقل (من الجميع).

✥ ٥٧ - جواب من الشيخ الكبير إلى الأب بولس عندما بعث كلمةً مع شخص مـا بخصوص الإيمان (أي العقيدة)، ولم يقتنع بمثل هذا الاستفسار، وتضايق من المناقشة:

قال الرسول القديس وهو مدفوع بالروح القدس: «الله أمـين، الـذي لا يـدعكم تجربون فوق ما تستطيعون، بل سـيجعل مع التجربـة أيضـا المنفـذ لتسـتطيعوا أن تحتملوا» (١كو١٠: ١٣). يا أخي وتوأم نفسي وحبيبي بالحق، كُن متيقنا في الرب أنني لما رأيت الاضطراب والتجربة المكدرة التي أتت عليك، توجعت بشكلٍ مريع لم يحـدث مثله قبلاً، ولا سيما عندما تذكرت قول الرسول: «من يضعف وأنا لا أضعف؟ من يعثر وأنا لا ألتهب» (٢كو١١: ٢٩)؟ وأيضا: «إن كان عضو واحد يتألّم، فجميع الأعضاء تتألّم معه» (١كو١٢: ٢٦). وإن كنت لا أفعل مثل الرسول، فقد سمعته يقول: «فرحا مع الفرحين وبكاءً مع الباكين» (رو١٢: ١٥). ولكن مجدا لله العلي الذي لم يسـمح للعدو - مبغض الخير - أن يتمم فيك كل خبثه حسب مشيئته، لأنه هو الذي يريـد أن يبتلع الناس أحياء كما يشهد بذلك الرسول العظيم بطرس قائلاً إنه: «كأسدٍ زائر، يجول ملتمسا من يبتلعه هو» (١بط٥: ٨).

يا سيدي، ليتنا دائما لا نقبل بخفّةٍ تكدير الأفكار الشريرة، وأن نثور ونتكـدر نحـو قريبنا، لأنّ هذا من عمل الشيطان ليس إلاّ. وماذا فعلنا بالآية: «طوبى للرجـل الـذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكّى ينال إكليل الحياة» (يع١: ١٢)؟ لقد كتبت ذلك لمحبتك ليس لاحتياجك إلى التعلم، لأنك لو بحثت في الكتاب المقدس فإنه ستكون لك رزانـة وفطنة أكثر مني أضعافًا، لأنني بائس وضعيف، ولي فقط الاسم مع جهالة. ولكنني مـن وجع القلب والحب المضاعف لله «كتبت إليك بدموعٍ كثيرة» (٢كو٢: ٤).

فلعل الله يثبت قلبك في مخافته ذاك الذي خلق السماء وثبتها (إش٤٢: ٥ سبعينية)، ولعلـه يؤسس بنيانك على الصخرة الثابتة «الذي أسس الأرض على المياه» (مز١٣٥: ٦ سبعينية)، ولعله ينتهر التجارب ذاك الذي «انتهر الرياح والبحر» (مت٨: ٢٦). ولعله يبعِد عنك نسيان

الوصايا ذاك الذي أبعد المشرق من المغرب (مز١٠٣: ١٢). لعله يشفق على نفسك «كما يتراءف الأب على البنين» (مز١٠٣: ١٣)، ولعله ينير قلبك ذاك الذي أضاء الأشياء التي كانت مظلمة (أنظر ٢كو٤: ٦). ولعله يعطيك صبرا أن تسكن محبتك معي في سلام حتى آخر نسمة في حياتك، كما كشف لنا ذلك في وقتٍ سابق بنعمته ذاك الذي قال: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢). ولعله يعطينا سلاما مع بعضنا إلى المنتهى، السلام الذي أعطاه لتلاميذه (يو١٤: ٢٧). ولعله يعطينا أن نبلغ إلى حبه الكامل ذاك الذي قال: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي» (يو١٤: ١٥)، وأيضا قال: «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي: إن كان لكم حب بعضا لبعض» (يو١٣: ٣٥). فإن كان لنا هذا الحب فلن يفصل أحدنا عن الآخر شيءٌ حتى الموت.

ولكنه مكتوب: «الآن (أي بلا تأخير) يا إسرائيل» (تث٤: ١)، وأيضا: «إن صعدت (ثارت) عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك» (جا١٠: ٤). وأقول لك كلمة راعوث: «لا تلحي علي أن أتركك وأرجع عنكِ ... إنما الموت يفصل بيني وبينكِ» (را ١: ١٦و١٧). أما إذا عكست أي شيءٍ من هذه الأمور فأنا بريء من الكل، ودبر أنت أمورك وأجب عن ذلك في اليوم الرهيب، لأنني أبذل نفسي بسرور حتى الموت لأجلك يا أخي، ولا توجد وصية (أخرى). كُن هادئًا بثقةٍ، متعجبا من الله ومعطيا المجد للذي افتداك من أخطار ومزعجات وتجارب عظيمة متعددة. له المجد إلى أبد الدهور آمين. اِغفر لي ثرثرتي الكثيرة، لأنني من واقع حزني الشديد، وبفرحٍ عظيم بسطت كلامي لك. الرب معك أيها الحبيب.

⌖ **٥٨ - بعد وصول هذا الجواب أرسل إليه قائلاً:** يا سيدي الأب، اِغفر لي من أجل الرب، وصل لأجلي. أما بخصوص حزني وتكديري الذي تقول إنه من الشيطان، فأنت تعلم، يا سيدي، أنني منذ حداثتي قبلت إيمان الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر، ولم أقبل أي تعليم آخر غير هذا، وإنني لغاضب. فإذا كنت تعلم، أيها الأب، أنني متكدر بدون مناسبةٍ، فاعطني كلمةً حتى يعطي سيدي جوابا لله عني، ولا يصيبني أذى، وأنا أكُف عن حزني وغيظي، لأنني منزعج بشدةٍ بخصوص هذه الأمور، لأنني لست حاذقًا وأنا مملوءٌ بالحماقة ومجرب بخطايا عديدة. ولذلك فلا تأخذ علي يا سيدي، بل اكتب لي ردا بالمغفرة، وأعني في هذه الأمور بصلواتك المقبولة. وإنني أثق في الله أنك تريح نفسي البائسة.

⌖ **٥٩ - جواب من الشيخ الكبير إلى الأب نفسه:**

لو كنت قد فهمت الأمور التي كتبتها لك، لأمكنك أن تعلم أنني لم أكتب لك هذه الأمور من نفسي، لأنّ قولي: "إنني أبذل نفسي عنك" تفسر بأنني "أعطي جوابا لأجل محبتك". إنني لا أستحي من أن أقول لك، يا أخي، إنه ليس بمقدورك أن تبحث في الأمور التي تخص الإيمان، حيث إنها تجلب عليك اضطرابا وتكديرا. لأنه إن تكلّم المؤمن أو تناقش مع الهراطقة أو غير المؤمنين، فإنه لا يتكدر إطلاقًا لأنه يمتلك في داخله يسوع "رئيس السلام" والهدوء (إش٩: ٦). فمثل هذا الإنسان يمكنه بنقاشٍ سلامي مع المحبة أن يأتي بالعديد من الهراطقة وغير المؤمنين إلى معرفة مخلصنا يسوع المسيح.

إذن، أيها الأخ، فحيث إنّ البحث في أمور أخرى هو أعلى منك، فاحتفظ بالطريق الملوكي، أعني إيمان الثلاثمائة والثمانية عشر القديسين الحاملين لله الذي تعمدت على أساسه، لأنه يحوي كل شيءٍ بدقّةٍ للذين يفهمون بلوغه حد الكمال. كُن هادئًا، إذن، ملتفتا إلى خطاياك وكيف يجب أن تلتقي بالله. وإذا تمسكت بوصيتي، أو بالحري بوصية الله، فأِقر أنني سوف أُجيب عنك في ذلك «اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس» (رو٢: ١٦). فلا تتردد وتدخِل نفسك في أمور أردأ، لأنّ العدو يحول الحلو إلى مر، الذي سيبيده الرب يسوع عنا.

في المقام الأول، لا تهتم منذ الآن بأمور أخرى، لأنّ الرب قد نزع الهم عنك، ولما رأى الروح الشرير أنك قد تحررت بصلوات الآباء سعى إلى أن يبقي معك جزءًا من دخان مثل هذه التجربة. صل من أجلي، أيها الأخ، حتى لا يفعل ذلك معي أنا أيضا «فأنت إذًا الذي تعلم غيرك ألست تعلم نفسك» (رو٢: ٢١)؟ لئلاّ تعثر مرةً أخرى في هذه الأمور وتحزنني أيها الحبيب. لعل الرب يحمينا تحت جناحيه، آمين.

⌖ ٦٠ - سأل شيخ اسمه "الأب أوثيميوس" الشيخ نفسه في هيئة صلاة قائلاً:

يا معطي النور، أيها الطريق للذين في الظلمة، أضِئ علينا أيضا نحن الذين في الضباب، لأنك أنت نفسك أيها القدوس قلت: «اسألوا تعطوا، أُطلبوا تجدوا، اِقرعوا يفتح لكم» (مت٧: ٧). وطالما أنك تريد أن تفتح بابا للخلاص حتى لنا نحن، فاسرع لأنك بدأت. لأنك لو كنت لا تريد أن تخلصنا لما كنت صرحت لنا بالأمور المستحيلة عندنا ولكنها ممكنة لديك أنت الإله. لقد صرحت لنا أيها القدوس: "نقوا نفوسكم إن أردتم أن آتي إليكم". فقلت أنا إنّ الطين لا يمكنه أن ينقي ذاته. ثم قلت أنت لنا أيها السيد: "من يريد أن يحسب لائقًا لعطاياي فلينظر إلى خطواتي في كل الأمور". وكيف يمكن لمَن هو أعمى منذ ولادته أن ينظر إن لم تفتح عيناه؟ والأعمى يطلب أحدا يقوده بيده حتى

لعله يجد منه خدمة قليلة بطريقةٍ ما.

لأنه هكذا جلس بارتيماوس الأعمى على الطريق يستعطي، ولما سمع أنّ نور البر كان يمر بهذا الطريق صرخ قائلاً: «يا يسوع ابن داود ارحمني»، ولما انتهره الجموع صرخ أكثر كثيرا: «يا ابن داود ارحمني». ولما أشفقت بصلاحك ودعوته إليك وقلت له: «ماذا تريد أن أفعل بك»؟ وقال: «يا سيدي أن أبصر»، قلت له بصلاحك: «اذهب إيمانك قد شفاك»، وللوقت أبصر ورأى خطواتك وتبعك (مر١٠: ٤٦-٥٢). وأنا أريد أن أصرخ وينتهرني الذي يريد دائما أن يظلِم عيني الذين ينظرون. فإذا أردت أن تدعوني أنا أيضا إليك وتقول: «ماذا تريد أن أفعل بك»؟ فإنني أنا أيضا سأصرخ مثله: «يا سيدي أن أبصر». وأيضا الأبرص، لو أمكنه أن يطهر ذاته، لما صرخ: «يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني» (مت٨: ٢)، ولكنه كان قد طهر نفسه. وأنا أصرخ مثله، فهب لي نفس الصوت المقدس: «أُريد، فاطهر»، وللحال يفارقني البرص وأُبصِر وأطهر، وحينئذٍ أرى خطواتك لكي أسير خلفك، لأنك أنت الطريق للذين ضلوا.

وإنني لأتوسل إلى أبي قائلاً: "نعم يا أبي، توسل إلى سيدنا المسيح لكي يفتح عيني، لأنك أنت الذي تقودني بيدي وتأتي بي إلى سيدي يسوع". وله المجد مع الآب والروح القدس إلى الأبد آمين.

جواب القديس برصنوفيوس:

حتى «الآن وقت مقبول» (٢كو٦: ٢)، ولنرتل قول الإنجيل: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيبٍ بل المرضى» (لو٥: ٣١). فعندما يأتي المريض إلى الطبيب يجب أن يحفظ ما يأمر به الطبيب، بحسب القول: «يجب أنّ الذي يأتي إلى الله يؤمن أنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه» (عب١١: ٦)، لأنه أمين هو الذي قال: «يأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان ... وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية» (مر١٠: ٣٠). فالذين يأتون إلى طبيبنا العظيم يستنيرون به فيشفي جميع أوجاعهم العقلية (أي الداخلية النفسانية). فلا نفتخر إذن قائلين إننا مؤمنون طالما أننا سندان باعتبارنا مرائين وغير مؤمنين. لأنه من الأمور الظاهرة يتضح الإيمان غير الظاهر الذي يكمن في خفيات القلب. فإن كنا نصدق المخلص عندما يقول: «ليكن لك حسب إيمانك» (أنظر مت٩: ٢٩)، فلندعه يقول الآن أيضا للنفس الساكنة فينا: «ثقي يا ابنة، إيمانكِ قد شفاكِ» (مت٩: ٢٢) أو «قد خلّصكِ» (لو٧: ٥٠).

إذن، ليس إيماننا هو ما نتكلّم به ونعلنه بأفواهنا، بل إنّ إيماننا الكامل يظهر بالشفاء،

فإذا آمنت وشفيت سِر (أي امشِ) ولا تعثر. لقد شفيت فلا تعرج. لقد شفيت فلا تكن لك رقطة البرص البيضاء. لقد شفيت فاظهر أنّ نزيف دمك قد توقّف. فإن كان ذلك أيها الإنسان، فقد اقتربت من سماع المخلص قائلاً لنفسك الطاهرة والمحبوبة: «كلكِ جميلٌ يا حبيبتي، ليس فيكِ عيبةٌ» (نش٤: ٧)، كذلك قول الرسول: «لا دنس فيها ولا غضن أو شيءٌ من مثل ذلك» (أف٥: ٢٧).

فالباب، إذن، مفتوح لنا والطريق منبسط، ولكن فلنلاحظ أنه: «ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة» (مت٧: ١٤) وأنه «بضيقاتٍ كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢)، ولنثابر في أتعابنا بنشاطٍ، لأنه حقًا إنّ «آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلَن فينا» (رو٨: ١٨)، وأنّ «الله ليس بظالمٍ حتى ينسى» مثل هذه الأتعاب (عب٦: ١٠) إن كنا نتمسك بالاحتمال إلى النهاية، لأنه يقول: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢) في المسيح يسوع ربنا آمين.

⌖ ٦١ - سؤال من الشيخ نفسه إلى الشيخ الكبير في هيئة صلاة عن الأفكار النجسة وبخصوص القيامة:

أنت الذي هو «القيامة والحياة» (يو١١: ٢٥)، افتقِدنا لأننا نحن صنعة يديك، وطهرنا من الكتيبة الشريرة أيها القدوس، لأنّ عندك رأفة على خليقتك، وقد أخرجت اللجئون فطلب الشياطين أن يدخلوا في الخنازير. فهل كان ذلك في الخنزير غير العاقل أم في أنا العاقل، لأنني قبلتهم واندفعت من على الجرف إلى البحر (مر٥: ١٣) وضربتني الأمواج ولم أعرف؟ ولكن واحدا ينخسني الآن من الداخل لكي يوقظ مدير الدفّة (مر٤: ٣٨) لكي يمد لي يده وينتشلني من العمق، كما فعل مع بطرس، ويقول لي أيضا: «يا قليل الإيمان، لماذا شككت» (مت١٤: ٣١)؟

وحيث إنك وعدتني بواسطة خادمك برصنوفيوس في أجوبته أن تجعلنا في قبر واحدٍ، فهل سنقوم حينئذٍ أيضا معا؟ لأنني أخاف من الكلمة الإلهية القائلة: «حينئذٍ يكون اثنان في الحقل، يؤخذ الواحد ويترك الآخر، اثنتان تطحنان على الرحى، تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى» (مت٢٤: ٤٠و٤١). وطالما أنه منذ خلقة العالم يرقد (أي يموت) البشر، وكثيرا ما توجد أجساد القديسين والخطاة في نصبٍ تذكاري واحدٍ، فهل سيقومون حينئذٍ معا في القيامة عندما يأتي ملائكتك المختارون ليقيموا جميع الأبرار؟ أم أنه ليس كذلك، بل المختارون وحدهم؟ ولهذا السبب فأنا خائف، وأتوسل بواسطة خادمك أنك كما أظهرت أننا سنرقد معا في قبر واحدٍ هكذا أظهر أنك

ستقيمنا أيضا معا.

وأتوسل إلى أبي برصنوفيوس، أنه كما أننا أخذنا حقلين لنحصدهما، وأنني مرضت ولا يمكنني أن أحصد، أن يصارع هو نفسه - حيث إنه قوي - ليحضِر لك، أيها السيد، حزم البر نيابةً عني أيضا. لأننا رأينا عند الآباء الأوائل أيضا هذا المثال، أنّ ثلاثة خرجوا للحصاد ومرض أحدهم مثلي ورجع إلى قلايته، ولكن الاثنين تصرفا برجولةٍ وجمعا الحصاد. وبعد أن أتمّا الحصاد ورجعا أجبراه أن يأخذ أجره، ولكنه اعترض قائلاً: "أي أجر لم أتعب من أجله؟ ولكن أنتما اللذان تعبتما"، ولما ذهبوا إلى الآباء ليحكموا فضلوا أن يأخذ الأجر، وقد اعتبِر حكمهم مباركًا[٨].

إذن، أيها السيد المسيح إلهنا، صادِق أنت على صلاتي هذه، لأنّ لك المجد إلى الأبد آمين.

الجواب: كما أنّ رب البيت يقيم له وكلاء مخلصين، ويعطيهم مفاتيحه وممتلكاته وأهل بيته، ويعتمد على الوكيل المخلص في كيفية نومه وكيفية إطعامه وكيفية دفع السيد لأجره، ومع من يقضي وقته: إن كان مع السكيرين أم مع المؤدبين، فيقرر الويل للواحد وتحفَظ البركة للآخر؛ هكذا أيضا أقام إلهنا لنفسه وكلاء مخلصين وأعطاهم مفاتيحه لكي يغلقوا ويفتحوا، أي حرية الإرادة. كونهم مخلصين فهو لأنّ جميع المسيحيين قد تعمدوا، أما إدارتهم الحسنة للأشياء التي اؤتمِنوا عليها فهذا يعني بوضوح أفعال المعمودية لأجل خلاصهم. أما إذا انحرف أي منهم عن الطريق المستقيم فنصيبه يصير مع السكيرين الذين هم سكارى بخمر العصيان. مثل هذا الإنسان هو الخبير العاقل، وأنت تعلم ما يقاسيه عندما يأتي سيده (أنظر مت٢٤: ٤٩-٥١). ولكنه إذا أدار الأشياء المسلمة إليه حسنا فالجميع يعرفون كلمة بركة السيد له، لأنه يقول: «في كل الأرض خرج منطقهم (أو صوتهم)، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم» (مز١٩: ٤).

أما بخصوص القيامة: فهذا العالم مثل البيدر، والزوان موجود مع الحنطة، وعندما يحين وقت القيامة يعلمنا صوت الإنجيل أنهما يقامان مختلطين عندما يقول: «فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء» (مت٢٥: ٣٢). أما الكلام عن المرأتين والرجلين فقد قاله بخصوص النهاية، عن الإيمان ونقص الإيمان، أنه بعد ذلك يؤخذ واحد ويترك الآخر.

أما عن موضوع حصاد الإخوة، فالصلاح كان موجودا في كل منهم. فالذي كان

(٨) أنظر أقوال الآباء غير المعروفين: صفحة ٤٥٠.

مريضا كان في نيته أن يعمل ولكن مرضه منعه، والاثنان الآخران اعتبرا أنّ الرب أعطاهما قوةً بصلاة الأخ الذي كان مريضا، وأنّ نعمة الروح القدس حلّت عليهمـا، ولـذلك، فكما قال الرب للرسل: «لا تفرحوا بهذا أنّ الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أنّ أسماءكم كُتِبت في السموات» (لو١٠: ٢٠)، هكذا نحن، فدعنا أيضـا ألاّ نطلـب أن نعرف إن كنا نقوم كلنا، بل أن نسمع: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» (مت٢٥: ٣٤)، وأن نكون معا مع يسوع كما قال: «كما أنـك أنت أيها الآب في وأنا فيك، ليكونوا هم أيضا واحدا فينا» (يو١٧: ٢١)، لأنّ له المجد إلى الأبد آمين.

⌖ ٦٢ - سؤال من الشيخ أوثيميوس إلى الشيخ الكبير في هيئة صلاة:

أيها الرب يسوع المسيح، يا طبيب النفوس المجروحة، نأتي لك بصلوات من الكلام المقدس الذي تقبله أنت بواسطة خادمك. لأنك أنت نفسك أيها القدوس قلت: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيبٍ بل المرضى» (لو٥: ٣١)، كما أنّ عبدك بولس الرسـول ذكر أيضا ذلك: «لكي لا يعتسف الأعرج بل بالحري يشفَى» (عب١٢: ١٣). لقد قلت أيها القديس في إحدى إجاباتك هذه: "لقد شفيت فلماذا تعرج"؟ فالذي صـار معافًى لا يعرج بل يمشي باستقامة. وأنا حيث إنني أعرج ومجروح، لذلك أدعوك (يـا رب) أن تفتقدني كما افتقدت ذاك الذي كان نازلاً إلى أريحا ووقع بـين اللصـوص (لو١٠: ٣٠-٣٤)، (لأنني أنا أيضا قد وقعت بين اللصوص أنفسـهم وجرحـت)، لكي تضمد جراحي أيضا وتركبني على دابتك المقدسة، أي الإيمان الصالح، وتحضرني إلى فندقك المقدس وتعتني بي حيث تعتني بجميع المتضايقين.

أيها السيد، لقد جاءت المرأة النازفة الدم خلفك ولمست ثوبك وأُنقِذَت (مت٩: ٢٠-٢٢)، ولكنني آخذ الشفاء يوميا من أعضائك المقدسة، أي جسدك ودمك الأقدسين، والماء الذي خرج من جنبك المقدس (يو١٩: ٣٤)، ولا زال مرضي يتضخم. وحيث إنك قلت أيها القديس: "الذي يأتي إلى الطبيب ويريد أن يشفَى يجب أن يحفظ ما يأمر به الطبيـب"، فارسِلْ لي، أيها السيد، كل ما تريده: أدوية، مكاوٍ (جمع مكواة)، ضمادات، فقط أوقـف نزيفي المنتن، أي الأفكار النجسة. وحيث إنك قلت، يا رب، إنّ البـاب مفتـوح، إلاّ أنّ الكلاب يحرسون من كل جانبٍ، ولا يسمحون لأحدٍ بالاقتراب من الباب، وإذ يرى رب البيت الصالح الإنسان المسكين من بعيد آتيا ومنزعجا من الكلاب يرسل البـواب لكـي يطرد الكلاب فيقترب المسكين لكي يأخذ الصدقات من صلاحك.

يا أبي، ما هذا الذي كتبته لنا: "الذي يعيش أسبوع سنين سيرى أمورا لم تكن منذ إنشاء العالم"؟ ونحن الأصغر، ماذا نحن فاعلون؟ كيف يمكننا أن نخلص؟ اطلب من الرب أن يرينا تلك الجبال المقدسة التي قال لنا أن نهرب إليها ونخلص (مت٢٤: ١٦)، من أي نوع هي؟ هل هي التي يدركها العقل أم أنها هي تلك الجبال الظاهرة؟ وذلك لكي نعلم نحن أيضا أنه عندما تأتي الساعة نهرب إلى هناك ونخلص، في اسم الآب والابن والروح القدس إلى الأبد، آمين.

جواب القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ، ليتنا نلاحظ ما نقوله، فنرى أنّ لدينا ما يحكم علينا من كلامنا. لأنّ من يأتي إلى الطبيب إن لم ينظم نفسه حسب وصية الطبيب لا يمكنه أن يتخلّص من مرضه. وحيث إنك تكلّمت عن حصولك على أشفية وعقاقير أخرى، فإنني أتعجب من محبتك: كيف أنك لا تلاحظ الحكمة في كل فن من فنون طبيبنا العظيم؟ وكيف أنه يقضي على الوسيلة التي بها يبحث كل إنسان عن هذه الحكمة؟ لأنه بكشفه لكل ما عنده من كتب شفاء لكل إنسان يرغب في البحث عنها لأجل الخلاص يظهر لنا أننا بلا عذر. فحيث إنه حتى النساء يرتلن في كل مكان الآية: «أما أنا فدودةٌ لا إنسان، عار عند البشر ومحتقر الشعب» (مز٢٢: ٦)؛ فماذا يفعل الرجال؟ إنني لا أتكلم عن النساء البغيضات، حاشا، لأنه لم يفرض علينا أن نفعل ذلك، بل إنهن منذ البدء قد صرن سببا للتعدي، والله لم يبعِدهن عن التعليم الإلهي. فإذا ارتضينا بهذا الدواء، فلماذا نطرحه عنا - حتى ولو سخِر بنا وظننا أننا لم نطرحه، بل إننا نمتلكه. إذًا، فنحن نتكلم بصيغةٍ رمزية وليس بالحقيقة. لأننا إذا لمسنا إنساننا الداخلي فإننا حقًا نجده، لأنّ هذا حق أننا لا نحمل (في داخلنا) تأنيبا ولا إهانةً (أو تحقير أو أذى) أو عدم اكتراث أو سخرية. ومن الفكر الذي لديك اليوم - الذي اختبرتك فيه مرةً - لأنك بعد الحدث كنت نادما على أنك لم تكن تعلم - أنني أردت أن أمتحن محبتك وفعلت تلك الأمور التي تعلمها، فوجدت أنّ الإنسان العتيق لا زال رابضا فيك. إلاّ أنني أظن أنّ محبتك قد انتفعت من ذلك ليس بالقليل.

إنّ ربنا، إذن، كاملٌ ويريد أن يكون جميع الذين له كاملين، لأنه يقول: «كونوا أنتم كاملين كما أنّ أباكم الذي في السموات هو كاملٌ» (مت٥: ٤٨). إذن، فالذي يحمل هذه الكيات (جمع كية أي العلاج بالكي) يخلص. لأنّ الذي رائحته الشريرة في أنفه لا يشتم غيرها حتى ولو كان واقفًا فوق جميع الأشياء الميتة، والذي سلبه اللصوص ليس له شيء يمنحه لآخرين. ولكن أنظر، أيها الحبيب، إنه مهما كانت الحرية من الهم التي

نملكها، فنحن لا نريد أن نكون أحرارا من الهم بالكامل، لكي تكون لنا نفوسنا كما نحن تراب ورماد، وقد شخنا ونحن نتغذّى على المجد الباطل في نفوسنا! لأنه أن يكـون لنـا (شعور أنّ) عملنا يرضي الله، وأنّ رسوخنا يعلم جميع الناس، وأننا قد تحررنا من دينونـة الآخرين؛ فهذا مجد باطلٌ إلى أقصى حد ليس إلاّ!

فإن كان طبيبنا السماوي العظيم قد أعطانا العقاقير والمسكنات، فمن أين وجِد سبب هلاكنا إلاّ من غرضنا العليل؟ لقد أعطانا قبل كل شيء اتضاعا، طاردا كـل كبريـاء «وكل علو يرتفع ضد معرفة» مجد ابن الله (٢كو١٠: ٥)، وطاعةً «تطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة» (أف٦: ١٦)، وقطع مشيئتنا في كل الأمور لأجل قريبنا؛ وهـذا يلـد رباطة جأش في القلب وأكثر حالات الوجه إشعاعا وبهجةً، والثبات في المظهر، ولأجـل ضمادته العظيمة التي تربط جميع أعضائنا «وتشفي كل مرضٍ وكل ضعفٍ» (مـت٤: ٢٣) قد أعطانا الحب الذي مثل حبه! لأنه هو نفسه قد صار نموذجا لنا، لأنه «وضـع نفسه وأطاع»، ليس مجرد طاعة فحسب، بل «حتى الموت» (في٢: ٨). وإذ ضـحى بحياته لأجلنا علّمنا قائلاً: «أحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم أنا»، و«بهـذا يعـرف الجميع أنكم تلاميذي، إن كان لكم حب بعضا لبعض» (يو١٣: ٣٤و٣٥).

فإن كنت، إذن، لا تريد أن تعرج، فخذْ عود الصليب، وتمسك به بشدة، ومت ولا تعرج بعد الآن، لأنّ الجسد الميت لا يعرج. فإذا وجِد هذا العود عندك لا توجد حاجـة إلى بواب، لأنك بهذا العود تطرد ليس الكلاب فحسب بل أيضا ملك الوحوش: الأسـد الزائر (أي الذي يزأر). وقد قال يعقوب أب الآباء: «بعصاتي عبرت هذا الأردن» (تك ٣٢: ١٠)، وأيضا: «سجد إسرائيل على رأس عصاه» (تك٤٧: ٣١ سبعينية). كما أنّ موسى النبي صنع المعجزات بالعصا. والذي يسمر عليها يتحرر بالتأكيد مـن "الرطوبـة المائعة"، لأنّ الذي يموت، يموت عن الخطية، وما هو الرجاء المتوقع بعد ذلك إلاّ القيامـة في اليوم الثالث؟ لأنه يكفي للمصلوب أن يقام مع يسوع.

أما بخصوص الأسبوع، فستكون هناك ضيقات وتحركات متعددة. أما عن الجبال التي تكلّمت عنها فليتنا ندرك القديسة مريم حاملة الإله والقديسـين اللاحقـين، والـذين يوجدون في تلك الأوقات حاملين لختم ابن الله بثقة، لأنه هو ذاته يخلص كثيرين بسببهم. لأنّ له المجد إلى الأبد، آمين.

⌖ ٦٣ - سؤال منه أيضا إلى الشيخ الكبير نفسه:

ليكن الثالوث الأقدس غير القابل للانقسام غير منفصل عنا. «من أفواه الأطفـال

والرضع هيأت تسبيحا» (مز٨: ٢؛ مت٢١: ١٦).

أيها الأب، إنك حقًا تلميذٌ صالحٌ للطبيب الحقيقي، لأنك أعطيتنا أدويةً ومضادات للسموم، والمكواة الأولى قد نخست قلبي جدا ولا يمكنني أن أحتمل الآلام. لأنك كتبت لنا أن نرتل قائلين: «أما أنا فدودةٌ لا إنسان» (مز٢٢: ٦). وإنني حقًا أرتل وأسجد وأمجد وأهلل جدا إلى أبد الدهور، ولكنني لا أجسر أن أقول: أنا دودةٌ لا إنسان، لأنني إنسانٌ مجروح من الدودة القابلة للفساد. ولكن ما هي قدرة هذه الدودة غير القابلة للفساد؟ هذه الدودة (أي الرب) جاءت من أجلي لكي تنقذني من الدودة الفاسدة التي تفسِد جنس البشر. وحيث إنّ تلك الدودة الفاسدة - التي تفسِد وهي فاسدة - تتوغّل في الجروح وتعمل فيها للعفونة والنتانة؛ فقد جاءت الدودة غير الفاسدة التي قيل عنها: «أنا دودة لا إنسان». وكما تغوص هذه الدودة الفاسدة في الجروح؛ هكذا أيضا غاصت الدودة غير الفاسدة «إلى أقسام الأرض السفلى» (أف٤: ٩)، وبدأت تهلِك من هناك كل نجاسة الدودة القديمة، ولما طهرتها كلها أخرجتها وبقي الإنسان غير فاسدٍ.

هذه هي الدودة التي طهرت أيوب الصديق من الدودة الفاسدة، والتي قالت له أيضا: «أشدد الآن حقويك كرجل» (أي٣٨: ٣). هذه الدودة أيضا «اصطادت لوياثان بشص (أي صنارة)» (أي٤١: ١) وهي معلقة على خشبة الصليب. لهذه الدودة «كل شيءٍ قد أخضِع» عدا «الذي أخضع له الكل، لأنه أخضع كل شيءٍ تحت قدميه» (١كو١٥: ٢٧). الدودة الفاسدة تفسِد كل شيءٍ، ولا يوجد شيء على الأرض، لا أخشاب ولا أطعمة ولا تراب ولا لحم، لا تلتهمه عدا الملح والزيت. ولكن ما هو الملح والزيت سوى الآب الذي «أخضع كل شيءٍ تحت قدميه»، والذي أيضا ملّح الخليقة برحمته (أو مسح الخليقة بزيته)، والذي أيضا أعطى ملحًا للرسل لكي يملحوا العالم من رائحة الأصنام الشريرة، لكي يأتوا إلى المذاق الحلو الممتع الذي للإله الحقيقي، آمين.

وما هي قوة الخردل حتى إنه شبه ملكوت السماء به (مت١٣: ٣١)، وليس بالزيتونة أو النخلة أو أي واحدة من الأشجار العظيمة، بل بتلك الحقيرة؟ فهي خشنة وقابضة لأنسجة قلوبنا. نعم، أيها الأب، اطلب من الرب أن يظهر لنا هذا السر الذي للدودة والخردل، لكيما نحن أيضا نمجد الآب والابن مع الروح القدس إلى أبد الدهور، آمين.

يا أبي، حيث إنك ذكّرتني بالأشياء العتيقة فإنني أنا أيضا لم أنسها، بل أتذكر دائما تلك الأمور التي لم يشأ العدو أن يفعلها، ولكنه حلّ به الجنون عندما رأى ثمرا في هذا المكان، إلاّ أنّ صبرك وحب الله للإنسان لم يسمحا لمشيئته الحمقاء أن تعبر إلينا، ولكننا لا زلنا حتى الآن نمجد الله. وحيث إنك قلت لي: "إنك تتوب بعد الفعل"، فلعلّي حتى بعد ذلك لا أدوم مصِرا على ذلك تماما! وحيث إنك قلت لي: "الذي يقع بين اللصوص ويسلب لا يملك ما يمنحه لغيره"، لذلك أتوسل جائعا إليك أنت الذي تملك أن تلقي بفُتاتك لي حتى آخذ طعامي مثل الكلب تحت مائدتك أنت الذي عندك. وحيث إنك قلت: "إنّ الكبرياء والتظاهر قد كبرا معك"، فصل من أجلي لكي تفارقاني في اسم الرب، آمين.

جواب القديس برصنوفيوس:

سبق أن قال داود النبي: «قد أنتنت، قاحت حبر ضربي (أي جروحي)»، من أين؟ «من جهة حماقتي» (مز٣٨: ٥). إذًا، فالحماقة هي مخزن لكل الشرور، لأنّ الحماقة ولدت عدم الطاعة، وعدم الطاعة ولدت جرحا، وبعد الجرح ولدت الحماقة إهمالاً، والإهمال أدى إلى نتانة وعفونة، والجسد البائس ولد دودا وفَسد. ولما فَسد أُلقي في البحر وصار طعاما للحوت ووضِع في أحشائه حتى جاءت إلى هناك الدودة السماوية وسمرت على صنارة الصليب وأُنزِلت إلى أحشاء الحوت، وأخرجت من فمه الطعام الذي ابتلعه مع أحشائه. وأخذ اللحم وغمسه في زيتٍ وغسله بماءٍ وشواه بنار، لأنه قيل: «هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» (مت٣: ١١)، وأطعمه بخبز وفرحه بخمر وتبله بملح وحرره من الفساد. وأكثر من ذلك، أضاف إليه خردل مقلصا كل فسادٍ، وضم منخاري التنين لكي يجعله غير قادر حتى أن يشمه، ومشوشا على عينيه حتى لا يطّلع على كمال اتضاعه.

وإذ علمنا كل هذه الأمور، ليتنا لا نتجاهل نصحه لئلاّ تتحقّق فينا أيضا الكلمة: «إن فسد الملح فبماذا يملح» (مت٥: ١٣)؟ وماذا ينقصهم؟ لا شيء سوى «قال الجاهل في قلبه ليس إله» (مز١٤: ١). إذن، فإن كنت لم تنس الأمور القديمة وتعلم الأمور الأخيرة، فاسمع الذي يقول: «الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته يضرب كثيرا» (لو١٢: ٤٧). فإذا قلنا إننا نعرف ونحن مهملون لا يكون بعيدا عنا الويل للذين يخطئون بمعرفةٍ. ولكن إن كنا نعرف أننا تراب ورماد مثل إبراهيم وأيوب؛ فلن نسلَب إلى الأبد، بل يكون عندنا دائما لنعطي آخرين أيضا، ليس ذهبا ولا فضة، بل نموذجا للاتضاع والصبر وحب الله. له المجد إلى الأبد، آمين.

⌖ ٦٤ - الشيخ نفسه لم يشارك في الخبز، فسأل الشيخ الكبير عن الغذاء:

الجواب: أيها الأخ، افرح في الرب. توسل إلى الله أن يعطيني صبرا كاملاً، لأنني أبدأ

في أمر ولا أصل إلى نهايته، ولكنني أكون في نفس الوقت منصرف الانتباه عن التصرف فيه. وأتطلّع إلى أن أصنع بداية وأن أصل إلى النهاية عندما أسمع الرسول يقول عن البداية والنهاية: «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحًا يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (في١: ٦). ولكن رغم أنني، أنا الذي يرثى له، لا أفعل شيئًا يرضي الله، فبسبب وصيتك أعطي رأيي كما لأخي: خذ أربع بقسماطات - إذا استطعت - في الأسبوع وكل يوم أحد، بسبب ضعف جسدك، ومعها إما عصيدة أو خضروات مطبوخة. وكما أفترض فإنك تحسِن الأخذ منها. أما إن كنت أتكلم بحماقةٍ فلا أعلم، لأنّ الذي لا يوجه نفسه كيف يمكنه أن يوجه آخرين؟ اِغفر لي أيها الأخ، لأنّ علي أن أتوسل إليك أن تضع لي قواعد، ولكن لا زالت كبريائي - التي هي أصل جميع الشرور - تتسلّط علي. صل، أيها الأخ، لكي نجتاز المعبر الموضوع أمامنا، لأنه مليء بالأمواج والأخطار، وأنا بعدم إحساسي أضحك وغير مبالٍ. ومع ذلك فإنني لم أقطع الرجاء لأنّ لي سيدا رحوما ورءوفًا. فاعطني، إذن، يدك من أجل المحبة واجذبني إليه وبواسطتك يخلصني أنا الحقير. له المجد إلى الأبد، آمين.

⌖ ٦٥ - لم يستعمل الشيخ نظام الطعام الذي أخبره به الشيخ الكبير، فسأله نفس السؤال مرةً ثانية، فأجابه هكذا:

الجواب: أيها الأخ، حيث إنك وجدتني مسرورا بأن تأمرني محبتك، فلعلك لهذا السبب أهملت كلامي. وهذا ليس منك، بل إنّ السبب كله مني، حيث إنّ كلامي غير مثمر، لأنه لم ينبثق من عرق العمل، ولذلك لم تكن له قوة. الذي يسأل ولا يطيع يغضِب الله، لأنّ السؤال يتبعه حسد العدو. فحتى هذا اليوم لا نعرف فنون الشياطين، والرسول لا يكف عن إعلانه قائلاً: «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو٢: ١١).

ابتهج يا أخي، ولكنني إذ أعتبرك توأما لنفسي لأجل المحبة التي بحسب المسيح، فلا يمكنني أن أعطيك جوابا، لأنني، كما قلت، لست على هذا المستوى. ولكن طالما أنّ الله ألصقني بمحبتك، أتكلّم مرةً أخرى بحماقةٍ: احتفظ بأربع بقسماطات "Laitina" في الأسبوع كما قلت لك، وكلّ يوم أحد إما عصيدة أو خضروات مطبوخة بسبب مرضك. ولكن لا تضع في قلبك أنني أعطيتك أمرا، فهو ليس أمرا، بل رأي أخٍ. الميدان مفتوح، فليتنا نركض لكي نربح (١كو٩: ٢٤) - لأننا بشر فاسدون، وليس لنا سوى وقت قصير على الأرض - وذلك لكيما نجد رحمةً في تلك الساعة المخوفة المفزعة، في المسيح يسوع ربنا.

⌖ ٦٦ - جواب من الشيخ الكبير للشيخ نفسه مشيرا إلى فحوى السؤال:

أيها الأخ، ماذا علي أن أقول في ذلك، أنا الذي لم أفعل شيئًا على الإطلاق؟ ولكن حتى لو قلت أنت لي: "إنك فعلت وتفعل"، فلا أذكر أنني فعلت أي شيء سوى أنني دائما أُغضب الله بأعمالي. فلأجل أعمالي لا أتوقع شيئًا على الإطلاق. ولكن بسبب محبته الحانية أرجو أن أخلص، لأنه مات ليخلص الخطاة. وهكذا فإنني متمسك باسمه حتى يأتي بنفسه ويقول لي: «ماذا تريد أن أفعل بك»؟ حتى أقول مع الذي قال: «يا سيدي، أن أُبصر» (مر١٠: ٥١). وحتى لو كانت لي أعمال أيضا، فلا أجسر أن أتكلم خوفًا مما حكِم به على الفريسي (في مثل الفريسي والعشار: لو١٨: ١٠-١٤).

ولكنني أخبرك أيها الأخ أنّ كل حياتي ورجائي معلقان به، وأنني أتوسل ليلاً ونهارا أن أتنقّى من أهوائي الظاهرة والخفية. ماذا علي، إذن، أن أقول عن المآثر (أي المكاسب الروحية)، عندما أسمع أنه ينبغي أن «يستد كل فم» (رو٣: ١٩)، وأيضا: «من افتخر فليفتخر بالرب» (١كو١: ٣١)؟ ولكن طوبى للذي تنقّى من السخط والأهواء الأخرى وحفظَ جميع الوصايا ويقول إنه عبد بطّال (لو١٧: ١٠). ولكننا إذا أتممنا مأثرةً (أي عملاً صالحًا) واحدةً ثم فقدناها بعملٍ آخر، فما الذي ينفعنا عندما نبني كل يوم ثم نهدم؟ فإذا ازدرى أحد بالمجد (الباطل) والهوان، فمثل هذا الإنسان يمكنه أن يخلص في المسيح يسوع ربنا له المجد، آمين. أوصِ الرب علي، وكُن هادئًا في ثقةٍ، مصليا لأجلي أنا البائس الحقير.

⌖ ٦٧ - سؤال من الشيخ ذاته إلى الشيخ الكبير:

أيها الأب، صل لأجلي لأنني متعب. لأنني قبل أن شرعت في الكلام معك وأي شيء بدا لي أن أفعله؛ فمن ناحيتي كنت أفعله بدون تعب. ولكن منذ أن أعطيتني كلمةً فأنا أكِد، بل إنني رقدت مريضا. وقبل ذلك كتبت لك عن الكلمة، وأنت نفسك اعتبرت أنّ عندي أفكار كبرياءٍ، وأرسلت لي كلمةً عن الفريسي. وإنني، أيها الأب، لم أكلمك من واقع كبرياء، بل من ضرورة. فأتوسل إليك أن تصلي لكي يكشف لك الرب عما بداخلي.

جواب القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ، يقول الكتاب المقدس: «افعل كل الأمور بمشورة» (أم٢٤: ٧٢ حسب النص)، و«بدون مشورة لا تفعل شيئًا» (سيراخ٣٢: ٢٤ حسب النص). عندما كنت تفعل بدون مشورة بل بمشيئتك الخاصة، لم تكن تجاهد مع ذهنك. لأنه لا يوجد من لا يحتاج إلى مشورة إلاّ الله وحده الذي خلق الحكمة، ولكنك عندما طلبت أن تقطع هواك بحسب الله وتبلغ إلى الاتضاع، وأن تتخذني أنا أخاك الصغير جدا كموجهٍ؛ فقد أثرت

حسد الشيطان عدو الخير الذي يحسد جميع الناس على الدوام.

أترى التواء الشيطان؟ إنني من نفسي لم أضع لك نظاما على الإطلاق، وأنت سألتني وأنا أشرت عليك كأخٍ، ولما سمعت أنت تركت المشورة وأضفت شيئًا من عندك. وحدثتك أنا عن الفريسي، لأنه هو أيضا كان يتباهى عندما قال ما قال. وأنت طلبت تأكيدا، وهذا أيضا لا شيء سوى كبرياء. انتبه وأنت ترى بتدقيقٍ كيف أنك عندما تبدأ يأتي هو لك بحجةٍ، فتهدم هذه البداية، ثم تبدأ مرةً أخرى ثم تهدم في الحال، ولا تتذكر أنّ: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢)، وأيضا: «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحًا يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (في١: ٦). إن كان يرضيك أن تعمل من نفسك كما كنت تفعل، فهذا لا يضايقني، لأنني لا أريد أن أكون أبا لأحدٍ أو معلما لأحدٍ، لأنّ الرسول يقنعني بقوله: «فأنت إذًا الذي تعلم غيرك، ألست تعلم نفسك» (رو٢: ٢١)؟

أيها الأخ، إنّ الذين يخلصون يخصهم القول: «يذيب النفس مثل عنكبوت» (مز٣٨: ١١ حسب النص). من ثمّ، فهناك حاجة إلى صبر أكثر حتى «بضيقاتٍ كثيرةٍ ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢)، في المسيح يسوع ربنا، آمين. اغفر لي يا أخي، وصل من أجلي.

⌖ ٦٨ - سؤال من الأب نفسه إلى الشيخ الكبير نفسه:

يعلّمنا يسوع الذي يبحث عن الخراف الضالة أيضا كيف نبحث عن الراعي. أيها الأب، توجد كلمة واحدة أريد أن أسألك عنها: حيث إنه مكتوب: «اطلبوا الرب وقدرته، التمسوا وجهه دائما» (مز١٠٥: ٤)، فكيف يمكن لإنسانٍ خاطئ أن يلتمس الرب دائما؟ علمنا ذلك لأجل ذاك الذي جعلك حكيما، وذلك لكي نلتمس نحن أيضا دائما وجه الرب. لأنّ له المجد إلى الأبد، آمين.

جواب القديس برصنوفيوس:

يا أخ أوثيميوس، أتوسل إلى محبتك أن تتعب معي في الصلاة لله محب البشر، لأنّ محبتك طلبت مني أن أكتب لك عن كيف ينبغي أن نبحث عن الراعي. ومن أول يوم حتى الآن أنا أتوسل إلى الله بخصوص هذا السؤال، وهو يقول لي: "نق قلبك من أفكار الإنسان العتيق، وأنا أعطيك الإجابة على أسئلتك مجانا، لأنّ عطاياي تجد في الأنقياء مكانا فتعطى لهم. ولكن طالما أنّ قلبك يتحرك بالغضب وتذكر الشر وأهواء الإنسان العتيق المشابهة؛ فإنّ الحكمة لا تدخل فيه. إن كنت ترغب في مواهبي بجديةٍ، فاطرح عنك أواني الغريب (أنظر نح١٣: ٨)، فتأتيك أواني من ذاتها. ألم تسمع: «لا يقدر أحد أن

يخدم سيدين» (مت٦: ٢٤)؟ فإن كنت تخدمني حينئذٍ لا تخدم الشيطان، وإن كنت تخدم الشيطان فلا تخدمني. وعلى ذلك، فإذا رغب أحد أن يحسب مستحقًا لمواهبي، فعليه أن يراعي خطواتي، لأنني كحمل بلا عيب قبلت جميع الآلام دون أن أقاوم في شيء (أنظر إش٥٣: ٧)، وأنا أخبرتك أن تكون لك أُلفة (أو وداعة) مثل الحمام، وبدلاً من كل ذلك فأنت لك شراسة من أهواء الشهوات. فانظر إنني لم أقل لك: «اسلك بنور نارك» (إش٥٠: ١١)".

ولما سمعت ذلك، ها أنا أنوح وأئن حتى يتراءف علي أنا أيضا بجوده ويحررني من أوجاع الإنسان العتيق المريعة لكي آتي إلى إثر خطى الإنسان الجديد، ولكي أقبل كل الأمور التي تأتي علي بصبرٍ كثير. لأنك تعلم أنّ الصبر «له عملٌ تام» (يع١: ٤)، والرسول ذكر ذلك. فصلِّ إذن، يا أخي، أنّ هذا يكون لي. ولأجل المحبة وبخني إن كان أي شيءٍ يفلت مني لكيما أصححه، لأنني بالتأكيد أحمق، ولكنني أحب الذين يعلمونني ويوبخونني، عالمًا أن تعليمهم سيكون لخلاص نفسي. وأيضا صل لكي أهرب من سقطة تبرير الذات، لأنني مضطرب في كل حال. وفي كل الأمور اغفر لي أنني دائما أثقل عليك، ولكن ذلك له مكافأة عظيمة في المسيح يسوع ربنا، آمين.

⌖ ٦٩ - سؤال من الأب إلى الشيخ الكبير نفسه:

أيها الأب، أتعابي التي أقدمها لك قد نسبتها لنفسك، وهذا هو ما يفعله الحكماء لكي يحملوا ثقل جارهم. وحيث إنني سألت عن الإجابة، فأنا لم أسأل لأجل نفسي فحسب، بل لأجل كثيرين لمنفعة نفوسنا، ولا سيما أنك، أيها الأب، تحثنا برأفتك العظيمة على أن نسأل عن طريق الحياة. ولكنني أتوسل، حيث إنّ الرب أرسلك لي كمرفأٍ وملجأٍ، أن تصنع رحمةً وتتوسل إلى السيد الرب أن يصنع رحمته معي ويكشف لي أمرا معينا صغيرا أسقط فيه. وكيف ذلك؟ لا أعلم. واكشفه لي كما كشفت لي الأمر الأول لكيما أتوب. وبعد ذلك أرني الطريق وكيف أسير فيه، لأنك قد اتخذت نفسي على عاتقك.

جواب القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ، إنني أتكلم كما لنفسي أنا، لأن الرب قد ربط نفسك بنفسي قائلاً: "لا تبتعد عنه"، حيث إنه لم يكن من جانبي أن أعلمك بل أن أتعلّم منك. لأنني أخاف الذي قال: «فأنت إذًا الذي تعلم غيرك، ألست تعلم نفسك» (رو٢: ٢١)؟ وحيث إنه يقول إنّ الحكيم تكفيه الإيماءة، وهي لم تكن كافية لك، بل إنك ترغب أن تسمع بصراحةٍ؛ فإذا أخطأ أحمق في كلمةٍ يغفر له الجميع لأنه أحمق ولا يعلم ماذا يقول. ولكن إذا أخطأ

حكيم فلا تكون له مغفرة لأنه حكيم وقد أخطأ بقصد. وهكذا، إذا أخطأ أحد الإخوة من الخارج في كلمةٍ فله مغفرة لأنه (يعيش) مع الإخوة الآخرين. أما إذا أخطأنـا نحـن الذين نعتبر عند الناس نساكًا ومعلمين صالحين، فأية مغفرةٍ تكون لنا؟

وحيث إنك ترغب في معرفة الأمر صراحةً فإنني أخبرك: أنت تمكث في الداخل كمن هو ميت عن العالم، فكيف أنك عندما تتحادث تتحول من المحبة والفرح إلى السخط وتذكر الشر، وتلوم غيرك بدلاً من نفسك ولا تقول: "إنني أنا هو غير المستحق"، بل أيضا تزكي نفسك؟ لأنك عندما تسنح الفرصة تقول: "تكلّم، لأنني تكلّمت وهم يسمعون بسرور". فماذا تظن في نفسك حتى إنهم يقبلون كلمتك بسرور؟ إيليا النبي؟ فلُم ذاتك، وتعلّم أنّ كل ما يحدث لك لا يحدث بدون مشيئة الله، سواء كان ارتياحا لأجل الشكر أو ضيقًا لأجل الصبر. أين الكلمة المكتوبة: «لأنكم تحتملون ... إن كان أحد يضربكم على وجوهكم ... إلخ» (٢كو١١: ٢٠)؟ لهذا السبب نحن بعيدون عن الله.

فإن أردت أن تعرف الطريق فهي هذه: أن تعتبر الذي يضرب مثل الذي يعز، والذي يهين مثل الذي يمجد، والذي يشتم مثل الذي يكرم، والذي يضايق مثل الـذي يـريح. وسواء كان ذلك بخطإٍ غير مقصودٍ أو أنهم لا يأتلفون معك عن عمدٍ، فلا تضطرب بـل بالحري قُلْ: "لو كانت هذه مشيئة الله لكانوا قد جاءوا". وعندما يجيئـون اسـتقبلهم ببشاشة وجهٍ، فرحا بأنه "رغم عدم استحقاقي فقد رحمني الرب"، مثل دانيال النبي، لأنه عندما افتقده الرب قال فقط: «لقد ذكرتني يا الله، ولم تنبذ الذين يطلبونك ويحبونك» (البعل والتنين "تتمة سفر دانيال": ٣٨ سبعينية)، معتقدا أنه غير مستحق. واطرح عنـك تبرير الذات، لأنك إذا قلت شيئًا تقول: "قد تكلمت حسنا"، وإذا فكّـرت في شـيء تقول: "لقد كانت فكرتي هذه جيدة". جيدة؟ وأين هو الجيد؟ لماذا لا نفهم أننا ينبغي ألاّ نضايق أحدا بكلمةٍ أو بعمل، وحينئذٍ يسير الله معنا في كل الأمور؟

إنك كنت تصارع لكي تكشف فكرك للإخوة، لكي تتمم مشيئتك أنه إن لم يتم العمـل اليوم ... ! وقد سددت ضربةً لفكر بعض صغار الإخوة الذين يقولون: "لماذا لا يحتمل الشيخ أن ينتظر يومين آخرين"؟ قُلْ لي بالحق، لقد تمّ العمل، فهل صعدت إلى السماء؟ لكنك ببساطةٍ قد سبق العدو أن ضربك. أيها الأخ، من الآن فصاعدا «دع الموتى يدفنون موتاهم»، وأمـا نحن «فننادي بملكوت الله» (لو٩: ٦٠) في المسيح يسوع ربنا، آمين.

⌖ ٧٠ - سؤال في صيغة صلاة من الأب نفسه إلى الشيخ الكبير:

يا حياة اليائسين لا تغفل عني، لأنني أمكث في يأس. «إعلان أقوالك ينير ويفهـم

الصغار» (مز١١٩: ١٣٠ حسب النص). لقد أعلنت لي أيها القدوس قائلاً: "نقِّ نفسك، واطرح عنك الإنسان العتيق". هل يمكن للطين أن ينقي ذاته؟ أو هل يمكن لمبنى أن يزين ذاته إن لم يزينه الذي بناه؟ أو هل يمكن للآنية التي صنعها الفخاري أن تسبك ذاتها إن لم يلقِها الذي سبكها في النار ويختبرها إن كانت نافعة؟ وأنت ذاتك، أيها القدوس، إن كنت تريد أن تخلص الذي صورته فارسل نارك المقدسة لكيما تسوي الآنية التي سبكتها حتى تقبل منك الزيت حتى لا تتهدل (أي تنبعج من هنا وهناك)، لأنّ لك المجد والرحمة إلى الأبد، آمين.

جواب القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ، لا تجبرني على الكلام عندما أرغب في الهدوء والسكون. والآن ثبت قلبك في الرب، وثابر ولا تتزعزع، لأن الذي حسد آدم منذ البدء وطرحه خارج الفردوس يحسد ارتباطنا بالمسيح. ولكن الذي قال: «رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء» (لو١٠: ١٨)، سيبيده من أمامنا وسيمزق شباكه. فلا تكن، إذًا، ممسوكًا بأي شيءٍ من فنونه لكي يزعزعك من موضعك، لأنه هكذا أمسك بملخس(٩)، لأنه عدو لدود لنا. ولكن إن كنا متواضعين فإنّ الرب يجعله كلا شيء. دعنا، إذن، نلوم أنفسنا في كل شيء، لأنّ هذه هي النصرة.

أما بخصوص التفكير في العزلة في البرية، فقد قال الآباء إنه توجد ثلاثة أمور إذا حفظها الإنسان يمكنه أن يسكن مع الناس وفي البراري وفي أي مكان، وهي: أن يلوم نفسه، وأن يطرح عنه مشيئته، وأن يجعل نفسه تحت الخليقة كلها(١٠). ولكن لعل محبتك تعلم أنّ كل صراع الشيطان هو أن يفصلنا بعضنا عن بعض، لأنه يرى أنّ الكتاب المقدس يتحقّق فينا بحذافيره في القول: «أخ معانٌ من أخٍ يكون مثل مدينةٍ قويةٍ محصنة» (أم١٨: ١٩ سبعينية). لعل الرب لا يمنحه أن يتمم مشيئته علينا، بل بحسب الكلمة الرسولية: «يسحقه تحت أرجلنا سريعا» (رو١٦: ٢٠). فلا تشك، إذن، لأنني أرجو أننا نوضع في قبر واحدٍ معا، كما أخبرتك سابقًا. ولأجل ذلك جمعنا الله معا لكي ننتفع بعضنا من بعض، وهذه التجارب تصير نماذج لمنفعة وتثبيت كثيرين.

فكن هادئًا، إذن، أيها الأخ، وصل لكي نعبر المعبر حتى لا نقضي أيامنا باطلاً. لأن الوقت يقترب والعدو متهيج. إنّ الله لم يجعل تعبك، حينئذٍ، باطلاً، حاشا! ولكنه هو نفسه «الذي يريد أنّ جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبِلون» (١تي٢: ٤) يريد

---

(٩) أنظر قصة الأسير ملخس التي كتبها ق. جيروم: N&PNF, Series 2, Vol. VI, p. 315
(١٠) أنظر أقوال الآباء غير المعروفين.

لك أن تصل إلى الكمال، لأنه هو قال للرسل: «قولوا (حينئذٍ) إننا عبيـد بطّـالون» (لو١٧: ١٠). وهكذا فلنحفظ أنفسنا وهو يصنع رحمته معنا لأجل اسمه الـذي دعـي علينا. له ا د إلى الأبد آمين.

⌖ **٧١ - لقد زرع الشك** في **فكر الشيخ الذي عارض (أو ارتاب** في**) الشيخ الكبير، وذلك** بحسد **الشيطان للمنفعة من أجوبته، وهو إذ علم** بما في **قلبه أرسل إليه قائلاً:**

أولاً وقبل كل شيءٍ أمجد الثالوث الأقدس المتساوي في الجوهر وأقول: ا د للآب والابـن والروح القدس الآن وعلى الدوام وإلى دهر الدهور آمين. وليس بلا معنى أنني سبقت ووسمـت في المقدمة مثل هذا التمجيد (الذكصولوجية)، بل لكي أُظهر للشيطان، الذي يبغض الصلاح، أنه في الخيالات التي تظهر منه لا يظهر شيء مثل هذه الذكصولوجية، بل تكدير وحـزنٌ وتثبـيطٌ للعزم. والآن، أيها الأخ، هلم نشكر الله على إطلاقنا من التجربة العظيمة التي أتت علينا بسـبب نقص فهمنا، وعلى أنه برأفته لم يتركنا للهلاك الأبدي، لأنه صادق ذاك الذي قال: «حي أنـا، يقول السيد الرب، إني لا أسر بموت الشرير (أو الخاطئ) بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا» (حز٣٣: ١١). فالآن لنشكر على كل حال ذاك الذي خلّصنا، وهو دائما يخلص، الذي تشكره الملائكة والقوات العلوية وجمهور السماويين والشيروبيم والسيرافيم بأجمل الأصـوات، وبـدون توقفٍ أو انقطاعٍ صارخين قائلين: «قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت ...» (إش٦: ٣).

دعنا، إذًا، ننتبه ونشكر ذاك الذي له السموات كرسـي والأرض مـوطئٌ لقدميـه (إش٦٦: ١)، الذي تخدمه الخليقة كلها (يهوديت١٦: ١٤). ولنبدأ من هذا النمـوذج المذكور سابقًا، ونحن أيضا نقدم الشكر للآب لأنه رحم العالم و«لم يشفق على ابنـه» و«أرسل الابن (الوحيد) مخلصا للعالم» (رو٨: ٣٢؛١يو٤: ١٤) وفاديا لنفوسنا. ولنقدم الشكر للابن لأنه «وضع ذاته وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في٢: ٨) لأجلنا نحن البشر. ولنقدم الشكر للروح القدس المعطي الحياة الذي تكلـم في النـاموس والأنبيـاء والمعلمين، الذي أظهر بطرس تائبا وأمره أن يذهب إلى كرنيليـوس (أع١٠: ١٩و٢٠)، ومجده وأعطاه قدرةً أن يقيم الموتى مثل طابيثا (أع٩: ٤٠)، الذي يسبق دائما ويحطـم فخاخ العدو عن الذين يدعونه حسب نبوة داود النبي: «الفخ انكسر ونحن انفلتنا، عوننا باسم الرب الصانع السموات والأرض» (مز١٢٤: ٧و٨).

ها هو، إذن، قد صنع معنا رحمةً وشفانا من مرضٍ خطير ذا المقدار، فلنسمعه وهو يقول: «ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضا لئلاّ يكون لك أشر» (يـو٥: ١٤). ليتنـا نتضع في كل الأمور، لأنّ المتضع يرقد على الأرض، والذي يرقد علـى الأرض فـأين

يسقط؟ ولكن واضح أنّ الذي هو مرتفع يسقط بسهولةٍ. فإن كنا قد رجعنا وصـححنا أنفسنا، فهذا «ليس منا، هو عطية الله» (أف٢: ٨)، لأنه قيل: «الرب يقيم الساقطين، ويعطي حكمةً للعميان ...إلخ» (مز١٤٦: ٨ حسب النص).

ولكن أن تكتب لي: «من سيفصلنا عن محبة المسيح» (رو٨: ٣٥)؟ فالكلمة لها وزنٌ كبير. ها نحن قد قاربنا أن نقطع حبل محبة المسيح، مسرعين إلى الترتيب للموت ومبارحة سفينة المسيح. ولكن حتى لا أفض الختم وأتكلم بهذيانٍ كثير، حسنا لأنّ واحدا ينخسني قائلاً: «لا تستعرض الحكمة أينما يوجد الحكماء» (سيراخ٧: ٥ حسب النص).

والآن سأتوقّف عن الكلام، فقد كتبت كما لحبيبٍ حقيقي. ولكنك إذ تعمل بذلك تبلغ إلى الطريق الذي يقود إلى الحياة الأبدية التي في المسيح يسوع ربنا، الذي له مع الآب والروح القدس المجد والقدرة إلى أبد الدهور. صل من أجلي أيها الأخ.

⌖ ٧٢ - عندما استلم الشيخ هذه الإجابة سلّم نفسه للنوح والدموع أيامـا كثيرة، فكتب له الشيخ الكبير لتعزيته قائلاً:

أيها الأخ، ما مضى دعنا نلقيه وراءنا حسب الكلمة الرسولية القائلة: «الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدا» (٢كو٥: ١٧). دعنا نربط أنفسنا بقلبٍ واحدٍ في نير المسيح الهين، ونثبت أنفسنا في حب المسيح، لأنه يقول: «الله محبة» (١يو٤: ٨). فإن قال أحد إنّ له محبة فلا يكن له شيء مكروه عند المسيح إطلاقًا. دعنا نهتم بتنقيـة قلوبنا من أوجاع الإنسان العتيق التي يبغضها الله، لأننا نحن «هيكـل الله» (٢كـو٦: ١٦)، واللاهوت لا يسكن في هيكل ملوث بالأوجاع. فلندخل، إذن، ونتمم هـدوءنا القليل، لأنه يكفي ما عمِل. ولنصل طالبين أن تكون حياتنا الهادئـة حسـب مشـيئته، ممجدين ثالوثه الأقدس الذي بلا عيب.

اعتزل، إذن، واستودعني لله، ولا تنزعج بالأمور الكائنة حاليا ولا تسألني ولا تكتـب لي، لأنني الآن مشغولٌ. أرسلت الشال حسب طلبك، عالمًا أنني لست شيئًا سوى تراب ورماد. لذلك أرسلته بسبب عدم استحقاقي، لأنني لست طاهرا ومديونٌ في كل الأمور، ولكن لكي لا أخالف الوصية القائلة: «من سألك فاعطه» (مت٥: ٤٢)، ولأجل المحبة التي في المسيح أرسلته. خذه، إذن، وصل من أجلي، وصل حتى لا «يصير تعبنا باطلاً» (١تس٣: ٥)، بل يكون في المسيح يسوع ربنا. له المجد إلى الأبد، آمين.

⌖ ٧٣ – كان شيخ مريض اسمه "أندراوس" يعيش في سكون في كينوبيـوم، وأخـبر

الشيخ الكبير عن بعض الأخطاء الخفية، وفي نفس الوقت أيضا كان يشكر الله لأجل الأسباب التي جعلته مستحقًا أن يسكن بجواره؛ وأيضا بخصوص مرضه الجسدي.

جواب القديس برصنوفيوس:

إن كنت تؤمن حقًا أن الله هو الذي جاء بك إلى هنا، فاستودعه ختمك (أي استأمنه على تصريف أمورك) ملقيا عليه كل همّك، وهو يرتب أمورك كما يريد. ولكن إن كنت تحتمل أي نوع من الأمور، سواء كان مرضا جسديا أو أوجاع النفس فعليك أن تم بنفسك كما تعرف. لأنّ الإنسان ذو الرأي المتقلب، عندما يترك كل شيءٍ لله، فهو دائما إذا تضايق قليلاً يقول: "ربما لو كنت قد اعتنيت بجسدي لما كنت قد تضايقت هكذا". فعلى الذي يسلم نفسه لله أن يستسلم له من كل القلب حتى الموت، لأنه يعرف أفضل منا جدا ما هو صالحٌ لنفوسنا وأجسادنا. وبقدر ما يسمح لك أن تتضايق في الجسد بقدر ما يخفف من ثقل خطاياك! وهكذا فإنّ الله لا يتطلّب منك سوى الشكر والصبر والصلاة من أجل غفران الخطايا.

ولكن انظر كم أنا متكبر حتى إنني إذ سخرت بي الشياطين وظننت أنّ لي محبة بحسب الله؛ فإنني مقُهور أن أقول لك: "إنني أحمل نصف حملك الآن، وفي المستقبل يستطيع الله أيضا أن يعينك". لقد تكلمت كمن هو خارج عن طوره، لأنني أعلم أنني ضعيف ولست كُفؤا وعار من كل عملٍ صالح. ومع ذلك فإنّ عدم خجلي لا يجعلني أيأس، لأنّ لي سيدا رؤوفًا ورحوما وطيبا، ويمد يده للخاطئ حتى آخر نسمة في حياته! فالتصق به وهو في كل أمر «يفعل فوق كل شيءٍ أكثر جدا مما نطلب أو نفتكر» (أف٣: ٢٠). له المجد إلى أبد الدهور، آمين. اِغفر لي يا أخي، وصل من أجلي.

⌖ ٧٤ - لما سمع الشيخ من الشيخ الكبير قوله: "إنني أحمل نصف حملك"، حزن لأنه لم يعِده بالمغفرة الكاملة، والتمس منه مرةً أخرى بتوسل وتضرع أن يمنحه ذلك بالكامل في المسيح.

إجابة القديس برصنوفيوس:

إنني متعجب من محبتك، أيها الأخ، كيف أنك لا تقدر المحبة التي بحسب الله! فقبل كل شيء، الله يعلم كيف أنني أعتبر نفسي ترابا ورمادا، إذ إنني لا شيء على الإطلاق. ولكن إذا قلت شيئًا فوق قامتي أو يفوق قدرتي لأي إنسان، فإنني أتكلم مدفوعا بحب المسيح، عالمًا - كما قلت - أنني لا شيء وعبد بلا منفعة. وحيث إنك لم تفهم ما قلته لك إنني أحمل نصف خطاياك، فقد جعلتك شريكًا لي، لأنني لم أقل لك إنني أحمل الثُلث،

وأتركك تحمل أكثر مني وتكون مثقلاً. كما أنني لكي أطرح محبة الذات قلت ذلك ولم أقُلْ لك إنني أحمل الثلثين معتبرا نفسي أقوى منك، لأنّ في ذلك مجد باطل. ولم أقُلْ إنني أحمل الكل، لأن ذلك يخص الكاملين الذين صاروا إخوةً للمسيح الذي وضع حياته كلها لأجلنا، وأحب الذين أحبونا، وبحب كامل يفعل ذلك.

كما أنني لو لم أقل ذلك لكنت قد جعلتك غريبا عن العمل الروحي. هكذا فـإنني لا أنسب لنفسي الكل لأجل المجد الباطل، ولا أحقد عليك عندما أجعلك شريكًا في التغيير الصالح. فإن كنا أخوين فلنشترك بالتساوي في ثروة أبينا السماوي دون أن يوجد ظالـم بيننا. أما إذا رغبت في إلقاء الكل علي، فإنني أقبل ذلك أيضا لأجل الطاعة. اغفر لي أنّ المحبة الكثيرة تجعلني أتحدث بكلام هراء. ومع ذلك فلعل هذا يكون لك للفرح في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى الأبد، آمين.

⌖ ٧٥ - طلب من الشيخ نفسه إلى الشيخ الكبير لكي يصلي لأجلـه بسـبب المرض الذي حلّ به.

إجابة القديس برصنوفيوس:

يقول الكتاب: «دخلنا في النار والماء ثم أخرجتنا إلى الخصب» (مز٦٦: ١٢). الذين يريدون أن يرضوا الله يجب أن يجتازوا في شدائد قليلة. كيف نسمي الشهداء القديسـين مباركين بسبب الآلام التي تحملوها من أجل الله إن كنا لا نتحمل الحُمى؟ قُـلْ للـنفس المتضايقة: "أليست الحُمى أفضل لكِ من الجحيم"؟ ليتنا لا نجزع في المرض لأنّ الرسول قال: «حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قـوي» (٢كو١٢: ١٠). أنظر فإنّ الـرب هـو «فاحص القلوب والكُلى» (مز٧: ٩). ليتنا نتحمل، ليتنا نصمد، فلنصر تلاميذَ للرسول عندما يقول: «صابرين في الضيق» (رو١٢: ١٢).

ليتنا نشكر الله في كل الأمور حتى لا يتحقق فينا القول أيضا: «إنه يشكرك عنـدما تحسِن إليه (فقط)» (مز٤٨: ١٨ سبعينية). وإذا نلت اهتماما جسديا، ولأجل امتحانك أصابتك شدةٌ قليلة، فلماذا لا تذكر أيوب الصديق عندما قال: «أألخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل» (أي٢: ١٠)؟ إنّ الذين يريدون الراحة في كل الأمـور سيسـمعون: «إنك استوفيت خيراتك في حياتك» (لو١٦: ٢٥). ليتنا لا نضعف، فإنّ لنا إلهًا رحيما يعرف ضعفنا بأفضل مما نعرف نحن. وإن كان في امتحانه لنا يجلب علينا مرضا فالرسول يقدم لنا ضمادة (على الجرح) عندما يقول: «الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضا المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كو١٠: ١٣).

الرب يقوي كلا من المريض والذي يخدمه، وعملكما سيكون د الله. أُنظرا إلى ايـة صبركما ولا تخُر عزيمتكما ولا تضجرا لأنّ الله قريب وهـو يقـول: «لا أهملـك ولا أتركك» (عب١٣: ٥).

صدقاني أيها الأخوان، إذ تغلّب علي ا د الباطل، فإنني في المرض لم أضطجع إطلاقًا ولا تركت عمل يدي، وقد حلّت بي أمراض شديدة. ومنذ عهدٍ قريب كان ا د الباطل ماكرا، والآن قد اقتحمته ولم أدع مرضا يحلّ بي. وأنا حزين إذ أرغـب في الصـبر ولا أعرف في أي شيءٍ أمارسه. لا تأتي علي الآن أية شدةٍ، ويضنيني أن أسمع: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢). ولكن صل لكي أظل متمسكًا برجاء الخلاص في المسيح يسوع ربنا، له ا د إلى الأبد، آمين.

⌖ ٧٦ - إذ يستمر الشيخ نفسه في **مرضه، فهو يلتمس من الشـيخ الكـبير أن يصلي من أجله لكي يعينه الله.**

إجابة القديس برصنوفيوس:

حيث إنّ الله معك فلا تخف، بل «ألقِ كل همك عليه وهو يعتني بك» (١بط٥: ٧). ألا تعلم: «أنه إن نقِض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناءٌ من الله، بيت غـير مصنوعٍ بيدٍ أبدي» (٢كو٥: ١)؟ آمن دون أن تشك وهو يعينـك، لأنه دائما رحوم، له ا د. صل من أجل ضعفي لأجل المحبة.

⌖ ٧٧ - الشيخ نفسه، وهو يعيش مع أخٍ آخر، وإذ كان كلٌ منهما مريضا، فقد سأل الشيخ الآخر أن يصلي لأجله.

إجابة الأب يوحنا:

قال الرب: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو٢١: ١٩)، وقد اقتفى الرسول إثر خطواته وقال: «لأنكم تحتاجون إلى الصبر» (عب١٠: ٣٦). وقال النبي: «انتظـارا انتظـرت الرب فمال إلي وسمع صراخي» (مز٤٠: ١). وقال أيضا معلمنا الحلو: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢). فامكثا كلاكما في صبر شاكرين وناظرين إلى قوة الله المقدسة آتيةً إليكما من العلا، لأن كل هذه الأمور هي لتزكيتكما. كونا متـيقظين للأقوال التي تصل إليكما منا. «جربني يا رب وامتحني» (مز٢٦: ٢). صليا من أجلي، أتوسل إليكما لأجل المحبة التي بحسب الله.

⌖ ٧٨ - سؤال من الشيخ نفسه إلى **الشيخ الكبير: "حيث إنّ أفكاري تقول** لي

إنني لا يمكنني أن أخلص، فصل من أجلي، أيها الأب الرحوم، وأخبرني بما ينبغـي أن أفعله إذ أنا ممنوع من الصوم":

إجابة القديس برصنوفيوس:

إله السماء والأرض يمنحك وإياي أنا غير المستحق أن نجد رحمةً في تلك الساعة، وأن نقف بدالةٍ أمام كرسي دينونته المخوف المملوء مجدا. أيها الأخ المحبوب، إذ لنا إله رحوم كهذا فلا تلقِ نفسك في اليأس، لأن هذا هو فرح الشيطان العظيم. فكن، إذًا، واثقًـا في الرب، أنّ لا أحد يحتمل إلى ايته في هذا المكان ويلقى خارج حظيرة رعية المسيح إلهنا. لأنّ البعض فيها لهم حرية الحديث مع الله، وهم لا يخجلون من أن يطلبوا إليه ألاّ ينفصل عن الذين يمكثون معهم في هذا المكان المقدس، بل كما أ م يقيمون معـا في «المكـان الذي اختاره الله ليحلّ (أو يدعى) اسمه فيه» (تث١٢: ١١)؛ هكذا يكونون معا أيضـا في ذلك المكان العتيد. فلا تخف، إذن، أيها المستحق. فإن كنت أنا الضعيف والأقل (من الكل) وقد تأكّد لي أنك قد أُحصيت وسجلت مع رعية المسيح المباركة، فكم بـالأكثر يكون الآباء الذين هم قديسو الله ومستحقون له قد تأكّدوا من ذلك! إذن «انتظر الرب، وضع رجاءك فيه» (مز٢٧: ١٤؛ ٣٧: ٥ سبعينية).

وبخصوص الصوم المحسوس، لا تحزن، لأنه يعتبر لا شيء بدون الصوم الروحي، لأنـه «ليس شيءٌ من خارج الإنسان إذا دخل فيه (بدون انغماس في شهوة الطعام) يقـدر أن ينجسه، لكن الأشياء التي تخرج منه» (مر٧: ١٥). كما أنّ الله أعطى للراهـب تمييـزا كمدير لدقّة حياته، فميز، إذن أيها الحبيب: مِمن يطلب الله الصدقة، من الفقير أم مـن الغني؟ لأنه قيل: «لا تمنع الخير عن أهله حين يكون في طاقة يـدك أن تفعلـه» (أم٣: ٢٧). فالله، إذن، لا يتطلّب نسكًا من المرضى بالجسد، بل من القـادرين والأصـحاء بالجسد. فتنازل، إذن، لجسدك قليلاً، وهذه ليست خطية، لأنّ الله لا يتطلّب هذا منك، لأنه يعرف المرض الذي أرسله لك. ففي كل شيءٍ اشكره، لأنّ هذا الشكر يتشفّع عند الله لأجل عجز الإنسان. إذن «اخلع الإنسان العتيق مع شهواته، والبس الجديد المخلوق بحسب الله» (أنظر أف٤: ٢٢-٢٤). وافرح متهللاً بالرب، وابتهج دوما مع قديسيه.

من يتصور ومن يمكنه أن يستقصي فرح القديسين الذي لا يوصف، والسرور الذي لا يعبر عنه، والنور الذي لا يمكن تصوره؟ كيف يكشف الله لهم - أثناء وجودهم هنـا - أسراره العجيبة ا يدة، وا د والانتعاش الذي ينتظرهم، ويحول ذهنهم عن هذا العـالم، ويرون أنفسهم دائما في السماء مع المسيح والملائكة؟ لا يضايقهم جوع ولا عطـش ولا

أي شيءٍ أرضي آخر، لأ م قد تحرروا من كل الذنوب والأهواء والخطايا الموجـودة في هذه الحياة. وأقول - من ناحيةٍ أخرى - كلمة الكتاب: «حيث يكون ك هم، هنـاك يكون قلبهم أيضا» (مت٦: ٢١). والذي بلغ إلى هذه الأمور يعرف ما الذي يسـمعه. وما هو الذي علي أن أفعله أنا الذي لم أفعل شيئًا صالحًا؟ ولكنني لا أيأس، لأن الله قادر أن يصنفنا مع الذين سيجدون رحمةً في المسيح يسوع ربنا، الذي لـه ا ـد مـع الآب والروح القدس إلى الأبد، آمين. الرب يسمع لخدامه الحقيقيين، ويرسل له بسرعةٍ رحمته العظيمة، ويمنحني أن أفهم أن آتي «إلى معرفة الحق» (١تي٢: ٤). صل مـن أجلـي، وتحيتي إلى أخيك وزميل الخدمة، مناشدا إياه أن يفعل ذلك أيضا لأجل حقارتي.

⌖ ٧٩ - سؤال من الشيخ نفسه إلى الشيخ الكبير: "حيث إنّ عندي رومـاتيزم شديدا في رجلي ويدي، وإنني مسجس لئلاّ يكون ذلك من الشياطين، فاخبرني أيهـا الأب، إن كان الأمر هكذا. وماذا يجب أن أفعل لأنني م عج بكليتي من عدم إمكاني أن أصوم، وأنني مجبر أن آكل مرات عديدة؟ وماذا عن الوحـوش الـتي أراهـا في الحلم؟ أتوسل إليك، يا سيدي، لأجل الرب، أن ترسل لي قليلاً من البركة من طعامك ومائك المقدسين لكي ما أنال تعزيةً وراحة".

إجابة القديس برصنوفيوس:

لا تحزن، أيها الحبيب، لأنّ هذا ليس من الشياطين كما تظن، بل إنه تـهذيب من الله لترقيتنا إلى الأفضل في حالة شكرنا له. ألم يكن أيوب خليلاً حقيقيا لله؟ وما هو الذي لم يتحمله شاكرا ومباركًا الله؟ وقد أدى به اكتمال صبره إلى مجدٍ لا يمكن تصـوره. إذن، تحمل أنت أيضا قليلاً وأنت ترى مجد الله.

أما عن الصوم، فلا تحزن، لأنه كما قلت لك، فإنّ الله لا يتطلّب من أي إنسان فوق طاقته، لأنه ما هو الصوم سوى ـذيب للجسد، لاستعباد الجسد الصحيح المعافى وإضعافه بسبب الشهوات؟ لأنه يقول: «حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي» (٢كـو١٢: ١٠). والمرض هو أكثر من ـذيب، ويعتبر بدلاً من التأديب أو حتى يتفوق عليه للذي يحتملـه بصبر ويشكر الله، وهو يجني من هذا الصبر ثمرة الخلاص. إذن، فبدلاً من إضعاف الجسد بالصوم فهو (في المرض) يكون ضعيفًا من ذاته. اشكر الله أنك عِتقت من عناء التأديب. وإذا كنت تأكل حتى عشر مرات في اليوم لا تحزن، فأنت لست مدانا، لأنّ هذا ليس من فعل الشياطين، ولا هو من تواني الفكر، بل إنه يأتي علينا للامتحان ومنفعة النفس.

أما عن أحلام الوحوش، فهي صور تستحضرها الشياطين رغبةً منها في أن تضـللك

ا، لكي تصدق أنّ آلامك منها هي، أي الشياطين. ولكن «الرب يبيدهم بنفخة فمه» (٢تس٢: ٨) بصلوات القديسين آمين. ولا تحزن، «لأنّ الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابنٍ يقبله» (عب١٢: ٦). ولكنني أومن أنه بالنسبة لهذه المعاناة الجسدية أيضا فإنّ الله سيعمل معك كما يشاء برحمته. الرب يمكنك ويقويك أن تحتمل، آمين.

أرسلت لك قليلاً من الماء من آنية أبينا المبارك أوثيميوس، وأرسلت لك أيضا بركةً قليلة من طعامي لكي تبارك طعامي. صل من أجلي أيها العزيز.

⌖ ٨٠ - سؤال من الشيخ نفسه إلى الشيخ الآخر: "صل، أيها الأب من أجل مرضي الثقيل الوطأة جدا، وقرر لي غذائي، إن كان تناولي للطعام باستمرار لا يسبب عثرة، وكيف يجب أن يكون ترتيلي للأبصلمودية، لأنه ليست لي قوة أن أرتل مزامير. اغرسني، يا سيدي، واروني (أنظر ١كو٣: ٦-٨)، ووضح لي ما قاله أبونا القديس: 'الرب يعمل برحمته معك'، إن كان قد قال ذلك عن موتي".

إجابة الأب يوحنا:

رغم أنني سكت، فقد فعلت ذلك لأنه لم تكن لدي كلمة ولا أي شيءٍ صالح. ولكن لماذا تطلب خبزا من الذي يأكل خرنوبا؟ ولكنني أقول لك إنه رغم أنني لا شيء، فإنني أهنئك على ما كتبه لك أبونا المبارك. فانظر، إذن، إنه يمنحك طعام الخبز الروحي الراسخ، فلماذا تحتاج إلى لبن هزيل مني يجلب نفورا؟ لم يمنع الكتاب المقدس ولا الآباء التنازل للجسد الذي لا يكون بالانغماس في الطعام، بل بإفراز. وعلى ذلك، فكما قال لك، عندما تأكل وتشرب بدون الانغماس في ذلك بطريقةٍ شهوانية، فإنّ الطعام والشراب لا يجلبا عليك دينونةً ولا عثرةً لأحد. لأنّ الرب قال عن ذلك: «ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان» (مت١٥: ١١).

أما بخصوص الأبصلمودية أو الليتورجية فلا تنزعج، لأنّ الله لا يتطلّب ذلك منك بسبب مرضك. إنّ من ينتبه لنفسه فهو يضيق على ذاته كتأديبٍ لها لأجل الرب وخلاص نفسه. فأنت عندك ضيق المرض بدلاً من ضيق التأديب. أما عن المرض فلا تضجر، فالرب لا يهملك، بل إنه يرتبه حسب معرفته لما هو أفضل لك دون أن يجعل الشدة فوق طاقتك.

أما عن الموت في الوقت الحالي، فالشيخ لم يتكلم عنه، بل إنه يتكلم عن الرحمة التي يزمع الله أن يصنعها مع محبتك. فألتمس منك، إذن، أن تتحمل كما قال لك وأنت ترى بالحقيقة مجد الله. أما عن الغرس، فإن كان «ليس الغارس شيئًا ولا الساقي» (١كو٣: ٧)، وأنت نسبت كليهما إلي؛ فبدلاً مني أنا الذي لست شيئًا؛ لك «الله الذي ينمي»

ويحفظك ويعمل معك حسب رحمته. فحيث إنك تملك التمتع بصلاحه، إذن «تشـدد وتشجع» (تث٣١: ٦) في الرب، وصل من أجلي لكيما تحلّ رحمته علي أنا أيضا.

⌖ ٨١ - إذ تعب الشيخ من المرض، فقد طلب من الشيخ نفسه أيضا أن يصلي لأجله.

إجابة الأب يوحنا:

إنّ مرضك هو لامتحانك، فاحتمله بشكر والله يرحمك سـريعا. أقبلـك في الـرب ملتمسا أن تصلي لأجلي.

⌖ ٨٢ - وطلب الشيخ نفسه من الشيخ الكبير نفس الشيء.

إجابة القديس برصنوفيوس:

ها إنّ الأخ يوحنا قد قال إنّ الله يرحمه سريعا، فماذا أقول أنا الأحقر؟ إنني سعيد اليـوم، وأومن أنّ الله يبعث إليه هذا اليوم براحةٍ بصلوات قديسيه. صل من أجلي أيها الحبيب.

⌖ ٨٣ - بعد هذه الإجابة، عادت إليه صحته فجأةً في ذلك اليوم نفسه، فأرسل يشكر الشيخ ويعلن مراحم الله التي حلّت بواسطته.

إجابة القديس برصنوفيوس:

قال ربنا يسوع المسيح لتلاميذه ورسله مفرحا إياهم: «لا تفرحوا بـهذا أنّ الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أنّ أسماءكم كُتِبت في السموات» (لو١٠: ٢٠). هكذا أيضا، فإن كنا نصيح ونطفر فرحا بالمعونة التي تأتي لأجسادنا باسم إله نفوسنا وناصرها يسوع المسيح؛ فماذا يحدث عند التنقية الكاملة من جميع الأوجاع التي تحل على نفوسـنا باسمه المخوف والمملوء مجدا؟ كم من الأصوات والألسنة والأفواه والقلـوب والأفكـار ستكون قادرةً أن توفيه التمجيد المناسب؟ إنني أظن أن ذلك لا يوجد حتى بين الذين هم بلا جسد، لأنّ اللاهوت لا يمكن إدراكه. له المجد والسلطان والقوة إلى الأبد، آمين.

⌖ ٨٤ - قال أخ لهذا الشيخ: "ها إنك بصلوات القديسين قد تجددت أيها الشيخ". فأجاب قائلاً: "بقدر ما قلت لي هذه الكلمة، فها هي رابع مرة ألاحظ أنّ الشياطين يرهقون جسدي (بالهجمات المتكررة)". فسئل الشيخ الآخر عن ذلك فأجاب:

إجابة الأب يوحنا:

هذا الأمر فيه حسد ونقص إيمان، فالحسد هو في أنّ الشياطين لا يسـرها أن ينتفـع الإنسان، ونقص الإيمان هو في أنّ المريض عندما يرى المرض يشك في قلبه.

⌖ ٨٥ - سؤال من هذا الأخ إلى الشيخ نفسه: "أخبرني يا أبي كيف أنّ عندنا نقص إيمان؟ أم أنّ الشياطين يأتون بنا إلى نقص الإيمان"؟

جواب الأب يوحنا:

الشياطين بحسدهم يزرعون فينا قلّة الإيمان، فإن قبلنا ذلك منهم نصير لهم خداما وشركاء.

⌖ ٨٦ - سؤال منه أيضا إلى الشيخ الكبير: يا أبي، عندما أخف من مرضي كيف ينبغي أن أجوز يومي؟

الجواب: «اِفرحوا في الرب كل حين وأقول أيضا افرحوا» (في ٤:٤). إنك فرحتني الآن بسؤالك، بل بالحري فرحت الله وملائكته. أما بخصوص ما كتبت لي فقد قال الرب: «كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك» (مت٢٣: ٢٣). فهكذا ينبغي أن تجوز يومك: أن ترتل في المزامير قليلاً وأن تستظهر (أي تتلو عن ظهر قلب) قليلاً، وأن تفتش الأفكار وتراقبها قليلاً. الذي تكون له أطعمة كثيرة في إفطاره يزداد جشعه في الأكل، ولكن الذي من طعام واحدٍ يأكل كل يوم فإنه يكون ليس فقط غير جشِع في الأكل، بل إنه ربما في ميعاد الأكل لا يلذّ له. هكذا أيضا هنا. إلاّ أنّ هذا للكاملين: أن يعودوا أنفسهم أن يأكلوا كل يوم من طبيخ واحدٍ ولا يستلذونه.

أما بخصوص قراءة المزامير والاستظهار، فلا تقيد نفسك بقانون، ولكن اعمل كل ما يقويك الله عليه ولا تترك القراءة والصلاة. بقليل من هذا وقليل من ذاك تجيز يومك في مرضاة الله، لأنّ آباءنا الكاملين لم يقيدوا أنفسهم بقانون، لأنهم كانوا يجعلون النهار كله قانونهم: يرتلون المزامير قليلاً، ويستظهرون [ويتعلّمون شيئًا] قليلاً، ويفتشون أفكارهم قليلاً، ويعملون في حاجة طعامهم قليلاً، وهكذا بمخافة الله كانوا يجيزون يومهم كقول الكتاب: «افعلوا كل شيءٍ لمجد الله» (١كو١٠: ٣١). والرب يسوع يحفظنا من كل شر، آمين.

⌖ ٨٧ - سؤال منه أيضا إلى الشيخ نفسه: "كيف ينبغي أن يفتش الإنسان أفكاره؟ وكيف يفلت من السّبية (أي العبودية لأي شيء)"؟

الجواب: تفتيش الأفكار يكون هكذا: إذا جاءك فكر فانتبه إلى ما يتولّد منه، وأنا أضرب لك مثلاً لذلك: أنت تفكر في أنّ شخصا ما لعنك، ثم يزعجك فكرك بأن ترد عليه، حينئذٍ قُلْ لفكرك: "إن رددت عليه أغظته وأحزنته مني، فأنا أحتمل قليلاً والأمر يجوز". ولكن إن لم يكن فكرك تجاه إنسان بل إنه في داخلك يفكر بالشر، فيجب أن تفتشه وتقول له: "إلى أين يقود فكر الشر"؟ فيخبرك الفكر الذي من الله أنّ فكر الشر يقود إلى جهنم، وهو لساعته يكف عنك. وهكذا تفعل في سائر الأفكار. ولكن بمجرد

أن يعرض عليك الفكر فتشه واقطعه عنك.

أما بخصوص السبية، فهي تحتاج إلى تيقظٍ كثير، فكما قال الآباء: "إن وجدت عقلك يفكر في الزنى فتعالَ به إلى القداسة، وإن وجدته منجذبا إلى الحنجرة فاجذبه إلى الزهد، وإن وجدته يفكر في البغضة فاجذبه إلى الحب"، وهكذا في كل ما يشـابه ذلـك. ولا تحزن، لأنك مزمع أن تجد رحمةً بناءً على ما لك من المواعيد، لأننا «إن عشنا فللـرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت.» (رو١٤: ٨)

⌖ ٨٨ - سؤال منه إلى الشيخ الكبير نفسه: "قُلْ لي يا أبي ما هو حـد الصـلاة الدائمة، وإن كان ينبغي أن يكون لي قانون (أو نظام أسير به)".

الجواب: افرح بالرب يا أخي، افرح بالرب يا حبيبي، افرح بالرب أيها الوارث معي. الصلاة الدائمة تكون لمن بلغ إلى حد انعدام الأوجاع، وحينئذٍ يعـرف مجـيء الـروح القدس، فيعلمه كل شيء، وإن كان كل شيء فهو يعلمه عن الصلاة أيضا، لأنّ الرسول يقول: «لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنـاتٍ لا ينطَق بها» (رو٨: ٢٦). فماذا ينفعك إن قلت لك عن مباني مدينة روميـة وأنـت لم تذهب إليها إطلاقًا؟ إنسانٌ يعيش في سكون ولا سيما وهو طريح الفراش لـيس عليـه قانون، بل كُن مثل إنسانٍ يأكل ويشرب بقدر ما يلذّ له. وهكذا إذا جاءتك شـهوة إلى القراءة ووجدت تخشعا (أو وخز ضمير) في قلبك فاقرأ بقدر استطاعتك، وهكذا أيضا في ترتيل المزامير، أما عن الشكر وقولك: "يا رب ارحمني"، فتمسك بـهما بقدر قوتك، ولا تخف «لأنّ هبات الله ودعوته هي بلا ندامة.» (رو١١: ٢٩)

⌖ ٨٩ - بعد أن استرد هذا الأخ عافيته أصابه وجع في معدته، فأرسل يلتمس مـن الشيخ الكبير أن يصلي لأجله قائلاً: "من نصف الليل يتجمد كل من فمي وجفون عـيني ويداي ورجلاي، وعندما أستيقظ يرتعش جسدي كله ابتداءً من المعدة لمـدة سـاعة، ثم أصبح ضعيفًا مثل الطفلة، وأريد أن أتلو مزمورا بفمي فلا أستطيع، وإذا أردت أن أتلوه في قلبي يغلبني النعاس. فماذا أفعل، لأنني أرى أنني متعوق في طريق الخلاص؟ أتوسل إليـك، أيها الأب لأجل الرب، أن تصلي لأجلي، وصرح لي: ما هذا"؟

إجابة القديس برصنوفيوس:

هذا الأمر هو ضعف قليلٌ في المعدة، ولكنه أيضا يحتوي على ثقل من فعل الشياطين. فازدر، إذن، بكل ذلك، لأنه مكتوب: «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل٥: ٢٤). ها هم الشيوخ يصلون لأجل محبتك، فابكِ أنت أيضا قليلاً

في الصلاة شاكرا الله، ومتوسلاً أن تنال رحمةً وهو يرحمك، لأنّ لنا سيدا رحوما وأبا رءوفًا بكل ما يحمله ذلك من معنى، ولا تكفي القوات العلوية أو خدامه الحقيقيين على الأرض للتعبير عن صلاحه كما يستحق: كيف أنه يتوق إلى أن يرحم جنس البشر! ولكنه لهذا السبب فهو طويل الأناة علينا لكيما يضاعف من صبرنا لأجل خلاصنا كما علّمنا قائلاً: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو٢١: ١٩). إذن، فلا تضجر أيها الأخ، لأنّ الرب يسوع قد بدأ يصنع معك رحمته العظيمة. له المجد، آمين. صل لأجلي.

⌖ ٩٠ - سؤال من الأخ نفسه للشيخ الآخر: "ما القصد من قول أبينا: الرب يسوع قد بدأ يصنع معك رحمته العظيمة"؟

إجابة الأب يوحنا:

إنه تكلّم عن النمو ومنفعة النفس، عن كونك توجد بصحبة الذين ستقوم معهم في ذلك اليوم بفرحٍ عظيم إن كنت تتمسك إلى النهاية بالصبر والشكر.

⌖ ٩١ - توسلٌ من نفس الأخ إلى الشيخ الكبير: "إنني أومن أنّ «كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء» (مت١٨: ١٨). أتوسل إليك أيها الأب، لأجل مراحم الله، أن تعين ضعفي، حيث إنني أبرص بالنفس والجسد، وإنني سبب مضايقة للإخوة الساكنين معي، واطلب من الله أن يمنحني أن أقوم باحتياجاتي بنفسي حتى لا يحمل الإخوة أثقالي، لأنني أومن أنّ ما تطلبه من الله يعطيك إياه. شاركني في ضعفي، أيها الأب، واغفر لي".

إجابة القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ، إنّ مفتاحك يفتح بابي، لأنني أحمق ولا يمكنني أن أخفي أعمال الله العجيبة، وحينئذٍ، فإنّ أي واحدٍ يسمع كلماتي ففي دهشته لن يقول إلاّ: "إنه خارج عن طوره"، غير عالمٍ أنّ «كل شيءٍ مستطاع عند الله» (مر١٠: ٢٧)، ولاشيء غير مستطاع عنده. فكما فعل بواسطة تلاميذه وأقام المفلوج (أع٩: ٣٣)، وكذلك أقام طابيثا التي كانت قد ماتت (أع٩: ٤٠)، هكذا أيضا يمكنه أن يفعل الآن بواسطة الذين يعيشون الآن. إنني أتكلم أمامه ولا أكذب، إنني أعرف خادما لله في جيلنا هذا، في هذا الوقت وفي هذا المكان المقدس، يستطيع أن يقيم الموتى باسم سيدنا يسوع، وأن يخرج الأرواح الشريرة، وأن يشفي الأمراض المستعصية، وأن يعمل معجزاتٍ أخرى لا تقل عن أعمال الرسل، وذلك كما يشهد هو لمَن أعطاه هذه المواهب. لأنه ما هو (الغريب في) ذلك كون هذه الأمور تجرى باسم الرب يسوع؟ ولكنه هو لا يستعمل سلطانه هذا.

إنه يمكنه حتى أن يبطل الحروب، وأن يغلق ويفتح السماء مثل إيليا النبي، لأنّ ربنا له دائما خدامه الحقيقيون الذين لم يعد يدعوهم خداما بل أبناء. وإذا حسدهم العدو، فهو لا يمكنه، بنعمة المسيح، أن يؤذيهم. لأنّ السفينة قد عبرت الأمواج، والجندي عبر الحروب، ومدير الدفة عبر العاصفة، والفلاح عبر الجو العاصف، والتاجر عبر من اللصوص، والراهب قد تكمل في وحدته. ومن ذا الذي عندما يسمع هذا الكلام العظيم الرنان لا يقول إنني فقدت عقلي؟ وفي الحقيقة إنني فاقد لعقلي، ولكنني لا أشهد لنفسي بل لآخر. وإذا أراد أحد أن يقول إنني خارج عن طوري فليقُل. وإذا أراد أحد أن يكون غيورا للوصول إلى هذه الدرجة فليته لا يرجع عن ذلك. وقد قلت ذلك لمحبتك مؤكدا أنّ ما تريده يمكن أن يتم. لأنه إن كنا قد طلبنا لك الصالحات السماوية التي لا ينطق بها، الأبدية التي قيل عنها: «ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢: ٩)، والله منحها لك، وأنها ستكون لك إن حفظت التقاليد؛ فكم بالأكثر فيما يخص آلام الجسد؟ فهو ليس أمرا متعِبا أن نطلب من الله ونأخذ النعمة، حتى لا تكون مريضا أو متضايقًا ولو ليومٍ واحد؟!

ولكن الرب يسوع يعرف أفضل منا ما هو الصالح للإنسان وينفعه، فالواحد لكي ينال مكافأة الصبر مثل أيوب، وآخرون لكي ينالوا مكافأة الخدمة مثل أولوجيوس الذي ذكره بالليديوس[11]. إذن، فلا تسأل شيئًا من الله وبواسطة خدامه إلاّ المعونة والصبر، لأنّ «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢) في المسيح يسوع ربنا، لأنه يعتني بنا إلى نهاية الدهر، آمين.

ألا تعرف ما قاله الرب للقديس بولس عندما طلب أن تزول منه شدته: «تكفيك نعمتي» (٢كو١٢: ٩)؟ فهل في قوله هذا بغضة له أم أنّ ذلك كان لمعرفته بما هو صالح له؟ تذكّر أنّ: «آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلَن فينا» (رو٨: ١٨). اغفر لي وصل لأجلي أنا العبد البطّال لكيما أتمسك أنا أيضا بهذه المقاييس إلى النهاية، لأنّ الذي يتمسك بها يصير بالفعل أخا ليسوع. له المجد إلى الأبد، آمين.

⌖ ٩٢ - طلب من الشيخ نفسه إلى الشيخ الكبير بخصوص أن يجد رحمةً في ذلك اليوم:

إجابة القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ أندراوس المحبوب في المسيح، إنني متعجب من محبتك، أو بالحري بساطتك،

(١١) قصة أولوجيوس والمقعد: التاريخ اللوزياكي، فصل ٢١.

إذ تشك في المواعيد. قال الرب لفيلبس الرسول: «أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس» (يو١٤: ٩)؟ آمن، يا أخي، أنه سيكون لك حسب المواعيد بل وأكثـر إن أردت. لأنه هناك من يجد رحمةً قليلةً ومن يجد رحمةً عظيمةً، وقد اختار داود النبي الرحمة العظيمة. فالذي يرغب في تلك العظيمة يجدها بالمذلّة والوداعة والصبر والأمور المشا ة. فكونك تجد رحمةً، إذًا، فإنك تجدها بصلوات القديسين. ولكن الرحمة العظيمة أو القليلة تتوقّف عليك، فاختر ما تريد. اسكن في سلامٍ، في تقديسٍ، في مذلةٍ، حاملاً لقريبـك، صائرا نموذجا كراهبٍ وكمن هو متقدم. وليكن الأخ ا اور لك مثل ابنٍ ومعـين، وإذا زلّ أو أفسد أي شيءٍ، فانصحه واظهر له خطأه لكي يصحح نفسه. وصل من أجلي.

⌖ ٩٣ - سؤال من الشيخ نفسه إلى الشيخ الكبير: "أيها الأب، أعطني نظامـا كمبتدئ لم يصر راهبا بعد، وصل من أجلي لأنّ الأخ يضايقني ويريح آخرين".

إجابة القديس برصنوفيوس:

يا أخي العزيز، لقد كتبت لي عن أمر يفوق طاقتك، أن تفرض على نفسك أمـرا لا تقدر على حمله. لأنك قلت إنني يجب أن أعطيك نظاما (أو تدبيرا) كمبتدئٍ لم يترهـب بعد. وهذا هو تدبير المبتدئ: أن يسلك في مذلةٍ كثيرة، فلا يعتبر نفسه شيئًا في أي أمر، ولا يقول: ما هذا؟ أو لِم هذا؟ بل يكون في طاعةٍ وخضوعٍ كاملين، ولا يساوي نفسه بأي واحدٍ، ولا يقول: "فلان يكرم، فلماذا لا أكرم أنا، هو مرتاح في كل شيء، فلماذا لا أكون أنا أيضا مرتاحا"؟ وعندما يزدرى به في كل شيء لا يغتم. هذه هي أعمـال المبتدئ الحقيقي الذي يريد حقًا أن يخلص. وهذه الأمور ثقيلة الحمل عليك الآن بسـبب ضعف الجسد ولأنك بلغت إلى الشيخوخة.

لقد طلبت الحمل الثقيل، ولكنني أضع عليك الحمل الأخف ، ليس على سبيل الإجبار بل المشورة: اتخذ الأخ كابن لك كما قلت لك. وإذا حدث - كتجربـةٍ - أنـه أراح شخصا آخر أكثر منك، أو ربما أراد الله أن يريح هذا الآخر وأنت تتضايق، وأنه عهد إليه بذلك؛ فاحتمل أنت ذلك ولا تتضايق. لأننا بتحمل الضيقات نقتني أنفسـنا (لـو٢١: ١٩). ونحن لا نصير «شركاء في الآلام» مع المسيح (٢كو١: ٧) إلاّ بتحمل الضيقات. تمسك بالشكر في كل شيءٍ لأنه يشفع لأجل ضعفنا أمام وجه الله.

قانونك هو أن تجلس وتنتبه إلى أفكارك، وأن تكون لك مخافة الله: "كيف سـأتقابل مع الله؟ كيف قضيت وقتي الذي مضى؟ سأتوب الآن إذ إنّ رحيلي يقترب، ولأحتمـل قريبي وما يجلبه من ضيقاتٍ وتجاربٍ إلى أن يصنع الرب رحمته معي ويأتي بي إلى حالـة

عدم الغضب، ويزيل مني الحسد الذي هو وليد الشيطان". اقضِ أيامك القليلة مفتشًا أفكارك، ومناقضا للذين يأتون عليك بالغيظ، ناصحا ابنك بمخافة الله، ومذكرا إياه بأخطائه، عالمًا أنه هو أيضا إنسان خاضع للتجارب. لعل الرب يسوع ابن الله الحي يعطيك حالة ملء السلام، ساكنا في مخافته.

ولكنني متعجب، كيف تقرأ الكتاب الذي يقول: «اِحسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة» (يع١: ٢)، ثم تغيظك تجارب لا يعتد بها! اِعرف على الأقل أين أنت، وأية قوةٍ لديك، ولعل الرقبة المتصلبة تذَلّ. ليكن سلام الله معك. اِغفر لي وصل لأجلي حتى لا أسمع القول: «فأنت إذًا الذي تعلم غيرك ألست تعلم نفسك» (رو٢: ٢١)؟ وماذا أعمل للمحبة؟ ولكن الرحمة هي لله سيدنا.

⌖ ٩٤ - سؤال من الأخ أندرو أيضا إلى الشيخ الكبير: "تقول لي أفكاري: أنت كلّمت الأخ مرةً وعشر مرات، فاتركه الآن يفعل ما يشاء، وكُنْ أنت حرا من الهم كما قال الآباء"!

إجابة القديس برصنوفيوس:

يا أعز أخ وتوأم نفسي، ليكن لك السلام الذي أعطاه الرب لتلاميذه، لأنه أولاً أعطاهم سلاما، ملاشيا منهم كل أفكار جسدية وكل مفهوم شيطاني لكيما تكون قلوبهم طاهرة، ولكي يتلقوا أيضا لأنفسهم دروس ووصايا معلمهم بنقاوة قلب. هكذا أنت أيضا، أيها الحبيب، إذ تنال هذا السلام الهائل، ليس مني بل من المخلص يسوع المسيح، أعِد نفسك بفهمٍ وبدون غيظٍ لأن تسمع وتعمل. لأنك تعلم كيف أنني أريد أن آخذك وأحملك على الجناح إلى السماء.

إنّ الشيطان يدور حولك من كل جانبٍ لكي يغيظك بالحسد وبالغضب، ولم يجد مكانا، وقد وجدك سخريةً في أمور ليست لها أهمية، وهو يحاربك بها، وبواسطتك يغيظ الأخ أيضا. وهذا هو ما كتبته لك في رسائل سابقة، أن تخبر الأخ بأخطائه وتنصحه؛ فإما أنني لم أتكلم جيدا وأنت ازدريت بكلامي، أو أنني تكلّمت جيدا وأنت هزِمت في الحرب، والآن يفرح الشيطان بذلك ويأتي إليك بتبريراتٍ مريرةٍ قائلاً لك: "أنت تكلّمت مرةً وعشر مرات، فاتركه يفعل ما يشاء وكُن أنت حرا من الهم كما قال الآباء". إنه يسخر منك حتى في ذلك، لأنك بعيد عن هذه الدرجة كما تبعد السماء عن الأرض. وهل علمت بما قاله الرب عن الأشجار إنما هي أيضا تعطي ثمرا (أُنظر مت٧: ١٧-١٩)؟

اِعلم بما يعطيه لك السكون الذي من الشيطان: مكدرات ومغضِبات. لأنك عندما

تتسرع في أمر من ذاتك دون أن تسأل؛ فإنك تسقط سريعا في شرك، لأنه هكذا يعـاني البسطاء غير العارفين. وسأوضح لك أنّ طول أناتك ليست بحسب الله: إنـك بعـد أن تدخر لأيامٍ عديدة، ففي يومٍ واحدٍ تفرغ كيسك فيوجد فارغًا. أما طول الأنـاة الـتي بحسب الله فهي لا (تجعلك) تتكلم إطلاقًا حتى النهاية. وأنت مع الأخ مثل سـيدٍ مـع خادمه، فبدلاً من أن تعطيه كل يوم لطمةً واحدةً مخبرا إياه بأخطائه فيوجد لكما سلام؛ فإنك تطيل أناتك لعدة أيام ثم تعطيه ضربةً واحدةً على ظهره وتـ ع منه حياته!

⌖ ٩٥ - سأل الأخ أندرو الشيخ الآخر نفس السؤال، وإن كان عليه أن يهجر قلايته إن كانت الحرب تكف حينئذٍ.

إجابة الأب يوحنا:

لو كنت انتبهت وتبعت إجابة الشيخ الكبير عندما قال لك ألاّ تعتبر نفسك شـيئًا في أي أمر، وألاّ تطلب مساواتك مع آخر؛ لكنت قد وجدت راحةً وما كنت قد تكدرت، وما كانت توجد حاجة لي (أي لسؤالي) ولا لأي أحدٍ آخر. أُنظر، يا أخي، لقد سخرت بك الشياطين. أنت تقول إنّ تعديات الأخ حقيقية، فأخبرني: هل أنت تعلم بتدقيق أ ـا حقيقية؟ لأنه إذا ذُكِرت تعديات أي واحدٍ مع الشك في ذلك، فأحيانـا توجـد هـذه التعديات غير حقيقية. إذن، فأي نوعٍ من التعديات قال الرب عنـها للنـاس: «إن لم تغفروا للناس زلاّ م، لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاّتكم» (مت٦: ١٥)؟ عن أي نـوعٍ كان يتكلّم، عن الحقيقية أم عن المشكوك فيها؟ عن الحقيقية بالتأكيد.

وكيف تدين وتحكم على أخيك بسبب تعديات الأسابيع الثلاثة، ألا تعلم أنك بذلك تلقي بنفسك في دينونةٍ عظيمة؟ لأنك حقًا إذا طالبت أخيك بـهذه، فإنّ الله سيطالبك بتعدياتك منذ شبابك حتى الآن! وأين الآية: «لا تغرب الشمس على غيظكم» (أف٤: ٢٦)؟ والآية: «احملوا بعضكم أثقال بعض» (غل٦: ٢)؟ وأين خطاب الشيخ الكـبير الذي أعطاك نظاما (أو قانونا) لحياتك؟ فبدلاً من الشكر يكون ذلك؟ ألا تعلم ما قيـل: «يجازونني عن الخير شرا» (مز٣٥: ١٢)؟ وكيف يخدمك الأخ؟ أليس ذلك لأجـل الله ومحبته؟ وكيف تؤذي فكره؟ انتبه، لأنّ رحيلك قد قـرب كمـا سمعـت واعترفـت، والشياطين لا يدعونك تتمسك بعدم اعتبارك لنفسك فتجد راحة. شـن حربـا علـى الأفكار التي تجلب لك غيظًا كما أعلمك الشيخ الصالح، وأنت تجد معونة.

والآن إذا اتجهت إلى عشرة آلاف حيلةٍ، وإذا فعلت أي شيءٍ مهما كان، إذا هجرت مكانك عندما توجد حرب أو تجربة، فهي لن تفارقك إن لم تصارع ضد الأفكار لكيما

يكون لك من أتعابك القليل لتمزجه بصلوات القديسين لأنها «تقتدر كثيرا في فعلها» (يع٥: ١٦). قُلْ لفكرك: "غدا تموت". لا تتمسك باعتبارك لنفسك شيئًا وأنت تجد راحة. الرب يعطيك سلامه، آمين.

⌖ ٩٦ - سؤال من الأخ نفسه إلى الشيخ نفسه: "أيها الأب، إنني نصحت الأخ بمحبة الله وهو لا يقبل وقد تكدرت، فماذا أفعل إذن؟ وإذا قابلت الأخ الذي أمرتني أن أقابله، فاخبرني إن كان لا يهتم أحد بذلك".

إجابة الأب يوحنا:

طالما أننا لا نلاحظ ما نقوله فاسمع: كل نصيحةٍ تجلب التكدير إلى قلب الإنسان لا تكون نصيحة إلهية، بل تكون من عمل الشيطان ممتزجةً بتبرير الذات. فإن كنت قد نصحت قريبك بحسب الله فكيف تكدرت؟ لأنّ الحزن التقوي لا يدع أي إنسان يتكدر، ولكن حتى إذا تكلّم ذاك الذي ينتصح ضد الذي ينصح فلا ينبغي أن يتكدر، بل يحمل أثقاله. وقد تبين لك أيضا أنّ الأثقال كانت تجربة، ولكن الله أبطلها ولا زال يبطلها. الرب يمنحك صحة النفس والجسد لكي تفهم ما هي مكائد الشرير فتهرب منها. صل لأجلي.

أما عن مقابلة الإخوة الذين تتكلّم عنهم، فإذا تمّت أيضا في محبة الله، فهي لا تسبب أية عثرةٍ بل تهذيب وإصلاح.

⌖ ٩٧ - سؤال من الأخ نفسه إلى الشيخ نفسه: "إنّ الأخ يسبب لي ضيقًا بالكلية، فإن كان ممكنا فإنني أكون مسرورا أن أستبدله، ويقول لي فكري إنني إذا كنت بمفردي فلن أتضايق بل بالحري أخلص. فأخبرني إن كان ذلك صالحًا".

إجابة الأب يوحنا:

أيها الأخ، لا تدع تبرير الذات يغلبك قائلاً: "إذا كنت بمفردي فلن أتضايق بل بالحري أخلص"، حيث إنك تبطل الكتاب القائل: «كثيرةٌ هي بلايا الصديق» (مز٣٤: ١٩)، وأيضا: «كثيرةٌ هي نكبات الشرير» (مز٣٢: ١٠). إذن، فسواء كنت صديقًا أو خاطئًا، فعليك أن تتحمل ثقل الملامة، لأننا لا يمكن أن نكون بلا ضيقات، بل إنها تعلمنا الصبر. كما أنّ الرسول - كمعلم ممتاز لنا - يقول: «صابرين في الضيق» (رو١٢: ١٢)، لأنّ الضيقات توضع حقًا أمام الذين يريدون أن يخلصوا، لأنّ الرب قال: «في العالم سيكون لكم ضيق» (يو١٦: ٣٣)، وأيضا: «بضيقاتٍ كثيرةٍ ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢).

فانظر، يا أخي، إنّ من يريدك أن تخلص، ذاك الذي قال: «نفسي حزينة جدا حتى

الموت» (مت ٢٦: ٣٨)، يسمح لك أن تتضايق قليلاً لكيما تجد الرحمة منه هنـاك في تلك الساعة المخوفة عوضا عن صبرك. لأننا إذا أردنا الراحة في كل الأمور فسنسـمع: «إنك استوفيت خيراتك في حياتك» (لو١٦: ٢٥). لقد تحمل معلمنا كل آلامه لأجلنا، وكيف أننا عندما نتذكّرها لا نتحمل لكي نكون مشاركين له؟ اُنظر فإننا قد أُوصـينا: «اشكروا في كل شيء» (١تس٥: ١٨) لئلاّ يجتذبنا عدو الخير إلى عـدم الشـكر (أو الجحود) فنفقد كل شيء.

وبخصوص اتخاذ أخٍ آخر، فليس من الصعب على الأب أن يعطيك أخا آخر، لأنّ الأمـر بالنسبة له سيان. فإذا اتخذت أخا آخر وضايقك في أي شيءٍ، فماذا بقي لك أن تفعله؟ لأنـه حتى لو كان الأخ غير مبالٍ، فهو يتصف ببراءةٍ قليلة. ولا أقول لك ذلك لكي أمنعك من اتخاذ غيره، ولكنني أنصحك أن تمتحن كل شيء وتتمسك بالحسن (١تس٥: ٢١)، لأنـه كمـا يخدمك واحد لأجل الله، فعليك أيضا أن تحمل أثقاله لكيما بدورك أيضا تتمم ناموس المسيح (غل٦: ٢)، هل لأنني لا أريد لك الراحة؟ الله يعلم، فإنني لو أمكنني لخدمتك كل أيام حياتي. فماذا أفعل في كوني بلا منفعة؟ دعنا نبغض راحة الجسد لأ ا ممقوتة عند الله وحتى لا تجعلنـا نتغرب من الله. إنني أكتب لك كتوأم لنفسي، أنّ ذلك هو من الله أن نكون متضايقين قلـيلاً، لأنه بدون ضيق لا يوجد نمو في مخافة الله. اِغفر لي، يا رجل الصبر، وصل لأجلي لكي أصـنع بدايةً، لأنّ ايتي الآن وشيكة.

✥ ٩٨ - جواب من الشيخ الكبير إلى الأخ نفسه:

اِفرح، أيها الأخ، وليتشدد قلبك، ولا تدع الشيطان يكدرك في أمور لا منفعة منها. ماذا يظن محبتك؟ هل يجرب الإنسان ويتضايق بدون سماح من الله؟ كـلاّ، بـل إنّ الله يسمح بذلك لمنفعة النفس. والشيطان إذ رأى ذلك، فقد شوه الأمور حولنا تماما كمـا فعل في البدء حتى طردنا من الفردوس! لأنه ما الذي لم يفسِده لنا؟ ألم يغرس فينا غضـبا مريعا بدلاً من السلام المقدس؟ وبدلاً من بغضة الشرور التي من الله، ألم يضع فينا بغضـةً أثيمة، أن نبغض الصالحات والله ذاته؟ ولكننا لا ندرك ولا نعلم أنّ الله لكي يقطع منـا كل فكرٍ شائنٍ وشرير ومهلكٍ للنفس، فقد أوصانا قائلاً: «صلوا لأجل الذين يسـيئون إليكم ويطردونكم»، وأمرنا: «أحبوا أعداءكم» (مت٥: ٤٤). فإن كُنا قد أُمِرنـا أن نحب أعداءنا الذين لا يؤذون لنا أية خدمةٍ سواء كان ذلك بغيرةٍ أو بعدم اهتمام؛ فأيـة مغفرةٍ تكون لنا إن كنا لا نحب الذين يصنعون الخير لنا ويخدموننا، حـتى لـو أظهـر الشياطين لنا أنّ خدمتهم تعمل بلا اعتناء؟

فإذا أردت أن تخلص وقد استودعت نفسك لله ولنا؛ فلا تثق في فكرك، لأنّ الشياطين يزرعون بذارا شريرة، ويزرعون شيئًا بدلاً من آخر. فنفذ التوجيهات، إذن، وأنت تتعلم طريق الله، لأنه قال: «إن شئتم وسمعتم لي تـأكلون خـير الأرض» (إش١: ١٩)، إذًا، فهذا يتوقّف علينا كوننا نأكل أو لا نأكل.

ولماذا نلوم قريبنا؟ لا تدع على أي واحدٍ في أي شيءٍ على الإطلاق، بـل في كـل الأمور كُن راضيا، ولا تفكر بالشر على أي واحدٍ حيث إنك بذلك تصير شـريرا، لأنّ الشرير يفكر في الشر، والصالح يفكر في الصلاح. ولكن إذا فكّرت أنّ إنسـانا يـتكلّم ضدك، فهذه هي حرب المبتدئين. وبناءً على ذلك، فإن كان هناك اثنان يصليان في قلايةٍ واحدة، أو أ ما ينصحان بعضهما بعضا؛ فإنّ ثمة آخر يمكنه أن يقول عنهما العكـس، وإن كان هذا هو تفكيره فهذا لا يعني أنه يفكر في الحق، بل إنه بحماقته يـربح هلاكًـا لنفسه بكل بساطةٍ. فلا تتقيد ذه الأمور، لأنّ الأخ يشعر أنه بواسطتك يجد رحمةً. وإن كنت تتضايق قليلاً بسببه، فذلك لكيما تكتسب صبرا: «افرحوا و لّلـوا لأنّ أجـركم عظيم» (مت٥: ١٢) عن صبركم. وقد تعلّمت قبل ذلك من الأخ يوحنا أننا لا نجرب لمنفعتنا بدون سماح من الله، فلا تثق، إذًا، في الشياطين في أي شيءٍ ضد أخيك، لأنه ليس له دور في ذلك، بل إنّ الشياطين هم الذين يريدون أن يكدروك. الرب يجعلهم لا شيء.

وبخصوص ما تفكر فيه: "هل جئت لأكون عبدا للناس"؟ فهذا ليس من الاتضـاع. لقد افتخر الرسول بأنه صار عبدا للجميع (١كو٩: ١٩)، وأنت تقول ذلك؟ متى تصل إلى هذه الدرجة من الاتضاع؟ إنك لا تعلم ما قلته أيها الأخ. الرب يغفر لك.

✥ ٩٩ - جواب من الشيخ الكبير إلى الأخ نفسه:

إنني أتعجب من البعض الذين لهم سنين عديدة في المدارس ولا زالوا يتعلّمـون الأبجديـة ومقاطع الكلام، بينما كان يجب أن يكونوا الآن معلمين في كامل نضجهم؛ كما أتعجب أيضا من الذين لهم زمانٌ طويلٌ في الرهبنة، وكان عليهم أن يكونوا مميزين لأفكار الآخرين الخفيـة، كما أنـهم لا زالوا محاربين بقتالات المبتدئين. إنكم أنتم الذين كان يجب، باعتباركم كاملي النضج، أن تكونوا مرشدين للذين انحرفوا إلى الطريق المستقيم؛ بل إنكم بدلاً من أن تحملـوا أثقال الضعفاء، تثقلون عليهم بالحزن حتى الغرق! انتبه لنفسك أيها الأخ. ألا يجعلـك ذلـك ظالمًا، أنك تضايق فكر قريبك؟ لأنه بعد أن تعب لأجل الله، تجلب أنت عليه أفكارا إضـافية بقولك له: "افعل كما شئت"! أيقول الناضج ذلك للمبتدئ؟ لم يكن هذا هو دورك، بل أن تنصح وتوجه خائفًا من ذاك الذي قال: «لا يوضع للأخ مصدمةً أو معثرة» (رو١٤: ١٣).

ماذا كانت الحاجة إلى أن تقول كلمةً محزنةً لقريبك؟ ولماذا أقول أنا لك تلك الكلمة وأنا كما أنا؟ حماقتي لا تجعلني أحتمل كلمة حتى أقولها بصراحةٍ وأكدر نفـس أخـي! عندما يزرع الشيطان فيك أفكارا شريرة - لأنّ هذا هو عمله أن يزرع شيئًا بدلاً مـن آخر، ولا يجعلنا نتذكّر الموت - فلماذا تصدمك العاصفة بالتفاهات مثل المبتدئين والذين تعوزهم الخبرة؟ أين القول: «معتازين مكروبين مذلين» (عب١١: ٣٧)؟ لقـد اختـار آباؤنا لأنفسهم الشدائد، ونحن لا نخجل من البحث عن كل راحة!

فلنتعلّم نحن البائسين، أنّ كل هذه الأمور مكتوبة فوق في سجلاّت وسـنطالَب ـا بدقّةٍ. وأنا أكتب ذلك راغبا في إزالة كل دملٍ، ولكن إن كنت أزعجك فاغفر لي، وأنا لن أزعجك أكثر من ذلك. صل لأجلي لكيما آتي إلى معرفة الحياة. أما بخصوص موتك، فقد قلت مرارا، وأقول مرةً أخرى: ليس لك زمن طويل تقضيه في الجسد.

⌖ ١٠٠ - سؤال منه أيضا للشيخ الكبير: "أنت تعلم، أيها الأب، أنني لا أجسر أن أخالف وصيتك في أي شيء على الإطلاق، لأنّ كل ما تقوله إنما هو حيـاةٌ لنـا. ولكن صل لأجلي لأنّ الأخ يزعجني بالكلية".

إجابة القديس برصنوفيوس:

اِفرح يا حبيبي، اِفرح في الرب. أنا أعلم ومقتنع في الرب أنني إذا قلت لك أن تقيم في سجن سنةً كاملة فلن تخالفني، إذ إنني أعلم كيف ولِمَن أتكلم، للخادم رفيقي وتوأم نفسي. ألم تعلم ما قاله أيوب الصديق: «أليست حياة الإنسان على الأرض تجربة» (أي٧: ١ سبعينية)؟ فكُـن، إذن، مستعدا في كل الأوقات للتجارب والشدائد، و«انس ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام» كما يقول الرسول (في٣: ١٣)، لئلاّ عندما تقول ذلك ضد أخيك يثور فيك ذكـر الشـر. الرب «يسحق الشيطان تحت أرجلنا سريعا» (رو١٦: ٢٠).

نعمة الله وسلامه ومحبته تكون معك إلى النهاية، آمـين. وليعطكما فرحا وسـرورا وبركةً ووداعةً واتضاعا ومحبةً لا تسقط أبدا، حتى تحتملا بعضكما بعضا بمخافة الله، لأنّ الموت لن يتأخر عن ا يء.

⌖ ١٠١ - سؤال منه أيضا للشيخ الكبير: "أخبرني، يا أبي، ما هـو الاتضـاع؟ وصل لكي يكون رحيلي بالموت في سلام".

إجابة القديس برصنوفيوس:

الاتضاع هو أن يعتبر المرء نفسه «ترابا ورمادا» (تك١٨: ٢٧)، بالعمـل ولـيس بالكلام وحده، وأن يقول: "«من أنا» (٢صم٧: ١٨)؟ ومن ذا الذي يعتبرني شـيئًا؟

ليس لي شأن مع أحد". وبخصوص موتك، فلا زال الرب ينتظر لوقتٍ قليـل ثم يمجـد رحيلك بفرحٍ كثير. صل من أجلي يا أخي، أقبلك في الرب.

⌖ ١٠٢ - سؤال منه أيضا إلى الشيخ الكبير: "يا أبا، إنّ الأخ يقاومني بفظاظةٍ، ولم يظهر أي تعاطفٍ نحوي، فما الذي تأمرني أن أفعله"؟

إجابة القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ أندراوس، إنني متعجب لبساطتك! هل ترى ببساطةٍ أنّ الشيطان يسـكت ولا يجرب أحدا؟ أيمكننا أن نلوم الذين يسقطهم الشيطان وهو يرغي ويزبد بغضـبٍ؟ هكذا أيضا مع الذين يعمل فيهم للمخالفة ونقص التعاطف مع الآخرين، فلا يمكننـا أن نلومهم، بل نلوم الوجع (أي الهوى). انتبه لما قيل لك بفهمٍ، لأنّ الشيطان يعمل فيـك بالحقيقة أنت أيضا، وأنت لا تلاحظ حالك، بل ترى حال قريبك بطريقةٍ عنيفة. ها أنت تتكلم عن حال أخيك ولا تتكلم عن حالك أنت، لأنك منذ أيامٍ قليلة كنت تسأل عـن الاتضاع، وقيل لك أن تعتبر نفسك ترابا ورمادا وألاّ تعتبر نفسك شيئًا. إذن، هل يرغب التراب والرماد والذي هو ليس بشيءٍ في تعاطف أي أحدٍ، ولا سيما من إنسان يعمل فيه عدو الخير؟ وهذا بسبب أنك متقدم عليه في العمر وفي الرهبنة وفي الكهنوت، والمتقـدم ينبغي أن يحتمل الأقل منه قائلاً: "إنني أنا هو غير المستحق".

أما إذا قلت ذلك دون أن تحتمل فهذا يكون غير ملائمٍ. فمن تكون أنت يا من لـه عينان لترى أوجاع الآخرين؟ إنك إنسان سمع إنجيل الأمور الفائقة. لأنك لو انشغلت لسهوت عن أكل خبزك (مز١٠٢: ٤). ولكنك لم تذُقها بعد وهي لم تصـر مرغوبـةً لديك كما ينبغي. أُذكر لعازر (لو١٦: ٢٠)، كيف أنه تحمل طويلاً وهو يشكر الله، ولا تنس أيضا هذه، وكذلك ما قلته لك مرارا: "هذا حسد من الشيطان"، إذ تعلم ما هـو مذّخر لك. ولكنني أثق في الله أنّ الشيطان لن تكون له قدرة على أي شيء.

⌖ ١٠٣ - طلب منه أيضا إلى الشيخ الكبير: "صل من أجلي، أيها الأب، لأنني سقطت في الخيالات".

إجابة القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ أندراوس، دعنا نصيح مع القديس بولس: «يا لعمق غِـنى الله وحكمتـه وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء» (رو١١: ٣٣)! وكيـف أيضا جعلنا نكف عن الافتخار بقوسنا وألاّ نضع في أذهاننا أنّ سيفنا يخلصـنا[١٢]، بـل

---

(١٢) حسب نص الآية: «على قوسي لا أتكل، وسيفي لا يخلصني» (مز٤٤: ٦).

نعمة صلاحه. لأنه يقول: «بالنعمة أنتم مخلصون» (أف٢: ٥). وهذا هو سـبب أنـه يدعنا نسقط في الخيالات وفي أوجاعٍ أخرى حتى نعرف ضعفنا، وأين ما زلنا نحن الآن. وهو يسمح لنا بذلك من قِبل صلاحه لمنفعتنا، حتى تكون ثقة رجائنا من الله لا منا.

ولكن لاحظ ألاّ تظن أنّ هذه هي مشيئة الله أن نسـقط في الخيـالات والأوجـاع الأخرى، بل إنه بسبب تغافلنا يسمح لنا أن نقاسي من مثل هذه الأمور، ومن قِبل تحننه يكسِبنا من شرورنا اتضاعا لأجل خلاصنا. ماذا إذن؟ هل ننسب خلاصـنا لأوجاعنـا الشريرة؟ حاشا! بل ننسبه إلى ملء رحمته وبراعة حكمته. فلاحظ، إذن، كيـف أنّ الله ينهض ذهننا من جميع النواحي لنتذكر أن نقول: «لولا أنّ الرب معيني لسكنت نفسـي سريعا أرض السكوت (أو الجحيم)» (مز٩٤: ١٧). فإذ علمنا أنه بسبب ضعفنا وإهمالنا نقاسي من هذه الأمور، دعنا نعمل ما في وسعنا ألاّ نسقط فيها، والله برحمته ينقذنا منها.

وقد فعل الله ذلك مع الرسول بطرس وأيضا مع الرسول بولس، إذ منع عنهما قوتـه إلى حين حتى يعرفا أ ـما بشر: فسقط الأول في الإنكار، والثاني أنزلوه من سور المدينة في زنبيل (٢كو١١: ٣٣)، وذلك لكي يتعلّما ألاّ يثقا في نفسيهما بل في سـيد الجميـع. فاعلم، إذًا، أنت أيضا من أنت وأين أنت، وكُن غافرا للعبد رفيقك واحكم على نفسك. كُن متضعا بالحق، ليس أمام الله فحسب، بل أيضا أمام الناس، والْقِ كل همّـك عليـه (١بط٥: ٧)، ذاك الذي هو «قادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جدا ممـا نطلـب أو نفتكر» (أف٣: ٢٠)، وهو سيحقق لك كل ما وعد به. إنه لن يقصـي عنـه الـذين يطلبونه بالحق، إخوته المكرمين عنده الذين به وفيه قد حرروا أنفسهم من الإنسان العتيق بأجمعه، وسمعوا منه بفرحٍ لا ينطَق به: «كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًـا في السماء، وكل ما تحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء» (مـت١٨: ١٨). وقـد أعطاهم كل سلطانٍ في السماء وعلى الأرض (مت٢٨: ١٨). والآن «اعبد الرب بخوفٍ واهتف (أو ابتهج) به برعدةٍ» (مز٢: ١١)، واشكره بفمٍ لا يسكت على أنه رحمك أنت وكثيرين آخرين بواسطة خدامه. له ا ـد، آمين.

⌖ ١٠٤ - إجابة من الشيخ الكبير إلى الأخ نفسه عندما طلب الصلاة:

ليعطِك الله الرءوف العلي الرحوم القوة من العلاء لكي تتأمل دائما في أقوال الـوحي المكتوبة لك وتعمل عملاً روحيا حقيقيا، أي تشن حربا ضد الأفكار الـتي تضـايقك، ولكي توجدوا مع الذين أخذوا الوزنات وضاعفوها (مت٢٥: ١٦و١٧)، لكي تسمعوا ما سمعوه، ولكي تصارعوا لتحتملوا بعضكم بعضا، وتعطي أرضكم لله ثمرا صـالحًا وفي

أوانه «بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين» (مت١٣: ٨). هذه هي صلاتي لله، أنكـم عندما تحفظون هذه الأمور أراكم في ملكوت إلهي، أحباء حقيقيين متهللين في الرب.

⌖ ١٠٥ - سؤال من الأخ نفسه إلى الشيخ الكبير: أخبرني، يا أبي، من أين نشـأت التجربة التي جاءت علينا؟ ولأي هدفٍ تأتي؟ وكيف تبطُل؟ وصل لكي أُنقَذ منها.

إجابة القديس برصنوفيوس:

الشيطان الذي يكره الخير، إذ يعرف منفعة نفوسنا، وأنه لا يوجد شيء يرسخ الخلاص إلاّ أن يحمل بعضنا أثقال بعض (غل٦: ٢)؛ فهو حسود ويصارع ليزرع بذاره فيكم. فمن هنـا نشأت التجربة التي سيبطلها الرب. إلاّ أنّ مثل هذه التجربة تبطل بحمل بعضنا أثقـال بعـض والصلاة من أجل الإنسان الذي بواسطته تأتي التجربة. ولكن بدون صراع مصحوبٍ بتعقلٍ لا توجد طريقة للخروج من التجربة. ولكن أن يقبل المرء فكرة الانسحاب من التجربة، فهـذه أيضا تجربة من حسد العدو عن طريق تبرير الذات لكي يفصل عنك حب القديسـين الـذين يصلون لأجلك ويجردك من معونتهم. ها أنا قد أريتك مدخل التجربة والخروج منها، فاحتمل قليلاً وستجد راحةً من أثقالك في المسيح يسوع ربنا آمين.

⌖ ١٠٦ - جواب من الشيخ الكبير للأخ نفسه عندما ضجر من التجارب التي جاءت عليه:

أخي وتوأم نفسي أندراوس، لا تضجر لأنّ الله لم يتركك ولن يتركك. ولكن هذا هو وعد السيد لأبينا كلنا آدم ولن يزول قوله: «بعرق وجهك تأكل خبزا» (تك٣: ١٩). وكما ربط ذلك بالإنسان الخارجي، هكذا أيضا بالإنسان الداخلي (الباطن)، فهـو في النسك يتعاون مع صلوات القديسين. وهم قد أنجزوا الكثير حتى لا يكون الإنسان بدون ثمر. لأنه كما أنّ الذهب الذي تطلَق عليه النار في الفرن ويمسك بالملاقط ويدق بالمطرقة يصبح مختبرا ومقبولاً لأجل التاج الملكي؛ هكذا الإنسان المحمول بصـلوات القديسـين، الذي يمكنه أن ينجز الكثير وهو يفعل ذلك، وتطلَق عليه نار الشدائد ويدق بالتجارب، فإذا احتمل بشكرٍ فهو يظهر أنه ابن للملكوت. وهكذا فإنّ كل الأشياء تحدث لخـيرك حتى تكون لك أيضا دالّة مع القديسين من كفاحك الشخصي، الذي به لا تخجل من أن تقدم البكور. إذن، فلا تلحِق بنفسك حزنا بدلاً من الفرح الروحاني، واعتبر أنّ الـذي وعد أمين (عب١٠: ٢٣) في إتمام مواعيده. تقو في الرب أيها الحبيب.

⌖ ١٠٧ - جواب من الشيخ الكبير إلى الأخ نفسه عندما تثبطت همّته كثيرا:

يا أخي أندريا، لعل الله محب البشر لا يعطي للشيطان باغـض الخير أن يزرع فيـك

حزنه وإحباطه حتى لا يقودك أيضا إلى اليأس حتى بخصوص المواعيد التي أُعطيـت لـك بالروح القدس أنت المحبوب من الله المبارك. ولكن ليته يفتح قلبك لتفهم الكتب كما فتح قلب كليوباس ورفيقه (تلميذي عمواس: لو٢٤: ٣٢). وانظر كيف أنّ الله بعد مواعيده لإبراهيم أب الآباء جربه مرةً أخرى، لأنه مكتوب: «وحدث بعد هذه الأمـور أنّ الله امتحن إبراهيم» (تك٢٢: ١). أي أمور؟ أقول إ ا تلك المواعيد. وهو خليله الذي قدم له الذبيحة الطوعية، هذا الذي لم يكن مستحقًا أن يقاسي من أي شيءٍ مريـع، الـذي حسب إيمانه برا، مثل هذا الرجل سمح الله له بالتجربة لأجل اختباره ولكي تكون قوات الظلمة بلا حماية (أي مكشوفة ومفضوحة)، ولكي يكون نموذجـا للمـؤمنين الـذين «بضيقاتٍ كثيرة ينبغي أن يدخلوا ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢)، الذين بصبرهم يقتنون أنفسهم، ويشكرون في كل شيء (١تس٥: ١٨). ومع هؤلاء أيضا اذكر أيوب حبيـب الله الأصيل الذي «كان كاملاً وبلا لوم وبارا، يتقي الله ويحيد عـن الشـر» (أي١: ١ سبعينية)، كيف سلّمه للتجارب، وهو الذي لم يكن مستحقًا للمعاناة، لامتحان فضيلته حتى أخزى أعداءه والمدعين عليه فصاروا بلا حجةٍ إذ تبكّتوا منه.

وخذ أيضا لتثبيت إيمانك «رئيس الإيمان ومكمله يسوع» (عب١٢: ٢) الذي نجّانا من اللعنة، كيف أظهر لنا وقت الصلبوت طريق الصبر والخلاص بقوله: «يـا أبتـاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» (مـت٢٦: ٣٩). وهذا إنما فعله لأجلنا، ذاك الذي انتهر بطرس عندما قال: «حاشاك يـا رب، لا يكون لك هذا» (مت١٦: ٢٢)، لأنه كان مستعدا أن يتألم باختياره! ولكنـه لأجـل ضعفنا صلى أن تجوز عنه الكأس حتى لا نكلّ عندما نصلي، ولأجل امتحاننا في الوقـت الحاضر لم يسمع له.

ليتنا نفتش أوجاع مخلصنا ونشعر ا وذلك عندما صـار إنسـانا، ونتحمـل معـه الاستهزاء والاستخفاف والجلدات وخزي البصاق والإهانة بالرداء (القرمزي) وإكليـل الشوك والخلّ الممزوج بالمرارة ووجع غرس المسامير وطعنة الحربة وخروج الماء والـدم. واتخِذ لك من ذلك راحةً من أوجاعك، لأنّ الله لا يجعلك خاليا من التعب لئلاّ عنـدما تبصر القديسين في تلك الساعة حاملين ثمار احتمالهم للضيقات وهم يفتخرون ا تكون أنت بلا نصيبٍ فيها! إنه تركك تعاني قليلاً لكيما تكون شريكًا لهم وليسوع، وتكـون لك دالة عنده مع القديسين.

فلا تحزن، إذن، فإنّ الله لم ينسك، لكنه يهتم بك مثل ابنٍ حقيقي [خصوصي] وليس

نغلاً[١٣]. إنك تصمد حسنا إن كنت تنتبه لنفسك وتتحفظ بحرصٍ ألاّ تسقط من مخافة الله وشكره [ونعمته]. مبارك أنت إن صرت بالحقيقة غريبا ومسكينا، لأنّ مثل هؤلاء هم الوارثون لملكوت الله. تشدد وتشجع بالرب. إنني لا أتحاشى أن أقول لك تلك الأمور عينها، ولعل الرب يمنحك إياها. صل لأجلي.

⌖ ١٠٨ - استفسار من الأخ نفسه إلى الشيخ الكبير بخصوص ترسيخ القلب، وعن غفران خطاياه منذ ولادته:

إجابة القديس برصنوفيوس:

ليكن الرب يسوع المسيح شفاءً لك وثباتا أبديا للنفس والجسد، وليرسخ قلبك حتى لا يسود عليه الشيطان عدو الخير وباغض الإنسان. أما عن مغفرة خطاياك منذ ولادتك حتى الآن، فهذه يعطيك إياها الرب بعد أربعين يوما، لأنك مشارك لي في توسلاتي في عطية النعمة هذه بصبرك القليل. تشدد وتشجع في الرب، إذن، وليكن الرب - الطبيب العظيم للنفوس والأجساد - معك. سلام لك في الرب أيها الأخ.

⌖ ١٠٩ - جواب من الشيخ الآخر إلى الأخ نفسه:

إن كان الناس، في الأمور الدنيوية، يدعون الإنسان الغني مباركًا، فبالأكثر جدا أدعو أنا محبتك مباركًا، أنت الذي اغتنيت بحسب الله بواسطة توسلات أبينا الطوباوي (ق. برصنوفيوس). حقًا لولا أنّ صلاته كانت قد سبقت قوله: 'تشدد وتشجع'، لكان قد أصابك مرض خطير، لأنّ الإهمال القليل والشجاعة الواهنة في الاحتفاظ بطول الأناة والصبر مع أفكارك ومع الذين يخدمونك، يذكّرنا بقول الرسول: «احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمموا ناموس المسيح» (غل٦: ٢).

إذن، فمن حب الرب لك قد أدبك برحمةٍ بسبب صلاة خادمه، لكيما بهذا التأديب القليل تتعاون مع توسلاته، وهو يحسب ذلك لك عملاً، لكيما يستد فم العدو حتى لا يقول: 'لو كان قد جرب بالتأديب لكان قد صار متروكًا (أي تخلّى عنه الله)'. فلا تحزن، إذن، لأنه سيتحقّق لك كما سمعت من الشيخ. فحسب كلامه: 'تشدد وتشجع'.

⌖ ١١٠ - عندما أنقذ الشيخ نفسه من تجاربه بصلوات الشيخ الكبير وتعليمه الروحي، أرسل إليه يشكره.

جواب القديس برصنوفيوس:

(١٣) "النغل" هو ابن الزنى.

فلنعطِ التمجيد كله لرب المجد، ولنرتل له على مدى الدهور، آمين. لأنّ المجد لا يليق بنا بل به وحده مع ابنه وروحه القدوس. لقد جاء الله بمحبتك إلى ضعفنا لكيما تكون لنا معونة بواسطة بعضنا بعضا في الله، لأنه يريد أن يحقق فينا أيضا ما قاله الكتـاب: «أخ معانٌ من أخٍ مثل مدينةٍ قويةٍ حصينة» (أم ١٨: ١٩ سبعينية). بل ولعله يتحقّق لنا جميعا أن نكون معانين من أخينا الكبير: يسوع! لأنه سر أن يجعلنا إخوةً له، وهكذا نحن، فقد أعلن الملائكة أننا مباركين لأنّ لنا هذا الأخ القدير حتى يجعلنا قادرين وأقوياء حتى يقسم لنا غنائم العدو (انظر لو١١: ٢٢)، وقائدا أعلى لكيما يسحق في القتال الذين يشـنون الحرب علينا، وطبيبا لكيما يشفينا من أوجاعنا، ورئيس سلامٍ لكيمـا يجعـل لإنسـاننا الداخلي سلاما مع إنساننا الخارجي مخضِعا هذا لذاك، ومربيا لكـي يغـذينا بالطعـام الروحي، وحيا لكيما يحيينا، ورحوما لكيما يرحمنا، وشفوقًا لكي يشفق علينا، وملكًـا لكي يجعلنا نحن أيضا ملوكًا، وإلهًا لكي يجعلنا نحن أيضا آلهة!

فإذ علمت، إذن، أنّ كل الأشياء هي فيه، فتضرع إليه لأنه «يعلم ما تحتاجون إليـه قبل أن تسألوه» (مت٦: ٨)، وهو يمنحك بنفسه سؤالات قلبك إن لم تعوقهـا أنـت. واعطِ التمجيد دائما له هو، لأنه يليق به المجد إلى الأبد، آمين. صل لأجلي، أيهـا الأخ، لكيما أعرف ضعفي وأكون متضعا.

⌖ ١١١ - استفسار من الأخ نفسه إلى الشيخ الكبير عن نقص المطـر، وعـن صمته الطويل:

إجابة القديس برصنوفيوس:

الله لا يعمل شيئًا في غير أوانه (أو في غير محله)، بل كل الأشياء لخير البشر. وإن كان قد أوقف المطر لتأديبهم، ومع ذلك فهو سيصنع رحمةً بإرساله. هكذا أيضا إن كانـت الكلمة توقّف إلى حين، فذلك لكي يحس البعض، ولكي إن لم يحسوا؛ فإنّ الله يوصـي بالكلمة مرةً أخرى، ثم ينطّق بالكلمة بقدر الاحتياج إلى المنفعة.

⌖ ١١٢ - طلب من الأخ نفسه إلى الشيخ الكبير: أتوسل إليك، يا أبي القديس، أن تحقق وعدك المقدس لي بخصوص مغفرة الخطايا:

إجابة القديس برصنوفيوس:

«مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركةٍ روحيةٍ في السـماويات» (أف١: ٣)، حتى إنك إذا أعددت نفسك لنوال طلباتك فإنك ستحصل عليهـا بتعـبٍ كثيرٍ وبواسطة ضعفي. لأنني أعتقد أنّ مكاسب ومنفعة كل إنسان وكـل نفـس هـي

مكاسبي أنا. وإنني أكون مسرورا حتى أن أحترق وأنسكب لأجل نفوسكم كما يعلم الله الذي يعرف وحده ما في قلوبنا. وأنا أعلم ومقتنع أننا لم نفقد تعبنا. تشجع، إذًا، وتيقّن أنك تنال طلباتك. ولكن عندما تنالها ِاحرص على بقاء النعمة معك. لأنّ كثيرين بعد أن نالوا طلبا م سقطوا، لأ م لم يحرصوا على ما أخذوه بمخافةٍ. فكُن أنت، إذًا، راغبـا في الصالحات وحافظًا لها، خادما مرضيا عند سيدك، تلميذًا متضعا لذاك الذي لأجلك وضع نفسه، تلميذًا مطيعا للمطيع ومتحملاً للمتحمل، طويل الأناة للطويل الأناة، رحيما لأجل الرحيم، حاملاً لأثقال جارك (أو قريبك) كما حمل هو نفسه أثقالك، محبـا للجميـع بإخلاصٍ كما أنه هو ذاته أحبنا، تابعا له في كل الأمور حتى يستقبلك في راحته العظمى حيث «ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان، مـا أعـده الله للـذين يحبونه» (١كو٢: ٩). له ا د إلى الأبد آمين. صل لأجلي أيها الراهب.

⌖ ١١٣ - طلب الأخ نفسه من الشيخ الكبير نفس الشيء:

الجواب: أيها الأخ أندراوس، لعل الرب يسوع الذي قال: «اسألوا تعطوا» (مت٧: ٧) يعطيك كل طلباتك. فقط أَعِد بيتك بكل نظافةٍ لكي تستقبل العطايا، لأ ا تذّخر في البيت الذي تنقّى، وتعطي نكهتها الحلوة حيث لا توجد قذارة. وعندما يذوقها أي واحدٍ يصير متغربا عن الإنسان العتيق ومصلوبا عن العالم والعالم مصلوبا له (غل٦: ١٤)، حيا في الرب على الدوام. ومهما تلاطم أمواج العدو سفينته لا يمكنها أن تكسرها، ومن هنا يصبح مخيفًا للأعداء برؤيتهم لختمه المقدس. وبقدر ما يصير عدوا لهم بقدر مـا يصـير خليلاً وحبيبا حقيقيا للملك العظيم.

والآن، أيها الأخ، أبغض بغضا كاملاً لكيما تحب حبا كاملاً. ابتعد بعدا تاما لكيمـا تقترب بالكامل. أُمقت التبني لكيما تنال التبني. أترك مشيئتك وتمم المشـيئة (الإلهيـة). ِاقطع نفسك واربط نفسك! أَمِت ذاتك وأَحي نفسك. انس ذاتك واعرف نفسـك ... وها أنت تمتلك أعمال الراهب.

⌖ ١١٤ - الأخ نفسه يطلب من الشيخ الكبير نفس الشيء:

الجواب: أيها الأخ أندراوس، حبيب نفسي، لو علمت عطية الله بالصواب، فلو كان شعر رأسك كله أفواه؛ لما استطعت أن تمجده أو تشكره كما يليق! ولكنني أعتقد أنـك تتعلّم. وكما يعلم الله ذاته، فإنه لا توجد طرفة عين أو ساعة تغيب فيها أنت عن ذهـني وصلاتي. فإن كنت أنا أحبك هكذا فكم بالأكثر يحبك الله الذي صورك! وإنني أطلـب منه أن يقودك ويوجهك حسب مشيئته. وهكذا فهو يوجهك بما فيه الخير لنفسك. وإن

كان هو يطيل أناته عليك إلاّ أنه يضاعف المنفعة لنفسك. فابق، إذن، شاكرا إياه على كل الأمور، معتبرا ذاتك لا شيء في كل الأمور، مؤمنا بأنّ كل ما قيل لك سوف يكون في المسيح يسوع ربنا، آمين.

⌖ ١١٥ - إجابةٌ من الشيخ الكبير للأخ نفسه الذي طلب نفس الأمور، وأن يكون له فهم من عند الله:

أيها الأخ أندراوس، قال سيدنا المسيح لمرثا: «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو١١: ٤٠). فآمن أنت أيضا وسترى لعازر يقوم من الموت ويتعشى مع يسوع (يو١٢: ٢)، وسترى مريم جالسةً عند قدميه المقدستين ومتحررةً من اهتمامات مرثا (لو١٠: ٣٩-٤٢). وآمِن أنّ كل الأشياء تتم لك، فمهما طلبت أنا غير المستحق من الله يمنحه لمحبتك. إذًا، فلا يتطلّب منك الله إلاّ الصبر والشكر، وهو يفتح لك كنوز الحكمة والفهم نحوه. أقدم لك سلامي في الرب الذي فيه تكون لك صحة في النفس والجسد، وصل لأجلي.

⌖ ١١٦ - جواب من الشيخ الكبير للأخ نفسه:

أيها الأخ المحبوب أندراوس، انصت: إنّ الذين يأخذون عملات خالصة نقية من الملك، إذا حافظوا عليها بغيرةٍ واهتمامٍ تحتفظ ببريقها ونظافتها. ولكنهم إذا لم يعتنوا بها فهي لا تتلوث فحسب بل ربما تضيع أيضا. لهذا السبب قال أحد الحكماء: «اربط ذهبك وفضتك» (سيراخ ٢٨: ٢٤). بل إنني أقول لك لا أن تربطها بإيمانٍ غير متردد فحسب، بل أيضا أن تختمها بالاتضاع وطول الأناة مع الصبر الذي به من يحتمل يخلص. إنني أقول لك أمرا جريئًا بالله الذي يسمح لي بذلك: الرب يسوع الوسيط العظيم ابن الآب المبارك معطي الروح القدس المحيي يخبرك بواسطتي أنّ: "خطاياك الكثيرة مغفورةٌ لك" (لو٥: ٢٠؛ ٧: ٤٨)، خطاياك منذ ولادتك حتى الآن!

فإذ قد تلقّيت هذا الفرح العظيم الذي لا يوصف، أحبه بكل قوتك، مظهرا «أثمارا تليق بالتوبة» (مت٣: ٨)، صارخا مع القديس بولس بتلك الكلمات العذبة: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف»؟ قائلاً له: «من أجلك نمات كل النهار، قد حسِبنا مثل غنمٍ للذبح، ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا (أو «نكون أكثر من منتصرين» حسب النص) بالذي أحبنا. فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو٨: ٣٥- ٣٩). واظهر أنك تتأمل في هذه الأمور ليس بالفم وحده بل

بالأعمال، لأنه يقول: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو٢١: ١٩).

لقد صرت في كرامةٍ عظيمةٍ، فأظهر أعمال صبرٍ وشكرٍ عظيمة ولائقة، حيـث ـا يكون الرجاء في الكمال، والتي ا لعلنا نصير مستحقين لاسم الآب والابـن والـروح القدس، آمين. تمهل عند هذه الأمور باستمرار وبطريقةٍ فعالةٍ وأنت تتـذوق حلاو ـا، كيف أ ا تعطر نفسك ونفوس القادرين على أن يتطلّعوا فيها. تشدد وتشجع في الـرب أيها التقي جدا.

⌖ ١١٧ - جواب من الشيخ الكبير للأخ نفسه:

أيها الأخ أندراوس، الرب قال: «إنّ إيليا قد جاء» (مت١٧: ١٢). وأنا أخبرك أنّ لعازر الذي في قلبك قد أُقيم بالفعل وحل من رباطاته، وأنّ الآية «أنت حللت قيودي» (مز١١٦: ١٦) قد تحقّقت فيه. فعليك أيضا الآن أن تذبح ذبيحة التسبيح لذاك الـذي فك قيوده حتى لا يسقط مرةً أخرى بالتراخي في قيوده السابقة، وذلك حسـب كلمـة المخلص عندما قال: «ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضا لئلاّ يكون لك أشر» (يـو٥: ١٤). شكرا لله لأنه مهتم بك ويعتني بك ويدبرك في كل الأمور إن كنت أنت أيضـا تريد ذلك على الدوام. لك صحة النفس والجسد، وصل لأجلي.

⌖ ١١٨ - عندما حصل هذا الأخ على عطيةٍ عظيمةٍ، طلب أيضا توصيةً لنفسه وللذين معه:

الجـ ـواب:

يا أندراوس، خادم الله العلي، ورفيق خدمتي أنا الأقل، سلام لك ولبقية رفقاء خدمتنا من الله الآب وربنا يسوع المسيح .. أوضح لك أنني - قبل أن تسأل - قد اسـتودعتك فعلاً للثالوث الأقدس المسجود له والمتحد في الجوهر والمحيي والذي لا بداية له، بتوصـيةٍ للحماية من كل شر. ولكنني لا أريدك إطلاقًا أن تجهل هذا أيضا: أنه توجـد توصـيةٌ أخرى مخيفة أكثر وأكثر إلحاحا وأكثر رعبةً، ومرغوبة ومحبوبة أكثر، ومكرمـة أكثـر ومجيدة أكثر. وما هي؟ استمع: عندما يخزى عدونا باغض الخير بسماعه صوت مخلصـنا المبارك المحيي قائلاً لنا هذا القول المملوء فرحا وسرورا و ليلاً والمنير ببريقٍ لا ينطَق بـه: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العـالم» (مـت٢٥: ٣٤)، حينئذٍ تأتي هذه التوصية العظيمة: «متى سلم المُلك لله الآب» (١كو١٥: ٢٤). هذه هي التوصية، وخارجا عن ذلك لا توجد توصية أخرى. واسمع أيضا كيف يتم ذلك: كـل واحدٍ من القديسين إذ يأتي إلى الله بالأبناء الذين خلّصهم، سيقول بصوتٍ واضحٍ مملـوء

بثقةٍ عظيمةٍ بين ذهول الملائكة القديسين وجميع القوات السماوية: «هانذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب» (إش٨: ١٨)، ويستودع لله ليس هؤلاء فحسب، بل نفســه أيضــا، وحينئذٍ «يكون الله الكل في الكل» (١كو١٥: ٢٨). فصل، إذًا، لكي نصل إلى هناك. مبارك في الحقيقة هو الذي ينتظر ويصل. صل لأجلي أيها المحبوب.

⌖ ١١٩ - تحمل الأخ نفسه خيالات وتجارب من الشياطين، وتعجب من أنه بعد أن نال مثل هذا اللطف ومواعيد الخيرات العتيدة؛ عليه أن يحمل على عاتقــه هــذه الأمور، وهو يسأل الشيخ الكبير عن ذلك، وعما إن كانت أختام المواعيد تدوم:

إجابة القديس برصنوفيوس:

«سلام عظيم للذين يحبون اسمك وليس لهم شك» (مز١١٨: ١٦٥ سبعينية). ليكن لك سلام في الله أيها الأخ أندراوس المكرم جدا والمتحد معي بالقلب. لا تــدع حماقــة الأوجاع والخيالات الشيطانية تسحقك، بل ثق أنــها لا تتمم شيئًا بمناوشا ا وتجار ــا، بل بالحري إ ا تضاعف الفضيلة إن كنا تم بالتمسك بقليلٍ من الصبر، لأنه مكتوب عن البار الذي يخلص بالإيمان: «إن ارتد لا تسر به نفسي» (عب١٠: ٣٨).

ليتنا، إذن، لا نرخي الحبل لئلاّ نفقد ما أعطانا إياه الله العطوف الشفوق، لأنــه مــن جانبه يعطي، ونحن من جانبنا نحرص. فلا تتعجب أنه بعد المواعيد المقدسة وهباته الــتي هي بلا ندامةٍ (رو١١: ٢٩)، تثير عليك الشياطين أوجاعها المخزية على أمل أن تســلب الغِني العديم الخبرة. ولكن تذكّر خزيهم عقب شــهادة الله ســيدنا لأيــوب الصــديق الطوباوي، كم من التجارب والفنون أطلقوها لكي يسقِطوا الحصن، ولكنهم لم يقدروا، ولا كانت لهم مقدرة على انتزاع ك إيمانه الساطع وشكره لله. لأنّ كثرة النار تجعــل للذهب بريقًا أكثر، أي أنّ زيادة التجارب تزيد البار لمعانا. لأنّ الله حتى بعد شهادته عن البار (أيوب) سمح لخادمه أن يجرب لنموه أكثر و د السيد، ولإرباك الأعــداء. فــلا تضجر، إذن، لأنّ أختام المواعيد متينة، بل اصبر للرب، لأنّ «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢)، بالمسيح يسوع ربنا آمين.

⌖ ١٢٠ - إجابة الشيخ الكبير للأخ نفسه عندما زرع فيه فكر بأنّ عدم زهــده في الأطعمة يعوقه عن البلوغ إلى ما وعِد به:

إنني لا أقول لمحبتك دائما عن الاستخفاف بالزهد أو النسك لتأمين حاجة الجسد كما ينبغي، حاشا. ولكن ذلك لأنه إن لم يأتِ النشاط الداخلي لمعونة الإنسان بعد الله؛ يكون تعبه الخارجي باطلاً. لهذا السبب، في الحقيقة، قال الرب: «ليس ما يدخل الفم يــنجس

الإنسان، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسـان» (مـت١٥: ١١). لأنّ العمـل الداخلي مع عناء الحب القلبي يجلب الطهارة، والطهارة تجلب هدوء القلـب الحقيقـي، وهذا الهدوء يجلب الاتضاع، والاتضاع يجعل الإنسان مسكنا لله! والأرواح الشريرة مع الشيطان قائدها تطرد بعيدا عن هذا المسكن مع أوجاعها المخجلة، وبذلك يصير الإنسان هيكلاً لله، مقدسا، مستنيرا، مطهرا، مغتنيا بالنعمة، مملوءًا بكل رائحـةٍ زكيـة وحنـو وابتهاج، ويصير الإنسان حاملاً لله (ثيئوفوروس)، بل بالحري يصير إلهًا حسب القـول: «أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلّكم» (مز٨٢: ٦).

فلا تدع الفكر، أو بالحري الشرير، يجعلك تضطرب بأن يوحي إليك بأنّ الأطعمـة الجسدية تعوقك عن البلوغ إلى المواعيد. كلاّ، لأ ا مقدسة، ولا يمكن أن يخـرج مـن الشيء الصالح شر، بل مما يخرج من الفم الذي يصدر من القلب (مت١٥: ١٨)، هذا هو الذي يمنع ويعوق الإنسان عن البلوغ سريعا إلى المواعيد المقدمة له. وعلى ذلك، فعنـدما تعطي للجسد احتياجه لا تشك، بل اعمل كل ما في وسع الإنسان الباطن أن يكـد لكي يذِلّ أفكاره، وحينئذٍ يفتح الله عيون قلبك لترى «النور الحقيقي»، ولكي تفهـم وتقول: «بالنعمة أنا أخلص» (أف٢: ٥) بالمسيح يسوع ربنا آمين.

⌖ ١٢١ - سؤال من الأخ نفسه للشيخ الكبير: يا معلم، حيث إنك تعلم أنـني ضعيف النفس والجسد، أتوسل إليك أن تتضرع إلى الله لكي يمنحني قوةً ومعونةً لأجل الصبر، حتى أحتمل ما يأتي علي بشكر:

إجابة القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ أندراوس، أريد أن تعلم محبتك أنّ جميع مواهب النعمة تعطَى بواسطة حلول الروح القدس، وأ ا تعطَى «بأنواعٍ وطرقٍ كثيرة» (عب١: ١). لأنّ الله أعطى الـروح للرسل أحيانا لإخراج الأرواح الشريرة، وأحيانا لإجراء معجزات شفاء، وأحيانا للتنبؤ، وأحيانا لإقامة الموتى؛ ولكن الموهبة الكاملة هي لمغفرة الخطايا وتحرير النفوس من الظلمة والإتيان ا إلى النور. فها أنا، إذًا، أطلب إلى الله أنه بعد تحرير نفسك يعطيـك الـروح القدس لأجل الصبر والشكر «لكي يخزى المضاد، إذ ليس له شيءٌ» يفعله ضدنا (تي٢: ٨). فتعاون أنت أيضا قليلاً في الصراع لكي تحصل عليه، و«الله الـذي هـو غـني في الرحمة» (أف٢: ٤) يعطيه. صل لأجلي أيها الأخ.

⌖ ١٢٢ - سؤالٌ من الأخ نفسه للشيخ الكبير: أتوسل إليك، يـا معلـم، أن تذكرني دائما، وأوضِح لي كيف يجب أن أتعامل مع الأخ الساكن بجوارنا:

إجابة القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ، مكتوب: «إن نسيتكِ يا أورشليم تنس يميني» (مز١٣٧: ٥)، هذا بخصـوص التذكر. أما عن كيف يجب أن يتعامل الإنسان مع الأخ، فإن الذي يريد أن يرضي الله يقطـع مشيئته لأجل قريبه بأن يغصب نفسه. لأنه مكتوب: «ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه» (مت١١: ١٢). فاعرف، إذن، كيف يستريح أخوك وافعل هكذا، وأنت أيضا تجد راحةً من الله بالمسيح يسوع ربنا. له المجد إلى الأبد آمين.

⌖ ١٢٣ - هذا الأخ الذي كان يسكن بجوار هذا الشيخ الضعيف، إذ تعـاطف مع ضعفه، طلب من الشيخ الكبير أن يصلي لأجله:

إجابة القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ المضطرب، لو علمت بعطية الله، لماذا من حينٍ لآخر يؤدب خادمـه أنـدراوس كأبٍ رءوفٍ، لكنت تمجد الله على كونه يغلق شفتي التنين النجستين حتى لا يجد عليه حجةً في يوم الدينونة، لأجل المواعيد العظيمة التي أُعطيت له من الله بواسطتي أنا أصغر خدامه والذي لا منفعة له. عجبا! أتظن أنني لا أتعاطف معه أكثر من أي إنسان؟ بلى، وإلاّ فأين القول: «إن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه» (١كو١٢: ٢٦)؟ فلو كان يعرف حقًا ماء الخيرات التي وعِد بها لكان ينشِد مع الرسول بولس شاكرا متهللاً بقولـه: «إنّ آلام الزمـان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلَن فينا» (رو٨: ١٨). لعل الله يحصنه ويرسل له الرحمـة العظيمة. أقبلك في الروح القدس، ناظرا إلى تقدمك بنعمة الله في المسيح يسوع ربنا.

⌖ ١٢٤ - طلب الأخ نفسه من الشيخ الكبير أن يخدمه شخصيا علـى قـدر طاقته مع خادمه، ولكن الشيخ تردد ولم يرغب أن يخدمه بسبب ما جاء عـن الأب ثيئودور البرامي الذي لم يحتمل أن يأمر تلميذه بشيء[١٤]، فسـأل الشـيخ الآخـر بخصوص ذلك:

إجابة الأب يوحنا:

إله السماء والأرض يزيد إيمانك، أيها الأخ المكرم العزيز، ويحصن حبك في مخافته لكيمـا تحقق غرضك الصالح نحو قريبك. كما أنك إذا تعبت قليلاً بقدر طاقتك، فالله لن يحرمك من مكافأة تعبك. فافعل، إذن، أي شيء تستطيعه لكي تريح الشيخ، وهذا يرضي الله أكثر مـن الخدمات. وما لا يمكنك أن تعمله الآن دع الأخ يعمله. أما الشيخ فلا ينبغي أن يتـردد في أن تخدمه حيث إنه مريض، ولكنه لا بد أنه يشكر الله ويصلي لأجلك. فبما أنه مريض، ما كـان

(١٤) راجع أقوال الأب ثيئودور البرامي تلميذ أنبا مقار الكبير.

ينبغي أن يتمسك بكلمة الأب ثيئودور الذي قال عن الأخ الذي يعيش معه: ''أنا لست رئيس مجمع حتى آمره، ولكنه إذا أراد أن يعمل ما يراني أعمله فليفعل''. والأب ثيئـودور كـان في الحقيقة يقول ذلك لأنه كان قادرا أن يتكفّل باحتياجاته وأن يخدم آخرين أيضا. ولكن المقصود هنا هو رجلٌ مريض، وكل إنسان عليه أن يعيش حسب حالته وما يناسبه بمخافة الله، شاكرا إياه دائما على أنه بواسطته ينال آخرون مكافأة م.

إذن، ليته لا يضن على من يريد أن يسمع ذاك الذي يقول: «كنت مريضـا فزرتمـوني» (مت٢٥: ٣٦). وكما قيل له مرارا إنّ الله لا يتطلّب من المريض أي شيء سـوى الشـكر والاحتمال، لأ ما يشفعان في ضعفه أمام الله. فليته لا يميز بين خدمة أي أخٍ له، أيا كان، يريد أن يتعب لأجل الرب، وليته لا يقول: "إنني ثقلٌ على هذا الإنسان"، أو "إنني أضايقه"، بل فليقل: "طالما أنّ الله حثّه على أن يحصل على مكافأة بواسطتي، فليت الله يقويه ولا يدينني". ليته يحفظ ذلك وأنتم تعيشون في سلامٍ بنعمة المسيح إلهنا.

وقبل كل شيء «احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمموا ناموس المسيح» (غـل٦: ٢)، وبالإضافة إلى ذلك، ليتنا نتذكّر أنّ الموت لن يتأخر عن ا يء. «اعبدوا (أو اخدموا) الـرب بخوفٍ» (مز٢: ١١)، وأيضا قريبكم، لكيما بواسطته ترثون الحياة الخالدة في المسيح يسـوع ربنا. ضعوا رجاءكم فيه «فلا تموا للغد» (مت٦: ٣٤)، لأنه هو يعتني بنا، وإذا ألقينا همّنـا عليه (١بط٥: ٧) يهتم بنا حسب مشيئته. له ا د آمين. أقبلك في الرب متوسـلاً إليـك أن تصلي لأجلي من أجل المحبة.

⌖ ١٢٥ - سؤالٌ من الراهب ثيئودور إلى الشيخ الكبير: "كيـف يمكـنني أن أعرف الفكر الذي يأتي من الله، والذي هو من الطبيعة (البشرية)، والذي يـأتي مـن الشياطين"(١٥)؟

إجابة القديس برصنوفيوس:

يا بني ثيئودور، حينما تطرح سؤالاً تفكّر فيما طلبته وأعِد نفسك لبدء التنفيذ، لأنـه مكتوب: «غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين» (رو١٢: ١٦).

طلبك أيها الأخ له قدر عظيم. إذن، فإن لم تكن العين الداخلية قد تطهرت بعرقٍ كـثير، فمن المستحيل التخلص من العقبات والأشواك والحصول على العنب (من الكرمة) الذي يقوي القلب ويفرحه. فما دام الإنسان لم يصل إلى هذه الدرجة يكون عاجزا عن التمييز بين كونـه

---

(١٥) ابتداءً من هنا المرجع هو: *Sources Chrétiennes, Vol. 427, Correspondance, I, Tome II, p. 463.*

ليس لعبةً للشياطين وكونه لم تضلله الثقة م. ففي الحقيقة إ م يغيرون الأمور كما يريـدون، ولا سيما لأولئك الذين لا يعرفون فنو م. إنك عزيز عند الرب وهو «يعطيك سؤل قلبك» (مز٣٧: ٤)، فاقطع عنك مشيئتك وقُلْ له في كل الأحوال: «ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» (مت٢٦: ٣٩)، وهو يتصرف معك حسب رحمته.

استمع، يا بني، إلى كيفية التمييز بين الأفكار الثلاثة التي تكلّمت معي عنها: طالما أنّ الفكر الذي يأتيك يشير عليك بعمل شيء حسب مشيئة الله، وأنك تشعر بالسرور في هذا العمـل وأنك لا تجد ما يعترض سبيله، فاعلم أنّ هذا الفكر هو من الله، وكافح لكي تقاوم حسـب قول الرسول بولس: «أقمع جسدي وأستعبده، حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصـير أنـا نفسي مرفوضا» (١كو٩: ٢٧)، وتمم مشيئة الله.

ولكن إذا خطر عليك فكر طبيعي، فامتحنه بعنايةٍ وأنت تشعر كيف تميزه، لأنه مكتوب: »لذلك يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا« (تك٢: ٢٤). فاعلم، إذًا، أنّ مشيئة الله هي أن نترك لأجل الحياة الأبدية ليس ما يأتي من الشياطين فحسب، بـل أيضا الأشياء الطبيعية، إذ يقول الإنجيل: «الجسد لا يفيد شيئًا» (يو٦: ٦٣)، ويقول الرسول: «من التصق بزانيةٍ هو جسد واحد ... وأما من التصق بالرب فهو روح واحد» (١كـو٦: ١٦و١٧). لأنّ الذين يريدون أن يكونوا روحيين ينبذون الجسد، لأنّ ما ليس له منفعة فهو ضار، والشيء الضار مرفوض. أما الذين يريدون أن يعيشوا في العالم بـالتقوى، فالرسـول يصرح لهم: «ليكن الزواج مكرما» (عب١٣: ٤).

أما عن الأفكار التي تأتي من الشياطين، فهي أولاً مزعجة وأيضا ممزوجةً بـالحزن، ثم إ ا تشدك خلسةً وخفيةً إلى الوراء، فالشياطين «يأتونكم بثياب الحمـلان»، أي أ ـم يوحون لكم بأفكار الحق (أو البر)، «ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة» (مت٧: ١٥). وبذلك، فبمقاصدهم التي تبدو حسنة حسب الظاهر يسلبون لب و«يخـدعون قلـوب البسطاء» (رو١٦: ١٨ حسب النص). حيث إنه مكتوب عن الحية أ ـا «أحيـل (أي أكثر دهاءً من) جميع الحيوانات» (تك٣: ١) فارصد دائما رأسها (تك٣: ١٥) لئلاّ تجد عندك ثغرةً وبالتالي تجد فيك مأوى فتتمم فيك الخراب. فإذا كنت تصبو أنت أيضـا أن تكون روحانيا، فكُف عن الاهتمام بأمور الجسد، ففي الحقيقة إنّ الشيء المنبوذ يستبعده الناس. اسمع الرب نفسه يقول: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مت١٦: ٢٤). وكيف ينكر الإنسان نفسه إلاّ بالتخلي عن رغباته الطبيعيـة واتباع المخلص؟ ولأجل ذلك، فهو، إذ يعلم أنه يتكلم عن الأمور الطبيعية وليس عـن

الأمور المضادة للطبيعة، يقول للإنسان أن ينكر نفسه. فإذا تخلى أي إنسانٍ عن أشياء مضادة للطبيعة فهو لم يتخل عن شيءٍ لأجل الله، حيث إنّ هذه الأشياء ليست في الواقع له. أما ذاك الذي يترك ممتلكاته الطبيعية لأجل الله، فهذا هو الذي يصيح دائمًا مع الرسول القديس: «ها نحن قد تركنا كل شيءٍ وتبعناك، فماذا يكون لنا» (مت١٩: ٢٧)؟ وأنت تسمع هذا القول المبارك مثل وعدٍ للحياة العتيدة.

وما الذي استطاع بطرس أن يفتخر بأنه تركه، وهو الذي لم يكن غنيا، سوى رغباته الطبيعية؟ لأنه إن لم يمت الإنسان عن الجسد لا يمكنه أن يقوم حيا بالروح. فكما أنّ الرغبات الطبيعية لا تبقى إطلاقًا في جثةٍ؛ هكذا فهي لا تستقر أيضا عند من هو ميت روحيا عن الجسد. إذن، إن كنت ميتا عن الجسد، فكيف تكون الأهواء الطبيعية حية فيك؟ ولكنك إن لم تكن قد بلغت بعد إلى الكمال الروحي بل الجسدي، وإن كنت لا زلت طفلاً صغيرا في الروح؛ فضع ذاتك (أي أذلّ نفسك) بالروح وأخضِع نفسك لمعلمٍ لكيما يؤدبك بالرحمة. «لا تعمل شيئًا بدون مشورة» (سيراخ٣٢: ١٩) حتى لو بدت لك الأمور أنها جيدة، لأنّ نور الشياطين يصير أخيرا ظلمات. فإن كنت تسمع أو تفكر أو ترى أي شيءٍ يبقي ولو القليل من الاضطراب في قلبك؛ فاعلم أنه من الشياطين.

اِستلم، إذن، تلك الأمور التي كتبت لك عنها باختصار مع الثقة بأنه بعرقك ستتقدم فيها، لأن الإله الذي يعطي الجميع سيمنحك أن تكون إلى الأبد مع قديسيه مشتركًا في ليتورجيتهم وفي غبطتهم، مشاركًا لهم في ميراث خيراتهم في المسيح يسوع ربنا الذي له كما للآب المجد والكرامة والسلطان مع الروح القدس الصالح المحيي الآن وعلى الدوام وإلى دهر الدهور آمين.

⌖ ١٢٦ - حيث إنّ الشيخ لم يكن يتحادث مع أحدٍ إلاّ مع خادمه الخصوصي الأب سيريدوس؛ فقد كتب الأخ نفسه يطلب مقابلةً معه قائلاً إنّ الأب موسى (الأسود) والآباء الآخرين كانوا يتحادثون مع الذين كانوا يطلبون ذلك. فأجابه الشيخ برسالةٍ وتنبأ عنه بأمورٍ عرفنا نحن بالخبرة أنها تحقّقت. ففي الحقيقة إنه قال له إنه مرئي منه على نحوٍ ما، ولأجل إرضاء «الذين هم غير مؤمنين في اليهودية» (رو١٥: ٣١). وبالفعل، فإنه بعد ذلك بمدةٍ إذ سقط هذا الأخ في تجربة الشك وقال إنّ الشيخ غير موجود إطلاقًا في القلاية، ولكن الأب (سيريدوس) يدعي وجوده، فقد استدعى الشيخ الأخ والذين كانوا في ذلك المكان وغسل أرجل الجميع، وقد حسِبت أنا الخاطئ مستحقًا لهذا الغسل. ولما رجع الأخ إلى نفسه وتذكّر من جديد إجابة الشيخ،

اعترفنا بشكه وبنبوة الشيخ. وقد مجدنا الله جميعا. وكانت إجابة القديس برصنوفيوس هي هذه:

أيها الأخ، لا أحد «يعرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيـه» (١كـو٢: ١١). كل واحدٍ يعرف ما هو موجود في بيته وما يمتلكه في خزانته، ووفقًا لذلك يوجد أيضا ما ينفقه لكي يطعِم منه الآخرين. ونحن لدينا أمر من السيد ألاّ نبني برجا قبـل أن نحسب النفقات (لو١٤: ٢٨). لقد أحصيت لي القديسين الذين كانوا أغنياء بـالروح، وقد أ جتني بمعرفتك مع أنك أ جتني أكثر بأعمالك. ولكنني أدرس سير القديسين وأعثر على مقدار تفوقهم في أعمالهم الفاضلة، ومقدار تفوقي في أعمالي الرديئة. إ ـم كـانوا يتصرفون بثباتٍ، أما أنا الذي بلا عمل فإنني أرتعب عندما أرى أعمالي السابقة وأفـزع من القول: «فأنت الذي تعلم غيرك ألست تعلم نفسك» (رو٢: ٢١)؟ غير أنني أناضل لكي أطيع ذاك الذي بكّتني وقال لي: «يا مرائي، أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذٍ تبصر جيدا أن تخرِج القذى من عين أخيك» (مت٧: ٥). إنني أعاني من هذا الحمـل وليست لي قوة، ولكن همّتي لا تثبط وأترجى أن أدركها.

قل لي، أيها الأخ بالحقيقة، إذا قال أحد لمسكين: "بعض الناس يقدمون عطايا، فقدم أنت أيضا"، فهل يستطيع أن يفعل؟ ألا يمنعه فقره؟ وماذا أقول بعد ذلك؟ كثير من الناس العطاش الذين يلتمسون لذّة الماء لا يشغلون أنفسهم بخصوص الآبار أو المطر أو النهر من أين تأتي. وكثيرون أيضا يتمتعون بأشعة الشمس الساطعة ولا يبحثون فيما إذا كانـت كبيرة أم صغيرة، وإن كانت مادية أم غير مادية، وهكذا أيضا فيمـا يخـص العناصـر الأخرى. وما أقوله بخصوص الله أيضا، إن الآباء الذين سئلوا لم يجيبوا إلاّ بقولهم: "أطلب الرب، ولكن لا تبحث أين يسكن"[١٦]! ماذا أقول لك أنت الذي تترك البحـث عـن الخطايا بحرصٍ وتتطلّع إلى رؤيتي أنا الدودة الحقيرة «التراب والرماد» (تـك١٨: ٢٧)؟ وفي حين أنني أنا أيضا الأحمق يسرني أن أخاطبك ـذه الرسالة، فإنني مغرور باعتقـادي أنني شيءٌ، وقد نسيت المكتوب: «إن ظن أحد أنه شيءٌ وهو ليس شـيئًا فإنـه يغـش نفسه» (غل٦: ٣). نعم، لقد ضللت في ذلك وتكلمت، إذًا فأنا لم أكن مستحقًا.

فكُن، إذن، أنت كعمالٍ صالحٍ ومطيعٍ، ولا تطلب أكثر من ذلك مني أنا الذي أرغب إذا عشت أن أراك وأن أحتضنك أنت والجميع بدافع المحبة الإلهيـة. ولكـن في وقـتٍ مناسبٍ، عندما يوحي الله لي بذلك، فإنني أنا نفسي سأنطرح عند قـدميك وأقبلـهما

(16) Apoph., Sisoes, 40.

بمودةٍ، أقدامكم جميعا، لكي نتوسل ونصلي لأجل تحرير «الذين هم غـير مـؤمنين في اليهودية» (رو١٥: ٣١).

فلا نضيع، أيها الأخ، أيامنا القليلة هذه في التغافل، بل فلنتزود بدموع الحزن الطاغي لكي نكون مطوبين مع الحزانى. ولنصادق المساكين والودعاء لكي نصير مشاركين لهم في الميراث، ولنطلب السلام مع الجميع لكيما نوجد بين أبناء الله، ولنؤازر المهانين والمحتقرين لكي يعظم أجرنا في السموات (أنظر مت٥: ٣-١٢). ولتكن أعمالنا الصـالحة محـط الأنظار «لكي يرى الناس أعمالنا الحسنة ويمجدوا أبانا الذي في السموات» (مـت٥: ١٦) الذي له المجد آمين.

أيها الأخ، لست أكتب لك هذه الأمور كأني إنسان مستقيم تماما، لأنني أرى أنني أنا نفسي مثقلاً بالديون. ولكنني لا أكُف عن أن أطرح نفسي تحت قدمي الله الصالح هـذا القدر نحو البشر، طالبا منه أن يمنحنا أنا وأنت غفران الخطايا بصلوات القديسين، آمين.

⌖ ١٢٧ - إجابة من الشيخ الكبير للأخ نفسه الذي امتدحه على مثـل تلـك الفضيلة، مستشهدا بآياتٍ من الأسفار المقدسة، والذي استفسر منه إن كان عليه أن يمتنع عن الثمار ويسلك بإخلاص ولياقةٍ مثل الآباء، كما سأله بخصوص الصلاة وشفاء عينيه المريضتين:

أيها الأخ، إنه بواسطتك يكمل في أنا أيضا قول الكتاب: «شعبي، هـؤلاء الـذين يباركونكم يخدعونكم» (إش٩: ١٦ سبعينية) [أو «صار مرشدو هذا الشعب مضلين» حسب العبرية]. بمثل هذه المجاملات نتعوق عن رؤية خزي وجوهنا. وحسب مفهومي، ففي الحقيقة إنـها ضارةٌ حتى لذوي القامات (العالية) ويبعدهم عن (جادة) الإيمان بالله، لأنه قيل: «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض» (يو٥: ٤٤)؟ أما الذي يدرك اتضاع الرسول، فهو يختار لنفسه بالحري الجهالة لكي يصير في النهايـة حكيما (١كو٣: ١٨). لأنّ الذي يدعي المعرفة دون أن يبرهن على ذلك بالعمل أيضا، فأنا أندهش إن كان يفلت من العقاب المحفوظ للمتكبرين. أما المتواضعون فهـم، علـى النقيض من ذلك، مكتوب أنهم ينالون نعمةً (أم٣: ٣٤). فأي من يتباهى بعذوبة الأقوال الإلهية ولا يتغذّى بها، فهو يجعلها تبدو كئيبةً فظّة. وعلى ذلك، فهل توجد مرارة في هذا القول: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتـبعني» (مـت١٦: ٢٤)؟ فإن كان حلوا فلماذا نرفضه ونرغب في تكميل مشيئتنا الخاصة؟

إنّ الذي يبدي أنه يعرف الطريق المؤدي إلى المدينة ثم يسأل أين هو، يفعـل ذلـك إمـا

للاستخفاف بغيره أو لتجربته والسخرية منه. وإن كان يعرف الطريق دون أن يرغب في السير فيه، يحكَم عليه كمقصرٍ. فالأب أرسانيوس رغم ما كان له من العلم، ولكنه لم يظهر ذلك، بل إنه قال باتضاعٍ: "أريد أن أخلص، ولكنني لا أعرف كيف"[17]. إذا أظهر أحد الطريق لأخيه ثم يتكاسل هو عن السير فيه فمن هو الذي يكون مخطئًا في رأيك: الذي يرشِد أم الذي تلقّى الإرشاد؟ معرفة الطريق لا تعني التهاون بالرجوع إلى الوراء بواسطة الأمور التي سبق أن تجاوزناها وطرحناها خلفنا. إن لم نعُد إلى الموضع الذي رحلنا منه، فإننا نوجد مدانين ومستوجبين الرفض بعد أن نكون قد تعبنا عبثًا. واعلم أيضا أن ما يجب أن يعرفه ذاك الذي يريد أن يعرف طريقًا كاملاً: إن لم يمشِ مع مرشده من البداية حتى النهاية، فلن يصل أبدا إلى المدينة. فاطرح مشيئتك خلفك واتضع وأنت تخلص.

أما بخصوص الثمار، فافحص نفسك كما قلت لك وستكتشف خبث الشياطين، ولا تطلب الثمار من ذاتك، ولكن إذا قُدم لك منها فخذ منها وكُلْ. وإذا وجِد منها القليل فلا تقُلْ شيئًا، وإذا وجِد منها الكثير فكُلْ منها ما تشاء وأنت تتأوه لأجل القضاء على الشهوة. وإذا تحدث معك أحد عن القديسين فتشبه بغربتهم وزهدهم وإيمانهم المقترن بالأعمال. لأنه من الواضح أنّ الإيمان بدون أعمال يكون ميتا (يع٢: ٢٦). وما دمت تتكلم عن اللياقة فلن تجد من هو أكثر لياقةً من الذي هو في الخضوع، لأنّ هذا يكون من الطاعة، فقد قيل: «الابن المطيع تكون له الحياة» (قارن أم٤: ٣و٤).

أما عن الصلاة بقدر المستطاع، فهي وصية عامة وضعها السيد الرب (أنظر لو١٨: ١). وبخصوص حالة العينين، فالذي خلقهما قادر أن ينيرهما في نفس الوقت مثل العينين الداخليتين (أنظر أف١: ١٨)، فإن كان لنا بواسطتهما فهم، حسب قول المخلص، لا نكون في حاجةٍ إلى عيون أخرى تبصر بطلان العالم. إنّ الله قادر أن يجعلنا نوجد بين المخلصين لأجل مجد اسمه الذي له المجد إلى الأبد آمين.

⌖ ١٢٨ - جواب من الشيخ الكبير للأب نفسه ولآخرين معه وجهوا إليه السؤال: منْ هو الذي أعطى إبليس القدرة والسلطان؟

إذا أردتم أن تعرفوا ما هو غير ضروري لكم وهو: من هو الذي أعطى إبليس القدرة والسلطان؟ فها أنا أخبركم عنه بمثَلٍ، بشرط ألاّ تعتبروا - بجهالتكم - أنّ الله هو المسئول عن الشرور: إذا حدث أن مال أحد منكم بحريته إلى الشر، يكون قد فعل الشر من تلقاء نفسه وسيدينه الله كفاعل شر بسلطانه الخاص به (عن عمدٍ). فمن هو الذي أعطاه

(17) Apoph., Arsen., 1.

السلطان؟ إن كان هو الله فلماذا يدينه؟

ليتكم لا تلتفتوا إلى ضلال إبليس الذي يوهمكم بأنّ الله يريد الشرور، حاشا لله! وحتى لو كان بعض القديسين أشاروا إلى ذلك، فلا تبحثوا أنتم إطلاقًا لتفهموا لماذا قالوا ذلك. ففي الحقيقة إنه قد قيل في هذا الموضوع إنّ الله أعطى الشيطان المقدرة والسلطان حتى بدون أن يمنعه أو يعوقه عن تكميل الشر. اسمعوا قول الكتاب: «ثم قال الرب لموسى: ادخل إلى فرعون فإني أغلظت قلبه» (خر١٠: ١). فإن كان الأمر كذلك فلماذا يدينه؟ ولكنه يثبت هذا المعنى، إذ يمكن أن نفهم ذلك من سفر أيوب الذي يقول إنّ إبليس جرده من ممتلكاته وأولاده ثم نسمعه يقول: «الرب أعطى والرب أخذ، كما حسن عند الرب هكذا حدث، فليكن اسم الرب مباركًا» (أي١: ٢١سبعينية). فلماذا لم يذكر اسم المتسبب في الخسارة بينما ذكر اسم الذي تحملها، وأيضا لم يذكر الذي لم يمنع ويعوق الشر (أي الله) وهو قادر على ذلك؟ ولاحظوا أيضا أنّ الله لم يقُل للشيطان: «ها هو في يدك» (أي٢: ٦) إلاّ لإظهار أن الله هو سبب اعتراف البار بأفضاله عليه.

يا أولادي، هذا لكي لا يعترض أحد على أنّ الله كان قد قرر أن تعطَى المقدرة للشيطان، لأنه منذ البدء كان قد منحه قدرةً فائقةً، وما أعطاه له لم يسترده منه، ولكن ذاك الذي نال هذه المقدرة هو الذي تركها تضيع ليستبدلها بقدرةٍ شريرة. إنه لم يكتب أنه رفض البركة والله أبعدها عنه، بل: «لم يسر بالبركة فتباعدت عنه» (مز١٠٩: ١٧). إذن، فلا تظنوا أنّ الله هو منشأ الشرور، لأنّ هذا سيكون لدينونتكم. ولكن الشيطان هو الذي اختار بنفسه المقدرة الشريرة والله لم يعرقله. ولهذا أيضا قيل: «وأحب اللعنة فأتته» (الآية السابقة)، وليس أنّ الله هو الذي أعطاها له.

فاثبتوا، إذن، راسخين غير متزعزعين في الرب، واثقين أنه هو أصل حياتنا ومنشأ كل الخيرات. واغفروا لي لأني سمحت لنفسي أن أسترسل في الفحص في أمورٍ سخيفةٍ وترك الكمال الذي نرجوه. يا أبنائي، ليبارك الرب يسوع المسيح ثماركم وينميها إلى دهر الدهور، آمين.

⌖ ١٢٩ - سؤال من الأب نفسه موجه إلى الشيخ الآخر: ماذا يجب أن أفعل، يا أبي، فإنني متكدر لأنني تركت زوجةً وأولادا عديمي البصيرة؟

جواب الأب يوحنا:

مكتوب في أقوال الآباء الشيوخ أنّ أحد الإخوة قاسى من ظلمٍ آخر له، فذهب إلى أحد الشيوخ وقال له: "لقد ظلمني فلان وأريد أن أنتقم لنفسي". فأجابه: "لا يا بني،

بل بالحري أُترك الانتقام لله". ولما لم يوفق في إقناعه قال له: "فلنصل". ولما وقف الشيخ للصلاة بدأ بقوله أمام الأخ الذي كان يسمع: "إننا، يا الله لسنا في حاجةٍ إلى اهتمامك بنا لأننا نحن ننتقم لأنفسنا"! فنخس هذا الكلام ضمير الأخ وقال: "اِغفر لي يـا رب، فإنني لن أنتقم لنفسي".

فهذا هو الذي أقوله لك: إن كنا تم نحن بزوجاتنا وأولادنا، فإنّ الله لـن يهـتم ـم. وبالعكس، إن كنا نكف عن الانشغال م، فإنّ الله سيهتم بنا و م على حـد سـواء. إذن، فليس من الصواب أن تم م أو تصلي لأجلهم لئلاّ يثير تذكرهم هذا الوجع في نفسك.

⌖ ١٣٠ - سؤال منه أيضا إلى الشيخ نفسه: ماذا يجب علي أن أفعل، لأنّ الحزن بسبب انفصالي عن زوجتي يستولي علي بشدة؟

جواب الأب يوحنا:

مكتوب بخصوص الرجل والمرأة: «يكونان جسدا واحدا» (تك٢: ٢٤). وعلى ذلك فإذا قُطِع جزءٌ من الجسد يتألم باقي الجسد لفترةٍ من الوقت حتى يلتئم الجرح ويتوقـف الألم. هكذا أيضا، فهذه ضرورةٌ لك في حالتك هذه أن تتألم لبعض الوقـت حيـث إنّ جسدك كأنّ عضوا قد بِتر منه.

⌖ ١٣١ - جواب له من الشيخ الكبير على نفس السؤال:

إن كان «كل شيءٍ مستطاع للمؤمن» (مر٩: ٢٣)، فأين يكون إيماننا؟ وإن كنـت قد اخترت لنفسك أن تكون مثل ميتٍ، فاسأل الميت إن كان يرغب في رؤية زوجتـه، وإن كان يبدي رأيه فيها في حالة ما إذا ذهبت وسلّمت ذا ا للفسـق. إن كنـت قـد تركت الموتى يدفنون موتاهم فلماذا لا تنادي أنت بملكوت الله (لـو٩: ٦٠)؟ إلى مـتى تظلّ نائما؟ استيقظ واصرخ مع داود النبي: «لا تمِل قلبي إلى أمرٍ رديءٍ لأتعلّـل بعلـل الشر» (مز١٤١: ٤). إن كنت تفهم «أكثر من جميع الذين يعلمونك» (مز١١٩: ٩٩ سبعينية)، فإنّ الشياطين المضلّين الذين يهاجمون قلبك إنما يضمرون لك حربـا شـعواء بخصوص امرأتك. أين اختفت من عينيك كلمة الكتاب: «الله أمين، الذي لا يـدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ... إلخ.» (١كو١٠: ١٣). وأيضا كلمة المخلص: «لا تمـوا للغد» (مت٦: ٣٤)؟

إن كنا نعاني هكذا بسبب ضعفنا فليس للأعمى أن يلوم الشمس لأ ا لا تزوده بالنور والمعونة. إن كنت تؤمن بما هو مكتوب: «أنت تؤدب الإنسان بتوبيخاتٍ علـى الإثم، وتجعل حياته تفنى مثل نسيج العنكبوت» (مز٣٨: ١١ سبعينية)، فلماذا ترتجف يداك في

بداية القتال؟ إذا كان الذي معنا أقوى منا في إبادة جميع الأعداء، فلماذا نظهر نحن بعدم إيماننا وتوانينا أنه بعيد عنا؟ وإن كان لا يوجد من هو أقوى من الله، وإن كنت تفتخر به قائلاً: «لا أخاف شرا لأنك أنت معي» (مز٢٣: ٤)، فإن كان القدير معك فقُلْ لي ممن تخاف ومن ذا الذي يجعلك ترتعب؟

فهب لي، إذًا، مسرة أن آخذ قليلاً من تلك النار السماوية التي جاء سيد كل الموجـودات ليلقيها على الأرض (لو١٢: ٤٩) حتى إنّ كل مرةٍ يزرع فيها العدو الزوان (مـت١٣: ٢٥) تلتهمه النار وتفنيه. خذْ وقدم لله من هذه النار لكي يشتم السيد الـرب رائحـة ذبيحتـك ويصعِدها إلى أبيه مع الروح القدس المحيي ولكي يجعل مسكنه عندك في هيكلك الذي تقدم له فيه ذاتك كذبيحةٍ حيةٍ مقدسةٍ ومرضيةٍ عنده (أنظر رو١٢: ١)، وإذ تكون ملتهبا بهذه النـار تتوق على الدوام أن تصير رفيق طريقٍ، مواطنا ووارثًا مع القديسين الذين هكذا فازوا هناك بما «لم تر عين ولم تسمع أذُن ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢: ٩) في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى الأبد آمين.

⌖ ١٣٢ - سؤال من الأب نفسه للشيخ الآخر: ماذا أفعل يا أبي، لأنه تنتـابني مخاوف في الليل؟

جواب من الأب يوحنا:

إنّ سكان المدينة يخافون من البربر فقط عندما لا يكون لديهم معونة من الملك. ولكن عندما يتأكدون من وصول حاكمٍ أو قائدٍ إلى المدينة لا ينعون الهم بعد ذلك ولا يقلقون لأنهم يعلمون أنّ هؤلاء يقاتلون عنهم. وحتى إذا علموا بمباغتة البربر لهم لا يبالون، إذ لهم من يدافع عنهم. لذلك، فنحن أيضا إن كان لنا إيمان بالله لا نخاف من الشـياطين لأنـه يرسل لنا معونته!

⌖ ١٣٣ - أخ راودته ثلاثة أفكار وأراد أن يسأل الشيخ الكبير بخصوصها، فقدم أسئلته ليس بطريقةٍ واضحةٍ بل بألغازٍ. وذلك رغبةً منه في إخفائها عن الأب. فكتب بعضا من الحروف الأبجدية واضعا في ذهنه أنّ كلا منها يعبر عن أحد أسئلته. هـذه الحروف وما تعنيه هي:

الأول: حرف يوطا (I): وقد اختاره لكي يشير به في ذهنه إلى سـؤال بخصـوص رغبته في حياة اعتكافٍ صارمةٍ وصمتٍ تام لا يقابل فيها أي إنسان.

والثاني: حرف كبا (K): ليشير به إلى السؤال عن نظامه في الطعام، وما إذا كـان ينبغي أن يأكل أطعمةً جافةً ويمتنع عن الخمر. وإن كان يجب أن يتحدث مع الـذي

يخدمه فقط.

والثالث: حرف لامدا (L): ليستفسر بواسطته عما إذا كـان يسـمح لنفسـه بالتساهل مع جسده بخصوص الطعام. وقد أجاب الشيخ على ذلك بقوله:

«لا تمِل يمنةً ولا يسرةً» (أم٤: ٢٧) حتى يصير الاثنين على وفاقٍ.

⌖ ١٣٤ - الأخ نفسه يسأل الشيخ الكبير سؤالاً آخر، ولكن ليس صراحةً ولا بواسطة ألغاز الحروف كما فعل في المرة السابقة؛ ولكن بالتفكر فيها في قلبه فقـط. وهو بخصوص النوم العميق وضعف (أو ارتخاء) النفس. وأيضا يطلب معونة الشـيخ وصلاته لأجل خلاصه. ثم يستوضح منه أيضا عما يعنيه في رده بقوله: "حتى يصـير الاثنين على وفاقٍ". فأجاب الشيخ على ذلك قائلاً:

الأول مهلك والثاني نافع، وبقدر ما يكون الأول مهلكًا يكون الثاني نافعا.

⌖ ١٣٥ - على أثر ذلك وقع الأخ في حيرةٍ مرةً أخرى، فتوسل إلى الشـيخ أن يخبره عن هذا الشيء المُهلك، وعما يجب أن يفعله لكي يعالجه، وعما قالـه في رده بخصوص هذين الاثنين. فأجابه الشيخ:

إنّ الطبيعة ذا ا تعلمنا أنّ كل الأمور تكون مستقيمةً لذوي الفطنة. فأولاً ما هما الاثنـان؟ لقد قلت لك أ ما ذاك الذي يسأل والآخر الذي يخدمه بالإجابة عليه. أما بخصوص النوم، فهو يخص النفس والجسد معا. لأنه إن لم يخضع الجسداني للروحاني فإنّ أوجاعه (أي شـهواته) لا يمكنها أن تفقد قو ا. لأجل ذلك قارنت الأفكار بعضها بالآخر.

⌖ ١٣٦ - إحتار الأخ مرةً أخرى فيما تعنيه عبارة: "قارنت الأفكـار بعضـها بالآخر"، ما الذي يريد أن يقوله؟ لذلك طلب الشرح، وأجابه الشيخ:

اِغفر لي من أجل الرب، فإنني أتكلم بغباوةٍ (٢كو١١: ١٧). والرب قال لتلاميـذه: «هل أنتم أيضا حتى الآن غير فاهمين» (مت١٥: ١٦)؟ فالنقطتان الأولى والثانية ليسـتا سوى شيءٌ واحد.

⌖ ١٣٧ - عندما تلقّى الأخ هذه الإجابة أخبر الشيخ قائلاً: "يا أبي، إنني أسـلم نفسي لرحمة الله وبين يديك، فصل من أجل خلاص نفسي المسكينة". وبناءً على ذلك بعث الشيخ إليه بالرد التالي كتابةً:

أيها الأخ، فلنسهر على أنفسنا بتيقظٍ شديدٍ، لأنه ليس باستطاعتنا أن ندرك الأمـور سريعا. ففي الحقيقة إن كان الرسول الذي بلغ الكمال قد ادعى أنه لم يبلغه (أُنظر في٣:

١٢)؛ فكم بالحري يجب علينا نحن الأقل من الجميع أن تكون لنا مشاعر متضعة! ففي الواقع إنه قد تراءى لي حسنا من الله أن أتلقّى منك الأفكار بالألغاز وأن أجيب عليها بنفس الطريقة، هذه التي تنشئ في النفس العاقلة نوعا من الاجترار الروحي ولا سيما عند ذوي الفطنة، كما أننا إذا فحصنا هذه الألغاز نجد فيها فائدةً عظيمة. إلاّ أنّ الرسول يدعونا إلى التعقل بقوله: «غير مهتمين بالأمور العالية، بل منقادين إلى المتضعين» (رو١٢: ١٦). فلا تعرض أفكارك فيما بعد بالألغاز، لأنك ستكون عاجزا عن فهم إجابتي الغامضة مما يؤدي بنا نحن الاثنين إلى ارتباكٍ يتعذّر علينا الخروج منه.

وإننا حقًا حتى إذا بدا لنا أننا نحصل من ذلك على نعمةٍ إلهيةٍ، فليس من النافع لنا أن نتحادث أو نكاتب بعضنا دائما بالألغاز إلاّ عند الضرورة. إننا في الحقيقة أعضاء بعضنا لبعض في الرب (أف٤: ٢٥)، ونعلم أيضا أنّ «أخ معانٌ من أخٍ يكون مثل مدينةٍ حصينةٍ» (أم ١٨: ١٩ سبعينية). فاعرض أفكارك، إذًا، بوضوحٍ بواسطة الأخ أو بكتابتها، وحينئذٍ تتلقّى الإجابة، فهذه هي الطريقة المتضعة لكل منا. قُلْ لي، يا أخي، ما هي حاجتنا إلى أن نتكلم بطرقٍ غير عادية يمكنها أن تحيد بنا عن الاتضاع؟ لا تفعل ذلك إلاّ في حدودٍ ضيقة، لأنّ الانسحاق الذي يلازم (كشف) الأفكار هو النافع للنفس، وهذا هو الذي جعلك تقول: "إنني أسلم نفسي وجسدي ...". فإذا قرر الإنسان أن يخضع لأخيه لأجل الله، فيجب أن يعلم أنه إنما يخضع لله، وهو القادر أن يوقظنا من نوم غفلتنا الروحية. وكما طلبت مني أن أصلي لأجلك، أطلب أنا أيضا ذلك منك بالمثل، لأنّ هذه وصية إنجيلية وقد قيل أيضا إنها شافية (يع٥: ١٦).

وحيث إنه يبدو أنه من الصعب فهم هاتين النقطتين، فدعني أشرحهما بوضوحٍ: بخصوص الحرف الأول، فالمقصود به أنت شخصيا وكذلك ابني وخادمي سيريدوس. وبخصوص النقطة الثانية عن النفس والجسد فهي أيضا تفهم عن السلوك الجسداني والروحاني. فقد قيل في الحقيقة: «إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيءٍ يطلبانه فإنه يكون لهما من قِبل أبي الذي في السموات» (مت ١٨: ١٩). وهذا الأمر يعنينا جميعا، لأنه إن لم يكن لنا وفاق مع بعضنا فلن تظهر فينا أية سيرةٍ نقية. فصل، إذن، أيها الأخ، لكي نعبر بسلامٍ أيامنا القليلة هذه، لأنه لا شيء يحدث مصادفةً، فكل «من التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو٦: ١٧).

فليعطنا الرب جميعا أن نكمل عبور هذا البحر بسلامٍ باسمه القدوس، له المجد إلى الأبد آمين. اِقتنِ التواضع والصبر والرجاء، وما هو أعظم منها كلها حبنا لله.

⌖ ١٣٨ - طلب مرسلٌ كتابةً من نفس الأخ إلى الشيخ الكبير: اِغفر لي يا أبي

فالكتاب يقول: «فليؤدبني الصديق برحمةٍ وليوبخني» (مز١٤٠: ٥ سبعينية). فكما أنّ الطبيب عندما يكوي أو يقطع في الجسد يعلم أنّ المريض سيحصل علــى الشــفاء، كذلك المريض يعلم أنّ القطع بالمشرط يؤلمه ولكنه بالصبر ينتظر الشفاء. وحيــث إنّ الكتاب يقول: «على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهودٍ يقوم الأمــر» (تــث١٩: ١٥)، فما قلته سابقًا أعود وأكرره الآن: إنني أسلم نفسي لله ولقدسكم. ففي الحقيقة لو فهمت جيدا لأدركت أنني لم آتِ من نفسي إلى هنا، فاكشف لي، يا أبي القديس، ما بداخلي لأنك تعرف كل ما في نفسي، لأنه بسبب الأوجاع والأفكار العديدة التي تجد لها مرتعا في قلبي يكاد يغشى علي. وإنني أعدك، يا أبي، حسب مشيئة الله، أنّ كل ما يأتيني منك سأقبله برضى وسرور بفضل صلاتك لأجلي، وأنني سأكتب أو أقــول بناءً على رغبتك أنت بواسطة الأب الرئيس.

فأجاب الشيخ ـذه الرسالة:

أيها الأخ، أرسل لك هذه الرسالة الثانية، بحسب تدبير الله، لكي أ ـض محبتك لله أن توقظ عينك الروحية من نوم الغفلة لئلاّ تنام نوم الموت (مز١٣: ٣). فكُن متيقظًا لكي تكون روحك على مستوى اجتياز أرضك الروحية (أنظر يش١٨: ٨) حتى لا تنبت فيها الأشواك إطلاقًا ولا تخنق البذار حسب قول الكتاب: «الأشرار يتمشون من كل ناحية» (مز١٢: ٨). ولكن ذاك الذي يستطيع أن يكسر نيرهم ويحطم قر ـم سريعا إنما هو قوي. آمين.

⌖ ١٣٨ب - [تأمل في حرف H إيتا]: أحد الآباء كانت له ثلاثة أفكار، فسأل الشيخ الكبير بخصوصها، ليس بصراحةٍ بل بالألغاز، رغبةً منه أن يخفيها عن الأب سيريدوس الذي كان يخدم كسكرتير للإجابة عليه. وإذ كان قد كتب في الحقيقة ثلاثة حروف من الأبجدية، فقد أرسلها إلى الشيخ وهو يتصور في نفسه السؤال الذي يتعلق بكل حرف. وقد أجابه الشيخ أيضا بالألغاز بطريقةٍ ملائمةٍ لكل سؤال. ولكنه منعه من أن يسأل بعد ذلك بطريقة الألغاز هذه، قائلاً إنّ هذا ليس من الاتضاع، وإنّ ذلك يسبب اضطرابا لكل منهما، أي للسائل وللذي يسأل، إذ إنّ الأسئلة والأجوبة تقدم كلتاهما بطريقةٍ مبهمةٍ وغامضةٍ وتجعل الجميع في ارتباك.

وقد كتب الشيخ الكبير لنفس الأب ولبعض الشيوخ الآخرين الذين كانوا قد طلبوا منه مشورات وتعاليم لاهوتية معينة، وذلك بنظامٍ أبجدي، معتبرا أنّ كل حرفٍ متعلقًا بالله، مصنفًا إياها معا تحت الحرف الذي تبدأ به الكلمات. ثم بسط شرحا مفصلاً لكل كلمةٍ بتأملاتٍ موسعةٍ متنوعةٍ. وقد اخترنا في هذا الفصل جزءًا من

الاعتبارات التي تخص حرف "إيتا"، ونحن نسجله هنا كمثالٍ للشرح الرائع الذي قدمه الشيخ لجميع حروف الأبجدية لما طُلِب منه ذلك:

جواب الشيخ: "إيتا" تعني "مرشِد"، والمرشِد هو الذي يقود. إنه يقودك إلى النور فلا تطلب الظلمات. هو يقودك إلى الاستقامة فلا تطلب الكذب. إنه يقودك إلى الحق فلا يخدعك الوهم. هو يقودك إلى السلام فلا تطلب الخصام. إنه يقودك إلى الفرح فلا تسع إلى الحزن. هو يقودك إلى الاتضاع فلا تستسلم للكبرياء. إنه يقودك إلى العدل فلا تبحث عن الظلم. يقودك ليعينك على احتمال الشتائم والإهانات التي توجه ضدك، فلا تطلب المديح وا ـد الباطل. إنه يقودك إلى الإماتة فلا تطلب الراحة والهناء. هو يقودك إلى ناحية اليمين فلا تضع نفسك بين الذين عن اليسار. إنه يقودك إلى الحياة الأبدية فلا تطلب العقاب الأبدي في جهنم النار التي لا تطفَأ. والعلامة في رفض الإنسان لما يجب أن يرفض هي في اختياره للصالحات وفي عدم الاستهانة قط بصلوات النهار والليل. فليفرح في الرب من أدرك ذلك ومن سيدركه ومن له رجاء في أن يدركه!

حرف "إيتا" يعني يمين الآب. فإن كنت عن يمين الآب فلا ـرب إلى ناحية اليسار وإلاّ فإنك ستخسر القوة المحيطة بك، لأنّ «يمين الرب رفعتني، يمين الرب صنعت قوةً» (مز١١٧: ١٦ سبعينية). الله يقوي الذين يصارعون ولا سيما الذين يمكثون تحت حماية يمينه. وهناك من يكونون ساهرين متيقّظين دائما لأنفسهم باهتمامٍ عظيمٍ لكي لا يخسروا مثل هذه الحماية بسبب الشره أو الفسق أو محبة الفضة أو الحزن أو الضجر أو الغضب أو الاحتداد أو الاغتياب أو الحقد أو ا ـد الباطل أو الكبرياء، أو ببساطةٍ بسبب أي شيءٍ آخر من زرع عماليق ليلقى في أرض الموعد الروحية. وعلامة أنّ الإنسان قد خلص هي أن يكون قد تنقّى من كل ذلك وصار يسبح الله مع الملائكة. فليفرح في الرب من أدرك ذلك ومن سيدركه ومن له رجاء في أن يدركه!

حرف "إيتا" يعني الذبيحة غير الفاسدة التي قُدمت لأجل حياة العالم، وكل من يأكل منها يقدم هو أيضا بالحقيقة ولا يكون بعد ساقطًا في الفساد الروحي، لأنّ فيه تكون قد هدِمت جميع أعمال الشيطان وأوجاعه وأفكاره تلك التي تختفي في الإنسان مثل الـ ـدود. فإنّ الرب قال عن مثل هذا الإنسان: «للثعالب (أي للشياطين) أوجرة ولطيور السـ ـماء (أي لسلاطين الهواء) أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه» (مت٨: ٢٠). فالذي يظن أنه قد صار ذبيحةً، فليمتحن نفسه ليرى ما إذا كانت هذه الحشرة لا زالت مختبئةً فيه، فإن كان لا يجد فيه شيئًا منها يكون من الواضح أنه قد مات مع يسوع وعاش

معه وجلس معه في ا ـد. والعلامة على أنّ الإنسان جلس معه هي في قول المخلص طالبا أن يكون الذين يؤمنون به واحدا كما أنه هو نفسه في الآب (يو١٧: ٢٠و٢١). إنّ المؤمنين الذين تنقّوا من الأوجاع يوجدون في الابن وفي أبيه في الوحدانية. فليفرح في الرب من أدرك ذلك ومن سيدركه ومن له رجاء في أن يدركه!

حرف "إيتا" يعني فرح الآب، وفرح الآب هو الابن الذي به تبتهج خوارس الملائكة. باسمه يناضل الشهداء، وهو الذي يتكل عليه القديسون في جهادهم. بواسطته رُفِعت اللعنة عن الأرض. بواسطته محِي على الصليب الصك المكتوب ضدنا (أنظر كو٢: ١٤)، ولم نعد بعد مستعبدين للعدو. فكوننا تحررنا من ذاك، فنحن في خدمة الذي «دعانا دعوةً مقدسة» (٢تي١: ٩) «بجدة الروح لا بِعتق الحرف» (رو٧: ٦). ونحن قديسون لأنه يقول: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (لا١٩: ٢؛ ١بط١: ١٦). فبعد أن أُنقِذنا من اللعنة لا نصِر عبيدا مرةً أخرى بل لندم في الحرية. لقد قيل لك: «ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضا لئلاّ يكون لك أشر» (يو٥: ١٤). والعلامة على أن الإنسان قد بلغ إلى هذه الدرجة من الكمال هي أن يحتفظ بالحرية التي نالها حتى النفس الأخير. فليفرح في الرب من أدرك ذلك ومن سيدركه ومن له رجاء في أن يدركه!

حرف "إيتا" يعني "إيل" باللغة العبرية التي تعني "الله"، لأنّ النبي إشعياء قال: «عمانوئيل» (إش٧: ١٤)، والقديس متى الإنجيلي المبشر بالفرح الذي لا ينطَق به فسرها بقوله: "عمانو" تعني "معنا"، و"إيل" تعني "الله" (مت١: ٢٣). فلنفحص أنفسنا، إذن، لنرى إن كان الله حقًا معنا. فإن كنا بعيدين عن الشرور وغرباء عن الشيطان مصدرها، يكون الله حقًا معنا. إذا ملكت علينا شهوة الأعمال الصالحة وسررنا ا مع الاعتياد على اعتبار أن سيرتنا هي في السموات (أنظر في٣: ٢٠)؛ يكون الله حقًا معنا. إذا اعتبرنا جميع الناس متساوين وجميع الأيام كأ ـا متشـا ة؛ يكون الله حقًا معنا. إذا أحببنا الذين يبغضوننا والذين يهينوننا والذين يقسون علينا والذين يحتقروننا والذين يسيئون معاملتنا والذين يكدروننا مثل الذين يحبوننا والذين يمدحوننا والذين يحسِنون إلينا ويريحوننا؛ يكون الله حقًا معنا. والعلامة على أنّ الإنسان قد بلغ إلى هذه الدرجة من الكمال هي إحساسه بأنّ الله دائما معه - وهو بالفعل دائما معه - وشعوره بأنه حصل على كل ذلك. فليفرح في الرب من أدرك ذلك ومن سيدركه ومن له رجاء في أن يدركه!

⌖ ١٣٩ - [إلى كثيرين من الذين في السكون]:

إجابة من الشيخ الكبير إلى متوحدٍ كان قد سأله بخصوص خادمه وعن قبول الأفكار وعن أقاربه حسب الجسد:

أيها الأخ، أكلمك كما لنفسي. مكتوب: «أُنظروا لئلاّ يصير علمكم هـذا معثـرةً للضعفاء» (١كو٨: ٩). الأخ الذي يخدمك بسيطٌ، فلا تطلب أن تعلمه الحكمة لأنـك بذلك تثير غضبه. ولكن كُن راضيا بكونه يعينك في احتياجاتك، فإن لم تسبب له ارتباكًا ولا سيما بخصوص كشف أفكاره فهذا يكون ممتازا. فلا تكدر نفسه.

وبخصوص قبول الفكر الذي يعرِض لنا، فلا يقدر إلاّ الكاملون أن يسمحوا للفكـر بالدخول ثم يطردوه بعد ذلك. وأما أنت فلا تدخِل النار في غابتك خوفًا من أن تلتهمها بالكامل، ولا تترك ملابسك تخطَف منك حتى لا يكون عليـك أن تصـارع لكـي تستردها. لا تتمرس بنفسك على الانزعاج، لأنك لن تقاوم مثل هذه التجربة. فراقـب نفسك من الآن فصاعدا، وصل من أجلي.

أما بخصوص إخوتك، فأنا لا أعرف لك أخا غير يسوع. هل لك إخوة؟ عاملهم كما تريد، فهذا أمر لا يخصني. فإن كان الرب نفسه قال: «من هي أُمي ومن هم إخـوتي» (مت١٢: ٤٨)؟ فهل لي أن أقول لك أن تستند على وصية الله لتكون لك علاقة أُلفةٍ مع إخوتك حسب الجسد؟ فإن كانت تعوزهم ملابس، فلماذا لا تذكر أنـت المسـاكين؟ «كنت عريانا فكسوتموني» (مت٢٥: ٣٦). ولكنها لعبة من الشياطين إذ يـذكّرونك بالذين هجرتهم من أجل الله حتى تصير متعديا. الويل لنا يا أخي! أُنظر كيـف يعملـون ضدنا! هل تريد (أن تنفعهم) بسبب محبتك لهم التي أنت مديونٌ بها أيضا لكل إنسـان؟ صل لأجلهم حتى يخلصوا هم أيضا بنعمة المسيح، آمين.

فتيقّظ لنفسك، إذن، حتى لا تلهو بك (الشياطين)، لأننا تخلّفنا عن قـراءة المقـاطع وعدنا إلى التهجي بحروف الأبجدية. فصارع لكي تموت. ماذا تريد؟ هل تريد أن تخلص؟ تمسك بأن لا تحسب نفسك شيئًا، واركض نحو الهدف الموضـوع أمامـك. لا تـدع الشيطان يسبب لك - بحجة البر - إنشغالاً عديم المنفعة. حرر نفسك من كل اهتمـام. وسواء كان الأقارب أحياءً أو أمواتا فلا ترسل شيئًا إلى هناك. أُذكر الرب الذي قـال: «دع الموتى يدفنون موتاهم» (لو٩: ٦٠). اِسهر على نفسك. لأنّ هؤلاء لن ينقذوك في الساعة الرهيبة. إنني أقول لك مرارا: استيقظ من نومك العميق لأنك لا تعلم في أية ساعةٍ يأتي الرب حتى عندما يأتي يجدك مستعدا. أما من جهة الدنس فهو ضعف للنفس. أحب الرب يسوع من كل قلبك وأنت لن تسقط إلى الأبد. سلام لك في الرب. سلام لك في محبة الله. سلام لك بقبلةٍ مقدسة.

⌖ ١٤٠ - طلب أحد الآباء، الذي يعيش في الوحدة، من الشـيخ الكـبير أن

يصلي لأجله:

جواب ق. برصنوفيوس:

عندما يرسل إنسان محاميا لكي يترافع في دعواه أمام الملك لا يكف عن الصلاة لأجله لكي يسمعه. وإذا سمعه فلا يوجد بعد عملٌ للمحامي، ولكنه يدعو له. فافعل أنت أيضا نفس الشيء، وصل لكيما يستجاب لي. إنني أُبدي الطاعة وأصلي بالجملة لأجل صـحة وخلاص نفوسكم وأجسادكم. فإذا استجيب لي - لأنّ الله يستجيب مهما كان الأمر - فإنني أنسب ذلك لصلواتكم. لأنني أنا بالذات لست محاميا مؤهلاً للترافـع، أي لسـت إنسانا بارا، وليس عندي أي يقين. إنني أعتبر نفسي فقط مثل عبدٍ مكلف بمهمة. فلعـل الرب يتفضل بسماع صلواتكم ويمنحكم طلباتكم. وصلوا أيضا لأجل بؤسي.

⌖ ١٤١ - سؤالٌ من الشيخ نفسه إلى الشيخ الكبير: يا أبانا، كيـف يجـب أن نصلي؟ هل يجب أن نتلو الصلاة الربانية كما قالها الرب، أم كما قال الأب مكاريوس الأسقيطي (الكبير): "يا رب ارحمني كما تعرف"، وعندما يوجد قتال نقول: "معونتك يا رب"؟ ألا يكون التوسل بتلاوة الصلاة الربانية كافيا؟

إجابة القديس برصنوفيوس:

الصلاة الربانية كانت قد وضِعت للكاملين والخطاة، وذلك حتى إنّ الكـاملين - إذ يعلمون أنهم أبناء - يجتهدون ألاّ يضلّوا، وحتى إن الخطاة - إذ يخجلون من أن يـدعوا "أبا" ذاك الذي يذكرون أنهم أهانوه بهذا المقدار، فإنهم يهتدون ويتوبون. هكذا أيضا - حسب إدراكي - فإنّ الصلاة الربانية أولى بأن توافق الخطاة. فالقول: «اِغفر لنـا مـا علينا» يوافق الخطاة. لأنه أية ديون تكون على الكاملين الذين صـاروا أبنـاءً لـلآب السماوي؟ أما عن القول: «لا تدخلنا في تجربةٍ، لكن نجّنا من الشر»، فهو يعادل أقـوال الأب مكاريوس: "اِرحمني"، و"معونتك يا رب".

⌖ ١٤٢ - إجابة الشيخ الكبير إلى الشيخ نفسه الذي طلب منه هديةً صـغيرة، وسأله بخصوص عدم الانفعال (أو البرودة):

أيها الأخ، الله يعرف ما هو نافع. لقد طلبت مني أن تأخذ خبزةً من ضعفي، ففيمـا عدا الثلاث خبزات المحددة للأسبوع لا شيء أكثر منها يدخل مقبرتي(١٨). ولكن بتدبير من الله، فإنّ (ذاك الذي في الحال) يعتني بجميع الآخرين كما لا يوجد له نظير في ذلـك، والذي يعتبر منفعة الجميع تخصه هو، لأنه لا يفعل إطلاقًا أي شيءٍ من هـذا، وقبـل أن

(١٨) تعتبر قلاية الراهب أو مغارته كأنها مقبرة حيث إنه ميت عن العالم.

يتلقى أمرا مني، فإنّ ابن أحزاني الذي هو أحلى من العسل؛ قد أعد خبزةً ولا أستطيع أن أعيدها، يقول لي: "من المفيد في ذلك قطع المشيئة الخاصة". فكسـرت هـذه الخبـزة وأرسلتها لمحبتك، معتبرا أنني غير مستحق لذلك الذي فعلته. ولكن الرب سيصنع لـك حسب إيمانك. أما عني أنا، فليته يتفضل بألاّ يدينني! وإذا وجدت مسألة بخصوص ذلك مع الأخوين اللذين يأتيان إليك، فيمكنك أن تخبرهما ا.

أما بخصوص عدم الانفعال، فهو نعمة من الله يمنحها لمن يشاء. فليت الله يمد يده لك لكيما تبلغ إلى ما تصبو إليه بمخافةٍ وبحسب مشيئته. آمين، صل من أجلي يا أخي.

⌖ ١٤٣ - سؤال من الشيخ نفسه للشيخ الآخر: لماذا، يـا أبي، سمـى الشـيخ الصالح قلايته قبرا؟

إجابة الأب يوحنا:

لأنه يفرح بأن يرتاح من جميع الأهواء (الشهوات). إنه في الحقيقة ميت تمامـا عـن الخطية، وقلايته التي يعيش ويغلق على نفسه فيها كأ ا قبر لأجل اسم الرب يسوع، إنمـا هي موضع راحة ولا يمكن لأي شيطان أن يقتحمها ولا حتى رئيسهم إبلـيس، لأ ـا أصبحت هيكلاً مقدسا حيث إ ا تحوي مسكن الله! إذن، فلنمجد الله كلنا في كل شيء بقلبٍ واحدٍ.

⌖ ١٤٤ - سؤال من الشيخ نفسه للشيخ الكبير الآخر: حيث إنه مكتوب في سـير حياة الشيوخ أنّ أحدهم كان يقدم مائة صلاة وآخر كان يصلي بمقدار، فهل يجب علينـا نحن أيضا أن يكون لنا حد أم الأفضل ألاّ يكون؟ وكيف يجب أن تكون الصلوات: مطولة أم نتلو الصلاة الربانية ثم نجلس لعمل اليدين؟ ثم إنه ماذا يجب أن نفعل أثناء العمل؟ وأيضا بخصوص صلاة الستار والسهرات الليلية، كيف يجب أن يباشرها الإنسان بمفـرده؟ هـل يجب أن يراعي الساعات ويرتل الأناشيد أم يلحن التسابيح؟

إجابة الأب يوحنا:

الساعات والأناشيد (أو التسابيح) هي تقاليد كنسية، وهي ممتازة في جعل الشـعب كله منسجما، وهكذا أيضا في مجامع الشركة لأجل ترابط الجماعة. أما الأسـقيطيون، فليست لهم ساعات ولا هم يرتلون الأناشيد، ولكل منهم عمل يدين خاص به، والتأمل والصلاة بين الحين والآخر. فعندما تقف للصلاة يجب أن تطلب أن تتحرر وتتخلص من الإنسان العتيق أو أن تتلو الصلاة الربانية أو تتمم كلا منهما، ثم تجلس لعمل اليدين.

أما بخصوص طول الصلاة مع الوقوف، فالذي يصلي بلا انقطاع كقـول الرسـول (١تس٥: ١٧)، لا يحتاج أن يطيلها كلما يقف، لأن روحه تكون في حالة صلاة اليـوم كله. ولكن عندما يكون الإنسان جالسا في عمل اليدين يجب أن يتلو مزامير، ويقول في نهاية كل مزمور وهو جالس هذه الصلاة: "يا الله، اشفق علي أنا الشقي". وإذا أزعجته الأفكار يضيف قائلاً: "يا الله، إنك ترى ضيقي فهلم إلى معونتي". وعندما تكمل ثلاثة صفوف في شبكتك انهض للصلاة. ثم اركع وانهض وتمم صلاتك المذكورة أعلاه.

أما عن صلاة الستار، فالأسقيطيون يتلون اثني عشر مزمورا، وفي نهاية كـل منـها يقولون الألليلوياه كذكصولوجية (لحن تمجيد)، ثم صلاة. وهكذا أيضا في الليـل: اثنـا عشر مزمورا، ثم يجلسون في عمل اليدين. وهم يتلون عن ظهر قلب (من كلام الله) بقدر رغبة كل منهم، أو يمتحن كل منهم أفكاره ويدرس في سير الآباء. والذي يعكف علـى التلاوة يقرأ خمس أو ثماني صفحات ثم يشتغل في عمل اليدين. والذي يرتل المـزامير أو يستظهر من كلام الله، عليه أن يفعل ذلك بشفتيه (أي بصوتٍ) في حالة عدم وجود أحد بجواره، وهو يراعي ألاّ يعلم أحد بما يفعله.

⌖ ١٤٥ - عندما قلق الشيخ نفسه من الاكتئاب توسـل إلى الشـيخ الكـبير بلجاجةٍ شديدةٍ أن يصلي لأجله.

إجابة الأب برصنوفيوس:

أعلم أنني لست شيئًا. وإذا كنت أنا مهملاً لنفسي أكون أيضا مهملاً إياك. ولكـنني آخذ بالمكتوب: «لأننا بعضنا أعضاء البعض» (أف٤: ٢٥). فإذا كنت أعتني بنفسـي بمخافة الله، هكذا أيضا أعتني بك أنت أيضا. وإذا كان حقًا هو القول: «تحب قريبـك كنفسك» (لا١٩: ١٨)؛ فافعل أنت أيضا هكذا، لأنه قيل أيضا: «أخ معـانٌ مـن أخ يكون كمدينةٍ حصينةٍ مرتفعةٍ محاطةٍ بسور» (أم١٨: ١٩ حسب النص). وقبل أن تقول لي محبتك: "صل من أجلي"، فإنه توجد عندي وصية بخصوص ذلك تقول لي: «صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا» (يع٥: ١٦)، وأنت أيضا عندك إياها.

وإن كنت تعاني من الاكتئاب، فاذكر الضيق الذي تحمله الأب أوثيميوس ثم رحـل بمجدٍ إلى الرب. فكُن في حالة انتظار ليوم الخروج هذا وأنت تستريح من الاكتئاب. لقد كان رفيقنا في الطريق ثم سبقنا. أي فرح حصل عليه! فلتكن لنا غيرة منـه، ولنـركض بحيث نفوز بالمكافأة (أنظر ١كو٩: ٢٤). وحيث إنه مكتوب: «بنفس الكيل الذي بـه تكيلون يكال لكم» (لو٦: ٣٨)، والآباء قالوا: "الطاعة تستجيب للطاعة (أي عنـدما

يطيع الإنسان الله يطيع الله طلبه)"[19]، فأنا أقول لك: مد يدك للأخ الـذي بالقرب منك، وأنت أيضا ستجد من يعينك في وقت التجربة. «وبخ، انتهر، عِظْ» (٢تي٤: ٢)، لأنّ هذه ثمار تكون هناك أيضا روحانية.

⌖ ١٤٦ - طلب من الشيخ نفسه إلى الشيخ الآخر (يوحنا): أتوسل إليك، يـا أبي، أن تصلي لأجلي أنا الضعيف النفس والجسد لكي يمنحني الله احتمالاً كـاملاً في هذا الموضع المقدس. إنّ العدو والأوجاع تزعج قلبي بالتناوب لتشـدني إلى الـوراء. فلست أنا الذي فعلت أي شيء للخير هنا؛ ولكن العدو يرى أنّ صلوات الشـيوخ تحميني. لأجل يسوع اصنع معي رحمةً وصل بلا انقطاع لأجلي أنا الخاطئ.

إجابة الأب يوحنا:

لعل الله يقبل طلبك كرائحة طيبٍ مقبولة، لأنك تسر قلبي باتضاعك الذي هو بحسب الله. هذا الاتضاع الذي لا يثقل على حقارتي ولا على محبتك. لأنّ هذا هو طريق الله، وإذا كنـا نصونه نخلص باسم إلهنا. أما بخصوص ما كتبت لي عنه، فمن المرغوب فيه جدا أن نرى غيرة الشياطين، وكيف أنها لا تتوانى عن تأدية أعمالها، ونحن أيضا يجب علينا أن نثابر على تأديـة أعمالنا، وحينئذٍ، بصفةٍ خاصةٍ، نعلم تفوق القوة التي نتلقاها التي لسيدنا يسوع المسيح الـذي يعطينا «سلطانا لندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو» (لو١٠: ١٩). عندما يثير عـدو منازعات ضد أحد، فهو يدفعه وهو يركض ملتجئًا إلى القاضي لكي يحصل على حكم القضاء ضده، وهكذا يفعل معنا ذاك الذي يبغض البشر منذ البدء، فيحملنا على الركض إلى رأسـنا وملكنا المسيح، حتى إنّ القتال ينفعنا بدلاً من أن يضرنا. وهناك حيث يكون المسيح حاضـرا، فإنّ قتال العدو لا يعتد به.

⌖ ١٤٧ - الأب نفسه يسأل الشيخ نفسه بخصوص النوم: كم من الوقت ينبغي أن أستريح راقدا؟ وكم من الوقت ينبغي أن أسهر؟ وكم من الثياب أكتفي بها؟

إجابة الأب يوحنا:

لأجل النوم الليلي، فبعد أن تقضي ساعتين في تمجيد الله ابتداءً من غروب الشمس، أرقـد ست ساعات، ثم استيقظ للسهر وامكث هكذا في الأربع ساعات الباقية. وفي الصيف افعـل نفس الشيء ولكن باختصار الوقت وتلاوة مزامير أقل بسبب قصر الليالي. وبخصوص الثياب، فالضعيف يجب أن تكون له ثياب للشتاء وأخرى للصيف بسبب ضعف جسده. أما الذي بلغ إلى احتمال ما ذكره الرسول من الجوع والعطش والعري (٢كو١١: ٢٧)، فلـيقضِ حياتـه

(19) Apoph., Mios, 1.

بجلبابٍ واحد. فلا نتطلّع، أيها الأخ، قط إلى الأمور العالية بل دعنا ننقاد إلى المتضعين (رو١٢: ١٦)، ولا نتذمر إن كان لكل منا ثوبين أو ثلاثة.

⌖ ١٤٨ - سؤال من الأب نفسه للشيخ نفسه: قلت لي، يا أبي، أن أسهر ست ساعات، ولكن كيف يمكنني أن أعرف أنني سهرت ست ساعات؟

جواب الأب يوحنا:

إذا أردت أن تعرف الساعات بالضبط، البث مضطجعا في النهار حتى لا يحرم الجسد من النوم يوما واحدا، ثم البث ساهرا ليلةً من المساء إلى الصباح، واحسب عدد الآيـات التي تتلوها. وإذا قسمت هذا العدد على عدد الساعات فإنك تعرف الساعات. وافعـل نفس الشيء في الصيف. وهكذا تكون الساعات معروفة لديك.

⌖ ١٤٩ - الأب نفسه يطلب من الشيخ الكبير: صل من أجلي، يا أبي، أنا الخـاطئ، لأنني مريض، لكي يمكنني أن أتحمل المرض بفرح. وقُل لي كيف أغسل الأوساخ.

جواب الأب برصنوفيوس:

يا أخي العزيز جدا، إنك تسرني بكلامك، لأنك بالحري، حسب رأيي، تـدعي في رسائلك أنك أنت نفسك خاطئ دون أن تفهم ما تقوله. ففي الحقيقة إن الخاطئ إنما هو عبد بطّال. وأنت تأتي لتقول لي أنك مريض. وواضح أنّ المرض إنما هو تصحيح، وهـذا هو التصحيح الذي فُرِض على العبد البطّال. إذن، فإن كنـت تضـايقت مـن تلقّـي التصحيح، فكُف عن أن تكون بطّالاً. وإن كنت بطّالاً فاقبل التصحيح، ولكن إن كنت تسر من التصحيح، فأنت لست بطّالاً، والذي لا يكون بطّالاً فهو محبوب «لأنّ الـذي يحبه الرب يؤدبه» (عب١٢: ٦)! فانظر، إذًا، ماذا تكون أنت بالحقيقة، واختر لنفسـك في أي مما قلته لك. الله يعلم أنني إذا احتقرت خلاصي الشخصي، فكيف أمارس سلطاني عليك وأنا خائف من مخالفة الوصية؟

أما عن الأوساخ، فإذا أردت أن تغسلها فاغسلها بالدموع، لأ ا تغسل تمامـا كـل شائبة. فلماذا النوم؟ أصرخ ليسوع حتى يبح حلقك: «يا سيد، نجنا فإننا لك» (مت٨: ٢٥). إلهب ما تبقّى من قلبك واشعل النار التي جاء الرب ليلقيها على الأرض (لـو١٢: ٤٩)، وهي تلتهم كل ذلك وتخرج الذهب المكنوز فيك والذي امتحِن في الأتون. يجب أن يكون لك تيقظ كثير. وإنني لأكتفي بذلك، فاغفر لي.

⌖ ١٥٠ – سؤال من الأب نفسه إلى الشيخ الكبير: أتوسل إليك أن تخبرني من أيـن تأتيني ليونة الجسد وميوعة القلب؟ ولماذا لا أستطيع أن أمكث دائما في نفس التدبير؟

إجابة الأب برصنوفيوس:

أيها الأخ، إنني مندهش ومذهول من رؤية كيف أن أهل العالم الذين لهم شهوة الربح أو القتال يستخفون بالوحوش وفخاخ قطاع الطرق وأخطار البحر وحتى الموت ذاته. إنهم لا يجبنون من أجل الغِنى الذي يشتهونه بتلهف، في حين أنهم غير متيقنين من الحصول عليه. ونحن البؤساء الجبناء الذين نلنا سلطانا أن ندوس «الحيات والعقارب وكل قوة العدو» (لو ١٠: ١٩)، نحن الذين سمعنا القول: «أنا هو لا تخافوا» (يو٦: ٢٠)، نحن الذين نعلم بوضوح أننا لا نصارع بقوتنا بل بقوة الله الذي يسلحنا ويحصنا، إذن فنحن الذين نستسلم لليونة وللاكتئاب! ومن أين يأتي ذلك؟ هذا لأن أجسادنا لم تتسمر فيها مخافة الله (مز١١٨: ١٢٠ سبعينية)، ولأنه لم يجعلنا صراخ نوحنا (أو تنهدنا) مطلقًا ننسى أكل خبزنا (مز١٠٢: ٤و٥). ولذلك نحن نتقلّب من جانب إلى آخر ومن نظام إلى آخر لأننا لا نتشبث تماما بالنار التي جاء الرب ليلقيها على الأرض (لو١٢: ٤٩)، والتي يمكنها أن تهلك وتلتهم أشواك حقلنا الروحي. إن تخاذلنا وتغافلنا وحبنا لأجسادنا لا يسمح لنا بالرحيل.

يشهد لي ابن الله الحي أنني أعرف إنسانا، وهو هنا في هذا الدير المبارك – ولا يقول أحد أنني أتكلم عن نفسي، فأنا لا أحسب نفسي شيئًا في أي أمر – هذا الإنسان يمكنه أن يبقى كما هو بدون أي غذاء أو شراب أو ملبس حتى يفتقده الرب، ولن يعوزه من كل ذلك أي شيء على الإطلاق، لأن غذاءه وشرابه ولباسه إنما هو الروح القدس! فإذا أردت نافسه وتشوق وبادر، وامتلئ بالغيرة ومخافة الله وهو سيحقق رغباتك. لأنه مكتوب: «يعمل رضى خائفيه» (مز١٤٥: ١٩). وفي الحقيقة، فإنني أنا، الذي لست شيئًا، بسبب الوصية أعمل بقدر استطاعتي، ولكن الله هو الذي منه يكون الثبات والتحصين والتحرر وإتمام كل عمل صالح وتجنب كل شر وتدبير الخلاص في ملكوته، وله المجد آمين.

صل من أجلي، واطلب من الشيخ الذي معك أن يشاركك في نفس الصلاة.

⌖ ١٥١ – سؤال من الأب نفسه إلى الشيخ الكبير: أتوسل إليك، يا أبي، أن تقول لي كيف يكتسب الإنسان الاتضاع والصلاة الكاملة. وماذا أفعل حتى لا يتملّك علي شعور الاضطراب والإثارة؟ وما هي القراءة المناسبة؟

جواب القديس برصنوفيوس:

بخصوص كيفية اكتساب الاتضاع الكامل، فقد علّمنا الرب ذلك بقوله: «تعلّموا مني

لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم» (مـت١١: ٢٩). فـإذا أردت أن تكتسب الاتضاع الكامل؛ فاعرف ما تحمله الرب وتحمله أنت أيضـا، واقطـع عنـك مشيئتك في كل الأمور، لأنه هو نفسه قال: «نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بـل مشيئة الذي أرسلني» (يو٦: ٣٨). هذا هو الاتضاع الكامل: احتمال الشتائم والإهانات وكل ما قاساه معلمنا يسوع.

أما عن الصلاة الكاملة، فهي التحدث مع الله بدون تشتت، وأن يستجمع الإنسـان كل أفكاره وكذلك كل حواسه. والذي يقود الإنسان إلى ذلك هو الموت عن العالم كله وعن كل أشياء العالم، ولا يوجد ما نقوله لله في الصلاة أكثر من: «نجنا من الشـرير»، وأيضا: «لتكن مشيئتك» في. ويجب أن نجعل الروح حاضرة أمام الله وتكلمه. ويمكن أن يميز الإنسان إن كان يصلّي عندما يكون متحررا من الإثارة (أو الهياج)، وعندما يرى أن الروح مبتهجة باستنار ا في الرب. والعلامة على أننا قد بلغنا إلى الصلاة الكاملة هي ألاّ نضطرب بعد حتى ولو هاجمنا العالم كله. إن الذي يصلي صلاة كاملة هو الذي يكـون ميتا عن العالم وعن سعادته. إتمام عمل الله لأجله باهتمام لا يكون من إثارة (أو هياج)؛ بل من الغيرة بحسب الله. ومما ينفعنا أن نقرأ سير الآباء، لأنه بذلك تسـتنير الـروح في الرب.

⌖ ١٥٢ – سؤال من الأب نفسه إلى الشيخ الآخر: قال الشيخ الكبير: 'الموت عن الناس والعالم والسعادة الجسدية يقود إلى الصلاة الكاملة'، فماذا أفعل وأنـا في وسط الناس؟ لأنه من الضروري أن أعطي أوامر للأخ الذي يساعدني. ومن ناحيـة أخرى، فبسبب المرض لا أتناول إلاّ خضروات، ومنذ ذلك الوقت الذي لا آكل فيه إلاّ هذا فإن نفسي تشتهي أشياء أخرى. وبالإضافة إلى ذلك، فإن كانت الخضـروات غير معدة جيدا مع عذر المرض، فإن روحي تتهيج على الأخ، لأنني غالبا أقضي ليلـة رديئة بسبب ذلك. فإذ أوجد في تلك الحالة، كيف يمكنني أن أموت عن الناس؟ ومن ناحية أخرى، فإذا كان الطعام جيدا وتوافق مع المرض فإن اللذّة تستولي علي. فكيف أموت أيضا عن راحة الجسد وعن العالم؟ وكيف يجب علي أن أقضي الأسبوع المقدس (أسبوع الآلام)؟ أتوسل إليك أن تعرفني ذلك واغفر لي.

جواب الأب يوحنا:

يا من أنت في وسط الناس وتريد أن تموت عنهم، لا تدنْ ولا تحتقر أحدا ولا تكـن مقيدا بمشيئتك الخاصة، فهذا هو الموت عن الناس وأنت في وسـطهم. وإذا حـدث في

العلاقات الضرورية شيء أدى إلى إثارتك، فقاوم برقّة قبالة المسئول القريب بقولك لنفسك: "الله يعلم ما هو نافع. فربما هو أرادها هكذا حتى لا أجد رفاهية للجسد بل بالأكثر معاناة". لا تضطرب كثيرا لخسارة طعام لأنه يحدث أن هذا يكون بعمل الشياطين لكي يزعجوا الإنسان. وإذا تناولت طعاما آخر بسبب المرض فاشكر الله شاعرا بعدم استحقاقك، وهذا يكون نافعا لك. تذكّر دائما الوصية: «أُشكروا في كل شيء» (١تس٥: ١٨)، فتكون في راحة. لأن المرء لا يكون بذلك مستعبدا من خسارة الأطعمة ولا من نكهتها المستحبة، بل يكون محميا من الله بواسطة فعل الشكر.

أما بخصوص أسبوع الآلام، فبسبب ضعفاتك كُلْ دائما في الساعة الحادية عشر خبزةً صغيرة، وإن كنت لا تستطيع أن تجد راحة بدون خمر، فتناول ما يبدو لك ضروريا، قدحين (أو كأسين) مثلاً. ولا يكون عندك شك (أو وسواس)، بل افعل كل شيء لمجد الله كما يقول الرسول (١كو١٠: ٣١). صل لأجلي، واغفر لي بمحبة.

⌖ ١٥٣- سؤال من الأب نفسه إلى الشيخ نفسه: كيف يحدث أنه عندما أريد أن أسيطر على بطني وأنقص من الطعام إلى الحد الضروري لا أستطيع ذلك؟ فإذا تناولت في أحد الأيام قليلاً من الطعام الأقل قيمة، فإنني أعود بعد ذلك بطريقة غير محسوسة إلى مقداري السابق، وهكذا أيضا في الشرب.

جواب الأب يوحنا:

إن محبتك لتذكرني، يا أخي، أن كل ما تقوله لي قد جربته بنفسي وعانيت منه أنا أيضا. ولا يوجد من هو مستثنى إلاّ الذي بلغ إلى درجة المرتل الذي قال: «سهوت عن أكل خبزي، من صوت تنهدي لصق عظمي بلحمي» (مز١٠٢: ٤و٥). إنه وصل إلى نظام أقل في الطعام والشراب لأن دموعه صارت هي خبزه، وبدأ منذ ذلك الوقت يتغذّى بالروح (القدس). صدقني يا أخي، إنني أعرف إنسانا يعرفه الرب كانت له هذه الدرجة: أنه مرةً أو مرتين في الأسبوع وأكثر، كان يأسره الطعام الروحاني حتى إن حلاوته تنسيه الطعام المحسوس، وعندما يحين ميعاد الأكل يشعر مثل هذا الإنسان بالشبع والاشمئزاز من الطعام ولا يريد أن يأكل، وبينما هو يأكل يدين نفسه قائلاً: "لماذا لا أكون دائما هكذا"؟ ويتطلّع إلى أن يأخذ أكثر. فأين نحن يا أخي؟ ألن نموت؟ اغفر لي، فإنني لا أقصد أن أمجد نفسي على أعمالي، إنني أمجد أعمال آخرين، وهذا أيضا لكي أدين نفسي.

⌖ ١٥٤- سؤال من الأب نفسه إلى الشيخ نفسه: أتوسل إليك أيها الأب، أن تعرفني إمكانية وطريقة البلوغ إلى تلك الحالة التي تتكلم عنها لأنني أجهلها. ففي

الحقيقة، إنني في كل مرة أجرب أن آكل قليلاً، فإن الضعف والاكتئاب لا يفارقانني بالقدر الذي يجعلني لا أرجع إلى مقداري السابق. وكيف يمكنك أن تقول إن الإنسان يبلغ إلى قياس ذاك الذي قال: «سهوت عن أكل خبزي، من صوت تنهدي لصق عظمي بلحمي» (مز١٠٢: ٤و٥) حتى إنه وصل إلى الاكتفاء بالقليل؟ اشرح لي، يا أبي، كيف أنه قبل أن آكل القليل يمكن أن يلتصق عظمي بلحمي، فإنني لا أعرف من هو الذي ينقص هكذا من غذائه!

جواب الأب يوحنا:

إنك، يا أخي، تجبرني أن أقول أشياء تفوق على قامتي، وأخاف أن أتكلم عن أفضال آخرين. إنه مكتوب: «لصق عظمي بلحمي» (مز١٠٢: ٤و٥)، فهو يريد أن يقول إن جميع عظام الإنسان موحدة، وعلى خلاف ذلك (وعلى وجه آخر) يقول إن جميع أفكار الإنسان قد صارت واحدة بحسب الله. وهي عندما تلتصق بالجسد فهذا يعني أن الجسد يصير روحانيا تبعا للفكر الذي بحسب الله، وعندئذ يتولد في القلب فرح الروح مغذّيا للنفس ومسمنا للجسد ومحصنا هذا وذاك. وحينئذ لا يوجد بعد ضعف ولا اكتئاب. لأن الرب يسوع يكون من الآن فصاعدا وسيطًا وهو يمكن الإنسان من الاقتراب إلى الهيكل، هناك حيث «يهرب الحزن والتنهد» (إش٥١: ١١)، ويتم في هذا الإنسان القول المكتوب: «حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا» (مت٦: ٢١). وهذا هو الاتضاع الكامل الذي يقود الإنسان إلى تلك القامة في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى الأبد.

⌖ ١٥٥ – سؤال من الأب نفسه إلى الشيخ الكبير: أتوسل إليك أن تعلّمني كيف أصل إلى الزهد (أو الاعتدال أو القناعة)، وكيف أميز بين المرض الطبيعي من الذي يأتي من الشياطين؟ وما هي الكمية التي يجب أن آكلها؟

جواب القديس برصنوفيوس:

أيها الأخ، إنك تنقب قليلاً قليلاً لكي تكتشف الأمور الخفية، وأنا الغبي أفكر أن ما تطلبه مني لا يستطيع أحد أن يميزه إلاّ الذي بلغ إلى تلك القامة. ففي الحقيقة، إن الإنسان يعيش في الشعور بحرارة وبرودة الأمور التي تقدم له، ولكن الميت لا يشعر بها لأنه فَقَد ملَكَة الشعور. هكذا أيضا فإن الذي يبلغ إلى المعرفة الكاملة بحروف الكتابة عندما يتعلمها، فهو يعرف أيضا أن يميزها. وأيضا إن كان أحد لا يتعلمها وإن كان لا يرتبها، فلا يمكنه أن يعرف المعنى المذكور آنفًا حتى ولو استفسر عن نطق الحروف وسمعه آلاف المرات؛ هكذا هنا، فإذا تكلمت بقدر ما تشاء مع أي إنسان، فما يلزمه بالحري هو الخبرة.

أما بخصوص المرض، فإذا كان الجسد يأخذ كل يوم غذاءه ثم يسترخي، فهذا يأتي من الشياطين إلاّ في حالة المرض. فالزم الاعتدال، وهذا يكون بالقيام من على المائـدة قبـل الشبع بقليل، وذلك حسبما عين الشيوخ للمبتدئين. وعندما يبلغ الإنسان إلى قياس قول الرسول: «إننا لا نجهل أفكاره» (٢كو٢: ١١)، لا يمكنه أن يسهو عن الكمية التي يجب أن يأكلها لأنه يكون قد تدرب (أو اعتاد) على ذلك. إنني أجبر نفسي على أن أتكلم في أمور تفوق علي ولا توجد ضرورة لذلك. وربما أيضا لا يوجد إنسان كفء لأن يجنيها وأن يدركها سوى البعض القليل. ولعل إله آبائنا يقودك إلى هذه المسرة، لأن هذا نـور يفوق الوصف ومتألق وحلو. إنه لا يذكر الغذاء الجسدي، لأنه يسهو عن أكل خبـزه (مز١٠٢: ٤). إن روحه تكون في مكان آخر، فهو يبحث عن السماويات ويفكـر في السماويات ويتأمل في السماويات، هناك حيث يكون المسيح عن يمين الآب. الذي لـه المجد إلى الأبد آمين.

⌖ ١٥٦ - سؤال من الأب نفسه للشيخ الآخر لكي يحصل على استيضـاحات بخصوص مقدار الاعتدال.

إجابة الأب يوحنا:

بخصوص مقدار الاعتدال يقول الآباء - سواء عن الأكل أو الشرب - إنه يجب على الإنسان أن يكتفي بالقليل، أي أنه لا يملأ البطن من الأكل ولا من الشرب، وأنه يجب أن يحدد مقدار الأطعمة المطبوخة والخمر. وفي الشتاء لا يشرب كثيرا، وهكذا أيضا يجب أن يكتفي بالقليل. وفي الصيف يشرب أكثر ويجب أيضا أن يكتفي بالقليل، وهكذا أيضـا بالنسبة للطعام. ومن ناحية أخرى يجب أن يراعي الحد ليس من مقدار الأكل والشـرب فحسب؛ بل أيضا في الكلام والنوم واللباس وفي استعمال جميع الحواس. ففي كل ذلـك يحصل مقدار الاعتدال.

⌖ ١٥٧ - سؤال من الأب نفسه للشيخ نفسه: قُل لي يا أبي، ما هو هذا المقدار القليل من الطعام ومن الشراب ومن الخضروات أو من الفواكه؟

إجابة الأب يوحنا:

بخصوص المقدار الكلي للغذاء، أعني الخبز والطعام والخضروات أو الفواكه، فاجعلها تصل إلى أوقية واحدة تقريبا. أما عن الخمر والماء فخذ من كل منهما حـوالي نصـف كأس. وإذا بقيت ثابتا في نفسك بدون تعب، فجيد لك ألاّ تشرب سوى مرة واحدة في اليوم، ولكن إن كان ذلك غير ممكن فاشرب مرتين مع إبقائك كل مرة قليلاً من ناحيـة

المقدار. وعندما توجد حركات وحروب أفكار فيجب إنقاص المقدار المعتاد قليلاً، أي مرة أخرى أوقية واحدة من الطعام ونصف كأس آخر من كل أنواع الشراب بحيث أن الطعام فليكن أقل من أوقيتين والشراب أقل من كأس واحدة. صل من أجلي أيها الأخ.

⌖ ١٥٨ – سؤال من الأب نفسه للشيخ نفسه: كيف أعرف مقدار الحاجة إلى الأكل والشرب؟

إجابة الأب يوحنا:

من خبرة الأيام كلها يمكن إدراك ما إذا كان الجسد محتاج إلى طعام أو شراب. إذًا، فعلى سبيل المثال إذا شرب أحد ثلاثة أقداح من الماء في اليوم وأكل رغيفًا من الخبز، فإذا رأى أن الجسد يحتاج إلى أكثر من ثلاثة أقداح بدون سبب، أو لأنه مرهق أو لأنه أكل أطعمة مالحة، فهذه تجربة وعليه حينئذ أن يقيد نفسه. ولكن إن وجد سبب فلا تكون هناك تجربة. وعلى ذلك، فإن لم توجد تجربة فعلى المرء أن يقيد نفسه إن أمكن بنصف قدح. وهكذا أيضا بالنسبة للطعام، فليقتطع لنفسه قدر أوقية من الرغيف. ولكن يلزم، كما قلنا، أن يدرك المرء إن كان يمكنه أن يتناول مشروبه مرةً واحدة أو على مرتين، لأن أحوال البشر ليست كلها واحدة. فإذا شرب المرء مرة ثانية فهذا أيضا لا بأس به أن يكتفي بالقليل.

⌖ ١٥٩ – سؤال من الأب نفسه للشيخ الكبير: نتوسل إليك أن تقول لنا إن كان الله يطلب من الإنسان بقدر إمكانياته، وذلك حتى لا يخلط إطلاقًا بين رخاوته وما يظن دائما أنه لا يستطيع أن يعمل سواه. فكيف يعرف مقدار إمكانياته الحقيقية؟

إجابة الأب برصنوفيوس:

لقد أعطى الله الإنسان ضميرا لتمييز الأشياء. فإن كان الإنسان - بسبب التعب من الترحال أو سفريات شاقة جدا – لا يمكنه أن يراعي نفس مقدار الطعام مثل بقية الأيام، ولكنه يضطر أن يتنازل قليلاً لأجل جسده، فمثلاً إذا كان ينبغي أن يأكل كل يوم نصف رغيف خبز ويضيف عليه أوقية بسبب الإرهاق؛ فهو يعمل ما في استطاعته ألاّ يأكل أكثر من ذلك. وإن كانت له عادة أن يقوم في نصف الليل ويستريح ساعةً أكثر بسبب التعب، فهو يعمل بقدر استطاعته. فالتعب، إذن، يكون له إشارة إلى أنه يجب أن يرتاح قليلاً كما قال. ثم إنه عندما يأخذ غذاءه المعتاد، فهذه علامة على أنه يجب أن يستعيد أيضا السهر المعتاد. فهو يعمل قدر طاقته، يستريح قليلاً من ناحية الشبع إما لأجل التغذية أو لأجل النوم. وإذا سألت عن مقدار النوم، فقد حدده الآباء بنصف الليلة. أما عن

مقدار الطعام، فهو يتكون من رؤية ما يريد دائما أن يتناول منه القليل.

⌖ ١٦٠ – سؤال من الأب نفسه للشيخ الآخر: ما هو المقدار المثالي الذي يجب تناوله من الخمر والطعام المطبوخ كل يوم لمن يعيش منفردا؟ وكيف كان الآباء يمارسون نظاما صارما جدا؟

إجابة الأب يوحنا:

بخصوص الخمر، فيكفي لمن صحته جيدة والذي يريد أن يراعي الاعتدال والزهد أن يتناول كأسا واحدةً في اليوم لا أكثر. أما الذي يعاني من أمراض متواترة، فليتناول كأسين ممتلئتين. ونفس الأمر بخصوص الأطعمة، فيجب أن يتناول المرء ملء طبق ويكون بلا هم بخصوص ذلك. أما عن الآباء، فإن كانوا قد تمسكوا بنظام صارم فذلك لأنهم وجدوا أن ذلك يجعل أجسادهم طائعةً لهم. أما عن باقي الأمور، فإن الذين يتصرفون جيدا وبإفراز، فهم يبالون بأجسادهم وطبيعتهم. صل من أجلي.

⌖ ١٦١ – سؤال من الأب نفسه إلى الشيخ نفسه: قاعدة الاعتدال (أو الزهد) التي أعطيتني إياها، هل يجب أن تكون عامة للجميع، أم أن الآباء كانوا يردون على من يسألهم حسب حالة كل منهم؟

إجابة الأب يوحنا:

إن ما قلته لك، يا أخي، بخصوص الاعتدال أقوله للذين هم معنا وبحسب تقديري. إذن، فإذا أتخذنا الوسط تماما نصل قليلاً قليلاً إلى ما هو أفضل. فلا يجب علينا إذا وضعنا قدما على الدرجة الأولى من السلّم أن نرغب أيضا في وضع الأخرى على الدرجة الأخيرة. لأن الذين يبلغون إلى القامة التي أشار إليها الرسول يمكنهم أن «يشبعوا وأن يجوعوا ..» (في٤: ١٢) لأنهم قد تدربوا على كل شيء (كما تقول هذه الآية نفسها). أما بخصوصك أيها الأخ فأنت تعرف قامتك. وفي حالة التجربة خذ أوقية واحدة من الطعام وأيضا قليلاً من الشراب.

⌖ ١٦٢ – سأل أخ الشيخ نفسه: أيها الأب، ما هو تناول الطعام بشهوة وتناوله بحسب الطبع؟

إجابة الأب يوحنا:

الأكل بشهوة هو اشتهاء تناول الطعام ليس لأجل حاجة الجسد بل بسبب الشراهة (أو النهم أو الجشع). فإذا رأى المرء أن طبعه يفضل لأجل باعث صحيح بقول خضراء

مثلاً عن البقول الجافة ليس لأجل الشهوة بل لأ ا أكثر خفّةً (أي أسهل هضما)، يكون الحال مختلفًا. فتوجد طباع تفضل أطعمة عذبة، وأخرى تفضل المالحة، وأخرى تفضل أطعمة حامضة، وهذا ليس من قبيل الهوى ولا الشهوة ولا الشراهة. ولكن الرغبة في تلك الأشياء واشتهائها تكون ثقلاً، فهي شهوة لخدمة الشره. فكّر في ذلك حينما يهاجمك وجع الشره ويقمع أفكارك. وإذا فعلت عكس ما توحي به إليك أفكارك بالاعتدال في الطعام حسب الحاجة، فهذا لا يكون شرها.



الفصل الثالث

قصص وأقـوال

الآبـاء غير المعروفين

(المجموعة الأولى)

Les Sentences des Pères du Désert
Série des Anonymes

✦✪❖✪✦

طلب السكون وملامة النفس والهروب من الناس

قال شيخ: "يجب على الراهب أن يشتري هدوءه (سكونه) كلما سنحت الفرصة ولو أدى ذلك إلى خسارة جسدانية"[١].

قيل إنه كان يوجد ثلاثة رهبان قد تآخوا (أي صاروا إخوة) في الرب، وكانوا يحبون التعب. فاختار أحدهم أن يصلِح بين المتخاصمين كقول الرب: «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون» (مت٥: ٩)، واختار الثاني زيارة المرضى وخدمتهم كقول الرب: «كنت مريضا فزرتموني» (مت٢٥: ٣٦)، ولكن الثالث ذهب إلى البرية لكي يعيش في سكونٍ وصلاة في خدمة الرب وحده كما قال الرسول بولس: «صلوا بلا انقطاع» (١تس٥: ١٧).

ضجر الأول من خصومة الناس، ورغم كل أتعابه لم يستطع أن يرضي الجميع ويصنع سلاما بين جميع المتخاصمين، وفي حزنه ذهب إلى صاحبه الذي كان يفتقد المرضى فوجده أيضا متضجرا لأنه لم يستطع أن يتمم تلك الوصية أيضا. فذهب كلاهما معا إلى المتوحد في البرية وأخبراه بحالهما وطلبا منه أن يخبرهما ماذا يفعلان. فسكت قليلاً ثم سكب ماءً في آنيةٍ وقال لهما: "أُنظرا إلى الماء"، فنظرا إليه وهو مضطرب وقالا: "إننا لا نرى شيئًا". وبعد أن هدأ الماء قال لهما: "أُنظرا الآن". فنظرا وإذ بالماء يريهما وجهيهما كما في مرآة. فقال لهما: "هكذا أيضا الإنسان الذي يعيش بين الناس، فبسبب إزعاجاتهم لا يمكنه أن يرى خطاياه، ولكنه إذا عاش في هدوء، ولا سيما في البرية، فحينئذٍ يرى نقائصه"[٢].

سأل إخوة شيخًا: "لماذا قال بعض الشيوخ إنّ الذي هو في العالم مع الناس لا يبصر

---

(1) An., 1133 / 1 ; س ٤ ص ٩٧

(2) An., 1134 / 2 ; W. & W., I: 3 ; س ٤ ص ١٠٣

خطاياه، بل في الهدوء وفي البرية"؟ **فأجاب الشيخ:** "بسبب سجس ودهش (أي مسرات) العالم لا يتفرغ للنظر في خطاياه، كما قال ذلك الشيخ للأخوين اللذين كان أحدهما يخدم المرضى والآخر يصلِح بين الناس عندما ملا (أي شعرا بالملل) وتكاسلا: 'إنّ الذي في العالم ويعمل فضائل، فبسبب سجسه لا يبصر خطاياه، ولكنه إذا صار في الهدوء يتفرغ لذلك ويصل إلى طهارة القلب التي ا يعاين الله'"[٣].

أخبر شيخ عن أخ أراد أن يترهب وكانت أُمه تمنعه، ولكنه لم يتزعزع عن عزيمته قائلاً: "أريد أن أُخلص نفسي". ورغم المحاولات الكثيرة لم تستطع أُمه أن تمنعه، وأخيرا تركته يذهب، فترهب وبدد حياته بالتواني.

ثم توفيت أُمه، وحدث بعد ذلك أنّ مرضا خطيرا أصابه، ثم اختطِفت روحه إلى موضع الدينونة حيث رأى أُمه مع الذين سيدانون، ولما رأته ذُهِلَت وقالت: "ما هذا يا ولدي؟ وأنت أيضا جئت إلى هنا؟ وأين قولك لي: أريد أن أخلص نفسي"؟ فظل هناك متحيرا لا يعلم بماذا يجيبها! ثم سمع صوتا يقول: "خذه من هنا، لقد أرسلتك إلى راهب آخر له نفس الاسم في الدير الفلاني". ولما رجعت نفسه إليه أخبر بذلك الحاضرين عنده. ولكي يثبت لنفسه صحة ما حدث أرسل واحدا إلى دير الراهب الذي سمع اسمه لكي يعلم إن كان قد توفي فعلاً. فذهب الرسول ووجد أن هذا قد حدث بالفعل، فعلم أن الله الرحوم قد افتقده ونبهه.

ولما شفي من مرضه حبس نفسه وبدأ يهتم بخلاص نفسه بالتوبة والبكاء على حياة التواني السالفة. وكانت توبته عظيمة ودموعه غزيرة حتى إنّ الكثير من الآباء طلبوا منه أن يكف عن البكاء قليلاً لئلاّ يصاب بأذى، فلم يسمع لهم قائلاً: "إن كنت لم أحتمل تعيير أُمي، فكيف سأحتمل الخزي والعار في يوم الدينونة أمام المسيح والملائكة القديسين"[٤]؟!

قال شيخ: "لو كان ممكنا حينما يأتي المسيح بعد القيامة أنّ نفوس الناس تموت من الخوف، لمات العالم كله من الرعب والفزع. أي مشهدٍ سيكون عند رؤية السموات تنشق ويظهر الله نفسه في غضبه وسخطه، وكل جيوش الملائكة غير المحصاة وكل البشرية مجتمعة؟! فيجب علينا، إذن، أن نعيش كأننا سنعطي حسابا لله كل يوم عن سلوكنا في الحياة"[5].

ذهب أخ إلى شيخ وسأله: "يا أبي، لماذا قلبي هكذا قاسيا؟ ولماذا لا أخاف الله"؟ فقال له

---

(٣) س ٩، الجزء الرابع، رقم ١٠ ص ٨٩.

(4) An., 1135 / 3 ; Ch., 1 ; س ٤ ورقة ١٠٩

(5) An., 1136 / 4 ; Ch., 2.

الشيخ: "في رأيي أنه إذا احتفظ الإنسان في قلبه بذكر الملامات التي يستحقها فإنه يقتني مخافة الله". فقال له الأخ: "ما تتكون هذه الملامات"؟ فقال له الشيخ: "في كل عمل يبكت الإنسان نفسه قائلاً لها: 'تذكّري أنكِ ينبغي أن تحضري أمام الله'. كما يجب أن يقول لنفسه أيضا: 'مالي وللآخرين'؟ أعتقد أنه إذا عاش ذه الطريقة تأتيه مخافة الله"[٦].

أبصر شيخ أخًا يضحك، فقال له: "يا ابني نحن مزمعون أن نعطي حسابا لله عن كل أمورنا وسيرتنا أمام الملائكة والسماء والأرض، وأنت تضحك"[٧]؟!

قال شيخ: "كما نحمل ظلّنا معنا أينما ذهبنا، كذلك يجب أن تكون الدموع والندامة معنا في كل مكان حسبما قيل: «أعوم كل ليلةٍ سريري، وبدموعي أبلّ فراشي» (مز٦: ٦ حسب الترجمة القبطية)"[٨].

سأل أخ شيخًا: "ماذا يجب أن أفعل يا أبي"؟ فقال له الشيخ: "جيد أن نتنهد وننوح دائما. لقد حدث أن أحد الشيوخ فارق الحياة ثم بعد مدة (نحو ساعة) رجعت إليه روحه، فسأله الإخوة: 'ماذا رأيت هناك أيها الأب'؟ فقال بدموعٍ كثيرة: 'سمعت هناك صوت بكاء كثيرين كانوا يصرخون وينوحون بلا توقف قائلين: الويل لي، الويل لي'! ولذلك علينا أن نقول مثلهم دائما"[٩].

سأل أخ أحد الشيوخ قائلاً: "تشتاق نفسي إلى الدموع، كما سمعت أن الشيوخ يشتاقون إليها، ولكنها لا تريد أن تأتيني، ونفسي متضايقة". فقال له الشيخ: "إنّ بني إسرائيل دخلوا أرض الميعاد بعد أربعين سنة، فالدموع هي أرض الميعاد، وطالما أنك تريد أن تدخلها فلا تخف من الجهاد، لأن الله يريد الضيق للنفس ذه الطريقة حتى تصير مشتاقة في كل الأوقات للدخول إلى أرض الميعاد"[١٠].

سأل أحد الإخوة شيخًا بخصوص القول السابق قائلاً: "كيف تكون الدموع هي أرض الميعاد عند الشيوخ في حين أننا نرى شبانا مبتدئين كثيرين يبكون كثيرا"؟ **فأجاب الشيخ:** "إذا افترضنا أن الشبان والشيوخ يبكون، ولكن يوجد فرق كبير بين بكاء هؤلاء وأولئك، لأنّ من الناس من يبكي كثيرا بحسب طبيعته كالنساء والصغار، لأن الرطوبة والحرارة تغلب على مزاجهم، ومنهم من يبكي بدون وجع قلب، ومنهم من يبكي من الغيظ إذا لم يقدر أن يجازي الذي أغضبه، ومنهم من يبكي من المحبة مثل الذي

---

(6) An., 1138 / 6 ; W. & W., II: 76, 512 ; Ch., 3.
(7) An., 1139 / 7 ; Ch., 7 ; س ٤ ص ١٤٩
(8) An., 1140 / 8; س٤ ورقة ١٢٠
(9) An., 1141 / 9; W.& W., I: 157; س ٤ ورقة ١٣٧
(10) An., 1142 / 10 ; W. & W., I: 148.

يجد صاحبه بعد زمانٍ طويل. أما بكاء الشيوخ فمعظمه موهبة من النعمة وليس من الطبع، وذلك إذا غصب المتوحد نفسه في كل شيء حين يسكب الدموع من وجع القلب وندمه على خطاياه السالفة ونقائصه كل يوم وعجزه عن الفضيلة، فإذا أُعطيت له هذه الدموع فليتحفظ من العظمة، لأن الكبرياء مقرونة بالدموع من كل ناحية سواء كانت الدموع من المزاج أو من الوجع أو من النعمة إن لم يحترس الإنسان".

"إنّ كثيرين يبكون بسبب خطاياهم، ولكنهم إذا أخطأوا الغرض من الدموع اختلّت حيا م. فلو كان لك ينبوع دموع فلا تتكبر في قلبك بأنك أفضل من كثيرين لئلاّ تهلكك فضيلة الدموع التي ا يستنير القلب ويبصر مجد المسيح. ولا يخف المتوحد من القتال عندما تكون الدموع على خديه كل حين بالصلاة".

"والطوباوي مرقس يقول محذرا: 'إن كانت لك دموع في صلاتك فلا تتكبر'. وكما أن الدموع على نوعين كذلك مخافة الله نوعان، فالمبتدئون إنما يخافون من أحكام الله ولم تصل درجتهم إلى أن يخافوا من الله. كما قال الطوباوي مرقس: 'إن المبتدئين ليس من الله يخافون، بل من أجل الضيق لئلاّ يأتي عليهم في العالم. أما الكاملون فيخافون من الله ليس مثل العبيد الأشرار بل مثل الأولاد الأحباء يخافون ويكرمون أباهم'".

"كما أنّ أحد الإخوة سأل شيخا قائلاً: 'ما السبب في أنّ نفسي قاسية ولا تخاف من الله'؟ فأجابه قائلاً: 'النفس يا ابني تشاء أن تخاف من الله، ولكن لم يحلّ زما ا بعد، لأن مخافة الله هي الكمال'. وكذلك أيضا المحبة نوعان: للصبيان وللشيوخ، فالصبيان يحبون خيرات الله، أما الشيوخ فيحبون الله"(١١).

سأل أخ شيخًا: "كيف أخلص"؟ فخلع الشيخ رداءه ومنطق به حقويه، ورفع يديه نحو السماء قائلاً: "يليق بالراهب أن يتعرى من الدنيويات كما أنني عريان من الملابس، ويجب أن يصمد في صراعه مع أفكاره مثل بطلٍ قوي، والبطل عندما يصارع يقف هو أيضا عاريا، وعندما يدهن بزيت (قبل المصارعة) يكون عاري الجسم تماما، وهو يتعلّم من مدربه (أي من أبيه الروحي) كيف يصارع. وعندما يحاربه العدو يلقي عليه ترابا الذي هو أمور هذا العالم حتى يمكنه أن يمسك به بسهولة. فعليك أيها الراهب أن ترى ذاتك بطلاً، والله هو الذي يريك كيف تصارع، لأنه هو الذي يعطي النصرة ويغلب لأجلنا، والذين يصارعون هم نحن أنفسنا، والمصارعون معنا هم الذين يناوئوننا، والتراب

(١١) س ٩ رقم ٦٠ ص ١٣٥.

هو أمور العالم، وحيث ترى مكر العدو فا ض وقاومه وأنت عار إذ تحررت من كل اهتمامٍ يخص هذا العالم، وبذلك تغلبه. لأنه عندما يثقل الذهن باهتمامات العالم لا يمكنه أن يتلقّى كلمة الله المقدسة"(١٢).

ضبط النفس والاعتدال والزهد والقناعة

كان الرهبان يحتفلون بأحد الأعياد في الأسقيط، وأعطوا أحد الشيوخ كأسا من الخمر، فرفضها قائلاً: "ابعدوا هذا الموت عني". فلما رأى الآخرون الذين كانوا يأكلون معه ما فعله رفضوا هم أيضا أن يأخذوا من الخمر(١٣).

سأل الإخوة شيخًا: "لماذا فعل الشيخ ذلك (في القول السابق)"؟ **فقال الشيخ:** "هذا الشيخ كان قد أمسك عن شرب الخمر، وربما كان عنده قتال الزنى الصعب الذي كان عند أنبا باخوم، فلما أخذ الكأس أحس بلذّةٍ قبلتها نفسه فرده وسماه "موت الخطية". أما بقية الشيوخ فربما لم يكن عندهم قتال مثله، ولكنهم لأجل الشيخ ولأ م تذكروا زمان حرو م أمسكوا نفوسهم في ذلك اليوم عن شرب الخمر. وكان القديس أنبا مقار إذا جلس مع الإخوة لا يشرب إلاّ كأسا واحدةً ثم يمتنع عن شرب الماء ذلك اليوم البتة"(١٤).

كان أحد الإخوة جائعًا في صباح أحد الأيام، ولكنه حارب هواه وعزم على ألاّ يأكل حتى الساعة الثالثة من النهار، ولما حانت الساعة الثالثة بل خبزه في الماء وجلس يأكل، ولكنه أجبر نفسه أن ينتظر حتى الساعة السادسة، وعندئذٍ قال في نفسه: "انتظر حتى الساعة التاسعة". ولما حانت الساعة التاسعة صلى ثم رأى عمل الشيطان يصعد أمامه مثل الدخان، وهكذا أقمع رغبته في الأكل ثم فارقه الجوع(١٥).

سكن أخ في **قلاية** مع أحد الآباء، ثم أخبره بفكرٍ كان يضايقه، فقال له الشيخ: "لقد تركت الخدمة الجليلة التي لمخافة الله تسقط على الأرض، وأمسكت بعصا من البوص التي هي الأفكار الشريرة، فاتخذ لنفسك مخافة الله، التي هي النار، وبمجرد أن تقترب منك هذه الأفكار ستحترق كالقصب (البوص)".

وهذا الأب كان - بحسب رواية تلميذه عنه - شيخا عظيما، ولمدة عشرين سنة لم يرقد على أي من جنبيه، بل كان ينام على المقعد الذي كان يجلس عليه ليعمل، وأحيانا كان يأكل مرة واحدة كل يومين، وأحيانا أخرى مرةً كل أربعة أيام، وأحيانا مرة كل خمسة أيام، وعاش

---

(12) An., 1143 / 11 ; W. & W., I: 164. (13) An., 1144 / 12 ; W. & W., I: 78 ; Ch., 16.
(15) An., 1145 / 13 ; W. & W., I: 70. (١٤) س ٩ رقم ٤٧ ص ١٢٣.

ذه الطريقة عشرين سنة. وعندما كان يأكل كان يبسط إحدى يديه للصلاة ويأكل بالأخرى، فسأله تلميذه: "ما هذا الذي تفعله يا أبي"؟ فقال له: "لأنني أضع دينونة الله أمام عيني فلا يمكنني أن أكون متغافلاً، لأنني أضع في فكري خطاياي الكثيرة"(١٦).

ذهب أخ لمقابلة شيخ مختبر جدًا وقال له: "أنا متضايق". فقال له الشيخ: "امكث في قلايتك والله سيمنحك راحة"(١٧).

أرسل أناس مرةً إناء (برميل) خمر، كتبرع من باكورات الأرض، إلى الأسقيط لكي يعطَى منه كأس لكل أخ، ولكن أحد الإخوة صعد إلى سطح أحد المباني لكي يهرب من الشرب، فانشق السطح من تحته وسقط الأخ منه، فلما سمع الإخوة الصوت ذهبوا فوجدوه مطروحا على الأرض، ففكروا بخصوصه ووبخوه قائلين: "أيها المحب للمجد الباطل، لقد حدث لك ذلك بحق". ثم جاء أحد الشيوخ وحمله قائلاً: "أُتركوا ابني، فقد صنع حسنا، وحي هو الرب إنّ هذا السقف لن يعاد بناؤه في أيامي حتى يعلم الكل أنه قد حدث صدع في الأسقيط بسبب كأس من الخمر"(١٨).

سأل إخوة شيخًا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "هذا الأخ كان فاضلاً جدا وناسكًا، ولما صعد إلى السطح ليختفي حسد الشيطان نسكه فشق السقف تحته حتى يموت أو ينكسر بمرضٍ فيحلّ نسكه، ولكن الرب حفظه. ولما رأى الشيطان أن إرادته لم تتم جعل الإخوة المنحلين يشتمونه. أما رئيس الدير فكان عالمًا بحسد الشيطان وصبر الأخ وفضيلته، ولذلك لم يتركهم يصلحون السقف، وكان كل من يأتي إلى الدير يرى ذلك الموضع ويسأل فيعلم حرب الشياطين على المتوحدين العمالين ومعونة الله لهم"(١٩).

ذهب أحد الشيوخ لزيارة شيخ آخر، وهذا قال لتلميذه: "أعد لنا قليلاً من العدس". ففعل. ثم قال له: "وبِلّ لنا بعض الخبز". ففعل. وظلّ الشيخان يتحدثان في أمور روحية حتى الغد إلى وقت الساعة السادسة. ثم قال الشيخ لتلميذه مرةً أخرى: "أعد لنا قليلاً من العدس يا ابني". فقال: "إنه معد منذ أمس". وحينئذٍ أكلوا(٢٠)!

ذهب أحد الشيوخ إلى أحد الآباء القديسين كان رفيقًا له، وكان قد طبخ قليلاً من العدس، فقال له: "دعنا نرتل بعض الصلوات". ثم رتل جميع مزامير داود النبي، وتلا رفيقه سفرين من الأنبياء الكبار، ولما جاء الصباح رجع الشيخ إلى مكانه ونسيا كلاهما

(16) An., 1146 / 14 ; W. & W., I: 252.
(17) An., 1147 / 15.
(18) An., 1148 / 16 ; W. & W., I: 79 ; Ch., 17.
(١٩) س ٩ رقم ٤٨ ص ١٢٤.
(20) An.,1149 /17;Ch., 21.

كل شيء عن الطعام. ثم ذهب الشيخ في المساء التالي ووجد الطعام الذي كان مطبوخا كما هو، فتأسف وقال: "كيف أننا نسينا هذا العدس القليل ولم نأكله"[٢١]؟!

سأل إخوة شيخًا عن معنى القول السابق، **فقال الشيخ:** "درجات كثيرة مرتبة في جوسق الفضيلة التي ا يصعد الآباء إلى الدرجة العالية، فإذا وصلوا إلى الكمال - كما قال أنبا بيمين - لا يحتاجون إلى قوانين المبتدئين، بل يعملون بإفراز كثير الذي هو طقس الكمال، فبسبب كمال هذين القديسين صارا خارجين عن حد البشرية والمحسوسات وارتفعا في الروحانيات. فعندما قاما ليرتلا فمن حلاوة طعام النفس الخفية نسيا ذلك الطعام. ـذه الصورة الحسنة كان الآباء القديسون أهل ذلك الزمان إذا وقفوا للصلاة فإ ـم أحيانا يصلون في أذها ـم وأحيانا يتلون الكتب (الأسفار) وهم قائمون على أرجلهم: الإنجيل والرسائل وكتب الأنبياء. وأحيانا إذا بدأوا في الصلاة كان ذهنهم يختطف في الحال بالنعمة إلى عجائب الله لمدة يوم أو اثنين أو ثلاثة ولا يشعرون بتعب الجسد"[٢٢]!

كان أحد الشيوخ مريضًا ولم يقدر أن يتناول غذاءً أياما كثيرة، فحثّه تلميذه أن يتناول قليلاً من الطعام المغذي، ثم ذهب ليعده وأحضره إليه ليأكل. وكانت هناك آنية معلّقة ا قليل من العسل وأخرى ا زيت بذر كتان رائحته رديئة ويستعمل في الإضاءة، فحدث التباس على الأخ وبدلاً من العسل صب من ذلك الزيت في طعام الشيخ، ولما أكل الشيخ لم يتكلم ولكنه أكل في صمت، ثم حثّه تلميذه أن يأكل مرةً أخرى، فأكل بتغصبٍ، ثم حثّه التلميذ أن يأكل مرةً ثالثة، ولكنه رفض أن يأكل قائلاً: "في الحقيقة يا ابني لا يمكنني أن آكل أكثر من ذلك". فلكي يشجعه قال له: "ولكنه جيد يا أبي، وها أنا أيضا سآكل معك". فأكل الأخ وفهم ما فعله، فانطرح عند قدمي الشيخ قائلاً: "الويل لي، لقد قضيت عليك، وأنت لم تنسب إلي الخطأ ولم تقُل شيئًا"! فقال الشيخ: "لا تحزن، فلو أراد الله أن آكل عسلاً لكنت أنت صببت عسلاً"[٢٣]!

يحكى أنّ شيخًا اشتهى يوما ما أن يأكل تينا، فأخذ واحدةً وعلقها أمام عينيه ولم يغلَب من شهوته، وندم ووبخ نفسه ـرد وجود هذه الشهوة فيه[٢٤].

ذهب راهب إلى ديرٍ للنساء ليزور أخته لأ ا كانت مريضة، وكانت متقية لله جدا وثابتة في إيما ا، ولم تسمح لنفسها برؤية وجه رجل ولا حتى أخاها لئلاّ بواسطتها يدخل هو وسط النساء. فأرسلت إليه قائلةً: "اذهب يا أخي وصل لأجلي حتى يجعلني

(21) An., 1150 / 18 ; W. & W., I : 64; D.F., p.72; LVI.
(٢٢) س ٩ رقم ٣٨ ص ١١٥.
(23) An., 1151 / 19.
(24) An., 1152 / 20.

المسيح بنعمته مستحقةً أن أراك في ملكوت السموات"[٢٥]!

كان أحد الرهبان سائرًا في **طريق** وقابل بعض الراهبات، فمال خارجا عن الطريق (ليبتعد عنهن)، فقالت له مقدمتهن: "لو كنت راهبا كاملاً لما كنت اعتبرتنا نساء"[٢٦]!

أحضر أحد الإخوة من القلالي بعض الخبز الطازج، ودعا جميع شيوخ الأسقيط إلى المائدة، ولما أكل كل منهم خبزتين توقّفوا عن الأكل. وكان الأخ يعلم حيا م النسكية وقلّة أكلهم وأ م لا يشبعون من الطعام إطلاقًا، فاستسمحهم قائلاً: "من أجل الرب كُلوا اليوم حتى تشبعوا". فلما سمعوا ذلك أكلوا كل واحد عشر خبزات إضافية. كل ذلك يظهر كم كانوا يضيقون على أنفسهم ولا يشبعون بأي نوع من الطعام[٢٧].

أصاب أحد الشيوخ مرض شديد في معدته وخرج منه دم كثير، وكان أحد الإخوة عنده بعض البرقوق ا فّف، فبسبب مرض الشيخ العنيف طبخ قليلاً من الطعام ووضع فيه بعضا من البرقوق، وأحضره إليه وتوسل إليه قائلاً: "يا أبي، اصنع محبةً وخذ قليلاً من هذه السبيكة، لأ ا ربما تكون لها فائدة لك". فرفع الشيخ عينيه ونظر إليه وقال: "في أي من أسفار الكتاب المقدس وجدت هذا الشيء؟ حقيقةً إنني أريد أن يتركني الله في هذا المرض ثلاثين سنة، «لأني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي» (٢كو١٢: ١٠)". ورغم أن الشيخ كان مرضه شديدا فلم يأخذ حتى القليل من هذا الطعام، ولما رأى الأخ ذلك أخذه وعاد إلى قلايته[٢٨].

سأل إخوةٌ شيخًا بخصوص القول السابق قائلين: "لماذا لم يقبل هذه الراحة اليسيرة لأجل مرضه؟ وهل هذا يلوم الذين يقبلون راحةً وشفاءً لأمراضهم"؟ **فأجاب الشيخ:** "هذا القديس من عظم فرحه بمرضه لم يشأ أن تقترب منه الراحة، وهكذا أيضا أنبا شيشوي الشيخ العظيم الذي كان في جبل الأب أنطونيوس، لما ذهب إليه أحد الشيوخ، وهو رئيس دير بالأسقيط، ووجده مريضا بمرضٍ شديدٍ ويخرج منه دم كثير، لأنه كان لا يأكل إلاّ العدس، قال له: 'لماذا لا تقبل شفاءً لمرضك ولو بأن تأكل خبزا فقط'؟ فأجابه أنبا شيشوي: 'إن كنت أنا أشعر بفرحٍ خفي في نفسي بسبب صبري في مرضي الذي أنا شاكر لأجله، فإنني أشتهي ضيقات أكثر من ذلك'"!

ويعلق ناسخ المخطوطة على ذلك بقوله: "إنه لا يلوم ولا يدين الذين يقبلون راحةً في

(25) An.,1153 /21; W. & W., II: 517.
(26) An.,1154 /22; W. & W., II: 32.
(27) An., 1155 / 23 ; W. & W., I: 71.
(28) An., 1156 / 24 ; W. & W., I: 66.

وقت مرضهم، بل إنه يريد أن يكشف عن المواهب المختلفة والعطايا الكثيرة التي ينالها القديسون من نعمة الله كل واحدٍ على قدر رحبه (أي اتساع قلبه) وإيمانه وما له فيه ربح"[٢٩].

أحد الشيوخ عاهد نفسه ألاّ يشرب ماءً طوال الأربعين المقدسة، وعندما كان يشعر بالعطش كان يغسل قُلّة ويملأها بالماء ويضعها أمامه. فسأله الإخوة لماذا كان يسلك هكذا، فقال: "حتى أتعب أكثر وآخذ أجرتي من الله". قال لهم ذلك لكي يحثّهم على كثرة الأتعاب[٣٠].

كان أخ مسافرًا، وكانت أُمه العجوز معه، ووصلوا إلى ر لم تستطع العجوز أن تعبره، فأخذ ابنها شاله وربط به يديه حتى لا تلمسا جسد أُمه، وحملها هكذا عبر النهر. فسألته أُمه: "لماذا يا ابني ربطت يديك بالشال قبل أن تحملني عبر النهر"؟ فقال: "إنّ جسد المرأة نار، وبواسطة جسدكِ يأتي على فكري جسد امرأة أخرى، ولهذا السبب فعلت ذلك"[٣١].

قال شيخ: "إنني أعرف أخا من منطقة القلالي اعتاد أن يصوم أسبوع الفصح (الآلام) كله، ولما كان الإخوة يجتمعون في عشية السبت (أي ليلة عيد القيامة)، اعتاد هو أن يهرب إلى قلايته لئلاّ يأكل شيئًا مما يوضع على المائدة، وكان يعمل لنفسه في قلايته قليلاً من السلق ويأكله بملحٍ بدون زيت أو خبز، وذلك لكي يخفي زهده"[٣٢].

استدعى مرةً البابا ثيئوفيلس (الـ٢٣) **بعض الآباء،** فذهبوا إليه في الإسكندرية لكي يصلوا معا ويطهروا هيكلاً للأصنام، وإذ كانوا يأكلون معه وضع أمامهم لحم عجل، فأكلوا منه ببساطةٍ غير متشككين. ثم أخذ البطريرك قطعة لحم ليعطيها لأحد الشيوخ الذي كان قريبا منه قائلاً: "اُنظر قطعة اللحم هذه أيها الأب، إ ا جيدة فكُلها". فأجابوا جميعا قائلين له: "ها نحن حتى الآن كنا نأكل خضروات (أو بقول)، أما إذا كان هذا لحما فنحن لا نأكل اللحم". ولم يأكل أحد منهم بعد ذلك شيئًا[٣٣].

الصراع مع الشهوات وتعظم المعيشة

حورب أحد الرهبان بقتال الزنى الذي كان في قلبه كنارٍ متقدة ارا وليلاً، ولكنه احتمل هذا الضيق ولم يستسلم. وبعد مدة طويلة فارقه هذا القتال، ولكنه في الحقيقة لم يستطع أن يتغلّب عليه إلاّ بصبره واحتماله، وللحال امتلأ قلبه نورا[٣٤].

---

(٢٩) س ٩ جزء ٤ رقم ٤٠ ص ١١٨.

(30) An.,1158 / 26 ; W. & W., I: 68.

(31) An., 1159 / 27; W. & W., I: 392.

(32) An., 1160 / 28; W. & W., I: 103; س ٤ ص ١٢٩

(33)An.,1162/ 30; W.& W., II: 528.

(34) An., 1163 / 31; W. & W., I: 559.

سأل إخوةٌ شيخًا بخصوص القول السابق قائلين: "ما معنى كونه لم يـ ل بفكرته إليه (أي لم يستسلم)؟ وكيف امتلأ قلبه نورا"؟ **فقال الشيخ:** "قوله إنه لم يـ ل بفكرته إليه يعني أنه ما كان يترك ذكر الله والصلاة الخفية وينخدع بأفكاره بالزنى الذي كان يتصور في قلبه، بل كان يغصب نفسه ويقطع هواه وشهوته لأجل شهوة حب الله، إذ يقارن الشهوة بالأخرى والمحبة (الجسدانية) بالمحبة (الإلهية). وقوله: لما غلب الوجع أشرق النور في ذهنه، فهذه هي خاصية الطهارة والاتضاع اللذين باقتنائهما يضيء النور في القلب. وكذلك إذا غلب المتوحد الـ ـد الباطل ويرتفع إلى علو الاتضاع يهبط على قلبه نور إلهي وقت الصلاة"(٣٥).

وحورب أخ آخر أيضًا بالزنى، فقام بالليل وذهب إلى أحد الشيوخ وأفشى له سره وطلب منه أن يصلي لأجله. فعزاه الشيخ وشجعه، ورجع الأخ إلى قلايته. فاشتد عليه القتال وعاد أيضا إلى الشيخ فأعانه، وفعل ذلك عدة مرات، وكان الشيخ لا يحزنه بل يكلمه بما فيه منفعة نفسه، وقال له: "كلما حاربك هذا الشيطان تعال وبح بأفكاره (أي اكشفها)، فإنه لا شيء يبعِد شيطان الزنى مثل كشف أفكاره وأعماله وفضحها، ولا شيء يفرحه مثل كتما ـا".

وفي تلك الليلة ذهب ذلك الأخ إلى الشيخ أحد عشر مرةً ليكشف له أفكاره لأنه كان يحتاج إلى معونة. وعندما كان الشيخ يكلمه كان الشيطان يهرب، وعندما كان يعود إلى قلايته كان يأتي عليه. وأخيرا قال الأخ للشيخ: "اصنع محبة يا أبي وقُلْ لي كلمة أحيا ـا". فقال له الشيخ: "تشجع يا بني، وثق أنه لو جعل الله فكري وقتالي عليك لما احتملت بل كنت تسقط إلى العمق". ولما قال الشيخ ذلك باتضاع كف الله القتال عن الأخ(٣٦).

سأل إخوة شيخًا عن معنى القول السابق، **فقال الشيخ:** "حدث ذلك مع هذا الأخ لأنه باهتمام الشيخ به وتألمه معه وصلاته كان يساعده إذا جاء إليه فقط، فإذا فارقه يهتم بنفسه لا بقتال الأخ. ولما عبر الليل أراد الأخ أن يعلم منه السبب، ففكّر الشيخ وعلم أن السبب منه هو، فشدد الأخ وقال له: 'أنا الذي توانيت لأنني ما كنت أهتم بك بالتألم والصلاة إذا عدت إلى قلايتك كما كنت أفعل معك عند مجيئك إلي'. فلما اتضع الشيخ ولام نفسه أبطل الله برحمته القتال عن الأخ ومجد كلاهما الله. وهذا القول هو لتعليم وتحذير الشيوخ حتى إذا جاء إليهم إخوة متضايقين من القتال يصلون لأجلهم ليس

---

(٣٥) س٩ رقم ١٥٩ص ٢٤٦.

(36) An., 1164/ 32; W. & W., I:560; س ٤ ورقة١١١

في وجودهم فحسب، بل حتى بعد ذها م لا يفترون من الصلاة لأجلهم والاهتمام م حتى يرتاحوا من قتالهم"[٣٧].

كان أخ آخر محاربًا بقتال الزنى، وقد احتمله لمدة ١٤ سنة بضبط نفس عظيم جدا، وكان يحرس ذهنه ضد الخضوع للشهوة، وأخيرا جاء إلى الكنيسة وأظهر الأمر للجميع. فلما سمعوا تألّموا لذلك وصلوا لأجله أسبوعا كاملاً، وأخيرا فارقه هذا القتال[٣٨].

سأل إخوةٌ شيخًا: "هذا الأخ صبر على قتال الزنى ١٤ سنة ثم أظهره للجميع في الكنيسة وصلوا لأجله فبطل عنه القتال، في حين أن أخا آخر احتمل هذا القتال لمدة طويلة ثم أضاء ذهنه، فلماذا لم يكشف هذا الأخير قتاله للمجمع مثل الآخر ومع ذلك تغلّب عليه وأضاء ذهنه"؟ **فقال الشيخ:** "لأن هذا الأخير كان يعمل باتضاع، فمن أجل اتضاعه استحق نور الذهن المقدس، أما الآخر فربما كان متكلاً على نسكه الشديد وعمله الكثير، فلما اتضع وكشف تجربته وصلوا عليه خلص من قتاله"[٣٩].

بخصوص فكر الزنى: كان شيخ آخر يسكن في البرية، وكان يقول: "أتريد أن تخلص وأنت نائم؟ اتعب واعمل، أطلب وأنت تجد، استيقظ وقم، اقرع وسيفتح لك، لأنه يوجد في العالم أبطال يدعون "ملاكمون"، الذين يلاكمون بعضهم بعضا ويعتبرون مستحقين للنصر لأنـهم يحاربون بإصرارٍ واحتمال. وهؤلاء الرجال عندما يجرحون لا ينسحبون مقهورين، لأن الواحد منهم يلكَم مرارا كثيرة ومع ذلك يستمر في الحرب، وهكذا يغلب ويتوج. أترى مقدار القوة التي يحتاجها بتمرين الجسد؟ هكذا أنت أيضا ليكن لك نفس النشاط والله سيحارب العدو عوضا عنك"[٤٠].

وقال شيخ آخر بخصوص فكر الزنى: "كُن مثل إنسان يمشي في شارع الحانات ويشم رائحة الأطعمة المطبوخة أو أي شيء يشوى على النار، فإذا رغب فإنه يدخل إحداها ويأكل، وإذا لم يرغب فهو يشم الرائحة أثناء سيره ثم يستأنف سيره. فاطرد إذن من داخلك رائحة الأفكار الشريرة الكريهة، وا ض وصل قائلاً: يا ابن الله أعني. ونفس الشيء يقال أيضا بخصوص الأفكار الأخرى، لأننا نحن لسنا منبع الأفكار، ولكننا نحن الذين نصارع ضدها"[٤١].

سأل أخ أحد الشيوخ: "إذا عثر راهب وسقط في خطية، فهل يحتاج إلي أتعاب كثيرة؟ وإذا تمّمها فهل يمكنه أن يعود إلى الدرجة التي سقط منها؟ لأنني أظن أنّ الذي

---

(٣٧) س ٩ رقم ١٦١ ص ٢٤٨.
(٣٩) س ٩رقم ١٦٠ ص ٢٤٧.

(38) An., 1165 / 33 ; W. & W., I: 561.
(40) An.,1166/34 ;W. & W.,I: 591; س ٤ ورقة ٩٥
(41) An.,1167/35; W. & W., I: 593.

يخرج من العالم ويبدأ في زراعة الفضائل الروحية فمن السهل عليه أن ينمو، أما الذي ينشغل بالأتعاب إذا حدث أن أُنزِل من درجته عندما يسقط فهو يحزن في قلبه"! **فأجابه الشيخ:** "الراهب الذي يسقط يشبه البيت الذي ينهار، فإذا كان متيقظًا في ذهنه وغيورا ومهتما ببناء ما قد هدِم، فسيجد مواد متوفرة من حطام البيت الذي هدِم ليستخدمها في البناء، مثل حجارة الأساس وحجارة الحوائط القديمة وأشياء أخرى مما كان مستعملاً في المبنى القديم، فضلاً عن أنه يمكنه لو أراد أن يجعل مبناه ينمو أفضل من الذي لم يحفر بعد الأساسات ولم يضع حجارة الأساس ولا يمتلك المواد التي تستخدم في البناء".

"وهكذا الحال مع الذي يسقط في تجربةٍ من أعمال وجهادات الحياة الرهبانية، لأنه إذا رجع وتاب سيمتلك مواد وافرة من أعمال حياته النسكية السابقة، أعني التداريب وأعمال اليدين التي هي الأساس السابق لحياته. فالذي خرج من العالم وبدأ في زراعة الفضائل النسكية إذا فعل تلك الأمور سيوجد في رتبة الحياة الرهبانية المتقدمة"(٤٢).

كان أخ محاربًا بروح الزنى، فذهب إلى شيخ كبير وتوسل إليه قائلاً: "اصنع محبةً وصل لأجلي لأنني محارب بالزنى". فتوسل الشيخ إلى الله من أجله. ثم جاء الأخ إليه مرةً ثانية بنفس الكلام، ولم يفتر الشيخ عن التوسل إلى الله لأجله. ولما جاء الأخ إلى الشيخ عدة مرات وأزعجه بهذه الطريقة، توسل الشيخ إلى الله بعد ذلك قائلاً: "يا رب، اكشف لي طريقة حياة هذا الأخ، ولماذا رغم أنني توسلت إليك كثيرا من أجله لم يجد راحة"؟ فكشف له الله أمر هذا الأخ، فرآه يسكن مع روح الزنى بجواره، وأنّ الأخ يشتهي الزنى، ورأى ملاكًا واقفًا بجواره ليعينه، ولكنه حزين على هذا الأخ لأنه لم يلقِ بنفسه على الله بل إنه يجد مسرةً في أفكاره. وفي الحال علم الشيخ أنّ السبب هو من الأخ نفسه وأفهمه ذلك بقوله: "إنك أنت الذي تخضع لأفكارك". وبذلك أقامه، وبعد ذلك اهتم الأخ بنفسه(٤٣).

كان تلميذٌ لأحد الشيوخ الكبار محاربًا بالزنى، فلما رآه الشيخ في هذا الوجع قال له: "أتريد أن أتوسل إلى الله لكي يزيل عنك هذا القتال"؟ فأجابه: "إنني أرى يا أبي أنني متضايق، ولكنني أرى أنّ هذا الوجع ينتج لي ثمرةً، فتضرع إذن لله أن يعطيني الصبر على احتماله". فقال له الأب: "اليوم علمت أنك قد فُقت علي في الكمال"(٤٤)!

قيل إنّ شيخًا نزل إلى الأسقيط وكان لا يزال معه ابن صغير لم يكن يعرف أنه

(42) An., 1168 / 36; W. & W., I: 601.
(43)An.,1169/37;W.& W., I: 575.
(44) An.,1170 / 38.

توجد في الدنيا امرأة أو من تكون المرأة. ولما صار رجلاً أظهر له الشياطين صور نساء، فأخبر أباه الذي اندهش لذلك. وصعد مرةً إلى مصر (أي منف بجوار القاهرة الحالية) مع أبيه ورأى نساءً، فقال لأبيه: "يا أبي، هؤلاء هم الناس الذين رأيتهم أمامي بالليل في الأسقيط". فقال له أبوه: "هؤلاء هم رهبان المدن يا ابني، وهم يلبسون بخلاف ملابس النساك". وتعجب الشيخ كيف أنّ الشياطين في البرية يظهرون له صور نساء. ثم رجعا سريعا إلى قلايتهما[٤٥].

كان في **الأسقيط راهب عنده قتالٌ صعب،** وزرع العدو في قلبه ذكر امرأة جميلة وأزعجه جدا ا. وحدث بتدبير الله أنّ أخا جاء من مصر وزاره، وبينما كانا يتحادثـان قـال الأخ للراهب: "لقد ماتت المرأة الفلانية"، وكانت هي نفس المرأة التي أُثـير ذكرهـا في قلـب الراهب. فلما سمع ذلك ظلّ يصارع مع أفكاره قائلاً: "ها هي شهوتك التي طلبتها فاشـبع نفسك منها". وهكذا استمر يصارع حتى هدأ القتال الذي كان ملازما له[٤٦].

ذهب رجلٌ إلى الأسقيط لكي يترهب، وأخذ معه ابنه الذي كان قد فُطِم حديثًا، ولما كبر الصبي وصار شابا رهبنه، وبعد قليل هاجمته حرب الزنى، فقال لأبيه: "سأذهب إلى العالم يا أبي، لأنني لا أقدر أن أحتمل هذا القتال الصعب". فألحّ عليه الأب أن يثابر، ولكن الصبي قال أخيرا لأبيه: "يا أبي، لم أعد أحتمل ذلك فدعني أذهب". فقال له أبوه: "اسمع لي يا ابني هذه المرة فقط: خذ معك ثمانين خبزة وخوصا يكفي لعملك لمدة أربعين يوما، واذهب إلى البرية الداخلية وهناك امكث إلى أن ينفذ خبزك وعمل يديك، وبعد ذلك لتكن مشيئة الله".

فأطاع الشاب ومكث في البرية يتعب ويضفر الخوص ويأكل خبزا يابسا، وعاش حياة عزلة لمدة عشرين يوما. ثم ظهر له الشيطان الذي كان يحاربه ووقف أمامه في صورة امرأة حبشية لها رائحة منتنة وكريهة جدا حتى إنه لم يحتملها، فبدأ الشاب يطردها، فقالت له: "لماذا تطردني؟ ألست أنا التي كنت تشتهيني؟ أنا التي أزرع في قلوب الناس أفكار الشهوات وأُسقطهم في الزنى. أما أنت فلأنك أطعت أباك لم يسمح الله لي أن أُضللك وأُسقِطك في الهلاك، ولكنه نظر إلى خضوعك وتعبك وأظهر لك رائحة نتانتي بغير هواي"!

فشكر الشاب الله، وعاد إلى أبيه قائلاً: "لا أريد بعد أن أذهب إلى العالم يا أبي، لأنني

(45) An., 1171 / 39. (46) An., 1172 / 40 ; W. & W., I: 586.

رأيت العدو ولم أحتمل رائحته". وكان أبوه قد أُعلِن له ذلك، فقال له: "لو كنت قد صبرت يا بني إلى نهاية الأربعين يوما وحفظت وصيتي لرأيت أعظم من ذلك"[٤٧].

قيل إنّ أحد الآباء كان يعيش في **العالم،** ولما ذهب إلى البرية صار محاربا بالرجوع إلى امرأته التي كان متزوجا بها، ولما روى هذا الأمر للآباء فرضوا عليه أعمالاً معينة لكي يبتعد عنه هذا القتال. ولأنه كان مطيعا وعمالاً فقد تمّم هذه الأعمال بإفراطٍ حتى إنّ جسده ضعف ولم يقدر أن ينهض من مكانه.

وبتدبير الله جاء أحد الآباء الغرباء إلى الأسقيط وعبر على قلاية هذا الراهب ورآها مفتوحة، فقال في نفسه: "كيف أنه لم يخرج أحد من هذه القلاية لمقابلتي؟ ربما يكون مريضا". فعاد إليها وقرع ودخل فوجد الأخ مريضا جدا، فسأله: "ما هو مرضك أيها الأب"؟ فأخبره الأخ بكل ما يعانيه قائلاً: "حيث إنني كنت في العالم فإنّ العدو يقاتلني بخصوص زوجتي، فأخبرت الآباء بالأمر ففرضوا علي أعمالاً شاقة، ولما أتممتها مرض جسدي، كما أنّ القتال اشتد علي".

فلما سمع الشيخ ذلك حزن وقال له: "إنّ الآباء فرضوا عليك أعمالاً شاقة كأنك رجلٌ قوي، ولكن إذا سمعت لضعفي فاترك هذه الأتعاب، وكُلْ قليلاً في الوقت المعين للأكل، ورتل وصل قليلاً، والقِ موضوعك على الله، لأنك بأوجاعك ومرضك لن تتمكّن من التغلب على هذا الأمر، لأنّ جسدنا يشبه قطعة قماش، إذا اعتنيت به يبقى ويحتمل، وإذا تجاهلته يبلى". فلما سمع الأخ ذلك سلك هكذا، وفي غضون أيامٍ قليلة فارقه القتال[٤٨].

كان في **منطقة "أنتينيوي" (بالصعيد) متوحد** في **البرية،** وقد نما في الفضيلة وكان كثيرون ينتفعون بكلامه وأعماله. ثم حسده العدو بسبب صلاحه الذي جعل له اعتبارا عند جميع الفضلاء، واقترح عليه - تحت مظهر الشفقة - هذا الفكر: عليك ألاّ تدع الناس يخدمونك، بل بالحري عليك أن تخدم أنت الآخرين، أو على الأقل أن تخدم نفسك أيها الراهب، فاذهب إذًا وبِع سلالك واشترِ ما ينقصك، ثم عد حالاً إلى وحدتك لتعيش دون أن تكون عبئًا على أي إنسان. هذا هو ما اقترحه عليه المحتال إذ حسده على وحدته وتفرغه لله والمنفعة التي كانت تجذب إليه الكثيرين. وفي الحقيقة إنّ العدو بذل قصارى جهده لكي يوقعه في هذا الفخ. ولما اقتنع بهذا الفكر الذي صدق أنه صالحٌ، خرج من وحدته، فتعجب الجميع منه حينئذٍ، وكان

---

(47) An., 1173 / 41; W. & W., I: 580; س ٤ ص ١٤٧ (48) An., 1174 / 42; W. & W., II; 20.

في الحقيقة عديم الخبرة في مثل هذه الخدع الكبيرة التي نصِبت له أشراكها، إذ إنّ هذا المتوحد كان مشهورا بين الذين عرفوه.

وبعد مدة طويلة التقى بامرأةٍ واضطرب من مجرد رؤيتها، وبينما هو راجع إلى مكانه في البرية كان العدو يتبعه حتى اصطاده بجوار النهر. ثم أخذ يفكر في فرح العدو بهذه السقطة، وبدأ يفقد الرجاء لأنه أحزن جدا روح الله والملائكة والقديسين الذين كان منهم كثيرون علمانيين في المدن غلبوا العدو. وصغرت نفسه جدا بمجرد تفكيره فيما حدث، وامتلأ كآبةً، ولم يذكر أن الله يهب قدرته للذين يترجونه بإيمان راسخ. وإذ عميت نفسه عن إصلاح خطئه أراد أن يلقي بنفسه في النهر لكي يموت، ولكن ضيقة نفسه أسلمت جسده للمرض، ولولا رأفة الله لما كان قد أعانه بهذه الطريقة، ولكان قد مات بدون توبة مما يؤدي إلى فرح عظيم للعدو.

وأخيرا رجع إلى نفسه وفكّر أن يقوم بأعمال توبةٍ عنيفة، فأغلق بابه وبكى متضرعا إلى الله مثل من يبكي على ميت. وظلّ صائما ساهرا لأجل هذه الضيقة حتى إنّ جسده ضعف دون أن يدري أنه قدم توبةً كافية. وجاء بعض الإخوة عدة مرات لزيارته لأجل منفعتهم، وعندمـا كانوا يقرعون الباب كان يقول لهم إنه لا يستطيع أن يفتح قائلاً: "لقد تعهدت أن أقدم توبةً جديةً لمدة سنة". وكان يضيف قائلاً: "صلوا لأجلي". ولم يزد شيئًا على هذه الإجابة حتى لا يعثر سامعيه، لأنه كان مشهورا جدا عندهم وكانوا يعتبرونه راهبا عظيما. وقد قضى السنة كلها في توبةٍ حارة.

ولما جاء عيد الفصح، ليلة عيد القيامة المقدسة، أعد مصباحا جديدا ووضعه في وعاءٍ جديدٍ وغطّاه. وفي المساء سلّم نفسه للصلاة قائلاً: "يا الله الشفوق الرءوف الذي تريد حتى للبرابرة أن يخلصوا وإلى معرفة الحق يقبلوا، إنني ألتجئ إليك يا مخلص النفوس، فاشفق علي أنا الذي أحزنتك كثيرا مما أدى إلى فرح العدو، والذي أُعتبر حاليا ميتا بسبب طاعتي للعدو. أنت يا رب الشفوق على الطالحين وعلى الذين هم بلا شفقة، وأنت الذي علمتنا عمل الرحمة للآخرين، تراءف على ضعفي، لأنه ليس شيء غير ممكنٍ لديك. نفسي تستحق جهنم، فاصنع معي رحمةً لأنك أنت المنعِم بكرمٍ على خليقتك، أنت الذي تريد أن تقيم في يوم القيامة حتى الأجساد التي ليست فيها حياة. استجب لي يا سيد، لأن روحي ونفسي هذه الشقية خانتني، وجسدي نفسه الذي لطّخته قد ضعف، ولم أعد قادرا أن أعيش بسبب رعبتي منك، وبدلاً من أن أثق في غفران خطيتي بالتوبة ارتكبت خطأً مضاعفًا بعدم أمانتي، فأحيني أنا المنسحق ومر هذا المصباح أن

يضيء بنارك حتى أتأكد من شفقتك وأنك برحمتك غفرت لي، وإنني في بقية أيام حياتي التي ستعطيني إياها سأحفظ وصاياك ولن أبتعد عن مخافتـك، بل سأخدمك بأمانةٍ وأكثر مما كنت عليه سابقًا".

وبعد أن نطق ذه الكلمات في ليلة عيد القيامة بدموعٍ مضاعفة، ض ليرى إن كان المصباح قد أضاء، ولما كشفه ورأى أنه لم يضِئ جثا مرةً ثانيةً أمام السيد وتضرع إليه قائلاً: "أنا أعلم يا سيدي أنه يوجد ما يعوقني عن أن أُكلل لأنني لم أراقب خطواتي، مفضلاً مسرات الجسد ولم أخف من معاقبة الأشرار مثلي. أنقذني إذًا يا سيد لأنني أعترف من جديد أمام صلاحك بدناءتي في حضرة جميع ملائكتك وأبرارك، وأنه لو كان هذا الأمر لا يعثر أحدا لكنت اعترفت به أمام الناس أيضا، فتراءف علي حتى أستطيع أن أنفع الآخرين، نعم يا سيد أحيني". ولما صلى هكذا ثلاث مرات استجيبت صلاته، فنهض ووجد المصباح متوهجا بالنور!

امتلأ فرحا ذا الرجاء وتعزى بالمسرة في قلبه، وأُعجِب بالنعمة التي جعلها الله تفيض في حينها ذه العلامة وقال: "لأني غير جدير ذه الحياة، فإنك هكذا أشفقت علي ذه العلامة العظيمة التي لم يسبق لها مثيل". وظلّ يردد اعترافه إلى أن طلع النهار، وفرح بالرب حتى نسي طعامه الجسدي. وظلّ كل أيام حياته يحتفظ بنار هذا المصباح، فيصب فيه زيتا ويحرص عليه حتى لا ينطفئ. وهكذا سكن روح الله فيه من جديد، وصار آيةً للجميع متضعا في إظهار ضعفاته واعترافه بأفضال الرب.

وعندما اقتربت ساعة انتقاله أُعلِن له ذلك في رؤيةٍ قبل عدة أيام(٤٩).

كان يسكن بعيدًا في **البرية راهب شيخ،** وكانت له قريبة اكتشفت مكان سكناه بصعوبة بعد عدة سنوات. فحركها الشيطان وذهبت في طريق البرية، ووجدت جمالاً مسافرة في نفس الطريق، فدخلت معها إلى البرية مسوقةً من الشيطان. ولما وصلت إلى قلاية الشيخ بدأت تثبت له أ ا قريبته، ثم دخلت إليه فحورب الشيخ وأخطأ معها.

وكان هناك راهب آخر يعيش مجاورا للأماكن الآهلة بالسكان، وحدث أنه ملأ آنيةً بالماء ووضعها أمامه، ولما جاء ليأكل اندلق الماء، فتأمل في نفسه بتدبير الله قائلاً: "إنني سأقوم وأذهب إلى البرية وأتعلم من ذلك الشيخ عن هذا الأمر". وفي الطريق حل عليه الظلام، فدخل معبدا للأصنام كان في الطريق وقضى الليل فيه، فسمع الشياطين يتكلمون

(49) An., 1175 / 43.

قائلين: "لقد أسقطنا الراهب الفلاني هذه الليلة في الزنى"، فلما سمع ذلك تعجب.

ولما وصل إلى الشيخ وجده حزينا، فقال له: "ماذا أفعل يا أبي، لأنني ملأت وعاءً بالماء ولكنني لما أتيت لآكل اندلق الماء"؟ فقال له الشيخ: "هل أتيت لتسألني عن وعاء ماء قد اندلق؟ فماذا أفعل أنا لأنني هذه الليلة قد سقطت في الزنى"؟ فقال له الراهب: "وأنا أعلم ذلك أيضا، فهدئ نفسك". فسأله الشيخ: "كيف علمت ذلك"؟ فأجاب: "في هذه الليلة عندما كنت نائما في معبدٍ للأصنام في الطريق سمعت الشياطين يقولون ذلك فحزنت". فقال له الشيخ: "ولذلك فسأذهب إلى العالم". ولكن الراهب استحثه قائلاً: "لا يا أبي، بل امكث في مكانك واطلق المرأة من هنا، لأنّ هذه تجربة من العدو". فاستمع له الشيخ وأطلقها، وداوم على أعماله النسكية وناح وتوسل إلى الله بدموعٍ فائضة حتى وصل أخيرا إلى حالته الأولى في الفضائل النسكية[(٥٠)].

سأل أخ شيخًا قائلاً: "إذا حدث أن سقط أحد في تجربةٍ تحت تأثير أي دافع، فماذا يكون من أمر الذين يعثرون منه"؟ فأجاب: "كان في كينوبيون في مصر شمّاس معروف، وحدث أنّ موظفًا طارده قاضٍ، فذهب مع عائلته كلها إلى الكينوبيون، وحدث أن الشماس - مدفوعا من الشيطان الخبيث - أخطأ مع امرأة الموظف، وسبب لنفسه الخجل من الجميع، فذهب إلى شيخ من أصدقائه وكشف له الأمر، وكان عند الشيخ سرداب خلف قلايته، فطلب منه الشماس قائلاً: 'أدخِلني في السرداب حيا ولا تخبر أحداً'. ودخل هناك في الظلام وقدم توبةً حارة".

"وحدث بعد مدة أنّ نهر النيل لم يأتِ بالفيضان، وبينما كان الكل يقدمون صلوات كُشِف لأحد القديسين أنّ الماء لن يصعد إذا لم يظهر هذا الشماس الذي كان مختبئًا عند ذلك الراهب. فلما سمعوا ذلك امتلأوا دهشةً، وذهبوا وأخرجوا الشماس من مكانه، وصلى فارتفع الماء كمقداره. أما الذين كانوا قد أُعثِروا في الماضي فتأثّروا بالحري من توبته وأعطوا المجد لله"[(٥١)].

ذهب أخوان إلى المدينة ليبيعا عمل يديهما، ولما دخلا المدينة افترقا عن بعضهما بحيلةٍ من إبليس، فسقط أحدهما في خطية الزنى. ولما فرغا من عملهما التقيا، فقال الأخ الذي لم يخطئ للآخر: "هلم نعود إلى الدير". فقال الآخر: "لا أريد أن أذهب الآن". فانزعج أخوه وسأله: "لماذا لا تريد الذهاب الآن"؟ فأجابه: "لأنني لما افترقت عنك

---

(50) An., 1176 / 44 ; W. & W., II: 116.

(51) An., 1177 / 45.

سقطت في الخطية". فأراد أخوه أن يربح نفسه فقال له: "ها أنت يا أخي لم تبق عليك خطية لأنك اعترفت ا، أما أنا فقد سقطت في الخطية وبسبب كبريائي امتنعت عن أن أقول لك، ولكن هلم بنا إلى الدير لنتوب معا لعل الله يغفر لنا".

فعادا إلى الدير وأخبرا الشيوخ بما أصا ما، وطلبا التوبة. فوضعوا عليهما قانونا صعبا، وكان الأخ الذي لم يخطئ يتمم القانون قائلاً: "هذا التعب، يا رب، ليس لي فيه شيء، بل احسبه بدل خطية أخي"! فلما رأى الله محبته لأخيه وتعبه لأجله، كشف بعد أيامٍ قليلة لأحد الشيوخ أمرهما، وقيل له في الرؤية: "لأجل محبة الأخ الذي لم يخطئ غفر الله للذي أخطأ". وهذا هو المقصود بالآية: «ليس لأحدٍ حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥: ١٣)[٥٢].

ذهب أخ يومًا ما إلى شيخ وقال له: "إنّ أخي يضايقني بذهابه إلى هنا وهناك، وأنا مضطرب من ذلك". فنصحه الشيخ قائلاً: "اِسند أخاك، وعندما يرى الله احتمالك سيعتني به، ففي الحقيقة ليس من السهل أن تعتني بأحدٍ بواسطة القساوة، حيث إنّ شيطانا لا يطرد شيطانا، بل بالحري يمكن العناية بالأخ بواسطة اللطف، لأنّ ربنا يعتني بالبشر بتشجيعهم". ثم روى له هذه القصة:

"كان في الصعيد أخوان، وحورب أحدهما بالزنى، فقال لأخيه: 'يا أخي، أنا ذاهب إلى العالم'. فبدأ أخوه يبكي ويقول له: 'لن أتركك يا أخي تذهب إلى العالم وتفسد ثمر جهادك وبتوليتك'. فأبى أن يقبل من أخيه وقال له: 'لن أسكن هنا، بل سأرحل، فإما أن ترحل معي ثم أرجع معك بعد ذلك، وإما أن تتركني أرحل'. فذهب الأخ وأخبر شيخا كبيرا بكل ذلك، فقال له: 'اذهب معه، فإنّ الله من أجل تعبك لن يتركه يسقط'. فذهبا معا، ولما اقتربا من القرية رفع الله عنه قتال الزنى من أجل تعب أخيه معه، فقال لأخيه: 'هلم نرجع إلى البرية يا أخي، لأنه خطر علي فكر أنني لن أنتفع شيئًا من خطيتي'. ورجعا إلى قلايتهما دون ارتكاب أية خطية، وشكرا الله على خلاصه وحسن صنيعه معهما"[٥٣].

كان أخ محاربًا من الشيطان، فذهب إلى شيخ وقال له: "هذان الأخوان منسجمين [أو "يرقدا معا" حسب مراجع أخرى]". فرأى الشيخ أنه كان ملهاةً للشياطين، فأرسل واحدا ليستدعيهما، ولما جاء المساء بسط حصيرةً للأخوين وغطاهما بغطاءٍ واحد قائلاً: "أبناء الله هم قديسون"، وقال لتلميذه: "احبس هذا الأخ في القلاية الخارجية لأنه هو

---

(52) An., 1179 / 47 ; W. & W., I: 394 ; س ٢ ص ٤٤٨

(53) An., 1180 / 48 ; س ٤ ص ٦٨

الذي عنده هذه التجربة في داخله"[٥٤].

سأل أخ شيخًا قائلاً: "ماذا أفعل لأنّ أفكار الزنى تقتلني"؟ فقال له الشيخ: "عندما تريد الأم أن تفطم طفلها تلطخ ثدييها بالصبر (أي المُر)، فعندما يأتي الطفل لكي يرضع كالمعتاد يجزع ويهرب، وأنت أيضا ضع صبرا مرا في قلبك، وفي الحال يهرب منه الشياطين الأشرار". فقال له الأخ: "أي نوع من الصبر المُر يجب علي أن أضعه"؟ فقال له الشيخ: "تذكر الموت والعقاب الموضوع في الدهر الآتي"[٥٥].

وسأل هذا الأخ نفسه شيخًا آخر بخصوص تلك الأفكار ذا ا، فقال له الشيخ: "هذا الأمر لم يقاتلني قط". فصدِم الأخ من هذا الكلام، وذهب إلى شيخ آخر وقال له: "ألا تعجب يا أبي؟ فقد شكوت إلى فلان الشيخ من قتال الزنى فأخبرني بشيء يفوق الطبيعة، لأنه قال لي إنه لم يقاتل قط ذا الشيء". فقال له هذا الشيخ: "يا حبيبي، إنّ رجل الله هذا لم يقُل هذا الكلام جزافًا، ولكن عد إليه تائبا واسأله أن يخبرك عن معنى كلامه".

فعاد الأخ إلى الشيخ وطلب منه المغفرة قائلاً: "اغفر لي يا أبي، فإنني خرجت من عندك بجهالةٍ، وأتوسل إليك أن توضح لي كيف لم تقاتل أنت قط بالزنى". فأجابه الشيخ قائلاً: "إنني منذ أن ترهبت لم أشبع قط من الخبز ولا من الماء ولا من النوم، فاحتياجي إلى هذه الأشياء الثلاثة أرهقني ولم يدعني أشعر بالقتال الذي ذكرته". فذهب الأخ منتفعا[٥٦].

سأل أخ شيخًا: "ماذا أفعل، فإنّ أفكاري مركّزة دائما في الزنى ولا تدعني أستريح، ونفسي مغمومة من ذلك"؟ فقال له الشيخ: "عندما اجمك هذه الأفكار لا تتناقش معها، فمن طبيعة الشياطين أن يطرحوا زرعهم دائما ولكن ليست عندهم قوة على إلزامك بقبولها، فلك أن تقبلها أو ترفضها. ألم تر ما فعله المديانيون، كيف أ م زينوا بنا م وأظهروهن ولكنهم لم يجبروا أحدا على أخذهن؟ فالذين أرادوا من الإسرائيليين أخطأوا معهن، والذين لم يريدوا امتنعوا، واغتاظ بعضهم وشرعوا في قتلهن[٥٧].وهذا هو حال الرهبان مع الأفكار التي تصورها الشياطين لهم".

فقال له الأخ: "ماذا أفعل إذًا يا أبي لأنني ضعيف وهذا الوجع يغلبني، وليست لي قدرة على مقاومة الأفكار"؟ فقال له الشيخ: "راقب أفكارك جيدا، وعندما يلقون فيك ذه الأفكار لا تجِبهم بأي كلمةٍ، بل ا ض واهرب إلى الله بالصلاة والسجود، وتأمل في كلام

---

(54) An., 1181/ 49. (55) An., 1182 / 50 ; W. & W., I: 582. (56) An., 1183/ 51;١٤٦ س ٤ ص
(٥٧) يبدو أنه يقصد القصة المذكورة في قض ٢١: ٢٠-٢٣رغم وجود اختلاف بين القصتين.

مقدس، وقُل: يا الله ارحمني واصرف عني هذه الأفكار بقوتك العظيمة، فإني ضعيف عن مقاومتها". فقال له الأخ: "إذا وقفت لأصلي لا أشعر بخشوع لأنني لا أفهم قوة كلمات الصلاة". فقال الشيخ: "داوم فقط على الصلاة، فقد سمعت أنّ أنبا موسى (أو أنبا بيمين) والكثير من الآباء يقولون: 'إنّ العراف (أو الساحر أو الراقي) لا يعرف قوة الكلام الذي ينطقه، ولكن الحية تشعر بقوته فتخضع له'، هكذا نحن أيضا، فرغم أننا لا نعرف قوة كلامنا فإنّ الشياطين تعرفها بمجرد أن تسمعها فتنصرف عنا"(٥٨).

كان الآباء الشيوخ يقولون إنّ أفكار الزنى مثل صنارة، فإذا أوحت لنا ولم نسمح لأنفسنا بأن نقتنع ا، بل أبعدناها عنا، تنقطع بسهولة. ولكن إذا أظهرنا مسرتنا ا مرةً واحدةً وسمحنا لأنفسنا أن نقتنع ا، تتحول وتصير مثل الحديد وبصعوبة تنقطع منا. فيجب إذن أن نحذر من هذا الفكر، لأن الذين يستسلمون لإغرائه ليس لهم رجاء في نجا م منه، في حين أنّ الآخرين لهم أكاليل معدة(٥٩).

أخوان قوتلا بالزنى، فانطلقا وتزوجا. وبعد ذلك ندما وقالا بعضهما لبعض: "ماذا ربحنا من تركنا لعمل الملائكة ومجيئنا إلى هذه النجاسة، وبعد ذلك يكون مصيرنا النار والعذاب الأبدي؟ فلنرجع إلى البرية ونتوب". ورجعا في الحال إلى البرية، وجاءا إلى الآباء الشيوخ وتوسلا إليهم أن يتضرعوا إلى الله من أجلهما، وكان مظهرهما الخارجي حينئذٍ واحدا. فأوصاهما الآباء أن يحبسا نفسيهما سنةً واحدةً ويتضرعا إلى الله أن يتحنن عليهما. ففعلا ذلك، وكانوا يعطوهما الخبز والماء بالتساوي.

ولما تمّ زمان توبتهما خرجا من حبسهما، ورأى الشيوخ أنّ وجه أحدهما كان متغيرا وعابسا جدا، بينما كان وجه الآخر مبتهجا باشا. فتعجب الآباء لأن حبسهما وطعامهما كان واحدا، ولكن وجه الواحد مختلفًا عن الآخر. فسألوا صاحب الوجه المعبس قائلين: "ما الذي كنت تفكر فيه في حبسك"؟ فقال: "كنت أفكر في الشرور التي ارتكبتها والعذاب المزمع، ومن شدة فزعي لصق لحمي بعظمي". ثم سألوا الآخر: "وأنت ماذا كنت تفكر في حبسك"؟ فقال: "كنت أشكر الله الذي نجاني من نجاسة العالم ومن العذاب الأبدي، وجاء بي إلى عمل الملائكة هذا، و ذه الأمور كنت أذكر الله وأفرح". حينئذٍ قال الشيوخ: "إنّ توبة كل منهما واحدة أمام الله"(٦٠).

سأل إخوةٌ شيخًا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "كما أن النار لها خاصيتان:

(58) An., 1184 \ 52 ; W. & W., I; 570 ; س ٤ ورقة ٩٥
(59) An., 1185 \ 53.
(60) An., 1186 / 54 ; W. & W., I: 598 ; س ٤ ص ١١١

الحرارة والنور، والحرارة تحزِن والنور يفرِح؛ هكذا التوبة لها نوعان وهي تكمل من كليهما وهما: مخافة الله ومحبته. فتذكر مخافته يحزِن ويخيف، وتذكر حبه يفرِح ويبهج، كما قال أحد الآباء: 'في الحب والمخافة اعمل مع الله، أما في الحب فلأنه أب ومعطي الخيرات، وأما في المخافة فلأنه رب وديان'. ولما تكلّم أنبا مرقس عن النعمة الموهوبة لذوي التوبة ومعرفة الفضيلة أنها كالمطر للأشجار تعطي كل شجرة ما يوافق طبيعتها من حلاوةٍ أو غضاضة؛ فقد قال: 'إنّ الجائع إلى المسيح يكون المسيح له طعاما وللعطشان شرابا وللمتعب راحةً وللمصلي رجاءً حقيقيا، فهذه هي خصال المحبة'. ثم قال إنّ الذي يخاف ويحزن يكون هو (أي الرب) له عزاءً. لذلك فإنّ هذين الأخوين التائبين كانت توبة أحدهما بمخافة الله والآخر بمحبته، ولأنّ النعمة واحدة حكم الآباء بأنّ توبتهما متساوية"[٦١].

جرب أخ من الشيطان بالزنى بشدة، ففي الحقيقة إنّ أربعة شياطين في شكل نساءٍ جميلات جدا ظلوا يقاتلونه أربعين يوما ليحملوه على الفعل المُخجل، ولكنه حارب بشجاعةٍ ولم يهزم، ولما رأى الله حسن جهاده منحه أن لا يجرب إطلاقًا بلهيب الشهوة[٦٢].

كان في **مصر السفلى ناسك مشهور،** لأنه مكث متوحدا في قلايةٍ في البرية. وحدث بإيعازٍ من الشيطان أنّ امرأةً غير محتشمة سمعت بعض الشبان يتكلمون عنه، فقالت لهم: "ماذا تعطونني إذا جعلت متوحدكم يسقط"؟ فاتفقوا معها على أن يعطوها شيئًا قيما. فذهبت بالليل ووصلت إلى قلايته، وكأنها ضلّت الطريق قرعت الباب فخرج، ولما رآها اضطرب وقال: "كيف جئتِ إلى هنا"؟ فقالت وهي باكية: "جئت إلى هنا لأنني ضللت الطريق". فامتلأ شفقةً عليها وسمح لها أن تدخل إلى المدخل. ثم رجع إلى قلايته وأغلق على نفسه.

ولكن للأسف أخذت تصيح قائلةً: "أيها الأب إنّ الوحوش تريد أن تأكلني". فاضطرب مرةً ثانيةً إذ خاف من دينونة الله وقال لنفسه: "من أين جاءت هذه المصيبة"؟ ثم فتح الباب وأدخلها إلى داخل، وهكذا شرع الشيطان يهاجمه بسهامه. فلما لاحظ حرب العدو قال: "إنّ طرق العدو هي ظلام، في حين أنّ ابن الله هو نور". فنهض وأضاء المصباح، ولما اشتعل بالشهوة قال: "إنّ الذين يرتكبون هذه الأفعال يذهبون إلى العذاب، إذًا فاختبر نفسك لتعرف إن كنت تستطيع أن تحتمل النار الأبدية"، ووضع أصبعه في المصباح وأحرقه دون أن يبصره، وكان ألم الحرق شديدا للغاية، وفعل هكذا حتى الصباح وأحرق كل أصابعه، وإذ رأت المرأة

(٦١) س ٩ رقم ١٧٥ ص ٢٧٠.

(62) An., 1188 / 56.

الشقية ما فعله تصلبت من الخوف!

وفي الصباح جاء الشبان إلى المتوحد وسألوه: "هل جاءت امرأة إلى هنا مساء أمس"؟ فقال: "نعم، إ ا في الداخل نائمة". فدخلوا ووجدوها ميتة! فقالوا له: "إ ا ميتة أيها الأب". ثم كشف يديه وأشار إليهما قائلاً: "هذا هو ما فعلته لي ابنة الشيطان، لقد أهلكت أصابعي". ثم روى لهم ما حدث وقال: "إنه مكتوب: لا ترد الشر بالشر"، ثم رفع صلاة وأقامها، فخرجت لتعيش بتقوى بقية أيام حيا ا[٦٣]!

كان أخ محاربًا بشيطان الزنى، وحدث أنه ذهب إلى مدينةٍ في مصر، وهناك رأى ابنة كاهن وثني، فشغف ا وقال لأبيها: "أعطني إياها زوجةً". فأجابه أبوها: "لن يمكنني أن أعطيها لك بدون إذن من إلهي". ورجع إلى الشيطان وقال له: "طلب راهب أن يأخذ ابنتي، فهل أعطيها له"؟ فأجاب الشيطان: "اشترط عليه أن ينكر إلهه ومعموديته ونذور رهبانيته". فقال الكاهن للراهب: "إنكر إلهك ومعموديتك ونذور رهبانيتك ثم أعطيك ابنتي". فخضع الراهب لذلك، وفي الحال رأى مثل حمامة تخرج من فمه وتطير إلى السماء. ثم ذهب الكاهن إلى الشيطان وقال له: "لقد فعل هذه الأمور الثلاثة". فأجابه الشيطان: "لا تعطِه ابنتك زوجةً لأن **إلهه** لم **يفارقه بعد،** ولكنه لا زال يقف بجانبه"! فأخبر الكاهن الأخ بذلك. فلما سمع الأخ ذلك قال في نفسه: "إن كان الله يظهر لي مثل هذا العطف في حين أنني بشقاوتي أنكرته وأنكرت معموديتي ونذور رهبانيتي، **ولا زال إلهي الصالح يقف بجانبي** في **ضعفي** حتى الآن، فلماذا أتخلّى عنه"؟ وإذ رجع إلى نفسه استعاد رزانته وذهب إلى البرية إلى أحد الشيوخ وأخبره بما حدث، فقال له الشيخ: "امكث معي في المغارة وصم لمدة ثلاثة أسابيع وسأتوسل إلى الله من أجلك".

وظلّ الشيخ يكافح مع الأخ ويتضرع إلى الله قائلاً: "أطلب إليك يا رب، أعطني هذه النفس واقبل توبته". فاستمع الله لصلاته، ولما انتهى الأسبوع الأول ذهب الشيخ إلى الأخ وقال له: "هل رأيت شيئًا"؟ فأجاب الأخ: "نعم، رأيت حمامةً في علو السماء واقفةً عاليةً فوق رأسي". فقال الشيخ: "انتبه لنفسك، وركز هدفك في الله في صلاتك". وفي اية الأسبوع الثاني جاء إليه الشيخ وسأله: "هل رأيت شيئًا"؟ فأجاب: "لقد رأيت الحمامة وقد اقتربت إلى رأسي". فنصحه الشيخ قائلاً: "كُن قوي الذهن في صلاتك". ولما انتهى الأسبوع الثالث سأله الشيخ أيضا: "هل رأيت شيئًا آخر"؟

(63) An., 1189 / 57.

فأجاب: "إنني رأيت الحمامة قد جاءت ووقفت فوق رأسي، ولما مددت يدي لآخذها جاءت ودخلَت في فمي". فشكر الشيخ الله وقال للأخ: "ها قد قبل الله توبتك، فمنذ الآن انتبه لنفسك وتيقّظ". فأجاب الأخ: "ها أنا، يا أبي، سأمكث معك منذ الآن حتى يوم وفاتي"[٦٤]!

الاحتمال والصبر والحزم

كان أحد الشيوخ يقول: "إذا جاءت تجربة على إنسان وهجمت عليه من كل ناحية حتى يشعر باليأس ثم يتذمر، فإن جميع أصدقائه يشيحون بوجوههم عنه وكأنّ ذلك بسبب التجربة. ثم روى القصة التالية:

"كان راهب في قلاية جاءت عليه تجربة، ورفض جميع أصدقائه وأحبائه الذين يقابلونه حتى أن يحيوه، ولم يسمح أي منهم له أن يدخِله في قلايته. وإذا احتاج إلى طعام أو أي شيء وأراد أن يستعيره فما كان أحد يعيره شيئًا، وقد أُجِير بسبب ضيقته أن يعمل في الحصاد، وعندما كان يعود لا يجد أي خبز في قلايته".

"وكان من عادة الآباء أنّ كل من يعمل في الحصاد يأكل بعد عودته في الكنيسة (أي في مائدة الأغابي التي كانت ملحقة بالكنيسة)، ولكن هذا الأخ عندما كان يأتي في يوم السبت فما كان أحد يأخذه وينيحه كما هي العادة، فكان يرجع إلى قلايته ويشكر الله دون أن يشتكي. ولما رأى الله صبره واحتماله رفع عنه التجربة، وللحال قرع رجلٌ على بابه وكان معه جمل يحمل خبزا أُرسِل إليه من مصر، فبدأ يلطم نفسه ويبكي قائلاً: 'أنا لا أستحق ذلك'".

"ولما فارقته التجربة، أخذه جميع الآباء وظلوا ينيحونه، وطلبوا منه أن يسمح لهم أن يأخذوه إلى قلاليهم، وباحتماله الصبور وجد منفعةً عظيمة"[٦٥].

سأل إخوةٌ شيخًا عن القول السابق قائلين: "لماذا يجرب المتوحدون بمثل ذلك"؟ **فقال الشيخ:** "المبتدئون في الحرب يجربون بمثل ذلك لكي يظهر ثبا م وحبهم لله، ثم تتنقّى النفس وتستنير بالنعمة"[٦٦].

سكن شيخ وقتًا طويلاً في **البرية** وجاءت عليه ضيقات كثيرة، ثم زاره بعض الإخوة وقالوا له بتعجبٍ: "كيف استطعت، يا أبانا، أن تبلغ إلى احتمال مثل هذه الضيقات هنا"؟ فقال

---

(64) An., 1190 / 58 ; D. F., V: xxxviii.
(65) An.,1192/60;W. & W., II:297;Ch.,45;١٤٦ص
(٦٦) س ٩ رقم ٧٢ ص ١٤٤. س ٤ ص ١٠٥، ص١٤٦

لهم: "كل الوقت الذي أعاني فيه من الضيق هنا لا يساوي يوما واحدا في جهنم"[(٦٧)].

قال أحد الآباء: "لم يكن الآباء الأولون يرحلون من مكا م إلاّ للأسباب الثلاثة الآتية: **الأول:** إذا تضايق أحد من جاره، وكان من المستحيل عليه أن ينقي قلبه من ناحيته، **والثاني:** إذا تجمع حوله الاستحسان والمديح المتكاثر من بني البشر، **والثالث:** إذا لصقت به تجربة الزنى. عندما كانوا يرون أحد هذه الأسباب الثلاثة كانوا يرحلون"[(٦٨)].

توسل الإخوة إلى أحد الشيوخ أن يضع حدا لأتعابه النسكية الصارمة، فأجا م: "أقول لكم يا أولادي، إنّ إبراهيم عندما رأى عطايا الله العظيمة كان عليه أن يندم لأنه لم يجاهد مسبقًا"[(٦٩)].

سأل أخ شيخًا قائلاً: "ماذا أفعل يا أبي، لأنه رغم أنّ جسدي يكون في قلايتي فإنّ أفكاري تتجول في كل مكان، ولذلك فهي تضايقني جدا قائلةً: إنك لا تنتفع شيئًا، لأنه رغم أن جسدك مغلق عليه في القلاية فإنّ أفكارك تدور وتتشتت بعيدا. وهكذا تسبب لي اليأس وتشير علي أن أرجع إلى العالم كأنه ليس عندي قدرة أن أتوافق مع نظام الحياة الذي يناسب الراهب الناسك"؟ فقال له الشيخ: "ينبغي أن تعلم، يا بني، أنّ هذه هجمةٌ من الشيطان، ولكن اذهب وداوم على مكوثك في قلايتك ولا تخرج منها في أي وقت، وصل إلى الله أن يعطيك القوة لتحتمل بصبرٍ، وحينئذٍ سينجمع عقلك إليك. لأنّ هذا الأمر يشبه بأتانٍ لها ابن رضيع، فإذا كانت مربوطة، فمهما وثب أو طفر ابنها أو ذهب هنا وهناك، فسيرجع إليها أخيرا إما بسبب جوعه أو لأي سببٍ يجذبه إليها. أما إذا حدث أنّ أمه أيضا تطوف وهي محلولة، فكلاهما يتعرضان للهلاك. هكذا الحال مع الراهب، إذا مكث بالجسد على الدوام في قلايته، فإنّ الفكر لا بد أن يرجع إليه بعد كل تشتته لأجل أسبابٍ كثيرة. أما إذا كان الجسد مع النفس يجولان خارج القلاية، فكلاهما سيصيران فريسةً وأُلعوبةً في يد العدو"[(٧٠)].

سكن شيخ في **البرية** على بعد اثني عشر ميلاً من الدير الذي كان عليه دائما أن يحضِر الماء منه، وحدث أنّ الأمر صار متعِبا جدا له، فقال: "ما هي الضرورة لأن أشقى كثيرا هكذا؟ إنني سآتي وأجعل مسكني قريبا من بئر الماء". ولما قال هذا التفت خلفه فرأى إنسانا يسير خلفه وهو يعِد خطواته، فسأله: "من أنت"؟ فأجاب: "إنني ملاك من الرب، أرسلني لكي أعد خطواتك لكي يعطيك مكافأتك". فلما سمع الشيخ ذلك تعزى جدا، ثم ابتعد

(67) An., 1193 /61; 1423 ;N.,423.
(68) An., 1194/ 62; W. & W., II: 164.
(69) An., 1197/65.
(70) An., 1198 / 66 ; W. & W., I: 38 ; س ٤ ص ١٠٧

مسافة خمسة أميال عن المكان الذي كان فيه وسكن هناك[٧١].

كان أحد الشيوخ يقول: "إذا أتت عليك تجربة في المكان الذي تسكن فيه فلا تترك المكان في وقت التجربة لئلاّ تجد نفس التجربة في المكان الذي ـرب إليه، ولكن احتمل حتى تعبر فترة التجربة، وحينئذٍ يمكن أن يكون رحيلك بدون انزعاج أو ضيق، لأنك حينئذٍ ترحل في وقت السلام، أما إذا رحلت في وقت التجربة فإنّ كثيرين سيحزنون بسببك ويقولون إنك رحلت بسبب التجربة، وهذا يكون سبب عثرة لهم".

"إنني أعرف أخا في كينوبيون كان يحب السكون، وكثيرا ما كان يغضب، ولذلك قال في نفسه: 'سأذهب وأعيش على انفراد منعزلاً، وعندما لا تكون لي صلة بإنسان يسكن وجعي هذا'. فذهب وسكن متوحدا في مغارة. وحدث مرةً أنه ملأ جرته بالماء ووضعها على الأرض فانقلبت واندلق ماؤها. فملأها وانقلبت مرةً ثانيةً، وملأها للمرة الثالثة فانقلبت أيضا. فأخذها بغيظٍ وألقاها على الأرض فتحطّمت. ولما رجع إلى نفسه علم أنه كان أُلعوبةً للشيطان، فقال: 'بما أنني بعد أن صرت منعزلاً صرت مغلوبا، فسأعود إلى الكينوبيون، لأنه في الحقيقة توجد في كل مكان حاجةٌ إلى الجهاد والاحتمال، وإلى معونة الله'. ثم عاد إلى موضعه"[٧٢].

سأل إخوةٌ شيخًا بخصوص القول السابق قائلين: "أي تجربةٍ يقصد"؟ **فقال الشيخ:** "مثل التجربة التي حلّت على أنبا قزما لما ظُلِم بسبب الزنى، فلم ينتقل عاجلاً بل صبر في مكانه حتى ظهر أنه مظلوم ثم انتقل بسلامٍ. فإذا حدث لأخٍ سقطة في زنى، فإن مكث في مكانه وقوم جهله بالتوبة وبمعونة صلوات آبائه وإخوته إذ يصلون لأجله بحب، فإنه يقوم من سقطته ويكون لإخوته ربح بسببه. ولكنه إذا رحل قبل توبته فإنّ إخوته يشكون فيه، وفي كل مكانٍ يذهب إليه إن لم يسبق ويصلِح جهالته بالتوبة يمكن أن يقع في سقطةٍ أخرى. وذلك كما قال الطوباوي مرقس (الناسك): 'إن سقط إنسان في خطية ولا يحزن بمقدار خطيته فإن سقوطه في الخطية بعينها يكون سريعا'"[٧٣].

قال شيخ: "كما أنّ الشجرة لا تنتج ثمارا إذا كانت تنقَلُ باستمرار وتغرس في مكانٍ آخر، هكذا الراهب الذي ينتقل من مكانه إلى آخر لا يمكنه أن يثمر (في الفضيلة)"[٧٤].

أخ اشتد عليه قتال الفكر أن يترك ديره، فأخبر أباه الذي قال له: "امكث في

(71) An., 1199 / 67; W. & W., I: 204 ; Ch., 46 ; س ٤ ص ١٣٨؛ س ٧ ورقة ٦٨

(72) An., 1200 / 68; 1201 / 69; W. & W., I: 377 ; Ch., 47, 48 ; س ٤ ورقة ٨٥

(٧٣) س ٩ رقم ١٠٦ ص ١٨٤.

(74) An.,1204 / 72; Ch., 51; س ٤ ص ١٠٧

قلايتك وارهن جسدك لحوائط القلاية، واترك أفكارك تجول حيثما تشاء، فقط لا تجعل جسدك يغادر قلايتك"(٧٥).

قضى أخ تسع سنوات يجاهد ضد أفكاره أن يترك الكينوبيون، فكل يوم كان يهيء رداءه للرحيل وعندما يأتي المساء يقول لنفسه: "غدا سأرحل من هذا المكان"، وفي الصباح يقول لأفكاره: "ابذل جهدك في المقاومة هذا اليوم أيضا لأجل الرب". ولما مضت تسع سنوات وهو يتصرف هكذا هدأ الله كل تجربة من عليه، وظلّ في سلام(٧٦).

سقط أخ في **تجربة،** وفي حزنه أفسد حياته الرهبانية، ثم أراد أن يبدأ من جديد حياته النسكية، ولكنه رأى صعوبة الأمر واستثقله وقال: "متى أبلغ إلى حالتي السابقة"؟ وكان يشعر بالضجر وصغر النفس، ولم يستطع أن يبدأ. فذهب إلى أحد الشيوخ وأخبره بالأمر، فقال له الشيخ: "إنسان كانت عنده قطعة أرض، ومن توانيه لم يزرعها فامتلأت بالشوك. ولما انتبه يوما ما إلى ذلك قال لابنه: 'اذهب يا بني ونق الأرض من الشوك'. ولما ذهب ورأى كثرة الشوك شعر بالإحباط وقال في نفسه: 'متى أستطيع أن أنقي كل هذا'؟ ومن اليأس اضطجع ونام، وكان يفعل ذلك كل يوم".

"وبعد أيامٍ كثيرة ذهب أبوه ليرى ما عمله الغلام، فلما وجد أنه لم يعمل شيئًا قال له: 'كيف أنك يا ابني لم تفعل شيئًا حتى الآن'؟ فقال الغلام: 'إنني يا أبي، كلما كنت أجيء للعمل وأرى كثرة الشوك أشعر باليأس فأضطجع وأنام'. فقال أبوه: 'لا يكون الأمر هكذا يا ابني، ولكن نق كل يوم بقدر فراشك فقط'. فتشجع الغلام وفعل هكذا وداوم على ذلك حتى انتزع الشوك كله في وقتٍ قصير. وهكذا أنت أيضا يا حبيبي، لا تخف، بل اعمـل قليلاً قليلاً في قانونك الرهباني، والله بنعمته سيعيدك إلى سيرتك الأولى".

فصنع الأخ هكذا وصبر كما علّمه الشيخ، فوجد راحةً ونموا في حياته الرهبانية(٧٧).

سأل إخوةٌ شيخًا: "لماذا يحدث أنّ الذي يخرج من العالم ويهرب من الخطية ويأتي إلى تدبير الرهبنة يصحبه الفرح وراحة الضمير، في حين أنّ المتوحد الذي يسقط في خطية ويريد أن يتوب ويعود إلى طقسه الأول يحزن ويكتئب"؟ **فقال الشيخ:** "الخروج من العالم تصحبه حرارة، إلاّ أ ا بدون غيرة روحانية، وكما أنّ الذين يتعمدون يصحبهم فرح الروح القدس ولا يذكرون خطاياهم الأولى، هكذا أيضا الذين يخرجون من العالم تصحبهم غلوة مقدسة فلا

---

(75)An.,1205/73;١٠٧ وهو يشبه قولاً لأنبا مقار الإسكندراني ذكره بالليديوس س ٤ ص ١٠٧
(76) An.,1207/ 75. (77) An., 1208 / 76 ; W. & W., I: 600 ; ١٠٧ س ٤ ورقة

يذكرون خطاياهم التي صنعوها في العالم. أما الذي في وسط طريق تدبيره يسقط في الخطية فتصحبه الكآبة والحزن بأمر الله، وذلك لئلاّ يرجع بسهولة ويسقط مرةً أخرى في الخطية ويتعوق عن السير في الطريق المؤدي إلى الفضيلة. بل كما يقول الآباء إنّ المتوحد الذي يسقط ثم يتوب ويقوم سريعا يتكمل بالمعرفة أكثر من الذي بدأ في عمل الفضيلة. وهو يشبه الإنسان الذي يسقط بيته أو تغرق سفينته، فبسبب تذكره لما كان من تعبه في عمارة بيته أو سفينته يحزن ويكتئب. أما الذي خرج حديثًا من العالم فيشبه الذي بدأ بعمارة بيته أو بناء سفينته، فتصحبه حرارة وفرح لرجاء جلوسه فيهما"[٧٨].

قيل عن شيخ إنه كان كل زمانه يشتكي من المرض، وفي إحدى السنوات لم يشتكِ ولم يصبه فيها أي مرض، فحزن جدا، وكان يبكي ويقول: "تركتني يا الله ولم تتعهدني بالطعام الذي عودتني عليه من الأمراض التي كنت تجلبها علي"[٧٩]!

قال شيخ: "كان أخ قد جرب بالأفكار لمدة تسع سنوات لدرجة أنه يئس من خلاصه، ومن كثرة الوسواس كان يقول: 'لقد فقدت نفسي وهلكت، وسأرجع إلى العالم'. وبينما هو في الطريق سمع صوتا يقول له: 'هذه السنوات التسع التي جربت فيها بالشدائد هي أكاليل لك، فعد إلى موضعك ولا تكلّ من الجهاد، وأنا سأهدئ تلك الأفكار'. فلما سمع ذلك تقوى بالرجاء وعاد وخفّت الأفكار عنه. فلا ينبغي أن ييأس الإنسان بسبب أفكاره، بل بالعكس، فإنّ الأفكار تجلب لنا الأكاليل إذا انتفعنا منها جيدا"[٨٠].

كان في **الصعيد شيخ يسكن** في **مغارة،** وكان له تلميذٌ مختبِر، وكانت عادة الشيخ كل مساء أن يقدم له نصائح لمنفعته ثم يتلو صلاة ويذهبا للنوم. وفي أحد الأيام جاء إلى الشيخ علمانيون أتقياء لأ م كانوا يعلمون بنسك الشيخ الكثير وأنه سيريحهم، ولما انصرفوا جلس الشيخ مرةً ثانيةً في المساء حسب العادة وبدأ ينصح الأخ، ولكنه بينما كان يكلمه غلب النعاس على الشيخ وانتظر الأخ حتى يستيقظ الشيخ ويقدم الصلاة. وبعد مدة طويلة لم يقُم الشيخ، فاضطرب الأخ في فكره مما جعله مترددا إن كان يذهب للنوم دون أن يصرفه الشيخ، ولكنه أرغم نفسه وقاوم فكره ومكث، وبعد وقتٍ طويل ثقلت عليه الأفكار نفسها، ولكنه لم ينصرف، وهكذا قاوم أفكاره سبع مرات. وبعد وقتٍ متأخرٍ من الليل استيقظ الشيخ ووجد الأخ جالسا بجواره، فقال له: "ألم تنصرف بعد"؟ فقال: "لا، لأنك لم تصرفني يا أبي". فقال له الشيخ: "ولماذا لم توقظني"؟

---

(٧٨) س ٩ رقم ١٧٦ ص ٢٧٠.

(79) An., 1209 / 77 ; س ٤ ص ٨٧

(80) 1210 / 78 ; س ٤ ورقة ٨٥

فقال: "لم أجرؤ أن أوقظك حتى لا أُزعجك". ثم ضا وتليا صلوات السحر.

وبعد انتهاء خدمة الصلوات صرف الشيخ الأخ وجلس منفردا، ثم اختطِف الشيخ في دهش، وإذ بشخصٍ يريه مكانا رائعا يوجد فيه عرش وعلى العرش سبعة أكاليل، فسأل الشخص الذي أراه ذلك: "لمَن هذه"؟ فقال له: "لتلميذك، لقد منحه الله هذا المكان والعرش بسبب طاعته، أما الأكاليل السبعة فقد ربحها هذه الليلة". فلما سمع الشيخ ذلك امتلأ عجبا، وفي دهشته استدعى الأخ وقال له: "قُلْ لي ماذا فعلت هذه الليلة". فقال له الأخ: "اغفر لي يا أبي، لم أفعل شيئًا". فرأى الشيخ عدم رغبته أن يقول لاتضاعه، فقال له: "لن أتركك حتى تقول لي ماذا فعلت وما الذي فكّرت فيه هذه الليلة". فالأخ الذي شعر أنه لم يفعل شيئًا لم يعرف ماذا يقول، فقال لأبيه: "يا أبي، إنني لم أفعل شيئًا سوى هذا: ضايقني فكري سبع مرات أن أذهب دون أن تصرفني، ولكنني لم أنصرف". فلما سمع الشيخ ذلك أدرك أنّ الأخ قد كُلل من الله بعدد المرات التي فيها قاوم فكره، ولم يقُل شيئًا للأخ، ولكنه روى ذلك للآباء الروحيين لأجل منفعتهم لكي تتعلم أنّ الله يمنحنا الأكاليل نفسها لأجل الأمور الصغيرة. إنه لَجيد في الحقيقة أن نكره أنفسنا لأجل الله. وفي الحقيقة إنّ «ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه» (مت١١: ١٢)(٨١).

حدث أنّ أحد الشيوخ في **الأسقيط مرض مرةً**، وكان يسكن وحده ولم يكن له أحد يخدمه، فنهض وأكل ما وجده في قلايته. ثم مكث عدة أيام دون أن يزوره أحد. وبعد ثلاثين يوما لم يذهب فيها أحد إليه أرسل الله ملاكًا لخدمته، وبعد أن مكث هكذا سبعة أيام تذكّر الآباء الشيخ وقالوا: "لربما يكون الشيخ قد مات"! ولما ذهبوا وقرعوا بابه انصرف الملاك، وصاح الشيخ من الداخل: "اذهبوا من هنا أيها الإخوة". فدفعوا الباب ودخلوا، وسألوه لماذا صاح. فقال لهم: "لقد كنت متوجعا لمدة ثلاثين يوما دون أن يفتقدني أحد، ومنذ سبعة أيام أرسل الله ملاكًا ليخدمني، وعندما حضرتم ابتعد عني". ولما قال ذلك مات، فاندهش الإخوة وأعطوا مجدا لله لأنّ الرب لا يتخلى عن الذين يترجونه(٨٢)!

كان أحد الشيوخ يقول: "إذا حدث أن تملك عليك مرض جسدي فلا تدع ذلك يحزنك، لأنه إذا كان ربك يريدك أن تكون مريضا بالجسد فمن أنت حتى أنك تيأس؟ ألا يعتني هو بك في كل شيء؟ أتستطيع أن تعيش بدونه؟ فكُن صبورا وتوسل إليه أن يعطيك الأمور النافعة لك والتي تتفق مع مشيئته، وفضلاً عن ذلك فمع المعاناة الطويلة

---

(81)An.,1211/ 79.

(82) An.,1212/ 80.

اغتذِ (أي تغذّى) بطعام نعمته" [٨٣].

أخبر أحد الآباء بالقصة الآتية: كنت في غرفة استقبال الغرباء، وجاء بعض الفقراء ليأخذوا عطايا المحبة في مساء يوم السبت، وكان بينهم رجلٌ واحد فقط معه حصيرة لينام عليها عندما يضطجعون، ففرشها واستلقى عليها، وكان الجو باردا جدا، فتغطّى بنصف الحصيرة واستلقى على النصف الآخر. وخرجت أنا أثناء الليل وسمعته يشتكي من البرد، ثم خرج لحاجة الطبيعة (التبول) وقال: "أنا أشكرك يا رب لأنه كم من الأغنياء وأصحاب الممتلكات يضطجعون الآن في الحديد وفي الضيقات والسجون، وآخرون أيضا أقدامهم موضوعة في المقطرة ولا يمكنهم تحريكها لأي جانب ولا الخروج لقضاء حاجة الطبيعة، في حين أنني مثل ملك يمكنني أن أمد رجلي وأنام، فضلاً عن أنه يمكنني أن أذهب إلى حيث أريد"! ولما قال هذا الكلام كنت أنا واقفًا أُنصت إليه، فدخلت وقلت ذلك للإخوة فانتفعوا من كلمات هذا الرجل الفقير وسبحوا الله[٨٤].

سأل أخ أحد الشيوخ قائلاً: "إذا جربت وسادت التجربة علي ولم يكن لي أحد أثق فيه لأخبره، فماذا أفعل"؟ فقال له الشيخ: "إنني أثق في الله، وأنه سيرسل نعمته ويعزيك ويعطيك القوة إذا سألته بالحق وتوسلت إليه، لأنني سمعت أنّ أمرا مثل هذا حدث في الأسقيط حيث كان هناك إنسانٌ له نظام في حياته وسلوكه ممتازين، ثم حلّت عليه تجربة، وشعر في نفسه بالظلم، ولأنه لم يكن له أحد يثق فيه ليكشف له الأمر ولا أحد يشجعه استعد للرحيل، فظهرت له نعمة الله في هيئة عذراء وعزته قائلةً: 'لا ترحل، بل اسكن هنا معي لأنه لن يحدث شيء من الشرور مما سمعته'. وفي الحال شفي ذهنه وتعزى وتقوى"[٨٥].

راهب محب للأتعاب النسكية رأى إنسانا يحمل ميتا على نعشٍ، فقال له: "أتحمل الموتى؟ اذهب واحمل الأحياء"[٨٦]!

قال شيخ: "حامل الأموات يأخذ الأجرة من الناس، وحامل الأحياء (أي المحتمل) يأخذ الأجرة من الله"[٨٧].

قيل عن راهب إنه كلما وجد أنّ إنسانا يهينه أو يشتمه كان يسرع إليه قائلاً: "اغفر لي". إنّ هذا هو الذي يؤدي إلى الفضيلة والنمو عند الغيورين، أما الذين ينسبون البركة للإنسان أو يمدحونه فإ م يخدعون النفس ويزعجو ا، لأنه مكتوب: «الذين

---

(83)An.,1213 / 81; W. & W., I: 196. (84) An., 1214 \ 82 ; W. & W., II: 300 ; س ٤ ص ٨٩
(85)An.,1215\ 83; W. & W.,II: 151. وهو يشبه أحد أقوال أنبا مقار (هامش رقم ٦١)
(86) An., 1335 / 204 ; W. & W., I: 222. (٨٧) س ٤ ورقة ٢٠٦.

يسمونك "مباركًا" يخدعونك» (أو «الذين ينسبون لك البركة يضللونك»)[٨٨].

قيل عن شيخ إنّ لصوصا جاءوا إليه مرةً وقالوا له: "لقد جئنا لنأخذ جميع ما في قلايتك". فقال لهم: "خذوا يا أولادي كل ما شئتم". فأخذوا كل ما وجدوه ورحلوا، ولكنهم نسوا مخلاةً كانت مختفية تحت السعف، فلما رآها الشيخ أخذها وأسرع وراءهم وهو يصيح قائلاً: "خذوا هذه التي تركتموها في القلاية". فتعجبوا من وداعة الشيخ وسلامة قلبه، ثم ردوا كل ما أخذوه قائلين بعضهم لبعض: "حقًا إنّ هذا هو رجل الله"، وكان ذلك سببا لتوبتهم وترك حياة اللصوصية[٨٩].

ذهب بعض الآباء إلى شيخ قديس يسكن في البرية ليكشفوا له أفكارهم وينتفعوا بمعرفته، ووجدوا هناك بعض الشبان يرعون غنما، وكانوا ينطقون بكلامٍ غير لائق. وبعد أن انتفعوا من كلامه سألوه: "كيف يا أبانا تحتمل هؤلاء الأولاد؟ ولماذا لا تنهيهم عن كلامهم هذا"؟ فقال لهم الشيخ: "صدقوني، يا إخوتي، لقد أردت عدة مرات أن أكلمهم، ولكنني انتهرت نفسي قائلاً: 'إن كنت لا تحتمل هذه المضايقة القليلة فكيف يمكنك أن تحتمل تجربة قاسية قد تحلّ بك'؟ وبذلك فلم أقُل لهم شيئًا لكي أتذكر بذلك وأعتاد على أن أحتمل أي شيء يأتي علي"[٩٠].

قيل عن أخ كان يسكن بجوار شيخ عظيم وكان يدخل قلاية الشيخ ويسرق ما يجده فيها، وعلم الشيخ بذلك ولكنه لم يوبخه، بل ظلّ يتعِب نفسه أكثر في العمل وبالكاد كان يجد خبزه، وكان يقول: "لا شك أنّ الأخ محتاج"، وكان يأكل طعامه وهو حزين.

وعندما أوشك الشيخ على الانتقال من العالم، كان الإخوة واقفين حوله، ورأى في وسطهم الأخ الذي كان يسرقه، فقال له: "اقترب مني يا ابني"، ولما اقترب قبل يديه وقال: "أيها الأخ، إنني أعترف بفضل هاتين اليدين لأنني بسببهما أنا ذاهب إلى ملكوت السموات". ولما سمع الأخ ذلك امتلأ بتوبيخ الضمير وتاب وصار راهبا محنكًا مختبرا، وذلك بسبب الأمور التي رآها في هذا الشيخ العظيم[٩١].

أخبر أحد الشيوخ أنه سمع بعض القديسين يقولون إنه يوجد شبان يقتادون شيوخا إلى الحياة، ثم روى القصة التالية:

---

(88) An., 1336 / 205; W. & W., I: 223; س ٤ ورقة ١٤٨
ربما يقصد الآية: «بأفواههم يباركون وبقلوبهم يلعنون» (مز٦٢: ٤).
(89) An.,1337/206 ; W. & W., I: 187 ; D. F., p. 122: XIII ; س ٤ ص ١١٣
(90) An., 1338 / 207 ; W. & W., I: 224.
(91) An., 1339 / 208 ; W. & W., II: 529.

كان شيخ سكير قد اعتاد أن يعمل حصيرةً كل يوم ويبيعها في الريف ويشرب بثمنها. ثم جاء أخ وسكن معه، وكان هو أيضا يعمل حصيرةً كل يوم، وكان الشيخ يأخذها أيضا ويبيعها ويشرب بثمن الحصيرتين ويأتي بقليل من الخبز للأخ في المساء. وكان يسلك هكذا لمدة ثلاث سنوات دون أن يقول الأخ شيئًا. ثم قال الأخ في نفسه: "أنظر كيف أنني مجرد، وبالكاد آكل خبزا قليلاً، فسأقوم وأرحل من هنا". ثم تفكّر في نفسه قائلاً: "إلى أين أذهب؟ إنني بالحري أبقى هنا، لأنني أعيش حياة الشركة من أجل الله".

وفي الحال ظهر له ملاك وقال: "لا تخرج فإنني غدا سآتي إليك". وفي الغد توسل الأخ إلى الشيخ قائلاً: "لا تخرج لأنّ أصدقائي سيفتقدونني اليوم". ولما جاء وقت خروج الشيخ قال للأخ: "إ م لن يحضروا اليوم يا ابني، فقد تأجل مجيؤهم". ولكن الأخ قال: "إ م سيحضرون بالتأكيد يا أبي". وبينما كان يتكلّم معه رقد. حينئذٍ قال الشيخ وهو يبكي: "الويل لي، يا ابني، لأنني عشت بالتواني سنوات عديدة، وأنت في وقتٍ قصير خلّصت نفسك باحتمالك"! ومنذ ذلك اليوم ازداد الشيخ حكمةً وصار راهبا مختبرا(٩٢).

كان الشيوخ يقولون عن شيخ كان يسكن معه شاب، ورآه الشيخ مرةً يفعل شيئًا غير نافع له، فقال له مرةً واحدة: "لا تفعل ذلك"، ولكنه لم يسمع له، ولما رأى الشيخ أنه لا يسمع له تركه ولم يزعج نفسه بخصوصه. وحدث أنّ الشاب أغلق باب الحجرة التي يحفَظ فيها الطعام، وترك الشيخ بدون طعام لمدة ثلاثة أيام [أو ١٣ يوما حسب بعض المراجع]، ولم يسأل الشيخ: أين هو الشاب، ولا إلى أين ذهب. وهكذا كان الشاب يعامل الشيخ ذه الطريقة وكأنه حيوان. ولما أدرك أحد جيران الشيخ تأخير الشاب طبخ طعاما قليلاً وقدمه للشيخ، ثم سأله: "لماذا تأخر الشاب"؟ فقال الشيخ: "إنه لم يتأخر، ولكنه سيحضر عندما يتمكن من ذلك"(٩٣).

جاء مرةً بعض الفلاسفة إلى البرية لكي يمتحنوا الرهبان، وكان هناك راهب يرتدي ملابس نظيفة، فقالوا له: "تعالَ هنا"، فغضب واحتقرهم. ثم مر عليهم راهب ليبي الأصل، فقالوا له: "أنت يا راهب، يا من لا زلت في الإثم وأنت في شيبتك، تعالَ هنا"! فذهب إليهم في الحال، فلطموه على خده، فحول لهم الخد الآخر. ولما رأوا ذلك قاموا في الحال وسجدوا أمامه وقالوا: "هذا هو بالحقيقة راهب". ثم أجلسوه في وسطهم وسألوه: "أنتم الذين تعيشون في البرية ماذا تفعلون أكثر منا؟ أنتم تصومون ونحن أيضا

(92) An., 1340 / 209. (93) An., 1341 / 210 ; W. & W., II: 277.

نصوم، أنتم تسهرون ونحن أيضا نسهر، وكل ما تفعلونه نفعله نحن أيضا، فما هو الذي تفعلونه أكثر منا"؟ فقال لهم الراهب الليبي: "نحن نترجى نعمة الله ونحرس أفكارنا". فقال له الفلاسفة: "نحن لا نستطيع أن نحرس أفكارنا". وهكذا انتفعوا ورحلوا(٩٤).

سأل إخوةٌ شيخًا بخصوص القول السابق: "ما هو حفظ العقل؟ ولماذا لم يقدر عليه الفلاسفة"؟ **فقال الشيخ:** "حفظ العقل هو أن لا يطيش ولا يهتم بالأوجاع ولا يفكر فيها بالجملة، بل يبعِدها عنه مع كل فكر الخطية، ويوجه عقله ويوقفه قدام المسيح. إنه كل حين يذكر الله ويتذكر خيراته ومواعيده ووصاياه ووعيده، فيفرح ويبتهج لهذه ويخاف ويرتعد من تلك. فالفلاسفة بعيدون عن هذا الحفظ كل البعد، لأ م وإن كانوا يتنسكون ويصومون فإنّ ذلك ليس من أجل الله ولا لطلب خيراته الآتية، بل لكي تلطف أجسادهم بالصوم وعدم الدسم فتتنور عقولهم لفهم الفلسفة. وهم وإن كانوا يتنسكون عن الأطعمة فلا يقدرون أن يصمدوا أمام الأفكار الشريرة كالمتوحدين. وإن كانوا يحفظون أجسادهم من الزنى الجسداني لئلاّ تطيش أفكارهم وينشغلوا به عن الحكمة ويلاموا؛ فلا يقدرون أن يحفظوا عقولهم من الزنى الخفي الذي يكون بالفكر، لأنّ كل تدبيرهم جسداني وليس لأجل العالم الآتي. ولعدم استطاعتهم حفظ العقل فالسكن بين الناس لا يعوقهم عن تدبيرهم لأنه من العالم. أما تدبير حراسة العقل الذي للمتوحدين فهو ضرورةٌ ويحتاج إلى البعد عن العالم وهدوء الحواس والصمت وضبط الأفكار، لأنّ جميع أعمال العقل واهتماماته وهذيذه تكون في الله والروحانيات"(٩٥).

الإفـــراز

ذهب أخ إلى بعض الآباء وسألهم إن كان الإنسان عندما يفكر أفكارا دنيئة يتنجس. فقال بعضهم: "نعم يتنجس". وقال آخرون: "إنه لا يتنجس وإلاّ فمن المستحيل على الشعب البسيط مثلنا أن يخلص، ولكن يجب على الإنسان ألاّ يجعل الأفكار الدنيئة تتحول إلى أفعال".

ثم ذهب الأخ إلى شيخٍ غيور ومختبِر وسأله عن هذا الأمر، فقال له: "كل إنسان مطلوب منه أن يفعل على قدر طاقته". ثم توسل إليه أخ آخر قائلاً: "من أجل الرب اشرح لي هذه الكلمات". فقال له الشيخ: "افترض أنّ شيئًا شهيا جدا وضِع هنا، وأنّ اثنين من الإخوة دخلا: أحدهما قامته الروحية عالية والآخر قامته قصيرة. فإذا حدث أنّ

(٩٤) An., 1342 / 211 ; W. & W., I: 185.

(٩٥) س ٩ رقم ٦٣ ص ١٣٨.

الأخ المملوء قوة قال له فكره: أريد أن أمتلك هذا الشيء، ولكنه لم يحقق شهوة نفسه بل قطعها في الحال، فهو لم يتنجس. وإذا حدث أنّ الأخ ذو القوة الأضعف اشتهى هذا الشيء وحرضته أفكاره على ذلك ولكنه لم يأخذه، فهو أيضا لم يتنجس ولكنه إذا اشتهاه وأخذه سيكون قد تنجس"[٩٦].

قال شيخ: "ليست أفكارنا التي تطرأ على بالنا هي التي تديننا، بل التي نستخدمها استخداما سيئًا، ففي الحقيقة إنه بسبب أفكارنا يمكننا أن نغرق وبسبب أفكارنا يمكننا أن نكَلل"[٩٧].

سأل أخ شيخًا: "ماذا أفعل، فإنّ الأفكار التي تقاتلني كثيرة، ولا أعرف كيف أقاتلها"؟ فقال له الشيخ: "لا تقاتلها كلها، بل واحدا منها فقط، لأنّ جميع الأفكار الشيطانية لها رأس واحدة فقط، ومن الضروري أن يعرف الإنسان هذه الرأس ويقاتلها هي وحدها، وبعد ذلك تنهزم بقية الأفكار بالضرورة. تماما كما أنه في الحرب إذا ظهر في أحد الطرفين إنسانٌ جبار، فإنّ رجال الطرف الآخر يستعملون كل ما في قدر م لكي يواجهوه برجلٍ جبارٍ أقوى منه، فإذا تمكّن من الإطاحة ذا الرئيس، فإنّ الباقين يهربون ويهزمون".

"هكذا أيضا فإنّ الأفكار التي تأتي من الشياطين لها رأس واحدة، سواء كانت زنى أو حياة استهتار، أو محبة فضة، أو التجوال من مكانٍ إلى آخر؛ لأنك إذا تعرفت على هذه الرأس وطارد ا فهي لن تضللك ولا تجعلك تضلّ عن الأفكار الأخرى".

فلما جاء إلى الأخ ذلك الفكر الرئيسي و ض وقاتله، تعرف عليه وقاتله هو وحده[٩٨].

سأل إخوةٌ شيخًا: "ما هو رأس تلك الأفكار (المذكور في القول السابق)"؟ **فقال الشيخ:** "إنّ التذكار القبيح هو الذي يحرك فينا شهوةً أو غضبا خارجا عن الطبع. والطوباوي مرقس (الناسك) يسمي هذا الفكر خداع الشيطان وحيلته، وأيضا تذكر الأمور غير الإرادي. وبالجملة فإنّ الشيخ قصد بذلك أول فكرة في القتال لأ ا هي سببه. فإن كان الأخ مستيقظًا يصلي سريعا بتوجع فتنصرف عنه هذه الفكرة، ولكنه إذا قَبِل هذا الفكر الواحد الذي من الشيطان واتفق معه في خداعه حينئذٍ تكثر عليه الأفكار الشريرة ويتشوش ذهنه ويظلِم، فإذا أراد بعد ذلك أن يقاتل معها كلها يصعب ذلك عليه"[٩٩].

بخصوص الأفكار الرديئة قال نفس الشيخ: "أتوسل إليكم يا إخوتي، أننا كما نقطع عنا الأعمال الرديئة فلنقطع أيضا الرغبات، لأنه ماذا نكون نحن؟ صوت صادر من

---

(96) An., 1216 / 84. (97) An., 1218 / 86. (98) An.,1219/87;W.&W.,I:302; س ٤ ورقة ١٦٥
(٩٩) س ٩ رقم ٩٧ ص ١٧٤.

مجرد تراب الأرض. إنّ يوسف الرامي لما طلب أن يأخذ جسد يسوع أنزله من على الصليب ولفّه في لفائف من كتانٍ نقي ووضعه في قبرٍ جديد. إنّ القلب النقي هو القبر الجديد للإنسان الجديد"[(١٠٠)].

سئل شيخ: "كيف يجد الإنسان الله، بالصوم أم بالأعمال أم بالتيقظ أم بالرحمة"؟ فقال: "بواسطة هذه كلها بالتأكيد إذا امتزجت بالإفراز. بل إنني أقول إنّ كثيرين عذّبوا أجسادهم بدون إفراز ثم رحلوا عنا دون أن يربحوا شيئًا. إنّ أفواهنا تصير عفنة من العطش، ونحن نردد الأسفار المقدسة بأفواهنا ونعبر على جميع مزامير داود النبي في خدمتنا، أما ما يتطلّبه الله وما هو ضروري فلا نملكه، أي الكلمة الطيبة من كل منا للآخر. لأنه كما أنّ الإنسان لا يمكنه أن يرى وجهه في المياه المضطربة، هكذا النفس إن لم تتطهر من الأفكار الغريبة فلا يمكنها أن تظهر أمام الله في الصلاة"[(١٠١)].

سأل أخ شيخًا: "يا أبي، إنني أطلب من الشيوخ أن يكلمونني عن خلاص نفسي، ولكنني لا أذكر شيئًا من كلامهم، فماذا أفعل، لأنني دائما أطلب منهم ولا أفعل شيئًا؟ إنني في الحقيقة في حالة نجاسة بكليتي"! وكانت عند الشيخ جرتان فارغتان، فقال له الشيخ: "أحضِر إحدى هاتين الجرتين وضع فيها زيتا واشطفها به ثم أفرِغها منه". ففعل ذلك مرتين. ثم قال له الشيخ: "أحضِر الآن الجرتين معا، وانظر لترى أيهما أكثر نظافةً". فقال الأخ: "التي وضعت فيها الزيت هي الأكثر نظافةً". فقال له الشيخ: "هكذا أيضا مع النفس، لأ ا حتى لو لم تبقِ شيئًا مما سألت عنه، إلاّ أ ا تكون أكثر نقاوةً من التي لا تسأل عن أي شيء"[(١٠٢)].

كان أحد الرهبان يعيش حياة نسك صارمة في **قلايته،** وأراد الشياطين أن يضللوه، فكانوا يظهرون له على هيئة ملائكة في الليل لكي يوقظوه ليذهب إلى الكنيسة لحضور الصلاة والتسبيح مع مجمع الرهبان، وكانوا يظهرون له ضوءًا. فذهب إلى شيخٍ وقال له: "يا أبا، تأتي إلي ملائكة ومعها ضوء لكي توقظني للذهاب إلى مجمع الصلاة". فقال له الشيخ: "لا تسمع منهم، يا ابني، لأ م شياطين، وإذا جاءوا لإيقاظك قُلْ لهم: عندما أريد فسأ ض ولن أسمع منكم".

وفي الليلة التالية لما جاءوا إليه لينبهوه كعاد م، أجا م بما قاله له الشيخ. فقالوا له: "هذا الشيخ الشرير كذاب وقد ضلّلك، لأنّ أخا جاء إليه ليستعير منه نقودا، ومع أنه

---

(100) An., 1220/ 88, 1024, 1083; W. & W., I: 126; II: 452.
(101) An., 1222/ 90 ;W. & W., II: 31. (102) An., 1223 /91; W. & W., II: 41; س ٤ ص ١٠٤

كان عنده ليقرضه، إلاّ أنه كذب قائلاً: ليس عندي نقود، ولم يعطه شيئًا". فذهب مبكرا إلى الشيخ وأخبره بكل ذلك. فقال له الشيخ: "ما حدث، يا بني، هو أنني كانت عندي بعض النقود، ولما طلب مني الأخ نقودا لم أرغب أن أعطيه منها لأنني رأيت أ ا ستكون سببا في خسارة نفسه، وشعرت أنني لو تجاوزت وصيةً واحدةً أفضل من تجاوز عشر وصايا ويصل بنا الأمر إلى الحزن على خسارة هذه النفس. أما أنت فلا تسمع للشياطين الذين يريدون أن يخدعوك".

وبعد أن دعم الشيخ الأخ بالتعاليم النافعة، انصرف الأخ إلى قلايته(١٠٣).

قال شيخ: "حياة الراهب وسلوكه يكونان هكذا: الطاعة، الهذيذ، عدم الدينونة، عدم تشويه سمعة أحد، عدم التذمر، ففي الحقيقة إنه مكتوب: «يا محبي الرب ابغضوا الشر» (مز٩٧: ١٠). حياة الراهب هي: عدم أخذ شيء من الأثيم، عدم النظر إلى ما هو شرير، عدم التدخل في كل شيء، عدم الإصغاء إلى الكلام غير اللائق، عدم السرقة بل بالحري العطاء، ألاّ يكون منتفخا في قلبه، ألاّ تكون له أفكار زنى، ألاّ يكون جشعا، ألاّ يملأ بطنه، أن يفعل كل شيء بإفراز. مِن كل هذه الأمور يعرف الراهب"(١٠٤).

كان أحد الآباء يروي عن أحد القديسين، الذي كان بالحق عظيما، أنه إذا جاء إليه أحد ليسأله عن شيء كان يقول له: "ها أنا آخذ مكان الله وأجلس على كرسي الدينونة، فماذا تريد أن أفعل لك؟ إن قلت: 'ارحمني'، يقول لك الله: 'ارحم أخاك وأنا أرحمك، وإذا أردت أن أغفر لك، فاغفر أنت لأخيك وأنا أغفر لك'، هل يمكن أن يلام الله أو يوجد فيه ظلم؟ حاشا. ولكن إن كنا نريد أن نخلص فهذا يتوقف علينا نحن"(١٠٥).

قيل إنّ أحد الشيوخ كانت له أتعاب شديدة في جهاده، وحدث مرةً، عندما كان يرتل المزامير ويصلي، أنّ أحد الآباء القديسين اقترب من قلايته وسمعه يصارع مع أفكاره قائلاً: "حتى متى؟ وكيف تتلاشى هذه كلها من أجل كلمة واحدة"؟ فظن الأب أنّ الشيخ كان يتشاجر مع إنسانٍ آخر، فقرع على الباب لكي يصالحهما، ولكنه لما دخل لم يجد أحدا آخر معه. ولأنه كان صديقًا للشيخ قال له: "مع من كنت تتشاجر يا أبا"؟ فأجابه: "مع أفكاري، ففي الحقيقة إنه أمكنني أن أتلو أربعة عشر سفرا من الكتاب المقدس عن ظهر قلب، ولكنني سمعت كلمةً رديئةً واحدة من الخارج، ولما بدأت أصلي جاءت تلك الكلمة ووقفَت أمامي وأبطلَت تلك الأسفار كلها، ولذلك كنت أُصارع

(103) An., 1224 / 92 ; W. & W., I: 300 ; س ٤ ورقة ١١٥
(104) An., 1225 /93; W. & W., I; 596 b ; II; 435. (105) An., 1226 / 94; W. & W., II: 157.

مع أفكاري". فلما سمع القديس ذلك تعجب من روحانية الشيخ ونقاوة قلبه، وكيف أنه أعلن له بصراحةٍ عن صراعه[١٠٦].

كان أحد الشيوخ يقول: "الأنبياء والرسل دونوا الأسفار المقدسة، وعمل ا آباؤنا ومن جاء بعدهم، ثم حفظها خلفاؤهم عن ظهر قلب، ولما جاء أبناء هذا الجيل نسخوها ووضعوها في الكوى بغير فائدة"[١٠٧].

خرج بعض الإخوة من ديرهم إلى البرية وذهبوا لزيارة أحد الآباء المتوحدين الذي استقبلهم بفرحٍ، ولما رأى أ م، حسب عادة الرهبان، قد جاءوا وهم متعبون من العمل أعد لهم مائدة قبل الميعاد، وجاء بكل ما كان لديه في القلاية أمامهم وأنعشهم. ولما حل المساء رتلوا الإثني عشر مزمورا، وفعلوا نفس الشيء في الليل، ثم تركهم الشيخ ليستريحوا، وفارقهم لكي يصلي ويسبح بمفرده. وبينما كان ساهرا سمع الإخوة يتحادثون قائلين: "إنّ الرهبان الذين يسكنون في البرية يعيشون بارتياحٍ أكثر منا نحن الذين في الأديرة".

وبينما كانوا يستعدون في الصباح للذهاب إلى شيخٍ آخر مجاورٍ له قال لهم: "قولوا له إنني أسلم عليه، وأيضا قولوا له: لا تروِ الأعشاب الخضراء". ولما سمع الشيخ الآخر ذلك فهم القصد منه. ثم جعلهم يعملون وهم صائمين حتى المساء، ثم رتلوا التسبحة الكبيرة، ثم قال لهم: "لأنكم قد أتيتم اليوم بعد تعب العمل، فقد أنقصنا من خدمة التسبيح بعض الشيء"، كما قال لهم: "ليست لنا عادة أن نأكل كل يوم، ولكننا لأجلكم سنأكل قليلاً"، ثم أعد لهم خبزا جافا وملحا، وقال لهم: "من المناسب أن نصنع اليوم عيدا لأجلكم". ثم سكب قليلاً من الخلّ على الملح، ثم ضوا ليصلوا ويسبحوا حتى الفجر، ثم قال لهم: "إننا لأجلكم لا يمكننا أن نتمم الخدمة كلها كما اعتدنا لأنكم يجب أن تستريحوا قليلاً حيث إنكم ضيوفنا".

ولما جاء الصباح أرادوا أن يهربوا، ولكنه توسل إليهم قائلاً: "اقضوا ولو ثلاثة أيام معنا حسب العادة عندنا هنا في البرية، إنني لا يمكنني أن أترككم تنصرفون". ولما رأوا أنه لا يريد أن يصرفهم قاموا وهربوا منه سرا[١٠٨]!

سأل أخ أحد الآباء قائلاً: "إذا حدث أن غلبني النوم وفاتني وقت الصلاة ثم انتبهت، وبسبب حزني لم تنبسط نفسي للصلاة، فماذا أفعل"؟ فقال له الشيخ: "حتى لو غلبك النوم

---

(106) An., 1227 / 95 ; W. & W., I: 249 ; س ٤ ص ١٣٠
(107) An., 1228/ 96; W. & W., I: 250; س ٤ ص ٢٠
(108) An., 1229 / 97; W. & W., II: 14.

إلى الصباح فقُم واغلق بابك وتمم قانونك، فالنبي داود يقول مخاطبا الله:«لك النهار ولك أيضا الليل» (مز٧٤: ١٦). إنّ إلهنا لكثرة جوده ورحمته في أي وقت دعي استجاب"[١٠٩].

قال شيخ: "هناك إنسان يأكل كثيرا ويظلّ جائعا، وآخر يأكل قليلاً ويشبع. فالذي يأكل كثيرا ويظلّ جائعا ينال مكافأةً أعظم من الذي يأكل قليلاً ويشبع"[١١٠].

قال شيخ: "إذا قيلت كلمة سيئة عنك من شخصٍ آخر وأنكرها هذا الآخر، فلا تلاججه قائلاً: 'إنك قلت ذلك'، لأنه سيرد متحديا: 'نعم أنا قلت ذلك، ثم ماذا'"[١١١]؟

سأل أخ شيخًا قائلاً: "إنّ أختي مسكينة، فإذا أعطيتها صدقة ألا يعتبر ذلك كعمل محبة لأي مسكينٍ آخر"؟ فقال له الشيخ: "لا". فسأله: "لماذا أيها الأب"؟ فقال الشيخ: "لأنّ رابطة الدم تدفعك إلى ذلك أكثر من وصية المسيح"[١١٢].

قال شيخ: "لا توافق على كل كلمة، ولا تخضع لكل شيء، كُن مسرعا إلى الاستماع بطيئًا في التصديق، مسرعا إلى قول الحقيقة"[١١٣].

قال شيخ: "رغم أنّ القديسين يتألمون هنا على الأرض، إلاّ أ م قد نالوا بالفعل راحةً جزئيا". وهو قال ذلك لأ م تحرروا من الاهتمامات الدنيوية[١١٤].

قال شيخ: "إن كان راهب يعرف مكانا يمكنه أن ينمو فيه، ولكنه يرفض الذهاب إليه لأنه يحصل فيه على احتياجاته الضرورية بصعوبة، فهذا الراهب لا يؤمن بوجود الله"[١١٥].

سأل أخ راهبًا شابا: "أخبرني أيها الأخ، هل السكوت أفضل أم الكلام"؟ فقال الشاب له: "إن كان الكلام بلا منفعة فاتركه، ولكن إن كان صالحًا فافسح ا ال للصلاح وتكلّم. ومع ذلك، فحتى إذا كان الكلام صالحًا فلا تطِل الحديث، بل اختصره، لأنّ السكوت أفضل وتجد فيه سلاما وهدوءًا وراحةً"[١١٦].

قال شيخ: "العمل الروحي أساسي، فمن أجله نحن جئنا إلى البرية. ومن الصعب جدا أن يعلم الإنسان بفمه عما لا يمارسه بجسده"[١١٧].

قال أحد الآباء: "يجب على الإنسان أن يلزم نفسه دائما بالعمل الداخلي: إنه إذا أعطى نفسه لعمل الله، فإنّ العدو يقترب منه من حينٍ لآخر، ولكنه لن يجد فيه مسكنا.

(109) An., 1230 / 98 ;س ٤ ص ١٠٨ (110)An.,1231/99. (111)An.,1232/ 100.
(112)An.,1233 /101; س ٤ ورقة ٧٣ (113) An., 1234/ 102 ;W. & W., I: 33 b.
(114) An., 1235 / 103. (115) An., 1236 / 104. (116) An., 1237 / 105 ; W. & W., I: 340.
(117) An., 1240 / 108 ; Ch., 66.

أما إذا كان مستعبدا أسيرا للعدو، فإنّ روح الله يداوم على ا يء إليه من حينٍ لآخر، ولكنه إذا لم يجعل له مكانا بسبب رداءته يبتعد عنه"(١١٨).

في **أحد الأيام ذهب بعض الرهبان** من مصر (منف أو القاهرة الآن) إلى الأسقيط لكي يزوروا الشيوخ، ولاحظوا أن الجوع الذي سببه النسك جعلهم يأكلون بشراهةٍ، فصدِموا. ولما علم الكاهن (الأب المسئول) بذلك أراد أن يصحح تفكيرهم، فأعلن في الكنيسة للجميع قائلاً: "أيها الإخوة، صوموا وشددوا نسككم". ولما أراد الزائرون أن ينصرفوا أعاقهم. وبعد صوم اليوم الأول تعبوا، ولكنه جعلهم يأكلون مرةً كل يومين بينما كان رهبان الأسقيط يصومون الأسبوع كله.

ولما جاء يوم السبت جلس الزائرون ليأكلوا مع الشيوخ، وبدأ الزائرون يأكلون بشراهةٍ، فأمسك أحد الشيوخ بأيديهم قائلاً: "كلوا باعتدال كرهبان". ولكن واحدا منهم دفع يده قائلاً: "أُتركني فإنني أموت جوعا لأنني لم آكل طبيخا طوال الأسبوع". فقال الشيخ: "إن كنتم أنتم الذين كنتم تأكلون كل يومين قد أُرهقتم هكذا، فكيف صدِمتم من الإخوة الذين يتبعون النسك دائما ذه الطريقة"؟ حينئذٍ طلب الزائرون المغفرة من رهبان الأسقيط وانصرفوا فرحين منتفعين جدا(١١٩).

أحد الإخوة بمجرد أن صار راهبا حبس نفسه في قلايته قائلاً: "إنني متوحد"! فلما سمع الشيوخ ذلك أخرجوه من قلايته وأمروه أن يقرع على جميع قلالي الإخوة ويصنع مطانية قائلاً لكل منهم: "اغفر لي فأنا لست متوحدا، ولكنني لا زلت مبتدئًا"(١٢٠)!

كان الشيوخ يقولون: "إذا رأيت شابا يصعد إلى السماء بإرادته فامسكه من قدميه وشده إلى أسفل لأنّ هذا نافع له"(١٢١).

سأل إخوة شيخًا بخصوص القول السابق: "ما معنى قوله يصعد بإرادته"؟ **فقال الشيخ:** "هذا يشبه قول أنبا إشعياء إنه قبل أن تدي الحواس من الضعف، فإن كان العقل يريد أن يصعد على الصليب يأتي غضب الله عليه لأنه في فعلٍ أعلى من درجته. إنّ بعض الإخوة المبتدئين غير المختبرين تجاسروا على فعلٍ أعلى من درجتهم وقو م، ولم يريدوا أن يتعلّموا من آبائهم، بل إ م قبل أن يكملوا زما م في حياة الشركة كما ينبغي يتجاسرون ويسكنون في قلاية (أي في التوحد). وذلك كما أخبرنا كتاب الفردوس أنّ

(118) An., 1241 / 109; Ch., 67.
(119) An., 1242 / 110 ; Ch., 69.
(120) An., 1243 / 111 ; W. & W., II: 421 ; Ch., 70.
(121) An.,1244 / 112 ; W. & W., II: 503 ; Ch., 71 ;١٠٨ س ٤ ص

أحد الإخوة لما لبس الإسكيم حبس نفسه قائلاً إنه متوحد. فأخرجه الآباء بخزي. وآخرون يطلبون الحبس في الأسابيع المعروفة دون أن يكون لهم في ذلك ربح. وآخرون منذ بداية دخولهم حياة السكون يتشبهون بالآباء في التدبير الروحاني قبل أن يكملوا التدبير الجسداني؛ فهؤلاء إذا لم يكشفوا أفكارهم للآباء ويقبلوا التصحيح بل يتدبرون حسب هواهم يسلمون في أيدي الشياطين ليسخروا م"[(١٢٢)].

قال شيخ: "إن نزل الاتضاع إلى الجحيم فحتى السماء يصعد، وإن صعدت العظمة إلى السماء فحتى إلى الجحيم بط"[(١٢٣)].

أحد الإخوة قال لأحد الشيوخ الكبار: "أريد يا أبي أن أجد أحد الآباء الشيوخ يتفق مع رغبتي وأنا أموت معه (أي أعيش معه حتى الموت)". فضحك الشيخ وقال: "حسنا، يا إلهي"! ولكن الأخ كان مقتنعا أنّ هذا الأمر جيد، ولم يستطع أن يدرك فكر الشيخ. ولما رأى الشيخ أنه يظن بالفعل أنه يبحث عن شيء صالح قال له: "إذا وجدت شيخا بحسب رغبتك أيمكنك أن تسكن معه"؟ فأجاب الأخ: "نعم". فقال له الشيخ: "ربما أنك لست أنت الذي ستتبع مشيئة الشيخ، بل إنه هو الذي سيتبع مشيئتك، فهل هذا يريحك"؟ حينئذٍ ض الأخ إذ فهم قصد الشيخ، وانطرح أمامه قائلاً: "اغفر لي يا أبي، فقد كنت مخدوعا وظننت أنني أقول شيئًا حسنا، ولكنني وجدت أنه ليس لي منفعة من ذلك"[(١٢٤)].

ترك أخوان بحسب الجسد العالم، وقد ارتدى أصغرهما الزي الرهباني قبل الأكبر. وعندما جاء أحد الآباء لزيار ما أحضرا آنيةً وجاء الأصغر لكي يغسل قدمي الشيخ، ولكنه أمسك بيديه ومنعه وجعل الأخ الأكبر في مكانه. فقال له الشيوخ الحاضرون: "أيها الأب، إنّ الأصغر هو الذي ارتدى الزي الرهباني أولاً". فقال لهم الشيخ: "ولكنني آخذ هذه الأسبقية من الأصغر وأنقلها إلى الأكبر"[(١٢٥)].

سأل إخوة شيخًا بخصوص القول السابق قائلين: "لماذا فعل الشيخ ذلك"؟ **فقال الشيخ:** "فعل ذلك متشبها بما فعله ربنا مع رسله المختارين، لأنّ أندراوس سبق في التلمذة له وبعده سمعان أخوه، وهو الذي قال له إننا وجدنا المسيا وجاء بأخيه إلى السيد. ولما جاء سمعان إلى الرب دعاه "صفا" ورفع درجته فوق أخيه. وأيضا يوحنا بن زبدي سبق أخاه يعقوب في التلمذة، لأنه هو وأندراوس تبعا ربنا قبل بقية التلاميذ، ولما تتلمذ يعقوب جعل درجته فوق يوحنا أخيه. أما بعد صعود الرب وحلول الروح القدس

(١٢٢) س ٩ رقم ٢٧٩ ص ٣٨٩. (١٢٣) س ٤ ص ١١٥.
(124) An., 1245 / 113; W. & W., II: 17; Ch., 72. (125) An., 1246 / 114; W. & W., I: 535.

فقد رتب الرسل درجا م بسبب اتضاعهم العجيب لتعليم بقية الناس وتبكيت المتكبرين. فقد ترك أندراوس الرسول المتضع درجته الكريمة التي هي بعد أخيه كما رتب الرب وصار بعد يعقوب بن زبدي وبعد يوحنا أخيه. ويعقوب بن الرعد ترك درجته العالية التي هي فوق أخيه وصار دونه باتضاع، لأن القديس لوقا هكذا ذكر ترتيبهم في سفر الأعمال: سمعان ويوحنا ويعقوب وأندراوس"(١٢٦).

قال شيخ: "إذا عاش إنسان في مكان ولا يأتي بالثمر الذي يتطلّبه هذا المكان، فإنّ المكان يطرده لأنه لم يعرف كيف يعمل هناك"(١٢٧).

قال شيخ: "إذا سلك إنسان حسب مشيئته وليس حسب مشيئة الله، ولكنه فعل ذلك بجهالة، فعليه أن يتخذ طريق الله؛ أما الذي يتعلق بمشيئته ولا يسلك حسب مشيئة الله ويرفض أن يصغي للآخرين، ولكنه يعتقد أنه يعرف الصواب؛ فمثل هذا الإنسان لا يصل إلى طريق الله إلاّ بصعوبة"(١٢٨).

قال شيخ: "كما أنّ حياة الرهبنة تعتبر أسمى من الحياة العلمانية، هكذا أيضا يجب على الراهب الزائر أن يكون في كل الأحوال مرآةً لرهبان المكان الذي يزوره"(١٢٩).

قال أحد الآباء: "إذا عاش راهب عمال في مكان لا يوجد فيه رهبان عمالين آخرين فلا يمكنه أن ينمو، إنه يستطيع فقط أن يصارع لكي لا يتأخر (أي لا تسوء حالته الروحية). ولكن إذا سكن راهب متهاون مع رهبان عمالين فهو ينمو إن كان متيقظًا، وإلاّ فإنه لا يتأخر (أي لا يرجع إلى الوراء)"(١٣٠).

قال شيخ: "إن كانت النفس عندها الكلمة دون العمل، فهي تشبه شجرة لها أوراق دون ثمار. ولكن كما أنّ الشجرة المليئة بالثمر لها أيضا أوراق جميلة، هكذا أيضا فإنّ الكلام الذي لدى النفس يكون متناسبا مع أفعالها الصالحة"(١٣١).

قال شيخ: "ما تكرهه أنت لا تفعله مع آخر، فإن كنت لا تحب أن يغتابك أحد، لا تغتب أنت أي إنسان، وإن كنت تكره أن يتهمك أحد زورا، فلا تتهم أنت أحدا، وإن كنت لا تحب أن يحتقرك أحد أو يشتمك أو يؤذيك أو يسرق شيئًا منك أو أي عملٍ مكروه آخر، فلا تفعل أي شيء من ذلك مع أي إنسان. من استطاع أن يتمم هذه

(١٢٦) س ٩ رقم ١٥٣ ص ٢٣٩.
(127) An., 1247 / 115; س ٤ ص ٩٧و ١٤٩
(128) An., 1248 / 116. (129) An., 1250 / 118 ; W. & W., II: 140. (130) An., 1251 / 119.
(131) An., 1252 / 120.

الوصية يمكنه أن يخلص"[١٣٢].

التيقظ لعدم إدانة أحد

كان أحد كهنة إحدى الإيبارشيات يذهب إلى متوحد لكي يقدم له التناول من الإفخارستيا. ثم ذهب ثمة إنسان إلى المتوحد لكي يكلمه ضد هذا الكاهن، ولما جاء الكاهن كالعادة لكي يناوله لم يسمح له بالدخول، فانصرف الكاهن. فجاء إلى المتوحد صوت قائلاً: "لقد انتزع البشر الدينونة مني". وكان المتوحد كأنه في دهشٍ ورأى بئرا من ذهب وحبلاً من ذهب وجرة من ذهب وماءً غزيرا من نوعٍ ممتاز. ثم رأى إنسانا أبرص يستقي الماء ويسكبه، واشتاق المتوحد أن يشرب منه ولكنه لم يستطع لأنّ الذي كان يستقي منه كان أبرصا. ثم جاءه صوت مرةً أخرى قائلاً: "لماذا لم تشرب من الماء؟ وما أهمية كون الذي يستقي أبرصا؟ إنه يسحبه فقط ويسكبه". فرجع المتوحد إلى نفسه وأدرك معنى الرؤية، وأرسل إلى الكاهن لكي يأتي إليه بالتناول كالعادة[١٣٣].

قيل إنه كان في **مجمع شركة (كينوبيون) أخوان صالحان،** وقد استحقا أن يرى كل واحدٍ منهما نعمة الله على الآخر. ثم حدث أنّ أحدهما خرج في يوم جمعة خارج الكينوبيون، ورأى إنسانا يأكل في الصباح، فقال له: "أتأكل في هذا الوقت يوم الجمعة"؟ وفي الغد لما رآه أخوه لم يجد النعمة التي كانت ترى عليه، فحزن لذلك، ولما ذهب إلى قلايته قال له: "ماذا فعلت يا أخي حتى إنني لم أعد أرى نعمة الله عليك"؟ فأجاب: "لا أدري إن كنت قد فعلت شيئًا أو قبلت فكرا رديئًا". فقال له أخوه: "هل قلت أي كلمة صعبة لأي إنسان"؟ فتذكّر الأخ وقال: "نعم، رأيت بالأمس إنسانا خارج الكينوبيون يأكل في الصباح فقلت له: أتأكل في هذا الوقت يوم الجمعة؟ هذه هي خطيتي، ولكن اسمح وجاهد معي لمدة أسبوعين، ولنطلب من الله أن يغفر لي". وفعلا هكذا، وبعد أسبوعين رأى الأخ نعمة الله على أخيه مرةً أخرى، فتعزيا وشكرا الله[١٣٤].

سأل إخوةٌ شيخًا عن سبب ما حدث في القول السابق، **فقال الشيخ:** "قوة الروح القدس إنما تعطَى بحرصٍ كثيرٍ للحواس والحركة، ويستحق ذلك من لا يبكت أحدا بلسانه ولا يلومه في أفكاره. وهذا الأخ كان كما ابتدأ وقبل هذه القوة، ولما انحلّ من حرصه ولام غيره فلوقته ارتفعت عنه (النعمة). ولما علم (وتاب) اعتدل"[١٣٥].

---

(132) An., 1253 / 121; W. & W., II: 53.
(133) An., 1254 /122.
(134) An., 1255/123; W. & W., I: 28; D. F., IX, xii; س ٤ ص ٧٨
(١٣٥) س ٩ رقم ١٩٥ ص ٣٩٦.

عدم الافتخار بأي عمل، والابتعاد عن الجشع

أقيمت في **أحد الأيام وليمة أغابي لرهبان القلالي،** ولما جلسوا يأكلون كان بينهم أخ لا يأكل طبيخا، فأخبر الخادم بذلك، وطلب قليلاً من الملح. فقال الخادم لخادمٍ آخر بأعلى صوته: "إنّ الأخ فلان لا يأكل طبيخا، فأحضر له قليلاً من الملح". فنهض أحد الشيوخ من المائدة وقال له: "كان من الأفضل لك في هذا اليوم أن تمكث في قلايتك وتأكل لحما بدلاً من أن يسمع عنك هذا الأمر هكذا على الملأ"[١٣٦].

كانت تروى قصة عن أخ كان لا يأكل خبزا بل فطيرا غير مختمر منقوعا في الماء، وعندما كان يزور الرهبان يضع أمامه وقت الأكل فطيرا ويأكله. وفي أحد الأيام زار شيخا عظيما، كما زار هذا الشيخ أيضا في نفس الوقت ضيوف آخرون، فطبخ لهم الشيخ قليلاً من العدس، ولما جلسوا ليأكلوا أخرج ذلك الأخ فطيره وأكله. ولما رأى الشيخ ذلك سكت ولم يوبخه أمام الإخوة، ولكنه بعد أن نهضوا من على المائدة أخذه جانبا وقال له: "يا أخ، إذا زرت إنسانا فلا تكشف نظام حياتك، ولكن كُلْ مع الإخوة حتى لا تفكر في نفسك أنك أفضل منهم ثم تدينهم. أما إذا كنت تريد أن تحتفظ بإنكار ذاتك، فامكث في قلايتك ولا تخرج منها". فاستمع الأخ من الشيخ، وبدأ يأكل مع الإخوة مما يأكلونه لكي يخدعهم كما قال الشيخ[١٣٧].

أحد الأشخاص توسل إلى شيخ أن يقبل منه عطية لأجل احتياجاته، ولكنه رفض لأن عمل يديه يكفي لأجل احتياجاته. ثم ألحّ عليه قائلاً: "إن كنت لا تقبل العطية لأجل احتياجاتك، فعلى الأقل لأجل احتياجات الآخرين". فقال له الشيخ: "هذا سيكون أمرا مشينا لي لسببين: **الأول:** لأنني آخذ شيئًا لا أحتاج إليه، **والثاني:** لأنني سأعطي بافتخار من عطاء محبة شخص آخر غيري"[١٣٨].

جاء زائر إلى الأسقيط ومعه ذهب كثير طالبا من القسيس أن يعطيه للإخوة، فقال له القسيس: "الإخوة في غير حاجةٍ إليه". ولكن الزائر أصر على ذلك، ووضع سلّةً مليئةً بالذهب عند باب الكنيسة، وقال القسيس للإخوة: "من له احتياج فليأخذ بعضا منه". فلم يأخذ منه أحد، بل إنّ بعضهم لم يلاحظ وجود الذهب. حينئذٍ قال القسيس للزائر: "لقد قبل الله عطيتك، فاذهب واعطها للفقراء". فانتفع الرجل جدا وانصرف[١٣٩].

(136) An., 1256/ 124;W. & W., I: 323;١٦٠ س ٤ ورقة (137) An., 1257/ 125;W.&W., I: 321.
(138) An.,1258 /126;W.&W.,I: 180. (139) An., 1259/ 127; W. & W., II: 411.

جاء إنسان بنقودٍ إلى أحد الشيوخ المسنين قائلاً: "خذها لأجل مصاريفك لأنك صرت مسِنا ومريضا". فقال له الشيخ: "هل جئت لكي تنتزع مني ذاك الذي أعالني مدة ستين سنة وتحرمني من المكافأة؟ إنّ لي ستين سنة في هذا المرض ولم يعوزني شيء لأنّ الله يطعمني ويعتني بي". ولم يقبل الشيخ أن يأخذ شيئًا[١٤٠].

قيل عن رجلٍ كان يعمل بستانيا، وكان يتصدق بكل أجرته ويحتفظ فقط باحتياجاته. ثم خطر له فكر من العدو: "ها أنت قد قضيت عمرك كله وأنت تتصدق بأجرتك، فهل ضمنت لنفسك عوارض الزمن؟ ادخر، إذن، بعض النقود لتنفعك في مرضك أو شيخوختك". ففعل هكذا حتى ملأ وعاءً من مدخراته.

وبعد قليل حدث وهو في البستان أنّ شوكةً اقتحمت قدمه وتورمت، فأنفق جميع مدخراته على الأطباء ولم ينتفع شيئًا، ثم اضطر أن يطلب صدقةً من الذين كان يتصدق عليهم ... وبعد أن أنتنت قدمه جدا أشار عليه طبيب خبير بأن يقطع قدمه لئلاّ ينتشر المرض في كل جسمه، وهكذا تقرر أن تقطَع قدمه في صباح اليوم التالي.

وفي تلك الليلة بينما كان يبكي ويتنهد رجع إلى نفسه وندم لأنه أخطأ بادخاره لما كان يتصدق به، وقال: "أذكر يا رب أعمالي السابقة عندما كنت أعطي للإخوة أجرة تعبي". فظهر له ملاك الرب قائلاً: "أين هي الفضة التي ادخر ا واتكلت عليها لتعينك في مرضك، لقد ذهبت كلها سدى، وما كنت تتصدق به عدت واسترجعته من المحتاجين"! فبكى قائلاً: "أخطأت إليك فاغفر لي، وإذا شفيت فلن أفعل ذلك مرةً أخرى، وسأعود إلى ما كنت عليه". فلمس الملاك قدمه وشفيت في الحال، وفي الصباح ذهب يعمل في البستان. ولما حضر الطبيب باكرا ومعه المنشار ليقطع قدم الرجل لم يجده، وقالوا له: "لقد ذهب ليعمل في البستان". فذهب إليه ووجده يفلح الأرض وهو صحيح معافى، فتعجب وسبح الله. ثم عرفه بسبب مرضه وسبب شفائه، فمجد الطبيب الله وانصرف[١٤١].

سأل أخ شيخًا: "أتحب أن أدخر بعض النقود لأجل احتياجات ضعف الجسد أو المرض"؟ فلما رأى الشيخ أنه يميل إلى ذلك بفكره قال له: "نعم". ولما رجع الأخ إلى قلايته شعر باضطرابٍ في قلبه، وتناقش مع أفكاره قائلاً: "أترى قال الشيخ لك ذلك بحقٍ أم لا"؟ فقام وعاد إلى الشيخ واستسمحه قائلاً: "من أجل الرب قُلْ لي الحق، لأنّ أفكاري تزعجني بخصوص النقود". فقال له الشيخ: "ما قلته لك كان بسبب أنني رأيت

(140) An.,1260/ 128 ; W. & W., II: 299.

(141) An.,1261/ 129; W. & W., I: 170; البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١٢١

أنك تميل في قلبك إلى ادخار النقود، ولكنه ليس من الضروري لك أن تدخر نقودا، لأنك ستلقي رجاءك عليها، ولو حدث أ ا فُقِدت ألا يعتني الله بك؟ إذن، فلنضع كل رجائنا فيه لأنه هو الذي يعتني بنا على الدوام"[١٤٢].

جاء في **أحد الأيام بعض اليونانيين** إلى مدينة "أوستراكينا Ostrakina" لكي يوزعوا صدقات، وأخذوا معهم بعض المشرفين في المدينة لكي يعرفوهم بالذين هم أكثر احتياجا من غيرهم لهذه الصدقات، فأخذوهم إلى أخٍ مجذّم (به عاهات أو أمراض مزمنة)، ولما قدموا له صدقةً رفضها قائلاً: "ها أنا أضفر الخوص وأصنع حبالاً وآكل خبزي". فأخذهم المشرفون إلى أرملة، ولما قرعوا الباب أجابتهم ابنتها من الداخل لأ ا كانت عريانة، وقالت لهم إنّ أُمها ذهبت إلى عملها لأ ا كانت غسالة وتعيش من تعب يديها. ولما قدموا للفتاة بعض الملابس والنقود رفضتها قائلةً: "عندما تأتي أُمي تقول لي: إنّ الله قد شاء أنني أجد اليوم عملاً وأننا سنحصل على طعامنا".

ولما جاءت أُمها طلبوا منها أن تقبل الملابس والنقود، ولكنها رفضت قائلةً: "لي من يعتني بي، وهو الله، وأنتم تريدون أن تحرمونني اليوم من ذاك الذي اعتنى بي كل أيام حياتي"؟ فلما رأوا إيما ا مجدوا الله[١٤٣].

الســـهر والتيقــظ الدائــم

قال شيخ: "من يفقد ذهبا أو فضةً يمكنه أن يجد بدلاً منها، ولكن من يفقد الوقت لا يمكنه أن يعوضه"[١٤٤].

ذهب شيخ لزيارة شيخ آخر، وبينما كانا يتحادثان قال أحدهما: "إنني ميت عن العالم". فقال له الآخر: "لا تثق بنفسك في هذا الأمر قبل أن ترحل من العالم، لأنك لو قلت إنك ميت فالشيطان لم يمت"[١٤٥].

قال شيخ: "كما أنّ الجندي عندما يذهب إلى القتال لا يهتم بمعرفة شيء عن الآخرين إن كانوا قد جرِحوا أم خلصوا، وإنما يكون كل اهتمامه في نفسه؛ هكذا ينبغي أن يكون الراهب"[١٤٦].

قال شيخ: "كما أنه لا يمكن لأحدٍ أن يؤذي من هو قريب من الملك، هكذا أيضا لا

(142) An.,1262/ 130; W. & W.,I: 169;١٦٥ س٤ ورقة (143) An., 1263/131;W. & W.,II: 298.
(144) An., 1265 / 133. (145) An.,1266 /134; W. & W., I: 259.
(146) An.,1267 / 135; W. & W., I: 333; ١٦٥ س ٤ ورقة

يمكن للشيطان أن يؤذينا إن كانت نفوسنا قريبة من الله، لأنه حقًا قال: «اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم» (يع٤: ٨). ولكن إن كنا نمجد ذواتنا فإنّ العدو لا يجد صعوبةً في اجتذاب نفوسنا المسكينة إلى الأهواء المشينة"[(١٤٧)].

قال أحد الآباء: "عندما تنهض باكر كل يوم قُلْ لنفسك: عليك أن تعمل يا جسدي لكي تغتذي، ويا نفسي كوني متيقظة لترثي ملك السماء"[(١٤٨)].

قال أخ لشيخ: "إنني لا أرى أي حربٍ في قلبي". فقال له الشيخ: "إنك مثل مبنى مفتوحا من الجهات الأربع، وكل من أراد أن يدخل أو يخرج يمكنه ذلك دون أن تلاحظ أنت، أما إن كان لك باب وتغلقه ولا تسمح للأفكار الشريرة بالدخول، فإنك ستراها واقفةً في الخارج تصارع ضدك، لأننا إن كنا متيقظين وغيورين في حب الله، فإنّ العدو الذي هو المشير إلى الإرادة الشريرة لا يقترب منا"[(١٤٩)].

قيل إنّ شيخًا عندما كانت أفكاره تقول له: استرح اليوم وتب غدا، كان يرد عليها قائلاً: "لا، بل إنني أتوب اليوم وغدا لتكن مشيئة الله". كذلك عندما كانت تقول له بخصوص الصوم: كُلْ اليوم وتنسك غدا، كان يقول: "لا، بل أصوم اليوم ولتكن مشيئة الله غدا"[(١٥٠)].

قال شيخ: "إذا كان الإنسان الباطن ليس متيقظًا فمن المستحيل حراسة الإنسان الخارج"[(١٥١)].

قال شيخ: "تمسك بالصمت، ولا تهتم بأي شيء أرضي، واهتم بتأملاتك، ارقد واستيقظ في مخافة الله ولا تخف من محاربة الأثمة"[(١٥٢)].

قال شيخ لأحد الإخوة: "الشيطان هو العدو وأنت هو البيت، والعدو لا يكف عن إلقاء كل ما يجده في بيتك، ساكبا كل أنواع النجاسات عليه، وعليك ألاّ تتوانى عن إلقاء كل ذلك خارجا أولاً بأول، وإن لم تفعل ذلك فإنّ البيت سيمتلئ بكل أنواع النجاسات، ولا يمكنك بعد أن تدخل. فعليك أن تلقي خارجا كل ما يبدأ العدو أن يلقيه في داخلك قليلاً قليلاً، وسيظل بيتك طاهرا بنعمة المسيح"[(١٥٣)].

قال أحد الشيوخ: "عندما تكون عينا الدابة مغطّاتين تدير الطاحونة، وإن لم تكونا مغطّاتين لا تديرها؛ هكذا أيضا الشيطان، إذا نجح في تغطية عيني الإنسان فهو يضعِفه

(147) An., 1268 / 136. (148) An., 1269/ 137; W. & W., I: 182; س٤ ورقة ٦٢
(149) An., 1270/ 138;W. & W., I: 361. (150) An., 1271/ 139;W. & W., I: 612; س٤ ورقة ٧٨
(151) An., 1272 / 140. (152) An., 1274 / 142 ; W. & W., I: 33 a, II: 73.
(153) An., 1275 / 143 ; W. & W., I: 328.

ويقوده إلى كل أنواع الخطايا، أما إذا كان الإنسان بصيرته مكشوفة فهو يهرب بسهولة من عثرات الشيطان"[١٥٤].

قيل إنّ سبعة إخوة كانوا يسكنون في جبل أنبا أنطونيوس، وفي موسم حصاد البلح كان كل منهم له نوبة حراسة لكي يطرد الطيور، وكان أحدهم شيخا، وكان في نوبة حراسته يقول: "ابتعدي أيتها الأفكار الشريرة من الداخل، وابتعدي أيتها الطيور من الخارج"[١٥٥].

أخ من القلالي بل خوصا، ولما جلس ليضفره قال له فكره: "اذهب لزيارة فلان الشيخ". فقال هو لفكره: "اصبر وستذهب بعد بضعة أيام". فقال له فكره: "ولو مات هو أو أنت فماذا تفعل؟ اذهب وتحدث معه لأنّ هذا هو الوقت المناسب". فأجاب: "ليس هذا هو الوقت المناسب. عندما أفرغ من ضفر هذا الخوص المبلول سأذهب". ثم عاد فكره يقول له: "إنّ الجو اليوم جميل". وللوقت ض، وترك الخوص مبلولاً (مما يجعله يفسد) وأخذ جلده (أي رداءه الجلدي) وخرج.

وكان لهذا الأخ جار شيخ قديس له موهبة معرفة الغيب، ولما رآه ذاهبا صاح قائلاً: "يا مسبي (العقل) ارجع وتعالَ". ولما رجع قال له: "ارجع إلى قلايتك". فأخبره الأخ بأفكاره التي كانت تقاتله، وصنع له مطانية ورجع إلى قلايته حيث سجد وقدم توبته لله. حينئذٍ صاحت الشياطين بصوتٍ عالٍ: "لقد غلبتمونا يا رهبان"! ثم صارت الحصيرة التي كان يجلس عليها تحترق كما بنارٍ، واختفت الشياطين مثل الدخان. فتعلّم الأخ من ذلك عن خبث الشياطين وحيلهم وشكر الله[١٥٦].

سأل إخوةٌ شيخًا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "هذه القصة توضح لنا صعوبة قتال الشياطين للمتوحدين، وأ م في أحيان كثيرة يحدث لهم ذلك حتى تطيش عقولهم ويصيروا كا انين. ومن ذلك نعلم معونة ربنا إن كان لنا صبر وطاعة ولا نقطع رجاءنا، أما الذي يهزم ويترك الجهاد فهو بجهله ينقطع رجاؤه ويهلك. وقد دونت أخبار هؤلاء الرهبان بعد انتهاء زمان قتالهم حتى يعرف مقدار العون الصائر إليهم في ذلك لكي لا يقطع أحد رجاءه"[١٥٧].

قيل إنّ شيخًا في **الأسقيط** عند وفاته أحاط به الإخوة، وبينما كانوا يلبِسونه الرداء

---

(154) An., 1276/ 144; W. & W., I: 383; س ٤ ص ١٣٠
(155) An., 1277/ 145; W. & W., I: 266; Ch., 91.
(156) An., 1278/146 ; W. & W., I: 25 ; Ch., 92 ; D. F., XI: LI. س٢ ص ٤٧٠
(١٥٧) س ٩ رقم ٢٥ ص ١٠٤.

الرهباني فتح عينيه وضحك مرةً ثم مرةً ثانية وثالثة. فسأله الإخوة: "لماذا يا أبانا تضحك بينما نحن نبكي"؟ فقال لهم: "ضحكت في المرة الأولى لأنني رأيتكم خائفين من الموت، والمرة الثانية لأنكم مع خوفكم منه لا تستعدون له، والمرة الثالثة لأنني ماضٍ من التعب إلى الراحة". ثم تنيح في الحال، فانتفع الإخوة منه(١٥٨).

روى بعض الإخوة القصة الآتية: "ذهبنا يوما ما لزيارة بعض الشيوخ، وكما هي العادة بعد أن صلّينا ورحبوا بنا جلسنا. وبعد أن تحدثنا معهم أردنا أن ننصرف، فطلبنا منهم أن يصلوا. فقال أحد الشيوخ: 'ماذا تقصدون؟ ألم تصلوا'؟ فقلنا لهم: 'إننا صلّينا عندما جئنا، ولكننا حتى الآن كنا نتحدث'. فقال الشيخ: 'اغفروا لي أيها الإخوة، فإنّ واحدا منكم كان جالسا معكم أثناء الحديث وصلى ثلاثمائة صلاة'! ولما قال ذلك صلوا وصرفونا"(١٥٩).

الرحمــة وإضافة الغرباء

كان أحد الشيوخ يعيش مع أحد الإخوة حياةً مشتركة، وكان الشيخ محبا ومحسنا للآخرين، وحدثت مجاعة وجاء إليه الناس يطلبون صدقة، وكان الشيخ يعطي خبزا للجميع. ولما رأى الأخ ذلك قال للشيخ: "أعطني نصيبي من الخبز". فقسم الشيخ الخبز وأعطاه نصيبه، وظلّ الشيخ يعطي المحتاجين من نصيبه. ثم أسرع كثيرون إلى الشيخ لأنهم علموا أنه يعطي الجميع، ولما رأى الله ذلك بارك في خبزه. ولما وجد الأخ أنّ نصيبه من الخبز قد نفذ وأنّ نصيب الشيخ لم ينفذ بعد قال له: "لقد نفذ نصيبي، فاقبلني معك شريكًا مرةً أخرى". فقال الشيخ: "حسنا"، ثم عادا إلى المعيشة المشتركة معا. وظلّ المحتاجين يأتون إلى الشيخ وهو يعطيهم أيضا.

وفي أحد الأيام وجد الأخ أنّ الخبز قد نفذ، وجاء أحد المساكين يطلب صدقةً، فقال الشيخ للأخ: "أعطه خبزا". فقال الأخ: "لقد نفذ الخبز يا أبي". فقال له: "ادخل وفتش". ولما دخل وجد أنّ مخزن الخبز قد امتلأ بالخبز حتى قمته، فامتلأ خوفًا، وأخذ منه وأعطى للمسكين. وعلم الأخ من ذلك بإيمان الشيخ وفضيلته وشكر الله ومجده(١٦٠).

قال شيخ: "يوجد رهبان يعملون أعمالاً صالحة كثيرة، ولكن الشيطان يضــع أمــامهم وساوس (أو شكوك) بخصوص أمور صغيرة لكي يفقدوا ثمار أعمالهم الصالحة. حدث عندما

(158) An., 1279 / 147 ; Ch., 93 ;س ٤ ورقة ٩٦
(159) An., 1280 / 148.
(160) An., 1281 / 149 ; W. & W., I: 393 ; Ch., 96.

كنت ساكنا في "إكسورينكوس" (البهنسا) بجوار كاهن كان يعطي صدقات لكـثيرين، أنّ أرملةً جاءت لتطلب منه بعض القمح، فقال لها: 'أحضري مقطفًا وأنا أكيل لكِ فيه بعـض القمح'. فأحضرت المقطف، وكال لها بعض القمح في المقطف قائلاً لها: 'إنه كبير'، فخجلت المرأة. وبعد انصرافها قلت له: 'هل بعت لها القمح أيها الأب'؟ فقال: 'لا، بل أعطيتـه لهـا صدقة'. فقلت له: 'إن كنت قد أعطيته لها صدقة فلماذا تثير اعتراضا تافها بخصوص المقطف مما جعلها تشعر بالخجل'"[١٦١]؟

ذهب أخ لزيارة متوحدٍ، وعند انصرافه قال له: "اغفر لي يا أبي لأنني عوقتك عن نظام حياتك اليومية". فأجابه المتوحد قائلاً: "نظام حياتي هو أن أُريح نفسك وأصرفك بسلام"[١٦٢].

كان أحد المتوحدين يسكن بجوار أحد الأديرة، وكان يعيش حياة نسك صارمة، ثم جاء بعض الزائرين إلى الدير واضطروه أن يأكل في غير ميعاده، ثم قال له الإخوة: "ألم تحزن بسبب ذلك أيها الأب"؟ فقال لهم: "إنني أحزن فقط عندما أُتمم مشيئتي"[١٦٣].

سأل إخوةٌ شيخًا عن القول السابق، فقال الشيخ: "إنه يقصد: كان يصعب علي (أي أنني أحزن) لو لم أقطع هواي، ولو لم أقدر أن أقطع هواي لما أكلت مع الإخوة. فما أجاهد من أجله هو هذا: أن أقتني إفرازا وأعطي للصوم ما ينبغي له، وللحب كرامته وما ينبغي له. في وقت الصوم أقطع هواي الذي يخدعني ويغريني إلى الطعام ويمنعني من الصوم، وفي وقت الحب أقطع هواي الذي يحثني على الصوم ويمنعني من مشاركة الإخوة بمحبةٍ أخوية"[١٦٤].

قيل إنّ أحد الشيوخ كان يسكن في سوريا على الطريق إلى البرية، وكان هذا هو عمله: إذا جاء إلى البرية أحد الرهبان كان يرحب به وينعشه (أي يكرمه) بكل قلبه. وفي أحد الأيام جاء إليه متوحد وأراد أن يكرمه، ولكنه رفض قائلاً إنه صائم. فحزن الشيخ وقال له: "أتوسل إليك ألاّ تحتقر خادمك، ولكن هلم نصلي، ثم نتبع أي واحدٍ منا يجعل هذه الشجرة تنحني عندما يسجد على الأرض ويصلي". فجثا المتوحد للصلاة ولم يحدث شيء. ثم جثا الراهب المضياف وللحال انحنت الشجرة أمامه، فانتفع كلاهما وقدما الشكر لله[١٦٥].

كان أحد الرهبان له أخ يعيش في العالم وكان فقيرا، فكان يعطيه كل ما كان يكتسبه من تعب يديه، ولكن بقدر ما كان يعطيه كان يزداد فقرا. فأخبر الراهب أحد

---

(161) An., 1282 /150; Ch., 95; W. & W., II: 248. (162) An., 1283 / 151; W. & W., I: 440.
(163) An., 1284 / 152 ; W. & W., I: 414, 433.
(١٦٤) س ٩ رقم ١٢١ ص ٢٠٤.
(165) An., 1285 / 153 ; W. & W., I: 399.

الشيوخ بذلك، فقال له الشيخ: "إذا أردت أن تعمل بنصيحتي فلا تعطِه شيئًا بعد الآن، بل قُلْ له: 'يا أخي، عندما كان عندي شيئًا كنت أعطيه لك، والآن أحضِر أنت لي مما تحصل عليه من عملك'، وخذْ كل ما يأتي به إليك، وعندما ترى غريبا أو مسكينا فاعطه منه طالبا منه أن يصلي لأجل الأخ". فذهب الراهب وفعل ذلك، وقال للأخ العلماني كما نصحه الشيخ، فذهب الأخ حزينا.

ثم جاء الأخ مرةً ببعض الخضروات من حقله إلى الراهب، فأخذها إلى الشيوخ طالبا منهم أن يصلوا لأجل الأخ الذي نال بركتهم وعاد إلى بيته. ثم جاء مرةً ثانيةً إلى الراهب ببعض الخضروات وثلاث خبزات، فأخذها الراهب وفعل كما في المرة الأولى وأخذ البركة وانصرف. ثم جاء مرةً ثالثة ومعه أطعمة كثيرة وخبز وسمك. فلما رأى الراهب ذلك امتلأ بالتعجب، ودعا الفقراء لكي يفرحهم بتلك العطايا، ثم قال لأخيه: "ألا تحتاج إلى قليل من الخبز"؟ فأجابه: "كلاّ، لأنني عندما كنت آخذ منك شيئًا فكأنه كان نارا تدخل إلى بيتي وتحرقه، أما الآن فلأنني لا آخذ شيئًا منك فإنّ الله يباركني". فذهب الراهب وأخبر الشيخ بكل ما حدث، فقال له الشيخ: "ألا تعلم أنّ متاع الراهب إنما هو نار وأينما دخل أحرق؟ إنّ ما يعين أخاك أكثر هو أن يصنع صدقات مما يجنيه من حقله وينال صلوات القديسين وهكذا يكون مباركًا"(١٦٦).

كان هناك راهب من الصعيد قد أخذ من الله موهبة خدمة الآخرين حتى إنه كان قادرا أن يزود جميع الذين جاءوا إليه بما يحتاجونه. وحدث أنه كان يعطي صدقات يوما ما في إحدى القرى، فجاءت إليه امرأة ترتدي ملابس رثّة لكي تأخذ شيئًا، ولما رأى أ ا ترتدي ملابس قديمة وسع قبضة يده ليعطيها كثيرا، ولكن يده ضاقت فأعطاها قليلاً. ثم جاءت إليه امرأة ترتدي ملابس جيدة، ولما رأى ملابسها أراد أن يعطيها قليلاً، ولكن يده اتسعت فأعطاها كثيرا. ثم استفسر عن المرأتين، فأخبروه بأنّ التي ترتدي ملابس جيدة تنتمي أصلاً إلى الطبقات العالية، ثم أصبحت فقيرة، فهي لأجل هذه الذكرى ترتدي ملابس جيدة، أما المرأة الأخرى فهي ترتدي ملابس قديمة لكي تأخذ صدقة أكثر(١٦٧).

ذهب مرةً شيخان لزيارة أحد الشيوخ الذي كانت عادته ألاّ يأكل كل يوم، ولما رآهما فرح وقال: "الصوم له مكافأته، أما الذي يأكل لأجل المحبة فهو يتمم وصيتين، لأنه يتخلّى عن مشيئته، ويتمم وصية المحبة". وهكذا أكرم الضيفين(١٦٨).

(166) An., 1286 / 154 ; W. & W., II: 260 ; Ch., 94.
(167) An., 1287 / 155.
(168) An., 1288 / 156 ; W. & W., I: 396.

كان في **مصر قديس يسكن** في **البرية،** وكان هناك شيخ (أو كاهن) يسكن في موضع ليس ببعيدٍ عنه، وكان مانيا (أي من أتباع بدعة "ماني")، وقد اضطر هذا الشيخ أن يذهب لزيارة واحدٍ متوافق معه في عقيدته، وبينما كان في طريقه حل عليه ظلام الليل عند مسكن القديس، فشعر أنه في ضيقةٍ شديدة لأنه خاف أن يذهب إلى القديس لأنه ظن أنه لن يستقبله لأنه كان معروفًا عنه أنه مانيّ المعتقد. ولما وجد نفسه مضطرا قرع باب القديس، ففتح له وعرفه واستقبله بفرحٍ، ثم ألزمه بأن يصلي، وبعد أن أكرمه وأراحه أعطاه مكانا للنوم.

وفي أثناء الليل رجع الشيخ المانيّ إلى نفسه قائلاً: "كيف أنّ هذا الشيخ قد أراحني من كل جهةٍ ولم تكن لديه أية شكوكٍ من جهتي؟ حقًا إنه رجل الله". ثم قام وانطرح عند قدميه قائلاً: "من اليوم فصاعدا أنا أرثوذكسي مثلك"، ورجع إلى الحق وصار صديقًا للقديس وأقام معه(١٦٩).

الطـاعـــة

كان الآباء يقولون: "إذا كان إنسان له ثقة في آخر (أب روحي)، ويسلم نفسه له في خضوعٍ كاملٍ، فهو لا يحتاج أن يلتفت إلى وصايا الله، ولكن يمكنه أن يعهد بمشيئته كلها لأبيه، وهو لن يلاقي توبيخا من الله، لأنّ الله لا يتطلّب شيئًا من المبتدئين أكثر من التخلي عن كل شيء بواسطة الطاعة"(١٧٠).

كما كانوا يقولون: "إنّ الله لا يتطلّب شيئًا من المبتدئين في الحياة الرهبانية سوى العمل وقمع الجسد وأن يكون الإنسان مطيعا"(١٧١).

أحد الشيوخ كان له خادم يعيش في **الريف.** وحدث أنّ الخادم تأخر مرةً عن ا ىيء حسب العادة، فبدأ الشيخ يحتاج إلى الضروريات، ولما طالت مدة تأخيره احتاج الشيخ حتى إلى لوازم عمله في قلايته. ولما تضايق من عدم وجود ما يحتاجه سواء للعمل أو للطعام قال لتلميذه: "أتذهب إلى القرية"؟ فأجابه: "أفعل كما تريد". ولكن الأخ كان خائفًا من الذهاب إلى القرية بسبب العثرات، إلاّ أنه وافق على الذهاب حتى لا يخالف أباه. فقال له الشيخ: "اذهب وأنا أثق أنّ إله آبائي سيحفظك من كل تجربةٍ". وبعد أن صلى صرفه.

ولما ذهب الأخ إلى القرية سأل عن مسكن الخادم حتى وجده. وحدث أنّ الخادم هو

---

(169) An., 1289 / 157 ; W. & W., II: 383. (170) An.,1290 / 158.
(171) An., 1292 / N 292 ; W. & W., II: 199 ; Ch., 98.

وأهل بيته كانوا خارج القرية عند المدافن ماعدا إحدى بناته التي أجابت على التلميذ عندما قرع الباب. ولما فتحت الباب ورأته، سألها عن والدها، ولكنها دعته للدخول، بل إ ا جذبته إلى الداخل، ولكنه رفض. ولما ظلّت مدةً طويلة على إصرارها جذبته أخيرا إليها، ولكنه لما وجد أنه يجبر على النجاسة، وأنه كان على وشك أن يخضع لشهواته، صلى بتنهداتٍ إلى الله قائلاً: "يا رب، بصلوات أبي أنقذني في هذه الساعة". وبقوله هذا وجد نفسه في الحال عند النهر عائدا إلى الدير، وهكذا رجع إلى أبيه بدون أذى(١٧٢).

ذهب أخوان بحسب الجسد ليعيشا في **دير،** أحدهما كان ناسكًا والآخر كان مطيعا جدا، فإذا قال له أب الدير أن يعمل هذا أو ذاك كان يعمله، أو أن يأكل في الصباح فكان يأكل. وكانوا يقدرونه جدا في الدير بسبب طاعته. فتضايق أخوه الناسك جدا من ذلك، وقال في نفسه: "سأمتحنه لأرى إن كان مطيعا حقًا". فذهب إلى الأب وقال له: "أرسل أخي معي لنذهب إلى مكانٍ ما". فأمره الأب أن يذهب، وأخذه الناسك بقصد أن يمتحنه. وذهبا إلى النهر، وكانت فيه هناك تماسيح كثيرة، وقال له: "انزل إلى النهر واعبر"، ف ل، وجاءت التماسيح ولعقت جسمه، ولكنها لم تؤذِه. فلما رأى الناسك ذلك قال له: "اصعد من النهر". ثم صاح قائلاً له: "اغفر لي يا أخي، فإنني لم أبلغ بعد إلى مثل درجة إيمانك هذا".

ولما سارا في طريقهما وجدا جثة ميت ملقاة على جانب الطريق، فقال الناسك: "لو كانت لدينا بعض الخرق القديمة لوضعناها على هذا الميت". ولكن الأخ المطيع قال: "دعنا نصلي بالحري لكي يعود إلى الحياة مرةً أخرى". فبدآ يصليان، وفي أثناء صلا ما قام الميت، فتعجرف الناسك قائلاً: "لقد قام الميت بسبب حياتي النسكية". ولكن الله كشف كل شيء لأب الدير، وكيف امتحن الناسك أخاه مع التماسيح، وكيف قام الميت حيا. فلما عادا إلى الدير قال الأب للأخ الناسك: "ماذا فعلت مع أخيك؟ لقد قام الميت حيا بسبب طاعته هو"(١٧٣)!

سأل إخوةٌ شيخًا بخصوص القول السابق: "لماذا خاف الراهب العمال القليل القنية من التماسيح والمطيع لم يخف"؟ **فأجاب الشيخ:** "الاتضاع له فضيلتان: في إحداهما إذا نزل المتضع إلى العمق السفلي ترفعه النعمة إلى العلا عند الله كما قال الرب: «من يضع نفسه يرتفع»، وفي الأخرى لا يخاف المتضع من الشياطين ولا من الوحوش ولا من

(172) An., 1293/160; Ch., 99.
(173) An., 1294/161; W. & W.,I: 242; Am., 22, 5; Ch., 100.

القوم الأشرار، وإذا كان المطيع بحريته وبإرادته يقطع هواه من أجل الله. لذلك خضعت التماسيح لذاك الأخ، أما الآخر العمال الزاهد في القنية فقد كان عديم الاتضاع والطاعة، وكان يفرح بأعماله وحده، فعندما خاف لم توجد فيه أمانة الطائعين التي تنصرهم على جميع المخيفات، لذلك خاف وهرب من جهاد الاختبار"[(١٧٤)].

كان أخ قد عاش في **العالم** وكان له ثلاثة أبناء، ثم ذهب إلى الدير وتركهم في المدينة، وبعد أن قضى ثلاث سنوات في الدير بدأت أفكاره تذكره بأولاده فكان قلقًا عليهم. ولم يكن قد أخبر أب الدير بأنّ له أولاد، ولما رأى الأب أنّ الأخ مكتئب قال له: "ما هو الأمر؟ لماذا أنت مكتئب"؟ فأخبر الأب أنّ له ثلاثة أولاد في المدينة وأنه يريد أن يأتي م إلى الدير، فأمره أن يفعل ذلك. ولما ذهب الأخ إلى المدينة وجد أنّ اثنين منهما قد توفيا، فأخذ الولد الثالث وجاء به إلى الدير. ثم وجد الأب في المخبز، فلما رآه حياه وأخذ الولد بين ذراعيه وقبله وقال لوالده: "هل تحبه"؟ فأجاب بالإيجاب. ثم سأله أيضا: "أتحبه جدا"؟ فأجاب: "نعم". فلما سمع الأب ذلك قال له: "خذه والقه في الفرن لكي يحترق". فأخذ الوالد ابنه وألقاه في الفرن الذي صارت ناره في الحال مثل الندى المنعش. وهكذا نال الراهب بعمله هذا مجدا مثل إبراهيم أب الآباء[(١٧٥)].

كان أحد الشيوخ يقول: "إننا لا ننمو لأننا لا نعرف طاقتنا (أو قامتنا)، وليس لنا صبر كافٍ في العمل الذي نبدأه، ولأننا نريد أن نقتني الفضائل بدون تعب، ونحن نذهب من مكانٍ إلى آخر متوقعين أن نجد موضعا لا يوجد فيه شيطان، وعندما نرى تجربة الشيطان في الموضع الذي دعينا إليه، فالذي يعرف ما هي الحرب يثبت في الله، لأنّ «ها ملكوت الله داخلكم» (لو١٧: ٢١)"[(١٧٦)].

الاتضـــاع

سأل أخ شيخًا: "هل جيد أن نصنع ميطانيات كثيرة"؟ فقال له الشيخ: "لقد رأينا أنّ يشوع بن نون عندما «سقط بوجهه على الأرض وسجد» تكلم الرب معه (يش٥: ١٤)"[(١٧٧)].

سأل إخوةٌ شيخًا عن معنى القول السابق، فقال الشيخ: "التوبة معناها ضرب المطانيات الكثيرة والتمرغ على الأرض، والمداومة على القراءة ليس في الإنجيل ورسائل

(١٧٤) س ٩ رقم ٨٢ ص ١٥١.

(175) An., 1295 / 162.
(176) An.,1297 / 164; 1438a; W. & W., I: 195.
(177) An., 1301 / 168; Ch.,131; W. & W., I: 517.

الرسل والعهد الجديد فحسب، بل أيضا في جميع الأنبياء ورؤساء الآباء في العهد القديم. والإنسان يسقط على الأرض على وجهه مرات كثيرة بسبب خطاياه طالبا رحمة الله. والآباء المتوحدون بضرب المطانيات الكثيرة وتقديم الصلوات العديدة مع الصلاة التي علمها ربنا لتلاميذه (أي الصلاة الربانية) يكملون"[١٧٨].

سئل شيخ: "لماذا تحاربنا الشياطين بالطريقة التي يستعملو ا"؟ فقال الشيخ: "لأننا طرحنا عنا أسلحتنا التي هي: الازدراء بالكرامات، والاتضاع، والمسكنة، والطاعة، والاحتمال"[١٧٩].

سأل أخ شيخًا: "إذا جاءني أخ بأخبارٍ من العالم الخارجي أو أخبرني بأمور غير لائقة، فهل تنصحني يا أبي أن أطلب منه ألاّ يفعل ذلك"؟ فقال له الأب: "**كلاّ**". فسأله الأخ: "لماذا"؟ أجابه الشيخ: "لأننا نحن أنفسنا لا نقدر أن ـرب من ذلك، فإذا قلنا لجارنا إنه يجب ألاّ يفعل ذلك، فإننا ربما نجد أنفسنا بعد ذلك نفعل الأمر بعينه". فسأله الأخ: "إذن، ماذا أفعل"؟ فقال له الشيخ: "إن احتفظنا بصمتنا، فإنّ القدوة وحدها تكفي لكي يفعل جارنا مثلنا"[١٨٠].

سئل شيخ: "ما هو الاتضاع"؟ فأجاب: "هو عندما يخطئ إليك أخوك فتغفر له قبل أن يطلب منك المغفرة"[١٨١].

سأل أخ شيخًا: "ما هو الاتضاع"؟ فأجاب الشيخ: "أن تعمل خيرا مع الذي يعمل معك شرا". فقال الأخ: "ولنفرض أنّ الإنسان لم يبلغ إلى هذه القامة"؟ فقال الشيخ: "فلنهرب ونختار الصمت"[١٨٢].

سأل أخ شيخًا: "ما هي الغربة"؟ فقال الشيخ: "أعرف أخا كان يعيش في غربةٍ، ثم حدث أنه ذهب إلى كنيسةٍ، وتصادف أنه كانت هناك وليمة أغابي، وجلس الأخ ليأكل مع الإخوة، فقال بعضهم: 'من أدخل هذا الغريب معنا'؟ ثم قالوا له: 'قم اخرج من هنا'. فقام وخرج كما أمروه بدون تذمر. ولما رأى آخرون ذلك حزنوا وخرجوا وأعادوه فدخل. ثم سألوه: 'ماذا كان في قلبك عندما أخرجوك وعندما أدخلوك'؟ فقال: 'فكّرت في قلبي أنني كلب، متى طردوني خرجت ومتى استدعوني دخلت'"[١٨٣].

ذهب مرةً بعض الزائرين إلى الصعيد إلى أحد الشيوخ ومعهم رجلٌ به شيطان، وتوسلوا

---

(١٧٨) س ٩ رقم ١٥١ ص ٢٣٧.
(179) An., 1302/169; W. & W., I: 518; Ch., 132; س ٤ ورقة ١١٤
(180) An., 1303 / 170 ; W. & W., I: 51 ; Ch., 133.
(181) An., 1304/ 171; W. & W., II: 462; Ch., 134.
(182) An., 1305 A/ 173; W. & W.,I: 32; Ch., 137.
(183) An., 1306 / 174; W. & W., I: 476; Ch., 139; س ٤ ورقة ١٣٢

إليه أن يخرجه منه، ولكن الشيخ لم يشأ ذلك. ولكنهم ظلوا يترجونه حتى أشفق عليه وقال للشيطان: "أخرج من خليقة الله". فقال له الشيطان: "سأخرج، ولكنني أسألك أولاً: من هم الجداء ومن هم الخراف في المثل الذي جاء في الإنجيل"؟ فقال الشيخ: "أنا واحد من الجداء، أما عن الخراف فإنّ الله وحده يعلم من هم". فلما سمع الشيطان ذلك صرخ بصوتٍ عالٍ قائلاً: "إنني سأخرج بسبب اتضاعك". وخرج في تلك الساعة(١٨٤).

كان راهب مصري يعيش في **إحدى ضواحي القسطنطينية** في أيام الإمبراطور ثيئودوسيوس الصغير. ولما كان الإمبراطور في نزهةٍ مر على هذا المكان، وترك تاجه وحلّته الملكية، وذهب بمفرده وقرع باب الراهب، ففتح الباب وعلم جيدا من هو هذا الرجل، ولكنه رحب به كأنه ضابط. ولما دخل صليا معا وجلسا. ثم سأله الإمبراطور: "كيف حال الآباء في مصر"؟ فقال الراهب: "إ م جميعا يصلون لأجل سلامتكم". ثم قال له: "كُلْ قليلاً". وبل بعض الأرغفة وأضاف قليلاً من الزيت وبعض الملح. ثم أكل الشيخ وقدم الماء للإمبراطور فشرب.

ثم قال له الإمبراطور: "أتعلم من أنا"؟ فأجاب: "الله يعرفك". ثم قال: "أنا ثيئودوسيوس الإمبراطور". ففي الحال انحنى الشيخ بوجهه على الأرض. ثم قال له الإمبراطور: "طوبى لك لأنك لا تم بمشاغل هذه الدنيا. إنني ولدت في القصر الملكي، ولكنني لم أتمتع قط بالخبز والماء كما في هذا اليوم، فقد أكلت منهما جيدا وبمسرة". ثم بدأ الإمبراطور منذ ذلك الحين يكرم الشيخ، ولذلك فقد هرب سريعا عائدا إلى مصر(١٨٥)!

سأل إخوةٌ شيخًا: "في القول السابق، كيف يصدق أنّ الإمبراطور الذي ولد في القصر الملكي لم يتمتع قط بالخبز والماء كما في ذلك اليوم"؟ **فقال الشيخ:** "الملك ثيئودوسيوس كان كل يوم يشبع من الأطعمة الفاخرة، ولكنه وهو مملوء من هموم العالم قال للمتوحد إنه مطوب لأنه لا يهتم بمشاغل الدنيا بينما هو معذب من اهتمامات العالم. إنه كما قيل كان قد ذهب إلى البرية في نزهة، وكان متعبا وجائعا، ولما دخل عند القديس وجده هادئًا صائما مصليا، فنخسه ضميره إذ أنه مؤمن، وغلى قلبه بحب الفضيلة، ولما قدم له من طعامه البسيط طاب له كثيرا بسبب تعبه وجوعه وتغيير الطعام على غير عادته، وبسبب سمو أفكاره واللذة الروحانية التي شعر ا. والعلمانيون أيضا يشعرون بذلك إذا ذهب أحدهم لزيارة أحد المتوحدين بعد تعب الطريق، حيث إن

(184) An., 1307 / 175 ; W. & W., I: 462 ; Ch., 140.
(185) An.,1308/176;W.&W.,I: 445 ; Ch., 141.

اللقمة اليابسة مع الملح تكون عنده أفضل من جميع الأطعمة الفاخرة بسبب اللذة التي يشعر ا عند لابسي الإسكيم المقدس"[١٨٦].

كان الشيوخ يقولون: "إذا صرنا في سلامٍ بدون قتال، فعلينا أن نتضع كثيرا لئلاّ ندخِل علينا سرورا غريبا فنفتخر أو ننسب ذلك إلى جهادنا ونتعظّم في أنفسنا، فيحرمنا الله من عنايته ونسلم إلى القتال فنسقط، لأنّ الله لأجل ضعفنا كثيرا ما يرفع عنا القتال"[١٨٧].

ظهر الشيطان لأخٍ متنكرًا على هيئة ملاك نور وقال له: "أنا جبرائيل، وقد أُرسِلت إليك"، فقال له الأخ: "لعلك أُرسِلت إلى غيري، أما أنا فإنني غير مستحق لذلك". فاختفى الشيطان في الحال[١٨٨]!

كان الشيوخ يقولون: "حتى ولو ظهر لك ملاك فلا تقبله، بل اتضع وقُلْ: لست مستحقًا أن أرى ملاكًا لأنني خاطئ"[١٨٩].

قيل عن شيخ إنه عندما يكون في قلايته مصارِعا كان يرى الشياطين وجها لوجه، وكان يعاملهم بازدراء. فلما رأى الشيطان أنه مقهور من الشيخ ظهر له في شكل إنسان وقال له: "أنا المسيح"، فلما رآه الشيخ أغلق عينيه وسخر منه. فقال له الشيطان: "لماذا تغلق عينيك؟ إنني أنا المسيح". فأجاب الشيخ: "لا أريد أن أرى المسيح هنا". فلما سمع الشيطان ذلك اختفى ولم يعد الشيخ يراه مرةً أخرى[١٩٠].

قال الشياطين لشيخ آخر لكي يضللوه: "أتريد أن ترى المسيح"؟ فقال لهم: "عليكم اللعنة وعلى كل ما تقولونه، إنني في الحقيقة أومن بمسيحي الذي قال: «إن قال لكم أحد: هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا» (مت٢٤: ٢٣)"، ففي الحال اختفت الشياطين[١٩١].

قيل عن شيخ إنه صام لمدة سبعين أسبوعا كان لا يأكل فيها إلاّ مرة واحدة في الأسبوع، ثم طلب من الله تفسيرا لقولٍ في الكتاب المقدس، ولكن الله لم يكشف له معناه. فقال في نفسه: "لقد ضيقت على نفسي كثيرا هكذا ولم أبلغ إلى شيء، فسأذهب إلى أخي وأطلب منه ذلك". ولكنه بينما كان يغلق بابه ليذهب إلى أخيه، أُرسِل إليه ملاك من الرب قائلاً: "هذه السبعين أسبوعا التي صمتها لم تقربك إلى الله، ولكن عندما اتضعت بذهابك إلى أخيك أُرسِلت

(١٨٦) س ٩ رقم ١٢٩ ص ٢١٢. س ٤ ص ١٠٨
(187) An., 1309 /177; W. & W., I: 519; Ch., 142;
(188) An., 1310 / 178; W. & W., II: 28 a; Ch., 143; س ٤ ص ١١٥
(189) An., 1311 / 179; W. & W., II: 28 b; Ch., 144; س ٤ ورقة ١١٥
(190) An., 1312 / 180; W. & W., II: 36; Ch., 145; س ٤ ص ١١٥
(191)An.,1313/181;W.&W., II: 453; Ch.,146.

أنا لكي أخبرك عن معنى القول"! ولما أعطاه الإجابة الكاملة التي أقنعته رحل عنه[١٩٢].

كان أحد الشيوخ يقول: "إذا أمر إنسانٌ أخا بمخافة الله واتضاع أن يفعل شيئًا، فإنّ كلمته التي نطقها لأجل الله تجعل الأخ يخضع ويتمم ما أُمِر به، ولكن إذا كان إنسانا يريد أن يعطي أوامر لأخٍ بدون مخافة الله لكي يخضِعه لسلطانه ويسود عليه، فإنّ الله الذي يرى خفيات القلب لن يسمح للأخ أن يكون مطيعا له، لأنّ ما يعمل لأجل الله واضح، وما يعمل بواسطة تسلط الإنسان واضح أيضا، لأنّ ما يعمل لأجل الله يكون مصحوبا بالاتضاع والترجي ويكون مبهجا، أما الذي يصدر من واقع التسلط فهو مملوء من الغضب والاضطراب لأنه يأتي من الشرير"[١٩٣].

قال شيخ: "إنني أفضل أن أُغلَب مع الاتضاع من أن أغلِب مع افتخار"[١٩٤].

قال شيخ: "لا تحتقر ذاك الذي يقف بجوارك، لأنك لا تعلم إن كان روح الله فيك أم فيه، وعندما أقول: الذي يقف بجوارك، أقصد الذي يخدمك"[١٩٥].

سأل أخ شيخًا: "إذا كنت ساكنا مع إخوة ورأيت أمرا غير لائق أتريد لي أن أتكلم"؟ فقال الشيخ: "إن كان يوجد من هم أكبر منك أو مساوين لك في العمر فسكوتك خير لك لأنه يجعلك في سلامٍ، لأنك بذلك تجعل نفسك أقل من الآخرين ومتحررا من الهم". فقال له الأخ: "فماذا أفعل يا أبي لأن الأرواح تقلقني وتحرضني على الكلام وأظلّ مضطربا"؟ فقال له الشيخ: "إن كان لا بد من ذلك فذكر الإخوة مرةً واحدةً باتضاع، وإن لم يسمعوا منك اطرح ضيقك أمام الله وهو نفسه يمنحك سلاما، لأنّ كون الإنسان يطرح نفسه أمام الله يعني أنه يؤخر إرادته عن إرادة الآخرين ويسلمها لله. تحفّظ بأن يكون اهتمامك بحسب مشيئة الله، ولا تتكلم عنهم بأية نميمة. وأنا أرى أنّ السكوت أفضل لأنه دليلٌ على الاتضاع"[١٩٦].

تكدر أخ من أخٍ آخر، ولما علم الآخر بذلك ذهب إليه طالبا الصفح، ولكنه لم يفتح له الباب. فذهب هذا الآخر إلى شيخ وأخبره بالأمر، فقال له الشيخ: "أُنظر إن كان لا يوجد ميل في قلبك مثل ملامتك لأخيك، أو فكر بأنه هو المسئول. لعلك تريد أن تبرر نفسك، ولذلك فهو لم يحركه باعثٌ لأن يفتح لك الباب. أضف إلى ذلك فإنني أقول لك إنه حتى لو كان هو الذي أخطأ إليك، فضع في قلبك أنك أنت الذي أخطأت إليه

(192) An.,1314/182; W.& W., I:466; Ch., 147. (193) An., 1315/ 183; W. & W., I: 492; Ch., 149. (194) An., 1316/ 184; W. & W., I: 514;١١٤ س ٤ ورقة
(195)An.,1317/185; W. & W., I: 478. (196) An., 1318 /186; ٧٥ س ٤ ورقة

وأنه هو على صواب واذهب إليه، حينئذٍ سيدفعه الله إلى أن يتصالح معك".

فاقتنع الأخ وفعل ذلك، ثم ذهب ليقرع على باب أخيه، وقبل أن يسمع أخوه صوته سبق هو وطلب الصفح من داخل قلايته، ثم فتح له الباب واحتضنه بكل قلبه، وهكذا وجِد سلام عميق بينهما[(١٩٧)].

قال شيخ: "إما أن تهرب من جميع الناس بالحق، وإما أن تسخر من العالم والناس بأن تجعل نفسك في أغلب الأوقات معتوها"[(١٩٨)].

قال شيخ: "إذا قلت لآخر: 'اغفـر لي' باتضاع، فإنك تحرق الشياطين"[(١٩٩)].

سئل شيخ: "ما هو الاتضاع"؟ فقال: "إنه عملٌ عظيم إلهي، والطريق إليه هو أتعاب الجسد، وأن تعتبر نفسك خاطئًا وأقل من جميع الناس". فقال له الأخ: "ما هو المقصود من "أقل من جميع الناس""؟ فأجابه الشيخ: "هو ألاّ تنظر إلى خطايا غيرك، بل إلى خطاياك وحدها، وأن تسأل الله دائما أن يرحمك"[(٢٠٠)].

سأل أخ شيخًا محنكًا: "قُلْ لي يا أبتاه أمرا واحدا أحفظه لكي أعيش به وأخلص". فقال له الشيخ: "إن استطعت أن تحتمل إذا احتقِرت وشتِمت، فهذا أعظم من جميع الفضائل"[(٢٠١)].

قال شيخ: "كل من استطاع أن يحتمل محقرة أو ازدراء أو شتيمة أو خسارة مادية أو عقابا، فهو يخلص"[(٢٠٢)].

قال شيخ: "لا تكن لك أُلفة مع رئيس الدير أو أي رئيس ولا تذهب إليه كثيرا، لأنك ستتعلّم من ذلك الدالة في الحديث معه مما يؤدي إلى اشتهائك للرئاسة"[(٢٠٣)].

قال شيخ: "رأى إنسان قديس شخصا يرتكب خطية، فبكى بمرارةٍ وقال: 'هو اليوم وأنا غدا'، ففي الحقيقة حتى لو أخطأ أحد في وجودك فلا تدنه، بل اعتبر نفسك خاطئًا أردأ منه"[(٢٠٤)].

كان في **أحد الأديرة أخ** يأخذ على عاتقه جميع أخطاء الإخوة، وتمادى في ذلك لدرجة أنه كان يتهم نفسه بالزنى قائلاً: "إنني ارتكبت هذا" أو "إنني مذنب في

---

(197) An., 1319 / 187; Ch., 155. (198) An., 1320/ 188.
(199) An., 1320 A/189;W. & W., I: 521;س ٤ ورقة ١١٤ (200) An., 1323 /192;س ٤ ورقة ١٦٦
(201) An., 1324 / 193; W. & W., I: 211; Ch., 150;س ٤ ورقة ١٦٦
(202) An., 1325 / 194; Ch., 151; س ٤ ص ١٦٧
(203) An., 1326 / 195 ; W. & W., I: 346 ; Ch., 152 ; س ٤ ص ٧٢
(204) An., 1327/ 196; W. & W., I: 540.

ذلك". فتذمر الإخوة الذين لم يعرفوا حياته وأعماله قائلين: "كم هي الخطايا التي يرتكبها هذا الأخ؟ وهو أيضا لا يعمل"! ولكن أب الدير الذي كان يعرف أعماله وأنه لم يرتكب تلك الخطايا، وأنه كان يحمل نفسه بأخطاء الإخوة، قال لهم: "إنني أفضل حصيرةً واحدة يعملها الأخ باتضاع أكثر من كل ما تعملوه أنتم بكبرياء، وإذا أردتم أن تتأكّدوا من ذلك أحضِروا جميع الحصر التي عملتموها إلى هنا وأيضا تلك الحصيرة الواحدة التي عملها هذا الأخ، ثم أشعلوا نارا وألقوا بالحصر كله في النار". ولما فعلوا ذلك احترق الحصير كله ما عدا حصيرة الأخ. فلما رأى الإخوة ذلك امتلأوا خوفًا وعبروا عن ندمهم، ومنذ ذلك الحين اعتبروا ذلك الأخ أبا(٢٠٥)!

أصيب راهب بضربةٍ شديدة في ساقه من أحد الإخوة وجرح بشدة، ولكن هذا القديس لم يغضب ولا اغتاظ من الذي ضربه، بل إنه عالج الجرح واستسمح الأخ الذي ضربه(٢٠٦)!

سئل شيخ: "كيف أنّ بعض الناس يقولون إ م يبصرون ملائكة"؟ فأجاب الشيخ: "طوبى لمن يبصر خطاياه في كل حين"(٢٠٧).

كان يعيش على شواطئ ر الأردن شيخ، وعندما كان الجو حارا دخل إلى مغارة، فوجد فيها أسدا بدأ يكشر عن أنيابه ويزأر، فقال له الشيخ: "لماذا أنت متضايق؟ يوجد هنا متسع لك ولي، وإن كنت لا تحب ذلك اخرج من هنا". فلم يستطع الأسد أن يحتمل ذلك وخرج(٢٠٨)!

محبة الود والإخاء

أرسل شيخ تلميذه إلى **مصر** (لعله يقصد إلى منف بجوار القاهرة الحالية) لكي يستأجر له جملاً ليحمل سلاله (أي مقاطفه) إلى مصر (ليبيعها). ولما أحضر الأخ الجمل إلى الأسقيط قابل شيخا آخر، وهذا قال له: "لو كنت علمت أنك ذاهب إلى مصر لطلبت منك أن تحضِر جملاً لي أنا أيضا". فذهب الأخ وأخبر أباه بذلك، فقال له الأب: "خذ الجمل واعطه له قائلاً: إننا غير مستعدين الآن (لتحميل الجمل)، فخذه. واذهب أنت معه إلى مصر ثم عد بالجمل لكي نرسل عمل أيدينا أيضا". فذهب الأخ إلى الشيخ وقال له: "أبي يقول إننا لم نستعد بعد لتحميله، فخذه واستعمله لحاجتك".

فأخذ الشيخ الجمل وحمله بسلاله، ولما وصلا إلى مصر وأفرغا حمولة الجمل، أخذ

---

(205) An., 1328/ 197; W. & W., I: 536; Ch., 153.
(206) An., 1329 / 198 ; W. & W., I: 219. (207)An.,1332/201; Ch.,154;١٣٢ س ٤ ورقة
(208)An.,1333 / 202 ; Ch., 234.

الأخ الجمل وقال للشيخ: "صل من أجلي". فقال له: "إلى أين أنت ذاهب"؟ فقال الأخ: "إلى الأسقيط لكي نحمله بسلالنا أيضا". فامتلأ الشيخ بالندم وانحنى أمامه باكيا وقال: "اِغفر لي، إنّ محبتكم العظيمة حرمتني من مكافأتي"(٢٠٩).

قال شيخ: "إذا طلب أحد منك شيئًا وأعطيته له بشعورٍ من الضيق فلن تنال مكافأتك عما أعطيته، بل عليك أن تغصب أفكارك لكي تشعر بالرضا، وذلك حسب المكتوب: «من سخرك ميلاً واحدا فاذهب معه اثنين» (مت٥: ٤١)، وهذا معناه أنه إذا طلب منك أحد شيئًا فاعطه إياه بكل نفسك وروحك"(٢١٠).

كان في **القلالي اثنان من الإخوة،** وقال الأكبر للأصغر: "أيها الأخ، دعنا نسكن معا". فقال له: "إنني خاطئ ولا يمكنني أن أسكن معك أيها الأب". ولكن الأخر أصر قائلاً: "بلى، يمكننا ذلك". وكان الشيخ طاهرا ولم يحب أن يسمع من راهب أنّ له أفكار زنى. ثم قال له الأخ: "اتركني لمدة أسبوع وسنتكلّم عن ذلك مرةً أخرى". وبعد انقضاء الأسبوع جاء الشيخ، وأراد الأخ الأصغر أن يختبره فقال له: "لقد سقطت في تجربةٍ كبيرةٍ أيها الأب، فإنني لما ذهبت هذا الأسبوع إلى الريف في مهمةٍ أخطأت مع امرأةٍ". فقال له الشيخ: "هل تتوب"؟ فأجابه: "نعم". فقال الشيخ: "سأحمل معك نصف خطيتك". فقال له الأخ: "إذًا، فيمكننا أن نسكن معا". وهكذا أقاما معا حتى نهاية حياتهما(٢١١).

قيل عن أخ إنه بعد أن عمل بعض السلال (المقاطف) وكان يركب أياديها عليها سمع جاره يقول: "ماذا أفعل؟ فإنّ يوم السوق (الأسبوعي) قد اقترب وليس عندي أيادي لتركيبها على مقاطفي"؟ فأخذ الأخ أيادي مقاطفه وأحضرها إلى هذا الأخ قائلاً: "خذ هذه الأيادي فهي زائدة عندي، وضعها على سلالك". وهكذا أهمل عمله وجعل عمل أخيه ينجح(٢١٢).

قيل عن شيخ في **الأسقيط** إنه عندما كان مريضا اشتهى بعض الخبز الطازج، فلما سمع أحد الإخوة ذلك، وكان بطلاً، ارتدى عباءته (أي ثوبه الجلدي)، ووضع بعض الأرغفة الجافة فيه وذهب إلى مصر لكي يستبدله، وأتى بالخبز الطازج إلى الشيخ، ولما رأوا أنّ الأرغفة لا زالت دافئة اندهشوا، ولكن الشيخ رفض أن يأكلها قائلاً: "إنها دم أخي". ولكن الشيوخ حثّوه أن يأكلها قائلين: "من أجل الرب كُلْ حتى لا يكون تعب

(209) An., 1344/ 213; W. & W., I: 424. (210) An., 1345/ 214; W. & W., I: 349 ; Ch., 161.
(211) An., 1346/ 215; W. & W., II: 13; Ch., 160.
(212) An., 1347/ 216; W. & W., I: 442 ; Ch., 162.

الأخ باطلاً"، حينئذٍ أكلها[٢١٣].

سأل إخوةٌ شيخًا عن القول السابق قائلين: "ما معنى قوله: "دم أخي""؟ **فقال الشيخ:** "فعل ذلك هذا القديس متشبها بالطوباوي داود النبي إذ كان الفلسطينيون مستعدين لقتاله، وكان قبل صدامهم معه يشتهي ماءً، وقال: 'من يعطيني شربة ماء من الجب الكبير الذي في بيت لحم'؟ فلما سمع ثلاثة رجال ذهبوا وأخذوا ثلاث قرب وشقوا عسكر الفلسطينيين وأحضروا له الماء، فلما رآهم تعجب وقال إ م تجاسروا لأجل حبهم لي وكانوا في خطر أن تهرق دماؤهم، ولم يشرب الماء بل سكبه قدام الرب مثل قربان لأنّ أولئك الرجال نجوا من الموت. وهكذا أيضا هذا الشيخ، فقد شعر بأنّ الأخ كان بسببه على وشك أن يسقط في تجربةٍ في الطريق، ولما رأى الآباء حب الأخ واتضاع الشيخ طلبوا منه فأكل لئلاّ يصير تعب الأخ باطلاً فيحزن، ولكي يتشبه آخرون بفضيلة الأخ"[٢١٤].

سأل أخ شيخًا: "كيف أنه في هذه الأيام يتعب البعض ولا يأخذون نعمةً مثل الآباء السابقين"؟ فقال له الشيخ: "في تلك الأيام كانت هناك محبة أخوية وكان كل واحدٍ يرفع أخيه ويحمله على النمو، أما الآن فقد بردت هذه المحبة، وكل واحدٍ يشد أخيه إلى الخلف (أو إلى أسفل)، ولذلك فإننا لا نأخذ نعمةً"[٢١٥].

ذهب ثلاثة إخوة يومًا ما إلى الحصاد، وأخذوا على عاتقهم أن يجنوا حصاد أحد الحقول معا مقابل مبلغ محدد من النقود، ولكن واحدا منهم أُصيب بمرضٍ في اليوم الأول وعاد إلى قلايته. فقال أحد الأخوين الآخرين لأخيه: "ها أنت ترى يا أخي أنّ أخانا مريض، فلنجهد أنفسنا قليلاً، ولنؤمن أننا بصلواته سنتمكّن من إتمام نصيبه في الحصاد".

ولما انتهى الحصاد وجاء الأخوان ليستلما الأجر استدعيا أخاهما قائلَين: "تعالَ خذ أجرك أيها الأخ". فقال: "أي أجرٍ يكون لي طالما أنني لم أعمل"؟ فقالا له: "بفضل صلواتك أتممنا الحصاد، فتعالَ لتأخذ أجرك". وبعد أن طال الجدال بينهم قالا له: "لن نتركك حتى تأتي معنا". ثم ذهبوا إلى شيخٍ كبير، فقال له الأخ: "يا أبي، ذهبنا نحن الثلاثة إلى الحصاد، ولكنني مرضت في اليوم الأول ورقدت في قلايتي، ورغم أنني لم أعمل ولا حتى يوما واحدا فإنّ الأخوين يريدا أن يجبرانني قائلين: تعالَ خذ أجرك عن الحصاد الذي لم تعمل فيه". ثم قال الأخوان: "يا أبانا، لقد استلم ثلاثتنا عملاً، ولو كنا

(213) An., 1348 / 217; W. & W., I: 403; Ch., 163.
(٢١٤) س ٩ رقم ١٢٥ ص ٢٠٧.
(215) An., 1349/ 218 ; II: 275; Ch., 165.

ثلاثة لما استطعنا أن نتمم العمل كله، ولكن بفضل صلوات الأخ استطعنا أن نتممه سريعا، وقلنا له: 'خذ أجرك'، وهو يرفض ذلك".

فلما سمع الشيخ ذلك اندهش وقال لتلميذه: "اضرب الناقوس لكي يجتمع الإخوة جميعا". ولما اجتمعوا قال لهم: "تعالوا أيها الإخوة لتسمعوا اليوم حكما عادلاً"، ثم روى لهم القصة كلها، فحكموا بأنّ الأخ يجب أن يأخذ أجره ثم يفعل به ما يستحسنه. ثم خرج الأخ باكيا من الحزن(٢١٦)!

قال شيخ إنّ الآباء كانت لهم عادة أن يذهبوا إلى قلالي الإخوة الجدد الذين أرادوا أن يعيشوا منفردين لافتقادهم لئلاّ يكون أحدهم قد جرب من الشياطين، وإذا وجدوا أي واحدٍ منهم قد تأذّى كانوا يأتون به إلى الكنيسة، ويأتون بحوض غسيل ممتلئ بالماء ويصلون عليه لأجل الأخ، ثم يغسل جميع الإخوة أنفسهم به ويسكبون بعضا منه على الأخ فيطهر في الحال(٢١٧)!

كان شيخان يسكنان معًا لعدة سنوات ولم يتشاجرا قط، فقال أحدهما للآخر: "دعنا نتشاجر معا كما يفعل الآخرون". فقال له الآخر: "لا أعرف كيف تكون المشاجرة". فقال الشيخ الأول: "ها أنا أضع قالب طوب في وسطنا وأقول: هذا ملكي أنا، وأنت تقول: هذا ليس ملكك بل ملكي أنا. ومن هنا تنشأ المشاجرة". فوضعوا الطوبة بينهما، وقال أحدهما: "هذه ملكي". فقال له الآخر: لا، "إ ا ملكي أنا". فأجاب الآخر على الفور: "إن كانت هذه الطوبة ملكك فخذها واذهب". وهكذا لم يتمكّنا من التشاجر(٢١٨)!

كان أحد الشيوخ يقول: "لم أرغب إطلاقًا أن أعمل شيئًا نافعا لي ويسبب ضررا لأخي، لأنّ لي رجاءٌ ثابت أنّ ما يكون نافعا لأخي سيكون نافعا لي وسيؤدي إتمامه إلى مكافأتي"(٢١٩).

وجد أحد النساك أخًا فيه شيطان وغير قادر على الصوم، فإذ حركه حب الله، ولأنه كان يطلب ليس ما هو صالحٌ لنفسه بل للآخرين؛ صلى طالبا أن يأتي إليه الشيطان ويتحرر الأخ منه، فاستجاب الله صلاته. ولما أرهق الشيطان الناسك، أعطى ذاته بإصرار مضاعف للصوم والصلاة والنسك. وأخيرا، فبسبب محبته طرد الله الشيطان منه بعد أيامٍ قليلة(٢٢٠).

---

(216) An., 1350 / 219; W. & W., I: 416; Ch., 166. (217) An., 1351 / 220; W. & W., I: 435; Ch., 167. (218) An., 1352 / 221; W. & W., I: 299; Ch., 168.
(219) An., 1353 / 222; W. & W., I: 405; Ch., 170.
(220) An., 1354 / 223; W. & W., I: 410; Ch., 159.

سأل أخ شيخًا: "يوجد هنا أخوان، أحدهما يحبس نفسه صائما ستة أيام في الأسبوع ويجاهد بأتعاب كثيرة، والآخر يخدم المرضى. أي منهما سينال مكافأةً أعظم على خدمته"؟ فقال الشيخ: "حتى لو تعلق الأخ الذي يحبس نفسه ستة أيام من منخاريه، فلا يمكنه أن يتساوى مع من يخدم المرضى"(٢٢١)!

كان أخ يخدم أحد الآباء في مرضه، وكانت في جسده جروح متقيحة لها رائحة كريهة، فاقترحت عليه أفكاره أن يهرب لأنه لا يمكنه أن يحتمل بشاعة هذه الرائحة الكريهة، ولكن الأخ أخذ وعاءً ووضع ما يخرج من قروح المريض فيه، ولما طلبت منه أفكاره أن يهرب قال لها: "لا تهرب، ولا تشرب هذه المادة المتعفنة". وهكذا تحمل الأخ وداوم على خدمة الشيخ. ولما رأى الله تعب الأخ شفى الشيخ(٢٢٢).

كان بعض الإخوة في الأسقيط جالسين ينظفون حبلاً (أو "سعفًا" حسب بعض المراجع)، وبدأ أحدهم - الذي صار مريضا بسبب نسكه - يسعل ويبصق، وبدون إرادته بصق على أحد الإخوة الذي هيجته أفكاره أن يقول للشيخ: "كُف عن أن تبصق علي". فحارب أفكاره وقال لنفسه: "إن كنت مستعدا أن تأكل البصاق فتكلم". ثم قال لنفسه: "لا تأكله ولا تقل له شيئًا"(٢٢٣).

ذهب أحد الآباء إلى المدينة ليبيع عمل يديه، وهناك رأى شحاذًا عريانا فامتلأ بالشفقة وأعطاه رداءه الرهباني، فذهب الفقير وباعه. ولما سمع الشيخ بذلك تضايق وندم على أنه أعطاه الرداء. وفي تلك الليلة ظهر المسيح للشيخ في حلم وهو مرتديا ذلك الرداء وقال له: "لا تحزن، فها أنا أرتدي الثوب الذي أعطيتني إياه"(٢٢٤)!

الآباء الذين لهم موهبة الرؤى

كان أحد الآباء يقول إنّ بعض الشيوخ كانوا يوما ما جالسين يتحادثون فيما هو نافع للنفس. وكان واحدا منهم له موهبة الرؤى، ورأى ملائكةً يلوحون بأغصانٍ إكراما للشيوخ، ولكن عندما بدأ واحد منهم يتكلم في أمور لا علاقة لها بموضوعهم انسحبت الملائكة، ورأى بعض الخنازير يمشون بين الشيوخ ومعهم رائحة كريهة ويعبثون بكل شيء. وبمجرد أن بدأ الشيوخ يتكلمون فيما هو نافع للنفس عادت الملائكة تكرمهم(٢٢٥).

---

(221) An., 1355/224; W. & W., I: 408; Ch.,164. (222) An., 1356/ 225; W. & W., I: 225; Ch. 171.
(223) An., 1357 / 226; W. & W., I: 214. (224) An., 1358 / 227.
(225) An., 1359 / 228; W. & W., II: 8; Ch., 196.

قال شيخ: "ما يعنيه قول الكتاب: «هكذا قال الرب: إنني أرجع عن ذنبين لصور، وحتى عن ثلاثة؛ ولكنني لن أرجع عن أربعة» (عا١: ٩ حسب النص) هو هذا: الذنوب الثلاثة هي: فكر الشر، والاستسلام له، والنطق به؛ أما الرابع فهو عمل الشر بالفعل، وهو الذي لن يرجع غضب الرب عنه"(٢٢٦).

قيل عن شيخ عظيم في **الأسقيط** إنه عندما كان الإخوة يبنون قلاية كانوا يذهبون بفرح لكي يضعوا الأساس، ولا يتوقفون حتى ينتهي البناء. ولما ذهب يوما ما إلى قلاية بعد أن بنيت كان حزينا، فسأله الإخوة: "لماذا أنت حزين أيها الأب"؟ فقال لهم: "هذا المكان على وشك أن يهجر يا أبنائي، ففي الحقيقة إنني رأيت نارا عظيمة في الأسقيط والإخوة يطفئو ا بأغصان الشجر. ثم توهجت مرةً أخرى وأطفأوها أيضا، وفي المرة الثالثة اشتعلت وامتدت في كل الأسقيط، ولم يستطع أحد أن يطفئها مرةً أخرى. ولهذا السبب أنا حزين"(٢٢٧).

قال شيخ: "مكتوب «الصديق (أو البار) كالنخلة يزهو» (مز٩٢: ١٢)، هذا القول يعني أنّ ما ينتج عن أعمال الصديقين السامية إنما هو صالحٌ وصواب ومرضٍ، فالنخلة لها قلب واحد، وهو أبيض ويحوي كل ما هو جيد. والإنسان يجد نفس الشيء بين الأبرار: قلو م بسيطة إذ ترى الله وحده، وهي بيضاء إذ أنّ لها الاستنارة التي تنبثق من الإيمان، وكل عمل الأبرار هو في قلو م. وهم مثل النخلة في كون رؤوسهم المدببة (مثل السعف) هي لأجل الدفاع عن نفوسهم ضد الشيطان"(٢٢٨).

قال شيخ: "استقبلت المرأة الشونمية إليشع النبي لأ ا لم تكن لها علاقات برجل (٢مل٤: ١٤)، ويقال إنّ الشونمية تشير إلى النفس وإليشع النبي إلى الروح القدس. وهكذا عندما تبتعد النفس من الاهتمامات الجسدانية يحلّ عليها الروح القدس، وحينئذٍ ولو كانت عاقرا يمكنها أن تحبل وتلد"(٢٢٩).

قال أحد الآباء: "عيون الخنازير لها تكوين طبيعي يجعلها تتجه نحو الأرض ولا يمكنها إطلاقًا أن تتطلّع إلى السماء، هكذا أيضا نفس الإنسان التي تجعله منساقًا بواسطة اللذّة، وبمجرد السماح للنفس أن تـ لق إلى حمأة المتعة لا يمكنها بعد ذلك أن تخرج منها"(٢٣٠).

---

(226) An., 1360/ 229; W. & W., II: 183; Ch., 197. (227) An., 1361/ 230; W. & W., II: 184; Ch., 198.
(228) An., 1362 / 231; W. & W., II: 185; Ch., 199.
(229) An., 1363 / 232; W. & W., II: 514; Ch., 200.
(230) An., 1364 / 233; W. & W., II: 186; Ch., 201. (راجع عب٦: ٤ - ٨)

شيخ عظيم صارت له موهبة الاستبصار (أي رؤية الأمور المخفية)، وقد أكّد بشدة قائلاً: "القوة التي رأيتها في وقت المعمودية رأيتها أيضا عند ارتداء الراهب ثوبه الرهباني"[٢٣١].

نال شيخ نعمة القدرة على رؤية ما يحدث، وقال: "رأيت أخا يهذ في قلايته والشياطين واقفةً خارج القلاية، فعندما كان الأخ يهذ لم تستطع أن تدخل، ولكن عندما توقّف دخلت الشياطين القلاية وصارعت معه"[٢٣٢].

أحد الآباء قال إنّ اثنين من الإخوة كانا يسكنان بجواره، أحدهما كان أجنبيا وكان مهمِلاً بعض الشيء، بينما أنّ الآخر - وهو مواطن - كانت له حمية (أو حماس) شديدة. وحدث أن الأجنبي توفي، ورأى الشيخ - الذي كان مستبصرا - قوات من الملائكة مصاحبةً لروحه، وعندما وصل إلى السماء، وكان على وشك الدخول، كان هناك استفسار بخصوصه، وجاء صوت من العلا قائلاً: "واضح أنه كان مهملاً بعض الشيء، إلاّ أنه لأجل غربته دعوه يدخل".

ثم بعد ذلك توفي الأخ المواطن، وجاء جميع أقاربه، ولم ير الشيخ أي ملاكٍ حينئذٍ، فدهِش وانطرح أمام الله قائلاً: "كيف أنّ الأجنبي الذي كان مهملاً ينال مثل هذا ا ـد في حين أنّ هذا الذي كان حارا لم ينل شيئًا على الإطلاق"؟ فجاء صوت يقول له: "هذا الراهب الحار عند موته فتح عينيه ورأى أقاربه يبكون وتعزت نفسه؛ أما الأجنبي، فرغم أنه كان مهملاً، إلاّ أنه لم ير أحدا من أقاربه وبكى في ضيقه بسبب ذلك، لذلك فقد عزاه الله"[٢٣٣].

روى أحد الآباء أنه كان في برية "نيكوبوليس"[٢٣٤] متوحد كان يخدمه علماني تقي، وكان في المدينة أيضا رجلٌ غني عديم التقوى. وحدث أنّ الغني توفي وعمل له أهل المدينة جميعا موكبا (جنائزيا) بمن فيهم الأسقف بالمصابيح والبخور. وذهب خادم المتوحد إليه ليزوده بالخبز كعادته فوجد أنّ ضبعا قد افترسه. فانطرح بوجهه على الأرض قائلاً: "يا رب، إنني لن أ ض حتى تشرح لي معنى كل هذا: هذا الرجل العديم التقوى نال موكبا عظيما، والراهب الذي خدمك ارا وليلاً مات ذه الطريقة"! حينئذٍ جاء ملاك من الرب ليقول له: "هذا الرجل العديم التقوى عمل صلاحا قليلاً، فأخذ مكافأته هنا على الأرض حتى لا ينال أي غفرانٍ هناك، أما هذا المتوحد، فرغم أنه كان مزينا بجميع الفضائل، ولكنه كانت له بعض

---

(231)An.,1365/ 234; W.&W., I: 631; Ch.,202. (232) An.,1366/ 235; W.& W.,I: 106;Ch., 203. (233) An., 1367 / 236; W. & W., II: 9; Ch ., 205.

(٢٣٤) وموقعها الحالي هو بجوار "بولكلي" بمنطقة الرمل بالإسكندرية (القاموس الجغرافي لمحمد رمزي، الجزء الأول ص ١٨٢).

الأخطاء كبشر، فقد عوقب عنها هنا لكيما يوجد نقيا أمام الله". فاقتنع الخادم وذهب وهو يعطي ا ـد لله على أحكامه لأ ا حق[٢٣٥].

قيل إنّ شيخًا طلب من الله أن يرى الشياطين، وكُشِف له أنه ليس في حاجةٍ أن يراهم. ولكن الشيخ أصر قائلاً: "يا رب، إنك قادر أن تحميني بيدك". ففتح الله عينيه (أي كشف عن بصيرته) ورأى الشياطين حول إنسان مثل النحل وهم يصرون بأسنا م عليه، وملائكة الرب يطردو م بعيدا[٢٣٦].

كان أحد الآباء يقول إنه توجد ثلاثة أمور هامة للرهبان يجب أن يلتصقوا ا بخوفٍ ورعدة وبفرحٍ روحاني: الشركة في الأسرار المقدسة، والمائدة المشتركة (الأغابي)، وغسل أقدام الإخوة. ثم أعطى كمثال قصة رؤية القديس يؤنس القصير لبعض الرهبان يأكلون على المائدة عسلاً وآخرين يأكلون خبزا وغيرهم يأكلون ترابا (أنظر أقوال هذا القديس في الجزء الأول)[٢٣٧].



(235) An., 1368 / 237; W. & W., II: 10; Ch., 206.
(236) An., 1369 / 238; W. & W., II: 105; Ch., 204.
(237) An., 239 Guy.

قصص وأقـوال
الآبـاء غير المعروفين
(المجموعة الثانية)
Les Sentences des Pères du Désert
Série des Anonymes

كان يسكن في **الأسقيط أخوان حسب الجسد،** وحدث أنّ أحدهما رقد مريضـا، فذهب أخوه إلى الكنيسة وطلب له التناول من الكـاهن. فقـال الكـاهن للإخـوة: "فلنذهب لزيارة المريض". وذهبوا وعادوا بعد أن صلوا. وفي الأحد التالي سأل الكاهن أخا المريض عن حاله، فأجاب: "صل لأجله". فأخذ الكاهن الإخوة معه مرةً أخـرى واصطحبهم إلى المريض، ولما صلوا وجلسوا وجدوا أنّ المريض قد أوشك على المـوت. فتناقش الإخوة بخصوص ذلك، فبعضهم قال: "لقد كان موهوبا من الروح القـدس"، والآخرون شكوا في ذلك. ولما رأى أخوه ذلك قال لهم: "لماذا تتناقشون فيما بيـنكم؟ أتريدون أن تعرفوا من عنده المقدرة"؟ ثم اتجه إلى أخيه وقال له: "هـل سـترحل يـا أخي"؟ فأجاب المريض: "نعم، ولكن صل من أجلي". فقال له أخوه: "في الحقيقة، يا أخي، لن أدعك ترحل قبلي". ثم اتجه إلى الإخوة الحاضرين وقال: "أعطوني حصـيرةً ووسادة". ثم أخذهما وأمال رأسه وسلّم الروح هو أولاً، ثم جاء دور المريض. فكفّـن الآباء كلا منهما في الحال، وحملوهما ودفنوهما بفرحٍ لأ ما نالا النور الروحاني(٢٣٨)!

كان أخوان يسكنان معًا في **البرية،** ولما تذكّر أحدهما الدينونة الإلهية ذهب هائمـا على وجهه بعيدا جدا في داخل البرية، فذهب الآخر خلفه ليبحث عنه، وبعد تعبٍ كثيرٍ وجده وقال له: "لماذا تتوارى هكذا بعيدا؟ هل ارتكبت أنت وحدك خطايـا العـالم كله"؟ فأجابه الأخ: "هل تظن أنني لا أعرف إن كانت خطاياي قد غُفِـرت لي أم لا؟ إنني أعلم بالتأكيد أنّ الله غفرها لي، ولكنني سمحت لنفسي بكل هذه المشقّة لكي يمكنني في يوم الدينونة أن أرى الذين سيدانون"(٢٣٩)!

كان في **البرية أخوان متجاورين،** وقد اعتاد أحدهما أن يخفي أي شيءٍ يربحه من عملـه عند رفيقه الأخ جاره إذ يضعه بين حاجياته سواء كان خبزا أو نقودا، ولم يكن رفيقه يعلـم بذلك، ولكنه كان يتعجب كيف كانت حاجياته تزداد ذه الكثرة. وفي أحد الأيام فاجـأه

(238) An., 1004 / N 4; Eth. Coll., 14, 33.

(239) An., 1005 / N 5.

وهو يفعل ذلك، فعارضه قائلاً: "بأشيائك الجسدانية سلبتني الخيرات الروحية"، ثم ألزمه بأن يتعهد له بألاّ يفعل ذلك مرةً أخرى، وحينئذٍ اعتذر له الأخ وتركه(٢٤٠).

صنع أحد الإخوة المبتدئين **نسخةً من مفتاح قلاية أحد الشيوخ،** ثم فتحها وأخـذ نقوده من الدولاب. فكتب الشيخ ورقةً قائلاً: "اصنع محبة أيها الأخ، أيا كنت أنـت، واترك لي نصف نقودي لأجل احتياجاتي الضرورية". ثم قسم النقود إلى قسمين ووضع الورقة عليهما. فجاء الأخ الذي سرق النقود كالعادة ومزق الورقة وأخذ النقود كلها. وبعد عامين كان هذا الأخ على وشك الموت، ولكن روحه لم تستطع أن تخرج منـه، فاستدعى الشيخ وتوسل إليه قائلاً: "أيها الأب، صل لأجلي، لأنني أنا هو الذي كنـت آخذ نقودك". فقال له الشيخ: "لماذا لم تعترف بذلك قبل أن يصير النور لك سوادا"؟ ثم صلى الشيخ وأطلق روح ذلك الأخ، ثم باع كتابه المقدس وصنع له تذكارا(٢٤١).

أخ كان له رفيق شيخ له معرفة بتكفين الموتى بطريقةٍ باهرة، فسأله: "هل عنـدما أموت أنا أيضا ستدفنني ذه الطريقة"؟ فأجابه: "نعم، سأفعل ذلك حتى تقول: هـذا يكفي"! وبعد قليل توفي التلميذ، وحقق الشيخ ما قاله له، لأنه بعد أن تمّم له واجبـات إكرام الميت بتقوى قال له أمام الجميع: "هل كُفنت جيدا، يا بني، أم ينقصـك أيضـا شيء ما ولو صغير"؟ فسمح الشاب لتلك الكلمات أن تخرج منه: "هذا جيـد أيهـا الأب، لقد أوفيت بوعدك"(٢٤٢)!

قال شيخ: "ها هو الصوت الذي يصرخ مناديا الإنسان حتى آخر نسمة من حياته: [تغير اليوم]"(٢٤٣).

ذهب إنسانٌ به شيطان مرةً إلى الأسقيط، ومكث هناك مدةً طويلةً ولم يشـف، ثم أشفق عليه أحد الشيوخ ورشمه بالصليب وشفاه. فاغتاظ الروح الشرير وقال للشـيخ: "ها أنت قد طردتني فسآتي إليك". فأجابه الشيخ: "تعال، فهذا يسرني". ثم ظلّ الشيخ اثنتي عشرة سنة في حراسة الروح الشرير وإماتة ذاته. ولم يكن يأكل كل يوم سوى اثنتي عشرة ثمرة بلح، وبعد ذلك هرب الشيطان وتركه، ورآه الشيخ وهو يرحل فقال لـه: "لماذا رب؟ امكث أيضا". فأجابه الروح الشرير: "إنّ الله يسيطر عليك، لأنـه هـو وحده الذي له القدرة عليك"(٢٤٤).

(240) An., 1006 / N 6 ; W. & W., 1: 401. (241) An., 1007 / N 7 ; W. & W., II: 278.
(242) An., 1008 / N 9. (243) An., 1010 / N 10. (244) An., 1012 / N 12.

يحكى عن شيخ كان يسكن في **مصر** في **قلاية،** وكانت لأحد الإخوة ولعذراء أيضا عادة أن يزوراه (كل على حدة). وفي أحد الأيام وصل كلاهما في نفس الوقت عند الشيخ. ثم جاء الليل، وإذ صار الأخ فريسةً للتجربة التقى بالعذراء وأكملا الخطية. وقد شعر الشيخ بهما ولكنه لم يقُل لهما شيئًا. وفي الصباح صرفهما دون أن يظهر لهما حزنه. وفي أثناء سيرهما تساءلا إن كان الشيخ قد شعر بهما أم لا. فرجعا إليه وصنعا ميطانية قائلين: "يا أبانا، ألم تشعر كيف أنّ الشيطان سخر منا"؟ فقال لهما: "نعم". فسألاه: "أين كانت روحك إذًا في تلك الساعة"؟ فأجابهما: "في تلك الساعة ظلّت روحي تبكي هناك حيث صلِب المسيح"! ثم حصلا على المغفرة من الشيخ وذهبا وصارا آنيتين مختارتين(٢٤٥)!

أراد أخ جديد يومًا ما أن يزهد في **العالم،** فقال لشيخ: "أريد أن أصير راهبًا". فأجاب الشيخ: "لا تقدر على ذلك". فقال الأخ: "أقدر عليه". فقال الشيخ: "إذا أردت ذلك، فاذهب وتخل عن العالم ثم تعالَ واسكن في قلايتك". فذهب وأعطى ما كان يملكه وأبقى معه مائة قطعة من النقود وجاء إلى الشيخ. فقال له الشيخ: "اذهب واسكن في قلايتك". فذهب وسكن فيها. وأثناء وجوده فيها قالت له أفكاره: "الباب قديم ويحتاج إلى استبداله". فذهب وقال للشيخ: "أفكاري تقول لي: إنّ الباب قديم ويحتاج إلى استبداله". فأجابه الشيخ: "إنك لم تزهد في الدنيا بعد، اذهب وازهد في العالم ثم اسكن هنا". فانطلق وأعطى تسعين قطعة من النقود وأبقى معه عشرة ثم جاء وقال للشيخ: "ها أنا قد زهدت في الدنيا". فقال له الشيخ: "اذهب واسكن في قلايتك". فذهب، وبينما هو هناك قالت له أفكاره: "إنّ السقف قديم ويحتاج إلى إعادة بنائه". فذهب وقال ذلك للشيخ، فقال له: "اذهب وازهد في العالم". فانطلق الأخ وأعطى العشر قطع من الفضة وجاء وقال للشيخ: "ها أنا قد زهدت في الدنيا".

وبينما كان في قلايته قالت له أفكاره: "ها إنّ كل شيءٍ قديمٍ هنا، وسيأتي الأسد ويأكلني". فكشف أفكاره للشيخ الذي قال له: "إنني أشاء أنّ كل شيءٍ يسقط عليّ وأنّ الأسد يأتي ويأكلني لكي أتخلّص من الحياة، فاذهب واسكن في قلايتك وصل لله"(٢٤٦).

قال شيخ لشيخ آخر كان محبا بسخاءٍ، وكان مختلطًا برهبانٍ وعلمانيين: "المصباح مضيء جدا، ولكنه يحرق فتحته الخاصة به"(٢٤٧)!

كان شيخ يأكل كل يومٍ ثلاث خبزات (بقسماطات)، ثم جاءه أحد الإخوة، ولما

---

(245) An., 1013 / N 13. (246) An., 1017 / N 17. (247) An., 1018 / N 10.

جلسا للأكل قدم له ثلاث خبزات، وإذ لم تكفه أعطاه ثلاثًا أُخر. ولما شبعوا وقـاموا أدان الشيخ الأخ وقال له: "لا ينبغي أن نخضع للجسد". فصنع الأخ ميطانية للشيخ ثم انصرف. وفي الغد لما جاء وقت الطعام أعد الشيخ ثلاث خبزات حسب عادته وأكلها، ثم شعر أنه لا زال جائعا ولكنه قاوم شهوة الأكل. وحدث نفس الشيء في اليوم التالي، ثم بدأ يضعف، وعلم أنّ الله تخلّى عنه. فسكب نفسه بدموعٍ أمام الله وسأله عن سـبب التخلية التي وجد نفسه فيها، فرأى ملاكًا قال له: "لقد حدث لك ذلك لأنك أدنـت الأخ. تذكّر، إذن، أنّ الذي يصمد أو يفعل شيئًا من الصلاح، فهـو لا يفعلـه بقوتـه الذاتية، ولكن ما يعضد الإنسان هو الصلاح الإلهي (النعمة)"[٢٤٨].

يحكى أنّ شيخًا في **القلالي كان منعزلاً** ولم يكن يذهب إلى اجتماع الإخوة، وكان لـه أخ بالجسد يسكن في قلايةٍ أخرى، وهذا الأخ رقد مريضا وطلب من أخيه أن يأتي ليراه قبل أن يموت. ولكن أخاه أجاب: "لا أقدر أن أذهب لأنه أخي بحسب الجسد". ثم قال المريض له مرةً أخرى: "تعالَ بأي حالٍ هذه الليلة لكي أراك". فأجاب الشيخ: "لا أقدر لئلاّ يوجد قلبي غير نقي أمام الله". ثم توفيَ الأخ دون أن يودع أحدهما الآخر[٢٤٩].

روى الآباء القصة الآتية: كان رئيس مجمع له خادم من أعضاء المجمع، وصار هـذا متهاونا وترك الدير إلى مكانٍ آخر. وكان الشيخ يذهب إليه مرارا ويترجاه أن يعـود، ولكنه لم يرغب إطلاقًا. وفعل الشيخ ذلك لمدة ثلاث سنوات، وأخيرا رضخ الخادم وعاد إلى الدير. ثم أوصاه الشيخ أن يذهب ويجمع قشا، وبينما هو يفعل ذلك فسدت إحدى عينيه بفعل الشيطان، فحزن الشيخ جدا وبدأ يعزيه بينما كان هو يتألّم، ولكن الخـادم قال له: "أنا هو السبب، فإنني أتألّم لأجل الضيقات التي سببتها لك". وبعد وقتٍ معين فارقه الألم إلاّ أنّ الضعف (أي فُقدان العين) بقي على حاله.

ومرةً أخرى أوصاه الشيخ أن يذهب ويجمع سعفًا من النخل. وبينما كان يعمل امتد أحد فروع النخلة بفعل العدو وفقأ عينه الأخرى. فعاد إلى الدير حيث عاش في سـكون دون أن يعمل شيئًا بعد ذلك. ثم حل المرض بأب الدير، وحينما اقتربت وفاته علم ذلـك مسـبقًا، واستدعى جميع الإخوة وقال لهم: "قد اقترب رحيلي فدبروا أنفسكم". فبدأ كـل واحـدٍ يقول: "لمَن تتركنا أيها الأب"؟ فسكت الشيخ واستدعى الضرير وحـده وأخـبره بأنـه سيموت، فقال له وهو يبكي: "لمَن تعهد بي (أي من الذي تستأمنه علي) أنا الضرير"؟ فأجابه

(248) An., 1020 / N 20.

(249) An., 1021 / N 21.

الشيخ: "صل لكي تكون لي ثقةٌ أمام الله وأنا أرجو أنك يوم الأحد سترأس المجمع". وبعد بضعة أيام من وفاة الشيخ استرد الضرير بصره وصار أبا للمجمع[(٢٥٠)]!

صار أحد خدم المنازل راهبًا، وقضى خمسٍ وأربعين سنة في قلايةٍ يعيش على الخبز والماء. ثم إنّ سيده (في الماضي سابقًا) لما شعر بتأنيب الضمير اعتنق أيضا حياة التوحد بعد وقتٍ طويل، وصار تلميذًا لخادمه السابق بطاعةٍ عظيمة. ولما حان وقت وفاته قال للشيخ: "يا أبي، إنني أرى القوات الآتية إلي، وصلواتك جعلتهم يعودون أخيرا". ولما حان وقت وفاة الشيخ رأى ملاكًا عن يمينه وآخر عن يساره وقالا له: "هل تريد أن تأتي أيها الأب، أم أننا علينا أن نرحل"؟ فقال لهم الشيخ: "إنني أريد، هيا خذوا نفسي". وهكذا رقد[(٢٥١)]!

قال شيخ: "أخذ يوسف الرامي جسد الرب يسوع ووضعه في كفنٍ خصوصي وفي قبرٍ جديد، أي في إنسانٍ جديد. إذن، فليهتم كل واحدٍ بكل عنايةٍ ألاّ يخطئ حتى لا يهين الله الساكن فيه ولا يطرده من نفسه. لقد أُعطي لبني إسرائيل المن لكي يتغذّوا به في البرية، ولكن بني إسرائيل (الحقيقي) قد أُعطوا في الحقيقة جسد المسيح"[(٢٥٢)].

سأل أخ شيخًا: "ماذا أفعل يا أبي"؟ فأجاب: "اذهب وأحب أن تغصب نفسك، استلّ سيفك واخرج للقتال". فقال الأخ: "الأوجاع (أي الأهواء والشهوات) لا تبقي لي قوة". فقال له الشيخ: "مكتوب: «ادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني» (مز٥٠: ١٥). إذن، فادع الله وهو ينقذك من كل تجربة"[(٢٥٣)].

أخ كان قد نفي، فسأل شيخا قائلاً: "أريد أن أعود إلى مكاني". فأجابه الشيخ: "اعلم يا أخي، أنه بمجيئك من بلدك إلى هنا سيكون الرب هو مرشدك، ولكنه لن يكون لك بعد ذلك إذا عدت"[(٢٥٤)].

كان أحد الأساقفة يذهب كل سنة لزيارة الآباء في الأسقيط، فالتقى به مرةً أخ واصطحبه إلى قلايته، ولما قدم له خبزا وملحا قال له: "اغفر لي يا سيدي أنه ليس عندي شيء آخر لأقدمه". فقال له الأسقف: "عندما أجيء في العام القادم لا أريد أن أجد عندك حتى الملح"[(٢٥٥)].

روى أخ أنه كانت توجد مناقشة في أحد أديرة مصر، وقد شارك الجميع في الكلام الكبار

(250) An., 1022/ N 22. (251) An., 1023 / N 23. (252) An., 1024 / N 24.
(253) An., 1025 / N 25. (254) An., 1026 / N 26. (255) An., 1028 / N 28.

والصغار، ولكن واحدا فقط لم يتكلّم. ولما انصرفوا سأله أخ: "لماذا لم تتكلّم"؟ ولما ألحّ عليه الأخ أن يجيبه قال: "اغفر لي، ولكنني قلت في نفسي: إن كانت الوسادة التي تحتي لا تتكلّم فأنت أيضا لن تتكلّم، ولهذا السبب احتفظت بالصمت ولم أتكلّم"[٢٥٦]!

كان أحد الشيوخ مريضًا، وحيث إنه لم يكن له من يلازمه فقد قبله أب الجميع وأعطاه الضروريات. ثم قال للإخوة: "اضغطوا على أنفسكم قليلاً لكي نرضي المريض". وإذ كان المريض عنده إناءٌ من ذهب، فقد حفر تحت سريره وخبأه، ثم توفى دون أن يعترف بذلك. وعند دفنه قال الأب للإخوة: "أزيلوا عنا سرير الأعشاب هذا". ولما قلبوه وجدوا الذهب، وقال الأب: "حيث إنه في حياته لم يعترف بذلك، وحتى ساعة موته لم يقُل شيئًا، وأنه كان يضع رجاءه في هذا الذهب؛ فإنني لن ألمسه، اذهبوا وادفنوه معه". ثم نزلت نار من السماء وحلّت فوق قبره على مرأى من الجميع أياما كثيرة، وجميع الذين رأوها كانوا يندهشون[٢٥٧]!

سقط أسقف إحدى المدن في الزنى بفعل الشيطان. وفي أحد الأيام كان الناس مجتمعين في الكنيسة ولم يوجد أحد حينئذٍ لم يعلم بخطيته، فقد اعترف أمام جميع الناس وقال: "إنني أخطأت". ثم ألقى بطيلسانته (أو برنسه وربما فاراجيته) على المذبح وقال: "لم أعد أسقفًا لكم بعد". فبكى الجميع وصاحوا: "لتكن خطيتك علينا، ولكن احتفظ بالأسقفية". فأجاب: "أنتم تريدون مني أن أحتفظ بالأسقفية، فافعلوا، إذن، ما سأقوله لكم". ثم أغلق أبواب الكنيسة ورقد بوجهه على الأرض أمام الباب الجانبي وقال: "الذي سيمر دون أن يطأني بقدميه لن يكون له نصيب مع الله"! ففعلوا كما طلب. وبعد أن انصرف آخر شخص جاء صوت من السماء قائلاً: "بسبب اتضاعك العظيم قد غُفِرت خطيتك"[٢٥٨]!

حدث أن أسقفًا في مدينة أخرى مرض وتخلى عنه الجميع. ثم سقط في خطية الزنى واعترف قائلاً إنه ارتكب هذه الخطية.

ولما شفي من مرضه ذهب إلى الكنيسة وألقى بطيلسانته على المذبح، وانصرف بعصا في يده، وتوجه إلى دير لم يكن معروفًا فيه. وكان أب هذا الدير قد علم بواسطة الرؤى التي يراها أنّ أسقفًا آتيا إلى الدير. فأخبر البواب بذلك قائلاً: "انتبه أيها الأخ، فإنّ أسقفًا سيأتي اليوم". فتوقع البواب أن يراه آتيا على محفّةٍ أو على الأقل بأبهةٍ احتفالية تليق بأسقفٍ، ولكنه لم ير شيئًا

(256) An., 1029 / N 29. (257) An., 1030 / N 30. (258) An., 1031 / N 31.

من ذلك. ولكن الأب خرج للقائه وحياه قائلاً: "مرحبا بك يا سيدي الأسقف". فاندهش الأسقف من كونه عرفه، وأراد أن يهرب إلى دير آخر، فقال له الأب: "حيثما تذهب سأذهب معك". وبعد إلحاحاتٍ شديدة جعله يدخل الدير، حيث قدم توبةً حقيقيةً وتوفى بسلامٍ حتى إنه عند انتقاله حدثت بعض المعجزات(٢٥٩)!

كان في **نواحي الأردن ناسك،** وكان قد صارع لعدة سنوات وكوفئ بموهبةٍ هي ألاّ يقاسي بعد من الأضرار التي من العدو لدرجة أنه كان يسب الشيطان أمام الذين يأتون لزيارته، فقد كان يقول لهم لأجل منفعتهم إنّ الشيطان ليس شيئًا ولا يستطيع أن يفعل شيئًا مضادا للأبطال إذا لم يجدهم مشابهين له، أي أدنياء ومستعبدين للخطية على الدوام، مثل هؤلاء الذين أذلّهم. فقد كان يظن في قلبه أنه كان محميا بالمعونة الإلهية وأنه ليس عليه أن يقاسي من هجمات العدو.

ثم حدث مرةً – بسماح من الله – أن الشيطان ظهر له وجها لوجه وقال له: "ما الذي فعلته لك، أيها الأب؟ لماذا توسعني بالإهانات؟ هل أنا عذبتك قط"؟ ولكنه ملأ الشيطان بالبصاق واستعمل نفس كلامه قائلاً: "ابتعد عني يا شيطان، لأنك لا تستطيع شيئًا مضادا لخدام المسيح". فقذفه الشيطان بقوله: "هذا حق، هذا حق، ولكن عليك أن تعيش أربعين سنة أخرى، فهل أنا لن أجد على مدى تلك السنين بأي حال ساعة واحدة لكي أخدعك"؟ ثم إنه بعد أن ألقى هذا الطُعم اختفى.

فبدأ الناسك يتفكر وقال: "ها هي سنين هذا مقدارها سأقضيها هنا، فإن الله يريد أن يجعلني أعيش أربعين سنة أخرى، فلأذهب وأرجع إلى العالم، وسأرى الذين يعيشون في نهج من الحياة مختلفًا عني، وأقضي بعض السنين معهم، ثم أرجع وأستعيد نسكي". وحالما جاءه هذا الفكر بدأ ينفذه. فنهض وغادر قلايته واتخذ طريقه. وبعد قليل أُرسل ملاك من الله لمعونته وقال له: "أين أنت ذاهب أيها الأب"؟ فأجاب: "إلى المدينة". فقال له: "عد إلى قلايتك، ولا تكن لك صلة بالشيطان لأنه يسخر منك". فرجع إلى نفسه، واستعاد قلايته ثم بعد ثلاثة أيام تنيح(٢٦٠).

تساءل ناسك كبير قائلاً: "أيها الشيطان، لماذا تحاربني هكذا"؟ فسمع الشيطان يجيب عليه قائلاً: "إنك أنت الذي تحاربني بشدة"(٢٦١).

رأى ناسك شيطانا يدفع شيطانا آخر للذهاب لتنبيه راهب. وسمع الآخر يقول: "لا

(259) An., 1032 / N 32. (260) An., 1034 / N 34. (261) An., 1035 / N 35.

أستطيع ذلك، لأنني نبهته مرةً فنهض وأحرقني بمزاميره وصلواته"[262].

قيل عن ضابط من جباة الضرائب إنه كان شابا قويا وسيما، وكان مدبرا للشئون الملكية. وكان قد تعرف على شابة صغيرة مشهورة في إحدى المدن. وعندما كان يمر على تلك المدينة كانت صديقته تستقبله، وكان يقيم (أو يأوي) عندها ويتناول طعامه بصحبة المرأة مضيفته التي كانت صديقة حقيقية له. وإذ كان يذهب كثيرا عندها ظلّت تفكر فيه دون أن يعرف هو ذلك. وكانت المرأة عفيفة ولم تكشف له عن أفكارها بل تحملت هذا الوجع بخضوع. وبعد أن مكث الضابط عندها استأنف طريقه كعادته. أما هي فإن أفكارها سببت لها المرض ولزمت الفراش. فأحضر لها زوجها أطباء فحصوها وقالوا: "ربما يكون عندها ثمة مرض نفسي، لأنه ليس عندها أي مرض جسدي".

فجلس زوجها بجوارها وتوسل إليها أن تخبره بما عندها. وإذ كانت خائفة وخجلة لم تتجرأ في بادئ الأمر أن تخبره. وأخيرا اعترفت قائلةً: "أنت تعرف، يا سيدي، أنك، لأجل الود أو السخاء، أدخلت إلينا هنا شابانا، ولذلك فإنني أنا زوجتك تثقلت بالهوى في الضابط الملكي". فلما سمع الزوج ذلك لزم السكوت. وبعد أيام كثيرة عاد الضابط فاستقبله وقال له: "أنت تعلم يا أخي كم أنا أحبك، وأنني كنت أستقبلك بمودة وأجعلك تأكل برفقة زوجتي". فقال الضابط: "هذا حق يا سيدي". ثم أضاف الزوج: "وها هي زوجتي تفكر فيك". فلما سمع الضابط ذلك وهو لم يكن يفكر فيها؛ فقد احتد غضبا وتكدر جدا وقال للزوج: "لا تقلق، فإن الله سيعيننا".

ثم ذهب الضابط وحلق شعره وأخذ مادةً معينةً ودهن بها رأسه ووجهه لدرجة أنه أحرقهما حتى الحاجبين، وهكذا أخفى كل جماله وصار مثل شيخ أبرص. ثم غطّى نفسه ببرقع وذهب ليسأل عن المريضة وزوجها الذي كان بالقرب منها. ثم رفع البرقع وأظهر لهما وجهه وقال: "هذا هو ما فعله بي الرب". فذُهلت المرأة عندما رأت أن مثل هذا الجمال قد تحول إلى مثل هذه القباحة، ورفع الله عنها تجاربها بسبب المشقة التي تحملها هذا الرجل. وللحال قامت المرأة ونسيت كل أفكارها. ثم بادر الضابط الزوج على انفراد قائلاً: "شكرا لله، فإن زوجتك لم تعد بعد مريضة، بل إنها لن ترى وجهي بعد ذلك". وهذا يسمى بوضع النفس فوق المحبة (الجسدية) ومقابلة الشر بالخير[263].

روى أحد الآباء أن ضابطًا ملكيا استدعي في مهمة. وفي طريقه وجد فقيرا ميتا

(262) An., 1036 / N 36.

(263) An., 1037 / N 37.

مطروحا وهو عريان، فأشفق عليه وقال لخادمه: ”خذ الفرس وتقدم قليلاً“. ثم ترجـل هو من الفرس وتخلّى عن أحد قمصانه وألبس به الميت وانصرف. وبعد بضعة أيام عهد لهذا الضابط بمهمة أخرى. ولما غادر المدينة سقط من على الفرس وكُسـرت رجلـه، فأوصله خادمه إلى بيته واعتنى به الأطباء. وبعد خمسة أيام صارت رجله سوداء، ولمـا رأى الأطباء ذلك علموا أ ا علامة على وجوب قطع الرجل خوفًا من أن يفسد الجسم كله فيموت الرجل. وقالوا له: ”إننا سنأتي صباح الغد ونعالجك“.

وأشار المريض بعلامة لخادمه لكي يتبع الأطباء ويعرف ما يريدون أن يفعلوه. فقالوا لـه: ”إن رجل سيدك قد اسودت، فإن لم نقطعها فسيموت، فسنأتي في الصباح وسـنعمل مـا يرضي الله“. فعاد الخادم إلى سيده وهو يبكي وقال له: ”هذا ما يريدون أن يفعلوه لـك“. فحزن جدا وأعاقه قلقه الشديد عن النوم. ونحو نصف الليل رأى إنسانا يدخل من الباب وجاء إليه وقال له: ”لماذا تبكي؟ لماذا أنت حزين“؟ فقال: ”يا سيد، كيف تريدني ألاّ أبكـي وألاّ أكون حزينا، لأن عندي كسر وهذا ما يريد الأطباء أن يفعلوه بي“. فقال له الرجـل: ”أرني رجلك“. ثم دهنها وقال له: ”ا ض الآن وامش“. فأجاب المريض: ”إ ـا مكسـورة ولا أقدر“. فقال له: ”استند علي“. فاستند عليه ومشى وهو يعرج. فقال له الرجل: ”إنك تعرج أيضا، فاسترح“. ثم دهن كلتا رجليه مرةً أخرى ثم أمره قائلاً: ”ا ض الآن وامش“. فنهض ومشى وهو ممتلئ بالنشاط. ثم قال له الرجل: ”استرح الآن“. ثم أضاف بعـض كلمـات حسبما أرشده الرب قائلاً: «طوبى للرحماء لأ م يرحمون» (مت٥: ٧). وأيضا: «الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة» (يع٢: ١٣).

ثم قال له الرجل: ”وداعا“. فقال له الضابط: ”هل سترحل“؟ فقال له: ”ما الذي تبغيه أكثر من أن تشفَى“؟ فقال له الضابط: ”بحق الله الذي أرسلك قُل لي من أنت“. فأجابه: ”انظر إلي، إنك تذكر بدون شك قطعة القماش هذه“؟ فقال: ”نعم يا سـيد، إ ا لي“. فقال الآخر: ”إنني أنا الذي وجدته ميتا وأنت مجتـاز في الطريـق، والـذي أعطيتني قميصك، فقد أرسلني الله لكي أشفيك، فقدم له الشكر دائما“. ثم خرج مـن حيث دخل، وإنّ ذاك الذي نال الشفاء سبح الله على كل خيراته[٢٦٤].

أحد المسيحيين الأتقياء الذي كانت له فضيلة الصدقة قال: ”يجب على المتصدق أن يقدم عطيته تماما كما يريدها هو أن تقدم له“. تلك هي الصدقة المقبولة لدى الله[٢٦٥].

(264) An., 1038 / N 38.

(265) An., 1040 / N 40.

اقتيد اثنان من الإخوة للاستشهاد. وبعد أن عذّبوهما في المرة الأولى ألقوهما في السـجن، وهناك تشاجرا. فقام أحدهما بعمل ميطانية لأخيه قائلاً: "إننا سنموت غدا، فلنبنه إذن هـذا العداء بيننا ونتصالح". ولكن الآخر لم يوافق. وفي اليوم التالي أخذوهما ليعذبا أيضا، ولكـن الأخ الذي رفض ميطانية أخيه ضعف أمام أول صدمة من العذاب. فسأله القاضي: "لمـاذا لم تطعني بالأمس مع أنك عانيت هذا العذاب نفسه"؟ فأجاب: "لقد امتلأت حقدا على أخي ولم أتصالح معه، لذلك تخلّت عني نعمة إلهي"(٢٦٦)!

قُدم أحد الأشخاص للاستشهاد بواسطة عبده (الذي فتن عليه). وفي اللحظة التي كـان سيموت فيها رأى عبده الذي سلّمه، فخلع خاتمه الذهبي وأعطاه له قائلاً: "أنا أشكرك لأنـه بسببك نلت كل هذا الخير العظيم"(٢٦٧).

ذهب أحد الشيوخ ليبيع سلاله، فقابله الشيطان وأخفاها منه. فأخذ الشيخ يصلي قائلاً: "أشكرك يا إلهي، لأنك خلّصتني من هذه التجربة". فلم يحتمل الشيطان حكمة هذا الشـيخ وصرخ قائلاً: "ها هي سلالك أيها العجوز الشرير"! فأخذها الشيخ وباعها(٢٦٨).

قيل عن شيخ كان يقيم في أحد المعابد في "كليسما" (بجوار السويس)، إنه كان لا يمارس إطلاقًا عمل الموسم حتى لو غصبه أحد على ذلك. ففي موسم عمل الشباك كـان يضـفر الخوص، وعندما كان ينشغل الآخرون بصناعة الشباك كان هو يغزل الكتان، وذلك حتى لا تـ عج نفسه بالعمل الذي يقوم به(٢٦٩).

كان أحد المتوحدين يرعى جاموسًا، وطلب من الله قائلاً: "إرشدني، يـا ربي، إلى مـا يعوزني". فجاءه صوت يقول: "اذهب إلى هذا الدير وافعل ما يقولونه لك". فـذهب إلى ذلك الدير وأقام فيه، ولكنه ما كان يعرف العمل الذي يخدم به الإخوة. فبدأ الرهبان المبتدئون يعلّمونه ويقولون: "افعل هكذا يا غبي .. افعل ذلك أيها الشيخ الأحمق"! فانسحق الناسـك جدا وصلّى قائلاً: "يا رب، إنني لا أفهم شيئًا في خدمة الناس، فـأرجعني إلى جاموسـي". فأجابه الرب ورجع إلى حقله ليرعى الجاموس(٢٧٠).

قال شيخ: "النسيان هو أصل لكل الشرور"(٢٧١).

كان أخ يسكن في **قلاية بمصر،** وقد اشتهر بتواضعه الشديد، وكانت له أخت قد باعـت

(266) An., 1041 / N 41. (267) An., 1042 / N 42. (268) An., 1045 / N 45.
(269) An., 1059 / N 59. (270) An., 1062 / N 62. (271) An., 1065/ N 65.

نفسها للشيطان وسببت هلاكًا لنفوس كثيرة. وكان الشيوخ دائما يحثون الأخ أن يبحث عنها ويقنعها بترك الخطية التي تتورط فيها. ولما وصل إلى مسكنها أخبرها أحد غلما ا قائلاً: "هوذا أخوك على الباب". فانفعلت جدا وتركت عشاقها واندفعت محلولة الشعر لمقابلة أخيها. ولم ـ ا أرادت أن تقبله قال لها: "أختي العزيزة، ارحمي نفسك، فإن كثيرين يهلكون بسببك. وكي ـ ف يمكنك أن تحتملي العذابات الأبدية القاسية"؟ فارتعبت وقالت له: "أيمكن أن يكون لي خلاص بعد الآن"؟ فقال لها: "إذا أردت يمكنك أن تخلصي". فانطرحت عل ـ ى قدمي ـ ه وترجت ـ ه أن يأخذها معه إلى البرية. فقال لها: "ضعي غطاءً على رأسك واتبعيني". فقالت له: "لن ـ ذهب، فمن الأفضل أن أخرج بدون لياقة وعارية الرأس على أن أرجع إلى هذا الماخور"!

وفي الطريق كان يشجعها على التوبة. وعندما كانا يلتقيان بأناس كان يقول لها: "حيث إن الجميع لا يعرفون أنك أختي فابتعدي عني قليلاً حتى يمضوا". ثم إنه في إحدى هذه المرات قال لها: "فلنتابع طريقنا يا أختي"، ولكنها لم تجب عليه، والتفت فوجد أ ا قد ماتت. ولمح أن آثار خطوا ا كانت ملطّخةً بالدماء لأ ا كانت تمشي حافية القدمين.

ولما روى الأخ للشيوخ ما حدث أخذوا يتجادلون فيما بينهم حول هذا الأمر. ثم طمأ م الرب برؤية أظهرها لأحد الشيوخ بخصوصها، حيث إ ا لم تنشغل بأي شيء زائل ونس ـ يت حتى جسدها ولم تشك من جروحها. ولأجل ذلك قبلت السماء توبتها(٢٧٢).

كان شيخ له تلميذ قد حلّت عليه تجارب سمجة، وكان الشيخ يشجعه قائلاً: "قاوم ي ـ ا بني، فهذه حرب يشنها العدو عليك". وكان التلميذ يجيبه: "لم أعد قادرا على المقاومة حتى أتمم الأمر". ثم تظاهر الشيخ بأنه مجرب مثله وقال له: "وأنا أيضا محارب يا بني، فلن ـ ذهب سويا ونتمم الأمر ثم نعود إلى قلايتينا". وكان الشيخ يملك قطعة نقود فأخذها، ولما وصلا إلى المكان قال لتلميذه: "انتظرني خارجا، ودعني أدخل أولاً ثم يأتي دورك بعد ذلك".

ودخل الشيخ وأعطى قطعة النقود للمرأة وترجاها ألاّ تدنس طهارة الأخ، فوعدته الم ـ رأة. وخرج الشيخ وطلب من الأخ أن يدخل. ولما دخل قالت له المرأة: "انتظر أيها الأخ، فم ـ ع أنني امرأة خاطئة إلاّ أن لدينا عادةً يلزمنا أن نتممها أولاً، وأمرته أن يضرب خمسين ميطاني ـ ة وهي ستفعل مثله". ولما ضرب الأخ عشرين أو ثلاثين ميطانية شعر بوخز الض ـ مير وق ـ ال لنفسه: "كيف أقدر أن أصلّي لله وأنا أنوي أن أرتكب هذه القباحة"؟! ثم خرج على الفور دون أن يتدنس.

(272) An., 1043/ N 43.

ولما رأى الله تعب الشيخ رفع عن الأخ تجربته، ورجعا إلى قلايتيهمـا وهمـا يسـبحان الله(٢٧٣).

كان يحكى عن رجل علماني من أنطاكية أنه كان يتردد كثيرا على ناسك طالبا منـه أن يقبله راهبا. فقال له الناسك: "إذا أردت أن تطيعني، فاذهب وبع ما تملكه واعطـه للفقـراء حسب وصية الرب وأنا أقبلك". فذهب الرجل وفعل كما قال له. ثم قـال لـه الناسـك: "يلزمك أن تكمل وصيةً أخرى هي ألاّ تتكلم البتة". فوافق الأخ وظل صامتا لمـدة خمـس سنوات. ثم بدأ البعض يمدحونه، فقال له الأب: "أنت هنا لم تنتفع، ولذلك فسأرسـلك إلى أحد ا امع في مصر". ولما أرسله لم يقُل له إن كان يجب عليه أن يتكلم أم لا، إلاّ انه ظـل حافظًا للوصية السابقة، وظل صامتا.

وأراد رئيس الدير الذي استقبله أن يتحقق من كونه أخرسا أم لا، فأرسـله في مهمـة في وقت فيضان النهر حتى يجبره أن يقول إنه لا يستطيع أن يعبر، وأرسل خلفه أخا يتتبعه ليرى ما سيفعله. ولما وصل إلى النهر لم يستطع العبور، فجثا على ركبتيه مصلّيا، وإذ بتمسـاح يـأتي ويحمله إلى الشاطئ الآخر من النهر. ورأى الأخ الذي كان يتبعه كل ذلـك ورواه لـلأب والإخوة الذين ذُهلوا.

وبعد زمان تنيح هذا الأخ، فبعث رئيس الدير إلى الناسك الذي كان قد أرسله إليه قائلاً: "إن كنت قد أرسلت لنا رجلاً أخرسا، ولكنه مع ذلك فهو ملاك مـن الله". فـرد عليـه الناسك قائلاً: "إنه لم يكن أخرسا، ولكنه فعل هكذا حسب وصيتي له منذ البداية أن يظـل صامتا". فامتلأ الجميع من العجب ومجدوا الله(٢٧٤).

قيل إن أخوين روحيين كانا يسكنان معا، وإن أحدهما اكتسب محبةً شديدةً لقريبـه وإنه كان يدبر الراحة لأخيه بأن يخرج ضفيرته وينشرها في الشمس ويعـتني بخدمتـه. وكان هذا الأخ مقتنعا بواسطة حب المسيح بأن كل ما كان يعمله لأجل أخيـه كـان يعمله للمسيح. ولذلك فقد استحق نعمةً عظيمةً من الرب بسبب محبته الفائقة اللطـف والرقّة. ورأى الرب كماله الفريد واستدعى ملاكه لكي يباركه. ولأن الأخ لم يتصـور أنه يمكن أن ينال رؤية ملاك بسبب فضيلته؛ فقد ارتأى في نفسه أنه لم يكن مستحقًا لمثل تلك النعمة. حينئذ أخذ يقول للملاك: "لا شك أنك أُرسلت إلى شخص آخر، لأنني أنا غير مستحق". فأصر الملاك أن يباركه. ولما بدأ الأخ يحط من قدر نفسه أمام الملاك فقد

(273) An., 1044/ N 46. قارن هذه القصة بقصة توبة القديسة بائيسة على يد ق. يؤنس القصير
(274) An., 1046/ N 46.

امتلأ الملاك إعجابا باتضاعه العظيم. فإن الأخ في الحقيقة قال أيضا للملاك: "إن كـان الرب حقًا قد أرسلك لكي تباركني، فإذ أنني غير مستحق؛ فبارك الأخ الذي معـي ولي ثقة أنني كذلك سأكون مباركًا"! فلما رأى الملاك عظم محبته ذُهل وقـال لـه: "إن الناموس يوصي بأن تحب قريبك كنفسك، ولكنك تحب قريبك أكثر من نفسك، لذلك فإن القدير يباركك بنفسه". ولما قال الملاك ذلك جاء صوت من السماء من فم الـرب مباركًا الأخ ثلاث مرات بقوله: "فلتكن مباركًا"(٢٧٥)!

روى الشيوخ القديسون عن تلميذ لأحد الشيوخ في الوقت الذي كان فيه الملـوك يقتلون المؤمنين، فقد قال لأبيه: "أريد أن أذهب لكي أصير شهيدا". فقال له أبوه: "إذا أطعتني يا بني تكون شهيدا". فلم يسمع له وذهب. ولما عذب مات في العذابات. ولكن الرب لم يقبله لأنه لم يطع أباه. ثم أخبروا الشيخ قائلين: "ها هو تلميذك قد مـات". فذهب ليأخذ جثمانه، ورأى نفسه وهو يبكي فوق جثمانه، فقال له الشيخ: "لماذا تبكي هكذا"؟ فقال له: "إن الرب لم يقبلني لأنني لم أُطعك يا أبي، ولكنني أغضبتك وأحزنت قلبك، والآن أتوسل إليك يا أبي أُطلب من الرب أن يقبلني". فحالما سمع الشيخ ذلـك صلّى فقبل الرب نفس تلميذه(٢٧٦).



(275) Eth. Asc. 17.

(276) Eth. Asc. 42.

قصص وأقوال
آباء المخطوطات غير المعروف أسماؤهم

(١) الدعاء باسم الرب يسوع

قال شيخ: "إن كان ملء اللاهوت حل في المسيح جسديا كقول الرسول، فلا نقبل زرع الشياطين الأنجاس إذا قالوا لنا: إنكم إذا صِحتم باسم يسوع فلستم تدعون الآب والروح القدس، لأ م يفعلون ذلك خبثًا منهم حين يمنعوننا من الدعاء بالاسم الحلو الذي لربنا يسوع، لعلمهم أنه بدون هذا الاسم لا يوجد خلاص البتة، كقول الرسول بطرس: «ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع٤: ١٢).

ونحن لا نشك البتة في هذا الأمر، أننا إذا دعونا اسم ربنا يسوع إنما ندعو الآب والابن والروح القدس، لأننا لا نقبل البتة فرقًا ولا انقساما ما في اللاهوت، ونعلم أنّ ربنا يسوع هو الواسطة الذي به يحصل الناس على الدنو من الله والحديث معه، كقول الرسول: «كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه» (عب١: ٢)"[(١)].

قال شيخ مثلاً: "كان إنسانٌ في قريةٍ له أخت جميلةٌ، ولما كان يوم عيد في تلك القرية سألته أن يرسلها إلى موضع الاحتفال بالعيد، وكان أخوها يخاف أن يرسلها وحدها لئلاّ يحصل لقومٍ عثرة بسبب شبا ا، فأمسك بيدها واصطحبها إلى مكان الاحتفال. وكان يدخل ويخرج وهو ماسك بيدها، لأنه قال: إن هي مالت إلى أية جهالةٍ فلا تستطيع لأنني ماسك بيدها".

ثم قال الشيخ: "هكذا النفس مادامت ذاكرةً اسم ربنا يسوع المسيح الذي صار لها أخا بالتدبير، فإنه يكون كل وقتٍ ماسكًا بيدها حتى وإن هي تنازلَت مع الأفكار ومالت إلى ملذّات العالم فلا تصل إلى إتمام الخطايا لأنّ أخاها ماسكًا بيدها. وإن أراد الأعداء غير المنظورين أن يخدعوها فلا يستطيعون أن يفعلوا ا شيئًا لأنّ أخاها ماسكًا بيدها إن هي تمسكَت كل وقتٍ بالاسم المخلص الذي لربنا يسوع المسيح ولا ترخيه".

"أرأيت أيها الحبيب أنّ التمسك ذا الذكر الصالح الذي هو اسم ربنا يسوع المسيح إنما هو خلاص عظيم وحصن لا ينحلّ وسلاح لا يغلَب وختم خلاصٍ للنفس؟ فلا تتوانَ أن تقتني لك هذا الك الذي لا يسرق، وهذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن التي هي اسم ربنا يسوع المسيح الاسم المخلص".

---
(١) س ٤ ص ١٩.

"فإن قلت: 'وكيف أقتني لي هذا الكـ العظيم'؟ قلت لك: 'بالعزلة عن كل أحدٍ وعدم حمل هم جميع الأشياء، وتعب الجسد بمقدار، والصوم بمداومةٍ. هذه الأمور تلد الاتضاع والدموع الحقيقية وتجعلك تشعر أنك تحت الخليقة كلها، وإذا تمّ لك ذلك تصير ابنا لله وأنت على الأرض، وتنتقل من الأرض إلى السماء وأنت كائن في الجسد'. النعمة هي لك يا رب لأنك تصنع الرحمة مع ضعفنا حتى تنقلنا إلى ملكوتك"[٢].

سأل أخ شيخا: "يا أبي، ماذا أفعل ـذه الحروب الكائنة معي"؟ فقال له الشيخ: "مداومة اسم الرب يسوع تقطعها كلها"[٣].

قال شيخ: "لا يوجد عملٌ في جميع الفضائل يشبه مداومة الصلاة والتضرع باسم ربنا يسوع المسيح في كل وقت: إما في العزلة بالشفتين، وإما في القلب بغير تـ ـه (أي - بحسب شرح المخطوطة - بغير طياشة، بل بانتباه وتأمل وخشوع ولذّة روحية، ولذلك تقول الكنيسة في تسابيحها: الاسم الحلو الذي لربنا يسوع المسيح)"[٤].

قال شيخ: "إذا رفض الفهم أوامر الروح القدس تبعِده القوة ذا ـا وتزعج أوجاع القلب، وإذا رد القلب إلى الله وحفظ أوامر الروح القدس يكون عليه ستر، وحينئذٍ يعلم الإنســان أنّ مداومة اسم ربنا يسوع المسيح وذكره القدوس هو الذي يحرسه تحت ستر رحمته"[٥].

سأل أخ شيخا: "يا أبي، عرفني الجلوس في القلاية". فقال له الشيخ: "هذا هــو عمــل القلاية: أكل مرة في اليوم، وعمل اليدين، وإتمام الصلوات الفرضية، وأفضل من الجميع أن تكون مداوما على اسم ربنا يسوع المسيح بغير فتور، وفي كل قليل ارفع عينيك إلى فوق وقُلْ: يا ربي يسوع المسيح أعني، ياربي يسوع المسيح تحنن علي، أنا أسبحك يا ربي يسوع المسيح"[٦].

قال شيخ: "إذا كنت جالسا في القلاية فنشط نفسك، ولتكن خدمات القلب عندك أفضل من خدمات الجسد، لأنّ الله يريد أنّ القلب يكون ملازما اسمه القدوس كل حين مثل عبدٍ يلازم سيده ويخاف منه"[٧].

سأل أخ شيخا: "كيف أجد اسم ربي يسوع المسيح"؟ قال له الشيخ: "إذا لم تحب الضيقة أولاً فلا يمكنك أن تجده"[٨].

وأيضا سأله أخ آخر: "كيف تقتني النفس مخافة الله"؟ فأجابه: "إذا لم تنظر النفس

---

(٢) س ٤ ورقة ١٩. (٣) س ٤ ص ٢٠. (٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق. (٦) المرجع السابق. (٧) المرجع السابق. (٨) المرجع السابق.

الله لا تخافه". فقال له: "وبماذا يظهر الله للنفس"؟ أجابه: "بالعزلة والضيقة وصراخها كل حين بشوقٍ لا يفتر قائلةً: 'يا ربي يسوع المسيح'. فإذا كان ذكره دائما في قلبك كل حين، فهو يجيء ويسكن فيك ويعلمك كل الأعمال الصالحة"(٩).

سأل أخ شيخا: "أتشاء أن أترك قلبي عند خطاياي"؟ فقال: "لا". قال: "أفأتركه عند جهنم"؟ قال: "لا، بل اتركه عند ربنا يسوع المسيح فقط والصق به عقلك، لأنّ الأرواح الشريرة تريد أن تأخذ ضميرك إلى موضعها حتى تبعِدك عن الرب يسوع المسيح". فسأله: "وبأي نوعٍ يلتصق الضمير بالرب يسوع المسيح"؟ قال له: "بالعزلة وعدم الهم، والتعب الجسداني بمقدار"(١٠).

سأل أخ شيخا: "عرفني، يا أبي، كيف أتمسك باسم الرب يسوع بقلبي ولساني". أجابه الشيخ: "مكتوب إنّ «القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص» (رو١٠: ١٠)، فإذا هدأ قلبك فليرتل باسم الرب يسوع دائما، وإذا ناله عدم هدوء وطياشة فيجب أن تتلو (اسم الرب) باللسان حتى يتعود العقل، فإذا نظر الله إلى تعبك أرسل لك معونةً عندما يرى اشتياق قلبك، فيبدد غلظ الأفكار المضادة للنفس"(١١).

(٢) الفضائل الرئيسية

سئل أحد الشيوخ: "أية وصايا يقتنيها الإنسان يمكنه بها أن يخلص"؟ فأجاب: "أربع هي الفضائل الموضوعة للإنسان: الصوم، والطلبة إلى الله، والعمل بيديه، وعفّة جسده. فالشيطان قاوم هذه الأربعة وأخرج آدم من الفردوس: أولاً: خدعه بالمأكل، وثانيا: أضلّه بالهرب ولم يدعه يطلب من الله غفران خطيته، وثالثًا: لما طُرد من الفردوس احتال لكي بواسطة البطالة والفراغ (الداخلي) يلقيه في كثرة الشبق (الميول النجسة)، ورابعا: يلقيه في التهور في اللذّة حتى يأخذه أسيرا له بالكلية".

"فالسيد محب البشر، لعلمه بسوء حيلة المحتال أعطى آدم عملاً يشتغل به حتى إنه ولا بواسطة الفراغ يتسلّط عليه المحتال، فقال له: اعمل الأرض. كما أنّ الشيطان يحرص على أن يبطِل الإنسان الصوم لأنه به يتذلّل الجسد ويتلطّف العقل، وعلى أن يبطِل الصلاة لأنّ بها يدنو الإنسان من الله، وعلى أن يبطِل العمل لأنه يقطع حيل المحتال ويعين على حفظ العفّة التي بها يتحد الإنسان بالله".

---

(٩) س ٤ ورقة ٢١. (١٠) المرجع السابق. (١١) المرجع السابق.

"فإن أحكم (أي أتقن) الإنسان هذه الفضائل الأربع يحصل بواسطتها على باقي الفضائل"[12].

قال شيخ: "قراءة الكتب (المقدسة) تقوم العقل الطواف، والسهر والصلاة والجوع والتعب مع العزلة من الناس تبطل شهوة الزنى، والترتيل وطول الروح والرحمة تسكن الغضب"[13].

سئل شيخ: "كيف يقتني الراهب فضيلة"؟ فأجاب: "إن شاء أحد أن يقتني فضيلة فإن لم يمقت أولاً الرذيلة المضادة لها فلا يستطيع أن يقتنيها. إن شئت أن يكون لك نوح فامقت الضحك، وإن آثرت أن تقتني التواضع فابغض الكبرياء، وإن أحببت أن تضبط هواك فامقت الشر وتحريف الأمور، وإن شئت أن تكون عفيفًا فامقت الفسق، وإن شئت أن تكون زاهدا في القنية فامقت حب الفضة. ومن يريد أن يسكن في البرية فليمقت المدن، ومن يشتهي السكون فليمقت الدالّة، ومن شاء أن يكون غريبا عن عاداته فليبغض التخليط (لعله يقصد الاختلاط بالناس)، ومن يريد أن يضبط غضبه فليبغض مشيئته، ومن يريد أن يضبط بطنه فليبغض اللذات والتواجد مع أهل العالم، ومن أراد عدم الحقد فليبغض المثالب، ومن لا يقدر أن يتحمل الهموم فليسكن وحده منفردا، ومن يريد أن يضبط لسانه فليسد أذنيه لئلاّ يسمع كثيرا، ومن يشاء أن يحصل له خوف الله فليمقت راحة الجسد ويحب الضيقة والحزن. فبهذه الصفات يمكنك أن تعبد الله بإخلاص"[14].

(٣) الصلوات في أوقاتها وكيفية الصلاة

قال أحد القديسين: "إن باشرت عملاً في قلايتك وجاءت ساعة صلاتك، فلا تقُلْ: أفرغ من هذا القليل الذي بيدي ثم أقوم. بل بادر للوقت وأوفِ لله في كل حين الصلاة في وقتها، وإلاّ فإنك قليلاً قليلاً تعتاد على إهمال الصلاة"[15].

قال شيخ: "الصلاة بتكلف تولد لنا صلاة نقية بارتياح، فالأولى تكون بتكلف والثانية بارتياح من النعمة"[16].

قال شيخ: "إذا صلّيت فقُلْ: يا رب، أنت العارف بالأمور، إنني بهيمة لم أعرف شيئًا، لكن علمني أن أبدأ. أنت جئت بي إلى هنا فعلمني كيف أخلص"[17].

---

(١٢) س ٤ ورقة ٦١. (١٣) س ٤ ص ١١٠. (١٤) س ٤ ورقة ١١٢. (١٥) س ٤ ص ٦٣.
(١٦) س ٤ ص ٩٤. (١٧) س ٤ ص ٩٣.

قال شيخ: "كل راهب في قلايته يتأمل في مزاميره يشبه من يجري في طلب الملـك. والذي يدوم في الصلاة يشبه إنسانا يكلم الملك. أما الذي يطلب ببكاء فهو يشبه من هو ماسك برجلي الملك ويطلب منه المغفرة"[١٨].

قال شيخ: "الصلاة الكاملة هي أن تخاطب الله بلا طياشة ولا ســجس حــتى لــو تسجس العالم كله، لأن الذي يصلّي بالكمال قد مات عن العالم وكل راحاته، وكــل شيء يعمله يكون بغير طياشة. أما القراءة فتكون في قصص الشيوخ وتعــاليمهم، لأن بذلك يسير العقل نحو الله"[١٩].

قال أحد القديسين: "النفس تشتهي أن تخلص، إلاّ أ ا تشتبك بالأمور الباطلة. وبانشغالها بالأمور الدنيوية يصعب عليها التعب لأجل الآخرة حتى إ ا لا تقدر حتى أن تصــلب علــى نفسها بدون طياشة، وهذه الصلاة ليس لها قوة فعالة، ولكنها قد صارت عادة"[٢٠].

قيل إنه كان في **البرية** راهب كبير السن وقد طالت أيامه. وكان له تلميذان، كــان أحدهما متغافلاً عن نفسه وعن الصلاة في أوقا ا متوانيا فيما يقربه إلى الله. وكان الشيخ معلمه يعاتبه ويعظه كثيرا ويوصيه ألاّ يترك الصلاة بقوله: "يا بني، ليس شيئًا أكثر ضررا للراهب من ترك الصلاة، وليس شيئًا يحبه ا ـرب مثل ترك الصلاة، فاحذر يا بني من أن تقوى الشياطين عليك و لكك". بمثل هذا الكلام كان الشيخ يعظه ويؤدبــه وهــو لا يسمع ولا يرجع عن التواني، ومكث هكذا مدةً طويلة.

ثم انتقل هذا التلميذ من العالم، فأراد الشيخ أن يعرف مصيره، فأغلق بــاب قلايتــه وأتعب نفسه بالصوم والصلاة والسهر الدائم. ولما تعب مدةً طويلة أراد الله أن يظهره له، فجعل عليه سباتا، وبينما كان نائما رأى كأن ملاك الرب يأخذ بيده ويطوف به لكــي يريه أماكن الأبرار ومساكن الصديقين، وهو متعجب من الراحة التي هم فيها، وكــان الملاك يقول له: هؤلاء هم الذين أرضوا المسيح. كما أراه مواضع العــذاب وأهوالهــا العظيمة، ففزع مما رأى. فقال له الملاك: "لا تخف حتى تعلم ما أتعبت نفســك مــن أجله". فتقوى في قلبه وظلّ متفرسا.

وبينما هو كذلك رأى بركةً عظيمةً واسعةً فيها نيران متقدة وألسنة لهيبها صــاعدةً، وفيها أناس بعضهم في النار حتى أعناقهم وآخرون حتى صدورهم، وغيرهم حتى بطو م، وآخرون إلى ركبهم. فلما رآهم ظلّ يتفرس فيهم، وإذ به يرى تلميذه المتواني في وسط

(١٨) س ٢ ورقة ١٠٦. (١٩) س ٤ ص ١٤٩. (٢٠) س ٤ ورقة ١٥٩.

النار حتى صرته. فقال له: "أليس هذا ما كنت أخشى عليك منه وكنت أحـذّرك يـا بني"؟ وظلّ يبكي عليه، فقال له تلميذه: "من أجل الله يا أبي، ارفع عني القربان واطلب من الله عني، فإنه يوجد تحت رجلي أناس آخرون وأنا واقف على رؤوسهم".

فانتبه الشيخ من نومه وهو مرعوب، ثم قدم لأجل تلميذه قرابين كثيرة، ثم سأل الرب أن يريه حال تلميذه، فاختطف عقله في نصف النهار، ورأى تلك البركة المنتنـة ورأى تلميذه وقد تركته النيران وبقيت على مشطي رجليه فقط، وهو يصرخ، فناداه الشـيخ قائلاً: "يا بني ويا نور عيني، لقد قدمت لك القرابين، فكيف حالك الآن"؟ فقال لـه: "يا أبي، لقد زالت النار عني ووجدت راحةً ماخلا رجلي، فلا زالتا في الآتون، فتصدق علي بقربان آخر".

فلما انتبه الشيخ قدم عنه القربان وأكثر من الطلبات لأجله، ثم طلب أن يـراه مـرةً أخرى، فرآه في رؤية وقد زالت عنه النار. ثم سأله: "كيف حالك اليوم يا ولـدي"؟ فقال: "يا أبي، لقد زالت النار عني ولا أريد شيئًا سوى أن أنظر لأنني أعمى"! فانتبـه الشيخ من نومه وسبح الله قائلاً: "يا رب، ما أكثر تحننك على جنس البشر". ثم هـم الشيخ أن يطلب من الرب لأجل تلميذه لكي ينظر، ولكنه في أثناء ذلك تنيح بشيخوخة حسنة مرضية لله(٢١).

قال شيخ: "في خدمتي وصلاتي لا أعرف تعبا لأنه ليست فيها حركة هواي، بـل أظلّ منصتا للروح الساكن فيّ وأتلذّذ، وهذا هو المقصود بما قيل: «الروح نفسه يشـفع فينا» (رو٨: ٢٦)"(٢٢).

(٤) البكاء والدموع

قال شيخ: "سبيلنا أن نتطهر بالدموع ما دمنا في هذا العالم قبل أن نمضي إلى حيث تكون دموعنا محرقة لأجسامنا"(٢٣).

قيل عن أخ كان يسكن في **طورسينا** وكان بستانيا، وأراد في أحد الأيام أن يذهب إلى دير، فقال للأخ الكاتب الذي كان يسكن بجواره: "اصنع محبة يـا أخـي واهـتم بالبستان إلى وقت مجيئي". فقال له الأخ: "صدقني إنه على قدر طاقتي لن أتوانى عنه". ولما ذهب الأخ قال في نفسه: "يا مسكين، لقد وجدت خلوةً فـاهتم بالبسـتان". ثم انتصب في تأدية قانونه من المساء إلى الصباح، ولم يفتر عن الترنم مصلّيا بدموع، ومكث

(٢١) البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١١٧. (٢٢) المرجع السابق، ص ١٠٢. (٢٣) س ٤ ورقة ٩٥.

على هذه الحالة طول النهار لأنه كان يوم الأحد المقدس.

فلما جاء الأخ البستاني عند المساء وجد البستان قد أفسدته القنافذ. فقال له: "يـا أخي، غفر الله لك، لأنك لم تهتم بالبستان". فقال له: "يا معلّم، يعلم الله أنني بـذلت كل قوتي وحفظته، إلاّ أن الله قادر أن يعطينا ثمرا من هذا البستان الصغير". فقـال لـه الأخ: "صدقني يا أخي لقد تلف كله". فقال له الكاتب: "علمت ذلك، إلاّ أنني واثق بالله أنه قد أزهر أيضا". فقال له البستاني: "هلم نسقي". فقال له: "انطلق أنت اسقِ في النهار وأنا أسقي في الليل".

ولما حدث قحط اغتم البستاني وقال لجاره: "صدقني يا أخي، إن لم يعيننا الله فلـن يكون لنا هذا العام ماء". فقال له الكاتب: "الويل لنا يا أخي، إن نشفت ينابيع البستان فبالحقيقة لن يكون لنا خلاص أيضا"، وكان يقصد بذلك ينابيع الدموع. ولما حانـت وفاة هذا المجاهد القديس سأل البستاني جاره: "اصنع محبة ولا تقُل لأحد إنني مـريض، لكن اثبت اليوم عندي ههنا، وإذا انصرفت إلى الرب فاحمل أنت جسدي واطرحه عاريا في البرية لتأكله الوحوش والطيور لأنه أخطأ قدام الله كثيرا ولا يستحق أن يدفَن"! فقال له البستاني: "صدقني يا معلم، إن نفسي لتكره ذلك". فأجابه قائلاً: "لا تخـالفني في ذلك وأنا أعطيك عهدا إن سمعت مني فيما طلبته منـك واسـتطعت أنـا أن أنفعـك لنفعتك". وبعد وفاته عمل بما أمره به وطرح جسمه في البرية عاريا لأنهما كانا مقيمين في مكان يبعد عن الدير عشرين ميلاً يقال له: "معنامر".

وفي اليوم الثالث ظهر له الأخ الذي انصرف إلى الرب في النوم وقال له: "يا أخـي، يرحمك الله كما رحمتني، صدقني أن رحمةً عظيمة رحمني بها الله بسبب بقـاء جسـدي بدون دفن وقال لي: 'لأجل تواضعك الكثير أمرت أن تكـون مـع ق. أنطونيـوس'! وطلبت منه عنك أيضا، لكن اترك البستان واهتم بالبستان الآخر، لأنني في وقت خروج نفسي كنت أرى دموع عيني تخمد النار التي شارفت على أن أمضي إليها"[(٢٤)]!

كان أخ فاضلٌ حريص، إذا صلّى مع أخيه تغلبه دموعه فيعبر على استيخن (أي جملة) أو أكثر من المزمور. وفي أحد الأيام سأله أخوه أن يقول له عما يحدث عندما يتلو المزامير فيبكي ذلك البكاء المر. فقال: "اغفر لي يا أخي، فإنني عندما أتلو المزمور أُبصر القاضي دائما، وأرى ذاتي واقفًا قدامه كالمجرم وهو يفحص عن أحوالي وأسمعه قائلاً لي: 'لِماذا أخطـأت'؟ وإذ لا

(٢٤) س ٤ ص ٦٨.

أجد جوابا أحتج له به يستد فمي، وبذلك يضيع مني استيخن من المزمور، لكن اغفر لي لأنني ضايقتك! وإن كان يريحك أن يصلّي كل منا قانونه منفردا فافعل"! فقال له أخوه: "لا يـا أبي، لأنني إن كنت لا أبكي إلاّ أنني عندما أراك تبكي أعطي الويل لنفسي وأعتقد أ ا شقية"! .. فلما أبصر الله تواضعه وهب له اتضاع أخيه[٢٥].

قال شيخ: "تعب الجسد وكثرة القراءة ينقيان العقل، والسكوت يجلـب النـوح، والنوح يجلب البكاء، والبكاء ينقّي الإنسان من كل خطية"[٢٦].

سأل أخ شيخا: "ماذا أصنع لكي أخلص"؟ فقال له: "يجب أن تبكي دائما"[٢٧].

قيل عن أحد الرهبان إنه كان كل يوم يبكي بسبب خطاياه، وكان له جار يسمعه. وإذا لم يأته البكاء كان يقول لنفسه: "لماذا لا تبكي يا شقي؟ لماذا لا تنوح يا مسكين؟ حقًا إنك إن لم تبك هنا طائعا فستبكي هناك مكرها". وكان قد صنع لنفسـه حـبلاً غليظًا يضرب به نفسه لكي يبكي. فتعجب جاره وطلب من الله أن يكشف له إن كان من الصواب أنه يعذب نفسه. ثم رآه وهو واقف مع جماعة الشهداء، وقال له إنسـان: "هذا هو ا اهد الصالح الذي يعذب نفسه من أجل المسيح"[٢٨].

(٥) مخافـة الله

قال شيخ لتلميذه: "ويح لنا يا بني، فإننا لا نخاف الله ولا حتى مثل كلب". فقـال لـه تلميذه: "لا تقُل ذلك يا أبي، وإلاّ فإنك تجدف على الله". فقال له الشيخ: "أأجدف؟ أقول لك إنني ربما ذهبت بالليل إلى موضع لأسرق، فإذا سمعت صوت الكلاب أرجع في الحال فزعا منها، فالخطأ الذي لم يردني عنه خوف الله ردني عنه الخوف من الكلاب"[٢٩]!

فسر أحد الشيوخ قول الله: "«على خطيتين وثلاث خطايا أصبر، أما أربعة فلا أحتمل» (أنظر عا١: ٩إلخ حسب النص)، فالأولى أن يفكر الإنسان في الشر، والثانية أن يخضع للفكر، والثالثة أن ينطق بلسانه، والرابعة أن يتمم الفعل. فعلى هذه ينتقم الله"[٣٠].

سأل أخ شيخا قائلاً: "يا أبي، كيف يأتي الإنسان إلى الاتضاع"؟ فأجابه الشـيخ: "بأن تكون فيه مخافة الله". فسأله الأخ: "وكيف تأتي مخافة الله"؟ فقال الشيخ: "بأن يبتعد الإنسان عن كل الناس ويبذل جسده بالتعب بكل قوته، ويذكر خروجـه مـن

---

(٢٥) س ٤ ص ٦٩. (٢٦) س ٤ ص ١٤٨. (٢٧) س ٤ ص ١٤٩. (٢٨) س ٤ ورقة ١٥١.
(٢٩) س ٤ ورقة ١٠٨. (٣٠) س ٤ ص ١٠٩؛ W. & W., II: 183.

الجسد ودينونة الله له"[٣١].

من أقوال أحد الشيوخ: "اعلم أن كل شيء تفعله فإن الله ينظر إليك دائما لكيما تكون مخافته فيك لكي تصنع مسرته. أُضبط لسانك لئلاّ تقول كلاما يغضب الله. أُضبط عينيك لئلاّ تتطلّع إلى الأرضيات وتصير غريبا عن السماويات".

"لتكن الكنيسة لك شبه السماء، وانظر لئلاّ تفتكر في الأرضيات وأنت قائم فيها. تحفّظ في صلاتك بمخافة الله لئلاّ تغضبه عوضا عن أن ترضيه، لئلاّ تحتاج صلواتك إلى صلوات، واحذر من الضحك لأنه يجعل الحواس تنحلّ ويبطل كل فضيلة"[٣٢].

(٦) التوبة

سئل شيخ إن كان الله يقبل توبة الخطاة. فأجاب: "أخبرني، يا حبيبي، لو أنّ ثوبك انشق هل ترميه"؟ فأجاب: "لا، ولكنني أصلحه وألبسه". فقال الشيخ: "إن كنت أنت تشفق على ثوبك الذي بلا حياة، فكيف لا يشفق الله على خليقته الحية"[٣٣]؟

قال شيخ: "لا تختنق (أو تيأس) إذا سقطت، بل انهض وتب"[٣٤].

قال شيخ: "يجب أن نحاسب نفوسنا كل يوم ونفتقد حياتنا بالتوبة"[٣٥].

كان جندي من بلاد الأكراد قد عمل خطايا كثيرة ودنس جسده بكل أنواع النجاسات، ثم إنه برحمة الله تخشع قلبه، فزهد في العالم وذهب إلى موضع قفر وبنى له قلاية في أسفل الوادي وجلس فيها مهتما بنفسه. ولما عرف مكانه بعض معارفه ظلوا يرسلون له خبزا وشرابا وحاجته كلها. فلما رأى أنه في راحة ولا يعوزه شيء حزن وقال لنفسه: "لم أفعل شيئًا يستوجب الراحة، والآن أرى أن هذه الراحة تخرجني من الراحة الأبدية، لأنني لا أستحق الراحة". ثم ترك قلايته قائلاً: "فلأذهب إلى الضيقة لأنه ينبغي أن آكل الحشيش طعام البهائم لأنني عملت أعمال البهائم". وهكذا صار راهبا مجاهدا[٣٦].

قال شيخ: "يجب على الراهب أن يحاسب نفسه كل صباح ومساء ويقول: ماذا عملنا مما يحبه الله ومما لا يحبه الله؟ وهكذا وجب علينا أن نفتقد حياتنا بالتوبة. بهذه السيرة عاش أنبا أرسانيوس، لأن الإنسان إذا عمل كثيرا ولم يحفظ عمله أتلفه، والذي يعمل قليلاً ويحفظ عمله يبقى معه"[٣٧].

---

(٣١) س ٤ ورقة ١٢٩. (٣٢) س ٤ ص ١٥١. (٣٣) س ٤ ورقة ٧٨. (٣٤) س ٤ ص ١٠٣.
(٣٥) س ٤ ورقة ١٠٣. (٣٦) س ٤ ورقة ٧٨. (٣٧) س ٤ ص ١٠٥.

قيل عن أخ إنه سقط في تجربة، ومن شدة التجربة ترك إسكيم الرهبنة. ثم ندم وأراد أن يبدأ في تدبيره الأول، فساعده الرب ولم يتخلّ عنه حتى خلص من قتال العدو[٣٨].

قال شيخ: "تشبه بالعشار لئلاّ تدان مع الفريسي"[٣٩].

قال أحد الشيوخ: "احترس بكل جهدك لئلاّ تسقط، لأن السقوط لا يليق بالمجاهد القوي، فإن عرض لك أن تقع فللوقت انهض واقفًا في الجهاد، ولو عرض لك ذلك ربوات من المرات فاطلب النعمة ربوات من المرات. وليكن النهوض والقيام حتى ساعة موتك لأنه مكتوب: "إن سقط البار سبع مرات – أي طول الدهر السباعي – فليقم سبع مرات". إن تمسكك بسلاح التوبة بدموع يجعلك تحسب مع القائمين. فتضرع بتوسل إلى الله لأنك حتى إن سقطت فما دمت ملازما للرهبنة مثل جندي شجاع يقبل الضربات مواجهةً، فإنك تمدح أكثر، لأنك حتى عندما ضربك الشياطين لم تتراخ ولم تتباعد. ولكنك إذا فصلت نفسك من الرهبان تضرب على ظهرك كهارب جبان قد طرح سلاحه"[٤٠].

(٧) الصدقة وعمل الرحمة

كان لراهب ثوب جيد، فتصدق به على مسكين. وبعد أيام مر الراهب على المدينة فرأى ثوبه على امرأة زانية، فحزن جدا. فتراءى له ملاك الرب وقال له: "لا تحزن لأن ثوبك لبسته زانية، لأنك منذ أن أعطيته لذاك المسكين لبسه المسيح، وإن كان ذاك قد أعطاه للزانية فهو يحمل إثمه"[٤١].

قيل عن شيخ إنه كان كثير الرحمة. وحدث غلاءٌ عظيم وهو لم يفتر عن عمل الرحمة. فأراد الله أن يمتحنه، فسمح بأن ينفذ كل شيء عنده ولم يبق له سوى ثلاث خبزات. ولما أراد أن يأكل قرع سائلٌ على بابه، فقال لنفسه: "خير لي أن أكون جائعا ولا أرد أخا للمسيح خائبا في هذا الغلاء الشديد". فأعطاه خبزتين وأبقى لنفسه خبزةً واحدة. ثم صلّى وجلس ليأكل فقرع على بابه سائلٌ آخر، فضايقته أفكاره بسبب ألم الجوع. ولكنه قفز بشهامةٍ وأعطى الخبزة للسائل قائلاً: "أنا أومن بالمسيح ربي أنني إذا أطعمت عبده في مثل هذا الوقت الصعب، فهو يطعمني من خيراته التي لم ترها عين التي أعدها لصانعي إرادته". وهكذا رقد جائعا وظلّ ثلاثة أيام لم يذُق شيئًا وهو يشكر الله.

وبينما كان يقدم صلاته بالليل جاءه صوت من السماء يقول له: "لأنك أكملت

---

(٣٨) س ٤ ص ١١١. (٣٩) س ٤ ص ١١١. (٤٠) س ٥ ص ١٤٤. (٤١) س ٤ ورقة ١٣٠.

وصيتي وتغافلت عن نفسك وأطعمت أخاك الجائع، فلن يكـون في أيامـك غـلاءٌ في الأرض كلها"! وفي الصباح وجد على الباب جمالاً محملةً بمئونة كثيرة، فمجد الـرب وشكر المسيح، ومنذ ذلك اليوم صار رخاءٌ على الأرض كلها[٤٢].

(٨) الصمـت

كان أحد الرهبان يعيش صامتا، وقد شاع عنه فضله وعلمه. فزاره في أحد الأيام اثنان من الفلاسفة، فقام وصلّى وسلّم عليهما وجلس صامتا يضفر الخوص ولم يرفع نظره إليهما. فقالا له: "يا معلم، قُل لنا قولاً نافعا". أما هو فظلّ صامتا. ثم قالا له: "يا معلم، انفعنا ولو بكلمة واحدة لأننا لهذا جئنا إليك". فأجا ما الراهب: "اِعلما أنكما قد أفنيتما أموالكما لتتعلّما فخر الكلام وحسنه، أما أنا فقد أهملت العالم وجئت إلى هنا ليس لأقتني جودة الكلام بل السكوت". فلما سمعا ذلك أعجبهما جدا وانصرفا منتفعين منه[٤٣].

قال شيخ: "الذي يحب السكوت ينجو من سهام العدو، والذي يحب الجماعات يصاب بجراحات كثيرة"[٤٤].

قال شيخ: "إن مكثت في قلايتك بسكوت فلا تظن أنك تفعل أمرا عظيما، بل اعتبر نفسك كلبا مسعورا ومسجونا لئلاّ تنظر الناس فتعقرهم"[٤٥].

قال شيخ: "الهدوء هو بداية تزكية النفس، لأن اللسان لا يتكلم بكلام الناس، والعينان لا تبصرا الجمال والحسن المنحرف عن الواجب، والأذنان لا تسمعا الأصوات اللذيذة التي ترخي من قوة النفس مع كلام الضحك والمزاح، والذهن لا يتبدد بالعلل الخارجية، والحواس لا تتجه إلى العالم، ولكن الإنسان يسمو بنفسه ويهتم بالله"[٤٦].

قال شيخ: "الذي يلزم السكوت لا يجرح ولا يطعن بسهام العدو. أما الذي يحب الخُلطة فهو يجرح كثيرا"[٤٧].

قال شيخ: "نعم الشيء السكوت، والرجل الحكيم هو الذي يحب السكوت والهدوء"[٤٨].

سأل أخ شيخا: "يا أبي، إنني أشتهي أن أحفظ قلبي". فقال له الشيخ: "كيف تقدر أن تحفظ قلبك وفمك مفتوح سائب وهو باب القلب"[٤٩]؟

سأل أخ شيخا: "أجيد هو أن أمجد أخي"؟ فقال له الشيخ: "السكوت أفضل. إذا ملأت

(٤٢) س ٤ ص ١٣٤. (٤٣) س ٤ ص ١١٤. (٤٤) س ٤ ص ١٠٩. (٤٥) س ٥ ورقة ١٤١.
(٤٦) س ٤ ورقة ١١٠. (٤٧) س ٤ ورقة ١٤٦. (٤٨) س ٤ ورقة ١٤٨. (٤٩) س ٤ ص ١٥٩.

جرةً من الحشرات وسددت فمها فإنها تموت كلها، وإن تركت فمها مفتوحا تخـرج كلـها وتضر من تصادفه؛ هكذا الذي يصمت فإن جميع الأفكار الرديئة التي في قلبه تموت"[(٥٠)].

قال شيخ: "إن اللسان مملوءًا نارا وهو يدنس الجسد كله، فالـذي يحـب حياتـه فليشفق على لسانه. احرس شفاهك يا رجل الله والجم لسانك وأنـت تنتفـع بجميـع أتعابك، فالذي يحفظ لسانه له كرامات كثيرة، فطوبى للذي يسود على لسـانه، فـإن أهراءه (أي مخازنه) تمتلئ من الخيرات"[(٥١)].

قال شيخ: "إن كانت حركات لسانك غزيرة فقد انطفأت من قلبك الحركات الطاهرة، أما إن كان لسانك ساكتا وقلبك يغلي بالحركات الطاهرة فطوباك لأن حركته بالروح ترفعك إلى هدوء الحياة. **سكت لسانك ليتكلم قلبك، وسكت قلبك ليتكلم فيه الروح**"[(٥٢)].

(٩) تنفيذ الوصايا الإلهية والنصائح

قال شيخ: "ويح للنفس التي اعتادت أن تسأل عن كلام الله وتسـمعه ولا تعمـل بشيء مما تسمع"[(٥٣)].

قال شيخ: "إن حزني لكثير على راهب يكون قد ترك أهله ومقتنياته وألزم نفسـه بالغربة من أجل الله، ويسترخي في وصاياه فيذهب بعد ذلك إلى العذاب"[(٥٤)].

قال شيخ: "ليست الحاجة إلى كثرة الكلام، لأن كثرة الكلام غزيرة في الناس؛ وإنما الحاجة هي إلى العمل"[(٥٥)].

وقال آخر: "إن كان للراهب كلام بغير عمل فهو يشبه شجرة مورقة لا ثمر فيهـا، ومن له كلام وعمل فهو مثل شجرة مورقة مثمرة"[(٥٦)].

(١٠) القدوة والسلوك مع الآخرين

قال شيخ: "إذا وقف الراهب مع إخوة رهبان عليه أن يكون مطرق الرأس إلى أسفل دائما، ولا ينظر إلى وجه إنسان ولا سيما وجه شاب. وعندما يكون على انفراد فلينظر دائما إلى أعلا، وذلك لأنّ الشيطان يغتم ويرتاع إذا نظرنا إلى العلو إلى الرب إلهنا"[(٥٧)].

قال شيخ: "ما تكرهه لنفسك لا تقُله لآخر، فأنت تكره من ينم عليك (أي يدينك) فلا

---

(٥٠) س ٤ ورقة ١٦٤. (٥١) س ٤ ورقة ١٦٤. (٥٢) البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١٠٣.
(٥٣) س ٤ ورقة ١٣٨. (٥٤) س ٤ ص ١٤٩. (٥٥) س ٤ ورقة ١٥٩. (٥٦) س ٤ ورقة ١٥٩.
(٥٧) س ٤ ص ٦٩.

تنم أنت أيضا على أحد. أنت تبغض من يكذب عليك، فلا تكذب أنت على آخر. أنت تبغض من يشتمك، فلا تشتم أنت أحدا. فمن له أذنان فليحفظ هذه وهي تكفيه"(٥٨).

قال شيخ: "إن السيرة اليابسة إذا اقترنت بالحب تدخل الراهب سريعا إلى ميناء غلبة الآلام"(٥٩).

قال شيخ: "إن كان راهبا عمالاً ساكنا في موضع مع رهبان ليسوا عمالين فإنه لا يفلِح، وإن هو ضبط نفسه ألاّ يرجع إلى الوراء فقد أجزأ (أي نجح إلى هذا الحد فقط). كذلك إن كان راهبا بطّالاً ساكنا مع مجاهدين فإذا انتبه ينمو، أما إلى الوراء فلا يرجع"(٦٠).

قال شيخ: "من يجتمع مع إخوة عمالين ولو كان ليس عمالاً، فإن لم يتقدم فهو لا يتأخر، ومن يجتمع مع إخوة متهاونين، فحتى لو كان عمالاً فهو إن لم يخسر فلن يربح ... الساقط فلينهض لئلاّ يهلك، والقائم فليتحفظ لئلاّ يسقط"(٦١).

وقال آخر: "إذا مشيت مع رفيق صالح من قلايتك إلى الكنيسة فهو يجعلك تتقدم ستة أشهر، وإذا مشيت مع رفيق رديء من قلايتك إلى الكنيسة فهو يؤخرك سنة"(٦٢).

قيل عن راهب إنه كان يسكن في (منطقة) القلالي، وظلّ عشرين سنة مواظبا على القراءة ارا وليلاً، ثم ض في أحد الأيام وباع الأسفار المقدسة التي كان قد اقتناها وأخذ وشاحه وانطلق إلى البرية الداخلية. فالتقى به أنبا إسحق وقال له: "إلى أين أنت ذاهب يا بني"؟ فأجابه قائلاً: "يا أبي، إن لي عشرين سنة أسمع كلام الأسفار المقدسة، وأريد الآن أن أبتدئ في العمل بما سمعته". فقدم الشيخ له صلاة وأطلقه(٦٣).

قال شيخ: "إن كنت بالمسيح قد ولدت فكذلك أخوك. وعلى ذلك فلا تحب نفسك في شيء أكثر من أخيك"(٦٤).

(١١) الاتضاع والمسكنة

قال شيخ: "فرق إنسان غني جميع ممتلكاته وعتق عبيده وزهد في الدنيا، ثم صار متكلاً على ذاته مرشدا لنفسه ورأى ألاّ يكون تابعا لغيره ولا أن يتعلم ممن هو أقدم منه، فسقط في نجاساتٍ بشعة وكاد أن يهلك لولا أنّ الله بفضله أنقذه بالتوبة، فتعلّم بالخبرة أنّ التواضع هو أعظم من الأعمال"(٦٥).

---

(٥٨) س ٤ ورقة ١٢٠. (٥٩) س ٤ ص ١٦٥. (٦٠) س٤ ورقة ٨٥. (٦١) س ٤ ورقة ١٠٤.
(٦٢) س ٤ ورقة ١٠٤. (٦٣) س ٤ ورقة ٧٠. (٦٤) البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١٠٣.
(٦٥) س ٤ ورقة ٨٨.

وقال آخر: "من له اتضاع فهو يذلّ الشياطين، ومن ليس له اتضاع فإن الشياطين يذلّونه"[٦٦].

قال شيخ: "ليس من يحقر ذاته هو المتضع، بل من قبل من غيره أنواع الهوان بفرح، فهذا هو المتضع"[٦٧].

وقال أيضا: "لا يمكننا أن نحوز على رضى الرب في داخلنا بدون اتضاع وتعب كثير وصلاة بغير فتور"[٦٨].

قال شيخ: "سبيلنا أن نعلم أنه ليس أصدق ممن يذمنا ويبكت أعمالنا. وينبغي أن نراعي مذلتنا، فإن الذين يراعون مذلتهم ويتحققونها يسحقون إبليس المحتال، كما قال الآباء: لو أُحدر التواضع إلى الجحيم لصعد إلى السماء، ولو رفعت الكبرياء إلى السماء لهبطت إلى أسفل الأرض"[٦٩].

قال شيخ: "خاتم المسيح الظاهر هو الصليب، وخاتمه الباطن هو الاتضاع، فالأول هو مثال لصليبه، والثاني مثال لخلقه (أو طبعه)"[٧٠].

قال شيخ: "كما أن الميت لا يتكلم البتة؛ هكذا أيضا المتضع لا يزدري بأحد ولو رآه للأصنام ساجدا"[٧١].

قيل إن شيخا كان له تلميذ صالح، ومن الملل كان الشيخ يخرجه من الباب ويزدري به، وكان هو يصبر جالسا بالخارج. وفي اليوم الثالث، لما فتح الشيخ الباب وجده جالسا، فضرب له الشيخ ميطانية وقال له: "أيها الابن، لقد غلب تواضعك وطول أناتك شري وصغر نفسي، فهلم الآن إلى داخل، ومنذ الآن كن أنت الشيخ وأنا التلميذ"[٧٢].

أغلق أخ على نفسه باب قلايته لفترة قصيرة، فقاتلته أفكار مكتومة وأحلام سمجة. فأراد الامتناع عن شرب الخمر، فأرسل إلى شيخ قديس ليشاوره في ذلك. فقال له الشيخ: "إن كنت تريد أن تخلص فاهرب من شيطان العظمة، واجعل لنفسك قليلاً من ملامة الذات لأنها تهلك العظمة وتبعدها. ولا تجعل أحدا يخدمك، بل اخدم نفسك وأنت تخلص بمعونة المسيح. ولا تغلق الآن الباب الخشبي بل اغلق باب لسانك"[٧٣].

سأل أخ شيخا: "ما هو كمال الراهب"؟ فقال: "الاتضاع، لأنه بقدر اتضاعه

---

(٦٦) س ٤ ورقة ٩٣. (٦٧) س ٤ ورقة ٩٣. (٦٨) س ٤ ورقة ٩٣. (٦٩) س ٤ ص ٩٤. (٧٠) س ٤ ص ٩٤.
(٧١) س ٤ ورقة ٩٤. (٧٢) س ٤ ورقة ٧٠. (٧٣) س ٤ ص ١١٠.

يكون صعوده إلى علو الفضيلة أي الكمال"[٧٤].

قيل عن أحد الشيوخ إنه كان رجلاً فاضلاً وديعا ممتلئًا بالحب، ولم يكن يفكـر في الشر أصلاً. وحدث أن أحد الإخوة سرق بعض الزنابيل وأودعها عنده ولم يعلم الشيخ بسرها. وبعد أيام عرف أمر الزنابيل واتهم الشيخ بسرقتها. ولما اتهموه ضرب ميطانيـة وقال: "اغفروا لي يا إخوتي من أجل الله فأتوب هذه المرة". وصار يبكي. فلمـا رأوا بكاءه تركوه.

وبعد أيام قليلة جاء الأخ الذي سرق الزنابيل وافتعل خصومةً مع الشيخ قائلاً: "أنت سارق وقد سرقت زنابيل فلان". فسجد الشيخ قائلاً: "اغفر لي يا أخي كما غفـر لي بقية الإخوة". وكان دائما إذا أخطأ أخ واتهمه يسجد قائلاً: "اغفروا لي يا إخوتي هذه الخطية". وكان كلامه على الدوام بهدوء واتضاع وسكينة، ولم يخاصم أحدا قـط، ولا سبب وجعا لقلب أحد قط في أي وقت ولا بكلمة صغيرة[٧٥].

قال شيخ: "إذا تمسكنت النفس تزداد قوةً على قواها كالجلود التي تـدبغ وتـداس وتبيض وتجفف"[٧٦].

سئل شيخ: "ما هو الاتضاع"؟ فقال: "هو أن تحسن إلى من أساء إليك، وتكون ساكتا في جميع الأمور"[٧٧].

قال أحد الشيوخ: "عود نفسك، يا بني، أن تقول عن الرهبان: هذا أخير مني، وهذا أكثر حرصا مني في رهبنته، وهذا أبر مني. وأن تقول ذلك بصدق نيتك ومن كل قلبك. فإن هذا يجعلك ترى نفسك تحت جميع الناس وروح الله يسكن فيك. أما إذا ازدريـت بإخوتك وحقّرتهم وأعددت نفسك شيئًا وتتكبر، فإن نعمة الله تبتعد عنك وتسـلم إلى دنس الخطية، ويتقسى قلبك ويصير مثل الحجر"[٧٨].

قال شيخ: "كل من ذاق حلاوة المسكنة يستثقل ثوبه الذي يلبسه وكوب الماء الذي يشربه، لأن عقله يكون قد انشغل بالروحانيات. وإذا ارتبط الراهب بالدنيا ومـا فيهـا وصنع هواه، فإن كل تعبه يذهب باطلاً"[٧٩].

قال شيخ: "الاتضاع هو شجرة الحياة التي لا يموت الآكلون منها"[٨٠].

قال شيخ: "باب الله هو الاتضاع، ومنه دخل آباؤنا إلى الملكوت بغنيمة عظيمة"[٨١].

---

(٧٤) س ٤ ورقة ١١٤، ورقة ١٦٦. (٧٥) س ٤ ص ١١٣. (٧٦) س ٤ ص ١٠٧. (٧٧) س ٤ ورقة ١٠٧.
(٧٨) س ٤ ص ١١٠. (٧٩) س ٤ ص ١١٠. (٨٠) س ٤ ص ١١١. (٨١) س ٤ ورقة ١١٢.

قال شيخ: "لو لم يخضع يوسف للعبودية أولاً لما صار سيدا على أرض مصر، وإن لم يخضع الراهب نفسه للعبودية أولاً بكل المذلة والمسكنة لا يصير سيدا على الأوجاع ولا تخضع له الشياطين"[٨٢].

قال شيخ: "من طباع شيطان ا د الباطل أن يهاجم الرهبان بنوعين من العجرفة: إحداهما يقال لها "عجرفة علمانية" لأ ا ليست من صفات السيرة الرهبانية، ومثال ذلك: الشعور بعظمة الرئاسة، والتباهي بشرف الجنس، والاغتباط بكثرة الغنى، والتزين بالملابس والافتخار بقوة الجسم وفصاحة المنطق وما إلى ذلك. والأخرى يقال لها "عجرفة رهبانية"، وهي مثل: شدة الصوم والنسك، ومداومة السهر، وملازمة الصلاة، والبعد عن الناس، والتجرد من القنية ومن كل شيء، وما شابه ذلك. وهذه الفضائل وإن كانت سامية في ذا ا إلاّ أن النية السقيمة تحطّ من قدرها، ونتيجة ذلك هي ضياع الأجر، لأنه مكتوب: «إ م قد استوفوا أجرهم» (مت٦: ٥)"[٨٣].

قال شيخ: "إذا تبعت المسكنة والضيقة والإمساك فأنت تحيا"[٨٤].

سأل أخ شيخا: "ما هو نمو الإنسان وتقويمه"؟ فقال له الشيخ: "نمو الإنسان وتقويمه هو الاتضاع، لأنه ما دام الإنسان سائرا في مسكنة الاتضاع فهو سائر إلى الأمام وفي نمو"[٨٥].

قال شيخ: "إذا أردت أن ترضي الله فنق قلبك من جميع الناس، وضع نفسك تحت الخليقة كلها، ولا تدِن أحدا، واجعل فكرك في الله. وإذا رأيت أحدا يخطئ فصل لله قائلاً: اغفر لي هذه الخطية، فتتم فيك الكلمة المكتوبة: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥: ١٣)"[٨٦].

قال شيخ: "إما أن تجعل نفسك وسط الناس يمة، وإما أن رب ولا تدعهم يلحقوا بك"[٨٧].

قال شيخ: "إن أردت أن تنجح وتطفئ الغضب والرجز فاقتن الاتضاع، ولتكن لك طاعة ورجاء في كل أحد، لأن الغضب والرجز يسوقان الإنسان إلى الهلاك ويبعدانه من الله. أما الاتضاع فهو يحرق الشياطين، والطاعة هي التي جاءت بابن الله وسكن في البشرية، والإيمان خلّص الإنسان، والرجاء لا يخزى. أما الحب فهو الذي لا يدع الإنسان يسقط ولا يبتعد عن الله. فالذي يريد أن يخلص يجب عليه أن يقطع هواه في كل

---

(٨٢) س ٤ ص ١١٥. (٨٣) س ٤ ورقة ١١٦. (٨٤) س ٤ ص ١٢١. (٨٥) س ٤ ص ١٣٤.
(٨٦) س ٤ ص ١٣٧. (٨٧) س ٥ ورقة ١٨٩.

شيء ويقتني الاتضاع ويجعل الموت بين عينيه"[٨٨].

قال شيخ: "الاتضاع خلّص كثيرين بلا تعب، وتعب الإنسان بدون اتضاع يذهب باطلاً، لأن كثيرين تعبوا ثم تكبروا وهلكوا"[٨٩].

سأل أخ شيخا: "كيف يخلص الإنسان"؟ فقال له: "يخلص بالاتضاع، لأنه كلما وضع الإنسان نفسه إلى أسفل ارتفع إلى فوق وتقدم إلى الأمام"[٩٠].

قيل إن ثلاثة شيوخ تشاوروا مرةً وخرجوا إلى البرية لعلهم يجدون رجلاً متعبدا لله. ولما ساروا ثلاثة أيام وجدوا مغارةً فذهبوا إليها، فرأوا نفسا خارجةً من جسدها وهي تساق نحو الغرب، فبكوا لذلك قائلين: "يا رب، كيف أن هذا المتوحد يعيش في هذا المكان المقفر وتساق نفسه إلى الغرب"؟ فجاءهم صوت قائلاً: "هذا الشيخ له في هذه المغارة أربعون سنة، ولأنه تكبر في قلبه قائلاً: 'لا يوجد راهب آخر مثلي'، فلذلك تساق نفسه نحو الغرب"! فقال الشيوخ: "حقًا إن الكبرياء تهلك جميع ثمار الراهب"[٩١]!

كان أخ حريصا، وكانت عليه قتالات صعبة تحزنه كثيرا، ومن حزنه كان يقول: ما دامت هذه الأفكار معي فلن أخلص. وكان يتذلل جدا. فذهب إلى شيخ كبير وسأله أن يصلّي لأجله لكي يرفع الرب عنه القتال. فقال له الشيخ: "ليس في ذلك خير لك يا بني". ولما ألحّ عليه طلب الشيخ من الله فاستجاب له ورفع القتال عن الأخ. وللحال ظل الأخ يسبح في لجّة من العجب والعظمة. فندم وعاد إلى الشيخ وطلب منه أن يطلب من الله لكي يعيد عليه القتال الذي كان يسبب له الاتضاع[٩٢]!

قيل عن راهبين قديسين إنهما كانا أخوين وسكنا في البرية، فحرص الشيطان أن يفرق بينهما. ففي مرة أوقد أصغرهما سراجا ووضعه على منارة، ثم سقط بحيلة الشيطان وانطفأ، فغضب الكبير وضربه. فصنع الصغير له مطانية وقال: "لا تضجر يا أخي، بل طول روحك علي وأنا أوقده مرةً أخرى". ولما رأى الرب صبر الأخ عذّب ذلك الشيطان حتى الصباح. ثم أخبر ذلك الشيطان رئيس الشياطين بما حدث. وكان كاهن الأوثان يخدمهم وسمع ذلك، فترك كل شيء وآمن وترهب.

ومنذ بدء رهبنته كان يستعمل الاتضاع الكامل ويقول: "إن الاتضاع يقدر أن يقهر ويبطل كل قوة العدو. فقد سمعت الشياطين يقولون بعضهم لبعض: كلما ألقينا السجس

---

(٨٨) س ٤ ورقة ١٤٦. (٨٩) س ٤ ص ١٤٨. (٩٠) س ٤ ص ١٥٩. (٩١) س ٤ ورقة ١٣١.
(٩٢) س ٤ ص ١٤٨.

بين الرهبان يتلقونه بالاتضاع ويصنعون مطانية بعضهم لبعض ويبطلون قوتنا"[٩٣].

قال شيخ: "الاتضاع هو أرض حاملةً للفضائل، فإن هي عدمت الفضائل تكون قد هلكت تماما"[٩٤].

(١٢) عمل اليدين

قال أحد الآباء: "اِهتم بعمل يديك وباشره إن أمكنك ارا وليلاً كي لا تثقل على أحدٍ، وحتى يكون لك ما تعطيه للمسكين كما يوصي الرسول، ولكيما تصرع شيطان الضجر وتزيل من نفسك بقية الشهوات، لأنّ شيطان الضجر منكب على البطالة، وهو في الشهوات كامن"[٩٥].

قال أحد الآباء: "إذا قمت باكر كل يوم فقُلْ في نفسك: يا نفسي استيقظي لترثي ملك السماء، ياجسدي اِعمل لكي تتغذّى"[٩٦].

سئل أحد الآباء: "أي شيءٍ يجب أن يعمله من يريد الخلاص"؟ وكان هذا الأب ملازما للعمل ولا يرفع رأسه منه. فأجاب: "ها هو كما ترى"[٩٧].

سأل أخ شيخا قائلاً: "إن اتفق لي أنني حصلت على ما أحتاجه بطريقةٍ ما، أيليق بي ألاّ أعمل بيدي"؟ فأجابه الشيخ: "حتى لو اتفق ذلك فلا مل عمل يديك بل اعمل بقدر استطاعتك، فقط لا تعمل بشعورٍ من القلق"[٩٨].

جاء أحد المتوحدين إلى غدير فيه قصب وجلس هناك، وظل يقطع من حشائش النهر ويضفر ويرمي الضفيرة في النهر، لأنه ما كان يعمل لأجل احتياج بل حتى لا يكون بطّالاً، ولكي يتعب جسده. وظلّ هكذا حتى جاء بعض الناس إلى هذا المكان فابتعد من هناك[٩٩].

طلب أخ من أحد الآباء أن يقول له كلمةً يحيا ا، فأجابه قائلاً: "يجب أن تم بأن نعمل قليلاً، ويجب ألاّ نكون متغافلين أو مغرورين، وحينئذ يمكننا أن نحيا"[١٠٠].

(١٣) التخلي عن المشيئة وإنكار الذات والطاعة

قال أحد الرهبان: "لأجل هذا تركت عني إرادتي لكيما أنزع معها أسباب الغضب، لأنه يحارب الإرادة كل حين ويقلِق العقل ويطرد المعرفة"[١٠١].

---

(٩٣) س ٤ ص ١٦٦. (٩٤) البستان المطبوع جزء ٣ ص ١٠٣. (٩٥) س ٤ ورقة ٦١. (٩٦) س ٤ ورقة ٦٢؛ W. & W., I: 182. (٩٧) س ٤ ورقة ٦٢؛ W. & W., II: 197. (٩٨) س ٤ ورقة ٦٢؛ W. & W., I: 332. (٩٩) س ٤ ورقة ٦٢. (١٠٠) W., & W., I: 390a. (١٠١) س ٤ ص ٦٥.

قال شيخ: "في أي موضع سكنت ليكن في فكرك أنك فلاح غريب حتى لا تطلب أن تلقي بقولك قدامك وتستريح"[(١٠٢)].

سأل أخ قديسا عالمًا: "كيف ينبغي أن يكون الراهب"؟ فقال: "على ما أعرف فإن الراهب يكون متوحد السكن قدام متوحد الذات (أي الله)". فقال الأخ: "إذا انفردت أخاف". فقال له الشيخ: "لأنك حي بعد"[(١٠٣)].

سأل أخ شيخا: "لماذا إذا مشيت في البرية في الليل أكون مرعوبا خائفًا"؟ فقال له الشيخ: "لأنك حي بعد في أمور الدنيا (أو لأن حياة هذا العالم لا زالت عزيزة عندك)"[(١٠٤)].

قال أخ لشيخ: "لست أقدر أن أتمم الطاعة الكاملة". فقال له: "اعمل كقوتك وأنا أومن أن الله يحسبك مع من يكمل الطاعة"[(١٠٥)].

قيل إنه كان في الصعيد راهب بلغ درجةً عظيمةً من التقشف، وظفر على الكثير من الصلوات والطلبات والسهر، وأتقن عدم القنية، وأضنى جسده بالأصوام والأتعاب. وكان أولاً يأكل كل عشية ملء يد واحدة من البقول المبلولة ويكتفي بها. وبعد ذلك صار يأكل هذه الكمية يوما بعد يوم، ثم في كل أسبوع مرة واحدة صار يأكل يوم الأحد مساءً هذه الكمية أو بعض الحشائش التي تنبت من ذاتها ... ومكث هكذا مدة من الزمان.

ثم حسده الشيطان وأراد أن يلقيه في الكبرياء، فوسوس له أنه بلغ في النسك مقدارا لم يبلغه أحد من البشر، وأنه يجب أن يجري المعجزات لكي يزداد نشاطه ويرى الناس العجائب فيمجدوا الله، لأن الرب نفسه قال: «لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت٥: ١٦). فقدم الراهب هذا الطلب لله. وإذ لم يشأ الرب المتعطف أن يضيع تعبه ألهمه فكرا بأن الرسول يقول: «ليس أننا كفاةً من أنفسنا أن نفتكر شيئًا كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله» (٢كو٣: ٥)، فقال: "إن كان ذاك السعيد ليس كفوا أن يرى رأيا من ذاته، فكم يجب علي أنا الشقي أن أقول ذلك؟ فلأذهب إذن إلى فلان المتوحد ومهما قال لي أقبله كما من الله". وكان هذا المتوحد راهبا عظيما قد نجح في أعمال التاورية وقادرا على منفعة من يقصده.

ولما ذهب إلى الشيخ رأى قردين جالسين على كتفيه وماسكين عنقه بسلسلة، وكل واحد منهما يرهقه وهو يجذبه إليه. فلما رأى ذلك عرف السبب لأنه كان محنكًا جدا،

---

(١٠٢) س ٤ ص ٧٥. (١٠٣) س ٤ ورقة ٩٥. (١٠٤) س ٤ ص ١٤٩؛ W. & W., II: 189, 309.
(١٠٥) س ٤ ص ١٠٣.

فتنهد باكيا في داخله. وبعد أن صلّيا وأكملا ما جرت عليه العادة من السـلام جلسـا ساعة صامتين، لأن هذه كانت عادة الآباء. ثم قال الراهب الزائر: "أيها الأب، انفعـني وارشدني إلى خلاصي". فأجابه الشيخ: "إنني لست كُفوا لذلك يا بني لأنني أنا عبـد محتاج إلى إرشاد". فقال له: "لا تردني يا أبي، لأنني موقن بفضلك، وقد ألزمت ذاتي أن أقبل مشورتك". فأجابه الشيخ: "أخشى ألاّ تسمع مني، لذلك أمتنع عن ذلك". فأكّد عليه أنه مهما قال له سيقبله كمن فم الله. فقال له الشيخ: "خذ هذه النقود واذهب إلى المدينة وابتاع عشر خبزات وقسطي نبيذ وعشرة أرطال من اللحم وتعال". فحزن الأخ من ذلك جدا، ولكنه على أي حال أخذ ما أعطاه وذهب وهو مكتئـب. وفي طريقـه جاءته الأفكار عما قصده هذا الشيخ، وكيف يبتاع هذه الأشياء ويحملها أمام العلمانيين ...؟ واكتأب من الخجل.

ثم طلب من واحد فابتاع له الخبز، ومن آخر فابتاع له النبيذ. ثم قال: "ويـلٌ لي، إذ كيف أبتاع اللحم سواء بيدي أو بيد غيري"؟ ثم طلب من رجل فابتاع له اللحـم. ثم جاء بالكل إلى الشيخ. فقال له الشيخ: "أطبخ اللحم وطحنه". ففعل ذلك وهو عابس. وقال له الشيخ: "لا تنس أنك عاهدتني أن تتمم جميع ما أقوله لك. فخذ هذه الأشـياء واذهب إلى قلايتك، وصل ثم تناول خبزةً واحدةً وكأسا واحدة من النبيذ ورطل لحـم كل يوم عند المساء. وبعد عشرة أيام عد إلي". فلم يتجاسر أن يرد له جوابـا (أي أن يناقشه)، وأخذ الطعام ومضى حزينا باكيا قائلاً في نفسه: "من أي درجة من الصـوم هبطت وإلى أي حال بلغت؟! فإن لم أفعل كما أمرني أكون قد خنـت إلهـي، لأنـني عاهدته أنه مهما قال لي أفعل كمن فم الله. والآن يا رب، أُنظر إلى شـقائي وارحمـني واغفر لي خطيئتي لأنني مضطر أن أعمل بخلاف مشيئتي"! وذهب إلى قلايته باكيا.

وتمم ما قاله له الشيخ، وعكف على الصلاة انعكافًا بليغا، وكان إذا أكل يبل الخبز بدموعه قائلاً: "يا الله، لقد أُهملت وخذلت من لدنك". فلما رأى الله حزنه وبكاءه ومسكنته عزى قلبه وأوضح له السبب، فشكر الله، واعترف بالقول النبوي: «كل بر الإنسان مثـل خرقـة الطامث» (حز٣٦: ١٧؛ إش٦٤: ٦)، وأيضا: «إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون. إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس» (مز١٢٧: ١). وهكذا عاد إلى الشيخ منهك الجسم ومتوعكًا أكثر مما كان وهو يطوي الأسابيع صائما!

فلما رآه الشيخ متذلّلاً مسكينا قبله بوجه طلق، ثم صلّيا وجلسا صامتين مدة ساعة. ثم قال الشيخ: "يا بني، إن الله محب البشر قد تعاهدك ولم يمكن العدو مـن الاسـتيلاء

عليك، لأن من عادته دائما أن يخدع من يسلك بالفضيلة بطرق يظهر أ ا واجبة ويسوقه إلى مرض الكبرياء، ويوحي إليه أن يخوض عميقًا في الفضائل حتى بذلك يجعلـه يهـبط هبوطًا عظيما، لأنه لا يوجد شيء مرذول عند الله مثل الكبرياء، ولا ثمة فضيلة تسـاوي الاتضاع، فتأمل ذلك من مثل الفريسي والعشار. لأن أحد الشيوخ يقول إن الإفراط في الفضائل هو من عمل الشياطين. فاسلك في الطريق الملوكي كما يقول الكتاب، ولا تملْ يمنةً ولا يسرة.

"اتبع التوسط في الأمور. تناول غذاءك كل عشية، وإن دعت الضـرورة لمـرض أو أي عارض فاسلك حينئذ كما يقتضي الحال. وإن لزم أن تتجاوز الوقت المحدد للأكل فلا تحزن، وإن لزم أن تأكل في يوم غير مسموح فيه لك بذلك فافعل لأننا لسنا تحت الناموس بل تحـت النعمة. وإذا أكلت فلا تملأ بطنك ولا سيما من الأطعمة الحنجرانية (أي اللذيـذة)، وأحـب دائما الأطعمة الأقل لذةً. واحرس قلبك لأن النبي يقول: «ذبائح الله هي روح منكسرة، القلب المنكسر والمنسحق لا يرذله الله» (مز٥١: ١٧). وقال أيضا: «تذللت فخلصني» (مـز١١٦: ٦). ويقول الله بلسان إشعياء النبي: «إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي» (إش٦٦: ٢). فاجعل يا بني، اتكالك كله على الرب: «سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجري، ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة» (مز٣٧: ٥و٦)".

وبعد أن دعم الأخ بأقوال كثيرة أطلقه وهو فرح بالرب. وذهب وهو يترنم قـائلاً: «ليرجع إلي متقوك وعارفو شهاداتك» (مز١١٩: ٧٩)، وأيضا: «تأديبا أدبني الرب وإلى الموت لم يسلّمني» (مز١١٨: ١٨)، وأيضا: «فليـؤدبني الصـديق برحمـة ويـوبخني» (مز١٤١: ٥ قبطية). كما قال لنفسه: «ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك لأن الرب قد أحسن إليك، لأنك أنقذت نفسي من الموت ...» (مز١١٦: ٧). وهكذا عـاد إلى قلايته وعاش بقية عمره كما فرض له الشيخ[(١٠٦)].

أخبر أحد الآباء أنه رأى أربع رتب مرتفعة في السماء: **الأولى:** مريض صابر شاكر لله، **والثانية:** صحيح الجسم يضيف الغرباء وينيح الضعفاء، **والثالثة:** منفـرد في البريـة مجتهد، **والرابعة:** تلميذ ملازم لطاعة أبيه من أجل الله. ورأى أن رتبة التلميذ أرفع مـن الرتب الثلاث الأخرى. فسأل الذي أراه ذلك قائلاً: "كيف أن الذي هو أصغرهم صار أكبر منهم في الرتبة"؟ فقال: "إن كل واحد منهم يعمل الخير واه، أما هذا فقد قطـع هواه وأطاع معلّمه من أجل الله، والطاعة لأجل الله هي أفضل الفضائل"[(١٠٧)].

(١٠٦) س ٤ ورقة ٩١.
(١٠٧) س ٤ ص ١٠٨.

سأل أخ شيخا: "كيف أعلم وأنا في القلاية إن كنت قد قطعت مشيئتي، وكـذلك إذا كنت بين الناس؟ وما هي مشيئة الله وما هي مشيئة الشيطان"؟ فأجابـه الشـيخ: "بخصوص قطع الراهب مشيئته في قلايته فهو أن يتهاون بالراحة الجسـدانية في جميـع الأحوال والأمور. أما إذا كان بين الناس فيكون كالميت بينهم أو كأنه غائب عنهم. أما مشيئة الله فهي ألاّ يهلك أحد بل أن يقبل الجميع إلى معرفة الحق كما قـال الرسـول بولس، وألاّ يموت الإنسان وهو خاطئ بل أن يتوب ويحيا كما قال النبي حزقيال. أمـا مشيئة الشيطان فهي أن يثق البار بذاته ولا يتوب الخاطئ عن خطيته"(١٠٨).

قيل عن تلميذ كان مع أبيه الروحي في زمان الاستشهاد، فـأراد الأب أن يجـرب تلميذه، فقال له: "لعلك يا بني تريد أن تصير شهيدا فاذهب". وكان الأخ يشتهي ذلك ولكنه لم يطع هواه، فقال للشيخ: "إنني يا أبي إذا صرت فوق مرتبة الشهداء فبركتك لي كل يوم أفضل"!

فلما رأى الله أمانته في أبيه جعله يسمع صوتا يقول: "لأجل إيمانك في أبيك فـإنني أحسبك في مجمع الشهداء وطقس القديسين"(١٠٩).

سأل أخ شيخا: "يا أبي، لي خمس وعشرون سنة أخدم شيخا، والآن قد ثقل علـي وأريد أن أتركه". فقال له الشيخ: "لك خمس وعشرون سنة تحت شجرة الحياة وأنت تأكل من ثمرها، وها أنت تريد أن تأكل الزوان إن كنت تترك الشيخ، لأن شجرة الحياة التي تعيش بها هي كلمة الله التي تسمعها من أبيك، والزوان هو أفكار إبليس، فإن أنت قبلتها فهي تغريك وتبعدك عن شجرة الحياة"(١١٠).

قيل عن أخ إنه كان تحت طاعة شيخ ويخدمه ثماني وعشرين سنة، ولم يغضبه يوما واحدا ولا عصى أمره. ثم تدبر إبليس بفكر رديء وقال له: "إن أباك خاطئ ولن تخلـص علـى يديه". ولما أقنعه مضى وسكن في قلاية وحده، وبعد ثلاثة أيام مات وأخذوه إلى العذاب.

فصلّى الشيخ لأجله ليعلم إن كان قد وجد رحمةً أم لا. فأعلمه ملاك أنه قد أُلقي في العذاب. فطلب الشيخ من الله قائلاً: "يا سيدي، لا تضيع تعبي فيه بسبب هذه الأيـام الثلاثة". فقال له الملاك: "هذه الثماني والعشرون سنة التي خدمك فيها كانت له أمانة فيك، ولكنه أطاع الشيطان وانفصل عنك، وظل هذه الثلاثة أيام معاديا لك في قلبه، ولما أخذه الله وجد العداوة بداخله، لذلك ألقاه في العذاب"(١١١).

---

(١٠٨) س ٤ ص ١٦٧. (١٠٩) س ٤ ص ١٦٠. (١١٠) س ٤ ص ١٦٠. (١١١) س ٤ ص ١٦٠.

(١٤) حـب الله والتقرب إليه

قال أحد الشيوخ: "المحب لا يحفظ ملاذّ الأطعمة ولا المال"[(١١٢)].

قال شيخ: "لو أننا نحب الله كما نحب أصدقاءنا لكان طوبى لنا. إنني رأيت كثيرين أحزنوا أصدقاءهم فلم يهدأوا ليلاً أو نهارا حتى استردوا محبتهم بالشفاعات والهدايا، ولكن الله حزين علينا بسبب خطايانا ولا نكترث لذلك ولا نطلب رضاه"[(١١٣)].

قال شيخ: "كما أن الإنسان لا يقدر أن يؤذي رفيقه وهو واقف معه أمام السلطان؛ هكذا العدو لا يقدر أن يؤذينا بشيء من الشر ما دامت نفوسنا قريبة من الله، كما هو مكتوب: «اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم» (يع٤: ٨). ولكننا إن كنا نتنزّه كل حين وننشغل بما لا ينبغي، فإن العدو يتمكّن منا ويلقينا في أوجاع الخطية"[(١١٤)].

(١٥) عدم دينونة الآخرين

قال شيخ: "لا تدِن الفاسق أيها العفيف لئلاّ تصير مثله مخالفًا للناموس، لأنّ الـذي قال لا تزنِ هو أيضا قال لا تدِن. والرسول يعقوب يقول: «من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدةٍ فقد صار مجرما في الكل» (يع٢: ١٠)"[(١١٥)].

قيل إنّ أحد الإخوة سأل شيخا بخصوص أنه يدين الإخوة دائما، فأجابـه الشـيخ: "لأنك ما عرفت ذاتك بعد، لأنّ من عرف ذاته لا ينظر عيوب إخوته"[(١١٦)].

قال شيخ: "إذا كان لا يعرف ما في الإنسان إلاّ روحه كقول الرسول، وإن كنـا نعلم أن كثيرين تابوا ولم نعرف توبتهم؛ فسبيلنا، إذن، ألاّ ندين أحدا، فالديان هـو الله وحده، فكيف يجسر أحد أن يتطرق إلى ما هو خاص بالإله"[(١١٧)].

قال أخ لشيخ: "لماذا لا أقدر أن أسكن مع الإخوة"؟ فقال: "لأنك لا تتقـي الله، فلو تذكرت المكتوب أن لوط تخلّص من بني سدوم إذ لم يدن أحدا منهم، لكنت تقدر أن تسكن أينما شئت ولو بين الوحوش"[(١١٨)].

قال شيخ: "إذا شتم الراهب أخاه بذكر شيء من الخطايا كأن يقول له: يا زاني أو يا سارق أو يا كذاب، فإن سكت المشتوم وغفر للشاتم وقال في نفسه: بالحقيقة إنني

---

(١١٢) س ٤ ص ٦٥. (١١٣) س ٤ ورقة ١٠٨. (١١٤) س ٤ ورقة ١٥٦. (١١٥) س ٤ ص ٧٧.
(١١٦) س ٤ ص ٧٨. (١١٧) س ٤ ص ٩٥. (١١٨) س ٤ ص ٩٥.

خاطئ، فإن الخطية التي شتم بذكرها وقال عنها إنه خاطئ تغفَر له وتصير على الشاتم لأنه بدلاً من الاعتراف بخطيته أظهر خطية أخيه، ولكون المشتوم احتمل إشهار خطيته يحسب له اعتراف، ولكونه غفر لأخيه نال المغفرة"[١١٩].

قال أحد الآباء إن أخا من الإخوة جاء إلى آخر وتكلم معه عن أخ لا يحفظ العفة، فأجاب الآخر: "وأنا سمعت ذلك". ولما ذهب ذلك الأخ إلى قلايته لم يجد فيها الراحة التي اعتاد عليها، فرجع إلى الأخ الآخر وضرب ميطانية قائلاً: "اغفر لي، فأنا لم أسمع عن ذلك الأخ شيئًا". فقال الآخر: "ولا أنا سمعت شيئًا". ولما ندما على ما قالاه وجدا راحةً[١٢٠].

كان أحد الإخوة يرى نعمة الله فوق الهيكل، ولما قال لأخيه يوما ما: "لماذا تأكل باكرا"؟ اختفت تلك النعمة ولم يرها[١٢١].

قال شيخ عن لعازر المسكين: "إننا لم نر أنه عمل أية فضيلة غير أنه لم يتذمر قط على ذلك الغني الذي لم يرحمه، وكان شاكرا لله على ما كان فيه، ولذلك فقط رحمه الله"[١٢٢].

(١٦) المغفرة للجميع

قيل: سأل أخ شيخا قائلاً: "يا أبي، إنني أعاتب أخا ولكن نيتي لا تسمح لي أن أغفر له". فلما سمع الشيخ ذلك رفع عينيه إلى السماء وضرب على صدره قائلاً: "يا شقي، إن كنت تغضب رب السماء والأرض وهو يطيل روحه عليك ويغفر لك إذا تبت إليه، فكيف لا تغفر أنت لأخيك"[١٢٣]؟!

قال شيخ: "من يحقد على أخيه فقد خزن ذنوبه في ذاته وختم عليها"[١٢٤].

سأل أخ شيخا: "كيف أخلص"؟ فقال له الشيخ: "ها أنا أصور لك الدين الذي علينا لله: أنت تقول: ارحمني، فيقول لك: ارحم أخاك وأنا أرحمك. وأنت تقول: اغفر لي، فيقول لك: اغفر لأخيك وأنا أغفر لك. ألا ترى أن العلّة هي منا نحن"[١٢٥]؟!

(١٧) ملامة الذات

قال شيخ: "تركنا الطريق المستقيم الذي ذكره آباؤنا وهو أن نلوم أنفسنا، ورجعنا بالملامة على القريب، وكل واحد منا يحرص ويجتهد أن يلوم أخاه في كل أمر ويطرح ثقله على قريبه.

---

(١١٩) س ٤ ص ١٠٣. (١٢٠) س ٤ ص ٧٨. (١٢١) س ٤ ورقة ١٠٩. (١٢٢) س ٢ ص ٢٨٣.
(١٢٣) س ٤ ورقة ٩٠. (١٢٤) س ٤ ص ٩٥. (١٢٥) س ٤ ورقة ١٥٩؛ W. & W., II: 157.

وكل واحد منا يتهاون ولا يحفظ شيئًا، ونطالب قريبنا بحفظ الوصايا"[١٢٦].

قال شيخ: "لو نظرنا إلى خطايانا لما نظرنا إلى خطايا غيرنا، لأنه من ذا الذي يدع ميته ويبكي على ميت غيره؟ خطية الإنسان هي موت نفسه"[١٢٧].

زار أخ شيخا وقال له: "كيف حالك"؟ فقال الشيخ: "أسوأ الأحوال". فقال له الأخ: "ولم ذلك"؟ فأجابه: "لأن لي ثلاثين سنة وصلاتي علي وليست لي، لأنني أقف أمام الله وألعن ذاتي وأقول ما لا أشتهي أن يخرج من فمي، فأقول: «ملاعين الذين حادوا عن وصاياك» وأحيد أنا عن الوصايا، وأفعل الآثام وأقول: «لا تتراءف على فاعلي الإثم»، وأكذب كل يوم وأقول لله: إنك «تهلك كل من يتكلم بالكذب»، وأحقد وأقول لله: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا». وأُخطئ وأقول: «عندما يزهر الخطاة ويعلو جميع فاعلي الإثم هناك يستأصلون إلى الأبد». وأفعل الإثم وأقول: «أبغضت جميع فاعلي الإثم»، وهمّي كله في الأكل وأقول بين يدي الله: «نسيت أكل خبزي»، وأنام إلى الصباح وأقول: «كنت أنهض في نصف الليل لأسبحك»، وليس لي خشوع ولا دموع وأقول: «تعبت في تنهدي وصارت دموعي لي خبزا نهارا وليلاً، وبدموعي أبل فراشي»، وأفكر أفكارا خبيثة وأقول لله: «ما يتلوه قلبي هو لديك كل حين»، وليس لي صوم وأقول: «ركبتاي ضعفتا من الصوم»، ونفسي متكبرة وجسدي مستريح وأقول لله: «انظر إلى تواضعي وتعبي واغفر لي جميع خطاياي»، ولا استعداد لي وأقول: «مستعد قلبي يا إلهي»"!

فقال الأخ: "يا معلم، على ما يلوح لي أن النبي قال ذلك عن نفسه". فتنهد الشيخ وقال: "صدقني يا بني، إن لم نعمل نحن بما نصلّي به قدام الله فصلاتنا تكون علينا لا لنا"[١٢٨].

في **أحد الأوقات** طرق شيخ على أخوين حزينين من بعضهما، فقال أكبرهما: "إنني آمر أخي هذا بشيء فيحزن منه وأحزن أنا لحزنه متذكرا أنه لو كان كاملاً في محبتي لكان يقبل ما أقوله له بفرح". وقال الأصغر: "إنه لا يكلمني بحسب مخافة الله، ولكنه يأمرني بسلطان حسب مشيئته، ولذلك لا يتحقق قلبي أنه يفعل حسب أقوال الآباء".

فقال الشيخ: "يعلم الله أنني حائر، إذ كيف يلوم كل منهما الآخر وهما حزينان؟! فأحدهما بدلاً من أن يلوم نفسه ويقول إنه يكلّم أخاه بسلطان ولذلك يحزن يقول إنه لم يكن كاملاً في محبتي. والآخر بدلاً من قوله إن أخاه يكلّمه حسب مشيئة الله ولمنفعته،

---

(١٢٦) س ٤ ص ٩١. (١٢٧) س ٤ ورقة ٩٣. (١٢٨) س ٤ ورقة ٩٤.

يقول إنه يأمره بسلطان حسب مشيئته، ولذلك ظل الاثنان حزينين. وهكذا نستعمل أقوال آبائنا باعوجاج حسب نياتنا الخبيثة، وكل واحد منا يلقي بالذنب على رفيقه، ولذلك لا ننجح ولا نفلح"(١٢٩).

أخبر أحد الآباء أنه كان يسكن بالقرب منه أخ عمالٌ مع الله، ثم اعتراه تواني وكسل. وبعد مدة انتبه من توانيه ولام نفسه قائلاً: "يا نفسي، إلى متى تتوانين عن خلاصك؟ أما تخافين من دينونة الله يا شقية وأنت في هذا التواني فتسلمين للعذاب الدائم"؟ ولما تفكّر في مثل ذلك أنهض نفسه في عمل الله(١٣٠).

سأل أخ شيخا: "كيف تقتني النفس الفضيلة"؟ فقال: "إن هي اهتمت بزلاتها وحدها"(١٣١).

توجه راهبان إلى أحد الشيوخ، وكان أحدهما شيخا والآخر شابا، واشتكى الأكبر من الأصغر. فنظر الشيخ إلى الشاب وسأله: "هل صحيح هذا الذي قاله عنك"؟ فقال: "نعم يا أبانا، فقد أحزنته". ثم تفكّر الشاب في قلبه متندما وقال: "هو الذي أحزنني وأنا أتيت بالملامة على نفسي". ولم يستطع أن يقول شيئًا آخر.

ثم رفع الشيخ الكبير صوته صائحا. فسأله الحاضرون: "لماذا صحت يا أبانا"؟ فأجاب: "عندما دخل هذان الراهبان رأيت زنجيا واقفًا أمامهما وبيده قوس مصوب نحوهما، وكان القوس لا يصيب إلاّ ثيا ما. ولما تذمر الشاب صوب الزنجي القوس نحوه وكاد أن يقتله، لذلك صرخت خوفًا من قتله" ... فطلب الراهبان من الشيخ أن يشفى كل منهما من ذلك العارض. فقال لهما الشيخ: "متى حدثت خصومة بينكما فتذكّرا ذاك الزنجي فيكف تأثير الخطية عليكما". فانصرفا وفعلا هكذا فشفيا(١٣٢).

قال شيخ: "أشرف أعمال الرهبنة أن يحتقر الإنسان نفسه دائما ويأتي باللوم عليها"(١٣٣).

(١٨) قتال الزنى والطهارة

اشتكى أخ لشيخ من قتال الزنى، فقال له: "أتريد أن تخلص وأنت نائم؟ اتعب واجتهد، أطلب تجد، اسهر وتضرع تعطى، اقرع يفتح لك. فكم هم الذين يتجلّدون على التعب والسهر، وقد يحتملون الضرب من أجل ربح جسداني، فاثبت أنت وتجلّد من أجل الله والله ينصرك"(١٣٤).

---

(١٢٩) س ٤ ص ٩١.
(١٣٠) س ٤ ورقة ١٠٩.
(١٣١) س ٤ ص ١١٤، ورقة ١٦٦.
(١٣٢) س ٤ ورقة ١١٣.
(١٣٣) س ٤ ورقة ١١٢.
(١٣٤) س ٤ ورقة ٩٥.

قال شيخ: "إذا قوتل الراهب بالزنى وحفظ بطنه ولسانه وغربته، فلي إيمان أنـه لا يسقط مع معونة الله"(١٣٥).

كان أخ محاربا بالزنى، فسأل شيخا أن يبتهل لأجله حتى لا يقهره الشيطان. فطلب الشيخ من الله بخصوصه لمدة سبعة أيام، ثم سأل الأخ عن حاله، فقال له: "لم يخف القتال". فتعجب الشيخ من ذلك. وإذ بالشيطان يظهر له قائلاً: "إنني منذ أول يـوم مـن ابتـهالك إلى الله بخصوصه قد انصرفت عنه، وإنما هو الذي يقاتل نفسه لأنه يأكل ويشرب وينام كثيرا"(١٣٦).

قيل عن أخ آخر كان ساكنا في دير، إنه من شدة القتال كان يسقط في الزنى مرارا كثيرة. فظلّ يكره نفسه ويصبر لئلاّ يترك إسكيم الرهبنة، وكان يتمم قانونه وسـواعيه بحرص ويقول في صلاته: "يا رب، أنت ترى شدتي وحزني. فأكرهني (أو اضبطني) يـا رب سواء شئت أنا أو لم أشأ وخلصني، لأنني مثل الطين أشتاق إلى الخطيـة وأحبـها، ولكن أنت الإله الجبار كُف عني هذه النجاسة، لأنك إن كنت ترحم القديسين فقـط فهذا ليس بالعجيب، وإن كنت تخلص الأطهار فقط فما هي الحاجـة إلى ذلـك؟ لأن هؤلاء مستحقين، ولكن أظهر في يا سيدي أنا غير المستحق عجب رحمتك، لأنني إليك سلّمت نفسي أنا المسكين".

وكان يقول ذلك كل يوم سواء أخطأ أو لم يخطئ. وفي أحد الأيام، بينما كان يدوم في هذه الصلاة ضجر الشيطان من حسن رجائه وجسارته المحمودة، فظهر له وجها لوجه وهو يرتـل مزاميره وقال له: "ألا تخزى بالكلية أن تقف بين يدي الله وتنطق اسمه بفمك النجس"؟ فقال له الأخ: "ألا تضرب أنت مرزبة وأنا أضرب مرزبة؟ أنت تسقطني في الخطية وأنا أطلب من الإله الرحوم أن يتحنن علي. فإنني أقاتلك في هذا الصراع حتى يدركني الموت ولا أقطع رجائي مـن إلهي، ولا أكف من الاستعداد لك، وسترى من هو الذي يغلب أنت أم رحمة الله"!

فلما سمع الشيطان ذلك قال: "من الآن لا أعود أقاتلك لئلاّ أسبب لـك أكاليـل برجائك في إلهك". ومن ذلك اليوم تنحى الشيطان عنه. ثم رجع الأخ إلى نفسه وأخذ ينوح ويبكي بسبب الخطايا السابقة. وإذا قال له فكره: نعما لك لأنك تبكي، كان يرد على فكره بذكر خطاياه، وإذا قال له فكره: أين تذهب لأنك فعلت خطايا كثيرة، كان يقول: "إن الرب يفرح بأن يحيا الميت ويوجد الضال"(١٣٧).

قال شيخ: "كان الإنسان في البدء شبه الملائكة، ولما سقط صار شبه البهائم. ولكـن إن

---

(١٣٥) س ٤ ص ١٠٣. (١٣٦) س ٤ ورقة ٩٣. (١٣٧) س ٢ ص ٢٩٤.

كانت الطبيعة البشرية تقود إلى الشهوات البهيمية، فإن الشريعة المسيحية تـؤدي إلى الغايـة الملائكية، لأن المسيح وعد الذين يصنعون إرادته أ م سيكونون مثل ملائكة الله. فاعلم يا أخي أنه لا شيء يقرب الإنسان إلى الله مثل الطهارة والاتضاع. وهذا إنما يتم بالصـوم والصـلاة والسهر والتعب. وتمم أنت الخيرات بقطع رأس الشر الذي هو حب القنية"(١٣٨).

سأل أخ شيخا بخصوص الجسد، فقال له الشيخ: "جميع الوحوش والحيوانات إذا أكرمتها لا تسيء إليك، أما الجسد فإن أنت أحسنت إليه أساء إليك عوض الإحسان"(١٣٩).

قال أخ: "قلت لشيخ كان في رباطات ضيقة: 'يا أبي، إذا جئـت إلى وسـط الإخـوة استرحت من هذا التعب'. فقال: 'نعم يا بني، ولكنني أخاف من هذا الفرس الذي أنا راكبه، أقصد جسدي، أنه إذا نال الراحة وعدم الضيق يلقيني إلى الأعداء ويجعلهم يشمتون بي"(١٤٠).

سال أخ شيخا عن وجع الزنى، فقال له الشيخ: "أنا لم أُقاتل به قـط". فصـنع الأخ ميطانية وقال: "لماذا لم تقاتل أنت به يا أبي"؟ فقال الشيخ: "إنني منذ أن ترهبت لم أشـبع خبزا ولا ماءً ولا نوما، فالتعب الذي ينشأ من ذلك لم يسمح لهذا القتال أن يؤذيني".

ثم قال له: "احذر يا بني من كلام الباطل، ولا تفرح بكلام الهزء، ولا تجعل فمك يـتكلم بكل ما يأتي عليه لئلاّ تقع في صغر النفس. لا تفرح بالضحك لئلاّ يتسلّط عليك النسيان، وإذا حلّت بك أوجاع فلا تكن بغير هم، بل أسرع لتتخلّص منها. ولا تدمن التمشي في المدن لئلاّ تقع في أوجاع مختلفة. ابغض الاجتماع بكثيرين لئلاّ تكون في تعب دائم. اهرب من كثـرة الكلام لئلاّ تنسى ذاتك وتغفل عن أوجاعك. اهرب من كثرة المأكولات لئلاّ تـزني بـدون امرأة. لا تأكل كثيرا لئلاّ يظلم عقلك. لا تغذّي جسدك حتى الشبع لئلاّ تهلك نفسك".

"ليكن لك هدوءٌ بمعرفة، قليل عمل يد وقليل صلاة وقليل قراءة، مع صوم إلى المساء كل يوم، وقدم خدمات النهار والليل بمخافة الله. اظلم نفسك في أخـذك وعطائـك فتستريح في جلوسك. ابغض شهوة الأطعمة فيخف ألم الزنى عنك. لا تقتن لك ثوبـا حسنا لئلاّ تكره المحقرة. حب الغربة بمعرفة، ولا تعد نفسك في أي شيء".

"أُذكر إبن الله أنه من أجلك علق على خشبة، ومن أجلك شتم، ومن أجلك سقي خلا، ومن أجلك سمر بالمسامير، وقبل اللعنة من أجلك، فبطيبة نفس احتمل كل شيء يلم بك. احذر أن تعد نفسك أو أن يعدك أحد شيئًا، واحترس بكل قوتك أن تخـرج

---

(١٣٨) س ٤ ص ١٠٦.　(١٣٩) س ٤ ص ١٣٣.　(١٤٠) س ٤ ص ١٣٣.

من جسدك أوجاع الهوان البهيمية هذه التي تفصل الإنسان من الروح القدس".

"اهرب مما يخالف الطبيعة الذي كان لأهل سدوم كما يهرب الطائر من الفخ، لأن من أجله يحل غضب الله على بني العصيان. ليكن مشيك بثبات، وتكلم بثبات وكل بثبات. عندما تكون في قلايتك احفظ نفسك من الغفلة والنسيان، ولا يكن لك هم بما في الخارج، ولا تترك عقلك يطيش في العالم، ولا تلزم نفسك بعمل يد زائد، بل قسم النهار: قليل عمل يد وقليل صلاة وقليل تأمل، فيهدأ عقلك".

"لا ترغب في الطواف من موضع إلى آخر، لأن الشجرة التي تنقَل كثيرا تكون بغير ثمر وربما تموت. ارحم المحتاجين من تعبك لكيما يرحمك الله ويعينك، ومهما عملت فليكن بإفراز ومشورة العارفين، وحب فعل الخير بقدر قوتك. لا تتوانَ لئلاّ تسقط وتؤخذ في سقطتك. لا ترقد في موضع يلومك فيه ضميرك بدون شدة أو ضرورة لازمة. إذا أكلت مع شيوخ فكن كمن يستحي أن يأكل. وليكن الإخوة كلهم عندك صالحين، وعلم لسانك أن يكرم كل الناس، واجتهد بكل قوتك أن تكون منفردا دائما لكي تكون منتبها لخطاياك وتصير بلا هم من العالم لكي تؤهل للعزاء من الله، لأنك إنما هربت من العالم وتركت والديك وإخوتك ومالك لكي تثابر مع الله، فماذا لك بعد من هموم العالم؟ فجاهد أن تتفرغ لله بكل قوتك، ولا تجعل شيئًا من هموم هذا المسكن الزائل يفصلك عن الله"[١٤١].

قال أخ لشيخ: "أعني يا أبي، فقد أهلكتني أفكار الزنى". فقال له الشيخ: "يا بني، إن كنت تستطيع فلا تتركها تسكن فيك". فقال: "كيف أستطيع ذلك يا أبي"؟ فقال له: "كلما بدا لك هذا الفكر لا تجعله يصعد إلى عقلك، بل الحقه بفكر الموت ومخافة الله، واذكر نتانتك في القبر، لأن هذا الفكر الرديء إذا تغلّب على الإنسان يقوده إلى قطع الرجاء واليأس من الخلاص. ومثل السفينة التي تصطدم بالأمواج والعواصف الشديدة وأهوال البحر، إن سقط منها جزء صغير لا تتحطم سريعا ولكنها تظل عائمةً، وإن انكسرت دفّتها أو أي شيء منها فلا زال فيها أمل. أما إذا ثُقبت من أسفل وامتلأت ماءً، فهذا يهلكها. هكذا الراهب أيضا، إذا توانى قليلاً في بعض الأمور يكون له رجاءٌ أن يغلب بالتوبة، ولكنه إذا سقط مرةً واحدةً في الزنى فقد أوشك أن ينقاد إلى اليأس والغرق"[١٤٢].

قيل عن راهب إن وجع الزنى جاء عليه بشدة، ولما أزعجه جدا خرج من قلايته

(١٤١) س ٤ ص ١٣٣.

(١٤٢) س ٤ ص ١٦٦.

وذهب إلى جحر ضبعة. فدخل فيه وهو يقول: "خير لي أن أموت هذه الضبعة ولا أموت بالخطية". وأقام هناك ستة أيام وهو صائم ولم يذق شيئًا. وفي اليوم السابع جاءت الضبعة إليه بطعام. فأقام هناك أربعين يوما كانت فيها الضبعة تأتيه كل أسبوع بما يأكله. وبعد ذلك جاءه صوت يقول له: "تقو"! وللحال هرب منه روح الزنى، فشكر الله ورجع إلى قلايته[١٤٣].

قيل عن أحد رؤساء الأديرة إنه نزل في أحد الأيام إلى المدينة، فوجد طفلاً ملقى على جانب الطريق، فأخذه إلى الدير ورباه حتى كبر، وما كان يعرف سوى الرهبان.

وخرج رئيس الدير مرةً لقضاء حاجة وأخذه معه. وبينما هما في الطريق نظرا مواش ترعى، فسأل الغلام معلمه: "ما هؤلاء يا أبي"؟ فقال: "هذا بقر وهذه جمال وهذه حمير، وهذه كذا وكذا ... إلخ". وظل الغلام يسأل معلمه كلما أبصر شيئًا حتى نظرا شابة جميلة، فقال الغلام: "ما هذه يا أبي"؟ فقال له: "هذه هي الشيطان"!

ولما رجعا إلى الدير سأل الشيخ الغلام قائلاً: "ماذا أعجبك يا بني من كل ما رأيت"؟ فقال الغلام: "لم يعجبني شيء إلاّ الشيطان وحده"! فلما سمع الشيخ ذلك تعجب وقال: "كيف أن المرأة تفتن حتى الذين لا يعرفون شيئًا"[١٤٤]؟!

قيل عن عذراء حرة عفيفة هادئة في مسكنها. فأحبها شاب رديء وما كان يكف عن التردد على منزلها، فلما شعرت بذلك حزنت جدا. وفي أحد الأيام جاء كالعادة يقرع الباب وكانت هي جالسة على المنسج، فلما علمت أنه هو خرجت إليه ومعها مخرازها. وقالت له: "ما الذي يأتي بك إلى هنا يا إنسان"؟ فقال لها: "هواك يا سيدتي". فقالت له: "وما الذي هواه في"؟ فقال لها: "عيناك فتنتاني، فإذا رأيتك يلتهب قلبي". فوضعت المخراز في إحدى عينيها وقلعتها بصرامة وألقتها له، ثم بدأت تقلع الأخرى، فأسرع الشاب وأمسك بيدها! فدخلت منزلها وأغلقت بابها. ولما رأى الشاب أن عينها انقلعت حزن جدا وندم على ما كان منه، ولوقته خرج إلى البرية وترهب[١٤٥]!

وقيل إنه لما نهب بيت المقدس (القدس) وقعت عذراء راهبة شابة جميلة في يد أحد الفرسان، وأراد أن يغتصبها. فقالت له: "تمهل قليلاً لأنني أعرف مهنةً تعلمتها من العذارى ولا يمكن أن تصنعها إلاّ عذراء وإلاّ فهي لا منفعة منها". فقال لها: "وما هي"؟ قالت له: "يوجد زيت إذا دهن به إنسان لا يؤثر فيه سيف ولا أي سلاح،

(١٤٣) س ٤ ص ١٣٣. (١٤٤) س ٤ ورقة ١٤٨. (١٤٥) س ٤ ورقة ١٦٤.

وأنت محتاج إلى ذلك لأنك تخرج كثيرا إلى الحرب". فقال لها: "وكيف أتحقق من ذلك"؟ فأخذت زيتا وقالت له: "ادهن به رقبتك واعطني السيف لأضربك به". فقال لها: "لا، بل ادهني أنت رقبتك أولاً وأنا أجرب بالسيف". فأجابت ببشاشة وإسراع ودهنت رقبتها وقالت له: "اضرب بكل قوتك". فاستلّ سيفه وكان ماض جدا، ومدت القديسة رقبتها فضربها بكل قوته، فتدحرجت رأسها على الأرض ... ورضيت عروس المسيح أن تموت بالسيف ولا تدنس بتوليتها.

فحزن الفارس جدا وبكى بكاءً عظيما إذ قتل مثل هذه الصورة الحسنة، وعلم أنها خادعته لتفلت من الدنس وفعل الخطية(١٤٦).

(١٩) تذكر الموت

أخبروا عن أخ حريص على خلاصه أنه جاء إلى الغربة، فأقام في قلاية لطيفة في طورسينا. ولما جلس في اليوم الأول وجد على خشبة صغيرة كلاما كان قد كتبه أخ كان فيما مضى يعيش هناك وهو يقول: "أنا موسى بن تادرس قد حضرت وشهدت"! فكان الأخ في النهار يضع هذه الخشبة أمامه ويسأل نفسه عمن كتب ذلك قائلاً: "أيها الإنسان، ليت شعرى، أين أنت الآن لأنك قلت إنك حضرت وشهدت؟ ترى أين اليد التي كتبت ذلك؟ تري هي في أي عالم في هذه الساعة"؟ وكان يفعل ذلك طول النهار متذكرا الموت وثابتا في النحيب والبكاء.

وكانت صناعته خطّاطًا، ثم أخذ من الإخوة ورقًا لكي يكتب لهم تذكرةً. ولكنه مات ولم يكتب لأحد منهم شيئًا، بل كتب في ورقة ونسخ منها لكل واحد منهم قائلاً: "اغفروا لي أيها الإخوة سادتي، فإنه كان لي عمل قليل مع من يخصني، ولذلك لم أتفرغ منه لأكتب لكم"(١٤٧)!

كان شيخ قديس قد اعتاد عندما يجلس لعمل يديه أن ينظر إلى الأرض ويجمع عقله ثم يحرك رأسه ويقول بتنهد: "ترى ماذا يكون"؟! ثم يسكت قليلاً ويعود إلى عمله، ثم يعيد القول. وظلّ على هذا الحال جميع أيام حياته(١٤٨).

قال شيخ: "من يرى موته قريبا منه كل وقت فهو يقاوم الضجر"(١٤٩).

---

(١٤٦) س ٤ ص ١٦٥.
(١٤٧) س ٤ ص ٦٨.
(١٤٨) س ٤ ص ١١٠.
(١٤٩) س ٤ ص ١٣٤؛ W. & W., II: 85, 291.

(٢٠) التيقـظ

قيل عن أخ من الرهبان إنه زار شيخا له أتعاب في الخير، وكان ساكنا في المغاير التي موقعها فوق المكان الملقّب "إسرائيل". وكان الشيخ ذهنه متيقظًا جدا، فحيثما توجه كان يقف ويستعرض فكره ويسأله: "ما حالك يا أخي؟ أين نحن"؟ فإذا وجد نفسه يترنم بالمزامير بتضرع حمد نفسـه وأدام عملها، وإن وجد ذاته متفكّرا في أي شيء آخر أيا كان شتم ذاته في الحال قائلاً: "هلم من هناك مسحوبا على رأسك إلى عملك"! وكان الشيخ يقول لنفسه دائما: "يا أخي، ها أنا أرى الانصراف قريبا ولست أرى بعد شيئًا في الوسط"!

هذا الفاضل ظهر له الشيطان مرةً وقال له: "لماذا تتعب؟ صدقني أنك لن تخلـص"! فقال له الشيخ: "وماذا يهمك إن كنت لا أخلص؟ إلاّ أنني إذا طُرحـت في العـذاب فسأكون فوق رأسك"! فانصرف عنه الشيطان خائبا[١٥٠].

قال شيخ: "ينبغي على المتوحد أن يكون له إفراز ومعرفة وحرص وتيقظ، وأن يكـون ضابطًا لحواسه حافظًا لعقله، لا يفكر في إنسان ولا يفتر من الصلاة والقراءة"[١٥١].

قال شيخ: "احذر من أن تعمل خطية بهواك لئلاّ تعتاد عليها فتعملها بغير هواك مثل الضحك"[١٥٢].

قال شيخ: "احذر بكل قوتك من أن تفعل شيئًا يستحق الملامة، ولا تحب التصنع"[١٥٣].

قال شيخ: "إن كان الإنسان منتبها يستطيع أن يحفظ الإنسان الداخلي، وإن كان لا بد فلنحفظ إنساننا بقدر قوتنا"[١٥٤].

وقف الشيطان أمام رجل قديس عند وفاته وقال له: "قد انفلت مـني". فأجابـه: "لست أعلم". إلى هذا المقدار كان احتراس الآباء من الافتخار في أي شيء[١٥٥].

روى راهب تقي اسمه غريغوريوس قائلاً: لما سافرت لأسجد في أورشليم جئت إلى موضع كان فيه جرف عال وفيه مغارة، وكان في أسفله دير دخلت فيه. فقال لي رهبانه إن أحد الرهبان أراد أن يسكن في تلك المغارة وطلب ذلك من رئيس الدير فقال لـه: "لا تقدر يا بني أن تسكن في المغارة لأنك لم تخضع بعد أوجاعك ولا آلامك الجسدية للقوة الناطقة، ولا زلت تجهل حيل إبليس المتفننة، فالأفضل لك أن تقيم في الدير وتخدم

---

(١٥٠) س ٤ ص ٦٩. (١٥١) س ٤ ص ١٠٤. (١٥٢) س ٤ ورقة ١٠٧.
(١٥٣) س ٤ ص ١١٥؛ W. & W., I: 533. (١٥٤) س ٤ ص ١٤٩. (١٥٥) س ٤ ورقة ٩٣.

الآباء وتربح صلوا م، ولا تبقى وحدك مقاتلاً لشياطين خبثاء". فلم يقتنع بذلك فسمح له، وصعد إليها ورفع عنها السلّم. وكان أحد الإخوة يحضر له الطعام فيرفعه في زنبيل.

وإن إبليس الذي يظل محاربا للسالكين طريق الفضيلة، دبر له مكيدةً ليلقيه في هـوة الكبرياء ويأخذه أسيرا. فظهر له في شكل ملاك نوراني وقال له: "اعلم أيها الأخ أنـه بسبب طهارتك وسمو سيرتك أرسلني الرب خادما لقدسك". فأجابه الراهب: "وما هو الذي فعلته حتى تخدمني ملائكة"؟ فقال له: "إن جميع أعمالك جليلة عظيمـة، فقـد ازدريت بزخارف العالم، وتنسكت، وكرست نفسك للصوم والصـلاة والسـهر، ثم انعزلت عن الرهبان وسكنت وحدك في هذا الموضع، فكيف لا تخدمك ملائكة"؟ بمثل هذه الأقوال نفخ المحتال الراهب، وظل يأتي إليه كل يوم ويخاطبه بمثل هذا الكلام.

وفي أحد الأيام جاء إليه رجل هجم عليه اللصوص وسلبوا متاعه، وسبق إبليس وجاء إليه في صورة ملاك وقال له: "إن إنسانا قادم إليك وقد سرق اللصوص بيته ووضعوا ما سرقوه في المكان الفلاني". فجاء الرجل وسجد تحت المغارة، فأجابه الراهب من فوق: "مرحبا بك يا أخي، لقد عرفت سبب حزنك: أن اللصوص أخذوا متاعك وهو كذا، وهو مخبأٌ في المكان الفلاني، فاذهب وخذه وصل علي". ولما ذهب ووجد متاعه ذُهل. وهكذا شاع الخبر بين الناس أن الراهب ساكن المغارة يعلم الغيب. فتدفق إليه جمع غفير من رجال ونساء وأحداث، ودخل فيه الشيطان وصار يخبر كل واحد بما حدث له في زمانه وبما سيحدث له في المستقبل. ولما سمع الرهبان تعجبوا كيف بلغ هـذه المـ ـ ـة في زمن قصير!

وفي يوم الاثنين من ثاني أسبوع من عيد القيامة ظهر له إبليس وقال له: "اعلم أيهـا الأب أنه لحسن سيرتك سيأتي إليك ملائكة كثيرون ليحملونك إلى السماء حتى تعاين ما فيها من جمال"! ولكن الله المتحنن لم يشأ هلاكه، فألهمه أن يطالع رئيس الدير بـذلك. فلما سمع أسرع إليه وقال له: "لماذا استدعيتني يا بني"؟ فأجابه: "بماذا أكافئك يـا أبي عن كل ما فعلته مع حقارتي"؟ فأجابه الأب: "وماذا فعلت معك من الخير"؟ فقـال: "خيرك علي كثير: فبواسطتك استحققت هذا الزي وسكنت هذه المغارة، وبواسـطتك بلغت إلى أن أرى ملائكة، بل إنني أُهلت لعلم الغيب ..."!

فلما سمع ذلك قال له: "أأنت يا شقي تنظر ملائكة وتعلم الغيب؟ أما قلت لـك لا تصعد إلى المغارة لئلاّ تضللك الشياطين"؟ فقال الراهب: "لا تقل هكذا يا أبي المكـرم،

فإنني بصلواتك أنظر ملائكة، وفي عيد الصعود سأرتفع معهم بجسدي هذا إلى السماء، وإذا وصلت إلى هناك فسأطلب من ربي يسوع المسيح أن يأمر أن ترفعك الملائكة أنت أيضا لتكون معي وتعاين ذلك المجد الذي هناك"! فلما سمع الأب ذلك لطم على وجهه قائلاً: "لقد جننت يا شقي وضاع رشدك، وعلى أي حال فسأقيم معك لكيما أعاين نهاية موضوعك. وإذا رأيت ملائكتك النجسين أخبرني". ثم أمر برفع السلّم.

وأقام معه مصليا بالمزامير وصائما. ولما جاء اليوم المحدد لارتفاعه رأى الشياطين آتيةً إليه فقال: "لقد جاءوا أيها الأب". وللحال احتضنه الأب وصرخ بصوت جهوري: "أيها الرب يسوع ابن الله أعن الأخ المخدوع". ولما أرادوا أن يأخذوه من يد الأب زجرهم باسم الرب. فأخذوا رداء الأخ وغابوا نحو ساعة، ثم سقط الرداء على الأرض. فقال له الأب: "أرأيت يا شقي ما فعله الشياطين بردائك؟ هكذا أرادوا أن يفعلوا بك"!!

ثم وضع السلّم وأنزل الأخ معه إلى الدير، ورسم له أن يخدم في المخبز والمطبخ لمدة سنة، وبذلك ذلّل فكره[١٥٦].

وكان راهب آخر يرى دائما في قلايته ضوء سراج، فانقاد لعدم الإفراز وقَبلَ في أحد الأوقات شيطانا باعتباره ملاك، وهذا أمره أن يقدم ابنا له، كان معه في الدير، ذبيحةً لله لينال بذلك كرامة أبي الآباء إبراهيم، وانقاد لهذه المشورة حتى إنه كاد أن يتممها بالفعل لولا أن الغلام رآه يسن السكين بخلاف العادة ويستعد لكي يربطه فهرب منه ونجا[١٥٧]!

دخل راهب إلى البرية، وكان يصوم ستة أيام الأسبوع وفي اليوم السابع يحضر الصلاة ويتناول الطعام ولا يزيد على الصلاة كلمة واحدة. فظهرت له الشياطين وخدعته في أمور كثيرة، وأخبرته بأمور حدثت في بلاد مختلفة، فصدقها وظن أنها قوات مقدسة.

واتفق أنه ذهب ليفتقد أخا مريضا، وتصنع أمام الذين كانوا عند هذا الأخ كأنه يتكلم عن غيره، فقال: "هل يمكن لإنسان أن يعلم بما يحدث في العالم"؟ ففهموا من ذلك أنه هو المخدوع، وزجروه قائلين: "إن شغلت فكرك بمثل هذا الخداع فلا تعد إلينا"! فللوقت انتبه وندم. ولما عادت إليه الشياطين سامهم الكذابين، وللحال تغيرت هيئتهم إلى حيوانات مفزعة وهددوه وانصرفوا عنه[١٥٨].

قيل عن شاب إسكندراني اسمه "هيرون" إنه كان رشيقًا ذكيا فطنا حسن السيرة. وبعد أن أتقن سيرةً فاضلةً وبلغ إلى ذروتها بأتعاب كثيرة وأعراق جزيلة، تشامخ وتعجرف حتى إنه

---

(١٥٦) س ٢ ص ٣٠٦؛ س ٣ ص ١١٩. (١٥٧) س ٢ ص ٣١٠. (١٥٨) س ٤ ص ١١٦.

رفع عنقه على جميع الآباء بتيهٍ وأُبهةٍ، وتجاسر على شتيمة الكل، وقال للأب أوغريس: "جميع التابعين لتعاليمك مخدوعين، لأنه لا معلم غير المسيح وحده، فالمخلص نفسه قال: «لا تدعوا لكم معلما على الأرض» (أنظر مت٢٣: ٩)". وبسبب عجرفته أظلم عقله فانحط انحطاطاً يرثى له حتى إنه غُلل بالحديد عندما رفض أن يشترك في الأسرار ... وكان كثيرون يتحدثون عن شدة نسكه، فقال قوم إنه كان يصوم ثلاثة شهور لا يأكل فيها إلاّ ما كان يتناوله من القربان يوم الأحد وما يجده من الحشائش في البرية.

وقال الراوي: "كانت لي أنا نفسي معه خبرة مع "ألبانيوس" الطوباوي، فعندما ذهبنا إلى الأسقيط، وكان بيننا وبين الأسقيط أربعون مرحلة (أو ميلاً)، أكلنا مرتين وشربنا ماءً ثلاث مرات، أما هو فلم يأكل شيئًا، وكان يتلو مما حفظه من المزامير ورسالة العبرانيين وسفر إشعياء وبعضا من سفر إرميا وإنجيل لوقا وسفر الأمثال، ولم نستطع أن نلحق به في سيره" ... وهكذا أخيرا استولى عليه العدو لما اقتنع برأيه، وفي هذه الأثناء أصابته حمى شديدة ولم يمكنه أن يمكث في القلاية، فذهب إلى الإسكندرية – وربما كان ذلك بتدبير إلهي كما يقال: "انتزع مسمار بمسمار" – إذ أنه سلّم ذاته باختياره لعدم الإفراز ووجد فيما بعد خلاصا غير طوعي. وقد صار يحضر المسرحيات وسباق الخيل وتردد على الحانات، ومن كثرة أكله وتلذذه بشرب النبيذ مال إلى محبة النساء.

ولما أشرف على السقوط في تلك البئر حدث له – ولعل ذلك بتدبير إلهي أيضا – مرض في عضو تناسله مكث فيه ستة شهور حتى إن تلك الأعضاء نخرت وسقط بعضا منها. ولما شفي فَقَد تلك الأعضاء ... وحينئذ انتبه لنفسه وذكر السيرة السمائية، واعترف بكل شيء للآباء القديسين. ولم يفسح له الأجل فانتقل بعد أيام قليلة(١٥٩).

قال شيخ: "من مدح راهبا في وجوده فقد سلّمه في أيدي الأعداء". **تعليق:** ليس المقصود عدم المدح بصفة عامة، لأن المديح قد ينشط، لذلك نرى في سيرة أنبا باخوميوس أنه كان أحيانا يمدح بعض رهبانه على أعمالهم الجيدة، والقديس بولس مدح تلميذه تيموثاوس في ٢تي١: ٥و٦؛ ٣: ١٥. وإنما المقصود هو عدم المدح أو تخفيفه إن كان الممدوح لا يحتمله بل يجعله يتعظّم وينتفخ. ولكن المديح – ولا سيما في الأمور الجسدانية – قد ينشط الإنسان ويسبب بعض المحبة والسلام بين المادح والممدوح(١٦٠).

كان راهب اسمه "بطليموس"، عاش حياة يصعب وصفها، وسكن فيما وراء

(١٥٩) س ٢ ص ٣١٤؛ Laus, 26.

(١٦٠) س ٤ ورقة ١٣٧.

الأسقيط في موضع يعرف باسم "المفارج" لم يسكنه أحد قط، وكان الماء يبعد عنه نحو ١٨ ميلاً. وقد اتخذ لنفسه أوعية كبيرة ليجمع فيها الندى بإسفنج من على الصخور في شهري ديسمبر ويناير ويحفظه لفصل الصيف. ومكث هكذا ١٥ سنة حيث كان هـذا الماء يكفيه ولا يكلّم أحدا، وابتعد عن مقابلة الآباء الأبرار والحديث معهم، فحرم مـن التعليم الروحاني والتناول من الأسرار الطاهرة.

ثم ظلّ يبحث عن حقائق الأمور وغوامضها، فأصابه الجنون وصار يقول إن الأشياء ليس لها مدبر، فهي موجودة بذا ا وتدبر نفسها بنفسها، "فلماذا أُشقي نفسـي؟ وأي ثواب يكون لي من هذا التعب"؟ وبذلك صار موسوسا وضاع عقله، ف ل إلى مصر (أي المدن المصرية)، وظل يهيم من مكان إلى آخر ارا وليلاً وهو مطرق إلى أسفل ولا يكلم أحدا، وصار معلّقًا بكبريائه وأعطى نفسه للشهوة والسكر، فكان منظره يرثى له وحزن عليه المسيحيون وصار ملهاةً لمن لا يعرف سيرتنا الرهبانية. لقد أصابه ذلك بسبب صلفه وظنه بنفسه أنه قد فاق جميع الآباء، وذلك لأنه لم يطلب مشورة أحد منهم. فهبط ذه الطريقة البشعة ومات أشر ميتة، وشا ت حالته شجرة لها أوراق وثمار، ثم ضربتها ريح شديدة فسقطت بغتةً وتعرت من أوراقها وثمارها فيبست وماتت. وهذا يصيب من يتدبر برأي نفسه ولا يسمع مشورة الحكماء كما هو مكتوب: «حيـث لا تـدبير يسـقط الشعب، أما الخلاص فبكثرة المشيرين» (أم١١: ١٤)(١٦١).

كانت في **أورشليم عذراء حبيسة** لمدة ست سنوات مرتديةً مسوحا، وكان نسكها زائدا عن الحد، ولم تأكل شيئًا لذيذًا قط. فمنعها الآباء من ذلك ولكنها لم تصغ لمشورة أحد، فتعرت من معونة الله بسبب عجرفتها وإعجا ا بذا ا، فتباعد عنها حافظ عفتـها وسقطت سقطةً بشعة. فقد أدخلت عندها إنسانا كان يخدمها وسقطت معه في الخطية. وقد حلّت عليها هذه المصيبة لأ ا جعلت القصد من نسكها التظاهر لا لأجل حب الله، وظنت أ ا أفضل من كثيرين. ولما تملّكت عليها الأبهة سقطت في يد إبليس(١٦٢).

وكان راهب قبطي اسمه إبراهيم، عاش في البرية في نسك شديد، فحلّ بـه مـرض الكبرياء ودخل الكنيسة وتحاجج مع الكهنة قائلاً: "لقد رسمني المسيح قسيسا في هـذه الليلة، فاقبلوني أخدم كاهنا". فأخرجوه من الكنيسة وفرضوا عليه حياةً صعبةً، فشـفي من مرض الكبرياء وعرفوه ضعفه، وأثبتوا له أن شيطان العجرفة قد تلهى به(١٦٣).

---

(١٦١) س ٢ ص ٣١٥؛ Laus., 27.   (١٦٢) س ٢ ص ٣١٦؛ Laus., 28.   (١٦٣) س ٤ ص ١١٦؛ Laus., 53.

وقيل أيضا إننا رأينا متوحدا ساكنا في مغارة، وقد لعبت به الأحلام فأرهقته الأهواء والضلالات، ثم تاه عقله وفسد لبه (أي قلبه)، وسقط من السيرة الفاضلة ومات مجنونا[١٦٤].

ومكث أخ آخر في **البرية مدة من الزمان ملهاةً من الشياطين،** وكان يظن أنهم ملائكة. وكان والده يزوره من حين لآخر. وفي أحد الأيام ذهب والده إليه ومعه فأس لأنه أراد أن يقطع به حطبا في عودته، فسبق أحد الشياطين وقال له: "ها هو شيطان يشبه والدك آتٍ إليك ومعه فأس يريد أن يضربك به". فلما جاء والده أخذ الابن الفأس منه وضربه فقتله، وللوقت تملّك عليه الروح النجس وخنقه[١٦٥]!

كان إنسان اسمه "دكياس" ساكنا في جبل بالقرب من أورشليم، ولم يصل مع الرهبان بالمرة، ولكنه بغتةً تجاسر أن يخدم القداس وهو علماني[١٦٦].

وكان إنسان آخر ساكنا في **طورسينا،** وكان يظن به أنه يسلك سلوكًا حسنا. وعجرفته الأحلام فتخيل أنه رسم أسقفًا، فجلس وأخذ يعمل عمل الأساقفة[١٦٧].

قال شيخ: "إذا مدحك الفكر فقُل له: لماذا تمدحني؟ أليس أن السائرين في البحر إذا هدأ عنهم هيجانه فما داموا هم بعد في اللجة فإنهم يتوقعون رجفاته (أي أمواجه) وغرقه، وإذا اضطرب لا ينعمون بذلك الهدوء الذي كان منه سابقًا، فهم لا يطمئنون قط حتى يصلوا إلى الميناء، بل إن كثيرين على فم الميناء هلكوا"[١٦٨].

وقال أيضا: "إذا نال إنسان طلباته من الله فلا يعجب بنفسه بل يتضع بالأكثر ويتعجب من رحمة الله"[١٦٩].

قال شيخ: "إذا تقدمت لأخذ القربان (التناول) فلا تظن أنك أهل لذلك، بل افتكر أنك خاطئ وأن الخاطئ إذا تقدم إلى المخلص بإيمان وتحفظ بقدر قوته استحق أن ينال مغفرة خطاياه، فتقدم بتوبة واعتبر نفسك مريضا وغير مستحق، بل مثل مجروح ومحتاج إلى الشفاء، وآمن أنك تتقدس بأخذ القربان إذا كنت تائبا، لأن كل الذين تقدموا إليه بإيمان نالوا الشفاء"[١٧٠].

---

(١٦٤) س ٤ ص ١١٦. (١٦٥) س ٢ ص ٣١٧. (١٦٦) س ٢ ص ٣١٨.
(١٦٧) س ٤ ورقة ١١٦. (١٦٨) س ٤ ورقة ١٥٣. (١٦٩) س ٤ ورقة ١٥٣. (١٧٠) س ٤ ص ١٥٤.

(٢١) التجارب والشدائد

قال أحد الآباء: "كل إنسان يسلم نفسه لشدة واه من أجل الله، فلي إيمان أن الله يحسبه مع الشهداء، والبكاء الذي يأتيه في تلك الشدة يحسبه الله بدلاً من الدم"[١٧١].

سأل أخ شيخا: "ماذا يفعل الإنسان في كل بلية تأتي عليه"؟ فأجاب: "ينبغـي أن يبكي قدام الله ويطلب منه أن يعينه حسب المكتوب: «الرب عوني فلا أخشـي، مـاذا يصنع بي الإنسان» (مز١١٨: ٦)"[١٧٢].

قال أحد الآباء: "إن لم ز الريح الشجرة لا تتكون لها أغصان وفروع قوية؛ هكذا الراهب إن لم تحل به محن ويصبر شاكرا لا يصير متجلدا شجاعا"[١٧٣].

(٢٢) الغربـة

سئل شيخ: "كيف أسكن في دير بدون قلق"؟ فقال: "ذلك بأن تعد نفسك غريبـا ولا ترغب أن تكون لك فيه كلمة مسموعة، وأن تقطع هواك ولا تعتبر نفسك شيئًا"[١٧٤].

وسئل هذا الشيخ عن الغربة فقال: "هي الصمت وترك الالتفات إلى الأمور"[١٧٥].

قال شيخ: "كل موضع تذهب إليه احرص ألاّ تجعل ذاتك من أهل ذلك الموضع"[١٧٦].

قال شيخ: "أنا قلت لنفسي عند خروجي من العالم: إنني اليوم ولدت واليوم بدأت أعبد الرب؛ هكذا نكون كل يوم بمـ لة الغريب الذي يترجى الرجوع بالغداة"[١٧٧].

ذهب أحد الشيوخ إلى مدينة الحكماء التي يقال لها "أثينا". ومكث ثلاثة أيام لم يعطـه فيها أحد طعاما، ولم يكن له شيء إلاّ السبانية (أي ثوب من الليف) التي كان يلتف ا. وفي اليوم الرابع ضغط عليه الجوع فاقترب من الموضع الذي يجتمع فيه الحكماء، وظلّ يصـيح ويصفق بيديه ويقول: "الويل لي يا رجال أثينا، أعينوني". فاجتمع الحكماء بإزارا م المذهبة وسألوه: "ما شأنك؟ ومن أين أنت"؟ فقال لهم: "إنني راهب، ومنذ أن خرجت من وطني وقعت في أيدي ثلاثة دائنين، وقد وفيت حق اثنين منهم فانصرفا عني. أما الثالث فلا يفارقني مطالبا إياي، وليس لي ما أوفيه". فقالوا له: "ومن هم هؤلاء الدائنين لنعرفهم؟ وأين هـو الذي يؤذيك"؟ فقال لهم: "لقد تأذّيت من حب المال والزنى والحنجرة. وقد استرحت من

---

(١٧١) س ٤ ورقة ١٠٤؛ ص ١٤٦. (١٧٢) س ٤ ورقة ١٣٨. (١٧٣) س ٤ ورقة ١٦٦.
(١٧٤) س ٤ ورقة ١٠٧. (١٧٥) المرجع السابق. (١٧٦) س ٤ ص ١٣٧. (١٧٧) س ٤ ورقة ١٣٩.

حب المال والزنى، لأنني لا أمتلك في الدنيا شيئًا ولا أتعلق بحب أي إنسان. أما الحنجرة فلا أقدر أن أستريح منها، ولي اليوم أربعة أيام لم أذُق شيئًا، وها هي بطني مثل غريم سوء يطالبني بما له، وإن لم أعطه فلا يدعني أعيش".

فظن بعض الحكماء أنه يمزح، فأعطوه دينارا، فأخذه وذهب إلى بائع الخبز وأعطاه له وأخذ خبزةً واحدةً وانصرف بسرعة إلى خارج المدينة. فعلم الحكماء أنه حقًا رجل فاضل، فأعطوا للبائع ثمن خبزته وأخذوا الدينار[١٧٨].

(٢٣) طول الأناة واحتمال الضعفاء

كان رجلٌ شريف له مدين، فظلّ يطالبه بالدين لمدة عشر سنوات ولم يجبه، وكان الدائن يصبر عليه بطيب قلبه. وكان له صديق، فقال له: "إنني متعجب منك، كيف لم تحقد عليه، لأن لك زمانا وأنت تطلب منه ولم يستجب"؟ فقال له: "أنت تعجب من أنني أطلت روحي عليه عشر سنوات، وهوذا الله يطلب مني أكثر من خمسين سنة أن أحفظ وصاياه، وحتى الآن لم أستجب له ولم أتمم مشيئته، وهو بطيب قلبه يصبر علي. فإن كنت أنا الإنسان لم أستجب لله وهو لا يغضب علي، فلا عجب إن كان إنسانا مثلي لا يستجيبني وأطيل روحي عليه"[١٧٩].

اِشتكى أحد الإخوة إلى شيخ قائلاً: "ماذا أصنع يا أبي، فإنّ أخي يحزنني لأنه دوار"؟ فقال الشيخ: "اِحتمله يا حبيبي، فإنّ الله يرده إذا رأى صبرك ومعاملتك له بالرفق واللين، وابعد عنك القساوة، فإنّ شيطانا لا يطرد شيطانا. وبرفقك وصبرك يرجع، لأنّ الله إنما يرد الإنسان بطول روحه وطيبة قلبه واحتماله"[١٨٠].

(٢٤) إحتمال الإهانة

سأل أخ شيخا: "قل لي شيئًا أحفظه". فقال له: "احفظ المعيرة والشتيمة، واصبر على المحقرة والخسارة المادية"[١٨١].

طلب أحد الرهبان ممن يسكنون البرية محقرةً لنفسه، فدخل ديرا في الصعيد، وكان سكان هذا الدير جميعا قديسين. وبعد أن أقام عندهم أياما قال لرئيس الدير: "صل لأجلي يا أبي واخل سبيلي، فلا أريد أن أُقيم ههنا". فقال له: "لأي سبب يا بني"؟

---

(١٧٨) س ٤ ورقة ١٢٨؛ Laus., 37: 5-8 حيث يروي بالليديوس هذه القصة عن أنبا سيرابيون السباني.
(١٧٩) س ٤ ص ١٣٢. (١٨٠) س ٤ ورقة ٦٧. (١٨١) س ٤ ص ١٤٨.

فأجابه قائلاً: "لا يوجد هنا تعب والآباء جميعا قديسين، وأنا إنسان خاطئ أريد أن أذهب إلى موضع حيث أُهان وأُشتم لأنه بالازدراء والإهانة يخلص الخطاة". فتعجب منه وعلم أنه عمال، وأخلى سبيله قائلاً: "امض وتقوى"[١٨٢].

(٢٥) إضافة الغرباء

قال شيخ: "إن كنت نبيا وصديقًا ولا تقبل من يأتيك مثل نبي وصديق فليس لك أجر، وإن لم تكن نبيا ولا صديقًا وقبلت من أتاك مثل نبي وصديق فأجر نبي وصديق تأخذ"[١٨٣].

كان رئيس دير أبا لمائتي **راهب،** هذا زاره السيد المسيح بهيئة شيخ مسكين، وطلب من البواب أن يقول للمعلم عنه، فدخل ووجده يخاطب آخرين، فصبر ثم عرفه بذلك، فقال له: "أتركنا الآن". فتأخر البواب عن الرد على المسكين. وفي الساعة الخامسة زار الدير رجل غني، فقابله رئيس الدير بسرعة! فتقدم الرب (أي المسكين) وقال للرئيس: "أنا أريد يا معلّم أن أكلّمك". ولكن الرئيس دخل مع ذلك الغني مسرعا وقدم له طعاما باعتباره غريب. وبعد الأكل شيعه إلى الباب ونسي المسكين الغريب إلى المساء ولم يقابله. ثم انصرف الرب بعد أن أرسل إليه مع البواب قائلاً: "قُل للمعلم إن كنت ترى هنا كرامةً وشرفًا فذلك لأجل تعبك السابق، وإنني سأرسل لك قوما يزورونك من أربع جهات الدنيا، أما خيرات ملكوتي فلن تذوقها"! فعلم حينئذ أن الشيخ المسكين هو الرب وندم وتألم[١٨٤].

(٢٦) كيفية ربح الخطاة

كان قسيس القلالي قد أُعطي نعمةً من الله أن يرى الأرواح النجسة عيانا وتخاف منه. وبينما كان مرةً ذاهبا إلى الكنيسة رأى جماعةً من الشياطين خارج قلاية أخ، بعضهم في زي النساء وهم يغنون غناءً مطربا ويقولون ما لا يجب سماعه، وبعضهم يشبه الصغار وهم يرقصون، وآخرون يعملون أعمالاً رديئةً مختلفة. فتنهد الشيخ قائلاً: "بلا شك أن بداخل هذه القلاية راهب في أتون نار، لذلك تحيط الأرواح النجسة بقلايته".

ولما أكمل القس صلاته في الكنيسة، قرع باب قلاية الأخ الذي لما علم أنه القس أدخله بسرعة بفرح عظيم. ولما صلّيا وقبلا بعضهما بعضا وجلسا، بدأ الشيخ المبارك يقول للأخ: "أتيت إليك اليوم، أيها الأخ، لعلي أجد عندك راحة، لأن قلايتي امتلأت

---

(١٨٢) س ٤ ص ١٤٨. (١٨٣) س ٤ ورقة ١٥٣. (١٨٤) البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١١٠.

بالشياطين، وقد استولوا عليها لأ م وجدوا راحتهم داخلها، لأنني كل يـوم أطـيعهم وأعمل لهم ما يريدون. ومن أول هذا النهار لم أستطع أن أمكث معهم من سوء أعمالي. وأطلب منك أيها الأخ الحبيب لأجل المسيح أن تصلّي لأجلي كل يوم صـلاة، لعلـي بصلاتك أجد راحة، فقد أوشك أن ينقطع الرجاء مني"!

فلما سمع الأخ كلام الشيخ لطم على وجهه وأثار التراب على رأسه، وقال: "أيها الشيخ، أنت مصباح البرية وضياؤها وتقول لي ذلك؟ فلو علمت ما أنا فيه"؟ وبدأ يخـبر الشـيخ بأحواله، فأسرع الشيخ وضرب له ميطانية حتى لا يذكر شيئًا أمامه، لأن الكـلام الـرديء يضايق القلوب المستقيمة وينجس الآذان. حينئذ كف الأخ عن الكلام وقبل ميطانية القس.

ولما خرج من عنده قام الأخ يصلّي لأجل الشيخ. وبدأ يقول لنفسه: "أيها الشـقي، أأنت تصلّي لأجل القديسين؟ قدم أنت الصلاة عن نفسك". وبـدأ يبكـي وينـوح ويضرب الميطانيات ويسكب الدموع الغزيرة. وظلّ على هذا الحال مدة أسـبوع. وفي السبت التالي ذهب القس إلى البيعة وعبر على باب قلاية الأخ، فوجد الشياطين قائمين على با ا غير قادرين على دخولها، ويحاولون أن يهدوا أسوارها. فعلم القـس أن الأخ نجح في الصلاة، ففرح وقرع على بابه، ولما خرج رأى أنه قد لبسته نعمة. ولما دخل إليه بدأ يسأله عن حاله، فلم يفتح فاه من الحزن والكآبة. وكان يقول: "ترى يـا أبي هـل أرجع مثل الرهبان طيب النفس وأتناول الأسرار المقدسة بفرح قلب؟ ويل لي، متى يبنى ما قد هدم؟ ما أبعد الطريق علي"! هكذا كان كلامه ولم يدر بما كان الشيخ يقوله له. ثم خرج الشيخ وهو يقول: "تباركت يا رب إله الجنود السمائيين والأرضيين، لأنـك تقبل الخاطئ إذا رجع بتوبة نقية وتعده مع الذين قضوا كل عمرهم في مرضاتك"!

ومكث الأخ على هذه الحال أسبوعا آخر. ثم عاد الشيخ لكي يرى أحواله، فلما وقـف عند باب قلاية الأخ وثب عليه الشياطين الذين كانوا أصدقاء للأخ وقطعوا ثياب الشيخ ونتفوا شعر لحيته قائلين له: "ألا يكفي أننا لا يمكننا أن نعبر على قلايتك ولا حتى على جيرانـك؟ وها أنت قد جعلت أخا واحدا لنا في هذا الجبل عدوا عظيما يتعدى علينا النهار والليل، وقد أحرقنا بشرار صلاته"؟ ولما تركوه كالميت قرع باب قلاية الأخ، فخرج إليه ووجده منـهك القوى، فسأله: "من فعل بك هكذا أيها الأب القس"؟ فأجابه قائلاً: "أصـدقاؤك فعلـوا الآن". ثم بدأ يشرح له منذ أول مرة عبر عليه حتى تلك الساعة. ولما علم الأخ بكل ذلـك شكر الرب الذي افتقده على يد القس ... ثم إن الشياطين انصرفوا وهم بـاكون حـزانى،

وبمعونة الرب بلغ إلى طقسه الأول وأكمل رهبانيته المقدسة[185].

(٢٧) التواني

قال شيخ: "كما أن الذي يصفّي الذهب إن كان يشعل النار مرةً ويخمدها مرةً ويطفئها لا ينتفع؛ هكذا الراهب إن كان يحرص مرةً ويسترخي مرةً"[186].

وقال آخر: "احرص أن تقلع هذا العشب الذي هو التواني قبل أن يصير غابة"[187].

(٢٨) عدم تكرار السقوط

قال شيخ: "لا أعرف أنّ الشياطين أطغوني للسقوط مرتين في خطيةٍ واحدةٍ قط"[188].

وقال أيضا: "لا يوجد أصعب من العادة الرديئة، ويحتاج صاحبها لكي يقطعها إلى زمان وتعب كثير. أما التعب في قطعها فقد حصل لكثيرين، وأما الزمان للتخلص منها فما أقل الذين بلغوه، فإن أكثر أصحا ا قطعهم الموت قبل انتهاء زمان قطعها، والله وحده هو العارف كيف يدينهم"[189].

قال شيخ: "ليس شيء أردأ من الإنسان الخاطئ فهو أكثر نتانة من الخ ير والكلب والضبع، لأن هذه ائم قد حفظت رتبتها، أما الإنسان فقد خلق على صورة الله ومثاله ولم يحفظ طقسه، فالويل للنفس التي اعتادت الخطية لأ ا مثل الكلب الذي اعتاد على بقايا اللحوم عند الجزارين، فهو يضرب ويطرد فيبتعد قليلاً ثم يرجع إلى البقايا القذرة، ويظل كذلك حتى يقتل"[190].

(٢٩) شهوة الحنجرة

قال شيخ: "يا حنجراني، يامن تطلب أن تملأ جوفك، الأفضل أن تلقي فيه جمر النار ولا أطبخة الرؤساء"[191].

وقال أيضا: "كما أن الذئب لا يجتمع مع النعجة لإنتاج ولد؛ هكذا شبع البطن لا يجتمع مع توجع القلب لإنتاج فضيلة"[192].

قيل إن بطن الإنسان تشبه الزق، فبقدر ما تملأها بالأطعمة أو تفرغها تتسع أو تضيق، فإن عود ا على القليل ضاقت وصارت لا تطلب منك إلاّ القليل، وإن عود ا

(١٨٥) س ٤ ص ١٢٤. (١٨٦) س ٤ ورقة ١١٢. (١٨٧) س ٤ ورقة ١٥٩. (١٨٨) س ٤ ص ٦٥.
(١٨٩) س ٤ ورقة ٩٤. (١٩٠) س ٤ ص ١٥٩. (١٩١) س٤ ص ٧٢. (١٩٢) س ٤ ص ٩٥.

على الكثير اتسعت وطلبت منك الكثير(١٩٣).

قيل: كان شيخ يأكل وهو يمشي في شغله، فسئل عن ذلك فقال: "إنني لا أفضل أن أجعل الطعام عملاً يتفرغ له، وحتى لا تشعر نفسي بلذّة للطعام"(١٩٤).

قال شيخ: "لا تشبع خبزا ولا تشته شرابا"(١٩٥).

قال شيخ: "الذي يأكل كثيرا ويقوم عن المائدة وهو جائع أفضل من الذي يأكـل قليلاً ولا يقوم إلاّ وهو شبعان"(١٩٦).

قال شيخ: "ويح للشاب الذي يملأ بطنه ويصنع هواه، لأن رهبنته وتلمذته وكل تعبه يكون باطلاً"(١٩٧).

قال شيخ: "أسمى كل صلاح هو أن يمسك الإنسان بطنه ولسانه"(١٩٨).

(٣٠) عدم المراءاة

قال شيخ: "الذي يرائي بالمسكنة ويخدع ا الرحومين ليأخذ منهم شيئًا هو خاطف وظالمٌ لأنه أخذ بمراءاة، وما كان حقًا للمساكين أخذه هو"(١٩٩).

قال أحد الإخوة لبعض الرهبان: "هل رأيتم قط أكثر كذبا مني أنا الشقي"؟ فسألوه عن السبب، فقال: "إذا وقفت لأصلّي أرفع يدي وعيني إلى فوق وأبكي وأقول إن الله يسمع الطلبة ويرحم الباكي، وعندما أُخطئ أقول إنه لا يراني. ولذلك فقد ثبت لي كذب نفسي"(٢٠٠)!

(٣١) المشاركة في المسكن

سأل أخ شيخا: "أريد أن أسكن مع آخر في كينوبيون حتى أستريح في قلايتي ويعطيني عملاً أعمله بيدي ويهتم بي". فقال له الشيخ: "لا تفعل ذلك، وإلاّ فإنك لا تعطي أحدا خبزةً"(٢٠١).

(٣٢) الابتعاد عن الشهرة والكرامة

قال أحد الآباء: "لا تسكن في موضع له اسم، ولا تجالس إنسانا عظيم الاسم"(٢٠٢).

---

(١٩٣) س ٥ ورقة ١٢٦. (١٩٤) س ٤ ورقة ١٠٣. (١٩٥) س ٤ ص ١٤٦. (١٩٦) س ٤ ص ١٠٨.
(١٩٧) س ٤ ورقة ١٣٨. (١٩٨) س ٤ ورقة ١٥٩. (١٩٩) س ٤ ورقة ٧٢. (٢٠٠) س ٤ ورقة ١٦٠.
(٢٠١) س ٤ ص ٧٥. (٢٠٢) س ٤ ص ٧٥.

قال شيخ: "كما أن الك إذا ظهر نقص؛ هكذا أيضا الفضائل إذا أُظهرت وعرفت بادت وهلكت. وكما يذوب الشمع قدام النار هكذا تسترخي النفس وينقطع نشاطها من مديح الناس و لك"(٢٠٣).

أخبروا عن شيخ أنه كان يمكث وحده، وأن علمانيا كان يخدمه كل أيام حياته. وحدث أن ابن هذا العلماني مرض، فظل يطلب من الشيخ قائلاً: "تعال صل على ابني". ولما ألحّ عليه ذهب معه. فسبقه الرجل إلى القرية وقال لأهلها: "لقد جاء القديس فاخرجوا للقائه". فلما رآهم الشيخ مقبلين نحوه من بعيد بالشموع والألحان خلع ثيابه في الحال وألقاها في النهر ووقف عريانا وبدأ يغسلها برجليه. فلما رأى خادمه ذلك حزن، وطلب من أهل القرية أن يرجعوا لأن الشيخ قد تاه ولا يدري بما هو فيه! فرجع الناس إلى بيو م. ثم قال الرجل للمتوحد: "ما هذا يا أبي الذي فعلته؟ لقد قال الناس إن هذا الشيخ مجنون ولا يدري بما هو فيه". فقال الشيخ: "وهذا ما أردت أن أسمعه"(٢٠٤)!

(٣٣) الابتعاد عن النساء والصبيان والخمر

قال شيخ: "لا تك حرية نفسك من أجل جمال باطل، فإنّ المرأة وإن كان ظاهرها حسنا مبهجا، فباطنها سموم قاتلة كالأفعى التي هي لينة الملمس وحسنة الصورة والسم فيها كامن. فإذا رأيت امرأةً فضع في قلبك أنك رأيت تنينا، بل هي أشر من ذلك. فالأخير لك أن تجاور التنانين والأسود والحيات وتشرب السموم من أن تعاشر امرأةً أو صبيا لأنه أفعى قاتلٌ مثل أمه. لأن السموم تقتل جسدك، أما خطية الزنى فهي تهلك نفسك وجسدك. لذلك، فلا تعاشر امرأةً ولا صبيا، لأ ما لا رحمة لهما ولا عقل ولا ورع ولا دين ولا حياء، إن تمكّنا منك أهلكاك، وإن عاشراك فضحاك، وإن حدثاك سبيا عقلك.

"وسليمان الحكيم يحذر من مهالك النساء في سفر الأمثال ٢: ١٦ - ٢٠؛ ٥: ٣ - ١٤؛ ٦: ٢٣ - ٣٥؛ ٧: ٤ إلخ)"(٢٠٥).

قال الآباء: "حيث يكون شرب الخمر أو النظر إلى الصبيان لا توجد حاجة إلى شيطان"(٢٠٦).

حدث مرةً أنّ سفينةً كانت تسير من "ديولغن"، فألقت ا الرياح على أحد الجبال

(٢٠٣) س ٤ ورقة ١٠٩. (٢٠٤) س ٤ ورقة ١٢٦؛ W. & W., I: 274; An., 1061 (Nau, 61)
(٢٠٥) س ٤ ص ٤٣. (٢٠٦) المرجع السابق.

حيث كان يوجد رهبان. ثم خرجت امرأة من السفينة وجلست على تل من الرمل. واتفق أن أحد الرهبان جاء ليملأ جرته ورأى المرأة، فألقى بالجرة ورجع وقال لرئيس الدير: "يا أبتاه، توجد امرأة جالسةً عند النهر". فلما سمع الشيخ ذلك خفق قلبه، ثم أخذ عصاته وخرج مسرعا وهو يصيح قائلاً: "أعينوني فقد جاء إلينا لصوص أشرار"! فلما رأى الرهبان انزعاج الشيخ تبعوه كلهم حاملين عصيهم إلى النهر. فلما رأى النوتية قدومهم عليهم هكذا خطفوا المرأة من فوق التلّ بسرعة إلى السفينة وقطعوا حبل السفينة وتركوها تنحدر في مجرى النهر(٢٠٧)!

قال شيخ: "ليس الشجاع هو من يغلب الأسد، وليس الجبار هو من يقتل اللبؤة، أما الذي يخرج من هذا العالم نقيا من عيب النساء فهذا هو الغالب"(٢٠٨).

(٣٤) جحد الأقارب والابتعاد من العالم

قال أحد الآباء: "إن جحدت أنسباءك بالجسد مع أمور الجسد لأجل الله فلا تنخدع بالرحمة على والدتك أو أبيك أو أخيك أو أحد أنسبائك، لأنك قد تخلّيت عن هذه كلها. اُذكر أنه في ساعة موتك لن ينفعك أحد منهم"(٢٠٩).

أخ كان مسرعا إلى المدينة، فطلب مشورةً صالحةً من شيخ، فقال له: "لا تسارع إلى المدينة، لكن اهرب من المدينة مسرعا"(٢١٠).

كان أحد الرهبان فاضلاً جدا، وكان يخرج الشياطين بصلاته. وكانت له أم عجوز مسكينة. وحدثت مجاعة عظيمة، فأخذ الراهب خبزا وذهب وافتقد والدته. وبعد أن رجع إلى قلايته أُحضر له مجنون (به شيطان)، فقام يصلّي عليه كعادته، فاستهزأ به الشيطان قائلاً: "ماما ماما"(٢١١)!

أخبر أحد الرهبان أن أباه مات، فقال للذي أخبره: "كُف عن التجديف، فإن أبي لا يموت"(٢١٢)!

قيل عن أحد الإخوة إنه كانت له والدة تقية. ولما حدثت مجاعة عظيمة أخذ قليلاً من الخبز وذهب إليها. وفي الطريق سمع صوتا يقول: "أنت الذي تهتم بوالدتك أم أنا"؟ فميز الأخ ذلك الصوت وخر على الأرض بوجهه قائلاً: "أنت يا رب المهتم بنا". ثم رجع إلى قلايته. وفي اليوم الثالث جاءت إليه والدته وقالت له: "فلان الراهب أعطاني قليلاً من الحنطة،

---

(٢٠٧) س ٤ ورقة ١١١. (٢٠٨) س ٤ ورقة ١٣١. (٢٠٩) س ٤ ص ٧٤. (٢١٠) س ٤ ورقة ٩٥.
(٢١١) س ٤ ورقة ٧١. (٢١٢) س ٤ ص ٦٥.

فخذها واعمل لنا أرغفةً لنأكل". فلما سمع الأخ ذلك مجد الله وتقوى رجاؤه[٢١٣].

قيل إن أحد رهبان الأسقيط أُخذ ابنه في خدمة سلطانية (الجيش)، فكتبت والدة الصبي إلى زوجها الذي صار راهبا أن يطلب إطلاقه، فقال الراهب للمرسال: "إن أُخلي سبيله أما يأخذون غيره"؟ فقال: "نعم". فقال الراهب: "وأية منفعة من أن أُفرح قلب هذه وأُحزن قلب غيرها"؟

وكان هذا الراهب يعمل عملاً متواصلاً ليأخذ منه حاجته ويفرق الباقي على المساكين، فلما حدثت مجاعة عظيمة أرسلت الوالدة ابنه إليه تطلب منه أن يعطيها خبزا قليلاً. فلما سمع الراهب قال لابنه: "أما يوجد في الموضع آخرون محتاجين مثلكم"؟ فأجابه: "نعم يا أبي، كل الناس محتاجين". فأغلق الباب في وجهه وتركه باكيا قائلاً: "امض يا بني، والمهتم بالكل يهتم بكم" ... فسأل أحد الإخوة هذا الشيخ: "والآن أما يؤلمك فكرك لأنك رددت ابنك هكذا"؟ فأجابه: "إن لم يكره الإنسان نفسه في كل أمر فلا يقدر أن يقوم شيئًا من الصلاح البتة"[٢١٤]!

ذكروا أنه كان في الإسكندرية هيكل خارج باب الشمس (أحد أبواب سور المدينة)، على اسم القديس سيرابيون، وكان فيه شيخ راهب مسكين يتصدق. وكان ينصرف أحيانا بعد الساعة الثالثة وأحيانا أخرى بعد الخامسة. وكان قيم الهيكل يبصره مدةً طويلةً، فتبعه مرةً ليعرف أين يذهب وماذا يعمل، ولم يعلم الشيخ بذلك. فرآه قد اشترى خبزةً واحدةً وقطعة جبن. ثم خرج إلى المقابر بخارج المدينة، ودخل في طافوس جديد، فلحقه القيم وسجد له قائلاً: "من أجل الرب قُل لي من أنت وما عملك لكي أنتفع وتربح نفسي"؟!

فقال الشيخ: "وما هو عملي أنا الضعيف حتى تسأل عنه؟ وكيف خطر هذا ببالك"؟ فقال: "لأجل محبة المسيح لا تخف عني أعمالك النيرة". فعلم الشيخ أنه لا بد من معرفة خبره فقال له: "إنني أجلس في هيكل القديس سيرابيون وأجد فيه حاجة طعامي وأخرج إلى هذا الطافوس وأشتغل باقي نهاري في البكاء بسبب خطاياي". فعمل له مطانية وسأله قائلاً: "من أجل الرب اجلس أنت في قلايتك متوسلاً من أجلي، وأنا أُحضر لك كل يوم طعام يومك". فقال له الشيخ: "بشرط أن تتركه خارج الباب وتنصرف وأنا أتمم لك مرادك". فوافقه القيم على ذلك.

ولما استمر القيم مدة يسيرة يعمل بما أمره الشيخ، قرع بابه يوما ما حتى خرج له الشيخ، فسجد له قائلاً: "من أجل الرب اجعلني راهبا". فأدخله الشيخ ونصحه بخصوص الرهبنة وعظم إسكيمها. فلما قبلها رهبنه وأقام عند الشيخ كراهب مقيم. ثم خرج كعادته القديمة

---

(٢١٣) س ٤ ورقة ٧٣.

(٢١٤) س ٤ ص ٧٤.

ليجلس عند الهيكل ويستجدي صدقةً تكفي حاجتهما ويشتري خبزتين وقطعتين من الجبن. فأبصره جندي محب للمسيح كان يدخل الهيكل كثيرا، فانتفع منه وتبعه ليعرف مكانه، ثم طلب منه أن يبقى في قلايته ويصلّي من أجله هو وأسرته وهو يأتي له بطعامه. فقال له الشيخ: "إنني أحتاج إلى خبزتين وقطعتي جبن كل يوم". ولم يخبره بوجود قيم الكنيسة عنده.

وبعد أن ظلّ الجندي مدة من الزمان يأتي للشيخ بحاجته رقد الشيخ، وقبل وفاته قال لتلميذه: "اجلس هنا ولا تذهب إلى أي مكان، وعندما يأتي إليك الجندي بالخبزتين وقطعتي الجبن قُل له: "إنني لا أحتاج إلاّ إلى خبزة واحدة وقطعة جبن واحدة. ثم امكث مهتما بنفسك. وإن حفظت وصيتي فسأكون معك كل حين كعادتي"". ولما توفي الشيخ دفنه تلميذه، وكان عندما يصلّي يشعر أن الشيخ يصلّي معه كما وعده!

وأقام التلميذ على تلك الحال أياما عديدة. ثم هاجمه الشيطان مبغض الحسنات الذي يحسد الناس الذين يريدون الخلاص، فقال له: "الآن، ماذا يقول والدك في أمرك: هل مات أم أنه حي؟ فلو ذهبت ورأيت والدك ورجعت لمكثت مستريحا بلا هم ولا قتال من العدو". فلما خدعه الشيطان بهذه الحيلة الماكرة ذهب وأبصر والده ورجع. ولما حان وقت صلاته وتلاوة مزاميره لم يعد يسمع صوت الشيخ، فترك المزمور وظلّ يبكي فوق قبر الشيخ قائلاً: "لقد تركتني يا معلّمي! أين وعدك الصادق يا سيدي الشيخ المبارك المملوء رحمة؟ لا تيتمني منك لأجل الله"! فجاء إليه صوت من القبر قائلاً: "هل أنا تركتك؟ أنت الذي خالفت وصيتي وتركتني. أتظن أنني أنا الذي كنت أصلّي معك؟ إنما ربنا يسوع المسيح الكثير الرحمة كان يرسل ملاكًا روحانيا يؤنسك ويصلّي معك عندما كنت تقبل وصيتي، لأنني أنا في موضعي كما أمر الرب إلى وقت مراده. ولما عصيت وصيتي التي كانت من أجل الله انصرف عنك الملاك! فاجلس وابك بسبب خطاياك، والرب برحمته يعينك لأنه صاحب كنوز الرحمة"[(٢١٥)].

(٣٥) الزهد في القنية والطعام وأمور العالم

قال شيخ: "الذي يتصرف في العالم بعد أن رفضه، إما أن يسقط في فخاخه ويتدنس قلبه بأفكاره، أو أنه لا يتدنس ولكنه يدين المتدنسين فيتدنس هو أيضا"[(٢١٦)].

قال أحد الآباء: "لا يكن لك في قلايتك ثوب بطّال لا تحتاج إليه لأنّ هذا هو موتك، لأنه يوجد قوم يؤلمهم البرد وهم أبر منك وأحق، وأنت الأثيم عندك ما يفضل

(٢١٥) بستان الرهبان – الطبعة السابعة في بني سويف سنة ١٩٧٧، ص ١٨٧. (٢١٦) س ٤ ص ٧٢.

عنك. لا تقتنِ إناءً أو أي شيءٍ زائدٍ عن حاجتك، وإلاّ فعليك أن تقدم عذرا عما هو زائد عن حاجتك. لا تقتنِ ذهبا كل حياتك، وإلاّ فإنّ الله لا يهتم بك، وإن صادف لك ذهب وكنت محتاجا فاصرفه في قوتك، وإن لم تكن محتاجا فلا تدعه يبيت عندك".

"إن شئت أن تمتلك النوح فاجتهد أن تكون جميع أوانيك وكل أمتعتك فقيرة مثل الإخوة الشحاذين. إن اقتنيت مصحفًا فلا تتنمق في تجليده ولا تزينه. لا تلبس ثوبا جديدا، لأنّ كل ذلك يمنع من النوح، وبالجملة فليكن جميع ما هو لك مما لا تتألم لفقدانه. ولتكن ثيابك وأحذيتك وكل أوانيك هكذا، حتى لو جاء قوم ليسرقو ا فلا يرضون ا ولا يعجبهم شيئًا منها"(٢١٧).

قال أحد الآباء لراهبٍ له ملك: "لقد سمي الراهب متوحدا لأنه بقي وحده لا يمتلك شيئًا. فإن كان له ملك يجار عليه ويظلَم فيه أو يجعله هو يجور ويظلم فهو ليس براهبٍ، لأنّ الأحكام الملكية أيضا لا توافق على أن يحاكَم الرهبان في مجالس أحكامهم، لأ م قد ماتوا عن العالم. ولذلك فإنّ الراهب الذي يدخِل نفسه في مجالس الحكّام لأجل شيءٍ يظلَم فيه ويجار عليه يحرم نفسه من كل عفو (إلهي)"(٢١٨).

قال أحد الشيوخ: "الرهبان المتزيون بالزي المقدس القاطنون في الأديرة لا يليق م أن يقولوا: هذا لي وهذا لك أو لذاك، فالجماعة المشتركة سبيلها ألاّ يعتبر أحد منها شيئًا خاصا به، وإلاّ فلا يليق أن تدعى جماعتهم "كينوبيا"، التي هي المعيشة المشتركة، بل مجامع ومغارات لصوص مملوءة من كل رذيلة وسلب الأشياء الطاهرة"(٢١٩).

شيخ مغبوط أخذ عودا صغيرا وخيطًا حقيرا وقال: "من ذا الذي يغتم على فقدان هذه الأشياء ويخاصم ويحقد بسببها إن كان عاقلاً؟ ولعمري إن من استبصر في قدر هذا العالم الزائل كله فهو يتصوره ذه الصورة! ومع ذلك أقول إنه لا يضر الإنسان أن يكون له إشفاق على شيء ويتأسف على فقدانه فحسب؛ بل حتى على جسمه الذي هو أكرم كل ما يمتلك، لأننا قد أُمِرنا أن نتهاون بأنفسنا وأجسادنا، فكم يجب علينا أن نتهاون بما هو خارج عنا"(٢٢٠)!

قال شيخ: "من لا يقدر أن يبغض القنية لا يقدر أن يبغض نفسه حسـب الوصـية المسيحية"(٢٢١).

قيل عن أحد الشيوخ إنه نال مواهب روحية من الله وذاع صيته، فاستدعاه الملـك

---

(٢١٧) س ٤ ورقة ٧٢. (٢١٨) س ٤ ورقة ٧٤. (٢١٩)المرجع السابق. (٢٢٠) س ٤ ص ٩٤.
(٢٢١) س ٤ ورقة ٩٤.

ليأخذ بركة صلاته. ولما تحدث معه وانتفع منه أعطى له مالاً فقبله الشيخ. ورجع إلى قلايته وأخذ ينظفها ويهتم بعمارها. ثم جاء إليه إنسان به روح شرير، فقال له كعادته: "أخرج من خليقة الله". فقال له الشيطان: "لن أسمع منك"، فسأله الشيخ: "لماذا"؟ فأجابه: "لأنك صرت أحد خدامنا، فقد تركت الاهتمام بالله وشغلت نفسك بالاهتمام بالأرضيات"[٢٢٢]!

سأل أخ شيخا: "كيف أن جيلنا هذا، يا أبي، لا يقدر أن يقتني تعب الآباء الأولين"؟ فقال له الشيخ: "لأنه لا يحب الله ولا يهرب من الناس ولا يبغض الدنيويات. لأن كل إنسان يهرب من الناس ومن القنية يأتيه تعب الرهبنة من ذاته. وذلك مثل إنسان يريد أن يطفئ نارا قد اشتعلت في بقعة، فإن لم يبعد القش من أمام النار لا يقدر أن يطفئها، هكذا إن لم يذهب الإنسان إلى موضع لا يجد فيه الخبز والماء إلاّ بصعوبة فلا يقدر أن يقتني تعب الرهبنة، لأن النفس إذا لم تبصر لا تشتهي سريعا"[٢٢٣].

قيل إن أحد الآباء كان يقيم في البراري البعيدة ويصمت. وفي أحد الأيام قال له تلميذه: "لماذا تهرب يا أبي إلى البراري البعيدة في حين أنني أسمع أن الذي يسكن بالقرب من العالم ويقاتل أفكاره من أجل الله يكون أجره أكثر"؟ فقال له الشيخ: "حتى يصل الإنسان إلى رؤية ما رآه موسى النبي ويصير ابنا لله فهو ينتفع من الاقتراب من العالم، أما أنا فإنني ابن آدم ومثل آدم أبي الذي عندما أبصر ثمرة الخطية اشتهاها فأخذ وأكل منها ومات. لذلك كان آباؤنا يهربون إلى البراري حيث يقاتلون شهوة البطن لعدم وجود أطعمة، إذ لا يجدون الأشياء التي تلد جميع الأوجاع"[٢٢٤].

جاء لصوص إلى قلاية أحد الشيوخ وقت الصلاة، فقال للإخوة: "أتركوهم يعملون عملهم ونحن نعمل عملنا"[٢٢٥].

قيل إن أحد شيوخ الرهبان حلّ به مرض الجذام، فجاء إليه أحد المسيحيين بمال وقال له: "استخدم هذا المال في مرضك وكبر سنك". فقال له: "أتريد أن تأخذ مني في ساعة واحدة ما تعبت فيه منذ بداية حياتي حتى الآن"؟ ولم يأخذ منه شيئًا[٢٢٦].

قال شيخ: "لا تملأ بطنك من الخبز والماء ولا تشبع من نوم الليل، فإن الجوع والسهر ينقيان القلب من أوساخ الأفكار والجسد من قتال النجاسة، فيسكنه الروح القدس. لا تقُل إن اليوم

---

(٢٢٢) س ٤ ص ٧١. (٢٢٣) س ٤ ورقة ١٠٤؛ An., 1588. (٢٢٤) س ٤ ورقة ١٠٤.
(٢٢٥) س ٤ ص ٩٥؛ W. & W., I: 191. (٢٢٦) س ٤ ورقة ٩٦.

عيد آكل فيه وأشرب، فإن الرهبان ليس لهم عيد على الأرض، وإنما فصحهم هو خروجهم من وسط الشر، وعنصر ﻣ هي تكميل وصايا المسيح، ومظالّهم هي بلوغهم إلى ملكوت السماء. أما الشبع فهو والد الخطية، وحصن الراهب هو الصوم، وسلاحه الصلاة، فمن ليس له صوم دائم لا يكون لديه حصن يمنع عنه العدو، ومن ليست له صلاة نقية لا يكون لديه سلاح يقاتـل بـه الأعداء. وكل من يجعل الموت أمامه كل حين يغلب الضجر وصغر النفس"(٢٢٧).

قال أحد الشيوخ: "إن كان الراهب حريصا مجاهدا فإن الله يطلب منه ألاّ يـرتبط بشيء من أمور هذه الدنيا لئلاّ يشغله ذلك عن ذكر ربه، وأن يطلب إليه بلجاجة وبكاء ليغفر له خطاياه"(٢٢٨).

قال شيخ: "كما أن عيني الخ ير تنظران إلى الأرض ولا يرفعهما؛ هكذا كل مـن أحبت نفسه الملذات العالمية، فبصعوبة يرفع عقله إلى الله ويهتم بشيء من رضاه"(٢٢٩).

قال شيخ: "لا تطلب أشياء كثيرة لأنك لم تعاهد المسيح إلاّ أن تعيش معه بـالفقر، لأن المسيح هو حياة النفس، فكل من اقتناه في قلبه وفكره وكل تصرفه بامتداد عقله إليه هو الذي ينجح في سيرة هذا العمر وينال الحياة التي لا تزول"(٢٣٠).

قال أحد الآباء: "أعرف أخا في منطقة القلالي صام أسبوع الفصح (الآلام) كلـه، ولما اجتمع الإخوة مساء السبت (ليلة العيد) لم يحضر معهم بل هرب إلى قلايته حتى لا يأكل شيئًا مما يوضع على المائدة، وسلق في قلايته قليلاً من الطلح (أو البنجر أو المـوز الأفريقي) بدون زيت، وذلك حتى يخفي زهده"(٢٣١).

قيل عن شيخ إنه ظلّ ناسكًا سنين عديدة لا يأكل فيها سوى خبز وملح فقط مـرة واحدة في الأسبوع حتى لصق جلده بعظمه. وفي أحد الأيام زاره شيخ آخر، ولمـا رآه منهكًا جدا قال له: "إنك يا أبي تقتل نفسك بكثرة الإجهاد، فكُل شيئًا قليلاً مع الخبـز لترجع إليك قوتك"، ولكنه لم يشأ. ثم قال له أيضا: "كُل ولو قليلاً من الفاكهـة". فأجابه الشيخ: "لماذا تضطرني أن أتكلم؟ لأنني ولو أكلت الرماد مع الطعام فلا أستطيع أن أُرضي الله، فقد حدث مرةً وأنا راقد أنني أُخذت إلى موضع الحكم، وكـان هنـاك كثيرون واقفين من هنا ومن هناك، وكنت أنا واقفًا بخوف شديد. فقلت: 'اذكر يا رب تعبي'. ولما قلت ذلك غضب وقال للواقفين: 'أخرجوا هذا'. فاقترب مني أحدهم وأدخل

---

(٢٢٧) س ٤ ورقة ١٠٦. (٢٢٨) س ٤ ص ١١٠. (٢٢٩) س ٤ ص ١٤٩. (٢٣٠) س ٤ ص ١٦٣.
(٢٣١) س ٤ ص ١٢٩؛ An., 1160 / 30; W. & W., I: 103.

يده في فمي وقطع لساني ووضعه في يدي. فاستيقظت وأنا مرتعب، ووجـدت يـدي مضمومةً، ففتحتها وكنت أظن أ ا ماسكةً بلساني"!

فلما سمع الشيخ ذلك كف عن الكلام معه[٢٣٢]!

أحد الحكماء ب إنسان شرير ماله فلم يغضب عليه. فقيل له: "كيف لم تغضـب على الذي ب مالك"؟ فقال: "إنني شبهته بالموت، لأن الموت يـ ع كل إنسان مـن ماله ولا أحد يغضب عليه"[٢٣٣]!

كان راهب مسكينا لا يملك شيئًا، وكان رحوما. فجاء إليه سائلٌ يطلب صدقة، ولم يكن عنده سوى خبزة واحدة، فأعطاها له. فقال السائل: "لا أحتاج إلى خبز بـل إلى ثوب". فأراد الراهب أن يقنعه، فأخذ بيده وأدخله القلاية. فلما رأى السائل أنه ليس له إلاّ الثوب الذي على جسده أشفق عليه وأفرغ له كيس الخبز الذي كان معه[٢٣٤]!

كان أحد الشيوخ يمشي ومعه تلميذه، فوجد في الطريق تفاحةً، فأخذها وميزها، ثم طرحها تحت قدميه وسحقها في الأرض. فقال له تلميذه: "لماذا فعلت ذلك يـا أبي"؟ فقال الشيخ: "نعم يا بني، لأن شهوة الثمرة أخرجت آدم من الفردوس"[٢٣٥]!

قيل إن تاجرا كان خبيرا باللآلئ والخرز. ركب مرةً سفينةً مع غلمانه، وكانت معه جواهر كثيرة الثمن وأشياء أخرى ثمينة، وكان بين نوتية السفينة الكثيرون صبي هـادئ، وكان قد اشتكى لذاك التاجر أنه يبغض العمل في البحار، كما أنه يبغض رفقاءه بسبب عادا م الذميمة. فقال له التاجر: "لا تتضايق، فإذا سهل الرب طريقنا وخرجنا من هذه السفينة آخذك معي وأعتني باحتياجاتك". فطاب قلب الصبي.

وفي أحد الأيام تشاور النوتية فيما بينهم أن يقذفوا بالتاجر وغلمانه في البحر لكي يأخذوا ممتلكاته. ولما علم ذلك الصبي أسرع وأخبره بذلك، فقال له التاجر: "هل أنت متأكد مـن ذلك"؟ فقال: "نعم". حينئذ أسرع التاجر واستدعى غلمانه وقال لهم: "كل ما آمركم بـه افعلوه بسرعة لأنكم إذا اونتم فسأموت أنا وأنتم أيضا". ثم بسط إزارا في وسط السـفينة وقال لهم: "هاتوا الجواهر كلها". فقدموها له فأفرغها قدام الجميع وقال: "هذا هو عـدوي وأنا أشفق عليه، هذا هو قاتلي وأنا أحبه، هذا يريد أن يبعدني من الحياتين، فماذا أنتفع منـه؟

---

(٢٣٢) س ٤ ص ١٣٢. (٢٣٣) س ٤ ورقة ١٣٢. (٢٣٤) س ٤ ورقة ١٤٥. (٢٣٥) س ٤ ورقة ١٤٥.

احملوه معي". فحملوا كل الأشياء معه وطرحوها بسرعة في البحر!

فلما رأى الملاّحون ذلك تحيروا وفشلت مشورتهم. ثم إن التاجر صار يتصدق منهم الخبز، فلما رأوه على هذا الحال رحموه، ثم قال: "أشكرك يا رب، لأنك أنضجتني لخلاص نفسي وجسدي، اليوم زالت عني قساوة القلب وربحت تلك النفوس الهالكة الذين بعمى قلوبهم تشاوروا علي وبسببي أرادوا أن يسكنوا الجحيم المخلّد"[٢٣٦]!

قال أحد القديسين: "إنني أعرف امرأةً بأورشليم اسمها "ستروتين". هذه كانت خاطئة وتابت بحرقة قلب ورجعت إلى الله وتنسكت وتزينت بفضائل عديدة حتى إنها من كثرة فضائلها ونعمة الرب يسوع المسيح التي رافقتها صارت مدبرةً لدير عذارى".

ولما صارت مدبرةً للدير زادت في نسكها وصبرها حتى ضعفت قواها. فقالت لها العذارى: "يا أُمنا كُلي قليلاً حتى يمكنك أن تدخلي إلى الموضع المقدس". فقالت لهن: "يا بناتي، لا تتعبنني لأجل الطعام الذي إذا أكلته أرجع إلى عاداتي القديمة، فبسبب ذلك أخاف من الأكل"[٢٣٧].

قال شيخ: "جاهلٌ هو ذاك الذي يوجد في قلبه ذكر شيء من العالم ما خلا الميراث الذي يأخذه، أي القبر فقط"[٢٣٨]!

قال شيخ: "إن كانت شهوتك دنيوية فهذه أيضا عند الكلاب والخنازير، أي شهوة البطن والزنى. أما إن كانت شهوتك في الله فهذه هي شهوة الملائكة"[٢٣٩]!

قال شيخ: "إنه لَهوى شيطاني لدى الراهب الذي يحتفظ بقوت كثير، لأنه يدخر ما لا حاجة له به، أما الصديق فإنه يلقي على الرب همّه ويفرق ما عنده بلا هم، ولذلك تكون يد الرب مفتوحةً قدامه وممتلئةً، فيأخذ ويعطي ببساطة بدون تفكير. أما من يحتفظ بشيء زائد عن حاجته ليعطي منه للمحتاجين فهو بحق حكيم. ولذلك فإنه كلما تفرغ يده تجدها تمتلئ كل وقت، لأنه إذ يعطي فله أن يأخذ أيضا. فالذي ينيح آخر في ضيقته فهو أيضا له من يهبه نياحا"[٢٤٠].

قال شيخ: "كما أن حمار المسكين لكونه لا يجد قوتا يشبعه يصبح هزيلاً ضعيفًا فتنطفئ فيه شهوة الجماع، وإذا ركبه صاحبه فإنه يسير به ذليلاً سهل الانقياد بسبب ضعف ركوبته؛ هكذا أيضا الراهب الذي يقمع جسده بنقص القوت وقلّة الملابس، فإن الشهوة الدنيوية تنطفئ من جسده وتتضع نفسه بدون افتخار. إنه لا يوجد شفاء لوجع

(٢٣٦) البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١١٨. (٢٣٧) المرجع السابق، جزء ٣ ص ١٢٣.
(٢٣٨) المرجع السابق، جزء ٣ ص ١٠٣. (٢٣٩) المرجع السابق. (٢٤٠) المرجع السابق.

الافتخار، لأنه بقدر ما يتعالى الإنسان بأفكاره بقدر ما تزول معرفة الله من نفسه، وإلى عمق الظلمة يهبط"[٢٤١].

(٣٦) مقاومـة الضجـر

جلس أحد الرهبان في **برية** صامتا في قلايته، فحاربه الضجر وأقلقه الفكر وضيق عليـه بشدة وحثه أن يخرج منها. فقال في نفسه: يا نفسي لا تضجري من المكوث في القلاية، فحتى إن كنت لا تعملين شيئًا فيكفيك أنك لا تحزنين أحدا ولا أحد يحزنك، فاعرفي مقدار الشرور التي خلّصك منها الله، لأنك في سكوتك وصلاتك لله تكونين بلا هم يشغلك، ولا تتكلمين كلاما باطلاً، ولا تسمعين ما لا ينفعك، ولا تبصرين ما يضرك. وإنما لك قتال واحد هو قتال القلب، والله قادر أن يبطله، وإذا اقتنيت الاتضاع عرفت ضعفي.

فلما فكّر الأخ بذلك صار له عزاءٌ كثير في صلاته[٢٤٢]!

سئل شيخ: "لماذا لا تضجر يا أبتاه"؟ فقال: "لأنني كل يوم أتوقع الموت"[٢٤٣]!

سأل أخ شيخا: "لماذا أضجر في قلايتي"؟ فقال له: "لأنك لم تشعر بنعيم القديسين وعذاب الخطاة، ولو عرفت ذلك لصرت بلا ضجر ولو كنت منغمسا في الدود والنتانة في قلايتك حتى حلقك. لأن قوما من ضجرهم يتمنون الموت ولا يعلمون شدة الصعوبة في ملاقاة الله عند صدور الحكم عليهم، وشدة العقوبة التي تحلّ بالخطاة"[٢٤٤]!

(٣٧) الجهاد ضد الأفكار والشياطين

قال شيخ: "جرب أخ بالأفكار لمدة تسع سنوات لدرجة أنه يئس من خلاصه. ومن الخوف قال في نفسه: إنني هالك، فلأرجع إلى العالم بما أنني مفقود. وبينما كان في طريقه إلى الرحيل سمع صوتا يقول له: 'إنّ الشدائد التي حلّت بك طوال تلك السنوات التسع قد صارت لك أكاليل فلا تكلّ من الجهاد'! فلما سمع ذلك تقوى بالرجاء وخفّت عنه الأفكار. وهكذا فإنك ترى أنه ليس حسنا أن ييأس الإنسان من نفسه بسبب أفكاره، بل إنّ الأفكار تجلب لنا الأكاليل إذا انتفعنا منها جيدا"[٢٤٥]!

طلب إخوةٌ من شيخ أن يترفق بنفسه من كثرة الجهاد، فقال: "حقًا أقول لكم يا إخوتي إن مصير إبراهيم خليل الله أن يندم إذا رأى كثرة عطايا الله إن لم يجاهد ويتعب

---

(٢٤١) المرجع السابق. (٢٤٢) س ٤ ص ١١٤. (٢٤٣) س ٤ ص ١٤٩؛ W. & W., II: 188.
(٢٤٤) س ٤ ورقة ١٥٨؛ W. & W., II: 302; Ch., 6. (٢٤٥) س ٤ ورقة ٨٥؛ An., 1210.

أكثر مما فعل"[٢٤٦].

سأل أخ شيخا: "إذا هاجمتني أفكار يتعبني الخوف". فقال له الشيخ: "إذا خرج جندي الملك إلى الحرب، فكلما أصابه الأعداء وجرحوه ينهض مسرعا ويقاتلهم مرات عديدة. والملك لا يغضب لأنهم جرحوه طالما أنه لم يهرب من الحرب، بل بالحري يفرح لأنه قبل الجراح في قتاله ضد أعداء سيده. كذلك أنت، فكلما هجمت عليك الأفكار انتصب بالحري لمقاومتها"[٢٤٧].

قيل عن شيخ إنه كان جالسا في قلايته، فأتاه أحد الإخوة في الليل وأراد أن يدخل إليه. فسمعه عند الباب يقول: "كفى كفى حتى متى؟ اذهبوا الآن من قدامي". ثم قال: "تعال تعال يا صديقي". فلما دخل الأخ إليه قال: "من ذا الذي كنت تكلمه يا أبي"؟ فقال له: "أفكاري الرديئة، كنت أطردها وأدعو أفكاري الصالحة"[٢٤٨].

قال أحد الشيوخ إنه في إحدى الليالي في بداية صلاته وهو في البرية الداخلية، سمع صوت بوق عاليا كصوت أبواق الحرب. فتعجب متفكرا في أنها برية قفرة ليس فيها إنسان، فمن أين يأتي صوت البوق؟ أترى توجد حرب هنا؟ فوقف الشيطان أمامه وقال بصوت عال: "نعم يا راهب، حرب هي، فإن شئت حارب وإلاّ فاستسلم لأعدائك"[٢٤٩]!

قال شيخ: "ينبغي على الراهب أن يقاتل شيطان الضجر وصغر النفس بجهاد كثير ولا سيما وقت الصلاة، وإذا تغلّب عليه فليحذر من شيطان الكبرياء، وليقل: «إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناءون، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس»، ويذكر كلام النبي: «إن الله يقاوم المستكبرين، أما المتواضعين فيعطيهم نعمة»"[٢٥٠].

قال شيخ: "كل من يحاربه إبليس وجنوده بالقتال وهو لذلك ينوح ويبكي ساهرا ويطلب معونةً فهو يستجاب، لأن السهر يحل الخطية والبكاء يغسل الذنوب"[٢٥١].

قلق أحد الإخوة من الأفكار، فذهب إلى أحد الشيوخ وسأله قائلاً: "يا أبي، ما هي هذه التجارب التي لحقت بضعفي"؟ فتنهد الشيخ وقال: "يا بني، لا يدهشك هول العساكر إن كان الله معك، فإن الشياطين إذا رأوا النفس تسمو نحو الله يغتاظون عليها بحسد، ولأن الله لا يحضر هو وملائكته (بطريقة واضحة) في المحن؛ فلا تفتر أنت عن الاستغاثة به بتواضع قلب. ومتى خطرت عليك أفكار كهذه فاذكر عظم قوته المنيعة

---

(٢٤٦) س ٤ ص ١٠٧. (٢٤٧) س ٤ ص ١٣٢. (٢٤٨) س ٤ ص ١٣٠؛ An., 1055, N, 56; W. & W., II: 269. (٢٤٩) س ٤ ص ١١٣. (٢٥٠) س ٤ ص ١٠٧. (٢٥١) س ٤ ورقة ١١٠.

وانظر إلى ضعفك واطلب الله بقلبك فتجده سريعا"[٢٥٢].

قال شيخ: "الشيطان فتال حبال، فبقدر ما تعطيه خيوطًا هو يفتلها". قـال ذلـك بخصوص مساعدتنا للأفكار[٢٥٣].

قال أخ لشيخ: "إذا بذر في الشياطين فكرا نجسا أو أية غواية بالليل يمنعونني بعـد ذلك من أن أصلّي قائلين: "إنك نجس""! فقال له الشيخ: "إذا وضعت الأُم الطفل على الأرض متمرغًا في وساخته يرفع يديه ووجهه إليها وعيناه ممتلئتان بالدموع، فتتحنن أُمه عليه وتضمه إليها وتصعده على صدرها وتقبله ولا تنظر إلى شيء من وساخته؛ هكـذا نحن يا أخي، إذا أغوتنا الشياطين فلنسرع ونصرخ إلى الله ونبكي بين يديه وهو يقبلنا من وسط نجاستنا ويطهرنا له مرةً أخرى"[٢٥٤].

قال شيخ: "إن كان إنسان يجربه إبليس بأوجاع الخطية وهو يبكي وينوح بسبب ذلك بين يدي الله، فإن الله يشتاق إليه، لأن التنهد قادر أن يحلّ الخطية والبكاء يغسل الذنوب"[٢٥٥].

قال أحد الشيوخ: "الشيطان هو العدو وأنت صاحب البيت، والعدو لا يزال يلقي كـل ما يجده من جميع الأوساخ، فلا تتغافل أنت ولا تتوانٍ عن إخراجها لئلاّ يمتلـئ بيتـك مـن المكدرات فلا تستطيع تنظيفه، ولكن اهتم بالتنظيف أولاً بأول لتبقى نقيا بنعمة الله"[٢٥٦].

كان شيخ لا يأوي تحت سقف، بل كان يعيش في حرارة الشمس وبرد الليل. فقال له أحد الإخوة: "لماذا يا أبي لا تأوي تحت سقف مسكن وتستريح قليـلاً مـن هـذا التعب"؟ فأجابه الشيخ: "إن لصوصا أخذوا مالي وسلبوني ملبسـي، ولـذلك لا آوي تحت ظل مسكن، بل أعيش تائها في الحر والبرد، أصرخ إلى إلهي ليلاً و اا ولا أهـدأ حتى يتحنن علي وينتقم لي من أعدائي ويرد لي ما سلبوه مني"[٢٥٧].

قال شيخ: "كما أن عابر الطريق هو ضيف يومه، فلا يدخل مـ ل إن لم يـأمره صاحبه بذلك؛ هكذا العدو إن لم يقبله الراهب فلا يقدر أن يدخل عنده"[٢٥٨].

قال أخ لشيخ: "إن أفكاري لا تتركني أستريح ونفسي مغمومة من ذلك". فقـال له: "إذا زرع الشياطين فيك الأفكار فلا تتحدث معهم، فمن شأ م أن يطرحوا زرعهم دائما ولا يمكنهم أن يلزموا بقبوله اضطرارا، فلك أن تقبله أو لا تقبله. ألا ترى ما فعله

---

(٢٥٢) س ٥ ص ١٢١. (٢٥٣) س ٤ ورقة ١٣١؛ W. & W., II: 102. (٢٥٤) س ٤ ورقة ١٣١.
(٢٥٥) س ٤ ورقة ١٣٨. (٢٥٦)س ٤ ص ١٤٥. (٢٥٧) س ٤ص ١٥٦.
(٢٥٨) س ٤ ص ٩٣؛ W. & W., I: 335

أهل مديان حينما زينوا بنا م وأظهروهن ولم يلزموا أحدا بأخذ واحدة منـهن؟ فمـن الإسرائيليين من أراد فخالطهن، ومنهم من لم يرد فلم يدنُ منهن، ومنهم مـن اغتـاظ وشرع في قتلهن(*). وهذه هي حال الرهبان مع الأفكار التي اجمهم ا الشياطين".

فقال الأخ: "ماذا أفعل يا أبي، لأنني ضعيف والوجع غالب علي وليست لي قـدرة علـى مقاومة الأفكار"؟ فقال له الشيخ: "إذا ألقوا بالأفكار فيك فلا تجاو م، ولكن اهـرب إلى الله بالصلاة أو السجود، وقُل: يا الله ارحمني واصرف عني هذه الأفكار بقوتـك العظيمـة فـإنني ضعيف عن مقاومتها". فقال له الأخ: "إذا وقفت لأصلي لا أشعر بخشوع لأنني لا أعرف قوة الكلام". فقال له الشيخ: "أنا سمعت أنبا موسى (أو أنبا بيمين في بعض المراجع) وجماعة مـن الآباء يقولون: إنّ الراقي لا يعرف قوة الكلام الذي يعزم به، لكن الحية تشعر بقوتـه فتخـرج؛ هكذا نحن أيضا إن كنا لا نعرف ما نقول ولكن الشياطين يعرفون قولنا فينصرفون عنا"(٢٥٩).

قال شيخ: "طوبى لمن أبغض الإثم وأحب البر وخاف عقاب الجحيم وآثـر ثـواب الملكوت، وقاوم إرادة الشياطين وأطاع إرادة الله، وصلّى بلا فتور ولا افتكار"(٢٦٠).

قال شيخ: "ليس كلما تحركت فينا الأفكار حسبت علينا خطية، بـل إذا قبلناهـا وعملنا ا، فتوجد أفكار لخلاص الإنسان وأخرى لهلاكه"(٢٦١).

سئل شيخ: "كيف ينبغي على المتوحد أن يسكن في قلايته"؟ فقال: "ألاّ يكون له اهتمام بذكر إنسان أصلاً، ويحفظ عقله من الطياشة، ويذكر الله دائما"(٢٦٢).

روى بالليديوس عن أحد الرهبان، واسمه "فالنس" (أو "والاس")، أنه كـان فلسـطيني الموطن ولكنه يوصف بأنه كورنثي لأن القديس بولس ا م الكورنثيين بالعجرفة (أنظر ١كو٤: ٦إلخ). وقد عاش مع الآباء في البرية عدة سنوات وأتقن التقشف إلى أقصى حد، ثم بلغت به العجرفة حتى هاجمه الشياطين وأقنعوه بأنه صار متحالفًا مع الملائكة وهي مستعدة لخدمتـه في كل ما يحتاج إليه. وقيل إنه كان مرةً يعمل في خياطة الزنابيل (المقاطف) في الظلام، ففُقـدت منه المسلّة (أي الإبرة الكبيرة) ولم يستطع أن يجدها، فقدم له أحد الشياطين (دون أن يـراه) مصباحا فوجدها. فتكبر وتعجرف لظنه أن ملاكًا يخدمه.

وحدث مرةً أن جاء الضيوف بفطائر لأجل الإخوة، فأرسل منها الأب القديس مكـاريوس (يرجح بالليديوس أنه الإسكندراني) لكل راهب نصيبه. فأمسك فالنس بالذي جاء لـه بنصـيبه

(*) غير معروف مكان هذه القصة، ولكن يشبهها ما جاء في قض٢١: ٢٠-٢٣.
(٢٥٩) س ٤ ورقة ٩٥.
(٢٦٠) س ٤ ص ٩٦.
(٢٦١) س ٤ ص ٩٧.
(٢٦٢) س ٤ ص ٩٧.

وضربه وشتمه قائلاً: "اذهب وقل لمكاريوس إنني لست أقل منك حتى ترسل لي بركة"! فعلم الأب مكاريوس أنه قد خدع وذهب إليه وقال له: "يا فالنس، لقد خدعت وتاهت بك الشياطين، فكف عن ذلك واطلب من الله أن يرحمك". فلم يصغ إليه، فانصرف من عنده حزينا.

فارتاح الشيطان لأنه ربح فالنس بحيلته، ثم تنكّر بشكل المخلص وظهر له بالليل مع جيش من شياطينه كأنهم ملائكة وهم حاملون مصابيح وقرصا (أو اسطوانة) من النار بدا فيه شكل المخلص. ثم قال له أحد الشياطين: "لقد أحبك المسيح بسبب طريقة حياتك وإخلاصك له، وجاء ليفتقدك، فاترك الآن قلايتك واختل بعيدا لكي تعاينه وتسجد إجلالاً له ثم عد إلى قلايتك"! فخرج، ولما رأى حاملي المصابيح صفًا واحدا و"ضد المسيح" نفسه أمامه خر وسجد له!

إلى هذا الحد خدع وفسد عقله حتى إنه في اليوم التالي ذهب إلى الكنيسة وقال للإخوة: "ليست لي حاجة بعد إلى التناول لأنني رأيت المسيح اليوم"! حينئذ قيده الآباء بالحديد لمدة سنة كاملة، وبصلواتهم جعلوه يتغير وحطّموا عجرفته إذ شعر أنه يعيش حياة بلا عمل، وهكذا "شفوا الضد بضده" حسب المثل المعروف.

ثم **قال بالليديوس:** "من النافع أن نلحق بهذا الكتاب (كتاب بالليديوس) سير مثل هؤلاء، تماما كما أنه توجد بين أشجار الفردوس شجرة تعطي معرفة الخير والشر، وذلك كتحذير لمن يقرأها حتى إذا عمل أي صلاح لا ينتفخ بفضائله. بل يليق بمن عنده إفراز أن يكون حذرا كل حين، فإن الفضيلة غالبا إذا لم تكمل بالقصد المستقيم والنية المتضعة تكون هي علّة سقوط الإنسان، وكثيرا ما تكون الفضائل أسبابا للسقوط: «يوجد إنسان بار يهلك ببره» (جا٧: ١٦ سبعينية)، مع أن البر ليس هو سبب الهلاك بل العجرفة"[٢٦٣].

قال شيخ: "إن جاءتك أفكار عظمة (مجد باطل) وجعلتك تفتخر، فافحص ذاتك هل حفظت الوصايا: أن تحب مبغضيك وتفرح بما هو صالح لعدوك وتحزن لحزنه، وتحسب نفسك عبدا بطّالاً، وأنك خاطئ أكثر من الكل، وأنك لا تفتخر إذا قومت كل صلاح؟ وبذلك تعلم أن هذه الأفكار تهلك وتبطل جميع الحسنات"[٢٦٤].

قال أحد الشيوخ: "لي أربعون سنة أشعر بقتال الخطية في قلبي ولم أخضع لها قط لا بشهوة ولا بغضب"[٢٦٥].

قال شيخ: "إذا مكثت في قلايتك فلا تكن مثل قبر مملوء نجاسات، بل كُن مثل معدن مملوء

(٢٦٣) س ٢ ص ٣١٢؛ Laus., 25: 6.   (٢٦٤) س ٤ ورقة ١١٤.   (٢٦٥) س ٤ ص ١٢٩.

ذهبا كريما، ولك حافظك حافظ النهار والليل التي هي قوة الرب التي تحفظ عقلك"[٢٦٦].

قال شيخ: "إن لم يحفظ الإنسان التعليم الروحي وينقّي قلبه من الأفكار الخاطئـة، فكل تعليم يسمعه ينساه ويذهب عنه، وعند ذلك يجد العدو فيه مطمعا ويسـقطه، لأن النفس مثل مصباح مضيء فإن توانيت عنه ولم تتعهده بالزيت انطفأ"[٢٦٧].

كان إنسان اسمه "ماليطون"، هذا كانت له آراء غريبة ويتجاسر على العظائم، وقد تنسك محتملاً أتعابا كثيرة متشبثًا بأهوائه إلى أبعد غاية. وقد قيل إنه تتلمذ للطوباوي "ألبانيوس" مدةً من الزمان، واصطحبه إلى طورسينا وإلى بلاد القبط (مصر)، وشاهد الأب أنطونيوس الكبير واصطحبه هو وغيره من القديسين. وقد سمع منهم أقوالاً كثيرة تتعلق بالطهارة وبخلاص النفس، وأمورا كثيرة تذكر باحتمال المصاعب وما يتعلق بمناظر الروح، وأنه يمكن للنفس إذا تنقّت كما يجب وبلغت إلى عدم الانفعال، أي إذا ألقت عنها لباس الإنسان العتيق بحفظ الوصايا، وثبتت بقوة على صحتها الطبيعية التي كانت لها سابقًا؛ فحينئذ تبلغ إلى المناظر الإلهية.

ولما سمع ماليطون كل ذلك امتلأ بالعجرفة كمن التهب بنار، ثم انفـرد في موضـع وانفصل عن الاجتماع بالآخرين وانعكف على أتعاب كثيرة، وكرس نفسه لصـلوات طويلة وطلبات لكي يحصل على ما كان يرجوه من الرؤى التي سمع ا. وكان مغرمـا بنوالها دون أن يحصل على شروطها: أي تواضع القلب والمسكنة. وجعل اعتماده علـى مواصلة الأتعاب والأصوام دون أن يذلّل ذاته أو يخضع عقله بالكامل. وهكذا فإنـه لم يفهم حيل وكمائن المحارب، ولا أصغى إلى المكتوب: «إذا فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون» (لو١٧: ١٠)، بل تعجرف في قلبه بالكبرياء والأُبهة.

فلما رأى الشيطان أنه لا يهتم بالمسكنة، وليس له غرض سوى الأمل في نوال المناظر الرؤيوية، أظهر له ذاته محاطًا بمجد عظيم ونور ساطع وقال له: "أنـا هـو البـارقليط أُرسلت الآن من الآب إليك لأمنحك شيئًا من الرؤى جزاءً لأتعابك الكثيرة هذه المـدة الطويلة. وها أنا الآن أريحك من الأتعاب والأعراق الكثيرة، لأنك أكملت زمان العمل وقد بلغ أوان الراحة". وطلب منه السجود له، ففرح جدا بما سمعه ولم يشعر بالخديعة، وللوقت خر ساجدا له!

فلما حصل العدو على السجود الذي أراده استولى عليه بالكلية وقدم له تخيلات شيطانية عوض المناظر الإلهية التي كان يشتاق إليها، وجعله يترك الأتعاب والأعراق وكأنه بلغ إلى عدم

---

(٢٦٦) س ٤ ورقة ١٥٣.

(٢٦٧) س ٤ ص ١٥٦.

الانفعال. وقال له: "إن كنت أنت قد بلغت إلى هذا الحد من عدم الأوجاع، فليست لـك حاجة بعد إلى أي تعب أو عرق جسدي"! ومن ذلك الوقت جعله إبليس مقدما للساجدين المصلّين. ولما ظهر أمره للأسقف أبعده ورذله ونفاه بعيدا(٢٦٨).

كان هناك شاب اسمه مقاره، وحدث أنه وهو يرعى الغنم ويلعب مع صديق أنه قتله بدون قصد ولم يعلم به أحد. فذهب للحال إلى البرية وترهب، وأقام ثلاث سنوات في البرد والحـر في أرض ليس فيها ماء. وبعد ذلك بنى كنيسة داخل البرية وأقام فيها خمسة وعشرين سـنة، واستحق أن تحلّ عليه نعمة الله حتى إنه قوي على الشياطين وفرح في نسك الرهبنة.

ويقول الذي سجل هذا القول: "إنني أقمت بالقرب منه زمانا، ولما صارت لي معه دالة فحصت أفكاره بخصوص خطية القتل فقال: "أقمت أياما كثيرة متعبا بسبب هذا الفكر الذي كان يلازمني نهارا وليلاً ويقلقني جدا، وأخيرا أراحني الرب من حزن القلب بسببه حتى إنني شعرت بفضل القتل الذي فعلته بغير اختياري لأنه كان سببا لخلاصي، وبنعمة الرب صرت إذا هاجمني الشياطين بفكر عظمة القلب قائلين: 'قد صرت رجلاً عظيما أكثر من جميع الرهبان'، أجيبهم قائلاً: 'والقتل الذي فعلته؟ ما أشد عذابي في الجحيم بسببه'! فينصرفون عني. ومرةً أخرى يقولون لي: 'أيها القاتل، لماذا تمكث في هذه البرية وليست لك توبة فتتعب باطلاً؟ ارجع إلى العالم وتمم مشيئتك لئلاّ يفوتك هذا وذاك'! فأقول لهم: 'الرب الذي صنع الرحمة مع عبده موسى يرحمني أنا أيضا'. وكنت أعزي نفسي بأن موسى لم يستحق أن يرى الله إلاّ بعد أن هرب من مصر إلى البرية لأنه قتل بغير اختياره"".

""ولم أقل ذلك لكي يطيب قلب أحد بالقتل، بل ليعرف الجميع أن أسبابا كـثيرة مختلفة تجتذب الناس إلى الفردوس: فواحد يهرب بسبب الفقر والاستدانة، وآخر يهرب من جور المتسلطين، وآخر بسبب زنى زوجته، وآخر من شر أسياده ... وبصفة عامـة، فإن قوما يهربون من الخوف الدنيوي، وآخرون يحبون الله ويؤثرون خلاص نفوسـهم فيصيرون رهبانا بإرادتهم"(٢٦٩).

(٣٨) الجهاد في الوحدة

كان إنسان اسمه "اسطفان" سالكًا طريق النساك سكان البرية، وأقام في الصراع والتقشف سنين عديدة، وكانت قلايته في منحدر الجبل الذي سكنه إيليا (حوريب).

(٢٦٨) س ٤ ص ١١٧؛ Laus., 31.

(٢٦٩) البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١٠٩.

وفي أواخر حياته صعد فوق الجبل في مواضع ليس فيها عزاء، وظلّ هناك مصلّيا نائحا متجملاً بجميع الفضائل. وفي مرضه الأخير، وقبل انتقاله بيوم شخص بعقله وعيناه مفتوحتين، والتفت يمينا ويسارا وكأن واحدا يحاسبه والحاضرون يسمعونه. فكان مرةً يقول: "نعم هذا صحيح". ومرةً أخرى يقول: "لا هذا كذب". ومرةً ثالثة يقول: "نعم، إلاّ أنني صمت عوض ذلك وبكيت وتعبت". وفي أمور أخرى يقول: "نعم، وليس لي ما أقوله عن ذلك، ولكن رحمة الله كثيرة". وفي أمور غيرها يقول: "لا، هذا كذب لم أفعله". وكان المنظر مبهرا ومفزعا. وعلى هذا الحال فارق الدنيا محاسبا. أما كيف كانت نهاية أمره فلم يظهرها[٢٧٠].

(٣٩) الاحتراس من الغضب

قال شيخ: "احذر من الغضب لأنه يظلم العقل ويلقي من النفس لجام مخافة الله. الغضب أبو الجنون، فمن يقبله لا يكون وديعا أمام الله. استعد كل حين أن تقبل الأتعاب والشدائد مع الضيقات الآتية عليك، ولا تصغر نفسك ويضعف قلبك فتهلك تعبك، بل اقتن لك صبرا وثبت أفكارك بقولك إن هذه إنما أتت علي بسبب خطاياي، فإذا فعلت ذلك فإن معونة الله ونعمته تدركك سريعا".

"طوبى للإنسان الذي يحفظ نفسه طاهرا من صِغره إلى كبره. طوبى لمَن له نصيب في قيامة الصديقين، فإن الملائكة تجمعه إلى أهراء (أي مخازن) الحياة التي هي أفراح ملكوت السموات"[٢٧١].

(٤٠) الإفـراز والتميـيز

قيل عن أحد الرهبان إنه كان بليغا في الإفراز والتمييز، وإنه أراد أن يسكن في قلاية منفردة ولكنه لم يجد. فخرج تائها في البرية وقابل أحد الشيوخ وأخبره بحاله. فأجابـه الشيخ: "عندي قلايتين، فاسكن في إحداهما حتى يسهل لك المسيح بقلاية"، فشـكره. ولما سكن فيها ظل يزوره بعض الرهبان لينتفعوا منه لأنه كانت له فضائل كثيرة، وتزايد عددهم. فلما رأى الشيخ صاحب القلاية ذلك حسده بوحي من الشيطان وقال لتلميذه: "كم من السنين نحن في هذا المكان ولم يقصدنا أحد من هؤلاء الرهبان، وهذا المحتال في أيام قليلة استمال الجميع إليه، فاذهب واطرده من القلاية".

(٢٧٠) س ٤ ورقة ١١٩.
(٢٧١) س ٤ ورقة ١٥١.

فذهب التلميذ وقال له: "المعلم يسلم عليك ويسأل عن صحتك وأحوالك، ويطلب منك أن تصلّي لأجله لأنه مريض. وهو يسألك إن كنت محتاجا إلى شيء". فقام الراهب وسجد لله وقال للتلميذ: "بلغه سلامي وقل له إنني بخير ببركة صـلواتك، ولـيس لي احتيـاج إلى شيء". فرجع التلميذ إلى الشيخ وقال له: "إن الراهب يقبل يديك ويطلب منك أن تصـلي لأجله وتمهله أياما قليلة حتى يجد له قلاية ويرحل من قلايتك بسلام".

فصبر ثلاثة أيام ثم أقلقه الحسد، فقال لتلميذه: "اذهب وقل لهذا الراهب المحتال: لقد صبرت أكثر من اللازم، فاخرج من القلاية". فأخذ التلميذ بركةً مما كـان في القلايـة وذهب إلى الراهب وسجد بين يديه وقال: "المعلم يسلم عليك ويطلب منك أن تأخـذ منه هذه البركة لأجل المسيح وأن تصلّي لأجله لأنه متوجع، ولولا توجعه لكان قد جاء إليك". فلما سمع الراهب ذلك دمعت عيناه وقال: "كنت أشتهي أن أذهب وأبصره". فقال له التلميذ: "لا يا أبتاه، فهو لا يحتمل أن أبا مثلك يهتم به لئلاّ يحلّ بي شر بسبب ذلك، فابق أنت وأنا أبلغه سلامك ورسالتك". ثم ودعه وخرج.

وجاء إلى الشيخ وقال له: "يا أبتاه، الراهب يقول لك: لا يصعب عليك ولا تتضايق، فهو سيخرج من قلايتك يوم الأحد". فظل الشيخ يترقب الساعات حتى يوم الأحـد، ولكـن الراهب لم يخرج. فأخذ الشيخ عصا، وهو مسبي العقل طائش الفكر، وقال لتلميذه: "تعـال معي إلى هذا الراهب المحتال، فإذا لم يخرج باختياره أطرده بهذه العصا مثل الكلب". فلما رآه تلميذه هائجا وقد سلب العدو فكره قال له: "أسألك يا أبتاه، اسمع مشورتي واجلس هنا، وأنا أسبقك إليه وأرى إن كان عنده رهبان لئلاّ إذا أبصروك على هذه الحال يطردونك عنـه ولا تنال غرضك، لكنني إذا وجدته وحده أخبرتك فنذهب إليه ونطرده". فاستصـوب الشـيخ كلام تلميذه وجلس وهو يصر بأسنانه.

ثم ذهب التلميذ إلى الراهب وسجد له كعادته وقال: "المعلم يسلّم عليك، ولما أخبرته أن جسدك ضعيف اشتعل قلبه ولم يقدر أن يصبر وجاء ليبصرك، ولكن بسبب ضعفه لم يقدر أن يأتي إليك". فلما سمع الراهب ذلك خرج للقائه بلا عباءة ولا قلسوة ولا عصا، فسبقه التلميذ إلى معلّمه وقال له: "قد ترك الراهب القلاية وها هو آتٍ ليودعك ويطلب صلواتك قبل أن يمضي بسلام". فلما سمع الشيخ هذا الكلام تذكر كلامه ومراسلاته له وانكشـفت عنه غمامة الحسد، وظل حائرا فيما يفعله وخجل من لقائه. ولشدة الحياء لم يقدر أن يرفع عينيه نحوه بل أسرع هاربا. فلما رآه التلميذ هكذا سجد له وقال: "يا أبتاه، لاق أخـاك بدون خجل فإن كل الكلام الذي قلته لي لم يصل إلى مسامعه قط"!

فلما سمع الشيخ ذلك فرح جدا والتقى بالراهب بفرح وقلب نقي، ورجع معـه إلى قلايته. فقال له الراهب: "اغفر لي يا أبتاه، لأنه كان يجب علي أنا أن آتي إليك ولكنك أنت أتعبت نفسك وجئت إلي"! .. ولما عاد الشيخ إلى قلايته سجد بين يدي تلميـذه وقال: "من الآن أنت الأب وأنا لا أستحق أن أكون تلميذًا لك، لأنك بعقلك وسلامة ضميرك وحسن إفرازك أنقذت نفسي من الفضيحة"(٢٧٢).

قيل عن راهب اسمه "نومينوس" إنه أظهر من ضبط الهوى مقدارا عظيما، وكان حابسا في قلايته سنين كثيرة. ثم تلاهت به الشياطين وهزأت به بما أظهرته له من إعلانـات وأحـلام، فتهود واختتن بعد أتعاب كثيرة وفضائل جزيلة فاق ا على جميع الإخوة.

إذ أن الشيطان لما أراد أن يخدعه أظهر له أحلاما كأ ا صادقة لكي يحسن من نفاقه ويجعله يقبل ضلاله الذي كان عتيدا أن يجلبه عليه. فأظهر له في إحدى الليالي الشعب المسيحي مع الرسل والشهداء مظلمين عابسين مفعمين من كل خزي، وأراه الشعب اليهودي مع موسى والأنبياء يتلألأ ضياءً وباشا ومستبشرا، وقال له هذا الخداع: "إن شئت أن تنال فرح وضياء هذا الشعب ود واختتن". هكذا تلاهت به الشياطين لخلوه من نعمة الإفراز(٢٧٣).

(٤١) ضرر مناقشة العقائد

وقالوا أيضا: "المناقشة في الآراء والقراءة في العقائد المختلفة والكلام في الإيمان، كل هذه تطرد من الإنسان خشوعه، أما أقوال الآباء وأخبار القديسين فهي تنير النفس وتلينها"(٢٧٤).

(٤٢) إستئصال الحقد والازدراء وعدم التفرقة بين العدو والصديق

قال أحد الآباء: "لا يوجد أفضل من هذه الوصية: ألاّ تزدري بأحدٍ من الإخوة، لأنه مكتوب: «إنذارا تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطية» (لا١٩: ١٧). فإن علمت أنّ أخاك مخطئ ولا تخبره لكي يعلم خطأه فدمه يطلَب من يديك، فإن كان بعد التوبيخ يصر على الخطية ويثبت فيها يموت بخطيته. وما أفضل التوبيخ إذا كان بمحبةٍ واتضاعٍ لا بمعيرةٍ وازدراء"(٢٧٥).

---

(٢٧٢) س ٤ ورقة ٦٩. (٢٧٣) س ٢ ص ٣١٠. (٢٧٤) س ٤ ص ٩٤. (٢٧٥) س ٤ ورقة ٧٥.

سأل أخ شيخا: "إنني أصنع ميطانية للأخ ولكن قلبي يظل واجدا (أو متحاملاً) عليه". فأجابه الشيخ: "هذا هو الحقد، وهو يتولد من الغضب كما تتولد النار من القدح. فبالميطانية عالجت الغضب، ولكنك لم تستأصل الحقد. فيجب أن تقطع الأوجاع وهي طرية صغيرة قبل أن تفرع وتتقوى فيعسر قطعها. ولماذا لا تفهم ما تقوله قدام الله في المزمور: «يا رب إلهي، إن كنت قد فعلت هذا، إن وجد ظلم في يدي، إن كافأت مسالمي شرا و سلبت مضايقي بلا سبب، فليطارد عدو نفسي وليدركها» (مز٧: ٣-٥). فإن كافأنا شرا بشر فنحن ندعو على أنفسنا لا لها، فالمكافأة تكون تارةً بالفعل وتارةً بالقول وتارةً بالفكر، وهذا هو الحقد. وقد لا يحزن من أحزنه، لكنه إذا رأى أو سمع أن غيره قد أحزنه يفرح، وقد لا يرى ذلك ولكنه يشتهي أن يراه، وهذه كلها من وجوه الحقد، وبعضها أصعب من بعض"[(٢٧٦)].

قال شيخ: "لا يدوم وجود شيء من الخطايا بالفعل في الإنسان إلاّ الحقد. فالقاتل مثلاً يكون وقت إتمام خطيته أقل جدا من وقت تركه إياها، وهكذا أيضا الزاني والسارق وغيرهما. أما الذي يحقد فهو سواء كان جالسا أو راقدا أو واقفًا أو ماشيا أو متكلّما أو ساكتا أو صائما أو آكلاً؛ ففي جميع أحواله وأوقاته يظل الحقد مباشرا لقلبه. فمثل هذا صلاته باطلة، لأنه يطلب الغفران وهو لا يغفر، وتعبه كله ضائع حتى ولو سفك دمه كالشهداء، لأن الرسول قال إن هذه كلها لا تفيد شيئًا مع عدم المحبة، ولا محبة مع الحقد (أنظر ١كو١٣)"[(٢٧٧)].

قال شيخ: "الذي يخاصمه أخوه ولا يحزن قلبه فقد تشبه بالملائكة، فإن خاصمه هو أيضا ثم عاد للوقت وصالحه فهذا هو عمل المجاهدين. أما الذي يحزن إخوته ويحزن منهم ويتمسك بالحقد في قلبه فهو مطيع للشيطان ومخالف لله، ولا يغفر الله له ذنوبه إن لم يغفر هو لإخوته"[(٢٧٨)].

قال شيخ: "لأي شيء تحزن الذي يظلمك وتبغض الذي يحزنك؟ فلم يكن هو الذي ظلمك وأحزنك، بل العدو الشيطان، فيجب عليك أن تبغض المرض ولا تبغض المريض"[(٢٧٩)].

قال شيخ: "إنه لأمر سمج أن الراهب الذي شتمه أخوه أو خسره لا يكون حبه كاملاً قبل أن يلتقي به"[(٢٨٠)].

---

(٢٧٦) س ٥ ص ١١٨. (٢٧٧) س ٤ ورقة ٩٦. (٢٧٨) س ٤ ورقة ١١٢. (٢٧٩) س ٤ ورقة ١٤٧.
(٢٨٠) س ٤ ورقة ١٥٩؛ W. & W., I: 423, 437

أخ أغضبه أخوه، ولما دخل قلايته كان يخزى من أن يصلّي بسبب الوجع المتقـد في قلبه. ولما انطرح أمام الله قائلاً: "يا سيدي، قد غفرت لأخي بكل قلبي". فللوقت جاءه صوت قائلاً له: "إذ قد تشبهت بي فصل لي بدالة"(٢٨١).

قال شيخ: "إن شئت معرفة الطريق فهي هذه: أن تعتقد في ضاربك كاعتقادك في مـن يحبك، وفي شاتمك كمن يمجدك، وفي ثالبك كمن يكرمك، وفي محزنك كمن ينيحك"(٢٨٢).

وقال آخر: "إن لم تكن الإهانة قد صارت عندك كالإكرام والخسارة كالربح والغربـة كعدم الغربة والعوز كالازدياد، فاعمل ما تريد فليس لك شيء (في هذا الطريق)"(٢٨٣).

وقال آخر: "متى لم يعتقد الإنسان أنّ ظالمه كأنه طبيب فهو يظلم نفسـه ظلمـا عظيما، لأنك يجب أن تعتبر ظالمك طبيبا ينفعك مرسلاً إليك من المسيح، ويلزمـك أن تتألم من أجل اسمه"(٢٨٤).

وقال آخر: "إن أنت قصدت الإحسان إلى الأخيار والإساءة إلى الأشرار فمـا لتـك هي مـلة قاضٍ لا عابد"(٢٨٥).

قال شيخ: "من لا يقبل الإخوة جميعا بالتساوي بل يفاضل بينهم لا يمكنه أن يكون كاملاً"(٢٨٦).

(٤٣) الفرق بين خطايا الراهب وأهل العالم

قال أحد الآباء: "الله يطيل روحه على خطايا العالم، أما خطايا أهل البراري فلا يحتملها، لأنه لا يطلب من أهل العالم ومن تخلّى عن العالم بالتساوي، لأن الذي في العالم له حجج كثيرة، أما نحن الذين قصدنا البرية وتفردنا فيها فأية حجةٍ لنا؟ بالحقيقة إنّ عقابا كثيرا ونارا ملتهبة تحلّ على العارفين بمشيئة الرب ولا يعملون بها"(٢٨٧).

(٤٤) معاملة الشر بالخير

أخبر أحد رؤساء الأديرة عن شيخ من القديسين أنه سكن قريبا من الدير، وكان ذا نفس راجحة في الصلاح. وسكن بجواره أخ راهب. وحدث أنه في غياب الشيخ طغـى الشيطان الأخ ففتح قلاية الشيخ وأخذ زنابيله وكتابه المقدس. فلما جاء الشيخ لم يجـد زنابيله ولا كتابه. فذهب إلى الأخ ليخبره بما حدث، ولما دخل عنده وجد زنابيله وكتابه

---

(٢٨١) س ٤ ورقة ١٣١. (٢٨٢) س ٤ ص ٧٦. (٢٨٣) س ٤ ص ٧٦. (٢٨٤) المرجع السابق.
(٢٨٥) س ٤ ورقة ٩٣. (٢٨٦) س ٤ ورقة ١٣١. (٢٨٧) س ٤ ص ٧٣؛ W. & W., I: 290.

لأن الأخ لم يكن قد خبأها بعد. ولأن الشيخ بمحبته لم يشأ أن يوبخه أو يخجله، فتظاهر بأن بطنه تلح عليه بدخول المرحاض، ودخل وتأخر نحو ساعة حتى يخبئ الأخ الأشـياء. ولما خرج الشيخ تكلم معه في أمر آخر ولم يوبخه.

وبعد أيام قليلة عرف أن أشياء الشيخ عند الأخ، فأخذوه إلى الحبس. ولما سمع الشيخ أنه في الحبس ولم يعرف سبب ذلك، ذهب إلى رئيس الدير وقال له: "اصنع محبةً واعطني بيضا وخبزا قليلاً". فقال له: "يبدو أن عندك اليوم ضيوفًا". فقال: "نعم". ثم ذهب الشيخ إلى الحبس ليعطي الأخ هذا الطعام لكي يجد بعض العزاء. ولما دخل ليفتقده خر الأخ عند رجليه وقال له: "يا معلّم، لقد جئت إلى هنا بسببك، لأنني أنا الذي سرقت زنابيلك، وكتابك المقدس عند فلان، وثوبك عند فلان". فقال له الشيخ: "بالحقيقة يابني، اعلم أنني لست بسبب ذلك جئت إليك في الحبس، ولا علمت بأي وجه أنك هنا بسببي. لكنني سمعت أنك محبوس فحزنت وجئت لأقدم لك ما تتعزى به، فخذ هذا الخبز والبيض من أجل محبتي".

ثم ذهب الشيخ إلى أكابر البلد وأعلمهم أن هذا الأخ بريء، وطلب منهم أن يطلقوه. ولأنه كانت له سمعة جيدة سمعوا كلامه وأطلقوه. ومكث الأخ عند الشيخ تلميذًا له بقية حياته ولم يكلمه كلمة واحدة قط(٢٨٨).

(٤٥) فعل الخير في أي موضع

قال شيخ: "إذا أراد راهب أن يصنع خيرا في موضعه ولم يقدر، فلا يظن أنه إذا غير موضعه يقدر أن يصنع ذلك الخير"(٢٨٩).

(٤٦) الأوجاع لا تتوقف على المكان

قال شيخ: "إن قاتلك وجع في موضع وتركته، أي أنك تخاف من محاربة هذا الوجع، فاعلم أنك إذا لم تغلبه حيث قاتلك فسيسبقك إلى أي موضع تذهب إليه. لأنني أعرف أخا كان يسكن في دير وهو مداوم على السكوت، وكان كل يوم يسقط في وجع الغضب. فقال في نفسه: أسكن منفردا في قلايةٍ (خارج الدير) حيث لا يوجد أحد فيكف عني هذا الوجع. فسكن منفردا في مغارةٍ. وفي أحد الأيام ملأ القلّة ماءً ووضعها على الأرض، فتدحرجت وانسكب ماؤها. فملأها مرةً ثانيةً ووضعها فسقطت أيضا. ثم

(٢٨٨) س ٤ ورقة ٧٦.

(٢٨٩) س٤ ص ٨٥.

ملأها مرةً ثالثةً ولكنها انقلبت أيضا. فغضب وأمسكها وضرب بها الأرض وكسرها. ولما رجع إلى نفسه علم أنّ الشياطين سخرت به، فقال: ها أنا قد هزمت وأنا في الوحدة، إذًا هلم أعود إلى الدير لأنه في كل موضع يحتاج الإنسان إلى جهاد وصبر ومعونة من الله. ثم رجع إلى موضعه"(٢٩٠).

(٤٧) بالتعب مع المعونة الإلهية تثمر النفس

سئل شيخ: "ما هو المكتوب: «وتبصر بني بنيك»"؟ فقال "إن ثمرة أتعاب القديسين هي بني بنيهم"(٢٩١).

قال شيخ: "من لا يقتني تعب الرهبنة فلن يقتني فضائلها، ومن لا يقتني فضائلها فلن يقتني مواهبها"(٢٩٢).

قال شيخ: "أراد رجل غني أن يعلم أولاده النشاط فقال لهم: 'تعلمون كيف أنني استغنيت، فإن أطعتموني استغنيتم مثلي'. فطلبوا أن يعرفهم ذلك. فقال لهم: 'يوجد في كل سنة يوم واحد من عمل فيه باجتهاد استغنى، إلاّ أنني لشيخوختي نسيت أي يوم هو، فلا تتوانوا أنتم في العمل كل يوم لئلاّ يفوتكم العمل في ذلك اليوم المبارك فيضيع تعبكم في السنة كلها' ". ثم قال الشيخ: "هكذا نحن أيضا، لسنا نعرف يوم وفاتنا، فإن توانينا وقت وفاتنا فاتنا مقصودنا وضاع كل تعبنا، وإن اجتهدنا حتى النهاية وجدنا ملكوت السموات"(٢٩٣).

(٤٨) إيمان الراهب بتدبير الله لكل احتياجاته

قيل عن أحد الرهبان إنه كان ليس له عمل إلاّ الصلاة بلا انقطاع، وكان في كل مساء يجد في قلايته خبزا يأكله. ثم زاره أحد الرهبان وكان معه ليف (أو سعف)، فأخذ منه وظلّ يعمل فيه بيديه. ولما حان المساء طلب خبزا ليأكل كالعادة فلم يجد، فبقي حزينا. ثم تلقّى رؤيةً قيل له فيها: "عندما كنت تعطيني كل وقتك وتعمل معي كنت أعولك، ولكنك الآن بدأت تعمل فاطلب طعامك من عمل يديك"(٢٩٤)!

قال شيخ: "إن كان راهب يعرف موضعا فيه منفعة لنفسه، وكانت احتياجات الجسد في ذلك الموضع عسيرة ولذلك يمتنع عن الذهاب إلى ذلك الموضع فهو إنسان

---

(٢٩٠) س ٤ ورقة ٨٥؛ An.,1201; W.& W.,I:377;Ch., 48. (٢٩١) س ٥ ورقة ١٢٥.
(٢٩٢) س ٤ ص ١٠٥؛ ص ١٤٦. (٢٩٣) س ٤ ورقة ١٠٩؛ W. & W., I: 390b؛ Ch., 68.
(٢٩٤) س ٤ ورقة ٦٩؛ An., 1440; W. & W., I: 130.

ليس فيه إيمان بالله"[٢٩٥].

قال شيخ: "كنت مرةً في الصعيد أسير مع رجل إسماعيلي (أي عربي قبل الإسلام)، ولما حلّ الظلام لم نستطع أن نجد مكانا نلتجئ إليه حتى الغد، وبينما كنا محتارين خائفين من الوحوش وجدنا بربة عتيقة (أي معبدا للأصنام) فدخلنا لنستريح حتى الغد. ثم رشمت علامة الصليب حولي من كل ناحية ورقدت. وفي نصف الليل سمعنا صوت خيل وصياح من أرواح شريرة. ورأيت أحدهم يجلسونه على كرسي مثل وال، ثم أمر الذين قدامه – وهم كالرقاصين – أن يدخلوا البربة حيث كنا راقدين، وأخرجوا الراقد معي وضربوه حتى أشرف على الموت، وكانوا يقولون له: "أين هو الراقد معك"؟ فقال لهم: "إنه في الموضع الذي كنت راقدا فيه".

"أما هم، فكلما أرادوا أن يدخلوا إلى مرقدي يرون علامة الصليب فيرجعون إلى الخلف ويسقطون على وجوههم. وعندما يرجعون إلى الجالس على الكرسي كانوا يعاقبون ذلك الإسماعيلي جدا ويصيحون عليه بأصوات قبيحة قائلين: "أين الذي دخل معك"؟ فيقول لهم: "إنه راقد في الداخل" ... أما أنا فصرت كالميت من الخوف، وهم كلما اقتربوا مني ورأوا علامة الصليب هربوا وسقطوا على وجوههم، وكان الجالس على الكرسي يقول لهم: "لماذا لم تحضروه"؟ فكانوا يقولون له: "إذا اقتربنا منه نرى علامة الصليب فلا نقدر أن نقف بل نهرب ونسقط على الأرض"! فيقول لهم: "اصعدوا إلى الهواء وانزلوا عليه من فوق وأتوني به". فكانوا عندما يأتون إلي يرون العلامة على رأسي فيهربون. ومكثت في هذا الانزعاج الشديد حتى أشرق النور حيث ذهبوا خائبين تاركين هذا الرجل وقد اقترب من الموت. وتعجبت إذ لم يقدروا أن يدنوا مني وقلت: 'سبحان السيد المسيح صاحب العلامة'"!

"أما الرجل الذي ضربوه فقد تعجب مني لما رآني وقال: "لماذا لم يقدروا أن يضربوك وضربوني أنا"؟ فأخبرته عن علامة الصليب التي لربنا يسوع المسيح، فلما سمع ذلك ذهب وتعمد وصار مسيحيا مختارا وأكمل عمره وهو لابس السلاح والمثال الذي لربنا يسوع المسيح"[٢٩٦].

(٤٩) سمو مرتبة الرهبان

قال أحد الشيوخ: "لا توجد تحت السماء أمةٌ مثل المسيحيين إذا أكملوا نواميسهم، ولا توجد مرتبةٌ جليلةٌ مثل مرتبة الرهبان إذا حفظوا طقوسهم. ولذلك فإن الشياطين

---

(٢٩٥) س ٤ ص ١٤٩.

(٢٩٦) البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١١٩.

بسبب حسدهم يحاربو م بكل أنواع الرزيلة، ويجعلو م يغمضون أعينهم عن خطاياهم ويوبخون خطايا غيرهم لكي يبعدوا عنهم السلام ويلقوا بالشرور بينهم. فنسأل الـرب الإله أن يمزق شباكهم عنا ويخلصنا من أيديهم" [٢٩٧].

قال شيخ: "إنني رأيت قوة النعمة الإلهية الحالّة في عماد الأنوار (سر المعمودية) هي نفسها حالّة وقت التسربل بالزي الإسكيمي. ولذلك فإن الذي يطرح عنه زي الرهبنة لا نصيب له مع المؤمنين، بل إنه يحسب مع جاحدي الإيمان ويعاقَب إن لم يتـب إلى الله توبةً بالحق من كل قلبه" [٢٩٨].

(٥٠) نصائح متنوعة

قال شيخ: "إن لفظت لإنسان بكلمة ولم يحس، فلا تتب إليه ولا تعطه ميطانية ولا تقلق الأخ" [٢٩٩].

وقال أيضا: "إن فعلت شيئًا وسط الجميع وعلمت أنه يسبب سجسا، فاسـتره ولا تتوسع بخصوصه لكي يعبر بغير قلق" [٣٠٠].

قال قديس: "متى أحزنك أحد في شيء فلا تنطق البتة إلى أن تسكن قلبك بالصلاة، ثم بعد ذلك استعطفه" [٣٠١].

وقال أيضا: "من لا يضر ذاته لا يضره إنسان" [٣٠٢].

وقال أيضا: "الفضيلة تريد منا أن نزيدها ليس إلاّ" [٣٠٣].

قال راهب: "لا تذم العمل الصالح لئلا يحل الكسل على فاعله، ولئلا يجهلـه غـير العارف ولا يعرف قيمته فلا يهتم بعمله هو أيضا. ولكن إن لم تمدح كثيرا فلا أقل مـن أن تقول: "جيد" أو: "حسنا فعلت". وعن الرديء تقول: "هذا ليس جيد فلا تفعلـه"، وذلك لكي ينتبه الأخ ولا يدوم في غفلته" [٣٠٤].

وقال أيضا: "إذا حزن إنسان واضطرب ولم يتكلم فهو مبتدئ في الفضـيلة، أمـا الكامل فهو لا يضطرب أصلاً كما يقول النبي: "اعتدي علي ولم أضـطرب" (حسـب النص). ليتنا نكون من المبتدئين لنستمد من الله معونته" [٣٠٥].

---

(٢٩٧) س ٤ ص ٩٣. (٢٩٨) س ٤ ورقة ١١١. (٢٩٩) س ٢ ص ٢٤٠. (٣٠٠) س ٢ ص ٢٤٠.
(٣٠١) س ٤ ص ٩٤. (٣٠٢) المرجع السابق. (٣٠٣) المرجع السابق. (٣٠٤) س ٤ ورقة ٩٤.
(٣٠٥) س ٤ ص ٩٤.

وقال أيضا: "كما أن الأرض لا تنبت وحدها بدون بذار وتفليح ومطر سمائي وحراسة ما يمكن حراسته من البهائم والطيور ومعونة من الله على ما لا يقدر الإنسان أن يتقي شره مثل الدود والجراد وريح السموم؛ هكذا النفس، فهي لا تثمر فضائل بدون تعليم وتعب كثير ومعونة إلهية واحتراس من الأعداء بقدر طاقة الإنسان، ثم التضرع إلى الله طلبا لمؤازرته على ما تعجز قدرته عنه"(٣٠٦).

سئل شيخ: "ما هي الطريق الضيقة الضاغطة"؟ فقال: "هي أن تضبط أفكارك وإرادتك لأجل الرب وألاّ تتعلّق بشيء مما لهذا العالم"(٣٠٧).

قال شيخ: "إن العلماء الأشحاء (أي الفارغين) المتكبرين يشبهون ينبوعا فيه ثعابين، فلا يقدر أحد أن يشرب منه، لأن الذي تكون أعماله ناطقة بهذه الصفات يكون كلامه بالأكثر غير مقبول. ولهذا طلب الطوباوي داود من الله قائلاً: «صلاحا وأدبا ومعرفةً علمني»، لأن الصلاح بغير معرفة باطل، وكذلك العلم بدون صلاح باطلٌ هو"(٣٠٨).

قال شيخ: "لا تدع لسانك يخلو من التسبيح، وإذا تصرفت جيدا في تدبير قلايتك فإن الأفكار الرديئة تنقطع عنك ولا يجد العدو سبيلاً لما يجعله يخطر ببالك فيبتعد منك"(٣٠٩).

قال راهب: "الذي يمكث في طاعة أب روحاني هو أكثر أجرا وأقل خطرا من الذي يعيش في الوحدة والسكون. طريق الخلاص هو أن يأتي الراهب بالملامة على نفسه. الصمت في جميع الأمور هو الغربة، والغربة الحقيقية هي الصمت، والذي يريد الخلاص يحتمل الظلم ويصبر على الإهانة والخسارة الجسدانية"(٣١٠).

قال شيخ: "كل صغير يطرح كلمته في وسط شيوخ أكبر منه يشبه إنسانا يطرح نارا في حجر أخيه"(٣١١).

قال أحد الشيوخ: "أدبوا الأحداث يا إخوة قبل أن يؤدبوكم"(٣١٢)!

قال شيخ: "كل من يسكن في موضع ولا تكون له فيه ثمرة صالحة فإن الموضع يطرده"(٣١٣).

قال شيخ: "الله يطالب الإنسان بثلاثة أمور: العقل والكلام الروحاني والعمل به. الحسد الباطل يتولد من ثلاثة أمور: طلب التعليم، وطلب الاتساع في الأشياء، وطلب الأخذ والعطاء. ثلاثة أمور تسبق كل خطية: الغفلة والنسيان والشهوة"(٣١٤).

---

(٣٠٦) س ٤ ص ٩٥. (٣٠٧) س ٤ ص٩٦. (٣٠٨) المرجع السابق. (٣٠٩) س ٤ ورقة ٩٦.
(٣١٠) المرجع السابق. (٣١١) س ٤ ص ٩٧. (٣١٢) المرجع السابق. (٣١٣) المرجع السابق.
(٣١٤) س ٤ ورقة ١٠١.

قال شيخ: "يجب أن نشكر الله على الأوجاع الجسدانية، فإن الرسول يقـول: «إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوما» (٢كو٤: ١٦). فلـن نشـارك المسيح في مجده إلاّ إذا شاركناه في أوجاعه، ولا نقدر أن نشاركه في أوجاعه إلاّ بالصبر على الشدائد. والشكر في الشدة ينفع في الخلاص منها، وينبغي ألاّ نرغب في راحة هذا العالم لئلاّ يقال لنا: "قد استوفيت خيراتك في حياتك"".

"لا تظن أنك أكملت شيئًا من الخير فيحفَظ لك أجر برك. لا تحسب نفسك شـيئًا فتظل أفكارك هادئة. الشياطين يخفون شرهم وراءهم، ونورهم آخره ظلام، فلا تعمل شيئًا بدون مشورة الآباء العارفين بقتالهم. إلزم الصلاة في التجارب فإن الرب قال إنـه ينتقم لعبيده الصارخين إليه".

"ينبغي على المجاهد أن يبتعد من كل امتلاء حتى من الخبز والماء، وأن يجمع عقله في صلاته ليكمل قربانه الروحاني ويتذكر خطاياه دائما ويحزن بسببها، وأن يكون كل ما يعمله ويقوله من أجل مجد الله لا من أجل مجد الناس، وأن يتفقد تدبيره دائما لكي لا تكون سكناه في البرية على غير منهج الرهبنة، فقد سكن في البرية كثير من اللصوص، وهي مأوى للوحوش والطيور المؤذية، أما الراهب فهو يسكنها هربا من سجس العالم الذي يشغل الإنسان عن عبـادة الله الكاملة. وينبغي عليه أن يصبر في البلايا، ويغصب نفسه في كل شيء، وأن يقدم حـب الله على حب القريب وحب القريب على حب نفسه وحب نفسه على حب كل ما عداها، وأن يكون له إيمان قوي بالله ورجاء واتضاع وإمساك وصمت وصلاة دائمة، و يتهاون بالأرضيات وتذكر الموت والمجازاة، وقراءة في الكتب، وتمييز في الأمور، وحفظ العقل والقلب، وطاعـة للآباء والوصايا من أجل الله"[(٣١٥)].

قال شيخ: "يسمى الإنسان راهبا من جهتين: **الأولى:** أن يكون مبتعدا عن منـاظر النساء رافضا العالم وكل ما فيه غير مهتم بشيء البتة. **والثانية:** أن يكون منقّيا عقله من الأوجاع متحدا بالرب وحده. وبذلك يكون مثمرا بثمر الروح الذي هو الحب والفرح والسلام والخيرية وطول الروح والإيمان والمودة والوداعة والإمساك (أي ضبط اللسان). ومن كان هكذا فلا ناموس يقاومه، فبقدر ما تكون همّة الإنسان ملازمة لله بلا طياشـة تكون نعمة الله متضاعفة عليه. وبقدر ما نتقرب إليه يهتم هو بنا. وبقدر ما نبتعد عنـه بهمتنا بقدر ما يبتعد هو منا، لأنه جعل الاختيار لنا في ذلك. وهو خلق نفس الإنسـان

(٣١٥) س ٤ ورقة ١٠٣.

على صورته، فهي بطبعها تحبه وتشتاق إليه. ولأنها روحانية فهي تشتاق إلى الأمور الروحانية المناسبة لها. أما الجسد فقد خلقه من الأرض، فهو يحب الأرضيات وإليها يميل بطبعه. والشيطان بتحريك الشهوات الجسدية يجذب النفس إلى الأمور الأرضية".

"فينبغي على الراهب أن يكون له إفراز ويطلب من الله الهداية والمعونة حتى لا ينخدع، ويعتمد عليه بإيمان تام، لأنه بغير معونة من الله لا يقدر أن يناصب الشيطان أو يبتعد من الأفكار الرديئة. لكنه إذا سلّم نفسه لله ولازم الصلاة، فإن الله حينئذ يملك على نفسه ويعمل فيه بما يهواه ويكمل فيه وصاياه. والذي يعلم أنه لا يقدر أن يعمل شيئًا بدون الله، عليه ألاّ يفتخر كأنه عمل شيئًا؛ بل يشكر الله الذي عمل فيه".

"والشيطان إذا رأى إنسانا مجاهدا يحرك عليه الأوجاع الخبيثة، وقد يفسح الله له المجال في ذلك حتى لا يتعظم المجاهد، وحتى يلتصق بالله بالصلاة الدائمة. وإذا عرف ضعفه فإن الله يبطل عنه الأوجاع الخبيثة ويجعل نفسه في هدوء وسلام"[٣١٦].

قال شيخ: "كما أنه إذا ترك إنسان المملكة وترهب يمدح من كل العقلاء والفضلاء، لأن الرهبنة أفضل مما تركه إذ هي توصل إلى المملكة السمائية الدائمة؛ هكذا إذا ترك الإنسان الرهبنة وصار ملكًا، فإنه يذم من كل الفضلاء"[٣١٧].

سكن شيخ مع إخوة، وكان يطلب منهم الشغل مرةً واحدةً، فإذا لم يفعلوا كان يقوم هو ويعمله بدون غيظ[٣١٨].

قيل إن أحد الرهبان كان يعمل في عيد شهيد، فرآه راهب آخر وقال له: "أيجوز العمل اليوم"؟ فأجابه: "في مثل هذا اليوم عوقب الشهيد فلان وجلد وتجشم أعراقًا كثيرة حتى الموت، أفلا ينبغي أن أتعب أنا ولو قليلاً في عمل يدي"[٣١٩]؟!

قيل إن إنسانا غنيا جاء إلى الأسقيط بعد رجوعه من غربة، وأعطى لكل راهب دينارا صدقةً، كما أرسل بركةً للرهبان الملازمين لقلاليهم. فرأى أحدهم في تلك الليلة حقلاً مملوءًا بالأشواك، وإنسانا يقول له: "أخرج ونظف حقل الذي أعطاك الأجرة". فلما قام في الصباح أرسل الدينار لصاحبه قائلاً له: "خذ دينارك، لأنه ليست لي قدرة أن أحصد أشواك غيري، ليتني أستطيع أن أقتلع أشواك حقلي"[٣٢٠].

قيل إن ثلاثة من الإخوة زاروا شيخا، فقال له الأول: "يا معلم، لقد كتبت لنفسي العتيقة

(٣١٦) س ٤ ص ١٠٥. (٣١٧) س ٤ ص ١٠٦. (٣١٨) س ٤ ورقة ٩٥. (٣١٩) س ٢ ص ١٦٧.
(٣٢٠) س ٢ ص ١٩١.

والحديثة (أي العهدين)". فقال له الشيخ: "قد ملأت طاقات قلايتك ورقًا". وقال له الثاني: "إنني حفظت العتيقة والحديثة في صدري". فقال له: "قد ملأت الهواء كلاما". وقال لـه الثالث: "قد نبت الحشيش في موقدتي". فقال له: "قد أبعدت عنك محبة الغرباء"(٣٢١).

قيل إن أخا سمع عن أخبار القديسين فظن أنه يمكنه أن يقتني فضائلهم بدون تعـب. فسأل شيخا كبيرا فقال له: "إن أردت أن تقتني فضائل القديسين فاعتبر نفسك مثـل صبي يكتب كل يوم فصلاً من معلمه، وإذا حفظه كتب غيره، وهكذا افعل أنت: قاتل بطنك هذه السنة بالجوع، فإذا أتقنت ذلك قاتل السبح الباطل لكي تبغضه كعدو، وإذا تقويت عليهما فاحرص أن تزهد في أمور الدنيا وتطرح همّك على الله. وتأكّد أنـك إذا قومت هذه كلها ستلاقي المسيح بدالة كثيرة"(٣٢٢).

سأل أخ شيخا: "ما هي فلاحة النفس حتى تثمر"؟ فأجابه قائلاً: "فلاحة الـنفس هي السكوت وضبط الهوى وتعب الجسد والصلاة الدائمة والامتناع عن معاينـة زلات الناس بل عيوبه وهفواته هو وحده. فمتى ثبت الإنسان في هذه الفضائل لا تتأخر نفسه عن النجاح والنمو حتى تثمر"(٣٢٣).

سأل أخ شيخا: "كيف أننا نتعب جدا في النسك ولا ننال مواهب مثل الأولين"؟ فقال له الشيخ: "كان الحب في ذلك الزمان كثير وكل واحد يجر رفيقه إلى فوق، أما في هذا الزمان فقد قل الحب وصار كل واحد يجر رفيقه إلى أسفل، ولذلك فنحن لا ننال المواهب"(٣٢٤).

قال شيخ: "جيد أن يوجد اسمك مكتوبا في بيوت المساكين والأرامـل والضـعفاء أفضل من أن يوجد مكتوبا في بيوت باعة الخمر. وجيد أن يكون فمك منتن الرائحـة بسبب شدة الصوم أفضل من أن تكون رائحته خمر"(٣٢٥).

قال شيخ: "عندما تقوم باكر كل يوم ضع أمامك أمرا يجلب الصـلاح، واحفـظ وصايا الله بطول روح، بمخافة الله، بالصبر على الأحزان، بالحبس، بالصلوات، بالتنهد، بضبط اللسان، بحفظ العينين، بقلة الغضب، وألاّ تجازي شرا بشر، وألاّ تنظـر في زلاّت الآخرين، وألاّ تحسب نفسك شيئًا، بأن تجعل فكرك تحت الخليقة كلها، بجهاد الصليب، بالتوبة والبكاء، بسهر الليالي، بصبر صالح، بالجوع والعطش؛ وذلك لكي تستحق الدعوة السمائية بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له ا لمجد"(٣٢٦).

---

(٣٢١) س ٢ ص ٢٤٨. (٣٢٢) س ٤ ورقة ١٠٦. (٣٢٣) س ٤ ورقة ١٠٦؛ ورقة ١٦٦.
(٣٢٤) س ٤ ورقة ١٢٠. (٣٢٥) س ٤ ورقة ١٢٠. (٣٢٦) س ٤ ص ١٣٠.

قال شيخ: "الشاب الذي يتنزّه كثيرا يصير سيفًا لنفسه"(٣٢٧).

قال شيخ: "إذا كان الشاب لا ينام وهو جالس، طالما أن له استطاعة في جسده، فهو عاجز مقصر. والشاب الذي يرقد على ظهره بلا هم يوقظ الأوجاع المخزية في جسده. والشاب الذي يحب الراحة لا يفلت من الخطية. الشاب الكسلان لا يقتني شيئًا من الفضائل"(٣٢٨).

قال أحد الآباء: "قال لي راهب: 'قف لي لأجل الله لأنني أجري خلفك'. فقلت له: 'وأنا من أجل الله أهرب منك'"(٣٢٩).

سئل أحد الآباء: "متى يثق الإنسان أنه استحق وأهل لمغفرة الخطايا"؟ فأجاب: "إذا شعر في نفسه أنه أبغضها تماما من كل قلبه، وفعل ما هو ضدها في الظاهر والخفاء، والذي هو كذلك يثق في مغفرة خطاياه من الله بشهادة ضميره التي اقتناها في نفسه حسب قول الرسول، لأن القلب الذي لا لوم فيه هو الشاهد على نفسه"(٣٣٠).

التقى سائح بسائح في **برية سيناء فسأله:** "بماذا يكون الخلاص"؟ فقال: "بالمعرفة بحقائق الأمور والعمل بحسب الحق". فقال له: "من لا يعرف لا يخلص"؟ قال: "لا". فقال: "وما هي المعرفة"؟ فأجاب: "أن يعرف العبد حقيقة خالقه ومم خلقه، وماذا يكون مصيره. فإذا عرف ذلك لا يعصاه بل يعمل على إرضائه طوال حياته". فقال: "صدقت". ثم انصرف(٣٣١).

قال شيخ: "الذي يحتقر نفسه من أجل الرب، فإن الرب يهب له الحكمة والمعرفة. إننا لا نحتاج إلاّ إلى قلب حريص. طوبى لمن يصبر بشكر على هذه الثلاثة: ألاّ يأكل حتى يجوع، ولا ينام حتى ينعس، ولا يتكلم حتى يسأل"(٣٣٢).

قال شيخ: "إن كان راهب حريصا مجاهدا بالحقيقة، فإن الله يشاء ألاّ يكون مرتبطًا قط بشيء من متاع هذه الدنيا حتى ولا إبرة صغيرة، لئلاّ يتشتت فكره عن ذكر ربنا يسوع المسيح وتشغله عن اللجاجة بالتوبة عن خطاياه".

"كل إنسان ذاق حلاوة المسكنة فهو يستثقل الثوب الذي يلبسه والكوب الذي يشرب به الماء، لأن عقله يكون قد انشغل بأشياء أخرى روحانية. الذي لم يبغض بعد متاع الدنيا كيف يقدر أن يبغض نفسه كما قال السيد"(٣٣٣)؟!

---

(٣٢٧) س ٤ ص ١٣٦. (٣٢٨) س ٤ ص ١٣٦. (٣٢٩) س ٤ ورقة ١٣٦. (٣٣٠) المرجع السابق.
(٣٣١) س ٤ ص ١٣٧. (٣٣٢) س ٤ ورقة ١٣٧؛ W. & W., I: 532. (٣٣٣) س ٤ ورقة ١٣٨.

قال شيخ: "اقتن السكوت بمعرفة. اهتم بالله ولا تهتم بشيء أرضي، وافحص أمورك في قيامك وفي جلوسك. استند على الله، ومن جهة المنافقين لا تفزع"(٣٣٤).

قال أحد الشيوخ: "ينبغي على المجاهد أن يبغض كل مفرحات العالم ويقاتل الأوجاع واللذات، وتكون حياته دائما بالتحفظ، ويطلب محبة الله ورضاه، ويكون دائما حذرا من عاداته القديمة مبتعدا منها، ليس الأفعال الرديئة وحدها بل وكل الاهتمامات الجسدية والكلام والسمع، ويبتعد أيضا من الشبع ليس من الأطعمة والمشروبات اللذيذة وحدها، بل أيضا من الخبز والماء وكل امتلاء للبطن، ويكون أكله بمقدار. وفي وقت الصلاة يجمع عقله كمن هو قائم بين يدي الله، لأنه في ذلك الوقت يحتاج أن يجمع فكره لله بلا طياشة، ويتمم ذبيحته وخدمته الروحانية، ولا يغفل عن ذكر الرب والتزمير أبدا، لأن النفس بهذا تنعتق من الأفكار الرديئة. وليبتعد من كل حديث ونظر وعمل ليس فيه ربح، وكل ما يعمله ويتكلم به يكون لتسبيح الله لا لمراءاة الناس، ولا يفرح بفرح الناس ولا يسر بكثرة القنية"(٣٣٥).

قال شيخ: "سيرة الراهب هي هذه: الطاعة، الهذيذ في ناموس الله نهارا وليلاً، لا يدين، لا يغضب، لا يظلم، لا يبصر بعينيه شرا، لا يبحث عن عيوب الناس، لا يسمع بأذنيه نقص الآخرين، لا يخطف بيديه، لا يستكبر في قلبه، لا يملأ بطنه، لا يفتكر أفكارا سيئة، ولا تكون له دالّة ومزاح مع أحد، ويتمم أعماله بمعرفة، ويجعل باله في خطاياه، ويطلب من الله أن يهب له نوحا واتضاعا حقيقيا، ولا تكون له دالّة مع صبي، ولا اختلاط بإمرأة، وإن كلّمه إنسان فلا يلاجه، فهكذا يكون ساكنا هادئًا ومسكنا للروح القدس"(٣٣٦).

قال أحد الشيوخ لتلاميذه عند خروج نفسه: "لا تشتهوا متاع الدنيا فتزدادون متاعا كثيرا. لا تبغضوا أحدا فتكونون محبوبين من الله. لا تدينوا أحدا فتتقووا ضد كل أوجاع الشياطين. تحفّظوا من كل شيء تكون فيه ملذات العالم التي تحرك الجسد بواسطة الفكر. وليكن الجسد دائما هادئًا ومحفوظًا من الحركات الشيطانية"(٣٣٧).

قال شيخ: "لا تكتم أفكارك الشريرة وخطاياك القديمة، فإذا وجد فيك الشيطان هوى واحدا مكتوما ففيه يطرحك، لأن الشيطان ليست له قوة أن يجبر إنسانا على فعل الخطية، ولكنه إذا رأى أن هواه مائلاً إلى شيء من الخطية ففيه يطرحه، وإذا رآه متحفظًا

---

(٣٣٤) س ٤ ورقة ١٤٥. (٣٣٥) س ٤ ورقة ١٤٥. (٣٣٦) س ٤ ص ١٤٦. (٣٣٧) س ٤ ص ١٤٨.

ويشاور في أموره كلها ويطيع ما يشار إليه فلا يقوى عليه في شيء قط".

وكان يقول: "إنني لا أعرف للراهب سقطة إلاّ إذا تصرف حسب هواه، فإذا رأيت راهبا قد سقط فاعلم أنه سقط هواه لأنه تصرف حسب رأيه"[٣٣٨].

قال أحد القديسين: "سلّم إلينا الآباء هذا الطريق: أن نعمل بأيدينا، ونلازم الصمت، ونبكي بسبب خطايانا"[٣٣٩].

قيل عن الرهبان المصريين إنهم كانوا إذا عرفوا الناس بسر عملهم فما كانوا يعتبرون ذلك فضيلةً بل خطية[٣٤٠].

قال شيخ: "الذي يريد الاختصاص بالملك لا يفعل أمور السوقة والعوام، والذي يختار المقام في معركة الأبطال لا يفعل أمور الصبيان والأطفال"[٣٤١].

وقال أيضا: "الذي يلاقي الناس يجب أن يكون بوجهه باشا، أما بقلبه فيتنهد"[٣٤٢].

قال شيخ: "ليكن اهتمامك في ملكوت السموات وأنت سريعا تخلص وترثها"[٣٤٣].

قال راهب لشيخ: "لي ثلاثون سنة لم آكل لحما". فقال له الشيخ: "هل لك ثلاثون سنة لم تخرج من فمك لعنة مما نهاك الله عنها"؟ فلما سمع الأخ قال: "بالحقيقة هذه هي العبادة المرضية لله"[٣٤٤].

رأى شيخ أخا يضحك، فقال له: "لا تضحك يا أخي لئلاّ تبعد عنك الطوبى التي أعطاها الرب للحزانى"[٣٤٥].

قال شيخ: "من يخاف من مرض الجسد فقد انعدمت منه الفضيلة، وإذا عتق من الآلام تماما يسير بغير مانع. القلب النقي يرى جميع الناس أطهارا وهو النجس وحده. الزم الشيوخ الروحانيين وتعلّم من سيرهم، وابتعد من الأحداث والصبيان. أحب السهر فإنه ينير العقل. لا تظن في نفسك أنه يمكنك أن تنال سيرة فاضلة أو خلاصا لنفسك بغير تعب. لا تضعف عن مقاومة التجارب التي تصادفك بل اطلب المعونة من الله. لقد سمعنا الله يقول: 'أنا معكم'، فلا تفزع. وقد تحققنا أننا ليس بقوتنا نقاتل بل بقوة الله الذي ألبسنا سلاح الظفر وأعطانا الروح القدس".

"الضجر إنما يحل بنا لأن خوف الله لم ينغرس بعد في فكرنا، ولا نسينا إلى الآن أكل خبزنا

(٣٣٨) س ٤ ورقة ١٤٨. (٣٣٩) س ٤ ص ٦٢. (٣٤٠) س ٤ ورقة ١٤٩. (٣٤١) س ٤ ورقة ١٥٣.
(٣٤٢) س ٤ ورقة ١٥٣. (٣٤٣) س ٤ ص ١٥٦. (٣٤٤) س ٤ ص ١٥٩. (٣٤٥) س ٤ ورقة ١٥٩.

من صوت تنهدنا، فحب الجسد لا يدع عقولنا تسير إلى فوق. إذا لم تتحرك الأوجاع على الإنسان فلن يكون مجربا. النسيان هو هلاك النفوس، وهو يأتي من التهاون".

"تحفّظ من النظر والحديث فإ ما من أسباب الخطية. النوح يغسل الخطايا وبتعب كثير نصل إليه لأنه لا يأتي البكاء إلاّ بكثرة الهذيذ بذكر الموت والدينونة الرهيبة والعذاب الدهري، وأن تكفر بنفسك وتقطع هواك وتحمل الصليب"(٣٤٦).

قال شيخ: "الدالة والمزاح والضحك تشبه نارا تشتعل في قصب وتهلك"(٣٤٧).

عبر راهب براهب فقال له: "ما هو تمام الحكمة"؟ فأجابه: "ليس بحكيم تماما من فرح بشيء من لذّات هذه الدنيا أو حزن لشيء من مصائبها واغتم منه، إنما الحكيم التام هو الذي لا يفرحه السرور ولا يحزنه الضرر، بل يكون عارفًا بما ينتهي إليه كل شيء"(٣٤٨).

قال أخ: "إنني قلت لتلميذ أنبا بفنوتيوس تلميذ الأب مكاريوس الكبير: 'قل لي كلمة يا أبي لكي أحيا ا'. فقال لي: 'احفظ القناة التي تجري إلى مزرعتك'. فقلت له: 'ما معنى هذا'؟ فقال لي: 'القناة هي فمك، فإذا لم تحفظه لا تثمر نفسك'. فقلت: 'كيف أحفظه'؟ فقال: 'إذا لم تسكن مع فلاح فمن أين تعرف ما تشتمل عليه الفلاحة من حرث وبذر وحفظ وري وحصاد وغيره'؟ فقلت: 'ما معنى هذا'؟ قال: 'إذا لم تسكن مع شيخ مجرب حتى يعلمك الرهبنة فمن أين تتعلمها إذا انتقلت من مكان إلى آخر أو انفردت وحدك أو صرت أبا قبلما يتوجب لك ذلك من الله؟ فإنك تقيم كل زمانك ولا تعرف أن تحصد ثمر الفضيلة، بل تضيع الزرع الذي هو تعليم طريق الله'.

'فيجب أن تسكن مع شيخك حتى تنال منه البركة الأخيرة، مثل إليشع الذي ثبت مع إيليا حتى رفع إلى السماء فباركه وتضاعفت روحه عليه. ومثل تلميذي أنطونيوس اللذان سكنا مع الشيخ حتى طرح الجسد وبارك عليهما البركة الأخيرة، فحلّ عليهما روح الله وصارا راعيين صالحين. ويوحنا (القصير) سكن مع بمويه (أموي) أبيه حتى فارق جسده فسلمه للشيوخ قائلاً: "هذا ملاك وليس إنسان". ويوحنا تلميذ أنبا "بلاّ" أطاع أباه فأحضر الضبعة مربوطة. وتلميذ آخر لشيخ كان يمشي مع متوحد فجاءا إلى ر فيه تماسيح، وعبر التلميذ المطيع بينها ولم يستطع المتوحد أن يعبر، فقال الشيوخ إن الذي كانت له طاعة كان أعلى من المتوحد. وتلميذ آخر كان طائعا للأب مكاريوس، وكان قد أرسله أبوه إلى مصر فسقط في تجربة، فقال: "يا إله أبي أنقذني"، ولوقته وجد

(٣٤٦) س ٤ ص ١٦٣. (٣٤٧) س ٤ ص ١٦٥؛ W. & W., I: 283. (٣٤٨) س ٤ ورقة ١٦٥.

نفسه يمشي في طريق الأسقيط’.

’وقد كُتب: ابذر زرعك وقت الصباح ولا تبطل زرعك إلى وقت المساء، أي داوم على الصلاح الذي ابتدأت به إلى وقت وفاتك، وانظر إلى ما أصاب الذين تركوا آباءهم: كيف ترك عيسو والده واختلط بالأمم فرذله الله. وجيحزي لم يطع إليشع فأصابه البرص. والتلاميذ الذين رجعوا إلى خلف وتركوا صحبة الرب قد أهلكوا ذوا م. ويوحنا تلميذ الأب مكاريوس لم يطع أباه فأصابه الجذام. ها أنا قد أخبرتك بطريقي الحياة والموت، فإذا دخلت من الباب الضيق الذي هو طاعتك لأبيك تصل إلى الحياة الأبدية، وإن سلكت في الباب الواسع الذي هو أهواء قلبك تصل إلى الهلاك’“.

فقلت له: ”يا أبتاه، لقد جاء إخوة إلى أبي ولا أقدر أن أسكن معهم“. فقال لي: ”لو كان عندك اتضاع لكنت تسكن مع الوحوش فكم بالحري مع الإخوة؟ واسمع قول داود النبي: «ما أحسن وأحلا أن يسكن الإخوة معا»“!

فقلت له: ”يا أبي، إنني أريد أن أصير شهيدا“. فقال لي: ”إن خالفت أباك فأنت تتعب ولا تصير شهيدا، فإن شيخا قال لتلميذه في زمان الاضطهاد: يا بني، لعلك تريد أن تصير شهيدا، فاذهب. وكان الأخ يريد ذلك ولكنه لم يطع هواه بل قال: حتى لو صرت فوق رتبة الشهداء فبركتك لي كل يوم أفضل يا أبي. فلما رأى الله أمانته في شيخه أرسل له صوتا يقول: لأنك أطعت أباك فإنني أعطيك إكليل الشهداء وأجعلك في رتبة جماعة القديسين. أما الذين تركوا آباءهم في الله قائلين: إننا نتوحد ونصوم و رب من الناس، فانخدعوا من الشيطان ولم يتوحدوا ولا صاموا ولا هربوا من الناس، بل تنقلوا بين الأديرة والمدن والقرى، وزينوا ملابسهم، ففرح م الشيطان لأ م قبلوا خداعه فهزأ م“.

فقلت له: ”لقد ربحت منك يا أبي وأريد أن أسكن معك في حياتي“. فقال لي: ”أما أن أباك حي“؟ فقلت: ”نعم“. فقال لي: ”هذا عدم أدب، فإن من ليس له أب فأنا أقبله. وذلك لئلاّ تكون أنت قد أفسدت بنوتك وأكون أنا قد بلبلت قانون الرهبنة. وآباؤنا كانوا يحفظون ضمير بعضهم بعضا، وبغير طاعة لم ينجح أحد“.

فقلت: ”يا أبي، ماذا أفعل حتى أكمل الطاعة“؟ فقال لي: ”اسمع: قد سمعت أنا عن رجلين أُعطى كل منهما سبعة أفدنة قمح ليحصدها في يوم واحد، فلما رأى أحدهما الأفدنة قال: من من الناس يقدر أن يحصد هذه في يوم واحد؟ فلما أُحبط ذهب ولم

يحصد شيئًا. والآخر قال: أنا أعمل بقدر قوتي ولا أبطل الأمر. فمن منهما أرضى سيده"؟ فقلت: "الذي عمل بقدر قوته". فقال لي: "اذهب أنت واعمل بقدر طاقتك، وأنا أومن أنك في الملكوت تحسب مع الذين أكملوا الطاعة".

ثم قال: "إن الخروف الثابت في المراح (الحظيرة) محروس، أما الذي يترك مراحه ويذهب إلى قطيع آخر فإنه يبقى وحشيا، ولا يسلم من ذئب أو لص؛ وهكذا الراهب الذي يترك ديره، فيشبه أيضا حمارا سائبا وكل من يجده يركبه فيعقَر، وليس له صاحب يعتني به فيهلك من الجوع والتعب والجراح؛ وهكذا الراهب الذي يترك ديره وأباه وإخوته ويسكن عند آخرين، فإ م يرسلونه إلى هنا وهناك فيسقط في الزنى ويهلك ولا يجد من ينهضه، فمن هو الذي يترك العناية بأولاده ويهتم بأولاد غيره؟! وقد قال أبي إن المفترقين يتعبدون كل واحد بحسب هواه وإرادته، وأما الذي يطيع أباه من أجل المسيح فقد قطع مشيئته لأجل الله وهو أفضل".

فقلت له: "يا أبي، إن النجاسات التي يبذرها الشيطان في سواء أكملتها بالفعل أو لم أكملها فلا يتركني العدو أن أُخبر ا أبي بسبب الاحتشام"! فقال لي: "لا تطع عدوك، بل أخبر أباك ا كلها حتى بأحلام الليل، ولا تخف عنه شيئًا من أفكارك إن كنت مطيعا له في كل شيء من أجل الله، ومؤمنا أنه يحاسب عنك بسبب طاعتك له، وكل ما تخفيه عنه تحاسب أنت عليه". فقلت له: "وهل أعرف شيخا آخر يطيب له قلبي بنجاساتي"؟ فقال: "إذا توفى أبوك وعين أخا يصيره بعده أبا للإخوة فاتبعه، لأن روح أبيك قد تضاعفت عليه مثل إليشع بعد مفارقته لإيليا، ويشوع بعد موسى النبي. فقد قال الآباء: لا تخبر بجراحك غير أبيك الروحاني، وإن كان أبوك قد توفي ولم يعين للإخوة أبا فابحث عن أب شيخ قديس كاملاً في أعماله قدام الله، واظهر له جميع أمراضك وهو يصلّي لأجلك فتتعافى، وهذا واحد من ربوات. لأن الآباء قالوا: لا تظهر خطاياك لكل الناس لئلاّ تعثر كثيرين وتؤذي الضعفاء، وأخيرا تقع فيهم. وبالإجمال، فإذا لم تضرهم أو تتضرر منهم فلا تنتفع منهم وتحرم من الانتفاع بغيرهم. لكن كما كانت الأحكام الصغيرة ترفَع إلى الفهماء من شعب إسرائيل فيحكمون فيها، والأحكام الكبيرة والمسائل الصعبة ترفَع إلى موسى النبي فيحكم فيها، وما صعب عليه فيها يسأل الله عن حكمه فيها؛ هكذا الأمور الصغيرة أخبر ا الفهماء من الإخوة، والأمور الصعبة أخبر ا الأب. وما صعب عليه منها فهو يطلب إرشاد الله عنه.

واحذر أن تقول بقلة إيمان كلمة رديئة على أبيك أو إخوتك حتى لا يمنعك الله من دخول

أرض الميعاد وأكل ثمارها، كما حدث لشعب إسرائيل مع موسى أبيهم ويشوع وكالب أخويهم، وانتبه إلى أنه لم يدخل منهم أرض الميعاد إلاّ هذان اللذان أطاعا أباهما، أما الذين رجعوا بقلو م إلى مصر فقد ماتوا جميعا في البرية. فاثبت أنت مع أبيك مثل يشوع مع موسى لتصير مثله نبيا وصانع عجائب وأبا لأمة كبيرة ووارثًا لأرض الميعاد ومتمتعا بثمارها أنت وبنوك. وقد قال الله: أكرم أباك وأمك ليطول عمرك ويحسن إليك. وقال: من يقول كلمة رديئة على أبيه أو أمه يهلك، وهذا عن الأب الجسداني فكم يكون عن الروحاني! والذي يترك أباه ويسعى فيه (أي يشوه سمعته) يشبه يهوذا الذي ترك معلّمه وسلّمه. والذي يستهزئ بأبيه يرث لعنة حام الذي ضحك على أبيه لما انكشف ويحرم من بركة سام ويافث اللذان سترا جسده".

قُلت له: "يا أبي، إن الشيطان يتعب الرهبان أكثر من أهل العالم". فقال: "نعم، مثل ملك يريد أن يطرد من مملكته قوما ويدخل إليها غيرهم، فلا بد أن يعادي الذين أخرجهم الذين أجلسهم على كراسيهم، ويفعلون م كل ما يقدرون عليه من الشر. فلأن الرهبان يجاهدون لدخول هذه المملكة والجلوس على كراسيها، فالشياطين يقاتلو م بالأكثر. فيجب يا بني، أن نطيع ونتضع لأبينا الروحاني لئلاّ نسقط مثلهم، فبالعظمة والمعصية على أبي الأرواح سقطوا وهلكوا".

وقلت له: "يا أبي، سمعت عن قوم أ م يطوون يومين يومين وأربعة أربعة وستة ستة، فغرت وأريد أن أصوم مثلهم". فقال لي: "إن الذي يفعل هكذا بغير مشورة من أبيه يرفعه الشياطين بالأكثر ثم يحطّونه إلى أسفل سريعا، والذي يعمل أكثر من قوته يقتل جسده، وحينئذ ينكسر كالقوس التي توتر أكثر من حدها".

وقلت: "وإن شتمني أخ فماذا أفعل"؟ فقال: "إذا احتمل المشتوم تغفَر له الخطية التي شتم بسببها وتصير على الشاتم، وذلك مثلاً كأن يقول له: 'يا سارق، يا كذاب'، لأن ذلك يكون مثل الاعتراف، فلما انكشفت خطية المشتوم وسكت واحتمل، فكأنه أقر ا ودين عليها. أما الذي شتمه فتحمل وزرها لكونه دان أخاه بذكرها، وقد أُمر بأن يظهر خطاياه هو فأظهر خطايا غيره. وقد قيل إنه من الجهالة أن يهتم الإنسان بمرض غيره ولا يهتم بمرض نفسه، أو يترك ميته ويبكي على ميت غيره. وأيضا: ما أعظم الجهالة أن يغفل الإنسان عن خطيته ويذكر خطايا أخيه"(٣٤٩).

كان بعض الإخوة يتحدثون معا، وكان بينهم أخ له موهبة نظر الخفايا. فلما كانوا

(٣٤٩) س ٤ ص ٩٧.

يتكلمون عن الروحانيات رأى ملائكة يقتربون منهم وهم فرحون. ولما تكلموا في أمور غير نافعة ابتعدت عنهم الملائكة واقتربت منهم الشياطين[٣٥٠].

قال أحد الآباء: "في أحد الأوقات كنت أتحدث مع الإخوة بكلام نافع فاستغرقوا في النوم حتى إ م لم يتمكنوا من تحريك جفو م. فأردت أن أبين لهم عمل الشيطان وتحولت إلى حديث باطل، فانتبهوا في الحال وفرحوا! فتحسرت وقلت: حتى الآن كنا نتكلم في أمور سماوية وكانت أعينكم غارقة في النوم، ولما تحولنا إلى حديث باطل انتبهتم كلكم بنشاط. فلهذا أطلب منكم يا إخوتي أن تتعرفوا على عمل الشيطان الخبيث و تموا بأن تصغوا للأمور الروحانية محترسين من النعاس"[٣٥١].

كان لأحد المتوحدين في **البرية** خادم علماني يبيع عمل يديه ويحضر له احتياجاته. وكان في المدينة القريبة منه رجل غني جدا، وكان مذموما وقليل الرحمة. وفي أحد الأيام ذهب العلماني إلى المدينة كعادته ليبيع شغل المتوحد، فوجد جنازةً عظيمةً يتقدمها الأسقف والكهنة ويتبعهم كل أهل المدينة. فسأل عن الميت فقيل له إنه فلان الغني كبير المدينة، فمشى مع الجنازة إلى القبر، وكانوا يحملون الشموع والبخور ... إلخ، فتعجب لذلك.

ثم أخذ حاجة المتوحد وذهب إليه فوجده ملقًى على وجهه ميتا والضبعة تجره برجليه. فبكى بكاءً مرا، وألقى بنفسه على الأرض وقال لله: "إنني لن أقوم حتى تعرفني هذا الأمر: ذاك الغني القليل الرحمة كان له كل ذلك ا د والكرامة في موته، وهذا المتوحد ظلّ متعبدا لك ارا وليلاً، وهذه الضبعة أخرجته هكذا تجره برجليه"!

وفيما هو يقول ذلك ظهر له ملاك قائلاً: "من أنت حتى تعارض الرب وتعيب على حكمه؟ ولكن لأجل تعبك مع هذا المتوحد القديس وخدمتك له أنا أعرفك السبب: إن ذلك الغني مع قلة خيره وقلة رحمته، إلاّ أنه عمل في حياته كلها حسنةً واحدةً مع الأسقف، والرب ليس بظالم إذ أراد أن يعوضه عنها في هذه الدنيا حتى لا يكون له عنده شيء. وهذا المتوحد القديس له زلّة صغيرة في عمره كله، وقد جوزي عنها هنا ذه الميتة حتى يكون قدام الله نقيا". فنهض الرجل وهو يشكر الله قائلاً: عادلةٌ هي أحكامك يا رب[٣٥٢]!

اجتمع اثنا عشر من القديسين الحكماء، واتفقوا أن يذكر كل منهم طريقة نسـكه لكي ينتفعوا:

---

(٣٥٠) س ٤ ورقة ١٤٨.

(٣٥١) س ٤ ص ١٦٦؛ Ch., 196.

(٣٥٢) س ٤ ورقة ١٦٠؛ An., 1368; W. & W., II: 10.

فقال الأول: "أنا منذ ابتدأت بالانفراد صلبت ذاتي عما هو خارجا عني، وجعلـت بين نفسي وبين الأشياء الجسمانية سورا، وصرت في بيتي كمن هو داخل السـور فـلا ينظر إلى ما هو خارجا عنه. وكنت أتأمل ذاتي فقط منتظرا من الله الرجاء في كل وقت، وصورت لنفسي الأفكار الخبيثة مثل عقارب وحيات، فمتى شعرت ا تتحرك في طرد ا وأبعد ا بغضب، ولم أكف أبدا عن الغضب على نفسي وجسدي حتى لا يصـنعا أي عمل شرير".

وقال الثاني: "أنا منذ أن زهدت في العالم قلت في نفسي إنني اليوم ولدت فأترك ما مضى وأبتدئ في عبادة الله، واعتبرت نفسي غريبا في المكان الذي سيتلاشى غدا".

وقال الثالث: "أنا من باكر النهار أطرح ذاتي على وجهي أمام ربي وأُقر بجرائمي، ثم أتضرع للملائكة أن يطلبوا من الله العفو عني وعن جميع الناس، ثم أطوف بعقلي في أماكن العذاب وأبكي وأنوح إذ أرى أعضائي مع الذين يعاقَبون ويبكون".

وقال الرابع: "أنا أتصور نفسي جالسا في جبل الزيتون مع الرب وملائكته وأقول لنفسي: "منذ الآن لا تعرف أحدا بالجسد، بل كن مع هؤلاء دائما بم لة مريم الجالسة عند قدمي السيد لتسمع أقواله مطيعةً إياه كقول ربنا: «كونوا أطهارا لأني أنا طاهر» وأيضا: «كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» وأيضا: «تعلّموا مني فإني وديع ومتواضع القلب»".

وقال الخامس: "وأنا أتصور الملائكة صاعدين ونازلين في أخذ النفوس، وأتوقع وفاتي كل يوم وأقول: «مستعد قلبي يا إلهي»".

وقال السادس: "أنا أستشعر كل يوم أنني أسمع من ربنا هذه الأقوال: «اتعبوا من أجلي فأريحكم، إن كنتم أولادي فاستحوا مني كأب محب، وإن كنتم إخوتي فوقّروني. إن كنتم أحبائي فاحفظوا وصاياي، إن كنتم رعيتي فاتبعوني»".

وقال السابع: "أنا أذكّر نفسي ذه: الأمانة (الإيمان) والرجاء والمحبة، وذلك لكي أنجح بالأمانة وأفرح بالرجاء وأتكمل بالمحبة لله والعبادة".

وقال الثامن: "أنا أرى المحتال طائرا طالبا واحدا ليبتلعه، وأرفع نظري العقلي إلى إلهي وأستنجد به منه في ألاّ يجعله يتقوى على أحد، ولا سيما على الخائفين منه".

وقال التاسع: "إني أرى كل يوم كنيسة القوات المعقولة، وأعاين رب ا د في وسطها لامعا جدا وأسمع ألحان تسابيحهم التي يقدمو ا لله، وذلك باعتباري قد فهمت المكتوب:

«السموات تحدث بمجد الله»، فأعتبر كل ما في الأرض رمادا ونفايةً، فيزول عني الضجر والتعب والغم".

وقال العاشر: "أنا أرى الملاك الذي معي قريبا مني وصاعدا بأعمالي وأقوالي، فأحفظ ذاتي وأتذكر قول النبي: «تقدمت فرأيت الرب أمامي في كل حين، إنه عن يميني لكي لا أتزعزع»".

وقال الحادي عشر: "أنا أضع وجهي على ضبط الهوى، والعفة، وطول الروح، والمحبة، وأقول لنفسي: لا تنام".

وقال الثاني عشر: "أما أنتم فلكم أجنحة من السماء، طالبين ما في العلا، فقد انتقلتم بالنية من الأرض، وتعريتم من هذا العالم، فأنتم أناس سمائيون أو ملائكة أرضيون. أما أنا، فإذا قست نفسي بكم أكون غير مستحق للحياة، لأنني أعاين خطاياي أمامي في كل حين، وأينما توجهت تتقدمني، وقد حكمت على ذاتي أنني من الذين هم تحت الأرض قائلاً: إنني سأكون معهم إن كنت مثلهم، وأبصر هناك الدود والحسرات والعبرات المتواصلة المرة، وأناسا تقعقع أسنا م، ويقفزون بكل أجسامهم مرتعشين من رؤوسهم إلى أرجلهم، وأطرح ذاتي على الأرض وأنثر الرماد على نفسي متضرعا إلى الله ألاّ أقاسي تلك العقوبات. وأنظر أيضا بحر نار يغلي ويعج، يتوهم من يبصره أن أمواجه تبلغ إلى السماء، وملائكة متنمرين يطرحون أناسا لا يحصون في ذلك البحر المريع، وكلهم يعجون بولولة عظيمة ويحترقون كالقشة، وقد ابتعدت عنهم رأفات الله بسبب آثامهم، وأظل أنتحب على جنس البشر وأتعجب كيف يجسر أحد أن يتكلم كلمةً أو ينظر نظرةً مخالفةً، وقد أُعدت هذه العقوبات لكل من لا يؤمن بالله ويطيع وصاياه، و ذا أضبط النوح في نفسي والدموع في عيني، وأحكم على نفسي بأنني لست أهلاً للسماء ولا للأرض، متشبها بالنبي القائل: «صارت دموعي لي خبزا ارا وليلاً»".

هذه هي أقوال الآباء المغبوطون وسير م، فطوبى لمن اهتدى بأقوالهم واقتدى بأفعالهم. ومن ربنا نسال العفو والمعونة، وله نقدم التسبيح والشكر، ولأبيه الصالح وروحه القدوس، آمين[٣٥٣].

سأل بعض الإخوة شيخا قائلين: "هل الاسم يخلص أم العمل"؟ فقال الشيخ: "أعرف أحد الإخوة خطر بفكره مرةً أن يبصر نفس بار ونفس خاطئ وقت خروجهما من الجسد. فابتهل مصليا لله زمانا، وإذ لم يشأ الرب الصالح أن يحزنه لأجل تعبه حدث أنّ ذئبا دخل إليه يوما ما في قلايته وأمسك ثوبه بفمه وجذبه خارج القلاية، فتبعه حتى وصل إلى مدينة كبيرة

---

(٣٥٣) البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١١٠.

وتركه قريبا منها وانصرف. وكانت هناك قلاية لراهب متوحد كبير وله اسم عظيم، فجلس بجواره ليراه عند موته لأنه كان عليلاً. فرأى الكثير من الشمع والبخور والأطياب والأكفان الفاخرة مهيأةً لدفنه، وكان أهل المدينة يبكون عليه قائلين: إن الله بصلاة هذا القديس يثبت مدينتنا ويرزقنا الخير ويصنع الرحمة للعالم بأسره".

"ولما جاءت الساعة التي لا مناص منها رأى الأخ حارس جهنم ومعه كلاّبة من الحديد ذات ثلاث شعب متوهجة بالنار، ووقف على رأسه وسمع صوت الرب يقول: لا ترحم هذه النفس لأ ا لم تنيحني ولا يوما واحدا، فلا ترث لها في اجتذا ا من جسدها، فإ ا لن تتنيح مدى الدهور. فوضع الكلاّبة في قلبه وعذّبه ساعةً واحدة. وبعد أن سلّم روحه دخل الشيخ إلى المدينة، فرأى أخا غريبا مطروحا في الشارع عليلاً وليس له من يهتم به. فجلس عنده باكيا يوما واحدا. وفي ساعة رقاده رأى ملاكين جليلين جاءا لأخذ نفسه، فمكثا وقتا طويلاً ينتظران، ولكن تلك النفس لم تشأ الخروج من جسدها. فنظر الملاكان إلى السماء وقالا: "يا رب، ماذا تأمر عبيدك من أجل هذه النفس لأ ا لا تشاء أن تفارق جسدها"؟ فأرسل الرب إليها داود النبي وكل منشدي السماء، فلما قالوا: «ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك، فإن الرب قد أحسن إليك»، وأيضا: «كريم أمام الرب موت قديسيه»، فمن الفرح خرجت نفس ذلك الأخ متهللة"[٣٥٤].

كان شيخ قديس إذا قام بخدمة القداس يرى ملاكين واقفين واحدا عن يمينه والآخر عن يساره. وكان قد أخذ نسخةً من الخولاجي من واحد من المبتدعين في الإيمان، ولأنه كان ساذجا لا يعرف المبادئ اللاهوتية (إلاّ سطحيا)، فقد كان يتلو صلوات القداس من ذلك الكتاب دون أن يدري بما فيه من أخطاء. وبتدبير من الله زاره شماس راهب عالمٌ، فلما خدم الشيخ القداس في وجوده قال له: "ليس هذا هو قول أصحاب الأمانة الصحيحة (الأرثوذكسية)"، ولأن الشيخ كان يبصر الملاكين فلم يلتفت إلى قول الشماس.

وظل الشماس يقول له: "لقد أخطأت يا أبي، والكنيسة الأرثوذكسية لا تقبل هذا القول". ولما رأى الشيخ أنه لا يكف عن توبيخه التفت إلى الملاكين وقال لهما: "ما معنى قول الشماس"؟ فقالا له: "اقبل منه فقد قال لك الصواب". فقال لهما الشيخ: "وأنتما لماذا لم تخبراني ذلك"؟ فقالا: "لقد وضع الله هذا التدبير: أن الإنسان يصحح الآخر"! فصحح الشيخ رأيه من ذلك اليوم، وشكر الله تعالى والشماس[٣٥٥].

---

(٣٥٤) البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ٢٤؛ س ٢ ص ٣٦٦؛ W. & W., II: 11.
(٣٥٥) البستان المطبوع سنة ١٩٥٣، جزء ٣ ص ١١٣.

قيل عن شيخ قديس إنه كان داخلاً إلى مدينة لها أمير كبير، وكانت له ابنة قد أوشكت على الموت. فلما رأى الأمير القديس أمسكه وأعاقه عن السفر قائلاً: "لن أطلقك حتى تصلّي على ابنتي لكي تتعافى". فذهب معه الشيخ ووقف عند رأسها وبسط يديه قائلاً: "أيها الرب العارف بما هو خير للنفوس، يا عالم الغيوب، يا من لا يشاء أن يهلك أحد، أنت تعلم ما هو خير لهذه الصبية، فتمم إرادتك معها". وللوقت سلّمت الصبية روحها. فصاح أبوها على الشيخ قائلاً: "يا للويل منك يا شيخ! فإن كنت لم تقدر أن تقيمها فلا أقل من أن تعطيها لي كما كانت، وإلاّ فلن أُطلقك". فطلب الشيخ من الله، فعادت نفسها إليها مرةً أخرى!

ولما عوفيت لم تلبث أن سارت سيرةً رديئة، فحطّت من كرامة أبيها. فذهب إلى موضع الشيخ وطلب منه قائلاً: "أريد لها أن تموت لأ ا عاشت في سيرة رديئة، وإنني أخجل أن أمشي بسببها"! فقال له الشيخ: "إنني طلبت من الله ما يراه خيرا، وقد علم الله أن مو ا أفضل، ولكنك لم تشأ، والآن لا شأن لي معك". ثم تركه الشيخ(٣٥٦).



(٣٥٦) المرجع السابق ص ١٢٣.